من روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنى محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

الجزء الأول

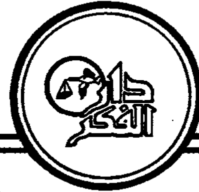
من بداية سورة الفاتحة وحتى الآية (١٧٦) من سورة البقرة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



مقدمة الكتاب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

إن القرآن الكريم دستور السماء لأهل الأرض، هو مصدر عزة المسلمين، وهو المعجزة الخالدة الباقية، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، خشع له ما في السموات والأرضين، وعرف قدره كل ما خلق من نار وماء وطين، تحدى الله به كل لسان، وأبهر به جميع الأفهام، حتى قال الجن عندما سمعوه (إنا سمعنا قرآناً عجبا).

ومع هذا يسَّره الله للذكر، فهيأ له القلوب والعقول، حتى تبارى العلماء في كشف بعض أسرار إعجازه، وقد فعلوا وما زالوا يفعلون فتشعبت اتجاهاتهم، وتفرعت طرقهم، بعضهم قام بالتفسير، وبعضهم عرض لأسباب النزول، وكثيرون وقفوا عند وجوه الإعجاز التي اهتدوا إليها، وآخرون تصدوا للملحدين والفسقة الطاعنين في هذا الكتاب العظيم وما زال التنوع والاختلاف في الدراسات والأبحاث تترى، لكن الجميع يلتقي عند نقطة واحدة، عند مجمع الطرق (خدمة كتاب الله).

ولقد جاء هذا الكتاب الذي بين أيدينا ضمن هذه السلسلة الدينية القرآنية، فسمَّاه مؤلفه سعادة الأستاذ المهندس/ مثنى محمد هبيان - حفظه الله- " من روائع البيان في سور القرآن "، والكتاب يقع في ثلاثة عشر مجلداً، التزم فيه المؤلف منهجاً

علمياً رسمه لنفسه منذ البداية، حيث سار على خطى الترتيب المكاني للسور في المصحف الشريف، مبيناً هدف كل سورة بشكل مختصر، ورابطاً بين خواتيم السورة السابقة وفواتح السورة التي تليها، ثم مبيناً ما هدي إليه من اللمسات البيانية في كل سورة على شكل أسئلة وأجوبة، معتمداً في كثير من الأحيان على الإحصاءات العددية والجداول المفهرسة.

وقد أراد المؤلف من وراء هذا الكتاب أن يؤكد بالأدلة على أن الأسلوب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المألوف من نظام جميع كلام العرب شعره ونثره، مع أنه منظوم من نفس تلك اللغة، ومن أجل هذا طال هذا الكتاب وطالت معه الفائدة والمتعة معاً.

أقدم خالص شكري وتقديري وإعزازي للأستاذ المهندس/ مثنى هبيان على ما بذله من جهد في خدمة كتاب الله، وأعترف له باحترامي وتقديري للمرة الثانية على أمانته العلمية، حينما أكد في مقدمته على أن كل ما له من فضل في هذا الكتاب ينحصر في جمع المعلومات وكتابتها وترتيبها، وأن الفضل ينسب لمن صنَّف أولاً.

أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

دكتور/ زكريا توفيق إسماعيل

جمهورية مصر العربية

محاضر سابق بكلية اللغة العربية

بجامعة أم القرى في مكة المكرمة

تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ رافع لواء الهدى ، وخير الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد :

فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى أوحى به لنبيه ﷺ، وهو الدليل الأعظم على نبوته ورسالته للعالمين ، وقد تحدى هذا القرآن البشر على أن يأتوا بمثله فعجزوا ولم يقدروا على ذلك ، كما عجزوا عن معارضته فصار القرآن معجزاً لهم .قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء ٨٨.

وإنّ (إعجاز القرآن) هو حقيقة واضحة مقررة ، وهو وسيلة لإثبات مصدر القرآن الرباني وأنه كلام الله سبحانه وتعالى ، وينتج عن ذلك بشكل تلقائي الإقرار بنبوة محمد ﷺ الذي بعثه الله رسولاً ورحمة للعالمين .

وإنّ هذا القرآن القادم من الملأ الأعلى ، والذي نزل به سيدٌ من كبار سادات الملأ الأعلى وهو جبريل عليه السلام ، فيه من الأسرار ودواعي الإعجاز ما يُعجز أهل الدنيا عن حصره وعده .

وكلما أمعنت النظر والتدقيق والموازنة بين الآيات ازددت يقيناً وبصيرة في ذلـك، وانتهيت إلى حقيقةٍ مسلّمةٍ أنّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر، وأن الخلق جميعاً لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله ما قدروا عليه ولا قاربوا.

ولذلك كان العيش مع بعض أسرار القرآن الكريم هو متعة بحد ذاتهـا ، لا يحس بها إلا مَنْ عاشها وتذوقها، وإن التبصّر بـأسرار التعبـير والاقـتراب مـن مـواطن الفـن والجمال التعبيري فيه من الشعور بسعادة غامرة وسمو روحي لا يعرفه إلا من جاء ينهل من منهل هذا الكتاب المعجز بعقل متفتح وقلب يقظان .

والتعبير القرآني الواحد قد تجد فيه إعجازاً لغوياً جمالياً، وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخياً أو إعجازاً نفسياً أو إعجازاً تربوياً أو إعجازاً تشر-يعياً ، أو غير ذلك .

وأحبُ أنْ أُبيّن في مقدمة هذا الكتاب أنّ ما جمعته من روائع البيان وبيـان مـواطن الفن والجمال هي ليست بقصد حصر مواطن الإعجاز ، حتى ولا بعض مواطنـه، وإنـما هو غيض من فيض ، وهذه الروائع بحد ذاتهاهي ملامحُ ودلائلُ وإضاءاتٌ توضع على الطريق لتدل السالك على أنّ هذا القرآن هوكلام الله تعالى ، وقـد جـاء القـرآن بصـيغة كلام فنيٌ مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسـجاً محكـماً فريـداً ، لا يشـابهه كـلام ولا يرقى إليه حديث ، حُسِبَ لكل كلمة فيه حسابُها ، بل لكل حرفٍ ، بل لكل حركة .

أمّا شأن الإعجازككل ، فهيهات ، إنه أعظم من كلِ ما نقول ، وأبلغ مـن كـلِ مـا نصِف ، وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجـب .وسـيبقى القـرآن مفتوحـاً

للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ، وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز واشاراته ما لم يخطر على بال . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾فصلت ٥٣.

كما أحب أن أوضح في البداية للقارىء الكريم النقاط التالية :

١ـ كنت قد بدأت منذ سنوات عديدة نتيجة لحبي الشديد لجمال اللغة العربية بجمع المعلومات البلاغية واللغوية بقصد الاطلاع الشخصي فقط وليس للنشر، وذلك من كتب الدكتور فاضل السامرائي المختلفة، وكذلك من حلقاته التلفزيونية (لمسات بيانية) التي كان يقدمها في تلفزيون الشارقة، ومن بعض التفاسير مثل تفسير الرازي وتفسيرالشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى ،وكنت أكتب المعلومات في أوراق مستقلة دون كتابة المراجع ، ثم تَجمّع عندي بمرور الوقت ركام كبير من الأوراق ، مما جعلني أفكربالاستعانة بالحاسوب ، وقد كان ذلك .

ثم رأيت بعد سنوات وبقصد أن تعم الفائدة أن أجمع الأسئلة والأجوبة لكل آية وأرتّبها حسب ترتيب آيات القرآن الكريم ، وذلك مما تجمّع عندي من فضل الله تعالى ليسهل الرجوع إليه عند اللزوم ، ثم رأيت أن أطبع ذلك في كتاب، لذلك فليعذرني القارىء الكريم حيث لم أبيّن مصدر المعلومات عند كل جواب، وإنما ذكرت المراجع بشكل عام في نهاية الكتاب ؛ لذا أرجو المعذرة ؛ إذ كان لي فقط جمع المعلومات وكتابتها وترتيبها، وهي بالأصل من أصحابها وإليهم ينسب الفضل، وجزاهم الله عنا كل خير ، وشأني في ذلك شأن ما فعله العلامة ابن منظور المصري في مقدمته في كتاب لسان العرب حيث قال : (وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمُتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بها ، سوى أني جمعت ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ، وبسطت القول فيه ولم أقنع

باليسير ، وطالب العلم منهوم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو صحة أو خلل فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعوّل، لأنني نقلت عن كل أصل مضمونه ....) .

٢ـ وإذا كان للقارىء الكريم رأي آخر في أمر معين ، أو اعتبر أنّ الإجابة غير صحيحة أو غير واضحة ، فأطلب منه الصبر والعذر وألا يبخل عليّ بدعوة يسأل الله فيها أن يبصّرني بالصواب وأنْ يعطيني أجر ذلك .

٣ـ كما أرجو كذلك أن يعذرني القارىء الكريم عن أي خطأ ورد في الإحصاءات العددية لتكرار شيء في القرآن الكريم ؛ فقد عملت ما في وسعي لتدقيقها ، لكنْ لا يمكن الوصول إلى الكمال ، فالكمال لله وحده .

٤ـ كان منهاج هذا الكتاب لكل سورة من سور القرآن الكريم هو على الشكل التالي:

آ ـ الربط بين خواتيم السورة السابقة ومفتتح السورة التي تليها في التسلسل القرآني المعروف وبشكل مختصر .

ب ـ بيان هدف السورة بشكل مختصر .

ج ـ بيان (من اللمسات البيانية في السورة) على شكل أسئلة وأجوبة لتسليط الإضاءة على نقطة السؤال.

د ـ تناسب مفتتح السورة مع خاتمتها .

٥ـ معظم الأسئلة والأجوبة هي في سياق البيان والنحو والبلاغة من حيث التشابه والاختلاف في التعبير ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، وإجراء الموازنات بين الآيات المتشابهة .

كما أنّ هناك أموراً أخرى ذُكرت في مواطنها لبعض الأسئلة وهي تعتبر قليلة مثل بعض اللطائف العددية في بعض الآيات لمن يهمه هذا المجال ، وأعتذر ممن له رأي آخر في هذا .

٦ـ كما أنني قمت بعمل فهارس لمنظومات بعض الكلمات القرآنية ليسهل على القارىء الرجوع إليها في الكتاب .

٧- كما قمت أيضاً بعمل فهرس لأهم الفقرات النحوية التي وردت في الكتاب ليستفيد منها القارىء الكريم .

٨ـ وأود أن أنوه إلى أن هذا العمل هو لوجه الله تعالى وليس للكسب المادي الدنيوي.

٩ـ ثم إنني أثني بالشكر والتقدير لمن قدّم أي نوع من أنواع المساعدة برأي سديد أو توجيه مفيد ، أو ساعد في الإعداد والتنسيق والطباعة ، وكذلك أقدم شكري لأي جهدٍ أو تشجيعٍ تلقيته من أخ أو أخت ، سائلاً المولى القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً ، وأن يثيبهم الله من فضله ، إنه جواد كريم .

وهنا لا بد من أُقدّم أجزل الشكروأعطر الثناء لأستاذي القدير الدكتور فاضل صالح السامرائي حفظه الله ورعاه ،الذي كان له أكبر الأثر في جمع المعلومات والتشجيع والتشاور من خلال كتبه المميزة ومحاضراته وحلقاته التلفزيونية .

وكذلك أقدم شكري الجزيل للدكتورين الكريمين أحمد الكبيسي ـ وحُسام النعيمي؛ حيث استفدت كثيراً من الحلقات التلفزيونية التي كانا يؤديانها.

وكذلك أقدم شكري الكبير للأخت الكريمة سمر أرناؤوط وزميلاتها؛ حيث استفدت من المعلومات التي أعدتها في موقعهاعلى الإنترنت .

كما أخص بالذكر والشكر الأستاذ في اللغة العربية أخي عبد الجبار لطفي لتفضله في المراجعة اللغوية وتقديم المساعدة في إتمام إخراج هذا الكتاب .

كما أشكر الدكتور زكريا توفيق إسماعيل على جهوده الكبيرة في المراجعة اللغوية للكتاب مما ساعد كثيراً في إتمام هذا العمل بشكل جيد .

اللهم هذا جهد المُقِل وبضاعة المقصّر فتقبله مني يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين ، وما كان فيه من خير فمن فضلك وتوفيقك يا رب العالمين وما كان فيه من خلل أو زلل فمن قصورٍ مني وتقصير .

اللهم أقلْ عثرتي وأزلْ زلتي واغفرْ لي ذنبي وامحُ خطيئتي واجمعني ووالديّ والقارىء الكريم ومن أحببناه فيك في جنتك من فضلك وكرمك ، إنك على كل شيء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المهندس

مثنى محمد هبيان

الاستعاذة

قال الله تعالى :

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠٠].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون:٩٧- ٩٨].

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤-٣٥-٣٦].

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها ، وهو أنّ الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عن طبعه - الطيِّب في الأصل - إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة من العدوِّ الشيطانيِّ لا محالة ، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً ، ولا يبتغي غير هلاكِ ابنِ آدم لشدَّةِ العداوة بينه وبين أبيه آدمَ عليه السلام من قبل .

والشيطان في لغة العرب : مشتَقٌّ من - شطن - إذا بَعُدَ ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير ، وقيل هو مشتَقٌّ من - شاط - لأنه مخلوق من النار .

روى مطعم بن جبير عن النبي ﷺ حين افتتح الصلاة قال : «**الله أكبر كبيراً، ثلاث مرات، والحمد لله كثيراً، ثلاث مرات، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً**»، ثلاث مرات ثم قال ﷺ: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من هَمزِه ونَفخِه ونَفثِه**» .

والرَّجيمُ: معناه المرجومُ أي: ملعونٌ، كما قال تعالى للشيطان: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ [الحِجر:٣٤] .

والاستعاذة هي: الالتجاء والاستجارة إلى الله تعالى لتجنُّب ودفع كل ذي شر، ولطلب كل ذي خير ، وجاء بالصيغة الفعلية لتدلَّ على الحدوث والتجدُّد .

والاستعاذة لا تتمُّ إلا بعلم العبد بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدينية والدنيوية، وعن دفع جميع المضار الدينية والدنيوية ، وأنّ الله تعالى وحده هو القادر على إيجاد جميع المنافع ودفع جميع المضار ، فإذا حصل هذا العلم ، حصل للقلب انكسار وتواضع وخضوع .

والآياتُ تطلب منا الاستعاذة من الشيطان قبل أن نقرأ القرآن ؛ ذلك لأن كل مخلوق إذا اتجه إلى خالقه واستعاذ به يكون هو الأقوى برغم ضعفه لأنك جعلت الله في جانبك ، ونحن حينما نصفي جهاز استقبالنا لحسن استقبال كلام الله ،لا نفعل ذلك بقدراتنا نحن ولا بقوتنا ولكن بالاستعانة بقوة وقدرة الله ، لماذا؟ لأن معوِّقات المنهَج عند الإنسان المؤمن إنما هي من عمل الشيطان.

وعطاء الله في القرآن الكريم متساوٍ لجميع الخلق ولكن كل إنسان يأخذ على قدر إيمانه، فالقرآن يُقرأ والناس تسمع ، ولكن هل يتقبل الجميع القرآن تقبُّلاً متساوياً ؟ بالطبع لا.

والله سبحانه يريدنا عندما نقرأ القرآن أن نُبعِدَ الشيطانَ عن أنفسنا قبل أن يُبعِدَنا هو عن منهج الله وعن آياته .

وبما أننا لا نرى الشيطان وهو يرانا ولا نعرف أين هو، بينما هو يعرف أين نحن ، فلا بد من أن نستعيذ بقوةٍ تستطيع أن تقهره ، فطلب الله منا أن نستعيذ به وأن نلجأ إليه لأنه هو القادر على أن يحمينا ويصفي قلوبنا ونفوسنا من همزات الشياطين ، فيحسن استقبالنا للقرآن وآياته فتمسّ آياتُه قلبَك ونفسَك وتكون لك هدىً ونوراً .

سؤال : هل من فرق بين الرجيم والمرجوم؟

جواب : عندنا لغتان: فعيل ومفعول. فعيل نسميها صفةً مشبَّهةً كأن الرجم لازم له . وعندما نقول : مرجوم، في لغة تميم تقول: مفعول، وفي لغة الحجاز تقول أحياناً: فعيل ، لكن هنا ليست بفارق اللغة، وإنما اختيرت الصفة المشبهة التي تدل في الغالب على الثبات ، وهذا يعني أنّ صفة الرجم لاصقة به. أمّا المرجوم فقد يكون مرجوماً الآن لكن لا يكون مرجوماً بعد ساعة، بينما (رجيم) هو صفته اللاصقةُ به أي أن عليه هذا الرجم دائماً.

من لطائف الاستعاذة :

١ـ في قوله :(أعوذ بالله) عروج من الخلق إلى الخالق .

٢ـ الاستعاذة اعترافٌ بعجز النفس وبقدرة الرب .

٣ـ أنّ الإقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان .

٤ـ أنّ سر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك .

٥ـ الشيطان عدوٌّ للإنسان .

٦ـ الاستعاذة طهور للفم مما كان يتعاطاه العبد من اللَّغو والرَّفث وتطييبٌ له وهو يتهيأ لتلاوة كلام الله ، وهي أيضاً تنظيف للقلب من لَوث وسوسة الشيطان .

٧ـ إنما قال : (أعوذ بالله) ولم يذكر اسماً آخر بل ذكر (الله)؛ لأنّ هذا الاسم أبلغُ في كونه زاجراً عن المعاصي عن سائر الأسماء والصفات؛ ولأنه فقط الإله المستحق للعبادة.

٨ـ عندما يقول العبد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) دلّ ذلك على أنه لا يرضى بأن يجاور الشيطان .

٩ـ الشيطان اسم، والرجيم صفةٌ، فذكر الحق سبحانه الاسم والصفة ، فكأنّ الله يقول لك إنّ هذا الشيطان بقي في الخدمة ألوفاً من السنين فلما تكبر رجمناه وطردناه ، وأنت لو جلس معك لحظة واحدة لألقاك في النار، فكيف لا تشتغل بطرده ولعنه، فقل: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

١٠ـ للعبد عَدُوَّان : أحدهما ظاهرٌ والآخر باطنٌ وهو مأمور بمحاربتهما لكن محاربةُ العدو الباطن ـ وهو الشيطان ـ أولى؛ لأنه إن وجد فرصةً فهي في الدين واليقين، وإنْ غلبك كنت مفتوناً ، وأمّا العدو الظاهر ففي متاع الحياة الدنيا، وإنْ غلبك كنت مأجوراً.

١١ـ أدخَلَ الألفَ واللامَ في (الشيطان) ليكونَ تعريفاً للجنس؛ لأن الشياطين كثيرة مرئيةٌ وغير مرئيةٍ .

١٢ـ كأنه تعالى يقول : (إنه شيطان رجيم ، وأنا رحمن رحيم) فابعد عن الشيطان الرجيم لتصل إلى الرحمن الرحيم .

١٣ـ أعوذ : فعل مضارع يصلحُ للحال حقيقةً وللمستقبل مجازاً .

والله أعلم .



سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القرآن الكريم منذ اللحظة التي نزل فيها ، نزل مقروناً باسم الله سبحانه وتعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾[العلق:١] ونحن حينما نقرأ القرآن نبدأ نفس البداية .

وإننا مطالبون أن نبدأ كل عمل باسم الله؛ لأننا لا بدّ أن نحترم عطاء الله في كونه ، فحين نزرع الأرض مثلاً لا بدّ أن نبدأ باسم الله؛ لأننا لم نخلق الأرض التي نحرثها، ولا خلقنا البذرة التي نبذرها، ولا أنزلنا الماء من السماء لينمو الزرع ،وهكذا.

وأنت حين تبدأ كل شيء باسم الله كأنك تجعل الله في جانبك يعينك .

ومن رحمة الله سبحانه أنه علّمنا أن نبدأ كل شيء باسم الله ؛ لأنّ الله هو الاسم الجامع لصفات الكمال سبحان، والفعل عادة يحتاج إلى صفات متعددة ، فلو أنّ الله لم يخبرنا بالاسم الجامع لكل الصفات كان علينا أن نحدد الصفات التي نحتاج إليها، كأن تقول : باسم القوي، وباسم الرزاق، وباسم المجيب، وباسم القادر، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات، ولكنّ الله تعالى جعلنا نقول :﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الجامع لكل هذه الصفات .

قال رسول الله ﷺ : «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**» أي: عمل ناقص فيه شيء ضائع ، لأنك حين لا تبدأ العمل باسم الله قد

يصادفك الغرور بأنك أنت الذي سخرت ما في الكون ليخدمك وينفعل لك، وحين لا تبدأ العمل باسم الله فليس عليه جزاء في الآخرة فتكون قد أخذت عطاءه في الدنيا وبترت عطاءه في الآخرة ، أمّا إذا أردت عطاء الدنيا والآخرة فأقبل على كل عمل باسم الله .

وعندما تبدأ قراءة القرآن باسم الله الذي آمنت به رباً وإلهاً والذي عاهدته على أن تطيعه فيما أمر وفيما نهى ، وأنه خلق وأوجد ، ويحيي ويميت، وله الأمر في الدنيا والآخرة، وأنه سيثيبك في الآخرة تشعر أنّ البداية من الله والنهاية إلى الله سبحانه وتعالى.

ونلاحظ أنّ هناك ثلاثة أسماء لله قد تكررت في البسملة وفي سورة الفاتحة، وهذه الأسماء هي : (الله ـ الرحمن ـ الرحيم) ونقول إنه ليس في القرآن تكرار، وإذا تكرر اللفظ فإنّ معناه في كل مرة يوحي بدلالة جديدةعن معناه في المرة السابقة؛ لأنّ الله هو المتكلم ؛ لذلك فهو يضع اللفظ في مكانه الصحيح وفي معناه الصحيح .

وقولنا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هو استعانة بقدرة الله حين نبدأ فعل الأشياء، وهي كذلك طلب العون من الله بكل كمال صفاته .

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في البسملة لها معنى غير ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة ، ففي البسملة هي تذكرنا برحمة الله وغفرانه وتوفيقه حتى لا نستحي من أن نستعين به إن كنا قد فعلنا معصية، والله يريدنا أن نستعين باسمه دائماً في كل أعمالنا ، فاذا سقط واحد منا في معصية ، قال: كيف أستعين باسم الله وقد عصيته؟

نقول له: ادخل عليه من باب الرحمة يغفر لك واستعن به يجبك ، وأنت حين تسقط في معصية تستعيذ برحمة الله من عدله؛ لأنّ عدل الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولولا أن رحمة الله سبقت عدله ما بقي للناس نعمة وما عاش أحد على ظهر الأرض ، فالله يقول في سورة النحل : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل:٦١]

والإنسان خلق هلوعاً ضعيفاً وذنوبه كثيرة ، ولا يمكن لأحد أن ينسب الكمال إلى نفسه حتى الذين يبذلون أقصى جهدهم في الطاعة ، والنبي ﷺ يقول: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

ولكن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة مقترنةٌ برب العالمين الذي أوجدك من عدم وأمدك بنِعَمٍ لا تعد ولا تحصى، فأنت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله في ربوبيته ، ذلك أنّ الربوبية ليس فيها من القسوة بقدر ما فيها من رحمة.

والله سبحانه رب للمؤمن والكافر، وقد جعل الله رحمته تسبق غضبه، وهذه رحمة تستوجب الشكر، لذلك في الفاتحة تأتي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بمعنى رحمة الله في ربوبيته لخلقه؛ فهو يمهل العاصي ويفتح أبواب التوبة لكل من يلجأ إليه.

كذلك علمنا الحق أن نقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لكي نعرف أنّ الباب مفتوح للاستعانة بالله ، وأنّ المعصية لا تمنعنا من الاستعانة في كل عمل باسم الله؛ لأنه رحمن رحيم .

الفاتحة

أولاً ـ هدف السورة: شاملة لأهداف القرآن :

سُمِّيت الفاتحة، وأم الكتاب، والشافية، والوافية، والكافية، والأساس، والحمد، والسبع المثاني، والقرآن العظيم ، كما ورد في «صحيح البخاريِّ» أنّ النبيَّ ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلّى: «**لأعلّمنّك سورة هي أعظم السور في القرآن: الحمدُ لله ربِّ العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» وقد وصفها الله تعالى بالصلاة.

فما سِرُّ هذه السورة؟

سورة الفاتحة مكية، وآياتها سبع بالإجماع ، وسميت الفاتحة لافتتاح الكتاب العزيز بها فهي أول القرآن ترتيبا لا تنزيلاً، وهي على قصرها حوت معاني القرآن العظيم واشتملت مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وفروعه: العقيدة، العبادة، التشريع، الاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء والتوجه إليه جلّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين ، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقة والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه وغير ذلك من مقاصد وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لباقي السور الكريمة، ولهذا تسمى بأمِّ الكتاب.

إذن اشتملت سورة الفاتحة على كلِّ معاني القرآن، فهدف السورة الاشتمالُ على كل معاني وأهداف القرآن.

والقرآن نصَّ على : العقيدة والعبادة ومنهج الحياة. والقرآن يدعو للاعتقاد بالله، ثم عبادته، ثم حدد المنهج في الحياة، وهذه نفسها محاور سورة الفاتحة:

١ـ العقيدة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٣-٤].

٢ـ العبادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

٣ـ مناهج الحياة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

وكل ما يأتي في كل سور وآيات القرآن هو شرح لهذه المحاور الثلاث.

٤ـ تذكِّرُ سورة الفاتحة بأساسيات الدين؛ ومنها:

آ ـ شكرُ نعم الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

ب ـ الإخلاص لله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

ج ـ الصحبة الصالحة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧].

د ـ وتذكُّرُ أسماء الله الحسنى وصفاته ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣].

هـ ـ الاستقامة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦].

و ـ الآخرة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤] ويوم الدين هو يوم الحساب.

ز ـ أهمية الدعاء.

ح ـ وحدة الأمة ﴿نَعۡبُدُ﴾ ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ورد الدعاء بصيغة الجمع مما يدل على الوحدة، ولم يرد بصيغة الافراد.

إذن سورة الفاتحة تُسَلسِلُ مبادئَ القرآن (عقيدة، عبادة، منهج حياة) وهي تثني على الله تعالى وتدعوه؛ لذا فهي اشتملت على كل أساسيات الدين.

أنزل الله تعالى الكتب الثلاثة (الزبور، التوراة، والإنجيل) ثم جمع هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع القرآن في الفاتحة، وجُمعت الفاتحة في الآية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

وقد افتتح القرآن بها فهي مفتاح القرآن، وتحوي كل كنوز القرآن، وفيها مدخلٌ لكل سورة من باقي سور القرآن ، وبينها وبين باقي السور تسلسلٌ بحيث إنه يمكن وضعها قبل أي سورة من القرآن ويبقى التسلسل بين السور والمعاني قائماً.

ثانياً ـ أسماء هذه السورة :

١ـ فاتحة الكتاب.

٢ـ سورة الحمد.

٣ـ أم القرآن.

٤ـ السبع المثاني.

٥ـ الوافية.

٦ـ الواقية.

٧ـ الأساس.

٨ـ الشفاء.

٩ـ الصلاة : في الحديث القدسي « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي** ».

١٠ـ سورة الشكر.

١١ـ سورة الدعاء.

وهناك أسماء أخرى ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى .

ثالثاً ـ فضل السورة :

الآن وقد عرفنا أهداف سورة الفاتحة التي نكررها (١٧) مرة في صلاة الفريضة يومياً ما عدا النوافل، لا شك أننا سنستشعر هذه المعاني ونتدبر معانيها ونحمد الله تعالى ونثني عليه وندعوه بالهداية لصراطه المستقيم.

وسورة الفاتحة مكية على قول أكثر العلماء، وفي فضائلها ذكر العلماء أنّ منها :

آ ـ نزلت من كنز تحت العرش .

ب ـ قال الحسين رضي الله عنه : أودع الله سبحانه العلوم في الكتب الأربعة : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المُفصَّلِ، ثم أودع علوم المفصَّلِ في الفاتحة .

ج ـ فاتحة الكتاب شفاءٌ من السُّمِّ، كما في حديث حذيفة بن اليمان .

د ـ وسورة الفاتحة تعلمنا كيف نتعامل مع الله، فأولها ثناء على الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢]، وآخرها دعاء لله بالهداية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة:٦] ولو قسَّمنا حروف سورة الفاتحة لوجدنا أنّ نصف عدد حروفها ثناء (٦٣ حرفاً) من ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ونصف عدد حروفها دعاء (٦٣ حرفاً) من ﴿ٱهْدِنَا

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ إلى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وكأنها إثبات للحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فاذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين) ، قال الله عز وجل: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله عز وجل: أثنى علي عبدي، وإذا قال : (مالك يوم الدين)، قال عز وجل: مجّدني عبدي، وقال مرَّةً: فوّض إلي عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**» فسبحان الله العزيز الحكيم الذي قدّر كلَّ شيء.

وقد سُئِلَ عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه : لماذا تقف بعد كل آية من آيات سورة الفاتحة؟ فأجاب : لأستمتع بردِّ ربي.

❁❁❁❁

رابعاً ـ اللمسات البيانية في السورة :



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾

السؤال الأول:

ما معنى الباء في قوله تعالى ﴿بِسْمِ﴾؟ وما متعلَّقُها؟

الجواب:

البصريون يسمونها باء الإلصاقِ، والكوفيون يسمونها باء الآلة، ويسميها قومٌ باء التضمين ، وهي متعلِّقةٌ بمضمرٍ لا محالة، و قد يكون اسماً وقد يكون فعلاً، وعلى التقديرين يجوز أن يكون متقدِّماً ويجوز أن يكون متأخراً نحو :

ـ ابتداء الكلام باسم الله ، أو : باسم الله ابتدائي المضمر اسم

ـ أبدأ باسم الله ، أو : باسم الله أبدأ المضمر فعل

السؤال الثاني:

لماذا حُذفت الهمزة من (باسم) وتكتب ﴿بِسۡمِ﴾ ؟

الجواب:

للوصل فأصبحت تكتب وتلفظ ﴿بِسۡمِ﴾ .

السؤال الثالث:

ما دلالة جمع الصيغتين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ معاً في البسملة ؟

الجواب:

قد يجمع القران الكريم صيغتين من مادة واحدة احتياطاً للمعنى كقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وذلك:

١ ـ صيغة «فعلان»: تدل على الصفات المتجددة نحو: عطشان وجوعان وغضبان ، وهذه الصفات ليست ثابتةً بل تزول وتتحول .

٢ ـ صيغة «فعيل» تدل على الثبوت نحو : كريم وبخيل وطويل وجميل ، وفي لغتنا الدارجة تقول : هو ضعفان، إذا أردت الحدوث ، فإن أردت الثبوت تقول : هو ضعيف، وكذلك «طولان و طويل».

٣ ـ جمع الله لذاته الوصفين : إذ لو اقتصر على (رحمن) لظنَّ ظانٌّ أنّ هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريّان ، ولو اقتصر على (رحيم) لظَنَّ أنّ هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها ، إذ قد تمرُّ على الكريم أوقات لا يكرم فيها، وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك .

والله سبحانه متصف بأوصاف الكمال، فجمع بينهما حتى يعلم العبد أنّ صفته الثابتة هي الرحمة، وأنّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع ، وحتى لا يستبد به الوهم بأنّ رحمته تعرض ثم تنقطع، أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه ، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه .

٤ـ واعلم أنه لما تفرَّدَ الربُّ سبحانه بعظم رحمته لم يُسَمِّ بالرحمن ـ بالألف واللام ـ أحداً غيره.

وعندما ندعو الله سبحانه : يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، فإن رحمة الله في الدنيا هي للمؤمن والكافر، أمّا رحمته في الآخرة فهي للمؤمن فقط.

السؤال الرابع:

ما الأحرف الأبجدية التي لم ترد في هذه السورة ؟وما دلالة ذلك ؟

الجواب:

هذه السورة لم يحصل فيها سبعةٌ من الحروف وهي (الثاء ـ الجيم ـ الخاء ـ الزاي ـ الشين ـ الظاء ـ والفاء) .

وقالوا : إن هذه الحروف السبعةَ مشعرةٌ بالعذاب مثل (الثبور ـ جهنم ـ الخزي ـ الشقاء ـ ظل ذي ثلاث شعب، و لظى ـ الفراق) كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم:١٤] .

ونقول: ربما تكون الحكمة : أنّ الله تعالى ذكر في كتابه أنّ لجهنم سبعة أبواب ، والله أسقط سبعة من الحروف من هذه السورة وهي أوائل ألفاظ تدل على العذاب تنبيهاً

على أنّ من قرأ هذه السورة وآمن بها وعرف حقائقها صار آمناً من الدركات السبع في جهنم، والله أعلم.



﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

السؤال الأول:

ما معنى الحمد ؟ وما الفرق بين الحمد والمدح ؟

الجواب:

معنى الحمدِ: الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال. فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية، كالعلم والصبر والرحمة ،أم على عطائه وتفضُّله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل.

وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح فقد تمدح جماداً ولكن لا تحمده .

وقد ثبت أنّ المدح أعم من الحمد، فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده ، أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان. فالحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد ، أمّا المدح فقد يكون قبل ذلك؛ فقد تمدح إنسانا ولم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل؛ ولذا كان المدح منهياً عنه، قال رسول الله ﷺ: «**احثوا التراب في وجه المداحين**» بخلاف الحمد فإنه مأمور به؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**من لم يحمد الناس لم يحمد الله**».

وبذا علمنا من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن الله حيٌّ له الصفات الحسنى والفعل الجميل، فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه، ولو قال : (المدح لله) لم يفد شيئاً من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

السؤال الثاني :

لِمَ لم يقل سبحانه (الشكر لله) ؟

الجواب:

لأنّ الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاته الذاتية، فإنك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته ، وقد تحمده على ذلك .

وقد جاء في «لسان العرب» : (والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمُّهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته، فكان اختيار الحمد أولى أيضا من الشكر لأنه أعم، فإنك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك وإلى الخلق جميعاً، وتثني عليه بصفاته الحسنى الذاتية ، وإن لم يتعلق شيء منها بك، فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر.

السؤال الثالث:

قوله تعالى :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولِمَ لم يقل (أحمد الله) أو (نحمد الله) ؟

الجواب:

قوله تعالى :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أولى من وجوه عدة:

١ـ أنّ القول (أحمد الله) أو (نحمد الله) مختص بفاعل معين، ففاعل (أحمد) هو المتكلم وفاعل (نحمد) هم المتكلمون ، في حين أنّ عبارة (الحمد لله) مطلقةٌ لا تختص

بفاعل معين وهذا أولى ، فإنك إذا قلت : (أحمد الله) أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أنّ غيرك حمده ، وإذا قلت : (نحمد الله) أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أنّ غيركم حمده ، في حين أنّ عبارة (الحمد لله) لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.

٢ـ وقول (أحمد الله) تخبر عن فعلك أنت ولا يعني ذلك أنّ من تحمده يستحق الحمد، في حين إذا قلت (الحمد لله) أفاد ذلك استحقاق الحمدِ لله وليس مرتبطاً بفاعل معين.

٣ـ وقول (أحمد الله) أو (نحمد الله) مرتبط بزمن معين؛ لأنّ الفعل له دلالة زمنية معينة، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أنّ الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه.

ولا شك أنّ الزمن الذي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود، وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود الزمن، وإنّ أقصى ما يستطيع أن يفعله أنْ يكون مرتبطاً بعمره ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل، فيكون الحمد أقل مما ينبغي، وحمد الله لا ينبغي أن ينقطع ولا يحد بفاعل أو بزمان ، ولذلك فإنّ عبارة﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مطلقة غير مقيدة بزمن معين ولا بفاعل معين، فالحمد فيها مستمر غير منقطع.

جاء في «تفسير الرازي» أنه لو قال :(أحمد الله) أفاد ذلك كون القائل قادراً على حمده، أمّا لما قال (الحمد لله) فقد أفاد ذلك أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين وقبل شكر

الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.

وقول (أحمد الله) جملة فعلية و(الحمد لله) جملة اسمية ، والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أنّ الجملة الاسمية دالة على الثبوت، وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية ههنا؛ إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.

٤ـ وقول (الحمد لله) معناه أن الحمد والثناء حقٌّ لله وملكه، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلآئه على العباد. فقولنا: (الحمد لله) معناه : أنّ الحمد لله حق يستحقه لذاته، ولو قال :(أحمد الله) لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد بذاته، ومعلوم أنّ اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أنّ شخصاً واحدا حمده.

والحمد عبارة عن صفة القلب، وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلاً منعماً مستحقاً للتعظيم والإجلال. فإذا تلفَّظَ الإنسان بقوله : (أحمد الله) مع أنه كان قلبه غافلاً عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذباً لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامداً مع أنه ليس كذلك.

أما إذا قال: (الحمد لله) سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأنّ معناه: أنّ الحمد حق لله وملكه ، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد

مشتغلاً بمعنى التعظيم والاجلال أو لم يكن. فثبت أنّ قوله (الحمد لله) أولى من قوله (أحمد الله) أو من (نحمد الله).

ونظيره قولنا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإنه لا يدخل في التكذيب، بخلاف قولنا "أشهد أن لا اله إلا الله" لأنه قد يكون كاذباً في قوله "أشهد" ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون:١].

السؤال الرابع:

لماذا لم يقل﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالنصب أي (الحمدَ لله)؟

الجواب:

إن قراءة الرفع أولى من قراءة النصب، ذلك أنّ قراءة الرفع تدل على أنّ الجملة اسمية، في حين أنّ قراءة النصب تدل على أنّ الجملة فعلية، بتقدير"نحمد" أو "أحمد" او «احمدوا» بالامر، والجملةُ الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت.

وقد يقال : أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع بمعنى «احمدوا الحمد لله» كما تقول: «الإسراع في الأمر» بمعنى أسرعوا؟

والجواب: لا . فإن قراءة الرفع أولى أيضاً ذلك لأنّ الأمر بالشيء لا يعني أنّ المأمور به مستحق للفعل، وقد يكون المأمور غير مقتنع بما أمر به فكان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع أولى من (الحمدَ لله) بالنصب في الإخبار والأمر.

السؤال الخامس:

لماذا لم يقل «حمداً لله»؟

الجواب:

الحمد لله معرَّفةٌ بأل، وحمداً نكرة، والتعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكير، ذلك أن «أل» قد تكون لتعريف العهد فيكون المعنى: أنّ الحمد المعروف بينكم هو لله، وقد يكون لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق فيدل على استغراق الأحمدة كلها، ورجح بعضهم المعنى الأول ورجح بعضهم المعنى الثاني، بدليل قوله ﷺ: «**اللهم لك الحمد كله**» فدل على استغراق الحمد كله، فعلى هذا يكون المعنى: أنّ الحمد المعروف بينكم هو لله على سبيل الاستغراق والإحاطة فلا يخرج عنه شيء من أفراد الحمد ولا أجناسه.

السؤال السادس:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أهي خبر أم انشاء؟

الجواب:

الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب ، والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب.

قال أكثر النحاة والمفسرين :إنّ (الحمد لله) إخبار كأنه يخبر أنّ الحمد لله سبحانه وتعالى، وقسم قال : إنها إنشاء؛ لأنّ فيها استشعار المحبة، وقسم قال : إنها خبر يتضمن إنشاء.

وأحيانا يحتمل أنْ تكون التعبيرات خبراً أو إنشاء بحسب ما يقتضيه المقام الذي يقال فيه، فعلى سبيل المثال قد نقول : (رزقك الله) ونقصد بها الدعاء وهذا إنشاء، وقد نقول: (رزقك الله وعافاك) والقصد منها: أفلا تشكره على ذلك؟ وهذا خبر.

والحمد لله هي من العبارات التي يمكن أنْ تستعمل خبراً وإنشاء بمعنى الحمد لله خبر، ونستشعر نعمة الله علينا ونستشعر التقدير كأنْ نقولها عندما نستشعر عظمة الله سبحانه في أمر ما فنقول : الحمد لله.

السؤال السابع :

لماذا لم يقل سبحانه : إنّ الحمد لله؟

الجواب :

لا شك إنّ الحمد لله ، لكن هناك فرق بين التعبيرين أنْ نجعل الجملة خبراً محضاً في قول﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حيث (تعمل للخبر أو الإنشاء) ولكن عندما تدخل عليه (إنّ) لا يمكن إلا أنْ يكون إنشاء ، لذا فقول : (الحمد لله) أولى لما فيه من الإجلال والتعظيم والشعور بذلك ، لذا جمعت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بين الخبر والإنشاء ومعناهما. مثلا نقول : رحمة الله عليك (هذا دعاء) وعندما نقول : إنّ رحمة الله عليك، فهذا خبر وليس دعاء .

ومن المعلوم أنه في اللغة قد تدخل بعض الأدوات على عبارات فتغير معناها مثال: رحمه الله (دعاء) أما: قد رحمه الله (إخبار) ، رزقك الله (دعاء) أما : قد رزقك الله (إخبار)

السؤال الثامن :

لماذا لم يقل سبحانه : لله الحمد؟

الجواب:

لله الحمد : تقال إذا كان هناك كلام يراد تخصيصه ،مثال(لفلانٌ الكتاب) تقال للتخصيص والحصر، وإذا قُدِّمَ الجارُ والمجرورُ على اسم العلم يكون بقصد الاختصاص والحصر (لإزالة الشك أنّ الحمد سيكون لغير الله)

الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعالى. الحمد في الدنيا قد تقال لأستاذ أو سلطان عادل ، وأمّا العبادة فهي قاصرة على الله سبحانه وتعالى .

والمقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلاً ، وليست مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أو ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد وردت في القران الكريم ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦].

لا أحد يمنع التقديم، لكنّ التقديم والتأخير في القرآن الكريم يكون حسب ما يقتضيه السياق. والمقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية ، أمّا في سورة الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والموت لغير الله سبحانه، لذا اقتضى ذكر تفضله سبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أنّ الحمد الأول لله سبحانه على كل ما خلق لنا، فهو المحمود الأول، لذا جاءت (فلله الحمد) مقدَّمةً حسب ما اقتضاه السياق العامُّ للآيات في السورة.

السؤال التاسع:

لماذا التفصيل في الجاثية ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦] ولم ترد في الفاتحة؟

الجواب:

١ـ في الجاثية: تردَّدَ ذكر السموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعالى لهما، فقد جاء في أول السورة ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الجاثية:٣] فلو نظرنا في جوِّ سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الجاثية:٢٧] يعني هو ربُّهما ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾ [الجاثية:٢٧] إذن هو رب العالمين ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٢] فهو ربهما ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ﴾ [الجاثية:٢٢] فهو ربُّ العالمين. ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ [الجاثية:٣٦] فجمع الربوبية في السموات والارض والعالمين في آية واحدة ، أمّا في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط وذكر أصناف الخلق من العالمين ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ، ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ .. لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٧] ولم يذكر الكبرياء في الفاتحة؛ لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق كما في الآيات: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩﴾ [الجاثية:٧-٨-٩] فدلّ على مظهر من مظاهر الاستكبار، لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض، فسبحانه تعالى يضع الكلام بميزان دقيق بها يتناسب مع السياق العام للآيات.

السؤال العاشر:

في قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جاء سبحانه وتعالى باسمه العلم ﴿ٱللَّهُ﴾ ولم يقل الحمد للخالق أو القدير أو أي اسم آخر من أسمائه الحسنى، فلماذا جاء باسمه العلم؟

الجواب:

١ـ لأنه إذا جاء بأي اسم آخر غير العَلَمِ لدلَّ على أنه تعالى استحقَّ الحمد فقط بالنسبة لهذا الاسم خاصة، فلو قال: الحمد للقادر، لفهمت على أنه يستحق الحمد للقدرة فقط، لكن عند ذكر الذات ﴿ٱللَّهُ﴾ فإنها تعني أنه سبحانه يستحق الحمد لذاته لا لوصفه.

٢ـ من ناحية أخرى: الحمد لله مناسبة لما جاء بعدها ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لأنّ العبادة كثيراً ما تختلط بلفظ الله، فلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ يعنى الإله المعبود، مأخوذة من أَلِهَ (بكسر اللام) ومعناها: عُبِدَ، ولفظ الله مناسب للعبادة، وأكثر اسم اقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (وللعلم فإنّ أكثر من ٥٠ مرة اقترن لفظ الله بالعبادة في القران) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة.

لذلك نجد أنّ الحمد﴿لِلَّهِ﴾ أولى من قول: الحمد للسميع، أو العليم، أو غيرها من أسماء الله الحسنى. وقولُ: الحمد لله، أولى من قول: أحمد الله، أو الحمدَ لله، أو حمداً لله، أو أنّ الحمدَ لله، أو الحمدُ للحيِّ، أو القادر، أو السميع، أو البصير. جلَّت حكمة الله سبحانه وتعالى وجلّ قوله العزيز.

السؤال الحادي عشر :

ما السور التي بدأت بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ؟

الجواب :

١ ـ السور التي بدئت بالحمد هي خمسُ سور أولها الفاتحة ، ثم : الأنعام، الكهف، سبأ، وفاطر . ثم نجدها تتكرر في داخل عدد من السور في سبع عشرة مرة .

و هذه البدايات تبيّن نماذج من الحمد، وعلى الأغلب أنّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] في الفاتحة هو جنس الحمد ، وهناك نماذج أخرى يُحمَد الله عز وجل لآلائه ، فهنا من رحمته، وهنا من فضله، وهنا من علمه، وهنا من إعطائه العلم للآخرين، وهنا من رحمته بهم، وهنا من خلقه السموات والأرض.

و السور الأربع كأن بداياتها متكاملة:

آ ـ الأولى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١].

والآية تكلمت عن الأمور المنظورة والكلام فيها عن الخلق بمعنى البدء ، لكن غالباً فيه معنى التقدير والتصوير، لأنهم يقولون : هذا الصانع خلق القماش ، يعني قدّره قبل أنْ يقصه، والخلق غير التكوين والإنشاء، والتصوير يصور الشيء، والكلام هنا خاص عن خلق السموات والأرض ، ومن رحمة الله سبحانه تعالى جعل الظلمات والنور، معناه : نظّم السموات والأرض بما فيها من ظلمات ونور مبنية على الحركة وعلى وجود الإشعاع من داخل بعضها ، وبعضها خال من الإشعاع.

ب ـ الثانية : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر:١] هذه الآية تكلمت عن الأمور غير المنظورة كالملائكة .

ج ـ الثالثة : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سبأ:١] الآية تكلمت عن ملك الله تعالى للسموات والأرض ، وكل ما في السموات والأرض هو ملك لله سبحانه وتعالى وحده .

د ـ ثم الرابعة : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف:١] الآية تكلمت عن الكتاب الذي يجمع كل القيم ويبين المنهج الإلهي .

فهذه نماذج من آلاء الله سبحانه وتعالى ونعمه التي يجب أن يُحمد عليها، لكن لكل حمدٍ في كل سورة حيثيةٌ خاصةٌ .

٢ـ أمّا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢] في سورة الفاتحة فجمعت كل الحيثيات فجاءت شاملةً للكون كله ، وجاء بلفظ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾لتدل على جنس الحمد كلّه ، بينما توجد حيثياتٌ جزئيةٌ في بدايات السور الأربع، و بينها نوع من التلازم والتشابك.

٣ـ عندما ننتقل إلى عموم سور القرآن الكريم نجد في كل موضع كلمة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ لها معناها ولها مدلولها لكن يجمعها جميعاً حتى في هذا الموضع (آية الفاتحة ٢) أنه ليس فيها معنى الحصر وقصر الحمد على الله سبحانه وتعالى وليس فيها دعوة إلى أنْ لا يحمد سواه .

لكن سنجد في آيات أخرى هناك قصر ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ ، ففي الأماكن التي يقول الله فيها :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يفسح المجال فيها لأن يحمد الإنسان غير الله سبحانه وتعالى للبشر مثلاً على خُلُقِه، على علمه، على كرمه، لكنْ في الأماكن التي يُطلب فيها أنْ يكون الحمد حصراً وقصراً لله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ أو ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ .



قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

السؤال الأول:

ما معنى الرَّبِّ في اللغة ؟

الجواب:

الرَّبُّ هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيّم، فإذن رب العالمين هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيّمهم، لذا فهو أولى بالحمد من غيره، وذكر ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي أنسب ما يمكن وضعه بعد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

رب العالمين يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؟

الجواب:

العالمين: جمع عَالَم ، والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى ، والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين، لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغيٌّ، ويعني ذلك أنّ العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (أي: لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١] ومن المؤكد أنه ليس نذيراً للبهائم والجماد. وبهذا استدلوا على أنّ المقصود بالعالمين أولو العقل وأولو العلم أو المكلفون.

و﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع العالم بكل أصنافه لكن يغلُب العقلاء على غيرهم فيقال لهم: (العالمين) ولا يقال لعالم الحشرات أو الجماد أو البهائم :﴿العالمين﴾، وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين إلا إذا اجتمع العقلاء مع غيرهم وغلبوا عليهم.

أمّا العوالم قد يطلق على أصناف من الموجودات ليس منهم البشر أو العقلاء أو المكلفون ﴿تقال للحيوانات والحشرات والجمادات﴾.

السؤال الثالث:

لماذا لم تجمع عالم على عوالم ؟ وما الفرق بين عوالم وعالمين و علاّم؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية :

صيغة الجمع (فواعل) هي جمع تكسير، وهي إمّا أنْ تكون :

آ ـ جمعاً لمؤنث بصيغة فاعلة ، نحو : كافرة وكوافر ـ ساجدة وسواجد ـ نازلة ونوازل.

ب ـ أو جمعاً لغير العاقل بصيغة فاعل، نحو : قارض وقوارض ـ زاحف وزواحف ـ ناقص ونواقص.

٢ـ (عالمين) :

ومفردها (عالم) ولم تجمع على عوالم في القرآن الكريم حسب القاعدة اللغوية أعلاه ، والسبب في ذلك أنّ المقصود بها في السياقات القرآنية هو العاقلون ، فأحياناً

المقصود منها هو عالم الناس ، وأحياناً عالم الإنس والجن (الثقلان)، وأحياناً عالم الملائكة والشياطين ، وأحياناً يتسع معناها فتشمل المخلوقات كافة، العاقلين وغير العاقلين لذلك ينبغي أنْ تجمع كلمة (عالم) على (عالمين) إشارةً إلى العاقلين من الإنس والجن والملائكة والشياطين لتمييزها عن العوالم غير العاقلة.

قال الفرّاء وأبو عبيدة : العالم عبارةٌ عما يعقل من (الإنس والجن والملائكة والشياطين) ولا يقال للبهائم : عالم .

٣ـ علاّم :

وردت في القرآن الكريم أربع مرات في آيات (المائدة ١٠٩و ١١٦ ، التوبة ٧٨، سبأ ٤٨) وهي مبالغة من عالم ، وقد تكون علاّمة بزيادة تاء التأنيث للمبالغة لكن لا تستعمل مع الله تعالى ، ولم يقل القرآن : علاّمة ، لأنّ علم الله لا يترقى بلاغة ولا كمية . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما سبب اختيار كلمة ﴿رَبِّ﴾ و﴿ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ اختيار كلمة العالمين له سببه في سورة الفاتحة، فـ (العالمين) تشمل جيلاً واحداً، أو قسماً من جيل ، وقد تشمل كل المكلفين، وفي الآية : ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠﴾ [الحِجر:٧٠] في قصة سيدنا لوط جاءت هنا بمعنى: قسم من الرجال.

واختيار العالمين أيضاً لأنّ السورة كلها في المكلفين ، وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله وتقسيم الخلق، وكله خاص بأولي العقل والعلم ، لذا كان من المناسب

اختيار العالمين على غيرها من المفردات أو الكلمات، وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المغضوب عليهم وهم اليهود، و(العالمين) رد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى هو رب اليهود فقط، فجاءت ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لتشمل كل العالمين لا بعضهم.

٢ـ أمّا اختيار كلمة ﴿رَبِّ﴾ فلأنها تناسب ما بعدها ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة:٦] لأنّ من معاني الرب (المربي)، وهي أشهر معانيه وأولى مهام الرب الهداية ، لذا اقترنت الهداية كثيراً بلفظ الرب ، كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى كما في الآيات :

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه:٤٩-٥٠] .

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه:١٢٢] ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى:١-٢-٣] ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام:١٦١] ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾ [الكهف:٢٤] ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾ [الصافات:٩٩] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص:٢٢] لذا ناسب لفظ رب مع اهدنا الصراط المستقيم وفيها طلب الهداية.

السؤال الخامس:

أين وردت ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢] كاملة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ وردت ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢] كاملة في القرآن الكريم في ستة مواضع هي : الفاتحة ٢، الأنعام ٤٥ ، يونس ١٠، الصافات ١٨٢، الزمر ٧٥ ، غافر ٦٥ .

٢ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] **في بداية الفاتحة بعد البسملة معناه بداية عمل.**

وفي نهاية سورة الصافات بعد الحديث عن الكون وما يضم إلى قيام الساعة انتهاء الحياة ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١-١٨٢] النهاية.

كذلك في نهاية سورة الزمر﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزُّمَر:٧٥] والأنعام ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥] في نهاية الحياة، وفي نهاية السور التي تشير إلى نهاية الحياة، أونهاية مواقف معينة تأتي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وفي الأنعام نهاية عمل وانتهى أمرهم.

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيها كلام عن الناس، لاحظ الآية الأولى﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس:١٠] هذا في يوم القيامة في الجنة، وقوله تعالى في سورة غافر ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥] هنا في آخر الدعاء ، وهنا يحتمل أوله وآخره ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ [غافر:٦٥] كأنما الحمد في الأولى والآخرة.

والفائدة التي نقولها أنّ كلمة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] جاءت في أول الفاتحة تحميداً وتمجيداً لله سبحانه وتعالى وبها يختم العمل والدعاء وتأتي في سور أخرى في الآخرة أي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ في البدء وفي الختام.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

السؤال الأول:

كلمتا (الرحمن،الرحيم) كل منهما مشتق من الرحمة. فما الفرق بينهما في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾؟

الجواب:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾على وزن فعلان، والرحيم على وزن فعيل، ومن المقرر في علم التصريف في اللغة العربية أنّ صفة (فعلان) تمثل الحدوث والتجدد والامتلاء والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى، فيقال: غضبان، بمعنى امتلأ غضباً ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ [طه:٨٦] لكنّ الغضب زال ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ [الأعراف:١٥٤] ومثل ذلك عطشان، ريان، جوعان، فيكون عطشان فيشرب فيذهب العطش .

أما صيغة (فعيل) فهي تدل على الثبوت سواء كان خِلقة ، مثل طويل، جميل، قبيح، فلا يقال : خطيب، لمن ألقى خطبة واحدة، وإنما تقال لمن يمارس الخطابة، وكذلك الفقيه.

هذا الإحساس اللغوي بصفات فعلان وفعيل لا يزال في لغتنا الدارجة إلى الآن فنقول لمن بدا عليه الطول (طولان) فيرد : هو طويل (صفة ثابتة)، فلان ضعفان (حدث فيه شيء جديد لم يكن) فيرد : هو ضعيف (هذه صفته الثابتة فهو أصلاً ضعيف) .

ولذا جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معاً، فلو قال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فقط لتوهم السامع أنّ هذه الصفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضبان وغيره، ولو قال : ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ وحدها لفهم منها أنّ صفة رحيم مع

أنها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة إنما قد تنفك، مثلاً عندما يقال : فلان كريم، فهذا لا يعني أنه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة، إنما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

وجاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين ليدل على أنّ صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة ، ويدل على أنّ رحمته لا تنقطع ، وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى، وجاء بالصفتين الثابتة والمتجددة لا ينفك عن إحداهما فهذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك البتة وغير منقطعة.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ : والرحمن معناه كثير الرحمة، أو ذو الرحمة العامة الشاملة، ولذلك يقولون: كلمة الرحمن معناها : هو رحمن في الدنيا والآخرة، وهو رحمن بكل خلقه مؤمنهم وكافرهم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يحرم الكافر من رحمته، وفي الحديث: «**لو كانت هذه الدنيا تعدل جناح بعوضة عند ربكم ما سقى كافراً فيها شربة ماء**». لكن يسقي الكافر ويعطيه الصحة ويعطيه النظر ويعطيه السمع ويعطيه الاستقامة وهو يكفر بالرحمن، ومع ذلك يرحمه الله في هذه الدنيا، ولكن سيأتي الوقت الذي يحاسبه عليه، فهو رحمن في الدنيا والآخرة للجميع.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: أما اسم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فجاء في المرتبة الثالثة في السورة: الله، الرحمن، الرحيم. يقول علماؤنا: الرحيم بالمؤمنين .

و لذلك لاحظ كلمة الرحمن لأنها المرحلة الثانية بعد لفظ الله، جاءت مثل لفظة (الله) التي لا يُسمّى بها مخلوق ، كذلك كلمة (الرحمن) لا يسمى بها مخلوق ولا حتى بالإضافة ، لذلك لما مسيلمة الكذاب سُمِّيَ : رحمن اليمامة أخزاه الله سبحانه وتعالى.

لكن كلمة (الرحيم) يمكن أنْ يوصف بها البشر أيضاً؛ لأنها رحمة قليلة بالقياس إلى الرحمن ولا تقارن برحمة الله سبحانه وتعالى ، وقد وصِفَ محمد ﷺ بالرحيم في الآية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]. وأنت يمكن أن تقول : هذا إنسان رحيم، لكن لا يمكن أنْ تقول: هذا إنسان رحمن، هذا التدرج يفيد الانتقال من الكل إلى الجزئيات.

السؤال الثاني:

لماذا إذن قدّم سبحانه (الرحمن) على (الرحيم)؟

الجواب:

قدّم صيغة الرحمن، والتي هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حدودها؛ لأنّ الإنسان في طبيعته عجول ، وكثيرا ما يؤثر الإنسان الشيء الآتي السريع وإنْ قل على الشيء الذي سيأتي لاحقا وإنْ كثر ، ووقوع كلمة (الرحيم) بعد كلمة الرَّبِّ يدلنا على أنّ الرحمة هي من صفات الله تعالى العليا، وفيها إشارة إلى أنّ المربي يجب أنْ يتحلى بالرحمة وتكون من أبرز صفاته وليست القسوة ، والرَّبُّ بكل معانيه ينبغي أنْ يتصف بالرحمة سواء كان مربياً أو سيداً أو قيماً وقد وصف الله تعالى رسوله بالرحمة.



﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ماذا عن القراءة ثانية (مَلِكِ)؟

الجواب:

هناك قراءة متواترة ﴿**مَلِكِ يوم الدين**﴾ [الفاتحة:٤] وبعض المفسرين يحاولون تحديد أي القراءتين أولى وتحديد صفة كلٍّ منهما ، لكنْ في الحقيقة ليس هناك قراءة أولى من قراءةٍ فكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والمَلِكِ.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين المَلِكِ والمالك ؟

الجواب:

المالك من التملُّكِ، والمَلِك بكسر اللام (بمعنى الذي يملك المِلكَ) .

ومَلِكٌ -بكسر اللام- من (المُلك) -بضم الميم- أي الحُكمِ كما في الآية ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزُّخرُف:٥١] ـ المُلكُ هنا بمعنى الحكم ، والحاكم الأعلى هو الله تعالى.

المالك قد يكون ملكاً وقد لا يكون ، والمَلِك قد يكون مالكاً وقد لا يكون. المالك يتصرَّفُ في ملكه كما لا يتصرف المَلِكُ (بكسر اللام) ، والمالك عليه أن يتولى أمر مملوكه من الكسوة والطعام ، والملِك ينظر للحكم والعدل والإنصاف.

المالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم، والملِك هو المتصرف الأكبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة ، فنزلت القراءتان لتجمع بين معنى المالك والمَلِك وتدل على أنه سبحانه هو المالك وهو المَلِك ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] ـ المُلكُ ملكُه سبحانه وتعالى ، فجمع بين معنى المِلكية والمُلكِ .

السؤال الثالث:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ لِمَ لمْ يذكر الدنيا؟ سواء كان مالكاً أو مَلِكاً فلماذا لم يقل (مالك يوم الدين والدنيا)؟

الجواب:

أولا : قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فهو مالكهم ومَلِكُهم في الدنيا وهذا شَمَلَ الدنيا. (مالك يوم الدين) هو مالك يوم الجزاءِ، ويعني مَلَكَ ما قبله من أيام العمل ،والعمل يكون في الدنيا، فقد جمع في التعبير يوم الدين والدنيا، وبقوله: (يوم الدين) شمل فيه الدنيا أيضاً.

السؤال الرابع:

لِمَ قال : يوم الدين، ولم يقل : يوم القيامة؟

الجواب:

الدِّين بمعنى الجزاء، وهو يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم ، ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين، وكلمة (الدين) أنسب للفظ (رَبِّ العالمين) وأنسب للمكلفين (الدِّين يكون لهؤلاء المكلفين) فهو أنسب من يوم القيامة؛ لأنّ القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء، أمّا الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين؛ لأنّ الكلام من أوله لآخره عن المكلفين، لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة.

السؤال الخامس:

لماذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ﴾ فأضاف الملك إلى اليوم، واليوم لا يُملَكُ ؟

الجواب:

اليوم لا يملك لكن ما فيه يملك ، والسبب لقصد العموم، ومالك اليوم هو مالك لكل ما فيه وكل من فيه ، فهو أوسع، وهو ملكية كل ما يجري وما يحدث في اليوم

وكل ما فيه ومن فيه، فهي إضافة عامة شاملة جمع فيها ما في ذلك اليوم ومن فيه وأحداثه وكل ما فيه من باب المِلكية (بكسر الميم) والمُلكية (بضم الميم).

السؤال السادس :

ما أسماء يوم القيامة التي وردت في القرآن ؟

الجواب:

عدد أسماء يوم القيامة في القرآن هو أربعة وعشرون اسماً ، وهي :

١ـ يوم الدين . [الفاتحة: ٤]

٢ـ الآخرة . [البقرة: ٤]

٣ـ القيامة . [البقرة: ٨٥]

٤ـ الدار الآخرة . [البقرة: ٩٤]

٥ـ اليوم الآخر . [البقرة: ١٧٧]

٦ـ الساعة . [الأنعام: ٣١]

٧ـ يوم الحسرة . [مريم: ٣٩]

٨ـ يوم البعث . [الروم :٥٦]

٩ـ يوم الفصل . [الصافات :٢١]

١٠ـ يوم التلاق . [غافر: ١٥]

١١ـ يوم الآزفة . [غافر: ١٨]

١٢ـ يوم الحساب . [غافر :٢٧]

١٣ـ يوم التناد . [غافر: ٣٢]

١٤ـ يوم الجمع . [الشورى : ٧]

١٥ـ يوم الوعيد . [ق : ٢٠]

١٦ـ يوم الخلود . [ق : ٣٤]

١٧ـ يوم الخروج . [ق : ٤٢]

١٨ـ الواقعة . [الواقعة : ١]

١٩ـ التغابن . [التغابن : ٩]

٢٠ـ الحاقة . [الحاقة : ١]

٢١ـ القارعة . [الحاقة: ٤]

٢٢ـ الطامة الكبرى . [النازعات : ٣٤]

٢٣ـ الصاخة . [عبس: ٣٣]

٢٤ـ الغاشية . [الغاشية: ١]

لذلك كان اقتران الحمد بهذه الصفات في الآيات السابقة أحسن اقتران وأجمله:

ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فالله محمود بذاته وصفاته على العموم والله هو الاسم العلم ، ثم محمود بكل معاني الربوبية .

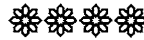
ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنّ من الأرباب من لا تحمد عبوديته.

ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو محمود في كونه رحمن رحيم، محمود في رحمته لأنّ الرحمة لو وضعت في غير موضعها تكون غير محمودة، فالرحمة إذا لم توضع في موضعها لم تكن

مدحاً لصاحبها، أمّا الله فمحمود في رحمته يضعها حيث يجب أنْ توضع وهو محمود يوم الدين محمود في تملكه وفي مالكيته.

- ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ محمود في ملكه ذلك اليوم كما في قراءة (مَلِكِ يوم الدين).

فاستغرق الحمد كل الأزمنة فلم يترك سبحانه زمناً لم يدخل فيه الحمد أبداً من الأزل إلى الأبد ، فقد استغرق الحمد قبل الخلق ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حين كان تعالى ولم يكن معه شيء قبل حمد الحامدين وقبل وجود الخلق والكائنات، فاستغرق الحمد هنا الزمن الأول وعند خلق العالم ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ . واستغرق الحمد وقت كانت الرحمة تنزل ولا تنقطع ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ واستغرق الحمد يوم الجزاء كله، ويوم الجزاء لا ينتهي لأنّ الجزاء لا ينتهي، فأهل النار خالدون فيها وأهل الجنة خالدون فيها لا ينقضي جزاؤهم، فاستغرق الحمد كل الأزمنة من الأزل إلى الأبد كقوله تعالى ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ فهذه الآيات جمعت أعجب الوصف.



﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾

السؤال الأول:

لِمَ قدَّمَ مفعولي الفعلين (نعبد) و(نستعين) ؟

الجواب:

قدّم هنا في الآية المفعولين لنعبد ونستعين، وهذا التقديم هو للاختصاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة ، لذا لم يقل : نعبدك ونستعينك؛ لأنها لا تدل على

التخصيص بالعبادة لله تعالى ، أمّا قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده، وكذلك في الاستعانة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تكون بالله حصراً وكما في الآية ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة:٤] فكلها مخصوصة لله وحده حصراً، فالتوكل والإنابة والمرجع كله إليه سبحانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم:١١].

أمّا قوله تعالى﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [المُلك:٢٩] فإن تقديم الإيمان على الجار والمجرور هنا لأن الإيمان ليس محصوراً بالله وحده فقط، بل علينا الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر، لذا لم تأت (به آمنا) ، أمّا في التوكل فجاءت ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [المُلك:٢٩] لا (توكلنا عليه) لأنّ التوكل محصور بالله تعالى وحده.

السؤال الثاني:

لماذا كُرِّرت ﴿إِيَّاكَ﴾ مع فعل الاستعانة ولم يقل (إياك نعبد ونستعين)؟

الجواب:

التكرار يفيد التنصيص على حصر المستعان به، ولو اقتصرنا على ضمير واحد (إياك نعبد ونستعين) لم يعن المستعان إنما عنى المعبود فقط ، ولو اقتصرنا على ضمير واحد لفهم من ذلك أنه لا يتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة، بمعنى أنه لا يعبد بدون استعانة ولا يستعان به بدون عبادة. ويفهم من الاستعانة مع العبادة مجموعة ربط الاستعانة بالعبادة ، وهذا غير وارد، وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ،

ونستعين به على وجه الاستقلال . وقد يجتمعان ، لذا وجب التكرار في الضمير ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ .

والتكرار توكيد في اللغة، وفي التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف.

السؤال الثالث:

ما دلالة إطلاق فعل الاستعانة وعدم تقييده بشيء معين ؟

الجواب:

أطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد بأن نستعين على شيء معين، أو نستعين على طاعة معينة، أو غيره، إنما أطلقها لتشمل كل شيء، فهي ليست محددة بأمر واحد من أمور الدنيا بل وتشمل كل شيء يريد الإنسان أن يستعين بربه؛ لأن الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد.

السؤال الرابع:

ما دلالة استعمال ضمير الجمع ﴿نَعۡبُدُ﴾ ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ ولم يستعمل ضمير المفرد ؟

الجواب:

لقد عبّر سبحانه عن الاستعانة والعبادة بلفظ ضمير الجمع ﴿ نَعۡبُدُ﴾ و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ وليس بالتعبير المفرد (أعبد) و(أستعين) ، وفي هذا إشارة إلى أهمية الجماعة في الاسلام ،لذا تلزم قراءة هذه السورة في الصلاة ، وتلزم أنّ صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة ،وفيها دليل على أهمية الجماعة عامة في الإسلام مثل الحج وصلاة الجماعة، الزكاة، الجهاد،الأعياد، والصيام، إضافة إلى أنّ المؤمنين إخوة، فلو

قال : إياك أعبد؛ لأغفل عبادة إخوته المؤمنين ،ولذلك عندما نقول : إياك نعبد، نذكر كل المؤمنين ويدخل القائل في زمرة المؤمنين أيضاً.

السؤال الخامس:

لماذا قرن العبادة بالاستعانة؟

الجواب:

١ـ ليدل على أنّ الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوفيقه، فهو إذن شعار وإعلان أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بعون الله .

٢ـ وهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات وعن حمل الأمانة الثقيلة إذا لم يعنه الله تعالى على ذلك، فالاستعانة بالله علاج لغرور الإنسان وكبريائه واعتراف الإنسان بضعفه.

السؤال السادس:

لماذا قدم العبادة على الاستعانة؟

الجواب:

١ـ العبادة هي علة خلق الإنس والجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦] والاستعانة إنما هي وسيلة للعبادة، فالعبادة أولى بالتقديم.

٢ـ العبادة هي حق الله، والاستعانة هي مطلب من مطالبه، وحق الله أولى من مطالبه.

السؤال السابع:

تبدأ السورة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٣-٤] وهذه كلها من أسلوب الغَيبَةِ، أي كلها للغائب، ثم انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلو قسنا على سياق الآيات الأولى لكان أولى القول: (إياه نعبد وإياه نستعين) فلماذا لم يقل سبحانه هذا؟

الجواب:

في البلاغة يسمى هذا الانتقال من الغائب للمخاطب أو العكس : الالتفات. وللالتفات فائدة عامة وفائدة في المقام، أمّا الفائدة العامة فهي تطرية لنشاط السامع وتحريك الذهن للإصغاء والانتباه.

وأمّا الفائدة التي يقتضيها المقام فهي إذا التفت المتكلم البليغ يكون لهذه الالتفاتة فائدة غير العامة نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢] فيها التفات فلم يقل : وجرين بكم ، لأنهم عندما ركبوا في البحر وجرت بهم الفلك أصبحوا غائبين وليسوا مخاطبين.

وعندما قال سبحانه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فهو حاضر دائماً، فنودي بنداء الحاضر المخاطب.

والكلام من أول الفاتحة إلى ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ كله ثناء على الله تعالى، والثناء يكون في الحضور والغيبة ، والثناء في الغيبة أصدق وأولى أمّا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فهو دعاء ، والدعاء في الحضور أولى وأجدى ، إذن الثناء في الغيبة أولى والدعاء في الحضور أولى والعبادة تؤدى في الحاضر وهي أولى.

السؤال الثامن:

هل بالإمكان أن يقال في غير القرآن (وبك نستعين)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ : الفعل يتعدّى بنفسه ﴿اِستَعَانَهُ﴾ أو يتعدى بحرف الجر (استعانَ به) وهو متعدٍّ في الحالتين استعنتَهُ أو استعنتَ به. وإذا تقدَّمَت (بك نستعين) سيكون معنى الحصر أيضاً في (إياك) وفي (بك) ، لكن لماذا فُضّلت (إياك) على (بك)؟ وما الفائدة؟

نلاحظ أنّ الآيات السابقة هي نوع من التربية والتوجيه وليس فيها موضع شَكٍّ، والتأكيد يكون في مواضع الشك، أنت تقول : نجح زيد، إذا كان السامع خالي الذهن، لكن إذا كنت تعلم أنّ لديه بعض الشك في نجاح زيد فتقول له: لقد نجح زيد، فتستعمل مؤكِّدات مثل : إنّ زيداً ناجح، أو إنّ زيداً لناجح ، بحسب ما تعتقده من شك في نفسه، فلمّا كان الفعل يتعدّى بنفسه فهذه الباء لم تزده معنى ، يعني هي ليست مثلاً للمصاحبة أو الوسيلة كما تقول : كتبت بالقلم، فلما لم تأتِ لزيادةِ معنى فهي للتأكيد. تقول: ليس زيدٌ مسافراً ، نفيتَ السفر عن زيد ، فإذا أردت التأكيد تقول: ليس زيد بمسافرٍ، وكما في قوله تعالى ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ فهنا فيها تأكيد.

والموضع في آية الفاتحة ليس موضعَ تأكيد ، يعني ليس هناك شك في أنّ الله سبحانه وتعالى يعلِّمُ المؤمنين أن يقصروا الاستعانة عليه سبحانه، فلما كان ليس فيها شك لا يستعمل الباء (بك نستعين) فجاءت ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنه لو جاءت (إياك نعبد وبك نستعين) كأنه يريد أنْ يزيل شكاً بهذا التأكيد والشك هنا غير وارد، بينما قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ كان هناك شك وإلا كان يقول: (أليس الله كافياً عبده) فلمّا أكد معناه أراد أن يزيل شكاً في نفوس المتلقِّين وهذه لغة العرب.

هذا شيءٌ، والشيء الثاني لو قال: (إياك نعبد وبك نستعين) تفوتُ هذه المناسبة والملاءمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إياك وإياك. وهذه مسألة ثانويةٌ لكنّ المسألة الأساسية ترتبط بالمعنى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.



﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) ﴾

السؤال الأول:

هل قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو صيغة دعاء ؟

الجواب:

هذا دعاء، ولا دعاء مفروض على المسلم قوله غير هذا الدعاء، فيتوجب على المسلم قوله عدة مرات في اليوم، وهذا بدوره يدلّ على أهمية الطلب، وهذا الدعاء له أثره في الدنيا والآخرة، ويدلّ على أنّ الإنسان لا يمكن أن يهتدي للصراط المستقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك. وإذا تُرِك الناس لأنفسهم لذهب كل إلى مذهبه ولم يهتدوا إلى الصراط المستقيم ،وبما أنّ هذا الدعاء في الفاتحة ولا صلاة بدون فاتحة؛ فلذا

يجب الدعاء به في الصلاة الفريضة ، وهذا غير دعاء السنة كما في قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١].

السؤال الثاني:

ما معنى الهداية ؟ وهل فعل (هدى) لازمٌ أم متعدٍّ؟

الجواب:

الهداية : هي الإلهام والدلالة، وهي الإرشاد لطريق الحقِّ والهدى والدلالة عليه والتبيين ، وفعل الهداية (هدى يهدي) في العربية قد يتعدَّى بثلاث طرق :

آ ـ بنفسه دون حرف جر، مثل قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ حيث تعدى الفعل بنفسه.

ب ـ وقد يتعدى بإلى، كقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات:١٩] .

ج ـ وقد يتعدى باللام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجرات:١٧].

وذكر أهل اللغة أنّ الفرق بين التعدية بالحرف والتعدية بالفعل نفسه هو :

١ـ التعدية بدون حرف تقال لمن يكون في الطريق أو الصراط ولمن لا يكون فيه، كقولنا : هديته الطريقَ، قد يكون هو في الطريق فنعرّفه به، وقد لا يكون في الطريق فنوصله إليه.

شواهد قرآنية :

آـ استعملت لمن هم خارج الطريق أو الصراط :

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣] **الآية خطاب لأبي إبراهيم عليه السلام، وأبو سيدنا إبراهيم لم يكن في الطريق.**

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء:٦٨] **والمنافقون ليسوا في الطريق.**

ب ـ واستعملت لمن هم في الصراط :

﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم:١٢] **قيلت في رسل الله تعالى.**

﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾﴾ [الفتح:٢] **الآية خطاب لرسول الله ﷺ والرسول مالك للصراط، فاستعمل الفعل المعدّى بنفسه في الحالتين.**

٢ ـ أنّ التعدية بالحرف تستعمل عندما لا تكون الهداية فيه، بمعنى أنّ المهديَّ كان خارج الصراط فهداه الله له فيصل بالهداية إليه، لذلك فإن التعدية (باللام وإلى) لمن لم يكن في الصراط، كقوله تعالى ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص:٢٢] ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾ [يونس:٣٥].

وتستعمل (هداه له) بمعنى (بينه له).

السؤال الثالث:

ما مراحل الهداية؟

الجواب:

الهداية على مراحل وليست هداية واحدة ، فالبعيد عن الطريق (الضال) يحتاج من يوصله إليه ويدله عليه (فنستعمل هداه إليه) والذي يصل إلى الطريق يحتاج إلى هادٍ يعرّفه بأحوال الطريق وأماكن الأمن والنجاة والهلاك للثقة بالنفس، ثم إذا سلك

الطريق في الأخير يحتاج إلى من يريه ويبين غايته، واستعمل سبحانه اللام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] وهذه خاتمة الهدايات.

ونلخِّص ما سبق على النحو التالي:

-إنسان بعيد يحتاج من يوصله إلى الطريق نستعمل الفعل المتعدي بإلى .

-إذا وصل إلى الطريق ويحتاج إلى من يعرّفه بالطريق وأحواله نستعمل الفعل المتعدي بنفسه.

-إذا سلك الطريق ويحتاج إلى من يبلغه مراده وغايته نستعمل الفعل المتعدي باللام.

والهداية مع اللام لم تستعمل مع السبيل أو الصراط أبداً في القرآن؛ لأنّ الصراط ليس غاية وإنما وسيلة توصل للغاية ، واللام إنما تستعمل عند الغاية. وقد اختص سبحانه الهداية باللام له وحده أو للقرآن لأنها خاتمة الهدايات كقوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وقوله ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥].

السؤال الرابع:

هل جاءت الهدايات كلها بمعنى واحد مع اختلاف الحروف ؟

الجواب:

لا ، والأمثلة التالية تبين الفرق :

آ ـ قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس:٣٥].

جاءت يهدي للحق المقترنة بالله تعالى؛ لأنّ معنى الآيات تفيد : (هل من شركائكم من يوصل إلى الحق، قل الله يهدي للحق) الله وحده يرشدك ويوصلك إلى خاتمة الهدايات، ويعني أنّ الشركاء لا يعرفون أين الحق، ولا كيف يرشدون إليه ويدلون عليه.

ب ـ قوله تعالى : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٦].

استعمل الهداية معدّاة بنفسها بدون حرف، واستعملها في سياق واحد مع الفعل المعدّى بإلى لأنّ معنى الآيات : أنه من اتبع رضوان الله وليس بعيداً ولا ضالاً استعمل له الفعل المعدى بنفسه ، والذي في الظلمات هو بعيد عن الصراط ويحتاج إلى من يوصله إلى الصراط ؛ لذا قال : ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ استعمل الفعل المعدى بإلى .

السؤال الخامس:

في آية الفاتحة تعدّى فعل الهداية بنفسه؛ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ (الفعل معدّى بنفسه) وهنا استعمل هذا الفعل المعدّى بنفسه لجمع عدة معانٍ، فالذي انحرف عن الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله إليه، والذي في الطريق نطلب من الله تعالى أن يبصّره بأحوال الطريق والثبات والتثبيت على الطريق.

السؤال السادس:

كم مرة جاء فعل الهداية بصوره المختلفة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

لقد جاء فِعلُ ـ هدى ـ ومشتقاته في القرآن على ٦٨ صيغة وبتكرار ٣١٤ مرة وذلك حسب الجدول التالي :

الكلمة	التكرار	الكلمة	التكرار	الكلمة	التكرار
هدى	١١	هداكم	٦	هدان	١
هدانا	٥	هداني	٢	هداه	١
هداهم	٢	هديتنا	١	هدينا	٣
هديناكم	١	هديناه	٢	هديناهم	٣
هديناهما	١	أهدك	١	أهدكم	١
أهديك	١	أهديكم	١	تهدوا	١
تهدي	٥	نهدي	١	لنهدينهم	١
يهد	٨	يهدني	١	يهدون	٤
يهدوننا	١	يهدي	٥١	يهدّي	١
يهديك	١	يهديكم	٣	يهدين	١
يهدِيْن	٤	يهديني	١	يهديه	٣
يهديَهم	٢	يهديْهم	٦	اهدنا	٢
فاهدوهم	١	هدوا	٢	هُدِيَ	١
يُهدَى	١	اهتدى	٧	اهتدوا	٤
اهتديتُ	١	اهديتم	١	تهتدوا	٣
تهتدون	٦	تهتدي	١	لنهتَدِيَ	١
يهتدوا	٢	يهتدون	١٠	يهتدي	٣
هادٍ	٥	هادِ	٢	هادي	١

هاديَ	١	هاديا	١	الهدى	٧٩
هُداها	١	هُداهم	٣	مهتدون	٨
المهتد	٢	المهتدي	١	المهتدين	٩
الهديُ	٦	هدياً	١		

السؤال السابع:

لماذا لم تأت الصيغةُ مثلاً (إيانا أهدِ) كما في الآية السابقة ؟

الجواب:

كما سبق وقدَّمَ سبحانه مفعولي العبادة والاستعانة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فلماذا لم يقل سبحانه (إيانا اِهدِ)؟

هذا المعنى لا يصح، فالتقديم بإياك نعبد وإياك نستعين تفيد الاختصاص، ولا يجوز أنْ نقول : (إيانا اِهدِ) بمعنى خُصَّنا بالهدايةِ ولا تهدِ أحداً غيرنا، فهذا لا يجوز، لذلك لا يصح التقديم هنا. المعنى تطلَّب التقديم في المعونة والاستعانة ولم يتطلَّبه في الهداية ؛ لذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم).

السؤال الثامن:

لم قال : اهدنا ، ولم يقل : اهدني؟

الجواب:

لأنه مناسب لسياق الآيات السابقة، وكما في آيات الاستعانة والعبادة اقتضى الجمع في الهداية أيضاً ، كما أنّ فيه إشاعة لروح الجماعة وقتلاً لروح الأثرة والأنانية، وفيه نزع الأثرة والاستئثار من النفس بأنْ ندعو للآخرين بما ندعو به لأنفسنا.

والاجتماع على الهدى وسير المجموعة على الصراط دليل قوة، فإذا كثر السالكون يزيد الأنس ويقوى الثبات، فالسالك وحده قد يضعف وقد يمل أو يسقط أو تأكله الذئاب، فكلما كثر السالكون كان أدعى للاطمئنان والاستئناس.

والاجتماع رحمة والفرقة عذاب،ويشير الله تعالى إلى أمر الاجتماع والأنس بالاجتماع وطبيعة حب النفس للاجتماع، كما ورد في قوله الكريم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [النساء:١٣] فكلمة ﴿خَٰلِدِينَ﴾ جاءت بصيغة الجمع ؛ لأنّ المؤمنين في الجنة يستمتعون بالأنس ببعضهم، بينما قوله تعالى ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء:١٤] هذا في العذاب فيزيد على عذاب الكافر عذاب الوحدة، فكأنما عذبه الله تعالى بشيئين: النار والوحدة.

لذلك عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ فيه شيءٌ من التثبيت والاستئناس .

وهذا الدعاء ارتبط بأول السورة وبوسطها وآخرها؛ لأنّ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مهمة الرَّبِّ وهي الهدايةُ ، وكثيراً ما اقترنت الهدايةُ باسمِ الرَّبِّ فهو مرتبطٌ برب العالمين، وارتبط بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأنّ من هداه الله فقد رحمه، وأنت الآن تطلب من الرحمن الرحيم الهداية، أي : تطلب من الرحمن الرحيم ألا يتركك ضالاً غير مهتد.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فلا تتحقق العبادة إلا بسلوك الطريق المستقيم، وكذلك الاستعانة ، ومن الاستعانة طلب الهداية للصراط المستقيم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: صراط الذين سلكوا الصراط المستقيم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ والضالون هم الذين سلكوا غير الصراط المستقيم ، فالهداية والضلال نقيضان و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ نقيض الذين سلكوا الصراط المستقيم.

السؤال التاسع:

ما دلالة الفعل (هدى) ؟ و لماذا لم يستخدم الفعل أرشد أو دلّ مثلاً ؟

الجواب:

١ـ تختلف دلالة الفعل (هدى) باختلاف الحرف المصاحب له (هداه ، هداه إلى، هداه لـ) : والتعبير (هداه إلى الشيء) يشير إلى بُعده كما هو مبين في السؤال الثالث من هذه الآية ، بينما الأفعال : بيّن ودلّ وأرشد كلها تعطي معنى الإيضاح والتبيين.

٢ ـ أيضاً يوجد شيء في ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: فعلُ الهداية ليس هو مجرد الإرشاد، وإنما الهداية فيها شيء كأنه يكون إلى القلب أيضاً، صحيح هو هداه إلى كذا كأنه أرشده ، لكن في استعمالات العرب كأنه يمس شيئاً داخلياً فيه، ومنه الهدية لما تقدمها لإنسان، والهدية غير العطاء، العطاء شيء مادي، بينما الهدية هي أيضاً شيء مادي لكن في داخله نوع من المحبة والحميمية والود، وفي الحديث الشريف «**تهادوا تحابوا**» وهناك فرق بين أعطيته وأهديته ، الهدية فيها شيء قلبيٌّ وكأنّ هذا الشيء جعل القرآن

يختار ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لأنه ليس فيها فقط مجرد إرشاد أو إيضاح ، وإنما تتضمن نوعاً من المحبة والود .

السؤال العاشر:

لماذا اختار كلمة (الصراط) بدلا من الطريق أو السبيل؟

الجواب:

لو لاحظنا البناء اللغوي للصراط هو على وزن (فِعال) بكسر الفاء، وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالحِزام والشِّداد والسِّداد والخِمار والغِطاء والفِراش، هذه الصيغة تدل على الاشتمال، بخلاف كلمة الطريق التي لا تدل على نفس المعنى.

الصراط يدل على أنه واسع رحب يتسع لكل السالكين ، أمّا كلمة طريق فهي على وزن فعيل بمعنى مطروق أي مسلوك ، والسبيل على وزن فعيل ونقول أسبلت الطريق إذا كثر السالكون فيها، لكن ليس في صيغتها ما يدل على الاشتمال. فكلمة الصراط تدل على الاشتمال والوسع، وهذا في أصل البناء اللغوي .

(قال الزمخشري في كتابه «الكشاف» :الصراط من صرط كأنه يبتلع السبل كلما سلك فيه السالكون وكأنه يبتلعهم من سعته).



﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (الصراط) معرفة بأل مرة في الآية السابقة، ومضافة مرة أخرى هنا في هذه الآية ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ؟

الجواب:

جاءت كلمة الصراط مفردة ومعرفة بتعريفين: بالألف واللام والإضافة ، وموصوفة بالاستقامة ممّا يدل على أنه صراط واحد لا غير، وهو موصوف بالاستقامة؛ لأنه ليس بين نقطتين إلا طريق مستقيم واحد، والمستقيم هو أقصر الطرق وأقربها وصولاً إلى الله، وأي طريق آخر غير هذا الصراط المستقيم لا يوصل إلى المطلوب ولا يوصل إلى الله تعالى. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى مرضاته، فكلنا واصل إلى الله وليس هناك من طريق غير الصراط المستقيم. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزّمل:١٩] [الإنسان:٢٩] ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر:٤١].

وقد وردت كلمة الصراط في القرآن مفردة ولم ترد مجتمعةً أبداً بخلاف السبيل، فقد وردت مفردة ووردت جمعاً ﴿سُبُلَ﴾ لأنّ الصراط هو الأوسع وهو الذي تفضي إليه كل السبل ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] فالصراط هو صراط واحد مفرد؛ وهو طريق الإسلام الرحب الواسع الذي تفضي إليه كل السبل، واتباع غير هذا الصراط ينأى بنا عن المقصود.

ثم زاد هذا الصراط توضيحاً وبياناً بعد وصفه بالاستقامة وتعريفه بأل بقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٧] فجمعت هذه الآية كل أصناف الخلق المكلفين ولم تستثنِ منهم أحداً فذكر:

١ـ الذين أنعم الله عليهم وهم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفوا الحق وعملوا بمقتضاه.

٢ـ الذين عرفوا الحق وخالفوه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ويقول قسم من المفسرين: إنهم العصاة.

٣ـ الذين لم يعرفوا الحق وهم الضالون ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] وهذا الحسبان لا ينفعهم، إنما هم من الأخسرين.

ولا يخرج المكلفون عن هذه الأصناف الثلاثة؛ فكل الخلق ينتمي لواحد من هذه الأصناف.

السؤال الثاني:

هل كلمة الصراط توحي بالاستقامة؟

الجواب:

كلا، الصراط هو السبيل الواسع؛ لأنّ كلمة (فِعَال) فيها معنى الاشتمال فيشتمل على كل ما فيه ولا يضيق بما فيه ، بغض النظر عما إذا كان مستقيماً أو متعرجاً، ولذا لا بدّ من قول : (المستقيم) لعدة معانٍ:

آـ مستقيم حتى يبيّن استقامته فليس فيه اعوجاج .

ب ـ وليبيّن أنه لا يوجد طريق مستقيم آخر بين نقطتين، أي بينك وبين النهاية التي يريدها الله عز وجل لك ، فلا يوجد إلا طريق واحد بخط واحد بمستقيم واحد ،

وهذا ما فعله الرسول ﷺ عندما خطّ خطاً في الأرض وقال : هذا صراط الله المستقيم وخطّ خطوطاً على جانبيه وقال: هذه هي السُّبُل، وعلى رأس كل سبيلٍ شيطانٌ يدعو إليه.

لذلك لا يوجد إلا دين واحد، وطريق واحد يوصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وهوخط مستقيم لا يحتمل التعدد، فإذا قال شخص : منهجي لا يتعارض مع الإسلام، أو يوازي الإسلام فهذا الكلام كله لا ينفع، منهجك هو الإسلام ولا يكون بين نقطتين إلا مستقيم واحد؛ لأنه يمكن أنْ يكون بينهما أكثر من خط متعرج أو منحنٍ لكنَّ هناك مستقيماً واحداً.

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقل: (تُنعم عليهم)؛ فلماذا ذكر الفعل الماضي؟

الجواب:

اختار الفعل الماضي على المضارع ليتعين زمانه وليبين صراط الذين تحققت عليهم النعمة نحو قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩].

وفي الآية ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ اذا قال (تُنعم عليهم) لأغفل كل من أنعم عليهم سابقاً من رسل الله والصالحين، ولو قال (تنعم عليهم) لم يدل في النص على أنه سبحانه أنعم على أحد سابقاً، ولاحتمل أنْ يكون صراط الأولين غير الآخرين، ولا يفيد

التواصل بين زُمَر المؤمنين من آدم عليه السلام إلى أنْ تقوم الساعة. مثال: اذا قلنا : أعطني ما أعطيتَ أمثالي، فمعناه : أعطني مثل ما أعطيت سابقاً، ولو قلنا: أعطني ما تعطي أمثالي فهي لا تدل على أنه أعطى أحداً قبلي.

ولو قال : (تنعم عليهم) لكان صراط هؤلاء أقل شأناً من صراط الذين أنعم عليهم، فصراط الذين أنعم عليهم من أولي العزم من الرسل والأنبياء والصديقين، أمّا الذين تنعم عليهم فلا يشمل هؤلاء، فالإتيان بالفعل الماضي يدل على أنه بمرور الزمن يكثر عدد الذين أنعم الله عليهم ، فمن ينعم عليهم الآن يلتحق بالسابقين من الذين أنعم الله عليهم فيشمل كل من سبق وأنعم الله عليهم ، فهم زمرة كبيرة من أولي العزم من الرسل وأتباعهم والصديقين وغيرهم ،وهكذا تتسع دائرة المنعم عليهم.

أما الذين (تنعم عليهم)، فتختص بوقت دون وقت، ويكون عدد المنعم عليهم قليلاً، لذا كان قوله سبحانه ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أوسع وأشمل وأعم من الذين تنعم عليهم.

السؤال الرابع:

لماذا عبّر عن الذين أنعم عليهم باستخدام الفعل ﴿أَنْعَمْتَ﴾ والمغضوب عليهم والضالين بالاسم؟

الجواب:

الاسم يدل على الشمول ويشمل سائر الأزمنة من المغضوب عليهم والدلالة على الثبوت، أمّا الفعل فيدل على التجدد والحدوث فوصفه أنهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام.

السؤال الخامس:

إذن فلماذا لم يقل (المُنْعَم عليهم) للدلالة على الثبوت؟

الجواب:

لو قال: (صراط المُنْعَم عليهم) بالاسم لم يتضح من الذي أنعم ، إنما بيّن المنعِم (بكسر العين) في قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لأنّ معرفة المنعِم مهمة ، فالنعم تقدر بمقدار المنعِم (بكسر العين)؛ لذا أراد سبحانه وتعالى أنْ يبين المُنعِم ليبين قدرَ النعمة وعظيمها، ومن عادة القرآن أنْ ينسب الخير إلى الله تعالى وكذلك النعم والتفضل، وينزه نسبة السوء إليه سبحانه كما في قوله تعالى :﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن:١٠] والله سبحانه لا ينسب السوء لنفسه فقد يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ [النمل:٤] لكن لا يقول: زينا لهم سوء أعمالهم ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [التوبة:٣٧] ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤] ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [غافر:٣٧]. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [فاطر:٨] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] أما النعمة فينسبها الله تعالى إلى نفسه لأنّ النعمة كلها خير ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [القصص:١٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزُّخرُف:٥٩] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣] ولم ينسب سبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧] فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه.

السؤال السادس:

لماذا ذكرت الآية ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بصيغة المبني للمجهول و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل؟

الجواب:

أولاً جيء بكلٍّ منهما اسماً ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ للدلالة على الثبوت ، فالغضب عليهم ثابت والضلال فيهم ثابت لا يرجى فيهم خير ولا هدى، والقرآن لم يقل :(صراط الذين غضب عليهم وضلوا) وإنما المغضوب عليهم ولا الضالين، فجاء بالوصفين بالاسمية للدلالة على ثبوت هذين الوصفين فيهما.

يبقى السؤال : لماذا جاء المغضوب عليهم اسم مفعول ولم يقل: (غاضب) اسم فاعل؟ والجواب: أنّ مغضوب عليهم، اسم مفعول، يعني وقع عليهم الغضب، ولم يذكر الجهة التي غضبت عليهم، ليعم الغضب عليهم من جميع الجهات : غضب الله وغضب الغاضبين لله من الملائكة وغيرهم ، فهو لا يتخصَّصُ بغاضب معين ، أي لم يغضب عليهم فلان أو فلان وإنما مغضوب عليهم من كل الجهات ، بل هؤلاء سيغضب عليهم أخلص أصدقائهم في الآخرة، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام:٩٤] وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت:٢٥] إذن مغضوب عليهم من كل الجهات، وحذفُ جهةِ الغاضب فيه عموم وشمول، أما (الضالين) فهم الذين ضلّوا.

السؤال السابع:

لماذا قال : ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: (غضبت عليهم)؟

الجواب:

جاء باسمِ المفعولِ وأسنده للمجهول ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وكل الناس، حتى أصدقاؤهم يتبرأ بعضهم من بعض، وحتى جلودهم تتبرأ منهم، ولذا جاءت (المغضوب عليهم) لتشمل غضب الله وغضب الغاضبين.

السؤال الثامن:

لماذا أضاف النعمة إليه سبحانه وحذف فاعل الغضب ؟

الجواب:

جاء في «التفسير القيِّم» : وأضاف النعمةَ إليه وحذف فاعلَ الغضبِ لوجوه :

١ـ أنّ النعمة هي الخير، والغضب من باب الانتقام ، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين وأسبقهما.

٢ـ أنّ الله سبحانه هو المتفرد بالنِّعَمِ ، فأضيف إليه ما هو متفردٌ به .

٣ـ أنّ في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره.

إضافة إلى أنّ القرآن جعل كُلاًّ من المغضوب عليهم والضالين اسماً وذلك للدلالة على الثبوت فهو غضب عليهم دائم ثابت لا يزول ، واتصافهم بالضلال على وجه الثبوت أيضاً فلا يُرجى لهم خيرٌ ولا هدى .

ثم انظر كيف ذكر (لا) بين المغضوب عليهم والضالين ، لئلا يُفهمَ أن المباينةَ لمن جمع الغضب والضلال دون من لم يجمعهما .

ونظير ذلك أن تقول : أنا لا أحب من تكبَّر وبخل ، أو : أنا لا أحب من تكبر ولا من بخل ، فالجملة الأولى تحتمل أنه لا يحب هذين الصنفين وتحتمل أنه لا يحب من جمع بين الوصفين دون من لم يجمعهما .

السؤال التاسع:

في قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ لِمَ ذكر (لا) بعد ذكر (غير)؟ أي لو قال مثلاً: (غير المغضوب عليهم والضالين)؟

الجواب:

إذا حذفت (لا) يمكن أن يفهم أنّ المباينة والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة فقط، أمّا من لم يجمعها ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فلا يدخل في الاستثناء.

فاذا قلنا مثلا : لا تشرب الحليب واللبن الرائب (أي: لا تجمعهما) أمّا إذا قلنا: لا تشرب الحليب ولا تشرب اللبن الرائب، كان النهي عن كليهما إن اجتمعا أو انفردا.

السؤال العاشر:

ما الحكمة في أنه تعالى جعل المقبولين طائفةً واحدة، والمردودين فريقين : مغضوباً عليهم وضالين ؟

الجواب:

الذين جمعوا بين الحق والعمل به هم ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فإن اختلَّ قيدُ العمل فهم الفسقة ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن اختلَّ قيدُ العلم فهم ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.

السؤال الحادي عشر :

فلماذا قدّم إذن المغضوب عليهم على الضالين؟

الجواب:

١ـ المغضوب عليهم الذين عرفوا ربهم ثم انحرفوا عن الحق وهم أشد بعداً؛ لأنه ليس من عَلِمَ كمن جَهِلَ، لذا بدأ بالمغضوب عليهم ، وفي معنى الحديث الصحيح: «**أنّ المغضوب عليهم هم اليهود، وأما النصارى فهم الضالون**».

٢ـ المغضوب عليهم أشد ضلالاً وجرماً وعقوبة؛ لأنه علم وجحد، وليس من علم كمن لا يعلم فبدأ بهم . لذلك قيل في العقائد :

وعـــــالم بعلمــــــه لم يَعْمَلَـــــنْ مُعـــذَّبٌ مـــن قبـــل عُبّـــاد الـــوَثَن

٣ـ جاء في الحديث الصحيح أنّ المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين النصارى، واليهود أسبق فناسب أنْ يُبدأ بهم .

٤ـ صفة المغضوب عليهم هي أول معصية ظهرت في الوجود، وهي صفة إبليس عندما أُمر بالسجود لآدم عليه السلام وهو يعرف الحق ومع ذلك عصى الله تعالى، وهي أيضاً أول معصية ظهرت على الأرض عندما قتل ابن آدم أخاه، فهي إذن أول معصية في الملأ الأعلى وعلى الأرض، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء:٩٣] ولذا بدأ بها.

أمّا جعل المغضوب عليهم بجانب المنعم عليهم فلأنّ المغضوب عليهم مناقض للمُنعم عليهم والغضب مناقض للنعم.

السؤال الثاني عشر :

ما الفرق بين معنى الضلال في الفاتحة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ و قوله تعالى ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشعراء:٢٠] و﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضُّحى:٧] ؟

الجواب:

معنى الضلال في الآيات الثلاث واحد وهو عدم معرفة شرع الله سبحانه وتعالى.

آـ قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: عدم معرفة شرع الله .

ب ـ فموسى عليه السلام فعل هذا قبل النبوة ؛ فهو لا يعرف شرع الله.

ج ـ والرسول عليه السلام عندما يقول له الله عز وجل : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ يعني: لم تكن عارفاً شرع الله تعالى فهداك إلى معرفة شرع الله بالنبوة.

فالضلال هنا عدم معرفة شرع الله، وليس الضلال معناه الفسق والفجور وعمل المنكرات، وإنما هو الجهل بشرع الله سبحانه وتعالى أي: غير الضالين، وموسى عليه السلام قبل النبوة فعل هذا؛ لأنه كان جاهلاً بشرع الله، ومحمد ﷺ لم يكن يعرف شرع الله تعالى قبل النبوة، فالمعنى واحد.

السؤال الثالث عشر :

ما مرادفات كلمة ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ التي جاءت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

منظومة كلمة (صراط) تأتي على النحو التالي:

إمام – صراط – طريق – سبيل – نهج – فَجٌّ – جُدَدٌ (جمع جادَّةٍ) – نفق

وجاء المعنى العام لكل منها على النحو التالي:

ـ **إمام** : وهو الطريق العام الرئيس الدولي الذي يربط بين الدول وليس له مثيل، وتتميز أحكامه في الاسلام بتميز تخومه، وقدسية علامات المرور فيه هي من أهم صفاته،وهو بتعبيرنا الحاضر الطريق السريع بين المدن (Highway)، وقد استعير هذا

اللفظ في القرآن الكريم؛ ليدل على الشرائع ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء:٧١] أي كل ما عندهم من شرائع، وجاء أيضا بمعنى كتاب الله ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢].

ـ **صراط:** هو كل ممر بين نقطتين متناقضتين كضفتي نهر، أو قِمَّتي جبلين، أو الحق والباطل، والضلالة والهداية في الإسلام، أو الكفر والإيمان. والصراط واحد لا يتكرر في مكان واحد ولا يثنى ولا يجمع، وقد استعير في القرآن الكريم للتوحيد فـ(لا إله إلا الله) تنقل من الكفر إلى الإيمان ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:١٦١] ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:٣٩] ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٦] ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون:٧٤] .

والصراط عموماً هو العدل المطلق لله تعالى وما عداه فهو نسبي. ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦] والتوحيد هو العدل المطلق وما عداه فهو نسبي.

ـ **سبيل:** هو الطريق الذي يأتي بعد الصراط ، وهو ممتدٌّ طويل آمن سهل لكنه متعدد (سُبُلٌ جمع سبيل) ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] والسبل متعددة ، ولكن شرطها أنْ تبدأ من نقطة واحدة وتصب في نقطة واحدة عند الهدف. وفي السبيل عناصر ثلاث: ممتدٌّ، متحرك ويأخذ إلى غاية.

والمذاهب في الإسلام من السبل كلها تنطلق من نقطة واحدة وتصل إلى غاية واحدة، وسبل السلام تأتي بعد الإيمان والتوحيد بعد عبور الصراط المستقيم، ولتقريب الصورة إلى

الأذهان فيمكن اعتبار السبل في عصرنا الحاضر وسائل النقل المتعددة؛ فقد ينطلق الكثيرون من نقطة واحدة قاصدين غاية واحدة، لكن منهم من يستقل الطائرة، ومنهم من يستقل السيارة ومنهم من يستقل الدراجة، ومنهم من يركب الدواب وغيرها.

واستخدمت كلمة السبيل في القرآن بمعنى (حقوق) في قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥].

وابن السبيل في القرآن هو من انقطع عن أهله انقطاعا بعيداً وهدفه واضح ومشروع؛ كالمسافر في تجارة أو للدعوة؛ فلا تعطى الزكاة لمن انقطع عن أهله بسبب غير مشروع كالخارج في معصية أو ما شابه.

ـ طريق: الطريق يكون داخل المدينة، وللطرق حقوق خاصة بها، وقد سميت طرقاً؛ لأنها تطرق كثيراً بالذهاب والإياب المتكرر من البيت إلى العمل والعكس، والطريق قد تكون هي العبادات التي نفعلها بشكل دائم كالصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر. ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)﴾ [الأحقاف:٣٠] .

ـ نهج: وهو عبارة عن ممرات خاصة لا يمر بها إلا مجموعة خاصة من الناس، وهي كالعبادات التي يختص بها قوم دون قوم، مثل نهج القائمين بالليل ونهج المجاهدين في سبيل الله ونهج المحسنين وأولي الالباب وعباد الرحمن، فكل منهم يعبد الله تعالى بمنهج معين، وعلى كل مسلم أن يتخذ لنفسه نهجاً معيناً خاصاً به يعرف به عند الله تعالى؛ كبرّ الوالدين والذكر والجهاد والدعاء والقرآن والإحسان وغيرها ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] وإذا لاحظنا وصفها في القرآن وجدنا لها ثلاث صفات والإنفاق فيها صفة مشتركة.

آ ـ نهج المستغفرين بالأسحار: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات:١٧-١٨-١٩] .

ب ـ ونهج أهل التهجد: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة:١٦] .

ج ـ ونهج المحسنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

ـ **فجّ**: وهو الطريق بين جبلين ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج:٢٧] .

ـ **جادة**: وتجمع على جُدُد كما وردت في القرآن الكريم ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ [فاطر:٢٧] والجادة هي الطريق الذي يرسم في الصحراء أو الجبال من شدة الأثر ومن كثرة سلوكه.

ـ **نفق**: وهو الطريق تحت الأرض، قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣٥] .

السؤال الرابع عشر:

ما أصل كلمة آمين التي نختم بها الفاتحة على أنها دعاء، وهل لها بديل في لغة العرب؟.

الجواب:

لا شك أنّ الذي يصلي في المساجد يلحظ هذا الأمر أنه عندما ينتهي الإمام من قراءة الفاتحة يقول هو : آمين، ويقول من وراءه: آمين ويحرص على أنْ يكون التأمين واحداً، ففي السنة والحديث الصحيح أنّ مسجد رسول الله ﷺ كان يهتز من كلمة آمين؛ لأنّ الصحابة كانوا يقولونها بصوت واحد ليس مرتفعاً، ولا يعني علو الصوت كما يفهمه بعض الشباب أنْ يصرخ بأعلى صوته؛ لأنك لا تنادي أصم ، ولكنك تناجي ربك.

ومن هذه الألفاظ كلمة (آمين) وهي كلمة عربية صميمية النسبة، مثل: هيهات ومثل أفٍّ ومثل صه، فهذه أسماء أفعال.

آمين: اسم فعل بمعنى: اللهم استجب، هي فعل أمر طبعاً ولكنّ الأمر من الأدنى إلى الأعلى يخرج للدعاء، كما نقول: اللهم اغفر لنا، اغفر: فعل أمر لكن علماءنا يقولون :خرج للدعاء. فإذن (آمين) اسم فعل أمر بمعنى: اللهم استجب؛ لأنّ كلمة آمين لم تستعمل إلا مع الله، حتى في الجاهلية لا تقول لشخص يتكلم آمين بمعنى: استجب لي يا فلان، لكن آمين يعني: اللهم استجب لكلامه وحتى قبل نزول القرآن، كلمة اللهم كانت مستعملة عندهم ويعنون بها يا الله :

إني إذا مـــا حـــدثٌ ألّمـــا أقـــول يـــااللهم يـــااللهمّا

لأنّ هذه الكلمة (اللهم) جُعِلت خاصة بنداء الله تعالى، ولأنها جُعِلت هكذا أُدخل عليها حرف النداء مع أنّ الميم هي عوض عن حرف النداء، فقال :(يااللهم) وهذا شاهد نحوي. إذن آمين هي اسم فعل.

وهناك إشكال : أنّ كلمة آمين نسمعها في الصلوات في الكنائس من الأوروبيين الآن يميلونها يقولون :(Amen) هذه الكلمة وجودها في اللغات الأخرى لا يعني أنها ليست عربية، وإنما هي موجودة في اللغة السريانية التي هي الآرامية.

وكلمة (آمين) من لغتنا، والرسول ﷺ حثّ على قول آمين ثم بعد ذلك صاروا يشتقون منها «إني داعٍ فأمّنوا» أُشتق منها فعل أي: قولوا آمين اللهم استجب. لهذا الكلمة عربية، وهي اسم فعل طالما كان عندنا صفة نشتق منها، آمين هي كلمة عربية شأنها شأن هيهات وشأن أفٍ ثم صارت العرب تولّد أسماء.

وفي الحديث الشريف «**إذا أمّن الإمام فأمّنوا، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**» .

خامسًا : تناسب افتتاح الفاتحة مع خاتمتها :

تبدأ السورة بقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ .

وختمت بقوله سبحانه : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ .

والعالَمون إما مُنعَم عليهم، أو مغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، أو ضالون وهم الذين لم يعلموا الحق.

ولا يخرج العالمون عن هذا، فناسب المفتتح الخاتمة أوثق مناسبة وأتمها.

جاء في «التفسير القيم» لابن القيم : "من بعد ذكر المُنعَم عليهم وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال، فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة؛ لأنّ العبد إمّا أن يكون عالمًا الحق أو جاهلاً به.

والعالم بالحق إمّا أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفًا له.

فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة.

فالعالم بالحق العامل به هو المُنعَم عليه .

والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه.

والجاهل بالحق هو الضال.

والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل.

والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل.

فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به، والجاهل بالحق أحق باسم الضلال".

سادساً : من اللطائف العددية في سورة الفاتحة :

آ ـ البسملة :

نزلت الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بعد المدثر ، ويبدو أنّ هذه الآية هي المحور في اللطائف العددية :

١ـ تتكون البسملة من ١٩ حرفاً وفق الرسم العثماني للقرآن الكريم وتكسب (١٩٠) حسنة من الله تعالى لدى قراءتها؛ لأنّ الحسنة بعشر أمثالها.

٢ـ عدد الآيات التي تحتوي على (اسم ـ بسم ـ أسماء ـ اسمه ـ أسمائه) هو (١٩) آية.

٣ـ تكررت كلمات البسملة في القرآن كالتالي :

كلمة ﴿اسْمُ﴾ تكررت ١٩ مرة	= ١٩ × ١
كلمة ﴿اللَّهُ﴾ تكررت ٢٦٩٨ مرة	= ١٩ × ١٤٢
كلمة ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ تكررت ٥٧ مرة	= ١٩ × ٣

كلمة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ تكررت ١١٤ مرة = ١٩ × ٦

المجموع = ١٩ × ١٥٢ = ١٩ × ١٩ × ٨

٤ـ تكررت البسملة بكاملها ١١٤ مرة = ١٩ × ٦

٥ـ لم نحصِ كلمة رحيم في الآية : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ لأنها جاءت صفة للرسول ﷺ أمّا ﴿رَّحِيمٌ﴾ كصفة واسم لله تعالى؛ فقد ورد ١١٤ مرة .

٦ـ إذا بدأنا العد من السورة التي لا يوجد فيها بسملة؛ أي سورة التوبة تكون السورة رقم ١٩ هي السورة التي يوجد فيها بسملتان (النمل).

ب ـ سورة الفاتحة :

١ ـ تتكون من (١٣٩) حرفاً أي تكسب بقراءتها من فضل الله تعالى (١٣٩٠) حسنة ، وهي تتكون من (٢٩) كلمة.

٢ـ الفاتحة سبع آيات، فاذا كتبنا أرقام الآيات متسلسلة من اليمين إلى اليسار يتكون لدينا رقم هو من مضاعفات العدد ١٩، أي : ٧٦٥٤٣٢١ = ١٩ × ٤٠٢٨٥٩ .

٣ـ واذا كتبنا عدد أحرف كل آية متسلسلة من اليمين إلى اليسار يتكون لدينا رقم هو من مضاعفات العدد ١٩ أي :

الآيات ١ ـ٢ ـ٣ ـ٤ ـ٥ ـ٦ ـ٧ ـ

عدد الأحرف ١٩ ـ١٧ـ١٢ـ١١ـ١٩ـ١٨ـ٤٣ـ

العدد هو ٤٣١٨١٩١١١٢١٧١٩ = ١٩ × ٢٢٧٢٧٣٢١٦٤٣٠١

وخاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها،فَمَنْ لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ، ومن لم يؤمن بيوم الدين وأنّ الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملكه ،ومن لم يخص الله تعالى بالعبادة والاستعانة ، ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم فهم جميعاً مغضوب عليهم وضالون.

ولقد تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ واليوم الآخر ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والملائكة والرسل والكتب ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لما تقتضيه من إرسال الرسل والكتب.

وقد جمعت هذه السورة توحيد الربوبية ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وتوحيد الألوهية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولذا فهي حقاً أم الكتاب.

خاتمة :

من منا مهما بلغ من فصاحة وبلاغة وبيان، من منا يستطيع أن يأتي بكلام فيه هذا الإحكام وهذا الاستواء مع حسن النظم ودقة الانتقاء؟ فكل كلمة في موقعها جوهرة ثمينة منتقاة بعناية؛ لتؤدي معاني غزيرة بكلمات يسيرة، وكل واحدة واسطة عقد لا يجوز استبدالها ولا نقلها ولا تقديمها ولا تأخيرها وإلا لاختل المعنى أو ضعف أو فقد بعض معانيه؟

إنه الإعجاز الإلهي الذي يتجلى في الكون كله، ويحف بالقرآن كله، مجموعه وجزئياته، كلماته وحروفه، معانيه وأسراره، ليكون النور الذي أراد الله أن يهدي ويسعد به كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والحمد لله رب العالمين

سورة البقرة

أولاً : تناسب خاتمة الفاتحة مع فاتحة البقرة :

تنتهي سورة الفاتحة بذكر المنعَم عليهم والمغضوب عليهم والضالين:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:٧].

والبقرة تبدأ بذكر هؤلاء أجمعين.

تبدأ بذكر المتقين: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة:٢] وهؤلاء منعَم عليهم، ثم تقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ ﴾ [البقرة:٦] تجمع الكافرين من المغضوب عليهم والضالين وتذكر المنافقين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾ [البقرة:٨].

إذن اتفقت خاتمة سورة الفاتحة مع افتتاح سورة البقرة.

ذكر في خواتيم الفاتحة أصناف الخلق المكلفين : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:٧].

وذكرهم في بداية البقرة، المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه والضالون لم يعلموا الحق وإنما ضلوا الطريق، ويضربون مثلاً لليهود والنصارى، والمغضوب عليهم منهم اليهود والنصارى. وفواتح البقرة تحدثت عن هذه الأصناف: المتقين والكفار والمنافقين فجمعت المغضوب عليهم والضالين حيث يجمعهم الكفار.

سؤال:

هل هذا الأمر مقصود في حد ذاته من قِبل الله سبحانه وتعالى ، يعني هذه التوأمة بين خواتيم السور وبداية السور التي تليها؟

جواب :

قسم من الباحثين قالوا إنّ القرآن كتاب حياة، خذ مثلاً أيَّ يوم من أيام الحياة هل هي مترابطة في مسألة واحدة؟ أو أنّ فيها أموراً مختلفة متعددة كلها تجمعها الحياة ؟ و كذلك القرآن كتاب حياة فيه ما فيه، وتقع أمور كثيرة متعددة مترابطة ولكن لا يبدو هذا الترابط ظاهراً.

ونحن الآن نلاحظ في هذا الوضع التوقيفي ارتباطاً واضحاً في هذه المسألة، ولذلك قال الرازي: إنّ آيات القرآن كلها كأنها هي كلمة واحدة من حيث الترابط ، أي: كأنها آية واحدة في ترابطها.

ونحن لا نقول إنّ ذلك غير مقصود، ولكننا ننظر في شيء موجود أمامنا ونبحث فيه هل هنالك تناسب أم لا؟ في هذا الوضع الحالي نحن الآن نرى أنّ هناك ترابطاً واضحاً، ونحن نصف في تقديرنا فيما يظهر لنا في هذا الأمر، والله أعلم .

ثانياً ـ هدف السورة: الاستخلاف في الأرض ومنهجه :

سورة البقرة وآياتها (٢٨٦ آية) هي أول سورة نزلت في المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ ومع بداية تأسيس الأمة الإسلامية (والسور المدنية بشكل عام تُعنى بجانب التشريع) وهي أطول سور القرآن، وأول سورة في الترتيب بعد الفاتحة، وفضل سورة البقرة وثواب قراءتها ورد في عدد من الأحاديث الصحيحة منها: «**يؤتى بالقرآن يوم**

القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تُحاجَّان عن صاحبهما» وفي رواية «**كأنهما غمامتان او ظُلَّتان**» وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» أخرجه مسلم والترمذي، وقال رسول الله ﷺ : «**اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البَطَلَةُ**» أي: السحرة، رواه مسلم في «صحيحه».

وهدف السورة هوالاستخلاف في الأرض، أي: (البشر هم المسؤولون عن الأرض)، ولذا جاء ترتيبها في أول المصحف، فالأرض ملك لله عز وجل وهو خلقها، وهو يريد أن تسير وفق إرادته فلا بدّ أن يكون في الأرض من هو مسؤول عنها، لذا عندما نقرأ السورة يجب علينا أن نستشعر مسؤولية الإنسان في خلافة الارض.

وكما أسلفنا فإنّ هدف السورة هو الاستخلاف في الأرض، وسورة البقرة هي أول سور المصحف ترتيباً، وهي أول ما نزل على الرسول عليه السلام في المدينة مع بداية تأسيس دولة الإسلام الجديدة وتكوينها ، فكان يجب أن يعرف المسلمون ماذا يفعلون ومما يحذرون، والمسؤولية معناها أنْ نعبد الله كما شاء وأنْ نتبع أوامره وندع نواهيه.

والسورة مقسمة إلى أربعة أقسام:

١- مقدمة. ٢- القسم الأول. ٣- القسم الثاني. ٤- خاتمة.

وسنشرح هدف كل قسم على حدة :

١ـ المقدمة:

وفيها وصف أصناف الناس، وهي تقع في الربع الأول من السورة من الآية (١ - ٢٩). وتتضمن :

آ ـ آيات المتقين (آية ١ – ٥) .

ب ـ آيات الكافرين (آية ٦ – ٧).

ج ـ آيات المنافقين (آية ٨ – ٢٠) والإطناب في ذكر صفات المنافقين للتنبيه إلى عظيم خطرهم وكبير ضررهم؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وهم أشد من الكافرين.

٢ـ القسم الأول للسورة :

وهو يمثل باقي الجزء الأول من القرآن، وفيه يعرض نماذج لثلاث مجموعات من الناس قد استخلفهم الله، وهذه النماذج هي :

آ ـ استخلاف آدم في الأرض (تجربة تمهيدية): قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] واللطيف أنه سبحانه أتبع هذه الآية بـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:٣١].

وهذه الآية محورية تعني أنه إذا أردت أنْ تكون مسؤولاً عن الأرض يجب أنْ يكون عندك علم ، لذا علّم الله تعالى الأسماء كلها، وعلّمه الحياة وكيف تسير، وعلّمه تكنولوجيا الحياة وعلّمه أدوات الاستخلاف في الأرض، وهذا إرشاد لأمة الإسلام إنْ أرادوا أنْ يكونوا مسؤولين عن الأرض فلا بدّ لهم من العلم مع العبادة، فكأنّ تجربة سيدنا آدم عليه السلام هي تجربة تعليمية للبشرية بمعنى كيفية المسؤولية عن الأرض .
وأهم أمرين في هذا النموذج :

- أنّ الله سبحانه علّم آدم تكنولوجية الحياة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة:٣١].

- أنّ المعصية هي سبب الاستبدال .

ب ـ قصة بني إسرائيل الذين استخلفوا في الأرض فأفسدوا:

وهو نموذج فاشل من الاستخلاف في الأرض، وأهم الأمور في هذا النموذج الفاشل هي :

ـ تذكير الله لهم بنعمه عليهم كما في الآية ٤٠ ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[البقرة:٤٧]. انظر الآيات (٥٢ـ ٩٤)

ـ بيان أخطائهم والموبقات التي ارتكبوها كقتل الأنبياء بغير الحق، والمادية، وعصيانهم وكفرهم بآيات الله، واعتداء أصحاب السبت، وقصتهم مع البقرة وجدلهم الكبير حول ذبحها مع نبيهم موسى عليه السلام حيث لم يرضوا تنفيذ شرع الله.

ـ عدم الإيمان بالغيب.

ج ـ نموذج ناجح للاستخلاف في الأرض : (قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام) وهي آخر تجربة ورد ذكرها في السورة.

وهكذا : أولاً ابتلى سبحانه آدم في أول الخلق (تجربة تمهيدية) ثم بني إسرائيل فكانت تجربة فاشلة، ثم ابتلى إبراهيم عليه السلام فنجح ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[البقرة:١٢٤]. وفي هذه الآية إثبات أنّ الاستخلاف في الأرض ليس فيه محاباة، فالذي يسير على منهج الله

وطاعته يبقى مسؤولاً عن الأرض والذي يتخلى عن هذا المنهج لا ينال عهد الله : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[البقرة:١٢٤] .

وملخص القول في القسم الأول من السورة: إنّ القصص الثلاث التي وردت فيه: قصة آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] . وقصة بني إسرائيل : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] . وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] . هذه القصص الثلاث بدايتها واحدة وهي الاستخلاف في الارض، وعلينا نحن أمة المسلمين أنْ نتعلم من تجارب الذين سبقونا وأنْ نستشعر الأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة ونعرضها على أنفسنا دائما لنرى إنْ كنا نرتكب مثل هذه الأخطاء فنتوقف عن ذلك ونحذو حذو الأمم السابقة التي نجحت في مهمة الاستخلاف في الأرض كسيدنا إبراهيم عليه السلام .

٣ـ القسم الثاني من السورة : أوامر ونواه للأمة المسؤولة عن الأرض :

وفي هذا القسم توجيه الله تعالى للناس الذين رأوا المناهج السابقة وتجارب الأمم الغابرة مفاده: يجب أنْ تتعلموا من الأخطاء وسيعطيكم ربكم أوامر ونواهي كي تكونوا مسؤولين عن الأرض بحق وتكونوا نموذجاً ناجحاً في الاستخلاف في الأرض، وكل هذه الأوامر والنواهي متعلقة بثلاثة أمور :

آ ـ طاعة الله في أوامره ومنهجه الشامل المتكامل : مثل الأمر بطاعة تحويل القبلة، تطبيق الأحكام الجنائية والأحكام التعبدية، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والمواريث وأحكام الأسرة والطلاق وأحكام الجهاد والإنفاق وأحكام النظام المالي وتحريم الربا .

ب ـ تميز الأمة في مصطلحاتها مع وسطية التميز وتوازنه.

ج ـ تقوى الله .

٤ـ الختام ـ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ـ الآيتان [٢٨٥ـ٢٨٦]

وقد ختمت السورة بدعاء المؤمنين : ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، كما بدأت بأوصاف المؤمنين وبهذا يلتئم شمل السورة أفضل التئام، فسبحان الله العلي العظيم.

والخلاصة: نحن مسؤولون عن الارض، والمنهج كامل، وعلينا أنْ ندخل في السِّلم كافة، والمنهج له إطار: طاعة الله، وتميُّزٌ، وتقوى .

أمّا عناصر المنهج فهي: تشريع جنائي، مواريث، إنفاق، جهاد، حج، أحكام صيام، تكاليف وتعاليم كثيرة، فلا بدّ أنْ نستعين بالله تعالى على أدائها لنكون أهلا للاستخلاف في الأرض ولا نقع في أخطاء الأمم السابقة.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

السؤال الأول: لماذا وردت بعض أسماء السور مرفوعة مثل: الكافرون والمؤمنون، وبعضها بالجرّ بالاضافة مثل : سورة الحجِ و البقرةِ؟

الجواب:

الناظر في فهرس السور لا يقول البقرة، وإنما يقول : هذه سورة البقرةِ ، وأما الإعراب: سورة البقرة تعرب: خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: هذه سورة البقرة، وهذه سورة آل عمران وهكذا. فالأسماء المفردة جاءت بالجر مجرورة.

وأما الأسماء التي جاءت بصيغة جمع المذكر السالم، فيبدو أنّ تسميتها جاءت حسبما ورد في السورة فلما كانت ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] بالرفع سميت سورة الكافرون على الحكاية.

و السور التي اسمها جمع مذكر سالم هي أربع سور: المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون:١]، المنافقون ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون:١] ، الكافرون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون:١] ، المطففين ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [المطفّفين:١] جاءت مجرورة باللام فسميت المطفّفين.

فالاسم الذي هو جمع مذكر سالم حُكِيَ في السورة، وأمّا الباقي عموماً فأُخضع للقاعدة ، فإذا كان منصرفاً جُرَّ بالكسرة وإذا كان ممنوعاً من الصرف مثل سورة يونسَ جُرَّ بالفتحة نيابة عن الكسرة وكذلك سورة يوسفَ.





السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

الأحرف المقطعة في بداية بعض سور القرآن الكريم هي عِلمٌ مستور وسِرٌّ محجوب عجزت العلماء عن إدراكه، وقصرت خيول الخيال عن لحاقه، ولذلك من الأفضل أن نقول:

(الله أعلم بمراده)

ولهذا قال الصديق رضي الله عنه : (لكل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور) وقال الشعبي: (سر الله تعالى فلا تطلبوه) وهنا لا نتكلم عن المقصود وإنما عن الخصائص لهذه الأحرف المقطعة :

١ـ سميت حروفاً مقطعة؛ لأنّ كل حرف ينطق بمفرده.

٢ـ كل حرف في اللغة العربية له اسم وله مسمى.

والناس ينطقون حين يتكلمون بمسمى الحرف وليس باسمه، مثال: كلمة (كتب) هذه تنطق بمسمى الحروف فإذا أردت أن تنطق بأسمائها تقول (كاف وتاء وباء) إنظر إلى الجدول أدناه :

اسم الحرف	مسمى الحرف
باء	بَ
تاء	تَ
طاء	طَ
راء	رَ
لام	لَ
ياء	يَ

وهكذا

ومن اللطيف أن نلاحظ هنا أنّ علماء اللغة جعلوا المسمَّى صدر كُلَّ اسم له ـ كما قال ابن جني ـ وذلك ليكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع.

٣ـ الذي لم يتعلم قد ينطق بمسميات الحروف ولكن لا يمكن أنْ ينطق بأسمائها ، ولعلّ هذا أول ما يلفتنا، فرسول الله محمد ﷺ كان أمياً ، والأمي يستطيع أن ينطق بمسميات

الحروف فيقول : الكتاب ، فإذا طلبت منه أن ينطق بأسماء الحروف فإنه لا يستطيع أن يقول لك إن كلمة الكتاب مكونة من الألف واللام والكاف والتاء والألف والباء.

والرسول ﷺ وهو أُمِّيٌّ جاء ونطق بأسماء الحروف فكانت هذه الحروف دليلاً على صدق رسول الله ﷺ في البلاغ عن ربه، وأنّ هذا القرآن موحى به من الله سبحانه وتعالى.

٤ـ لذلك نجد أنّ سور الفواتح تبدأ بأسماء الحروف وينطق هذه الحروف بأسمائها، وقد تجد الكلمة نفسها في آية أخرى فتنطق بمسمياتها ، لذلك أول سورة البقرة تنطق (ألف لام ميم)، بينما في سورة الشرح تنطق الكلمة بمسميات الحروف ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح:١] .

٥ ـ كل القرآن مبني على الوصل دائماً وليس على الوقف، فإذا نظرت إلى آخر حرفٍ من أي سورة بما فيها سورة الناس تجد أن الحرف الأخير عليه حركة. أمثلة:

ـ آخر سورة يونس ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس:١٠٩] النون عليها فتحة وليس سكون.

ـ آخر آية في آخر سورة في القرآن ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس:٦] السين عليها كسرة وليس سكون.

لذلك فكل آيات القرآن الكريم مبنية على الوصل ما عدا أحرف فواتح السور فهي مبنية على الوقف .

٦ـ القدماء انتبهوا إلى أنّ السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة بُنيت على تلك الأحرف فمثلاً :

(سورة ق) تتكرر فيها الكلمات التي فيها حرف القاف مثل ﴿قَوْلٍ﴾ [ق:١٨] ، ﴿رَقِيبٌ﴾ [ق:١٨] ، ﴿وَالْقُرْءَانِ﴾ [ق:١] ، ﴿تَنقُصُ﴾ [ق:٤]، ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ [ق:٧] ، ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ [ق:١٠] ، ﴿بِالْخَلْقِ﴾ [ق:١٥] .

وكذلك (سورة ص) تكثر فيها الكلمات التي فيها حرف الصاد مثل: ﴿مَنَاصٍ﴾ [ص:٣] ، ﴿وَاصْبِرُوا﴾ [ص:٦] ، ﴿وَأَصْحَابُ﴾ [ص:١٣] ، ﴿صَيْحَةً﴾ [ص:١٥] ، ﴿وَفَصْلَ﴾ [ص:٢٠]، ﴿الْخَصْمِ﴾ [ص:٢١] .

حتى أنهم جعلوا إحصائية في ﴿الٓرۚ﴾ وقالوا: أنها تكررت فيها الكلمات التي فيها ﴿الٓرۚ﴾ ٢٢٠ كلمة هذا قول القدامى.

والعلماء جمعوا الأحرف المقطعة وقالوا :عندما نجمعها نجد أنها مكونة من (١٤) حرفاً تمثّل نصف حروف المعجم ، وجاءت في ٢٩ سورة وهي عدد حروف المعجم وتمثل نصف الأحرف المجهورة، ونصف الأحرف الشديدة، ونصف المُطبَقَة، ونصف المنقوطة، ونصف الخالية من النقط، ونصف المستقرة، ونصف المنفتحة، ونصف المهموسة، ونصف المستعلية، ونصف المقلقلة، و نصف الرَّخوة وهكذا ، لكن هم خاضوا في هذا للنظر فيه.

هذه الأحرف المفرّغة من المعنى رُكبت تركيباً خاصاً فصارت آيات مبينة موضحة وهي موضع الإعجاز وموضع التحدي للعرب الفصحاء، هم يقيناً أدركوا هذا المعنى وإلا لكانوا سألوا عنه.

وقسم قال : إن كل السور التي تبدأ بحرف (ط) تبدأ بقصة موسى أولاً، وهناك من جعل منها معادلة رياضية فقال: أن كل سورة فيها ﴿الٓمٓ﴾ نسبة الحروف ألف إلى لام تساوي نسبة الحروف لام إلى ميم.

٧ـ عدد سور الفواتح (٢٩) سورة من أصل (١١٤) سورة أي: حوالي ٢٥٪. من سور القرآن بينما نسبة عدد كلماتها إلى كلمات القرآن فتقارب ٤٨٪ .

٨ـ مجموع الفواتح بدون تكرار (١٤) فاتحة وتتكون من (١٤) حرفاً من الأحرف الهجائية وتجمعها جملة (طرق سمعك النصيحة) أو (صح طريقك مع السنة) وتعرف هذه الحروف بالأحرف النورانية.

٩ ـ هناك فواتح مؤلفة :

آـ من حرف واحد : ﴿نٓ﴾[القلم:١] ﴿قٓ﴾[ق:١] ﴿صٓ﴾[ص:١] .

ب ـ فواتح من حرفين : ﴿طه ①﴾ [طه:١] . ﴿يسٓ ①﴾ [يس:١] . ﴿طسٓ﴾ [النمل:١] . ﴿حمٓ ①﴾[الدخان:١] .

ج ـ وفواتح من ثلاثة أحرف: ﴿الٓمٓ ①﴾ [البقرة:١] . ﴿الٓر﴾ [إبراهيم:١] . ﴿طسٓمٓ ①﴾[الشعراء:١] .

د ـ وفواتح من أربعة أحرف : ﴿الٓمٓصٓ①﴾[الأعراف:١] . ﴿الٓمٓر﴾[الرعد:١]

هـ ـ وفواتح من خمسة أحرف : ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١] . ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى١ ـ ٢] .

١٠ـ وتنقسم الفواتح من حيث تكرارها إلى قسمين :

آ ـ فواتح لم تتكرر صورتها إلا مرة واحدة، وعددها عشرة وهي: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف:١] ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد:١] ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١] ﴿طه ۝١﴾ [طه:١] ﴿طسٓۚ﴾ [النمل:١] ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس:١] ﴿صٓۚ﴾ [ص:١] ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١ ـ ٢] ﴿قٓۚ﴾ [ق:١] ﴿نٓۚ﴾ [القلم:١] .

ب ـ فواتح تكررت صورتها :[﴿الٓمٓ ۝١﴾ ـ٦ مرات]،[﴿الٓرۚ﴾ ـ ٥ مرات]،[﴿طسٓمٓ ۝١﴾ ـ٢ مرة]،[﴿حمٓ ۝١﴾ ـ ٦ مرات].

١١ ـ بعض الفواتح جزء من فاتحة أخرى ﴿طسٓۚ﴾ متكررة في ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ ، وفاتحة ﴿صٓۚ﴾ متكررة في ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ ، وفاتحة ﴿قٓۚ﴾ متكررة في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾]

١٢ ـ ترتيب سور الفواتح الـ(٢٩) حسب نزولها هو : [ن ـ ق ـ ص ـ الأعراف ـ يس ـ مريم ـ طه ـ الشعراء ـ النمل ـ القصص ـ يونس ـ هود ـ يوسف ـ الحجر ـ لقمان ـ غافر ـ فصلت ـ الشورى ـ الزخرف ـ الدخان ـ الجاثية ـ الأحقاف ـ إبراهيم ـ السجدة ـ الروم ـ العنكبوت ـ البقرة ـ آل عمران ـ الرعد].

١٣ـ وقد قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن والملقبة ببنت الشاطىء بدراسة تاريخية لهذه السور الـ (٢٩) وخلصت إلى النتائج التالية :

آ ـ أنه بدأت من أوائل الوحي لافتة إلى سر الحرف، ثم كثرت وتتابعت في أواسط العهد المكي حين بلغ الجدل أشده فعُرضت قضية التحدي ، وظلت الآيات تعاجزهم

وتتحداهم أنْ يأتوا بمثله أو بسورة منه إلى أول العهد المدني الذي نزلت فية آية البقرة فحسمت الجدل العقيم بعد أن ألزمتهم الحجة على صدق المعجزة بعجزهم مجتمعين أنْ يأتوا بسورة من مثله.

ب ـ أكثر السور المبدوءة بالحروف نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة، فواجههم القرآن بالتحدي.

١٤ ـ من عجائب أحرف الفواتح وهي (١٤) حرفاً أنها تمثل نصف حروف المعجم وترددت في (٢٩) سورة على عدد حروف المعجم ، كما أنّ هذه الحروف تشتمل على أنصاف أجناس الحروف، فهي تمثل النصف من الحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقلة، وبيان ذلك حسب الجدول التالي :

الصفة	حروفها	عددها	عدد الأحرف النورانية فيها	النسبة المئوية
الهمس	فحثه شخص سكت	١٠	٥	٥٠ ٪
الجهر	باقي الأحرف	١٨	٩	٥٠ ٪
الشدة	أجد قط بكت	٨	٤	٥٠ ٪
الرخاوة	باقي الأحرف	٢٠	١٠	٥٠ ٪
الإطباق	ص ض ط ظ	٤	٢	٥٠ ٪
الإنفتاح	باقي الأحرف	٢٤	١٢	٥٠ ٪
الاستعلاء	خص ضغط قظ	٧	٣	٤٣ ٪

الاستفال	باقي الأحرف	٢١	١١	٥٢٪
القلقلة	قطب جد	٥	٢	٤٠٪
المجموع		١١٧	٥٨	٥٠٪

١٥ ـ تتألف الأحرف الهجائية للغة العربية من (٢٩) حرفاً، أمّا الأحرف الأبجدية فتتألف من (٢٨) حرفاً على اعتبار أنه لا فرق بين الألف والهمزة في الأبجدية.

قال الناظم :

وعِدةُ الحروفِ للهجاءِ تسعٌ وعشرون بلا مراءِ

أولها الهمزةُ لكن سُمِّيت بألفٍ مجازاً إذ قد صورت

وذلك أنهم يسمون كلاً من الهمزة والألف اللينة (ألفاً) ويفرقون بينهما بوصفهم للألف باللينة أوالممدودة ، أي : الألف الممدودة اللينة فرع عن الهمزة.

١٦ ـ الحروف في اللغة نوعان : مبنى و معنى :

آ ـ حرف مبنى : وهو الحرف الذي لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط.

ب ـ حرف معنى : مثل (في) للظرفية، و (من) للابتداء، و(على) للاستعلاء.

١٧ ـ على الأصح فإنّ أحرف الفواتح لا تعرب .

١٨ ـ شاء الله سبحانه وتعالى أنْ يبقى معناها في الغيب عنده ، وأنت أيها المسلم المؤمن خذ كلمات الله التي تفهمها بمعانيها وخذ الحروف التي لا تفهمها بمرادات الله فيها ، وهذه الحروف هي سر من أسرار الله تعالى يريدنا أنْ ننتفع بقراءتها سواء فهمناها أم لم نفهمها .

أي أنّ القول الفصل فيها : إنها حروف لها سر من قبل الله تعالى لا نعلمه، وقسم قال : هي من المتشابه الذي لا نعلمه، قد يكون هذا الرأي هو السديد ، ولكن هذه الملاحظات جديرة بالانتباه أيضاً.

١٩ـ وقدّ انتبه القدامى إلى أنّ هذه السور التي تبدأ بهذه الأحرف يكون التعبير فيها بطابع هذه الأحرف، يعني التي تبدأ بالصاد تكثر فيها الكلمات الصادية ويعني أنها تعطيك بداية فنية لما يكثر من الأحرف في هذه السورة. مثل :

آ ـ سورة (ق) تردد فيها الكلمات التي فيها قاف (﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١] ، ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق:١٧] ، ﴿قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]، ﴿سَآئِقٌ﴾ [ق:٢١] ، ﴿تَشَقَّقُ﴾ [ق:٤٤])، في (ص) ذكر الكلمات فيها صاد نحو: الخصومات، الخصم، يختصمون، مناص، صيحة، اصبروا، صيحة، اصبر.

ب ـ ثم استدلوا إلى الإحصاء ، قالوا وضربوا مثالاً في سورة يونس تبدأ بـ ﴿الٓرۚ﴾ [يونس:١] وفي هذه السورة تكررت الكلمات التي فيها راء كثيراً، وأقرب السور إليها سورة النمل والنحل، وهي أطول منها لكنها لم تتردد الراء فيها كما في يونس ففيها (٢٢٠ راء)، هكذا أحصوا والله أعلم.

ج ـ ثم الملاحظة أنّ كل السور التي تبدأ بالطاء ﴿طه ۝١﴾ ﴿طسٓۚ﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ كلها تبدأ بقصة موسى أولاً، كلها بلا استثناء.

ويبدو كما يقولون أنّ اللمسة البيانية أنها تشير إلى أنّ الحروف المذكورة في أوائل بعض السور تطبع طابع السورة فيكون من باب السمة التعبيرية.

ليس هذا فقط ولكن قبل سنوات أخرج دكتور مهندس كتاباً عن المناهج الرياضية في التعبير القرآني عملها على الكمبيوتر وهو يقول : إنه لاحظ أن الأحرف المذكورة في بداية السور تتناسب مع السور تناسباً طبيعياً؛ فالتي تبدأ بـ ﴿الٓمٓ ۝١﴾ يكون الألف أكثر تكراراً في السورة، ثم اللام ثم الميم، وليس هذا فقط وإنما نسبة الألف إلى اللام مثل نسبة اللام إلى الميم، هذه معادلة رياضية وقد قال بأنه راجع الصحف و طبقها على الصحف لكنه وجد القرآن متفرداً بها.

والذي عليه الكثيرون أنّ هذه من دلائل الإعجاز، بمعنى أنّ هذا القرآن المبين الواضح مكوّن من هذه الأصوات غير المبينة في ذاتها، وأنّ القرآن جاء بكلام معجز من جنس كلامهم فأتوا بمثله إنْ استطعتم، والسلف كانوا يوكلون معاني هذه الأحرف لله تعالى .

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم القرآن نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن ؟

الجواب :

أولا: الأحرف المقطعة جاءت في ٢٩ موضعاً في القرآن الكريم والذي تم التوصل إليه ما يلي :

آ ـ لا توجد مناسبة ظاهرة، لكن هناك مناسبة اختيار ما بَعْدَها بالنظر إليها.

ب ـ هذه المناسبة هي من الجانب الصوتي، وتنطبق على جميع ما ورد ذكره من : كلمة كتاب وكلمة قرآن.

ج ـ القاعدة: أنه إذا كانت الحروف المقطعة أكثر من مقطعين أوأكثر من حرفين فعند ذلك يأتي معها الكتاب لأنّ الكتابة ثقيلة، وإذا كانت الحروف المقطعة تتألف من مقطعين أو حرفين فيأتي معها القرآن، باستثناء إذا كان الحرف الثاني مقطعاً ثقيلاً كالميم مثلاً لأنه مديد (ميم، حركة طويلة، ميم: قاعدتان وقمة طويلة) وهو من مقاطع الوقف. فالميم حرف ثقيل لأنه يبدأ بصوت وينتهي بالصوت نفسه وبينهما هذه الحركة الطويلة والعرب تستثقل ذلك ، والميم من أحرف الجهر والغنة ، بينما الهاء والسين من أحرف الهمس والإصمات .

- أمثلة :

١ـ ﴿حمٓ ۝١﴾ حرفان ، الحاء مقطع والميم مقطع ثقيل لأنه مديد (ميم، حركة طويلة، ميم: قاعدتان وقمة طويلة﴾ وهو من مقاطع الوقف فجاء بعدها لفظة الكتاب .

٢ـ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢] ، أكثر من مقطعين، جاء بعدها كلمة لفظة الكتاب.

٣ـ ﴿طه ۝١﴾ ـ (﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١-٢]) ، ذكر لفظة القرآن.

٤ـ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس:١-٢]﴾ ـ ذكر لفظة القرآن لأنّ السين ليس ثقيلاً وإنما هو من أحرف الهمس .

٥ـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص:١]، حرف واحد فذكر لفظة القرآن.

ورسم هذه الحروف رسم توقيفي أي على ما رسمه صحابة رسول الله ﷺ لأنه لم يكن يعرف الرسم.

وهذه الأحرف جميعاً حيثما وردت تشير إلى أصوات متناسقة ليس بينها تنافر، كأنّ القرآن يقول لنا : هذه الأصوات ينبغي ألا يكون فيها نوع من التنافر.

فمثلاً :

آ - ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١] الألف من أقصى الحلق من الوترين، واللام مخرجها الذي هو فويق مفارز الثنايا والرباعية والناب والضاحك ، واللام مخرجه منتشر ويميل، والميم بانضمام الشفتين.

ب - ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١] في لفظ واحد .

ج - ولذلك لمّا جاء في القرآن في موضع واحد حرفان من مخرج واحد مع ما فيهما من اختلاف جعل كل واحد في آية، فقال: ﴿حمٓ ۝١﴾ [الشورى:١] آية ، و﴿عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى:٢] آية؛ لأنّ الحاء والعين من مخرج واحد ولا يكونان في لفظ واحد مع أنّ بين الحاء والعين فروقاً في الصفات منها :

- في مسألة الشدة والرخاوة: الحاء رخوة ومعناها يجري به الصوت، والعين متوسط.

والصفات من حيث الشدة والرخاوة فيها: أصوات شديدة وأصوات رخوة وأصوات متوسطة، كأنها تبدأ شديدة وتنتهي رخوة أو ظاهرها الشدة لكن يجري بها الصوت من غير مخرجها مثل الميم أوالنون.

ـ وشيء آخر : الحاء مهموس والعين مجهور، ولذلك الاختلاف جُعِل كل واحد في آية حتى لا يكونا في بناء واحد، فإذن نوعية الصوت أيضاً منتقاة.

ثانياً ـ بعض الحروف المقطعة عُدّت آيات وبعضها ما عُدّ آية، فقوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢] ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١]آية. وأرقام الآيات توقيفية على ما فعله الصحابة، فهم لم يضعوا أرقاماً، وإنما وضعوا فجوات، ثم بعد ذلك وضعت الأرقام.

وانظر الجدول التالي الذي يبين ما جاء في الآية بعد الأحرف المقطعة :

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها ﴿الكتاب﴾
١ـ البقرة	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
٢ـ آل عمران	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾
٣ـ الأعراف	﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
٤ـ يونس	﴿الٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
٥ـ هود	﴿الٓرۚ﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
٦ـ يوسف	﴿الٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
٧ـ الرعد	﴿الٓمٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
٨ـ إبراهيم	﴿الٓرۚ﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
٩ـ الشعراء	﴿طسٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
١٠ـ القصص	﴿طسٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
١١ـ لقمان	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾

١٢ـ السجدة	﴿الٓمٓ ١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
١٣ـ غافر	﴿حمٓ ١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
١٤ـ فصلت	﴿حمٓ ١﴾	﴿كِتَٰبٞ﴾
١٥ـ الزخرف	﴿حمٓ ١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
١٦ـ الدخان	﴿حمٓ ١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
١٧ـ الجاثية	﴿حمٓ ١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
١٨ - الأحقاف	﴿حمٓ ١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها (القرآن)
١ - طه	﴿طه ١﴾	﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾
٢ - يس	﴿يسٓ ١﴾	﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾
٣ - ص	﴿صٓ﴾	﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾
٤ - ق	﴿قٓ﴾	﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها (الكتاب والقرآن) أو (القرآن والكتاب)
١ - الحجر	﴿الٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾
٢ - النمل	﴿طسٓ﴾	﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها
١ - مريم	﴿كٓهيعٓصٓ﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن

٢- العنكبوت	﴿الٓمٓ ۝١﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن
٣- الروم	﴿الٓمٓ ۝١﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن
٤- الشورى	﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن
٥- القلم	﴿نٓ﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن



﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب:

أولاً ـ دلالة كلمتي الكتاب والقرآن :

من الناحية اللغوية :

١ـ كلمة (قرآن) هي في الأصل لغة مصدر الفعل (قرأ) مثل غفران وعدوان. ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة:١٨] ثم استعملت علماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول عليه السلام وهو القرآن الكريم .

٢ـ أمّا الكتاب فهي من الكتابة ، وأحياناً يسمى كتاباً لأنّ الكتاب متعلق بالخط، وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإن لم يُخطّ ﴿أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ، والقرآن لم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أنْ ينزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من ناحية الاستعمال :

١ـ يلاحظ أنه عندما يبدأ بـ ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن أو قد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة.

٢ـ أمّا عندما يبدأ بـ ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ يتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من ذكر الكتاب أو قد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة .

٣ـ وإذا اجتمع القرآن والكتاب فإنهما يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً .

ونأخذ بعض الأمثلة:

آ ـ في سورة البقرة بدأ بالكتاب ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] وذكر الكتاب في السورة (٤٧) مرة والقرآن مرة واحدة فقط في آية الصيام ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥] .

ب ـ في سورة (آل عمران) بدأ السورة بالكتاب ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران:٣] وورد الكتاب (٣٣) مرة في السورة ولم ترد كلمة القرآن ولا مرة في السورة كلها.

ج ـ في سورة (طه) بدأ السورة بالقرآن ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:٢] وورد القرآن فيها (٣) مرات والكتاب مرة واحدة.

د ـ في سورة (ق) بدأ بالقرآن ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١] وورد ذكر القرآن(٣) مرات في السورة، بينما ورد الكتاب مرة واحدة.

هـ ـ في سورة (ص) تساوى ذكر القرآن والكتاب.

و ـ في سورة (الحجر) بدأ ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الحجر:١] ورد ذكر القرآن (٣)مرات والكتاب مرتين.

ز ـ في سورة (النمل) بدأ ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل:١] ورد ذكر القرآن (٣) مرات والكتاب أربع مرات.

وبشكل عام نقول :إنّ الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ يمكن أنْ يقال له : هو الكتاب، ويمكن أنْ يقال له: هو القرآن، ويمكن أن يقال له:هو الفرقان، ويمكن أن يقال له: هو الذِكر.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ بدل (هذا الكتاب)؟

الجواب:

١ـ اسم الإشارة في الأصل هو (ذا) وحدها، لكن يدخله الهاء للتنبيه ، كأنما يقدم عليه شيئاً ينبّه فيقال :(هذا)، وأحياناً تدخل عليه الكاف الذي يشير إلى البُعد فيقول: (ذاك) وقد تدخل عليه اللام التي تشير إلى البُعد المُفرِط (ذلك) للبعيد جداً .

٢ـ العلماء يقولون: هذا نوع من تشريف للكتاب بأنه لم يُشر إليه بإشارة القريب، وإنما أراد أنْ يعظِّمه، وقسم قال :إذا أشار إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ومعناه الكتاب الذي في اللوح المحفوظ والذي لا يمسه إلا المطهّرون من الملائكة، والله أشار إليه بـ (هذا) عندما أراد إلى ما بين أيدي الناس فاستعمل إشارة القريب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾أي: للقران الذي بين أيديهم.

القرآن والكتاب واحد، وهو الآيات التي أنزلها الله عز وجل على محمد ﷺ ، لكنّ الله تعالى عندما يقول: (الكتاب) كأنه يشير إلى هذا المدوّن، وهو نفسه المقروء، وهو كان مسطّراً في اللوح المحفوظ ، ثم نزل مقروءاً ثم قرأه الرسول ﷺ ثم سُطِّر.

٣ـ ولما قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] انصرف الذهن إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] والريب أدنى درجات الشك، والشك أقوى من الريب، والريب كأنه أول درجات الشك، وهذا الكتاب بذاته يخلو من أي ذرة من ذرات الشك فإذن هو يخلو من الريب.

٤- نفس اسم الإشارة أحياناً يستعمل في التعظيم، وقد يستعمل في الذم، والذي يبين الفرق بينهما هو السياق.

فمثلاً كلمة (هذا) تستعمل في المدح والثناء كقولهم "هذا الذي للمتقين إمام" ويستعمل في الذم ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان:٤١] .

واسم الإشارة (كذلك) تستعمل في المدح نحو "أولئك آبائي فجئني بمثلهم" أولئك جمع ذلك وهؤلاء جمع هذا ، ويستعمل للذم.

وأيضاً (ذلك) و(تلك) من أسماء الإشارة تستعملان للمدح نحو قوله تعالى : ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] وهذا تعظيم، وأحياناً يكون في الذم تقول : هذا البعيد ، ولا تريد أنْ تذكره فهنا الذي يميز بين ذلك الاستعمال والسياق.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] هنا إشارة إلى علوه وبُعد رتبته وبُعده عن الريب وأنه بعيد المنال لا يستطيع أنْ يؤتى بمثله ، ولفظة ﴿ذَٰلِكَ﴾ دلالة على

البعد . والله تعالى قال في نفس السورة : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] أي أنّ هذا الأمر بعيد عن المنال أنْ يؤتى بمثله، إذن ذلك الكتاب إشارة إلى بعده وعلو مرتبته.

٦ـ والقرآن يستعمل (هذا) لكن في مواطن، كقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] فعندما قال: (يهدي للتي هي أقوم) يجب أنْ يكون قريباً حتى نهتدي به، لكن لّما قال: ذلك الكتاب هو عالٍ بعيد لا يستطاع أنْ يؤتى بمثله.

٧ـ ثم إنّ الله تعالى لم يذكر القرآن إلا بـ(هذا) ولم يقل (ذلك)، وكلما أراد أن يشير إلى القرآن يشير بـ (هذا)؛ لأنّ القرآن من القراءة وهو مصدر فعل قرأ وكلمة قرآن أصلاً مصدر، فالفعل (قرأ) له مصدران (قراءة وقرآناً)، وعندما تريد أنْ تقرأ تقرأ القريب ، إذن هذا هو القرآن، بينما الكتاب بعيد وهو في اللوح المحفوظ ويسمى كتاباً.

شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾[الأنعام:١٩].

ـ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[يونس:٣٧].

ـ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[يوسف:٣].

ـ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾[الإسراء:٨٨].

والسبب في ذلك أنّ القرآن من القراءة وهو مصدر فعل (قرأ) ولما تقرأ تقرأ القريب ، أمّا الكتاب فبعيد وليس قراءة وهو في اللوح المحفوظ يسمى كتاباً ، فالكتاب فيه بُعد التصور ، أمّا القرآن فيكون قريباً حتى يقرأ.

ولذا ربنا تعالى يستعمل مع كلمة الكتاب أنزلنا ، كقوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:٩٢] دلالة إلى أنه نزل من مكان عالٍ من اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى في تحديه للناس في الإتيان بمثله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤] دلالة على أنه بعيد عليكم .

لذلك اسم الإشارة (ذلك) يدل على علو منزلته .

٨- و باختصار هناك فرق بين الكتاب والقرآن؛ فالكتاب فيه بُعدٌ مُتَصوّر، أما القرآن فيكون قريباً حتى يُقرأ.

وقوله تعالى في أول البقرة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] يدل على بُعده وعلو منزلته ، وكونه بعيداً يجعل من المستحيل أنْ يؤتى بمثله؛ لذلك قال الله في السورة نفسها: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[البقرة:٢٤] يعني بعيد عليكم فاسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ﴾ دل على علوِّهِ منزلة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢] ؟ وما إعراب ﴿لا﴾؟

الجواب:

١ـ جملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢] جعلت أحد الغربيين يُسلِمُ بمجرد أنْ سمعها، كيف؟

قال : إنه مهما بلغتْ فصاحةُ أيٍّ من البشر في اللغة والكتابة وتمكنُه منها، فإنه إذا كتب كتاباً أو رسالة ثم أعاد قراءتها فلا بدّ أنْ يُغير حرفاً أو كلمة أو جملة، وهذا يحدث في كل مرة يعيد قراءة ما كتب .

ولفظة (لا) في قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ﴾ [البقرة:٢] هي نافية للجنس، أي: تنفي الريب بالكلية.

وفي قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] دليل واضح لا يقبل الشك على أنه من عند الله تعالى، فمهما تكررت القراءة لا تجد ما قد تحتاجه من تنقيح أو تعديل ،وهذا من إعجازه ودليل على قدرة الله العظيم على إحكام آياته ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ [هود:١] .

٢ـ (لا) نافية للجنس و (ما) نافية كذلك فما الفرق بينهما ؟

يُقال : لا رجلَ في الدار ، ويقال : ما من رجلٍ في الدار ، فما الفرق بينهما علماً بأنّ التعبيرين نص في نفي الجنس ؟

آ ـ (لا) تستعمل لجواب سؤال حاصل أو مقدر هو : هل من ؟ نحو : من سأل عن وجود أحد في الدار ؟ فالجواب: لا ، ويكون الجواب كالإعلام.

ب ـ (ما) تستعمل كَرَدٍّ على قولٍ أو ما نُزِّلَ هذه المنزلة، نحو من قال : إنّ في الدار لرجلاً ، فيكون الرَّدُّ : ما من رجلٍ في الدار ، فهو رَدٌّ على قول وتصحيح ظن.

شواهد قرآنية على استعمال (ما) كرد على أقوالهم :

ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣] .

- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [آل عمران:٦١-٦٢] .

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] .

- ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٣] .

- ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨] .

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٥٦] .

شواهد قرآنية على استعمال (لا) كإعلام للمخاطب :

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:٢].

- ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] .

٣ـ وإنْ قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ وبين إخبار الله بشك الكفار وريبهم فيه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣]

وجوابه : أنه لظهور أدلته عند من نظر فيه لا ريب فيه عنده ، أمّا الريبة فيه فهي لعدم نظر الكفار والمشركين في أدلة صحته .

وقال الرازي : المراد أنه ليس محلاً للريب، أو هو نفيٌ معناه النهي، أي: لا ترتابوا أنه من عند الله تعالى.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ ؟ وما معنى التقوى؟

الجواب:

١-التقوى هو : أنْ يحفظ الإنسان نفسه بشيء ويحمي نفسه من خطر ، والقرآن وقاية، وهذه الوقاية تكون بالأعمال الصالحة التي تقي المؤمن من النار.

وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ ليس معناه أنْ نجعل بيننا وبين الله وقاية، ولكنّ المعنى أنْ نجعل بيننا وبين غضب الله وعذابه وقاية ، فنحن نتقي بصفات كمال الله (غافر الذنب والرحمن والرحيم والغفور) من صفات جلال الله (المنتقم والجبار والمتكبر).

وقد قال الحسن البصري في تعريف التقوى : التقوى هي الخوف من الجليل، والرضى بالقليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل .

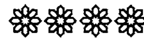
وقال غيره : التقوى أنْ لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك .

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى عن القرآن الكريم : الهدى حقيقته، والهدى طبيعته، والهدى كيانه، والهدى ماهيته ... ولكن للمتقين ..؛ لأنّ التقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب.

٢ـ الوقف على ﴿فِيهِ﴾ هو المشهور، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على ﴿لَا رَيْبَ﴾ ، والقراءة الأولى أولى لأنه يكون في هذه الحالة الكتاب نفسه هدى ، وفي الثانية يكون الكتاب فيه هدى.

٣ـ في الآية تنبيه على أنه الكلام المتحدى به في قوله تعالى ﴿الٓمٓ ①﴾ ثم أُشير بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقرير جهة التحدي ، ثم نفى عنه الريب فكان شهادة بكماله ، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين.

وفي الأولى حذف ورمز إلى الغرض بألطف وجه ، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة ، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف ، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر ﴿هُدًى﴾ موضع الوصف الذي هو (هاد) وإيراده منكّراً ليفيد عموم الهدى. والله أعلم.



﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة:٣] ؟

الجواب:

١- الغيب هو كل ما غاب عن العين ، ولذلك يقال :ليس مع العين أين؛ لأنّ ما تراه لا تريد عليه دليلاً ولكنّ الغيب لا تدركه الحواس إنما يُدرك بغيرها.

ومن المعروف أننا ندرك الأشياء بواسطة حواسنا الخمس (السمع،والبصر، والشم، والذوق واللمس) ولكنّ هناك أشياء تدرك بغير هذه الحواس.

أمثلة: حقيبتان لهما نفس الشكل واللون والحجم لا تستطيع بحواسك الظاهرة أنْ تدرك أيهما أثقل ، لكن عن طريق حاسة العضل تستطيع معرفة الأثقل.

كذلك الشعور بالجوع والعطش والاستيقاظ والنفس البشرية وغيرها كلها إدراكات متعددة تعمل بغير علم منا، وقد يكون لهذه الإدراكات مقدمات.

و الغيب هو الشيء الذي ليس له مقدمات، ولا يمكن أنْ يصل إليه علمُ خَلْقٍ من خلق الله حتى الملائكة والجن وحتى الرسل إلا ما يعلّمه الله لرسله بما يشاء من الغيب.

وقمة الغيب هي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وكذلك الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كل هذه الأمور أمور غيبية أخبرنا الله عنها ، ولقد أراد الله تعالى رحمة بعقولنا أنْ يقرب لنا قضية الغيب فأعطانا من الكون المادي أدلة على أنّ وجود الشيء وإدراك هذا الوجود هما أمران منفصلان تماماً.

لهذا لا بدّ أنْ تعرف أنّ وجود الشيء مختلف تماماً عن إدراك هذا الشيء، فأنت لك روح لكن لا تدركها وإنما تشعر بأثرها في إحياء جسدك.

والله سبحانه قد أعطانا من آياته في الكون ما يجعلنا ندرك أنّ لهذا الكون خالقاً، وأنّ وراء كل ما في هذا الكون قوة هائلة هي التي خلقت وأبدعت ونظمت ، فإذا جاء رسولٌ يبلغنا أنّ الله هو الذي خلق هذا الكون فلا بدّ أن نصدقه.

٢ـ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إمّا موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو منصوب على المدح بتقدير: أعني الذين يؤمنون ، أو منقطع مرفوع على الابتداء مخبر عنهم بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [البقرة:٥] .

٣ـ قيل : الغيب: مصدر أقيم مكان اسم المفعول.

٤ـ ذكر الله تعالى في آية النمل ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥] ووصف المؤمنين بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] والسؤال : ما لا يُعلَمُ كيف يؤمن به ؟

والجواب: أنّ المراد هو الغيب الذي دلّ البرهان على صحته ووقوعه وذُكر في القرآن الكريم كالقيامة والجنة والنار .

السؤال الثاني:

ما معنى الصلاة لغة ؟

الجواب:

ذكروا في لفظ الصلاة لغة أنها بمعنى : الدعاء .

السؤال الثالث:

ما معنى الرزق ؟ وما دلالة الحرف (من) في الآية ؟ ولماذا قدّم مفعول الفعل ؟

الجواب:

١ـ الرزق في كلام العرب هو الحظُّ كما في قوله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢]. والحظُّ هو نصيب المرء وما هو خاص له دون غيره.

٢ـ أصل الإنفاق إخراج المال من اليد، ونفقت الدابة إذا ماتت أي: خرج روحها.

٣ـ أسند الرزق لله فهو المنعم.

٤ـ قدّم مفعول الفعل دلالة على أنه أهم.

٥ـ (من) للتبعيض، أي: بعض مالهم وليس كله صيانة لهم وتسهيلاً على النفس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

اللمسات البيانية لهذه الآية تتضح في السؤال التالي :

السؤال الأول:

المطلوب إجراء مقارنة بين آيات بداية سورة البقرة و آيات بداية سورة لقمان ؟

الجواب:

الجدول التالي يلخص لنا المقارنة المطلوبة :

مسلسل	سورة البقرة	رقم الآية	سورة لقمان	رقم الآية
١	﴿ذَٰلِكَ﴾	٢	﴿تِلۡكَ﴾	٢
٢	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾	٢	﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٢
٣	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾	٢	﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	٢
٤	﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾	٢	﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾	٣
٥	﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾	٣	-	
٦	﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	٣	﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤
٧	﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾	٤	-	
٨	﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾	٤	﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾	٤
٩	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	٥	كررت نفس الآية	٥

الملاحظات البيانية حسب التسلسل :

١ـ قال في البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] واسم الإشارة (ذا) للمفرد المذكر، وهو الكتاب واللام للبعد والكاف للخطاب ، بينما قال في لقمان: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ [لقمان:٢] لأنّ تلك للمؤنث، أي الآيات، ويشار بتلك إلى البعيد وتستعمل تلك للمفرد، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وللجمع على نحو ما مثّل سابقا .

٢ـ قال في البقرة:﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] بينما قال في لقمان: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [لقمان:٢] ولم يشر إلى الكتاب فقط ، والسبب– والله أعلم –:

آ ـ لو لاحظنا في سورة لقمان أنه تردد كثير من الآيات السمعية والكونية، مثلاً: قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان:٧] والآيات الكونية مثل ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [لقمان:١٠] ، إلقاء الرواسي وإخراج النبات وسمّاها آيات ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان:٣٢] .

ب ـ ثم هنالك أمر آخر وهو أن كلمة الكتاب ومشتقات الكتابة في البقرة أكثر من الآيات، وفي لقمان كلمة الآيات أكثر من الكتابة، في البقرة مشتقات الكتاب والكتابة (٤٧) مرة والآيات (٢١) مرة وفي لقمان ذكر الكتاب مرتين والآيات خمس مرات، وهذه سمة تعبيرية أنّ التي بدأت بالكتاب ذكر فيها الكتاب أكثر، والتي بدأ فيها بالآيات ذكر فيها الآيات أكثر.

٣ـ قال في لقمان: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان:٢] بينما في البقرة لم يصف الكتاب ، فلماذا؟ وما معنى الحكيم؟

الجواب:

آ ـ الحكيم قد يكون من الحِكمة أو من الحُكم، وهذا من باب التوسع في المعنى، ولو أراد تعالى معنى محدداً لخصّص.

ب ـ في سورة البقرة لم يصف الكتاب؛ لأنّ السورة فيها اتجاه آخر حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة:٢] وهو ذكر التقوى والمتقين.

ففي البقرة قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة:٢] ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] اتقوا النار مقابل المتقين، فإذن هناك مناسبة بين هدى للمتقين وكلمة التقوى التي ترددت كثيراً في البقرة، كما أنّ قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [البقرة:٢] متناسب مع قوله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ [البقرة:٢٣].

ج ـ أمّا وصفه بالحكيم في سورة لقمان فهو مناسب لما ورد في السورة من ذكر الحكمة ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢] وذكر الحِكَم، وربنا وصف نفسه بأنه عزيز حكيم في سورة لقمان أكثر من مرة، فكلمة حكيم مناسبة لجو السورة وذكر الحكمة، لذلك قال في لقمان: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝﴾ [لقمان:٢]

٤ـ وفي البقرة قال فقط: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة:٢] بينما قال في لقمان: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [لقمان:٣] فما دلالة ذلك؟

آ ـ ما الفرق بين المتقي والمحسن؟

المتقي هو الذي يحفظ نفسه فيتقي الأشياء، أمّا المُحسِن فيحسن إلى نفسه وإلى غيره، كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] فالإحسان يكون إلى نفسه وإلى غيره ، أمّا التقوى فتقتصر على النفس .

والإحسان إلى الآخرين هو من الرحمة، فلمّا رحموا الآخرين وتعدّى إحسانهم إلى غيرهم زادهم ربنا رحمة، أمّا التقوى فهي للنفس ، وهؤلاء إحسان للنفس وإلى الآخرين، والإحسان إلى الآخرين هو الرحمة فلمّا زادوا هم زادهم ربهم ، والجزاء من جنس العمل، حتى في الآخرة زاد لهم الجزاء، قال تعالى في الآخرة: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] وهذه رحمة، فكما زاد الجزاء لهم في الآخرة زاد لهم في الدنيا ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:٢] و ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٣] .

ب ـ ولو لاحظنا أنّ هذه الأوصاف ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٣] هي مناسبة لما ورد في عموم سورة لقمان وما شاع في جوِّها من هدى ورحمة وإحسان:

ـ فمن مظاهر الهدى المذكورة في سورة لقمان قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان:١٥] والذي يسلك السبيل يبتغي الهداية، هذا هدى، وجوُّ الهداية في سورة لقمان شائع.

ـ والرحمة لمّا ذكر قوله تعالى ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان:١٠] هذا من الرحمة.

ـ ولمّا ذكر تسخير ما في السموات والأرض وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠] هل هناك أعظم من هذه الرحمة؟

ـ ومن مظاهر الإحسان أيضاً إيتاء الزكاة ، وفي الوصية بالوالدين والإحسان إليهما، إذن جوُّ السورة كلها شائع فيه الهدى والرحمة والإحسان، وهذه ليست في البقرة، وإنما سورة البقرة ذكرت أموراً أخرى نحو: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة:٣-٤] وصف كثير ثم انتهى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٥] أمّا في لقمان فاختصر ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان:٤] .

والإيمان أعمّ من الإحسان، ولا يمكن للإنسان أنْ يكون متقياً حتى يكون مؤمناً، وورود كلمة المتقين، المؤمنين، المحسنين والمسلمين يعود إلى سياق الآيات في كل سورة.

٥ـ في البقرة قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] ولم يقلها في لقمان، وقال في البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [البقرة:٤] ولم يقلها في لقمان ،فما دلالة ذلك ؟ ولماذا؟

آ ـ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] هذا متعلق بالسورة نفسها، ومفتتح السورة غالباً ما يكون له علاقة بطابع السورة من أولها إلى نهايتها.

ففي سورة البقرة قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] وبعدها قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] هذا من الغيب : لم يؤمنوا لا بالله ولا باليوم الآخر، وقال على لسان بني إسرائيل: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥] إذن هم لا يؤمنون بالغيب وطلبهم عكس الغيب لذلك هو قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] وليس مثل هؤلاء الذين يقولون: آمنا وما هم بمؤمنين، ولا مثل هؤلاء الذين طلبوا أنْ يروا الله جهرة .

بينما في لقمان قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] إذن هم مؤمنون بالغيب، وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:٣٢] إذن الطابع العام في سورة البقرة هو الإيمان بالغيب وطلب الإيمان أو الإنكار على عدم الإيمان بالغيب، بينما في لقمان الإيمان بالغيب حتى الذين كفروا قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] إذن يؤمنون بجزء من الغيب بينما أولئك في سورة البقرة ينكرون ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] هذه ليست إيماناً بالغيب وربنا يريد الإيمان بالغيب.

ب ـ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] ولم يقل: آمنوا بالغيب، مع أنّ إيمان المتقين بالغيب مؤكد في الآية، فلماذا ؟

والجواب أنّ قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٣] بصيغة المضارع ولم يقل: آمنوا بصيغة الماضي؛ لأنّ الإيمان منا مستمر متجدد لا يطرأ عليه شك ولا ريبة.

٦ـ قال في لقمان: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان:٤] وفي البقرة قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣]. فما دلالة ذلك ولماذا ؟

آ ـ الإنفاق أعم من الزكاة، والزكاة من الإنفاق، فإذن مما ينفقون تحت طياتها الزكاة.

ب ـ ونلاحظ قوله تعالى في لقمان ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان:٤] وفي البقرة قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣] لأنه تكرر في البقرة ذكر الإنفاق (١٧) مرة وذكر الزكاة كذلك في عدة مواطن،ومن آيات ذكر الإنفاق قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة:٢٦١].

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى ﴾ [البقرة:٢٦٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [البقرة:٢٧٤] فتكرار الإنفاق في سورة البقرة عدا الأمر بالزكاة ناسب استعمال لفظة ـ ينفقون ـ لأنها أعم. أمّا في لقمان فما ذكر الإنفاق لأنّ طابع السورة يختلف عن طابع سورة البقرة .

٧ـ وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [البقرة:٤] لم يقل هذا في سورة لقمان لأنه في البقرة جرى هذا ، وطُلِب من أهل الكتاب أنْ يؤمنوا بما أُنزل إليه وما أنزل من قبلك في آيات كثيرة جداً نحو قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ﴾ [البقرة:٤١] إذن المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ،وهؤلاء المشركون لم يؤمنوا ﴿ ۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ ﴾ [البقرة:٧٥] ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة:٧٦] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٩١] هم لا يؤمنون بما أُنزل إليه ، بينما طلب الله تعالى من المؤمنين أنْ يؤمنوا بما أنزل إلى الرسول عليه السلام وما أنزل على الرسل قبله ، وحتى في آخر البقرة قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [البقرة:٢٨٥] فطابع السورة هكذا، وأمّا في لقمان فلم يوجد مثل هذا أصلاً ، ولذلك مفتتح سورة البقرة فيها طابع السورة.

٨ـ قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ [لقمان:٤] وفي آية البقرة قال ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ [البقرة:٤] أي كرّر ﴿ هُمۡ ﴾ قبل ﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ فما دلالة ذلك ؟ ولماذا قدّم الجار والمجرور على الفعل (يوقنون) ؟

آ ـ لو لاحظنا في سورة لقمان تردد في السورة ذكر الآخرة وأحوالها والتوعد بها في زهاء نصف عدد آيات السورة وفي أولها وآخرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان:٦] ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٧] ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان:٨] ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان:٢٤] ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨] ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣] .

ب ــ ثم هي بدأت بالآخرة ﴿يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة:٤] وانتهت بالآخرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤] فناسب زيادة ﴿هُمْ﴾ [البقرة:٤] توكيداً على طابع السورة وما جاء في السورة.

ج ـ إضافة إلى أنّ هؤلاء ذكر عنهم أنهم محسنون ، والمحسنون كما علمنا أنهم يحسنون إلى أنفسهم وإلى غيرهم ، وزاد فيهم هدى ورحمة ، وليس كما في البقرة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:٢] والمتقي هو الذي يحفظ نفسه، فزاد في وصف هؤلاء الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، وهذا من الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه**» ولذلك زاد في ذكر إيمانهم ويقينهم لمّا كانوا أعلى مرتبة وزاد لهم في الرحمة وزاد لهم في الآخرة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فزاد في ذكر إيمانهم فقال: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان:٤] فهم أعلى في اليقين؛ لأنّ اليقين درجات والإيمان درجات ، فالإيمان يزيد، والاطمئنان درجات، واليقين درجات، والمحسنون يعبدون الله كأنهم يرونه ، إذن درجة يقينهم عالية، فأكّد هذا الأمر فقال: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان:٤] فأكّدها على ما ذكر في سورة البقرة ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة:٤] لأنّ السورة والآية كلها تستدعي ذكر الزيادة.

د ـ لكنّ الملاحظ أنه في البقرة وفي لقمان قدّم الجار والمجرور على الفعل فقال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] ولم يقل: وهم يوقنون بالآخرة.

والأصل في اللغة العربية أنْ يتقدم الفعل ثم تأتي المعمولات الفاعل والمفعول به والمتعلق من جار ومجرور، والتقديم لا بدّ أنْ يكون لسبب وهنا قدّم ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة:٤] وكذلك في البقرة ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] لأنّ الإيقان بالآخرة صعب ومقتضاه شاق، وأمّا الإيمان بالله فكثير من الناس يؤمنون بالله لكنّ قسماً منهم مع إيمانه بالله لا يؤمن بالآخرة؛ مثل كفار قريش ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ [الجاثية:٣٢] وهم مؤمنون بالله ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] إذن هم مؤمنون بالله لكنْ غير مؤمنين بالآخرة، ولذلك هنا قدم الآخرة لأهميتها فقال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] فالإيمان بالله كأنه متسع، لكنّ اليقين بالآخرة ليس متسعاً، والتقديم هنا للاهتمام والقصر.

٩ـ النهاية واحدة في السورتين وبنفس رقم الآية رقم ٥ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥] فما دلالة ذلك ؟

آ ـ هؤلاء المذكورون بهذه الصفات قال الله سبحانه عنهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] واقتران لفظ الرب مع الهداية اقتران في غاية اللطف والدقة؛ لأنّ الرب هو المربي والموجه والمرشد والمعلم، هذا هو الرب في اللغة.

ب ـ لم يقل :(على هدى من الله) وإنما قال : ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وفي ذلك أمران:

الأول : يمكن أنْ يقال هدى من الله؛ لأنّ الله (لفظ الجلالة) اسم العلم وكل الأمور تنسب إليه، ويصح أنْ تُنسب إليه باسمه العلم وأحياناً تنسب إلى صفاته بما يناسب المقام، ولكن هناك أشياء من الجميل أنْ تنسب إلى صفاته سبحانه وتعالى مثل: أرحم الراحمين، الرحمن الرحيم ، وهنا قال: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] والرب في اللغة هو أصلاً المربي والموجه والمرشد فيناسب اللفظ مع الهداية .

واختيار لفظ الرب مع الهداية كثير في القرآن، وهو مناسب من حيث الترتيب اللغوي ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه:٥٠] ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء:٦٢] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:١٦١] وكثيراً ما تقترن الهداية بالرب، وهو اقتران مناسب لوظيفة المربي.

الثاني : وهناك دلالة لطيفة بين الرب والهدى، وذلك بإضافة الضمير" هم " إلى ﴿رَّبِّهِمْ﴾ ، ولو استعمل اسم العلم فليس فيه علاقة بهم وإنما عامة، لكنْ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] لا شك أنّ ربهم هو أرحم بهم وأرأف بهم؛ لذا فاختيار كلمة (رب) مناسبة مع الهداية .

فالهدى مقترن بالرب وفيه من الحنو والإرشاد والخوف على العباد، ثم إضافة الضمير ﴿رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] هذا فيه أنّ الله يحبهم ويقربهم إليه، وفيه من الحنو والنصح والإرشاد والتوجيه، ولا شك أنّ رب الإنسان أحنى عليه.

ج ـ في قوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] يستعمل مع الهداية لفظ ﴿عَلَىٰ﴾ [البقرة:٥] بعكس الضلال يستعمل لها لفظ ﴿فِى﴾ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف:٨] وهذا

ملاحظ في القرآن الكريم ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾ [يس:٤] ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩] ويستعمل في للضلال ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٧﴾ [يس:٤٧] وليس فقط في الضلال وإنما الذي يؤدي إلى الضلال ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥] ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١﴾ [يونس:١١] كأنّ المهتدي هو مستعلٍ يبصر ما حوله ومتمكن مما هو فيه وهو مستعلٍ على الشيء ثابت يعلم ما حوله ويعلم ما أمامه، أمّا الساقط في اللُّجَّة أو في الغَمرَةِ أو في الضلال لا يتبين ما حوله بصورة صحيحة سليمة؛ لذا يقولون: يستعمل ربنا تعالى مع الهداية (على) ومع الضلال (في).

د ـ ثم ختم الآية بقوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥] .

آ ـ أولاً جاء بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ وجاء بالتعريف ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ولم يقل: أولئك مفلحون، ولم يقل: هم مفلحون، وإنما حصر أنّ هؤلاء هم المفلحون حصراً ليس هنالك مفلح آخر.

ب ـ (أولئك) في الأصل اسم إشارة ، ومن الناحية الحسية إذا لم نرد المجاز نستعمل (أولئك) للبعيد و(هؤلاء) للقريب، هذا هوالأصل مثل هذا وذلك.

ج ـ ثم تأتي أمور أخرى مجازية؛ كأنّ هؤلاء أصحاب مرتبة عليا فيشار إليهم لعلوِّ مرتبتهم بفلاحهم بـــــ (أولئك) إشارة إلى علوِّ منزلتهم وعلوِّ ما هم فيه، فالذي على هدى هو مستعلٍ فيما يسير وهو مستعلٍ أصلاً، فيشار إليهم بما هو بعيد وبما هو مرتفع وبما هو عالٍ، ثم حصر الفلاح فيهم قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٥] حصراً .

د ـ قوله تعالى ﴿هُمُ﴾ هذا ضمير الفصل ويفيد في الغالب التوكيد والقصر، حتى إنه قيل في تسمية ضمير الفصل: أنه يفصل الخبر عن الصفة وهذا أصل التسمية، أي: أنّ أصل التسمية حتى يُعلم أن الذي بعده خبر وليس صفة؛ لأنه أحياناً يظن السائل أنّ هذا صفة وبعده خبر، ونحو ذلك قوله تعالى ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[البقرة:٢٥٤] .

هـ ـ وذَكَرَ في هذه الآية ركنين أساسيين، الأول: في إصلاح النفس (إقامة الصلاة) ، والثاني: في الإحسان إلى الآخرين (إيتاءالزكاة)، وإقامة الصلاة هي أول ما يسأل عنه المرء يوم القيامة ؛ ولذلك لمّا قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٥] أفاد الحصر أي لا فلاح في غير هؤلاء، ومن أراد الفلاح فليسلك هذا السبيل ليكون على هدى من ربه، وليس وراء ذلك أي فلاح آخر.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ﴾ تفيد التوكيد .

٢ـ الكافرون صنفان :

آـ صنف كفر بالله، وعندما جاء الهدى حكّم عقله وعرف الحق فآمن.

ب ـ وصنف آخر مستفيد من الكفر؛ ولذلك هو متشبِّثٌ به،ومهما جاءه من الإيمان والأدلة فإنه سوف يعاند ويكفر؛ لأنه يريد أنْ يحتفظ بسلطاته الدنيوية ونفوذه

القائم ولا يقبل أنْ يُجرد منهما ولو بالحق ، هذا الصنف هو الذي قال الله عنه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة:٦] .

هذا الكافر الذي اتخذ الكفر طريقاً لجاه الدنيا لن يؤمن سواء أنذرته أم لم تنذره، بل إنّ هؤلاء هم الذين يقاومون الدين ويحاربون كل من أسلم وآمن ، ولذلك فإنّ عدم إيمانهم ليس عن أنّ منهج الإيمان لم يبلغهم، ولكنْ لأنّ حياتهم قائمة ومبنية على الكفر.

٣ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:٦] صيغة جمع، وقوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة:٦] صيغة جمع، والجمع إذا قوبل بالجمع توزع الفرد على الفرد، فمعناه أنّ كل واحد منهم لا يؤمن ، ومثال ذلك قول المعلم للطلاب : "أخرجوا دفاتركم" أي: ليخرج كل طالب دفتره.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿سَوَآءٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في الآية ﴿سَوَآءٌ﴾ بمعنى الاستواء، فكأنه قيل : إنّ الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه .

٢ـ جاءت لفظة ﴿سَوَآءٌ﴾ هنا وبدون واو (حرف عطف)؛ لأنها جاءت ضمن جملة اسمية، بينما جاءت لفظة ﴿ وَسَوَآءٌ﴾ [يس:١٠] في آية يس وهي قوله تعالى ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [يس:١٠] لأنها جملة مستقلة معطوفة على جملة سابقة فجاءت بواو العطف.

السؤال الثالث:

هل هناك أكثر من قراءة في قوله تعالى ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ؟ ولماذا ذُكر الإنذار دون البشارة؟

الجواب:

١ـ الإنذار هو التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي، وإنما ذُكر الإنذار دون البشارة؛ لأنّ تأثير الإنذار في الفعل والترك أقوى من تأثير البشارة، واشتغال الإنسان بدفع الضرر أشد من اشتغاله بجلب المنفعة ، فكان ذكر الإنذار أولى .

٢ـ في قوله تعالى ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ست قراءات :

آ ـ إمّا بهمزتين محققتين بينهما ألف ، أو لا ألف بينهما.

ب ـ أو أنّ تكون الهمزة الأولى قوية والثانية أقل قوة بينهما ألف ، أو لا ألف بينهما.

ج ـ مع حذف حرف الاستفهام ، أو بحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرىء ﴿ قد أفلح ﴾ .

السؤال الرابع:

ما القول في جملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦] ؟

الجواب:

هذه إما أنْ تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبراً لـ ﴿إِنَّ﴾ .

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى الختم ؟ولماذا تم الختم على القلوب والسمع والبصر ؟

الجواب:

آ ـ الختم والكتم أخوان ، ومن الألفاظ الواردة في القرآن في معنى الختم : الطبع ـ الكنان ـ الرين على القلب ـ الوقر في الأذن ـ الغشاوة في البصر .

ب ـ هذه هي الآية الثانية في الكلام عن الكفار في أول سورة البقرة ، وهؤلاء كانوا من عتاة الكفرة من الذين علم الله سبحانه وتعالى أنهم قد أقفلوا قلوبهم .

وقوله تعالى في الآية السابقة ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦] هذه التصريحات في القرآن تجاه أناس معينين هو من دلائل النبوة، ولا يكون من كلام بشر؛ لأنه ما يكون موقفك لو أنّ هؤلاء تظاهروا بالإسلام وقالوا: نحن أسلمنا؟ إذن هذا علم الله سبحانه وتعالى، و هؤلاء عتاة الكفر أغلقوا قلوبهم.

ج ـ الختم هو الطابَع من الطين،والأصل أنّ العربي كان يغلق فوهة شيء من الأشياء إذا أراد أنْ يحفظها ويأتي بشيء من الطين يضعه على مكان عقدة الخيط ويختم بخاتِمه (خاتَم وخاتِم)، والآن مستعمل هذا الختم بالشمع الأحمر.

إذن هم أغلقوا قلوبهم أولاً فختم الله سبحانه وتعالى عليها، ولا يحتج أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي ختم فهم مسيّرون ؛ لأنهم هم أغلقوا قلوبهم أولاً؛ لأنّ الختم لا يكون إلا على شيء مغلق، فهم أغلقوا قلوبهم وما عادوا مستعدين للاستماع ولا للتقبّل؛ لذا قيل للرسول ﷺ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ فهؤلاء لا يؤمنون، أي: انتهى حالهم، وهذا الأمر لا يكون لعموم الناس ، إذن الختم لا يكون إلا بعد الإغلاق، هم أغلقوا قلوبهم فختم الله عليها.

د ـ والقلب عند العرب هو موطن العقل والتفكير وهم هكذا يستعملونه، والدماغ عندهم حشو الجمجمة، وفي لغة العرب أنّ الإنسان يعقل ويفكر ويتأثر بالعاطفة وكلها في القلب، والقرآن كلّم الناس أنّ موطن العقل وموطن التفكير هو في القلب .

وبماذا يتدبر الإنسان؟ يتدبر بما يسمعه؛ لأنّ الأصل أنّ الآيات تلقى إلقاء على الناس، الدعوة شفاهاً، والكلام شفاهاً، والرسول ﷺ كان يكلمهم ، فهم إذا أغلقوا قلوبهم ما الفائدة ؟!!!! كأنهم لا يحتاجون إلى آذانهم.

والسمع هو الوسيلة الأولى التي تدعوك إلى أنْ تنظر، بعد أنْ يقال لك :انظر فتنظر، وهم :

١ـ أولاً أغلقوا قلوبهم فخُتم عليها.

٢ـ والطريق إلى القلوب هو السمع وما عاد ينفع فختم عليها أيضاً .

٣ـ والسمع وسيلة التذكير بالإبصار فغشّيت الأبصار ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ .

لذلك جاء هذا الترتيب الطبيعي، ولا يمكنْ أن يتغير إلا في ظرف معين كما في سورة الإسراء ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[الإسراء:٩٧] .

السؤال الثاني:

لماذا ترد كلمة (السمع) بصيغة المفرد، والأبصار ثم القلوب بالجمع كما في هذه الآية ؟

الجواب:

آ ـ القلوب ما يحوك فيها التفكير، وهذا شيء واسع مطلق وليس له حدود حتى لو كان الإنسان ساكتاً؛ لأنّ فكره وقلبه و تفكيره ليس له حدود.

كذلك النظر أيضاً واسع لكنه لا شك أقل من القلب، فأنت تنظر إلى مكان محدود النظر يأتي في الدرجة الثانية في السعة، متنوع، يعني ترى أشياء كثيرة.

أمّا السمع فيستقبل الصوت فقط لا يستقبل شيئاً آخر، فالسمع يتعامل مع شيء واحد وهو الصوت اللغوي، والبصر يتعامل مع أشياء كثيرة والقلب يتعامل مع أشياء كثيرة أكثر ، فالذي يتعامل مع الكثير استعمل له الجمع، والذي يتعامل مع الواحد استعمل له المفرد (السمع).

ب ـ لو أنّ مجموعة من الناس ألقي عليهم آية من الآيات، هم كلهم ستدخل في آذانهم بصورة واحدة لا تختلف ، وستدخل هذه الذبذبات وتترجم في رؤوسهم ، فإذن المستقبَل في السمع واحد ، لكنْ لمّا استقبلوه كلٌّ سيفكر فيه بطريقة خاصة وليس بصورة واحدة، فهذا يقتضي توحيد السمع وجمع القلوب.

ج ـ القلوب جمع قلب، والأبصار جمع بصر، ليس عندنا جمع آخر ، وقلوب جمع كثرة، وأبصار جمع قِلّة، وطبعاً كلاهما يستعمل للكثرة والقلة، والقرآن جاء بلغة العرب، والعرب جمعوا القلب على قلوب، وجمعوا البصر على أبصار.

د ـ بعض علمائنا يقولون: وحَّدَ كلمة السمع؛ لأنّ صورتها صورة المصدر، والمصدر عادة لا يُجمع؛ لأنه يدل على الحدث المطلق؛ لأنّ مدركات السمع واحد وهو الصوت، بينما مدركات القلوب ومدركات الأبصار متعددة، أي: ما يدركه السمع

واحد وهو الصوت اللغوي، والترجمة تكون في الذهن أي: في القلب ، بينما النظر مدركاته كثيرة فالقلب مدركاته كثيرة، ومدركات السمع هو الصوت اللغوي، وهو هذه الموجة. (لكن العرب جمعت السمع على أسماع).

السؤال الثالث:

استعمل الختم على القلب والسمع، واستعمل الغشاوة مع البصر فلماذا ؟ وما فائدة تكرار حرف الجر (على) في الآية ؟

الجواب:

آ ـ هنا استخدم القرآن الختم على القلب وعلى السمع مع العطف؛ لأنه أراد أنْ يجمع بختم واحد القلوب والسمع لارتباط الموضوع، حيث إنّ موضوع التفكر يكون عن طريق السماع، فلمّا أغلقوا قلوبهم لم يعد هناك فائدة للسمع، فختم على الاثنين: ختم على قلوبهم وعلى سمعهم بختمين وليس بختم واحد؛ لأنّ القلب شيء والسمع شيء آخر.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة:٧] فهذه جملة جديدة وليست معطوفة، ولو أردنا أن نقف على سمعهم، ثم نقول: وعلى أبصارهم غشاوة.

والبصر يحتاج لتغطية، أمّا السمع فيحتاج إلى ختم؛ لأنه ليس هناك شيء يغطيه.

ب ـ كرر حرف الجر (على) ليدل على شدة الختم في الموضعين : القلوب والسمع.

السؤال الرابع:

ما دلالة تقديم السمع على البصر في الآية ؟

الجواب:

آ ـ قدّم السمع على البصر للتفضيل، وهذا التفضيل عام في جميع القرآن عدا آيتين هما : الكهف [٢٦] والسجدة [١٢] وسوف نتكلم عنهما في موضعيهما إن شاء الله.

ب ـ السمع شرط النبوة بخلاف البصر، ولذلك ما بعث الله نبياً أصم، وقد كان فيهم من كان مبتلى بالعمى كيعقوب عليه السلام .

ج ـ حاسة السمع عند الطفل الوليد أسبق بالعمل من حاسة البصر.

د ـ تستطيع بالسمع استكمال معارف العقل، بينما البصر لا يوقفك إلا على المحسوسات.

السؤال الخامس :

ما دلالة تنكير ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ و ﴿عَذَابٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

نكَّرَ ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ للتعميم ، ونكّر ﴿عَذَابٌ﴾ ليشمل كل أنواع العذاب .

والعذاب العظيم نقيض الحقير، والعذاب الكبير نقيض الصغير، فكأنّ العذاب العظيم فوق العذاب الكبير ، والله أعلم.

السؤال السادس:

جعل الله تعالى السَّدَّ للكفرة في آية يس ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ [يس:٩] دون آية البقرة هذه، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ وصف الله تعالى في أول البقرة الكتاب بأنه لا ريب فيه وهو هدى للمتقين، وبيّن صفات المتقين فذكر ما يتعلق بالإيمان والتقوى والهدى، ثم ذكر الكفرة فذكر أنه مختوم على قلوبهم وعلى سمعهم وأنّ على أبصارهم غشاوة فانسدت منافذ الإيمان والتقوى والهدى.

٢ـ بينما ذكر في يس ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [يس:٣-٤] والصراط إنما يكون للسير فيه وسلوكه، فذكر ما يمنع الكفرة من سلوك الصراط المستقيم وهو الأغلال في أعناقهم والسد من بين أيديهم ومن خلفهم.

أمّا المؤمنون فإنهم على الصراط المستقيم يسلكونه ويتخذونه سبيلاً، ولم يذكر مثل ذلك في البقرة فكان ذكر السد مناسباً في ﴿يسٓ﴾، فناسب كل تعبير مكانه الذي هو أليق به. والله أعلم.

السؤال السابع:

في آية البقرة قدّم القلوب على السمع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وفي آية الجاثية ٢٣ قدّم السمع على القلب وعلى البصر﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فما دلالة هذا التقديم والتأخير؟

الجواب:

في آية البقرة قدّم القلوب على السمع، وفي آية الجاثية قدّم السمع على القلب وذلك للأسباب التالية:

١ـ في آية البقرة:

ـ ذكر القلوب المريضة «آية البقرة:١٠» فقدّم القلوب لذلك.

ـ آية البقرة ذكرت من أصناف الكافرين من هم أشد ضلالاً وكفراً ممن ذكرتهم آية ٢٣ الجاثية انظر آيات البقرة [٦] و [٧].

ـ أنّ الإنذار وعدمه لهذه الأصناف سواء ، وأنهم ميؤوس من إيمانهم ، ولم يقل مثل ذلك في آية الجاثية.

ـ كرّر حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ مع القلوب والأسماع مما يفيد التوكيد ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة:٧] ولم يكرر في الجاثية ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية:٢٣] .

ـ قال في البقرة ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] بالجملة الاسمية التي تفيد الدوام والثبات، أي : أنّ هؤلاء شأنهم دائماً فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام.

ـ ختم الآية بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة:٧] ولم يقل ذلك في الجاثية، فدلّ على أنّ صفات الكفر في البقرة أشد تمكنا فيهم .

٢ ـ في آية الجاثية : إضافة إلى ما ذكر أعلاه :

ـ ذكر الأسماع المعطلة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية:٨] فقدّم السمع .

ـ قال: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث ﴿وَجَعَلَ﴾ فعل ماض ، ومعنى ذلك أنّ الغشاوة لم تكن قبل الجعل، يدلك على ذلك قوله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] مما يدلّ على أنه كان مبصراً قبل ترديه .

٣ ـ لذلك قدّم ختم القلب على ما سواه؛ لأنه هو الأهم، فإنّ القلب هو محل الهدى والضلال ،وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج:٤٦] وقال ﷺ : « **ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» فكان تقديم القلب في البقرة أولى وأنسب وتقديم السمع في الجاثية أنسب، والله أعلم .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] الضمير ﴿هُم﴾ جمع و﴿مَن﴾ للمفرد فما دلالة الجمع بين الصيغتين؟

الجواب:

(من) و(ما) في اللفظ مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، والأصل في (من) إذا ذكرت أنْ يُبدأ بدلالة لفظها ثم ينصرف إلى المعنى، فدلالة اللفظ مفرد مذكر ثم يصرف إلى المعنى الذي يحدده السياق.

وفي الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] (هم) جمع و﴿مَن يَقُولُ﴾ مفرد، فيبدأ بالمفرد.

وكذلك في الآية: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التوبة:٤٩] ﴿مَن يَقُولُ﴾ مفرد، ﴿سَقَطُواْۗ﴾ جمع، فيبدأ بالمفرد.

وفي الآية: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [الأحزاب:٣٠] ﴿مَن يَأۡتِ﴾ مفرد و (من) و(ما) عندما يبدأ بلفظهما تكونان للمفرد والمثنى والجمع (مذكر أو مؤنث)، وأكثر الكلام عند العرب يبدءونه بـ(من) حتى لو كان جمعاً، ولذلك (من) لها لفظ ولها معنى، لفظها المفرد المذكر ومعناها يختلف باختلاف السياق .

وفي الآية: ﴿۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ [الأحزاب:٣١] مع ﴿يَقۡنُتۡ﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على لفظ (من) وهو الإفراد والتذكير، ومع ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ أعاد الضمير على معناه وهو الإفراد والتأنيث .

السؤال الثاني:

لماذا كرر حرف الباء مع حرف العطف في الآية ؟

الجواب:

الآية حكاية قول المنافق أنه أكّد ذلك بالباء مرتين ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة:٨] نفياً للتهمة عن نفسه وبالصيغة الفعلية ﴿ءَامَنَّا﴾ فكذّبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ فأكده بالباء، وبالصيغة الاسمية .



﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في استعمال ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة:٩] ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة:١٢] ﴿لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾[البقرة:١٣] في آيات البقرة :

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة:٩]﴾ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾[البقرة:١٢] و ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾[البقرة:١٣] ؟

الجواب:

هذه الآيات في الكلام عن المنافقين وهم لمّا يعلنوا أنهم قد آمنوا كأنما يعتقدون أنهم يخادعون الله سبحانه وتعالى .

١ـ الفعل المضارع (يشعرون) يدل على الحال أو الاستقبال، أي: الاستمرار، نحو: فلان ينظم الشعر ، أي: هذه حاله.

٢ـ العرب تستعمل لنفي الفعل أدوات؛ ومنها :

آ ـ استعملوا (ما) لنفي الحاضر.

ب ـ واستعملوا (لا) لنفي المستقبل.

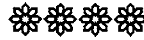
ج ـ واستعملوا (لن) للتأبيد.

ولذلك الصيغتان ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ و﴿لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ هي لنفي الإحساس والشعور عنهم الآن وفي المستقبل.

٣ـ استعمل القرآن ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ في القضايا الظاهرة وعلى الأحاسيس الواضحة ، فالمنافقون يخادعون، وهو عمل ظاهر، ويقولون ويتصرفون بالكلام وهذا في الحركة الظاهرة التي فيها معنى الإحساس فاستعمل هنا ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ .

واستعمل ﴿لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ في الآية ١٢؛ لأنّ الإفساد واضح .

٤ـ بينما استعمل ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ مع القضايا القلبية والمعنوية كما في الآية ١٣؛ لأنّ العلم في الداخل؛ ولأنّ الإيمان ليس شعوراً ظاهراً، وإنما هو علم الباطن.



﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾

السؤال الأول:

عن كيفية ضبط واو الجماعة في (لَقُوا) و(خَلَوا) في الآية وفي الأفعال بشكل عام ؟ ومتى تُفتَحُ الواو وتُضَمُّ ؟

الجواب:

أولاً ـ في الآية :

١ـ الواو ليست مفتوحة ولا مضمومة، وإنما هي ساكنة في الحالتين، وإنما هذا يتعلق بما قبلها.

٢ـ واو الجماعة إذا كان الفعل منتهياً بياء أو واو تُحذف ويُضَمُّ ما قبل واو الجماعة وتبقى واو الجماعة ساكنة .

٣ـ واو الجماعة إذا سبقت بألف يفتح ما قبلها، نحو : خلا خَلَوا ، وتبقى واو الجماعة ساكنة.

أمثلة :

(لَقِيَ- لَقَوا، نَسِيَ- نَسُوا، خَشيَ- خَشَوا)

(يدعو يدعُون، خَفِي خَفُوا، خَشِيَ خَشُوا، رَمَى رَمَوا، دعا دَعَوا، مَشَى مَشَوا، قَضَى قَضَوا، رضي رضُوا، يرضى يرضَون، يمشي يمشُون، يسعى يسعَون)

ثانياً ـ تصريف الأفعال المعتلة الآخر مع واو الجماعة :

القواعد العامــــة :

الأفعال من ناحية الزمن ثلاثة هي : ماضٍ ـ مضارع ـ أمر.

ومن ناحية البنية تنقسم الأفعال إلى : صَحيح ومُعتَلٍّ.

والفعل الصحيح ينقسم إلى : سالمٍ، ومهموزٍ، ومضعَّفٍ، نحو : شكر ـ أخذ ـ مدّ .

والفعل المعتل ينقسم إلى : مثال، وأجوف، وناقص ، نحو : وعد ـ قال ـ رمى .

- الفعل الماضي المعتل مع واو الجماعة :

١ـ إذا أُسند الفعل الماضي المعتل إلى واو الجماعة يُحذف حرف العلة وتبقى الفتحة قبل الواو إذا كان المحذوف ألفاً نحو : رمى رمَوْا ، وخلا خلَوْا ، ويضم ما قبلها إذا لم يكن ألفاً نحو : خَشِيَ خشُوْا، وقال قالُوا .

٢ـ إذا أُسند الفعل المضارع المعتل إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة يُحذف حرف العلة وتبقى الفتحة قبل الواو إذا كان المحذوف ألفاً نحو: يخشى يخشَون .

وملخّص ذلك في الجدول التالي :

الفعل	النوع	إسناده إلى واو الجماعة	الملاحظة
وعد	ماض مثال	وعدُوا	ضم ما قبل واو الجماعة
قال	ماض أجوف	قالُوا	ضم ما قبل واو الجماعة
رَمى	ماض ناقص	رَمَوْا	فتح ما قبل واو الجماعة
وعد ـ يعِدُ	مضارع مثال	يعدُون	ضم ما قبل واو الجماعة
قال ـ يقول	مضارع أجوف	يقولُون	ضم ما قبل واو الجماعة
رمى ـ يرمي	مضارع ناقص	يرمُون	ضم ما قبل واو الجماعة
دعا ـ يدعو	مضارع ناقص	يدعُون	ضم ما قبل واو الجماعة
يخشى	مضارع ناقص	يخشَون	فتح ما قبل واو الجماعة

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة:١٤] و﴿خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٧٦] في سورة البقرة؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٧٦] أي الشياطين مع بعض أو الكفار مع بعض، أما قوله ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾[البقرة:١٤] أي خلوا إلى رؤسائهم وإلى قادتهم .

السؤال الثالث:

ما دلالة الفرق في الخطاب في الآية بين الجملة الفعلية ﴿ءَامَنَّا﴾، والجملة الاسمية ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ؟

الجواب:

هذا في وصف المنافقين ، وقد فرّق القرآن بين قولهم للمؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث﴿ءَامَنَّا﴾ وبين مخاطبتهم جماعتهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ولم يسوَّ بينهما، فلم يقولوا: ﴿إنا مؤمنون﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لعدم وجود باعثٍ ومحركٍ في عقائدهم، أمّا مخاطبة إخوانهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر فهو عن صدق رغبةٍ وارتياحٍ للمتكلم فكان مظنةً للتحقيق وللتوكيد .



﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

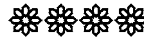
لِمَ قال: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ولم يقل: (يعمون)؟ وما دلالة ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ العمى فقد البصر وذهاب نور العين ،أمّا العَمَه فهو الخطأ في الرأي، والمنافقون لم يفقدوا بصرهم وإنما فقدوا المنطق السليم، فهم في طغيانهم يعمهون.

٢ـ أسند المَدَّ إليه سبحانه فالله يمدّهم في طغيانهم هم ، ولا يمدّهم في طغيان جديد لم يفعلوه.

بينما أسند المَدَّ في آية الأعراف[٢٠٢] إلى الشياطين فذكرَ أنهم يمدونهم في غيٍّ جديد، قال تعالى: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٢] .



﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾[البقرة:١٦] في سورة البقرة؟

الجواب:

السؤال يعني: لماذا جاءت الَضلالة بالهدى ولم تأت الهدى بالضلالة ؟ فنقول: إنّ هناك قاعدة تقول: إنّ الباء تكون مع المتروك، كما في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة:١٦] .

السؤال الثاني:

لماذا ذكر عدم الربح ولم يذكر الخسارة، علماً أنّ الخسارة أبلغ في التوبيخ ؟

الجواب:

إنّ هَمَّ المشتري للتجارة هو حصول الربح وسلامة رأس المال، فبدأ بالأهم وهو نفي الربح ثم أتى بما يدل على الخسران بقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة:١٦] فنفى ما هما مقصودان بالتجارة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الفسق والضلالة؟

الجواب:

١ـ الضلال هو نقيض الهداية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[البقرة:١٦] .

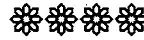
٢ـ الفرق بين الفسق والضلال أنّ الضلال قد يكون عن غير قصد وعن غير علم:

آـ الضلال هو عدم تبيّن الأمر، تقول : ضلّ الطريق قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤] هذا من دون معرفة بحيث ضلّ عن غير قصد.

ب ـ وقد يُضلّ بغير علم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١١٩] .

٣ـ و أمّا الفسق فهو بعد العلم تحديداً، وحتى يكون فاسقاً ينبغي أنْ يكون مبلَّغاً حتى يكون فسق عن أمر ربه، إذن هنا زيادة أنهم مبلّغون ثم خرجوا فإذن هم فاسقون، ولو قال: ضالون، قد يعطيهم بعض العذر أنهم عن غير قصد، لكنهم فاسقون بعد المعرفة وبعد التبليغ فسقوا.

٤ـ في قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هذه عامة؛ لأنّ الضلال عام واليهود والنصارى منهم وليس حصراً عليهم، وقوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم:٢] نفى عنه الضلال بعلم أو بغير علم، أمّا الفسق فلا يكون إلا بعد علم، فينبغي أنْ يعلم أولاً حتى يقال عنه: فاسق . قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٦] فهذا بعد التبليغ ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد:٢٦] تنكّبوا الصراط بعد المعرفة، وأصل الفسق هو الخروج عن الطريق يُقال: فسقت الرطبة، أي: خرجت من قشرتها.



﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة المثل في هذه الآية؟ ولماذا ذهب بنورهم وليس بنارهم؟وما الفرق بين الضوء والنور؟

الجواب:

١ـ هذه الآية الكريمة من مجموعة آيات تكلمت عن المنافقين، ومعلوم أنّ المنافقين إنما سُمُّوا بهذه التسمية؛ لأنّ ظاهرهم مع المسلمين وباطنهم في حقيقة الأمر أنهم مع الكفار، حتى قيل إنّ الكفار خير منهم؛ لأنّ الكافر صريح يقول: هو كافر، لكنّ المنافق يقول لك : هو مؤمن مسلم ولكنه يهدم ويخرّب من داخل المجتمع المسلم.

فضرب الله عز وجل لهم هذا المثل ، ووجود النار في الصحراء عند العرب مثال معروف على الظهور والانكشاف وهداية الضالّ ،والأمثال تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه .

٢ـ الآية تتحدث عن شخص أوقد هذه النار ولمّا أوقدها وتعالى لهيبُها أضاءت ما حوله، وامتدت هذه الإضاءة إلى مسافات بعيدة واستناروا بها. ونحن نقول: إنّ هذا المثل يمكن أنْ يحمل أنّ الرسول ﷺ هو مثل الموقِدِ لهذه النار الهادية، فلمّا جاءوا من حولها ورأوا هذا النور وتذوقوا حلاوة إيمان طمسوا بأنفسهم على قلوبهم ولم يستفيدوا شيئاً من ذاك النور الذي علا ضوؤه .

و نلاحظ أنّ مضمون ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧] هنا فرد، ومضمون﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة:١٧] هو حوله أناس، فالعربي لا يعيش وحده، فلمّا يوقد النار تكون قبيلته حوله، فهم أيضاً يستضيؤون بهذه النار وكذلك الأغراب البعداء يهتدون لهذه النار ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] هم عاشوا في ضوء ولو لحقبة يسيرة، اطلعوا على الإسلام بخلاف الكافر الذي كان يضع إصبعيه في أذنيه ويقول: لا أسمع.

٣ـ والمثل هو لبيان صفة المنافقين ، ومُثلت الجماعة بالواحد؛ لأنه يجوز في اللغة وضع (الذي) موضع (الذين) كقوله سبحانه و تعالى :﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة:٦٩] أي المراد جنس المستوقدين أو الفوج الذي استوقد ناراً .

٤ـ والفرق بين النور والضوء، أنّ النور لا يكون فيه حرارة ، أمّا الضوء ففيه حرارة ومرتبط بالنار، والإنسان يمكن أنْ تأتيه حرارة الضوء، فالنار المضيئة إذا خفتت وخمدت يبقى الجمر، وهو من مخلفات النار، وهو بصيص يُرى من مسافات بعيدة، فلمّا يقول تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] يعني أصغر الأمور التي فيها هداية زالت عنهم، ولو قال في غير القرآن: ذهب الله بضوئهم، فتعني أنه ذهب الضوء لكنْ بقيت الجمرات، لكنّ يريد القرآن أنْ يبين أنّ هؤلاء بعد أنْ أغلقوا قلوبهم ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] لا يبصرون شيئاً حتى الجمر الصغير ما بقي عندهم.

السؤال الثاني:

ما الفارق بين أذهب نورهم، وذهب بنورهم؟

الجواب:

أذهبت هذا الشيء، أي: جعلته يذهب أذهبته فذهب، أنت فعلت وهو أيضاً استجاب للفعل، فلو قال: أذهب الله نورهم، كأنها تعني أنّ الله أمر النور أنْ يذهب فاستجاب وذهب، لكنّ هذا الذي ذهب قد يعود.

أما صورة ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] كأنّ الله تعالى اصطحب نورهم بعيداً عنهم، وما اصطحبه الله عز وجل لا أحد يملك أنْ يعيده، وهذا نوع من تيئيس الرسول ﷺ من المنافقين؛ لأنّ الجهد معهم ضائع .

فقوله تعالى : ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] يعني مضى به واستصحبه، وهذا يدلك أنه لم يبق لهم مطمع في عودة النور الذي افتقدوه.

وهذه خصوصية للرسول ﷺ ، فلا يقولن إنسان: إنّ هذا الشخص لا نفع من ورائه فلا داعي لوعظه وتذكيره، إذ إن الله سبحانه خصّ الرسول ﷺ بهذا الأمر، وهو أنّ هؤلاء المنافقين قد انتهى أمرهم.

السؤال الثالث:

ما سبب استخدام المفرد والجمع في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] ؟

الجواب:

١. من الممكن ضرب المثل للجماعة بالمفرد، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل:٩٢] .

٢. اسم الموصول (الذي) قد يستعمل للفريق وليس للواحد فقط والمقصود بـ(الذي) في الآية ليس الشخص إنما قد تدل على الفريق، ويقال عادة: الفريق الذي فعل كذا ولا يقال: (الفريق الذين).

٣. كما يمكن الإخبار عن الفريق بالمفرد والجمع ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل:٤٥] .

٤. لفظة (الذي) نفسها يمكن أنْ تستعمل للمفرد والجمع، كما جاء في الشعر العربي:

وإنّ الــذي حانــت بِفَلــجٍ دِمــاؤُهم   هــمُ القــومُ كُــلُّ القــومِ يــا أُمَّ خالــدِ

السؤال الرابع:

لماذا استعمل التأنيث في قوله تعالى ﴿أَضَآءَتْ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿أَضَآءَتْ﴾ التأنيث في الفعل للحمل على المعنى؛ لأنّ ما حول المستوقد أماكن وأشياء، ويعضد ذلك قراءة ابن أبي عقلة (ضاء).

والفعل (أضاء) قد يكون لازماً أو متعدياً يُقال: أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرها.

السؤال الخامس:

ما دلالة حذف المفعول به في قوله تعالى ﴿يُبْصِرُونَ﴾؟

الجواب:

كأنه من قبيل المتروك الذي لا يلتفت إليه، كأنّ الفعل غير متعدٍّ أصلاً.



﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار صفة ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة:١٨] بنفس الترتيب في القرآن؟ ولماذا اختلاف الخاتمة بين الآيتين ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٨] و﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة:١٧١] في سورة البقرة؟

الجواب:

١ـ صفة ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ تكررت مرتين بهذه الصيغة في القرآن في سورة البقرة في الآيتين(١٨) و (١٧١) وهي في المنافقين.

واعلم أنه لمّا كان المعلوم من حالهم أنهم يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة، فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن وما يظهره الرسول ﷺ من الأدلة والآيات بمن هو أصمٌّ فلا يسمع، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب فلذلك جعله بمنزلة الأبكم، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى.

٢ـ في آية البقرة رقم (١٨) قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٧-١٨] وهذه الآيات نزلت في المنافقين، والمنافقون الذين رأوا الإيمان وسمعوا كلام رسول الله ﷺ ومن كلام الله عز وجل وكان يُفترض أنهم تذوقوا شيئاً من الإيمان، عُرِض عليهم الإيمان ثم انتكسوا بعد ذلك، يعني أنهم تحولوا من الإيمان إلى الضلال، فإذن مَثَلُهم كمثل الذي استوقد ناراً، كأنه أُضيءَ أمامهم هذا الدين لكنهم لم ينتفعوا بذلك ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٨] أي: لا مجال لهم للرجوع إلى الهدى بعد أنْ باعوه، وعن الضلالة بعد أن اشتروها، ولا إلى النور الذي فقدوه؛ لأنهم نافقوا وطُبع على قلوبهم والعياذ بالله فلا مجال للرجوع ؛ و لذلك استعمل كلمة ﴿لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٨] .

٣ـ وفي الآية الثانية قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧٠ - ١٧١].

آ ـ هنا تكلّم عن آبائهم قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:١٧٠] أي: أنّ آباءهم لا يعقلون، فالمناسب أنْ تختم الآية الثانية ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١] فكما أن آباءهم لا يعقلون هم لا يعقلون.

ب ـ أنّ المثال الذي ضُرِب : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١] يمثل صورتهم ، صورة هؤلاء وهم يُلقى عليهم كلام الله سبحانه وتعالى كمَثَلِ الذي ينعِقُ بها لا يسمع إلا دعاء، أي مثل مجموعة أغنام ينعق فيها الراعي؛ أي: يصيح فيها، وهذه الأغنام تسمع أصواتاً لكنها لا تستطيع أنْ تعقلها؛ لأنها لا تفهم ، فكأنّ هؤلاء وهم يستمعون إلى كلام الله سبحانه وتعالى كالأغنام فناسب ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١].

ج ـ وفي آية آخرى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩] مثّلهم بهذا؛ لأنهم لا يعقلون كلام الله سبحانه وتعالى ولا يستعملون عقولهم في إدراكه؛ فجعلهم مثل الأغنام والبهائم؛ ولذلك هذه الصورة هي التي يناسبها كلمة ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١].

السؤال الثاني:

ما دلالة الواو في الآية ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [الأنعام:٣٩]، وفي البقرة لم يستخدم الواو ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[البقرة:١٨] ؟

الجواب:

الأصم الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا يتكلم.

١ـ في البقرة لمّا قال: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] هم في جماعة واحدة، وعندما تقول: هؤلاء شعراء فقهاء كتاب ، فالصفات الثلاث موجودة في فئة واحدة ، و عندما تقول : هؤلاء شعراء وفقهاء وكتاب ، فيحتمل أنّ المجموعة فيها ثلاث فئات؛ ولذلك عندما قال : ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[البقرة:١٨] فالكلام في فئة واحدة.

٢ـ وعندما قال: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾[الأنعام:٣٩] فهناك احتمالان :

آ ـ احتمال أنْ تكون جماعة واحدة وكلهم جميعاً صُمٌّ وبُكمٌ .

ب ـ واحتمال أنْ يكون جماعات متعددة ، أي: قسم صُمٌّ وقسم بُكمٌ.

٣ـ وذكر في القرآن من يتكلم ولا يبصر:﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه:١٢٥] فهو أعمى وليس أبكم.

السؤال الثالث:

لماذا هذه المغايرة بين آيتي البقرة (١٨) والأنعام (٣٩) ؟

الجواب:

١ـ أنّ آية البقرة أشدّ؛ لأنها في جماعة واحدة فذكر العمى والصَّمَمَ والبكم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] وقال أيضاً في الظلمات: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] ،

بينما آية الأنعام أقلّ فلم يذكر العمى، وإنما قال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام:٣٩] .

٢ـ في البقرة الكلام عن المنافقين طويل في تسع آيات من الآية [٨] إلى الآية [٢٠] ووصفهم بصفات متعددة، فذكر الإفساد ومخادعة الله والذين آمنوا، والاستهزاء وشراء الضلالة بالهدى إضافة إلى صفة التكذيب، أمّا في الأنعام ففي آية واحدة فقط، وذكر فيها صفة التكذيب بالآيات، وهي صفة واحدة: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:٣٩] .

فأيهما الأولى بالذمّ وكثرة الصفات السيئة؟ الذين في سورة البقرة الذين هم ليسوا جماعتين وإنما جماعة واحدة ، وهؤلاء (صمٌّ بكمٌ عميٌ) وهم (في الظلمات)، فلا يمكن من الناحية البيانية وضع إحداهما مكان الأخرى ولا يصح؛ فهذا قانون بياني بلاغي.

السؤال الرابع:

ما دلالة الاختلاف في الترتيب بين آيتي البقرة [١٨] و [١٧١] ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة:١٨] وآية الإسراء ٩٧ ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧] ؟

الجواب:

١ـ في آيتي البقرة كان الترتيب ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة:١٨] وفي الإسراء كان الترتيب ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧] مع وجود واو العطف بين الصفات في سورة الإسراء بخلاف سورة البقرة، فلا يوجد واو .

٢ـ آيتا البقرة ١٨ - ١٧١ نزلتا في المنافقين الذين رأوا الإيمان ورأوا الرسول ﷺ وعُرض عليهم الإيمان ثم انتكسوا وتحولوا إلى الضلال؛ لذلك مثلهم كمثل الذي

استوقد ناراً لكنهم لم ينتفعوا بذلك، وشرْعُ الله قُدّم إليهم منطوقاً لكنهم لم يستفيدوا مما سمعوه وكأنهم لم يشهدوه، علماً أنهم في الواقع شهدوه لكنهم لم ينظروا في آيات الله التي دُعوا للنظر فيها، فهم قد ابتعدوا عن الدين كثيراً لذلك استعمل معهم في ختام الآية ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[البقرة:١٨] أي: لا يرجعون إلى النور الذي فقدوه.

وأما الآية ١٧، فهي تتحدث عن الظلمة، والمنافق كان في ظلمات فناسب ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[البقرة:١٧] .

٣ـ آية الإسراء تتحدث عن أُناس في المحشر وليس في الدنيا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[الإسراء:٩٧] .

وقد سُئِلَ النبي ﷺ عن ذلك فقال : «**إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أنْ يمشيهم على وجوههم**» .

وإذا كان وضع التائه أنّ وجهه في التراب فمعنى ذلك أنه لا يبصر، وعندما يفقد البصر يبدأ بالصراخ لعل أحداً يسمعه فيرشده ، فإذا فقد الكلام أو كان أبكم عند ذلك يعتمد على أُذنيه لعله يسمع صوتاً فيتجه نحوه، وهذا هو الترتيب الطبيعي فجاءت الآية﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[الإسراء:٩٧] .

٤ـ السحب والوجه على التراب يفقد البصر أولاً، ثم يدخل التراب في فمه فيفقد الكلام، ثم يدخل التراب في أُذنيه فيفقد السمع.

٥ـ الواو في آية الإسراء تفيد تكرار العامل، أي: نحشرهم عمياً، ونحشرهم صماً، ونحشرهم بكماً، فيكون فيها نوع من التميز لتركيز المعنى.

٦ـ في آية البقرة ١٧١ ، تكلم القرآن في الآية التي سبقتها عن آبائهم فقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠] فناسب أن تختم الآية ١٧١ ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١] فكما أنّ آباءهم لا يعقلون فهم لا يعقلون أيضاً.

٧ـ الآية ١٧١ تمثل صورة هؤلاء الكفار وهم يُلقى عليهم كلام الله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء، أي: كمجوعة أغنام والراعي يصيح فيها والأغنام تسمعه لكنها لا تفهم معانيه مهما صرخ فيها، وهذه الصورة لا يناسبها إلا (فهم لا يعقلون)؛ لأنه شبههم بالغنم التي تسمع أصواتاً ولا تدرك معناها، وهم يسمعون القرآن ولكنهم لا يفكرون فيه ولا يستخدمون عقولهم لفهمه مثل آبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠].

٨ ـ قوله تعالى : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨]؛ لأنهم صاروا بمنزلة الصُمِّ في أنّ الذي سمعوه كأنهم لم يسمعوه، وبمنزلة البُكمِ في أنهم لا يستجيبون لما دعوا إليه، وبمنزلة العُمي من حيث أعرضوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها.



﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَٰعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌۢ بِالْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول:

هذا هو المثل الثاني للمنافقين فما علاقته بالمثل الأول ؟

الجواب:

١ـ شبّه الله المنافقين في حيرتهم وجهلهم بالدين بهؤلاء الذين وصفهم؛ لأنّ من أصابه البرق في هذه الظلمات الثلاث (السحاب والمطر والليل)، ثم ذهب عنه بقي في ظلمة وحيرة.

٢ـ هذا هو المثل الثاني للمنافقين، وسبقه المثل الأول في قوله تعالى في الآية ١٧] ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[البقرة:١٧].

٣ـ التمثيل الثاني أبلغ؛ لأنه أدل على شدة الحيرة وفرط الأغاليط.

السؤال الثاني:

لِمَ عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك (أو)؟

الجواب:

١ـ الحرف (أو) في أصلها تساوي شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك، كقوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان:٢٤] أي: أنّ الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما.

٢ ـ وكذا قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة:١٩] معناه أنّ كيفية المنافقين شبيهة بهذين التمثيلين، فبأيِّهما مثلتها فأنت مصيب، وإنْ مثلتها بهما جميعاً فكذلك.

٣ ـ الصَّيِّبُ هو المطر، ونُكِّرَ لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، كما نُكِّرَت النار في التمثيل الأول.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٩] دل على أنه عامٌّ آخذ بآفاق السماء، وههنا شَبَّه دينَ الإسلام بالصَّيِّبِ.

٤ ـ قوله تعالى ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩] هي ظلمة كثافة السحب وظلمة المطر المتتابع إضافة إلى ظلمة الليل ، وههنا شبّه شبهات الكفار وما لم يفهموه من القرآن.

٥ ـ جاءت هذه الأشياء منكّرة؛ لأنّ المراد أنواع منها، كأنه قيل: فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف.

السؤال الثالث:

لماذا جمع الظلمات وأفرد الرعد والبرق؟ وعلى من يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿يَجْعَلُونَ﴾ [البقرة:١٩] ؟

الجواب:

الرعد نوع واحد وكذلك البرق، ومقتضى اجتماع أنواع الرعد والبرق هو في السحاب الواحد، وأمّا مقتضى الظلمات فهو متعدد وهو الليل والسحاب والمطر، فجمع لذلك .

وللعلم فإن الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ يعود إلى أصحاب الصَّيِّب.

السؤال الرابع:

رؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل : أناملهم ؟

الجواب:

المذكور وإنْ كان هو الأصبع، لكن المراد بعضه، كما في قوله تعالى ﴿فَاقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨] وفي هذا تمثيل لشدة خوفهم من الصواعق، فأرادوا إدخال أصابعهم كلها لا رؤوسها فقط.

السؤال الخامس:

ما معنى الإحاطة بالشيء ؟

الجواب:

١ـ أصل المحيط هو الإحاطة بالشيء من حوله، كالسور الدائر عليه يمنعه أنْ يخرج عنه ما هو منه ويدخل فيه ما ليس فيه ، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

٢ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور أو من جهة العلم والقدرة ، أمّا إذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير.

٣ـ ويكون معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[البقرة:١٩] هو :

آـ أي عالم بهم .

ب ـ وقدرته مستولية عليهم، كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾[البروج:٢٠].

ج ـ يهلكهم متى شاء فلا يستطيعون الفوت، كقوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦] .

والله أعلم.

شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦] أي: يعلم بجميع الأشياء من جميع وجوهها، وهي تحت مقدوره وتصرفه.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] أي: علمه من جميع وجوهه.

ـ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾[الجن:٢٨] أي : في العلم والقدرة.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾[الفتح:٢١] أي : أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

ـ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة:١٩] أي : يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه، وهو نوع من التخويف.

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢٠] ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] ولم يقل بضيائهم، فلماذا؟

الجواب:

الضياء أبلغ من النور، ولا يلزم من ذهابه ذهاب النور، بخلاف عكسه فذهاب النور أبلغ في نفي ذلك .

السؤال الثاني:

أين المفعول به لفعل ﴿شَآءَ﴾ [البقرة:٢٠] في الآية ؟ وهل مفعول الفعل ﴿أَرَادَ﴾ يكثر حذفه في القرآن ؟

الجواب:

حذف المفعول به لفعل المشيئة ﴿شَآءَ﴾ [البقرة:٢٠] كثير في كلام العرب، وفي القرآن يقول الله تعالى :

ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة:٢٠] أي: لو شاء الله أنْ يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بسمعهم وأبصارهم.

ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢] والتقدير: لو شاء ربك أنْ لا يفعلوه ما فعلوه.

ـ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[آل عمران:٦]
- ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾[الزُّمَر:٧٤]
- ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانفطار:٨]

ولقد كثر حذف المفعول به في الفعل ﴿شَآءَ﴾ [الانفطار:٨] والفعل﴿أَرَادَ﴾ [الرعد:١١] ولا يكادون يبرزون المفعول به إلا في الشيء المستغرب نحو :

فلو شئتُ أنْ أبكي دماً لبكيتُه   عليه ولكنْ ساحةَ الصَّبرِ أوسَعُ

من الآياتِ التي ورد مذكوراً معه مفعولُ المشيئةِ الآياتُ التالية :

- ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾[الأنبياء:١٧] .
- ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[الزُّمَر:٤].
- ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾[المدَّثر:٣٧].
- ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾[الأنعام:٨٠].

<u>نقاط للعلم في الفعل ﴿أَرَادَ﴾[الرعد:١١] :</u>

ورد الفعل ﴿أَرَادَ﴾ [الرعد:١١] بصيغه المختلفة في القرآن الكريم في ١٣٦ موطناً لم يحذف مفعوله في واحد منها إلا في عائد الصلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٧] وقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود:٧٩] وهذا غير مختص بفعل دون فعل، فحذف عائد الصلة المنصوب كثير في عموم الأفعال، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان:٤١] أي: بعثه، وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدَّثر:١١] أي: خلقته.

وهذا الحذف في عائد الصلة ورد في فعل الإرادة في (٧) مواطن ، والباقي (١٢٩) موطنٌ من فعل الإرادة لم يحذف في واحد منها كقوله تعالى:

- ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾[الرعد:١١].

ـ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢].

ـ ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب:١٧].

ـ ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الزُّمَر:٤].



﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين البناء والبنيان في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

استعمل القران الكريم البناء للسماء، كما في هذه الآية وآية غافر[٦٤]، واستعمل البنيان لما بناه البشر كما في آيات : الكهف [٢١] الصافات [٩٧] التوبة [١٠٩].



﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في آيات التحدي في قوله تعالى بين ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣] و ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس:٣٨] و﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود:١٣] ؟

الجواب:

التحدي كان بأكثر من صورة، وكان هناك تحدٍّ في مكة وتحدٍّ في المدينة.

١ـ السور المكية جميعاً جاءت من غير (من):

آ ـ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور:٣٤]، والحديث يمكن أنْ يكون آية أو عشر آيات أو سورة كاملة، بحديثٍ مثله، أي: الحديث مطلق.

ب ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٣٨] بسورة مثله.

ج ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود:١٣] بعشر سور.

د ـ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨] حكاية حالهم بأسلوب القرآن الكريم، فكان أحياناً يطالبهم بحديث، فأحياناً يقول لهم: فأتوا بقرآن مثله، أحياناً عشر سور، أحياناً سورة واحدة مثل الكوثر أو الإخلاص، هذا كان في مكة فكان يقول: (مثلِه) بدون (من).

٢ـ في المدينة (في سورة البقرة) المكان الوحيد الذي قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣] هنا القرآن انتشر وأسلوبه صار معروفاً، الآن يقول لهم: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣].

٣ـ لو قال: بسورة مثله، كما قال سابقاً يعني سورة مثل سور القرآن الكريم، بينما (من) هذه للتبعيض، والقرآن هل له مثل حتى يطالَبون ببعض مماثله؟ هو لم يقل: فأتوا بمثله وإنما ببعض ما يماثله أو بعض ما تتخيلونه مماثلاً ولا يوجد ما يماثله فما معناه؟ هذا معناه زيادة التوكيد.

ومعناه: أنه لو تخيلتم أو أنّ تصوّركم أنجَدَكم بأنْ تتخيلوا مثالاً لهذا القرآن فحاولوا أنْ تأتوا بمثل ذلك المثال، حتى بجزء من ذلك المثال الذي تخيلتموه، فهذا أبعد في التيئيس من قوله ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ مباشرة.

وهذا إمعان في التحدي وأبعد؛ لأنّ القرآن صار منتشراً، وهذا غير ممكن؛ لأنّ الله تعالى قضى بأنهم : ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨] فأتوا ليس بمثله وإنما بجزء مما تتخيلونه مماثلاً له.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] و﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في آيات الإسراء [٨٨] يونس[٣٨] هود[١٣] الطور[٣٤]؟

الجواب:

من الناحية اللغوية هناك فرق بين التعبيرين ، فعندما تقول : ائتني بشيءمن مثل هذا ، فهذا يعني أننا نفترض وجود أمثال لهذا الشيء.

أمّا عندما نقول : ائتني بشيء مثل هذا، فهذا لا يفترض وجود أمثال لكنه محتمل أنْ يكون لهذا الشيء مثيل وقد لا يكون، فإنْ كان موجوداً ائتني به وإنْ لم يكن موجوداً فافعل مثله.

هذا هو الفرق الرئيس بينهما، وهذا الأمر طبع كل الآيات الواردة في هذا المجال؛ حيث إننا نعرف أنّ الله تحدى الكفار والمشركين بالقرآن في أكثر من موضع.

جدول مقارنة بين الآيات الثلاث

آية البقرة٢٣	آية يونس٣٨	آية هود١٣
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾	﴿افْتَرَاهُ﴾	﴿افْتَرَاهُ﴾
﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾	﴿مِّثْلِهِ﴾	﴿مِّثْلِهِ﴾
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾	-	-
﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾	﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾	﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾
﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾	-	-

التعليق :

١ـ أمور الريب أعمُّ وأشمل وأهم من الافتراء ، والافتراء واحد من أمور الريب.

٢ـ قال المفسرون: إنّ معنى ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي من مثل القرآن ومن مثل رجل أُميٍّ كالرسول ﷺ لا يكتب ولا يقرأ فهي تحتمل المعنيين، بينما لفظ ﴿مِّثْلِهِ﴾ لا يحتمل إلا معنى واحداً وهو مثل القرآن ، لذلك فصيغة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣] أعم من ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨] للسببين أعلاه.

٣ـ حذف مفعولي الفعلين (تفعلوا) و(لن تفعلوا) والحذف في اللغة قد يكون للإطلاق عموماً، كأنْ تقول : قد كان منك ما يؤذيني، و قد كان منك ما يؤذي، وهذا عام.

٤ـ لا يمكن افتراضاً أنْ نضيف كلمة (مفتراة) في آية سورة البقرة فيقول مثلاً : فأتوا بسورة من مثله مفتراة؛ وذلك لسببين :

آ ـ هم لم يقولوا (افتراه)، كما قالوا في سورة يونس وهود .

ب ـ لا يحسن أنْ يأتي بعد (من مثله) بكلمة (مفتراة) ؛ لأنه عندما قال: (من مثله) افترض وجود مثيل له، فإذن هو ليس مفترى ولا يكون مفترى إذا كان له مثيل.

٥ـ كذلك لا يصح أنْ يقول في سورتي يونس وهود مثلاً: (فأتوا بسورة من مثله) بإضافة (من)؛ لأنّ استخدام (من مثله) تفترض أنّ له مِثْلاً، إذن هو ليس بمفترى، لذلك لا يمكن استبدال إحداهما بالأخرى.

٦ـ قال في البقرة: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] وقال في يونس وهود: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾؛ والسبب أنه في سورة البقرة قال: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي: افترض أنّ له مثلاً وهناك من استطاع أنْ يأتي بهذا المثل ، فلماذا تدعو المستطيع !!! وإنما صح أن يأتي ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] ليشهدوا إنْ كان هذا القول مثل هذا القرآن، فالموقف يحتاج إلى شاهد محكَّم ليشهد بما جاءوا به وليحكم بين القولين .

أمّا في سورة يونس وهود؛ فالآية تقتضي أنْ يقول: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ ليفتري مثله .

لذلك فقوله تعالى ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] أعمُّ وأوسع؛ لأنه تعالى في آية البقرة طلب أمرين : دعوة الشهداء ودعوة المستطيع، أمّا في آية يونس وهود فالدعوة للمستطيع فقط .

٧ـ مما سبق نلاحظ أنّ آية البقرة بنيت على العموم أصلاً ﴿فِى رَيْبٍ﴾ ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ وجاءت هذه الآية ﴿فِى رَيْبٍ﴾ مناسبة لأول سورة البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢].

٨ ـ ثم نسأل : لماذا قال الله في آية البقرة ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ نقول:

إنّ قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ هو الشرط، وقوله تعالى ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ هو جملة اعتراضية بغرض القطع بعدم الفعل، وهذا يناسب قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في أول سورة البقرة.

كما ناسب أنْ يقطع بعدم الاستطاعة على الفعل بقوله ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾؛ لأنه ذكر ابتداء أنه لا ريب فيه.

٩ـ استخدم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] في أول سورة البقرة و ﴿ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٢] اسم إشارة للبعيد ، بينما في آيات أخرى جاء اسم الإشارة (هذا) للقريب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]؛ والسبب أنه تعالى عندما قال : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[البقرة:٢] دعا من يستطيع أنْ يأتي بمثله وهذا أمر بعيد الحصول، وفيه إشارة إلى أنهم لن يستطيعوا إليه سبيلاً .

أمّا استخدام اسم الإشارة (هذا) فجاء مع الهدى؛ لأنّ الهداية ينبغي أنْ تكون قريبة من أفهام الناس حتى يفهموا ويعملوا.

١٠ـ حدد القرآن التحدي في سورة هود بعشر سور؛ لأنّ هذا من طبيعة التدرج في التحدي؛ حيث يبدأ بالكل ثم الأقل فالأقل ، والله أعلم.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

مادلالة قوله تعالى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ هو الشرط، وقوله تعالى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ جملة اعتراضية بغرض القطع بعدم الفعل، وهذا يناسب قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ .

والقرآن تحدى البشر أولاً بأنْ يأتوا بمثل القرآن، ثم تحداهم بأنْ يأتوا بعشر سور مثله مفتريات؛ لأنهم أشاعوا في أوساط الناس أنّ القرآن مفترى، ثم تحداهم بأنْ يأتوا بسورة واحدة من مثله في البقرة [٢٣].

ومع هذا التحدي الأخير لم يكتفِ بذلك بل بين أنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ذلك!!!

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ تيئيس للبشر على مدى الزمن ، والتأكيد على عجزهم التام .

إنه تحدٍّ، وأي إنسان في الدنيا يمكن أنْ يقول أو يُصدر هذا الحكم، هل يجرؤ محمد ﷺ وبخاصة أنه في أول الدعوة لمّا يجهر بها بعد؟ هل يجرؤ أنْ يواجه أعداءه بهذا الحكم ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ؟

من الذي يضمن صحة هذا الحكم واستمراره ؟؟؟ وأين تذهب هيبة النبيِّ وقوته وصدقه؟؟

إنها النبوة إذن و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٤] إنه الله العليم القادر.

ونحن الآن نتحدث بعد نيف وأربعة عشر قرناً من نزول القرآن وما زال الحكم قائماً !!!!

السؤال الثاني:

أين مفعول ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ ؟

الجواب:

هو محذوف لفظاً لكنه مُراد معنى ، أي: هو محذوف للاختصار ، ولا يحذف إلا لدليل ، والتقدير : فإن لم تفعلوا الإتيان ولن تفعلوه ، وقد حُذف للعلم به.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ كيف نتقيه بينما نحن نطلب من الله كل النعم وكل الخير، كيف يتم هذا ؟ وكيف نتقي من نحب ؟

الجواب:

إن لله تعالى صفات جلال وصفات جمال، صفات جلال تجدها في القهار والجبار والمذل والمنتقم والضار.

أمّا صفات الجمال فتجدها في الغفار والرحمن والرحيم .

فإذا كنت تقي نفسك من النار وهي من صفات الجلال فلا بدّ أنْ تقي نفسك من صفات الجلال كلها؛ لأنه قد يكون من متعلقاتها ما هو أشد عذاباً وإيلاماً من النار.

فكأن الحق سبحانه وتعالى حين يقول : (اتقوا النار) ـ و(اتقوا الله) يعني أنْ نتقي غضب الله الذي يؤدي بنا إلى أنْ نتقي كل صفات جلاله ونجعل بيننا وبينها وقاية، فمن اتقى صفات جلال الله أخذ صفات جماله .

ولذلك يقول الرسول ﷺ : « **إذا كانت آخر ليلة من رمضان تجلى الجبار بالمغفرة**» وكان المنطق حسب تقدير البشر أنْ يقول الرسول ﷺ : (تجلى الرحمن بالمغفرة) ولكن ما دامت هناك ذنوب فالمقام لصفة الجبار الذي يعذب خلقه بذنوبهم فكأنّ صفة الغفار تشفع عند صفة الجبار، وصفة الجبار للعاصين فتأتي صفة الغفار لتشفع عندها فيغفر الله للعاصين ذنوبهم.

وجمال المقابلة هنا حينما تسمع أنّ الجبار يتجلى بجبروته تشعر بالفزع والخوف والرعب لكنْ عندما تسمع «**تجلى الجبار بالمغفرة**» فإنّ السعادة تدخل إلى قلبك؛ لأنك تعرف أنّ صاحب العقوبة وهو قادر عليها قد غفر لك.

والنار ليست آمرة ولا فاعلة بذاتها ولكنها مأمورة ، إذن فاستعذ منها بالآمر أو بصفات الجمال في الأمر.

من جهة ثانية عرّف النار هنا فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:٢٤] ونّكرها في آية التحريم [٦] بقوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:٦]؛ لأنّ الخطاب في البقرة مع المنافقين وهم في أسفل النار فعرّفت بلام الاستغراق.

أما في آية سورة التحريم فالنار مع المؤمنين والذي يُعَذَّبُ من عصاتهم بالنار يكون في جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقللها.

السؤال الرابع:

ما الوَقود ؟

الجواب:

الوَقود : – بفتح الواو– هو الأشياء التي توضع في النار لكي تتقد من حجارة أو بشر أو قطران.

الوُقود : – بضم الواو– فتُطلق على عملية الاشتعال.

وهناك في القرآن كلمات تعتبر منظومة الوقود مثل : حطب ـ حصب ـ قطران.

انظر الآيات : إبراهيم [٥٠] الأنبياء [٩٨] الجن[١٥].



﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

في آية سورة البقرة يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥] وفي آيةالكهف يقول: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف:٣١] فما الفرق ؟

الجواب:

فى سورة البقرة ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥] الكلام عن الجنة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] وفى سورة الكهف: ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الكهف:٣١] يتكلم عن ساكني الجنة المؤمنين

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف:٣٠-٣١] .

فإذا كان الكلام عن المؤمنين يقول: ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الكهف:٣١] وإذا كان الكلام عن الجنة يقول: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥] .

وقد يقول بعض المستشرقين : إنّ في القرآن تعارضاً، مرةً تجري من تحتها، ومرةً من تحتهم لكنا نقول: إنّ الأنهار تجري من تحت الجنة ومن تحت المؤمنين فليس فيها إشكال ولا تعارض، ولكنّ الأمر مرتبط بالسياق.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء:١٣٨] وفي سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] ذكر الباء في الآية الأولى ﴿بِأَنَّ﴾ [النساء:١٣٨] وحذفها في الثانية ﴿أَنَّ﴾ [البقرة:٢٥] مع أنّ التقدير هو ﴿بأنّ﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ لفظة ﴿بِأَنَّ﴾ [النساء:١٣٨] أكثر من ﴿أَنَّ﴾ [البقرة:٢٥] فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزائهم.

٢ـ إنّ تبشير المنافقين في سورة النساء آكد من تبشير المؤمنين في سورة البقرة، ففي سورة النساء أكّد وفصّل في عذاب المنافقين في عشر آيات ابتداء من قوله في الآية [١٣٦] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾[النساء:١٣٦] وحتى ما بعد الآية[١٤٥].

أمّا في آية البقرة فهي الآية الوحيدة في تلك السورة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين.

٣ـ وكذلك جاء بـ (بأنّ) في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾[الأحزاب:٤٧]؛ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم.

السؤال الثالث:

ما دلالة (المطهّرون)و (المتطهرون)؟

الجواب:

١ـ الذي يبدو ـ والله أعلم ـ أنّ (المطهّرون) هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة المطهّرين لغير الملائكة، والمُطهَّر اسم مفعول وهي تعني مُطهَّر من قِبَل الله تعالى.

٢ـ وبالنسبة للمسلمين يقال لهم: متطهرين أو مطّهِّرين، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢] و ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨] و(متطهرين) أو (مطّهّرين) هي بفعل أنفسهم، أي: هم يطهرون أنفسهم.

٣ـ ولمّا وصف الله تعالى نساء الجنة وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥] فلم ترد إذن مطهّرون إلا للملائكة .

ولذلك فإن هذا المعنى يقوّي القول بأنّ المقصود في الآية ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة:٧٨] هو الذي في اللوح المحفوظ ، وليس القرآن الذي بين أيدينا لأكثر من سبب ، والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة البناء للمجهول فى قوله تعالى ﴿رُزِقُواْ﴾ [البقرة:٢٥] ؟

الجواب:

الله تعالى ينسب النعمة والخير إلى نفسه ولا ينسب الشر لنفسه ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الإسراء:٨٣]، أمّا في الجنة فإنه لا حساب ولا عقاب يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥].

السؤال الخامس:

لماذا لم تذكر الحور العين في هذه الآية مع نعيم الجنة ؟

الجواب:

كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات، وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

ـ الحور : أربع مرات في الآيات : الدخان[٥٤] الطور [٢٠] الواقعة [٢٢] الرحمن [٧٢].

ـ عين : أربع مرات في الآيات : الدخان [٥٤] الطور [٢٠] الواقعة[٢٢] الصافات[٤٨]

ـ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ ٦٦ مرة.

ـ﴿جَنَّٰتٌ﴾ ٦٩ مرة.

ـ﴿جَنَّتَكَ﴾ مرتان .

ـ﴿جَنَّتَهُۥ﴾ مرة واحدة .

ـ﴿جَنَّتِي ٣٠﴾ مرة واحدة .

ـ﴿جَنَّتَانِ﴾ ٣ مرات.

ـ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ ٤ مرات.

ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[البقرة:٢٥] كما في الآيات : البقرة [٢٥] آل عمران [١٥] النساء [٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

السؤال السادس:

لماذا جاء الظرف ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الآية مبنياً على الضم ؟

الجواب:

هناك ظروف يسميها النحويون (الظروف المقصودة) منها : قبل ، بعد، فوق ، تحت، أمام ، خلف ، ويذكر النحاة أنّ لها أربعة أحوال :

١ـ ألاّ تضاف وهي في ذلك نكرات كقول الشاعر :

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً   أكاد أغص بالماء الفرات

فمعنى (قبلاً) : فيما مضى من الزمان.

٢ـ أنْ تضاف ، نحو قوله تعالى : ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[النور:٥٨] و﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[آل عمران:١٤٤] .

٣ـ أنْ يحذف المضاف إليه ويُنوى لفظه ، وهذا قليل كقوله :

ومن قبلِ نادى كلُ مولى قرابة   فما عطفت مولى عليه العواطف

أي : ومن قبل ذلك ، ويعامل المضاف كأنّ المضاف إليه مذكور .

٤ـ أنْ يحذف المضاف ويُنوى معناه ، وتكون عند ذاك مبنية على الضم ، وتكون في هذه الحالة معرفة من دون معرّف لفظي، وإنما هي معرفة بمعرّف معنوي ، وهو القصد إليها ، فبنيت على الضم لمخالفة حالاتها الإعرابية الأخرى التي تكون فيه نكرة أو معرّفة بالإضافة .

شواهد قرآنية :

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾[الروم:٤] .

﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٠].

﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[مريم:٩] .

﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾[يوسف:٧٧] .

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ﴾[القصص:٤٨] .

وقد ورد التعبير ﴿مِن قَبْلُ﴾ كثيراً في القرآن الكريم . وإعراب ﴿من قبل﴾ من : حرف جر . و﴿قبلُ﴾ ظرف مبني على الضم في محل جر .



﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المعلومات المتوفرة عن بنية البعوضة ؟

الجواب:

البعوضة هذا المخلوق الضعيف العجيب، يضرب الله سبحانه مثلاً به ليبين للناس أنّ هذا المخلوق الصغير في حجمه هو عظيم في خلقه .

واليكم بعضاً من أسراره :

١ـ البعوضة أنثى .

٢ـ لها مائة عين في رأسها.

٣ـ لها ٤٨ سن في فمها .

٤ـ لها ثلاثة قلوب كاملة في جوفها.

٥ـ لها ست سكاكين في خرطومها ولكل واحد منها وظيفته.

٦ـ لها ثلاثة أجنحة في كل طرف من أطرافها.

٧ ـ مزودة بجهاز حرارة يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه (رؤية ليلية) .

٨ـ مزودة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها في جسم الإنسان دون أن يشعر، وما يحس به من قرصة هو نتيجة مص الدم.

٩ـ مزودة بجهاز تحليل للدم فهي لا تستسيغ أية دماء.

١٠ـ مزودة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جداً أثناء عملية المص .

١١ـ مزودة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة ٦٠ كم .

١٢ ـ وأغرب من هذا، فإن العلم الحديث اكتشف حشرة صغيرة جداً تعيش فوق ظهر البعوضة لا ترى إلا بالمجهر، مصداق قوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ ﴾[البقرة:٢٦] .

فسبحان الله !!!!!!!

مسائل في الآية :

١ـ لفظ (بعوضةً) منصوب بأنه صفة لمثلاً، أو مفعول به ليضرب، و (مثلاً) حال مقدم عليه أو مفعول به ثانٍ ليضرب مضمّن معنى: يجعل .

٢ـ اشتقاق البعوض من البعض وهو القطع، وسمي به لقلة جرمه وصغره؛ ولأنّ بعض الشيء قليل بالقياس إلى كله .

السؤال الثاني:

القدامى يفسرون قوله تعالى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] بأنه دلالة على قدرة الله تعالى، فهل هذا هو المقصود بما فوقها؟ أم أن المقصود بذلك ما أثبته العلم الحديث من وجود جرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة تعيش فوق ظهر البعوضة ؟ فهل تلك الجرثومة هي المقصود بما فوق البعوضة؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿فَمَافَوْقَهَا﴾[البقرة:٢٦] وجوه :

آ ـ الأول ما هو أكبر منها في الجثة والحجم كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب.

ب ـ والثاني ما هو أصغر منها كما ورد أعلاه من أنّ العلم الحديث اكتشف حشرة صغيرة جداً تعيش فوق ظهر البعوضة لا ترى إلا بالمجهر بعد تكبيرها مائة ألف مرة .

والمحققون مالوا إلى القول الثاني؛ لأنّ المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان فكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولاً .

وكلما كان الشيء أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب، فإذا كان غاية في الصغر لم يحط بعلمه إلا علم الله تعالى.

ج ـ أو تفيد زيادة الوصف إلى أسفل، كقولك : حقير وفوق الحقير ، أي أدنى من الحقير في الصفات.

د ـ أي ما فوقها في الدلالة، أي: في الاستدلال على بيان قدرة الله في الأشياء التي يريدها ويخلقها . والله أعلم.

لذلك كلمة (فوق) قد تستعمل للزيادة في الحجم، أي: أكبر منها أو الزيادة في الوصف كما تقول : هو حقير وفوق الحقير يعني هو دون الحقير.

وإنْ قيل : كيف نفهم (فما) في قوله تعالى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ ؟

فالجواب: (فما) بمعنى الذي فوقها، ولا يفهم منها أنّ ما دونها غير مخصوص بالكلام، فما فوقها تجمع أمرين ، وأصلاً (فوق) في اللغة تأتي بهذين المعنيين وهي ظرف.

السؤال الثالث:

ما دلالة الحياء في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] في الآية ؟

الجواب:

الحياء في اللغة حالة في نفس الإنسان تجعله يُحجِمُ عن شيء، أو يحجم عن كلامٍ استحياءً، فلا يتكلم أحياناً عن فعل ينوي أنْ يفعله، أو فعل شيئاً إذا وُجِه فيه يصيبه الحياءُ، فالحياء حالة نفسية، لكنها لا تنطبق على الباري سبحانه وتعالى، وإنما يستعمل القرآن هذه الطريقة التي يتكلم بها العرب ليفهم من ذلك أن في كتاب الله تعالى يرد- ومن غير تردُّدٍ- ذكرٌ لهذه الأمثال.

و إذا ضرب هذا المثل فالمؤمن الواعي المدرك يعلم أنه حق لأنه سيتفكر، وأمّا الذين كفروا ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] فيرد عليهم القرآن ﴿يُضِلُّ

بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦] هذا المثال يكون سبباً للإضلال وسبباً للهداية، والإضلال لا يكون إلا للفاسق؛ لأنه هو الذي اتخذ الضلال له طريقا الآية ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة:٢٦] والفاسق هو الخارج من طبعه أو الخارج من فطرته ؛ لأنّ المخلوق يولد على الفطرة.

السؤال الرابع:

لماذا جاء الفعل ﴿يُضِلُّ﴾ في الآية بالصيغة الفعلية دون الصيغة الاسمية ؟

الجواب:

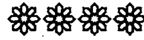
١ ـ هنالك ملاحظة لطيفة وهامة؛ وهي أنه ما كان من شأنه ألا يُفعل إلا مجازاة، وليس من شأنه أنْ يذكر الاتصاف به، لم يأت إلا في تراكيب الأفعال، أي: بالصيغة الفعلية، كقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧] ذكر الله الإضلال وأضافه إلى نفسه بالصورة الفعلية فقط للدلالة على أنّ هذا الأمر طارىء يفعله لمن يستحقه، ولم يُسند هذا الأمر إلى نفسه بالصورة الاسمية للدلالة على أنّ هذا ليس من صفات الله ونعوته. انظر سورة غافر : [٣٤] و [٧٤] وسورة البقرة [٢٦].

في حين وصف الشيطان بذلك فقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص:١٥].

فجعله وصفاً ثابتاً له ويجدده أيضاً ، انظر آيات الحج:[٣-٤] وقال الشيطان عن نفسه : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٩] فجعل وصف الشيطان الثابت والمتجدد الإضلال .

٢ ـ بينما جعل الله وصف ذاته العلية الثابت والمتجدد في الهداية، فقال في سورة الحج : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٥٤] . وانظر أيضاً آية الفرقان : [٣١] والمائدة [١٦] ويونس :[٣٥] فشتّان ما بين الوصفين .

٣ـ وفي قوله تعالى في آية الأعراف[١٠٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١] بالصيغة الاسمية ﴿مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١] ؛ لأنّ البصر صفة لازمة للمتقي، وعين الشيطان ربما حجبت، فإذا تذكر رأى المذكور ولو قيل : يبصرون، لأنبأ عن تجدد واكتساب لا عن صفة دائمة.



﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب اختيار لفظ النقض في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٧] ؟

الجواب:

إنّ النقض يدل على فسخ ما وصله المرء وركّبه ، فنقض الحبل يعني حلّ ما كنت قد أبرمتَه، وقطعك الحبل يعني جعله أجزاءً، ونقض الإنسان لعهد ربّه يدلك على عظمة ما أتى به الإنسان من أخذ العهد وتوثيقه ثم حلّ هذا العهد والتخلي عنه، فهو أبلغ من القطع؛ لأنّ فيه إفساداً لما عمله الإنسان بنفسه من ذي قبل.

فانظر وتأمل كيف جعل الله تعالى التخلي عن الميثاق والوعد نقضاً.

السؤال الثاني:

ما صفات الفاسقين المذكورة في الآية ؟

الجواب:

أخبر الله تعالى أنّ الفاسقين هم المبتعدون عن منهج الله وحدد صفاتهم في ثلاث :

١ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧] فقد أخبرنا الله بأنه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢] ثم جاءت الغفلة إلى القلوب بمرور الوقت فنقضوا العهد واتخذوا آلهة من دون الله.

٢ـ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧] والله أمر بصلة الرحم ضمن الروابط التي تبدأ بالأسرة ثم الحي فالقرية فالمدينة فكلِّ المجتمع ضِمنَ تكافلٍ اجتماعيٍّ متميِّزٍ.

بينما هؤلاء خالفوا أمر الله وقطعوا هذه الصلة وخالفوا منهج الله.

٣ـ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [البقرة:٢٧] الله خلق كل ما في الكون على نظام ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى:٣] ولكنّ الإنسان المنحرف جاء وأفسد قضية الصلاح في الأرض والكون بأشكال مختلفة.

إنّ غياب منهج الله معناه أنّ الأمور أصبحت على أهواء الناس، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] تدل هذه الصيغة الاسمية الثابتة أنّ الخسران ليس موقوتاً وإنما أبدي؛ ولذلك سيكون الندم عليها شديداً .

والعجيب أنك ترى الناس يعدون للحياة الدنيا إعداداً قوياً فيرسلون أولادهم إلى مدارس اللغة والجامعات ويتحملون في ذلك ما لا يستطيعون وهم في ذلك يعدونهم لمستقبل مظنون وليس يقيناً؛ لأنّ الإنسان قد يموت وهو شاب أو لا يكمل دراسته في المراحل الأخيرة أو يكمل فتأتيه المشاكل فيضيع عمره بسبب الجرائم والمخدرات أو غيرها .

ولكن اليقين الذي لا شك فيه هو أننا سنلاقي الله تعالى يوم القيامة وسيحاسبنا على أعمالنا، ومع أنّ هذا يقين إلا أن كثيراً من الناس لا يلتفتون إليه، يسعون للمستقبل المظنون، ولا يبذلون جهداً لحمل أبنائهم على الصلاة والعبادة والتزام منهج الله في الحياة، إنهم ينسون النعيم الحقيقي ويجرون وراء الزائل.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ في الآية ٢٧، وما الفرق بينها وبين ﴿خَلۡفُ﴾؟

الجواب:

١ـ لفظة (بعد) نقيضة لفظة (قبل) وأظهر استعمال لها في الزمان.

٢ـ أمّا لفظة (خلف) فهي نقيضة لفظة : قُدّام (وهي في الغالب للمكان) هذا من حيث اللغة. والخلف في اللغة هو الظهر أيضاً.

٣ـ أحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى؛ فلا يمكننا أنْ نضع (خلف) مكان (بعد)، ففي هذه الآيات لا يمكن أنْ تحلّ (خلف) محل (بعد)؛ لأنها كلها متعلقة بالزمان.

شواهد قرآنية ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ قال تعالى :

آ ـ ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٢﴾ [البقرة:٥٢] .

ب ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة:٢٧] .

ج ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤].

د ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩﴾ [البقرة:١٠٩] .

هـ ـ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة:١٢٠] .

و ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٣٠] .

ز ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨]

وكلها متعلقة بالزمان.

٤ـ أمّا (خلف) فهي في الأصل للمكان.

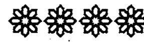
شواهد قرآنية :

آ ـ ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧] .

ب ـ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩].

ج ـ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

د ـ ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء:٩] أي يلونهم مباشرة كأنهم واقفون خلفهم.



﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما غرض الاستفهام في الآية؟

الجواب:

إنّ الاستفهام الحقيقي يحتاج إلى جواب، فإذا سألك أحد: كيف حالك؟ قلت: الحمد لله، وهذا جواب لسؤاله.

أمّا إذا قلت لولدك وهو يضيع وقته أيام الامتحانات: كيف تضيع وقتك على التلفاز؟ هل تنتظر منه جواباً؟ وكذلك قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة:٢٨] هو استفهام، ولكنه خرج إلى غرض آخر وهو التعجب والإنكار.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (ثُمَّ) و(ثَمَّ) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

ثُمَّ ـ بضمِّ الثاء ـ هي حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي كما في هذه الآية، وآية الكهف [٣٧] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٧].

ثَمَّ ـ بفتح الثاء ـ هي ظرف بمعنى هناك، كما في آية الشعراء [٦٤] ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الشعراء:٦٤].

السؤال الثالث:

جاء الإحياء الأول بالفاء وما بعده بثُمَّ، فلماذا ؟

الجواب:

الإحياء الأول جاء بعد الموت بغير تراخٍ فجاء بالفاء، وأمّا الموت الأول فقد امتد لفترة لا نعلمها، لذلك هو تراخى عن الإحياء .

وأمّا الإحياء الثاني فهو كذلك متراخ عن الموت أيضاً . والله أعلم.

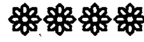
السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨] ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨] المراد هو الرجوع إلى حكمه؛ لأنّ الله يبعث من القبور ويجمعهم في المحشر، وذلك هو الرجوع إلى الله تعالى، وإنما وصف بذلك لأنه رجوع إلى حيث لا يتولى الحكم غير الله، كقولك: رجع الأمر إلى الأمير، أي: إلى حكمه.

٢ـ الآية دالة على أنّ الإحياء والإماتة بيد الله سبحانه فقط.



﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة اللام في قوله تعالى ﴿خَلَقَ لَكُم﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ هذه اللام كأنها للمِلك، فالله سبحانه وتعالى يخاطب هذا الإنسان حتى يرى كيف أكرمه الله عز وجل، وأنه خلق من أجله كل ما في الكون.

علماؤنا يقولون: إنّ هناك شيئين في الكون هما لأجلك؛ أحدهما لتنتفع به مباشرة كالماء والنبات والحيوان ، والآخر للاعتبار ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الروم:٨] فهذا أيضاً لك حتى يحوزك إلى الإيمان، فإذن ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي: لأجلكم للانتفاع أو للاعتبار.

لذلك يكون المعنى ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي: من أجلكم للانتفاع والاعتبار.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩] ؟

الجواب:

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩] المفسرون يقولون : استوى، أي: عمد إلى خلقها، أي: ثم عمد إلى خلق السماء بإرادته سبحانه وتعالى، و(الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب)، وقول المفسرين(عمد إلى خلقها) نوع من التأويل المقبول الآن، نحن بحاجة إليه لكي نترجم التفسير القرآني إلى الآخرين.

السؤال الثالث:

هل السماء تدل على المفرد أو الجمع ؟

الجواب:

السماء لفظها لفظ الواحد وكل ما علاك فهو سماء، لكنّ معناها معنى الجمع، ولذلك قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾[البقرة:٢٩] إشارة إلى تفصيلاتها.

والسماء الدنيا بكل مليارات نجومها هي كحلقة في فلاة قياساً إلى السماء الثانية.

السؤال الرابع:

لِمَ قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾[البقرة:٢٩] ولم يقل: خلقهنّ ؟

الجواب:

لأنّ التسوية خلقٌ وبناءٌ وتزيين، أمّا كلمة (خلق)، فهي تدل على الإيجاد والبناء، ولو تأملت السموات لرأيت بدعة الخلق ودقّته ونظاماً لا يختلُّ ولا يغيب.

السؤال الخامس:

الظاهر من الآية تقدم خلق الأقوات، وظاهر آية النازعات ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾[النازعات:٣٠] تأخره، فما القول في ذلك ؟

الجواب:

لفظة (ثم) في آية البقرة لترتيب الإخبار لا لترتيب الوقوع، ولا يلزم من ترتيب الإخبار ترتيب الوقوع، كما في آية الأنعام (١٥٣ـ١٥٤) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[الأنعام:١٥٤] ولا ريب في تقديم إيتاء الكتاب على وصيته للأمة.

السؤال السادس:

ما حكمة الرقم (٧) في عدد السماوات؟

الجواب:

عدد السماوات هو اختيار الله تعالى لذلك، والحكمة من هذا العدد لا يعلمها إلا الله سبحانه، لكنّ اللافت للنظر هو تكرار العدد (٧) في أمور كثيرة منها:

١ـ عدد طبقات السماء.

٢ـ عدد أيام الأسبوع.

٣ـ عدد أشواط الطواف حول الكعبة.

٤ـ عدد أشواط السعي بين الصفا والمروة.

٥ـ عدد أبواب جهنم.

٦ـ عدد عجائب الدنيا.

٧ـ عدد آيات سورة الفاتحة.

٨ـ عدد ألوان ما يسمى (قوس القزح).

٩ـ عدد كلمات شهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

١٠ـ عدد المستويات المدارية للإلكترون .

١١ـ عدد حصى الجمرات التي يرمي بها الحاج في منى خلال الحج .

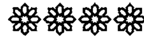
١٢ـ يأمر الله تعالى تعليم الصلاة للطفل عند بلوغه سن السابعة .

١٣ـ للضوء المرئي سبعة ألوان ، وهناك سبعة إشعاعات للضوء غير المرئي .

١٤ـ تهاجر الطيور بسرب على شكل سبعة .

١٥ـ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

اللهم اجعلنا منهم . والله أعلم .



﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الصيغة الاسمية فى الآية ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾[البقرة:٣٠] ؟

الجواب:

معلوم كما هو مقرر في البلاغة وفي اللغة : أنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم أقوى من الفعل، وهناك فرق بين أنْ تقول : هو متعلم أو هو يتعلم، هو يتثقف وهو مثقف، هو يتفقه وهو فقيه، هو حافظ أو هو يحفظ، ومن الثوابت في اللغة أنّ الاسم يدل على الثبوت حتى لو لم يقع.

وفي البلاغة عموماً إذا أردت أنْ تذكر أنّ هذا أمر ثابت فتذكره بالصيغة الاسمية قبل أنْ يقع، فتُسأل مثلاً هل سينجح فلان؟ فتقول: هو ناجح قبل أنْ يمتحن؛ لأنك واثق أنه ناجح ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود:٣٧] لم يقل: سأغرقهم، هذا في التعبير أقوى دلالة من الفعل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠] هل من فارق بين نقدس لك، ونقدسك؟

الجواب:

الفعل (يقدس) فعل متعدٍّ يأخذ مفعولاً به دون حرف الجر اللام، فنقول: نقدس الله، لكنّ الآية أدخلت اللام على الكاف، فما فائدة هذه اللام؟ فائدتُها للتخصيص، أي: التقديس لك لا لغيرك، فالملائكة لا تعصي الله ما أمرها فهي لا تقدس إلا لله، بخلاف البشر الذين قد يقدسون الله ومع تقديسهم لله قد يقدسون غيره.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿خَلِيفَةً﴾ في الآية ؟

الجواب:

في كلمة (خليفة) عدة أقوال :

ـ القول الأول : - وعليه أغلب المفسرين- أنه؛ أي الإنسان، خليفة الله عز وجل في الأرض، وأنّ الله سبحانه وتعالى أوكل إليه أنْ يعمر الأرض، وهو يتولى إعمارها بأنْ

يبني هذه البيوت وهذه العمارات والطرق وشق الأنهار وغيرها، وهذه أفعال لا يفعلها من مخلوقات الله أحد، لا الجن يفعلها ولا الطيور ولا الدواب ولا الملائكة إلا إذا كلفهم الله عز وجل أن يفعلوا شيئا فيفعلونه .

وهذا المخلوق ـ الإنسان ـ زُوِّدَ بوسائل بحيث يستطيع أنْ يقوم بالأعمال التي هيأه الله عز وجل لها، فيكون خليفة الله عز وجل في أرضه فيعمر الأرض ، وهذه الأرض موجود فيها المواد والأشياء، وليس هناك في خلق الله سبحانه وتعالى من يجمع هذه الأشياء ويجعل منها حاسوباً إلا هذا الإنسان فهو مُصنِّعٌ في الأرض، وهذه لا تكون إلا بكلمة (كُن فيكونُ) الإلهية.

ـ القول الثاني : يقول : ممكن أنْ يكون هناك خلق قبلنا، فهذا المخلوق الجديد آدم هو خَلَفٌ لذلك الخلق الذي قبلنا.

ـ القول الثالث : أنه خليفة، أي: يخلف بعضهم بعضاً فيتوالد ويتكاثر.

وهذه الآراء جميعاً هي لكبار علمائنا لا نجادل فيها لأنه أمر غيبي، انتهى خلق الإنسان والإنسان الآن يعمل والجدل فيه لا يثمر.

ـ وآخر قسم من العلماء يقولون : المراد الأنبياء وبقية البشر تبعٌ لهم؛ لأنّ الأنبياء يبلّغون شرع الله ويبلّغون رسالاته، فهم بهذا المعنى خلفاء في أنهم ينقلون شرع الله عز وجل، وهذا المعنى تحتمله اللغة ولا مساس فيه بالاعتقاد ، لكنّ سياق الآية لا يُسعف في هذا؛ لأنّ سياق الآية الكلام عن آدم قال: إني جاعل في الأرض خليفة، فتساءل

الملائكة: ما هذا الخليفة ؟ ولم يعترضوا على الله سبحانه وتعالى،التساؤل فقط للاستفسار والكشف لا غير .

السؤال الرابع:

من أين علمت الملائكة أنّ هذا المخلوق الجديد سوف يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟

الجواب:

لعلمائنا أكثر من قول في علم الملائكة بطبيعة هذا المخلوق، وكلها أقوال محترمة:

ـ الرأي الأول : وهو الذي يميل إليه عدد كبير من العلماء؛ وهو أنّ الحوار في القرآن مختصر، كأنّ الله عز وجل حين قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] كأنّ الملائكة سألت : ما شأن هذا الخليفة؟ ما الخليفة هذا؟ وهم خالو الذهن؟ فقال الله عز وجل : إنّ هذا مخلوق له ذرية، من هذه الذرية من سيُسَبِّحُني ويعبُدُني ويقدِّسُني، ومنهم من سوف يفسد ويسفك الدماء، ومن هنا نفهم لماذا ذكروا تسبيحهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠] فإذا كان هناك من سيُسَبِّحُ ويقدِّسُ من هذه الذرية فنحن نسبِّحُ ونقدِّسُ، والقسمُ الآخر مفسدٌ يسفكُ الدماء، فما الداعي لإيجاده؟ مجرد سؤال أو للاستفسار بصيغةِ سؤالٍ مؤدَّبٍ، فسألوا ربهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:٣٠] هذا الرأي الأول وقد مال إليه عدد من كبار علمائنا من المفسرين.

ـ الرأي الثاني: يقول : لعل لديهم تجربة سابقة من خلق إنسان سابق أو مخلوق سابق أفسد وسفك دماءً، فقالوا : هذا سيفعل كما فعل الذي قبله .

وخلق إنسان سابق فيه نظر، وليس لدينا دليل وقد يكون ، لكنّ هذا هو الحوار الذي حدث بين الله سبحانه وبين ملائكته ، حتى أنّ بعض العلماء يسأل ويقول : ما الداعي إلى أنّ الله سبحانه وتعالى يحاورهم؟ والجواب أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر لنا ذلك في القرآن حتى يعلمنا المشورة والمشاورة فلا ينفرد الحاكم برأيه، فرب العزة يشاور الملائكة ويحدثهم ويذكر لنا هذا الأمر أنه عرض على الملائكة وقال لهم: سيكون كذا فقالوا له: يا رب ما شأنه؟ قال: هذا شأنه: منه من يسفك الدماء ويفسد، ومنه من سيسبحني ويقدسني. وهذا هو واقع الحال؛ فالبشر الآن منهم من يفسد فيها ويسفك الدماء، ومنهم من يسبح الله عز وجل ويعبده .

ولمَ عرض الباري عز وجل على الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] ؟ وذلك لأنهم مشتغلون في الأرض، ومهمتهم في الأرض، من أجل هذا عرض عليهم، ولا يعقل أنه عرض على كل ملائكة السماء والكون، وإنما على فئة لها شغل بهذا المخلوق الجديد وبمكانه، وإبليس كان من ضمن هؤلاء، وهو ليس مَلَكاً لكنه من ضمن الذين لهم شغل؛ لذلك كُلّف مباشرة ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ﴾[الأعراف:١٢] أُمِر مباشرة بالسجود.

ومما ذُكر: أنه يحتمل أنهم اطلعوا على اللوح المحفوظ ، واللوح المحفوظ كُتِبَ فيه كل شيء وما يفعله البشر، فرأوا ما يفعله هؤلاء فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة:٣٠] فهم اطلعوا إمّا بإخبار الله لهم ، أو بما اطلعوا عليه في اللوح المحفوظ.

السؤال الخامس:

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات (٣٠-٣٨) وجاء في آيتي الأعراف [١١-١٢] قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١٠ - ١١] والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم ، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف:١٧٢] وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢] فهل يمكن - بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم - أنْ نبين ترتيب مراحل هذه المسألة ؟

الجواب:

المراحل هي : - والله أعلم -

١ـ خلق جميع البشر كأنفس مجردة عن المادة من آدم عليه السلام حتى قيام الساعة.

٢- إعطاء هذه الأنفس صورها الخاصة بها.

٣ـ عرض الأمانة على المخلوقات وتعهد الإنسان (النفس) بحملها

٤ـ أخذ العهد والميثاق من جميع البشر (الأنفس) ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٥ـ إخبار الله تعالى للملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة .

٦ـ معرفة الملائكة بإفساد بني آدم وسفكهم الدماء عندما كشف الله تعالى عنها غطاء غيب الزمن المستقبل .

٧ـ تعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلها ، وإخبار آدم الملائكة بذلك .

٨ـ الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم ، حين الانتهاء من خلق جسده ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ ونفخ الروح فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩].

ملاحظة : إنّ جميع المراحل حتى الآن تمت في عالم الأنفس بعيداً عن المادة، فجسد آدم المادي لم يخلق بعد .

٩- خلق جسد آدم عبر المراحل التي بينها القرآن الكريم ، ومن ثمّ تسويته إنساناً كاملاً ونفخ الروح فيه .

وهنا دخل آدم عليه السلام عالم المادة والمكان والزمان وأصبح محكوماً لهذه القوانين .

١٠ـ سجود الملائكة لآدم عليه السلام وعصيان إبليس بسبب مادة جسم آدم، كما في قوله تعالى على لسان إبليس ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

١١ـ إسكان آدم وزوجه جنّة التدريب والاختبار .

١٢- إغواء إبليس لهما .

١٣ـ تلقي آدم التوبة من الله تعالى حيث اجتباه الله تعالى وهداه .

وهنا دخل آدم عليه السلام مرحلة النبوة .

١٤ـ هبوط آدم عليه السلام وذريته إلى الأرض، ووعد الله تعالى بأنْ يرسل لهم رسلاً يحملون لهم الهدى ومنهج الحق . والله أعلم .

السؤال السادس:

ما الدروس المختصرة والعبر المعتبرة من قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة له ورفض إبليس ونزول الجميع إلى الأرض ؟

الجواب:

أولاً :

القصة فيها عبرٌ كثيرة، ومنها :

ـ إياك والمعاصي فإنها أذلت عزّ ﴿ٱسْجُدُوا﴾ وأخرجت إقطاع ﴿ٱسْكُنْ﴾ .

ـ فَرِحَ إبليس بنزول آدم من الجنة وما علم أنّ هبوط الغائص في اللجّة خلف الدّر صعود، كم بين قوله لآدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] وقوله لإبليس: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾[الإسراء:٦٣] .

ـ يا آدم لا تجزع من قولي لك ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ فلك ولصالح ذريتك خلقتها.

ـ تالله ما نفعه عند معصيته عِزُّ ﴿ٱسْجُدُوا﴾ ولا خصيصةُ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥] ولا فخرُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر:٢٩] وإنما انتفع بذلّ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف:٢٣].

ـ يا لها لحظة أثمرت حرارة القلق وما زال يكتب بدم الندم سطور الحُزن ويرسلها مع أنفاس الأسف حتى جاءه توقيع ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:٣٧] .

ثانياً :

كان أولَ المخلوقات القلمُ ليكتب المقادير قبل كونها وجعل آدم آخر المخلوقات وفي ذلك حِكَم :

١ـ تمهيد الدار قبل الساكن .

٢ـ أنه الغاية التي خلق لأجلها ما سواه.

٣ـ أنّ أحذق الصنّاع يختم عمله بأحسنه وغايته.

٤ـ أنّ النفوس متطلعة إلى النهايات والأواخر دائماً.

٥ـ أنّ الله أخّر أفضل الكتب والأنبياء والأمم إلى آخر الزمان وجعل الآخرة خيراً من الأولى ، فكم بين قول المَلَك للرسول ﴿اقْرَأْ﴾ فيقول : ما أنا بقارىء وبين قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣] .

٦ـ أنّ خلق آدم خلاصة الوجود، فناسب أنْ يكون خلقه بعد الموجودات.

٧ـ أنّ من كرامة آدم على خالقه أنه هيأ له مصالحه وحوائجه وأسباب حياته، فما رفع رأسه إلا وذلك كله حاضر.

٨ـ أنه سبحانه أراد أنْ يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات فقدّمها عليه بالخلق.

٩ـ أنه سبحانه لما افتتح خلق هذا العالم بالقلم كان من أحسن المناسبة أنْ يختمه بخلق الإنسان فإنّ القلم آلة العلم والإنسان هو العالِم، ولهذا أظهر سبحانه فضل آدم على الملائكة بالعلم الذي خُصّ به دونهم.

ثالثاً :

الله سبحانه وتعالى كتب عذر آدم قبل هبوطه إلى الأرض ووسمه بالخلافة قبل الهبوط، فقال : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ونبّه الملائكة على فضله وشرفه .

والمحب يقيم عذر المحبوب قبل جنايته، فلمّا صوّره على باب الجنة أربعين سنة؛ لأنّ دأب المحب الوقوف على باب الحبيب، ورمى به في طريق ذل ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا﴾ [الإنسان:١] لئلا يُعجب بموقف ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ وكان إبليس يمر على جسده فيعجب منه، ويقول : لأمر قد خلقت ، ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول : لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك، ولئن سلُطت عليَّ لأعصينك، ولم يعلم أنّ هلاكه على يده، رأى طيناً مجموعاً فاحتقره فلمّا صوّر الطين دبّ فيه داء الحسد، فلمّا نفخ فيه الروح مات الحاسد، فلمّا بسط له بساط العز عرضت عليه المخلوقات فاستحضر مدّعي ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ [البقرة:٣٠] إلى حاكم ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ [البقرة:٣١] وقد أخفى الوكيل عنه بينة ﴿ وَعَلَّمَ﴾ [البقرة:٣١] فنكسوا رؤوس الدعاوي على صدور الإقرار، فقام منادي التفضيل في أندية الملائكة ينادي ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ فتطهروا من حَدَثِ دعوى ﴿وَنَحْنُ﴾ [البقرة:٣٠] بماء العذر في آنية ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] فسجدوا على طهارة التسليم، وقام إبليس ناحيةً لم يسجد لأنه خَبَثٌ وقد تلون

بنجاسة الاعتراض، وما كانت نجاسته تُتلافى بالتطهير؛ لأنها عينية، فلما تمّ كمال آدم جرى القدر بالذنب ليتبين أثر العبودية في الذل.

ولمّا علم الله أنّ ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته ولا قدحاً في حكمته علّمه كيف يعتذر إليه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:٣٧].

السؤال السابع:

ما وجه الاختلاف في قصة آدم بين سورتي البقرة والأعراف؟

الجواب:

مقدمــة :

أولاً ـ ذكر الله تعالى قصة آدم عليه السلام مع قصة إبليس في القرآن الكريم في سبع سور؛ وهي [البقرة ـ الأعراف ـ الحجر ـ الإسراء ـ الكهف ـ طه ـ ص].

ثانياً ـ تبدأ هذه القصة في سورة البقرة من أقدم حدثٍ فيها حين أبلغ الرب سبحانه وتعالى ملائكته بقراره في أنْ يجعل في الأرض خليفة، وذلك قبل خلق آدم، وذكر فيها مراجعة الملائكة لربهم في هذا القرار مبدين عدم رغبتهم في هذا الاستخلاف لأسباب ذكروها ، فقطع الله عليهم تخوفهم وظنونهم بعلمه الذي لا يحد ، ثم ذكر اختبار المفاضلة الذي أجراه الله بين آدم والملائكة ففضلهم فيه آدم ، وثبت بذلك أنّ آدم جدير بالاستخلاف في الأرض.

هذه الأولويات ذكرت في أول سورة من القرآن وفي أول قصة من السورة ولم يذكرها في مكان آخرفي كل القرآن ، و قد جاءت القصة في سورة البقرة مبنية على ركنين:

آ ـ تكريم آدم، ويتجلى في :

١ ـ ذكر استخلاف آدم في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

٢ ـ تفضيل آدم على الملائكة بتعليمه الأسماء كلها مما لا يعلمه الملائكة.

٣ ـ إسجاد الملائكة له.

ب ـ تكريم العلم، ويتجلى في :

١ ـ إثبات العلم الشامل لله.

٢ ـ نفي العلم عن الملائكة إلا ما علمهم إياه رب العزة.

٣ ـ إثبات التعليم لآدم بما يصلح أنْ يقوم به أمر الخلافة ويستقيم.

والاستخلاف الناجح لا بدّ له من أمرين :

آ ـ أنْ يكون للخليفة حق التصرف والتدبير فيما استخلف فيه.

ب ـ أنْ تكون له القدرة على هذا التصرف حسب العلم والقدرات التي أعطاها الله للإنسان .

ونستطيع أنْ نقول بشكل مجمل إنّ القصة في سورة البقرة مبنية بشكل رئيس على تكريم آدم، وكل الجوانب الأخرى المذكورة من العلم والاستخلاف إنما تخدم هذا التكريم.

أمّا قصة آدم في سورة الأعراف، فهي ليست مبنية على هذا الأمر، بل لها غرض آخر وقد وقع فيها التكريم ثانوياً ، وقد ذكرت القصة في سورة الأعراف في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم وفي سياق غضب الله سبحانه، قال تعالى:

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الأعراف:٤-٥].

وبناء على ذلك بنيت القصة في كل سورة على ما جاء في سياقها ، وهذا ما سوف يأتي بيانه إنْ شاء الله تعالى:

١ـ معصية إبليس :

جاء في البقرة قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤].

بينما جاء في الأعراف قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١].

فقد جمع لإبليس في سورة البقرة الإباء والاستكبار معاً للدلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي أكرمه الله وعلّمه، ولم يقل مثل ذلك في كل القرآن الكريم، بل هو إمّا أن يقول: ﴿أَبَىٰ﴾ [البقرة:٣٤] وإمّا أن يقول: ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة:٣٤] ولم يجمعهما إلا في هذا الموضع .

فالفرق واضح بين التعبيرين بحسب موقف التكريم.

٢ـ سكن الجنة والأكل :

قال في البقرة : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة:٣٥].

وقال في الأعراف : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف:١٩].

واليك الفروق بين التعبيرين في الآيتين :

في سورة البقرة	في سورة الأعراف
﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾	﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾
﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾	﴿فَكُلَا﴾
﴿رَغَدًا﴾	-
﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

فقد أسند القول لنفسه في البقرة ﴿وَقُلْنَا﴾ [البقرة:٣٥]، وهذا في مقام التكريم والتعظيم ، وناسب هذا أنْ يذكر ﴿رَغَدًا﴾ في البقرة دون الأعراف.

وقال في البقرة :﴿وَكُلَا﴾ بالواو، بينما قال في الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ بالفاء، والواو لمطلق الجمع والفاء تفيد التعقيب والترتيب ، أي: أنّ الواو أوسع من الفاء؛ لأنّ من جملة معانيها معنى الفاء ، فإذا قلت لشخص ما : ادخل وكل ، كان له الحق في أنْ يأكل متى شاء على حسب رغبته ومتى أكل كان موافقاً للأمر ، ولو قلت له : ادخل فكل ، كان عليه أنْ يأكل في عقب الدخول ولو تأخر لكان مخالفاً للأمر ويحق لك أنْ تمنعه .

إضافة إلى أنه أعاد ضمير الجنة في البقرة مع الأكل ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ ولم يعده في الأعراف ، فأنت ترى أنه ذكر الجنة وضميرها في البقرة وهو المناسب لمقام التكريم فيها، ولم يفعل مثل ذلك في الأعراف.

ـ الظرف ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ في البقرة يحتمل أنْ يكون للسكن والأكل جميعاً، والمعنى: اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما .

وأمّا التعبير في الأعراف ﴿مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ فلا يحتمل إلا أنْ يكون للأكل : فكلا من حيث شئتما ، ولا يصح تعليقه بالسكن، أي: لا يصح أنْ يُقال : اسكنا من حيث شئتما .

لذلك المشيئة والتخيير في البقرة أوسع؛ لأنها تشمل السكن والأكل، بخلاف الأعراف، وهذا مناسب لمقام التكريم.

٣ـ الزلة :

قال في البقرة :﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾[البقرة:٣٦].

وقال في الأعراف: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾[الأعراف:٢٢].

الزلة قد تكون في المكان نفسه ،وأمّا التدلية فلا تكون إلا إلى أسفل ، ذلك أنها من التدلية في البئر ، أمّا الزلة فقد لا تكون إلى أسفل .

ومعنى ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ [الأعراف:٢٢] أي: أنزلهما من مكان إلى مكان أحط منه ، فخفف المعصية في البقرة وسماها زلة مراعاة لمقام التكريم بخلاف الأعراف .

٤ـ معاتبة الرب لآدم :

لم يذكر في البقرة معاتبة الرب سبحانه لآدم وزوجه على معصيتهما مراعاة لمقام التكريم، بخلاف الأعراف فقد ذكر أنه عتبهما عليها فقال : ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾[الأعراف:٢٢] .

ولا شك أنّ مرتبة العتاب أدنى من عدمه .

ثم انظر كيف ناسب هذا العتاب لأبوي البشر في الجنة عتاب أبنائهما في الدنيا في الآية التي سبقت هذه القصة ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠﴾[الأعراف:١٠].

٥ـ التصريح بالمعصية :

طوى في البقرة تصريح آدم عن نفسه بالمعصية ولم يذكرها إكراماً له، في حين ذكرها في الأعراف فقال : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ذكر الله ندم المعاقبين من بني آدم في الأعراف فقال: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الأعراف:٤-٥] .

فانتهت بـ ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الأعراف:٥] وذكرت الآية عن ندم آدم عليه السلام بـ ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] فانظر كيف اتفق الندمان على أمر واحد وهو الظلم، فقال آدم: ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] وقال أبناؤه: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ .

ثم انظر إلى التناسب بين العقوبة ومقدار الظلم؛ فقد قال آدم: ﴿ظَلَمْنَا﴾ بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث للدلالة على أنها زلة طارئة وليست معصية إصرار، بينما قال أبناؤه: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات على الظلم والإصرار، فتاب على الأولين وأهلك الآخرين .

فسبحان الله ؛ ما أبدع هذا الكلام وأعظمه!!!

٦ـ التوبة على آدم :

في مقام سورة البقرة ذُكر أنّ آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه، علماً بأنه لم يذكر فيها أنّ آدم طلب من ربه المغفرة ومع ذلك ذكر أنه تاب عليه.

وفي مقام سورة الأعراف ذُكر أنّ آدم طلب من ربه المغفرة ولم يذكر أنه تاب عليه.

فانظر إلى تناسب سياق البقرة مع مقام التكريم وسياق الأعراف مع مقام العتاب والمؤاخذة ، ثم قل: جلّ قائل هذا الكلام.

٧ـ الوعد بالعودة إلى الجنة مع اتباع الهدى :

قال في البقرة : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨] .

ولم يقل مثل ذلك في الأعراف ، والتكريم واضح في هذه الآية؛ إذ فيها وعد لمن تبع الهدى بالعودة إلى الجنة حيث لا خوف ولا حزن.

قال في البقرة: ﴿تَبِعَ﴾ [البقرة:٣٨] بالتخفيف ولم يقل ـ اتّبع ـ بالتشديد كما في آية طه، حيث قال : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣] ؛ وذلك للأسباب التالية :

آ ـ الفعل بالتشديد يفيد المبالغة ، فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث، ولم يشدد عليهم تخفيفاً على البشر مراعاة لمقام التكريم.

ب ـ الفعل (تبع) تردد في سورة البقرة أكثر من أي سورة أخرى في القرآن، فوضعه في مكانه الذي هو أليق به.

ج ـ جاء التخفيف في البقرة مع إسناد القول إلى نفسه سبحانه ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة:٣٨] بينما جاء التشديد مع إسناد القول إلى الغائب ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ [طه:١٢٣] والله سبحانه يظهر نفسه في موقف التلطف والتكريم.

د ـ في البقرة جاء الفعل بواو الجماعة ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ [البقرة:٣٨]، بينما جاء الفعل بالتثنية في الأعراف ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ [طه:١٢٣].

هـ ـ نهاية آية البقرة تتعلق بالآخرة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة:٣٨] أي: في الآخرة، ونهاية آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه:١٢٣] أي: لا يضل في الدنيا ؛ لأنّ الضلال إنما يكون فيها، وأمّا في الآخرة فينكشف الغطاء ويصبح الناس كلهم على بصيرة . وقوله: ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه:١٢٣] متعلق بالآخرة؛ لأنّ الدنيا لا تخلو من الشقاء بدليل قوله تعالى لآدم : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه:١١٧].

فلمّا كانت آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف آية البقرة زاد في بناء الفعل إشارة إلى زيادة متعلَّقه.

وآية طه تضمنت أمرين هما : مجاهدة الضلال في الدنيا، والفوز بالآخرة، وآية البقرة تضمنت الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملاً أكثر وأشق، فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف .

وقد تقول : أفلا يتطلب الفوز في الآخرة مجاهدة الضلال في الدنيا؟

والجواب:

إنّ الفوز في الآخرة على مراتب بعضها أعلى من بعض ، وليس كل الناجين في الآخرة ممن كانوا يجاهدون الضلال في الدنيا أو لم يضلوا في أمر من الأمور .

فمجاهدة الضلال والتحري لعدم الوقوع فيه مرتبة عالية تتطلب جهداً ومشقة في العمل ، فوضع كل فعل في المكان الذي يقتضيه تماماً

٨ـ التناسب بين القصة وخاتمة السورة :

في البقرة: قال الله عن إبليس: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]، وقال في خاتمة البقرة : ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة:٢٨٦].

في الأعراف قال الله : ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١]

وقال: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[الأعراف:١٣].

وقال في خاتمة السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾[الأعراف:٢٠٦].

٩ـ الغرض من الوسوسة :

قال في الأعراف : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف:٢٠].

فذكر أنّ الغرض من الوسوسة هو أنْ يبدي لهما السوءات المخفية واللام هنا هي لام العاقبة ، وقد وقع ذلك فعلاً كما في الآية [٢٢] وعقب على ذلك بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾[الأعراف:٢٦] .

ونلاحظ هنا الأمور التالية :

آ ـ ذكر كلمة (لباس) مع التقوى فقال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الأعراف:٢٦] فاللباس والريش يواري السوءات الظاهرة، ولباس التقوى يواري السوءات الباطنة.

ب ـ ثم حذّر الله ذرية آدم فقال: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾[الأعراف:٢٧] .

وفي قوله تعالى:﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف:٢٧] نُسب النزع الذي هو فعل الله إلى إبليس؛ لأنّ سببه أكل الشجرة وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لمن الناصحين.

ج ـ أمر الله بأخذ الزينة عند كل مسجد، فقال : ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف:٣١] .

والزينة هي الريش واللباس ، وعقب بعد ذلك بقوله : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾[الأعراف:٣٢].

د ـ ثم انظر بعد ذلك كيف قال في عذاب أهل جهنم: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾[الأعراف:٤١].

فأنت ترى أنّ الشيطان نزع عن أبوينا اللباس في الجنة، وهو في هذه الدنيا حريص على أنْ يفتننا لنتعرى من اللباس الظاهر والباطن ، ولا يرضى في الآخرة إلا بأن نتسربل من سرابيل جهنم ، أعاذنا الله وإياكم منها ومن أنْ يكون لنا منها مهاد وغواش . ونسأل الله العافية.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ [البقرة:٣١] في الآية وليس (نبّئوني) ؟

الجواب:

هذه الظاهرة استعمال (نبّأ) و(أنبأ) مضطردة في القرآن الكريم .

١ـ أنبأ : وردت في أربعة مواضع في القرآن كله، وسنجد أنها جميعاً فيها اختصار زمن، أي: فيها وقت قصير، وليس فيها وقت طويل.

٢ـ أما (نبّأ) فوقتها أطول في الاستعمال، وقد وردت في ستة وأربعين موضعاً.

آ ـ لاحظ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] بمفهوم البشر التعليم يحتاج إلى وقت؛ ولذا قال: علّم، ولم يقل: أعلم، والله تعالى أقدر آدم عليه السلام على وضع هذه الأسماء .

و الأسماء كلها، أي: هذا الشيء اسمه كذا ، وهذا المخلوق اسمه كذا، وهكذا، ورب العالمين يمكن أنْ يقول: كن فيكون، لكنْ أرادت الآية أنْ تبيّن أنه لقّنه هذه الأشياء بوقت، كما أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان باستطاعته أنْ يقول: كن فيكون.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة:٣١]؛ وقد تمّ استعمال (عرضهم) لأنّ فيها العاقل وغير العاقل. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي ﴾[البقرة:٣١] ، ولم يقل: ﴿نبّؤني﴾؛

لأن الإجابة لا تحتاج إلى تطويل؛إذ المطلوب هو الاسم فقط؛ هذا بخلاف قوله تعالى: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام:١٤٣] . ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] ؛ فإن ما تعلّموه تعلموه على وقت.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] آدم يقول: هذا اسمه كذا وانتهى، وهكذا، الإنباء بكل اسم على حدة لا يأخذ وقتاً، ولهذا قال: ﴿أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٣] ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] واحداً واحداً، وهذا لا يحتاج إلى وقت.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾[البقرة:٣١] ولم يقل: عرضها ؟

الجواب:

لأنّ فيها العاقل وغير العاقل حيث عُلّمَ آدمُ عليه السلام الأسماء كلها، والله عرض المخلوقات والأشياء من العقلاء وغيرهم فغلّب العقلاء .

وأمّا كيف عرضهم فهذا غيبٌ نؤمن به .

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾[البقرة:٣١] في الآية ؟

الجواب:

هؤلاء : أصلها أولاء، والهاء للتنبيه وهي تستعمل للعقلاء، لكن إذا اجتمع العقلاء وغيرهم يغلّب العقلاء فيُشار إلى المجموع بكلمة (هؤلاء) للقريب وأولئك للبعيد.

السؤال الرابع:

ما خطوط تحديد تأنيث الفعل وتذكيره مع الملائكة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

نحوياً : يجوز تأنيث الفعل أو تذكيره؛ لأنه جمع تكسير.

بيانياً : هناك خطوط تحدد تأنيث الفعل وتذكيره مع الملائكة في القرآن الكريم، وهي :

١ـ كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ [البقرة:٣٤] ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ [البقرة:٣١] ﴿فَقَعُوا۟﴾ [الحجر:٢٩].

٢ـ كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣] ـ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء:١٦٦] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى:٥].

٣ـ كل وصف اسمي للملائكة يأتي بالتذكير: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣] ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] ﴿مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] ـ ﴿مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران:١٢٤] .

٤ـ كل فعل عبادة يأتي بالتذكير : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحِجر:٣٠] [ص:٧٣] ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم:٦] ؛ لأنّ المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى؛ ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.

٥ـ كل أمر فيه شدة وقوة حتى لو كان عذابين أحدهما أشد من الآخر فالأشد يأتي بالتذكير، نحو قوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال:٥٠] فجاءت ﴿يتوفى﴾ بالتذكير؛ لأنّ العذاب أشد﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال:٥٠].

أمّا في قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [محمد:٢٧] فجاء الفعل ﴿توفتهم﴾ بالتأنيث؛ لأنّ العذاب أخف من الآية السابقة .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفرقان:٢٥] بالتذكير، وقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [فُصِّلَت:٣٠] و ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدْر:٤] بالتأنيث.

٦ـ لم تأتِ بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم، فكل بشارة فيه تأتي بصيغة التأنيث كما في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران:٣٩] ـ ﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران:٤٥] .

من الناحية النحوية :

إذا كان الفاعل مؤنثاً أنّث فعله بتاء ساكنة في آخر الماضي، وبتاء المضارعة في أول المضارع، نحو : قامت هند، وتقوم هند .

وهذا قد يجب، وقد يجوز .

فيجب تأنيث الفعل :

ـ إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً عائداً على مؤنث حقيقي التأنيث، نحو : هند قامت أو هند تقوم

ـ أو مجازيَّ التأنيث، نحو : الشمس طلعت، أو الشمس تطلع .

ـ إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً متصلاً بعامله مباشرة، حقيقي التانيث، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران:٣٥].

ويجوز تأنيث الفعل في ثلاثة مواضع:

ـ إذا كان الفاعل أو شبهه ﴿نائب الفاعل،اسم الفعل الناسخ﴾ اسماً ظاهراً حقيقي التأنيث منفصلاً عن الفعل، مثل : سعى بين الصفا والمروة المؤمنة، ويجوز : سعت .

ـ إذا كان الفاعل أو شبهه جمع تكسير، نحو : ذبلت الأوراق، ويجوز : ذبل الأوراق .

ـ إذا كان الفاعل أو شبهه اسماً ظاهراً مجازي التأنيث، نحو : اندلعت الحرب، ويجوز: اندلع الحرب .



﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

أحياناً تختم الآيات بـ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وفى آيات أخرى ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فما الفرق بينهما؟

الجواب:

إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدّم العلم، وإلا يقدّم الحكمة، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدّم الحكمة.

وحتى تتضح المسألة نقدم هذه الشواهد القرآنية:

في تقديم العلم:

آ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم، فقدّم العلم.

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين، معناه هذا علم.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فيها علم، فقدّم ﴿عليم﴾.

د ـ قال في المنافقين: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية.

هـ ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدّم العليم.

شواهد قرآنية في تقديم الحكمة:

الجزاء حكمة وحُكم ، و من الذي يجازي ويعاقب؟ هو الحاكم،و تقدير الجزاء حكمة .

آـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، هذا حاكم يحكم ويقدر الجزاء والحكم، فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أنْ يكون العالم حاكماً، وليس كل عالم حاكماً.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع .

ج ـ قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزُّخرُف: ٨٣ - ٨٤] .

ولذلك عندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.



﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما أحرف النداء التي استعملت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ المنادى هو المطلوب إقباله بحرف نداء ظاهر أو مقدر.

٢ـ وحروف النداء في اللغة هي [يا ـ أيا ـ هيا ـ آ ـ أي ـ الهمزة]، ولم يرد في القرآن الكريم سوى الحرف (يا).

٣ـ الحرفان [أيا ، هيا] ليسا إلا [يا] مسبوقة بالهمزة أو الهاء.

السؤال الثاني:

ما دلالة لفظة ﴿كُنتُمْ﴾ [البقرة:٣٣] في آية البقرة ٣٣؟

الجواب:

الآية موضع السؤال: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٣] جاءت بعد الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] ولِمَ لمْ يقل في غير القرآن: (يعلم ما تبدون وما تكتمون)؟

١ـ هذا الذي جرى في الملأ الأعلى يليق بذلك الموضع، ولا ندري على وجه التحديد ما المراد بتلك العبارات التي قيلت، وما المراد بهذه الأسماء التي سُئِلَ عنها؛ لأنّ الإشارة كانت بصيغة العقلاء فما الذي عُرِض أمام الملائكة؟ وما الذي سئل عنه الملائكة؟ ما عندنا خبر صحيح عنه، وهو وقع فعلاً، وكان اختباراً للملائكة، وفي الوقت نفسه كان اختباراً لآدم .

٢ـ لمّا طلب الله من الملائكة: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:٣١] أعلنوا عجزهم وقالوا: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] أي ما عندنا علم إلا الذي علمتنا إياه .

٣ـ عند ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ ﴾ [البقرة:٣٣]، هذا الإنباء الذي بُنيَ على التعليم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، والتعليم هنا قد يراد به التلقين؛ حيث إنّ آدم عليه السلام لُقّن؛ أي: حُفِّظ، وهو لديه في دماغه خلايا متخصصة للغة فاستقبلت هذا الذي حُفِّظَ إياه واستطاع أنْ يسترجعها عندما احتاج إليها، فبدأ آدم يتكلم ويخبر بهذه بالأسماء، إذن آدم نجح في الاختبار الذي لم ينجح فيه الملائكة؛ لأنّ الملائكة غير مهيئين للخلافة في الأرض، وأهم ركيزة من ركائز الخلافة في الأرض اللغة.

٤ـ الملائكة عندما قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ [البقرة:٣٠] هذا القول كان فيه شيء من الإحساس أنهم هم أفضل من هذا المخلوق، هذا في داخلهم ولم يصرحوا به .

والملائكة في داخلهم كأنما أحسوا أنهم أميز من هذا المخلوق، ولما أُمروا بالسجود سجدوا طاعة لله.

لكن لأنه سيكون من ذرية هذا المخلوق من يفسد؛ربما يكون قد دخل في نفس بعضهم أنهم أميز منه وأفضل، وهذا الذي أشير إليه في ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة:٣٣] أي:

في نفوسكم شيء مكتوم في صدوركم لم تصرحوا به، وما كانوا يعتقدون أنهم كتموه عن رب العزة.

٥ـ وعندما ننظر في الآية نجد حذفا؛ لأنه لمّا قال الله عز وجل: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ [البقرة:٣٣] دلَّ على شمول علم الله سبحانه وتعالى لكل الجزئيات ولكل دقائق الأمور، وكما يقول العلماء عن علم الله سبحانه: (يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن وما لو كان سيكون، كيف كان يكون) هذه كلمة قديمة لعلمائنا لبيان عظيم علم الله سبحانه وتعالى وشموله وسعته، فعلم الله سبحانه وتعالى شامل.

لذا قال علماؤنا بوجود الحذف في قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٣]، فالذي يعلم الغيب يعلم الشهادة من باب أولى ؛ أي أن هنالك حذفاً، وتقدير المحذوف: (أعلم غيب السموات والأرض وأعلم شهادتهما، وأعلم ما تبدون الآن وفي المستقبل، ويقابله :وما تكتمون الآن وفي المستقبل).

٦ـ هي إذن ثلاث صور:

آ ـ أعلم غيب السموات والأرض، والحذف (وأعلم شهادتهما).

ب ـ والثانية: أعلم ما تبدون الآن وفي المستقبل، وما تكتمون الآن وما تكتمون في المستقبل.

ج ـ والثالثة : وما كنتم تكتمون وما كنتم تبدون في الماضي.

٧ـ إذن ﴿كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة:٣٣] أخذت الحيز الثالث من الكتمان في الماضي؛ ولذلك جاءت ﴿كُنتُمۡ﴾ لأنّ تبدون في الحاضر وما كنتم تكتمون في الماضي.

٨ـ فإذن مجيء ﴿كُنتُمۡ﴾ أشارت وأشعرت بهذا الحذف الموجود في المكانين؛ حتى تستكمل صورة معرفة علم الله سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى يعلم غيب السموات والأرض ويعلم شهادتها، ويعلم ما تبدي الملائكة الآن وفي المستقبل وما تكتم الآن وفي المستقبل.

من أين علمنا(تكتم)؟ من ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة:٣٣] وما كنتم تكتمون في الماضي وما كنتم تبدون .

من أين علمنا (ما كنتم تبدون)؟ من وما تبدون الآن، كل واحدة صار فيها هذا الحذف.

فإذن مجيء ﴿كُنتُمۡ﴾ هو الذي أرشد إلى هذا الفهم العام الشامل الذي فهمه علماؤنا و فهمه العربي أيضاً.

٩ـ هذا التفصيل مراد؛ لأنهم أبدوا شيئاً وكتموا شيئاً، والكلام عن غيب السموات والأرض كلام عام، لكنّ الملائكة بخصوصيتهم أبدوا شيئاً ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] هذا أبدوه وبعضهم - كما قال علماؤنا - كتم شيئاً في نفسه ما صرّح به: وهو أنّ هذا المخلوق الذي سيفسد نحن أكرم منه؛ لأننا نحن لا نفسد ، والآيات لم تفصح، لكن ما معنى ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة:٣٠] في مقابل ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] ؟

الملائكة لا ينكرون ولا يعترضون؛ لأنه معلوم من صفتهم عدم الاعتراض فهو شيء حاك في نفوسهم وأظهره بعضهم في العبارة، فلا بدّ من الجمع بين الآيات والفهم في ضوء نسق الآيات، ونحن لا نتألّى على الله أوعلى العبارة القرآنية، لكنّ هذا الذي يُفهم.

الملائكة قالوا كلاماً، وهذا الكلام لا يمكن أنْ يدخل في إطار الاعتراض على موقف أو حكم الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وليست لديهم القدرة على المحاجة والمناقشة، وهذه قدرة الإنسان خلقه الله تعالى على هذا، أمّا هم فلا يناقشون ولا يحاجون ، وإذا ما نظرنا في العبارة فهمنا ما ذكره علماؤنا. والله أعلم .



﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل كان إبليس مأموراً بالسجود لآدم؟

الجواب:

نعم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أمراً عامّاً ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] وأمر إبليس بالسجود أمراً خاصاً ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢] .

السؤال الثاني:

لماذا جاء ذكر إبليس مع الملائكة عندما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم، مع العلم أنّ إبليس ليس من جنس الملائكة؟

الجواب:

الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم في آية سورة البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]، وأمر إبليس على وجه الخصوص في آية سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢] ، فليس بالضرورة أنْ الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود كما في آية سورة البقرة، وأمر إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به في آية أخرى.

السؤال الثالث:

لماذا استخدمت كلمة (إبليس)مع آدم ولم تستخدم كلمة (الشيطان)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] وفي سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١] إبليس هو أبو الشياطين، كما إنّ آدم أبو البشر، وبداية الصراع كان بين أبي البشر وأبي الشياطين ، والشيطان يُطلق على كل من كان كافراً من الجن، أي: على الفرد الكافر من الجنّ.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين إبليس والشيطان في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ورد ذكر إبليس في القرآن في ١١ آية، بينما ورد ذكر الشيطان في ٦٨ آية، وقد يظن كثير من الناس أنهما بمعنى واحد وأنهما لمخلوق واحد، وليس الأمر كذلك .

إبليس:

علَمٌ على مخلوق خلقه الله تعالى من النار، وقيل: كان اسمه عزازيل، وجعله الله في عداد الملائكة وقام بعمله ما شاء الله أنْ يقوم، ثم نازع ربه الكبرياء والعظمة فاستكبر عن طاعته وعصى ربه فطرده الله من رحمته ومن وظيفته، وأُهبط إلى الأرض يتهدد ويتوعد بإغواء بني آدم، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة.

ولغوياً الكلمة مشتقة من : أبلس الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجة ، وأُبلس، أي: سكت ، وأُبلس من رحمة الله، أي: يئس منها وندم ، وقالوا: ناقة مِبلاسٌ، أي: لا ترغو من الخوف ، والإبلاس: هو السكوت من شدة الخوف والغم.

انظر قصة إبليس في القرآن في آيات سورة ص [٧٥ ـ ٨٣]، وكذلك في طه [١١٦] وفي الكهف [٥٠] .

أمّا استخدام القرآن للمعاني اللغوية لكلمة (إبليس) فانظر الآيات : الروم [١٢] الأنعام [٤٤] وغيرها.

الشيطان :

هذه الكلمة هي صفة قد يتصف بها إبليس، وقد يتصف بها غيره من الجن والإنس، ويظهر ذلك في تصرفاتهم وأفكارهم ومكائدهم وأخلاقهم.

وقيل: إنّ كلمة (شيطان) مشتقة من (شَطَنَ) بمعنى بَعُد عن الحق، أي: إنّ عمل الشيطان هو إبعاد الناس عن الحق والخير، أو من الفعل (شاط) بمعنى احترق من الغضب ، وتشيطن الرجل: إذا صار كالشيطان في فعله .

لذلك فكلمة (إبليس) هي الاسم العلم لهذا المخلوق، وإنّ كلمة (الشيطان) هي صفة له ولغيره.

وقد وصف الله تعالى بها إبليس حتى التصقت به فصار الناس يظنون أنها خاصة به، ولكنّ آيات القرآن بينت أنّ إبليس غير الشيطان، كما في آيات سورة البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٤-٣٥-٣٦] .

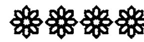
ولاحظ جملة ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] ليتبين كيده وتزيينه ووسوسته.

وانظر إلى الآية في سورة طه ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠] فإبليس هو الوسواس وهو الشيطان، ولكنه ليس وحده في هذه الدنيا ، فكما أنّ إبليس وذريته من كفرة الجن وهم شياطين الجن ومردته، فإنّ هنالك أيضاً شياطين من الإنس لا يقلون عنهم خبثاً وكفراً وفساداً.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة:١٤].

اللهم إنا نعوذ بك من همزات الشياطين ونعوذ بك ربنا أنْ يحضرون . اللهم آمين.



﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما العبرة من هذه الشجرة المنهي عنها في الآية ؟

الجواب:

العبرة الأساسية من هذه الشجرة: إياك أنْ تقترب من الشيء المنهي عنه من الله سبحانه، وهي مثل الشهوة في حياتنا و(من حام حول الحمى يوشك أنْ يقع فيه) حتى لو كنت من الصالحين . والله أعلم.

السؤال الثاني:

نهى الله سبحانه آدم وزوجه عن الاقتراب من الشجرة، فأكلا منها ووقعا في النهي، فلِمَ قال تعالى :﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ [البقرة:٣٥] ولم يقل: و(لا تأكلا)؟

الجواب:

نهى الله تعالى آدم عن القرب من الشجرة؛ حتى لا تضعف نفسه عند مشاهدة ثمارها فتتوق نفسه للأكل من ثمرها، ولو نهي عن الأكل لاقترب منها وعندها سيقاوم نفسه التي تريد تناول ثمارها، وأما إذا ابتعد عنها فلن تتوق نفسه إلى ثمار لم يرها.

السؤال الثالث:

خاطب تعالى آدم وحده، ومرة خاطب آدم وحواء، فهل كان الخطاب مرة واحدة بصيغ متعددة ؟ وكيف نفهم الصيغ المتعددة في الخطاب؟

الجواب:

من الذي قال :إنّ الخطاب مرة واحدة؟ ربنا قال في القرآن: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧] هذا الخطاب غير ذاك الخطاب. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه:١٢٣] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨].

ولمّا قال: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف:١٩] هذا غير ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وهذا في وقت آخر.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿وَزَوْجُكَ﴾ [الأعراف:١٩] بدل زوجتك في قوله تعالى ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩] ؟

الجواب:

لغوياً الأصل هو كلمة (زوج)، وفي اللغة الضعيفة تستعمل زوجة، ففي اللغة يقال: المرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة. أمّا استخدام كلمة (زوجة) فهي لغة ضعيفة رديئة؛ فالأولى والأصح أنْ تستخدم كلمة (زوج)، ولذا استخدمها القرآن الكريم في الآية.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الزوج والبعل ؟

الجواب:

البعل هو الذكر من الزوجين، ويقال: زوج للأنثى والذكر، وفي الأصل (البعل) في اللغة من الاستعلاء و يعني: السيد القائم المالك الرئيس ، وهي عامة.

وبعلُ المرأة: سيّدها، وسُمِّيَ كلُّ مستعل على غيره بعلاً ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الصافات:١٢٥]؛ لأنهم يعتبرونه سيدهم المستعلي عليهم، والأرض المستعلية التي هي أعلى من غيرها تسمى بعلاً، والبعولة هي العلو والاستعلاء، ومنها أُخِذ (البعل) زوج المرأة؛ لأنه سيدها ويصرف عليها والقائم عليها.

الزوج هو للمواكبة؛ ولذلك تطلق على الرجل والمرأة ، هي زوجه وهو زوجها ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] .

كما أنّ الزوج يأتي من المماثلة سواء كانت النساء وغير النساء ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢] أي: أمثالهم ونظراءهم ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ

﴿أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص:٥٨] أي: ما يماثله، و(البعل) لا يقال للمرأة، وإنما يقال لها (زوج) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[النور:٣١] حيث يُنظر به الشخص ولا ينظر به المماثلة .

ولذلك هم يقولون: أنه لا يقال في القرآن (زوجه) إلا إذا كانت مماثلة له، قال: ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١] لم يقل زوج فرعون؛ لأنها ليست مماثلة له، امرأة لوط وامرأة نوح؛ لأنها مخالفة له، هو مسلم وهي كافرة، فلم يقل (زوج)، وإنما ذكر الجنس ﴿ٱمْرَأَتَ﴾ ولو قال: (زوج) يكون فيها مماثلة .

و لمّا كانت المسألة مع سيدنا إبراهيم عليه السلام تتعلق بالإنجاب قال: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾[هود:٧١] لأنه هنا يراد به الجنس وليس المماثلة .

إذن (الزوج) للماثلة، والمرأة للجنس الرجل كرجل والمرأة كامرأة، وقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾[الأحزاب:٦] فيهن مماثلة؛ لأنهن على طريقه وهنّ جميعاً مؤمنات؛ وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة.

السؤال السادس:

أشار القرآن إلى الشجرة التي أكل منها آدم: هذه الشجرة وتلكما الشجرة، فأين كانت الشجرة التي أشار إليها الخالق؟

الجواب:

١ـ كلمة (الشجرة) وردت في القرآن في ثلاث آيات في شجرة الجنة التي أكل منها آدم، وقد وردت الشجرة في تحذيرهما منها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾

[البقرة:٣٥] فهي قريبة منهما حتى يتعرفاها، حتى لا يقول آدم وحواء إنه اختلطت عليهما بغيرها، فاستعمل ﴿هَٰذِهِ﴾ .

٢ـ لمّا جاء إبليس لغوايتهما قرّبهما منها إلى أنْ أوصلهما إليها ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠] فإذن هما قريبان، واستعمل هنا أيضاً ﴿هَٰذِهِ﴾ .

٣ـ لكن لمّا ذاقا الشجرة وبدت لهم سوءاتهما وأحسّا بها ارتكباه، والإنسان عندما يرتكب جرماً يهرب منه فابتعدا عنها، فقال تعالى:﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢] فاستعمل ﴿تِلْكُمَا﴾؛ لبعدهما أولاً؛ ثم للتهويل من شأنها.

السؤال السابع:

ما سبب تقديم وتأخير كلمة ﴿رَغَدًا﴾[البقرة:٣٥] في آيتي سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٣٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[البقرة:٥٨] ؟

الجواب:

١ـ العيش الرغد أو الأكل الرغد هو الهنيء الذي لا جهد معه. الآية الأولى الكلام مع آدم عليه السلام بالترخيص بسكن الجنة أولاً ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ثم بالأكل من الجنة ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة:٣٥] ثم بمطلق المكان ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥] .

٢ـ في الآية (٣٥) قدَّم ﴿رَغَدًا﴾ على مشيئة الأكل، بينما أخّر ﴿رَغَدًا﴾ على مشيئة الأكل في الآية (٥٨)؛ والسبب أنّ الآية الأولى في الجنة وكلها رغد؛ لذلك قدّمها، أمّا الآية الثانية فهي في الدنيا، والرغد فيها قليل فلذلك أخّرها .

ولو وضعهما موضعاً واحداً لكان المعنى أنهما متساويان في الرغد، وهذا بعيد؛ فليس من المعقول أنْ تتساوى الجنة والدنيا في الرغد .

السؤال الثامن:

ما التوجيه الإعرابي لكلمة ﴿رَغَدًا﴾[البقرة:٣٥] ؟

الجواب:

عندنا توجيهان من حيث الإعراب:

آ ـ بعض النحويين ابتكر مصطلح (نائب مفعول المطلق)؛ لأنّ أصل العبارة: وكلا منها أكلاً رغداً، أكلاً : مفعول مطلق، ورغداً: صفة للمفعول المطلق، فلما حُذِف المفعول المطلق وبقيت صفته قال : هذه نائب عن المفعول المطلق.

ب ـ ومنهم من قال: لا، هي صفة لموصوف محذوف، والموصوف مفعول مطلق. تستطيع أن تقول: هي صفة لمفعول مطلق محذوف، كأنك تبين أن غايتها وهدفها أنها تصف شيئاً أو تقول : إنها نائب لمفعول مطلق.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ﴾[البقرة:٣٦] ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ﴾ [البقرة:٣٧] ذكر (فأزلها) (فأخرجها) بالمثنى، ثم ذكر آدم عند التلقي بالمفرد دون حواء؛ فما دلالة هذا الاختلاف؟

الجواب:

هو نبيٌّ، والنبي هو الذي أُنزل عليه وليس زوجه، فهو النبي الذي يتلقى وليس زوجه، والتبليغ أصلاً كان لآدم: (يا آدم اسكن أنت وزوجك)، (وعلّم آدم الأسماء)، (اسجدوا لآدم)، الكلام كان مع آدم والسياق هكذا، فقال: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، وهذا ليس تحقيراً لحواء.

وكذلك في آيات سورة طه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾ [طه:١١٥] فلم يذكر حواء، و﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧)﴾ [طه:١١٧] لم يذكر حواء، و﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١)﴾ [طه:١٢١] لم يذكر حواء، السياق هكذا.

فتلقى آدم؛ لأنّ آدم هو المنوط به التواصل مع الله سبحانه وتعالى بالوحي.

السؤال الثاني:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧] **قرأها ابن عباس ﴿فتلقّى آدَمَ﴾** [البقرة:٣٧] **فما وجه الاختلاف؟**

الجواب:

هذه القراءة بالنصب: ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ [البقرة:٣٧] الكلمات فاعل. هذه القراءة التي هي بالنصب فيها تكريم لآدم؛ إذ تلقته الكلمات كما يُتلقى الساقط إلى الأرض لئلا يهلك، تلقته الكلمات ليتوب. لم يقل: (فتلقت آدم من ربه كلمات)؛ لأن ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ مؤنث مجازي، والمؤنث المجازي يجوز فيه التذكير والتأنيث.

ثم الأمر الآخر: هناك فاصل بين الفعل والفاعل؛ لأنّ وجود الفاصل يحسّن التذكير، حتى لو لم يكن الفاعل مؤنثاً مجازياً، أوحتى لو كان مؤنثاً حقيقياً، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ [الممتحنة:١٢] ما قال: إذا جاءتك، فكيف إذا كان المؤنث مجازياً ؟!!!! فقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ [البقرة:٣٧] تلقته الكلمات؛ لأنّ آدم سقط، ولأنّ المعصية سقوط فتلقته الكلمات لئلا يهلِك، ومسألة تقديم وتأخير المفعول به على الفاعل مسألة جائزة طالما أمن اللبس.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين استخدام الجمع والمثنى في الآيات ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦] و ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه:١٢٣] ؟

الجواب:

الذي يوضح قراءة الآيات، في البقرة كان الخطاب لآدم وزوجه ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)﴾ [البقرة: ٣٥ - ٣٦].

أما في طه فالخطاب لآدم ﴿لَا تَظْمَأُ﴾ [طه:١١٩]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾ [طه:١٢٠]، ﴿فَتَشْقَى﴾ [طه:١١٧]، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)﴾ [طه:١٢١].

فكان الكلام في طه ﴿اهْبِطَا﴾ [طه:١٢٣] لآدم وإبليس وحواء تابعة لآدم ، و ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة:٣٦] في البقرة أي آدم وحواء وإبليس.



﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)﴾

السؤال الأول:

أين جواب الشرط في هذه الآية؟

الجواب:

فإما يأتينكم : هي (إنْ وما) جمعتا معاً ، إنْ شرطية وما الزائدة بين أداة الشرط وفعل الشرط ، وجملة ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ هي جواب إنّ ، والفاء رابطة لجواب إنّ وجملة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:٣٨] فهي جواب لـ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة:٣٨] . أي :

من : اسم شرط في محل رفع مبتدأ.

تبع : فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو .

هداي : مفعول به ، والضمير مضاف إليه .

فلا : الفاء رابطة ، و(لا) حرف نفي .

خوف : مبتدأ مرفوع .

عليهم : جار ومجرور ، وشبه الجملة في محل رفع خبر ، والجملة في محل جزم جواب الشرط، والشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ "من".

السؤال الثاني:

قال في البقرة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة:٣٨] وقال في طه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه:١٢٣] فما الفرق ؟

الجواب:

يحتمل - والله أعلم - أنّ فعل (تبع) لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله ، بينما الفعل (اتبع) على وزن (افتعل) يشعر بتجديد الفعل .

وقصة آدم عليه السلام لبيان فعله فجيء بـ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾[البقرة:٣٨]، وأمّا في طه فقد جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥] و ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢١] فناسب ﴿ٱتَّبَعَ﴾[طه:١٢٣] أي: جدد قصد الاتباع .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآيات فى هذه الآية ؟

الجواب:

الآيات جمع آية، وهي الشيء الذي يدل على أمر من شأنه أنْ يخفى، ولذلك قيل لأعلام الطريق آيات؛ لأنها وضعت لإرشاد الناس إلى الطرق الخفية في الرمال، وسميت جُمَل القرآن آيات؛ لأنها ترشد الضالّ في متاهة الحياة إلى طريق الخير والفلاح.



﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

أغلب السور يضرب المثل بقصة موسى؛ فما دلالة هذا؟ وما اللمسة البيانية في تكرار قصة موسى؟

الجواب:

ليست قصة موسى عليه السلام هي القصة الوحيدة التي تتكرر في القرآن، لكن قصة موسى فيها تفاصيل كثيرة ، وأطيل فيها وذُكرت أكثر من القصص الأخرى؛ لأنّ تلك الأقوام بادت وهلكت ولم يبق منها أحد، أمّا بنو إسرائيل فباقون في زمن الرسول ﷺ ومستمرون إلى الآن ، وكان لهم مع الرسول ﷺ حوادث ومواقف وعداء، وهم إلى

الآن مستمرون على مواقفهم إلى ما قبل يوم القيامة، فإذن التكرار له دلالته؛ لأنهم سيبقون معكم إلى ما شاء الله وهم يحاربونكم ويفعلون ويمكرون، فذكر أفعالهم مع موسى وكيف آذوه، و لقد أوذي موسى عليه السلام كثيراً فصبر، وفي الحديث «**رحم الله أخي موسى، لقد أوذي أكثر من هذا فصبر**».

وذكر القرآن كثيراً من أحوالهم وأفعالهم، فلا نعجب أنْ يفعلوا مثل هذه الأشياء أو أكثر معنا حتى نتعظ ونعرف كيف كانوا يفعلون .

والقوم لا يزالون، وليس كبقية الأقوام الذين انقرضوا مثل قوم عاد وصالح ولوط؛ لأنّ اليهود بقوا وبقي كتابهم المحرف معهم وبقي لهم مواقف، وسيبقى لهم مواقف ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤]؛ ولذلك كان ذكرهم واستمرارهم باستمرار بقائهم ووجودهم.

السؤال الثاني:

هذه أول قصة تأتي بعد قصة خلق آدم عليه السلام؛ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

بعد أنْ قصّ الله علينا قصة خلق آدم، وموقف آدم منه وتجربته مع الشيطان في إحدى الجنات ثم نزوله إلى الأرض مسلحاً بمنهج الله ومحمياً بالتوبة بدأت مهمة آدم على الأرض.

بعد تلك القصة أراد الله سبحانه أنْ يعرض علينا موكب الرسالات وكيف استقبل بنو آدم منهج الله بالكفر والعصيان، فاختار جلّ جلاله قصة بني إسرائيل؛ لأنها أكثر القصص التي تتضمن معجزات ، وأنبياء بني إسرائيل من أكثر الأنبياء الذين

أُرسلوا لأمة واحدة، وليس معنى هذا أنهم مفضّلون، ولكن لأنهم كانوا أكثر الأمم عصياناً وآثاماً فكانوا أكثرها أنبياءً.

كانوا كلما خرجوا من معجزة انحرفوا، فتأتيهم معجزة أخرى فينحرفون ، وهكذا حَكَمَ الله عليهم لظلمهم أنْ يتفرقوا في الأرض ثم يتجمعوا مرة أخرى في مكان واحد ليذوقوا العذاب والنكال على معاصيهم وكفرهم.

ولذلك أخذت قصة بني إسرائيل ذلك الحجم الضخم في كتاب الله وفي تثبيت رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك أن موسى عليه السلام كان من أولي العزم من الرسل.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

إسرائيل مأخوذة من كلمتين (إسر) و (إيل)، والأولى في العبرية معناها: عبد مختار مصطفى، والثانية معناها: الله، فيكون معنى الكلمة (صفوة الله)، والاصطفاء هنا ليعقوب وليس لذريته، وقد ابتُلي يعقوب ابتلاء كثيراً استحق به أنْ يكون صفياً لله .

وإسرائيل هو يعقوب ابن إسحاق، وإسحاق بن إبراهيم، وإبراهيم أنجب إسحاق وإسماعيل، ورسولنا ﷺ من ذرية إسماعيل.

والله سبحانه عندما يخاطب بني إسرائيل يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] ولكنّ الله سبحانه حين يخاطب المسلمين لا يقول لهم: اذكروا نعمة

الله، وإنما يقول: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لأنّ بني إسرائيل ماديون ودنيويون ، فكأنّ الله يقول لهم: ما دمتم ماديين ودنيويين فاذكروا نعمة الله المادية عليكم .

ولكننا – نحن المسلمين – أمة غير مادية، والماديون يحبون النعمة، وغير الماديين يحبون المنعم ويعيشون في معيّته.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة:٤٠] اختار تعالى لفظ العهد لليهود ولم يقل: ﴿أوفوا وعدكم﴾ فهل لهذا من بُعدٍ آخر؟

الجواب:

هذا من لطائف القرآن خاطبهم الله تعالى باسم التوراة المعروف عندهم، أليست التوراة تسمى عندهم العهد؟ !!!

لذلك الكلمة مزدوجة الدلالة لأمرين: لأنها تأمرهم بالتزام أوامر الله وتأمرهم بالتزام وصايا الله تعالى المبثوثة في طيّات العهد القديم والتي فيها الإيمان بمحمد ﷺ .



﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الباء في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾؟

الجواب:

عندما تشتري أمراً ما من السوق تقول: اشتريت هذا بمئة درهم، فانظر إلى الباء في ﴿بمئة﴾ دخلت على ثمن السعر، وتكون الباء مع الذاهب، وهنا ﴿بِآيَاتِي﴾ [البقرة:٤١] أي: الآيات ذهبت .

وفي الآية ﴿تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ [البقرة:٤١] دخلت الباء على آياتي، لتعلمنا أنّ اليهود جعلوا آيات الله تعالى كدراهم واشتروا بها عرضاً من أعراض الدنيا لا قيمة له؛ لذلك جاء وصفه بـ﴿قَلِيلًا﴾ [البقرة:٤١] لأنهم بذلوا أنفس شيء واشتروا به حظاً قليلاً.

السؤال الثاني:

لماذا جاءت ثمناً قليلاً، مع أنها وردت في القرآن ﴿ثمناً﴾ وحدها ؟

الجواب:

الثمن هو العوض، والبخس دون قدر الشيء، أي: لا يناسب قدره.

الثمن القليل جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ فهو ثمن قليل.

وعندما يكون الكلام عن الآيات ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة:٤١] فأي ثمن يناسب آيات الله عز وجل؟ لا شيء، ومهما كان الثمن فهو قليل. ولا يفهم من قوله تعالى (ثمنا قليلا) أنه يمكن أنْ يشتروا بآياته ثمناً كثيراً ، كلا ، وإنما هو بيان بأنّ هذا الثمن الذي أخذتموه لا يقابل آيات الله، وهو قليل في حق الله سبحانه وتعالى، وكل ثمن يؤخذ مقابل ذلك فهو قليل مهما عظُم .

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤] أي أنّ هذا الذي اشتريتموه هو قليل وإنْ كان في نظركم كبيراً، وعندما يبيع الإنسان دينه بدنياه، يقول القرآن له: هذا الذي بعت به هو قليل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ لأنهم أكلوا ثمن شرائهم مقابل آيات الله سبحانه وتعالى، فسماه قليلاً مهما كان نوعه.

في القرآن الكريم وفي تسع آيات منه وصف الثمن بأنه قليل تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، وفي هذه الآيات التسع يتحدث القرآن الكريم عن الشراء بثمن قليل، وهو: إمّا أنْ ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك وما قبضوه قليل.

أمّا في قضية الوصية والشهادة فى سورة المائدة فتركه مجملاً ﴿ثَمَنٗا﴾ ليشمل كل الأشياء المادية والمعنوية وحتى لا يكون هناك نوع من التحايل.

ألا يمكن أنْ يتعاور الوصف بالبخس والقليل بعضهما مع بعض؟ يمكن إذا أُريد بالبخس ما هو ليس من قدر الشيء الذي بيع، و هذا لا يستقيم مع آيات الله؛ لأنه ليس هناك شيء بقدر الآيات لذلك لا يستقيم إلا القلّة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين القيمة والثمن ؟

الجواب:

١ـ القيمة هي المساوية لمقدار المثمّن من غير نقصان ولا زيادة .

٢ـ الثمن قد يكون كذلك أو زائداً ، والمُلْكُ لا يدل على الثمن، فكل ما له ثمن مملوك وليس كل مملوك له ثمن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٤١] .

وقال في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف:٢٠] فأدخل الباء في الثمن، قال الفراء : هذا لأنّ العروض كلها أنت مخير في إدخال الباء فيها، إنْ شئت قلت : اشتريت بالثوب كساء، وإنْ شئت قلت : اشتريت بالكساء ثوباً ، أيهما جعلته ثمناً لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن؛ لأنّ الدراهم أبداً ثمن.

السؤال الرابع:

إلى من يرجع الضمير ﴿بِهِۦ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الضمير (به) راجع إلى ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:٤١] ؛ لأنهم كانوا يعلمون من كتابهم صفة الرسول ﷺ وهم أول يهود خوطبوا بالإسلام ، وأول كافر به من أهل الكتاب .



﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

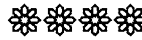
السؤال الأول:

لماذا يأتي الخطاب في الحديث عن الصلاة والزكاة في القرآن للمؤمنين، أمّا في الحج فيكون الخطاب للناس ؟

الجواب:

الصلاة والزكاة كان مأمورا بهما من تقدّم من أهل الديانات، كما جاء في قوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ [مريم:٥٤-٥٥] وكذلك في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾ [مريم:٣١] وفي الحديث عن بني إسرائيل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ [البقرة:٤٣].

أمّا الحج فهو عبادة خاصة للمسلمين، وعندما يكون الخطاب دعوة للناس إلى الحج فكأنها هي دعوة لدخول الناس في الإسلام، أمّا إذا كانت دعوة الناس للصلاة والزكاة فهم أصلاً يفعلونها في عباداتهم. والله أعلم.



﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الخشوع والخضوع ؟

الجواب:

الخضوع قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: خضع إلا تجوزاً.

وأمّا الخشوع فهو من أفعال القلوب، ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظر آيات: الإسراء [١٠٩] البقرة [٤٥] الأنبياء [٩٠] آل عمران [١٩٩] الحديد [١٦] الغاشية [٢].

السؤال الثاني:

ما سبب اختلاف الفاصلة فى الآيتين ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] ؟

الجواب:

آ ـ في الآية الأولى تقدم ذكر الصلاة والمطالبة بها، حيث قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣] إذن ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥] .

ب ـ في الآية الثانية ختمها بالصبر؛ لأنّ السياق في الصبر، فبعد أنْ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣] قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ البقرة:١٥٤-١٥٥-١٥٦] فالسياق مع الصبر، فختمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣]، أمّا في الآية الأولى فالسياق في الصلاة فقال: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥] .

السؤال الثالث :

ما دلالة ورود الأمر بالصلاة بين آيات خطاب بني إسرائيل أو آيات الجهاد أو آيات الطلاق في سورة البقرة ؟

الجواب :

وردت آيات الحث على الصلاة في سورة البقرة ثلاث مرات :

آ ـ الآية ٤٥ بين آيات خطاب بني إسرائيل .

ب ـ الآية ١٥٣ بين آيات تبديل القبلة والجهاد.

ج ـ الآية ٢٣٨ بين آيات الأحوال الشخصية بين آيتي (٢٣٧:٢٤٠).

فلماذا ؟

الحق سبحانه أراد أنْ ينبهنا إلى وحدة التكاليف الإيمانية، وحيث إنّ آيات الأحوال الشخصية هي إمّا في شقاق اختياري بالطلاق، وإما افتراق قدري بالوفاة، فإن الله تعالى أراد أنْ يُدخل الإنسان في العملية التعبدية التي تصله بالله الذي شرّع الطلاق والصلاة وقدَّر الوفاة.

واختيار الصلاة دون سائر العبادات له معنى واحد، وهو أنه لن تقوم للإنسان علاقة بالله تعالى إلا عن طريق الصلاة؛ لأنّ:

١ـ الصلاة تعلم الانضباط، ومنها يتعلم الانضباط في حياته الزوجية.

٢ـ أمر الله بالمحافظة على الصلاة، والذي يحافظ عليها يحافظ على زوجته وعلى الوقت ، ولا تشغله المشكلات العائلية فيتهاون في أداء الصلاة.

٣ـ الصلاة بركة تملأ المكان والجسد، والله يريد للزوجين أنْ تعمهما بركة الصلاة.

٤ـ الصلاة صلة بين العبد وربه، وعقدة الزواج علاقة بين الله تعالى والزوج والزوجة.

٥ـ الصلاة فيها خشوع، والله لا يريد الزوج أنْ يتكبر على زوجته.

٦ـ الصلاة فيها خضوع لله، والله يريد من الزوجة أنْ تخضع لزوجها بالحق.

٧ـ الصلاة فيها استغفار، والله يريد لكل من الزوجين أنْ يغفر للآخر.

٨ـ المشكلات بين الزوجين قد تؤدي إلى أنْ يحيف أحدهما على الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ فأمرهم الله بالصلاة ليرتدعوا؛ ولئلا يبغي بعضهم على بعض.

فالصلاة هي عمود الدين وفيها كل شيء، وحياة زوجية بلا صلاة لا خير فيها، والذي لا يصلي لا يؤتمن على زوجته وعائلته وأولاده، إضافة إلى وضعه الخطر في الدين بين الكفر لجاحدها وبين الفسق للمتكاسل عنها، وبين العقاب للساهي عنها ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون:٤-٥] .

فترك الصلاة عاقبته وخيمة وأمره خطير جداً، والرسول ﷺ لن يشفع يوم القيامة لتارك الصلاة وإنما سيشفع لمن استحق الشفاعة . اللهم اجعلنا منهم اللهم آمين.



﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٤٦] في الآية ؟

الجواب:

عندما يجزم شخص بأمرٍ وهو ليس له وجود فهذا هو الجهل، والجاهل شر من الأمي؛ لأنّ الأمي لا يعلم، ومتى علم فإنه يؤمن .

فإذا كانت القضية غير مجزوم بها ومتساوية في النفي والوجود، فإنّ ذلك يكون شكاً، فإنْ رجحت إحدى الكفتين على الأخرى يكون ذلك ظناً .

والله سبحانه يقول في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٤٦] ولم يقل: الذين تيقنوا أنهم ملاقوا ربهم ، فلماذا؟

الجواب: إن مجرد الظن أنك ملاقٍ الله سبحانه وتعالى كافٍ أنْ يجعلك تلتزم بالمنهج، فما بالك إذا كنت متيقناً !!.

ومثال ذلك: هب أنك سائر في طريق وجاء شخص يخبرك أنّ هذا الطريق فيه لصوص، فمجرد هذا الكلام يجعلك لا تمشي في هذا الطريق إلا إذا كنت مسلحاً أو معك أشخاص آخرون ، فأنت تفعل ذلك للاحتياط ، إذن فمجرد الظن دفعنا للاحتياط .

وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٤٦] فمجرد رجحان القضية يكفي لاتباع منهج الله، فتقي نفسك من عذاب عظيم .

يقول الشاعر المعري في آخر حياته:

زعم المنجّم والطبيب كلاهمـــا ... لا تحشر الأجساد قلت إليكمـا

إنْ صح قولكما فلست بخاســر ... أو صح قولي فالخسار عليـكما

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة:٤٦] فالرجوع إلى الله تعالى أمر يقيني، فما دمت قد جئت للدنيا مخلوقاً من الله، فأنت لا محالة سترجع إليه ، وهذا اليوم يجب أنْ نحتاط له حيطة كبرى لأنه يوم عظيم؛ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزَّمل:١٧] .

إذا كان هذا حالنا يوم القيامة فكيف لا يكفي مجرد الظن لأنْ نتمسك بمنهج الله تعالى ونحن نحتاط لأمور دنيوية لا تساوي شيئاً بالنسبة لأهوال يوم القيامة .

إنّ مجرد الظن هنا بأننا سنلاقي الله تعالى يكفي لأنْ نعمل له ألف حساب.



﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تفضيل بني إسرائيل في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] هؤلاء أتباع موسى عليه السلام في زمانه قبل مجيء عيسى عليه السلام ، وأتباع كل نبي مفضّلون على العالمين في زمانهم قبل أنْ يأتي النبي الآخِر محمد ﷺ، وليس معنى العالمين كل الأمم إلى قيام الساعة .

ولذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] يعني على عالمي زمانكم؛ وذلك لأنّ الشخص الذي سيوجد بعدهم ليس بموجود ولم يدخل بعد في العالمين،

فمثلا سيدنا محمد ﷺ وهو أفضل الخلق على الإطلاق لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، ولو كان موجوداً لَفَضَلَهم بالتأكيد.

٢ـ لاشك أنّ المقصود منهم هم المؤمنون؛ لأنّ عصاتهم مسخوا قردة وخنازير.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النِّعمة والنَّعمة في القرآن ؟

الجواب:

آ ـ النِّعمة : - بكسر النون- هي المنة وما يُنعِم به الرجل على صاحبه.

ب ـ وأما النَّعمة: - بفتح النون- فهو ما يُتنَعَّم به في العيش ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان:٢٧].

ج ـ أنعُم : هي جمع قِلَّةٍ لنعمةٍ ، كقوله تعالى ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [النحل:١٢١] ونِعَمٌ جمع كثرة، كقوله تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨] .

السؤال الثالث:

ما النعم التي ذكرها الله في القرآن وأنعمها على بني إسرائيل ؟

الجواب:

ذكر القرآن الكريم بعض النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، وعدَّ منها عشرة :

آ ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة:٤٩].

ب ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة:٥٠].

ج ـ ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾ [البقرة:٥١].

د ـ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣].

هـ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤].

و ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة:٥٦].

ز ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧].

ح ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة:٥٨] نعمة؛ لمحو الذنوب بدخول الباب سجداً.

ط ـ ﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:٦٠].

ي ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة:٦٣].

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف في الشفاعة والعدل بين آيتي سورة البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] و ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة:١٢٣] ؟

الجواب:

العدل معناه: ما يعادل الجُرم الذي هو الفدية.

وإيصال هذا المال أو المبلغ لمستحقه في حال قيام الإنسان بجريمة أو ما شابه لأهل المرتكب عليه الجريمة أو الشخص نفسه، هذا الإيصال له أسلوبان:

١ـ الأول أنْ يرسل وفدَ صُلحٍ وشفاعة حتى يقبلوا ما يقدِّمه لهم فيبدؤوا أولاً بإرسال الوفد ثم يذهب بالفدية أو المقابل.

٢ـ والصورة الأخرى أنْ يذهب ابتداء فيقدم ما عنده، فإذا رفض يذهب ويأتي بوسطاء يشفعون له.

والآيتان كل واحدة منهما نظرت إلى صورة، فنفى الصورتين عن القبول فيما يتعلق بالأمم التي آمنت قبل اليهود بشكل خاص حتى يؤمنوا بالله تعالى ورسوله محمد وبكتابه:

آ ـ الآية الأولى ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] هذه الصورة الأولى تقدمون الشفاعة، و الشفاعة لا تقبل، والفدية لا تؤخذ.

ب ـ الآية ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة:١٢٣] هذه الصورة الثانية.

والجمع بين الآيتين على بُعد ما بينهما أنه كل آية نظرت في صورة ، فالأولى نظرت في صورة والثانية نظرت في صورة ، ومع ذلك انتفت كلتا الصورتين، وهذا يعني أنه لا يمكن أنْ يقبل منكم إلا أنْ تتبعوا هذا النبي الكريم محمداً ﷺ، وبدون ذلك لا تقدموا الشفاعة ابتداء ولا تأتوا بالشفاعة لأنَّ هذا كله لا يُقبل ، والذي يقبل منكم هو الإيمان بالرسول محمد عليه السلام والقرآن الكريم .

وكأنّ ذلك نوع من التيئيس؛ لأنّ الإنسان إذا ارتكب جرماً إمّا أن يذهب بالعدل ،أي: المال المقابل للجرم إلى القبيلة، فإذا رُفِض يذهب ويأتي بالشفعاء، أو العكس يأتي بالشفعاء أولاً حتى يقبلوا العدل منه.

والقرآن الكريم يأَّس بني إسرائيل من الحالتين: لا يقبل منكم عدل ابتداء وبعده شفاعة، ولا شفاعة ابتداء ثم يأتي العدل بعد ذلك ، ولا ينفعكم إلا أنْ تتبعوا محمداً ﷺ.

ملخص الجواب للشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى :

١ـ المعنى العام :

بشكل عام الخطاب للكفار والآية نازلة فيهم ، أمّا المؤمنون فلهم الشفاعة رزقنا الله تعالى إياها وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة .

والعربي الذي يقع في كريهة يحاول أعوانه الدفاع عنه بمقتضى الحمية، فإنْ لم يستطيعوا حاولوا بالملاينة بدل المخاشنة، فإنْ لم تغن عنه الحالتان لم يبق عنده إلا فداء الشيء بالمال، فإنْ تعذر ذلك تعلل بما يرجوه من شفاعة الأخلاء والإخوان .

ومن كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة.

فأخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغني شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الآخرة.

٢ـ المعاني اللغوية :

آـ ﴿يَوْمًا﴾ [البقرة:٤٨] : هو يوم القيامة وهو بذاته لا يُتَّقى فلا بد منه، وإنما المقصود اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والعقاب.

ب ـ الشفاعة: ضم غيره إلى وسيلته، والشفع ضد الوتر؛ لأنّ الشفيع ينضم إلى الطالب في تحصيل ما يطلب فيصبح شفعاً بعد أنْ كان وتراً .

ج ـ العَدل : هو الفدية، وأصله ما يساوي الشيء قيمة وقدراً وإنْ لم يكن من جنسه.

والعِدل والعديل : هو المِثْلُ أو هو المساوي للشيءِ في الجنسِ والجرمِ، تقول : عندي عِدلُ شاتِكَ أو عِدلُ غلامِكَ إذا كان شاة تعدل شاة، وغلاماً يعدل غلاماً ، فإن أردت قيمَتَه من غير جنسه فتحتَ العَين.

والعَدلُ ضِدُّ الجورِ، والعديلُ الذي يعادِلُك في القدر والوزن.

د ـ (ولا هم ينصرون) : أي ليس لهم من يمنعهم وينجّيهم من عذاب الله.

هـ ـ جزى : بمعنى قضى، وقضاء الحقوق يوم القيامة إنما يقع في الحسنات.

٣ـ سؤال :

هل الفائدة من قوله تعالى ﴿لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨] هي نفس الفائدة من قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] ؟

جواب :

معنى القسم الأول من الآية ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة:٤٨] **أنه لا يتحمل** عنه غيره ما يلزمه من الجزاء ، وأمّا النصرة فهي أنْ يحاول تخليصه من حكم المعاقِب.

٤ـ سؤال :

قدّم المولى عز وجل (الشفاعة) على (العدل) في الآية (٤٨)، بينما قدّم (العدل) على (الشفاعة) في الآية (١٢٣)، فما الحكمة من التقديم والتأخير؟

جواب :

آ ـ الآيتان المذكورتان في نفس السورة، وهما :

الآية الأولى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾ [البقرة:٤٨].

الآية الثانية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)﴾ [البقرة:١٢٣].

الملاحظ أنّ صدر الآيتين واحدٌ وعجزهما مختلف أي :

الآية الأولى	﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾	﴿شَفَاعَةٌ﴾	﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾	﴿عَدْلٌ﴾
الآية الثانية	﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾	﴿عَدْلٌ﴾	﴿وَلَا تَنفَعُهَا﴾	﴿شَفَاعَةٌ﴾

ب ـ الآيتان [٤٨] و[١٢٣] سبق كلٌ منهما نفس الآية أي أنّ الآية [٤٧] و [١٢٢] هي نفسها؛ وبيان ذلك: قال تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)﴾ [البقرة:٤٧].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢)﴾ [البقرة:١٢٢].

والمقصود بـ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: على عالمي زمانكم ، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لأنّ النعمة اندرج تحتها التفضيل المذكور على عالمي زمانهم بما أعطوا من الملك والرسل والكتب في زمانهم ؛ فإن لكل زمان عالماً .

ج ـ والحق أن أمة الرسول ﷺ هي أفضل منهم؛ لأنّ الله أشهد بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ وأشهد المسلمين فضل نفسه؛ قال تعالى:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:٥٨] وشتان مَن مشهوده فضل ربه، ومن مشهوده فضل نفسه .

قال رسول الله ﷺ : «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**» .

والله يقول : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فالحمد لله الذي فضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً.

د ـ سياق الآيات التي قبلها :

لقد سبق الآية ٤٨ الآيات من [٤٠:٤٨] وهي قوله تعالى :

ـ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨] .

وهذه الآيات تؤكد كمال غفلة بني إسرائيل عن القيام بحقوق النعم التي أنعم الله عليهم بها وليربط بها بعده من الوعيد الشديد بالترغيب والترهيب ، فذكّرهم بنعمه أولاً ثم عطف على تحذيرهم من طول نقمه بهم يوم القيامة إنْ لم يؤمنوا برسوله ﷺ ويتابعوه على ما بعثه به ، فإنه لا تنفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً، كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤] .

أمّا الآية الآية[١٢٢] المذكورة سابقا؛ ففيها تكرير التذكير لبني إسرائيل وحثهم على اتباع الرسول الأمي ﷺ الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه، وأنْ لا يحملهم الحسد للعرب على مخالفته وتكذيبه .

هـ ـ نعود الآن إلى أصل السؤال :

١ـ نلاحظ في قوله تعالى ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ [البقرة:٤٨] أي: هناك نفسان نفس جازية، والثانية مجزي عنها .

٢ـ ففي الآية [٤٨] المعنى العام لها أنه سيأتي إنسان صالح ـ حتى تقبل شفاعته عند الله ـ فيقول: يا رب أنا سأشفع لفلان أو أقضي حق فلان .

فنفس الإنسان الصالح جازية والأخرى مجزي عنها، لكن لا تقبل شفاعته؛ لأنه يشفع لكافر وبالتالي لا يؤخذ منه عدل، أي: فدية، ولا يسمح بأي مساومة أخرى .

ففي هذه الآية بدأ عجزها بالشفاعة، وهي تعود على النفس الأولى في الآية .

٣ـ أما الآية الثانية [١٢٣] فيتحدث الله تبارك وتعالى عن النفس المجزي عنها قبل أنْ تستشفع بغيرها وتطلب منه أنْ يشفع لها، بعد أنْ يكون قد ضاق بالكافر الحيل وهذا اعتراف بعجزه فيقول يارب : ماذا أفعل حتى أكّفر عن ذنوبي، فلا يقبل منه ، كما في قوله تعالى في سورة السجدة الآية [١٢]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة:١٢] فيكون رد الحق سبحانه كما في الآية [١٤] ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:١٤] .

فهم عرضوا على ربهم أن يكّفروا عن سيئاتهم بأنْ يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً فلم يقبل الله منهم هذا العرض، وكما في قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف:٥٣] حيث خرج الاستفهام إلى النفي، أي: ما لنا من شفعاء .

وجاء بـ (قد) والفعل الماضي ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟﴾ لتأكيد النتيجة النهائية، وهي الخسران.

لذلك هنا النفس المجزي عنها هي التي تطلب التكفير والفداء فبدأ عجزها بـ﴿عَدْلٌ﴾ .

٤ـ الملخص:

النفس الأولى: الجازية يناسبها الآية الأولى؛ لأنها بدأت بطلب الشفاعة ،أمّا النفس الثانية: المجزي عنها، فيناسبها الآية الثانية؛ لأنها بدأت بتقديـم الفداء .

٥ـ والمعنى العام للآيتين أنّ الله تعالى لا يقبل ممن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحداً من عذابه منقذ ولا يخلّص منه أحد ولا يجير منه أحد ، وصار الحكم إلى الجبار

العدل الذي لا ينفع لديه للكافرين الشفعاء والنصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وكما قال تعالى في القران الكريم :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة:١٦١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة:٣٦].

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:١٥].

﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ﴾ [الأنعام:٧٠].

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق:١٠] .

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر:٢٥-٢٦] .

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات:٢٥-٢٦].

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف:٢٨] .

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة:١٢] .

السؤال الثاني:

ماذا عن تذكير وتأنيث لفظة ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة [٤٨] قوله تعالى ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[البقرة:٤٨].

آ ـ ذكّر الفعل ﴿يُقْبَلُ﴾ مع الشفاعة؛ لأنّ الشفاعة هنا لمن سيشفع، أي: للشافع وهو مذكر .

ب ـ الشفاعة ليست مؤنثة حتى تكون الشفاعة مطلقة .

ج ـ إذا فصلت بين المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي يجوز التذكير والتأنيث، تقول : ذهب إلى الجامعة فاطمة، وذهبت إلى الجامعة فاطمة، هكذا إذا كان هناك فصل، لكنْ : ذهبت فاطمة لا يجوز غير هذا: ذهبت فاطمة.

د ـ أمّا المؤنث المجازي، فتقول: طلعت الشمس، وطلع الشمس، ابتداء فهذا مؤنث مجازي .

٢ـ في آية البقرة[١٢٣] أنّث الفعل، فقال: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣] ؛لأنّ المقصود هي الشفاعة نفسها وليس الكلام عن الشفيع .

٣ـ في آيات يس ٢٣ قوله تعالى ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [يس:٢٣] والنجم [٢٦] قوله تعالى:﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾[النجم:٢٦] أنّث الفعل؛ لأنّ المقصود هي الشفاعة نفسها.

السؤال الثالث:

قال تعالى فى سورة لقمان: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣] وفي البقرة قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨] . فما الفرق بين الوالد والولد والنفس؟

الجواب:

١ـ لا ننسى أنه في سورة لقمان ذكر الوالدين والوصية بهما ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] والسورة تحمل اسم لقمان ﴿وَالِدٌ﴾ وهي مأخوذة من موقف لقمان وموعظته لابنه وكيف أوصاه، ووصية ربنا بالوالدين ، وقد وردت ضمن وصية لقمان لابنه، إذن هذه أنسب أولاً مع اسم السورة ومع ما ورد في السورة من الإحسان إلى الوالدين والبر بهما ومصاحبتهما في الدنيا معروفاً .

٢ـ في البقرة لم يذكر هذا، وإنما جاءت كلمة (نفس) عامة تقع على الروح وعلى الذات .

٣ـ وذكر الوالد والولد في آية لقمان مناسب لما ورد في السورة من الإحسان إلى الوالدين والبر، مع ملاحظة أن قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] خاص بالدنيا، بينما في هذه الآية ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾[لقمان:٣٣] الأمر متعلق بالآخرة الآخرة، لذلك يتبين أنّ المصاحبة بالمعروف والإحسان إليهما وما وصّى به في السورة لا يمتد إلى الآخرة، وأنّ هذه المصاحبة ستنقطع في الدنيا، وهي ليست في أمور الآخرة .

إذن هذه مناسبة لقطع أطماع الوالدين المشركين في الحصول على نفع ولدهما إن كان مؤمنا أو دفعه شيئا عنهما في الآخرة، إضافة إلى أنها مناسبة لما ورد في السورة من ذكر الوالدين والأمر بالمصاحبة لهما ونحوه.

السؤال الرابع:

ما دلالة حذف العائد المقدر (فيه) مع الآيات عندما يستعمل الفعل (يجزي) كما في آية البقرة[٤٨] ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾[البقرة:٤٨] وآية لقمان ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾

[لقمان:٣٣] وآية البقرة [١٢٣] ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ [البقرة:٤٨] بينما ذُكرت (فيه) مع آيات أخرى، كما في آية البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١] وآية النور ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧] فما الفرق ؟

الجواب:

آ ـ جملة الصفة عادة يكون فيها عائد أي (ضمير) يعود على الموصوف قد يكون مذكوراً وقد يكون مقدّراً، وهنا مقدر، أي: أن النحاة يقدرون : لا يجزي فيه، هذا من حيث التقدير، وهو جائز الذكر وجائز التقدير؛لأنه ذكرها في مواطن أخرى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] فالأمران جائزان، وقد ذكرا في مواطن.

ب ـ يبقى لماذا اختار عدم الذكر؟ والجواب أنّ الحذف عادة يفيد الإطلاق عموماً، فعندما تقول : فلان يسمعك أو فلان يسمع، (يسمع) أعم، يقول الحق أو يقول، (يقول): أعم، يعطي المال أو يعطي، يعطي أعمّ. وعدم ذكر المتعلقات يفيد الإطلاق، إذن هو الآن أظهر التعبير بمظهر الإطلاق ولم يذكر (فيه)؛ لأنه أظهره بمظهر الإطلاق.

ج ـ يبقى السؤال لماذا لم يذكر هنا و ذكر في مواطن أخرى؟

والجواب: لو (جزى فيه) والد عن ولده ، أي لو دفع (في) يوم القيامة هل هذا الجزاء يختص بهذا اليوم أو بما بعده؟ والجواب: هو بذلك اليوم.

ولو (جزى) والد عن ولده بدون(فيه) لو جزى عنه يعني لو قضى عنه ما عليه، هذا الجزاء سيكون الجنة ، والجزاء ليس في ذلك الوقت وإنما أثر الجزاء سيمتد، أي أنّ

الجزاء سيكون في هذا اليوم ولكنّ الأثر هو باق، ولذلك حيث قال:﴿ لَّا تَجْزِى ﴾ لم يقل : ﴿فِيهِ﴾ في كل القرآن.

شواهد قرآنية بدون (فيه):

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[البقرة:٤٨] ما قال (فيه).

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [البقرة:١٢٣] ما قال (فيه).

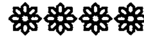
شواهد قرآنية مع (فيه):

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١] أي تُوَفَّى في ذلك اليوم ؛ فإمّا يذهب للجنة وإمّا إلى النار.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧] في ذلك اليوم وبعدها ليس فيه تقلب؛ لأنه يذهب للجنة، وذِكر (فيه) خصصها باليوم فقط .

ولّما قال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾[البقرة:٢٨١] هذا في يوم القيامة وليس مستمراً يومياً، والذي في الجنة تُوَفَّى عمله والذي في النار تُوَفَّى عمله، والتَّوفِّي هو في يوم القيامة وأثر التَّوفيةِ إمّا يذهب إلى الجنة وإمّا إلى النار، وتقلُّبُ القلوب والأبصار هو في يوم القيامة ثم يذهب أصحاب الجنة إلى الجنة وأصحاب النارإلى النار، ولا يعود هناك تقلب قلوب ولا أبصار.

ولو جزى والدٌ عن ولده لكان أثر الجزاء ليس خاصاً في ذلك اليوم، وإنما يمتد إلى الخلود إلى الأبد، ولذلك لم يذكر (فيه) وأخرجه مخرج الإطلاق، لذلك حيث قال: (لا تجزي) ولم يقل (فيه) يكون لنفي المتعلق وإطلاق الأمر.



﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿آلِ﴾ في الآية، وليس أهل؟

الجواب:

الآل : هم الأهل والأقراب والعشيرة، وكلمة (آل) لا تضاف إلا لشيء له شأن وشرف دنيوي ممن يعقل، فلا تستطيع مثلاً أن تقول: آل الجاني، بل تقول: أهل الجاني.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة:٤٩] و ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم:٦] ؟ أي لماذا ذكر (الواو) في آية ابراهيم ؟

الجواب:

في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾ [البقرة:٤٩] وفي سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم:٦] .

١ـ في البقرة جعل سوء العذاب هو تذبيح الأبناء، أي: ﴿بَدَل﴾ لأنّ السؤال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩]، ما هو سوء العذاب؟ والجواب ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩]، هذه بدل من (يسومونكم)، وهذه الجملة بدل لما قبلها فسّرتها ووضحتها، والبدل يكون في الأسماء والأفعال وفي الجُمَل.

٢ـ وأمّا في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم:٦] وهنا ذكرالله أمرين : سوء العذاب بالتذبيح وبغير التذبيح، وكان التعذيب لهم بالتذبيح وغير التذبيح باتخاذهم عبيداً وعمالاً وخدماً وبالإهانات أيضاً، وموسى عليه السلام يذكِّرهم هنا بنعم الله عليهم ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٢٠] فيذكر لهم أموراً.

و الواو عاطفة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم:٦] وربما يقول قائل: إنّ السياق واحد والتعبير مختلف، فلماذا؟ والجواب أنّ هذا لا يوحي بملاحظة أو علامة استفهام أمام هذا التغير، حتى في واقع الحياة أنت أحياناً تذكر لشخص أموراً ولا تذكر أموراً أخرى، يعني تذكر أموراً لا تحب أنْ تشرحها كثيراً وفي موقف آخر تقولها، والآيات تتكامل مع بعضها وتضيف إطاراً آخر حتى تكتمل .

السؤال الثالث:

قال تعالى في البقرة [٤٩] :﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة:٤٩] وفي آية الأعراف [١٤١] ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف:١٤١] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام، القتل أعم من الذبح، والقصة في الأعراف مبنية على العموم والتفصيل، بينما في البقرة لم تذكر إلا هذه الآية، فناسب لفظ التقتيل في الأعراف دون البقرة.

٢ـ ذكر القرآن قول فرعون في الأعراف: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الأعراف:١٢٧] وقال في الآية[١٤١]: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] وهو المناسب فقد فعل ما قاله وهدّد به.

٣ـ في آية البقرة جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة:٤٩] هنا بدلاً من يسومونكم، بدل فعل من فعل، وخصّ الذبح بالذكر لعظم وقعه عند الأبوين؛ ولأنه أشد على النفوس.

٤ـ القصة في الأعراف فصّلت في ذكر الحوادث قبل موسى وبعده، وذكرت فتنة فرعون لبني إسرائيل وذكرت مجيء موسى إلى فرعون وتبليغه بالدعوة. وذكرت موقف فرعون من السحرة وتهديد فرعون لبني إسرائيل بالقتل والإذلال والإيذاء، حتى قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:١٢٩] وذكرت الآيات التي حلت بفرعون وقومه فناسب العموم في الأعراف العمومَ في اللفظ وهو التقتيل، فقال تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ لأنّ القتل أعم من الذبح.

٥ـ كما أنه لم يرد في البقرة ذكر لهارون عليه السلام، بخلاف سورة الأعراف حيث ورد فيها ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف:١٢٢] وحيث إنّ ذكر موسى وهارون أعم من ذكر موسى وحده فناسب العموم للعموم، وناسب ذلك ذكر التقتيل؛ لأنّ القتل أعم من الذبح . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ربنا تعالى قال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٤٩] وفي إبراهيم قال على لسان سيدنا موسى: ﴿إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [إبراهيم:٦] أنجاكم ولم يقل هنا: نجّاكم. فلماذا ؟

الجواب:

هناك فرق بين الصيغتين فعّل وأفعل : (فعّل) فيها تمهل وتلبّث، بينما (أفعل) فوقتها أسرع و أقصر وأقل، لذلك (نجّى) يفيد التمهل والتلبّث والبقاء، مثل علّم وأعلم، لأنّ (علّم) تحتاج إلى وقت، أمّا (أعلم) فهو إخبار.

و موسى عليه السلام يعدد النعم عليهم فقال : ﴿أَنجَاكُم﴾ [إبراهيم:٦] فأنهى الموضوع بسرعة ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة:٥٠] لأنهم لم يمكثوا في البحر طويلاً فقال: أنجيناكم، وحتى في إبراهيم عليه السلام قال: ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت:٢٤] ولم يقل : (نجّاه) ؛ لأنه لم يلبث كثيراً في النار.

السؤال الخامس:

قال تعالى في هذه الآية: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] فما الفرق بين الأبناء والأولاد؟

الجواب:

آ ـ الأبناء، أي: الذكور جمع ابن، وهي للذكور، مثل قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩].

ب ـ أما الأولاد فجمع ولد، وهي عامة للذكور والإناث ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء:١١] الذكر والأنثى ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾ [البقرة:٢٣٣] والإرضاع للذكور والإناث.



﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة (اليمّ) ٨ مرات في قصة موسى، ووردت لفظة (البحر) ٨ مرات في القصة نفسها، ووردت لفظة (البحرين) مرة واحدة؟

الجواب:

١ـ القرآن الكريم يستعمل اليم والبحر في موقفين متشابهين، كما في قصة موسى عليه السلام؛ فمرة يستعمل اليم ومرة يستعمل البحر في القصة نفسها .

٢ـ اليمّ كما يقول أهل اللغة المحدثون : إنها عبرانية وسريانية وأكادية، وهي في العبرانية (يمّا) وفي الأكادية (يمو). (اليمّ) وردت كلها في قصة موسى ولم ترد في موطن آخر ، ومن التناسب اللطيف أنْ ترد في قصة العبرانيين وهي كلمة عبرانية.

واليم يستعمل للماء الكثير، وإنْ كان نهراً كبيراً واسعاً فيستعمل اليم أو البحر .

٣ـ لكن من الملاحظ أنّ القرآن لم يستعمل (اليم) إلا في مقام الخوف والعقوبة، ولم يستعمل اليم في مقام النجاة.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧] هذا خوف، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف:١٣٦]، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] هذه عقوبة.

٤ـ أمّا (البحر) فعامة، وقد يستعمله في مقام النجاة أو العقوبة، واستعمل كلمة (البحر) في النِّعم لبني إسرائيل وغيرهم،وفي نجاة بني إسرائيل ولم يستعمل (اليم).

واستعمل (البحر) في النجاة والإغراق ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٥٠].

واستعملها في الإغراق والإنجاء ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي: أنجيناهم .

٥ـ اللغة تفرق بين البحر والنهر واليم: النهر أصغر من البحر، والقرآن أطلق اليم على الماء الكثير، ويشتق من اليم ما لم يشتقه من البحر (ميموم) أي: غريق؛ لذلك تناسب الغرق، والعرب لا تجمع كلمة (يم) فهي مفردة ، وقالوا: لم يسمع لها جمع ولا يقاس لها جمع، وإنما جمعت كلمة بحر (أبحر وبحار) وهذا من خصوصية القرآن في الاستعمال، كونها خاصة بالخوف والعقوبة .

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة [٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة:٥١] وآية الأعراف [١٤٢] ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢] ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١] وقال في سورة الأعراف: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف:١٤٢] آية فيها إجمال وآية فيها تفصيل .

لكن لماذا الإجمال في موضع والتفصيل في موضع آخر؟ لو عدنا إلى سياق سورة البقرة نجد أنه ورد فيها هذه الآية فقط في هذا المجال، بينما في المشهد نفسه في سورة الأعراف فيه تفصيل كبير من قوله تعالى:

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف:١٤٢] إلى قوله ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥] فالكلام طويل والقصة والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف، ولم تذكر في البقرة؛ لأنّ المسألة في البقرة فيها إيجاز،

فناسب التفصيل في سورة الأعراف والإيجاز في سورة البقرة، لذا جاء في الأعراف أنّ موسى عليه السلام صام ثلاثين يوماً ثم أفطر فقال تعالى: صم، فصام عشرة أيام أخرى، أمّا في سورة البقرة فجاءت على سبيل الإجمال (أربعين يوماً).

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [البقرة:٥١] في الآية ؟ ولماذا لم يقل مثلاً: (بعده)؟

الجواب:

آية البقرة في بني إسرائيل وتعداد نعم الله عليهم وعصيانهم مع ظهور الآيات، وهم بعد أنْ أغرق آل فرعون اتخذوا العجل بلا مدة فاصلة، فجاء بمن فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [البقرة:٥١] ولم يقل: (بعده)؛ لأنها تفيد الزمن الطويل والقصير، بينما ﴿من﴾ تفيد الابتداء، أي: فعلوا ذلك مباشرة بعد إنقاذهم من البحر .

وكذلك الأمر في الآية التالية رقم [٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة:٥٢] فجاء بـ(من بعد) للدلالة على أنّ عفو الله جاءهم مباشرة بعد اتخاذهم العجل، والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما دلالة لفظة ﴿وَٰعَدۡنَا﴾ [البقرة:٥١] في الآية ؟

الجواب:

الوعد هو الإخبار بشيء سارّ، والوعيد هو الإخبار بشيء سيء.

السؤال الرابع:

لماذا استعمل لفظة ﴿لَيۡلَةً﴾ [البقرة:٥١] في الآية ؟

الجواب:

وَعْدُ اللهِ تعالى لموسى عليه السلام كان لإعطائه المنهج لإبلاغ بني إسرائيل.

وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائماً بالليلة، والسبب أنك تستطيع أنْ تحدد الزمن بمجرد أنْ تنظر إلى القمر فتقول: هذا القمر هلالا أو بدرا أو أول الشهر. أمّا قرص الشمس في النهار فلا يحدد لك في أي وقت من الشهر نحن .

والبدوي في الصحراء يستطيع أنْ يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالي فيقول لك مثلاً : هذا القمر ابن كذا ليلة.



﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله الفرقان في هذه الآية ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣] ولم يذكره في سورة القصص ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص:٤٣]

ما الفرق بين الكتاب والفرقان؟ ولماذا؟

الجواب:

١ـ الكتاب هو التوراة، والفرقان هي المعجزات التي أوتيها موسى كالعصا، والمعجزات الأخرى؛ وهي تسع آيات ، والفرقان هو الذي يفرّق بين الحق والباطل.

٢ـ لكنّ السؤال: لماذا قال في الأولى: (الكتاب والفرقان)، وفي الثانية قال: (الكتاب) فقط؟

والجواب أنّ السياق هو الذي يحدد.

فالآية الأولى جاءت في سياق الكلام عن بني إسرائيل ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]، من الذي شاهد الفرقان؟ شاهده بنو إسرائيل وفرعون الذين كانوا حاضرين ، لكنّ الناس الآخرين لم يشاهدوا هذا الشيء ، فلمّا تكلم مع بني إسرائيل خصوصاً كان الخطاب لهم وهم الذين شاهدوا قال: ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ وقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝٥٣﴾ [البقرة:٥٣].

وأمّا الثانية فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص:٤٣] .

فلمّا قال: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص:٤٣] لم يقل: الفرقان؛ لأنهم لم يشاهدوا هذا الشيء ، بل قال: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [القصص:٤٣] لأنّ الفرقان ذهب وبقي الكتاب والكتاب بصائر للناس. والله أعلم.

السؤال الثاني:

جاء في الآية ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [القصص:٤٣] وجاء في آية آل عمران [١٨٦] ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:١٨٦] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في هذا الباب ما نراه في القرآن الكريم في ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فإنه على العموم إذا كان المقام مقام مدح وثناء أظهر الله ذاته ونسب إتيان الكتاب إلى نفسه، فيقول: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وإذا كان المقام مقام تقريع وذم، قال: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ .

شواهد قرآنية في إسناد الإيتاء إلى نفسه في مقام المدح والثناء :

البقرة [٥٣،١٢١، ١٤٦] الجاثية [١٦] الأنعام [١١٤] الرعد [٣٦] القصص [٥٢] العنكبوت [٤٧] النساء [٥٤].

شواهد قرآنية في مقام الذم يبني فعل الإيتاء للمجهول : البقرة [١٠١، ١٤٤، ١٤٥] آل عمران [١٩، ٢٣، ١٠٠،١٨٦، ١٨٧] النساء [٤٤، ٤٧، ٥١] المائدة [٥٧] التوبة [٢٩] الحديد [١٦].



﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الفاءين في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾ ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الفاء الأولى للسبب؛ لأنّ طلب التوبة سببه الظلم، والفاء الثانية للتعقيب؛ لأنّ القتل من تمام التوبة، والمعنى : فأتبعوا التوبة القتل .

السؤال الثاني:

ما النفحات الفكرية والإضاءات البيانية في الآية ؟

الجواب:

١ـ أوحى الله إلى موسى عليه السلام أنّ شرط توبتهم قتل النفس، كما أنّ القاتل عمداً لا تتم توبته إلا بتسليم نفسه حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلوه.

٢ـ قوله ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤] أي: توبة بعيدة عن الرياء نابعة من القلب وهو مطّلعٌ على ضمائركم ، ولو كانت توبتكم على غير ذلك فقد تبتم إلى الناس، وذلك مما لا فائدة فيه؛ لأنكم أذنبتم إلى الله فوجب أنْ تتوبوا إلى الله بارئكم.

٣ـ أمر الله غير أولئك التائبين بقتل أولئك التائبين، فيكون المعنى من قوله: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤] أي: استسلموا للقتل، وهو المعنى الأقرب، وقيل المعنى: ليقتل بعضكم بعضاً.

٤ـ قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]؛ لأنّ حالتهم كانت دائرة بين ضرر الدنيا وهو متناهٍ ، وضرر الآخرة وهو غير متناه؛ ولأنّ الموت لا بدّ منه فليس في تحمل القتل إلا التقديم والتأخير، وأمّا الخلاص من العقاب والفوز بالثواب فذاك هو الغرض الأعظم.

٥ـ قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة:٥٤] إمّا من قول موسى عليه السلام كأنه قال : إن فعلتم فقد تاب عليكم، وإمّا أن يكون خطاباً من الله لهم على طريق الالتفات بتقدير : ففعلتم ما أمركم موسى فتاب عليكم بارئكم .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال هنا : ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾[البقرة:٥٦] ، وقال في آية البقرة: ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة:١٠٩] بينما لم يذكر ﴿من﴾ في آية آل عمران ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٠] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

بشكل عام (مِن) للابتداء .

١ـ آيات البقرة [٥٥ – ٥٦] معناها أنّ الله لم يتركهم مدة طويلة ميتين .

٢ـ في آية البقرة [١٠٩] ذكر الله أنّ كثيراً من الكفار يتمنون لو أنهم ردوا المسلمين من بعد الإيمان كافرين أي بلا مهلة ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ فهم يتمنون الإسراع في تكفيرهم، وأنْ ينقلوهم فوراً من حالة الإيمان إلى حالة الكفر.

بينما آية آل عمران ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران:١٠٠] ففيها تحذير للمسلمين من إطاعة الكافرين؛ لأنهم ينفثون فيهم أوهامهم وضلالهم شيئاً فشيئاً حتى يردوهم مع مرور الزمن كافرين، وليس معناه أنهم ينقلونهم فوراً من الإيمان إلى الكفر.

لذلك الأولى مقام تمنٍّ، والثانية مقام تحذير.

والله أعلم.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قدّم المفعول به، وهو ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة:٥٧] على الفعل، وهو ﴿يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] فما دلالة هذا التقديم ؟

الجواب:

إنّ في تقديم المفعول به على فعله تأكيداً وتنويهاً:

آ ـ فيه تأكيد على أنّ حالهم كحال الجاهل بنفسه، فالجاهل يفعل بنفسه ما يفعله العدو بعدوّه .

ب ـ وفيه تنويه لك أيها المسلم أنّ الخروج من طاعة الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً فيه ظلم، ولكنه ظلمٌ لنفسك قبل ظلمك لغيرك.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] وفي آل عمران : ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧] بدون (كانوا) ؟

الجواب:

في العموم عندما يتكلم القرآن عن الحال، أي: الوقت الحالي وليس الزمن الماضي يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ و عندما يتكلم عن الأقوام البائدة القديمة الماضية يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] .

انظر كذلك الآيات : العنكبوت [٤٠] التوبة [٧٠] الأعراف [١٦٠]



﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

المطلوب إجراء مقارنة بين قصة موسى في آيات البقرة (٥٨ـ٦٠) والقصة نفسها في آيات سورة الأعراف (١٥٩ـ ١٦٢) ؟

الجواب:

١ـ مقدمــــة :

سياق آيات سورة البقرة هو في تعداد النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، بينما مقام آيات سورة الأعراف هو في مقام تقريع وتأنيب لما فعله بنو إسرائيل بعد أنْ أنجاهم الله من البحر وأغرق فرعون .

وإليك أهم الفروق التعبيرية بين السورتين :

	سورة البقـــــرة	سورة الأعراف
١ـ	﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾
٢ـ	﴿ٱدْخُلُواْ﴾	﴿ٱسْكُنُواْ﴾
٣ـ	﴿فَكُلُواْ﴾	﴿وَكُلُواْ﴾
٤ـ	﴿رَغَدًا﴾	-
٥ـ	﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾	﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾
٦ـ	﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾	﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾
٧ـ	﴿وَسَنَزِيدُ﴾	﴿سَنَزِيدُ﴾
٨ـ	﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾	﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾
٩ـ	﴿فَأَنزَلْنَا﴾	﴿فَأَرْسَلْنَا﴾
١٠ـ	﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾	﴿عَلَيْهِمْ﴾
١١ـ	﴿يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾	﴿يَظْلِمُونَ ۝١٦٢﴾
١٢ـ	﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾	﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾
١٣ـ	﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب﴾	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب﴾
١٤ـ	﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾	﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾

١٥-	﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾	-

فما سر هذا الاختلاف ؟

البيان هو حسب التسلسل المذكور أعلاه :

١ـ قال في البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة:٣٤] وفي الأعراف ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ [الأعراف:١٦١] ببناء الفعل للمجهول ، والقرآن الكريم يسند الفعل إلى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم ومقام الخير العام والتفضل، بخلاف الشر والسوء، فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيهاً له عن فعل الشر وإرادة السوء.

شواهد قرآنيةعلى ذكر نفسه تعالى :

المائدة [٣]، النساء [٧٢، ٦٩] الإسراء [٨٣] الفاتحة [٧] الزخرف [٥٩] الشعراء [٧٨، ٨٠] الجن [١٠] الكهف [٧٩، ٨٢] الحجرات [٧] الصافات [٦] الملك [٥] الحجر [١٦].

شواهد قرآنية على عدم ذكر نفسه تعالى :

البقرة [٢١٢] الرعد [٣٣] الأنعام [١٢٢] فاطر [٨] غافر [٣٧] التوبة [٣٧] الفتح [١٢].

ملاحظات :

ـ قد تجد ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل:٤] ولكن لا تجد (زينا لهم سوء أعمالهم)؛ لأنّ الله لا ينسب لنفسه السوء.

ـ تجد ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٢١] في مقام المدح والثناء، وتجد ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٠١] في مقام الذم والتقريع.

ـ تجد ﴿أَوْرَثْنَا﴾ [فاطر:٣٢] في مقام المدح، وتجد ﴿أُورِثُوا۟﴾ [الشورى:١٤] في مقام الذم.

شواهد قرآنية على ﴿ءَاتَيْنَا﴾ :

البقرة [٥٣] الجاثية [١٦] البقرة [١٢١، ١٤٦] الأنعام [٢٠]الأنعام [١١٤][٨٩] الرعد[٣٦] القصص[٥٣] العنكبوت [٤٧] النساء [٥٤].

شواهد قرآنية على ﴿أُوتُوا۟﴾:

البقرة [١٠١، ١٤٥] ـ آل عمران [١٩، ٢٣، ١٠٠، ١٨٧] النساء [٤٤، ٤٧، ٥١] المائدة [٥٧] التوبة [٢٩] الحديد [١٦].

شواهد قرآنية على ﴿أَوْرَثْنَا﴾:

فاطر [٣٢] غافر [٥٣]

شواهد قرآنية على ﴿أُورِثُوا۟﴾:

الشورى [١٤] ، الجمعة [٥] .

وليس معنى هذا أنّ الله سبحانه لا ينسب إلى نفسه عقوبة، بل إنه يفعل ذلك لأنه من الخير العام ، ولكنه لا ينسب إلى نفسه سوءاً، فإنه من أكبر الخير أنْ يهلك الطغاة الظالمين ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم:١٣] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [فاطر:٢٦] .

٢ و٣ ـ قال في البقرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟﴾ [البقرة:٥٨] وقال في الأعراف : ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟﴾ [الأعراف:١٦١].

في البقرة المطلوب الدخول ثم الأكل مباشرة ﴿فَكُلُوا﴾ [البقرة:٥٨] بالفاء.

بينما المطلوب في الأعراف : السكن والاستقرار ثم الأكل ﴿وَكُلُوا﴾ بالواو.

والدخول غير السكن؛ لأنّ السكن لا يكون إلا بعد الدخول، فجعل الطعام في البقرة مهيأ قبل السكن والاستقرار، وفي الأعراف مع السكن بلا تعقيب فقد يطول الزمن وقد يقصر، فكان الموقف في البقرة أكرم وأفضل .

٤ـ قال في البقرة : ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة:٣٥] ولم يقل ذلك في الأعراف تناسباً لتعداد النعم في البقرة ، مع ملاحظة أن كلمة ﴿رَغَدًا﴾ تكررت مرتين في سورة البقرة مع قصتي آدم وموسى عليهما السلام؛ لأنّ جو البقرة جو تكريم لآدم وتكريم لذريته من بني إسرائيل، ولم تذكر الكلمة في الأعراف في القصتين؛ لأنّ جو السورة جو عقوبات وتأنيب.

ثم انظر كيف قدّم ﴿رَغَدًا﴾ في الجنة وأخّرها في الدنيا، فقال في الجنة: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة:٣٥] وقال في الدنيا : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:٥٨]؛ لأنّ الرغد في الدنيا قليل.

٥ ـ في البقرة قدّم السجود على القول ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] وذلك لسببين :

آ ـ السجود أشرف من القول .

ب ـ السياق يقتضي ذلك، فقد جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة، ﴿البقرة ٤٣ - ٤٧﴾ فناسب تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع ، وكلا الأمرين مرفوع في سورة الأعراف فأخّر السجود.

٦ ـ في البقرة قال: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٥٨] بجمع الكثرة وهو مناسب لمقام تعداد النعم ، وقال في الأعراف : ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [الأعراف:١٦١] بجمع القلة وهو مناسب لمقام التقريع والتأنيب.

٧ـ قال في البقرة: ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ [البقرة:٥٨] فجاء بالواو الدالة على الاهتمام والتنويع ولم يجيء بها في سورة الأعراف.

٨ـ الفرق بين قوله تعالى في الأعراف: ﴿أَنزَلْنَا﴾ وبين قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ :أنّ الإنزال لا يشعر بالكثرة، والإرسال يشعر بها، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل ثم جعله كثيراً، والسبب أنّ سياق آيات سورة البقرة هو في تعداد النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل، بينما مقام آيات سورة الأعراف هو مقام تقريع وتأنيب لما فعله بنو إسرائيل.

٩ـ قال في الأعراف: ﴿يَظْلِمُونَ﴾ وفي البقرة: ﴿يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ والظلم أشد من الفسق، فقد يظلم الإنسان نفسه وقد يظلم غيره، ولكنّ الفاسق هو الذي يظلم نفسه بخروجه عن طاعة الله وليس شرطاً أنْ يظلم غيره، وجاء في الحديث القدسي «**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا**» . والله أعلم.

تتمة النقاط وتفصيلات أخرى تجدها في :

السؤال الثاني:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة:٦٠] في سورة البقرة ٦٠، و﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾[الأعراف:١٦٠] في سورة الأعراف آية ١٦٠ في قصة موسى عليه السلام؟

الجواب:

١ـ جاء في سورة البقرة ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:٦٠].

وجاء في سورة الأعراف ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[الأعراف:١٦٠].

والسؤال ماذا حدث فعلاً هل انفجرت أو انبجست؟ والجواب كلاهما، وحسب ما يقوله المفسرون: إنها انفجرت أولاً بالماء الكثير، ثم قلّ الماء بمعاصيهم.

في سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير، فجاءت كلمة ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾[البقرة:٦٠]، أمّا في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الانبجاس وهو أقلّ من الانفجار، وهذا أمرٌ مشاهد فالعيون والآبار لا تبقى على حالة واحدة، فقد تجفّ العيون والآبار، فذكر الانفجار في موطن والانبجاس في موطن آخر، وكلا المشهدين حصل بالفعل.

٢ـ سياق الآيات في البقرة هو في التكريم لبني إسرائيل، فذكر أموراً كثيرة في مقام التفضيل والتكرّم والتفضّل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: ٤٩، ٥٠] و ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] .

أمّا السياق في الأعراف فهو في ذكر ذنوبهم ومعاصيهم، والمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨] والفاء ﴿فَأَتَوْا۟﴾ [الأعراف:١٣٨] هنا تفيد المباشرة، أي: بمجرد أنْ أنجاهم الله تعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام فسألوا موسى أنْ يجعل لهم إلهاً مثل هؤلاء القوم.

٣ـ قوم موسى استسقوه، فأوحى إليه ربه بضرب الحجر ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ [البقرة:٦٠] وفيها تكريم لنبيّ الله موسى عليه السلام واستجابة الله لدعائه. والإيحاء أنّ الضرب المباشر كان من الله تعالى، وفي الأعراف موسى عليه السلام هو الذي استسقى لقومه ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ [الأعراف:١٦٠].

٤ـ قال في البقرة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة:٦٠] والشرب يحتاج إلى ماء أكثر، لذا انفجر الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء الكثير، بينما قال في

الأعراف: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ﴾[الأعراف:١٦٠] لم يذكر الشرب فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقلّ ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾[الأعراف:١٦٠] .

٥ـ في البقرة جعل الأكل عقب الدخول، وهذا من مقام النعمة والتكريم ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ﴾ [البقرة:٥٨] والفاء تفيد الترتيب والتعقيب، بينما في الأعراف لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة، وإنما أمرهم بالسكن أولاً ثم الأكل ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ﴾[الأعراف:١٦١] .

٦ـ ﴿رَغَدٗا﴾ تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد العيش كما يدلّ سياق الآيات، وفي الأعراف لم يذكر (رغداً)؛ لأنهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم .

٧ـ في البقرة قال: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة:٥٨] بُدئ به في مقام التكريم وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة:٤٣] والسجود هو من أشرف العبادات، بينما قال في الأعراف:﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [الأعراف:١٦١] لم يبدأ بالسجود هنا؛ لأنّ السجود من أقرب ما يكون العبد لربه ، وهم في السياق هنا مبعدون عن ربهم لمعاصيهم .

٨ـ قال في البقرة: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ [البقرة:٥٨] (الخطايا) جمع كثرة، وإذا غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات قطعاً، وهذا يتناسب مع مقام التكريم الذي جاء في السورة، بينما قال في الأعراف: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ﴾[الأعراف:١٦١] وخطيئات جمع قلّة، وجاء هنا في مقام التأنيب، وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذّم في السورة .

٩- ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ ﴾ [البقرة:٥٨] إضافة الواو هنا تدل على الاهتمام والتنويع، ولذلك تأتي الواو في موطن التفضّل وذكر النعم، وفي الأعراف ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٦١﴾ [الأعراف:١٦١] لم ترد الواو هنا؛ لأنّ المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضّل.

١٠- في البقرة قال: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩] وفي الأعراف ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٢] هم بعض ممن جاء ذكرهم في أول الآيات.

١١- في البقرة قال:﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[البقرة:٥٩] وفي الأعراف قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ [الأعراف:١٦٢] (أرسلنا) في العقوبة أشدّ من (أنزلنا)، وقد تردد الإرسال في السورة ٣٠ مرة، أما في البقرة فتكرر ١٧ مرة .

١٢- في البقرة قال: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة:٥٩] وفي الأعراف ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ۝١٦٢﴾ [الأعراف:١٦٢] والظلم أشدّ؛ لأنه يتعلّق بالنفس وبالغير.

لذلك ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة:٦٠] جاءت هنا في مقام التكريم والتفضّل، وهي دلالة على أنّ الماء بدأ بالانفجار بالماء الشديد فجاء بحالة الكثرة مع التنعيم، وجاءت ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف:١٦٠] في مقام التقريع؛ قلّ الماء بمعاصيهم، فناسب ذكر حالة قلّة الماء مع تقريعهم .

وخروج الماء كان كثيراً في البداية لكنه قلّ بسبب معاصيهم، وليس هذا تعارضاً كما يظن بعضهم، لكن ذكر الحالة بحسب الموقف الذي هم فيه، فلمّا كان فيهم صلاح قال: انفجرت، ولمّا كثرت معاصيهم قال: انبجست.

١٣- في الآية ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة:٦٠] موسى ضرب الحجر، لكنه لم يقل (فضرب) إذن الكلام فيه حذف، وهو مفهوم ولكن لم يذكره .

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ [البقرة:٦٠] ولم يقل (وإذ استسقى موسى ربّه) ؟ أليس موسى أحد أفراد القوم ؟

الجواب:

في هذا السؤال دلالة على عناية الله تعالى بعباده الصالحين، فهذا الدعاء والاستسقاء يدلك على أنّ موسى عليه السلام لم يصبه العطش؛ لأنّ الله تعالى وقاه الجوع والظمأ، كما قال رسولنا محمد ﷺ : «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**».

وانظر كيف كان الاستسقاء لموسى عليه السلام وحده دون قومه، فلم يقل ربنا سبحانه وتعالى : (وإذا استسقى موسى وقومه ربهم)، وذلك ليظهر لنا ربنا كرامة موسىٍ عليه السلام وحده، ولئلا يظن القوم أنّ الله تعالى أجاب دعاءهم.

السؤال الرابع:

ما نوع الفاء في كلمة ﴿فَقُلْنَا﴾ [البقرة:٦٠] في الآية ؟

الجواب:

الفاء هي الفاء الفصيحة، وهي الفاء التي تبين وتفصح عن :

١ - محذوف وتدل على ما نشأ عنه ،مثل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البقرة:٦٠] وتقدير الكلام (... فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) .

٢ـ أو تفصح عن جواب شرط محذوف، مثل قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ﴾ [يوسف:٣٢] و تقدير الكلام : إنْ كنتن لا تدرين فذلكن الذى لمتنني فيه .

٣ـ الفاء الفصيحة لا محل لها من الإعراب .

ولمزيد من التفصيل انظر آية الأنعام ١٥٣.



﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بمصر في الآية ؟

الجواب:

كلمة (مصراً) منونة، يعني أي: مدينة من المدن، وليست مصر المعروفة؛ لأنّ هذه الثانية تكون ممنوعة من الصرف ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [يوسف:٢١]، وإذا

صرفت تكون أي مدينة، فقوله تعالى : ﴿مِصْرًا﴾ [البقرة:٦١] أي أي بلدة؛ لأنّ ما طلبوه ليس هنا في الصحراء وإنما في أي مدينة.

السؤال الثاني:

كلمة (ضرب) تكررت في القرآن كثيراً بمعانٍ مختلفة، فكم معنى لها في اللغة؟

الجواب:

الضرب كثير في اللغة، وهو في اللغة: إيقاع شيء على شيء، والضرب مختلف في اللغة، وهذا يسمى (مشترك لفظي) أي: كلمة تتعدد معانيها بتعدد سياقها .

ومن ذلك :

- الضرب باليد والعصا.
- ضرب الدراهم، أي سكّها .
- الضرب في الأرض، أي: سار أو تاجر ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء:١٠١] تجارة أو ابتغاء الرزق .
- ضرب على يد فلان: إذا حجر عليه ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] مثل الخيمة، ضرب على يده : إذا تبايعا وتعاقدا على البيع.
- المنع من السمع ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف:١١] .
- ضرب المثل: يعني بيّنه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس:٧٨].
- بمعنى الإهمال ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥] يعني : نهملكم .
- ضرب الوتد : يعني دقّه .

ـ ضرب ابنه : يعني ربّاه.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] لِمَ لم يقل ربنا سبحانه وتعالى (أصابتهم الذلة والمسكنة) ؟ أليست هذه الصيغة تؤدي معنى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)؟

الجواب:

تخيل قوماً أقاموا في مكان ما فضربت عليهم قُبّة، كيف تشاهد هذه الصورة؟ إنك تتخيل أفراداً ماكثين تحت قُبّة بحيث تحوطهم من كل جانب وتظلّهم، وكذلك هذه الآية فقد شبّه الله تعالى الذلة والمسكنة بالقبة التي أحاطت أهلها فلازموها ولم يغادروها، فكانت الذلة والمسكنة بيتهم الذي لايغادرونه ولا يحولون عنه، والمسكنة هي الفقر، وأُخِذ هذا المعنى من السكون؛ لأنّ الفقر يقلل حركة صاحبه ويجعله يؤثِر السكون.

السؤال الرابع:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١] في سورة البقرة وقوله : ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢] في سورة آل عمران؟ ما دلالة الاختلاف بين (النبيين والأنبياء) وبين (بغير حق وبغير الحق) ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ

مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة:٦١].

وقال في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران:٢١] و ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران:١١٢] .

أولاً : (النبيين ـ أنبياء) :

١ـ جمع المذكر السالم بشكل عام يفيد القلة، نحو : نبيون .

٢ـ جمع تكسير يفيد الكثرة، نحو : أنبياء .

لذلك من حيث اللغة الأنبياء أكثر من النبيين من حيث العدد؛ لأنّ الأنبياء جمع تكسير وهو من جموع الكثرة، و(النبيين) جمع مذكر سالم وهو من جموع القلة.

ثانياً : بغير حق ، بغير الحق .

١ـ كلمة (الحق) معرّفة تعني الحق الذي يدعو للقتل، وهو معلوم (النفس بالنفس) فهناك أمور يستحق بها القتل.

٢ـ (بغير حق) نكرة، فهي تعني لا حق يدعو إلى القتل ولا إلى غيره، فإذا أراد تعالى أنْ يبيّن لنا العدوان يذكر (بغير حق).

٣ـ فعندما يقول: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١١٢] هذا أعظم وأكبر جرماً من ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:٢١] ؛ لأنّ الأنبياء أعم وأشمل ، وكلمة ﴿حق﴾ من دون أي داعٍ؛ فهذا أكبر جرماً .

بينما ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١] النبيون أقل، و(الحق): الحق الذي يدعو إلى القتل .

ثالثاً ـ السياق :

نلاحظ في مقام الذم والكلام عن بني إسرائيل أن القرآن يقول: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١١٢] ؛لأنها أكثر وأعظم من : يقتلون النبيين بغير الحق.

في القرآن الكريم عندما يذكر معاصي بني إسرائيل يذكر (الأنبياء) لكثرة معاصيهم.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ عبّر تعالى في هذه الآية بـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة:٦٢] ولم يقل اليهود؟

الجواب:

في هذا التعبير إشارة إلى أنهم ليسوا اليهود، وإنما هم الذين انتسبوا إلى اليهود ولم يكونوا من سبط يهوذا أكبر أولاد يعقوب عليه السلام.

والنصارى جمع (نصرى)، نسبة إلى الناصرة، وهي قرية نشأت فيها مريم عليها السلام أم المسيح، وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة البيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم، ولذا سمي عيسى: يسوع الناصري، ومن ثَمَّ أُطلق على أتباعه اسم: النصارى.

السؤال الثاني:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين آية ٦٢ في سورة البقرة، وآية ٦٩ في سورة المائدة وآية الحج ١٧ ؟ ولماذا : (الصابئين) و(الصابئون) ؟

الجواب:

جاء ذكر كلمة (الصابئين) في القرآن في ثلاث آيات، لكن بصور مختلفة :

السورة	اللفظ	البيان
البقرة	﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	العطف بالنصب وضع عادي
المائدة	﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	قدّم الصابئون ورفعها وأخّر النصارى.
الحج	﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	قدّم الصابئون ونصبها وأخّر النصارى

السؤال : لماذا في آية المائدة (٦٩) قدّم (الصابئون) ورفعها وأخّر النصارى؟

الجواب:

١ـ رفع (الصابئون) على غير إرادة التوكيد، ولو أراد التوكيد لنصبها ، وذلك لأنّ الصابئين هم أبعد المذكورين عن الإيمان، أي: أقلهم منزلة فقلّل التوكيد لهم؛ أي: أنّ الله جعل موازنة في آية المائدة فقدّم الصابئين ولم يؤكدهم ولم يعطهم الأولوية ليكون مقامهم كما في آية سورة البقرة مؤخرين على من ذُكر معهم ، وأخّر النصارى وأكّدهم، بينما في سورة البقرة قدّم النصارى وأكّدهم وأخّر الصابئين ، لكنْ جعلهم ملحوقين بالنصارى.

٢ـ التقديم كان لمقتضى السياق وليس التقديم للأفضل، والسياق في سورة المائدة هو ذم عقائد النصارى وأنهم كفروا بالله وجعلوا له شركاء، فأخّر النصارى لتقترب الكلمة من متابعة ذم عقائد النصارى، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة:٧٢-٧٣] .

لذلك رفع (الصابئون) للدلالة على أنهم أبعد المذكورين في الضلال؛ ولأنهم أقل منزلة، وأخّر النصارى لمتابعة السياق في ذم عقائدهم .

وكلمة (الصابئون) تعرب مبتدأ، وقد تكون اعتراضية وخبرها محذوف بمعنى : والصابئون كذلك.

٣ـ الدليل على أنّ التقديم ليس من الضروري أنْ يكون للتفضيل قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج:٤٠] ، فالمساجد هي أفضل المذكور في الآية لكن أحيانا يُقدم ما هو أقل تفضيلاً؛ لأنّ سياق الآية يقتضي ذلك، وكذلك نرى في ذكر موسى وهارون في القرآن أحيانا يُقدم موسى على هارون وأحيانا يُقدم هارون على موسى بحسب سياق الآيات .

٤ ـ هناك فرق بين نهايتي آيتي البقرة والمائدة، علماً أنّ المذكورين في الآيتين واحد:

نهاية آية البقرة ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البقرة:٦٢].

نهاية آية المائدة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة:٦٩] .

فلماذا جاء في البقرة ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة:٦٢]ـ ولم تأتِ في المائدة ؟

والجواب:

آـ في سورة المائدة السياق في ذم عقائد اليهود والنصارى ذم مسهب، أمّا في البقرة فالكلام عن اليهود فقط وليس النصارى، أي أنّ سورة المائدة تكلمت عن اليهود أكثر مما جاء في سورة البقرة، حتى أنّ القرآن لم يذكر في البقرة العقوبات التي ذكرها في المائدة، انظر آيات المائدة [٦٠،٦٥] وسياق الغضب في المائدة على معتقدات النصارى أشد، فاقتضى السياق أنْ يكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون أقل غضباً أي

في آية البقرة. مع ملاحظة أن جوَّ الرحمة ومفردات الرحمة وتوزيعها في سورة البقرة أكثر مما جاء في سورة المائدة، ولم تُجمع القردة والخنازير إلا في سورة المائدة.

ب ـ وردت الرحمة ومشتقاتها في سورة البقرة (١٩) مرة، بينما وردت في المائدة (٥) مرات؛ لذا اقتضى التفضيل بزيادة الرحمة في البقرة، والأجر يكون على قدر العمل للذين آمنوا من أهل الكتاب قبل تحريفه وهم مؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً.

ج ـ ورد في سورة المائدة ذكرحوالي (١٠) أنواع من العمل الصالح، ومنها : الوفاء بالعقود ـ الوضوء ـ الزكاة ـ الأمرَ بطاعة الله ورسوله ـ الإحسان ـ التعاون على البر والتقوى ـ إقام الصلاة ـ الجهاد في سبيل الله ـ استباق الخيرات .

بينما ورد في سورة البقرة أكثر من (٣٠) نوعاً من أنواع الخير، وتشمل كل ما ذُكر في المائدة عدا الوضوء إضافة إلى [الحج والعمرة ـ الصيام ـ الإنفاق ـ العكوف في المساجد ـ بر الوالدين ـ الهجرة في سبيل الله ـ إيفاء الدين ـ الإصلاح بين الناس وغيرها كثير]؛ لذا اقتضى كل هذا العمل في البقرة أنْ يكون الأجر أكبر﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٦٢] .

د ـ لم ترد الآية ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] بهذا الشكل إلا في سورة البقرة ، وترددت مفردات الجزء الأول منها في البقرة أكثر من المائدة حسبما يلي:

هـ ـ ترددت مفردات ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٦٢] في كل سورة حسب التالي:

(الفاء) في البقرة (٢٦٠) مرة، وفي المائدة (١٨٠) مرة.

﴿لَهُمْ﴾ في البقرة (٢٩) مرة، وفي المائدة (١٥) مرة.

﴿أَجْرُهُمْ﴾ في البقرة (٥) مرة، وفي المائدة (١) مرة واحدة.

﴿عِندَ﴾ في البقرة (١٩) مرة، وفي المائدة (١) مرة واحدة.

﴿رَبِّهِمْ﴾ في البقرة (١٠) مرة، وفي المائدة (٢) مرتان.

سؤال :

آية الحج رقم [١٧] قال فيها سبحانه : ﴿وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ فنصب الصابئين وقدمهم على النصارى ، فلماذا ؟

جواب :

١ـ السياق في سورة الحج موقف قضاء، والله سبحانه وتعالى لا يفرّق بين المتخاصمين ما داموا في طور الفصل ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨] فالمتخاصمون جميعهم سواء أمام القاضي حتى على المستوى اللغوي.

شواهد قرآنية :

قال تعالى في نهاية آية الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج:١٧] .

وقال في سورة السجدة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥] .

والفرق بين الآيتين أنه قال في الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ وقال في السجدة : ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ [السجدة:٢٥] وزاد ﴿هُوَ﴾ [السجدة:٢٥] بخلاف آية الحج ، فلماذا ؟

آ ـ في سورة الحج الله سبحانه وتعالى جعل الذين آمنوا من جملة المتخاصمين فلم يقل: (ربك) حتى لا ينحاز للمؤمنين، وعلى مبدأ العدل والتساوي في طور الفصل، فجاء بالاسم الأعم وهو (الله).

أمّا آية السجدة فجاء قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٣-٢٤] فليس فيهم جماعة من جماعة المؤمنين فقال : (إن ربك)، والله أعلم.

ب ـ في آية الحج لم يأت بـ(هو) وجاء بها في سورة السجدة؛ لأنّ خاتمة آية السجدة ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥] وخاتمة آية الحج ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧]؛ لأنّ الاختلاف هو مظنة الفصل، لذا جاء بـ (هو) في آية السجدة، ولا يوجد اختلاف في آية سورة الحج .

ج ـ وكذلك السمة اللفظية؛ فقد وردت كلمة (ربك) في سورة الحج (٣) مرات وفي السجدة (١٠) مرات.

ووردت كلمة (الله) (٧٦) مرة في سورة الحج، وفي السجدة جاءت مرة واحدة، فناسب أنْ يأتي بكلمة (ربك) في سورة السجدة وكلمة (الله) في سورة الحج، والله أعلم .

٢ـ آية البقرة رقم [٦٢] :

جاءت كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بالنصب والعطف على اسم إن باللفظ، وجاءت في الوضع العادي بعد اليهود والنصارى ، فالتسلسل هو المناسب تاريخياً .

والمعنى العام للآية: أنّ من آمن وعمل صالحا من كل هذه الفرق في زمانه أو زمان رسوله الخاص فله أجره، وهذا ما قبل بعثة الرسول محمد ﷺ، أمّا بعد بعثته فلا بدّ من الإيمان به والتصديق بدعوته، ولا يصح إيمان الفرق السابقة بعد بعثة الرسول الكريم ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥] .

وفي الآية دعوة للجميع للدخول في الإسلام، وذكر الذين آمنوا بمعنيين :

آ ـ الذين آمنوا بدين أنبيائهم وفي زمانهم آنذاك، وهؤلاء مطالبون بالدخول في الإسلام إنْ كانوا لا يزالون أحياء على زمن الرسول محمد ﷺ.

ب ـ غيرهم، فالجميع حتى المسلمون مطالبون بالدخول في الإسلام، والآية تعطي تساويا للجميع في طلب الدخول في دين الإسلام، وحتى يشعر اليهود الذين يظنون أنهم شعب الله المختار أنه طالما طُلِبَ من المسلمين أنْ يدخلوا في الإيمان بدين النبي محمد ﷺ، فمن الأولى أنْ نطالب نحن بذلك أيضاً ، والله أعلم.

٣ـ نهاية آية البقرة وآية المائدة واحدة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨] [المائدة:٦٩] وهي تفيد ما يلي :

آـ الفاء ليست للعطف وإنما هي جواب شرط.

ب ـ نفى الخوف بالصيغة الاسمية، ونفى الحزن بالصيغة الفعلية ، وخصص الحزن بالضمير (ولا هم) وعطف بـ﴿هُمْ﴾ على الجملة الاسمية؛ لأنها أفصح وأثبت.

ولا يصح أنْ يقال: (لا يخافون) فالخوف شيء طبيعي موجود عند الإنسان ، فالمعنى أنه لا يُخشى عليه خطر، فقد يكونون خائفين لكنّ الأمان من الله أمّنهم بأنه لا خوف عليهم .

ج ـ جعل الحزن بالفعل وأسنده إليهم، ولو قال: (لا حزن) فتعني لا حزن عليهم من الغير، بينما المهم للإنسان أنْ لا يكون هو في حزن، وليس المهم حزن الآخرين عليه.

د ـ قالوا: إنّ معنى ﴿لَا خَوْفٌ﴾ أي: على الماضي من الدنيا، فجاء بالصيغة الاسمية للتثبيت أنه لا خوف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مما يقابلهم في المستقبل، وقد تتكرر دواعي الحزن فجاء بالفعل الدال على الحدوث .

هـ ـ قدّم الضمير : ﴿هُمْ﴾ للقصر، فنفى عنهم الحزن وأثبته لغيرهم من أهل الضلال .

و ـ لم يقل: (لا عليهم خوف)؛ لأنه لا يصح المعنى ولو قالها لكان معناها : أنه نفى الخوف عنهم وأثبت أنّ الخوف على غيرهم، يعني يخاف على الكفار .

ز ـ لم يقل: (لا خوفَ)؛ لأنه في هذه الحالة تكون (لا) نافية لجنس الخوف، أي: للجميع، أمّا ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ بالرفع فتفيد نفي الجنس ونفي الواحد، والسياق عيّن أنه لا خوف عليهم على سبيل المدح والاستغراق . والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما سبب تقديم وتأخير كلمة (الصابئين)، وما سبب رفعها ونصبها في آيتي البقرة [٦٢] والمائدة [٦٩] ؟ ولِمَ بقي الوضع على أصله في آية الحج ؟

الجواب:

في المائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة:٦٩] وفي البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] بشكل عام النصب ليس فيه إشكال، وإنما الرفع هو الذي كثيراً ما يُسأل عنه، والنصب معطوف على منصوب.

١ـ الرفع في آية سورة المائدة من حيث الناحية الإعرابية ليس فيه إشكال عند النحاة؛ لأنهم يقولون على غير إرادة ﴿إِنَّ﴾ أي: على محل إسم إنّ .

وفي الأصل اسم إنّ قبل أنْ تدخل عليه مرفوع، فهذا مرفوع على المحل، أو يجعلونه جملة: (والصابئون كذلك)، لكن لماذا فعل ذلك حتى لو خرّجناها نحوياً؟ هي ليست مسألة إعراب فالإعراب يخرّج؛ لأنه يمكن أنْ نجعلها جملة معترضة وينتهي الإشكال، لكنْ لماذا رفع؟

﴿إِنَّ﴾ تفيد التوكيد، معناه أنه قسم مؤكّد وقسم غير مؤكد، أي: (الصابئون) غير مؤكد والباقي مؤكد لماذا؟ لأنهم دونهم في المنزلة، فهم أبعد المذكورين ضلالاً، ويقول المفسرون: إنّ هؤلاء يعبدون النجوم، صبأ في اللغة، أي: خرج عن المِلّة، عن الدين ، فالصابئون خرجوا عن الديانات المشهورة، وهم قسمان:

قسم قالوا إنهم يعبدون النجوم، وقسم متبعون ليحيى عليه السلام، فهؤلاء أبعد المذكورين، والباقون أصحاب كتاب، الذين هادوا أصحاب كتاب وعندهم التوراة،

والنصارى عندهم كتاب الإنجيل، والذين آمنوا عندهم القرآن، بينما الصابئون ليس عندهم كتاب، وبالنسبة لنا هم أبعد المذكورين ضلالاً، ولذلك هم دونهم في الديانة والاعتقاد ولذلك لم يجعلهم بمنزلة واحدة فرفع فكانوا أقل توكيداً. و﴿إِنَّ﴾ للتوكيد. نقول: محمد قائم ،ونقول: إنّ محمداً قائم، هذه أقوى.

٢ـ لكن لماذا لم يأت بها مرفوعة ووضعها في نهاية الترتيب؟

في آية التوبة ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [التوبة:٣] ما قال: (ورسولَه) بالنصب، مع أنه يمكن العطف على لفظ الجلالة ﴿الله﴾، فلم يعطف على اسم الجلالة وإنما عطف على المحل، أي: (ورسوله بريء)؛ لأنّ براءة الرسول ﷺ ليست ندّاً لبراءة الله تعالى ولكنها تبع لها وليست مثلها، فبراءة الله تعالى هي الأولى، ولو قال: (ورسولَه) بالنصب تكون مؤكدة كالأولى، فإشارة إلى أنّ براءته ليست بمنزلة براءة الله سبحانه وتعالى، وإنما هي دونها فرفع على غير إرادة ﴿إِنَّ﴾، حتى في الشعر العربي قول الشاعر جرير:

إنّ النبوةَ والخلافةَ فيهم والمكرماتُ وسادةٌ أطهارُ

قال: (المكرماتُ) ولم يقل: (المكرماتِ)؛ لأنّ هؤلاء السادة لا يرتقون لا إلى النبوة ولا إلى الخلافة، هذه الدلالة موجودة في الشعر ففهمها العرب.

٣ـ يبقى السؤال حول التقديم والتأخير في الترتيب: آية المائدة قال: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٦٩] وآية البقرة: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٢] ، أي: في المائدة قدّم ورفع الصابئين؛ لأنه أتبع هذه الآية بذمّ النصارى في المائدة ذماً فظيعاً على معتقداتهم،

وتكلم عن عقيدة التثليث فجعلهم كأنهم لم يؤمنوا بالله وكأنهم صنف من المشركين ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤)﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٤].

فلمّا كان الكلام عن ذم العقائد (عقيدة النصارى) أخّر النصارى حتى تكون منزلتهم أقل وقدّم الصابئين مع أنهم لا يستحقون، وأخّر النصارى لأنه ذمّ عقيدتهم.

٤ـ في سورة الحج تحدث عن مطلق الإيمان والكفر والحساب يوم القيامة، لذلك لمّا ذكرهم أولاً ذكرهم بالتأكيد ثم جمعهم جميعاً حتى يأتي معنى كلمة يفصل بينهم. لاحظ الآية : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)﴾ [الحج: ١٦ - ١٧] إذن هنا لا مجال ولا معنى لفصل المؤمنين؛ لأنّ الفصل سيكون يوم القيامة .

السؤال الرابع:

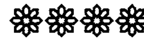
قال في البقرة: ٦٢ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [البقرة:٦٢] فما الفرق بينها وبين (عمل عملاً صالحاً) ؟

الجواب:

في عموم القرآن إذا كان السياق في العمل يقول: ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾ كما في آخر سورة الكهف ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف:١١٠] لأنه

تكلم عن الأشخاص الذين يعملون أعمالاً سيئة ويكون السياق في الأعمال نحو ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] والسورة أصلاً بدأت بالعمل ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف:٢] .

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] فليست في سياق الأعمال فقال: ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾ .



﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في تقديم كلمة ﴿الْجَبَلَ﴾ في آية الأعراف: ١٧١،وتأخير ﴿الطُّورَ﴾ فى آية البقرة رقم ٦٣، والنساء: ١٥٤ ؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن ﴿الطُّورَ﴾ في آيتي البقرة والنساء، واستعمل ﴿الْجَبَلَ﴾ في آية الأعراف؛ وذلك لأنّ التهديد في آية الأعراف أشد، فاستعمل لفظ الجبل؛ لأن الجبل أعظم من الطور .

٢ـ وأمّا سبب التقديم والتأخير فيقول سيبويه: يقدمون الذي هو أهمّ لهم وهم أعنى به.

٣ـ والتقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات، فقد يتقدم المفضول، وقد يتقدم الفاضل، والكلام في سورة الأعراف عن بني إسرائيل والطور ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف:١٧١] فقدّم الجبل على بني إسرائيل .

أمّا في آية أخرى في سورة البقرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة:٦٣] أخّر الطور؛ لأنّ سياق الآيات في السورة هو في الكلام عن بني إسرائيل وليس في الطور نفسه.

٤ـ الجبل هو اسم لما طال وعظُم من أوتاد الأرض، والجبل أكبر وأهم من الطور من حيث التكوين.

٥ـ النتق أشد وأقوى من الرفع الذي هو ضد الوضع، ومن النتق أيضاً: الجذب والاقتلاع وحمل الشيء والتهديد للرمي به، وفيه إخافة وتهديد كبيرين.

ولذلك ذكر الجبل في آية سورة الأعراف؛ لأنّ الجبل أعظم ويحتاج للزعزعة والاقتلاع، وعادة ما تُذكر الجبال في القرآن في مواقع التهويل والتعظيم، ولذا جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف:١٤٣] ولم يقل الطور.

٦ـ لذلك استعمل ﴿نَتَقْنَا﴾ مع ﴿الْجَبَلَ﴾ ؛لأنّ النتق والجبل أشد تهديداً وتهويلاً؛ ولأنّ المقام يقتضي ذلك، فإنه أفاض في ذكر صفات بني إسرائيل الذميمة ومعاصيهم في

الأعراف ما لم يُفضه في سورتي البقرة والنساء، فاقتضى أنْ يكون كل تعبير في مكانه، والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في الآية: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة:٦٣] ولم يقل: (من فوقكم) فما السبب؟

الجواب:

(من) تفيد الابتداء، وفي آية البقرة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة:٦٣] ليس رفع الطور مباشرة من فوق رؤوسهم بل هناك مسافة بين الطور والرؤوس ولذلك لم يستعمل (من فوقكم).

السؤال الثالث:

ما سبب تخويفهم برفع الطور فوق رؤوس بني إسرائيل ؟

الجواب:

التكليف من الله تعالى، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، والله يعلم منذ الأزل أنّ في وسعك أنْ تؤدي التكليف، ولكنّ اليهود قالوا: نحن لا نطيق التكليف وفكّروا ألا يلتزموا به بالرغم من تعدد نعم الله عليهم ، والله تعالى لم يرغم أحداً على التكليف، ولكنه – رحمة منه – خيّرهم بين التكليف وعذاب يصيبهم فيهلكهم، وهذا العذاب هو أنْ يُطبق عليهم جبل الطور، فالمسألة ليس فيها إجبار ولكن فيها تخيير، وقد خُيّر الذين من قبلهم بين الإيمان والهلاك فلم يصدقوا حتى أصابهم الهلاك.

وحين رأى بنو إسرائيل الجبل فوقهم خشعوا ساجدين على الأرض ، فكان معنى سجودهم أنهم قبلوا المنهج، ولكنهم كانوا وهم ساجدون ينظرون إلى الجبل فوقهم خشية أنْ يطبق عليهم ..

ولذلك تجد سجود اليهود حتى اليوم على جهة من الوجه بينما الجهة الأخرى تنظر إلى أعلى .

ولو سألت يهودياً عن ذلك لقال : أنا أحمل التوراة واهتز منتفضاً، لأنهم اهتزوا ساعة رفع الله الطور فوقهم فكانوا في كل صلاة يأخذون الوضع نفسه ثم نقل ذلك إلى الأبناء والأحفاد، واعتقدت ذريتهم من بعدهم أنها شرط من شروط السجود عندهم، ولذلك أصبح سجودهم على جانب من الوجه، أي: على الصورة التي حدثت لهم ساعة رفع جبل الطور.



﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ 

السؤال الأول:

الفعل (كونوا) هو فعل أمر، وفعل الأمر له معانٍ متعددة، فما أشهر معانيه؟

الجواب:

فعل الأمر هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة ، ومن أشهر معانيه :

١ـ الإباحة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ [المائدة:٢] .

٢ـ الدعاء : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح:٢٨] .

٣ـ التهديد : ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فُصِّلَت:٤٠] .

٤ـ التوجيه والإرشاد : ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥] .

٥ـ الإكرام : ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحِجر:٤٦] .

٦ـ الإهانة : ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان:٤٩] .

٧ـ الاحتقار : ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه:٧٢] .

٨ـ التسوية : ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ [الطور:١٦] .

٩ـ الامتنان : ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [المُلك:١٥] .

١٠ ـ التعجب : ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الإسراء:٤٨] .

١١ ـ التكذيب : ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ [آل عمران:٩٣] .

١٢ـ التعجيز : ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] .

١٣ـ الإذلال : ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة:٦٥] .

١٤ـ إظهار القدرة : ﴿۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ [الإسراء:٥٠] .

وزمن فعل الأمر للمستقبل ، لكنه أوسع من ذلك فقد يكون دالاً على :

آـ الاستقبال المطلق قريباً أو بعيداً: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة:٦٨] للقريب، ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ [الفرقان:٦٥] للبعيد.

ب ـ الحال: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٨ ، ٤٩] فـ (ذق) من الذوق مصاحب لصب الحميم .

ج ـ الأمر الحاصل في الماضي، فقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ [يوسف:٩٩] كان بعد دخولهم إياها فهو أمر يفيد الماضي. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر:٤٥-٤٦] فقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ كان بعد دخولهم الجنة، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٨-٣٩] فقوله: (ذوقوا) كان بعد تصبيحهم بالعذاب.

وقول الرسول ﷺ: «**افعل ولا حرج**» فهذا من باب إقرار ما حصل في الماضي.

د ـ الأمر المستمر ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].



﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة:٦٩] في الآية؟

الجواب:

لو قال تعالى: (بقرة صفراء) لعلِم بنو إسرائيل أنه لون الصُفرة سيما أنّ هذا اللون نادر في البقر، فلِمَ قيّد الصفرة بصفة فاقع؟

في هذا التعبير مزيد من التعجيز، والتقييد والتحديد لبقرة بعينها دون سواها وهنا تضييق على بني إسرائيل، فعندما شدّدوا شدّد الله تعالى عليهم.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٧٠] لِمَ قالوا هذه الجملة في هذه الآية، مع أنهم لم يقولوها في المرات السابقة؟

الجواب:

في الأصل طلب الله منهم أنْ يذبحوا ﴿بَقَرَةً﴾ بالتنكير المطلوب، أي: أنْ يمسكوا أي بقرة فيذبحوها، فشددوا فشدد الله سبحانه وتعالى عليهم .

طلب بنو إسرائيل صفات البقرة على ثلاث مراحل :

آ ـ طلبوا تحديد ماهيتها في البداية ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة:٦٨].

ب ـ و طلبوا تحديد لونها ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة:٦٩] ولم يعللوا سبب طلبهم.

ج ـ في المرة الثالثة قالوا : ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة:٧٠] ولجأوا للتعليل؛ لأنّ فعل الشيء ثلاث مرات يكون له وقع في النفس من الضجر؛ فلا بدّ من إضافة تعليل في المرة الثالثة.

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في استعمالات الفعل (كاد) في قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١] و ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ [النور:٤٠] و ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١] ؟ وما الفرق بين كاد وعسى ؟

الجواب:

(كاد)

(كاد) من أفعال المقاربة، أي: قارب الحصول ولم يحصل، بينما (عسى) هو لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء .

ـ خبر كاد فعل مضارع غير مقترن بأنْ على الغالب، وذلك لقربها من الوقوع.

ـ خبر عسى فعل مضارع مقترن بأنْ على الغالب؛ لأنّ (أنْ) تدل على الاستقبال.

وقيل: إنَّ (كاد) إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإن قلت : كاد يفعل ، فمعناه لم يفعل، وإنْ قلت : ما كاد يفعل، فمعناه أنه فعله بعد جهد، بدليل قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ [النور:٤٠] أي: مبالغة في لم يرها ، أي: لم يقرب أنْ يراها فضلاً عن أنْ يراها، والأصح أنّ المعنى أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١]أي: ذبحوها بعد الجهد، وبعد أنْ كان بعيداً في الظن أن يذبحوها

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزُّخرُف:٥٢] هذا الكلام عن لسان فرعون في موسى عليه السلام، ولا شك أنّ موسى كان يبين بدلالة المحاجات المتعددة التي ذكرها القرآن مع فرعون، والمعنى أنه كان يبين لكنْ بصعوبة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف:٩٣]هذه المحاورة تدل على أنهم يفقهون ولكنْ بصعوبة، ولا تدل على أنهم لا يفقهون وإلا فما هذه المحاورة بينهما؟

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١] دلالة على شدة تحديق المشركين ونظرهم للرسول ﷺ في حالة قراءة النبي للقرآن، وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم:٥١] غيظاً وسخطاً بحيث لو أمكنهم أنْ يصرعوه لصرعوه .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ ما الفرق بين (يعملون) و(يفعلون) وما الفرق بين الفعل والعمل والصنع؟

الجواب:

١ـ العمل هو إيجاد الأثر في الشيء وعلى الأغلب فيه قصد ، ويحتاج إلى امتداد زمن، يقال : فلان يعمل من الطين خزفاً، وهو مختص بالإنسان من المخلوقات، كما ينسب العمل إلى الله سبحانه نحو ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١].

٢ـ الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد، كما تقول : فعل الرياح .

٣ـ الصنع : أخص من الاثنين، وهو إجادة العمل ويحتاج إلى دقة ولا ينسب إلى حيوان أو جماد .

٤ـ الفعل عام، والعمل أخصّ من الفعل، والصنع أخص.

ونستطيع أن ننظر في معاني الآيات، فالتي فيها زمن يقول (يعملون) وما ليس فيه امتداد زمن وهو مفاجئ يقول (يفعلون).

شواهد قرآنية : **العمل** :

ـ قوله تعالى عن الجان: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾ [سبأ:١٣] ، وهذا العمل يقتضي منهم وقتاً .

ـ قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١] ما قال: فعلت ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس:٣٥]؛ لأنّ خلق الأنعام والثمار يحتاج لوقت، الله تعالى عندما يخلق التفاحة لا يخلقها فجأة، فقال: عملت أيدينا، يعني هذا النظام معمول بهذا الشكل؛ لأنّ فيه امتداد زمن.

قوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] أي: في الحياة؛ لأنّ مدة العمل فيه مدة.

شواهد قرآنية : الفعل :

ـ قوله تعالى عن الملائكة: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٥٠]؛ لأنّ فعل الملائكة برمش العين.

- قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر:٦] باللحظة أرسل عليهم حجارة.

- قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر:٦] خسف بهم .

- قوله تعالى ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم:٤٥] أي: العقوبات، وغضب الله سبحانه وتعالى لّما ينزل على الضالين والظالمين أنفسهم ينزل فوراً ولا يحتاج لامتداد زمن.

- قوله تعالى ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾ [البقرة:٧١] أي: كادوا لا يفعلون والذبح سريع فهو فعل.

شواهد قرآنية : **الصنع** :

- قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

- قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١٤﴾ [المائدة:١٤] أي: ما يخططون ويدبرون بدقة.

والله أعلم.



﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة:٧٢] جاءت بعد الأمر بذبح البقرة في الآية ٦٧ ، فما فائدة تقديم الذبح في البيان ؟

الجواب:

آيات البقرة هي في بيان النعم على بني إسرائيل، فناسب تقديم ذكر النعمة على ذكر الذنب .

والله أعلم .

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٧٦] ما الفرق بين (فتح الله لك) و(فتح الله عليك)؟

الجواب:

١ـ فتح الله لك: تأتي في الخير وفي غير الخير.

٢ـ فتح الله عليك: تأتي في الخير وفي غير الخير، لكنْ تأتي من فوق.

شواهد قرآنية:

ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجر:١٤] في الشر.

ـ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٧] في الشر.

ـ قوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] في الخير.

ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة:٧٦] في الخير، والله أعلم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

هل هذا الاستفهام في الآية حقيقي؟

الجواب:

هل ينتظر المستفهِم جواباً لسؤاله؟ إنك قد تقول لولدك أو عاملك: ألم تعلم أني أكره هذا الأمر؟ فسؤالك لا تنتظر له جواباً، وإنما غايتك لوم الفاعل، وهذا لا ينتظر منه جواباً وإنما الغاية لوم الفاعل .

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٧] استفهام غايته التوبيخ ولوم القوم.



﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

الأمي هو من لا يعرف القراءة ولا الكتابة لكن من أين أتى هذا اللفظ؟ ومن أين اكتسب معناه؟

الجواب:

إن كلمة (أُمِّيٍّ) اسم منسوب، والنِّسبةُ: هي كل اسم انتهى بياء مشددة ، فإذا أردنا أن ننسب رجلاً إلى اليمن نقول هو يمنيٌّ، فما الكلمة التي نُسِب إليها الأُمِّيُّ؟ إن هذا الاسم منسوب إلى الأمِّ، أي: الوالدة؛ لأنه بقي على الحال التي بقي عليها مدة حضانة أمه له فلم يكتسب علماً جديداً ، لذلك قيل عنه أميّ.

السؤال الثاني:

ما المعسكرات التي واجهت الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة ؟

الجواب:

المعسكرات التي واجهت الدعوة الإسلامية هي :

آ ـ المشركون في مكة.

ب ـ أهل الكتاب في المدينة ، ومعظمهم من اليهود، أمّا النصارى فعددهم قليل.

واليهود قسمان :

١ ـ ﴿أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] وهؤلاء لا يعرفون من التوراة إلا ما يقوله لهم أحبارهم فقط، وهؤلاء ربما لو كانوا يعلمون ما في التوراة من صفات الرسول ﷺ لآمنوا به، والله لم ينفِ عنهم مطلق العلم ولكنه نفى خصوصية العلم؛ لأنه قال: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] .

والأماني بالتخفيف جمع أُمنِيَةٍ، وبالتشديد جمع أُمنِيَّةٍ ، وهؤلاء الأميّون يأخذون المعلومات البسيطة من أحبارهم فيصدقونهم دون مناقشة، فيحمل هؤلاء الأحبار أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم.

وكلمة ﴿أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] لها معان مشتركة في أصل واحد، ومنها :

آ ـ ما يتخيله الإنسان فيقدّر في نفسه وقوعه، كقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء:١٢٠] ويكون معنى الآية [٧٨] أنّ أمانيهم في أنّ الله

تعالى لا يؤاخذهم بخطاياهم، وأنّ آباءهم يشفعون لهم، وأنّ النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة .

ب ـ ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: بمعنى أكاذيب سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد.

ج ـ ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ : إلا ما يقرؤون، أي: إلا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه ثم إنهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل.

٢ ـ وقسم يعلمون التوراة، ولكنهم يغيرون ما فيها ويكتبونه بأيديهم ويقولون هذا من عند الله، ولذلك توعدهم الله بالعذاب: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩] وهؤلاء متعمدون للإثم، وليست صكوك الغفران إلا شكلاً من أشكال كسبهم الحرام .



﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يا ويلنا) وبين (يا ويلتي) ؟

الجواب:

الويل : هو الهلاك والعذاب، واسم لوادٍ في جهنم، ويجمع على ويلات، وقد تلحقه الهاء فيصبح: الويلة : وهي الفضيحة والخزي.

وقد وردت (الويل) في عدة صيغ هي :

آ ـ ﴿وَيۡلٌ﴾ في سبعة وعشرين موضعاً.

ب ـ ﴿وَيۡلَكَ﴾ الأحقاف [١٧].

ج ـ ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ [طه:٦١] ، القصص[٨٠].

د ـ ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾ [الأنبياء:١٤] ، الأنبياء[١٤،٤٦، ٩٧] ، يس [٥٢]، الصافات[٢٠]، القلم[٣١].

وكذلك وردت ﴿الويلة﴾في صيغتين :

آ ـ ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ [هود:٧٢]، الفرقان[٢٨].

ب ـ ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ [الكهف:٤٩] .

السؤال الثاني:

ما فائدة ذكر كلمة ﴿أَيۡدِيهِمۡ﴾ في الآية ؟

الجواب:

ذكر كلمة ﴿أَيۡدِيهِمۡ﴾ مع أنّ الكتابة تتم باليد؛ لتأكيد وقوع الكتابة من قِبَلهم وتبيان أنهم عامدون في ذلك، كما تقول نظر بعينه مع أنّ النظر لا يكون ولا يتم إلا بالعين، وتقول تكلّم بفمك فالغاية من هذا كله تأكيد العمل.

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين دلالة الجمع في (معدودة) و(معدودات)؟

الجواب:

القاعدة: وصف جمع غير العاقل: إنْ كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم، كأنهار جارية وأنهار جاريات، فالجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات، وأشجار مثمرة أكثر من مثمرات، وجبال شاهقة أكثر من حيث العدد من شاهقات، فالعدد في الأولى أكثر، وجمع السالم قلة. فهذه من المواضع التي يكون فيها المفرد أكثر من الجمع.

لذلك تكون (معدودات) جمع قلّة، وهي أقل من (١٠)، أمّا (معدودة) فهي تدل على أكثر من (١٠).

شواهد قرآنية:

- قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران:٢٤] اختيار كلمة ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ في هذه الآية؛ لأنّ الذنوب التي ذُكرت في هذه الآية أقلّ.

- وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة:٨٠] اختيار

كلمة ﴿مَعْدُودَةً﴾ في هذه الآية؛ لأنّ الذنوب التي ذُكرت في سياق هذه الآية أكثر. انظر آيات البقرة [٧٥: ٨٠].

ـ وقد قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف:٢٠] أي أكثر من ١١ درهما، ولو قال: معدودات، لكانت أقل.



﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨١] كيف تحيط الخطايا والإثم بالإنسان؟

الجواب:

الخطيئة اسم لما يقترفه الإنسان من آثام وجرائم، تأمل السِّوار الذي يحيط بالمعصم لا يبقي منفذاً من اليد خالياً دون إحاطة، وهذه صورة الخطايا والآثام عندما تكثر فهي تلتف حول الجسم والروح ولا تدع للإنسان مجالاً لحرية الهروب من الخطأ، كذلك الفاسق لو أبصر أيمن منه وأيسر منه ولو أبصر فوقه أو أسفل منه لما رأى إلا المنكر الذي ألِفَه واعتاده.

السؤال الثاني:

مادلالة هذه الآية وما يستفاد منها ؟

الجواب:

١ـ بلى : حرف جواب في النفي، أي: ينفي الذي قبلها، أي: نفى قول اليهود: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة:٨٠] .

٢ـ هنا نلاحظ أنّ الحق سبحانه قال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة:٨١] وكان السياق أنْ يقال: اكتسب ، ولكنْ لأنهم ظنوا أنهم كسبوا .

ونلاحظ أنّ القرآن استعمل كسب مع السيئة؛ لأنه يتحدث عن الذين أسرفوا على أنفسهم وبالغوا في المعصية حتى أحبوها وعشقوها، بل ويتحدثون بها ويجاهرون، فكأنّ المعصية تأتي منهم طبيعية يفعلونها بدون افتعال ولا احتياط، فهي في حقهم كسب لا اكتساب ، ويفرحون بها كأنها مكسب، فلا يؤنبون أنفسهم ولا يلومونها ولا يندمون على معصيتهم.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨١] أي: إحاطة لا يوجد فيها منفذ للإفلات من الخطيئة؛ ولذلك هؤلاء ليسوا عصاة فقط، بل كانوا كافرين مشركين، فكان الجزاء﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨١] بالجملة الاسمية الدالة على الثبات.

هناك من يندم على المعصية وهذا له توبة، وهناك من يفرح بالمعصية وهذا يزداد معصية .

السؤال الثالث:

ما دلالة الحرف (بلى) وكم مرة ورد في القرآن الكريم ؟

الجواب:

(بلى) حرف جواب لاستفهام فيه حرف نفي، كقولك : ألم تفعل كذا؟ فيقول : بلى، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] . وفي «مختار الصحاح» : (بلى) جواب للتحقيق توجب ما يقال لك؛ لأنها ترك للنفي وهي ضد (لا) .

وقيل: الألف في (بلى) أصلية ، وقيل: الأصل (بل) والألف زائدة ، وقيل : هي للتأنيث بدليل إمالتها .

وقد وردت (بلى) في القرآن الكريم في (٢٢) موضعاً، وفي (١٦) سورة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ـ وهو اختيار القراء وأهل اللغة : الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها؛ وذلك في عشر مواضع :

البقرة موضعان(٨١-١١٢) آل عمران موضعان (٧٦ـ ١٢٥) الأعراف (١٧٢) النحل (٢٨) يس (٨١) غافر (٥٠) الأحقاف (٣٣) الانشقاق(١٥)، وقد أجاز بعضهم الابتداء بها وليس بمختار، والله أعلم .

٢ـ ما لا يجوز الوقف عليه لتعلق ما بعدها بما قبلها، وذلك في سبع مواضع :

الأنعام (٣٠) في قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام:٣٠] وفي النحل (٣٨) سبأ (٣) ،الزمر (٥٩) الأحقاف (٣٤) التغابن (٧) القيامة (٤).

٣ ـ وفيه الخلاف بين جواز الوقف ومنعه ، والأحسن عدم الوقف لاتصالها بما قبلها؛ وذلك في خمس مواضع :

البقرة (٢٦٠) في قوله تعالى ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]، الزمر (٧١) الزخرف (٨٠) الحديد (١٤) الملك (٩) .

السؤال الرابع:

ما الفرق بين أدوات الجواب التالية : نعم ـ بلى ـ أجل ـ أي ـ جلل ؟

الجواب:

أحرف الجواب هي :

نعم :

حرف تصديق ووعد وإعلام.

ـ التصديق: بعد الخبر، نحو : قد زارك محمد، فتقول : نعم .

ـ الوعد: بعد الأمر والنهي، نحو : لا تخبره بما حدث، فتقول : نعم.

ـ الإعلام: بعد الاستفهام، نحو : أحضر خالد؟ فتقول : نعم.

بلى :

مختصة بإبطال النفي، وهي لا تقع إلا بعد النفي.

شواهد قرآنية :

ـ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الملك:٨ – ٩] .

أجل : حرف جواب يقع بعد الخبر كثيراً فيكون تصديقاً له، نحو : أزارك خالد؟ فتجيب : أجل.

إي : بكسر الهمزة وسكون الياء وهي مثل ﴿نعم﴾ غير أنها لا تقع إلا قبل القسم فتكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب وإعلاماً للمستفهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس:٥٣].

وللعلم فإن ﴿إي﴾ لا تكون إلا قبل القسم، وأمّا ﴿نعم﴾ فتكون مع القسم وغيره.

جلل : حرف بمعنى ﴿نعم﴾، واسم بمعنى ﴿عظيم﴾.



﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] و ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] ؟

الجواب:

١ـ لدينا آيتان، الأولى تتحدث عن اليهود، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] ؟ وفيها (ذي القربى) بدون باء.

و الآية الثانية تتحدث عن المسلمين، وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] وفيها (بذي الْقُرْبَى) مع الباء.

هل هذه الباء زائدة وليس لها معنى؟ في الحقيقة لا؛ فرب العالمين بهذه الباء يرسم ما هومستقبل القربى عند اليهود وما هو مستقبل القربى عند المسلمين، أي: الترابط الأسري، والتناسب الخَلقي ومدى مسؤولية كل واحد في الأسرة .

ورب العالمين يعلم مقدماً أنه ما من أمة على وجه الأرض سوف تصل إلى ما وصل إليه المسلمون من العناية بالرحم و بالقربى، والكل يشهد بذلك، ونحن لا يوجد لدينا من يترك أمه وأباه في الملجأ، ولا يوجد من لا يعرف عمه أو خاله، أو من لا يعرف أباه أو جده، هذا مستحيل، في حين نجد عكس ذلك في بقية الأمم خاصة في أيامنا هذه.

فرب العالمين عز وجل عندما ترك الباء بهذه الآية [البقرة ٨٣] وأثبتها في آية [النساء ٣٦] أشار بذلك إلى أنّ هذه الأمة وحدها هي التي سوف تُعنى بالأرحام والأقارب والوالدين والتماسك الأسري مع الأعمام والأخوال والأجداد والجدات.

هذا هو أثر الباء، ووجودها في آية المسلمين وحذفها من آية أخرى لغير المسلمين.

٢ـ في آية البقرة ذُكرت الباء مع ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] وحُذفت مع كلمة ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] وأمّا في آية النساء فقد ذكرت الباء مع الوالدين وذي القربى .

٣ـ السياق في سورة النساء هو الكلام عن القرابات من أول السورة إلى آخرها، وليس في هذه الآية فقط؛ لذلك كان ذكر الباء مع ذي القربى في هذه الآية لمراعاة التفصيل والتوكيد.

وأمّا آية سورة البقرة فليس السياق في القرابات، وإنما عما مضى من أخذ ميثاق بني إسرائيل فحُذفت الباء في ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مراعاة للاختصار .

والله أعلم .

السؤال الثاني :

المطلوب إعطاء مختصر عن أهم النقاط في تفسير آية البقرة ٨٣ ؟

الجواب :

١ـ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يعبدون) بالياء على أنهم غيب أخبر عنهم، والباقون بالتاء على أنهم مخاطبون، والاختيار التاء.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ من الإعراب على خمسة وجوه :

آـ على الرفع بتقدير : بأنْ لا يعبدوا ، إلا أنه لما أُسقطت (أن) رُفِعَ الفعل، كما قال طَرَفَة :

ألا أيُّهذا اللائمي أحضرَ الوغى   وأن أشهدَ اللَّذاتِ هل أنت مُخلِدِي

فأراد (أنْ أحضر) ولذلك عطف عليه (أنْ أشهد)، وأجاز هذا الوجه الأخفش والفراء والزجّاج.

ب ـ موضعه رفع على أنه جواب القسم، كأنه قيل : وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون، وهذا الوجه أجازه المبرد والكسائي والفراء وأحد قولي الأخفش.

ج ـ في موضع نصب حال على تقدير : أخذنا ميثاقكم غير عابدين إلا الله.

د ـ قول الفراء أنّ موضع (لا تعبدون) على النهي، إلا أنه جاء على لفظ الخبر، كقوله تعالى ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة:٢٣٣].

هـ ـ التقدير: أنْ لا تعبدوا، وتكون (أنْ) مع الفعل بدلاً عن الميثاق.

٣ـ هذا الميثاق يدل على تمام ما لا بدّ منه في الدين.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] انتصب بتقدير : أحسنوا بالوالدين إحساناً، أو: وصيناهم بالوالدين، أو بتقدير: أنْ تعبدوا وتحسنوا.

٥ـ أردف الحق عبادته بالإحسان إلى الوالدين، وذلك :

آ ـ نعمة الله على العبد أعظم النعم، ثم نعمة الوالدين.

ب ـ الله سبحانه هو الموجد والمؤثر الحقيقي للعبد، والوالدان هما المؤثر بحسب العرف الظاهر.

ج ـ لبيان عظم حقهما على الولد .

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] اليتيم الذي مات أبوه حتى يبلغ الحلم، وجمعه أيتام ويتامى، ولا يقال لمن ماتت أمه : إنه يتيم ، أمّا في غير الإنسان فيُتمه من قِبَلِ أمّه .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة:٨٣] جمع مسكين، أُخذ من السكون كأنّ الفقر قد سكنه، وهو أشد فقراً من الفقير عند أكثر أهل اللغة، وقيل غير ذلك .

وتأخرت درجتهم عن اليتامى؛ لأنّ المسكين قد ينتفع به في الاستخدام والميل إلى مخالطته أكثر من الميل إلى مخالطة اليتامى؛ ولأنّ المسكين يمكنه الاشتغال بتعهد نفسه ومصالح معيشته أكثر من اليتيم.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣] أي: قولاً حسناً، لكنه جاء بصيغة الصفة المشبهة كقولك : رجل عدل، ليكون التقدير : ليكن قولكم للناس هو الحُسن بذاته.

وهذا القول خطاب بعد الإخبار على طريقة الالتفات، كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢].

والكلام مع الناس سواء كان في الأمور الدينية أو الدنيوية الأفضل أنْ يكون بالتلطف .

٩ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة:٨٣] وفيه وجوه :

آـ أنّ المقصود من تقدم من بني إسرائيل.

ب ـ أنه خطاب لمن كان في عصر النبي ﷺ.

ج ـ المراد بقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة:٨٣] من تقدم، وقوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة:٨٣] من تأخر. والله أعلم.

السؤال الثالث:

استعمل القرآن في سياق الدعاء والبر للوالدين لفظة ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [النساء:١٣٥] دون لفظة (الأبوين) فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الوالدان مثنى الوالد والوالدة، وهو تغليب للمذكر كعادة العرب في التغليب؛ إذ يغلّبون المذكر كالشمس والقمر يقولون عنهما (القمران)، والأبوان هما الأب والأم، ولكنه غلّب المذكر ولو غلب الوالدة لقال: الوالدتان، وسواء قال: بأبويه أو بوالديه فهو تغليب للمذكر.

لكنك لا تجد في القرآن الكريم البر أو الدعاء أو التوصية إلا بذكر الوالدين لا الأبوين كما في الآيات المذكورة أعلاه .

ولم يرد استعمال (الأبوين) إلا مرة واحدة في المواريث؛ لأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم أو التساوي في الأنصبة، لكنْ في البر والتوصية والدعاء لم يأت إلا بلفظ الوالدين إلماحاً إلى أنّ نصيب الأم ينبغي أنْ يكون أكثر من نصيب الأب .

كما أنّ لفظ (الأبوين) قد يأتي للجدين، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف:٦] ويأتي لآدم وحواء : ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧] فاختيار (الوالدين) له دلالات مهمة، وينطبق هذا على وصية رسول الله ﷺ للصحابي الذي سأله : من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : «**أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك**» فأعطى كلا منهما على قدر ما قدم.

قد تقول: إنّ هذا الأمر تخلّف في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما قال : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف:١٠٠] فاختار الأبوين ، والجواب أنّ الأمر لم يختلف، بيان ذلك:

آ ـ في قصة يوسف لم يرد ذكر للأم مطلقاً، بل ورد ذكر الأب الحزين الذي فقد ابنه وذهب بصره.

ب ـ في هذا الاختيار أيضاً تكريم للأم؛ لأنّ العادة أنْ يكرم الابن أبويه وليس أنْ يكرم الأبوان الابن، وسجود التكريم حصل من الأبوين للابن، ولذلك جاء بلفظ الأبوين لا الوالدين إكراماً للأم، فلم يقل: (ورفع والديه).

ج ـ وفيها إلماحٌ أنّ العرش ينبغي أنْ يكون للرجال .

وهذا يناسب ما ذكر عن الأب فهو الأنسب من كل ناحية .

وهنا يرد سؤال: لماذا لم يرد ذكر الأم في قصة يوسف مع أنّ الأم هي التي تتأثر وتتألم وتحزن أكثر ؟ والجواب: أنّ الأم إمّا أنْ تكون قد توفيت من قبل على بعض الروايات، أو أنّ أم يوسف هي أم ليوسف وأخيه بنيامين فقط وليست أم بقية الإخوة، لذلك يكون كلامها حساساً مع إخوته، أمّا يعقوب عليه السلام فهو أبوهم جميعاً، فإذا عاتبهم أو كلمهم فهو أبوهم ، أمّا الأم فليست أمهم فإذا تكلمت ففي الأمر حساسية وهذا من حسن تقديرها للأمور، فكتمت ما في نفسها وأخفت لوعتها وتركت الأب يتصرف ، وهذا من حسن التقدير والأدب .

السؤال الرابع:

وردت كلمة ﴿إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] وكلمة ﴿حُسْنًا﴾ [العنكبوت : ٨] في سياق الدعاء للوالدين، فما الفرق بينهما ؟

الجواب:

الله سبحانه وتعالى في جميع القرآن الكريم إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين، ولم يستعمل الأبوين إلا في موضوع المواريث أو في أمور أخرى، ولم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين، وهو مثنى الوالد مع تغليب المذكر، ومشتقة من الولادة والولادة تقوم بها الأم، وهذه إشارة إلى أنّ البر بالأم أولى قبل الأب، كما جاء في الحديث الشريف : «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك».

وقد وردت كلمة الوالدين بالدعاء لهما في سبع آيات يمكن الاطلاع عليها من خلال الجدول التـــالي :

الآية	﴿حُسْنًا﴾/ ﴿إِحْسَانًا﴾	الحمل	الوضع	أخرى	الوالدان	الطلب
لقمان [١٤]	-	✓	-	﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	مشركان	على أن تشرك
العنكبوت [٨]	﴿حُسْنًا﴾	-	-	-	مشركان	لتشرك
الأحقاف [١٥]	﴿إِحْسَانًا﴾	✓	✓	﴿كُرْهًا﴾ / ﴿كُرْهًا﴾	مؤمنان	-
الإسراء [٢٣]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	حالة الكبر	مؤمنان	-
البقرة [٨٣]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	-	مؤمنان	-

النساء [٣٦]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	-	مؤمنان	-
الأنعام [١٥١]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	-	مؤمنان	-

البيـــــان :

أولاً :

هذه الدراسة أو المقارنة هي لآيات الوالدين في [العنكبوت والأحقاف ولقمان] فقط ونلاحظ ما يلي :

١ـ المراتب : الإحسان أعلى من الحُسن ، فأنْ تعامل إنساناً بحُسنٍ أمرٌ عادي لكن أنْ تحسن إليه هذه مرتبة أعلى من الحُسن؛ لأنّ الإحسان يتعدى خيره للآخرين، تقول : أحسنت إليه.

٢ـ حُسناً : مصدر حَسُنَ، وهو فعل لازم، تقول: حَسُنَ الشيء في نفسه، وإحساناً مصدر أَحْسَنَ، فعلٌ متعدٍّ، تقول : أحسنت إليه، فالكلمتان حُسناً وإحساناً مصدران مختلفان لفعلين مختلفين، لكنّ (إحساناً) أعلى من(حسناً)، والإحسان أمكن من الحُسن في فعل الخير ونفع الآخرين.

٣ـ نلاحظ ما يلي :

آ ـ ذكر في آية الأحقاف أمرين : الحمل والوضع، وكلاهما كُره ومشقة، واستعمل: إحساناً.

ب ـ في آية العنكبوت : لم يذكر الحمل أصلاً ولا الوضع، واستعمل : حسناً.

ج ـ في آية لقمان : ذكر الحمل فقط ولم يذكر الوضع، ولم يستعمل حسناً أو إحساناً.

النتيجة : الوضع الأصعب في آية الأحقاف فناسب (إحساناً)؛ لأنها أعلى من (حسناً) .

٤ـ في الأحقاف الوالدان مؤمنان، وفي العنكبوت ولقمان الوالدان كافران، وبالتالي الوالدان المؤمنان يستحقان الإحسان أكثر من الوالدين الكافرين؛ فناسب في الأحقاف (إحساناً).

ثانياً ـ مقارنة بين آيتي لقمان وآية العنكبوت(حالة الوالدين في الآيتين مشركان):

١ـ في آية لقمان لم يذكر (حسناً) أو (إحساناً)، وإنما بيّن الحيثيات والمصاحبة، وذكر فيها :

آ ـ الوالدان مشركان أشد كفراً بسبب الفقرة التالية، وهي:

ب ـ المجاهدة من كليهما بصيغة الاستعلاء ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ﴾ [لقمان:١٥] وكأنها شرط، وفيها معنى شدة الحمل على الشيء وشدة الحمل على المجاهدة وهي أقوى من (لتشرك) التي تفيد بيان الغرض والتعليل.

ج ـ سياق السورة في آداب المصاحبة من الابن للأب وبالعكس؛ ومع الوالدين ومع المجتمع ؛ وتشمل هذه الآداب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم التكبر عليهم، وعدم الاختيال.

٢ـ في آية العنكبوت : ذكر (حُسناً) وذكر فيها :

آ ـ الوالدان مشركان.

ب ـ المجاهدة من كليهما بصيغة ﴿لِتُشْرِكَ﴾ [العنكبوت:٨] اللام للتعليل، فهي أقل من ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ﴾ .

ج ـ لم يذكر المصاحبة .

فناسب في لقمان طلب حسن المصاحبة في الدنيا انسجاماً مع طابع السورة، وناسب في العنكبوت ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] .

والنتيجة من استعراض آيات العنكبوت والأحقاف ولقمان من ناحية السياق أو من ناحية واقع الوالدين أنّ المناسب هو : الحُسن في العنكبوت والإحسان في الأحقاف والمصاحبة بالمعروف في لقمان، والله أعلم.

هذا الموضوع هوملخص رأي الدكتور فاضل صالح السامرائي حفظه الله ورعاه.

وأما رأي الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى فهو التالي حول تفسير آية لقمان [١٤، ١٥] :

آ ـ قال : ﴿ وَوَصَّيْنَا ﴾ [لقمان:١٤] ولم يقل: (وأوصينا)؛ لأنّ القرآن يستعمل التشديد إذا كان أمر الوصية شديداً ومهماً؛ لذلك يستعمل (وصّى) في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية، والفعل المشدد يفيد التكرار؛ أي: يفيد استمرار الإحسان والبر بالوالدين .

ب ـ بالرغم أنّ الوصية بالوالدين، إلا أنّ حيثيات الوصية خاصة بالأم ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤] فلم يذكر شيئا عن دور الأب، والسبب ـ والله أعلم ـ أنّ الله أراد أنْ يذكرنا بدور الأم خاصة؛ لأنها تصنع لك وأنت صغيرٌ لا تدرك ما تصنعه؛ فهو

مستور عنك لا تعرفه، أمّا أفعال الأب وصنعه لك فجاء حال كِبَرِك وإدراكك للأمور من حولك ،فالابن يعرف ما قدّم أبوه من أجله، فدور الأب ظاهر على خلاف دور الأم؛ لذلك ذكره الله تعالى هنا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤] ويأتي من يقول: أليس الابن نتيجة التقاء الأب والأم فهما فيه سواء ؟ فنقول: بلى، ولكنّ مشقة الأم فيه أوضح أثناء الحمل وعند الولادة، ولولا أنْ الله ربط النسل بالشهوة لزهد الناس فيه لما تتحمله الأم من مشاق، ولما يتحمله الأب من تبعات الأولاد .

ونعرف قصة المرأة التي ذهبت تقاضي زوجها؛ لأنه يريد أنْ يأخذ ولدها منها، فقالت للقاضي وقد قال لها : أليس الولد ولدكما معاً ؟ قالت : بلى، ولكن حَمَلَه خِفّاً ووضعه شهوة، وحملتُه وهناً ووضعته كرهاً فحكم لها .

ومعنى: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤] أي: ضعفاً على ضعف، فاجتمع للمرأة ضعفها الذاتي مع ضعفٍ بسبب الجنين الذي يتغذى منها ويكبر في أحشائها يوماً بعد يوم، ومن حكمة الله في خلق الرحم أنْ جعله قابلاً للتمدد والاتساع ليحتوي الجنين في مراحل نموه إلى أن يزيد الجنين زيادة لا يتحملها اتساع الرحم فينفجر إيذاناً بولادة إنسان جديد له مقومات حياة مستقلة غير متصل بأمه بعد أنْ كان تابعاً لأمه في غذائه وفي تنفسه، ومن العجيب أنّ الرحم يتسع بقدرة الله لعدة توائم كما نرى ونسمع .

ج ـ ثم قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان:١٤] فالله هو المستحق للشكر أولاً؛ لأنه سبحانه هو الذي أنشأ من عدم وأمدَّ من عدم، ثم للوالدين

لأنها السبب الظاهري في الإيجاد وإنشاء الولد، وأنت لا تحسن شكر الله الخالق الأول والمسبب الأعلى حتى تحسن شكر الوالدين وهما السبب الثاني في وجودك .

د ـ ذكرت الآية الحمل والفصال، أي: الفطام، وبين الحمل والفطام كانت الولادة من الأم الوالدة؛ لذلك كانت الآيات التي تتحدث عن البر أو الدعاء أو التوصية للوالدين بصيغة الوالدين للتذكير بالأم التي كانت قد ولدتك، ومن هنا كان الاختيار لكلمة الوالدين دون الأبوين .

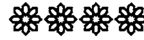
هـ ـ في هذه الآية جاءت الوصية للوالدين دون ذكرٍ لهاتين الكلمتين ﴿حُسْنًا﴾ و﴿إِحْسَانًا﴾بل ذكر فيها حيثيات هذه الوصية وأسبابها وعللها.

و ـ في خمس آيات وردت كلمة ﴿إِحْسَانًا﴾ وهي المذكورة في الآيات أعلاه في سور [البقرة و النساء والأنعام والإسراء والأحقاف] بينما وردت كلمة ﴿حُسْنًا﴾ في آية واحدة في سورة العنكبوت.

لكن ما الفرق بين ﴿إِحْسَانًا﴾ و﴿حُسْنًا﴾ ؟

الفرق: أنّ الإحسان مصدر أحسن، أي: الوصية بالإحسان إليهما . تقول : أحسن فلان لفلان إحساناً، أما حُسنا فمن الحُسن وهو المصدر الأصيل لهذه المادة ﴿حَسُنَ﴾ أي: أوصيك أنْ تعمل لهم الحُسن ذاته، كما تقول : فلان عادل ، فوصفته بالعدل فإنْ أردت أنْ تبالغ في هذا الوصف تقول: فلان عدل، أي: في ذاته لا مجرد وصف له، أي: كأنّ العدل تمثَّل به، وكذلك رجل صومٌ لا صائم، وهذا يسمى الوصف بالمصدر، لذلك نسمي : الكاتب بالعدل، ولا نسميه: الكاتب العادل.

إذن : (حسناً)آكد في الوصف من (إحساناً)، فلماذا جاءت في هذه الآية فقط : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [العنكبوت:٨] قالوا : لأنّ هذه الآية تتعرض لمسألة صعبة تمس قمة العقيدة فسوف يطلب الوالدان من الابن أنْ يشرك بالله ؛ لذا احتاج الأمر أنْ يوصى الابن بالحُسن في ذاته وفي أسمى توكيداته ﴿حُسْنًا﴾ حتى لا يظن الابن أنّ دعوة الوالدين إياه إلى الشرك مبرر لإهانتهما أو التخلي عنهما، لذلك يعلمنا ربنا أنْ يكون الموقف كما في الآية ١٥ من سورة لقمان ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان:١٥] .



﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

هذه الآية تخاطب بني إسرائيل الذين مضوا، ومع ذلك جاءت بصيغة المخاطب، فما السبب في مخاطبة من مضى؟

الجواب:

إنّ المخاطبة جاءت للخَلَف من بني إسرائيل لتبين للمؤمنين أنّ الخلف من بني إسرائيل هم بمنزلة أسلافهم؛ فأفعالهم واحدة وتصرفاتهم موروثة، والله أعلم .

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية جاءت هاء التنبيه مؤخرة على الضمير ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة:٨٥] بينما جاءت هاء التنبيه مقدمة في آية آل عمران ١١٩ في قوله تعالى ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ [آل عمران:١١٩] فما السبب ؟

الجواب:

١ـ يُقدم التنبيه أو يُؤخر أو يُكرر بحسب الحاجة إليه، وقد يُحذف إذا لم يكن له داعٍ.

٢ـ في آية آل عمران قدّم التنبيه؛ لأنه تحذيرٌ لعباده المؤمنين مما هم فيه، وأنه ينبغي لهم أنْ يحذروا وينتبهوا .

بينما في آية البقرة أخَّر التنبيه؛ لأنه أراد أنْ يُحضِّر أنفسهم أمام أعينهم هم ليشهدوا أعمالهم وصفاتهم، أي: أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون بصورتكم الواضحة التي لا تخفى ، فهو لم يرد تحذيرهم من أمر كما في آية آل عمران .

فالتنبيه في آل عمران لتنبيه المؤمنين ولفت انتباههم إلى أمر قد يكونون غافلين عنه، وأمّا آية البقرة فلإحضار صورتهم أمام أعينهم ليشاهدوها .

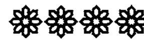
السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة:٨٥] فيه إشكال؛ لأنّ قوله ﴿أَنتُمْ﴾ للحاضرين وقوله : ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ للغائبين فكيف يكون الحاضر نفس الغائب؟

الجواب:

التقدير هو :

- ثم أنتم يا هؤلاء.
- ثم أنتم، أعني: هؤلاء الحاضرين.
- هؤلاء تأكيد لأنتم، والخبر (تقتلون).



﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦] في هذه الآية وكلمة ﴿يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ في آية البقرة ١٦٢، وآية آل عمران ٨٨ ؟

الجواب:

لنستعرض الآيات أولاً :

ـ قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [البقرة:٨٦] .

ـ قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة:١٦٢].

ـ قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨٨].

ثانياً :

لو نظرنا في سياق الآيات في سورة البقرة التي سبقت آية ٨٦ لوجدنا الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٤ ،٨٥] فالآيات تتكلم عن القتال والحرب والمحارب يريد النصر لذا ناسب أن تختم الآية ٨٦ بكلمة ﴿يُنصَرُونَ﴾ .

أمّا في الآية الثانية في سورة البقرة وآية سورة آل عمران ففي الآيتين وردت قبلهما ذكر اللعنة، واللعنة معناها الطرد من رحمة الله والإبعاد ، والمطرود كيف تنظر إليه؟

و كلمة ﴿يُنظَرُونَ﴾ تحتمل معنيين :

آ ـ لا يُمهلون في الوقت.

ب ـ ولا يُنظر إليهم نَظَرَ رحمة .

فإذا أُبعد الإنسان عن ربه وطُرد من رحمة الله كيف يُنظر إليه ؟ إنه خارج النظر .

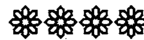
فلمّا ذكرت اللعنة في سياق الآيتين في سورة البقرة وسورة آل عمران استوجب ذكر ﴿يُنظَرُونَ﴾ .

السؤال الثاني :

ماذا تعني الباء في الآية ﴿اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة:٨٦] ؟

الجواب :

في أمور الشراء الباء مع الذاهب؛ فهم أخذوا الحياة الدنيا وكان الثمن الذاهب لها هو خسرانهم الآخرة .



﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل لمعنى لفظة ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [البقرة:٨٧] الواردة في الآية علاقة باليد؟

الجواب :

معنى أيّدناه، أي: قوّيناه وشددنا أزره وعضده، والفعل أيدناه مأخوذ من اليد، فما صلة اليد بقويّناه؟ اليد تطلق عادة على القدرة والمنعة؛ لأنها آلة القوة والدفاع عن النفس ومنع الآخرين من الاعتداء.

السؤال الثاني:

لماذا اختلفت صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧] ؟

الجواب:

(كذبتم) فعل ماض، و(تقتلون) فعل مضارع .

آ ـ الأفعال تعبّر أحياناً عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية، كقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمر:٧٣].

ب ـ أو تعبر عن الأحداث الماضية بأفعال مضارعة حكاية الحال فتُعبّر عن حدث ماضٍ بفعل مضارع، كأنما نريد أنْ نستحضر الحدث أمامنا، مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧] .

ج ـ الفعل المضارع ﴿تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ جاء ليدل على إمكانية تجدد وتكرار الحدث، وهم قد فعلوا ذلك فعلاً عندما حاولوا قتل النبي ﷺ لو لا أنْ عصمه الله منهم .



﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

مامعنى قوله تعالى ﴿غُلْفٌۢ ۚ﴾ [البقرة:٨٨] ؟

الجواب:

الغلف : جمع أغلُف، وهي الأغشية، والمعنى أنهم يقولون : قلوبنا غلف مملوءة بالعلم والحكمة وهي مغشاة بأغطية مانعة من وصول أثر دعوة النبي ﷺ لهم ، أو هي كالغلاف الخالي لا شيء فيه .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة:٨٨] ؟

الجواب:

في معانيها وجوه :

آـ لا يؤمن منهم إلا القليل.

ب ـ لا يؤمنون إلا بقليل مما كلفوا، حيث إنهم يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل.

ج ـ لا يؤمنون أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً، كما يقال : قليلاً ما يفعل، بمعنى لا يفعل البتة.

السؤال الثالث:

لماذا نصبت ﴿فَقَلِيلًا﴾ ؟

الجواب:

لفظة (قليلاً) نصبت على تقدير :

آـ نائب مفعول مطلق بتقدير: إيماناً قليلاً ، و(ما) صلة.

ب ـ بنزع الخافض، أي: بقليل ما يؤمنون .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاءت كلمة ﴿مُصَدِّقٌ﴾ [البقرة:٨٩] مرفوعة في هذه الآية وفي الآية[١٠١] بينما جاءت منصوبة في الآية [٩١] وجميع الآيات هي في سورة البقرة، فلماذا ؟

الجواب:

أولا: لنسنعرض الآيات :

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٨٩].

قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١] .

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:١٠١].

ثانياً:

الآية[٨٩] كتابٌ: فاعل مرفوع، فتكون الصفة ﴿مُصَدِّقٌ﴾ مرفوعة.

الآية [٩١] جملة ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الواو: واو الحال، والجملة (هو الحق) مبتدأ وخبر في محل نصب حال ، و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال منصوبة.

الآية[١٠١] رَسُولٌ: فاعل، وتكون ﴿مُصَدِّقٌ﴾ صفة مرفوعة .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بـ ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة:٩١] في الآية ؟

الجواب:

١ـ الدين الذي كان سائداً قبل الإسلام في جزيرة العرب هو اليهودية وليس النصرانية، واليهود كانوا قبائل في جزيرة العرب، واليهودي لا يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، ولذلك بقي يهودياً وإلا لأصبح نصرانياً أو مسلماً.

٢ـ وقوله تعالى ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: وراء ما أنزل الله عليهم مما أنزل الله على رسله ما قبل التوراة وما بعدها؛ لأنّ وراء تفيد: خلف وأمام، ولا شكّ أنّ هذا يشمل القرآن الكريم . وجاء بما يدلّ على القرآن بالصيغة الاسمية مع واو الحال ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ليدل عليه بشكل ثابت وقطعي، وعلى حاله بكونه ﴿مُصَدِّقًا﴾ للتوراة من غير تفاوت بينهما في الأصول .

٣ـ والقرآن يدلّ على نبوة محمد ﷺ، فلمّا أخبر الله عنه أنه مصدق للتوراة وجب اشتمال التوراة على الإخبار عن نبوته، وإلا لم يكن القرآن مصدقاً للتوراة بل كان مكذباً لها .

٤ـ وإذا كانت التوراة مشتملة على نبوة محمد ﷺ وهم قد اعترفوا بوجوب الإيمان بها لزمهم من هذه الجهة الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ .

السؤال الثاني:

ما دلالة صيغة الفعل المضارع فى ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ؟

الجواب:

هذا يُسمّى حكاية الحال، بمعنى أنه إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإنّ العرب تأتي بصيغة المضارع حتى تجعل الحدث وكأنه شاخص ومُشاهد أمامك.

والمضارع يدل على الحال والاستقبال، والإنسان يتفاعل عادة مع الحدث الذي يشاهده أكثر من الحدث الذي لم يره أو الذي وقع منذ زمن بعيد، فالعرب تحول صيغة الأحداث إلى صيــغة مضارع وإنْ كانت ماضية .

وهذا الأمر ورد في القرآن كثيراً، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة:٩١] قتل الأنبياء هو حالة مستغربة، وفي القرآن يأتي بصيغة المضارع مع الأشياء التي تدل على الحركة والحيوية والمهمة.

وقد جاء في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر:٩] جاء فعل (أرسل) بصيغة الماضي ثم فعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع ثم فعل ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ بصيغة الماضي مع أنّ السّوق يأتي بعد الإثارة والأحداث كلها ماضية؛ لكنّ الإثارة مشهد حركة فجعلها بصيغة المضارع ليدلّ على الحضور.

وهذا الأمر نجده أيضاً في السيرة، ففيما روي عن الصحابي الذي قتل أبا رافع اليهودي الذي آذى الرسول ﷺ قال يصف ما حصل شعراً:

فناديت أبا رافع فقال نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهش ؟

فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب، فكأنّ السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾ في هذه الآية وفي القرآن الكريم؟

الجواب:

ورد هذا التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾ في القرآن الكريم في (١٦) موضعاً وهي (البقرة ٩١،٩٣،٢٤٨،٢٧٨) وآل عمران (٥٦، ١٣٩، ١٧٥) المائدة (٢٣، ١١٢،٥٧) الأعراف (٨٥) الأنفال (١)التوبة (١٣) هود(٨٦) النور(١٧) الحديد (٨) .

بينما ورد التركيب ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ في مكان واحد في آية التوبة[٦٢] في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [التوبة:٦٢] .

وهذا التركيب العجيب يضع الناس أمام أنفسهم وجهاً لوجه ، وسر هذا التركيب يكمن في كلمة (إنْ) وهي أداة شرط تستعمل في القرآن عندما يكون الأمر موضع شك قابلاً للظن والاحتمال ، أمّا (إذا) فتستعمل في مواضع اليقين .

وقد ورد تركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ مع فئتين من الناس :

الأولى : وهم المؤمنون الصادقون الذين لا يُشَكُّ في صدقهم وحسن بلائهم وسابق جهادهم وصحبتهم للنبي ﷺ .

الثانية : وهم المنافقون الفاسقون الذين لا يُشَكُّ في خياناتهم وتلونهم وكذبهم.

ومن السهل أنْ نفهم التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ مع الفئة الثانية فهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين، ولذلك يخاطبهم الله عز وجل بأسلوب الشك في إيمانهم ويبين للمؤمنين الصادقين كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة:٩١].

أمّا ورود هذا التركيب مع فئة المؤمنين الصادقين المخلصين فكما في آية الأنفال [١] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال:١] وقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ في غزوة بدر ومعه الصحابة الذين هم أكرم أهل الأرض بعد أنبياء الله ، فمن الواضح أنّ مثل هذه الآية عندما ترد مع مثل هؤلاء الناس تكون تطهيراً لهم وتعليماً وتذكيراً، كأنها تضعهم في منزلة الشك في إيمانهم إنْ لم يفعلوا ما يأمرهم الله به فيهبوا للعمل بأحكام الله فيدفعوا عنهم صورة التردد والشك، وليدخلوا في دائرة الإيمان الوثيق الذي يعلمه الله منهم بصدق أقوالهم وأعمالهم .

السؤال الرابع:

ما دلالة لفظة ﴿قَبْلُ﴾ في هذه الآية ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٩١]؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿مِن قَبْلُ﴾ طمأنة لرسول الله ﷺ إلى أنّ قتلهم الأنبياء انتهى ، وفي الوقت نفسه قضاء على آمال اليهود في أنْ يقتلوا محمداً ﷺ .

وبذلك نزع الله الخوف من صدور وقلوب المؤمنين على رسول الله ﷺ بأنّ ما جرى للرسل السابقين من بني إسرائيل لن يجري على رسول الله ﷺ وأنهم لو تآمروا على قتله عليه الصلاة والسلام فلن يفلحوا.

واليهود بعد نزول هذه الآية لم يتوقفوا عن تآمرهم على قتل رسول الله ﷺ مرة بمحاولة إلقاء الحجر عليه، ومرة بدس السم له، ومحاولات أخرى لكنها فشلت كلها.

السؤال الخامس:

كيف جاز قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ ولا يجوز أنْ يقال : أنا أضربك أمس؟

الجواب:

فيه قولان :

آ ـ أنّ ذلك جائز إذا كان بمنزلة الصفة اللازمة، كقولك : ويحك لِمَ تكذب؟ كأنك قلت: لم يكن هذا من شأنك ، وكقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] ولم يقل: ما تلت؛ لأنه أراد من شأنها التلاوة.

ب ـ كأنه قال : لم ترضون بقتل الأنبياء من قبل إنْ كنتم آمنتم بالتوراة ؟

والله أعلم .

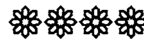
﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

متى تُذكَّر ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أو تؤنَّثُ في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بصورها المختلفة في القرآن الكريم حوالي ٥٢ مرة، فإنْ جاءت بمعنى المعجزات تؤنث، وإنْ جاءت بمعنى حبل الله أو القرآن تذكر .



﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

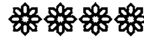
ما معنى ﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ في الآية ؟

الجواب:

الإشراب هو أنْ تسقي غيرك وتجعله يشرب، فكيف أُشربوا العجل؟

إنّ الشرب هو جريان الماء في عروق الإنسان، وقد عبّر الله تعالى عن شدة شغف اليهود بالعجل بشرب الماء؛ لأنّ الماء أسرى الأجسام في غيره، ولذلك يقال: الماء مطية الأدوية ومركبها التي تسافر به في أقطار البدن، فجعل شدة حبهم للعجل وعدم قدرتهم

على إخراج هذا الحب الذي خالطهم أشبه ما يكون بالماء الذي لا غنى لأحد عنه وهو يسري في عروق الإنسان فيصبح جزءاً من جسم الإنسان ، وكذلك حُبُّ بني إسرائيل للعجل خالط لحومهم ودماءهم حتى غدا جزءاً منهم.



﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

عبّر الله تعالى في الآية عن الذنوب والمعاصي التي ارتكبها بنو إسرائيل بقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥] فلِمَ خصَّ اليد بالذنب دون غيرها مع أنهم أساءوا لعيسى عليه السلام بلسانهم وكذبهم عليه؟

الجواب:

إذا رجعت إلى فظائعهم وجدت أفظعها باليد، فأكثر ما صنعوه هو تحريف التوراة ووسيلته اليد، وأفظع ما اقترفوه قتل الأنبياء وآلته اليد.

السؤال الثاني:

نفى التمني في هذه الآية بلن ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة:٩٥] ونفاه في آية الجمعة بلا ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ [الجمعة:٧] فما سبب الفرق ؟

الجواب:

السبب هو اختلاف سياق الآيتين :

أولاً ـ السياق :

قال في الجمعة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

وقال في البقرة : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

فأنت ترى الفرق واضحاً بين السياقين؛ فالكلام في آية البقرة عن الآخرة، والدار الآخرة للاستقبال؛ فنفى بـ(لن)؛ إذ هو حرفٌ خاصٌ بالاستقبال .

وأمّا الكلام في آية الجمعة فهو عام لا يختص بزمن دون زمن ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الجمعة:٦] فهذا أمر مطلق ؛ من أجل هذا نفى بـ (لا)، وهو حرف يفيد الإطلاق والعموم .

ثانياً :

لمّا كان الزمنُ في آية الجمعة عاماً مطلقاً غير مقيد نفاه بـ(لا) التي آخرها حرف إطلاق وهو الألف ، ولمّا كان الزمن مقيداً في آية البقرة للاستقبال وهو زمنٌ مقيد نفاه بـ(لن) التي آخرها حرف مقيد ، وهو النون الساكنة، وهو تناظر فني جميل .

ثالثاً :

تُعدّ هذه الآية بما فيها من تحدٍّ سافر لليهود إحدى معجزات القرآن وإحدى دلائل النبوة، ألا ترى أنها نفت صدور تمني الموت مع حرصهم على أنْ يظهروا تكذيب النبي ﷺ فكان تمني الموت فيه تكذيب لهذه الآية ومن ثَمَّ تكذيب للنبي عليه السلام، ومع ذلك لم يُنقل عن أحد منهم أنه تمنى الموت.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿قَدَّمَتْ﴾ في الآية، ما العلاقة بين التعبيرين (بما قدمت) و (بما كسبت) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ الآيات التي فيها فعل ﴿قَدَّمَتْ﴾ ليس فيها كسب .

شواهد قرآنية : ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ :

البقرة ٩٥ـ النساء ٦٢ـ القصص٤٧ـ الروم٣٦ـ الشورى ٤٨ـ الجمعة ٧

٢ـ آيات الكسب ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يسبقها شيء يدل على الكسب، والكسب هنا هو الكسب غير المشروع.

شواهد قرآنية : ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ :

البقرة ٢٢٥ـ الأنعام ٧٠ـ الرعد ٣٣ـ الروم٤١ـ غافر١٧ـ الشورى ٣٠ـ الجاثية ٢٢ـ المدثر ٣٨.

فمثلاً : آية الشورى ٣٠ ، ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ وسبقها في الآية ٢٧ قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧] وبسط الرزق يدل على الكسب.

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام كلمة ﴿حَيَوٰةٍ﴾ نكرة في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ الآية في سياق الحديث عن اليهود، وجاءت كلمة ﴿حَيَوٰةٍ﴾ نكرة، وهي تعني أيَّ حياةٍ مهما كانت تافهة أو ذليلة، وهذه إشارة إلى أنهم يريدون أي حياة كانت وإنْ كانت تافهة أو مُهينة وليست الحياة الكريمة، لذا هم حرصوا على حياة تافهة ولا يتمنون الموت كما تحدّاهم به القرآن.

٢ـ المشرك حريص على الحياة؛ لأنه يعتقد أنّ الدنيا هي الغاية، بينما اليهود أشد حرصاً على الحياة من المشركين؛ لأنهم يخافون الموت لسوء أعمالهم السابقة، لذلك كلما طالت حياتهم ظنوا أنهم بعيدون عن عذاب الله، ولذلك هم لا يبالون أنْ يعيشوا في ذلة أو في مسكنة، المهم أنْ يعيشوا في أي حياة مهما كان نوعها، ولذلك جاءت بالتنكير؛ لأنّ النكرة تفيد الكثرة وهم يريدون الحياة المتطاولة، فناسب التنكير.

السؤال الثاني:

ما دلالة الود في الآية في أنْ يعيشوا ألف سنة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الود هو الحب، أي: أنهم يحبون أنْ يعيشوا ألف سنة أو أكثر، لكنّ هذا أيزحزحه عن العذاب ؟ بالطبع لا؛ لأنّ طول العمر لا يغير النهاية .

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بصيغة المبني للمجهول؛ ليدل على أنّ الأمر بيد الله وأنّ العمر ليس ملكاً لإنسان.

السؤال الثالث:

لماذا ذُكرت الألف سنة ؟

الجواب:

لأنها هي نهاية ما كان العرب يعرفونه من الحساب، ولذلك فإنّ الرجل الذي أَسر في الحرب أخت كسرى فقالت له: كم تأخذ وتتركني ؟ قال : ألف درهم ، قالوا له: بكم فديتها؟ قال: بألف، قالوا: لو طلبت أكثر من ألف لكانوا أعطوك، قال: والله لو عرفت شيئاً فوق الألف لقلته، ولذلك كانوا يقولون عن المليون: ألف ألف .

السؤال الرابع:

أين مفعولا الفعل المتعدي ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة:٩٦] في الآية ؟

الجواب:

الفعل ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾[البقرة:٩٦] هو فعل متعدٍّ إلى مفعولين، وهما الضمير(هم) في ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾[البقرة:٩٦] و﴿أَحْرَصَ﴾[البقرة:٩٦].

السؤال الخامس:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] ما دلالتها ؟

الجواب:

الواو في الآية على ثلاثة أقوال :

آـ حرف عطف بتقدير أنّ اليهود أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين أشركوا، وهذا القول أولى، والله أعلم .

ب ـ استئنافية؛ أي أن الكلام تم عند قوله تعالى ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ [البقرة:٩٦] ثم استأنف قوله .

ج ـ أنّ فيه تقديماً وتأخيراً، وتقديره : ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة، ثم فسر هذه المحبة بقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [البقرة:٩٦] .

السؤال السادس:

من المقصودون في الآية ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] قيل: هم المجوس، وقيل: الأعاجم، وقيل: هم مشركو العرب، وقيل: كل مشرك لا يؤمن بالمعاد .

السؤال السابع:

ما دلالة الزحزحة في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة:٩٦] الزحزحة: هي التبعيد والإنحاء، والمراد: أنه لا يؤثر في إزالة العذاب أقل تأثير.

السؤال الثامن:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] و يراد به البصر والعلم، فالله بصير وعليم بأفعالهم.

وجاء بالفعل المضارع: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] للدلالة على تجدد الحدث باستمرار.

السؤال التاسع:

في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ما الفرق بين العمل والفعل والصنع ؟

الجواب:

قال: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ولم يقل: يفعلون، أو يصنعون :

آـ يفعلون : الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد .

ب ـ يعملون : في الأكثر فيه قصد، وهو مختص بالإنسان، وهو أخص من الفعل، لذلك قلّما ينسب إلى الحيوان ، والعرب لم تقله إلا في البقر التي تحرث الأرض.

ج ـ يصنعون : الصنع أخص، وهو إجادة الفعل ويحتاج إلى دقة، ولا ينسب إلى حيوان أو جماد فهو أخص من العمل، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

وعندما تأتي ﴿يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ فتعني ما يخططون وما يدبرون بدقة وإجادة.

فالفعل عام والعمل أخص منه، والصنع أخص ويحتاج إلى دقة .

لمزيد من التفصيل يرجى الرجوع لآية البقرة رقم (٧١) .

والله أعلم.



﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة:٩٧] ؟

الجواب:

الحق سبحانه يريد أنْ يلفتنا إلى أعمال اليهود، فهم :

١ـ يقتلون الأنبياء.

٢ـ يحرفون التوراة.

٣ـ يعادون الملائكة وخاصة جبريل عليه السلام .

وعداوتهم للملائكة تؤكد ماديتهم فهم يقيسون الأمر على البشر.

والله يقول عن السبب :﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧] .

وهكذا الحق سبحانه يريد أنْ يلفتنا إلى وحدة الحق في الدين، فالمصدر هو الله جل جلاله، ورسوله من الملائكة هو جبريل، ورسله من البشر هم الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله، وميكائيل ينزل بالخير والخصب؛ لأنّ الإيمان أصل وجود الحياة .

لذلك من كان عدواً للملائكة والرسل وجبريل وميكال فهو كافر، وهذا الحكم لم يخبر به الله رسوله ﷺ فقط ، وإنما أمره بأنْ يعلنه حتى يعرفه الناس جميعاً ويعرفوا أنّ اليهود كافرون.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] في هذه الآية وبين ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٩٩] في آية البقرة ٩٩ ؟

الجواب:

أولا ـ لنستعرض الآيات :

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة:٩٩] .

ثانياً ـ السياق :

١ـ آية البقرة [٩٧] تخص اليهود، حيث أعلنوا عداءهم لجبريل عليه السلام ، فكأنّ الآية تقول لهم : جبريل لم يصنع شيئاً من عند نفسه وإنما نزّل القرآن على قلب محمد ﷺ بإذنٍ من الله تعالى ،و(على) تفيد الاستعلاء.

والفعل (نزّل) بالتضعيف يفيد التكثير والتدريج.

٢ـ آيتا البقرة [٩٨،٩٩] ذكر الله جبريل عليه السلام في الآية [٩٨] لكنّ الله سبحانه في الآية [٩٩] وهو يتكلم عن إنزال القرآن الكريم لم يشر إلى جبريل، وإنما أشار إلى المصدر الأول وهو الله سبحانه، فقال بصيغة التوكيد: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٩٩] والحرف (إلى) يفيد الإيصال ، أي: أوصلنا القرآن إليك لتبلغه للناس.



﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر الملائكة ثم ذكر جبريل وميكال في هذه الآية ؟

الجواب:

لدينا نوعان رئيسان من العطف :

الأول : يسمى من باب عطف الخاص على العام لأهمية المذكور، كما في الآية ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨]

جبريل وميكال من الملائكة، وهما من رؤساء الملائكة فذكرهم لأهميتهم، وهذا كثير في القرآن نحو :

قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] والصلاة الوسطى من الصلوات؛ فهذا من باب عطف الخاص على العام.

وقوله تعالى عن الجنة : ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن:٦٨] هذا لأهمية هذا الأمر وخصوصيته.

وكذلك فإنّ جبريل وميكال عليهما السلام ليسا كعموم الملائكة، لكنهم منهم فيسمونه عطف الخاص على العام، وذكر هؤلاء دلالة على أنّ للمذكور مزية خاصة ليست كالعموم.

الثاني : هو عطف العام على الخاص، كما في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة:١٣٦] وإبراهيم وإسماعيل من النبيين.

وهذا له قيمة بلاغية دلالية ليُظهر أهميته، فعندما يذكر الصلاة الوسطى والمحافظة عليها يذكرها لأهميتها الخاصة، وعندما يذكر جبريل وميكال يذكرهما لأنهما ليسا كعموم الملائكة؛ فجبريل مختص بالوحي .

السؤال الثاني:

ما معنى اسم (جبريل)؟

الجواب:

(جبريل) اسم عبراني للملك المرسَل من الله تعالى بالوحي لرسله وهو مركّب من كلمتين: كلمة (جِبر) وكلمة (إيل)، فأما كلمة (جِبر) فمعناها عبد أو القوة، وكلمة (إيل) تعني اسماً من أسماء الله في العبرانية.

وقد ورد اسم جبريل في القرآن في عدة صور منها: (جِبريل)، وبها قرأ الجمهور، ومنها (جَبريل) وبها قرأ ابن كثير، ومنها (جِبرائيل) وبها قرأ حمزة والكسائي، و(جَبرائيل) وبها قرأ أبو بكر عن عاصم.

السؤال الثالث:

ما دلالة ختام الآية في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] هي إجابة عامة وليست للشرط فقط ، والمقصود بها إرادة العموم، ولا يكون الجواب منحصراً بالشخص المذكور، فلم يقل مثلا: ﴿عدو لهم﴾ بل أفاد أنّ هؤلاء كافرون، والآية تشمل كل الكافرين، وهؤلاء دخلوا في زمرة الكافرين، ولا تقتصر عداوة الله تعالى على هؤلاء، وإنما تعم جميع الكافرين .

فأفاد في الآية أمرين :

آ ـ أنّ هؤلاء كافرون.

ب ـ وأنّ عداوة الله ليست مقصورة عليهم، وإنما تشمل كل كافر.

والآية نظير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] فجاءت للعموم ولم يقل تعالى: (لا نضيع أجرهم) للأفراد، حتى لا يكون الأمر مقتصرا على الذين يمسكون بالكتاب ويقيمون الصلاة؛ بل ليشملهم ويشمل غيرهم من المصلحين.

والله أعلم.



﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ ﴾ [البقرة:١٠٠] لِمَ عبّر الله تعالى عن نقض اليهود للعهد والميثاق بالنبذ؟

الجواب:

النبذ: هو الطرح والإلقاء، فما علاقة الطرح بنقض الميثاق؟ لقد جعل الله تعالى العهد والميثاق الذي أقرّ به اليهود بكتاب أحكموا قبضته بيدهم حتى لا يقع، ولكنهم سرعان ما تخلوا عن عهدهم وألقوا هذا الكتاب وطرحوه أرضاً إشارة إلى نقضهم للميثاق.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ و ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

القرآن الكريم يستعمل أوتوا الكتاب في مقام الذم، ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح، هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب) و(آتيناهم الكتاب) فحيث قال: (أوتوا الكتاب) فهي في مقام الذم، وحيث قال: (آتيناهم الكتاب) في مقام الثناء والمدح. والقرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات وإن لم تجرِ في سنن العربية.

شواهد قرآنية: (أوتوا الكتاب):

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة:١٠١] هذا ذم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البيِّنة:٤] هذا ذم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤] هذا ذم.

شواهد قرآنية : (آتيناهم الكتاب) :

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] مدح .

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد:٣٦] مدح.

والتعبير (أوتوا) في العربية لا يأتي في مقام الذم، وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم.

وعموماً فإن رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه؛ ولذلك لما كان قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه .

بينما (أوتوا) فيها ذم، فنسبه للمجهول، نحو قوله تعالى :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥] هذا ذم

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى:١٤] . هذا ذم .

بينما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢] فهذا مدح.

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] لم نسب الله تعالى تعليم السحر لليهود؟

الجواب:

نسب الله تعالى تعليم السحر لليهود؛ لأنهم اشتُهروا في هذا المجال وعُرِفوا به وعُرف بهم حتى غدا سمة من سماتهم ، وقد اعتقد المسلمون في المدينة أنّ اليهود سحروا المسلمين فلا يولد لهم؛ ولذلك استبشروا لما وُلِد عبد الله بن الزبير، وهو أول ولد للمهاجرين في المدينة.

السؤال الثاني:

ما السِّحرُ ؟

الجواب:

السحر هو مجموعة أشياء تفعلها تفرق بها بين الناس أو تؤذيهم أو تُنسّيهم، كما في آية البقرة [١٠٢]، والإنسان مليء بالطاقات الهائلة في الخير والشر، وواجبنا أنْ نتجه إلى الخير ونوجه طاقاتنا إلى الخير ونبتعد عن الشر.

ومن وسائل استجلاب الطاقة :

١ـ الصمت : وفي الحديث «**إذا رأيتم الرجل يُطيل الصمت فهو يُلقن الحكمة**».

٢ـ الخلوة والابتعاد عن كثرة الاختلاط مع الناس .

٣ـ التأمل .

٤ـ طاعة الله.

٥ـ التدريب العقلي لإبراز طاقات الإنسان.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ﴾ [البقرة:١٠٢] ؟

الجواب:

هما علّما الناس وانتهى الأمر، الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي فيما نسميه (حكاية الحال)، كما يُعبّر عن الماضي للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ

وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة:١٤٤] وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [البقرة:٩١] فالفعل (تقتلون)، وقال معها: (من قبل).

وحكاية الحال هو أن يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع للشيء المهم كأنه يجعله حاضراً أمام السامع، واستحضار الصورة في القرآن كثير وفي غير القرآن .

السؤال الرابع:

ما إعراب ﴿مَا﴾ المتكررة في هذه الآية ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ﴾ ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾ ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ؟

الجواب:

- ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه مفعول به (اسم موصول).
- ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية .
- ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة:١٠٢] معطوفة على السحر(اسم موصول).
- ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية .
- ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه مفعول به بمعنى الذي .
- ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية .

- ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية بمعنى ليس، وما دام الجار والمجرور قد تقدم على اسمها فإنها لا تعمل، وقد تكون حجازية، لكن لا نعرفها لوجود (من) الزائدة، لأنّ الخبر جار ومجرور .

السؤال الخامس:

ما أهم دروس هذه الآية الكريمة ؟

الجواب:

وقفات مختصرة سريعة عند الآية الكريمة :

١ـ الحق سبحانه يقول: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] ولكنّ الشياطين تلت وانتهت، واستحضار اليهود حتى الآن لما كانت تتلوه الشياطين دليل على أنهم يؤمنون به وأنّ هذا الاتباع مستمر حتى الآن فجاء بصيغة المضارع .

٢ـ الجن فيهم المؤمن وفيهم الكافر، والشياطين هم مردة الجن المتمردون على منهج الله.

٣ـ قوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: على أيام ملك سليمان.

٤ـ كانت الشياطين قبل نزول القرآن يسترقون السمع لكنْ بعد البعثة النبوية امتنع ذلك كله.

٥ـ أراد الله أولاً أنْ ينفي تهمة الكفر عن سليمان عليه السلام قبل أنْ يحكي حكاية الشياطين.

٦ـ حين أعطى الله سليمان المُلك، كان الشياطين يملأون الأرض بالسحر وكتبه، فأخذ سليمان عليه السلام هذه الكتب، وقيل: إنه دفنها تحت عرشه، فلما مات عثرت

الشياطين على هذه الكتب، وقال أولياؤهم من أحبار اليهود: إنّ هذه الكتب من السحر هي التي كان سليمان يسيطر بها على الجن والإنس وإنها كانت منهجه وأشاعوها بين الناس، فأراد الله أنْ يبرىء سليمان من هذه التهمة ومن أنه حكم بالسحر ونشر الكفر، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة:١٠٢] وصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد (ولقد) ونفاه في آخر الآية عنهم؛ لأنهم لم يعملوا بعلمهم.

٨ـ السحر تخيُّلٌ ، والشياطين لهم القدرة على التشكل بأي صورة من الصور، ونحن لا نستطيع أنْ ندرك الشيطان على صورته الحقيقية، ولكنه إذا تشكل نستطيع أنْ نراه في صورة مادية، وهو لا يبقى في تشكله إلا لمحة ثم يختفي في ثوان؛ لأنّ قانون التشكل يحكمه، وهذا من رحمة الله بنا، وإلا لكانوا أفزعونا وجعلوا حياتنا جحيماً.

٩ـ السحر يؤدي إلى اختلال التوازن في الكون؛ لأنّ الساحر يستعين بقوة أعلى في عنصرها من الإنسان وهو الشيطان، وهو مخلوق من النار خفيف الحركة قادر على التشكل .

١٠ـ الإنسان عندما يطلب تعلم السحر وكيف يسخر الجن يدعي أنه يفعل الخير في الكون ولكنها ليست حقيقة؛ لأنّ هذا يعينه على الطغيان، والذي يخل بالأمن هو عدم التكافؤ بين الناس، والله سبحانه يريد تكافؤ الفرص ليحفظ أمن وسلامة الكون؛ ولذلك يقول لنا: لا تطغوا وتستعينوا بالشياطين في الطغيان فيفسد أمن الكون.

١١ـ شاءت حكمة الله تعالى أنْ يضع في الكون ما يجعل كل مخلوق لا يغتر بذاتيته، فقد اغتر إبليس بذاتيته ورفض أنْ يسجد لآدم ؛ لذلك لمّا أراد الله أنْ يعلم البشر من القوانين ما يجعل هذا العنصر الأعلى - وهو الشيطان - يخضع للأدنى - وهو الإنسان- حتى يعرف كل خلق الله أنه إنْ ميزهم الله في عنصر من العناصر فإنّ هذا ليس بإرادتهم ولكنْ بمشيئة الله سبحانه .

ولذلك أرسل الملكين ببابل هاروت وماروت ليعلما الناس السحر الذي يُخضع الأعلى عنصراً للأدنى.

١٢ ـ هذان الملكان كلّفا بأنْ يعلّما الناس السحر وأنْ يحذّرا بأنّ السحر فتنة تؤدي إلى الكفر، وأنّ السحر لا ينفع إلا في الشر وفي التفريق بين الرجل وزوجه، وأنّ ضرر السحر لا يقع إلا بإذن الله وقد فعلا ذلك ، والفتنة هي الامتحان .

١٣ ـ ما قيل: إنّ امرأة جميلة فتنت الملكين قصة غير صحيحة مطلقاً، تتنافى مع طبيعة الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم.

١٤ ـ الله يخبرنا أنْ تعلم السحر يضر ولا ينفع، وتجد من يعمل بذلك يعتمد في رزقه على غيره من البشر ، ويظل يبحث عن إنسان يغريه ليأخذ منه ماله، وتجد أنّ حياته وكل أموره غير مستقرة، وكل من يعمل بالسحر يموت فقيراً ، ثم يلعنه الله ولا يكون له في الآخرة إلا النار.

١٥ـ الله سبحانه وتعالى إذا كانت حكمته قد اقتضت أنْ يكون السحر من فتن الدنيا وابتلاءاتها فإنه سبحانه قد حكم على كل من يعمل بالسحر بأنه كافر، ولذلك لا

يجب على الإنسان أنْ يتعلم أو يقرأ عن السحر؛ لأنه وقت تعلمه قد يقول: سأفعل الخير، ثم ما يلبث أن يستخدمه في الشر، كما أن الشياطين التي يستعين بها الساحر غالباً ما تنقلب عليه لتذيقه وبال أمره، واقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⑥﴾ [الجن:٦] .

اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ، ولكنك احتفظت لنفسك بإذن الضر فأعوذ بما احتفظت به بما أقدرت عليه بحق قولك: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢] .

ومن أنواع السحر المعروف قديماً :

١ـ سحر الكلدانيين، وهم قوم يعبدون الكواكب ويعتقدون أنّ أفعال الخير والشر تصدر منها.

٢ـ سحر أصحاب الأوهام مع النفس القوية.

٣ـ الاستعانة بالأرواح الأرضية، مثل الجن.

٤ـ التخيلات والأخذ بالعيون.

٥ـ الأعمال العجيبة نتيجة الحيل.

٦ـ الاستعانة بخواص استعمال المواد مثل الكبريت والفوسفور وخواص الكهرباء.

٧ـ كلمات منظومة السحر في القرآن هي [السحر ـ العين ـ الحسد ـ النفث] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما مناسبة نزول هذه الآية عقب آيات السحر؟

الجواب:

نُهِيَ المؤمنون عن التلفظ بكلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ وهذه كلمة تشبه كلمة في العبرانية تعني المسبّة، فقال المنافقون واليهود: كنا نسبّ الرسول ﷺ سرّاً فأعلنوا بها الآن، فأنزل الله تعالى النهي عن هذه الكلمة وكشف عمل اليهود والمنافقين.

لكنْ ما مناسبة نزول هذه الآية عقب آيات السحر؟ لو رجعنا إلى أصل السحر لرأيناه يرجع إلى التمويه وأنّ من ضروب السحر ما هو تمويه الألفاظ، فأذى الشخص بقول أو فعل لا يُعلم مغزاهما كخطابه بلفظ يفيد معنى ومقصود المتكلم به أذى، كما فعل المنافقون بقولهم: ﴿رَٰعِنَا﴾ فهم يظهرون معنى ويبطنون غيره.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ اعلم أنّ الله قد خاطب المؤمنين بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في تسعة وثمانين موضعاً من القرآن، وكان يخاطب في التوراة بقوله: (يا أيها المساكين)، فكأنه سبحانه لمّا خاطبهم أولاً بالمساكين أثبت المسكنة لهم آخراً، والمسكنة هي تشديد المحن

حيث قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] وهذا يدل على أنه تعالى لمّا خاطب هذه الأمة بالإيمان أولاً؛ فإنه يعطيهم الأمان من العذاب في النار يوم القيامة.

واسم المؤمن من أشرف الأسماء والصفات، فخاطبنا الله به فنرجو من فضله وكرمه أنْ يعاملنا في الآخرة بأحسن المعاملات ، اللهم آمين.

٢ـ في الآية الكريمة نداء للمؤمنين بأنْ يمتنعوا عن قول ﴿رَٰعِنَا﴾ ويقولوا بدلاً عنها ﴿ٱنظُرْنَا﴾ .

كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ في اللغة العربية مشتقة من الرعاية والراعي، وتصبح الكلمة بمعنى: احفظنا وخذ بيدنا وراقبنا.

لكن هذه الكلمة عند اليهود في لغتهم العبرانية مأخوذة من الرعونة، ولذلك كانوا إذا سمعوا من صحابة رسول الله كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ اتخذوها وسيلة للسباب بالنسبة لرسول الله ﷺ ، والمسلمون لا يدرون شيئاً، لذلك أمرهم الله أنْ يتركوا هذه الكلمة حتى لا يجد اليهود وسيلة لستر سبابهم وأمرهم بأن يقولوا: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ .

٣ـ ثم قال الحق بعدها: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ، وهنا يشير الله إلى الفرق بين اليهود والمؤمنين، فاليهود قالوا : (سمعنا وعصينا) ولكنّ الله يقول للمؤمنين ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ سماع طاعة وسماع تنفيذ.

سعد بن معاذ رضي الله عنه سمع واحداً من اليهود يقول لرسول الله ﷺ ﴿رَٰعِنَا﴾ وسعد كان سابقاً من أحبار اليهود ويعرف لغتهم ، فلمّا سمع ما قاله فهم

مراده فذهب إلى اليهودي وقال له : لو سمعتها منك مرة أخرى لضربت عنقك . فقال اليهودي: أَوَلستم تقولونها لنبيكم ؟ أهي علينا حرام وحلال لكم ؟ فنزلت هذه الآية.

كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ وكلمة ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ لهما نفس المعنى ، ولكن كلمة ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ ليس لها نظير في لغة اليهود التي تعني الإساءة لرسول الله ﷺ.

٤- ثم قال: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة:١٠٤] أي: من يقول: ﴿رَٰعِنَا﴾ إساءة لرسول الله ﷺ لهم عذاب أليم، وقدّم الجار والمجرور للحصر.

والله أعلم.



﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الفضل بالعظيم؟

الجواب:

وُصِف الفوز في القرآن الكريم وكذلك الفضل بأنه عظيم وكبير ومبين.

الفضل وُصِف بالعظيم في ثماني آيات في القرآن كله، ووصف بالكبير في ثلاث آيات، ووصف بالمبين في آية واحدة .

والخلاصة التي نقدمها في هذا الموضوع ابتداء قبل استعراض الآيات :

١ـ أنّ الوصف إذا كان بلفظ العظيم يكون متصل الإسناد مباشرة باسم الجلالة (الله)، ويكون الوصف متعدداً .

٢ـ وعندما تكون الإشارة إلى فضل من الله تعالى بغير إسناد مباشر للفظ الجلالة (الله) يوصف الفضل بالكبير .

٣ـ وعندما يكون الأمر دنيوياً ويكون شيئاً مباشراً ظاهراً ملموساً يستعمل كلمة (مبين) في وصف الفضل.

٤ـ جاءت كلمة (الفضل) في القرآن معرّفة، أي: (الفضل)، وجاءت نكرة أيضاً ؛ أي: فضل، فإذا كان ما قبلها معرّفاً جاءت معرّفة، وإذا كان ما قبلها نكرة جاءت نكرة.

شواهد قرآنية (الفضل العظيم) ٨ آيات :

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة:١٠٥] فلمّا كان الفضل متصلاً بخبر اسم الجلالة كان استعمال كلمة ﴿العظيم﴾ للفضل .

وكذلك الآيات [٧٤] آل عمران [٢٩] الأنفال [٢١] الحديد [٢٩] الحديد [٤] الجمعة [١٧٤] آل عمران [١١٣] النساء

أمّا من حيث المعنى، فلو نظرنا إلى الآيات في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [البقرة:١٠٥] سنجده سبحانه يختص الرحمة التي هي شيء واسع بمن يشاء، والدليل على سعة الرحمة قوله تعالى﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] وعندما

يكون الشيء واسعاً يتناسب معه استعمال كلمة (العظيم)، وعندما يكون الشيء منحصراً تستعمل كلمة (الكبير).

شواهد قرآنية (الفضل الكبير) ٣ آيات :

- ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الشورى:٢٢].

- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الإسراء:٨٧].

شواهد قرآنية (الفضل المبين) ١ آية :

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦].

السؤال الثاني:

لِمَ عطف الله تعالى قوله ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥] على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٠٥] مع أنّ المشركين كافرون؟

الجواب:

لقد عطف الله تعالى قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥] على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٠٥] لئلا يقع في الظن أنّ الحسد يقع من أهل الكتاب وحدهم دون غيرهم، فالكفر سبب البُغض والحسد لأيٍّ ما كان وفي أيِّ زمن كان.

السؤال الثالث:

الحرف ﴿مِنْ﴾ تكرر في الآية ثلاث مرات، فما دلالة كل مرة ؟

الجواب:

﴿مِنْ﴾ الأولى للبيان؛ لأنّ الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، والثانية : لاستغراق الخير، والثالثة : لابتداء الغاية.

السؤال الرابع:

ما الدروس المستفادة من هذه الآية بشكل مختصر ؟

الجواب:

١ـ لّما بيّن سبحانه في الآيات السابقة حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة حذّر المؤمنين منهم بهذه الآية، فنفى عن قلوبهم الود والمحبة لكل ما يظهر به فضل المؤمنين .

والخيرهو الوحي، وكذلك الرحمة كقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزُّخرُف:٣٢] والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأنْ يوحى إليهم فيحسدوكم ولا يحبوا أنْ ينزل عليكم شيء من الوحي .

٢ـ ثم بيّن سبحانه أنّ ذلك الحسد لا يؤثر في زوال ذلك، فإنه سبحانه يختص برحمته وإحسانه من يشاء.

والله أعلم .

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية هناك قراءتان لكلمة ﴿نُنسِهَا﴾ ما الفرق بينهما؟

الجواب:

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وأبو جعفر وخَلَف ﴿نُنسِهَا﴾ وقرأها ابن كثير وأبو عمرو (ننسأها)، فأمّا قراءة ﴿نُنسِهَا﴾ فهي من النسيان، أي: نُنسي الناس إياها وذلك بأمر الرسول ﷺ بترك قراءتها حتى ينساها المسلمون، وقراءة (ننسأها) بمعنى نؤخّرها، أي نُؤَخِّرُ تلاوتها، أو نؤخر العمل بها، مما يؤدي إلى إبطال العمل بقراءتها أو بحكمها.

السؤال الثاني:

ولكن لِمَ قال تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة:١٠٦] ولم يبين بأي شيء هي أفضل وخير من الآية المنسوخة؟

الجواب:

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أُجمِلت جهة الخيرية ولم يُذكر وجه الخير؛ لتذهب نفسك كل مذهب ممكن، فقد ترى أنّ الخيرية في الاشتمال على ما يناسب مصلحة الناس، ويرى غيرك ما فيه رفق بالمكلفين ورحمة بهم في مواضع الشدة وهكذا.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الإنساء والنسيان ؟ وما علاقة النسيان بالشيطان ؟

الجواب:

١ـ النسيان : خلقه الله في الإنسان؛ لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه، ويكون عما كان. أمّا السهو فيكون عما لم يكن .

٢ـ الإنساء : من أنسى ، مثل : أكرم إكراماً .

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يختص بالشيطان، لكنْ قد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى .

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه كما في قوله تعالى : ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [الحشر:١٩] .

شواهد قرآنية :

ـ آية طه [٥٢] ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢] لا ينسى من تلقاء نفسه.

ـ آية الكهف [٦٣] ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف:٦٣] فتى موسى يتكلم عن نفسه أنّ الشيطان بسبب وساوسه ألهاه فنسي.

ـ آية يوسف [٤٢] ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] هذا سرد لما حدث؛ يتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج، أي: أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة [٢٨٦] : ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ [البقرة:٢٨٦] عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ [المؤمنون:١١٠] أي: أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة [١٠٦] ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] متعلقة بالله تعالى.



﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾

السؤال الأول:

ما فائدة تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُۥ مُلۡكُ﴾ [البقرة:١٠٧] ؟

الجواب:

هذا يفيد الحصر والقصر، أي: لا أحد يملك السماوات والأرض إلا الله سبحانه وحده.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الملك والملكوت ؟

الجواب:

كلمة المُلك والملكوت كلمتان مشتقتان من (ملك)، وزيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى، فبصورةٍ أولية كلمة (الملكوت) هي أوسع من كلمة ﴿المُلك﴾، وبهذا المعنى استعملت في القرآن الكريم .

فعندما نأتي إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٨٥] وعطف الخلق العام ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٨٥] كله داخل في ملكوته ، فالعطف هنا هو من عطف الخاص على العام، فكل ما خلق هو داخل ضمن عموم كلمة (الملكوت). والملك والملكوت كله لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة:١٠٧] .

والفارق بين الملك والملكوت أنّ الله سبحانه يمكن أنْ يعطي من ملكه جلت قدرته لعبيده يتصرفون فيه من سلطان أو مال، فكل ما في الكون هو ملك لله سبحانه وتعالى، فيعطي لهؤلاء العبيد، وهو لا يخرج من ملكية الله سبحانه وتعالى بل هو باقٍ، ويستعمله عبيده على سبيل العارية المردودة والمسترجعة، فله ملك السموات والأرض.

وعندما ننظر لاستعمال الملك والملكوت في القرآن الكريم، نجد أنّ الملك يمكن أنْ يوجه إلى عبيد الله سبحانه وتعالى، أي: إلى البشر، لكن لم يرد في القرآن الكريم أنه أعطي من الملكوت للبشر ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦] فالملك ملك الله سبحانه وتعالى ممكن أنْ يُعار بعضه ؛ أي: يُملك على سبيل الإعارة نحو قوله تعالى : ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور:٣٣] أي: هو مال الله .

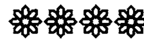
أمّا الملكوت فهو العز والسلطان، وملكوت الله سلطانه، والملكوت ملك الله خاصة ، أي: لا يعطي منه لأحد، والملك داخل في الملكوت، والملكوت عام، فالله عز وجل لم يقل : (تؤتي الملكوت من تشاء) بل ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ ﴾ وملك الله عز وجل ما في

السموات وما في الأرض، فملكوت الله عز وجل واسع، والملكوت هو هذا الملك الواسع مما لا يمكن أنْ يتخيله الإنسان.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام:٧٥] الموطن موطن تعجب وموطن عظمة، فقال: نريه ملكوت السماوات والأرض .

وقد وردت كلمة ﴿مَلَكُوتَ﴾ في القرآن الكريم أربع مرات، وليس فيها إشارة إلى إعطائها لأحد، والآيات هي : الأنعام [٧٥] الأعراف [١٨٥] المؤمنون[٨٨] يس [٨٣]

وملكوت كلمة عربية على وزن فعلوت مثل رهبوت، وفي اللغة :الرهبة والرهبوت وتعني الرهبة العظيمة .



﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [البقرة:١٠٨] ما المتروك؟ وما المأخوذ ؟

الجواب:

الباء مع الذاهب ﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: أنّ الإيمان عندهم ذهب بعد أنْ أخذوا محله الكفر .

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾ من منظومة كلمات (التيه)، فما هذه الكلمات ؟

الجواب:

كلمات منظومة (التيه) هي :

تاه: ومنه التيه في الأرض (تيْهان) ، والتيه في العقيدة، (تائه)، وهو المتحير الذي لا يعرف المكان الذي هو فيه ولا كيف يتوجه فهو تائه وتيهان.

ضاع : الضياع يكون بالإهمال وقلة الوعي، نحو قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩] و كذلك في آل عمران: ١٩٥.

فقد : الفقدان هو زوال الشيء عنوة وهو عزيز، والفقد لا يكون إلا لعزيز، والضائع لا يعود، والمفقود يعود وقد لا يعود، يوسف: ٧٣.

ضلّ : الضلال هو الخروج عن طريق مستقيم واضح إلى طريق متعرج مجهول، وفي القرآن تطلق كلمة (ضلّ والضلال) على الكفر والشرك وتطلق على النسيان ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨٢] وعلى الخطأ اليسير ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف:٨] .

الضلال البعيد : كل ضلال بعيد في القرآن هو كفر وشرك، والضالون مخلدون في النار [الشورى : ١٨].

الضلال عن سواء السبيل: كان مؤمناً فتحيّر فارتد مشركاً فهو من المرتدين، انظر آية البقرة: ١٠٨.

الضلال المبين: هو آخر فرصة للضال قبل أنْ تأتيه العقوبة، وتطلق على الكافرين المشركين الخالدين في النار. آية مريم: ٣٨.



﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال هنا في آية البقرة: ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:١٠٩] وقال في آية البقرة: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦] بينما لم يذكر (من) في آية آل عمران ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٠] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة : ٥٦.

السؤال الثاني:

لم قال تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] ولم يقل منهم؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] تأكيد على تأصيل هذا الحسد فيهم وصدوره من أنفسهم أكثر من قوله منهم.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

أداة الشرط (ما) في الآية ماذا تفيد من معنى ؟

الجواب:

(ما) : أداة شرط وهي أعم من (مَن)، وهي لغير العاقل: ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [آل عمران: ١١٥]، ولصفات العقلاء نحو: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ [النساء:٢٤] وهي تفيد الزمان نحو: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٧] أي: مدة استقامتهم لكم ، كما تكون غير زمانية كما في هذه الآية ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٠].

السؤال الثاني:

يقول تعالى في هذه الآية: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة:١١٠] وفي آية أخرى يقول: ﴿بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟

الجواب:

التقديم والتأخير يأتي لسبب، والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور، فإذا كان السياق في الكلام أو الآية عن العمل يقدّم العمل على البصر، وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام عن الله تعالى وصفاته يقدّم صفته.

شواهد قرآنية :

١ـ فمن باب تقديم العمل على البصر، قوله تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة:١١٠] السياق عن العمل والله بهذا العمل بصير.

- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتٗا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ [البقرة:٢٦٥] هذا إنفاق وهو عمل فقدّم العمل .

- ﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة:٢٣٣] الرضاعة عمل فقدّم العمل .

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة:٢٣٧] العفو عمل فقدّم العمل.

- ﴿وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١﴾ [هود:١١١] توفية العمل فقدّم العمل.

- ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود:١١٢] الكلام عن العمل فقدّم العمل .

- ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ [سبأ:١١] قدّم العمل.

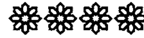
- ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فُصِّلَت:٤٠] قدّم العمل.

٢ـ ومن باب تقديم البصر على العمل، قوله تعالى:

- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [البقرة:٩٦] ليس فيها عمل فقدّم صفة من صفاته تعالى .

- ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة:٧١] لا يوجد عمل فقدّم صفة من صفاته تعالى .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحُجُرات:١٨] يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.



﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾

السؤال الأول:

في الآية طلب كشف مدى صدق دعواهم وهو نوع من طلب التحقيق، فما دلالة ذلك ؟ وما فرق التحقيق عن التبيين ؟

الجواب:

التحقيق هو كشف مدى صدق الدعوى، وهو يختلف عن التبيين الذي هو لمعرفة صدق الخبر، والفرق بين التبيين والتحقيق أنك في الأول تجعل صاحب الخبر يبين ، أمّا في الآخر فإنك تجعل صاحب الدعوى يأتي بالبرهان على صحة دعواه كما في هذه الآية.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة التحري والتحقيق؟

الجواب:

الكلمات هي :التحري ـ الاستخبار ـ التبيين ـ التحقيق ـ القص ـ التوسم .

لمزيد من المعلومات راجع منظومة التحري والاستخبار في القرآن الكريم في آية الكهف ٦٤ .



﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في هذه الآية: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة:١١٢] وورد الفعل ﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي وفي آية لقمان ورد الفعل بالمضارع ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٢] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

أولاً ـ استعراض الآيات :

آية البقرة ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢] .

آية لقمان ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

ثانياً ـ اختلاف الصيغ بين الآيتين :

نوجز ذلك بالجدول التالي :

	آية البقرة	آية لقمان	البيان
ـ	﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي	﴿يُسْلِمْ﴾ بالمضارع	اختلاف الصيغتين
ـ	﴿لِلَّهِ﴾ باستعمال اللام	﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ بإستعمال إلى	استعمال اللام / إلى
ـ	ـ	﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾	لم يقل ذلك في البقرة
ـ	﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾	ـ	هذا الجواب لم يرد في لقمان

سياق الآيتين يوضح الاستعمال.

من الناحية اللغوية :

١ـ أسلم، أي: انقاد واستسلم وخضع واتبع وفوّض.

آ ـ معنى (أسلم إلى الله) أي:انقاد له وفوض أمره إليه وسلم نفسه إليه كما يسلَّم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، والمراد التوكل عليه والتفويض إليه، و(إلى) هنا هي للغاية.

ب ـ ومعنى: (أسلم وجهه لله) أي: جعل نفسه لله خالصاً، أي: لله فقط، والاختصاص والوجه بمعنى النفس والذات، فاللام للملك والاختصاص، أمّا (إلى) فهي للغاية؛ لذلك (أسلم له) أعلى من (أسلم إليه).

وقد وردت في عموم القرآن الكريم متصرفات الفعل (أسلم) متعدية باللام، ولم يرد ذلك الفعل متعدياً بإلى إلا في آية لقمان: ٢٢.

٢ـ أنه إذا وقع فعل الشرط مضارعاً بعد أداة الشرط فهذا يفيد التكرار غالباً، وإذا وقع بالماضي يفيد وقوع الحدث مرة في الغالب .

المعنى العام للتعبير:

استعمال (إلى) تدل على أنّ الله هو الغاية، والغاية لا بُدّ لها من طريق للهداية يوصّل إليها.

أمّا اللام، فتعني الوصول لله مباشرة دون قطع طريق، وهذا الوصول لا يكون إلا بدرجة عالية من الإخلاص لله.

فمعنى آية لقمان: أنك على الطريق الموصل إلى الله تعالى، وأنك تؤدي ما افترضه عليك.

ومن إسلام الوجه لله قول ملكة سبأ : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل:٤٤] فالكلام هنا على لسان ملكة، فلم تقل: أسلمت لسليمان، لكنْ قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل:٤٤].

وإسلام الوجه لله أو إخلاص العمل لله عملية دقيقة تحتاج من العبد إلى كثيرٍ من المجاهدة لأنّ النفس لا تخلو من هفوة.

ما سبب اختيار الفعل (أسلم) ؟

١ـ ذكرنا أنّ أهم معاني (أسلم)هو الاتباع والتفويض.

آـ معنى الاتباع :

في آية لقمان [٢١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان:٢١] فذكر فيها الاتباع للآباء بمعنى أنهم أسلموا قيادة أمرهم إلى الشيطان، فناسب هنا ذكر اتباع الله فقال: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢] .

ب ـ معنى التفويض :

ذكر في آية لقمان [٢٢] أنّ المرء يفوض أمره إلى الله وخاصة في حالة الشدائد، فقال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢] فكأنها تعصم من الشدائد؛ لأنّ حبل الله متين مأمون انقطاعه؛ ولأنّ النتيجة هي بيد الله وإلى الله عاقبة الأمور .

لذلك ناسب اختيار (يُسلم)

مقارنة بين آية البقرة وآية لقمان

١ـ جاءت لفظة ﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي في سورة البقرة، وجاءت بصيغة المضارع في آية لقمان؛ وذلك بسبب:

آ ـ في البقرة جاءت رداً على اليهود والنصارى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ [البقرة:١١١] فجاء الرد ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢] أي: دخل في الإسلام، وهذا يحدث مرة واحدة في العمر، والباقي أعمال فجاءت في صيغة الماضي.

ب ـ أمّا في آية لقمان فجاء بصيغة المضارع؛ لأنّ معاني الاتباع متعددة والتفويض يتكرر في كل أمر عند الشدائد فناسب فعل المضارع.

٢ـ يقدّم القرآن الجار والمجرور على الفعل (أسلم) في مقام التوحيد ونفي الشرك، فيقول: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ [الحج:٣٤] وفي غيره لا يقدم.

شواهد قرآنية:

آ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ [الحج:٣٤] فقدّم الجار والمجرور ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ لأنه تقدمها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

ب ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤)﴾ [الزُّمَر:٥٤] لم يقدّم الجار والمجرور؛ لأنها ليست في مقام التوحيد.

ج ـ آية لقمان [٢٢] لم يقدم الجار والمجرور؛ لأنها ليست في مقام التوحيد.

د ـ وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر كما في قوله تعالى : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك:٢٩].

ففي آية الملك قدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك:٢٩] وقدم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ [الملك:٢٩] على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الملك:٢٩] وذلك لأنّ الإيمان ليس منحصراً في الإيمان بالله فقط، بل لا بدّ معه من الإيمان بالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر وغيره مما يتوقف عليه صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين، لذلك قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأنّ غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه .

لذلك لا يصح من الناحية البيانية أنْ تقول (به آمنا).

٣ـ قال في لقمان: ﴿يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢] بالتعدية بـ (إلى) وقال في البقرة: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١١٢] والسبب كا ذُكر أعلاه؛ فمعنى (يسلم وجهه إلى الله) أي: يفوض أمره إلى الله ويتوكل عليه، ولذا كان جواب الشرط: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢] .

بينما معنى (أسلم وجهه لله) أي: دخل في الإسلام واستسلم لوجه الله وانقاد له وجعل نفسه خالصاً له، ولذا كان الجواب: ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة:١١٢].

٤ـ قال في البقرة: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] ولم يذكرها في لقمان، والسبب : أنه لما ذكر في البقرة ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهو رأس كل طغيان، وقد يصيب المرء أحياناً بسبب الكفر بالطاغوت أذى شديد وعذاب وهلكة فاحتاج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] للتحفيز على الاستمساك بالعروة الوثقى وهو حبل الله تعالى، وهو حبلٌ مأمونٌ انقطاعه وخاصة في الشدائد، بينما لا يوجد في آية لقمان معنى الأذى والعذاب والتهلكة، فلم يحتج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ .

٥ـ وصف العروة بأنها ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] ولم يقل :(الوثيقة) للدلالة على أنها أوثق العرى وليس ثمة عروة أوثق منها؛ ولأنّ الوثقى مؤنث الأوثق، أي: الدرجة العليا في التوثيق، أي: أوثقها وأقواها.

٦ـ وجاء في آية البقرة [٢٥٦] ولقمان [٢٢] بـ﴿فَقَدِ﴾ مع الفعل الماضي للدلالة على التحقق، أي: تحقق استمساكه بالعروة الوثقى.

مع ملاحظة أن (قد) إذا دخلت غلى الفعل المضارع أدت عدة معانٍ : التكثير والتحقيق، وأحد معانيها التقليل، وأمّا (قد) مع الفعل الماضي فهي للتحقيق، وقد تقلب الدعاء معها إلى خبر، فتقول مثلاً في الدعاء : رزقك الله ولداً، وأمّا إذا قلت: قد رزقك الله ولداً، فهذا خبر.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢] أي: يسلم وجهه إلى الله في حالة اتصافه بالإحسان

٨ـ قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ [البقرة:٢٥٦] ولم يقل: أمسك، والوزن استفعل يفيد الطلب، نحو: استنصر، أي: طلب النصرة، واستغفر، أي: طلب المغفرة، ويفيد معنى الصيرورة نحو : استنوق الجمل، واستحجر الطيب، ويفيد معنى ثالثاً، وهو المبالغة كما هو في هذه الآية: ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾، وكذلك (استيئس) للدلالة على المبالغة في اليأس.

مع ملاحظة أن كلمة ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ [البقرة:٢٥٦] لم تأت في القرآن إلا في أمور الدين، كقوله تعالى ﴿فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزُّخرُف:٢١].

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢] :

آ ـ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢] قدّم الجار والمجرور لتفيد الحصر، وهي رد على الكفرة في زعمهم مرجعية آلهتهم لبعض الأمور، والآية تفيد أنّ الأمور جميعها هي صائرة إليه عز وجل لا إلى غيره، فيجازي الله سبحانه المتوكل عليه أحسن الجزاء، ويجازي ذلك المجادل بما يليق به بمقتضى الحكمة .

ب ـ وأل التعريف في قوله: ﴿ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢] هي للاستغراق.

وهكذا نجد السياق في آية لقمان فيه وضوح المبالغة في ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ و﴿ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ و﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ فيها حصر .

وبشكل عام وفي كلا الآيتين (من أسلم لله) و(أسلم إلى الله) كلاهما محسن ، ولذلك قال القدامى : (أسلم لله) أعلى من (أسلمت إلى الله) كما قال الرازي: واختلف الأجر وكل أجر مناسب لكل واحد، ذاك فوض أمره إلى الله فقد استمسك بالعروة

الوثقى، وذاك جعل نفسه خالصاً لله فله أجره عند ربه، وكونه مسلماً دخل في الإسلام. والله أعلم.



﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

السؤال الأول:

متى يأتي الفعل(كانوا) أو (كنتم) مع كلمة (يختلفون) و(تختلفون)، كما في الآيات ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] وما سبب ذلك ؟ ومتى لا يأتي الفعل (كان) كما في آية يونس ١٩ ؟

الجواب:

عندما يقول: ﴿كَانُوا۟﴾ أو ﴿كُنتُمْ﴾ فالكلام عن يوم القيامة، والاختلاف كان في الدنيا ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] الاختلاف في الدنيا.

علماً بأن (كان) هو فعل ماض ناقص، وأحياناً يأتي تاماً، وله استخدامات كثيرة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾ [يونس:١٩] فهذه الآن، وليس في يوم القيامة ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [يونس:١٩] لأنها تقصد الدنيا؛ فلا حاجة للفعل ﴿كان﴾.

السؤال الثاني:

لماذا أنّث الفعل ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١٣] في الآية ؟

الجواب:

القاعدة تقول :

١ـ يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

٢ـ يونث الفعل مع الكثرة ويذكر مع القلة ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ [يوسف:٣٠] ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ [الحُجرات:١٤] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١٣]؛ لأنّ الأعراب كُثر واليهود كُثُر والنصارى كُثر كذلك فأنث .



﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾

السؤال الأول:

ما نوع الاستفهام فى الآية؟

الجواب:

يوجد في هذه الآية استفهام بـ﴿وَمَنْ﴾ وليس الغرض منه الاستفهام الحقيقي وانتظار جواب، وإنما هو استفهام إنكاري خرج إلى النفي، ومعناه : أي لا أحد أظلمُ ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه.

السؤال الثاني:

ما المساجد المقصودة في الآية حتى جُمِعت؟

الجواب:

نزلت الآية في أهل مكة؛ لأنهم منعوا المسلمين دخول المسجد الحرام. ومع ذلك نرى أنّ الآية قد جُمِع فيها المسجد ﴿مَسَاجِدَ﴾ للتعظيم من شأن المسجد، وهذا واضح كما يقول الفرد في معرض الفخر والتعظيم لنفسه: (نحن نقول) وكذلك كلمة (المساجد) أتت جمعاً ليكون الوعيد شاملاً لكل مخرِّب لمسجد أو مانع العبادة فيه.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب وعذاب) كما وردتا في القرآن الكريم؟

الجواب:

هذه الكلمات هي من لهجات مختلفة فليس بينها فروق، ويستدلون بكلمة السكين والمُدية.

وأما عن كلمتي العقاب والعذاب في القرآن الكريم فهو أن :

١ـ كلمة العقاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ـ ٦٤ـ موضعاً.

٢ـ كلمة العذاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ـ ٣٧٠ـ موضعاً.

٣ـ الفعل الثلاثي لكل من الكلمتين (عذب) و(عقب)، والحرفان الأول والثالث مشتركان بينهما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف الذال من أحرف الرخاوة وفيه امتداد، بينما حرف القاف من أحرف الشدة وفيه سرعة، ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، وأمّا حرف الذال ففيه طول ورخاوة؛ ولذلك فإن امتداد الذال يكون للدنيا والآخرة.

لذلك نستنتج أنّ كلمة (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة (العقوبة).

٤ـ أي أنّ العقاب فيه شدة وسرعة واستعملها القرآن في الدنيا، بينما استعمل (العذاب) في الدنيا والآخرة.

٥ـ ليس في القرآن (سريع العذاب) وإنما (سريع العقاب) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥] والآية وصف لله سبحانه وتعالى، لكنه جلّت قدرته لم يصف نفسه بأنه سريع العذاب.

٦ـ العذاب: الفعل (عذّب) والعذاب قد يكون في الدنيا نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ [البقرة:١١٤]، وقد يكون في الآخرة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤]، وجاء بها بمعنى العقاب ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور:٢] فهذه عقوبة سمّاها عذاباً، ما يدل على أنّ العذاب أوسع من العقاب؛ لأنه يستعمل دنيا وآخرة ويستعمل بمكان العقاب.

شواهد قرآنية على العقاب:

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥].

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:١٣٧].

شواهد قرآنية على العذاب:

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر:٣].



﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة:١١٥] لِمَ خصّ الله تعالى ملكه بالمشرق والمغرب؟

الجواب:

لم تذكر الآية جهة الشمال والجنوب، وإنما ذكرت فقط المشرق والمغرب؛ لأنّ الأرض تنقسم بالنسبة لمسير الشمس إلى قسمين: قسم يبتدئ من حيث تطلع الشمس، وقسم ينتهي من حيث تغرب الشمس. والله أعلم

السؤال الثاني:

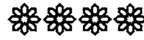
ما الفرق بين ﴿ثُمَّ﴾ بالضم، و ﴿ثَمَّ﴾ بالفتح ؟

الجواب:

١ـ ثُمَّ - بالضم- : حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، كما في آية عبس: ٢١، وآية هود: ٥٢.

٢ـ ثَمَّ : ظرف بمعنى هناك، وهو للبعيد بمنزلة هنا للقريب، وقد تلحقها التاء فيقال: ثَمَّة – بالتاء- .

ولذلك من الخطأ الشائع أن يقال : ومن ثُمَّ - بالضم – والصحيح: ومن ثَمَّ – بالفتح-.



﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (١١٦)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ختام الآية بالوصف بالقنوت فى هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ القنوت هو الخضوع والانقياد مع الخوف، وهذا الأمر لا يقوم به إلا كل عاقل مبصر؛ فلذلك جمع الله تعالى في هذه الآية كلمة (قانت) جمع مذكر سالم ﴿قَٰنِتُونَ﴾ وهو مختص بجمع الذكور العقلاء ليبيّن لنا سمة أهل الخشوع والقنوت إنهم أصحاب العقول الراجحة التي تخشى الله عن إرادة وبصيرة.

٢ـ والقنوت أصله الدوام، ثم استعمل على أربعة وجوه:

آـ الطاعة: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ [آل عمران:٤٣].

ب ـ طول القيام: لمّا سئل النبي ﷺ : أي الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**» .

ج ـ السكون: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

د ـ الدوام.

السؤال الثاني:

ما الإضاءات الفكرية في هذه الآية ؟

الجواب:

أراد الله سبحانه أنْ يرد على الذين حاولوا أنْ يجعلوا لله معيناً في ملكه الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وجاء الرد في ثلاث نقاط :

آ ـ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزه الله أنْ يكون له ولد.

ب ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ .

ج ـ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾.

فإذا كان هذا ملكه وإذا كان الكون كله من خلقه وخاضعاً له فما حاجته للولد؟

١ـ قضية (إنّ لله ولداً) جاءت في القرآن الكريم (١٩) مرة ومعها الرد عليها؛ لأنها قضية في قمة العقيدة، فقد تكررت وتكرر الرد عليها مرة بعد مرة.

٢ـ الله سبحانه يريدنا أنْ نعرف أنّ هذا ادعاء خطير مستنكر، ولقد عالجت سورة مريم هذه المسألة علاجاً واسعاً اشترك فيه انفعال السماوات والأرض والجبال حتى كادت الجبال تخر وكادت الأرض تنشق من هذا الافتراء على الله.

٣ ـ السؤال هنا : ما الشبهة التي جعلتهم يقولون: ولد الله ؟ النصارى فُتِنُوا في ولادة عيسى عليه السلام؛ لأنّ عنصر الأبوة ممتنع، وكان الأولى أنْ يُفتنوا بولادة آدم؛ لأنه بدون أب ولا أم، ومن العجيب أنّ النصارى لم يذكروا الفتنة في آدم، وذكروا الفتنة فيما فيه عنصر غائب من عنصرين غائبين في آدم.

٤ـ الملكية تنافي الولدية، لماذا؟ لأنّ الذي يخلق شيئاً يكون فاعلاً، والفاعل له مفعول، والمفعول لا يكون منه أبداً، هل رأيت واحداً صنع صنعة منه ؟ الذي يصنع سيارة أو طائرة هل هي من لحمه ودمه ؟ طبعاً لا .

إذن مادام ملكية فلا يقال: إنها من نفس جنس صاحبها، ولا يقال: إنّ الفاعل أوجد من جنسه ، وكل فاعل يوجد شيئاً أقل منه .

وقول الله في الآية: سبحانه؛ أي تنزيه له، لماذا؟ لأنّ الولد يُتخذ لاستبقاء حياة والده، فهو يحمل اسمه بعد أنْ يموت ويرث أملاكه، إذن هو من أجل بقاء نوعه، والذي يريد بقاء نوعه لا يكفيه أنْ يكون له ولد واحد.

٥ـ إذن فما سبب اتخاذ الولد ؟ هل هو معونة ؟ الله لا تضعف قوته.. هل هو ضمان للحياة ؟ الله حياته أزلية.

إذن كل هذا الكون لم يضف صفة من صفات الكمال إلى الله، بل إنّ الله بكمال صفاته هو الذي أوجده.

٦ ـ لو فرضنا جدلاً أنّ لله ولداً، فأين ذرية الولد ؟ لم نر ولم نسمع أولاداً لمن زعموا أنه ابن لله .

وماذا استجد على الله وعلى كونه بعد اتخاذ الولد كما يزعمون ؟ لم يتغير شيء في الوجود .

إذن فالولد لم يعط الإله أي مظهر من مظاهر القوة؛ لأنّ الكون قبل أنْ يوجد الولد وبعده لم يتغير فيه شيء.

٧ ـ ثم إذا كان لله سبحانه زوجة وولد فمن الذي وجد أولاً؟ إذا كان الله وُجِدَ أولاً ثم بعد ذلك أوجد الزوجة والولد فهو خالق وهما مخلوقان .

وإذا كان كل واحد قد أوجد نفسه فهم ثلاثة آلهة !!!

إذن الكمال الأول لله لم يزده الولد شيئاً؛ ومن هنا يصبح وجوده لا قيمة له.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يكرر اسم الموصول ﴿مَا﴾ كما في آية طه: ٦، وآية سبأ: ١، أو في آيات التسبيح ؟

الجواب:

١ـ إذا قصد بالسياق قصد الجنس أو الاهتمام بما هو المقصود في الآية لم يكرر ذكر اسم الموصول إلا مرة واحدة، كما في هذه الآية وآية الرحمن: ٢٩ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] .

٢ـ والقرآن يكرر اسم الموصول (ما) في مواطن الشمول والإحاطة والتفصيل، كما في آية طه: ٦ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

فقد كرّر اسم الموصول (ما) في سورة طه؛ لأنّ الموطنَ موطنُ شمولٍ وإحاطةٍ وتفصيل، فقد ذكر أنّ له ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ و ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ و ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ بينما أجملَ في سورة النحل فلم يكرر.

٣ ـ التفصيل في آيتي سبأ واضحٌ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [سبأ: ١ - ٢] لذا كرّر اسم الموصول، بخلاف آية البقرة حيث لم يفصل فلم يكرر.

٤ـ وأمّا تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح فسيتبين في حينه.

السؤال الرابع:

لماذا جاء بـ(ما) في الآية وهي لغير العاقل، ولم يأت بـ(من) وهي للعاقل ؟

الجواب:

١ـ جاء بـ (ما) لتتناول جميع الأشياء؛ لأنّ (ما) تشمل صفات العقلاء وتشمل ذوات غير العاقل. بينما (مَن) مختصة بالعقلاء لذلك (ما) أوسع استعمالاً من (مَن).

٢ـ يقال: كيف جاء بـ (ما) وهي لغير العاقل، مع قوله: ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البقرة:١١٦] والجواب: كأنه جاء بـ(ما) دون (مَن) تحقيراً لشأنهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما استخدامات كلمة (آية) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمة (آية) وردت في القرآن الكريم لخمسة معان؛ وهي :

١ ـ البناء العالي: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء:١٢٨].

٢ ـ عبرة و موعظة: ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ [يونس:٩٢].

٣ ـ جملة من القرآن: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖۙ﴾ [النحل:١٠١].

٤ ـ علامة واضحة: ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ [البقرة:١١٨].

٥ ـ المعجزة: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء:٩١].



﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة:١٢٠] في هذه الآية؟ ولماذا لم ترد كلمة (ملتيهما)؟

الجواب:

لو قال تعالى: (ملتيهم) لكان المعنى: لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتيهما، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتيهما، وهذا لا يصح؛ لأنّ اليهود يريدون أنْ يتّبع ملتهم فقط وليس ملتيهما، وكذلك النصارى.

السؤال الثاني:

لماذا جاء بـ ﴿وَلَا﴾ في قوله: ﴿ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] ؟

الجواب:

١ـ لو قال: (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) من دون (لا) لاحتمل ذلك أحد معنيين:

آ ـ أنّ الجميع لا يرضون حتى تتبع ملتهم، بمعنى أنك إذا اتبعت ملة اليهود رضيت عنك اليهود والنصارى .

ب ـ وإذا اتبعت ملة النصارى رضيت عنك اليهود والنصارى، وهذا المعنى لا يصح وهو غير مراد.

٢ ـ لذلك يبقى فقط احتمال ثان، وهوما نصت عليه الآية، بمعنى أنه لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم، و لن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتهم.

٣ـ ونلاحظ أنّ القرآن كرر النفي؛ وذلك حتى نفهم أنّ رضا اليهود غير رضا النصارى، ولو قال الحق : (ولن ترضى عنك اليهود و النصارى) بدون لام لكان معنى ذلك أنهم مجتمعون على رضى واحد أو متفقون، ولكنهم مختلفون بدليل أن الله قال فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

السؤال الثالث:

ما الفرق في المعنى بين قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠] وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ [الشورى:٣١] ؟

الجواب:

التعبير ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني من غير الله، أمّا التعبير ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لكم ولي من الله ينصركم، ولم يهيء لكم ولياً أو أحداً ينصركم، وليس هنالك نصير من جهة الله ينصركم، من الملائكة أو من غير الملائكة.

أمّا (من دون الله) فتعني من غير الله، إذن المعنى مختلف تماماً.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ﴾ [البقرة:١٤٥] وبين ﴿بَعْدَ الَّذِى جَآءَكَ﴾ [البقرة:١٢٠] في الآيتين ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة:١٤٥] وفي الآية ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠] ؟

الجواب:

هناك فرقان:

آ- استعمل في الأولى [١٢٠] اسم الموصول ﴿الَّذِى﴾ واستعمل ﴿مَا﴾ في الآية الثانية[١٤٥].

ب- كما استعمل في الآية [١٤٥] ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾ واستعمل في الآية [١٢٠] ﴿بَعْدَ﴾.

الحكم النحوي : اسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ يوصف بأنه مختص، و﴿مَا﴾ مشترك. والمختص أعرف من المشترك.

أي أنّ ﴿ٱلَّذِى﴾ أعرف من ﴿مَا﴾ لأنّ ﴿مَا﴾ تكون للمفرد والمذكر والمؤنث والمثنى والجمع، أمّا ﴿ٱلَّذِى﴾ فهي خاصة بالمفرد المذكر. إذن ﴿ٱلَّذِى﴾ أعرف باعتباره مختص، و ﴿مَا﴾ عام.

السياق :

١ـ قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة:١٢٠ ، ١٢١] فقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٢١] أي: الكتاب، أي: التوراة والإنجيل إذن صار محدداً، ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ أي: يتبعون العلم الذي جاء به إذن تحدد الذي بالسياق في هذه الآية.

٢ـ جاءت الآية [١٤٥] في موضوع تحويل القبلة كما في الآية [١٤٤] التي سبقتها ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة:١٤٤] هذا مطلق ولم يحدد بشيء فاستعمل ﴿مَا﴾ في المطلق، واستعمل ﴿ٱلَّذِى﴾ في المقيَّد.

٣ـ استعمل ﴿ٱلَّذِى﴾ في الآية الأولى ١٢٠، بينما استعمل ﴿مَا﴾ في الآية الثانية ١٤٥، علماً بأنّ كليهما اسم موصول، لكنّ أحدهما أعرف من الآخر، فاسم الموصول

﴿ٱلَّذِى﴾ هو اسم مختص للمفرد المذكر، بينما اسم الموصول ﴿مَا﴾ هو مشترك يستعمل لذوات غير العقلاء ولصفات العقلاء، أي: أنها تقع على ذاتٍ متصفة بوصف من صفات العقلاء، وهو اسم موصول مشترك في المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

فاستعمل ﴿ٱلَّذِى﴾في الأخص، واستعمل ﴿مَا﴾ في المطلق.

٤ـ التعبير ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ ﴾ من لابتداء الغاية، ابتداء المكان، بداية الشيء من كذا إلى كذا، وتدل على الالتصاق، وأمّا ﴿ بَعۡدِ ﴾ فتحتمل أنْ هناك فاصلا زمنيا.

أي: أنّ التحذير باتباع أهواء أهل الكتاب يبدأ مباشرة من لحظة مجيء العلم لرسول الله ﷺ بتحويل القبلة وليس هناك وقت للانتظار، ولو لم يذكر (من) لاحتمل الموضوع التأخير مدة من الزمن .

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ﴾ [البقرة:١٤٥] السياق في الكلام في تحويل القبلة، وتحويل القبلة متى يؤمر به المسلم؟ عندما تنزل الآية مباشرة ينبغي أنْ يتحول إلى القبلة، ومن سمع بها نفّذها، والذي كان في الصلاة وسمع هذه الآية اتجه مباشرة إلى الكعبة، إذن (من) لابتداء الغاية.

بينما الآية الأولى ١٢٠ ليس فيها هذا الشيء فلم يقل (من) .

شواهد قرآنية :

آ ـ ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ [يس:٩] أي: أنّ هناك فاصلا يبدأ من أيديهم يمنعهم من الحركة، ولو قال : (بين أيديهم) بدون (من) لاحتمل وجود مسافة بين أيديهم والسد.

ب ـ ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فُصِّلَت:٥] أي: أنّ الحجاب لم يترك فاصلاً بينهما .

ج ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا﴾ [فُصِّلَت:١٠] أي: مباشرة ليس هنالك فاصل، ولو قال ﴿فَوۡقِهَا﴾ كانت تحتمل القريب والبعيد.

د ـ ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ [ق:٦] مسافة كبيرة.

هـ ـ ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ [النساء:١٥٤] هناك مسافة بين الطور ورؤوسهم.

السؤال الخامس:

في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ﴾ [البقرة:١٢٠] وقوله في آية الأنعام : ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ [الأنعام:١٢١] ما سبب الاختلاف في مستوى التوكيد ؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن اللام للتوكيد، فقوله: ﴿لَئِنِ﴾ آكد من قوله: ﴿وَإِنۡ﴾ .

٢ـ قال تعالى في آية الأنعام [١٢١]: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ .

وقال في آية البقرة: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ [البقرة:١٢٠] فأكّد في آية البقرة باللام دون آية الأنعام .

والسبب أنّ آية البقرة تستدعي قدراً زائداً من التوكيد؛ فإنها تحذير للرسول ﷺ من ترك ملة الإسلام واتباع اليهود والنصارى وهو من أكبر المعاصي، إذ كيف يصح من

رسولٍ يتنزل عليه الوحي من ربه أنْ يترك أمر الله إلى ملة أخرى لا يرضاها ربه ؟ فاحتاج ذلك إلى قدر من الوعيد أكبر.

أمّا آية الأنعام فهي في الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، لذلك ترى أنّ المعصية في آية البقرة أشد وأكبر فاحتاج ذلك إلى قدر من التوكيد أكبر .

السؤال السادس :

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ بينما قال في آية الأنعام [٥١]: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ فزاد (من) المؤكدة في البقرة ، فما دلالـــة ذلك ؟

الجواب :

١ـ آية الأنعام ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١] وهم على كل حال مؤمنون بهذا اليوم وترجى لهم التقوى .

٢ـ أمّا آية البقرة فقد ذكرفيها أنّ اليهود والنصارى لن ترضى عن الرسول حتى يترك دينه ويتبع ملتهم، وهذا كفر صريح وانسلاخ من الدين، ولذا عقب عليه بقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [البقرة:١٢٠] أي: إنّ فعل ذلك ما له من الله من ولي ولا نصير، فالفرق بين المقامين واضح، فاحتاج الكلام في آية البقرة إلى توكيد نفي الولي والنصير دون آية الأنعام .

٣ ـ وكذلك المقام في آية الرعد [٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ .

السؤال السابع:

ما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في آية البقرة [١٢٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بينما قال في آية آل عمران [٧٣]: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي آية الأنعام [٧١] ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال في آية البقرة [١٢٠]: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: قدّم هدى الله، وجاء بضمير الفصل.

وقال كذلك في آية الأنعام [٧١]:﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: قدّم هدى الله، وجاء بضمير الفصل.

بينما قال في آية آل عمران [٧٣]:﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ فقدّم الهدى ولم يأت بضمير الفصل.

٢ـ لعل السبب - والله أعلم - أنّ الآيتين الأوليين في الأديان، فالأولى في اليهودية والنصرانية والثانية في الشرك، فناسب الرد بتقديم الهدى وهو الإسلام، فكأنه قال لهم: إنّ الإسلام هو الهدى الكامل الصحيح التام لا هدايتكم، فناسب تقديمه وحصر الهداية عليه، وجاء بضمير الفصل توكيداً لهذا المعنى .

أمّا الآية الثالثة فهي ليست في الموازنة بين أهل الأديان، وإنما هي رد على تصرف سيِّءٍ ومكر، حيث قالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بما أنزل على محمد وجه النهار واكفروا آخره ، وقولوا نحن آمنا به ظناً بأنه حق ولكن استبان لنا أنه باطل فرجعنا عنه

إلى ديننا الذي هو الحق لعلهم يرجعون عن دينهم، فنزلت الآية رداً على مكرهم وكيدهم وادعائهم الهدى، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران :٧٣] أي: أنّ الهدى أنْ يهديكم الله إلى الدين الصحيح وإلى الحق وليس الهدى أنْ تعملوا مثل هذا المكر والتبييت، والله أعلم.

السؤال الثامن:

ما سبب اختلاف الفاصلة بين آية البقرة [١٢٠] ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ وفاصلة آية الرعد [٣٧] ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ ؟

الجواب:

آية الرعد [٣٧] هي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ .

١ـ في آية الرعد قال: ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد:٣٧] والواقي هو الحافظ وهو أعم من النصير؛ لأنّ الواقي قد يكون عاقلاً أو من الجمادات أو غيرها، فالسقف واق والملابس واقية.

وأمّا النصير فلا يكون إلا عاقلاً قادراً .

٢ـ حدد الأهواء وعينها في آية البقرة ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] ولم يحددها في الرعد بل أطلقها، فجعل العام وهو الواقي مع العام وهو عموم الأهواء مع الاسم الموصول المشترك ﴿مَا﴾وجعل الخاص مع الأهواء المحددة مع الاسم الموصول المختص وهو ﴿الَّذِي﴾.

٣ـ النصير ينصر صاحبه على الخصم ويمكّنه منه، وأمّا الواقي فإنه يحفظه منه وقد لا يتمكن من نصره، ولذلك فوجود النصير أتم في النعمة من وجود الواقي.

لذلك جعل نفي النصير وهو النعمة الأتم، مع الوزر الأعظم وهو ترك ملة الإسلام، وجعل نفي الواقي الذي هو دون ذلك مع ما هو أقل وهو إنكار بعض الأحزاب بعض ما أنزل إليه.

٤ـ تناسب الفاصلة مع السياق، ففي آية البقرة ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] فإذا اتبع ملتهم كان منهم، وأهل الملة ينصرون أتباعهم على غيرهم، فنفى النصير عنه.

وأمّا آية الرعد فلم يذكر فيها ذلك، وإنما قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد:٣٦] واتباع البعض قد لا يقتضي النصرة ومحاربة الأعداء من أجل ذلك البعض، لكن ربما يحفظونه إذا وقع في شدة.

٥ـ انظر الجدول التالي حيث يتبين تناسب اختيار الكلمات مع تناسب عدد التكرار في السورتين :

السورة	تكرار كلمة (نصير)	تكرار كلمة (واق)	الآيات
البقرة	٢	–	١٠٧–١٢٠
الرعد	–	٢	٣٤–٣٧

٦ـ تناسب الفاصلة في كل سورة والله أعلم.

السؤال التاسع:

ما الدرس المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] ؟

الجواب:

كان اليهود يدخلون على رسول الله ﷺ مدخل كيد ولؤم، فيقولون: هادنا، أي: قل لنا ما في كتابنا حتى ننظر إذا كنا نتبعك أم لا ، فأراد الله أنْ يقطع على اليهود مكرهم فأخبر رسوله بأنه لا اليهود ولا النصارى سيتبعون ملتك وإنما يريدون أن تتبع ملتهم .

والخطاب وإنْ كان للرسول ﷺ فهو أيضاً لأمته إلى يوم القيامة، فليتنبه المسلمون إلى ذلك .



﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا حذف الجار والمجرور المقدر(فيه) مع الفعل ﴿تَجْزِى﴾[البقرة:١٢٣] في الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [٤٨].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣]، وقال في آية البقرة [٤٨] :﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨] فما سبب هذا الاختلاف؟ ومتى تذكر الشفاعة أو تؤنث؟.

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة: ٤٨.

السؤال الثالث:

ما خصوصية استعمال القرآن لكلمتي: العدل والقسط؟

الجواب:

١ـ القسط: هو الحظ والنصيب، والقرآن لم يستعمله إلا مع الموازين، وهذا من خصوصية الاستعمال القرآني ، والقسط يستعمل مع غير الميزان، لكنّ القرآن يستعمله مع الميزان ولا يستعمل العدل مع الميزان، والقسط قد يكون في القسمة وفيه ارتباط بالآلة (قسطاس).

ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع الوزن إلا القسط، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن:٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥] والقسطاس هو ميزان العدل، وأصل كلمة قسطاس عدل، فسموا الميزان قسطاساً؛ لأنه عدل.

٢ـ العدل معناه المساواة في الأحكام، وعندنا عَدلٌ وعِدلٌ، فالعِدلُ ـ بكسر العين ـ فهو فيما يُبصر من الأشياء ، تقول : هذا عِدل هذا، مثل حِملَينِ متساويين .

أمّا العَدلُ ـ بفتح العين ـ فهو أحكام ومساواة في الحكم وفيما لا يُبصر من الأشياء، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥] أي: ذوا قسط ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة:٩٥]

والصيام لا يُبصر﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام:٧٠] لم يقل كل قسط، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:١٢٣] . والله أعلم.



﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الدروس المستفادة من هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ (إذ) معناها اذكر وقت أنْ ابتلى اللهُ إبراهيم بكلمات.

٢ـ الابتلاء هو الامتحان، والابتلاء ليس شراً ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر وهو من أسس التربية.

٣ـ الابتلاء هنا بكلمات، والكلمات جمع كلمة، والكلمة قد تطلق على الجملة، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف:٥] .

٤ـ قال العلماء: إنّ الابتلاءات كانت عشرة، وقالوا: أربعين، منها عشرة في سورة التوبة (الآية١١٢) ، وعشرة في سورة المؤمنون (الآيات ١ـ١٠) وعشرة في الأحزاب (الآية ٣٥) وعشرة في المعارج (الآيات ٢٢ـ٣٤).

ونخرج من هذا الجدل بأنْ نقول: إنّ الله ابتلى إبراهيم عليه السلام بكلمات تكليفية (افعل كذا ولا تفعل كذا) فقد ابتلاه في النار فلم يجزع، فأتاه جبريل عليه السلام فيقول: ألك حاجة؟ فيرد إبراهيم: أمّا إليك فلا، وأمّا إلى الله فعلمه بحالي يغنيه عن سؤالي، وابتلي بذبح ابنه الوحيد وهو شيخ كبير فيطيع بنفس مطمئنة .

وكون إبراهيم أدى جميع التكليفات بعشق وحب وزاد عليها من جنسها فقد نجح في الابتلاء ووفّى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم:٣٧] فكان الله أعز عليه من نفسه وأهله وولده.

٥ـ كافأه الله بقوله: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] أي: إماماً للبشر، فاستقبل إبراهيم هذه البشرى وأراد أنْ ينقل الإمامة إلى أولاده وأحفاده حتى لا يحرموا من القيم الإيمانية خلال حياتهم، فردّ الله على إبراهيم بقضية إيمانية أيضاً فيها تقريع لليهود الذين تركوا القيم وعبدوا المادة فقال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤] وعهد الله هو الفاعل الذي يجذب صاحبه.

٦ـ في الآية استقراء للغيب أنه سيأتي من ذرية إبراهيم من سيفسق ويظلم، والمقصود بذلك اليهود.

٧ـ الرسالة ليست ميراثاً، ومن العجائب أنّ موسى وهارون عليهما السلام كانا رسولين ، والرسول الأصيل موسى وجاء هارون ليشد أزره، وشاءت مشيئة الله أنْ تستمر الرسالة في ذرية هارون وليس في ذرية موسى.

٨ـ الأنبياء اصطفاؤهم اصطفاء قيم، وأبناؤهم هم الذين يأخذون منهم هذه القيم، وليسوا الذين يأخذون الجنس والدم واللون، وانظر إلى قصة نوح عليه السلام مع ابنه لتتحقق من ذلك.

٩ـ إمامة الناس عطاء ألوهية لا يناله إلا المؤمن، أمّا الرزق فعطاء ربوبية يناله المؤمن والكافر؛ لأنّ الله هو الذي استدعانا للحياة جميعاً وكفل لنا الرزق جميعاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة تأخير لفظ (ربه) في قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:١٢٤] ؟

الجواب:

الابتلاء هو الاختبار، فإن كلّفت شخصاً بشيء فما يكون تكليفك له متضمناً معنى اختيار فعله أو تركه.

وابتلاء الله لإبراهيم تكليف له؛ لأنّ الله كلفه بأوامر ونواهٍ. وفي هذه الآية تقديم ما حقه التأخير، فـ ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مفعول به، وقد تقدّم على الفاعل ﴿رَبُّهُۥ﴾ فما الهدف من هذا التقديم؟

المقصود من هذا تشريف سيدنا إبراهيم عليه السلام بإضافة اسم ربه إلى اسمه وهو الهاء في قوله ﴿رَبُّهُۥ﴾ أي: رب إبراهيم.

السؤال الثالث:

لم سمى الله عز وجل إبراهيم إماماً في الآية؟

الجواب:

سمّى الله تعالى إبراهيم في هذه الآية إماماً، وقصد بإمامته أنه رسول، فلِمَ عدل عن تسميته رسولاً إلى تسميته إماماً؟

والجواب: ليكون ذلك دالاً على أنّ رسالته تنفع الأمة المرسَل إليها بالتبليغ وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الامتداد، سيما وأنّ إبراهيم عليه السلام قد طوّف بالآفاق.

السؤال الرابع:

قوله تعالى ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ [البقرة:١٢٤] (من) للتبعيض،فلِمَ خصّ إبراهيم بالدعاء بعض ذريته ؟

الجواب:

قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ [البقرة:١٢٤] ولم يقل: ذريتي؛ لأنه يعلم أنّ حكمة الله تعالى تقتضي ألا يكون جميع أبناء الرجل ممن يصلحون لأن يُقتدى بهم، ولذلك لم يسأل الله تعالى ما هو مستحيل عادة، لأنّ ذلك ليس من آداب الدعاء، ولم يجعل الدعاء عاماً شاملاً لكل الذرية بحيث يقول: (وذريتي).

السؤال الخامس:

لماذا نصبت كلمة الظالمين في الآية ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة:١٢٤] ؟

الجواب:

الظالمين مفعول به والعهد الفاعل، الظالمين مفعول به منصوب بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم.

السؤال السادس:

وردت كلمة ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في القرآن كله بالياء إلا في سورة البقرة جاءت بدون الياء ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

وردت كلمة (إبراهيم) في القرآن الكريم ٦٩ مرة، منها ١٥ مرة في سورة البقرة كلها بدون الياء، والباقي ٥٤ مرة بالياء.

وهذا من خط المصحف، والقاعدة تقول: خط المصحف لا يقاس عليه.

والمصحف كتبه عدد كبير من الكتبة، والرسم الذي كتبوا به هو كتابتهم في أزمانهم، فمرة يرسم حرف العلة ومرة لا يرسم، وأحيانا يكون الرسم لاختلاف القراءات، فيوضع الرسم الذي يجمع القراءات المتواترة، مثل (ملك) في سورة الفاتحة بدون ألف؛ لأنه ورد قراءة متواترة (ملك يوم الدين) وشروط القراءة الصحيحة أنْ تكون موافقة لرسم المصحف.

وكلمة (إبراهيم) في سورة البقرة ورد فيها قراءتان متواترتان: إحداهما (إبراهم) بدون ياء، والثانية بالياء، فكتبت بالشكل الذي يحتمل القراءتين. والله أعلم.

السؤال السابع:

هل من تفصيل أكثر وأوسع للسؤال السابق ؟

الجواب:

كلمة (إبراهيم) اسم أعجمي، والعرب كانت تتصرف في الاسم الأعجمي، وورد في «زاد المسير» أنه في إبراهيم ست لغات، وهي :

إبراهيم ـ وهي أشهرها ـ إبراهُم ـ إبراهَم ـ إبراهِم ـ إبراهام ـ إبرهم.

١ـ لقد وردت كلمة (إبراهيم) في القرآن الكريم ٦٩ مرة، اختلف القراء في ٣٣ موضعاً، منها ١٥ مرة في سورة البقرة كتبت كلها بدون الياء (إبراهم) وذلك في الآيات التالية:

(١٢٤ـ١٢٥ـ١٢٥ـ١٢٦ـ١٢٧ـ١٣٠ـ١٣٢ـ١٣٣ـ١٣٥ـ١٣٦ـ١٤٠ـ٢٥٨ـ٢٥٨ـ٢٥٨ـ٢٦٠).

والباقي ٥٤ مرة موزعة على ٢٤ سورة أخرى غير سورة البقرة مكتوبة بالياء إبراهيم وذلك حسب الجدول التالي:

السورة	عدد المرات	أرقام الآيات
البقرة	١٥	انظر أعلاه
آل عمران	٧	٣٣ـ٦٥ـ٦٧ـ٦٨ـ٨٤ـ٩٥ـ٩٧
النساء	٤	٥٤ـ١٢٥ـ١٢٥ـ١٦٣
الأنعام	٤	٧٤ـ٧٥ـ٨٣ـ١٦٤
التوبة	٣	٧٠ـ١١٤ـ١١٤
هود	٤	٦٩ـ٧٤-٧٥ـ٧٦
يوسف	٢	٦ـ٣٨
إبراهيم	١	٣٥
الحجر	١	٥١

النحل	٢	١٢٠ـ١٢٣
مريم	٣	٤١ـ٤٦ـ٥٨
الأنبياء	٤	٥١ـ٦٠ـ٦٢ـ٦٩
الحج	٣	٢٦ـ٤٣ـ٧٨
الشعراء	١	٦٩
العنكبوت	٢	١٦ـ٣١
الأحزاب	١	٧
الصافات	٣	٨٣ـ١٠٤ـ١٠٩
ص	١	ـ٤٥ـ
الشورى	١	ـ١٣ـ
الزخرف	١	ـ٢٦ـ
الذاريات	١	ـ٢٤ـ
النجم	١	ـ٣٧ـ
الحديد	١	ـ٢٦ـ
الممتحنة	٢	ـ٤ـ٤ـ
الأعلى	١	ـ١٩ـ

المجموع : ٦٩ مرة، وعدد السور ٢٥ سورة.

٢ـ حذفوا ياء (إبراهيم) في سورة البقرة فقط، وكتبوها (إبراهم) مع وضع إشارة ياء صغيرة فوق الكلمة لتدل على وجود قراءتين متواترتين.

٣ـ رسمت كلمة إبراهيم بلا ياء في المصاحف العراقية والشامية وفي مصحف الإمام، أمّا في باقي المصاحف فرسمت بياء .

وبالتالي فإنّ رسمها بلا ياء في سورة البقرة ليس مجمعاً عليه، ولكنّ المصحف المنتشر برواية حفص ترسم فيه بحذف الياء في سورة البقرة .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في «عقيلة أتراب القصائد» :

والحــذفُ في يــاءِ ابــراهيمَ قيــل هنــا شــامٌ عــراقٌ ونِعــمَ العِــرقُ مــا انتشــرا

أي: حُذِفت ياء (إبراهيم) من الرسم الشامي والكوفي والبصري.

٤ـ وسبب ذلك بشكل عام هو وجود قراءتين، لكن بشكل عام نجد أنّ :

آ ـ خط المصحف لا يقاس عليه.

وللعلم فقد حصل تطور في تاريخ الكتابة منذ زمن النبي ﷺ فبدأت الكتابة العربية تستقر، ولذلك نرى أكثر من رسم للكلمة، مثل كلمة (لكيلا) فيمكن كتابتها موصولة أو مفصولة، (لكي لا) وكلاهما جائز عند العرب.

ب ـ الإمام عبد الله بن عامر الشامي هو أحد القراء السبعة المشهورين لدى علماء القراءات، ولابن عامر راويان هما: هشام بن عمار الدمشقي، والآخر أحمد بن ذكوان الدمشقي.

أمّا هشام فقرأ كلمة (إبراهيم) بالألف في ثلاثة وثلاثين موضعاً، منها جميع ما في سورة البقرة أي: قرأها (إبراهام) أي: بإبدال الياء ألفاً.

وأمّا ابن ذكوان فقرأها بالألف وبالياء.

وفي سورة البقرة فقط اجتمع الراويان بالألف هشام وابن ذكوان، فكتبت بدون ياء في سورة البقرة مع وضع ياء صغيرة فوقها للدلالة على القراءة الأخرى.

لذلك نرى أنّ قراءة الياء في المرسوم بها قياسية، وفي محذوفها اصطلاحية كما في كلمة (إسرائيل) و(الداع).

ج ـ كتابة مصحف ابن عامر ومصحف المدينة رواية حفص عن عاصم متقاربة.

د ـ هكذا وصلت إلينا صيغة الكتابة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين كتبوا القرآن ولم ينكشف سر ذلك لأحد، والله سبحانه علام الغيوب، والرسم بُني على حكمة ذهبت بذهاب كتبته، والله أعلم.



﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

١ـ هذا السؤال ليس دقيقاً؛ لأنه توجد في القرآن مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل ولم يُذكر إسحق، وهناك ٦ مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣].

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦].

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة:١٤٠].

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران:٨٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم:٣٩].

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣].

٢ـ وكل موطن ذُكر فيه إسحق ذُكر فيه إسماعيل بعده بقليل أو معه، مثل قوله تعالى:

ـ ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم:٤٩] و ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم:٥٤].

إلا في موطن واحد في سورة العنكبوت ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٧] .

٣ـ وفي قصة يوسف عليه السلام لا يصح أن يُذكر فيها إسماعيل؛ لأنّ يوسف من ذرية إسحق وليس من ذرية إسماعيل .

٤ـ وقد ذُكر إسماعيل مرتين في القرآن بدون أن يُذكر إسحق:

آـ في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة:١٢٥] .

ب ـ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧] لأنّ إسحق ليس له علاقة بهذه القصة - وهي رفع القواعد من البيت- أصلاً.

السؤال الثاني:

بعض العلماء يقول: إنّ إسماعيل هو الذبيح، والبعض يعترض ويقول آخرون: (إسحق) فما المختار بين الرأيين؟

الجواب:

ليس هناك أثر صريح صحيح، لكنْ عندما ننظر في الآيات نجد التالي:

١ـ الآية في سورة هود ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] هذه المرأة هي زوجة إبراهيم عليه السلام التي كانت عاقراً وكانت كبيرة في السن، وهي امرأته الأولى بُشِّرت بإسحق.

وأمّا المرأة الثانية فهي زوجة إبراهيم وهي التي ولدت له هذا الذي أخذها وإياه وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند البيت المحرم.

وعندما ننظر في الوقائع في الآيات نجد نوعاً من الترجيح أنه إسماعيل الذي ذهب إلى ديار العرب وتزوج منهم وعاش هناك؛ لأنّ الكلام الأول كان عن إسحق.

٢ـ وعندما نأتي إلى الآيات في سورة الصافات ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات:١٠١-١٠٢] وبعد أنْ يمضي في القصة وبعد أنْ ينتهي من قصة الذبيح يقول تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات:١١٢] إذن جاءت البشارة بإسحق بعد البشارة بالذبيح، وإسحق ذكر اسمه في القرآن، وإسماعيل ذكر اسمه في القرآن، فالمرجح أنّ الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق.

٣ـ ونقول: الذبيح من الصابرين، وعندما ننتقل إلى الآيات ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء:٨٥] ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] من الذي وُصِف بوصف الصبر؟ إسماعيل، بينما إسحق ما وصف بهذا وإنما قال:

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود:٧١] لكن نقول: والمسألة لا يترتب عليها أمر من أمور الدين؛ فالخوض فيها غير مثمر.

٤ـ إنه أحد ابني إبراهيم، وعندنا قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ ﴾ [البقرة:١٢٥] .

٥ـ وإبراهيم عليه السلام عنده ولدان: إسماعيل وإسحق،ومن ذرية إسحق أنبياء ورسل كثيرون، ومن ذرية إسماعيل نبيٌّ واحد هوخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

٦ـ من أولاد إسماعيل محمد ﷺ وهؤلاء أبناء عمومتهم "سأبعث من أبناء عمومتهم في فاران" (وفاران هو المكان الذي ترك فيه إبراهيم ولده إسماعيل، وهم يزعمون أنّ فاران في مكان آخر في فلسطين) . لوصح الحديث «**أنا ابن الذبيحين**» لانتهى الحوار، لكنه لم يصح عن الرسول ﷺ . والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما أهم الوقفات مع هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ ﴿ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ ﴾ البيت مأخوذ من البيتوتة وهو المأوى الذي تأوي إليه، ولذلك سُميت الكعبة بيتاً؛ لأنها المكان الذي يستريح إليه كل خلق الله.

٢ـ ﴿ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ : يعني مرجعاً تذهب إليه وتعود، مثل شعور الناس بالشوق للرجوع إلى الكعبة، ولو ظلت جاذبية بيت الله في قلوب الناس مستمرة لتركوا كل

شؤون الحياة ليبقوا بجوار البيت، ولذلك كان عمر رضي الله عنه حريصاً على أنْ يعود الناس إلى أوطانهم وأولادهم بعد انتهاء مناسك الحج مباشرة.

٣ـ ﴿وَأَمْنًا﴾ : يعني يؤمّن الناس فيه، حتى كان ذلك قبل الإسلام فيلقى أحدهم قاتل أبيه في بيت الله فلا يتعرض له إلا عندما يخرج، والله لا يخبرنا بأنّ البيت آمِنٌ، ولكنه يطلب منا أنْ نؤمّن من فيه، فالآية تشريع وليس خبراً.

٤ ـ ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مَقام: - بفتح الميم- اسم لمكان من قام، أمّا بضمها – مُقام- فهو اسم لمن أقام.

٥ـ أمرنا الله أنْ نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؛ لأنّ المسلمين كانوا يتحرجون عن الصلاة فيه، فلا يريدون أنْ يكون بينهم وبين الكعبة شيء، فيخلون ذلك المكان الذي فيه مقام إبراهيم.

وقد سأل عمر رضي الله عنه الرسول ﷺ : ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت هذه الآية.

٦ـ في الآية إقرار من الله بوجود مقام إبراهيم في مكانه بين المصلين خلفه وبين الكعبة؛ وذلك لأنّ مقام إبراهيم له قصة تتصل في العبادة ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:٩٧].

ومقام إبراهيم هو مكان قيامه عندما أمره الله برفع القواعد من البيت، والترتيب الزمني للأحداث هو أنّ البيت وُجد أولاً، ثم بعد ذلك رفعت القواعد ووضع الحجر الأسود في موقعه بيد إبراهيم عليه السلام.

٧ـ الله سبحانه لا يريد أنْ يعطينا التاريخ بقدر ما يريد أنْ يعطينا العبرة.

٨ـ البيت وُضع للناس، فالناس لم يضعوه ولكنّ الله سبحانه هو الذي حدده والملائكة هم الذين وضعوه بأمر الله، والله مع نزول آدم شرع التوبة وأعدّ هذا البيت ليتوب الناس فيه إلى ربهم وليقيموا الصلاة فيه.

٩ـ عندما أراد إبراهيم أنْ يقيم القواعد من البيت كان يكفي أنْ يقيمها على قدر طول قامته، ولكنه لعشقه تكاليف ربه جاء بالحجر ليزيد القواعد بمقدار ارتفاع الحجر.

وإنّ الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم به حُفَرٌ على شكل قدميه، وهما بين قائل: أنّ الحجر تأثر تحت قدمي إبراهيم من خشية الله، وبين قائل: إنّ إبراهيم هو الذي قام بحفر مكانٍ في الحجر على هيئة قدميه ليساعده على توازنه عندما يرفع يده إلى الأعلى خلال العمل.

١٠ـ وقوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ فيه دليل على أنّ البيت زالت معالمه تماماً وأصبح مثل سائر الأرض، فذُبحت فيه الذبائح وألقيت المخلفات، فأمر الله سبحانه أنْ يطهر هو وإسماعيل البيت من كل هذا الدنس ويجعله مكاناً لثلاث طوائف : الطائفين، العاكفين، والركع السجود.

السؤال الرابع:

ورد في الآية ذكر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وورد ذلك أيضاً في آية آل عمران: ٤٣، وآية الحج[٢٦ و ٧٧]، وذكر فيها القائمين لكنْ مع التقديم والتأخير، فهل من توضيح لهذا الأمر ؟

الجواب:

أولاً: استعراض الآيات:

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران:٤٣].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج:٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

ثانياً ـ ستكون دراسة الآيات من ناحيتين اثنتين وهما:

آ ـ دراسة الآيات من حيث التقديم والتأخيربحسب الكثرة والقلة.

ب ـ دراسة الآيات من ناحية تعاور أو تناوب المفردات.

الناحية الأولى:

تدرّج في ترتيب المذكورات من القلة إلى الكثرة، وقد قال في البقرة: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥] وفي الحج ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ [الحج:٢٦].

والعاكفون هم أهل البلد الحرام المقيمون أو الغرباء الذين عكفوا عنده، أي: أقاموا لا يبرحون وقيل هم المعتكفون فيه.

١ـ في آية البقرة [١٢٥] الكلام عن بيت الله الحرام، فالطائفون هم ألصق المذكورين بالبيت؛ لأنهم يطوفون حوله، وهم من يقصد البيت حاجاً أو معتمراً فبدأ

بهم، ثم تدرّج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً، ثم الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل الأرض، والراكعون أقل من الساجدين؛ وذلك لأنّ لكل ركعة سجدتين، إضافةً أنّ هناك سجوداً ليس له ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر، فتدرج من القلة إلى الكثرة.

٢ـ في آية الحج: ٧٧ ، بدأ بالركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر، ثم عبادة الرب وهو أعم، ثم فعل الخير، فتدرج من القلة إلى الكثرة .

٣ ـ في آية آل عمران :٤٣، كان التدرج معكوساً من الكثرة إلى القلة، فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة، ثم السجود وهو أقل وأخص، ثم الركوع وهو أقل وأخص .

الناحية الثانية : دراسة الآيات من ناحية تعاور أو تناوب المفردات :

فقد قال في البقرة: ﴿وَٱلۡعَـٰكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥] وفي الحج ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ [الحج:٢٦].

التعاريف :

العاكفون :

آـ هم أهل البلد الحرام المقيمون .

ب ـ الغرباء الذين عكفوا عنده وجاوروه.

القائمون:

آـ المصلون، أي: الركع السجود، أي: ذكر أهم أركان الصلاة القيام والركوع والسجود.

ب ـ المتمسكون بدين الله الثابتون عليه والعازمون المواظبون على ذلك.

الأدلة على معنى القائمين:

ـ التمسك: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران:١١٣] .

ـ العزم: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن:١٩] أي: لما عزم.

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف:١٤] أي: عزموا فقالوا.

الأدلة على معنى العاكفين :

﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي: يقيمون.

﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه:٩٧] أي: مقيماً.

﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧] أي مقيمون في المساجد لا يخرجون إلا لضرورة.

آيات البقرة : ١٢٦-١٢٩

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

جاءت في سياق ذكر أهل البلد الحرام وذرية إبراهيم وإسماعيل، ومن هؤلاء السكان المقيمين في البلد الحرام بُعث النبي الأمين ﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل

فناسب ذكر العاكفين وهم أهل البلد الحرام المقيمون أو المجاورون وعموم من لزم المسجد الحرام.

آية الحج : ٢٦

١ـ ذكر فيها القائمين ولم يذكر العاكفين، ذلك أنه قال قبلها في الآية: [٢٥] ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] فجعل العاكفَ فيه وغيرَه سواءً؛ فليس من المناسب أنْ يفرد العاكفين فقال: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ والقائمون قد يكونون من العاكفين وغيرهم.

٢ـ وذكر بعدها فريضة الحج والحجاج الذين يأتونه من كل فج عميق، ولم يذكر أهل البلد الحرام فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج:٢٧-٢٨-٢٩].

ومن هؤلاء المذكورين من سيعود إلى أهليهم بعد قضاء فريضة الحج فلا يناسب ذلك ذكر العُكوف والإقامة، وإنما يناسبه القيام الذي من معانيه القيام بأمر الدين والاستمساك به؛ ومن ذلك القيام بالصلاة ومناسك الحج وغيرها من الطاعات .

فناسب ذلك ذكر العاكفين في سورة البقرة والقائمين في سورة الحج، والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين سُجّد وسجود ؟ولِمَ قال: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ ولم يقل: (الركع السُجّد)؟

الجواب:

١ـ الوزن (فُعّل) نحو: رُكَّع وسُجَّد وضُرَّب يدل على الحركة الظاهرة.

٢ـ السجود في الأصل مصدر كالخشوع والخضوع، وهو يتناول السجود الظاهر والباطن، وهو يطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع، كما في آية البقرة (والركع السجود) ولو قال: (السُجّد) لم يتناول إلا المعنى الظاهر، ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩] وهو من رؤية العين التي تتعلق بالظاهر فقط، فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري، بخلاف الركوع فإنه ظاهر في أعمال الظاهر دون أعمال القلب.

٣ـ وردت كلمة (السُجّد) في القرآن في أحد عشر موطناً، كلها للدلالة على الحركة الظاهرة وهي الآيات:

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩].

﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف:١٠٠].

﴿وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل:٤٨].

﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة:٥٨] ـ [الأعراف:١٦١].

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء:١٠٧].

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه:٧٠].

﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤].

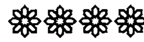
﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨].

﴿خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾ [السجدة:١٥].

وكل هذه الآيات بلفظ (السُجّد) للدلالة على الحركة الظاهرة.

٤ـ لم يرد لفظ السجود (جمع ساجد) إلا في موضعين هما البقرة ١٢٥، والحج ٢٦ للدلالة على السجود الحقيقي؛ وهو الخشوع، وهو مناسب للتطهير في الآية، فإنّ الخشوع يدل على طهارة الباطن وهو مناسب لطهارة البيت وليس المراد به السجود الظاهري.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير:١٥-١٦] فالخُنَّس والكُنَّس هن اللاتي يخنسن ويختفين كثيراً لا مرة واحدة.



﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦] وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥] ؟

الجواب:

الآية الأولى هي دعاء سيدنا إبراهيم قبل أنْ تكون مكة بلداً، فجاء بصيغة التنكير ﴿بَلَدًا﴾ [البقرة:١٢٦]، أمّا الآية الثانية فهي دعاء سيدنا إبراهيم بعد أنْ أصبحت مكة بلداً معروفاً فجاء بصيغة التعريف في قوله: ﴿ٱلۡبَلَدَ﴾ [إبراهيم:٣٥] .

في الآية الثانية المكان صار بلداً وصار فيه ناس، بل أكثر من ذلك جاء إليه من يعبد الأصنام، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم:٣٥] معناه: أنّ هناك في البلد من القبائل أو من الأعراب الذين سكنوا مع هاجر من كانوا يعبدون الأصنام، فلا يريد لذريته أنْ يتأثروا بهؤلاء فانصب الطلب على الأمن ودفع عبادة الأصنام.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في البقرة قال: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٦] بضمير المفرد وفي آية لقمان: ٢٤ بالجمع ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان:٢٤] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

حتى نفهم المسألة نقرأ سياق آية البقرة؛ لأنّ السياق هو الذي يوضّح ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٦] إذن آية البقرة في مكة، وأمّا آية لقمان فهي عامة﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [لقمان:٢٤] كلام عام، وليس في بلد معين ولا لأناس معيَّنين.

١ـ آية البقرة هي دعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهل مكة قبل أنْ توجد حيث ذكر ﴿بَلَدًا﴾ ، وأمّا آية لقمان فهي عامة و ليست في بلد معين أو أناس معينين، لذلك نجد أنَّ:

آ ـ في آية لقمان حيث توجد الكثرة النسبية جاء فيها بالجمع﴿ نُمَتِّعُهُمْ﴾ [لقمان:٢٤] ﴿ نَضْطَرُّهُمْ﴾ [لقمان:٢٤] .

ب ـ وفي آية البقرة العدد أقل نسبياً، فجاء بضمير الإفراد ﴿أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ [البقرة:١٢٦] والله هو صاحب البيت ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ [البقرة:١٢٥] وهو يتولى العذاب.

٢ـ في آية البقرة جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٢٦] وهذا هوطلب الرزق كنوع من التمتيع، وهذا ليس في التبليغ؛ لذلك عندما قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [البقرة:١٢٦] كان الجواب ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ [البقرة:١٢٦].

وأمّا في آية لقمان فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ و﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ و﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾ كلها بالجمع؛ لأنها تخص التبليغ والدعوة.

٣ـ قال في آية لقمان: ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وفي البقرة: ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٢٦] والثانية فيها حرق فهي أشد من ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ فقد يكون بعصا غليظة مثلاً، والسبب في ذلك أنّ آية البقرة هي في أهل مكة، وفي مكة قد تتضاعف السيئات كما تتضاعف الحسنات، فالمعاصي فيها أكبر ذنباً والعذاب بسبب ذلك أشد؛ لأنّ من أساء في مكة ليس كمن أساء في غيرها، ولذلك شدّد العذاب فقال: ﴿عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٦] . والله أعلم

٤ـ وفي القرآن يراعي هذا الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢] الذين يستمعون أكثر من الذين ينظرون، فقال: يستمعون، هذه تسمى مناسبة، وهذا ما جعل المفعول في لقمان بالجمع، وفي البقرة بالمفرد.

السؤال الثالث:

جاء في الآية لفظة النداء ﴿رَبِّ﴾ [البقرة:١٢٦] وفي آيات كثيرة ﴿رَبَّنَا﴾ فهل من معانٍ لهذا النداء ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ هي منادى بإسقاط حرف النداء، والمنادى هو طلب الإقبال، وهو اسم يقع بعد أداة من أدوات النداء، وأدوات النداء تختلف باختلاف المسافة بينك وبين المنادى.

آ ـ فإذا كان المنادى بجوارك تقول : محمدٌ افعل كذا، أي :بدون أداة نداء.

ب ـ فإنْ كان بعيداً تقول: أمحمدُ، أي: باستعمال الهمزة.

ج ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: يا محمد، أي: باستعمال الياء.

د ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: أيا محمد، أي: باستعمال الهمزة والياء.

٢ـ إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم، جاز حذف الياء والاستغناء عنها بالكسرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤] .

٣ـ قد يأتي المنادى ويحذف حرف النداء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وأنت أيها المؤمن حين تنادي ربك وإنْ لم تكن أنت قريباً من الله فالله قريب منك، ولذلك لا تستخدم أداة النداء لا للقريب ولا للبعيد، ويكفي في هذا القرب قول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ ﴿رَبِّ﴾ كمنادى في خمس وستين آية بدون أداة نداء، أولها في سورة البقرة في الآية [١٢٦] على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦] إلى قول نوح عليه السلام في سورة نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨].

والله قريب منا بالفعل، وإنْ حدث بُعدٌ فمنك أنت أيها العبد، وأكثر ما يكون العبد قرباً من الله حين يكون مضطراً حتى إنْ كان بعيداً عن الله قبل الاضطرار.

وفي آيتين فقط من كتاب الله نودي الربُّ تبارك وتعالى بأداة النداء، وهذان الموضعان حكاية عن كلام النبي ﷺ وهما :

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان:٣٠] .

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٨٨] والسؤال لماذا لم تأتِ أداة النداء إلا من سيدنا محمد ﷺ في نداء ربه؟

والجواب: أنّ النبي ﷺ كان شديد الحرص على هداية قومه ونصرة دعوته حتى خاطبه ربه بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء:٣].

وقد مرّ الرسول ﷺ بمواقف صعبة لدرجة جعلته يستبطىء نصر الله، كما قال سبحانه في سورة البقرة الآية [٢١٤]: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

فخاف ﷺ أنْ يكون بعُدَ عن ربه، وهذا البعد ما هو إلا مظنة من رسول الله أو اتهامٌ للنفس فلمّا ذهب ﷺ يدعو ربه ويشتكي إليه أنّ قومه هجروا القرآن نادى ربه من

منزلة البعيد، فقال :(يا رب)، وكأنه ﷺ ظن في نفسه التقصير أو الفشل، ورأى أنّ ذلك يُبعده عن ربه، لكنّ الله تعالى أنصفه وأكد نداءه، بل وأقسم به فقال الحق عز وجل: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٨-٨٩] .

أي: أقسم بقولك: ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان:٣٠].

والله تعالى يقسم بما يشاء على ما يشاء، ولم يقسم بأحد من الخلق إلا برسول الله، في قوله: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر:٧٢] وأقسم الله كذلك بقول رسوله فقال سبحانه: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٨٨].



﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما فائدة الضمير ﴿أَنتَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

جاء الخبر ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ معرفةً، ووقع بين ﴿إِنَّ﴾ والخبر ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ ضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾ بقصد المبالغة في كمال الوصفين السميع والعليم له سبحانه وتعالى، ولينزَل سمع وعلم غيره منزلة العدم، ألا ترى أنك لو قلت لرجل: أنت سامع، إذا أردت أنه أحد السامعين، أما إذا عرّفت فقلت: أنت السامع، فهذا يعني أنه السامع لا غيره.

السؤال الثاني:

هل يُضمَرُ القول في القرآن الكريم؟ وما حالات إضمار القول ؟

الجواب:

١ـ الأصل أنْ يُذكر فعل القول والمقول، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠] (قال) هي فعل القول، و ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هي المقول.

٢ـ قد يُحذف فعل القول ويُذكر القول، كقوله تعالى في آية التوبة [١٢٧] والبقرة[١٢٧]:

ـ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [التوبة:١٢٧] أي: يقولون: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [التوبة:١٢٧] ولم يذكر فعل القول.

ـ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧] أي: يقولون: ربنا تقبل منا، بدون ذكر فعل القول.

٣ـ قد يُذكر فعل القول ويُحذف المقول، كقوله تعالى في آية يونس: ٧٧ :

ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـٰذَا﴾ [يونس:٧٧]؛ وبيان ذلك :

آـ قال موسى: أتقولون للحق لمّا جاءكم، هنا فعل القول والمقول من موسى عليه السلام لقومه، بمعنى: أي ما تقولون في الحق الذي جئت به ؟

ب ـ ثم بعد أنْ ذكر فعل القول لقوم موسى وهو ﴿أَتَقُولُونَ﴾ [يونس:٧٧] حذف عنه المفعول به وهو مقولهم لدلالة الحال عليه.

ج ـ ثم قال مرة أخرى : ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ [يونس:٧٧] وهذا استفهام على سبيل الإنكار، ثم احتج على أنه ليس بسحر في قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس:٧٧] .

٤ـ قد يُذكر مقولان لقائلين مختلفين ويُحذف الفعل لواحد منهما، كقوله تعالى:

ـ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] ففي الآية مقولان:

آـ ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ﴾ [النحل:٢٨] وهذا مقول الظالمي أنفسهم، وذكر فعل القول (ألقوا) أي: أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت، فقالوا : ما كنا نعمل من سوء، والمراد بالسوء هنا: الشرك.

ب ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] وهذا مقول الملائكة رداً عليهم وتكذيباً، وأُدمج المقولان، وهو مفهوم من السياق.

٥ـ أن يُذكر فعل القول ومقوله، ثم يدمجه مع مقول آخر .

شواهد قرآنية :

آية يوسف: [٥١ـ٥٢]:

ـ ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٢] وتفصيل ذلك :

آ ـ ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف:٥١] في الآية فعل القول: قالت، ومقولها : أنا راودته.

ب ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢] هذا مقول يوسف عليه السلام عند أكثر المفسرين.

آية النمل[٣٤] :

ـ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل:٣٤] وهذا كلام بلقيس، ثم إنه تعالى قال : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل:٣٤] .

آية آل عمران [٩]:

ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٩] هذا كلام الداعي، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران:٩] .

٦ـ أنْ يُذكر فعل القول ولا يُذكر المقول، بل يُذكر فحواه، كقوله تعالى :

ـ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم:٣١] أي: أقيموا الصلاة، وهذا فحوى القول .

ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] أي: يقولوا القول الحسن.



﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفرق في الترتيب بين آية سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٩] وآية

سورة الجمعة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢] ؟

الجواب:

أولا :

وردت في القرآن الكريم مثل هذه الآيات أربع مرات، ثلاثاً منها عن الله تعالى، ومرة على لسان إبراهيم عليه السلام، وهي الآيات التالية:

١. سورة البقرة ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة:١٥١] .

٢. آل عمران ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

٣. سورة الجمعة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢] .

وعلى لسان إبراهيم عليه السلام:

٤. سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٩] .

وهذا يعود إلى ترتيب الأولويات والأهمية في الخطابين، فعندما دعا إبراهيم عليه السلام ربه أنْ يرسل رسولاً أَخَّرَ جانب تزكية الأخلاق إلى آخر مرحلة بعد تلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة.

أمّا في آية سورة الجمعة وسورة البقرة:١٥١ وسورة آل عمران : فالخطاب من الله تعالى بأنه بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم قبل مرحلة يعلمهم الكتاب والحكمة؛ لأنّ الجانب الخُلُقي يأتي قبل الجانب التعليمي، ولأنّ الإنسان إذا كان غير مزكّى في خلقه لن يتلقى الكتاب والحكمة على مُراد الله تعالى، والرسول ﷺ من أهم صفاته أنه على خلق عظيم كما شهد له رب العزة بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] .

والتزكية هي ربع المهمّة المحمدية (تلاوة الآيات، تعليم الكتاب، تعليم الحكمة، التزكية).

ثانياً ـ هذا الترتيب في الآية؛ لأنّ آيات القرآن تعلمنا التفكير والمنطق ودقة اللفظ وترتيب الأفكار، والله سبحانه وتعالى رتب هذه الصفات على حسب ترتيب وجودها؛ لأنّ أول تبليغ الرسالة القرآن ثم يكون تعليم معانيه، كما في قوله في موضع آخر: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٨-١٩] فإذا ما حصلت على علم القرآن انتقلت إلى المرحلة الأخيرة وهي التزكية.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] في الآية ؟

الجواب:

كلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] تَرُدُّ على اليهود الذين أحزنهم أنّ رسول الله ﷺ من العرب، وأنّ الرسالة كان يجب أن تكون فيهم.

ونحن نقول لهم: إنّ جدنا وجدكم إبراهيم، وأنتم من ذرية يعقوب بن إسحاق، ومحمد ﷺ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وأخ لأسحاق، ولا حجة لما تدّعونه من أن الله فضّلكم واختاركم على سائر الشعوب، إنما أراد الله أنْ يسلب منكم النبوة؛ لأنكم ظلمتم في الأرض وعهدُ الله لا يناله الظالمون.

ثم قال الله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠] فهو سفيه لا يملك عقلاً يميز بين الضار والنافع .

ثم قال: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠] فقد اصطفاه الله في الدنيا بالمنهج وبأنْ جعله إماماً وبالابتلاء، وهو في الآخرة من الصالحين، أي: من الفائزين.

وقد يظن كثير من الناس أنّ مقامات الناس في الدنيا وزخرفها مبرر لأنْ يعتقدوا أنّ لهم منزله عالية في الآخرة.

نقول: لا، فمنازل الدنيا لا علاقة لها بالآخرة، ولذلك قال الله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وأضاف : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لنعلم أنّ إبراهيم عليه السلام له منزلة عالية في الدنيا والآخرة معاً .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في هذه الآية [١٢٩] ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ بينما قال في آية آل عمران [١٦٤]: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وفي آية التوبة: ١٢٨ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

آية البقرة في سياق دعاء إبراهيم عليه السلام وهو عام .

أمّا في آل عمران والتوبة فهما في سياق ذكر المِنَّة على المؤمنين، فناسب ذكر ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لمزيد الحنوِّ والمنة، وكذلك ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] .



﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في آية البقرة ١٣١ : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة:١١٢] وورد الفعل ﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي في آية البقرة ١٣١- وفي آية لقمان [٢٢] بالمضارع ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٢] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

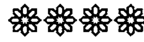
انظر السؤال الأول في آية البقرة: ١١٢.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١] ما الفرق بين (عالم- عوالم- عالمين- علاّم) في الاستعمال ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٢.



﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَصَّىٰ﴾ وأوصى؟

الجواب:

١ـ الله تعالى يقول: ﴿وَصَّىٰ﴾ بالتشديد إذا كان أمر الوصية شديدا ومهماً، لذلك يستعمل وصى في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة:١٣٢] ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء:١٣١].

أمّا (أوصى) فيستعملها الله تعالى في الأمور المادية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء:١١].

٢ـ لم ترد في القرآن (أوصى) في أمور الدين إلا في مكان واحد اقترنت بالأمور المادية، وهو قول السيد المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ [مريم:٣١]. وفي غير هذه الآية لم ترد (أوصى) في أمور الدين، أمّا في هذا الموضع الوحيد فقد اقترنت الصلاة بالأمور المادية، وقد قالها السيد المسيح في المهد وهو غير مكلف أصلا، وجاء بعدها ذكر الزكاة.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل (حضر، وجاء) في القرآن الكريم مع الموت؟

الجواب:

من الناحية اللغوية :

فعل (حضر) :الحضور في اللغة: يعني الوجود، وليس معناه بالضرورة المجيء إلى الشيء، يقال: كنت حاضراً إذ كلّمه فلان، بمعنى (شاهد وموجود)، وهو نقيض الغياب، ويقال: كنت حاضراً مجلسهم، وكنت حاضراً في السوق، أي: كنت موجوداً فيها.

أما المجيء: فهو الانتقال من مكان إلى مكان، فالحضور إذن غير المجيء، ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان، وهو دليل وجوده في كل مكان.

وفي القرآن يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨] بمعنى: جاء الأمر، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠]. إذن الحضور معناه الشهود، والمجيء معناه الانتقال من مكان إلى مكان .

من الناحية البيانية :

أمّا من الناحية البيانية ففى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣] وفي المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون:٩٩] .

القرآن الكريم له خصوصيات في التعبير، وكلمتا (حضر) و(جاء) لكل منها خصوصية أيضاً، فأما التعبير (حضر الموت) فيستعمل للكلام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود، وأمّا التعبير (جاء) فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

فحضور الموت يُستعمل في القرآن الكريم في الأحكام والوصايا كما في آية سورة البقرة، وكأنّ الموت هو من جملة الشهود، والقرآن هنا لا يتحدث عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، فالكلام هو في الأحكام والوصايا ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة:١٨٠] ووصية يعقوب لأبنائه بعبادة الله الواحد.

أمّا مجيء الموت في القرآن فيستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت كما في آية سورة المؤمنون، حيث يريد هذا الذي جاءه الموت أنْ يرجع ليعمل صالحاً في الدنيا، فالكلام إذن يتعلق بالموت نفسه وأحوال الشخص الذي يموت.

ويستعمل الفعل (جاء) مع غير كلمة (الموت) أيضاً كالأجل ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وسكرة الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [ق:١٩] ولا يستعمل هنا (حضر الموت)؛ لأنه كما

أسلفنا (حضر الموت) تستعمل للكلام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود، أمّا (جاء) فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم المفعول به مع ذكر الموت ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣] وما الفرق بين (حضر) و(جاء) و(أدرك) و(أصاب)؟

الجواب:

١ـ جاء لفظ الموت فاعلاً في ١١ موضعاً في القرآن الكريم كله، ويقول العلماء: إنّ تقديم المفعول به وإبعاد الفاعل، هو إمّا للاهتمام بالمقدَّم والتلهف لمعرفة الفاعل، أو لإبعاد شبح الموت، وهو شيء مكروه لكل البشر فالكل لا يحب قدومه.

٢ـ انظر الجدول التالي للأفعال التي جاءت مع الموت في القرآن :

الفعل مع الموت	عدد المواضع	الآيات
﴿حَضَرَ﴾	٤	البقرة ١٣٣ـ البقرة ١٨٠ـ المائدة ١٠٦ـ النساء ١٨
﴿جَآءَ﴾	٢	الأنعام ٦١ـ المؤمنون ٩٩
﴿يُدْرِكُ﴾	٢	النساء ٧٨ـ النساء ١٠٠
﴿يَأْتِيَ﴾	٢	إبراهيم ١٧ـ المنافقون ١٠
﴿يَتَوَفَّىٰ﴾	١	النساء ١٥

المجموع: ١١ موضعاً

الفعل ﴿حَضَرَ﴾:

فعل (حضر) هو من الحضور وهو نقيض الغياب، وقولك : كنت حاضراً معهم، أي: موجوداً، ولهذا نقول: (الله حاضر في كل مكان)، ونلمس بالفعل (حضر) شدة القرب.

واستعمل القرآن الكريم في الآيات حضور الموت للأحكام والوصايا، وكأنّ الموت من جملة الشهود، والقرآن لا يتحدث في آيات (حضر) عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، لكنّ الكلام هو في الأحكام والوصايا ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة:١٨٠] ووصية يعقوب لأولاده.

الفعل ﴿جَآءَ﴾:

فيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، والفعل (جاء) معناه الانتقال من مكان إلى مكان، وفي القرآن ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨] بمعنى(لم يكن موجوداً، وإنما جاء الأمر) وكذلك ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧].

و مجيء الموت في القرآن يستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت كما في آية المؤمنون [٩٩] وآية الأنعام [٦١].

وكذلك يستعمل فعل (جاء) مع غير كلمة الموت كالأجل ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وسكرة الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

الفعل: ﴿يُدْرِككُّمُ﴾ [النساء:٧٨]

أدرك: أي: لحق به وقبض عليه، وفيه صورة الملاحقة، كما في آية النساء: ٧٨، حيث تصور الآية من ينتقل من مكان لآخر هرباً من الموت، والموت يسعى وراءه حتى يدركه ولو كان متحصناً في بروج مشيدة.

الفعل : ﴿يَأْتِي﴾

إتيان الموت: المراد به إتيان أسبابه من وسائل التعذيب و الكلام عن المعذَّب بنار جهنم، كما في آية إبراهيم: ١٧، يونس ٣٦.

الفعل : ﴿يَتَوَفَّى﴾

كلمة (توفّى) تأتي في القرآن على ثلاثة ألوان :

١ـ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزُّمَر:٤٢].

٢ـ ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة:١١].

٣ـ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١].

فهو سبحانه ينسب الموت له ولملك الموت ولرسله، فأخذ الأرواح وقبضها إلى الله أمراً، وإلى ملك الموت وسيلة وواسطة، وإلى الرسل تنفيذاً .

السؤال الثالث:

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول في الآية [١٢٥].

السؤال الرابع:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين الوالد والأب ؟

الجواب:

يستعمل القرآن لفظة (الوالدان) للأب المباشر، أي: أبو الولد وأمه، بينما تأتي لفظة (الأب) بمعنى أشمل من الوالد، إذ يندرج في تضاعيفه معنى: الجد والعم والأب الوالد، كما في آية البقرة [١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣].

لذلك نجد أنّ الأبوة بمعناها الشامل تضمنت: الجد إبراهيم، والعم إسماعيل، والأب الوالد: إسحق .

السؤال الخامس:

في الآية متعاطفان ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة:١٣٣] فما أهم أقسام العطف في اللغة ؟

الجواب:

المتعاطفان يكونان على أقسام :

١ـ عطف الشيء على مغايره،وهو الأصل، نحو: رأيت محمداً وخالداً .

٢ـ عطف الشيء على مرادفه، نحو :هذا كذب وافتراء.

٣ـ عطف العام على الخاص، آية الحجر ٨٧ ، ونحو : اشتريت رماناً وفاكهة.

٤ـ عطف الخاص على العام: آية البقرة ٩٨، ويأتي لبيان الأهمية ، فإنّ جبريل وميكال هم رؤساء الملائكة وليسوا كعمومهم، ومثله آية البقرة ٢٣٨، وآية الرحمن ٦٨ .

٥ـ عطف الشيء على نفسه لزيادة الفائدة، كما في آية البقرة ١٣٣ .

٦ـ عطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد: الأعلى الآيتان ١ـ٤، ونحو : مررت برجل فقيه وشاعر وكاتب .

٧ـ عطف الاسم على الفعل وبالعكس، والأصل أنْ يعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل.

٨ـ قد يعطف الاسم المشبه بالفعل كاسم الفاعل على الفعل وبالعكس، كما في آية الملك ١٩، آية الأنعام ٩٥، حيث عطف اسم الفاعل ﴿ وَمُخْرِجُ ﴾ على الفعل ﴿ يُخْرِجُ ﴾ وكذلك في آيتي سورة العاديات (٣ ـ٤) ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ ﴾ .



﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الدروس المستفادة من الآية ؟

الجواب:

١ـ المقصود بالآية الأمم التي ذكرهم الله في الآيات المتقدمة، والمعنى أنه ليس لكم نفع سيرتهم ولا أفعالهم .

٢ـ الآية دالة على بطلان التقليد، ولو كان التقليد جائزاً لكان كسب المتبوع نافعاً للتابع .

٣ـ الآية دالة على ترغيبهم في الإيمان واتباع الرسول محمد ﷺ.

٤ـ الآية دالة على أنّ الأبناء لا يثابون على طاعة الآباء، بخلاف قول اليهود بأنّ صلاح آبائهم ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:١٦٤] وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] وفي الحديث : «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» .

٥ـ الآية تدل على بطلان قول من يقول من اليهود : الأبناء يعذبون بكفر آبائهم .

٦ـ الآية تدل على أنّ العبد مكتسِبٌ، وجعل كسبه شبيهاً بكسب الأموال.

السؤال الثاني:

لماذا كررت ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة:١٣٤-١٤١] في الآيتين ١٣٤و ١٤١، مع أنّ الآيتين متجاورتان ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى وردت إثباتاً لما نفاه أهل الكتاب من دين الإسلام الذي وصى به إبراهيم ويعقوب .

٢ـ وأمّا الثانية فوردت نفياً لما ادَّعَوه من أنّ إبراهيم ومن ذُكر بعده كانوا هوداً أو نصارى.

والمعنى العام: أنّ أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام وعليكم إثم مخالفتهم وما اقترفتم عليهم من التهود والتنصر الذي هم براء منه .

٣ـ الآيتان [١٣٣، ١٣٤] تقول لليهود: إنّ نسبكم إلى إبراهيم وإسحاق لن يشفع لكم عند الله بما حرفتموه وغيرتموه في التوراة وبما تفعلونه خلاف ما شرّع الله، فاعلموا أنّ عملكم هو الذي ستحاسبون عليه وليس نسبكم .

أما الآية: ١٤١، فقد قالوا: إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كانوا هوداً أو نصارى.

والله تبارك وتعالى لا يجادلهم وإنما يقول لهم: لنفرض، وهذا فرض غير صحيح، أنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كانوا هوداً أو نصارى، فهذا لن يكون عذراً لكم؛ لأنّ لهم ما كسبوا ولكم أنتم ما كسبتم، فلا تأخذوا ذلك حجة على الله يوم القيامة.

لذلك فإنّ سياق الآية الأولى يقول: لا شفاعة لكم يوم القيامة في نسبكم إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، بينما سياق الآية الثانية يقول: لا حجة لكم يوم القيامة في قولكم: إنهم كانوا هوداً أو نصارى، فلن ينفعكم نسبكم إليهم ولن يقبل الله حجتكم.



﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ﴾ [البقرة:١٣٥] ما معنى (حنيفاً)، وما دلالتها؟

الجواب:

الحَنَفُ: هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والحَنَفُ: الميل في المشي عن الطريق المعتاد، وسُمِّيَ دينُ إبراهيم حنيفاً على سبيل المدح للمِلّة؛ لأنّ الناس يوم ظهور ملّة إبراهيم كانوا في ضلالة عمياء، فجاء دين إبراهيم مائلاً عنهم، فلُقّب بالحنيف لقب مدح.



﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

السؤال الأول:

جاء في نفس الآية: ﴿أُنزِلَ﴾ و ﴿أُوتِيَ﴾ فما الفرق بينهما في الدلالة ؟

الجواب:

الإنزال يأتي من السماء ويستعمل للكتب، أمّا الإيتاء فهو يستعمل للكتب وغيره مثل المعجزات؛ لذلك (الإيتاء) أوسع من (الإنزال) .

في سورة البقرة نجد أنّ حجج موسى عليه السلام لم تكن في الكتاب، وإنما جاءه الكتاب بعدما أُوتي المعجزات .

وجدير بالذكر أنه لم ترد في القرآن كله كلمة ﴿أُنزِلَ﴾ مطلقاً لموسى عليه السلام، وإنما استعملت معه كلمة ﴿أُوتِيَ﴾ .

أمّا بالنسبة للرسول ﷺ فقد جاء الفعلان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحِجر:٨٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة [١٣٦] ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ وفي آية آل عمران [٨٤] ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ بدون الإيتاء، فلماذا ؟

الجواب:

تقدّم آية آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:٨١] فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانياً، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح به بإيتائهم ذلك .

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ و﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في آيتي البقرة [١٣٦] وآل عمران [٨٤]؟

الجواب:

أولاً : استعراض الآيات :

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة:١٣٦] .

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾ [آل عمران:٨٤].

ثانياً : البيان :

١ـ الحرف (إلى) يأتي للغاية أو الوصول، والحرف (على) فيه نوع من الاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ ﴾ [القصص:٧٩].

٢ـ آية البقرة [١٣٦] فيها دعوة مباشرة لغير المسلمين أنْ يأتوا إلى الإسلام، فهو حديث بشر لبشر فقال المسلمون: (وما أُنزل إلينا) أي: هذا القرآن قد وصل إلينا وتسلمناه وهو خير مما عندكم، فجاءت (إلينا) بمعنى الوصول، ثم عُطف ما بعده عليه، فقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٦] .

٣ـ آية آل عمران [٨٤] هي في أخذ الميثاق على الأنبياء أنْ يوصوا أتباعهم باتباع النبي محمد ﷺ الذي سيأتي ، وميثاق الله تعالى فيه علو ورفعة، فناسب ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [آل عمران:٨٤] .

٤ـ أعاد في آية البقرة كلمة: أوتي ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة:١٣٦] ولم يعدها في آية آل عمران، والسبب أنّ إيتاء النبيين ورد في آل عمران في الآية ٨١ قوله ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها .

السؤال الرابع:

هل من زيادة في التفصيل في جواب السؤال السابق ؟

الجواب:

قال في آية البقرة: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ وكرر ﴿أُوتِيَ﴾ مرتين.

وفي آية آل عمران: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ ولم يكرر ﴿أُوتِيَ﴾.

أولاً : معنى الأحرف :

(على) موضوعة لكون الشيء فوق الشيء أومجيئه من علو، وأنّ من معاني (إلى) المنتهى أو الانتهاء، كما تقول: سرت من الدار إلى السوق.

ثانياً : البيـــان :

١ـ آية البقرة مصدرةٌ بخطاب المسلمين: ﴿قُولُوٓاْ﴾ فوجب أنْ يختار لهم (إلى)؛ فالمؤمنون لم ينزل الوحي عليهم من السماء، وإنما أُنزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم إليهم، فلمّا كان ﴿قُولُوٓاْ﴾ خطاباً لغير الأنبياء، وكان لأممهم كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على).

ولمّا كانت سورة آل عمران قد صدّرت بما هو خطاب للنبي ﷺ وهو قوله : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران:٨٤] كانت (على) أحق بهذا المكان؛ لأنّ الوحي أنزل عليه.

٢ـ أنّ تكرار لفظ ﴿أُوتِيَ﴾ في البقرة يقتضيه التعبير لأكثر من سبب :

آ ـ آية البقرة جاءت في سياق ذكر عدد من الأنبياء وأخبارهم، مثل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وبنيه وغيرهم من الأنبياء، فلمّا جرى ذكر الأنبياء السابقين ناسب ذلك تكرار الإيتاء لهم، بخلاف آية آل عمران فإنها ليست في مثل هذا السياق .

ب ـ آية البقرة وردت بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة:١٣٥] فلمّا جرى ذكر هاتين الملتين ناسب ذلك تخصيص نبيهما بالإيتاء.

ج ـ آية آل عمران وردت بعد أخذ الميثاق من النبيين على الإيمان بسيدنا محمد ﷺ إنْ هم أدركوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١] .

كما وردت في سياق التأكيد على الإسلام والإيمان به فقد قال قبلها : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران:٨٣] وقال بعدها :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥] فناسب ذلك عدم تكرار الإيتاء للأنبياء فيها؛ وذلك لأنّ السياق فيما أوتي سيدنا محمد لا فيما أوتي الأنبياء الآخرون.

لذلك لّما كان السياق في البقرة في ذكر الأنبياء ذكر الإيتاء لهم، ولّما كان السياق في آل عمران في الإيمان بمحمد ودينه وأخذ الميثاق من الأنبياء على الإيمان به ناسب عدم تكرار الإيتاء للأنبياء .

د ـ إنّ مشتقات الإيتاء من نحو: آتى وآتينا وأوتي وغيرها، وردت في سورة البقرة في ٣٤ موضعاً، وفي آل عمران ١٩ موضعاً، فاقتضى الجو التعبيري تكرار لفظ الإيتاء في البقرة دون آل عمران. والله أعلم .

السؤال الخامس:

في الآية الكثير من حرف العطف (الواو) فهل من فكرة عن حروف العطف في اللغة ؟

الجواب:

حروف العطف تتوسط اسمين أو فعلين، ويكون للاسم أو الفعل الذي يليها نفس حكم الاسم أو الفعل الذي يسبقهما من حيث الإعراب، وهي تسعة أحرف :

١ـ حرف الواو :

وهي لمطلق الجمع، وقد تأتي للترتيب كما في آية البقرة: ١٣٦، وآية الوضوء المائدة: ٦، وقد تأتي بدون الترتيب، كما في آية البقرة: ١٣٦ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٦] فلا شك أنّ ما أنزل إلينا متأخر عما أنزل إلى باقي الآنبياء.

والواو تستعمل مقرونة : بـ ﴿إمّا﴾ و(لكن) و(لا)، وتستعمل في عطف الشيء على نفسه أو مرادفه أو لعطف العام على الخاص، كما في آية الحجر: ٨٧، والبقرة: ١٣٦، ونوح: ٢٨ .

وأمّا عطف الخاص على العام، كما في آية البقرة: ٩٨، والبقرة: ٢٣٨ ، فلا تختص بها الواو بل قد يشاركها فيه غيرها نحو : مات الناس حتى الأنبياء .

والتقديم والتأخير موضوع هام يرجى الرجوع إليه في باب التقديم والتأخير لبيان تفاصيله وأمثلته.

٢ـ حرف الفاء :

وتفيد الترتيب والتعقيب:

وربما لا تفيد الترتيب، بل لعطف مفصّل على مجمل، نحو آية النساء: ١٥٣ ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣] فقوله: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ هو تفصيل لقوله: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

ويمكن للفاء في القرآن أنْ لا تفيد التعقيب كما في آية الأعلى: ٤ ـ٥ ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى: ٤-:٥] فالغثاء لا يعقب خروج المرعى بل يكون بعده

بمدة، كما في آية الزمر: ٢١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الزُّمَر:٢١] فعبّر عن جعله حطاماً بـ (ثم).

لكنْ يمكن القول : إنّ الأصل في الفاء أنْ تكون للتعقيب، وهذا التعقيب قد يكون حقيقياً ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ [عبس:٢١] وقد يكون مجازياً الهدف منه تقصير المدة حسب المقام، فقد تقول: الدنيا قصيرة، في مقام، وتقول : الدنيا طويلة، في مقام آخر.

وقد تفيد الفاء الدلالة على السبب، كقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥] وكذلك البقرة [٢٢]، وربما لا تفيد السبب، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات:٢٦-٢٧].

٣ـ الحرف (ثُمَّ) :

يفيد الترتيب والتراخي :

والتراخي إمّا للزمان وهي المهلة، أو للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية.

٤ ـ الحرف (حتَّى) :

حرف عطف يفيد الغاية، وحتى للعطف لا تفيد ترتيباً، بل هي كالواو.

٥ـ الحرف (أَمْ) :

وهي متصلة ومنفصلة ، والمتصلة تنحصر في نوعين :

آـ أنْ تتقدم عليها همزة يطلب بها وأم للتعيين، نحو: أخالد عندك أم محمد ؟

ب ـ أنْ تتقدم عليها همزة التسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة:٦].

والمنفصلة : تقع بين جملتين مستقلتين وتفيد الإضراب عن الكلام الأول، وقد يكون الاستفهام الذي تفيده إمّا حقيقياً أو غير حقيقي ويراد به الإنكار والتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩﴾ [الطور:٣٩] .

٦ـ الحرف (أو) :

وله عدة معان منها :

آـ الشك: نحو قوله تعالى: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ [المؤمنون:١١٣].

ب ـ الإبهام.

ج ـ التخيير.

د ـ الإباحة: إذا دخلت (لا) الناهية على التخيير أو الإباحة امتنع فعل الجميع، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان: ٢٤].

هـ ـ الإضراب: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [الصافات:١٤٧] وقيل: (أو) هنا للإبهام أو للتخيير، حسب ما يراه الرائي.

وـ التقسيم: نحو: الناس مسلم أو كافر .

زـ بمعنى الواو: كقوله ﷺ : «**اسكن أُحُد، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد**».

٧ ـ الحرف **(لكن)** : تفيد الاستدراك، نحو: ما أقبل محمد لكنْ خالد، وتعطف بعد نفي أو نهي بشرط إفراد معطوفها.

٨ ـ الحرف (بل) :

حرف إضراب يدخل على المفردات والجمل ، فإنْ دخلت على جملة كان معنى الإضراب إمّا إبطالياً وإمّا إنتقالياً.

الإضراب الابطالي :

هو أنْ تأتي جملة تبطل معنى الجملة السابقة، كما في آية الأنبياء: ٢٦ ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء:٢٦] .

الإضراب الانتقالي :

فهو أنْ تنتقل من غرض إلى غرض آخر مع عدم إبطال الكلام الأول، نحو قوله تعالى في آية الأعلى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥-١٦-١٧]

وحرف : (لا بل) فتفيد توكيد الإضراب، نحو : جاء محمد لا بل خالد .

٩ـ الحرف (لا) :

وتفيد النفي وتعطف بثلاثة شروط:

آ ـ أنْ يسبقها إثبات: أقبل محمد لا خالد .

ب ـ أنْ لا تقترن بعاطف، فإذا قلت: ما جاء محمد ولا خالد، كانت الواو عاطفة و(لا) زائدة تفيد التوكيد.

ج ـ أنْ يتعاند متعاطفاها، نحو : أقبل رجل لا امرأة، بخلاف: أقبلت هند لا امرأة؛ لأنّ هند امرأة .

السؤال السادس:

قوله تعالى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فكيف تمّ عطف (لا) النافية على ما قبلها ؟

الجواب:

انظر الجواب في حرف العطف (لا) في نهاية السؤال السابق .

السؤال السابع:

في الآية ذكر للأسباط والأبناء، فما منظومة الأبناء والأحفاد والذرية في اللغة والقرآن ؟

الجواب:

البنون :

تُطلق على الأطفال الصغار سواء كانوا أبناءك المباشرين أو أبناء أبنائك فكلهم بنون، وأبناء الأبناء فريقان:

آ ـ الحفيد هو ابن الابن الذي يعيش مع جده.

ب ـ الذين يعيشون بعيداً عن أجدادهم فيسمون بنين إذا كانوا صغاراً، فإذا كبروا يسمون أبناء.

شواهد قرآنية :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] .

حفـــد : الحفد: جمع حافد، وهو الخادم المتطوع لخدمة المتقن لحرفته .

الأحفاد هم أولاد الأولاد، ويقال لهم : بنون إذا كانوا صغاراً، وإذا كبروا صاروا أبناء .

شواهد قرآنية : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢].

الأسباط :الأصل هم أبناء البنات، وتطلق أيضاً بشكل استثنائي على أحفاد الأنبياء سواء كانوا أبناء بنين أو أبناء بنات، أي: هم ذرية الأنبياء.

شواهد قرآنية :

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٣٦].

الذرية: مشتقة من ذرأ، أي: الإيجاد بكثرة، أو من الذَّرِّ: وهو التفريق أي تتفرق الأسر من كثرتها.

النسل: هو الولد لكونه ناسلاً، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة:٨] .

السلالة : قيل: للوليد سليل؛ لأنه سلّ من أبيه وأمه.

شواهد قرآنية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون:١٢]



﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧] لم اختص تعالى أداة الشرط (إن) وليس (إذا)؟

الجواب:

(إنْ) حرف شرط جازم، ولكنه يفيد الشك خلافاً لـ(إذا)، وقد جاء الشرط هنا في الآية بـ (إن) إيذاناً بأنّ إيمانهم غير مرجو وميؤوس منه.

السؤال الثاني:

ما إعراب الضمائر في قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧] ؟

الجواب:

فسيكفيكهم الله: الكاف مفعول أول؛ لأنّ (كفى) تأخذ مفعولين، (هم) مفعول ثانٍ، (الله) لفظ الجلالة فاعل، أي: فسيكفيك الله إياهم .

السؤال الثالث:

لماذا قدّم الله السمع على العلم في الآية ؟

الجواب:

حيث وقع في القرآن تقدم السمع على العلم ؛ وذلك لأنّ السمع يتعلق بما يقرب كالأصوات وهمس الحركات، فإنّ من سمع حسك وخَفِيَّ صوتك أقرَبُ إليك في العادة ممن يقال لك عنه : إنه يعلم، وإنْ كان علم الله متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وبعُد، فكان ذكر السمع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم؛ فهو أولى بالتقديم .

ويمكن أنْ يقال : إن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه .

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ صِبْغَةَ ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الصبغة هي إدخال لون على شيء بحيث يغيره بلون آخر، والصبغ ينفذ في المصبوغ خاصة إذا كان المصبوغ له شعيرات ومسام كالقطن أو الصوف، أمّا الألياف الصناعية فلا يمكن أنْ تصبغ.

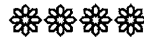
وأمّا الطلاء فهو طبقة خارجية تستطيع أنْ تزيلها مثل طلاء الأظافر للسيدات.

قال ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»

فكأنّ الإيمان صبغة موجودة بالفطرة، إنها صبغة الله فإنْ كان أبواه مسلمين ظل على الفطرة، وإنْ كان أبواه من اليهود أو النصارى فإنهما يهوِّدانه أو ينصرانه، أي: يأخذانه ويضعانه في ماء ويقولون صبغناه بماء المعمودية.

ويريد الله أنْ يبين أن ما يفعلونه من تعميد للطفل لا يعطي صبغة؛ لأنّ الإيمان والدين لا يأتيان من خارج الإنسان وإنما يأتيان من داخله، وبالتالي فإنّ إيمان غير المسلمين هو طلاء خارجي وليس صبغة، وهذا الطلاء من عندهم هم، أمّا ديننا فهو صبغة الله تعالى.

وهل هناك صبغة أحسن من صبغة الله؟ طبعاً: لا؛ لذلك فنحن له عابدون مطيعون لأوامره ومجتنبون لنهيه، هذه هي صبغة الله، إنها الصبغة التي تتخلل الشيء وتصبح هي وهو شيئاً واحداً لا يفترقان.



﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [البقرة:١٣٩] استفهام ولكنه خرج عن دلالته الأصلية وهو الاستفهام عن شيء مجهول إلى التعجب والتوبيخ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [البقرة:١٣٩] فلِمَ قال تعالى: (لنا أعمالنا) ولم يقل: (أعمالنا لنا) لا سيما أنَّ (لنا) متعلق بخبر محذوف للمبتدأ (أعمالنا)؟

الجواب:

قدّم تعالى الجار والمجرور: (لنا) على قوله: (أعمالنا) للاختصاص، أي: لنا أعمالنا الخاصة بنا ولا قِبَل للآخرين بها، فلا تحاجّونا في أنكم أفضل منا.

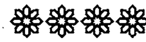
﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) ﴾

السؤال الأول:

لماذا لا يذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة[١٢٥].



﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١) ﴾

السؤال الأول:

لماذا كررت﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ ﴾ في الآيتين ١٣٤ و ١٤١ في نفس السـورة ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية [١٢٤]



﴿ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) ﴾

السؤال الأول:

ما فائدة وصفهم بأنهم (من الناس) طالما كان ذلك معلوماً؟

الجواب:

السفهاء جمع سفيه، وهو صفة مشبّهة تدل على أنّ السفه غدا سجيّة من سجايا الموصوف، وهذه الصفة لا تُطلق إلا على الإنسان، فلِمَ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٢] ولم يكتف بـ (سيقول السفهاء)؟ وما فائدة وصفهم بأنهم من الناس طالما كان ذلك معلوماً ؟

إنّ فائدة وصف السفهاء بأنهم من الناس - مع كون ذلك معلوماً - هو التنبيه على بلوغهم الحد الأقصى من السفاهة بحيث لا يوجد في الناس سفهاء غير هؤلاء، وإذا قُسِّم الناس أقساماً يكون هؤلاء قسم السفهاء، وفي هذا إيماء إلى أنه لا سفيه غيرهم للمبالغة في وسمهم بهذه السمة.



﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ جاء اسم الإشارة في صدر الآية في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] ؟

الجواب:

صدّرت الآية باسم الإشارة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ لأنه يدل على البُعد للتنويه إلى تعظيم المقصودين وهم المسلمون، ومن هذا الباب قول أبي تمام:

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ   فليس لِعَينٍ لم يَفِض ماؤُها عُذرُ

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] ما المقصود بالأمة الوسط؟

الجواب:

(وسطاً) معناها: خياراً أو عدولاً، والوسط بين الإفراط والتفريط يكون خياراً وعدولاً، وعندما تقول: هو من أوسطهم، أي: من خيارهم، وهذا ما ذكره أبو سفيان عندما سُئِلَ عن الرسول ﷺ قال: هو من أوسطنا، أي: من خيارنا وأحسننا. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] أي: خياراً وعدولاً وبين الإفراط والتفريط، وهذا المقصود من معنى الوسطية.

السؤال الثالث:

ذكر العائد في آية الزمر: ١٨، فقال: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:١٨] ولم يذكره في آية البقرة: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾، ولم يذكره أيضاً في آية الأنعام: ٩٠، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

آيتا (البقرة ١٤٣ ـ الزمر ١٨)

١ـ هذا نوع من الحذف، ومن المعلوم أنّ الذكر يفيد التوكيد، ولذلك يعتبر قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:١٨] آكد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ لأنه صرّح بذكر الضمير.

٢ـ السياق في آية البقرة هو في تحويل القبلة، بينما السياق في آية الزمر يقتضي التوكيد أكثر؛ لأنها فيمن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهؤلاء على درجة كبيرة من الهدى، فإنهم لا يكتفون باتباع الحسن وإنما يتبعون الأحسن .

٣ـ جاء معها بالفاء ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر:١٨] ولم يأت بـــ (ثم)، والفاء تدل على الترتيب والتعقيب، فإنهم بمجرد سماع القول يتبعون الأحسن .

٤ـ في آية الزمر الفعل ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾ مضارع (اتبع) بتضعيف التاء، ولم يقل (يَتْبعون) بالتخفيف، وهذه مرتبة عظيمة أعلى من مجرد اتباع القبلة؛ لأنّ اتباع القبلة إنما هو من استماع القول في واحد من الأمور المطلوبة .

لذلك فإنّ هداية المذكورين في الزمر أعلى وآكد؛ لأنها تشمل ما ذكره في آية البقرة وغيره مما يريده الله تعالى، ولذا كان التوكيد في الزمر هو المناسب .

آية الأنعام :

١ـ وأمّا آية الأنعام فهي في جمعٍ من رسل الله وأنبيائه، وفيهم أولو العزم، ولا شك أنّ هؤلاء أعلى من المذكورين في آية الزمر.

ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر الضمير مع فعل الهداية مع أنهم أولى بالتوكيد من غيرهم ؟

الجواب: أنّ الله تعالى ذكر كل أحوال الهداية مع هؤلاء الذين ذكرهم في سياق آية الأنعام، واستعمل كل أنواع التعدية لفعل الهداية، وبيان ذلك:

آ ـ عدّى الفعل إلى المفعول به مباشرة بأسمائهم الظاهرة، فقال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ [الأنعام:٨٤] وعطف هؤلاء الرسل والأنبياء على نوح الذي هو مفعول (هدينا).

ب ـ ثم عدّى الفعل إلى ضميرهم أيضاً، فقال: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام:٨٧] فقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [الأنعام:٨٧] وزاد على ذلك الاجتباء .

ج ـ ولم يكتف بذاك، بل قال أيضاً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٠] وحذف مفعول (هدى) الضمير العائد على الرسل فجعل الكلام عن صورة المطلق فأطلق المعنى، وهذا التعبير يحتمل معنيين:

ـ الأول : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزُّمَر:١٨] وهو الأظهر.

ـ الثاني : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٠] بهم.

ولا شك أنّ هذا المعنى الثاني أوسع من ذكر الضمير وأمدح لهم، وبذلك يكون ماذكره في آية الأنعام أكثر مما ذكره في آيتي الزمر والبقرة؛ لأنه ذكر فيها الهداية العامة المطلقة وذكر أنه هداهم إلى صراط مستقيم.

٢ـ كما أنه تعالى أسند فعل الهداية مع رسل الله مرة بواسطة ضمير التعظيم، فقال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام:٨٤] وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [الأنعام:٨٧] ومرة أسنده إلى اسمه الجليل وهو اسمه العَلَم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٠] .

٣ـ هذا علاوة على ما ذكره من التعظيم لأنبيائه ما لم يذكره مع الآخرين، نحو قوله تعالى:

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٦] .

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام:٨٧] فزاد الاجتباء على الهداية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام:٨٩].

وقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠] .

٤ـ قد تقول: وَلِمَ لَمْ يحذف الضمير في آية الزمر فيقول مثلاً (أولئك الذين هدى الله) ليشمل الذين هداهم الله وهدى بهم فيكون أمدح لهؤلاء كما فعل في آية الأنعام ؟

والجواب أنّ ذكر الضمير ههنا من رحمة الله تعالى بنا، ولو حذفه لكانت البشرى لا تنال إلا من هداه الله وهدى به، فيكون ممن جمع بين الأمرين ولا تَنال من هداه الله ولم يَهد به، لذلك كان ذكر الضمير أنّ البشرى تنال من هداه الله، وأنّ ذلك كافٍ لأن تناله بشرى ربنا، وهذا من رحمته سبحانه بعباده، والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما المقصود بالإيمان فى الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] ؟

الجواب:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما وُجّه النبي ﷺ إلى الكعبة،قالوا:يا رسول الله كيف لإخواننا الذين ماتوا وهم يصلّون لبيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣] . فالإيمان في الآية أُريد به الصلاة،والله سبحانه عدل عن ذكر الصلاة ولم يقل الصلاة وآثر أن يطلق الإيمان على الصلاة؛ للتنويه بعظم الصلاة وعظم قيمتها،فهي من أعظم أركان الإيمان.

السؤال الخامس:

ما دلالة التوكيد بـ (إنّ) واللام في هذه الآية:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] فى سورة البقرة وعدم التوكيد فى سورة النور ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور:١٩-٢٠] ؟

الجواب:

التوكيد بحسب ما يحتاجه المقام، مثلاً عندما يذكر الله تعالى النعم التي أنزلها علينا يؤكد ، وإذا لم يحتج إلى توكيد لا يؤكد، ولو احتاج لتوكيد واحد يؤكد بواحد.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] أكّد باللام وإنّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:١٩-٢٠] ما أكّد باللام .

في الآية الأولى كانوا في طاعة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٤٣] ويقولون هذه الآية نزلت لمّا تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة تساءل الصحابة عن الذين ماتوا هل ضاعت صلاتهم؟ وهل ضاعت صلاتنا السابقة؟ سألوا عن طاعة كانوا

يعملون بها فأكدّ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣] أمّا في الآية الثانية فهم في معصية: ﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ [النور: ١٩] فلا يحتاج إلى توكيد.

وفي تعداد النعم قال في آية الحج: ٦٥ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٦٥﴾ [الحج:٦٥] فأكد مع تعداد النعم .

ولذلك عندما يكونون في طاعة يؤكد، وعندما يكونون في معصية لا يؤكد.



﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام (قَدْ) في هذه الآية علماً أنها تفيد التقليل؟

الجواب:

١ـ (قَدْ) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع فلها أكثر من معنى، منها التقليل: (قد يصدق الكذوب)، لكنْ قد تأتي للتكثير والتحقيق مع دخولها على المضارع، غير أن المشهور عند الطلبة أنها إذا دخلت على المضارع تكون للتقليل، وهذا جانب من جوانب معانيها، لكنْ (قد) تكون للتقليل وقد تكون للتحقيق: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور:٦٤] أو للتكثير، ويضربون مثلاً بقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤] أي: كثيراً ما تنظر إلى السماء.

٢ـ إذن (قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع يكون من معانيها التقليل أو التحقيق أو التكثير.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ عبّر تعالى عن رغبة النبي ومحبته للكعبة بكلمة ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ دون كلمة (تحبها) أو (تهواها)، لماذا؟

الجواب:

للدلالة على أنّ ميله ﷺ إلى الكعبة ميل لقصد الخير، بناء على أنّ الكعبة أجدر بيوت الله التي تدل على التوحيد، ولّما كان الرضى مشعراً بالمحبة الناتجة عن التعقل اختار كلمة ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ دون (تحبها) أو (تهواها)، فالنبي ﷺ يربو أنْ يتعلق ميله بما ليس فيه مصلحة راجحة للدين والأمة.

السؤال الثالث:

أكّد القرآن الكريم قضية تحويل القبلة ثلاث مرات في ثلاث آيات متقاربة في الآيات [١٤٤، ١٤٩، ١٥٠]، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

أكّد القرآن الكريم قضية تحويل القبلة ثلاث مرات متقاربة؛ لأنّ تحويل القبلة أحدث هزة عنيفة في نفوس المؤمنين، والله سبحانه يريد أنْ يُذهب هذا الأثر ويؤكد تحويل القبلة تأكيداً إيمانياً؛ لذلك جاء القرآن بثلاث آيات التي هي أقل الجمع لتأكيد الأمر.

١ـ الآية [١٤٤] وجاءت للمُتَّجِه إلى الكعبة وهو في داخل المسجد، وفيها إعلام بنسخ استقبال بيت المقدس للرسول ﷺ ولأمته.

وهذه الآية جاءت استجابة لتقليب الرسول ﷺ وجهه في السماء كأنه يدعوه بلسان الحال، فجاءت هنا في بيان الاستجابة للرسول ﷺ بلسان الحال لا بلسان المقال.

٢ـ الآية ١٤٩، جاءت للمُتَّجِه وهو خارج المسجد، وكذلك لبيان السبب وهو اتباع الحق، ولذلك قال: (وإنه للحق من ربك).

٣ـ الآية ١٥٠، وجاءت للمتجِه من الجهات جميعاً، لا أنّ ذلك مخصوص بجهة المدينة المنورة فقط.

وهذه الآية هي رد على المنافقين واليهود والنصارى الذين حاولوا التشكيك في الإسلام، كما جاءت للتهوين من ثرثرة غير المسلمين والرد على احتجاجهم، فيقول لهم القرآن: إنّ تحويل القبلة ليس حجة للتشكيك؛ لأنّ الاتجاه إلى المسجد الحرام هو طاعة لأمر الله .

لذلك يقول القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ [البقرة:١٤٩] أي: أنّ ما فعلتموه أيها المؤمنون من تحويل القبلة هو حق جاءكم من الله تبارك وتعالى، فاطمئنوا أنكم على الحق واعلموا أنّ الله سبحانه محيط بكم في كل ما تعملون.

السؤال الرابع:

من أي الأدوات كلمة (حيثما) في قوله تعالى: ﴿وَحَيۡثُ مَا﴾[البقرة:١٤٤] ؟

الجواب:

(حيثما) من أدوات الشرط، وهي تدل على المكان وتلزمها ﴿مَا﴾ [البقرة:١٤٤] إذا استعملت للشرط، كما في هذه الآية البقرة (١٤٤).



﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٥) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٤٥] ؟

الجواب:

اتباع القبلة مظهرٌ إيماني في الدين، وقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ﴾ فهذا قسم، فكأنّ الحق تبارك وتعالى أقسم أنه لو أتى رسول الله ﷺ أهلَ الكتابِ بكل آية ما آمنوا بدينه ولا اتبعوا قبلته.

ولو كانوا يبحثون حقاً عن الدليل لوجدوه في كتبهم بأنه النبي الخاتم، فكأنّ الدليل عندهم ولكنهم يأخذون الأمر سفهاً وعناداً ومكابرة.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ تفيد بأنّ المسلمين لن يعودوا مرة أخرى إلى الاتجاه نحو بيت المقدس ولن يحولهم الله إلى جهة ثالثة، ولكن يعلمنا الله سبحانه أنّ اليهود

والنصارى سيكونون في جانب ونحن سنكون في جانب آخر، وأنه ليس هناك التقاء بيننا وبينهم؛ فالخلاف في القبلة سوف يستمر إلى يوم القيامة.

وقول الحق: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾ [البقرة:١٤٥] المقصود به أمة الرسول ﷺ ولو كان الخطاب في شخصه ﷺ والسياق هو في التحذير من مهادنة أهل الكتاب، وإذا كان الله تبارك وتعالى لن يقبل هذا من رسوله وحبيبه فكيف يقبله من أي فرد من أمة محمد ﷺ؟!!

إنّ الخطاب هنا يمس قمة من قمم الإيمان التي تفسد العقيدة كلها، والله يريدنا أن نعرف أنه لا يتسامح فيها ولا يقبلها حتى ولو حدثت من رسوله - ولو أنها لن تحدث - ولكن لنعرف أنها مرفوضة تماماً من الله على أي مستوى من مستويات الإيمان، حتى في مستوى القمة، فأمة محمد تبتعد عن مثل هذا الفعل تماماً.

علماً بأن تبديل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة هو أول نسخ في القرآن الكريم.

السؤال الثاني:

إن قيل: كيف قال الله: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٥] ولهم قبلتان: واحدة للنصارى والثانية لليهود ؟

الجواب:

لما كانت القبلتان باطلتين مخالفتين لقبلة الحق كانت بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة:١٤٥] وقال في الآية: ١٢٠: ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة:١٢٠] ما السبب البلاغي في المغايرة بين التعبيرين (من بعد ما – بعد الذي)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [١٢٠].

السؤال الرابع:

ما الدرس المستفاد من هذه الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية [١٢٠].



﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية عبّر الله تعالى بلفظ المعرفة، وقال: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٦] ولم يقل: (يعلمونه) لماذا؟

الجواب:

ذلك أنّ المعرفة غالباً ما تتعلق بالذوات والأمور المحسوسة، فأنت تقول عن شيء معين: إنك تعرفه، حينما يكون علمك به أصبح كالمشاهد له، وكذلك كانت معرفة أهل

الكتاب بصفات النبي ﷺ فهي لم تكن مجرد علم مستند إلى غيب، بل إنهم يعرفونه ويعرفون صفاته كأنهم يشاهدونه أمامهم قبل بعثته؛ لذلك عبّر بالمعرفة ولم يعبّر بالعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾ وقال في مواطن أخرى :﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾فما دلالة ذلك؟

الجواب:

هناك خط واضح في القرآن الكريم يتمثل في أنه إذا كان المقام مقام مدح وثناء أظهر الله تعالى ذاته ونسب إتيان الكتاب إلى نفسه، فيقول: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٤٦]

وإذا كان المقام مقام ذم وتقريع، قال: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ .



﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في هذه الآية من سورة البقرة [١٤٧] وفي آية الأنعام [١١٤] وآية يونس [٩٥]: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ بينما قال في آية آل عمران [٦٠] :﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران:٦٠] فما دلالة ذلك؟

الجواب:

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم نون التوكيد بهدف التوكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر .

وهنا أكد الفعل (تكونن) في آية البقرة والأنعام ويونس دون آية آل عمران؛ وذلك لأنّ المقام يقتضي التوكيد في كل موطن أكّد؛ وبيان ذلك :

أولاً ـ الآيات :

آيات البقرة: ١٤٢ـ١٤٧:

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

آيات الأنعام ١١١ـ١١٦:

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ
مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

آيات يونس ٩٤، ٩٥:

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾

آيات آل عمران ٥٩ـ٦٠:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

ثانياً ـ البيان:

١ـ آية البقرة في تبديل القبلة وما صاحب ذلك من إرجاف وأقاويل وإعلان حرب نفسية على المسلمين حتى ارتد بعض ضعاف الإيمان، انظر الآيات: ١٤٣-١٤٤، ثم ذكر أنّ أهل الكتاب لن يتوجهوا إلى قبلة المسلمين مهما جئتهم بالبينات والحجج الواضحة، ثم قرّر أنّ هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فاحتاج كل ذلك إلى التوكيد، فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة:١٤٧].

ـ وتقدمها كذلك في آية البقرة: ١٤٤ ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾ فناسب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

٢ـ سياق آية الأنعام في تكذيب الرسول وعدم الإيمان به، انظر الآيات ١١١ و ١١٦ ، فاحتاج المقام إلى توكيد أنه على الحق وأنه عليه ألا يكون من الممترين فقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

٣ـ آية يونس لمّا قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ احتاج إزالة الشك إلى التوكيد، ثم انظر إلى المؤكدات في السياق :

آ ـ التوكيد باللام وقد ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

ب ـ التوكيد بالنون ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ وقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

ج ـ التوكيد بـ(إنّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٩٦] فاقتضى ذلك التوكيد، إذ السياق كله مؤكد.

٤ـ أمّا في آية آل عمران فليس الأمر كذلك، فقد قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران:٥٩-٦٠] فلم يحتج الموطن إلى توكيد.



﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار لفظة في سورة البقرة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ في الآيات ١٤٤،١٤٩،١٥٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٤.

السؤال الثاني:

الآية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٩] عطف هذه الآية حكماً على حكم قبله، حيث بدأت الآيتان بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [البقرة:١٤٩] أوليست الآية الثانية تغني عن الآية الأولى؟

الجواب:

في هذا تنبيه إلى كل مؤمن أنّ استقبال الكعبة في الصلاة لا تهاون فيه ولو في حالة العذر كالسفر؛ لأنّ السفر مظنّة المشقة للاهتداء لجهة الكعبة، فربما توهّم شخص ما أنّ الاستقبال يسقط عنه.



﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة:١٥٠] لِمَ قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٥٠] ولم يقل لئلا يكون للمشركين؟

الجواب:

ذكر تعالى الناس معرّفة بـ(أل)؛ وذلك حتى تستغرق هذه الكلمة الناس جميعاً مهما اختلفت مِلَلُهم، ولم يقتصر على ذكر المشركين الذين اعترضوا في ذلك الوقت على تحوُّلِ القِبلةِ وشكَّكوا في النبيِّ ﷺ بسبب ذلك ، وكأن هذه الكلمةَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ قد دلّت على أنّ استقبال القبلة سيدحَضُ أيَّ دعوة يزعمها إنسان في عصر من العصور بأنّ هذا الدين مُقتبسٌ من أيِّ دين قد سبقه، فالتوجه إلى الكعبة المشرفة مُبطِلٌ لمزاعم الناس المشكِّكين كُلِّهم في كُلِّ زمانٍ وكُلِّ مكانٍ.

السؤال الثاني:

ذكر تعالى الياء في قوله: ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ في آيةِ البقرةِ [١٥٠] وحذَفَها فقال: ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في آيتي المائدة [٣]،[٤٤] ؟

الجواب:

١ـ هذا التعبير له نظائرُ في القرآنِ ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾ [مريم:٤٣]، ﴿ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠]، ﴿فَكِيدُونِي﴾ [هود:٥٥]، ﴿كِيدُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، ﴿أَخَّرْتَنِيٓ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ [الإسراء:٦٢] . أمّا ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ أو ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ فوردت الأولى في آية سورة البقرة ١٥٠، والثانية وردت في آيتي المائدة [٣] ، [٤٤] .

عندما تحذِّرُ أحدهم التحذيرَ يكون التحذير بحسب الفِعلةِ؛ فقد تكون فِعلةً شديدةً، فمثلاً لو اغتاب أحدهم آخر تقول له: اتَّقِ ربَّك، وإنْ كان يريد أن يقتل شخصاً تقول له: اتَّقِ اللهَ.

فالتحذير يختلفُ بحسبِ الفعل، إذا كان الفعلُ كبيراً كان التحذير أشدَّ، وعندما يُظهِر الياء يكون التحذير أشدَّ في جميع القرآنِ و يكون الأمرُ أكبرَ.

٢ـ عندنا في آية البقرة ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠] إذن التحذير أكبرُ، ننظر السياق في الآية التي فيها الياء ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠] ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾ [البقرة:١٥٠] هذه في تبديل القِبلة فجاءت اخشوني بالياء؛ لأنه صار هناك كلام كثير ولغط وإرجاف بين اليهود والمنافقين حتى ارتد بعض المسلمين، هذا حصل عند تبديل القِبلة ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣] وهو أمر كبير لذا قال: ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠].

٣ـ الآية الأخرى في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ [المائدة:٣] هذا يأس وذاك إرجاف، هذا الموقف ليس مثل ذاك، هؤلاء يائسون ؛ من أجل هذا صار التحذير أقل.

٤ـ وفي الآية الثانية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ

ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] ليس فيها محاربة ولا مقابلة فقال: ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٤٤] بدون ياء.

٥ـ إذن المواطن التي فيها شِدَّةٌ وتحذيرٌ شديدٌ أظهرَ الياء، والحذفُ في قواعدِ النحوِ يجوز، والعربُ تخفِّفُ من الياء، لكنّ الله سبحانه وتعالى قرنها بأشياءَ فنية.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [البقرة:١٥٠] كيف يكونُ للظالمين من اليهود أو غيرهم حُجَّةٌ على المؤمنين ؟

الجواب:

المعنى هو : إلا أنْ يقولوا ظلماً وباطلاً، فسمَّى الله باطلَهم حُجَّةً لمشابَهَتِه الحجة في الصورة، كما قال تعالى في سورة الشورى: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى:١٦] أي: باطلة، وقال: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر:٨٣] .

وقيل: إنّ المراد به قول المشركين : قد عاد محمد إلى قبلتنا، لعلمه أنّ ديننا حق وسوف يعود إلى ديننا.

السؤال الرابع:

ما إعراب ﴿لِئَلَّا﴾ في الآية ؟

الجواب:

اللام حرف جر، و(أنْ) حرف مصدري ونصب، و(لا) حرف نفي .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب اختلاف الفاصلة فى الآيتين [٤٥،١٥٣] ؟

الجواب:

انظر الجواب الثاني في الآية [٤٥].

السؤال الثاني:

ما دلالة ورود الأمر بالصلاة بين آيات خطاب بني إسرائيل أو آيات الجهاد أو آيات الطلاق ؟

الجواب:

انظر السؤال الثالث في آية البقرة [٤٥]

❀❀❀❀

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥] هل لهذا الترتيب وجه بلاغيٌّ؟ علماً بأنّ هذا الترتيب ورد بصورة أخرى في آية النحل[١١٢] وآية قريش [١] ؟

الجواب:

ورد اجتماع الجوع والخوف معاً في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وبصور مختلفة:

١ـ في آية البقرة [١٥٥] قدّم الخوف؛ لأنَّ الآيَةَ تتكلَّمُ عن قتلٍ وقتالٍ، وفي المعركة لا يفكر الإنسان بالجوع، وإنما يفكِّرُ في ذهابِ النفس فقدّم الخوف.

والباقي: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٥٥] مناسِبٌ فقدَّمَ الأموال وقال: نقص من الأموال، أي: نقص يذهب به منها شيء، وليس في الأموالِ؛ لأنها تعني نقص في داخلها.

٢ـ في آية النحل [١١٢] قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢] فالكلام في سياق الأطعمة انظر آيات النحل (١١٤،١١٥) وعن الرزق، والرزق يناسبه الجوع فقدّم الجوع، وتقديم الجوع هنا مراعاة للإذاقة في الآية .

٣ـ في سورة قريش، الكلام عن التجارة والأموال، وأصل تجارتهم كانت طعاماً، فقدّم الجوع على الأمن.

وهذا التقديم مناسب لتقديم الشتاء على الصيف في السورة، فالشتاء الطعام فيه أولى ، وفي الصيف التجارة والسفر فيه أولى، والسفر فيه مخاطر فناسبه الخوف.

٤ـ إنّ آية البقرة في سياق ابتلاء المؤمنين وليست هي من باب العقوبات، بخلاف آية النحل فإنها في عقوبات الكافرين.

ومعلوم أنّ الجوع أشدُّ من الخوف في العقوبات فقدّم ما هو أشد. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿بِشَيْءٍ﴾ في الآية ؟

الجواب:

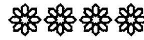
١ـ لاحظ كيف جاء الله تعالى بكلمة﴿بِشَيْءٍ﴾ فقال: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة:١٥٥] ولم يقل: (لنبلونكم بالخوف والجوع) وفي ذلك لفتتان جميلتان:

آ ـ الأولى أنه ذكر كلمة (شيء) قبل (الخوف) فيه تخفيفٌ من وقع هذا الخبر المؤلم للنفس، فلا أحد يرغب أنْ يكون خائفاً أو جائعاً، فخفّف الله تبارك وتعالى عنا هذا الخبر بأنّ الابتلاء يكون بشيء من الخوف والجوع، وليس بالخوف كله أو بالجوع كله.

ب ـ والثانية إشارة إلى الفرق بين الابتلاء الواقع على هذه الأمة المرحومة وما وقع من ابتلاء على الأمم السابقة، فقد سلّط الله تعالى الخوف والجوع على أمم قبلنا، كما أخبرنا في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢] ولذا جاء هنا بكلمة ﴿بِشَيْءٍ﴾ [البقرة:١٥٥] وجاء هنالك بما يدل على الملابسة والتمكن، وهو أنه استعار لها اللباس اللازم مما يدل على تمكن هذا الابتلاء فيها وعِظَم وقعه عليها، وقد خُفِّف عنا والحمد لله.

٢ـ انظر في لطائف القرآن كيف أسند البلوى لله سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة:١٥٥] وأسند البشارة بالخير الآتي من قِبَل الله تعالى إلى الرسول ﷺ

فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة:١٥٥] تكريماً لشأنه وزيادةً في تعلّق المؤمنين به ﷺ بحيثُ تحصل خيراتهم بواسطته دون أنْ يصيبهم أي مكروه بسببه ﷺ .



﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾

السؤال الأول:

ما أصل كلمة مصيبة؟وكيف تكون المصيبة خيراً كما في الآية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء:٧٩] ؟

الجواب:

١ـ المصيبة مشتقة من جذر (ص و ب) ومنه صارت أصابَ (أَفعَلُ) يُصيبُ، وهذه النازلة مصيبة، و لها معانٍ متعددة كلها تدور حول معنى الإنزالِ، ومنه الصَّيِّب الذي هو المطر وفيه معنى النزول.

والشيءُ الذي ينزل على الإنسان قد يكون خيراً أو شرّاً، مثل المطر قد يكون نافعاً أوضاراً، لكنّ كلمة مصيبة صار لها خصوصية، والعربي صار لا يستعملها إلا في السوء.

وكلمة مصيبة (مُفعِلة) من أصاب مثل كلمة (نازلة) يعني القضية التي نزلت عليها، والمصيبة صارت مخصصة لما يسيء الإنسان، أي ما يصيبه من مصيبة في ظاهر الأمر ويراه سوءاً له، وفي الحديث «**عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله له خير**» وفي حديث البخاري «**من يُرد الله به خيراً يُصِب منه**» أي: يمتحنه فيصبّره فيصبر فترتفع درجته، ففي كل الأحوال يكون له خيراً فإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي: نحن لله سبحانه وتعالى.

والمصيبة هنا بمعنى ما تراه ضرراً، والقرآن الكريم جاء على أساليب العرب، أو إذا عكسنا الأمر فإنّ أساليب العرب ارتقت شيئاً فشيئاً إلى أنْ جاءت إلى لغة القرآن الكريم.

السؤال الثاني:

هل هناك لمسة بيانية في طريقة استعمال القرآن نفس الفعل مع الحسنة والسيئة ﴿تُصِبْكَ﴾ مع أنّ كلمة مصيبة حدد الدلالة الخاصة بها مع الشيء السيء ؟

الجواب:

القرآن على لغة العرب، والعرب كانوا يستعملون المصيبة، وأصل الاستعمال في المصيبة هي الرمية الصائبة للسهم، والرجل إذا اجتهد فأصاب فهو مصيبٌ والمرأة يقال: أصابت، إذن الإصابةُ يمكن أن تُستعمَلَ للحسنةِ (ما أصابك) أي: ما نالك ونزل بك، هذا في لغة العرب أما (المصيبة) فهي مخصصة.

السؤال الثالث:

كيف نُسبت الحسنةُ إلى اللهِ والمصيبةُ إلى نفسك في الآية ؟

الجواب:

١ـ مردّ الأمور جميعاً هي إلى الله سبحانه وتعالى، والإنسان يقدم أسباب الوصول إلى الحسنة ويقدم أسباب الوصول إلى السيئة، ولا يكون وصوله إلى الحسنة أو السيئة إلا بأمر الله سبحانه وتعالى.

٢ـ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد:١٠] والله لا يُسأل عما يفعل في مُلكِه، والكون كله ملك الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣] فهو قادر على أنْ يهدي الجميع، وقادر على أن يضل الجميع.

٣ـ حينما يجعلك تختار طريقك هو شاء لك أنْ تختار أو أنت صارت لك مشيئة من ذاتك؟ الله يشاء ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠] وشاء الله عز وجل لهذا الإنسان أنْ ينظر في الطريقين وفق ما يبيّنه الله سبحانه وتعالى من لطفه وكرمه وإلا فالمفروض أنّ العقل يوصله، ومع ذلك أرسل الرسل ومعهم الكتب وبيّن طريق الهداية وطريق الضلال، وبالتالي فالطريق الذي يسلكه الإنسان هو في الأصل في خانة مشيئة الله سبحانه وتعالى التي اختارت له هذا الطريق.

٤ـ قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٩] لأنك أنت سعيت وقدّمت لكن ما كان لك أن تصل للحسنة حتى يرضاها الله تعالى، فذكر تعالى الأصل لأنه مرتبط بالحسنة. أنت سعيت نحو الحسنة وشاء الله سبحانه وتعالى أنْ تفعلها، قدّمت وشاء لك ففعلت، والحسنة تُنسب إلى الله تعالى، والسيئة أيضاً سعيت وشاء الله تعالى لك أنْ تصل إليها، ولو أراد الله ما وصلت لكنْ الأمر يبقى منحصراً بك؛ لأنك سعيت.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن:١٠] الخير معقود لله تعالى دائماً على أننا نؤمن بالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى، فنسبت الحسنة إلى الله تعالى وحصرت السيئة بنفسك، مع أنّ نفسك سعت في الحسنة وسعت في السيئة، وفي الحالين كانت بالمشيئة، وهذا تعليم للمسلم كيف يتأدب مع الله

سبحانه وتعالى، وأنْ ينسب الخير لله وأنْ ينسب السوء لنفسه، ولذلك نجد علماءنا يقولون عندما يكتبون: هذا ما وصل إليه اجتهادي فإنْ كان خيراً فمن الله تعالى وإنْ كان شراً فمن نفسي ومن الشيطان، وهذا من الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

ما العظة في قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦)﴾ [البقرة:١٥٦] ؟ وما الفرق بين الأفعال (آب ـ رجع ـ عاد)؟

الجواب:

١ـ ليس في القرآن ولا في نصوص اللغة العربية الفصيحة جملة أندى وأسمح وأطيب من هذه الجملة، يقولها المؤمن لنفسه ويقولها المؤمن لغيره إذا ألمت به مصيبة الموت، فتقع في قلب المرء المؤمن بلسماً شافياً وعزاء جميلاً وبرداً وسلاماً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦] إقرار منا له بالملك، وقوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] إقرار على أنفسنا بالهلاك، ويدل كلا القولين على الرضا بقضاء الله تعالى.

واعلم أنّ الرجوع إليه ليس عبارةً عن انتقالٍ إلى مكانٍ أو جهةٍ فإنّ ذلك على الله محالٌ، بل المراد أنه يصير إلى حيث لا يملك الحكم فيه سواه، وذلك هو الدار الآخرة.

أمّا النتيجةُ إذا قام العبد بذلك فهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة:١٥٧] والصلاة هنا من الله بمعنى الثناء والمدح، وأمّا رحمة الله فهي نعمه التي أنزلها عاجلاً أم آجلاً، وأمّا الهداية فهي هداية الله إلى كل خير وإلى الجنة والفوز بالثواب.

٢ـ ورد في القرآن ثلاثة أفعال ربما ظن الناس أنها بمعنى واحد وهي ـ آب ـ رجع ـ عاد :

الفعل (آب): وقد استعمل في القرآن بمعنى مصدره (إياب) وبصيغ المبالغة (أوّاب)، أمّا قلبُ الفعلِ، أي باء)، فقد استخدم في القرآن في خمسة مواضع في مجال الشر والسوء، كما في الآيات: البقرة ٦١، آل عمران [١٦٢].

الفعل (عاد):

إذا كان الفعل مسنداً للإنسان نفسه، فإنه يستخدم كثيراً في النواحي السلوكية والفكرية، أي: العودة في المواقف وفي التصرفات كما في الآيات: البقرة [٢٧٥]، النور [١٧].

الفعل (رجع):

فهو بمعنى الرجوع الشخصي، أي: رجوع الناس إلى المكان الذي كانوا فيه من قبل، وقد ورد الفعل (عاد)، ومشتقاته مثل: (رجعتم) (ارجعوا) (راجعون) (الرجعى) (يرجعون) في القرآن الكريم في ١٠٤ موضعاً، وفي معظمها كان الرجوع فيها إلى الله.

وهذه حقيقة قرآنية ينبغي التنبه لها؛ ذلك أنّ المرء يعيش حياته هذه وسيعقبها الموت فالبعث فالنشر فالقيامة فالحساب فالجزاء ، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١١].

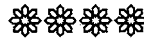
فالمرء كان عند الله عز وجل عندما خلقه الخلق الأول وأشهده على نفسه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢].

وميثاق عالم الذَّرِّ أخذه الحق سبحانه والبشر جميعاً في ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم قبل أنْ تأتيهم شهوات النفس المعارضة لمنهج الله تعالى.

وهذا العهد فطري في النفس الإنسانية، وما جاءت الأديان إلا لتنفض عن هذه الفطرة غبار الغفلة وغبار الشهوات، فأتت الرسل للتذكير بهذا العهد الفطري القديم.

ثم يشاء الله تعالى أنْ يُخلق كلَّ امرئٍ مرة أخرى، ثم يحيا حياته ثم يرجع إلى ربه يخرج من هموم الدنيا إلى رحمة ربه ورضوانه.

فما أسعده غداً إنْ كان من المؤمنين! وما أطيبه صبراً وعزاء أنْ نهتف بقلب مؤمن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥٦] !.



﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما مضمون الآية باختصار ؟

الجواب:

الصفا والمروة من شعائر الله، وليس معنى الآية أنها شعيرة يمكن أن يفعلوها ويمكن ألا يفعلوها، بل المعنى أنهم كانوا يريدون أنْ يتركوها؛ لأنهم كانوا يحسُّون أنها من أعمال الجاهلية.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين التعبيرين في القرآن الكريم ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ و﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾؟

الجواب:

١ـ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، ﴿لَا﴾ النافية للجنس وجناح اسمها، وخبرها جار ومجرور ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

بينما (ليس عليكم جناح) جملة فعلية، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل.

و﴿لَا﴾ أقوى في النفي من ﴿لَيْسَ﴾ والنفي درجات، واللغة العربية سهلة ولكنها واسعة تعبر عن أمور كثيرة لا يمكن للغات أخرى أن تعبر عنها، وأدوات النفي لها دلالاتها.

٢ـ الاستعمال القرآني للتعبيرين:

آ ـ التعبير ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٥٨].

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات بما فيها الصلاة والعمرة والحج والجهاد وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة:

شواهد قرآنية:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة:١٥٨] هذه عبادة.

ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ﴾ [البقرة:٢٢٩].

ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٠].

- ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٣] .

- ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٤] .

- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٥].

- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [البقرة:٢٣٦].

- ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ [البقرة:٢٤٠].

وهذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

ب ـ التعبير ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [البقرة:١٩٨].

وتستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية، كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية.

شواهد قرآنية :

- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٨] هذه في التجارة ليست فى العبادة.

- ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] في كتابة الدين في التجارة.

- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:٢٩] .

- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] في الأكل.

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب:٥] في نسب الأولاد لآبائهم.

ج ـ وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متتابعتان كل منهما تحتوي على إحدى الجملتين وهما في سورة النساء: ١٠١- ١٠٢.

الآية: ١٠١، فيها: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النساء:١٠١]، وسياق الآية في الضرب في الأرض للتجارة.

الآية: ١٠٢، فيها: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:١٠٢]، وسياق الآية في الصلاة خلال الحرب .

ولا شك أنّ الصلاة أكثر أهمية من التجارة.

د ـ كان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] أنّ السعي ليس بركن، فردت عليه عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: لو كان الأمر كما قلت لقال: فلا جناح عليه (ألاّ يطوف بهما).

وثبت أنّ طائفة من الناس كانت تطوف بين الصفا والمروة قبل الإسلام للأصنام، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف.

السؤال الثالث:

ما الأصل اللغوي لـ: (الصفا) (المروة) (شعائر الله) التي وردت في هذه الآية ؟

الجواب:

الصفا: من صفا يصفو، وهو الحجر الذي لا يخالطه غيره من شوائب، وهو الحجر الضخم الصلب الأملس.

المروة: هي الحجارة البيضاء شديدة الصلابة الملساء.

شعائر الله: النسك أو العبادات، والمراد أنّ السعي بين الصفا والمروة من دين الله تعالى، أمّا الصفا والمروة فهما علمان لجبلين مخصوصين، ولا يصح وصفُهما بأنهما دينٌ ونسكٌ، وإنما المراد السعي بينهما.

السؤال الرابع:

لم عبّر السياق بكلمة ﴿يَطَّوَّفَ﴾ [البقرة:١٥٨] بالتشديد ولم يقل: يطوف؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿يَطَّوَّفَ﴾ [البقرة:١٥٨] أصله: يتطوف، فأدغمت التاء في الطاء.

٢ـ في ذلك دليل على مزيد اعتناء بهذه الشعيرة من شعائر الحج، وحثٌّ على الازدياد من السعي بين الصفا والمروة والازدياد من هذا الخير كلٌّ بقدر طاقته واستطاعته؛ لأنّ الحرف المشدد يفيد المبالغة .

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الفاء والواو العاطفتين في بعض آيات القرآن في سورة البقرة نحو الآيتين (١٥٨و ١٨٤) والآيتين (٢٦٢ و ٢٧٤)؟

الجواب:

الفاء كما هو معلوم للتعقيب مع السبب، والتعقيب بمعنى أن يأتي بعدها مباشرة، في عقب الشيء.. والفاء تفيد التعقيب وتأتي للسبب أي سببية نحو: درس فنجح، أو هذه أحد الأسباب، درس فنجح.

أمّا الواو فهي لمطلق الجمع ولا تدل على ترتيب أو تعقيب، والواو ليس فيها سبب.

الآيتان [١٥٨، ١٨٤]: قال تعالى:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة:١٥٨].

ـ ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة:١٨٤] والسؤال لماذا قال في الأولى ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ وفي الثانية ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ﴾ ؟.

والجواب: أنّ الأولى في الحج والعمرة فقال: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ أي: من جاء بعبادة أخرى كطواف آخر،أو بحج آخر،أو بعمرة أخرى، بعبادة أخرى مستحدثة وليس نفس العبادة، فناسب الواو .

أمّا الآية الثانية فهي في الصيام فقال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة:١٨٤] كيف يتطوع؟ أي: يزيد في الفدية في نفس المسألة وفي نفس الطاعة، فهي ليست طاعة مستحدثة؛ لأنّ هذه فدية، وكيف يتطوع أكثر؟ مكان مسكين مسكينان، فجاء بالفاء.

الأولى عبادة أخرى مستحدثة، أمّا هذه فنفس العبادة، لذا جاءت واحدة بالواو والثانية بالفاء.

الآيتان [٢٦٢-٢٧٤]: قال تعالى :

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٢].

- ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤].

والسؤال : لماذا جاء بالفاء في الثانية ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٤] دون الأولى ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:٢٦٢] ؟

والجواب: أنّ الفاء واقعة في جواب اسم الموصول، وهنا الاسم الموصول مشبّه بالشرط، واسم الموصول أحياناً يشبّه بالشرط بضوابط فتقترن الفاء في جوابه كما تقترن بجواب الشرط، وكل واحدة لها معنى.

ومثال ذلك عندما تقول: الذي يدخل الدار له مكافأة، والذي يدخل الدار فله مكافأة.

الأولى فيها احتمالان :

آ- إمّا أنه له مكافأة بسبب دخوله الدار، كأن الدار مقفلة وهو يفتحها، أي: أنّ المكافأة مترتبة على دخول الدار.

ب - وإمّا أن يكون للشخص الذي يدخل الدار له مكافأة بسبب آخر، إذن فيها احتمالان عندما لا تذكر الفاء.

وإذا ذكرت الفاء فلا بدّ أنّ المكافأة مترتبة على الدخول قطعاً وليس لأي سبب آخر، وهذا تشبيه بالشرط، أي: أنّ المكافأة شرط الدخول في الدار.

لذلك نقول: أنه في جواب اسم الموصول يوجد احتمالان لتشبيه جواب الموصول بالشرط :

آـ إمّا أن يكون السبب بمعنى أداة الشرط.

ب ـ وإمّا لزيادة التوكيد.

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ [البقرة:١٥٨] كلمة (جناح) من بعض كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية، فما هذه المنظومة في القرآن ؟

الجواب:

هذه بعض كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية، وهي تعالج الشعور بالحرج أو الخوف أو التردد.

ومراحل الشعور ثلاثة: مرحلة الإدراك ـ مرحلة الوجدان ـ مرحلة النزوع؛ أمثلة على ذلك:

ـ الصلاة: إدراك أنها ركن لا بدّ من فعله ـ معرفة أهميتها وأجرها وعقوبة تاركها ، وهذا وجدان ـ إقامة الصلاة ، وهذا نزوع.

ـ امرأة العزيز: إعجاب بجمال يوسف، وهذا إدراك ـ بدأت تحبه، وهذا وجدان ـ الهمُّ به، وهذا نزوع.

لا تثريب :

هي نفي القلق الناتج عن الشعور أنّ المسؤولية وقعت على شكل غير مرضٍ، فلا تثريب: أي لا تعيير ولا تعييب .﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ [يوسف:٩٢].

لا جُناح :

عندما تأتي مرحلة الوجدان وأنت تشك في أنك فعلت شيئاً خطأً كأنْ تخطب امرأة وهي في فترة العدة، وفي آية البقرة [١٥٨] حيث كان المسلمون يجدون حرجاً في الطواف حول الكعبة أو السعي بين الصفا والمروة؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام، فرفع الله عنهم هذا الخوف والقلق عنهم. ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ [البقرة:٢٣٥].

لا ضير:

عندما يُنتقص حقك فتقول: لا ضير، أي تنفي أن يكون حظك قد انتقص، التي معناها أننا سنموت ونُبعث وكل ما ستفعله سيكون في صالح أعمالنا. ﴿لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء:٥٠] .

ليس عليك هداهم : كان الرسول ﷺ يشعر باليأس من نتائج محاولاته المتكررة ليُسلِمَ أقارِبُه، فقال له الله: إياك وهذا الشعور؛ لأنهم لا يستحقون ذلك . انظر الآيات : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢] الأنعام[٣٥] .

لا تكن في ضيق : نهى الله رسوله ﷺ عن الشعور بالضيق مهما كان صغيراً، والضيق هو غاية الحزن الذي يسيطر على الإنسان حتى يتعبه ويصبح أسيراً له. ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ [النمل:٧٠].

اللوم : اللوم هو العذل الذي يعقب كل فعل ناقص أو خاطىء. ﴿بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات:٥٤].

لا جرم : أي: هذا حق وليس ظلماً. ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود:٢٢] .

الحرج: الحرج هو آخر الضيق، وهو المكان الضيق جداً بحيث لا يستطيع شيء أن ينفذ من خلاله، فالحرج لغة هو: ملتقى الشيئين المجتمعين المنطبقين، واستعملت هذه الكلمة في الضيق الناتج عن القلق عن فعل الإنسان في مرحلة الوجدان أو النزوع، وليس في مرحلة الإدراك ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦] و[الحج:٧٨].



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٥٩] في هذه الآية، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦١]؟

الجواب:

يلعن: فعل، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، أمّا اللعنة فهي اسم، والاسم يدل على الثبوت.

في الآية الأولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩] اللعنة تستمر ما داموا يكتمون ما أنزل الله وهم ما زالوا أحياء، وهؤلاء المذكورون في الآية يكونون ملعونين ما داموا لم

يتوبوا وكتموا ما أنزل الله، أمّا إذا تابوا عما فعلوا فقد يغفر الله لهم؛ ولهذا جاء بالصيغة الفعلية ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾.

أمّا الآية الثانية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)﴾ [البقرة:١٦١] فالمذكورون في الآية هم الذين كفروا وماتوا، أي: هم أموات وقد حلّت عليهم اللعنة فعلاً وانتهى الأمر، ولا مجال لأنْ يتوبوا بعدما ماتوا، ولهذا جاء بالصيغة الاسمية فقال: ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾؛ لأنها ثابتة ولن تتغير لأنهم ماتوا على الكفر.



﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام الفعل الماضي والمضارع في الآية ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

١ـ الفعل المضارع يدل على الحال والتجدد والاستقبال والفعل الماضي فيما مضى، هذا هو الأصل.

وقد يحتمل معنى المضي والاستقبال في الأفعال الماضية كما في هذه الآية ﴿تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠] وتدل على احتمال الاستقبال؛ لأنها جاءت بعد الكتمان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] .

٢ـ وزمن الفعل الماضي بعد الاسم الموصول يحتمل المضي ويحتمل الاستقبال، وهنالك أمور قطعية وهنالك أمور تبقى مشتركة.

٣ـ وأمّا (كان) فلها أزمنة خاصة بها فهي تفيد الاستمرارية (كان ولا يزال) وتأتي أصلاً للاستقبال، كما في وصف الآيات للآخرة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ:١٩] وفي الحديث عن الله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء:١٠٠] فهي تدل على كونه غفوراً رحيماً وهذا كونه سبحانه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٦٠] ولم يقل مثلاً: (والله تواب رحيم) ، فما الدلالة التي تضفيها لفظة ﴿وَأَنَا﴾ [البقرة:١٦٠] ؟

الجواب:

(أنا) من معطيات الأمل والرجاء لمن يلفتهم الله تبارك وتعالى إليه ويتجلى عليهم بذاته، ففي هذه الكلمة ما لا نجده في تعبير آخر في هذا المقام، وكم نجد في الواو العاطفة في قوله ﴿وَأَنَا﴾ من قوى الجذب لهؤلاء الضالين الظالمين، وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نفسه التواب ولم يقل :(الغفور) في هذه الآية، لما في كلمة التواب من المبالغة في الرحمة والتوبة مما يُرغِم الناس بالمبادرة والعودة إلى الله سبحانه وتعالى مهما عظمت ذنوبهم وكثرت خطاياهم، وفي هذه الكلمة ما يجذب الناس جذباً إلى التوبة والإنابة طمعاً في توبة الله تبارك وتعالى عليهم ورحمته بضعفهم وزللهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٥٩] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦١] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [١٥٩].



﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لدينا في القرآن تعبيران ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ كما في هذه الآية و﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ هل ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ فيها أمل بالغفران، أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى؟

الجواب:

١ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم سواء في أهل الجنة أو في أهل النار، إذا كان المقام مقام تفصيل الجزاء أو في مقام الإحسان في الثواب أو الشدة في العقاب يذكر (أبداً)، وإذا كان في مقام الإيجاز لا يذكرها.

٢ـ هناك آيات كثيرة فيها (خالدين) وحدها ، وليس في العقيدة أنهم يغفر لهم، نحو قوله تعالى :

ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢] ومسألة وجود أوعدم وجود ﴿أبداً﴾ ليس لها علاقة بالخلود الدائم.

٣ـ (أبداً) ظرف زمان خاص بالمستقبل فقط وليس له دلالة زمنية معينة، ونحن نستعمل (قطّ) للماضي و(أبداً) للمستقبل، وخطأ أن نقول :ما رأيته أبداً ، وهذا خطأ لغوي شائع، نقول: لا أكلمه أبداً، وما رأيته قطّ. لأنّ (أبداً) للمستقبل الذي ليس له نهاية.

٤ـ هناك أمران:

آـ إذا كان هناك تفصيل في الجزاء يقول: ﴿أَبَدًا﴾ وتفصيل الجزاء هو سواء في العقاب أو الثواب.

و﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ أطول من ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [النساء:٥٧] فيذكرها مع التفصيل.

ب ـ أو كون العمل المذكور يستوجب الشدة فيستخدم ﴿أَبَدًا﴾ .

٥ـ ﴿أَبَدًا﴾ لا تحمل معنى التأبيد الدائم أو عدم الخروج؛ لأنّ الخلود وحده يحمل هذا المعنى. والقرآن يستعمل خالدين لأهل الجنة وأهل النار، والخلود لغوياً يعني البقاء أو الزمن الطويل على ما يقول بعضهم.

٦ـ وقد وردت (خالدين فيها أبداً) في أهل الجنة ٨ مرات في القرآن الكريم، ووردت في أهل النار ٣ مرات، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى؛ لأنّ رحمته سبقت غضبه، والخلود عند العرب تعني المكث الطويل وليس بالضرورة المكث الأبدي.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦] وكلمة ﴿يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ في آية البقرة [١٦٢] وآية آل عمران[٨٨] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [٨٦].



﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

مادلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة:١٦٤] ؟

الجواب:

تأمل كيف قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة:١٦٤] فاستخدم كلمة تصريف للدلالة على أحوال الرياح، ولم يستخدم كلمة أخرى كالهبوب مثلاً؛ ذلك لأنّ هذه الكلمة لا يمكن أنْ يؤدي معناها أي كلمة أخرى، فقد جمعت أحوال الرياح التي يحتاج إليها الإنسان، وفي كل حالة من أحوالها آية من آيات وجود الخالق وعظيم قدرته سبحانه، فهبوب الريح مثلاً يحتاج إليه أهل موضع لتخفيف الحرّ عنهم، وقد يحتاج أهل

موضع آخر إلى اختلاف هبوبها لتجيء رياح رطبة بعد رياح يابسة، أو تهب من جهة الساحل مسيّرةً السفن إلى البحر، أو تهب إلى جهة الساحل ليرجع أهل السفن من أسفارهم أو صيدهم، فكل تلك الأحوال التي أنعم الله تعالى بها على الناس وغيرها اجتمعت في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة:١٦٤].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمتي (ريح) و (رياح) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة فصّلت: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فُصِّلت:١٦] وفي سورة القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر:١٩].

٢ـ أمّا كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤] وفي سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ﴾ [الأعراف:٥٧] وسورة الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر:٢٢].

وفي سورة سبأ ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ:١٢] استعملت كلمة (ريح) مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

السؤال الثالث:

هل من تفاصيل أكثر عن الريح والرياح في القرآن الكريم ؟ وعن أسلوب كتابتها في المصحف ؟

الجواب:

أولاً :كلمة (ريح) اسم جنس إفرادي، قد تُجمع على رياح وأرياح وأرواح، مثل ماء يُجمع على مياه وأمواه.

ـ وجاءت في ٢٩ موضعاً، منها ١٠ مواضع للرياح حسب ما يلي :

موضع واحد :(رياح) بالألف، أي: رياح. الروم [٤٦].

٩ مواضع : (ريح) مع ألف صغيرة ﴿ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ ، وتقرأ (رياح) كما يمكن قراءتها (ريح).

١٤ موضعاً : (ريح) بدون ألف صغيرة، وتقرأ (ريح) فقط.

٥ مواضع : (ريح) في معانٍ إضافية للريح.

ثانياً : كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشر كما في آيات : آل عمران [١١٧] فصلت [١٦] القمر [١٩] الحج [٣١] الإسراء [٦٩].

أمّا كلمة (رياح) فهي تستعمل في القرآن للخير كالرياح المبشرات، كما في الآيات : البقرة [١٦٤] الأعراف [٥٧] الحجر [٢٢] الجاثية[٥]النمل[٦٣] وهذه جاءت على صيغة ﴿ٱلرِّيَـٰحَ﴾ أي مع الألف الصغيرة وفي هذه الحالة يمكن قراءتها(ريح أو رياح) .

أمّا الآية الوحيدة التي جاء رسمها بالألف (رياح) الروم[٤٦] ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فقد جمع الرياح لتعدد الرحمات.

وفي آية واحدة جاءت كلمة : (بريح طيبة) في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس:٢٢] .

فقد جاءت كلمة ريح مع كلمة (طيبة) ـ بخلاف ما ذُكر أعلاه ـ لتتناسب مع سياق الآية فيما بعد ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس:٢٢] لأنّ خاتمتها غير حميدة؛ ولأنه أعقبها بالشر.

أمّا آية سورة سبأ فاستعملت كلمة (ريح) مع سليمان عليه السلام، لكنها لم تخصص لشيء فجاءت عامة، فقد تكون للخير وقد تكون للشر؛ لأنّ الله سبحانه سخرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء .

ثالثاً :

آ ـ كلمة (ريح) جاءت في ١٤ موضعاً بدون ألف صغيرة، وهذه المواضع هي :

آل عمران [١١٧] يونس [٢٢] مرتان : القمر[١٩] الإسراء [٦٩] إبراهيم [١٨] فصلت [١٦] الحج [٣١] الروم [٥١] الأحزاب [٩] الشورى [٣٣] الأحقاف [٢٤] الذاريات [٤١] الجاثية [٦].

ب ـ وجاءت مع ألف صغيرة ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ في تسعة مواضع، وهي:

ـ البقرة [١٦٤] الأعراف [٥٧] الحجر[٢٢] الكهف [٤٥] الفرقان [٤٨] النمل [٦٣] الروم[٤٨] فاطر [٩] الجاثية [٤٥].

ج ـ جاءت بدون ألف صغيرة في خمسة مواضع بمعانٍ إضافية للريح، وهي :

يوسف [٩٤] ﴿رِيحَ يُوسُفَ﴾ .

الأنبياء [٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ .

سبأ [١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ .

الأنفال [٤٦] ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ .

ص {٣٦ } ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ .

عندما يكون هناك ألف صغيرة على كلمة ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ يمكن قراءتها (ريح) أو(رياح) .

لكن مع وجود الألف (رياح) لا يمكن قراءتها (ريح) بل (رياح).

السؤال الرابع:

ماتفسير هذه الآية الكريمة ؟ وما دلالة وصف السحاب في الآية ؟

الجواب:

في سورة البقرة وفي سياق تعداد نِعم الله سبحانه وتعالى، هناك نوع من التناسق في هذه الآيات ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

١ـ تذكر الآية جملة أمور مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ [البقرة:١٦٤] ثم بعد ذلك تذكر الخبر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ [البقرة:١٦٤] .

٢ـ عندنا إيمان أنّ الله تعالى خلق السموات والأرض لأجل الإنسان.

٣ـ ﴿وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة:١٦٤] ليل ونهار يختلف، ليس نهاراً سرمداً ولا ليلاً سرمداً، تعاقب بين الليل والنهار وتنويع؛ لأنّ الماء إذا سكن في مكانه يفسد.

٤ـ ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: من رحمة الله سبحانه وتعالى أنْ جعل الإنسان يصنع أجساماً يسكن فيها وتطفو على الماء ، وهذا ليس أمراً سهلاً لكننا أَلِفناه، والوصول إليه هداية من الله تعالى، فهي إذن من نعم الله تعالى على الإنسان.

٥ـ ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾: كل ما يتناوله الإنسان والنبات والحيوان مما مصدره السحاب، فهذا الماء في الأرض ماء يرتفع إلى السماء فيطهر فينزل طاهراً، حتى الجبال التي فيها ثلج هي في أصلها من هذا السحاب المرتفع وليس ثلجاً ابتداءً لكنه من هذا الذي يتبخر، والسماء هو العلوّ وكل ما علاك فهو سماء.

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: والأرض من غير ماء ميتة.

٦ـ ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: المقصود هذه الدواب التي على الأرض بسبب الماء أيضاً.

٧ـ ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: السفن تتحرك بالرياح، والسحاب يتحرك بالرياح، ولذلك أكّده ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ [البقرة:١٦٤] يعني هو مهيأ ومُعدّ لكم، وإنما الله تعالى سخّره بين السماء والأرض، كل هذا ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤] .

٨ـ وكلمة (سحاب) هي اسم جنس جمعي، لفظ مفرد ولكنْ معناه معنى جمع وليس له واحد من لفظه، والسحابة هي القطعة من السحاب لكن ليست كل واحدة من السحاب هي قطعة، والقطعة مجزّأة تماماً مثل كلمة ماء؛ لأنّ الماء اسم جنس جمعي ليس له واحد من لفظه.

واسم جنس يعني لحالة معينة خاصة به : السحاب للسحاب، والماء للماء لهذا الجنس، مثل كلمة رجل جنس لهذا المخلوق.

والسحاب يُذكّر ويؤنّث، فالعرب تقول: هذا السحاب، وتقول: هذه السحاب، ظهر السحاب وظهرت السحاب، لكنّ الإحالة عليه بالضمير بالمفرد المذكّر؛ يعني تقول: السحاب رأيته ولا تقول: السحاب رأيتها، فإذا جمعتَه على سُحُب تؤنّث، تقول: السحب رأيتها، ولا تقول: رأيته للجمع، كما تقول: الشجر سقيته، هذا أيضاً اسم جمع إفرادي: الأشجار سقيتها.

٩ـ هناك (ماء) في العربية وهناك (ماءة)، ويفرّق بينها وبين واحده بالتاء، كلمة (ماءة) يعني: الواحد من الماء، عادة يطلقونها على الماء المتبقي مثل الغدران، ولا سيما إذا خصت إحدى القبائل نفسها بها ، فيقولون: هذه ماءة لبني فلان.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ و﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في آية البقرة ١٦٤، وآية العنكبوت ٦٣،وآية الروم ٥٠ ؟

الجواب:

استعراض الآيات :

آية العنكبوت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت:٦٣].

آية الروم: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠].

البيان :

١ـ التعبير ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يفيد البعدية القريبة والبعيدة.

٢ـ والتعبير ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ فهي للبعدية القريبة فقط دون البعيدة و(من) للابتداء.

٣ـ ورد التعبير ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في القرآن الكريم كله من دون (من) في تسعة مواطن، وهي : البقرة [١٦٤] البقرة[٢٥٩] النحل[٦٥] الروم [١٩] الروم [٢٤] الروم[٥٠] فاطر [٩] الجاثية [٥] الحديد [١٧].

بينما ذكر التعبير: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في موطن واحد، وهو آية العنكبوت [٦٣].

٤ـ والسبب أنّ آية العنكبوت تدور حول المشركين الذين يشركون بالله ويعبدون معه آلهة أخرى، وهي تعجب من عقولهم وإظهار لمقدار باطلهم وتفكيرهم، في حين لو سألتهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت:٦١] .

لذلك أدخل (من) في هذا الموطن للدلالة على مقدار قدرة الله وعظمتها وذلك أنّ قوله (أحيا الأرض بعد موتها) يحتمل الزمن بعد الموت بمدة قريبة أو بعيدة.

ولكن قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣] معناه الإحياء بعد الموت بلا مهلة ولا فاصل، أي: أنّ الله قادر على أنْ يحي الميت فوراً بلا مهلة، وهذا أدل على قدرة الله، وإنْ كان كلاهما من قدرة الله وحده، وقد جاء بـ (من) في هذا المقام للدلالة على أنهم يشاهدون ذلك ويقرون أنّ الله يحي الأرض من الموت بلا مهلة.



﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥] أين جواب الشرط فى الآية؟

الجواب:

تأمل في قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ فإنك لا تجد جواب (لو)، فالأصل في هذه الأداة (لو) أنْ تأخذ فعل شرط وجوابه، فتقول مثلاً: لو رزقني الله مالاً لتصدقت بنصفه، فلِمَ حذف جواب (لو) في الآية؟

لقد تم حذف جواب (لو) في الآية؛ لأنّ حذفه يوقع أثراً في نفس من وُجِّه إليهم الكلام أكثر مما لو ذكر جواب (لو)، كأنه يقال: "لرأوا أمراً عظيماً" أو غيره، فقد ترك القرآن الكريم للخيال أنْ يذهب كل مذهب في تصور شدة الموقف وفظاعته، وأنت عندما تهدد إنساناً بقولك: "لئن لم تفعل" ثم تسكت، يُحدِث كلامك أثراً في نفس السامع أكثر مما يُحدِث قولك: "لئن لم تفعل لأضربنّك".



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الحسرة والندامة ؟

الجواب:

١ـ الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً، والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم، ويقولون هو من تبلغ به درجة لا ينتفع به حتى ينقطع.

٢ـ في الندم قد يندم الإنسان على أمر وإنْ كان فواته ليس بذلك، لكنّ الحسرة هي أشد الندم والتلهف على ما فات حتى قالوا :ينقطع تماماً، يقولون :هو كالحسير من الدواب الذي لا منفعة معه.

و الندم له درجات أيضاً ولكنّ الحسرة أشد الندم، وهي من الندم لكنّ أقوى من الندم ؛إذ تكون عندما يبلغ الندم مبلغاً، نحو قوله تعالى :

ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٧] أي: منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

ـ ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس:٣٠] أي: هذه أكبر الحسرات وليس هناك أكبر منها .



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم النظرات البلاغية في الآية ؟

الجواب:

١ـ الحلال هو المباح وهو نقيض الحرام، والحرام قد يكون حراماً لخبثه كالخمر، وقد يكون حراماً لا لخبثه كملك الغير إذا لم يأذن في أكله، والحلال هو الخالي من القيدين.

٢ـ الطيب في اللغة قد يكون بمعنى الطاهر، والحلال قد يوصف بالطيب؛ لأنّ الحرام يوصف بأنه خبيث، والطيب في الأصل هو ما يُستَلَذُّ به ويستطاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨] نُصِبَ على الحال مما في الأرض أو مفعول به.

٤ـ قوله ﴿خُطُوَٰتِ﴾ [البقرة:١٦٨] بضم الخاء والطاء، أو بسكون الطاء ـ والخُطوة من الأسماء لا من الصفات فيُجمع بتحريك العين، وأمّا من خفف العين فأبقاه على الأصل وطلب الخفة فلا بأس .

السؤال الثاني:

ما الأمور التي ذكرها الله في القرآن حول عداوة الشيطان المبينة الظاهرة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨] بيّن العلة في هذا التحذير ؛ وهي كونه عدواً مبيناً.

٢ـ يلاحظ أن الشيطان التزم أموراً سبعة في العداوة، وهي :

آـ أربعة منها في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

ب ـ وثلاثة في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

فلمّا التزم الشيطان هذه الأمور كان عدواً متظاهراً بالعداوة .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي ﴿أَلْفَيْنَا﴾ في آية البقرة [١٧٠] و﴿وَجَدْنَا﴾ ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وآية المائدة [١٠٤] ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وآية لقمان [٢١] ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الفعل (ألفى) في اللغة يستعمل في الأمور المادية فقط ، وقسم من النحاة يقولون: إنه لا يأتي في أفعال القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الصافات:٦٩] وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:٢٥] .

٢ـ أمّا كلمة ﴿وَجَدْنَا﴾ فهي تأتي مع أفعال القلوب، كما في قوله تعالى ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤] وقد تأتي أحياناً في الأشياء الحسّية.

٣ـ وعندما يذكر القرآن كلمة ﴿ألفينا﴾ يريد أنْ يذمّهم أكثر وينفي عنهم العقل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠] .

ولو لاحظنا آية سورة المائدة [١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ فالذي يُشرّع ليس عنده علم ولكن عنده عقل.

٤ـ وعندما يذكر كلمة (وجدنا) ينفي عنهم العلم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ [المائدة:١٠٤] وكذلك في سورة لقمان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ [لقمان: ٢٠ ، ٢١] .

٥ـ وقد تنفي العلم عن أحدهم ولكنه يبقى عاقلاً ، لكن إذا نفى عنهم العقل أصبحوا كالبهائم، فكلمة ألفينا تأتي إذن في باب الذمّ.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ في آية البقرة[١٧٠] وبين ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في آية المائدة [١٠٤] ؟

الجواب :

﴿يَعْقِلُونَ﴾ تعني ما ينشأ عن الفكر والتدبر، وليس كل الناس يستطيعون هذا ؛ ولذلك يأخذون القضايا مسلماً بها من غيرهم الذي عقل.

والذي يعلم أقل منزلة من الذي يعقل؛ لأنّ الذي عقل هو إنسان قد استنبط، وأمّا الذي علم فقد أخذ علمه من غيره لكنه لم يتعقله، لذلك نفيُ العلم عن شخص أبلغُ من نفي التعقل؛ لأنّ معنى (لا يعلم) أي: ليس لديه شيء من علم غيره أو علمه هو، أي: لا يعلم ولا يعقل كالحيوانات تماماً، بينما عندما يقول الحق: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ فمعنى ذلك أنه من المحتمل أن يعلموا.

مقارنه بين آية البقرة [١٧٠] وآية المائدة [١٠٤]

الكلمة	ردهم	رد الله تعالى عليهم
﴿اتَّبِعُوا﴾ [البقرة:١٧٠]	﴿نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ [البقرة:١٧٠]	﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ [البقرة:١٧٠]
﴿تَعَالَوْا﴾ [المائدة:١٠٤]	﴿حَسْبُنَا﴾ [المائدة:١٠٤]	﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [المائدة:١٠٤]
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [البقرة:١٧٠]	من أي رسول	﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة:١٧٠]
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [المائدة:١٠٤]	من أي رسول	﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة:١٠٤]
﴿وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ للآيتين	-	للدلالة على أنّ هدى السماء لا يختلف بين من يعقلون ومن يعلمون

السؤال الثالث:

هل يختلف نوع المخاطب في آية البقرة [١٧٠] وآية المائدة [١٠٤] حتى اختلف الأسلوب في الآيتين ؟

الجواب:

آية البقرة ١٧٠.

تتحدث عن قوم بسطاء غُفْلٍ يمكن أنْ يتغيروا وأنْ يتعلموا وأنْ يهتدوا إذا وجدوا الرعاية والعناية، أي: أنّ الآية تتحدث عن الناس في أول الدعوة والذين اتبعوا ما صادفوا آباءهم عليه دون أن يكون لهم رأي أو تصميم سابق أو عقيدة سابقة، بل إنّ آباءهم أيضاً لا يعقلون.

وهذه الآية من سورة البقرة التي هي متقدمة في النزول على سورة المائدة ، وهي آخر سور القرآن نزولاً.

آية المائدة ١٠٤ .

تتحدث عن رؤوس الكفر وهم قساة الناس، و هؤلاء قولهم عن إصرار وعقيدة، وأنهم يعتقدون أنّ آباءهم قد اختاروا هذا الطريق عن علم ومعرفة، وانظر إلى الفروق بين الآيتين:

الموقف	آية البقـــــرة	آية المائـــــــدة
الطلب	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾
الرد	﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾	﴿قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾
الحجة	﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾	﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾

الملاحظات :

١ـ في آية البقرة أنت أمام قوم في أول الطريق لم يعتقدوا رأياً بعد، فيُقال لهم: اتبعوا ما أنزل الله، بينما في آية المائدة فهم في موقع اختاروه ورضوا به وتمسكوا فيقال لهم: دعوا ما أنتم عليه وتعالوا إلى ما أنزل الله.

٢ـ في الرد في آية البقرة نجد كلمة ﴿أَلْفَيْنَا﴾ أي: أننا وجدنا رأياً سابقاً وليس لنا رأي محدد فاتبعنا ما وجدنا عليه آباءنا.

أمّا في آية المائدة فكلمة ﴿حَسْبُنَا﴾ تعني: يكفينا، وهذا يدل على أنهم يعرفون ما هم فيه وما يدعون إليه وهم مقتنعون به؛ من أجل هذا قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا﴾ [المائدة:١٠٤] أي: أنّ الأمر قائم ومستتب من قبل ولم يكن مفاجأة لهم.

٣ـ في آية البقرة استخدم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ وفي آية المائدة استخدم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ والذي لا يعقل يتعلم، أمّا الذي يعلم فقد عَلِمَ ودرس وفهم وتعلم وتمسك بما تعلمه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ﴾ في الآيتين هي واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام فنقلتها إلى معنى التوبيخ والتقريع، وإنما جُعلت همزة الاستفهام للتوبيخ؛ لأنها تقتضي الإقرار بشيء يكون الإقرار به فضيحة .

والله أعلم.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ماذا تمثل هذه الآية من صور بيانية ؟

الجواب:

انظر في بديع التطبيق القرآني وعظيم بلاغة القرآن، وكيف أنّ آياته تصلح ألفاظها لمعانٍ كثيرة، فهذه الآية تحمل صورتين في وصف حال المشركين:

آ ـ صورة المشركين والنبي ﷺ يدعوهم للإيمان بالله تعالى، فحالتهم كحالة الأغنام التي لا تفقه دليلاً من صوت من يناديها ولا تدرك من كلامه معنى، إلا أنها تسمع أصواتاً لا مدلول لها عندها، فالكلام عندها أصوات مجرّدة عن المعاني.

ب ـ والصورة الثانية صورة المشركين وهم يدعون آلهتهم كمن يدعو أغناماً لا تفقه شيئاً ولا تُجيب داعياً.

السؤال الثاني:

ما دلالة الاختلاف في الترتيب بين آيتي البقرة [١٨] و [١٧١] ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ و آية الإسراء [٩٧] ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: (واشكروني) أو (واشكروا لي) باستخدام الضمير؟

الجواب:

ذكر اسم الله تعالى ظاهراً يوحي أنّ في الاسم الظاهر إشعاراً بالألوهية التي قد لا يؤديها الضمير، فكأنما يوميء أنّ الإله الحق هو المستحق للعبادة دون غيره من أوثان ومعبودات باطلة؛ لأنه هو الذي يخلق ويُنعِم فهو وحده سبحانه الذي يستحق الشكر على نعمائه.

السؤال الثاني:

في الآية قدّم المفعول به ﴿إِيَّاهُ﴾ على فعل العبادة ﴿تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

السبب أنّ العبادة مختصة بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره ولا يُستعان بغيره، كقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ وقوله في آية الزمر ٦٦ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

السؤال الثالث:

قال الله في هذه الآية: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ وقال في آية النحل: ١١٤ ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ فما دلالة الفرق بين التعبيرين ؟

الجواب:

١ـ سياق آية البقرة هو الكلام عن الله تعالى، انظر الآيات: (١٦٥ـ ١٧١) فناسب الأمر بشكر الله.

٢ـ وأمّا سياق آية النحل فهو في الكلام عن النعم، انظر الآية ١١٢ ، حيث ذكر فيها القرية التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، فناسب الأمر بشكر النعمة لئلا يصيبهم ما أصاب مَنْ قبلهم.

٣ـ إضافة إلى أنه وردت كلمة ﴿النعمة﴾ في سورة البقرة ست مرات، بينما وردت في سورة النحل تسع مرات، فناسب كل تعبير مكانه .

والله أعلم.



﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة [١٧٣]: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ وقوله تعالى في آية المائدة[٣]: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣] ما دلالة التقديم والتأخير لـ (به) بين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ لو لاحظنا السياق في المائدة نجد أنّ الكلام عن التحليل والتحريم ومن بيده ذلك، فرفض أي جهة تحلل وتحرم غير الله، انظر آيات المائدة:

ـ قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة:١] والمعنى أنه ليس لكم أن تُحِلّوا، والذي يُحِلّ هو الله تعالى فقط.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة:٢] أي: الذي يُحِلّ هو ربنا سبحانه وتعالى.

ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة:٤] إذن هو سبحانه يجعل التحليل والتحريم بيده حصراً.

فالسياق ليس هنالك أي جهة تقوم بذلك غير الله تعالى، ولذلك قدّم ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣].

ولفظة ﴿أُهِلَّ﴾ يعني رُفِع الصوت بذبحه، أُهِلّ يعني أنْ تقول عند الذبح: باسم الله والله أكبر، هذا لفلان.

٢ـ إذن هنا قدّم ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ ربنا هو الجهة الأولى والأخيرة التي بيدها التحليل والتحريم، وليس لأحد آخر هذا الحق.

٣ـ أمّا في آية البقرة فالمقام هو فيها رزق الله تعالى عباده من الطيبات، وليس فيها تحليل وتحريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ

ﭐلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢-١٧٣].

فقوله تعالى ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] هذا طعام، ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨] هذا طعام، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٧٣] هذه الذبيحة، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٧٣] يعني ما رُفِع الصوت بذبحه فقدّم ﴿بِهِۦ﴾ [البقرة:١٧٣] لأنّ هذا طعام متناسب مع الطعام ومتناسب مع طيبات ما رزقهم.

٤ـ إذن في سياق التحريم قال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣] فقدّم ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٣] لأنها الجهة الوحيدة التي تُحلل وتُحرم، والكلام في التحليل والتحريم، وهو سبحانه الذي يحلل ويحرم.

ولّما كان السياق في الأطعمة قدّم الطعام ومنها الذبيحة، فقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٧٣] يعني الذبيحة.

٥ـ ومسألة الذبح في الآيتين متعلقة بالله تعالى أو بغير الله سبحانه وتعالى، لكنّ التقديم والتأخير متعلق في سياق التحليل والتحريم أو في سياق الطعام.

السؤال الثاني:

فاصلة هذه الآية في البقرة ١٧٣، وفي المائدة ٣، وفي النحل ١١٥، هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ بينما فاصلة آية الأنعام ١٤٥ هي ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ـ إن آيات البقرة والمائدة والنحل هي خطاب من الله للناس، فناسب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

بينما آية الأنعام ١٤٥وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ بدأت بلفظة (قل) وهي خطاب للرسول ﷺ فناسب ختمها بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

٢ـ ومن أسباب هذا الاختيار - والله أعلم - أنّ لفظ (الله) تردد في البقرة أكثر مما تردد في الأنعام، وأنّ لفظ (الرب) تردد في الأنعام أكثر مماتردد في البقرة ـ وإليك البيان :

اللفظ	عدد التكرارفي البقرة	عدد التكرار في الأنعام
الله	٢٨٢ مرة	٨٧ مرة
رب	٤٧ مرة	٥٣ مرة

فناسب أنْ يضع كلمة (الله) في البقرة، وكلمة (رب) في الأنعام .

٣ـ إضافة إلى ذلك، فإنّ آية البقرة في سياق العبادة، ولفظ (الله) أولى في هذا السياق؛ لأنه من الألوهية، والألوهية هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢] ولمّا قال في سورة النحل: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل:١١٤] قال بعدها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٥] .

وأمّا سياق آية الأنعام ففي الأطعمة، ولفظ (الرب) ألصق بهذا السياق؛ لأنّ الرب من التربية والتنشئة.

السؤال الثالث:

ماعلاقة أول الآية بخاتمتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ ؟ والمغفرة والرحمة تقتضيان ذنوباً، وما سبَق في الآية هو تشريع بإباحة الميتة عند الضرورة فلا ذنب .

الجواب:

إذا كان الله يغفر مع الذنب، أفلا يغفر مع الضرورة التي شرع لها الحكم؟!!!.

الله سبحانه وتعالى غفورٌ في الأصل أفلا يغفر لمن أعطاه رخصة ؟ إذن هو غفورٌ رحيمٌ ولن يكتب على المضطر ذنباً من جراء اضطراره، ورحمة الله هي التي تغفر للعاصي، هو سبحانه الذي كتب المغفرة لمن اضطر وكسر قاعدة التحريم عند الاضطرار.

السؤال الرابع:

لماذا قدّم المغفرة على الرحمة في آية البقرة ١٧٣، وآية النساء ١٠٠، وقدمت الرحمة على المغفرة في آية سبأ ٢؟

الجواب:

تقدمت المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وسبب ذلك - والله أعلم- أنّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة .

في آية سبأ ٢ ، وهي قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ٢﴾ فقد تأخرت المغفرة عن الرحمة؛ وذلك أنّ جميع

الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تعيش وتحيا وبرحمته تتراحم، وأمّا المغفرة فتخص المكلفين؛ فالرحمة أعم .

السؤال الخامس:

في الآيات التالية [البقرة ١٧٣ـ البقرة ١٨٢ـ البقرة ١٩١ـ آل عمران ٨٩ـ المائدة ٣] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ مؤكَّدة بإنّ، بينما قال في آية النحل ١٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فأكدها بإنّ واللام، فلماذا ؟

الجواب:

القاعدة اللغويـــة:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] مع التخفيف و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨] مع زيادة التوكيد بزيادة اللام .

البيـــان:في آيات البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ فأكدها كلها بإنّ وحدها، في حين قال في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأكدها بإن واللام .

وسبب ذلك أنّ سياق آيات النحل هو في تعداد نعم الله على الإنسان ورحمته به ولطفه بخلقه، فقد ذكر خلق الأنعام وما فيها من منافع للإنسان، وذكر منافع الزروع وذكر نعمته عليه في البر والبحر وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من النعم، فناسب ذلك تأكيد المغفرة، وليس السياق في الآيات الأخرى كذلك .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ ما الذي أخذوه؟ وما الذي تركوه؟

الجواب:

القاعدة تقول: إنّ الباء مع الذاهب، كأنْ تقول: اشتريت الكتاب بألف، فالذاهب هو المال والمشترى هو الكتاب.

وفي الآية اشتروا الضلالة وخسروا الهدى، واشتروا العذاب وخسروا المغفرة، نسأل الله العافية .

السؤال الثاني:

ما نوع الاستفهام في الآية: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ هو استفهام للتعجب بقصد التوبيخ، والمعنى: ما الذي أصبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل .

٢ـ للتعجب صيغتان : ما أفعَلَه، وأَفعِل به.

شواهد قرآنية :

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة:١٧٥].

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم:٣٨].

السؤال الثالث:

ما إعراب ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾ وإعراب ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ إعراب ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾ :

ما : اسم نكرة للتعجب بمعنى: شيء عظيم، في محل رفع مبتدأ.

أصبر : فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: هم، والهاء مفعول به، والجملة: خبر (ما) .

٢ـ إعراب ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ :

أسمِع : فعل ماض جامد، جاء على صورة الأمر، مبنيٌّ على الفتح المقدر.

بهم : الباء حرف جر زائد، والهاء ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.



﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الوصف بالبعيد فى هذه الآية؟

الجواب:

تأمل كيف وصف الله تعالى الشقاق بأنه بعيد ولم يصفه بـــ (كبير أو عظيم)، أو ما شابه ذلك من أوصاف، وفي ذلك مجاز عقلي يعطينا عمقاً آخر وتصوراً لبُعد صاحبه عن الوفاق، وبياناً للهوّة الواسعة التي يسقط فيها أولئك المختلفون في الكتاب، فالشقاق في القيم المنهجية السماوية هو هوّة كبيرة وإذا ما وقع فيه البشر فلن يستطيعوا أن يُصلحوا فيما بينهم، ومن هنا كانت شقة الخلاف واسعة لا يقدر على حلها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عبّرت عنه الآية بوصف الشقاق بأنه بعيد.



فهرس المحتويات

من روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس شكري محمد هيبك

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الثاني

من بداية سورة البقرة (١٧٧) وحتى الآية (٣٣) من سورة آل عمران

دار الفكر

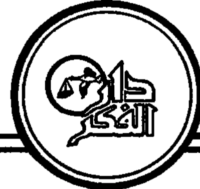
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة: ١٧٧ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب، وقوله تعالى في آية البقرة: ١٨٩ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ [البقرة:١٨٩] بالرفع، فما دلالة الرفع ودلالة النصب؟ وما الفرق بينهما نحوياً؟

الجواب:

١ـ التعبير أصلاً مختلف ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[البقرة:١٧٧]: البِرَّ: خبر (ليس) منصوب مقدَّم؛ لأنَّ خبر (ليس) يجوزُ تقديمه، و﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة:١٧٧] مصدر مُؤَوَّلٌ بمعنى التوليةِ في محل رفع اسم (ليس)، وخارج القرآن معناها (ليست توليتُكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ).

٢ـ الثانية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة:١٨٩] لا يصح لغةً في الآية الثانية أنْ يقول ليسَ البرَّ.

هذه الباءُ تدخل على الخبرِ مثل (خبرِ ليس، وما، لا، وكان المنفية) ولا تدخل على الاسم، كما في الآيات: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران:١٨٢] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين:٨] و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] والباء لا تدخل على الاسم أصلاً.

٣ـ الآية الأولى يمكن أنْ يقال فيها: ليس البرُّ أو ليس البرَ؛ لأنه يمكن أنْ يكون هناك تقديم وتأخيرٌ، لكنّ الآية الثانية لا يمكِنُ؛ لأنَّه ما دام عندنا (الباءُ)، والباءُ تدخلُ على الخبرِ حتماً مزيدةً ولا تزادُ في الاسمِ، فإذن لا يمكِنُ أنْ ننصبَ البِرَّ بسببِ دخولِ الباءِ؛ فاقتضى أنْ تكون الباءُ داخلةً على خبرِ (ليس)، ولا يمكِنُ غيرُ ذلك.

٤ـ بشكلٍ عامٍّ يصح أنْ نجعلَ الخبرَ مبتدأً، إذا كنا نجهَلُ الاسمَ ونعرِفُ الوصفَ فنُلحِقُ الاسمَ بالوصفِ ونقولُ: (المجتهد زيدٌ) .

السؤال الثاني:

ما الفرق البلاغي بين الصيغتين في الآيتين ١٧٧ و ١٨٩ ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ [البقرة:١٧٧] و﴿بِأَن تَأْتُوا۟﴾ [البقرة:١٨٩]؟

الجواب:

١ـ استعملت العربُ الباءَ لتأكيدِ النفيِ، كما استعملت اللامَ في تأكيدِ الإثباتِ نحو (ما زيد بمنطلق) و (لست بذاهب)، حيث نفيُ الانطلاقِ والذهاب، وتستعمل (الباء) عادة لتوكيد النفي، وخاصة عندما يكون النفي له قيمته .

٢ـ جاء في سبب نزول الآية ١٨٩: أنّ أهل الجاهلية إذا أحرم أحدهم نقب خلف بيته أو خيمته نقباً يدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلماً يصعد منه سطح داره ثم ينحدر، فقيل لهم: ليس البر بتحرُّجِكُم عن دخول الباب، ولكنّ البر من اتقى، أي أعلمهم أنّ تشديدهم في أمر الإحرام ليس ببِرٍّ ولكن البِرَّ من اتقى مخالفة أوامر الله، وأمرهم بترك سنة الجاهلية، فقال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:١٨٩].

لذلك جاءت الباء في قوله: ﴿بِأَن تَأْتُوا۟﴾ [البقرة:١٨٩] لتأكيد النفي في هذه المسألة، حيث كانت هذه المسألة تشدداً منهم ولم يرد الله أنْ يُشرِّعَ ذلك فأكَّد النفي بالباءِ، لأنَّ ترك المألوفاتِ أشقُّ شيءٍ على النفس.

وجاءت هذه المسألة في سياقِ الآياتِ التي تتكلَّمُ عن الحج ومناسكه بعد هذه الآية، بينما لم يأتِ مثلُ ذلك في الآية ١٧٧، فلم يتطلب الأمر التأكيد بالباء، والله أعلم.

٣ـ وكأنّ معنى الآية ١٨٩، أي: لا تجعلوا المسائل شكلية؛ لأنّ الله يريد أصل البر وهو الشيء الحسن النافع.

السؤال الثالث:

لِمَ قال سبحانه: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البقرة:١٧٧] ولم يقل: وهو يحبه، في قوله تعالى ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[البقرة:١٧٧]؟

الجواب:

تأمل كيف قال سبحانه: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ولم يقل: وهو يحبه؛ لأنّ (على) أفادت التمكن من حب المال وشدة التعلق به، فنبّه بها على أبعد أحوال التعلق بالمال، فإذا كنت في حالة

شدة حبك للمال تنفقه في سبيل الله وأنت مرتاح النفس، فكيف بك في أحوالك الأخرى؟

السؤال الرابع:

ما دلالة نصب ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ ؟

الجواب:

هذا يُسمّى القطع، والقطع يكون في الصفات أو العطف .

وإذا كان من باب الصفات فالقطع يكون للأمر المهم، ويكون القطع في الصفات مع المرفوع للمنصوب ومع المنصوب للمرفوع ومع المجرور للمرفوع، والآية موضع السؤال هي من القطع من الصفات لأهمية المقطوع.

والمقطوع يكون مفعولاً به بمعنى أَخُصُّ أو أمدَحُ ويسمى مقطوعاً على المدحِ أو الذَّمِّ، وفي الآية ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ مقطوعةٌ وهي تعني: أَخُصُّ أو أمدَحُ الصابرين، وكأننا نسلِّطُ الضَّوءَ على المقطوعِ، فالكلمةُ التي نريد أنْ نركِّزَ عليها أو نسلِّطُ عليها الضوءَ نقطَعُها.

لذلك (الصابرين): منصوبة ركّز عليها وقطع، ولم يقل: (الصابرون) بحيث تكون معطوفة على (الموفون) بل عطف على خبر (لكنَّ)؛ لأنّ الصابرين يكونون في الحرب والسلم وفي البأساء وهي عموم الشدة، والإصابة في الأموال والضرّاء في البدن والدين كله صبر، فقطع الصابرين لأهميتها.

والصبر هنا له منزلة عالية في البأساء والضراء، فنصبها إشارة إلى تخصص الصابرين وتمييزهم بين المذكورين، وتقديرا لفعل محذوف (أخصُّ الصابرين).

السؤال الخامس:

ما الفرق بين البأساء والضراء في الآية: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾؟

الجواب:

١ـ البأساء: هي البؤس والفقر والشدة والحرب والمشقة.

٢ـ الضراء: هي المرض والأوجاع في الأبدان وما يصيب الأموال أيضاً، والإصابة في الأبدان من مرض وأوجاع، والإصابة في الأموال هي من الضراء.

وهما اسمان على وزن فعلاء، ولا أفعل لهما لأنهما ليسا بِنَعتَينِ .

السؤال السادس:

ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾في الآية؟ و لَم لمْ يقل: لكن البر أنْ تؤمنوا، باعتبار أنّ البر هو الإيمان وليناسب الجزء الأول من الآية الذي أتى بالخبر مصدراً؟

الجواب:

جاء في آية البقرة ١٧٧ بالمصدر المؤول (أنْ تولوا = التولية) فافترض بعضهم أنّ يستعمل المصدر في الجزء الثاني من الآية أيضا ليتناسب مع المصدر في بدايتها، فيقول: ولكن البر أنْ تؤمنوا، وكذلك في الآية الثانية.

وفي لغة العرب يمكن أنْ يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف:٨٢]، ففيها مضاف محذوف تقديره: (واسأل أهل القرية) فحذف كلمةَ (أهل) وجعل كلمة (قرية) مكانها، وأخذت موقعها الإعرابيَّ.

فعندما يقول القرآن: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[البقرة:١٨٩] كأن هذا المتقي صار هو البِرُّ بعينه. فالبِرُّ الحقيقيُّ هو هذا الذي وصفناه بهذه الكلمة، البرُّ هو هذا الذي اتقى أو هذا الذي توفرت فيه هذه الصفات.

السؤال السابع:

ما هدف الآيتين في سورة البقرة: ١٧٧، و ١٨٩؟

الجواب:

آـ أصل الكلام في الآيتين هو قضية أيِّ قبلة أولى بالاتجاه نحوها؟ وفي أيِّ اتجاه يكون البِرُّ؟

والقرآن يريد أنْ يبين لمن يسمعه سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم ما البِرُّ الحقيقي؛ فقال: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[البقرة:١٧٧] .

ب ـ نلحظ أنه استعمل الفعل المضارع ﴿تُوَلُّوا۟﴾ بمعنى التحول والتحرك، أي: تولية الوجه، ووصف البر بأنه من تتمثل فيه هذه الصفات، وهي من الآيات الجامعة التي تبين لنا أنّ البر يكون ممثلاً كاملاً في هذا الانسان المتصف بهذه الصفات.

ج ـ وتمضي الآية تعدد صفاته:

- الإيمان بالله بكل ما يقتضيه من تطبيق ومن اعتقاد.

- ثم انتقل إلى الغيبيات من الإيمان باليوم الآخر والملائكة.

- والكتاب: ونلحظ استعمال الجنس (الكتاب) أي: جنس الكتاب.

- والنبيين: استعمل (النبيين) دون المرسلين؛ لأنّ عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، فكل رسول نبي، وليس كل نبيٍّ رسولاً.

_ ثم انتقل إلى المعاملات: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

_ ثم بين نوع الإيتاء، فهو ليس من الفرض والزكاة.

_ وبيّن الفئات التي يصلها العطاء وتستحقه، فبدأ بذوي القربى من باب حرصه على الأرحام، وثنّى باليتامى، ثم بالمساكين الذين يحتاج المرء إلى البحث عنهم ليعرفهم، وهذا من التوجيهات الاجتماعية القرآنية في الرعاية المالية، ثم ذكر ابن السبيل ليطمئن المسلم على نفسه أنّى كان، فإذا انقطع به المال فى سفر فإنّ له حقا في هذا المال، وذكر السائلين «من سأل بالله فأعطوه» فلا يبحث المرء أمحتاج هذا السائل أم لا؟ ما دام يسأل فعليَّ أنْ أعطي إنْ كنت قادراً. والسائلون ليسوا هم المساكين، ثم ختم بالرقاب.

وهذه الكلمة يثيرها بعض من لم يطلعوا على حقيقة الإسلام شبهةً ضده فيقولون: إنّ الإسلام يقر الرق ويدعو إلى العبودية، والحقيقة هي أنّ الإسلام أبقى منفذاً واحداً للرق وهو (رقيق الحرب) ثم فتح أبواباً لإخراج العبد من حالة عبوديته بالصدقات والكفارات والترغيب في العتق، وباباً آخر وهو (المكاتبة) فيحق لكل فرد من الرقيق أنْ يذهب إلى القاضي ويطلب مكاتبة سيده، فيرغمه القاضي على المكاتبة إلى أنْ يتخلص العبد من الرق، وهو من مصارف الإنفاق الطوعي ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾.

ـ ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فانتقل بعد ذلك إلى تهذيب النفس وصلتها بالله.

ـ ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهذا تأكيد على أنّ الإنفاق المالي المتقدم ليس من الفرض والزكاة، فالزكاة مال تجمعه الدولة وتتولى إنفاقه في مصارفه، أمّا المذكور سابقاً فإنفاق شخصيٌّ يختلف عن هذا، وفي أيامنا تركت دول كثيرة جمع الزكاة إلى الناس أنفسهم وهذا امتحان لهم.

د ـ الحق تبارك وتعالى اعتبر في تحقيق ماهية البر خمسة أمور؛ وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل، وقد خصّ الإيمان بهذه الأمور الخمسة؛ لأنه دخل تحتها كل ما يلزم أن نصَّدق به .

السؤال الثامن:

لِمَ قدَّمَ الملائكةَ والكتب في الذكر على الرسل؟

الجواب:

بالطبع لا علم لنا بوجود الملائكة وصدق الكتب إلاّ من خلال صدق الرسل، فكانت الرسل كالأصل في معرفة الملائكة والكتب، كما أنّ هذا الترتيب هو ترتيب الوجود الخارجي لا ترتيب الاعتبار الذهني، فقد وجدت الملائكة، أولاً ثم حصل بواسطتهم تبليغ الكتب إلى الرسل عليهم السلام.

السؤال التاسع:

لم قدّم هذا الإيمان على أفعال الجوراح مثل إيتاء المال والصلاة والزكاة؟

الجواب:

للتنبيه على أنّ أعمال القلوب أشرف عند الله من أعمال الجوارح .

السؤال العاشر:

ماذا تفيد (الواوات) من معنى في الآية ؟

الجواب:

هذه الواوات في الآية للجمع، لذلك من شرائط تمام البر أنْ تجتمع هذه الأوصاف معاً .

ولذلك قال بعضهم هذه الصفة خاصة للأنبياء عليهم السلام؛ لأنّ غيرهم لا تجتمع فيه هذه الصفات كلها. وقال آخرون: هذه عامة في جميع المؤمنين .

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة انتقال الحديث من الإفراد إلى الجمع في الآية ؟

الجواب:

نلحظ انتقال الحديث إلى الجمع، فالكلام المتقدم فردي، وقد تقدمت (مَن) وهي تحتمل الجمع والإفراد، فبدأ بالإفراد (الإيمان ـ الإنفاق الفردي من رعاية ذوي القربى واليتامى والإنفاق على المساكين، والصلاة والزكاة).

ثم انتقل إلى العمل الجماعي لأنّ (مَن) تجمع الاثنين: الإفراد والجمع، وفي العمل الجماعي ذكر:

١ـ الوفاء بالعهد، ويجوز أنْ نقول: (نحترم من يفي بعهده ـ ومن يوفون بعهدهم)؛ لأنها تصدق على الواحد والكثرة.

وقد جعل الوفاء بالعهد عاماً ليشمل وفاء المجتمع بالعهد، والفرد جزء من المجتمع، فأي فرد من المسلمين يمكن أنْ يعاهد عن بقية المسلمين، وهم جميعا ملزمون بالوفاء بعهده (**يسعى بذمتهم أدناهم**).

والوفاء بالعهد ليس سهلاً على المرء في مواطن كثيرة، إذ يصعب على النفس، وقد تشعر أن فيه هضماً لحقها، ونتذكر جميعا كيف كان المسلمون يأتون من مكة إلى الرسول ﷺ فيردهم وفاء لعهده مع المشركين في صلح الحديبية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ جاء باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للبعيد ليقول: إنّ على المسلم أنْ يسعى ليكون مثلهم ويصل إليهم وإلى هذه الصفات.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ والسؤال هنا لم جاء بالضمير (هُمُ)؟

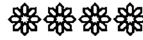
والجواب أنّ ﴿هُمُ﴾[البقرة:١٧٧] ضمير فصل يؤتى به ليميز بين الخبر والصفة، وفيه أيضا معنى التوكيد، ونفي الوصفية التي قد تفهم إنْ حذف الضمير، فأثبت لهم الخبرية توكيداً وتخصيصاً.

٣ـ جاء بعد كل الصفات المتقدمة بوصف المتقين، وهذه الصفة هي نفسها في الآية الثانية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[البقرة:١٨٩] فبدأ بكلمة التقوى للإيجاز.

والقرآن الكريم قد يجاري السائل أحيانا على طريقته في السؤال، فهؤلاء قد سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة،: ما هي؟ ما فوائدها؟ فجاء الجواب مختصراً ﴿هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩] .

وقد كان بعض الأنصار إذا رجع من الحج لا يدخل من باب الدار، وإنما يأتي من ظهرها ويدخل، فتقول له الآية: إنّ البِرَّ ليس بهذا العمل. وقد يكون الأمر من باب توجيه المجتمع المسلم إلى ألاّ يعكس الأمور بأنْ يسأل عن المسائل الصغيرة ويترك القضايا الجوهرية، فبدلاً من السؤال عن الأهلة عليهم أن يتبصروا في خلق الله عز وجل في هذا الهلال كيف يكون وكيف يصير؟

والله أعلم .



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما تفسير الآية ١٧٨ في سورة البقرة؟ وما الوجه البلاغي في هذا التقسيم؟

الجواب:

هل إذا قتل حرٌّ عبداً لا يؤخذ به؟ وإنما يقول: أعطونا ثمنه؟

نقول في كثير من الآيات ينبغي الرجوع إلى سبب النزول.

يوجد عندنا قاعدة عامة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة:١٧٩] هذه القاعدة العامة.

كان هناك ثأر بين حَيَّينِ من أحياء العرب أسلموا قبل أنْ تُفضَّ المشكلة وأحدهما كان قوياً متجبراً، فقبل أنْ يدخلوا في الإسلام كانوا يقولون - تجبرا منهم-: العبد منّا بالحرّ منهم، والمرأة منّا بالرجل منهم، حتى نصطلح وإلا فالحرب مستمرة، فلمّا دخلوا في الإسلام بقوا على حالهم وعلى قولهم، فنزلت الآية تفيد أن في القصاص حياةً، لكنّ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.

وانظروا كم من أحراركم قُتِلَ وأحرارهم قُتِلَ! هذا بهذا والفارق تدفع عنهم الدِّية، وكذلك الأمر للعبيد وللنساء حتى تحل المشكلة، لكن تبقى القاعدة عامة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ القصاص عامة .

السؤال الثاني:

ما الحكمة من بناء الفعل ﴿كُتِبَ﴾ هنا للمجهول في هذه الآية ؟

الجواب:

الأمور المستكرهة يبنيها ربُّنا للمجهول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة:١٨٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾[البقرة:١٧٨] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦] .

لذلك نرى أنه في الأشياء الصعبة المستكرهة والمشقة يُبنى الفعل للمجهول مع أنه كله بقدر الله عز وجل، لكنْ لا ينسبه لنفسه، وهذا خط عام في القرآن.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ أي: فُرض بسبب قتل القتلى؛ لأنّ الحرف (في) قد يستعمل للسببية؛ كقوله ﷺ «**في النفس المؤمنة مائة من الإبل**» والقصاص ليس بفرض، بل الوليُّ مخيرٌ فيه بل مندوب إلى تركه.

والمراد هنا أنه فُرِضَ على القاتل التمكين، لا أنه فرض على الولي الاستيفاء.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾؟ ولِمَ عُدّيَ الفعلُ باللام؟ وما دلالة لفظة شيء منكرة؟

الجواب:

آ ـ المعنى: فمن له من أخيه شيء من العفو.

ب ـ إنْ قيل: إنَّ (عُفِيَ) يتعدَّى بـ (عن) وليس بـ(اللام) فما وجه (فمن عفي له)؟

والجواب: أنه يتعدى بـ (عن) إلى الجاني وإلى الذنب، فيقال: عفوت عن فلان أو عن ذنبه، كما قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾.

فإذا تعدى إلى الذنب، قيل: عفوت عن فلان عما جنى، كما تقول: عفوت له عن ذنبه، فكأنّ معنى الآية (فمن عفي له من جنايته)، فاستغنى عن ذكر الجناية.

ج - لِمَ قيل (شيء) من العفو؟

والجواب: أنه إذا كان الحق يتألف من القود والمال، كان له أنْ يعفو عن القود دون المال، وله أنْ يعفو عن الكل فناسب ذكر (شيء) أي: جزء من العفو.

السؤال الخامس:

بأي معنى أثبت الله وصف الأخوة؟

الجواب:

هو أحد الاحتمالات التالية:

- الآية نازلة قبل أنْ يقتل أحد أحداً والمؤمنون إخوة قبل الإقدام على القتل.
- الفاسق يتوب ويكون ولي المقتول أخاً له.
- في النسب: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[الأعراف:٦٥].
- ليعطف أحدهما على الآخر.
- الله أثبت الأخوة على الإطلاق بين المؤمنين بدون تقييد بزمان أو مكان.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ وما إعراب ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾؟

الجواب:

آـ قوله ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فحكمه اتباع، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره: فعليه اتباع المعروف.

ب ـ على العافي الاتباع بالمعروف بألا يشدد بالمطالبة، فإنْ كان معسراً فالنظرة إلى ميسرة، وعلى المعفوِّ عنه أداء بإحسان.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هذا الحكم تخفيف في حقكم؛ لأنّ العفو وأخذ الدية محرمان على أهل التوراة، والقصاص مكتوب عليهم البتة، والقصاص والدية محرمان على أهل الإنجيل والعفو مكتوب عليهم، وهذه الأمة مخيرة بين القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيراً.

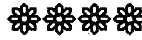
٢ـ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ المراد: أنْ لا يقتل بعد العفو والدية، أو يقتل غير قاتله أو أكثر من قاتله، أو طلب أكثر مما وجب له من الدية، ويجب أنْ يحمل على الجميع لعموم اللفظ.

السؤال الثامن:

ما فائدة تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨﴾ خصّصه بتقديم الجار والمجرور، ونوع خاص من العذاب الأليم، قال النبي ﷺ «**لا أعافي أحداً قَتَلَ بعد أخذ الدية**» والله أعلم .



﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩ ﴾

السؤال الأول:

ما القيمة الفنية لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ ؟

الجواب:

آـ هذه الآية فيها مقالات طويلة حتى كتب مصطفى صادق الرافعي مقالة بعنوان «كلمة مؤمنة في الرد على كلمة كافرة» حيث إنّ بعضهم قال إنّ العرب تقول: (القتل أنفى للقتل)، فكتب في الفرق العظيم بين قولهم (القتل أنفى من القتل) التي فيها دماء، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[البقرة:١٧٩] التي فيها حياة، والسيوطي ذكر عشرين فرقاً في كتابه «المزهر في اللغة» والرافعي زاد عليه.

ب ـ الآية بتمامها: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البقرة:١٧٩] . وكلمة القِصاص مأخوذة من فعل: قصّ يقصّ، وفي الأصل القصّ هو القطع، أوالقصّ هو تتبّع الأثر تحديداً، والأثر قد يكون خطاً ومنه قصّ الثوب؛ لأنّ الثياب لم تكن تُقصّ إلا بعد أنْ يوضع عليها خط أين يقصّ، والذي يقص بالمقص هو يتتبع أثراً، والقِصاص من قصّ يقص قِصاصاً ومقاصّة.

ج ـ القِصاص لكم فيه حياة، أي: حياة للمجتمع، وكلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ جاءت نكِرة فأخّرها على سُنّة العرب في كلامها، والإسلام يريد مجتمعاً هانئاً، آمناً فذكر القِصاصَ.

د ـ أما مقولة (القتل أنفى للقتل) فهذه مقولة عربية يوازنوها أحياناً بـ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩]، ولكن عندما ندقق في الآية نجد سُمُوَّ التعبير ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة:١٧٩] .

أما (القتل أنفى للقتل) فيقول بعضهم: إنها كلمة جاهلية، وحتى لو كانت جاهلية فإنها تحمل رائحة الدم، وليس فيها رائحة بناء المجتمع.

وأما كلمة ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فهي كلمة موجزة، والقصاص فيه حياة للمجتمع، القصاص لم يحدد القتل وإنما هو عدالة، وعندما تقول (قصاص)، أي: أنت تتتبّع الذي فعله المخالِف فتقصّ فعله حتى تعاقبه بمثل فعله، واختصرت بكلمة (قصاص) مهما كان الشخص الذي قتل حاكماً أو سيداً في قومه فيقتل وحده، وبعد ذلك رُخِّص للمسلمين بقبول المقابل أو العدل، والدية هي مقابل القتل.

مقولة (القتل أنفى للقتل) مقولة تتكلم فقط عن القتل، بينما القصاص شامل ذكر كل هذه الأشياء، فضلاً عن أنّ كلمة (القتل أنفى للقتل) كما يقول علماؤنا: خطأ؛ لأنه ليس دائماً القتل ينفي القتل، ففي بعض الأحيان القتل يجلب قتلاً (قتل الظلم، قتل التعدّي) كما يقولون: (ومن يظلم الناس يُظلَم) وليس هكذا مفهوم الإسلام.

هـ - ثم كلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ نكرة، والنكرة لها في كل موضع معنى، وفي هذه الآية معناها حياة نبيلة، عظيمة، قيّمة، وعندما نسمع السياق نجده يعطي معنى الحياة السعيدة الهانئة، حياة صِفُوها بما شئتم من أوصاف الخير.

ولاحظ كيف بيّنت هذه الآية على وجازتها حكمة القصاص بأسلوبٍ لا يُبارى وعبارة لا تُحاكى، وكيف نُكِّرت كلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ فلم يقل (الحياة) إشعاراً أنّ في هذا القصاص نوعاً من الحياة لا يبلغه وصف.

ولكن كيف يكون القصاص حياة وهو قتلٌ للقاتل؟

الجواب: أنه إذا عَلِم القاتل أنه سيُقتل فلا شك أنه سيمتنع عن القتل، وهذا يصون النفس من القتل ويحمي القاتل، فكان القصاص حياة للنفسَينِ وهذا يؤدي إلى إحياء البشرية بأسرها.



﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمالي الفعل (حضر) و(جاء) مع الموت ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة: ١٣٣.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال (إذا) فى الآية؟ وما الفرق في الاستعمال بين (إذا) و (إن)؟

الجواب:

(إذا) تستعمل فيما هو كثير وفيما هو آكد وفيما هو واجب، و(إنْ) لما هو أقلّ في عموم الشرط وقد يكون مستحيلاً وقد يكون قليلاً، وتفصيل ذلك:

١ـ (إنْ): تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

شواهد للمعاني المشكوك في حصولها:

﴿ وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] .

شواهد للمعاني المحتملة:

﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ [البقرة:١٩١] .

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة:٢٣٠] .

﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة:٦] .

شواهد للمعاني المستحيلة:

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف:٨١] .

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الرحمن:٣٣] .

شواهد للمعاني المفترضة: القصص ٧١ .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القصص:٧١] .

٢ـ ﴿إذا﴾: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع كما في الآيات:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [البقرة:١٨٠] .

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ [النساء:٦] .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ [الجمعة:١٠] .

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء:٨٦] .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

شواهد إضافية: [آل عمران٢٥ ـ المائدة ٢ـ الأعراف ٣٤ـ التوبة ٥ـ النور٥٩ـ البقرة ٢٨٢ـ يونس١٢].

٣ـ شواهد مشتركة تتضمن(إذا وإنْ) معاً:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة:١٨٠] .

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٦] .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴾ [البقرة:٢٣٩]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ [البقرة:٢٨٢]

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء:٢٥].

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [التوبة:٥] .

شواهد إضافية: [المائدة٦ـ الأعراف١٣١ـ الروم ٣٦ـ البقرة ٢٣٩ـ النساء ١٠١ـ البقرة ٢٢٩ـ ٢٣٠ـ ٢٣١ـ الرعد٥].

٤ـ ملاحظات عامة:

أـ (إذا) و(إنْ) من أدوات الشرط .

ب ـ وردت (إذا) في القرآن الكريم في أكثر من (٣٦٢) مرة، لم ترد في موضع واحد غير محتمل الوقوع، بل هي كلها إمّا مقطوع بوقوعها أو كثير الوقوع، بخلاف (إنْ).

ولّما كانت (إذا) تفيد الجزم بالوقوع، غلب معها الفعل الماضي، لكونه أدل على الوقوع، باعتبار لفظه، بخلاف (إنْ) التي تستعمل في المعاني المحتملة، والمشكوك فيها، فإنه غلب معها الفعل المضارع .

وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم ـ شرطية وظرفية ـ في أكثر من

(٣٦٢) مرة، منها (١٨) فقط ورد معها الفعل المضارع، بينما ورد الفعل الماضي مع البقية .

ج ـ إذا كان فعل الشرط ماضياً فإنه يفيد افتراض حصول الحدث مرة أو وقوعه جملة، في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد تكرار الحدث، أو يفيد تطاول الحدث .

د ـ وقد وردت (إنْ) في القرآن الكريم في حوالي (٥٥٤) مرة . والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما إعراب كلمة ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾[البقرة:١٨٠] في هذه الآية؟

الجواب:

الوصيةُ: نائب فاعل مرفوع .

السؤال الرابع:

كيف عطف الأقربين على الوالدين، وهما أقرب المقربين والعطف يقتضي المغايرة ؟

الجواب:

الوالدان ليسا من الأقربين؛ لأنّ القريب من يدلي إلى غيره بواسطة كالأخ والعم ونحوهما، والوالدان ليسا كذلك، وحتى لو كانا منهم لكان تخصيصهما بالذكر لشرفهما، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[البقرة:٩٨] .



﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

السؤال الأول:

خُتمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ وخُتمت آية البقرة ١٨١ بقوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

ختم الآية: ١٨١ بالسمع والعلم لما قال قبلها: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ [البقرة:١٨١] ليكون مطابقاً.

وختم الآية ١٨٢ بالمغفرة والرحمة لما قال قبلها: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ ليطابق المعنى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَنَفًا﴾ أي: مَيلاً، فما كلمات منظومة الجنح في القرآن الكريم ؟

الجواب:

هذه هي مجموعة جَنَحَ، وتشمل كل أنواع المَيل، وكلها صغائر تدل على أنّ الفعل المحرم لم يُرتكب:

١- جنح:

هي بداية الميل في الغالب وليس ميلاً كاملاً. الأنفال: ٦١.

٢- زاغ:

هو الميل من الصواب إلى الخطأ، والزيغ هو النقص في الصواب.

٣- جنف:

خاص بالحكم عندما يكون قاضياً فيميل عن الحق قليلاً، مثل أنْ يميل قلب الأب إلى الذكور وليس هو الحكم بالظلم. البقرة: ١٨٢.

٤- حنف:

ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران:٦٧] وحنفاء، أي: ليس لديهم أي ميل للشرك، وهو عكس الزيغ.

٥- راغ:

هو ميل لكنْ لاحتيال ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] من باب اللياقة وإكرام الضيف بأنْ يميل المضيف إلى أهله بطريقة خفية حتى يهيأ الطعام لضيفه .

٦- عدل:

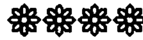
عَدَلَ بمعنى مال مع اعترافه بأنّ ميلَه ليس صحيحاً ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل:٦٠].

٧- زلّ:

ميل مرغم عليه ولا يقصده، كما يقال في زلة اللسان أو زلة القدم ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة:٢٠٩] .

٨- ألحد:

هو الميل إلى كتمان الحق وهو أخطر أنواع الميل، والملحد هو الذي مال إلى كتمان التوحيد. الأعراف: ١٨٠.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما موقع آيات الصيام كما جاءت في سياقها في القرآن الكريم ؟

الجواب:

آيات الصوم وقعت بين آيات الشدة وذكر الصبر وما يقتضي الصبر قبلها، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة:١٧٧] والصوم نصف الصبر كما في الحديث، والصبر نصف الإيمان، وتقدّمها أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[البقرة:١٧٨] وهذه شدة وتحتاج إلى صبر وقبلها ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[البقرة:١٨٠] هذه شدة وتحتاج إلى الصبر.

وبعدها آيات القتال:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[البقرة:١٩٠].

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[البقرة:١٩١].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة:١٩٣].

الصوم من المشاق، والقتال من المشاق، والقتال يقتضي الصبر، والصوم نصف الصبر.

وبعدها ذكر آيات الحج؛ لأنّ الحج يقع بعد الصيام، وبعد شهر رمضان تبدأ أشهر الحج، فذكر ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

ثم ذكر المريض في الحج، كما ذكر المريض في الصوم، وذكر الفدية في الحج، ومن الفدية الصيام ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] إذن موقع آيات الصيام تقع بين آيات الصبر وما يقتضي الصبر وعموم المشقة.

السؤال الثاني:

كيف كان الصوم في البدء قبل مشروعية شهر رمضان ؟

الجواب:

حسب قول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى رحمة واسعة: إنّ مشروعية الصوم بدأت بالأيام المعدودة وهي: ثلاثة أيام من كل شهر، وهو اليوم العاشر والعشرون والثلاثون، وكان الإنسان مخيراً في تلك الأيام المعدودة، إنْ كان مطيقاً للصوم أنْ يصوم أو أنْ يفتدي.

أمّا حين شرّع الله الصوم في رمضان، فقد أصبح الصوم فريضة تعبدية وركناً من أركان الإسلام، وبعد ذلك جاءنا الاستثناء للمريض والمسافر.

وكلمة (رمضان) تدل على الحرارة والقيظ، وكان الناس حينما أرادوا أن يضعوا أسماء للشهور جاءت التسمية لرمضان وقتَ كان حاراً، فسمَّوه رمضان، كما سموا ربيعاً الأول وربيعاً الآخر عندما كان الزمان متفقاً مع وجود الربيع، وعندما سمَّوا جمادى الأولى وجمادى الآخرة، عندما كان الماء يجمد في تلك الأيام.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ والفعل (كُتب) مبني للمجهول وجاء مع ﴿عَلَيْكُمُ﴾ تحديداً، مع أنه ورد في القرآن ﴿كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ﴾[التوبة:١٢٠] ؟

الجواب:

آ ـ نلاحظ في قول ربنا تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة:١٨٣] أنه ناداهم بنفسه ولم يقل: (قل يا أيها الذين آمنوا) فيكلف الرسول بخطابهم، وإنما ناداهم مباشرة؛ لأهمية ما ناداهم إليه؛ لأنّ الصيام عبادة عظيمة قديمة كتبها تعالى على من سبقنا فنادانا مباشرة، ولم ينادنا بالواسطة.

واستعمال ﴿كُتِبَ﴾ فيه شدة ومشقة وما يستكره من الأمور عموماً، ولذلك عندما يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾يكون أمراً فيه شدة ومشقة وإلزام، وفي أمور مستثقلة .

ومن معاني (كتب): ألزم ووجب وفرض، مثلاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ﴾[البقرة:١٧٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾[البقرة:٢١٦]، وفيه شدة .

ب ـ أما (كُتب له) فهو في الخير، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾[البقرة:١٨٧] . وأما (كُتِب عليكم) ففيه شدة ومشقة وإلزام، والصوم مشقة يترك الطعام والشراب والمفطرات من الفجر إلى الليل ففيه مشقة؛ لذا لم يقل (لكم).

ج ـ وبناء الفعل للمجهول (كُتِب)؛ لأنّ في الصوم مشقة وشدة؛ ولأنّ الله تعالى يظهر نفسه في الأمور التي فيها خير، أمّا في الأمور المستكرهة وفي مقام الذم أحياناً يبنى للمجهول مثل ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحُجُرات:٧] بينما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤] بصيغة الفعل المبني للمجهول للأمور التي فيها شر، ومثلها: (آتيناهم الكتاب وأوتوا الكتاب) ففي مقام الذم يقول: أوتوا الكتاب مطلقاً، وفي مقام الخير يقول: آتيناهم الكتاب.

د ـ ولمّا كان هناك مشقة في الصوم على عباده قال: كُتب، ولم يقل: كتبنا. وأمّا في الأمور التي فيها خير ظاهر فيظهر نفسه، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢].

ـ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف:١٥٦] هذا خير.

ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة:٤٥] هذه فيها إلزام لهم، كتب على بني إسرائيل الأمور التي شددها عليهم، وشدد عليهم لأنهم شددوا على أنفسهم.

هـ ـ وحرف الجر يغير الدلالة وأحياناً يصير نقيضها، مثل: رغب فيه: يعني أحبّه، ورغب عنه: يعني كرهه. وضعه عليه: يعني حمّله، ووضعه عنه: أي أنزله.

السؤال الرابع:

ما دلالة استخدام (الصيام) لا (الصوم)؟

الجواب:

هذا من خصائص التعبير القرآني؛ إذ لم يستعمل الصوم في العبادة وإنما استعمله في الصمت فقط، قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:٢٦] .

والصوم هو الإمساك، والفعل صام يصوم صوماً وصياماً كلاهما مصدر، وربنا استعمل الصوم للصمت وهما متقاربان في اللفظ والوزن (الصوم والصمت) واستعمل الصيام للعبادة لسببين:

آـ المدة أطول (صيام).

ب ـ والمتعلقات أكثر من طعام وشراب ومفطرات فهو أطول، فقال: صيام، ولم يستعمل الصوم في العبادة.

وهذا من خواص الاستعمال القرآني، يفرد بعض الكلمات أحياناً بدلالة معينة؛ كما ذكرنا في الرياح والريح، وفي الغيث والمطر ،وفي وصّى وأوصى، ومن جملتها: الصوم والصيام.

و في الحديث الشريف القدسي وغيره يستعمل الصوم والصيام للعبادة نحو: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»، « **الصوم نصف الصبر**» لكنْ من خواص الاستعمال القرآني أنه يستعمل الصيام للعبادة.

السؤال الخامس:

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب:

آـ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ وهذا يدل على علوِّ هذه العبادة وعظمتها، وربنا سبحانه وتعالى كتب

هذه العبادة على الأمم التي سبقتنا ومعناها أنّ الصوم عبادة عظيمة ونحن لا نعلم كيفيتها، لكنْ كان الصيام موجوداً.

ب ـ ثم تدل الآية على الترغيب في هذه العبادة لأهميتها، فبدأ بها تعالى في الأمم السابقة؛ لأنّ الأمور إذا عمّت هانت، فالصيام ليس بِدعاً لكم وإنما هو موجود في السابق، فإذن هذا الأمر يدل على أهمية تلك العبادة، ويدل على تهوينها، حيث إنها ليست لكم وحدكم وإنما هي مسألة قديمة، فهي كما كتبت عليكم كتبت على الذين من قبلكم.

ج ـ كلمة ﴿تَتَّقُونَ﴾ أطلقها ولم يقل: (تتقون كذا)، على نحو ما قال (اتقوا النار) أو (اتقوا ربكم) فيحتمل أشياء مرادة .

أمّا إطلاق ﴿تَتَّقُونَ﴾ فتعني:

١ـ أنكم تتقون المحرمات وتحذرون من المعاصي؛ لأنّ الصوم يكسر الشهوة ويهذبها ويحُدّها كما في الحديث الشريف «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**».

٢ـ وتتقون المفطرات والإخلال بأدائها، أي: تحفظون الصيام وتتقون الإخلال بأشياء تؤدي إلى ذهاب الصوم .

٣ـ لعلكم تتقون، تحتمل تَصِلُون إلى منزلة التقوى وتكونون من المتقين، فإذن فيها احتمالات عديدة، وهي كلها مُرادةٌ.

٤ـ وضمن آيات هذا السياق للصيام تكرر ذكر التقوى والمتقين، قال تعالى:

- ﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧].

- ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾[البقرة:١٧٩].

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾[البقرة:١٨٠].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[البقرة:١٨٣].

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة:١٨٧].

- ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾[البقرة:١٩٤].

٥ـ لذلك نرى أن التقوى تكررت في السياق وهي مناسبة لأول السورة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢﴾[البقرة:٢].

وفي عموم السورة إطلاق التقوى، وسورة البقرة ترددت فيها التقوى ومشتقاتها ٣٦ مرة. والتقوى فِعلها: (وقى) وقى نفسه، أي: حفظ نفسه وحذر، أي: احفظوا أنفسكم من الأشياء التي ينبغي أنْ تبتعدوا عنها.

وقسم يقول: إنّ التقوى هي ألا يراك الله حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك، يعني الابتعاد عن المحرمات والانهماك في الطاعات، هذه هي التقوى، وقد جاءت التقوى في سورة البقرة على الإطلاق، ومنها قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ يعني: تتقون أيَّ شيء عموماً.



﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ لماذا (معدودات) وليس (معدودة) ؟

الجواب:

في الجواب أمران:

آ ـ الجمع في غير العاقل: (معدودات) تدل على القلة و(معدودة) تدل على الكثرة، هذا هو القياس في اللغة، وفي غير العاقل المفرد يدل على الكثرة، والجمع يدل على القلة، كما في قولهم: الجذوع انكسرت (الجذوع كثرة فاستعمل انكسرت بالمفرد) والأجذاع

انكسرن (الأجذاع قِلّة فاستعمل انكسرن بالجمع) وفي الآية ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[التوبة:٣٦] حيث لمّا قال: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ استعمل المفرد مع القلة فقال: ﴿مِنْهَآ﴾؛ وذلك لأنها أكثر من عشرة .

ولمّا قال: ﴿أَرْبَعَةٌ﴾ استعمل الجمع فقال:﴿فِيهِنَّ﴾ للقلة ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

ب ـ جمع القلة يكون من واحد إلى عشرة. وأمّا في الآية فقالوا: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ تقليلاً لهن تهويناً للصائم، وقسم يقول: إنها في أول فرض العبادة كانت ثلاثة أيام في كل شهر ولم يبدأ بالشهر كاملاً، ثم نُسِخ وجاء شهر رمضان فبدأت معدودات، ثم قال: شهر رمضان بعد هذه الأيام.

و(المعدودات) تدل على القلة (حتى العشرة) و(معدودة) أكثر من عشرة، وقوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ما اليوم؟ المشهورأن الأيام بمقابل الليالي، قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة:٧] . ونصبت (أياماً) على الظرف أو بإضمار؛ أي صوموا أياماً .

ج ـ وإذا رجعنا إلى كتب التاريخ عند العرب نجد أنها تؤرخ بالليالي (لثلاث خلون، لأربع خلون) ويأتي بها بالجمع، أمّا (لإحدى عشرة ليلة خلت) يأتي بها بالمفرد؛ لأنها

تدل على الكثرة، حتى في العدد نقول: ثلاثة رجال، عشرة رجال، أحد عشر رجلاً، مائة رجل، مليون رجل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ لماذا ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ؟

الجواب:

يقال: لأنه أباح للمتهيىء للسفر أنْ يفطر إذا اشتغل بالسفر قبل الفجر، وقوله تعالى ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: لم يسافربعد وإنما هو متهيىءٌ للسفر، مثل قوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[البقرة:٢٨٣] أي: تتهيئون، فقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لا تعني أنه سافر بالفعل، وكثير من الفقهاء قالوا: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: أباح للمتهيِّء للسفر الفطر وإنْ لم يكن مسافراً، وقالوا: لو كان قال: (للمسافر) عندها لا يحق الإفطار لمن تهيأ للسفر؛ لذا قال: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ومعناه أنه أباح للمتهيِّء للسفر أنْ يفطر.

السؤال الثالث:

ما معنى كلمة ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ في الآية؟

الجواب:

كلمة ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ فيها كلام متعددٌ:

آـ قسم قال: المقصود به هو في بدء فرض الإسلام للصيام، أي عند بداية الفريضة؛ لأنهم لم يكونوا متعودين على الصوم، فمن شاء صام ومن شاء فدى في زمن الرسول ﷺ، ولمّا نزلت هذه الآية كأنهم فهموا أنهم مخيّرون بين الصوم والإفطار.

ب ـ وقسم قال: هذه الآية نسخت؛ لأنهم كانوا فعلاً في أول الإسلام مخيرين، فمن شاء يفطر ويفدي ومن شاء يصوم.

ج ـ وقسم قال: أطاق، أي: تكلَّفه بمشقة وصعوبة، وتكون الهمزة للسلب، يعني: سلبت طاقته وجهده، والفعل الثلاثي (طاق) أي: تحمل، والفعل (أطاق) فيه همزة السلب، أي: سلب طاقته.

د ـ الفدية مرهونة بعدم الصيام، وعدم الصيام هو أحد أمرين:

١ ـ إذا كان كما يقولون إنه في أول الإسلام كان المسلمون مخيرين في الإفطار ودفع الفدية أو الصوم، والصوم خير .

٢ـ وإنْ كان غير ذلك، فالهمزة للسلب تبقى على دلالتها وليست منسوخة، وهي للذي لا يستطيع أنْ يصوم؛ لأنّ الصوم يسلب طاقته بحيث لا يتمكن من الصوم، فربّ العالمين رخصّ بالفدية للشيخ الكبير الهِرم، والمريض الذي لا يرجى شفاؤه.

وعندها تبقى الآية على دلالتها مستمرة ليس فيها نسخ إذا جعلت للسلب، ويبقى الحكم عاماً سارياً إلى يوم القيامة.

ولا شك أنّ الصيام أفضل لقوله تعالى ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (أطاق وقدر واستطاع) ؟

الجواب:

١ـ الفعل (قدر) تعني أنّ الإنسان يقوم بالعمل دون أي جهد وأنّ العمل عليه سهل، ولذلك وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قدير؛ لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

شواهد قرآنية:

آيات: [البقرة ١٤٨ـ الأنعام ٣٧ ـ النحل ٧٧ ـ الإسراء ٩٩].

٢- الفعل (استطاع) مشتق من الاستطاعة وهي أنْ تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أنْ تدخر منه شيئاً أو تتكلف أي جهد إضافي.

شواهد قرآنية:

آيات: [آل عمران ٩٧ ـ الأنفال ٦٠].

٣ ـ الفعل (أطاق) من الطاقة وهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد، أي: يقوم بالعمل ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء .

شواهد قرآنية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦].

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الفاء والواو في آيات البقرة: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة:١٨٤] ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة:١٥٨]؟

الجواب:

١ـ الفاء للتعقيب وتأتي للسبب كقولك: درس فنجح، وأمّا الواو فهي لمطلق الجمع ولا تدل على ترتيب أو تعقيب.

٢ـ جاء في الآية ١٥٨ ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾بالواو، وجاء في الآية ١٨٤ ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾بالفاء.

والسبب أنّ الأولى في الحج والعمرة ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾أي: جاء بعبادة أخرى كطواف آخر أو حج آخر، فهي طاعة مستحدثة إضافية فناسبها الواو.

وأما الآية الثانية ١٨٤ فهي في الصوم فكيف يتطوع؟ أي: يزيد في الفدية في نفس المسألة وفي نفس الطاعة، فهي ليست طاعة مستحدثة، فناسبها الفاء .

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾بأنْ زاد على القدر المذكور، أو فعل أكثر من المطلوب؛ بحيث يُطعم مسكينَين أو أكثرَ، أو يجمع بين الصيام والفدية أوبين الإطعام والصيام.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾يعني أيها الأصحاء أنْ تصوموا خير لكم، ملتفتاً من ضمير الغائب في ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ إلى المخاطب ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٣ـ كان يمكن أنْ يقال في غير القرآن: (وأن يصوموا)، لكنه تحوّل من الغيبة إلى الخطاب لئلا يخص المرضى والمسافرين؛ لأنه لو قال: (لو يصوموا خيراً لهم) لكان هذا يخص المرضى والمسافرين ويتداخل مع قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لكنّ قوله تعالى (وأن تصوموا خير لكم) أعم، وكل من هو مرخص له بالإفطار إن صام فهو خير له، وليس لهؤلاء فقط وإنما أيضاً إذا صح الكلام أنهم في أول الصيام كانوا مخيرين بين الفدية والصيام قبل أنْ يفرض شهر رمضان، فإنهم يدخلون تحت هذا الحكم ؛ أي أن الجميع يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ولو قال: (وأن يصوموا) لكان يخص المرضى والمسافرين فقط، بينما لما قال:﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ شمل الجميع المرخّص لهم وغيرهم وليس خاصاً بالمرضى والمسافرين، لذلك كان هذا الالتفات للجمع وهذا اسمه التفات في الخطاب.

السؤال السابع:

ما دلالة استخدام أداة الشرط (إنْ) هنا ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؟

الجواب:

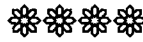
تأمل كيف جاء أسلوب الشرط مستخدماً (إنْ) التي تفيد التشكيك والتقليل، ولم يستخدم (إذا) التي تفيد الجزم والتحقيق، وفي ذلك إشارة إلى أنّ علمك أيها المؤمن بفوائد الصيام في الدنيا والآخرة عِلمٌ غير محقق؛ لأنّ فوائده خفية وأسراره قد لا تتوصل إلى معرفتها، ولذلك يرغّبك في هذه العبادة حتى لو لم تدرك فوائدها إدراكاً كاملاً.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] وكلمة (طعام) بدل من (فدية) فهل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب:

للبدل عدة أغراض؛ منها أنْ يكون للإيضاح والتبيين، كما في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة:١٨٤] فطعام مسكين إيضاح للفدية.



﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

المطلوب إعطاء فكرة عامة عن الآية .

الجواب:

الملاحظ أنه تعالى ذكر الفريضة أولاً، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة:١٨٣] ولم يحدد وقتاً ولا مدة وإنما ذكر الفريضة، ثم بعدها ذكر الأيام مبهمة فقال: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾[البقرة:١٨٤] ولم يُحّددها، ثم بيّن بقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾[البقرة:١٨٥] فيما بعد، والآن تعيّن الوقت للصيام وحدّد وأصبحت الفريضة هي صيام شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، أي: الذي ابتدأ فيه نزول القرآن من اللوح المحفوظ جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل منجماً فيما بعد على مدى ثلاث وعشرين سنة.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ؟

الجواب:

في ذلك دلالتان:

آ ـ إمّا ما ذكرناه آنفاً، أي: ابتداء إنزال القرآن فيه .

ب ـ أو أنزل في شأنه القرآن، أي: في تعظيمه.

إذن فيها دلالتان أنه نزل فيه وأنه أُنزل في شأنه القرآن، وهو من باب تعظيم هذا الشهر، والاحتمالان مرادان، ولمّا قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾﴾[القدر:١] أي: أنزلناه في ليلة القدر وأنزل في تعظيمها قرآن، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] يعود الضمير (فيه) على الشهر كله .

السؤال الثالث:

لِمَ لمْ يقل ربنا مثلاً: (أنزلنا فيه القرآن) كما قال في آية الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[الحديد:٢٥] ؟

الجواب:

لم يقل: (أنزلنا فيه القرآن)؛ لأنه يتكلم عن شهر رمضان، وليس على مُنزِل القرآن، ولو قال: (أنزلنا) يكون الكلام عن الله سبحانه وتعالى وليس عن الشهر، ولو قال: (أنزلنا) يعود الكلام إلى ضمير المتكلم، لكنه يريد الكلام عن الشهر تعظيماً لهذا الشهر.

بينما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾[الحديد:٢٥] تعظيماً لله تعالى وعظمته والنعمة التي أنعمها على خلقه.

وكما قال تعالى في آية فصلت ٤٢: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ أنزل إليك ثم قال: من لدن حكيم حميد؛ لأنّ الكلام عن الكتاب ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾[فُصِّلَت:٤١] وفي تعظيم الكتاب، وليس عن الله سبحانه وتعالى.

والفعل في آية البقرة ١٨٥ مبني للمجهول ﴿أُنزِلَ﴾ [البقرة:١٨٥] والفاعل مُضمر محذوف ليس له ذكر؛ لأنّ سياق الكلام عن شهر رمضان.

السؤال الرابع:

في الآية قبلها قال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهذا جمع قلة، والشهر ثلاثون يوماً، وجمع القلة حتى العشرة فكيف نفهمها؟

الجواب:

يجوز من باب البلاغة للتكثير وضع أحدهما مكان الآخر كما يستعمل القريب للبعيد والبعيد للقريب، لكنْ ذكرنا أنّ هنالك أمرين:

آـ الأمر الأول أنه تهوين الأمر على الصائمين بأنه شهر، أياماً معدودة وهو لا يقاس بالنسبة للأجر، فأنت تصوم هذه الأيام وهي قليلة جداً بالنسبة لأجر الله العظيم وما سيعطيك ربك من فضله مقابل ثمن قليل من أيام الصوم؛ فهي معدودات.

ب ـ ومن ناحية قالوا: إنّ الصيام كان فعلاً ثلاثة أيام في الشهر ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وكان مخيراً بين الفدية والصيام، فإذن كان فعلاً أياماً معدودات (ثلاثة أيام).

إذن تؤخذ من باب التهوين، وأنها قليلة بالنسبة لما سيعطيك الله تعالى، فهي قليلة، وبالتالي هي هينة على الصائم.

السؤال الخامس:

ما إعراب كلمة ﴿هُدًى﴾ في الآية ؟

الجواب:

هناك احتمالان:

حالٌ، أي: هاديا للناس، أو مفعول لأجله، أي: لأجل هداية الناس. والمفعول لأجله لايشترط أنْ يسبق بلام، وإنما هذا معنى المفعول لأجله كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٤] لم يقل: لابتغاء مرضاة الله، ليس فيها لام ولكنْ هي في المعنى هكذا.

ـ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[البقرة:١٩] من الحذر، و﴿حَذَرَ﴾ مفعول لأجله.

والمفعول لأجله بيانُ عِلّةِ الفعل وسبب حدوثه، أي: السبب الذي من أجله حدث الفعل، كما تقول: أدرس طلباً للنجاح .

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾هذه الهداية غير موجودة لولا القرآن، فلولا القرآن لم تكن هنالك هداية، فإذن هي ابتغاء علة لم تكن حاصلة، لكنْ بالقرآن يحصل هذا الأمر.

ولذلك لفظة ﴿هُدًى﴾ إمّا حال وإما مفعول لأجله، وبهذه الطريقة يجمع معنيين معنى الحالية ومعنى المفعول لأجله، ولو أراد الحالية فقط لقال: (هادياً للناس).

السؤال السادس:

ما الفرق بين (هادياً) و(هدى)؟

الجواب:

هادياً: اسم فاعل، وهدى مصدر، وهناك فرق كبير بينهما، حتى لو كان التنصيص على الحاليّة في كليهما .

وهناك فرق بين المصدر واسم الفاعل، أي: هناك فرق كبير بين (أقبل راكضاً) و(أقبل ركضاً) وكلتاهما حال، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ [الأنفال:١٥] ما قال: (زاحفين) هذه حال، وكما في قوله تعالى أيضاً: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة:٢٦٠] لم يقل: (ساعيات) مع أنها حال، لكن لماذا اختار المصدر؟

والجواب أنّ اسم الفاعل يدل على الحدث وذات الفاعل، فعندما تقول: قائم، فهذا يدل على القيام مع الشخص الذي اتصف به، إذن (قائم) فيها شيئان: الحدث وهو القيام، وذات الفاعل .

لكن (القيام) هو المصدرالمجرد، ليس فيه نفس الارتباط الذي مع اسم الفاعل، وعندما تقول: أقبل راكضاً، راكضاً يدل على الحدث وصاحب الحدث، أمّا: أقبل ركضاً، فقد تحوّل الشخص إلى مصدر، هو صار ركضاً.

و هذا ليس قياساً عند الجمهور، مع أنه يقع كثيراً.

وربنا تعالى لما ذكر إبراهيم في قوله ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[البقرة:٢٦٠] قال (سعيا) وما قال: (ساعيات)؛ لأنه ليس فيهن شيء يُثقِلُهن من المادة؛ إنهن يتحولن من أقصى الهمود إلى حركة، أي: هنّ أصبحن سعياً، ولو قال: ساعيات فهذا يعني فيها صفة من الصفات ففيها الحدث وصاحب الحدث،و هناك فرق بين (أقبل ماشياً) و (أقبل مشياً) ليس فقط ماشياً، وإنما تحوّل إلى مشيٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى﴾[البقرة:١٨٥] يذكرون في الإخبار بالمصدرعن الذات أوالعكس أوالوصف، فتقول: (محمد ساعٍ) هذا أمر عادٍ، لكنْ (محمد سَعْيٌ) هذا لا يجوز إلاعلى ضرب من التجوُّزِ، أي: محمد تحوّل إلى سعيٍ، ولذلك لمّا قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[هود:٤٦] لم يقل: (عامل)

وإنما (عملٌ) أي: ابنك تحول إلى كتلة عمل غير صالحة ولم يبق فيه شيء من البشرية والإنسانية، ولذلك لا يجوز هذا إلا على ضرب من التجوّز والمبالغة.

السؤال السابع:

ما دلالة ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: وأُنزِل آيات بينات واضحات الدلالة، ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ الواو: حرف عطف، بينات: معطوفة على هدى، والعطف يصح من دون تقدير، مثل: أقبل محمد وخالد، أي: أقبل محمد وأقبل خالد، لا يحتاج إلى تقدير فعل مغاير .

إذن: أُنزل هدى للناس، وأُنزل آيات بينات واضحات الدلالة من الهدى والفرقان .

وإعراب (وبينات) الواو: حرف عطف، وبينات: معطوف منصوب، وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، لكنّ الكلمة تدل على الصفة، والصفة لا نقصد إعرابها نعتاً، ولكن هي صفة .

٢ـ اسم الفاعل أو اسم المفعول أو الصفة مشبهة أو صيغ المبالغة أو اسم التفضيل، هذه تسمى صفات، وهناك صفة مشبهة على وزن (فيعل) مثل ميّت، جيّد، طيّب، ليّن، هيّن، بيّن، وهذه صفات مشبهة.

السؤال الثامن:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾؟

الجواب:

﴿وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ أي: الفارق بين الحق والباطل، أي: أنزل الله تعالى بينات من الهدى .

والقرآن هو هدى للناس وهذا للعموم، وفيه آيات بينات تبين الحجج الدامغة على أنه من عند الله، وفيها أحكام عظيمة جداً تهدي الناس.

لذلك يكون: (هدى للناس) هذه عامة، و(بينات من الهدى والفرقان) خاصة.

السؤال التاسع:

في أول سورة البقرة قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] وهنا قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] والآيتان في البقرة، فما دلالة ذلك في المعنى ؟

الجواب:

القرآن فيه هداية عامة وفيه هداية خاصة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾[مريم:٧٦].

فالهداية العامة هي ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة:١٨٥] والهداية الخاصة هي ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ



.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ ﴾[البقرة:١٨٥] أي: فيه آيات بينات تستدل منها على أنّ هذا القرآن قطعاً هو من فوق سبع سموات، وفيه دلائل آيات واضحة تحتج بها على أنّ هذا القرآن هو من عند الله ،وهناك آيات أحكام هادية للناس في معاملاتهم تفرق بين الحق والباطل.

إذن هناك هداية عامة وهداية خاصة، واستخدم الكلمتين بالمعنيين هنا ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] هدى عام و ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ و ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٨٥] هدى خاص.

السؤال العاشر:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] كيف يشهد الشهر؟ هل يراه مثلاً؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ [البقرة:١٨٥] أي: من كان حاضراً غير مسافر، أي: من كان مقيماً وليس مسافراً، وشهد الشهر ليس شاهد الهلال أو رأى الهلال. تقول: أشهِدتَ معنا؟ أي كنت حاضراً معنا؟ وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج:٧] وشرط الشهادة أنْ تكون حاضراً وليس مسافراً؛ لأنه ذكر المسافر فيما بعد.

السؤال الحادي عشر:

قال في الآية السابقة ١٨٣: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] باستخدام عليكم، فلماذا لم يقل مثلاً (لكم)؟

الجواب:

قوله تعالى في آية البقرة ١٨٣: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ لأنّ الله تعالى ذكر في نفس الآية ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ و(على) هنا تفيد المشقة، والصوم فيه شدة وإلزام ومشقة؛ إذ

يترك الصائم الطعام والشراب والمفطرات من الفجر إلى الليل ففيه مشقة؛ لذا لم يقل (لكم).

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى في الآية ١٨٥: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ولم يستعمل (منكم) كما قال في الآية ١٨٤: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ علماً أنه قال في الآية ١٨٥: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾[البقرة:١٨٥] فلماذا ؟

الجواب:

آ ـ في الآية (١٨٤) قيّد؛ فلا بد أنْ يذكر ﴿مِنكُمْ﴾ لئلا ينصرف المعنى للذين من قبلكم، فيُظن أنّ هذا حكم الأولين وليس لنا هذا الحكم، والخطاب في الآية (١٨٤) هو للمسلمين بدليل قوله تعالى في آخر الآية ١٨٣: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ ولذلك كان لا بدّ من ذكر ﴿مِنكُمْ﴾.

ب ـ في الآية الأخرى رقم (١٨٥) قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة:١٨٥] الكلام معهم وذكر ﴿مِنكُمْ﴾ لأنهم مخاطبون.

ج ـ لو قال في غير القرآن: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضاً) يكون تكراراً، ولا معنى أنْ يقال: (ومن كان منكم) لأنها مذكورة فلا تحتاج الإعادة.

السؤال الثالث عشر:

لِمَ لمْ يقل تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:١٨٤] في الآية ١٨٥، كما قال في سابقتها ١٨٤ ؟

الجواب:

لأنه إذا قرأنا الآية نفسها ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ قال: يريد بكم اليسر، فكيف يقول: أنْ تصوموا خير لكم؟ وهذا من تمام رأفته ورحمته بنا سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع عشر:

ما نوع (اللام) في قوله تعالى:﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ ؟

الجواب:

هذه (اللام) فيها احتمالان:

١ـ احتمال أنْ تكون اللام زائدة في مفعول فعل الإرادة، يعني يريد لتكملوا العدة، والقصد منها التوكيد؛ لأنّ فعل الإرادة يتعدى بنفسه ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] وهنا جاء بـ (اللام) وهو يقع كثيراً في مفعول فعل الإرادة للتوكيد، فاحتمال أنْ تكون هذه اللام مزيدة في مفعول فعل الإرادة بقصد التوكيد.

٢ـ والآخر يحتمل أنْ يكون للتعليل والعطف على علّة مقدرة، كما في قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ في الآية ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ

مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾[البقرة:٢٥٩] وفي هذه الآية علّل بدلالة الواو العاطفة ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ أي: أنّ هنالك عللاً أخرى محذوفة لا يتعلق الآن غرض بذكرها لأنها ليست فقط لهذه العلة، ولأنّ أصل السؤال أنى يحيي الله هذه بعد موتها؟ فأماته الله، وما ذكر تلك العلل المحذوفة، وإنما ذكر ما يتعلق بإرادة المتكلم وهو أنْ يجعله آية للناس.

وقد يكون العطف على مقدّر، كما في قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[النساء:٣٦] في غير العلّة، فإن قيل: (وبالوالدين) على أي شيء معطوف؟

فالجوابُ: هو أنه ليس هناك شيء مذكور وإنما مقدر، والمعنى: أحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا كثير في القرآن الكريم وفي لغة العرب.

السؤال الخامس عشر:

ما معاني الحرف (ما) في قوله تعالى في الآية ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥] ؟

الجواب:

(ما) تحتمل معنيين، بمعنى اسم الموصول الذي، والمصدرية بمعنى الهداية، ونرجح المعنيين وهما مرادان، أي: على الذي هداكم، وعلى هدايته لكم.

وقد يعين السياق أحياناً على فهم دلالة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣]؛ لأنه بمجرد أنْ قال: ﴿عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣] تحدد معنى (ما)، ولو لم يقل: (عليه) لاحتملت ما الموصولة أو المصدرية، فطالما لم يحدد يُطلق.

السؤال السادس عشر:

لماذا ذكر الشكر بعد ذكر أحكام الصيام بقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥] ولم يقل مثلاً: تفلحون؟

الجواب:

السبب أنّ الصائم قد يُظَنُّ لأول وهلة أنّ هذه العبادة شاقة عليه، فإذا ما انتهى منها أدرك لطف الله سبحانه وتعالى به، وهذا ما نجده بعد الانتهاء من صيام يوم أو صيام شهر، فنشعر بفضل الله تعالى علينا وكيف أعاننا على القيام بهذه الفريضة، فندرك عظمتها ونستشعر آثارها في أرواحنا، فنتوجه إلى الله تعالى بالشكر على هذه العبادة العظيمة وعلى عونه لنا على أدائها.



﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

السؤال الأول:

هذه الآية جاءت بين آيات الصيام، فلماذا؟

الجواب:

بعدها قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة:١٨٧] وهذا يدل على أنّ الصيام من دواعي الإجابة، ووقوع هذا الدعاء بين آيات الصيام إرشاد العباد إلى أنْ يلحوا بالدعاء ويكثروا منه؛ لأنّ الصائم مجاب الدعوة في صومه وعند فطره، فإذن وقوع هذه الآية بين آيات الصوم إرشاد للعباد إلى أنّ هذه فرصة ودعوة لهم إلى الدعاء؛إذ إن الصائم لا ترد دعوته.

السؤال الثاني:

مع الآيات التي تبدأ بقوله تعالى (يسألونك) يأتي الجواب بـ (قل) على الأغلب، وهنا في الآية جاء الجواب مباشرة من دون (قل) فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في هذه الآية لم يقل الله: فقل لهم إني قريب، وإنما تكفل تعالى بالإجابة مباشرة، على نحو ما خاطبهم مباشرة في قوله عز وجل﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] وما قال: قل لهم: كُتب عليهم الصيام، كذلك في الدعاء لم يقل: قل لهم، وإنما قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦] مع أنه في آيات أخرى عندما يكون هناك سؤال، يقول: قل، مثلاً ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[البقرة:٢٢٢] أمّا في هذه الآية فتكفل الله تعالى بالإجابة مباشرة، هو سبحانه وتعالى يُدعى بلا واسطة، وهو يجيب مباشرة .

السؤال الثالث:

لِمَ لمْ يربط إجابة الدعاء في الآية بمشيئة الله كما في آية الأنعام: ٤١؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة:١٨٦] لم يقل: إنْ شئت أو إنْ شاء ربك، كأنه أجاب وقطع بالإجابة، بينما نلاحظ في آية أخرى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤١] فلم يقطع بالإجابة، بينما في آية الصيام فالإجابةُ لا بد أنْ تكونبواحد من ثلاثة: إمّا يعجل له، أو يُدّخر له، أو يرد عنه بمقدارها من الأذى، كما في الحديث.

السؤال الرابع:

ما دلالة استخدام (إذا) بدل (إنْ) في الآية ؟

الجواب:

استخدام (إذا) في الآية؛ لأنه سبحانه وتعالى أراد أنْ يكثر الناس من الدعاء ويلحوا فيه؛ لأنّ (إذا) تفيد الكثير والمقطوع به ولم يقل: (إنْ)؛ لأنّ (إنْ) تستعمل للشك والنادر والمستحيل الوقوع، أمّا (إذا) فهي لمقطوع الوقوع أو كثير الوقوع.

شواهد قرآنية:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] هذا مقطوع الوقوع فاستعمل (إذا).

- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] هذه قليلة فاستعمل (إن) .

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ وقوله: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ في نفس الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ وقوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ فيه إشارة أنّ المطلوب من العبد الإكثار من الدعاء؛ ولذاعليه أنْ يكثر من الدعاء، وفيه أيضاً أنّ الدعاء شرط الإجابة، كما قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فجعل الله تعالى الدعاء شرط الإجابة .

السؤال السادس:

ما فائدة تقديم الإجابة على طلب الدعاء ؟

الجواب:

قدّم الإجابة على الدعاء من باب التوكيد، ومثاله قولك: إذا جئت إليّ أُكرمك، فأنت هنا بنيت الخبر على المجيء، لكن عندما تقول: أكرمك إنْ جئتني، تكون قد بنيت الخبر على الإكرام .

وهنا في هذه الآية ربنا بنى على الإجابة، فالإجابة بفضل الله متحققة، والله تعالى يريد من العباد أنْ يدعوه، والدعاء شرط الإجابة.

وفي هذه الآية قدّم الاستجابة على الإيمان؛ لأنّ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أنّ العبد لا يصل إلى نور الإيمان إلا بتقدم الطاعات والعبادات.

السؤال السابع:

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ وليس (أجيب الداعي)، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ وليس (أجيب الداعي)؛ لأنّ الدعوة هي المطلوبة بالذات، يجيب ما تريد أنت، أي: يجيب الدعوة. وربنا يغضب إذا لم يدعه العبد، ويحب الملحاح في الدعاء، وقد غضب ربنا على أقوام لأنهم لم يدعوه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾[الأنعام:٤٢-٤٣] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[المؤمنون:٧٦] وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾[الفلق:١] أي: ادعُ وقلها لا في نفسك فقط؛ لأنه عندما يقول العبد: (أعوذ) يعني أنه يحتاج لمن يعينه فينبغي أنْ يقولها.

السؤال الثامن:

جاء جواب السؤال في الآية في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ولم يقل: (قل) فما دلالة ذلك؟

الجواب:

جاء جواب السؤال في قوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: (قل)؛ لأنّ (قل) هنا يحتاج إلى مدة وإنْ كانت قصيرة فهي لا تتناسب مع القرب في الإجابة، فأراد ربنا سبحانه وتعالى أنْ يجعل القرب في الإجابة عن السؤال دون وساطة، فجعل الجوابَ منه لعباده مباشرة، وجاءت الفاء في الجواب ﴿فَإِنِّى﴾ لتفيد السرعة والمباشرة الفورية التي تتناسب مع هذا العطاء الرباني العظيم، فقال تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾.

السؤال التاسع:

لماذا في هذه الآية تقدّم جواب الشرط على فعل الشرط ؟

الجواب:

آـ في هذه الآية تقدّم جواب الشرط على فعل الشرط، ومعناه: أنّ الله تعالى يجيب دعاء العبد حتى قبل أنْ يبدأ بالدعاء.

ب ـ وفي الآية لفتةٌ أخرى: أنه في سياق القرآن كله عندما تأتي الآية فيها (وإذا سألك) أو (يسألونك) يأتي الردّ من الله تعالى لرسوله (قل) إلا في هذه الآية فقد جاء الردّ مباشرة من الله تعالى لعباده في خطاب مباشر ليس بين الله تعالى وعباده أي وسيط، حتى لو كان الرسول الكريم ﷺ، فما على العبد إلا الدعاء، والله تعالى يجيب دعاء عباده؛ فسبحانه وتعالى.

السؤال العاشر:

ما الفرق بين ذكر الياء وعدم ذكرها في ﴿عِبَادِى﴾ و﴿عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾[الزُّمَر:١٧]؟

الجواب:

هذه ظاهرة في القرآن، (عبادي وعبادِ)، فأكثر الكلمتين مبنى أوسعهما معنى؛ بيان ذلك أن كلمة (عبادي) أكثر من (عبادِ) في العدد؛ لأنها (عبادي) تشمل كل العباد، وذلك مناسب لسعة الكلمة وطولها وسعة المجموعة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ كل العباد تسأل، هذا لا يخص عبداً دون عبد.

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] فكل العباد مكلفون أنْ يقولوا التي هي أحسن.

أمّا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: ١٧ - ١٨] ما قال: يستمعون الحسن وإنما أحسنه، وهؤلاء قليل.

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾؟

الجواب:

الفاء لطلب سرعة الاستجابة إلى الله والإيمان به ودعائه، وفي ذلك مسائل:

آـ كأنه تعالى يقول: أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك مطلقاً، فكن أنت مجيباً لدعائي مع أنك محتاج إليّ من جميع الوجوه، فما أعظم هذا الكرم !!!

ب ـ إجابة الله عبده فضل منه ابتداء، وأنه غير معلل بطاعة العبد.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ تبين أنّ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أنّ العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات والعبادات .

السؤال الثاني عشر:

هل هناك فرق بين: (أجاب واستجاب) ؟

الجواب:

الفعلان: أجاب واستجاب بمعنى واحد، وقال أهل المعنى:الإجابة من العبد لله الطاعة، وإجابة الله لعبده إعطاؤه إياه مطلوبه.

السؤال الثالث عشر:

ما الدروس المستفادة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾في الآية ؟

الجواب:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ يدل على أنّ العبد لله، وقوله ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾يدل على أنّ الرب للعبد.

٢ ـ لم يقل: (العبد مني قريب) بل قال: أنا منه قريب، وفي ذلك سر نفيس، فإنّ العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو، هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب، أمّا الحق سبحانه فهو القادر من أنْ يقرب بفضله وبرحمته من العبد، فالقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلى الحق، فلهذا قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾.

٣ ـ حذف الياء من (الداع) و (دعان) حتى لا يشعر العبد بطول الزمن بين الدعاء والإجابة.

السؤال الرابع عشر:

هناك إشكال: نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب، فلماذا؟

الجواب:

الآية وإنْ كانت مطلقة إلا أنها قد وردت آيات أخرى مقيدة، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[الأنعام:٤١] فترك المشيئة له سبحانه من وجوه:

آ ـ الداعي لا بدّ له من شروط الدعاء المعروفة، مثل: التوبة، والإقلاع عن المعاصي، وكسب الحلال، والبعد عن الحرام، وطيب المأكل والمشرب، والإخلاص والتذلل لله.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قوله: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام فأنّى يستجاب له**»

ب ـ الداعي لا بدّ أنْ يجد من دعائه عوضاً، إمّا إسعافاً بطلبه إذا وافق القضاء، فإن لم يتم ذلك فسكينة في نفسه وانشراح في صدره وصبر يسهل معه احتمال البلاء الحاضر.

ج ـ قال الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠] ولم يقل: في الحال، فإذا استجاب له بعد حين ولو في الآخرة كان الوعد صادقاً.

يقول الله في الحديث القدسي: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرَّبُّ: وعزتي لأنصرنَّكَ ولو بعد حين**».

د ـ قوله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ لم يقل للعبد: أجب دعائي حتى أجيب دعاءك، وهذا تنبيه على أنّ إجابة الله عبده فضل منه ابتداء، فالله يجيب الدعاء وهو في غنى عن العبد، بينما العبد محتاج إلى الله.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ
لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا
عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا
تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (اللباس) في الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾[البقرة:١٨٧] ؟

الجواب:

جاءت هذه الآية لتعبر عما تحمله تلك العلاقة المقدسة بين الرجل والمرأة، وما يمثله كل واحد منهما لصاحبه، وذلك بتشبيه كل واحد منهما باللباس للآخر.

اللباس الذي يستر العورات ويُدفيءُ صاحبه ويمنع عنه الأذى والضرر إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة، فلو أردت أخي المؤمن وضع كلمة مكان (لباس) لما أدّت إلى المعنى المراد، ولما وسعت ذلك الشمول الذي احتوى عليه ذلك التشبيه الرائع.

السؤال الثاني:

ما أنواع اللباس وما منظومة اللباس التي ذكرت في القرآن ؟

الجواب:

الثوب:

هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة، وله معنيان:

ـ معنوي: خُلق تقوى مروءة، كقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾[المدَّثر:٤].

ـ مادي: لما نلبسه.

اللباس:

وهو يدل على السَّتر المادي والمعنوي ـ وهو الذي يستر السوءة ـ وقد ينزع اللباس نزعاً بالقوة. واللباس يواري السوءة الحسية والمادية.

شواهد قرآنية:

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[الأعراف:٢٦] يعني كل عبادة فيها جانب خفي وتوقير.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ ماديٌّ ومعنويٌّ هو عدم إظهار سيئات الزوج أو الزوجة.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾[الأعراف:٢٧].

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[النحل:١١٢].

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾[الأعراف:٢٦].

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف:٢٦] أي: أنْ تؤديها خالصة لله وقلبك مخلص.

أنواع اللباس:

١ـ الجلباب: ثوب له أكمام ويقفل من الأمام ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الأحزاب:٥٩].

٢ـ كساء: هو الثوب الذي يُلقى على الكتف ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾[النساء:٥] .

٣ـ خمار: غطاء الرأس ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[النور:٣١] .

٤ـ سربال: كل شيء غليظ يقي من الحر أو البرد أو الضرب ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل:٨١] .

٥ـ ريش: هو ما يدل على الترف وهو حلال مالم يؤد إلى الخيلاء ﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾[الأعراف:٢٦].

٦ـ سابغ: كل شيء واسع وتام ومريح، ومنه: إسباغ الوضوء ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ [لقمان:٢٠] .

٧ـ **مزمل:** طريقة لبس الكساء إذا لف الإنسان نفسه بكسائه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ①﴾ [المزَّمل:١] .

٨ـ **إزار:** ومنه المئزر، وهو معروف، والأصل في الأزر هو القوة ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه:٣١] .

٩ـ **غطاء:** ما يُتغطى به.

١٠ـ **دثار:** المدثر هو المتدرع بدثاره كالملتف باللحاف مثلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①﴾[المدَّثر:١].

١١ـ فراش: ما يوطىء من متاع البيت، ومنه المفروشات.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (لا تقربوها) و(لا تعتدوها) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ القاعدة في القرآن الكريم أن الله تعالى يستعمل في النواهي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة:١٨٧] ومع الأوامر يستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة:٢٢٩].

وبناء على هذه القاعدة يتبيّن الفرق.

٢ـ الحدّ هو الحاجز ونهاية الشيء الذي إنْ تجاوزه المرء دخل في شيء آخر، وشُبِّهت الأحكام بالحد؛ لأنّ تجاوزها يُخرج من حِلٍّ إلى منع.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [البقرة:١٨٧] و ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [النور:١٨] ؟

الجواب:

١ـ نستعرض بعض الآيات:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[البقرة:١٨٧].

وقال أيضاً: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[البقرة:٢١٩].

وقال أيضاً: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾[البقرة:٢٢١].

٢ـ وردت في القرآن الكريم كلمة (آية)٨٤ مرة، وكلمة (آيات) ٢٩٥ مرة، وكلمة (آياتنا) ٩٢مرة، وكلمة (آياته) ٣٨مرة، وكلمة (آياتي) ١٤مرة، وكلمة (الآيات) ٣٣ مرة.

٣ـ المقارنة هنا بين كلمتي ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ و﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ والاستعمال القرآني لهما هو أنّ (الآيات) عامة (وآياته) فيها إضافة إلى الهاء العائدة لله للتشريف والتعظيم؛ لذلك هي أخصّ وأهم، بينما الآيات أعم .

ولذلك نجد القرآن الكريم يستعمل كلمة: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ [البقرة:١٨٧] للمواطن الأهم والآكد من المواطن الأخرى، فاستخدمها القرآن الكريم في الأحكام المختصة في أحكام الحلال والحرام والمواضع الأهم .

شواهد قرآنية:

آية البقرة ـ ١٨٧ ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

آية البقرة ـ ٢١٩ ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ .

آية البقرة ـ ٢٢١ ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

آيتا النور ٥٨ـ و ـ ٥٩ ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ و ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

آية النور ٦١ ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ .

نجد من دراسة الآيات القرآنية أعلاه ما يلي:

١ـ آية البقرة: ١٨٧ فيها أحكام عن الصوم وتفاصيله وهو أمر هام في الإسلام فجاء في آخرها: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

٢ـ آية البقرة: ٢١٩ ليس فيها أحكام تحريم الخمر بشكل واضح وإنما بيّن أنّ إثمه أكبر من نفعه وكذلك الميسر، وأنّ ما ينفقونه هو العفو، أي: ما زاد، فاستعمل ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾.

٣ـ آية البقرة: ٢٢١ فيها أحكام بعدم التزاوج مع المشركين والمشركات، فجاء في آخرها بلفظة ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وهذا حكم هام بعدم الزواج والتزويج من المشركين والمشركات.

٤ـ آية النور ٥٨ فيها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور:٥٨] بينما في الآية ٥٩ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور:٥٩] وطلب الاستئذان في الآية الثانية أقوى وأهم من الآية الأولى؛ لأنّ الأطفال هنا قد بلغوا الحلم فجاء فيها ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ بينما جاء بكلمة ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ في آية النور الأولى.

٥ـ آية النور:٦١ الموضوع يتعلق فيما إنْ أكل من بيوت الأقرباء وربما لا يأكل، فأمر الأكل مباح وليس مؤكداً؛ فجاء بكلمة ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما دلالة اختلاف الفاصلة في آيات البقرة: [١٨٧ـ ٢٢١ـ ٢٤٢ـ ٢٦٦]؟ وكيف نميز بينهم في الحفظ؟

الجواب:

أولاً ـ لنستعرض الآيات:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة:١٨٧] الفاصلة (يتقون).

قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾[البقرة:٢٢١] الفاصلة (يتذكرون).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٤٢﴾[البقرة:٢٤٢] الفاصلة (تعقلون).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [البقرة:٢٦٦] الفاصلة (تتفكرون).

ثانياً ـ حفظ كلام الله تعالى إنما يتأتّى بالتكرار والمراجعة؛ لأنّ الآيات كما وُصفت كأنها الإبل الشاردة، لكن الإنسان يحاول أنْ يجد رابطة ما بين الآية وخاتمتها؛ حتى لا تلتبس عليه، و لا نقول هذه الآيات متشابهة، وإنما هي متقاربة متماثلة، وذكرنا سابقاً أنّ المتشابه هو الذي معناه مفهوم ولكن فيه مساحة للغيب.

ثالثاً ـ بشكل عام الآيات قد تكون للخطاب نحو: (لعلكم تتقون) أو للغيبة نحو: (لعلهم يتقون) وخطاب الغيبة يكون عادة عندما يريد الله أنْ يكون الحُكم عاماً مطلقاً وليس للمخاطبين في جزئية معينة.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾

١ـ وردت في سورة البقرة في أربعة مواضع في الآيات: [٢١- ٦٣-١٧٩-١٨٧].

٢ـ التقوى هي تجنب مخالفة أوامر الله .

٣ـ تأتي هذه الفاصلة: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ عندما يكون السياق بالأوامر: افعلوا أو لا تفعلوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

١ـ وردت في سورة البقرة مرتين في الآيات:[٢١٩ -٢٦٦].

٢ـ تأتي هذه الفاصلة عند طلب التفكر إمّا بضرب مثل، وإمّا يكون جواباً عن سؤال حتى يتفكر الإنسان في الإجابة.

٣ـ يلاحظ أن الآيتين: [٢١٩-٢٦٦] تتعلقان بالمال .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

١ـ التذكر هو الاتعاظ، أي: بأنْ تكون له عظة بذلك.

٢ـ وردت في سورة البقرة في مكان واحد في الآية (٢٢١) كما وردت في باقي القرآن في ستة مواضع هي: [إبراهيم ٢٥ـ القصص ٤٣ـ ٤٦ـ ٥١ـ الزمر ٢٧ـ الدخان ٥٨].

٣ـ تأتي هذه الفاصلة في سياق حُكمٍ مخالفٍ للأعراف والتقاليد عندهم، فعند ذلك يُطلب منهم أنْ يكون لهم بهذا القرآن عظة وعبرة فلا يخالفوه .

السؤال السادس:

لماذا حذف فاعل ﴿أُحِلَّ﴾[البقرة:١٨٧] وبناه للمجهول في الآية ؟

الجواب:

حذف الفاعل وبناه للمجهول عند التحدث على الرَّفَث، وهو ما يحسن ألا يقترن بالتصريح بالفاعل فقال: ﴿أُحِلَّ﴾[البقرة:١٨٧].



﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[البقرة:١٨٨] في الآية ؟

الجواب:

قوله سبحانه: ﴿وَتُدْلُواْ﴾[البقرة:١٨٨] مأخوذة من أدلى، ونحن ندلي الدلو إلى الأسفل، وأدلى: معناها: أنزل الدلو؛ ولذلك جاء في قصة الشيطان مع آدم عليه السلام ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف: ٢٢].

فقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[البقرة:١٨٨] أي: ترشوا الحكام ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾[البقرة:١٨٨] ومن العجيب أنّ الرشوة مأخوذة من الرِّشاء وهو الحبل الذي يُعلق فيه الدلو، لذلك فأدلى ودلَّى في الرشوة.

وكلمة ﴿وَتُدْلُواْ﴾ [البقرة:١٨٨] تبين أنّ اليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى، فجاءت لتعبر عن دناءة المرتشي وسفله ولو كان في الذروة من حيث المنصب وموقع المسؤولية.

أمّا لماذا يدلون بها إلى الحكام؟ إنهم يفعلون ذلك حتى يعطيهم الحكام المبررات التشريعية لأكل أموال الناس بالباطل، وذلك عندما نكون محكومين بقوانين البشر.

لكن عندما نكون محكومين بقوانين الله، فالحاكم لا يبيح مثل هذا الفعل.



﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾[البقرة:١٨٩] البِرُّ مصدر، ومن اتقى: شخص، كيف البر هو الذي اتقى؟

الجواب:

البارّ هو الذي يتقي وليس البِرّ، والبارّ من اتقى وليس البر، البِرّ عمل وهو فعل الخير، ولو تحول البر إلى شخص لكان شخصاً متقياً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة ١٧٧: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب، وقوله تعالى في آية البقرة ١٨٩ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾[البقرة:١٨٩] بالرفع، فما دلالة الرفع ودلالة النصب؟ وما الفرق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٧٧.

السؤال الثالث:

ما دلالة الآيات التي بدئت بقوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ؟

الجواب:

أولاً ـ لم يكن عدد الأسئلة التي سألها الصحابة رضوان الله عليهم كبيراً، فعددهم لم يتعد بضعة عشر سؤالاً، وبشكل أدق فقد كان عدد الأسئلة ستة عشر سؤالاً، والنبي ﷺ نهاهم عن السؤال، فقال: «**ذروني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**» رواه أبو هريرة.

ثانياً ـ حينما دخل المسلمون الدين الجديد - الإسلام - عشقوا معه التكليف والأحكام وأرادوا أنْ يبنوا حياتهم على هذا النظام الإسلامي الجديد الطاهر، حتى إن الشيء الذي لم يغيره الإسلام أرادوا أنْ يعرفوه ويطبقوه على أنه حكم الإسلام لا على حكم العادة، فعندما تقرأ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في القرآن فاعلم أنها من هذا النوع.

وفي القرآن الكريم يوجد (١٥) آية جاءت بصيغة سؤال وتبدأ بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بصيغة المضارع ومرة واحدة بصيغة الماضي، والآيات التي وردت بصيغة المضارع منها ثمانية أسئلة في سورة البقرة وحدها والباقي ٨ أسئلة أخرى موزعة على باقي سور القرآن، حسب المبين أدناه:

السورة	رقم الآية	الصيغة	الجواب
البقرة	١٨٦	﴿سَأَلَكَ﴾	﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾
البقرة	١٨٩	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
البقرة	٢١٥	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
البقرة	٢١٧	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
البقرة	٢١٩	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
البقرة	٢١٩	﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
البقرة	٢٢٠	﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
البقرة	٢٢٢	﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
المائدة	٤	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
الأعراف	١٨٧	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
الأعراف	١٨٧	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
الأنفال	١	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
الإسراء	٨٥	﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
الكهف	٨٣	﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾	﴿قُلْ﴾
طه	١٠٥	﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾	﴿فَقُلْ﴾
النازعات	٤٢	﴿يَسْئَلُونَكَ﴾	﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾

وفي هذا الموضوع نلحظ النقاط التالــــية:

١ـ وردت كلمة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ مع الواو ٦ مرات، وبدون الواو، أي: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ٩ مرات، وذلك حسبما يأتي السؤال منفرداً أو في بداية كلام جديد، فيأتي الجواب بدون حرف الواو ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾أو ربما تأتي عدة أسئلة معاً، فيأتي في الجواب بدون حرف العطف للسؤال الأول، ثم مع حرف العطف لبقية الأسئلة.

أو يأتي للسؤال ضمن المتعاطفات، فيأتي حرف العطف كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ﴾[الإسراء:٨٥] فقد سبقها وتبعها مجموعة من المتعاطفات، أو يكون الوضع أنّ السياق يحسن فيه العطف.

٢ـ جاءت الأجوبة على ثلاثة أنواع: فالأغلب فيها أنّ الله لما حكى السؤال قال لنبيه: (قل) إلا سؤالاً واحداً جاء معه الجواب بـ (فقل) في قوله تعالى في آية طه ١٠٥: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾[طه:١٠٥] فجاء بالفاء مع الفعل (قل) لماذا ؟

لأنّ السؤال في كل الآيات سؤال عن شيء وقع بالفعل، وسئل الرسول الله ﷺ قبل نزول الآيات فكان الجواب: (قل) أمّا السؤال عن الجبال فلأنه حدثٌ لم يقع بعد، فكأنّ الله سبحانه يُخبر رسوله ﷺ أنه سيُسأل هذا السؤال، أي: كأنّ حرف الفاء دل على شرط مقدر، بمعنى: إنْ سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً.

أمّا الصورة الثالثة: فهي في آية البقرة ١٨٦، فجاء الفعل بصيغة الماضي، ولم يكن الجواب بـ (قل) سواء مع الفاء أو بدونها، للأسباب التالية:

آ ـ لأنّ قوله (قل) تطيل القرب .

ب ـ يريد الله أنْ يجعل القرب منه لعباده مباشرة من دون واسطة، وإنْ كان الذي سيبلغ الجواب رسول الله ﷺ فحذف كلمة (قل) ليبين لهم القرب ويبين للعبد أنه لا واسطة بينه وبين الله في مقام الدعاء، والقرب في هذه الآية ليس قرباً للمكان، وإنما قرب علم واطلاع من الله تعالى للعبد.

ج ـ قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾[البقرة:١٨٦] يدل على أنّ العبد لله، وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦] يدل على أنّ الرب للعبد.

د ـ لم يقل: العبد مني قريب، بل قال: أنا منه قريب، وفي ذلك سرٌّ نفيسٌ، فإنّ العبد ممكن الوجود فهو من حيثُ هو، هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب، أمّا الحق سبحانه فهو القادر على أن يقرب بفضله وبرحمته من العبد، فالقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلى الحق، ولهذا قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

هـ ـ حذف الياء من (الداع) و (دعان) حتى لا يشعر العبد بطول الزمن بين الدعاء والإجابة.

و ـ هناك إشكال نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب، فلماذا ؟

أولاً ـ الآية وإنْ كانت مطلقة إلا أنها قد وردت آيات أخرى مقيدة، نحو قوله تعالى ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٤١] فترك المشيئة له سبحانه من وجوه:

ثانياً ـ الداعي لا بد له من شروط الدعاء المعروفة، مثل: التوبة، والإقلاع عن المعاصي، وكسب الحلال والبعد عن الحرام، وطيب المأكل والمشرب والإخلاص، والتذلل لله.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول: يارب يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغُذِيَ بالحرام فأنّى يستجاب له؟**».

ثالثاً ـ الداعي لا بد أنْ يجد من دعائه عوضاً، إمّا إسعافاً بطلبه إذا وافق القضاء، فإنْ لم يتم ذلك فسكينة في نفسه وانشراح في صدره وصبر يسهل معه احتمال البلاء الحاضر.

رابعاً ـ قال الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر:٦٠] ولم يقل: في الحال، فإذا استجاب له بعد حين ولو في الآخرة كان الوعد صادقاً.

يقول الله في الحديث القدسي: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزتي لأنصرنَّك ولو بعد حين**».

خامساً ـ قوله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾[البقرة:١٨٦] لم يقل للعبد: أجب دعائي حتى أجيب دعاءك، وهذا تنبيه على أنّ إجابة الله عبده فضل منه ابتداء فالله يجيب الدعاء وهو في غنى عن العبد، بينما العبد محتاج إلى الله.

وفي الآية قدّم الاستجابة على الإيمان؛ لأنّ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أنّ العبد لا يصل إلى نور الإيمان إلا بتقدم الطاعات والعبادات.

٣ـ في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في سورة الأنفال ١، لم يأت الجواب مباشرة، ولكنْ جاء بعد أربعين آية، فقد جاء في الآية: ٤١ ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١].

والسبب في ذلك يعود لما يلي:

آ ـ سمى الله الغنائم بالأنفال ومعنى النفل الزيادة على الفرض ـ مثل صلاة نفل أو صوم نفل ـ فالأنفال هي الغنائم التي تحمل معنى الزيادة عن الغرض الأصلي للجهاد وهو إعلاء كلمة الله .

فتأخير الإجابة هو توجيه من الله تعالى للمسلمين بأنّ هدفهم ليس هو الغنائم وإنما هو إعلاء كلمة الله في الأرض، لكنْ إذا حصل بعد ذلك الهدف أمر آخر كالغنائم فتوزع كما جاء في الآية ٤١ .

ب ـ كرّر الله كلمة (الأنفال) في السؤال مرتين بينهما كلمة (قل) والعهد في القرآن في بقية الأسئلة أنه لا يكرر الكلمة المسؤول عنها بل يعيد القول عليها بالضمير المناسب (قل هي) (قل هو) (قل فيهما) (قل ينسفها).

والسبب أنه لو قال القرآن مثلاً: (قل هي لله ورسوله) لكانت الإجابة تخص تلك الأنفال بعينها، أي: أنفال غزوة بدر، ولكان لنا أنْ نسأل: ما حكم أنفال أحد أو حنين أو حطين؟

فكرر كلمة الأنفال بدل الضمير ليدل على الحكم الدائم لجميع الأنفال.

ج ـ عندما يعود الضمير على الكلمة المسؤول عنها يدل ذلك على أنّ هذه الأشياء ثابتة لا تتغير على مر الأيام، فالأهلة هي الأهلة، والمحيض هو المحيض، والجبال هي الجبال، والخمر والميسر لا يتغيران من حيث ضررُهما وخطرُهما، بينما كانت الأنفال تخص غزوة بدر، فكرر كلمة الأنفال ليعم الحكم، والله أعلم.



﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم الدروس في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ خصّ الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بخصوصية فريدة، وهذه الخصوصية هي أنّ الله قد أمّن الأمة الإسلامية على أنْ يكون في يدها الميزان، وليس هذا الميزان ميزان تسلط وإنما هو ميزانٌ يحمي كرامة الإنسان بأنْ يصون له حرية اختياره بالعقل الذي خلقه الله فلا إكراه في الإيمان بالله.

٢ـ وقد شرع الله القتال لأمة محمد لا ليفرض به ديناً ولكن ليحمي اختيارك في الدين الذي ترتضيه، وهو يمنع سدود الطغيان التي تحول دونك ودون أنْ تكون حراً مختاراً في أن تقبل التكاليف.

٣ ـ الذين يقولون إنّ الإسلام انتشر بالسيف حججهم واهية.

٤ ـ الذين يقولون إنّ الإسلام عندما يفرض الجزية فكأنه جاء لجباية الأموال!! نقول لهم: جزيةً على من؟ جزيةً على غير المؤمن، وما دام قد فُرضت عليه جزية فمعنى ذلك أنه أباح له أنْ يكون غير مؤمن، ولو كان الإسلام يُكره الناس على اعتناقه لما كان هناك من تؤخذ منه جزية.

إذن فالإسلام لم يُكره الإنسان وإنما حماه من القوة التي تسيطر عليه حتى لا يُكرهه أحدٌ على ترك دينه، وهو حرٌّ بعد ذلك في أنْ يسلم أو لا يسلم، وكأنّ الذين ينتقدون الإسلام يدافعون عنه فسهامهم قد ارتدت إليهم.

٥ـ كان السبب في حروب الإسلام لمواجهة الذين يفرضون العقائد الباطلة على غيرهم، وجاء الإسلام ليقول لهؤلاء: ارفعوا أيديكم عن الناس واجعلوهم أحراراً في أنْ يختاروا الدين المناسب.

ولماذا تركهم الإسلام أحراراً؟ لأنه واثق أنّ الإنسان مادام على حريته فلا يمكن أنْ يجد إلا الحق واضحاً في الإسلام.

٦ـ كثير من الناس لا يفطنون إلى علة الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] وهي واضحة في الآية نفسها ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[البقرة:٢٥٦] .

لذلك نحن فقط نمنع الذين يفرضون على الناس عقائدهم الباطلة، فأنت تستطيع أنْ تُكره القالب ولكن لا تستطيع أنْ تُكره القلب، والله لا يريد منا أنْ نكون قوالب مُكرهة ولكن يريد منا قلوباً مطيعة.

٧ ـ الحكمة من تأخير الإذن بالقتال في الإسلام أنّ الله أراد أنْ يمحّص ويختبر وألا يدخل هذا الدين إلا من يتحمل متاعبه ومسؤولياته ومشاقه.

ومن رحمة الله سبحانه أنه لم يشرّع القتال منذ البداية، وإلا لكنا فقدنا كثيراً من قادة الإسلام العظام الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية مثل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص، وغيرهم كثير.

٨ ـ لقد كان من الممكن أنْ ينصر الله دينه من أول وهلة دون تدخلٍ من المسلمين، وكان معنى هذا أنّ الناس سيتساوون في الإيمان أولهم وآخرهم، ولكن شاءت إرادته تعالى أنْ يجعل لهذا الدين رجالاً يفدونه بأرواحهم وأموالهم لينالوا الشهادة ويرتفعوا إلى مصاف النبيين.

ولذلك جاء الأمر بالقتال متأخراً وبالتدريج.

٩ ـ دائماً يؤكد الحق في آيات القتال أنْ يكون ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنه يريد أن يضع حداً لجبروت البشر، فلا قتال من أجل الحياة أو المال أو السوق الاقتصادي، وإنما لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله، وهذا هو غرض القتال في الإسلام.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وكلمة ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في القرآن؟

الجواب:

ثَقِفَ: ظَفَرَ به وأخذه، ولا تستعمل ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ إلا في القتال والخصومة، ومعناها أشمل من الإيجاد، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء:٨٩] .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ﴾ [البقرة:١٩١] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾[البقرة:٢١٧] ؟

الجواب:

١ـ كلنا نعرف أنّ القتل من الجرائم العظيمة والأحاديث في ذلك كثيرة ومخيفة، وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء، وتصور لو أنّ رجلاً كما وقع في التاريخ المعاصر قتل مدينة كاملة فيها ملايين كما هو في هيروشيما وناجازاكي، كيف يمكن أنْ

تتخيل عقابه يوم القيامة؟ لأبُدَّ أنْ يكون عقابه كبيراً من حيث الكمّ، وشديداً من حيث الكيف.

٢ـ أنت قد تعذب واحداً بالضرب مليون سنة فهذا كبير، ولكنه ليس شديداً، وقد تعذبه مليون سنة بالخوازيق والنار والأفاعي والعقارب وأنواع الحريق ،وفي هذا شدة.

و القتل سواء كان لفردٍ واحد ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة:٣٢] بحيث لو اجتمعت مدينة كاملة على قتل رجل واحد لكان ينبغي أنْ يقتل رجال هذه المدينة بالكامل؛ لأنهم اشتركوا في قتله، ولأكبّهم الله في النار من أجل قتل شخص واحد، ومع ذلك فهذا القتل يهون إلى جانب الفتنة.

٣ـ لكي نكون واضحين في المعنى: عندنا بلاء وعندنا فتنة، وهذان الأسلوبان من أساليب تمحيص الإيمان قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[محمد:٣١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[العنكبوت:٢] .

إذن امتحان الإيمان:

آـ إمّا ببلاء تكرهه نفسك مثل الفقر والمرض والسجن وما شاكل ذلك، ومنا من يصبر صبراً مطلقاً، ومنا من يصبر صبراً نسبياً، ومنا من لا يصبر بل يجزع.

ب ـ وإمّا بفتنة تحبها نفسك كما في النِّعَمِ؛ كالغنى والحُكمِ والعلمِ والأولاد، ومثال ذلك:

- كنت فقيراً فصرت غنياً جداً، هل ستستعمل هذه النعمة في شكر الله في الصالحات فتعين الناس؟ أم سوف يدعوك هذا إلى التكبر والطغيان والجبروت؟

- أو في الحُكم صرت ملكاً أو أميراً أو شيخاً أو رئيس جمهورية أو ما شاكل ذلك بعد أنْ كنت مغموراً، هل هذه النعمة التي أنعم الله بها عليك ستستعملها في طاعته بالعدل والرحمة والشفقة وإحقاق الحق، أو بالقتل والظلم والتعذيب في السجون وما إلى ذلك؟

- وكذلك فتنة العلم والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم: ١٤-١٥] .

٤ـ هكذا الفرق بين الفتنة والبلاء، أنّ البلاء فيما تكرهه نفسك، والفتنة فيما تحبه نفسك، وفي كلتا الحالتين أنت ممتحن، بل إنّ النعم أحياناً أقسى من النقمة أحياناً، فأنت تصبر على البلاء إذا سجنت وعذبت وضربت وافتقرت، ولكن إذا أصابتك النعمة قد لا تصبر فتطغى، وهذا هو الفرق بين الفتنة و البلاء.

٥ـ لكن كيف تكون الفتنة أكبر من القتل؟ والجواب أنّ الفتنة أكبر من القتل بكثير؛ لأنها قد تمتد قروناً من العداوة والبغضاء مثل الأوس والخزرج دامت الحرب بينهما ١٢٠ عاماً، فلما جاء الإسلام وحّد بينهم ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣] لذلك قد تدوم الفتنة قروناً طويلة، فالقتل يزول والفتنة لا تزول.

٦ـ وأمّا سبب الفرق بين الآيتين [١٩١ و٢١٧] وكلاهما في سورة البقرة؛ أنّ الكلام في الآية الثانية على كبيرات الأمور؛ فقد مرّ قبلها ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة:٢١٧] وقوله: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾[البقرة:٢١٧] فناسب ذلك ذكر ﴿أَكْبَرُ﴾[البقرة:٢١٧].

وليس السياق كذلك في الآية الأولى رقم (١٩١) وإنما هي في سياق الشدة على الكافرين، فقد قال فيها: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١] وهذه شدة ظاهرة فناسب ذكر ﴿أَشَدُّ﴾[البقرة:١٩١] فيها.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[البقرة:١٩١] جاء فعل الشرط فعلاً ماضياً، وأحياناً يأتي فعل الشرط فعلاً مضارعاً، فما طريقة الاستعمال القرآني لفعل الشرط ؟

الجواب:

معنى الشرط أنْ يقع الشيء لوقوع غيره، أي: أنْ يتوقف الثاني على الأول، نحو: إنْ تجتهد تنجح، ونحو الشواهد القرآنية التالية:

﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[البقرة:١٩١].

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[البقرة:٢٨٠] .

هذا هو الأصل، وقد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني مسبباً عن الأول ولا متوقفاً عليه نحو قوله تعالى:

﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[الأعراف:١٧٦] هو يلهث على كل حال.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران:٣٢] الله لا يحب الكافرين تولوا أم آمنوا.

ـ ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾[النحل:٣٧] .

ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾[النساء:١٢٧].

ـ ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾[فُصِّلَت:٢٤] .

فليس الشرط من باب السبب والمسبب دوماً، وإنما الأصل فيه أنْ يكون كذلك.

فعل الشرط:

١ـ يقع فعل الشرط ماضياً ومضارعاً، نحو: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[إبراهيم:١٩] وقولهم: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[الإسراء:٨].

٢ـ والماضي يفيد الاستقبال في الشرط كثيراً، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ﴾ [البقرة:١٩١] .

٣ـ والماضي قد يفيد الاستقبال في غير الشرط كذلك، نحو قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر:٦٨]، وقوله ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ﴾[الزُّمَر:٧٣]

٤ـ وقد يؤتى بالفعل المضارع مراداً به الماضي، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[فاطر:٩] و﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[البقرة:١٠٢] أي: ما تلت.

٥ـ ومن المعلوم أنّ الفعل المضارع المسبوق بـ[لم] يفيد المضي.

وقد ذهب النحاة إلى أنّ القصد من مجيء الشرط ماضياً وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن وغير الواقع منزلة الواقع، وهذا ما فسروا به التعبير عن الأحداث المستقبلة بأفعال ماضية في غير الشرط أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩] و﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف:٤٧] فهو تفسير عام للتعبير عن الأحداث المستقبلة بأفعال ماضية .

استعمال القرآن لفعل الشرط:

١ـ إنّ التعبير بفعل الشرط بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة واحدة في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد تكرر الحدث وتجدده، نحو قوله تعالى:

شواهد قرآنية: (المذكورأدناه هو فعل الشرط فقط ؛ لذا يرجى مراجعة الآيات في القرآن الكريم):

﴿تُبْدُواْ﴾ ﴿تُخْفُوهَا﴾ ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾[البقرة:٢٧١]جاء بصيغة المضارع؛ لأنّ هذه الأحداث تتكرر وتجدد.

﴿طَلَّقَهَا﴾ [البقرة:٢٣٠] ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ [البقرة:٢٣٦] ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٧] بالماضي؛ لأنّ الطلاق لا يتكرر تكرر الصدقات.

﴿أَنفَقْتُم﴾[البقرة:٢٧٠] إخبار بأنّ ما فعلته أو ما حصل منك قد علمه الله.

﴿تُنفِقُوا﴾[البقرة:٢٧٣] الإنفاق عملية متكررة.

﴿يَشْكُرْ﴾ [لقمان:١٢]؛ لأنّ الشكر يتجدد ويتكرر وينبغي أنْ يتكررفالشكر عمل يومي.

﴿كَفَرَ﴾[لقمان:١٢] الكفر يحدث مرة واحدة ولا يلزم أنْ يتكرر؛ لأنّ الكفر اعتقاد.

﴿يَقْتُلْ﴾[النساء:٩٣] وهو الإصرار والاستمرار في قتل المؤمن.

﴿قَتَلَ﴾[النساء:٩٢] قتل خطأ قليل لا يتكرر.

﴿أَسْلَمَ﴾[البقرة:١١٢] معناه الدخول في الإسلام بدليل الآية ١١١ التي قبلها ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾[البقرة:١١١] فرد الله عليهم ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[البقرة:١١٢] .

﴿أَسْلَمَ﴾[الجن:١٤] .

﴿يُسْلِمْ﴾ [لقمان:٢٢] معناه الخضوع والانقياد لله وهو عمل يومي يفيد الاستمرار والتجدد.

﴿أَرَادَ﴾[الإسراء:١٩]لأنّ إرادة الآخرة أمرٌ واحدٌ والآخرة واحدة.

﴿يُرِدْ﴾[آل عمران:١٤٥] إرادة الثواب تتكرر، وتتجدد في الدنيا فلكل عمل ثواب له.

﴿تَابُوا۟﴾ [التوبة:١١] المقصود بالتوبة هي التوبة العامة ومعناها هنا الدخول في الإسلام.

﴿تَابَا﴾[النساء:١٦] معنى التوبة الانخلاع عن الفاحشة والزنى.

﴿تَتُوبَآ﴾ [التحريم:٤] الكلام موجه إلى زوجي النبي، والتوبة هنا التوبة الجزئية أمثال اللمم والصغائر.

﴿تَعُودُواْ﴾[الأنفال:١٩] نزلت في كفار قريش وهو تهديد للمشركين وإشعار للمؤمنين بأنّ المشركين سيكررون العودة إلى القتال، وهو ما حصل وأخبرهم أنّ الله سيعود إلى نصر المؤمنين.

﴿عُدتُّمْ﴾[الإسراء:٨] في بني إسرائيل، وقد ذكر أنهم يفسدون في الأرض مرتين فأخبر بأنّ لهم عودة بعد تلك المرة.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾[البقرة:٢٤][البقرة:٢٧٩] المضارع مع (لم) يفيد المضي؛ وذلك لأنه خروج عن الربا، والخروج عن الربا يكون دفعة واحدة.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾[التوبة:٣٩] وذلك في الجهاد وهو ماض إلى يوم القيامة يتكرر حصوله.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾[المائدة:٧٣] لأنّ الانتهاء هنا دفعة واحدة.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾[الأنفال:٧٣] التناصر مستمر متجدد، فكان بصيغة المضارع.

﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾[الأنفال:٣٩] ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾[البقرة:١٩٢][البقرة:١٩٣] بالماضي؛ لأنّ القصد هنا الانتهاء الكامل عن الحرب والدخول في الإسلام، بدليل قوله: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٣].

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾[الأنفال:١٩] ﴿تَسْتَفْتِحُواْ﴾[الأنفال:١٩]؛ لأنّ الانتهاء هنا ليس انتهاء عاماً، بل قد تتكرر الحروب بينهما كما حصل فعلاً.

﴿إِن سَأَلْتُكَ﴾[الكهف:٧٦]؛ لأنه سيحصل الفراق بعد سؤال واحد.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾[محمد:٣٧] هذا في سؤال الأموال وهو يتجدد ويتكرر.

٢ـ وقد يؤتى بالفعل الماضي مع الشرط للدلالة على وقوع الحدث جملةً واحدةً وإنْ كان مستقبلاً، ويؤتى بالمضارع لما كان يتقضى ويتصرم شيئاً فشيئاً.

شواهد القرآنية:

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[البقرة:١٩٦] أي: إذا حصل هذا، فعبّر بالماضي .

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠] والمخالطة مستمرة، وليست كالإحصار، فعبر عنها بالمضارع.

﴿إِن نَّسِينَآ﴾[البقرة:٢٨٦] أي: إذا حصل منا نسيان أو خطأ.

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ﴾[البقرة:٢٣٩] ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾[البقرة:٢٣٩] أي: إذا وقع الخوف أو إذا حصل الأمن.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾[الأنفال:٥٨] ففيه معنى الاستمرار والتحسب.

﴿إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف:١٧] ﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾ [الكهف:١٧] الطلوع والغروب يقعان جملة واحدة فعبر عنهما بالماضي.

﴿إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾[الفجر:٤] الليل يفيد الاستمرار والتطاول.

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنبياء:٤٥] أي: وإنْ تطاول عليهم الإنذار وتكرر واستمر.

﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾[النمل:٨٠] أي: إذا أدبروا عنك.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ﴾[النحل:١٨] لأنّ هذا العمل لا يفرغ منه؛ ولأنّ نعم الله كثيرة.

﴿إِذَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران:١٣٥] أي: إذا صدر هذا الأمر ولا يحسن (إذا يفعلون فاحشة)؛ لأنّ فيه معنى الاستمرار وعدم الانتهاء من الفاحشة، فيكون المعنى: أنهم يذكرون الله حين يفعلون ذلك.

٣ـ يكثر التعبير بالفعل الماضي عن الحكم الثابت القائم على المشاهدة والتجربة، وهو ما يكون في الحِكَم نحو: من صبر ظفر، ومن حذر سلم.

بخلاف ما لم يكن كذلك نحو: من يعمل يأكل، فهذه القاعدة تضعها للمستقبل، فلا يحسن فيها (من عمل أكل).

وقد يأتي الشرط للمضي وإن كان فعله ماضياً، وذلك اذا كان بلفظ [كان] وبعدها فعل ماض، انظر الآيات: [المائدة ١١٦ ـ يوسف ٢٧ ـ الأنعام ٥٥ ـ يونس ٧١ ـ الأعراف ٨٧ ـ هود ٣٥ ـ الأحقاف ٨ ـ يس ١٩ ـ آل عمرن ١٥٢ ـ التوبة ٩٢ ـ الكهف ٧١ ـ الكهف ٨٦ ـ النمل ١٨ ـ الجمعة ١١].

وقد يدل الشرط على الحال. انظر الآيات:[البقرة ٢٣ ـ يونس ١٠٤ ـ الحج ٥ ـ العلق ٩،١١ ـ البقرة ٩٣، ١١١، ١٧٢ ـ آل عمران ١١٨].

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية البقرة ١٩٣: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣] وقال في الأنفال آية ٣٩ ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[الأنفال:٣٩] بزيادة ﴿كُلُّهُۥ﴾ فما السبب؟

الجواب:

آية البقرة نزلت في السنة الأولى للهجرة في سرية عبد الله بن جحش الحضرمي، وصناديد قريش لا يزالون أحياء ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم.

وأمّا آية الأنفال فنزلت بعد وقعة بدر وقتل صناديد قريش فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد الله سبحانه رجاءهم بقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[الأنفال:٣٩] أي: لا يعبد سواه.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة﴿فِتْنَةٌ﴾في الآية؟ وهل هي بمعنى النزاع والخصومة؟

الجواب:

كلمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ في الآية بمعنى الكفرأو الشرك، وليس بمعنى النزاع والخصومة، وللعلم فإنّ هناك كلمات في القرآن الكريم قد يفهمها البعض حسب ثقافته ولغته الدارجة، بينما معناها يختلف عن ذلك تماماً ؛ لذلك يجب الانتباه والحذر والرجوع إلى المصادر الصحيحة في اللغة والتفاسير لمعرفة المعنى الصحيح، ومن ذلك:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣] الفتنة هي الكفر، وليس النزاع والخصومة .

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٤٩] الظن هنا يعني اليقين، وليس الشك .

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤] من القيلولة وليس من القول.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] من القسم بمعنى الحلف، وليس من القسمة .

٥ـ قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ﴾ [الأعراف:٩٢] أي لم يقيموا فيها، وليس من الغنى وكثرة المال .

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] أي يتركوهن على قيد الحياة، وليس من الحياء .

٧ـ قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف:١٧٦] أي تطرده وتزجره، وليس من الحمل؛ لأنّ الكلاب لا يحمل عليها .

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[هود:١٧] أي يتبعه، وليس من التلاوة .

٩ـ قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف:٩] أي ألقوه في أرض بعيدة، وليس المعنى إيقاعه على الأرض .

١٠ـ قوله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾[النحل:٥٩] أي على هوان وذل، وليس على مهل .

١١ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[الحج:٣٦] المقصود الإبل؛ أي سقطت جنوبها بعد نحرها، والوجوب ليس بمعنى الإلزام .

١٢ـ قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[الشعراء:١٢٩] المقصود هو القصور والحصون، وليس المصانع المعروفة الآن .

١٣ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[القصص:٣١]﴿الجان﴾ هو نوع من الحيات سريع الحركة، وليس الجن .

١٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾[القصص:٥١] أي بيّنا وفصّلنا لهم القرآن، وليس المراد إيصاله إليهم .

١٥ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[الزخرف:٥٧] بكسر الصاد؛ أي يضحكون، وليس من الصدود .

١٦ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى:٥٠] أي نوعين: ذكوراً وإناثاً، وليس معناه (يُنكحهم) .

١٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾[الرحمن:٢٤] الأعلام هي الجبال، وليس الرايات .

١٨ـ قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الانسان:٢٦] المقصود الصلاة، وليس ذكر اللسان .

١٩ـ قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٩] أي نار جهنم محرقة للجلد، وليس (تلوح للناس) .

٢٠ـ قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] أي انقادت وخضعت، وليس معناها السماح .

٢١ـ قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر:٩] بمعنى (قطعوه) وليس (أحضروه) .

٢٢ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي ضيّق عليه، وليس من القدرة .

٢٣ـ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:٦] أي غير مقطوع، وليس بغير منّة .

٢٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٩] أي رأسه هاوٍ في النار وليس المقصود أمه الحقيقية .

والله أعلم .



﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٤] ؟

الجواب:

هذا الأسلوب يسميه العرب وأهل البلاغة المشاكلة، بأنْ تستعمل اللفظة نفسها وإنْ كان المفهوم مختلفاً. فالمفهوم من الآية عقاب، لكنْ يأخذ اللفظة نفسها فيستعملها على سبيل المشاكلة وليس على سبيل نفس الدلالة التي دلّ عليها، وهذا هو معنى الآية فهو ليس عدواناً وإنما هو عقاب على عدوانهم؛ لأنه ردٌّ للعدوان.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠] فهم يمكرون ويمكر الله، هم يدبرون السوء، والمشاكلة المكر وهو نوع من عقاب الله تعالى، يعاقبهم على مكرهم، فعقوبة الله تعالى لهم سميت مكراً من قبيل المشاكلة، وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠] هذا المكر من الله ليس تدبيراً سيئاً في ذاته، وإنما هو سوء لهم أوسوء عليهم، والأصل في غير القرآن: ويدبر الله لهم العقاب.

قال الشاعر:

قالوا: التَمِس شيئاً نُجِد لك طَبخَه قُلتُ: اطبخُوا لي جُبّةً وقميصاً

فالجبة والقميص لا يطبخان، وإنما يخاطان، والذي سوغ الطبخ في جانب الجبة والقميص وقوع الطبخ الحقيقي مصاحبًا له في البيت، وهي مصاحبة حقيقية في اللفظ.

السؤال الثاني:

لم سُمِّيَ جزاءُ العدوانِ عدواناً ؟

الجواب:

هذا من قبيل المشاكلة اللفظية، وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشورى:٤٠] وكأنّ في ذلك إشارة لك أخي المؤمن إلى أنه الأَولى لك هو الصفح والعفو لا الانتقام ومجازاة المعتدي إذا كان المعتدي عليك مسلماً مثلك، فسمى حقك في الرد على عدوان غيرك عليك عدواناً؛ ترغيباً لك في العفو والصفح.



﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

السؤال الأول:

ما معنى التهلكة في الآية ؟

الجواب:

كلمة (تهلكة) على وزن (تَفْعُلة) ولا نظير لها في اللغة العربية إلا هذا اللفظ .

والهلاك ضد الحياة، ولكل حياة قوانينها، سواء للحيوان والنبات وحتى الجماد فكل شيء يحيا بقوانينه هو، وكل شيء مخلوق لمهمة يؤديها.

وقول الحق: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ﴾ [البقرة:١٩٥] فيه عدة نقاط جديرة بالملاحظة:

١ـ المعنى: أنفقوا في الجهاد وأخرجوا المال لصناعة الأسلحة وتجهيز المباني والحصون والتدريبات فهذه هي أوجه إنفاق المال.

٢ـ كلمة (ألقى) تفيد أنّ هناك شيئاً عالياً وشيئاً أسفل منه، والمعنى: أنّ اليد المغلولة عن الإنفاق في سبيل الله هي التي تُلقي بصاحبها إلى التهلكة؛ لأنه سوف يضعف الجيش ويجترأ العدو على المؤمنين، لذلك فالاستعداد للحرب أنفى للحرب.

٣ـ والمعنى أنه: لا تُقبلوا على القتال إلا إنْ كان غالب الظن أنكم ستنتصرون، فالشجاعة قد تقتضي منك أنْ تحجم وتمتنع عن القتال في بعض الأحيان؛ لتنتصر من بعد ذلك ساعة تُكمل الإعداد له.

٤ـ كلمة ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾[البقرة:١٩٥] من الإحسان، فالله يطلب منا إتقان العمل في القتال وغيره وكلها تخدم قضية الإيمان، ولو علم الذين لا يحسنون أعمالهم بماذا يحرمون الوجود لتحسروا على أنفسهم.

لذلك قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥] فيه تشجيع لكل من يلي عملاً أنْ يحسنه ليكون محبوبا من الله.

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٩٦) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٩٦)﴾[البقرة:١٩٦] لِمَ أظهر هنا لفظ الجلالة ؟

الجواب:

في قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٩٦)﴾[البقرة:١٩٦] أظهر لفظ الجلالة لتربية الهيبة في النفوس من عظمة الله تبارك وتعالى حتى تكون أكثر خشية، وهذا ما يفعله التعبير بالاسم الظاهر أكثر مما يفعله الضمير في هذا الموضع.

السؤال الثاني:

ما الوقفات والدروس في قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾[البقرة:١٩٦] ؟

الجواب:

١ـ جاءت هذه الآية في الكلام عن الحج في سياقها الطبيعي بعد أن ذكر الصيام ورمضان فكان طبيعياً أنْ يتكلم عن الحج.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦] فيها ترتيب تصاعدي في النفع، فالصيام لا يتعدى النفع المباشر فيه إلى الغير، والصدقة عبادة يتعدى فيها النفع إلى الغير، ولكن بقدر وحدود؛ لأنها إطعام عدد محدود من الأفراد، وأمّا النسك فهو ذبيحة ينتفع بها عدد أكبر من الناس.

٣ـ كلمة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [البقرة:١٩٦] أي: أنه لا يملك.

٤ـ سميت أيام التشريق؛ لأنهم كانوا يشرقون اللحم للشمس ليجف ويقدد.

٥ـ قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] حتى لا يلتبس الفهم بأنّ الواو بمعنى (أو) كما في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣] وألا تحل التسع جملة فنفى بقوله: (تلك عشرة) ظن أحد العددين فقط: الثلاثة في الحج أو السبعة بعد الرجوع.

وأما قوله تعالى: ﴿كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] فهي للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] والمعنى: أنها كاملة في الثواب مع وقوعها بدلاً عن الهدي، أو وقوعها موقع التتابع مع تفرقها، أو وقوعها موقع الصوم بمكة مع وقوع بعضها في غير مكة، والحاصل أنه كمالٌ وصفاً لا ذاتاً.

السؤال الثالث:

ما معنى الشرط في الآية ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة:١٩٦] ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ [البقرة:١٩٦] وماذا عن استعماله في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.



﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الفسق والكفر والظلم ؟

الجواب:

١ـ الفسق: هوالخروج عن الطاعة من: (فسقت الرطبة) إذا خرجت من قشرها، ويمتد هذا الفسق من أيسر الخروج حتى يصل إلى الكفر، وكله يسمى فسقاً، فالذي يخرج عن الطاعة وإنْ كان قليلاً يسمى فاسقاً والكافر يسمى فاسقاً أيضاً .

شواهد قرآنية:

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ﴾[الكهف:٥٠] الكلام عن إبليس .

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور:٥٥] الكفر سماه فسوقاً، والنفاق سماه فسوقاً .

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[السجدة:١٨] .

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[التوبة:٦٧] .

والفسق هو الخروج عن الطاعة، والفاسق ليس بالضرورة كافراً؛ لكنْ قد يصل إلى الكفر، وقد لا يصل كما في آية البقرة هذه ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] فالفسوق ليس كفراً هنا، وكيف يكون كفراً في الحج؟

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهذا ليس كفراً. وليس كل فاسق كافراً، لكن كل كافر فاسق قطعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[التوبة:٦٧].

٢ـ الظلم: هو مجاوزة الحد عموماً، وقد يصل إلى الكفر: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] وقد لا يصل.

٣ـ أما الكفر: فهو الخروج عن المِلّة، والكفر أصله اللغوي السِّتْر، وتستعار الدلالة اللغوية للدلالة الشرعية.

السؤال الثاني:

لم عبّر ربنا سبحانه وتعالى بالنفي في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾[البقرة:١٩٧] ولم يعبّر بالنهي فلم يقل: ولا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا؟

الجواب:

ذلك لأنّ النفي أبلغ من النهي الصريح، فالنهي قد يعني أنه يمكن أن يحصل هذا الفعل لكنكم منهيوّن عنه، أمّا النفي فيعني أنّ هذا الفعل ينبغي أنْ لا يقع أصلاً، وأنْ لا يكون له وجود أبداً، فضلاً عن أنْ يفعله أحدٌ منكم أيها المسلمون، ومن ثمّ أدخل النفي على الاسم لينفي جنس الفعل وأصله.

السؤال الثالث:

أمر في الآية بالتقوى بشكل عام ثم أمر أولي الألباب خاصة بالتقوى، فماذا يسمى هذا في اللغة؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾[البقرة:١٩٧]

تأمل أخي المؤمن كيف ذكر الأمر بالتقوى عاماً للناس كلهم، ثم أمر أولي الألباب خاصة بالتقوى، وهذا يسمى الإطناب، وفائدة الإطناب هنا أنْ الأمر بالتقوى ليس خاصاً بأولي الألباب وحدهم ولا يتوجه الكلام إليهم دون غيرهم؛ لأنّ كل إنسان مأمور بالتقوى، لكنْ ذكر هنا الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص وهم أولوا الألباب، وأرجحيته على العام وهم عوام الناس؛ لأنّ الناس يتفاضلون بالألباب وبها يتمايزون.



﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)﴾

السؤال الأول:

ما أهم وقفات هذه الآية ؟

الجواب:

لا مانع أنْ يذهب الإنسان ليحج ويتاجر، وقديماً كانوا يقولون: حاج وداج، لمن يذهب إلى الأراضي المقدسة للتجارة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨] ولم يقل: رزقاً، مثلاً، فما السبب؟

الجواب:

آ ـ قال الحق: ﴿تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨] ولم يقل: رزقاً؟ لأنك في الأصل أنت تذهب إلى الحج ومعك زادك ونفقتك، أي: لا تذهب إلى الحج لتأكل من التجارة، فإنْ كسبت شيئاً إضافياً من التجارة فهو فضل، أي: أمر زائد عن الحاجة.

ب ـ الرزق والفضل من الله، وإياك أنْ تقول: قوة أسباب وذكاء وشطارة، بل الرزق كله من الله.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[البقرة:١٩٨]في الآية ؟

الجواب:

آـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[البقرة:١٩٨] تدل على أنّ الله قد حكم بأنّ عرفات سوف تمتلىء امتلاء، وكل من يخرج منها كأنه فائض عن العدد المحدد لها، فكأنه سيل متدفق.

وهناك إفاضتان: إفاضة من عرفات، وإفاضة من مزدلفة.

ب ـ قيل: إنّ آدم هبط في مكان، وحواء هبطت في مكان، وظل كلاهما يبحث عن الآخر باشتياق شديد لأنهما زوجان وتلاقيا في عرفة، ومن هذا التفرق كان الشوق ثم اللقاء.

ج ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩] أفادت أنه لا بد من المبيت في مزدلفة.

وقال آخرون: إنّ المقصود به من حيث أفاض إبراهيم عليه السلام.

السؤال الرابع:

لماذا كرر طلب الذكر في الآية فقال: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾[البقرة:١٩٨] ؟

الجواب:

كرر طلب الذكر تنبيهاً على أنه أراد ذكراً مكرراً لا ذكراً واحداً، ولأنه زاد في الثاني قوله: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾[البقرة:١٩٨] يعني اذكروه بأحديّته كما ذكركم الله تعالى بهدايته.

أو أنه إشارة إلى أنه أراد بالذكر الأول الجمع بين الصلاتين بمزدلفة، وبالثاني الدعاء بعد الفجر فلا تكرار.



﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾[البقرة:٢٠٠] ؟

الجواب:

١ـ في الآية طلب من الحاج أنْ يكون دائماً ذاكراً، وذكرُ الله يستتبع ذكرالآخرة وما فيها من نعيم وشقاء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة:٢٠٠] الخلاق هو النصيب، لكن لم يقل نصيب؛ لأن الخَلَق والخَلَقَات نستعمله للشيء البالي.

وبالتالي يكون المعنى: أنه حتى هذا النصيب البالي التافه ليس لهم في الآخرة؛ لأنهم هم لا يفكرون أصلاً في الآخرة وإنما في الدنيا، ولذلك هم لم يصفوا بالحسن ما أرادوا بل قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾[البقرة:٢٠٠] أي: يريدون أي شيء في الدنيا فقط .



﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١] ما حسنة الدنيا؟ وما حسنة الآخرة؟ ولِمَ كانت هذه الآية من أحب الدعاء لقلب النبي ﷺ؟

الجواب:

لا شك هي من الآيات الجامعة، ونحن نقرؤها قبل السلام في الصلاة دائما، وثبت أنّ النبي ﷺ كان يقول بهذا الدعاء في الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود .

وحسنة الدنيا هي: الصحة والأمن والكفاية والولد والزوجة الصالحة والنصرة على الأعداء وفهم كتاب الله، وما أشبه ذلك .

وأمّا حسنة الآخرة فهي: الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والجنة ونيل رحمة الله سبحانه . والآية كلمة جامعة لجميع مطالب الدنيا والآخرة .

السؤال الثاني:

ما دلالة هذا التقسيم في الدعاء المذكور في الآية ؟

الجواب:

بيّن الحق سبحانه وتعالى أنّ الذين يدعون الله فريقان:

١ـ من يكون دعاؤهم لطلب الدنيا فقط، وهم الكفار أو المؤمنون، لكنهم يسألون الله لدنياهم فقط .

٢ـ والذين يجمعون في الدعاء بين طلب الدنيا وطلب الآخرة .

وقد كان في التقسيم نظريا قسم ثالث وهو من يكون دعاؤه مقصوراً على طلب الآخرة، واختلف العلماء هل هو مشروع أم لا؟ والأكثرون على أنه غير مشروع ؛ وذلك أنّ الإنسان خُلق محتاجاً ضعيفاً لا طاقة له بمتاعب الدنيا ولا بمشاق الآخرة، فالأولى أنْ يستعيذ بربه من كل شرور الدنيا والآخرة .

وجاء في الحديث عن أنس أنّ النبي ﷺ دخل على رجل يعوده وقد أنهكه المرض، فقال: ما كنت تدعو الله به قبل هذا؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجل به في الدنيا، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله إنك لا تطيق ذلك، ألا قلت:**

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ ». قال: فدعا له رسول الله ﷺ فشُفِيَ .

السؤال الثالث:

جاءت لفظة ﴿حَسَنَةٗ﴾ نكرة مرتين في الآية فما دلالة ذلك؟ وما دلالة الآية ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿حَسَنَةٗ﴾ جاءت نكرة في الموضعين، وهي في الحقيقة وصف لموصوف محذوف، وهذا الموصوف المحذوف هوعلى إطلاقه بما يفكر به الانسان، نحو: آتنا في الدنيا عطايا حسنة بتفاصيلها، وفي الآخرة عطايا حسنة أيضاً بتفاصيلها، فحذف الموصوف وأبقى الصفة.

وجعلها بصيغة النكرة؛ حتى تشير إلى العموم والكثرة فتعني شيئاً عاماً، والله أعلم.

٢ـ والهدف والمعنى والقصد من هذه الآية ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾[البقرة:٢٠١] أي: كونوا كهؤلاء، وهنا ذكر الوصف للموصوف المحذوف، يعني هم يريدون في الدنيا لكن بالوصف الحسن، ولم يقفوا عند هذا وإنما قالوا: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة:٢٠١] أيضاً بكل ما يتصور من العطايا الموصوفة بأنها حسنة في الآخرة، ثم زاد عليهم في دعائهم وهذا تدريب ودعاء أنْ ادعوا هكذا ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١]؛ لأنّ الإنسان لا ينبغي أنْ ينسى أنّ هناك ناراً .

وعمر رضي الله عنه يقول لجلسائه: يا فلان عِظنا، قال: يا أمير المؤمنين تزفر النار زفرة يوم القيامة (هذا الزفير النفخ)، فلا يبقى ملك ولا شهيد ولا نبي ولا صالح إلا

ويجثو على ركبتيه، ولو كان لك عمل سبعين نبياً ما ظننتَ أنك ناج منها. يعني هذه الزفرة مخيفة من بعد ذلك وحتى عندما ينجي الله الذين اتقوا يحسّون بهذه اللذة لذة النجاة من هذه النار.

٣ـ ولمّا كان هؤلاء المؤمنون على منهج الرسل، فعبدوا الله أولاً كما أشار إليه السياق فانكسرت نفوسهم ثم ذكروه على تلك المراتب الثلاث، نارت قلوبهم بتجلي نور جلاله سبحانه فتأهلوا بذلك الدعاء فكان دعاؤهم كاملاً .

السؤال الرابع:

ما الدروس المستفادة من الآية ؟

الجواب:

آـ لماذا لم ننس الدنيا هنا؟ لأنّ الدنيا مزرعة للآخرة، والحسنة هنا جاءت بصيغة النكرة مرتين وهي وصف لموصوف محذوف، أي: أنه أطلقها لتكون عامة وشاملة، فكأننا نقول: يا رب أعطنا كل ما يُحسّن الدنيا عندك لنا، أي: أعطنا في الدنيا عطايا حسنة وأعطنا في الآخرة عطايا حسنة أيضاً.

ب ـ وقوله تعالى: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة:٢٠١] فيها نعمتان:

١ـ مجرد الزحزحة عن النار فيها نعيم، ويقول: الحمد لله أنْ أنجاني من النار.

٢ـ فإذا ما دخل الجنة ورأى نعيمها يحمد الله مرة ثانية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ إلى من يرجع الضمير في لفظة (أولئك) ؟

الجواب:

أنه إشارة إلى الفريق الثاني فقط الذين سألوا الدنيا والآخرة، وقيل: إنه راجع إلى الفريقين كل حسب نصيبه من العمل .

السؤال الثاني:

ما المراد من قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾؟

الجواب:

١ـ وفي "من" ثلاثة أقوال، أحدها: أنها للتبعيض، أي: نصيب من جنس ما كسبوا. والثاني: أنها للسببية، أي: من أجل ما كسبوا. والثالث: أنها للبيان.

٢ـ الآية تدل على أنّ الجزاء من جنس العمل، ولكن بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق الذاتي.

السؤال الثالث:

ما الكسب ؟

الجواب:

١ـ الكسب يطلق على ما يناله المرء بعمله فيكون مكسبه ومكتسبه .

٢- الاكتساب فيه افتعال ولا يكون إلا في الشر، كأنّ الذي يفعل الشر يتكلف فيه.

٣ـ وفي الآية ﴿كَسَبُوا﴾ أي: من الأعمال الصالحة وأعمال الخير والعبادة بأنواعها، والآية تتحدث عن أولئك.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ لأنّ الله يفعل بـ (كن) ولا يحتاج عمله إلى علاج، وبالتالي لا يحتاج إلى زمن، فهو إذن سريع الحساب؛ ولأنه لا يشغله شأن عن شأن؛ وهذا هو الفرق بين قدرة الواحد سبحانه وقدرة الحادث .

ولذلك سئل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الخلائق جميعاً في لحظة واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في ساعة واحدة، فهو الذي يرزقهم وهو الذي يحاسبهم .



﴿ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

لم خصّ الله تعالى الذكر فى هذه الأيام ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ؟

الجواب:

لاحظ أنّ الله أمر عباده بالذِكر مع أنهم في الحج والموسم موسم عبادة، وخَصّ بالذكر الأيام المعدودات وهي أيام رمي الجِمار، وذلك لأنّ أهل الجاهلية كانوا يشغلون هذه

الأيام بالتغامز ومغازلة النساء، فأراد الله تعالى صرفهم عن هذا الإثم إلى الخير دون ذِكر ما يفعلون.

السؤال الثاني:

ما أهم الدروس في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ قول الحق سبحانه: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ وهي أيام التشريق الثلاثة، ثم قوله ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ يدل على أنّ كلمة (أيام) تطلق على الجمع وهو الأكثر من يومين.

٢ـ لكنّ الحق جعل للقيام بيومين حكم القيام بالثلاثة، فإنْ تعجلت في يومين فلا إثم عليك، ومن قضى ثلاثة أيام فلا إثم عليه، فكيف يكون ذلك ؟

والجواب: لأنّ المسألة ليست زمناً ولكنها استحضار نية تعبدية، فقد تجلس ثلاثة أيام وأنت غير مستحضر النية التعبدية؛ لذلك قال الله تعالى في كتابه: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فإياك أنْ تقارن الأفعال بزمنها، وإنما بإخلاص النية والتقوى فيها.

٣ـ كلمة ﴿تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ جاءت لتناسب زحمة الحج، فإذا كنت قد ذهبت باختيارك إلى هذا الحشر البشري في الحج فاعرف أنّ الذي كلفك بهذا الذهاب الاختياري هو القادر على أنْ يأتي بك وقد سُلب منك الاختيار.

٤ـ كان أهل الجاهلية فريقين، منهم من جعل المتعجل آثماً ومنهم من جعل المتأخر آثماً، فأخبر الله بنفي الإثم عنهما جميعاً، أو أنه لا إثم على المتأخر في تركه الأخذ

بالرخصة، مع أنّ الله تعالى يحب أنْ تؤتى رخصه كما يحب أنْ تؤتى عزائمه، أو أنّ معناه انتفاء الإثم عنهما موقوف على التقوى لا على مجرد الرخصة أو العزيمة .



﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف أضيفت كلمة ﴿أَلَدُّ﴾ إلى كلمة بمعناها وهي ﴿ٱلۡخِصَامِ﴾ ؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ إضافة كلمة ﴿أَلَدُّ﴾ إلى ﴿ٱلۡخِصَامِ﴾ مع أنّ معنى (ألدّ) هو شديد الخصومة، وهذا من باب مبالغة القرآن الكريم؛ ليصف لنا ربنا مدى الخصومة التي تسكن قلب المخاصِم، فهو ليس مخاصِماً وحسب ولكنه مخاصِم وخصامه غريب فظيع. ألا ترى كيف تقول لفلان وقد غضب: جُنّ فلان، ولكنه إذا كان كثير الغضب تقول: جُنّ جنونه، والمعنى في الآية: خصامه شديد الخِصام.



﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لفظة (الحرث) من كلمات منظومة (الحديقة) في القرآن. فما كلمات تلك المنظومة؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة (الحديقة) في القرآن، علما بأنه لم ترد كلمتا (بستان) و(حقل) في القرآن، لكنهما وردتا في الحديث .

١- الحديقة:

هي قطعة أرض مدورة فيها ماء وأشجار، وسُميت بهذا تشبيهاً بحدقة العين وفي حصول الماء فيها: [النمل ٦٠ـ النبأ ٣٢ـ عبس ٣٠].

٢- البستان:

إذا اتسعت الحديقة وأصبحت مستطيلة أو مربعة واسعة الأطراف تُسمى بستاناً، وإذا أُطلقت كلمة البستان فهو بستان نخل فقط، وإلا يجب تحديده فيقال: بستان رمان، أو بستان تفاح .

٣-الجنة:

إذا زادت كثافة الأشجار بحيث لا يُرى من دخلها تُسمى جنة، ومنها كلمة الجن؛ لأنهم لا يُرون. [البقرة ٢٦٥، ٢٦٦ـ المؤمنون ١٩].

٤- الحرث:

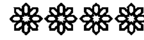
هي الأرض الواسعة التي تُعد للبذر والزرع [آل عمران ١١٧ـ الشورى ٢٠ـ البقرة ٢٠٥ـ الأنبياء ٧٨].

٥- الحقل:

إذا اجتمع في الحرث بستان وزرع وحيوان صار حقلاً .

٦- الروضة:

هي منطقة زراعية كثيرة المياه دائمة الخضرة؛ وسُميت بذلك لأنها تبهج النفس: [الروم ١٥ـ الشورى ٢٢].



﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

معنى: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: ليكن ظاهرك موافقاً لباطنك، فلا يكفي أنْ تقول قولاً يُعجب ولا يكفي أنْ تفعل فعلاً يُعجب الغير؛ لأنّ الله يحب أنْ يكون القول منسجماً مع الفعل، وأنْ يكون فعل الجوارح منسجماً مع نيات القلب.

السؤال الثاني:

كيف تكون جهنم دار مِهاد ونوم في قوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ وصف الله تبارك وتعالى الأرض بأنها مِهاد لنا في حياتنا؛ لأنها مهيأة للسعي والنوم.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾، فهذا أقصى أنواع التهكم بهؤلاء الكافرين، فالإنسان يتخذ المكان الوثير مهاداً ليهنأ بنومه، أمّا الكافر فلِسُخْفِ عقله أخذ النار والعذاب مكان نومه، فتأمل!.

٢ـ وكلمة (مهاد) أي: ممهد ومريح، ولذلك يسمون فراش الطفل المهد.

وهل المهاد بهذه الصورة يناسب العذاب؟ نعم؛ لأنّ الذي يجلس في المهاد لا إرادة له في أنْ يخرج منه كالطفل فلا قوة له أنْ يغادر الفراش.

فإذا كان المهاد بهذه الصورة في النار فهو بئس المهاد.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ختامي الآيتين: آية لقمان ٦ و آية البقرة ٢٠٦، حيث بدأت كلتاهما بالمفرد، لكن انتهت آية لقمان بالجمع ؟

الجواب:

أولاً: استعراض الآيات:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾[لقمان:٦] .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[البقرة:٢٠٦] .

ثانياً: البيان:

١ـ بدأت آية لقمان بالمفرد ﴿مَن يَشْتَرِى﴾ [لقمان:٦] وانتهت بالجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [لقمان:٦] فهل هنالك رابط؟

نعم يوجد رابط؛ فإنه لما قال: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، هذا سيكون تهديداً له ولمن يضلهم، وليس له فقط ،فهو جمعهم في زمرته هو ومن يتبعه (المُضِل والضال)، إذن ليسا واحداً وإنما أصبحت جماعة، فناسب التهديد بصيغة الجمع له ولكل من يضله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان:٦] .

٢ـ في آية البقرة، قال: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة:٢٠٦] بصيغة الإفراد؛ لأنه لم يذكر أحداً معه فبدأ بالمفرد وانتهى بالمفرد؛ لأنه لم يتعلق بالآخر .



﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الرضوان والمرضات؟

الجواب:

١ـ الرضوان: مصدر وهو الرضى، بل الرضوان هو أعظم الرضى وأكبره فخُصّ بالله سبحانه وتعالى. ولم تستعمل في القرآن كلمة الرضوان إلا بمعنى الرضى من الله تعالى فقط . وقد وردت كلمة الرضوان في القرآن الكريم ١٣ مرة .

٢ـ أمّا كلمة: مرضات، فتأتي من الله ومن غيره، فهي ليست مختصة بالله تعالى، وإنما تأتي لله تعالى ولغيره. وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات، منها أربع مرات مع لفظ الجلالة في الآيات: [البقرة ٢٠٧ـ البقرة ٢٦٥ـ النساء ١١٤ـ الممتحنة ١] ومرة واحدة مع أزواج النبي ﷺ في آية التحريم ١.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٠٧].

ـ ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾[التحريم:١].

٣ـ والرضوان أعلى من الجنة، وفي الأثر: «**إنكم لتحتاجون إلى علمائكم في الجنة كما تحتاجون إليهم في الدنيا، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يطُلّ الله تعالى على عباده أصحاب الجنة، فيقول: سلوني، فيحارون ماذا يسألونه وكل شيء موجود، فينظر بعضهم إلى بعض فيذهبون إلى علمائهم يقولون ما نسأل ربنا؟ فيقول العلماء: سلوه الرضا**.

السؤال الثاني:

عادة في القرآن الكريم يجمع بين الصفتين: الرأفة والرحمة، فيقول: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهل أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن؟

الجواب:

١ـ الرأفةُ خاصة: وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، وأمّا الرحمة فعامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧].

٢ـ أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن كله في موطنين لا غير:[آية البقرة ٢٠٧، وآية آل عمران ٣٠] وقال فيهما: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠﴾.

قال تعالى:

ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة:٢٠٧].

ـ ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠﴾[آل عمران:٣٠].

٣ـ ما قال تعالى فيهما: ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠﴾ فلماذا؟ لو لاحظنا السياق الذي وردت فيه الآيتان يتضح الأمر.

آـ في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ فالسياق لا يحتمل رحمة؛ لأنه عندما يقول: ﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ﴾كيف يناسب الرحمة؟ لا يناسب ذكر الرحمة.

ب ـ وكذلك الأمر في سياق آية آل عمران ٦٠، يتكلم فيها عن النفس التي عملت في حياتها سوءاً مع التحذير من ذلك، فلا يناسب ذلك ذكر الرحمة لهؤلاء، والله أعلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ ولم يقل: سالموا بعضكم، مثلاً؟

الجواب:

الدخول يدل على العمق، ومن دخل المنزل صار داخله وفي عمقه ومحاطاً ببنائه، ولذلك من دخل السِّلم صار في أقصى غاية المسالمة وليس مسالماً فقط.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين: السِّلْم ـ والسَّلْم ـ والسَّلَم ؟

الجواب:

السِّلْم - بكسر السين وتشديدها وسكون اللام هو الإسلام وكل الناس مأمورون بالدخول فيه كافة، وهو السلام .

السَّلْم: بفتح السين وكسرها، يُذكّر ويؤنث، هو الصلح أوهو الميل إلى الاستسلام والمسالمة وترك القتال والحرب، وهذه دعوة موجهة إلى الكفار ليجنحوا إليه، وهو محرم على المسلمين.

السَّلَم: بفتح السين وتشديدها وفتح اللام هوالسّلف، وهوأيضاً الاستسلام الذليل المهين حيث يُلقي الكفار للمسلمين السَّلَم في الدنيا.

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[آل عمران:١٠٥] و ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢١٣] في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة (البيّنات) ليست مؤنثاً حقيقياً، لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها.

٢ـ هناك حكم نحويٌّ مفاده أنه يجوز أنْ يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً مع المؤنث غير الحقيقي .

٣ـ والسؤال ليس عن جواز تذكير وتأنيث البيّنات؛ لأنّ هذا جائز كما قلنا، لكن السؤال: لماذا جاء بالاستعمال فعل المذكر ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] مع العلم أنه استعملت في غير مكان بالمؤنث ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[البقرة:٢١٣]؟

والجواب:

آـ عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بمعنى العلامات الدالة على المعجزات والنبوءات يؤنث الفعل .

ب ـ وعندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بمعنى الأمر والنهي يذكر الفعل .

شواهد قرآنية على التأنيث، أي: بمعنى المعجزات والنبوءات:

- ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٩] .

- ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة:٢١٣].

- ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٣] .

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ [النساء:١٥٣] .

شواهد قرآنية على التذكير، أي: بمعنى الأمر والنهي:

- ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:٨٦].

- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥].

- ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر:٦٦].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ معناه: انحرفتم عن الطريق الذي أُمرتم به، ويدخل في ذلك الكبائر والصغائر، وفي ذلك زجر للمؤمن كي يتحرز عن الذنوب كبيرها وصغيرها.

٢ـ دلت الآية على أنّ المؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بعد حصول البيان للمكلف لا حصول اليقين.

٣ـ يحكى أنّ قارئاً قرأ (غفور رحيم) في هذه الآية، فسمعه أعرابي فأنكره، وقال له: الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

السؤال الأول:

الإنسان عادة ينتظر ما يعلم أو يظن وقوعه، والقوم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم لم يصدقوا، فكيف يُفهم ذلك ؟

الجواب:

لما كان واقعاً لا محالة، كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى، ولذلك جاء تهديداً لهم.

ومعنى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.



﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين فعل الأمر: إسأل وسل؟

الجواب:

سل:إذا بدأنا بالفعل مباشرة فالعرب تخفف وتحذف كما في هذه الآية٢١١ من سورة البقرة . وإذا تقدمها أي شيء يؤتى بالهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الإسراء:١٠١] .

وهذه قاعدة عند أكثرية العرب أنه إذا سبقها شيء يبدأ بالهمزة (اسأل)

وإذا بدأنا بها يحذفها؛ أي يبقى (سل) .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النعمة والنعيم ؟

الجواب:

النعمة في القرآن هي لنعم الدنيا وتستعمل مفرداً وجمعاً، كما في الآيات: [البقرة ٢١١ آل عمران ١٠٣ـ ابراهيم ٦].

وأما النعيم فخاص بنعيم الآخرة، وقد وردت كلمة (النعيم) ١٦ مرة في القرآن .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢١١: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ [البقرة:٢١١] بينما أكدها بـ (اللام) في آية الرعد٦ بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾﴾[الرعد:٦] فما سبب تخفيف أو زيادة التوكيد ؟

الجواب:

أولاً ـ القاعدة اللغويـــة:

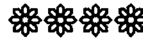
يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢] مع التخفيف ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[الرعد: ٦] مع زيادة التوكيد بزيادة اللام .

ثانياً ـ البيـــان:

قال في آيات البقرة (٢١١) والمائدة (٢) والأنفال (١٣): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة:٢] مؤكداً بإنّ وحدها، بينما قال في سورة الرعد (٦): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ فأكد بإنّ واللام؛ وذلك أنه:

في سورة الرعد ورد قبل الآية ٦ من ذكر العقوبات، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ وذكر من عقوبات الكافرين في الآية ٥ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ فاقتضى ذلك زيادة توكيدها .

وليس السياق كذلك في الآيات الأخرى ولا شيء فيه، فلمّا كان السياق في الرعد سياق العقوبات اقتضى زيادة توكيدها.



﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التذكير في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ﴾ ولم يقل: زينت، مع أنّ الدنيا مؤنث؟

الجواب:

١ ـ من حيث الحكم النحوي: يجوز وليس فيه إشكال؛ لأنّ الحياة مؤنث مجازي، والمؤنث المجازي هو الذي ليس له مذكر من جنسه، فمثلاً: (البقرة) مؤنث حقيقي؛ لأنّ الثور ذكر من جنسها، و(النعجة) لها كبش من جنسها، وكلمة (سماء) ليست مؤنثاً

حقيقياً، وكذلك (الشمس) مؤنث مجازي و(القمر) مذكر مجازي، فإذا كان هنالك مذكر من جنس الكلمة فإنها مؤنث حقيقي، إذن كلمة ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾ مؤنث مجازي يجوز تذكيره وتأنيثه، هذا لغوياً .

٢ـ ثم هنالك فاصل بين الفعل والفاعل ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [البقرة:٢١٢] والفاصل حتى في المؤنث الحقيقي يمكن تذكيره . تقول مثلاً: (أقبلت فاطمة) بالتأنيث، وتقول: (أقبل اليومَ فاطمةُ) طالما فصلنا بين العامل والمعمول؛ لذلك يجوز تذكيره وتأنيثه.

٣ـ إذن من حيثُ النحوُ ليس فيه إشكالٌ:

آ- لكون الفاعل مجازيَّ التأنيثِ

ب - لوجود فاصلٌ بين العامل والمعمول، لكن لماذا اختار التذكير؟

ومما يجدر ذكره أن هنالك قراءة أخرى، وهي: (زَيَّنَ للذين كفروا الحياةَ الدنيا) بالبناءِ للمعلومِ والفاعلُ الشيطانُ ضميرٌ مستترٌ، والحياةَ: مفعول به، وهذه القراءة لا يمكن أنْ يقول فيها: زَيَّنت، لذا التذكير صار واجباً.

إذن في الآية قراءتان: قراءة (زَيَّنَ) بالبناء للمعلوم، و يلزم فيها تذكير الفعل (زين)، وقراءة﴿زُيِّنَ﴾بالبناء للمجهول، ويحسن فيها تذكير الفعل. ولذلك قال تعالى: ﴿زُيِّنَ﴾ ولم يقل: (زينت) لأنه فصل بين(زُين) والحياة الدنيا بفاصل، وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وإذا فصل بين الفعل والفاعل حَسُنَ تذكير الفعل؛ لأنّ الفاصل يغني عن تاء التأنيث.

السؤال الثاني:

لِمَ اختار الله تعالى في الآية صيغة الماضي للتزيين ﴿زُيِّنَ﴾ وصيغة المضارع للسخرية ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؟

الجواب:

أتى فعل التزيين ماضياً ليدلَّنا على أنّ التزيين أمر مستقر في الكافرين، فهم أبد الدهر يعشقون الدنيا ويكرهون الموت، وأتى بفعل السخرية مضارعاً ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ليبيّن لنا ربُّنا سبحانه وتعالى أنّ الكافرين يسخرون من الإيمان وأهله بشكلٍ متجددٍ متكررٍ، وفي ترتيب الفِعلَين دلالةٌ منطقيةٌ لأنَّ السُّخريةَ مبعَثُها حُبُّ الدنيا والشهواتِ والتزيينُ سابقٌ للسخريةِ، فعبَّرَ عنه بالماضي، والسخريةُ ناشئةٌ من تعلُّقِ القلب بالدنيا، فعبّر عنها بالمضارع.

السؤال الثالث:

ما الدلالة البيانية لمجيء الفعل ﴿زُيِّنَ﴾مبنياً للمجهول ؟

الجواب:

هناك خطٌّ عامٌّ واضح في القرآن الكريم، أنه في آيات التزيين فإنّ الله ينسب الخيرَ إلى نفسه، وأمّا تزيينُ القبيحِ فيبنيه للمجهولِ أو ينسِبُه إلى الشيطانِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[الأنفال:٤٨] وقوله ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل:٤] كما في [آية النمل: ٤] لغرض إقامة العقيدة الصحيحة، ولكن لا تجد مطلقاً (زينا لهم سوء أعمالهم) بذكر السوء، والفرق ظاهر بين الأمرين .

السؤال الرابع:

ما دلالات استخدام التعابير ﴿الدُّنْيَا﴾ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿الْآخِرَةُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

أولاً ـ معلومات عددية:

١ـ وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم ١٦٥ مرة.

٢ـ ورد تعبير (الحياة الدنيا) ٦٨ مرة.

٣ـ وردت كلمة (الآخرة) في القرآن الكريم ١١٥ مرة.

٤ـ ورد التعبير (الدار الآخرة) ٩ مرات.

٥ـ تعبير (الدار الدنيا) لم يرد مطلقاً.

٦ـ تعبير (الحياة الآخرة) لم يرد مطلقاً.

٧ـ وردت التعابير (ثواب الآخرة) (عذاب الآخرة) (لقاء الآخرة) (حرث الآخرة) ولم يرد مثل هذه التعبيرات للدنيا.

ثانياً ـ المعـــــاني:

الدنـــيا:

عندما تكون مفردةً تدل على الحياة التي نحياها في هذه الأرض دون أية ظلال أو إيحاءات أخرى، وهي المسافة الزمنية الممتدة من خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

والدنيا على صيغة فعلى، وهي مؤنث: أدنى، وهي مشتقة من الدنوِّ، أي: الأكثر قرباً إليك، نحو:[الجار الأدنى ـ السماء الدنيا ـ العُدوةِ الدنيا، أو من الدناوة].

الآخــــرة:

هي عَلَمٌ على الحياة الثانية التي سيحياها الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا.

الحياة الدنيـــــا:

وهي تعني في القرآن الكريم استغراق الإنسان في هذه الحياة وانغماسه وانشغاله فيها وانصرافه عما بعدها، فكأنّ تعبير الحياة الدنيا صورة لانصراف الإنسان عن ربه وغفلته عن الآخرة.

شواهد قرآنية:

[البقرة ٢١٢ ـ القصص ٧٩ ـ إبراهيم ٣ ـ الأنعام ٢٩].

الحياة الدنيا حياة مؤقتة لا بدّ لها من زوال، أمّا الآخرة فهي حياة دائمة خالدة إمّا في نعيم الجنة وإمّا في شقاء النار.

لذلك قال الله: (الحياة الدنيا) ولم يقل: (الحياة الآخرة)؛ لأنّ الحياة الدنيا فانية زائلة، والحياة في الآخرة خلود لا يزول.

لذلك عبّر عنها بالدار الآخرة؛ لأنّ الدار تحمل معنى الاستقرار والثبات والبقاء، والإنسان لا يشعر بالاستقرار إلا في داره، قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[غافر:٣٩] .

وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣] .

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل:٣٠] .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ﴾[البقرة:٢١٢] ولم يقل: والذين آمنوا فوقهم، فلماذا؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ﴾ ولم يقل: والذين آمنوا فوقهم؛ وذلك ليعزل الاسم عن الوصف، فكم من مدعٍ الإيمان، والله يريد أنْ نأخذ الإيمان بالالتزام بمنهج السماء وليس بالاسم فقط، ولذلك لا تحصل السعادة في الآخرة إلا للمؤمن التقي.

وهذه الفوقية للمؤمنين هي بالمكان؛ لأنّ المؤمنين في علّيّن والكافرين في سجّين، وهي فوقية بالكرامة، وهي فوقية بالحجة.

السؤال السادس:

ما أهم الدروس في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ خلق اللهُ الإنسانَ سيد هذا الكون وسخر له الحيوان والنبات والجماد ليخدمه .

وكان مقتضى العقل أنْ يبحث هذا السيدُ عن جنس أعلى منه، ولن يجد حوله من هو أعلى من جنسه الذي ينتسب إليه، فكان من المفروض أنْ يقول الإنسان: أنا أريد جنساً يعلِّمُني عن نفسي، فأرسل الله سبحانه الرسل وقالوا: أيها الإنسان إنّ الذي أعلى منك هو الله وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وهو قد وضع لك منهجاً لسعادتك ومصلحتك، وكان على الإنسان أنْ يفرح بمجيء الرسل وخصوصاً أن الله تعالى لا يريد خدمة منه بل الإنسان يحتاج لعبادة الله .

لذلك فالإنسان مخيَّرٌ بين خادمٍ له مسخَّرٍ من الجماد والحيوان والنبات، ومُعطٍ مُتفضِّلٍ عليه مختارٍ وهو أعلى منه ،إنه هو الله، وهو يقول للإنسان: خذ الأعلى لتسعدَ.

٢ـ عندما يقول الحق: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فهو يريد أنْ يلفتنا إلى أنّ مقاييس الكافرين مقاييس هابطة، ومن خيبة الإنسان أنْ يأخذ الأدنى ويفضله على الأعلى وهو دليل على حمقه، ومن العجيب أنكم فعلتم ذلك وأنتم في الأدنى وتسخرون من الذين التفتوا إلى الأعلى!!.

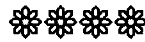
٣ـ كلمة ﴿زُيِّنَ﴾ من الزينة، وهي مؤقتة لا تلبث أنْ تزول.

٤ـ قول الحق: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ ؛ لأنّ خزائنه لا تنفد ويرزق بغير حساب؛ لأنه لا يحكمه قانون وإنما يعطي بطلاقة القدرة، فيعطي المؤمن وحتى الكافر، والله تعالى لا يُسأل عن حكمه فالحكم لله وحده ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣] .

وعلى الإنسان أنْ يعمل في الأسباب، لكن لا يأخذ حساباً من الأسباب ويظن أنّ ذلك هو رزقه؛ لأنّ الرزق قد يأتي من طريق لم يدخل في حسابك ولا في حساباتك.

٥ـ النعمة لا تكون إكراماً من الله إلا إذا وفقك الله في حسن التصرف في هذه النعمة، وكذلك لا تكون النعمة إهانة إلا إذا لم يوفقك الله في أداء حق النعمة بشكر المُنعِمِ وعدمِ الانشغال بها عمن رزقك إياها.

٦ـ قوله: ﴿زُيِّنَ﴾ ولم يقل: (زينت) لأنه فصل بين زُين والحياة الدنيا بفاصل، وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وإذا فصل بين الفعل والفاعل حَسُنَ تذكير الفعل؛ لأنّ الفاصل يغني عن تاء التأنيث.



﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وبما أنّ الناس أمة واحدة فما الغرض من بعث النبيين مبشّرين ومنذرين؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: متفقين على التوحيد مقرّين بالعبودية.

٢ـ السؤال: إذا كانوا كذلك لم أرسلَ الرُّسلَ؟ نقرأ الآية: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[البقرة:٢١٣].

إذن كانوا أمة واحدة فاختلفوا، كما في آية أخرى ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾[يونس:١٩] ولما قال: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ إشارةٌ إلى أنهم اختلفوا، وهذا اقتضى إرسال النبيين والمرسلين.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة (أمّة) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمة (أُمَّة) جاءت في القرآن الكريم بأربعة معانٍ، هي:

١ـ الأمّة بمعنى المِلّة: أي: العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[يونس:١٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[الأنبياء:٩٢] .

٢ـ الأمّة بمعنى الجماعة: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف:١٥٩] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف:١٨١].

٣ـ الأمّة بمعنى الزَّمَن: كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾ [هود:٨] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف:٤٥] .

٤ـ الأمة بمعنى الإمامِ: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل:١٢٠] أي: القُدوةُ.

وقوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣] في سورة البقرة الأمة هنا بمعنى العقيدةِ الواحدةِ والمِلّة الواحدةِ.

السؤال الثالث:

يقولون إنّ هذه الآية لخَّصت تاريخ البشريةِ من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة، فكيف؟

الجواب:

هذه الآية لخّصت تاريخ البشرية من عهد آدم إلى أنْ تقوم الساعة، ومعناها أنّ الناس كانوا على عقيدةٍ واحدةٍ من عهد آدم إلى زمن ما قبل نوح حيث بدّلوا عقيدتهم، فالدين واحد والعقيدة هي الإيمان بالله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران:١٩] ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[آل عمران:٨٥] . وكأنّ في الآية جملةً مقدّرةً (كان الناس أمة واحدة فضلُّوا وتفرَّقوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

السؤال الرابع:

لم أفرد الله عز وجل(الكتابَ) في الآية وجمعَ (النبيين) ؟

الجواب:

بعث الله تعالى الأنبياء فعبّر عنهم بصيغة الجمع ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ولكنه قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ ولم يقل: الكُتُب، مع أنهم جمعٌ متتابعٌ ولم يكن للكلِّ كتابٌ واحدٌ، فلِمَ أفرده تعالى؟

أفرده ليعلِّمَنا أنّ الحقَّ الذي نزل به الأنبياء واحدٌ، ولكنه نزل على فترات، وكلُّ واحد منهم متمِّمٌ لما قبله.

السؤال الخامس:

لماذا أنَّثَ (البينات) فقال: ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول من آية البقرة ٢٠٩.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[البقرة:٢١٤] وفي رواية ورش (يقولُ) بالضَّمِّ فما دلالة الضمِّ؟

الجواب:

١ـ ما الفرق اللغوي في المعنى بين الفعل المنصوب والفعل المرفوع بعد (حتى) ؟

والجواب:

آـ القاعدة أنّ الحرف (حتى) قد يأتي بعده الفعل مرفوعاً وقد يأتي منصوباً، و(حتى) لا تُنصب إلا إذا كان الفعل بعدها مستقبل الوقوع، مثل: سأدرسُ حتى أنجحَ؛ لأنَّ النجاح يكون مستقبلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ [طه:٩١].

ب ـ إذن النصبُ يفيدُ الاستقبالَ، ولذلك هم قالوا: إذا قلت: جئتُ حتى أدخلَ المدينةَ، يعني أنت لم تدخلها بعد، وإنْ كان قد دخلها يقول: جئتُ حتى أدخلُ المدينةَ .لا

تقولها بالرفعِ إلا وأنت في سِكَكِها، فلو سمعناها بالنَّصبِ (حتى أدخلَ) نفهَمُ أنه ما دخلها.

مثال آخر: أنت تقول: ما الذي جاء بك؟ يقولُ: جئت حتى أزورَ فلاناً، أي: يعني أنه لم يزره بعدُ، أمّا إذا قال: جئتُ حتى أزورُ فلاناً، يعني: زاره.

ج ـ لذلك نؤكِّدُ على القاعدة في المعنى: إذا كانت بالرفع تدل على فعل حدثٍ، وإذا كانت بالنصب يعني أنّ الفعل لم يحدث بعدُ.

٢ـ فى الآية يتكلم القرآن عن جماعةٍ مضوا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ بالنَّصبِ، إذن هذا بعد إصابة البأساء والضراء والزلزال ثم قال الرسول، فهوإذن استقبالٌ لما بعد الإصابةِ، أي: هذا مستقبَلٌ بالنسبة لإصابةِ البأساءِ والضراءِ، ونفهم من ذلك أنّ الرسول ﷺ ما قالها إلا بعد البأساءِ والضراءِ والزلزلة النفسيةِ، إذن هذه منصوبة؛ لأنَّ القول يكون بعد البأساء والضراء.

٣ـ (حتى يقولُ) بالرفعِ هذا ماضٍ بالنسبة للإخبارِ عنهم؛ لأنّ الإخبارَ كُلَّه وقع، فأنت الآن تخبِرُ عن أمر ماضٍ وقعَ، فالبأساءُ حدثت والرسول ﷺ قال هذا الكلامَ وأنت تتكلَّمُ عن تاريخٍ، لذلك قوله تعالى: (حتى يقولُ) بالرفعِ، هذا إخبارٌ عما وقع عن حادثةٍ ماضيةٍ، فيقوله بالرفع.

إذن هناك أمران: إذا كان الاستقبالُ لما بعد الإصابةِ يقول: (حتى يقولَ) بالنصب، وإذا كان إخباراً عن كلِّ الحوادثِ يقولها بالرفع (حتى يقولُ).

٤ـ قد يقول قائل: ألا يتعارض هذا بعضه مع بعض؟ والقرآنُ ماذا يريد أنْ يقول؟ هل قالها الرسولُ قبل البأساء أو بعد؟

والجواب: أنّ في الآية جانِبَين: الأول أنه ذكر حالة الرسول ﷺ قبل القولِ فنصبَ، والثاني أنه ذكر حالَ الإخبار عنها بعد القول فرفع، ولا يوجد تعارض بين القراءتين وإنما ذكر حالتين: حالة قبل القول وحالة إخبار بعد القول.

٥ـ نلخص ما سبق:

في الآية قراءتان متواترتان هما:

آـ حتى يقولَ ـ بالنصب.

ب ـ حتى يقولُ ـ بالضم.

والقاعدة النحوية كما ذكرنا أنه إذا كان الفعل مستقبلاً بعد حتى نصبتَ وإذا كان حالاً محكية رفعتَ فقولك: أسيرُ حتى أدخل البلدةَ، إذا لم يتم الدخول نصبتَ الفعلَ، وإذا حصل الدخول رفعت.

(حتى يقولَ) بالنصب:

أي: يقول الرسول مستقبلاً بعد الإصابة بالبأساء والضراء والزلزلة، أي بتقدير: وزلزلوا إلى أن يقولَ الرسول.

(حتى يقولُ) بالرفع:

إخبار عما وقع في الماضي، كأنه تاريخ عن الإصابة بالبأساء والضراء والزلزلة.

فكأنّ القراءتين شملتا الحالتين، قبل القول وبعد القول .

والأكثرية اختاروا النصب؛ لأنّ قراءة الرفع لا تصح إلا إذا جعلنا الكلام حكايةً عمن يخبر عنها حال وقوعها، أمّا قراءة النصب فلا تحتاج إلى هذا الفرض، لذا كانت قراءة النصب أولى.

والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾في الآية؟

الجواب:

انظر أخي المؤمن كيف عبّر الله عن شدة المصاب بقوله ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾وهذا الفعل يدلُّكَ على شدة اضطراب نظام معيشتهم؛ لأنّ الزلزلة تدل على تحرك الجسم في مكانه بشدة، والتضعيف في الفعل زلزلوا يدل على تكرر هذا الحدث.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين المسِّ واللمس ؟

الجواب:

اللمس: يكون باليد خاصة ليُعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، والمس: يكون باليد وبغيرها.

قال تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾[البقرة:٢١٤] وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾[الأنعام:١٧] ولم يقل: يلمسك.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين البأساء والضراء ؟

الجواب:

البأساء: لغة هي الشدة عموماً والمشقة والبؤس والفقر والحرب، ولكنْ أكثر ما تستعمل في الأموال والأنفس.

الضراء: لغة تكون المرض في الأبدان وما يصيب الأموال.

السؤال الخامس:

ما المعلومات النحوية عن الحرف (حتى) باختصار ؟

الجواب:

مقدمة نحوية:

الحرف (حتى) يدخل على الفعل المضارع فينتصب بعده أويرتفع، فهو ينصب بعده إذا كان مستقبلاً، وأمّا إذا كان حالاً أو قولاً عن الماضي فيرفع.

وتأتي (حتى) في معانٍ ثلاث مع النصب:

آ ـ انتهاء الغاية بمعنى: (إلى أن) نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾[طه:٩١].

ب ـ التعليل بمعنى: (كي) كقوله تعالى: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون:٧] وكقولك: أطعت الله حتى أدخل الجنة.

ج ـ مرادفة لمعنى: (إلا أنْ) في الاستثناء.

السؤال السادس:

ما المعنى العام لهذه الآية ؟

الجواب:

ذكر الله تعالى في الآية التي سبقتها أنّ الله يهدي من يشاء إلى الحق وطلب الجنة، فبيّن الله تعالى في هذه الآية للمؤمنين أنّ هذه الفضيلة من الهداية لا يستحقونها إلا بتحمل المحن كما تحملها المؤمنون مع الأنبياء السابقين.

السؤال السابع:

ما دلالة حرف الاستفهام (أم) في الآية ؟

الجواب:

(أم) حرف استفهام نحو: أزيد أفضل أم خالد؟

آ ـ وقد تأتي بمعنى (بل) والهمزة كما في قوله تعالى ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧] والمعنى: بل أعندهم خزائن ربك .

ب ـ وقد يكون الاستفهام بها حقيقياً نحو: هذا المنطلق أحمد أم هو إبراهيم ؟

فقد بنيت كلامك على اليقين أنه أحمد، ثم أدركك الشك وسألت: بل أهو إبراهيم ؟

ج ـ وقد يكون الاستفهام بها غير حقيقي، فيراد به الإنكار والتوبيخ نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩] .

د ـ وكذلك فإنّ (أم) المنقطعة تفيد الإضراب بل قد تتجرد له كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

السؤال الثامن:

كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله أن يقول على سبيل الاستبعاد ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

إنّ كونه رسولاً لا يمنع من أنْ يتأذى من كيد الأعداء، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾[الحجر:٩٧] وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء:٣]وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾[يوسف:١١٠] .

وعلى هذا إذا ضاق قلبه وقلت حيلته وهو يعلم أن نصر الله آت- وإن كان لا يعرف وقته تحديدا- فماذا عليه لو سأل عن موعد ذلك النصر؟: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ حتى إذا علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه قال في الجواب: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ فتضمن الجواب ذكر القرب؛ لأنّ السؤال كان عن قرب النصر، ولو كان السؤال عن وجود النصر من عدمه لما كان الجواب مطابقاً لذلك السؤال.

السؤال التاسع:

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إلى من يعود ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ هو قول الذين آمنوا، وقوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ هو قول الرسول ﷺ ويحتمل أنْ يكون جواباً من الله تعالى لهم تثبيتاً لقلوبهم.

السؤال العاشر:

إنْ قيل إن قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝٢١٤﴾ يوجب في حقِّ كل من لحقته شدة أنْ يعلم أنه سيظفر بزوالها وذلك غير ثابت، فكيف ؟

الجواب:

آ ـ لا يمنع أنْ يكون هذا من خواص الأنبياء عليهم السلام.

ب ـ أو يكون ذلك عاماً؛ لأنّ الإنسان في البلاء إمّا أنْ يتخلص منه أو يموت، وإنْ مات فقد وصل إلى من لا يهمل أمره ولا يضيع حقه، وذلك من أعظم النصر، وإنما جعله قريباً؛ لأنّ الموت قريب.



﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ۝٢١٥﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآيات التي بدأت بقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

كرر القرآن لفظة (ماذا) في الإنفاق مرتين، فقال: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ﴾ في آيتي البقرة ٢١٥، ٢١٩ . فما دلالة هذا التكرار ؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ فجاء بـ(ماذا)، وهذا يدل على المبالغة في الاستفهام؛ ولذلك ـ والله أعلم ـ كرر السؤال مرتين، مرة في الآية ٢١٥، ومرة في الآية ٢١٩، فمرة أجاب عن السؤال ببيان أوجه الإنفاق المشروعة، ومرة أجاب عنه بنوع المال الذي ينفق، فكرر السؤال مرتين، وأجاب عنه مرتين، لأهمية السؤال؛ ولذا جاء بـ (ماذا) بدل (ما) لأنّ (ماذا) أبلغ وأقوى مِن (ما).

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ ما الفرق بين: عالمٍ وعلّامٍ وعليمٍ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿عَـٰلِمُ﴾ في القرآن لم ترد إلا مع (عالم الغيب) مفرداً أو (عالم الغيب والشهادة) عِلماً أنها وردت في (١٤) موضعاً في القرآنِ ولم تَرِد بمعنىً آخر، و﴿عَـٰلِمُ﴾ اسم فاعل لا يدل على الكثير عادة، فاستعملها بالمفرد الذي لا يدل على التكثير.

شواهد قرآنية: مقترنة بالغيب أو بالغيب والشهادة:

ـ ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[الجن:٢٦] .

ـ ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[الأنعام:٧٣] .

٢ـ ﴿عَلَّـٰمُ﴾ خصّصها للغيوبِ، كقوله تعالى:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾[التوبة:٧٨]

ولا تجد كلمة ﴿عَلَّـٰمُ﴾ في القرآن في غير ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ولم ترد إلا مع الغيوبِ جمع الغيب مجموعةً، والعلاّم كثرة والغيوبُ كثرة .

ومثل ذلك (سمّاع وسميع) في القرآن:

آ ـ سمّاع، استعملها في الذمّ، كقوله تعالى:

ـ ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[المائدة:٤١] .

ـ ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾[التوبة:٤٧] .

ب ـ و(سميع) استعملها تعالى لنفسه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٢٤] واستعملها في الثناء على الإنسان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان:٢] وسمّاع لم يستعملها إلا في الذم، إذن القرآن يخصص في الاستعمال.

٣ـ لفظة ﴿عَلِيمٌ﴾ مطلقة، ويستعملها في كل المعلومات:

آ ـ على سبيل الإطلاق ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩] يستعملها إما للإطلاق على الكثير.

ب ـ أو يطلقها بدون تقييد ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[البقرة:٢٤٧] .

ج ـ أو يستعملها مع الجمع أو فعل الجمع.

شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[يس:٧٩] هذه مطلقة و﴿كل﴾ تدل على العموم .

ـ ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة:٢٩] هذا إطلاق أو على العموم.

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة:١١٥] ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[البقرة:٢٤٧] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣٢] .

ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة:٩٥] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران:٦٣] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران:١١٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران:١١٩] مع الجمع نحو (المتقين، المفسدين، الظالمين، بذات الصدور) .

ـ ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة:٢١٥] بفعل الجمع، فلم يقل (وما تفعل من خير).

ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف:١٩] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [النور:٢٨] للجمع أو فعل الجمع.

٤ـ إذن كلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ لم تحدد بشيء معين، إمّا للعموم أو كونها مطلقة من كل شيء أو مع الجمع أو مع فعل الجمع، ولم يأت مع متعلق مفرد مطلقاً في القرآن، لذلك لا تجد: عليم بفلان، أو بفعل فلان.

بينها (علاّم) محددة، و(عالِم) محددة. إذا أراد أحدهم أنْ يدرس هذه الاستعمالات تدرس في باب تخصيص الألفاظ القرآنية، وهذه ظاهرة في القرآن .



﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

السؤال الأول:

جاء الفعل ﴿كُتِبَ﴾ في الآية بصيغة المبني للمجهول. فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعمال ﴿كُتِبَ﴾ فيه شدة ومشقة وما يستكره من الأمور عموماً؛ ولذلك عندما يقول: كُتب عليكم، يكون أمر فيه شدة ومشقة وإلزام، والقتال كله شدة وكره فناسب المبني للمجهول، وهذا هو خط القرآن في ذلك. [راجع الآية ١٨٣].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمة الكَره - بفتح الكاف- والكُرهِ - بضمها- ؟

الجواب:

١ـ الكَره - بفتح الكاف- هو ما يأتي من الخارج، ويقابله الطوع، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[فُصِّلَت:١١] .

٢ـ أما الكُره - بضم الكاف - فهو ما ينبعث من الداخل، كما قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦] جاءت كلمة الكُره؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يكره القتال، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ [الأحقاف:١٥] الحمل في نفسه ثقيل وكذلك آلام الوضع والحمل، وأي إنسان لا يريد المشقة لنفسه أصلاً.

السؤال الثالث:

ما معنى عسى في القرآن؟

الجواب:

آ ـ عسى في القرآن: للترجي وللتوقع، ومن معناها الطمع فيما يستقبل والإشفاق ألا يكون، والفيصل في تحديد المعنى هو السياق.

والكثير في خبرها أنْ يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأنْ، وذلك أنها لمّا كانت للاستقبالِ جاؤوا بأنْ الدالة على الاستقبال فأدخلوها على الخبر، فإذا أرادوا أنْ يقربوها من الحال حذفوا (أنْ)، وهو قليل.

ولذلك يفهم أنّ الحرف (أنْ) مؤذن بتراخي الفعل .

واستعملت عسى على وجهين:

١ ـ فعل ماض جامد مسند إلى اسم ظاهر، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٨] وهنا للترجي، أو إلى ضمير بارز، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[محمد:٢٢] وهنا للتوقع.

٢ ـ فعل ماض جامد مسند إلى(أنْ والفعل) كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦] .

ب ـ وقال بعضهم: في القرآن الكريم بشكل عام تأتي (عسى) من الله بمعنى الحصول والتأكيد

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢]، وفي سورة البقرة: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ

﴿شَرٌّ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦] فينبغي أنْ تتوقع فيما تحب أنْ يكون فيه شر، وأن تتوقع أنه قد يكون خير فيما يكره.

وقد تأتي للتوقع كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد:٢٢] . والفيصل في تحديد المعنى هو السياق، والمعجم يعطي معنى الكلمة مفردة، ولا يصح الاستناد إلى المعجم وحده للفهم .

السؤال الرابع:

كلمة ﴿الْقِتَالُ﴾ في الآية هي إحدى كلمات منظومة الجهاد في القرآن. فما كلمات تلك المنظومة ؟

الجواب:

كلمات منظومة الجهاد الواردة في القرآن هي:

الحرب:

تعني الجهاد العسكري بهدف الاستيلاء على ثروات الآخرين، والحرب الإسلامية لا تكون إلا عند الاعتداء على العقيدة أو الأرض أو العِرض أو الممتلكات [الأنفال ٥٧ ـ المائدة ٣٣ـ البقرة ٢٧٩].

وآية المائدة ٣٣ في قطاع الطرق الذين يسلبون أموال الناس وممتلكاتهم فاستعمل (يحاربون الله ورسوله) ولو قال:(يقاتلون) بدل (يحاربون) لشملت الآية كل من يخيف المارة.

وآية البقرة (٢٧٩) هي آية الربا فقال: بحرب، ولم يقل: بقتال؛ لأنهم سلبوا ما في أيدي الناس من مال.

القتال:

وهي الحرب بقصد إزهاق أنفس العدو. [البقرة ٢١٦ ـ الأنفال ٦٥ ـ الأحزاب ٢٥ ـ محمد ٢٠].

البأس:

هو الحرب بقصد التمكن الكامل بالعدو والانتقام الشديد وكسر النفس: [البقرة ١٧٧، الحشر ١٤].

الزحف:

هو الجيش المتثاقل البطيء لضعفه وقلة قدرته على قتال العدو، والهروب في هذه الحالة من الكبائر[الأنفال ١٥].

الغزو:

إذا كنت في أرضك فأنت مقاتل مدافع، ولكن عندما تضطر لنقل المعركة إلى العدو يُسمى هذا غزواً. [آل عمران ١٥٦].

النفير:

هو جيش النجدة لمساعدة الجيش الأصلي، وهو فرض على النساء والأطفال والشيوخ. [النساء ٧١ ـ التوبة ٤١].

والنفرة مأخوذة من سرعة الهجوم، ولذلك سُمِّيَ الخروجُ من عرفاتٍ إلى المزدلفة نفرةً.

البغي:

هو الحرب غير المشروعة، والتي ليس لها سبب. [الشورى ٣٩ ـ يونس ٢٣].

الجهاد:

ويشمل كل ما سبق، وهو عام: [التوبة ١٦ـ ٢٤ـ النحل ١١٠ـ الأنفال ٧٤ـ المائدة ٣٥].



﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآيات التي بدأت مثل هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾؟.

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾؟

الجواب:

أثير انتباهك أخي المؤمن إلى هذه اللفتة الإلهية، فالله تعالى أخبرنا بأنّ الكافرين مستمرُّون على زعزعةِ إيمانِنا وإخراجِنا من دوحةِ الإسلام ما قُدِّر لهم ذلك، ولاحظ قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ فقد قيّد قُدرَتهم على إخراجِك من الدين، بقوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ وهذا احتراسٌ لئلا يظنُّ السامع أنّ المؤمن سهلٌ إخراجُه عن إيمانِه، فاستعملَ تعالى حرفَ الشَّرطِ ﴿إِنِ﴾ وهو يدلُّ على الشَّكِّ لا اليقينِ ليطمئن أنّ استطاعتهم في ذلك ولو على آحاد المسلمين أمر بعيد المنال لهم؛ لقوة الإيمان التي تتغلغل في القلب فلا يفارقه.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ لِمَ استعمل (الفاء) بدل (ثم)؟

الجواب:

استعمل حرف العطف (الفاء) في قوله: ﴿فَيَمُتْ﴾ وهو حرف يفيد الترتيب والتعقيب ولم يستعمل (ثم) التي تفيد التراخي والمهلة في الزمن؛ أي قال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ

كَافِرٌ﴾ ولم يقل: (ثم يمت وهو كافر). فما السبب؟ ونحن نعلم أنّ معظم المرتدين لا تحضر آجالهم عقب الارتداد بل قد يعمّر المرتد طويلاً، والفاء تفيد الترتيب، والتعقيب: أنْ يقع الأمران متعاقبين متتاليين، فما وجه استعمال الفاء إذن؟ في هذا ارتباط بديع يتمثل في أنّ المرتد يُعاقب بالموت عقوبة شرعية، فإنْ ارتدّ يُقتل حدّاً. والله أعلم .

السؤال الرابع:

لماذا جاءت ﴿يَرْتَدِدْ﴾ بفك الإدغام؟

الجواب:

فكّ الإدغام يكون مع الجزم، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧] وهذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

السؤال الخامس:

كلمة (قتال) تعرب بدلاً في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾[البقرة:٢١٧]، فهل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب:

للبدل أنواع منها: الاشتمال والتخصيص والمدح والذمّ والتوكيد والتفخيم والإيضاح و غيره.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٧] ﴿قتال﴾ تُعرب بدل اشتمال، ولا يجوز إعرابها عطف بيان، لأنهما اختلفا تنكيراً وتعريفاً وفُقِد الشرط.

السؤال السادس:

هل كل ما جاء عطف بيان يُعرب بدلاً؟

الجواب:

١ـ عطف البيان هو قريب من البدل، تقول مثلاً: أقبل أخوك محمد، (محمد) يمكن أنْ تُعرب بدلاً أو عطف بيان.

لكنْ هنالك مواطن ينفرد فيها عطف البيان عن البدل، وقسم من النحاة يذكرون الفروق بين عطف البيان والبدل، ثم يقول أشهر النحاة بعد ذكر هذه الفروق:" لم يتبين لي فرق بين عطف البيان والبدل".

٢ـ عطف البيان على أي حال قريب من البدل، ويصح أنْ يُعرب بدلاً إلا في مواطن:

آـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً، بينما البدل قد يكون فعلاً.

ب ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً أو تابعاً لمضمر (ضميراً أو تابعا لضمير)، بينما البدل يصح أنْ يكون كذلك.

ج ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابعاً لجملة، بينما البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

وهناك مسألتان أساسيتان يركزون عليهما:

١. البدل على نيّة إحلاله محل الأول.

٢. البدل على نية تكرار العامل أو على نية من جملة ثانية.

فإذا قلنا: (يا أيَّها الرجلُ غلامُ زيد) لا يمكن أنْ يكون (غلام) بدلاً، لأننا لو حذفنا (الرجل) تصير الجملة: يا أيها غلام زيد، وهذا لا يصحّ.

السؤال السابع:

قال هنا في الآية ٢١٧: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ وقال في الآية ١٩١: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾

فما سبب ذلك؟ وما دلالته ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.

السؤال الثامن:

ما الدروس المستفادة من هذه الآية باختصار ؟

الجواب:

١ـ الذين سألوا الرسول ﷺ هم المشركون ليعيِّروه بذلك بأنهم استحلوا القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام، وهذا هو قول الأكثرية من المفسرين.

وقيل: إنهم المسلمون سألوا الرسول عن ذلك ليعلموا الحكم، فأخبرهم الله أنّ الصد عن سبيل الله وإخراج أهل الحرم منه والفتنة في الدين أكبر من القتل والقتال في الشهر الحرام وفي الحرم.

٢ـ المعنى المختصر للآية: أنّ القتال في الشهر الحرام على سبيل الدفع جائز.

٣ـ قوله تعالى في آية البقرة ٢١٧: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ أي: سوف يبقون محاولين ردكم عن الإسلام، وقوله: (إنْ استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم.

٤ـ لما بيّن تعالى غرضهم من تلك المقاتلة وهو أنْ يرتد المسلمون عن دينهم، ذكر بعده وعيداً شديداً على الردة، فقال في نفس الآية٢١٧: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

السؤال التاسع:

نكّرت كلمة ﴿قِتَالٍ﴾ في الآية مرتين فما دلالة ذلك؟ وما إعراب ﴿قِتَالٍ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قِتَالٍ﴾ بدل اشتمال، وخفض على البدل من الشهر الحرام، ومثله قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج:٤-٥].

٢ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ فيه مسألتان:

آـ قتال مبتدأ وهو نكرة خُصصت بقوله ﴿فِيهِ﴾ و﴿كَبِيرٌ﴾ خبر ومعنى كبير هنا هو عظيم.

ب ـ نكّر القتال في المرتين، واللفظ النكرة إذا تكرر كان المراد بالثاني غير الأول، نحو: رأيت رجلاً وأكرمت رجلاً، فالرجل الثاني غير الأول.

والقوم أرادوا بسؤالهم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي ذلك القتال المعين الذي أقدم عليه عبد الله بن جحش فقال الله: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ وفيه تنبيه على أنّ القتال

الكبير ليس هو الذي سألتم عنه؛ لأنّ هذا القتال كان الغرض منه نصرة الإسلام وإذلال الكفر، بل هو قتال آخر يهدف لهدم الإسلام وتقوية الكفر، فعبّر سبحانه بالتنكير في المرتين ليبين الفرق بين القتالين وأنهما ليسا متماثلين، ولو عرف الثاني لبطلت هذه الفائدة الجليلة.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ كلها مرفوعة بالابتداء، والخبر: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى أنّ القتال الذي سألتم عنه وإنْ كان كبيراً إلا أنّ هذه الأشياء أكبر منه.

السؤال العاشر:

على أي شيء عطف قوله تعالى ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ ـ عَطْف قوله تعالى ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ذكروا فيه وجوهاً:

آ ـ عطف على الهاء في ﴿بِهِۦ﴾.

ب ـ عطف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو قول الأكثرية، وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

ج ـ عطف على ﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ بتقدير: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام.

د ـ بتقدير إضمار حرف جر، أي بتقدير: وكفر به وبالمسجد الحرام.

٢ـ وعند البصريين وهو ما اختاره الزجاج أنّ قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ كلها مرفوعة بالابتداء، والخبر ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى: أنّ القتال الذي سألتم عنه وإنْ كان كبيراً إلا أن هذه الأشياء أكبر منه.

السؤال الحادي عشر:

ما الصدُّ؟ وما الفتنة المذكورة في الآية ؟

الجواب:

١ـ الصد: هو الصد عن الإيمان بالله ورسوله ﷺ أو صدّ المسلمين بشكل عام.

٢ـ الفتنة: هي الكفر أو ما كانوا يفتنون به المسلمين عن دينهم بالشبهات والتعذيب والإشاعات.

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾. ما أصل الحبط في اللغة ؟

الجواب:

أصل الحبط في اللغة: أنْ تأكل الإبل شيئاً يضرها فتهلك، والمراد من إحباط العمل، أي: بطلانه لفساده.

السؤال الثالث عشر:

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى في الآية: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ ؟

الجواب:

جاء بالصيغة الاسمية للعذاب في الآخرة للدلالة على الاستمرار والثبات، وقال تعالى: ﴿هُمْ﴾ لتخصيصهم ولتأكيد خلودهم في النار. والله أعلم.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى عن المهاجرين: ﴿هَاجَرُوا۟﴾ ولم يقل: (هجروا) مثلاً فهل من فرق بين اللفظين؟

الجواب:

استعمل القرآن كلمة (هاجروا) دون (هجروا)؛ لأنّ (هاجر) تنشأ عن عداوة بين الجانبين، فكلٌّ من المنتقِل وهم أصحاب النبي ﷺ والمنتقَل عنهم وهم المشركون في مكة، كلٌّ قد هجر الآخر وقلاه وطلب بُعده.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾؟

الجواب:

عددت الآية ثلاثة أصناف من الناس:

١ - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ٢ - ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ ٣ - ﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾.

والذين آمنوا إيماناً خالصاً لوجه الله وهاجروا لنصرة الدين وجاهدوا لإعلاء كلمة الإسلام، هؤلاء قد فعلوا كل ذلك وهم يرجون رحمة الله .

ولقائل يسأل: أليست الرحمة مسألة يقينية عندهم؟

والجواب: ليس للعبد عند الله أمر متيقن، فما أدراك أنك لم تُحسن التوبة أو أنك لم تتيقن من استحضار نية الإخلاص لله في عملك ،أو حدثتك نفسك بشيء أفسد عليك عملك، ورسول الله ﷺ وهو سيد الخلق وسيد الموصولين بربهم يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يُرفع ودعاء لا يُسمع**».

وعظمة الرب أنك تدعوه خوفاً وطمعاً، إنْ رغبت فيه ولم ترهبه فأنت ناقص الإيمان، وإنْ رهبت فيه ولم ترغب فإيمانك ناقص أيضاً، لذلك لا بدّ من تلازم الرهبة والرغبة.

ولقد علّمنا رسول الله ﷺ أنّ دخول الجنة لا يكون بالأعمال وحدها ولكن بفضل الله ورحمته ومغفرته، فهو يقول: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، فقالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا حتى يتغمدني الله برحمته**».

لذلك فالمؤمن يرجو رحمة ربه، ولا يشترط على الله وهو يتجه بعمله خالصاً لله ويرجو التقبل والمغفرة والرحمة.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى: ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ﴾ ولم يقل: إصلاحهم في هذه الآية ؟

الجواب:

انظر إلى عظيم عناية الله تعالى ولطفه بعباده الضعفاء. ويتجلّى هذا اللطف في قوله تعالى: ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ﴾ حيث قال: ﴿لَّهُمۡ﴾ ولم يقل: إصلاحهم، لئلا يظن الإنسان أنه ملزم بإصلاح جسده ورعاية جسمه والعناية به وحسبُ ثم يهمل ما عداه، لا. فأنت أيها الكافل اليتيم مأمور بإصلاح ذاته وروحه وعقيدته وخلقه وكل ما يتعلق به.



﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾

السؤال الأول:

ماذا تفيد اللام في قوله تعالى في الآية ﴿وَلَأَمَةٞ﴾ ﴿وَلَعَبۡدٞ﴾؟

الجواب:

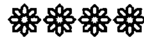
قد تدخل اللام على المبتدأ وتسمى لام الابتداء وهي تفيد التوكيد كما في هذه الآية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وفي آيات أخرى يقول: ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ [البقرة:١١٨] فما الفرق ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الرابع في آية البقرة ١٨٧ .



﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الوجه البلاغي لكلمة (أذى) في الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذه الدقة والإعجاز العلمي، فقد أطلق الله سبحانه وتعالى الأذى ولم يقيّده، فقال (هو أذى) ولم يقل (هو أذى لكم) أو (لهنّ) فهل لهذا التعبير من سبب؟ نعم لأنّ جماع المرأة أثناء حيضها أذى للرجل يسببه الدم الفاسد، وفيه أذى للمرأة ومرض، وفيه

أذى للطفل، والأطباء يقولون: إنّ الجنين إذا تكوّن بجماع خلال الحيض قد يصاب بمرض الجذام.

السؤال الثاني:

ما دلالة المتطهّرين في قوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾؟

الجواب:

الذي يبدو والله أعلم أنّ ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٩] هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة (المطهرين) لغير الملائكة، (والمُطهّر) اسم مفعول وهي تعني: مُطهّر من قِبَل الله تعالى.

وبالنسبة للمسلمين يقال لهم: (متطهرين أو مطّهّرين) كما في هذه الآية، و(متطهرين) هي بفعل أنفسهم، أي: هم يطهرون أنفسهم.

السؤال الثالث:

قال تعالى في هذه الآية البقرة: ٢٢٢ ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ بالتاء، وقال في آية التوبة: ١٠٨ ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بالتشديد. فما الفرق؟

الجواب:

قال في آية البقرة: ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ وفي آية التوبة ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ وذلك:

١ ـ آية البقرة ٢٢٢:

آ ـ هي في الطهر من الحيض والتطهر منه وهو متكررٌ متطاولٌ في العمر، فجاء به على صيغة الفك لأنها أطول.

ب ـ كذلك التطهر هنا أمر بدني للنساء والرجال، فالنساء ينبغي أن يتطهرن من الحيض والرجال ينبغي أن يعتزلوا النساء حتى يتطهرن .

ج ـ الآية في عموم المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين.

٢ـ آية التوبة ١٠٨ :

آ ـ التطهر فيها منظور به إلى التطهر القلبي؛ لأنها نزلت في المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وهذا من فساد الباطن وسوء السريرة ودنس القلب، كما قال الله ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠] وأمر الله رسوله بترك ذاك المسجد .

ثم ذكر بإزاء أولئك المنافقين أصحاب القلوب الدنسة رجالاً آخرين هم أصحاب القلوب الطاهرة، فقال فيهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ومعناه: أنه يحب الذين يبالغون في التطهر .

ب ـ الآية هي في صحابة رسول الله ﷺ.

٣ـ لذلك استعمل الصيغة الطويلة في المدة المتطاولة، واستعمل ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ للبدن بينما استعمل ﴿الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ للقلب، وهو أبلغ وخاصة مع الصحابة؛ لأنهم أكمل الناس طهارة ظاهراً وباطناً.

٤ ـ قد تقول: ولكن الله قال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة:١٠٨] فجاء بالفك ولم يقل (يطّهروا)؟ والجواب: أنّ الله جمع لهم بين التطهُّرَين القلبي والبدني، وذلك أبلغ وأمدح من أنْ يذكرهما بنوع واحد فإنه يحب المتطهرين جميعا.

السؤال الرابع:

من الذين يحبهم الله تعالى؟

الجواب:

من يحبهم الله تعالى:

١ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

٢ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

٣ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

٤ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

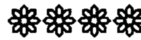
٥ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

٦ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

٧ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

٨ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

اللهم اجعلنا ممن أحبك يارب العالمين، وكذلك كل من يقول: آمين .



﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ فيما يتعلق باللغة:الذي يظهر من التعبير اللغوي ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الحرث هو وضع النبت والزرع والنسل، هذا هو الحرث في اللغة كما في قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾[البقرة:٢٠٥] ومعنى الآية: فاتوا حرثكم، أي: مكان الإنبات والنسل.

٢ـ عبّر عن الجماع بلفظ﴿حَرْثَكُمْ﴾ لأنه لما كان السؤال يحتمل معنى (كيف) و(أين) جاءت لفظة الحرث؛ لأنّ الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور وينبت الزرع وهو المحل المخصوص.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ولماذا جاء بعدها بثلاثة تأكيدات في الآية ؟

الجواب:

معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: كونوا في قيد تقديم الطاعة لا في قيد قضاء الشهوة، وهذه الصيغة فيها أمر وتأكيد، ثم أكد ذلك ثانياً بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ثم أكده ثالثاً بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ وهذه التأكيدات والتهديدات الثلاث لا يليق ذكرها إلا بعد أمر منهي عنه مشتهى عند البعض .

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وفي آيات أخرى ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾[البقرة:٩٥] فما الفرق بين التعبيرين ؟

الجواب:

١ـ الآيات التي فيها فعل ﴿قَدَّمَتْ﴾ ليس فيها كسب .

شواهد قرآنية:

[البقرة ٩٥ـ النساء ٦٢ـ القصص٤٧ـ الروم٢٦ـ الشورى ٤٨ـ الجمعة ٧].

٢ـ آيات الكسب ﴿كَسَبَتْ﴾ يسبقها شيء يدل على الكسب، والكسب هنا هو الكسب غير المشروع.

فمثلاً: في آية الشورى ٣٠ ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى:٣٠]

وسبقها في الآية ٢٧ قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى:٢٧] وبسط الرزق يدل على الكسب.

شواهد قرآنية:

[البقرة ٢٢٥ـ الأنعام ٧٠ـ الرعد ٣٣ـ الروم ٤١ـ غافر١٧ـ الشورى ٣٠ـ الجاثية ٢٢ـ المدثر ٣٨]. والله أعلم.

السؤال الثاني:

كم مرة وردت كلمة﴿حَلِيمٌ﴾في القرآن الكريم ؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾في القرآن ١٥ مرة، وهي:

آـ(١١) مرة كاسم من أسماء الله الحسنى:

في الآيات التالية:

١. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٢٥] .

٢. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

٣. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[البقرة:٢٦٣] .

٤. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[آل عمران:١٥٥] .

٥. ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ
فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن
لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ
بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن
كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ
وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾[النساء:١٢].

٦. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ
تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)﴾[المائدة:١٠١].

٧. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾[الإسراء:٤٤] .

٨. ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾[الحج:٥٩].

٩. ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن
تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا
(٥١)﴾[الأحزاب:٥١].

١٠. ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)﴾[فاطر:٤١] .

١١. ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾[التغابن:١٧] .

ب ـ ووردت مرتين في إبراهيم عليه السلام:

١ . ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة:١١٤] .

٢ . ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود:٧٥] .

ج ـ ووردت مرة في إسماعيل عليه السلام عند البشارة به في قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات:١٠١] .

د ـ ووردت مرة على لسان قوم شعيب الذين كانوا يستهزئون به في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود:٨٧] .

والحليم لا يأتي إلا بخير وهو السمت في الخُلُق العربي، فالتزكية ربع المهمة المحمدية لأنّ عليه يقوم الأمر كله، والرسول ﷺ يقول: «**إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**» فكأنّ هذه المهمة هي المهمة الرئيسة للرسول ﷺ . وكما أنّ الأشياء توزن والأطوال تُقاس فإن وحدة قياس الأخلاق هي خُلُق رسول الله ﷺ؛ لأنه هو المثال البشري المتفوق هيّأه تفوقه أنْ يعيش واحداً فوق الجميع فعاش واحداً بين الجميع.

ونلاحظ في القرآن الكريم أنه عند البشارة بإسماعيل عليه السلام جاءت بقوله تعالى: ﴿ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات:١٠١] فإسماعيل جدّ العرب حليم، فكأنّ الحلم يتصف به جد العرب، والحِلم كله خير ولا يأتي إلا بخير "كاد الحليم أن يكون نبياً".

وفي البشارة بإسحق جدّ اليهود كانت البشارة ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات:٢٨] فكأنّ العلم يتّصف به جدّ اليهود.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٥ ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ وتأتي في آيات أخرى ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما دلالة كل من التعبيرين في الاختيار القرآني ؟

الجواب:

١ـ وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٢٥] أو ﴿حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] في القرآن الكريم في ٦ مواضع هي الآيات: [البقرة ٢٢٥ـ البقرة ٢٣٥ـ آل عمران ١٥٥ـ المائدة ١٠١ـ الإسراء ٤٤ـ فاطر ٤١] بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ أو ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء:٢٣] في ٦٤ موضعاً.

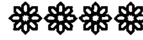
٢ـ الحلم هو الأناة والتعقل، والحليم من أسماء الله الحسنى بمعنى تأخير العقوبة عن بعض المستحقين ثم يعذبهم وقد يتجاوز عنهم .

وكلمة (حليم) في الآيات المذكورة أعلاه لا يؤخذ منها التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت (غفور رحيم)، وإنما جاءت ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ كتهديد بالعذاب لمن لا يرتدع ويتجاوز الحد .

٣ـ ومعنى الآية ٢٣٥ من سورة البقرة: أنه لا يغرنك أيها الزوج حلم الله تعالى عليك فتتمادى في ظلم زوجتك، فإنّ الله مطلع عليك ولا ينسى عملك، وتذكر أنه إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ نجد أنّ السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى ولا يخاف بطشه سبحانه .

كما نلاحظ في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة: أنّ الأفعال جاءت فيها بالمضارع؛ ليدل على أن هذه الأمور متجددة الحصول وقد نقع فيها فلنتنبه، وهذه الأفعال هي:[تذكروهن ـ تواعدوهن ـ تقولوا ـ تعزموا ـ يبلغ ـ يعلم ـ احذروه].



﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الإيلاء أريد به الحلف، فلِمَ قال تعالى: ﴿يُؤْلُونَ﴾ ولم يقل: (يحلفون) أو (يقسمون)؟

الجواب:

لأنّ الإيلاء هو حلف ويمين، ولكنه يقتضي التقصير في حق المحلوف عليه، وهو مشتق من الألو وهو التقصير، والإيلاء فيه إجحاف وتقصير في حق المرأة التي حلف زوجها أنْ لا يقربها.

السؤال الثاني:

لِمَ عدّى الفعل ﴿يُؤْلُونَ﴾ بـ (من) فقال: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ فلِمَ لمْ يقل: (يؤلون على نسائهم)؟

الجواب:

لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يضعك في صورة مشهد هذا اليمين، فالرجل حلف أنْ يبتعد عن زوجه؛ ولذلك عدّى الفعل (يؤلون) بحرف جرٍّ يناسب البُعد وهو (من)، وتفهم معنى الابتعاد فكأنه قال: للذين يؤلون متباعدين عن نسائهم.

السؤال الثالث:

ما المعنى العام للآية ؟

الجواب:

١ـ الإيلاء مثل اليمين أو القسم أو الحلف، ويقصد صاحبها يمينا على ترك الوطء والمجامعة لزوجته.

وقد كان الإيلاء في الجاهلية طلاقاً، ثم إنّ أهل الإسلام فعلوا ذلك فأزال الله تعالى ذلك وأمهل الزوج مدة أربعة أشهر ليتروى ويتأمل، فإنْ رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وإلا فارق المرأة.

٢ـ قال: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ وفيها معنى البعد، فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي: إنْ رجعوا، فالفيء هو رجوع الشيء إلى ما كان عليه من قبل، ولهذا قيل لما تنسخه الشمس من الظل ثم يعود: فيءٌ.

ولذلك معنى ﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي: رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماع نسائهم.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (زوج) و(بعل) ؟

الجواب:

١ـ البعل: هو الذكر من الزوجين، ويُقال: زوج للأنثى والذكر، والبعل في الأصل من الاستعلاء، يعني: السيد القائم المشرف، وبعل المرأة: سيِّدُها، وسُمِّيَ كلُّ مستعلٍ على غيره بعلاً كما في قوله تعالى في آية الصافات: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الصافات:١٢٥] ؛ لأنهم يعتبرونه سيدهم المستعلي عليهم، وسميت الأرض المستعلية: بعلاً.

٢ـ بعل: اسم علم لصنم من ذهب كانوا يعبدونه كمناة وهبل، وكان في مدينة بعلبك في لبنان، ولربما اشتق اسمها من اسمه.

٣ـ الزوج: هو للمواكبة؛ ولذلك تطلق على الرجل والمرأة؛ هي زوجه وهو زوجها، انظر الآيات:[البقرة ٣٥ـ الصافات ٢٢ـ النور ٣١].

٤ـ ولذلك قيل: إنه في القرآن لا يقال (زوجة) إلا إذا كانت مماثلة له.

شواهد قرانية:

آ ـ امرأة فرعون: لم يقل زوج فرعون؛ لأنها ليست مماثلة له، فذكر الجنس: امرأة.

ب ـ امرأة لوط، امرأة نوح؛ لأنها كانت مخالفة له هو مسلم وهي كافرة، فذكر الجنس: امرأة.

بينما قال الله في آية الأحزاب ٦: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ لأنهن فيهن مماثلة فهن على طريقه، وهن جميعاً مؤمنات وأزواجه في الدنيا والآخرة .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ فجاء بـ (الذي) وفي آية البقرة ٢٢٩، قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ فجاء بـ (ما) فما الفرق ؟

الجواب:

١ ـ القاعدة أنّ (الذي) أخص من (ما).

٢ ـ آية البقرة ٢٢٨ جاء بـ (الذي) ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ وهي معلومة في حقوق النساء وواجباتهن .

وأما آية البقرة ٢٢٩ فجاء بـ (ما) ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٢٢٩] ؛ لأنّ ذلك في المهر، وهو غير محدد ولا معلوم.

فجاء للمحدد المعلوم بـ (الذي)، ولما هو عام بـ (ما).

السؤال الثالث:

ما الحكمة في جعل (المطلقات) مبتدأ وجملة (يتربصن) هي الخبر؟ ولِمَ لم يجعل الجملة فعلية فيقول (يتربصن المطلقات)؟

الجواب:

إذا قدمت الاسم فهذا يفيد من التوكيد والقوة ما لا يفيده تأخيره، فقولك: زيدٌ فعل، أقوى من قولك: فعل زيدٌ؛ لأنّ الأول يخصص الفاعل بذلك الفعل وتقديم ذكر المحدث عنه.

السؤال الرابع:

لماذا قيل: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ وما الفائدة بذكر الأنفس ؟

الجواب:

في ذكر(الأنفس) تهييجٌ لهن على التربص؛ وذلك لأنّ أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأراد أنْ يقمعن أنفسهن ويغلبنها ويجبرنها على التربص.

السؤال الخامس:

هل (القروء) جمع كثرة أم جمع قلة ؟

الجواب:

(القروء) جمع كثرة مع أنّ المراد ثلاثة وهي قليلة، ولعلّ السبب أنّ (القروء) أكثر استعمالاً عند العرب من (الأقراء).

السؤال السادس:

لِمَ لمْ يقل: ثلاث قروء، كما يقال: ثلاث حيضات ؟

الجواب:

لأنه اتبع تذكير اللفظ، ولفظ (القروء) مذكر.

السؤال السابع:

ماذا تفيد الآية ؟

الجواب:

الآية تفيد وجوب العدة للطلاق، والله أعلم.



﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا ﴾ لِمَ لمْ يقل: مالاً؟

الجواب:

وردت كلمة (شيء) نكرة، وهو لفظ عميق الدلالة على النكرة، فدلّ استعمال كلمة ﴿ شَيۡـًٔا ﴾ على تحذير الأزواج من أخذ أقل القليل، بخلاف لفظ (المال) فإنه يحذره من أخذ المال ويسمح له بأخذ ما سواه.

السؤال الثاني:

شبّه الله تعالى أوامره بالحدود، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

قوله تعالى في الآية: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ انظر كيف شبه الله سبحانه وتعالى أوامره بالحدود؛ لأنّ (الحد) هو الفاصل بين أملاك الناس، وكذلك أحكام الله تعالى هي الفاصلة بين الحلال والحرام والحق والباطل.

والقاعدة أنّ الله تعالى يستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة:١٨٧] في النواهي كما في آية البقرة ١٨٧، ويستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة:٢٢٩] مع الأوامر كما في هذه الآية .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ جاءت بالصيغة الاسمية، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ ـ قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٩ : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ جاء بالطلقة الثالثة بالرفع؛ وذلك لأنها الطلقة الأخيرة والحكم معها يكون على وجه الدوام، وهو إمّا الإمساك بالمعروف أو التسريح الذي لا رجعة فيه؛ لذلك لم يقلها بالنصب؛ وذلك لأنّ النصب موقوت، فناسب الصيغة الاسمية التي تدل على الثبات والدوام .

٢ ـ ولذلك في سورة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[محمد:٤] جاء بـ ﴿فَضَرْبَ﴾ [محمد:٤] منصوباً وذلك على تقدير الفعل، أي: فاضربوا ضربَ، ولم يأت

بالرفع وذلك لأنه موقوت بالمعركة وليس أمراً دائماً، فجاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٨: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فجاء بـ الذي، وفي آية البقرة ٢٢٩ قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ فجاء بـ (ما). فما الفرق ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٨.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾. ما الحد؟ وما الكلمات التي جاءت شبيهة بهذه الكلمة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

الحد:

هو الطرف الذي يميز الشيء عن غيره فلا يختلط به؛ كحد الأرض.

شواهد قرآنية:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩] .

الطَّرَف:

بداية الشيء ونهايته ولا يمكن فصله عنه.

شواهد قرآنية:

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾[طه:١٣٠] .

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾[الأنبياء:٤٤] .

الحَرف:

طرف الشيء العالي المُدبَّب وهو حادٌّ كالسكين يصعب الوقوف عليه، وإن وقفت يصعب التماسك وتتعرض للسقوط .

شواهد قرآنية:

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[الحج:١١] .

الرجـــا: وجمعها أرجاء، الرجا عكس الحرف، بالمعنى فهو واسع يمكن الجلوس عليه أو تبني فيه.

شواهد قرآنية:

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾[الحاقة:١٧]، فالملائكة حول العرش في غاية الراحة والسعة.

الحافـــة:

مانع يمنعك من السقوط على الطرف .

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ



السؤال الأول:

ما طريقة الاستعمال القرآني لفعل الشرط ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ استعمل (إنْ) ولم يؤكد، فلماذا لم يؤكد الموضوع ؟

الجواب:

لم يؤكد في الآية بـ (إنّ) المؤكدة؛ لأنه ليس المقصود بالظن ههنا اليقين وإنما الرجحان فقط.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما هو الفرق بين (استهزأ بـ)، و(سخر من)؟

الجواب:

١ـ الاستهزاء أعم من السخرية، والسخرية خاصة بالأشخاص ولم ترد في القرآن إلا للأشخاص، أما الاستهزاء فعامٌّ، ورد في الأشخاص وغير الأشخاص.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] الصلاة ليست شخصاً، وإنما أقاويل وأفاعيل .

ـ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾[البقرة:٢٣١] .

ـ ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥] إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص .

٢ـ أمّا السخرية ففي الأشخاص تحديداً ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص كقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨].

إذن الاستهزاء عام، ومعنى الاستهزاء هو السخرية، هم يقولون: المزاح في خفية وهو جانب من السخرية.



﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢] استعمل (العضل) بمعنى المنع والحبس، وهو لفظ أغرب بالدلالة من المنع، فما سبب اختيار هذه الكلمة؟

الجواب:

إنّ المنع قد يحتمل أمرين: منعٌ بحقٍّ ومنعٌ بغير حَقٍّ، أمّا العضل فهو منع ولكنه دون حق أو إصلاح . فنهى الوليّ عن منع المرأة في العودة إلى زوجها دون وجه إصلاح، لذا كان اختيار كلمة تعضُلوهن دون تمنَعوهن.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ الكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ حرف خطاب، وحرف الخطاب في (ذلك) و(تلك) و(أولئك) قد يطابق المخاطب: نحو: ذلك، ذلكما، ذلكنّ حسب نوع المخاطب المشار إليه.

٢ـ حرف الخطاب في اسم الإشارة فيه لغتان، وكلاهما جائز لغوياً:

آ- أنه يجعل مطابقاً للمخاطب إذا كان مفرداً أو مفردة أو مثنى أو جمع ذكور أو إناث.

ب- ولك أن تجعله بلفظ واحد وهو الإفراد والتذكير أياً كان المخاطَب

٣ـ لكن يبقى: كيف استعملها القرآن بيانياً؟

والجواب: أنه مرة يستعملها مفرداً ومرة يستعملها جمعاً. فلماذا؟

هنالك أسباب عدّة لهذا الأمر من جملتها:

آـ أنّ يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير وزيادة التفصيل، فيأتي بالحرف مناسباً؛ لأنّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أكثر من ﴿ذَٰلِكَ﴾ من حيث الحروف، وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة .

شواهد قرآنية: قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فيها تفصيل فقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فجمع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ حتى تتلاءم مع ما قبلها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[النحل:١٢] لأنّ المقام مقام إيجاز.

ب ـ في مقام التوكيد يأتي بما هو أكثر توكيداً فيجمع، وإذا كان أقل توكيداً يُفرِد.

شواهد قرآنية: قوله تعالى في الآيتين:

ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة:٢٣٢] هذا حُكم في الطلاق، قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[المجادلة:١٢] المجادلة قال ﴿ذَٰلِكَ﴾[المجادلة:١٢].

لكن أيُّ الحُكمين آكد وأدوم؟ بالطبع الطلاق آكد وأدوم؛ لأنه حكم عام إلى قيام الساعة يشمل جميع المسلمين ،أمّا الآية الثانية فهي للأغنياء ثم ما لبث أياماً قليلة ونسخ الحكم، حيث قال تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة:١٣]، فالآية الأولى آكد والحكم فيها عام مستمر، أمّا الثانية فالحكم متعلق بجماعة من المسلمين ثم ألغي، فالآية الأولى آكد فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ومع الأقل قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ .

وبشكل عام إذا كان عندنا مجموعتان إحداهما أوسع من الأخرى يستعمل للأوسع ضمير الجمع وللأقل ضمير الإفراد.

السؤال الثالث:

قال في آية البقرة ٢٣٢: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ وفي آية الطلاق ٢: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [الطلاق:٢] فلماذا؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فالخطاب للنبي ﷺ وقُدِّمَ تشريفاً له، ثم عمَّم، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة:٢٣٢] .

وفي آية الطلاق: الخطابِ له وللأُمَّةِ جميعاً، وقدّم تشريفَه بالنداءِ لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١].

٢ـ في اللغة العربية جائز توحيد الكاف ﴿ذَٰلِكَ﴾ وجائز التثنية، والقرآن جاء بالحالتين:

أمثلة قرآنية:

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧].

﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢].

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ
وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا
عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ بالجمع و﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ بالإفراد في آية سورة البقرة؟

الجواب:

١ـ حُكماً أنّ المولود للآباء والأب مولود له؛ لأنّ الولد يُنسَبُ للأبِ، فهو له وليس للأم،، والأب هو المسؤول عنه والذي يتكفله ويرعاه، فهو ليس مولوداً للأمِّ، وإنما مولودٌ للأب، فالأمُّ والدةٌ والأبُ مولود له.

٢ـ الأمر الآخر محتملٌ أنْ يكون للمولودِ له أكثرُ من زوجةٍ، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ بالجمع لتشمل كل الزوجات، وقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ خاصة بواحدة من الزوجات.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ بدون (على) كما في تتمة الآية ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

قال تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ ولم يقل: (على الوالدات)؛ لأنهن لسن مكلَّفاتٍ بإرضاعِ الولدِ فيُمكِنُ لهن ألا يُرضعن أولادهن أو أنْ يأتين بمرضعةٍ، وهن لسن مكلَّفات شرعاً بإرضاع الولد، لكنه تعالى قال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ لأن هذا واجب الأبِ، فجمع سبحانه البيان والشرع والحكم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ لِمَ لم يقل: (على الوالد رزقهنّ)؟

الجواب:

في هذا إيحاء للأب وتذكيرٌ له بأنّ هذا الولد لك، وهذه المنافع التي تقدمها لزوجك المطلَّقة منجرّةٌ إليه، وهذا الطفل مآله إليك، فأنت الأجدر لإعاشته ولتهييءِ أسباب الحياة الكريمة له ولأمه.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾ لِمَ لمْ يقل: ولا (والد بولده) بدل (ولا مولود له بولده) ؟

الجواب:

الرجل المولود له يُنسب إليه الولد ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ هو ابنه استحقاقاً ويُدعى باسم أبيه وينسب له ويلتحق به في النسب له، أمّا الوالد فهو مثل والده لكنْ يختلف الحكم الشرعى، واللام في ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ هذه لام الاستحقاق.

ولو قال: (لا تضار والدة بولدها ولا والد بولده) يكون الحكم واحداً، بينما ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ هذا حكم آخر.

هو ولِد له حكماً وشرعاً وعرفاً فينتسب لأبيه ويلتحق بأبيه (وَلِدَ له)، ولو قال: ولا والد بولده، لصار الحكم واحداً، فلما تغير الحكم تغيرت الصيغة .

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الحول والسنة والعام والحِجَجِ ؟

الجواب:

أشهر ما قيل فيها:

١ـ السَّنَةُ: تستعمل للقحط، والعام: للخصب والرخاء.

شواهد قرآنية:

الأعراف ١٣٠ بمعنى (حتى).قيل: أسنَّت الناسُ، أي: أصابهم القحط.

يوسف ٤٩ بمعنى الخصب والرخاء.

العنكبوت ١٤ (ألف سنة) فيها شدة، وارتاح خمسين سنة.

٢ـ الحول: هو من التحول وانقلاب الشمس وحدوث صيف وشتاء، ولمّا صار صيفاً وشتاء صار حولاً، واستعمله القرآن في الطلاق والموت فقط، فالموت حاجز والطلاق حاجز.

شواهد قرآنية:

البقرة ٢٤٠ السياق في الموت.

البقرة ٢٣٣ السياق في المطلقات، والطلاق تحول في الحياة، ومن غرائب الدقة والاستعمال أنّ الحياة تحولت، هذه أصبحت مطلقة والأخرى توفي عنها زوجها فصار تحولاً في الحياة (حولين كاملين)، و(فصاله في عامين).

لقمان ١٤: لم يقل عامَينِ؛ لأنّ الموت تحوُّل في الحياة.

٣ـ الحِجَجُ، الحِجَّةُ: بمعنى السنةِ، والحَجُّ يأتي مرة في السنة، فيأتي الحاجُّ لزيارة البيت الحرام ويقوم بمناسك معينة ثم يعود الزائر إلى بيته .

وموسى عليه السلام التجأ إلى مدين زائراً وليس للإقامة فيها، ثم عاد بعد سنوات، ولذلك ناسب لفظ (حجج)، ولا تدل كلمة سنة أو عام على الزيارة، (القصص ٢٧).

السؤال السادس:

ما الفرق بين ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ و ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨ .

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ما دلالة إضافة الأجل إلى النساء؟

الجواب:

انظر أخي المؤمن كيف أضاف ربنا تعالى (الأجل) إلى النساء المعتدّات، فقال: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ولم يقل: (إذا بلغن الأجل) إيحاءً بأنّ مشقة هذا الأجل واقعة على المعتدّات، فهن الصابرات والمتعبدات بترك الزينة والتزام بيت الزوجية وفي هذا مشقة؛ ولذلك أضاف الأجل إليهن لإزالة ما عسى أنْ يكون قد بقي في نفوس الناس من استفظاع تسرّع النساء إلى التزوج بعد عدّة الوفاة؛ لأنّ أهل الزوج المتوفى قد يتحرجون من ذلك، فنفى الله تعالى هذا الحرج.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ بصيغة المبني للمجهول، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الفعل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ من الأفعال التي التزمت العرب فيها البناء للمجهول، فنقول: تُوُفِّيَ فلانٌ، ولا نقول تَوَفَّى فلانٌ، وقد حدث ذات يوم أنّ علياً رضي

الله عنه كان يشيع جنازة فقال له قائل: من المتوفِّي؟ بلفظ اسم الفاعل سائلاً عن المُتَوَفَّى، فأجاب عليٌّ بقوله: (الله) ولم يجبه كما يقصد بأنه مات فلان؛ لِيُنَبِّهه على خطئه.

السؤال الثالث:

افتتحت الآيتان (٢٣٤) و (٢٤٠) في سورة البقرة بنفس العبارة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾فما الفرق بين ختامي الآيتين مع أنهما تتحدثان عن المتوفى عنها زوجها؟

الجواب:

منطوق الآيتين يوضِّح الأمر:

١ـ الآية الأولى ٢٣٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني خبير بما شرع ويعلم وجه الحكمة في اختيار التوقيت، ويتبين الحمل بعد أربعة أشهر كما في الحديث: « **يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفةً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح**».

وربنا يعلم سبب اختيار التوقيت ولماذا اختار الخبير هذا التوقيت، وهذا يحتاج إلى خبرة ومعرفة حتى يعطي الحكم لماذا أربعة أشهر وعشراً، ويحتاج أيضاً إلى خبرة في المجتمع، لكن هل يعني ذلك أنْ تبقى المرأة هكذا؟

والجواب أنه بعد العدة إذا أرادت أنْ تخرج المرأة فلا بأس؛ لأنّ بقاءها قد يكون فيه فتنة، أو فيه أمر نفسي، أو فيه شيء.

ولذلك مضمون الآية ٢٣٤ هو الوصية للمرأة بأنْ تتربص بنفسها أربعة أشهر وعشرة أيام، وهذه هي عدة المتوفى عنها زوجها .

٢ـ الآية الثانية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ [البقرة:٢٤٠] في هذه الآية وصّى ربنا الأزواج بألا يُخرجوا أزواجهن من بيوتهم، وهي وصية لمن يتولى الأمر لأنّ الأزواج قد ماتوا، فتبقى المرأة في البيت، وقد يقولون لها: أُخرجي من البيت لأنّ زوجك مات وخرج فينبغي أنْ تخرجي أنتِ. والقرآن يقول: لا، إياكم ألا تراعوا هذه الوصية، ويمكن أنْ يحدث أنّ أهل المتوفى يريدون أنْ ينتفعوا من البيت.

فمضمون الآية الثانية الوصية لأهل المتوفى بألا تُخرج المرأة من مسكنها، وإنما تخرج بنفسها ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ [الطلاق:١] أي: لا تجبر على الخروج ولا تُخرج من البيت قسراً ولها أنْ تبقى إلى الحول، وربنا عزيز ينتقم ممن خالف هذا الأمر.

٣ـ فالمسألة في الآية الأولى متعلقة بالمرأة، والثانية متعلقة بمن يُخرج المرأة، فلمّا كان الحكم متعلقاً بالمرأة كان هذا يحتاج إلى خبرة، فقال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾ وأمّا الآية الثانية فقال: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ كأنه تهديد لمن يخرج المرأة فينتقم الله ممن خالف الوصية .

و(حكيم) تشمل الحُكم والحِكمة، وهي بمثابة ردع وتحذير لمن يحاول أن يُخرج المرأة، فإذا كنت تحكم هذه المرأة فاعلم أنّ الله عزيز حكيم، فالآية الثانية تهديد لمن يخرج المرأة، أما ما يتعلق بحمل المرأة واستبراء الرحم فيحتاج إلى خبرة.

ولذلك وإن تشابهت الآيتان فإنّ السياق مختلف . والله أعلم .

السؤال الرابع:

ما إعراب كلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ في الآية ؟

الجواب:

كلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ في الآية مفعول مطلق بمعنى: يوصي وصية.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة ٢٣٤ ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وآية البقرة ٢٤٠ ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾؟

الجواب:

يجب أنْ نلاحظ دلالة التعريف والتنكير، فالمعرفة في اللغة: هي ما دلّ على شيء معين، والنكرة: ما دلّ على شيء غير معيّن.

١ـ في الآية الأولى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] و(المعروف) في الآية يقصد به الزواج بالذات؛ لأنّ الآية بعدها ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن

لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ [البقرة:٢٣٥] .

فلمّا جاء بالزواج جاء بالباء﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهي الدالّة على المصاحبة والإلصاق، وهذا هو مفهوم الزواج بمعناه المصاحبة والإلصاق.

٢ـ أمّا الآية الثانية فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة:٢٤٠] فهي عامة ويقصد بـ ﴿مَّعْرُوفٍۗ﴾ [البقرة:٢٤٠] هنا كل ما يُباح لها.

السؤال السادس:

ختمت الآية ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ فما دلالة تقديم العمل على الخبرة الإلهية؟

الجواب:

١ـ هنالك قاعدة استنبطت مما ورد في القرآن الكريم:

آ ـ إذا كان السياق في عمل الإنسان قدّم عمله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤].

ب ـ أمّا لو كان السياق في غير العمل أو كان في الأمور القلبية أو كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى قدّم صفة الله (خبير): ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران:١٥٣].

شواهد قرآنية: على تقديم العمل:

ـ ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة:٢٧١] هذا عمل، فلما ذكر عمل الإنسان قدّم عمله فقال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة:٢٧١] .

ـ ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) ﴾ [الحديد:١٠] هذا عمل قتال وإنفاق، فلما ذكر عمل الإنسان قدّم عمله. فقال: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) ﴾ [الحديد:١٠] .

ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾ [البقرة:٢٣٤] هذا عمل فقدّم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾ [البقرة:٢٣٤] .

ـ ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) ﴾ [التغابن:٧-٨] هذا عمل أيضاً.

شواهد قرآنية: على تقديم الخبرة

ـ ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) ﴾ [النمل:٨٨] هذا ليس عمل الإنسان فقدّم الخبرة على العمل وقال: ﴿ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) ﴾ [النمل:٨٨].

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر:١٨] أمر قلبي غير ظاهر.

٢ـ هذا على وجه العموم، فإذا كان الأمر في عمل الإنسان قدّم العمل، وإذا كان في غير عمل الإنسان أو في الأمور القلبية أو عن الكلام عن الله سبحانه وتعالى قدّم (خبير).

والعرب كانت تعي هذه المعاني وتلك القواعد البلاغية، والبليغ هو الذي يراعي صوغ العبارة ويتفنن في مراعاة البلاغة، والعرب كانوا يتفاوتون في البلاغة، لكنهم كلهم كانوا يتكلمون كلاماً فصيحاً من حيث صحة الكلام، حتى كلام المجانين عندهم؛ لأنّ المجانين يتكلمون بلغة قومهم ويستشهدون بأشعار المجانين؛ لأنّ كلامهم يجري على نسق اللغة، قال ﷺ: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**».

السؤال السابع:

هل كانت هناك عدة للمرأة قبل الإسلام ؟

الجواب:

كان الرجل إذا مات عن امرأة أنفق عليها من ماله حولاً وهي في عِدَّته ما لم تخرج، فإنْ خرجت انقضت العدة ولا شيء لها، ثم نسخ الله هذا الحكم بآية البقرة رقم ٢٣٤، فصارت أربعة الأشهر والعشر ناسخة للحول، والله أعلم.

السؤال الثامن:

وردت كلمة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ في الآية، فما الفرق بين الزوج والبعل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣٥.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

لم قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٥] ولم يقل: ولا تعقدوا النكاح؛ حتى يكون اللفظ صريحاً في النهي عن العقد؟

الجواب:

أراد ربنا سبحانه وتعالى أنْ يبين حرمة نكاح المعتدة أثناء عدتها بقوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ . وفي هذه الآية نهي عن عقد دون عزم؛ لأنّ العزم يدل على التصميم، وإذا ما نُهي المؤمن عن التصميم والإرادة كان هذا النهي أبلغ من نهي العمل وهو (ولا تعقدوا) .

والمرء إذا صمم على أمرٍ ما نفّذه، ولذلك كان النهي عن العزم أبلغ في النهي عن المعزوم عليه، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾[البقرة:١٨٧] فقد نُهي عن القرب؛ لأنه أبلغ من النهي عن الوقوع في المحظور.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ بعد ﴿غَفُورٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

آـ لم نعتد كثيراً في القرآن الكريم على لفظ ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وإنما الوارد على الأكثر في القرآن صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فقد وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في القرآن في ٦ مواضع فقط، بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ ٦٤ مرة في القرآن.

أما الآيات التي جاءت فيها صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فهي:

١. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٢٥].

٢. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة:٢٣٥].

٣. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران:١٥٥].

٤. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة:١٠١].

٥. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

٦. ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر:٤١] .

ب ـ الحليم: الحِلمُ لغويا: الأناة والتعقل، والحليم هو الذى لا يسارع بالعقوبة، بل يتجاوز الزلات ويعفو عن السيئات، و(الحليم) من أسماء الله الحسنى بمعنى: يؤخر العقوبة عن بعض المستحقين ثم يعذبهم، وقد يتجاوز عنهم، وقد يعجل العقوبة لبعض منهم .

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر:٤٥] . وقال تعالى عن سيدنا إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾[هود:٧٥]، وعن إسماعيل ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾[الصافات:١٠١] .

وروى أنّ إبراهيم عليه السلام رأى رجلا مشتغلا بمعصية فقال: (اللهم أهلكه) فهلك، ثم رأى ثانياً وثالثاً فدعا فهلكوا، فرأى رابعاً فهمّ بالدعاء عليه، فأوحى الله اليه: (قف يا إبراهيم، فلو أهلكنا كل عبد عصى ما بقى إلا القليل، ولكن إذا عصى أمهلناه، فإن تاب قبلناه، وإنْ أصرّ أخرنا العقاب عنه، لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا) .

ج ـ وإذا أخذنا الآية ٢٣٥ من سورة البقرة ورجعنا إلى سياق الآيات نجد أنّ الله تعالى يُحذّر من بعض التجاوزات التي تحصل في الحياة الزوجية، وقد ينتهي الأمر إلى الطلاق، وقد يكون هناك أولاد. ولو عجّل الله تعالى العقوبة لأصحاب الذنوب ما بقي من الناس أحد، ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾[فاطر:٤٥]

فالله تعالى يؤخّر العقوبة من باب الحِلم، وهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى، ومن أسمائه تعالى الحليم لأنه يُعطي الفرصة لإصلاح الأوضاع، وقد يكون قد حصل بعض التقصير أو بعض الذنوب بين الناس فتسوء أخلاقهم وتضعف ضمائرهم، والله تعالى سبحانه يعطي الناس فرصة للعودة عما حصل منهم.

د ـ والمقصود من قوله تعالى في هذه الآية: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ أنه لا يغرَّنّك أيها الزوج حِلمُ الله تعالى عليك فتتمادى في البطش بزوجتك وبما يحلم الله تعالى عليك، فإنه لا ينسى عملك: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ فكلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ هنا جاءت كتهديد بالعذاب، ولا يؤخذ من كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ هنا التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت بصيغة (غفور رحيم).

هـ ـ ونلاحظ أنّ المولى تعالى في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة والتي ختمت بقوله تعالى ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ يأتي فيها بالأفعال المضارعة، وهذا ليدل على أنّ هذه الأمور متجددة الحصول، ونحن نقع فيها والبعض عليها الآن ﴿سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ ﴿تَقُولُواْ﴾ ﴿تَعۡزِمُواْ﴾ ﴿يَبۡلُغَ﴾ ﴿يَعۡلَمُ﴾ ﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾.

ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ نجد أن السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى، ولا يخاف بطشه سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث:

ما أهم الدروس في الآية ؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يجعل للعواطف تنفيساً، والتنفيس ليس مجرد تعبير عن العاطفة ولكنه رعاية للمصلحة، وكأنّ الحق يقول لنا: (أنا أمنعكم أنْ تخطبوا النساء في العدة أو تقولوا كلاماً صريحاً ولكن لا مانع من التلميح من بعيد) .

٢ـ يقول الحق: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: أنّ الله يعلم أنّ تلك المرأة التي مات زوجها عنها أو طلقها فقد أصبحت أملاً بالنسبة لك، فلو أنه ضيق عليك لعوّق عواطفك ولضاعت منك الفرصة لأن تتخذها زوجة، لذلك أباح التعريض: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ فالمواعدة بالسر أمر منهي عنه، أو يقول لها: تزوجيني، لكنّ المسموح به التعريض بأدب كالثناء وغيره، والمرأة تملك شفافية وألمعية تلتقط بها معنى الكلام ومراده.

٣ـ ولا يصح العزم على الزواج إلا بعد انتهاء العدة، ومعنى العزم: أنْ تفكر في المسألة في نفسك حتى تستقر على رأي أكيد، ثم لك أنْ تقبل على الزواج على أنه أمر له ديمومة وبقاء لا شهوة طارئة.

لذلك الزواج القائم على غير روية والمعلق على أسباب مؤقتة كقضاء الشهوة لا يستمر ولا ينجح.

والذين يبيحون زواج المتعة مصابون في تفكيرهم؛ لأنهم يتناسون عنصر الديمومة في الزواج، والنكاح الأصيل لا يُقيَّد بمدة، والأصل فيه العمر كله، لذلك فنكاح المتعة ليست مسألة زواج وإنما المسألة هي تبرير زنى .

٤ ـ لذلك فعقدة النكاح تمر بثلاث مراحل تعطي للطرفين فرصته للتفكير العميق:

آ ـ التعريض أو التلميح.

ب ـ العزم الذي لا يصح إلا بعد انتهاء فترة العدة.

ج ـ العقد.



﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾



السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ و ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ في آيتي البقرة ٢٣٦و٢٤١ على الترتيب ؟

الجواب:

١ ـ الآية الأولى هي في حالة المرأة المعقود عليها وطُلّقت قبل أنْ يتم الدخول بها أو لم تُفرض لها فريضة، أي: لم يحدد مهرها . أمّا الآية الثانية فهي في حالة المرأة التي عُقد عليه ثم طُلّقت وقد تم الدخول بها.

٢ ـ ففي الحالة الأولى الرجلُ طلّقَ المرأةَ لكنه لم يدخل بها ولم يستفد منها أو يتمتّع بها ولم يحصل بينهما مسيس، فعندما يدفع النفقة يكون هذا من باب الإحسان، والقرآن الكريم لم يحدد القدر بل تركه مفتوحاً كلٌّ حسب سعته، لذا خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ [البقرة:٢٣٦] .

بينما لو دخل عليها واختلى بها وحدث المسيس وخدمته وأسعدته ثم طلّقها فيدفع لها، ولو لم يدفع لها سيدخل النار، لذا ختمت الآية بـ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢٤١] أي (الذين يتّقون العذاب يوم القيامة).

السؤال الثاني:

ماذا تعني كلمة ﴿حَقًّا﴾ في الآية ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة:٢٣٦]؟ وما إعراب: ﴿حَقًّا﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿حَقًّا﴾ تعني حقًّا حقَّقه القرآن للمرأة وليس لأحد أنْ يتجاوزه، ولا تقول المرأة لا أريده إنما تأخذه وتتصدق به إنْ شاءت.

٢ـ و(حقاً) هنا في الآيتين ٢٣٦و ٢٤١ تفيد توكيد مضمون الجملة؛ لأنه تعالى لمّا أمر بالتمتيع وهو إعطاء قسم من المال للمرأة المطلقة على حسب الأحوال في الغنى والفقر، أراد أنْ يبين أنّ ذلك حق لهن، فأكده بقوله ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ و ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾

٣ـ حقاً: مفعول مطلق منصوب.

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

جاء فعل الشرط في هذه الآية ٢٣٧ بصيغة الماضي ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ وكذلك في آية البقرة ٢٣٠. فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ التعبير بفعل الشرط بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة واحدة أو قليلاً، بينما الفعل المضارع يفيد تكرر الحدث وتجدده.

٢ـ لذلك جاء بصيغة الماضي مع أحوال الطلاق؛ لأنّ الطلاق لا يتكرر كثيراً كتكرر الصدقة حيث قال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ وفي آية ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[البقرة:٢٧١] بصيغة الفعل المضارع.

السؤال الثاني:

مامعنى ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ هذه الآية في حالة طلاق الرجل للمرأة المعقود عليها، لكنه لم يتم المسيس بها وحُدد مهرها فلها نصف المهر المسمّى، وهناك استثناء وهو أنْ تعفو المرأة ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾[البقرة:٢٣٧].

٢ـ أما قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة:٢٣٧] فاختلف فيها المفسرون، فقال بعضهم: إنّ الذي بيده عقدة النكاح هو وليّ المرأة، وأمّا البعض الآخر فقال: إنّ الذي بيده عقدة النكاح هو الرجل المطلّق، وهذا يوازن المعنى في الآية أكثر؛ لأنّ الزوج هوالذي بيده عقدة النكاح (وبدون إيجاب وقبول لا يكون هناك عقدة نكاح).

ومعنى أنْ يعفو الذي بيده عقدة النكاح أو الزوج كما قلنا: هو أنْ يعفو الزوج المطلِّق عن القسم الثاني من المهر المسمّى ويعطي المرأة المطلَّقة كامل المهر، فيكون شهماً كريماً معها، والله تعالى سيكافئه على ذلك إن شاء الله.

٣ـ والله تعالى يقول: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فالقرآن انتصر لصالح الزوجة، فلو عفا الزوج يكون أفضل، فالخطاب في قوله: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو للمطلِّقين وليس للمطلقات، والأنسب أنْ يعفو الزوج إذا أراد أنْ يكون من الأتقياء يوم القيامة؛ لأنّ الزوج يعمل وسيحصل على مال غيره، أمّا الزوجة فهي التي تحتاج لمن يعوّضها ويؤنسها ويجبر خاطرها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعاً، إلا أنّ الغلبة للذكور إذا اجتمعوا مع الإناث؛ لأن الذكورة أصل والتأنيث فرع، هذا في اللفظ .

السؤال الثالث:

ما معنى كلمة (العفو) لغة وشرعاً ؟

الجواب:

كلمة (العفو) هي من الألفاظ المستحبة في الشريعة، وهي تعني ما زاد على الشيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩] أي: أنفقوا من المال الزائد على حاجتكم.

السؤال الرابع:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؟

الجواب:

الفضل هو الزيادة، أي: لا تكونوا دقيقين في الحساب.

السؤال الخامس:

ماذا تفيد اللام من معنى في قوله تعالى: ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ ؟

الجواب:

اللام في ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ بمعنى (إلى).

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ في الآية ؟

الجواب:

١- إعراب الفعل: ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أنْ حرف ناصب و (يعفون) فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب، ونون النسوة: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والمصدر: (أنْ يعفون) في محل نصب مستثنى.

٢ـ إعراب ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ يعفو: فعل مضارع منصوب معطوف على ما قبله.

٣ـ إعراب ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ تعفوا: فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير فاعل .، والمصدر: (أنْ تعفوا) في محل رفع خبر مقدم.

السؤال السابع:

ما أهم النقاط والدروس في الآية ؟

الجواب:

١ ـ للزوجة أنْ تعفو عن نصف مهرها وتتنازل عنه لزوجها .

٢ـ قول الحق: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ المقصود به الزوج وليس الولي، والولي ليس له أنْ يعفو في مسألة مهر المرأة؛ لأنّ المهر من حق الزوجة .

٣ ـ يقول الحق: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ؛ لأن من الجائز أنْ يظن أحد الطرفين أنه مظلوم وإنْ أخذ النصف الذي يستحقه، لكنْ إذا لم يأخذ شيئاً فذلك أقرب للتقوى وأسلم للنفوس؛ ولذلك يقول الحق بعد ذلك: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ .



﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ الآية تحث على الصلاة وقد توسطت آيات الطلاق والوفاة، فما دلالة هذا؟

وما دلالة ورود الأمر بالصلاة بين آيات خطاب بني إسرائيل أو آيات الجهاد أو آيات الطلاق ؟

الجواب:

إنّ المشكلات بين الزوجين وأحداث الطلاق أو الوفاة قد تؤدي إلى أنْ يحيف أحد الزوجين على الآخر، وقد يؤدي هذا إلى ظلم الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فأمر الله تعالى بالصلاة حتى لا يحيف أحدهما أو يظلم الآخر ويذكّره بالعبادة، وقد ينتصر أحد الزوجين لنفسه فأمره الله تعالى بالصلاة حتى لا يقع في ذلك، ونذكر أنّ الله تعالى أمر بالصلاة في أحداث أكبر من ذلك عند فقد الأمن، وفي حالة الخوف أمر تعالى بالصلاة أيضاً ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾[النساء:١٠١] .

وكذلك الأمر بالصلاة بين آيات الطلاق له سببان: أولاً حتى لا ينشغل الزوجان بالمشكلات العائلية عن الصلاة فيتركوها، والثاني لئلا يحيف أحدهما على الآخر .

كما يرجى مراجعة جواب السؤال الثالث في آية البقرة ٤٥، وذلك لمزيد من المعلومات.

السؤال الثاني:

ما دلالة عطف الجمع ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ على المفرد ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ هذا يسمى في اللغة عطف الخاص على العام، فالصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات، لكن ذُكرت وحدها لأهميتها .

٢ـ وقيل: إنّ الآية فيها جمع وإفراد؛ لأنها تدل على الفروض ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ والنوافل ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ .

قال في آية البقرة ٢٣٢: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ وفي آية الطلاق ٢: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾

وترك الصلاة عاقبته وخيمة وأمره خطير جداً، والرسول ﷺ لن يشفع يوم القيامة لتارك الصلاة وإنما سيشفع لمن استحق الشفاعة، ولن تنفع تارك الصلاة شفاعة الشهداء والصديقين والصالحين ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدّثر:٤٨] فعلى كل تارك للصلاة أنْ يبادر ويسارع بالتوبة ويبتعد عن التسويف؛ لأنّ الأمر في منتهى الخطورة .

وفي الحديث «**اغتنموا خمساً قبل خمس: صِحَّتك قبل مرضك، وحياتَك قبل موتك، وفراغَك قبل شُغلِك، وشبابَك قبل هَرَمِك، ودنياك قبل آخِرَتِك**» والناس يوم القيامة ستندَمُ على ساعةٍ مرت عليهم لم يذكروا الله تعالى أو يقوموا بعبادة لله أو يتنافسوا في طاعة الله، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**ما من أحد مات إلا ندم، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: يندم المسيء على إساءته، ويندم المحسن على أنه لم يستزد من إحسانه**».

ويقول تعالى في الحديث القدسي: « **يا ابن آدم خلقتك بيدي، وربّيتك بنعمتي، وأنت تهجرني وتعصيني، فإنْ هجرتني وعصيتني حلمت عليك حتى تتوب، ولإنْ تبت إلي**

قبلتك، فإنْ قبلتك غفرت لك، فإنْ غفرت لك أدخلتك الجنة وأنجيتك من النار، فمن أين تجد لك ربّاً مثلي، وأنا الغفور الرحيم» .

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ في الآية ؟

الجواب:

بلغ عدد تفسيرات العلماء لمعنى الصلاة الوسطى حوالي ٣٢ تفسيراً، منها: صلاة العصر ـ صلاة الجمعة ـ صلاة كانت مفروضة سابقا .

ولكن هناك رأي آخر: أنّ الصحابة لم يسألوا عن هذه الآية فاعتبروا أن كل صلاة هي صلاة وسطى .

وبعضهم قال: بما أنّ عدد الصلوات في اليوم خمسة، والله يقلب الليل والنهار، أي: لا توجد نقطة ابتداء أو انتهاء كالدائرة، وتصبح أي صلاة هي صلاة وسطى؛ لأنه تسبقها صلاتان وتتبعها صلاتان فهي وسطى من حيث الوصف، وتفيد الأفضلية والخيرية (كنتم أمة وسطا) فالوسطى هي الصلاة الفاضلة .

وفريق آخر من العلماء قال: إنّ الله أخفاها لفضيلة خاصة تتحرك بين الصلوات حرص الله على إخفائها حتى يتحرك الناس ويحافظوا على كل الصلوات، كما أخفى تعالى اسمه الأعظم حتى لا يترك الناس بقية أسمائه، وكما أخفى ليلة القدر حتى يجتهد الناس في كل ليالي رمضان، وكما أخفى ساعة الاستجابة في يوم الجمعة حتى يتحرك الناس بالدعاء والعبادة طوال اليوم .

وفريق قال: إنّ الآية فيها جمع وإفراد، فالصلاة تدل على الفروض، والصلوات تدل على النوافل، والله أعلم .

السؤال الرابع:

ما دلاة كلمة ﴿وَقُومُواْ﴾بعد كلمة (الصلاة) ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿وَقُومُواْ﴾في آية البقرة ٢٣٨ بعد كلمة الصلاة ولم يختر سبحانه الركوع أو السجود؛ لأنّ كلمة القيام تتناسب مع قيام الرجل على بيته وأهله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤] وقوامون، أي: قائمون بالحفظ على شؤونهم وخدمة أمورهم، وكما أمرنا الله بالحفاظ على نسائنا أمرنا بالحفاظ على الصلاة، وهذا من تناسق القرآن .

وعندما تجد زوجاً قانتاً خاشعاً فلا يمكن أنْ يكون جباراً على زوجته، وإنْ كان جباراً فاعلم أنّ الزوج هذا لم يستكمل صلاته بالخشوع والقنوت، فلو صلى حقيقةً ما تجاسر على زوجته وما تكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

السؤال الخامس:

ما دلالة رسم كلمة (الصلوة) و(الزكوة) في القرآن بـ(الواو) ؟

الجواب:

هذا رسم المصحف وهو قائم على أمرين:

١ـ أنّ أصل الألف فيهما واو من: صلى / يصلو ـ زكى/ يزكو، وأنّ جمع صلاة صلوات.

٢ـ أنه في بعض القراءات تُفخَّمُ فتُمال إلى الواو؛ لذا تكتب بالواو لأصلها وللقراءة.

٣ـ أمّا كلمة السموات فهي أيضاً من خط المصحف، علماً بأنه حين كُتب المصحف كانت حروف العلة [الواو ـ الألف ـ الياء] لا تُرسم مثل الآن ثم تغير الخط لاحقاً. والكتّاب لم يبتدعوا خطاً خاصاً للقرآن وإنما هو الخط المتبع آنذاك.



﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (إذا) و(إن) فى هذه الآية ؟

الجواب:

تأمل هذا اللفظ الإلهي وانظر كيف يسوق لك الأمان والاطمئنان، ألم تر كيف جاء ربنا بالأمن بـ (إذا) فقال ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ وجاء بالخوف بـ (إنْ) ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ فهذا بشارة لنا نحن المسلمين بأنّ النصر والأمن سيكون لنا مهما طال أمر الفزع والخوف، ولكن من أين نفهم هذا المعنى؟ نفهمه من استعمال (إنْ) و(إذا) في الآية. فـ (إنْ) تستعمل في الشك والتقليل فأدخلها ربنا تعالى على الخوف، وتستعمل (إذا) لليقين والقطع فاستعملها ربنا مع الأمن.

السؤال الثاني:

جاء فعلا الشرط ﴿خِفْتُمْ﴾ ﴿أَمِنتُمْ﴾ بالماضي بعد أداة الشرط، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

التعبير بفعل الشرط بالفعل الماضي قد يفيد افتراض الحدث مرة واحدة أو قليلاً، في حين الفعل المضارع يفيد تكرر الحدث وتجدده .

السؤال الثالث:

ما دلالة قواعد استعمال (إذا) و (إنْ) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ إنْ: تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣ .

أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦ .

أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣ .

أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١ .

٢ـ إذا: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات:

[البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

أمثلة مشتركة تتضمن (إذا) و(إن) معا:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الرابع:

ما معنى ﴿رُكۡبَانٗاۖ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الرَّكبُ: هم أصحاب الإبل في السفر، وهم العشرة فما فوقها.

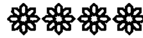
الرُّكبان: الجماعة منهم، وتختص بالإبل فقط.

الرُّكاب: جمع راكب مثل: كافر وكفّار، ولغير الإبل.

الرِّكَاب: الإبل التي يُسار عليها، والواحدة راحلةٌ، ولا واحد من لفظها.

الرَّاكِبُ: إذا كان على العير خاصة، فإذا كان على حصان سمي فارساً، وعلى حمار يسمى فرساً أو حمّاراً.

الرَّكوبةُ ـ بفتح الراء ـ ما يُركَبُ.



﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

نكّر كلمة ﴿مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ في هذه الآية وعرفه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ في آية البقرة ٢٣٤، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٢٣٤.

السؤال الثاني:

الآيتان ٢٣٤ و ٢٤٠ متشابهتان في موضوع الوفاة ومختلفتان في الفاصلة، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٢٣٤.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الحول والعام والسنة والحجج ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٢٣٤.



﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في هذه الآية: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ وقال في الآية ٢٣٦: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٦.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

في بعض الآيات الخطاب للرسول ﷺ بصيغة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ والرسول لم يرها، فما دلالة هذا الخطاب؟

الجواب:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في اللغة العربية تأتي بمعنيين:

آ ـ السؤال عن الرؤية البصرية والرؤية القلبية نحو: ألم تر خالداً اليوم؟ ألم تر الأمر كما أراه؟ هذا معنى .

ب ـ والمعنى الآخر: للتعجُّب، نحو ألم تعلم؟ ألم ينتهِ علمك؟ هذه الصيغة تأتي للتعجيب سواء رآه أو لم يسبق له رؤيته.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ [الملك:١٩] ألم تعجب من هذا؟ ألم تعجب مما يفعله الرحمن؟ وهم يرون ذلك.

ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾[الشعراء:٧]

هذه رؤيا مشاهدة لكن فيها تعجيباً.

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة:٢٤٣] ألم ينته إلى علمك؟ ألم تسمع منهم؟ ألا تتعجب من أولئك؟

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[البقرة:٢٥٨] أي: ألا تعجب من هذا المتكبر وكيف كان يحاوره إبراهيم؟

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾[البقرة:٢٤٦] هي للتعجُّب، والقصد منها التعجُّب و ليلفت نظر السامع الذي يحدثه وكذلك المخاطب إلى أمر يدعو إلى التأمل والعجب من الحالة أو من قدرة الله أو ما إلى ذلك.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين آلاف وألوف ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾في القرآن؟

الجواب:

(الألف): هو العدد المعروف وجمعه (ألوف وآلاف) .

ـ آلاف من أوزان القِلّة (أفعال) لذا هو جمع قلة. وأوزان القِلّة هي: [أفعُل، أفعال، أفعِلة، فِعلة].

وجمع القلة من الثلاثة إلى العشرة، فإنْ تجاوزها دخل في الكثرة .

ـ (ألوف): جمع الكثرة.

لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[آل عمران:١٢٤] .

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة:٢٤٣] قال بعضهم: قطعاً أكثر من عشرة آلاف، وقسم أوصلهم إلى أربعين ألفاً.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣] ثم حرف عطف، فعلى أي شيء عطف؟

الجواب:

قد يحذف أحد المتعاطفين للدلالة عليه كما في هذه الآية، والتقدير: موتوا، فماتوا ثم أحياهم.



﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ فهل هناك قرض سيئ؟

الجواب:

انظر كيف وصف الله سبحانه وتعالى القرض بالحسن؛ لأنّ الله تعالى مطّلع على القلوب ولا يقبل الله تعالى إلا المال الحلال الصرف، ولا يرضى بالمال إلا إذا كان نقياً خالصاً من شوائب الرياء والمنّ.

السؤال الثاني:

ما فائدة ﴿حَسَنًا﴾ بعد ﴿قَرْضًا﴾ في الآية ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ في جميع القرآن لم يذكر القرض إلا ووصفه بالحسن.

٢ـ المقصود بالقرض الحسن:

آـ في الشخص أنْ يكون من دون منٍّ، وعن طيب نفس وبشاشة وجه.

ب ـ وفي المال ينبغي أنْ يكون في المال الحلال الطيب الكريم .

ج ـ وألا يبتغي الخبيث ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢٦٧] .

د ـ ثم في الجهة أنْ يتحرى أفضل الجهات .

هذا هو القرض الحسن يكون من كريم المال وحلاله ويكون من دون منٍّ ويكون في أفضل الجهات التي فيها نفع للمسلمين، ولذلك لا تجده في القرآن إلا موصوفاً بالحسن، ولا تجد القرض إلا لله.

٣ـ الصدقة أطلقها، لكن القرض لم يأت إلا قرضاً حسناً ومع الله تعالى ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[الحديد:١٨] حتى يفرّق بين القرض الذي هو في المعاملات، والقرض الذي هو عبادة مع الله.

٤ـ الإقراض قد يكون بين الناس في المعاملات ولكنّ المقصود هنا هوالعبادات، ولذلك دائماً يقول: ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحديد:١٨] ولو قال: أقرضوا، لم تختص بالعبادة وإنما بالمعاملة بين الناس .

٥ـ ولذلك الصدقة دائماً عبادة، أمّا الإقراض فليس دائماً عبادة فقد يكون في المعاملة والتعامل بين الناس وليس له علاقة بالعبادة.

٦ـ ولذلك هنالك أمران في القرآن: أنه وصف القرض بالحسن، والآخر أنه لله تعالى. وهذان الأمران في جميع القرآن، ولم يرد الإقراض إلا بهذين: أنه حسن وأنه لله تعالى فقط، ولهذا كان ثوابه من الله عز وجل المضاعفة.

السؤال الثالث:

في سورة البقرة قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ وفي آية الحديد ١١ قال: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾[الحديد:١١] واختلفت خاتمتا الآيتين، فما الفرق بين الآيتين؟.

الجواب:

١ـ في سورة البقرة قال تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ أي: ذكر الكم، وفي الحديد ذكر المضاعفة مع الأجر ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي ذكر الكم: فيضاعفه له، وذكر الكيف: وله أجر كريم، فزاد هنا بالأجر الكريم، وهو الحسن البالغ الجودة.

٢ـ سورة الحديد مطبوعة بطابع الإيمان والإنفاق، بينما قال في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ ويقبض معناه يضيّق الرزق ويمسك.

وهنا في الدنيا يحتمل أنّ الشخص يناله قبض أو بسط، وصاحب المال يحتمل أنْ يصيبه قبض، فهذا الذي يصيبه القبض والتضييق في الرزق يحتاج إلى المال .

ولذلك لمّا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ هذا محتاج إلى المال، فقال: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ فأنت عليك أن تنفق حتى لا يصيبك القبض وحتى يأتيك البسط، وهذا من باب تبصيره في الأمر، وفيها تهديد بالقبض .

أمّا في سورة الحديد فليس فيها تهديد بالقبض، فقال تعالى في الحديد: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [الحديد:١١] .

٣ـ وفي سورة البقرة، قال تعالى في آية أخرى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١] وهذا في مقام التكثير، فناسب التكثيرُ التكثيرَ في السورة.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ ؟

الجواب:

١ـ قسم ذهب إلى أنّ الصدقة غير القرض.

٢ـ وقسم قال: القرض هو تطوع ولا يدخل في باب الفروض، والصدقة في الواجب. وربنا تعالى سمّى الزكاة صدقة، لكنْ هي ليست مقصورة على الزكاة فقط وإنما هي عبادة عامة الزكاة واحدة منها، لكنّ قسماً من الصدقة هو فروض كصدقة الفطر وبعض الصدقات.

٣ـ وقسم قال: القرض هو أعمّ من الصدقة، يدخل في الفروض وغير الفروض(ما كان تطوعاً وغير تطوع)، فإذا كان الأمر كذلك فهو من باب عطف العام على الخاص.

٤ـ وقسم يقول: الصدقة هي في الفروض، والقرض هو في التطوع .

٥ـ والذي يبدو- والله أعلم- أنّ القرض في التطوع يختلف عن الصدقة، لأننا نلاحظ أنّ القرآن الكريم يذكر القرض الحسن بعد الزكاة في مواطن، وقد يأمر به بعد

الأمر بالزكاة كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المائدة:١٢] فذكر الزكاة ثم ذكر القرض الحسن والزكاة فرض، فقال بعدها: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾[المائدة:١٢].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[المزّمل:٢٠].

كما يبدو - والله أعلم - أنه لمّا عطفها على الزكاة والزكاة فرض، صار القرض من باب التطوع، أي من باب المندوبات، وليس كل المندوبات فروضاً، لكن علمنا أنّ الزكاة فرض وعطفها على الزكاة فلا يأخذ نفس الحكم؛ لأنه ليس بالضرورة أنْ يأخذ المعطوف نفس الحكم خاصة في المندوبات، فربما يكون قد عطف مندوباً على فرض.

٦ـ ثم تسميته (قرض) المُقرِض ليس ملزماً بالإقراض، والقرض في اللغة إعطاء مال تحديداً ويتوقع استرداده، أمّا الزكاة فلا تُردّ.

ولذلك لمّا قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ فرب العالمين سيرده عليه بأضعاف كثيرة ﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ والمقرِض ليس ملزماً بالإقراض، فإذا أردت الاقتراض من أحد فهو ليس ملزماً بإقراضك، وعندما قال ربنا: ﴿قَرْضًا﴾ معناه أنه ليس ملزماً، ومعناه أنه من باب التطوع، بخلاف التصدق؛ لأن منه ما يلزم.

وقوله تعالى في أكثر من موضع: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كأنه من باب الترغيب، فتسميته قرضاً هو من باب الترغيب، وليس من باب الإلزام.

السؤال الخامس:

ما إعراب كلمة ﴿قَرْضًا﴾في الآية ؟

الجواب:

إعراب ﴿قَرْضًا﴾فيه وجهان: إذا كان المقصود مالاً تحديداً يكون مفعولاً به، وإذا كان مصدراً فيكون مفعولاً مطلقاً.

السؤال السادس:

ما الفرق بين الحسنة والقرض ؟

الجواب:

ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**رأيتُ ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأنّ السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة**» أخرجه ابن ماجه.

وتفسير ذلك: أنك لو تصدقت بدرهم فقد عملت حسنة تُضاعف لك إلى عشر حسنات حسب قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ لكن هل يردّ السائل الدرهم إليك؟ بالطبع لا.

أمّا القرض فإنك تقرض درهماً مثلاً لشخص، فيكون بذلك عشر حسنات، وعندما يرد لك هذا القرض تكون في حقيقة الأمر قد أخذت تسعة، والتسعة حسب قوله تعالى

في آية الحديد ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد:١١] تُضاعف فتكون ثمانية عشر، والله أعلم.

السؤال السابع:

ما الفرق بين خاتمتي الآيتين البقرة ٢٤٥ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ والحديد ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾؟

الجواب:

١ـ آية سورة البقرة واقعة في سياق القتال والموت ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣] بعدها قال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة:٢٤٤-٢٤٥] والإقراض معلّق على نية تجهيز الجيوش ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦] فالآيات في الموت، والقتال والموت والقتل مظنّة الرجوع إلى الله تعالى، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ وهي مناسبة لذكر الموت والقتال.

٢ـ أمّا في سورة الحديد، فالكلام في الإنفاق وليس في الموت والقتال، ولمّا كان الكلام في غير هذا السياق في سورة الحديد قال: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد:١١].

السؤال الثامن:

ما الفرق بين استعمال ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ في آية البقرة ٢٤٥ و﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في آية الملك ٢٤؟ وما دلالة كل تعبير منهما ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في سورة البقرة تتكلم عن الجانب المالي وعن القرض، والمال يذهب ويجيء، والله سبحانه وتعالى يقبضه ويبسطه، فيناسب الكلام عن البسط والقبض الذهاب والإياب، وذهاب المال وإيابه يناسبان كلمة الرجوع، أنتم وأموالكم ترجعون إلى الله؛ لأنّ فيها قبضاً وبسطاً ففيها رجوع، فناسب ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

٢ـ وأمّا آية الملك ٢٤ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ففيها كلمة ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ [الملك:٢٤] وذرأ بمعنى: نشر، يذرؤكم في الأرض، أي: يبثّكم وينشركم في الأرض. هذا الذَّرءُ والبثُّ يحتاج إلى جمع وأنْ يجمَع، والحشر فيه معنى الجمع. والذي يناسب الشيء المنثور الموزع في الأرض كلمة الحشر وليس الرجوع؛ لأنّ الحشر فيه معنى الجمع، واللفظة المناسبة لـ ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الملك:٢٤]؛ أي ﴿بثّكم﴾ تعبير ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الملك:٢٤].

السؤال التاسع:

وردت ﴿وَيَبْصُطُ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في سورة البقرة، بينما سائر ما في القرآن ﴿يَبْسُطُ﴾[الرعد:٢٦] بالسين في أكثر من عشرة مواضع، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام حرف الصاد أقوى من حرف السين؛ وذلك أنّ:

آـ حرف الصاد له أربع صفات قوية: [الاستعلاء والإطباق والإصمات والصفير] وله صفتان ضعيفتان هما: [الهمس والرخاوة].

ب ـ حرف السين له صفتان قويتان فقط، هما: [الإصمات والصفير] وله أربع صفات ضعيفة، هي: [الهمس والرخاوة والاستفالة والانفتاح].

٢ ـ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يختص بشيء دون شيء، فالله هو القابض الباسط في النعم والأرزاق والأعمار والآجال والملك والصدور والتقتير والتوسيع، يسلب قوماً ويعطي قوماً، ويقبض الصدقات ويخلف البذل، فهو بسط مطلق غير مقيد.

٣ ـ بينما في الآيات الأخرى ترى البسط مقيَّداً بالرزق أو بغيره مثل الغيث في الروم: ٤٨.

٤ ـ البسط المطلق أقوى وأعم من البسط المقيد، فجاء بالصاد في الأقوى وجاء للمقيد بالسين .

انظر جدولي صفات الحروف أدناه:

جدول ملخص صفات الحروف العربية

عدد الأحرف	الأحرف	الصفة	عدد الأحرف	الأحرف	الصفة
19	باقي الأحرف	الجهر	10	فحثه شخص سكت	الهمس
21	لن عمر5+باقي الأحرف16	توسط+الرخاو	8	أجد قط بكت	الشدة
22	باقي الأحرف	الإستفال	7	خص ضغط قظ	الإستعلاء
25	باقي الأحرف	الإنفتاح	4	ص ض ط ظ	الإطباق
23	باقي الأحرف	الإصمات	6	فر من لب	الإذلاق
			3	ص ز س	الصفير
			5	قطب جد	القلقلة
			2	و ي	اللين
			2	ل ر	الإنحراف
			2	م ن	الغنة
			1	ض	الإستطالة
			1	ر	التكرير
			1	ش	التفشي

جدول بياني للحروف العربية مع بيان صفاتها القوية والضعيفة ومجموع ما لكل حرف من الصفات

الجهر	ا	ب			ج			د	ذ	ر	ز				ض	ط	ظ	ع	غ		ق		ل	م	ن		و	ي	ء	19	9
الشدة		ب	ت		ج			د								ط					ق	ك							ء	8	3
الإستعلاء							خ							ص	ض	ط	ظ		غ		ق									7	3
الإطباق														ص	ض	ط	ظ													4	2
الإصمات	ا		ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ		ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ		ق	ك				ه	و	ي	ء	23	10
الصفير											ز	س		ص																3	2
القلقلة		ب			ج			د								ط					ق									5	2
الإنحراف										ر													ل							2	2
التكرير										ر																				1	1
التفشي													ش																	1	0
الإستطالة															ض															1	0
الغنة																								م	ن					2	2
الهمس			ت	ث		ح	خ					س	ش	ص						ف		ك				ه				10	5
الرخاوة	ا			ث		ح	خ		ذ		ز	س	ش	ص	ض		ظ		غ	ف						ه	و	ي		16	6
الإستفالة	ا	ب	ت	ث	ج	ح		د	ذ	ر	ز	س	ش					ع		ف		ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ء	22	11
الإنفتاح	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش					ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ء	25	12
الإذلاق		ب								ر										ف			ل	م	ن					6	4
اللين																											و	ي		2	1
التوسط										ر								ع					ل	م	ن					5	6
مجموع صفات قوية	2	3	2	1	4	1	2	4	2	3	3	2	2	4	5	6	4	2	3	0	5	2	2	2	2	1	2	2	3		
مجموع صفات ضعيفة	3	3	3	4	2	4	3	2	3	4	3	4	4	2	1	0	1	3	2	5	1	3	4	4	4	4	4	4	2		
المجموع العام	5	6	5	5	6	5	5	6	5	7	6	6	6	6	6	6	5	5	5	5	6	5	6	6	6	5	6	6	5		

الأحرف النورانية هي أحرف الجملة : نص حكيم قاطع له سر (14 حرفا)

السؤال العاشر:

قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ﴾ بالفعل المبني للمعلوم، ولم يقل إقراضاً بصيغة المصدر بل قال: ﴿قَرْضًا﴾ فما السبب ؟

الجواب:

(قرضاً) مصدر من الفعل الثلاثي (قرض) بينما نقول: (أقرض إقراضاً) فجمع بين المعنيين، وهذا من باب التوسع في المعنى .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧] .



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال ربنا: ﴿الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولم يقل (إلى قوم بني إسرائيل) أو (الجمع من بني إسرائيل)؟

الجواب:

هذا من بديع القرآن واستعمالاته المعجزة، ولو عدنا إلى معنى الملأ، ومعنى القوم أو الجمع، لعلمنا سبب اختيار هذا اللفظ دون غيره، فنحن نعلم أنّ بني إسرائيل كانوا خارجين على حدود الله ولم يشذ أحد منهم، فناسب هذا الاجتماع المطلق على الرأي استعمال كلمة الملأ، التي تعني الجماعة الذين أمرهم واحد، ألسنا نقول: تمالأ القوم، عندما نقصد جماعة اتفقت على شيء؟ وهذا المعنى لا تفيده إلا كلمة (الملأ).



﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الجسم والجسد ؟

الجواب:

الجسم: يطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة.

الجسد: يطلق على التمثال الجامد أو بدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه .

السؤال الثاني:

كلمة ﴿بَسْطَةً﴾ بالسين وردت في آية سورةالبقرة ٢٤٧ ﴿بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ بينما وردت كلمة ﴿بَصْطَةً﴾ بالصاد في آية الأعراف ٦٩ ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ فما السبب ؟

الجواب:

١ـ حرف الصاد أقوى من حرف السين، حيث إنّ حرف الصاد له ست صفات؛ أربعة منها قوية وهي: (الاستعلاء و الإطباق و الإصمات والصفير) وصفتان ضعيفتان (الهمس والرخاوة)، بينما حرف السين له صفتان قويتان فقط؛ وهما (الإصمات والصفير)، وأربعة ضعيفة؛ وهي (الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح). انظر: جدول صفات الحروف .

٢ ـ آية البقرة هي في وصف طالوت، وآية الأعراف هي في وصف قبيلة عاد قوم هود، وطالوت إنما هو شخص واحد، وأمّا عاد فهي قبيلة، فكان السين الذي هو أضعف أليق بالشخص الواحد، والصاد الذي هو أقوى وأظهر أليق بالقبيلة .

٣ـ هناك أمر إحصائي: السور التي في بداياتها الأحرف النورانية المقطعة وتتضمن حرف الصاد، هي ثلاث سور، وهي:

سورة الأعراف	﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف:١]	٩٧ صاداً
سورة مريم	﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١]	٢٦ صاداً
سورة ص	﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص:١]	٢٩ صاداً

المجموع ١٥٢ صاداً = ١٩X٨

وهذا من مضاعفات العدد ١٩ المشهور بميزاته في القرآن الكريم

انظر إلى ملحق صفات الحروف للتعرف على صفات الحروف، وذلك في آية البقرة ٢٤٥.



﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى الآية؟

الجواب:

جعل رب العالمين كل سعد وخير بني إسرائيل في ذاك التابوت، وهو صندوق كبير مستطيل يحتوي على آثار موسى وهارون، وعمامة هذا ونعال ذاك، والعصا والشعر والأظافر، وكثير من الأمورالأخرى، وكان بنو إسرائيل يتبرّكون بهذا التابوت، وكلما حاربوا أعداءهم من الوثنيين والملحدين قدموا التابوت بين أيدي الجيش، فينتصر الجيش.

ثم استطاعت العماليق وهم أعداؤهم أنْ يسرقوا هذا التابوت ٥٠٠ سنة، وظل العماليق يُشبعون بني إسرائيل ضرباً وخسارة، ولهذا كان بنو إسرائيل ما إنْ يقاتلهم

العدو إلا ويُهزَمون ؛لأنّ التابوت قد ذهب منهم، حتى أرسل الله لهم نبياً وقال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[البقرة:٢٤٨] .

وبنو إسرائيل لا يصدقون بسهولة ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾[البقرة:٢٤٧] قالوا: ما هذا؟ نحن لا نقبل به . قال: لا بأس، معجزته أنّ الله سوف يأتي بالتابوت بين يديه، قالوا: مستحيل أنْ يحدث ذلك.

وفعلاً جاءت الملائكة تحمله، و ما كانوا يرون الملائكة، فقط سيدنا طالوت هو الذي كان يراهم، فكانت الملائكة تحمل التابوت كأنه طائر وحده حتى وضعوه بين يدي طالوت، فآمن به بنو إسرائيل .

وبقي بنو إسرائيل ينتصرون على العماليق وغيرهم ببركة هذه الآثار آثار موسى عليه السلام .

السؤال الثاني:

وردت كلمة (بقيَّت) في سورة هود مكتوبة بالتاء المفتوحة ،فهل جاء لها رسم بالتاء المربوطة (بقية) ؟

الجواب:

كلمة (بقية) وردت في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

آ- في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة:٢٤٨] هذه رسمت بالهاء أو التاء المربوطة كما يقال.

ب ـ في سورة هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود:١١٦] رسمت بالهاء.

ج – وفي السورة نفسها ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾[هود:٨٦] وردت بالتاء. وهذا راجع إلى مسألة رسم المصحف.

وخط المصحف توقيفيٌّ، ونحن لو تأملنا في هذا المرسوم وفي اختلافاته فليس من السهل أنْ نجد ضابطاً لذلك، ولهذا نقول: الراجح أنه كان بسبب عدم استقرار الخط، فيكتبونها مرة بالتاء ومرة يكتبونها بالهاء، غير مستقرة. وهناك من يقول إن هناك أسراراً غير أنا لا نعرف هذه الأسرار. ومثل ذلك كلمة ﴿رَحْمَتَ﴾ بالتاء المفتوحة وكتبت ﴿رَحْمَةَ﴾ بالتاء المربوطة.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩)﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ ولماذا جاءت صيغة الطعام مع النهر الذي فيه شراب؟

الجواب:

١ـ (طَعِمَ) لها في اللغة دلالتان: تأتي بمعنى: أكل أو ذاق، ونقول عديم الطعم، أي: عديم المذاق.

وليس بالضرورة أنْ تكون طَعِمَ بمعنى أكلَ؛ لأنها كما قلنا قد تأتي بمعنى ذاق، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ لا تعني بالضرورة أنه أكل.

٢ـ لكنْ لماذا اختار ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ ولم يقل: (ومن لم يشربه)؟

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾؛ لأنَّ الماء قد يُطعم إذا كان مع شيء يُمضغ، شيء تمضغه فتشرب ماءً فأصبح يُطعم، وهذا ممنوع حسب طلب طالوت؛ لأنه لو قال: (لم يشربه) جاز أنْ يطعمه مع شيء آخر بأن يأكلوا شيئاً ويمضغوه ويشربوا الماء معه، وبهذا يكون الشرب قد انتفى لكن حصل الطعم، فأراد تعالى أنْ ينفي هذه المسألة.

فقوله تعالى: ﴿لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾معناه أنْ ينفي القليل وبالتالي ينفي الكثير.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾أي شراب فقط بدون طعام كما نشرب الماء.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ هذه استثناها ﴿غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ولو قال: يطعمه، لم تُستثنى هذه ويكون له ما يشاء.

لكنْ ألا تدخل هذه في نطاق الطعام؟ إنه يطعم الماء ليتذوقه، والآن تذوقه بهذا القدر وليس له الزيادة فوق التي أباحها الله فيه.

السؤال الثاني:

ما دلالة استخدام ﴿بِنَهَرٍ﴾في الآية ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾[البقرة:٢٤٩] ولم يقل: نَهْرٍ؟

الجواب:

هما لغتان: نَهَرٍ ونهْرٍ، والقرآن استعمل (نَهَرٍ) ولم يستعمل (نَهْر) أبداً، والنَّهَرُ:جمع أنهار، وأحياناً يستعمل القرآن الجنس الواحد على معنى الكثير. النَّهَر واحد الأنهار، والنهْر واحد الأنهار أيضاً.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الطاقةِ والقِبَل، كما في الآيات ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[البقرة:٢٤٩] و ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[النمل:٣٧] ؟

الجواب:

١ـ الطاقة: هي القدرة والقوة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾أي: ليس عندنا قوة ولا قدرة أصلاً.

٢ـ القِبَل: هي القدرة على المقابلة والمجازاة على شيء، تقول: أنا لا قِبَل لي بكذا، ولذلك قال القرآن رواية عن سليمان عليه السلام: ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[النمل:٣٧] أي: لا قدرة لهم عليها، لا قدرة لهم على المقابلة، لا قدرة لهم على مقابلتها بالرغم أنّ قوم بلقيس هم أصحاب قوة، وقالوا: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل:٣٣] أي: عندهم قوة وعندهم بأس في الحرب يستطيعون المقابلة، فردّ عليه سليمان عليه السلام: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[النمل:٣٧] أي: لا يستطيعون أنْ يقابلونا من البداية.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الظن واليقين؟وما دلالة ﴿يَظُنُّونَ﴾ فى الآية؟

الجواب:

١ـ اليقين يرتقي إلى درجة العلم كما في قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[الحاقة:١٩-٢٠] هل كان شاكّاً؟ لا.

ولذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾[البقرة:٢٤٩] ﴿يظنون﴾هنا يعني: يوقنون بلقاء الله تعالى.

٢ـ الظنُّ درجات، وهو يعتري الإنسان من دون أي دليل، ثم يقوى بحسب الأدلة إلى أنْ يصل إلى اليقين .

لكن أهل اللغة يقولون: إنّ الظن هو عِلْمُ ما لم يُبصر، وأنت لا تقول: (ظننت الحائط مبنياً) ؛ لأن الحائط من الأشياء التي تُرى وتُبصر، وإنما الظن علم ما لم يُبصر .

ولا تقولُ: أظن أنْ الحائط مبنيٌّ، وهو أمامك، ولا يصح هذا التركيب، لكن تقول: أظنُّ أنّ وراء الحائط فلاناً، هذا أمر آخر يجوز فيه الظن. ولذلك قالوا: الظن درجات حتى إنه يصل إلى اليقين.



﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

السؤال الأول:

تقول: أفرغت الماء في الإناء إذا صببته، فلِمَ عبّر ربنا سبحانه وتعالى عن الصبر بالإفراغ، فقال: ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ولم يقل: صبِّرنا، أو اجعلنا صابرين؟

الجواب:

إنّ التعبير عن طلب الصبر بقوله: ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾فيه إبداع وجمال ساحر؛ لأنّ إفراغ الصبر يدل على المبالغة في صبر الداعي لصفة الصبر؛ وذلك أنّ الإفراغ معناه

الصبُّ، وإذا صببت الشيء أو أفرغته فقد ملأت المفرَغ فيه، وإذا أُفرِغ الصبر في قلوب المؤمنين الداعين فهذا يعني أنّ القلوب قد ملئت صبراً حتى غدت وعاءً له.



﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في أول الآية: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ فما فائدة تكرار ذلك ؟

الجواب:

١ـ قيل: هو تأكيد للأول، تكذيباً لمن ينكر أنْ يكون ذلك بمشيئة الله تعالى.

٢ـ أنّ ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ مجاز في الاختلاف؛ لأنه كان سبب اقتتالهم، فأطلق اسم المسبب على السبب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ .

والمعنى: ولو شاء الله ما اختلفوا بعد أنبيائهم لكنْ اختلفوا، ولو شاء الله بعد اختلافهم لما اقتتلوا .

٣ـ قول الحق: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيه عدة نقاط، أهمها:

آ ـ الله سبحانه أرسل الرسل يحملون منهج الله لمن يريد أنْ يعلن حبه لله وأنْ يكون خليفة في الأرض بحق وأنْ يصلح في الكون ولا يفسد، ولو شاء الله لخلق الناس كلهم طائعين له، وإنما شاء الله لبعض الأعمال والأفعال أنْ يتركها لاختيارك؛ لأنه يريد أنْ يعرف من الذي يأتيه طوعاً وليظل العبد بين الخوف والرجاء، وبالتالي مطلوب للإنسان الارتفاع الإيماني، فيحب الله على نعمه وعلى أحداثه وأقداره، فيحبه الله ويباهي الله به الملائكة كما ورد في الحديث الشريف.

ب ـ لو أراد الحق سبحانه الكون بلا معارك بين الحق والباطل لجعل الحق مسيطراً سيطرة تسخير، لكنّ الله تعالى أعطانا تمكيناً وأعطانا اختياراً، لذلك نجد من ينشأ مؤمناً ومن ينشأ كافراً، وهكذا نجد الطائع والعاصي كلاًّ في فريقه.

وإياكَ أنْ تفهم أن وجود الكافرين في الأرض دليل على أنهم غير داخلين في حوزة الله، بل إنّ الله هو الذي أعطاهم هذا الاختيار، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولما استطاع أحد أنْ يخرج على مراد الله.

ج ـ الاختلاف بين الناس هو سبب الاقتتال، لكنْ ألا يُمْكِنُ أنْ يكونوا قد اختلفوا ولم يقتتلوا؟ إنّ ذلك لو حدث لكان إجماعاً على الفساد، والحق لا يريد هذا الإجماع على

الفساد، فإنْ لم يسيطر الخير على أمور البشرية فلا أقل من أنْ يظل عنصر الخير موجوداً، ويأتي واحد ليجدد عنصر الخير وينميه.

د ـ الحق سبحانه لا يمحو في أزمنة الباطل معالم الخير والأفعال الحسنة، بل يستبقي معالم الخير ليذهب إليها إنسان يريد الخير، وقد يكون الخير ضعيفاً لكنّ الله لا يمحوه؛ لأنه يعطي به دفعة جديدة لمؤمنين جدد يرفعون راية الحق وإن بدوا ضعفاء.

والله رفع عنا العذاب من أجل وجود الضعفاء بيننا؛ لأنّ الضعفاء يمثلون خلايا الخير في المجتمع، قال ﷺ «**لولا عباد لله رُكَّع، وصبية رُضَّع، وبهائم رُتَّع لصُبَّ عليكم العذاب صباً**»

هـ ـ في الاقتتال توجد تضحيات بالنفس وتضحيات بالمال، ولذلك ندب المؤمنين إلى الإنفاق في سبيل الله .

السؤال الثاني:

ماذا عن تأنيث كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ في الآية، وهل تُذكَّر ؟

الجواب:

كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ ليست مؤنَّثاً حقيقياً؛ لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها .

١ ـ عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ بمعنى العلامات الدالة على المعجزات والنبوءات يؤنث الفعل.

٢ ـ أما عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بمعنى الأمر والنهي، يذكر الفعل.

شواهد قرآنية على التأنيث: أي: بمعنى المعجزات والنبوءات:

الآيات:[البقرة ٢٠٩ ـ البقرة ٢١٣ ـ البقرة ٢٥٣ ـ النساء ١٥٣].

شواهد قرآنية على التذكير: بمعنى الأمر والنهي:

الآيات: [آل عمران ٨٦ ـ آل عمران ١٠٥ ـ غافر ٦٦].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿تِلْكَ﴾ ولم يقل مثلاً: (هؤلاء)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

قول الحق: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الرسل بدل (هؤلاء الرسل) ليدل القرآن على أنّ الرسل هم كوحدة أو جماعة واحدة أي: تلك الجماعة ومهما اختلفوا فهم مرسلون من قبل إله واحد وبمنهج واحد، و﴿تِلْكَ﴾ هي إشارة لأمر بعيد، وهي إشارة كذلك إلى الرسل الذين يعْلَمُهم رسولُ الله ﷺ أو الرسل الذين تقدموا في السياق القرآني.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَضَّلْنَا﴾؟ وما تعريف التفضيل؟ وما فرقها عن المحاباة؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا﴾ التفضيل هو إيثار الغير بمزية بدافع الحكمة، ولا تقل: محاباة؛ لأنّ المحاباة هي إيثار الغير بمزيةٍ بدافع الهوى والشهوة .

السؤال الخامس:

ذكر الله في هذه الآية نماذج من التفضيل وأشار إلى موسى وعيسى عليهما السلام، فلماذا لم يذكر الرسول محمداً ﷺ في الآية أيضاً ؟

الجواب:

١ـ ذكر لنا القرآن نماذج من التفضيل ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهو سيدنا موسى عليه السلام، ومنهم: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وبين موسى وعيسى عليهما السلام قال الحق: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ والخطاب في الآيات لمحمد ﷺ وهؤلاء المذكورون من الرسل هم من أولي العزم من الرسل.

٢ـ ساعة يأتي التشخيص بالوصف الغالب أو الاسم فهذا واضح، ولكنْ ساعة أنْ يأتي بالوصف ويترك لفطنة السامع أنْ ترد الوصف إلى صاحبه، فكأنه من المفهوم أنه لا ينطبق قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ بحقٍّ إلا على سيدنا محمد ﷺ، وجاء بها سبحانه في الوسط بين موسى وعيسى عليهما السلام مع أنّ الرسول ﷺ لم يأت في الوسط وإنما جاء آخر الأنبياء، ليدلك على أنّ منهجه هو الوسط بين اليهودية التي أسرفت في المادية بلا روحانية والنصرانية التي أسرفت في الروحانية بلا مادية، والعالم يحتاج إلى وسطية بين المادية والروحية، فجاء محمد ﷺ فكان قطب الميزان في قضية الوجود.

٣ـ حيثيات التفضيل للرسول ﷺ كثيرة، منها:

آ ـ رسالته هي الوحيدة للإنس والجن ومستمرة حتى قيام الساعة، بينما الرسالات الأخرى محدودة بزمان أو مكان.

ب ـ معجزات الرسل السابقين معجزات مادية حسية كانت في وقتها وليس لها الآن وجود غير الخبر عنها، بينما معجزة الرسول ﷺ معجزة باقية وهي القرآن الكريم، إضافة إلى معجزاته الحسية المادية الكثيرة في أيامه.

ج ـ اختصه الله من بين جميع الرسل بالتشريع، فقد كان الرسل ينقلون الأحكام عن الله وليس لهم أنْ يشرعوا، أمّا الرسول ﷺ فهو الرسول الوحيد الذي قال الله له: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[الحشر:٧]

٤ـ قول الحق: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ نأخذه في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾[الشورى:١١] ونحن نأخذ كل وصف يرد عن الله بواسطة الله ولا نضع وصفاً من عندنا، وبعد ذلك لا نقارنه بوصف البشر، فلله حياة ولك حياة، وحياته ذاتية وحياة كل منا موهوبة مسلوبة فليست مثل حياته .



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الضمير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ في الآية؟

الجواب:

انظر إلى هذا الأسلوب القرآني فقد قصر ربنا تعالى صفة الظلم على الكافر، فالكفر والظلم متلازمان.

ألم تر كيف فصل بين المبتدأ والخبر بالضمير ﴿هُمُ﴾ مع أنّ حذف هذا الضمير لا يُخِلُّ بالمعنى فلو قال: (والكافرون ظالمون) لكان المعنى تاماً، لكنّ ذكر الضمير ﴿هُمُ﴾ أفاد حصر الظلم على الكافرين، أي: الكافرون هم الظالمون حصراً.



﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

السؤال الأول:

ما أهمية آية الكرسي هذه؟ ولماذا بُدئت بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

آية الكرسي هي سيّدة آي القرآن الكريم، بدأت الآية بالتوحيد ونفي الشرك وهو المطلب الأول للعقيدة عن طريق الإخبار عن الله، وبدأ الإخبار عن الذات الإلهية .

ونلاحظ أنّ كل جملة في هذه الآية تصح أنْ تكون خبراً للمبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾ لأنّ كل جملة فيها ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى أي: الله لا تأخذه سنة ولا نوم، الله له ما في السموات وما في الأرض، الله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، الله يعلم مابين أيديهم

وما خلفهم، الله لا يحيطون بعلمه إلا بما شاء، الله وسع كرسيّه السموات والأرض، الله لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

مع ملاحظة أن آية الكرسي تتألف من (٥٠) كلمة وعدد حروفها (١٨٥) حرفاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾؟

الجواب:

١ـ الحيّ مُعرَّفة، والقيّوم مُعرَّفة، والحيّ هو الكامل الاتصاف بالحياة ولمْ يقل: (حيّ) بالتنكير لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء.

والتعريف بـ (أل) هو دلالة على الكمال والقصر؛ لأنّ ما سواه يصيبه الموت، والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله له الكمال في الحياة قصراً، و كل من عداه يجوز عليه الموت، وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة، فالله هو الحيّ لا حيّ سواه على الحقيقة؛ لأنّ من سواه يجوز عليه الموت.

٢ـ القيّوم: من صيغ المبالغة (على وزن «فيعول»)، وهي ليست من الأوزان المشهورة، فهي صيغة مبالغة من القيام، ومن معانيها: القائم في تدبير أمر خلقه وفي إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينام؛ لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوماً، ومن معانيها القائم بذاته، وجاء بصيغة التعريف (القيوم) لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ما الفرق بين السِّنةِ والنَّوم ؟

الجواب:

السِّنَةُ: هي النعاس الذي يتقدم النوم، ولهذا جاءت في ترتيب الآية قبل النوم، وهذا ما يعرف بتقديم السبق، فهو سبحانه لا يأخذه نعاس أو ما يتقدم النوم من الفتور أو النوم، والمتعارف عليه أنْ يأتي النعاس أولاً ثم ينام الإنسان.

وكرر سبحانه لفظة (لا) ولم يقل سبحانه: (لا تأخذه سنة ونوم) أو (سنة أو نوم): ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وهو بهذا ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا، لكنْ لو قال سبحانه: (سنة ونوم) فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد، فقد تأخذه سنة دون النوم، أو يأخذه النوم دون السنة.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لماذا استعمل ﴿مَا﴾ بدل ﴿مَن﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿مَا﴾: ما تفيد ذوات غير العاقل وصفات العقلاء. إذن لمّا قال ﴿لَّهُۥ مَا﴾ جمع العقلاء وغيرهم، ولو قال: ﴿مَن﴾ لخصّ العقلاء، و(ما) أشمل وعلى سبيل الإحاطة.

٢ـ وقوله تعالى ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أمران:

آ ـ قصد الإحاطة والشمول .

ب ـ قدّم الجار والمجرور على المبتدأ ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لإفادة القصر والحصر، أي: أنّ ذلك له حصراً وقصراً ولا شريك له في الملك، فنفى الشرك.

٣ـ وجاء ترتيب ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ بعد ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ ليدلّ على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره، وهناك فرق بين من يقوم على ملكه ومن يقوم على ملك غيره، فهذا الأخير قد يغفل عن ملك غيره، أمّا الذي يقوم على ملكه لا يغفل ولا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه، فله كمال القيومية.

وفي قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ تفيد التخصيص، فهو لا يترك شيئاً في السموات والأرض إلا هو قائم عليه سبحانه.

السؤال الخامس:

ما فائدة تكرار اسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾؟

الجواب:

إذا قُصد التنصيص على الأفراد، أي: إذا قُصد كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التنصيص، تكرر اسم الموصول كما في [الآية البقرة ٢٥٥ ـ و الزمر ٦٨ـ النمل ٨٧ ـ الحشر ١ ـ يونس ٦٦].

السؤال السادس:

ما دلالة استعمال صيغة المثنى للسموات والأرض في آية الكرسي؟

الجواب:

السموات والأرض الكلام عليهما بالمثنى؛ لأنه جعل السموات كتلة واحدة والأرض كتلة واحدة فتحدث عنهما بالمثنى، على اعتبار أنهما مجموعتان.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ في الآية؟ وهل هذه صيغة استفهام ؟

الجواب:

١ـ الآية فيها دلالة واضحة على تبيان ملكوت الله وكبريائه وأنّ أحداً لا يملك أنْ يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾.

وهذا الجزء من الآية والجزء الذي قبلها ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يدل على ملكه وحكمه في الدنيا والآخرة؛ لأنه لمّا قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ شمل ما في الدنيا، وفي قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ هذا في الآخرة، فدلّ هذا على ملكوته في الدنيا والآخرة.

٢ـ وأخرج الصيغة مخرج الاستفهام الإنكاري؛ لأنه أقوى من النفي، فدلّ هذا على أنه حيّ قيّوم، لأنّ الذي يَستشفع عنده حيّ والذي لا يستطيع أحد أنْ يتقدم إلا بإذنه يجعله هذا قائماً بأمر خلقه، وكلها تؤكد معنى أنه الحيّ القيّوم.

وتأمل هذا الأسلوب في الاستفهام ﴿مَن ذَا﴾ إنه استفهام لكنه خرج إلى معنى الإنكار والنفي، وكأنّ الله تعالى يريد أنْ يخبرنا عن شرف الشافع ومكانته عند الله تعالى، وهو محمد ﷺ وهو الشفيع في المحشر، فقال: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ فلا أحد يشفع عند الله بحق الله، ولكنْ يشفع من خصّه الله تعالى بهذا الإذن، إنها كرامة ما بعدها كرامة.

السؤال الثامن:

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا﴾ هل هي كلمة واحدة أم اثنتان؟ وما الفرق بينهما ؟

الجواب:

١ ـ (من ذا): فيها احتمالان كما يذكر أهل النحو:

آـ فقد تكون كلمة واحدة بمعنى (مَن) استفهامية.

ب ـ وقد تكون كلمتين: (مَن) مع اسم الإشارة . يقال: من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟

ويقال في النحو: زيادة المبنى تعطي زيادة في المعنى، فقد نقول: من حضر، ومن ذا حضر؟

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ تأتي بالمعنيين (من الذي) و(من هذا الذي) باعتبار (ذا) اسم إشارة فجمع المعنيين معاً.

٢ـ لكن (من ذا) أقوى من (من) لزيادة مبناها، ولذلك فالاختلاف في التعبير في قصة ابراهيم عليه السلام في آية الصافات (٨٥) واستعمال: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يعتبر أقوى مما استعمله في آية الشعراء ٧٠ ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لأنه في الأولى ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لم يكن إبراهيم ينتظر جواباً من قومه، فجاءت الآية بعدها ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أمّا في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد، قالوا: نعبد أصناماً.

إذن فإنّ (من ذا) و (ماذا) أقوى من (من) و(ما).

السؤال التاسع:

لِمَ لمْ يقل هنـا – أمن هذا الذي ـ بزيادة هاء التنبيه، كما في آية الملك ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾[المُلك:٢٠] ؟

الجواب:

في آية سورة الملك رقم (٢٠) قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ هذا مكون من (هـ) للتنبيه والتوكيد و(ذا) اسم الإشارة، وكذلك (هؤلاء) هي عبارة عن (هـ) و(أولاء)، فالهاء تفيد التنبيه والتوكيد، فإذا كان الأمر لا يدعو إليها لا يأتي بها .

ولنستعرض سياق الآيات في سورة الملك مقابل آية الكرسي:

آـ آيات سورة الملك في مقام تحدٍّ، فهو أشد وأقوى من سياق آية الكرسي؛ لأنّ آية سورة الملك هي في خطاب الكافرين.

ب ـ أمّا آية الكرسي فهي في سياق المؤمنين ومقامها في الشفاعة والشفيع وهو طالب حاجة يرجو قضاءها، ويعلم أنّ الأمر ليس بيده وإنما بيد من هو أعلى منه.

ج ـ وأمّا آية سورة الملك فهي في مقام النِّدِّ وليس مقام شفاعة؛ ولذلك جاء بـ (هـاء) التنبيه للاستخفاف بالشخص الذي ينصر من دون الرحمن ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[المُلك:٢٠] وهذا ليس مقام آية الكرسي.

والأمر الآخر أن التعبير في آية الكرسي اكتسب معنيين: قوة الاستفهام والإشارة، بينما آية الملك دلت على الإشارة فقط، ولو قال: (من الذي) لفاتت قوة الإشارة، ولا

يوجد تعبير آخر أقوى من (من ذا) لكسب المعنيين: قوة الاستفهام والإشارة معاً، بمعنى (من الذي يشفع، ومن هذا الذي يشفع).

السؤال العاشر:

ما المقصود بمعنى الآية: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ ؟

الجواب:

أي: يعلم ما أمامهم مستقبلاً وما وراءهم، والمقصود إحاطة علمه بأمورهم الماضية والمستقبلية، ويعلم أحوال الشافع الذي يشفع ودافعه ولماذا طلب الشفاعة، ويعلم المشفوع له وهل يستحق استجابة الطلب، هذا عام، فهذه الدلالة الأولية.

السؤال الحادي عشر:

قال تعالى في سورة مريم: ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾[مريم:٦٤] فما الحكمة في أنها لم ترد على هذا الاسلوب في آية الكرسي؟

الجواب:

في سورة مريم سياق الآيات عن المُلك: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا﴾[مريم:٦٢] ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [مريم:٦٣] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ [مريم:٦٥] والذي يرزق هو الذي يورّث فهو مالك، وقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[مريم:٦٥]؛ لأنه مالكهم .

أمّا في سورة آية الكرسي فالسياق عن العلم ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وبعد هذه الجملة يأتي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ أي أنّ السياق في العلم؛ لذا كان أنسب أن تأتي ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ وهذه الجملة هي كما سبق توطئة لما سيأتي بعدها.

السؤال الثاني عشر:

ما فائدة (مَا) في قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:٢٥٥] ؟

الجواب:

(ما) تحتمل معنيين في اللغة:

آـ تحتمل أنْ تكون مصدرية بمعنى (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بمشيئته).

ب ـ وتحتمل أنْ تكون اسماً موصولاً بمعنى (إلا بالذي شاء)، وهنا جمع المعنيين أي: لا يحيطون بعلمه إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه، أي: بالعلم الذي يريد وبالمقدار الذي يريد ويشاء نوعاً وقدراً.

وغير الله لا يعلم شيئاً إلا بما أراده الله بمشيئته وبالقدر الذي يشاؤه، والبشر لا يعلمون شيئاً حتى البديهيات، وهو الذي شاء أنْ يعلّم الناس أنفسهم.

السؤال الثالث عشر:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ ولم يقل مثلاً: (ولا يعلمون شيئاً من علمه)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

لأنّ الإحاطة تقتضي الاحتواء على جميع أطراف الشيء بحيث لا يشذّ منه جزء من أوله ولا آخره، فأراد ربنا أنْ يصور لنا قصر علمنا وضعف مداركنا، فنحن قد نعلم شيئاً كان مجهولاً بالأمس ولكننا لا نستطيع أنْ نحيط بكل ما يلزم عنه، ولا نقدر على إدراك كل ما له به صلة، ولذلك فإنّ علومنا قابلة للتبديل والتعديل.

وانظر أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ ولم يقل: ولا يحيطون بعلمه؛ لأنّ (من) للتبعيض، وهذا مزيد من الدقة في تصغير معارفنا وعلومنا.

السؤال الرابع عشر:

قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وفي آية طه ١١٠ قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه:١١٠] فهل هما يحملان نفس المعنى ؟

الجواب:

في قوله تعالى في آية طه ١١٠﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: بذاته، فنفي الإحاطة بالذات في آية طه، ونفى الإحاطة بالعلم في آية الكرسي.

والسبب أنه في سورة طه جاءت الآية تعقيباً على عبادة بني إسرائيل للعجل، وقد صنعوه بأيديهم وأحاطوا به علماً والله لا يحاط به، لقد عبدوا إلهاً وأحاطوا به علماً، فناسب ألا يقول العلم، وإنما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه:١١٠] أمّا في آية الكرسي فالسياق جاء في العلم لذا قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾.

السؤال الخامس عشر:

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ما دلالتها ؟

الجواب:

قوله تعالى:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ دلّ أولاً على أنه من ملكه السموات والأرض، وقبل هذه الجملة قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فدلّ على أنّ الذي فيهما هو ملكه أيضاً، لأنّ المالك قد يملك الشيء لكن لا يملك ما فيه وقد يكون

العكس، فبدأ أولاً ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: أنّ ما فيهما ملكه ولم يذكر أنّ السموات والأرض ملكه، وهنا ذكر أنّ السموات والآرض وما فيهما هو ملكه، وأنّ الكرسي وسع السموات والأرض، كما ورد في الحديث القدسي: «**السموات والأرض كحلقة في فلاة في الكرسي، والكرسي كحلقة في فلاة في العرش**».

وقد وسع كرسيه السماوات والأرض فما بالك بعرشه !!!!

السؤال السادس عشر:

ما الحكمة من استخدام صيغة الماضي في الفعل ﴿وَسِعَ﴾[البقرة:٢٥٥] ؟

الجواب:

الحكمة أنّ صيغة الماضي تدلّ على أنه وسعهما فعلاً، فلو قال: يسع، لكان فقط إخباراً عن مقدار السعة، فعندما نقول: تسع داري ألف شخص، فليس بالضرورة أنْ يكون فيها ألف شخص، ولكن عندما نقول: وسعت داري ألف شخص، فهذا حصل فعلاً .

فالفعل: (تسع): يعني إخباراً وليس بالضرورة أنه حصل، لكن الفعل (وسع) هو بمعنى حصل فعلاً وأن هذا أمر حاصل فعلاً.

السؤال السابع عشر:

ما معنى (كرسيه) في الآية؟ ولماذا جاءت معه كلمة السموات ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مع أنّ السماء أعم؟

الجواب:

١ـ الكرسي محل جلوس الملك، والعرش عندنا مكان الجلوس، والكرسي أقل. ومع المُلك تستخدم عرش، وفي البيت نقول: كرسي.

٢ـ السموات هي محل منازل الملائكة، والأرض محل الثقلين الجن والإنس.

٣ـ المَلِك ينبغي أنْ يكون على رعية، والرعية موجودة في السموات والأرض وليس السماء.

٤ـ السماء عامة، والسموات يقصد بها السموات السبع، وحيث إنّ السموات السبع والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة كما في الحديث، والكرسي في العرش كحلقة في فلاة. فالعرش أكبر، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، فإذا وسع كرسيه السموات والأرض فما بالك بالعرش؟!.

السؤال الثامن عشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ في الآية؟ ولماذا جاء بصيغة المثنى؟ وما دلالة (لا)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يثقله ولا يجهده، وجاء بـ (لا) للدلالة على الإطلاق ولا تدل على الزمن المطلق، وإنْ كان كثير من النحاة يجعلونها للمستقبل، لكنّ الأرجح أنها تفيد الإطلاق أي: (لا يمكن أن يحصل) . وجاء بصيغة المثنى لأنه قصد السموات والأرض .

السؤال التاسع عشر:

ما معنى (العلي والعظيم) وهما من أسماء الله الحسنى؟ وما دلالة تعريفهما ؟

الجواب:

العليّ: من العلو والقهر والتسلط والغلبة والملك والسلطان والعلو عن النظير والمثيل.

العظيم: من العظمة .

وقد عرّفهما: (بأل التعريف) لأنه لا عليّ ولا عظيم على الحقيقة سواه، فهو العليّ العظيم حصراً.

السؤال العشرون:

كم مرة ورد هذان الوصفان: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ هذان الوصفان وردا مرتين في ملك السموات والأرض، في آية الكرسي رقم (٢٥٥) في سورة البقرة، وفي آية سورة الشورى (٤) ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ والآيتان في ملك السموات والأرض بما يدلّ على العلو والعظمة حصراً له سبحانه.

٢ـ ومن اللطائف في ذلك أنّ الله تعالى ذكر هذين الوصفين ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ في المرة الأولى في السورة ذات الترتيب الثاني في المصحف، اسمان مقابل الترتيب الثاني.

وأعاد ذكرهما مرة ثانية في آية الشورى رقم (٤) فصار المجموع أربع.

السؤال الواحد والعشرون:

بدأت الآية بصفتين ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وانتهت بصفتين ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

الملاحظ في آية الكرسي أنها ذكرت في بدايتها صفتين من صفات الله تعالى ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾وانتهت بصفتين ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾وكل جملة في الآية تدل على أنه الحيّ القيّوم والعليّ العظيم، سبحانه تقدست صفاته.

فالذي لا إله إلا هو هو الحي القيوم، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو حيّ وقيّوم، والذي له ما في السموات وما في الأرض أي: المالك والذي يدبر أمر ملكه هو الحيّ القيوم، والذي لا يشفع عنده هو الحي القيوم، ولا يشفع إلا باذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحاط بشيء من علمه هو الحيّ القيّوم، والذي وسع كرسيه السموات والأرض هو الحيّ القيّوم ،والذي لا يؤده حفظهما هو الحيّ القيّوم؛ لأنّ الذي يحفظ هو الحي القيوم وهو العلي العظيم.

والحي القيوم هو العلي العظيم، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي له ما في السموات والأرض والذي لا يشفع عنده إلا باذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والذي لا يحاط بعلمه إلا بما شاء هو العليّ العظيم، فكل جملة في آية الكرسي المباركة تدلّ على أنه الحيّ القيّوم والعلي العظيم.

السؤال الثاني والعشرون:

ما الخطوط التعبيرية في الآية ؟

الجواب:

الملاحظ في الآية أنها تذكر من كل الأشياء اثنين اثنين:

١ـ بدأها بصفتين من صفات الله تعالى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ .

٢ـ وذكر اثنين من سمات النقص ﴿سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ .

٣ـ وكرّر (لا) مرتين ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ .

٤ـ وذكر اثنين في الملكية ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ .

٥ـ وكرر (ما) مرتين ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ .

٦ـ وذكر اثنين من علمه في ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ .

٧ـ وذكر اثنين مما وسعه الكرسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ .

٨ـ وختم الآية باثنين من صفاته ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ .

٩ـ وقد ورد اسمان من أسماء الله الحسنى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ مرَّتين في القرآن: في آية البقرة ٢٥٥ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ ومرة أخرى في آية آل عمران الثانية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ (لاحظ الرقم ٢ الذي هو رقم الآية).

١٠ـ وكذلك الاسمان ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ ورد في القرآن مرتين أيضاً، مرة في آية البقرة ٢٥٥، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ ومرة في سورة الشورى في الآية الرابعة.

السؤال الثالث والعشرون:

كم اسما من أسماء الله الحسنى ورد ظاهراً أو بإشارة الضمير في آية الكرسي؟

الجواب:

نجد في آية الكرسي ستة عشر اسماً لله تعالى، وإنْ حسبنا الضمير المستتر في (حفظهما) نجد أنها سبعة عشر اسماً، وإذا حسبنا الضمير الموجود في المشتقات مثل: الحي هو ـ القيوم هو ـ العلي هو ـ العظيم هو ـ صارت أسماء الله الحسنى الموجودة في هذه الآية واحداً وعشرين اسماً، ومن هذا جاءت عظمة هذه الآية.



﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الرُّشد والرَّشَد والرشاد ؟

الجواب:

١ـ الرُّشد: يقال للأمور الدنيوية والأُخروية، أمّا: الرَّشَد: ففي الأمور الأُخروية فقط، والرُشد عام ويشمل الرشاد.

٢ـ الرشاد هو سبيل القصد والصلاح، وهو مصدر: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾[غافر:٢٩] أي: سبيل الصلاح عموماً أو طريق الصواب.

شواهد قرآنية:

﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾[النساء:٦] الرُشد في الدنيا.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[البقرة:٢٥٦]

﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ۝٢٤﴾[الكهف:٢٤]

٣ـ الرشاد مصدر، والمادة اللغوية واحدة لهذه الكلمات، فـ (الرُّشد والرَّشد والرشاد) كلها مصادر للفعل: رشِد ورَشَد.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (لا) في الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ﴾ و (ما) ؟

الجواب:

يقال: لا رجلَ في الدار، ويقال: ما من رجلٍ في الدار، فما الفرق بينهما علماً بأنّ التعبيرين نص في نفي الجنس؟

ـ (لا) تستعمل لجواب سؤال حاصل أو مقدر هو: هل من، نحو: من سأل عن وجود أحد في الدار؟ فالجواب: لا، ويكون الجواب كالإعلام.

ـ (ما) تستعمل كردٍّ على قولٍ أو ما نزل هذه المنزلة، نحو من قال: إنّ في الدار لرجلاً، فيكون الرد: ما من رجلٍ في الدار، فهو رد على قول وتصحيح ظن.

شواهد قرآنية على استعمال (ما) كرد على أقوالهم:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[المائدة:٧٣].

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:٦١-٦٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[البقرة:٨].

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾[الأحزاب:١٣].

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[آل عمران:٧٨].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾[التوبة:٥٦].

شواهد قرآنية على استعمال ﴿لا﴾ كإعلام للمخاطب:

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة:٢٥٦].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد:١٩].

السؤال الثالث:

ما نوع اللام في كلمة ﴿الدِّينِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

اللام في ﴿الدِّينِ﴾ لام العهد أو بدل من الإضافة، والمراد: دين الله.

السؤال الرابع:

ما وزن كلمة ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ الطاغوت وزنه فعلوت، نحو: جبروت وملكوت ورهبوت، والتاء زائدة وهي مشتقة من طغا، وهذا اللفظ يقع على الواحد والجمع.

شواهد قرآنية:

على الواحد ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾[النساء:٦٠].

على الجمع ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[البقرة:٢٥٧].

٢ـ الأصل فيها التذكير، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾[الزمر: ١٧] فإنما أُنِّثت إرادة الآلهة.

٣ـ معنى الطاغوت: الشيطان ـ الكاهن ـ الساحر ـ الأصنام ـ وبشكل عام كل ما يعبد من دون الله.

السؤال الخامس:

ما المقصود من قوله تعالى في الآية ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أي: تميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر.

والفعل (تبين) إذا ظهر ووضح.

السؤال السادس:

ما المقصود من قوله تعالى: ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ وجمعها (عُرا)، والعروة هي الشيء الذي يتعلق به .

والوثقى تأنيث الأوثق، والمعنى: من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الواضحة القوية الدالة عليه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ أصل الفصم: كسر الشيء من غير إبانة، والمقصود المبالغة؛ لأنّ هذة العروة لا انقطاع لها ولا انكسار للدلالة على ثباتها.

السؤال السابع:

في آية البقرة ٢٥٦ يقول تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ ولم يقل في آية لقمان رقم ٢٢: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

الطاغوت رأس كل طغيان من ظالم أو غيره، هذا معنى الطاغوت مثل: فرعون والشيطان وجمعها طواغيت.

والكفر بالطاغوت أحياناً يؤدي إلى أذى شديد وهلكة، لذلك تحتاج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ يعني لا يحصل فيها أي خدش أو انفصال أو شيء.

فلما ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى مظلمة كبيرة أو إلى عذاب أو إلى هلكة أكّد ربنا تعالى فقال: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾.

أمّا في لقمان فهي اتباع ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[لقمان:٢٢] فلا تحتاج، لذلك لمّا ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى هلكة كما صلّبهم فرعون في جذوع النخل، قال: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ تستمسك ولا تنفصم ولا تنفصل وكأنها تحفيز للاستعصام والاستمساك بالله سبحانه وتعالى.

السؤال الثامن:

ما دلالة ﴿فَقَدِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ؟

الجواب:

١ـ (قد) حرف تحقيق مع الفعل الماضي .

٢ـ وإنْ كان مع الفعل المضارع فمن معانيها: التقليل أو الشك وتفيد التوكيد والتكثير أيضاً.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤] هذا يقين والله تعالى يرى ويعلم سبحانه وتعالى.

ـ ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾[الأحزاب:١٨].

٣ـ إذا دخلت (قد) على الماضي فهي للتحقيق بأنّ الأمر تحقق، وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تعني تحقق استمساكه.

ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾[المؤمنون:١]: هذا إخبار وتحقق.

قال الشاعر:

أيهـــا الراكــب المُـيَمِّمُ أرضي أقـرِ مـن بَعضِـيَ السَّـلامَ لبعضـي
إنَّ جسـمي كـما عَلِمـتَ بِـأَرضٍ وفـؤادي وسـاكنيه بـأرضِ
قـد قضـى الله بالفِـراقِ علينـا فعسـى باجتماعنـا سـوف يَقضـي

❁❁❁❁

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة الولي ؟

الجواب:

تستعمل للتابع والمتبوع والناصر، والوليّ هو التابع المحب الذي يتولى أمره والولي الناصر، يعني: الله ولينا ونحن أولياء الله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يتولى أمرهم، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس:٦٢] .

والولي تستعمل للفاعل والمفعول وتسمى من الأضداد. يقال: مولى رسول الله، والله مولانا، وهناك كلمات كثيرة في اللغة العربية تستعمل في هذا، وهي واضحة في اللغة وفي الاستعمال القرآني أيضاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الجبت والطاغوت ؟

الجواب:

الطاغوت:

١ـ اشتقاقه من الطغيان وفعلها (طغى) وأصلها: طغووت، على وزن: ملكوت وجبروت ورهبوت، وهي مصادر تدل على المبالغة كما في الحديث «**جُلّلت الأرض والسماء بالعزة والملكوت**».

٢ـ المعنى: كل ما عُبد من دون الله، وهو كل رأس في الضلال حتى الساحر والكاهن والصنم والمارد من الجن، وهي عامة.

٣ـ استعملت في القرآن للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، ويمكن أنْ تجمع طاغوت وطواغيت، كضيف وأضياف وطفل وأطفال.

٤ـ في آية البقرة ٢٥٧ كلمة الطاغوت فيها جمع؛ لأنّ للمؤمنين ولياً واحداً، وهو الله تعالى، فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أمّا الكافرون فأولياؤهم متعددون من الشياطين وغيرهم، لذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾[البقرة:٢٥٧] .

٥ـ آية الزمر ١٧ استعمل الطاغوت للجمع والمؤنث، وهي في الآية بمعنى الأصنام، وهي جمع بدليل ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[الزُّمَر:١٥] .

الجبت:

١ـ تأتي أحياناً بمعنى الطاغوت: وهي عامة وتطلق على الساحر والكاهن وعلى الأفعال غير المرضية، مثل الطيرة والعيافة والاعتقادات الباطلة والصنم .

٢ـ لها في المعنى نفس دلالة الطاغوت لكنّ فيها توسعاً في المعنى، مثل: الطيرة والعيافة والاعتقادات والمفاهيم والأفكار.

٣ـ ليس من صيغتها فعل وليس لها جمع ولا مثنى، وفي كتب اللغة يقولون: (الجبت) ليس من محض العربية في الأصل.

السؤال الثالث:

لماذا لم يقل الله هنا: طواغيت بدلاً من طاغوت؟

الجواب:

إنّ الطاغوت كلمة تتم معاملتها هنا كما نقول لك: فلان عدل، صفة مشبهة، أو الرجال عدل، وعلى هذا جاءت كلمة طاغوت، فالشيطان والدجال والكاهن والساحر والحاكم الذي يحكم بغير حكم الله كلهم طاغوت، فالطاغوت تطلق على الواحد أو الاثنين أو الجماعة، والمخرجون من النور إلى الظلمات هم أولياء الطاغوت، والدخول إلى النار يكون للطواغيت ولأتباعهم، وقانا الله وإياكم عذابها.

السؤال الرابع:

ما أهم الوقفات مع هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ كلمة (وليّ) جاءت من كلمة (وَلِيَ) أي: جاء الشيء بعد الشيء من غير فاصل، هذا يليه هذا، أي: هو الأقرب، وبالتالي هو أول من يفزع لينقذ وينجد.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهو أول من يفزع إليك بدون أن تصرخ؛ لأنه سميع عليم.

٣ـ كلمة (مولى) تطلق على السيد وتطلق على الخادم، قال الشاعر:

مولاك يا مولاي طالبُ حاجةٍ

٤ـ ولاية الله للمؤمنين أنه ناصرهم ومُحِبُّهم ومُجيبُهم ومُعينُهم، وهو قد أوضح لهم من الأدلة على الإيمان، هل هناك حبٌّ أكثر من هذا؟ هل تركَنا لنبحث عن الأدلة أو أنه لفتنا إلى الأدلة؟ لقد أوجد لنا الأدلة قبل أنْ نؤمن، وعندما آمنا والانا بالمعونة، وإنْ حاربنا خصومنا يكون معنا، وتستمر الولاية حتى يعطينا الجزاء الأوفى في الآخرة، فهو وليُّنا في كل المراحل.

٥ـ أفرد الله (الطاغوت) وأورد بالجمع الأفراد الذين ينقلهم الطاغوت إلى الظلمات.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعبير ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

التركيب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه دلالتان لغويتان:

١ـ استفهام عن رؤية قلبية أو بصرية مثل آية الفيل (١) مع (كيف) نحو قولك: ألم تر فلان اليوم أو: ألم تر كيف حُلَّ الموضوع؟

٢ـ بمعنى التعجُّب بمعنى: ألم ينتهِ لعلمك؟ من أجل لفت نظر السامع وطلب التأمل، مثل آية الفرقان (٤٥) مع (إلى).

إذن (ألم تر إلى) لها دلالة غير دلالة (ألم تر كيف).

٣ـ مع ملاحظة أن التعبير (ألم تر) ورد في القرآن الكريم في ٣١ موضعاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (مِتُّم) بكسر الميم و(مُتُّم) بضم الميم؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ استعمل الفعل المضارع (أميت)، ولم يرد لا في القرآن ولا في الشعر العربي في غير هذا الموضع استعمال المضارع (أميت)، وجاء على لسان من يحاجج إبراهيم في ربه وليس الله عز وجل.

٢ـ (أمات) رباعيٌّ، و(يميتُ) من الرباعيِّ:

أـ عندما يقول: (مِتُّ) أصلها (أُمِتُّ) والتاء نائب فاعل، أي: أماته الله، ثم بناه لصيغة المفعول.

ب ـ وعندما يقول: (مُتُّ) ينسب الموت لنفسه، فتُعرب التاء في مُتُّ: (ضمير مبني في محل رفع فاعل).

وفي الحالين الأمر مردُّه إلى الله سبحانه وتعالى.

٣ـ إذا قال (مِتُّ) يكون على سبيل المجاز؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو المميت سبحانه والإنسان لا يميت نفسه.

وهذه القراءات (مِتُّ) قراءة سبعية، و(مُتُّ) قراءة سبعية، لكنّ الفِهم إذا كسر يفهم أنه بُني للمجهول، وإذا ضم الميم يكون قد نسب الفعل إلى نفسه، وفي الحالين يكون الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾

السؤال الأول:

من المار على القرية المذكورة في هذه الآية ؟

الجواب:

اختلف المفسرون في الشخص المقصود في هذه الآية، وجمهور العلماء على أنه (العزير)، وقيل غيره .

والأصل في تعاملنا مع القرآن أنّ ما سكت عنه ربنا سبحانه وتعالى نسكت عنه؛ لأنه لا ثمرة فيه إلا إذا ورد فيه خبر صحيح من رسول الله يكون موضحاً لجزئية معينة

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ﴾ واستخدام الضرب على السمع للتعبير عن الموت في آية الكهف ١١ ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)﴾[الكهف:١١]؟ وما دلالة استخدام ﴿بَعَثَهُ ۖ﴾ وليس أحياه؟

الجواب:

١ـ أهل الكهف لم يموتوا وإنما ناموا؛ لأنه تعالى قال: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف:١٨] والراقد ليس ميتاً؛ ولذلك لا يصلح أن يقول: أماتهم.

٢ـ أمّا قوله تعالى في آية البقرة ٢٥٩ ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾

أـ نلاحظ أنه تعالى استعمل كلمة (يحيي) وكلمة الموت (أماته)، فلما استعمل الإحياء والموت ناسب ذلك أنْ يقول: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ لأنه تكلم عن موت وحياة.

ب ـ لكنْ قد يقول قائل: لما تكلم الله عن موت وحياة قال: ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ فلِمَ قال: ﴿بَعَثَهُۥ﴾ ولم يقل: (وأحياه)؟

والجواب أنّ قوله: ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ مناسب للموت، ويُفترض في غير القرآن أنْ يقال: فأماته الله مئة عام ثم أحياه، أي: جعل فيه الروح، أي: جعله حياً.

أمّا بعثه: فالبعث فيه معنى الإنهاض، بعثه: يعني أن الحياة جزء منه، ولمّا قال: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي: جعله ينهض.

والفعل (بعث) له معنيان متقاربان:

ـ المعنى الأول هو أرسله: كأنه بعد تقييده، وكأنه كان عنده ثابتاً ثم أرسله، لذلك يقولون: أرسل السهم.

ـ المعنى الثاني هو النهوض: يقول بعث الناقة عندما تكون باركة، بعثها: أي أقامها وأنهضها بأنْ حلّ رباطها.

وهذان المعنيان متقاربان: بعثه، أي: أنهضه كاملاً مبصراً عاقلاً؛ لأن (بعث) بمعنى استوى قائماً كما تستوي الناقة واقفة إذا بعثتها، وفي الآية: عندما ينهض هذا النائم الميت، معناه أنه أنهض بوعيه وبعقله حتى يحاور حتى يقال له: كم لبثت؟ ويجيب.

٣ـ ولما عُرِّفَ قدرةَ الله سبحانه وتعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فبدأ الحمار شيئاً فشيئاً يتكوّن، عند ذلك قال: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾.

وهذه مسألة كان يعلمها، لكنها الآن أصبحت عنده يقيناً وكأنه كان متعجباً من كيفية إحيائها وهي قرية ميتة؟ فجعلها الله تعالى آية لمن بعده، ونحن من هؤلاء الذين يرون فيها آية من آيات الله .

السؤال الثالث:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ ما دلالة استخدام الواو ؟

الجواب:

لماذا حذف المعطوف عليه في قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ ؟

عندما أحيا الله تعالى العزير هل أحياه فقط ليجعله آية للناس؟ هنالك أمور أخرى ذكر منها: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾، فلمَ نجد العطف مقدراً على محذوف؟ لنفهم أنّ هناك أموراً أخرى لم يذكرها الشرع.

السؤال الرابع:

هناك قراءتان لكلمة (نُنشِزُها) فما الفرق بينهما؟

الجواب:

في كلمة ﴿نُنشِزُهَا﴾ قراءتان: قُرئت (ننشُرُها) من (أنشر) بالراء بمعنى بعث فـ (ننشُرُها) هنا أي: نُحيِيها.

وقُرئت ﴿نُنشِزُهَا﴾من (أنشز) إذا رُفِعَ الشيءُ، والآية تعني رفعها حين تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم بها، فالقراءتان تدلان على معنى واحد.



﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ختام الآية ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ بدل ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾؟

الجواب:

١ـ سياق الآية قد يحسم الأمر لدى المتكلم وحسب ما يريد المتكلم، فمثلاً عندما يذكر ربنا إحياء الأرض بعد موتها، لا يكون التعقيب في ختام الآيات واحداً، وإنما حسبما يريد المتكلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يس:٣٣] فذكر إحياء الأرض الميتة وذكرموضوع الأكل، وفي آية أخرى

قال: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم:١٩] فاستدل بها على أمر آخر غير الأكل.

وفي حياتنا اليومية تقول: سافرت إلى مدينة من المدن، فتقول: سافرت إلى مدينة من أجمل المدن، أو تعقب على أهلها فتقول: وجدت فيها أناساً طيبين، أو تعقب على المدة التي قضيتها فيها.

٢ـ التعقيب في آية البقرة رقم ٢٥٨ والكلام عن إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وهو حاكم معتدٍ ومعتزٌّ بحكمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

آـ لمّا قال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، ألا يعلم أنّ الله على كل شيء قدير؟ بالطبع يعلم.

ب ـ ولمّا قال النمرود: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ جاء بشخصين قتل واحداً وأطلق الآخر.

ج ـ ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ وهي عامة؛ لأنّ الله أظلم قلوبهم فلم يُبْقِ لهم وجهاً ثابتاً يتمسكون به، فأين منهم الهداية وقد صاروا بعيداً عن مواطن أهل العناية .

وقصر فعل الهداية لزيادة المعنى وإفادة العموم .

٣ـ التعقيب في آية البقرة رقم ٢٥٩ ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل

لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ وانتهت الآية بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ والآية واضحة على إبراز قدرة الله سبحانه فناسب المضمون الخاتمة.

٤ـ آية البقرة ٢٦٠:

قال المفسرون: إنّ الله تعالى إذا خرق الناموس والأسباب فلعزته ولحكمةٍ يريدها هو؛ لأنّ الذي يفعل هكذا بالنواميس هو الحاكم والقادر والعزيز، فالله تعالى لا يفعل ذلك إلا لحكمة يريدها ولعزّته هو سبحانه وتعالى، فأراد ربنا لا أنْ يبين قدرته؛ لأنّ إبراهيم يعلم قدرته، لكنه أراد أن يبين عزته وحكمته تبعاً للسياق الذي وردت فيه الآية، فناسب ذلك التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[البقرة:٢٦٠] وقبلها قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[البقرة:٢٥٩] إذن هي متماشية مع السياق.

السؤال الثاني:

في هذه الآية تكررت ﴿ثُمَّ﴾ مرتين، فهل هي تفيد التراخي في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ﴿ثُمَّ﴾ تفيد الترتيب والتراخي، والفاء تدل على التعقيب.

٢ـ ﴿ثُمَّ﴾ تفيد معنيين:

آ ـ ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ معناه هناك أكثر من جبل، أي: هناك صعود أربعة جبال، فاستعمل ﴿ثُمَّ﴾ حتى يجعل لإبراهيم سعة في أن يلتقط الطير ويصعد الجبال، ولو جاء بالفاء لم يجعل له سعة .

ب ـ ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ﴾ هذا يدل على قدرة الله أيضاً؛ لأنه بمرور الزمن قد يفسد اللحم، وكلما كان أقرب للذبح سيكون أسرع في الحياة، لكنْ حتى يبين أنه حتى لو تأخر الوقت وفسد اللحم سيحصل الأمر، ولو استعمل الفاء لم يفد هذا المعنى .

فجاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ ليجعل له متسعاً في الحركة ثم ليدل على قدرة الله، بمعنى أنه حتى لو تأخر الوقت سيحصل هذا الأمر والطيور ستأتيك مسرعة، وهذا أدل على قدرة الله، بينما لو جاء بالفاء لم يفد هذين المعنيين.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ أي: احملهن إليك واضممهن إليك حتى تتعرف إليهن وترى وتحفظ أشكالهن، وهي أيضاً تشم رائحتك وتتعرف من أنت وتعرفها أنها هي نفسها بعد ذلك، وما قال القرآن: قطّعهن؛ لأنّ هذا معلوم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنۡهُنَّ جُزۡءًا﴾ .

قال الشاعر:

إني رأيـــــت فتـــى قـــد زاد قلبــــــــي خبــــالا
قـــد صـــار هـــراً وكلبـــاً وبَعـــدُ قـــدْ صـــار غـــزالا
ولي بـــــذاك دليـــــلٌ مـــــن قـــــول ربي تعـــــالى

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[البقرة:٢٦٠] .

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في كلمة ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ على لسان إبراهيم عليه السلام في هذه الآية؟ وكذلك في آية البقرة ٢٥٩ في قصة العزير؟

الجواب:

١ـ الكلام على لسان إبراهيم عليه السلام، وينبغي أنْ نتذكر أنّ إبراهيم عليه السلام في هذا الطلب كان يخاطب الله سبحانه وتعالى، وكان الله تعالى يخاطبه وليس وراء مخاطبة الله عز وجل إيمان، بمعنى أنه عندما يكلّم الله عز وجل ويسمعه ويسمع كلام الله تعالى فهل يحتاج إلى إيمان فوق هذا؟ هل يحتاج إلى دليل؟ هو يناجي ربه وربه يخاطبه، إذن المسألة ليست مسألة إيمان أو ضعف إيمان أو محاولة تثبيت إيمان؛ لأنّ مخاطبة الله عز وجل هي أعلى ما يمكن أن يكون من أسباب الإيمان.

٢ـ إبراهيم عليه السلام هو الأوّاه الحليم، وهو كليم الله عز وجل، والقضية معه ليست قضية إيمان .

٣ـ كان يمكن في غير القرآن أن يقال: (أرني كيف تحيي الموتى ليطمئن قلبي) فلماذا دخلت ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾؟ الله سبحانه وتعالى يعلم أنه مؤمن؛ لأنه يكلّمه فكيف لا يؤمن.

والتساؤل عادة يكون لتقرير أمر، كما قال الله عز وجل في سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون:١] كان يمكن في غير القرآن أن يقول: (قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد أنّ المنافقين لكاذبون)، وإنما وضع بين هذه وهذه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون:١] لدفع ما قد يتوهمه إنسان، فجاءت في مكانها وهي جملة إيضاح وتثبيت معنى.

٤ـ وهنا قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ هذا للسامعين؛ لأنّ السامع عندما يسمع إبراهيم عليه السلام يقول: أرني كيف تحيي الموتى سيسأل: ألم يكن إبراهيم كامل الإيمان؟ فحكى لنا وذكر ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ إذن أثبت الإيمان لإبراهيم عليه السلام حتى لا يخطر في قلوبنا أنّ إبراهيم عليه السلام طلب هذا الأمر ليثبت إيمانه وهو مؤمن.

٥ـ إذن ما موضع الاطمئنان هنا؟ علماؤنا يقولون إنّ إبراهيم عليه السلام وهو كليم الله عز وجل والأوّاه الحليم كان في قلبه شيء يريد أنْ يراه ويلمسه، أنْ يرى سر الصنعة الإلهية، أنْ يرى هذه الصناعة كيف تكون؟

والقلب نقول عنه إنه غير مطمئن إذا كان يشغله شيء، ولفظة ﴿أَرِنِي﴾ تعني أريد أنْ أرى رؤية العين؛ لأنّ إحياء الموتى لا يُرى، فهو كان يتطلع إلى أنْ يرى هذا الشيء، والله

تعالى لم يجبه: لِماذا تريد أن ترى؟ هؤلاء الأنبياء مقرّبون إلى الله سبحانه وتعالى هو يختارهم فلا يفجؤهم بردٍّ يضربهم على أفواههم .

٦ـ ولذلك قيل له: خذ أربعة من الطير، و يبدو أنّ الجبال التي كانت حوله أربعة، والجبل هو كل مرتفع صخري عن الأرض وإنْ كان قليلاً.

وقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: احملهن إليك واضمُمهن إليك حتى تتعرف إليهن وترى أشكالهن، وهي أيضاً تشم رائحتك وتتعرف من أنت، وما قال القرآن: قطّعهن؛ لأنّ هذا معلوم من كلمة ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ .

إذن أربعة طيور ذُبِحن وقُطِّعن وجُمِّعن وقُسِّمن أربعةَ أقسامٍ، ووضع إبراهيم عليه السلام كل قسم على كل جبل فاجتمعت جميعاً بمجرَّد أنْ ناداها وجاءت إليه مسرعات ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ .

٧ـ هذا ليس مجرد إخراج ميت إلى الحياة، وإنما بهذا التقسيم إبراهيم عليه السلام كان يريد أنْ يرى هذا الشيء- ليس شكّاً- فيرى يد الله عز وجل كيف تعمل، شيءٌ أحبّ أنْ يراه ولا علاقة له بقوة الإيمان؛ لأنّ إيمانه لا شك فيه وأثبته لنا القرآن الكريم .

٨ـ في موقف شبيه قصة العزير: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩] أراه مثالاً في نفسه هو، مسألة إحياء الموتى كانت تداعب

أذهان وفكر الكثيرين من باب الاطلاع على الشيء ولمعرفته وليس للشك؛ لأنه كان هناك يقين بأنّ الله تعالى يحيي الموتى وهذا هو الإيمان.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ ما دلالة ﴿مِّنَ﴾ في قوله ﴿مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ وهل تفيد معنى زائداً فيما لو قال: فخذ أربعة طيور؟

الجواب:

جيء بـ ﴿مِّنَ﴾ في الآية لتدل على التبعيض، وهذا ما يضيف معنى آخر وهو التعدد والاختلاف، خلافاً لقولنا: أربعة طيور، فهذه العبارة لا تدل على تعدد أنواعها، فقد تكون الطيور من صنف واحد، وقد دخلت ﴿مِّنَ﴾ على هذه الآية لتدلنا على التعدد والاختلاف، حتى لا يتوهم مشكك بأنّ بعض الأنواع أهون بالإحياء والبعث من بعض.

السؤال السادس:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ لِمَ خصّ ربنا تعالى إجابة الطيور بالسعي لا بالطيران، مع أنّ هذا مخالف لطبيعة الطير؟

الجواب:

جعل الله سبحانه وتعالى هذا السعي دليلاً وآية على عودة الحياة بعد موت، والحياة التي رُدّت إليهن مخالفة لحياتهن السابقة، ولذلك عجزن عن الطيران؛ لأنه غير معهود بهذه الحياة الجديدة.

السؤال السابع:

ما اللمسة البلاغية فى قوله تعالى ﴿سَعۡيٗاۚ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿سَعۡيٗاۚ﴾ حال منصوب جاء على صيغة المصدر، وهو أبلغ من (ساعيات)؛ لأنه أخبر عن الذات بالحدث المجرد، كأنه ليس شيء يثقله من الذات فأصبح حدثاً مجرداً.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء:٣٧] حال جاء بها على وزن المصدر (مرح) وهذا يفيد المبالغة؛ لأنك إذا أتيت بالحال مصدراً فهو للمبالغة قطعاً، وعندما تقول: جاء ركضاً، أبلغ من: جاءك راكضاً.



﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾

السؤال الأول:

ما وجه الخصوصية في الحبّة التي اختارها الله تعالى للدلالة على مضاعفة الأجر والثواب؟

الجواب:

جعل الله سبحانه وتعالى الحبة مثلاً لمضاعفة الأجر والثواب؛ لأنّ تضعيفها ذاتيّ فهي تزداد وتنمو وتخلف بنفسها لا شيء يزاد عليها، وكذلك الحسنة يضاعفها الله تعالى بذاتها لا بعمل آخر يضاف إليها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة هذه: ﴿سَنَابِلَ﴾ بجمع الكثرة، وفي آية يوسف ٤٣ ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [يوسف:٤٣] بجمع القلة، ما قواعد استعمال جمع القلة وجمع الكثرة في القرآن الكريم؟

الجواب:

أولاً: القواعد النحوية:

١ـ القاعدة أنْ يكون جمع القلة للقلة، وجمع الكثرة للكثرة، وجمع الكثرة يكون أكثر من عشرة.

شواهد قرآنية:

﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف:٢٠] جمع كثرة، و﴿أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ﴾ [البقرة:٢٢٦] جمع قلة، و﴿عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة:٣٦] جمع كثرة، ﴿سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ [لقمان:٢٧] جمع قلة، و﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾ [التكوير:٦] جمع كثرة، ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ﴾ [آل عمران:١٢٤] جمع قلة، و﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة:٢٤٣].

٢ـ جمع المذكر السالم والمؤنث السالم من جموع القِلّة، خاصة إذا كان يوجد معه جمع آخر يدل على الكثرة، فإذا لم يكن معه جمع آخر استخدم للقليل والكثير.

مثلاً: جمع (ساجد) ساجدون وسُجّد وسجود، أي هناك أكثر من جمع، فتكون (ساجدون) للقلة؛ لأنه يوجد جمع للكثرة: سُجّد.

٣ـ والجموع في العربية سبعة وأربعون جمعاً، منها أربعة فقط للقلّة والباقي للكثرة، وأوزان جمع القلة هي:

ـ أفعُل، مثل: أنفُس وأعيُن .

ـ أفَعال، مثل: أسياف وأعناب.

ـ أفعِلة، مثل: أرغفة وأعمدة.

ـ فِعلَة، مثل: فتية وصبية.

٤ـ ويجوز أنْ يستعمل القلة للكثرة، والكثرة للقلة حسب المقام، أمّا في القرآن فقد يُعطى وزن القلة للكثرة والكثرة للقلة لأمر بليغ.

ثانياً ـ سنبلات وسنابل:

١ـ سنبلات جمع قِلّة، وسنابل جمع كثرة.

٢ـ العدد واحد (سبع) في الآيتين، فلماذا استعمل القِلة مرة والكثرة مرة؟

٣ـ الآيات هي قوله تعالى:

آ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ (سبع) استعملت مع جمع كثرة سنابل؛ لأنها في مقام مضاعفة الأجور والتكثير.

ب ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف:٤٣] (سبع)

استعملت مع جمع القلة ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [يوسف:٤٣]؛ لأنّ الآية تتحدث عن رؤيا محددة ولا مجال للتكثير فيه، والمقصود من العدد فيها هو سبعة بالضبط بدون زيادة .

٤ـ أمثلة أخرى:

ـ (قيام) جمع كثرة، و(قائمون) جمع قلة.

ـ (أعين) للبصر، و(عيون) للماء.

ـ (الأبرار) جمع قلة، وهي تستعمل للمؤمنين فقط ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾[الانفطار:١٣]

ـ (البررة) جمع كثرة وهي تستعمل للملائكة فقط؛ لأنهم أكثر نحو: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦﴾ [عبس:١٦] .

ـ قوله تعالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف:٢٠] مناسبة مع كلمة (بخس) في قوله: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾[يوسف:٢٠] في سورة يوسف، وتعني أكثر من عشرة فهي كثرة، لكن حتى لو دفعوا أكثر من عشرة دراهم يبقى الثمن ثمناً بخساً.

ـ قوله تعالى: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾[البقرة:١٨٤] في آية الصيام في سورة البقرة، قللها فهي أيام معدودات، ليست كثيرة، وهنا تنزيل الكثير على القليل، حيث قلل أيام الصيام لكن أجرها كبير.

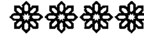
السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٦١ : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ وقال في آية الأنعام ١٦٠ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ فما سبب هذا الفرق في الأجر ؟

الجواب:

آية البقرة ٢٦١ خاصة في النفقة في سبيل الله فجعلها سبعمائة ضعف .

وأمّا آية الأنعام فهي في مطلق الحسنات من الأعمال .



﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية في ذكر الفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٤] في آية البقرة ٢٧٤ وحذفها ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في آية البقرة ٢٦٢؟ وما الفرق بين الفاء والواو العاطفتين في بعض آيات القرآن مثل هاتين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ (الفاء) كما هو معلوم تأتي للتعقيب، والتعقيب أي: يأتي بعدها مباشرة، في عقب الشيء، أمّا الواو فهي لمطلق الجمع ولا يدل على ترتيب أو تعقيب، وتأتي الفاء للسبب، أي: سببية: درس فنجح، والواو ليس فيها سبب.

٢ـ الآيتان بدأتا باسم الموصول (الذين) وكلاهما في سياق الإنفاق .

٣ـ لماذا جاء بالفاء في الثانية دون الأولى؟

آـ الفاء واقعة في جواب اسم الموصول، وهنا الاسم الموصول مشبّه بالشرط، واسم الموصول أحياناً يشبّه بالشرط بضوابط،فتقترن الفاء في جوابه كما تقترن بجواب الشرط،وكل واحدة لها معنى.

مثال: الذي يدخل الدار له مكافأة، والذي يدخل الدار فله مكافأة.

الأولى فيها احتمالان إمّا أن له مكافأة بسبب دخوله الدار،كأنّ الدار مقفلة وهو يفتحها،أي:أنّ المكافأة مترتبة على دخول الدار،وإمّا أن يكون للشخص الذي يدخل الدار مكافأة بسبب آخر،إذن هناك احتمالان عندما لا تذكر الفاء.

وإذا ذكرت الفاء فلا بدّ أنّ المكافأة مترتبة على الدخول قطعاً وليس لأي سبب آخر،وهذا تشبيه بالشرط؛ أي أنّ المكافأة شرط الدخول في الدار.

ب ـ أيضاً هناك ملاحظة، وهي أنه في تشبيه الموصول بالشرط أحياناً يكون الغرض من ذكر الفاء هو التوكيد،أي أن ما يُذكر فيه الفاء آكد مما لم يذكر،كقوله تعالى في آية البقرة ٢٦٢ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[البقرة:٢٦٢]بدون فاء،والثانية في آية البقرة ٢٧٤ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة:٢٧٤].

نلاحظ أن الله تعالى زاد فيها ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة:٢٧٤]ونسأل: أيهما آكد؟

بالطبع التي فيها الفاء؛لأنّه في الآية الأولى قال فقط:﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٦٢] أمّا في الثانية فقال:﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة:٢٧٤] **فحدد أكثر**، لذا جاء بالفاء في مقام التوكيد والتفصيل.

أمّا الآية الأولى فذكر فيها الإنفاق في سبيل الله ولم يفصّل،فاقتضى الحذف.

السؤال الثاني:

ما دلالة (ثم) في الآية ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾[البقرة:٢٦٢] ؟

الجواب:

١ـ لم يقل الحق: (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ولا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى)، وإنما جاء بـ (ثم) هنا فقال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾ ، وذلك أنّ المنفق بالمال قد لا يمن ساعة العطاء، ولكنْ قد يتأخر المنفق بالمن، فكأنّ الله سبحانه ينبّه كل مؤمن إلى أنه يجب أنْ يظل الإنفاق غير مصحوب بالمن فلا يمتنع وقت العطاء فقط، ولكنْ لا بدّ أنْ يستمر عدم المن حتى بعد العطاء وإنْ طال الزمن.

٢ـ و(ثم) تفيد التراخي، والمن عبء نفسي كبير، وكلمة (أجرهم) هي طمأنة إلى أنّ الأمر قد أُحيل إلى موثوقٍ بأدائه وإلى قادرٍ على هذا الأداء، قالت الزهراء بنت رسول الله ﷺ وقد كانت تجلو الدرهم وتطيبه قبل أنْ تتصدق به: (**إني لأعلم أنه يقع في يد الله قبل أنْ يقع في يد الفقير**).

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ؟

الجواب:

قول الحق: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[البقرة:٢٧٤] ولم يقل: (ولا خوف منهم) لأنّ الحق يريد أنْ يوضح لنا أنّ هناك عنصراً ثالثاً سيتدخل بصورة المحب فيقول: ادخر للأيام القادمة، ادخر لأولادك.

والله ينبهنا أنّ المنفق في سبيل الله يجد الحماية والعطاء من الله فلا خوف على المنفق ولا يحزن.

وآفة الناس أنهم يقيسون الرزق بما يدخل له من مال ولا يقيسون الأمر برزق السلب، ورزق السلب هو محط البركة، وذلك بإبعاد أهله وأولاده من الأمراض والمصائب، فيوفر في ذلك مالاً كثيراً فتظهر البركة على كسبه.

أمّا غير المنفق خوفاً من مصاريف الأولاد والمستقبل فيسلبه الله الرزق بالبلاء والأمراض والمصائب.

لذلك أيها المؤمن إنْ لم تسع الناس بمالك فسعهم بحسن الرَّدِّ، قال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»؛ ولذلك يقول الحق في الآية التي تليها: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[البقرة:٢٦٣] .

السؤال الرابع:

ما أهم الأسس التي أراد الله أنْ يوضحها في آيات الإنفاق في سورة البقرة؟

الجواب:

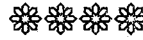
من دراسة آيات الإنفاق في سورة البقرة نجد أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يوضح لنا أسس الإنفاق ومعالجة آفاته:

آ ـ أنّ النفقة لا تنقص المال وإنما تزيده سبعمئة مرة.

ب ـ أنّ النفقة لا يصح أنْ يبطلها الإنسان بالمن والأذى.

ج ـ أنّ القول المعروف خير من الصدقة المتبوعة بالمن والأذى.

د ـ أنّ الإنفاق يجب ألا يكون رئاء الناس، وإنما يكون ابتغاءً لمرضاة الله.



﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين المغفرة والغفران ؟

الجواب:

الغُفران: وردت مرة واحدة فقط في القرآن في قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥] وهي طلب المغفرة من الله ومنه وحده فقط.

المغفرة: لم تأتِ في الطلب وإنما في الإخبار كقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[الأنفال:٧٤] وكقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ﴾[البقرة:٢٦٣]؛ لذلك قد تتعدد المغفرة من غير الله، وهي ليست خاصة بالله فقط .

السؤال الثاني:

لماذا ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾؟

الجواب:

لأنها تضمنت ذكر الأذى فتطلب من ذلك الحلم، فقال: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ أي: لمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحلم؛ لأنّ الحليم لا يعجل بالعقوبة ولا يغضب سريعاً إذا أُوذي، فلمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحِلم.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

قال: في آية البقرة ٢٦٤: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ وقال في آية إبراهيم ١٨ ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[إبراهيم:١٨] فما الحكمة ؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة المثل للعامل فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب؛ لأنّ (على) من صلة القدرة .

وفي آية البقرة السياق في الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسباً ولذلك أخّر الكسب .

٢ـ في آية إبراهيم عليه السلام، المثل للعمل لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾[إبراهيم:١٨] وتقديره: مثل أعمال الذين كفروا ،والسياق هنا في العمل، والعامل كاسب فقدّم الكسب .

فكان تقديم (مما) تقديم نفي ما كسبوا أنسب؛ لأنه صلة (شيء)، وهو الكسب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ كيف نوفق هذه الآية ونحن رأينا أنّ الله هدى خلقاً كثيراً من الكفار من قريش وغيرهم ؟

الجواب:

المراد بذلك ممن سبق علمه عند الله بأنه لا يؤمن، وأنه يموت على كفره فهو عام مخصوص، أو أنه غير مهدي في حال كذبه وكفره . والله أعلم .

السؤال الثالث:

لم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ ولماذا لم يقل مثلاً: (الظالمين)؟

الجواب:

السبب أنّ الله ذكر في الآية ﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ أي أنه كافر، فناسب ذكر الكافرين في ختامها .

ولو قال: ظالم، فالظالم ليس بالضرورة كافراً ؛ فقد يكون ظالماً غيره، ومن المعلوم أنّ كل كافر ظالم، ولكن ليس كل ظالم كافراً .



﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى الطَّلِّ في الآية ؟

الجواب:

الطَّلُّ هو الندى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (خبير) و(بصير) في فاصلة الآيتين البقرة ٢٦٥ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾[البقرة:٢٦٥] والنساء ٩٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾[النساء:٩٤]؟

الجواب:

١ـ البصير:من البصر، والبصرُ: يأتي بمعنيين في اللغة، إمّا البصر وهو الحاسة الباصرة التي ينظر بها، وإمّا (البصيرة) من الإبصار في القلب.

إذن كلمة (بصير) فيها أمران: بصير ضد الأعمى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد:١٦] من ناحية الرؤية، وبصير لمن كان قلبه بصيراً (ذا معرفة).

والنظر هو طلب الاستدلال والهدى وطلب ظهور الشيء، والنظر يشاهد بالعين فيفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي، فصح بهذا أنّ النظر تقليب لعينٍ حيال مكان المرئي طلباً لرؤيته .

ولّما كان الله يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر، وأما الرؤية فهي إدراك المرئي .

والعين آلة البصروهي الحدقة ،والبصر اسم للرؤية.

٢ـ الخبير هو العليم ببواطن الأمور، فربنا عندما يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ٣١﴾[فاطر:٣١] يعني: محيط ببواطن الأمور وظواهرها، أي: خبير ببواطن الأمور وبصير بظواهرها .



﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾

السؤال الأول:

ما معنى (الضعف) في القرآن في آية البقرة ٢٦٦ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ وآية النساء ٢٨ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة (الضعف) ضد (القوة)، والقوة إمّا مادية وإمّا معنوية .

٢ـ آية البقرة ٢٦٦ هي مثال لمن يحوّل عمله الصالح إلى سيء، وفي الآية شبه ذلك في الدنيا بحديقة واسعة لإنسان ما، وفيها من كل الثمرات والأنهار تجري من تحتها، فماذا يريد الإنسان بعد هذا من حيث الجانب المادي؟ وأصابه الكبر فهو لا يستطيع أنْ يزرع، وهذا الرجل الكبير عنده أطفال صغار السن و﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ .

وهذه مصيبة عظمى، وهذه الصورة التي يرسمها القرآن صورة جنة أثمار وأعناب ونخيل والذرية ضعفاء ما عندهم قوة لإعادة الزراعة واحترقت الجنة، وهكذا شأن الذي يتحول من الإيمان إلى الضلال والمعصية والكفر.

٣ـ الضعف فيه لغتان: بفتح الضاد (الضَّعف) وبالضم (الضُّعف). وهما لهجتان عربيتان فصيحتان نزل بهما جبريل عليه السلام على صدر رسول الله ﷺ حتى لا يعترض أحدٌ على أحد.

٤ـ أما ـ الضِّعف ـ بالكسر فيعني: المكرر، وضِعف كذا يعني: مثله، وليس مرتين كما هو الشائع، تقول هذا ضِعف هذا، أي: بقدره، فإذا أردت بقدر مرتين، تقول: ضِعفين.

السؤال الثاني:

ما دلالة خاتمة الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ وردت هذه الفاصلة في سورة البقرة مرتين في الآيات [٢١٩ـ ٢٦٦].

٢ـ تأتي هذه الفاصلة عند طلب التفكر إمّا بضرب مثل، وإمّا يكون جواباً عن سؤال حتى يتفكر الإنسان في الإجابة .

٣ـ للعلم الآيتان[٢١٩ ـ ٢٦٦] تتعلقان بالمال .

السؤال الثالث:

استعمل القرآن أحيانا (النخل) وأحيانا (النخيل) فما الفرق بينهما ؟

الجواب:

١ـ النخل: اسم جنس جمعي، والنخيل جمع، واسم الجنس أشمل وأعم من الجمع كما قرره علماء اللغة، وكما هو في الاستعمال القرآني؛ ذلك أنّ اسم الجنس يشمل المفرد والمثنى والجمع ويقع على القليل والكثير .

إذن (النخل) أعم وأشمل من (النخيل) ؛ لأنه اسم جنس جمعي، ويؤيد ذلك الاستعمال القرآني؛ فقد أورد القرآن (النخيل) في ثمانية مواضع، وهي فيها لا تفيد الشمول؛ وهذه المواضع:

[البقرة ٢٦٦ ـ الإسراء ٩١ ـ المؤمنون ١٩ ـ يس ٣٤]، وفي هذه الآيات الأربع جعل النخيل في جنات، فلا يشمل ما في غير الجنات.

وفي آية الرعد ٤ قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ فخرج ما لم يُسقَ بماء واحد.

وفي آية النحل ٦٧ قال: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فخرج منه ما لم يتخذ منه السُّكْرُ.

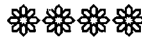
٢ـ أما (النخل): فهو عامٌّ يشمل الصغير والكبير المثمر وغيرَه، سواء في جنات أم في غيرها، وسواء كانت نخلة واحدة أم أكثر .

في آية الرحمن ٦٨ في وصف الجنة ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ ونخل الجنة كثير كثير.

في آية الشعراء ﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨﴾ والنخل ههنا يشمل ما في الجنات وغيرها.

في آية الرحمن ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١﴾ أيضا النخل ههنا يشمل ما في الجنات وغيرها.

وكذلك كلمة (النخل) الواردة في الآيات: [القمر ٢٠ ـ الحاقة ٧ ـ طه ٧١ ـ ق ١٠] لم يخصص النخل فيها بشيء، فهو أعم من النخيل وأشمل .



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف في نهايات آيات البقرة [٢٦٣ـ ٢٦٧ـ ٢٦٨]؟

الجواب:

١ـ فاصلة الآية ٢٦٣ ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ لمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحلم؛ لأنّ الحليم لا يعجل بالعقوبة ولا يغضب سريعاً إذا أُوذي، فلمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحِلم.

٢ـ فاصلة الآية ٢٦٧ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ هذه ليس فيها ذكر أذى وإنما إنفاق ما هو خِلاف الأَوْلى، أنت إذا أنفقت من الخبيث فالله غني عن هذا، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا

تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧]؛ لذا يجب أنْ تنفق الطيب وليس الخبيث الرديء، فإذا أنت أنفقت الخبيث في سبيل الله فالله غني عن هذا.

٣ـ فاصلة الآية ٢٦٨ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الله واسع بالرحمة والفضل، وهو واسع المغفرة والفضل، عليم بما تنفقون، فيجازيكم على ما تنفقون، فهو واسع العطاء واسع الخير واسع الرحمة، وعليم بما تفعل فيجازيك، فلماذا تخشى الفقر؟ الشيطان يعدكم الفقر والله تعالى واسع العطاء وواسع المغفرة وواسع الرحمة، فلماذا تخشى الفقر.



﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قدّم ربنا سبحانه وتعالى الفاعل على فعله في الآية ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾؟

الجواب:

الفاعل هو (الشيطان) والفعل يعدكم، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ ولم يقل: يعدكم الشيطان، بلْ قدم الفاعل على فعله؟ فلماذا ؟

إنّ في تقديم اسم الشيطان وابتداء الآية به إيذاناً لك أيها المؤمن بذمّ الحُكم الذي سيأتي بعده لتحذر الوقوع به، ألا ترى أنك تحذِّر السامع فتقول له: السفاح في دار صديقك، وذلك بخلاف قولك: في دار صديقك السفّاح.

السؤال الثاني:

ما معنى (الفحشاء) في القرآن؟ وما معناها في هذه الآية خاصة؟

الجواب:

كل فحشاء في القرآن هي زنا، إلا في هذه الآية فجاءت بمعنى البخل .

السؤال الثالث:

ماعلاقة هذه الآية رقم ٢٦٨ بالآية ٢٦٩؟

الجواب:

آ ـ طلب المغفرة والفضل من الله تعالى هو من الحكمة .

ب ـ الذي يؤتى الحكمة يؤتى خيراً كثيراً وأكثر من المال .

ج ـ في الآية تحذير من وسوسة الشيطان في عدم الإنفاق لئلا يصير فقيراً، فوعد الله تعالى المؤمنين بالمغفرة منه والفضل .

د ـ نكّر ﴿مَّغْفِرَةً﴾ وأضاف لها ﴿مِّنْهُ﴾ فعُلِمَ أنّ المقصود تعظيم هذه المغفرة؛ لأنها من الله العظيم، وعِظم المعطي يدل على عِظم العطية وكمالها أنها من الله الغفور حصراً.

لذلك هناك فرق شاسع بين طريق الشيطان الذي يأمر بالبخل وعدم الإنفاق في سبيل الله، وطريق الحق سبحانه وتعالى الذي يعد بالمغفرة والفضل والخير العميم.

فمن الحكمة والعقل اتباع طريق الحق؛ لأنّ فيه المغفرة وفضل الله تعالى والخير في الدارين، ولذلك ختم الآية رقم (٢٦٩) بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٦٩﴾ والله أعلم .

السؤال الرابع:

ما دلالة فاصلة هذه الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية السابقة ٢٦٧.



﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

الآيتان ٢٦٨و ٢٦٩ تتحدثان عن الإنفاق والحكمة فما العلاقة بينهما ؟

الجواب:

الآيتان الكريمتان هما قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة: ٢٦٨-٢٦٩].

وطلب المغفرة والفضل من الله إنما هو من الحكمة؛ لأنه يعني أنّ صاحبها أوتي من الحكمة ومن الخير أكبر وأوسع ممّا في المال .

فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾[البقرة:٢٦٨] ثم قوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[البقرة:٢٦٩] يعني أنّ الذي يطلب المغفرة والفضل خيره أكبر من مجرد المال مهما كان هذا المال؛ لأنه داخل في الخير وداخل في الفضل وداخل في المال وداخل في كل شيء، ففيها ارتباط والكلام عام.

السؤال الثاني:

ما المقصود بالحكمة فى هذه الآية؟ ولِمَ لَم تنسب لله عز وجل؟

الجواب:

١ـ الحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً، أو هي توفيق العلم بالعمل، فلا بدّ من الأمرين معاً: القول والعمل، فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القول فليس بحكيم.

فالحكمة لها جانبان: جانب يتعلق بالقول، وجانب يتعلق بالعمل، والحكمة خير كثير كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩].

٢ـ الله تعالى مؤتي الحكمة؛ ولذلك نلاحظ أنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

وقال: ﴿ءَاتَيْنَا﴾[لقمان:١٢] بإسناد الفعل إلى نفسه، ولم يقل: لقد أوتي لقمان الحكمة، بل نسب الإتيان لنفسه، والله تعالى في القرآن الكريم يسند الأمور إلى ذاته العلية في الأمور المهمة وأمور الخير، ولا ينسب الشر والسوء إلى نفسه البتة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[الجن:١٠].

٣ـ أمّا فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩] فقد قال عز وجل قبلها: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩] فنسب إتيان الحكمة إلى نفسه، ثم أعادها عامة بالفعل المبني للمجهول.



﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

جاء فعل الشرط ﴿أَنفَقْتُم﴾ بصيغة الماضي، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الفعل الماضي ﴿أَنفَقْتُم﴾ هو إخبار بأنّ ما فعلته أو حصل منك قد علمه الله. ولو جاء بصيغة المضارع (تنفقوا) لدل على التجدد والتكرار .



﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

السؤال الأول:

إلى من يعود الضمير في قوله تعالى في الآية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ؟

الجواب:

قد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة، وفي الآية الضمير في ﴿فَهُوَ﴾ عائد على الإخفاء ولم يتقدم ذكره بل تقدم فعله . والله أعلم .

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ . لماذا قدّم العمل على الخبرة ؟

الجواب:

القاعدة في القرآن أنه إذا كان الكلام عن عمل الإنسان فإنه يقدم العمل على الخبرة، وإذا لم يكن الكلام عن العمل وإنما في أمر قلبي أو عن الله تعالى فإنه يقدم الخبرة .

وفي الآية الصدقة هي عمل فقدمه فقال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ .

السؤال الثالث:

جاء فعل الشرط بصيغة المضارع ﴿تُبْدُوا﴾ ﴿تُخْفُوهَا﴾ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

التعبير بفعل الشرط المضارع يفيد تكرار الحدث وتجدده، كما هو في هذه الآية حيث تتجدد الصدقات دائماً .



﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ من بعض كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية، فما هذه المنظومة في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال السادس من آية البقرة رقم ١٥٨ .



﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا أراد ربنا بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهل ضرب الأرض فِعل الأغنياء ؟

الجواب:

هذا وجه بديع من أوجه اللغة العربية وهو باب الكناية، والكناية: أنْ تقول كلاماً وتريد ما يلزم عنه، فتقول: هذا رجل سيفُه طويلٌ، يريد ما يلزم عنه وهو طول الرجل فلا يحمل السيف الطويل إلا الرجل الطويل.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كناية عن عجزهم وفقرهم، فهم عاجزون عن التجارة لقلة ذات اليد، والضرب في الأرض كناية عن المتاجرة؛ لأنّ شأن التاجر أنْ يسافر ليبتاع ويبيع فهو يضرب الأرض برجليه أو بدابته.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية في ذكر الفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في آية البقرة ٢٧٤ وحذفها ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في آية البقرة ٢٦٢؟ وما الفرق بين الفاء والواو العاطفتين في بعض آيات القرآن مثل هاتين الآيتين ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٢.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿يُنفِقُونَ﴾ فلماذا يستعمل القرآن الصيغة الفعلية في الإنفاق ؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن الفعل ﴿أَنفَقَ﴾ و﴿يُنفِقُ﴾ بصيغه المختلفة حوالي ٧٠ مرة جميعها بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الإنفاق أمر يتكرر ويتجدد ويحدث باستمرار، ولأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث .

٢ ـ ولم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة في آل عمران١٧ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٧] وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات .

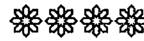
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٥)﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى: ﴿يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ولم يقل: يأخذون الربا مع أنّ الأكل يختص بالطعام لا بالمال؟

الجواب:

نعم، الأكل في حقيقته هو ابتلاع الطعام، ولكن ربنا عبّر عن أخذ الربا بالأكل ليبين لنا حرص المرابي على أخذ المال بِشَرَهٍ.



﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾

السؤال الأول:

لِمَ خصَّ ربنا الكافر بعدم المحبة دون المرابي؟

الجواب:

١ـ تأمل هذا السر البديع في خاتمة الآية، فقد ختمها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ مع أنّ بداية الآية توحي أنّ ختامها: والله لا يحب كل مرابٍ أثيم، فلِمَ خصّ ربنا الكافر بعدم المحبة دون المرابي؟

إنّ الإخبار بأن الله تعالى لا يحب جميع الكافرين يؤذن ويشعر بأنّ الربا شعار أهل الكفر وهو سمة من سماتهم فهم الذين استباحوه، وفي هذا تعريض بأنّ المرابي مُتَّسمٌ بخلال أهل الكفر والشرك وإنْ كان مؤمناً.

٢ـ آية البقرة ٢٧٦ نزلت في ثقيف وقريش لمّا أصروا على الربا وعارضوا حكم الله بقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:٢٧٥] فهم كفار شرعاً آثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه، ولذلك ناسب ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة:٢٧٦].

السؤال الثاني:

ما فائدة العدول عن قوله (يبغض) إلى قوله: ﴿لَا يُحِبُّ﴾[البقرة:٢٧٦] مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض ؟

الجواب:

البغض صفة مكروهة للنفوس فلم يحسن نسبته إلى الله لفظاً، و حال العبد مع الله إمّا في طاعة أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تعين ضدها فعبّر بما هو أحسن لفظاً.

السؤال الثالث:

ما أهم الوقفات في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ قول الحق: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ هو قول معجز وقضية خطيرة، فالله هو الذي يمحق فلا تستهن بنسبة الفعل لله، وانظر إلى المرابين كيف انتهت حياتهم، وانظر إلى الدول المرابية كيف تصاب بالمصائب تلو المصائب .

٢ـ قال: ﴿كَفَّارٍ﴾ ولم يقل: (كافر)، وقال: ﴿أَثِيمٍ﴾ وليس (آثم)؛ لأنّ الذي يريد أنْ يرد حكم تحريم الربا على الله قد كفر كُفرَين: أحدهما لأنه لم يعترف بهذه، والكفر الآخر لأنه رد الحكم على الله، وهو (أثيم) بصيغة المبالغة؛ لنستدل على أنّ القضية قضية كبيرة عند الله تعالى.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم الدلالات في الآية ؟

الجواب:

١ـ عطف عمل الصالحات على الإيمان.

٢ـ استعمل كلمة ﴿أَجْرُهُمْ﴾ ليدل على أنه لا يوجد مخلوق يملك سلعة إنما كلنا مستأجرون.

فالمخ والعقل مخلوقان من الله ونشغلهما في المادة المخلوقة لله، ولذلك ليس للإنسان إلا عمله وبالتالي أجره، وهذا الأجر هو عند ربه الذي لا يضيِّع له شيئاً، وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أقوى من قوله (على ربهم أجرهم)؛ لأنّ الأول يجري مجرى إذا باع بالنقد، وذاك النقد جاهز متى شاء البائع أخذه، وأمّا الثاني فيجري مجرى ما إذا باع بالنسيئة في الذمة، ولا شك أنّ الأول أقوى.

٣ـ قول الحق: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا من أنفسهم على أنفسهم ولا من أحبابهم عليهم، وكذلك لا خوف عليهم فيما يستقبلهم من أحوال القيامة.

٤ـ قول الحق: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾؛ لأنّ أي شيء فاتهم من الخير سيجدونه محضراً أمامهم فلا يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قدّم ربنا تعالى الأمر بالتقوى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ على الأمر بترك الربا، مع أنّ الآيات تعالج قضية الربا؟

الجواب:

أُمِر الناس بتقوى الله تعالى قبل الأمر بترك الربا؛ لأنّ تقوى الله هي أصل الامتثال والاجتناب، وترك الربا من جملتها وخصلة من خصال التقوى.

السؤال الثاني:

ما أهم دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ لما بيّن الله تعالى في الآية السابقة ٢٧٥ أنّ من انتهى عن الربا فله ما سبق، فقد كان يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه والباقي في ذمة القوم، فأوضحت هذه الآية أنّ المقبوض السابق قبل نزول الآية معفوّ عنه، وإن لم تقبضوه كله أو بعضه فإنه يحرم قبضه.

٢ـ قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ يدل على أنّ الإيمان لا يتكامل إذا أصر الإنسان على كبيرة، وإنما يصير مؤمناً بالإطلاق إذا اجتنب كل الكبائر.

وهذا التركيب العجيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ يضع الناس أمام أنفسهم وجهاً لوجه، وسر هذا التركيب يكمن في كلمة (إنْ)، وهي أداة شرط تستعمل في القرآن عندما يكون الأمر موضع شك قابلاً للظن والاحتمال، أمّا (إذا) فتستعمل في مواضع اليقين.

وقد ورد تركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ مع فئتين من الناس:

الأولى: وهم المؤمنون الصادقون الذين لا يُشَكُّ في صدقهم وحسن بلائهم وسابق جهادهم وصحبتهم للنبي ﷺ.

الثانية: وهم المنافقون الفاسقون الذين لا يُشك في خياناتهم وتلونهم وكذبهم.

ومن السهل أنْ نفهم التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ مع الفئة الثانية، فهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين؛ ولذلك يخاطبهم الله عز وجل بأسلوب الشك في إيمانهم ويبين للمؤمنين الصادقين كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة:٩١] .

أمّا ورود هذا التركيب مع فئة المؤمنين الصادقين المخلصين فكما في آية الأنفال (١) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال:١] وقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ في غزوة بدر ومعه الصحابة الذين هم أكرم أهل الأرض بعد أنبياء الله، فمن الواضح أنّ مثل هذه

الآية عندما يرد مع مثل هؤلاء الناس يكون تطهيراً لهم وتعليماً وتذكيراً، كأنها؛ أي الآية تضعهم في منزلة الشك في إيمانهم إنْ لم يفعلوا ما يأمرهم الله به فيهبُّوا للعمل بأحكام الله، فيدفعوا عنهم صورة التردد والشك وليدخلوا في دائرة الإيمان الوثيق الذي يعلمه الله منهم بصدق أقوالهم وأعمالهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿وَذَرُوا﴾أي: اتركوا، ما كلمات منظومة الترك في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ - الترك:

هو التخلي عن شيء بلا عودة مطلقة.

شواهد قرآنية:

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الدخان:٢٤] وهو ترك نهائي.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[يوسف:٣٧] أي: بلا رجعة.

﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة:٢٦٤] أي: هذا العمل ليس له أجر في الآخرة كالربا؛ لأنه يُحبط العمل .

٢- دع:

وهو تركٌ مؤقت لشيء لحساب شيء أهم، ولا يمنع من العودة إليه بعد أنْ تتم الشيء المهم، مثال: دع اللعب وصلِّ. [الأحزاب ٤٨].

٣- ذر:

التخلي عن شيء لتفاهته، وهو مأخوذ من الوَذَرِ وهي القطعة التي تقطع في عملية الختان، وهي ترمز إلى تفاهة الشيء.

* شواهد قرآنية:

[البقرة ٢٧٨ـ القيامة ٢٠ـ٢١ الأنعام ٩١ـ المدثر ١١].

٤- تولى:

ذهب بسرعة ومنها ولّى دبره.

شواهد قرآنية:

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾[القصص:٢٤] في قصة موسى عليه السلام، سقى لهما أولاً، ثم ذهب مسرعاً إلى الظل لأدبه وحيائه.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾[الصافات:٩٠] بمعنى هربوا وتخلوا عنه.

٥- أعرض:

الإعراض: هو التخلي عن شيء لقبحه ترفعاً عنه.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[يوسف:٢٩] باشمئزاز وتكبر.

﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾[النساء:١٦] هنا تنبيه بعدم التعرض للتائب بعد توبته والترفع عن التعيير.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[الكهف:٥٧] هنا بمعنى التحدي واحتقار الحرمة.



﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ﴾[البقرة:٢٧٩] هل هناك أكثر من قراءة لهذه اللفظة ؟

الجواب:

قوله: ﴿فَأْذَنُواْ﴾ [البقرة:٢٧٩] هناك قراءة ﴿فآذنوا﴾؛ أي فاعلموا، وفي الآية مبالغة في التهديد.



﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما نوع الفعل (كان) في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ﴾ فيها ﴿كان﴾ تامة بمعنى: وجد أو حدث .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ العسرة من الإعسار وهو تعذر وجود المال.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠] الميسرة من اليسر واليسار، وفي الآية حذف بتقدير، فالحكم إنظار المعسر، أي: إمهاله.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿تَصَدَّقُوا۟﴾ ولم يقل: تتصدقوا، فلماذا ؟

الجواب:

قوله: ﴿تَصَدَّقُوا۟﴾ فيه حذف وتخفيف التاء، والأصل (تتصدقوا)، والحذف هنا لندرة الحالة وهو التصدق بدين المعسر، فحذف التاء لما لم يكن كالصدقة المعتادة لكونها أقل .

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ أي: جعل العمل من لوازم العلم وفيه تهديد للعصاة.

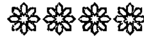
٢ـ كل تطوع كان محصّلاً للمقصود من الفرض بوصف الزيادة كان أفضل من الفرض، كما أنّ الزهد في الحرام فرض وفي الحلال تطوع، والزهد في الحلال أفضل كما في الآية ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٠].

السؤال الخامس:

ما دلالة كلمة ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ في الآية ؟

الجواب:

اليسار هو الغنى المؤقت، كالفقير إذا جاءه مال فعليه أنْ يؤدي دينه، وهذا يفسّر أنْ يُنظر المعسر حتى يزول عذره، وقد يكون الفقير موسراً بين ساعة وساعة ولا يصبح غنياً بين ساعة وساعة، وقولنا: ذو سعة، بمعنى موسّع عليه، وقوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ بمعنى إن وُجِد.



﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَا كَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨١] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٥.

السؤال الثاني:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)﴾ [لقمان:٣٣] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة:٢٨١] الآيتان جملتان وصفيتان، فلماذا الحذف (فيه) في إحداهما والذكر في الأخرى؟

الجواب:

السبب أنّ التقدير حاصل (يجزي فيه)، لكن لماذا الحذف؟ الحذف يفيد الإطلاق ولا يختص بذلك اليوم، فالجزاء ليس منحصراً في ذلك اليوم وإنما سيمتد أثره إلى ما بعد ذلك اليوم، وكلما يذكر الجزاء يحذف (فيه) (لا تجزي) و(لا يجزي).

أمّا في الآية الثانية البقرة ٢٨١ فذكر ﴿فِيهِ﴾ لأنه منحصر فقط في يوم الحساب وليس عموماً، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[النور:٣٧] ؛ لأنّ ذلك اليوم منحصر في يوم القيامة والحساب لذا ذكر ﴿فِيهِ﴾ وحذف ﴿فِيهِ﴾ عندما كان اليوم ليس محصوراً بيوم معين.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ هذه آخر آية نزلت على الرسول محمد ﷺ وعاش بعدها أياماً معدودة اختلف في عددها من ٧ أيام إلى ٨١ يوماً، والله أعلم.

٢ـ الرجوع إلى الله ليس المراد منه المكان والجهة، وإنما الرجوع إلى علمه وحسابه فتوفى كل نفس ما عملت من مكتسب، وفي هذا وعيد للفساق والفجار والكفار، ويتم ذلك بتمام العدل والبعد عن الظلم.

السؤال الرابع:

على أي شيء نصبت كلمة ﴿يَوْمًا﴾ في الآية ؟

الجواب:

يوماً: منصوب على المفعول به لا على الظرفية، والمعنى تأهبوا لذلك اليوم، واليوم عبارة عن زمان مخصوص وذلك لا يتقى، وإنما يتقى أحداث وشدائد ذلك اليوم .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ماذا عن النفس والروح وتعلقهما في الجسد ؟

الجواب:

يكثر السؤال عن الفرق بين النفس والروح، وفيما يلي نوضح المتعلقات بين الروح والجسد ومراحلهما:

١ـ مرحلة عالم الذَّرِّ: خلق الله الأرواح قبل خلق الأجساد، فهي مرحلة الروح بلا جسد ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[الأعراف:١٧٢].

٢ ـ مرحلة عالم الأجنة: الروح والإنسان في بطن أمه وهو جنين، وهي مرحلة الروح غير الكاملة، حيث الروح متعلقة بالجنين تعلق حياة لا تعلق إدراك ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[النحل:٧٨] .

٣ ـ مرحلة الإنسان السوي: هنا الإنسان مدرك عاقل بالغ، والنفس هنا هي تعلق الروح بالإنسان السوي، فالنفس هي روح وجسد، بدليل أنّ الروح عندما تصعد يصبح الجسد جثة، وهذه النفس هي التي عليها التكاليف الشرعية بعكس ما سبق من المراحل .

٤ ـ مرحلة النوم: الإنسان النائم تصعد روحه، لكنها لا تنفصل عن الجسد انفصالاً تاماً ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ

﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزُّمَر:٤٢] فالنوم هو الموتة الصغرى، وليس على الإنسان حرجٌ في هذه المرحلة؛ لأنه غير مدرك إدراكاً تاماً وهو نائم .

٥ ـ مرحلة البرزخ: هنا تبقى الروح في عالم البرزخ، وهو العالم الذي يفصل بين الدنيا والآخرة إلى أنْ يأذن الله تعالى بيوم البعث، فتعود كل روح إلى جسدها الخاص بها استعدادا ليوم البعث والحساب، وهذه المرحلة تبدأ عند الموت حيث ينتهي عمل الإنسان .

خصائص الروح والجسد:

١ـ الروح له نزوع للأعلى والجسد له نزوع للأسفل، وكلّما سمت الروح يكون الإنسان روحانياً ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم:٥٧] وكلما نزع الجسد للأسفل يكون الإنسان مادياً ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:١٧٦] بمعاصيه وشهواته ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ [البقرة:٦١] فالهبوط هنا دلالة على الهبوط والسفلية.

٢ ـ كلّما اهتممنا بالروح وأهملنا متطلبات الجسد المادية ارتفعت بنا الروح وسمت، وهذا ما نشعر به في شهر رمضان مع تلاوة القرآن وحلاوة العبادات .

٣ ـ أخطر مرحلة والتي يحاسب عنها الإنسان هي مرحلة النفس في الإنسان السوي كما هو مبين في الآيات أعلاه .

وقد ورد ذكر النفس في القرآن الكريم مرات عديدة لأهميتها وللدلالة على أنّ معظم ذنوب ابن آدم من هوى النفس البشرية . ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

لذلك فإنّ معظم الذنوب هي من هوى النفس وليس من وساوس الشيطان.

٤ ـ كيف نعرف الفرق بين هوى النفس ووساوس الشيطان ؟

الشيطان يجعل الإنسان يقع في الذنب ناسياً للذنب وعقوبته، أمّا إذا علم الإنسان أنّ هذا الذنب حرام وعليه عقاب ثم يقع في الذنب فهذا يكون من وساوس النفس .

كما أنّ الشيطان يوسوس للإنسان بأي طريق في صلاته وعبادته ليحاول أنْ يوقع الإنسان في الذنب بغض النظر عن الذنب؛ لأنه يريد فقط أنْ يعصي الإنسان ربه، أمّا هوى النفس فهو ما ترغب به النفس البشرية وقد يكون ذنباً واحداً متكرراً .

لذلك على الإنسان أنْ ينتبه لنفسه من نفسه قبل الشيطان، كما قال البوصيري:

وخالف النفسَ والشيطانَ واعصِهما   وإن هما محضاك النُّصحَ فاتَّهِم

٥ـ علاج الشيطان الاستعاذة ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠٠-٢٠١] .

٦ـ أمّا علاج النفس فالعزم على مخالفة ما تدعو إليه النفس، والانتباه إلى أنّ النفس تطمع ولا تشبع أو تقنع، فمخالفتها هو العلاج «**حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره**».

أنواع النفس:

١ـ النفس المطمئنة: وهي أرقى الأنواع؛ لأنها مطمئنة بذكر الله وعبادته وتكون مطمئنة بالآخرة.

٢ ـ النفس اللوامة: وهي التي تلوم صاحبها دائما على المعاصي والذنوب، وكأنها تعمل رقيباً ومحاسباً على الأعمال والأقوال، وقد أقسم الله بها فقال: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[القيامة:٢] .

٣ـ النفس الأمّارة بالسوء: وهي أسوأ الأنفس؛ لأنها تأمر صاحبها بارتكاب الذنوب والمعاصي دون تورع أو خشية من الله تعالى، بل على العكس تزين لصاحبها المعصية.

لذلك فتطويع النفس ضروريٌّ للإنسان حتى يتغلب على أهوائه ونوازعه، ولعلّ من أهم الأسباب التي يعين الله تعالى عباده بها على أنفسهم هو إخلاص النية له تعالى، فلو علم الله صدق العبد لأعانه على نفسه ومقاومة إغرائها وشهواتها .

اللهم اجعلنا ممن أخلص النية لك في كل أمر وأعنا على مقاومة هوى أنفسنا واعصمنا من الزلل والذنوب ومن عذاب الآخرة، اللهم آمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ
وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ
ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ
شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ
فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا
رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا
فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن
تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ
وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا
شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ  ﴾

السؤال الأول:

ماذا عن دلالة ﴿إِذَا﴾ و ﴿إِن﴾ في هذه الآية، وفي القرآن الكريم ؟

الجواب:

(إذا) تستعمل فيما هو كثير وفيما هو واجب، و(إنْ) لما هو أقلّ في عموم الشرط؛ وتفصيل ذلك:

١ـ ﴿إن﴾: تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

٢ـ ﴿إذا﴾: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات:[البقرة ١٨٠ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

أمثلة مشتركة تتضمن إذا وإنْ معاً:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في الآية: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ ولماذا ذكر الله والرب في الآية نفسها ؟

الجواب:

١ـ لفظ (الله) غيرلفظ (الرب)، لفظ الجلالة (الله) هو اسم العلم من العبادة وهو الإله المعبود، وأمّا (الرب) فهو المربي والموجه والمرشد والمعلّم والقيّم، ولذلك يصح أنْ تقول عن إنسان: هو رب الدار، رب الشيء.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ ما سبب الاختيار وجمع لفظ الجلالة والرب فيها؟

هذه الآية جزء من آية الدَّين ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ ويتكلم فيها عن الدائن والمدين، والدائن أحسَنَ إلى المدين وأجره أعلى من أجر المتصدق؛ لأنّ المتصدق أجره عشرة أضعاف والدائن ثمانية عشر كما في الحديث؛ لأنه أخرج المحتاج من حاجته، إذن الدائن أحسن إلى المدين، فعلى المدين ألا يبخس حق من أحسَنَ إليه، والرب أحسن إلى العبد في تعليمه وتوجيهه، إذن الدائن هو الذي أحسن إلى المدين، والله هو الذي أحسن إلى الدائن فمكنّ له، وقال في ختام الآية: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ والمعلم مربٍّ، أي: رَبٌّ، فناسب رَبّاً من ناحية الإحسان ومن ناحية التعليم.

٣ـ لو قال فقط: (وليتق الله) لن يكون فيها معنى الإحسان والإفادة، وهذا أحسَنَ إليك كما أحسن الله إليك، وقد آتاك المال وجعل يدك أعلى .

و لو قال: (ليتق ربَّه) فإن كلمة (رَبٍّ) لا تعني الله بالضرورة؛ لأنَّ الرب قد يكون رَبَّ الدَّيْنِ، فأراد أنْ يجرّدها لله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ والبخس هو النقص، فهل اختيار البخس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ لغاية وسبب؟

الجواب:

نعم، فالبخس وإن كان بمعنى النقص إلا أنه يدل على الإنقاص بخفاء وغفلة عن صاحب الحق، لذلك كان اختيار هذا اللفظ دون غيره.

السؤال الرابع:

ما دلالة (أنْ) في الآية ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ ؟

الجواب:

- (أنْ) هنا تفيد معنى: كراهة أنْ تضل إحداهما، أو لئلا تضل، وكما في قوله تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:١٥] يقولون: كراهة أنْ تميد بكم، أو لئلا تميد بكم وقوله تعالى: في آية هود ٤٦ ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يعني: لئلا تكون من الجاهلين.

السؤال الخامس:

في قوله تعالى في الآية: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ ما فائدة تكرار إحداهما في الآية ؟

الجواب:

تكررت كلمة (إحداهما)؛ لأنّ كل واحدة من المرأتين يجوز عليها ما يجوز على صاحبتها من الضلال والتذكير، وتكرار كلمة ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ مع الضلال ومع التذكير لئلا يُتوَهَّم أنّ إحدى المرأتين لا تكون إلا مذكِّرةً للأخرى.

السؤال السادس:

ما الفرق بين (استشهدوا) و(أشهدوا) في آية البقرة ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ وفي نفس الآية ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ الفعل (استشهد) على وزن (استفعل) والهمزة والسين والتاء تأتي للطلب، وله معنيان:

آـ اطلبوا شهيدين .

ب ـ أو اطلبوا ممن تكررت منه الشهادة وممن تعلمون قدرته وعلمه على أدائها، أي: بقصد المبالغة.

٢ـ وأما الفعل (أشهدوا) فليس فيه هذا الأمر، وإنها يدل على مجرد الشهادة .

ومعنى ذلك أنَّ ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ معناها أقوى .

٣ـ علينا أن نلاحظ السياق الذي وردت فيه كلمة (استشهدوا)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾، وجاءت مع تقييدات في حفظ الحقوق ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ والذي لا يستطيع أن يحفظ حقه قال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ إذن في هذا الموقف نطلب ممن يستطيع أنْ يتحمل الشهادة ويكون

أميناً قادراً على أنْ يتحمل أداءها، فقال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾.

أمّا في الآية الثانية: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ﴾ فهذا في البيع الذي ليس فيه أحد قاصر ولا يستطيع أنْ يُمِلَّ ما عليه الحق وما إلى ذلك وإنما حالة اعتيادية، من أجل هذا قال: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ لأنّ البيع لا يحتاج.

إذن الحالة التي تستدعي دعوة الأمين والقوي والمقتدر والعالم بالشهادة ذكرها في موطنها، والتي لا تحتاج لم يقل فيها (اكتبوها)، بل قال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ﴾

ولذلك فيما هو أهم جاء بالفعل الذي يدل على الأهمية في الطلب والمبالغة ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾، وفي الأمر الاعتيادي الذي يحصل في الأسواق قال: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ فوضع كل فعل في الموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه.

فانظر إلى هذا التصوير البديع الذي ترسمه زيادة السين والتاء في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾ تجد هذه الكلمة تدل على طلب شهادة الشاهدين وتكليف بالسعي للإشهاد، وهذا ما لا يفيده لفظ (وأشهدوا) الذي يدل على مجرد الشهادة.

السؤال السابع:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ﴾ هل (لا) هنا نافية أم ناهية ؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ و ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾هذا حكم شرعي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (لا) هنا ناهية وليست نافية بدليل الراء في ﴿يُضَآرَّ ﴾مفتوحة، وأصلها (لا يضارَر) أي: لا يضره أحد، أو (لا يضارِر) ومحتمل أنّ الكاتب والشهيد يُضغط عليه ويُضر به ويُهدَّد فيغيَّر من شهادته، فيحتمل هذا المعنى، أو أنّ الشهيد لا يريد أنْ يشهد لأسباب في نفسه فيغير في الشهادة، أي أن المعنى: (لا يضارَر أو لا يضارِر).

٢ـ ولو أراد أنْ يقيّد لقال: ولا يضارَر فيكون قطعاً هو المقصود (نائب فاعل)، و لو أراد أنّ الكاتب هو الذي يُضِرُّ يقول: لا يضارِر.

٣ـ ولذلك بدل أنْ يقول: ولا يضارِر أو ولا يضارَر، جاء بتعبير يجمعهما معاً ويريد كليهما، ويسمى هذا بالتوسع في المعنى.

٤ـ ونحو ذلك قوله تعالى في القرآن: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾[البقرة:٢١٧] في مكان وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ ﴾[المائدة:٥٤] في مكان آخر، وكذلك ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ﴾[الأنفال:١٣] و ﴿وَمَن يُشَآقِّ﴾[الحشر:٤] .

٥ـ وكذلك نجد مثل ذلك في قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣٣] ما المقصود من الآية؟ المعنى أنه لا يوقع عليها ضرر بحيث يضرها الأب إذا كانت مطلقة؟ أو هي لا تضر زوجها بحيث تمنع ابنها، والمعنيان مرادان، وكلاهما منهي عنه.

٦ـ هذا باب اسمه التوسع في المعنى، وهناك دلالة قطعية ودلالة احتمالية، وهذه الاحتمالية تحتمل معاني قد تراد كلها أو بعضها، فإذا أريد بعضها أو كلها سميت بالتوسع في المعنى.

السؤال الثامن:

ما أهم الوقفات الأخرى في الآية والتي لم تذكر ؟

الجواب:

١ـ في الآية حث على الاحتياط في أمر الأموال، خاصة بعد أنْ سبقها طلب الإنفاق وترك الربا، وهذه الأمور لا تحصل إلا بوجود المال، ولذلك أمر بحفظ الأموال عن طريق الكتابة وغيرها.

٢ـ التداين تفاعل من الدَّيْنِ، ومعناه داين بعضكم بعضاً، أي: أنّ البيع هنا بالدين.

٣ـ (إذا) تأتي للكثير الوقوع و(إنْ) في الآية لقليل الوقوع .

٤ـ قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليكون معلوماً كالتوقيت بالسنة والشهر واليوم، ولا تجوز التسمية على الحصاد أو إلى قدوم الحاج.

٥ـ قوله: ﴿كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ فيه إشارة إلى كتابة التفاصيل التي تمنع النزاع، ولا يكتب الألفاظ المجملة، فالكاتب يجب أنْ يكون فقيهاً عارفاً أديباً مميزاً بين الألفاظ المتشابهة.

٦ـ قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ الفعل (تكون) يمكن أنْ يكون تاماً أو ناقصاً.

٧ـ قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ المقصود فيه الإرشاد إلى طريق الاحتياط.

٨ـ كلمة (الكتابة) ومادتها: (الكاف والتاء والباء) تكررت مرات كثيرة في هذه الآية، وقد ورد حرف الكاف فيها: ٢٣ مرة، وحرف التاء: ٣٠ مرة، وحرف الباء ٢٣ مرة.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾هذا أمر للمُملِي الذي عليه الحقُّ بأنْ يُقِرَّ بمبلغِ المال الذي عليه ولا ينقُصَ منه شيئاً.

والرَّبُ: هو المربِّي والقيم والمشرف، واسم الله هو علم على واجب الوجود الذي يستحق العبادة، وقد جمع الله بين الاسمين مبالغة في الحث على التقوى.

فالدائن أحسَنَ إلى المدين بإقراضه المال وهو أعلى أجراً من المتصدق، وهذا من فضل الله على الدائن من حيث الإحسان، حيث جعل يده أعلى من يد المدين، وهذا يستحق منه شكر الله ربه وتقواه أنْ أعطاه هذا الفضل .

كما أنّ المدين بعد أن أحسن الدائن إليه من واجبه ألا يبخس من حق الدائن، وعليه أنْ يتق الله في أداء الدين بأكمله في وقته المحدد .

السؤال التاسع:

في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ما فائدة الباء هنا في الآية ؟

الجواب:

ذكر كلمة ﴿بِدَيْنٍ﴾ بعد كلمة ﴿تَدَايَنتُم﴾ ليرجع إليها الضمير في ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ وللتأكيد ولتخصيص أحد المعنيين من التداين، وهو التداين بالمال؛ لأنّ المعنى الآخر هو المجازاة من قولهم: كما تدين تدان.

السؤال العاشر:

قوله تعالى: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ ولم يقل: شاهدين، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ بمعنى (شاهدين)، واستعمل صيغة فعيل بمعنى فاعل؛ لأنّ مطلق شاهد قد يكون زوراً، لذلك جاء الحق بصيغة المبالغة، كأنه شاهد عرفه الناس بعدالة الشهادة حتى صار شهيداً.

وكلمة (شهيد) بمعنى شاهد، مثل: بديع بمعنى مبدع، وأليم بمعنى مؤلم، وحكيم بمعنى محكم، غير أنّ في وزن (فعيل) مبالغة، وهو أنه يدل على استحقاق الصفة، كأن من شأنه الإبداع أو النبل أو الشهادة.

السؤال الحادي عشر:

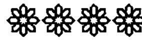
في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ زيدت ﴿مَا﴾ فما دلالة ذلك، علماً أنها لم تأت في جزأين آخرين من نفس الآية ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ و ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم الحروف الزائدة بهدف التوكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد.

وهنا زيدت (ما) في جزء من الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ ولم تأتِ في جزأين آخرين من نفس الآية، والسبب هو أنه زيدت ﴿مَا﴾ مؤكدة على الشهداء

حضور الشهادة عند الدعوة إليها، بخلاف موضعين اثنين في نفس الآية ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ﴾ و ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ﴾ والسبب أنّ الشاهد قد يتباطأ أو يتكاسل أو ينكص عن الشهادة؛ لأنه ليست له مصلحة خاصة به، أو قد تلحق به ضررا فاحتاج إلى التوكيد .



﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ولم يقل: (إذا)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعمل ﴿وَإِن﴾ للدلالة على العدد القليل لهذه الحالة بعكس استعمال (إذا).

السؤال الثاني:

في قوله تعالى في الآية: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ لِمَ أطلق على الرهان اسمَ الأمانة؟

الجواب:

كل من يقرأ هذه الآية يعلم أنّ الأمانة في قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ يُراد بها الرهان الذي سبق ذكره ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ﴾ وسمّى ربنا سبحانه وتعالى الدَّيْنَ في الذمة أو

الرهنَ أمانةً؛ لتعظيم الحق عند المدين، فاسم الأمانة له مهابة في نفس الإنسان لا تضفيه كلمة الرهان، وفيها تهويل من عدم الوفاء بالاتفاق لئلا يُسمى ناكث العهد خائناً.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ لِمَ ذكر ربنا تعالى كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ وكلمة ﴿رَبَّهُۥ﴾ وهما اسمان لمسمّى واحد؟

الجواب:

ذكر اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ في الآية مع أنه يمكن الاكتفاء بقولنا (وليتق ربه)؛ لإدخال الرَّوع في ضمير السامع ولغرس المهابة في قلبه ليكون حذراً من الإخلاف، فاسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾[البقرة:٢٨٣] له وقع في نفس السامع يشعرك بالمهابة والتعظيم.

انظر الجواب بالتفصيل في الآية السابقة ٢٨٢.

السؤال الرابع:

لماذا لم يكتف بقوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ وإنما أسند الإثم إلى القلب ؟

الجواب:

لم يكتف بقوله ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ وإنما أَسند الإثمَ إلى القلب؛ وذلك أنّ الشهادةَ محلُّها القلب، وكتمانها هو أنْ يبقيها في قلبه، فنسب الإثمَ إلى القلب، وهو تعبيرٌ بديعٌ؛ لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ .

ألا ترى أنك إذا أردت التوكيد قلت: هذا مما أبصرته بعيني، ومما سمعته بأذني، ومما عرفه قلبي.

والقلب هو رئيس الأعضاء، وهو المضغةُ التي إنْ صلحت صلح الجسدُ كلُّه وإنْ فسدت فسد الجسد كلُّه، فكأنه قيل: قد تمكّن الإثمُ في أصل نفسه ومَلَكَ أشرفَ مكانٍ فيه، ولئلا يُظنَّ أنّ كتمان الشهادة من آثام اللسان فقط .

السؤال الخامس:

ما أهم الوقفات في الآية ؟

الجواب:

١ـ حروف كلمة (السفر) اشتقت من الظهور والكشف، والسِّفْر: هو الكتاب؛ لأنه يبين الشيء ويوضحه، وسمي السَّفَرُ سَفَراً؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال، أو أنه لما خرج إلى الصحراء فقد انكشف للناس، وأسفرت المرأة عن وجهها، أي: كشفت.

٢ـ أصل الرهن من الدوام، يقال: رهن الشيء إذا دام وثبت، ونعمة راهنة، أي: دائمة ثابتة.

٣ـ في الآية حذف، والتقدير: فرهان مقبوضة بدلاً من الشاهدين أو ما يقوم مقامهما.

٤ـ قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ هو بيع الأمانة بدون كتابة ولا شهود، وعلى المدين أنْ يتقي الله ولا يجحد، وقد يكون خطاباً للمرتهن بأنْ يؤدي الرهن عند استيفاء المال فإنه أمانة في يده.

٥ـ إنّ جواز الرهن لا يختص بالسفر، ولم يذكره هنا في الآية لتخصيص الحكم به، لكنْ لمّا كان السفر مظنة عوز الكاتب والشاهد الموثوق بهما أمر الله تعالى على سبيل الإرشاد ولحفظ مال المسافرين بأخذ الرهان.

٦- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ لأنّ الإثم مقترن بالقلب، ولأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما يقال: أبصرته بعيني، وسمعته بأُذني، ووعاه قلبي.



﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى في بداية الآية: ﴿لِّلَّهِ﴾ علام يدل تقديم الجار والمجرور ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ﴾ قدّم الجار والمجرور لإفادة الحصر والقصر، فكل ما في الوجود أمره إلى الله وحده فقط وليس لأحد غيره، وهذا يدل على كمال المُلك مُلْكاً ومِلْكاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم السماوات على الأرض في الآية ؟

الجواب:

قدّم السماوات على الأرض لأسبقيتها في الخلق.

السؤال الثالث:

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة ﴿تُخْفُوهُ﴾ على الإبداء في آية سورة البقرة ٢٨٤، وسورة آل عمران ٢٩؟

الجواب:

قوله تعالى: في آل عمران ٢٩: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

المحاسبة في سورة البقرة هي على ما يُبدي الإنسان وليس ما يُخفي، ففي سياق المحاسبة قدّم الإبداء، أمّا في سورة آل عمران فالآية في سياق العلم؛ لذا قدّم الإخفاء؛ لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

السؤال الرابع:

ما القواعد العامة في القرآن في تقديم أو تأخير السر، وكذلك في الإعلان والإخفاء والجهر ؟

الجواب:

١ـ في القرآن الكريم قد يقدم السر على العلن، كما في آية يس ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾[يس:٧٦] وذلك:

آـ لأنّ مرتبة السر مقدمة على مرتبة العلن.

ب ـ كما أنّ السر يدل على الإحاطة بالمعلومات كلها، فمن كان يعلم السر فهو يعلم العلن من باب أولى.

٢ـ الملاحظ في القرآن الكريم أنه لا يقتصر على تقديم السر، فهو كما يقدم السر على الإعلان قد يقدم الجهر على الإخفاء، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾﴾[الأعلى:٧].

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[البقرة:٢٨٤] .

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾[الأنبياء:١١٠] .

٣ـ وهو أحياناً يكتفي بذكر أحدهما دون الآخر، فيكتفي بذكر الإسرار دون الإعلان كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾[محمد:٢٦].

وقد يكتفي بذكر الأمور الظاهرة كذكر العمل والصنع، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحُجُرات:١٨] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠] وكل ذلك بحسب ما يقتضيه المقام.

٤ـ وكذلك في القرآن الكريم نلاحظ أنه إذا تقدم الكلام على المنافقين أو الكفار قدّم الإخفاء، وإذا تقدم ذكر المؤمنين قدّم الإبداء، بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين، وهذا مُطَّرد في جميع القرآن الكريم.

غير أنه مع هذا الخط العام للتقديم والتأخير يكون التقديم والتأخير مناسباً للسياق الذي ترد فيه الآية.

وبيان ذلك من الشواهد القرآنية:

أولاً ـ في مواضع تقديم السر على العلن:

آ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ البقرة ٧٧ـ هود ٥ـ النحل ٢٣ـ يس ٧٦، وهذه المواطن الأربع هي خاصة بذكر الكافرين.

ب ـ ﴿مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾ [النحل:١٩] بصيغة الخطاب في موطنين: [النحل ١٩ـ التغابن ٤] وهما ليسا مختصين بالكافرين، وإنما هما من المواطن العامة التي تشمل عموم بني آدم، وإنْ كان قد جرى فيها ذكر للكافرين.

مع ملاحظة أن آية النحل قد وقعت في سياق تعداد النعم على الإنسان، والسورة بدأت في الكلام عن الشرك والمشركين ثم عن الكفار، ولم يرد في سياق آية النحل ذكر للمؤمنين.

وأمّا آية التغابن فالسياق فيها لم يختص بالكلام عن الكافرين، إلا أنه جرى بعدها مباشرة في الآيات(٥ـ٧) ذكر للكافرين، فتكون آية التغابن قد وقعت في سياق الكافرين، سواء تقدمها ذكر الكافرين أم وقع في عقبها.

وعلى أية حال فالقاعدة صحيحة، فكل ما تقدم فيه السر على الإعلان كان في سياق الكلام عن الكافرين، سواء تقدم الآية أم كان في عقبها.

ثانياً: في مواضع تقديم العلن على السر:

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤] والخطاب فيها للمؤمنين.

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ [المائدة:٩٩] وهو خطاب للمؤمنين.

ثالثاً ـ حسب سياق الآية:

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾ [الأعلى:٧] قدّم الجهر؛ وذلك لتقدم قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾[الأعلى:٦] والإقراء لا يكون إلا جهراً، بخلاف القراءة فقد تكون سراً وجهراً، فناسب تقديم الجهر.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ [الأنبياء:١١٠] قدّم الجهر على الكتمان؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[الأنبياء:١٠٩] والإيذان هو الإعلام والإشهار، وذلك لا يكون إلا جهراً .

رابعاً ـ الاكتفاء بأحدهما دون الآخر:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾ [محمد:٢٦] ولم يقل: وجهرهم؛ لأنه ذكر ما جهروا به وهو قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾[محمد:٢٦] ولم يذكروا الأمر الذي يطيعونهم فيه ولم يبينوه وإنما أسروه فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾[محمد:٢٦] أي لا يخفى عليه ما أسروه.

والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿فَيَغۡفِرُ﴾ في آية البقرة ٢٨٤ حيث قدّم، وآية المائدة ٤٠ حيث أخّر ؟

الجواب:

قوله تعالى في المائدة ٤٠ : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾

١ـ لو نظرنا في الآيات سنجد أنّ المغفرة تقدمت في ثلاث آيات في البقرة وفي آل عمران والمائدة، وتقديم المغفرة على العذاب هو الأصل؛ لأنه تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] وفي الحديث في «صحيح البخاري»: «**رحمتي سبقت غضبي**».

٢ـ لماذا تقدمت (يعذّب) على (يغفر) في الآية ٤٠ في سورة المائدة؟

هذا الأمربسبب أنها جاءت عقب ذكر السارق والسارقة وقطع اليد، لاحظ الآية ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[المائدة:٣٨] فلا بدّ أن يقدّم العذاب؛ لأنّ الكلام في البداية كان عن عذاب ثم عن مغفرة، ولو عكست لما استقام الكلام .

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ما دلالة ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ ؟

الجواب:

المحاسبة مشتقة من الحسبان وهو العدّ، ويحاسبكم، أي: يعدّه عليكم، ثم أطلق هذا اللفظ على ما ينجم عن العدّ والإحصاء وهو المؤاخذة والمجازاة، فحساب الله تعالى هو إحصاء لأعمالك وأفعالك ثم مجازاتك على ذلك.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يدل على كمال العلم المحيط بالكليات والجزئيات.

السؤال الثامن:

قال تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: (يؤاخذكم)، فلماذا ؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: (يؤاخذكم)؛ فالله عليم بالسرائر والضمائر، وروي عن ابن عباس أنّ الله تعالى إذا جمع الخلائق يخبرهم بما كان في نفوسهم؛ فالمؤمن يخبره ثم يعفو عنه لمن يشاء فضلاً، وأهل الذنوب يخبرهم بما أخفوا من التكذيب والذنب فيعذبهم عدلاً.

وقيل: أريد بالآية العموم ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقيل: لا نسخ فيه؛ لأنه خبر لا أمر أو نهي، والمراد الاحتراز من العزم القاطع لا مجرد حديث النفس؛ ولأنه أخبر عن المحاسبة لا عن المعاقبة .

السؤال التاسع:

ما نوازع النفس ؟

الجواب:

نوازع النفس كثيرة منها: [الهاجس ـ الخاطر ـ حديث النفس ـ الهم ـ العزم] والحالة الأخيرة هي التي يجب الانتباه لها؛ لأنها قريبة من وقوع الذنب وانتقاله من هواجس النفس إلى الوجود، وقد نظمها بعضهم بقوله:

مراتِبُ القَصدِ خمسٌ: هاجسٌ ذكروا   فخاطرٌ، فحديثُ النفس، فاستَمِعا
يليه هَمٌّ فعزمٌ كُلُّها رُفعت   سوى الأخيرِ ففيه الأخذُ قد وقعا

السؤال العاشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: أنّ المغفرة بيد الله، ولكنه ترك الزمام للبشر؛ ليفعلوا أسباب المغفرة ويتوبوا إلى الله ويكثروا من الحسنات.

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ أي: أنه كامل القدرة إضافة إلى كونه كامل الملك والملكوت وكامل العلم.

٢ـ ولّما ثبت لله تعالى أنّ له كمال المُلك وكمال العلم وكمال القدرة أوجب هذا كمال صفات الربوبية، ولذلك أتبع هذه الآية ببيان كون المؤمنين في نهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله تعالى، وذلك هو كمال العبودية.

حسبُ نفسي عِزّاً بأنّي عبدٌ   يحتفي بي بلا مواعيدَ ربُّ
هو في قُدسِه الأَعَزِّ ولكنْ   أنا ألقى متى وأين أُحِبُّ

٣ـ وقدّم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه، كما هو ظاهر في آية البقرة وغيرها، حيث جاءت ترغيباً في المسارعة إلى طلب المغفرة وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته وأنّ رحمته غلبت غضبه.

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى: في آية البقرة ٢٨٤ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: في آية الزخرف: ٨٥ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وفي آية المائدة ١٧ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بزيادة (وما بينهما) فما السبب ؟

الجواب:

١ـ جاء في القرآن الكريم في ثلاث آيات هي:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[المائدة:١٧] .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[المائدة:١٨] .

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[الزُّخرُف:٨٥] أي بزيادة (وما بينهما).

٢ـ ومن ملاحظة هذا الموضوع في القرآن الكريم يتبين لنا التالي:

آ ـ في كل موطن في القرآن الكريم يذكر ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[الزُّخرُف:٨٥] يأتي تعقيب على من يذكر صفات الله بغير ما يستحق:

شواهد قرانية:

آية المائدة ١٧ : تعقيب على قول النصارى.

آية المائدة ١٨ : تعقيب على قول اليهود.

آية الزخرف ٨٥: تعقيب على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴿٨١﴾﴾ .

ب ـ في كل آية ورد ذكر السماوات والأرض وما بينهما، أي: أنه ذكر ثلاثة أمور: السماوات والأرض وما بينهما، نجد بالمقابل وفي جميع الآيات المذكورة أعلاه أنه سبقها ذكر ثلاثة أمور تتعلق باليهود والنصارى والمشركين، انظر الجدول التالي مع أرقام الآيات:

السورة	موسى/ اليهودية	عيسى/ النصرانية	محمد/ الإسلام
المائدة	١٢	١٤	١٩
الزخرف	٤٦	٥٧	٨١



﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما نوع ﴿لَا﴾ في قوله تعالى: في الآية ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ (لا) هي النافية لا تجزم ولا تؤثر على الفعل، إنما نفي فقط للفعل الذي يليها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ ما الفرق بين المغفرة والغفران فى القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة (غفران) لم ترد إلا في موطن واحد، وهو في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ وهي في طلب المغفرة من الله تعالى. إذن كلمة (غفران) مخصّصة بطلب المغفرة من الله تعالى، وهذه دعاء أي: نسألك المغفرة ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ إذن (غفران) تستعمل في طلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً.

٢ـ (المغفرة) لم تأت في طلب المغفرة أبداً، وإنما جاءت في الإخبار وفي غير الطلب، كما في الآيات: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ﴾ [البقرة:٢٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ [الرعد:٦] . وقد تأتي من غير الله سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣﴾ [البقرة:٢٦٣] فقد تأتي من العباد.

إذن (المغفرة) ليست خاصة بالله سبحانه وتعالى ولها أكثر من جهة، ولم يستعملها القرآن في طلب المغفرة، بينما كلمة (الغفران) مختصة بطلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً.

السؤال الثالث:

ما أهم اللفتات في الآية ؟

الجواب:

لمّا بيّن تعالى في الآية المتقدمة كمال المُلك وكمال العلم وكمال القدرة له سبحانه وتعالى – وذلك يوجب كمال صفات الربوبية– أتبع ذلك بأنْ بيّن كون المؤمنين في نهاية الانقياد

والطاعة والخضوع، وذلك هو كمال العبودية. لذلك فالمرجو من عميم فضل الله وإحسانه أنْ يحفنا بكمال العناية والرحمة والإحسان، اللهم حقق هذا الرجاء والأمل ياربنا يارحمن يا رحيم.

وفي الآية مسائل:

١ـ ذكر الله إيمان الرسول ﷺ أولاً ثم ذكر إيمان المؤمنين بالرسالة بناء على توزيع الفاعل في الفعل (آمن) بين الرسول والمؤمنين .

٢ـ ثم جمعهما الله بقوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ فجمعهم في كُلِّيَّةٍ كأن قلوبهم قلب واحد فقال: كُلٌّ .

ثم فصّل بعد الإجمال فقال: ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وهذه الأربعة من ضرورات الإيمان، وفائدة هذا الجمع أنْ يبين زيادة شرف الإيمان حيث مدح به خواصّه ورسله.

٣ـ قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ بتقدير فعل محذوف، أي: يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله.

وكلمة ﴿أَحَدٍ﴾ هنا بمعنى الجمع الذي هو آحاد، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة:٤٧] وحاجزين جمع، فكأنه يقول: لا نفرق بين آحاد من رسله، ولأنّ أحداً يصلح للمفرد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما نفياً وإثباتاً، تقول: ما رأيت أحداً إلا بني فلان أو إلا بنات فلان، وتقول: إنْ جاءك أحد بكتابي فأعطه المال، ويستوي فيه

الكل، فالمعنى لا نفرق بين اثنين منهم أو بين جماعة منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٍ﴾[الأحزاب:٣٢] .

٤ـ قوله: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ يعني: الجمع بين العلم والعمل.

٥ـ قوله: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ فيه إشارة أنّ المؤمن خائف من التقصير لذلك يلتمس المغفرة، والمصدر (غفرانك) وقع موقع الفعل، وقد قُرن هذا الغفران بأمرين: أحدهما الإضافة، أي: إلى الضمير في غفرانك، والثاني: (ربنا) وكأنّ المؤمن يقول لله: أنتَ الكامل في هذه الصفة وأنت غافر الذنب وأنت الغفور.

فقوله: ﴿غُفۡرَانَكَ﴾ أي: أطلب يارب الغفران الكبير، فإنْ كان جرمي كبيراً لكنّ غفرانك أعظم من جرمي، أي: عاملنا بما أنت له أهل لا بما نحن أهل له.

٦ـ وقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ اعتراف بالربوبية لله، أي ربيتني في الماضي فاجعل عملي في الماضي شفيعي إليك في أنْ تربيني في المستقبل، فتمم هذه التربية بفضلك وكرمك.

وهو خطاب قرب من حيث لم يظهر فيه أداة نداء، ولم يُجر الله سبحانه وتعالى على ألسنة المؤمنين في كتابه العزيز نداءَ بُعدٍ قَطُّ.

٧ـ قوله: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ فيه إقرار بالمعاد إلى الله وحده، حيث قدّم الجار والمجرور فأفاد القصر والحصر أي لا إلى غيرك . والله أعلم.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٨٦) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين آية البقرة ٢٨٦ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ و آية الطلاق ٧ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ ؟

الجواب :

١ـ لو نظرنا في الآيتين سنجد السبب واضحاً. آية البقرة تتكلم عن التكاليف عموماً وفي أمور الحياة وفي العمل، وأنه من عمل خيراً كان له ومن عمل سوءاً كان عليه، وهذا في عموم التكاليف، فقال الله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ فهو كسبٌ واكتساب.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ جمهور العلماء قال كما قال: الرسول ﷺ «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا به ما استطعتم**» أي: بقدر طاقتكم.

وقالوا أيضاً في معناها: إنّ جميع التكاليف هي في وسع البشر؛ لأنه سبحانه و تعالى لم يكلّف البشر شيئاً لا يطيقونه ولم يكلفهم ما لا يطيقونه، فإذا كانوا لا يطيقون يخفف عنهم.

٢ـ لكن آية الطلاق ٧ وهي قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ الإيتاء هنا هو الإعطاء. وعندما ننظر في سياق الآية نجد الكلام عن المال، أي: ما آتى الله للإنسان من مال، والكلام في الآية عن الإنفاق والمنفق عليه، والكلام أيضاً هو عن المطلّقات، أي: ما أعطاها من الرزق، فلا يكلف الفقير أنْ ينفق ما ليس في وسعه، بل لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها من حيث المال، وعندما يكون هناك إنفاق فبقدر ما عندك تُنفِق ، أي بمقدار ما آتاك الله، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق:٧].

السؤال الثاني :

لماذا نكّر كلمة (نفس) في الآية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ ؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ دلالة التنكير للأنفس، أي: هي للعموم والشمول، أي: جنس النفس، وأيُّ نفس لا يكلفها الله تعالى إلا وسعها وإلا ما تطيقه، والرسول ﷺ عندما يقول: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمر فانتهوا**» ففي مسألة النهي نقطع، فلمّا نُهينا عن الربا انتهى الأمر، وإذا أمرنا بأمر نأتي منه بقدر طاقتنا، أمرنا بالصيام فنصوم فإذا كان الإنسان مريضاً يخفف عنه.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين (كسبت واكتسبت)؟

الجواب :

هناك رأيان :

١ـ اكتسب على وزن (افتعل) وفيها تمهّل، مثل: اصبر واصطبر وجهد واجتهد. واصطبر هو صبر طويل شديد، فصيغة افتعل فيها تمهّل ومدّة واجتهاد وإبطاء. قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ .

و كلمة (الاكتساب) فيها تمهل واجتهاد وليست (اكتسب) عامة؛ لأنها في الشر، بينما (الكسب) يكون في الخير والشر، لكنّ الكسب أسرع والاكتساب فيه تمهّل واجتهاد، واكتساب السيئات يحتاج إلى مشقة، أمّا الخير فقد يأتيك وأنت لا تعلم، فقد يغتابك أحد وتكسب أنت خيراً وهو يكتسب شراً.

٢ـ هناك رأي آخرفي الفرق بين: كسب واكتسب، فالكسب هو أمر طبيعي، لذلك نجد أنّ أفعال الخير تأتي كسباً لا اكتساباً، بينما الفعل: (اكتسب) على وزن (افتعل) فيه تكلف؛ لأنّ صاحب الشر يتكلف الفعل فيحاول أنْ يستر نفسه، مثل السارق للبستان أو سارق النظرة من المرأة الأجنبية، بعكس نظر الرجل إلى زوجته فيتم بدون تكلف، فالشر هو الذي يحتاج إلى افتعال.

والمرحلة الأولى من الشر يكون أهل الشر في حياء من فعل الشر؛ لأنّ في نفوسهم بقايا خير، لكنْ عندما يعتبرون الشر حرفة ومَلَكَة فهنا المصيبة إذ تحيط بكل منهم خطيئته، فلا تجعل له منفذاً إلى الله ليتوب، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة:٨١] فالمصيبة الكبرى

عندما يصل المرء إلى مرحلة لا يحتاج الشر عنده إلى افتعال ويسقط في بلادة الحس الإيماني وتكون الشرور عليه سهلة لأنه تعود عليها.

٣ـ ونلاحظ أن كل ﴿لَهَا﴾ في القرآن جاءت مع ﴿كَسَبَتْ﴾ وكلمة ﴿وَعَلَيْهَا﴾ جاءت مع ﴿ٱكْتَسَبَتْ﴾ إلا في آية واحدة في سورة البقرة ٨١ ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الإنساء والنسيان، وما علاقة النسيان بالشيطان ؟

الجواب :

١ـ النسيان: خلقه الله في الإنسان، لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه، ويكون عما كان، أمّا السهو فيكون عما لم يكن.

٢ـ الإنساء: من أنسى، مثل: أكرم إكراماً.

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يتعلقان بالشيطان،فقد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى.

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه كما في قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [الحشر:١٩].

* شواهد قرآنية:

ـ آية طه ٥٢ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ لا ينسى من تلقاء نفسه.

ـ آية الكهف ٦٣ ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فتى موسى يتكلم عن نفسه، وعن أن وساوس الشيطان ألهته فنسي.

ـ آية يوسف ٤٢ ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ هذا سرد لما حدث، يتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج، أي: أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة ٢٨٦ ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون ١١٠ ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي: أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة ١٠٦ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ متعلقة بالله تعالى.

السؤال الخامس :

ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: (قدر ـ استطاع ـ أطاق) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ قدر: تعني أنّ الإنسان يقوم بالعمل دون أي جهد وأنّ العمل عليه سهل، ولذلك وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قدير؛ لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: (كن فيكون).

* شواهد قرآنية: [البقرة ١٤٨ ـ الأنعام ٣٧ ـ النحل ٧٧ ـ الإسراء ٩٩].

٢ ـ استطاع: الفعل مشتق من الاستطاعة، وهي أنْ تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أن تدخر منه شيئاً أو تتكلف أي جهد إضافي.

* شواهد قرآنية: [آل عمران ٩٧ ـ الأنفال ٦٠].

٣ـ أطاق: من الطاقة، وهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد، أي: يقوم بالعمل ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء.

* شواهد قرآنية:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] .

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

السؤال السادس :

قوله تعالى:﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ ما الفرق بين التحميل والتكليف والاختبار والفتنة ؟

الجواب :

١ـ التحميل لا يكون إلا لما يُستثقل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ والإصر هو الثقل.

٢ـ أما التكليف فقد يكون لما لا ثقل له، نحو الاستغفار فتقول: كلفه الله الاستغفار ولا تقول: حمّله ذلك.

٣ـ الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق، بينما الاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب .ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: هو مبتلى بالنعمة، بل مختبر بها.

والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، بينما الاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر هو العلم الذي يقع بكُنهِ الشيء وحقيقته.

٤ـ الفتنة أشد أنواع الاختبار، وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده، ويكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات:١٣] وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] وقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٦-١٧] فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المُنعَم عليه . والله أعلم.

السؤال السابع :

ما أهم اللفتات والدروس في الآية ؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يحتمل أنْ يكون ابتداء خبراً من الله، ويحتمل أنْ يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين، أي: معطوفاً على قوله: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ويؤيد ذلك قولهم ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾.

ويكون تقدير الكلام : كيف لا نسمع ولا نطيع والله لا يكلفنا إلا ما في وسعنا.

٢ـ يقال: كلفته الشيء فتكلف، والكلفة اسم منه، وأمّا الوسع فهو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، فالوسع دون المجهود في المشقة، وهو ما يتسع له قدرة الإنسان .

٣ـ قوله: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ فيه اعترافٌ بعبوديتنا لله بأنه خالقنا ومتولٍّ أمورنا وناصرنا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧] وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [التحريم:٤] أي: ناصره. والله أعلم.

السؤال الثامن :

ورد في الآية أربعة أنواع من الدعاء كلها بدأت بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ إلا في الدعاء الرابع، فما دلالة ذلك ؟

الجواب :

آ ـ اعلم أنّ الله تعالى حكى في هذه الآية عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء كلها بدأت بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾ إلا في النوع الرابع من الدعاء حيث بدأ بـ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ وهذه الأدعية هي :

١ـ الدعاء الأول : قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وكأننا نقول: يا رب نقدرك حق قدرك ولا نجترىء على عصيانك عمداً، وإنْ عصينا فإنما هو نسيان أو خطأ.

وأخطأ من (الخطأ)، وهو الزلل عن الحد من غير تعمد، أمّا (خَطِىء)، فهو لا يكون إلا إثماً؛لأنه تعمد.

٢ـ الدعاء الثاني: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (والإصر) في اللغة الثقل والشدة، وهو العهد الثقيل الذي في تحمله أشد المشقة.

٣ـ الدعاء الثالث : قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ .

والسؤال : لمَ قال آنفاً: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ وقال هنا: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ ؟

والجواب أنّ الإصر في اللغة هو الثقل والشدة، والشاق يمكن حمله، أمّا ما لا يكون مقدوراً فلا يمكن حمله، أي: الحمل للشاق والتحميل للأمور غير المقدور عليها.

٤ـ الدعاء الرابع قوله تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ وفيه اعتراف بأننا لا نقوى على غضب الله؛ لذلك نطلب المغفرة، فنحن ندعوه بألا يدخلنا في الذنب الذي يؤدي إلى غضبه ونطلب من الله المغفرة، و(الرحمة) هي الدعاء بألا يدخلنا في الذنب أصلاً.

ب ـ اعلم بأنه في الأنواع الثلاثة من الأدعية كان المطلوب فيها الترك وكانت مقرونة بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ .

وأما الدعاء الرابع فهوطلب فعلٍ في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ فقد حذف هنا لفظ ﴿رَبَّنَا﴾ لأنّ النداء إنما يُحتاج إليه عند البعد، أمّا عند القرب فلا ، وفي ذلك إشعار بأنّ العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى، وفي هذا سر عظيم .

السؤال التاسع :

ما الفرق بين العفو والمغفرة ؟

الجواب :

١ـ العفو أنْ يسقط عنك العقاب؛ لأنّ العفو هو محو الأثر، وأمّا المغفرة فهي أنْ يستر عليك الجرم صوناً من عذاب التخجيل والفضيحة، فالأول هو العذاب الجسماني، والثاني هو العذاب الروحاني .

٢ـ وعندما تخلص منهما أقبل على طلب الثواب، وهو أيضاً قسمان :

آـ ثواب جسماني، وهو نعيم الجنة، فقوله: ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ قد يكون طلباً للثواب الجسماني.

ب ـ وثواب روحاني، وغايته أنْ يتجلى له نور الله، وهو قوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ وهذه الكلمة تدل على نهاية الخضوع والتذلل بأنه سبحانه هو المتولي لكل نعمة للمؤمنين، وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها. والله أعلم

السؤال العاشر :

ما اللطيفة العددية في الرقم (٢٨٦) والذي يمثل رقم آخر آية من سورة البقرة؟

الجواب :

الرقم (٢٨٦) والذي يمثل عدد آيات سورة البقرة يتألف من ثلاث خانات فإذا أخفيت الخانة اليمنى كانت النتيجة العدد(٢٨)، وهو عدد السور المدنية في القرآن الكريم ، وإذا أخفيت الخانة اليسرى كانت النتيجة العدد(٨٦) وهو عدد السور المكية في القرآن الكريم ، ومجموع الرقمين [٨٦+٢٨] = ١١٤ ، وهو عدد سور القرآن الكريم ..فتأمل!!

رابعاً ـ تناسب افتتاح سورة البقرة مع خاتمتها :

قال تعالى في بدء سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:١-٢-٣-٤-٥-٦]

١ـ فذكر المؤمنين الذين يؤمنون بما أنزل إلى الرسول عليه السلام وما أنزل من قبله، ثم ذكر الذين كفروا.

وقال في آخر السورة : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥] .

فذكر في أول السورة أنهم يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، وكذلك ذكر في آخر السورة.

فقد قال في أول السورة : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [البقرة:٤] .

وقال في آخرها إنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله.

فناسب البدء الختام.

٢ ـ ذكر في أول السورة أنهم يؤمنون بالغيب.

وذكر في آخر السورة أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكل هذا من الغيب.

ثم إنّ الإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بكل ما ذكروا من الغيب.

٣ ـ ذكر الكافرين في أول السورة فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة:٦] .

وقال في خاتمتها : ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦]. فدعا بالنصر عليهم، فناسب مفتتح السورة خاتمتها من أكثر من وجه. والله أعلم .



سورة آل عمران

أولاً ـ تناسب خواتيم سورة البقرة مع أوائل سورة آل عمران:

١ ـ قال في خواتيم البقرة:

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾[البقرة:٢٨٤].

وقال في أوائل آل عمران:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[آل عمران:٥-٦].

فقوله في سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾[البقرة:٢٨٤].

يناسب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾[آل عمران:٥]

فالملك ملكه وهو يعلم ما فيهما لا يخفى عليه شيء فيهما.

وأثبت له المشيئة في المغفرة والتعذيب.

وأثبت له المشيئة في التصوير في الأرحام، فهو- سبحانه - على كل شيء قدير.

٢ـ قال في خواتيم البقرة:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال في مفتتح آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ (٣) مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٣-٤].

فذكر في خواتيم البقرة من آمن بالله والملائكة والكتب والرسل.

وذكر في أول آل عمران الكتب وذكر التوراة والإنجيل وذكر أنّ القرآن مصدق لما بين يديه.

٣ـ ذكر دعاء المؤمنين في خواتيم البقرة: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة:٢٨٥] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وذكر دعاء الراسخين في العلم في مفتتح آل عمران: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (٨) رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران:٨-٩].

٤ـ قال في خاتمة البقرة على لسان المؤمنين: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٢٨٦)﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وقال في أوائل آل عمران ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (١٢)﴾ [آل عمران:١٢] .

كما ذكر نصر المؤمنين في معركة بدر.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣] .

فكأن ما ذكره في آل عمران استجابة لما دعا به المؤمنون في أواخر البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة:٢٨٦] .

جاء في «البحر المحيط»: مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لأنه لما ذكر آخر البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦] . ناسب أنْ يذكر نصره تعالى على الكافرين حين ناظرهم رسول الله ﷺ ورد عليهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة .

ولمّا كان مفتتح آخر آية البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥] .

فكان في ذلك الإيمان بالله وبالكتب ناسب ذكر أوصاف الله تعالى وذكر ما أنزل على رسوله وذكر المنزَّل على غيره صلى الله عليهم.

ثانياً: هدف السورة: الثبات.

كل سورة من سور القرآن الكريم لها وحدة موضوع، واسم كل سورة مستوحى من هذا الموضوع. وهدف سورة آل عمران: الثبات، فبعد أنْ عرض الله تعالى لنا المنهج الذي يجب علينا أنْ نتبعه في سورة البقرة جاءت سورة آل عمران لتدلنا على الطرق التي تعيننا على الثبات على هذا المنهج، سواء كنا من حديثي العهد بالمنهج أو قديمي العهد، فكل المؤمنين يحتاجون إلى الثبات على المنهج؛ حتى لا يتخاذلوا ولا يخافوا أنْ يزيغوا أو يضلوا.

وسورة آل عمران تنقسم قسمين اثنين:

١. القسم الأول من الآية (١- ١٢٠)، هذه الآيات تدلنا على كيفية الثبات فكرياً في مواجهة الأفكار الخارجية.

٢. القسم الثاني من الآية (١٢١- إلى نهاية السورة)، وفيها كيفية الثبات داخلياً.

وقد بدأت سورة آل عمران بالثبات فكرياً من الخارج لتجهيز البيئة المحيطة ثم انتقلت للثبات الداخلي للفرد، وسورة آل عمران تتمحور حول حادثتين:

آـ حادثة وفد نصارى نجران الذي يمثل أول حوار للأديان في التاريخ، وكيف نثبت في مواجهة الأفكار الخارجية من خلال المناقشة مع وفد نصارى نجران، وهي تعلمنا فكرة مناقشة أهل الكتاب عامة.

ب ـ والحادثة الثانية: غزوة أحد، لتدلنا على كيفية الثبات العملي، ورغم أنّ غزوة أحد وقعت قبل حادثة وفد نجران، إلا أنّ ورودها بعدها إنما هو لتحقيق فكرة الثبات الخارجي أولاً، ثم الداخلي.

بداية السورة ونهايتها تدلان على أنّ الحق معنا وعلينا أنْ نتمسك به: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] . و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠] .

ونستعرض سورة آل عمران ومحاورها:

١ـ الثبات على الحق: والآيات كثيرة في الثبات لكل الطبقات وكل الناس:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢] .

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران:١٠٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

٢ـ عقبات الثبات: نحو قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾[آل عمران:١٤] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾[آل عمران:١٥٥].

٣ـ عوامل الثبات:

آـ اللجوء إلى الله تعالى:

ـ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾[آل عمران:٨].

ـــ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾[آل عمران:١٩٢-١٩٣-١٩٤].

وكذلك دعوة سيدنا زكريا: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ﴾[آل عمران: ٣٨ - ٣٩] .

وسورة آل عمران هي أكثر السور التي ورد فيها دعاء؛ لأننا إذا أردنا الثبات على المنهج علينا أنْ ندعو الله تعالى ونلجأ إليه حتى يعيننا على الثبات؛ لأننا بأمسّ الحاجة إلى عون الله تعالى على الثبات.

ب ـ **العبادة**: وهذه السورة مليئة بنماذج عُبّادٍ.

السيدة مريم وعبادتها:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران:٣٧] .

وسيدنا زكريا: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران:٣٩] .

ج ـ **الدعوة إلى الله**: لأنه عندما يدعو أحدنا غيره إلى الله تعالى فهذا يعين على الثبات:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤]؛ و ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠].

د ـ وضوح الهدف: يجب أنْ يكون الهدف واضحاً في الحياة.: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩١] .

هـ ـ الأخوّة: تركيز على الأخوّة في الدين بشكل شديد؛ لأنها من أهم ما يُعين على الثبات.: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران:١٠٣] .

والنصف الأول من سورة آل عمران يدعو للثبات فكرياً، ويتمثل في مناقشة راقية للرسول ﷺ مع أهل الكتاب ليعرض معهم أين الحق، وقد أقام وفد نجران في مسجد الرسول ﷺ وناقشهم فيه أيضاً، وعلينا أنْ نتخذ هذه التعاليم لمحاورة الذين اختلفوا معنا في المعتقد ونقتدي بالرسول ﷺ .

كيف تثبّت سورة آل عمران المؤمنين؟

١ ـ تقوية عقيدة المسلمين قبل النقاش: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[آل عمران:١٨-١٩-٢٠].

٢ـ إيجاد نقاط اتفاق بين المسلمين وأهل الكتاب:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران:٦٤].

٣ـ الحجج والبراهين وسيلة القرآن للتثبيت:

ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[آل عمران:٥٩].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾[آل عمران:٦٥].

٤ـ تحذير أهل الكتاب من التكذيب:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[آل عمران:٧٠-٧١].

٥ـ التحدّي الشديد: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١].

٦ـ العدل في النظرة إلى أهل الكتاب: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[آل عمران:٧٥].

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران:١١٣].

٧ـ الثناء على الأنبياء الذين أُرسلوا إلى اليهود والنصارى:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[آل عمران:٣٣]

ونلاحظ أن القسم الأول من السورة اختتمت فيه الآيات بآية تتكلم عن الثبات: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[آل عمران:١٢٠] واختتمت آيات القسم الثاني بآية تتكلم عن الثبات أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

النصف الثاني من السورة:

يتحدث هذا القسم عن غزوة أحد؛ لأنها تركت في نفوس المسلمين أثراً شديدا من جرّاء عصيانهم لأوامر الرسول ﷺ، ونلاحظ أن تسلسل قصة غزوة أحد و أن تثبيت المسلمين جاء على سياق غاية في الحكمة .

١ـ أولاً يذكر الله تعالى فضله على المسلمين: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[آل عمران:١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤] .

٢ـ ثم يرفع من روحهم المعنوية فيخفف عنهم، ثم يلوم المخالفين لوماً رقيقاً: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران:١٥٢] .

٣ـ ثم يرفع روحهم المعنوية مرة أخرى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[آل عمران:١٥٤] .

٤ـ ثم يذكر أسباب الهزيمة والمعصية ﴿الآية ١٥٢﴾. رابطاً ببدايات السورة في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[آل عمران:١٤]. وهذه الشهوات هي التي تدفع للمعصية، وكذلك الربا يؤدي إلى الخلافات، ولهذا وردت آية الربا في سورة آل عمران أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران:١٣٠] .

تسمية السورة:

أمّا تسمية السورة بـ (آل عمران) فهي إكرام لزوجة عمران والسيدة مريم ابنة عمران، فالسيدة مريم عليها السلام كانت رمزاً للثبات في العبادة والعفّة، وزوجة عمران كانت رمزاً للثبات بنصرة الإسلام .

وكذلك سورة آل عمران فيها نظرة عالية للمرأة بذكر زوجة عمران ومريم عليها السلام، التي رفعت من الروح المعنوية لدى سيدنا زكريا فدعا ربه أنْ يهب له ذرية

صالحة، وفي هذا إشارة أنّ رمز الثبوت هم النساء، ولذا جاء ترتيب سورة النساء مباشرة بعد سورة آل عمران . والله أعلم .

السمة التعبيرية للسورة:

هناك سمة تعبيرية لكل سورة، حيث تكثر فيها كلمات معينة، مثل كلمة (الله) في سورة البقرة، وكلمة (الرب) في سورة آل عمران، و(الرحمن والرحمة) في سورة مريم، فهي أكثر سورة في القرآن تردد فيها الرحمة والرحمن.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:



﴿الٓمٓ ۝١﴾

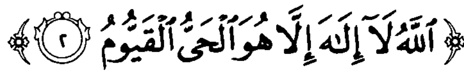
السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية الأولى في آية البقرة .





﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾

السؤال الأول:

(الحي القيوم) هما اسمان من أسماء الله الحسنى، فما معناهما ودلالتهما ؟

الجواب:

١ـ الحيّ معرّفة، والقيّوم معرّفة. والحيّ: هو الكامل الاتصاف بالحياة ولم يقل: (حيّ) لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء.

والتعريف بـ (ال) هي دلالة على الكمال والقصر؛ لأنّ من سواه يصيبه الموت. والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله وحده له الكمال في الحياة، وكل من عداه يجوز عليه الموت، وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة، فالله هو الحيُّ لا حيَّ سواه على الحقيقة؛ لأنّ من سواه يجوز عليه الموت.

٢ـ القيّوم: من صيغ المبالغة،على وزن(فيعول)، وهي ليست من الأوزان المشهورة﴾، ومن معانيها القائم في تدبير أمر خلقه في إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينام، لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوماً، ومن معانيها القائم بذاته، وجاء بصيغة التعريف (القيوم)؛ لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.



﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا لم يلتزم القرآن بنفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين دلالتي كلمتي (الكتاب والقرآن)؟

الجواب:

من ناحية اللغة كلمة (قرآن) هي في اللغة مصدر الفعل (قرأ) مثل: غفران وعدوان، ثم استعملت عَلَماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول ﷺ (القرآن).

أمّا (الكتاب) فهو من الكتابة، لأنّ الكتاب متعلق بالخط، وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإن لم يُخطّ، فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً، ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أنْ ينزّل على رسول الله ﷺ.

أما من ناحية الاستعمال: فيلاحظ أنه عندما يبدأ بالكتاب يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن، وقد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة. أمّا عندما يبدأ بالقرآن فيتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من الكتاب، وقد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة، وإذا اجتمع القرآن والكتاب فإنهما يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً.

السؤال الثالث:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

وهل هناك جدول إحصائي يربط بين التناسب في ذكر الكتاب أو القرآن في أول السورة وما يتردد من نفس الألفاظ في نفس السورة.

الجواب:

أولاً: القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة هي:

١ـ إنّ كل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (الكتاب) وحده ولم يذكرْ معه (القرآن) فإنه تتردد فيها لفظة (الكتاب) أكثر من لفظة (القرآن) وربما لا ترد فيها لفظة (القرآن).

٢ـ وكل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (القرآن) وحده ولم يذكر معه لفظة (الكتاب) تتردد فيها لفظة (القرآن) أكثر من لفظ (الكتاب)، وربما لا يرد فيها لفظ (الكتاب).

٣ـ وكل سورة اجتمع فيها ذكرهما، تردد ذكرهما بصورة متقاربة بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر بأكثر من لفظ واحد .

وهذا النهج لم يختلف في أية سورة من السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة.

ثانياً ـ الجدول الإحصائي هو:

اللفظ	السورة	تردد لفظ الكتاب	تردد لفظ القرآن
الكتاب	البقرة	٤٧ مرة	١ مرة واحدة
الكتاب	آل عمران	٣٣ مرة	ـ
القرآن	طه	١ مرة واحدة	٣ مرات
القرآن	ق	١ مرة واحدة	٢ مرتان
الكتاب والقرآن	الحجر	٢ مرتان	٣ مرات
الكتاب والقرآن	النمل	٥ مرات	٤ مرات

ثالثاً ـ الملاحظات:

١ ـ الكتاب: من الكتابة ومشتقاتها .

٢ ـ القرآن: مشتق من القراءة.

٣ـ الفرقان: هو الفرق بين الحق والباطل .

٤ـ الذكر: هو ذكر الآيات، وذكر آلاء الله، وذكر الحلال والحرام.

٥ ـ في سورة آل عمران تردد لفظ الكتابة ومشتقاتها ٣٣ مرة.

٦ـ لم يجتمع لفظ الكتاب والقرآن معاً إلا في مطلع سورة الحجر وسورة النمل.

٧ ـ لم يحصل أنْ زاد لفظ القرآن على لفظ الكتابة أو العكس في هذا النوع إلا في (سورة ص) فإنّ ذكر القرآن والكتاب تساويا، حيث ورد كل منهما مرة واحدة مع أنّ مطلع السورة هو ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص:١].

السؤال الرابع:

ما أسماء القرآن التي وردت في القرآن ؟

الجواب:

هي كثيرة منها:

١ـ الكتاب.

٢ـ القرآن.

٣ـ الفرقان.

٤ـ الذكر.

٥ـ التنزيل.

٦ـ الحديث.

٧ـ الموعظة.

٨ـ الحُكم والحكمة والحكيم ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾[يس:١-٢] والمُحكَم ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١].

٩ـ الشفاء.

١٠ـ الهدى والهادي: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[الإسراء:٩].

١١ـ الصراط المستقيم.

١٢ـ الحبل.

١٣ ـ الرحمة.

١٤ـ الروح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾[الشورى:٥٢] .

١٥ـ القصص.

١٦ـ البيان: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٣٨] والتبيان ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[النحل:٨٩] .

١٧ـ البصائر: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾[الأعراف:٢٠٣].

١٨ـ الفصل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾[الطارق:١٣].

١٩ـ المثاني: ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾[الحجر:٨٧] .

٢٠ـ النعمة.

٢١ـ البرهان.

٢٢ـ البشير والنذير.

٢٣ـ القيم: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[الكهف:٢].

٢٤ـ المهيمن: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨].

٢٥ـ النور.

٢٦ـ الحق.

٢٧ـ العزيز ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾[فُصِّلَت:٤١].

٢٨ـ الكريم.

٢٩ـ العظيم: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحِجر:٨٧].

٣٠ـ المبارك: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾[الأنبياء:٥٠].

السؤال الخامس:

ما الفرق بين ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أَنزَلَ﴾ في الاستعمال القرآني، وكلاهما وردا في هذه الآية الكريمة؟

الجواب:

١ـ لقد عبّر السياق القرآني عن نزول الكتب السماوية بالفعلين: ﴿نَزَّلَ﴾لمّا ذكر القرآن و﴿أَنزَلَ﴾لمّا ذكر التوراة والانجيل، ألا يشعرك ذلك بمعنى جليل يريد الله تعالى أنْ يقذفه في قلبك في هذا التغاير بين الفعلين؟ نعم، عندما استخدم الله تعالى فعل ﴿نَزَّلَ﴾

بالتضعيف أشعرك هذا التضعيف بالقوة والشدة زيادة عن الفعل (أنزل)، وهذه الشدة تؤذن بقوة نزول القرآن في كيفيته وكمّيته، وهذا تعظيم لقدر القرآن وشأنه.

٢ـ إنّ فعل ﴿نَزَّلَ﴾ يفيد التدرج والتكرار لأجل التضعيف، وفعل ﴿أَنزَلَ﴾ للإنزال العام الذي يفيد مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة، وقيل: إنّ ذلك هو الأكثر وليس نصاً في أحد المعنيين.

ولذلك سُمِّيَ الكتاب تنزيلاً؛ لأنه لم ينزّل جملة واحدة بل سورةً سورةً وآيةً آيةً، وليس نصاً فيه.

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:٣] يشير إلى تفصيل المُنزّل وتنجيمه حسب الدواعي وأنه لم ينزل دفعة واحدة.

أمّا لفظ ﴿أَنزَلَ﴾ فلا يعطي ذلك إعطاء ﴿نَزَّلَ﴾ وإنْ كان محتملاً، وكذلك جرت أحوال الكتب السماوية أيضاً، فإنّ التوراة إنما أوتيها موسى عليه السلام جملةً واحدة في وقت واحد، أمّا القرآن فنزل مقسّطاً من لدن ابتداء الوحي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] وهو القرآن، ثم قال: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٦] والمراد التوراة.

السؤال السادس:

هل من فرق في المدلول بين التعبيرين (نزّله إليك) و (نزّله عليك)؟

الجواب:

١ـ التعبير (نزّله إليك) لم يستعمل إلا مع العاقل، كما جاء في القرآن للتعبير عن الرسول ﷺ.

٢ـ أمّا (نزّله عليك) فيستعمل للعاقل وغير العاقل، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾[الحشر:٢١].

٣ـ وفي العقوبات لم يستعمل إلا (على).

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[آل عمران:٣] في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[آل عمران:٣] انظر إلى هذا التعبير وما يضفيه من تعظيم لقدر القرآن، فقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[آل عمران:٣] فيه استعارة لفظية، فكأنه جعل القرآن أمام الكتب السابقة جميعها، وجعلها في شرفه وضيافته، ألا تجد نفسك تقول إذا أردت تعظيم شخص ما: جلس الناس بين يدي فلان؟!



﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾[آل عمران:٤] في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[آل عمران:٤] فيه أقوال:

١ـ أنه الزبور: وهذا بعيد؛ لأن الزبور ليس فيه شرائع بل مواعظ فقط، والزبور من زبرت، أي: كتبت.

٢ـ أنه القرآن وإنما أعاد ذكره؛ ليبين أنه أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فرقاً فيما اختلف عليه اليهود والنصارى.

٣ـ أنّ الكتب الثلاثة جعلها الله فارقة بين الحلال والحرام .

٤ـ الفرقان هو المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب التي تدل على صحتها، ويفيد الفرق بينها وبين سائر الكتب الوضعية المختلفة .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن قَبْلُ﴾[آل عمران:٤] بُني على الضم، فلماذا ؟

الجواب:

الظرف ﴿مِن قَبْلُ﴾[آل عمران:٤] بني على الضم لانقطاعه عن الإضافة، بخلاف (جئت قبلَه) أو (جئت من قبلِه)، وهذا شبيه بقوله تعالى في آية الروم ٤ ﴿مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم:٤].



﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

عند التأمل في الآيات في سورة آل عمران التي تختم بـ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[آل عمران:٦] نجد أنّ السياق قد يكون للمستقبل، فهل هذا صحيح ؟

الجواب:

١ـ هذا التأمل في مكانه في سورة آل عمران، لكنّ هذا الكلام ليس مطلقاً في كل القرآن الكريم، وإنما الذي نجده أنه قد يكون للمستقبل، وقد يكون للأمر الثابت حينما يكون وصفاً لله سبحانه وتعالى كهذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران:٦] لأنّ تصوير الله عز وجل للناس في الأرحام ليس مستقبلاً وإنما هو دائم ثابت.

٢ـ في سورة البقرة ست آيات كلها للمستقبل (الآيات: ١٢٩-٢٠٩-٢٢٠-٢٢٨-٢٤٠-٢٦٠).

٣ـ في آل عمران أربع آيات كلها للدائم (الآيات: ٦-١٨-٦٢-١٢٦) . نحو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨]؛ لأنّ العزيز الحكيم قيامه بالقسط هو ليس للمستقبل وإنما هو ثابت دائم.

٤ـ في النساء (الآيات ٥٦-١٥٨-١٦٥) آية واحدة للمعنى الثابت .

٥ـ في المائدة مرة للمستقبل ومرة حكم عام (الآيات: ٣٨-١١٨).

٦ـ في الأنفال أربعة مواضع للدوام (الآيات: ١٠-٤٩-٦٣-٦٧) .

٧ـ وفي التوبة موضعان للمستقبل والدوام (الآيات: ٤٠-٧١) .

٨ـ في باقي السور: إبراهيم الآية ٤ ـ النحل آية ٦٠ ـ النمل الآية ٩ـ العنكبوت الآية ٢٦ و ٤٢ ـ الروم ٢٧ ـ لقمان ٩ و ٢٧ ـ سبأ ٢٧ ـ فاطر ٢ ـ الزمر ١ـ غافر ٨ ـ الشورى

٣ ـ الجاثية ٢ و ٢٧ ـ الأحقاف ٢ ـ الفتح ٧ و ١٩ ـ الحديد ١ ـ الحشر ١ و ٢٤ ـ الممتحنة ٥ ـ الصف ١ ـ الجمعة ١ و ٣ ـ التغابن آية ١٨.

٩ ـ حتى يكون الحكم عاماً ينبغي أنْ نمر بكل الآيات؛ لأنّ هذا كلام الله عز وجل، ولذلك ينبغي أنْ يكون هناك استقصاء وإحاطة بها في السور. والله أعلم.



﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ و ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران:٧] في هذه الآية في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ ـ هذه الآيات لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد تكون متعلقة بالله تعالى أو بالقدَر أو بأمور أخرى لسنا مكلّفين بها ولا نعلمها، أمّا الآيات المحكمات فهي التي تكون متعلقة بالبشر،فعلينا اتّباع المحكمات والإيمان بالمتشابهات، وقيل: إنّ ثلثي القرآن فيه متشابه.

علماً بأن الأحكام تعدل ثلث القرآن، وهي تخص الآيات التي لا يوجد فيها تشابه، لكنّ التشابه في هذا الكتاب هو في الآيات المتشابهة.

وقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] هذه الآيات منها تستنبط الأحكام: الحلال والحرام، والمواعظ والنصائح، وكل شيء؛ لأنّ القرآن منهج حياة وكل ما يتعلق بمنهج الحياة يُستنبط من هذه الآيات، فهي أمٌّ للكتاب كله.

٢ـ وأما قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾[آل عمران:٧] فهي الآيات التي فيها مساحتان: مساحة للفهم العام شأنها شأن المحكمات، ومساحة لما اختصّ الله عز وجل ذاته بعلمه، ولذلك أتبع الله ذلك بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[آل عمران:٧] ولا يخوضون فيه؛ لأنهم يعلمون جيداً أنهم لن يصلوا فيه إلى نتيجة؛ لأنّ هذا مما اختص الله عز وجل به نفسه (الماهيّات)، لكنّ المعنى العام مفهوم.

في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء رجل تحققت فيه هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾[آل عمران:٧] يريد أنْ يحدث فتنة فبدأ يسأل عن الآية ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر:٤٩] وبدأ يثير بلبلة بين المسلمين عن الماهية و الكيفية فرُفِع الأمر إلى عمر فقال: هذا نحن نؤمن به فأخذ الدِرّة وصار يضربه بها.

٣ـ أين يكون الوقف السليم في الآية؟ بالطبع عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[آل عمران:٧]، وهنا نقول إنّ قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لأنه ما الفائدة من مدحهم إذا

لم يكونوا مؤمنين هذا الإيمان؟ فإذا كان الراسخون في العلم يقولون هذا الكلام، فمن باب أولى يجب على الذين هم أقلّ علماً أنْ يقولوا هذا في المساحة الثانية من المتشابه مما سُمِّيَ متشابهاً. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما معنى (التأويل) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧] ؟

الجواب:

التأويل له معنيان: التفسير والبيان، ويشمل جميع القرآن أو حقيقة الشيء ومآله ويشمل القسم الثاني من المتشابه، وهذا مما اختص الله عز وجل به نفسه.

فإذن سيكون معنى الآية: أنّ كتاب الله عز وجل كل آياته محكمة والمتشابه منها فيه مساحة.

السؤال الثالث:

إذا كانت الوقفة على كلمة ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧] في هذه الآية فكيف يكون تفسير الآية؟

الجواب:

١ـ علامات الوقف ليست توقيفية، وإنما من خلال ما كتبه علماء الوقف والابتداء ومما أخذ، لكنْ هنا يوجد رواية وهي أنه هناك وقف على كلمة العلم ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، ونُسِب إلى ابن عباس أنه قال: والراسخون يعلمونه وأنا أعلمه وأنا من الراسخين الذين يعلمونه.

والكلام في هذه الآية وما ورد به رواية لا يُردّ، لكننا نختار ما عليه جمهور المسلمين وما يوافق سياق الآية.

٢ـ علامة الوقف في المصحف على كلمة ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[آل عمران:٧] في الآية ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[آل عمران:٧] وليس هناك علامة على كلمة العِلم، لكنْ في الروايات موجود هنا وقف، واللجان العلمية اختارت الوقف على لفظ الجلالة.

٣ـ وقسم رفض أنْ تكون الواو هنا عاطفة، وإنما قال: هي استئنافية حتى في الوقف: يعني وما يعلم تأويله إلا الله؛ لأنه حصر، ثم قال: استأنف كلاماً: والراسخون في العلم يعلمونه أيضاً ويقولون.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الاجتهاد والتأويل والتفسير والشرح والتفصيل؟

الجواب:

١ـ الاجتهاد: هو بذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح عن طريق القياس في رد الأمر إلى الكتاب والسنة، مثل قضية تعرض للفقيه الذي يفتي فيها فيردها عن طريق القياس إلى الكتاب والسنة، ولا يقول من رأيه ويقول بعدها: أنا اجتهدت، فللاجتهاد شروط.

٢ـ التأويل: من آل يؤول، وله معنيان:

آـ بيان ما يؤول إليه اللفظ من معنى، أي: نقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى، مثل سورة النصر، سميت سورة التوديع وتأويلها عند إبن عباس رضي الله عنه أنها نعي

لرسول الله ﷺ، فهذا أمر غير مصرح به في الآية، وإنما ينقله إلى معنى آخر لسبب من الأسباب.

ومن ذلك أيضاً تأويل الأحلام المُرمَّزةِ، ويسمى تأويلاً كما في سورة يوسف، سبع بقرات، أي: سبع سنين .

ب ـ بيان حقيقة الشيء أو ماهيته، وهذا لا يكون في كل موضع، فأحياناً بيان الماهية غير ممكن كما في موضوع عذاب القبر والآيات المتشابهات.

وتأويل الأحلام يسمى تأويلاً، نحو آية يوسف ١٠٠ .

٣ـ التفسير: هو كشف المراد من اللفظ أو المفردات، أي: تفسير عبارة غير واضحة لشخص تفسرها له .

٤ ـ إعمال العقل: أنْ يُعمِلَ الإنسان عقله في الاستنباط.

٥ ـ القول بالرأي: أنْ تبدي رأياً وفق ضوابط .

بالطبع هناك ضوابط لكل واحد من هذه التعبيراتِ، ومن أولها: التبحُّرُ في علم اللغة، وكذلك التبحر بالعلم الشرعي المتعلق بالحديث والسنة وأسباب النزول وغيرها، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران:٧] وفي آيات أخرى يقول (يتذكر) فما الفرق بين ﴿يَذَّكَّرُ﴾ و ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ؟

الجواب:

بشكل عامٍّ عندما يحتاج الوضع إلى وقت طويل للمحاكمة العقلية والنظر الطويل والتدرج في المعرفة، يستعمل (يتذكر) وهي الصيغة الأطول، وعندما يحتاج الوضع إلى هزة نفسية قوية، وإلى يقظة قلبية وإلى شفاء يشفي ما في القلب يستعمل (يذّكر) التي فيها شدة وتضعيف.

والأمثلة التالية توضح الأمر:

١ـ في آية آل عمران (٧) ذكر القرآن فيها أناساً في قلوبهم زيغٌ يبتغون الفتنةَ ولا يريدون الوصول إلى الحقِّ، وهؤلاء نظيرُ مرضى القلوب يحتاجون إلى يقظةٍ قلبيةٍ وإلى شفاءٍ يشفي ما في قلوبهم مما ألَمَّ بها من داءٍ وحاجتهم إلى إصلاحِ قلوبِهم أكثَرَ من إصلاحِ عقولهم؛ فاستعمل (يذّكر).

٢ـ آية فاطر (٣٧) معناها أنكم بقيتم في الدنيا مدة طويلة فيها كفاية للتذكر لكنكم لم تتذكروا، فجاء بصيغة الفك الطويلة ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[فاطر:٣٧].

٣ـ آية الرعد (١٩) ومعناها: أفمن يعلم كمن لا يعلم؟ وهو تذكر يقوم على المحاكمة العقلية، وهذا يحتاج إلى وقت طويل فاستعمل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾[الرعد:١٩].

٤ـ آية الزمر (٩) نظيرة الآية السابقة في المفاضلة بين الذي يعلم والذي لا يعلم، وهو أمر عقليٌّ يقوم على العلم الذي يحتاج إلى النظر الطويل والتدرُّجِ في المعرفة فجاء بـ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾[الرعد:١٩].

٥ـ آية ابراهيم (٢٥) هي للاستفادةِ من المَثَلِ إلى موطنِ الحكمةِ والاتعاظِ وعقد الصلة بين المثل والواقع، كل ذلك يحتاج إلى طول تذكر وتأمل ومحاكمة عقلية فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم:٢٥].

٦ـ آية الأنفال (٥٧) هم مرضى قلوب يعاهدون ثم ينقضون في كل مرة، فهم يحتاجون إلى هزة قلبية عنيفة، وإلى سوط يقرعهم، وإلى عمل يذكرهم، ويبالغ في تذكيرهم ليرتدعوا.

وهؤلاء لم ينتفعوا بالعقل؛ لأنهم أبطلوا عقولهم، ألا ترى أنه سماهم دواباً، بل سماهم شر الدواب؟ فاستعمل ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٧] الدال على المبالغة في التذكر والعمق فيه.

٧ـ وفي آية التوبة (١٢٦) نظيرة الآية السابقة هم مرضى قلوب ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[التوبة:١٢٥].

وذكر أنّ الآيات المنزلة تزيدهم رجساً إلى رجسهم، فهم محتاجون إلى هزة نفسية شديدة وإلى يقظة قلبية وإلى تذكر قلبي عميق يوقظهم، فاستعمل ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٧].

٨ ـ في آية الإسراء (٤١) نظير ذلك: ألا ترى أنه ذكر أنّ القران ما يزيدهم إلا نفوراً كما زاد أولئك رجساً إلى رجسهم؟ وهذا أمر قلبي فاستعمل ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾[الإسراء:٤١].

٩ـ في آية الزمر (٢٧) نظيرة آية إبراهيم (٢٥) إذ إنّ فيه من المثل ما يحتاج إلى محاكمة عقلية وطول نظر، ولذا عقّب بعد ضرب المثل بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٧٥﴾ [النحل:٧٥] فنفى العلم عن أكثرهم، والعلم أمر عقلي يكون بالتعلم والنظر فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم:٢٥].

السؤال السادس:

لِمَ قال ربنا تعالى في الآية: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٧] ولم يقل: هُنّ أصل الكتاب أو أساسه علماً أنّ أمّ الشيء أصله؛ لأنّ الأم هي الوالدة وهي أصل المولود؟

الجواب:

في هذا التعبير القرآني ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٧] تصوير عميق لآيات القرآن، وهو أسمى معنى مما لو قلنا: هنّ أصل الكتاب، فقد جعل الله تعالى في هذا التعبير آيات القرآن كلاماً لا يمكن فصله، فلا يمكنك أن تتصور آيات الله جميعها بمعزل عن الآيات المحكمات، كما لا يمكن لذي عقل أنْ يتصور مولوداً دون والدة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران:٧] الرسوخ هو الثبات والتمكن في المكان، تقول: رسخت القدم، أي: لا تزلُّ، وجبلٌ راسخ، أي: لا يتزحزح، والراسخ في العلم هو الذي تمكن من علم كتاب الله، وقامت عنده الأدلة بحيث لا تزحزحه الشُّبَه.

فانظر لو جاء البيان القرآني بقوله: والعلماء، هل كان سيعطي القوة ذاتها التي جاءت بها هذه الاستعارة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]؟ تأمل واعرف الجواب بنفسك.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (لدن) في اللغة والاستعمال القرآني؟ وما الفرق بين (لدن) و(عند)؟

الجواب:

١ـ (لدن): ظرف بمعنى (من عند)، ولدن: هي لأول غاية الزمان أو المكان، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مجرورة بمن لملازمتها ابتداء الغايات.

٢ـ (لدن): أبلغ من (عند) قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾[الكهف:٢].

وإنّ لفظ (لدن) مشابه للفظ (اللدن) المأخوذ من اللدانة، واللدن هو اللين من كل شيء من عود أو حبل أو خلق ويقال: امرأة لدنة.

٣ـ وقد وردت كلمة (لدن) الظرفية في القرآن الكريم ١٧ مرة، كلها في الرحمة والحنان والخير واللين، وهو استعمال قريب لمعنى الليونة، وقد تأتي بمعنى التلبث، وهو استعمال طريف يكسب معنى (لدن) الظرفية معنى اللدونة.

٤ـ وقد تقول: ألم يرد قول الله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾[الكهف:٢] في سورة الكهف، وهذا ليس في اللين والرحمة ؟

والجواب: إنّ هذا هو الموطن الوحيد الذي اقترن به البأس والشدة بِـ (لدن)، ومع ذلك هو في الرحمة، والنص يوضح ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾[الكهف:١-٢-٣].

فهذا الكلام هو في القرآن الكريم الذي هو خير ورحمة.

٥ـ ثم إنه لمّا كانت (لدن) أخص من (عند)؛ لكونها أقرب مكاناً منها، كانت أبلغ من (عند)؛ لأنها مبدأ الزمان والمكان .

٦ـ ولم تستعمل ﴿لَّدُنْ﴾ في القرآن الكريم إلا مع الله، كقوله تعالى:

ـ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[هود:١] .

ـ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[النمل:٦].

ـ ﴿مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧﴾[النساء:٦٧] .

ـ ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[القصص:٥٧] .

ـ ﴿مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾[الإسراء:٨٠] .

إلا في موطن واحد وهو قوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۝٧٦﴾[الكهف:٧٦] .

لذلك فإن (لدن) أبلغ من (عند) لأنها ألصق بها، وقد استعملت في القرآن الكريم في خصوصيات الألطاف والتعليم والرحمة الإلهية .



﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية ٩: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾[آل عمران:٩] وقوله في نفس السورة في الآية ١٩٤ ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝١٩٤﴾[آل عمران:١٩٤] بدون ذكر لفظ الجلالة، فما الدلالة ؟

الجواب:

١ـ الآية ٩: جاءت في مقام الهيبة الإلهية في يوم القيامة حيث الحشر والنشر والحساب والعقاب وإنصاف المظلومين، فكان ذكره باسمه الأعظم وهو الله أولى في هذا المقام.

٢ـ أمّا قوله في آخر سورة آل عمران: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[آل عمران:١٩٤]، فذاك مقام طلب العبد من ربه أنْ يُنعم عليه بفضله، وأنْ يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن المقام مقام هيبة وإنما مقام الدعاء والتضرع، فالمناسب أن يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٤].

السؤال الثاني:

الخلف في ميعاد الله محال، فكيف طلبوا من ربهم ألا يخلف الميعاد، مع يقينهم بأنه لن يخلفه؟

الجواب:

آـ أنه ليس المقصود من الدعاء طلب الفعل بل المقصود منه إظهار الخضوع والذلة والعبودية، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾[الأنبياء:١١٢] وقوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾[غافر:٧].

ب ـ أنه تعالى وعد المؤمنين بأنْ ينصرهم في الدنيا ويقهر عدوهم فهم طلبوا تعجيل ذلك، والله أعلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما فائدة الضمير ﴿هُمْ﴾ [آل عمران:١٠] في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٠] ؟

الجواب:

في هذه الجملة من الآية القرآنية لطائف عدة تجعلك تقف أمامها وقفة التأمل:

أولاً: قال تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ [آل عمران:١٠] فأتى بالضمير ﴿هُمْ﴾ بين المبتدأ والخبر، ولو حذف الضمير (هم) لتمّ المعنى: أولئك وقود النار. وفائدة الضمير هنا تأكيد وقصر العذاب عليهم.

ثانياً: جاءت الجملة بتعبير ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ [آل عمران:١٠]، وهذا تصوير وتمثيل للكافرين حيث آلوا إلى وقود للنار، وهذا التعبير جاء ليسلب الكافرين كل خصائص الإنسان ومميِّزاته ويصوِّرُهم في صورةِ الحطبِ والخشبِ الذي تُشعِلُ به النار، فانظر كيف شمل هذا التصوير القرآني شدة العذاب مع شدة الإهانة للكافرين.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيات ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال:٥٢] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال:٥٤]؟ أي ما الفرق بين (كذبوا بآياتنا) و(كفروا بآيات الله) و (كذّبوا بآيات ربهم)؟

الجواب:

١ـ لا شك أنّ الكفر أعمّ من التكذيب؛ لأنّ التكذيب حالة من حالات الكفر.

٢ـ ننظر كيف يكون التعبير مع (كذّبوا) وكيف يكون التعبير مع (كفروا) ولم اختار هنا (كذّبوا) وهناك (كفروا)؟

في آل عمران قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١] وفي الأنفال قال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال:٥٢] أكّد بـ ﴿إِنَّ﴾

وأضاف كلمة ﴿قَوِيٌّ﴾ ؛لأنه لمّا كان الكفر أعمّ وأشدّ، شدد وأكّد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾[الأنفال:٥٢] وهناك قال: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[آل عمران:١١].

فلمّا قال في الأنفال: ﴿كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال:٥٢]، و(كفروا) أعمُّ من (كذّبوا) في آل عمران عمَّمَ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾[الأنفال:٥٢] فأكّد قوته وشدّد عقابه، ولو أنه قال: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ في آل عمران، فإنها لا تدل على أنه قوي، فقد يكون شديد العقاب ولكنه غير قوي.

السؤال الثاني:

لماذا اختار في آية عمران ١١ قوله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [آل عمران:١١] ولم يقل مثلاً: كفروا بآياتنا ؟

الجواب:

ذكر في آية آل عمران رقم ١٠ حالة جزئية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٠] فذكر أمرين: الأموال والأولاد، ولكن هل الإغناء مقصور على الأموال والأولاد ؟بالطبع:لا، فهناك الأتباع، والآلهة، والسلطان، والله تعالى ذكر كثيراً من حالات الاستغناء كما في الآيات:

- ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[إبراهيم:٢١] هذا غير الأولاد.

- ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾[الحاقة:٢٨-٢٩] فذكر السلطان.

ـ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [هود:١٠١] فذكر الآلهة .

ـ ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[النجم:٢٦] فذكر الشفعاء .

إذن ذكَر حالة جزئية في الآية العاشرة، فلما ذكر حالة جزئية ذكر حالة جزئية من الكفر وهي التكذيب فقال في الآية ١١ ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[آل عمران:١١].

السؤال الثالث:

ذكر الله تعالى دأبين في أول كلٍ من آيتي الأنفال ٥٢ و ٥٤، فلماذا اختار في آية الأنفال٥٢ قوله: ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٥٢] وفي آية الأنفال ٥٤ قوله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[الأنفال:٥٤] ؟

الجواب:

١ـ ذكرنا أنّ القاعدة العامة في ذلك هي أنّ الكفر أعم من التكذيب والتكذيب حالة جزئية من حالات الكفر.

٢ـ في سورة الأنفال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأنفال: ٥٠ – ٥١ – ٥٢].

هنا في الآية ٥٢: حيث ذكر الله الدأب الأول، والدأب - بسكون الهمزة - العادة والشأن، فهذه حالة عامة ليس فيها ذكر حالة جزئية فناسب ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٥٢].

ولمّا كان الكفر أعم وأشد شدَّده، وأكد بإنَّ وبكلمة (قوي) فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال:٥٢].

٣ـ وأمّا في الآية ٥٤ فذكر القرآن الدأب الثاني، وهو هنا حالة جزئية، فقد ذكر في الآية ٥٣ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ وذكر مثلاً من الذين فعلوا ذلك، فقال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٤].

فلمّا ذكر حالة جزئية ذكر حالة جزئية من الكفر، وهي التغيير في النفوس، قال: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٥٤] وذكر كلمة ﴿رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٥٤] أي: هو مربيهم المنعم عليهم، وجاءت بعد ذكر النعم في الآية ٥٣؛ لأنّ الرب هو المربي والمنعم

وختم هنا في الآية ٥٤، بقوله: ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال:٥٤] والظلم حالة خاصة من الكفر، والكفر أعم من الظلم.

٤ـ من دراسة الآيتين ٥٢ـ٥٤ نلاحظ ما يلي:

آ ـ الآيتان تتحدثان عن مشابهة مشركي مكة لآل فرعون .

ب ـ الدأب: هو المداومة والمواظبة على عملهم وعاداتهم.

ج ـ في الدأب الأول: المشابهة بين الطرفين هي في الكفر، فكلاهما كافر.

د ـ في الدأب الثاني: المشابهة بين الطرفين هي في تغيير النعم والأحوال حيث جاء كليهما رسلٌ فكذبوا الرسل فزادوا بها على كفرهم السابق، وجمعوا بين الكفر والتكذيب وتغيرت حالتهم من سخط إلى أسخط، فغيّر الله تعالى ما أنعم عليهم، وعاجلهم العقوبة بالإغراق .

وفي هذا رسالة قوية لمشركي مكة مفادها: إنْ لم يؤمنوا فسوف يصيبهم ما أصاب أقرانهم من آل فرعون .

هـ ـ ذكر لفظ الله في الآية ٥٢، وذكر لفظة (الرب) في الآية ٥٤، ليدلّ على أنّ الرب هو الله وليس غيره .

السؤال الرابع:

قال في آية الأنعام ٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[الأنعام:٣٣]، فهل التكذيب غير الجحود ؟

الجواب:

في قوله تعالى في آية الأنعام ٣٣ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

نجد أنّ الجحود غير التكذيب، فهناك جحود وهناك تكذيب وهناك كفر، فمثلاً شخص لا يكذّب ولكنْ يرى أن لله ولداً !.

فهناك فرق بين الكلمتين والحالتين، انظر قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾[النمل:١٤] فناسب: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[الأنعام:٣٣]، لأنّ التكذيب هو حالة جزئية من الكفر .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[آل عمران:١١] فرعون واحد من جمهرة كبيرة من المكذبين والجاحدين المتألهين في التاريخ الذين ذكر بعضَهم القرآنُ، فهل من سبب في تخصيصه هنا دون غيره من أمثال عاد وثمود؟

الجواب:

نعم، هذا التخصيص يناسب ثقافة المخاطَبِ بهذه الآية، وهم اليهود والنصارى؛ لأنهم أعلم وألصق بأخبار فرعون كما أنّ العرب أعلم وألصق بأخبار عاد وثمود، وهلاك فرعون معلوم لليهود بخلاف هلاك عاد وثمود.



﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣]؟

الجواب:

عادة في القرآن الكريم يستعمل البصر وسيلة للاعتبار؛ لأنّ المرء يشاهد ويحاسب نفسه، أمّا السمع فهو وسيلة العقل والفهم والتعلم والتكلم .

وجاء قوله تعالى في هذه الآية وفي آية النور ٤٤ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣] ؛ لأنّ الآيتين تعرضان مشاهد يراها المرء بعينيه كفئتين تقتتلان يؤيد الله بنصره إحداهما كما في آية آل عمران، وكتعاقب الليل والنهار كما في آية النور، وهذا كله من آيات الله التي تستدعي التفكر والاعتبار .

السؤال الثاني:

ما أحوال تأنيث الفعل وتذكيره مع كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾؟

الجواب:

عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الدليل والبرهان تكون بمعنى مذكر، فيأتي الفعل بالتذكير كما هو في هذه الآية .

وأما إذا كانت كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الآية القرآنية فيؤنث الفعل، كما في آية الأنعام ١٢٤ ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ﴾[الأنعام:١٢٤].



﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة بناء الفعل ﴿زُيِّنَ﴾[آل عمران:١٤] للمجهول في الآية؟.

الجواب:

في القرآن خط تعبيري واضح يتمثل في أنّ ربنا سبحانه وتعالى لا يسند الشر لنفسه، وإنما ينسب له الخير، والأمثلة كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣] ولم يقل: مسسناه بالشر، وإنْ كان الكل من عند الله سبحانه وتعالى لكن تأدباً، وكما في هذه الآية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤] لم يقل: (زين لهم) بينما يذكُر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجُرات:٧] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾[الصافات:٦] .

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم الأولاد على الأموال كما في هذه الآية ؟

الجواب:

في مواطن الحُبّ يقدّم الأولاد على غيرهم، وفي حُبّ الشهوات يقدّم النساء على باقي الشهوات، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤] .

أمّا في مواطن الإلهاء كقوله تعالى فى سورة المنافقون: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [المنافقون:٩] فيقدّم الأموال على الأولاد مع أنّ حُبَّ الأولاد أكثر، لكنْ الالتهاء بالمال يكون أكثر، لذا قدّم الأموال على الأولاد للتحذير.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾[آل عمران:١٤] لِمَ لم يقل: زُيّن للرجال، طالما ذكر في الآية ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[آل عمران:١٤] ؟.

الجواب:

١ـ عندما ذكر البنين معناه ألمح إلى رغبة النساء في ذلك، فالنساء يحملن البنين ويرغبن في ذلك، إذن (البنين) ليست خاصة بالرجال، وعندما ذكر البنينَ ألمح بذلك إلى رغبةِ النساء في هذا الأمر، لكنه لم يشأ أنْ يخدِشَ حياءهن، فلم يقل: (زُيِّنَ للنساء حب الشهوات من الرجال) .

٢ـ كلمة البنين فيها إشارةٌ إلى معاشرة الرجال وإلا كيف يأتي الأولادُ؟ فلما قال: البنينَ، دخل فيه النساء تضميناً لا تصريحاً.

٣ـ الناس يحبون شهوة النساء والبنين والذهب والفضة، و(البنين) يحبهم الرجال والنساء، إذن دخلت النساء في الآية تلميحاً وليس تصريحاً، ولكنْ لم يصرِّح حتى لا يخدش حياءهن، ولم يقل زُيّن للرجال حب الشهوات من النساء؛ لأنّ الرجال يسعون في ذلك وينفقون في ذلك.

٤ـ وكلمة (الناس) هذه أعم؛ لأنّ البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ليست خاصة بالرجال، ولو قال: الرجال، فأين يذهب النساء؟ ألا يحبون القناطير المقنطرة؟! فعَمَّمَ، ليشمل النساء .

٥ـ وكلمة الناس تضم الجنسين الرجال والنساء، والآية شملت النساء أولاً ودخلت تحت العموم في كلمة الناس، وذكرالنساء تلميحاً بحبِّ البنين والقناطير المقنطرة لكن لم يخدش حياءهن.

السؤال الرابع:

ما من شك أنّ القناطير المقنطرة هنا يُراد بها المال والإتيان بهذا اللفظ ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾[آل عمران:١٤] يلقي ظلاً ترسمه هذه العبارة، فلِمَ عدل ربنا تعالى عن المال إلى هذه العبارة؟

الجواب:

إنه نَهَمُ المال، ولو كان ربُّنا يريد مجرَّدَ الميلِ إلى المالِ لعبَّرَ باللفظ الصريحِ لكنّ القناطير المقنطرة تدل أولاً على المال المضاعف والكثرة، وتضفي تصويراً لشره الإنسان الذي لا يكتفي بالدراهم التي تسدُّ حاجته بل يسعى إلى تكديس المال وتجميعه إرواءً لحبه لمال وشرهه.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[آل عمران:١٤] في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران:١٤] فبعد الإطناب السابق والإسهاب في ذكر الشهوات حتى كاد المرء يذهل من تصوير الله تعالى للشهوات الدنيوية ولأمور البذخ والنعيم، تأتي كلمة (المتاع) المؤذنة بالقِلّة وهو ما يُستمتع به مدة

ثم يزول، وما كان الله تعالى ليبيّن قيمة الحياة الدنيا الحقيقية لينتزع تعلق القلوب بها لو لا استعمال هذه الكلمة، فانظر واعتبر!.

السؤال السادس:

ما دلالة مفهوم المال في القرآن ؟

الجواب:

معلومات لغوية:

١ـ المال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كل ما يُقتنى ويُملك من الأعيان .

وأكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم .

٢ـ ورجلٌ مالٌ، أي: كثير المال، وتموّلَ الرجلُ صار ذا مال، وموّل غيره تمويلاً.

معلومات عددية:

وردت كلمة ـ مال ـ في القرآن الكريم بصيغ مختلفة نحو: مالاً ـ الأموال ـ أموالهم ـ أموالكم ـ أموالاً ـ ماليه ـ في حوالي ـ ٨٦ـ موضعاً.

كما وردت كلمة (دراهم) في موضع واحد، وكلمة ﴿الذهب) في ثمانية مواضع، وكلمة (الفضة) في ستة مواضع .

المال في القرآن:

١ـ الإسلام يعتبر المال قوة كبيرة وعنصراً فعالاً في كل جهد من جهود المجتمع سلماً أو حرباً، ولهذا قدّم المال على النفس في كل أنواع الجهاد .

٢ـ وكذلك في القرآن الكريم حيثما اجتمع ذكر المال والبنون قدّم المال على البنين؛ وذلك لأن:

آ ـ المال أظهر من الأولاد، فالمال يفخر به صاحبه، ولكن قد لا يفخر بأولاده إذا كانوا سيئين .

ب ـ المال هو الزينة أكثر من الأولاد، وزينة المال أوضح للناس من زينة الأولاد فهم يرون القصور والمراكب والمزارع والأنعام وغيرها أكثر مما يرون الأولاد.

ج ـ المال هو اللازم للزواج وتكاليفه، والزواج هو قبل الأولاد، فالمال أسبق.

٣ـ لكنْ في آية التوبة١١١، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة:١١١] قدّم الأنفس على المال؛ لأن بذل النفس أعز من بذل المال.

٤ـ وضع الإسلام الأسس الواضحة في طرق اكتساب المال وفي طرق إنفاقه، وطلب منا أنْ يكون الكسب حلالاً طيباً، وألا يدخله الخبث حتى يبارك الله لنا في الكسب الطيب المبارك.

كما طلب في الإنفاق البعد عن التبذير والإسراف وإتلاف المال، بل طلب وحث على استعمال المال في أمور الخير المختلفة والصدقة والإنفاق في سبيل الله ومساعدة الفقراء والمحتاجين.

وهناك محطة لكل فرد في الآخرة يُسأل فيها عن موضوع كسب المال وطرق إنفاقه، كما ورد في الحديث الشريف «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: ... وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**».

والتجارة إحدى الوسائل الرئيسة في اكتساب المال، لذلك مطلوب أنْ تجعلها نظيفة حرة بعيدة عن الشبهات، بعيدة عن الربا، والاحتكار والغش والغبن والتغرير والخداع، وجاء في الحديث «**أفضل الكسب كسب التجار، وهم الذين إذا قالوا صدقوا، وإذا وعدوا أوفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا**».

٥ـ ذكر الله تعالى في آية آل عمران سبعة من المشتهيات للناس وسماها زينة، وهذه الأمور السبعة قال الله عنها: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[آل عمران:١٤] أي: أنها مذمومة، لكنّ المطلوب الانتفاع بها على وجه يتوصل به إلى مصالح الآخرة، وذلك هو الممدوح، ولا ننسى أنّ الزينة تتصف بسرعة الزوال.

٦ـ المال مال الله: المال في القرآن الكريم وصف بأنه مال الله ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾[النور:٣٣] وسمى الله المال الذي في أيدي الناس مال الله، وعندما يقول المرء ﴿مالي﴾ كأنه يقول: ليس لي.

٧ ـ المال أداة استخلافٍ، وسماه أيضاً أداة استخلاف للإنسان قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾[الحديد:٧].

٨ـ سمي المال في القرآن الكريم خيراً، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾[البقرة:١٨٠].

وقد امتدح النبي المال فقال ﷺ: « **نعم المال الصالح للمرء الصالح**» .

وقد نُقل عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنّ أحدهم قال: حبذا المال أصون به عرضي، و أتقرب به إلى ربي .

٩ـ الشكر: هل من علاقة بين الرزق و الشكر؟ الجواب: نعم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾[إبراهيم:٧]

١٠ـ الصدقة: هل من علاقة بين الرزق والصدقة؟ نعم يقول الرسول ﷺ: «**استنزلوا الرزق بالصدقة**» .

١١ـ إتقان العمل: هل من علاقة بين الرزق وإتقان العمل؟ نعم، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه**» .[الجامع الصغير عن عائشة].

والملاحظ أنّ المتقنين من أصحاب الحرف هم وحدهم الذين يعملون في أيام الكساد، والأقل إتقاناً لا يجدون عملاً إطلاقاً، من أجل ذلك كان كل من الإتقان والأمانة والصدقة وصلة الرحم والشكر والاستغفار والصلاة والإيمان والتقوى أحد أسباب زيادة الرزق في القرآن و السنة.

١٢ـ من الأمثلة: الذين طبقوا هذا الكلام الصحابة رضوان الله عليهم ومن الذين طبقوه كذلك أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، الفقيه الكبير أكرم علمه و نفسه، وحزم أمره على أنْ يأكل من كسب يمينه، وهذه بطولة، أبو حنيفة النعمان الفقيه الكبير حزم

أمره على أن يأكل من كسبه الحلال، وأنْ تكون يده هي العليا دائماً، وقد أيقن أنه ما أكل امرؤ لقمة أزكى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده، لهذا خصص شطراً من وقته الثمين لكسب رزقه فاتجر بالخَزِّ؛ أي: بالقماش، و كان له متجر معروف يقصده الناس، فيجدون فيه الصدق في المعاملة، والأمانة في الأخذ والعطاء، وكانوا يجدون فيه أيضاً الذوق الرفيع، وكان يأخذ المال من حلِّه، ويضعه في محله، وكان كلمّا حال عليه الحول أحصى أرباحه من تجارته، واستبقى منها ما يكفيه لنفقته، ثم يشتري بالباقي حوائج القُراء وحوائج المحدِّثين، وحوائج الفقهاء وطلاب العلم وأقواتهم وكسوتهم .

أبو حنيفة النعمان الفقيه الكبير الذي ضرب للناس مثلاً أعلى في كسب الرزق، لذلك كان الإسلام عظيماً؛ لأنه منهج واقعي، ومنهج يتماشى مع الفطرة، ومنهج فيه عزة وكرامة .

السؤال السابع:

ما أهم الوقفات في هذه الآية وخاصة حول المشتهيات السبعة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ﴾[آل عمران:١٤] من الزينة، أي: حُسِّنَ حُبُّ الشهوات والزينة عادة مؤقتة تزول بسرعة.

والمعنى بشكل عام أنّ الله تعالى زين للناس حب الشهوات الجسمانية واللذات الدنيوية، لكنّ الشهوات فانية منقضية تذهب لذاتها وتبقى تبعاتها.

والله سبحانه لم يُسمِّ فاعل ﴿زُيِّنَ﴾ [آل عمران:١٤] ليرشدنا أنه لم يحدد عُمُراً للزينة يموت بعده الإنسان، وإنما لكل إنسان عمره الخاص به وهو مبهم، وإبهام الموت هو البيان الكافي، ولذلك علينا ألا ننخدع بالدنيا .

من جهة أخرى علينا أنْ نعلم أنّ منهج الله يريد أنْ يُصعّد الخير لكل مؤمن، وإمكانات الإنسان في النعيم الدنيوي محدودة على قدر الإنسان، أمّا إمكانات النعيم في الآخرة فهي على قدر قدرة الخالق، لذلك من المنطقي أنْ يقول لنا: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤].

٢ـ قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤] هو لفظ عام معرف يفيد الاستغراق؛ لذلك هو حاصل لكل الناس.

٣ـ المشتهيات سبعة؛ وهي:

آ ـ ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: وبدأ بهن لأنّ الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم، وأخفى فتنةَ النساء بالرجال ستراً لهن، كما أخفى أمر حواء في ذكر المعصية لآدم فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[طه:١٢١].

ب ـ حب الولد: وخص الذكور ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ لأن التمتع بهم ظاهر.

ج ـ ﴿ٱلذَّهَبِ﴾.

د ـ ﴿وَٱلْفِضَّةِ﴾.

والثالث والرابع محبوبان؛ لأنهما جعلا ثمن جميع الأشياء، فمالكهما كمالك جميع الأشياء، والقنطار كان في القديم علامة الثراء، وهو ملء جلد الثور ذهباً حجماً، وبعد ذلك جعلوه وزناً.

وقول ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾ أي: المضاعفة، وهي أيضاً للتأكيد كقولك: ألف مؤلفة، وظل ظليل.

هـ ـ ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ أي: المعلمة المدربة ذات الهيئة الحسنة، والخيل لفظ لا مفرد له، وسميت الخيل لخيلائها .

و ـ ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: وهي جمع نَعَم، وهي الإبل والبقر والغنم.

ز ـ ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾: الزرع وأرض الزرع لأنها أصل.

وهذه الأمور السبعة قال الله عنها: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: أنها مذمومة، لكنّ المطلوب الانتفاع بها على وجه يتوصل به إلى مصالح الآخرة وذلك هو الممدوح.

٤ـ قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ المآب هو المرجع، وقيل هو قسمان: الجنة وهي غاية في الحُسن، والنار وهي خالية من الحُسن .

السؤال الثامن:

ما الارتباط بين هذه الآية وما سبقها من آيات تتحدث عن الجهاد في سبيل الله؟

الجواب:

هذه الآية جاءت بعد الآية التي تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وهي قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣﴾[آل عمران:١٣].

وذلك ليرشدنا إلى أنّ الإنسان المؤمن لا يصح أنْ يضحي بشهوته الحقيقية، وهي إدراك الشهادة في سبيل الله أو النصر على العدو بسبب شهوات زائلة مثل المذكورة أعلاه.

والذين يدخلون على الناس ليُزينوا لهم غير منهج الله يأتون لهم بالمفتاح المناسب لشخصيتهم، فهذا تغريه امرأة، وهذا يغريه المال أو الذهب، وذاك يغلبه حب الأولاد، وهكذا لكل هوى مفتاح.

السؤال التاسع:

كيف وصف الله تعالى في هذه الآية المآب المطلق بالحسن؟

الجواب:

المآب المقصود هنا بالذات الجنة، وأمّا النار فهي المقصود بالغرض؛ لأنه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب.

والجنة مراتب ارتقائية على قدر موقف الإنسان من منهج ربه، تقول رابعة العدوية:

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظاً جزيلا

إنني لست مثلهم ولهذا ... لستُ أبغي بمن أُحِبُّ بديلا

والله سبحانه يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠] ولم يقل: (جنة ربه) حتى لا تشغلنا النعمة (الجنة) عن المنعم وهو الله سبحانه .

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ في الآية، ما دلالة الاستفهام بالهمزة ؟

الجواب:

آ ـ الهمزة أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً، فهي تستعمل للتصور والتصديق .

والتصور هو ما يُجاب عليه بالتعيين نحو: أمحمد عندك أم خالد؟ فتجيب: محمد.

والتصديق هو ما يجاب عنه بـ: نعم أو لا، نحو: أحضر القاضي؟ فتقول مثلاً: نعم.

ب ـ وقد تخرج الهمزة إلى معانٍ بلاغية؛ من أهمِّها:

١ ـ التسوية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾[الأعراف:١٩٣].

٢ ـ الإنكار: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ﴾[الإسراء:٤٠] .

٣ ـ التقرير: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ﴾[الزُّمَر:٣٦].

٤ ـ التهكم: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[هود:٨٧].

٥ ـ الأمر: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾[آل عمران:٢٠] أي: أسلموا.

٦ ـ الاستبطاء: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الحديد:١٦].

٧ ـ الاستبعاد: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾[البقرة:٧٥].

٨ـ التعجب: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥].

٩ـ التحذير: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

١٠ـ التنفير: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجُرات:١٢].

١١ـ التشكيك: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨].

١٢ـ التشويق: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ [آل عمران:١٥].

١٣ـ النفي: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ [ق:١٥]، والنفي هنا مشوب بالإنكار والتعجب.

ج ـ قد تحذف همزة الاستفهام إذا دلّ عليها دليل .



﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦﴾

السؤال الأول:

ما محل إعراب جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

إعراب جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ فيها وجوه:

آـ صفة لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ في الآية السابقة.

ب ـ صفة للعباد في آخر الآية السابقة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥﴾.

ج ـ نصب على المدح.

السؤال الثاني:

ما دلالة ارتباط قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ مع قوله في نفس الآية ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ؟

الجواب:

اعلم أنّ الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران:١٦]، ثم إنهم قالوا بعد ذلك: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فدلّ على أنّ العبد بمجرد الإيمان يستوجب الرحمة والمغفرة من الله سبحانه.



﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾

السؤال الأول:

لماذا نصب الصفات الخمسة في الآية ؟

الجواب:

١ـ ذكر سبحانه في الآية "١٧" صفاتٍ خمسة كلها منصوبة على المدح، بتقدير: أعني أو أمدح، وهذه الصفات هي:

آـ كونهم صابرين في أداء الواجبات وفي ترك المحظورات وفي كل ما ينزل بهم من المحن.

ب ـ كونهم صادقين في القول والعمل والنية.

ج ـ كونهم قانتين مداومين على العبادة.

د ـ كونهم منفقين في الزكاة والجهاد وسائر وجوه الخير، ويدخل فيه إنفاق المرء على نفسه وأهله وأقاربه وأرحامه.

هـ ـ كونهم مستغفرين بالأسحار، والمقصود من يصلي بالليل ثم يتبعه بالاستغفار.

٢ـ هذه الصفات الخمسة إشارة إلى تعدد الصفة لموصوف واحد، فكان الواجب حذف واو العطف عنها، إلا أنّ الله سبحانه ذكرها هنا بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها، وكل من كان معه واحدة من هذه الخصال دخل تحت المدح العظيم واستوجب الثواب الجزيل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ تُرى ألا يستقيم المعنى إذا أغفلنا حرف العطف (و) بين الصفات؟

الجواب:

الأصل في تعدد الأخبار ترك العطف، فنقول مثلاً: هذا هو المسلم الصدوق الأمين المخلص، فلِمَ ورد حرف العطف بين الصفات؟ لقد اختاره الله سبحانه وتعالى لبيانه الجليل إيذاناً بمعنى خاص ما كان ليتحصّل لو حُذِف حرف العطف، وهذا القصد هو الإشارة إلى كمال الموصوف، وهو قوله ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾، فهذا في كل صفة بحيث تنزل كل صفة منزلة مستقلة، وما ذاك إلا لقوة الموصوف في تلك الصفة، وكأنه يقول: والله بصير بالعباد الصابرين، والله بصير بالعباد الصادقين، والله بصير بالعباد

القانتين، وهكذا. هذا هو المعنى الذي نستفيده من تكرار حرف العطف بين هذه الصفات.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ لِمَ خصّ الله سبحانه وتعالى الاستغفار بوقت معين ولم يخص الصفات الأخرى بقيد أو صفة؟ فلِمَ لم يقل مثلاً: الصابرين في الأسحار؟

الجواب:

١ـ إنّ تخصيص وقت الاستغفار بالسَّحَر لأمر أراده الله تعالى لك أيها المؤمن، وهو أنّ هذا الوقت فيه من الهدوء ما يجعل العابد أشد إخلاصاً وخشوعاً لله تعالى، وفيه بُعدٌ عن الرياء أمام الناس، فلا يراك في هذا الوقت إلا من تقصده وهو الله عز وجل.

٢ـ إنّ الصبر يُحمد في كل وقت، وليس للصبر وقت يفضّل فيه عن غيره وكذلكم الصدق .

السؤال الرابع:

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ ولم يقل هنا: (أنفق) أو (ينفق)؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن الفعل (أنفق) و(ينفق) بصيغه المختلفة حوالي ٧٠ مرة جميعها بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الإنفاق أمر يتكرر ويتجدد ويحدث باستمرار؛ ولأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث .

٢ ـ لم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة في آل عمران ١٧، وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات، أي: أصحاب هذه الصفات .



﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ القسط لغة: هو العدل، وقائماً بالقسط، أي: قائماً بالعدل، والفعل (قَسَطَ): جار وظلم، والقاسطون هم الظالمون، وأقسط: أزال الجور والظلم، وتسمى همزة السلب.

٢ـ قوله: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ معناه: قائماً بالعدل، وهو منصوب على الحال اللازمة، أو الصفة لإله، ولقد شهد الله سبحانه أنه هو (قائماً بالقسط) والملائكة شهدوا هذه القضية، والعلماء شهدوا هذه القضية، لماذا ؟

لأنّ الله لو قال: (قائمين بالقسط) لكان الله مشهوداً عليه من هؤلاء، والشهادة هي له وحده أنه قائم بالقسط .

السؤال الثاني:

ما إعراب ﴿قَآئِمًۢا﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ أشهر إعراب لكلمة ﴿قَآبِمًا﴾ في أشهر الأعاريب أنها حال لازمة . وصاحب الحال هو الله سبحانه وتعالى .

٢ـ الأصل في الحال التحول والانتقال؛ وسميت حالاً لأنها تتحول: أقبل راكباً، أقبل ضاحكاً، فالأصل فيها التحول، وقد تأتي الحال لازمة ثابتة في مواطن.

٣ـ الحال تتعلق بالفعل أو ما يشبه الفعل أو فيه معنى الفعل، والأصل فيها أنْ تكون منتقلة، وقد تكون ثابتة لازمة كما في الآيات التالية:

ـ قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦] أنثى حال ثابتة؛ لأنّ الأنثى لن تتحول إلى ذكر .

ـ قوله تعالى ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨] لن يقوى، وهذه لازمة لا تتحول.

ـ قوله تعالى ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾[الأنعام:١٢٦] فهو لن يعوجّ .

ـ ويقولون: خلق الله الزرافة يديها أطولَ من رجليها، (أطولَ) هذه حال لن تتحول .

أما قولك: جاء مبتسماً، سيتحول الآن مبتسم وسيتغير.

إذن هنالك حال لازمة وحال ثابتة، ومسألة اللزوم والانتقال في الحال مخصوصة بالحال نفسها.

٤ـ في آية آل عمران (١٨) قوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ أي: لا ينفك، وهذه حال ثابتة، وتدل هذه الشهادة (أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط) في هذه الحال اللازمة على لزوم التوحيد والقيام بالقسط، فشهدوا على أمرين:

آ ـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ب ـ مع القيام بالقسط على وجه الدوام.

٥ـ وإنْ كان بعضهم يجوّز إعراب ﴿قَآئِمَۢا﴾ صفة لكلمة (إله) التي هي مبنية ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ مبنية اسم لا النافية للجنس، لكنّ على الإعراب المشهور أنّ ﴿قَآئِمَۢا﴾ حال، وصاحب الحال الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث:

ما دلالة تكرار قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية مرتين؟

الجواب:

١ـ تكرر قول الله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [في الآية مرتين، فالأول هو قول الله عز وجل، وهو شهادة الذات للذات، والثاني حكاية قول الملائكة وأولي العلم.

٢ ـ قال جعفر الصادق رحمه الله تعالى: الأول وصف، والثاني تعليم. أي: يا أمة محمد كونوا أنتم على وفق شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم وخذوها مسلمة وقولوا: لا إله إلا الله.

٣ـ الشاهد الحقيقي ليس إلا الله؛ لأنه خلق الأشياء وجعلها دلائل على توحيده، ولأنه هو الموجود أزلاً وأبداً، وهذا وإنْ كان في صورة الشهادة إلا أنه في معنى الإقرار.

٤ـ ومادام (لا إله إلا الله) فليكن اعتمادك عليه وحده؛ لأنه العزيز الحكيم.

قال ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أنْ يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» . رواه الترمذي.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ بالتعريف الذي يفيد الكمال والحصر لهاتين الصفتين، وإشارة إلى كمال القدرة والعلم، وهما الصفتان اللتان يمتنع حصول القدرة الإلهية إلا معهما.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين القسط والعدل؟

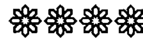
الجواب:

١ـ القسط له معنيان: العدل، والحِصّة والنصيب،وكلمة (القسط) تستعمل في القرآن في الوزن وفي غيره، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة:٤٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾[النساء:١٣٥] .

٢ـ ولم يستعمل سبحانه (العدل) مع الميزان مطلقاً في القرآن كله، ولم يستعمل مع الميزان إلا (القسط) لأنّ القسط هو الحصة والنصيب، والغرض من الميزان أنْ يأخذ الإنسان نصيبه؛ ولذلك لم ترد في القرآن كلمة العدل مع الوزن كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[الأنعام:١٥٢].

٣ـ ومن أسماء الميزان: القسطاس ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)﴾[الإسراء:٣٥] .

٤ـ علماً بأن كلمة (يقوم) لم ترد في القرآن مع العدل، وإنما جاءت مع القسط فقط، كما في الآيات ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[النساء:١٣٥] ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥] ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾[النساء:١٢٧] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)﴾ [الرحمن:٩] ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[هود:٨٥].



﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

هذه الآيةعلى قِلَّتها استطاعت أنْ تأتي ببيانٍ عظيمٍ للدين الإسلامي وفضيلته بأجمع عبارة وأوجزها، فلقد جاءت الآية على صفة الحصر، حصر الدين في الإسلام دون غيره؛ وذلك لتعريف اسم (إنّ) أي: الدين، وخبره أي: الإسلام، وكأنّ الله تعالى يقول: لا دين إلا الإسلام، ألا ترى أنك تقول: أحمد الناجح، فتحصر النجاح بأحمد، بخلاف أحمد ناجحٌ، أي: هو ناجح من بين الناجحين، ثم أكّد الله تعالى انحصار الدين بالإسلام بصورة أكثر باستعمال حرف التوكيد (إنّ).

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الدين والملة والشريعة ؟

الجواب:

١ـ الملة: اسم لجملة الشريعة، وأصل الملة في اللغة (الملُّ) وهو التكرار من قولك: طريق مليل، إذا تكرر سلوكه، لذلك (الملة) تفيد استمرار أهلها عليها.

٢ـ الدين: اسم لما عليه كل واحد من أهله، لذلك يقال: فلان حسن الدِّين، ولا يقال: حسنُ المِلَّةِ.

وإذا أُطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩] وإذا قُيد اختلفت دلالته، وقد يسمى الدين والملة باسم الآخر في بعض المواقع لتقارب معنييهما، والدين ما يُطاع فيه المعبود، ولكل واحد منا دين.

٣ـ الشريعة: هي الطريقة المأخوذ فيها إلى الشيء، وسمي الطريق إلى الماء (الشريعة)، وقيل: (الشارع)لكثرة الأخذ فيه .



﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما السلوك التركيبي للفعل (يُسلم) من حيث التعدّي واللزوم؟ هنا جاء الفعل يُسلم متعدياً بـحرف الجر (اللام)، وكما في الآيات: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الحج:٣٤] ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾[آل عمران:٢٠] وفي مواطن أخرى في القرآن جاء متعدياً بحرف الجر إلى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[لقمان:٢٢] فما الفرق بين تعدِّيه بـ (اللام) وتعديه بـ (إلى)؟

الجواب:

أكثر ما ورد في القرآن متعدياً بـ (اللام)، ولم يرد بـ (إلى) إلا فقط في سورة لقمان ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[لقمان:٢٢]، أمّا البقية فكان التعدي باللام أو من دون حرف جر، كما في الآيات التالية:

- ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل:٤٤] مع اللام .
- ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[البقرة:١٣١] مع اللام.

ـ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[غافر:٦٦] مع اللام.

ـ ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾[الحُجُرات:١٤] بدون لام.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين أسلم إلى، وأسلم لـ؟ وما الفرق بينهما في الدلالة؟

الجواب:

أـ (أسلم إليه) معناه: دفعه إليه، أو فوّض أمره إليه، هذا المشهور، وهو من التوكل، و(أسلم) بمعنى انقاد وخضع، ومنها (الإسلام) بمعنى الانقياد، وأسلم الشيء إليه، أي: دفعه إليه، أعطاه إليه بانقياد، أو فوض أمره إليه، وهذا أشهر معنى لأسلم إليه.

ب ـ أسلم لله، معناه: انقاد له وجعل نفسه سالماً له، أي: خالصاً له، جعل نفسه لله خالصاً وأخلص إليه.

* شواهد قرآنية:

أسلم لـ:

ـ قالت ملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل:٤٤] أي: انقدت له وخضعت له وجعلت نفسي سالمة له خالصة ليس لأحد فيه شيء.

ـ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[البقرة:١٣١] أسلم له أي: انقاد له وجعل نفسه خالصة له.

أسلم إلى:

أمّا (أسلم إليه) فمعناه: دفعه إليه، و(أسلم إليه)، أي: فوّض أمره إليه يعني في الشدائد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٤] أي: في الانقياد، أمّا (أسلم لله) فجعل نفسه خالصاً له ليس لأحد شيء.

ج ـ لذلك قال القدامى: (أسلم له) أعلى من (أسلم إليه) ؛ لأنه إذا دفعه إليه قد يكون لم يصل، لكن (سلّم له) فيه اختصاص واللام للملك، و(أسلم لله) ملّك نفسه لله، ولذلك قالوا: هي أعلى.

السؤال الثالث:

متى تثبت الياء ومتى تحذف كما في قوله (واخشوني، واخشون) بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ هذا التعبير له نظائر في القرآن (اتّبعني، اتبعنِ، كيدوني، كيدونِ، أخّرتني، أخرتنِ).

أمّا [اخشوني واخشونِ] فوردت الأولى في آية البقرة ١٥٠ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠] والثانية وردت في آية المائدة ٣ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣].

٢ـ عندما يُظهِر الياء يكون التحذير أشد في جميع القرآن، أي عندما يُظهِر الياء يكون الأمر أكبر.

فمثلاً عندما تحذّر أحدهم فإنّ التحذير يكون بحسب الفِعلة، مثلاً لو أحدهم اغتاب آخر تقول له: اتقِ ربك، وقد يريد أنْ يقتل شخصاً فتقول له: اتق الله، فالتحذير يختلف بحسب الفعل، إذا كان الفعل كبيراً يكون التحذير أشد.

٣ـ وقد يكون لسبب آخر غير التحذير، كما في السؤال التالي .

السؤال الرابع:

في آية آل عمران ٢٠ لم يذكر الياء فقال: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠] بينما ذكر الياء في آية يوسف ١٠٨ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف:١٠٨] فلماذا ؟

الجواب:

١ـ ننظر أي الذي يحتاج إلى اتّباع أكثر؟ الذي يدعو إلى الله على بصيرة أو مجرد أنْ يكون مسلماً فقط؟ لا شك أنّ الداعية ينبغي أنْ يكون متّبعاً أكثر في سلوكه وعمله لأنه داعية إلى الله فينبغي أنْ يكون مثلاً في سلوكه ومعرفته، وهذا يحتاج للياء ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران:٣١] بالياء .

٢ـ آية آل عمران هي في الدخول في الإسلام، وآية يوسف في الدعوة إلى الله، وهي خصوصية تتم بعد الدخول في الإسلام .

٣ـ الدعوة إلى الله تتطلب علماً وبصراً في أحكام الإسلام أكثر من مجرد الدخول في الإسلام؛ لأنها مقام تبليغ، وهذا لا يكون إلا عن علم وبصيرة، ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨].

٤ـ كذلك تتطلب الدعوة إلى الله اتباعاً أكثر للرسول في القول والعمل والتزاماً أكبر بتعاليم الإسلام، حتى يكون مقبولا مجاباً .

٥ ـ المذكورون في سورة يوسف داخلون في آية آل عمران، وأمّا المذكورون في سورة آل عمران فلا يشترط أنْ يكونوا داخلين في آية يوسف؛ إذ ليس كل مسلم داعية، وبذلك يكون اتباع الرسول في سورة يوسف أكثر، فهو يشمل الاتّباع الأول وزيادة، أي مسلمين ودعاة، فكان ذكر الياء فيها أولى من الاجتزاء؛ لأنّ الياء عبارة عن الكسرة وزيادة، فلما زاد الاتباع زاد بذكر الياء فوضع كل تعبير في مكانه المناسب، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ ما دلالة الاستفهام بالهمزة ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران رقم ١٥.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾[البقرة:٦١] وقوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾[آل عمران:٢١] ؟

الجواب:

للوهلة الأولى يظن الغافل عن بيان الله تعالى وقصده أنه يجوز قتل الأنبياء بحق ويحرم قتلهم بغير حق، وهذا ضعف في فهم الحكم، فالقيد (بغير حق) جاء في الجملة ليوضح زيادة وتشويه قبح فعل بني إسرائيل بقتل الأنبياء، فتأمل!.

لزيادة الإيضاح انظر الجواب في السؤال الرابع في آية البقرة ٦١.



﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما المعنى الذي أضافته عبارة ﴿نَصِيبًا﴾ ؟

الجواب:

إنّ النصيب هو القسط والحظ، وقد جاءت نكرة للدلالة على التهاون بهم والتقليل من شأنهم، وجاءت ﴿مِّنَ﴾ بمعنى التبعيض زيادة في ذلك التهاون والتقليل، تعريضاً بأنهم لا يعلمون من كتابهم إلا حظاً يسيراً.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين دلالة الجمع في معدودة ومعدودات؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٨٠.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿وَغَرَّهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران:٢٤] وليس (طمَعَهم)؟

الجواب:

جلّ جلال الله في إحكام بيانه، فلو قال: (طمّعَهم في دينهم) لَمَا عبّرت كلمة (طمّعَهم) عما أراده الله تعالى من معنى كما عبّرت عنه لفظة (غرّهم).

إنّ السياق التعبيري يعلمك أنّ المخالفة إذا لم تكن عن غرور فالإقلاع عنها مرجو، أمّا المغرور فلا يُترقّب منه إقلاع أبداً.



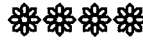
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آيتي البقرة ٢٢٥ و٢٨١ وآية آل عمران ١٦١ وآية النحل ١١١.



﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

لو تأملت السياق في الآية لرأيت أنه يقتضي أنْ يقول: تؤتي الملك من تشاء وتأخذه ممن تشاء، للمقابلة بين الإتيان والأخذ، كما قابل بين العزة والذل ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ فلِمَ خصّ المُلك بالنزع دون الأخذ؟

الجواب:

إنّ لفظ النزع يفيد تمسك المالك بملكه وعدم خروجه عنه بسهولة، كما يفيد اقتلاع الملك من مقرّه بشدّة؛ لأنّ المالك لا يتخلى عنه لو كان الأمر بيده.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين مِلك - بكسر الميم- ومُلك - بضم الميم-؟

الجواب:

هناك فرق بين مُلك ومِلك.

١ـ المُلك هو الحُكم: كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾[الزُّخرُف:٥١] يعني الحكم ،فليست مملوكة له .

٢ـ والمِلك من التملّك، فصاحب المُلك: مَلِك، وصاحب المِلك: مالك، وفي الفاتحة نقول (ملك يوم الدين) و﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة:٤] لأنه تعالى الملك والمالك.

علماً بأن في الفاتحة قراءتين متواترين (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)، والآية نزلت مرتين مرة (ملك يوم الدين) ومرة (مالك يوم الدين) وهي قراءات نزل بها جبريل وأقرها رسول الله ﷺ بأمر من ربه، وهناك عشر قراءات متواترة عن الرسول ﷺ أقرها الرسول بأمر من ربه.

وعندما يقول: ﴿مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾[البقرة:١٠٧] يعني هو، ولمّا يقول: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [البقرة:١١٦] هذا من التملك فهي مملوكة له، فإذن في مجموع هذه الآيات هو المالك وهو المَلِك، وكل آية لا تدل على الأخرى، وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة:١١٦] من التملك فهو ملكها ومالكها كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] أي: بيده التصرف، فهي ملكه.

السؤال الثالث:

ما الوضع اللغوي لكلمة ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ عند البصريين أنّ الأصل: يا الله، والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر (يا)، فتقول (يا الله) وكأنّ حذف حرف النداء يُعلِمُنا أنّ الله هو وحده المُستَدعى بدون حرفِ نداءٍ، وشُددت الميم لكونها عوضاً عن حرفين (يا) .

٢ـ في اللغة العربية لا ينادى ما فيه أداة التعريف بـ (يا) فلا يُقال: يا الرجل، لكنْ لفظ الجلالة تميز حتى في نطقه، وكأنّ الله يُرغم حتى الكافرين بأنْ يُجعل للفظ الجلالة تميزاً، حتى في أفواه الكافرين، فيقولوا مع المؤمنين (يا الله). أمّا بقية الأسماء التي تسبقها أداة التعريف فلا بدّ أنْ تقول فيها: يا أيها الرجل، يا أيها العباس . ولا تقول حتى في نداء النبي (يا النبي)، ولكن تقول: يا أيها النبي .

٣ـ ما رأينا في لغة العرب عَلَماً دخلت عليه (تاء) القسم سوى لفظ الجلالة، فإننا نقول: (تالله)، ولم نجد من يقول: تزيد أو: تعمرو، فتاء القسم مختصة بلفظ الجلالة فقط.

٤ـ دخول اللام في القَسَم التعجبي أو في الأمور العظام نحو: لله لتبعثن.

إنها خصوصيات لاسم صاحب الخصوصية الأعلى سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

كيف قال الله: (بيدك الخير) فخصّ الخير بالذكر، وبيده تعالى الخير والشر والنفع والضر ؟

الجواب:

هذه الآية ردٌّ على المشركين بما وعد الله تعالى به نبيه ﷺ على لسان جبريل عليه السلام من فتح بلاد الروم وفارس ووعد النبي الصحابة بذلك.

فلمّا كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال ولأنه المرغوب، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[النحل:٨١].

السؤال الخامس:

لماذا جاءت أفعال الله في الآية بالصيغ الفعلية الدالة على التجدد والحدوث نحو: ﴿تُؤۡتِي﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿وَتَنزِعُ﴾ [آل عمران:٢٦]﴿وَتُعِزُّ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿وَتُذِلُّ﴾ [آل عمران:٢٦] ؟

الجواب:

السبب أنّ سياق آيات آل عمران هو في التغير والحدوث والتجدد عموماً، فالله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه منه، ويعزّ من يشاء أو يذله، ويغيّر الليل والنهار، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وغير ذلك من الأحداث، فالسياق كله حركة وتغيير وتبديل، فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والتغيير .



﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام فعل ﴿وَتُخۡرِجُ﴾ كما في هذه الآية، وليس الصيغة الاسمية كما في آية سورة الأنعام رقم ٩٥ ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ ؟

الجواب:

١ـ القاعدة النحوية: الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد. وهذه الآية تدخل في هذه القاعدة.

٢ـ في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام:٩٥] و ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام:٩٦] وأبرز صفات الحيّ الحركة والتجدد (من الحياة)، وقد قال تعالى مع الحيّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] فجاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحركة، ومن صفات الميّت السكون؛ لذا جاء بالصيغة الاسمية مع ما تقتضيه من السكون.

٣ـ وكلمة ﴿يُخْرِجُ﴾ تأتي حسب سياق الآيات كما في سورة آل عمران ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٧]؛ لأنّ سياق الآيات كلها في التغييرات والتبديلات والأحداث التي تتجدد ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦] (إيتاء الملك ونزعه، تعز من تشاء وتذل من تشاء، تولج الليل وتولج النهار) كلها في التغيرات وليست في الثبات، وهذا ما يُعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

على من يعود الضمير في ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ وفي ﴿نَفْسَهُۥ﴾ في الآية ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ؟

الجواب:

الضمير يعود على الله تعالى، والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يحذر العباد نفسه.

السؤال الثاني:

لِمَ لم يقل سبحانه في الآية مثلاً: ويحذركم الله غضبه أو سطوته؟

الجواب:

أيُ رادع لك أشد من هذا اللفظ؟ والله تعالى يحذرك من نفسه، أي: يحذرك من ذاته، فبهذا اللفظ كان المعنى أعم في الأحوال؛ لأنه لو قيل: ويحذركم الله غضبه، لتُوُهِّم أنَّ رضى الله لا يضر معه مخالفة أوامره.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ في الآية ؟وما معنى الولي ؟

الجواب:

١ـ كلمة (ولي) لها معنى معين، وهو الذي يعينك ويحميك وينصرك ويليك مباشرة بحيث لو طلبته أو ناديته لبى حاجتك .

وكلمة الولي تضاف إلى الله على إطلاقها، بينما تضاف بالنسبية والمحدودية لخلق الله.

٢ـ إنّ من يتخذ غير الله أولياء له فليس له نصيب من نصرة الله، والله حذرنا من اتخاذ الكافرين أولياء وأنْ نغتر بقوة الكافرين، ولا تقل أيها المؤمن: ماذا أفعل ؟ لأنّ الله لا يريد منك إلا أنْ تبذل ما تستطيع من جهد وأنْ تدع الباقي لله، والله يطمئننا على ذلك قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠] وقال: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾[الأنفال:١٢].

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله ﴿تُقَىٰةً﴾ مأخوذة من الوقاية، وللتقية أحكام:

آ ـ التقية تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله، فيداريهم باللسان بشرط أنْ يضمر خلافه؛ لأنّ التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

ب ـ التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة وعزيمة .

ج ـ إنما تجوز التقية بإظهار الموالاة والمعاداة، وأمّا ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة.

د ـ ظاهر الآية يدل أنّ التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين .

هـ ـ التقية جائزة لصون النفس، وربما جائزة لصون المال .

و ـ هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المسلمين، فأمّا بعد قوة دولة الإسلام فلا، وبعضهم قال: التقية جائزة إلى يوم القيامة ضمن الشروط أعلاه.

ز ـ إياك أنْ تُقبِل على سلوك الكفار بانشراح صدر وتقول: أقوم بالتقية، يجب عليك أنْ تعرف لماذا فعلت التقية، هل فعلتها لتبقي منهج الخير في الوجود أو غير ذلك؟ إنْ فعلت التقية بوعي واستبقيت نفسك لمهمة استبقاء المنهج الإيماني فأنت من أهل الإيمان.

ح ـ لقد جاء الحق بالأمرين: أمر الوقوف في وجه الباطل بالاستشهاد في سبيل الحق، وأمر التقية حماية لبعض الخلق حتى لا يضيع المنهج، بحيث لو جاء جبار يريد استئصال المؤمنين جميعاً، فشرّع الحق ما يبقي للفداء قوماً، وهم الفدائية في العقيدة، ويبقي للبقاء قوماً ليحملوا منهج الله ويورثوه للأجيال المتتالية.

ط ـ لا تظن أيها الإنسان أنك تقوم بالتقية كظاهرة شكلية؛ لأنّ المؤمن لا يفعل ذلك، لماذا؟ لأنّ التحذير واضح في الآيات التي تلي هذه الآية، والتي تبين أنّ الله لا يحجبه مكان عن مكان أو زمان عن زمان، فإياك أنْ تعتقد أنّ الله غيب فلا يعرف إلا غيباً؛ لأنّ الله يعلم الغيب ويعلم ما برز إلى الوجود، فالله أَتْبَعَ استثناءه للتقية بالوعيد إنْ صار الباطن موافقاً للظاهر في وقت التقية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٩-٣٠]

٢ـ قال الحسن: أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب النبي ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم، نعم، نعم . فقال: أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم. فتركه ودعا الآخر فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال: نعم. فقال: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: إني أصمُّ، ثلاثاً، فقدّمه وقتله، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **أمّا هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئاً له، وأمّا الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه.**

السؤال الخامس:

ما فائدة تكرار التحذير في آيتي آل عمران ٢٨و٣٠؟

الجواب:

الآية الأولى في سياق الوعيد لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾[آل عمران:٢٨].

وأمّا الآية الثانية فهي في سياق حذر تفويت الخير، ولذلك خصّه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[آل عمران:٣٠] .



﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة ﴿تُخْفُوهُ﴾ في آية سورة البقرة ٢٨٤، وآية سورة آل عمران ٢٩؟

الجواب:

المحاسبة في آية سورة البقرة هي على ما يُبدي الإنسان وليس على ما يُخفي، ففي سياق المحاسبة قدّم الإبداء،وأمّا في آية سورة آل عمران فالآية في سياق العلم، لذا قدّم الإخفاء؛ لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.



﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

هل أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن؟

الجواب:

فقط في موطنين في القرآن كله: آية البقرة ٢٠٧، وآية آل عمران ٣٠.

انظر الجواب في السؤال الثاني في آية البقرة ٢٠٧.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ ما دلالة تعريف العباد بأل؟

الجواب:

لاحظ لو قلت: والله رؤوف بعباده، ألا تجد أنّ المعنى سيكون مقصوراًعلى فئة من العباد دون غيرها.

إنّ التعريف في كلمة ﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾ بـ (أل) أفاد الاستغراق، فرأفة الله تعالى شاملة لكل الناس مسلمهم وكافرهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿كُلُّ نَفۡسٍ﴾ ما الفرق بين الروح والنفس ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨١.

السؤال الرابع:

ما فائدة تكرار التحذير في آيتي آل عمران ٢٨و ٣٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٢٨.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ وتعني الزمن، فما كلمات منظومة الزمن في القرآن الكريم ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الزمن، وهي مكونة في القرآن الكريم من إحدى عشرة كلمة؛ وهي:

١ـ **الزمن**: هو سر الخلود وهو أعظم وأكرم ما يملكه الإنسان على هذه الأرض، ودقائق معدودة بالتوبة قبل الموت ستسبب له الخلود في الجنة، والزمن تعني البداية والنهاية.

٢ـ **الأبد**: كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾[النساء:٥٧] أي: زمن ممتد طويل آلاف السنين بدون فترة استراحة.

٣ـ **الأمد**: هو بداية النهاية، والمدى آخر المطاف.

٤ـ **السرمد**: الزمن الذي يختص بنوع واحد مثل ليل دائم أو نهار دائم، كما في آية القصص ٧١ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾.

فالسرمد هو المستقبل المطلق، والأزل هو الماضي المطلق الذي لا بداية له، فالله سرمدي أزلي.

٥ـ **الدهر**: الدهر هو زمن الدنيا منذ خلقها الله تعالى إلى قيام الساعة،والآخرة ليس فيها زمن وكذلك البرزخ، لذلك الذي مات قبل مليون سنة والذي سيموت قبل القيامة بدقائق لهما نفس الشعور كما في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المؤمنون:١١٢].

٦ـ **الوقت**: هو الزمن المخصص لفعل معين،ولكل حدث زمنه نحو وقت الصلاة أو وقت العمل أو وقت الحج [الحجر ٣٧ـ٣٨، النساء ١٠٣].

ويقسم اليوم إلى الأقسام التالية:

آـ الفجر: أول بداية النهار: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾[الفجر: ١-٢].

ب ـ الصبح: أول احمرار الشفق بعد الفجر بحوالي نصف ساعة ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ [هود:٨١].

ج ـ البكور: قبل طلوع الشمس ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤٢] .

د ـ الغداة: الضوء القوي مع طلوع الشمس.

هـ ـ الضحى: ارتفاع الشمس بمقدار رمح، ربع ساعة بعد طلوع الشمس.

و ـ الزوال: وقت الاستواء.

ز ـ الظهيرة: بعد الاستواء إلى العصر (الهاجرة) ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الروم:١٨] .

ح ـ الأصيل: قبل غروب الشمس.

ط ـ العصر: أول برد النهار ويمتد حتى الغروب.

ي ـ الغروب: وقت غروب الشمس.

ك ـ المساء: وهو وعاء يشتمل عدة أوقات، فهو من الزوال إلى الفجر.

ل ـ العَشِيّ: آخر ساعة في النهار.

م ـ العشاء: من صلاة المغرب إلى أول العتمة.

ن ـ السَّحَر: بعد منتصف الليل وحتى الفجر.

٧ـ **الحِقبة**: - بضم الحاء أو كسرها- وتجمع على أحقاب ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ:٢٣] والحِقبة تعني سنة واحدة، والحُقبة تعني ثمانين سنة.

٨ـ **القرن**: القرن مائة عام، وقد تطلق القرون على الأجيال.

والسنة اثنا عشر شهراً، والعقد عشر سنوات، وكل عشرة عقود تصير قرناً، وكل عشرة قرون تصير دهراً، والعرب كانوا يسمون ألف سنة بالدهر.

٩ـ **الأُمة**: الأمة هي مجموعة السنين الحاوية لحدث معين، مثل حدث الحرب العالمية أو عام الفيل .

١٠ـ **العمر**: العمر إذا أطلق فهو مرحلة الشباب من خمسة عشر سنة وحتى الأربعين، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[يونس ١٦].

١١ـ **الحين**: هو وقت حصول الشيء ولا مضمون زمنياً محدداً لها، لكنها تضاف للفعل لبيان الدقة، فتقول: حين أضع قلمي أفعل .



﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿قُلْ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ دليل على أنّ ما سيأتي بعدها هو بلاغ من الرسول ﷺ عن ربه، بلاغ للآمر وللمأمور به .

والذين في قلوبهم زيغ يقولون: يمكن حذف كلمة (قل) من القرآن كما في أول سورة الكافرون والإخلاص وفي هذه الآية؛ لأنه لا فائدة منها، ونقول لهؤلاء: إنكم تريدون أنْ يكون الرسول قد أدى المأمور به ولم يؤد الأمر .

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، هل موقع الحب في القلب ؟

الجواب:

١ـ الحُبُّ موقعه في القلب، ولأنّ القلب في الصدر فجاز إقامة الصدر مقام القلب كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٥] وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج:٤٦].

٢ـ إنك قد تحب الله لنعمه عليك، ولكنّ الله أيضاً يحب العبد الذي يعرف قيمة النعمة في التكليف؛ لأنّ نعمة التكليف تعود عليك بكل الخير عندما تؤديها، والله لا يكلف شططاً أو فوق الوسع.

٣ـ لا بدّ أنْ نفرق بين الحب العقلي والحب العاطفي، فالعاطفي لا يقنن ولا قانون له، والإنسان يحب ابنه ولو كان صاحب عاهة أو قليل الذكاء وهو يحبه أكثر من ابن جاره ولو كان الأخير متفوقاً .

والمطلوب هو الحب العقلي وليس الحب العاطفي، وقد يتسامى الحب فيصير بالعاطفة.

٤ـ انظر إلى ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»** وقف سيدنا عمر عند هذه النقطة فقال: أمعقول أنْ يكون الحب لك أكثر من النفس؟ إنني أحبك أكثر من مالي وولدي، إنما من نفسي؟ ففي النفس منها شيء .

وهكذا نرى صدق الأداء الإيماني من سيدنا عمر، فكررها النبي ثانياً وثالثاً فعرف سيدنا عمر أنه قد أصبح تكليفاً، وعرف أنه لا بدّ أنْ يكون من الحب المقدور عليه، وهو حب العقل وليس حب العاطفة .

وهنا قال عمر: الآن يا رسول الله . فقال الرسول ﷺ: «**الآن يا عمر**» أي: كمل إيمانك الآن .

٥ـ الحب في الاتباع والسلوك وصدق مدعي الحب الاتباع، وكما قيل:إنّ المحب لمن يحب مطيع.

٦ـ وهكذا نجد أنّ نعم الله هي: نعم الإيجاد ـ ونعم الإمداد ـ ونعم التكليف ـ ودليل صدق الحب هو قيام العبد بالتكليف .

٧ ـ واعلم أخي المؤمن: أنّ حبك لله لا يقدم له ولا يؤخر، بينما حب الله لك يقدم ويؤخر.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم هي: الشهوة ـ الهوى ـ الحب ـ الشغف ـ الغرام ـ الهيام ـ الود، إضافة إلى كلمتي: الشوق والعشق، ولكنهما لم يردا في القرآن.

١ـ الشهوة:

هي ميل النفس إلى ما تتلذذ به حسياً أو نفسياً، مثل النساء والبنين والذهب والفضة والأنعام والحرث، وكذلك السلطان والجنة والقهر، والشهوة يجب أنْ تكون في محلها.

٢ـ **الهوى**: إذا كانت الشهوة في غير محلها كانت (هوى)، كأنْ تشتهي امرأة لا تحل لك، ولم ترد كلمة (الهوى) في القرآن إلا من باب الذم، وهناك فرق بين ما تشتهيه الأنفس وما تهواه، فما تشتهيه قد يكون حلالاً أو حراماً، و ما تهواه لا بدّ أنْ يكون حراماً [النازعات ٤٠].

٣ـ **الحب**: هو تعلق القلب بما هو كريم ومطلوب، وهو ليس مذموماً، وقد ذكر الله في كتابه صفات الذين يحبهم والذين لا يحبهم: [البقرة ١٩٥ـ ٢٢٢، آل عمران ٧٦ـ ١٣٤ـ ١٤٨ـ ٣١ـ ٩٢ـ ١٥٢، النور ٢٢ـ الصف ١٤ـ القيامة ٢٠].

٤ـ **الشغف**: عندما ينفذ الحب إلى القلب ويستقر به ويملك على الإنسان حواسه وتفكيره يُسمى شغفاً، فكل شغف حب وليس كل حب شغفاً. [يوسف ٣٠].

٥ـ **الغرام**: بعد أنْ يصل الحب إلى مرحلة الشغف، فإذا كان الحب قاهراً استولى المحبوب على من يحب وتحول الحب إلى فناء في المحبوب فيُسمى غراماً، فالغرام هو حب انقلب إلى أسر .

ولذلك عندما ذكر القرآن عن عذاب جهنم (إنّ عذابها كان غراماً) فيه دليل على أنّ عذاب جهنم قاهر مذل. [الفرقان ٦٥ـ الواقعة ٦٦].

٦ـ **الهيام**: هذا الغرام إذا تطور، والمحبوب تدلل على الحبيب ولم يستجب له واضطرمت النار في أحشاء المحب أدى هذا إلى الهيام.

والهيام لغة مأخوذة من الهِيم، أي: الإبل الشاردة الهائمة على وجهها في الصحراء، كما في قصة قيس وليلى. [الشعراء ٢٢٥ـ الواقعة ٥٥].

٧ـ **الوُّد**: الود هو أعلى وأسمى أنواع الحب.

كل الذي ذُكر إذا كان موجوداً بين يديك وتطيقه مع الوصل يسمى حباً وشغفاً وهياماً، أمّا إذا كان مع الهجر فهو الود، فالود هو أمنية؛ تحب بعيداً أو شيئاً تتمناه، والود هو من جهة ميل الطباع فقط، فتقول: أود أنْ ذاك كان لي، وأود الرجل، ولا تقول: أود الصلاة، بل تقول: أحب الصلاة.

انظر: [البقرة ٩٦ـ ١٠٥ـ ١٠٩، آل عمران ١١٨ـ النساء ١١٨ـ المعارج ١١ـ القلم ٩ـ الحجر ٢].

٨ـ **الشوق**: يكون لحبيب مسافر أو غائب.

٩ـ **العشق**: هو الحب الذي شاع صيته بين الناس.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[الأحقاف:٣١] و ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [ال عمران:٣١]؟

الجواب:

١ـ (من) تبعيضية، أي: بعض الذنوب، وبدونها يغفر لكم الذنوب جميعاً .

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[الصف:١٢] إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته .

أمّا التعبير: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[نوح:٤] فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون (من) ثلاث مرات في القرآن: [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

و ورد التعبير مع وجود (من) ثلاث مرات أيضاً: [إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤]. والله أعلم .



﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ ﴾ كيف جاءت مسألة الطاعة في القرآن ؟

الجواب:

جاءت مسألة الأمر بالطاعة في القرآن الكريم على ثلاثة نماذج:

١ـ أطيعوا الله والرسول .

٢ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .

٣ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .

فما مسألة هذه الأوامر بالطاعة ؟

إنّ الأحكام الشرعية المطلوب من المؤمنين إطاعتها مرةً يكون الأمر قد جاء بها من الله، و يكون الرسول قد أكدها بقوله وسلوكه، وبهذا حين يطيع المؤمن في هذا الأمر فهو يطيع الله ورسوله معاً.

ومرة يأتي الحكم من الله إجمالاً، ويأتي الرسول ﷺ ليفصّله، مثل: الصلاة، فتفاصيلها من النبي ﷺ وأصل الحكم من الله تعالى، وكذلك الزكاة جاء الأمر من الله بأداء الزكاة، لكن القرآن لم يحدد النصاب، وقد بينه الرسول ﷺ، إذن لله فيها أمر وللرسول أمر، والنبي ﷺ مفوّض من الله تعالى بهذا، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[الحشر:٧].

لذلك تكون مسألة الطاعة في القرآن حسب التالي:

١ـ إذا لم يتكرر لفظ الطاعة، فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولا يجري ذكر للرسول ﷺ في السياق أو الإشارة إليه .

أو بمعنى آخر، إن اتحد المُطاع ـ الله والرسول ـ عطف الرسول على لفظ الجلالة فتأتي: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾[آل عمران:٣٢] .

* شواهد قرآنية:

ـ آية آل عمران ٣٢ ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

ـ آية آل عمران ١٣٢ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وهذه الآية جاءت بعد آية تحريم الربا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[آل عمران:١٢٩-١٣٠-١٣١] .

٢ـ وإذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر الرسول ﷺ في السياق، أو بمعنى آخر: إنْ كان الأمر طاعة الله في الأمر الإجمالي وطاعة الرسول في تفصيل ذلك الأمر تأتي: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[النور:٥٤] .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور:٥٤] .

ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢].

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[محمد:٣٣] .

ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾[التغابن:١٢].

٣ـ إنْ كان الأمر طاعة الرسول بتفويض الله له كما في آية الحشر٧ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ يأتي الموضوع كما في طاعة أولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء:٥٩] .

فالحق عز وجل لم يورد طاعة أولي الأمر مندمجة في طاعة الله ورسوله لتكون طاعة واحدة، لا، وإنما أورد طاعة أولي الأمر في الآية التي يفرق فيها بين طاعة الله وطاعة الرسول، ثم من بطن طاعة الرسول تكون طاعة أولي الأمر، لماذا؟ لأنه لا توجد طاعة ذاتية لأولي الأمر،

فالرسول ﷺ له الطاعة الذاتية، أمّا طاعة أولي الأمر فهي مستمدة من طاعة أولي الأمر لله ورسوله، ولا طاعة لأولي الأمر فيما لم يكن فيه طاعة لله ورسوله ﷺ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية آل عمران ٣٢ـ والآية ١٣٢ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ لماذا لم يكرر لفظ الطاعة فيهما، فيقول: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ؟ بينما كررها في الآيات:[النساء ٥٩ـ المائدة ٩٢ـ النور ٥٤ـ محمد ٣٣ـ التغابن ١٢] ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

١ـ يكرر القرآن الكريم لفظاً معيناً بقصد التوكيد، كما تقول محذراً: حذار حذار.

٢ـ هنا في آيتي آل عمران لم يكرر لفظ الطاعة، لكنه كررها في الآيات: [النساء ٥٩ـ المائدة ٩٢ـ النور ٥٤ـ محمد ٣٣ـ التغابن ١٢].

والملاحظ أنّ ما لم يتكرر فيه لفظ الطاعة مع الرسول، فالسياق فيه لله وحده، ولم يذكر فيه لفظ الرسول ولا أية إشارة إليه.

آـ في آية آل عمران ٣٢ ذكر فيها أنّ الأمر كله لله وبيده قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٧] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران:٢٨] وكرر هذا المعنى فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران:٣٠] إلى أنْ ذكر

الآية ٣٢ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران:٣٢] فأنت ترى أنّ المقام مختص بالله وحده، فذكر طاعة الله وجعل طاعة الرسول تبعاً لها .

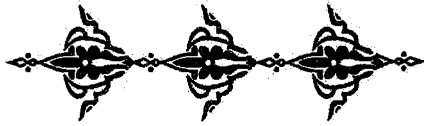
ب ـ وكذلك الأمر في آية آل عمران ١٣٢ ، فلم يكرر لفظ الطاعة،إذ قال قبلها:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٨] في حين كرر لفظ الطاعة في الآيات الأخرى؛ لأنّ السياق يقتضيها .

٣ـ في آية النساء ٥٩ جعل طاعة الله وطاعة الرسول أصلية؛ ليفصل بين طاعة الرسول وطاعة أولي الأمر، فهما ليستا بنفس المنزلة، ثم قال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] فالرسول مرجع للفصل، بخلاف أولي الأمر، ثم قال بعدها: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء:٦١] فقد جعل الرسول مرتجعاً كالقرآن، ثم قرّر حكماً ثابتاً فيها بعد، فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤] فأنت ترى أنّ المقام ههنا مقام تبيان طاعة الرسول فكررها.

٤ ـ في آية سورة النور ٥٤، قد تكرر ذكر الرسول، وذلك في قوله: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور:٥٠-٥١-٥٢] ثم قال بعدها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور:٥٦] فجعل طاعة الرسول مقترنة بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ترى أن السياق يؤكد لفظ طاعة الرسول.

٥ ـ وكذلك ما جاء في سورة محمد ﷺ في الآية ٣٢، فقد ورد لفظ الرسول وطاعته وعدم مشاقته فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾[محمد:٣٢].

٦ـ وكذلك ما جاء في آية التغابن ١٢ فقد ختمها بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾[التغابن:١٢]. هذا، والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس صبحي محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الثالث

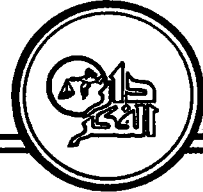
من بداية سورة آل عمران الآية (٣٣) وحتى الآية (٨٥) من سورة النساء

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 559903-01 فاكس: 559904 1 00961

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 985888 7 00961



﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾

السؤال الأول:

ماالفرق بين (اصطفى) و(اختار)؟

الجواب:

الاختيار: هو أن تختار من غير متشابهات، كأن تختار قلماً من بين ورقة وكتاب وقلم ، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

أمّا الاصطفاء: فهو الاختيارمن بين أشياء متناظرة ومتشابهة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[آل عمران:٣٣] فاصطفاه من متناظرين.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران:٣٣]. من (عمران) المذكور في الآية؟

الجواب:

هناك اثنان لهما نفس الاسم (عمران).

١ـ عمران والد موسى وهارون، وعمران هذا هو ابن يصهر بن فاهاث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

٢ـ عمران: والد مريم عليها السلام .

ومما زاد في الأمر إشكالاً هو وجود أخت لموسى وهارون اسمها: مريم، فكلتاهما اسمها: مريم بنت عمران، وكانوا يتفاءلون باسم (مريم) لأنّ معناه العابدة .

٣ـ يمكن أن نضع للأمر ضبطاً حرفياً، فنقول: (عمعم سدئيّ) ومعناها:

[عيسى بن مريم ـ مريم بنت عمران ـ عمران بن ماثان ـ ماثان بن سليمان ـ سليمان بن داود ـ داود بن أوشي ـ أوشي بن يهوذا ـ يهوذا بن يعقوب ـ يعقوب بن إسحاق].

٤ـ لذلك مجيء اسم مريم عليها السلام في القرآن يعني أنه عمران والد مريم.

٥ـ للعلم: زكريا عليه السلام، هو ابن آذن، وآذن كان معاصراً لماثان.

ومن جهة أخرى يجب علينا أنْ نفطن إلى أنّ الأنساب بالدم واللحم عند الأنبياء لا اعتبار لها، وإنما الأنساب المعترف بها بالنسبة للأنبياء هي أنساب القيم والدين .

السؤال الثالث:

وردت كلمة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران:٣٣] في القرآن كله بالياء إلا في سورة البقرة بأجمعها، فقد جاءت بدون ياء﴿إِبْرَاهِمَ﴾. فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٤ .



﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يتقبل من) و(يتقبل عن) في الحديث عن التوبة ؟ وهل يأتي الفعل (تُقبِّل) بدون حرف جر وبصيغة المبني للمجهول ؟

الجواب:

١ـ القبولُ هو أخذ الشيء برضى، والتوبة هي الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، وكلُ إنسان معرّض للخطأ وخير الخطائين التوابون، فالتوبة هي الكفّ عن المخالفة و العودة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

٢ـ استعمال (عن) بدل (من): كلمة (عن) تستعمل حينما يكون الكلام هو عودة إلى الله سبحانه وتعالى ، والمتكلِّم المباشر هو الله سبحانه وتعالى، أو هو معلوم عن طريق الغيبة، وعندما يتكلم الله سبحانه وتعالى عن نفسه بضمير الغيبة (هو)، فإن ذلك يدل على تعظيم شأنه جلَّ في علاه.

والفرق بين (عن الشيء) و(من الشيء): عندما نقول: فلان كان يمشي بسيارته وخرج (من الطريق) السريع، معناه وجد منفذاً متصلا بالطريق السريع وخرج. لكن لو قيل لك: فلان بسيارته خرج (عن الطريق) السريع، معناه: انحرف كأنما انقلبت سيارته، هذه الصورة الآن نحن نفهمها بعد ألف عام، فكيف كان العربي يفهم الفرق بين (من) و(عن)؟

٣ـ (عن) لمجاوزة الشيء، و(من) لابتداء الغاية كأنه ابتدأ غايته من الطريق.

فمع (من) كأنه تبقى الصِلة، فهناك شيء ولو صلة متخيلة .أمّا (عن) ففيها انقطاع.

فقوله تعالى: ﴿يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] أي: لا تبقى لهم صلة، والتوبة ترتقي إلى الله سبحانه وتعالى، ولو قيل في غير القرآن (يقبل التوبة من عباده) كأنّ الإثم الذي تاب

عنه يبقى متصلاً به، وهذه التوبة يتخيل الإنسان معها صورة مادية للصلة بالله سبحانه وتعالى.

٤ـ يأتي الفعل (تُقبل) أو (يُقبل) بدون حرف جر معه، ومبنياً للمجهول كما في قوله تعالى في الآيات التالية:

آـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران:٩٠] فبناها للمجهول ولم يأت بحرف جرّ، وما قال: لم يقبل الله توبتهم؛ لأنهم لا يستحقون أن يذكر معهم اسم الله تعالى، فهذه التوبة لا تقبل لا منهم ولا عنهم ولا لهم؛ لأنهم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً.

ب ـ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥] والذي يصدر عنه أي دين غير الإسلام لا يُقبل منه، ويقال: إنه لا يوجد إنسان بلا دين ، حتى الملحد دينه الإلحاد؛ لأنّ الدين هو أن تدين بشيء.

والإسلامُ هو دين الأنبياء جميعاً، لكنْ مع مراعاة أنّ إسلامَ أيِّ نبيٍّ هو لزمانه، فالنبي الذي بعده ينبغي أن يتبعه أتباع النبي السابق ، حتى يصل الأمر إلى خاتم الأنبياء ﷺ .

ج ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران:٩١] بناها للمجهول.

٥ـ أما قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٧] لم يعد الفعل بحرف الجر وإنما تقبلها هي.

لذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران:٣٥] ليس من كلام الله المباشر على لسان الباري سبحانه وتعالى، وإنما على لسان البشر.

السؤال الثاني:

ما قواعد كتابة لفظة ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ علماً أنها وردت في المصحف بالهاء "٤" مرات وبالتاء ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ "٧" مرات؟

الجواب:

لفظة ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ وردت في المصحف بالتاء المربوطة "٤" مرات في الآيات [النساء ١٢-١٢٨ - النمل ٢٣ - الأحزاب ٥٠].

وبالتاء المفتوحة ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ "٧" مرات، مع ملاحظة أن كلَّ امرأة ذُكرت مضافة لزوجها، جاءت بالتاء المفتوحة، والمواضع السبعة هي:

- ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٥]
- ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٣٠] و [يوسف:٥١]
- ﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص:٩]
- ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم:١٠] مرتان
- ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١]

السؤال الثالث:

ما الفرق بين دلالة (زوج) و(امرأة) و(بعل) في اللغة ؟

الجواب:

استعمل القرآن كلمة (زوج) للدلالة على الرجل أو على المرأة، وهذا هو الأفصح في اللغة .

والزوج هو الذي يشكل مع الثاني زوجين، وتطلق كلمة (الزوج) على الاثنين، ويوحي اللفظ بنوع من المقاربة والتوافق؛ لذلك نجد أنه:

١ـ تأتي كلمة (زوج) في القرآن حين تكون الزوجية هي مناط الموقف كما في آيات [الروم ٢١، والفرقان ٧٤].

ومع الرسول ﷺ استعمل القرآن ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨] فإنها أُضيفت إلى الضمير، ولعلّ فيها ملمح التقريب وهن أزواجه في الدنيا وفي الآخرة، بينما لا يوجد في القرآن زوج فلان، وإنما امرأة فلان .

٢ـ فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة بسبب خيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج، لأنه لم تعد (امرأة فرعون) المؤمنة تشكل زوجاً مع (فرعون الكافر)، وكذلك الحال مع (امرأة نوح) فلم تعد تستحق أن ترتفع بحيث تشكل مع نوح عليه السلام زوجين، كما في آية يوسف ٣٠، والتحريم ١٠.

حتى (امرأة العزيز) هي أيضاً امرأة ، ومن قال تشاطره ؟ ربما كان على جانب من القيم والمُثل وهي تراود فتاها، إذن لا يناسب استعمال زوج في حالة التباين الواسعة بين الطرفين.

وأما كلمة ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ فهي تعني الأنثى لا غير.

٣ ـ وإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل، فامرأة لا زوج كما في آيات [هود ٧١ ـ والذاريات ٢٩ـ وآل عمران ٣٥].

٤ـ وأما (البعل) فلا يطلق على الرجل حتى يدخل بزوجته، وقد يأتي أيضاً بمعنى السيد، قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات:١٢٥]

السؤال الرابع:

وردت كتابة لفظة ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ في الآية بالتاء المفتوحة، فما قواعد رسم تاء التأنيث هاءً؟

الجواب:

اتفق معظم علماء العربية على أن التاء هي الأصل في علامة التأنيث وأن الهاء تخلفها في الوقف، فجاءت معظم الأمثلة لذلك مرسومة بالهاء .

وروي عن بعض النحويين قولهم: إنّ الهاء في المؤنث هي الأصل في الأسماء؛ ليفرقوا بينها وبين الأفعال، فتكون الأسماء بالهاء والأفعال بالتاء .

وانحصرت تفسيرات علماء السلف في رسم تاء التأنيث بالهاء في أنهم بنوا الخط على الوقف، وفي المواضع التي كتبوها بالتاء بنوا الخط على الوصل.

وقيل: مَن وقفَ على تاء التأنيث ورسمها بالتاء، فهو حسب لغة طيء فهم يقولون: حمزَت وطلحَت.

* شواهد قرآنية:

لفظة ﴿رَحْمَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٧٢ مرة، وبالتاء ﴿رَحْمَتِ﴾ ٧ مرات.

لفظة ﴿سُنَّةَ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٨ مرات، وبالتاء ﴿سُنَّتَ﴾ ٥ مرات.

لفظة ﴿نِعْمَةَ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٢٣ مرة، وبالتاء ﴿نِعْمَتَ﴾ ١١مرة.

لفظة ﴿كَلِمَةٍ﴾ وردت في المصحف بالهاء١٩ مرة، وبالتاء ﴿كَلِمَتُ﴾ ٤ مرات.

لفظة ﴿لَعْنَةُ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٧ مرات، وبالتاء ﴿لَعْنَتَ﴾ في موضعين [آل عمران ٦١ـ النور ٧].

لفظة ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ وردت في المصحف بالتاء في موضعين في سورة المجادلة: (٨ و ٩).

لفظة ﴿مَرْضَاتَ﴾ أينما وقعت.

لفظة ﴿اَمْرَأَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء "٤" مرات، وبالتاء ﴿اَمْرَأَتُ﴾ "٧" مرات، مع ملاحظة أن كل امرأةٍ ذُكرت مضافة لزوجها وردت بالتاء المفتوحة، والمواضع السبعة هي:

ـ ﴿اَمْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران:٣٥]

ـ ﴿اَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٣٠] و [يوسف:٥١]

- ﴿ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [القصص:٩]

- ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ [التحريم:١٠] مرتان

﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التحريم:١١]

وجاءت بضع كلمات مرسومة بالتاء في موضع واحد وهي المبينة أدناه، وإذا وردت هذه الكلمات في غير هذه المواضع تكتب بالتاء المربوطة، والكلمات هي:

﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ [الدخان:٤٣].

﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ [القصص:٩].

﴿مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ [فُصِّلَت:٤٧].

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هود:٨٦] .

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة:٨٩.]

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ [العنكبوت:٥٠].

﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠].

وهناك كلمات تُكتب بالتاء المفتوحة حيث وردت وهي ليست تاء التأنيث وهي:

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف ٤ و ١٠٠ـ ومريم ٤٢ـ٤٣ـ٤٤ـ٤٥، القصص ٢٦].

﴿ٱللَّٰتَ﴾ [النجم:١٩] أي: اللات .

﴿هَيۡهَاتَ﴾ [المؤمنون:٣٦].

﴿ذَاتِ﴾ [الأنفال ٧ـ النمل ٦٠].

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾ [التحريم:١٢].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:١٣٧].



﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾



السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ انظر إلى التوكيد بـ ﴿إِنِّي﴾ في ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾ مع أنّ المقام مستعمل في إنشاء الدعاء، فما الظل الذي يلقيه هذا التأكيد على العبارة؟

الجواب:

إنّ مجيء (مريم) بنتاً خلافاً لما كانت ترجو أمها وتأمل ، يؤذن بأنها ستُعرِض عنها فلا تشتغل بها، فقالت ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾ مؤكدة هذا الخبر والدعاء بإظهار الرضى بما قدّر الله تعالى لها، ولذلك انتقلت إلى الدعاء لها تعبيراً عن الرضى والمحبة.

السؤال الثاني:

ما فائدة قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ وهو معلوم من غير ذِكرٍ ؟

الجواب:

١ـ المعنى أنه ليس الذكرُ الذي طلبتْ كالأنثى التي وُهبت لها من الله سبحانه .

٢ـ وفائدته: اعتذارها عما قالت ظناً، فإنها ظنت أنّ ما في بطنها ذكر، ولهذا نذرت أنْ تجعله خادماً لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النذر في الذكور خاصة.

فلما وضعت أنثى استحيت، حيث خاب ظنها ولم يُتقبّل نذرها، فقالت ذلك معتذرة: أي أنّ الأنثى ليست بصالحة لما يصلح له الذكر في خدمة المسجد، لا أنها أرادت أنّ الأنثى ليست كالذكر صورة أو قوة أو نحو ذلك .

فلما قالت ذلك معتذرة خجلة مَنّ اللهُ عليها بتخصيص مريم بقبولها في النذر دون غيرها من الإناث، فقال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [آل عمران:٣٧] وكانت كفالة زكريا لها باختيار الله تعالى .

السؤال الثالث:

أكد بـ (إنّ) في آيات [غافر٢٧ـ والدخان ٢٠ـ وهود ٤٧ـ ومريم ١٨ـ وآل عمران ٣٦] ولم يؤكد بـ (إنّ) في آيات [البقرة ٦٧ـ والمؤمنون ٩٧ـ والمعوذتين] فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الاستعاذة تكون على قدر ما يحذره المستعيذ ويخافه، وكلما زاد الحذر زاد التأكيد بالاستعاذة، فيقول: إني أعوذ، وإلا قال: أعوذ.

٢ـ في آية غافر ٢٧: أكّد بـ (إنّ)؛ لأنّ فرعون هدده بالقتل ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٢٦].

٣ـ في آية الدخان ٢٠: ألمح أنهم هددوه بالرجم وكان المُخوِّف متسلطاً عاتياً ، فلجأ إلى ربه لجوء المستضعفين مؤكداً ذلك بـ (إنّ).

٤ـ وأما آية هود ٤٧ فهي على لسان سيدنا نوح عليه السلام، وكان ذلك تعقيباً على قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود:٤٦] فلما وعظه بـ (إني أعظك) المؤكدة استعاذ به بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ [هود:٤٧] المؤكدة.

٥ـ وكذلك ما ورد على لسان مريم عليها السلام في آية مريم ١٨، فقد احتجبت عن قومها لتغتسل، وإذا ببشر أمامها ففزعت وخشيت على نفسها من أن يعتدي عليها، فلاذت بربها وعاذت، فأكدت ذلك بـ (إنّ) بقولها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ [مريم:١٨] .

ثم انظر كيف أنها استعاذت بـ (الرحمن) دون غيره من أسماء الله الحسنى، فطلبت من الرحمن أن يرحمها ويحميها، وفي ذلك أيضاً استثارة لعاطفة الرحمة في قلب الشخص الواقف أمامها إنْ كان تقياً.

إضافة إلى أنّ جو سورة مريم تشع فيه الرحمة من أول السورة إلى آخرها .

٦ـ وأما ما ورد على لسان امرأة عمران في الآية "٣٦"، فالأمر يحتاج إلى توكيد الاستعاذة، فإنها كانت قد نذرت أن يكون ما في بطنها خالصاً لله خادماً للكنيسة ، راجية أنْ يكون ذكراً فوضعت أنثى، ومن الصعوبة ومن غير المألوف أن تقوم أنثى بما يقوم به الرجال من خدمة دور العبادة، فقد تكون وحيدة، فخشيت عليها أمها ما تخشاه الأمهات على بناتهن من وساوس الشيطان وبقائها وحيدة بين الرجال، فاستعاذت لها مؤكدة فقالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] .

٧ـ أمّا ما لم يكن على هذا النحو من مواطن الخوف والحذر فلا يؤكد، كما في آية سورة البقرة ٦٧، فليس فيها موطن تهديد ولا تخويف فلم يؤكد بإنّ .

ومثل ذلك في آية المؤمنون ٩٧، وما ورد أيضاً في المعوذتين فلا يحتاج إلى تأكيد.

٨ ـ ونظير ذلك التوكيد وعدمه قوله تعالى:

ـ ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص:١٦] على لسان موسى عليه السلام، فأكد بإنّ.

ـ ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل:٤٤] على لسان ملكة سبأ، فأكدت بإنّ.

بينما جاء على لسان آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] بدون تأكيد بإنّ.

والسبب ـ والله أعلم ـ أنّ موسى عليه السلام قال ذلك بعد قتل القبطي، والقتل معصية كبيرة متعلقة بالعباد، وهي أكبر من معصية آدم فأكد الظلم بإنّ .

وطلب موسى عليه السلام المغفرة؛ لأنّ معصيته تمحى بالتوبة والاستغفار؛ لأنه ليس من القتل العمد، وإنما القتل الخطأ.

وأما ظلم ملكة سبأ لنفسها فهو أكبر من ذلك كله، فإنها كانت تعبد الشمس فأكدت الظلم بإنّ، وتابت وأسلمت، ولم تقل: فاغفر لي، فالإسلام يجبُّ ما قبله.

ولذلك يتضح أنّ التأكيد بإنّ يكون على قدر المعصية، كما أنّ التأكيد بها هو على قدر ما تقتضيه الاستعاذة . والله أعلم.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في مريم عليها السلام: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ والمفروض أن يقال: (إنباتاً)، فما اللمسة البيانية في ذلك؟

الجواب:

١ـ أحياناً نأتي بالفعل ونأتي بمصدر فعل آخر، كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧] فلم يقل (إنباتاً)، لكن هذا يكون لغرض.

٢ـ إذا كان الفعلان بمعنى واحد، أو حتى إذا لم يكونا بمعنى واحد فيكون لغرض آخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨] والمفروض (تبتُّلاً)؛ لأنّ (تبتيل) مصدر (بتّل)، و(بتّل) غير (تبتّل)، والمعنى مختلف.

وعندما يريد أنْ يجمع المعنيين يأتي بالفعل للدلالة الأولى، ويأتي بالمصدر من فعل آخر مشتق من الفعل الأول للوصول إلى دلالة أخرى، فيجمع بينهما حتى يجمع المعنيين.

فبدل أن يقول: (وتبتل إليه تبتُّلاً) و(بتِّل نفسك إليه تبتيلاً) يقول: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨] فيجمع المعنيين، وهذا من أعجب الإيجاز.

٣ـ في آية آل عمران ٣٧ قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران:٣٧] لم يقل: (إنباتاً)؛ لأنه لو قال إنباتاً، أي: هو الله تعالى أنبتها، فالمنبِت هو الله تعالى للجميع فلم يجعل لها فضلاً، لكن (أنبتها فنبتت نباتاً حسناً)، جعل لها من معدنها الكريم قبول هذا النبات فهوأنبتها، فنبتت نباتاً حسناً أي: طاوعت هذا الإنبات فجعل لها قبولاً، أي: جعل لها فضلاً في معدنها الكريم . بينما لو قال: (إنباتاً) لم يجعل لها فضلاً، ورب العالمين أنبتها؛ لأنه يفعل ما يشاء، لكن (نباتاً) جعل لها فضلاً، هي نبتت وجعل لها فضلاً فنبتت نباتاً حسناً، أي: جعل لها في معدنها قبولاً لهذا النبات فنبتت نباتاً حسناً.

٤ـ انظر كيف شبّه الله تعالى إنشاءه مريم بإنبات النبات الغضّ على طريق من الاستعارة، زيادةً في لُطفِ الله تعالى بمريم والعناية بها، وأضف إلى ذلك أنه أورد (أنبت) بالتعدية وجعل من ذاته فاعلاً لفعل الإنبات، وما ذلك إلا تشريف وتعظيم لقدرها الشريف.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧] ؟

الجواب:

حين يحين حلول نفس كلّ واحد من بني آدم في جسده المادي، أي: حين دخول نفسه وروحه عالم المادة والمكان والزمان، فإنّ هذا الجسد ينبت وينمو على مجموعة عناصر

مادية كلها من الأرض، فالإنبات الحسن لجسد مريم عليها السلام كان بسبب الرزق الطاهر الحلال الذي كان يأتيها من عند الله تعالى.

وكذلك الصورة القرآنية في آية نوح عليه السلام ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح:١٧] يُقصد بها تغذية أجساد جميع البشر على مواد جميعها من الأرض، لذلك جاءت كلمة (أنبت) و(نباتاً) متناسبة مع تغذية الجسد من مواد الأرض. والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في تقديم شبه الجملة ﴿عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ في الآية ؟

الجواب:

قاعدة نحوية: يقول سيبويه في التقديم والتأخير: يقدمون الذي هو أهمُّ لهم وهم أعنَى به.

والتقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات، فقد يتقدم المفضول، وقد يتقدم الفاضل.

والكلام في الآية في سورة آل عمران والآيات التي سبقتها في مريم عليها السلام وليس في زكريا ولا في المحراب، لذا قدّم عليها؛ لأنّ الكلام كله عن مريم عليها السلام.

السؤال الرابع:

ما سر الاختلاف في استعمال ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بالتضعيف في آية آل عمران ٣٧ و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ باهمزة في آية ص ٢٣ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣﴾ ؟

الجواب:

١ـ الكافل هو الذي يتولى التربية والرعاية والتوجيه، وهذا الكافل قد كفل هذا المولود أو الإنسان.

٢ـ في آية آل عمران: عندما يُضعّف الفعل ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ (كفّلت) مثل (علّمت) فيه معنى التكثير والمبالغة والتدرج. وأمّا (أُكفل) شيئاً فمعناه: اندرج في تربيته واندرج في أمره. وقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ جعله يكفلها مع التشدد مع أنه يتدرج في كفالتها.

٣ـ في سورة ص قال: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص:٢٣] يعني أعطني هذه النعجة، أي: اجعلها مع نعاجي، أي: أكفلني إياها أي مجرد إيصال الكفالة.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

لقد سبق الجواب استفهام عن المكان ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: من أين لك هذا؟ فكان الجواب من جنس الاستفهام بإيراد ما يدل على المكان ﴿عِندِ﴾ لكنْ كان يجزئها أن تقول: (من الله) ويفهم السامع المقصود، لكنْ جاءت الآية بالضمير ﴿هُوَ﴾ لدلالة التعظيم والتفخيم لرزق الله تعالى، وجاءت بلفظ ﴿عِندِ﴾ لتدل على نسبة الرزق إلى الله تعالى.

السؤال السادس:

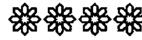
ما الفرق بين الكفالة والضمان ؟

الجواب:

١ـ الكفالة تكون بالنفس، والضمان يكون بالمال، تقول: ضمنت الأرض إذا التزمت أداء الأجر، ولا تقول: كفلت الأرض؛ لأنّ عينها لا تغيب فيُحتاج إلى إحضارها.

وتقول: كفلت الغلام إذا ضممته إليك لتعوله وتحفظه، ولا تقول: ضَمنته لأنك إذا طولبت به لزمك تسليمه ولا يلزمك تسليم شيء عنه، وفي القرآن: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ولم يقل: وضمنها .

٢ـ الدليل على أن الضمان يكون للمال: أنّ الإنسان يجوز أن يضمن من لا يعرفه فيتحمل المال عنه إذا لم يؤده، ولا يجوز أن يكفل من لا يعرفه؛ لأنه لا يتمكن من تسليمه عند الطلب، بينما يصح أن تؤدي عنه وإن لم نعرفه .



﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا أخّر زكريا الدعاء إلى هذا الوقتِ وفي هذا المقامِ، أي: في وقت رؤيته لأمر خارق في رزق مريم؟

الجواب:

تأمل وانظر إلى الآية السابقة كيف نبّهته إلى الدعاء عند مشاهدة خوارق العادة مع قول مريم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ،فلذلك عمد إليه بطلب الولد في غير أوانه ،وهو ما يتناسب مع عطاء الله تعالى لمريم في غير أوانه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ ما معنى الظرف (لدن) ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول من آية البقرة ٨.



﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة أن تأتي البشرى بالفاء ﴿ فَنَادَتْهُ ﴾ في هذه الآية مترافقة مع صيغة النداء؟

الجواب:

انظر إلى الأسلوب الذي جاءت به البشرى لزكريا ، وكيف بدأت الآية بالفاء العاطِفة إيذاناً بسرعة الإجابة لدعاء زكريا، ثم عبّر عن البشرى بالنداء وكأنه نداء من بعيد تعبيراً عن فرح الملائكة العظيم باستجابة الله تعالى لدعاء زكريا.

السؤال الثاني:

ما سبب التذكير مرة كما في آية ص ٧٣، والتأنيث مرة مع (الملائكة) كما في آية آل عمران ٣٩ في القرآن الكريم؟

الجواب:

آـ قال تعالى في سورة ص ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [ص:٧٣] بالتذكير، وفي سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ جاءت الملائكة بالتأنيث.

ب ـ الحكم النحوي: يمكن أن يؤنّث الفعل أو يُذكّر إذا كان الجمع جمع تكسير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات:١٤] و ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] فيجوز التذكير والتأنيث من حيث الحكم النحوي.

ج ـ اللمسة البيانية: أمّا لماذا اختار الله تعالى التأنيث في موطن والتذكير في موطن آخر؛ فهو لأنّ هناك في الآيات خطوطاً تعبيرية هي التي تحدد تأنيث الفعل وتذكيره مع الملائكة، وهذه الخطوط هي:

١. في القرآن الكريم كله، كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ [البقرة:٣٤]، ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ [البقرة:٣١]، ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحِجر:٢٩].

٢. كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣﴾ [الرعد:٢٣] و ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ [النساء:١٦٦] ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورى:٥] .

٣. كل وصف اسمي للملائكة يأتي بالتذكير ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ [النساء:١٧٢] ﴿مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [آل عمران:١٢٥]، ﴿مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال:٩]، ﴿مُنزَلِينَ ۝١٢٤﴾ [آل عمران:١٢٤].

٤. كل فعل عبادة يأتي بالتذكير ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٣٠﴾ [الحجر:٣٠] ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ﴾ [التحريم:٦] لأنّ المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى؛ ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.

٥. كل أمر فيه شِدّة وقوة ، حتى لو كان هناك عذابان أحدهما أشدّ من الآخر فالأشدّ يأتي بالتذكير.

❊ شواهد قرآنية:

آ ـ في آية الأنفال ٥٠ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال:٥٠] ولفظة ﴿يَتَوَفَّى﴾ [الأنفال:٥٠] جاءت بالتذكير؛ لأنّ العذاب أشد ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال:٥٠] .

أما في قوله تعالى في سورة محمد ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧﴾ [محمد:٢٧] ﴿تَوَفَّتۡهُمُ﴾ جاءت بالتأنيث؛ لأن العذاب أخفّ من الآية السابقة.

ب ـ وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان:٢٥] بالتذكير، وقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فُصِّلَت:٣٠] بالتأنيث وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر:٤] بالتأنيث.

٦- لم تأت بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم، فكل بشارة في القرآن الكريم تأتي بصيغة التأنيث، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران:٣٩] و ﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران:٤٢] .



﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (ولد) و(غلام) واستخدام الفعل (يفعل) و (يخلق) في قصتي زكريا وعيسى في سورتي آل عمران ومريم؟

الجواب:

في البدء نشير إلى أنّ دراسة هذا المبحث هي في السور والآيات التالية:

سورة آل عمران:

ـ الآيات (٣٩ـ٤٠) قصة زكريا عليه السلام.

ـ الآيات (٤٥ـ٤٧) قصة عيسى عليه السلام.

سورة مريـــم:

الآيات (٧ـ٩) قصة زكريا عليه السلام.

الآيات (١٩ـ٢٠) قصة عيسى عليه السلام.

١ـ (الولد) يطلق على الذكر والأنثى وعلى المفرد والجمع .

٢ـ من المؤكد أنّ الفعل (يفعل) أيسر من الخلق، والإيجاد من أبوين أيسر من الإيجاد من أم بلا أب، لذلك استخدم القرآن الفعل الأصعب ﴿يَخْلُقُ﴾ [آل عمران:٤٧] مع قصة عيسى عليه السلام ، والفعل الأيسر مع قصة زكريا عليه السلام ، مع أنّ كلا الأمرين سواء ، وهو كله هين على الله تعالى .

٣ـ في بشارة الملائكة لزكريا في الآية ٣٩، جاءت بيحيى ويحيى (غلام) فكان الجواب في الآية ٤٠ باستخدام كلمة (غلام) .

٤ـ أمّا لمّا بشر الله تعالى مريم عن طريق الملائكة بعيسى جاء بـ ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران:٤٥] و(الكلمة) أعم من (الغلام)، وقد جاء في الآية ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران:٤٧] ؛ لذا جاء الرد بكلمة (ولد)، والولد يطلق على الذكر والأنثى وعلى المفرد والجمع ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف:٣٩] فناسب ذلك، انظر آيات سورة آل عمران (٤٥ـ٤٧).

٥ـ في آيات سورة مريم (١٩ـ٢٠) جاء التبشير باستخدام كلمة (غلام)، فجاء رد مريم باستخدام نفس الكلمة؛ لأن المَلَكَ أخبرها أنه يبشرها بـ (غلام).

٦ـ في آيات سورة مريم (٧ـ٩) جاء التبشير والرد بكلمة (غلام).

٧ـ قد يقول بعض المستشرقين: إنّ هذا يدل على تناقض في القرآن، فنقول: إنّ البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

السؤال الثاني:

كيف نادت الملائكة زكريا عليه السلام وهو قائم يصلي في المحراب، وأجابها وهو في الصلاة ؟

الجواب:

المراد بقوله: يصلي، أي (يدعو).

السؤال الثالث:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى الذي كان وجوده بكلمة من الله تعالى، وهي (كن) من غير واسطة أب في الوجود، وكان تصديق يحيى بعيسى أسبق من تصديق كل أحد، سواء في الوجود أو الرتبة.

٢ـ وكلمة ﴿مُصَدِّقًا﴾ فيها دليل على أنه سيعيش بمنهج الله، وهو كما قال الله عنه: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: ممنوعاً عن كل ما حُرم عليه أو ممنوعاً عن قمة الغرائز وهي الشهوة، وهو نبي قدوة، أي: من صغره سيحصر نفسه عن ارتكاب الشهوات، واستعملت صيغة (فعول) في قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾ للدلالة على التكثير والمبالغة، مثل: غافر وغفور.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي: النبيل الكريم الوجيه في قومه .

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

الجواب:

لقد دعا زكريا عليه السلام وقام ليصلي وتلقى البشارة بيحيى، وهنا ارتجت الأمور على بشرية زكريا كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾

إنه أدب النبوة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ ولم يقل: بلغت الكبر، بل قال: إنّ الكبر هو الذي جاءني، وقال: ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ وهو تضخيم لطلاقة القدرة عند من يستمع للقصة، لكنْ بعد ذلك يأتي الكلام الفصل بطلاقة القدرة الإلهية ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ .

السؤال الخامس:

ما الفرق بين العقيم والعاقر؟

الجواب:

تشترك الكلمتان (عَقمَ) و (عَقرَ) في الحرفين الأولين (العين والقاف) وتختلفان في الحرف الثالث (الميم أو الراء) وكلا الفعلين يدلان على امتناع الحمل أو الإنجاب، لكن انظر إلى لغة العرب:

١ـ العقر: كيف ننطق الراء؟ الفم مفتوح والراء يتكرر، ويقال: لقحت الناقة عن عُقر، يعني ناقة مضى عليها زمن لم تحمل ثم حملت، قالوا هذه عاقر. إذن العقر قد يعقبه حمل، و(عقر) بالراء، والراء أهون من الميم، وليس فيها غلق .

٢ـ العقم: كيف ننطق الميم؟ الميم: الفم مقفل ومجرى النطق الطبيعي أُغلق ، ويخرج الصوت من الأنف غنّة من الأنف.

والعُقم هو الداء الذي لا يُبرأ منه، وكلمة العقم لا نتيجة من ورائه، يقال: رحمٌ معقومة، أي: مسدودة لا تنفتح ولا تلد، ويقال: ريح عقيم لا تلقح سحاباً ولا شجراً ، ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده، لذلك فالعقر يعالج، أما العقم فليس فيه مجال في الإنجاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران:٤٠] لمّا قال: (عاقر)، معناه يمكن أن تحمل. ولمّا دعا الله كان يتوقع أن يستجيب الله تعالى له ، لكنْ مع ذلك لمّا فوجيء بالبشارة صار متعجباً فقال: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم:٥] والعاقر يمكن أن تحمل.

السؤال السادس:

ما المراد في الاستفهام في الآية ؟

الجواب:

المعنى المراد: كيف يكون لي غلام؟ وجاءت الآية من باب التعجب وليس من باب الشك في صدق الوعد، لكنّ الآية لم تستفهم بـ(كيف) الحالية، وإنما استخدمت (أنّى)،

فهل يمكنك أنْ تستخلص معنى المكان الذي وضعت (أنّى) له؟ إنهما مكانان وليس مكاناً واحداً، وهما الكِبر وعدم الإنجاب ويتعذر في هذين المكانين الحمل والولادة.



﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق التعبيري والبياني بين قصة (زكريا) عليه السلام في سورتي (مريم وآل عمران)، ولماذا جاء في إحداهما (ثلاث ليال) وفي الأخرى (ثلاثة أيام)؟

الجواب:

أولاً ـ الفرق التعبيري والبياني بين القصتين:

آ ـ استعراض الآيات:

آيات سورة آل عمران (٣٨ـ٤١):

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٣٨-٣٩-٤٠-٤١]

آيات سورة مريم (٢ـ١١):

قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم:٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١].

ب ـ جدول المقابلة بين النصين:

لو نظرنا في سياق الآيات في كل من الموضعين لوجدنا أنّ المقابلة لم تختص بهذا الموطن فقط، وإنما هي ظاهرةٌ أيضاً في مواطن أخرى من النصين، وكأنهما لوحتان فنيتان متقابلتان، وإليك طرفاً من هذا التقابل:

رقم الفرق	سورة آل عمران	سورة مريم
١	﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [آل عمران:٤١]	﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ [مريم:١٠]
٢	﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ﴾ [آل عمران:٤٠]	﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾ [مريم:٨]
٣	﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران:٤٠]	﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم:٨]

٤	﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران:٤١]	﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم:١١]
٥	﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران:٤١]	﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم:١١]
٦	﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران:٤١]	—

ج ـ بيان الفروقات في الجدول:

الفرق رقم ٢:

آـ قدم مانعَ الذرية من جهة نفسه في آل عمران وهو الكبر، على مانع زوجه وهو العُقر ، في حين قدم المانع من جهة زوجه في مريم.

ب ـ وذكر في آل عمران أنّ الكبر أدركه وبلغه، فالكبر فاعل كأنه يجري خلفه حتى أدركه وبلغه، في حين ذكر في مريم أنه هو الذي بلغ الكبر فهو فاعل .

وكذلك ذكر في آل عمران أنّ امرأته عاقر، بينما ذكر في مريم أنّ امرأته كانت عاقراً بزيادة لفظ: ﴿وَكَانَتِ﴾ [مريم:٨]

ج ـ ومعنى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم:٨] معناه: كانت عاقراً ابتداء .

ومعنى: ﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ [آل عمران:٤٠] فيها احتمالان: كانت عاقراً سابقاً، أو الآن عاقر وليس قبل.

- الفرقان رقم ٤ و ٥:

قدّم العشي على الإبكار في آل عمران وعرّفهما ، وقدم البكرة على العشي في مريم ونكّرهما.

- الفرق رقم ٦:

في آل عمران طلب من زكريا الذكر والتسبيح ، وفي مريم طلب زكريا من قومه أن يُسبحوا، ولم يذكر أنه طُلِبَ منه ذاك .

ثانياً: لماذا جاء في إحداهما(ثلاث ليال) وفي الأخرى (ثلاثة أيام)؟

إنّ اختيارَ الليلِ في مريم يقتضيه سياقُ القِصَّةِ وجَوُّها، وكذلك اختيارُ اليومِ في آل عمران؛ وذلك للأمور التالية:

آـ قوله تعالى في مريم: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣] حسّن ذكرَ اللَّيلِ، فإنّ خفاء النداء يشبه الخفاء في الليل، وإنّ الليل يخفي ما فيه بخلاف النهار، فإنه يفيد الظهور.

وممّا حسّن ذلك أيضا ذكرُ شيخوخته وضعفه، وهما أشبه شيء بالليل وما فيه من سُبات وسُكون وقلة حركة، وإذا كان لنا أنْ نقابل بين الإنسان والزمان، فإنّ الشباب أشبه شيء بالنهار وما فيه من حركةٍ، وإنّ الشيخوخة والضعف أشبه شيء بالليل وما فيه من سكون، لذلك ذكر شيخوخته ووهن عظمه مع الليل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤] ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم:٨] والعِتِيُّ المبالغة

في الكبر ويبس العُود، ولم يذكر مع الأيام إلا قوله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران:٤٠]، فلما ذكره في مريم أنسب مع ذكر الليل .

ب ـ ثم إنه أشار في مريم إلى طلبه وريثاً يرثه من بعده ويرث من آل يعقوب، والموت ليلٌ طويل وسباتٌ ممتد وفي الأثر: «**النوم أخو الموت**» قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠] .

وهذا أقرب إلى الليل وذكره، وألصق به من ذكر النهار، ولم يذكر مثل ذلك في آل عمران .

ج ـ البشارة بيحيى في آل عمران أكملُ وأعظمُ مما في مريم؛ وذلك أنه:

قال في آل عمران: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فوصفه ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مصدقاً بعيسى ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وهو الحاصر نفسه عن الشهوات وعن المعاصي ونبياً من الصالحين؛ لأنه كان من أصلاب الأنبياء.

في حين لم يقل في مريم إلا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٧] ولعظم البشارة وكمالها اقتضى ذلك عِظَمَ الشكر وكماله:

١ ـ قال في آل عمران: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [آل عمران:٤١] وقال في مريم: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ [مريم:١٠] واليوم أبين من الليل في ظهور هذه الآية، ذلك أنّ الليل يَمضي كثيرٌ منه في النوم، فزكريا عليه السلام لا بدّ أن ينام

والناس أيضا ينامون، فالتسبيح والعبادة في الليل أقل منه في النهار، ومخاطبة الناس ومخالطتهم فيه أقل، فالآية في اليوم أطول وأظهر .

٢ـ أنه في آل عمران طُلب من زكريا عليه السلام أنْ يذكر ربه ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ في حين طلب زكريا من قومه في سورة مريم أنْ يسبحوا، ولم يذكر أنه طلب منه التسبيح، وتسبيحه هو أدل على شكره .

٣ـ أنه طُلب منه أن يذكر ربه كثيراً ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ وهذا شكر مناسب لعظم البشارة.

٤ـ أنه طُلب منه الجمعُ بين الذكر الكثير والتسبيح ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ﴾ وهذا مناسب لعظم البشارة.

٥ـ لمّا قدّم في آل عمران المانع من جهة نفسه وهو الكبر على المانع من جهة زوجه، وهو العقر فقال: ﴿وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾ ناسب أمره أنْ يقوم هو بالذكر والتسبيح ، ولمّا قدّم في مريم المانع من جهة غيره ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم:٥] أي: أنّ هذا وصفها منذ شبابها، فالعقر وصف مستحكمٌ فيها وليس عارضاً، والولادة في مثل هذا أبعَدُ وأعجَبُ، فناسب ذكر غيره بالتسبيحِ وهم قومه .

٦ـ لمّا ذكر الليل في آية مريم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ﴾ [مريم:١٠] ناسب ذلك تقديم البكرة على العشي؛ لأنه بعد الليل تأتي البكرة ، فأراد ألا يذهب من الوقت شيء في غير الطاعة

والتسبيح، فقال: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم:١١] ،ولو عكسها لكانت البكرة الأولى مضت من دون تسبيح .

ولمّا ذكر اليوم في آل عمران ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ كان تقديم العشي أولى، ولو قدّم البكرة لذهب عشي اليوم الأول من دون ذكر وتسبيح .

٧ـ إنّ البشارة في آل عمرانَ حصلت وهو قائمٌ يصلّي في المحرابِ في حين لم يذكر ذلك في مريم، بل علمنا من فحوى الكلام أنّ البشارة كانت وهو في المحرابِ بدليل قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريم:١١]، ولا يقتضي كونه في المحراب أنه كان يصلي، فذكر في آل عمران الحالة الأكمل التي كان عليها سيدنا زكريا، وهو المناسب لعظم البشارة وكمالها .

٨ـ أنّ البكرة والعشي نكرتان في مريم معرفتان في آل عمران، ويذكر المفسرون أن (أل) تفيد العموم، وقد ورد نحو ذلك في عدة آيات منها:

ـ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص:١٨].

ـ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨]، وهذا يدل على العموم والاستمرار. وعلى تطاول مدة الذكر والتسبيح، وهو مناسب أيضا لعظم البشارة .

بينما النكرة ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم:١١] تفيد يوماً محدداً، تقول سافرت صباحاً أي: اليوم بالتحديد صباحاً، لكن عندما تقول: أسافر في الصباح: فهذا يدل على العموم والاستمرار.

٩ـ قوله تعالى: ﴿ءَايَةٗۚ﴾ [مريم:١٠] أي: علامة، وطلبها زكريا عليه السلام للأمور التالية:

آ ـ للاطمئنان، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة:٢٦٠] .

ب ـ استعجال السرور.

ج ـ طلب العلامة ليتلقى الأمر ويبدأ بالشكر كي يسبق به قبل قدوم الغلام.

والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما الحكمة في طلب زكريا عليه السلام أن يجعل الله تعالى له آية ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ [آل عمران:٤١] ؟

الجواب:

١ـ قد يكون للاطمئنان كما قال سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة:٢٦٠]، فهناك احتمال كبير أنها لاطمئنان القلب، والآية تعني: علامة، وتدل على هذا الأمر ليطمئن قلبي وتثبت قلبي، وليس فيها شيء أنْ يطلب زكريا الاطمئنان كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام .

٢ـ أنْ يتلقى النعمة بالشكر قبل حصول الآية، فيبدأ بشكر هذه النعمة التي سينعم بها الله سبحانه وتعالى على زكريا بأنْ يهب له غلاماً ، وما أراد أن ينتظر إلى حين مجيء الغلام، وإنما أراد أن يسبق هذا بالشكر عند ظهور الآية بمجيء الغلام فيبدأ بشكر الله سبحانه وتعالى ولا يؤخره، فهذه علامة الحصول فيبدأ بالشكر ولا يؤخره إلى حين مجيء الآية، واستعجال السرور أيضاً يريد أنْ يرى التأييد مباشرة حتى تدخل السرور على قلبه.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ في الآية ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ ؟

الجواب:

كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ تحتمل المصدر، أي: ذكراً كثيراً، وتحتمل أنْ يراد بها الزمن الكثير، والتعبير جمع المعنيين في آن واحد .

السؤال الرابع:

ما التسبيح؟ وما فرقه عن الذكر كما في آية طه ٣٣ـ٣٤ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه:٣٣-٣٤] ؟

الجواب:

١ـ التسبيح هو تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به، ويحتمل أنْ يكون باللسان وأن يكون بالقلب .

٢ـ وأمّا الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء، ولا شك أنّ النفي مقدم على الإثبات.

٣ـ الذكر أعم من التسبيح، والتسبيح أخص .

٤ـ (سبحان): هو اسم مصدر، واسم المصدر يكون خالياً من بعض حروف الفعل الأصلي دون تعويض .

* أمثلة لغوية:

آـ سبح تسبيحاً، ومنه (سبحان) ، فقد نقصت باء عن الباء المشددة في الفعل: (سبّح).

ب ـ أعطى إعطاء، ومنه (عطاء)، فقد نقصت الهمزة من الفعل: (أعطى).

ج ـ سلّم تسليماً، ومنه: سلام، فقد نقصت لام من اللام المشددة في الفعل (سلّم).

٥ـ الأفعال: [سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون] تدل كلها على الزمن وعلى الفاعل.

أما (سبحان) فليست مرتبطة بفعل أو زمن، فقد كان التسبيح قبل الخلق، وكان بعده وقبل من يسبح وبعد من يسبح.



﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى الاصطفاء في الآية ؟ ولماذا كرره في نفس الآية وجاء الاصطفاء الثاني مع كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ دون الاصطفاء الأول ؟

الجواب:

١ـ الاصطفاء: هو الاختيار، وهو مأخوذ من الصفو أو الصافي .

٢ـ هناك في الآية اصطفاءان:

آ ـ الاصطفاء الأول: كان مجرداً من كلمة (على)، وهو إبلاغ جبريل عليه السلام لمريم أنّ الله ميّزها بالإيمان والصلاح والخُلُق الطيب، فدخلت في دائرة المُصطفَين الأخيار، لكنّ هذا الاصطفاء لا يمنع أن يوجد معها في مجال الاصطفاء آخرون، بدليل قول الله في الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران:٣٣] .

ب ـ الاصطفاء الثاني: وأتبعه بـ (على) فهذا خروج للرجال عن دائرة الاصطفاء، فهي مصطفاة على نساء العالمين، فكأنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها هذا الاصطفاء.

السؤال الثاني:

ما الذي تمتاز به (مريم) عليها السلام عن نساء العالمين ؟

الجواب:

١ـ أنها ستلد دون ذكر ، وهذه مسألة لن يشاركها فيها أحد .

٢ـ لنضم هذه إلى قولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ وهذه كلها إيناسات للحدث الذي سيأتي من بعد ذلك، وهو حدث يتعلق بعرضها وعفافها .

ولما لاحظ العابد الذي كان يعيش معها في مجتمعها (يوسف النجار) على مريم علامات الحمل، وهو يعلم من هي مريم، وأنها لم تفارق المحراب طوال حياتها، ولم يردْ

على ذهنه أي تفكير بسوء ، لكنه أراد أن يستفهم عما يراه بأدب ، فسألها: يا مريم أتوجد شجرة بدون بذرة ؟

فردت وقد لقنها الحق سبحانه: نعم ، الشجرة التي أنبتت أول بذرة .

وكأنّ ما تقدم من حيثيات الاصطفاء الأول والاصطفاء الثاني سيتحقق منه القنوت؛ أي العبادة الخالصة الخاشعة، فقال: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:٤٣].

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة (العالمين) في الآية ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣١ .



﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ولم يقل: الراكعات، مع أنّ الكلام لمريم عليها السلام ؟

الجواب:

الركوع ليس خاصاً بالمرأة حتى يقول: (مع الراكعات)، ولكنه أمر عام يشمل الرجل والمرأة .

والعرب في الأمور العامة تغلب الذكور، وقيل: المراد بالصلاة في الجماعة في بيت المقدس مع المجاورين له من الذكور دون أن تختلط بهم .

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم السجود على الركوع في الخطاب لمريم؟

الجواب:

١ـ الأحكام تُذكر عموماً للإناث والذكور إلا إذا كان الحكم خاصاً بالنساء، مثل قوله تعالى مخاطباً مريم في سورة آل عمران: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران:٤٣] وفي تأخير الركوع هنا دلالة مع أنه يأتي قبل السجود في الصلاة، لأنه تعالى جاء بالكثرة قبل القِلّة؛ لأنّه يوجد في كل ركعة سجدتان وركوع واحد، لذا قدّم السجود على الركوع في الآية.

٢ـ وفي الأحكام: على المرأة الاقتداء بالرجال مع التخفّي.

٣ـ قدّم السجود ، لمعنى أنه الصلاة وأنّ القنوت هو الخضوع والخشوع . فكان التسلسل: الخضوع ثم الصلاة ثم الركوع ، وقد يكون سجودهم مقدماً في دينهم على الركوع .

٤ـ الواو تفيد الاشتراك ولا تفيد الترتيب .

٥ـ أنّ غاية قرب العبد من الله أنْ يكون ساجداً كما جاء في الحديث الشريف «**أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد**»؛ لذلك قدّمه على الركوع.

٦ـ الصلاة تسمى سجوداً كقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق:٤٠]

فيكون المعنى: صلي .

فقوله تعالى: ﴿ٱقۡنُتِي﴾ أي: قومي للعبادة وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ أمر بالصلاة في حال الانفراد، وقوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ أمر بالصلاة في الجماعة.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

لماذا في آية آل عمران كان التدرج من الكثرة إلى القلة؟ ولماذا كان التدرج في آية أخرى من القلة إلى الكثرة كما في آية الحج ٧٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ ؟

الجواب:

١ـ في هذه الآية قال: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ والراكعون مذكّر، وصلاة المرأة في بيتها أكثر، لأنه لّما قال: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ أي: مع (الرجال في المساجد) وصلاتها مفضولة، ولو صلّت في بيتها لكان أفضل، لذلك لّما قال: (مع الراكعين) أخّرها وقدّم ما هو أفضل.

٢ـ والرسول ﷺ وجّه بأنْ لا تمنعوا النساء مساجد الله، لكن صلاتها في البيت أفضل.

وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] فبدأ من القلة إلى الكثرة، وهذا بحسب ما يقتضيه السياق.

السؤال الرابع:

وردت كلمة ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ لمريم مرة واحدة في القرآن، فهل تكررت مع غيرها؟

الجواب:

لم تتكرر مع غير مريم عليها السلام ؛ وهناك كلمات عديدة لم تتكرر في القرآن مثل: [الصمد، والنفاثات، والفلق، وغاسق، ووقب، وضيزى]، ولو اقتضى الأمر لكررها.

السؤال الخامس:

ما دلالة جمع المذكر ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

إنّ المخاطَب بهذا الأمر هو مريم ، وكان حريّاً أنْ تخاطبها الملائكة بقولهم: واركعي مع الراكعات، ولا يخفى أنّ في ذلك إشارة واضحة إلى فضل السيدة مريم عليها السلام بالإذن لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء بني إسرائيل إظهاراً لمعنى ارتفاعها عن النساء، وهذا هو السر في مجيء ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ بصيغة المذكر لا المؤنث.

السؤال السادس:

ورد في آية البقرة ١٢٥ ذكر للطائفين والعاكفين والركع السجود، وورد ذلك أيضاً في آية آل عمران ٤٢ وآية الحج [٢٦ و ٧٧] وذكر فيها القائمين لكن مع التقديم والتأخير، فهل من توضيح لهذا الأمر ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الرابع من آية البقرة ١٢٥.

السؤال السابع:

ما الفرق بين الفعلين (قنت) و(قنط) ؟

الجواب:

١ـ (قنت) في اللغة تعني خشع، قال تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:٤٣] ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠].

٢ـ أما (قنط) فهي تعني يئس ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:٥٣].



﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما تقدم عن زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام ، وهو من أخبار الغيب فلا يمكنك أن تعلمه إلا بالوحي .

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿أَنۢبَآءِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الإنباء هو الإخبار عما غاب عنك ، وهو غير الإيحاء عن طريق الوحي أو عن طريق أمر خفي من إشارة أو غيرها.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ قيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، وكان القراع على أنّ كل من جرى قلمه على عكس جري الماء فالحق معه، فلمّا فعلوا ذلك صار قلم زكريا كذلك ، فسلموا الأمر له، وهذا قول الأكثرين.

وقيل: العصي بدل الأقلام ، وقيل: ما كانت تفعله الأمم من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها أسماءهم ، فمن خرج له السهم سُلِّمَ له الأمر، وهو شبيه بأمر الأقداح التي كانت تتقاسم بها العرب لحم الجزور.

السؤال الرابع:

هل في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حذف ؟ وما تقدير ذاك الحذف ؟

لجواب:

نعم في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حذف، والتقدير: يلقون أقلامهم لينظروا أيهم يكفل مريم، وإنما حسُن ذلك لكونه معلوماً .

السؤال الخامس:

ما سبب الاختصام في الآية ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ اختلفوا في أسباب المنازعة على أقوال:

آ ـ إنّ عمران أباها كان رئيساً لهم ، فلأجل حق أبيها رغبوا في كفالتها .

ب ـ إنّ أمها حررتها لعبادة الله تعالى ولخدمة بيت الله ، فلأجل ذلك حرصوا على التكفل بها.

ج ـ لأنّ بيان أمرها وأمر عيسى عليه السلام كان في الكتب الإلهية، فتقربوا لهذا السبب حتى اختصموا .

والمقصود من الآية بيان شدة رغبتهم في التكفل بشأنها . والله أعلم .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة، والمسيح مرة، وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب:

لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

١ـ المسيح: ويدخل فيها المسيح، المسيح عيسى بن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه)، واللقب في اللغة يأتي للمدح أو الذم .

٢ـ عيسى ويدخل فيها: عيسى بن مريم، وعيسى (اسمه).

٣ـ ابن مريم (كُنيته) .

الاستعمال القرآني:

١ـ المسيح ليس اسماً ولكنه لقب، وعيسى اسم أي: يسوع ، وابن مريم كنيته، واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم ، والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى)، وليس بلقبه ولا كُنيته.

٢ـ الاسم: (عيسى)، وحيث ورد المسيح في كل السور، سواء وحده أو (المسيح عيسى بن مريم) أو (المسيح بن مريم) لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً، ولم يرد (المسيح بن مريم) في التكليف، وإنما يأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران:٤٥].

ـ ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء:١٥٧].

ـ ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة:١٧].

٣ـ وكذلك الكنية (ابن مريم) لم تأت مطلقاً بالتكليف، قال تعالى:

ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٠]

ـ ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٥٧].

أما كلمة (عيسى) في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦] .

ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم:٣٤].

٤ـ مع التكليف أو الثناء يأتي بلفظ (عيسى)، وكلمة (عيسى) عامة، ولا نجد في القرآن كله (آتيناه البينات) إلا مع لفظ (عيسى)، ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح . قال تعالى:

ـ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٦٣] إذن مع التكليف أو الثناء يأتي بلفظ عيسى عليه السلام ، وكلمة (عيسى) عامة .

ـ ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة:١١٢]

٥ـ والنتيجة أنّ (المسيح) ليس اسماً ولكنه لقب، و(عيسى) اسم، أي: يسوع، و(ابن مريم) كنيته ، واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم، و(المسيح) معناها ﴿المبارك﴾، والتكليف جاء باسمه (عيسى)، وليس بلقبه ولا كُنيته.

السؤال الثاني:

من المقصود في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ؟

الجواب:

ظاهر قوله تعالى ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ يفيد الجمع، إلا أن المشهور أن ذلك المنادي كان جبريل عليه السلام.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ﴾ الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ﴾ لفظة (من) هنا ليست للتبعيض وإلا كان الله متجزءاً متبعضاً حسبما يتوهمه النصارى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما (من) ههنا لابتداء الغاية، وعيسى عليه السلام ليس له أب فصار تأثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر.

السؤال الرابع:

ما الصيغ المختلفة التي جاءت في القرآن مع عيسى عليه السلام ؟ ولماذا قدّم اللقب على الاسم في الآية ؟

الجواب:

(عيسى) هو الاسم، و(المسيح) كاللقب، و(ابن مريم) كنية، وقدّم اللقب على الاسم ليفيد علو درجته كالصدّيق والفاروق، ثم ذكره باسمه الخاص .

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ مع أنّ الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ فذكر الاسم واللقب والكنية (ابن مريم)، فكأنه قيل: الذي يعرف به هو مجموع هذه الثلاثة .

٢ـ قال تعالى: ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ مع أنّ الخطاب مع مريم، لكنّ الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فلمّا نسبه إلى الأم كان ذلك إعلاماً لها أنه محدث لغير أب لبين زيادة فضله وعلوِّ درجته .

٣ـ الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱسۡمُهُ﴾ عائد إلى المسمى، وليس للكلمة المؤنثة ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ﴾ .

السؤال السادس:

ما إعراب كلمة ﴿وَجِيهٗا﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَجِيهٗا﴾ حال منصوب .

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ مدح عظيم له، وفيه إشارة إلى أنه سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة . والله أعلم .

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ ما كلمات منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني في القرآن الكريم ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني:

١ـ الصوت:

هو أول شيء يخرج من فم الإنسان، وهو أقل من حرفين كالأنين والبكاء والعواء وغيره.

٢ـ اللفظ:

إذا كان الصوت مسموعاً ومؤلفاً من حرفين يُسمى لفظاً، نحو: من ـ عن ـ لن.

٣ـ النطق:

عندما يكون اللفظ مكوناً من كلمة فهو نطق. النمل ١٦ .

٤ـ الكلام:

هو لعدة كلمات، كما في آية آل عمران ٤٦ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾

٥ـ الحديث:

إذا كان الكلام طويلاً وله موضوع محدد يُسمى حديثاً[النساء ٧٨ـ الزمر ٢٣].

٦ـ القول:

إذا تخلل الحديث عبارات قوية تحمل نظرية أو قاعدة تلفت الانتباه فيتعلم الناس منها جديداً يُسمى قولاً.

فالقول أهم ما في الحديث، والحديث أهم ما في الكلام، والكلام أهم ما في النطق، والنطق أهم ما في اللفظ، واللفظ أهم ما في الصوت .

وفي القرآن وصف الله القول بصفات عديدة منها:

﴿قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ [النساء:٩] ﴿قَوۡلًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [الإسراء:٤٠] ﴿قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء:٢٣]ـ ﴿قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء:٢٨] ﴿قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزّمل:٥].

٧ـ المتشابه:

هو القول الذي يعطي أكثر من معنى بحسب اختلاف السامع وثقافته واختصاصه، وبحسب اختلاف الزمن، وفي القرآن تشابه لفظي ومعنوي وإعجازي ومعرفي وعلمي، وهو لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة.

* شاهد قرآني أول:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] الميْتُ - بتسكين الياء- هو من مات فعلاً.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزُّمَر:٣٠] الميِّتُ - بتشديد الياء- هو الذي مآله إلى الموت.

شاهد قرآني آخر:

﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ [الأنعام:٩٥] بالصيغة الاسمية.

﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [يونس:٣١] بالصيغة الفعلية.

والفرق بينهما هو الفرق بين حبة الحنطة المستمرة بالتناسل، وحبة الحنطة التي نطحنها ونصنعها دقيقاً.

٨ـ المثاني:

قيل من الثناء أو ما يُثنى عليه، وقيل: من التثنية بتكرار القراءة، وسميت الفاتحة بالسبع المثاني .

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ؟

الجواب :

١ـ الكلام هو اللفظ ، والمهد هو فراش الوليد .

ونبي الله عيسى، وهذا اسمه، وابن مريم كنيته، والمسيح لقبه، وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، كان ميلاده خاصاً وفيه ضجة، وبعض بني إسرائيل اتهموا أمّه البتول الطاهرة في عِرضِها وكرامتها وشرفها، فكان الواجب أنْ تأتي آية تمحو عجب الناس وهم يرون امرأة تلد بدون أب أو زواج ، لذلك جاء كلام عيسى وهو طفل رضيع فتكلم بكلام الحق، وكان الواجب على بني إسرائيل أنْ يحفظوا كلام هذا الطفل ويتداولوه بين الناس ويرددوه في أنفسهم .

٢ـ وأول كلمة نطق بها عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠] ليؤكد بشريته، لكنّ النصارى أخفوا هذه المسألة كلها؛ لأنّ هذه المسألة تنقض القضية التي يريدون أن

يضعوا فيها عيسى عليه السلام، وهي ادعاؤهم أنه ابن الله أو هو الإله، وتنقض كل الأساس الذي بنوا عليه دينهم الحالي الباطل.

٣ـ وكلمة ﴿وَكَهْلًا﴾ تفيد أنه سيتكلم وهو كهل، عندما ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمن فيضع الجزية ويقتل الدجال ويحكم بالإسلام . علماً بأن عيسى عليه السلام رُفع وهو ابن ٣٣ سنة، فلم يبلغ سن الكهولة .

٤ـ إنّ كلام عيسى عليه السلام في المهد لم يكن باختياره، وكلامه وهو كهل سيكون بالوحي، أي ليس له اختيار فيه أيضاً .

٥ـ أما قوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فمقصود بها عمله، أي: الحركة السلوكية، فلا يكفي التبليغ، بل لا بد من السلوك الإيماني .

السؤال الثالث:

إن قيل: أي معجزة لعيسى عليه السلام في تكليم الناس كهلاً ؟ وما تفيد كلمة ﴿وَكَهْلًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ أي أنه يكلم الناس بكلام الأنبياء بين حالتي الطفولة والكهولة، وهذا خرج مخرج البشارة لمريم، أي: أنه عليه السلام سيبقى إلى زمن الكهولة، فهو بشارة له بطول عمره .

٢ـ كلمة ﴿وَكَهْلًا﴾ تبين أنّ الزمن يؤثر فيه فينقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً كما يدعون لم يجز عليه التغيير.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران ٤٧: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وقال في الآية٤٠: ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ فلماذا جاءت (كذلكِ) الأولى بالكسر؟

الجواب:

١ـ (كذلكَ) بالفتح هو في الأصل لمخاطبة المذكر، وقد تستعمل عامة ، لكنّ الأصل أن يقال (ذلكَ)- بفتح الكاف- للمخاطب المذكر، و(ذلكِ) للمخاطبة، و(ذلكما) للمثنى، و(ذلكنّ) لجمع المؤنث، و(ذلكم) لجمع المذكر.

قال الشاعر: (قد ظفرتُ بذلكِ) وهو يخاطب المرأة.

٢ـ (ذا) اسم الإشارة للمشار إليه، والكاف للمخاطب، (ذلكَ) المخاطب رجل، و﴿ذلكِ﴾ المخاطب أنثى، وليس له علاقة بالمشار إليه نفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] المخاطب جمع النسوة، (ذا): اسم الإشارة ليوسف، و(لكنّ) لمجموعة النسوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] . (ذان) اسم إشارة.

لذلك فإنّ أسماء الإشارة هي التي تتغير، أما الكاف فهي للمخاطب نحو: (أولئكَ رجال) المخاطب واحد.

وقد تستعمل الكاف المفتوحة للجمع، لكن إذا أراد أن يخصّص يستعمل الكاف المفتوحة (ذلكَ) للمخاطب المفرد، و (ذلكِ) بكسر الكاف للمخاطبة المفردة ، وليس لها علاقة بالمشار إليه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ٤٧ : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ لِمَ عبّر الله تعالى عن تكوين عيسى بالفعل ﴿يَخْلُقُ﴾ بينما عبّر عن تكوين يحيى عليه السلام بالفعل ﴿يَفْعَلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن تكوين عيسى عليه السلام بالفعل (يخلق)؛ لأنه إيجاد كائن من غير الأسباب المعتادة، ولو كان بالوسائل المعتادة لأورد الفعل (يفعل) أو (يصنع) كما في الآية السابقة رقم ٤٠ في جواب الملائكة لزكريا ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ؟

الجواب:

إنها طلاقة القدرة، وهي لا تتوقف على ذكورة وأنوثة؛ لأنّ الله تعالى قادر على أن يخلق دون ذكورة وأنوثة كخلقه آدم عليه السلام ، ويخلق الله سبحانه بواحد منهما كخلقه سبحانه لحواء وخلق عيسى عليه السلام ، ويخلق الخالق الأعلى بالذكورة والأنوثة، وهذه تتضح في خلق جمهرة الناس.

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الآية ٤٨؟

الجواب:

معنى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أنّ الحق قد علّمه ما نزل قبله من زبور داود ومن صحف إبراهيم، وبعد ذلك توراة موسى الذي جاء عيسى مكملاً لها.

وبعض العلماء قالوا: أُثر عن عيسى عليه السلام أنّ تسعة أعشار جمال الخط كان في يده، وبذلك يمكن أن نفهم ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القدرة على الكتابة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة ذكر المعجزات لعيسى عليه السلام في الآيتين ٤٨و ٤٩ ؟

الجواب:

١ـ دلّ القرآن على أنّ عيسى عليه السلام إنما تولد بقدرة الله من نفخ جبريل عليه السلام في مريم، وجبريل عليه السلام روحٌ محضٌ وروحاني محض، فلا جرم كانت

نفخة عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ هي للحياة والروح بإذن الله تعالى .

٢ـ كما ذكر القرآن معجزات أخرى لعيسى عليه السلام، وهي: إبراء الأكمه وهو الذي ولد أعمى ، إحياء الموتى ، إبراء الأبرص ، الإخبار عن ﴿بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾

٣ـ وختم عيسى كلامه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران:٤٩] وكأنه يقول إنّ هذه الآيات هي بإذن الله تعالى وإنّ هناك قوة أعلى قاهرةعليكم الإيمان بها، وهي قوة الله تعالى.

السؤال الثالث:

ما معنى (الخلق) في الآية الكريمة؟

الجواب:

الخلق له معانٍ، وقد ينسب إلى الإنسان، تقول: خلقت هذا الشيء، كما قال عيسى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ ويأتي أيضاً بمعنى التصوير.

السؤال الرابع:

كيف أحيا عيسى الموتى مع أنّ الشهيد يطلب العودة ليقتل في سبيل الله فلا يؤذن له؟

الجواب:

عيسى عليه السلام ما أحيا الموتى من عند نفسه، والله سبحانه وتعالى لا يعيد الميت إلى حياته في الدنيا، لكن هذه معجزة.

والله سبحانه وتعالى لا يجعل العصي أفاعي ، لكنه جعلها أفعى معجزة لموسى. والله سبحانه وتعالى لا يجعل الشجرة تمشي، لكنه جعلها تمشي وتأتي إلى الرسول ﷺ وهذه معجزة .

ولذلك عندما ننظر في الآية ٤٩ من سورة آل عمران ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ يقول تعالى على لسان عيسى قال: ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ما قال: (من عندي)، وهي علامة وأمارة على صدق نبوته، وقال: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ فالله سبحانه وتعالى يعطّل قوانينه لأجل الأنبياء.

ألم يعطل إحراق النار لإبراهيم؟ النار تحرق وهذا قانون، لكنّ الله عطّل القانون لإبراهيم عليه السلام.

السؤال الخامس:

ما الفروقات بين آية آل عمران ٤٩ وآية المائدة ١١٠، علماً أنّ سياق الآيتين في معجزات عيسى عليه السلام ؟

الجواب:

١ ـ الفرق الأول: ﴿بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة:١١٠] و ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:٤٩] وصيغة الأفعال ﴿فَأَنفُخُ﴾ [آل عمران:٤٩] و ﴿وَأُبۡرِئُ﴾ [آل عمران:٤٩] ﴿فَتَنفُخُ﴾ [المائدة:١١٠] ﴿تَخۡلُقُ﴾ [المائدة:١١٠]. وبيان ذلك:

آـ الكلام كان عن سيدنا عيسى عليه السلام في الآيات ٤٥، وحتى الآية ٤٨، ثم جاءت الآية ٤٩ ، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ يعني أن عيسى عليه السلام هو الذي سيقول هذا الكلام؛ أي: (حكاية حال ماضية) في الماضي .

فإذن الذي بدأ يتكلم الآن هو سيدنا عيسى عليه السلام، فقال: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ما هذه الآية؟ بيان هذه الآية هو على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ فتناسب هذه الآية قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ يعني (أنا)؛ لأنه يتكلم عن نفسه، وناسب قوله: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ حيث ردّ الأمر إلى فاعله الحقيقي، وهو الله سبحانه .

ب ـ في آية سورة المائدة رقم ١١٠ الكلام هنا من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ

وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ الكلام مع عيسى عليه السلام، وليس على لسانه فقال: ﴿تَخْلُقُ﴾ ، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾، ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ والكلام من الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام فقال: ﴿بِإِذْنِى ۖ﴾ .

٢ ـ الفرق الثاني: في استعمال الضمير (فيها) ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ و(فيه) ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ وبيان ذلك:

آـ الخلق بمعنى التكوين أو الصنع من مواد أولية كان الله سبحانه وتعالى قد جعلها بين أيدينا، وأمّا الإيجاد فعلى غير مثال سابق، وهذا لله سبحانه وتعالى من غير شيء .

ب في آية آل عمران هذا كلام عيسى عليه السلام ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا﴾ هنا ﴿فِيهِ﴾ أي: في هذا الطين، وعيسى عليه السلام ذكر أصل التكوين؛ حتى يذكرهم أنّ هذا (طين) جعل منه طيراً، ثم قال: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في هذا (الطين) الموجود بين أيديكم.

ج ـ آية المائدة كانت في تعداد نعم الله عز وجل على عيسى عليه السلام، ولذلك جاءت ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: اذكر هذا واذكر هذا، وجاء التأنيث لأن التأنيث أصلح للتعدد،

وعندما تقول لغير العاقل: الشجرات (فيها)، يعني متعددة، كأن الهيئة صارت أكثر من حالة، فهي إذن في مجال بيان تعداد نعم الله سبحانه وتعالى عليه فاختار التأنيث؛ لأن التأنيث أليق مع جمع غير العاقل.

د ـ من حيث اللغة، الأصل أنه إذا نظر إلى (الهيئة أنّث)، وإذا نظر إلى (الطين ذكّر)، فمرة نظر إلى الهيئة ومرة نظر إلى الطين ، لكن الذي قوّى اختيار النظر إلى الهيئة أنّ ضمير المؤنث يشار به إلى المتعدد ، فجاء بضمير المؤنث في موضع تعداد النعم؛ لأنّ فيه تعداداً للنعم فاختير التأنيث.

٣ ـ الفرق الثالث: تكرار ﴿إِذْ﴾ تكررت في آية سورة المائدة، ولم تذكر في آية سورة آل عمران؛ لأنه في المائدة كان هناك تعداد لِنعم الله سبحانه وتعالى عليه، أمّا في آل عمران فما كان هناك نوع من التعداد للنعم، وإنما كان نوع من بيان حال عيسى عليه السلام وهو يتكلم .

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لِمَ خصّ الله تعالى معجزة عيسى عليه السلام بشفاء هذه الأمراض؟

الجواب:

إنك لو عدت إلى التوراة لوجدت اهتماماً بالغاً في أحكام الأبرص الذي أطال في بيانها بعدما وصفه الوحي لموسى عليه السلام، وكيف يمكن علاجه، فجاءت هذه

المعجزة فائدة لهم في دينهم ودنياهم، ودليلاً آخر على فقه عيسى عليه السلام بالتوراة وأحكامها.

السؤال السابع:

هناك أربعة مدلولات لفظية في هذه الآيات تنزّه الله تعالى وتثبت صفاته وتنفي ألوهية عيسى عليه السلام كما يدّعيها البعض، فما هي ؟

الجواب:

هذه الآية حملت تنزيهاً كاملاً لله تعالى وإثباتاً لصفاته ونفياً أن تكون هذه الأفعال لعيسى عليه السلام بأربعة مدلولات لفظية هي:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم﴾ فكونه عليه السلام رسولاً يقتضي مرسِلاً، فعيسى عليه السلام هو مرسَل وليس مرسِلاً، فإذا كان مرسَلاً فلا بد أن يكون هناك من أرسله وهو الله تعالى، إذن كل الأفعال التي تؤيد صدق الرسالة لا بدّ أن تكون ممن أرسله لا من الرسول نفسه، والمعجزات التي صاحبت عيسى عليه السلام هي من قِبل الله تعالى، وليست من نفسه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية هي المعجزة والعلامة والبرهان، فالذي جاء به عيسى عليه السلام هو آية من الله تعالى؛ لذا قال: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ واختيار لفظ (من ربكم)؛ ليستثير الإيمان فيهم ونوازع اليقين .

ونلاحظ الفرق بين استعمال كلمة (ربكم) في هذه القصة واستعمال كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٦٧] في قصة موسى مع بني إسرائيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة:٦٧]؛ وهذا

لأنّ بني إسرائيل يميلون إلى التكذيب والاعتراض، لذا جاءت الآيات كلها تشير إلى أنّ الأمر من الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾ [البقرة:٦٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ فقوله: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ نقلت الفعل من دائرة الإمكان بالنسبة لعيسى إلى دائرة القدرة والاستطاعة لله تعالى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ وفيها تكرير قوله: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ لتنسب الفعل إلى الله تعالى، وهذا يدل على أنّ المعجزات كانت من قبل الله تعالى، وليس من قِبل عيسى عليه السلام.

السؤال الثامن:

ما الفرق بين المعجزة والكرامة والخارقة؟

الجواب:

أولاً ـ المعجزة:

هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على أيدي الأنبياء إذا أرسلهم لأحد من خلقه، وشرحها علماء التوحيد بأنها: أمر خارق للعادة يقترن بدعوى النبوة. وللمعجزة شروط هي:

١. أنها قد تتكرر وتكون مصاحبة لدعوة النبوة.

٢. ومن شروطها أن يبيّن النبيُّ مَن فعل هذه المعجزة وينسبها لله تعالى، وكل الأنبياء في القصص القرآني نسبوا المعجزات إلى الله تعالى ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣﴾

[الشمس:١٣] ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨] ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢] ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، وفي قصة الإسراء والمعراج قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] .

٣. والشرط الأخير أن تكون المعجزة من جنس ما برع به القوم في زمن النبي الذي تجري المعجزة على يديه؛ (بنو إسرائيل اشتهروا بالسحر في زمن موسى عليه السلام، وفي زمن عيسى عليه السلام اشتهروا بالطب، وفي زمن محمد ﷺ اشتهر العرب باللغة وبرعوا فيها، فكانت معجزات الأنبياء من جنس ما برع به القوم) .

ثانياً ـ الكرامة:

وهي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على أيدي الأولياء، لكن لها مواصفات:

١ـ وهي أنّ الوليّ لا يستطيع تكرار هذه الكرامة؛ لأنها لا تقترن بدعوى نبوة.

٢ـ ثم إنّ الكرامة تثبيت للولي، وليس للناس كما في حال المعجزة .

٣ـ والوليّ يستحي من إظهار الكرامة، وإذا ظهرت نبّه الناس إلى فاعلها الحقيقي، وهو الله تعالى.

٤ـ ثم إنّ الولاية تترتب على الايمان الذي هو في القلب، ولا يعلمه إلا الله تعالى ، فالكرامة تُمنح ولا تُطلب.

ثالثاً ـ الخارقة: وهو أمر خارق للعادة يجريه الشيطان على أيدي أوليائه نحو (المعالجة بالإيحاء)، كما قال تعالى في قصة موسى مع فرعون: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦] وهذه الخارقة أو المعالجة بالإيحاء يستخدمها الأطباء في هذا العصر من باب

الطب الحديث لشفاء المرضى، بحيث يستثيرون قوة المناعة في الجسد، ولعلّ من أمثلة هذه الخوارق ما نراه في الهند من الذين يعبدون البقر ويمشون على النار أو على الماء، فهذا مما يجريه الشيطان على أيدي أوليائه.

السؤال التاسع:

قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ ما معنى الخلق ؟ وهل هناك خالق غير الله تعالى؟

الجواب:

١ـ الخلق يأتي بمعنيين في القرآن الكريم:

آ ـ أولهما: الخلق بمعنى (التصرف والإيجاد المطلق)، وهذا لله تعالى فقط، والإيجاد من عدم هو فعل الله تعالى فقط ، كما خلق تعالى آدم وخلق الماء والروح والتراب وكل الموجودات في الكون.

ب ـ وثانيهما: الخلق بمعنى (التصرف والإيجاد المقيّد)، وهذا للبشر؛ لأنه يخلق من موجودات في الكون، وخلق البشر هو عبارة عن تصوره لشيء ثم يخلق هذا الشيء من خامات موجودة فعلاً.

٢ـ والفرق بين خلق الله تعالى المطلق وخلق البشر المقيّد هو:

آ ـ أنّ الله تعالى يخلق من عدم، أمّا البشر فيخلق من خامات موجودة في الكون.

ب ـ أنّ خلق الله تعالى يتكاثر؛ لأنّ الله تعالى خلق الكائنات وأوجد لها القدرة على التكاثر (تكاثر فردي كالخلايا، وتكاثر زوجي، وغير ذلك)، أمّا خلق الإنسان فليس له

قدرة على التكاثر بنفسه، والاستنساخ لا يعتبر خلقاً وإنما هي خلية تتكاثر، والله تعالى هو الذي أعطى هذه الخلية القدرة على التكاثر، وليس البشر.

ج ـ خلق الله تعالى له القدرة على النمو، فيخلق الإنسان طفلاً ثم يكبر فيصبح شاباً ثم يشيخ ويهرم ثم يموت ، فله عمر محدد وأجل مسمى، أمّا خلق البشر فليس له هذه القدرة على النمو، وليس له عمر.

فكلمة (خلق) تطلق على معنى عام، وهو الخلق من عدم، وهذه قدرة الله تعالى وحده. وتطلق على معنى خاص، وهو خلق الإنسان المحدود، وهو ليس من عدم، وليس له قدرة على التكاثر ولا النمو.

٣ـ الله تعالى لديه ما يسمى بـ (الحياة)، وهي تحويل الكائن المادي الصامت الميت إلى حيّ ينمو ويتكاثر، أمّا الإنسان فيخلق تمثالاً، أي: الهيئة فقط ، ولهذا قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ﴾ في هذه المرحلة الأولى خلق عيسى عليه السلام هيئة الطير ولم يخلق طيراً، وهذه الهيئة صارت طيراً بإذن الله في المرحلة الثانية ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فسميّ طيراً لّما نفخت فيه الروح بإذن الله تعالى.

٤ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار:٦-٧] خلق تعالى الإنسان أولاً على شكل هيئة، ثم سواه ثم عدله بكل الوظائف الحيوية، وبقي أنْ يجعله في الصورة المناسبة التي اختارها الله تعالى له فقال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٨] فنحن الصور، والإنسان الحقيقي هو من أسرار الحياة التي أودعها الله تعالى في الكائنات.

٥ـ والذي يموت تكون جثته هي صورة الإنسان، أمّا الإنسان الحقيقي فيصعد إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران:١٦٩] هؤلاء الشهداء والمؤمنون أحياء عند ربهم يرزقون، والكافرون أحياء عند ربهم، لكنهم لا يرزقون، وإنما يعذبون بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر:٤٦] ونحن نرى أجساد الفراعنة محنطة في المتاحف أمامنا، فالجسد يمر بمراحل تكوينية طينية ثم تعود للتراب، أمّا الإنسان الحقيقي فهو عند الله تعالى.

٦ـ فالهيئة هي الشيء الذي يمكن للإنسان أن يعمله، وتحتاج إلى خلق ، لكنه مقيّد على قدرة الانسان، وأودع الله تعالى العقل البشري القدرة على الاستنتاج، أمّا الجنّ وباقي المخلوقات فليس لها قدرة على الاستنتاج، والعلم عند الإنسان تراكمي يمكنه من أن يصنع الشيء من مشاهداته (كالسيارة والطائرة والغواصة) . والله أعلم .

السؤال العاشر:

ما الفرق بين الأفعال: خلق ـ جعل ـ فطر؟

الجواب:

خلق:

له دلالتان:

آ ـ إنشاؤه على مثال أراده ربنا فأبدعه سبحانه: الخلق الابتدائي، فيكون خاصاً به سبحانه وتعالى.

ب ـ بمعنى التقدير والتصوير، وهذا ليس خاصاً بالله فقط بل مع البشر.

* شواهد قرآنية:

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤].

قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران:٤٩] على لسان عيسى عليه السلام .

في خطبة الحجاج : (ولا أخلق إلا فريت).

جعل:

هو ملابسة بشيء آخر بحالة من الحالات، وتكون الحالة مفعولا به ثانياً ، كأنْ يكون معه أو به أو له أو فيه.

* شواهد قرآنية:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الأنبياء:٣١] .

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء:١٢].

فطر: هو ابتداء الشيء، وهذا خاص بالله تعالى.

* شواهد قرآنية:

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴿٧٩﴾﴾ الأنعام .

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ؟

الجواب:

في هذا الجزء من الآية تمثيل جميل لحاله المسبق، فإنك تعلم أنّ معنى ما بين يديّ أي ما تقدم قبلي، ولكنّ الغريب في هذا الأمر أنّ الكلام يُفهم منه أنه ذو عهد قريب بنزول التوراة، والمعلوم أنّ بين عيسى عليه السلام ونزول التوراة أزمنة طويلة، لكن استطاعت هذه الصورة أنْ تدل على اتصال العمل بأحكامها حتى مجيء عيسى عليه السلام، فكأنها لم تسبقه بزمن طويل.



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الحكمة من زيادة ﴿هُوَ﴾ في آية الزخرف ٦٤ دون آل عمران ٥١ ومريم ٣٦ ؟

الجواب:

١ـ الضمير (هو) هو ضمير الشأن، وهو يستعمل للتوكيد .

٢ـ في سورتي آل عمران ومريم تقدم من الآيات الدالة على توحيد الرب سبحانه وقدرته وعبودية المسيح عليه السلام له ما أغنى عن التوكيد .

بينما في الزخرف لم يتقدم مثل ذلك، فناسب توكيد انفراده بالربوبية وحده .



﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين آية آل عمران ٥٢ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وآية المائدة ١١١ ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾؟

الجواب:

١ـ آية آل عمران ٥٢:

آ ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ﴾ كلمة (منهم) إشارة إلى بني إسرائيل، بعد أن كلّمهم ودعاهم وأظهر لهم المعجزات وطالبوه بإحياء الموتى وإبراء الأكمه وإبصار الأعمى، وبعد كل هذه المعجزات يفترض من الإنسان أن لا تأخذه العزة بالإثم، وهذه معجزات ملموسة ومشاهدة من قبل مئات من الناس وليس شخصاً واحداً، ومع ذلك كفروا به وقالوا: هذا سحر، وأنت ساحر، والسحرة يفعلون هذا، فأحسّ عيسى عليه السلام منهم الكفر .

ب ـ وعند ذلك توجّه إليهم بالدعوة وبالسؤال: من يناصرني إلى إبلاغ دين الله عز وجل هذه الشريعة؟ والنصرة تقتضي الجمع ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ قال الحواريون:

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ وكان يمكن أن يكتفوا بقول: ﴿نَحْنُ﴾ وإنما أرادوا أنْ يوضحوا ويبينوا بقولهم نحن أنصار دين الله، فقولهم: أنصار الله، فيه بيان وتأكيد.

والحواريُّ في اللغة هو بمعنى المنقّى المصفّى من الشوائب، كالثوب الأبيض.

ج ـ قولهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ؛ لأنه سألهم من أنصاري إلى الله؟ فقالوا: آمنا بالله الذي تدعوننا لنصرة دينه ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ بصيغة فعل أمر لعيسى عليه السلام بمعنى: (اشهد) علينا أننا مطبقون لشرع الله ولهذا الإيمان، والإيمان لا يظهر في القلب، لكن يصدّقه العمل ، والإسلام تطبيق عملي، فنحن نطبق الإيمان عملياً.

د ـ الآيات تضمنت تأكيدات: ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ، ﴿بِأَنَّا﴾ .

و(أنّ) للتوكيد فيها معنى الضم، فقلّل التوكيد حتى يتوصل إلى الإدغام الموحي بصورة الجمع(أنّا) ، ولم يقل: (بـأننا)؛ لأن فيها تفريقاً؛ لأن أصلها (أنّ، والتحقت بها: نا).

وعندنا في اللغة الأحرف المشبهة بالفعل نحو: [أنّ، كأنّ، لكنّ] .

والحرف (إنّ) منتهٍ بنون مشددة، وعندما تلتحق بها (نا) التي هي للمتكلمين أو المعظِّم لنفسه يكون عندنا (ثلاث نونات)، فأحياناً العرب يخففون بحذف إحدى النونين، فيقولون: [إنّي وإنّك] فهنا يوجد حَذف ؛ لأنّ التوكيدات كثرت فخفّف التأكيد، ويُتوصّل عن طريق هذا إلى الإدغام المشعِر بهذا الالتصاق بين أنصار الله، لذا قال: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ولم يقل: (بأننا)؛ لأنّ الصورة صورة مناصرة، ويراد لها صفّ واحد وقربٌ والتصاق.

٢ـ آية المائدة ١١١:

آـ الكلام فيهاعلى الإيمان، وهو إلهام الله عز وجل لهذه الصفوة أنْ تؤمن، وهذه الآية ليس فيها تأكيدات؛ فحوفظ على (إنّ) كاملة حتى يكون فيها التأكيد لإسلامهم مع ضمير المتكلم (نا)، وقوله: ﴿بِأَنَّنَا﴾ آكد من (أنّا) من حيث التأكيد.

ب ـ وقوله: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ فيها التفات؛ لأنه قال: ﴿ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ ولم يقولوا: (مؤمنون)؛ لأنّ الإيمان لا يظهر، وعيسى عليه السلام يحتاج لمن يظهر له علامة الإيمان، وعلامة الإيمان التطبيق (الإسلام)، والنبي يريد منهم أنْ يظهروا إسلامهم، أي: اشهد أننا مطبقون لهذا الإيمان؛ لأنّ الإيمان يكون ضمناً.

السؤال الثاني:

في سورة الصف قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الصف:١٤] وفي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وعيسى ينسب النصرة إليه، وهم يقولون: نحن أنصار الله مباشرة، فما دلالة هذا؟ وما الفروق بين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في سورة الصف: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] بعد أنْ شوقّهم لذكر التجارة، هو من باب الأمر والتكليف، وليس من باب الاختيار والمندوب.

وفي قوله: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ طلب للفعل وليس طلباً للقول، وهذا مناسب لتأنيبه لمن قال ولم يفعل ، كما جاء في أول سورة الصف .

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هو على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ، وله معنيان:

آ ـ أنا أنصر الله وأنصر دينه ، فمن معي في نصرة دين الله.

ب ـ إنّ الله ينصرني ويؤيدني ، فمن يكون معي في نصرة الله إياي .

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧] قد جمع المعنيين السابقين.

٤ـ إنّ الذي قال للحواريين: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ﴾ هو عيسى عليه السلام ، وأمّا القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فهو الله؛ ليدل ذلك على عظم التبليغ للمؤمنين وأهميته.

٥ـ المراد من قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ أي: نحن أنصار دين الله وأنصار أنبيائه؛ لأنّ نصرة الله تعالى في الحقيقة مُحال .

٦ـ وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي فيما يقرب إلى الله ،وهو كما يقال: اللهم منك وإليك .

٧ـ قوله تعالى على لسانهم: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقولوا: (نحن أنصارك) لأنّ الصيغة الأخيرة متعلقة بوجوده، فإذا ذهب انفضوا، ولم يقولوا: (سنكون أنصار الله)، بل قالوا: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: نحن أنصاره الآن، ولذلك قال: ﴿فَأَيَّدۡنَا﴾؛ وذلك لأنهم قاموا بالنصرة فعلاً فاستحقوا التأييد، وجاء بالفاء الدالة على التعقيب ولم يقل: (ثم أيدنا) الدالة على التراخي.

لذلك فإنّ الصيغة الأولى ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ تدل على الإطلاق، أي: أنهم مع نصرة دين الله سواء كان عيسى عليه السلام موجوداً أو غير موجود.

٨ـ قال: ﴿فَأَيَّدۡنَا﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه؛ ليدل على أنّ التأييد منه سبحانه فقط .

والتأييد يحتمل أمرين: التأييد بالحجة فأصبحوا ظاهرين في حجتهم، ويحتمل التأييد بالسيف والغلبة، أي: غالبين.

٩ـ وعيسى عليه السلام لم يسألهم: من أنصار الله؟ بل سألهم ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ لأنهم كلهم سيقولون ذلك بالإيجاب .

١٠ـ قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ تفيد: من يضيف نصرته إلى نصرة الله إياي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ [النساء:٢] أي: مضمومة إلى أموالكم.

وفي الحديث كان ﷺ يقول إذا ضحّى:« **اللهم منك وإليك**» أي: تقرباً إليك.

وقال الحسن: تقدير الآية: من أنصاري في سبيل الله؟ و(إلى) بمعنى (في) جائز.

١١ـ الحواري أصله من الحَوَر، وهو شدة البياض، والحواريون كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه والمخلصين في حبه، وقيل: كانوا قصّارين يبيضون الثياب، وقيل: لأنّ قلوبهم كانت نقية طاهرة ، فسموا بذلك مدحاً لهم.

١٢ـ لقد طلب الله من المؤمنين عامة على مر الزمان أنْ يكونوا كالحواريين، ولذا قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف:١٤] ولم يقل: يا أصحاب محمد، ولم يقل: كونوا أنصار محمد؛ وذلك ليشمل الطلب عموم المؤمنين، ولئلا ترتبط النصرة بشخص النبي محمد ﷺ .

١٣ـ قول عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلماح إلى أنّ رسالته منقطعة، فإنه أضاف الأنصار إليه، وهذا يدل على أنه بعد توفيه ستنقطع نصرته .

وأمّا قول الله للمؤمنين: ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] فيدل على أنّ الرسالة دائمة غير منقطعة؛ لأنّ الإضافة إلى الله لا إلى شخص معين.

١٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف:١٤] متناسب مع النداء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الصف:١٤] فدخلوا في التأييد.

١٥ـ ثم إنّ بشارة المسلمين أعظم، فإنه قال في أتباع عيسى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤] فخصّ ذلك بالتأييد على العدو، وقال في المسلمين: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف:٩] وإظهار الدين إنما يكون بظهور معتنقيه، وزاد لهم النصر والفتح القريب.

١٦ـ من الملاحظ أنّ عيسى لم يعد أتباعه بشيء ، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر والفتح القريب.

١٧ـ طلبُ عيسى النصرةَ في هذه الآية ونسبته إلى أمه في مكان آخر من السورة يدل على أنّ عيسى عليه السلام بشر وليس ابناً لله، تعالى الله عن ذلك.

١٨ـ ابتدأت سورة الصف بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤] واختتمت بقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤] ممّا يدل على أنّ عاقبة الجهاد تأييد الله ونصره ، فارتبط أول السورة بآخرها أحسن ارتباط.والله أعلم .

السؤال الثالث:

هل قالوا فعلاً هذا الكلام؟

الجواب:

هم قالوا مدلول هذا الكلام؛ لأنّ ربنا سبحانه وتعالى حتى لو كان الكلام بغير لسان العرب يترجم أدق الترجمة لكن بأسلوب معجز، وهم لم يتكلموا العربية ، فربنا نقل عنهم معنى الكلام تماماً بأسلوبه المعجز كما قالوا، وهذا ما حدث بالفعل، لكنّ الله تعالى نقله لنا بأسلوب معجز.



﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما المكر في هذه الآية ؟ ولماذا سماه الله تعالى المكر؟

الجواب:

المكر في اللغة معناه التدبير، أنْ يدبر الشيء ويرتبه. كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ هم دبروا والله عز وجل يدبّر وهو خير المدبرين.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما طبيعة وفاة عيسى عليه السلام في هذه الآية ؟ كيف يتوفاه الله تعالى مع أننا نقول: أنه حيٌّ لم يُتوفَّ؟

الجواب:

١ـ قبل أن نخوض في مسألة عيسى عيه السلام نحتاج إلى تلخيص موجز جداً فنقول: إنّ الحياة هي وعاء للروح، هذا الوعاء ينكسر بالموت أو القتل، فإذا انكسر الوعاء توفيت الروح أو قُبِضت، وهذه هي الصورة الأولى لانكسار الحياة، والحياة غير الروح، فأنْ يكون الشيء حيّاً ليس شرطاً أن تكون فيه روح .

٢ـ والصورة الثانية التي تقبض فيها الروح هي صورة النائم، وهو ليس ميّتاً، النائم أُخِذت روحه وقُبِضت ، ولكن كل أجهزة جسمه تشتغل، إنما تشتغل بحدود معينة، أمّا روحه فتسرح في ملكوت الله تعالى، ولذا فإنها ترى ما لا يراه وهو يقظان، وأحياناً ترى روح الانسان أشياء يمكن أن يراها في المستقبل، أو تؤوّل كما ورد في القرآن الكريم في سورة يوسف في قضية المَلِكِ وسبع سنبلات، وتأويلها مستقبلي، وفي بعض الأحيان يرى الإنسان شيئاً لو كان يقظان لا يراه وهو يقع في حاله، فروح النائم خارج الوعاء

والله تعالى يردها إلى الوعاء، ولذلك نتكلم بجوار النائم فلا يسمع لأنّ بعض الأجهزة تكون معطلة مؤقتاً، أمّا سائر الأجهزة كالقلب وضخ الدم والتنفس فكلها تعمل فهو حيّ لكن ليس فيه روح.

وكذلك فإنّ النطفة فيها حياة باتفاق العلماء ، لكن ليس فيها روح حتى ينفخ فيها الملك الروح بعد ١٢٠ يوماً، وهذه مسألة فقهية.

٣ـ إذن عندنا صورتان لخروج الروح: إما: [بالموت أو القتل]، وإما بالنوم.

٤ـ عيسى عليه السلام وجوده معجزة حقيقة، وُجِد بمعجزة، فمجيء الحياة إليه معجزة ومفارقته الحياة معجزة أيضاً .

٥ـ لذلك نقول هو صورة ثالثة للوفاة غير(الوفاة إما بانتهاء الحياة أو النوم) فبالنسبة لعيسى عليه السلام قبضت روحه ورُفِع جسمه حيّاً.

٦ـ لذلك نجد أنّ الوفاة في القرآن جاءت بثلاثة معانٍ؛ هي:

آـ وفاة النوم: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠] .

ب ـ وفاة الموت، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمَر:٤٢] .

ج ـ وفاة الرفع، كما في قوله تعالى:﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] .

فالوفاة من معانيها الموت، لكن ليس حصراً هذا المعنى، والتوفي: هو قبض الروح، والرفع هو رفع الجسم الحي.

٧ـ ولمّا رُفِع إلى السماء بجسمه الحيّ وبروحه التي استوفيت وقُبِضت تعود روحه إلى جسمه؛ لأنّ الرسول ﷺ رآه مع سائر الأنبياء بأجسامهم وأرواحهم في رحلة المعراج؛ لأنّ الأنبياء أيضاً رُدّت لهم أرواحهم وأجسادهم .والله أعلم .

٨ـ وعيسى عليه السلام له خصوصية في عقيدة المسلمين تتمثل في الحياة التي يحياها في السماء، وأنه سيأتي يوم ويتوجّه فيه إلى الأرض ، وورد في الأحاديث الصحيحة أنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وكسر الصليب وقتل الخنزير يؤيده الحديث الصحيح الآخر، الذي يقول فيه ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو كان موسى بين أظهركم ما وسِعه إلا أن يتّبعني**» فعيسى عليه السلام سينزل بدين محمد ﷺ وهو أحد أتباع رسول الله ﷺ ولا ينزل بشريعته هو؛ لأنّ شريعته نُسِخت بشريعة محمد ﷺ .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فلِم لم يقل: (ورافعك إليّ) فقط ؟

الجواب:

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى قابضك برفعك إلى السماء من غير وفاة بالموت .

السؤال الثالث:

هل هذا أمر منوط بعيسى عليه السلام بحد ذاته، أو هل وردت هذه الكلمة مع غيره؟

الجواب:

لننظر إلى الآيات التالية: قوله تعالى:

ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام:٦١] .

ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد:٢٧] .

ـ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء:١٥]

آ ـ التوفي تدل على سحب الروح، فالموت في ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:١٥] سبب، والملائكة في ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [محمد:٢٧] سبب، و﴿رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١] إيضاح للملائكة.

أي: أن وسائل الموت هي (ملك الموت، الملائكة، رسلنا، الموت)، وهذا كله وسيلة لقبض الروح، لكنّ المتوفِّي الحقيقي هو الله تعالى الذي يتوفى الأنفس.

ب ـ انقضاء الحياة يكون بأحد طريقين، إما بسبب خارجي فيكون قتلاً، وإما بغير سبب خارجي فيكون الموت، فالموت مفارقة الحياة بغير سبب خارجي، والقتل بسبب خارجي.

ج ـ علماؤنا اتفقوا على أن التوفي مع عيسى عليه السلام لم يكن نوماً، ونسبوا ذلك إلى ابن عباس، وهذا رأي القرطبي والطبري أيضاً ويذكران ذلك، وفيها نقل عن ابن عباس أنه لم يكن نوماً ولم يكن مفارقة حياة، فهو صورة ثالثة؛ لأن وجوده معجزة.

السؤال الرابع:

هل نفهم من الآية أنّ عيسى عليه السلام حيّ عند قراءة هذا التعبير القرآني: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قد نفهم - خطأً- من هذا التعبير القرآني: أنه مات ورفعه، التَّوَفِّي: أخذ الروح ، والرفع رفع للجسم الحيّ.

٢ـ ونلاحظ قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ التطهير للروح والبدن حتى لا يمسه أعداؤه بأذى أو بضرر أو بشيء يسيء إليه، فالرفع لجسمه كان لتطهيره من كل أدران الأرض ومن فيها.

٣ـ وفي قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ هنا اقتصر على كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: أخذت روحي. وعندما توفّاه هل أخذ روحه وترك جسمه؟ القرآن يفسر بعضه بعضاً ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهذه تثبت أنها ليست مجرد وفاة، وإنما وفاة ورفع وتطهير.

٤ـ ورد ذكر اسم عيسى أو المسيح أو ابن مريم حسب الإحصاء في القرآن الكريم في ٣٥ آية، منها ثلاثة مواضع فقط تتعلق بالوفاة، وموضعان فيهما كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ و ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وموضع فيه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] والقرآن يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ وأكّد: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ وهذا إشارة إلى الرفع.

٥ـ فآية المائدة ١١٧، فيها التوفي فقط، وآية النساء ١٥٨ فيها الرفع فقط، وآية آل عمران ٥٥ ، فيها توفٍّ ورفع وتطهير.

السؤال الخامس:

لماذا جاء نداء الله تعالى لعيسى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥] وليس: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ كما في آية سورة المائدة [١١٠و١١٢ و ١١٦]؟

الجواب:

جاء النداء في القرآن الكريم لعيسى عليه السلام أربع مرات وعلى الشكل التالي:

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ مجردة مرة واحدة كما في آل عمران ٥٥.

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ كما في آيتي المائدة ١١٠ـ١١٦.

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٢] كما في آية المائدة ١١٢، على لسان الحواريين.

فالاسم المجرد له صورتان: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ و ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ .

آية آل عمران ٥٥:

النداء من الأعلى للأدنى ، فيه نوع من التحبب والتقرب، كما في آية آل عمران ٥٥، حيث مناسبة الوفاة تناسب الرفق بالكلام وتعطي معنى القرب وسيرفعه الله إليه ، فناداه بالتقرب ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ ولا مجال لذكر أمه هنا.

آية المائدة ١١٢:

آ ـ النداء من الأدنى إلى الأعلى، كما في آية المائدة ١١٢، من الحواريين لعيسى عليه السلام فلا يناسب النداء باسمه المجرد، وإلا كان في ذلك قلة احترام وقلة مجاملة، كما تأتي إلى رئيس تناديه باسمه ولقبه ،لا بالاسم المجرد فتقول مثلاً: يا صاحب الفخامة.

ب ـ لماذا لم يقولوا مثلاً: يا رسول الله؟ السبب كأنهم يقولون له: نعلم أنك آية من آيات الله، ولذلك قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ولم يقولوا: ربنا، ولمّا قال عيسى عليه السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قالوا: ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ [المائدة:١١٣] .

لذلك قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ ناسبه أن يقولوا: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: هو آية، وطلبوا عن طريقه آية.

آيتا المائدة ١١٠ـ١١٦:

١ـ في آيتي المائدة ١١٠ـ ١١٦ حيث وردت ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ جاء في الآيتين ذكر الأم، فناسب النداء باسم الأم .

٢ـ الآيتان في الآخرة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة:١٠٩] والله يريد أنْ يقيم الحجة على من قالوا: إنه ابن الله أو إنه إله، فذكر أنه عيسى ابن مريم؛ لأنّ الكلام على رؤوس الأشهاد. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: في الآية ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ التوفي هو قبض الروح، ومعنى الوفاة، أي: تمام الشيء، كاستيفاء المال أو قولك: توفيت مالي فلان، أي: قبضته، ووفَّى فلان عمله، أي: أتمه.

٢ـ فقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: إني أنهي عملك عند هذه المرحلة، وإني طالبك إليّ تاماً، أي: جسداً وروحاً؛ لأنك في الأرض عرضة لأغيار البشر من البشر، لكني سآتي بك إلى مكان تكون خالصاً لي وحدي.

إذن فقول الحق: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يأتي مستقيماً مع قول الحق: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: أنّ الله أنهى عمله آنذاك، أي: بعد تمام مهمته ورفعه الله إليه ليطهره من خبث الذين كفروا.

٣ـ والبعض يظن أن الرفع تبرئة من الموت، لا ، لأنّ عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمن، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**» وبعد نزوله سيموت مثل باقي البشر.

وسبحان الله القادر، كانت بداية حياته عجيبةً خارقة للنواميس ، وسوف تكون نهاية حياته عجيبة كذلك.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ؟

الجواب:

لاحظ في الآية الفعل ﴿اتَّبَعُوكَ﴾ لأنها تدل على أنّ هناك متّبَعاً، وهناك مُتَّبِعٌ يتلو مُتبِعاً، أي أنّ المتَّبعَ هو الذي يأتي بعد، فمن الذي جاء من بعد عيسى بمنهجٍ من السماء ؟ إنه محمدٌ ﷺ وهو على نفس المنهج الذي بلّغه عيسى عليه السلام، لا على المنهج المحرف الذي قام أهل الكتاب بتحريفه .

لقد جاء الرسول الكريم ليصحح الوضع المحرّف ويبلّغ المنهج كما أراده الله، لذلك فالفوقية في الآية ليست هنا بمعنى (فوق) أي: الغلبة والنصر، ولكنها فوقية ظهور برهانٍ وحجةٍ ودليل، وهل هناك من فوقية أكثر !!!، وهناك في الآية كلمة ﴿فَوْقَ﴾ وكلمة ﴿كَفَرُوا﴾ وهناك أتباع، إذن هناك قضية وخصومة، وهناك حق وهناك باطل، فلا بد من الفصل في هذه القضية.

ثم بعد ذلك يأتي الفصل يوم القيامة ، ويكون عندها المرجع إلى الله تعالى ليحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، وفي يوم القيامة لن تكون هناك إرادات للبشر والمخلوقات إلا إرادة الله الواحد القهار .

السؤال الثامن:

ما أهم التعليقات البيانية على آية آل عمران ٥٥.

الجواب:

١ـ الحياة غير الروح، فالنطفة فيها حياة لكنْ ليس فيها روح حتى ينفخ فيها المَلَكُ الروح بعد ١٢٠ يوماً، كما جاء في الحديث .

٢ـ والنائم ليس ميتاً، مع أنّ روحه مقبوضة تسرح في ملكوت الله تعالى، لذا ترى ما لا يراه اليقظان.

٣ـ هناك ثلاث صور لمفارقة الروح الجسد، إمّا بالموت أو القتل، وإمّا بالنوم، وإمّا بالرفع كما حصل لعيسى عليه السلام، وهو نبي وُجد بمعجزة وفارق الحياة بمعجزة، وسوف ينزل في آخر الدنيا كما ورد في الأحاديث الصحيحة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير اتباعاً لمنهج الإسلام، ثم يموت كما يموت الناس.

٤ـ كلمة التَّوَفِّي في القرآن في غير آية آل عمران تدل على سحب الروح بالموت ، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:١٥] ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١] سواء بالموت أو القتل.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: ينبغي عليه أن يغادر الدنيا بالوفاة، وهذا الأمر ليس من عنده بل من الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ والله لا يعجزه شيء.

واتفق العلماء على أنّ وفاته لم تكن نوماً ولا مفارقة حياة، وإنما بصورة ثالثة معجزة ـ بالرفع ـ.

والمتوفي الحقيقي هو الله تعالى، وأما الباقي [ملك الموت ـ الملائكة ـ رسلنا] فمظاهر وأسباب .

٦ـ التوفي تعني أخذ الروح، والرفع رفعٌ بالجسم الحي، فلما قال: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني قبض الروح، ولما قال: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: رفعاً بالجسم الحي .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ التطهير للروح والبدن حتى لا يمسه أعداؤه بأذى أو بضرر، لذلك كان الرفع للجسم لتطهيره من كل أدران الأرض ومن فيها.

٨ـ ورد اسم عيسى عليه السلام أو المسيح أو ابن مريم في القرآن (٣٥) مرة، منها ثلاثة مواضع فقط تتعلق بالوفاة .

آ ـ موضع فيه ﴿تَوَفَّيْتَنِى﴾ [المائدة:١١٧] فيها التوفي فقط.

ب ـ موضع فيه ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ [آل عمران:٥٥] فيها توفٍّ ورفع وتطهير.

ج ـ موضع فيه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨] وفيها إشارة إلى الرفع . والله أعلم .



﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية ٥٦، عندما تحدث عن الكفار قال: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ بصيغة الحاضر وعندما تحدث عن المؤمنين في الآية ٥٧ قال: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بصيغة الغائب ولم يقل: (فأوفيهم) والعمل كله لله تعالى، فلماذا قال في الأولى: (فأعذبهم) وفي الثانية: (فيوفّيهم)؟

الجواب:

١ـ بدأت الآية السابقة رقم ٥٥ بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ كلمة (قال) هي للغائب ، ولكن حينما نسمع ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ الله عز وجل حاضر في القلب دائماً فهو حاضر في قلبك، فصار عندنا: قال للغائب، والله حاضر، فلوّنت العبادة بين غائب وحاضر.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ لفظة (إنّي) هنا للإفراد؛ لأنّ هذا أمر لا يُنسب إلا لله عز وجل .

٢ـ الآية ٥٦ فيها حضور المتكلم، والسامع يستشعر الحضور كذلك، فقال: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ ؛ لأنّ العذاب هو في الدنيا والآخرة كما في نص الآية ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ إضافة إلى أنه ليس لهم ناصر.

والآية ٥٦ هي في سياق كلام الله سبحانه عن نفسه، انظر الآية ٥٥، فناسب إسناد التعذيب إلى نفسه جرياً مع سياق الحديث عن النفس .

٣ـ الآية ٥٧: هذه الآية فيها بُعد عن الآية الأولى، وهي في مقام الالتفات إلى الغائب، وبدأت بعبارة أخرى ﴿ وَأَمَّا ﴾ ولم يقل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مباشرة.

و جاء الفعل بصيغة المضارع ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ لأنّ:

آ ـ الأجور تدفع بعد انتهاء العمل وليس قبله، إذن الأمر غائب .

ب ـ جاء الفعل ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالغائب ليتناسب مع غيبة الأجور .

٤ـ جاء ختام الآية في الغيبة فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ ولم يقل:أحبُّ، ولم يرد فعل الحب من الله تعالى في القرآن إثباتاً أو نفياً مسنداً إلى ضمير المتكلم (أنا) فلا يقول مثلاً: أنا لا أحب الظالمين، أو: أنا أحب الصابرين، وإنما يسند ذلك في الأغلب إلى لفظ الجلالة أو إلى الضمير فيقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام:١٤١] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥] .

٥ـ في الآيتين تنوع وتلوين في الانتقال من الحاضر للغيبة ومن الإفراد إلى الجمع ، وهو المناسب وليس الاستمرار بالحديث عن النفس .

٦ـ هناك قراءة أخرى لشُعبة عن عاصم (فَنُوَفِّيهِم) أي: للتعظيم؛ لأنّ وفاء هذا الأجر يكون له عظمة، وهذه القراءة تمهد للآية التي بعدها ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ أيضاً بالجمع والتعظيم . والله أعلم.



﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأٓيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة لفظة ﴿عَلَيْكَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

انظر إلى الأبعاد التي تحملها كلمة ﴿عَلَيْكَ﴾

فأولاً: فيها تشريف الخطاب من الله العظيم بدلالة نون العظمة في ﴿نَتْلُوهُ﴾

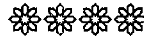
وثانياً: تجد إيراد هذه الكلمة ﴿عَلَيْكَ﴾ تصديقاً لدعوى الرسالة وآية من آيات صدق النبوة.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ في وصف الذكر؟

الجواب:

(الحكيم) لها أكثر من دلالة ، إمّا أن تكون من الحُكم أو من الحِكمة، و(الحكيم) قد تكون اسم مفعول بمعنى محكم،لأنّ فعيل بمعنى مفعول، مثل قتيل بمعنى مقتول، وحكيم بمعنى مُحكم . قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ وفي سورة هود قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١] يعني: مُحكم.



﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

في الآيات السابقة ، ثم في هذه الآية، يوجد تنويع بين الغيبة والحضور والتعظيم وعدم التعظيم، والجمع والإفراد، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] رجع إلى الإفراد.

ولاحظ الغيبة والحضور والتعظيم وعدم التعظيم كلٌ في موضعه؛ لأنّ هنا ﴿خَلَقَهُۥ﴾ [آل عمران:٥٩] الخلق هنا إفراد لعيسى أو لآدم، وهذا التنويع هو نوع من إراحة القراءة ويرتاح فيه القارئ: مرة مفرد ومرة جمع، مرة يتحدث عن نفسه ومرة غائب، وفي كلٍّ يراد به واحد هذا التلوين، لذلك نجد أنّ كل كلمة جاءت في موضعها.

السؤال الثاني:

ما دلالة المثلية في الآية بين [آدم وعيسى] عليهما السلام؟ وهل هناك لطائف عددية في هذه المثلية ؟

الجواب:

الآية تبين المثلية في الخلق لآدم وعيسى عليهما السلام فكلاهما بدون أب ، وقوله تعالى: ﴿مَثَلَ﴾ أي صفة عيسى عليه السلام كصفة آدم عليه السلام .

وهنا نبين وجوهاً أخرى من المثلية التي ذكرها الله في آية آل عمران ٥٩، وهذه المثلية هي المثلية العددية.

١ـ تكرر اسم آدم وعيسى عليهما السلام في القرآن الكريم بالتساوي ٢٥ مرة، وذلك حسب الجدول التالي:

مسلسل	الرسول	السورة	رقم الآية	الرسول	السورة	رقم الآية
١	آدم	البقرة	٣١	عيسى	البقرة	٨٧
٢	آدم	البقرة	٣٣	عيسى	البقرة	١٣٦
٣	آدم	البقرة	٣٤	عيسى	البقرة	٢٥٣
٤	آدم	البقرة	٣٥	عيسى	آل عمران	٤٥

٥	آدم	البقرة	٣٧	عيسى	آل عمران	٥٢
٦	آدم	آل عمران	٣٣	عيسى	آل عمران	٥٥
٧	آدم	آل عمران	٥٩	عيسى	آل عمران	٥٩
٨	آدم	المائدة	٣٧	عيسى	آل عمران	٨٤
٩	آدم	الأعراف	١١	عيسى	النساء	١٥٧
١٠	آدم	الأعراف	١١	عيسى	النساء	١٦٣
١١	آدم	الأعراف	٢٧	عيسى	النساء	١٧١
١٢	آدم	الأعراف	٣١	عيسى	المائدة	٤٦
١٣	آدم	الأعراف	٣٥	عيسى	المائدة	٧٨
١٤	آدم	الأعراف	١٧٢	عيسى	المائدة	١١٠
١٥	آدم	الأعراف	٦١	عيسى	المائدة	١١٢
١٦	آدم	الإسراء	٦١	عيسى	المائدة	١١٤
١٧	آدم	الإسراء	٧٠	عيسى	المائدة	١١٦
١٨	آدم	الكهف	٥٠	عيسى	الأنعام	٨٥
١٩	آدم	مريم	٥٨	عيسى	مريم	٣٤
٢٠	آدم	طه	١١٥	عيسى	الأحزاب	٧
٢١	آدم	طه	١١٦	عيسى	الشورى	١٣
٢٢	آدم	طه	١١٧	عيسى	الزخرف	٦٣
٢٣	آدم	طه	١٢٠	عيسى	الحديد	٦٣
٢٤	آدم	طه	١٢١	عيسى	الصف	٦
٢٥	آدم	يس	٦٠	عيسى	الصف	١٤

الملاحظات:

آ ـ في الرقم المتسلسل ٧ يوجد التماثل الأول حيث جمعت الآية ٥٩ من سورة آل عمران الاسمين معاً، أي: نفس الآية ونفس السورة .

ب ـ في الرقم المتسلسل ١٩ يوجد التماثل الثاني، حيث ذُكر الاسمان في نفس السورة وليس في نفس الآية .

ج ـ مجموع عدد الآيات للسور ابتداء من سورة آل عمران، وهي بدء التماثل الأول إلى بداية سورة مريم، وهو بدء التماثل الثاني، يساوي ١٩٥٧ .

د ـ مجموع عدد الآيات ابتداء من الآية ٥٩ من سورة آل عمران، بدء التماثل الأول ، إلى الآية ٥٨ من سورة مريم، بدء التماثل الثاني يساوي أيضاً ١٩٥٧. انظر الجدول التالي.

السورة	عدد الآيات	عدد الآيات من الآية ٥٩ من آل عمران
آل عمران	٢٠٠	١٤٢ ، أي [٢٠٠ـ٥٨]
النساء	١٧٦	١٧٦
المائدة	١٢٠	١٢٠
الأنعام	١٦٥	١٦٥
الأعراف	٢٠٦	٢٠٦
الأنفال	٧٥	٧٥
التوبة	١٢٩	١٢٩

يونس	١٠٩	١٠٩
هود	١٢٣	١٢٣
يوسف	١١١	١١١
الرعد	٤٣	٤٣
إبراهيم	٥٢	٥٢
الحجر	٩٩	٩٩
النمل	١٢٨	١٢٨
الإسراء	١١١	١١١
الكهف	١١٠	١١٠
مريم	بدء التماثل الثاني	٥٨
المجموع	١٩٥٧	١٩٥٧

الرقم ١٩٥٧ = ١٩ × ١٠٣

ويساوي إلى ١٩ × [جمّل المسيح - جمّل آدم] أي يساوي ١٩ × [١٤٩ـ٤٦] ويساوي إلى ١٩ × ١٠٣ .

٢ـ ترتيب سورة مريم ١٩، وفيها ورد التكرار ١٩ لاسم عيسى، والتكرار ١٩ لاسم آدم، أي:

رقم التكرار	الاسم	رقم الآية
١٩	آدم	٥٨
١٩	عيسى	٣٤

والفرق بين الآيتين ابتداء من ٣٤ إلى نهاية ٥٨ يساوي ٢٥ ويساوي تكرار اسم [آدم وعيسى] على رسولنا وعليهما الصلاة والسلام .

السؤال الثالث:

الآية تتحدث عن عيسى عليه السلام فهل من لطائف أخرى عددية في هذه الآية ؟

الجواب:

في القرآن الكريم جاءت ست صيغ لاسم المسيح عليه السلام، وهذه الصيغ هي:

الصيغة	جمّل هذه الصيغة
عيسى	١٥٠
المسيح	١٤٩
ابن مريم	٣٤٣
عيسى ابن مريم	٤٩٣
المسيح ابن مريم	٤٩٢
المسيح عيسى ابن مريم	٦٤٢
المجموع	٢٢٦٩

سؤال:

ما الآية التي ترتيبها ٢٢٦٩ ؟

الجواب:

إنها الآية ١٩ من السورة ١٩، وهي الآية التي تتحدث عن البشارة بالمسيح عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩]

سؤال:

كم بقي من الآيات حتى نهاية المصحف ؟

الجواب:

هو [٦٢٣٦-٢٢٦٩=٣٩٦٧]

وهذا الرقم ينطبق على جمل الآية ٥٩ من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

فتأمل.. !!!!! . والله أعلم .

السؤال الرابع:

في الآية إشكال، وهو أنه تعالى قال: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩] فهذا يقتضي أن يكون خَلْقُ آدم متقدماً على قول الله (كن) وذلك غير جائز؟

الجواب:

الجواب هو من وجوه:

آـ الخلق هو التقدير والتسوية ، ويرجع معناه إلى علم الله تعالى بكيفية وقوعه على الوجه المخصوص، وكل ذلك متقدم على وجود آدم عليه السلام تقدماً من الأزل إلى الأبد .

وأمّا قوله تعالى: ﴿كُن﴾ فهو عبارة عن إدخاله في الوجود، فثبت أن خلق آدم متقدم على قوله: ﴿كُن﴾ .

ب ـ أنه تعالى خلقه من الطين، ثم قال له: ﴿كُن﴾ أي: أحياه، لذلك فالضمير في قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ راجع إلى آدم حين كان تراباً، وهذا الهيكل سيصير(آدم) تسمية لما سيقع بالواقع .

ج ـ بتقدير صيّره الله خلقاً سوياً ، ثم يخبرنا الله: أني إنما خلقته بأن قلت له: (كن) .

د ـ تأويل قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ أي: فكان بشراً كاملاً روحاً وجسداً ، وعبّر بصيغة المضارع المقترن بالفاء في ﴿فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ حكاية للحال وتصويراً لها ، وإشارة إلى أنه كان مع الأمر من غير تخلف، وتنبيهاً على أنّ هذا الشأن يتجدد مع كل مراد لا يتخلف عن مراد الآمر أصلاً .

والله أعلم .



﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آل عمران ٦٠ : ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ وفي البقرة١٤٧ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ ؟

الجواب:

لقد تقدم آية البقرة قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤] فناسب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ [البقرة:١٤٧] ولم يتقدم في آل عمران ما يقتضيه .



﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

إنّ الفئة المجادِلة من وفد نجران كانت من الرجال البالغين، فلِمَ جمع في المباهلة الأبناء والنساء ودُعوا إليها ، وكان يكفي أن يقال: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ؟

الجواب:

إنّ من ظهرت مكابرته في الحق وحب الدنيا علِم أنّ أهله ونساءه أحب إليه من الحق، وأنه يخشى سوء العيش وفقدان الأهل ولا يخشى عذاب الآخرة، لذلك طالبهم الله تعالى بإحضارهم، وهذا يزرع الخوف في قلوبهم من إلحاق الأذى واللعنة بهم.



﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما فائدة دخول ﴿إِنَّ﴾ والضمير ﴿لَهُوَ﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ﴾؟ وما ضمير الفصل ؟

الجواب:

١ـ دخول الحرف المشبه بالفعل ﴿إِنَّ﴾ يفيد تأكيد الجملة، وقد زاد تأكيدها بدخول ضمير الفصل ﴿لَهُوَ﴾ الذي يفيد التوكيد والقصر، وما ذاك إلا لزعزعة ثقة أصحاب المِلل بدينهم، فكأن الله تعالى يقول لهم: إنّ هذا هو القصص الحق وحده، لا ما تقصّه كتب أصحاب المِلل الأخرى وعقائدهم.

٢ـ وفي تسمية ضمير الفصل قالوا: إنه يفصل الخبر عن الصفة، وهذا أصل التسمية، وذلك حتى يُعلم أنّ الذي بعده خبر وليس صفة؛ لأنه أحياناً يأتي للسائل أنّ هذا صفة وبعده خبر .

٣ـ قولك مثلاً: (هذا القصص الحق) يحتمل أنْ يكون القصص بدلاً، لذلك فيها التباس.

فإذا أردنا أنْ نجعل القصص هو الخبر وليس الصفة نقول: (هذا هو القصص الحق) والحق تكون صفة .

وإذا أردنا أنْ نقرر أنّ (القصص) ليس خبراً، نقول: (هذا القصص هو الحق)، فيكون الحق هنا خبراً للقصص.

في الآية السابقة عيّن الضمير (إنّ) كلمة (القصص) هي الخبر، ولا تظنن أنّ (إنّ) هي التي عينت الخبر برفعه، فذلك صحيح في هذه الجملة، ولكن لو حذفنا (إنّ) ما تعين الخبر إلا بالضمير.

٤ـ ضمير الفصل في الغالب يفيد القصر الحقيقي أو الادعائي (تدعي أنّ فلاناً شاعر مثلاً، وهو ليس بشاعر) أو التوكيد، وأهم أغراضه:

آـ الإعلام أنّ ما بعده خبر لا تابع .

ب ـ الاختصاص والقصر: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران:١٠] .

ج ـ التوكيد: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:٥] .

وهو أنواع:

آـ توكيد القصر الحقيقي: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

ب ـ التوكيد على جهة المبالغة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣].

ج ـ توكيد معنى المقايسة، كقولك: الشاعر هو البحتري، فلم ترد أنْ تقصر الشعر عليه ولكنْ كأنك قلت: هل سمعت بالشاعر وخبرت معرفته؟ فتؤكد هذا المعنى وتقول: الشاعر هو البحتري، وكقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل:١٠٥] فالكاذبون كثيرون ، ولكنّ هؤلاء أولى من يسمى بهذا الاسم.

د ـ توكيد معنى الكمال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة:١٢٧].

٥ـ أمّا في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١] هذا ضمير الشأن وليس ضمير الفصل، وضمير الفصل على الأرجح ليس له محل من الإعراب، وفي أشهر الأقوال: إنه حرف لا محل له من الإعراب.

السؤال الثاني:

ما فائدة ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: في الآية ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذه تسمى في اللغة (مِنْ) الاستغراقية التي تستغرق كل ما دخلت عليه، فقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران:٦٢] استغرقت جميع الآلهة، وقوله تعالى ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾ [المائدة:١٩] تستغرق كل ما دخلت عليه.

٢ـ عندما تقول: (ما جاءني رجل) فيها احتمالان: أنه ما جاءك رجل وإنما رجلان أو أكثر، و(ما جاءني رجل) أي: لم يأت واحد من جنس الرجال ، لكن لا ينفي جنساً آخر .

أمّا عندما تقول: (ما جاءني من رجل) تستغرق الجنس بكامله، أي: لم يأتك لا واحد ولا أكثر من هذا الجنس.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ ما الفرق بين الحق والرُّشد؟

الجواب:

١ـ (الحقُّ) ليس مناقضاً للرُّشد، ولا (الرُّشد) مناقض للحق. الحق أعم من الرُّشد، ويوصف بالحق أحياناً ما لا يوصف بالرشد، ويُخبر عنه بما لا يخبر بالحق، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء:٦] هل يمكن أن يقال آنستم منهم (حقاً)؟ كلا.

ـ ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ [البقرة:٦١] .

ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢] .

ـ ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ [آل عمران:٨٦] .

ـ ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] .

ـ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنعام:٥٧]، لا يصح أن يقال: يقص الرُّشد.

ـ ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢] .

ـ ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس:٣٢] .

الحق أعمُّ من الرشد، وكل هذه الآيات لا يصح فيها الرُّشد، والحق يُذكر في أمور لا يصح فيها ذكر الرُّشد.

٢ـ الأمر الآخر أنّ الرُّشد لا يقال إلا في العاقل ، فالعاقل يوصف بالرُّشد أما الحقُّ فهوعام، نقول: [القتل بالحق ـ هذا المال حق لك ـ الله هو الحق ـ الجنة حق والنار حق].

لذلك هنالك أمران: الحق أعمّ من الرُّشد يُخبر به عن الإنسان وغيره، ومن ناحية أخرى الرُّشد خاص بالعاقل.

إذن الرشد قسم من الحق وليس الحق كله، وكل رشد هو حق، لكن ليس كل حق رشداً، باعتبار أن الحق أعمُّ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفعل ﴿تَعَالَوْاْ﴾ في هذه الآية ؟

الجواب:

في هذه الآية رفعة وسمو، فتأمل صيغة الأمر بفعل ﴿تَعَالَوْاْ﴾ والأصل فيه طلب الاجتماع في مكان عالٍ وهو هنا ﴿كَلِمَةٍ﴾ وهو تمثيل رائع حيث جعل كلمة التوحيد تشبه المكان المراد به الارتفاع، وهو مكان سامٍ يسمو بمن يلحق به.

السؤال الثاني:

ما دلالة الحرف ﴿فَإِن﴾ في قوله تعالى في الآية ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ؟

الجواب:

جيء في هذا الشرط بحرف ﴿فَإِن﴾ ولم يأت بغيره، وما ذاك إلا لأنّ التولّي بعد نهوض الحجة وما قبلها من الأدلة غريب الوقوع ، وهذا من المعاني التي تفيدها ﴿فَإِن﴾ التي جاءت في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فتأمل!.

السؤال الثالث:

لماذا قال في آية آل عمران ٦٤ ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فجاء بالباء مع ﴿بِأَنَّا﴾ ولم يذكرها في آية هود٥٤ في قوله: ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ﴾ [هود:٥٤] مع أنّ الفعل فيهما واحد وهو قوله: ﴿ٱشْهَدُوا۟﴾ ؟

الجواب:

١ـ (الباء) مقدرة في قوله تعالى في آية هود ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ﴾ [هود:٥٤] لأنّ الفعل (شهد) يتعدى بالباء، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزُّخرُف:٨٦] وقوله: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف:٨١] .

٢ـ ومعلوم أنّ الذكر أقوى وآكد من الحذف ، ولذلك قوله تعالى: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران:٥٢] أقوى وآكد من قوله: ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود:٥٤] وسياق كل من الآيتين يوضح ذلك:

آ ـ في آل عمران قال على لسان رسوله ﷺ:

ـ ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤] .

ـ ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:٦٤] .

ـ ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤] .

وأما في هود فقد ذكر البراءة من الشرك فقط ﴿أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود:٥٤-٥٥] وهو واحد مما جاء في آل عمران.

ب ـ في آل عمران قوله تعالى: على لسان رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:٦٤] وهذا التعبير يحتمل معنيين: لا نشرك به شيئاً من الشرك، ولا نشرك به شيئاً من الأشياء.

في حين قال في هود: ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ﴾ [هود:٥٤-٥٥] فذكر البراءة مما يشرك به قومه، فكان ما في آل عمران أعم وأشمل؛ لأنه نفى كل أنواع الشرك، ويدخل فيه ما ذكره في هود.

لذلك كان ما في آل عمران أقوى وآكد وأعم فناسب ذكر الباء فيه، ولمّا كان ما في هود جزءاً مما ذكر في آل عمران ناسب الحذف، والله أعلم



﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾

السؤال الأول:

قال هنا في الآية ٦٦: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وكذلك في آية النساء ١٠٩، بينما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ في آية آل عمران ١١٩ ، وآية طه ٨٤، فما الهدف من تكرير (هاء التنبيه) أو حذفها؟

الجواب:

١ـ الخطاب في آل عمران ٦٦ في أهل الكتاب وفي النساء ١٠٩ في الذين يختانون أنفسهم، فأراد الله أنْ يقرّعهم ويزيد في تنبيههم ولومهم؛ لأنهم جادلوا بالباطل وهم

يعلمون، فكرّر التنبيه مرة قبل الضمير ومرة قبل اسم الإشارة، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ زيادة في التنبيه والوعظ .

بخلاف آية آل عمران (١١٩) فإنه خطاب للمؤمنين حيث لا يحتاج إلى زيادة في التنبيه واللوم، فالموقف هنا مختلف وليس فيه تقريع ولا لوم.

٢ـ وقد لا يحتاج الموقف إلى التنبيه فلا يذكره نحو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا ربه في آيات طه ٨٣ـ٨٤ ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه:٨٣-٨٤] فلم يأت بالتنبيه؛ لأنهم غير حاضرين .

فالتنبيه هو بالقدر المناسب فقد يكرر أو لا يكرر، أولا يذكر التنبيه بحسب الحاجة إليه.



﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاءت اللام مفتوحة في كلمة ﴿ لَلَّذِينَ ﴾ في هذه الآية؟ وما مدلولها؟

الجواب :

١ـ ذكر الله تعالى في هذه الآية فريقين ممن اتّبع سيدنا إبراهيم عليه السلام على منهج التوحيد ، فالفريق الأول هو ممن تقدم ،الذين اتبعوه على منهج التوحيد وليس على منهج اليهود أو النصارى أو المشركين ، والفريق الثاني هو النبي محمد عليه السلام

وسائر المؤمنين ، ثم قال : ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي بالنصرة والمعونة والتوفيق والإعظام والإكرام ، ولم يقل :

(وليهم) تنبيهاً على الوصف الذي يكون الله تعالى به ولياً لعباده ، وهو الإيمان؛ ليعم الأنبياء كلهم وأتباعهم .

٢ـ كلمة ﴿أَوْلَى﴾ على وزن (أفعل) تفضيل من (وليه يليه) ، وأصل معناه: (أقرب) ، ويكون بمعنى (أحق)، كما تقول : العالم أحق بالتقديم ، والمعنى هنا : أي أقرب الناس وأحقهم وأخصهم بإبراهيم ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ على منهج التوحيد ، وليس على منهج اليهود أو النصارى أو المشركين؛ ولذلك أكد باللام .

٣ ـ هذه اللام ليست حرف جر ، وإنما هي اللام المزحلقة التي تأتي بهدف التوكيد مع خبر (إنّ) ؛ ولذلك جاءت مفتوحة وليست مكسورة ، كما هو الحال عندما تأتي اللام كحرف جر .

٤ـ إعراب ﴿لَلَّذِينَ ﴾ هو :

اللام : اللام المزحلقة، وتفيد التوكيد .

الذين : اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر (إنّ).

٥ـ العطف في قوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هو من باب عطف الخاص على العام . والله أعلم .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال القرآن ﴿طَّآئِفَةٌ﴾ في هذه الآية؟ وما مدلولها؟

الجواب:

١ـ يستعمل القرآن الكريم لفظ (طائفة) و(فريق) و(فرقة)، والقرآن لا يجعل الكلام عاماً، وهذا ما يسمى بالأسلوب العلمي في التعبير، فلا نعمم ونقول: قال: جميع الناس.

٢ـ هناك فرق بين كلمة (طائفة) و(فريق) أو(فرقة)، ولكل كلمة من هذه معناها، فالفرقة هي جماعة عددها كثير، وسُمّيت فرقة كأنها فرّقت جمعاً، أما الطائفة فهي الجماعة البارزة التي كأنها تطفو على السطح ظاهرة، وهي أقل من الفِرقة .

٣ـ وهؤلاء كأنهم أشخاص ظاهرون بارزون، كان لديهم مخطط، وهو أن يدخلوا في الاسلام صباحاً ثم يرتدوا في المساء، حتى يقول الناس لا بدّ أنهم رأوا ما لا ينبغي فيرتدوا أيضاً، وليست كل طائفة تخطط، وإنما هؤلاء كأنهم قوم ظاهرون كان لديهم مخطط.

٤ـ ويقال إنّ الصهيونية لها قيادة مستمرة على مدى ألفي عام تنقل تجاربها، وهم (حكماء صهيون)، كلما هلك واحد دخل واحد آخر في هذه العصبة أو القيادة، فتجاربهم مستمرة متواصلة وخبراتهم متراكمة، وربما من خبراتهم في ذلك الزمان أنهم كلفوا بعضهم بأن يدخلوا في دين الله في الصباح - والكلام في آية سورة آل عمران عن اليهود - ثم يرتدوا في المساء ليرتد الآخرون.

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ [البقرة:١٢٠] بينما قال في آية آل عمران ٧٣: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي آية الأنعام ٧١ ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ﴾ [الأنعام:٧١] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠.



﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الفضل بالعظيم فى الآية ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٤]؟

الجواب:

هنا الفضل منسوب مباشرة ومسند إلى الله تعالى فجاء بلفظ (العظيم) وكذلك ذكر الرحمة الواسعة فذكر (العظيم).

وجاء بلفظ (العظيم) معرّفاً؛ لأنّ ما قبلها معرّف، ويأتي بالتنكير ﴿عَظِيمٍ﴾ عندما يكون قد سُبق بالتنكير كما في آية سورة آل عمران ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٤] حيث جاءت لفظة ﴿فَضْلٍ﴾ نكرة، فجاء لفظ ﴿عَظِيمٍ﴾ نكرة أيضاً.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

الفعل (يأمن) يتعدى بحرف الجر (على) فنقول: أمنته على سِرّي، وقال تعالى: على لسان يعقوب ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف:٦٤] فلِمَ عدّى الفعل ﴿تَأْمَنْهُ﴾ [آل عمران:٧٥] في الآية بالباء فقال: ﴿تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران:٧٥] دون تأمنه على قنطار؟

الجواب:

الحرف (على) يدل على التمكن، فإذا قلت أمنته على سِرّي، أي: جعلته متمكناً منه وراعياً له، وفي هذه الآية ﴿إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران:٧٥] عُدِّيَ الفعل تأمنه بـ (الباء) للإيماء إلى أنّ هذه الأمانة أريد بها المعاملة والوديعة والأمانة بالمعاملة.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل؟

الجواب:

١ـ الثمن هو المقابل أو العِوَض، وكلمة (ثمن) وردت في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم كله، في موضع واحد فقط لم يوصف كما في سورة المائدة (١٠٦) ووصف مرة واحدة بأنه (بخس) في سورة يوسف .

وفى الأماكن الأخرى أي: في تسع آيات وصف الثمن بأنه قليل، إمّا أن ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك وما قبضوه هو قليل.

٢ـ الآية التي لم يوصف بها الثمن بأي وصف (آية المائدة ١٠٦) تتعلق بشهادة على وصية، فهنا الأمر يتعلق بمصالح الناس الذين لهم وصية، ويشمل ذلك الثمن الحقير والعظيم والمادي والمعنوي والنفيس والتافه حتى يقطع عليهم الطريق لأي تأويل.

٣ـ (الثمن القليل) جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ فهو ثمن قليل تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره . وأي ثمن يناسب آيات الله عز وجل؟ لا شيء، فكل ثمن هو يقل في شأن آيات الله سبحانه وتعالى.

وليس معنى ذلك أنّ (ثمن قليل) يمكن أن يشتروا به ثمناً كثيراً، كلا ، وإنما بيان أنّ هذا الثمن الذي أخذتموه لا يقابل آيات الله ، فهو قليل في حق الله سبحانه وتعالى، وكل ثمن يؤخذ مقابل ذلك فهو قليل مهما عظُم.

*** شواهد قرآنية:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧٧] هذا الثمن سماه قليلاً.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران:١٨٧] هذا ماض ، وقد وصفه الله بالقِلة أياً كان هذا الثمن ، وهم باعوه في نظرهم بثمن عظيم، لكنْ وصفه القرآن بالقِلة؛ فبئس ما يشترون.

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران:١٩٩] ليس معناه: يشترون ثمناً عظيماً ، ولكنْ هذا الثمن مهما كان نوعه فهو قليل في مقابل التضحية بآيات الله سبحانه وتعالى.

٤ـ ألا يمكن أن يأتي الوصف بالبخس والقليل معاً؟ يمكن إذا أُريد بالبخس ما هو ليس من قدر الشيء الذي بيع ، لكن لا يستقيم مع آيات الله؛ لأنه ليس هناك شيء بقدر الآيات ، لذلك لا يستقيم مع أمرهم إلا القلّة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧] ولم يقل ربنا تعالى مثلاً: (أولئك غضب الله عليهم ومقتهم)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

تدبر في هذا التعبير عن غضب الله تعالى ومقته للكافرين، فلمْ يقل ربنا تعالى:(أولئك غضب الله عليهم ومقتهم)، بل قال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران:٧٧]، لأنّ عدم الكلام يدل على شدة الغضب.

وفي سلب النظرعنهم من الله سبحانه وتعالى إشارة إلى شدة مقتهم وعدم استحقاقهم لأدنى عذر، وقد آثر الله تعالى أنْ يعبر عن غضبه عليهم بعدم النظرإليهم وعدم الكلام ، للإيماء إلى أنهم لا يستحقون أن ينالوا أدنى عطف أو رحمة من الله تعالى ، بل قد استحقوا الغضب والنار.

وقد قال الله عنهم في الآية: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران:٧٧] أي: لا حظ لهم ولا نصيب.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ١٧٤ : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ وقال هنا في الآية: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[آل عمران:٧٧] بزيادة ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران:٧٧] **فما دلالة ذلك ؟**

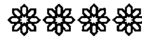
الجواب:

زاد في آل عمران ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧] **بخلاف البقرة وذلك لسببين:**

١ـ آية البقرة في الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون بكتمانهم ثمنا قليلاً، بينما آية آل عمران في الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، وهو ذنب أكبر وأعظم من مجرد الكتمان، إذ هم لم يكتموا الحق فقط بل غيّروه وأقسموا على ذلك واشتروا به ثمناً قليلاً ، فهم لم يكتفوا بالكتمان، بل تجاوزوه في دعم الباطل ، فلمّا زادوا الذنب زاد الله لهم في العقوبة فقال: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ .

٢ـ أنّ السياق في آل عمران في الوفاء بعهد الله، انظر آل عمران:٧٦ ، بينما سياق آية البقرة الكلام على الميتة والدم ونحوها، انظر البقرة:١٧٣ .

فلمّا كان الكلام في آل عمران هو الكلام عن عهد الله ناسب تشديد العقوبة على مضيعيه أكثر مما في البقرة؛ لأنّ السياق يقتضيه .



﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار (الكتاب) و(لفظ الجلالة) ثلاث مرات في الآية ؟

الجواب:

لاحظ التكرار في هذه الآية، فقد كرّر الله تعالى كلمة (الكتاب)، مع أنّ النظم كان يستقيم لو قيل: (لتحسبوه من الكتاب وما هو منه، ويقولون هو من عند الله وما هو من عنده)، لكنه جاء بهذا التكرار لقصد الاهتمام بالاسمين: الكتاب ولفظ الجلالة، وذلك يجرّك إلى الاهتمام بما يتعلق بهما من خبر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النفي بـــ (ما) و (لم)؟

الجواب:

١ـ (ما) في الغالب تقال للرد على دعوى، تقول: أنت قلت كذا؟ أقول: ما قلت ، فهي نفي .

٢ـ (لمْ) قد تكون من باب الإخبار والتعليم ، فليست بالضرورة أنْ تكون رداً على قائل معين.

لذلك قولك: لم يحضر، هو نفي لـ (حضر)، بينما قولك (ما حضر) هي نفي لـ (قد حضر)، كما في قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤] .

* شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان: ١ - ٢] هذا من باب

التعليم، وليس رداً على قائل، وليس في السياق أنّ هناك من قال وردّ عليه وإنما تعليم .

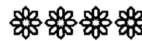
وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١] يخبرنا إخباراً .

ـ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١] .

لمّا ردّ على المشركين قال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾ [المؤمنون:٩١] ضد قول اتخذ صاحبة وولداً ، لأنّ (لم يتخذ) قد تكون من باب الإخبار والتعليم، بينما قال في محاجته للمشركين: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١] لأنهم يقولون: اتخذ الله ولداً .

ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨] يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيرد عليهم ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨] .

ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] .



﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا نفهم من قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [آل عمران:٧٩] ؟

الجواب:

لو تأملت في هذه الآية المحكمة السبك، لوجدت نفسك تغوص في عجائب فصاحة القرآن الكريم وقوة نظمه، انظر كيف يختار القرآن ألفاظه ليرقى إلى أعظم المعاني التي تعجز عنها ألسنة البشر، إذ كان بمقدوره أن يتمم هذه الآية من جنس الجزء السابق فيقول: (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا عباداً لله)، فماذا نفهم من قوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ؟ إن الربّاني هو المنسوب إلى الربّ، وما ذاك إلا لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه ، ليكون المعنى على أقوى ما يكون ، أي أن يكونوا مخلصين لله تعالى دون غيره.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الكتاب والحُكم والنبوة) المذكورين في الآية؟

الجواب:

١ـ الإيتاء: هو المنحة التي تُؤتى للمؤتى إليه من المؤتي، والذي يسري على آدم يسري على سائر الأنبياء، والقرآن الكريم أوضح أنّ النبي لا بد أن يكون بشراً لأنّ هذا أمر ضروري؛ لأنه لو لم يكن بشراً لبطَلت القدوة، فقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ ولا بد أيضاً من أن يكون من نفس جنس البشر ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠] فالفارق ليس في بشريته وإنما بالوحي إليه والمِنح والعطايا هي من الله تعالى يؤتيها من يشاء من خلقه، والإعجازات النبوية لا تخضع للمقياس البشري.

٢ـ الكتاب: قد يُرسل الله تعالى كتاباً من عنده على أحد الأنبياء ، وهو الوحي مطلقاً سواء كان مكتوباً أو غير مكتوب .

كما يُطلق على الأجل ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥] ويُطلق على القانون الثابت ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣] ويُطلق على الوحي ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ [آل عمران:٧٩] فبدأ بالكتاب تعبيراً عن الوحي ويطلق كذلك على القرآن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] .

فالكتاب يقصد منه الوحي بشكل عام . وقيل: كتاب أحد الأنبياء، كما ذهب بعض المفسرين أنه (الإنجيل) كتاب الله تعالى لعيسى، وقيل: إن الكتاب في الآية المقصود به (القرآن) لأنّ بعض الصحابة أرادوا أن يعظّموا الرسول ﷺ وأرادوا المبالغة فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله**» فنزلت الآية.

وسواء كان المعنى المقصود من الكتاب (الإنجيل) فالآية ترد على النصارى الذين ألّهوا المسيح عيسى ابن مريم، وإنْ كان يعني الوحي فالآية تبين القانون الذي أوضحه الله تعالى فيه.

٣ـ الحُكم: تشمل الحكمة ، لأنّ الحُكم هو أن ينزل الأمر في منزلته الصحيحة ، ومنها إحكام إقفال القارورة وإحكام الغطاء . والمُحكم هو الذي لا يسمح بأي تسرّب، والحِكمة وضع الأمر في نصابه الصحيح ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:٤٨] أي: السُنّة الصحيحة.

٤ـ النبوة: النبأُ العظيمُ هو الخبرُ إذا نزل على واحد من خلق الله تعالى، وعندما يوحي الله تعالى على بشر نُبّئَ يتحول إلى نبيٍّ، فإذا كُلِّف بالتبليغ للناس أصبح رسولاً.

فالخِضر عليه السلام كان نبياً ولم يبلّغ الناس فهو ليس برسول، وكذلك ذو القرنين ولقمان وغيرهم كُلّفوا بمهام ولم يُكلّفوا بالتبليغ، ولهذا كل رسولٍ نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولاً، وعدد الأنبياء المرسلين المذكورين في القرآن الكريم ٢٥ نبياً رسولاً ، أمّا عدد الأنبياء غير المرسلين فغير محدود ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ومن ضمن مهام الأنبياء نصرة الرسل وتأكيد نبوتهم والتطبيق العملي لما يُكلّف به الرسل.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿ مَاكَانَ ﴾ [آل عمران:٧٩] و(كان) من الأفعال الناقصة فلماذا سُميت ناقصة؟ وما أخواتها؟ وما أشهر معانيها ؟

الجواب:

سُمِّيت هذه الأفعالُ ناقصةً؛ لأن سائر الأفعال تدل على الحدث والزمن في حين أنّ هذه الأفعال لا تدلُّ إلا على الزمن فقط ، وهذه الأفعال هي:

١ـ كان:

وأشهر معانيها:

آـ الماضي المنقطع، وهو الغالب عليها، وهو على ضربين:

أمثلة:

ـ الاتصاف بالحدث على وجه الثبوت: التوبة ٦٩.

ـ حدث مرة ولم يكن ثابتاً: الأحزاب ١٥.

ب ـ الماضي المتجدد أوالمعتاد، كما في الآيات [الذاريات ١٧ـ مريم ٥٥ ـ الأعراف ٧٠].

ج ـ الدوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)، كما في الآيات [النساء ٩٦ ـ الأنبياء ٨١ ـ الإسراء١١ ـ ٢٧].

د ـ للدلالة على الحال:[آل عمران ١١٠ـ النساء ١٠٣ ـ يس ٧٠ ـ الأحزاب ٤٠].

هـ ـ للاستقبال: [الإنسان ٧ ـ ٥ ـ الكهف ١٠٧].

و ـ بمعنى (صار): [النبأ ١٩ ـ ٢٠ـ الواقعة ٦].

ز ـ بمعنى (ينبغي): [آل عمران ٧٩ ـ الفرقان ١٨].

ملاحظات:

١ـ الصيرورة: قد تقتضي الزمن الطويل، بخلاف (كان) فإنها تطوي الزمن ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة:٥-٦].

٢ـ إذا جاءت (كان) بمعنى وجد أو حصل كانت (تامة) واكتفت بمرفوعها كما في الآيات: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨٢].

٣ـ قد تنفى (كان) بلام الجحود كما في الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣].

٤ـ قد تحذف نون كان المجزومة للتخفيف ﴿لَمْ يَكُ﴾ [الأنفال:٥٣] ولأغراض مختلفة؛ منها:

ـ الإسراع: نحو (لا تك غافلاً).

ـ المتكلم لا يقوى على إتمام الكلام نحو: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)﴾ [المدّثر:٤٣-٤٤].

ـ النهي عن الشيء بقوة نحو: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾ [النحل:١٢٧].

ـ للوغول في نفي الشيء نحو: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)﴾ [مريم:٦٧] وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)﴾.

ـ للتنبيه على مبدأ الشيء وحقارته: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧)﴾ [القيامة:٣٧].

ـ ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ [لقمان:١٦].

٢ ـ صار: هي للتحول من حال إلى حال، وقد تأتي بمعنى (جاء وانتقل) ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)﴾ [الشورى:٥٣].

٣ ـ ظل:

الأصل في استعمال (ظل) لإفادة الحكم في النهار، وقد وردت ٨ مرات في القرآن الكريم ليس فيها موضع واحد تخصص الفعل في النهار، ممّا يدل على ندرة استعمال هذا الأصل.

* شواهد قرآنية:

[النحل ٥٨ ـ الشعراء ٤ ـ طه ٩٧ ـ الحجر ١٤ ـ الروم ٥١ ـ الواقعة ٦٥ ـ الشورى ٣٣ ـ الشعراء ٧١].

٤ـ بات:

الأصل في استعمال (بات) لإفادة الحكم في الليل، ووردت في القرآن في موضع واحد في آية الفرقان ٦٤ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤].

٥ـ أصبح:

اتصافه بالصباح ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود:٦٧] وقد يأتي بمعنى: صار أو كان، من غير أنْ يقصد بها وقت مخصوص: [المائدة ٥٢ ـ الحجرات ٦ ـ آل عمران ١٠٣].

وقد وردت في القرآن الكريم في ٢٨ موضعاً كلها في العقوبات عدا ثلاثة مواضع هي: [آل عمران ١٠٣ ـ الصف ١٤ ـ الحج ٦٣].

٦ـ أمسى:

اتصافه بالمساء، ولم يرد (أمسى) ناقصاً في القرآن.

٧ ـ أضحى:

اتصافه بالضحى، ولم يرد هذا الفعل البتة في القرآن.

٨ ـ ما زال:

يفيد الاستمرار ، والفعل (زال) فعل منفي، وباجتماعه مع (ما) النافية أفاد الثبات والاستمرار.

زال يزول: الذهاب والاضمحلال.

زال يزيل: خلّص شيئاً من شيء وفصله عنه.

زال يزال: فعل ناقص، عكس: يبقى.

ما زالت تطلع، أي: بقيت تطلع.

لا تزال تطلع، أي: ستستمر بالطلوع في المستقبل.

٩ ـ ما برح:

أصله (برح) أي: ترك المكان، و(ما برح) أي: لم يترك المكان كما في الآيات: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف:٦٠]ـ طه ١٩ ـ يوسف ٨٠.

١٠ـ ما فتىء:

معنى(فتأ) نسي ، وسكّن، وأطفأ النار: فتأت النار.

قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٥] .

١١ـ ما انفك: فكّ الشيء، أي: فصله وخلصه من القيود ومن الأسر. قال تعالى: ﴿مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة:١] .

١٢ـ ما دام:

الفعل (ما دام) بمعنى (استمر) مسبوقا بـ(ما) المصدرية وليست (ما) النافية.

وقد تأتي تامة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود:١٠٧].

١٣ـ ليس:

ليس: فعل ناقص جامد يفيد النفي، وقد وردت (ليس) في القرآن في ٤١ موطناً اسمها نكرة لم تدخل (من) الزائدة المؤكدة على موطن واحد بل كلها مجردة منها نحو: ﴿لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾ [هود:٨].

١٤ـ ما:

أُعملت عمل (ليس) في لغة أهل الحجاز، قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:٣١] ولم تعملها تميم.

و (ما) للنفي لكنها أقوى في النفي من (ليس)؛ لأنّ جملة ليس فعلية، والجملة المنفية بـ (ما) اسمية، والجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية.

وقد وردت في القرآن الكريم في ٩١ موطناً مرفوعها نكرة كلها دخلت عليها (من) الزائدة الدالة على الاستغراق والتوكيد نحو الآيات: [الأنعام ٥١ ـ ٧٠ ـ الأحقاف ٣٢ ـ الرعد ١١ ـ البقرة ١٠٧ ـ التوبة ١١٦].

وقد ورد خبر (ما) مقترناً بالباء الزائدة الدالة على التوكيد في ٧٦ موضعاً، وورد في ثلاثة أماكن فقط غير مؤكد بالباء وهي: [يوسف ٣١ ـ المجادلة ٢ ـ الحاقة ٤٧].

في حين ورد خبر ليس في ٢٣ موطناً مؤكداً بالباء الزائدة، وفي خمسة مواطن مجرداً منها.

١٥ ـ إنْ:

هي بمنزلة (ما)في النفي، لكنها آكد من (ما) وتستعمل كثيراً في الإنكار، نحو ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف:٣١] فنفى مرة بما، ومرة بإنْ.

[فاطر ٤١ ـ المجادلة ٢ ـ يس ١٥ ـ الجاثية ٣٢ ـ يوسف ٤٠].

١٦ـ لا :

وهي أقدم أدوات النفي في العربية، وقد أنكر كثير من النحاة عملها عمل ليس.

١٧ـ لات:

وهي في الأصح (لا) زيدت عليها التاء لتخصيصها بأحكام، فهي أكثر ما تستعمل في نفي الزمن كما في الآية: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص:٣] .

١٨ ـ أفعال الرجاء والمقاربة والشروع:

[عسى ـ حرى ـ اخلولق] بمعنى عسى (للرجاء).

[كاد ـ كَرَبَ ـ أوشك] (للمقاربة).

[شرع ـ أنشأ ـ أخذ ـ طفق ـ جعل ـ هبَّ] (للشروع) .

وتعتبر هذه الأفعال من أخوات كان.

وهذه الأفعال ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، ويكون خبرها دائماً جملة فعلية فعلها مضارع.

ويقترن خبر هذه الأفعال بـ (أنْ) على النحو التالي:

ـ وجوباً مع: [حرى ـ اخلولق] من الفعل خلُق، أي: صار خليقاً أو جديراً بالأمر.

ـ كثيراً مع: [عسى ـ أوشك].

ـ قليلاً مع: [كاد ـ كرب].

ويمتنع اقترانه بـــ (أنْ) مع جميع أفعال الشروع، وللعلم فإن أفعال المقاربة والرجاء والشروع لا تتصرف، أي: تستعمل في الماضي فقط ما عدا: [كاد وأوشك وطفق وجعل] فيأتي منها المضارع، مثل: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة:٢٠] وقولك: يوشك الصيف أن ينتهي .

* ملاحظات:

١ـ تدخل الباء الزائدة على أخبار[ليس وما ولا وكان المنفية] لتأكيد النفي.

٢ـ الفعل (أخذ) معناه حاز الفعل لنفسه فهو يفعله، أمّا (جعل وأنشأ) فمعناه أوجد ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الواقعة:٧٢] .

٣ـ الفعل (كاد) إثباته نفي ونفيه إثبات، فإنْ قلت: كاد يفعل، فمعناه لم يفعل وإنْ قلت: ما كاد يفعل، فمعناه فعله بعد جهد ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [البقرة:٧١] .



﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

لقد جاء السياق القرآني بالنفي، ونعلم أنّ النفي أعمّ من النهي، فهلاّ قيل في هذه الآية (وينهاكم) بدل ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ ؟

الجواب:

في هذه الآية لطيفة يمكن أن تستشفّها حين تعلم أنّ المسيح عليه السلام لم ينههم عن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً؛ لأنه لا يخطر بالبال أن تتلبّس به أمة متدينة، فاقتصرت الآية بنفي الأمر لا بالنهي، ولذلك عقّب بالاستفهام الإنكاري ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.



﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ



السؤال الأول:

لماذا لم تذكر النبوة في آية آل عمران ٨١، مع أنها وردت في الآية قبلها ٧٩ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩]؟

الجواب:

١ـ (النبوة) وفى قراءة (النبوءة). النبي من النباوة بمعنى الرفيع الشأن (نبا ينبو بمعنى ارتفع يرتفع)، والنباوة بمعنى الرفعة، أو أن تكون من النبأ لأنه ينبيء عن الله عز وجل، و كلاهما وارد.

٢ـ الآية الأولى ٧٩، نلاحظ أنه في بدايتها ذكر النبوة، هناك قال: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ فلمّا قال: (بشر) ذكر النبوة ولم يذكر النبيين.

وأمّا في الآية ٨١، فقد ذكر النبيين فلا داعي لإعادة ذكر النبوة مرة أخرى؛ لأنه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:٨١] فلا يحتاج إلى ذلك.

فإذن لّما ذكر النبيين هناك ذكر النبوة، وهنا ذكر النبيين فلم يحتج لذكر النبوة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [آل عمران:٨١] كيف يأخذ ميثاق النبيين قبل مجيء الرسل؟

الجواب:

قيل: إنّ الله سبحانه لم يبعث نبياً منذ آدم إلى سيدنا عيسى عليه السلام إلا أخذ عليه هذا الميثاق: [إذا جاء محمد وأنت حيّ لتؤمنن به ولتنصرنه].

وفي الحديث «**والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم لما وسعه إلا أن يتبعني**» فهو إذن أخذ ميثاق النبيين جميعاً أنه لئن جاء الرسول الخاتم ليؤمنن به، أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري؟ قالوا: أقررنا.

إذن أخذ الميثاق على كل الأنبياء: لئن بُعث هذا الرسول الخاتم وهو موجود ليؤمنن به ولينصرنه، فكل الأنبياء تعلم بقدوم الرسول ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران:٨١] الإصر: هو العهد الثقيل والميثاق القوي، وقيل: إنه آدم عليه السلام عندما أُخرج من الجنة نظر إليها فرأى مكتوبا على بابها: [لا إله إلا الله محمد رسول الله].

السؤال الثالث:

قال تعالى في آية البقرة ٦٤: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٤] وفي آية آل عمران ٨١ قال: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [آل عمران:٨٢] ولم يقل مثلاً: من بعد ذلك ، و(من) تفيد الابتداء، فما الفرق في المعنى ؟

الجواب:

السبب ـ والله أعلم ـ أنّ آية البقرة في بني إسرائيل وتعداد نعمه عليهم وعصيانهم مع ظهور الآيات البينات، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١] فهم بعد أنْ فرق بهم البحر وأغرق آل فرعون اتخذوا العجل بلا مدة فاصلة، فجاء بـــ(من) فقال: ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ ولم يقل (بعده).

ثم عفا الله عنهم من بعد ذلك، ثم إنهم قالوا لموسى: إنهم لن يؤمنوا بعد ذلك كله حتى يروا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فأماتتهم، ثم بعثهم الله من بعد الموت بلا مهلة فجاء بمن ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٦] للدلالة على ابتداء بعثهم بعد موتهم بلا مهلة، ثم رفع فوقهم الطور، ثم تولوا من بعد ذلك فجأة، فما أقسى قلوبهم !!!! يعصون من بعد الآيات فجأة .

وليس الأمر كذلك في آية آل عمران؛ لأنّ الكلام مع النبيين، وليس المقام مقام تبكيت ولا أنهم يتولون مباشرة من بعد الميثاق، وإنما هو مقام ترهيب وتوعد لمن تولى بعد الميثاق.

السؤال الرابع:

كم مرة ورد الفعل ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ مؤكَّداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته ؟

الجواب:

ورد الفعل ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾أو﴿لَيُؤۡمِنَنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة أربع مرات في القرآن، وكلها لم يتحقق في عالم الواقع ،وهذه المواضع هي:

١ـ آية آل عمران ٨١: تخبر أنّ الله أخذ العهد على الأنبياء السابقين أنه من أدرك النبي محمداً ﷺ فعليه أنْ يؤمن به وينصره ويتبعه، فوافق الأنبياء وأعطوا العهد .

لكن على صعيد عالم الواقع لم يدرك أحد من الأنبياء السابقين الرسول ﷺ على وجه الأرض، وأما اجتماعه بهم في بيت المقدس وفي السماوات فهذه معجزة خاصة، وهم لم يكونوا أحياء وقتها على وجه الأرض بالوضع الاعتيادي المعروف.

٢ـ آية النساء ١٥٩: تخبر أنّ كل نصراني سيؤمن بعيسى عليه السلام وهو على فراش الموت ويعرف أنه ليس إلهاً كما كان يزعم، لكنّ هذا الإيمان يتم في وقت لا يقبل فيه لأنه يتم عند الغرغرة، فكأنّ هذا الإيمان لم يحصل في عالم الواقع.

٣ـ آية الأنعام ١٠٩: تخبر أنّ المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أنْ يقدم لهم آية حسية ومعجزة مادية وأقسموا أنهم سيؤمنون إذا تحقق ذلك ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ ولقد كانوا كاذبين، والله سبحانه أخبر عنهم بذلك: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام:١٠٩].

فالإيمان المؤكد منهم لم يتحقق أيضاً في عالم الواقع.

٤ـ آية الأعراف ١٣٤ تتحدث عن وعد فرعون لموسى عليه السلام بالإيمان المؤكد شريطة أن يرفع عنهم الرجز والعذاب، فلمّا دعا موسى ربه وتم ذلك لم يؤمنوا ونكثوا في عهدهم وعادوا إلى التكذيب.

و هذا الإيمان أيضاً لم يحصل في عالم الواقع، ما الحكمة في ذلك ؟

يبدو أنّ الإيمان الصادق لا يحتاج إلى توكيد لفظي باللسان؛ لأنه تصديق ويقين استقر في القلب وانعكس على الجوارح، وأثّر ذلك في سلوكه وحياته فأصبح مؤمناً.

وهذا الأمر لا يحتاج إلى دعاية إعلامية ولا إلى توكيد لفظي، وصاحب النقص هو الذي يحتاج إلى مثل ذلك .

لكنّ الإيمان ليس بالتمني ولا بالتوكيدات، وإنما الإيمان الحقيقي هو ما وقر في الصدر وصدّقه العمل، والله أعلم.



﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ ابتدأت الآية بالاستفهام، وحقها من حيث الظاهر أن تبدأ بالنهي؛ أي: لا تبتغوا غير دين الله؟

الجواب:

تدبّر واعتبر من هذه الآية التي جاءت على طريقة الاستفهام الإنكاري الذي يحمل معاني التوبيخ والتحذير، إذ كيف يمكن للإنسان أن يختار ديناً غير دين الله والأجرام العلوية الكبيرة انصاعت لأمره وأسلمت؟!

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الكَره) ـ بفتح الكاف ـ (والكُره) ـ بالضم؟

الجواب:

قيل هما واحد، وقيل:

١ـ الكَره: (بالفتح) هوالمشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمل عليه بإكراه أو ما كرهه الإنسان، أي: هو العمل مع الإكراه والإجبار من آخر .

٢ـ الكُره: (بالضم) هوما يناله من ذاته وهو يعافه، أو ما أُكره عليه الإنسان وهو العمل مع المشقة .

وعلى هذا المعنى جرى استعمال القرآن .

* شواهد قرآنية: الكَره: (بالفتح):

ـ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصِّلَت:١١] ولم يقابل الطوع بالكُره.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء:١٩] أي: بالإكراه.

وكذلك الآيات [آل عمران ٨٣ ـ التوبة ٥٣ـ الرعد ١٥].

* شواهد قرآنية: الكُره: (بالضم):

ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] أي: أنّ كره القتال أمر يعود إلى الطبع.

ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:١٥] والحمل والوضع ينالان المرأة وهما مكروهان لها لما فيهما من آلام الحمل والوضع. والله أعلم.



﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ في آية البقرة ١٣٦ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ

﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١] وفي آية آل عمران ٨٤؟

الجواب:

بشكل عام: (إلى) معناها الغاية والوصول، و (على) فيها معنى نوع من الاستعلاء.

لمزيد من المعلومات، انظر: الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (أنزل) و(أوتي) ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ١٣٦: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وقوله في آية آل عمران ٨٤ ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ بدون (الإيتاء) فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الرابع:

لماذا لا يُذكر سيدنا اسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.

السؤال الخامس:

ما أهم الدلالات في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾[آل عمران:٨٤] ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ [آل عمران:٨٤] هو خطاب لفردٍ، وهو النبي ﷺ ومن بعده للأمة المسلمة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا﴾ [آل عمران:٨٤] هو المقول، وهو دليل على انسجام الرسول ﷺ مع الأمة المؤمنة، فكأنّ الأمة الإسلامية قد انصهرت في (قل) وكأنّ الرسول موجود في ﴿ءَامَنَّا﴾ ، وبالتالي يصبح خطاب الحق إليهم خطاباً لوحدةٍ إيمانيةٍ واحدةٍ لا انفصام فيها .

٣ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران:٨٤] فإننا نجد الحق يأتي بالنزول متعدياً بـ (على) كما في هذه الآية، ومرة متعدياً بـ (إلى) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة:٨٣].

والحرف (على) يفيد العلو، أمّا الحرف (إلى) فيفيد الغاية، والفرق بينهما أنّ (إلى) ينتهي بها من كل جهة، بينما (على) لا ينتهي بها إلا من جهة واحدة وهي العلو، ولمّا أتى النبي ﷺ من جهة العلو ناسب قوله: (علينا) لقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾. وكذلك أكثر ما جاء في جهة النبي ﷺ بـ (على).

لذلك الإتيان بـ (على) يفيد العلو ولمصلحة الأمة، والعلية هنا لتزيد مقام المنهج بالنسبة للمؤمنين، فهو قد نزل لمصلحتهم.

أمّا من حيث الغاية فيأتي بـ (إلى) فهو منهج الحق الأعلى، ونزل إلى الرسول ﷺ وعلى الرسول أن يبلغه إلى المؤمنين لمصلحتهم.



﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] و ﴿جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة:٢١٣] في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ هناك حكم نحوي مفاده: أنه مع المؤنث غير الحقيقي يجوز أنْ يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً، وكلمة (البيّنات) ليست مؤنثاً حقيقياً؛ لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها.

٢ـ لماذا جاء الفعل مذكراً مع كلمة البينات في آية آل عمران ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] مع أنه جاء معها مؤنثاً في مواضع أخرى كما في آية البقرة ﴿جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة:٢١٣] ؟

فالجواب:

آ ـ (جاءتهم البيّنات) بالتأنيث: يؤنّث الفعل مع البيّنات إذا كانت الآيات تدلّ على (النبوءات) فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً، كما في قوله تعالى: في سورة البقرة ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩].

ب ـ أما (جاءهم البيّنات) بالتذكير: فالبيّنات هنا تأتي بمعنى (الأمر والنهي) والتذكير فيه معنى القوة ، وحيثما وردت كلمة البيّنات بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكّر الفعل، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] و﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥] وفي سورة غافر ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر:٦٦] .

٣ـ للعلم فقد وردت كلمة (البينات) بصورها المختلفة في القرآن الكريم ٥٢ مرة، وكلمة (البينة) بصورها المختلفة ١٩مرة حسب تعداد المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . والله أعلم .

السؤال الثاني:

في هذه الآية يجيء البيان القرآني من جديد بالاستفهام ويُعرِض عن البيان بالخبر لغرضٍ أراده الله تعالى لا يتأتى إلا بهذا الاستفهام، فما هذا الغرض؟

الجواب:

لو أعملت فكرك في حال القوم، وكيف كفروا وكذبوا بعدما شهدوا الحق لعلمت أنّ المراد بالاستفهام استبعاد الهداية عنهم، وهذا حالهم.

السؤال الثالث:

عبّر في آية آل عمران ٨٦ بالإيمان ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ وفي آية التوبة ٧٤ بالإسلام ﴿بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [التوبة:٧٤]، فما السبب ؟

الجواب:

هو لاختلاف حال من عني بهما .

أولاً: شواهد الآيات:

آيات آل عمران (٨٦ – ٨٩):

ـ ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾ [آل عمران: ٨٦ – ٨٩]

آية التوبة ٧٤: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ [التوبة:٧٤] .

ثانياً: البيـــان:

١ـ فقد ذكر المفسرون أنّ آية آل عمران نزلت في الحارث بن سويد الأنصاري، وكان قد أسلم ثم ارتد ولحق بالكفار ثم ندم، فأرسل إلى قومه ليسألوا رسول الله ﷺ هل له من توبة ؟ فسألوا، فنزلت الآية، فكتبوا بها إليه، فأسلم وحسن إسلامه، فكانت حاله حال إيمان ولم يكن في إسلامه أولاً ممن عرف بنفاق ، ولا أنه أبطن خلاف ما ظهر منه من إسلامه، فكانت حاله حال إيمان وتصديق ولم يظهر خلافه، وذلك هو الإيمان ، فناسب وصفه بالإيمان ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٨٦] وهو التصديق بالقلب.

٢ ـ أما آية التوبة، فنزلت في الجُلّاسِ حين قال في غزوة تبوك: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرٌّ من الحُمُر، فنُمِيَ ذلك إلى رسول الله ﷺ فاستدعاه، فحلف ما قال، وكان منافقاً معروف النفاق يتظاهر بالإسلام ويبطن خلافه، فأنزل الله في قضيته ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤] فقيل هنا ﴿بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ مناسبةً للحال .



﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ في آية البقرة ٨٦ وكلمة ﴿يُنظَرُونَ﴾ في آية البقرة ١٦٢ وآل عمران ٨٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٦.



﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآيات التالية:[البقرة ١٧٣ـ البقرة ١٨٢ـ البقرة ١٩١ـ آل عمران ٨٩ـ المائدة ٣] قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] مؤكدة بـ(إنّ)، بينما قال في آية النحل ١٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨] فأكدها بـ(إنّ واللام)، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية في الآيتين بين قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿لَّن تُقۡبَلَ﴾ [آل عمران:٩٠] وفي الآية الثانية: ﴿فَلَن يُقۡبَلَ﴾ [آل عمران:٩١] ؟

الجواب:

أولاً ـ ينبغي أن نعلم الفرق بين (الواو) و(الفاء) في التعبير حتى نحكم، (الواو) لمطلق الجمع، وقد يكون عطف جملة على جملة، نحو قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٦-٩٧].

أما (الفاء) فتفيد السبب، وهذا المشهور في معناها (درس فنجح)، فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو؛ لأنّ الواو لمطلق الجمع.

ثم إنّ (الفاء) يؤتى بها في التبكيت، أي: التهديد، أي: لو عندنا عبارتان إحداهما فيها (فاء) والأخرى (بغير فاء)، وهو من باب جواز الذِّكر وعدم الذِّكر نضع (الفاء) مع الأشد توكيداً.

* شواهد قرآنية: قوله تعالى:

١ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء:١٣٧] ليس فيها فاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد:٣٤] لأنهم لا تُرجى لهم توبة.

ففي الأولى هم أحياء قد يتوبون، وعندما لم يذكر الموت لم يأت بالفاء، ولمّا ذكر الموت جاء بالفاء.

٢ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران:٩١]

ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠]

الآيتان فيهما نفس التعبير، والنفي بـ (لن) جاء في الآيتين، لكنّ واحدة جاءت بالفاء، فالآية الأولى تتحدث عن قوم ماتوا وانتهوا ولن يقبل منهم توبة بعد الموت ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [آل عمران:٩١] انتهى عملهم ،أمّا الآية الثانية فهي تتحدث عن قوم كفروا ولم يموتوا ومجال التوبة ما زال مفتوحاً أمامهم.

و(الفاء) هنا تقع في جواب اسم الموصول لشبهه بالشرط، فجاءت الفاء زيادة للتوكيد.

ثانياً ـ هناك أمران: الأول أنّ الفاء تكون للسبب (سببية) نحو «أُدرُسْ فتنجحَ» و يُنصب بعدها المضارع، والثاني أنْ تأتي (الفاء) مع التبكيت والتهديد لإعطاء القوة للمعنى ، كما في قوله تعالى:

ـ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

ـ﴿ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ [محمد:٣٤] .

ومثل ذلك السؤال عن الفرق بين ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [الروم:٩] و﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [غافر:٨٢] .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [آل عمران:٩١] ؟

الجواب:

هل يمكن أنْ تتخيل الأرض وهي مملوءة بالذهب؟ إنّ ذلك من المستحيلات، ولكن القرآن استطاع بهذه الصورة أن يُكنّي عن الكثرة المتعذرة المستحيلة التي تقوّي بدورها عدم قبول التوبة وفداء الكفار الذين ماتوا وهم على ذلك.



﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿الْبِرَّ﴾ [آل عمران:٩٢] في الآية ؟

الجواب:

كل مادة مركبة من (الباء والراء) تقود إلى معنى السعة .

١ـ البَرّ: أي الأرض اليابسة المتسعة، ومقابله البحر، وهو متسع أيضاً وأوسع من البَرّ، لكن حركتك في البحر مضيقة لا تتحرك فيه إلا بسفينة أو لوح خشب مثلاً، وأمّا حركتك في الأرض (البَرّ) فهي موسعة تتحرك كيف شئت وبطرق عديدة. •

٢ـ البِرُّ: التقوى والطاعة أو البركة أو هو الجنة، وكلها معانٍ ملتقية إلى السعة، فالطاعة تؤدي إلى السعة وكذلك التقوى والجنة.

٣ـ البُرُّ: القمح فيه معنى السعة، فهو أول وأكثر غذاء يحتاجه الإنسان في طعامه.



﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول:

مادلالة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ ؟

الجواب:

أي: أنه قبل نزول التوراة كان حلاً لبني إسرائيل كل أنواع المطعومات سوى ما حرمه إسرائيل على نفسه .

وأمّا بعد التوراة فلم يبق كذلك، بل حرّم الله عليهم أنواعاً كثيرة .

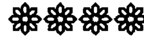
السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ مع أنّ اليهود حرّفوا التوراة قبل الرسول ﷺ عن مواضعه، ومن بعد أنْ وضعوه في مواضعه عادوا مرة أخرى وحرّفوه، أي: غيّروا فيها تغييراً جديداً، ومع ذلك بقيت إشارة إلى نبوة محمد ﷺ في التوراة.

وهذه الآية تدل على أنّ اليهود قد نازعوا رسول الله ﷺ حول موضوع تحريم بعض المطعومات، فلهذا المعنى طالبهم الرسول ﷺ بنص التوراة لبيان أنّ كون هذه المطعومات مباحة في الزمن القديم، وأنها إنما حرمت بسبب أنّ إسرائيل حرمها على نفسه .



﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ عرّف كلمة (الكذب) مع أن القرآن الكريم استخدمها (نكرة) كما في سورة يونس (١٧)، فما دلالة تنكير (الكذب) أو تعريفه؟ وما معنى (الافتراء) ؟

الجواب:

١ـ الافتراء هو الكذب، والافتراء في الأصل مأخوذ من (الفري)، وهو قطع الجلد، وافترى الجلد كأنه اشتدّ في تقطيعه تقطيع إفساد، فأُطلق الافتراء على الكذب بغرض الإفساد، وأيُّ إفساد أعظم من إفساد شريعة الله تعالى!

٢ـ (المعرفة) هي ما دلّ على شيء معين، و(الكذب) يقصد شيئاً معيناً أو أمراً معيناً، فعندما يقول: (الكذب)، فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق، أمّا عندما يقول: (كذبٌ) بالتنكير، فيشمل كل كذب، مثل قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤] فالكلام عن الطعام، وهوأمر معين، فقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ في هذه المسألة التي تتعلق بالطعام ، فقال: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [آل عمران:٩٤]؛ لأنّ الكذب في مسألة معينة محددة.

٣ـ (التنكير) كذب عام يشمل كل كذب، وليس الكذب في مسألة معينة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس:١٧] فلم يذكر مسألة معينة حصل كذب فيها فالكذب عام، والتنكير في اللغة يفيد العموم والشمول.



﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟ وهل البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام ؟ وهل بُني أو وُضِع للناس؟

الجواب:

علماؤنا خاضوا في هذا الأمر، فمنهم من قال: بناه آدم، ومنهم من قال: ابتدأ بناءه نوح، ومنهم من قال: بنته الملائكة، وبعض المفسرين يقول- حتى يجمع الآراء والروايات الواردة-: يمكن أنْ نقول بنته الملائكة وبمرور الوقت خرب ، وجدده آدم ، ثم جدده إبراهيم.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦] يعني في هذا المكان الذي يزدحم فيه الناس، ولم يقل: (مكة)؛ لأن مكة كبيرة واسعة وحتى لا يأتي شخص ويقول: البيت ليس هنا وإنما في مكان آخر في مكة. فقوله: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦] يعني في هذا المكان الذي تزدحمون عنده قطعاً، ولم ترد فيه قراءة أخرى.

السؤال الثاني:

ما سبب المغايرة بين استعمال (بكّة) و(مكّة) في القرآن؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران:٩٦] هنا قال: (بكة)، ولم ترد هنا حتى في القرآءات الشاذة (مكة) والآية الأخرى هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح:٢٤] .

٢ـ (الباء) و(الميم) يتعاوران؛ لأنّ المخرج واحد من الشفتين، الميم طبعاً خيشومية متوسطة، والباء شديدة انفجارية.

ونجد أن كلمة (بكة) مأخوذة من البكّ (ب- ك- ك) بكك بمعنى ازدحم، فكأنّ القرآن الكريم يريد أن يقول لنا: إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة، ولذلك أكّده لنا بقوله: ﴿لَلَّذِى﴾ [آل عمران:٩٦] أي هو المكان الذي تزدحمون فيه في الطواف، ثم وضحه أكثر فقال :(ببكة).

قد يقول قائل: لماذا؟ والجواب: حتى لا يأتي يوم من الأيام ويقول قائل: إنّ أول بيت في مكة ، لكن ليس في هذا الموضع وإنما هو في موضع آخر في مكة، ولو قال: (الذي بمكة) فمكة واسعة ، ويمكن أنْ يأتي شخص يقول لك: ليس هذا البيت هو المقصود ، ولربما يكون في مكان آخر.

وسميت (مكة) لأنها تمكّ الناس كأنها تمتصهم للمجيء إليها ، و(مكة) من (ملكّ الفصيل ضرع أمه) أي: تجذب الناس إليها ، وهي المدينة الواسعة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في هذه الآية ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ وفي آية البقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧] فلِمَ جاءت الآية هنا بكلمة ﴿وُضِعَ﴾ [آل عمران:٩٦] ولم يتكرر فعل ﴿يَرْفَعُ﴾ ؟

الجواب:

اعلم أنّ (الوضع) هنا هو (الحطّ)، وهو ضد الرفع، وكلما كان الشيء المرفوع بعيداً عن التناول كان الموضوع قريب التناول، وأُطلق هنا (الوضع) ليدل على دنوّه وقربه ولتهيئة انتفاع الناس به، وأُطلق (الرفع) في بناء إبراهيم عليه السلام للبيت تشريفاً لإبراهيم واسماعيل عليهما السلام في رفع قواعد البيت.

السؤال الرابع:

إذا علمت أن (بكة) هي (مكة) وأنّ المقصود من البيت هو الكعبة ، فلِمَ لمْ تصرِّح الآية باسم العلم (الكعبة)؟ ولِمَ جاءت بلفظ (بكة) دون (مكة)؟

الجواب:

(بكة) بالباء اسم موضع البيت، و(مكة) بالميم هي اسم بقية الموضع، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى عدل عن اسم العلم وهو (الكعبة) إلى تعريفه بالموصولية بأنه ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ لأنّ هذه الصلة أشهر عند السامعين ، بخلاف اسم (الكعبة) فقد أُطلِق اسم الكعبة على (القُلّيس) الذي أطلقه أبرهة الحبشي في صنعاء، لذا كان الاختيار الأفصح (بكّة)؛ لأهمية هذا المكان ولخصوصية ما يتعلق به من أحكام.



﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧] وقال في سورة إبراهيم: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨] فما سبب الاختلاف في صيغة فعل الشرط بين الماضي والمضارع؟

الجواب:

في آية آل عمران ٩٧ جاء فعل الشرط بالفعل الماضي﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ وفي آية سورة إبراهيم ٨ قوله تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ﴾ [إبراهيم:٨] جاء فعل الشرط بصيغة المضارع.

و الفعل الماضي بعد أداة الشرط مع المستقبل يفترض الحدث مرة واحدة، أمّا فعل المضارع فيدلّ على تكرار الحدث.

السؤال الثاني:

جاءت كلمة ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مع آيات الحج كما في آية الحج ٢٧، و آية آل عمران ٩٧، فلماذا ؟ والناس فيهم الكافر والمسلم، ولم يقل على المسلمين مثلاً أو على المؤمنين ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في آل عمران ٩٦: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ فذكر:

آ ـ أنّ هذا البيت وضع للناس، فناسب أنْ يدعو الناس إلى حجه .

ب ـ وقال: ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ فذكر العالمين، فناسب أن يدعو العالمين إلى حجه.

ج ـ وقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧] فذكر العالمين فناسب أن يدعو العالمين إلى حجه.

٢ـ الحج يختلف عن كل العبادات، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] يعد دعوة للناس أجمعين للدخول في الإسلام ، بخلاف ما لو قال: صلّوا أو صوموا، والسبب في ذلك أنّ الصلاة والزكاة والصيام تشترك فيها جميع الديانات، حتى كفار قريش كانوا يصلون.

* شواهد قرآنية:

ـ عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم:٥٥].

ـ عن الصوم: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

ـ عن موسى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس:٨٧].

ـ عن كفار قريش: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥].

فلو قال: صلّوا أو زكّوا أو صوموا، لقالوا: إننا نفعل ذلك .

إذن هذه الدعوات لو قالها لا تكون دعوة للدخول في الإسلام، بخلاف الحج؛ لأنّ أهل الكتاب من النصارى واليهود لم يكونوا يحجون إلى بيت الله الحرام، فلما قال الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] كان معناها أن الكلُّ مدعوّ للدخول في الإسلام؛ لأنّ هذه هي العبادة الوحيدة التي لم تكن عند أهل الكتاب، هم كانوا يصلون ويزكون ويصومون، إلا الحج لم يكونوا يحجون لمكة .

ولذلك هذه دعوة للدخول في دين الله . والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ فما الفرق بين الألفاظ الثلاثة: [قدر ـ استطاع ـ أطاق] في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٨٤ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية تنوع في الخطاب من الأمر إلى الاستفهام، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر كيف تنوع الخطاب القرآني في هذه الآية بأساليب الإنشاء ، وما ذلك إلا لأغراض أرادها من ورائه، فأولاً جاء بالأمر ﴿قُلْ﴾ اهتماماً بالمقول، وافتتح المقول بالنداء تسجيلاً عليهم، ثم بالاستفهام إنكاراً لكفرهم بآيات الله تعالى، فتذوق تفنن التعبير القرآني ودلالاته.



﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آل عمران ٩٩ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ وفي الأعراف ٨٦ ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ [الأعراف:٨٦] بزيادة الواو ؟

الجواب:

في آية آل عمران جملة ﴿تَبْغُونَهَا﴾ حال من الضمير (تصدون)، أو من (السبيل) وإذا كان الفعل حالاً لا يدخله الواو .

وأما في آية الأعراف: فهي جملة معطوفة على جملة(توعدون)؛ ولذلك كانت ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ [الأعراف:٨٦] كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون



﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ولم يقل: (آتيناهم الكتاب)؟

الجواب:

١ـ القرآن الكريم يستعمل (أوتوا الكتاب) في مقام الذم، ويستعمل (آتيناهم الكتاب) في مقام المدح.

* شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾ [البقرة:١٠١] هذا ذم.

ـ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)﴾ [آل عمران:١٠٠] هذا ذم .

٢ـ بينما (آتيناهم الكتاب) تأتي مع المدح .

* شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة:١٢١] . مدح.

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القصص:٥٢] . مدح .

٣ـ هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب) و(آتيناهم الكتاب) ، فحيث قال: (أوتوا الكتاب) فهي في مقام ذم ، وحيث قال: (آتيناهم الكتاب) فهي في مقام ثناء ومدح.

والقرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات، وإن لم تجر في سنن العربية، والفعل (أوتوا) في العربية لا يأتي في مقام الذم، وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم.

٤ـ عموماً رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه كما في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [القصص:٥٢] ، ويأتي بصيغة (المبني للمعلوم) ، بينما يأتي بصيغة (المبني للمجهول) لما فيه ذم ، كما في قوله: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، ففيها ذم، فنسبه للمجهول.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥] . هذا ذم.

ـ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الشورى:١٤] ، .هذا ذم .

ـ ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢] هذا مدح.

السؤال الثاني:

ذكر في آية البقرة ١٠٩ ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ولم يذكرها في آية آل عمران ١٠٠ وقال: ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ (من) تفيد الابتداء .

٢ـ في آية البقرة١٠٩ ذكر الله أنّ كثيراً من الكفار يتمنون لو أنهم ردوا المسلمين من بعد الإيمان كافرين، أي: بلا مهلة، وسبب ذلك: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] فهم يتمنون الإسراع في تكفيرهم وأنْ ينقلوهم فوراً من حالة الإيمان إلى حالة الكفر، فناسب الحرف (منْ) التي تفيد الابتداء مباشرة دون مدة زمنية طويلة .

٣ـ بينما آية آل عمران فيها تحذير للمسلمين من إطاعة الكافرين؛ لأنهم ينفثون فيهم أوهامهم وضلالهم شيئاً فشيئاً حتى يردوهم مع مرور الزمن كافرين، وليس معناه أنهم ينقلونهم فوراً من الإيمان إلى الكفر، فجاء ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، وهي تفيد المهلة المتراخية .

لذلك الآية الأولى مقام (تمنّ) ، والآية الثانية مقام (تحذير).

٤ـ ونجد نفس الأمر في آيات البقرة [٥٥ ـ ٥٦]في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦] ، ومعناها أنّ الله لم يتركهم مدة طويلة ميتين. والله أعلم.



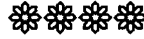
﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية ؟

الجواب:

انظر هنا كيف استطاع الاستفهام أن يُلقي ظلاله البلاغية، فالاستفهام هنا ليس حقيقياً بل خرج إلى معنى الاستبعاد، استبعاد كفر المؤمنين ونفيه.



﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ؟

الجواب:

تدبر هذا التمثيل الرائع لهذه النعمة التي حظيت بها الأمة، ألا ترى كيف نقلك قوله تعالى: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ إلى عالم التخيل، وكيف استطاع هذا القول أنْ يقرِّب لك المعقول باستعارة المحسوس إليه، فالنار حقيقة وتصويرها بحفرة تمثيل وتصوير، لكنك ما كنت لتتخيل شناعة هذا الموقف وحال إنقاذك منها دون هذه الصورة الرائعة، فما أكمل بيان الله عز وجل!

ويذكر هنا أنّ أعرابياً كان جالساً وأحد القرّاء - قيل: إنه عبد الله بن مسعود- يقرأ القرآن في المسجد النبوي، والأعرابي ينصت للقارئ، فقرأ هذه الآية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ

﴿مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣] فانتفض الأعرابي وقال: والله ما أخرجنا منها وهو يريد أنْ يعيدنا فيها ثانية، فقال ابن مسعود: خذوها من غير فقيه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾ ، فما هي منظومة هذه الكلمة التي وردت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

منظومة كلمة (شفا) هي:

١- الجنب:

هو الطرف المنيع. والبلاد حدودها معروفة، فإذا اخترق العدو جنوبها فقد ذهبت. و(جنب) الإنسان من الإبط إلى الحوض ومحميان باليدين، فإنْ لم يحصل هذا فأي ضربة قوية على الجنب قد تودي بصاحبها.

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٦] .

٢- الشفا:

المكان المشرف أو طرف هاوية أو طرف بئر عميقة .

كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

٣- ساحل:

هوطرف اليابسة: كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه:٣٩] .

٤- شاطىء:

طرف الماء.

٥- الجرف:

شاطىء المسيل إذا أخذه السيل يجرف كل شيء في طريقه؛ لهشاشة الأرض الترابية، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة:١٠٩].

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة ﴿تَفَرَّقُوا﴾ في آية آل عمران ١٠٣، وكلمة ﴿تَتَفَرَّقُوا﴾ [الشورى:١٣] في آية الشورى رقم ١٣ ؟

الجواب:

نلاحظ في القرآن كله وليس فقط في هذه الآية موضوع الحذف، كما جاء في القرآن مثل: ﴿تَنَزَّلُ﴾ [القدر:٤] و ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ [فُصِّلَت:٣٠]، ﴿تُبَدَّلُ﴾ [إبراهيم:٤٨] والفعل ﴿تَتَبَدَّلُوا﴾ وكذلك ﴿تَوَفَّاهُمُ﴾ [النساء:٩٧] و ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ [النحل:٢٨] ، وهذا الحذف في عموم القرآن، وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين:

آـ للدلالة على أنّ الحدث أقلّ.

ب ـ أو أنْ يكون في مقام الإيجاز.

المقارنة بين الآيتين [آل عمران١٠٣ ـ الشورى١٣]:

١ـ في آية (١٠٣) آل عمران، الكلام فيها عن أمة واحدة لكل المسلمين، وقد نهاهم الله تعالى عن أي جزء من التفرّق ولو كان قليلاً، فقال: ﴿تَفَرَّقُوا﴾ وأمّا في آية الشورى١٣ في قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى:١٣] فالكلام لكل البشر، وذكر كل الأنبياء من زمن نوح عليه السلام إلى قيام الساعة فقال: (تتفرقوا).

بينما آية آل عمران هي خاصة بالمسلمين؛ لذا جاء الفعل ﴿تَفَرَّقُوا۟﴾[آل عمران:١٠٣] ؛ والسبب أنّ الأمة المحمدية هي جزء من الأمم الإسلامية المذكورة في آية الشورى.

وكذلك فإنّ الحدث ممتد زمنياً في سورة الشورى، فقال: ﴿تَتَفَرَّقُوا۟﴾ ، بينما الحدث محدد في سورة آل عمران، فقال: ﴿تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣] .

٢ـ والملاحظ في آية الشورى أنّ الوصية بعدم التفرق هي وصية خالدة لأمة الإسلام على مدى الأزمان من زمن نوح إلى خاتم الأنبياء عليه السلام فقال ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ ؛ لأنّ التفرق هو المأتى الذي يدخل إليه أعداء الإسلام فيتفرقون به؛ لذا جاءت الوصية خالدة مستمرة فنهاهم عن التفرّق .

٣ـ ونلاحظ أنه تعالى وصّى الأمم مرة، ووصّى الأمة الإسلامية مرتين، فآية الشورى أشد تحذيراً للأمة الإسلامية، فقد قال سبحانه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى:١٣] ، فلم يكتف بـ ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ بل زاد ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ ، أي: شرعه لنا في الوصية العامة لنوح ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وخصّ بـ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: خصّ الأمة الإسلامية في تتمة الآية.

٤ـ والحذف هنا له سببان:

آـ الأول: لأن الأمة المحمدية أصغر من ناحية العدد.

ب ـ ونهانا عن التفرّق مهما كان قليلاً فقال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]

٥ـ وفي آية آل عمران ١٠٣ أراد ربنا تعالى أن نلتزم بهذا الأمر، فقال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ وجاء بالحال المؤكّدة ﴿جَمِيعٗا﴾ وأراد التشديد على الالتزام بهذا الأمر، فأكّد على الجمع الكامل وعلى سبيل العموم والاستغراق كأنه فرضُ عين على الجميع، فلا يُعفى أحد من المسؤولية بأن لا نتفرق وأن نعتصم بحبل الله سبحانه؛ لأنّ الفرد قد يهدم أمّة كما أنه قد يبني أمة، و(أن لا نتفرّق) هو فرض عين على الجميع، وليس فرض كفاية .

٦ـ وذكّرهم بنعم الله عليهم ونهاهم عن التشبّه بمن تفرّق واختلف من الأمم السابقة: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٥]

٧ـ وتوعدهم على ذلك بالعذاب وأطلق العذاب في قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥] ، ولم يقل هنا كما قال في مكان آخر:﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:١١٤] للدلالة على أنّ عذاب التفرق يطولهم في الدنيا والآخرة.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦] الآية لا تدل على الآخرة؛ لأن كلمة ﴿عَذَابٌ﴾ مصدر، وكلمة ﴿عَظِيمٞ ﴾ صفة ، والمصدر لا يعمل بعد وصفه، ومعنى الآية في التفاسير: اذكروا يوم تبيض وجوه وتسود

وجوه، فهي ليست متعلقة بالعذاب العظيم، والتفرّق يكون عذابه عظيماً في الدنيا والآخرة.

٩ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى:١٣] اختار الاسم الموصول ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾ [الشورى:١٣] عندما ذكر شريعة محمد ﷺ، ولم يقل: (وما أوحينا إليك) ، مع أنّ كليهما اسم موصول؛ لأنّ (الذي) أعرف وأخصّ من (ما) التي تشترك في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث والعاقل وغير العاقل، أمّا (الذي) فهي للمفرد وتسمى مختصاً، وقد بيّن تعالى شريعتنا وعرفناها وعرفنا الأوامر والنواهي، فجاء بالأعرف اسم الموصول (الذي)، بينما نحن لا نعلم على وجه التفصيل ما وصّى الله تعالى نوحاً وعيسى وموسى وإبراهيم، لذا اختار سبحانه (ما) اسم الموصول غير المعرّف.

ونحن معرفتنا بالشرائع الأخرى قليلة، ولا نعلم عنها إلا ما أعلمنا ربنا عنها ، إضافة أنّ معظمها أصابه التحريف، فاستعمل معها (ما) .

١٠ـ خاطب المؤمنين في آية آل عمران ١٠٠، بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ آمراً وناهياًومحذراً.

١١ـ في آية الشورى جاء بأن التفسيرية ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ [الشورى:١٣] في حين نهاهم نهياً مباشراً في آل عمران: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ .. وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران:١٠٣]

والكلام المباشر الصريح أهم وآكد من المفسر، فقولك: يا فلان (افعل) أقوى وآكد من قولك: (أوصيته أن افعل). والله أعلم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ والحبل معروف، لكن ما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الحبل في الأصل ما يُشدّ به للارتقاء أو النجاة أو نحوه، فانظر بلاغة القرآن العظيمة في تصويره لهيئة اجتماعهم على دين الله كاستمساك جماعة بحبل أُلقي إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط ليرتقوا به إلى القمم، فما أعظم هذه الاستعارة التمثيلية البليغة التي جعلت الآية فيه على أقوى وجه لتمام البلاغة؛ لكثرة ما فيها من المعاني.

السؤال الخامس:

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمات منظومة الإمساك والسيطرة هي:

١ - **الحبل:**

هو كل ما يشد به كي لا يضيع، والحبل هو المفتول القوي. آل عمران ١٠٣.

٢ - **الوثاق:**

هو ما يُشد به الشيء حتى لا يهرب كالأسير والسجين. محمد ٤.

٣ - **السلسلة:**

هي حبل من حديد متسلسل الحلقات يُشد به السجين أو الأسير. [غافر ٧١- الحاقة ٣٢].

٤ - الطوق:

هو حلقة تُشد حول الرقبة وفيها زردة، ومنها يُقاد الأسير أو السجين وتكون يداه طليقتين والطوق في رقبته. آل عمران ١٨٠.

٥ - الصفد:

وهي التي توضع في الأيدي أو الأرجل كما يفعل مع مجموعات من أهل النار. [إبراهيم ٤٩ ـ ص ٣٨].

٦ - القفل:

هو ما تغلق به الأبواب. محمد ٢٤.

٧- الغل:

هو الطوق نفسه، لكن إذا جمعت إليه اليدان؛ لذلك يوجد في الغل حلقتان واحدة تجمع فيها اليدان، والثانية طوق حول الرقبة. الإسراء ٢٩.

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ ما الفرق بين (النعمة) و(النعيم) ؟

الجواب:

(النعمة) في القرآن هي لنعم الدنيا، وتستعمل مفرداً وجمعاً كما في آيات البقرة[٢١١ـ وآل عمران ١٠٣] ، وجاءت مفردة (١٧)مرة في القرآن .

وأما (النعيم) فهو خاص بنعيم الجنة، وقد وردت كلمة النعيم (١٦) مرة في القرآن.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ ، هل (من) هنا للتبعيض ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾. (من) ليست للتبعيض؛ لأنّ الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة باليد أو باللسان أو بالقلب، ولذلك فإن (من) هنا للتبيين لا للتبعيض .

وقيل: هي للتبعيض لمن يقدر على الدعوة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل العلماء والمصلحين؛ لأنّ في القوم من لا يستطيع ذلك كالمرضى والعجزة وقسم من النساء .

السؤال الثاني:

ماذا تشتمل الآية من المطالب ؟

الجواب:

الآية مشتملة على ثلاثة أشياء:

آ ـ الدعوة إلى الخير.

ب ـ الأمر بالمعروف .

جـ النهي عن المنكر.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (جاءهم البينات) و(جاءتهم البينات)؟

الجواب:

١ـ القرآن أحياناً يستعمل معنى الكلمة فيذكر ويؤنث بحسب المعنى.

٢ـ وكلمة (البيّنات) حيث كانت بمعنى (العلامات) الدالّة والآيات والمعجزات أنّثها، وحيث كانت بمعنى (الأمر والنهي) ذكّرها.

* شواهد قرآنية: في التأنيث:

ـ ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩- ٢١٠ - ٢١١] هذه آيات، فأنث.

ـ ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٣] هذه آيات، فأنث.

ـ ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ ... مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [النساء:١٥٣] هذه معجزات، فأنث.

* شواهد قرآنية: في التذكير:

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥] ﴿ذكّر﴾ كلمة(البينات)؛ لأنها بمعنى الدين أو الأمر والنهي وحبل الله، وليست بمعنى المعجزات.



﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم هنا في آية آل عمران ١٠٦ (تبيض وجوه) على (تسود وجوه) ثم قدّم بعد ذلك (تسود وجوههم) على (تبيض وجوههم) ، وكان المظنون أن يكون التفصيل على نسق ما بدأ، كما في آيات سورة هود ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود:١٠٥-١٠٦] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود:١٠٨] ؟

الجواب:

آيات سورة آل عمران:

١ـ التقديم والتأخير في آل عمران جرى بحسب القرب والبعد، فمن كان قريباً قدّم القول فيه، ومن كان بعيداً أخّر القول فيه .

والناس صنفان مخاطب وغائب، ولا شك أنّ المخاطب أقرب من الغائب وبيان ذلك من السياق في آل عمران.

٢ـ السياق في آل عمران إنما هو في خطاب المؤمنين، انظر الآيات: [١٠٠ـ ١٠٥] ، حيث نرى أنّ المؤمنين هم المخاطبون ، وهم الذين تبيض وجوههم .

والذين (تفرقوا واختلفوا) هم الذين (تسود وجوههم) ، وهم في السياق غائبون، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥] ، فأخبر عنهم بضمير الغيبة.

ولذلك قدّم القول في المخاطبين فقال: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران:١٠٦] .

٣ـ بعد ذلك كان الكلام عن الذين اسودت وجوههم وهم المخاطبون فيه، وأما الذين ابيضت وجوههم فهم غائبون، انظر قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ ، فقد خاطبهم ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ و ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ .

وأما الذين ابيضت وجوههم فهم غائبون، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران:١٠٧] ، فأخبر عنهم بضمير الغيبة.

فقدّم القول في المُخاطبين كما فعل أولاً، فجرى الكلام على نسق واحد في التقديم والتأخير.

آيات سورة هود:

السياق فيها في ذكرأقوام الأمم الكافرة الذين عصوا رسلهم وأنزل بهم العقوبات، ثم عقّب بعد ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾﴾ [هود:١٠٠-١٠١] فالسياق في الأشقياء من الناس؛ فقدّم الأشقياء.

وأمّا التفصيل فيما بعد، فقد جرى على نسق ما ذكر؛ لأنهم كلهم غائبون فهم في منزلة واحدة، فقد قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود:١٠٦] ثم قال بعدها: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود:١٠٨] .

بخلاف ما عليه السياق في آل عمران فإن منهم مخاطباً ومنهم غائب، فجرى التفصيل في هود على ما أجمل، أي لما قال: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود:١٠٥] قدّم الأشقياء، فلمّا فصّل الكلام قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ [هود:١٠٦] ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ [هود:١٠٨] فكان كل تعبير مناسباً في سياقه الذي ورد فيه . والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَذُوقُواْ﴾، ما دلالات (ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ذاق:

وردت في القرآن الكريم (٦٣) مرة، وهي تعني ذوق العذاب الأليم والبأس والموت والحميم والعذاب الأكبر والعذاب الأدنى وعذاب النار وعذاب السعير وعذاب الحريق، أي: بشكل عام يذوق الإنسان وبال أمره وشر عمله ويجني ما كسبت يداه.

انظر الآيات[آل عمران ١٠٦ ـ السجدة ١٤].

أذقنا:

وهي تعني ذوق الرحمة والنعماء، والفاعل في الفعل هو الله تعالى، فمنه الرحمة والخير .

انظر الآيات[يونس ٢١ ـ الشورى ٤٨].



﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة البياض والسواد في هذه الآية والتي سبقتها ؟

الجواب:

١ـ في الدنيا نجد صاحب البشرة ذات اللون الأسود؛ لأنّ المادة الملونة للبشرة موجودة في جسده بقوة، وتجد صاحب البشرة ذات اللون الأبيض لأن المادة الملونة للبشرة غير موجودة في جسده بالقدر الكافي، وكلاهما قد أمدهما الله باللون المناسب

حسب اختلاف البيئة، وقد تجد أبيض وجهه مغبر ترهقه قترة، وقد تجد أسود يشع نور اليقين من وجهه.

وفي الدنيا السواد والبياض أمر لا يكرهه الله تعالى، وهو الذي رتب هذا مساعدة للإنسان في التواؤم مع البيئة، ومثل ذلك ينطبق على سواد العين وبياضها، فلا يستطيع أحد أنْ يقول إنّ بياض العين أحسن من سوادها أو العكس؛ لأنّ الله قد أعد كل شيء لمهمته.

٢ـ وأما في الآخرة فقد زالت الدنيا وفنيت وتبدلت الأرض والسماء، وسوف تكون على وجوه الكفار غبرة سوداء وترهقهم قترة، ولو كانوا في الدنيا بيض الوجوه، والذي صيرهم إلى هذا اللون هو الكفر بعد الإيمان ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: بعد إيمانهم بالله الذي تم في عالم الذر.

بينما تجد وجه المؤمن آنذاك مشرقاً أبيض فرحاً برحمة الله تعالى له .

٣ـ وربنا تعالى ذكر القسمين أولاً، فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ فقدّم البياض على السواد، ثم لمّا شرع في حكم هذين القسمين قدّم حكم السواد فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ ، ثم قال بعدها في الآية التي تليها: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٧] .

والسبب في ذلك أنّ الله ابتدأ بذكر البياض ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ﴾ ،لأنّ فيه تقديم الأشرف على الأدنى، كما أن الواو للجمع لا للترتيب .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ ، وقوله تعالى في آية الأعراف ٤٢ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢﴾ [الأعراف:٤٢] ، فما دلالة الكلمتين: (الجنة) و﴿الرحمة﴾ ؟

الجواب:

١ـ الجنة مخلوقة لله وهي باقية بإبقاء الله لها، بينما الرحمة باقية ببقاء الله تعالى، وهذا ضمان كاف، فمن يرى اللهُ فيه حُسنَ العبادة لذاته سبحانه، يضعه الله في الرحمة .

٢ـ هناك جنة من الجنات اسمها (علِّيُّون) ليس فيها متعة من المتع التي سمعنا عنها في الجنة من أكل لحم الطير والفواكه، وليس فيها إلا أن ترى وجه الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] .

وما دام العبد لا يأكل في الجنة عن جوع وإنما عن متعة، فما الأفضل له جنة المتع أم متعة رؤية وجه الله ؟ أي أتتمتع بالنعمة أم بالمنعِم ؟ لا شك أن التمتع بالمنعِم أرقى وأسمى من التمتع بالمتع الأخرى .

إضافة إلى أنّ رحمة الله تحيط بهم، ويؤكد الحق أنهم داخلون فيها بظرفية جديدة بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢﴾ [الأعراف:٤٢].

فالحق يطمئننا في الآية أنّ قوله: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ هي للدخول إلى الرحمة وأنّ قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ أي: أنها لا تنزع منهم أبداً فهم خالدون فيها، اللهم اجعلنا منهم . اللهم آمين.

السؤال الثالث:

هل من لطائف عددية في القرآن حول (اللون الأبيض) ؟

الجواب:

وردت كلمة (الأبيض) ومشتقاتها في القرآن في (١٢) موضعاً تجدها في الجدول التالي:

مسلسل	الكلمــــــة	السورةورقم الآية	الآية
١	﴿ٱبۡيَضَّتۡ﴾	[آل عمران: ١٠٧]	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾
٢	﴿وَٱبۡيَضَّتۡ﴾	[يوسف: ٨٤]	﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾
٣	﴿تَبۡيَضُّ﴾	[آل عمران: ١٠٦]	﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾
٤	﴿ٱلۡأَبۡيَضُ﴾	[البقرة:١٨٧]	﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾
٥	﴿بَيۡضَآءُ﴾	[الأعراف: ١٠٨]	﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ﴾
٦	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[طه: ٢٢]	﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾
٧	﴿بَيۡضَآءُ﴾	[الشعراء: ٣٣]	﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾
٨	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[النمل: ١٢]	﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾
٩	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[القصص: ٣٢]	﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾
١٠	﴿بَيۡضَآءَ﴾	[الصافات: ٤٦]	﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦﴾
١١	﴿بِيضٞ﴾	[فاطر: ٢٧]	﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ﴾
١٢	﴿بَيۡضٞ﴾	[الصافات: ٤٩]	﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾

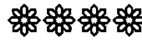
المجموع لأرقام الآيات أعلاه هو: (٨١٣).

* ملاحظـات:

١ـ اللون الأبيض هو الأساس لجميع الألوان، وإذا تم تحليله ينتج عنه ألوان الطيف السبعة .

٢ـ جُمّل كلمة (أبيض) هو: (١+٢+١٠+٨٠٠) ويساوي (٨١٣).

والله أعلم .



﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (١٠٩)﴾

السؤال الأول:

ما أهم النقاط البيانية في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ تفيد الحصر بتقديم الجار والمجرور، أي: له فقط لا لغيره.

٢ـ قال: ﴿مَا﴾،ولم يقل: (من)؛ لأنّ المراد الإشارة إلى الحقائق والماهيات، فدخل فيه الكل ، والحرف (ما) أشمل وأعم من (من).

٣ـ كرر ﴿مَا﴾ مع السموات ومع الأرض للتأكيد على المعنى، فالسماوات ملكه والأرض ملكه، ولا يشاركه فيهما أحد مطلقاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة حرف الجر في الآية: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾ ؟

الجواب:

كلمة (إلى) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾ لا تدل على كونه تعالى في مكان وجهة، بل المراد أنّ رجوع الخلق إلى موضع لا ينفذ فيه حكم أحد إلا حكمه، ولا يجري فيه قضاء أحد إلا قضاؤه. والله أعلم.



﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾

السؤال الأول:

لِمَ جاء لفظ ﴿كُنتُمۡ﴾ في الماضي؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ يعني هذا وجودكم، وهذه كينونتكم. ﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ يعني: أُوجِدت إيجاداً، وجملة (كنتم خير أمة أخرجت للناس) لا تعني: كنتم خير أمة في الماضي والآن أنتم لستم خير أمة، لكنْ تعني أنتم كوّنتم أمة خيرية.

٢ـ لماذا (كوّنتم)؟ لأنّ هذه الأمة أمة عالمية وليست أمة عرقية، ومن بدء الإسلام كان فيها العربي والفارسي والحبشي والرومي، وليس عبثاً أن يدخل هؤلاء في الإسلام في أول تكوينه في مكة في بنية الإسلام، هذا التكوين هو تكوين خيري .

٣ـ ثم وصفهم ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ كنتم خير أمة بهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكينونة متصلة بالوجود حقيقة.

٤ـ مسألة (كان) لا تشير إلى الماضي دائماً ولكن بحسب موقعها، وقد تشير إلى معنى الاستمرار.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء:٩٦] يعني هذا هو الله ، وهذا شأنه سبحانه وتعالى أنه غفورٌ رحيم، وأنه بهذه الصفة. والله تعالى موصوف بالمغفرة وبالرحمة، وهذا كونه وهكذا وجوده ، ولا يعني أنها في الماضي.

٥ـ لمعرفة المزيد عن كان وأخواتها انظر ذلك في آية آل عمران رقم (٧٩).

السؤال الثاني:

ما المقصود بكلمة (أمة) في الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ؟

الجواب:

الأمّة في اللغة لها أكثر من معنى، ومن معانيها: الجماعة من الناس الذين هم على فكر واحد أو على اعتقاد واحد، فيسمون (أمة)؛ ولذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ، هذا لا يعني العِرق العربي ، وإنما أمة الإسلام.

وهناك معانٍ أخرى لكلمة (أمّة) ، وفي لسان العرب نجد أنه ينقل أكثر من معنى لهذه اللفظة .

فمن معاني الأمة: الرجل المتفرد في علمه وفي خلقه، وعندما يكون متفرداً في شيء يقولون: (فلان أمة) ، ويعني: كأنّ الأمة اجتمعت فيه بكل عقولها وبكل أذهانها. ومن معاني الأمة: الرجل المُتّبَع.

وكِلا هذين المعنيين يصلح على إبراهيم عليه السلام، فهو الرجل الذي لا نظير له والإمام المتّبع، كما قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٠] قال أبو عبيدة: أمة، أي: إماماً.

فإذن يحتمل من حيث اللغة المعنيين؛ لأنه عليه السلام كان منفرداً عن سواه بالرسالة، وبالنبوة، وهؤلاء لا نظير له بينهم.

السؤال الثالث:

فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ، ما فائدة البناء للمجهول؟

الجواب:

ما قال: (خرجت)؛ لأنّ ربنا أخرجها إخراجاً، وهذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها فقال: (أُخرجت للناس)، ولم يقل: خرجت من تلقاء نفسها.

الفعل (أخرج) فعل متعد نحو: (أخرجته)، بينما الفعل (خرج) فعل لازم نحو: (خرجت من البيت).

و﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] أي أنّ الله سبحانه وتعالى أخرجها على نمط معيّن كما يريد، ولم تخرج من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. وهذه الأمة أُخرجت بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة.

السؤال الرابع:

لماذا عبّر تعالى بكلمة (الفاسقين) بدل (الكافرين) في قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ ؟

الجواب:

١ ـ نعلم أنّ المؤمنين يقابلهم الكافرون، ولكنّ الله تعالى استخدم لفظ ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في مقابل المؤمنين في الآية. وكما نعلم فإنّ مراحل الإيمان هي: [إسلام، إيمان، تقوى، إحسان، اطمئنان]، وكذلك فإنّ الكفر مراحل، وكلمة (كافر) تُطلق على واحد من ثلاثة أنواع:

آ ـ ملحد: وهو الذي لا يؤمن بوجود إله .

ب ـ مشرك: وهو الذي يؤمن بوجود الله، ولكنه يُشرك معه إلهاً آخر .

ج ـ وكافر: وهو الذي يؤمن بوجود إله واحد، لكنه يرفض عبادته وتصديق ما بعثه إلى رسله.

وإبليس عليه لعنة الله تعالى كان يعترف بوجود الله الواحد، لكنه رفض أوامر الله تعالى وعصاه ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:٣٤] .

٢ـ و(الكفر) إمّا أن يكون عن جهالة، ويقال لصاحبه: (كافر)، وإمّا أن يكون عن علم كأنْ يكون مؤمناً ثم يكفر مثل إبليس، ويقال لصاحبه: (فاسق) ومعنى الفسق مشتق من(فسقت النواة من التمرة إذا خرجت منها، بمعنى كانت فيها ثم خرجت منها)، فالخارج من منهج الله تعالى يسمى (فاسقاً) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف:٥٠] فالفاسق هو أسوأ أنواع الكفار.

٣ـ إذن من حيث العقيدة هناك: (كافر ومشرك وملحد)، ومن حيث الأصل هناك (كافر أصلي وكافر فاسق) ، ومن حيث إعلان الكفر هناك (كافر صريح ومنافق).

وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الآية تتحدث عن الذين كانوا يعرفون علامات الرسول ﷺ من كتبهم ويعرفون صفاته في التوراة والإنجيل، ثم حرّفوها وكتموا عليها، فأولئك كفروا وهم يعلمون أنّ الرسول ﷺ حق من قبل أن يُبعث وكفروا به بعد البعثة، فكان من الأنسب استخدام لفظ (الفاسقين) بدل (الكافرين) .

فسبحان الله تعالى ما أعظم هذا القرآن! وما أجمل هذه اللغة التي بها نزل.!

السؤال الخامس:

في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ ، إذا علمت أنّ الاهتمام غالباً هو سبب التقديم في الكلام دون غيره، فهل

لقائل أن يقول: إنّ الإيمان بالله يأتي في المرتبة الثانية بعد فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟.

الجواب:

طبعاً لا، وإنما قدّم ما هو الأهم في هذا المقام للتنويه بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأخرُ الكلام عن الإيمان فيه دليل على أنّ إيمانهم ثابت محقق من قبل، وتأخير ما هو أقوى في الترتيب لا يضعف من أهميته، وإنما يزيد من أهمية ما سبقه.

السؤال السادس:

قوله في هذه الآية: ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ باستخدام اسم التفضيل (أكثر)، بينما في سورة الحديد في الآيتين المتتاليتين [٢٦ـ ٢٧] قال تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾ [الحديد:٢٦] ، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قال سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾ ، ثم قال: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ [الحديد:٢٧] ، فاستعمل صيغة (كثير) في الآيتين .

٢ـ (كثير) على وزن (فعيل) ، وهي صفة مشبهة. (أكثر): اسم تفضيل. ويعبّر بـ (أكثر) إذا كان السياق في تعداد أسوأ الصفات أو الإطالة في ذكرها.

و﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ جاءت صيغة التفضيل هذه في مكانين في آيتي المائدة ١٠٣ وآل عمران ١١٠.

٣ـ في آيتي الحديد ذكرأهل الكتاب، وانتقل إلى كلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب، فالكلام عن أهل الكتاب جزء من آية، ثم انتقل بكلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب.

بينما في آية آل عمران كان الحديث عن أهل الكتاب لا ينقطع تقريباً من الآية ٦٥ وحتى الآية ١١٥، أي: أنّ هناك آيات كثيرة أفاض فيها عن أهل الكتاب، فقال: (أكثر)، أما التي لا يطيل فيها فيقول: (كثير).

٤ـ قد تشترك صيغة (فعيل) في المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول من حيث الصيغة فقط ، فإذا كان أصل الفعل (متعدياً) تصير (مبالغة)، وإذا كان أصل الفعل (لازماً) تصير(صفة مشبهة). أمثلة:

(سميع) من سمع، وهو فعل متعد، إذن (سميع) صيغة مبالغة.

(عليم) من علم، وهو فعل متعد، إذن (عليم) صيغة مبالغة.

(رحيم) قالوا: إذا كانت من (رحِم) فعل متعد فهي مبالغة، وإذا كانت من (رَحُم) فعل لازم تصير صفة مشبهة.

(طويل) من طال (فعل لازم) صفة مشبهة، وكذلك قصير وقبيح وجميل هي صفات مشبهة. والله أعلم.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الضرر) و(الأذى) ؟ ومن المعنيون في الآية ؟

١ـ الأذى: هو الحدث الذي يؤلم ساعة وقوعه ثم ينتهي، مثل الصفعة البسيطة .

٢ـ الضرر: هو أذى يؤلم وقت وقوعه وتكون له آثار بعد ذلك.

٣ـ الخطاب في الآية للمؤمنين يتعلق بالفاسقين من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأخبر الله فيها أن أهل الكفر والفسق ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾ [آل عمران:١١١]

٤ـ ينقسم (الضرر) من حيث (التأثير) إلى قسمين: ضرر قاصر وضرر متعد، ومن حيث (المفعول) ينقسم إلى قسمين أيضاً: ضرر مؤقت وضرر بائن، والضرر المؤقت هو الذي يستمر لفترة زمنية بسيطة، أمّا الضرر البائن فهو الذي يستمر مفعوله لوقت طويل، والضرر المؤقت هو ما يسمى إيذاء أو أذى، أما الضرر البائن فهو الضرر الحقيقي المقصود في اللغة، فلو كان الإيلام مؤقتاً يسمى إيذاء، وإن كان دائماً يسمى ضرراً؛ لأنه يدوم وقتاً أطول.

٥ـ وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (أذى) استعمالاً دقيقاً، كما في الآيات التالية:

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩] والنظرة تؤذي؛ لأنها مؤقتة غير دائمة.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب:٥٧] فمجرد أذى الرسول ﷺ يستوجب لعنة الله تعالى في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب مهين جزاء إيذائهم للرسول .

- ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦] .

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة:٢٦٢].

- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء:١٠٢].

وفي آية سورة آل عمران قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١] فالآية تدل على أنّ ما يسمعه المؤمنون من الفاسقين هو ليس إلا أذى كلامياً فقط وليس ضرراً، لأنهم مؤمنون متمسكون بإيمانهم، والخطاب في الآية هو للمؤمنين، أمّا غير المؤمنين فلن يكون ضرر الفاسقين أذى بالنسبة لهم.

السؤال الثاني:

في الآية الفعل ﴿يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ هو فعل الشرط مجزوم، محذوف منه النون والفعل ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ هو جواب الشرط مجزوم أيضاً، وعلامة جزمه حذف النون، وأصله

(يولونكم﴾، لكن جاء العطف بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ والأصل: أن يجزم الفعل لأنه معطوف على مجزوم، أي: ثم لا ينصروا، لكنه جاء مع النون (ينصرون) والله هو المتكلم !!! فلماذا ؟

الجواب:

١ـ لو قال الله (ثم لا ينصروا) يكون هذا القول تأريخاً لمعركة واحدة، لكن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ يحمل قضية بعيدة عن الشرط والجزاء، إنها حكم من الله على أهل الفسق بأنهم لا يُنصرون أبداً سواء أقاتلوا أم لم يقاتلوا، إنها قضية ثابتة منفصلة وليست معطوفة على الشرط .

٢ـ قوله تعالى:﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ ولم يقل مثلاً: (فلا ينصرون) أي: أن الله أورد حرف (ثم) وهو يفيد التراخي، وهذا يفيد أنهم لن ينتصروا عليكم أيها المؤمنون حتى لو استعدوا بعد فترة، أما حرف (الفاء) لو كان موجوداً لأفاد أنهم لا ينتصرون عليكم في بداية عهدكم؛ لأن الفاء تفيد التعقيب .

٣ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ ولم يقل: (ينتصرون) ، لماذا؟ لتؤكد الآية أنّ أهل الكفر لن ينتصروا عليكم بذواتهم، ولن يُنصروا بغيرهم، فهي قضية دائمة ممتدة، وليست خاصة بزمن النبي ﷺ .

٤ـ لذلك إنْ رأيتم أيها المسلمون نصراً للكافرين عليكم منهم أو بتعصب قوم لهم فاعلموا أنكم دخلتم معهم في معركة على غير منهج الله .

فمثلاً: انكسارنا أمام اليهود مثلاً سببه أننا انتبهنا إلى كل شيء إلا الإسلام ، قدّمنا الانتماء لعصبيةٍ وقوميةٍ وعرقيةٍ ويسار ويمين، فكيف نطلب نصراً من الله ؟ لا يحق لنا أنْ نطلب نصراً من الله إلا إذا دخلنا المعركة ونحن من جند الله، والهزيمة لا تحدث عندما نكون نحن من جند الله؛ لأنّ الله ضمن هذا بقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٣].

٥ـ بالطبع هذا ليس خطأً لغوياً في القرآن- حاشا لله- كما يدعي بعض المستشرقين الذين يجهلون اللغة العربية، ولهؤلاء نقول إنه علينا أن نفهم القرآن أولاً قبل إعراب الجمل والكلمات ، لأنّ الإعراب تابع للفهم .

ولذلك نجد أنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٣] ليست معطوفة على ما قبلها ولكنها تفيد الاستئناف على التراخي، وتعني أنّ أعداء الله تعالى لن يُنصروا على المؤمنين، وليس عندهم نُصرة من الله تعالى حتى لو كان عندهم عدّة النصر، فهم لا يُنصرون على الإطلاقِ، إذ لا يوجد عاصٍ يُنصر من عند الله تعالى، فهي إذن جملةٌ مستقلةٌ وحدها وليست معطوفة على ما قبلها .

واستخدام الفعل المضارع في الآية ﴿يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [آل عمران:١١١] ، ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ [آل عمران:١١١] تفيد الاستمرار؛ لأنّ القتال ضد الدين مستمر كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] والخطاب في الآية موجه للأمة المسلمة التي تقيم الشريعة وتعرف حدود الله تعالى.

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾



السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ [البقرة:٦١] في سورة البقرة، وقوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران:١١٢] في سورة آل عمران؟ ما دلالة الاختلاف بين (النبيين والأنبياء) و(بغير حق وبغير الحق)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة:٦١] ما معنى الضرب في القرآن الكريم؟

الجواب:

(ضرب) بمعنى ألزم ودمغ، يقال: ضربت النقود، أي: حُفر على المعدن رسم أو اسم حتى لا يُمسح، وضرب الشيء، أي: التصق به التصاقاً شديداً، كما قال تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور:٣١] بمعنى الإلصاق والتثبيت وعدم المفارقة.

ومعنى (ضرب الذلة) اتصالها بهم وإحاطتها بهم، وفيه استعارة مكنية إذ شُبِّهت الذلة، وهي أمر معقول غير محسوس بقُبّة أو خيمة شملتهم وأحاطت بهم، وشُبِّه اتصالها وثباتها بضرب القُبّة وشدّ أطنابها، بحيث يصعب أن يتنزعوا هذه المذلة عنهم، فهل يمكن أن تؤدي صورة أخرى ما أفادته هذه الصورة القرآنية الفريدة؟



﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سر تقديم وتأخير ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ في آيات سورة آل عمران ١١٠، ١١٤؟

الجواب:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤] وقال تعالى في آية أخرى في نفس السورة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠].

إذا لاحظنا ترتيب المواقف في الآيتين لوجدنا أن الآية ١١٤ في سورة آل عمران جاء فيها ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ في البداية، ثم تلاها ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، أما

في الآية ١١٠ فجاءت في آخر الترتيب؛ وذلك لأنّ الخطاب في هذه الآية هو للمسلمين ونحن آخر الأمم من حيث الترتيب الزمني، فجاء الإيمان بالله آخراً؛ لأنّ هناك من سبقونا بالايمان من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أمّا في الآية ١١٤ فالخطاب لأهل الكتاب الذين أسلموا قبل بعثة الرسول ﷺ وفي زمن أنبيائهم موسى وعيسى عليهما السلام ؛ لذا جاء قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أولاً في الترتيب ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ؟

الجواب:

المسارعة في الخيرات هي أسلوب القرآن الكريم، وهناك فرق بين فعل الخير والمسارعة فيه، والله تعالى يريد منا المسارعة في الخير ويريدنا أن نلجأ إليه كالذي يفِرّ كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات:٥٠] ولم يقل: امشوا أو اذهبوا. فالمسارعة إذن واجبة وهي التوجه باقبال واندفاع إلى الله تعالى، ولا نكون كالمنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

والمسارعة في الخير معناها الرغبة في الاستكثار منه والمبادرة إليه، وفيه استعارة لطيفة تُدرك بالتأمل والتدبر، فحرف ﴿فِي﴾ هنا استعارة تخيلية تؤذن بتشبيه الخيرات بطريق يسير فيه السائرون، أمّا إذا قلت: يسارعون إلى الخيرات، فالمرء لم يبلغ بعدُ الخيرات، بل يسعى لبلوغها.

السؤال الثالث:

ما دلالة (المعروف والمنكر) المذكورين في الآية ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾؟

الجواب:

المعروف: هو ما تعارف عليه الناس واتفقوا عليه، بشرط ألا يصطدم بشرع: أي لا يحلّ حراماً أو يحرّم حلالاً.

أما المنكر: فهو ما استنكره الناس كالكذب والغش والغدر والاعتداء على الآخرين والخوض في الأعراض والخيانة وغيرها.

السؤال الرابع:

جاءت لفظة ﴿وَيُسَٰرِعُونَ﴾ في الآية بدون ألف في المصحف، فما التعليل اللغوي لذلك ؟

الجواب:

التعليلات اللغوية:

أولاً ـ تزاد الألف لمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل:٢١] تنبيهاً على أنّ المؤخر أشد وأثقل من المتقدم عليه لفظاً؛ فالذبح أشد من العذاب .

ـ ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ﴾ التوبة ٤٧، (الإيضاع) أشد إفساداً من الخبال، وللعلم فإنّ (الإيضاع) هو إسراع السير، و(الخلال) في الأصل تخلل الصفوف، والمعنى لأسرعوا في إفسادكم. وأما (الخبال) فهو الاضطراب والفساد.

ثانياً ـ يغلب حذف رمز الألف من الأفعال ذات الصيغ المزيدة، وتجد أنّ الصيغة الواحدة نفسها تميل الألف فيها إلى الحذف في صيغة المضارع أو في اتصال الضمائر، ويغلب إثباتها في صيغة الماضي حين يكون الفعل مجرداً من الزوائد.

* شواهد قرآنية:

حذف الألف	إثبات الألف
﴿وَيُسَٰرِعُونَ﴾ [آل عمران:١١٤]	﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران:١٣٣]
﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام:٨٠]	﴿حَآجَّ﴾ [البقرة:٢٥٨] ﴿حَآجُّوكَ﴾ [آل عمران:٢٠] ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ [آل عمران:٧٣]
﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ [النحل:٢٧]	﴿شَآقُّواْ﴾ [الأنفال:١٣]
﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾ [الكهف:٧٦]	﴿وَصَاحِبۡهُمَا﴾ [لقمان:١٥]

لذلك نرى أنّ المعيار الذي اتبع ليس قاطعاً، وإنما هو الغالب، ولذلك ليس من الغريب أنْ نجد الفعلين (هاجر) و (جاهد) في آية واحدة في البقرة ٢١٨ باثبات الألف للفعل الأول وحذفه من الفعل الثاني.﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢١٨﴾﴾ ، وقد تكرر ذلك في أربعة مواضع في سورة الأنفال في الآيات [٧٢ـ٧٤ـ٧٥].

وملخص المذاهب عند العلماء في زيادة الألف بعد الواو هو:

١ـ الدلالة على انفصال الكلمة عما بعدها، فيُعلم أنّ الكلمة مستقلة يمكن الوقف عليها.

٢ـ الفرق بين ما بعده ضمير منفصل، فتجعل فيه الألف كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى:٣٧] وما بعده ضمير متصل، نحو: ﴿كَالُوهُمْ﴾ [المطفِّفين:٣] فلا تجعل فيه الألف.

٣ـ إرادة الفرق بين واو الجمع وغيرها في نحو(نفر وخرج)، فإنّ الواو التي بعد الراء وقبل الخاء يحتمل أن تكون علامة جمع، أي: فاعل نفر، ويكون (خرج) غير معطوف، وتحتمل العطف ويكون فاعل (نفر) مقدراً، ففرقوا بين المعنيين بالألف، فإذا وجدت عُلِم أنه فاعل، وإذا عُدمت عُلِم أنه ليس بفاعل.

ثالثاً: كلمة (أيها):

كتبت في المصحف بألف (أيها)، إلا في ثلاث مواضع:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١] .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزُّخرُف:٤٩] .

٣ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن:٣١] .

يقول أبو العباس في توضيحها:

آ- آية النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ والسر في سقوطها الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء بها، وتنبيه على الاقتصار من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي.

ب ـ آية الزخرف ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزُّخرُف:٤٩] نظيره من كلام فرعون في موسى عليه السلام ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأعراف:١٠٩] يدل على عظمة علمه عنهم وأنه ليس فوقه أحد.

ج ـ آية الرحمن ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ تدل على عظمة الصفة الملكية فإنها تقتضي جميع الصفات الملكوتية والجبروتية، فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى التفكر في آلاء الله في بيان النعم فيشكروا ، ولبيان النقم ليحذروا. والله أعلم .

السؤال الخامس:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ﴾ ما أخوات هذه الكلمة في القرآن الكريم؟

الجواب:

الكلمات هي: [عبر ـ جاوز ـ قطع ـ سبق ـ سارع].

١ – عبر:

هو المرور أفقياً أو عرضياً كالمرور عبر المسجد ليصل إلى مكان الوضوء: النساء ٤٣ .

٢- جاوز:

المرور طولياً مع الطريق: [الكهف ٦٢ـ الأحقاف ١٦ـ يونس ٩٠ـ الأعراف ١٣٨].

٣- قطع:

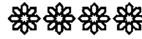
تعني الوقت المستغرق لعبور الطريق. يقال قطعت الطريق في بضع ساعات: العنكبوت ٢٩.

٤- سبق:

﴿استباق﴾، وتعني السرعة للوصول أولاً: [الواقعة ١٠ـ المؤمنون ٦١ـ يس ٤٠].

٥- سارع:

السباق من المسارعة، والسباق من أشد أنواع المسارعة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣] ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [آل عمران:١١٤] .



﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

السؤال الأول:

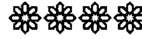
ما معنى (يُكفروه) في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾؟

الجواب:

هناك فريقان من الناس: فريق اتبع الحقّ، وفريق لم يؤمنوا، وقوله تعالى: ﴿يُكۡفَرُوهُۗ﴾ أي: يُغطَّى عنهم أو يمنع عنهم أو يُحجب عنهم، أي: أنّ كل عمل خير تجده عند الله تعالى، لكن بشرط التقوى، والآية أشارت للشرطين في العمل:

١ـ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لله تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر:٣] ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الزُّمَر:١١].

٢ـ وما كان صحيحاً صالحاً فهو الذي ينجي يوم القيامة بإذن الله.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم الله تعالى (المال) على (البنين)؟

الجواب:

أثبتت الدراسات والواقع المجرب أنّ المال عند أكثر الناس أعز من الولد، وقد يستغني الإنسان عن ولده في أمور معيشته، ولكنه لا يستطيع أن يستغني عن المال، فبدونه لا تتحقق له معيشة وحياة، والإنسان يحرص على ماله ويصحبه عادة حتى الممات.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] وفي الأعراف ١٦٠ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ بذكر الفعل (كانوا)، وقوله تعالى في آل عمران: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧] بدون (كانوا)؟

الجواب:

زاد في البقرة والأعراف قوله تعالى: ﴿كَانُوٓا۟﴾ بخلاف آية آل عمران وذلك:

١ـ أنّ آيات البقرة والأعراف وآية التوبة ٧٠ هي في أقوام قد مضوا وهم بنو إسرائيل وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات .

٢ـ أمّا آية آل عمران فهي ليست في أقوام ماضين، وإنما مثلٌ ضربه الله لكل عصر .

٣ـ لذلك نرى أنه عندما يتكلم الله سبحانه عن الحال يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: في الوقت الحالي وليس الزمن الماضي، كما في آية آل عمران ١١٧، حيث قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ فوصَفَ حالة موجودة راهنة.

وكذلك الأمر عندما يتكلم عن قاعدة مطردة مطلقة، فهذا ليس ماضياً وإنما حال واستقبال، فيقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ كما في آية يونس ٤٤.

٤ـ وعندما يتكلم الله سبحانه عن الأقوام الماضية البائدة يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كما في آية العنكبوت ٤٠.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ ما الفرق بين كلمتي (ريح) و(رياح) في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ؟

الجواب:

تدبر هذا التمثيل القرآني، ستجد أنك أمام صورة في غاية الدقة والإحاطة بالأمور، فقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ليس جزءاً من الصورة لو سقط الكلام لكان المعنى تاماً لا لبس فيه ، لكنه صار إدماجاً في التمثيل ليُكسبه تفظيعاً وتشويهاً ، ولينفي ما يمكن أن يتحصل للسامع من الشفقة والرحمة على حال أصحاب الحرث الهالك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما (البطانة) لغة؟ وما مدلولها في الآية؟

الجواب:

(البِطانة) لغة بكسر الباء، هي في الأصل داخل الثوب ، لكنّ البيان الإلهي يتخذها لتصوير حالة صديق الرجل وخصيصه الذي يطّلع على شؤونه، فيكون كبطانة الثياب في شدة القرب من صديقه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ ولم يقل: تعلمون أو تفقهون؟ ألا تؤدي ذات المعنى؟

الجواب:

إنّ هذه الآيات آيات فراسة وتوسّم في اختيار من يثق به الإنسان ويتخذه صديقاً، لذلك عبّر عنها بالعقل؛ لأنه أعمّ من العلم والفقه اللذين لا يكشفان حقيقة هذه الفئة.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية ٦٦: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٠٩] وكذلك في آية النساء ١٠٩، بينما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ في آية آل عمران ١١٩، وآية طه ٨٤، فما الهدف من تكرير هاء التنبيه أو حذفها ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٦٦.



﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت ﴿يَضُرُّكُمۡ﴾ بالرفع في هذه الآية ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ ؟

الجواب:

أولاً ـ من يقول إنّ ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ مرفوعة؟ ومن يقول إنها حالة رفع؟ هذا الفعل مجزوم . وللآية قراءتان متواترتان: إحداها بالفتح (يضرَّكم)، والثانية بالرفع ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ وهذا الفعل مجزوم بالسكون وحُرِّك لالتقاء الساكنين وكانت حركة الضمّ للاتباع.

ثانياً ـ هذا الفعل (ضرّ) فعل ثلاثي مضعّف، إذا جُزِم وكان مضموم العين في المضارع مثل: [عدّ يعُدّ، وشدّ يشدّ، وضر يضُرُّ]، ففيه أربعة أحوال:

١. فكّ الإدغام مع الجزم (يضررْ) مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال:١٣] و قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧] وهذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

٢. الإدغام مع الفتح: كأنْ نقول لن يضُرَّك، كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] بالفتح، وهذا مجزوم، لكن لمّا صارهناك إدغام التقى ساكنان، فعندما أدغمنا الأول صار ساكناً والثاني ساكن فلابد من الحركة، وعندنا أوجه تحريك؛ ومنها أن نحركه بالفتحة؛ لأنها أخفّ الحركات، مثل: (يرتَّد) مجزوم، وعلامة جزمه السكون، لكن حُرِّك لالتقاء الساكنين، وحُرِّك بالفتح لأنها أخف الحركات.

٣. الإدغام مع الكسر: كقولنا: لا يُضرِّ ،نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر:٤].

٤. الإدغام مع الضمّ: إذا كانت العين مضمومة: مثل[يضُرُّ، يعُدُّ، يمدُّ] يصِحّ أن نقول: لم يمُدَّ ولم يمِدِّ ولم يمَدُّ.

فالفعل في الآية ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ إذن ليس مرفوعاً، ولكنه مجزوم، وعلامة جزمه السكون، وحُرِّك لالتقاء الساكنين، وكانت الحركة الضمّ للاتباع، هذا من ناحية التفصيل النحوي.

السؤال الثاني:

لماذا اختير في هذه القراءة الضم؟ مع أن الأكثر والأشيع هو الفتح؛ لأن الفتحة أخف الحركات وهو ما عليه الكثير من القُرّاء ؟

الجواب:

١ـ قراءة حفص هي التي تقرأ بالضمّ، ومن المُسلّمات أنّ الضمّ أثقل الحركات والفتحة أخفّها.

٢ـ عندما نقول يضُرَّكم - بالفتح - تعني كأنه ليس هناك ضرر أصلاً، لكن إذا قلنا: يضرُّكم - بالضم - فهي تعني أنه هناك أذى ولكن لا يضركم، كما في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران:١١١]، ولذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٢٠] إشارة إلى أن (يضرُّكم)

بالرفع لا تعني مسح الضرر كاملاً ولكن يبقى شيء من مخلّفاته التي لا ترقى إلى الضرر وهو مما يؤذي النفس، ولهذا جاءت الآية بعدها بالصبر.

فحالة الرفع هنا حالة ثقيلة، أمّا حالة الفتح فهي أخف منها فناسب حركة الإعراب الحالة التي تأتي فيها.

ومن هذا كله نقول إن ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ في الآية مجزومة؛ لأنه فعل مضعّف عينه مضمومة وجاءت للاتّباع.

٣ـ وقد يسأل سائل: لماذا تختلف القراءات والآية نفسها؟

في الآية قراءتان متواترتان بالرفع والفتح. وقالوا: هناك مواقف في الزمن ومواقف في الأشخاص، والناس ليسوا على وتيرة واحدة، فيلاقي بعضهم حالات أشد من حالات، والزمن ليس واحداً فقد تكون حالة أثقل من حالة، وقد يكون ما يلقاه شخص غيرما يلقاه شخص آخر؛ فلذلك خالف، وهي إشارة إلى الحالة الواقعية للحياة فلا تكون على وتيرة واحدة لذا جاءت في القراءات إحداها أثقل من الأخرى.

٤ـ ونلخّص ما ذكرناه في أحوال جزم الفعل الثلاثي المضعّف، وكان مضموم العين، ونقول: إنّ الأحوال كلها ممكنة سواء كان الفعل أمراً أم فعلاً مجزوماً إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر، فحالاته هي: فك الإدغام، الإدغام مع الفتح أو الكسر، والإدغام مع الضمّ، وهذا الذي فيه الشرط .

أمّا لو كان فعل الشرط ماضياً فيمكن أنْ يكون مرفوعاً ويُعدّ ماضياً كالفعل: (تود) وأصله: (ودّ) كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠] وأمّا لو كان الفعل مضارعاً فهو لا يحتمل الرفع.



﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾ (المقاعد) جمع مقعد، وهو مكان القعود، أي: الجلوس على الأرض، ومعلوم أنّ الحرب والقتال ليسا مكان قعود ولا جلوس بل وقوف وقيام، فلِمَ لم يأت البيان بأن يقول: وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مواقف للقتال؛ لأن الوقوف أولى؟

الجواب:

اعلم أنّ إضافة (مقاعد) لاسم القتال قرينة على أنه أطلق المواضع اللائقة بالقتال التي يثبت فيها المقاتل ولا ينتقل عنها، فعبّر عن الثبات والتمكن في المقاعد دون الوقوف؛ لأنّ الوقوف عرضة الحركة وعدم الثبات.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية بشكل عام ؟

الجواب:

هذه الآية تتحدث عن غزوة أحد، حيث جاء الكفار بثلاثة آلاف مقاتل وكان المسلمون قلة، وفي غزوة أحد خالف الرماة أمر الرسول ﷺ بعدم ترك الجبل وحصل ما حصل، وفاجأهم خالد بن الوليد فطوق جيش المسلمين وكان ما كان.

١ـ إنّ عبقرية البشر قد تتصارع مع عبقرية البشر، ولكن لا توجد عبقرية بشرية تستطيع أنْ تصادر ترتيباً ربانياً .

٢ـ لذلك لم يظهر دور لخالد بن الوليد في غزوة الخندق كما ظهر في غزوة أحد؛ لأنّ المقابلين لخالد في غزوة أحد خالفوا أمر القيادة فبقيت عبقرية بشر مقابل عبقرية بشر، ولكنهم لو ظلوا في حضن المنهج الإلهي في التوجيه لما استطاعت عبقرية خالد أن تطفو على تدبيرات ربه أبداً.

٣ـ التحقيق التاريخي لكل العسكريين الذين درسوا معركة أحد قال: لا هزيمة للمسلمين ولا انتصار للكفار؛ لأنّ النصر يقتضي أن يُجلي فريقٌ فريقاً عن أرض المعركة ويظل الفريق الغالب في أرض المعركة، وهذا لم يحصل.

٤ـ كانت أحداث غزوة أحد تمحيصاً للمؤمنين ليكونوا على قدر المسؤولية بتحمل أعباء الدعوة ونشرها في الأرض .



﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما فائدة ﴿ وَلَقَدْ ﴾ في الآية مع الفعل الماضي، هل تفيد التأكيد؟

الجواب:

(قد) تفيد التحقيق، والتحقيق لا ينفك عنها إذا دخلت على الماضي، وأحياناً يجتمع معها التقريب والتوقّع، فالتحقيق لا ينفك، وقد يكون مع التحقق التقريب أو التوقّع أو تجتمع كلها لكن يبقى التحقيق معها.

* شواهد قرآنية:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف:٢٦] . (قد) هنا ليس فيها توقّع من بني آدم ولا فيها تقريب، لكنّ فيها معنى التحقيق.

- ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ [آل عمران:١٢٣] فيها توقّع؛ لأن الله تعالى وعدهم بالنصر كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٧] وفيها تقريب.

فالتحقيق لا يفارق (قد) مع الفعل الماضي، لكن إذا دخلت على الفعل المضارع قد يكون للتحقيق والتقليل.



﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (آلاف) و(ألوف) كما في آية البقرة ٢٤٣ ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ وآية آل عمران١٢٤ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٢٤٣.

﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ ﴾

السؤال الأول:

هذه الآية تحمل في كيانها لفتات بلاغية رائعة، ألا ترى أنّ حق السياق أن يكون كالتالي: إن تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ويأتوكم من فورهم؟ فلِمَ قدَّم ﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾ على الإمداد ؟

الجواب:

إنّ تقدم المعطوف يوحي بتعجيل الطمأنينة إلى نفوس المؤمنين وسرعة النصر قبل تحقق جزاء الشرط، وهو قوله تعالى ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ﴾ .



﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران١٢٦: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ﴾ وقوله في آية الأنفال ١٠: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير للجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ وقال في سورة آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

١ـ يجب أنْ نرى أولاً سياق الآيات في السورتين، فسياق آية آل عمران فيه ذكر لمعركة بدر، وتمهيد لذكر معركة أحد وما أصاب المسلمين فيها من حزن وقرح ، والمقام في السياق كان مقام مسح على القلوب وطمأنة لها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٩-١٤٠] وغيرها من آيات التصبير والمواساة وخصص البشرى بهم ، وزاد كلمة ﴿لَكُمْ﴾ فقال: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ زيادة في المواساة والمسح على القلوب .

والجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ يعود على الإمداد السماوي؛ لذا قدّم هنا القلوب ﴿قُلُوبُكُم﴾ على ﴿بِهِۦ﴾ في آل عمران؛ لأنّ المقام مقام تصبير ومواساة، والكلام مسح على القلوب.

٢ـ أمّا في آية الأنفال فقدّم ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿قُلُوبُكُمْ﴾؛ لأنّ الكلام على الإمداد السماوي الذي هو محور آيات سورة الأنفال، وكذلك لم يخصص كلمة (البشرى) وجعلها عامة فقال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ .

السؤال الثاني:

في آية آل عمران ١٢٦ عرّف ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ وفي آية الأنفال ١٠ استعمل التنكير فقال ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فلماذا ؟

الجواب:

١ـ آية الأنفال نزلت في قتال بدر، وأمّا آية آل عمران فنزلت في موقعة أحد بعدها.

٢ـ في موقعة بدر بيّن أنّ النصر من عند الله تعالى فقط لا بغيره ولا بكثرة عَدَدٍ أو مدد، أي على معنى العموم ، ولذلك علّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية نصر من يستحق النصر، فجاء في ختام آية الأنفال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ .

٣ـ وأمّا في آية آل عمران فقد أحال الموضوع على كلمة ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾ بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله (العزيز الحكيم) الذي تقدم إعلامكم أنّ النصر من عنده، فناسب التعريف هنا . والله أعلم .

السؤال الثالث:

لِمَ عبّر الله تعالى في الآية عن الثقة والأمان بقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ ؟

الجواب:

في هذه الكلمة من الدلالة ما يقصر غيرها من الكلمات عن التعبير، فسكون القلب يعني عدم اضطراب نبضات القلب الناجم عن الخوف والهلع، وإذا كان القلب طبيعياً بنبضاته فهذا يعني أنّ الإنسان في حال أمن، وكأنه خارج إطار الحرب، بل هو في دار سلام وأمن.

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ ولم يقل مثلاً: (ليستأصل) ، فلماذا؟

الجواب:

قول الله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ معناه: أن يُقتل عدد من الكفار، ولم يقل: ليستأصل؛ لأنّ الله تعالى أبقى على بعض الكفار، لأنّ له في الإيمان دوراً مستقبلاً .

وللعلم فإنّ معركة أحد قد أخذت من سورة آل عمران حوالي ستين آية .



﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ﴾ في هذه الآية وفي آية المائدة ٤٠ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ؟

الجواب:

لو نظرنا في الآيات سنجد أنّ تقديم المغفرة على العذاب هو الأصل؛ لأنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾ [الأنعام:١٢] وفي الحديث في صحيح البخاري: «**رحمتي سبقت غضبي**»، لكن لماذا تغير الوضع في الآية ٤٠ في سورة المائدة حيث تقدم العذاب على الرحمة؟

والجواب: أنّ هذا الأمر يتعلق بقطع اليد ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة:٣٨] فقدّم العذاب؛ لأنّ الكلام في البداية كان عن عذابٍ ثم عن مغفرة، فلا بد أن يتقدم العذاب، ولو عكست لما استقام الكلام، بينما في الأماكن الأخرى كان الكلام اعتيادياً على مغفرة الله تعالى وعذابه، فدائماً يقدم الرحمة ويردف بالعذاب، حيث يقدم الرحمة ترغيباً للمطيعين ويؤخر العذاب ويذكره تحذيراً من المعصية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آيات[آل عمران ١٢٩ـ النساء ٣٥ـ المائدة ٧٤]: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، بينما أكّد ب (إنّ) في آيات البقرة ١٨٢و ١٩٩، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ فمتى يستعمل القرآن التوكيد بإنّ في مثل هذه المواطن ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم حرف التوكيد بهدف التوكيد، فيضعه في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا في آيات آل عمران والنساء والمائدة لم يؤكد المغفرة، بل قال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ بينما أكّدها في آيتي البقرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ وذلك لأن المقام يقتضي أن يكون كل تعبير في موطنه، وإيضاح ذلك:

أولاً ـ الآيات: آيات آل عمران ١٢٧ـ١٢٩ : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

آيات المائدة ٧٣ـ٧٤: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

آيات البقرة ١٩٨ـ١٩٩ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾

ثانياً ـ البيان:

١ ـ المقام في آيات آل عمران هو في إذلال الكافرين وكبتهم وقطع طرفٍ منهم، فلا يناسب ذلك توكيد المغفرة .

٢ـ آية النساء في إقامة الحد على من يأتي الفاحشة، ولا يناسب ذلك توكيد المغفرة أيضاً.

٣ـ سياق آيات المائدة في التهديد للذين يقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] ، وقد توعدهم إنْ لم ينتهوا عن ذلك بالعذاب الأليم، فالمقام مقام تهديد ،وليس مقام تأكيد المغفرة .

٤ـ سياق آية البقرة ١٩٨ في الحج ومناسكه وشعائره، وهذا المقام أولى المقامات بتوكيد المغفرة، وأصحاب هذا المقام ذهبوا ليؤدوا فريضة الحج طلباً للمغفرة، قال الرسول ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» وقال: «**إن الله يباهي الملائكة بأهل عرفة ويشهدهم على أنه قد غفر لهم**» فاقتضى ذلك توكيد المغفرة.

٥ـ سياق آية البقرة ١٨٢ في الإصلاح وحفظ الموصي من أنْ يقع في جنف أو إثم، أَفَتَرَى أنّ الذي يسعى في هذا لا يستحق توكيد المغفرة ؟

وازن بين المقامين اللذين مرّا: مقام المعصية والكفر ومقام الإصلاح وحفظ الحقوق، ثم احكم أيهما ينبغي أنْ يكون مقام توكيد المغفرة تجد الجواب بيناً شافياً.



﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول) ؟

الجواب:

في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجر ذكر الرسول ﷺ في السياق أو أي إشارة إليه ، كما جاء في سورة آل عمران ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٢].

والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩] و ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور:٥٤] ، وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية آل عمران ٣٢.

السؤال الثاني:

ما دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ جاءت هذه الآية بعد النهي عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة، مما يدل على أنّ الربا ليس من الصغائر، بل من الكبائر التي يستحق عليها الوعيد بالنار.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران:١٣١] وفيها وجوه:

آـ أنها مثل نار الكفار من غير فرق تمسكاً بالظاهر.

ب ـ أنها أخف من نار الكفار لما بينهما من تفاوت في المعاصي.

ج ـ النار دركات أُعد بعضها للكفار وبعضها للفساق .

وكل الوجوه لبيان أنّ النار معدة فعلاً للكفار تعظيماً للزجر، ولا يدل ذلك على أنّ النار لا يدخلها غيرهم .

٣ـ قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ إخبار عن الماضي، فلا بد- والله أعلم ـ أن يكون قد دخل ذلك الشيء في الوجود .

٤ـ لما ذكر الله سبحانه الوعيد ذكر بعده الوعد على عادة القرآن، فقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

٥ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ تفيد الترجي، أي: لتكونوا على رجاء وطمع في أنْ يفعل بكم فعل المرحوم بالتقريب والمحبة عند إطاعة أوامره وإطاعة أوامر رسوله ﷺ .والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (الطاعة) و(العبادة) ؟

الجواب:

١ـ العبادة: هي غاية الخضوع، ولا تُستَحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود .

٢ـ الطاعة: هي الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك، وقد تكون الطاعة للخالق والمخلوق، أمّا العبادة فلا تكون إلا للخالق .

والطاعة في مجاز اللغة تكون باتباع المدعو الداعي إلى ما دعاه إليه، وإنْ لم يقصد التبع كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان، وإنْ لم يقصد أنْ يطيعه ولكنه اتبع دعاءه وإرادته .

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ترى لو قلت: (وأسرعوا) إلى مغفرة أتُحقق ذات الغرض والفائدة التي تحققها صيغة ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ ؟

الجواب:

بالطبع لا، فالبيان القرآني جاء بصيغة (سارعوا) للمبالغة في طلب الإسراع. وتنكير ﴿مَغۡفِرَةٖ﴾ ووصلها بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ـ مع استطاعة الإضافة مباشرة بأن يقول: وسارعوا إلى مغفرة ربكم ـ غرضه التضخيم والتعظيم.

ثم لسائل أن يسأل: لِمَ جاء البيان الإلهي بقوله: (جنة عرضها)، ولم يقل: جنة طولها؟ والجواب أنّ الكلام هنا على طريقة التشبيه البليغ، والأصل: وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، كما جاء في سورة الحديد، والغرض هنا أريد به تمثيل شدة الاتساع ليُطلق العنان لخيال السامع، فإذا كان عرض الجنة بهذا الاتساع صعب التخيّل، فكيف يكون طولها؟!

السؤال الثاني:

ما الفرق البياني بين آية آل عمران ١٣٣ وآية سورة الحديد رقم ٢١؟

الجواب:

أولا ـ استعراض الآيات:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣] .

وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد:٢١] .

ثانياً ـ المقارنة بين آية آل عمران وآية الحديد:

آية الحديد ٢١	آية آل عمران١٣٣
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾	﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾
﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾
﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾	﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾
﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾	ـ

البيـــــان:

أولاً: السماء والسموات:

السماء في اللغة وفي المدلول القرآني لها معنيان:

١ـ واحدة السموات السبع، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥] .

٢ـ كل ما علا وارتفع عن الأرض، نحو:

آ ـ سقف البيت في اللغة يسمى سماء.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥] يقول المفسرون: (أي: ليمدّ حبلاً إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه)، فالسماء هنا بمعنى السقف.

ب ـ وقد تكون بمعنى السحاب: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧].

ج ـ وقد تكون بمعنى المطر: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:١١].

د ـ وقد تكون بمعنى الفضاء والجو: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل:٧٩].

هـ ـ وقد تكون بمعنى الارتفاع العالي: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

فالسماء كلمة واسعة جداً قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف، وبهذا تكون السموات ـ والسموات موطن الملائكة ـ جزءاً من السماء؛ لأنّ السماء هو كل ما علا وارتفع مما عدا الأرض، والسموات جزء منها بهذا المعنى الواسع الذي يشمل الفضاء والسقف والمطر والسحاب؛ لذلك فإنّ (السماء) تكون أوسع من (السموات)، فهي تشملها وغيرها.

ودليل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦] وقوله: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء:٤] وحيث إنّ القول أوسع من السر، فهو

قد يكون سراً أوجهراً ، والسر جزء منه ، فلمّا وسّع قال: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ [الأنبياء:٤] وقال: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنبياء:٤] ، ولمّا ضيّق وقال: ﴿ٱلسِّرَّ﴾ [الفرقان:٦] قال: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الفرقان:٦] .

ثانياً ـ (عرضها، عرضها كعرض):

١ـ لمّا قال: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قال: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ، ولكن عندما اتسعت اتساعاً هائلاً جاء بأداة التشبيه ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد:٢١]؛ لأنّ المشبه به عادة أبلغ من المشبه، فهي لا تبلغ هذا المبلغ الواسع الذي يشمل كل شيء.

٢ـ كلمة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد:٢١] تأتي عامة، كما في الآيات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات:٤٧]، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات:٢٢]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].. ثم تتسع لأشياء أخرى، وعندما يقول الله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح:١٥]، فهي ليست الفضاء ولا السقف ولا السحاب، وإنما تشمل الجميع، فعندما اتسعت قال: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد:٢١]؛ لأنها أقوى وأوسع وأشمل ، وعلى هذا بُني التعبير كله في الآيتين .

ثالثاً ـ كاف التشبيه:

١ـ في آية الحديد استعمل (الكاف) للتشبيه وفي آية آل عمران لم يستخدمها.

٢ـ (السموات) جمع السماء. صحيح هي مفرد، لكن حينما تأتي وحدها تأتي لعدة معان .

٣ـ (السماء والأرض) عظيمتان جداً، فاستعمل لها التشبيه؛ لأنها غير محدودة، لكن لمّا استعمل (السموات) استعمل التحديد ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ للتقريب.

والعربي عندما يسمع: (عرضها عرض السموات والأرض) قد يفهم منها السماء الأولى الواحدة، لكن لمّا قال: ﴿كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١] يفهم أنّ هذا إطلاق. ﴿كَعَرۡضِ﴾ أقوى من ﴿عَرۡضُهَا﴾ وأشمل وأوسع، هكذا يُفهم.

رابعاً ـ أعدت للمتقين، أعدت للذين آمنوا:

١ـ عندما ضيّق في آية آل عمران حددها للمتقين، ثم وصفهم في الآيات التي بعدها.

٢ـ وعندما وسّع في آية الحديد عمّم القول ليسع الخلق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد:٢١] ، وهؤلاء المتقون جزء من الذين آمنوا، ولم يحدد عملاً محدداً لهؤلاء.

خامساً ـ سابقوا، سارعوا:

١ـ عندما قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ قال: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، وعندما قال: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ قال: ﴿كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١] .

وكثرة الخلق المتجهين لمكان واحد تقتضي المسابقة، فإنْ قلّوا اقتضى ذلك المسارعة فقط ، وليس المسابقة.

٢ـ في آية الحديد: اتسع المكان فاتسع الخلق، وذكر السماء التي تشمل السموات وزيادة، وذكر الذين آمنوا بالله ورسله، وهي تشمل المتقين وزيادة ، ثم زاد وقال: ﴿ذَٰلِكَ

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢١]؛ لأنّ الفضل أوسع مما جاء في آل عمران، بل الفضل واضح إذ جاءت عامة.

٣ـ استخدم ﴿إِلَىٰ﴾ في الآيتين؛ لأنّ المغفرة هي غاية ما يسعى إليه المؤمن وهو يُسارع ويسابق من أجلها .

سادساً ـ تكرار العطف:

لو لاحظنا الناحية الفنية لرأينا وضع كل واحدة يناسب ما هي فيه.

١ـ ففي سورة الحديد تتكرر عبارات ﴿ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ و ﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ و ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾، ففيها تفضلات كثيرة، وبدأت آية الحديد بدون (واو) العطف ﴿سَابِقُوٓا۟﴾ .

٢ـ آية آل عمران فيها تعاطفات، ونرى المتقين والأمر بالتقوى يتكرر عدة مرات، وبدأت آية آل عمران بـ (واو) العطف ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾ .

٣ـ عندما نأتي إلى سياق آيات سورة آل عمران في الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ هناك تشريع ونهي عن ارتكاب إثم عظيم، ودعوة للتقوى، أي: اتقوا ما يوصلكم إلى النار، لاحظ الواوات، ثم قال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ جاءت الآية في إطار العطف.

٤ـ بينما سياق الآية الأخرى في سورة الحديد: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠]،

ففيها نوع من الإيضاح والشرح لقضية معينة، وليس فيها نهي أو أمر، فجاءت ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ من غير الواو.

٥ـ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ عندما يكون هناك تشريع ويكون هناك إثم عظيم وهو الربا، وكان كثير من المسلمين يتعاطون بالربا قبل تحريمه، فلمّا جاء التحريم طلب منهم أنْ يسارعوا وليست مسألة مسابقة، وإنما كل واحد مسؤول عن فعله؛ لأنه أمر شخصي، فطلب إليه أن يُسرع إلى مغفرة، وكيف يُسرع لها؟ بالتوبة، والتوبة شخصية، فجاءت كلمة (سارعوا) ، وليس هناك مجال للمسابقة ، لآنّ المناسبة تعنيك والكلام عن الربا ، والربا أمر شخصي.

٦ـ لكنْ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ الكلام عن الدنيا، والدنيا فيها منافسات ولعب، وما من لعب إلا وفيه منافسة، واللهو يتنافس فيه الناس، والتفاخر الناس يتنافسون فيه أيضاً، فاللعب واللهو والتفاخر كلُ يريد أنْ يظهر شأنه فيه، والموضوع ليس هنا في اللعب واللهو، ولكنّ المسابقة هي أنْ تتسابقوا إلى مغفرة من ربكم وتلجئوا إلى الله تعالى عن هذا اللهو والعبث،وفي هذا تسابق، والسباق قطعاً فيه سرعة وزيادة.

٧ـ انظر إلى جمال هذا التعبير ودقته، وكيف أنّ كل آية كاللوحة الفنية المتناسقة لوحظ فيها كل جزئية من جزئياتها واعتنى بكل لمسة من لمساتها.

٨ـ جاء في الحديث ذم العجلة بقوله ﷺ: «**العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن**».

لكن النبي ﷺ استثنى خمسة مواضع من ذم العجلة فقال: «**إلا في التوبة من الذنب، وقضاء الدَّين الحالّ، وتزويج البكر البالغ، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل**»

السؤال الثالث:

كتبت كلمة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ بدون ألف، فما التعليل اللغوي لذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.



﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما (الكظم) المذكور في الآية ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ ؟

الجواب:

الكظم لغة: الإخفاء والإمساك، وهو مأخوذ من كظم القِربة إذا ملأها وأمسك فمها، وعلى هذا تكون الآية تمثيلاً رائعاً بحق الخُلُق العظيم من جهتين:

أولاً: إخفاء الغضب من جهة.

ثانياً: إمساكه عند وصوله حد الامتلاء تماماً، كالماء إذا خيف أن يظهر من القربة، وهي هنا النفس الغاضبة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين السراء والضراء؟ ولماذا جاء بالصيغة الفعلية ﴿يُنفِقُونَ﴾ ؟

الجواب:

السراء هو الغنى ، والضراء هو الفقر، وجاء بالصيغة الفعلية ﴿يُنفِقُونَ﴾ لبيان تكرار الحدث، فهم ينفقون في حال الرخاء والشدة واليسر والعسر .

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ اللام للجنس، فيتناول كل محسن ، أو للعهد إشارة إلى هؤلاء، ومعنى العهد المعرفة، وهي هنا تسمى العهد الذكري، وهو أنْ يتقدم لمصحوبها ذكر في اللفظ ،كما في الآية، حيث ذكرت وجوه الإحسان من الإنفاق وكظم الغيظ.

٢ـ الإحسان إلى الغير: يشمل صنفين من العمل:

آـ إيصال النفع إلى الناس، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ويدخل فيه إنفاق المال وتعليم الجاهل وهداية الضال ووجوه الخير.

ب ـ دفع الضرر عن الناس، وهو المراد بقوله تعالى:﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ بأن لا يقابل الإساءة بإساءة أخرى ، وأنْ لا يظلمهم وأنْ يبرئ ذمته من التبعات والمطالبات.

٣ـ ولما كانت هذه الأمور إحساناً إلى الغير ذكر الله ثوابها، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤] فإن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب.

والله أعلم.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ شرط وفعله ماضٍ، فما معنى الشرط؟ وما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الثالث في آية البقرة ١٩١ .

السؤال الثاني:

ما دلالة المغفرة في الآية ؟

الجواب:

يقول النبي ﷺ كما رواه البخاري: «**إن عبداً أذنب ذنباً، فقال: يا رب، أذنبت ذنباً، فاغفره لي، فقال الرب: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنوب، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنباً آخر، فقال: يا رب قد أذنبت ذنباً، فاغفره لي، فقال الرب:علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنوب، قد غفرت لعبدي، ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يا رب قد أذنبت ذنباً، فاغفره لي، فقال الرب: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنوب قد غفرت له وليفعل عبدي ما يشاء**» إذا كان كلما أذنب استغفر فليذنب يعني: لا ييأس من رحمتي .

ورب العالمين سبحانه وتعالى يقول في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «**ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة**».

إذن يا أخي المؤمن الكريم تُب إلى الله عز وجل وادعُ الله أن يثبتك على التوبة ويتقبلها منك، وإذا عدت مرة أخرى أسرع بالعودة إلى الله عز وجل هكذا ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].



﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الدلالة بين ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ و﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

وردت في وصف الجنة ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ حوالي ٣٤ مرة، ووردت ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام:٦] أربع مرات في الآيات [الأنعام ٦ ـ الأعراف ٤٣ ـ يونس ٩ ـ الكهف ٣١].

فعندما يكون الوصف للجنة يستعمل (من تحتها) ، كما في آية المائدة ٥ ـ وآل عمران ١٣٦.

وعندما يكون الوصف للمؤمنين ساكني الجنة يستعمل ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام:٦]

والأنهار هي من تحت الجنة وتحت ساكنيها، جعلنا الله منهم مع النجاة من النار، اللهم آمين.

السؤال الثاني:

جاءت ختام آية آل عمران ١٣٦بـ (الواو) ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ بخلاف ختام آية العنكبوت ٥٨ جاءت بدون (واو) ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨﴾ [العنكبوت:٥٨] فلماذا ؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم في آل عمران ذكر الأوصاف، وهي قوله تعالى: ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ و ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ﴾ و ﴿وَٱلۡعَافِينَ﴾ و ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ﴾ و ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾ و﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ ناسب ذلك العطف بالواو المؤذنة بالتعدد والتفخيم .

٢ـ ولم يتقدم مثله في العنكبوت فجاءت بغير واو كأنه تمام الجملة .



﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب وعذاب) في القرآن الكريم؟ وما معنى (العاقبة)؟

الجواب:

١ـ كلمة (العقاب) ومشتقاتها، وردت في القرآن في٦٤ موضعاً.

٢ـ كلمة (العذاب) ومشتقاتها وردت في القرآن في ٣٧٠ موضعاً.

٣ـ الفعلان (عذب) و (عقب) كلاهما ثلاثيان، والحرفان الأول والثالث مشتركان، بينما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف (الذال) من أحرف الرخاوة وفيها امتداد، بينما حرف (القاف) من أحرف الشدة وفيه سرعة، ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، بينما امتداد الذال يكون للدنيا والآخرة.

لذلك نستنتج من ذلك أنّ كلمة (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة (العقوبة) .

٤ـ أي أنّ (العقاب) فيه شدة وسرعة ، واستعملها القرآن في الدنيا، بينما استعمل (العذاب) في الدنيا والآخرة .

٥ـ ليس في القرآن (سريع العذاب) وإنما ﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

❁ شواهد قرآنية: على العقاب:

ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥] .

ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ [الحج:٦٠] .

ـ ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾

[آل عمران:١٣٧].

* شواهد قرآنية: على العذاب:

ـ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

ـ ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر:٣].

٦ـ (العاقبة) بمعنى نتيجة العمل، يعني: ما يعقب العمل، وما يأتي بعده قد يكون خيراً وقد يكون شراً، ولذلك استعمل العاقبة في ٣٢ موضعاً في القرآن كله، هكذا ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:١٣٧] .



﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بصيغة اسم التفضيل، ما اسم التفضيل نحواً ولغة؟

الجواب:

١ـ يصاغ اسم التفضيل من كل فعل ثلاثي تام (غير ناقص) متصرف (غير جامد) مثبت مبني للمعلوم، وليس الوصف منه على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء ، قابل للتفاوت.

ويسمى ما قبل اسم التفضيل مفضلاً، ويسمى ما بعده مفضلاً عليه.

٢ـ إذا لم تتحقق الشروط يتوصل إلى التفضيل منه بذكر مصدره الصريح، بعد: (أشد) أو (أكثر) أو (أعظم) نحو: أكثر مالاً ، و أشد قوة.

٣ـ يصاغ على وزن (أفعل) ليدل على المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما عن الآخر في هذه الصفة.

٤ـ سقطت الهمزة من كلمتي (خير وشر) والأصل (أخير وأشر).

٥ـ قد تكون المفاضلة تقديرية لا حقيقية، نحو: القتل بالسيف أهون عندي من أنْ أحرق بالنار.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣] أي: أقل قبحاً وشراً.

ـ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان:٢٤]؛ لأنه ليس ثمة اشتراك في الخير بين المستقرين، وليس عند أهل النار خير، بل هو شر محض.

٦ـ قد لا يستعمل اسم التفضيل لمعنى المفاضلة بين شيئين، بل قد يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢]، فالمقصود هنا القرب من مال اليتيم بمزيد الحُسن.

ـ ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] المراد من ذلك الزيادة في الحُسن.

ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] المراد من ذلك الزيادة في الحُسن.

٧ـ اسم التفضيل لا يتعدى بنفسه إلى المفعول، بل يتعدى بواسطة حرف الجر، وتفصيل ذلك:

آ ـ بواسطة اللام عموماً:

ـ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف:١٢].

ب ـ بواسطة الباء:

وتأتي مع فعل دال على العلم أو الجهل:

ـ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ [الإسراء:٥٤] .

ـ ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق:١٤].

ج ـ بواسطة (اللام) أو (إلى):

١ـ مع فعل دال على الحب والبغض، فيُعدى باللام إلى ما هو مفعول في المعنى كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

٢ـ كما يُعدى بـ(إلى) لما هو فاعل في المعنى، نحو قولك:

ـ هم أحب الناس إلى خالد، أي: أن خالداً يحبهم.

ـ هم أحب الناس لخالد، أي: هم يحبون خالداً.

د ـ حالة خاصة:

إن كان الفعل يتعدى بحرف الجر عُدّي اسم التفضيل بذلك الحرف نفسه تقول: هو أزهد في الدنيا وأسرع إلى الخير .

حالات اسم التفضيل:

لاسم التفضيل أربع حالات هي:

١ـ أنْ يكون مجرداً من (أل ومن الإضافة) فيكون مفرداً مذكراً وتتصل به (من) لفظاً، نحو قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف:٣٤].

٢ـ أن يكون مضافاً إلى نكرة، فيجب هنا الإفراد والتذكير، ويلزم المضاف إليه أن يطابق الموصوف نحو:

ـ الكتاب أفضل صديقٍ ـ هند أفضل امرأةٍ .

ـ الهندات أفضل نسوةٍ .

٣ـ أن يكون مضافاً إلى معرفة ، فيجوز هنا المطابقة وعدمها.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] أفرد.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣] طابق الجمع .

ـ أنتم أفضل الناس أو أفاضل الناس .

٤ـ أن يكون معرفاً بأل، وتلزم هنا المطابقة، ولا تذكر معه(من) التفضيلية، نحو: محمد الأفضل ـ خديجة الفضلى .

وهذه الصفة تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة، والتفضيل بـ (أل) هو أعلى وأعم درجات التفضيل، فلا يذكر معه المفضل عليه .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران:١٣٩] .

ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف:١٠٣].
- ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه:٦٨].
- ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه:٧٥] .
- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان:١٦].

ملاحظة هامة:

القاعدة النحوية: تنص على أنّ اسم التفضيل إذا كان ما بعده ليس من جنسه يُنصب مثل ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف:٣٤] ، هو أحسنُ شعراً .

أمّا إذا كان ما بعده من جنسه فيضاف، نحو: أنت أفضلُ رجلٍ.

وفي آية يوسف ٦٤ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ تعني أنّ حفظ الله تعالى ليوسف هو خير من حفظكم له ، فكأنه تعالى قارن بين حفظ إخوة يوسف ليوسف وحفظه تعالى له .



﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

السؤال الأول:

استطاعت البلاغة القرآنية أنْ تنقص من قدر المصيبة على المؤمنين في الآية ١٤٠، فأين تكمن البلاغة في هذه الآية التصويرية؟

الجواب:

١ـ لقد عبّر الله تعالى عن المصيبة بقوله ﴿يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ ولم يقل: (يصبكم)؛ لأنّ المسّ أصله اللمس باليد، فيكون أمراً سطحياً لا يخترق الجسد، خلاف الفعل (يصبكم) الذي يفيد اختراق القرح إلى داخل الجسد، وهذا مؤذن بالتخفيف.

ثم صوّر الهزيمة بـ(القرح) أي: الجرح، وهو هنا مستعمل في غير حقيقته، فيكون بذلك استعارة للهزيمة، إذ لا يصح أنْ يراد بها الحقيقة؛ لأنّ الجراح التي تصيب الجيش لا يُعبأ بها إذا كان معها النصر، ناهيك عن أنّ تصوير الهزيمة بالقرح مؤذن بالشفاء منه.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ﴾ أي: يوم أُحد بإدالتهم عليكم ﴿فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾ أي: الكفار في يوم أُحد نفسه وفي يوم بدر ﴿قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أي: في مطلق كونه قرحاً، وإنْ كان أقل من قرحكم في أُحد وأكثر منه في بدر، والقرح هنا يؤول بمجرد الانهزام لا بكثرة القتلى .

السؤال الثاني:

لِمَ اختار البيان الإلهي صيغة المضارع في ﴿يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ والماضي في ﴿مَسَّ﴾ ولم يكونا في زمن واحد؟

الجواب:

إنها دقة التعبير في إيراد الحقائق الواقعية، فالتعبير عما أصاب المسلمين بصيغة المضارع في ﴿يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ لقربه من زمن يوم أحد ، وعما أصاب المشركين بصيغة الماضي ﴿مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾ لبُعدِه لأنه حصل يوم بدر.

السؤال الثالث:

ما دلالة ذكر وحذف اللام في آيتي آل عمران (١٤٠-١٤١) في الأفعال ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ﴿وَيَمْحَقَ﴾ ، وكذلك في آية الإسراء١٢ ؟

الجواب:

آيتا آل عمران ـ ١٤٠ـ١٤١.

١ـ اللام في ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ هي (لام) التعليل، ثم قال الله: ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ عَطَفَ بدون لام ، ثم قال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ مع اللام، ثم قال: ﴿وَيَمْحَقَ﴾ بدون لام ، علماً أنها كلها معطوفة على بعضها ، فلماذا؟

٢ـ عندنا قاعدة: الذكر آكد من الحذف ، لذلك الفعل الذي فيه (لام) يكون أقوى وآكد من الفعل بدون (لام) أي: أنّ الذكر يفيد التوكيد، والحذف أقل توكيداً.

والآن لنستعرض الأفعال لنرى هل هي بدرجة واحدة من التوكيد:

آ ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله تعالى يريد ذلك من كل شخص علماً يتعلق به الجزاء، فهو أمرٌ عام لجميع الذين آمنوا ومن غير الذين آمنوا، فهو أمر ثابت مطلق لكل الأفراد، فأكّد باللام.

ب ـ ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ لا يتخذ كل المؤمنين شهداء بل بعضهم ، فهذا الفعل ليس باتساع الفعل الأول وليس متعلقاً بكل فرد، فحذف اللام .

ج ـ ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ متعلق بكل فرد ، وهو ما يتعلق به الجزاء فأكّد باللام .

د ـ ﴿وَيَمْحَقَ﴾ لم يمحق كل الكافرين محقاً تاماً، فالكفر والإيمان موجودان فحذف اللام .

آية الإسراء ١٢: أما في آية سورة الإسراء، فقد ذكر اللام في الفعلين، قال تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢]؛ لأنّ كلا الأمرين مطلوبٌ في هذه الحياة، وهما السعي على الرزق والحساب، وذلك لكل فرد.

أما آية آل عمران ١٥٤: فقد قال الله فيها: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] وهذان الأمران بدرجة واحدة من الاتساع، ولهذا وردت اللام في الحالتين.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾، ما دلالة تقديم المفعول به ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ على الفاعل ﴿قَرْحٌ﴾ ؟

الجواب:

الأصل أنْ يتقدم الفاعل على المفعول، لكنْ يجوز تقديم المفعول على الفاعل في مقام الاهتمام والعناية، كما في آية آل عمران ١٤٠، حيث قدّم المفعول به ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ على الفاعل ﴿قَرْحٌ﴾؛ لأنّ هذه الآية نزلت في غزوة أحد التي أصاب المسلمين فيها أذى شديد، فأخبرهم أنّ القرح لم يصبهم وحدهم، وإنما أصاب أعداءهم كذلك، وقدّم العدو لأنه هو الذي يعني المسلمين، وإصابة العدو هي الأمر الذي يخفف عن المسلمين الحزن.

السؤال الخامس:

ما معنى (القرح)؟ وما الفرق بين (اللمس) و(المس) ؟

الجواب:

١ـ القرح: - بضم القاف وفتحها- وفيه قولان:

آـ أنها لغتان ومعناهما واحد .

ب ـ القَرح (بالفتح) الجرح، وبـ (الضم) ألم الجراح .

٢ـ اللمس: مباشرة بإحساس كاليد . و(المس) مباشرة بغير إحساس، وهذا ما ذكره الله تعالى للمؤمنين تسلية لهم .

السؤال السادس:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؟ وما معنى التمحيص؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ نبّه على تعظيمها بأداة البعد (تلك) وإعرابها: مبتدأ، و(الأيام): بدل، وجملة (نداولها): خبر، كما يمكن أنْ تعرب(وتلك الأيام): مبتدأ وخبر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ المداولة هي الانتقال من حال إلى حال أخرى، ويقال: الدنيا دول .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ (المحص) في اللغة: التنقية، أي: ليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم، و(التمحيص) أيضاً: الابتلاء، أي: ليبتلي، وهو قول ابن عباس .

السؤال السابع:

هل الشهداء أحياء ؟

الجواب:

طبعاً الشهداء أحياء وأرواحهم حية، كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وسموا شهداء؛ لأنّ الله وملائكته شهدوا لهم بالجنة، ولأنهم يشهدون يوم القيامة مع الأنبياء والصديقين، والشهيد على وزن (فعيل) بمعنى (مشهود) .

السؤال الثامن:

قوله تعالى في الآية: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ ما منظومة كلمة (المداولة) في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

١- **دار**: من الدائرة والهزيمة أو الضيق.

٢- **دال**: من التداول .

* شواهد قرآنية:

- ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨]- [الفتح: ٦] .

- ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة:٩٨].

- ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة:٥٢].

- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠].

- ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:٧] .

٣- الحف:

هو الحفاوة من بعيد ولا يقترب من المُحتفى به لمهابته، كالرئيس والوجيه يُستقبل استقبالاً رسمياً ويقف الناس على حافة موقعه .

* شواهد قرآنية:

- ﴿حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

- ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ [الكهف:٣٢].

٤- الحصر:

هو المحاصرة والتضييق، وهو عقاب .

* شواهد قرآنية:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ [التوبة:٥].

٥- حاق وطاف:

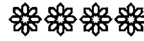
(حاق) أي أحاط بشيء بثبات فلا يتحرك، وأمّا (طاف) فمتحرك مثل الطواف حول الكعبة .

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر:٤٣].

- ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥﴾ [الصافات:٤٥] [الإنسان:١٥] .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١] **الشيطان يدور على الإنسان يريد اقتناصه.**



﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾

السؤال الأول:

إنك تعلم أنّ موت المؤمن في المعركة هو الشهادة، فلِمَ عدل الله تعالى في الآية إلى ذكر الموت دون الشهادة، فلم يقل: (ولقد كنتم تمنون الشهادة) أو قيّده فقال: (تمنون الموت في سبيل الله)؟

الجواب:

إنّ هذه الآية جاءت في معرض اللوم للمسلمين الذين أظهروا الشجاعة وحُبَ اللقاء ولو كان فيه الموت، ولم يرضوا التحصن في المدينة والدفاع دون الحرب كما أشار به الرسول ﷺ، فلذلك نزع الله تعالى صفة التشريف عن الموت في سبيل الله وهي الشهادة، وعدل عنها وصرّح بلفظ الموت فقط.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ختام الآية ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ؟ وما دلالة استخدام الشكر بدل الصبر؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ معناها: سيثيب الثابتين على دين الإسلام، أي: صبروا فثبتوا فشُكِروا على صبرهم .

١ـ الشكر: مرحلة بعد الصبر وأعمّ منها، فالصبر على المصيبة أولاً، ثم الثبات والرضا، ثم الشكر على الصبر والثبات، فالشكر يكون مرحلة بعد الصبر؛ لأنّ الشكر اقتضى الصبر وزيادة.

٢ـ الصبر: فقط صبر على الفراق، وهذا مرحلة أولى ، لكنّ المطلوب ما بعد هذه المرحلة بأن يثبتوا ويشكروا ربهم، وشكر الله تعالى يكون على أمرين:

آـ على ثباتهم .

ب ـ على إتمام الدين ، والرسول لا يرحل إلا بعد إكمال النعمة، وربنا سبحانه وتعالى سيجزي الشاكرين.

٣ـ الآية التي تليها سياقها في الشكر ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٥] والشاكرون الذين شكروا الله سبحانه وتعالى على أنه صبّرهم وثبّتهم فشكروا، وهم يشكرون الله تعالى على أنه أتمّ الدين كله؛ لأنّ الرسول لا يذهب إلا بعد تمام الدين.

٤ـ الله تعالى يريد منا الشكر في كل شيء، إذا كنت قد صبرت على البلية فلك أجر الصابرين، فإنْ شكرت كان أجرك أعلى، وإنْ شكرته على صبرك فهذه عبادة، وإنْ شكرته على العبادة صارت عبادة أخرى، وكأنّ الشكر مرحلة الرضا عما حدث لهم بقضاء الله وقدره، وهذه مرحلة أعلى ، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿وَسَيَجْزِى﴾ و ﴿وَسَنَجْزِى﴾ في آيتي آل عمران [١٤٤و ١٤٥]؟

الجواب:

١ـ كل آية توضح مسألتها: فقوله تعالى في الآية ١٤٤ : ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ورد فيها ﴿فَلَن يَضُرَّ﴾ ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ﴾ ، وهو لم يتكلم بضمير المتكلم بل بضمير الغيبة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ يعني أنّ الذي لا ينقلب على عقبيه هذا شخص ، وأنّ الذي يجزي هو جهة أخرى وهي الله سبحانه وتعالى .

٢ـ أما الآية الثانية ١٤٥ ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ فهي بالإسناد إلى ضمير المتكلم ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ ﴿وَسَنَجْزِى﴾ والمتكلم هو الله .

وفي الآية الفاعل واحد، والمؤتي واحد، والمجازي واحد ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ ، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ـ إذن الفرق بين الآيتين أنه صرّح بالفاعل في آية، وأضمر في الأخرى.

٤ـ قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ الغرض منه تأكيد الوعيد، والله لا يضره كفر الكافرين بل المراد أنه يضر نفس المرتد .

والذي يصبر فهو من الشاكرين لله، وهو من أحباء الله تعالى .

السؤال الثالث:

ما سبب نزول هذه الآية في سورة آل عمران، وهي التي قرأها أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ ؟

الجواب:

هي لها سبب نزول، ولكن استفاد منها أبو بكر الصديق عندما توفي الرسول ﷺ ، بينما هي كانت نزلت في وقت قريب من وفاة الرسول ﷺ في أُحُد عندما خرج صارخٌ يصرخ أنّ محمدا ﷺ قد قُتِل، فارتبك الناس، فمن جملة من ارتبك أحد المهاجرين لا يذكرون من هو، لكنه يروي القصة وشاعت: جاء إلى رجل من الأنصار يتشّحط في دمه

فقال: له أشعرت أن محمداً ﷺ قُتِل؟ فقال الأنصاري الذي يتشحط في دمه - يعني يموت -: إنْ كان محمد قُتِل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم. وهذا هو المعنى .

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، وقرأها أبو بكر الذي عصم الله تعالى به الأمة في أول فتنة تتعرض لها، وكان يمكن أن يتقاتلوا فيما بينهم لكن عصم الله سبحانه وتعالى الأمة، وأبو بكر له عواصم كثيرة من القواصم رضي الله عنه وأرضاه.

السؤال الرابع:

هل هناك في هذه الآية دليل على إعجاز هذا القرآن، وأنه من عند الله تعالى ؟

الجواب:

هذه الآية تشير إلى أنّ الرسول ﷺ قُتِلَ ميتاً ومات مقتولاً، وذلك من حيث سبب موته وهو السُمُّ الذي أكله في خيبر من الشاة المسمومة التي قدمتها له اليهودية بعد فتح خيبر وليمةً له ولصحبه، وكانت قد ملأت الشاة سماً وبخاصة الذراع؛ لأنها تعلم أنّ رسول الله ﷺ كان أكثر ما يحب من الشاة الذراع .

وما أنْ لامس اللحم شفتيه حتى أدرك ﷺ أنها مسمومة، فألقى الذراع ولكنّ السم تسرب إلى جسده الشريف، وبقي السم يعمل مدة ثلاث سنوات ثم مات بعدها بهذا السم.

والدلالة على ذلك أنه ﷺ في الليلة الرابعة من مرضه رأى الرسول عليه السلام أخت البراء الذي كان معه في الوليمة وأكل من الشاة المسمومة ومات من ساعتها، فقال

لها: إنّ السم الذي مات به البراء قطَعَ أبهري، أي: أنّ هذا السم الذي قتل البراء سوف يقتلني، ومات الرسول ﷺ مسموماً .

فكونه ﷺ لم يمت في ساعتها عند الأكل من الشاة المسمومة بل بعدها بثلاث سنوات يدل على أنه مات موتة طبيعية، أي: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ وكونه مات بسبب السم الذي أكله فهو مقتول، أي: ﴿أَوۡ قُتِلَ﴾ فمن قال: إنه ﷺ مات فقد صدق، ومن قال:إنه قُتِل فقد صدق أيضاً، فهو إذن ميت مقتول ومقتول ميت.

السؤال الخامس:

لِقائل أن يقول: لمّا كان الله قد عصم نبيه ﷺ من القتل بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧] فَلِمَ قال: أو قتل ؟

الجواب:

إنّ صدق الشرط لا يقتضي صدق الجزاء، فإنك قد تقول: إن كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين، وقال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢] فهذا حق مع أنه ليس فيهما آلهة وليس فيهما فساد، والمعنى من الآية هو أنّ الموت لا يوجب رجوع الأمة عن دينها، فهو رد على الذين شكوا في صحة الدين وهموا بالارتداد.

و ليس لقائل أن يقول: إنّ في الآية شكاً، وهو على الله لا يجوز، والمراد من الآية سواء أوقع هذا أو لم يقع ذاك ، فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الارتداد.

السؤال السادس:

حرف الاستفهام ﴿أَفَإِيْن﴾ هل دخل على الشرط أم على الجواب ؟

الجواب:

حرف الاستفهام ﴿أَفَإِيْن﴾ دخل على الشرط ، وهو في الحقيقة داخل على الجزاء، والمعنى أتنقلبون على أعقابكم إنْ مات محمد أو قتل ؟!!!.

السؤال السابع:

جاءت لفظة ﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﷺ في آية آل عمران ١٤٤، وجاءت لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾ في آية الصف ٦ في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ، وكلاهما مشتق من الحمد، فما الدلالة البلاغية لكل لفظ ؟

الجواب:

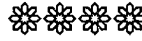
١ـ لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾[الصف:٦] جاءت من الفعل (حَمَدَ) على صيغة اسم التفضيل:(أفعل) واسم الفاعل: (حامد) الذي وقع منه فعل الحمد فكان (حامد)، أمّا: (أحمد)، فقد زاد في أداء الحمد عن (حامد)، فكان (أحمد) .

٢ـ لفظة ﴿مُحَمَّدٌ﴾ على وزن صيغة (مفعّل) بزيادة التضعيف على صيغة اسم المفعول (محمود)، من (حُمِدَ) الذي وصف بالحمد، فكان محموداً .

وعلى هذا فإنّ صيغة التضعيف تحمل في ثناياها زيادة في معنى الحمد، وزيادة المبنى فيها دلالة على زيادة المعنى .

٣ـ إنّ اسم ﴿أَحْمَدُ﴾ قد جسّد حمد الله مراراً، وهذا استشعار لفضل المنعم وأداء حقوقه بالقلب واللسان والجوارح .

بينما تضمن اسم ﴿مُحَمَّدٌ﴾ طاقة مكثفة من حمد الناس وثنائهم عليه تحقيقاً لما وصفه به ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] فكأنّ الله تعالى قد جمع في اسمي محمد وأحمد، صفتي المجاهدة والاصطفاء، ولذلك وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها **(كان خلقه القرآن)** صلى الله عليك يا رسول الله.



﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ ؟

الجواب:

هو كتاب الموت، والكون فيه كتاب كامل ودليل شامل، واللوح المحفوظ هو الكتاب الكامل الذي فيه هذا الكون.

ولما ذكر الله في الآية أنّ النفس لا تموت إلا بإذن الله، عُلم أن ذاك بأجل منه، فأكّده بقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ .

وإعراب ﴿كِتَٰبًا﴾ هو نائب مفعول مطلق منصوب، أي: أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر إلا بإذن الله تعالى سبحانه .

السؤال الثاني:

فعل الشرط جاء في آية آل عمران ١٤٥ بصيغة المضارع ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ وجاء في آية الإسراء ١٩بصيغة الماضي ﴿وَمَنۡ أَرَادَ﴾، فما الفرق بين صيغة الفعل الماضي والفعل المضارع في فعل الشرط ؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء:١٩]

فذكرفي آية الإسراء الآخرة وجاء بالفعل الماضي؛ لأنّ الآخرة واحدة وهي تراد.

لكن عندما تحدث عن الدنيا قال: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران:١٤٥] ؛ لأنّ إرادة الثواب تتكرر دائماً، فكل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذن يتكرر والشيء المتكرر يأتي به بصيغة المضارع ، والشكر يتكرر؛ لأنّ النعم لا تنتهي ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم:٣٤] .

والشكر يتكرر، وكلما أحدث لك الله تعالى نعمة وجب عليك أن تحدث له شكراً، أمّا الكفر فهو أمر واحد حتى إن لم يتكرر، فإنْ كفر الإنسان بأمر ما فقد كفر، وإنْ كفر بما يعتقد من الدين بالضرورة فقد كفر، ولا ينبغي أن يكرر هذا الأمر؛ لأنه إنْ أنكر شيئا من الدين بالضرورة واعتقد ذلك فقد كفر وانتهى ولا يحتاج إلى تكرار، أمّا الشكر فيحتاج إلى تكرار؛ لأنّ النعم لا تنتهي.

٢ـ وفي ذلك إشارة إلى أنّ الشكر ينبغي أنْ يتكرر وأنّ الكفر ينبغي أن يقطع، فخالف بينهما في التعبير، فجاء بأحدهما في الزمن الحاضر الدال على التجدد والاستمرار، وجاء بالآخر في الزمن الماضي الذي ينبغي أن ينتهي.



﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لقد جمعت هذه الآية بين (الضعف والوهن) ، وهما متقاربتان تقارباً يبلغ حد الترادف ، فهل يمكن الاستغناء عن أحدهما دون الآخر؟

الجواب:

الواقع أنّ كل واحد منهما أفاد معنى أراده البيان القرآني، وهما هنا مجازان، فالوهن أقرب إلى خَوَر العزيمة واليأس في النفوس ، والضعف أقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة، ثم بعد ذلك تجيء الاستكانة لتعبر عن الخضوع والمذلة للعدو بعد الوهن والضعف، ومن لطائف النظم القرآني ترتيبها في الذكر بحسب ترتيبها في الحصول، فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء واستسلمت ورضخت للمذلة من العدو.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَكَأَيِّن﴾ ما تركيب هذه اللفظة لغوياً ؟

الجواب:

١ـ كأين: مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة، ثم حصل لهما بالتركيب معنى ثالث لم يكن لكل واحد منهما في حال الإفراد .

وهي تفيد التكثير مثل كم الخبرية، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مع (من) كقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .

٢ـ والذي يبدو أنها تستعمل في القرآن الكريم في مواطن التفخيم والتعظيم إضافة إلى التكثير، كما في آية آل عمران ١٤٦؛ لأنّ فيها موطن تفخيم وموطن تأسية للرسول ﷺ والجماعة المؤمنة بعدما حصل لهم في معركة أحد، فإنّ مثل هذا حصل لمن قبلهم من المؤمنين، انظر الآيات: (آل عمران ١٤٠ ـ ١٤٦) فهذا موضع تفخيم وتعظيم.

السؤال الثالث:

في المصحف لماذا كتبت ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ بالنون، وكتبت ﴿ إِذًا ﴾ بالألف، فلماذا ؟ وكم مرة وردت لفظة ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ قي القرآن الكريم ؟

الجواب:

ـ (كأين):

هي الكلمة الوحيدة التي كتب فيها التنوين نوناً ، وذلك على مراد الوصل دون الوقف، ولم يكتب في القرآن تنوين إلا في هذا الحرف .

وقد جاءت كلمة ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ في سبعة مواضع، وهي:

[آل عمران ١٤٦ـ يوسف ١٠٥ـ الحج ٤٥ـ الحج ٤٨ـ العنكبوت ٦٠ـ محمد ١٣ـ الطلاق ٨].

ـ (إذن):

وهي مما كتب بالألف مثل التنوين المنصوب، ويبدو أنها كانت يوقف عليها بالألف فجاءت مرسومة في المصحف كذلك حيث وقعت .

وقد مال جمهور النحاة في العصور المتأخرة إلى كتابتها بالنون، بينما مال جمهور أهل الرسم على كتابتها بالألف، كقوله تعالى:

ـ ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء:٧٦] .

ـ ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء:٥٣].

ـ ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ﴾ [الإسراء:٧٥].

ـ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾ [الأنعام:٥٦].

وحين تلتقي الألف التي هي عوض التنوين بألف أخرى في آخر الكلمة، فإنّ الرسم العثماني جرى على إثبات ألف واحدة بسبب كراهة اجتماع صورتين متفقتين في الخط نحو:[ماءً ـ غثاءً ـ جفاءً ـ سواءً].

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

آية آل عمران هذه فيها قراءتان ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ بالنصب، وبالرفع (قَوْلُهُمْ) ، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ في آية واحدة قرئت قراءتان متواترتان:

آ ـ القراءة الأولى: بتقديم خبر (كان) وهو ﴿قَوْلَهُمْ﴾ بالنصب، و(أنْ قالوا) اسمها مؤخر.

ب ـ القراءة الثانية: (وما كان قولُهم إلا أن قَالُواْ) ، ويكون (قولُهم) بالرفع اسم (كان) ،والمصدر المؤول خبرها.

إذن من حيث اللغة والنحو ليس فيها إشكال، ووجود قراءتين معناه أنّ هنالك معنى لكل قراءة ، ويبقى السؤال: ما سبب الاختيار؟

٢ـ نأخذ الأصل بالرفع أي: (ما كان قولُهم إلا هذا) يعني: أنهم ما قالوا إلا هذا الكلام في هذا الموقف ولم يقولوا غيره، وهو مقام حرب وقتال، وهم يطلبون المغفرة والتثبيت والنصر كما ورد في الآية ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ أي: لم يقولوا في هذا المكان إلا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ .

٣ـ أما بالنصب (قولَهم) ، فتصبح (ما كان هذا إلا قولَهم) يقدّم الخبر، ولم يقله أحد غيرهم، ولم يقل هذا إلا هؤلاء؛ لأن هذه الفئة هي الفئة المؤمنة.

٤ـ الآن صار عندنا معنيان: المعنى الأول: أنهم لم يقولوا غير هذا القول وهذا المقال وهذا الدعاء في هذا الموقف، والقول الآخر: لم يقل هذا القول غيرهم، فهم وحدهم هم الذين قالوا هذا القول فصار مدحاً في القول والأشخاص .

٥ـ إذن باجتماع القراءتين المتواترين أصبح المدح للقائل والمقول، وهذا مثل قولك: (ما أخي إلا هذا، ما هذا إلا أخي) فالثانية تعني: ليس هو صديقي وإنما أخي، وأما (ما أخي إلا هذا) فيعني ليس عندي أخ إلا هذا، وهذه أيضاً فيها حصر.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ وقال في نفس السورة: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ . لماذا اختلاف الخاتمة في الآيتين ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٩٣ .

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم دلالات الآية ؟

الجواب:

١ـ خصّ الله ثواب الآخرة بالحُسن تنبيهاً على جلال ثوابهم .

٢ـ قوله تعالى في الآية السابقة ١٤٥ : ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ ، فذكر لفظة (مِن) وهي للتبعيض، أمّا هنا فلم يذكرها؛ لأن الذين يريدون ثواب الآخرة قد اشتغلوا بالعبودية لطلب الثواب فكانت مرتبتهم في العبودية أقل .

وأمّا المذكورون هنا، فإنهم لم يذكروا في أنفسهم إلا الذنب والتقصير وهو المراد بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ ، فكان مقام هؤلاء في العبودية أكمل، ولا جرم أن أولئك فازوا ببعض الثواب، وهؤلاء فازوا بكل الثواب .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ فيه دقيقة لطيفة، وهي أنّ هؤلاء اعترفوا بكونهم مذنبين، حيث قالوا: ﴿ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ ، فلمّا اعترفوا بذلك سماهم الله

(محسنين) ، كأنّ الله تعالى يقول: إذا اعترفت أيها العبد بإساءتك وعجزك فأنا أصفك بالإحسان، حتى تعلم أنه لا سبيل للعبد إلى الوصول إلى الله تعالى إلا بإظهار الذلة والانكسار والعجز له تبارك وتعالى .

السؤال الثالث:

ما دلالة لفظة ﴿يُحِبُّ﴾ في الآية بصيغة الفعل المضارع ؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿يُحِبُّ﴾ كفعل مضارع في (٤١) موضعاً في القرآن الكريم على حين وردت مشتقاته الأخرى في (٤٢) آية أخرى .

وقد ورد الفعل ﴿يُحِبُّ﴾ مثبتاً هكذا نحو ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٤٨] ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦] .

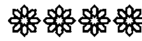
كما ورد منفياً مسبوقاً بـ (لا) في آيات أخرى نحو: (لا يحب المعتدين)ـ (لا يحب الكافرين) ـ (لا يحب الظالمين) ـ (لا يحب المسرفين) .

أي: أنّ الله (يحب) أو (لا يحب)، ولم يرد في القرآن الكريم الفعل (يكره) مسنداً إلى الله تعالى، فلم يقل: إنّ الله يكره أبداً، بل ورد أنّ الإنسان يكره ويذم ويحسد، ولم ترد هذه الصفات لله عز وجل أبداً .

فلماذا ؟

ثمة فرق بين أنْ تقول: إنك لا تحب فلاناً، و: إنك تكره فلاناً، ذلك أنّ الشخص الذي يكره يحتاج إلى مرحلتين لو أراد أن يحب، وهما أن يتخلص أولاً من الكره، ثم بعد ذلك يدخل في الحب ، هذا للبشر .

أمّا الله عز وجل فعندما يقول: إنه لا يحب المسرفين مثلاً، فما عليهم إلا أن يَدَعُو إسرافهم وظلمهم وكفرهم حتى يكونوا في عداد الذين يحبهم الله من المتقين والمحسنين والصابرين، ولا ينطبق على الله تعالى ما ينطبق على البشر في مرحلتي الانتقال من الكره إلى الحب . والله أعلم.



﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ



السؤال الأول:

في سورة آل عمران ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ ما المثوى؟ولماذا لم ترد كلمة (مثوى) في حال أهل الجنة أبداً؟ وما الفرق بين (المثوى والمأوى) ؟

الجواب:

١ـ (المثوى) في اللغة المنزل، أو المكان الذي يثوي فيه الإنسان، والثواء هو الانحسار في مكان، ويكون عادة الإنسان فيه قليل الحركة مثل المسكن، المنزل، الحجرة التي يبيت

فيها،والثواء هو الثوى، يعني الاستقرار في مكان واحد وإنْ كان فيه حركة فهو حركة ضيّقة، بخلا ف الفضاء .

يقول الشاعر: **ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواءُ.**

أي: يستقر في وضعه إلى أن يمل موضعه منه .

والثواء هو طول الإقامة .

ويقول شاعر آخر:

فقلـــتُ لهـــا: إن الثـــواءَ هـــو الثـــوى وإن بيـــوتَ العـــاجزين قبـــورُ

أي: أنّ الإستقرار في مكان واحد فيه حركة ضيقة يشبه استقرار العاجزين في القبور.

وفي الحديث أنّ رمح النبي ﷺ كان اسمه المُثوِي، سمي به لأنه كان يثبت المطعون به.

وفي حياتنا نقول في إعلان الوفاة عن شخص: حيث مثواه الأخيرالدنيوي .

وبالتالي كلمة (مثوى) تدل على الإقامة أو الاستقرار في مكان ضيق كالقبر أو أكبر كالمنزل، وكلاهما يمنع الحركة الكبيرة ولربما الصغيرة وليس كالفضاء الواسع .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣] أي: أحسن منزلي .

ـ ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف:٢١] أي: أكرمي نُزُلَه .

ـ ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ [القصص:٤٥] أي: ما كنت مقيماً.

ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩] أي: الأماكن التي تتقلبون فيها والمكان الذي تستقرون فيه .

ـ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٢٨] أي: النار مكان إقامتكم .

٢ـ و(المأوى) استعمل في النار وفي الجنة، فالجنة تضم صاحبها والنار تضم صاحبها، لكن شتان بين الضمتين ، بين احتضان الجنة للإنسان واحتضان النار للإنسان.

٣ـ فكلمة الثوى والثواء استعملت في حال الدنيا؛ لأنه يعني المنزل الذي يثوي إليه أو يأوي إليه، لذلك نجدها في أكثر من سورة في حال الدنيا.

٤ـ وفي القرآن استعمل اللفظة للنار فقط ، لماذا؟ لأنّ الجنة ليست منطقة ضيقة محصورة لأننا نتبوأ من الجنة حيث نشاء، وفيها السعة والانطلاق.

بينما استعمل القرآن ﴿مَثْوَىٰ﴾ في جهنم بالرغم من سعتها، كقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران:١٥١]؛ لأنّ الله قال: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد:٢٠] فهي نار ومغلقة،أي: هم مقيمون في العذاب وحركتهم فيها محدودة ﴿سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطفّفين:٧] .

* شواهد قرآنية: (على قلة الحركة والضيق):

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١].

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزُّمَر:١٦] .

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٥] .

٥ـ وقال الحسن: هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم .

أما الجنة ففيها مجال واسع للحركة قال تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزُّمَر:٧٤] وقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] فلا يناسبها ﴿مثوى﴾.

وللعلم فإنّ لفظة (مثوى) قد وردت في القرآن الكريم في تسعة مواضع.

السؤال الثاني:

ما دلالة الإلقاء فى هذه الآية ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران:١٥١] ؟

الجواب:

حقيقة الإلقاء هو رمي الشيء على الأرض، كقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشعراء:٤٤] ، فهو هنا إذن مجاز على طريقة الاستعارة، فالإلقاء مؤذِن بتمكّن الرعب من قلوبهم.



﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ في الآية ؟ وهل الفعل (صَدَقَ) في الآية لازم أو متعدٍّ؟

الجواب:

١ـ الحَسّ هو القتل، وقوله تعالى: ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلاً كثيراً.

٢ـ الفعل (صَدَقَ) يتعدى إلى مفعولين، تقول: صدقته الوعد والوعيد.

السؤال الثاني:

ما دلالة ترتيب الأفعال في الآية ﴿فَشِلْتُمْ﴾ ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ ﴿وَعَصَيْتُم﴾؟

الجواب:

انظر إلى دقة النظم القرآني بترتيب الأفعال الدالّة على الحدث: الفشل، التنازع والعصيان، فقد رتبها على حسب ترتيبها في الحصول، وهو ضجر بعض الرُّماة من ملازمة مواقعهم، ثم التنازع في ملازمة الموقف وفي اللحاق بالجيش في الغنيمة، ونشأ عن التنازع تصميم معظمهم على مفارقة الموقع، وفيه عصيان لأمر النبي ﷺ بالملازمة.

السؤال الثالث:

ما دلالة تسمية مخالفة الرماة (عصياناً) في الآية، مع أنّ تلك المخالفة كانت عن اجتهاد لا عن استخفاف، والعصيان من الاستخفاف، فلِمَ عبّر الله تعالى عن مخالفتهم بالعصيان ولم يقل و(خالفتم)؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ لقد كان عصيان الصحابة في معركة أُحُد مخالفة لأمر النبي ﷺ، وسميت هذه المخالفة عصياناً؛ لأنّ المقام ليس مقام

اجتهاد، فإنّ شأن الحرب الطاعة المطلقة للقائد من دون تأويل، لذلك جاءت بصيغة العصيان زيادة عليهم في التقريع.

السؤال الرابع:

أين جواب الشرط في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الجواب فيه وجهان:

آ ـ أن هذا ليس بشرط، ولفظة ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا بمعنى (إلى) بتقدير، أي: نصركم الله إلى أنْ كان منكم الفشل والتنازع .

ب ـ أن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ شرط ، وجوابه محذوف بتقدير: (من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره)، وإنما حَسُنَ حذف هذا الجواب؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ﴾ [آل عمران:١٥٢] .

٢ـ ونظائره في القرآن قوله تعالى: ـ ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾ [الأنعام:٣٥] والتقدير: فافعل ، ثم حذف الجواب لدلالة الكلام عليه .

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزُّمَر:٩] ، والتقدير: أم من هو قانت كمن لا يكون كذلك ؟

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كتابة كلمة (كي لا) منفصلة مرة في آية سورة الحشر و(لكيلا) موصولة في آية سورة آل عمران؟وكم مرة تكرر ذلك في القرآن ؟

الجواب:

وردت (كي) في القران الكريم عشر مرات، منها ثلاث مرات بمفردها وسبع مرات مقترنة بلام النافية، وضمن هذه المرات السبع كتبت (كيلا) متصلة أربع مرات في آيات: [آل عمران ١٥٣ ـ والحج ٥ ـ والأحزاب ٥٠ ـ والحديد ٢٣] وثلاث مرات منفصلة، أي: كتبت (كي لا) في آيات [الأحزاب ٣٧ ـ والنحل ٧٠ ـ والحشر ٧].

وبشكل عام يمكن أن نقول:

١ـ خطان لا يُقاس عليهما: خط المصحف وخط العروض .

٢ـ من الناحية اللغوية جائز كتابة: (كيلا)، متصلة أو منفصلة لكنها تُرسم بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام .

٣ـ من الناحية البيانية (كي لا) منفصلة تحتمل الفصل والزمن الطويل، أما الكلمة الموصولة (كيلا) فلا تحتمل الفصل .

الشواهد القرآنية المتصلة:

١ـ آية آل عمران ١٥٣:

آية آل عمران ١٥٣ جاءت متصلة؛ لأنّ المعنى يدل على أنّ الغم متصل بالغم ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾، ويقصد غم الهزيمة وغم فوات الغنائم فوصل: (لكيلا).

٢ـ آية الحج ٥:

يلاحظ في الآية اتصال وتسلسل جميع مراحل الإنسان ابتداء من التراب مروراً بالنطفة والعلقة ثم مرحلة حياة الرحم، ثم الولادة فمرحلة الطفل ثم الشباب، ثم بعدها مرحلة الهرم أو الموت، فهي مراحل متصلة متلاحقة غير منفصلة فناسب استخدام (كيلا) متصلة.

٣ـ آية الأحزاب ٥٠:

آية الأحزاب ليس فيها انفصال، فالكلام عن أزواج الرسول ﷺ، وهذا الاتصال قائم بأزواجه وبما ملكت يمينه، والإنسان مع زوجته في اتصال قائم وليس هناك فصل؛ لذا جاءت (لكيلا) متصلة.

٤ ـ آية الحديد [٢٢ ـ٢٣]:

الآية تبين أن ما قدّر الله من مصائب في الأرض، مثل الزلازل والفيضانات وأمثال ذلك أو في أنفس الناس من الأمراض وضيق العيش، كل ذلك مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل حصولها، وهذا الأمر متصل ومطبق في حياتكم سواء كان الأمر

محزناً أو مفرحاً ، والمؤمن يجعل مصيبته صبراً والخير شكراً، ولذلك كان من المناسب استخدام (كيلا) متصلة لاتصال ذلك القدر بحياة الناس.

* الشواهد القرآنية المنفصلة:

١ـ آية الأحزاب ٣٧:

كتبت آية الأحزاب منفصلة؛ لأنه لا يحل الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدة ، فلا يصح الزواج بها إلا بعد الانفصال، فجاء رسم (كي لا) منفصلاً.

٢ ـ آية النحل ٧٠ :

ذكر الله في هذه الآية أنه هو الذي يخلقنا ثم هو الذي يتوفانا، ثم ذكر قسماً منفصلاً عن مراحل حياة الإنسان المختلفة المبينة أعلاه في آية الحج (٥) ألا وهو مرحلة أرذل العمر، فناسب استعمال (كي لا) منفصلة ليتناسب انفصال أرذل العمر عن باقي العمر، كما ينفصل العلم عن ذاكرة وعقل الإنسان في مرحلة الخرف والهرم.

٣ ـ آية الحشر ٧:

في هذه الآية فصل (كي لا)؛ لأنه يريد أنْ يفصل الأموال؛ لأنها لا ينبغي أنْ تبقى دُولة بين الأغنياء، وإنما يجب أنْ تتسع الأموال لتشمل الفقراء والآخرين، ففصل في رسم (كي لا).

وهذا من لطيف الرسم .

السؤال الثاني:

ما أهم الوقفات في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ﴾ معناه: واذكر حين .

٢ـ قوله تعالى: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ من أصعد، أي: ذهب في الصعيد، وهي الأرض المستوية حتى تعينه على سرعة الفرار .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي: لا تعرجون على شيء .

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: الرسول يناديكم من مؤخرتكم أنْ ارجعوا وعودوا إلى ميدان المعركة .

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ كأنه يقول: عاقبكم، لكنه سبحانه يأتي بها مغلفة بحنان الألوهية ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾، فكأن ما حدث لكم هو تخليص حق .

٦ـ قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ أي: لو لم تحدث مسألة الحزن لظلت الغنائم في بالكم؛ لأنها السبب فيما حدث .

وكأنّ الغم الذي حدث إنما جاء ليخرج من قلبكم لقطة سيل اللعاب على الغنيمة .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ فهو سبحانه خبير بكل فعل وإحساس.

٨ـ العلماء يقولون: الدرس الذي يُعلِّم النصرَ في الكثير لا يعتبر هزيمةً في القليل .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية آل عمران:١٥٣ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ وفي آية الحديد ٢٣: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ بمعنى تحزنوا، فما الفرق بين الفعلين (حزن) و(أسى)، وكلاهما يدل على الحزن ؟

الجواب:

كِلا الفعلين يدل على الحزن .

١ـ الفعل (حزن) وفيه تفصيل:

أـ لدينا: حزِن يحزَن ـ بفتح الزاي ـ وهو فعل لازم، وليس متعدياً، تقول: حزِن عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحِجر:٨٨] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس:٧٦] .

ب ـ وحزَن يحزُن ـ بضم الزاي ـ وهو فعل متعدٍّ، نحو: حزنني وأحزنني وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف:١٣] .

ج ـ اللغة العليا حزَن يحزُن، وتستعمل أحزن من حَزَن.

٢ـ الفعل: (أسي يأسى) كما في الآية ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد:٢٣] و(أسى) بمعنى حزن أيضاً ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف:٩٣] .

٣ـ الفرق بين الحَزن (بالفتح) و الحُزن (بالضم):

آـ في (الحَزَن) توجد مشقة وشدة؛ لأنه قريب من معنى الحَزْن الذي هو الغلظ والشدة في الأرض، وتقال للأرض الصعبة وكما جاء في الدعاء: «**اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزْن إذا شئت سهلاً**» .

ب ـ (الحُزن): هو الغلظ والشدة في النفس، وهو أثقل من الحَزَن؛ لأنّ الحزْن تجتازه وانتهى الأمر، وأما الحُزن فيبقى في النفس، إضافة أنّ الحَزن فيه فتحة، والحُزن فيه ضمة، فاختاروا الضمة لما هو أثقل؛ لأنها تتناسب اللفظة مع مدلولها أو المعنى .

٤ ـ (الأسى): هو الحزن يقال: أسى له أي حزن له، لذلك ﴿الحزن﴾ أشد من الأسى.

٥ـ الفارق بين (لكيلا تحزنوا) و (لكيلا تأسوا):

ننظر في السياق ونقدّر:

آ ـ في آية آل عمران ١٥٣ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ هذا الكلام بعد واقعة أُحد وما حصل لهم من شدة ومشقة وهزيمة وجراح ، وكذلك ما فاتهم من الغنائم وكانت شديدة عليهم، قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ﴾ فالحُزُن في أحدٍ كان على أمرين: على ما فاتهم، وعلى ما أصابهم.

ب ـ أمّا في آية الحديد فقال: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ ، فهو أمر واحد ،وأما ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ فهذه نعمة (تفرحوا بها آتاكم من النعم).

ج ـ أي: في أُحُد أمران في الحزن ، فقطعاً في أُحُد الحزن أكثر؛ لأنّ الحزن على أمرين ما فاتهم وما أصابهم، أمّا في الحديد فالحزن على ما فاتهم فقط.

د ـ بعد معرفة الفرق بين حزن وأسي، فالمناسب أنْ يكون (الحزن) في آية آل عمران، و(تأسوا) في آية الحديد .

وكل كلمة في مكانها البلاغي ولا يوجد ترادف في القرآن الكريم، وإنما هو حتى عند اختيار لغة على لغة يكون مقصوداً، وكل كلمة لها دلالة، واختيارها له سبب مقصود، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، وكل كلمة وكل عبارة وكل حرف مقصود.

٦ـ والملاحظ أيضاً أنه في الحديد قال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ بينما في آل عمران قال: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ففي أُحُد حزن، فبمَ يفخر؟ بينما هناك في آية الحديد يفخر بما آتاهم ، فهذه ليست مثل هذه.

٧ـ الفتحة أخف الحركات تليها الكسرة، والضمة أثقلها، والعرب تراعي كثيراً من هذه الأمور فتجعل الثقيل للثقيل سواء في الحركات أو في اللفظ عموماً وتناسب اللفظ والمعنى.

وعندما يتحول الفعل إلى (فَعُل) يتحول إمّا للتعجب أو للمدح والذم أو المبالغة أو التحوّل، مثل: (فقِه وفقُه) ، فمع الضم (فقُه) معناه: صار فقيهاً، أما (فقِه) بالكسر فجزئية .

وكذلك (عَسِر وعَسُر): (عسِر) عليه الأمربالكسر، أمّا (عسُر) بالضم فالأمر هو عسير.

فالحركة تغير الدلالة تماماً،كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الرعد:٢٣]. ما قال: (صلُح) بالضم وإنما قال: (من صَلَح) بالفتح رأفة بالعباد، لأنّ ﴿صلُح﴾ بالضم أي صار صالحاً إلى حد كبير من الصلاح، والله تعالى من رحمته بعباده يكفيه أنْ يكون الإنسان صالحاً، لا أن يبلغ ذلك المبلغ في الصلاح، وهذه قاعدة عامة، لكن السماع هو الذي يقطع بذلك أحياناً.



﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ ، وليس (من مضاجعهم)، فلماذا ؟

الجواب:

يذهبون (إلى مضاجعهم) من الموت حيث يموتون، إلى مضاجع الموت وليس من الفراش، وليسوا كلهم يقومون من الفراش، أو كلهم يقومون من المضجع. والمعنى: لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم التي يموتون فيها، وهي المضاجع النهائية التي يموتون فيها.

السؤال الثاني:

لِمَ قدّم (الأمنة) وأخّر (النعاس) في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ الأمنة من الأمن، والنعاس أول النوم .

وكان مقتضى الظاهر أنْ يقدّم النعاس ويؤخر الأمنة؛ لأن (أمنة) بمنزلة النتيجة والغاية للنعاس تماماً، كما جاء في آية الأنفال ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال:١١] ، ولكنه قدّم الأمنة هنا تشريفاً لشأنها، حيث جُعِلت كالمنزَّل من الله تعالى لنصرهم، ولأنّ الأمن فيه سكينة واطمئنان للنفس أكثر من النعاس، فالنعاس يُخشى منه أن يكون نوماً ثقيلاً وعندها يؤخَذون على حين غرّة.

السؤال الثالث:

لِمَ قال: عن الطائفة الأولة ﴿مِنكُمْ﴾ ولم يقيّد الثانية بهذا الوصف فقال تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ولم يقل: (طائفة منكم) و(طائفة منك) قد أهمتهم أنفسهم؟

الجواب:

انظر إلى ما يفيده الوصف (منكم) في كلتا الطائفتين: فعبّر عن الأولى التي يغشاها النعاس بقوله: ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، أما الثانية فهي فئة منافقة؛ لذلك ترك الله تعالى وصفها بـ(منكم) ؛ لأنها ليست من المؤمنين الذين أمّنهم الله تعالى بالنعاس، وهي التي قال عنها: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ .

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (الأمن) و(الأمنة) ؟

الجواب:

١ـ الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات .

ومن ذلك:

آ ـ آيتا الأنعام [٨١ـ٨٢]على لسان إبراهيم عليه السلام عندما هدده قومه وخوفوه ، فرد عليهم بأن بيّن لهم من هو الأولى بالخوف ومن هو الجدير بالأمن ، ثم قدّم لهم

الجواب القاطع الدائم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢] .

ب ـ آية النور ٥٥ ، وفيها تصريح بتبديلهم أمناً بعد الخوف، أي: أنّ الأمن يعقب الخوف فيزيله ويزيل أسبابه .

٢ـ الأمنة: هي الطمأنينة مع وجود سبب الخوف، وقد وردت مرتين في القرآن، وكلاهما في سياق واحد، وهو تثبيت الله للمؤمنين في معاركهم مع الكفار، وإنزاله سبحانه الجنود الربانيين ليكونوا معهم، مثل: الملائكة والمطر والنعاس .

والآية الأولى منهما: (الأنفال ١١) ، وهي تتحدث عن تثبيت المؤمنين في غزوة بدر، والثانية هي آية (آل عمران ١٥٤) في غزوة أُحد، حيث تحدثت الآية عن النعاس يغشى المؤمنين ليزيل شعورهم بالخوف، والخائف لا ينام عادة وكذلك المهموم والمغموم ، ولكنّ الله جعل المؤمنين في غزوتي بدر وأحد ينعسون ليزيل عنهم الشعور بالخوف، علماً بأنّ المعركة ما زالت مستمرة وأسباب الخوف ما زالت قائمة فهو أمر معنوي نفسي، ولم تستعمل (الأمنة) إلا في سياق المعارك. والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ ما دلالة ذكر (اللامين) مع الفعلين ؟

الجواب:

من المعلوم بأنّ الذكر يفيد التوكيد والحذف أقل توكيداً .

وفي آية آل عمران ١٥٤ قال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ .... وَلِيُمَحِّصَ﴾ ، وهذان الأمران هما بدرجة واحدة من الاتساع؛ ولهذا وردت اللام مع الفعلين .

ونظير ذلك آية سورة الإسراء رقم ١٢، فقد ذكر اللام في الفعلين أيضاً فقال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢]؛ لأنّ كلا الأمرين مطلوبٌ في هذه الحياة ، وهما السعي على الرزق والحساب، وذلك لكل فرد .

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ، ما دلالة الفعل (ظن)؟ وما الفرق بين ظن وحسب ؟

الجواب:

(حسب): فعل يُراد به الاعتقاد الراجح ومعناه الظن، لكنّ هناك فرقاً بين حسب وظن، ومن ذلك:

آ ـ حسب: وهو فعل من أفعال القلوب، منقول من (حسب) الحسي الذي منه الحساب، ومنه حسب الدراهم، أي: عدّها.

ب ـ و(الحسبان) قائم على الحساب والنظر العقلي، بخلاف (الظن) الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنى سبب .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] أي كان ذلك في حسابهم.

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] لم يقل هنا: (حسب)، بدل ظن؛ لأن (ظن) قائم على رؤية، وليس في ذلك عمل حسابي ولا يحسن أن تقوم كلمة (حسب) بدل (ظن) كما في الآيات:

ـ ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ـ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾ [الأحزاب:١٠].

ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس:٣٦].

ـ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح:٦].

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجُرات:١٢].

السؤال السابع:

قوله تعالى في آية آل عمران ١٥٤: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ وفي سورة الأنفال ١١ جاء ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي مع التقديم والتأخير بين (النعاس والأمنة)، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿أَمَنَةً﴾ [الأنفال:١١] جاءت لمهمة تهدئة أعماق المؤمنين والاحتفاظ بالطاقة استعداداً للمعركة، وجعلها الله لهم آية و معجزة فكان نعاساً ، ولو غلبهم النوم العميق لمال عليهم الأعداء ميلة واحدة ، ولكنهم أخذوا شيئاً من الراحة التي فيها شيء من

اليقظة ، وهناك قراءة (يغشاكم)، وكلمة ﴿النُّعَاسَ﴾ [الأنفال:١١] مفعول به والفاعل مسند إلى الله عز وجل.

٢ـ توضح آية آل عمران أنّ النعاس قد غشى طائفة واحدة من المقاتلين في غزوة أحد بعد أن أصابهم الغم في تلك الغزوة، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون الملتفون حول رسول الله ﷺ .

٣ـ وتبين آية الأنفال أنّ النعاس قد غشى الجيش كله، وهو جيش مؤمن وهم على قلب رجل واحد، ولا يوجد بينهم منافق أو مرتاب فغشاهم جميعاً هذه الأمنة بالنعاس؛ لأنه يزيل الخوف ويعطي الطمأنينة والثقة بنصر الله.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال:١١].

روي أنهم لما ناموا واحتلم أكثرهم تمثل لهم إبليس وقال: أنتم تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون وأنتم جنب ، وقد عطشتم ولو كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء، فأنزل الله تعالى المطر واتخذ المسلمون حياضاً واغتسلوا وتلبد الرمل حتى ثبتت عليه الأقدام.

السؤال الثامن:

هل من ميزة لهذه الآية ؟

الجواب:

آية آل عمران ١٥٤ قد جمعت جميع حروف المعجم، وكذلك آية الفتح ٢٩.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ ، واستزلال الشيطان إياهم هو الهزيمة، و(استزلهم) بمعنى (أزلّهم)، فما فائدة السين والتاء في: استزلهم ؟

الجواب:

اعلم أنّ زلّة الهزيمة هي من أعظم الزلاّت، لذلك جاءت على صيغة: استزل، لتأكيد وتفظيع هذا الفعل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الاية: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ وأحياناً تأتي ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في القرآن الكريم في ٦ مواضع ،بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في ٦٤ موضعاً .

لمعرفة المزيد انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿غُزًّى﴾ أي: الغزو ، ما كلمات منظومة الجهاد ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الثاني:

في الآية إشكال، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ يدل على الماضي، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾ يدل على المستقبل، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

هو من وجوه:

١ـ قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ بتقدير: يقولون، وعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ لأنه حاصل فعلاً ، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] والمقصود الإخبار عن جدّهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة ، وليس الإخبار عن صدور هذا الكلام .

٢ ـ كلمة (إذ) و (إذا) يجوز إقامة كل واحدة مكان الأخرى.

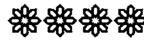
٣ ـ أنّ الكلام خرج على سبيل حكاية الحال الماضية .

السؤال الثالث:

ما مفرد ﴿غُزَّى﴾ ؟

الجواب:

لفظة ﴿غُزَّى﴾ جمع غازٍ، مثل: (ركع وسجد) جمع (راكع وساجد) ويجوزأن تُجمع كلمة (غازي) على: غزاة، مثل: قضاة ورماة في جمع القاضي والرامي، ومعنى الغزو هو قصد العدو.



﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير (الموت) في آيتي سورة آل عمران؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في الآية الأولى قدّم القتل، وفي الثانية قدّم الموت، وقد يقول قائل: إن هذا لغرض التلوين والتنويع في الأسلوب، وهذا طبيعي حتى لا يسبب الرتابة، لكنّ هناك شيئاً آخر، وهو أنه لمّا تكلم عن الشهادة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قدّمها على الموت الاعتيادي؛ لأنّ الشهادة مقدمة، لأنّ للشهداء منزلة عالية، وختمها بما يناسبها فقال: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ وهذا جزاء الشهيد ومن مات في سبيل الله .

٢ـ لكنْ عندما يتكلم عن الموت والقتل الاعتيادي ، الإنسان يموت موتاً اعتيادياً، قد يُقتَل خطأ، قد يُقتل بثأر، قد تقتله أفعى، فقدّم الشيء الطبيعي، حيث قدّم الأكثر الذي هو الموت، وختمها بأسلوب آخر فقال: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ إذ الميت والمقتول يحشره الله إليه، لكن شتان ما بين الخاتمتين، وهذه لفتة بيانية جميلة .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين مُتُّم – بالضم – ومِتُّم – بالكسر – ؟

الجواب:

١ـ ﴿مُتُّمْ﴾ ـ بالضم ـ هذه مسندة إلى المعلوم، مات يموت، فيقول: مُتُّ أنا، بضم الميم ، وهنا تكون التاء في محل رفع الفاعل (للمتكلم).

٢ـ لكن إذا أردت أن تبنيها للمجهول، يعني وقع عليه الموت بمعنى أُمِيتَ تصير (مِتَّ ومِتُّ أنا) فتُكسَرُ الميم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون:٣٥].

٣ـ ﴿مَاتَ﴾ هذا فعل أجوف، والأجوف عندما يُبنى للمجهول يكون بهذه الصيغة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الموت والقتل ؟

الجواب:

الموت هو انفصال الروح عن الجسد بدون هدم بنية، وأمّا القتل فهو انفصال الروح عن الجسد، لكنْ بهدم بنية .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ١٥٨: ﴿وَلَئِن﴾ كم مرة وردت في القرآن الكريم ؟ وما طبيعة هذه اللام ؟ وما الفرق بين (إنْ) و (إذا) وكلاهما أداة شرط ؟

الجواب:

١ـ تكررت ﴿لَئِنْ﴾ في القرآن ٦١ مرة في ٥٦ آية، وأمّا (اللام) فهي موطئة للقسم، و(إنْ) حرف شرط جازم.

٢ـ وردت ﴿إِذَآ﴾ في القرآن الكريم حوالي ٤٠٠ مرة، وتستعمل (إذا) في المقطوع بحصوله وللكثير وقوعه.

بينما تستعمل ﴿إِنَّ﴾ مع المشكوك في حصوله أو قليل الوقوع أو النادر وحتى المستحيل.



﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية ما فائدة تقديم الجار والمجرور ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ على الفعل ﴿لِنتَ﴾ مع أنّ الأصل: لنت لهم برحمة من الله؟

الجواب:

هذه الآية من رحمة الله تعالى على المؤمنين، وقد عبّر عن هذه الرحمة بأسلوب جميل، فقد استطاع التقديم في الآية أن يُغني المعنى بشيء من الحصر، أي: برحمة الله لا بغير ذلك، لأنّ النبي ﷺ جاء رحمة مهداة لأمّته.

كما أفاد القصر في هذا الموضع التعريض بأنّ أحوالهم كانت مستوجبة غِلظة، ولكنّ الله تعالى ألانَ خُلُق رسوله ﷺ رحمة بهم لحكمة في سياسة الأمة، والذي قوّى القصر وأكّده زيادة ﴿فَبِمَا﴾ بعد باء الجرّ.



﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَمَن ذَا﴾ ولم يقل: (أم من هذا)، كما في آية الملك ٢١، فلماذا؟

الجواب:

الهاء تفيد التنبيه والتوكيد، فإذا كان الأمر لا يدعو إليها لا يأتي بها، وسياق الآية بعد معركة أُحد، والمقام مقام رحمة ومسح على الجراح للمؤمنين ومقام عفو ومغفرة فلا يلزمه تنبيه .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول من آية البقرة ٢٢٥.



﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ختام الآيتين آل عمران ١٦٢ ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ و آية الحديد ١٥ ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ ؟

الجواب:

كل الآيات التي ورد فيها ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ ونحوها إنما قيلت وهم في الدنيا، والدنيا لا تزال غير منقضية، وأما في آية الحديد ١٥ حيث قال: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ فإنها قيلت وهم في الآخرة وقد ضرب السور بينهم وبين

المؤمنين وأتاهم العذاب من قبله فالنار قريبة منهم، فقال: ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: التي تليكم.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ هذه أنسب خاتمة لهم، فقد كانوا في ترقبهم وأمانيهم ينتظرون المصير الحسن والمستقبل المشرق ، فكانت لهم الظلمة والمصير الأسوأ.



﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة ١٢٩ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ ، بينما قال في آية آل عمران ١٦٤: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وفي آية التوبة ١٢٨ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٢٩ .

السؤال الثاني:

قال في آل عمران ١٦٤ ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ، وقال في آية الجمعة رقم ٢ ﴿مِّنْهُمْ﴾ ، فلماذا؟

الجواب:

١ـ أنّ قولك: (فلان من أنفس القوم) ، أوقع في القرب والخصوص من قولك: (فلان منهم)، فإنّ هذا قد يراد به للنوعية ، فلا يختص لتقريب المنزلة والشرف إلا بقرينة.

أمّا ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأخصّ ولا تفتقر إلى قرينة، ولذلك حيث ورد التعريف بعظم النعمة به ﷺ وجليل إشفاقه وحرصه على نجاتهم ورأفته ورحمته بهم، قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] .

فلمّا قال في آية آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فخصّ من أسلم وآمن ناسب ذلك قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ؛ لأنّه بمجرد إرسال محمد ﷺ منهم عمل فيهم منة وقدّم لهم جميلاً كبيراً، فهو ﷺ من أنفسهم ومن رهطهم ومعروف نسباً وحسباً.

وهناك قراءة، وإن كانت شاذة تقول: (من أنفَسِهم) - بفتح الفاء- أي: من أشرفهم؛ لأنه ﷺ من بني هاشم، وهم أفضل قريش وقريش أفضل العرب .

٢ـ في آية الجمعة رقم ٢، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ .

ولّما كان لفظ الأميين يتناول قريشاً لأوغيرهم من العرب ممن ليس من أهل الكتاب قيل: ﴿مِّنْهُمْ﴾ ، فناسبت هذه الآية عموم الأميين من العرب ممن أسلم وممن لم يسلم.

٣ـ قوله تعالى في آية النحل ١١٣ : ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قيل هنا: ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأمرهم

بوجوب الشكر على النعمة ، فلمّا قصد ممن لم يوفقوا لمعرفة قدره للرسول عليه السلام ولا للاستجابة المثمرة للنجاة، على العكس من حال المؤمنين المستجيبين له قيل هنا: ﴿مِّنْهُمْ﴾ أيضاً .

السؤال الثالث:

ما دلالة الفرق في الترتيب بين آية سورة البقرة١٢٩ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وآية آل عمران ١٦٤ ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٩.



﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ في قوله تعالى في سورة آل عمران ١٦٧ : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وكلمة ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ في آية الفتح ١١ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾؟

الجواب:

١ـ (اللسان) هو جزء من الفم، والأفواه أعم وأشمل من الألسنة، وإذا أردت التأكيد قلت: قال بلسانه. وعندما تريد المخالفة لِما في نيّة الإنسان تقول: قال بلسانه وهوغير ما يُبطن وغير ما يُخفي.

أي عندنا صورتان للاستعمال:

أـ إما للتأكيد .

ب ـ أو للموازنة لما يبطنه.

٢ـ لكن لماذا يستعمل اللسان مرة والفم مرة؟ مع أنّ العلاقة بين اللسان والفم علاقة مكانية؟

والجواب: أنه في القرآن الكريم لمْ يذكر القول باللسان أو بالفم إلا في موضع الذمّ في جميع القرآن الكريم.

واللسان جزء من الفم ، والأفواه أعم وأشمل من الألسنة، ومعنى ذلك أنّ الكلمة التي تخرج من اللسان كأنّ فيها إشارة إلى نوع من الثرثرة والتعالي ونوع من التفخيم والتضخيم ، وفيها دلالة على ثبوت هذه الصفة لهم ودوامها وتكرارها (قول غير ما يبطن) .

٣ـ آية آل عمران ١٦٧ والتي ورد فيها ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ كانت وصفاً للمنافقين في المدينة، وهؤلاء كان فيهم رئيس المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول الذي كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكاً على المدينة قبل الإسلام، فصدره موغر ضد الإسلام والمسلمين،

لكنه هو وجيه في قومه وكبير، ولا يرتضي أن يُنسب إليه الخوف أو الجُبن في القتال ، والأوس والخزرج هم أبناء الحروب.

ولهذا كأن القرآن يريد أن يبيّن أنّ هؤلاء المنافقين قالوا هذه الكلمة بنوع من الترفّع والتعالي والمراوغة ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ ، وقد صدر هذا الكلام بعد انتهاء معركة أُحُد فقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ ويقيناً قالوا هذه العبارة بأفواههم بقصد المراوغة كما يقال: بالفم الملآن ، لأنهم ادّعوا أنّ الخروج من المدينة هو إلقاء إلى التهلكة وليس قتالاً، ففضحهم الحق تعالى فقال: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ .

٤ـ في آية الفتح ١١ قال: ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ والذين يقولون بألسنتهم هم من الأعراب المسلمين، وليسوا من المنافقين ، والرسول ﷺ عندما ذهب للعمرة استنفر المسلمين واستنفر الأعراب بأنْ يأتوا معه تحسّباً لحدوث قتال، وساق الهديَ تحسباً، وهؤلاء الأعراب كانوا معتذرين فقال تعالى: ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ ، بينما مع المنافقين في آية آل عمران ١٦٧ كان القرآن يصور حالهم وقد كانوا متكبرين، فقال: ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ وليس بألسنتهم.

فاستعمل القرآن الكريم كل كلمة في مكانها.



﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال ربنا ﴿فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ ولم يقل: فاحموا أنفسكم من الموت؟

الجواب:

آثر ربنا تعالى أن يعبِّر بـ ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ ؛ لأن الدرء يعني الدفع، وفي هذا إيماء إلى أنّ الموت يأتي بشكل مفاجئ وقوي لا قِبَل للمرء على مقاومته ودفعه، أمّا الحماية فهي تدل على أنّ المرء يرى الخطر المدلهمَّ به ويريد أنْ يحمي نفسه ، بينما الموت ليس بمرئي أومشاهد حتى يصون الإنسان نفسه منه.



﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذه الآيات واردة في شهداء بدر وأُحد .

٢ـ قوله تعالى ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ ظاهره يدل على كونهم أحياء عند نزول الآية، وحمله على أنهم سيصيرون أحياء بعد ذلك عدول عن الظاهر.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال في صفة الشهداء «**إن أرواحهم في أجواف طير خضر، وإنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح حيث شاءت وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش**».

٣ـ قوله تعالى ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ التقدير: بل هم أحياء ، على تقدير الصيغة الاسمية التي تفيد الثبات والاستقرار، ولم يقل: (أحياءً) على الصيغة الفعلية بمعنى: سيصيرون أحياءً، فهم أحياء عند ربهم بمجرد الاستشهاد في المعركة.

٤ـ قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فذكر العندية، ومعناها القرب والإكرام، وهي أعلى مقام ، كما قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

٥ـ قوله تعالى: ﴿يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ بصيغة الفعل المضارع التي تفيد التجدد للحدث كما في الحديث أعلاه: (وإنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها) .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعني أنّ فرحهم ليس بالرزق وإنما بإيتاء الرزق؛ لأنّ المشغول بالرزق مشغول بنفسه، والناظر إلى إيتاء الرزق مشغول بالرازق .

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ الاستبشار هو طلب السرور فوجدوه بالبشارة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ هم إخوانهم المؤمنون الذين لم يستشهدوا؛ لأنّ الشهداء يدخلون الجنة قبلهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جمع بين الصيغة الاسمية ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ والصيغة الفعلية ﴿يَحْزَنُونَ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ جاء بالصيغة الاسمية ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ للدلالة على ثبات أنه لا خوف عليهم فيما سيأتيهم مستقبلاً من أحوال القيامة، وهم لا يحزنون فيما فاتهم من نعيم الدنيا، فنفى حدوث الحزن بالصيغة الفعلية . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة كلمة ﴿خَلْفِهِمْ﴾ في الآية ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ ؟ وما الفرق بين: (خلف) و(بعد) ؟

الجواب:

١ـ (خلف) نقيضه (قُدّام) وهي في الغالب للمكان، والخلف في اللغة هوالظهر أيضاً.

٢ـ (بعد) نقيضة (قبل) وأظهرُ استعمال لها في الزمان.

٣ـ أحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى، فلا يمكننا أن نضع (خلف) مكان (بعد) كما في الآيات:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة:٥٢].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] لأنها متعلقة بالزمان.

٤ـ أما (خلف) فهي في الأصل للمكان، كما في الآيات:

ـ ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٧]

ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس:٩]

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران:١٧٠] ومعناها الذين معهم في المعركة والقتال .



﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

تبصّر في هذه الصورة الرائعة التي ترسلها الريشة القرآنية بدقة متناهية تسلب الألباب، إنها صورة هؤلاء المؤمنين الذين استعلوا على جراحهم في غزوة أحد واستعلوا على آلامهم ولم يفقدوا شجاعتهم وتبتلهم ويقينهم بالله عز وجل، فلمّا خوّفهم الناس

بجموع المشركين التي تجمعت لاستئصالهم ما زادهم هذا التخويف إلا إيماناً ويقيناً وثباتاً وعزيمة، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣].

السؤال الثاني:

ماذا روي عن جعفر الصادق بشأن هذه الآية ؟

الجواب:

روي عن جعفر الصادق أنه قال:

١ـ عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.

٢ـ وعجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قول الله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٨].

٣ـ وعجبت لمن مُكِر به ولم يفزع إلى قول الله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر:٤٤] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ﴾ [غافر:٤٥].

٤ـ وعجبت لمن طلب الدنيا كيف لا يفزع إلى قول الله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف:٣٩] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩ - ٤٠].

﴿فَانقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ختمت آية الحديد رقم ٢١ بالتعريف ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ وختم في آل عمران ١٧٤ بصفة التنكير ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ ، فما الفرق؟

الجواب:

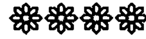
١ـ التعريف يفيد العموم والشمول، والتنكير يفيد التقليل.

٢ـ آية آل عمران في أُحُد وفي نجاتهم مما كان يُراد بهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ فقال: انقلبوا بنعمة من الله.

٣ـ في سورة الحديد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٨-٢٩] .

٤ـ أيهما أكبر: (انقلبوا بنعمة من الله لم يمسسهم سوء) أو (النور والرحمة والمغفرة)؟ لا شك أنّ المغفرة والرحمة والنور أكبر؛ لذا قال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩] .

٥ـ لو مسهم سوء فلهم أجر، أمّا ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ فهذا أكبر، إذن فناسب ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ .



﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾



السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ وهو اسم إشارة، فعلام يدل اسم الإشارة لغة، وما أهم أغراض اسم الإشارة ؟

الجواب:

اسم الإشارة: اسم مبني يدل على معين بالإشارة عليه، والأصل في أسماء الإشارة أنْ تكون للأشياء المشاهدة المحسوسة، واستعمل في غير المشاهد مجازًا؛ لتنزيله منزلة المحسوس المشاهد .

أبرز أغراضه:

١ـ تمييز الشيء المقصود بالإشارة إليه نحو: أريد هذا.

٢ـ تنزيل الأشياء غير المشاهدة أو المحسوسة منزلة الأشياء المشاهدة أو المحسوسة، كقوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٢].

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

٣ـ بيان حال المشار إليه في القرب والبعد:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥] للقرب .

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] للبعد.

٤ـ التعظيم ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات:٦١] .

٥ـ التحقير ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢] .

ألفاظ الإشارة:

ذا	للمفرد المذكر
ذي ـ ذه ـ ته	للمفردة المؤنثة
ذان	للمثنى المذكر
تان	للمثنى المؤنث
أولاء	للجمع المذكر والمؤنث
هنا ـ ثَمَّ	للمكان

ملاحظات نحوية:

١ـ تستعمل هاء التنبيه للقريب نحو: هذا ـ هذه.

٢ـ وتستعمل (الكاف) أو (الكاف واللام) للبعيد، وتسمى الكاف للخطاب واللام للبعد نحو: ذاك وتلك.

٣ـ أسماء الإشارة أسماء مبنية فيما عدا: (هذان وهاتان)، فهما معربان إعراب المثنى.

٤ـ الاسم المعرف بـ(أل) ، والذي يأتي بعد اسم الإشارة يعرب بدلاً نحو: هذا الطالب مجتهد، فالطالب بدل لاسم الإشارة مرفوع بالضمة .

٥ـ قد تدخل كاف التشبيه على اسم الإشارة: (ذا) فتقول: كذا .

٦ـ وقد تدخل هاء التنبيه على (كذا) نحو: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل:٤٢] ؟

٧ـ وقد تلحق (ذا) اللام والكاف في آخرها نحو: كذلك .

٨ـ يشار إلى جمع ما لا يعقل بـ(هذه) أو (تلك) .

٩ـ إذا اتصلت كاف الخطاب باسم الإشارة، وذُكر بعدها المخاطب فإنّ الكاف تطابق المخاطب في الإفراد والتثنية والجمع .



﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين خواتيم الآيات في سورة آل عمران في الآيات: [١٧٦ـ ١٧٨]؟

الجواب:

١ـ الآية ١٧٦ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

الموصوفون بالآية هم قوم:

﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: أنّ الكفر ملأ أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم، وهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فنفى ما خيف من أمرهم .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: ليس لهم نصيب .

فربنا هددهم بأن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، فذكر العذاب العظيم وهو أشد العذاب. فاستحقوا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ .

٢ـ الآية١٧٧ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

الذي يشتري يريد الربح عادة وليس الخسارة، فإذا خسر يتألم، وهم سيخسرون؛ لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان ، وهم سوف يتألمون من الخسارة لما نالوه من لذة العوض في ذلك الشراء الخاسر.

والذين اشتروا الكفر بالإيمان يعني تركوا الإيمان واشتروا الكفر خسروا والخاسر يتألم، فله عذاب أليم.

وهم اشتروا الكفر وخسروا الإيمان؛ لأن الباء مع الذاهب، كما تقول: اشتريت الكتاب بمائة، فالكتاب هو المشترى والمال هو الذاهب، فناسب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ .

٣ـ الآية ١٧٨ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

أملى الله لهم المال والرزق والسعة استدراجاً ليزدادوا إثماً ويغتروا بالمال ويتكبروا على عباد الله، فإذا بلغ النهاية أوجب الأخذ، ولمّا كان هذا المال مظنة عزهم في الحياة الدنيا عند من ظن ذلك، عوضوا عنه الإهانة الدائمة فقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)﴾ .

فالعذاب متحقق في الثلاثة، لكن كل واحدة تناسب ما قيل فيه ومن قيل فيه.

ولذلك إنْ أردت الإيلام فهو عذاب أليم ولو كان صغيراً في قدره، وإنْ أردت التحقير والإهانة فهو عذاب مهين، وإنْ أردت ضخامة العذاب فهو عذاب عظيم .

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في آية آل عمران ١٧٦؟

الجواب:

انظر إلى هذه الاستعارة التمثيلية لحال أهل الكفر والنفاق والتي قوّاها تعدية المسارعة بـ (في) عوضاً عن (إلى) ، فقال تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ ولم يقل: (إلى الكفر)، وبيان ذلك أنه شبّه حال حرصهم وجدّهم في تكفير الناس وإدخال الشك على المؤمنين بحال الطالب المسارع إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته، فأفادت يسارعون في الكفر أنهم لم يكتفوا بالكفر بل توغلوا في أعماقه.

﴿ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا استخدم لفظ ﴿يَجْتَبِى﴾ في هذه الآية ؟ ولم يقل: يختار أو يصطفي؟

الجواب:

١ـ الفعل (يجتبي) ماضيه: (اجتبى) على وزن افتعل، وهو نفس وزن الفعل: اختار.

٢ـ الفعل (اجتبى) من: (جَبَيَ) وهو من الجباية، وهي: الضم والجمع والتقريب، ويعني في الآية شدة القرب من الله تعالى .

٣ـ أما الفعل: (اختار) ففيه معنى الانتقاء للأخْيَرِ والأفضل، ولكن ليس فيه معنى الضم والقرب .

٤ـ فإذا أراد القرآن الإشارة إلى مجرد الخيرية من غير الضم يستعمل: (يختار)، وإذا أراد معنى الجمع والضم والتقريب يستعمل: ﴿يَجْتَبِى﴾

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ في هذه الآية ؟

الجواب:

(يُطوَّقون) مشتقّ من (الطوق)، وهو ما يُلبس تحت الرقبة فوق الصدر، وفي هذا الكلام تصوير جميل بحيث جعل أموال الذين يبخلون أطواقاً يوم القيامة يعذّبون بحملها، والطوق في الدنيا يُتّخذ للزينة ولكنه يتحول مع البُخل إلى زِنة لا يمكن حملها، وقد اختار الله تعالى الطوق دون غيره؛ لأنه أظهر للعيان بقصد التشهير بهم يوم الحشر.

السؤال الثاني:

ما معنى الآية؟ ومادلالة تقديم ﴿وَلِلَّهِ﴾ في هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ المعنى العام للآية هو: أنفقوا حتى تنالوا جزاء المنفقين قبل أن تنتقلوا رغماً عنكم وتذهبوا إلى الله تعالى.

٢ـ وقدّم الجار والمجرور (لله)؛ لأنها ستؤول إليه حصراً؛ لأنه إذا قال: (ميراث السموات والأرض لله)، فليس فيها قصر ولا حصر.

٣ـ التقديم نوعان:

آـ تقديم على العامل .

ب ـ تقديم على غير العامل.

فمثلاً تقديم الخبر على المبتدأ كما في الآية ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حيث (ميراث) مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ﴾ لفظ الجلالة خبر مقدّم، فهذا من باب جواز التقديم وليس من باب الوجوب؛ لأنّ ميراث السموات والأرض معرفة بإضافتها إلى معرفة وليست نكرة، وتقديم الخبر على المبتدأ يسمونه من باب تقديم المعمول على العامل، وهذا التقديم يفيد التخصيص أو الاهتمام حسب السياق.

و قد يفيد القصر، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] وأصلها: نعبدك.

وهنا قال تعالى في الآية: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فهذا اهتمام ،وهو ما ستؤول إليه حصراً ، ولا تؤول إلى جهة أخرى مع الاهتمام.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الكلمات: [طوق ـ لف ـ أحاط]؟

الجواب:

طوّق: كل من يُلقى عليه القبض يطوقون بالطوق.

لفّ: هو وضع الطوق في الأعناق، وهو نوع من الفتل.

* شواهد قرآنية:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠] .

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [القيامة:٢٩] ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤].

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ:١٦].

أحاط:

هو السيطرة على الأمر من كل الجهات، والإحاطة بالخبر هو عندما تعرف حقيقة الخبر بالكامل.

*شواهد قرآنية:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس:٣٩].

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل:٢٢].

﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦].

﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١].

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ هل كلمة (خير) أو(شر) هي للتفضيل ؟

الجواب:

عادة يأتي فعل التفضيل على وزن أفعل، مثل: أكرم و أجود، وهذه الصيغة تفيد زيادة الصفة في طرف عن طرف آخر، اللهم إلا كلمات قليلة جاءت في اللغة على غير صيغة التفضيل، منها كلمة: (خير) وكلمة: (شر) فلم تأت: أخْيَر، بمعنى أكثر خيراً، ولا كلمة: أشر، بمعنى أكثر شراً.

وتأتي كلمة (خير) للوصف مرة ، وتأتي للمبالغة في الوصف مرة أخرى، والفاصل المميز بين الاثنين هو وجود (من) فيقال: (فلان خير من فلان) . ومثلها في الشر.

قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير** »

وفي آية آل عمران ١٨٠ كلمة ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ ليست للتفضيل، وإنما للوصف العادي، أمّا إذا جاءت معها (من) فتكون للتفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ [المائدة:٦٠] .



﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا استخدم لفظ ﴿ذَآئِقَةُ﴾ مع الموت والعذاب كما في آية سورة آل عمران ١٨٥ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وفي آية آل عمران ١٨١ ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾؟

الجواب:

١ـ الاستعارة هي تشبيه حُذف أحد طرفيه، فإذا صُرح بالمشبه به تسمى (استعارة تصريحية)، وإذا لم يُصرح به تسمى (استعارة مكنية) . أمثلة:

آ ـ (رأيت أسدا): وأنت تعني رجلاً شجاعاً، فهذه استعارة تصريحية حيث ذُكر المشبه به وهو الأسد.

ب ـ قول الشاعر: (**وإذا المنية أنشبت أظفارها**) هذه استعارة مكنية، شبه المنية بالسبع ولم يصرح به ، وإنما صرح بما يدل عليه (الأظافر).

٢ـ (الذوق) عادة باللسان، وعندما تذوق شيئاً يكون هذا الشيء في فمك أو على لسانك فهو ملتصق بلسانك فتحسه وتذوقه .

٣ـ الله شبه الموت بشيء يُذاق، ثم حذف المشبه به فهي (استعارة مكنية) وكذلك العذاب .

ويعني أنّ الموت ليس خيالاً وإنما يُذاق، والعذاب ليس خيالاً وإنما هو سيُذاق ذوقاً.

٤ـ والمعنى أنّ العذاب سيكون من القرب والالتصاق بالمُعَذَّب؛ لأنه سيكون في فمه وملتصق به .

السؤال الثاني:

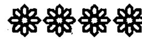
قوله تعالى في الآية: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ ألا تجزم أخي المؤمن بأن (سمع الله تعالى) دليل عِلمه بما قالوا؟ فلِمَ جاء بالفعل ﴿سَمِعَ﴾ وعدل عن الفعل (علِم) ؟

الجواب:

إنما أريد بهذا الفعل التهديد والإيذان بأنّ ما يقولونه فيه جرأة عظيمة وأن الاستخفاف بالرسول ﷺ وبالقرآن إثم عظيم وكفر على كفر، ولذلك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ﴾ المستعمل في لازمٍ معناه التهديد على كلام فاحش.

وليس المقصود إعلامهم بأن الله تعالى عَلِم بذلك، بل التهديد كما يقول أحدنا لولده: إني أسمع ما تقول، فهو لا يريد إبلاغه بأنه يسمعه بل يريد أن يهدده.

إضافة إلى أنّ كلمة (سمع) توحي بشدة القرب بحيث يسمع كل ما يقال.



﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾ ؟

الجواب:

١ـ (ظلاّم) صيغة مبالغة من الظلم، وجيء بها هنا لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم، فالله ليس بظالم لهذا وليس بظالم لذاك وليس بظالم للثالث وليس بظالم لأي فرد، فلكثرة العبيد كان قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف:٤٩].

٢ـ وردت هذه الصيغة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾ ثلاث مرات في القران الكريم في آيات [آل عمران ١٨٢ـ والأنفال ٥١ـ والحج ١٠].

٣ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام:٧٣] فلمّا أفرد المعمول لم يأت بصيغة المبالغة، ولمّا جمع كلمة الغيب إلى الغيوب، فجاء بصيغة المبالغة فقال: ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة:٧٨] .

أي: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هي مفرد مع مفرد، بينما ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة:٧٨] جمع مع جمع.

٤ـ وتفيد الآية ﴿لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٨٢﴾ نفي الظلم عن كل فرد مع ذكر كثرة العبيد، فالنفي باعتبار الكمية لا الكيفية .

٥ـ من جهة أخرى: لمّا ذكر الله في الآية التي قبلها عذاب اليهود على قولهم: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾ فلو كان هذا العذاب ظلماً لكان عظيماً، وهذا يؤكد أنّ إيصال العقاب إليهم يكون ظلماً لو لم يكونوا مذنبين، لكنّ العذاب الذي توعدهم به هو بسبب ما قدمت أيديهم، وهو على سبيل المجاز؛ لأنّ الفاعل هو الإنسان لا اليد.

٦ـ وقد جاءت (اليد) في صيغة الجمع في آية آل عمران والأنفال ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ ، كما جاءت بصيغة التثنية في آية الحج ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ .

٧ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧] فشدد لكثرة الفاعلين لا لتكرار الفعل .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التذكير والتأنيث في ﴿جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي﴾ في آية آل عمران رقم ١٨٣، وآية الأعراف ٥٣ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ ؟

الجواب:

التذكير والتأنيث في القرآن يتم وفق القاعدتين التاليتين:

١ـ القاعدة النحوية أنه يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير .

٢ـ ويؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكّر الفعل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ [الحُجرات:١٤] استخدم الفعل (قالت) مؤنثاً؛ لأن الأعراب كُثُر.

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران:١٨٣] هؤلاء مجموعة من الرسل، فذكّر مع العدد المحدود من رسل بني إسرائيل .

- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف:٥٣] هذا في يوم القيامة ، والمذكورون هم جميع الرسل، وهم أكثر من الأولى؛ لذا جاء الفعل مؤنثاً.

- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] حاشية امرأة العزيز عدد محدود فذكّر .

- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١٣] اليهود كُثُر وكذلك النصارى؛ فأنث .



﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

في آية آل عمران ١٨٤ حذفت (الباء) مع كلمتي ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ أما في آية فاطر٢٥ فقد ذكرت (الباء) مع كليهما ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ ، فما السبب في ذلك ؟

الجواب:

١ـ يكرر القرآن حرفاً معيناً مثل (الباء) بقصد التوكيد عندما يقتضي السياق التوكيد.

٢ـ المقام في سورة فاطر مقام توكيد وتفصيل، بخلاف ما ورد في سورة آل عمران، فالكلام في سورة فاطر للتوكيد والتفصيل في مقام الإنذار والدعوة والتبليغ، قال تعالى في سورة فاطر:

ـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر:١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣]

ويستمر السياق في الكلام عن الذين يستجيبون والذين لا يستجيبون ، وأنّ هذه الكتب التي ذكرت في الآية هي كتب إنذار (الزبر والكتاب المنير والبينات)؛ لذلك أكّد بالباء فقال: ﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر:٢٥] .

٣ـ أما في سورة آل عمران، فالآية تعقيب على حادثة تاريخية معينة ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ فالمقام هنا في حادثة معينة وليس في سياق الآيات، فاختلف الأمر؛ ولهذا حذفت الباء؛ لأنه مناسب للإيجاز .

وفيما يلي بيان بأهم الفروقات بين آيتي آل عمران وفاطر:

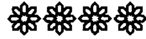
المقام	آية آل عمران ١٨٤	آية فاطر ٢٥
التوكيد	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾	﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾
تاء التأنيث	﴿جَاءُو﴾	﴿جَاءَتْهُمْ﴾
التخصيص	﴿كُذِّبَ رُسُلٌ﴾	﴿كَذَّبَ الَّذِينَ﴾ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾

أ ـ بالنسبة لـ(للتوكيد) هناك قاعدة في القرآن أنه إذا كان فعل الشرط مضارعاً دل على استمرارية الحدث، وإذا كان فعل الشرط ماضياً دل على الحدوث مرة واحدة .

ب ـ (التذكير) يدل على القلة ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف:٣٠] ، بينما التأنيث يدل على الكثرة ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجُرات:١٤] فالتذكير في آل عمران يدل على أنّ الحادثة وقعت مرة واحدة، بينما في فاطر يدل التأنيث على كثرة الرسل .

ج ـ (التخصيص): في سورة فاطر ذكر الفاعل ، بينما في آل عمران الفعل مبني للمجهول .

٤ـ إذن نستنتج أنّ السياق وغيره يقتضي ذكر(الباء) مع كل معطوف في سورة فاطر، وحذف الباء مع المعطوف في سورة آل عمران . والله أعلم.



﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ، فمتى يرد هذا التعبير؟ ومتى يرد التعبير ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الثاني من آية البقرة ٥٣ .

السؤال الثاني:

هل اللام في الآية هي لام التوكيد أم لام القسم ؟

الجواب:

هذه اللام تسمى لام القسم ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾، وهذه اللام واقعة في جواب قسم مقدّر، وهي في النحو لا تسمى لام التوكيد، وإنما لام القسم، ونعربها لاماً واقعة في جواب القسم.

لم يذكر (والله)، لأنه عندما تقول: لأفعلن كذا، هذا ليس عليه حنث، لكن عندما تقول: والله، عليها حنث إذا لم ينفذ .



﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾ بهذه الألفاظ البسيطة كيف استطاع القرآن أن يوضح سوء عمل اليهود مع ميثاق الله ؟

الجواب:

انظر تفصيل الآية:

١ـ عطف بالفاء، فقال: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ إشارة إلى سرعة نبذهم وعدم احترامهم لميثاق الله، فالفاء تفيد الترتيب والتعقيب.

٢ـ استعار الفعل (نبذ) لعدم العمل بالعهد تشبيهاً للعهد بالشيء المنبوذ في عدم الانتفاع به، إذ أصل النبذ الطرح والإلقاء.

٣ـ مثّل بقوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ عن الإضاعة والإهمال؛ لأنّ شأن المهتم به والمتنافس عليه أن يُجعل نصب العين ويُحرَس ويُشاهَد.



﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية توكيد، فما دلالته؟ وما أهم أغراضه ؟

الجواب:

١ـ التوكيد اللفظي يكون بإعادة اللفظ الأول، أو بتقويته بمعنى مرادف، أو بموازنه، مع اتفاقهما بالحرف الأخير .

آ ـ أمثلة على إعادة اللفظ : ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر:٢١].

ب ـ أمثلة على تقويته بمرادف: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء:٣١] ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [فاطر:٢٧]؛ لأنّ الفجاج هي السبل، ومعنى غرابيب (مفرد غربيب) أي: أسود، فكأنه قال: سودٌ سودٌ.

ج ـ أمثلة على الإتيان بموازنه: عطشان نطشان، جائع نائع.

٢ـ قد تقترن الجملة المؤكدة بعاطف، نحو قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ آل عمران (١٨٨).

أهداف التوكيد:

آـ دفع الغفلة وعدم الإنصات .

ب ـ أنْ يدفع عن السامع ظنه بالمتكلم الغلط.

ج ـ أنْ يدفع المتكلم ظن التجوز.

د ـ تقوية الحكم ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشَّرح:٥-٦].

هـ ـ للتهويل والتعظيم: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار:١٧-١٨].

٣ـ الفعل المضارع والأمر يؤكد بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة، كما في الآيات:[الهمزة ٤ ـ العلق ١٥ ـ الأنبياء ٥٧ ـ الذاريات ٢٣ ـ مريم ٦٨ ـ يوسف ٣٢] علما بأنّ نون التوكيد تخلّص الفعل للاستقبال: (الفتح ٢٧).

وهذه النون كثيراً ما تدخل على الشرط المسبوق بـ (ما) الزائدة، ولا سيما شرط (إنْ) ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨] وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء:٢٨]

وتدخل النون كثيرا على الطلب كالأمر والنهي والاستفهام والتمني، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾



﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (قيام) ؟

الجواب:

١ـ عبّرالله تعالى عن الصلاة بـ (القيام)؛ لأنها بداية الصلاة وفيها تكبيرة الإحرام، وعبّر عن الخشوع والدعاء والاقتراب بـ (السجود)؛ لأنّ أقرب الحالات في الصلاة السجود . كما في الآيات:

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق:١٩] .

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران:٣٩] .

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩١] .

والرسول ﷺ يقول: «**صلّ قائماً، فإن لم تقدر فقاعداً، فإن لم تقدر فمضطجعاً**».

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨]: جاءت وراء الصلاة ولم يختر سبحانه الركوع أو السجود؛ لأنّ كلمة (قيام) تتناسب مع قيام الرجل على بيته وأهله،

كما في الآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤] فكلمة: قوامون، أي: قائمين بالحفاظ على شؤونهم وخدمة أمورهم.

والصلاة تحتاج إلى رعاية ومتابعة، فكما أمرنا الله تعالى بالحفاظ على نسائنا أمرنا بالحفاظ على الصلاة، وهذا من تناسق القرآن الكريم، فعندما ترى زوجاً قانتاً خاشعاً فلا يمكن أنْ يكون جباراً على زوجته وإن كان غير ذلك لم يكن هذا الخاشع القانت مستوفيا لصلاته ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥] فلو صلّى حقيقة ما تجاسر على زوجته أو تكبّر وتجبّر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمتي: (قيام) و(قائمين)؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ [الزُّمَر:٦٨] في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى (القيام الحقيقي)، كما في: [آل عمران ١٩١ ـ النساء ١٠٣ ـ الفرقان ٦٤ ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في موطنين فقط بمعنى القيام بالأمر والعكوف كما في الآيات: [المعارج ٣٣ ـ الحج ٢٦] حيث (القائمون) فيها بمعنى (العاكفين)، بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين كلمتي (قعود) و(قاعدون) ؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قُعُودٌ﴾ ثلاث مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات:[البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَٰعِدُونَ﴾ في ستة مواضع، كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في:[المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ النساء ٩٥].

السؤال الرابع:

لماذا جاء قوله تعالى في آية يونس ١٢: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ ولم تأتِ (على جنبه) ، كما في آية آل عمران ١٩١ ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في آية يونس ١٢: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا ﴾ .

فبدأ في آية يونس بالجنب ، بينما أخّر الجنب في آية آل عمران .

والإنسان عادة عندما يصيبه الضر والمرض يكون ملازماً لجنبه ثم يقعد ثم يقوم ، لذا بدأ بالجنب ثم القعود ثم القيام في آية يونس .

أمّا في حالة الصحة فهي بالعكس، القيام أولا ثم القعود ثم على الجنب، لذا أخّر الجنب في آية آل عمران.

٢ـ جاءت آية يونس باستخدام اللام ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يونس:١٢] بمعنى (ملازم) لجنبه ، وبمعنى (دعانا) وهو ملازم لجنبه ، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ ، ما الفرق بين (قعد) و(جلس) ؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

١ـ الفعل (قعد) هو عكس قام، والقعود مقابل القيام، تقول: كان الرجل واقفاً فقعد، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة:٤٦] وقوله: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور:٦٠] .

٢ـ أما الفعل (جلس) فيعني أنّ الرجل كان متئكاً فجلس، أي: أنّ الجلوس عن اتكاء، والقعود عن قيام .

* شواهد قرآنية على الاستخدام اللغوي:

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران:١٩١].

ـ ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر:٥٥] .

ـ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾ [المجادلة:١١].

إحصائيات: وردت كلمة (الجلوس) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المجادلة ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾ [المجادلة:١١].

بينما وردت كلمة (القعود) بكافة مشتقاتها في (٣١) موضعاً.

المعنى الاصطلاحي القرآني:

كلمة (القعود) وردت في القرآن الكريم بمعنى التخلف عن الجهاد والقعود في البيوت مع النساء والمرضى والأطفال والضعفاء، وهي صفة مذمومة عند العرب كثيراً، وكان الرجل يحب أن يُقتل قبل أن يقال له: إنك قاعد .

انظر الآيات: [التوبة ـ ٤٦ ـ التوبة ٨٣ ـ النور ٦٠].

وعلى هذا فهم العرب لغتهم وأدركوا إعجاز القرآن وهو يصور دخائل النفوس ويبرز حقائق القلوب، فأيقنوا أنه ليس من كلام البشر، بل من كلام خالق البشر الذي يعلم ما خلق ـ جل شأنه ـ .

وعلى هذا أيضاً فهم العرب هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر عندما قال له:

دع المكارم لا ترحَل لِبُغيتها   واقعُد فإنّكَ أنت الطاعِمُ الكاسي

أي: أنه عاجز عن الخروج لنيل المكارم، وهو من (القواعد) في البيوت اللاتي يقدم لهن الطعام والكساء.

لذلك قال حسان بن ثابت عندما سئل عن هذا البيت: هل يجد فيه هجاءً؟ قال: لم يهجُه فقط، بل سلح (تغوَّط) عليه .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ و: (اغفر لهم ذنوبهم وحطّ عنهم خطاياهم) مثلاً؟

الجواب:

١ـ السيئات هي صغار الذنوب ، والذنب أكبر، والخطيئة عامة.

٢ـ لماذا يستعمل مع (السيئات التكفير) ، و(المغفرة مع الذنوب) ؟ والجواب:

آ ـ التكفير في الأصل الستر، وكفر الشيء أي: ستره، والكافر في الشريعة هو الذي خرج عن الملة، هذا في الاصطلاح، وأما في اللغة يعني ستر، والزارع يسمونه الكافر لأنه يستر البذرة في الأرض، والليل يسمى كافراً لأنه يستر الناس، كما قيل:

لي فيكَ أجرُ مجاهدٍ إنْ صَحَّ أنَّ اللَّيلَ كافِر

ب ـ (المغفرة) من المِغفَر، والمِغفر هو الغفر والستر، والمِغفَر هو الذي يُلبس في الحرب حتى يمنع السِّهامَ.

ج ـ أيها الأمنع من الإصابة المِغفر أو التراب في الأرض؟ لا شك المِغفر أمنع. فالليل لا يمنع سهماً أو إصابة، وإنما يستر على العموم، لكنْ لو جاءت ضربة لا تمنع ،أما المِغفر فيمنع.

د ـ فلمّا كان الذنب أكبر احتاج إلى مانع أكبر؛ لذا قال معه: (مغفرة) ؛ لأنّ الذنب أكبر، والذنب يصيب الإنسان إصابة كبيرة فيحتاج إلى مغفرة كما يُحتاج المِغفر في الحرب، فلمّا كان الذنب أكبر احتاج لمانع أكبر ولمغفرة أشدّ.

أما الكفرفهو بمعنى الستر فقد يكون بدون منع أو قد يكون بمانع خفيف، لذا قال: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ .

هـ ـ (الذنب) هو أكبر من السيئة، ولذلك يستعمل معه المغفرة؛ لأنه لما كان أكبر احتاج لوقاية أكبر.

٣ـ (الخطيئة) عامة، وقد تكون لأكبر الذنوب ، وقد تكون للصغائر، وقد تكون من اللمم فتستعمل فيها كلها.

٤ـ الملخص: مع السيئة يستعمل (كفّر عنا سيئاتنا) لأنها صغيرة، وأمّا مع الذنوب فيقول: غفرانك.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾ ، لِمَ آثر القرآن تصوير الدعوة بالنداء؟

الجواب:

اعلم أنّ حقيقة النداء هو الصوت المرتفع، والمنادي هو الذي يرفع صوته بالكلام ويبالغ في الصياح به، ومن المعلوم أنّ دعوة النبي ﷺ لم تكن بالصياح ورفع الصوت، فلِمَ آثر القرآن تصويرَ الدعوة بالنداء؟

ما ذاك إلا ليبيّن حرص النبي ﷺ على المبالغة في الاسماع بالدعوة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: لمّا دعاهم كانوا في حالة الكفر، وهي بعيدة عن الإيمان فكان النداء مجازياً لدلالة بُعدِهم، وأنّ النبي ﷺ كان في موضع عالٍ يناديهم وهو موضع الإيمان.

السؤال الثالث:

لِمَ جاء الدعاء بـ ﴿رَبَّنَآ﴾ في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ ؟

الجواب:

١ـ تأمل هذا التعبير بالدعاء ﴿رَبَّنَآ﴾ دون اسم الجلالة فلم يقولوا: يا الله، وما ذاك إلا لما في وصف الربوبية من الدلالة على الشفقة بالمربوب ومحبة الخير له ، ومن الاعتراف بأنهم عبيده، ولِردّ حُسن دعائهم بمثله قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ .

٢ـ روي عن جعفر الصادق أنه قال: من حزبه أمر فقال خمس مرات: (ربنا) أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآيات ، وقال: لأنّ الله حكى عنهم أنهم قالوا خمس مرات: (ربنا) ثم أخبر أنه استجاب لهم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ ما الفرق بين كلمتي: أبرار وبررة في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (أبرار) في ستة مواطن من كتاب الله، وهي كلها في المؤمنين، وهم - لا شك- يزيدون على العشرة، كما في الآيات:[آل عمران ١٩٣ـ ١٩٨ـ الإنسان ٥ـ الانفطار ١٣ـ المطففين ١٨ـ٢٢].

٢ـ كلمة ﴿بَرَرَةٍ ١٦﴾ [عبس:١٦] وردت مرة واحدة فقط في صفة الملائكة وهي قوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٍ ١٦﴾ [عبس:١٦].

ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة، فجيء بالفجار على جمع الكثرة والأبرار على جمع القلة، وهذا المعنى يذكره القرآن في أكثر من موضع .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف:١٠٣] .

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١١٦].

بينما جاء بلفظ (البررة) للدلالة على الكثرة؛ لأنّ الملائكة كلهم كذلك بخلاف البشر.

والله أعلم .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ ما دلالة الحرف (مع)؟ وهل يختلف عن حرف (الواو) ؟ وهل يصح وضع أحدهما مكان الآخر؟

الجواب:

١ـ الحرف (مع) هو للمكان، نحو: جئت مع سعيد، أو للزمان، نحو: جئت مع الغروب، بل الأكثر أن تكون للمكان، وقد وردت في القرآن الكريم في حوالي (١٦٠) موطناً كلها للمكان .

أما حرف (الواو) فهو يفيد المصاحبة والاقتران ، وليس مكاناً أو زماناً، ولذا قد يختلفان في المعنى .

٢ـ لكون (مع) مكاناً أو زماناً صح الإخبار بها ولا يخبر بالواو ، تقول: (إنّ الله مع الصابرين) ، ولا تقول: (إن الله والصابرين).

٣ـ قد تكون (مع) للمساعدة والإعانة كما في الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦] ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] ولا تكون (الواو) لهذا المعنى .

* شواهد قرآنية:

آ ـ آية آل عمران ١٩٣ : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ أي: توفنا داخلين مع الأبرار، أي: توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجاتهم يوم القيامة، ولا تصلح (الواو) هنا، فلو قلنا: (توفنا والأبرار) لكان المعنى أنهم يقترنون في الوفاة وليس هذا المقصود .

ب ـ آية النمل ٤٤ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: كائنة مع سليمان أو صائرة معه ، ولا تصلح هنا (الواو). ولو قال: وأسلمت و سليمان، لكان المعنى أنهما اقترنا في دخول الإسلام في وقت واحد وهو غير صحيح.

ج- آية الأحزاب ٥٠ ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ والمعنى: هاجرن صائرات معك، ولو قال: هاجرن وإياك ، لاختلف المعنى، ولا يصح ذلك؛ لأنهن لم يصحبنه في الهجرة وإنما صحبه أبو بكر رضي الله عنه.

د ـ آية الأعراف ١٥٧ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧] فلا يصح أن يقال: واتبعوا النور الذي أنزل وإياه؛ لأنهما لم يشتركا في الإنزال، وإنّ النبي لم ينزل أصلاً.

هـ ـ آية الحديد ٢٥: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ فلا يصح أنْ يقول: أنزلنا وإياهم الكتاب، لأنهم لم يقترنوا في الإنزال، فإنّ الرسل لم تنزل .

السؤال السادس:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ وقال في نفس السورة: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ لماذا اختلاف الخاتمة في الآيتين ؟

الجواب:

١ـ الخاتمة تختلف بحسب السياق والغرض.

٢ـ الآية ١٤٧ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ وقبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

هل يمكن في القتال أن تقول: توفّنا؟ تقول في القتال: انصرنا، ولا يمكن أن تضع خاتمة تلك الآية في هذه الآية؛ لأنّ كلاً منها في سياق مختلف عن الأخرى .

٣ـ والقدامى يضربون لنا مثالاً قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ ﴾ [النحل:١٨]، فقد وردت مرتين كل مرة بخاتمة، فالآية الواردة في سورة النحل ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ هي في بيان صفات الله، فختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ .

أما الثانية ففي بيان صفات الإنسان وجحوده، فلمّا كانت في بيان صفات الإنسان وجحوده ختمها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤] والنعم لا تحصى، لكنّ الإنسان ظلوم كفار، فمع أنّ نِعَم الله على الإنسان متتالية ومتتابعة، لكنه ظلوم كفار.

وعند النظر في خواتيم الآيات عموماً لا نقتطعها ، وإنما نضعها في سياقها، وننظر الغرض في هذه الآية.

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قارن بين خاتمتي الآيتين ٩و ١٩٤من سورة آل عمران ؟ أي بين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَـادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران:٩] و ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٤] ، فقد ذُكر اسم (الله) مع الأولى ولم يُذكره مع الثانية، فما الدلالة ؟

الجواب:

١ـ الآية ٩ جاءت في مقام الهيبة الإلهية في يوم القيامة، حيث الحشر والنشر والحساب والعقاب وإنصاف المظلومين، فكان ذكره باسمه الأعظم وهو (الله) أولى في هذا المقام، فناسب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَـادَ ﴿٩﴾﴾ .

٢ـ أمّا قوله تعالى في آخر سورة آل عمران آية ١٩٤ : ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ فذاك مقام طلب العبد من ربه أن يُنعم عليه بفضله وأن يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن المقام مقام هيبة وإنما مقام الدعاء والتضرع ، فكان المناسب: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ .

السؤال الثاني:

الخلف في وعد الله محال فكيف طلبوا بالدعاء ما علموا أنه لا محالة واقع ؟

الجواب:

أـ أنه ليس المقصود من الدعاء طلب الفعل، بل المقصود منه إظهار الخضوع والذلة والعبودية، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢] وقوله: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر:٧].

ب ـ أنه تعالى وعد المؤمنين بأنْ ينصرهم في الدنيا ويقهر عدوهم، فهم طلبوا تعجيل ذلك . والله أعلم .



﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ في هذه الآية؟

الجواب:

قد يظن السامع لهذه الآية الكريمة أنّ قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ زيادة وكان الأولى الاستغناء عنها، ولكن هذا القول جاء لحكمة بليغة، فلو استعرضت الأعمال التي أتى بها أولو الألباب المذكورون في الآية لوجدت أن أكبرها الإيمان ثم الهجرة ثم الجهاد.

ولّما كان الجهاد أكثر تكراراً ، خيف أن يُتوهَم أنّ النساء لا حظَّ لهن في تحقيق الوعد على لسان الرسل، فأتى بالتفصيل ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ .

السؤال الثاني:

آيتان متتابعتان في خواتيم سورة آل عمران ذكر في الأولى (الجنة مع الخلود) ، وهي قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ والأخرى ذكر (الجنة من دون خلود) ، وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ ، فلماذا هذا الاختلاف؟

الجواب:

هاتان الآيتان الأولى رقم (١٩٥) لم يذكر فيها الخلود، والثانية رقم(١٩٨) ذكر فيها الخلود .

١ـ قبل الآية رقم (١٩٨)التي ذكر فيها الخلود قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ وعكس المتاع القليل هو الكثير الدائم، فلمّا قال: (متاع قليل) قال بعدها: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ فيجب أن يكون خلود حتى لا يكون متاع قليل.

٢ـ قال في الآية ١٩٥ ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وهؤلاء من الذين (اتقوا ربهم) ، وهم داخلون في زمرة الذين اتقوا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] ، فإذن الذين هاجروا هم هؤلاء، فلمّا ذكر في المتقين أنهم خالدون في الآية ١٩٨ دخل فيه

أولئك ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا﴾ دخل فيها أولئك الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم قطعاً.

٣ـ من ناحية أخرى: أيها أشمل وأعم؟ (الذين اتقوا ربهم) أم (الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي)؟ لا شك هم الذين اتقوا ربهم؛ لأن التقوى تشمل أموراً كثيرة كما ذكر تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَئِكَةِ وَالْكِتَبِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَمَى وَالْمَسَكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَهَدُوا وَالصَّبِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧] فأولئك هم جزء من هؤلاء، فأين نضع هذا الأجر الأعلى؟ نضعه هكذا كما ورد في القرآن.

٤ـ ليس هذا فقط وإنما هنالك أمورٌ أخرى . انظر الجدول التالي:

الرقم	آية ١٩٥	آية ١٩٨	البيان
١	﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا﴾	﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾	التقوى أعلى
٢	﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتٍ﴾	﴿لَهُمْ جَنَّتٌ﴾	الإدخال لا يقتضي التملك
٣	﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾	﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾	النزل أعلى إكراماً

ملاحظات:

أـ أنْ تكون (لهم جنات) أعلى من (يدخلهم جنات)، فالإدخال لا يقتضي أن تملك حديقة .

ب ـ والنزل أعلى؛ لأنّ النزل هو ما تعده للضيف من إكرام وإطعام وصلة، وقد يأتي النزل بمعنى المنزل فهم في ضيافة الرحمن، والنزل هو تجهيز المكان والإطعام والصلة، أمّا الثواب فهو إعطاء الأجر، قد تعطي الأجر ولكن ليس بالضرورة أن تنزله ضيفاً .

ج ـ وقسم من التفاسير قال: النزل ما يعد للضيف، فقالوا: إذا كانت هذه الجنة (نزل) فماذا بعد النزل؟

د ـ وقسم فسّر هذه الآية على أنها رؤية الله؛ لأنّ الرضوان ورؤية الله تعالى أعلى من الجنة .

هـ ـ لذلك ما ذكره الله تعالى في الآية (١٩٨) ليس فقط ذكر الخلود، وإنما هو في اختلاف الثواب واختلاف الأجور، ووصفوا بالأبرار، فكانت الآية أعم وأشمل فقال: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ .

فإذن هؤلاء المتقون هم أبرار، فناسب من كل ناحية أن يذكر علو منزلتهم.

٥ـ إضافة إلى ذلك نجد في الآية ١٩٥ مقابلة بين:

﴿وَأُخْرِجُوا۟﴾ مبني للمجهول مقابل: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ مبني للمعلوم .

﴿وَأُخْرِجُوا۟﴾: مقابل ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾: وعكس الخروج الدخول .

﴿وَأُخْرِجُوا۟﴾: بأيدي كفرة من ديارهم مقابل: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ الله تعالى يدخلهم جنات.

٦ـ وإذا قارنا الآية (١٩٥) مع الآية (٢٠٠) وهي آخر آية من سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ .

نجد التالي:

الرقم	آية ١٩٥	آية ٢٠٠	البيان
١	﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾	﴿ٱصۡبِرُواْ﴾	
٢	﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ﴾	﴿وَصَابِرُواْ﴾	صابِروا أعلى من اصبروا درجة
٣	﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾	﴿وَرَابِطُواْ﴾	في الثغور وفي الحرب
٤	﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ ﴾	

فالآية رقم ٢٠٠ مرتبة تماماً كالآية رقم ١٩٥ بنفس الترتيب وبحسب الشدة .



﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران ١٩٦ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ مع التأكيد بالنون، وقوله تعالى: في آية غافر ٤ ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾ بدون التوكيد بالنون، فلماذا ؟

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم نون التوكيد بهدف التوكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا أكّد بالنون في آية آل عمران فقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ بخلاف آية غافر، فقد قال: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ بدون التوكيد بالنون، السبب والله أعلم:

آيات آل عمران[١٩٥:١٩٧]:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

البيــــــان:

سياق آية آل عمران في بيان ابتلاء المسلمين في أموالهم وأنفسهم والأذى الكثير الذي ينالهم من عدوهم الكافر، والذي يبطش بهم ويفتنهم عن دينهم وينال منهم حتى يبلغ الأمر إلى أنْ يخرجهم من ديارهم، فاقتضى ذلك تأكيد عدم الاغترار بتقلب الذين كفروا في البلاد وسيطرتهم عليها .

في حين لم يكن السياق في شيء من ذلك في آية غافر، فلم يحتج إلى التأكيد، والله أعلم.



﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

جاء في آية آل عمران ١٩٧ ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ بـ (ثم)، وفي آية التوبة ٧٣ وآية الرعد ١٨ بـ(الواو) ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ، فما السبب ؟

الجواب:

لمّا تقدم قوله تعالى في آل عمران: ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ و ﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ والمراد منهما هو في الدنيا ، وجهنم إنما هي في الآخرة فناسب ﴿ثُمَّ﴾ التي للتراخي.

وأمّا آية الرعد فقد عطف جهنم على ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد:٢١] وهما جميعاً في الآخرة، فناسب العطف بـ(الواو)، وكذلك الأمر في آية التوبة ٧٣ .



﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ ما الفرق بين الخشوع والخضوع ؟

الجواب:

(الخضوع) قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية ، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: (خضع) إلا تجوزاً .

و(الخشوع) من أفعال القلوب ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظر الآيات:[الإسراء ١٠٩ـ البقرة ٤٥ـ الأنبياء ٩٠ـ آل عمران ١٩٩ـ الحديد ١٦ـ الغاشية ٢].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل (أنزل) و(نزّل) وبين (أُنزل إليك) و(أُنزل عليك)؟

الجواب:

١ـ ﴿أنزل﴾ على صيغة (أفعل) ، و(نزّل) على صيغة (فعّل) ، وهي تفيد التكثير، كقوله تعالى: ﴿تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء:٩٠] وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾[الإسراء:٩١] استعمل صيغة ﴿تفجر﴾ للينبوع، والصيغة التي تفيد التكثير(تفجّر) للأنهار؛ لأنها أكثر.

٢ـ كما أن (فعّل) تفيد التدرج كما جاء في سورة آل عمران ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] هنا التنزيل كان منجماً وصيغة (نزّل) تفيد الاهتمام، أمّا في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] جاء الفعل (أنزل)؛ لأنه نزل جملة واحدة.

٣ـ وعلى هذا النحو الفرق بين فعل (وصّى) التي يستخدم للأمور المعنوية وفعل (أوصى) للأمور المادية.

٤ـ ثم إنّ استخدام (أنزل إليك) أو (أنزل عليك) لها دلالتها أيضاً، (نزله إليك) لم تستعمل إلاّ للعاقل كما جاءت في القرآن للتعبير عن الرسول ﴿نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] ،

أما (عليك) فتستعمل للعاقل وغير العاقل كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] .

٥ـ وفي العقوبات لم يستعمل إلا (على) ولم تأت (إلى) مع العقوبات.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ  ﴾

السؤال الأول:

ما أهم الدروس في هذه الآية وفي سورة آل عمران بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ ذكر الله تعالى في سورة آل عمران أنواعاً كثيرة من الأصول والفروع ، أمّا الأصول فهي ما يتعلق بتقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد.

وأمّا الفروع فذكر ما يتعلق بالتكاليف والأحكام نحو الحج والجهاد .

٢ـ ثم ختم الله تعالى السورة بهذه الآية المشتملة على جميع الآداب .

وأحوال الإنسان قسمان: قسم يتعلق بالإنسان وحده، فلا بد فيه من الصبر، وقسم يكون مشتركاً بينه وبين غيره، ولا بد فيه من المصابرة .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ فهذا يعني الاحتراز عن الأفعال الذميمة، وهذا لا يحصل إلا بمجاهدة القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة، كالشهوة والغضب والحرص، وتلك هي المرابطة .

كما أنّ المرابطة تعني المحافظة على الثغور، بحيث يبقى الاستعداد لقتال العدو.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] فيه وجوب ترجيح تقوى الله على سائر الأمور؛ لأنّ هذا فقط هو الذي يوصل للفلاح بإذن الله تعالى، وقد يكون الفلاح في الدنيا بأنْ ترتفع كلمة الحق وكلمة الإيمان، وقد يكون فلاح الآخرة بكسب الجنة ورضوان الله .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (اصبروا) و(صابروا) في الآية ؟

الجواب:

(صابروا) أعلى من (اصبروا) وتحتاج إلى صبر أكثر، ثم (صابروا) فيها أيضاً معنى (اصبروا) على ما هو أشدّ .

ومعنى: صابروا ، لو كنت في الحرب وكان أمامك مقاتل صابر فينبغي أنت أن تغلبه في الصبر، فأنت تصابره، يعني هو أمامك وليس يجزع فلا تفرّ من أمامه وينبغي أن تغلبه في الصبر.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

هذه دعوة الله المؤمنين إلى الصبر والمصابرة ، ولا يُغني واحد منهما عن الآخر الصبر أو المصابرة .

والحقيقة أنّ الدعوة إلى الصبر دون المصابرة مدعاة للتزلزل والفشل وإذا لم يقترن الصبر بالمصابرة والمجاهدة على الصبر حتى يلين الخصم فإنه لا يجني منه شيئاً؛ لأنّ نتيجة الصبر تكون لأكثر الصابرين صبراً كقول الشاعر:

سقيناهُمُ كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبَرا

فالمصابرة هي سبب النصر على الخصوم في ساحات الوغى.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في ختام سورة آل عمران: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ، فما دلالة هذا الأمر الأخير في السورة ؟

الجواب:

١ـ آخر ما قال تعالى: في آل عمران أمر بالتقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ، فأمر الذين آمنوا بتقوى الله، وختم آل عمران بالتقوى وبدأ سورة النساء بالتقوى .

فقد أمر المؤمنين في آخر آل عمران بالتقوى، ثم التفت إلى الناس في أول سورة النساء، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١] وأمرهم بالتقوى .

٢ـ والكافر ينبغي أنْ يدخل في الإسلام، والناس يجب أن يتقوا؛ لأنّ الله تعالى خلقهم للعبادة ، وهو قد أمر الأوّلين بالتقوى .

٣ـ ذكرلفظة (الله) و(الرب) مع المؤمنين في آيتي آل عمران ١٩٩و٢٠٠ ثم التفت إلى الناس فطالب عموم الناس بذلك في آية النساء رقم (١) فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [النساء:١].

السؤال الخامس:

ما أوجه التشابه في الترتيب بين آيتي آل عمران ١٩٥ و ٢٠٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٩٥.

رابعاً ـ تناسب افتتاح السورة وخاتمتها:

قال تعالى في أول السورة:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران:١-٢-٣-٤].

١ ـ قال سبحانه في آخر السورة: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ﴾ [آل عمران:١٩٩].

فذكر في أول السورة تنزيل الكتاب عليه ﷺ وإنزال التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس.

وذكر في آخر السورة أنّ من أهل الكتاب من يؤمن بما أنزل إليه وما أنزل إليهم، وهو ما ذكر في أول السورة.

٢ ـ وقال في أول السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٤].

وقال في آخرها: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

فذكر عاقبة الذين كفروا في البدء والختام.

٣ـ ذكر أولي الألباب في أوائل السورة وذكر دعاءهم ، وكذلك ذكرهم في أواخر السورة وذكر دعاءهم.

فقال في أول السورة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران:٧-٨-٩].

وقال في آخر السورة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ [آل عمران:١٩٠]

وذكر دعاءهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤] .

٤ ـ وذكر (الآخرة) في البدء والختام.

فقال في أول السورة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران:٩] .

وقال في خواتيمها: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران:١٩٤] .

وذكر في الموطنين أنه سبحانه لا يخلف الميعاد، والتناسب أظهر من أن يقال فيه شيء آخر. والله أعلم .



سورة النساء

أولاً ـ تناسب خاتمة آل عمران مع فاتحة النساء

قال سبحانه في آخر آل عمران:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠]

وقال في أول سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

فأمر المؤمنين في آل عمران بتقوى الله .

وأمر الناس بذلك في أول سورة النساء .

وجاء في «نظم الدرر»: "وما أحسن ابتداءها ـ يعني سورة النساء ـ بعموم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بعد اختتام تلك بخصوص ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ ".

وقال: وكان قد تقدم في السورة الماضية ذكر قصة غزوة أُحُد التي انكشفت عن أيتام، ثم ذكر في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران:١٨٥] أي أنّ الموت مشرع لا بد لكل نفس من وروده، فعُلِمَ أنه لا بد من وجود الأيتام في كل وقت، فدعا إلى العفة والعدل فيهم، فقال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾ أي: الضعفاء الذين انفردوا عن آبائهم ﴿أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ .

ثانياً ـ هدف السورة: العدل والرحمة بالضعفاء:

١ـ سورة البقرة حددت المنهج الذي يجب أنْ يتبعه الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض، وسورة آل عمران ركزت على الثبات على هذا المنهج، وتأتي سورة النساء حتى تدلنا على أنّ العدل والرحمة بالضعفاء من أهم ما يحتاجه الناس لاتباع المنهج.

٢ـ وآيات سورة النساء تتحدث عن أنواع عديدة من المستضعفين والضعفاء، منهم اليتامى والنساء والعبيد والإماء والأقليات غير المسلمة التي تعيش بين المسلمين الذين قد يظلمهم الناس، فالعدل إذن والرحمة بالضعفاء هما أساس المسؤولية في الأرض.

٣ـ وأول العدل يكون في البيت مع النساء، فلو عدل الإنسان مع زوجته ورحمها لاستطاع أنْ يعدل في مجتمعه مع باقي الناس مهما اختلفت طبقاتهم، والله تعالى يريد أنْ يرى عدل الناس خاصة بالنساء قبل أن يستأمننا على الأرض.

وسورة آل عمران مهّدت لتكريم المرأة في قصة زوجة عمران ومريم عليها السلام اللتين هما رمز الثبات في الأرض، ولأنّ النساء هن مصانع الرجال والأجيال، فالأم هي التي تربي أطفال الأمة حتى يصبحوا رجالاً، وسميت السورة بـ(النساء) تكريماً لهن ولدورهن في الأمة الإسلامية.

ونستعرض آيات سورة النساء ومعانيها ، وكل آيات هذه السورة فيها عدل ورحمة:

المحور الأول: العدل والرحمة:

١ـ وتبدأ من أول آية، حيث يذكرنا الله تعالى فيها أنه خلقنا من نفس واحدة وأصل واحد، فكيف يظلم بعضنا بعضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

٢ـ ذكر أنواع الضعفاء من اليتامى والنساء والسفهاء وغيرهم والحث على العدل والرحمة بهم. الآيات (٢ـ٩).

٣ـ تحذير الذين يظلمون بعاقبة الظلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠] .

٤ـ آيات الميراث وما تضمنته من نصيب الأولاد والأبوين والأزواج والزوجات في حالة وفاة أحدهم.

٥ـ بيان خطورة عدم العدل، الآية ١٤ .

٦ـ أوامر للتوجيه لحسن التعامل مع النساء، والحث على عشرتهن بالمعروف بعدم ظلمهن وتحمل الأذى منهن، فيبدأ بالعشرة بالمعروف ثم الصبر عليها، ثم إذا كرهتموهن فلا حرج من استبدالهن، لكن لا يأخذ أموالهن كرهاً، وليتذكروا ما كان بينهم من عشرة وعلاقة حميمة، ولذا جاءت كلمة (أفضى) بكل معانيها الجميلة، وليتذكر الرجال أنهم استحلوا نساءهم بميثاق غليظ على سنة الله ورسوله. كما في الآيات: [١٩ـ٢١].

٧ـ وكذلك توجيه بالعدل مع الإماء، ومن رحمة الله تعالى أنْ جاء بكلمة (أهلهن) بدل أسيادهن،ونصحهم بألا يُتخذن أخداناً، أي: أصحاباً، حتى لا تتأذى قلوبهن؛ حيث إنّ قلوب النساء رقيقة وتتأذى بشدة. الآية ٢٥.

٨ـ ذكر رحمة الله تعالى التي هي أوسع من كل شيء:الآيات ٢٦ـ٢٨.

٩ـ العدل في الأنفس والأموال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩] .

١٠ـ ضوابط ليستقيم العدل داخل الأسرة، ومع الأمر بالعدل يأتي التشديد على وجود ضوابط حتى تستقيم الأمور ولا تتجاوز الحدود المسموح بها، كما في الآية ٣٤ .

١١ـ العدل في المجتمع كله: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦] . ونلاحظ في الآية الكريمة تعداد أنواع من الضعفاء.

١٢ـ مشاكل تؤثر على القدرة على العدل والرحمة بالضعفاء: ومنها البخل والرياء كما في الآيات رقم [٣٧ـ٤١].

١٣ـ الله تعالى يعاملنا بالفضل قبل العدل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

١٤ـ الرسول ﷺ يشهد على عدلنا: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء:٤١] .

١٥ـ آية محورية هي قلب الصورة في أهمية أداء الأمانات: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

المحور الثاني: هو القتال لضمان حقوق المستضعفين:

كما في الآيات [٧٤ـ ٧٥] ، وقد يستغرب البعض من ورود آيات القتال في سورة النساء، والحقيقة أنّ مكان الآيات في هذه السورة؛ لأنّ النساء هن مصنع المقاتلين ، والمرأة مقاتلة في بيتها بصبرها وطاعتها لزوجها، ومن أهم نقاط هذا المحور:

١ـ الحث على العدل أثناء الجهاد ومعاملة الناس برحمة حتى في القتال وهذا من أخلاق الحرب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء:٩٤] .

٢ـ خطورة المنافقين: تنتقل الآيات في ربع كامل للتنبيه إلى خطورة المنافقين؛ لأنّ أكثر ما يعيق إتمام العدل هو انتشار المنافقين .

٣ـ توصيات للأقليات المستضعفة: الآيات [٩٧ـ٩٨].

٤ـ رحمة الله تعالى بعباده: ومنها رحمته بنا حتى في الصلاة، فشرّع قصر الصلاة وصلاة الخوف . الآيات [١٠١ـ١٠٢].

٥ـ العدل مع الأقليات المسلمة التي تعيش مع المسلمين: فالعدل واجب للمسلمين ولغيرهم أيضاً . الآيات [١٠٥ـ١١٣].

٦ـ التذكير بالعدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء:١٣٥] .

٧ ـ من لطائف هذه السورة الكريمة أن أكثر آياتها ختمت بأسماء الله الحسنى (عليم، حكيم) ، أو بصفات (القدرة والرحمة والمغفرة) ، وقد ورد (٤٢) اسماً من هذه الأسماء في آيات السورة، مما يشدد على أهمية العدل والرحمة في سورة النساء؛ لأنّ العلم والقدرة والحكمة والمغفرة والرحمة هي من دلائل العدل، فسبحان الله العدل الحكيم الرحيم الغفور.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

لمن الخطاب في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ الخطاب فيها عام لكل الناس.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هي آدم عليه السلام، وسمي بهذا الاسم لأنّ الله خلقه من أديم الأرض .

السؤال الثاني:

جعل الله هذا المطلع ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ لسورتين متناظرتين في القرآن: الأولى سورة النساء وهي الرابعة في النصف الأول من القرآن، والثانية هي سورة الحج، وهي الرابعة أيضاً في النصف الثاني من القرآن، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الله تعالى علّل الأمر بالتقوى في سورة النساء بما يدل على معرفة المبدأ، كما علّل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على معرفة المعاد، وقدّم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد لأهمية المبدأ .

السؤال الثالث:

ما دلالة تكرار قوله تعالى ﴿ٱتَّقُواْ﴾ ـ مرتين ـ في نفس الآية ؟

الجواب:

كرر ربنا ﴿ٱتَّقُواْ﴾ مرتين في هذه الآية، الأولى في مكان الإنعام بالخلق والثانية في مكان وقوع التساؤل به فيما يلتمس البعض من البعض ، فكأنّ الأولى على الترغيب والثانية على الترهيب.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هي حواء، فما دلالة ﴿مِنْهَا﴾ هل هي للتبعيض ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هي حواء؛ لأنها خُلقت من مادة حية وهي ضلع آدم ، و(من) هنا للتبعيض، ولكنّ خَلْقَ حواء لم يكن بطريق التوليد كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه ثبوت البنتية والأختية فيها .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية النساء ١ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وفي آية الأعراف ١٨٩ ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] فما الحكمة ؟

الجواب:

١ـ آية النساء في آدم وحواء عليهما السلام؛ لأنها خلقتِ منه فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

٢ـ آية الأعراف في أحد من المشركين ولم تتخلق زوجته منه فقال: ﴿وَجَعَلَ﴾ لأن الجعل لا يلزم منه الخلق، ومعناه: جعل من جنسها زوجها.

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ فلِمَ لمْ يقل: و(نساء كثيراً) ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ ولم يقل: و(نساء كثيراً)؛ لأنّ شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر ، واللائق بحال النساء الاختفاء والستر.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ أي: مثلُ أنْ يقال: بالله أسألك، والعرب كانت تقول: أسألك بالله والرحم، وهذا منهي عنه، والصحيح أنْ يقال: أسألك بالله ثم بالرحم.

وهناك قراءة (وبالأرحامِ) أي: بجرِّ الأرحامِ.

٢ـ دلّ قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها.

السؤال الثامن:

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ في آية البقرة٢٧٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ وكلمة ﴿رَبَّكُمُ﴾ في آية النساء رقم ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ ؟

الجواب:

لفظ الجلالة (الله) هو اللفظ العلم لله تعالى، ويُذكر هذا اللفظ دائماً في مقام التخويف الشديد، وفي مقام التكليف والتهديد.

أما كلمة (الربّ) فتأتي بصفة المالك والسيّد والمربي والهادي والمرشد والمعلم، وتأتي عند ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين، فهو سبحانه المتفضّل عليهم والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم، والخطاب في الآية الثانية للناس جميعاً، وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأنْ خلقهم والذين من قبلهم، ولذا جاءت

كلمة ﴿رَبَّكُمُ﴾ بمعنى الربوبية، وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم تأتي معها لفظ الربوبية (ربّ).



﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تبدل) و(تتبدل) في آيتي النساء ٢ وآية الأحزاب ٥٢؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن كله - وليس فقط في هذه الآية- الحذف، كما جاء في القرآن مثل (تنزّل وتتنزّل، تبدّل وتتبدّل) ، وهذا الحذف في عموم القرآن، وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين:

آ. للدلالة على أن الحدث أقلّ.

ب. أنْ يكون في مقام الإيجاز.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب:٥٢] ، هذا خطاب للرسول ﷺ وهي حالة خاصة به ﷺ والحكم مقصور عليه ﷺ فقال: ﴿تَبَدَّلَ﴾ [الأحزاب:٥٢]

٣ـ أمّا في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢] فهذه آية عامة لكل المسلمين، وهذا التبدّل هو لعموم

المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين، وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة، لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة ﴿تَبَدَّلَ﴾ [الأحزاب:٥٢] ، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة ﴿تَتَبَدَّلُوا۟﴾ [النساء:٢] .

السؤال الثاني:

لماذا جاء التعبير بـ (الخبيث بالطيب) ، ولم يأت (الطيب بالخبيث) في الآية؟

الجواب:

هناك قاعدة تقول إنّ الباء تكون مع المتروك، كما في قوله تعالى ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة:١٦] ، وكما في هذه الآية النساء ٢.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ وحقيقة الأكل أن تتناول طعاماً فتدخله في جوفك، فكيف أتى النهي عن أكل المال؟ وهل يستطيع الإنسان أن يأكل الدراهم؟

الجواب:

نهيُ المؤمن عن أكل مال اليتيم ولم يأت النهي عن الأخذ؛ لأنّ الأكل هو أشد دلالة وأقوى تعبيراً من حالة الأخذ، فهذه الكلمة ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾ توحي بأنّ الشخص قد أحرز ما أكله في داخل جسده ، وعندها لا مطمع في إرجاعه ولا دليل على أنه أخذ هذا المال.

السؤال الرابع:

من اليتامى ؟ وما أهم دلالات الآية حولهم ؟

الجواب:

١ـ اليتامى: هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم ، واليتم هو الانفراد .

٢ـ اليتامى: جمع يتيم ، وقد يكون يتيم جمعه (يتمى) وجمع يتمى (يتامى) مثل (مريض) جمعه (مرضى).

٣ـ اليتامى هنا هم الذين كبروا وبلغوا، لكن الله سماهم (اليتامى) على أصل اللغة أو لقرب عهدهم باليتم ، كقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء:٤٦] أي: الذين كانوا سحرة قبل السجود ، كما تسمى الناقة عشراء بعد الوضع .

٤ـ ورد النهي مخصوصاً عن أكل مال اليتيم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢]؛ لأنهم كانوا يأكلونه مع الاستغناء عنه، فجاء النهي عما وقع منهم.

السؤال الخامس:

ما (الحوب) المذكور في الآية ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ الحُوبُ: هو الإثم، واللفظ لأهل الحجاز ، و(الحاب) لتميم .

وقال الرسول ﷺ: «**رب تقبل توبتي واغسل حوبتي**».

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ (٣) ﴾

السؤال الأول:

ما العلاقة بين (الخوف من عدم القسط باليتامى) و(النكاح)في هذه الآية في سورةالنساء ؟

الجواب:

نزل الحكم في ولي اليتيم الذي تعجبه المرأة اليتيمة التي يرعاها بسبب مالها وجمالها فيبخسها حقها طمعاً في مالها فلا يعطيها مهرها الكافي، لذا جاءت الآية بمعنى: إذا خفتم ألا تعولوا في إعطاء النساء اليتيمات حقهن فانكحوا غيرهن من النساء غير اليتيمات .

وكان العرب يرغبون برعاية اليتيم واليتيمة، فلمّا حذرهم الله من عدم العدل في مال اليتيم خافوا من رعاية اليتيم، فوردت الآية لتأمرهم أن يقيموا العدل بين النساء ويخافوه كما يخافون عدم العدل في اليتيم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ فما الفرق بين (لا تقسطوا) و(لا تعدلوا)؟

الجواب:

١ـ الفعل (قَسَطَ) يأتي من بابين:

آ ـ (قَسَط يقسِطُ قُسوطاً) مثل: جلس يجلس جلوساً .

ب ـ (قَسَط يقسِط قَسْطاً) مثل: ضرب يضرب ضرباً .

والقَسط والقُسوط بمعنى الظلم والجور، وهما مصدران للفعل (قَسَط).

٢ـ وعندما تدخل عليه الهمزة، يكون من معانيها السلب والإزالة، يقولون من (شكى زيدٌ وجعاً): أشكاه الطبيب، يعني أزال شكايته، ومنه أيضاً أعجم الحرف بمعنى نقطه، أي: أزال عجمته.

فالفعل (أقسط) بمعنى أزال، أو سلب الجور والظلم، وهذا الفرق بين [قسط وأقسط]، فالفعل (قَسَطَ) أي جار أو ظلم، والفعل (أقسط) أي أزال الجور وأزال الظلم،أي تحول عن الظلم.

٣ـ أما (القِسط)- بكسر القاف - فبمعنى العدل؛ لأنّ فيه معنى التحول، فصارت كلمة القِسط للعدل وليس للجور.

٤ـ فإذن (الإقِساط) هو عدم الجور، وفي الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ اليتيمة حينما تكون في حجر رجل مسؤول عنها يتولاها، يموت أبوها فتنتقل إلى داره ويكون وصياً عليها وعلى أموالها، وأحياناً إذا تزوجها قد يظلمها في صداقها أي لا يعطيها الصداق الكافي الذي تستحقه، فيقول الله عز وجل للمؤمنين: إذا داخلكم شك وخشيتم ألا تكونوا عادلين مع اليتيمة وخشيتم ألا تزيلوا عنها الظلم ، فتحولوا إلى سائر النساء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣].

هذه اليتيمة المعرضة للظلم إنْ كنت تخشى ألا تزيل عنها الظلم إذا تزوجتها، بل توقعها في الظلم في صداقها، عند ذلك لا تتزوج هذه اليتيمة وتحوّل إلى سائر النساء الأخريات اللاتي لسن في أيديكم من اليتيمات ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣] وكل منكم قد يتزوج اثنين، ثلاث، أربع.

ولّما ذكر مثنى وثلاث ورباع، معناه: ستكون لديه أكثر من امرأة، فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ والعدل فيه معنى المساواة والمعادلة ، بينما مع اليتيمة قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي: إن خفتم ألا تزيلوا عنها الظلم أوإنْ خفتم ألا تقسطوا.

ويذكر كبار السن أنهم كانوا يضعون على الدابة ما يسمى بالعدلين وهما عبارة عن كيسين في كل جانب كيس يضع فيه حاجاته، ويحاول أن يعادل بينهما حتى لا يميل العِدل، فمع النساء كأنه أكثر من واحدة فيجب أن يكون هناك معادلة وعدل ،وليس إزالة ظلم عن واحدة، وإنما فيه معنى التعادل.

٥ـ فلما تحدث عن التعدد استعمل المعادلة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ أي: تكون عادلاً تساوي بين النسوة المتعددات، فإن خفت ألا تعدل اكتف بواحدة، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ أي: ألا تعتدوا في عدم المساواة بين النسوة، وليس من الإعالة (عال فلان بمعنى ظلم وليس بمعنى تكفّل) .

ولّما تحدث عن اليتيمة استعمل إزالة الظلم فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام (ما) وليس (من) في سورة النساء ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؟

الجواب:

١ـ (من) لذات من يعقل، والذات، أي: الشخص، أي: الكيان. تقول: من هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان. إذن (من) لذات العاقل سواء كانت اسم استفهام أم شرطاً أم نكرة موصوفة أم اسم موصول.

٢ـ (ما) تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل مثل: ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا، وتستعمل لصفات العقلاء.

و (ما) تستخدم لذات غير العاقل ولصفات العقلاء، لذات غير العاقل مثل: (أشرب ما تشرب) وصفات العقلاء مثل:من هذا؟ تقول: خالد، ما هو؟ تقول: تاجر، شاعر.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذا صفة عاقل، أي: انكحوا الطيّب من النساء.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس:٧] والذي سواها هو الله. وقوله ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل:٣] من الخالِق؟ الله هو الخالق.

٤ـ و (ما) قد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] يسألون عن حقيقته، وفرعون قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣] يتساءل عن الحقيقة.

٥ـ وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم ، والتعظيم قد يكون في الخير أو في السوء أو ما يصيبه من السوء .

قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)﴾ [القارعة:١-٢-٣] وقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)﴾ [الواقعة:٢٧] وقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١)﴾ [الواقعة:٤١].

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣] ما الذي تضمنته الواو هنا؟ وما معناها؟ وهل هناك لمسة بيانية بحيث لو جمعناها تصبح تسعة وهي عدد زوجات الرسول ﷺ؟ علماً أنه لا يجوز للرجل أن يجمع أكثر من أربع نساء؟

الجواب:

١ـ في الآية الكريمة (مثنى) معناها (اثنتين اثنتين)، أي: مكرر، و(ثُلاث) في اللغة معناها: (ثلاث ثلاث)، وليس معناها ثلاثة، و(رباع): معناها أربع أربع، ليس معناها أربعة.

و حتى تتضح المسألة: ما معنى مثنى وثلاث ورباع؟ فرق في اللغة بين أن تقول لجماعة: خذوا كتابين، يعني كلهم يشتركون في كتابين، وأن تقول: (خذوا كتابين كتابين) يعني كل واحد يأخذ كتابين، (خذوا ثلاثة كتب)، كلهم يشتركون في ثلاثة كتب، (خذوا ثلاثة ثلاثة) يعني كل واحد يأخذ ثلاثة.

ولو قال: (اثنتين) فإنه لا يصلح، إذ كيف يتزوج الناس كلهم اثنتين؟ اثنتين اثنتين، ثلاث ثلاث، أو أربع أربع، إذن الإباحة اثنتين اثنتين ، أو ثلاث ثلاث ، أو أربع أربع، فإنْ لم تعدلوا فواحدة. إذن أقصى شيء مذكور أربع.

فإمّا أن يكنَّ اثنتين اثنتين إن شاء الناس أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، إذن الحد الأعلى سيكون أربع فقط ، وليس تسعة، ولا يجمع الأعداد .

٢ـ والرسول ﷺ حدد ذلك بوضوح حسب ما روي: أنّ غيلان أحد الصحابة أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له ﷺ: «**أمسك أربعة وفارق سائرهنّ**».

٣ ـ ولا يمكن في اللغة أن يقول: اثنتين وثلاثاً وأربعاً، فهذا لا يصح ولا يجوز في اللغة؛ لأنها تعني أنهم كلهم يشتركون، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١] أي الملائكة: قسم له اثنان اثنان في الأجنحة، وقسم ثلاث ثلاث، وقسم أربع أربع، ولا يعني أن كلهم يشتركون في جناحين أو ثلاثة أو أربعة .

٤ـ أين الإشكال في السؤال؟ ولماذا لم يقل: (أو) مثلاً؟

(أو) تأتي بمعنى التخيير، و(الواو) لمجرد العطف، فـ(الواو) فيها الإباحة أن يختار ما يشاء، أي: أنه عندما يختار (الواو) يعني: أن تختار اثنتين أوثلاثة أوأربعة، لكن لو قال: (أو) يعني تختار واحدة من هذه: إما اثنتين أو ثلاثاً أو أربع، ولا يحق لك الاختيار إلا حالة واحدة منها فقط .

٥ـ الأصل (واحدة)؛ لأنه قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ فالأصل واحدة والتعدد هذا شيء آخر.

السؤال الخامس:

ما أهم وقفات هذه الآية الكريمة ؟

الجواب:

١ـ القِسط: - بكسر القاف - هو العدل ، والقَسط: - بفتح القاف - هو الظلم .

٢ـ حينما تكون اليتيمة في حجر رجل مسؤول عنها يصونها ويرعاها ويكون وصياً عليها وعلى مالها، فإذا أراد هذا الولي أن يتزوجها لرغبته في جمالها ومالها فليعطها الصداق الكافي الذي تستحقه لا أن ينكحها بأدنى من صداقها بحكم أنه وصي عليها ، وليعاملها بعد الزواج معاملة طيبة وليس العكس؛ لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها، ولذلك يكون حديث الآية عن ظلمٍ قد يصيب اليتيمة أو اليتامى، أو خشية عدم إزالة الظلم عنهن فاستعمل هنا ﴿أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ أي: لا تزيلوا الظلم.

ولذلك فإن معنى الآية يكون: إن خفتم ألا ترفعوا الجور عن اليتامى فابتعدوا عن الزواج بهن؛ حتى لا تحدثكم أنفسكم بأن تجوروا على اليتيمة فتظلموها، والنساء من غير اليتامى كثير، وطالما كانت النساء كثيرات فقد أباح التعدد ولكنه لم يأمر به ، فهو غير ملزم.

٣ـ الخطاب في الآية للجمع ﴿فَانكِحُوا﴾ ، وقول الله: ﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ معناه أن واحداً ينكح اثنتين، وآخر ينكح ثلاثة، وآخر ينكح أربعة .

لأنه إذا قال مدرس لتلاميذه: أخرجوا كتبكم، أي: كل واحد يخرج كتابه وليس ليخرج كل واحد كل الكتب؛ لأنّ مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة آحاداً .

وعندما تحدثت الآية عن الزواج بالنساء الأخريات من غير اليتامى ذكر (العدل) ولم يذكر الظلم ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾ أي: لا تعتدوا في عدم المساواة بين النسوة، أو لا تجوروا ولا تميلوا.

٤ـ يجب ألا نأخذ حكماً لله ونترك الحكم الآخر له، فقد أباح الله التعدد وطلب (العدل) بين الزوجات، فلا بد من أن يأخذ المؤمن منهج الله كله، وآفة الناس أنهم يأخذون الأحكام بشكل جزئي، والشرع هو شرع متكامل.

والعدل المطلوب في الأمور المادية مثل المسكن والملبس وفي الزمن وفي جميع المتاع، أمّا المسألة القلبية، فهذا ليس في مقدورك، قال النبي ﷺ: «**اللهم هذا قِسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» .

٥ـ أنّ من الخير أن تكون المرأة الثانية امرأة واضحة في المجتمع ويتحمل الرجل عبء الأسرة كلها، وهذا أحسن من مسألة الخليلات اللاتي يذهب إليهن الرجال ثم يأتوا بلقطاء ليس لهم أب .

٦ـ التعدد يحل لنا مشكلة زيادة عدد الإناث على الذكور، وإلا فسوف تنطلق النسبة الزائدة من الإناث عن الذكور لتفسد العلاقات الاجتماعية وخاصة مع المتزوجين فتفسد أسرهم .

٧ـ موضوع التعدد حل إلهي لمشكلة الفائض من الإناث، ويزيد هذا الفائض خاصة في الحروب؛ لأنّ أكثر القتلى هم من الرجال .

٨ـ من الناحية الرياضية: يبدو أنّ الإفراد في الزواج هو الأصل، والتعدد طارىء وهو لحل مشكلة الفائض؛ لأنّ نسب الأناث تزيد عادة قليلاً عن نسب الذكور في المجتمع . مثلاً (٥١) بالمائة إناث مقابل (٤٩) بالمائة ذكور ، ولو كان الأصل هو التعدد لاختلفت هذه النسب في المجتمع ليصبح مثلاً (٧٠) بالمائة إناث مقابل (٣٠) بالمائة ذكور . والله أعلم



﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾﴾



السؤال الأول:

ما وجه عطف (إيتاء النساء مهرهنّ) على الأمر بـ(إعطاء اليتامى حقهم) أي في الآية السابقة، حيث يقول تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ وفي الآية التي بعدها يقول: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ ما حكم العطف هنا؟

الجواب:

هذان الضعيفان (المرأة واليتيم) مستضعفان من المجتمع، وحقهما مغبون، فكان في تعاقبهما حراسة لحقهما أشد حراسة.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾؟ ولِمَ قيّد الصدقات بقوله ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾؟

الجواب:

النِّحلة هي العطيّة بلا قصد العِوَض، وقد سمى ربنا تعالى الصدقات نِحلة ليكون المهر الذي تدفعه منزّهاً عن العِوَض ، بل هو أقرب إلى الهدية فليست الصدقات عوضاً عن منافع المرأة، ولو كان عوضاً لكان عوضها جزيلاً ومتجدداً بتجدد المنافع وامتداد الزمن، فعقد النكاح بينك وبين زوجك غايته إيجاد آصرة محبة وتبادل الحقوق والتعاون على إنشاء جيل، وهذا أغلى من أن يكون له عِوَض مالي.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ لِمَ قال ربنا ﴿طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾ ولم يقل: (فإن طابت نفوسهن عن شيء لكم)؟

الجواب:

أخّر ربنا تعالى (النفس) عن شيء ونصبها على التمييز ليبين لنا مقدار قوة هذا الطيب ، وليؤكد لنا أنه طيب نفس لا يشوبه شيء من الضغط والإكراه.

وتأمل لِمَ قال ربنا ﴿فَكُلُوهُ﴾ ولم يقل: فخذوه؟ لأنه عندما قال: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ ؛ ذلك ليطمئن المؤمن بجواز الانتفاع بمال زوجه انتفاعاً لا رجوع فيه فهو تملّك لمالها تملّكاً تاماً، ولكنه تملّك عن طيب نفس منها لا إرغام فيه.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين النعمة والمهر والصداق والهبة والنِّحلة ؟

الجواب:

١ـ (النعمة) مضمنة بالشكر؛ لأنها لا تكون إلا حسنة، لكن (الهبة) قد تكون قبيحة بأن تكون مغصوبة، والهبة لا تكون واجبة .

٢ـ (النِّحلة) ما يعطيه الإنسان بطيب نفس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وقيل: ديانة.

والنِّحلة تكون واجبة وغير واجبة، وأصلها العطية من غير معاوضة .

٣ـ (الصداق) اسم لما يبذله الرجل للمرأة طوعاً من غير إلزام، ولهذا اختار الشروطيون في كتب المهور: صداقها الذي تزوجها عليه .

ومنه الصداقة لأنها لا تكون بإلزام وإكراه، ومنه الصدقة، ثم يتداخل المهر والصداق لقرب معنييهما.

٤ـ هل الصداق عطية ؟ بالطبع لا، إنه حقٌّ وأجرُ بضع ، ولكن الله يريد أن يوضح لنا: أي فليكن إيتاء المهور للنساء نِحلة ، أي: وازع دين لا حكم قضاء .

و(المهر) عطية من الزوج بدون بدل، والذي يستحقه الزوج من المرأة بعقد النكاح هو الاستباحة لا المِلكُ .

السؤال الخامس:

ما أهم الوقفات في هذه الآية الكريمة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ أي: المهور و ﴿نِحۡلَةٗ﴾ هي العطية عن طيب نفس من غير أخذ عوض .

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ﴾ إما أنْ يكون للأزواج وإما أنْ يكون للأولياء .

٣ـ حين يُشرِّع الحقُ لحماية الحقوق فإنه يفتح المجال لأريحيات الفضل؛ لذا يقول الحق: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ أي: إن تنازلت الزوجة فهذا أمر آخر فيه طيب النفس .

وإياك أيها الزوج أنْ تأخذ شيئاً من مهر الزوجة التي تحت ولايتك بسبب الحياء ، لكن لو طابت نفس المرأة عن جميع المهر حل للزوج أن يأخذه بالكلية .

٤ـ (من) في قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُ﴾ ليس للتبعيض بل للتبيين، والمعنى: عن شيء من هذا الجنس الذي هو مهر كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠]

٥ـ إعراب ﴿نَفۡسٗا﴾ منصوب على التمييز، والمعنى: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق بنقل الفعل من الأنفس إليهن، كما قالوا: أنت حسن وجهاً .

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ ليس نفس الأكل، بل المراد منه حق التصرف .

السؤال السادس:

ما قصة علي كرم الله وجهه مع الرجل في قوله تعالى في الآية ﴿طِبۡنَ﴾ و ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ ؟

الجواب:

قال علي كرم الله وجهه لرجل كان يطلب منه علاجاً: خذ من صداق امرأتك درهمين واشتر بهما عسلاً، وأذب العسل في ماء مطرٍ نازلٍ لساعته، واشربه فإني سمعت الله يقول في الماء النازل من السماء: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨] وسمعته سبحانه يقول في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، وسمعته يقول في مهر الزوجة: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾.

فإذا اجتمع في دواءٍ البركةُ والشفاءُ والهنيءُ المريءُ عافاك الله إن شاء الله.



﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾ ما كلمات منظومة أنواع اللباس في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ ما كلمات منظومة السفيه في القرآن؟

الجواب:

منظومة كلمات السفيه هي:

١- الجبت:

كل شيء يعبد من دون الله من صنم أو راهب أو شمس أو إنسان كفرعون. النساء ٥١ .

٢- الطاغوت:

هو كل رأس ضلالة من فعل: طغو، مثل فرعون .[النساء ٦٠ـ النحل ٣٦].

٣- الرذل:

جمعه أراذل بمعنى النفايات، والرذل من الناس هو الذي يحتقره الجميع. [الشعراء ١١١ـ نوح ٢٧].

٤- الزنيم:

ملحق بالقوم وليس منهم؛ أي رجل بلا أصل ألحق نفسه بقوم[القلم ١٣].

٥- السفيه:

وهو نوعان: سفيه بالفعل، وهو الذي لا يحسن التجارة وتصريف الأموال، وقد ورد ذكره في القرآن مع التبذير، وهو سفيه الدنيا .

وسفيه القول: وهو سفيه الآخرة ؛ لأنه سفيه القول والفكر .[الجن ٤ـ النساء ٥].

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ ؟

الجواب:

جعل الله تعالى مال السفيه في مرتبة مال الولي؛ لأنّ السفيه لا يحترم ملكيته وقد يبددها، ولكنّ هذا المال سوف يعود لهذا الإنسان حين يذهب عنه السفه، فيقول الحق في الآية ٦ من سورة النساء ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ .

إنه أداء قرآني عجيب، يشجع الناس ألا يتركوا السفيه يبدد ماله فتكون خسارة للمجتمع كله، فما دام هو في سفه فانظر إلى المال كأنه مالك، ولتكن أميناً عليه أمانتك على مالك، وعندما ترى رشده وتطمئن على ذلك فإنّ الحق يأمرك بأن تعيد له ماله .

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ؟ ولِمَ لم يقل: منها ؟

الجواب:

لم يقل: (منها) ، وعبّر بالظرف (فيها) إشارة إلى الاقتصاد واستثمار الأموال حتى تحقق ربحاً وحتى تكون النفقة والكسوة من الربح لا من رأس المال، ولو قال: (منها) لكان ذلك أمراً بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقاً لهم .

والتعبير ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ يعني ارزقوا السفهاء ﴿فِيهَا﴾ يقصد من أموالهم لكن ما قال: من المال، يعني: استثمروها لهم، ولو قال: وارزقوهم منها، يكون من أصل المال .

والآية تعني: انفعوا الفقراء واليتامى؛ لأنهم ما زالوا صغاراً يتامى سفهاء لا يحسنون التصرف، انفعوهم وتصرفوا مكانهم، انفعوهم وذلك عن طريق التصرف بالمال بما يفيدهم وبما ينفعهم وأنفق مما يثمر هذا المال بما يعود عليهم بالخير .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى﴾ باستعمال اسم الموصول ﴿ٱلَّتِى﴾ فما الأسماء الموصولة ؟ وما أهم أغراض اسم الموصول ؟

الجواب:

سميت الأسماء الموصولة بذلك؛ لأنها توصل بكلام بعدها هو من تمام معناها، وتسمى الصلة .

أغراض الاسم الموصول:

١ـ عدم علم المخاطب من أحوال الشخص الذي تتحدث عنه، نحو: الذي كان معنا بالأمس .

٢ـ الإبهام ، نحو: إنّ الذي كان معنا سافر .

٣ـ استهجان التصريح باسمه .

٤ ـ التعظيم: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه:٤].

٥ـ التحقير: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٨].

٦ـ التعريض بذكر الصلة: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء:١٩].

٧ـ التفخيم: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] .

٨ـ الاختصار: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب:٦٩] .

٩ـ إرادة العموم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فُصِّلَت:٣٠] .

١٠ـ إرادة واحد من الجنس:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢].

صلة الموصول:

قد تكون جملة فعلية أو اسمية (حضر الذين هم أصدقائي)، أو ظرفاً (اللوحة التي)، أو جاراً ومجروراً (قطفت الأزهار التي في الحديقة) ويشترط في صلة الموصول الفعلية أو الاسمية أنْ تشتمل على ضمير يربطها بالموصول، ويسمى: العائد .

الأسماء الموصولة:

وتقسم إلى قسمين:

آـ مختص: أي ما استعمل لشيء واحد (الذي و التي)، وما تفرع عنهما.

ب ـ مشترك مثل (من ـ ما ـ أي) .

١ـ الذي:

للمفرد المذكر العاقل وغير العاقل (قرأت الكتاب الذي اشتريت).

٢ ـ اللذان:

للمثنى المذكر: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ [النساء:١٦] .

٣ ـ الذين:

لجماعة الذكور،ويختص بالعقلاء﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المؤمنون:٤].

وتستعمل لما ينزّل منزلة العقلاء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف:١٩٤] .

٤ ـ الأُلى:

تستعمل للجمع المطلق عاقلاً كان أم غيره للذكور والإناث: رأيت الألى هربن.

٥ ـ التي:

للمفردة المؤنثة عاقلة أو غيرعاقلة، نحو: (بعت البقرة التي اشتريتها).

وتستعمل لجماعة غير العقلاء ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥].

٦ ـ اللتان: للمثنى المؤنث.

٧ ـ اللاتي واللائي:

لجمع الإناث ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء:٢٣].

٨ ـ من:

للعاقل مذكراً أو مؤنثاً مفرداً أو مثنى أو جمع، [يوسف ٧٢ ـ٧٩ ـ هود ١١٢] ولا تقع على غير العاقل إلا في الحالات التالية:

آ ـ أنْ ينزّل غير العاقل منزلة العاقل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ [الأحقاف:٥] .

ب ـ أنْ يجتمع غير العاقل مع العاقل في عموم فصل بـ(من) ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور:٤٥].

٩ ـ ما:

تقع لغير العاقل مذكراً أو مؤنثاً مفرداً أو مثنى أو جمع[طه ٦٩].

وتقع على صفات من يعقل [النساء ٣ ـ الشمس ٥ ـ ٧ ـ الكافرون ٣].

لذلك فإن (ما) أوسع استعمالاً مِن (مَن) وأكثر إبهاماً منها.

وقد تحتمل (من) الموصولية الاسمية والحرفية[لقمان ٢٣] ، وقد تحتمل الموصولية والاستفهامية[هود ٧٩ ـ البقرة ٣٣].

وقد تحتمل الموصولية والنفي [العنكبوت ٤٢] .

وقد تحتمل الموصولية والشرطية[آل عمران ٣٠].

١٠ ـ أي:

وهي مبهمة تستعمل للعاقل وغيره [مريم ٦٩].

وهي تكون استفهامية وشرطية وصفة وموصولة حسب الاستعمال، وقد تحتمل أكثر من معنى نحو: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه:٧١].

ملاحظات:

١ـ لا حظنا أن (من) و (ما) مفردان مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، ويجوز مراعاة لفظهما، أعني الإفراد والتذكير، كما يجوز مراعاة المعنى . أمثلة: [البقرة ٨، الأحزاب ٣١].

٢ ـ الأسماء الموصولة أسماء مبنية، فيما عدا (اللذان واللتان) فهما معربان إعراب المثنى.

٣ ـ قد يحذف اسم الموصول إذا علم، وذلك إذا عطف على مثله ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦] .

وفي القرآن حيث قصد التنصيص على الإفراد ذُكر الموصول[يونس ٦٦، البقرة ٢٥٥ ـ الزمر ٦٨].

وحيث قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] فالمقصود هنا علو قدرة الله .

وقد تحذف قليلاً الصلة إذا عُلمت أو أريد بها الإبهام نحو: (بعد التي واللُّتيا) أي: بعد الداهية التي وصلت إلى حد من العظم لا يمكن شرحه، و(اللُّتيا) هي الداهية العظيمة.



﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الرُّشد) و(الرَّشَد) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ (الرُّشد) عام ومعناه الصلاح والاستقامة، ويكون في الأمور الدينية والدنيوية، وأما (الرَّشَد) ففي أمور الدين والآخرة فقط .

٢ـ (الرشاد): هو سبيل القصد والصلاح، وهو مصدر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩] .

* شواهد قرآنية: الرُّشد:

ـ ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء:٦] أمر دنيوي .

ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف:٦٦] أمر دنيوي موسى تتبع الرجل الصالح .

ـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ـ ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف:١٤٦] إذن الرُّشد يستعمل في أمور الدنيا والدين.

* شواهد قرآنية: الرَّشَد:

ـ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف:١٠].

ـ ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤].

أغلب ما تستعمل في أمور الدين (الرَّشَد) ، وأما (الرُّشْد) فهي عامة.

هذا ما قاله قسم من اللغويين، وإنْ كان قسم قال: إنّ هاتين لغتان، لكن هما في القرآن هكذا، يستعمل الرُّشْد في أمور الدنيا والدين، والرَّشَد في أمور الدين، وقسم قال: هذه لغة، ولكنّ قسماً قال: هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، والله أعلم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾ ما مدلول كلمة (آنس) في القرآن ؟

الجواب:

١ـ في المعجم:(آنس) الشيء أبصره والصوت سمعه، واستأنس أي: استأذن .

٢ـ أمّا في القرآن الكريم فيعطينا حس العربية المرهف وهو الطمأنينة والأُنس ، كما في آية طه ١٠ ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ .

٣ـ وقد وردت هذه الكلمة في خمس آيات من القرآن، وليس الإيناس فيها مجرد إبصار لظواهر الرشد المادية الحسية، ولكنه الطمأنينة المؤنسة .

كذلك الأمر في آية النور ٢٧ ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ ، فإنّ الاستئناس ليس مجرد الاستئذان فقط ، وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله.

٤ـ الإنس والإنسان مشتق من كلمة (أنس) أو (آنس).

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ ما دلالة استعمال (إذا) و (إنْ) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٠ .

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلْيَخْشَ﴾ الفعل (يخشى) متعدٍّ يأخذ مفعولاً به، فتقول: أخشى الله، فأين مفعول ﴿وَلْيَخْشَ﴾ في الآية؟

الجواب:

حذف ربنا تعالى مفعول ﴿وَلْيَخْشَ﴾ لتذهب نفس السامع في تقدير المفعول به مذاهب عدة، وليقدر كل واحد منا تقديراً يفهمه هو، فينظر كل سامع بحسب الأهمّ عنده مما يخشى أنْ يصيب ذريته فيكون رادعاً له عن ظلم اليتامى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الضعفاء) و(الضِعاف) ؟

الجواب:

١ـ لدينا جمعان على وزن (فُعلاء) و (فِعال).

آـ الجمع على وزن (فُعلاء) نحو: كُرماء وجُهلاء وحُكماء، هو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية .

ب ـ أما الجمع على وزن (فِعال) نحو: ثِقال وضِعاف فيكادُ يختصُّ بالأمور المادية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١] و ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد:١٢] .

٢ـ ومثله: (الكُبراء والكِبار) فالأول هم السادة والرؤساء، وأمّا الكِبار، فهم كِبار الأجسام والأعمار.

٣ـ ومثله: (الضعفاء والضِّعاف) فالأول: الضُّعفاء، وهم المستضعفون من الأتباع والعوام ، وأمّا: الضِّعاف ، فللضعف المادي .

*** شواهد قرآنية: (ضُعفاء)**

ـ ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ [التوبة:٩١] .

ـ ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ [إبراهيم:٢١.]

ـ ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ... عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧].

وهذه كلها في الضعف المعنوي ، فإنْ أردت الضَعف المادي قلت: ضِعاف . كقولك: هم ضِعاف الأجسام.

*** شواهد قرآنية: (ضِعاف)**

ـ ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء:٩] .

ـ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٦] .

قال في الأولى: ﴿ضِعَٰفًا﴾ وفي الثانية ﴿ضُعَفَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٦] فلماذا؟

بالتأمل في الآية الأولى يتبين أنّ قوله ﴿ضِعَٰفًا﴾ يعني الضعف المادي، أي: أنهم بحاجة إلى المال لأنهم فقراء .

وأمّا الثانية فليس المقصود بها الضعف المادي، بل الضعف المعنوي ، بدليل أنّ أباهم له جنة فيها من كل الثمرات ، وإنما هم ضعفاء إلى من يقوم بأمرهم.

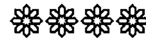
والله أعلم .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿مِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ ما دلالة هذه الكلمة ؟ وهل من فرق بين (خلف) و(بعد) ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٧٠ .



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ فكيف يأكل آخذ مال اليتيم النار في الدنيا، مع أنّ العذاب بالنار يكون في الآخرة؟

الجواب:

أراد ربنا بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ تبيان شدة الألم والعذاب في الدنيا بدليل قوله: ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ أي: في الآخرة.

وفي هذه العبارة ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ استعارة، فقد عبّر الله تعالى عن المصائب بأكل النار؛ لأنّ شأن النار أنْ تلتهم ما تقع عليه كآكل مال اليتيم فربما تصيبه مصائب في ذاته أو ماله، مثل النار إذا دنت من أحد لا بدّ أن تؤلمه وتتلف متاعه.

السؤال الثاني:

لقائل أنْ يقول: الأكل لا يكون إلا في البطن، فما فائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠] ؟

الجواب:

١ـ أنّ هذا كقوله تعالى:

ـ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفم.

ـ ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦] والقلب لا يكون إلا في الصدر.

ـ ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨] والطيران لا يكون إلا بالجناح.

والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة .

٢ـ الأكل هنا للنار إمّا أنْ يكون على ظاهره يوم القيامة، أو أنّ ذلك توسع، أي: جارٍ مجرى أكل النار، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ ما الفرق بين (السين وسوف) وكلاهما حرفا استقبال ؟

الجواب:

السين وسوف حرفا استقبال وتوكيد، وكلمة سوف تدل على البعد، وتدل كذلك على الصبر والشم ، حيث كان الدليل في الصحراء يشم التراب ليعلم هل هو على قصدٍ أم على جور ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد مسافة، أي من (السوف).

والاستعمال القرآني لحرفي الاستقبال يدل على أنّ (سوف) أكثر توكيداً من (السين)؛ وذلك ربما لزيادة حروفها .

خصائص الاستعمال القرآني:

١ ـ يستعمل القرآن (السين) للقريب، وفي مقام الإيجاز، أو إظهار شدة القرب، نحو: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدّثر:٢٦] ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨] .

٢ ـ ويستعمل (سوف) للبعيد، وفي مقام الإطالة وشدة التوكيد .

*** شواهد قرآنية على (سوف):**

آ ـ قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨] أعطاهم وعداً أطول (سوف) مناسباً لما فعلوه به وبأخيهم يوسف، فهو وعدهم بالاستغفار في المستقبل حين طلبوا منه ذلك.

ب ـ قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧] حيث دعا أباه للإسلام فلم يستجب، وفي نهاية الحديث قال له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ .

*** شواهد قرآنية أخرى على حرف (سوف):**

ـ[الزخرف ٤٤ ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ـ النساء ٣٠] للبعيد.

ـ[الأعراف ١٤٣ ـ مريم ٦٦] للبعيد.

ـ[النساء ١٥٢ ـ التوبة ٧١ ـ البقرة ١٣٧] للتوكيد.

*** شواهد قرآنية على حرف (السين):**

[يوسف ٦١ ـ الكهف ٧٨ ـ النساء ٩١ ـ البقرة ١٤٢].

مقارنات:

آ ـ جاء بـ(سوف) في آية النساء[٢٩ـ٣٠]؛ لأنه في سياق عقوبة قتل النفس عدواناً وظلماً ، فزاد في التهديد والتوكيد، وجاء بـ(سوف) التي هي آكد من (السين).

وللعلم فإن (السَّوف) من معانيه: القتل ، الذي يفيد الهلاك والموت ، فناسب ذلك مع آية النساء، بخلاف آية الأيتام في النساء١٠، فقال: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

ب ـ آية غافر ٤٤، لم يزد التهديد على ما ذُكر ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر:٤٤] فاستعمل حرف (السين) فقط .

أما في الآيات (٧٠ ـ ٧٢) فقد استمر التهديد إلى الآية ٧٦ ، فلمّا طال التهديد جاء بـ(سوف) التي هي أطول من (السين) وأكثر منها توكيداً .

ج ـ آية النساء ٥٦ هي في الكافرين، وقد سبقتها تسع آيات(٤٨ ـ ٥٦) فجاء ب(سوف)، بخلاف آية المؤمنين ٥٧ ، فإنها آية واحدة، فجاء في مقام الإطالة بـ(سوف) ، وفي مقام الإيجاز بـ (السين) .

د ـ آية النساء ٧٤ هي في سياق الشهادة والقتل الذي بُدىء بالإشارة إليه من الآية ٦٩، ثم تستمر آيات القتال بمقدار عشر آيات، فجاء بـ(سوف) بخلاف الآية ١٧٥ فإنها آية واحدة فقط، فجاء بحرف (السين) .



﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١١) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (وصّى) و(أوصى)؟

الجواب:

١ـ من الملاحظ في القرآن أنه يستعمل (وصّى) في أمور الدين والأمور المعنوية و(أوصى) في الأمور المادية، كما في الآيات: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ

﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء:١٣١] ويستعمل (أوصى) في المواريث ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء:١١] ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء:١١].

٢ـ لم ترد (أوصى) في الأمور المعنوية وفي أمور الدين إلا في موطن واحد اقترنت بأمر مادي عبادي، وهو قوله تعالى على لسان المسيح عيسى عليه السلام ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ [مريم:٣١] قال: (أوصاني) لأنها اقترنت بأمر مادي وعبادي وهو الزكاة، والأمر الآخر أنَّ القائل هو غير مكلّف، لذلك خفّف من الوصية لأنه الآن ليس مكلفاً لا بالصلاة ولا بالزكاة فخفف؛ لأنه لا تكاليف عليه.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الوالد) و(الأب)؟ وماذا عن الاستعمال القرآني للوالدين؟

الجواب:

١ـ التي تلد هي الأم، والوالد من الولادة، والولادة تقوم بها الأم، وهذه إشارة إلى أنّ الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد.

لكن في المواريث ولأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾ [النساء:١١]. وفي الأموال يستعمل الأبوين.

٢ـ ربنا سبحانه وتعالى لم يستعمل البر والإحسان والدعاء في جميع القرآن إلا للوالدين وليس الأبوين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء:٢٣] ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨].

٣ـ الأبوان تثنية الأب والأم، والوالدان تثنية الوالد، أي: للوالد والوالدة، والولادة الحقيقية للأم وليس للأب، الأب ليس والداً؛ لأنّ الأم هي التي تلد .

٤ـ من الأحق بحسن الصحبة الأب أو الأم؟ الأم، فقدّم الوالدين إشارة إلى الولادة، ولم يستعمل البر والإحسان والدعاء في جميع القرآن إلا للوالدين وليس الأبوين .

ـ أما في تقديم الأبوين فيقول الله تعالى:

ـ ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾ لأنّ الأب له النصيب الأعلى في الميراث.

ـ ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾ [الكهف:٨٠] فليس فيها مقام ذكر البر؛ لذا قال: (أبواه).

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف:١٠٠] ما قال: (والديه) إكراماً للأم؛ لأنّه بذكر الوالدين تصير الوالدة هي التي تسجد ، بينما هي أكرم من الأب، والأمر الآخر أنّ الأب أحق بالعرش فقُدِّم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الأبناء والأولاد؟

الجواب:

(الأبناء) جمع ابن بالتذكير، مثل قوله تعالى ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [البقرة:٤٩] أي: الذكور، أمّا (الأولاد) فعامة ؛ أي تشمل الذكور والإناث.

* شواهد قرآنية:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء:١١] الذكر والأنثى. ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾ [البقرة:٢٣٣] الإرضاع للذكور والإناث.

السؤال الرابع:

في سورة النساء ختمت آية المواريث رقم ١١ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ وفي آية المواريث رقم ١٧٦ بالنسبة للكلالة ختمت بقوله ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ فما اللمسة البيانية في هذا الاختلاف؟

الجواب:

١ـ أيهما يدلّ على العِلم أكثر؟ عندما تقول: (كنت أعلم بهذا) أو (أعلم هذا)؟ (كنت أعلم بهذا) أدل على العلم، أي: أعلم قبل أنْ تقع، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٣].

٢ـ لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ أدلّ على العلم من ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾.

٣ـ في الأولاد الذكور قال تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ إذن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ أي: عندما شرّع هو يعلم هذا الأمر أصلاً.

٤ـ في آية (الكلالة) ما ذكر حيرتهم في عدم المعرفة، بينما هناك ذكر حالتهم، والله تعالى يعلم هذا الأمر قبل أنْ يقع.

٥ـ لمّا ذكر جهل الإنسان وعدم المعرفة ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ ذكر أنّ علمه سبحانه وتعالى سابق، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء:١١]، وعندما لم يذكر هذا الأمر ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ وما فيه من حيرة بين الناس، قال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النساء:١٧٦] .

السؤال الخامس:

ما مسألة الزمن مع الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ أي: ما دلالة (كان) مع الله تعالى؟

الجواب:

(كان) يفرد لها النُّحاة بكلام في زمنها:

١ـ الزمان الماضي المنقطع، كأن تقول: كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب.

٢ـ الماضي المستمر (كان الاستمرارية) بمعنى: كان ولا يزال ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء:١٠٠] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨] يسمونها (كان) الاستمرارية، أي: هذا كونه منذ أنْ وُجِد.

٣ـ (كان) تفيد الاستقبال ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ:١٩] أي: صارت في المستقبل ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة:٧] أي: صرتم، أصبحتم.

٤ـ (كان) فيها كلام كثير عند النُّحاة غير كان التامة والناقصة من حيث الزمن .

السؤال السادس:

في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ جعل الله تعالى حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدّر به حظ الذكر، فلِمَ آثر ربنا تعالى هذا التعبير؟

الجواب:

أمعِن التأمل في هذا اللطف الإلهي؛ فقد جعل الله تعالى حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدّر به حظ الذكر، ولم يجعل حظ الذكر هو المقياس، كأن يقول: للأنثى نصف حظّ الذكر، آثر ربنا تعالى هذا التعبير لنكتة لطيفة وهي الإيماء والإيحاء للناس بأنّ حظّ الأنثى هو الأهم في نظر الشرع، وهو مقدّم على حق الرجل؛ لأنّ المرأة كانت مهضومة الجانب عند أهل الجاهلية، أمّا في الإسلام فقد أصبحتِ يا أختاه ينادى بحظّك وقسمتك ونصيبك هو المقياس.

السؤال السابع:

ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ ، فما دلالة هذا التعبير ؟

الجواب:

أي: عُلم من هذا أنه فرض افترضه الله علينا في المواريث، فأكّده بقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ ، وهذا من باب التأكيد .

﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ جاءت ﴿نِصْفُ﴾ نكرة على عكس الباقي المعرّف في نفس الآية (الربع، الثلث، السدس، الثمن). فما السبب؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿نِصْفُ﴾ في الآية نكرة؛ لكنها لمَّا أضيفت عرِّفت.

السؤال الثاني:

ختمت الآية الكريمة باسم الله ﴿حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٢٢٥



﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية الجن ٢٣ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وفي آية النساء ١٤ قال: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾، فما الفرق بين: (خالدين) و(خالدًا)؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجمع في آية الجن، وقال: ﴿خَٰلِدًا﴾ بالإفراد في آية النساء ١٤ وزاد فيها: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ والسبب - والله أعلم-:

أ ـ العذاب والوعيد في آية النساء ١٤ أشد من آية الجن ٢٣، لكن لماذا هو أشد؟ لأنه قال في آية الجن: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ، وقال في آية النساء١٣ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ ففيها زيادة، وهي تعدي الحدود.

و(العصيان) يعني عدم الطاعة ، و(تعدي الحدود) هو أيضاً عدم الطاعة ولكن فيها إضافة ، وقد تكون هنالك حدود في أمور معينة ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧] ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩] ، فهذه إضافة إلى العصيان؛ لأنّ مجرد العصيان أحياناً ليس بالضرورة أن يكون كفراً بل يكون مجرد معصية ، والإنسان قد يعصي ربه في شرب خمر أو سرقة أو زنا.

ب ـ في سورة الجن ذكر (العصيان) فقط، وفي النساء ذكر (العصيان وتعدي الحدود)؛ ولذلك قال في آية النساء: ﴿خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ و ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ فجمع له عذاب الوحدة وعذاب النار. وبهذا جمع عليه العذاب المادي والنفسي والانفراد.

٢ـ لمّا سبق آية الجن ألفاظ الجمع نحو قوله تعالى: [يكونون ـ المسلمون ـ الصالحون ـ القاسطون ـ استقاموا] ناسب الجمع في قوله تعالى: ﴿خَـٰلِدِينَ﴾

٣ـ هنالك أمر آخر بياني حسّن استخدام الجمع في آية الجن، وهو ذكر اجتماع الكفرة على رسوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ ، فهذا اجتماع، وهؤلاء خالدون بزمرتهم.

٤ـ ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة لفظة (خالداً) مطلقاً، وإنما دائماً (خالدين)؛ لأنه ليس هناك وحدة وانفراد، بينما في النار نجد (خالداً) بالإفراد و(خالدَيْنِ) بالتثنية و(خالدينَ) بالجمع.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النساء ١٣﴿خَـٰلِدِينَ﴾ مع أهل الجنة، وقال في الآية ١٤ ﴿خَـٰلِدًا﴾ مع أهل النار، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ في الآية ١٣ قال: ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ مع أهل الجنة بالجمع؛ لأنّ الجنة فيها نعيمان: نعيم الجنة ونعيم الصحبة، وناسب معها ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ بالجمع .

بينما قال في الآية التي تليها ﴿خَـٰلِدًا﴾ مع أصحاب النار ليجمع عليهم عذاب النار وعذاب الوحدة؛ لأنّ الوحدة عذاب حتى لو كان في الجنة، وعندما يكون وحده ليس معه أحد ولا يتكلم مع أحد، فهذا شيء ثقيل جداً.

٢ـ ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة (خالداً) مطلقاً، وإنما دائماً (خالدين) لأنه ليس هناك وحدة وانفراد، بينما في النار نجد (خالداً) بالإفراد و(خالدَيْنِ) بالتثنية، و﴿خالدينَ﴾ بالجمع.

السؤال الثالث:

في الآية ﴿وَمَن يُطِعِ﴾ و ﴿وَمَن يَعْصِ﴾ (من) هو اسم شرط، لكن هل هو للمفرد أم للجمع؟ وهل يحمل على اللفظ والمعنى ؟

الجواب:

١ـ(من) و(ما) من الأسماء الموصولة، وهما في اللفظ مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، فتقول: جاء من فاز، ومن فازت، ومن فازوا، ومن فزن، واشتريت ما باعه خالد، وما باعها.

ويجوز مراعاة لفظهما، أعني: الإفراد والتذكير كما يجوز مراعاة المعنى، لكن يجب مراعاة المعنى إنْ حصل لَبس في اللفظ، فلا تقول للأنثى: (أعط من سألك) بل (أعط من سألتك) .

والعرب على الأغلب تبدأ بذكر ما يدل على اللفظ: مفرد مذكر، ثم بما يدل على المعنى.

* شواهد قرآنية:

ـ في آية البقرة ٨ أعاد الضمير على لفظ (مَن) ، وهو الإفراد والتذكير في ﴿يَقُولُ﴾، ثم أعاده فيما بعد على معناه وهو الجمع، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ فحُمل الكلام على لفظه في الأول، ثم حمله على معناه فيما بعد .

ـ في آية الأحزاب ٣١ مع ﴿يَقْنُتْ﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على لفظ (مَن) وهو الإفراد والتذكير، ومع ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على معناه، وهو الإفراد والتأنيث .

ـ في آية الأنعام ٢٥، بدأ بالحمل على اللفظ ثم حُمل على المعنى .

ـ في آية يونس ٤٢ ، في ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس:٤٢] والمراد هنا جميع الكفار، وجمع للدلالة على كثرة المستمعين، وفي ﴿يَنظُرُ﴾ [يونس:٤٣] أفرد بعد رعاية اللفظ لقلة الناظرين .

ـ في آية النساء ١٣، جمع الوصف ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ للإشعار بالاجتماع المستلزم لزيادة الأنس والسعادة عند أهل الجنة، وكذلك جمع ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ .

ـ في آية النساء ١٤ أفرد ﴿خَـٰلِدًا﴾ باعتبار اللفظ مع الجمع بالوحدة زيادة في التعذيب.

٢ـ لم يأت في القرآن لفظ (خالداً) بالإفراد مع أهل الجنة، بل دائما (خالدين) للجمع بين نعيم الجنة ونعيم الاجتماع، بينما في أهل النار جاء (خالداً) مع المفرد و(خالدين) مع الجمع .

السؤال الرابع:

في آية الجن ٢٣ قال: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ وفي النساء ١٤ قال: ﴿خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ هل تضيف كلمة ﴿أَبَدًا﴾ لـ (خالدين) معنى جديداً من حيث الدلالة الزمنية على الأقل؟

الجواب:

١ـ لفظة (أبداً) ظرف يستعمل للمستقبل فقط، ولا يستعمل للماضي فلا يقال: ما رأيته أبداً، ولكن تقول: ما رأيته قط ، ولن أكلمه أبداً .

٢ ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم عند الحديث عن أهل الجنة أو أهل النار أو في مقام الإحسان وفي الثواب أو الشدة أو في العقاب،وهي أنه في مقام التفصيل للجزاء سواء في العقاب أو الثواب يذكر كلمة (أبداً) ، وفي مقام الإيجاز لا يذكرها.

٣ـ كلمة (أبداً) ليس لها علاقة بالخلود الدائم .

* شواهد قرآنية:

ـ في آية النساء ٥٧ : فيها تفصيل للجزاء، فذكر فيها (أبداً).

ـ في آية النساء ١٣ : ليس فيها تفصيل، فلم يذكر فيها (أبداً).

ـ في آية البينة ٦ : لم يفصل في عقاب الكافرين، فلم يذكر (أبداً).

ـ في آية البينة ٨: فصّل الجزاء مع المؤمنين، فذكر فيها (أبداً).

فالتفصيل هو زيادة في الجزاء فيتسع لقوله (أبداً) فيضيف إكراماً إلى ما هم فيه من إكرام، وكذلك العذاب .

٤ ـ وكذلك تأتي (أبداً) مع العذاب إذا كان الذنب فاضحاً بشكل كبير، أو عمل الطاعة له ثواب كبير أيضاً، أي أن كلمة (أبداً) تأتي مع الذنب المميز أو الطاعة المميزة.

٥ـ وردت كلمة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ في أهل الجنة ٨ مرات في القرآن الكريم، ووردت في أهل النار ٣ مرات، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى لأنّ رحمته سبقت غضبه .

٦ـ الخلود عند العرب تعني المكث الطويل، وليس بالضروري المكث الأبدي، وتأتي كلمة (أبدا) لتأكيد هذه المدة الطويلة .

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ مشهد ملموس ومحسوس ترسمه عبارة حدود الله، فكل منا يعرف حدّه في منزله مثلاً، فلا يجرؤ على دخول حدّ جاره ، وإنْ دخل فهو موقن أنه مخالف ومتجاوز حقّه، وقد استعمل ربنا تعالى (الحدود)؛ ليقرّب الفكرة لأذهاننا، فشرع الله حدٌّ لا ينبغي لنا أن نتجاوزه.

السؤال السادس:

قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤] تهديد المرء بالنار فيه وعيد وعذاب فإذا أضيف إليه الخلود، فهذا من أشد ألوان العذاب، فما فائدة ختم الآية بقوله تعالى ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤] ؟

الجواب:

أراد الله تبارك وتعالى أنْ يهدد الخارجين عن حدوده بألفاظ ترجف القلوب وتقع في قلوبهم موقع الخوف ليتأمل الإنسان سوء مصيره ، ولذلك ختمت الآية بوصف (العذاب المهين)؛ لأنّ من العرب من لا يخشى كلمة النار، ولكنه يأبى الضيم والإهانة، فقد يحذر الإهانة أكثر مما يحذر عذاب النار؛ ولذا قال العرب في أمثالهم: "النار ولا العار".

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل: (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم مع ذكر الموت ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثاني:

استعمل تعالى في آيات النساء [١٥ـ٢٣] ويوسف ٥٠ لفظة (واللاتي) واستعمل لفظة (اللائي) في آيات[الأحزاب ٤ـ المجادلة ٢ـ الطلاق٤] فما الفرق بين (اللاتي واللائي) ؟

الجواب:

١ ـ (اللاتي) اسم موصول جمع (التي)، وتكون للعاقل وغيره، وهذا اللفظ شبيه بلفظ جمع المؤنث السالم الذي يكون للعاقل وغيره، مثلا: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد ، وتقول: طالبات وشجرات ، و(اللاتي) مختصة بالإناث .

٢ ـ(اللائي) هي جمع (التي) أيضاً، فتقول:عادت اللائي ذهبن، واستعمال (اللائي) قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، وقد ترد للذكور قليلاً .

٣ ـ (اللائي) كأنها مشتقة من اللأي أو من اللأواء وهي الشدة ، وفي الحديث « **من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجاباً من النار**» و «**من صبر على لأواء المدينة..**» . واللأي هو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة .

٤ ـ لذلك نجد القرآن قد استعمل (اللائي) بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق فقط، ولم يستعملها في غيرهما، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة، وهي حالات المفارقة والشدة والاحتباس، حيث إنّ المُظاهر والمُطلّق محتبس عن امرأته مبطىءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين ، فجمع القرآن حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة:

١ - الإمساك:

هو المنع عن التخلية والإرسال، وهو أول مرحلة من مراحل الحبس؛ لأنّ أول فعل يفعله رجال الشرطة هو أنْ يمسكوا بالمتهم، والإمساك يكون بلا جراح، أي بدون مواجهة بين المتهم والشرطة.

[فاطر ٢ـ البقرة ٢٢٥ـ النساء ١٥].

٢- الإثبات:

إذا تمت عملية الإمساك لكن مع المواجهة والجراح، أو حاول المتهم الهروب، فأطلق عليه النار فأُرهق عن الفرارفإن ذلك يُسمى إثباتاً[الأنفال ٣٠].

٣- التوقيف:

سواء كانت العملية إمساكاً أو إثباتاً بعد الإصابة بجرح يعيقه من الفرار يوضع في التوقيف. [الصافات ٢٤ـ الأنعام ٢٧].

٤- الحبس:

بعد التوقيف تأمر الشرطة بحبس المتهم على ذمة التحقيق، وهذا هو حبس مؤقت قبل صدور الحكم. [المائدة ١٠٦ـ هود ٨].

٥- السجن:

بعد أن يُحكم على المتهم بالعقوبة المناسبة فيحكم بسجنه لمدة محدودة تطول أو تقصر حسب القضية.[يوسف ٣٢ـ ٤٢].

السَّجن: - بفتح السين - هو هذه المرحلة.

السِّجن: - بكسر السين- هو المكان الذي يُنفذ فيه الحكم بالسجن.

السجين: سجن مع التعذيب مثل الأشغال الشاقة وعذاب جهنم في الآخرة.

٦- الحِجر:

الحبس هو منع المتهم من رؤية الناس، بينما الحَجرُ منع الناس من رؤية المتهم مثل الحجر الصحي [الفرقان ٢٢ـ الحجر ٨٠].

٧- الرباط:

هي محبس الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله [الأنفال ٦٠].

والحبس هو أخطر شيء على السلطة القضائية أو التنفيذية بأنْ يحبس إنسان بغير وجه حق ولو لمدة يوم ، وجاء في الحديث أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها.

وأشرف أنواع الحبس هو الأوقاف (الحُبُس) وهو ما يوقفه الناس من أموالهم وممتلكاتهم للخير في سبيل الله أو طلب العلم أو المساجد.

وأخس أنواع الحبس وأخطرها: الدّين والغنى .

ومن الأحباس الجميلة في الدنيا الحبس الاختياري، كأنْ تحبس المرأة نفسها عن الزواج بعد وفاة زوجها لتربية الأولاد .

وقد قيل: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.



﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قيّد الله سبحانه وتعالى عمل السوء بجهالة فقال: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ ؟

الجواب:

(الجهالة) تطلق على سوء المعاملة، وعلى الإقدام على العمل دون رويّة، في حين أنّ (الجهل) يعني عدم العلم بالشيء، فلو عمل أحد معصية وهو غير عالم بأنها معصية فليس يأثم، وإنما يجب أنْ يتعلم ويبتعد عن المعاصي، ولذلك حصر الله تعالى السوء بالجهالة دون الجهل؛ لأنّ هذا الفعل هو الذي يجب أن يتوب الإنسان عن فعله.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ ما دلالة حرف العطف (ثم) ؟ وما الفرق بين (ثُمَّ) بضم الثاء و(ثَمَّ) بفتحها ؟

الجواب:

(ثُمَّ)حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان ، وهو المعبر عنه بالمهلة .

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك .

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أو الأحوال أو غيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي .

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني ترتباً في الذكر على الأول .

٥ـ للإيغال في التوكيد كقولك: والله ثم والله .

بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء تفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أما اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء، فيفيد البعد المكاني .

* شواهد قرآنية على المعنى الأول والثاني:

١ـ آية سورة عبس [٢١ ـ٢٢]عقّب بالفاء بعد أماته؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء بـ(ثُمّ) بعد ذلك؛ لأنّ النشور يتأخر.

٢ـ الروم ٢٠: جاء بـ(ثم)؛ لأنّ البشر المنتشر متراخٍ عن كونه تراباً وبينهما مهلة.

٣ـ الزمر ٦: فيها دليل على عدم الترتيب فإنّ خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة. وأُجيبَ: أنه في الآية أراد أنْ يذكر بدء خلق الإنسان، فذكر أنه خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وليس القصد أنه جعل منها زوجها بعد خلقهم من النفس الواحدة.

* شواهد قرآنية على المعنى الثالث والرابع:

١ـ آية هود ١: (ثم) ليس معناها التراخي، ولكن في الحال كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويكون معنى الآية: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل.

٢ـ آية هود ٣: (ثم)هنا لمجرد الارتقاء، أي: بقي على التوبة؛ لأنّ البقاء عليها أفضل.

٣ـ آية طه ٨٢: أي: (ثم) بقي على ذلك الهدى من التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ لأن البقاء عليها أفضل .

٤ ـ الأنعام ١: (ثم) هنا لتفاوت رتبة الخلق، والجهل من رتبة الكفر حيث إنّ الكفار يعدلون به إلهاً آخر لم يخلق مثل خلقه.

٥ـ البلد ١٧ : (ثم) لبيان تفاوت رتبة فك الرقبة والإطعام من رتبة الإيمان.

٦ـ النساء ١٧ : (ثم) لبيان البعد بين الحالين: عمل السوء والتوبة من قريب.

٧ـ السجدة ٢٢: (ثم) لبيان البعد بين التذكير بآيات الله واتباعها من ناحية، والإعراض عنها من ناحية.

* شواهد قرآنية على المعنى الخامس:

١ـ التكاثر: [٣ـ٤]العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب وبينهما مدة، فهي للتراخي الزمني أو داخلة في التوكيد.

٢ـ التكاثر ٧: (ثم) للتوكيد.

٣ـ الانفطار ١٧ـ١٨ : (ثم) لتبعيد المعرفة أو للإيغال في التوكيد.

٤ـ المدثر ١٨ـ٢٠: (ثم) للعطف والتوكيد.



﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل: (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

(الحضور) في اللغة يعني الوجود ، وليس معناه بالضرورة المجيء إلى الشيء، يقال: كنت حاضراً إذ كلّمه فلان بمعنى شاهد وموجود ، وهو نقيض الغياب، ويقال: كنت حاضراً مجلسهم، وكنت حاضراً في السوق، أي: كنت موجوداً فيها.

أمّا (المجيء): فهو الانتقال من مكان إلى مكان، فالحضور إذن غير المجيء، ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان، وهو دليل وجوده في كل مكان.

وفي القرآن يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨] بمعنى جاء الأمر. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠] . إذن الحضور معناه الشهود ، والمجيء معناه الانتقال من مكان إلى مكان.

السؤال الثاني:

المطلوب مقارنة بين حضور الموت في الآيات:[النساء ١٨ـ المائدة ١٠٦ـ البقرة ١٣٣ـ المؤمنون ٩٩ـ الأنعام ٦١]

الجواب:

أولاً ـ استعراض الآيات: قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٨].

ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ [المائدة:١٠٦]

ـ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣٣]

ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٩]

ـ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام:٦١]

ثانياً ـ البيان:

١ـ القرآن الكريم له خصوصيات في التعبير، فهو يستعمل كلمة ﴿بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٦] للملائكة، وكلمة ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ [الانفطار:١٣] للمؤمنين، وكلمة (حضر) و(جاء) لكل منهما خصوصية أيضاً.

٢ـ حضور الموت: يُستعمل في القرآن الكريم في الأحكام والوصايا، كما في آية سورة البقرة، وكأن الموت هو من جملة الشهود، والقرآن هنا لا يتحدث عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، بل يكون الكلام هو في الأحكام والوصايا ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة:١٨٠] (ووصية يعقوب لأبنائه بعبادة الله الواحد).

٣ـ أمّا مجيء الموت في القرآن فيستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، كما في (آية المؤمنون) ، حيث يريد هذا الذي جاءه الموت أنْ يرجع ليعمل صالحاً

في الدنيا، فالكلام إذن يتعلق بالموت نفسه وأحوال الشخص الذي يموت، وكذلك في (آية الأنعام).

٤ـ ويستعمل فعل (جاء) مع غير كلمة الموت أيضاً (كالأجل) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف:٣٤] وسكرة الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [ق:١٩] ولا يستعمل هنا (حضر الموت)؛ لأنه كما أسلفنا (حضر الموت) تستعمل للكلام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود، وأمّا (جاء) فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿أَعْتَدْنَا﴾ [النساء:١٨] وكذلك في آيات[الإنسان ٤ـ الفرقان ٣٧]، بينما استعمل الفعل ﴿وَأَعَدَّ﴾ في آيات[النساء ٩٣ـ الإنسان ٣١] فلماذا؟ أي: ما الفرق بين (أعتدنا وأعددنا) ؟

الجواب:

القرآن يستعمل ﴿أَعْتَدْنَا﴾؛ لأن (أعتد) فيها حضور وقرب ، والعتيد هو الحاضر ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق:٢٣] أي: حاضر، وقوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف:٣١] بمعنى حضّرت.

أما الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦] .

* شواهد قرآنية:

١ـ الحق سبحانه يقول في سورة النساء ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٨] فهؤلاء ماتوا فأصبح الحال حاضراً، وليس مهيئاً فقط .

٢ـ وفي سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان:٣٧] فهم أغرقوا وماتوا، فجاءت ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ [الفرقان:٣٧] .

٣ـ أما في سورة النساء فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣] فهؤلاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتا، فجاءت (أعدّ) بمعنى (هيّأ) .

٤ـ كما أنه جاء في آخر سورة الإنسان ﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٣١]؛ لأنّ الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة .

علماً بأنه لم ترد في القرآن الكريم كلمة (أعددنا) مطلقاً أي:

{أعدّ + الضمير(نا)} وإنما يستعمل (أعتدنا) وهي خصيصة من خصائص التعبير.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (الكَره) - بفتح الكاف- (والكُره)- بضمها- ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١.

السؤال الثاني:

ما دلالة النهي في الآية ﴿لَا يَحِلُّ﴾ ؟

الجواب:

لا شك أنّ وقع النهي على أذن السامع أشد من الإخبار، فقولك لولدك: لا تفعل هذا، فيه من الوعيد والأثر أشد من قولك: أمنعك من هذا.

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا  ﴾

السؤال الأول:

انظر قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ فقد ضرب الله تعالى مثلاً للمهر بالقنطار، فلِمَ قال قنطاراً ولم يسمِّه على الأصل: وآتيتم إحداهن مهراً؟ أو نِحلة؟

الجواب:

(المهر) يطلق على القليل والكثير، فلو حدّده بالمهر ثم أتبعه ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾، لربما تبادر إلى أذهاننا أنّ المهر إنْ كان كثيراً يحق لنا أن نأخذ منه نصيباً .

ولكن عندما مثّل للمهر بالقنطار وهو كثير جداً ثم نهانا عن الأخذ منه علمنا أنّ المهر مهما قل أو كثر لا يحق لنا أنْ نقتطع منه لأنفسنا.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ ؟

الجواب:

عند التأمل في كلمة ﴿مَّكَانَ﴾ والمعهود بكلمة ﴿ٱسْتِبْدَالَ﴾ أن يتبعها اسم متصل بالباء كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾ فالباء مع الذاهب، كأن تقول: اشتريت الكتاب بألف، فالذاهب هو المال.

وهنا في الآية لم يقل مثلاً: (استبدال زوج بزوج) كما في الأشياء حسبما بيناه آنفاً، أمّا في الزوجة فليس شرطاً أن تذهب زوجة وتأتي زوجة أخرى بدلاً عنها، بل يمكن أنْ يتزوج رجل زوجة أخرى وتبقى الأولى عنده، وهذا يبين دلالة كلمة (مكان) فكأنّ المكان الذي كان للأولى قد تغير وحلت به الثانية .

أي أنّ الزوجة الثانية حلت مكان الأولى، وإنْ ظلت الأولى زوجاً له أيضاً ولكنّ مكانها هو الذي تغير وبالتالي مكانتها قد تغيرت .

وهذا أمر متأصل في نفوس الناس يصعب على أي امرىء من الناس أن يدعي خلاف ذلك، وإنْ ادعى فهيهات أن تصدقه امرأة في الوجود .



﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

تأمل أسرار البلاغة القرآنية في كلام الله عز وجل، ألم يلفت نظرك هذا الاستفهام، أي في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ ؟

الجواب:

إنه استفهام خرج إلى معنى آخر، وهو التعجب من فعل ذلك الرجل الذي يريد أن يأخذ من صداق زوجه ، فهذا ليس من المروءة، ولذلك ابتدأه الله تعالى باستفهام تعجبي.

السؤال الثاني:

ما دلالة الاستفهام بـ﴿وَكَيْفَ﴾ كما هو هنا في هذه الآية ؟وكذلك الاستفهام ب (ما) أو (ماذا)؟وما أغراض الاستفهام؟

الجواب:

لفظة (كيف) هي للسؤال عن الحال، وقد تخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض أخرى منها:

١ـ التعجب: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النساء:٥٠].

٢ـ التوبيخ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾ [القلم:٣٦].

٣ـ النفي: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٨٦] بمعنى لا يهدي.

٤ـ التحذير: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)﴾ [آل عمران:١٣٧] .

٥ـ التنبيه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٢١] .

٦ـ التهكم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)﴾ [مريم:٢٩] .

٧ـ النهي: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:٢١] أي لا تأخذوه.

٨ـ الاستبعاد: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨)﴾ [الكهف:٦٨] .

٩ ـ التعظيم والتهويل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)﴾ [آل عمران:٢٥] .

لفظة (ما):

تكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل وللسؤال عن صفة من يعقل، مثال على النوع الأول: ما عندك؟ فيجاب (كتاب). ومثال على النوع الثاني: ما محمد ؟ فيقال: (كاتب).

و(ما): لها معان أخرى إضافة إلى الاستفهام ، وأهمها:

١ـ التعظيم والتفخيم: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢)﴾ [الحاقة:١-٢] .

٢ـ التحقير: ما أنت والشعر .

٣ـ الحث: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء:٧٥] .

٤ ـ الإنكار: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾ [البقرة:١٤٢] .

٥ ـ الإلزام: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)﴾ [البقرة:٩١] .

٦ـ الاستبعاد: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء:١٤٧] .

لفظة (ماذا):

تأتي على ثلاث وجوه:

١ـ (ما) استفهامية و (ذا) اسم إشارة، نحو: ما هذا ؟

٢ـ (ما) استفهامية و (ذا) اسم موصول بمعنى الذي، نحو: ما ذا فعلت ؟

٣ـ (ماذا) كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام، نحو: ماذا أكلت أفاكهة أم لحماً؟

الفرق بين: (ماذا) و (ما):

١ـ (ماذا): تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره.

٢ـ إنّ في (ماذا) قوة ومبالغة في الاستفهام ما ليس في (ما)، فقولنا: ماذا فعلت؟ فيها قوة ليست في: ما فعلت ؟



﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آية النساء قوله تعالى: ﴿فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ وقوله في آية الإسراء ٣٢ ﴿فَٰحِشَةً﴾ ، فما سبب زيادة لفظة ﴿وَمَقْتًا﴾ في آية النساء ٢٢؟

الجواب:

زاد ﴿وَمَقْتًا﴾ في آية النساء؛ وذلك أنّ متزوج امرأة أبيه فاعل رذيلة، يُمقت فاعلها وتستخسه الطباع السليمة فوصفت فعلته بالمقت، وساوت الزنى فيما وراء ذلك؛ أي: في آية الإسراء ﴿فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ وفي آية النساء ﴿فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آيتي النساء ٢٣ـ٢٤ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ كما في آيتي النور ٢٩ـ٦١؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٣ .

السؤال الثاني:

في الآية السابقة رقم ٢٢ التي حرّم الله تعالى بها نكاح زوجات الأب عبّر عن التحريم بالنهي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ

﴿سَلَفَۚ﴾ فلِمَ عدل عنه إلى الماضي، فقال في الآية ٢٣ ﴿حُرِّمَتۡ﴾ ولم يقل: ولا تنكحوا أمهاتكم؟

الجواب:

إنّ أسلوب النهي كقولك لابنك: لا تلعب الكرة، فيه إيحاء بأنه كان يلعب بالماضي، ولذلك نهيته عن المستقبل، بخلاف قولك: نُهينا عن لعب النرد، فهذا يدل على تحريمه سابقاً ولاحقاً، ولذلك عبّر عن نكاح زوجات الأب بالنهي؛ لأن هذا الفعل كان شائعاً عند العرب ثم حرّمه الإسلام.

أمّا نكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات، فهذا لم يكن لدى العرب قبل الإسلام، ولذلك عبّر عنه بقوله ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ ليبين لنا أنّ هذا التحريم أمر مقرر سابقاً وأتى القرآن ليثبته، وهذا ما عبّر عنه ابن عباس بقوله: كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الإسلام إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين ، ولذلك عبّر عنه بالمضارع ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾.

﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (السفاح) و(البغاء) و(الزنا)؟

الجواب:

استعراض الآيات:

ـ السفاح في قوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ﴾ [النساء:٢٤].

ـ البغاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور:٣٣] .

ـ الزنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢] .

البيان:

١ـ الزنا: هو الوطء من غير عقد شرعي ، ويوصف به الرجل والمرأة .﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور:٢] .

٢ـ البغاء: هو الفجور، وبغى في الأرض، أي: فجر فيها، أي: تجاوز الحد إلى ما ليس له، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦] .

والبغاء هو استمراء الزنا ويسمى فجوراً.

والبغاء للمرأة ولا يوصف به الرجل؛ لأنها فجرت وتجاوزت ما ليس لها، لذلك يُقال للمرأة (بغي) ، ولا يقال للرجل بغي؛ لأنها تجاوزت حدها عندما فعلت تلك الفعلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم:٢٨] .

٣ـ المسافحة: أنْ تقيم المرأة مع الرجل على الفجور فتعيش معه في الحرام من غير تزويج صحيح ، ويمكن أنْ يوصف الرجل بالمسافح كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾ [النساء:٢٤].

والمسافحة هي التي تؤاجر نفسها مع أي رجل أرادها، والتي تتخذ الخدن فهو خدن معين، وكان أهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية .

٤ـ قوله تعالى في آية النساء ٢٤ ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أي: متعففين عن الزنا، وقوله ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾ أي: غير زانين، وهو تكرير للتأكيد .

٥ـ مفعول ﴿تَبْتَغُواْ﴾ هو قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ، فحذف ذكره لدلالة ما قبله عليه، والله أعلم.

٦ـ كل ما ذُكر فيه زنا، والزنا أقلهم ، فإذا استمرأت المرأة الزنا صار فجوراً، وإذا أقامت مع الرجل بغير عقد شرعي يقال: سفاح .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ في هذه الآية جاءت ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ بالفتح أي: التي أُحصِنت من زوجها، ولم تُقرأ بالكسر (المحصِنات) فما السبب ؟

الجواب:

المحصَنة: بفتح الصاد هي المرأة المتزوجة، وسميت محصَنة منْ أحصنها الرجل إذا حفظها واستقل بها عن غيره، ويقال: ﴿محصِنة﴾ بكسر الصاد إذا أحصنت نفسها بالعفاف.

وهذه الآية معطوفة على الآية التي قبلها ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣] أي وحُرِّمت المحصَنات المتزوجات، ولذلك قُرئت الفتح فقط، والمعنى أنّ اللواتي حُرم التزوج بهن هن المتزوجات، أمّا (المحصِنات) أي: العفيفات فليس الزواج بهن محرّماً بل يُندر أن تبحث عنهن.

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ورد في الآية ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ و ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ (إذا) في كلام العرب تستعمل:

آـ للمقطوع بحصوله كما في الآية: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] ولا بدّ أنْ يحضر الموت، ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولا بدّ للأشهر الحرم من أنْ تنسلخ، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف:١٧] ولا بدّ للشمس من أنْ تطلع وكقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٠٣] ولا بدّ للصلاة أنْ تنقضي.

ب ـ وللكثير الحصول كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] .

٢ـ ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(إن) للأقلّ، كما في آية الوضوء في سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة:٦] القيام إلى الصلاة كثير الحصول فجاء بـ (إذا)، أمّا كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ؛ لذا جاء بـ (إن).

وكذلك في سورة النساء ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء:٢٥] (إذا) جاءت مع ﴿أُحْصِنَّ﴾ [النساء:٢٥] وهذا الأكثر، أمّا (إنْ) فجاءت مع اللواتي يأتين بفاحشة وهو قطعاً أقل من المحصنات.

وكذلك في سورة الرعد ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد:٥] .

وفي سورة الليل ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ التردّي حاصل، والتردي إمّا أن يكون من الموت أو الهلاك، أو تردى في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عندها؟ وهذه ليست افتراضاً وإنما حصولها مؤكد وهي أمر حاصل في كل لحظة، ولهذا السبب جاء بلفظ (إذا) بدل (إن)؛ لأنّ (إذا) مؤكد حصولها، و(إنْ) مشكوك فيها أو محتمل حدوثها، وهذه إهابة بالشخص ألا يبخل أو يطغى أو يكذب بالحسنى،إذن لا مفر منه. فلماذا يبخل ويعسر على الآخرين ويطغى ويكذب بالحسنى؟

٣ـ وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم ٣٦٢ مرة لم تأت مرة واحدة في موضع غير محتمل البتّة، فهي تأتي إمّا بأمر مجزوم وقوعه أو كثير الحصول، كما جاء في آيات وصف أهوال يوم القيامة؛ لأنه مقطوع بحصوله كما في سورة التكوير وسورة الانفطار.

٤ـ أما (إنْ) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص:٧١] هنا احتمال وافتراض، و ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور:٤٤] لم يقع ولكنه احتمال، و ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] الأصل أنْ لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣] افتراض واحتمال وقوعه.

السؤال الثاني:

قال في آية النساء ٢٥ ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ وفي آية المائدة ٥ ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ آية النساء في نكاح الإماء ، وكان كثير منهن مسافحات، فناسب جمع المؤنث بالإحصان .

٢ـ آية المائدة: فيمن يحل للرجال من النساء ، فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما .

السؤال الثالث:

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾ بدون توكيد، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ يستعمل القرآن حروف التوكيد بهدف التوكيد وفي المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر .

٢ـ وهنا في آية النساء ٢٥ كما في آية آل عمران ١٢٩ وآية المائدة ٧٤ لم يؤكد المغفرة؛ لأنّ السياق في آية النساء في إقامة الحد على من يأتي بالفاحشة، ولا يناسب ذلك توكيد المغفرة .

للمزيد انظر الجواب في آية آل عمران ١٢٩ـ والبقرة ـ١٨٢ـ و ـ١٩٩ .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ فما الفرق بينهما؟

الجواب:

١ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم وإلا يقدم الحكمة، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة .

٢ـ حتى تتضح المسألة ننظر في الآيات التالية في تقديم العلم:

ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم فقدّم العلم .

ـ ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين، معناه هذا علم .فقدّم العلم .

ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فيها علم، فقدّم (عليم).

ـ قال في المنافقين: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية . فقدّم (عليم).

- ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدم العليم.

٣ـ نأتي للجزاء، الجزاء حكمة وحكم يعني من الذي يجازي ويعاقب؟ بالطبع هو الحاكم، وتقدير الجزاء هو من الحكمة . قال تعالى:

- ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، هذا حاكم يحكم ويقدّر الجزاء، فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، فليس كل عالم حاكماً.

- ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم ، فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع، لذلك عندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.

٤ـ قوله تعالى ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء:٢٦] ورد في القرآن الكريم (١٥) مرة، بينما ورد قوله تعالى ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٩] خمس مرات فقط .

السؤال الثاني:

ما دلالة ترتيب الآية بأن قدّم البيان ثم الهداية ثم التوبة ؟

الجواب:

ترتيب الآية هو الترتيب الطبيعي فقدّم البيان على الهداية؛ لأنّ الهداية تكون بعد البيان وإلا فإلى أي شيء يهديه ؟

وأمّا التوبة فهي بعد البيان والهداية ، وتكون بعد التقصير في الاتباع وارتكاب الذنوب والمعاصي.

السؤال الثالث:

لِمَ لم يقدم لفظ الجلالة في الآية ٢٦ فيقول مثلاً: الله يريد، بدل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

إنّ هذا الموطن لا يقتضي التقديم؛ لأنه لم يذكر أنّ جهة أخرى تريد غير ذلك ، وإنما هو إخبار عن الله سبحانه بهذا الأمر، بخلاف الآية التي تليها فإنه ذكر جهة أخرى تريد غير ما يريده الله للمؤمنين، ولذلك لا يناسب التقديم في الآية ٢٦ ، والله أعلم.



﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم لفظ الجلالة في الآية فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذا التقديم مقابل ما يريده الذين يتبعون الشهوات .

٢ـ هذا التقديم يفيد الحصر، فإنّ التوبة مختصة بالله حصراً .

٣ـ هذا التقديم يفيد الاهتمام والتوكيد والمبالغة في إرادة التوبة من الله سبحانه، لأنّ التوبة أهم شيء إلى العبد ، فإنه إذا لم يتب الله على العبد هلك، ولذلك كرّر إرادة التوبة قال تعالى:

آ ـ ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٦] .

ب ـ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧] .

ج ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨] ، والتوبة من الله تخفيف عن العبد.

د ـ ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨] والضعيف حاجته واضحة إلى التخفيف والتوبة من التخفيف.

هـ ـ مقابل قول إرادة الفجار: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل كما هو مظنون مثلاً: (والله يريد أن تستقيموا) ، حيث إنّ الاستقامة مقابل الميل ، ولكنه لم يقل ذلك بل ذكر ما هو أخف، ولا شك أنّ ذكر هذه الإرادة رحمة وتخفيف، فالإنسان ضعيف وخطّاء ويحتاج إلى التخفيف والتوبة من التخفيف.

وـ السياق قبل هذه الآيات في ذكر التوبة، انظر الآيات:[١٦ـ١٨].

ويتضح من ذلك أنّ السياق هو في التوبة، واقتضى ذلك أيضاً الاهتمام والمبالغة في إرادة التوبة، واقتضى أيضاً تقديم لفظ الجلالة من كل وجه.

السؤال الثاني:

لقد اتضح سبب تقديم لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فلِمَ لم يقدم الذين يتبعون الشهوات في تتمة الآية ٢٧ فيقول مثلاً: (والذين يتبعون الشهوات يريدون أن تميلوا) حتى يكون التعبيران على نسق واحد ؟

الجواب:

إنّ الذين يتبعون الشهوات ليسوا وحدهم الذين يريدون للمسلمين أن يميلوا ميلاً عظيماً، بل هناك غيرهم من يريد ذلك من المنافقين والمشركين وأهل الكتاب قال تعالى:

- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

- ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩].

- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢].

لذلك ذكر الله أنّ الذين يتبعون الشهوات يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً، ولم يقصر ذلك عليهم فلا يُناسب التقديم.

السؤال الثالث:

في الآية السابقة ٢٦ قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ وفي هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فما الفرق بين الصيغتين (لام التعليل) والمصدر المؤول (أن يتوب)؟

الجواب:

١ـ (لام التعليل) تدخل على الفعل المضارع وغيره لبيان العلة والغاية، كما تفيد التوكيد نحو: جئت لطلب العلم .

٢ـ (أنْ) حرف مصدري يدخل على الفعل الماضي والأمر، كما يدخل على الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار فينتصب بعده ويصرفه إلى الاستقبال على الغالب ، و(أنْ) والفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر إلا أنه لا يقع في الحال ، لكن لما يستقبل .

٣ـ عادة تقع (أنْ) بعد لفظ دالٍّ على معنى غير اليقين، نحو: أرجو، أخاف، أخشى، أطمع ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء:٨٢] .

أمّا الداخلة بعد أفعال اليقين وما في حكمها فهي (أنْ) المخففة من الثقيلة نحو (علمت أنْ لا يقدمُ) برفع يقدم ولا يصح نصبه .

٤ـ قد تكون(أنْ) للتعليل نظير قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢] ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ [النساء:١٧٦] ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] بتقدير محذوف نحو: كراهة أو مخافة أو لئلا أو بتقدير لام التعليل .

٥ـ لذلك(اللام وأنْ) كلاهما يفيد التعليل، لكن (اللام) لبيان العلة، و(أنْ) وما بعدها يفيد الدلالة على الزمن .

٦ـ المصدر هو الحدث المجرد، ويستعمل أحياناً استعمال الفعل فيكون له فاعل ومفعول به .

٧ـ المصدر المؤول يفيد الدلالة على الزمن، بخلاف المصدر الصريح نحو: صبرك خير لك، احتمل الماضي والحال والمستقبل .

٨ـ التعليل بـ(أنْ) وحدها يختلف عن التعليل بـ(اللام) وحدها، فقولك:

آ ـ أتقتله أنْ يعبد الله ؟ يفيد أنه يعبد الله وأنه يقتله بسبب عبادته له، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨] .

ب ـ أتقتله ليعبد الله ؟ يفيد أن يقتله حتى يعبد الله.

ج ـ أتقتله لأنْ يعبد الله يحتمل المعنيين:

ـ المعنى الأول: أنه يعبده وأنه يقتله بسبب عبادته له .

ـ المعنى الثاني: أنه لا يعبده وأنه يقتله لأجل أن يعبده .

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: بإنزاله القرآن العظيم وإرساله الرسول الكريم ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ عما كنتم عليه في الجاهلية من ضلال، وهذا متعلق في الحال والاستقبال .



﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾

السؤال الأول:

لماذا عدّى فعل الإرادة (يريد) في الآية ٢٦ وعدّاه بنفسه في الآيتين ٢٧ و ٢٨ ؟

الجواب:

١ـ التعدية بـ (اللام) بعد فعل الإرادة بقوله تعالى ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ تفيد التوكيد وتفيد التعليل أيضاً، أي: إرادته لهذا الغرض. وكلا الأمرين: التوكيد والتعليل، يدل على المبالغة والقوة، وهو آكد من التعدية بنفسه، فالتعبير: (يريد الله ليتوب عليكم) آكد من التعبير (يريد الله أن يتوب عليكم).

٢ـ وقد ذكر الله سبحانه الأمرين، فقال في الآية الأولى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وهي معطوفة على إرادة اللام، أي: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ..... وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وفي الآية الثانية فإنّ مصدر(أنْ يتوب) مفعول به للفعل ﴿يُرِيدُ﴾ فتكون إرادة الله للتوبة مطلوبة مؤكدة على كل حال .

٣ـ لمّا ذكرت الآية ٢٦ أموراً في غاية الأهمية، منها البيان لما يريده الله من خلقه وهداية الخلق ومنها التوبة جاء بفعل الإرادة معدّى بـ(اللام) .

ولمّا كانت الآية التي تليها مندرجة في مطلوب الآية السابقة وهي إرادة التوبة وليس فيها ما في الآية التي قبلها لم تحتج إلى اللام .

٤ـ فعل (أراد ويريد) إذا جاء باللام (لام التعليل المضمرة) بعدها نحو: ليتوب، ليعفو، ليضلوا، فمعناها: اتخذوا الأسباب وطبقوا ما وعدوا به وما هددوا به .

السؤال الثاني:

ما معنى (الضعف) في القرآن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة الضعف ضد القوة، إمّا القوة المادية أو القوة المعنوية. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾.

٢ـ هنا الضعف هو الضعف النفسي ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء:٢٨] أي ضعيفاً أمام الشهوات، لذلك جاء في الحديث «**حُفّت النار بالشهوات وحُفّت الجنة بالمكاره**» وطبيعة الإنسان في فطرته هذا الضعف، والآية هي تأكيد من الله تعالى لخلق الإنسان أنه ضعيف أمام الشهوات، لذلك ينبغي أنْ يحتاط ويقوي نفسه أمام شهوات الدنيا.

وحياة الإنسان في الأصل مبنية على الضعف ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الروم:٥٤] فالضعف الأول للإنسان بدأ من ذاك الحيوان المنوي ، ثم قوي الإنسان تدريجياً ثم يعود مرة أخرى ضعيفاً.

٣ـ (الضعف) فيه لغتان: بفتح الضاد (الضَّعف) وبالضم (الضُّعف)، وهما لغتان عربيتان فصيحتان.

وفي آية الروم ٥٤ المذكورة آنفاً جاءت فيها كلمة الضعف ثلاث مرات وفيها قراءتان، والذي قرأ (ضَعف) حفص في أحد وجهيه، وعنده وجه آخر (ضُعف) وشُعبةُ يقرأ (ضَعفٍ)، وحمزة من الكوفيين يقرأ (ضَعفٍ)، والباقون يقرأونها (ضُعف) بالضمّ، ونحن نقرأ بـ(الفتح) أحد وجهي حفص عن عاصم وهي لغة فصيحة لكثير من قبائل العرب ، أقرأهم إياها رسول الله ﷺ وأقرّهم عليها بأمر من ربه.

والقراءتان: ضَعف و ضُعف صحيحتان، وتصح الصلاة بها، وكلتاهما لهجتان عربيتان فصيحتان نزل بهما جبريل عليه السلام على صدر رسول الله ﷺ حتى لا يعترض أحدٌ على أحد.

٤ـ أما (الضِّعف) بالكسر فيعني المكرر، ضِعف كذا يعني مرة أخرى بقدره وليس مرتين كما هو الشائع، تقول: هذا ضِعف هذا، أي: بقدره، فإذا أردت بقدر مرتين، تقول: ضِعفَين.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ لفظ الجلالة (معرفة)، فما أقسام المعرفة؟

الجواب:

المعرفة هو ما وضع لشيء معين، والمعارف هي:

١ـ أعرف المعارف هو الله؛ لأنّ الكون كله وما فيه من المخلوقات يعرفونه.

٢ـ الضمير.

٣ـ العلم.

٤ـ المعرف بأل.

٥ـ اسم الإشارة.

٦ـ اسم الموصول.

٧ـ المضاف إلى معرفة.

٨ـ المعرف بالنداء.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ تأمل هذا التعبير والتصوير الإلهي في سلب أموال الناس بعضهم بعضاً، فقد جعل الله تعالى المال كالطعام يلتهمه الظالم ليبين لنا شدة حرصهم على أخذه دون ترك شيء منه ودون إرجاعه إلى أربابه، ألا ترى أنّ

الطعام قبل أنْ يأكله المرء يمكن أن يُعيده إلى أهله، وإذا ما أكله فقد قرر عدم الإذعان وإرجاعه وكذلكم آكِل المال.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الإنسان لا يحتاج إلى النهي عن قتل نفسه حتى يحفظها، فلِمَ جاء النهي عن قتل الإنسان نفسه؟

الجواب:

انظر إلى هذا البيان الإلهي، فالله تعالى يريد منا أنْ نصون أرواح الناس وأن لا نعتدي عليها، فعبّر عن ذلك بالكفّ والنهي عن قتل المرء نفسه؛ لأنّ المؤمنين جسد واحد وروح واحدة، فمن قتل أخاه فقد قتل نفسه، وذلك لأمرين: الأول بتفكيك المجتمع وخلق العداوة بين أفراده، والثاني أنه حكم على نفسه بالقتل قصاصاً.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ما دلالة حرف الاستقبال (سوف) ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠ .



﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ما الكبائر المذكورة في كتاب الله تعالى ؟

الجواب:

سأل عمرو بن عبيد وهو عالم من علماء البصرة وزاهد من زهادها، سأل الإمام جعفر الصادق فقال: أحب أنْ أعرف الكبائر من كتاب الله، فقال الإمام جعفر الصادق:

١ـ الشرك بالله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] .

٢ـ اليأس من رحمة الله، فإنّ الحق قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

٣ـ من أمن مكر الله؛ لأنه سبحانه قال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩] .

٤ـ عقوق الوالدين؛ لأنّ الله وصف صاحبها بأنه جبار شقي ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم:٣٢].

٥ـ قتل النفس، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣] .

٦ـ قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور:٢٣] .

٧ـ أكل الربا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

٨ـ الفرار يوم الزحف، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال:١٦] .

٩ـ أكل مال اليتيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠] .

١٠ ـ الزنا: قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩] .

١١ـ كتمان الشهادة: قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

١٢ـ اليمين الغموس: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران:٧٧] .

١٣ ـ الغلول ، أي: يخون في الغنيمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [آل عمران:١٦١] .

١٤ـ شرب الخمر: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠] .

١٥ـ ترك الصلاة ، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر:٤٢-٤٣] .

١٦ـ نقض العهد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] .

١٧ـ ومن الكبائر أيضاً:

ـ شهادة الزور.

ـ السحر.

ـ قطيعة الرحم.

السؤال الثاني:

كيف قال الله في آية الكهف ٤٩ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ مع أنه أخبر أنّ الصغائر تُكفر باجتناب الكبائر في آية النساء ٣١ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ ؟

الجواب:

١ ـ آية الكهف ٤٩ هي في حق الكافرين بدليل قوله تعالى فيها ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وكل مجرم في القرآن يراد به الكافر.

٢ـ أما آية النساء ٣١ فالمراد بها المؤمنون؛ لأنّ اجتناب الكبائر لا يكون متحققاً مع وجود الكفر.



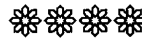
﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية أتى النهي عن طلب حصول نصيب الآخرين بالتمني ولم يأت بالنهي عن الرغبة أو السؤال، حيث قال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢] ولم يقل: (وتمنوا من الله فضله) فما سرُّ هذا الاستعمال؟

الجواب:

إنّ التمني هو طلب الحصول على شيء أقرب ما يكون من المستحيل، لذلك عبّر الله تعالى عن تطلّع النفوس إلى ما ليس لها بالتمني؛ لأنّ ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، ومن ثمّ ما كان لغيرك فلا يكون لك، وأمّا الطلب من الله تعالى فعبّر عنه بالسؤال؛ لأنّ ذلك مما يمنّ الله تعالى به على عباده السائلين.



﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى البيان الإلهي وهذا التمثيل الرباني لحالة الرجل الذي وُكِل إليه الكسب والحفظ والدفاع عن زوجه، فقد شبه اهتمامه بحالة القائم؛ لأنّ شأن القائم الذي يهتم بالأمر ويعتني به أنْ يقف ليدير أمره.

السؤال الثاني:

ورد في هذه الآية وفي غيرها كذلك كثير من أحرف الجر مثل: [على ـ الباء ـ الواو ـ الفاء]، فلماذا سميت حروف جر؟ وما تلك الحروف؟ وما أهم معانيها ؟

الجواب:

١ـ سميت حروف الجر؛ لأنّ الأسماء بعدها تأتي مجرورة، ومعنى الجر هو جر الفك الأسفل إلى أسفل، وتسمى الحركة كسرة .

٢ـ بشكل عام فإنّ الأصل في حروف الجر ألاّ ينوب بعضها عن بعض لأنّ لكل حرف معناه واستعماله، ولكنْ قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف فتتعاور الحروف على هذا المعنى ، وقد تقترب المعاني من بعضها أو يتوسع في استعمال المعنى فيكون الغرض فيه إعطاء مجموع المعنيين، وهذا يسمى (التضمين) وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنى الفعلين كما في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء:٧٧] فالنصر هنا له جانبان: جانب الناجي وجانب الذين نُجّي منهم، كأنّ المعنى أنّ الله نجاه وعاقب أولئك .

وحروف الجر قسمان: أصلية وزائدة.

معاني حروف الجر:

١ ـ الحرف (إلى):

هي في الأصل لانتهاء الغاية ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل:٣٣] وللمعية ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] .

٢ـ حرف الباء:

المعنى الرئيس للباء هوالإلصاق والمصاحبة والظرفية والعوض ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [البقرة:٨٦] وتكون الباء مع الذاهب والقسم والتعليل.

٣ـ حرف التاء:

وهو مختص بلفظ الله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧] والقسم يفيد التوكيد.

٤ـ الحرف (حتى):

حرف غاية وجر .

٥ـ الحرف (ربّ):

وهو في الغالب يفيد التكثير ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحِجر:٢].

وقد تحذف بعد(الواو والفاء وبل) ، وحذفها بعد الواو أكثر.

٦ ـ الحرف (على):

هو للاستعلاء حقيقياً أو مجازياً، وهو من العلو[النساء ٣٤] ، وللمجاوزة وللتعليل، وللظرفية .

٧ ـ الحرف (عن):

للمجاوزة: [الأعراف ١٥٧] وللبدل: [البقرة ٤٨] والاستعلاء: [محمد ٣٨] وللتعليل: [هود ٥٣] وللظرفية: [المؤمنون ٤٠].

٨ ـ الحرف (في):

وتفيد الظرفية الزمانية والمكانية ، وبمعنى (مع) نحو ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف:٣٨]، وبمعنى (إلى) [إبراهيم ٩]، وبمعنى (على) [طه ٧١] وللتعليل: [النور ١٤].

٩ ـ حرف (الكاف):

وهو يفيد التشبيه والتعليل والاستعلاء، وزائداً نحو ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١] .

١٠ ـ حرف (اللام):

وهو للاختصاص بالمِلكية [البقرة ٢٨٤] وشبه المِلكية: الغلاف للكتاب، والتمليك: وهبت لك مالاً، وشبه التمليك ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥﴾ [مريم:٥] وللتبليغ: قلت له، وللتعليل:﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾[الإنسان:٩] ، وللموافقة أو الاختصاص ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة:٥] ، وللصيرورة، وتسمى لام العاقبة:[القصص ٨] ، وزائدة.

١١ ـ حرف (من):

وتأتي للابتداء: [الإسراء ١]، وللتبعيض، ولبيان الجنس، وللتعليل وللمجاوزة بمعنى عن، ومرادفة للباء ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾ [الشورى:٤٥] وللموافقة ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر:٢٩] وزائدة، وللاستغراق.

١٢ ـ الحرفان (منذ ومذ):

لابتداء الغاية، بمعنى (من) إذا كان الزمان ماضياً نحو: ما رأيته منذ يوم الخميس.

وبمعنى (في) إذا كان الزمان حاضراً نحو: ما رأيته منذ يومنا .

١٣ ـ حرف (الواو):

ونعني بها هنا واو القسم، وهي حرف جر يدخل على الأسماء الظاهرة ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين:١]، ولا يدخل على الضمير.

أحرف المعاني المشتركة:

التعليل: [اللام ـ من ـ الباء ـ في ـ غيرها].

الظرفية: [في ـ على ـ غيرها].



﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة (الشرك) المذكور في الآية فى قوله تعالى ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ ؟

الجواب:

لفظة ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية فيها دلالتان:

آـ إما شيئاً من الشرك؛ لأنّ الشرك درجات، فهناك شرك أصغر و هناك شرك أكبر.

ب ـ أو شيئاً من الأشياء ، سواء كان أحداً من الناس أو الأصنام أو غيره.

إذن ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فيها دلالتان: لا تشركوا به شيئاً من الشرك، بأنْ تستعين بغير الله، ولا شيئاً من الأشياء، فالشرك درجات كما أنّ الإيمان درجات.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ووضع الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله تعالى مباشرة، وكأنها منزلة تالية بعد العبادة ؟

الجواب:

١ـ هذه فيها إشارة إلى عظيم منزلة الأبوين عند الله، وهذا الاقتران المميز يعني جعل الله عز وجل الإحسان إلى الوالدين بعد عبادته مباشرة، وما قضى بهذا إلا رب العالمين ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ .

٢ـ ومن كرمه رب العالمين لم يقل: (حسناً) قال: إحساناً، وهذا تقوم به بسهولة، أمّا الحُسن هذا درجة عالية لمن يسّره الله له، ولهذا في الفقه الإسلامي لا يجوز أنْ تعطي أباك زكاة؛ لأنه لم يقل في آية مصارف الصدقات: للأبوين ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ﴾ [التوبة:٦٠] وفي الحديث: «**أنت ومالك لأبيك**».

٣ـ ولهذا النبي ﷺ لمّا قيل له: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها قالوا: ثم أيّ؟ قال: بر الوالدين**» والبر مجرد بر الوالدين يعني العمل الثاني بعد الصلاة؛ لأنّ الصلاة ليس لها بديل ، وإذا كان البر هكذا فما بالك بالحُسن؟!.

٤ـ والحُسن لا يعمله إلا القليل؛ لأن هذا يحتاج إلى ثقافة، وإلى معرفة بالله عز وجل، وإلى أن يُعلَّم هذا الإنسان ما معنى أن تكون مع أبيك حسناً؟

أمّا (البر) فما دمت إنساناً فأنت بك غريزة وميل طبيعي إلى أن تبر أبويك، ولهذا الله قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [العنكبوت:٨] لمجرد كونك إنساناً بعد أنْ أخرجك الله من المملكة الحيوانية وأطلق يديك من الأرض فسوّاك فخلقك فعدلك فأطلق يديك، وحينئذٍ جعل من عناصر هذه الأنسنة أنْ تكون باراً بوالديك تميل إليهما، وتنتسب إليهما، لهما حظوة واحترامٌ عليك وإلى كل المنظومة التي هي حسنٌ أو إحسانٌ أو برٌّ، ولكلٍ شرحها الذي يطول.

٥ـ والإحسان إلى الوالدين قضية خطيرة، فهما جنتك ونارك، وهما أقصر طريق إلى الجنة، وأقصر طريق إلى النار، ومن الأحاديث العجيبة يقول النبي ﷺ: «**أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين**» «**ثلاثة حرّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاقّ لوالديه، والديوث**» .

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] و ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٨٣ .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ ألا ترى في الفعل (أحسن) ومصدره (الإحسان) أن يتعدّى بحرف الجر (إلى) فنقول: أحسن إلى فلان، فلِمَ عبّر هنا بـ(الباء) في قوله ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ ؟

الجواب:

الإحسان إذا عُدّي بالباء كان متعلقاً بمعاملة الذات، أي: ذات الأبوين روحاً وجسداً وتوقيرهما واحترامها والنزول عند رغبتها وامتثال أمرهما، وكأنه يقول: بِرّ بوالديك، وهذا ما نوّهت له الآية ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ أمّا تعديته بـ (إلى) فذاك يكون عند قصد إيصال النفع المالي، ولذلك قال تعالى لقارون: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص:٧٧] .

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ إذا عرفت أنّ السبيل هو الطريق، فكيف أُطلق على المسافر البعيد عن منزله ابن السبيل؟

الجواب:

سمي المسافر البعيد عن منزله الذي ضاقت به السبل ابن السبيل؛ لأنه لازم الطريق سائراً مسافراً فنُسب إليه ، وإذا ما دخل قبيلة عرفوه أنه ابن السبيل، لأن الطريق رمى به إليهم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ وفي آية أخرى قال: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] فما الفرق بين حُسناً وإحساناً ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.

السؤال السابع:

ما علاقة بداية الآية بخاتمتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ ؟ وما فائدة العدول عن قول (لا يبغض) إلى قوله ﴿لَا يُحِبُّ﴾ ، مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض؟

الجواب:

١ـ (البغض) صفة مكروهة للنفوس؛ فلم يحسن نسبته إلى الله لفظاً، وحال العبد مع الله إما في طاعة أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تعين ضدها، فعبّر بما هو أحسن لفظاً .

٢ـ قوله تعالى في آية النساء ٣٦ ﴿لَا يُحِبُّ﴾ جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾، والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما وعدم الاختيال، فناسب ختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦]

السؤال الثامن:

استعمل القرآن في سياق الدعاء والبر للوالدين لفظة (الوالدين) ، دون لفظة (الأبوين)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.



﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يُنفِقُونَ﴾ بالصيغة الفعلية ؟

الجواب:

١ ـ استعمل القرآن الفعل (أنفق) و(ينفق) بصيغه المختلفة حوالي ٧٠ مرة جميعها بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الإنفاق أمر يتكرر ويتجدد ويحدث باستمرار، ولأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث .

٢ ـ لم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة في آل عمران ١٧ ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ ،وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ٤٠ ﴿وَإِن تَكُ﴾ بحذف النون، بينما لم يحذفها في الآية ٩٧ في نفس السورة، حيث قال: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

١ ـ آية النساء ٤٠ ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ حُذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرةً حقيرةً في الاعتبار فإنّ إليه مضاعفتها .

٢ ـ آية النساء ٩٧ ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ هذا قد تم تكوينه وانتهى فلا داعي لحذف النون .



﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

المطلوب مقارنة بين الآيات: [البقرة ١٤٣ـ النساء ٤١ـ المائدة ١٠٩]حول معنى (الشهادة) في الآيات الثلاث ؟

الجواب:

من قراءة الآيات الثلاث: [البقرة ١٤٣ـ النساء ٤١ـ المائدة ١٠٩] يتضح أنّ الأنبياء أولى منا بالشهادة ، فما المعنى والحكمة ؟

١ـ في آية المائدة ١٠٩، معناه: لا نعلم حقيقة جوابهم باطناً وظاهراً، بل أنت المتفرد بعلم ذلك إلا ما علمتنا؛ ولذلك قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩﴾ والمعنى أننا نعلم ظاهر جوابهم، أما باطنه فأنت أعلم به .

ومعناه أيضاً أنّ جوابهم لما كان في حال حياتنا، ولا علم لنا بما كان بعد موتنا؛ لأنّ الأمور بخواتيمها .

٢ـ آية النساء ٤١: بيّن الله أنّ مجازاة المحسن على إحسانه يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ؛ لتكون الحجة على المسيء أبلغ والتبكيت له أعظم ، ويكون سرور المطيع أكبر وأعظم .

وذكر السدي أنّ أمة محمد عليه السلام يشهدون للرسل بالبلاغ ، والرسول عليه السلام يشهد لأمته بالتصديق .

٣ـ آية البقرة ١٤٣: روي أنّ الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء ، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلّغوا ، وهو أعلم ، فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم: من أين عرفتم ؟ فيقولون: علمنا ذلك من إخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه السلام ، فيُسأل عن أمته فيزكّيهم ويشهد بعدالتهم. والله أعلم .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ ما دلالة هذه الصورة نفسياً ؟

الجواب:

انظر إلى هذه الصورة التي تشخِّص لك هيئة نفوس الكافرين التي امتلأت خزياً قاتلاً وخجلاً مميتاً في موقف المواجهة ، حين يُستدعى الشهود فهي لا تتمنى الموت بل تذهب إلى أشد منه، تتمنى لو تضاءلت الأجساد حتى تصير على سوية الأرض، لا شك أنّ هذا التصوير فيه رصد لعمق المعاناة النفسية والشعورية ورصد لبواطن النفس وخلجات الحِسّ أكثر من التعبير المباشر عن الشعور بالخزي.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ ، والصلاة ليست مكاناً يُقصد حتى يؤمر الإنسان أن لا يقربه ، فلِمَ عبّر عن عدم جواز الصلاة للسكران بقوله ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولم يقل: لا تصلّوا؟

الجواب:

اختير هذا الفعل دون (أن تصلّوا) ونحوه؛ للإشارة إلى أنّ تلك حالة منافية للصلاة، وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في الإسلام، وهو الصلاة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النساء ٤٣: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ ، وقال في آية المائدة ٦: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ بزيادة ﴿مِّنۡهُۚ﴾ فما السبب ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام حيث كان السياق مجملاً أجمل في الذكر، وحيث كان مفصلاً مبيناً زاد وبيّن .

٢ـ زاد ﴿مِّنۡهُۚ﴾ في آية المائدة ؛ وذلك أنّ آية المائدة فيها تفصيل لأحكام الوضوء كاملةً ، بخلاف آية النساء التي لم تذكر أحكام الوضوء تفصيلاً .

فلمّا فصّل وبيّن في آية المائدة وزاد في ذكر أحكامها زاد الجار والمجرور ﴿مِّنۡهُۚ﴾ للزيادة في التبيين .

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿جُنُبًا﴾ في الآية ؟

الجواب:

﴿الجُنُب﴾ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب .

وأصل الجنابة: البعد، وقيل للذي يجب عليه الغسل (جنب)؛ لأنه يجتنب الصلاة والمسجد وقراءة القرآن حتى يتطهر.

السؤال الرابع:

لماذا قال في آية النساء ٤٣ : ﴿تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ وفي آية المائدة ٦ : ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال في آية النساء: ﴿تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ ، وفي آية المائدة ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ؛ والسبب - والله أعلم-:

آ ـ ذكر في آية النساء ٤٣ ﴿تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ أي: مع وجود الماء و ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ مع عدم وجود الماء ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ فشملت الآية الحالتين: وجود الماء وعدمه وكيفية التطهر في كليهما.

ب ـ ذكر في آية المائدة ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ أي: أمر بالطهارة على الإطلاق، فكان ذلك أمراً بتحصيل الطهارة في كل البدن على الإطلاق .

ج ـ الطهارة الصغرى لمّا كانت مخصوصة ببعض الأعضاء ذكر الله تعالى تلك الأعضاء على التعيين، ولمّا ذكر الله ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ ولم يعين شيئاً من الأعضاء عُلِم أن هذا الأمر أمر بطهارة كل البدن.

د ـ لا شك أن هذا التطهير هو الاغتسال ، كما ورد في آية النساء ٤٣.

٢ـ قوله: ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ أصلها: تطهروا، إلا أن التاء أدغمت في الطاء لأنهما من مكان واحد، ولمّا تم الإدغام سكّن أول الكلمة فزيد ألف الوصل ليبتدأ بها فقيل: اطهروا .

٣ـ المراد بالصلاة في الآيتين المسجد ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود، والشافعي والأكثرية أنّ المراد هي الصلاة نفسها .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ ما منظومة كلمات العبور التي وردت في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

١- عبر:

هو المرور أفقياً أو عرضياً: كالمرور عبر المسجد ليصل إلى مكان الوضوء . [النساء ٤٣].

٢- جاوز:

المرور طولياً مع الطريق. [الكهف ٦٢ـ الأحقاف ١٦ـ يونس ٩٠ـ الأعراف ١٣٨].

٣- قطع:

تعني الوقت المستغرق لعبور الطريق ، تقول: قطعت الطريق في خمس ساعات . [العنكبوت ٢٩].

٤- سبق:

استباق وتعني السرعة للوصول أولاً: [الواقعة ١٠ـ المؤمنون ٦١ـ يس ٤٠].

٥- سارع:

السباق من المسارعة، والسباق من أشد أنواع المسارعة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران:١٣٣] ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [آل عمران:١١٤].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ، ولم يقل: (آتيناهم الكتاب) فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في موضع المدح يأتي بـ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾ [البقرة:١٢١] كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة:١٢١] ، وفي معرض الذمّ يأتي بـ﴿أُوتُواْ﴾ [النساء:٤٤] كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة:١٠١] .

لمزيد من التفاصيل انظر الجواب في آية البقرة رقم ٥٣.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمتي (السبيل) و(سبيلاً) ؟

الجواب:

١ـ كلمة (السبيل) بالتعريف عندما تقف عليها تقف على السكون ، والسكون فيه معنى الاستقرار، ويعني: الإسلام خالصاً، كما في آيات [النساء ٤٤ـ الفرقان ١٧ـ الأحزاب ٤].

٢ـ كلمة (سبيل) بالتنكير تعني: سبيل المجاهدين ـ سبيل الملتزمين ـ سبيل المنافقين.

* شواهد قرآنية: السبيل:

آ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النساء: ٤٤]

ب ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان: ١٧]

ج ـ ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤]

وكلمة (السبيل) في هذه الآيات تعني (المستقر الثابت)، وهو الإسلام الخالص .

٣ـ وردت كلمة ﴿سَبِيلًا﴾ في آية الأحزاب ٦٧ ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ بالألف واللام والإطلاق؛ وذلك أنهم في وضع اصطراخ، فهم يصطرخون في النار ، فجاءت كلمة ﴿سَبِيلَا﴾ بالإطلاق لتتناسب مع إطلاق صراخهم في النار .

٤ـ وردت كلمة ﴿سَبِيلًا﴾ في سورة الفرقان ست مرات في الآيات:[٩ـ٢٧ـ٣٤ـ٤٢ـ٤٤ـ٥٧].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ لِمَ قيّد ربنا سبحانه وتعالى الإيتاء بالنصيب، ولم يجعله مطلقاً ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ؟

الجواب:

في هذا التقييد لغة بلاغية، ألا ترى أنّ ثمة فرقاً واضحاً بين من أوتي الكتاب ومن أوتي نصيباً من الكتاب، ففي اختيار كلمة (نصيباً من الكتاب) إيحاء بقلة أثر الكتاب في نفوس السامعين.



﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ و ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:٤١] ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ اليهود حرفوا التوراة سابقاً قبل بعثة النبي محمد ﷺ واستقر الوضع في التوراة حسبما حرفوها لمدة طويلة .

٢ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة:٤١] هو التحريف الثاني في زمن النبي محمد ﷺ ، حيث عادوا لتحريف التوراة مرة ثانية .

السؤال الثاني:

قوله تعالى هنا في آية النساء ٤٦ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفي آية الكهف ١٠٩ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ فما الفرق بين (الكلم والكلمات) ؟ ولِمَ لمْ يقل في آية الكهف: كلم؟

الجواب:

استخدم القرآن لفظة ﴿كَلِمَٰتُ﴾ كجمع قلة، كما في آية[الكهف ١٠٩] واستخدم لفظة ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ بالجمع، كما في آية [النساء ٤٦].

وذلك لأنّ كلماته تعالى لا تفي بها البحار ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ فالأقلام تفنى والبحر ينفد ويجف ولا تنفذ كلمات الرحمن، فكيف بالكلِم؟! فجمع القلة (كلمات) لا تفي بها هذه البحار والأقلام، فكيف بالكلِم؟!.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء ٤٧: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾، وقال في آية النساء ٤٤: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ فما الحكمة من هذا الاختلاف بين الآيتين؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً في قوله تعالى: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أنه جاء في مقام التعجيب والتوبيخ، فناسبه كلمة ﴿نَصِيبًا ﴾للإشارة إلى قلة علمهم الذي أخذوه من الكتاب، بينما في قوله تعالى: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ صيغت هذه الآية في مقام الترغيب، فناسبه لفظ ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الذي يؤذن بأنهم شُرّفوا بإيتاء التوراة، وما ذاك إلا ليثير اهتمامهم وهمتهم للتخلق بسمات الراسخين منهم.



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف بين فاصلتي آية النساء ٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ وآية النساء ١١٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ ؟

الجواب:

صدر الآيتين واحد وكلتا الآيتين في سورة النساء، وختمت الأولى ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨] والثانية ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦] . وحتى يتضح السبب ينفعنا العودة إلى السياق؛ لنتعرف لماذا اختار هذه الفاصلة دون تلك.

آية النساء ٤٨:

هذه الآية نزلت في الرد على افتراءات أهل الكتاب وكذبهم ، وفي سياق هذه الآية قال تعالى:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء:٤٤] .

- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦] .

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء:٤٧] .

- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النساء:٥٠] .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

وأهل الكتاب نزل عليهم كتاب بالتوحيد لا بالشرك، فعندما يشركون يكونون قد افتروا على الله ، وهم يفهّمون الناس أنه نزل بالشرك، إمّا بالتثليث أو عزير ابن الله أو غيرها من الأقاويل، فينسبونها إلى الله وإلى الكتب افتراء على الله، فناسب ختم الآية

﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ لأنهم كذبوا على الله، و(افترى) يعني كذب و(الإثم) هو الذنب، وأعمالهم آثام فهم افتروا واكتسبوا إثماً.

آية النساء ١١٦: هذه الآية هي في كفار قريش وهم لم يعرفوا كتاباً، ولا يعلموا شيئاً، هم غافلون ولم ينزل إليهم كتاب، وإنما هم ضالون.

وسياق الآية هو في الضلال . قال تعالى:

- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥] مشاقة الرسول ضلال.

- ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥].

- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ﴾ [النساء:١١٩] .

إذن الآية الثانية هي في سياق الضلال، إضافة إلى أنها نزلت في أناس لم ينزل إليهم كتاب ولا عرفوه، فهم (ضالون) ، فناسب ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦] مناسبة للسياق ولمن نزلت فيهم.

إذن هناك فرق بين السياقين ، ففي الآية الأولى نزل عليهم كتاب فافتروا، أمّا الثانية فلم ينزل إليهم كتاب فهم ضالون .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ ؟وما خطر الشرك ؟

الجواب:

في حديث منقول من كتاب «الترغيب والترهيب»:قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتينّ عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون، قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**» فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: «**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم**». (رواه الإمام أحمد والطبراني ورجاله ثقات).

ومعنى «**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه**» أي: لا نريد أن نرتكب شركاً ونحن نعلم أنه شِرك، و«**ونستغفرك لما لا نعلمه**» أي: قد نرتكب شيئاً يدخل في هذا الباب ونحن لا نعلمه، فنحن نستغفر الله سبحانه وتعالى منه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:٤٨] وحتى هذه المغفرة الثانية علّقها بالمشيئة، فمسألة الشِّرك مسألة عظيمة جداً ولذلك حذّر منها علماؤنا كثيراً، وعلى المسلم أنْ يفتش عن أسباب الشِّرك ويُنجي نفسه منها، مثل الاستعانة بغير الله، وسؤال غير الله سبحانه وتعالى فيما لا يملكه إلا الله عز وجل، فيحذر المسلم لأنّ هذا يحبط العمل، والعياذ بالله سبحانه وتعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما مضمون هذه الآية ؟

الجواب:

انظر إلى هذا الأسلوب في إبطال معتقدهم، فلم يقل: ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم وهم كاذبون ليبيّن حالة التزكية، بل قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ فقد أبطل معتقدهم في التزكية بإثبات التزكية لله تعالى . وقد أفاد تصوير الجملة بـ ﴿بَلِ﴾ حتمية إبطال تزكيتهم خلافاً لحذفها، فلو قال: (والله يزكي من يشاء) لكان لهم طمع أنْ يكونوا ممن زكّاه الله تعالى.

السؤال الثاني:

ما معنى التزكية ؟

الجواب:

١ـ التزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه، ومنه تزكية الشاهد في القضاء، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم:٣٢] وحيث إنّ التزكية متعلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن ولا يعلم حقيقتها إلا الله، فلا جرم أنه لا تصلح التزكية إلا من الله ؛ ولذلك قال الله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ .

٢ـ إنْ قيل: أليس النبي ﷺ قال: «**والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض**» فكيف نفهم هذا ؟

والجواب: إنما قاله النبي ﷺ حين قال المنافقون له: اعدل في القسمة؛ ولأنّ الله تعالى لما زكّاه بدلالة المعجزات جاز له ذلك بخلاف غيره .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ ما الفتيل ؟وما النقير ؟ وما القطمير؟

الجواب:

الفتيل ما كان في شق النواة، والنقير النقطة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ، والقطمير هو القشرة الرقيقة على النواة .

وهذه الأمور كلها تُضرب أمثالاً للشيء الحقير، أي: لا يظلمون لا قليلاً ولا كثيراً . والله أعلم.



﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ والكلام المختلق المكذوب تسمعه الآذان، فكيف قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ﴾ ولم يقل: اسمع؟

الجواب:

جعل الله تعالى الكذب والافتراء الذي تسمعه الأذن كأنه أمر مرئي يراه الناس بأعينهم ليصف شدة تحقق وقوع ذلك منهم فهو أمر محتّم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَفۡتَرُونَ﴾ ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي (جرح ـ اجترح ـ افترى ـ اكتسب ـ ارتكب ـ اقترف ـ احتمل ـ كسب ـ عمل ـ فعل ـ تجانف).

وهذه الكلمات هي منظومة ارتكاب الذنوب، وكل الكلمات عدا (فعل، وتجانف) هي للكافرين ، وأمّا (فعل وتجانف)، فهي للمؤمن يقال: فعل الذنب أو تجانف الذنب.

١- جرح واجترح:

وتعني ارتكاب الذنب الذي يترك أثراً لا يمحى ، واجتراح السيئة للكافر ، وكل سيئة تمحى إلا الشرك بالله [الجاثية ٢١].

٢- اقترف:

هي من (قرف) ، ولها معنيان:

آ ـ نزع اللحاء عن الشجرة مما يؤلم الشجرة ولكنه طيب الرائحة.

ب ـ اقترف بمعنى نزع الشيء بشكل مؤلم ، لكنّ الألم قد يكون طيباً يورث محمدة وقد يورث مذلة.

ولذلك تستعمل (اقترف) بالخير[الشورى ٢٣] وقد تستعمل بالشر[الأنعام ١٢٠].

واقتراف الحسنات يترك أثراً محموداً وذكراً طيباً حتى بعد الممات؛ لأنّ الحسنات طيبة الرائحة.

٣- احتمل:

هو الإصرار على الذنب والاستمرار عليه حتى يصبح ثقيلاً لا يمكن حمله يوم القيامة، و(الحمل كماً) و(الاحتمال كيفاً) [الأحزاب ٥٨].

٤- كسب واكتسب:

الكسب هو حصيد ما عمله الإنسان في حياته سواء باشره بنفسه أو لم يباشر أسبابه كأنْ يدعو لك أحد بظهر الغيب.

و(اكتسب)هو كل ما يملك الإنسان وباشر أسبابه بعمد وقصد، و(اكتسب) أكثر من (كسب) بالمبنى، وهذا يدل على زيادة المعنى، فالذنب أعظم وأضخم من الحسنة، والاكتساب افتعال فيه جهد وإصرار ، فقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقيل: إنّ الكسب للحسنة والاكتساب للسيئة، وأمّا قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١] فهو تعبير عن الذي انغمس في الخطيئة حتى أنها أحاطت به من كل جانب فأصبح يري الاكتساب كسباً .

ولكن الصحيح أنّ (كسب واكتسب) تستعملان في الحسنة وفي السيئة .

٥- افترى:

هو التآمر كتشويه سمعة عالم أو داعية، وهي تقوم على الشائعات والتهم [النساء ٥٠ ـ الأنعام ٢١].

٦- عمل:

العمل عام والفعل جزء من العمل[آل عمران ٣٠ـ التوبة ١٠٢].

٧- فعل:

الفعل من جزئيات العمل، والفعل من عمل المؤمن، فيقال للمؤمن: فعل الفاحشة أو فعل السيئة، وليس عمل الفاحشة أو عمل السيئة، والمؤمن ما إنْ يفعل السيئة حتى يتوب عنها، وإنْ كانت فاحشة[النساء ١١٤ـ آل عمران ٨٥].

٨- جنف:

هو كل ضرورة وكل اضطرار يدفعك إلى ارتكاب الحرام وأنت له كاره ولا تأخذ منه إلا الحد الأدنى، مثل العطشان في الصحراء يوشك على الموت ولم يجد إلا الخمر، فله أنْ يشرب منه بالقدر الذي يحفظ عليه حياته، [البقرة ١٨٢].



﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة الجبت والطاغوت؟ وهل هي موجودة في لغة العرب؟

الجواب:

الطاغوت:

١ـ اشتقاقه من الطغيان، فعله (طغى) ، وأصلها (طغووت) على وزن ملكوت وجبروت ورهبوت، وهي مصادر تدل على المبالغة، كما في الحديث «**جُللت الأرض والسماء بالعزة والملكوت**».

٢ـ ومعنى (الطاغوت) : هو كل ما عُبد من دون الله ، وهو كل رأس في الضلال حتى الساحر والكاهن والصنم والمارد من الجن ، وهي عامة.

٣ـ استعملت كلمة (الطاغوت) في القرآن للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، ويمكن أنْ تجمع (طاغوت وطواغيت) كضيف وأضياف، وطفل وأطفال.

٤ـ في آية البقرة ٢٥٧ كلمة (الطاغوت) فيها جمع؛ لأنّ للمؤمنين ولياً واحد، وهو الله تعالى، فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧] أمّا الكافرون فأولياؤهم متعددون من الشياطين وغيرهم؛ لذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ [البقرة:٢٥٧].

٥ـ آية الزمر ١٧: استعمل الطاغوت للجمع والمؤنث، وهي في الآية بمعنى الأصنام، وهي جمع بدليل ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزُّمَر:١٥].

الجبت:

١ـ تأتي أحياناً بمعنى الطاغوت، وهي عامة وتطلق على الساحر والكاهن وعلى الأفعال غير المرضية، مثل الطيرة والعيافة والاعتقادات الباطلة والصنم .

٢ـ لها في المعنى نفس دلالة الطاغوت، لكن فيها توسعاً في المعنى، مثل (الطيرة والعيافة والاعتقادات والمفاهيم والأفكار).

٣ـ ليس من صيغتها فعل وليس لها جمع ولا مثنى ، وفي كتب اللغة يقولون : الجبت ليس من محض العربية في الأصل .

السؤال الثاني:

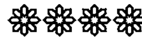
ما منظومة كلمة (طاغوت) في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

الجبت ـ الطاغوت ـ الرذل ـ الزنيم ـ السفيه

انظر التفصيل في آية النساء ٥.



﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣﴾

السؤال الأول:

لفظة ﴿فَإِذٗا﴾ هل تكتب بالألف أم بالنون ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٦.

السؤال الثاني:

ما النقير المذكور في الآية ؟

الجواب:

انظر السؤال الثالث آية: ٤٩ .



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تصوير هذا المشهد من العذاب ؟

الجواب:

انظر إلى هذا التصوير لمشهد العذاب، إنه مشهد مادي محسوس تتألم منه الأجساد وتتلظى به الجوارح والأبدان ، وهو مشهد لا يكاد ينتهي، مشهد يشخص له الخيال ولا ينصرف عنه، ألا ترى أنك تكاد ترى مشهد الجلود الناضجة من شدة قوة التصوير في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ وتأمل هذا الاختيار المفزع لأداة الشرط ﴿كُلَّمَا﴾ دون استعمال الأداة (إذا)؛ لأن (كلما) ترسم مشهد نضوج الجلود متكرراً خلافاً لـ (إذا)، وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ .

السؤال الثاني:

لِمَ خصّ الله تعالى الجلود بالتغيير دون الأعضاء، مع أنها تنضج في النار أيضاً؟

الجواب:

هذا من إعجاز القرآن؛ فالجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس فلو لم يبدّل الجلد بعد احتراقه لما وصل عذاب النار إلى النفس.

السؤال الثالث:

ما دلالة ﴿سَوْفَ﴾ في الآية ؟ وما الفرق بين (السين وسوف) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠ .

السؤال الرابع:

ما أهم دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿سَوْفَ﴾ في الآية جاءت للتهديد والوعيد، وقد ترد للوعد أيضاً كما في قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥] والسياق هو الذي يحدد المعنى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نُصْلِيهِمْ﴾ تتضمن دخول النار مع الزيادة بمنزلة: (شويته بالنار).

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾ أي: هو القادر الغالب الحكيم الذي لا يفعل إلا الصواب.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ فيه سؤالان:

السؤال الأول: لمّا كان الله تعالى قادراً على إبقائهم أحياء في النار خالدين فيها، فَلِمَ لمْ يبقِ أبدانهم في النار مصونة عن النضج والاحتراق مع وصول الآلام الشديدة إليها؛ حتى لا يحتاج إلى تبديل جلودهم بجلود أخرى؟

والجواب: أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل، بل هو قادر على إيصال آلام عظيمة إلى أبدانهم من غير إدخال النار، مع أنه تعالى أدخلهم النار.

السؤال الثاني: الجلود العاصية إذا احترقت لو خلق الله مكانها جلوداً أخرى وعذّبها كان هذا تعذيباً لمن لم يعص وهو غير جائز، فكيف ذلك ؟

والجواب:

١ـ أنْ يجعل النضج غير النضيج ، فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة وبالتالي لم يصل العذاب إلا إلى العاصي ، والمراد بالغيرية ﴿غَيۡرَهَا﴾ هنا التغاير في الصفة.

٢ـ المُعَذَّب هو الإنسان والجلد جزء منه، فإذا جدد الله جلده وصار الجلد الجديد سبباً لوصول العذاب إليه لم يكن ذلك تعذيباً إلا للعاصي .

السؤال السادس:

ما المقصود من لفظة ﴿كُلَّمَا﴾ في الآية؟ وما المقصود من قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾؟

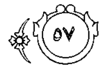
الجواب:

١ـ المقصود من الآية بيان دوام العذاب وعدم انقطاعه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ اللام للتعليل، أي: ليدوم لهم ذوق العذاب ولا ينقطع.

والمقصود من ذكر الذوق الإخبار بأنّ إحساسهم بذلك العذاب كإحساس الذائق من حيث لا يزول ولا ينقص. والله أعلم.



﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ ؟

الجواب:

من المعلوم أنه لا توجد شمس في الجنة؛ ولذلك لا يوجد حر يحتاج إلى ظل ظليل، فكيف يكون معنى الآية؟

والجواب: هو مجاز عن المستقر المُستطاب جرياً على المتعارف بين الناس، وخاصة في بلاد الحجاز حيث الحر الشديد، فأطيب ما عندهم هو موضع الظل فخاطبهم بما يفهمون.

والظل فيه الراحة، والظليل ليس ينبىء عن الفعل، بل هو مبالغة في نعت الظل، مثل قولهم: ليل أليل.

وكما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم:٦٢] وليس في الجنة طلوع الشمس ولا غروبها فيكون فيها بكرة وعشياً، لكنْ لمّا كان في عرفهم أنَّ تمام النعمة أنْ يكون الطعام حاضراً مهيئا طرفي النهار عبّر عن حضوره وتهيئته بذلك .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ما دلالة (أبداً)؟ هل هي للخلود أم لتأكيد المدة الطويلة ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٣.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ باستعمال السين، فما الفرق بين السين وسوف في الاستعمال ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الآية التي نزلت داخل الكعبة؟

الجواب:

هي الآية المذكورة أعلاه (نزلت داخل الكعبة عندما دخل الرسول ﷺ يوم فتح مكة وطلب من عثمان بن طلحة وكان حاجب الكعبة أنْ يعطيه مفتاح الكعبة، فأبى وصعد إلى سطح الكعبة، فأرسل الرسول ﷺ بلالاً ليحضره منه، ففتح الكعبة وحطّم الأصنام، ثم نزلت هذه الآية يأمر الله تعالى رسوله أن يردّ المفتاح إلى عثمان، وما زال في بني شيبة إلى الآن).



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار كلمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في سورة النساء وعدم ذكره (أطيعوا) مع أولي الأمر؟

الجواب:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ ولم يقل تعالى: (وأطيعوا أولي الأمر منكم)؛ لأنّ طاعة أولي الأمر تبعية وليست مستقلة، وإنما هي تابعة لطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ، فأولو الأمر ليس لهم طاعة مستقلة، ولكن طاعتهم تبعية بحسب طاعتهم لله ولرسوله، كما أنّ طاعة أولي الأمر ليست بنفس بمنزلة طاعة الله ورسوله ومن المحتمل التنازع بين أولي الأمر.

السؤال الثاني:

لماذا يرد في القرآن أحياناً: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد: (وأطيعوا الله والرسول)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٢.



﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ لو رجعت إلى سبب نزول هذه الآية لعلمت أنها نزلت بمنافق، فلِمَ صيغت بأسلوب الجمع ولم تكن مفردة؟

الجواب:

ورد في الآية قوله تعالى ﴿يَزْعُمُونَ﴾ بصيغة الجمع مع أنّ المراد بها واحد لأنّ المقام مقام توبيخ ليشمل المنافق المقصود ومن كان على شاكلته وفعلته.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ وصف الله تعالى الضلال بالبعيد، والبعد مسافة، فلِمَ لم يصفه بالضلال الكبير مثلاً؟

الجواب:

إنّ الشيطان يسعى ليُغرق الإنسان في الضلال وليوغل في مسار الفسق حتى يصعب عليه الرجوع عنه، أمّا الضلال الكبير فيمكن أن يتخلى الإنسان عنه، ولذلك خصّ الله تعالى الضلال من الشيطان بالبعيد، لتعرف بأنّ الشيطان لن يهدأ حتى يبلغ الواحد منا أقصى غاية في الضلال.

السؤال الثالث:

ما معنى الطاغوت في الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٧ وآية النساء ٥٧.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ ولم يقل: (إضلالاً) حسب القياس.لماذا ؟

الجواب:

من قواعد استعمال القرآن للبنية التعبيرية: أنه يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره، بل يأتي بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق، فيجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر من أقرب طريق وأيسره، وهنا قال الله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ ، وكان القياس أن يقول: (أنْ يضلهم إضلالاً بعيداً)؛ لأنّ:

١ ـ مصدر (أضل): الإضلال . أمّا (الضلال) فهو مصدر (ضلّ)، قال تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦] ، والمعنى أنْ يضلهم فيَضّلوا ضلالاً بعيداً ، فقد جمع بين المعنيين: الإضلال والضلال في آن واحد .

٢ ـ والمعنى أنّ الشيطان يريد أنْ يضلهم، ثم بعد ذلك أنْ يضلوا بأنفسهم، فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمونها، وهو يريد منهم المشاركة في أنْ يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب ، وهو يريد أنْ يطمئن إلى أنهم يقومون بمهمته هو.

٣ ـ لو جاء بمصدر الفعل المذكور(ضلّ) لما زاد عن معنى الفعل المذكور، ولكنه جاء بالفعل لمعنى ، وجاء بالمصدر لمعنى آخر فجمع بين المعنيين، والمعنيان مرادان، والله أعلم.



﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ خصّ الله تعالى نداء المنافقين بـ﴿تَعَالَوْاْ﴾ ولم يقل لهم: احضروا ؟

الجواب:

إنّ غايته في الآية رفع المنافقين وإخراجهم من سفاسف الأمور ودنو التفكير؛ ولذلك استعمل فعلاً مأخوذاً من العلو؛ ليحضّهم على الارتفاع عن معتقدهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، وهو تحكيم كتاب الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.



﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية كيف يعرض عنهم ؟ وكيف يقول لهم قولاً بليغاً؟

الجواب:

هذه الآية في المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء:٦١-٦٢-٦٣] .

ومعناه أنهم قد فعلوا شيئاً فجاءوا يعتذرون، فأعرض عنهم واترك المسألة وافعل ما هو أهم، وهو أنْ تعظهم وتعلمهم الطريق الصحيح وتمنعهم من النفاق.

فقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن المسألة التي جاءوا يعتذرون عنها، وليس بمعنى الإعراض عنهم هم، و(يعظهم) حتى يعلمهم ويرشدهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ أي: بينك وبينهم ليس أمام أحد، خالياً معهم وليس على الملأ؛ لأنه أدعى إلى قبول النصيحة.



﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل نفهم أننا يمكن أن نستشفع بالرسول في الدعاء؟

الجواب:

هذا أمر فقهي، وهذه الآية كانت في حياة الرسول ﷺ .

السؤال الثاني:

ما أهم الوقفات في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ «**ليس الإيمان بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل**» حديث شريف.

٢ـ ذكر الله في الآية (٦٤) ثلاثةً من ممحصات الذنوب:

آ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ .

ب ـ ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾.

ج ـ ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ .

٣ـ وذكر ثلاثة أمور في الآية التي تليها (٦٥) تُدخل في حظيرة الإيمان وهي:

آ ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ .

ب ـ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ .

ج ـ ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ .

٤ ـ والآية الأولى (٦٤) هي تمحيص لمن عاصر الرسول الكريم ﷺ، فما بال الذين لم يعاصروه ؟ فأين الممحص الذي يقابل هذا لمن لم يعاصر النبي ﷺ ، والرسول إنما جاء للناس جميعاً !!!

قال الرسول الكريم ﷺ مطمئناً المؤمنين في جميع العصور: «**حياتي خير لكم تُحْدِثون ويُحْدثُ لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تُعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم**» رواه ابن سعد مرسلا عن بكر بن عبد الله، ورمز إليه السيوطي بالحسن .

فاستغفار الرسول لنا موجود، إذن فما بقي لنا إلا أنْ نستغفر الله تعالى ونصلي على نبي الهدى والرحمة .



﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ ما الفرق بين: (يعملون ـ يفعلون ـ يصنعون) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

يفعلون: الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد.

يعملون: في الأكثر فيه قصد، وهو مختص بالإنسان، وهو أخص من الفعل؛ لذلك قلّما ينسب إلى الحيوان، والعرب لم تقله إلا في البقر التي تحرث الأرض.

يصنعون: الصنع أخص، وهو: إجادة الفعل، ويحتاج إلى دقة، ولا ينسب إلى حيوان أو جماد، فهو أخص من العمل، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨] .

وعندما تأتي (يصنعون) فإنها تعني: ما يخططون وما يدبرون بدقة وإجادة .

فالفعل عام ، والعمل أخص منه ، والصنع أخص ويحتاج إلى دقة.



﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا التقديم في الآية بحسب الفضل والشرف ؟

الجواب:

١ ـ في آية النساء٦٩: قدّم الله على الرسول، ثم قدّم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأ بالأفضلين وهم الأنبياء، وهم أقل الخلق ثم الصديقين وهم أكثر، ثم الشهداء ثم الصالحين، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل ، ولا شك أنّ أفضل الخلق هم أقل الخلق؛ إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم.

٢ ـ في آية الأحزاب ٧ قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ فبدأ بالرسول؛ لأنه أفضلهم ﷺ.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة المبالغة في الإكرام ؟

الجواب:

هذه هي منظومة المبالغة في الإكرام.

حفي:

الحفاوة هي المبالغة في الإكرام وإظهار السرور، وهذا غير الكرم ، فالكريم يكرم الجميع، لكنه لا يستدعي أنْ يظهر السرور لكل فرد، أمّا المحتفى به فله خصوصية الزيادة في الكرم وإظهار السرور والفرح: [مريم ٤٧ ،البقرة ١٣٠].

والحفي: هو كل من يسأل عن شيء ويلح في طلبه [محمد ٣٧].

والحفي: أيضاً هو العالم المتعلم المتحقق للمسائل .

البَر:

هو المتوسع في فعل الخير، ومنها بر الوالدين: [مريم ٣٢].

اللطيف:

هو التدبير الخفي الذي يوصل حاجتك لبيتك، وهذا هو اللطف:[يوسف ١٠٠].

وقد تتعدى كلمة (اللطيف) بالباء: [الشورى].

*** من هم المحتفى بهم يوم القيامة ؟**

من حيث المكان: من يضعهم الله في الفردوس الأعلى فإنها مقصورة الرحمن.

من حيث الأشخاص: الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون:[النساء ٦٩].

اللهم اجعلنا معهم يارب العالمين .



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ والأخذ هو أن تتناول شيئاً في يدك فكيف يأخذ الإنسان حذره؟ ولِمَ عدل عن أصل الفعل (احذروا) ؟

الجواب:

في استعمال العقل (خذوا حذركم) استعارة لتوضيح شدة الحذر وملازمته؛ لأنّ حقيقة الأخذ تناول الشيء الذي كان بعيداً عنك، وكما كانت الغفلة والنسيان يشبهان البعد والإلقاء، كان التذكّر والتيقّظ يشبهان أخذ الشيء بعد إلقائه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ ما كلمات منظومة الجري أو المشي السريع ؟

الجواب:

كلمات منظومة الجري أو المشي السريع هي:

١- جرى:

هو المشي السريع المتناسق الرتيب، مثل حركة الريح:[يونس ٢٢ـ النساء ١٣ـ يس ٣٨].

٢- مرّ: هو السرعة في التجاوز: [يونس ١٢ـ يوسف ١٠٥ـ النمل ٨٨ـ الصافات ١٣٧ـ المطففين ٣٠].

٣- ركض:

قوة حركة الرجل في الأرض، والركض هو السرعة عن طريق حركة القدمين [ص ٤٢ـ الأنبياء ١٢].

٤- سبح:

هو المرور السريع في الماء [الأنبياء ٣٣ـ المزمل ٧].

٥- نفر:

هو السرعة في الإعداد نتيجة احتياج غير عادي: [التوبة ٤١ـ ١٢٢ـ النساء ٧١].

٦ -انطلق:

الانطلاق يكون بعد التأخر، إذا تأخر شخص عن ركب أسرع وانطلق ليلحق بهم:[المرسلات ٢٩ـ ٣٠ـ القلم ٢٣ـ الفتح ١٥].

٧- أفاض:

سرعة المخترق من الزحام أو سرعة الخروج من ضيق المكان، وهذا يحصل في الحج: [البقرة ١٩٨ـ ١٩٩ـ التوبة ٩٢].

٨- زحف:

الزحف هو سرعة المثقل بالأحمال ، بحيث يجرّ رجله في الأرض جراً من شدة الثقل ، ويطلق الزحف على الجيش المنظم وعلى النفير للشعب العادي وأفراده:[الأنفال ١٥].

٩- اثّاقل:

هي البقاء في المكان دون الخروج مع الجيش: [التوبة ٣٨].

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ
أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ
تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا
﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ٧٢ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى هذا اللفظ الذي اختاره ربنا سبحانه وتعالى ليعبّر عن المتقاعسين عن الجهاد والمثبّطين للهمم، أي: لفظ ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ، هذا اللفظ رسم بمفرده صورة تناسق فيها المضمون مع التعبير والمعنى من خلال إيقاعه وجرسه الذي يلقيه في الأذن ، حيث رسم جرس ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ صورة واضحة للتبطئة، فهذه اللفظة مختارة لما فيها من ثقل يتعثّر اللسان في حروفها وجرسها حتى تأتي على آخرها وهو يشدّها شداً، وهذا يصور الحركة النفسية لأولئك المتقاعسين وما يعتريهم من تعثّر وتثاقل عن المضي قُدُماً في المعركة.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿مَوَدَّةٌ﴾ في آية سورة النساء ٧٣؟ ولماذا لم يقل: عداوة؟

الجواب:

لو قرأنا الآيتين[٧٢و ٧٣] لانتفى السؤال أصلاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ فالآية فيها ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الضمير في ﴿مِنكُمْ﴾ يعود على المؤمنين، سواء من كان ضعيف الإيمان أو غيره، فهو إمّا يبطيء نفسه أو يبطيء غيره .

فهؤلاء المخاطبون هم من صفوف المؤمنين، فلا يصح أنْ يكون بينهم عداوة وإنما مودة كما ذكرت الآية الكريمة.



﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الظالم: صفة للقرية مجرورة .

أهلُ: فاعل لاسم الفاعل الظالم، والهاء ضمير في محل جر بالإضافة.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال الله في آية النساء ٧٦: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ وقال في كيد النساء: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨] مع أنّ كيد الشيطان أعظم من كيد النساء؟

الجواب:

المراد أنّ كيد الشيطان ضعيفٌ في جنب نصرة الله وحفظه لأوليائه المخلَصين من عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ [الحجر:٤٢] وقال حكاية عن إبليس: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر:٤٠]

أمّا المراد بالآية الثانية ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨] فهو أنّ كيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال، كما أنّ القائل هنا هو حكاية على لسان عزيز مصر، لذلك لا تناقض ولا معارضة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية الكريمة إذا علمت أن ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ تسمى الفجائية، فما صلتها بالآية؟ ولِمَ عدل عن أصل التركيب، وهو: فلما كتب عليهم القتال خشي فريق منهم الناس؟

الجواب:

إنّ (إذا) لها دلالة لا يمكن الاستغناء عنها، فقد دلّت على أنّ الفريق لم يكن متوقعاً منه هذا الموقف؛ لأنه كان يظهر حرصاً شديداً على القتال.



﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم (المفعول به) مع ذكر الموت ﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ فما دلالة أداة الشرط (أينما) ؟

الجواب:

(أين) هي ظرف مبهم، وقد تضاف لها (ما) فتزيدها إبهاماً، كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل:٧٦] - ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١)﴾ [الأحزاب:٦١].

وقد وردت (أينما) في أربعة مواضع، هي:[البقرة ١٤٨ـ النساء ٧٨ـ الأحزاب ٦١ـ النحل ٧٦].

ولاحظ أن ﴿أَيْنَمَا﴾ أكثر إبهاماً وعموماً من (حيثما)؛ ولذلك استعملت لبيان مقدار قوة الله، وأنه لا يعجزه شيء، وتدل على الشمول والعموم ، وهي أوسع من (حيثما) ، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤] فليس فيه شمول للأمكنة، فهناك أماكن لا تصح فيها الصلاة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿يَقُولُوا﴾ فما كلمات الحديث بأصوات الفم الإنساني ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران٤٦.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ فما كلمات منظومة الحصون والأبراج ؟

الجواب:

١- الصياصي:

هي حصون تُشيد للهجوم وليس للاحتماء، والمفرد (صيصة)، وتعني قرن الثور القوي، والصياصي تدل على القوة، ومن الصعب الدخول إليها.

ولذا نجده في آية الأحزاب ٢٦ قد استعمل كلمة ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾ ، ولم يقل: ملاجئهم؛ لأنها ستعني أنهم كانوا خائفين، وأين الإعجاز في إنزال قوم خائفين من ملاجئهم؟

٢- الحصن:

عندما يزداد هجوم العدو، وتشعر أنك فقدت قدرتك تنسحب من موقعك إلى موقع آخر تتحصن فيه ، حتى يكون ذلك الحصن موقعاً إضافياً للقوة، [الحشر ٢].

من المعاني القريبة للحصن هي: (المحصنة).

آ- المحصنة، فهي التي لا يمكن أن يجتاحها أو يقهرها أو يصل إلى مراده منها أحد مهما كانت قوته.

ب- الفرق بين المحصنة والعفيفة: أنّ العفيفة لا تزني مع اشتهائها للجنس الآخر .

ج- (العفّان) هو الذي حرم الخمر والنساء على نفسه، ومنهم أبو عثمان بن عفان.

د- التحصن من الشيطان يكون بالذكر والدعاء في كل وقت.

٣- الملجأ:

أنت منهزم وتدخل إلى الملجأ الذي لا يعرفه عدوك، وتلجأ إلى الله بحيث لم يبقَ لك بديل آخر.

والملجأ إلى الله هو الذي يعصم وينقذ.

[التوبة ١١٨ـ الشورى ٤٧].

٤- الوزر:

هو الملجأ الذي يُلتجأ إليه في رؤوس الجبال، وقوة الوَزَر أنه في مكان شاهق يصعب على قوى الأمن مثلاً الوصول إليه [القيامة ١١ـ١٢].

٥- البروج المشيدة:

تُبنى عالية جداً وتكون لها أبواب سرية ومداخل من تحت الأرض: [النساء ٧٨] .

٦- الركن الشديد:

هو الشخصية القوية التي يُستند إليها أو المكان المسلح القوي الشديد، كما في آية [هود ٨٠].

٧- الملاذ:

جاءت في القرآن ﴿لِوَاذًا﴾ [النور:٦٣] وهي التقوي بشيء آخر .

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء:٧٩] كيف تكون المصيبة خيراً ؟

الجواب:

ليس المراد في الآية بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ، بل المقصود هو القحط والرخاء والنصر والهزيمة على ما اختلف فيه العلماء، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ [النساء:٧٩] ولم يقل: ما عملت؟ والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء:٧٩] ما أصل المصيبة؟

الجواب:

١ـ المصيبة مشتقة من صَوَبَ، أي: من الفعل (أصاب) ، ومنه الصيِّب، أي: المطر، وفيه معنى النزول .

٢ـ الشيء الذي ينزل على الإنسان قد يكون خيراً وقد يكون شراً، ولذلك الفعل (أصاب) يستعمل في الخير وفي الشر، كما في آية (النساء ٧٩).

٣ـ كلمة (مصيبة) صار لها خصوصية واستعملها العربي في السوء والشر فقط ، وأصل استعمال كلمة (مصيبة) في الرمية الصائبة للهدف .

٤ـ ونحن مأمورون عند المصيبة أنْ نقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦]؛ لأننا نحن جزء من ملك الله، والله هو المتصرف بملكه .

السؤال الثالث:

في الآية نسب الله الحسنة إليه والمصيبة إلى نفسك علماً أن مردّ الأمور جميعاً هي إلى الله سبحانه، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ في القرآن الكريم هناك خط واضح، وهو أنّ الله لا يذكر نفسه إلا مع الخير، أمّا مع الشر فينسبه للمجهول .

وفي هذا تعليم للمسلم كيف يتأدب مع الله عز وجل، فينسب الخير لله وينسب الشر والسوء لنفسه .

٢ـ القرآن على لغة العرب، والعرب كانوا يستعملون المصيبة، وأصل الاستعمال في المصيبة هي الرمية الصائبة للسهم، والرجل إذا اجتهد فأصاب فهو مصيب، والمرأة يقال لها: أصابت؛ حتى نتجنب القول إنها مصيبة، ولو كان هذا يجوز من حيث اللغة، ويجوز أن يقال: فلانة مصيبة في هذا الأمر، لكنّ الإنسان في كلامه ينبغي أن يتجنب ما هو مُلبِس إلا إذا كان له غاية مثل هذا الذي قال:

خــــاط لي عمــــرو قبــــاء ... ليــــت عينيــــه ســــواء
فاســــألوا النــــاس جميعــــاً ... أمديــــح أم هجــــاء

وعمرو كان خياطاً، وكان ممتّعاً بإحدى عينيه (أي: أعور) ، فهل كان يدعو عليه بالعمى أم يدعو عليه بالبصيرة والبصر؟ إذن الإصابة يمكن أن تستعمل للحسنة: ما أصابك، أي: ما نالك ونزل بك، هذا في لغة العرب والمصيبة مخصصة.



﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة رفع لفظة ﴿طَاعَةٌ﴾ في الآية ؟ وما إعرابها ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ﴾ بالرفع أي: شأننا طاعة، والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها، ويجوز بالنصب بمعنى: أطعناك، لكن الرفع أثبت .

وهي خبر لمبتدأ تقديره: شأننا أو أمرنا .

السؤال الثاني:

من المعني بـ ﴿طَآئِفَةٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ﴾ يخص طائفة من المنافقين بالتبييت، وكانت هذه الطائفة قد أسهروا ليلهم في التبييت .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فاستخدم مرة اسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ ، ثم استخدم اسم الموصول ﴿مَا﴾ ، فلماذا ؟

الجواب:

جاء بـ (الذي) في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ ؛ لأنّ كلام الرسول معلوم عند المخاطب ومتفق عليه، بينما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ، فجاء بـ(ما) ؛ لأنّ ما يبيتون مجهول عند المخاطب؛ إذ هو لا يدري ماذا يبيتون.

فجاء للأخص المعلوم (بالذي) والآخر(بما)؛ لأنّ القاعدة أن (الذي) أخص من (ما).

السؤال الرابع:

لماذا قال: ﴿بَيَّتَ﴾ ولم يقل: (بيتت) بالتأنيث، مع أن المراد يخص طائفة وهي مؤنث؟

الجواب:

قال: (بيّت) ولم يقل: (بيتت) بالتأنيث؛ لأنّ تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج .

ومعنى (بيّت) أي: زينت وزورت خلاف ما قالت وما أمرت به؛ لأنهم أبطنوا العصيان لا الطاعة . والله أعلم .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ فهل هناك اختلاف قليل؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ هذا نوع من التحضيض والحثّ للتدبر، وعندما يدعوهم إلى تدبره معناه أنه ليس فيه اختلاف ولا ريب وليس فيه إشكال، ثم يقول لهم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ هم كأنهم يرونه ويلمسونه ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ .

والسؤال يقول: كأنه لمّا قال: كثيراً، فمفهوم المخالفة كأن فيه اختلافاً قليلاً، وهو ليس هكذا.

٢ـ ﴿لَوْ﴾ حرف امتناع لامتناع؛ تقول: لو زارنا زيد لوهبناه مالاً كثيراً. وقولك: كثيراً هو نوع من المبالغة، أي: الإكثار من الشيء، وليس المبالغة كما تفهم الآن بمعنى الكذب، والعرب تستعمل المبالغة للإكثار، فعندما تقول: لو زارنا زيد لوهبناه مالاً كثيراً، تعني: نحن نُكرِم بكثرة، لكن عندما تقول: هو ما زارنا ، عندها ما وُهِب لا قليلاً ولا كثيراً، فامتنعت الهبة لامتناع الزيارة، فما أخذ لا من القليل ولا من الكثير.

٣ـ وهنا أيضاً في الآية (لو كان من عند غير الله) ولكنّ هذا القرآن من عند الله ، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فامتنع الاختلاف قليله وكثيره لامتناع كونه من عند غير الله، فالاختلاف كله منفي؛ لأنّ القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ و مشتق من الدَّبَر، أي: الظهر، فكيف يراد به التأمل؟

الجواب:

جعلوا الفعل (تدبر) بمعنى: تأمل وتفكر؛ لأننا إذا قلنا: (تدبر المسألة) أردنا: نظر في غائبها وعاقبتها، و(تدبر الأمر) نظر فيما وراءه من حِكَمٍ ومعانٍ.

السؤال الثالث:

جاء في آية النساء ٨٢ وآية محمد٢٤ الفعل ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، بينما في آية المؤمنون ٦٨ الفعل ﴿يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

١ ـ في آية النساء ٨٢ يحتاج الوضع إلى طول التدبر والتأمل، فقد قال الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ، فهذا يحتاج إلى وقت طويل للنظر في كل القرآن وليس في قسم منه، إضافة إلى أنه يحتاج إلى وقت طويل للنظر في عدم الاختلاف بين آياته وتخريج ما يبدو مختلفاً، فجاء لذلك بلفظ (يتدبر) ، وهذا يعني التدبر العقلي والنظر الاستدلالي، وهما يحتاجان إلى وقت طويل . والله أعلم .

٢ ـ ذكر القرآن في سورة محمد الآية ٢٣ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ فهم مصابون بالصمم والعمى، إضافة إلى أنّ قلوبهم مقفلة ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ والمصاب بالصمم والعمى محتاج إلى تكرار التذكير وتطاوله للوصول إلى الإدراك الصحيح والفهم السليم، كما أنّ القلوب المقفلة تحتاج إلى طَرْقٍ كثيرٍ وإلى تكرار محاولات الفتح لتفتح، فهذه الأوصاف تستدعي طول التدبر والنظر، إضافة أنه قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فجعل القرآن كله موضوعاً للتدبر، وليس قسم منه ، فزاد ذلك في وقت التدبر، فطُولُ التدبر سببه:

آ ـ من ناحية الأوصاف التي تستبعد الفهم .

ب ـ من ناحية كثرة وطول المتدبَّر، وهو القرآن الكريم كله.

ج ـ التدبر هنا عمل عقلي، والسبل التي توصل العقل إلى الحكم الصحيح معطلة، فكيف يصل العقل إلى الحكم السليم ؟

٣ ـ في آية المؤمنون ٦٨ قال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون:٦٨] ثم قال: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ [المؤمنون٦٩-٧٠-:٧١]

التدبر هنا عمل قلبي لا عمل عقلي؛ وذلك لأنهم:

آ ـ يعرفون رسولهم ولا ينكرونه .

ب ـ كارهون للحق وإن عرفوه .

ج ـ متبعون للهوى لا لحكم العقل والمنطق .

فهم إذن لا يحتاجون إلى طول تدبر للوصول إلى معرفة الحق، فهم يعرفون الحق ويعرفون رسولهم، غير أنهم كارهون للحق متبعون للهوى، فهم محتاجون إلى ما يشفي قلوبهم من كراهية الحق واتباع الهوى، فاقتضى هنا التدبر القلبي لا العقلي .

٤ ـ في آية المؤمنون قال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨] ولم يقل: (القرآن) والقول قد يشمل الآية والآيتين، فدعاهم إلى تدبر القول، وهذا يتطلب وقتاً أقصر من تدبر عموم القرآن، فلمّا قصّر من المتدبَّر قصّر من التدبر ، ولمّا أطال في الآيتين الأخريين فجعله القرآن كله أطال البناء . والله أعلم .



﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؟

الجواب:

المعنى العام أنه: لولا فضل الله عليكم بإرسال الرسل لاتبعتم الشيطان في الكفروالضلال إلا قليلاً منكم كانوا يهتدون بعقولهم إلى معرفة الله وتوحيده، كقس بن ساعدة وورقة بن نوفل ونحوهما قبل بعث النبي ﷺ، والخطاب هنا للمؤمنين لا لكل الناس ، وقيل: لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ
أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿نَفۡسَكَۚ﴾ في قوله تعالى ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ ؟

الجواب:

كلّف: فعل يأخذ مفعولين: المفعول الأول هو مستتر نائب فاعل تقديره: أنت، والمفعول الثاني هو ﴿نَفۡسَكَۚ﴾ .



﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ
سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (النصيب) و(الكفل) في سورة النساء من حيث المعنى ودلالة استخدامهما في القرآن؟

الجواب:

١ ـ النصيب: هو مطلق وليس له شيء محدد واستخدمت مع الحسنات؛ لأنّ الحسنة تتسع وتتضاعف إلى عشرة أضعاف، وقد تكون أكثر .

٢ ـ الكفل: النصيب المساوي، ومنها (المِثل)، واستخدمت (كفل) عند ذكر السيئة ﴿لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [النساء:٨٥] ؛ لأنّ السيئات تُجزى بقدرها ولا يزيد عليها، بدليل قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ [غافر:٤٠] ، أمّا الحسنة فتضاعف وتتسع

وتعظم، وقد تكون عشرة أضعاف، وقد تكون أكثر ولم يحدد أنها مثلها؛ لذا جاءت كلمة (نصيب) مع الحسنات؛ لأنّ الحسنة لها نصيب أكثر من السيئات.

أمّا ما قاله بعض اللغويين: إنّ النصيب في الأمور الحسنة والكفل في الأمور السيئة، فهذا غير صحيح؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] وقال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر:٤٧] لكن الكفل من معانيه: المِثل، ولذلك استعمله مع السيئة، يقول: كفلين أي: مثلين والأجر يضاعف. وأيضاً من معاني الكفل في اللغة الحظ من كل شيء خيراً كان أم شراً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: (مَّن يَشْفَعْ) ما معنى (الشفاعة) هنا ؟

الجواب:

الشفاعة مأخوذة من (الشفع)، وهو أن يصيّر الإنسان نفسه شافعاً لصاحب الحاجة، حتى يجتمع معه على المسألة فيها .

السؤال الثالث:

ما معنى لفظة ﴿مُّقِيتًا﴾ في الآية ؟

الجواب:

(المقيت): هو القادر على الشيء أو الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة. والآية تبين أنّ الله تعالى قادر على إيصال النصيب والكفل من الجزاء إلى الشافع مثل ما يوصله إلى المشفوع له: إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، ولا ينتقص بسبب ما يصل إلى الشافع شيء من جزاء المشفوع .

وهو تعالى حافظ الأشياء شاهد عليها عالم بأنّ الشافع يشفع في حق أو باطل حفيظ عليه، فيجازي كلاً بما علم منه.

وقوله تعالى: ﴿مُّقِيتًا﴾ هي صفة ثابتة له من الأزل، وقوله: ﴿وَكَانَ﴾ هو مطلق، أي: كان من الأزل إلى الأبد ، وهو يفيد الماضي المستمر .

السؤال الرابع:

لماذا اختيرت كلمة (الكفل) لشافع السوء دون الجزاء أو النصيب ؟

الجواب:

النصيب هو الحظ من كل شيء خيراً كان أم شراً، وبما أنه اقترن بالشفاعة الحسنة فهو جزاء بالخير.

وقد اختير (النصيب) دون الجزاء، إشارة إلى أنه قد يكون للشافع أجر أكثر من ثواب من شفع عنده، أمّا شافع السوء فقد خصّ الله جزاءه بـ (الكفل) بمعنى (المثل) إيذاناً بأنّ مرتكب السيئة لا يجزى إلا مثلها. والله أعلم .



فهرس المحتويات

من روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مشتي محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الرابع

من بداية آية سورة النساء (٨٦) حتى آخر سورة الأنعام

دار الفكر

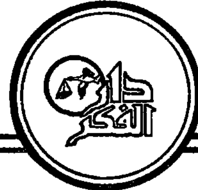
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب:11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة ﴿بِأَحْسَنَ﴾ محركة بالفتح مع سبقها بحرف الجر في قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿بِأَحْسَنَ﴾ جاءت مجرورة، ومع ذلك حركت بالفتح؛ لأنها ممنوعة من الصرف، فهي صيغة على وزن أفعل، (أحسن): اسم تفضيل على وزن الفعل، والقاعدة تقول: إنّ الوصفية إذا كانت على وزن الفعل تمنع من الصرف.

٢ـ وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠] (أسفلَ): مجرورة بالفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف، ومثلها: أصفر وأخضر وأحمر.

السؤال الثاني:

ما دلالة آية النساء ٨٦ في التعامل مع التحية؟

الجواب:

انظر كيف يعلّم الله تعالى الناس التسابق إلى الخيرات ويخلّقهم بأخلاق الإسلام فقال: فحيوا بأحسن منها، فقدّم الرد بالأحسن وعطف عليه ما يماثله، ليعلمنا أنّ رد السلام بالأفضل هو المقدّم، ألا ترى أنك تقول لمن سلم عليك (وعليكم السلام)

فقدمت (عليكم) على المبتدأ السلام، وهذا تقديم يفيد التخصيص للمخاطب فكان أحسن من (السلام عليكم).



﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (ثقفتموهم) و(وجدتموهم) في الآيات ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ﴾ [النساء:٩١] ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ﴾ [النساء:٨٩]؟

الجواب:

(ثقف) هي بمعنى ظفر به وأخذه، ولا تستعمل: (ثقفتموهم) إلا في الحرب والقتال والخصومة، ومعناها أشمل من (وجد)، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ﴾ وهي عامة، وليست متعلقة بالحرب فقط .

❋ شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا (٩١)﴾ [النساء:٩١] هذه حرب .

- ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾ [النساء:٨٩] هذه ليس فيها حرب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ٨٩ ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ انظر إلى هذه البلاغة في التعبير، فقد عبّر الله تعالى عن رغبة المنافقين في تكفير المؤمنين بالفعل (ودّ)، بينما عبّر عن فعل المؤمنين بإدخال الإيمان إلى قلوب المنافقين بالفعل (أتريدون)، وذلك في قوله تعالى في الآية التي سبقتها ٨٨ ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ فما وجه البلاغة في هذا الاختيار؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن محاولة المؤمنين بالإرادة؛ لأنه ينشأ عنها الفعل فالمؤمنون يريدون حصول الإيمان من المنافقين؛ لأنّ الإيمان قريب من فطرة الإنسان .

بينما عبّر عن محاولة المنافقين بالودّ؛ لأنّ المنافقين يعلمون أنّ المؤمنين لا يرتدون عن دينهم فلم يكن طلبهم تكفير المؤمنين إلا تمنّياً ووداً، ولذلك عبّر عنه بقوله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء:٨٩] .

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾

السؤال الأول:

ما [السَّلْم و السِّلْم و السَّلَم]؟

الجواب:

السِّلْم: (بكسر السين وتشديدها وسكون اللام) هو الإسلام، وكل الناس مأمورون بالدخول فيه، وهو السلام .

السَّلْم: (بفتح السين وكسرها) يُذكّر ويؤنث، وهو الصلح أوهو الميل إلى الاستسلام والمسالمة وترك القتال والحرب، وهذه دعوة موجهة إلى الكفار ليجنحوا إليه، وهو محرم على المسلمين.

السَّلَم: (بفتح السين وتشديدها وفتح اللام) هوالسّلف، وهوأيضاً الاستسلام الذليل المهين، حيث يُلقي الكفار للمسلمين السَّلَم في الدنيا.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية الكريمة قدّم التحرير على الدية أولاً، ثم أخّر التحرير على الدية، فما الحكمة من التقديم والتأخير في الآية؟

الجواب:

١ـ الأولى في قوم مؤمنين، فقدّم التحرير على الدية .

٢ـ الثانية مع قوم أعداء يريدون الدية ويريدون أموالاً، وليس لديهم علاقة بالتحرير، والتآلف بينهم يكون بالدية وليس بالتحرير.

وكيف تزيل العداوة وهم يتقاتلون؟ تعطيهم الفدية حتى تهدأ النفوس؛ لأنّ هؤلاء أعداء ويحتمل أنْ تحصل ضغائن، وقد ينقضون الميثاق بينهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الابتداء في الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ انظر إلى هذا الابتداء الذي يهوّل به الله سبحانه وتعالى أمر قتل المسلم أخاه المسلم، ولذلك جعله في حيّز ما لا يكون فبدأه بالنفي والحصر في الخطأ بـ ﴿إِلَّا﴾ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ .

السؤال الثالث:

في الآية الكريمة لعلّ سائلاً يقول: لِمَ جعل تحرير رقبة العبد ديّة للقاتل، وهذا لا يعود على أهل الميت؟

الجواب:

إنّ تحرير الرقبة جعله الله تعالى بدلاً من تعطيل حق الله تعالى في ذات القتيل، فإنّ القتيل عبدٌ من عباد الله تعالى ويُرجى من نسله من يقوم بعبادة الله وطاعة دينه، فلم يخل القاتل من أنْ يكون فوّت بقتله هذا الوصف.

وأمر آخر نبّهت عليه هذه الآية هو أنّ الحريّة حياة والعبودية موت، فمن تسبب في موت نفس حيّة كان عليه السعي في إحياء نفس كالميتة وهي المستعبدة.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ لِمَ اقتصرت الكفارة هنا على تحرير الرقبة دون دفع الديّة لهم؟

الجواب:

لأنّ الدية جبر لخاطر أولياء الدم، فلما كانوا أعداء الله تعالى لم تكن حكمة في جبر خواطرهم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾ ما كلمات منظومة التتابع؟

الجواب:

كلمات منظومة التتابع:

تترا: ليس لها مرادف في القرآن الكريم إلا كلمة (متتابع)، وهي كناية عن الترتيب العددي واحداً بعد الآخر [المؤمنون ٤٤].

متتابع: هو ترتيب زمني بغض النظر عن العدد، أي: لا يفصل بينهما فاصل زمني، وجاء في كفارة القتل الخطأ والظهار والجماع في نهار رمضان، وهي ستون يوما متتباعة بدون فطر، فإنْ أفطر وجب عليه إعادة صوم الشهرين من جديد مع التتابع .[النساء ٩٢، المجادلة ٤].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام صيغة (الماضي والمضارع) في قوله تعالى في سورة النساء في الآية ٩٢: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ وفي الآية ٩٣ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾؟

الجواب:

بشكل عام فإن صيغة الفعل المضارع تفيد التكرار، بينما الفعل الماضي يفيد حدوث الفعل قليلاً أو مرة واحدة على الأغلب.

واستخدام صيغة الماضي والمضارع كثير في القرآن، مثل قوله تعالى في الآية ٩٢: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وقوله تعالى في الآية ٩٣: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ أي: كلما سنحت له الفرصة قتل، وهذا دليل التكرار؛ لذا جاء الفعل بصيغة المضارع.

وكذلك في قوله تعالى ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان:١٢] جاء بصيغة المضارع؛ لأنّ الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله، وأما ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [لقمان:١٢] فجاء بصيغة الماضي؛ لأنّ الكفر يحصل مرة واحدة فقط.

وقال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾[محمد:٣٧] وهو سؤال متكرر؛ لأنّ سؤال الأموال متكرر، فجاء الفعل بصيغة المضارع.

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف:٧٦] السؤال حصل مرة واحدة بعد الآية ٧٦ فجاء بصيغة الماضي.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ ما الفرق بين ﴿أعدّ وأعتدنا﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (خبير) و(بصير)؟

الجواب:

١ـ البصير: البصر يأتي بمعنيين في اللغة:

أـ إمّا البصربمعنى الحاسة التي ينظر بها الباصرة، أي: النظر، وهو ضد الأعمى،كما في الآيات: ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠]. ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ [الرعد:١٦] .

ب ـ الإبصار بالقلب أو المعرفة القلبية، وربنا يسميه بصيرة ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ [القيامة:١٤] ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] .

٢ـ الخبير: هوالعليم ببواطن الأمور، ويعني أنه محيط ببواطن الأمور وظواهرها، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [فاطر:٣١] .

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء:٩٤].

لذلك يكون (الخبير) هو العالم ببواطن الأمور وظواهرها، و(البصير) من الإبصار ومن قوة القلب (البصيرة).



﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَّا يَسۡتَوِي﴾ بالنفي بـ (لا)، ما دلالة استعمال أداة النفي (ما) و(لا) مع الفعل المضارع؟

الجواب:

١ـ (ما) عندما تدخل على الفعل المضارع قد تكون لنفي الحال وهذا هو الأكثر، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١] وقد تدل على الاستمرار نحو قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩] وقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧].

٢ـ بينما (لا) مع الفعل المضارع تكون لنفي للاستقبال وهو الأكثر، وقسم من النُحاة يقول: قد تكون للحال وللاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾

[البقرة:٤٨] فهذا استقبال، لكنّ قسماً يقول قد تكون للحال، بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل:٢٠] فهذه حال وليس استقبالاً، لكنّ الأكثر هو للاستقبال .

٣ـ ننظر كيف تستعمل في القرآن:

يستعمل القرآن الكريم (ما) مع الفعل المضارع في نفي الأمور المُشاهدة في الدنيا، بينما يستعمل (لا) مع الفعل المضارع في نفي الأمور غير المُشاهدة في الدنيا وستكون مُشاهدة في الآخرة .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر:١٩] هذا مشاهَد في الدنيا .

ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ [فاطر:١٢] هذا مُشاهَد .

ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر:٢٢] هذا مُشاهَد.

ـ ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٥] عدم الاستواء هذا في الآخرة غير مشاهَد فقال ﴿لَّا يَسْتَوِي﴾ [النساء:٩٥] .

ـ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد:١٠] عدم الاستواء هذا في الآخرة.

ـ ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر:٢٠] هذا في الآخرة غير مُشاهَد.

ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٤] عدم الاستواء هذا في الآخرة.

لذلك (لا) تدل على النفي في الاستقبال (نفي غير مشاهد)، وقسم يقول: قد تكون للحال، وأكثر النحاة يقولون: هي للاستقبال، لكنّ قسماً يقول قد تكون للحال والأكثر

للاستقبال، وهم متفقون على أنها للاستقبال، والأصل أن تكون للاستقبال. ويقول الزمخشري: (لا) و(لن) أُختان في نفي المستقبل إلا أنّ في (لن) تأكيداً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الضُرّ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام:١٧] والضَرّ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس:٤٩] والضَّرَرِ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] والحديث الشريف «**لا ضرر ولا ضرار**»؟

الجواب:

١ـ الضُّر: بـ (الضم) يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

٢ـ الضَّر: بـ (الفتح) مصدر لما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

٣ـ الضَّرَر: هو الاسم العامُّ، أي: النقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضرر ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي الذين فيهم عِلّة.

٤ـ أحياناً يكون التغيير في المصدر بحركة أو بشيء آخر يسمى اسماً، مثلاً: (الوَضوء) هو الماء و(الوُضوء) هو عملية التوضؤ نفسها، وهذا تغيير بالحركة.(الضَّرُّ) هو المصدر، و(الضَّرَرُ) هو العلّة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ما الفرق بين (ما أسند الوعد فيه إلى الله) و(ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن)؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أُسند فيها الفعل الماضي (وَعَد) إلى (الله) لم يذكر في السورة اسم الرحمن وإن كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل (وَعَدَ) إلى (الرحمن) تكرر اسم الرحمن في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم، وقد تكرر اسم (الرحمن) في يس (٤) مرات، وفي مريم (١١) مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله، وما أسند إلى الرحمن، أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو مخصص للمؤمنين أو بالكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٧٢] و ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [التوبة:٦٨] فهو وعد خاص .

وأما ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن فهو وعد عام يشمل عموم العباد، وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم (الرحمن)، كما قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ [مريم:٦١]، فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق مع أن المقصود بعباده هؤلاء: من تاب وآمن وعمل صالحاً. والله أعلم.

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء ٩٥ ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ﴾ ثم قال في الآية ٩٦ ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ لمَ ذكر ربنا سبحانه وتعالى منزلة المجاهدين جمعاً بقوله ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ بعد أن ذكره مفرداً ﴿دَرَجَةً ۚ﴾؟

الجواب:

جمع ربنا سبحانه وتعالى منزلة المجاهدين وفضّلهم على القاعدين عقب قوله ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ ليبيّن عظمة منزلتهم ودرجتهم ولئلا يظن المرء عندما يسمع تفضيلهم بدرجة أنهم علوا عليهم درجة واحدة وحسب، بل هي درجات ومنازل وأجر عظيم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ ما دلالة الفعل الناقص (كان)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٧٩ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النساء:٩٧] في آية النساء ٩٧و ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النحل:٢٨] في آية النحل ٢٨؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النساء:٩٧] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] .

٢ـ قال في آية النساء: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النساء:٩٧] بحذف إحدى التاءين، وقال في سورة النحل: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النحل:٢٨] من دون حذف، وذلك أنّ المتوفين في سورة النساء، وهم المستضعفون من الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين، هم جزءٌ من الذين في سورة النحل، وهم الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين على وجه العموم .

فقال في القسم الأكبر: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، وفي القسم القليل ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ بحذف إحدى التاءين فناسب بين الفعل وكثرة الحدث .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿تَوَفَّٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تقبض أرواحهم، فلِمَ عدل ربنا سبحانه وتعالى عن التعبير بـ (يموتون) إلى ﴿تَوَفَّٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؟

الجواب:

عبّر الله تعالى عن وفاة الظالمين بقوله ﴿تَوَفَّٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لما في هذه الصورة من مهابة الموقف والرهبة منه، فقبض الملائكة وسيلة تبين شناعة فتنتهم عند الموت.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾؟

الجواب:

سؤال الملائكة لمن لم يهاجر فيه توبيخ، ومعنى سؤالهم ﴿فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾ أي: لماذا لم تهاجروا؟

فجاء الجواب: ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ اعتذاراً وتعليلاً، فردّت عليهم الملائكة ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ أي: إن كنتم عاجزين عن الهجرة إلى المدينة لبعدها عليكم فعلى الأقل على الخروج من مكة إلى بعض البلاد القريبة منكم التي تقدرون فيها على إظهار دين الإسلام.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (المراغم) في الآية؟

الجواب:

المراغم: هي المشقات، وهو من الرغام وهو التراب، ويقولون: رغم أنفه؛ لأنّ الأنف في غاية العزة والتراب في غاية الذلة .

السؤال الثاني:

ما معنى الآية بشكل عام؟

الجواب:

١ـ المعنى من الآية: يا أيها الإنسان إنك إنْ كنت تكره الهجرة عن وطنك في سبيل الله خوفاً من أنْ تقع في المشقة، فلا تخف فإن الله يعطيك من النعم ورغد العيش في هجرتك ما يغيظ أعداءك، فترغم أنوفهم ويخجلوا من سوء معاملتهم معك. وقدّم المراغم على السعة؛ لأنه في الأغلب لا تأتي السعة إلا بعد المشقة.

٢ـ وقد لا تصل إلى المراغم بسبب إدراك الموت لك قبل بلوغك الهدف من الهجرة في سبيل الله، فاعلم أنه في هذه الحالة قد وقع أجرك على الله.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ والوقوع معناه السقوط، فلماذا استخدم الحق هنا ﴿وَقَعَ﴾ بمعنى: سقط؟

الجواب:

آ ـ ذكر لفظ (الأجر) والأجر عبارة عن المنفعة المستحقة، فإن لم يكن مستحقاً، فذاك يسمى هبة .

ب ـ قوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ تفيد الوجوب بحكم الوعد والتفضل والكرم من الله تعالى .

ولذلك إذا ما أدرك العبدَ الموتُ فالجزاء يسعى إليه وهو عند الله، والجزاء يعرف من يذهب إليه معرفة كاملة .

السؤال الرابع:

ما دلالة (كان) في قوله تعالى في الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ تعني أنه غفور رحيم، حتى لمن توانى قليلاً، و(كان) هنا تفيد الزمن الماضي المستمر .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في نفس الآية أداة الشرط ﴿وَإِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ وأداة الشرط - ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، فما دلالة اجتماعهما معاً؟

الجواب:

(إذا): تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، مثل آيات:[البقرة ١٨٠ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

(إنْ): تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: [الأعراف ١٤٣].

أمثلة للمعاني المحتملة: [البقرة ١٩١ـ المائدة ٦].

أمثلة للمعاني المستحيلة: [الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣].

أمثلة للمعاني المفترضة:[القصص ٧١].

أمثلة مشتركة تتضمن (إذا) و(إنْ) معا:

[التوبة ٥ـ البقرة ١٩٦ـ البقرة ٢٣٩ـ البقرة ٢٨٢ـ النساء ٢٥ ـ النساء ١٠١ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية النساء ١٠٢ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ و ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في آية النساء ١٠١؟

الجواب:

١ ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، بينما ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ جملة فعلية، والجملة الاسمية آكد وأقوى وأثبت من الجملة الفعلية .

٢ ـ النحاة يقولون إن (لا) في النفي هي بمثابة (إنّ) في الإثبات.

٣ـ في الاستعمال القرآني نجد ما يلي:

لا جناح عليكم:

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات بما فيها الصلاة والعمرة والحج والجهاد، وكذلك تستعمل في تنظيم شؤون الأسرة والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة .

* شواهد قرآنية:

سورة البقرة [١٥٨ ـ ٢٢٩ـ ٢٣٠ـ ٢٣٣ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٤٠] الآية الأولى ١٥٨ في العبادة، أمّا باقي الآيات فهي في حقوق وشؤون الأسرة.

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ والأمر الطبيعي للمجاهد أنْ يكون مستلاً سلاحه حاملاً له، فكيف جاء الأمر للمجاهدين بأخذ السلاح حين شروعهم بالصلاة، مع أنّ الأمر أُريد به النهي عن طرح الأسلحة؟

الجواب:

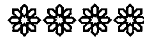
عبّر الله تعالى عن عدم طرح الأسلحة للمجاهدين حين يشرعون بالصلاة بقوله ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ للإيذان بضرورة الحذر من الكافرين، وللتنبيه على ضرورة اليقظة وعدم التساهل في الأخذ بالأسباب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةًۚ﴾ شأن كل محارب أنْ يتمنى الغفلة من عدوّه، فلِمَ خصّ الله تعالى (ودّهم) في هذا الموقع؟

الجواب:

أراد الله تعالى أن ينبّه المؤمنين على أنّ أعداءهم لديهم ودٌّ وأمل قريب في وقوع الغفلة منهم، ظانّين أنّ اشتغال المسلمين بأمور دينهم يباعد بينهم وبين صالح دنياهم، فطمعوا أنْ تلهيهم الصلاة عن الاستعداد لأعدائهم، فنبّه الله تعالى المؤمنين إلى ذلك كي لا يكونوا عند ظنّ المشركين.



﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَقُعُودٗا﴾ ما دلالتها في القرآن؟ وما دلالة كلمة ﴿ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ كذلك؟ وكم مرة ورد كل من اللفظتين؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قُعُودٗا﴾ ثلاث مرات في القرآن الكريم، كلها بمعنى (القعود الحقيقي)، كما في الآيات: [البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَٰعِدُونَ﴾ في ستة مواضع، كلها بمعنى (القعود عن الجهاد)، كما في: [المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ـ النساء ٩٥].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿قِيَٰمٗا﴾ ما دلالتها في القرآن؟ وما دلالة كلمة ﴿قَآئِمُونَ﴾ كذلك؟ وكم مرة ورد كل من اللفظتين؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى (القيام الحقيقي)، كما في:[آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَآئِمُونَ﴾ في موطنين فقط بمعنى (القيام بالأمر والعكوف)، كما في الآيات: [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦]، حيث القائمون فيها بمعنى (العاكفين)، بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة:١٢٥].

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام صيغة الماضي(كانت) في آية النساء ١٠٣؟

الجواب:

(كان) في اللغة قد تكون للماضي أو الماضي المستمر، وقد تأتي للاستقبال، وفي كل صيغة تفيد معنى خاصا:

١ـ بمعنى (مازال) بأزمنة مؤكدة، وهذه في صفات الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾ [النساء:١٠٠] .

٢ـ تأتي (للحال)، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء:١٠٣].

٣ـ قد تكون (للمستقبل) كقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ٧﴾ [الواقعة:٦-٧] .

٤ـ قد تكون بمعنى صار للمستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠﴾ [النبأ:٢٠].

٥ـ وقد تكون بمعنى (ينبغي) .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ أي: الزمن المخصص، فما كلمات منظومة الزمن الواردة في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٠.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ﴾؟

الجواب:

ينخدع بعض المسلمين بدعاوى أعداء الإسلام الذين يقولون: إنّ الإسلام لم يشرّع الحرب إلا لرد العدوان.

وليس هذا صحيحاً، فإنّ الإسلام جاء بالقتال ليحرر حق الإنسان في الاعتقاد، ومطلوبٌ من المسلم أنْ يعلن كلمة الله وأنْ يقف في وجه من يقاوم إعلانها، فطلب منا أنْ لا نضعف في طلب القوم الذين يحاربون الإسلام.

وعلى المسلمين أنْ يُعلوا كلمة الله ويدعوا الناس كافة إلى الإيمان بالله، وهم في هذه الدعوة لا يفرضون كلمة الله، ولكنهم يرفعون السيف في وجه الجبروت الذي يمنع الإنسان من حرية الاعتقاد، حتى لو كان في ذلك مشقة عليهم؛ لأنّ الحق يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾ [البقرة:٢١٦] .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: بما عرّفك وأوحى إليك، فلِمَ عدل عن اللفظ الحقيقي؟

الجواب:

لقد سمّى الله تعالى معرفة النبي ﷺ للمسألة رؤية؛ لأنه علمٌ يقيني لا ريب فيه ولا شك، وكأنّ هذا العلم مُشاهَد له، ولذلك أجراه مجرى الرؤية في القوة والظهور.

* لطيفة:

كان عمر رضي الله عنه يقول: لا يقولنّ أحدٌ قضيت بما أراني الله تعالى، فإن الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيّه ﷺ وأما الواحد فينا فرأيه يكون ظنّاً ولا يكون علماً.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾؟

الجواب:

لّما أمر الله مجاهدة الكفار بيّن أنه بالرغم من مجاهدتهم، لا تجوز الخيانة معهم ولا يجوز تحميلهم ما لم يفعلوه.

لذلك لا يجوز أنْ نلصق جريمة بكافر ارتكبها مسلم، ومن الشرف للإسلام أنْ يعاقب أي إنسان مسلم ارتكب خطأً؛ لأنه ما دام قد انتسب للإسلام فعليه أنْ يصون هذا الانتساب.

واللام في ﴿لِّلْخَآئِنِينَ﴾ هي للملكية، أي: أنّ الحق يأمر رسوله ﷺ ألا يقف موقفاً لصالح الخائن، بل عليه أن يُخاصم لمصلحة الحق، واللام هنا بمعنى (عن) كأنّ الحق يقول: ولا تكن عن الخائنين خصيماً .

ولم يقل الحق (عن) بدل (اللام)؛ لأنّ الغاية من الدفاع عن الخصم أنْ تكون له لا عليه، لذلك (اللام) هنا تفيد بأنْ لا ينفع المسلم خائناً فلا تكون المسألة له. والله أعلم



﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾، فلماذا لم يقل: (يبغض) مثلاً؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ٣٦.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿أَم مَّن﴾ هل تكتب موصولة أم منفصلة؟

الجواب:

جاءت ﴿أَمَّن﴾ موصولة في القرآن في (١١) موطناً، وهي: [يونس ٣١ـ٣٥، النمل ٦٠ـ ٦١ـ ٦٢ـ ٦٣ـ ٦٤، الزمر ٩، الملك ٢٠ـ٢١ـ٢٢].

وفي أربعة مواضع أخرى جاءت مفصولة اتفاقاً، وهي:[النساء ١٠٩ـ التوبة ١٠٩ـ الصافات ١١ـ فصلت ٤٠].

السؤال الثاني:

قال في آية آل عمرن ٦٦: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وكذلك في آية النساء ١٠٩، بينما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ في آية آل عمران ١١٩، وآية طه ٨٤، فما الهدف من تكرير هاء التنبيه أو حذفها؟

الجواب:

١ـ الخطاب في آل عمران ٦٦ في أهل الكتاب، وفي النساء ١٠٩ في الذين يختانون أنفسهم، فأراد الله أنْ يقرّعهم ويزيد في تنبيههم ولومهم؛ لأنهم جادلوا بالباطل وهم يعلمون، فكرّر التنبيه مرة قبل الضمير، ومرة قبل اسم الإشارة فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [آل عمران:٦٦] زيادة في التنبيه والوعظ .

بخلاف آية آل عمران(١١٩)، فإنه خطاب للمؤمنين لا يحتاج إلى زيادة في التنبيه واللوم، فالموقف هنا مختلف، وليس فيه تقريع ولا لوم.

٢ـ وقد لا يحتاج الموقف إلى التنبيه فلا يذكره، نحو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا ربه في آيات طه ٨٣ـ٨٤ ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤)﴾ فلم يأت بالتنبيه لأنهم غير حاضرين.

فالتنبيه هو بالقدر المناسب، فقد يكرر أو لا يكرر، أو لا يذكر التنبيه بحسب الحاجة إليه.

السؤال الثالث:

ما دلالة زيادة التوكيد في الآية في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ﴾؟

الجواب:

قد يتكرر التنبيه إذا استدعى الأمر، ويكون ذلك زيادة في توكيد التنبيه، وفي آيات سورة النساء[١٠٧ـ ١٠٩] كرر تنبيههم ولومهم ليتعظوا فلا يقفوا مثل هذا الموقف، لذا ترى أنّ هذا الموقف يتطلب الزيادة في تنبيههم، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ﴾



﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١١٠) ﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية الكريمة كيف يجد المستغفر الرحمة والمغفرة، حتى قال الله تعالى عنها: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١١٠)﴾؟

الجواب:

هذا من باب التوكيد، فأنت تقول عن شيء: وجدته، إذا ظفرت به وشاهدته. ولذلك عبّر الله تعالى عن تيقّن مغفرته للمستغفر بقوله ﴿يَجِدِ﴾ ليكون المؤمن واثقاً من رحمة الله تعالى ومغفرته لطالِبِها بحقّ.



﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة في الآية من حمل العصيان ثم رميه على الآخرين؟

الجواب:

تأمل كيف صوّر ربنا تعالى في الآية ذاك المرء الذي يلقي مخالفاته وعصيانه على الآخر، صورة شخص يحمل الإثم والبهتان، وهذا تمثيل لهيئة مرتكب الإثم، وكأنه مثقلٌ مُنهك من عناء الحِمل والثقل الذي يحمله، وهذا يوضح لك عظمة هذا الوزر والبهتان الذي حاق به.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الخطيئة) و(الإثم) و(البهتان) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾؟

الجواب:

١ـ الخطيئة: هي الخطأ غير المتعمد.

٢ـ الإثم: فهو الأمر المتعمد.

٣ـ البهتان: هو الأمر الذي يُتعجب صدوره من فاعله، وهو مذموم في الدنيا، ومعاقب عليه في الآخرة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾؟

الجواب:

١ـ من يرتكب خطيئة أو إثماً ثم يرمي بها بريئاً فإنّ إثمه مركّب، ولذلك يقول الحق: ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾

٢ـ قال الحق: ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ وليس (حَمَلَ)؛ لأن التاء تفيد الشعور بالمكابدة والمشقة، فهي تؤكد أنّ هذا الإنسان قد حمل بصعوبة ومكابدة نتائج عمله برمي البريء، فهو يتحمل مشقة شعور نفسه بالندم ومشقة شعور نفسه بالتأنيب؛ لأنه رمى بريئاً بالجريمة.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ هل هو جواب (لولا) في الآية؟

الجواب:

قوله: ﴿لَهَمَّت﴾ ليس جواب (لولا)، بل هو كلام مقدم على لولا، وجواب لولا محذوف وتقديره: لقد همت طائفة منهم أنْ يضلوك ولولا فضل الله عليك ورحمته لأضلوك. والله أعلم .

السؤال الثاني:

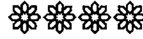
ما معنى (الحكمة)؟

الجواب:

١ـ الحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً، أو هي توثيق العلم بالعمل، فلا بدّ من الأمرين معاً: القول والعمل، فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القول فليس بحكيم.

فالحكمة لها جانبان: جانب يتعلق بالقول، وجانب يتعلق بالعمل. والحكمة خير كثير، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

٢ـ الله تعالى هو مؤتي الحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].



﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ورد في آية النساء١١٥، وفي آية الأنفال ١٣قوله تعالى: ﴿يُشَاقِقِ﴾ وورد في آية الحشر ٤ الفعل ﴿يُشَآقِّ﴾ ما الفرق بين (يشاقق) و(يشاق)؟

الجواب:

١ـ الإدغام وفك الإدغام، منه ما هو جائز نحوياً، ومنه ما هو واجب الإدغام ولا يصح فكه، والكلام هنا عن الجزء الأول أي (جائز لغوياً)، نحو: (يرتد ويرتدد).

٢ـ الفعل ﴿يُشَاقِقِ﴾ وحيث ورد معه ذكر الرسول الكريم محمد ﷺ في القرآن يُفك الإدغام.

٣ـ وحيث أُفرد الله تعالى في الآية يستخدم القرآن ﴿يُشَآقِّ﴾، كما في آية الحشر رقم ٤.

٤ ـ في قوله تعالى في آيتي الأنفال والحشر:

ـ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ [الأنفال:١٣].

ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:٤].

آ ـ أنّ لفظة ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الحشر:٤] هنا واجب الإدغام وليس فيها جزم، ولا يمكن فك الإدغام.

ب ـ وأنه في آية الأنفال ذُكر الله ورسوله، فاستعمل ﴿يُشَاقِقِ﴾، بينما في آية الحشر أُفرد الله وحده، فاستخدم ﴿يُشَآقِّ﴾. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؟

الجواب:

روي أنّ الشافعي رضي الله عنه سئل عن آية في كتاب الله تدل على أنّ الإجماع حجة فقرأ القرآن ثلاث مئة مرة حتى وجد هذه الآية، وفيها أنّ اتباع غير سبيل المؤمنين حرامٌ، فوجب أنْ يكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً.

كما دلت هذه الآية على عصمة النبي ﷺ؛ لأنه لو صدر الذنب عن الرسول لوجبت مشاقته، لكن مشاقته محرمة بهذه الآية، فوجب ألا يصدر الذنب عنه.

ولذلك يجب الاقتداء بالرسول ﷺ في أفعاله وأقواله كلها.

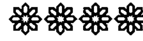
وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ دال على أنّ النظر والاستدلال هام لمعرفة الدين الصحيح وتبين أحكامه، وإلا لم يكن لهذا الشرط معنى.

السؤال الثالث:

انظر إلى قوله تعالى في الآية ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حيث عطف هذا الاتباع على مشاقة الرسول؟ مع أنه من شاقّ الرسول فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، فما فائدة هذا العطف؟

الجواب:

في هذا العطف تأكيد على روابط الآصرة الإسلامية، وفي عطف اتباع غير سبيل المؤمنين على مشاقة الرسول ﷺ الحيطة لحفظ الجامعة الإسلامية بعد الرسول ﷺ. فقد ارتدّ بعض العرب بعد الرسول ﷺ فكانوا ممن اتبع غير سبيل المؤمنين ولم يشاقوا الرسول ﷺ .



﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾

السؤال الأول:

لو وقفنا في الآية عند قوله تعالى ﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾ لعلمنا جزاء المشرك، وهو الضلال المستحق للعذاب، فلِمَ أكّده بقوله تعالى ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾؟

الجواب:

إنّ غاية هذا التأكيد هي تحذير المؤمنين من مغبة الضلال، ولذلك عبّر عن الضلال بالبعيد دون الكبير أو العظيم؛ للدلالة على قوة هذا الضلال حتى لا يُرجى لصاحبه

الاهتداء، فكلمة (بعيد) توحي بإبعاد المرء عن غايته وتقصيه عن الرجوع إلى حيث صدر.

السؤال الثاني:

ما دلالة الاختلاف بين فاصلتي آية النساء ٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ وآية النساء ١١٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾؟

الجواب:

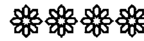
انظر الجواب في آية النساء ٤٨.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ لِمَ لم يقل: (إضلالاً) حسب القياس؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٦٠.



﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (إناثاً) في قوله تعالى في الآية ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾؟

الجواب:

١ـ العلماء يقولون: بأنّ الموجودات إمّا:

آ ـ فاعلة غير منفعلة، وهو الله سبحانه ولا يقع عليه فعل.

ب ـ منفعلة غير فاعلة: كالجمادات.

ج ـ فاعلة ومنفعلة، كالإنس والجن والملائكة .

والعرب تشير دائماً إلى الأشياء المنفعلة غير الفاعلة بالتأنيث، أي: يشيرون إلى الشيء الضعيف بالتأنيث .

٢ـ القرآن الكريم جاء على لغة العرب، وبالتالي يصبح معنى الآية ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ أحد قولين:

آ ـ أي يدعون أشياء صغيرة لا تستطيع أن تقدم شيئاً .

ب ـ اللفظ على التأنيث؛ لأنّ أكثر أصنامهم أسماؤها على التأنيث: [اللات ـ مناة ـ العزى].

٣ـ حتى اللغة استعملت الواو مع جمع المذكر السالم: (مهندسون) واستعملت الضمة (الواو الصغيرة أي الضمة) مع جمع المؤنث السالم: (مهندساتُ) وكذلك بالياء، فتقول مع جمع المذكر: مهندسين (بالياء) ومع جمع المؤنث (مهندساتِ) بالكسرة، أي: الياء الصغيرة. والله أعلم .

السؤال الثاني:

لِمَ خصّ دعوة المشركين للإناث من الآلهة ولم يقل: إن يدعون من دونه إلا أصناماً؟

الجواب:

انظر إلى هذه السخرية والتهكم بمعتقدهم؛ فقد خاطبهم الله تعالى بما يعتقدون ويتصرفون، فهم ينظرون إلى الإناث نظرة دون، وكل الناس يعلم حالة المرأة بينهم فقد حرموها من حقوق كثيرة واستضعفوها، ومع ذلك اتخذوا من الأنثى آلهة، بل هي أكبر آلهتهم اللات والعزى ومناة، ولذلك نعى على العرب أنْ يصدر منهم مثل هذه التصرفات.



﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (السوء) و(السيئات)؟

الجواب:

١ـ السيئة: هي فعل القبيح مقابل الحسنة، وقد تُطلق على الصغائر أو الكبائر، وتجمع على (سيئات).

٢ـ السوء: كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال كالمعاصي، وفيما يُغَمّ الإنسان يقال له أصابه سوء(آفة، مرض،....إلخ).

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه:٢٢] أي من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة.

- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [النمل:٥] كلمة (سوء) عامة.

- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣].

- ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر:٤٥].

٣ـ كلمة (سوء) هي اسم المصدر، والمصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه، وهذا حكم عام.

ولكنهم قالوا في غير الثلاثي: يمكن أن يُجمع على مؤنث سالم، مثل: المشي والنوم، هذا عام ويطلق على القليل والكثير، وإذا تعددت أنواعه: (ضرب) تصير(ضروب)، لكن المصدر وحده لا يُجمع. وهذه قاعدة.

السؤال الثاني:

ما المقصود من قوله تعالى في الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾؟

الجواب:

المُراد أنه من يعمل سوءاً ويمتْ مصرّاً عليه؛ لأنه إنْ تاب من الذنب لم يُجز به، وقيل: إنّ المؤمن يُجازى في الدنيا بما يصيبه فيها من المرض وأنواع المصائب والمحن كما جاء في الحديث، وأمّا الكافر فيُمْكن أن يجازى في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما .

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر (الذكر والأنثى) في الآية ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾؟ وما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ جاءت كلمة (ذكر وأنثى) هنا في الآية؛ حتى لا يفهم أحد أنّ مجيء الفعل بصيغة التذكير في قوله تعالى: ﴿يَعۡمَلۡ﴾ يعني أنّ المرأة معفية منه؛ لأنّ المرأة في كثير من الأحكام نجد حكمها مطموراً في مسألة الرجل، وفي ذلك إيحاء بأنّ أمرها مبني على الستر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (من) هنا للتبعيض، أي: على بعض الصالحات، لذلك لم يقل الحق: (ومن يعمل الصالحات)؛ لأنه لا يوجد إنسان يعمل جميع الصالحات، والمطلوب من المؤمن أنْ يعمل من الصالحات حسب جهده ومواهبه وإمكاناته ليستحق الثواب، وهو الجنة بفضل الله.

٣ـ لا بدّ من شرط الإيمان، وإلا يمكن أن يأخذ جزاءه من الإنسانية التي عملوا لها، وليس لهم جزاء عند الله.

٤ـ النقير: هو نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا الاستفهام الذي يهز النفوس في الآية؟

الجواب:

انظر إلى هذا الاستفهام الذي يهز ضمائر المنحرفين الشاذّين عن هدى الله تعالى، فهو استفهام إنكاري أراد الله تعالى أنْ يوجه من خلاله أنظار الناس إلى سبب اتخاذ الإسلام دون غيره ديناً، فهل ثمة دين أحسن من الإسلام الذي يأمر أتباعه بالإحسان والتقوى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، لِمَ خصّ الله تعالى إسلام الوجه وهو جزء من الإنسان، ولم يحذف كلمة ﴿وَجْهَهُۥ﴾ ليشمل المرء ومنه الوجه؟ وما دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ تأمل هذه الكناية في كلمة ﴿وَجْهَهُۥ﴾ ؛ فقد صورت تمام الطاعة والاعتراف بالعبودية؛ لأنّ الوجه أشرف الأعضاء، وبه كان الإنسان إنساناً، فعبّر الله تعالى عن إذعانك لأوامره بامتثال وجهك الذي هو أشرف أعضاء جسدك.

٢ـ جاء بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء، ولذلك جعل الله السجود على أشرف موقع للعبد.

٣ـ قول الحق: ﴿أَسْلَمَ﴾ أي: سلّم زمام أمره لواحد، والمؤمن يسلم أمره لله فقط، وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ يفيد الحصر.

٤ـ قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يفيد أنه من أهل الصلاح، وأنه في لقاء دائم مع الله؛ لأنّ المؤمن الحق يستحضر في نفسه أنه لا يغيب عن الله طرفة عين فيستحي أن يعصيه.

٥ـ قوله: ﴿حَنِيفًاۗ﴾ أي: مائلاً عن الباطل إلى الحق، والمعنى اللغوي لكلمة (حنيف) أنه هو المائل، والله تعالى يرسل الرسل عند انتشار الفساد والاعوجاج في المجتمع فتكون مهمة الرسول والمؤمنين معه أنْ يميلوا عن الفساد، وبهذا يكون الميل عن الاعوجاج اعتدالاً.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ مأخوذة من (الخَلّ) بفتح الخاء، وهو الطريق الضيق، وعادة حينما يسير فيه اثنان فهما يتكاتفان إنْ كان بينهما ود عالٍ، وإلا فواحد يمشي خلف الآخر.

ولذلك سموا الاثنين اللذين يسيران متكاتفين (خليلين)، فكلاهما متخلل في الآخر، أي: متداخل فيه .

والخليل أيضاً هو من يسد خلل صاحبه، ويتوافق معه في الخِلال والصفات والأخلاق.

٢ـ الله سبحانه يقول: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ أي: لا مشاركة لأحد في مكانته، أمّا الحب فيعم ولكن الخلة لا مشاركة فيها .

قال ﷺ : «**أيها الناس لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلاً، وإنّ صاحبكم خليل الله تعالى**» يعني نفسه ﷺ .

قال الشاعر:

ولما التقينا قرّبَ الشوقُ جهده   خليلين زادا لوعة وعتابا

كأنّ خليلاً في خلال خليله   تسرب أثناء العناق وغابا



﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ لم يقل (من)، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾، ولم يقل (من)؛ لأنه ذهب مذهب الجنس، والذي يعقل إذا أريد به الجنس ذُكر بـ(ما) .

٢ ـ (ما) تستعمل لغير العاقل، وهي أيضاً لصفات العقلاء في الشرط كقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ [النساء:٢٤] .

٣ـ و تستعمل في غير الشرط، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] وقوله: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران:٣٥].

٤ـ و(ما) تفيد الزمان، كقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ﴾ [التوبة:٧] أي: مدة استقامتهم لكم .

٥ـ وتفيد أيضاً غير الزمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١١٠].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ أي: إحاطة علم وقدرة.

٢ـ أصل المحيط الإحاطة بالشيء من حوله كالسور الدائر عليه يمنعه أن يخرج عنه ما هو منه و ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦] أي: يعلم جميع الأشياء من جميع وجوهها، وهي تحت مقدوره وتصرفه.

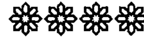
ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢] أي: علمه من جميع وجوهه.

ـ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن:٢٨] أي: في العلم والقدرة.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ [الفتح:٢١] أي: أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

ـ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة:١٩] أي: يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه، وهو نوع من التخويف.

٣ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور أو من جهة العلم والقدرة، أمّا إذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير.



﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ ما دلالة تقديم اسم الجلالة (الله) في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا التبشير للسائل المتحيّر ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، وكأنّ الله تعالى يقول له: قد وجدت طلبك فكن مستبشراً، ولذلك قدّم اسمه الشريف ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: قل يفتيكم الله، للتنويه بشأن هذه الفُتية وعِظمها.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ و﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ وردت مرة واحدة في القرآن، وكان في بداية موضوع جديد في آية النساء ١٧٦ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾

٢ـ ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ وردت مرة واحدة أيضاً في بداية آية اكتنفتها الآيات المبدوءة بـ (الواو) من قبلها ومن بعدها، يعني أحاطت بها الآيات المبدوءة بالواو، وهي في سورة النساء من الآية ١٢٤ إلى الآية ١٣٢، فكان من المناسب أن تأتي هي بالواو أيضاً، ولا تشذ عن سياق الآيات كلها.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ما دلالة حذف حرف الجر الافتراضي: رغبت في زيد، أم رغبت عنه؟

الجواب:

من المعلوم أنه لا يجوز حذف حرف الجر إلا إذا أُمن اللبْسُ وتعيّن المقصودُ، فلا يقال: رغبت زيداً؛ لأنه لا يدرى المقصود أهو: رغبت في زيد، أم: رغبت عنه، ولكنه حذف حرف الجر مع أنه لم يتعين في الآية أهو (في) أم (عن)؛ وذلك لأنه يجوز الحرفان معاً .

فالحكم واحد سواء في الرغبة فيهن لجمالهن أو عنهن لدمامتهن، والحكم واحد في الحالتين، فلو قال: (في) لظُنَّ أنه يُراد في حالة الرغبة فقط، ولو قال: (عن) لظُنَّ أنه يُراد في حالة العزوف عنهن، فأطلق لإطلاق الرغبة .

وهذا تعبير جليل عظيم، فمعنى الآية يحتمل في ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لجمالهن، وعن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن .



﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب الشح في قوله تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ﴾؟

الجواب:

الشح: مفعول به ثان منصوب، والأنفسُ: نائب فاعل. والفعل (حضر) يتعدى إلى مفعول واحد، و(أحضر) يتعدى إلى مفعولين.

السؤال الثاني:

ما معنى (الشح)؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الشح هو البخل .

٢ـ عندما خلق ربنا الأنفس جعل معها الشح، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء:١٠٠] وقتوراً خبر كان، وتعني بخيلاً.

لذلك الإنسان بخيل خِلقةً، فلمّا خلق تعالى الأنفس جاء بالشح. وفي الأصل أحضرنا الأنفس الشح، أي: أحضرناها الشحَّ.أي: جيء بالشح وأُحضر للأنفس، وكأنّ الله تعالى أحضر الأنفس عندما خلقها وخلق الشحّ وجعله فيها.

وما قال: (أحضرنا) وإنما قال: ﴿وَأُحْضِرَتِ﴾ ؛ لأنّ الله تعالى ينسب الخير لنفسه.

السؤال الثالث:

المطلوب بيان الفروق بين آيتي النساء ١٢٨ و ١٢٩؟

الجواب:

هناك فروق بين الآيتين نوجزها في الجدول التالي:

الآيـــة ١٢٨	الآيـــة ١٢٩
﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾	﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾
﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾	﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾

* البيان:

١ـ الآية الأولى المراد بها أنْ يتصالحا على مال تبذله المرأة من مهر أو غيره ليطلقها؛ فإنه خير من دوام العشرة بالنشوز، ثم عذر النساء بقوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾، ثم بيّن: وإنْ تحسنوا معاشرتهن بترك النشوز والإعراض، فإن الله خبير بذلك فيجازيكم عليه .

٢ـ الآية الثانية تبين أنّ العدل بين النساء عزيز ،ولو حرصتم؛ لأنّ الميل إلى بعضهن يتعلق بالقلب، وهو غير مملوك للإنسان، وإذا كان كذلك فلا تميلوا كل الميل فتصير المرأة كالمعلقة التي لا متزوجة ولا مطلقة، ثم قال:﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ معاشرتهن بقدر الإمكان، فإنّ الله يتجاوز عما لا تملكونه من الميل بمغفرته ورحمته.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا
(١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) ﴾

السؤال الأول:

ما الارتباط والتناسب بين الآيتين ١٣٠و ١٣١؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ﴾

انظر إلى هذا التناسب بين آي القرآن، فالآية الأولى فيها إشارة إلى إغناء الله تعالى كُلاً عن صاحبه فناسب أنْ تبدأ الآية الثانية بإظهار ملكوت الله سبحانه وتعالى، فمن له ما في السموات وما في الأرض قادر على أنْ يغني كل أحد من سعته، وهذا كناية عن عظيم سلطانه واستحقاقه للتقوى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النساء ١٣١ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ﴾، لِمَ ذكر ربنا سبحانه وتعالى أمره لأهل الكتاب بالتقوى، ثم عطف المسلمين

عليهم؟ وما قال مثلاً: ولقد وصينا المؤمنين أن اتقوا الله، ليشمل كل مؤمن منذ أن وُجِد الإنسان على الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

الجواب:

إنّ الإخبار بأن الله تعالى أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبل مقصود منه إلهاب هِمم المسلمين وحثّهم على بلوغ تقوى الله تعالى؛ لئلا تَفْضُلهم الأمم التي من قبلهم من أهل الكتاب، وبديهي أنّ الإنسان إنْ وُضِع ميزان التفاضل لا يقبل أنْ يسبقه أحد إلى خير أبداً.

السؤال الثالث:

كرر الحق قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ثلاث مرات في آيتين متتاليتين في سورة النساء[١٣١و ١٣٢]، فما الحكمة؟

الجواب:

١ـ الأولى في الآية ١٣١ جاءت بعد قوله تعالى في الآية ١٣٠ ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: من يملك السماوات والأرض هو قادر على ذلك. ؛

٢ـ الثانية في نفس الآية ١٣١ جاءت بعد أمر الله بالتقوى، والتقوى تفيد الإنسان نفسه، ولا تفيد الله تعالى؛ لأن﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وبيّن أنه لو كفرتم فإن ذلك لا يؤثر في ملكه شيء؛ لأنّ الله غني حميد في ذاته، وأنه منزه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين.

٣ـ الثالثة في الآية ١٣٢ فقد بيّن فيها أنّ الله تعالى قادر على الإفناء والإيجاد، فإنْ عصيتموه فإنه قادر على إفنائكم وعلى إيجاد آخرين يقومون بعبوديته وتعظيمه؛ فهو الذي له ما في السماوات وما في الأرض .

ومن هنا يتبين أنّ الحق أعاد قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاث مرات ليبين في كل مرة إحدى صفات جلاله؛ ليستغرق الذهن والعقل في خلق السماوات والأرض ويستدل من صفاتها على صفات الخالق عز وجل.

ثم بيّن الله تعالى أنه لم يزل ولا يزال موصوفاً بالقدرة على جميع المقدورات بقوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾



﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التقديم والتأخيرفي قوله تعالى في آية سورة النساء ١٣٥ ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ و ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ في آية سورة المائدة رقم ٨؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ وقال تعالى في سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ .

٢ـ ولو أخذنا سياق الآيات في سورة النساء نلاحظ أنّ السورة كلها في الأمر بالعدل والقسط وإيتاء كل ذي حق حقه، كما في الآيات: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢] ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء:٤] فلذلك اقتضى السياق في سورة النساء تقديم (قوّامين بالقسط).

٣ـ أمّا في سورة المائدة، فسياق الآيات في حقوق الله تعالى وفي الولاء والبراء، كما في الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢] ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة:٧] فالكلام في القيام بأمر الله تعالى؛ لذا اقتضى قول (قوّامين لله) ؛ لأن السياق في القيام لله تعالى وفي حقوق الله تعالى.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النحل:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠]، وفي النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥] ما خصوصية استعمال القرآن لكلمتي (العدل والقسط)؟

الجواب:

١ـ أصل (القسط) الحظ والنصيب، ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع الوزن إلا القسط، وهذا من خصوصية الاستعمال القرآني. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن:٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [هود:٨٥].

٢ـ و(القسط) يستعمل مع غير الميزان، لكن القرآن يستعمله مع الميزان ولا يستعمل العدل مع الميزان.

٣ـ و(القسط) قد يكون في القسمة، وفيه ارتباط بالآلة (قسطاس).قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥]

والقسطاس هو ميزان العدل، وأصل كلمة (قسطاس):عدل، فسموا الميزان (قسطاس)؛ لأنه عدل.

٤ـ (العدل) معناه المساواة في الأحكام. وعندنا (عَدل) و(عِدل):

آ ـ العِدل: فيما يُبصر من الأشياء. تقول: هذا عِدل هذا. أي مثل حملين متساويين، فيقال هذا عِدل هذا .

ب ـ العَدل: هو أحكام ومساواة في الحكم وفيما لا يبصر من الأشياء.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:٩٥] ذوا قسط .

ـ ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا ﴾ [المائدة:٩٥] الصيام لا يُبصر .

ـ ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾ [الأنعام:٧٠] ولم يقل كل قسط.

ـ ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ [البقرة:١٢٣].

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿قَوَّٰمِينَ ﴾ في الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ تأمل قوله تعالى ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾، حيث جاءت كلمة (قوّامين) بصيغة مبالغة؛ لتدل على الكثرة، ولم يقل: (كونوا قائمين بالقسط)؛ ليحضّنا على عدم الإخلال بهذا القيام بالعدل في حال من الأحوال.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بماذا آمن هؤلاء؟

الجواب:

العلماء لهم ثلاثة أقوال هنا:

١ـ الخطاب لأهل الكتاب؛ لأنّ الكلام قبله كان مع أهل الكتاب، أي: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل آمنوا بمحمد والقرآن.

٢ـ الخطاب مع المؤمنين: أي يا من آمنتم اثبتوا على إيمانكم.

٣ـ الخطاب مع المنافقين: والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم آمنوا بقلوبكم، أي: آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله، ولم يقل لهم: يا أيها الذين (نافقوا) أبداً.

والقرآن لم يستفز المنافقين، وإنما كان يخاطبهم كما يخاطب المؤمنين ولم يكن يريد أنْ يثيرهم، ولم يكن يريد أنْ يبعدهم، فخاطبهم: يا أيها الذين آمنوا عليكم أن تؤمنوا بهذه الأشياء طالما كنتم مؤمنين.

ولربما كان هذا القول هو الأصوب قياساً على سياق الآية. والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] بدون (الباء)، وقوله في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾بدون الباء؟

الجواب:

١ـ في قضية الإيمان نحو الآيات: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨]، ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله)، لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر، نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فهو أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿وَيَقُولُونَ

أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[الصافات: ٣٦] ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤] وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠-٨٤] فهذا يشيرإلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد ؛ لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية النساء ١٣٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ جاء في صلة وصف الكتاب المنزّل على محمد ﷺ بصيغة التفعيل ﴿نَزَّلَ﴾، بينما جاء في صلة وصف الكتاب المنزّل من قبل خالياً من التضعيف ﴿أَنزَلَ﴾، فلِمَ خصّ القرآن بالتضعيف؟

الجواب:

إنما خصّ الله تبارك وتعالى القرآن بصيغة (نزّل) التي تدل على التضعيف؛ لأن القرآن حينئذ كان يتنزّل على قلب محمد ﷺ منجماً، فناسب ﴿نَزَّلَ﴾ بالتضعيف التي تفيد التكرار، بينما التوراة يومئذ كانت قد انقضى نزولها، وقد نزلت دفعة واحدة فناسب ﴿أَنزَلَ﴾.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (نزّل) و(أنزل)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران رقم ٣.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب حذف الفاء في آية النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ وذكرها في قوله تعالى في سورة محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد:٣٤]؟

الجواب:

١ـ الواو لمطلق الجمع، وقد يكون عطف جملة على جملة، نحو قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٦-٩٧].

٢ـ الفاء تفيد السبب، وهذا المشهور في معناها (درس فنجح) .

فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها، أي: أنّ الذي قبلها يفضي لما بعدها فإنه يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو؛ لأن الواو لمطلق الجمع، وهذا حكم عام .

٣ـ ثم إن الفاء يؤتى بها في التبكيت، أي: التهديد، أي: لو أنّ عندنا عبارتين إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء، وهو من باب جواز الذِّكر وعدم الذِّكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً.

* شواهد قرآنية:

مقارنة بين آية النساء ١٣٧ وآية محمد ٣٤

ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ ليس فيها فاء، وفي الآية هم أحياء وقد يتوبون .

ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد:٣٤] لأنهم لا تُرجى لهم توبة؛ لأنهم ماتوا على الكفر، فجاء بالفاء .

مقارنة بين آيتي آل عمران المتتاليتين ٩٠و٩١

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠] .

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران:٩١] والآيتان فيهما نفس التعبير، وهو النفي بـ ﴿لن﴾، وقد جاءت إحداهما بالفاء، وهي قوله تعالى ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ﴾ [البقرة:١٦١] لأنهم ماتوا وانتهى عملهم. والنُحاة يقولون: قد تأتي الفاء للتوكيد.



❀❀❀❀

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾؟

الجواب:

المعروف أنّ التبشيرهو بالشيء الحسن، أمّا هنا فجاء التبشير من باب السخرية والتهكم منهم، كما في قوله تعالى أيضاً في آية الدخان ٤٩ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ قوله (العزيز الكريم) هو من باب التهكم والسخرية.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ

مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] ذكر (الباء) في الآية الأولى ﴿بِأَنَّ﴾ [النساء:١٣٨] وحذفها في الثانية ﴿أَنَّ﴾ [البقرة:٢٥]، مع أنّ التقدير هو (بأن). فلماذا؟

الجواب:

١ـ ذكر حرف (الباء) آكد من حذفها .

٢ـ ذكر الباء في سورة النساء؛لأنّ تبشير المنافقين آكد من تبشير المؤمنين، ففي سورة النساء أكّد، وفصّل في عذاب المنافقين في عشر آيات [١٣٦ـ١٤٥] من قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ .

أمّا في آية البقرة ٢٥ فهي الآية الوحيدة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين في كل سورة البقرة.

٣ـ لفظة (بأنّ) أكثر من (أنّ) ؛ فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزائهم.

٤ـ وكذلك الأمر في سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب:٤٧] ذكر (الباء) ؛ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم.

السؤال الثالث:

ما إعراب بـ (أنّ) في آية النساء ١٣٨ ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾؟ أو في آية الأحزاب ٤٧ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾؟

الجواب:

١ـ أنّ: حرف مصدري، والمصدر المؤول سقط على نزع الخافض.

٢ـ الحروف المصدرية هي:[أن وأنّ ولو وما وكي].

السؤال الرابع:

ما دلالة هذا الأسلوب الأدبي في الآية ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا الأسلوب الأدبي الذي سلك مع المنافقين مسلك المشاكلة فالمنافق الذي يتظاهر بالإيمان ويُبطن الكفر يتهكم بالإسلام وأهله، ولذلك جاء ربنا في جزاء عملهم بوعيد مناسب لتهكمهم بالمسلمين، فبدأ هذا الجزاء بفعل بلغ في التهكم والسخرية منهم مبلغاً عظيماً فقال: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾، وبماذا ستكون البشارة؟! أبجنَّة عرضها السموات والأرض؛ لأنّ البشارة خبر بما يُفرِح؟! لا، بل بشّرهم بأنّ لهم عذاباً أليماً، وفي هذا غاية التهكم والسخرية منهم.



﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾؟

الجواب:

(العزة) مأخوذة من معنى مادي، وهو الصلابة والشدة، فالأرض العَزَاز، أي: الصلبة التي لا ينال منها المعول، ثم نقل المعنى إلى كل شديد، فكل شيء شديد فيه عزة، والمراد بها الغلبة والنصر.

فإذا قيل: (الله عزيز) فمعناه: أنه تعالى غالب على أمره شديد لا يقدر على قوته أحد.

والمنافقون يريدون العزة ولكن من نظائرهم هم ؛ لأنهم لا يملكون لهم عزة ذاتية، فطلبوها من مساوٍ لهم من الأغيار من البشر.

والله يقول لهم في المعنى: إنكم إنْ أردتم العزة الحقيقية فلن تجدوها إلا عند الله صاحب العزة، الذي لا تناله الأغيار.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ تدل على أنّ العزة لها أنواع شتى مثل عزة الغنى وعزة السلطان وعزة الجاه وغيرها، فإنْ أراد واحد أنْ يعرفها ويعلمها فهي ﴿جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ في الحق سبحانه وتعالى، وبهذا يرفع الله عبده الفقير إلى أعلى درجات العزة .

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا المشهد الحسي الذي يرصد حركة المنافقين في الآية؟

الجواب:

تأمل هذا المشهد الحسي الذي يرصد حركة المنافقين، وكأنك ترى تقلبهم وتمالؤهم في صورة منفّرة مزرية، فهاهم يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكافرين بوجه، ويمسكون العصا من وسطها ويتلوّنون كالثعابين، فكم يثير الفعل ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ في النفس مشاعر الكره والنفور من هذه الطائفة أكثر مما يبعثه الفعل (يترقبون).



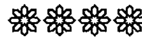
﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

كيف استخدم القرآن كلمة ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ في الآية؟

الجواب:

تأمل أسرار القرآن وكيف أن كل عبارة ترسم لك فكرة، وهذا أمر معلوم ولكن القرآن تجاوز هذا إلى الكلمة المعبّرة، ألا ترى كيف استخدم القرآن كلمة ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ ليعبّر عن شدة خوفهم واضطرابهم، ولو ذهبت لكي تضع مكانها أي كلمة ما أدّت المعنى المطلوب، فهي تدل على الاضطراب والتعجّل من جهة المعنى، وتفيد الكثرة من خلال تكرار الأحرف.



﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

هل المنافقون في الدرك الأسفل في النار؟ وهل يشمل الكفار أو يشمل الكفار والمنافقين من المسلمين؟

الجواب:

١ـ أما المنافقون فنعم، وربنا قال هذا؛ لأنّ المنافق كما ذكر ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٨-٩] والمنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان تحديداً.

وإنْ قيل: إذا كنت أُبطنُ كُرهي لشخص معين وأُظهرُ له مودتي، هل هذا نفاق؟

والجواب: هذا ليس النفاق الشرعي المذكور في القرآن، وهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان.

والمقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ هؤلاء الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وبالتالي ليسوا مسلمين .

٢ـ والمنافق وإنْ كان في الظاهر أحسن حالاً من الكافر في الدنيا، بدليل أنه معصوم الدم، إلا أنه عند الله في الآخرة أسوأ حالاً ؛ لأنه شارك الكافر بكفره من جهة، وزاد عليه – من جهة أخرى – الاستهزاء بالإسلام وأهله والمخادعة لله ورسوله .



﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء ١٤٦ ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ فقدّم الدين على الجار والمجرور، وقوله في آية الأعراف ٢٩ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فقدّم الجار والمجرور على الدين، وكذلك في قوله في آية الزمر ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾.

فما دلالة (تقديم الجار والمجرور على الدين) أو (تقديم الدين على الجار والمجرور) في آيات القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ في عموم الآيات في القرآن الكريم يقدم الجار والمجرور على الدين عدا آية النساء ١٤٦ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ فقدّم الدين على الجار والمجرور، والتأخير حسب ما يقتضيه السياق.

٢ـ السياق في سورة النساء في الكلام عن المنافقين يبدأ من قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦]

تسع آيات تتعلق بذكر المنافقين، فلمّا كان الكلام عن ذكر المنافقين قدّم ما يتعلق بالمنافقين، وهو كلمة (دين) المضافة إلى ضميرهم،فقال: ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾.

٣ـ الآيات الأخرى كلها الكلام فيها عن الله تعالى، فقدّم ما يتعلق به،كما في الآيات:

ـ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزُّمَر:٢-٣] الكلام عن الله تعالى.

ـ ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾ [الزُّمَر:١١-١٢-١٣-١٤]، والكلام هو عن الله تعالى، فلمّا كان الكلام عن الله قدّم ضميره؛ أي ما يتعلق به.

ـ ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

فلمّا كان الكلام عن الله قدّم ما يتعلق به وهو ضميره ،ولمّا كان الكلام عن المنافقين في آية النساء قدّم ما يتعلق بهم وهو ضميرهم ﴿ دِينَهُمْ ﴾

وهكذا في جميع القرآن.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ جاءت كلمة ﴿ يُؤْتِ ﴾ مع حذف الياء مع عدم وجود أداة جزم ولكن بحسب قواعد رسم الياء في المصحف، فما تلك القواعد والتعليلات اللغوية في رسم الياء؟

الجواب:

الحروف الثلاثة (الألف والواو والياء) تقابلها ثلاث حركات، وهي (الفتحة والضمة والكسرة)، فالفتحة بعض الألف، والضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء، ولو أشبعت الحركة لانقلبت إلى حرفها .

وقد كان متقدمو النحاة يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة .

التعليلات اللغوية في رسم الياء:

أولاً:

تحذف الياء للدلالة على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود، والعرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها، فتقول: هذا غلامِ، بدل: هذا غلامي؛ لأنّ من كلامهم أنْ يحذفوا في الوقف ما لا يذهب في الوصل.

وقد أشار الفراء إلى أنّ حذف الياء جائز في كلام العرب، سواء أكانت ضميراً أم من بنية الكلمة إذا كان ما قبلها مكسوراً .

ثانياً:

وأما حذف الياء فيكون بسبب:

آ ـ الوقف وهو الأكثر.

ب ـ في الوصل عندما تلتقي حركة طويلة في آخر كلمة بحرف ساكن في أول كلمة تتلوها، فكأنّ حذفها بسبب سقوطها في اللفظ لا بسبب أداة جزم.

ج ـ وعلى ذلك جرى نسّاخ المصاحف العثمانية في الخط دون أنْ يلتزموه في كل الأمثلة؛ لأنّ الكاتب يظل متردداً بين الالتزام بأصل رسم الكلمة وهي منعزلة عن السياق والاستجابة لواقع نطقها وهي في درج الكلام المتصل .

د ـ تحذف الياء من الأفعال، وخاصة في صيغة الأمر أو النهي مثل: ﴿فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة:٤٠] ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة:٤١] ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس:٧١] ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾ [يوسف:٦٠].

هـ ـ وقد تحذف الياء في كل اسم منادى أضافه المتكلم إلى نفسه، نحو: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ﴿يَٰرَبِّ﴾ ﴿يَٰعِبَادِ﴾ إلا في موضعين أثبتوا فيهما الياء، وهما:

١ ـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٥٦].

٢ ـ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

واختلفوا في آية الزخرف ٦٨ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ﴾[الزُّخرُف:٦٨] ففي بعضها ياء وفي بعضها من دون ياء.

وقد يكون ذلك بسبب ما يصاحب صيغة النداء أو الأمر أو النهي من سرعة النطق بمقاطع الكلمة مما يسبب سقوط الحركات أو تقصيرها، كما قصرت في الفعل المضارع المجزوم أو فعل الأمر مثل: [اخشَ ـ ادعُ ـ ارمِ].

* شواهد الحالة (أ):

وردت في المصحف في حوالي خمسة عشر موضعاً منها:

ـ ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٦].

ـ ﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يونس:١٠٣]:

ـ ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [طه:١٢][النازعات:١٦].

ـ ﴿لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٥٤].

- ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ [النمل:١٨].

- ﴿ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [القصص:٣٠].

- ﴿صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات:١٦٣].

- ﴿يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ [ق:٤١] .

- ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾ [القمر:٥] .

- ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرحمن:٢٤] .

- ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾ [التكوير:١٦].

* شواهد الحالة (ب):

وهي بقاء الياء في الخط رغم سقوطها من اللفظ بسبب استقبالها للحرف الساكن:

- ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

- ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٥٤].

- ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ [يونس:١٠١].

- ﴿أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ [يوسف:٥٩].

- ﴿أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الرعد:٤١].

- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل:١٠٧].

- ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٩٣] .

- ﴿بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ﴾ [النمل:٨١] .

- ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [القصص:٥٥].

- ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ [غافر:١٥].

وبشكل عام فإنّ العرب قد يحذفون الياء مرة ويثبتونها مرة أخرى، فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلاً عليها، والياء هي آخر الحروف فاستثقلت فحذفت، ومن أتمها فهو البناء والأصل.

ويتضح أنّ ما جاء محذوفاً من الياء في الرسم العثماني إنما كان استجابة لحذفها أو تقصيرها في اللفظ، سواء أكان ذلك في حالة الوقف أم في حالة الوصل، جرياً على قاعدة أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ.

لكن علينا أنْ نلاحظ أنّ هذه القاعدة لم تكن مطلقة، فقد جاءت بعض الكلمات التي آخرها ياء مثبتة في الرسم في حوالي أربعين موضعاً، مما حذفت من نظائر بعضها رمز الكسرة الطويلة.

ولعلّ إثباتهم الياء في هذه المواضع إنما جرى على الأصل في النطق في تلك الأمثلة.

ومما يؤيد أنّ ذلك الحذف كان استجابة للفظ هو ورود الرواية عن أئمة القراءة بذلك، فمنهم من حذف وصلاً ووقفاً، ومنهم من أثبت وصلاً وحَذَفَ وقفاً. والله أعلم.

ثالثاً:

زيادة الياء هي علامة اختصاص ملكوتي، نحو قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ كُتبت بياءين فرقاً عن (الأيد) الذي هو القوة و(الأيدي) جمع يد؛ لأنّ القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظ بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود.

ياء الإضافة:

١ـ تتصل ياء الإضافة بكل من الاسم والفعل والحرف، نحو [نفسي ـ أوزعني ـ لي].

٢ـ الخلاف بين القراء في ياءات الإضافة دائر بين الفتح والسكون، وهما لغتان مشهورتان عند العرب، والسكون فيها هو الأصل، وإنما حُركت لتقويتها .

٣ـ بالتتبع تبين أنّ ياءات الإضافة في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

آ ـ ما أجمع القراء على إسكانه، وهو الأكثر لمجيئه على الأصل (٥٦٦) ياء .

ب ـ ما أجمع القراء على فتحه (٢١) ياء.

ج ـ ما اختلف القراء في إسكانه وفتحه (٢١٢) ياء.

رابعاً:

كلمة ﴿تَسْئَلْنِى﴾ [الكهف:٧٠] .

وردت في القرآن الكريم في آيتين، مع وجود (اللام الناهية) التي تجزم الفعل المضارع.

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود:٤٦] وياء المتكلم هنا هو الله تعالى، وقد حذفت كتابة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف:٧٠] ولم تحذف هنا الياء.

وقيل في الأول: وعِلم هذا المسؤول غيب ملكوتي بخلاف آية الكهف، فهو علم مشهود كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.



﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾؟

الجواب:

١ـ المعنى: هل يعذبكم الله لأجل التشفي؟ أم لطلب النفع؟ أم لدفع الضرر؟ كل ذلك محالٌ في حقه؛ لأنه تعالى غني لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنافع ودفع المضار.

والمراد من ذلك دفع المكلفين على فعل الحسن والخير والاحتراز عن القبيح، فإنْ أتيتم بالحسن وتركتم القبيح فكيف يليق بكرمه أنْ يعذبكم؟!

٢ـ في تقدم الشكر على الإيمان وجهان:

آ ـ على التقديم والتأخير، أي: آمنتم وشكرتم .

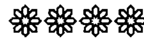
ب ـ الواو لا توجب الترتيب، وإنها لمجرد العطف .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾؛ لأنه تعالى لمّا أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكراً على سبيل الاستعــــارة، والمعنى أنّ الله عليم فهو يعطي الثواب إلى الشاكر .



﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة (السوء) في الآية ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾؟

الجواب:

المقصود من هذه الآية أنْ لا تذكر أحداً بسوء أو أنْ تذمه أو ترفع صوتك بذكره ذماً إلا من ظلمك .

أمّا أنْ تتكلم هكذا عن الناس وتجهر بذمهم فهذا لا يجوز، من ظلمك تذكره، أمّا في غير ذلك فلا يصح، والسوء هو أي ذمّ، وهو كلمة عامة.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فقيده بالقول؟

الجواب:

استعمل القرآن كلمة الجهر بالسوء، والجهر هو ما يصل إلى أسماع الناس، فنُهينا عن التلفظ بالكلام السيئ وقيّده بالقول؛ لأنه أضعف أنواع الأذى، فدلّنا ذلك على أنّ السوء بالفعل أشد تحريماً؛ لأنه أشد من القول.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ فما كلمات منظومة الإعلام العلني في القرآن؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الإعلام العلني:

جهر:

أي: أظهر الشيء بقوة وشدة، وكل صوت قوي وغليظ وشديد يسمى جهراً، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:١١٠] والجهر يستعمل لحاسة السمع والبصر ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣] أي: أمام العالم بدون حجاب.

والجهر بالسوء من القول أن يُسمِع كل الناس: [النساء ١٤٨] والمكروه في الآية هو الجهر بالسوء من القول أو العمل بحيث يسمعه كثير من الناس، ولم تقل الآية (التكلم) بالسوء، وإنما الجهر؛ لأنّ هذا لا يقدر عليه كل الناس.

أعلن:

إعلان عن شيء كان سراً:[نوح٩].

أظهر:

إظهار ما كان مخفياً لا يعرفه إلا قلة من الناس: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:٣٣] والإظهار إعلان مع انتصار.

أفاض:

أن تتكلم بكلام أكثر مما ينبغي وتضيف أشياء غير صحيحة : ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

أذّن:

إعلان بالنداء، نحو: (أيها القوم أو أيها الناس)، وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف: ٧٠].

اصدع:

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحِجر:٩٤].



﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية النساء ١٤٩ ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾، وفي آية الأحزاب ٥٤ ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ ـ وردت آية النساء بعد قوله تعالى في الآية ١٤٨ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ فذكر أنّ الله لا يحب الجهر بالسوء؛ ولذا قال بعدها: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ أي: إن تُظهروا خيراً وهو عكس الجهر بالسوء، فالله سبحانه لا يحب السوء ولا الجهر به، بخلاف الجهر بالخير.

٢ـ وأما آية الأحزاب فالسياق يتعلق بالأشياء الخافية والظاهرة، فقد قال قبلها: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب:٥١] وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب:٥٢] وختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب:٥٤] ومعنى الآية أنه يستوي عنده السر والجهر، فناسب أن يقول: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب:٥٤]، لا أنْ يقول : إن تبدوا خيراً.

٣ ـ إنّ الجو التعبيري لكل سورة يقتضي وضع كل لفظة من هاتين اللفظتين في موضعها، ذلك أنه:

آـ ترددت كلمة (خير) في سورة النساء (١٢) مرة، وفي سورة الأحزاب (٢) مرة

ب ـ ترددت كلمة (شيء) في سورة النساء(١٢) مرة، وفي سورة الأحزاب (٦)مرة.

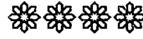
٤ـ آيات الفقرة (أ) هي:

آيات النساء رقم [١٩ـ٢٥ـ ٤٦ ـ٥٩ـ ٦٦ ـ ٧٧ ـ ١١٤ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ـ ١٤٩ـ١٧٠ـ ١٧١] و آيات الأحزاب رقم[١٩ـ ٢٥].

وآيات الفقرة (ب) هي:

آيات النساء رقم [٤ـ ١٩ـ ٢٠ ـ ٣٢ـ ٣٣ـ ٣٦ـ ٥٩ـ ٨٥ـ ٨٦ـ ١١٣ـ ١٢٦ـ ١٧٦]

و آيات الأحزاب رقم [٢٧ـ٤٠ـ٥٢ـ٥٤ـ٥٤ـ٥٥].



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿يَكۡفُرُونَ﴾ بصيغة المضارع في الآية؟

الجواب:

انظر إلى كلمة ﴿يَكۡفُرُونَ﴾، فقد استعمل القرآن كلمة (يكفرون) بصيغة المضارع، ولم يستعمل لفظ (كفروا) بصيغة الماضي؛ لينبّهنا إلى أنّ أمر الكفر منهم متجدد وفيهم مستمر؛ لأنهم لو كفروا في الماضي ثم رجعوا لما كانوا أحرياء بالذمّ، وصبغهم بصفة الكفر وجعلها سربالاً لا يغادرهم.



﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ حيث عرّف جزئي الجملة المبتدأ والخبر؟

الجواب:

جعل المبتدأ والخبر معرفة، فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فقد عرّف جزئي الجملة؛ أي: اسم الإشارة (أولئك) والخبر (الكافرون)؛ لتأكيد قصر صفة الكفر عليهم.

تقول لإنسان: أنت بطل، أي: هو بطل من بين الأبطال، أما إنْ قلت له: أنت البطل، فهذا يعني أنك جعلت البطولة له دون غيره لما رأيت من صفات البطولة لديه.

كذلك عندما نقول: (أولئك هم الكافرون)، فهذا يعني أننا نزّلنا غيرهم من الكفرة منزلة العدم؛ لما تمتع به هؤلاء من أوصاف الكفر، ووجه هذه المبالغة هو أنّ كفرهم قد اشتمل على أحوال عديدة من الكفر وسفاهة في الرأي، حيث إنّ كل فِعلة لهم إذا انفردت هي كفر، فكيف بها إذا اجتمعت؟

السؤال الثاني:

الضمير ﴿هُمُ﴾ في الآية ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ هو ضمير الفصل، فلماذا سمي بهذا الاسم؟ وماذا يفيد؟

الجواب:

١ـ سمي بضمير الفصل؛ لأنه فصل بين المبتدأ والخبر، وهو يفيد شدة التوكيد.

٢ـ جاء ضمير الفصل في كثير من الآيات في القرآن الكريم؛ منها: [البقرة ١٢ـ ١٣ـ آل عمران ٨١ ـ المائدة ٤٤ـ النساء ١٥٠ـ المائدة ٤٥ـ ٤٧ـ التوبة ٦٧ـ النور ٤]، وفي هذه الآيات جاء بضمير الفصل على جهة المبالغة، كأنك تقول: زيد الشاعر، ثم تقصر الشعر عليه مبالغة كأنّ ما عداه ليس بشاعر، ثم تؤكد هذا المعنى فتقول: زيد هو الشاعر.

٣ـ البيان المختصر للآيات المذكورة أعلاه:

آ ـ في آية البقرة (١٢) لا شك أنّ هناك مفسدين آخرين ولكنه قصر الإفساد عليهم مبالغة، على معنى أنهم أولى من يسمى بهذا الاسم، وكذلك في آية البقرة(١٣) ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣].

ب ـ كذلك الأمر في آيات المائدة[٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٧]، فقد قصر الكفر والظلم والفسق عليه مبالغة، على معنى أنهم أولى من يسمى بهذا الاسم .

والفسق والظلم درجات تصل في آخرها إلى الكفر، فالآيات تشمل جميع الحالات، والذي لا يحكم بما أنزل الله أحد هؤلاء الثلاثة قطعاً، والفسق أعم من الظلم، وكل ظالم فاسق، وليس كل فاسق ظالماً.

والظلم هو مع الآخرين، والفسق مع نفس الإنسان، وكلاهما خروج عن طاعة الله قد يصل إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤].

ج ـ وكذلك الأمر في آيات النساء والحجرات وآل عمران والتوبة والنور ففيها قصر على جهة المبالغة، أو على معنى الكمال في الصفة .

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ﴾ و﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة تصدير الآية بالفعل المضارع ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟

الجواب:

لو وقفنا عند هذه الآية لرأينا أنّ هذه الآية صُدّرت بفعل مضارع ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ بغية استحضار حالتهم في هذا السؤال، حتى كأنك تعيش معهم وتراهم، وأتى الفعل بصيغة المضارع ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ ؛ للدلالة على تكرار السؤال وتجدده منهم المرة بعد الأخرى بقصد التحدي والإعجاز؛ ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (الجبل والطور) في آية سورة البقرة ٦٣ وآية النساء ١٥٤ وآية الأعراف ١٧١؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٣.

السؤال الثاني:

ما دلالة الظرف ﴿فَوْقَهُمُ﴾ في الآية؟ وهل يختلف عن ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾، كما في آية الإنسان ٢١؟

الجواب:

يقول المفسرون: إن كلمة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ [الإنسان:٢١] تعني فوقهم، لكنه في الحقيقةِ الفوقيةُ لا تقتضي الملامسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [المُلك:١٩] ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [ق:٦] وكذلك آية النساء ١٥٤.

فكلمة (فوق) ظرفٌ مبهمٌ ليس له حدود مثل يمين ويسار، وعليه فإن كلمة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ [الإنسان:٢١] في سورة الإنسان تفيد الملامسة وتعني (يلبسونها).

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب وما يترتّب على كونهم نقضوا الميثاق في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ بينما جاء ذكر الجواب في آية النساء ١٦٠ في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾؟

الجواب:

هذا فيه خلاف بين المفسرين واللغويين، وفي الآية أكثر من تخريج عندهم:

١ـ من المحتمل أنّ قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بدل من ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾، فالجار والمجرور بدلٌ، وذكر المتعلّق ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿لِمَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٣٣] ﴿لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا﴾ بدل لقوله ﴿لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ .

٢ـ الوجه الآخر أنّ ذكر نقض الميثاق مذكور في آيات أخرى، وذكر فيها المتعلّق في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣] فكأنّ الجواب في الآية أُحيل إلى ما ذُكر في آيات أخرى.

٣ـ الوجه الثالث أنه يُحذف للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما في حذف جواب القسم في أوائل سورة ق ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ .

وجواب الشرط أيضاً يُحذف في القرآن كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سبأ:٣١] .

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ ﴾ [الانشقاق:١] وقوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال:٥٠] وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب، فالأمور التي ذكرها تعالى تستدعي من العقوبات وغضب الله تعالى ما يضيق عنه الكلام، فكل العقوبات في حق هؤلاء قليلة.

٤ـ ويمكن أنْ تحتمل جميع المعاني السابقة، وهذا من باب التوسع في المعنى. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الطبع في هذه الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ قف وتأمل آيات الله تعالى واجعل قلبك صندوقاً يحوي آيات من القرآن ويعيها؛ حتى لا يختم الله سبحانه وتعالى على قلوبنا ويجعلها مغلقة كما ختم على قلوب من كفروا فقال تعالى عنهم: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ والطبع هو إحكام الغلق بحيث لا يتمكن أمر من ولوج ذلك الشيء إلا بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به، وكذلك طبع القلب هو إحكام إغلاقه، بحيث لا يدخل إليه خير ولا يخرج منه خير ولا معروف.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية النساء ١٥٥ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم﴾ ما فائدة إعادة ذكر الكفر في الآية (١٥٦) بعد أن ذكره في الآية التي قبلها؟

الجواب:

تكرر الكفر منهم؛ لأنهم كفروا بموسى وعيسى ثم بمحمد ﷺ، فعطف بعض كفرهم على بعض .

وفي الآية (١٥٧) ذكر ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فهم لم يقروا حقيقة أنه رسول الله، وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٧] .

السؤال الرابع:

ما دلالة (ما) في الآية في قوله تعالى في الآية ١٥٥ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ (ما) هنا تفيد التوكيد، ولا تقل (زائدة)، فليس في كلام الله حرف زائد، وناسب زيادتها ههنا أنّ الكلام في الآية قبل هذه الآية عن الميثاق، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ فلمّا تقدم الكلام عن الميثاق وأخذ الميثاق الغليظ منهم ناسب ذلك زيادة (ما) لتوكيد النقض .

أمّا معنى القصر فهو متأتٍ من التقديم، لا من زيادة (ما)، فقدّم نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء لإفادة الحصر؛ لأنّ التقديم يفيد الحصر ويفيد الاهتمام.

السؤال الخامس:

لماذا حركت كلمة (مريم) بالفتح في قوله تعالى في الآية ١٥٦ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ ؟

الجواب:

حركت بالفتح مع أنها مجرورة؛ لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، والممنوع من الصرف يجر بالفتحة .

و(أعلام الإناث) كلها ممنوعة من الصرف، وإنْ كان قسم من أعلام الإناث يجوز فيه الوجهان إذا كان ثلاثيا ساكن الوسط عربياً غير أعجمي.



﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٥ .

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ إنْ: نافية بمعنى (ما)، فصار التقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ الضمير هنا إمّا أن يعود على الشخص المعني في أول الآية ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ وإمّا أن يعود على عيسى عليه السلام.

٣ـ ففي الحالة الأولى: يكون ذلك عند الشخص من أهل الكتاب عندما يحضره الموت فلا تخرج روحه حتى يؤمن به، وكان الأولى أنْ يؤمن بعيسى عليه السلام في حياته قبل غرغرة الروح .

٤ـ أنّ المراد هم أهل الكتاب الذين يكونون موجودين في الدنيا في زمان نزوله فيؤمنون به، لكنّ عيسى عليه السلام ينزل تبعاً لمحمد ﷺ .

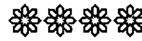
٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ يشهد على اليهود أنهم كذبوه وعلى النصارى أنهم أشركوا، وكذلك كل نبي يشهد على أمته.

السؤال الثاني:

كم مرة ورد الفعل ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١.



﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ منصوبة، مع أنها معطوفة على مرفوع في آية سورة النساء ١٦٢؟ ولماذا نصبت كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وكلمة ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ وكلمة ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾ في سور البقرة ١٧٧ والنساء ١٦٢ والمسد ٤؟

الجواب:

١ـ هذا يسمى القطع، والقطع يكون في الصفات أو العطف إذا كان من باب الصفات، ويكون القطع للأمر المهم.

والقطع في اللغة هو تغيير الحركة التي ينبغي أنْ يكون عليها التابع، فالأصل في الصفة أن تتبع الموصوف بالإعراب، لكنّ العرب قد تغير الحركة فتأتي بعد المرفوع بمنصوب أو بالعكس، وبعد المجرور بالرفع أو النصب مثلاً.

* أمثلة:

أقبل محمدٌ الكريمَ ـ رأيت محمداً الكريمُ ـ مررت بمحمدٍ الكريمُ أو الكريمَ.

٢ـ وأكثر ما يكون القطع في أمرين:

آ ـ في الصفة؛ أي النعت .

ب ـ والعطف بالواو.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقوله: ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء:١٦٢].

٣ـ والقطع ليس أسلوباً قرآنياً فقط، لكنه أسلوبٌ عربيٌّ موجودٌ في اللغة، وهو موجود في شعر العرب، ويسمى القطع في الصفات وفي العطف، قال الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين هُمُ ... سُمّ العداة وآفة الجُزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقل الأُزر

قومي: فاعل، وسم العداة: مبتدأ وخبر، النازلين: نصب، والطيبون: رفع. ولو رفعتها أو نصبتها يستوي نحوياً، أمّا في الدلالة فهي لإثارة الاهتمام، والصفة المقطوعة ينبغي أن يُنتبه إليها.

وتقطع العرب لسببين:

١ـ لتنبيه السامع وإيقاظ ذهنه إلى الصفة المقطوعة، وبأنّ الموصوف قد بلغ حداً في هذه الصفة يثير الاهتمام.

٢ـ أنْ يعلم المخاطب من اتصاف الموصوف ما يعلمه المتكلم، فإذا كان مادحاً كان أمدح له، وإذا كان ذاماً كان أذمّ له.

أي أنّ قيمة القطع في المدح والذم، فإذا كان المدح بالقطع يكون أمدح للشخص، وإنْ كان في حالة الذم يكون أذم له، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ فذمّ الله امرأة أبي لهب مرتين: بالقطع؛ لأنّ الكل يعلم بصفاتها الذميمة، وذمّها بصيغة المبالغة في كلمة ﴿حَمَّالَةَ﴾ على وزن (فعّالة).

الحكم النحوي في القطع:

١ـ في المدح والذم والترحم يُحذف وجوباً. فعند الإعراب يُعرب خبراً لمبتدأ محذوف إذا كان مرفوعاً، ونقول محذوف وجوباً، وإذا كان في غير حالة الرفع يكون جوازاً.

وفي النصب يكون مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً في المدح والذم والترحم

في آية البقرة ١٧٧ القطع في كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ؛ لأهمية الصبر والتركيز على الصابرين.

في آية النساء ١٦٢ القطع في كلمة ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ ؛ لأهمية الصلاة فهي أهم من كل الأعمال.

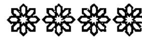
٢ـ (المقيمين والصابرين) تعرب كل كلمة منهما مفعولا به لفعل محذوف تقديره (أخصّ) أو (أمدح) .

السؤال الثاني:

يسترعي الانتباه قوله تعالى في الآية ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ حيث وقعت كلمة (المقيمين) منصوبة بالياء، وفي الظاهر هي معطوفة على اسم مرفوع، وهو قوله تعالى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾، فلم نُصِبت وحقّها أن تُرفع؟

الجواب:

هذه طريقة العرب في عطف الأسماء الدالة على صفات محامد على أمثالها، فينصبون الاسم لتخصيصه من بين المعطوفات بالمدح، فنقول مثلاً: جاء القائد المظفّرا؛ لتلفت نظر القارئ والسامع؛ ولتبيّن له سمة خاصة في هذا القائد فتقدّر فعلاً محذوفاً، أي: أمدح المظفرا، وكذلك الآية الكريمة أي: يمدح المصلين، لما للمصلين من فضل وعلو شأن عند الله تعالى.



﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب استخدام كلمة (أوحينا) مع الرسول ﷺ ونوح وابراهيم وغيرهم من أنبياء، وإفراد (آتينا) لداوود في سورة النساء؟

الجواب:

١ـ إذا قرأنا الآية وما قبلها ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ نجد أنّ الله تعالى يخاطب هؤلاء ويذكر سيئاتهم، والآية (١٦٣) جاءت بعد الآية(١٥)؛لأنّ هؤلاء قالوا: إنهم حتى يؤمنوا بالرسول ينبغي أنْ يُنزّل عليهم كتاباً من السماء في قوله تعالى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾، ثم يأتي الرد من الله تعالى تعقيباً على ما سأله هؤلاء ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ فذكر تعالى أنه أوحى إلى مجموعة من الأنبياء، وهم يؤمنون بهم مع أنهم لم يأتوهم بما طلبوا، فهم آمنوا بنوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وإسحق ويونس وغيرهم من الأنبياء، فيقول تعالى إنه كما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء أوحى إلى الرسول ﷺ، فإذا كانوا هم يؤمنون بأولئك بدون كتاب، فإذن الوحي يجب أن يكون كافياً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ معناه: سواء كان معهم كتب أم لم يكن معهم، وكما آتينا داود زبورا آتيناك كتاباً، لكن لماذا خصّ الزبور؟

والجواب: لأن الزبور نزل منجّماً، أي: بالتقسيط، كما أُنزل القرآن على الرسول ﷺ.

ويخاطب تعالى الكافرين ببيان:

أ ـ أنتم تؤمنون بداود، وقد نزل عليه الزبور منجماً، وقد آتينا رسولنا محمداً كتاباً كما آتينا داود .

ب ـ وتؤمنون بالأنبياء الذين أوحينا إليهم، وقد أوحينا إلى رسولنا محمد كما أوحينا إلى باقي الأنبياء.

ج ـ وكما أرسلنا رسلاً أرسلنا محمداً أيضاً ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾. فأين حجتكم؟ ولماذا لا تؤمنون؟ !!!!!

٣ـ وفي آخر الآية يقول تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ فهو إذن وحي وإيتاء.

والله تعالى كلّم موسى عليه السلام في موضعين: الأول في الوادي المقدس ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)﴾ [النازعات:١٦] في سورة النازعات، والثاني على جبل الطور، كما في سورة الأعراف ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وليس هناك أعلى من ذلك .

أما محمد ﷺ فقد صعد إلى سدرة المنتهى، وأعلى مكان كلّم الله تعالى موسى عليه هو الطور، وأوحى تعالى إلى رسوله ﷺ كما أوحى لباقي الأنبياء وآتاه مثل ما آتى داود، ورفعه إلى مكان أعلى مما رفع عليه موسى، فإذن كل الأشياء التي ينبغي الإيمان بها أعطاها تعالى للرسول ﷺ فسقطت حجة الكافرين إذن.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ١٦٤ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ لو قرأنا الآية لفهمنا أنّ الله تعالى قد وقع منه الكلام لموسى ؟ فلِمَ ذكر تعالى المصدر (تكليماً)؟

الجواب:

ذكره؛ لأنّ المعنى يحتمل التكليم المباشر، أو عبر جبريل عليه السلام، فلمّا أتى المصدر (تكليماً) أكّد تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام بحيث لا يحتمل أنْ الله تعالى أرسل إليه جبريل بالكلام.

السؤال الثالث:

لماذا لم يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الرابع:

قال تعالى في آية النساء ١٦٣: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾

وقال في آية الأنعام ٨٤: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأنعام:٨٤]

فما الحكمة في هذا الترتيب؟

الجواب:

١ـ بدأ بذكر النبي محمد ﷺ؛ لأفضليته على كل الرسل؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾

٢ـ آية النساء نزلت بياناً لسؤال ورد في الآية(١٥٣) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾، وذكر الله بعده أنهم لا يطلبون

ذلك لأجل الاسترشاد، ولكن لأجل العناد واللجاج ورداً على قول المشركين ﴿تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء:٩٣].

فبيّن هنا أنه ليس كل الأنبياء أُنزل عليهم كتاب، بل بعضهم بوحي وبعضهم بكتاب وبعضهم بصحف .

فقدّم نوحاً عليه السلام؛ لأنه أول نبي شرع الله على لسانه الأحكام والحلال والحرام، ثم أجمل النبيين من بعده، ثم خصّ بعض النبيين بالذكر لكونهم أفضل من غيرهم .

٣ـ وللعلم فإنّ الأنبياء المذكورين في الآية هم اثنا عشر، ولم يذكر موسى معهم؛ وذلك لأنّ اليهود قالوا: إن كنت يا محمد نبياً فأتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة، كما أُتي موسى عليه السلام بالتوراة دفعة واحدة، فبيّن الله الرد على هذه الشبهة بأنّ هؤلاء الأنبياء الاثني عشر كانوا أنبياء ورسلاً، مع أنّ واحداً منهم ما أُتي بكتاب مثل التوراة دفعة واحدة .

٤ـ ثم ختم ذكر الأنبياء بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ يعني أنكم اعترفتم بأنّ الزبور من عند الله، مع أنه ما نزل دفعة واحدة، فدّل هذا على أنّ نزول القرآن منجماً لا على الوجه الذي نزلت فيه التوراة لا يقدح في كون القرآن من عند الله، وهذا إلزام حسن قوي .

٥ـ أما آية الأنعام فسياقها في بيان نعمه سبحانه وتعالى على إبراهيم عليه السلام ومن ذكرهم، ففرّق بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما:

داود وسليمان: بالملك والنبوة ..

أيوب ويوسف: بالنجاة من الابتلاء .

موسى وهارون: بالأخوة والنبوة.

زكريا ويحيى : بالشهادة.

يونس ولوط : بالنجاة الأول من الحوت والثاني من هلاك قومه .

عيسى وإلياس: بالزهد والإعراض عن الدنيا، ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين .

٦ـ لم يذكر إسماعيل عليه السلام هنا؛ لأنّ المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب، أمّا إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد ﷺ .



﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية بحق رسوله محمد عليه السلام؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ في الآية استدراك وإعلاء لمنزلة النبي ﷺ، فانظر إلى مقام النبي ﷺ وشرفه، فالله تعالى يخاطبه: لئن لم يشهد أهل الكتاب على صدق نبوتك فالله قد شهد بذلك، وشهادة الله تعالى خير من شهادتهم. ومن أعظم من الله شاهداً؟



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ١٦٧ ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ وصف الله تعالى الضلال بالبعيد، فما صلة البُعد بالضلال؟ ولِمَ لم يصفه بالكبير؟

الجواب:

إنّ المرء يسير في طريق الضلال؛ ليقطع أشواطاً وأشواطاً في هذا الطريق، وكلما سار في ركابه غاص في أعماقه وابتعد، حتى يغدو في قعر الضلال وأعماقه ويبتعد في قعره، وفي هذا بيان عن شدة ضلالهم بحيث لا يُدرَك.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا الاستثناء في الآية ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ ؟

الجواب:

في الآية ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ هذا الاستثناء فيه تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه، فمثلاً تقول: لا خير في الظالم إلا استغلال المظلوم، فعندما أتينا بـ (إلاّ) وما بعدها يشعر المستمع وكأننا نريد أن نستدرك ونمدح الظالم بشيء، ولكن الكلام يتابع تأكيد ذمّه.

كذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ فالكلام هنا مسوقٌ للإنذار، وفيه تهكّم لأنه استثنى من الطريق في قوله تعالى: ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ والإقحام لهم في طريق جهنم ليس بهديٍ؛ لأنّ الهدى هو إرشاد الضالّ إلى المكان المحبوب وأنّى لطريق جهنم أن يكون محبوباً..؟ !

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ﴾ ما دلالة (أبداً) في آية النساء (١٦٩) وفي آية الأحزاب[٦٤ـ٦٥] وفي آية الجن(٢٣)؟

الجواب :

لفظة ﴿أَبَدًا﴾ ظرف يستعمل للمستقبل فقط، ولا يستعمل للماضي، فلا يقال : ما رأيته أبداً، ولكن تقول : ما رأيته قط، ولن أكلمه أبداً .

آ ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم عند الحديث عن أهل الجنة أو أهل النار أو في مقام الإحسان وفي الثواب أو الشدة أوفي العقاب، وهي أنه في مقام التفصيل للجزاء سواء في العقاب أو الثواب يذكر كلمة ﴿أَبَدًا﴾، وفي مقام الإيجاز لا يذكرها.

ب ـ كلمة ﴿أَبَدًا﴾ ليس لها علاقة بالخلود الدائم .

ج ـ وردت كلمة ﴿أَبَدًا﴾ في القرآن الكريم في (٢٨) موضعاً، منها ثمانية مواضع مع أهل الجنة، وثلاثة مواضع مع أهل النار، والباقي في أمور أخرى.

د ـ وهذا مظهر من مظاهر رحمة الله بعباده، أنْ يأتي لفظ التأبيد في كل آيات الجنة، ولا يأتي إلا في ثلاث مواضع لأهل النار؛ ذلك أنّ رحمة الله سبقت غضبه فاقتضى ذلك أنْ يبشر المؤمنين بتأبيد النعيم ودوامه.

أمّا في جزاء الكافرين بشكل عام، فيقول: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ ولا يذكر لفظ التأبيد، لعل ذلك يحنن قلوب هؤلاء ويعطّفهم إلى طريق الله الرحيم بهم.

وذَكَرَ لفظَ التأبيد في الآيات الثلاث ليحقق المبدأ ويقرره فحسب، ولذلك من رحمته تعالى أنْ تسبق رحمته في البشارة وتتلطف في النذارة، وهي حكمة إلهية مقصودة كانت باباً لإيمان الكثير من الكفار .

السؤال الثالث:

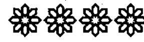
ما المواضع التي وردت معها كلمة ﴿أَبَدًا﴾ مع أهل الجنة جعلنا الله منهم، ومع أهل النار أعاذنا الله منها؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿أَبَدًا﴾ في القرآن الكريم في ٢٨ موضعاً منها ثمانية مواضع مع أهل الجنة وثلاثة مواضع مع أهل النار والباقي في أمور أخرى .

١ـ أما المواضع مع أهل الجنة فهي في الآيات: [النساء ٥٧ـ ١٢٢، المائدة ١١٩، التوبة ٢٢ـ١٠٠، التغابن ٩، الطلاق ١١ـ البينة ٨].

٢ـ وردت كلمة ﴿أَبَدًا﴾ مع أهل النار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي:[النساء ١٦٩ـ الأحزاب ٦٥ـ الجن ٢٣].



﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية النساء ١٧١ : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ وفي آية المائدة ٧٧قال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ فما وجه الاختلاف بينهما؟

الجواب:

١ـ الغلو: معناه الإفراط ومجاوزة الحدّ، من (غلا يغلو) في دينه، وهي غير (غلى يغلي غلياناً).

٢ـ قوله تعالى في آية النساء ١٧١ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ ما هذا الحق؟ والجواب: هو المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم .

٣ـ وقوله تعالى في آية المائدة ٧٧ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ آية النساء تفسّر آية المائدة، ما الحق الذي يريده؟ الحق أنّ الله سبحانه وتعالى لا شريك له، وأنّ عيسى رسول الله، وليس كما يقولون.

السؤال الثاني:

في ولادة المسيح يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ فهل هو كلمة أم روح؟ وهل بعث الله تعالى جبريل إلى مريم أو نفخ في مريم العذراء مباشرة؟

الجواب:

١ـ ربنا سبحانه وتعالى وضح هذا الأمر، فقال في سورة مريم: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾ [مريم:١٧-١٨-١٩] .

(روحاً) هنا يعني جبريل عليه السلام، وسماه تعالى (الروح الأمين) واسمه العلم جبريل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧] وذكر وصفه الروح الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤-١٩٥] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨] فالروح الأمين هو جبريل.

٢ـ و ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٩] كلمة (كن فيكون)، كما قال في آدم (كن): فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩] ولا تعارض بين الآيتين.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾؟

الجواب:

الغلو مأخوذ من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، واستُعير للزيادة على المطلوب من المعقول. فالغلو في الدين تجاوز الحد المألوف بحيث يُظهِر المتدين ما يفوق حدود الدين، فالنصارى طولبوا باتّباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى ألوهيته أو كونه ابن الله.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية النساء ١٧١: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقال في سورة الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فما دلالة ذلك؟

الجواب:

يحكى أنّ طبيباً نصرانياً للرشيد ناظر الإمام الواقدي ذات يوم، فقال له النصراني بحضرة الخليفة الرشيد: إنّ في كتابكم ما يدل على أن عيسى ابن الله وأنه جزء من الله، ثم تلا الآية ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: أنّ عيسى جزء من الله فهو ابن الله.

فقال له الإمام الواقدي: ويحك كيف فهمت هذا الفهم الخاطىء؟ إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فيجب على زعمك إذا كان عيسى ابن الله لأنه جزء من الله أنْ يكون ما في السماوات والأرض جزءاً من الله؛ لأنّ الله يقول: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فانقطعت حجة النصراني فخضع وأذعن، وفرح الخليفة الرشيد بذلك فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة عظيمة.



﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الاستنكاف) و(الاستكبار)؟

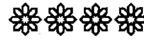
الجواب:

١ـ الاستنكاف هو التكبّر والامتناع بأَنَفة، فهو أشد من الاستكبار، ونُكّرت كلمة ﴿عَبْدًا﴾ ولم تضف إلى الله؛ أي: لم يقل (عبد الله)؛ لأنّ التنكير أظهر للعبودية، أي: عبداً

من جملة العبيد، ولو قال: (عبد الله) بالاضافة، لأوهمت الإضافة أنه عبد الله الخصيص لله وحده.

٢ـ في الاستنكاف معنى الأنفة ومعنى الامتناع، وقد يكون الاستكبار من الكِبر وهو في صفات الله مدح؛ لأنه عظيم الشأن وفي صفاتنا ذم، والله أهل للعظمة ولسنا بأهل لها.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ أي: يستنكف عن الإقرار بالعبودية، ويستكبر عن الإذعان بالطاعة .



﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ هو تيئيس لهم؛ فقد عُرِف عند العرب وغيرهم من أمم ذلك العصر الاعتماد عند الضيق على الأولياء والنصراء؛ ليكفّوا عنهم المصائب.

السؤال الثاني:

ماالفرق بين (استنكف) و(استكبر) في الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؟

الجواب:

١ـ (استنكف): أَنِف وامتنع، رأى نفسه أعز من ذلك وأعظم من ذلك، لذلك يقولون: الاستنكاف أشد من الاستكبار؛ لأنّ فيها استكباراً وفيها إذلالاً للطرف الآخر.

٢ـ (استكبر) رأى نفسه أكبر، امتنع، وعند أهل المعاجم يقولون: استنكف معناها (استكبر)، لكن المدققين يقولون: (استنكف) فيها (استكبر)، لكنّ فيها معنى آخر،وهو إذلال للآخرين.



﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ [النساء:١٧٥]

الدخول في الشيء يتطلب مكاناً يمكنك من ولوجه، فهل الرحمة مكان يُدخَل؟ ولِمَ قال: فسيدخلهم في رحمته، ولم يقل: سيمنحهم رحمته؟

الجواب:

هذا غاية الرضى والرحمة، ألا ترى كيف صوّر الله تعالى الرحمة على هيئة جرم ومكان يحوط أهله ويغمرهم ويعمهم بالرحمة حتى يشمل كل جزء منهم.

السؤال الثاني:

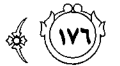
قوله تعالى في الآية ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ ما دلالة السين في الآية؟ وما الفرق بين (السين وسوف)، وكلاهما حرفا استقبال؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١٠.



﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ


﴾

السؤال الأول:

آخر سورة النساء ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ هل يُفهم أنه من باب الضلالة أو أنّ المقصود هنا: أن لا تضلوا؟

الجواب:

النحاة البصريون والكوفيون يقدرونها تقديرين، لكن المعنى العام واحد، فالبصريون يقدرون: إمّا كراهة أنْ تضلوا، والكوفيون: لئلا تضلوا، وسيكون المؤدّى واحداً ويفضي إلى معنى واحد وهو عدم الضلال، والله تعالى يبين لنا ذلك حتى لا نضل .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] أي: لئلا تميد بكم أو: كراهة أن تميد بكم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ بدون واو كما في هذه الآية و﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ مع الواو كما في آية النساء ١٢٧؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٢٧.

السؤال الثالث:

في سورة النساء ختمت آية المواريث رقم ١١ بالنسبة للذكور بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ وفي آية المواريث رقم ١٧٦ بالنسبة للكلالة ختمت بقوله ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ فما اللمسة البيانية في هذا الاختلاف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١١.

رابعاً ـ تناسب مفتتح سورة النساء مع خاتمتها:

ابتدأت السورة بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:١-٢].

وقال في خاتمتها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ [النساء:١٧٦].

١ ـ فقد بدأت بخلق الإنسان وبث ذريته في الأرض: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء:١].

وانتهت بهلاكه من دون عقب: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧٦] .

٢ ـ كما ابتدأت بإيتاء الأموال للنشء الجديد من اليتامى من أنصبتهم من المواريث وهم يستقبلون الحياة، واختتمت بتقسيم تركات من ودّع الحياة وهو من المناسبات .

وهذا الترتيب توقيفي، مع أنّ القرآن نزل منجّماً على مدى ثلاث وعشرين سنة.

والله أعلم .



سورة المائدة

أولاً: تناسب خواتيم النساء مع فواتح المائدة:

١ ـ خاتمة سورة النساء في تقسيم الإرث بين الإخوة والعلاقة المالية بين الأقرباء، وذلك قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ [النساء:١٧٦] .

وأول المائدة في العلاقة مع الآخرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١]، وهو يشمل التعامل مع عموم أفراد المجتمع .

وطلب منهم التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وذلك قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة:٢] .

فخاتمة النساء وأول المائدة في تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع ابتداء من الأقربين إلى عموم المجتمع .

٢ ـ قال في أواخر سورة النساء: إنّ الله حرم على اليهود طيبات أحلت لهم؛ وذلك بظلمهم .

وذكر في أول المائدة أنه سبحانه أحل لنا الطيبات، فقابل بين ما أحل لنا وحرم عليهم.

قال تعالى في النساء: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠] .

وقال في أوائل سورة المائدة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤] .

وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [المائدة:٥] .

ثانياً ـ هدف السورة: الوفاء بالعهود

سورة المائدة هي أول سورة ابتدأت بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ وتكرر فيها هذا النداء (١٦) مرة من أصل (٨٨) مرة وردت في القرآن كله، وهي آخر ما نزل على رسول الله ﷺ في المدينة بعد حجة الوداع، وقد اشتملت على العديد من الأحكام: أحكام العقود، الذبائح، الصيد، الإحرام، نكاح الكتابيات، الردة، أحكام الطهارة، حد السرقة، حد البغي والإفساد في الأرض، أحكام الميسر والخمر، كفارة اليمين، قتل الصيد في الإحرام، الوصية عند الموت، البحيرة والسائبة، الحكم على من ترك العمل بشريعة الله وغيرها. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:« **علّموا رجالكم سورة المائدة**» لما فيها من أحكام ووفاء بالعهود والمواثيق.

والخطاب من الله تعالى للمؤمنين بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمعنى يا من آمنتم بي ورضيتم أن تدخلوا في ديني عليكم أن تنفذوا أوامري لتفلحوا وتكونوا من المؤمنين حقاً.

سميت السورة بـ ﴿المائدة﴾:

لورود قصة المائدة في نهاية السورة في قصة سيدنا عيسى والحواريين، لكن التسمية لا تتعلق فقط بذكر المائدة في السورة، ولكنّ العبرة من القصة هي الهدف وتسميتها تتناسب مع هدف السورة؛ لأنّ الله تعالى حذّر الحواريين أنه سينزل عليهم المائدة ولكنْ من كفر بعدها ولم يؤمن سيعذبه الله عذاباً شديداً، وهذا توجيه وتحذير للمسلمين بأنّ عليهم الوفاء بالعهود والمواثيق، وإلا سيكون العذاب جزاءهم كما في قصة المائدة.

والسورة شددت في معظم آياتها على العهود والمواثيق باختلافها، وكل نداء بـــ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ينص على عهد مختلف، والآيات تذكّر باستمرار بأهمية الوفاء بالعهود والالتزام بها.

النداء الأول: العقد الأول في الطيبات من الأكل، وهي أول ضروريات الحياة، وما أحله الله تعالى لنا. ومن رحمة الله أنه ابتدأ الأحكام بما أحلّ وليس بما حرّم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة:١].

النداء الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢].

وهذه الآية فيها الحث على مبادئ إسلامية عظيمة، وانتقل من طيبات الطعام إلى مبادئ الإنسانية والعدل ووحدة المجتمع.

- **آية تحريم بعض الطعام وآية إكمال الدين:** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾ [المائدة:٣]. وفيها حرّم ربنا تعالى بعض أنواع الطعام، وجاء فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] ؛ لأنّ الدين قد اكتمل وتم، وعلينا أنْ نعاهد الله تعالى على كمال هذا الدين والعمل به.

- **تشريع نكاح الكتابيات:** بعد ذكر الطيبات من الطعام ذكر الله تعالى لنا الطيبات من الزوجات. وأحلّ الله تعالى للمسلمين الزواج من الكتابيات ما دُمْنَ مُحصنات عفيفات: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾ [المائدة:٥] .

النداء الثالث: أحكام الوضوء. بعد ذكر الطيبات من الطعام والزوجات لا بد من ذكر طيبات الروح وطهارتها؛ لذا جاءت آية الوضوء هنا في السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ

ٱلْغَآبِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة:٦].

- **تذكير بضرورة الوفاء بالعهود:** بعد كل بضع آيات عن العهود تأتي آية تذكر بأهمية الوفاء بالعهود، كما في الآية: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة:٧].

النداء الرابع: العدل. فمن ضمن ما نعاهد الله تعالى عليه العدل، حتى لو ظلم المسلم ويذكرنا تعالى بأنه وفى بعهده مع عباده، فكيف لا يوفي العباد بعهودهم مع ربهم ومع الناس.: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

النداء الخامس: التذكير بنعمة الله على عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة:١١].

قصة بني إسرائيل: جاء ذكرها هنا؛ لأنّ بني إسرائيل قد نقضوا الكثير من العهود، وهم نموذج لمن ينقض العهود والمواثيق: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم
مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟
بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾
[المائدة:١٢-١٣].

قصة سيدنا موسى ودخول القدس: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا
جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ
يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا
قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا
مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾
[المائدة:٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦]. وفي ورودها تأكيد آخر على نموذج نقض العهود من بني إسرائيل، والفرق بين رد الله تعالى عليهم: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ﴾ [المائدة:٢٦]. وبين خطابه سبحانه للمؤمنين: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾ [المائدة:٤].

قصة ابني آدم: ورودها في هذه السورة بعد قصة بني إسرائيل؛ لأنّ بني إسرائيل نقضوا العهود من جبنهم، وقابيل قتل أخاه هابيل بتسرعه ونقضه للعهد: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ انظر القصة في الآيات (٢٧و٣١).

النداء السادس: تأكيد وسيلة تعين على الوفاء بالعهود، وهي تقوى الله والجهاد في سبيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة:٣٥] .

النداء السابع والثامن: الآيات ٥١ – ٦٦: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤]، وفيها دعوة إلى عدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وهذا لا يعني عدم التسامح. ويجب أنْ تكون للمسلمين هوية خاصة بعيداً عن التقليد الأعمى. وهذه الآيات سبقها ربع كامل من الآية ٤١: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:٤١] إلى الآية ٥٠ ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

النداء التاسع: عقاب الذين ينقضون العهود بأنْ يستبدلهم الله تعالى بغيرهم.: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة:٥٤] .

النداء العاشر: النهي عن اتخاذ الكفار والمستهزئين بالدين أولياء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة:٥٧] .

النداء الحادي عشر: النهي عن تحريم ما أحلّ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة:٨٧].

النداء الثاني عشر:النهي عن الخمر والميسر، وتركها من ضمن الوفاء بالعهود، وعلى المسلم أن يعاهد الله تعالى على ترك هذه الموبقات، وأن يحفظ عهده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠].

النداء الثالث عشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة:٩٤] .

النداء الرابع عشر: من رحمة الله تعالى بنا أنْ جعل لنا بعد التشدد في العهود والوفاء بها ضوابط بأنْ لا نضيّق على أنفسنا بالسؤال عما لا يعنينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة:١٠١] .

النداء الخامس عشر: وفي هذه الآية يضع الله تعالى لنا ضابطاً آخر بأنه علينا بأنفسنا ولا يضرنا لو ضل كل من حولنا، وعلينا أنْ نحفظ عهدنا مهما كان من حولنا ضالاً:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة:١٠٥].

النداء السادس عشر: حكم الوصية والشهادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾ [المائدة:١٠٦].

- **أهداف الشريعة الإسلامية:** ذكر الفقهاء أن مقاصد الشريعة هي خمسة: حفظ الدين والعقل والمال والنفس والعرض، وهذه المقاصد الخمسة هي لمصلحة المؤمن، فعليه أن يفي بعهوده، وهذه المقاصد موجودة في سورة المائدة:

حفظ الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة:٥٤].

حفظ النفس: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

حفظ العرض: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ

مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة:٥].

حفظ المال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة:٣٨].

حفظ العقل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة:٩٠].

ختام السورة: مراجعة العقود يوم القيامة: ﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة:١٠٩].

وقد اشتملت السورة من أولها إلى خاتمتها بالعقود وأهمية الوفاء بها. فبداية السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة:١] ووسطها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] ونهايتها: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة:١١٩].

وآخر سورة المائدة مرتبط بأول السورة أيضاً: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة:١١٩] فالذين يصدقون هم الذين يوفون بالعهود وهم المؤمنون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة:١].

ثالثاً- من اللمسات البيانية فى السورة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١] لِمَ أمرنا الله تعالى الوفاء بالعقود، ولم يقل لنا: التزموا أمر الله؟

الجواب:

الإيفاء أنْ تعطي وتؤدي ما عليك كاملاً من غير نقص، ولا شك أنّ ترك النقص لا يتحقق إلا إذا أدّيت زيادة على القدر الواجب، والعقود جمع عقد، وهو ربط الحبل بالعروة، والعقد هو الالتزام الواقع بين جانبين في فعل ما، فالصلاة عقد بينك وبين الله تعالى وعليك الإيفاء به، فالوفاء بالعقد يتطلب منك حرصاً ومبالغة في أداء ما تعهدت به.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ [المائدة:٢] وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة:٨]؟ لماذا جاءت مرة ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا﴾ ومرة ﴿أَن﴾؟

الجواب:

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢)﴾ [المائدة:٢] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة:٨].

المحذوف في الآية الأولى هو الحرف (على)، وهو من الحذف الجائز ويسمونه نزع الخافض بوجود (أنْ) ومعلوم الحرف وهو (على)، وهذا جائز نحوياً. والسؤال هو: لماذا حُذف الحرف (على) في الآية الأولى وذُكر في الثانية؟

والجواب: إذا كان الحرف متعيّناً يكون الذكر آكد من الحذف، وإذا لم يكن متعيّناً (أي: له عدة معان) يكون من باب التوسع في المعنى.

وإذا نظرنا إلى الآيتين السابقتين نجد أنّ الثانية آكد من الأولى؛ لأنّ الحرف (على) ذُكر، والآية الأولى نزلت في حادثة واحدة حصلت وانتهت وهي تخص قريشاً عندما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام، أمّا الآية الثانية فهي عامة، وهي محكمة إلى يوم القيامة وهي الأمر بالعدل إلى يوم القيامة .

ثم أنّ الآية الأولى تدخل في الثانية؛ لأنّ العدوان هو الظلم وهو عدم العدل، والعدوان من الظلم وليس من العدل، فالثانية آكد من الأولى، والأمر بالعدل أمر عام والأولى أمر خاص جداً، لذا اقتضى حذف الحرف (على) في الأولى وذكره في الثانية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ انظر إلى هذا التعبير الإلهي حيث قال: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: قاصدين البيت الحرم، فلِمَ عدل ربنا تعالى عن التعبير بالأشمل، كأن يقول: ولا قاصدين مكة؟

الجواب:

عدل ربنا سبحانه وتعالى عن كلمة (مكة)؛ لأنّ قصدها قد يكون للعبادة وقد يكون للتجارة ونحوها، والحرمة لا تخصّ إلا المُحرم للعبادة، ولذلك قال: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ ؛ لأن البيت لا يُقصد إلا للعبادة.

السؤال الثالث:

ما هو الشنآن المذكور في الآية؟

الجواب:

الشنآن هو شدة البُغض، وهو مصدر دالٌّ على الاضطراب والتقلّب؛ لأنّ الشنآن فيه اضطراب النفس، فهو مثل الغليان، والمسجد الحرام: اسم جُعِل علَماً للغلبة على المكان المحيط بالكعبة المحصور ذي الأبواب، وهو اسم إسلامي، ولم يكن يُدعى بذلك في الجاهلية؛ لأنّ المسجد مكان السجود، ولم يكن لأهل الجاهلية سجود عند الكعبة.

السؤال الرابع:

قال تعالى في آية البقرة ٢١١ وآية المائدة ٢ وآية الأنفال١٣ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال:١٣] مؤكداً بإنّ وحدها، بينما قال في آية الرعد٦ : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد:٦] فأكد بإنّ واللام، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١١.

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ
وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ
دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي
مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣] وفي آية أخرى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:١٧٣] **ما دلالة التقديم والتأخير لـ ﴿بِهِۦ﴾؟**

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.

السؤال الثاني:

ذكر تعالى الياء في قوله: ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠] وحذفها فقال: ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ [المائدة:٣] في آيتي المائدة ٣ و٤٤؟ فمتى تثبت الياء ومتى تحذف كما في قوله: ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠]، ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ [المائدة:٣]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٠.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾ [المائدة:٣] المفروض أنّ الرسالة انتهت واكتمل الدين فلماذا جاء بعدها ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾؟ ولماذا لم ترد قبل في الترتيب؟

الجواب:

قراءة سياق الآية توضح المسألة. آية المائدة تبدأ بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١] إذن: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ببيان المحرمات، والاستثناء معناه لما سوف يأتي، أي ما قبلها حلال وما سيذكره حرام، ثم ذكر هذه الأشياء، فهو ذَكَرَ الحلال والحرام وانتهت المسألة، وبعدها قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. فذكر تمام النعمة.

ثم انتقل إلى موضوع آخر، فقال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾ [المائدة:٣] وهذا توضيح للأول ويخص الاضطرار وأموراً أخرى، ولكن أصل المسألة انتهت.

ومن الأمور الأخرى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [المائدة:٤]، فهذه ليست في بهيمة الأنعام وإنما أمر آخر، وكذلك: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥].

إذن نفهم من الآية أنه قبل (إلاّ) حلّل وبعد (إلا)حرّم، ثم قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] فتمت المسألة، والاضطرار حكم آخر لا يتعلق بالتحليل والتحريم.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (أكملت) و(أتممت) في الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة:٣]؟

الجواب:

(التمام) نقيض النقص، و(الكمال) هي الحالة المثلى تحديداً، وليس مجرد الاكتمال فقط أو سد النقص، والتمام لا يقضي الكمال، والكمال تمام وزيادة. مثال: الإنسان إذا ولد تاماً له كل الأعضاء فهذا تمام بغض النظر عن الكمال، فهو تام من حيث الأعضاء وكل عضو يؤدي وظيفته، لكنّ هذا هو تمام وليس كمالاً. الكمال هو الحالة المثلى والتمام نقيض النقص.

والنعمة يمكن أن يُزاد عليها؛ لأنّ النعم لا تُحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم:٣٤] أمّا الكمال فلا يُزاد عليه؛ لأنه الحالة المثلى.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] الدين لا يُزاد عليه، وهو (الحالة المثلى) لا يزاد عليه لا في سُنة ولا غيرها؛ لأنه وضّح كل شيء من السنن والفروض، أمّا النعمة فيزاد عليها.

ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع ﴿النعمة﴾ إلا ﴿التمام﴾، ولم يستعمل الكمال أبداً في جميع القرآن.

* شواهد قرآنية:

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾ [النحل:٨١] ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الفتح:٢] ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة:٦] ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الفتح:٢] أي يعطيك ما تحتاج من النِّعَم ويسد حاجتك ويتمها عليك، ولو أراد أنْ يزيدك فوق حاجتك لزادك، لذلك أورد في الآية: كمال الدين وتمام النعمة، فكمال الدين لا يزاد عليه، أما النعمة فيزاد عليها.

إذن (الكمال) تمام وزيادة، وهو الحالة المثلى ولا يزاد عليها، ولهذا من صفات الله تعالى الكمال «الكمال لله وحده».

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾؟

الجواب:

تأمل في هذا التعبير الذي يفوق كل تعبير وكل بيان، وهل يبلغ تعبيرنا إلى هذا الحد في أن يشوقك إلى التشبث بما تسمع منه؟ ولكن بيان الله يدفعك إلى هذا. ألا ترى كيف بيّن لك أنّ دين الإسلام هو الدين الخالد الأبدي، فالشيء الذي تختاره وتدّخره لا يكون إلا أنفس ما حصلت عليه، وكذلكم دين الإسلام هو أنفس ما ظهر من الأديان، ولذلك ختم الله به الشرع ونسخ ما قبله ورضيه لعباده بأن يكون الدين الباقي والمدخر إلى يوم القيامة.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لماذا وصف الله حالة الجوع القاهر بالمخمصة، فقال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾، ولم يقل مثلاً: فمن اضطر بسبب جوعه الشديد؟

الجواب:

آثر ربنا أنْ يعبّر عن شدة الجوع بالمخمصة دون غيرها؛ لأنّ المخمصة مأخوذة من الخمص وهو ضمور البطن، إذ إنّ الجوع يضمر البطون، ولا شك أنّ ضمورها دليل قاطع على المجاعة والقحط، وهذا يصور شدة الجوع أكثر من أي لفظ؛ إذ لا يتصور أنْ يبلغ بالإنسان هذا المبلغ دون انقطاع طويل الأمد عن تناول الطعام، وهذا الوصف والحال لا يحصل بعبارة أخرى مثل الجوع.

السؤال السابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾، فما الفسق لغة وشرعاً؟ وما الفرق بين (الفسق والفسوق)؟

الجواب:

١ـ يقال فسقت الرطبة، أي: خرجت عن قشرها. وفسق عن أمر ربه، أي: خرج وفسق فِسقاً وفسوقاً، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور، ولذلك سمي العاصي فاسقاً .

٢ـ الفسوق: الميل إلى المعصية والخروج من الدين وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة الحرف (الواو)، فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني استعمل ﴿فِسْقٌ﴾ مع سياق الأطعمة، واستعمل ﴿فُسُوقَ﴾ مع العام.

* شواهد قرآنية

﴿فِسْقٌ﴾ [آية المائدة ٣ـ الأنعام ١٢١ـ١٤٥].

﴿فُسُوقَ﴾ [البقرة ١٩٧ـ٢٨٢ الحجرات ٧ـ١١].

السؤال الثامن:

في آيات البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ فأكدها كلها بـ (إنّ) وحدها، في حين قال في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأكدها بـ (إنّ واللام)، فلماذا؟

الجواب:

القاعدة اللغويـــة:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ مع التخفيف، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨] مع زيادة التوكيد بزيادة اللام.

البيـــان:

في آيات [البقرة ١٧٣-١٨٢-١٩٢ وآل عمران ٨٩- والمائدة ٣- والأنعام ١٤٥] قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ فأكدها كلها بإنّ وحدها، في حين قال في آية النحل١٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فأكدها بإن واللام .

وسبب ذلك أنّ سياق آيات النحل هو في تعداد نعم الله على الإنسان ورحمته به ولطفه بخلقه، فقد ذكر خلق الأنعام وما فيها من منافع للإنسان وذكر منافع الزروع وذكر نعمته على الإنسان في البر والبحر وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من النعم، فناسب ذلك تأكيد المغفرة، وليس السياق في الآيات الأخرى كذلك .

السؤال التاسع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ باظهار ذاته تعالى في الآية، فما الخط القرآني في ذلك؟

الجواب :

هناك خط واضح وظاهرة بينة في التعبير القرآني، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر نفسه ويظهر ذاته وتفضله في الخير العام، بخلاف الشر والسوء، فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيها لها عن فعل الشر وإرادة السوء.

لذلك عندما يذكر النعم ينسبها إليه ولم يَبنِ فعل النعمة للمجهول؛ لأنّ النعمة خير وتفضل منه، شواهد: [آية المائدة ٣ـ النساء٦٩ـ النساء ٧٢ ـ الفاتحة ٧ ـ الزخرف ٥٩].

وفي آية الإسراء (٨٣) قال في النعم:﴿أَنْعَمْنَا﴾، وفي الشر: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾ [الإسراء:٨٣] ولم يقل: مسسناه بالشر.

وفي آيات الشعراء[٨٠-٧٨]نسب الخير إلى ربه، فقال:﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] ونسب السوء إلى نفسه، فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٨٠] .

وفي آية الجن ١٠ بنى الشر للمجهول: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾، ونسب الخير والرشدإلى الرب سبحانه فقال: ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ .

وفي آيات الكهف قال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف:٨١] وفي إقامة الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢] فإنه في خرق السفينة نسب العيب إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله تنزيهاً له، وأمّا في قتل الغلام فجاء بالضمير مشتركاً؛ لأنّ العمل مشترك، فإنّ فيه قتل الغلام وهو في ظاهر الأمر شر، وإبدال خير منه وهو خير، فجاء بالضمير المشترك للعمل المشترك، ثم قال: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ [الكهف:٨١] فأسند

الإبدال إلى الله وحده، وأمّا إقامة الجدار فعمل كله خير فأسنده إلى الله سبحانه، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]. والله أعلم .



﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، وقد تكررت هذه الكلمة عدة مرات في الآيات مع الأسئلة التي كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونها للنبي ﷺ فما دلالة هذه الكلمة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٩ .

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ


﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ ﴾ انظر كيف عبّر ربنا عن الطعام بالطيبات، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ﴾ فهل هذا يدلّ على أنّ الأطعمة إذا كان طعمها مراً فهي محرمة حتى خصّ الطيبات بالتحليل؟

الجواب:

إن الطيبات هي صفة لموصوف محذوف، أي: الأطعمة الطيبة وقد أطلق ربنا الطيب على المباح شرعاً للإيماء إلى أنّ إباحة الشرع للشيء علامة على حسنه وسلامته من المضرة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ لم قال ربنا: ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ ولم يقل: فقد بطل عمله أو فسد؟

الجواب:

الحبط هو فساد شيء كان صالحاً، وقد آثر ربنا أنْ يصف بطلان عملهم بالحبط لما في هذا اللفظ من الدقة في تصوير فساد أعمالهم؛ لأنّ الحبط هو مرض يصيب الإبل من جراء أكل الخُضر في أول الربيع فتنتفخ أمعاؤها وقد تموت جراء ذلك، فكان استعمال الحبط في وصف فساد أعمالهم دقة عجيبة بيّنت أنّ أعمالهم كانت صالحة، ولكنهم خربوها وأضاعوا ثمارها بسبب سوء صنعهم فانقلب عملهم إلى فاسد.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ في آية المائدة ٥؟ وفي آية الأعراف ١٤٧ وآية الكهف ١٠٥؟

الجواب:

الآيات:

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [الأعراف:١٤٧].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف:١٠٥].

المعنى اللغوي:

حبطت الدابة تحبط حَبَطاً، أي: انتفخ بطنها من كثرة الأكل أو من أكل ما لا يوافقها .

حبط الماء في البئر: أي غار في الأرض وذهب تماماً.

الحباط: هو وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الأكل أو لأكل ما لا يوافق، فيظن أنها سمينة متينة ولكنها في الحقيقة متورمة مريضة هزيلة وظاهرها يخدع عن باطنها وحقيقتها.

البيان: ورد في الحديث النبوي «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم**»وهذا الحديث هو مثلٌ للإنسان الحريص البخيل الذي يفرط في جمع المال، ويمنع من إنفاقه في الوجوه المشروعة، فهو ممتلىء مالاً، ولكنه بخيل يقتل نفسه ويقتل غيره بحرصه الشديد.

وفي الحياة تقابل أصنافاً من الناس غرقوا في الحياة، وهم يجمعون المال بطرائق متعددة وينفقونها بطرائق تغضب الله ورسوله، كما تجد قوماً آخرين يذهبون ويعودون ويعملون أعمالاً كثيرة متنوعة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولكنهم مع الأسف واقعون في وهم كبير؛ لأنّ أعمالهم لا يقصد بها وجه الله تعالى، بل ربما تحارب دين الله وتخالف أحكامه .

السؤال الرابع:

قال في آية النساء ٢٥: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ وفي آية المائدة ٥: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ آية النساء: في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات، فناسب جمع المؤنث بالإحصان .

٢ـ آية المائدة: فيمن يحل للرجال من النساء فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان ذكر إحصان الرجال تسوية بينهما لأنه مطلوب فيهما .



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة و إعراب كلمة ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ في الآية (٦) المائدة؟

الجواب:

١ـ القيام في هذه الآية ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بمعنى الوقوف والتهيؤ للذهاب إلى الصلاة .

٢ـ في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ (اغسلوا) تأخذ المفعول به ﴿وُجُوهَكُمۡ﴾ مفعول به عُطف عليه ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾، ثم قال: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ وجاء هنا بـ (الباء). والعلماء يقولون: أنت تبدأ بغسل الوجه ثم اليدين إلى

المرفقين ثم تمسح الرأس ثم مسألة الأرجل. فلما قال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ منصوبة إذن هي معطوفة على منصوب. هنا ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب معناه: (واغسلوا أرجلكم)، لا(امسحوها)، وليست معطوفة على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ وإنما (وأرجلكم) بالنصب ورتّبها، وهذه القراءة هي عند عدد من القراء السبعة قرأوها (بالنصب).

إذن كلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على الغسل في أول الآية.

٣ـ وكأنّ مضمون السؤال عن المتعاطفات التي سبقتها في الآية أي: هل تُعطف: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ على﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾؟ يجوز في كلام العرب العطف على الأقرب، وإن كان هناك متعاطفات في ثنايا الجملة، وأما حكم غسل الأرجل في آية الوضوء فالذي يحدده هو (السُنّة).

وفي كلام العرب نقول: بنيت الدور والإماء، بمعنى: اشتريت الإماء.

٤ـ ليس بالضرورة أن يكون العطف على الأقرب، بل قد يكون على الأبعد، نحو قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨] هل السماء والأرض عطف على (حين تمسون وحين تصبحون)؟ لا، الأرض معطوفة على السموات، و﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ معطوفة على ﴿فَسُبْحَانَ﴾ و ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ معطوفة على﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ و﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ معطوفة على أبعد شيء.

نقول : دخلت إلى السوق واشتريت كتباً ثم ذهبت إلى البزاز واشتريت قماشاً ثم ذهبت إلى البقال واشتريت كذا وكذا ثم رجعت (رجعت) معطوفة على (دخلت).

ولو قرأنا قصص الرسل في الأعراف نجد قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥] معطوفة على ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩] يعني وأرسلنا إلى عاد ﴿أخاهم﴾ هوداً، (أخاهم) مفعول به منصوب لأنه معطوف، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:٧٣]، تكلم عن عاد وما فيها، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:٧٣].

٥- في آية الوضوء قراءة النصب واضحة، والذي يحدد الأمر هو السُنّة إذن ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، فمن حيث اللغة لا تمنع العطف على الأبعد، و هذا حكم شرعي، والذي يحدد هو ما ورد من الآثار.

٦- فقوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرئت ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ وجملة ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ جملة معترضة، أي وكأنّ السياق يقول: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم) وفائدة الاعتراض التنبه إلى ضرورة غسل الأرجل، إذ الحكمة من الوضوء هي النقاء والتنظف لمناجاة الله تعالى فاقتضى ذلك أنْ يبالغ في غسل ما هو أشد تعرضاً للوسخ بكثرة الحركة، ولذلك قال ﷺ: **«ويل للأعقاب من النار»**.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الغسل والمسح؟

الجواب:

(الغسل) المفروض فيه أنْ يجري الماء على العضو، أما (المسح) فيكون بتبليل اليد ويمسح على العضو وليس هناك ماء يجري.

والثابت عند جمهور المسلمين أنهم أخذوا عن رسول الله ﷺ غسل القدمين وإدخال الكعبين فيهما، فعندما تردنا قراءة (وأرجلِكم) بكسر اللام نفهم منها أنها تعني الاقتصاد في الماء، وربما يدخل في هذا (المسح على الخفين) .

والأرجل بشكل عام تُغسل؛ لأنه هذا هو الذي وردعن أصحاب رسول الله عليه السلام وعن آل بيت النبوة رضي الله عنهم جميعاً .

السؤال الثالث:

لماذا جمعت كلمة (المرافق) في آية الوضوء وجاءت (الكعبين) بالتثنية؟

الجواب:

١ـ (المرافق) جمع وهما (مرفقان) ولا إشكال فيها فكل يد لها مرفق واحد، أما كل رجل فلها كعبان، ولو قال تعالى: (الكعوب) لما دلّ ذلك على وجوب غسل الكعبين، فلو غسلوا كعباً واحداً لكفاهم، لكنّ الله تعالى أراد أن يغسل كل واحد من المخاطبين رجله إلى الكعبين.

والخطاب للمؤمنين بالجمع، وأمرهم بغسل وجوههم بالجمع وأيديهم بالجمع، ولكل واحد له يدان ومرفقان، أي: أنّ جمع الخطاب يتضمن غسل الأيدي والمرافق.

و كل يد لها مرفق واحد، وكل رجل لها كعبان، فلما خاطب الجميع قال: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ .

٢ـ وفي الوضوء لا بد أن يستغرق الغسل الكعبين، ولو قال: إلى الكعوب، لم يدل ذلك على أنّ الكعبين كليهما داخلان في الغسل، وإنما كعوب الناس المخاطَبين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وعندها فلو غسلوا كعباً واحداً - والمخاطبون كثر ولهم كعوب - لكفاهم ما دام المذكور هو (الكعوب).

لذلك قال: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ حيث المعنى: كل واحد من المخاطبين عليه أن يغسل إلى الكعبين، فلا يصح أن يقول: (إلى الكعوب) وإلا لأوقع في اللبس.

السؤال الرابع:

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ (إذا) في كلام العرب تستعمل:

أـ للمقطوع بحصوله: كما في الآية: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] ولابدّ أنْ يحضر الموت، ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولا بدّ للأشهر الحرم من أنْ تنسلخ، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف:١٧] ولا بدّ للشمس من أنْ تطلع وكقوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة:١٠] ولا بدّ للصلاة أنْ تنقضي.

ب ـ وللكثير الحصول، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].

٢ـ ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة، تستعمل (إذا) للكثير و(إن) للأقلّ، كما في آية الوضوء في سورة المائدة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ القيام إلى الصلاة كثير الحصول؛ فجاء بـ (إذا)، أمّا كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ؛ لذا جاء بـ (إن).

٣ـ وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم (٣٦٢) مرة، ولم تأت مرة واحدة في موضع غير محتمل البتّة، فهي تأتي إمّا بأمر مجزوم وقوعه أو كثير الحصول، كما جاء في آيات وصف أهوال يوم القيامة؛ لأنه مقطوع بحصوله، كما في سورة التكوير وسورة الانفطار.

٤ـ أما (إنْ) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾ [القصص:٧١] هنا احتمال وافتراض، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤﴾ [الطور:٤٤] لم يقع ولكنه احتمال، وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحُجُرات:٩] الأصل أنْ لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة الأعراف ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣] افتراض واحتمال وقوعه.

السؤال الخامس:

لماذا استخدم (الواو) في آية الوضوء في سورة المائدة، مع العلم أنهم يقولون: إنّ (الواو) لمطلق الجمع، لكن الأحكام الفقهية تشترط التتابع كشرط لصحة الصلاة؟

الجواب:

١ـ (الواو) لمطلق الجمع وليست للترتيب، هذا كلام علمائنا وهو صحيح، لكنّ الفقهاء جاءوا إلى هذه الآية ووجدوا أنّ هناك نوعاً من التقديم والتأخير الذي ترتب عليه اختلاف دلالة الواو، فقالوا: (الواو) هنا للترتيب؛ لأنه قال: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ ولو كان لغير الترتيب لقال: (واغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم) فقالوا: لما غيّر النظام قدّم وغيّر.

والعربية عندها إمكانية تغيير النظام بسبب الإعراب، وعندما نجد الفتحة نعرف أنه معطوف على منصوب، والأمة تقرؤها بالفتح ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة:٦] بالتواتر، وجمهور القرّاء عليها.

٢ـ الإمام الشافعي قال: إذن الترتيب واجب. وأبو حنيفة قال: لا، لأنها لمطلق الجمع، لذلك إذا غمست نفسك في النهر فقد توضأت، وهذه مسألة فقهية.

٣ـ الواو في اللغة لمطلق الجمع، والفاء للترتيب، فعندما تقول: زارني محمد وخالد، لا تعني: أنّ محمداً زارني أولاً ثم خالد.

السؤال السادس:

ما دلالة ﴿لَمَسْتُمُ﴾ في آية الوضوء (٦) المائدة؟ هل هي الجماع أم اللمس الجلدي؟

الجواب :

هذه مسألة فقهية اختلف فيها الفقهاء، وليست من مسائل اللمسات البيانية، فالسادة الشافعية يرون أنّ اللمس الاعتيادي بباطن الكف يفسد الوضوء، والسادة الحنفية لا يرون ذلك، وكلٌّ له وجهة نظره، واتّباع أيّ مذهب من المذاهب - بعد النظر في دليله- لا بأس به إن شاء الله تعالى، وهذه مسألة فقهية يُسأل عنها أهل الفقه.

السؤال السابع:

ما الحرج المذكور في الآية ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾؟

الجواب:

الحرج هو الضيق والشدة، و(الحرجة) البقعة من الشجر الملتف المتضايق.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في آية النساء ٤٣: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، وقال في آية المائدة ٦: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ بزيادة ﴿مِّنْهُ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٤٣.

السؤال التاسع:

في آية الوضوء في سورة المائدة ٦ وردت (اللام) في فعل ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ وفعل ﴿وَلِيُتِمَّ﴾، بينما في آية الفتح ٢ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾، فذكر اللام في فعل ﴿لِيَغْفِرَ﴾ وحذف في ﴿وَيُتِمَّ﴾ و ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

السبب أنه في آية الوضوء الكلام فيها في أصول الدين وهي الصلاة وفي الوضوء والغسل، وهي عامة للمؤمنين وتشملهم إلى يوم القيامة، وكذلك النعمة فهي عامة واسعة وتشمل الكثير، لذلك أكّد الفعلين بلام التعليل المؤكدة.

أمّا آية الفتح، فالخطاب هنا للرسول ﷺ وهي خاصة به وليست عامة للمؤمنين، وهي ليست في أصول الدين؛ لذلك حذف اللام .

فالأمران ليسا بدرجة واحدة من الاتساع .



﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾؟

الجواب:

ذيلت الآية بهذا التحذير لتحذرنا من إضمار المعاصي ومن توهم أنّ الله لا يعلم إلا ما يبدو من تصرفنا.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة: ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ في آية النساء١٣٥ و ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ في آية المائدة رقم ٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء رقم ١٣٥.

السؤال الثاني:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ﴾ لماذا جاءت مرة ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا﴾ ومرة ﴿أَن﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة رقم ٢.

السؤال الثالث:

على من يعود الضمير ﴿هُوَ﴾ في الآية ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾؟

الجواب:

قد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة، وفي آية المائدة الضمير ﴿هُوَ﴾ يعود على العدل، ولم يتقدم له ذكر بل تقدم الفعل ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ الذي يدل عليه.



﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾

السؤال الأول:

كيف قال الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ ولم يقل: وعملوا السيئات، مع أنّ الغفران يكون لفاعل السيئات؟

الجواب:

كل أحد لا يخلو من فعل السيئات، وإنْ كان ممن يعملون الصالحات وهي الطاعات، والمعنى أنّ من آمن وعمل الحسنات غفرت له سيئاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤] .

السؤال الثاني:

قال في آية المائدة ٩: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾، وقال في آية الفتح٢٩: ﴿مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا ٢٩﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ آية المائدة عامة غير مخصوصة بقوم معينين، وجاءت بعدما قدّم خطاب المؤمنين عامةً بأحكام، فكأنه قال: منْ عمل بها ذكرناه له مغفرة وأجر عظيم.

٢ـ آية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون؛ فقال: ﴿منهم﴾ تمييزاً وتفضيلاً ونصاً عليهم بعدما ذكر من جميل صفاتهم.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى(الله) وما أسند إلى (الرحمن)؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ لم يذكر فيها اسم الرحمن وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ تكرر اسم الرحمن في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم، وقد تكرر اسم الرحمن في يس ٤ مرات، وفي مريم ١١ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله خصص للمؤمنين أو الكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٧٢]و ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [التوبة:٦٨]فهو وعد خاص .

وأما ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن، فهو وعد عام يشمل عموم العباد وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم ﴿الرحمن﴾، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [مريم:٦١] فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً.

الفعل ﴿ وعد﴾ يأتي مع الخير دائماً، والفعل (أوعد) يأتي مع الشر .

والله أعلم .



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ كيف يبسطون أيديهم؟

الجواب:

إنّ بسط اليد هو كلام مجازي لا يحمل على ظاهره، فبسط اليد يراد به البطش، كما أنّ كف اليد مجازي يراد به الإعراض عن السوء.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾؟

الجواب:

انظر إلى قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾ أرأيت كيف عبر الله عن معيته لعباده الصالحين بقوله: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾ فأنت تطمئن إنْ كان معك من هو أشد منك قوة وسلطة وتشعر بالأمان، فكيف إذا كان الله معك أينما كنت يرعاك ويصونك. أليس الإنسان إنْ كان الله معه لا يخاف ولا يُهزَم، فكم في هذا التعبير ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ﴾ من العناية والحفظ والنصر؟.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ في قوله: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ لفتة معنوية، فالتعزير هو المنع، ويطلق على النصر؛ لأنّ الناصر يمنع المعتدي على منصوره.

السؤال الثاني:

كيف قال الله في آخر آية المائدة ١٢: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ مع أنّ الذي كفر قبل ذلك قد ضل سواء السبيل؟

الجواب:

نعم، ولكنْ لأنّ الضلال بعدما ذكر من النعم أقبح، ولأنّ قبح الكفر بقدر عظم النعم المكفورة، فلذلك خصه بالذكر.

السؤال الثالث:

من النقيب؟ وما علاقة هذه الكلمة بالنقاب الذي يوضع على الوجه؟

الجواب:

النقاب هو ما يوضع على الوجه فقط، ولهذا كان رئيس القوم يسمى نقيباً وفي التاريخ كان رئيس القوم يتنقب دلالة على كرمه وشجاعته، وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالاً ونساء .

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة المنع من الوصول؟

الجواب:

الكلمات هي: الحجاب – الغطاء – الغشاء – الخمار – النقاب – الستار.

الحجاب: الحجاب في القرآن هو منع الوصول إلى الشيء من حيث التلاقي. انظر الآيات: [الأحزاب ٥٣، الأعارف ٤٦، الحديد ١٣، الإسراء ٤٥، مريم ١٧، فصلت ٥، الشورى ٥١].

والحجاب هو خاص بنساء النبي ﷺ، كما في آية الأحزاب ٥٣، أمّا مع باقي نساء المسلمين فيسمى خماراً، كما في آية النور ٣١ .

الغطاء: هو منع الوصول إلى رأس الشيء، وكل شيء يوضع على الرأس ويكون صلباً يسمى غطاء، كغطاء القدر، وكالخوذة على الرأس .

لذلك الغطاء هو كل شيء سميك صلب يمنع الوصول إلى الشيء، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: ١٠١]، وقال تعالى ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢].

الخمار: هو غطاء الرأس إنْ لم يكن صلباً، وخمر الشيء بمعنى ستره، انظر آية النور ٣١.

الغشاء: إذا كان الغطاء ليس للرأس فقط وإنما للرأس والوجه يسمى غشاء، فالغطاء شمولي والخمار جزئي، انظر الآيات: [هود ٥، نوح ٧، طه ٧٨، الأنفال ١١، آل عمران ١٥٤، لقمان ٣٢، البقرة ٧، يس ٩، يونس ٢٧، الليل ١].

النقاب: هو ما يوضع على الوجه فقط، ولهذا كان رئيس القوم يسمى نقيباً، وفي التاريخ كان رئيس القوم يتنقب دلال على كرمه وشجاعته، وما زالت بعض القبائل في المغرب العربي يغطون وجوههم رجالا ونساء. انظر آية المائدة ١٢ .

الستار:

كل شيء يستقبح النظر إليه أو الوصول إليه يسمى ستاراً، كما في ستائر النوافذ حيث يستقبح الإنسان أن يرى أحد عورته. انظر الآيات: [فصلت ٢٢، الكهف ٩٠].



﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١]؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في آية المائدة ١٣: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ كانت في أهل الكتاب الأوائل قبل الرسول ﷺ، وقوله تعالى في آية المائدة ٤١: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ هو في أهل الكتاب الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١] بعدما استقرت، هذا بشكل عام .

٢ـ عندما ننظر في الآيات التي وردت فيها ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ نجد أنّ الكلام هو على تحريف التوراة قديماً، حيث كان عندهم ميثاق بما استحفظوا من كتاب الله، والكلِم له موضع وهم غيّروه وحرّفوه. وهذا هو التحريف الأول .

أما ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة:٤١] فكان تحريفاً في زمن الرسول ﷺ بعد أنْ ثبتت التوراة، وبعد أنْ مرت ألف سنة أو أكثر على هذا الموضع عادوا مرة أخرى وحرّفوا من بعد أن ثبّت في مكانه، فجاءوا بعد ذلك وغيّروه عن مواضعه، فهم دائمو التحريف .

٣ـ موطن الآية الثانية يختلف، فالموطن الأول الكلام فيه عن التوراة عموماً، والموطن الثاني الكلام عن عبارات تقدّم بين يدي الرسول ﷺ من التوراة. فلمّا قال: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران:٩٣] غيّروا فيها تغييراً جديداً. ومع ذلك بقيت إشارة إلى نبوة محمد عليه السلام في التوراة.

٤ـ والتحريف هو من تغيير الحروف، وهذه الحروف المرسومة غيّروها، وهم لم يكونوا يحفظون التوراة في قلوبهم، والأمة الوحيدة التي تحفظ هي أمة الإسلام عن وملايين المسلمين يحفظون القرآن في الصدور، والإسلام بدأ بالحفظ في الصدور قبل أنْ يحفظ في السطور، أمّا اليهود فإلى الآن لا يحفظون التوراة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ بالفعل المضارع، ثم جاء الفعل بعده ﴿وَنَسُواْ﴾ بصيغة الماضي. فلماذا؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] جيء بالفعل (يحرفون) بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم في التحريف، بينما جاء الفعل بعده ﴿وَنَسُوا۟﴾ [المائدة:١٣] بصيغة الماضي؛ لأنّ النسيان يراد به الإهمال المفضي إلى النسيان غالباً، فعبّر عنه بالماضي لأنّ النسيان لا يتجدد.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب وما يترتّب على كونهم نقضوا الميثاق في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء:١٥٥]، بينما جاء ذكر الجواب في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠]، وكذلك في آية المائدة رقم ١٣: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٥٥.

السؤال الرابع:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾، (ما) هنا للتوكيد، وذلك من كثرة ما نقضوا من العهود، والنقض ضد الإبرام، وناسب زيادتها أنّ السياق على الميثاق. انظر الآيات:[المائدة ١٢ـ١٤]، فناسب ذلك زيادة (ما) لتوكيد نقض الميثاق. وأمّا القصر فهو متأت من التقديم .

٢ـ ربما (ما) جاءت استفهامية للتعجب، أي: فبأيِّ نقضٍ من ألوانٍ وصورٍ نقضهم للعهد لعناهم؟ وذلك لكثرة ما نقضوا من العهود على صورٍ وألوانٍ شتى من النقض للعهد .

٣ـ عندما نقضوا المواثيق طبع الله على قلوبهم، وهم قد كفروا أولاً، ثم تركهم الله في غيهم وطبع الله على قلوبهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] مثل تغييرهم أمر الله أن يقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] فقالوا: حنطة .

والتغيير الذي مارسوه على أربعة ألوان:

أ ـ النسيان ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] مثل نسيانهم البشارات بمحمد وكتمانها.

ب ـ الكتم.

ج ـ التحريف.

د ـ دس أشياء على أنها من عند الله، وهي ليست من عند الله.

٥ـ ولم يدعهم الله ويتركهم على نسيانهم ليكون لهم بذلك حجة، بل أراد أنْ يذكرهم بما نسوه، وكان مقتضى ذلك أنْ يعودوا للإيمان، لكنهم لم يفعلوا ذلك عامدين معرضين عنه عن قصد .



﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء) في آية المائدة ١٤ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ و﴿ألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ في آية المائدة ٦٤ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾؟ أي ما الفرق بين ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ و ﴿وَأَلۡقَيۡنَا﴾؟

الجواب:

١ـ استعملت كلمة (أغرينا) مع النصارى، واستعملت كلمة (ألقينا) مع اليهود .

٢ـ بعد نزول التوراة أحدث اليهود فيها تغييراً، وبعد نزول الإنجيل أحدث النصارى فيه تغييراً وضموه إلى التوراة المحرفة، فصار لديهم العهد القديم المحرف والعهد الجديد المحرف، ونتيجة لذلك حدثت فرقة عظيمة بين اليهود أنفسهم بسبب اختلافهم على التحريف وكذلك النصارى أيضاً، لكنّ النصارى جمعوا التحريفين فزادت لهم العقوبة.

لذلك نجد اليهود قد يختلفون، لكن في الأمور المادية، أمّا النصارى فيختلفون على الأمور المادية وعلى أمور العقيدة: هل عيسى ابن الله أم الله أم ثالث ثلاثة؟ وهم يعتمدون الرهبان والكهان للغفران وليس الله تعالى، فهم يؤمنون بنص التوراة المحرفة مثل اليهود إضافة إلى الإنجيل المحرف فاستحقوا مزيداً من العقوبة.

٣ـ لذلك استعمل الله مع النصارى لفظ ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ من الغراء الصمغ اللاصق، وكأنّ العداوة بينهم هي لاصقة بهم، واستعمل ﴿وَأَلۡقَيۡنَا﴾ لليهود .

٤ـ من مظاهر العقوبة للنصارى أنّ معظم الحروب عبر التاريخ كان بين النصارى أنفسهم كالحرب العالمية الأولى والثانية.

٥ـ الإغراء أشد من الإلقاء، وفيه صفة الالتصاق الشديد، بينما (ألقينا) يمكن أن يقال: (هدنة على دخن)، والنصارى لا يزالون مصرين على الأخذ بالتحريفين .

٦ـ لّما ذكر القرآن النصارى ذكر أنّ مشكلاتهم فيما بينهم لصيقة في الاعتقاد، وهو ما نسمعه ونراه في فرقهم المختلفة: كاثوليك وبروتستانت وأرثوذوكس .

ولمّا ذكر اليهود ذكر فيهم صفتين: إيقاد الحروب والسعي في الأرض فساداً، لذلك لا تجد مشكلة في العالم إلا وراءها اليهود .

٧ـ الخلاف بين اليهود ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ أهون من الخلاف بين النصارى ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ لكن خطر اليهود أعظم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾؟

الجواب:

انظر إلى صيغة التحريض والتضعيف هذه منهم ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ ولكن الله لم يقل عنهم: إنهم نصارى، وفي هذا التعبير تقريع ولوم على هذا الضعف من القوم الذين يدعون بالقول واللسان انتسابهم إلى عيسى وفعلهم يخالف قولهم ومعتقدهم.



﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين السبيل و الصراط؟

الجواب :

١ـ السبيل هو الطريق السهل الذي فيه سهولة، والسبيل يجمع على سبل، ويأتي مفرداً ويأتي جمعاً؛ لأنها سهلة ميسرة للسير فيها، وطرق الخير تجمع وطرق الشر تجمع، وتستخدم سبل للخير والشر.

٢ـ الصراط هو الطريق المستقيم، وهو أوسع الطرق ولم يرد في القرآن إلا مفرداً لأنه يُراد به الإسلام، ويأتي الصراط دائماً موصوفاً ومضافاً ليدل على أن هذا طريق الخير وذاك طريق الشر.

* شواهد قرآنية: قال تعالى:

ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ـ ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦] طرق الخير،

ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] هذه طرق الشر.

ـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات:٢٣] هو أوسع الطرق.

٣ـ إذن (الصراط) الطريق الواسع، و(السبيل) هي الطرق المتفرعة عن الصراط؛ لذلك تجمعه سبل الخيرو سبل الشر.

٤ـ السبيل عام وفيه معني السعة، وكما قال الزمخشري: سمي الصراط؛ لأنه يسرط السالكين ويبلعهم. أصلها: سراط بالسين من سرط، ولكن أيضاً تقال: صراط بالصاد، لكنّ أصل الكلمة بالسين (سراط)، وقد تكتب بحسب اللفظ ،ويربطونها بستريت

(straight) مستقيم وستريت (street) بالإنجليزية. واللغة العربية هي أقدم اللغات الموجودة المستعملة، وليس هناك لغة أقدم منها ،وهناك بعض اللغات التي اندثرت.

السؤال الثاني:

جاءت الهداية بالاسم والفعل، أما الضلالة فجاءت بالفعل، كما في الآيات:

- ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة:١٦].

- ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم:٢٧].

- ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان:٣١].

فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ الهداية جاءت في القرآن الكريم بالاسم والفعل، وصفة الله تعالى الثابتة والمتجددة هي الهداية: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان:٣١] وهو يهدي، وحالته الثابتة والمتجددة هي الهداية ولا يضل إلا مجازاة للظالم كما في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر:٣٤] وجاءت بالصيغة الفعلية (يضل) لا الاسمية، ولم يقل الله تعالى عن نفسه (مُضلّ)، وإنما قال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧] مجازاة لهم.

أمّا صفة الشيطان الثابتة والمتجددة فهي الإضلال، فجاءت (مضلّ) بالاسم الثابت وبفعل التجدد (يضل)، وجاءت (الضلالة) في القرآن في الحديث عن الشيطان في القرآن بالاسم والفعل: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ﴾ [القصص:١٥] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ﴾ [النساء:١١٩].

٢ـ هنالك ملاحظة لطيفة: وهي أنه ما كان من شأنه ألا يُفعل إلا مجازاة وليس من شأنه أن يُذكر الاتصاف به، لم يأت إلا في تراكيب الأفعال كقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧] وقد ذكر الله الإضلال وأضافه إلى نفسه بالصورة الفعلية فقط، للدلالة على أنّ هذا الأمر طارىء يفعله لمن يستحقه، ولم يُسند هذا الأمر إلى نفسه بالصورة الاسمية للدلالة على أن هذا ليس من صفات الله ونعوته. انظر آيات [غافر ٣٤ و٧٤ وسورة البقرة: ٢٦].

٣ـ في حين وصف الشيطان بذلك، فقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥]

فجعله وصفاً ثابتاً له ومتجدداً أيضاً، [انظر آيات الحج: ٣-٤] وقال الشيطان عن نفسه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٩] فجعل وصف الشيطان الثابت والمتجدد الإضلال .

بينما جعل الله وصف ذاته العلية الثابت والمتجدد الهداية، فقال في الحج: ٥٤: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وانظر أيضاً [آية الفرقان: ٣١ و المائدة: ١٦ ويونس: ٣٥] فشتان ما بين الوصفين.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٥.

السؤال الثاني:

زاد ﴿لَكُم﴾ في آية الفتح ١١ فقال: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم﴾ دون زيادتها في آية المائدة ١٧: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. فلماذا؟

الجواب:

١ ـ نزلت آية الفتح في قوم تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، ثم سألوه أنْ يستغفر لهم، وهم يكتمون بذلك نفاقهم وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته، فالخطاب هو مختص بالمخلّفين من الأعراب، فلمّا كان الخطاب مختصا بهؤلاء زاد ﴿لَكُم﴾ ؛ لأنّ الخطاب موجه إليهم .

٢ ـ أمّا آية سورة المائدة فهي عامة، والدليل أنه ذكر إنْ أراد أنْ يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً فمن يملك من الله شيئاً، فلمّا سيقت الآية إلى العموم لم يحتج إلى ﴿لَكُمْ﴾ التي هي للخصوص.



﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاستفهام في الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا الاستفهام الذي حمل معنى النفي والرد، فلو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذّبهم بذنوبهم، فشأن المحب ألا يعذّب حبيبه وشأن الأب ألا يعذّب أبناءه.

لطيفة: سأل الشبلي أبا بكر بن مجاهد: أين تجد في القرآن أنّ المحب لا يعذب حبيبه؟ فلم يهتد ابن مجاهد فقال: له الشبلي: في قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨].

السؤال الثاني:

كيف يصح الاحتجاج عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ مع أنهم وهم (اليهود والنصارى) ينكرون تعذيبهم بذنوبهم، ويدعون أنّ ما يذنبون بالنهار يُغفر بالليل وما يذنبون بالليل يُغفر بالنهار؟

الجواب:

هم مُقِرون بأن الله يعذبهم أربعين يوماً، وهي مدة عبادتهم للعجل في غيبة موسى عليه السلام؛ ولذلك قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠].

وقيل: أراد به العذاب الذي أوقعه ببعضهم من مسخهم قردة كما فعل بأصحاب السبت، وخسف الأرض كما فعل بقارون.

السؤال الثالث:

جاءت كلمة (بشر): ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤] مفردة و ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة:١٨] جمعاً. فلماذا؟

الجواب:

١ـ هناك كلمات تكون للمفرد وللجمع، منها كلمتا (بشر وضيف) تكون للمفرد وللجمع. وهناك (ضيوف وأضياف)، وهناك (خصم وخصوم وطفل وأطفال) كلها تستعمل للمفرد والجمع، و(رسول) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمصدر أيضاً، وهذا يسمى في اللغة (اشتراك).

٢ـ كلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع، كما في سورة الحجر ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ [الحِجر:٦٨] وفي الذاريات: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات:٢٤] فكلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة المكرمين جمع.

٣ـ ومثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد.

٤ـ وكذلك كلمة (بشر): ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤] مفرد: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] جمع .

٥ـ وكلمة (الرسول) تأتي بمعنى الرسالة والإرسال: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء:١٦] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه:٤٧].

٦ـ وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع.

السؤال الرابع:

ما الحكمة في تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في الآيتين المتتاليتين ١٧ـ١٨ من سورة المائدة؟

الجواب:

١ـ الآية ١٧ هي رد على قولهم في المسيح عليه السلام: إنه إله، فبيّن الله تعالى أنّ الألوهية لمن ملك السماوات والأرض، وليس للمسيح ذلك، فكيف يكون إلهاً والله خالقه وقادر على إهلاكه وأمه؟

٢ـ الآية ١٨ هي رد على قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فهو توكيد لقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ لأنهم خلْقه وملْكه؛ ولذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ فيجازي كلاً على عمله، إمّا بمغفرة ورحمة وإمّا بعذاب.

السؤال الخامس:

كم مرة جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزُّخرُف:٨٥] أو: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي بزيادة (وما بينهما)؟

الجواب:

لقد ورد ذلك ـ له ملك/ لله ملك ـ في ثلاث آيات هي:

ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة:١٧].

ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة:١٨].

ـ ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزُّخرُف:٨٥].

ومن ملاحظة هذا الموضوع في القرآن الكريم يتبين لنا التالي:

في كل موطن في القرآن الكريم يذكر ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يأتي التعقيب على من يذكر صفات الله بغير ما يستحق.

* شواهد قرانية:

آية المائدة ١٧: تعقيب على قول النصارى.

آية المائدة ١٨: تعقيب على قول اليهود.

آية الزخرف ٨٥: تعقيب على ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾.

ملحوظة:

في كل آية ورد ذكر (السماوات والأرض وما بينهما) ذكرت السورة ثلاثة أمور تتعلق باليهود والنصارى والمشركين، انظر: الجدول التالي مع أرقام الآيات:

السورة	موسى/ اليهودية رقم الآية	عيسى/ النصرانية رقم الآية	محمد/ الإسلام رقم الآية
المائدة	١٢	١٤	١٩
الزخرف	٤٦	٥٧	٨١

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فقدم المغفرة على العذاب، كما هو أيضاً في آية فصلت ٤٣ وآية غافر ٣، بينما قدّم العذاب على المغفرة في آيات المائدة ٤٠ العنكبوت ٣١، فقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فما السبب؟

الجواب:

في كثير من الآيات التي جمعت ذكر الرحمة والعذاب بدأ بذكر الرحمة قبل العذاب، كما يظهر من الآيات:[المائدة ـ ١٨ـ وفصلت ـ٤٣ ـ وغافر ـ ٣] وهذا ينطبق على القاعدة التي بيّنها الحديث القدسي: «**إن رحمتي سبقت غضبي**» .

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمةُ فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً، ومن ذلك:

١ ـ آية المائدة (٤٠)؛ وذلك لأنها وردت في سياق ذكر قطاع الطرق والمحاربين والسرّاق، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب، حيث وردت هذه الآية بعد قوله تعالى في

سورة المائدة الآية (٣٢) التي قدّم فيها القتل على الإحياء، ثم الآية (٣٣) في ذكر جزاء قطاع الطرق والمحاربين، ثم جاءت الآية (٣٨) في ذكر جزاء السراق، ثم جاءت الآية (٤٠)، فكان من المناسب ههنا تقديم العذاب على المغفرة .

٢ ـ وكذلك قدّم العذاب على الرحمة في آية العنكبوت(٢١)؛ وذلك لأنها في سياق إنذار إبراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه، وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا، فقد أنذر إبراهيم قومه في الآية (١٧)، ثم هددهم بالعذاب إن كذبوه في الآية:[١٨ و ٢٢ و٢٣] فاقتضى السياق تقديم العذاب هنا .



﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ﴾ ما دلالة (من) في الآية؟

الجواب:

هناك من العلماء من قال: بأن ﴿مِن﴾ حرف زائد أو حرف صلة، ولكن الزيادة تكون عند البشر، ولا يمكن أن يكون بالقرآن شيء زائد؛ لأنّ كل كلمة في القرآن جاءت لمقتضى حال يحتم أن يكون في هذا الموضع.

وعندما يقول الإنسان: ﴿ما عندي مال﴾، فقد يقصد أنه لا يملك من المال إلا القليل، وعندما يقول: ﴿ما عندي من مال﴾، فـ﴿مِن﴾ هنا تعني أنه لا يملك أي مال من بداية ما يقال له: مال.

لذلك فإن الآية تعني أنه لم يأت لنا بداية من يقال له: بشير.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿فَتْرَةٍ﴾ في الآية ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؟

الجواب:

الفترة هي الفتور، أي: لين بعد شدة وضعف بعد قوة، فقوله: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: سكون حال عن مجيء الرسول، فقبل بعثته ﷺ كانت الرسل تبعث تترى متتالية.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ تشبيه بليغ، وهو ما ذكر به المشبه والمشبه به دون أداة، فمثلاً تقول لصديقك: أنت بحر، أي: أنت كالبحر في أمر اشتركتما فيه، وهو السعة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أي: أنتم كالملوك في صفة مشتركة بينكما، وهي حرية التصرف في النفس.

السؤال الثاني:

ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ولم يكن قوم موسى ملوكاً؟

الجواب:

١ـ المراد هم ملوك بني إسرائيل، وهم الأسباط وعددهم ١٢ سبطاً.

٢ـ المراد أنه تعالى رزقهم الصحة والكفاية والزوجة والخادم والبيت فسماهم ملوكاً بذلك .

٣ـ المراد أنه رزقهم المنازل الواسعة التي فيها المياه الجارية .

السؤال الثالث:

زاد في آية المائدة ٢٠: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ ولم يذكر ذلك في آية إبراهيم ٦، حيث قال: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ في آية المائدة عدّد عليهم النعم الجسام في أنْ جعل منهم أنبياء وملوكاً وأنه آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، فحَسُن نداؤهم بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ؛ وذلك أنّ الإنسان يحب أنْ ينتسب إلى قوم ذوي رفعة ومكانة عالية، بخلاف المستذلين والمستعبدين، وهو سياق آية إبراهيم(٦) .

٢ ـ من جهة أخرى: أنه طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم (آية المائدة ٢١) فناداهم بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ عطفا لقلوبهم؛ لتحميلهم مهمة دخول الأرض المقدسة وتكليفهم بهذا الأمر الشاق .

أمّا آية إبراهيم فليس فيها طلب شيء ولا تكليف أمر، وإنما تذكيرهم بما مر عليهم من محن وعذاب .

٣ ـ سياق قصة موسى في سورة المائدة أطول مما في سورة إبراهيم، فزاد ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ لمناسبة طول القصة .

٤- التصريح باسم المخاطب يدل على تعظيم المخاطب به، ولّما كان في سورة المائدة ذكر النعم الكثيرة صرح فقال: (يا قوم)، وأيضاً لموافقة ما قبله وما بعده من النداء:

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُوا۟ ﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا﴾ ولمّا لم يكن ما في إبراهيم بهذه المنزلة اقتصر على حرف الخطاب .

٥ـ آية إبراهيم (٦): هي بذكر ما أنجاهم الله تعالى من فرعون سابقا، فلم يأت هنا بمزيد الاعتناء كما تقدم في آية المائدة .



﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُوا۟ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تأكيد بني إسرائيل للمرة الثانية في آية النساء ٢٤ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾ بعد تأكيدهم في المرة الأولى في آية المائدة ٢٢ ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُوا۟ مِنۡهَا﴾؟

الجواب :

كان بنو إسرائيل يعاندون رسولهم ويصرون على مواقفهم، وإنْ كانت على باطل، ومن ذلك هذا التصريح منهم ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾، فقد أكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاولة السابقة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُوا۟ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُوا۟ مِنۡهَا﴾ أكدوا ذلك أشد توكيد، دلّ عليه التأكيد بـ (إنّ) ثم (لن) التي تفيد نفي الاستقبال وأصروا على ذلك بقولهم (أبداً).

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ما معنى كلمتي (قعود وقاعدون) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (قعود) ثلاث مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات:[البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة (قاعدون) في ستة مواضع كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في:[المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦، النساء ٩٥].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ متى تستعمل: إنا و إننا، أو إني وإنني؟

الجواب:

يقال: (إني و إنني) و(إنّا و إننا).

قال تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف:٧١].

ـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود:٢].

ـ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠].

ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه:٤٥].

يجوز عند النحاة الذكر والحذف، ولم يذكروا لذلك غرضاً لغوياً أو بيانياً وقد وقع الاستعمالان في كتاب الله، ومن الدراسة يتبين أنّ ذكر النون إنما يكون للأغراض التالية:

١ـ لغرض الزيادة في التوكيد، حيث (إنني) آكد من (إنّي)، و(إننا) آكد من (إنّا)؛ وذلك أنّ اجتماع ثلاث نونات يزيد في التوكيد .

٢ـ مراعاة مقام الإطالة فيؤتى بالنون في مقام الإطالة والتفصيل، ولا تلحق في مقام الإيجاز.

أمثلة على الغرض الأول :

المثال الأول: [(آية الأنعام ٧٨) و(والزخرف ٢٦ـ٢٧)].

الآيتان على لسان إبراهيم عليه السلام، فقال في الأولى: (إني) و في الثانية: (إنني)؛ وذلك أنّ آية الأنعام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة، فقد ظن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس، ثم أعلن البراءة من كل ذلك .

أمّا في آية الزخرف، فهو في مقام التبليغ، فقد أصبح نبياً مرسلاً من ربه أعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين؛ ولذا جاءت الآية الأولى بـ (إنّي) وفي الثانية (إنني)؛ لأنه في مقامٍ أكثر توكيداً .

إضافة إلى الفرق بين التعبيرين، فقد قال في الأولى: ﴿بَرِيٓءٞ﴾ [الأنعام:٧٨] وفي الثانية ﴿بَرَآءٞ﴾ [الزُّخرُف:٢٦] على صيغة المصدر، فهي أشد توكيداً، وهو المناسب لزيادة النون، فحصل التوكيد في آية الزخرف من جهتين: زيادة النون والعدول إلى المصدر، بخلاف آية الأنعام .

المثال الثاني: آيات سورة طه (١١ـ١٤)

قال أولاً: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه:١٢] ثم قال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]ـ بزيادة النون .

وذلك أنّ المقام في الثانية مقام زيادة توكيد؛ لأنه في مقام إعلامه بالنبوة وتكليفه بالرسالة، فاقتضى ذلك التفريق بين المقامين .

المثال الثالث:[(آية المائدة ٢٤) و(طه ٤٥ ـ ٤٦)].

في المائدة قال: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ وفي طه: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه:٤٥-٤٦] .

وذلك أنه في سورة طه كان الخوف شديداً من فرعون،فقال:﴿إِنَّنَا﴾؛ ولذا أجابهم الله تعالى بالتأكيد نفسه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ بإثبات النون لتأكيد المعية ربطاً للقلب ودفعاً للخوف .

أمثلة على الغرض الثاني:

المثال الأول:[(آية هود ٦٢) و(إبراهيم ٩)].

في آية هود قال: ﴿وَإِنَّنَا﴾، وفي آية إبراهيم قال: ﴿إِنَّا﴾؛ وذلك أنّ السياق يظهر الفرق بين المقامين، فآيات سورة هود تذكر تفاصيل الأقوام البائدين وقصصهم واحدة واحدة، ابتداء من قصة قوم نوح ثم قوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط ومدين و قصة موسى مع فرعون .

أمّا آية إبراهيم فإنها بيان لموقف الأمم من الرسل عموماً على وجه الإجمال لا على وجه التفصيل، فأطال في مقام التفصيل (إننا)، وأوجز في مقام الإيجاز (إنا)، والله أعلم.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام (الفاسقين والكافرين) في الآيتين ٢٦ و٦٨ من سورة المائدة؟

الجواب :

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وقال تعالى في نفس السورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

والفرق ظاهر؛ لأنّ الآية الأولى في الكلام مع موسى بخصوص قومه الذين امتنعوا عن القتال، فقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ وقوم موسى ليسوا كفاراً، وإنما كانوا مؤمنين به، والله تعالى نزّل عليهم المنّ والسلوى، فبنو إسرائيل إذن ليسوا كفاراً، ولا يمكن أن يقال عنهم كافرون.

أمّا في الآية الثانية فالخطاب للرسول ﷺ في خطابه لأهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ فهؤلاء كفرة كما جاء في قوله

تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ؛ ولهذا جاءت كلمة (الكافرين) في نهاية الآية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَتِيهُونَ﴾ فما كلمات منظومة التيه في القرآن؟

الجواب:

كلمات منظومة التيه هي:

تاه: ومنه التيه في الأرض (تيهان)، والتيه في العقيدة (تائه)، وهو المتحير الذي لا يعرف المكان الذي هو فيه، ولا كيف يتوجه فهو (تائه وتيهان).

ضاع: الضياع يكون بالإهمال وقلة الوعي، نحو قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩] وفي آل عمران.

فقد: الفقدان هو زوال الشيء عنوة وهو عزيز، والفقد لا يكون إلا لعزيز، والضائع لا يعود، والمفقود يعود وقد لا يعود: (يوسف ٧٣).

ضلّ: الضلال هو الخروج عن طريق مستقيم واضح إلى طريق متعرج مجهول، وفي القرآن تطلق كلمة (ضلّ والضلال) على الكفر والشرك وتطلق على النسيان ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨٢] وعلى الخطأ البسيط ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف:٨]

الضلال البعيد: كل ضلال بعيد في القرآن هو كفر وشرك، والضالون مخلدون في النار: (الشورى ١٨).

الضلال عن سواء السبيل: كان مؤمناً فتحيّر فارتد مشركاً، فهو من المرتدين: (البقرة ١٠٨).

الضلال المبين: هو آخر فرصة للضال قبل أنْ تأتيه العقوبة، وتطلق على الكافرين المشركين الخالدين في النار(مريم ٣٨).



﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال ربنا في الآية: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾، ولم يقل: (قربانين) وهما اثنان؟

الجواب:

أراد به الجنس فعُبّر عنه بلفظ المفرد، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة:١٧] .

أو أنّ العرب تطلق الواحد وتريد الاثنين، كقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧] .

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] إلى الآية ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١] وبعدها قال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:٣٢] ما الحكمة في ربط حالة أول قتل على الأرض ببني إسرائيل تحديداً، مع أن هناك أمماً كثيرة حصل فيها قتل؟

الجواب:

يقال أول كتاب نزل فيه تعظيم القتل بهذه الدرجة هو التوراة، وأمّا الكتب الأخرى فلم ينزل فيها، مع أنّ التوراة سُبقت بكتب أخرى؛ لأنّ بني إسرائيل كانوا أشد طغياناً وجرأة في قتل الأنبياء، كما في الآيات: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ﴾ [آل عمران:١١٢]: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٩١] وأصبحت سمة عندهم ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ﴾ [آل عمران:١١٢] فبسبب هذه الفعلة العظيمة (عدم تورعهم عن قتل الأنبياء) جاء التحذير الشديد، وبنو إسرائيل لا يزالون على طبيعتهم، وقد حاولوا قتل الرسول ﷺ وهم مع المسلمين أمور كثيرة إلى آخر الزمان، الآن وفي المستقبل.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

في آية المائدة ٢٧ قوله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ لماذا قال تعالى في آية الأحقاف١٦: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ ولم يقل: (منهم)؟

الجواب:

١ـ في القرآن يستعمل (مِن) مع الجهة التي يُتقبل منها والتي يصدر عنها العمل، بمعنى: نحن الجهة التي يصدر من عندنا قبول العمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧]

٢ـ وعندما يقول: (عنهم) فهو يتكلم عن العمل نفسه .

وفي الآية لمّا ذكر العمل الصادر عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف:١٦] ذكر (عن) مع الشيء المتقبل في حد ذاته.

* شواهد قرآنية ﴿مِن﴾

ـ ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران:٣٥] .

ـ ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ [المائدة:٢٧].

ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٣٦].

السؤال الرابع:

في آية المائدة ٢٧ تكرر فيها حرف (القاف) عشر مرات، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

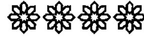
يشترط في فصاحة التركيب أنْ يَسْلَم من تنافر الكلمات مما يسبب ثقلها على السمع وعلى أدائها باللسان، مثال:

وقـــبرُ حـــربٍ بمكـــان قفـــرٍ   ولـــيس قـــربَ قـــبر حـــربٍ قبـــرُ

قارن ذلك مع قوله تعالى في آية المائدة ٢٧: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]

فقد تكرر فيها حرف القاف عشر مرات، ومع ذلك تحمل السلاسة والعذوبة والبيان بالرغم من ثقل حرف القاف.

إنه النظم القرآني واختيار حروفه وكلماته وآياته، فسبحان الله منزل الكتاب.



﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين طوَّعت: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة:٣٠] وسوَّلت ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ [طه:٩٦] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف:١٨]؟

الجواب:

١ـ (سولت) معناها زينت له، يقال: سولت له نفسه أي زينت له الأمر، ولا يحتاج ذلك إلى جهد .

٢ـ (طوّعت) أشد في المعنى، نحو: تطويع الحديد، ففيه جهد وشدة ومبالغة في الزمن، وكذلك في تطويع الوحوش وتذليلها، والطيور أيضاً تطويعها يحتاج إلى بذل جهد.

٣ـ التسويل لا يحتاج إلى مثل ذلك الجهد.

٤ـ لذا في قصة ابني آدم قال: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣٠] كان يفكر هل يمكن أنْ يقدم على قتل أخيه، فاحتاج وقتاً لترويض نفسه ليفعل هذا الفعل، وهو ليس كأي تسويل أو تزيين، بحيث تفعل الشيء بسهولة وأنت مرتاح، فالتطويع يحتاج إلى جهد حتى تروض النفس وتهيء لها الأمر.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ [طه:٩٦] في قصة السامري هنا بسهولة، وهذه أسهل من أنْ يقتل الواحد أخاه.

٦ـ لا يجوز في القرآن أن تأتي (طوعت) مكان (سولت)، أو العكس؛ لأن أحدهما أيسر من الآخر.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ لو قال الله تعالى: (فقتل أخاه) لعرفنا ما صنع، فلِمَ قال: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ ولم يقتصر على قتل أخيه دون الفعل ﴿فَطَوَّعَتْ﴾؟

الجواب:

عبّر ربنا في قوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ عن حدوث تردد في نفس قابيل ومغالبة بين دافع الحسد ودافع الخشية، فهذا الفعل ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ يدل على تردد طويل ثم إقدام على الفعل.



﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾

السؤال الأول:

لِمَ أرسل الله تعالى الغراب ولم يرسل غيره من الطيور؟

الجواب:

ناسب بعث الغراب إلى قابيل من بين الطيور لما يصيب الناظر إلى سواده من انقباض، وهذا ما يصيب الخاسر، فالخاسر والآثم يصيبه انقباض في نفسه.

السؤال الثاني:

متى تستعمل (يا ويلتنا) و(يا ويلنا)؟

الجواب:

١ـ (الويل) هو الهلاك عموماً والعذاب والحزن والمشقة، و(الويلة) هي الفضيحة والخزي.

* شواهد قرآنية: الويل بمعنى الهلاك:

- ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين:١]، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة:١]، ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤﴾ [الأنبياء:١٤]. الويل هو الهلاك.

- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون:٤] هذا للهلاك.

٢ـ (الويلة) هي الفضيحة والخزي.

* شواهد قرآنية: الويلة بمعنى الفضيحة:

- ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢﴾ [هود:٧٢] قالت: يا ويلتى، ولم تقل: يا ويلي، المرأة تقول: يا ويلي وإذا أرادت الفضيحة تقول: يا ويلتي .

ويمكن أن تستعمل الاثنين بالمنادى :

واجعل مضافاً صحّ إن يُضف لِيَا كعبدِ عبدِي عبدَ عبدَا عبدِيا

(يا عبدي، يا عبدِ، يا عبدَ، عبدا، عبديا)خمسة أصناف للإضافة .

- ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢﴾ [هود:٧٢] يا للفضيحة، وهذا بعلي شيخاً .

- ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف:٤٩] أي سيفضحنا، وكل الأفعال التي فعلوها ستظهر يا للفضيحة، وهناك أعمال هم لا يحبون

أن يطلع عليها أحد وستفضحهم،فقال: ﴿يَوَيْلَتَنَا﴾ لأنّ فيها أعمالاً وخزياً وفضيحة، وهم يحبون أنْ يستروها.

ـ ورد على لسان ابني آدم: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١] يا للفضيحة والخزي والعار؛ هذا الغراب فكّر أحسن مني.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الحسرة والندامة والتأسف؟

الجواب:

١ـ (الندم)هو جنس من أفعال القلوب يتعلق بفعل النادم دون غيره، وقد يندم على أمر وإنْ كان فواته ليس شديداً، والندم له درجات .

ـ في قصة ابني آدم قال: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١] هذا من الندم، لكن قد يبلغ الندم مبلغاً كبيراً.

- ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ [البقرة:١٦٧] أي: منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

٢ـ (الحسرة) هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً، والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم .

ـ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [المُلك:٤] حسير، أي: منقطع.

والحسرة هي أشد الندم بحيث ينقطع الإنسان عن أن يفعل شيئاً ينفعه، وقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ [يس:٣٠] هذه أكبر الحسرات على الإنسان وليس هناك أكبر منها. ويقولون: الحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه .

٣ـ (الأسف) يكون على الفائت من فعلك وفعل غيرك، والآسف هو الغضبان؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزُّخرُف:٥٥] أي: أغضبونا، وللعلم فإن استعمال(الغضب) في صفات الله مجاز وحقيقته إيجاب العقاب للمغضوب عليه.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ لِمَ عبّر قابيل عن فظاعة جرمه بنداء الاستغاثة ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾، ولم يقل يا أسفاه أو واحزناه؟

الجواب:

لأنه بفعله هذا قد استحق الويل والثبور، ولن يفيده الأسف والكمد والحزن .

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ



﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين نسبة الرسل إلى الله تعالى في آية المائدة ٣٢: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ونسبتهم إليهم في آية الأعراف ١٠١: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؟

الجواب :

١ـ عندما يذكر الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: ﴿رُسُلَنَا﴾ كقوله تعالى في آية المائدة ٣٢ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ هذه جاءت عن الله تعالى وذكر فيها أحكاماً.

٢ـ وعندما يتكلم بما يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: رسلهم. كقوله تعالى في آية الأعراف ١٠١: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

وفيها يتكلم عن موقف القوم من الرسل، وكان عليهم أنْ ينتفعوا بالرسل بدل تكذيبهم.

وهم في الحالتين رسل، لكن عندما يتكلم عما جاء به عن الله تعالى يقول: ﴿رُسُلَنَا﴾ وعندما يذكر موقفهم وما أصابهم وكان يمكن الانتفاع بهم يذكر ﴿رُسُلُهُم﴾ [يونس:١٣] أي: جماعتهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿أَوۡ فَسَادٖ﴾ في آية سورة المائدة ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟

الجواب:

كلمة ﴿أَوۡ فَسَادٖ﴾ معطوفة على ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ بمعنى (أو بغير فساد) أي: قتل النفس بغير أن تُفسد في الأرض لا يجوز.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ لِمَ قدّم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على قوله: ﴿لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾؟

ليلفت نظرنا إلى عِظَم الفساد، فهم يفسدون في الأرض التي بها حياتنا والنفس تنفر من إفساد ما به صلاحها.

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب تقديم وتأخير ﴿خِزۡيٞ﴾ في آية سورة المائدة ٣٣: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وآية المائدة ٤١: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾﴾؟

الجواب:

١ـ غيّر نظام الجملة لأجل المعنى.

٢ـ في آية سورة المائدة رقم ٣٣ ذكر عقوبات منظورة؛ فهي مُخزية: يعني هم يحملون خزيهم ظاهراً أمام الناس فقدّم الخزي.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ وكلمة الخزي مقاربة؛ لأنه منظور إليهم فيُرى هذا.

٣ـ بينما آية المائدة رقم ٤١ أجّلت عقوباتهم فتأخرت كلمة الخزي. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ والآية في المنافقين ثم الذين هادوا، وأخّر كلمة (خزي)؛ لأنه لا توجد عقوبات.

٤ـ و هذه اللمسات البيانية هي من دلائل نبوة محمد ﷺ؛ لأنّ الآيات متباعدة والسور متباعدة، لكننا نجد النظام واحداً، التقديم والتأخير والفاصلة كل ذلك من أجل المعنى.

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل المضارع ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ الفعل المضارع له أزمنة كثيرة، فقد يكون للماضي أو للحال أو الاستمرار أو الاستقبال، فهو إذن له زمن متّسع اتساعاً كبيراً، وهنا في الآية استعمل للمزاولة وليس بالضرورة ما كان في المستقبل فقط، ولو قال: (سعوا) لاحتمل أنْ يكون هذا الساعي تاب ولا يقام عليه هذا الأمر، لكنّ الذي هو مستمر هو الذي يُقام عليه الأمر.

٢ـ وقد ورد هذا الفعل ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ بصيغة المضارع في القرآن في الآيات الثلاث التالية:

آ ـ في آية سورة المائدة ٣٣: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ .

ب ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾ [المائدة: ٦٤] .

ج ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)﴾ [سبأ: ٣٨].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ من الذي يحارب الله؟ وهل يستطيع الإنسان محاربة ربه تعالى الله عن ذلك؟

الجواب:

(يحاربون الله) أراد يحاربون شرعه ويعتدون على أحكامه، وأمّا الله فلا قدرة لأحد على محاربته، ولكنْ جعل الله محاربة شرعه محاربة له عزّ وعلا؛ لتشنيع هذا الفعل منهم.

السؤال الرابع:

لماذا قدّم الخزي على الدنيا في آية المائدة٣٣، فقال: ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ وأخّره عنها في آية البقرة ١١٤ وآية الحج ٩، فقال: ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ﴾ [الحج:٩]؟

الجواب:

١ـ إنّ الخزي المذكور في آية المائدة أظهر للعيان مما في آيتي البقرة والحج، وهو ثابت لا يزول، بخلاف ما في آيتي البقرة والحج، فإنه غير ظاهر ذلك الظهور ولا ثابت ذلك الثبات.

فقد ذكر في آية البقرة أنهم لا يدخلون المساجد إلا خائفين، فالخوف قرين الدخول، فإذا انتفى الدخول انتفى الخوف.

ثم إنّ الخوف أمر قلبي غير ظاهر للعيان؛ لذلك فالخزي المذكور في آية المائدة أظهر وأشد .

٢ـ وفي آية الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِىَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنۡيَا خِزۡىٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾ [الحج:٨-٩] ولم يذكر الخزي الذي سيلحقهم في الدنيا.

٣ـ بينما التقتيل والتصليب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والنفي من الأرض أظهر خزياً وأشد عقوبة في الدنيا، فناسب تقديمه في آية المائدة .

والله أعلم.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ حيث ابتدأت الآية بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ ؟

الجواب:

الآية ابتدأت الآية بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ ولم يقل: فإنّ الله غفور رحيم، دون الفعل (اعلموا)؛ نظراً لاستعظام الإنسان هذا العفو رغم ما أتى به الجاني، فالفعل ﴿عَلِم﴾ أتى ليدلنا على أهمية الخبر.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾، لماذا قال: ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل: (بهما)؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ قال: ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل (بهما)، مع أنّ الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ تعود على أمرين ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ لأنّ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى قوله: ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ ؛لأنّ ذلك المثل شمل ما في الأرض أيضاً، فلم تبق جدوى لفرض الافتداء بما في الأرض.



﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ في آية سورة المائدة؟

الجواب:

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ ولم يقل: (والله غفور رحيم)؛ لأنه تعالى لو قال: (غفور رحيم) لدلَّ على أنه ما قطع، ولكنه تعالى عزّ فحَكَمَ فقَطَع .

السؤال الثاني:

ما دلالة الجمع في قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ولم يقل: يديهما؟ وهل أقل الجمع اثنين؟

الجواب:

هذا سؤال لغوي نحوي، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ لم يقل (يديهما)؛ لأنّ الأفصح في اللغة جمع المضاف إذا أضيف المثنى إلى متضمنه.

السارق والسارقة اثنان، وهما مذكوران في الآية، واليد متضمنة في الشخصين، فلم يقل (يديهما) وإنما قال: (أيديهما) بالجمع، والعرب تقول: أكلت رؤوس الكبشين (لا رأسي الكبشين). وتقول: (ظهور الترسين) ظهور جمع و(الترسين) مثنى، وهذاهو الأفصح في اللغة، وهذا مقرر في كتب اللغة وكتب النحو. وهذا يرد كثيراً في اللغة إذا أضيف المثنى إلى متضمَّنه فالأفصح جمع المضاف .

وقد ورد ذلك في القرآن في أكثر من موطن، كقوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ﴾ [التحريم:٤] ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].

السؤال الثالث:

في آية المائدة ٣٨ قدّم السارق على السارقة، وفي آية النور ٢ قدم الزانية على الزاني، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قد يكون التقديم والتأخير بحسب الكثرة والقلة، كما هو الحال في هذا السؤال .

٢ـ في آية المائدة قدّم السارق على السارقة؛ لأنّ السرقة في الذكور أكثر وهي مظنة فعل الرجال .

٣ـ في آية النور قدم الزانية على الزاني ؛ لأنّ الزنى فيهن أكثر وهو مظنة فعل النساء، ألا ترى أنّ قسماً من النساء يحترفن هذه الفعلة الفاحشة؟ وأنّ الزنى الأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع والكلام؛ ولأنّ مفسدته تتحقق بالاضافة لها .

وقوله تعالى في آية النور ٢ : ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾ ولم يقل: فاضربوا؛ للإشارة إلى أنّ الغرض من الحد الإيلام، بحيث يصل ألمه إلى الجلد ردعاً له وزجراً .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ ما دلالة الفعل (كسب) في اللغة والقرآن الكريم؟

الجواب:

الناحية اللغوية:

الفعل (كسب) ومشتقاته ورد في القرآن الكريم في ٦٧ آية، وفي المعاجم وفي متداول الناس أنّ الكسب بشكل عام هو طلب الرزق والربح والمال .

المعنى القرآني الاصطلاحي:

يستعمل القرآن هذا الفعل (كسب) في معنى مغاير تماماً، فهو يستعمله أحيانا بمعنى: اقتراف فعل السوء والقيام بالأعمال المنكرة. انظر الآيات: [المسد ١ـ٢ الروم ٤١ ـ الشورى ٣٠ ـ المائدة ٣٨].

لماذا اختص الله تعالى هذه الكلمة بهذا المعنى؟

أهو تحذير للإنسان من الانخداع بهذه الحياة الدنيا؟ !!!.

أهو تنبيه من الله على أنّ الكسب مقترن بهوى النفس، والنفس تميل غالباً إلى اقتراف الإثم، ما لم تردعها رقابة قلبية تذكرها بتقوى الله؟ !!!!

والنفس تميل إلى الكسب السريع في مجال المال وفي مجال المتعة الجسدية، فلعلّ الربط بين دلالة الكسب والإثم تذكير للمرء بعاقبة عمله، وربما يشفع لهذا الفهم قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] حيث ذكرت الكسب معادلاً للاكتساب .

ولكأنما الأصل أن يكون الكسب طيباً، حيث ورد هذا المعنى في آية واحدة فقط في القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:٢٦٧] .

أَوَلا يستدعي هذا الاستعمال القرآني لكلمة (كسب) مزيداً من التأمل والبحث، عسى أن تنكشف للمرء أسرار جديدة وحكم بالغة !!!!!!



﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿وَيَغْفِرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة:٢٨٤] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٨.



﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال:٦٤] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]؟

الجواب:

١ـ النبي أعم من الرسول، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والرسول هو الذي أمر بابلاغ الرسالة لقومه، بينما النبي قد يكون برسالة أو بدونها.

٢ـ الرسول من الرسالة والتبليغ حتى لو لم يكن نبياً: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم:١٩] **فالرسول معه رسالة تبليغ وكُلّفَ بتبليغها.**

٣ـ يستعمل القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ في التبليغ والدعوة إلى الله.

٤ـ يستعمل القرآن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] في التبليغ والأمور الشخصية.

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فالنبي أعم وقد يكون رسولاً، فقد يستعمل في جانب الرسالة والدعوة والتبليغ، وقد يستعمل في جانب آخر في الجانب الشخصي في غير التبليغ.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] تبليغ .

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة:٤١] تبليغ.

ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال:٦٥] تبليغ .

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال:٧٠] تبليغ .

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [التوبة:٧٣] تبليغ .

ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨] تبليغ الأزواج .

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١] هذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه، إذن ﴿النبي﴾ عامة.

السؤال الثاني:

ما دلالة مناداة الله عز وجل لعبده محمد ﷺ في الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] ولم يناد أحداً من رسله مثله، بل ناداهم بأسمائهم؟

الجواب:

أشرف من ناداهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هم رسلُه، لكننا نجد أنه نادى كل الرسل بمشخّصاتهم العَلَمية، نحو ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة:٣٣] أي: بأسمائهم، والاسم لا يعطي وصفاً إلا تشخيص الذات بدون صفاتها .

فقد نادى الحق إبراهيم عليه السلام ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الصافات:١٠٤] ونادى نوح عليه السلام بقوله: ﴿يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨] ونادى موسى عليه السلام بقوله: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص:٣٠] ونادى عيسى عليه السلام بقوله: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٠] .

كل الرسل ناداهم الحق بالمشخّص العَلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص ولكنّ رسول الله ﷺ ما ناداه باسمه أبداً، إنما ناداه بالوصف الزائد عن مشخصات الذات، فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤].

حقاً إنّ الجميع رسل، ولكنه سبحانه يريد أن يبلغنا أنّ محمداً ﷺ هو الرسول الذي جاء ناسخاً للكل ومؤمناً بالكل، وهو الذي يستحق النداء بالوصف الزائد عن مشخصات الذات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ وهو الرسول الذي تقوم عليه الساعة ؛ ولذلك

نجد خطاب الحق لرسوله دائماً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ أو ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال:٦٤] وهذا نوع من التكريم.

السؤال الثالث:

ما سبب تقديم وتأخير ﴿خِزۡىٌ﴾ في آية سورة المائدة ٣٣: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡىٌ فِى ٱلدُّنۡيَا وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وآية سورة المائدة ٤١: ﴿لَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا خِزۡىٌ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٣٣.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٣.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (المقسطين) و(القاسطون) في آية المائدة ٤٢: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وآية الجن ١٥: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾؟

الجواب:

١ـ (القاسط) هو الجائر والظالم من (قَسَطَ) بمعنى جار وظلم، و(أقسط) بمعنى عَدَل وأزال القَسط، أي: الجور، فـ(المقسِط) هو العادل و(القاسط) هو الظالم الجائر، و(أقسط) هذه تسمى همزة السلب، أي: سلب المعنى إلى معنى آخر مثل: جار وأجار، جار ظلم، وأجار أزال الظلم .

٢ـ (القاسط) هو الجائر الظالم، و(القَسْط) بفتح القاف هو الجور والظلم بعكس (القِسط) بكسر القاف وهو العدل.

٣ـ هناك: قاسطون ومقسطون:

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢] أي العادلون .

ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٥] القاسطون الجائرون.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ما ﴿السحت﴾؟ وما دلالة كلمة ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية؟

الجواب:

السحت هو الحرام جميعه كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم، وأصل السحت (سَحَته) إذا أتلفه واستأصله، وسمي به الحرام؛ لأنه لا يبارك فيه لصاحبه فهو مسحوت وممحوق.

وقوله تعالى في الآية: ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ استعمل الله كلمة ﴿شَيْـًٔا﴾ دون غيرها، وهو لفظ مبهم لا دلالة محددة له ونُكّر هذا اللفظ، فقال: ﴿شَيْـًٔا﴾ للتحقير والتقليل من الإيذاء، أي: لن يضروك بأي شيء مهما صَغُر وقلّ.



﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل بقوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؟

الجواب:

(الثمن القليل) جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ فهو ثمن قليل. قال تعالى:

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فحيثما ورد الكلام عن شراء هؤلاء لآيات الله سبحانه وتعالى وصفه بأنّ هذا الذي استلمتموه هو قليل لا يستطيع أحد أن يقابله بآيات الله سبحانه وتعالى، فكان لا بد من وصفه بالقليل.

وفي تسع آيات في القرآن الكريم وصف الثمن بأنه قليل؛ تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، وهي تتحدث عن الشراء بثمن قليل: إمّا أن ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك، وما قبضوه قليل.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾؟

الجواب:

هناك قصة لها مغزى، قال القاضي عياض: كان أبو الحسن بن المنتاب عند القاضي إسماعيل بن إسحق فسأله: لِمَ جاز التبديل أي: تبديل كلام الله على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: لأنّ الله تعالى قال في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ فوكل الحفظ إليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩] فتعهد الله بحفظه، فلم يجز التبديل على أهل القرآن.

السؤال الثالث:

ما دلالة اختلاف التعقيب في هذه الآيات مع أنّ أولها واحد: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾؟ وما الفرق بين: ﴿الظالمون والفاسقون والكافرون﴾؟

ومن المراد من الذين وصفهم الله بهذه الأوصاف الثلاثة؟ وما دلالة اختلاف التعقيب في هذه الآيات مع أنّ أولها واحد؟

الجواب:

أولا: (الظلم) هو مجاوزة الحد وأكثر ما يتعلق بالآخرين، و(الكفر) هو الخروج عن الملة، و(الفسق) هو الخروج عن طاعة الله تعالى، وهو أعم .

والظلم درجات، ومنها أخذ حقوق الغير، وأعلاها الكفر، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤] و ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣] فالظلم إذن له مراتب أعلاها الكفر.

ثانياً: (الفسق) هو الخروج عن طاعة الله تعالى، وله مراتب مأخوذة من (فسقت الرطبة) أي خرجت من قشرتها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠] أي: خرج عن الطاعة.

آ ـ الفسق مراتب: وكل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً، كما أنّ كل ظالم فاسق وليس كل فاسق ظالماً، وله مراتب حتى يصل إلى الكفر.

قال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧]: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥]: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦] أي: خرجوا عن الطاعة.

ويستوي الظالم مع الفاسق في الخروج عن الطاعة، لكنّ الظلم أكثر ما يتعلق بالآخرين، والفسق أعمّ. وإبليس فاسق وبالفسق وصل إلى مرتبة الكفر.

ب ـ وأحياناً الفسق ليس فيه كفر، كما في آية البقرة ١٩٧ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ .

ج ـ ربنا تعالى ذكر الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله، ووصفه مرة بالكفر، كما في الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ومرة بالظلم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ومرة بالفسق: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وهو لا يخرج عن واحد من هؤلاء.

وترتيب الصفات: (الظلم ثم الفسق ثم الكفر) فالذي لا يحكم بما أنزل الله هو قطعاً أحد هؤلاء .

وحتى تشمل جميع حالات ترك الحكم، فقد يكون الذي دعاه إلى أمر آخر لا يخرجه عن المِلّة، ولكن لسبب أقوى منه، لكنه في كل الحالات لا يخرج عن كونه إما فاسقاً أو ظالماً أو كافراً.

أهم النقاط في الآيات (٤٤:٤٧):

١ـ اليهود هم: كافرون، وهم: ظالمون؛ لعدم إعطائهم القصاص لصاحبه، وهم: فاسقون؛ لتركهم حكم الله عمداً مع اعتقاد الإيمان، فهم فاسقون.

٢ـ قوله تعالى في الآية ٤٤: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾، وبالطبع جميع الأنبياء مسلمون، فما فائدة الصفة وهي معلومة؟

والجواب: هذا رد على الذين قالوا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٤٠] فكذَّبهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ .

٣ـ في الآية (٤٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فناسب ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .

٤ـ في الآية (٤٥) قوله تعالى: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: الأحكام بين الناس والمطلوب تطبيقها على الناس بدون محاباة، وإلا حصل الظلم للناس، فناسب ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

٥ـ في الآية (٤٧) جاء قوله تعالى: ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ؛لأنّ الفسق أعم من الظلم، والفاسق أعمّ من الظالم، وليس بالضرورة أن يتعلق بظلمه للآخرين، فالإنسان إذا لم يصلِّ ولم يَصُمْ يكون ظالماً لنفسه، ويقال له: فاسق، وليس ظالماً بمعنى الظلم لغيره.

والرسول ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا**» وملكة سبأ قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل:٤٤] وآدم وحواء عندما أكلا من الشجرة قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] فالفسق أعمّ. وأهل الفقه هم الذين يرتبون هذه الصفات الثلاث.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية المائدة ٤٤: ﴿أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ ما دلالة كلمة ﴿وَنُورٌ﴾ وكلمة ﴿وَضِيَاءً﴾ [الأنبياء:٤٨]؟ وهل يمكن استخدام الضياء في آية النور٣٥ حيث إنّ الضياء أقوى؟

الجواب:

١ـ لغة: كلمة (النور) عامة و(الضياء) حالة من حالات النور، فالنور أعم من الضياء، والضياء حالة من حالات النور، فإنْ اشتد النور فهو ضياء وإن لم يشتد فهو نور، لذلك نقول: الشمس ضياء والقمر نور.

٢ـ هناك أنواع من النورلا نعرفها، كما في الحديث الشريف: «**المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة**». وكذلك قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] قالوا: هذه البطائن، فما الظواهر؟ قالوا: هي من النور الجامد، وهذه حالة لا نعلمها.

لذلك نرى أنّ النور مطلق وأوسع من الضياء، والضياء حالة من النور.

٣ـ في آية النور (٣٥) هذا مثلٌ لتنوير الله للمنوَّر، وليس مثلاً لنور الله؛ لأنّ نور الله لا يُحد، وما نحيا به من نور الدنيا إنما هو من متعلقات نوره سبحانه، بدليل أنه في يوم القيامة لا تكون هناك شمس تنير ولا قمر يضيء إنما كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر:٦٩] وقوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان:١٣].

وفي الدنيا نعيش بالأسباب المخلوقة من الله تعالى لنا، أمّا في الآخرة فنعيش مع المسبب مباشرة.

٤ـ لذلك لا يصح أنْ نصف الله سبحانه بحالة جزئية، بل نصفه بـ (النور) فالله سبحانه مطلق ونصفه بالمطلق، والله هو النور المطلق والنور المطلق هو الله سبحانه.

٥ـ في القرآن الكريم تجد أنه استخدم (النور) للعموم و(الضياء) للخصوص، وكل كلمة عاشقة لمكانها، ويجب أن نتأمل في السياق ليتضح لنا الأمر.

٦ـ ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره**» وفي بعض الروايات: سبع مئة، وفي بعضها: سبعون ألفاً. والله أعلم.

السؤال الخامس:

وصف الله تعالى التوراة مرة بأنها (ضياء)، ومرة بأنها (نور) كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء:٤٨-٤٩].

ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة:٤٤].

ـ ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام:٩١].

والسؤال: لماذا وصف التوراة مرة بـ (النور) في آية المائدة٤٤ ومرة بـ (الضياء) في آية سورة الأنبياء ٤٨؟ ولماذا استخدم لفظة (نوراً) في آية الأنعام ٩١؟

الجواب :

١ ـ لغة: كلمة (النور) عامة و(الضياء) حالة من حالات النور، فالنور أعم من الضياء والضياء حالة من حالات النور، فإن اشتد النور فهو ضياء وإن لم يشتد فهو نور، لذلك نقول: الشمس ضياء، والقمر نور .

٢ـ جاء في آية الأنبياء ٤٩: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وهؤلاء هم (المتقون)، وهم في حالة من حالات النور، بينما جاء في آية المائدة ٤٤ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، وهم طبقة عامة من المؤمنين.

والسؤال: أيهما أعم: (الذين هادوا) أم المتقون؟ بالطبع الذين هادوا طبقة عامة من المؤمنين، أمّا (المتقون) فهم طبقة مخصوصة منهم وهي أعلى المذكورين .

لذلك جاء وصف النور مع الأعم: آية المائدة ٤٤، ووصف الضياء مع الخصوص: آية الأنبياء ٤٨، فناسب العموم للعموم والخصوص للخصوص.

٣ـ آية الأنعام ٩١: جاء فيها عن التوراة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾، فلما قال: ﴿لِّلنَّاسِ﴾ أي: هو للعموم وأعم من المتقين، فناسب استخدام (النور). والله أعلم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في ختام آية المائدة ٤٤: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وجاء بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ وكرر نفس الموضوع في آيتي المائدة[٤٥ـ ٤٧]فما معنى ضمير الفصل؟

الجواب :

١ـ ضمير الفصل قالوا: أنه يفصل الخبر عن المبتدأ، وهذا أصل التسمية، وذلك حتى يعلم أنّ الذي بعده خبر وليس صفة، لأنه أحياناً يأتي للسائل أن هذا صفة وبعده خبر .

٢ـ قولك مثلاً: هذا القصص الحق، يحتمل أنْ يكون القصص صفة، لذلك فيها التباس .

فإذا أردنا أنْ نجعل القصص هو الخبر وليس الصفة نقول: هذا هو القصص الحق، والحق تكون صفة .

وإذا أردنا أنْ نقرر حتماً أنّ القصص ليس خبراً نقول: هذا القصص هو الحق فيكون الحق هنا خبر للقصص.

٣ـ ضمير الفصل في الغالب يفيد القصر الحقيقي أو الادعائي (تدعي أن فلاناً شاعر مثلاً وهو ليس بشاعر) أو التوكيد.وأهم أغراضه:

١ـ الإعلام أن ما بعده خبر لا تابع .

٢ـ الاختصاص والقصر: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران:١٠] ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور:٤].

٣ـ التوكيد: وهو أنواع:

آـ توكيد القصر الحقيقي: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

ب ـ التوكيد على جهة المبالغة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣].

ج ـ توكيد معنى المقايسة، كقولك: الشاعر هو البحتري، وكقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٠٥﴾ [النحل:١٠٥] فالكاذبون كثيرون، ولكن هؤلاء أولى من يسمى بهذا الاسم.

د ـ توكيد معنى الكمال ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] .

السؤال السابع:

قوله تعالى في الآية ٤٤: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ بالطبع جميع الأنبياء مسلمون. فما فائدة الصفة وهي معلومة؟

هذا رد على الذين قالوا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: فكذَّبهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ .

قوله تعالى في آيتي المائدة ٣ و ٤٤: ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ بحذف الياء، بينما قال: ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠] بذكر الياء في آية البقرة ١٥٠، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٥٠.

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٥) ﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الكتابة هنا هي الفرض والتشريع، بدليل تعديته الفعل (كتبنا) بحرف الجر﴿عَلَيْهِمْ﴾ .

السؤال الثاني:

لِمَ اقتصرت الآية على هذه الأعضاء وهي: العين والأنف والأذن والسن، ولم تذكر غيرها؟

الجواب:

اقتصرت الآية على هذه الأعضاء دون غيرها؛ لأنّ القطع يكون غالباً عند التصادم والمضاربة بقصد قطع الرقبة، ولكن قد ينبو السيف عن طريق الرأس فيصيب بعض الأعضاء المتصلة به من عين أو أنف أو أذن أو سِنّ.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما مدلول قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ ما التقفية؟

الجواب:

١ـ التقفية هي الاتباع، ومأخوذة من (قفّاه) إذا أتى بعده، وهي مشتقة من القفا، أي: الظهر، ومثله (توجّه) مشتقاً من الوجه، و(تعقّب) مشتقاً من العقِب.

٢ـ أتى بكلمة (آثارهم)؛ ليدلنا على سرعة التقفية، فقد أرسل عيسى عقب زكريا كافل أمه مريم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما مدلول ذلك؟

الجواب:

هو كناية عن تقدم التوراة عليه، أي: على الإنجيل، فنحن نقول للأمر الذي يتقدمنا: هو بين أيدينا.

السؤال الثالث:

في آية المائدة ٤٦ وصف الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ولم يقل ذلك في آية الحديد٢٧، فما السبب؟

الجواب:

آ ـ الهدى والنور هو عام في الكتب السماوية كلها .

ب ـ في الآية (٤٥)عندما ذكر التوراة ذكر بعض الأحكام فيها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ثم جاء بعدها في الآية (٤٦) فذكر التوراة وذكر الإنجيل وذكر أنّ فيها هدى ونور: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فذكرهما في سياق واحد.

أما في آية الحديد فلم يذكر أحكاماً، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في ذكر الصيغ المختلفة للمسيح عليه السلام: المسيح ـ عيسى ـ عيسى ابن مريم في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٥.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ
إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال (اسم المصدر) و(اسم الآلة) في قوله تعالى في سورة المائدة آية ٤٨:
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾؟

١ـ ليس في الآية اسم مصدر ولا اسم آلة، لأن الشِّرعة ليست اسم مصدر والمنهاج ليس اسم آلة.

٢ـ (الشِرعة) في اللغة هي الطريق الموصل إلى الماء، والشريعة هي الماء عند العرب، فالعرب تُسمي شريعة لمورد الماء الذي لا ينقطع، وسبب التسمية أنّ الماء به سبب الحياة الفانية، والدين سبب الحياة الأبدية، فالماء والشريعة هما للريّ والتطهر، فالربط بينهما على أنّ كليهما سبب الحياة.

والشرعة والشريعة هي الماء الكثير من نهر أو وادٍ، فنقول مثلاً: شريعة الفرات، ومن ثم سميت الديانة شريعة تشبيهاً لها بالماء العذب؛ لأنّ فيها شفاء النفوس وطهارتها، و(المنهاج) هو الطريق الواسع الذي يوصلك إلى الشرعة العذبة.

٣ـ أما صيغة (مفعال) فلا تختص بالآلة، فقد تكون آلة (مهباج) وقد تكون مصدراً (مرصاد) وقد تكون للوقت (ميقات)، وتستعمل للدلالة على المكان الذي يُضرب للحج (ميقات – مواقيت الحج).

فالمنهاج هو الطريق الواضح المستقيم، وهذا غير السبيل. فلمّا قال تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قصد ما فيها من سبب الحياة الباقية والطريق الموصل إليها.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾؟

الجواب:

وصف الباري سبحانه وتعالى القرآن بهذه السمة؛ ليبين لنا حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع ومقرر له، وهو بهذا الوصف مصدِّق، وهو مبطل لبعض ما في الشرائع السابقة، وناسخ لأحكام كثيرة منها؛ فهو مهيمن.

السؤال الثالث:

كلمتا (يختلفون وتختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ

﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل:٧٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة:٤٨] ما كُنه الاختلاف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١١٣.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية بين ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ كما في هذه الآية و(أنزلنا عليك)؟

الجواب:

١ـ لفظ (إلى) يستعمل في القرآن الكريم مع العاقل، كما في الآية: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة:٤٨].

٢ـ لفظ (على) يستعمل للعاقل وغير العاقل، كما في الآيات: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ [الحج:٥].

كما تستعمل في العقوبات كما في الآيات: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ [البقرة:٥٩] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء:٤].

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ ما كلمات منظومة الطريق في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما إعراب الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ﴾ في الآية؟

الجواب:

الهمزة: حرف استفهام. والفاء حرف استئناف، وحُكمَ: مفعول به مقدم منصوب. وقد قُدمت همزة الاستفهام؛ لأنّ لها الصدارة .

ونظير ذلك الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ في آيات [مريم ٧٧ـ الشعراء ٢٠٥ـ الجاثية ٢٣].

وكذلك الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ في آيات [الشعراء ٧٥ ـ الزمر ٣٨ ـ النجم ١٩، ٣٣ والواقعة في الآيات: ٥٨ـ ٦٣ ـ ٦٨ ـ ٧١].

وتكون (الفاء) إمّا عاطفة أو استئنافية حسب موقعها من السياق. والله أعلم



﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ و ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ ورد في القرآن التركيب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ خمس مرات، وهي كالتالي:

المائدة ٥١ : في أهل الكتاب.

الأنفال ٧٢: في المؤمنين.

الأنفال ٧٣: في الكافرين.

التوبة ٧١: في المؤمنين.

الجاثية ١٩ : في الظالمين.

٢ ـ ورد التركيب ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ مرة واحدة في آية التوبة (٦٧) في المنافقين.

٣ـ أصحاب المبادىء والعقائد والفكر أياً كانوا يوالي بعضهم بعضاً: (المؤمنون ـ الكافرون ـ أهل الكتاب).

أمّا المنافقون فلا مبدأ لهم ولا عقيدة ولا فكر، ولا يلتزمون بشيء ولا يؤتمنون على شيء، فبعضهم من بعض، أي: لا يوالي بعضهم بعضاً، ولا يثق بعضهم في بعض؛ لذلك لا تصل علاقاتهم إلى درجة الولاية والتصديق فهم يميلون مع الريح ولا يثبتون على مبدأ، ويتلونون كل يوم بلون وفق مصالحهم المختلفة .

والمنافقون ليسوا بمتناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة فكان بعضهم يهوداً وبعضهم مشركين.

والكافر شجاع صريح ويقول: هو كافر، أمّا المنافق فجبان خوّاف وإلا لمّا كان منافقاً فهو يدور مع مصلحته فقط فلا تستقيم مع المنافق موالاة؛ لأنّ الموالاة تقتضي المعاونة والنُصرة والمصارحة، لذلك ليس لديه موالاة حتى لمنافق آخر.

ومن هنا تكلمت سورة البقرة عن المؤمنين في ست آيات وعن الكافرين في ثلاث آيات وعن المنافقين في (١٤) آية؛ لأنهم ليس لديهم موالاة ولا مناصرة، ويتخلى المنافق عن أقرب منافق له إذا رأى القوة اتجهت ضد ذاك المنافق .



﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ؟

الجواب :

عبّرت الآية عن النفاق بالمرض؛ لأنّ المرض يفسد الجسد، والنفاق يفسد الإيمان، ولأنّ المريض مضطرب والمنافق مضطرب قلقٌ متألِّم.

السؤال الثاني :

ما المقصود بقوله تعالى في الآية ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ ﴾ ؟

الجواب:

الدائرة من (دار) إذا عكس سيره، فهي تدل على تغيّر الحال، وغالباً ما تدل على تغيّر الحال من خير إلى شر، فقول المنافقين: ﴿تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: تصيبنا دوائر الدهر؛ وهي المصائب.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿فَعَسَى﴾ في القرآن الكريم، كما في هذه الآية ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾؟

الجواب:

١ـ (عسى) في القرآن للترجي وللتوقع، ومن معناها الطمع فيما يستقبل والإشفاق أنْ لا يكون، والفيصل في تحديد المعنى هو السياق .

٢ـ والكثير في خبرها أنْ يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأن، وذلك أنها لمّا كانت للاستقبال جاؤوا بأنْ الدالة على الاستقبال فأدخلوها على الخبر، فإذا أرادوا أنْ يقربوها من الحال حذفوا (أن)، وهو قليل .

ولذلك يفهم أنّ الحرف (أنْ) مؤذن بتراخي الفعل.

واستعملت (عسى) على وجهين:

أ ـ فعل ماض جامد مسندٍ إلى اسم ظاهر، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء:٨] وهنا للترجي، أو إلى ضمير بارز، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [محمد:٢٢] وهنا للتوقع.

ب ـ فعل ماض جامد مسندٍ إلى (أنْ والفعل)، كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:٢١٦].

٣ـ قسم من المفسرين يقولون: ﴿عَسَىٰ﴾، في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنّ الكفار قالوا: ﴿عَسَىٰ﴾ انظر:[الشعراء ١٢٩ـ طه ٤٤ـ غافر ٣٦].

٤ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجب، وليست في القرآن واجبة. الآيات: [المائدة ٥٢ـ الأعراف ١٢٩ ـ التحريم ٥].

٥ـ قسم قالوا: ليست من الله واجبة، وإنما يذكرها الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله: [الأنفال ٤٥].

وقال بعضهم: بشكل عام في القرآن الكريم تأتي ﴿عَسَىٰ﴾ من الله بمعنى الحصول والتأكيد. والله أعلم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ ما أخوات لفظة (دار) في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي: حف ـ حصر ـ حاق ـ طاف ـ دار ـ دال .

الحف:

هو الحفاوة من بعيد ولا يقترب من المُحتفى به لمهابَته، كالرئيس والوجيه يُسقبل استقبالاً رسمياً، ويقف الناس على حافة موقعه.

* شواهد قرآنية:

﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف:٣٢] .

الحصر:

هو المحاصرة والتضييق، وهو عقاب.

* شواهد قرآنية:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥].

حاق وطاف:

(حاق): أحاط بشيء بثبات فلا يتحرك، أمّا (طاف)، فهو متحرك مثل الطواف حول الكعبة.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الصافات:٤٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف:٢٠١] الشيطان يدور على الإنسان يريد اقتناصه.

دار ـ دال:

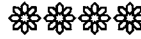
دار: من الدائرة والهزيمة أو الضيق.

دال: من التداول.

* شواهد قرآنية:

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨] ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ [التوبة:٩٨] ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة:٥٢] .

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠] ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:٧] .



﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

الجهد هو التعب ومنتهى الطاقة، وفي هذه الجملة أضيف الجهد للأيمان ليدلنا على غلظة الإيمان وتوكيدها، أي: أقسموا أقوى قَسَم.

السؤال الثاني:

ما دلالة اجتماع (اللام وإنّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ ؟

الجواب :

اجتماع (إن واللام) سيؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها أو باللام وحدها.

* شواهد قرآنية:

آيات سورة يس ١٣ـ١٧ :

في المرة الأولى قالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس:١٤] بدون اللام، غير أنهم لمّا أوغلوا في تكذيبهم جاؤوا باللام مع (إنّ) زيادة في التوكيد ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٦] .

آية الأنعام ١٦٥ :

جاءت بدون اللام ﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ ؛ لأنّ العقاب هنا آجل بدليل قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾ فاكتفى بتأكيد ﴿إِنَّ﴾ .

آية الأعراف ١٦٧ :

قال هنا: ﴿لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧] أي: بالتوكيد بإنّ واللام؛ وذلك لتأكيد سرعة العقاب؛ لأنّ العقاب هنا عاجل لبني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ، وهو في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

آيتا المائدة [٥٣ ـ ١٠٧]:

قال في الآية ١٠٧: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ باللام وحدها.

وقال في الآية ٥٣: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بإنّ واللام.

والسبب يعود لاختلاف القسمين، فالقسم الثاني فيه مبالغة أكبر بدليل قوله تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ﴾، فلمّا بالغوا في القسم بالغوا في التوكيد.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾؟

الجواب:

في هذه الآية وجهان من الدلالة، لا سيما أنها نزلت في أواخر حياة النبي ﷺ:

١ـ الأول: فيها إيماء إلى ما سيكون من ارتداد كثير من العرب عن الإسلام كأصحاب الأسود العنسي.

٢ـ الثاني: إيذان بمحبة الله لأبي بكر رضي الله عنه، فعندما ارتدت العرب عن الإسلام لم يتصد لها إلا أبو بكر، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾؟

الجواب:

أثبت الله تعالى لهؤلاء القوم صفتين متقابلتين، وهما العزة والذلة حسب مقتضى الحال، وهذا ما يسمى الطباق، وهو تقابل اللفظين كالليل والنهار والذل والعزّ.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤] ـ لماذا عدّى الفعل بـ (على) بدل (اللام)، كما يقال: هو ذليل له، ولا يقال: هو ذليل عليه؟.

الجواب:

لقد عَدَلَ عن التعدية باللام إلى التعدية بـ (على)؛ لأنّ المعنى يقتضي ذلك إذ لو عداه بـ (اللام) لكان ذماً لا مدحاً، فقولك: (هو ذليل له) يفيد الذم، وهو ههنا في مقام المدح، فجاء بـ (على) للإشعار بالذلة المستعلية وللدلالة على خفض الجناح، كما قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر:٨٨] أي: هم يتواضعون مع علو جانبهم وارتفاع مكانتهم، فجاء بـ (على) للإشعار بالعلو بخلاف ما لو قال: (أذلة للمؤمنين)؛ لذلك فالمعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم.

وفي آية البقرة (٥) و آية النمل (٧٩) أمثلة على استعمال حرف الجر (على)، وهو يشعر بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق، فتأمل ذلك، ففي (على) ما ليس في (إلى).

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ الفعل (يرتد) هو فعل الشرط مجزوم، فلماذا فتحت الدال؟

الجواب:

أصل الفعل هو ثلاثي (ردّ) مضعف، وإذا جُزِم وكان مضموم العين في المضارع مثل: [عدّ يعُدّ وشدّ يشدّ وردّ يرُدّ] إذا جُزم ففيه أربعة أحوال:

١ـ (الإدغام والفتح)، كأن نقول: لن يضُرَّك، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ جاء الفعل﴿يَرْتَدَّ﴾ بالفتح وهو مجزوم، فالتقى ساكنان، فعندما أدغمنا الثاني فلا بد من الحركة. لذلك الفعل: ﴿يَرْتَدَّ﴾ مجزوم، وعلامة جزمه السكون، لكنْ حُرِّك لالتقاء الساكنين، وحُرِّك بالفتحة؛ لأنها أخف الحركات.

٢ـ (فكّ الادغام مع التسكين)، نحو: ﴿يُشَاقِقِ﴾ [الأنفال:١٣] ﴿يَرْتَدِدْ﴾ [البقرة:٢١٧]، ومثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال:١٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

[البقرة:٢١٧]، وهذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

٣ـ (الإدغام مع الكسر)، مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر:٤].

٤ـ (الإدغام مع الضمّ)إذا كانت العين مضمومة، مثل [يضُرَّ، يعُدَّ، يمدَّ] يصِحّ أن نقول: [لم يضرُّ - لم يعدُّ - لم يمدُّ].وكذلك: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ .

وفى الآية: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران:١٢٠] الفعل ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ليس مرفوعاً، ولكنه مجزوم وعلامة جزمه السكون، وحُرِّك لالتقاء الساكنين، وكانت الحركة الضمّ للاتباع، هذا من ناحية التفصيل النحوي.



﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة (الولي) الواردة في سورة المائدة (٥٥)؟وما المراد منها؟

الجواب:

(الولي) تستعمل للتابع والمتبوع والناصر، و(الوليّ) هو التابع المحب الذي يتولى أمره، والولي هو الناصر، يعني: الله ولينا ونحن أولياء الله، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧] فهو يتولى أمرهم، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢].

والولي تستعمل للفاعل والمفعول، وتسمى من الأضداد. يقال: مولى رسول الله، والله مولانا، وهناك كلمات كثيرة في اللغة العربية تستعمل في هذا، وهي واضحة في اللغة وفي الاستعمال القرآني.



﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل وردت كلمة (حزب) في القرآن بصيغة الجمع؟

الجواب :

وردت كلمة: (حزب وأحزاب) بصيغة الإفراد والجمع .

١ـ (حزب): بالإفراد: وردت في سياق إيجابي ﴿حِزۡبَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:٢٢] وغير إيجابي ﴿حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المجادلة:١٩] وربما دلَّ ذلك على أنّ الخير والشر في صراع مستمر في هذه الحياة.

٢ـ (أحزاب): بالجمع: فقد وردت ١١مرة في معاني الشر كله، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف ٦٥].



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

جاء في آية المائدة ٥٧ و في آية آل عمران ١٨٦: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، بينما جاء في آية البقرة ٥٣: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:٥٣]، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

في هذا الباب وما نراه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فإنه على العموم إذا كان المقام مقام مدح وثناء أظهر الله ذاته ونسب إتيان الكتاب إلى نفسه، فيقول: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٢١] وإذا كان المقام مقام تقريع وذم قال: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة:٥٧].

* شواهد قرآنية في إسناد الإيتاء إلى نفسه في مقام المدح والثناء:

[البقرة ٥٣ ـ ١٢١ ـ ١٤٦، الجاثية ١٦ـ الأنعام ١١٤ـ الرعد ٣٦ ـ القصص ٥٢ـ العنكبوت ٤٧ ـ النساء ٥٤].

* شواهد قرآنية في مقام الذم، ويبنى فيها فعل الإيتاء للمجهول:

[البقرة ١٠١ ـ ١٤٤ـ ١٤٥، آل عمران ١٩ ـ ٢٣ ـ ١٠٠ ـ١٨٦ـ ١٨٧ ـ النساء ٤٤ ـ٤٧ـ ٥١ـ المائدة ٥٧ـ التوبة ٢٩ـ الحديد ١٦].



﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين(استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب:

هنالك أمران في اللغة يذكران في الاستعمال القرآني:

١ـ (الاستهزاء): عام، سواء تستهزئ بالأشخاص أم بغير الأشخاص. قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] فالصلاة ليست شخصاً وإنما أقاويل وأفاعيل. وقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة:٢٣١] وقوله: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥] ألم

إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص، ومعنى الاستهزاء هو السخرية .هم يقولون: المزح في خفية، وهو جانب من السخرية .

أمّا (السخرية) ففي الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨].

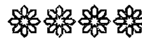
٢ـ السخرية لم ترد إلا من فعلٍ يفعله الشخص، وأمّا الاستهزاء فقد يستهزأ به من غير فعل. فقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨] هذا فعل وهم سخروا من فعل يفعله، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ﴾ [التوبة:٧٩] هذا فعل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لِمَ ختمت الآية بقوله: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ولم يقل (لا يعلمون)؟

الجواب:

في هذه الخاتمة للآية تحذير للمستهزئين بأداء الصلاة، إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء، فكان هذا الفعل منهم موجباً للاستهزاء بسخافة عقولهم.



﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾؟

الجواب :

معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾ أي: هل تعيبون أو هل تنكرون أو هل تكرهون، والفعل (نقَم) بفتح القاف أو كسرها و(نقِم) إذا أنكر .

السؤال الثاني:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ؟

الجواب :

معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

آـ أي: وما تنقمون منا إلا أنْ آمنا وما فسقنا مثلكم.

ب ـ أو: وما تنقمون منا إلا أنْ آمنا بالله وبأنّ أكثركم فاسقون.

السؤال الثالث:

اليهود كلهم فساق وكفرة فلم خص الأكثرية بالفسق؟

الجواب:

المعنى أنّ أكثرهم إنما يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما يفعلون طلباً للرياسة والجاه وأخذ الرشوة، فأنتم في دينكم فُساق لا عدول، وذكر أكثرهم لئلا يُظن أنّ من آمن منهم داخل في ذلك. والله أعلم .

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ



(٦٠)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ في سورة المائدة؟

الجواب:

(عبد الطاغوت) ليست معطوفة على القردة والخنازير، وإنما هي فعل ماض معطوف على ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ﴾، فهي جملة معطوفة على جملة.

وتأويل: عبد الطاغوت، أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان.

والطاغوت هنا هو العجل، وقيل: الأحبار، وللعلم فإنّ كل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾ والمثوبة هي الثواب ونحن نعلم أنّ هذا اللفظ يستعمل في الأمر المحبوب، فأنت تثيب عاملك مكافأة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ [المائدة:٨٥] فكيف عبّر الله عن الشر بالمثوبة؟

الجواب:

انظر كيف بلغ التهكم أقصى درجاته. لقد قال تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾ ولم يقلْ: (بِشرٍّ من ذلك عقاباً) للاستخفاف بهم وللتهكم من فعلهم. لقد استخفّوا بأوامر الله فاستخف الله بعقولهم وبمخاطبتهم، فانظر إلى هذا الثواب العظيم الذي وعدهم الله تعالى إياه من اللعنة والغضب والمسخ والعياذ بالله.

السؤال الثالث:

ما إعراب ﴿مَثُوبَةً﴾؟

الجواب:

تمييز منصوب، وللعلم المثوبة مختصة بالإحسان، ولكنها جاءت هنا في سياق الإساءة على طريقة: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ أي: بقصد التهكم .

السؤال الرابع:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿ذَٰلِكَ﴾ في آية المائدة ٦٠ : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ في قوله تعالى في آية الحج ٧٢: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾ و كذلك في الآية ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ [فُصِّلَت:٢٣]؟

الجواب :

١ـ طبعاً الكاف في (ذلك) حرف خطاب، وحرف الخطاب في اسم الإشارة فيه لغتان:

آ ـ أنْ تجعله مطابقاً للمخاطب، مفرداً أو مفردة أو مثنى أو جمع ذكور أو إناث .

ب ـ ولك أنْ تجعله بلفظ واحد، وهو الإفراد والتذكير أياً كان المخاطَب.

ففي اللغة كله جائز من حيث الحكم النحوي .

٢ـ لكن نسأل من الناحية البيانية: أحياناً يطابق وأحياناً يُفرِد، لماذا؟

هناك فرق بين الحكم النحوي اللغوي والاستخدام البياني، فلماذا استخدم هذا بيانياً؟

هنالك أسباب عدّة لهذا الأمر، ومن جملتها:

أنْ يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير والتفصيل، فيأتي بالحرف المناسب ؛ لأنّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أكثر من ﴿ذَٰلِكَ﴾ من حيث الحروف، فإذا كان المقام كله مقام إطالة يأتي بكل ما يفيد الإطالة لغة، وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة .

* شواهد قرآنية:

آ ـ في آية المائدة ٦٠ المخاطَب (جماعة): ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ .

ب ـ في آية الحج ٧٢: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ .

فنجد آية فيها ﴿ذَٰلِكَ﴾ والثانية ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ونسأل: أيهما الأكثر؟ الذين كفروا أو الذين جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت؟ والجواب طبعاً: الذين كفروا هم أكثر، فلمّا كانت المجموعة أكثر جمع، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ولمّا كانت أقل أفرد ﴿ذَٰلِكَ﴾ .

أي أنّ السبب هو أنّ الجماعة في آية الحج أكبر من الجماعة في آية المائدة؛ لأنّ الله لم يجعل من الكفرة كلهم قردة وخنازير، فلمّا كان الفريق الثاني أكبر وأعم جمع الخطاب، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قال في آية المائدة ٦٠: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾، وقال في آية الحج ٧٢: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ وكذلك آيات سورة الكهف (١٠٠-١٠٦) و الشعراء (٢٢١)، فلماذا استخدم (هل) مرة و(الهمزة) مرة أخرى؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم ﴿هَلْ﴾ لما هو أقوى وآكد في الاستفهام من (الهمزة).

أولاً: الآيات:

آيات المائدة:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة:٥٧-٥٨-٥٩-٦٠].

آيات الشعراء:

- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢-٢٢٣] .

آيات الكهف:

- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠٦] .

ثانياً ـ البيـــــان :

في الآيات استعمل (هل) في آيات المائدة والشعراء والكهف مع الفعل (نبأ)، بينما لم يستعملها مع آية الحج، واستعمل بدلا عنها الهمزة، ويبين ذلك السياق.

١ ـ آيات المائدة ذكر فيها أنّ الكفار اتخذوا الدين والنداء والصلاة هزواً ولعباً، وقد وصفهم بالفسق وعدم العقل وأنهم لعنهم الله وغضب عليهم ومسخ منهم قردة وخنازير وأنهم عبدوا الطاغوت، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ويمضي في وصفهم بأقبح الوصف.

وليس الأمر كذلك في آية الحج؛ لذا استعمل في آية الحج (الهمزة) فقال: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾، واستعمل مع آية المائدة (هل)، فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ .

٢ ـ في آيات الشعراء [٢١٠ : ٢٢٣] تجد في السياق قوة وشدة بالغة في الرد على الكفرة المفترين؛ فاستعمل (هل) .

٣ ـ في آيات الكهف تجد في السياق قوة التبكيت والتقريع واضحة في السياق؛ فاستعمل لذلك ﴿هَلْ﴾، ولم يستعمل الهمزة .

السؤال السادس:

في سورة المائدة ٦٠ ذكر تعالى المسخ إلى قردة وخنازير، هل لأنّ الله تعالى مسخ طائفة من بني إسرائيل إلى قردة وخنازير، هل لهذا السبب جاء تحريم الخنزير؟

الجواب :

هذا أمر فقهي والأمور الفقهية نحيلها على أصحابها، لكنّ السؤال لبيان العِلّة أو السبب، نقول: الشيء الأساسي في العبادات هو اتّباع أمر الله سبحانه وتعالى في الحلال والحرام، فحلال الله حلال إلى يوم القيامة وحرام الله حرام إلى يوم القيامة.

أما العلة في التحريم فينبغي ألا نسأل عنها في الحقيقة ؛ لأنّ الخنزير كان قبلهم قبل أن يحوّل الله بعضاً من بني إسرائيل إلى خنازير. فاليهود عندهم أشياء محرمة والنصارى عندهم أشياء محرمة، والمسلمون عندهم أشياء محرمة، وكلٌّ له شرعته: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] فنحن إذن نطيع الله سبحانه وتعالى ولا نعلل ولا نفسر لماذا،

والمسألة فقهية واعتقادية، ونحن نعتقد أنّ هذا حرام إذن هو حرام. وربنا حرّمه فنحرّمه.



﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ﴾ ماذا يعني هذا التصوير؟

الجواب:

١ـ في هذا التعبير دلالة على قسوة القلب وعدم قبوله للإيمان، فهو يدل على أنّ الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفة عين، فهم دخلوا كافرين وخرجوا كذلك.

٢ـ نزلت هذه الآية في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً فأخبره الله بشأنهم، وأنهم يخرجون من مجلسه كما دخلوه.

٣ـ الباء في قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ﴾ يفيد بقاء الكفر في حالتي الدخول والخروج، كما تقول: دخل زيد بثوبه وخرج به.

٤ـ كلمة (قد) هي تقريب الماضي من الحال، أمّا كلمة ﴿وَهُمْ﴾ فهي لتأكيد إضافة الكفر لهم، أي: أنهم لم يسمعوا من رسول الله ما يوجب كفراً، بل هم الذين خرجوا بالكفر من اختيار أنفسهم.

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ لِمَ قال تعالى: ﴿يَصْنَعُونَ﴾ ولم يقل: يعملون؟

الجواب :

لأنّ الصنع أدل على التمكن في العمل والتحري من (يعملون)، وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ولم يقل مثلاً: (يفعلون)، فكأنّ ذلك هو صنعتهم، فـ(الخياط) يطلق على من يتقن صنعته، لا على من خاط مرة أو مرتين .

السؤال الثاني:

من الربانيون المذكورون في الآية؟

الجواب :

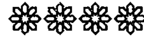
الربانيون هم رؤساء النصارى وينسبون أنفسهم إلى الرب، والأحبار هم رؤساء اليهود .

ومعنى الآية: لماذا لم يتحرك المنسوبون إلى الله لنهي قومهم عن فعل الإثم وأكل السحت؟

ولماذا لم يقوموا بواجبهم في الوعظ؟ فكيف ينصّب هؤلاء الربانيون والأحبار أنفسهم قادة للضمير الديني دون أن يقوموا بواجبهم بين الناس لمنع الانحراف؟ وفي هذا تأكيد على أنّ هؤلاء الربانين والأحبار إنما يريدون فقط سلطة الهيمنة على الناس .

ثم تتجلى دقة الأداء القرآني ـ كما هو دائماً ـ في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾ ولم يقل مثلاً: يفعلون، فكأن ذلك هو صنعتهم، وبئست الصناعة تلك.

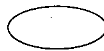
وهكذا باعوا الأحكام لمن يدفع أكثر، أو لصاحب النفوذ الأكثر.



﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين: ﴿ أغرينا وألقينا ﴾ في آية المائدة ١٤ : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)﴾ و آية المائدة ٦٤ : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾ ؟



الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٤.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كيف يأتي الفعل (بسط) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

وردت لفظة (بسط) في آيات متعددة وبصيغ مختلفة، وكلمة (بسط) تأتي بمعنى ما تحب وبمعنى ما تكره، أي: تأتي بمعنى ما تكره وما لا تكره، والسياق يحدد ذلك.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة:٢٨].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣] أي: مادُّون أيديهم بالعذاب.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

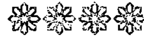
ما دلالة الفعل مجيء الفعل ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ في الآية بصيغة المضارع؟

الجواب :

الفعل المضارع له أزمنة كثيرة، فقد يكون للمضي: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٩١] أو للحال أو للاستمرار أو الاستقبال.

وفي الآية استعمل الفعل المضارع ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ للمزاولة وليس بالضرورة ما كان للمستقبل فقط، ولو قال: (سعوا) لاحتمل أنْ يكون هذا الساعي قد تاب ولا ينطبق عليه هذا الأمر، لكنّ الذي هو مستمر هو الذي ينطبق عليه هذا الأمر، وهم اليهود لعنهم الله .

وقد ورد هذا الفعل ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ بصيغة المضارع أيضا في سورة المائدة ٣٣ ـ والمائدة ٦٤ .



﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النعمة والنعيم في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

(النعمة) في القرآن هي لنعم الدنيا بمجيء الفعل وتستعمل مفرداً وجمعاً كما في الآيات: [البقرة ٢١١ـ آل عمران ١٠٣ـ إبراهيم ٦] وأما (النعيم) فخاص بنعيم الآخرة، وقد وردت كلمة (النعيم) ١٦ مرة في القرآن .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة:٦٦] و ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن:١٦] لماذا لم يقل: (ولو أنهم استقاموا على الطريقة)؟

الجواب :

في سورة الجن لم يقل: (ولو أنهم استقاموا) أو (وأنهم لو استقاموا)، وإنما قال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الجن:١٦]، ولو قال: (ولو أنهم استقاموا) لربما أفهم أن ذلك مختص بهم دون غيرهم، لكنّ الكلام عام وليس مختصاً بهم، وإنما لكل من يستقيم على الطريقة.

فلما قال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الجن:١٦] فهذا حكم عام، بينما لو قال:(ولو أنهم استقاموا) فهذا مختص بهم.

وعندما ذكر الضمير في آية المائدة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ [المائدة:٦٦] يكون الأمر إخباراً عنهم بهذا الموضع، فهو يختص باليهود والنصارى فقط، وأمّا مع حذف الضمير كما في آية الجن ﴿وَأَلَّوِ﴾ [الجن:١٦] فهذا عام يخص جميع الخلائق: الجن والإنس إلى يوم القيامة .

فالحكم في آية الجن حكم عام لجميع الدنيا على مر الزمان: من يستقم على الطريقة يسقى ماء غدقاً من قبل زمن نوح إلى قيام الساعة، بينما آية المائدة ٦٦ هي حكم خاص باليهود والنصارى فقط.

ومعنى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ إقامة الشيء بأن تجعله قائماً، وقد استعمل القرآن الإقامة ﴿أَقَامُوا﴾ للدلالة على عدم الإضاعة، فالشيء الذي يضيع منك يكون مطروحاً وملقى على الأرض، والإنسان في حالة قيامه يكون أقدر على الأشياء.



﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾

السؤال الأول:

جاءت الآية ٦٧ بأمر التبليغ بعد آيات تتحدث عن أهل الكتاب، فما الرابط في ذلك؟ وهل تبليغ الرسول ﷺ متعلق بأهل الكتاب؟ وما الأمر الذي أراد الله تعالى من الرسول أن يبلغه؟

الجواب:

١ـ وقعت هذه الآية في سياق الذين أوتوا الكتاب ومحاربتهم لرسول الله ﷺ والمفروض تبليغهم كتبليغ غيرهم، مع أنهم يكثرون مجادلته ويدّعون العلم، وكانوا كلما جاءتهم رسل قتلوا فريقاً وكذّبوا فريقاً آخر، وطبعاً هذه من المثبطات أنْ تدعو من لا

تأمنه، ودعوة أهل الكتاب هي من المثبطات لما فيها من جدال؛ ولأنهم يقولون: نحن أصحاب الكتب وأصحاب العلم .

لكنّ ربنا أوقع هذه الآية هنا بالذات حتى لا يترك مجالاً لأهل الكتاب أو غيرهم، فأمره بالتبليغ للجميع بشكل عام، بحيث لا يمنعه من ذلك مانع ولا يثبطه مثبط.

٢ـ في الآية (٦٧) التبليغ عام للجميع بما فيهم أهل الكتاب، ولمّا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ لم يقلْ: بلغ أهل الكتاب، بل أطلق الفعل ولم يحدده.

٣ـ ذكر الله قبل هذه الآية أهل الكتاب، وهم مثبطون له في دعوته فجاءت هذه الآية عامة؛ أن بلّغ الناس جميعاً بما فيهم أهل الكتاب ولو كانوا يحاولون تثبيطك وإيذاءك وقتلك فلا تخف ؛ لأنّ الله سوف يعصمك من أذى الناس فلا يصلون إليك بأذى.

وكان الرسول ﷺ يهاب قريشاً واليهود والنصارى فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بهذه الآية وآمنه من مكر اليهود والنصارى وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم.

٤ـ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مع أنهم حاولوا قتله كما قتلوا قبله من الأنبياء وهذا إعجاز ؛ لأنّ الرسول ﷺ كان يُحرس، ولما نزلت الآية صرف الحرس، وقال الرسول ﷺ: «**انصرفوا فقد عصمني الله**»، وهذا دليل على أنه يأتيه الوحي من الله تعالى.

٥ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقفت باحثة بلجيكية عند هذه النقطة وقالت: لو كان هذا الرجل يخدع الناس جميعاً ما خدع نفسه في حياته، ولو لم يكن واثقاً

من أن الله يحرسه لما فعل ذلك كتجربة واقعية تدل على ثقته بربه، ثم أعلنت إسلامها بملء اليقين لمجرد وقوفها عند لمحة واحدة من لمحات رسول الله ﷺ .

٦ـ المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ هو العصمة من القتل وفيها التنبيه على أنه يجب عليه أنّ يتحمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، ويدخل في ذلك ما حصل للرسول الكريم ﷺ من شج وجهه وكسر رباعيته يوم أحد، علماً بأنّ هذه الآية نزلت بعد يوم أحد.

٧ـ المراد من ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ههنا عامة الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: أنّ الله لا يمكنهم مما يريدون .

٨ـ عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت الآية، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: «**انصرفوا فقد عصمني الله من الناس**».

٩ـ روي أنه ﷺ نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فأتاه أعرابي وهو نائم فأخذ سيفه واخترطه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: الله، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ في الآية؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ وقعت كلمة (شيء) نكرة في سياق النفي، حيث سبقت بالفعل(ليس)، وهو يدل على النفي، فأفاد هذا الأسلوب أنْ يكون لهم أقل حظ من التدين والتقوى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استخدام الفاسقين والكافرين في الآيتين [٢٦ و ٦٨] من سورة المائدة؟

الجواب :

الآية ٢٦ في الكلام مع موسى بخصوص قومه الذين امتنعوا عن القتال وقوم موسى ليسوا كفاراً؛ لذا لا يمكن وصفهم بالكافرين .

أمّا الآية ٦٨ فالخطاب للرسول ﷺ في خطابه لأهل الكتاب، فهؤلاء كفرة كما قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ؛ ولهذا جاءت كلمة (الكافرين) في نهايتها .



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة:٦٩]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧] في رفع ونصب الصابئين؟ وما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٦٢.

السؤال الثاني:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين خاتمة آية ٦٢ في سورة البقرة وخاتمة آية ٦٩ في سورة المائدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٦٢.

السؤال الثالث:

ما اللمسات البيانية في قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ؟

الجواب :

١ـ (الفاء) في موضعها هي ليست حرف عطف، ولكنها جواب شرط للذين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ولا يُجاب عليه بغير الفاء، ولا حرف غيرها ينوب مكانها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ تعبير في غاية العجب والدقة من الناحية التعبيرية، ولا تعبير آخر يؤدي مؤدّاه .

٣ـ نفى الخوف بالصورة الاسمية ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: (لا عليهم خوف)، ونفى الحزن بالصورة الفعلية ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وخصّص الحزن بقوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾، ولم يقل مثلاً: (ولا يحزنون هم).

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: (لا يخافون)، كما قال: (لا يحزنون)، ولا يصح أنْ يقال: (لا يخافون)؛ لأنهم سوف يخافون قبل ذلك اليوم: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]، و ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان:١٠] وهذا مدح لهم قبل يوم القيامة، أمّا يوم القيامة فهم يخافون إلا مَن أمّنه الله تعالى. وكل الخلق

وقتها خائفون: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج:٢]؛ لذا لا يصح أنْ يقال: (لا يخافون) فالخوف شيء طبيعي موجود في الإنسان.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ معناها لا يُخشى عليهم خطر، فالخوف موجود يوم القيامة، ولكنّ الأمان جاء من الله تعالى فأمّنهم بأنه (لا خوف عليهم)، وليس المهم أنْ يكون الإنسان خائفاً أو غير خائف، لكنّ المهم هل يكون عليه خطر أم لا .

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ جعل الحزن بالصيغة الفعلية، وجاء بالفعل فأسنده إليهم .

لكنْ لماذا لم يقل: (ولا حُزن) على نسق(ولا خوف عليهم)؟ الجواب: لأنه لا يصح المعنى، ولو قالها لكانت تعني: (ولا حُزن عليهم) أي: لا يحزن عليهم أحد. وشيء مهم أنْ لا يكون الإنسان حزيناً لكنْ لا أن يُحزن عليه أحد، فمعناه إمّا لأنه لا يستحق الحزن عليه، أو لأنه لا يشعر.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ بتقديم ﴿هُمْ﴾، فهذا للحصر، ويُسمّى (التقديم للقصر)، ولم يقل: (لا خوف عليهم ولا حزن لهم)؛ لأنها لا تفيد التخصيص.

ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ نفى الخوف المتجدد والثابت ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾، ونفى الحزن المتجدد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾، ولا يمكن لعبارة أخرى أن تؤدي هذا المعنى المطلوب.

٤ـ لماذا لم يقل: (لا عليهم خوفٌ)؟ ولماذا لم يقدّم هنا مثل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾؟

والجواب: لأنه لا يصح المعنى كذلك، ولو قالها لكان معناها أنه نفى الخوف عنهم وأثبت أنّ الخوف على غيرهم، وهذا يعني أنه يخاف على الكفار؟ لكنْ من الذي يخاف على الكفار؟ لذا لا يصح أن يقال: (لا عليهم خوفُ) .

٥ـ لماذا قال: ﴿فَلَا خَوۡفٌ﴾، ولم يقل: (لا خوفَ عليهم) مبنية على الفتح؟

﴿لا خوفَ﴾: لا النافية للجنس تفيد التنصيص في نفي الجنس، نحو (لا رجلَ)، ومعناها نفينا الجنس كله، أمّا ﴿فَلَا خَوۡفٌ﴾ عندما تأتي بالرفع يحتمل نفي الجنس ونفي الواحد، والسياق عيّن أنه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون من باب المدح على سبيل الاستغراق.

فالرفع(لا خوفٌ عليهم) أفاد معنيين لا يمكن أنْ يفيدها البناء على الفتح، وبيان ذلك:

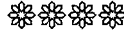
آ ـ إمّا أنْ يكون حرف الجر(عليهم) متعلقاً بالخوف (خوفٌ عليهم) والخبر محذوف بمعنى: (لا خوف عليهم من أي خطر) وهومن باب الحذف الشائع.

ب ـ ويحتمل أنْ يكون (الجار والمجرور)﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ هو الخبر.

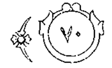
ومثال ذلك قولنا: (الجلوس في الصف) قد تحتاج إلى خبر فنقول: (الجلوس في الصف نافع وجيّد)، وقد تحتمل معنى أنّ الجلوس (مبتدأ) و (في الصف) خبر بمعنى الجلوس كائن في الصفّ.

ففي الرفع ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ تدل على معنيين: لا خوف عليهم من أي شيء، وتحتمل لا خوف كائن عليهم.

أمّا في البناء على الفتح (لا خوفَ عليهم) فلا يمكن أنْ يكون هذا الأمر، ولا بدّ أن يكون الجار والمجرور(عليهم) هوالخبر، ولا يحتمل أنْ يكون متعلقاً، وهذا يؤدي إلى معنى واحد وليس معنيين، أي يأخذ شقاً من المعنيين ويكون متعلقاً بالخبر المحذوف وليس بالخبر.



﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾



السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لِمَ أتى الفعل ﴿كَذَّبُواْ﴾ ماضياً، بينما جاء الفعل ﴿يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ مضارعاً؟

الجواب:

١ـ جاء التكذيب بصيغة الماضي؛ ليقص علينا حالتهم، بينما أتى الفعل (يقتلون) مضارعاً؛ لتستحضر أيها القارئ لكتاب الله الحالة الفظيعة ولتزدري شناعة فاعليها، حتى كأنك ترى وتشاهد هذا الصنع الفظيع منهم.

٢ـ أخبرنا الله عنهم أنهم كذّبوا عيسى وموسى عليهما السلام، وهذا في الماضي؛ ولذلك قال: ﴿كَذَّبُواْ﴾ .

وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة إلى تجدد الحدث واستمراره، فقد قتلوا زكريا ويحيى وحاولوا قتل عيسى عليه السلام، لكنّ الله منعهم عن مرادهم وهم يزعمون أنهم قتلوه، كما حاولوا قتل النبي محمد ﷺ فهذه هي صفتهم وهي مستمرة في الماضي والحاضر وحتى في زماننا؛ لذلك ناسب الفعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

السؤال الثاني:

أين جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ ؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى:﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ شرط وجوابه محذوف، وإنما جاز حذفه؛ لأنّ الكلام المذكور دليل عليه، والتقدير: كلما جاءهم رسول ناصبوه .

فإن قيل: كيف ناصبوه؟ فالجواب هو في قوله تعالى:﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

٢ـ كلمة (رسول) في قوله تعالى:﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ تدل على كثرة الرسل؛ فناسب أن جعلهم فريقين .

السؤال الثالث:

لِمَ قدّم المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ؟

الجواب:

قدّم المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لشدة العناية به، لأنّ تكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقتلهم عمل منكر قبيح، فكان التقديم لهذه الفائدة. والله أعلم.



﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾؟

الجواب:

الآية هي في بني إسرائيل، وهي دالة على أنّ عماهم وصممهم عن الهداية إلى الحق حصل مرتين، وبنو إسرائيل ظنوا ورجحوا أنّ تكذيب الرسل وقتلهم ليس فتنة، وأنهم غير محاسبين عليه.

السؤال الثاني:

ما معنى الفعل ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ في الآية؟

الجواب:

الفعل: (حَسِب) ـ بفتح الحاء وكسر السين ـ بمعنى: الظن، وبفتح الحاء وفتح السين بمعنى: عدّ.

والفعل (حَسِب) لا بد له من مفعولين، وفي الآية: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ جملة قامت مقام مفعولي (حسب) بتقدير: وحسبوا الفتنةَ غيرَ نازلة بهم.

السؤال الثالث:

هل هناك قراءة ثانية لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟

الجواب:

قرأ حمزة والكسائي ﴿أَنْ لا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ برفع نون (تكون)، والباقون قرؤوها بالنصب.

السؤال الرابع:

ما أنواع الأفعال حسب درجة ثباتها وعلاقتها بـ (أن) الخفيفة أو الثقيلة؟ وما دلالة قراءة: ﴿أَنْ لا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ بالرفع والنصب؟

الجواب:

ذكر الواحدي أنّ الأفعال على ثلاثة أنواع من ناحية الثبات والاستقرار وهي:

١ـ فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو: العلم واليقين والتبين، وهنا يقع بعده (أنّ) الثقيلة مجانسة للفعل المؤكد دون الخفيفة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٥].

ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة:١٠٤].

ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق:١٤].

٢ ـ فعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار، نحو: أطمع وأخاف وأرجو، فلا يكون بعده إلا (أنْ) الخفيفة الناصبة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ وَالَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي ﴾ [الشعراء:٨٢].

ـ ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [الأنفال:٢٦].

ـ ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا ﴾ [الكهف:٨٠] .

٣ ـ فعل يقع على وجهين: تارة بمعنى: (عَلِمَ) فترفع الفعل، وتارة بمعنى:(طَمَع) فتنصب الفعل، كما هو في هذه الآية: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ فجاء فيها قراءتان:

آ ـ فمن رفع قوله: { أَنْ لا تَكُونُ } كان (الحسبان) بمعنى (العلم) عندهم لقوة عنادهم. وكان المعنى: أنّه لا تكون، ثم خففت المشددة وجعلت: ألاّ، عوضاً عن حذف الضمير؛ لأنك لو قلت مثلاً: علمت أنْ يقولُ، بالرفع لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضاً من حذف الضمير نحو السين وسوف كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ [المزّمل:٢٠].

ب ـ وفي حالة النصب ﴿تَكُونَ ﴾ كما في قراءة حفص وغيره كان (الحسبان) بمعنى (الطمع)؛ لأنهم عالمون بأنّ قتل الأنبياء خطأ .

٤ـ وكلا الوجهين قد جاء به القرآن.

* شواهد قرآنية: النصب مع(أنْ) الخفيفة:

ـ ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ ﴾ [العنكبوت:٤].

ـ ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ ﴾ [الجاثية:٢١].

ـ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٢].

*شواهد قرآنية: الرفع مع ﴿أنّ﴾ الثقيلة:

ـ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزُّخرُف:٨٠].

ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون:٥٥] .

* شواهد قرآنية: المذهبان في الظن:

ـ ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة:٢٥] النصب.

ـ ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا﴾ [البقرة:٢٣٠] النصب.

ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الجن:٥] النصب.

ـ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ [الجن:٧] النصب؛ وذلك لأن (أنْ) تفيد عدم الثبات، و(لن) تفيد التأكيد، فلا تجتمع أنْ الناصبة مع (لن) .

السؤال الخامس:

ما المقصود بالفتنة في الآية؟

الجواب :

١ـ الفتنة تحتمل عذاب الدنيا مثل القحط والوباء والقتل والعداوة والبغضاء، وتحتمل عذاب الآخرة كذلك، وأصل الفتنة الاختبار.

٢ـ اعلم أنّ حسبانهم ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أـ أنّ النسخ ممتنع على شرع موسى عليه السلام ؛ ولذلك يجب عليهم تكذيب وقتل أي نبي آخر جاء بشرع آخر.

ب ـ أنهم وإنْ اعتقدوا أنهم مخطئون في القتل والتكذيب إلا أنهم يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾، وهذا كافٍ لدفع العذاب والعقاب عنهم بسبب القتل والتكذيب.

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟

الجواب:

إعراب: ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أنْ: حرف ناصب و (لا) نافية والفعل (تكونَ) تام منصوب بأنْ، و(فتنة) فاعل مرفوع.

السؤال السابع:

ورد في الآية مرتان بأنهم عموا وصموا وبينهما حرف العطف﴿ثُمَّ﴾ ما المراد بهاتين المرتين؟ وما دلالة حرف العطف (ثم)؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (ثم) تفيد التراخي بين المرتين، وأسند الله التوبة إليه ولم يسندها إليهم تجافياً عن التصريح بنسبة الخير إليهم تمهيداً لبيان نقضهم في المرة الثانية .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ﴾ :

آـ اختلف المفسرون في المراد بهاتين المرتين، ويرجع بذلك إلى كتب التفسير، وقيل:إنها في زمان يحيى وزكريا وعيسى عليهم السلام، ثم في زمان الرسول محمد ﷺ.

ب ـ قرىء: عُموا وصُموا ـ بالضم ـ على تقدير: عماهم الله وصمهم الله .

السؤال الثامن:

ما إعراب ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾؟

الجواب:

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل مرفوع من الضمير في الفعلين في قوله تعالى: ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ وهذا الإبدال هنا في غاية الحُسن؛ لأنه لو قال: ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ فقط لأوهم ذلك أنّ كلهم صاروا كذلك، فلما قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ دلّ أنّ ذلك للأكثر لا للكل، ومن المعلوم أنّ أكثر اليهود أصر على الكفر بمحمد ﷺ، لكن قليلاً منهم آمن بالنبي ﷺ، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقيل إنّ قوله: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: العمى والصم كثير منهم؛ أي: صادر منهم كثيراً.

وقيل: (فاعل)، وهذه لغة لبعض العرب يعبر عنها النحاة بـ (أكلوني البراغيث)، وهي لغة ضعيفة لا يلتفت إليها.

السؤال التاسع:

ما المراد بالعمى والصمم في الآية؟ وما إعراب ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾؟

الجواب :

١ـ المراد بهذا العمى والصمم (الجهل والكفر)، وهم اختاروا ذلك لأنهم ظنوا أنه علم.

٢ـ إعراب ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ الفاء سببية، وعموا: فعل ماض مبني على الضم المقدر على الياء المحذوفة؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل .

وصموا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل .

السؤال العاشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ أي: من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل، والمقصود منه التهديد.

وجاء بصيغة الفعل المضارع الذي يفيد تكرار الحدث لإظهار حكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البشعة، إضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية .

والجملة تذييل أُشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور، ولا يخفى موقع ﴿بَصِيرٌ﴾ هنا مع قوله تعالى: ﴿عَمُواْ﴾، والله أعلم.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ انظر كيف قال تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ بالمضارع، ولم يقل: عما قالوا، مع أنّ الفعل ﴿يَنتَهُوا۟﴾ مضارع، فما الحكمة من تغيير الزمنين في الفعلين؟

الجواب:

لقد جاء الفعل (يقولون) بصيغة المضارع؛ لأنه مناسب لمعنى الفعل ﴿يَنتَهُوا۟﴾، فالإنسان ينتهي من شيء مستمر، وفي الآية يأمرهم الله بالكف والانتهاء عن قول مستمر لا عن قول مضى، فلو مضى لما أمر بالانتهاء بل كان أمرهم بالتوبة.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ في الآية؟

الجواب:

كل ثلاثة يجتمعون معاً يقال لكل واحد منهم (ثالث ثلاثة)، وليس هذا القول ممنوعاً إلا في حالة واحدة،وهي أنْ تقول ثالث ثلاثة آلهة؛ لأنّ الإله لا يتعدد .

وفي آية المجادلة (٧) لم يقل الحق: ما يكون من نجوى اثنين إلا هو ثالثهم؛ لأنّ النجوى لا تكون إلا من ثلاثة، فإنْ جلس اثنان معاً فهما قد يتكلمان بدون نجوى، والنجوى مسارة، وأول النجوى ثلاثة؛ ولذلك بدأها الحق بأول عدد تنطبق عليه .

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال الفعل المضارع ﴿يَنتَهُوا﴾ في الآية كفعل للشرط؟ وماذا عن طريقة استعمال القرآن لفعل الشرط؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١ .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ما الفرق في نفي الجنس بين (ما) و (لا)؟

الجواب:

يقال: لا رجلَ في الدار، ويقال: ما من رجلٍ في الدار، فما الفرق بينهما علماً بأن التعبيرين نص في نفي الجنس؟

ـ لا: تستعمل لجواب سؤال حاصل أو مقدّر هو (هل من) نحو من سأل: عن وجود أحد في الدار؟ فالجواب: لا، ويكون الجواب كالإعلام.

ـ ما: تستعمل كرد على قولٍ أو ما نزل هذه المنزلة نحو من قال: إنّ في الدار لرجلاً، فيكون الرد: ما من رجلٍ في الدار، فهو رد على قول وتصحيح ظن.

* شواهد قرآنية على استعمال (ما) كرد على أقوالهم:

- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣].

- ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٦١-٦٢]

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾ [البقرة:٨].

- ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾ [الأحزاب:١٣] .

- ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨] .

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٥٦].

* شواهد قرآنية على استعمال (لا) كإعلام للمخاطب:

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [البقرة:٢] .

- ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الأفعال ﴿نُصَرِّفُ﴾ و﴿فَصَّلۡنَا﴾ و ﴿نُبَيِّنُ﴾ في قوله تعالى في الآيات:

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ٤٦﴾ [الأنعام:٤٦]

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧﴾ [الأنعام:٩٧]

- ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة:٧٥]؟

الجواب:

١- التصريف: هو التغيير من جهة إلى أخرى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾[البقرة:١٦٤] .

والتصريف قد يأتي للمسألة الواحدة ويذكرها بصور شتى ويغيّر فيها حتى يوصلها لك. مثلاً: إثبات الحياة بعد الموت، فيأتي بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ

ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فُصِّلَت:٣٩] ويعطي مشهداً تمثيلياً وأحياناً يستدل بالحياة الآخرة على خلق الإنسان وتطوره: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة:٣٧-٣٨-٣٩-٤٠] هذا تصريف، ويعني أنه في كل مرة يأتي بشكل مختلف حتى يثبت المسألة، فيصرفها أي يغيرها بصور حتى يوصلها.

٢ـ التفصيل: هو إمّا أنْ يكون التبيين بصورة واسعة وبصور متعددة مختلفة، وإمّا يأتي التفصيل من الفصل أو الحجز بين الشيئين، وهذا هو الأصل.

فمثلاً عندما يذكر صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام، وهما ليسا موضوعاً واحداً؛ فهذا تفصيل، وعندما يذكر موضوع الحياة بعد الموت فهو موضوع واحد. مثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٥-٩٦-٩٧] انتقل من الحب والنوى إلى الإصباح ثم الشمس والقمر ثم النجوم، ومواضيع أخرى، ثم ينتقل فيذكر أموراً كثيرة، فهذا تفصيل، يأتي بأمور كثيرة مختلفة وليست مسألة واحدة لذا يذكر التفصيل: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأنعام:٩٧].

٣ـ التبيين: هو توضيح أمر واحد، كما تبين الكلمة الواحدة أو تبين المسألة الواحدة. على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ

وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٢-٧٣-٧٤-٧٥]، نفس القضية فاستعمل (نبيّن) أي نوضح.

فالتفصيل والتصريف غير التبيين، مع أنّ كلها إيضاح.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ما الفرق بين الكذب و الإفك؟

الجواب:

١ـ الكذب: هو الإخبار بغير الحقيقة والواقع .

٢ـ الإفك: هو الكذب الفاحش، مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن ومثل قذف المحصنات، وأصل الإفك هو الصرف، نحو قوله تعالى:

- ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾﴾ [الجاثية:٧]،
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ [النور:١١] .
- ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥] أي: يصرفون عن الحق.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ لماذا جاء بصيغة المجهول؟ وكم مرة جاء الفعل (يؤفك) مبنياً للمجهول في القرآن؟

الجواب :

ورد الفعل (يؤفك) مبنياً للمجهول في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة وبصيغ مختلفة كقوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات:٩] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥].

والحكمة ـ والله أعلم ـ من حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول أنّ الفاعل يحتمل عدة احتمالات، فقد يكون الذي يصرف الكفار عن الإيمان هو الشيطان أو الهوى أو الشبهة أو الشهوة أو النفس أو القرين أو العرف الباطل أو التقليد الأعمى أو الدنيا الخادعة أو المصلحة الذاتية أو غير ذلك.

لهذا حُذف الفاعل وبُني الفعل للمجهول. والله أعلم.

السؤال الرابع:

لماذا سميت ديار قوم لوط المؤتفكات؟

الجواب :

تسمى الرياح المؤتفكات؛ لأنها تقلب الأرض فتصرفها عما عهدت عليه، وسميت ديار قوم لوط المؤتفكات؛ لأنها قُلبت بهم .



﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ إنّ (ما) الموصولة تستعمل لغير العاقل ويقابلها للعاقل (مَن)، فلِمَ قال تعالى:

﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ باستعمال (ما) غير العاقلة، ولم يقل: (من لا يملك) باستعمال (من) العاقلة؟

الجواب:

استعمل ربنا (ما) الموصولة لغير العاقل؛ لأن معظم ما عُبِد من دون الله أشياء لا تعقل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لِمَ قدّم ربنا الضر على النفع في الآية، ولم يقل: ما لا يملك لكم نفعاً ولا ضراً؟

الجواب:

قدّم الله الضر على النفع في الآية؛ لأنّ النفوس أشد تطلعاً إلى دفعه من تطلعها إلى جلب النفع، فكان أكثر ما يدفع المشركين إلى عبادة الأصنام أنْ يردّوا بها الأضرار عن أنفسهم.



﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ انظر كيف عدل الله تعالى عن قوله: لا تغلوا في دينكم باطلاً، إلى قوله: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ لما في وصف ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ من تشنيع الموصوف؛ إذ المعنى أنه مخالف للحق المعروف، ومن ثم فهو مذموم؛ لأنّ الحق محمود فغيره مذموم .

السؤال الثاني:

ما الغلو المذكور في آية المائدة (٧٧)؟ وما وجه الاختلاف في مفهوم الحق بين هذه الآية وآية النساء رقم (١٧١)؟

الجواب:

١ـ الغلو: معناه الإفراط ومجاوزة الحدّ، من (غلا يغلو) في دينه، وهو غير (غلا يغلي غلياناً).

٢ـ قوله تعالى في آية النساء ١٧١: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ ما هذا الحق؟ والجواب هو المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم.

٣ـ وقوله تعالى في آية المائدة ٧٧: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ آية النساء تفسّر آية المائدة، ما الحق الذي يريده؟ الحق أنّ الله سبحانه وتعالى لا شريك له، وأنّ عيسى رسول الله، وليس كما يقولون.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾؟

الجواب:

عندما يوجد شيء مشترك بين النصارى واليهود يحدثهم الله بقوله: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ﴾، أمّا الشيء الخاص فهو يتحدث به لكل فئة بمفردها.

والغلو هو الإفراط في الحكم إيجاباً أو سلباً، وهو إمّا الإفراط في المنزلة العالية، وإمّا التفريط في المنزلة الدنيا، ولذلك تجد دائماً المتناقضات مع الغلو، ورسول الله ﷺ يقول لسيدنا علي كرّم الله وجهه: «**يا علي يهلك فيك رجلان محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ**» رواه الطبراني في الأوسط.

إنّ هناك من أحب سيدنا علياً إلى درجة أنهم اعتبروه نبياً وقالوا: إنّ الوحي أخطأ علياً وجاء إلى محمد ﷺ !! وكل ذلك غلو وإفراط.

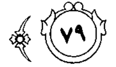
أمّا الخوارج فقد قالوا عن سيدنا علي: إنه كافر، وهكذا جاء الغلو والإفراط من جهة المحبين ومن جهة المبغضين.

وفي الآية يوضح الحق أنّ أهل الكتاب ضلوا في ذواتهم وهم يحاولون إضلال غيرهم، ولذلك ينبههم الله إلى ألا يفعلوا ذلك لا بضلالهم ولا بإضلال غيرهم، وإلا سوف يحملون الوزرين معاً، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥]

ولذلك علينا أن نفهم أن قول الحق: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥] أنّ الوزر الأول هو وزر الضلال، والثاني هو وزر الإضلال.



﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾



السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ لماذا استعمل الفعل الأول ﴿عَصَواْ﴾ بالماضي؟ والثاني ﴿يَعْتَدُونَ﴾ بالمضارع؟

الجواب:

عبّر ربنا سبحانه عن عصيان بني إسرائيل بالفعل ﴿عَصَواْ﴾ وهو ماض لنعلم أنّ العصيان قد وقع منهم وتقرر ذلك، بينما عبّر عن الاعتداء بالفعل ﴿يَعْتَدُونَ﴾ وهو مضارع، فلم يقل: (بما عصوا واعتدوا)؛ ليستقر في ذهنك أنّ الاعتداء منهم مستمر، فقد اعتدوا على محمد ﷺ بالتكذيب ومحاولة الفتك والكيد، وما زال هذا شأنهم.

السؤال الثاني:

لماذا أطلق الله سبحانه على ترك التناهي لفظ الفعل في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾؟

الجواب:

أطلق الله سبحانه على ترك التناهي لفظ الفعل في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾؛ ذلك لأنّ السكوت عن المنكر لا يخلو من إظهار الرضا به والمشاركة فيه، وهو فعل، كما جاء في الآية.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في آية المائدة (٧٩) في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؟

الجواب:

آيات سورة المائدة[٧٨ـ٨٠]ترسم بكلمات قليلة صورة واضحة للمجتمع اليهودي المريض الفاسد.

ونجد أنّ الفعل ﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾ فعل مضارع، وهو يدل على الحال والاستمرار والمشاركة، أي: أنهم مستمرون على هذا الخلق الذميم، وأمّا الفعل: ﴿فَعَلُوهُ﴾ ففعل ماضٍ، والسؤال: كيف الربط بين الفعل الماضي والفعل المضارع؟

١ـ النص القرآني: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يفيد أنهم يفعلون المنكر دائماً ولا يتناهون عنه أبداً، فهذه هي سمة حياتهم، ولا يؤدي هذا المعنى لو كان

النص مثلاً: لم يتناهوا عن منكر فعلوه، أو ما تناهوا عن منكر فعلوه، لأنّ هذه النصوص تعبر عن حالة واحدة، وليس فيها معنى الاستمرار والإصرار على هذا الخلق الذميم.

٢ـ كلمة ﴿مُنكَرٍ﴾ نكرة تفيد التعميم، أي: أنهم لا يتناهون عن كل منكر مهما اختلفت الأحوال والأزمان والعادات والشعوب، ولو قال: ﴿المنكر﴾ لما أفاد هذا التعميم.



﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لِمَ خصّ الله القسيسين والرهبان بالذكر بينهم؟

الجواب:

(قسيسين) جمع قسيس وهو عالم دين النصرانية وهي بلغة الروم كذلك، و(الرهبان) جمع راهب وهو من انقطع في دير أو صومعة للعبادة، ولكن لِمَ خصّ الله القسيسين والرهبان بالذكر بينهم؟ لأنه معروف عند العرب حسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم وتسامحهم، وكانوا منتشرين في أماكن عدة من جزيرة العرب، ولا شك أنّ وجود الصنفين بين النصارى سيكون سبباً لإصلاح أخلاق أهل ملّتهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾؟

الجواب:

يبين الحق سبحانه أنّ اليهود أشد عداوة للمؤمنين؛ لأنهم كانوا قد أخذوا سلطة زمنية جعلتهم السادة في المنطقة، أمّا النصارى فلم تكن لهم سيادة ولا سلطة زمنية، وكانوا عاكفين في صوامعهم وبيعهم يعبدون الله، ولذلك لم يعادوا المؤمنين كما فعل اليهود؛ لأنه ليس لديهم سلطة زمنية.

و(القس) هو المتفرغ للعلم الرباني، و(الراهب) هو المتفرغ للعبادة، والحق قد امتن بأنّ من النصارى قسيسين ورهباناً، وبذلك صاروا أقرب مودة للذين آمنوا إنْ ظلوا على هذا الوضع؛ لأن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً.

وما دام الحق قد عللها بأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون أي لا يتطاولون إلى رئاسة وليس لهم تكبر أو ترفع، فإذا غيّر النصارى وضعهم وأصابوا سلطة زمنية، فهذا يعني أنهم تخلوا عن الصفة التي حكم الله لهم بسببها بأنهم أقرب مودة.



﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة (فيض الدمع) في الآية: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؟

الجواب:

المعنى اللفظي لهذه الآية هو (يفيض منها الدمع)؛ لأنّ حقيقة الفيض أنْ يتجاوز السائل حاويه فيسيل خارجاً عنه، فتقول: فاض الماء، كما تقول: فاض الدمع، ولكن قد يسند الفيض إلى الظرف أو المكان الذي يجري فيه السائل، فتقول: مثلاً (فاض الوادي)، وتريد: (فاض ماء الوادي)، وعلى هذا النمط نسجت الآية، فقلب العبارة من (فاض الدمع من العين) إلى قوله: ﴿أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ للمبالغة في ذرف الدموع.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؟ وما دلالة ورود حرف الجر (من) ثلاث مرات في الآية؟

الجواب :

١ـ يقول العلماء: إنّ للإنسان خمس حواس ظاهرة: العين والأذن والأنف واللسان واليد، وسميت ظاهرة؛ لأنّ هناك أموراً أخرى يشعر بها الإنسان ولا يدرك مصدرها، مثل الشعور بالجوع والعطش والحب والبغض، كما أنّ هناك حاسة العضل تميز بها ثقل الأشياء وغيرها.

وفي علم النفس هناك إدراك يدرك، وهناك وجدان يوجد، وهناك نزوع ينزع، ومثال ذلك إدراك وردة جميلة المنظر في بستان قد تصيب من القلب وجداناً، أي: حباً وعشقاً، وأنت حر في أنْ تدرك ما شئت وأن تجد ما شئت، لكن ليس لك أنْ تمد يدك لتقطف الوردة، وهذا هو النزوع؛ لأنّ الشرع يحرم ذلك، وحارس البستان يمنعك من ذلك،

إذن لك الإدراك ولك الوجدان فهما مباحان، أمّا النزوع فهذا هو الأمر الذي تتدخل فيه الشريعة .

وهذه القاعدة صحيحة إلا في إدراك جمال الأنوثة، فالشرع يتدخل من البداية فيمنعك من الإدراك بغض البصر؛ لأنّ المسألة الجنسية من الصعب أن تفصلها عن بعضها، لأنه بعد الإدراك والوجدان إمّا أن تنزع فتنتهك أعراض الناس، وإمّا أن تكبت فيصيبك القهر والألم، ولذلك يأتي الشرع ليمنع من البداية هذا الإدراك للجمال .

قال الشعراوي رحمه الله تعالى:

سبحان من خلق الجمالَ ... والانهزامَ لِسَطوَتِهْ
ولذاك يأمرُنا بِغَضِّ ... الطرفِ عنه لحكمَتِهْ
من كان يطلبه فلا ... إلا بِطُهرِ شريعَتِهْ
وبذا يدومُ له التمتُّعُ ... هاهنا وبجنَّتِهْ

٢ـ وفي الآية جاءت ﴿مِنَ﴾ ثلاث مرات، فالأولى ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾، وهي تفيد الابتداء؛ لأنها تسبق الدمع، والثانية ﴿مِمَّا عَرَفُواْ﴾ وهي هنا للسببية، أي: بسبب أنهم عرفوا أنّ هذا القرآن منزل من الله، والثالثة ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ وهي هنا للتبعيض، أي: عرفوا بعضاً من الحق؛ لأنهم لم يسمعوا كل القرآن .

وهذه المرات الثلاث جاءت لتناسب مراحل الشعور التي انتهى إليها العلم التجريبي إدراكاً ووجداناً ونزوعاً، والنزوع في الآية هو ﴿ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، فهم بذلك قد دخلوا الإسلام وصاروا من أمة محمد ﷺ الشاهدة على بقية الأمم .

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾؟

الجواب:

المعنى العام للآية الأولى: أنّ الله لم يطلب منا الإيمان ليحجب حرياتنا أو يمنع عنا شهواتنا، ولكنّ الإيمان جاء ليعلي الحرية ويعلي الشهوة، فلا يأخذها الإنسان عابرة تنتهي بانتهاء الدنيا، ولكن ليأخذها خالدة ما بقيت السماوات والأرض.

أي أنّ الدين جاء بالنفعية العاقلة، ولذلك فالمتأمل بعمق في هذا الدين يقول لنفسه: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، والمؤمن يرى أنه من العجيب ألا يؤمن؛ لأنه يطمح إلى مكانة المؤمن الصالح.

أما الآية الثانية فهي إشارة إلى كلمة الحق التي قالها النجاشي وله سلطان لأهل الجاه من قريش عندما جاؤوا إليه ليرد المسلمين ويسلمهم إلى قريش، لذلك كان لهذه الكلمة وزنها فقد قال بعد أن سمع ما نزل من القرآن من سورة مريم: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

وكان قول النجاشي عظيماً، وجاءه التوكيل من رسول الله ليعقد على أم حبيبة بنت أبي سفيان، فعقد عليها وكيلاً عن رسول الله ﷺ وأمهرها من ماله ثم مات .

ولم تكن أحكام الإسلام قد وصلت إليه ليطبقها؛ لذلك كان يكفيه أنه قال هذا القول، ولذلك صلى عليه الرسول صلاة الغائب .

والله يجزل الثواب لكل من ساند الحق ولو بكلمة؛ لأنه سبحانه شكور يعطي على القليل الكثير، وهو محسنٌ يضاعف الجزاء للمحسنين .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وورد قوله تعالى: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، فلماذا؟

الجواب :

وردت في وصف الجنة ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ حوالي ٣٤ مرة، ووردت ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أربع مرات، وهي:[الأنعام ٦ ـ الأعراف ٤٣ـ يونس ٩ـ الكهف ٣١].

فعندما يكون الوصف عن الجنة يستعمل ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾، كما في [آية المائدة ٥ـ وآل عمران ١٣٦].

وعندما يكون الوصف عن المؤمنين ساكني الجنة يستعمل ﴿مِن تَحۡتِهِمُ﴾ [الأعراف:٤٣].

والأنهار هي من تحت الجنة وتحت ساكنيها، جعلنا الله منهم مع النجاة من النار، اللهم آمين.

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ بتشديد القاف، وهناك قراءه ثانية بتخفيف القاف: (عَقَدتم)، فما معنى هذه الكلمة في القراءتين؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ قرأ الجمهور بتشديد القاف ﴿عَقَّدتُّمُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وخلف بتخفيف القاف {عَقَدتُّمُ}

فأمّا﴿عَقَّدتُّمُ﴾ بالتشديد، فتفيد المبالغة في الفعل (عقد)، وأمّا قراءة التخفيف فلأن معنى العقد كافٍ في إفادة التثبيت.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمة (إطعام) في آية المائدة ٨٩: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ وكلمة (طعام) في آية المائدة ٩٥: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ﴾؟

الجواب:

يقول تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥)﴾

١ـ ينبغي أنْ نفهم أنّ الآية (٨٩) تتعلق بكفارة اليمين، والآية (٩٥) تتعلق بعقوبة قتل الصيد للمُحرِم، فالموضوع مختلف.

٢ـ الآية (٨٩) هذه كفارة يمين الإنسان إذا أقسم يميناً وأراد أنْ يتحلل منها فهناك كفارة ينبغي أنْ يفعلها، هذه الكفارة واضحة المعالم؛ ولذلك فصّل فقال: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي: كفارة اليمين، فذكر الهاء، وقال: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾؛ لأن الإنسان هو الذي سيقرر ذلك. ومنها: أُطعم عشرة مساكين من أوسط ما أُطعم أهلي؛ ولذلك قال: ﴿إِطْعَامُ﴾ أن تقوم أنت بهذه العملية: أن تُطعم أنت.

٣ـ الآية الأخرى (٩٥) التي تتعلق بعقوبة قاتل الصيد أثناء الحرم فلم يوكل الأمر للشخص وإنما أوكله إلى اثنين: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وهما يقرران؛ ولذلك لا يستطيع أن يقول: إطعام عشرة مساكين أو خمسة مساكين، وهذا أيضاً يرتبط بنوع الصيد المقتول، يعني إذا قتل أرنباً غير ما إذا قتل غزالاً مثلاً، فهذان الرجلان يقوّمان ويبيّنان قيمة

الصيد وعند ذلك يشتريان طعاماً، فهنا العلاقة (طعام) وليس (الإطعام) مباشرة؛ ولذلك قال: ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ وقال: ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ ولم يقل: كفارته؛ لأنه ليس في موضع التفصيل للشخص نفسه.

٤ـ في الآية (٨٩) قال: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾، بينما قال في الآية الثانية (٩٥): ﴿فَجَزَآءٌ﴾، ولم يقل: جزاؤه وتركها مطلقة، فهما يقوّمان قيمة الصيد، والكلام ليس عن الإطعام ولكن عن شراء الطعام.

٥ـ لما نكّر ﴿فَجَزَآءٌ﴾ نكّرفقال: ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾، ولم يحدد العدد ولا يستطيع أن يحدد العدد،لأنّ الله تعالى أطلقها فجعلها مرتبطة بنوع الصيد وبذوي العدل اللذين سيقرران ثمن الصيد فيُشترى بها يعادل القيمة طعاماً، ويتم توزيعه على المساكين.

٦ـ قوله تعالى: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ معناه أنْ يُقدر أنّ هذا الصيد لو أطعمنا به مساكين كم مسكيناً نطعم؟ كذا مسكيناً. إذن نصوم كذا يوماً، فترك الأمر ليس له وإنما لغيره، وفي الآية الأخرى الأمر له، وهذا هو الفارق.



﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا يرد في القرآن أحيانا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وأحياناً أخرى يرد ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾؟

الجواب :

١ـ في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولم يجر ذكر الرسول ﷺ في السياق أو أي إشارة إليه، كما جاء في سورة آل عمران ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٢].

٢ـ والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعاً قد ذُكر فيه الرسول في السياق. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩] و: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢] و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال:١] و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال:٢٠] و: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤] و: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد:٣٣] و: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة:١٣] و: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن:١٢] وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

السؤال الثاني:

في آية المائدة ٩٢ وآية التغابن ١٢ قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ لكنه زاد في آية المائدة ٩٢ كلمة ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ وكلمة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

زاد في آية المائدة ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ وقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ مع اتحاد ما تضمنته الآيتان فيما سوى ذلك؛ والسبب ـ والله أعلم ـ أنّ آية المائدة سبقها الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها من المحرمات، انظر آية المائدة (٩١) وما تجره عليهم هذه المحرمات من شرور، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة: ٩٠-٩١-٩٢] فناسب ذلك ذكر هذه الزيادة لتأكيد التحذير.

وأمّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، فجاء كلٌّ على ما يجبُ ويناسب.



﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التعبيرين في القرآن الكريم ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ و﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾؟

الجواب :

١ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، (لا) النافية للجنس وجناح اسمها، وخبرها جار ومجرور (عليكم).

بينما ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ جملة فعلية، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل.

و (لا) أقوى في النفي من (ليس) والنفي درجات، واللغة العربية سهلة ولكنها واسعة تعبر عن أمور كثيرة لا يمكن للغات أخرى أن تعبر عنها وأدوات النفي لها دلالاتها.

٢ـ الاستعمال القرآني للتعبيرين:

أ ـ التعبير ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٦]:

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات بما فيها الصلاة والعمرة والحج والجهاد وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] هذه عبادة.

ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٢٩].

ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣٠].

ـ ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٣] .

ـ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٤] .

ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٥].

ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [البقرة:٢٣٦].

ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ [البقرة:٢٤٠] .

و هذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

ب ـ التعبير ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾

ويستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية، كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٨] هذه في التجارة، ليست في العبادة.

ـ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] في كتابة الدَّين في التجارة.

ـ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:٢٩] .

ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] في الأكل .

ـ ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب:٥] في نسب الأولاد لآبائهم .

ج ـ وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متتابعتان كل منهما تحتوي على إحدى الجملتين، وهما في سورة النساء: [١٠١ ـ ١٠٢].

الآية (١٠١): فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ وسياق الآية في الضرب في الأرض للتجارة.

الآية (١٠٢): فيها ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، وسياق الآية في الصلاة خلال الحرب، ولا شك أن الصلاة أكثر أهمية من التجارة.

د ـ كان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] أنّ السعي ليس بركن، فردت عليه عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: لو كان الأمر كما قلت، لقال: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما .

وثبت أنّ طائفة من الناس كانت تطوف بين الصفا والمروة قبل الإسلام للأصنام، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف .

السؤال الثاني:

ما فائدة ورود (ما) بعد (إذا) في الآية في قوله تعالى ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا﴾؟

الجواب :

بشكل مختصر نقول: زاد (ما) بعد (إذا) توكيداً للتقوى.

وبصورة مفصلة نقول:

الأصل في (إذا) أن تكون للمقطوع بحدوثه وللكثير الوقوع، فالمقطوع بحصوله نحو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] فإنّ كل واحد منا سيحضره الموت، وقوله:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة:٢] ولا بدّ للمحرم من أن يتحلل .

وأما ما يقع كثيراً فنحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء:٨٦] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وتدخل (ما) بعد أدوات الشرط نحو (إذا ما) و (متى ما)، وقد ذهب النحاة فيها إلى أنها تؤدي غرضين:

١ـ إفادة الإبهام والعموم:

فإذا قلت مثلا: سأزورك إذا جنّ الليل، فالراجح أنْ يكون القصد ليل يومكم ذاك. وأما إذا قلت: سأزورك إذا ما جنّ الليل، فانه لا يتعين ليل ذلك اليوم، بل أصبح الكلام يحتمل الليالي الأخرى القابلة؛ وذلك لأن (ما) أبهمتها .

٢ـ إفادة التوكيد:

ومعنى التوكيد أظهر من الإبهام في الاستعمال القرآني والاستعمال العربي، و(ما) تزاد كافة وغير كافة، وتزاد بعد الأحرف المشبهة بالفعل وبعد طائفة من حروف الجر، وحيثما زيدت (ما) مع (إنْ) الشرطية في القرآن الكريم أُكّد شرطها بالنون ولم يتخلف من ذلك موضع واحد، علماً أنها وردت في أربعة عشر موضعاً، نحو:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الرعد:٤٠].

ولذلك يمكن أن نقول: إنّ القاعدة في زيادة (ما) هي أنه: إذا قُصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة معنى الجزاء استعملت (ما) بعدها.

* شواهد على استعمال (ما) بقصد التوكيد لمعنى الشرط:

المجموعة الأولى: مع الفعل (جاء):

الآيات [آية فصلت ٢٠: ﴿إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ﴾ هنا استعمل (ما)] و[آيات الزخرف ٣٨ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ﴾ والزمر ٧١ ﴿إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ والزمر ٧٣ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ فلم يستعمل (ما)].

آ ـ في آية فصلت ٢٠: لا يقتضي الشرط وهو المجيء شهادة السمع والبصر والجلود، ألا ترى استنكارهم لها حتى أنهم قالوا لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾، فأجابوا: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ لذلك استعمل (ما) لتوكيد معنى الشرط، وهو المجيء.

ب ـ أما آية سورة الزخرف ٣٨: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

أي: قال الآدمي لقرينه من الجن اللذين اشتركا في الدنيا في معصية الله ثم اشتركا في العذاب في الآخرة: ليتني لم أتبعك وكان بعد المشرقين بيني وبينك، وهذا مما يتوقع منهما، ثم يتبرّى بعضهم من بعض، لذلك ليس في الجزاء ما يوجب قوة الشرط الذي لا يتوقع ولا يستفاد إلا به ومنه.

ج ـ أما في آيتي الزمر ٧١ و ٧٣، فالمجيء يقتضي فتح الأبواب فلم يحتج للتوكيد، بعكس شهادة السمع والأبصار والجلود في آية فصلت فهو أمر مستغرب؛ فأكده لذلك.

المجموعة الثانية:

الآية ٢٨٢ من سورة البقرة، وفيها:

- ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ لم يستعمل (ما).

- ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ لم يستعمل (ما).

- ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ استعمل (ما).

زيدت ﴿مَا﴾ في ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ مؤكدة على الشهداء حضور الشهادة؛ وذلك لأنّ الشهيد قد يتباطأ أو يتكاسل أو ينكص عن الشهادة؛ لأنه ليس له مصلحة خاصة به أو قد تلحق به ضرراً فاحتاج إلى التوكيد، بخلاف كتابة الدين أو الإشهاد.

المجموعة الثالثة:

[الأنبياء ٤٥ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ استعمل (ما)

والنمل ٨٠ ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ لم يستعمل (ما)]

في آية الأنبياء: المعنى: وإن تطاول الإنذار وتكرر، فأكّد عدم سمعهم وعدم استجابتهم للإنذار؛ فاستعمل (ما).

أما آية النمل: (٨٠) فإنها لا تحتاج إلى توكيد كالإنذار.

المجموعة الرابعة:

آية يونس ٥١ : ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ﴾ أي: أنهم لا يؤمنون إلا إذا حلّ العذاب يقيناً لا حدساً ولا تخميناً ولا استنتاجاً فأكّد. ويدل على ذلك قوله تعالى قبلها: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٥١﴾ .

المجموعة الخامسة:

في آية المائدة ٩٣ : ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٣﴾

زاد (ما) بعد (إذا) توكيداً للتقوى، يدلك على ذلك تكراركلمة (التقوى) ثلاث مرات في نفس الآية .

المجموعة السادسة:

[آية التوبة ٨٦: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ لم يستعمل (ما) .

وآية التوبة ١٢٤ : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ﴾ استعمل (ما).

وآية التوبة ١٢٧ : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ استعمل (ما)].

آ ـ في آية التوبة ١٢٤ استعمل (ما)؛ وذلك لتوكيد معنى الشرط ﴿أُنزِلَتۡ﴾ لإعطاء القوة لمعنى الجزاء، وهو زيادة الإيمان للمؤمنين وزيادة رجس المنافقين الذين في قلوبهم نفاق .

ب ـ وأما آية التوبة ١٢٧ فاستعمل (ما)؛ وذلك لتأكيد أنّ ذلك حالهم عند نزول أي سورة، ولتأكيد أنّ الله: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم، فهم إمّا حمقى أو غافلون .

ج ـ وأما آية التوبة ٨٦ فلم يستعمل (ما)؛ لأنّ المراد هنا بالسورة على ما قيل سورة معينة وهي سورة براءة ،أو كل سورة ذكر فيها الإيمان والجهاد.

فهم ـ أي: المنافقون ـ وخاصة أولي الطول، وهم أصحاب الفضل والسعة والقدرة البدنية يطلبون في مثل هذه الحالات الإذن بالقعود، فهذا هو تصرفهم المعتاد، وليس هناك حاجة إلى تأكيد معنى الشرط لتأكيد معنى الجزاء، وهو طلب الاستئذان.

يلاحظ أن (إذا) تكررت في أكثر من ٤٠٠ موضع في القرآن، فأولها في سورة البقرة ١١ وآخرها في سورة الفلق ٥ .

كما تكررت (إذا ما) في ١١ موضعاً، وهي:

[البقرة ٢٨٢ـ المائدة ٩٣ـ التوبة ٩٢ ـ التوبة ١٢٤ـ التوبة ١٢٧ـ يونس ٥١ـ الأنبياء ٤٥ ـ فصلت ٢٠ـ الشورى ٣٧ـ الفجر ١٥ ـ الفجر ١٦]، والله أعلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ (٩٥) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ﴾ ما الفرق بين (العِدل و العَدل)؟

الجواب:

(العِدل) بالكسر هو المِثل تقول: عندي عِدل جاريتك، فلا يكون إلا على جارية مثلها.

وأما (العَدل) فيكون على قيمتها من الثمن، فتقول: عندي عَدل جاريتك، أي: قيمتها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾، والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (إطعام) ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ و(طعام) ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٨٩.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ



السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٥ وآية المائدة ١٠١: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٞ (١٠١)﴾ وتأتي في آيات أخرى: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٧٣)﴾، فما دلالة كل من التعبيرين في الاختيار القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٥ .



﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (١٠٣)﴾

السؤال الأول:

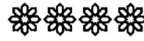
ما دلالة تنكير الكذب و تعريفه؟

الجواب :

١ـ المعرفة ما دلّ على شيء معين، والكذب يقصد شيئاً معيناً بأمر معين كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ (٦٩)﴾ [يونس:٦٩] فعندما يقول (الكذب) فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق نحو: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا

وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)﴾ [المائدة:١٠٣] إذن هذا الكذب معرّف؛ لأنه في مسألة معينة، يتعلق بهذه الذبائح، فاستعمل التعريف (الكذب).

٢ـ أما عندما يقول: (كذب) فإنه يشمل كل كذب، كما في الآية: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٩٣]، وليس هنالك مسألة معينة ذكرها، فهذه عامة (كذب).



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (وجدنا وألفينا) في القرآن الكريم في آيتي البقرة ١٧٠ـ والمائدة ١٠٤؟

الجواب:

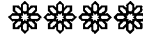
انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ في آية البقرة ١٧٠ و: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ في آية المائدة ١٠٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين إسناد كل من الفعلين (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم إلى الموت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثاني:

لماذا وردت هنا في **الآية** ﴿ثَمَنٗا﴾، مع أنها وردت في أماكن أخرى ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (ثمن) في القرآن الكريم في ١١موضعاً، وفي موضع واحد في آية المائدة ١٠٦ لم يوصف، بينما وصف في المواضع الأخرى .والسبب في ذلك:

آـ الثمن هو العوض أو المقابل.

ب ـ ذُكرت كلمة ﴿ثَمَنًا﴾ مجردة حتى يشمل الحقير والعظيم والمادي والمعنوي والنفيس والتافه، فنُكّرت كلمة (ثمن) حتى لا يكون هناك أي مجال للتلاعب،وكأنها عبارة قانونية، وحتى لا يجد أحد هذين الشاهدين أي مجال للتنصل.

أي أنّ الآية أكّدت أنه ليس هناك أي مجال للمساومة: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ كأن الثمن هو المأخوذ مهما يكن هذا الثمن مقابل دفع الشهادة، بما في ذلك الثمن المعنوي من أنه سيتخلى عن قَسَمِه (فيقسمان)، ويشهد زوراً من أجله.

٢ـ وُصف الثمن بالقليل في تسع آيات تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، وجاء مرة واحدة: بثمن بخس، في آية يوسف ٢٠، أي: باعوه دون قدره وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّاهِدِينَ ۝٢٠﴾ فقال: ﴿فِيهِ﴾ أي: في بيع يوسف عليه السلام، ولم يقل: (وكانوا من الزاهدين)، وإلا لوصفهم بالزهد أي عدم الطمع.

٣ـ آيات الثمن القليل هي:[البقرة ٤١ـ ٧٩ـ ١٧٤ـ آل عمران ٧٧ـ١٨٧ـ ١٩٩ـ المائدة ٤٤ـ التوبة ٩ـ النحل ٩٥].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾، ما الفرق بين (حلف وأقسم) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

في القران استعمل (الحلف) للحلف الكاذب أو الحنث فقط، انظر: [المائدة ٨٩ ـ المجادلة١٤ ـ التوبة ١٠٧].

واستعمل (القسم) في الكذب والصدق، ففي الكذب كما في الآيات [الأعراف٢١ـ إبراهيم ٤٤ـ النور ٥٣] واستعمله أيضا في الصدق، كما في الآيات [الواقعة ٧٥-٧٧ المعارج ٤٠].



﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٠٧) ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية المائدة ١٠٧: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ باللام وحدها.

وقال في آية المائدة ٥٣: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بإنّ واللام فما السبب؟

الجواب :

١ـ اجتماع إنّ واللام معاً يؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها أو باللام وحدها.

٢ـ قال تعالى في الآية ١٠٧: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ باللام وحدها، وقال في الآية٥٣: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ﴾ بإن واللام.

والسبب يعود لاختلاف القسمين، فالقسم الثاني فيه مبالغة أكبر بدليل قوله تعالى ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ (٥٣)﴾، فلمّا بالغوا في القسم بالغوا في التوكيد .



﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة جواب الرسل في الآية: ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩)﴾؟

الجواب :

في هذه الآية ينبهنا الله سبحانه إلى أنْ نستعد ليوم الحساب بالالتزام بالمنهج، والله سوف يسأل الرسل في ذلك اليوم ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾؟ أي كيف استجاب الناس لأمر المنهج الذي دعوتم إليه؟ وفي هذا تقريع لمن خالف الرسل.

وإجابة الرسل: ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩)﴾ والسؤال كيف يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ﴾ على الرغم أنّ هناك من استجاب لدعوتهم ومن لم يستجب لها؟

وهذا الجواب دقيق؛ لأنّ الآخرة فيها حساب على نوايا القلوب والسرائر، وعلم الرسل هو للأمور العلنية من أقوال وسلوك، ولكنّ الله يحاسب على حسب النية والسلوك، وهو أعلم بالسرائر وما تخفي الضمائر.

لذلك فإنّ إجابتهم هي قمة الأدب مع الله؛ لأنهم يعلمون أنّ علم الله شامل قد وسع كل شيء؛ فلذلك جاء قولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ .

وهنا في هذه الآية يجمع الله كل الرسل ويسألهم سؤالاً واحداً على الإجمال، ثم تأتي الآية التي تليها بعيسى بن مريم؛ ليسأله سؤالاً خاصاً عن حادثة معينة، فلماذا؟

إنّ مرد ذلك هو أنّ بعض الذين آمنوا بعيسى قد وضعوه في موضع الألوهية أو بنوة الألوهية، ونعلم أنّ قصارى ما صنعت الأمم السابقة أنّ بعضهم كفر بالرسل، لكن لم يدّعِ أحدٌ من هذه الأمم أنّ الرسول الذي جاء هو إله، وإنْ كان بعض فرق اليهود قد قالوا: إنّ عزيراً هو ابن الله، وهذه الفرقة قد انقرضت ولم يبق يهودي يقول ذلك، والله سبحانه قد جعل الشرك به قمة الكفر الذي لا غفران له.

ولذلك سرد الله في الآيات التي تلي الآية ١٠٩، سرد نعمه على سيدنا عيسى عليه السلام، وليس الهدف من ذلك تنبيه الرسول إلى النعمة؛ لأنه يعلمها جيداً، ولكنه تقريع لمن رأى الأحداث والنعم ولم يلتزم بالإيمان بالله بعدها.

وقد ذكر الله قسمين من النعم:

أ ـ قسماً يقنع أصحاب العقول والألباب والفكر مثل: تعليم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.

ب ـ وقسماً يقنع القوم الماديين الذين لا يؤمنون بملكوت الله في غيب الله نحو: الخلق من الطين كهيئة الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه و الأبرص، وهذه الآيات فيها خرق للناموس المادي؛ ولذلك يُتبع الحقُّ كلَ واحدةٍ منها بذكر كلمة ﴿بِإِذْنِيۖ﴾ .

السؤال الثاني:

من قراءة الآيات الثلاث:[البقرة ١٤٣ـ النساء ٤١ـ المائدة ١٠٩] يرد أنّ الأنبياء أولى منا بالشهادة، فما المعنى والحكمة؟

الجواب :

١ـ في آية المائدة ١٠٩ معناه: لا نعلم حقيقة جوابهم باطناً وظاهراً، بل أنت يا رب المتفرد بعلم ذلك إلا ما علمتنا؛ ولذلك قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩﴾ والمعنى: أننا نعلم ظاهر جوابهم، أمّا باطنه فأنت أعلم به .

٢ـ ومعناه أيضاً أنّ جوابهم لما كان في حال حياتنا ولا علم لنا بما كان بعد موتنا؛ لأن الأمور بخواتيمها.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ في سورة آل عمران ٤٩ و ﴿بِإِذْنِي﴾ في سورة المائدة: ١١٠؟ وما الفرق في استعمال الضمير (فيها وفيه)؟ وما دلالة استعمال (إذ) وعدم استعمالها في آل عمران؟

الجواب :

جاءت﴿بِإِذْنِي﴾ في سورة المائدة؛ لأنّ الله تعالى يعلم أنّ هناك من سيدّعي ألوهية عيسى عليه السلام، فقطع عليهم تعالى خط من زعم الألوهية.

فإذا فهم أحدهم من آية سورة آل عمران ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أنّ عيسى هو الله كما يقولون افتراء عليه، فليعد إلى سورة المائدة التي فيها الكلام موجه من الله تعالى إلى عيسى عليه

السلام؛ حتى يفهم الناس أنّ الذي يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى هو الله تعالى، وليس عيسى عليه السلام، فالقرآن يدعم بعضه بعضاً.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٤٩.

السؤال الثاني:

(ذكّر) في آية آل عمران ٤٩ فقال: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ و(أنّث) في آية المائدة ١١٠ فقال: ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ جاءت آية آل عمران حكاية عن كلام المسيح عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم يكن صوّره بعد فحسُنَ التذكير والإفراد ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ .

٢ـ وأما آية المائدة فهي من كلام الله تعالى له يوم القيامة معدداً نعمه عليه بعد ما مضت وكان قد اتفق ذلك منه مرات؛ فحسُنَ التأنيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ فيه ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ .

السؤال الثالث:

لماذا الاختلاف في مناداة الله تعالى لعيسى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ في سورة آل عمران ٥٥ و ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ في آيات سورة المائدة ١١٠ـ ١١٢ ـ ١١٦؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٥.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية المائدة ١١١: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ وقوله في آية آل عمران ٥٢: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فما السبب في (حذف النون) من آية آل عمران؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٢.



﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال الحواريون: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هل شكّوا في قدرة الله على بعض الممكنات؟ !!!.

ولماذا وصفوه بالاستطاعة مع أن الاستطاعة إنما تكون بالجوارح(وفي هذا تشبيه)؟!!!

علماً أنّ الحواريين هم أخلص أتباع عيسى عليه السلام والمؤمنون به بدليل قوله تعالى عنهم في آية المائدة ١١١: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾؟

الجواب :

هذا استفهام عن الفعل لا عن القدرة، كما يقول الفقير للغني القادر: هل تقدر أنْ تعطيني ديناراً؟ فهذا يسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة، وكأنّ معنى سؤالهم: أيستجيب الله وينزل علينا مائدة من السماء؟

وفي قراءة أخرى عن معاذ بن جبل: أقرأني رسول الله ﷺ هل تستطيع ـ بالتاء ـ ربَك ـ بالنصب، أي: هل تستطيع أن تسأل ربك؟

وربما طلبوا ذلك؛ ليحصل لهم مزيد من الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠]

*** سؤال:**

فإن قيل: لو كان المراد هذا المعنى فلِمَ أنكر عليهم عيسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾؟

والجواب: أنّ إنكاره عليهم؛ لأنهم أتوا بلفظ يحتمل المعنى الذي لا يليق بالمؤمن المخلص إرادته وإنْ كانوا لم يريدوه.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى : ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ ليس هنا للتدرج، وإنما هنا للتوكيد .

٢ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا﴾ استعملوها للعلو، ثم أكدوا ذلك بكلمة ﴿السَّمَآءِ﴾ فهم يريدونها من السماء .

٣ـ المائدة: (فاعلة) بمعنى (مفعولة)، مثل عيشة راضية، وأصلها مميدة ميد بها صاحبها، والعرب تقول: مادني فلان يميدني إذا أحسن إليه .

السؤال الثالث:

لماذا الاختلاف في مناداة الله تعالى لعيسى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ في سورة آل عمران ٥٥ و﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ في آيات سورة المائدة ١١٠ـ ١١٢ ـ ١١٦؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٥٥.



﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة أن كلمة ﴿عِيدًا﴾ جاءت مفردة في آية المائدة ١١٤؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة ﴿عِيدًا﴾ مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة الإفراد ولم تأتِ بصيغة الجمع، والعيد يأتي مرة في العام أو مرتين .

والعيد ما يعتاده الإنسان من شوق ومرح أو من هم وحزن، وكلتا الدلالتين وردت في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي، ومرور العيد على المرء يجعله عادة في حياته، ثم صار العيد لكثرة استعماله في السرور والمرح يعني اليوم السعيد، وعندما يرتبط العيد بمعنىً قرآني إسلامي ينبغي على المرء ألا يقضيه إلا بما يرضي الله عز وجل من طاعة وعبادة وصلة رحم.

٢ـ كذلك لم ترد كلمة (دين) في القرآن بصيغة الجمع أبداً.

٣ـ بينما وردت كلمة (حزب) و(أحزاب) أي: بصيغة الإفراد والجمع:

أـ حزب: بالإفراد:

وقد وردت في سياق إيجابي: حزب الله، وغير إيجابي: حزب الشيطان، وربما دل ذلك على أنّ الخير والشر في صراع مستمر في هذه الحياة .

ب ـ أحزاب: بالجمع:

فقد وردت ١١ مرة في معاني الشر كله، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ [الزُّخرُف:٦٥] .

السؤال الثاني:

هل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب :

للبدل عدة أغراض منها:الإيضاح والتبيين، أو يكون للمدح أو الذمّ، أو يكون للتخصيص أو يكون التفصيل، وقد يكون للتفخيم أو يكون للإحاطة والشمول، كما في

قوله: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٤]، وقد يكون للتوكيد أيضاً أو غيره.

السؤال الثالث:

ما تعريف البدل وما أقسامه وأغراضه؟ وما فرق البدل عن عطف البيان؟

الجواب:

يعرف النحويون أنّ البدل هو الذي يعتمد بالحديث، وإنما يُذكر الأول لنحو من توطئة؛ وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الإفراد.

أهم أقسام البدل:

١ـ البدل المطابق: ويسمى (بدل كل من كل)، نحو: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٤٢].

٢ـ (بدل بعض من كل)، نحو:

ـ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران:٩٧].

ـ ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ [المزَّمل:٢-٣].

٣ـ بدل اشتمال: وهو ما دلّ على معنى في متبوعه، نحو ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ [البروج:٤-٥] فالنار: بدل اشتمال من الأخدود؛ لأنّ الأخدود اشتمل على النار.

أهم أغراض البدل:

١ـ الإيضاح والتبيين، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] فالفدية مبهمة يوضحها (طعام مسكين) .

ـ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩] فالعذاب مبهم أوضحه ما بعده.

٢ـ قد يكون الثاني مبيناً حقيقة الأول، كقوله تعالى:

ـ ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف:١٤٨] فحقيقة العجل أنه ليس عجلاً حقيقياً وإنما جسد له خوار، فاتضح الأمر أكثر من اجتماع البدل والمبدل منه.

٣ـ قد يكون للمدح أو الذم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (١) ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١-٢]

فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (١)﴾ [إبراهيم:١] صفتان لله تعالى دالتان على المدح.

ـ ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)﴾ [طه:١٢] فلو قال: (طوى) فقط لما عُلم أنه مقدس.

ـ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ (٣)﴾ [التين:٣] .

ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦)﴾ [العلق:١٥-١٦] .

٤ـ وقد يكون للتخصيص، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦)﴾ [الصافات:٦] فالزينة عامة خصصت بالكواكب.

ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:١٥-١٦]، فبين جنس القوارير.

ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران:١٥٤] .

٥ـ وقد يكون للتفصيل، كقوله تعالى:

ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم:٧٥] ففصّل ما يوعدون.

٦ـ وقد يكون للتفخيم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر:٦٦] فإنه أبهم الأمر أولاً ثم أوضحه؛ ليكسبه الإعجاب والفخامة.

٧ـ وقد يكون للإحاطة والشمول، كقوله تعالى:

ـ ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٤].

٨ـ وقد يكون للتوكيد، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة:١١٤].

عطف البيان:

عطف البيان هو قريب من البدل، تقول: أقبل أخوك محمد، ويصح أنْ يعرب عطف البيان بدلاً إلا في مواطن:

آ ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً، بينما البدل قد يكون فعلاً .

ب ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابع لجملة، بينما البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

ج ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً، بينما البدل يصح أنْ يكون.

ويأتي أشهر النحاة فيقول: ليس بين البدل وعطف البيان فروق.



﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام الجملة الاسمية المؤكدة في الآية، مع أنها كلام الله؟ ولماذا استعمل ﴿عَلَيْكُمْ ۖ﴾ ولم يقل: إليكم؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بالجملة الاسمية المؤكدة؛ لتناسب طلبهم في الآية ١١٢ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ والجملة الاسمية مع التأكيدات اللفظية بإنّ هو لتأكيد قدرة الله بالإنزال؛ أي: ستنزل، ولم يقل: سأنزلها، بل هي واقع مؤكد يقيني؛ لأنه سيعقد معهم صفقة خاصة .

٢ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ ۖ﴾ استعمل (على) لنزولها من السماء مع تحول الخطاب لهم وهذا فيه التفات، فلم يقل: (إني منزلها عليهم)؛ لأنه سيأخذ عليهم العهد مباشرة وليس بواسطة عيسى عليه السلام، وكأنّ الله سبحانه سوف يعقد معهم صفقة، وهي:

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ لماذا؟ لأنّ جميع العالمين ما مروا بهذه التجربة، الكل آمن بناء على كلام الرسول أو على معجزة ظاهرة، أمّا هؤلاء فالمعجزة مادية وتذوقوها وأكلوا منها، لذلك من يكفر منهم بعد ذلك يعذبه الله عذاباً خاصاً لا يعذبه أحداً من العالمين. والله أعلم.



﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ الله تعالى يعرف إنْ كان عيسى قد قال هذا الكلام أم لا، فما دلالة السؤال؟

الجواب :

رب العالمين يعلم كل شيء علماً أزلياً، لكنّ التقريرهو لما تتعلق به المحاسبة والجزاء، والأمور لا توكل إلى علمه الأزلي حتى يقيم الحجة، وبالحجة يقيم المحاسبة على عباده.

والسؤال هنا استفهام: أأنت فعلت كذا؟ حتى يقيم الحجة عليه أو له، وهذا استفهام غرضه التقرير، وهو لم ينكر عليه ما ليس فاعله لأنه يعلم.

وهذا السؤال يتكرر كثيراً في القرآن الكريم، وغرضه البلاغي التقرير، وقد يكون للتعجب أو الإنكار أو التقرير، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ هذا استفهام غرضه التقرير، و﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [المرسلات:١٦] والمسؤول يعلم. وقد يكون للتعجب: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود:٧٢] والاستفهام في اللغة نفهم غرضه في سياق الدلالات الخاصة به.

اللمسة البيانية في السؤال هي أنّ هنالك من قال هذا الكلام، يبقى من قال؟ أأنت قلت أم غيرك؟ أي: قيل هذا الكلام، ويبقى من قاله: أأنت قلته أم غيرك؟ ليس السؤال شكاً في المسألة قيل أم لم يُقل، لكن المسألة عن القائل. ولم يكن عيسى عليه السلام هو القائل؛ وذلك حتى يقيم الحجة له.



﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا ختمت آية المائدة ١١٨ بـ ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ ولم تختم مثلاً: فإنك أنت الغفور الرحيم؟

الجواب :

١ ـ ليس كل موطن تذكر فيه المغفرة أو الرحمة ينبغي أن تُختم الآية بها وإنما يعود ذلك إلى السياق،كقوله تعالى في آية الممتحنة ٥ :

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ فإنها لم تختم بالمغفرة مع أنه ورد طلب المغفرة .

٢ ـ لو نظرنا في سياق آية المائدة لوجدنا أنه لا يصح ختم الآية بالمغفرة والرحمة،لأنّ الآية وردت في سياق التبرؤ من قول عظيم قالته طائفة من النصارى ونسبته إلى عيسى عليه السلام حكاه الله تعالى بقوله:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٦-١١٧-١١٨].

فنُسب إلى عيسى أنه طلب من الناس أنْ يتخذوه وأمه إلهين من دون الله .

وهذا الطلب يمنع عيسى من طلب المغفرة أو ترجّيها لهؤلاء الذين جعلوا الله تعالى دون منزلة عيسى وأمه.

٣ ـ لو ختم الآية بالمغفرة والرحمة لضعُف المعنى، لأنّ هذا ينفرد بالشرط الثاني ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ولا يكون له تعلّقٌ بالشرط الأول ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾

في حين أنّ خَتْمَهُ بالعزة والحكمة متعلق بالشرطين، فإنّ تعذيبه ومغفرته منوطان بعزته وحكمته.

٤ ـ فإنْ قلت: المغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾؟

فالجواب:بنى الكلام على الشرط (إنْ) أي: إنْ غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة؛ لأنّ المغفرة حسنة لكل مجرم، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن، أي: أنّ الآية مبنية على التسليم لله سبحانه وتفويض الأمر إليه، وليس على التعريض بطلب المغفرة.

٥ ـ إنّ ذكر (العزيز الحكيم) هو من باب الاحتراس؛ وذلك أنّ الله لا يغفر لمن استحق العذاب، لكن إنْ تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك في ذلك، والحكمة فيما فعلته.

٦ـ إنّ المقام مقام تبرؤ مما نُسب إليه، وليس مقام طلب عفو ومغفرة، فلا يصح في هذا المقام الصفح والمغفرة.

٧ ـ وقيل: إنه لا يجوز سؤال المغفرة والرحمة؛ لأنّ هؤلاء مقطوع لهم بالعذاب وعدم المغفرة، فلا يصح التعريض بالمغفرة، بل الذي يصح هو تفويض الأمر لله وتركه إلى حكمته سبحانه .

٨ ـ لا يَحْسُن طلب المغفرة لهم من سيدنا عيسى عليه السلام؛ لأنّ في الآيات وضع المسؤول المستنطق عما ادُّعي عليه ودفاعه أنّ هذا افتراء عليه، فلا يصح أدباً أنْ يطلب المغفرة لهؤلاء المفترين الذين أعلَوه وأمه على الله سبحانه .

لذلك يتبين أنّ ختم الآية بها ختم من العزة والحكمة هو الأولى.

ملاحظات:

آ ـ في الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ لم يقل: مثلاً بأنهم أحقاء بذلك أو ذلك عدل، لأنه لو قال ذلك لم يعن ذاك أنهم عباده؛ لأنّ الذي يعذب شخصاً أو جماعة لا يعني أنّ المعَذَّبين عباده، فاختيار لفظ العبودية أنسب في هذا المقام.

ب ـ الضمير ﴿أَنتَ﴾ وتعريف ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ للدلالة على توكيد الحكم وقصر العزة والحكمة عليه، فلم يقل: مثلاً فإنك عزيز حكيم، ولكن قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ فهو الإله حصراً وهو العزيز الحكيم حصراً.

السؤال الثاني:

لماذا لم يقل سيدنا عيسى كما قال سيدنا إبراهيم في آية إبراهيم ٣٦: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ فإنه سأل المغفرة والرحمة أو عرّض بهما لمن عصاه؟

الجواب:

١ ـ أنّ إبراهيم عليه السلام لم يقل: (ومن عصاك فإنك غفور رحيم)، بل قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ ومعصية العبد دون معصية الله.

٢ ـ أنّ إبراهيم عليه السلام ذكر المعصية ولم يذكر الشرك، فلم يقل مثلاً: ومن أشرك بك؛ لأنّ المعصية درجات، أمّا الشرك فهو أكبر الكبائر، والله قد يغفر للعاصي غير المشرك، أمّا المشرك فإنّ الله لن يغفر له.

٣ ـ هل يظن أحد أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يمكن أنْ يقول: ومن اتخذني إلهاً من دونك فإنك غفور رحيم؟ !!!، فهذا ما قالته الفرقة المفترية على عيسى عليه السلام.

٤ ـ إنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام وإنْ كان أواهاً حليماً كما وصفه الله تعالى تبرأ من أبيه لَمّا تبين أنه عدو لله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤]

فاتضح الفرق بين المقامين.

السؤال الثالث:

لم قدّم العذاب على المغفرة؟

الجواب:

قدّم (إن تعذبهم) على (إن تغفر لهم)؛ لأنّ العذاب هو الأصل، الأصل فيهم أن يُعذبوا، والأصل في المشرك بالله سبحانه وتعالى العذاب، والمغفرة استثناء، فبدأ بالأصل ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ ثم جاء إلى الاستثناء وهو احتمال المغفرة، فقدّم ما هو أصل ثم ثنّى بما هو استثناء على الأصل، وربطه بالعزة والحكمة، وليس بالغفران.

السؤال الرابع:

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ لِمَ لمْ يقل: فهم عبادك؟

الجواب:

هذا فيه معنى التأكيد أنه لا شك ولا ريب في عبوديتهم لك، هم عبيد لك تفعل بهم ما تشاء. وعندما تؤكد ذلك فهذا نوع من التقديم لله تعالى أنه لا أحد يشاركك في هذا

الأمر، فأنت تفعل بهم ما تشاء، وهذا النوع من الإذلال فيه نوع من التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

والإنسان يتقرب إلى الله تعالى بذكر عبوديته، كما في الحديث الشريف «**اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك**» ثم يبدأ يدعو. ففي البداية يقدّم العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى ثم يدعو « **أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**» هذا الربيع الذي ينمو في هذا الجفاف. نسأل الله عز وجل أنْ يجعله ربيع قلوبنا.

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ ما اللمسة البيانية في هذه التركيبة اللغوية؟ لمَ لم يقل: فأنت العزيز الحكيم؟

الجواب :

الضمير(أنت) هنا يسميه علماؤنا (ضمير الفصل) وفيه معنى التأكيد، لكنْ ما حقيقة المجيء به؟ قالوا: للفصل بين الخبر والصفة. وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، أي لا يكون في موضع رفع ولا نصب ولا جرّ. ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨] أنت: ضمير فصل فيه معنى التأكيد؛ أي: أنت وليس سواك، أنت دون غيرك.

السؤال السادس:

لماذا لم يقل في الآية مثلاً: فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الله أو الإله أو الرب؟

الجواب :

لا يستقيم عند ذلك المعنى؛ لأنّ الإله بمعنى المعبود. هو يريد أنْ يبين أنّ جُرمهم عظيم، فلا يقضي فيه إلا عزيز حكيم، ولا يستقيم سوى كلمة العزيز الحكيم مع هذا الجُرم. ولم يشأ الحق أنْ يقول: (الغفور الرحيم)؛ لأنه عند ذلك سيقربهم إلى الغفران، وهو لا يريد أنْ يتدخل في هذا الموضوع بهذا القدر، وإنما مجرد الإشارة إلى أنه هناك مجال للمغفرة، والذي يغفر عزيز حكيم، عزّ فحكم.

وقوله ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ يريد أنْ يذكر أنهم عباد الله، والأمر متروك لمشيئته يتصرف بشأن عبيده كيف يشاء، ومنوط بعزته وحكمته، فإنه هو العزيز الحكيم .



﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في آية المائدة ١١٩ : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وفي آية المجادلة ٢٢ : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، فما السبب في زيادة كلمة ﴿أَبَدًا﴾؟

الجواب :

١ـ في آية المائدة لمّا تقدم وصفهم بالصدق ونفعهم إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكّده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾ وأكّده بقوله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ .

٢ـ ولمّا تقدم في المجادلة﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أكّده بقوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ .



﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿وَمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾؟

الجواب :

استخدام ﴿وَمَا﴾ في هذه الآية بدل (مَن) لأنها جاءت لغير العاقل؛ لأنّ في الآخرة الناس يتساوون مع الجماد والنبات والحيوان في كونهم مأمورين ولا مُراد للناس في أي أمر؛ لذا جاء استخدام ﴿وَمَا﴾ وليس (مَن)؛ لأنّ كل المخلوقات تساوت عند الله ولا اختيار للناس في الآخرة كما كان لهم في الدنيا.



رابعاً ـ تناسب مفتتح المائدة مع خاتمتها:

قال تعالى في بداية سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١]. . . ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]. . ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة:٥]...

١ ـ فذكر الإيفاء بالعقود وما يتعلق بالأطعمة.

وختمت بذكر المائدة، وهي إنزال الطعام من السماء.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٢-١١٣-١١٤] .

٢ ـ ثم إنّه ذكر الوفاء بالعقود في بداية السورة، وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١] .

وذكر في خاتمة السورة ما أخذه عيسى على بني إسرائيل أنْ يعبدوا الله فتركوا الوفاء بالعهد، وذلك قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾ [المائدة:١١٧] .

٣ ـ وذكر في أوائل السورة ما نزل في عرفة من القرآن، وذلك قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] .

ويوم عرفة وما بعده هو عيد للمسلمين لأولهم وآخرهم.

وذكر في أواخر السورة أنّ المائدة تكون لهم عيدًا لأولهم وآخرهم، وذلك قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة:١١٤].

وذلك من لطيف المناسبات.

والله أعلم .



سورة الأنعام

أولاً ـ تناسب خاتمة المائدة مع فاتحة الأنعام:

١ ـ قال سبحانه في خاتمة سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠]

وقال في بداية سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ .

فذكر في خاتمة المائدة أنّ له ملك السماوات والأرض وما فيهن .

وقال في بداية الأنعام أنه سبحانه خلق السماوات والأرض، فهو الخالق والمالك .

٢ ـ ذكر في خواتيم المائدة قسماً ممن عدل عن العبادة واتخذ من دونه معبوداً، فقال:﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المائدة:١١٦].

وذكر في بداية الأنعام من عدل عن عبادته فقال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ .

فناسب خواتيم المائدة مفتتح سورة الأنعام .

ثانياً ـ هدف السورة: التوحيد الخالص لله في الاعتقاد والسلوك:

سورة الأنعام هي أول سورة مكية في ترتيب المصحف بعد ما سبقها من سور مدنية، وهي أول سورة ابتدأت بالحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ومن مميزاتها أنها

نزلت ليلاً دفعة واحدة، وأنه شيّعها سبعون ألف ملك، والسبب في هذا الامتياز أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، ويقول الإمام القرطبي: إنّ هذه السورة أصلُ في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذّب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، ونزولها ليلاً لما في الليل من سكينة للقلب ومدعاة للتأمل والتفكر في قدرة الله تعالى وعظمته، وتناولت سورة الأنعام القضايا الأساسية الكبرى لأصول العقيدة والإيمان، وهذه القضايا يمكن تلخيصها فيما يلي:

قضية الألوهية.

قضية الوحي والرسالة.

قضية البعث والجزاء.

والحديث في هذه السورة يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة ونجد سلاحها في ذلك الحجة والبرهان والدلائل القاطعة للإقناع؛ لأنها نزلت في مكة على قوم مشركين، ومما يلفت النظر في السورة الكريمة أنها عرضت لأسلوبين بارزين لا نكاد نجدهما بهذه الكثرة في غيرها من السور وهما: **أسلوب التقرير وأسلوب التلقين.** ونرى هذين الأسلوبين يأتيان بالتتابع في السورة، فتأتي الآيات التي يذكر الله تعالى لنا فيها البراهين على عظمته وقدرته في الكون، ثم تنتقل الآيات للحجة مع المشركين والملحدين والبعيدين عن التوحيد.

أسلوب التقرير: يعرض القرآن الأدلة المتعلقة بتوحيد الله والدلائل المطلوبة على وجوده وقدرته وسلطانه وقهره في صورة الشأن المسلّم به ويضع لذلك ضمير الغائب عن الحس الحاضر في القلب الذي لا يماري فيه قلب سليم ولا عقل راشد في أنه تعالى المبدع للكائنات صاحب الفضل والإنعام، فيأتي بعبارة (هو) الدالة على الخالق المدبر الحكيم. وفي هذه الآيات تصوير قرآني فني بديع بحيث يستشعر قارئ الآيات عظمة الله وقدرته، وكأن الآيات مشاهد حية تعرض أمام أعيننا. وقد ورد لفظ (هو) ٣٨ مرة في السورة، ومن هذه الآيات:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾.
- ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦٠﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾.
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

أمّا أسلوب التلقين فإنه يظهر جلياً في تعليم الرسول ﷺ تلقين الحجة ليقذف بها في وجه الخصم، بحيث تأخذ عليه سمعه وتملك عليه قلبه، فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها، ويأتي هذا الأسلوب بطريق السؤال والجواب، يسألهم ثم يجيب، ونلاحظ في السورة كثرة استخدام **كلمة** (قل) **فقد وردت في السورة** (٤٢) مرة. وهكذا تعرض السورة الكريمة لمناقشة المشركين وإفحامهم بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي تقصم ظهر الباطل.

ومن هنا كانت أهمية سورة الأنعام في تركيز الدعوة الإسلامية، تقرر حقائقها وتثبت دعائمها وتحاجج المعارضين لها بطريقة المناظرة والمجادلة. والسورة تذكر توحيد الله جلّ وعلا في الخلق والإيجاد وفي التشريع والعبادة، وتذكر موقف المكذبين للرسل وتقص عليهم ما حاق بأمثالهم السابقين، وتذكّر بالبعث والجزاء، وفيما يلي بعض الآيات التي ورد فيها كلمة (قل):

- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ (تبين الآية أنّ لله تعالى هو الملك المسيطر على المكان).

• ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (تبين هذه الآية أنّ الله تعالى هو الملك المسيطر على الزمان).

• ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

• ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

• ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

• ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

• ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

• ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

• ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

• ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

• ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ .

- ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾
- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ .

- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ .

وهكذا تتوالى السورة بمجموعة من الآيات التي تدل على قدرة الله تعالى ثم تتبعها آيات مجادلة ومواجهة مع المشركين والملحدين.

ثم تأتي **قصة سيدنا إبراهيم مع قومه**: وسبب ورود هذه الجزئية من قصة سيدنا إبراهيم في سورة الأنعام مناسب لأسلوب الحجة وإقامة البراهين والأدلة عند مواجهة المشركين والملحدين، فجاءت الآيات تعرض قصة سيدنا إبراهيم ومحاجته لقومه من الآيات[٧٤- ٨٣].

ثم تأتي آية فاصلة في السورة تدلنا على أن آيات الله تعالى في الكون تُرى، ولكن القلوب إذا عميت لا تراها وتجحد بها وتكفر. ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤] .

ثم تختم السورة بربع كامل بالوصايا العشر: التي نزلت في تلك الكتب السابقة ودعا إليها جميع الأنبياء السابقين ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام:١٥١] وتنتهي بآية فذة تكشف للإنسان عن مركزه عند ربه في هذه الحياة، وهو أنه خليفة في

الأرض وأنّ الله تعالى جعل عمارة الكون تحت يد الإنسان تتعاقب عليه أجياله، وأنّ الله تعالى فاوت في المواهب بين البشر لغاية سامية وحكمة عظيمة وهي الابتلاء والاختبار في القيام بتبعات هذه الحياة، وذلك شأن يرجع إليه كماله المقصود من هذا الخلق وذلك النظام. وهذا كله مرتبط بهدف سورة البقرة وهو الاستخلاف في الأرض.

سورة الأنعام تتحدث عن ملك الله تعالى في الكون، وكأنما يقول تعالى لنا: وحدوني أملككم الأرض وأجعلكم خلائف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥] .

سميت السورة (الأنعام): ليس لورود كلمة الأنعام فيها فقط، وإنما لذلك سبب رئيس، وهو أنّ الأنعام عند قريش كانت للأكل والشرب والغذاء والمواصلات والثروة وعصب الحياة، وكان كفار قريش يقولون: نعبد الله لكنها هي عصب الحياة، ولنا أن نتصرف فيها كيف نشاء فنحلل ونحرم ما نشاء فيها، لكنّ الله تعالى يخبرهم أنّ التوحيد يجب أنْ يكون في الاعتقاد وفي التطبيق أيضاً، ويجب أنْ نوحد الله في كل التصرفات وليس في المعتقدات فقط، وهذا توجيه ليس فقط لكفار قريش، وإنما توجيه لعامة الناس الذين يعتقدون بوحدانية الله تعالى، ولكن تطبيقهم ينافي معتقدهم، إذن (لا إله إلا الله) يجب أن تكون في المعتقد والتطبيق، وهذا يناسب ما جاء في سورة المائدة في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] فعلينا أنْ نأخذ الدين كاملاً، وأنْ نوحّد الله تعالى في المعتقد والتطبيق .

ثالثاً - من اللمسات البيانية فى سورة الأنعام

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الحمد والمدح؟

الجواب:

١ـ المدح أعم من الحمد؛ لأنّ المدح يحصل للعاقل ولغير العاقل، بينما الحمد لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان.

٢ـ والحمد أعم من الشكر؛ لأنّ الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام، سواء كان هذا الإنعام واصلاً إليك أو إلى غيرك، وأمّا الشكر فهو تعظيم الفاعل لأجل إنعامٍ وصل إليك وحصل عندك.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ أي: أنه خلق هذه الأشياء العظيمة مثل السماوات والأرض التي لا يقدر عليها أحد سواه، ثم إنهم يعدلون، أي: يسوون به جماداً لا يقدر على شيء أصلاً.

٢ـ ومعنى (ثم) فيه استبعاد أنْ يعدلوا به بعد وضوح آيات الله وقدرته .

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (جعل وخلق) في سورة الأنعام ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾؟

الجواب:

١ـ وردت (خلق وجعل) في آية الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ [الأعراف:١٨٩].

ووردت (خلق وخلق) في آية النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ فلماذا جاءت هنا خلق وهنا جعل؟

٢ـ الزمخشري يقول في أساس البلاغة: إنّ أصل الخلق هو التقدير. يقال: خلق البزّاز (أي: الخيّاط) الثوب، بمعنى قدّر أبعاده قبل أنْ يقطعه. ومنه خلق الله تعالى الخلق (مجاز) أي قدّرهم على تقدير أوجبته حكمته سبحانه وتعالى. فخلق الخلق بتقدير أوجبته حكمته تعالى جلّت قدرته .

٣ـ أمّا (جعل)، فقد جاء في «تاج العروس»: هولفظ عام في الأفعال كلها وهو أعمّ من (فعل وصنع). يقال: جعل بعضه فوق بعض؛ أي ألقاه، جعل القبيح حسناً أي: صيّره وحوّله، كما في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٢٧]، و(جعل) بمعنى

(سمّى) ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ ﴾ [الزُّخرُف:١٩]، وجعل بمعنى الاعتقاد ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ [النحل:٥٧] يعتقدون، وجعل بمعنى التبيين.

والجعل فعل عام يحمل معاني كثيرة، منها الصُنع وإيجاد الشيء من الشيء والتبديل والتبيين والاعتقاد والظنّ والشروع في الشيء والحكم بالشيء على الشيء والنسبة والتشريف والخلق والإيجاد وغير ذلك من المعاني.

٤ـ و(الخلق والإيجاد) من ضمن معاني (جعل)، لكن (خلق) عندما تُستعمل وحدها تكون بمعنى الإيجاد على شيء قدّره الله سبحانه وتعالى بحكمته وليس على مثال سابق.

٥ـ في (١٤) موضعاً في القرآن الكريم عندما تجتمع الكلمتان (جعل وخلق) فتتقدم (خلق) وتأتي (جعل) بعدها؛ لأنّ الخلق هو الإيجاد والجعل هو تصرّفٌ بعد الخلق (شيء يلي الخلق)؛ لذلك كلمة (جعل) تأتي دائماً بعد كلمة (خلق).

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (فطر وخلق وجعل)؟

الجواب:

١ـ فطر: هو الخلق ابتداء، والفطر هو الابتداء والاختراع وإظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، ففي (الفطر) معنى ليس في (الفعل) وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها.

٢ـ خلق: وفيه معنيان:

آ ـ أنشأهم على مثال أراده الله تعالى.

ب ـ هو التقدير: وهو ليس خاصاً بالله، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [آل عمران:٤٩] أي: أقدر.

٣ـ جعل: تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، تقول: جعل الطين خزفاً ﴿جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الفرقان:٦١] و ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء:٣٠] والجعل يدل على الاتصال بشيء آخر، أي يلزمه الملامسة بشيء آخر .

وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾ [الزُّخرُف:١٩] أي: أخبروا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾ [التوبة:١٩] أي: حكمتم بذلك .

٤ـ تستعمل ﴿خَلَقَ﴾ مع الأجرام والمواد و ﴿وَجَعَلَ﴾ مع الأعراض والصفات .

السؤال الخامس:

لماذا استعمل ﴿خَلَقَ﴾ مع السماوات والأرض، واستعمل ﴿وَجَعَلَ﴾ مع الظلمات والنور؟

الجواب:

١ـ السماوات والأرض أجرام؛ فناسب فيهما ﴿خَلَقَ﴾ .

٢ـ الظلمات والنور أعراض وصفات؛ فناسب فيهما ﴿وَجَعَلَ﴾ .

٣ـ ومثل ذلك كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢] أي: لا تصفوا، وقوله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الأنعام:١٠٠]

السؤال السادس:

لماذا جمع الظلمات وأفرد النور في الآية؟

الجواب:

أفرد النور وجمع الظلمات؛ لأنّ الحق وهو النور واحد، وأمّا الباطل أي الظلمات فكثير، وقيل إنّ الظلمة اسم والنور مصدر، والمصادر لا تجمع.

وقيل: النور هو الإيمان وهو شيء واحد، والظلم هو الكفر وأصنافه كثيرة. والله أعلم.

السؤال السابع:

لماذا قدّم (الظلمات) على (النور) في الآية؟

الجواب:

قدّم الظلمات على النور؛ لأنّ الظلمة متقدمة في التقدير على النور فوجب تقديمها، ولأنّ الظلمة قبل النور، كما في آية الأنبياء ٣٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ في طريقة التقديم حسب الأولية والقدم في الوجود.

السؤال الثامن:

ما دلالة استعمال ﴿ثُمَّ﴾ في الآية ﴿وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾؟ وما الفرق بين (ثُمّ وثَم)؟

الجواب:

أولاً: (ثُم) بضم الثاء حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أو الأحوال أو غيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني مترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

ثانياً: بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أما اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء فيفيد البعد المكاني.

* شواهد قرآنية: على المعنى الأول والثاني:

١ـ آية سورة عبس ٢١ ـ٢٢: عقَّب بالفاء بعد(أماته)؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء بثُمّ بعد ذلك؛ لأن النشور يتأخر.

٢ـ آية الروم ٢٠ : جاء بثم؛ لأنّ البشر المنتشر متراخٍ عن كونه تراباً وبينهما مهلة.

٣ـ آية الزمر ٦: فيها دليل على عدم الترتيب، فإنّ خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة، وأُجيب أنه في الآية أراد أنْ يذكر بدء خلق الإنسان فذكر أنه خلقهم من

نفس واحدة وخلق منها زوجها، وليس القصد أنه جعل منها زوجها بعد خلقهم من النفس الواحدة .

* شواهد قرآنية: على المعنى الثالث والرابع:

١ـ آية هود ١ : (ثم) ليس معناها التراخي ولكن في الحال، كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويكون معنى الآية: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل.

٢ـ آية هود ٣: (ثم) هنا لمجرد الارتقاء، أي: بقي على التوبة؛ لأن البقاء عليها أفضل.

٣ـ آية طه ٨٢: (ثم) أي بقي على ذلك الهدى من التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ لأنّ البقاء عليها أفضل .

٤ـ آية الأنعام ١ : (ثم) هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة الكفر حيث إنّ الكفار يعدلون به إلهاً آخر لم يخلق مثل خلقه.

٥ـ آية البلد ١٧ : (ثم) لبيان تفاوت رتبة فك الرقبة والإطعام من رتبة الإيمان.

٦ـ آية النساء ١٧ : (ثم) لبيان البعد بين الحالين: عمل السوء والتوبة من قريب.

٧ـ آية السجدة ٢٢: (ثم) لبيان البعد بين التذكير بآيات الله واتباعها من ناحية والإعراض عنها من ناحية أخرى.

* شواهد قرآنية: على المعنى الخامس:

١ـ التكاثر (٣ ـ ٤): العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب، وبينهما مدة فهي للتراخي الزمني أو داخلة في التوكيد.

٢ـ آية التكاثر ٧: (ثم) للتوكيد.

٣ـ آية الانفطار (١٧ـ١٨): (ثم) لتبعيد المعرفة أو للإيغال في التوكيد.

٤ـ آيةالمدثر(١٨ـ٢٠): (ثم) العطف والتوكيد.

السؤال التاسع:

لم اختيرت كلمة ﴿خَلَقَ﴾ للسموات والأرض واختيرت كلمة ﴿وَجَعَلَ﴾ للظلمات والنور؟ وهل يختلف المعنى إن قلنا: وخلق الظلمات والنور؟

الجواب:

خص ربنا عز وجل السموات والأرض بالخلق دون الجعل؛ لأنّ الخلق فيه معنى التقدير، وخصّ الظلمات والنور بالجعل؛ لأنّ الفعل (جعل) فيه ملاحظة معنى الانتساب والدخول في الآخَر، فالظلمات والنور مخلوقة لتتكيف بهما موجودات السموات والأرض، وهي تكملة لخلق السموات والأرض؛ ولذلك اختير لفظ الجعل للظلمات والنور.

السؤال العاشر:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ما الحكمة من إيثار الظلمات والنور بالذكر دون غيرهما من أعراض السموات والأرض؟

الجواب:

خص الله بالذكر من أعراض السموات والأرض عرضين عظيمين وهما الظلمات والنور؛ وذاك لاستواء جميع الناس في إدراكهما والشعور بهما. وفي الاقتصار عليهما تعريض بحالتيّ المخاطبين في الآية، فالظلمات تماثل الكفر؛ لأنه انغماس في الجهالة والحيرة، والإيمان يشبه النور؛ لأنه استبانة الهدى والحق.



﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ كم مرة وردت لفظة ﴿هُوَ﴾ في سورة الأنعام؟

الجواب:

وردت لفظة ﴿هُوَ﴾ في سورة الأنعام ٣٨مرة .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله في الآية ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ﴾ أي: حكم بأن خصّص موت كل واحد بوقت معين .

٢ـ قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ أي: معلوم عنده في اللوح المحفوظ.

٣ـ فإن قيل: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره، فلِمَ جاز تقديمه هنا؟

والجواب: لأنه تخصّص بالصفة فقارب المعرفة، كقوله تعالى: ﴿وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ﴾ [البقرة:٢٢١] والله أعلم .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾ ما الفرق بين (الحكم والقضاء)؟

الجواب:

١ـ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام، من قولك قضاه: إذا أتمه وقطع عمله.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾ [الأنعام:٢] أي: فصل الحُكم به.

ـ ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:٤] أي: فصلنا الإعلام به.

ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فُصِّلَت:١٢] أي: فصل الأمر به .

ـ ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ [سبأ:١٤]أي: فصلنا أمر موته .

٢ـ وقولك: قضى إليه، أي: أعلمه، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الحِجر:٦٦] أي: أعلمناه .

٣ـ (الحُكم) يقتضي المنع عن الخصومة، نحو قولك: أحكمته إذا منعته، ويجوز أنْ يقال: الحُكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع.

ويستعمل الحُكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء، كقولك: حُكم هذا كحُكم هذا، أي هما متشابهان في السبب أو العلة .

وأحكام الأشياء تنقسم إلى قسمين: حُكم يُردّ إلى أصل، وحُكم لا يُردّ إلى أصل؛ لأنه أول في بابه .



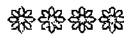
﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة لفظ الجلالة (الله)؟

الجواب:

الله هو علمٌ على واجب الوجود، وهو الاسم الذي اختاره الله لنفسه شاملاً لكل صفات الكمال، والصفات الأخرى والتي نسميها الأسماء الحسنى مثل: القادر والسميع والبصير والحي والقيوم كلها صفات صارت أسماءً؛ لأنها مطلقة بالنسبة لله، وهذه الصفات حين تنصرف على إطلاقها فهي لله، ومن الجائز أنْ تضاف في نسبتها الحادثة إلى غير الله، أمّا اسم الله فلا يطلق إلا على الحق سبحانه وتعالى، ويتحدى الله الكافرين به أن يسمي أحدهم أي شيء غيره باسم الله، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم:٦٥].



﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ كيف تستعمل كلمة ﴿ءَايَةٍ﴾ تذكيراً وتأنيثاً في القرآن؟

الجواب:

عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٍ﴾ بمعنى الدليل والبرهان تكون بمعنى مذكرٍ فيأتي الفعل بالتذكير.

وأمّا إذا كانت كلمة ﴿ءَايَةٍ﴾ بمعنى الآية القرآنية فإن الفعل يؤنث.

شواهد قرآنية على التذكير: [آية آل عمران ١٣].

شواهد قرآنية على التأنيث: [الأنعام ٤ ـ الأنعام ١٢٤].



﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ٥ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ وفي آية الشعراء ٦ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾، فلماذا الاختلاف في استخدام (السين وسوف)؟

الجواب:

ذكر في آية الأنعام ٥ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ مع ذكر كلمة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وفي آية الشعراء٦ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ بدون ذكر كلمة (الحق)، ولكل من ذلك سببٌ يدعو له:

١ ـ أما ذكر كلمة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في آية الأنعام فإنه تردد هذا اللفظ في هذه السورة (١٢) مرة، ولم ترد هذه اللفظة في آية سورة الشعراء، فناسب ذكرها في آية الأنعام دون آية الشعراء، إذ هو المناسب للجو التعبيري في هذه السورة.

والمراد بالحق هنا القرآن، ولكنه لم يصرح به.

٢ ـ وأما ذكر ﴿سَوْفَ﴾ في الأنعام فيفيد تأخير العقوبات إلى زمن أبعد مما في الشعراء. و(سوف) أبعد في الاستقبال من (السين) .

والقرآن يستعمل (السين) للقريب وفي مقام الإيجاز أو إظهار شدة القرب نحو: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدّثر:٢٦] ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق:١٨] .

ويستعمل (سوف) للبعيد، وفي مقام الإطالة وشدة التوكيد .

٣ـ ولوضع كل من (سوف والسين) عدة أسباب منها:

آ ـ أنّ المعنيِّين في سورة الشعراء هم قوم الرسول ﷺ، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء:٣-٤]وفيها تسلية للرسول، فكأنه قال له: لعلك تقتل نفسك لعدم إيمانهم، فهوّن عليك الأمر .

وأمّا ما ورد في سورة الأنعام فمعلوم للكافرين ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، فناسب ذلك تعجيل الوعيد لمن هو أقرب إليه من الكفار الذين حاربوا الرسول وكذبوه قبل الأباعد الذين لم تبلغهم الدعوة بعد .

ب ـ ذكر في سورة الشعراء الأقوام الذين كذبوا أنبياءهم وعقوباتهم في الدنيا؛ فناسب ذلك مجيء (السين) إشعاراً بتعجيل العقوبة لهؤلاء القوم كما عجل للأقوام البائدة، بخلاف ما في آية الأنعام، إذ ليس فيها شيء من ذلك .

ج ـ سورة الأنعام مبنية على تأخير الوعيد والعقوبات بخلاف سورة الشعراء؛ وذلك:

١ـ أُمِرَ الرسولُ في الأنعام أنْ يقول إنه ليس عنده ما يستعجلون به من العذاب ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فناسب عدم الاستعجال ذكر (سوف) ههنا.

٢ـ ورد في الأنعام قوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ فذكر (سوف)، ولم يذكر السين، وهو الملائم للجو العام للسورة .

٣ـ وورد أيضا في سورة الأنعام قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾ وكتابة الرحمة على نفسه تنافي تعجيل العقوبة، وكذلك قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يفيد تأخير العقوبة إلى يوم القيامة، فناسب ذلك كله وضع (سوف) دون السين في الأنعام .

٤ـ وورد أيضا في سورة الأنعام قوله ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ فقد جاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي، بخلاف قوله تعالى في سورة النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل:٦٩] فقد جاء بالفاء الدالة على التعقيب.

٥ـ قال في ختام سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ فقد أكّد سرعة العقاب بـ (إنّ) وحدها، بينما أكد المغفرة والرحمة بإن واللام .

فتبين من ذلك كله أنّ سورة الأنعام مبنية على تأخير العقوبات والوعيد فناسب ذلك ذكر ﴿سَوۡفَ﴾ فيها، بخلاف آية الشعراء. والله أعلم



﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٦ ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ وفي آية الشعراء ٧ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ بزيادة حرف الواو؟ و في آية سبأ ٩ ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بزيادة حرف الفاء. فما السبب؟

الجواب:

١ـ القاعدة أنه إنْ كان السياق يقتضي النظر والاستدلال لأمر غائب جاء بغير واو، كما في آية الأنعام حيث لم ينظر في الآيات قبل هذه الآية رقم ٦.

٢ـ وإنْ كان السياق يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة جاء بالواو أو الفاء بعد الهمزة التي تدل على الإنكار، كما في قوله في آية الشعراء ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ولتدل الواو على العطف على الجمل قبله، وعلى شدة الإنكار كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الأعراف:١٨٥] وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [سبأ:٩].

٣ـ ولمّا كان المرئي في سورة الشعراء إحياء الأرض وإنبات النبات والشجر، وهو مرئي كل أوان ومشاهد بالحس، كان الإنكار هنا بترك الاعتبار فيه أشد وأقوى؛ فأتى بالواو الدالة على شدة الإنكار.

٤ـ وأما في آية الأنعام: فالمرئي هو إهلاك الأقوام السابقة، وهو أمر غائب غير مشاهد، فالإنكار هنا أقل؛ فلم يأت بالواو، والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ و ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾، فماذا عن (القرن والقرون) بالإفراد والجمع، وخاصة بعد (كم) الخبرية؟

الجواب:

١ـ من المعلوم أنّ (قرون) جمع (قرن)، ومن السهل التفريق بينهما، لكنّ الموضوع هو المفرد بعد ﴿كم﴾ الخبرية، فهولا يدل على الواحد، وإنما يدل على الكثرة، فقولك: كم رجلٍ أكرمت، لا يدل على أنك أكرمت رجلاً واحداً وإنما يدل على إكرام الكثير، ومن هنا المقارنة بين (القرون) كجمع و (قرن) ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ التي تدل أيضاً على الكثرة .

٢ـ يستعمل القرآن الكريم (القرن) بالإفراد، إذا كان يريد ذكر صفة القرن المُهلَك أو حالة من حالاته، أو لسبب آخر يقتضيه السياق.

بينما يستعمل الجمع (قرون) إذا كان يريد ذكر المجموع على العموم أو يريد أنْ يبين أنّ هذه القرون المهلكة سيحييها ربها ويجمعها، أو لأي سبب آخر يقتضيه السياق .

*** شواهد قرآنية على الإفراد (قرن):**

آية الأنعام ٦:

فقد ذكر فيها صفة القرن الذي أهلكه، ثم ذكر بعد ذلك أنه أنشأ بعده قرناً آخر، أي: أهلك قرناً وأنشأ بعده قرناً آخر، فناسب الإفراد .

آية مريم ٧٤:

وصف فيها القرن المهلَك بأنه أحسن أثاثاً وأحسن منظراً.

آية ق ٣٦:

ذكر فيها صفة القرن بأنهم أشد بطشاً من الكفرة في زمن النبي ﷺ .

*** شواهد قرآنية على الجمع (قرون):**

آية يس ٣١:

ذكر فيها أن الله سيحييها ويجمعها ويحضرها لديه، أي: ذكر العموم .

آية السجدة ٢٥ـ٢٦:

ذكر فيها أنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة .

آية طه ١٢٨:

ذكر في الآيات [١٢٤ـ١٢٨] القرون في سياق ذكر الآخرة.

آية الإسراء ١٧:

ذكر القرون من دون وصف لها، وقد أراد بيان كثرة القرون المهلكة من بعد نوح .

السؤال الثالث:

ما السبب في تقديم (الظرف) على (القرون) ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ كما في آية الأنعام ٦، وتقديم (القرون) على (الظرف) ﴿أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [يونس:١٣] و ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ﴾ كما في آية الإسراء ١٧؟

الجواب:

القاعدة في القرآن:

١ـ إذا أراد تهديد المشركين قدّم الظرف (قبلهم) على (القرون)، وورد ذلك في القرآن في ثمانية مواضع، منها [آية الأنعام ٦ـ ويس ٣١].

٢ـ أما إذا لم يرد ذلك قدّم القرون على الظرف، وورد ذلك في موضعين وهما[آية الإسراء ١٧ـ ويونس ١٢].

*** شواهد قرآنية على تقديم القرون:**

آية الإسراء ١٧ : الكلام فيها على من بعد نوح من القرون، وليس فيها تهديد .

آية يونس ١٢ : ليس فيها تهديد، وليس السياق في ذلك .

*** شواهد قرآنية على تقديم الظرف:**

آية الأنعام ٦ : فيها تهديد وبيان إهلاكهم بسبب ذنوبهم .

آية يس ٣١: فيها تهديد.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ
لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ اللمس يكون باليد خاصة، فلِمَ حدد الله اللمس بقوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾، مع أن هذا معلوم بداهة من قوله ﴿فَلَمَسُوهُ﴾؟

الجواب:

إنّ اللمس هو وضع اليد على شيء ما للتأكد من وجوده أو لمعرفة ظاهره، وكلمة اللمس تدل على استعمال اليد، ولكنّ الله قيد اللمس باليد ليؤكد معنى اللمس؛ حتى لا يتوهم أنه أراد المجاز، فيُصرف اللمس إلى التأمل، لا بل هو اللمس باليد، وفي هذا تأكيد على معاندتهم ومكابرتهم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿أنزلنا ونزّلنا﴾ في آيتي سورة الأنعام ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام:٧-٨-٩]؟

الجواب:

١ـ السؤال عن آيتين متصلتين في سورة الأنعام، قال تعالى في الأولى: ﴿نَزَّلْنَا﴾ وفي الثانية ﴿أَنزَلْنَا﴾.

في الاستعمال القرآني خاصة: نزّل (فعّل)، وأنزل (أفعل)، (نزّل) أهم وآكد من(أنزل)، كما هو الحال في (وصّى وأوصى)، حيث يستعمل (وصّى) في أمور الدين و(أوصى) في أمور الدنيا، كما في الآيات:

ـ ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١].

ـ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢].

ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت:٨]،

ـ ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [النساء:١١]. (أوصى) في أمور الميراث

ولم تأت (أوصى) في أمور الدين إلا في موطن واحد اجتمعت فيه الصلاة والزكاة ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١] .

٢ـ كرّم وأكرم: (كرّم) أوسع من (أكرم)، وكذلك الفعلان: نجّا وأنجا. إذن (نزّل) أمور سيكون معناها أهمّ من (أنزل).

٣ـ لكن كيف تكون أهمّ؟ ولماذا غاير بين الصيغتين؟

قال تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ تنزيل القرطاس يوحي بصورتين:

آ ـ إما أنْ ينزل القرطاس وحده من السماء، ثم يأتي إلى يد الرسول .

ب ـ وإما أنْ ينزل به ملك، ثم يسلمه للرسول.

وتنزيل القرطاس وحده بحيث يأتي بنفسه ليد الرسول أمر أعجب، بينما الملك عاقل.

٤ـ فقال مع الحالة الأولى الأعجب القرطاس ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ وقال مع الحالة الثانية وهي أقل عجباً ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ ؛ لأنّ تنزيل القرطاس أهمّ وآكد وأغرب من تنزيل الملك؛ لذا قال: نزّلنا وأنزلنا.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين المعنى هنا في آية الأنعام ٧ وقوله تعالى في آية الإسراء ١٠٥ ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾؟

الجواب:

١ـ الفرق ليس في المرتبة، هنا لدينا فعل (أنزل ونزل)، أنزل فعل متعدٍّ ونزل فعل لازم (نزل من تلقاء نفسه).

٢ـ وهناك فرق بين(أنزل) و(نزل)، قسم يقولون: (أنزل) أي: كله جملة واحدة، و(نزل) منجماً، لكنّ قسماً من النحاة ردوا على هذا القول وقالوا ربنا تعالى قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢] .

٣ـ وقسم قالوا: (أنزل) عام، و(نزّل) خاص.

ويقولون: الإنزال عام لا يخص التدرج أو غير التدرج، لكنّ التنزيل هو الذي يخص التدرج.

و القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ ثم نزل منجماً.

٤ـ لكن الذي يبدو أنّ الفرق بين (نزّل وأنزل) أن (نزّل) تفيد الاهتمام نظير (وصّى وأوصى) و(كرّم وأكرم)، ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ ﴿نُزِّلَ﴾ والتي دونها يأتي بـ ﴿أُنزِلَ﴾ .

إذن (نزّل) آكد وأقوى، وهما في موطن الاهتمام أشد من (أنزل).

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ و ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ كما في آية الأنعام (٨) وآية الفرقان (٧)؟

الجواب:

١ـ (على) أقوى من (إلى)، وتأتي (على) في الغالب في العقوبات ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١﴾ [الذاريات:٤١] وفيها معنى الاستعلاء، ولذلك كان فيها معنى الشدة والقوة .

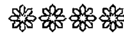
٢ـ أمّا (إلى) فليست كذلك، وإنما تفيد منتهى الغاية فقط.

٣ـ وربنا عندما يقول مرة: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ومرة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نلاحظ أنّ السياق يختلف، وهناك فرق بين (إليه) و(عليه) .

فقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام:٨] الآية فيها تهديد.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان:٧-٨] ليس فيها تهديد. فالأقوى (على).

إذن (نزّل) أقوى من (أنزل)، و(على) أقوى من (إلى).



﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في نفس الآية ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ و﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ ما الفرق بين (استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب:

هنالك أمران في اللغة يذكران في الاستعمال القرآني:

١ ـ الفروق في المعنى:

أ ـ الاستهزاء: عام سواء كان بالأشخاص أم بغير الأشخاص.

* شواهد قرآنية:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة:٥٨] الصلاة ليست شخصاً وإنها أقاويل وأفاعيل.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة:٢٣١] ليس شخصاً.

﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة:٦٥] والرسول شخص .

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [الجاثية:٩] ليس شخصاً.

إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص.

ب ـ السخرية: وهي في الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود:٣٨] .

إذن الاستهزاء عام ورد في الأشخاص وغير الأشخاص .

ومعنى الاستهزاء هو السخرية، وهم يقولون: المزاح في خفية وهو جانب من السخرية. والاستهزاء أعم من السخرية، والسخرية خاصة بالأشخاص،ولم ترد في القرآن إلا للأشخاص.

٢ـ الفرق الآخر في الاستعمال القرآني أنه لم ترد السخرية إلا مع فعل يفعله الشخص، أمّا الاستهزاء فقد يستهزأ به من غير فعل، فالسخرية أن تسخر منه وهو يفعل الفعل، أمّا الاستهزاء فليس كذلك.

مثلاً نوحاً عليه السلام وهو يصنع الفلك (هذا عمل)، وهم سخروا من فعل يفعله، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة:٧٩] ﴿هذا فعل﴾ .

٣ ـ في آية الأنعام ١٠ قال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ جمع الأمرين: الاستهزاء والسخرية، ولو اكتفى بواحد منهما لم يجمع الأمرين.

فقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يفيد أنّ الاستهزاء أعم من السخرية على سبيل العموم، سواء فعلوا أم لم يفعلوا، أمّا ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ فمقصود به الفعل، إذن لمّا ذكر الاثنين جمع الدلالتين، ولو قال(سخروا) فقط لم يشمل الاستهزاء بالآيات.

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل ﴿فَحَاقَ﴾ في الآية ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾؟

الجواب:

(حاق) بمعنى أحاط به وأصابه، وإنما خصّ الله إصابتهم بالفعل(حاق) دون (أصاب)؛ لأنّ الفعل (حاق) يعبر عن الإحاطة، وهذا يصور تمكن العذاب منهم حيث لا يقدر أحد على الإفلات من العذاب، فهو محيط بهم إحاطة السوار بالمعصم.

السؤال الثالث:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

المعنى العام: هو تسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه، أي: أنك لست أول رسول استَهزَأَ به قومُه، فكم وكم من رسول فُعل معه ذلك، ولكنّ الله سوف يعاقب من يستهزىء برسله إنْ أصر على ذلك ولم يتب .

١ـ جاء في تصدير الآية بالقسم وحرف التحقيق للاعتناء بالمعنى وإعطائه قوة التحقيق.

٢ـ جاء بالتنوين: ﴿بِرُسُلٍ﴾ للتفخيم والتكثير.

٣ـ ولمّا كان القرب في الزمن في مثل هذا مما يسلي ،وكان كلٌّ من الاستهزاء والإرسال لم يستغرق الزمن أدخل الجار فقال:﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ .

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ﴾ بمعنى أحاط للدلالة على شمول العذاب وإحاطته بهم من كل ناحية.

٥ـ الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص، كالاستهزاء بالصلاة وآيات الله، بينما السخرية في الأشخاص فقط، وهذا ما ورد في جميع القرآن.

٦ـ السخرية تكون من فعل يقوم به المسخور منه، بينما الاستهزاء عام لا يقتضي وجود فعل.

٧ـ وفي الآية جمع الأمرين: الاستهزاء والسخرية .

٨ـ قوله تعالى:﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ و(ما) هنا فيها قولان:

آ ـ أنّ المراد به القرآن، وهو ما جاء به محمد ﷺ .

ب ـ أنهم كانوا يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول ﷺ بنزوله عليهم إن لم يؤمنوا.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾

السؤال الأول:

كم مرة وردت كلمة ﴿قُلۡ﴾ في سورة الأنعام؟ وما دلالة ذلك؟

الجواب:

نلاحظ في السورة كثرة استخدام كلمة ﴿قُلۡ﴾ فقد وردت في السورة (٤٢) مرة، وهو ما يسمى أسلوب التلقين، وهو يظهر جلياً في تعليم الرسول ﷺ تلقين الحجة ليقذف بها في وجه الخصم بحيث تأخذ عليه سمعه وتملك عليه قلبه فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها، ويأتي هذا الأسلوب بطريق السؤال والجواب، يسألهم ثم يجيب .

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ ما اللمسة البيانية في تذكير كلمة (عاقبة) مرة وتأنيثها مرة أخرى في القرآن الكريم؟

الجواب:

تذكير (الفاعل المؤنث) له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم، فإذا قصدنا باللفظ المؤنّث معنى المذكّر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بـ (الحمل على المعنى﴾.

وكلمة (العاقبة) تأتي بالتذكير مرة وبالتأنيث مرة، وعندما تأتي بالتذكير تكون بمعنى (العذاب)، وقد وردت في القرآن الكريم (١٢) مرة بمعنى العذاب؛ أي بالتذكير.

والأمثلة في القرآن كثيرة؛ منها قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ و ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ

عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف:٨٤] و ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الصافات:٧٣] وسورة يونس ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:٧٣] والمقصود بالعاقبة هنا محل العذاب، فجاء الفعل مذكراً.

وعندما تأتي بـ (التأنيث) لا تكون إلا بمعنى (الجنّة)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص:٣٧] وفي قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام:١٣٥].

السؤال الثالث:

جاء في آية الأنعام رقم ١١ بـ (ثم) الدالة على التراخي والبعد، فقال: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ بخلاف آية سورة النمل ٦٩، فقد جاء فيها ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾ [النمل:٦٩] أي: بـ (الفاء) الدالة على التعقيب وليس (ثم)، فما السبب؟

الجواب:

جو سورة الأنعام مبني على تأخير الوعيد والعقوبات؛ فاستعمل معها (ثم) وكذلك فإنّ المكذب قد تعطى له مهلة أطول من مهلة المجرم؛ لأنّ المجرم ينبغي أنْ يؤخد بجرمه على وجه التعقيب؛ ولذا جاء مع ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ بثم ومع ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل:٦٩] بالفاء.

ثم انظر إلى قوله تعالى في سورة النمل الآية ٧٢ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النمل:٧٢] بينما قال في سورة الأنعام: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٥٧] فناسب ذلك ذكر ﴿ثُمَّ﴾ [الأنعام:١١] في الأنعام وذكر(الفاء) في آية النمل.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل (على الأرض)، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

لم يقل الحق أبداً في القرآن الكريم: سيروا على الأرض؛ لأنّ الأرض ظرف يسير فيه الإنسان، والإنسان مظروف في الأرض .

ونعلم أنّ الأرض كروية والهواء يحيط بها من كل جانب، وعندما يسير الإنسان فالهواء يحيطه وعلى ذلك فهو يسير في الأرض؛ لأنه داخل ضمن مجالها، ولو خرج من مجالها لما بقي حياً بسبب فقدان الهواء .

ومن جهة أخرى هناك سير للاعتبار وسير للمصلحة، والسير للاعتبار يعني أنْ يأخذ الإنسان العبرة مباشرة فتأتي الفاء التي تفيد التعقيب من غير تراخٍ، أمّا السير للمصلحة فهو أنْ يأخذ الإنسان العبرة ضمن المصلحة فتأتي (ثم) التي تفيد التراخي، وكان سير قريش بقوافلها إلى الشام واليمن يجعلها قادرة على أنْ ترى آثار المكذبين من أهل ثمود أو قوم عاد أو غيرهم، وكان عليهم أنْ يأخذوا العبرة في أثناء سعيهم للتجارة.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الفعلين (سار) و(مشى)؟

الجواب:

(سار): يقال: سار القوم إذا امتد بهم السير من جهة إلى جهة أخرى معينة .

(مشى): هو مجرد الانتقال وليس بالضرورة التوجه إلى هدف معين.

والسير في القرآن إمّا أنْ يكون للسير إلى جهة معينة أو للعظة والاعتبار أو للتجارة أو غير ذلك .

* شواهد قرآنية:

آية القصص ٢٩ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ السير هنا ممتد من مدين إلى مصر وليس مشيا .

آية الأنعام ١١ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ السير هنا للعبرة والاتعاظ، وقد ورد هذا المعنى للسير في ١١ آية قرآنية.

آية الفرقان ٦٣ ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هو مجرد الانتقال .



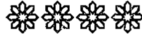
﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ في الآيتين ١٢و ٢٠من سورة الأنعام؟

الجواب:

الآية الأولى للمشركين، وأمّا الآية الثانية فهي لأهل الكتاب ليعم الفريقين.



﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ وما الحكمة في اختياره هنا في الآية؟

الجواب:

الفاطر هو المبدع والخالق وأصله من (الفطر) وهو الشق، وقال ابن عباس رضي الله عنه: ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر؟ فقال أحدهما: أنا فطرتها، ولذلك اختير هذا الوصف ﴿فَاطِرِ﴾ من بين صفات الله وأسمائه لدحض دعوى اتخاذ أيّ ولي دون الله، فالله هو الولي، وهو الخالق والفاطر.



﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ تأمل هذا التحذير الإلهي، فقد أضاف الله العذاب إلى يوم عظيم فقال: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ فما الهدف

من هذه الإضافة؟ ولِمَ لمْ يوصف العذاب بالعظمة دون ذكر يوم؛ أي لِمَ لمْ يقل: إني أخاف عذاباً عظيماً؟

الجواب:

أضاف الله العذاب إلى كلمة (يوم)؛ لما لهذا الاسم من الدلالة عند العرب؛ لأنهم اعتادوا أنْ يطلقوا اليوم على يوم المعركة الذي ينتهي بنصر فريقٍ وانهزام آخر فيكون هذا اليوم نكالاً على المنهزمين؛ لأنه يكثر فيهم القتل ويُسام المغلوب سوء العذاب، فذكْرُ (يوم) يثير عند العرب من الخيال مخاوف مألوفة ويبث الهول في جوانحهم، وزاد هذا الهول بوصف اليوم والعذاب بالعظيم، حيث قال: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [الأنعام:١٥] .



﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الضُرّ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ والضَر ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا﴾ [يونس:٤٩] والضرر ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] والحديث الشريف «**لا ضرر ولا ضرار**»؟

الجواب:

١ـ الضُرُّ: بالضم يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

٢ـ الضَرُّ: بالفتح مصدر بما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

٣ـ الضَّرَر: هو الاسم العام، أي: النقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضرر، كما في الآية: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي: الذين فيهم عِلّة.

٤ـ أحياناً يكون التغيير في المصدر بحركة أو بشيء آخر يسمى اسماً، مثلاً: الوَضوء هو الماء، والوُضوء هو عملية التوضؤ نفسها ،وهذا تغيير بالحركة.الضَّر هو المصدر والضَرَر هو العلّة.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنعام ١٧ ﴿يَمْسَسْكَ﴾ و ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ وفي آية يونس ١٠٧ ﴿يُرِدْكَ﴾ و﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، أي استعمل مع الضر ﴿يَمْسَسْكَ﴾ ومع الخير ﴿يُرِدْكَ﴾، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ الضر إذا وقع لا يكشفه إلا الله تعالى، فاستوى فيه الموضعان واتفق الجوابان، فقد قال في كل منهما: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ .

٢ـ وأما الخير فله حالتان: إرادته قبل نيله، ونيله، وذكر الله الحالتين في السورتين .

٣ـ في آية الأنعام ١٧ ذكر الخير حالة نيله فعبّر بالمس المباشر المشعر بوجوده، ثم قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ أي: على ذلك، وفيه بشارة بنيل أمثاله .

٤ـ في آية يونس ١٠٧ حالة إرادة الخير قبل نيله، فقال: ﴿يُرِدْكَ﴾، ثم قال: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ ؛ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ .

وفي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه، ولمّا اختلف الافتراضان كان الجواب بحسب ما يقتضيه كل افتراض، والله أعلم.

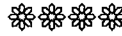
السؤال الثالث:

ما الفرق بين اللمس والمس؟

الجواب:

(اللمس) يكون باليد خاصة ليُعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، و(المس) يكون باليد وبغيرها.

قال تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ [البقرة:٢١٤] وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ ولم يقل: يلمسك .



﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ انظر إلى هذه الآية، ألا ترى أنّ الظرف ﴿فَوْقَ﴾ في هذا الموضع لا يدل على جهة العلو كما يستعمل عادة، فأنت تقول: المصحف فوق الطاولة، فتقصد جهة العلو، فعلام يدل الظرف (فوق) في هذه الآية؟

الجواب:

في الظرف هنا استعارة تمثيلية لحالة القاهر وتشبيه له بالذي يأخذ المغلوب من أعلاه حتى يستسلم؛ لأنه لا يقدر على الحراك والمقاومة.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾

السؤال الأول:

يعالج الله عباده بأسلوبي الإنذار والتبشير، لكنّ هذه الآية اقتصرت على الإنذار، فما حكمة ذلك؟

الجواب:

اقتصر ربنا على جعل علّة نزول القرآن بالإنذار دون البشارة؛ لأنّ المخاطبين كانوا في حالة مكابرة، وهذه الحال لا يناسبها إلا الإنذار.

السؤال الثاني:

ما فائدة التقديم والتأخير في القرآن ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾؟ وذلك في الآيات [آية الأنعام ١٩ـ آية يونس ٢٩ـ آية الرعد ٤٣ـ آية الإسراء ٩٦ـ آية العنكبوت ٥٢ـ آية الأحقاف ٨]؟

الجواب:

القاعدة البيانية:

١ـ التقديم والتأخير يفيد الاعتناء والاهتمام، فمثلاً قولك: أكرَم خالداً زيدٌ، و قولك: خالداً أكرمَ زيدٌ، فالأولى فيها زيادة الاعتناء بالكرم وبخالد أكثر من الاعتناء

بزيد، والثانية تكون عنايتك بخالد أكثر من الكرم ومن زيد، فالتقديم يفيد زيادة في الاهتمام.

٢ـ جاء في القرآن كله تقديم كلمة ﴿شَهِيدُۢا﴾ على (بيني وبينكم) في خمسة مواضع، وهي في الآيات:[الأنعام ١٩ـ يونس ٢٩ـ الرعد ٤٣ـ الإسراء ٩٦ـ الأحقاف ٨].

بينما جاءت كلمة ﴿شَهِيدُۢا﴾ متأخرة عن (بيني وبينكم) في موضع واحد وهو آية العنكبوت ٥٢ ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾.

وإليك بيان السبب في التقديم والتأخير:

آية العنكبوت:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

١ـ جاء في الآية ٥١ ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أي: بدأ بالرسول ﷺ ثم بهم؛ لذلك ناسب أنْ يقدم (بيني وبينكم) على (شهيداً)؛ لأنّ الخطاب له والاهتمام له.

٢ـ قوله تعالى في الآية ٥٢ ﴿يَعْلَمُ﴾ هي وصف لشهيد، أي: شهيداً عالماً، ولو قدّم (شهيداً) وجعله مثلاً: (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يعلم) لكان هناك فاصل بين الصفة والموصوف، وهذا خلاف اللغة العليا.

٣ـ في آية العنكبوت ٥٢ ختمت الآية بصفات البشر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لذا اقتضى تقديم ما يتعلق بالبشر (بيني وبينكم) على ﴿شَهِيدًا﴾.

آية الأنعام ١٩:

السؤال في الآية عن الشهادة وليس عن مكانها؛ فقدم ﴿شَهِيدًا﴾ إضافة أنّ كلمة (بيني وبينكم) هما معمولان لكلمة (شهيد)، وهذا شيء طبيعي أن يأتي العامل ثم يأتي المعمول.

فالسؤال عن الشهادة هنا في الآية وليس عن مكانها؛ ولذلك ينبغي أنْ يقدّم في القرآن وفي غيره.

آية يونس ٢٩:

الآيتان [٢٨ـ٢٩] من سورة يونس تصفان الجدل بين المشركين ومن كانوا يعبدونهم من الشركاء من دون الله ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس:٢٨-٢٩]

والشركاء يريدون شاهداً وليس المهم بيننا وبينهم، ولكنّ المهم أنْ يشهد لهم الشاهد أنهم ما كانوا يعبدونهم؛ ولذلك جاءت ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي قدّم ﴿شَهِيدًا ﴾ ؛ للاعتناء بالشهادة .

آية الرعد ٤٣:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ الكلام على الرسالة، والرسالة تحتاج إلى شهيد؛ فقدّم ﴿شَهِيدًا﴾ .

آية الإسراء ٩٤ و ٩٦:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ الكلام عن الرسالة، والاعتناء بها، والرسالة تحتاج إلى شهيد؛ فقدّم ﴿شَهِيدًا﴾.

آية الأحقاف ٨:

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ الكلام عن القرآن ويحتاج إلى شاهد؛ فقدم ﴿شَهِيدًا﴾ . والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾؟ وما دلالة دخول (إنّ واللام) في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾؟

الجواب:

هذا هو كلام الله تعالى كلامه المعجز الذي يفحم أرباب البيان ويرغمهم على الوقوف أمامه مشدوهين، انظر كيف يصور هذا الاستفهام المشركين ويسبغ عليهم جلباب الاستهانة والحماقة، فقد جعل ربنا الاستفهام في الآية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ داخلاً على إنّ المؤكدة ولام التأكيد، ولم يكتف بأداة الاستفهام (أتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)؛ لأنّ دخول همزة الاستفهام (أئنكم) يفيد أنّ شهادتهم هذه مما لا يكاد يصدق السامعون أنهم يشهدونها لاستبعاد صدورها من عقلاء. فأنت لو سألت صديقك عن أمر تستبعده

تقول: (أئنك لتغدر بي)، فإذا أردت الإثبات أجابك بالأسلوب نفسه (نعم إنني لأغدر بك)، فأدخل في الإجابة (إنّ واللام) ليؤكد ما تستبعده، وكذلك الآية تحتاج إلى التأكيد في الإجابة (نعم إنهم ليشهدون أنّ مع الله آلهة أخرى).



﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾

السؤال الأول:

ما علاقة الكذب بالظلم كما في الآية؟

الجواب:

أنْ تكذب على أحد فهذا ظلم وجور، والله تعالى قال إنّ الكذب هو ظلم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾ .

السؤال الثاني:

قال تعالى في آية الأنعام ٢١: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وختمها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾ وقال في يونس١٧: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)﴾ فلماذا الاختلاف في (الواو والفاء) في أول كل آية؟ ولماذا الاختلاف في صيغة الخاتمة؟

الجواب:

١ـ آية الأنعام ليس ما قبلها سبباً لما بعدها فجاءت بالواو الاستئنافية، وختم بالظالمين لتقدم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ .

٢ـ آية يونس ما قبلها سبب لما بعدها؛ فجاءت بالفاء المؤذنة بالسببية، أي: بسبب إشراكهم، وختم ببيان عدم فلاح المجرمين؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾.

السؤال الثالث:

ما سبب اختلاف الفاصلة في الآيات: [الأنعام ٢١ ـ يونس ١٧ـ الكهف ١٥ـ العنكبوت ٦٨]؟

الجواب:

١ـ اختلاف الوصف بأنهم مجرمون أو كافرون أو ظالمون أو غير ذلك هو بحسب ما يقتضيه سياق الكلام، بالرغم أنّ بداية الآيات متشابهة (فمن أظلم) و(من أظلم) أي: بمعنى: لا أظلم من هؤلاء المفترين.

٢ـ آية يونس ١٧: وصفهم بأنهم مجرمون؛ وذلك لأنه ذكر في الآية قبلها الأنعام ١٣ ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾ [يونس].

٣ـ آية العنكبوت ٦٨: وصفهم بالكفر؛ لأنه تقدمها في الآية ٦٧ قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾؛ فناسب أنْ يصفهم بالكفر.

٤ـ آية الأنعام ٢١ وصفهم بعدم الفلاح؛ لأنهم خسروا أثمن شيء وهو أنفسهم، فمن أين يأتي الفلاح؟ !!! وهذا مناسب لما ورد في الآية التي قبلها ٢٠ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

٥ـ آية الكهف ١٥: لم يعقب بشيء؛ لأنّ القائل هنا هم الفتية أنفسهم وهؤلاء ليس بوسعهم أنْ يقرروا إنْ كان الله سيهدي قومهم أم لا، فإنّ عِلْم ذلك إلى الله، ولذا لم يتعدوا الوصف. والله أعلم.

السؤال الرابع:

في قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ ما دلالة استعمال ضمير الشأن في الآية؟

الجواب:

من عادة العرب ولغرض التفخيم أنْ تقدم على الجملة ضميراً تفسره الجملة بعده، ويسمى (ضمير الشأن) نحو: هو زيد منطلق، ويكون منفصلاً ومتصلاً مستتراً وبارزاً على حسب العوامل.

وهناك فرق في معنى الجمل التالية:

ـ قولك: (زيد منطلق) هو إخبار لا غير.

ـ قولك: (زيد هو منطلق) فيها معنى التخصيص.

ـ قولك: (هو زيد منطلق) فيها معنى التفخيم والتعظيم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج:٤٦].

ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ كما في الآيات: [الأنعام ٢١ـ ١٣٥ـ يوسف ٢٣ـ القصص ٣٧].

- ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص:٨٢].

- ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة:٢٧].

ونلاحظ أنّ لضمير الشأن- إضافة إلى معنى التفخيم والتعظيم - مهمة أخرى، وهي إدخال الحروف المشبهة بالفعل على الجمل الفعلية، ولولا (هو) ما أمكن ذلك .



﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن:١] والآية ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام:٢٥]؟

ولماذا لم يقل: استمع إليك، في سورة الجن مع أنّ القرآن يستخدم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؟

الجواب:

١ـ في سورة الجن ليس المقصود شخص الرسول ﷺ لكن المقصود هو القرآن.

٢ـ هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع أي حيث يقول ﴿إِلَيْكَ﴾ لا بد أنْ يجري ذكر الرسول في سياق الآية. فإذا قال: (إليك) فلا بد أنْ يذكر شيئاً يتعلق بالرسول ﷺ.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام:٢٥] المخاطب هو الرسول ﷺ، فلمّا ذكر (إليك) قال بعدها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد:١٦] متعلق بالرسول ﷺ ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ [محمد:١٦].

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢] المخاطب هو الرسول ﷺ.

ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء:٤٧].

٣ـ لذلك حيث يقول ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٤٧] أو ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام:٢٥] يجري ذكر الرسول ﷺ في السياق، بينما في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً، فلم يعدِّ الاستماع إليه.

السؤال الثاني:

ورد في آية الأنعام ٢٥ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ بصيغة الإفراد وكذلك في آية يونس ٤٣ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾، بينما قال في آية يونس ٤٢ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بصيغة الجمع، فلماذا؟

الجواب:

آيتا يونس: (٤٢ـ٤٣)

١ـ قال تعالى في آية يونس ٤٢ : ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ بصيغة الجمع وبعده ﴿يَنظُرُ﴾ بلفظ المفرد؛ وذلك لأنّ المستمعين أكثر من الرائين على وجه العموم، ألا ترى أننا نستمع إلى أناس كثير لا نراهم في الإذاعات وأشرطة التسجيل وغيرها من وسائل السمع، فجمع (المستمعين)؛ لأنهم أكثر، وإنْ كان لفظ ﴿مَن﴾ يحتمل الجمع والمفرد .

٢ـ وذكر الكرماني في كتابه «البرهان»: إنما فرّق بينهما؛ لأنّ المستمع إلى القران كالمستمع إلى النبي ﷺ بخلاف النظر، فكان في المستمعين كثرة، فجمع ليطابق اللفظ المعنى، ووحّد ﴿يَنظُرُ﴾ حملاً على اللفظ؛ إذ لم يكثروا كثرتهم .

٣ـ من جهة أخرى: فإنّ التأثر بالدعوة يكون بحسب أثر الاستماع لا بحسب الرؤية، فوحّد الرؤية؛ لأنّ رؤيته ﷺ واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الرائين، وجمع الاستماع؛ لأنّ

الاستماع يختلف أثره من شخص لآخر، لذلك وحّد المستمعين؛ لأنّ أثر ذلك مختلف عندهم .

آية الأنعام ٢٥:

٤ـ من جهة أخرى آية الأنعام ٢٥ هي في أبي جهل والنضر وأُبيّ بن خلف لمّا استمعوا قراءة النبي ﷺ على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فلما قلّ عددهم أفرد الضمير.

السؤال الثالث:

في الآية قوله تعالى ﴿مَّن يَسْتَمِعُ﴾ (من) هو اسم الموصول، لكن هل هو مفرد أم جمع؟ وهل يحمل على اللفظ والمعنى؟

الجواب:

(من) و(ما) من الأسماء الموصولة، وهما في اللفظ مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، فتقول: جاء من فاز ومن فازت ومن فازوا ومن فزن، واشتريت ما باعه خالد وما باعها.

ويجوز مراعاة لفظهما، أي: الإفراد والتذكير كما يجوز مراعاة المعنى، لكن يجب مراعاة المعنى إنْ حصل لَبس في اللفظ، فلا تقول للأنثى (أعط من سألك) بل (أعط من سألتك) .

والعرب على الأغلب تبدأ بذكر ما يدل على اللفظ وهو مفرد مذكر، ثم بما يدل على المعنى.

* شواهد قرآنية:

آ ـ في آية البقرة ٨: أعاد الضمير على لفظ (مَن) وهو الإفراد والتذكير في ﴿يَقُولُ﴾ ثم أعاده فيما بعد على معناه وهو الجمع، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] فحُمل الكلام على لفظه في الأول ثم حمله على معناه فيما بعد.

ب ـ في آية الأحزاب٣١: مع ﴿يَقْنُتْ﴾ أعاد الضمير على لفظ (مَن) وهو الإفراد والتذكير، ومع ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على معناه وهو الإفراد والتأنيث .

ج ـ في آية الأنعام٢٥: بدأ بالحمل على اللفظ، ثم حُمل على المعنى .

د ـ في آية يونس٤٢: في ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ والمراد هنا جميع الكفار، فجمع للدلالة على كثرة المستمعين، وفي ﴿يَنظُرُ﴾ أفرد بعد رعاية اللفظ لقلة الناظرين.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٢٥ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فنفى بـ﴿إِنْ﴾ بينما نفى بـ ﴿مَا﴾ في آية الأحقاف ١٧ في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

القاعدة اللغويـــة: يستعمل القرآن (إنْ) لما هو آكد من استعماله لـ (ما).

البيـان:

قال في آية الأنعام ٢٥ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ وقال في آية الأحقاف١٧ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

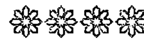
وآية الأنعام آكد يدل على ذلك السياق، فقد قال فيها:

- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ .

- ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ .

- ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ .

لذلك ترى أنّ درجة التكذيب في آية الأنعام أشد مما في آية الأحقاف؛ لأنّ الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والإنكار في المكذبين في آية الأنعام أشد وأكثر؛ ولذلك أكد النفي فيها بـ (إنْ) بخلاف الثانية.



﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾؟

الجواب:

جاء الأداء القرآني معبراً عن أدق تفاصيل هذه الحالة، فالبداية من قريش كانت نهي الآخرين عن أنْ يسمعوا القرآن؛ حتى لا يؤمنوا برسالة رسول الله ﷺ، ثم بعد ذلك ابتعدوا بأنفسهم عن رسول الله ﷺ فصار حظهم أنْ يظلوا على كفرهم، وكان الخسران من نصيبهم بينما آمن غيرهم من الناس، فهم قد ارتكبوا ذنبين: إضلال الآخرين وضلال نفوسهم، فانطبق عليهم قول الحق: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ [النحل:٢٥] .

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الأنعام ٢٨ كيف يُردّون؟ وكيف يعودون؟

الجواب:

١ـ المشهد في الآية من مشاهد النار يوم القيامة ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧] يعني: يردهم ربهم إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قالوا: يا ليتنا نعود مرة أخرى ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، فردّ عليهم رب العالمين بقوله: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي لو ردوا كانوا سيفعلون ما نهوا عنه ويرجعون إلى نفس المسألة التي دخلوا بسببها النار، وسيعودون إلى نفس المنكرات والقبائح التي فعلوها بعد أنْ رأوا الموقف بأعينهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: أنّ هذا التمني كاذب؛ فلو ردهم إلى الدنيا لعادوا إلى أفعالهم القبيحة.

٢ـ هل هناك رابط بين (ردوا) و(عادوا)؟ عاد: مبني للمعلوم، ورُدّوا: مبني للمجهول، يعني لو رددناهم إلى الدنيا لعادوا إلى فعلتهم. ردوا: معناه أعيدوا، أي: يعيدهم ربهم إلى الدنيا.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة في الآية ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾؟

الجواب:

أطلق العنان لخيالك؛ لتعاين هذا المشهد الصوري الذي تضفيه هذه الآية على المشركين، فالمرء إذا حمل شيئاً على ظهره أنهك قواه، فكيف بهم وهم يحملون أوزاراً وليس ذنوباً؟ لأنّ الوزر هو الحِمل الثقيل، فأراد ربنا سبحانه أن يصور لنا ثقل ما يحملون من الذنوب والجنايات التي ينوء عن حملها الرجال، فيوم القيامة تراهم يقفون في عرصات الآخرة مثقلين متعبين بما كسبوا من الأوزار.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ في المعاجم اللغوية الفعلان متقاربان بالمعنى، لكنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة .

٢ـ وفي القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة وشدة ويستعمل (أتى) لما هو أخف وأيسر.

* **شواهد قرآنية: (جاء):**

ـ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧] **في هذا المجيء شدة ومشقة.**

ـ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق:١٩] .

ـ ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف:٧١] ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤].

ـ ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧].

ـ ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم:٨٨-٨٩-٩٠] .

﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١].

ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس:٣٣-٣٤] .

ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات:٣٤].

وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة .

وقد تقول: ولكنّ الله تعالى قال: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية:١] فجاء بـ (أتى) بدل (جاء)؟

والجواب: أنّ الذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية، في حين أنّ الذي جاء هناك هو الطامة والصاخة ونحوهما مما ذكر.

ـ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [يونس:١٣] ذكر الفعل ﴿جَآءَ﴾ وذلك أنه ذكر إهلاك القرون لظلمهم وعدم إيمانهم وتكذيبهم وذكر جزاء المجرمين، انظر الآيات يونس [٩ ـ ١٣].

ـ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ [الروم:٩] ذكر الفعل ﴿جَآءَ﴾ حيث ذكر عاقبة الذين أساؤوا وأنها (السُّوأى) تأنيث الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم لرسلهم واستهزاءهم بهم.

ـ ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [فاطر:٢٥] .

ذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم بعد أنْ جاؤوهم بكل ما يدعو إلى الإيمان من البينات والكتاب، وذكر أخذه لهم وعلّق بقوله: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦﴾ [فاطر:٢٦] فذكّر الفعل ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ [فاطر:٢٥].

ـ ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر:٨٣] .

ذكر أنّ أممهم استهزؤوا برسلهم وبقوا على شركهم حتى رأوا بأس الله ينزل بهم فلم ينفعهم إيمانهم بعد فوات الأوان، فذكر ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ .

شواهد قرآنية في الآيات المتشابهة التي يختلف فيها الفعلان:

١ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨] المجيء في غافر أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران، في حين لم يزد في آية النحل على الإتيان؛ فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء)، ولما هو أيسر (أتى) .

٢ ـ ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠] ﴿أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام:٣٤].

الحالة في آية يوسف أشق وأصعب حيث بلغ الرسل درجة من أصعب درجات اليأس، وهو شعورهم أنّ الله كذبهم ولم يُصدقهم فيما وعدهم، عندها جاءهم النصر ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠] .

بينما في آية الأنعام ذكر أنّ الكافرين كذّبوا الرسل وآذوهم فصبروا، وهذا يحدث عادة، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمر كبير .

وانظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحاً، فما ذكره الله من نجاةٍ للمؤمنين ونزول البأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام .

٣ ـ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الزُّمَر:٢٥] ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [النحل:٢٦] ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت:٥٣] .

قال في آية الزمر والنحل (أتاهم) وفي آية العنكبوت ﴿لَّجَآءَهُمُ﴾؛ والسبب في ذلك أنّ آية الزمر والنحل في عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُّمَر:٢٦] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [النحل:٢٧].

في حين أنّ آية العنكبوت في عذاب الآخرة، وحتى لو كانت في عذاب الدنيا فإنّ ما ذكر فيها من العذاب أشق وأشد مما في آيتي الزمر والنحل، بدليل قوله تعالى:﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥] فجاء لما هو أشق وأشد بالفعل (جاء)، ولما هو أيسر بـ(أتى).

وقد تقول: ولكن الله قال: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ [العنكبوت: ٥٣] في آية العنكبوت فاستعمل الفعل المضارع؟

والجواب: أنّ القرآن الكريم لم يستعمل مضارعاً للفعل (جاء)، وكل ما استعمله في هذا المعنى كان المضارع من (أتى)؛ فلا يدخل المضارع في الموازنة .

٤ ـ ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [التوبة:٧٠] ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [الأعراف:١٠١].

ذكر في آية الأعراف أنّ الأقوام لم يؤمنوا وأنهم طُبع على قلوبهم، وأنه لم يجد لأكثرهم عهداً، الآية ١٠٢، ثم ذكر بعد ذلك ظلم فرعون وملئه لموسى وتكذيبهم بآيات الله وعاقبتهم.

بينما لم يذكر هذه التفاصيل في آية التوبة؛ فاستعمل (أتى) في التوبة و (جاء) في الأعراف.

السؤال الثالث:

ورد في آية الأنعام ٣١ ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾، وفي الأنعام ٤٠ ﴿أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

لا بد من النظر في كل الآية لا في جزء منها وكذلك في السياق؛ ليتبين الفرق:

- ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام:٣١].

- ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤٠-٤١].

١ـ آية الأنعام ٣١: هي في الآخرة وفي الذين كذّبوا باليوم الآخر وهم نادمون يتحسرون على ما فرطوا في الدنيا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، ولم يقل على رؤوسهم؛ لأنّ الظهر أقوى للحمل من الرأس، فأشار إلى ثقل الأوزار.

أما آية الأنعام ٤٠، فهي في الدنيا، بدليل قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾

لذلك الموقف الأول أشق وأشد مما في الثاني؛ فاستعمل الفعل (جاء) في الأولى و (أتى) في الثانية.

٢ـ بشكل عام لم يرد في القرآن فعل مضارع ولا فعل أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول لـ (جاء)، بخلاف (أتى) فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول .

فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء)، وخِفّة اللفظ وخفة الموقف في (أتى).

أمثلة: [أتى ـ يؤتون ـ آتِ ـ آتيه ـ المؤتون ـ إيتاء ـ مأتيا].



﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أراد الله أنْ يصغّر الحياة الدنيا في نظرك، فبماذا شبهها؟

الجواب:

جعل الله الحياة الدنيا لعباً ولهواً فكأنه قال الحياة الدنيا لعب، الحياة الدنيا لهو، فلِمَ شُبهت الدنيا بهذين الأمرين: اللعب واللهو؟ وقع هذا التشبيه والقصر؛ لأنّ الأعمال الحاصلة في الحياة كثيرة، وأغلب أعمال الناس يقع تحت إطاري اللعب واللهو إلا من آمن وعمل صالحاً.

السؤال الثاني:

في الآية لِمَ مثّل الله الدنيا باللعب واللهو معاً، ولم يقتصر على أحدهما؟

الجواب:

اللعب هو عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش وليست له غاية مفيدة، بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وأكثره أعمال صبيان، ولذلك فهو مشتق من (اللعاب) وهو ريق الصبي السائل.

وأما اللهو فهو ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب بالاشتغال به عقله، فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة وشهوة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لم سمّى ربنا يوم القيامة بالدار ولم يقل عنها (وللآخرة خير للذين يتقون) دون كلمة الدار، وفي هذا اختصار وإيصال للمعنى؟

الجواب:

سمى ربنا الحياة الآخرة بالدار؛ لأنّ الدار هي محل إقامة الناس وهي مكان بنائهم ومنازلهم، وفي هذا إيماء لك أيها المؤمن بأنّ دارك الحقيقية التي تود إشادتها هي الدار الآخرة، وأمّا الدنيا فهي ممر لا مقر.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٢ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وقال في آية العنكبوت ٦٤ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ فما السبب؟ وما الفوراق اللفظية بين الآيتين؟

الجواب:

الآيتان متشابهتان إلى حد كبير، لكن توجد بينهما الفوارق اللفظية التالية:

آية الأنعام ٣٢	آية العنكبوت ٦٤
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾	﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾
﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾	﴿لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾
﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾	﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾
﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾	﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾

بيـان الفوارق:

١ـ جاء ذكر الدنيا في آية االعنكبوت ٦٣ في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾، فقال في الآية ٦٤ ﴿وَمَا هَٰذِهِ﴾ إشارة إلى ما سبقها.

أمّا في الأنعام فقد سبقها ذكر الآخرة في الآية ٣١ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ﴾ .

٢ـ الأصل أنّ اللهو أوسع من اللعب، وهو يشمل كل ما يلهي الإنسان عن ربه، وفي أغلب آيات القرآن يقدّم القرآن اللعب على اللهو؛ لأنّ اللعب هو في فترة الطفولة واللهو في فترة الشباب، ولذلك فالتسلسل بين اللعب واللهو تسلسل منطقي في الحياة.

لكنه في آية العنكبوت رقم ٦٤ قدّم اللهو على اللعب؛ لأنه سبقها قوله تعالى في الآية ٦٢ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)﴾ .والسبب في ذلك هو:

آ ـ الرزق هنا هو المال أي: هو اللهو، والمال يُلهي الشخص الذي بُسط له في ماله لجمعه وكسبه، ويُلهي الشخص الذي قُدِرَ له في ماله كي يحصّل عيشه بصعوبه، فكلاهما يلتهي بموضوع المال، لذلك قدّم اللهو على اللعب في آية العنكبوت، بخلاف آية الأنعام حيث قدّم اللعب على اللهو حسب تسلسلهما في الحياة.

ب ـ من جهة أخرى نلاحظ التالي:

في الأنعام: سبقها ذكر الآخرة وإظهارهم للحسرة، وفي الآخرة يبعد الاستغراق عن الدنيا ولهوها فأخّر الأبعد وهو اللهو.

في العنكبوت: سبقها ذكر الدنيا، وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق بها؛ فقدّم اللهو؛ لأنّ الإعراض عنه يحسم مادة الشر.

٣ـ في الأنعام كان الحال إظهار الحسرة؛ لذلك ما كان المكلف يحتاج إلى رادع قوي فقال: وللدار الآخرة خير.

بينما في العنكبوت كان الحال حال الاشتغال بالدنيا فاحتاج إلى رادع قوي، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ بالتوكيد.

٤ـ قال في الأنعام: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لأنّ الآخرة خير للمتقي، أي: المتقي عن الشرك والكبائر، وأما الكافر فلا، لأن الدنيا جنته فهي خير له من الآخرة، وفي الحديث «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

وقال في العنكبوت: ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، وحيث إنّ الآخرة باقية وفيها الحياة الدائمة، فلا تختص الحياة فيها بقوم دون قوم.

٥ـ قال في الأنعام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ وقال في العنكبوت: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ وذلك لأنّ المثبت في الأنعام كون الآخرة خيراً وأنه ظاهر لا يتوقف إلا على العقل.

وأما المثبت في العنكبوت أنه لا حياة إلا حياة الآخرة، وهذا دقيق لا يُعرف إلا بعلم نافع ينبه المرء على أنّ من أكبر الغلط إنزال الدنيا بمنزلة الآخرة.

٦ـ وجملة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ شرطية جوابها محذوف بتقدير: لو كانوا يعلمون ما اختاروا الدنيا الزائلة على الآخرة الدائمة.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٢ ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي: مع (التوكيد باللام) وكذلك في آية النحل ٣٠ ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠﴾ لكن القرآن لم يؤكد باللام كما في آية الأعراف ١٦٩، حيث قال: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾، فما السبب؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا أكد بـ (اللام) في آيتي النحل والأنعام فقال: [ولنعم، وللدار] ولم يؤكد في الأعراف حيث قال: [والدار]، وذلك:

أولاً: الآيات:

آيات النحل ٢٧ـ٣٢:

ـ ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٧ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩ ۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾

آيات الأنعام ٢٧ ـ٣٢:

ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟
يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ
خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾﴾

آيات الأعراف ١٦٤ ـ١٦٩:

ـ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ
بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ
عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ
سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ
وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

ثانياً ـ البيـــــان:

١ـ السياق في آيات النحل والأنعام هو في الدار الآخرة،انظرالآيات (٢٧ـ٣٢) من سورة النحل والآيات (٢٧ ـ ٣٢) من سورة الأنعام .

٢ـ السياق في سورة الأعراف في العقوبات الدنيوية لبني إسرائيل. انظرالآيات (١٦٤ـ ١٦٩)؛ لذلك لمّا كان السياق في آيات النحل والأنعام في الدار الآخرة أكّدها باللام لتتناسب بين السياق والتوكيد، ولمّا كان الكلام في آيات الأعراف عن عقوبات الدنيا لم يؤكد الدار الآخرة باللام، بل أكّد سرعة العقاب؛ لأنه عاجلهم في الدنيا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

السؤال السادس:

آية الأنعام ٣٢ هي في ذم الدنيا، فما بعض الأقوال والنصائح والرقائق التي قيلت في ذم الدنيا؟

الجواب:

ـ الدنيا كامرأة بغيٍّ لا تثبت مع زوج، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها، فلا ترضى لهم إلا بالدياثة.

ـ طائر الطبع يرى الحبة، وعين العقل ترى الشَّرَك، غير أنّ عين الهوى عمياء.

ـ اشتر نفسك فالسوق قائمة والثمن موجود.

ـ دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك.

ـ الذنوب جراحات، ورُبّ جرحٍ وقع في مقتل.

ـ لا بد من سِنةِ الغفلة ورقاد الهوى، ولكن كن خفيف النوم فحرّاس البلد يصيحون: دنا الصباح.

ـ عرائس الموجودات قد تزينت للناظرين ليبلوهم أيهم يؤثرن على عرائس الآخرة، فمن عرف قدر التفاوت آثر ما ينبغي إيثاره.

ـ من أعجب الأشياء أنك تعلم أنك لا بد لك من ربك وأنك أحوج شيء إليه، ثم أنت عنه مُعرض وفيما يبعدك عنه راغب.

ـ ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها أماني، والوقت ضائع بينهما.

ـ بينك وبين الفائزين جبلُ الهوى نزلوا بين يديه ونزلت خلفه فاطوِ فضلَ منزل تلحق بالقوم.

ـ في الطبع شَرَهٌ والحمية أوفق.

ـ كن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا فإن الولد يتبع الأم.

ـ دخل الناسُ النار من ثلاثة أبواب:

آـ باب شبهة أورثت شكاً في دين الله.

ب ـ باب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته.

ج ـ باب غضب أورث العدوان على خلقه.

ـ أصول الخطايا كلها ثلاثة:

آـ الكِبْر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره.

ب ـ الحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة .

ج ـ الحسد: وهو الذي جرّأ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر.

ـ شراب الهوى حلو ولكنه يورث الشَّرَق.

ـ إذا قسا القلب قحطت العين.

ـ من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.

ـ قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة.

ـ خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.

ـ من عشق الدنيا نظَرتْ إلى قدرها عنده فصيّرته من خدمها وعبيدها وأذلته، ومن أعرض عنها نظرتْ إلى كبر قدره فخدمته وذلت له .

ـ للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها:

ثلاثة سافلة: دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له.

وثلاثة عالية: علم يتبين له وعقل يرشده وإله يعبده.

ـ أغبى الناس من ضلّ في آخر سفره وقد قارب المنزل.

ـ من قبّل فم اللذة لا ينكر عضّ أسنان الندامة.

ـ لو سُقي الحنظل بماء السكر لم يخرج إلا مراً.

ـ عشاق الدنيا بين مقتول ومأسور، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

ـ من نبت جسمه على الحرام فمكاسبه كبريت به يوقد عليه.

ـ كم في يم الغرور من تمساح فاحذر يا غائص .



﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ قَدْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ ؟

الجواب:

(قد) إذا دخلت على المضارع فمن معانيها التقليل، وقد تأتي للتحقيق والتكثير كما في قوله ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤] ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور:٦٤] فهذا تحقيق.

إذن من المعاني التقليل، وليس معناها التقليل فقط، وهذا شأن بقية الحروف إذ لها أكثر من معنى، وهذه اللغة الأعلى في التعبير، وهذه لغة العرب، وأحد المعاني هو التقليل وليس كل المعاني.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الكفر والتكذيب)؟

الجواب:

لا شك أنّ الكفر أعمّ من التكذيب؛ لأنّ التكذيب حالة من حالات الكفر. التكذيب جزء من الكفر بآيات الله. قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هناك جحود وتكذيب وكفر ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]. فالكفر ليس حالة جزئية بل هو عام، والتكذيب من الكفر لكن هو حالة جزئية من الكفر.

السؤال الثالث:

قال في آية الأنعام٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وقال في آية الأنعام١٤٧ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾؟ فما سبب اختلاف الصيغتين؟

الجواب:

أي: أنهم لا يكذبونك في الباطن؛ لأنك عندهم معروف بالأمين، وإنما يكذبونك في الظاهر؛ لشدة عنادهم ليصدوا عنك .

ويؤيد ذلك عندما التقى الأخنس وأبو جهل، فسأل الأخنس أبا جهل فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري و غيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك والله إنّ محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!!! .

ولذلك قال أبو جهل للنبي ﷺ: ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به. فأنزل الله الآية .

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الآيات: آية الأنعام ٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال:٥٢] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال:٥٤]؟ أي ما الفرق بين (كذبوا بآياتنا) و(كفروا بآياتنا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١.



﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (جاء) و(أتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام رقم ٣١.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

أين جواب الشرط في الآية ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

الجواب محذوف والتقدير: فافعل. ثم حذف الجواب لدلالة الكلام عليه. ومثل ذلك [آية آل عمران ١٥٢ ـ والزمر ٩].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية (نفقاً)، ما كلمات منظومة (الطريق) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧ .



﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة عطف جملة ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على جملة ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ في هذه الآية؟

الجواب:

اقرأ الآية ثم تأمل العطف فيها، فقد عطف الله جملة ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على جملة ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وقد وصف الله الفريق الأول بالسامعين فكان السياق يؤذن بأنْ يسمى الفريق الثاني بالصُمّ أو الذين لا يسمعون، فلم سماهم موتى؟

في هذا تعريض بأولئك المعاندين المعرضين بأنهم ولشدة إصرارهم على غيّهم ولرفضهم للحق أصبحوا كالأموات لا ترجى منهم استجابة، وهذا أشد من الأصم أو الذي لا يسمع، فالأصم لا يسمع ولكنه قد يشعر ويعي ما يدور حوله، أمّا الميت فقد فَقَدَ كل إدراك وشعور.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الاستجابة والإجابة)؟

الجواب:

الاستجابة هي أنْ يجيبك من طلبت منه أمراً ويحققه لك، أمّا الإجابة فهي أن يجيبك من سألت ولو بالرفض، كما في آية الأنعام ٣٦ .



﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: [قدر ـ استطاع ـ أطاق] في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ قدر: تعني أنّ الإنسان يقوم بالعمل دون أي جهد، وأنّ العمل عليه سهل؛ ولذلك وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قدير؛ لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

* شواهد قرآنية: البقرة ١٤٨ ـ الأنعام ٣٧ ـ النحل ٧٧ ـ الإسراء ٩٩.

٢ ـ استطاع: الفعل مشتق من الاستطاعة، وهي أنْ تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أنْ تدخر منه شيئاً أو تتكلف أي جهد إضافي.

* شواهد قرآنية: آل عمران ٩٧ ـ الأنفال ٦٠.

٣ ـ أطاق: من الطاقة، وهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد، أي: يقوم بالعمل ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤].

ـ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٧ ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وفي آية العنكبوت ٥٠ ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، فما السبب؟

الجواب:

عند قراءة آيات سورة العنكبوت (٥٠ـ٥١) وآيات سورة الأنعام(٢٥ـ٣٧) يظهر من السياق أنّ الموقف في الأنعام أشد، وأنّ موقف الكافرين أعنت والمجادلة بالباطل والتكذيب أظهروأوضح، فاستعمل في الشدة وقوة المواجهة ﴿نَزَّلَ﴾ مضعفاً لما أرادوا من التوكيد، إضافة أنّ آية العنكبوت لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آيات الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٧ ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾، وقوله في آية يس ٨١ ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ بزيادة الباء، فما السبب؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية:

تدخل الباء الزائدة على أخبار [ليس وما ولا وكان المنفية] لتأكيد النفي؛ لأنّ العرب استعملت(الباء) لتأكيد النفي، واستعملت (اللام) في تأكيد الإثبات

* شواهد قرآنية:

ـ في آية الإسراء٩٩ ﴿قَـٰدِرٌ﴾ خبر: أنّ .

ـ في آية يس ٨١ ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ هو خبر ليس في أول الآية، فدخلت الباء في خبرها.

ـ في آية الأحقاف ٣٣ ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ لمّا أكد النفي بنفي ثان وهو ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ ﴿٣٣﴾﴾ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ .

٢ـ الفرق بين قدير وقادر:

آ ـ قدير: على وزن (فعيل) من صيغ المبالغة، وتأتي في القرآن إذا عمم القدرة أو أطلقها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [هود:٤] و ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤].

ب ـ أما إذا قيد القدرة بشيء فإنه يقول ﴿قَادِرٌ﴾ .

* شواهد قرآنية :

آية الأنعام ٣٧: قيدت بإنزال آية .

آية الأنعام ٦٥ : قيدت بالعذاب.

آية يس ٨١: قيدت بخلق السماوات والأرض .

أي: حيث عمم القدرة أو أطلقها يأتي بصيغة المبالغة ﴿قَدِيرٌ﴾، وحيث قيّدها يأتي باسم الفاعل.

هذا، وقد وردت كلمة (قادر) في القرآن الكريم (٧) مرات، بينما وردت كلمة (قدير) (٣٩) مرة.



﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾؟ وما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب:

كل الدواب دون الإنسان أعطاها الله الإيمان بالفطرة وهداها إلى الرزق بالغريزة، وميّز الإنسان بالعقل فإنْ استخدمه استخداماً صحيحاً فإنه يصل إلى الإيمان، وإنْ استخدمه استخداماً سيئاً فإنه يضل عن الإيمان.

وكل الكائنات هي أمم أمثالنا مثل النمل والطيور والأسماك والحيوانات والحشرات وحتى الذباب، وقد ذلل الله لنا بعضاً من المسخرات؛ ليثبت للإنسان أنه لم يذلل الأشياء بحيلته، ولكنه جلّ شأنه هو الذي خلقها وذللها للإنسان، لذلك ترى الجمل الضخم يجره طفل صغير، وترى أي رجل مهما تكن قوته يأخذ الحذر من ثعبان صغير.

ولو لم يذللها الله فلن يستطيع أحد أنْ يقترب منها، وعندما قال قائل: لماذا خلق الله الذباب؟ فقال رجل من أهل الإشراق: ليذل به الجبابرة؛ لأنّ سلطانهم لا يمتد إلى هذه الحشرات .

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ شملت كل ما عليها أو تحتها أو في الماء؛ لأنّ الأرض صارت ظرفاً والظرف هو الوعاء كله يدخل فيه .

ولفظ ﴿دَآبَّةٍ﴾ أي: كل ما يدب، وهذا فيه توسع في المعنى .

٢ـ الأُمم: مأخوذة من الأم، أي: الذين يتناسلون فهناك تكاثر وتناسل، نحو: أمة النمل ـ أمة النحل ـ أمة الطيور.

و كل صنف من البهائم أمة، وفي الحديث «**لولا أنّ الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**».

وأفرد الدابة والطائر، وقال تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾؛ لأنّ لفظ الدابة والطائر دالٌّ على الاستغراق، فحمل القول ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ على المعنى.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿أَمۡثَالُكُمۚ﴾ أي: في كونها أمماً وجماعات يشبه بعضها بعضاً ويؤنس بعضها بعضاً ويتوالد بعضها من بعض كالإنس، وقد تكفل الله برزقها مثلنا، وأحصى أحوالها مثلنا، كما روي عن النبي ﷺ « **يقتص للجماء من القرناء** ».

ولذلك قال بعضهم: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم إقدام الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب ،ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنزير، وهكذا.

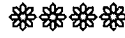
٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ العرب تستعمل كلمة الطائر لما يطير ولما لا يطير كالنعام والدجاج، واستعملوها مجازاً للدلالة على السرعة.

وقوله تعالى في الآية: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ يفيد التأكيد، كقولك رأيته بعيني وسمعته بأذني.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش، وقيل إنه القرآن و ﴿مِن﴾ هنا للتبعيض، فكأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب بعض شيء يحتاج المكلف إليه إلا يوجد به.

٦ـ و قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ هذه كلها تُحشر إلى الله تعالى فيقتص بعضهم من بعض، ثم يأمر الله تعالى فيكونون تراباً، وهنا يأتي تمني الكافر ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

فالآية شملت ما يطير وما لا يطير من الطيور، وذكر الجناحين لبيان فضل الله؛ إذ لو كان بجناح واحد لسقط في طيرانه، وذكر الجناحين لغرض التأكيد والمبالغة، وهو نظير قوله تعالى في آية النساء رقم ١٠ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ والله أعلم.



﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الواو في الآية ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ مع أنه في البقرة لم يستخدم الواو ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾؟ ولماذا لم يقل في آية الأنعام: (عمي)؟

الجواب:

١ـ ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ يحتمل أنْ يكون بعضهم صماً وبعضهم بكماً وبعضهم عمياً، ويحتمل أنْ يكونوا في مجموعهم صماً بكماً عمياً .

٢ـ ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ فلا تحتمل إلا معنىً واحداً، وهو أنهم جميعاً صم وبكم.

من ناحية أخرى لم يقل في الأنعام: ﴿عُمْىٌ﴾ كما في آية البقرة، والسبب أنّ الكلام في سورة البقرة عن المنافقين طويل، وهم عمي عن الحق، والأعمى أشدُّ من الذي في الظلام؛ لأنه لا يرى سواء كان في النور أم في الظلام .

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ١٨ .

السؤال الثاني:

ما أهم الوقفات في هذه الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ يوجد في هذه الآية وقفتان:

الوقفة الأولى: لِمَ قال الله: ﴿صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ ولم يقل: (صم بكم عمي) كما في سورة البقرة؟

والجواب أنّ الله وصفهم بالأصم والأبكم التائه في الظلمات؛ ليبين لنا ربنا حالهم، فهم أصموا آذانهم عن سماع الحق وتلقي الهدى وأخرسوا ألسنتهم عن الاستفسار عن الهداية وابتعدوا عن الاسترشاد بمن يمر بهم، واستمروا في ذلك فتاهوا في الضلال الذي خيّم عليهم وعماهم عن الحق وتلقي الهدى، فهم يعلمون أنهم في ظلمات ولكنهم لا يريدون الخروج منها، أمّا الأعمى فقد لا يعلم أين يمشي وأين يمكث.

الوقفة الثانية: لِمَ قال: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ ولم يقل صم وبكم في الظلام؟ في هذا إشارة إلى تعدد الظلمات، بينما النور واحد وهو الإسلام، أمّا الظلمات فهناك ظلمة الكفر وظلمة العناد وغيرها، فلنسلك مسلك النور الواضح حتى نبلغ النهاية السعيدة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية﴿يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ لماذا عدّى الفعل بـ ﴿على﴾ بدل (في) مثلاً؟

الجواب:

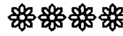
انظر الجواب في آية البقرة ٥ .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.



﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام٤٦ ويونس ٥٠: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ وفي آيتي الأنعام رقم ٤٠ و ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بزيادة الكاف إضافة إلى الهمزة، فما السبب؟

الجواب:

هذه الزيادة إنما تكون لغرض توكيد الخطاب وزيادة تنبيه المخاطب، والفرق بين الصورتين ههنا لسببين، والله أعلم:

١ـ في الآية الأولى (٤٦) تجد أنّ فاقد السمع والبصر والمختوم على قلبه يحتاج إلى زيادة الخطاب وتنبيه أكثر من السوي، فقال فيها بعد ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ .

٢ـ أنّ الآية الثانية (٤٧) أشد من الآية الأولى تنكيلا وعذاباً، فإنّ فيها عذاب الله الذي هو أشد من أخذ السمع والبصر، فاحتاج الموقف إلى تنبيهٍ أشد وحذرٍ أكثر، فجاء بكاف الخطاب ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ .

وقد تقول: لِمَ قال الله في سورة يونس ٥٠: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ ولم يقل (أرأيتكم) كما في الأنعام:٤٧ أو الأنعام: ٤٠ والآيات متشابهة والموقف واحد؟

والحقيقة أنّ الموقف مختلف والسياق غير متفق، ففي الأنعام (٣٩-٤٠) وصف الله الذين كذبوا بالصمم والبكم، وأنهم في الظلمات فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه وخطاب ليسمعوا وليعوا، وهذا شبيه بالموقف في الأنعام ٤٦ بخلاف سورة يونس التي ليس فيها هذا الأمر .

٣ـ لفظة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ تكررت في موضعين في سورة الأنعام وليس لها في العربية نظير؛ لأنها جمعت بين علامتي خطاب، وهما (التاء والكاف) والجمع بينهما يدل على أنّ ذلك تنبيه وتأكيد للمخاطب لاستحكام غفلته؛ ولهذا حذفت الكاف في آية يونس ٥٠ ؛ لأنه لم يتقدمها ذكر صمم ولا بكم يوجب تأكيد الخطاب .

السؤال الثاني :

ما تركيبة الصيغة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ في آية الإسراء ٦٢ و ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في آيتي الأنعام ٤٠-٤٧؟

الجواب:

أرأيتك:

١ـ هناك (رأى) البصرية للمشاهدة و(رأى) القلبية بمعنى عَلِمَ .

٢ـ كلمة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ فيها الفعل (رأى)، وفيها كاف الخطاب، وفيها تاء الخطاب، وكأنه يقول: أرأيت نفسك .

والعرب لم تستعمل: أرأيتك، بمعنى: أرأيت نفسك، وإنما استعملوها بمعنى آخر بمعنى: أعلمني، أو: أخبرني، فتقول العرب مثلاً: أرأيتك إن جاء زيد ستكرمه كما أكرمت أخاه؟ أي أخبرني مع نوع من التأكيد ونوع من التعجب من إكرامه الأول .

وقد تكون للتبكيت، كقولك: أرأيتك ستفعل هذا مع فلان كما فعلت مع فلان؟

٣ـ لكن: أرأيتك، وردت في القرآن الكريم على غير معنى: (أخبرني)

ففي آية الإسراء ٦٢: عندما يخاطب إبليس رب العزة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هو لا يريد: أرأيت نفسك، ولا يريد: أخبرني، وإنما إبليس يريد لفت النظر أو التنبيه إلى هذا الإنسان، كما نقول نحن في العامية: شايف ابنك إذا بقي على هذه الحالة لن يتقدم .

وكأن معنى الآية: أترى هذا الذي كرمته علي؟ سأقول لك كلاماً يقينياً بشأنه ولأحتنكن ذريته .

٤ـ الهمزة في: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هي همزة سؤال أُريد بها تقرير شيء، كقول الشاعر: (ألستم خير من ركب المطايا)، لذلك هو تقرير وليس سؤالاً.

٥ـ بناء على ذلك تكون الهاء للاستفهام، ورأيت: فعل ماضٍ، والتاء ضمير فاعل، والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب، والجملة مقول القول.

أرأيتكم:

١ـ وردت هذه الصيغة في موضعين في القرآن في سورة الأنعام في الآيتين: ٤٠ ـ٤٧.

٢ـ الصيغة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ فيها نوع من الإفراد والجمع: أرأيت ـ للمفرد، والكاف للجمع، وكأنما الكلمة لتنبيه كل فرد على حدة.

٣ـ آية الأنعام ٤٠ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بمعنى: أخبروني، وفيها نوع من التأديب والتأنيب، بمعنى: إلى من تلجأون غير الله؟ !!!!.

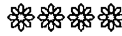
٤ـ آية الأنعام ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ ليس فيها معنى الرؤية، وإنما الإخبار أو طلب الإخبار، أو أنّ المتكلم يخبر السامع بشيء يقين. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٤٢ ﴿يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾، وفي آية الأعراف ٩٤ ﴿يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ بالإبدال والإدغام، فما السبب في إبدال التاء؟

الجواب:

١ـ صيغة ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ فيها مبالغة في الحدث والإكثار منه أكثر من صيغة (يتضرعون) بدون الإبدال والإدغام .

٢ـ قال في الأنعام٤٢ ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ وفي الأعراف٩٤ ﴿فِى قَرْيَةٍ﴾ والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلمّا طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء، فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾، ولمّا كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾، فجاء بما هو أقصر في البناء .

٣ـ استعمل في الأنعام ٤٢ ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ﴾ وفي الأعراف٩٤ ﴿أَرْسَلْنَا فِى﴾ والإرسال إلى شخص ما رسالة يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، وأمّا الإرسال في القرية فإنه يقتضي التبليغ والمكث فإن ﴿فِى﴾ تفيد الظرفية، وهذا يعني بقاء النبي بينهم يبلغهم ويذكرهم بالله، ولا شك أنّ هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه، فجاء بالصيغة الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه، فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها .

السؤال الثاني:

ما البأساء والضراء؟

الجواب:

البأساء : لغة هي الشدة عموماً والمشقة والبؤس والفقر والحرب ولكنْ أكثر ما تستعمل في الأموال والأنفس.

الضراء: لغة تكون المرض في الأبدان وما يصيب الأموال .



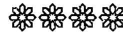
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية هناك قراءتان ﴿فَتَحْنَا﴾ و (فَتَّحْنَا) بالتشديد، فما دلالة كلٍ من القراءتين؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ في كلمة (فتحنا) قراءتان: قراءة الجمهور: فتحنا، وقرأ ابن عمرو وأبو جعفر ورويس عن يعقوب (فتّحنا) التشديد للمبالغة في الفتح فالتشديد يدل على المضاعفة في العمل، وقد جمع الله (أبواب) ولم يقل (باب كل شيء) ليصور لك كثرة الخيرات وأنواعها التي عمّت حياتهم.



﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ختمت الآية بالحمد، وهذه الخاتمة تلفت نظر القارئ، فما توجيه هذه النهاية ولِمَ لَمْ تكن (والله عزيز حكيم) وهذا يناسب العقاب، كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ﴾؟

الجواب:

في هذا تنبيه لك أيها المؤمن على حمد الله عند النِعم، فقد وقع قبل الحمد نعمة من نعمه تعالى، ومن لوازم الحمد أنْ يكون على نعمة، ولعلك تسأل أين النعمة؟ فكأنه قد قيل لك: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ وتلك نعمة من نعم الله تقتضي حمده، أوليس هلاك الظلمة نعمة؟ فهلاكهم صلاح للناس والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب.



﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام٤٦ ويونس ٥٠: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وفي آياتي الأنعام رقم ٤٠ و ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بزيادة الكاف إضافة إلى الهمزة، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٤٠.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (نصرّف ونفصّل ونبيّن) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام:٤٦] و ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام:٩٧] و ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ

صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٧٥.

السؤال الثالث:

في سورة الأنعام ما دلالة الفاصلة (يصدفون) في الآيات ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ المعاني اللغوية:

الأصل في الصدف هو الجانب والناحية، و(الصدفان) في آية الكهف ٩٦: هما الجانبان.

صدف عنه: أي: أعرض إعراضاً شديداً .

والصدف: البناء المرتفع، وصدف عن الشيء: مال.

٢ـ هناك فرق بين: صدف عنه وأعرض عنه، فالإعراض قد يكون خفيفاً لكن (صدف عنه) أن تذهب في الجانب عنه فتتركه وتعرض عنه وتمشي فـ(الإعراض) قد يكون في القليل، و(الصدف) مخصص لما هو أشد .

أي: أنّ الصدف هو الإعراض الشديد .



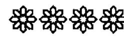
﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ؟

الجواب:

انظر إلى هذه الآية، فقد ختمت بقوله ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فاستعمل الفعل (كان) والفعل ﴿يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ولم يقل: بما فسقوا(بالماضي)؛ للفتة لطيفة وهي أنّ العذاب نزل بهم لإصرارهم على الفسق، فالفعل المضارع ﴿يَفْسُقُونَ﴾ يدل على التجدد والاستمرار.



﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر(لكم) في قوله تعالى في آية الأنعام ٥٠ : ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ وعدم ذكرها في آية هود ٣١ ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾؟ علماً أنه ذكرها أيضاً في آية الكهف ٧٥ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الأنعام في قصة نوح عليه السلام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بينما قال في قصة نوح عليه السلام في سورة هود ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود:٣١].

٢ـ لو لاحظنا الكلام في سورة الأنعام نجده أشدّ وفيه تحذير شديد، تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام:٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧] بينما في سورة هود سياق الآيات فيه تلطّف. وفي التلطّف عادة لا نواجه الشخص فنقول له (قلنا لك).

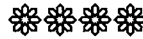
٣ـ ونظير ذلك ما جاء في قصة الخضر وموسى عليه السلام في المرة الأولى، قال تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف:٧٢] وفي الثانية قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف:٧٥].

السؤال الثاني:

قوله تعالى:﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ ذكرها في آية الأنعام ٥٠ دون آيات هود (٢٥ـ٢٧ـ٣١)، فلماذا؟

الجواب:

في آيات سورة هود تقدمها (لكم) عدة مرات، كما في الآيات (٢٥ـ٢٧ـ٣١) فاكتفى به تخفيفاً، ولم يتقدم في سورة الأنعام إلا مرة واحدة.



﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾ هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب:

الإنذار في القرآن لا يكون خاصاً بالكافرين والمنافقين، فقد يأتي للمؤمنين لكنه للمؤمن تخويف، وليس فيه توعد.

* شواهد قرآنية:

في آية يس ١١: الإنذار ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

في آية الشعراء ٢١٤: إنذار للمؤمنين.

في آية فاطر ١٨: إنذار للمؤمنين.

في آية ابراهيم ٤٤: الإنذار للناس جميعاً.

في آية الأنعام ٥١: الإنذار للناس جميعاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النفيين في آيتي الأنعام ٥١ـ٧٠ ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ حيث نفى بـ ﴿لَيْسَ﴾ في آيتي الأنعام، بينما نفى بـ ﴿مَا﴾ في آية السجدة ٤ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾، وجاء معها بـ ﴿مِن﴾؟

الجواب:

١ـ الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية ؛ ولذلك النفي بـ (ما) أقوى من النفي بـ (ليس).

٢ـ الحرف (من) هو للاستغراق الذي يفيد نفي الجنس وللتوكيد كذلك، فهو يفيد نفي الولي والشفيع على سبيل الاستغراق .

٣ـ وأما سبب ذلك ـ والله أعلم ـ فإنّ الكلام في آيتي الأنعام عن أصناف خاصة من الناس هم ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ و ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ وأما آية السجدة فالخطاب لعموم من يصح خطابه من الثقلين، وهو خطاب عام لا يخص صنفاً دون صنف.

فلمّا عمّ ذلك الجميع احتاج إلى التوكيد ولا شك، فإنه جارٍ في العادة أن يكون للشخص وليٌّ واحد، أو يكون لمجموعة من الناس ولي واحد، أمّا ألا يكون للخلق إلا

ولي واحد فقط لا غيره، فهذا يحتاج إلى التوكيد، فأكد بالجملة الاسمية و(من) الاستغراقية.

٤ـ والأمر الآخر أنّ الله تعالى لم يذكر في آيتي الأنعام شيئاً من صفاته، وإنما ذكر اسمه العلم، فقال: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وأمّا في السجدة فقد ذكر الله صفاته العظيمة وقدرته التي لا تحد، كما في الآيات: (٤ـ٧)، فناسب ذلك أنْ يؤكد أنه ليس للخلق من دونه ولي ولا شفيع، وإنما هو الولي الأوحد للخلق أجمعين.

٥ـ لم يذكر الله معصية للصنف المذكور في آية الأنعام ٥١، وإنما قال عنهم: إنهم يخافون أنْ يحشروا إلى ربهم، فهم مقرون بالحشر ويخافون أن يحشروا .

وأما آية الأنعام ٧٠ فأمر الله رسوله بترك الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً كما أمره بتذكيرهم بالقرآن ولم يذكر لهم ذنباً.

بينما آية السجدة فإنها في سياق من ينسب إلى رسول الله الكذب وافتراء القرآن ومن ينكر الحشر والمعاد، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ﴾ [السجدة:٣] وقال: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [السجدة:١٠]؛ لذلك اقتضى السياق توكيد نفي الولي والشفيع من دون الله في آية السجدة من كل وجه. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأنعام ٥١ ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾ وفي آية البقرة ١٢٠ ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ أي بزيادة التأكيد بـ(من)، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠.



﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب (أعلمَ) في قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ و(أحكمِ) في قوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾؟

الجواب:

أعلمَ: خبر ليس مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه ممنوع من الصرف وليس مضافاً.

أما (بأحكمِ) الباء حرف جر زائد، أحكم خبر ليس مجرور لفظاً منصوب محلاً، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، (الحاكمين): مضاف إليه .

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ السلام هو سمت للداخل على الآخرين يلقي عليهم تحية الإسلام، فكيف طلب الله تعالى من النبي ﷺ أنْ يحييهم تحية الإسلام مع أنهم هم الداخلون؟

الجواب:

هذه كرامة من الله تعالى للمؤمنين المستضعفين؛ فقد أمر الله النبي ﷺ أنْ يبدأهم بالسلام حين الدخول عليه إشارة لشأنهم عند الله، وقد نزّل النبي ﷺ في هذه الآية منزلة القادم عليهم؛ لأنه زفّ إليهم بشرى رضوان الله عنهم.



﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة (سبيل) في القرآن الكريم مؤنثة، كما في آية الأنعام ٥٥، ووردت أيضاً بصيغة المذكر، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ﴾ الأعراف ١٤٦، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

يريد الحق بذلك أنْ يعلمنا أنّ القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين قد استقبلته قبائل من العرب بعضها له السيادة كقبيلة قريش؛ لأنها تسكن مكة والكعبة في مكة، وكل القبائل تحج إلى الكعبة .

ويريد الله أن ينهي هذه السيادة؛ لذلك جاء القرآن ببعض الألفاظ التي تنطقها القبائل الأخرى، ومنها كلمة (سبيل) التي تؤنث في لغة الحجاز وجاء بها مرة أخرى مذكراً كما تنطقها تميم.

ولم يأت الحق بكل ألفاظ القرآن مطابقة لأسلوب قريش؛ حتى لا تظن قريش أنّ سيادتها التي كانت لها في الجاهلية قد انسحبت إلى الإسلام، فقد جاء الإسلام للجميع .



﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ﴾ أمر النبي ﷺ بهجران المشركين وأعمالهم فلِمَ قال هنا ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ﴾ ولم يقل على الأصل: لا أتبعكم؟

الجواب:

هذه نكتة لطيفة، فالأهواء جمع (هوى)، وهو المحبة المفرطة التي تعمي عن الحق؛ ولذلك قال: ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ﴾ للإشارة إلى أنهم في دينهم تابعون للهوى نابذون لدليل

العقل، وفي هذا تجهيل لهم في إقامة دينهم على أصل هش لا أساس له سوى التشهي والهوى.



﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم ﴿وَعِندَهُۥ﴾ في قوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ﴿٥٩﴾﴾؟

الجواب:

هذا تقديم الخبر إذا كان المبتدأ معرفة و﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ معرفة؛ لأنها عُرّفت بالاضافة إلى معرفة، فلا يجوز الابتداء بالنكرة، ومثل هذا التقديم أي تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمول على العامل أكثر وأهمّ غرض له هو التخصيص والحصر. ومعنى الآية: أنّ مفاتح الغيب عند الله تعالى حصراً، وليس هناك ذات أخرى عندها مفاتح الغيب، فهذا تقديم للحصر والقصر.

في اللغة يمكن أن تقول: عنده كتاب، وهذا يعني أنّ عنده كتاباً وقد يكون عند غيره كتاب، أما إذا قلنا: عنده الكتاب، أي: ليس الكتاب عند أحد آخر إلا عنده. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾؟ وما معنى مفاتح؟

الجواب:

١ـ مفاتح: هي جمع (مِفْتَح) وهو آلة الفتح، وآلة الفتح هي المفتاح، أو جمع: (مَفْتَح) وهو الشيء الذي يقع عليه الفتح مثل الخزانة.

وكلا المعنيين مراد، فالله سبحانه يملك المفاتيح التي تفتح على الغيب، والمراد بذلك علم الله بالغيب، وهو أيضاً الذي عنده خزائن الغيب والمراد به القدرة على سائر الممكنات، وكلا الأمرين لا زمان له، والخزائن لا يوضع فيها إلا كل نفيس، وهو مخزون لأوانه ولكل خزانة مفتاح.

٢ـ والله سبحانه أخبرنا في هذه الآية أنه يعلم أوقات تحركات كل ورقة من أية شجرة، وعن الحبة في باطن الأرض وأحوالها، وعن كل رطب ويابس، وهذا يدل على كمال الإحاطة والعلم، فضلاً على أنّ هذه الأمور لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، فكيف بالأمور التي يترتب عليها الثواب والعقاب؟ !!! لا بد أنه سبحانه يعلمها ويعلم تفاصيلها.

ونلاحظ في الآية أنّ الله تعالى:

ـ قدّم ذكر البر على البحر؛ لأنّ الإنسان شاهد أحوال البر وما فيه أكثر من البحر وما فيه.

ـ وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ يفيد الحصر، أي: عنده لا عند غيره.

ـ وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ فهو علم الله تعالى وقد كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ المعنى أنه أية ورقة وأية حبة في هذا الكون سواء خلقت في الماضي أم الحاضر أم المستقبل يعلم الله سبحانه حركتها؛ ولذلك جاءت هاتان الكلمتان في الآية على شكل نكرة (ورقة، حبة) .

وعلم الله سبحانه بحركتهما علم مستمر وموجود دائماً، سواء وجدتا في عالم المادة والمكان والزمان أم قبل وجودهما أم بعد خروجهما من هذا العالم ولذلك عبّر القرآن عن ذلك بصيغة الاستمرارية (تسقط، يعلم).

وعلم الله سبحانه يحيط بكل مكان وزمان في الوقت نفسه؛ لأنّ وجود الله تعالى ليس مقيداً في مكان محدد ولا زمان محدد .

٢ـ الله سبحانه وتعالى يحيط بكل مكان وزمان، وهو يرى الكون مكاناً وزماناً من لحظة ميلاده إلى نهايته دفعة واحدة، ويرى انسياب الزمن بكل اتجاه، فلا فارق عنده في رؤية نتائج الأحداث سواء وُجدت مقدماتها في عالم المادة والمكان والزمان أم لم توجد. والله سبحانه أسمى من أن يشبه بأي شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فهل كلمة (جرحتم) هي من الجرح أم من الألم؟ أو ما مدلولها في اللغة العربية؟

الجواب:

من معاني الجرح (الفعل)، الجرح هو الشقّ بالسيف أو الآلة، والجوارح هي اليدان والرجلان، وسميت الجوارح؛ لأنه يجرح بهما الخير والشر ويكتسب بهما. الجوارح هي الأعضاء العامة. ما جرحتم، أي: ما عملتم، ما كسبتم. واجترحوا السيئات: أي: اكتسبوها وفعلوها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ لِمَ خص الله تعالى علمه بما يكسبه العبد في النهار دون الليل؟

الجواب:

وقع الاقتصار على الإخبار بعلمه تعالى بما يكسب الإنسان في النهار دون الليل مراعاة للغالب؛ لأنّ النهار هو وقت أكثر الأعمال والاكتساب، وفي الإخبار بأنه يعلم ما يقع فيه تحذير لنا من اكتساب ما لا يرضاه الله وفيه تهديد للكافرين.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ انتقال بديع وحجج دامغة لكل إنسان في هذا الوجود؛ فقد انتقل السياق القرآني من بيان سعة علمه تعالى إلى بيان عظمة قدرته، وقد جرت عادة القرآن بذكر دلائل الوحدانية في أنفس الناس، كما في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ عقب ذكر دلائل الوحدانية في الآفاق.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ ما معنى الوفاة في آيات القرآن الكريم؟

الجواب:

الوفاة في القرآن جاءت بثلاثة معانٍ هي:

١ ـ وفاة النوم: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام:٦٠].

٢ ـ وفاة الموت: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزُّمَر:٤٢].

٣ ـ وفاة الرفع: قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

فالوفاة من معانيها الموت، لكن ليس حصراً هذا المعنى.

والتَّوَفِّي: هو قبض الروح، والرفع هو رفع الجسم الحي.

ومعنى الوفاة أي: تمام الشيء، كاستيفاء المال، أو قولك: توفيتُ مالَ فلان، أي: قبضته، ووفى فلان عمله، أي: أتمه.

فقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: إني أنهي عملك عند هذه المرحلة وإني طالبك إليّ تاماً، أي: جسداً وروحاً؛ لأنك في الأرض عرضة لأغيار البشر من البشر، لكني سآتي بك إلى مكان تكون خالصاً لي وحدي، لقد أخذتك من البشر تاماً، أي: أنّ الروح في جسدك بكل مواصفاته، فالذي يقدرون عليه من هدم البنية لن يتمكنوا منه.

إذن فقول الحق: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ يأتي مستقيماً مع قول الحق: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: أنّ الله أنهى عمله آنذاك أي بعد تمام مهمته ورفعه الله إليه؛ ليطهره من خبث الذين كفروا .

والبعض يظن أنّ الرفع تبرئة من الموت، لا؛ لأنّ عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمن، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**» وبعد نزوله سيموت مثل باقي البشر.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: وفاة النوم. فما النوم؟ وما شبه النوم بالوفاة؟

الجواب:

النوم ليس عملية اختيارية، بل هو عملية قسرية يخلقها الله في الإنسان لتردعه عن الحركة بعد أنْ يستنفد كل قدرته على التحرك، وفي بعض الأحيان نرى من يسلط الله عليه الهموم، فلا يعرف النوم طريقاً إلى جفونه.

والنوم نعمة من الله جعلها في التكوين الذاتي للإنسان؛ ولذلك إذا أردت أن تنام فليس ذلك بمقدورك، ولكنه بمقدور الحق عز وجل، وقيل: عن النوم: ضيف إن طلبته عنّتك، أي: أتعبك، وإن طلبك أراحك، ويأتي النوم للمتعب ولو نام على الحصى، وقد لا يأتي النوم لمن يتهيأ له، ولو كان على فراش من حرير.

والنوم آية من آيات الله، ولا يأتي النوم بالليل فقط، ولكن يأتي بالنهار أيضاً؛ لأنّ هناك أعمالاً تتطلبها حركة الوجود ويقوم بها أناس في أثناء الليل؛ لذلك ينامون في النهار.

ولكن لماذا جعل الحق النوم كالوفاة؟

١ـ الوفاة هي فصل الروح عن الجسد، وكأنّ الحق يقول لنا: إياكم أن تظنوا أنّ وجود الروح في الجسد هو الذي يعطي للإنسان الحياة والحركة والتصرف، لا، إنني سأحتفظ بالروح في الجسد ولا أقدره على التصرف الاختياري؛ وذلك حتى لا تفتتنوا في الروح، وهناك أجهزة أخرى لا دخل لاختيارك فيها مثل نبض القلب والتنفس وغير ذلك، وعندما ينام الإنسان تعجز الروح عن الحركة الاختيارية، فتقطع هذه الحركة الاختيارية، وتبقى الحركات الاضطرارية .

٢ـ لذلك سمى الحق النوم وفاة والاستيقاظ بعثاً، وعندما يشل الله الجوارح ويمنعها من الحركة ينام الإنسان، وعندما يأخذ الروح ويمسكها يحدث الموت، ولذلك للنوم قانون، ولليقظة قانون، وللموت قانون، ولكلٍ قانون وقواعد.

٣ـ ومن هنا نرى أنّ الله تعالى دبّر تعلق جوهر النفس وهي الروح بالجسد على ثلاثة أوجه:

ـ أنْ يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، وذلك هو اليقظة.

ـ أنْ يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم.

ـ أنْ يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية فذلك الموت.

إذن الله يتوفانا بالليل ويعلم ما جرحنا في النهار، أي: ما اكتسبنا، والمراد منه أعمال الجوارح، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية:٢١] والكسب أكثر ما يكون

بالنهار؛ لأنه زمان حركة الإنسان؛ ولذلك عمم النهار، والله يعلم ما جرحنا بالنهار والليل وليس النهار فقط، ثم يرسلنا إلى أجل يعلمه سبحانه إلى أنْ نبلغ آجالنا، ثم يبعثنا في يوم القيامة لينبئنا بكل أعمالنا.

وكان الرسول ﷺ يقول للمشركين: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً**»



﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿يَتَوَفَّى﴾ و ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾؟

الجواب:

١ـ الموت ليس هو الذي يأخذ الروح، لكن الموت إيذان بانتهاء العمر، فعندما لا يبقى لهذا الإنسان من عمره شيء فهو ميّت. والله الذي يتوفى هذه الأنفس ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ فتأتي الملائكة و تأخذ الروح، لكنّ هذه الملائكة ليست هي التي تتوفى الأنفس؛ لأن ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزُّمَر:٤٢] فالنسبة الحقيقية؛ أي الفاعل الحقيقي لهذا التوفي هو الله سبحانه وتعالى، والملائكة وسيلة، والموت سبب.

والموت نهاية العمر فهو سبب الوفاة الظاهري، والذي يتوفى الأرواح الرسل من الملائكة بأمر من الله سبحانه وتعالى، فالذي يتوفى الأرواح على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

٢ـ ﴿جَآءَ﴾ ففيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، هذا الفعل استعمل في القرآن بهذه الصيغة.

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ و مجيء الموت هنا معناه وصول عمر الحيّ إلى نهايته، فكأن الموت يخبر بهذه النهاية، وتقدير الكلام: إذا جاء قضاء الموت على الحيّ توفت روحه الملائكة أي: أخذتها وافية غير منقوصة. ﴿جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: اقترب منه ووقع حدث الموت. واستوفت الملائكة روحه.

وفي سورة المؤمنون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ قد يقول قائل: هو يتكلم وما أدركه الموت، كلا. الكافر يقول: رب ارجعون بعد قبض روحه، هو يريد أنْ يرجع إلى الدنيا بعد أنْ يخرج من الدنيا، فإذن هنا معناه ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: اقترب منه وفارقته الروح، عند ذلك عندما يرى ما يرى من هول الحساب يبدأ يقول: رب ارجعون، فطلب الرجوع إنما يكون لمن فارق الحياة، وليس لمن هو في هذه الدنيا.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم المفعول به مع ذكر الموت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثالث:

ما دلالة إسناد كل من الفعل (جاء) والفعل (حضر) إلى الموت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.



﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا ذكر (الخوف والخيفة) في آيتي الأعراف ٥٥ـ ٢٠٥ ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ ولم يذكره في آية الأنعام ٦٣ وإنما قال ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والخُفية نقيض الجهر؟

الجواب:

١ـ الدعاء والذكر المذكوران في آيتي الأعراف[٥٥ـ٢٠٥]إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله تعالى دعاء وذكراً

٢ـ وأما آية الأنعام٦٣: فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالناس في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لانصرف إلى هذه الأمور المخوفة، ولم ينصرف إلى الخوف من الله تعالى.

والخوف في مثل هذه المواطن مما يعتري النفس البشرية، وهذا ظاهر معلوم وقد بينت الآية تضرعهم وتذللهم إلى الله وطلب النجاة، وقال القرآن بعدها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ فاتضح الفرق بين الموضعين؛ فناسب كل تعبير موضعه. والله أعلم.



﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ٦٥ ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ وفي آية الأنعام ٣٧ ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ وقوله في آية يس ٨١ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ بزيادة (الباء)، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣٧.

السؤال الثاني:

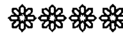
قدّم خسف الأرض على إرسال الحاصب في آية الملك [١٦-١٧]، وأخّر عذاب الأرض عما يأتي من السماء في آية الأنعام ٦٥، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ في آية الملك: قدّم خسف الأرض على إرسال الحاصب؛ ذلك أنّ آية الملك تقدمها الآية ١٥: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك:١٥] فكان من المناسب في الموعظة تذكيرهم بخسفها من تحتهم .

٢ ـ أما آية الأنعام ٦٥ فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ فصرَفَ هذا الخطاب تفكرَ النفس في عين الجهة التي ذكر منها القهر، وكان أنسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف آية الملك .

٣ ـ مما زاد ذلك حسناً قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١] والحفظة هم الملائكة ومسكنهم في السماء، وربنا يرسلهم من فوق؛ فناسب تقديم هذه الجهة.



﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ في آية يونس ١٠٨ و﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ في آية الأنعام ٦٦؟ وما الفرق في الاستعمال بين (ليس و ما)؟

الجواب:

١ـ (ليس عليكم) جملة فعلية، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل. قال تعالى: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس:١٠٨] إذن هناك فرق، وللنفي درجات ودلالات.

٢ـ الفعل(ليس)وحرف النفي (ما) ليسا متماثلين في النفي تماماً، بل إنّ الحرف: (ما) أقوى في النفي من(ليس) للأسباب التالية:

أـ جملة ليس جملة فعلية، بينما جملة ما جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية .

ب ـ وردت (ليس) في القرآن الكريم في ٤١ موضعاً اسمها نكرة لم تدخل (من) الزائدة على موطن واحد منها، بل كلها مجردة منها.

في حين وردت (ما) في القرآن في(٩١) موضعاً مرفوعها نكرة كلها دخلت عليها (من) الزائدة الدالة على الاستغراق والتوكيد، كما في قوله تعالى ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ وكما في الآيات:[الأنعام ٥١ ـ ٧٠ ـ الأحقاف ٣٢ ـ الرعد ١١ ـ ٣٧ ـ البقرة ١٠٧ ـ ١٢٠ ـ التوبة ١١٦ ـ العنكبوت ٢٢ ـ الشورى ٣١].

٣ـ ورد خبر ما مقترناً بالباء الزائدة الدالة على التوكيد في ٧٦ موضعاً، وفي ثلاثة مواضع غير مقترن بالباء: [يوسف ٣١ ـ المجادلة ٢ ـ الحاقة ٤٧].

انظر الجدول التالي:

فعل النفي	خبر (ما) مقترن بالباء الزائدة	خبر (ما) غير مقترن بالباء الزائدة
ما	٧٦ موضعاً	٣ مواضع
ليس	٢٣ موضعاً	٥ مواضع

٤ـ إنّ الجمل التي تحتاج إلى توكيدٍ كثيرٍ استعملها القرآن منفية بـ (ما) كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود:٥٠]، ولم يرد مثل هذا التعبير في القرآن منفياً بليس، وهنا في الآية من أهم المواطن التي تحتاج إلى التوكيد؛ لأنه في نفي الشرك، قارن بين الآيتين التاليتين:

ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنعام:٦٦].

ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام:١٠٧].

أمثلة أخرى: الآيات:[الزمر ٤١ ـ الشورى ٦ ـ يونس ١٠٨].

٥ـ وردت (ما) في جواب القسم الذي يعني التوكيد، ولم ترد (ليس) في القرآن الكريم جواباً للقسم البتة، فدلّ ذلك على أن (ما) آكد من (ليس).

انظر الآيات:[البقرة ١٢٠ ـ المائدة ٢٨ ـ الرعد ٣٧ ـ القلم ١ ـ ٢].

السؤال الثاني:

في الآية السابقة قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فكان السياق يؤذن أن يقول: (كذبوا وهو الحق)، فلم عدل عن المضمر (كذبوا) إلى إظهار كلمة ﴿قَوْمُكَ﴾؟

الجواب:

إنّ التعبير عن المكذبين بقوله ﴿قَوۡمُكَ﴾ تسجيل عليهم لسوء معاملتهم لمن هو من أنفسهم ومن بين ظهرانيهم، ألا ترى أنّ ظلم ذوي القربى أشد إيلاماً ولذلك قال طرفة بن العبد:

وظلـمُ ذوي القربـى أشـد مضاضـةً عـلى المـرء مـن وقـع الحسـام المهنَّـدِ



﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسۡتَقَرٌّۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الخبر والنبأ والحديث والقصص)؟

الجواب:

النبأ:

النبأ هو الخبر العظيم المدهش المهم، ويكون للإخبار بما لا يعلمه المُخْبَر.

الخبر:

الخبر هو الخبر العادي، ويحتمل الصدق والكذب، ويكون من نفسك ومن غيرك؛ ولذلك ليس كل خبر نبأ.

الحديث:

الأصل أنْ تخبر به عن نفسك، وسمي حديثاً؛ لأنه حدث لك فحدثت به، ثم كثر استعمال الخبر والحديث، وسمي كل واحد باسم الآخر، فقيل للحديث خبر وللخبر حديث. والحديث يكون قصيراً وطويلاً، فإذا طال سمي قصصاً.

القصص:

هو الحديث الطويل عن سلف، ولا يقال لله قاص؛ لأنّ الوصف بذلك قد صار علماً لمن يتخذ القصص صناعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [هود:١٢٠].

وأصل القصص هو اتباع الشيء ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١].



﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار لفظ التقوى في آية الأنعام ٦٩؟

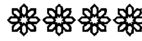
الجواب:

١ـ قال ابن عباس: قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا أنْ نجلس في المسجد الحرام وأنْ نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية وحصلت تلك الرخصة للمؤمنين بأن يقعدوا معهم ويذكّرونهم.

٢ـ تكررت كلمة ﴿يَتَّقُونَ﴾ مرتين، والأولى بمعنى: الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه ويتقون الشرك والكبائر، والثانية بمعنى: يتقون الاستهزاء والتكذيب من المشركين.

٣ـ المعنى العام للآية: ما على الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه من حساب الكفار فيما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب مآثم يؤاخذون بها، ولكنْ عليهم أن يذكِّروهم بالله وآياته لعلهم يتقون ما هم عليه من الاستهزاء والتكذيب.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ قد تكون في محل رفع بتقدير: (ولكن عليكم ذكرى) أو في محل نصب بتقدير: (ذكروهم ذكرى لعلهم يتقون) أي: لعلّ تلك الذكرى تؤثر بهم وتمنعهم من الخوض في القرآن وغيره إكراماً للجليس. والله أعلم.



﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ  ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النفيين في آيتي الأنعام ٥١ـ ٧٠ ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ﴾ و﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ [الأنعام:٧٠] حيث نفى بـ ﴿لَيۡسَ﴾ والنفي بـ ﴿مَا﴾ في آية السجدة٤ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ وجاء معها بـ ﴿مِّن﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٥١.



﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾؟

الجواب:

الأعقاب جمع عقب، وهو مؤخر القدم وعقب كل شيء آخره. فإذا قلت عن رجل: إنه رجع على عقبيه أو نكص على عقبيه، فقد قصدت بأنه رجع إلى المكان الذي جاء منه، ولكن عبارة ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ تمثل عودة الإنسان للتلبس في حالة ذميمة كان قد فارقها ثم عاد إليها؛ ولذلك لا نقول عن رجل حج بيت الله: رجع على عقبيه.

وهذه الآية تمثل حال المرتد إلى الشرك بعد أنْ أسلم بحال من خرج في شأن مهم، فرجع على عقبيه ولم يقض ما خرج له، وهذا التصور أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال: نرجع إلى الكفر من بعد الإيمان.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذا التمثيل البديع في الآية ﴿كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا الإيجاز البديع وهذا التصوير الذي يجعلك أمام مشهد تمثيلي شاخص وكأنك تبصره، فالله يصور في هذا التمثيل العجيب حالة مَن رَضي ارتداده إلى ضلالة الشرك بعد هدى الإسلام وأذعن لدعوة المشركين وهجر أصحابه المسلمين الذين يحوطونه بالرعاية، شبّه حاله هذه بحال من فسد عقله باستهواءٍ من الشياطين فَتاهَ في الأرض بعد أنْ كان عاقلاً عارفاً بمسالكها، انظر إلى هذا المشهد، فقد اشتمل على تصاوير عدة: فقد شبّه المرتدين عن الإيمان بمن فقد عقله فجُنّ، وشبّه الكافر بالهيام في الأرض وشبّه المشركين الذين يفتنون المرء عن دينه بالشياطين، وشبّه دعوة الله وملائكته للإيمان بالأصحاب الذين يدعون إلى الهدى.

السؤال الثالث:

ما دلالة ضمير الفصل (هُوَ) في آية البقرة ١٢٠، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ بينما قال في آية آل عمران ٧٣: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي آية الأنعام ٧١ ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠ .

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ﴾؟

الجواب:

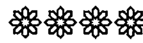
أمرنا الله في هذه الآية بثلاثة أشياء:

١ـ أن نسلم لرب العالمين، وهذا في آخر الآية السابقة، أي: نفعل ما يريد وننتهي عما ينهى عنه؛ لتأتي حركتنا طبقاً لما رسم في ضوء: افعل ولا تفعل.

٢ـ نقيم الصلاة، وهذا سيد الأفعال.

٣ـ نتقي الله بترك المحارم .

وبعد ذلك هناك غاية، وهي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: أنك ستصير إلى من يحاسبك، فإنْ كنت لا تأخذ أمور الإيمان لصلاحية حياتك فخذها خوفاً من الجزاء والعقاب.



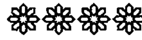
﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ليس من عادة القرآن التعرض لذكر أسماء غير الأنبياء، فلِمَ ذكر اسم آزر والد إبراهيم دون غيره؟

الجواب:

إنّ اسم آزر فيه قراءتان: فقد قرأ الجمهور (آزرَ) بفتح الراء، وقرأ يعقوب بضمّها، وعلى قراءة الضم فآزر منادى، فكأن إبراهيم يقول: يا آزرُ أتتخذ أصناماً آلهة؟ ولذلك فإنّ ذكر اسم أبيه فيه غلظة لما بدا منه من تصلب في الشرك وإصرار على غِيِّه، وهذا الأسلوب لا شك أنّ إبراهيم عليه السلام سلكه استقصاء لأساليب الموعظة؛ لعلّ بعضها أنْ يكون أنجع في نفس أبيه من بعض، فقد سلك معه من قبل أسلوب اللين واللطف ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم:٤٧].



﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب:

١ـ المُلك هو ما تشاهده أمامك، والملكوت هو ما وراء هذا المُلك، والملكوت صيغة مبالغة في المُلك، مثل: رحمة ورحموت، وعالم الملكوت يصحح الأمور الشاذة في عالم المُلك، كما في الأمور بين موسى عليه السلام والخضر في مسألة السفينة والغلام والجدار.

٢ـ كلمة المُلك والملكوت من اشتقاق واحد، وهناك قاعدة في اللغة تتمثل في أنّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى؛ لذلك كلمة الملكوت هي أوسع من كلمة المُلك، وبهذا المعنى استعملت في القرآن الكريم.

٣ـ المُلك قد يُوجه إلى عبد من عباد الله سبحانه وتعالى ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣] لكن لم يرد في القرآن أنه أعطى الملكوت لبشر، فالملكوت مُلك الله خاصة، وهو أشمل من المُلك والمُلك داخل في الملكوت.

٤ـ الملكوت: يعني لغةً: العز والسلطان .

٥- الملكوت هو مُلك الله الخاص به، ولذلك قال في آية الأنعام: ﴿نُرِىٓ﴾ أي: أنّ الله هو الذي أراه بعضه وليس كله فجعله يتفكر في السماوات والأرض .

٦ـ وردت كلمة (الملكوت) في القرآن أربع مرات، وليس فيها إشارة إلى إعطائها لأحد.

٧ـ كلمة (ملكوت) عربية على وزن رهبوت، أي: الرهبة العظيمة.



﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

إنّ إبراهيم عليه السلام كان عالماً أنّ الكواكب ليست إلا خلقاً من مخلوقات الله، فلِم قال: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ ولم يقل بالتنكير: هذا رب؟

الجواب:

إنّ تعريف جزئي المبتدأ والخبر ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦] يفيد القصر، بخلاف (هذا رب) الذي يدل على أنه ربه من بين الأرباب؛ ولذلك استعمل إبراهيم عليه السلام أسلوب القصر ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]؛ لأنه أراد استدراج قومه فابتدأه بإظهار أنه لا يرى تعدد الآلهة ليصل بهم إلى التوحيد، واستغل واحداً من معبوداتهم وهو الكوكب، ففرض استحقاقه الإلهية؛ لكي لا ينفروا من الإصغاء إلى استدلاله.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾؟

الجواب:

تساءل العلماء كيف يقول إبراهيم عليه السلام ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ بجملة خبرية تحمل معنى الشرك، وهو الذي قال الله عنه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤]؟ وخاصة أنّ هذه الآية جاءت مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: أنه شاهد ملك الله في السماوات حتى رأى العرش والكرسي وما تحتهما إلى ما تحت الثرى، وجاء بعدها ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ بالفاء التي تفيد التعقيب؟

لذلك من الخير أنْ نفهم هذه الكلمة بطريقة لا تخدش وفاءه الإيماني، ومن ذلك أنّ:

١ـ قومه كانوا يعبدون الكواكب وأراد إبراهيم عليه السلام أنْ يلفتهم إلى فساد هذه العقيدة، فلو استعمل معهم لغة الهجوم مثل: يا أهل الضلال يا كذابون، لما سمعوا له ولما اهتموا بأمره.

٢ـ لذلك استعمل إبراهيم عليه السلام معهم ما يسمى في الجدل بـ: مجاراة الخصم؛ ليستميل آذانهم وليعلموا أنه غير متحامل عليهم فيأخذ بأيديهم .

لذلك عندما قال لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ كأنه قال لهم: سلمنا جدلاً أنه ربكم، لكنه يأفل ويغيب عنكم، وبالتالي يكون هذا نوعاً من الإنكار أنْ يكون هذا الكوكب رباً، وقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝٧٦﴾ يعني أنه غير متعصب، لكنّ اعتبار هذا الكوكب رباً أمر غير منطقي.

٣ـ ثم استعمل معهم نفس الطريقة مع القمر والشمس، حتى وصل بهم بالمنطق إلى أنّ عبادة الكواكب لا تصلح، وأنّ هذه الربوبية للكواكب فاسدة.

٤ـ لذلك ألا يصح لإبراهيم أنْ يقول: هذا ربي، بما تحتمل من أساليب حتى ينجي أمة بأسرها من الشرك؟ !!!.

٥ـ وشبيه بذلك قول الحق عن نفسه﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [القصص:٦٢] والله يعلم أنه لا شركاء له، ولكنّ الشركاء هم من زعم المشركين.

٦ـ وروي عن الرسول ﷺ أنه كان ينادي في بعض القوم: (يا إله الآلهة) لأنه كان يعلم أنّ قوماً قد ألهوا ظواهر طبيعية في الكون، فأراد أنْ ينبههم إلى أنّ هناك إلهاً حقاً واحداً.

٧ـ استعمل مع الشمس التذكير ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ مع أنّ الشمس مؤنثة، كما قال في الكوكب والقمر، فجعل الأمر على نسق واحد؛ ليشير إلى أنه لو تبدل الأمر من كوكب لآخر فهو حالة واحدة في التفكير، ولا يغير النتيجة تغيير الكوكب.

أو أراد أنْ ينزه كلمة الرب تنزيهاً مطلقاً عن أن تلحق بها علامة التأنيث؛ لأنّ التأنيث فرع التذكير، والشمس ليست مؤنثاً حقيقياً، بل هي مؤنث معنوي.



﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ ابتدأ سيدنا إبراهيم هذا الاستدلال بنفسه، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فلم قال: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ ولم يقل: لأكونن ضالاً؟

الجواب:

تناسباً مع مبتدئه في هذا تعريض بقومه أنهم ضالون، وقد هيأهم قبل المصارحة بأنهم ضالون، فقوله: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يُدخل على نفوسهم الشك في معتقدهم أنْ يكون ضلالاً.



﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البزوغ والطلوع والشروق)؟

الجواب:

١ـ البزوغ: هو أول الطلوع؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ أي: لما رآها في أول أحوالها تفكّر فيها فوقع له أنها ليست بإله، ومن معاني البزوغ: البروز.

٢ـ الشروق هو الطلوع، والطلوع أعم، تقول: طلع الرجل ولا تقول شرق الرجل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ متى تستعمل: إنا وإننا، أو: إني وإنني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٢٤.

السؤال الثالث:

جاء في آية الأنعام ٧٨ كلمة ﴿بَرِيٓءٌ﴾، وجاء في آية الزخرف ٢٦ لفظة: ﴿بَرَآءٌ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ مقام سيدنا إبراهيم في آية الأنعام هو مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة، بينما في آية الزخرف هو في مقام التبليغ، فقد أصبح نبياً مرسلاً من ربه أعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين.

٢ ـ (برآء) مأخوذة من براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد، فقولك: رجل عدل، أبلغ من: رجل عادل؛ لأنّ معناه أنه أصبح هو العدل لكثرة ممارسته له. ونحوه: هو رجل سوء، أبلغ من: هو رجل سيء، ومثله قوله تعالى في ابن نوح عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ

﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود:٤٦] أي: أن ابنك تحول إلى عمل غير صالح ولم يبق فيه من عنصر الذات شيء، أي إنّ العمل السيء لو تجسد لكان ابنك، فالبراءة في آية الزخرف أشد.

٣ ـ ناسب هذه القوة في البراءة والشدة بتوكيد الكلمة بمجيء نون الوقاية في آية الزخرف زيادة في التوكيد، فقال: ﴿إِنَّنِي﴾ [الزُّخرُف:٢٦] ولم يأت بها في الأنعام، بل قال: ﴿إِنِّي﴾ [الأنعام:٧٨] والنون في مثل هذا المقام تفيد التوكيد .



﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ما الفرق بين ﴿فَطَرَ﴾ و ﴿خَلَقَ﴾ و ﴿جَعَلَ﴾؟

الجواب:

١ـ فطر الخلق ابتداء، والفطر هو الابتداء والاختراع وإظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، ففي الفطر معنىً ليس في الفعل، وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور .

قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها.

٢ـ خلق: وفيه معنيان:

الأول: أنشأهم على مثال أراده الله تعالى.

الثاني: هو التقدير، وهو ليس خاصاً بالله، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [آل عمران:٤٩] أي: أقدّر.

٣ـ جعل: هو تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، تقول: جعل الطين خزفاً، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء:٣٠] والجعل يدل على الاتصال بشيء آخر أي يلزمه الملامسة بشيء آخر.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ أي: أخبروا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾ [التوبة:١٩] أي: حكمتم بذلك .



﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾

السؤال الأول:

لم يحذف التاء في الآية، بل قال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

هذا كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاجته لهم وهم أناس عريقون في الشرك وعبادة الأوثان، فهم محتاجون إلى التذكر وإدامة التفكر والتأمل ليهتدوا إلى التوحيد، كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو ينظر إلى ملكوت السماوات والأرض

حتى اهتدى إلى خالقه بعد التأمل والنظر والتفكر، انظر الآيات: ﴿٧٥ ـ ٧٩﴾ ثم انتهى إلى المحاجّة مع قومه .

فهذا مما يحتاج إلى طول تذكر وتفكير، فجاء بالفعل كاملاً لم يحذف منه شيئا، فقال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ كما ناسب مقام الإطالة والتفصيل فيما حكي عن سيدنا إبراهيم من رؤية الكوكب فالقمر ثم الشمس، ثم انتهى إلى الحقيقة الكبرى حقيقة التوحيد.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ و ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾؟

الجواب:

سبب الفرق هو الاختلاف في المعنى:

١ـ أنه عندما تأتي (تَتَذَكَّرُونَ) تكون مساحة التأمل أوسع. كما في قوله تعالى ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام:٨٠] وقبلها كان الكلام عن النظر في آيات الله في الكون، و(هذا ربي) ثم (هذا ربي) ثم (هذا ربي)، وهذه أمور تحتاج إلى طول زمن.

٢ـ ولكن عندما نأتي إلى (تذكّرون) أو (تذّكّرون)- بالتشديد على الذال أو بدون تشديد - نجد أنّ المسألة منحصرة بمنحيين:

آ ـ إمّا في أوامر من الله عز وجل، يأمرهم بتنفيذها، مثل ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢]

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣] فالمسألة منحصرة مجتزأة في أمر معين لا تحتاج معه إلى طول الوقت الذي احتاجته التأملات التي في خلق السموات والأرض، وهذا ربي وهذا ربي إلى آخره في قصة إبراهيم عليه السلام.

ب ـ وأما التشديد على الذال فهو للتأكيد، وللعلم فإن كل ما قرأه حفص ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ قرأه نافع وورش {تَذَّكَّرُون} بالتشديد على الذال، وأجمعوا على قراءة يذّكّرون- بالتشديد على الذال- وحيثما وردت بالتشديد كان فيها معنى التأكيد.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (تذكرون) و(تتذكرون) في الآيات التالية:

ـ ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام:٨٠] .

ـ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة:٤] .

ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] .

ـ ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤] .

الجواب:

أ ـ يحذف من الفعل حرف مثل التاء؛ للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، فإذا حذف فمعناه أنّ الزمن المحذوف منه أقصر، فيقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث.

ب ـ وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز فيقول (تذكرون)، وإذا كان المقام تفصيل يقول: (تتذكرون).

* شواهد قرآنية:

أولاً ـ على الاقتطاع من الحدث:

١ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤] لو سألنا أي واحد مهما كانت ثقافته: هل يستوي الأعمى مع البصير؟ و هل يستوي الأصم مع السميع؟ سيقول مباشرة: لا، إذن لا يحتاج إلى طول تذكر، وإنما يجيب مباشرة: لا، وهذا لا يحتاج إلى طول تذكر؛ لذا قال ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤].

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] هنا لدينا إيمان وعمل صالحات مقابل الكفر والعمل السيء، فهذه أطول من الأولى وتحتاج إلى تأمل وتفكير، والرسول يدعو مطولاً إلى الإيمان والعمل الصالح، فناسب هنا ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾؛ لأنها تحتاج إلى طول تذكر.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧] اسأل أي واحد سيقول: لا، هذه لا تحتاج إلى طول تذكر.

٤ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣](ختم على سمعه وبصره غشاوة وأضله على علم لا تحتاج إلى طول تفكر)، فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

ثانياً ـ على مقام الإيجاز والتفصيل:

آـ قال تعالى في السجدة: ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة:٤-٥] .

ب ـ وقال في يونس: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣]
وختمت إحداهما بـ(تتذكرون) والأخرى بـ(تذكرون).

المقارنة بين الموضعين:

آـ قال في يونس: ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وفي السجدة قال: ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولم يقل: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في يونس.

ب ـ قال في يونس: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ﴾ فقط، وفي السجدة قال: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

ج ـ قال في يونس: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ وفي السجدة قال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ ففي السجدة تفصيل أكثر؛ لذلك ناسب ﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ في السجدة و﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ في يونس.

والله أعلم .



﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ ما الفرق بين (الأمن والأمنة)؟

الجواب:

١ـ الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، وقد وردت تلك الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات .

* شواهد قرآنية :

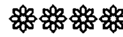
آ ـ آيتا الأنعام ٨١ـ٨٢: على لسان إبراهيم عليه السلام عندما هدده قومه وخوفوه فردّ عليهم بأن بيّن لهم من هو الأولى بالخوف ومن هو الجدير بالأمن، ثم قدّم لهم الجواب القاطع الدائم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ب ـ آية النور ٥٥: وفيها تصريح بتبديلهم أمناً بعد الخوف، أي: أنّ الأمن يعقب الخوف فيزيله ويزيل أسبابه.

٢ـ الأمنة: هي الطمأنينة مع وجود سبب الخوف، وقد وردت مرتين في القرآن، وكلاهما في سياق واحد وهو تثبيت الله للمؤمنين في معاركهم مع الكفار وإنزاله سبحانه الجنود الربانيين ليكونوا معهم، مثل الملائكة والمطر والنعاس .والآيتان هما:

الآية الأولى: الأنفال ١١: وهي تتحدث عن تثبيت المؤمنين في غزوة بدر، والآية الثانية: هي آية آل عمران ١٥٤ في غزوة أُحد حيث، تحدثت الآية عن النعاس يغشى المؤمنين ليزيل شعورهم بالخوف، والخائف لا ينام عادة وكذلك المهموم والمغموم، ولكنّ الله جعل المؤمنين في غزوتي بدر وأحد ينعسون ليزيل عنهم الشعور بالخوف، علماً بأنّ المعركة ما زالت مستمرة وأسباب الخوف ما زالت قائمة، فهو أمر معنوي نفسي.

ولم تستعمل الأمنة إلا في سياق المعارك. والله أعلم .



﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تعدد الأنبياء في سورة الأنعام وتعدد الوصف في فواصل الآيات (٨٣ – ٨٦)؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ ذكر أنه أنعم عليهم بالهداية، فنوحاً هداه وكذلك داود أصبح قائداً وصار ملكاً، وسليمان وهبه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأيوب آتاه الله أهله ومثله معهم وآتاه مالاً كثيراً، ويوسف صار عزيز مصر، وموسى وهارون أكرمهما الله بالرسالة ونصرهما على فرعون.

أمّا يعقوب أبو الأسباط فقد رفعه ابنه على العرش. فالله تعالى جازاهم كلهم، والمحسن يجزيه ربه كما جزى هؤلاء فناسب ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٢ـ بعدها قال ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ زكريا قُتل، يحيى قُتل، عيسى حاولوا قتله، إلياس طلبه الملك فهرب إلى الجبال فلا يستوي أنْ يختم الآية بـ (كذلك نجزي المحسنين)، وإنما قال: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣ـ بعدها قال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ إسماعيل لم يكن ملكاً وإنما جاء فقط برسالة، إسماعيل واليسع ويونس ولوط لم يصبهم ما أصاب الآخرين من الأذى، ولم ينالوا من الملك ما ناله الآخرون، إنما أكرمهم الله تعالى فأعطاهم وصفاً آخر ووساماً عالياً، وهو التفضيل على العالمين، فهم ليسوا ملوكاً، وإنما قال: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

إذن كل خاتمة مناسبة لما ورد من مجموعة الأنبياء المذكورين الذين تتحدث عنهم.

وخاتمة كل آية مناسبة لمن ذكر فيها من الأنبياء، وإنْ كانت كل فاصلة تصح على جميع الأنبياء.

السؤال الثاني:

ما دلالة ترتيب ذكر الأنبياء في الآيات ٨٣ إلى ٨٦ في سورة الأنعام؟

الجواب:

استعرض الحق عز وجل في هذه الآيات ١٨ نبياً من أصل ٢٥ نبياً مذكورين في القرآن أمرنا أن نؤمن بهم تفصيلاً، وقد جُمعوا في قول الشاعر:

في تلك حجتنا منهم ثمانية　　　من بعد عشر ـ ويبقى سبعة وهمُ
إدريس هود شعيب صالح وكذا　　　ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

أولاً ـ الهيكلية:

من استعراض الآيات نلاحظ أنّ القرآن يذكر ثلاثة من الأنبياء ثم يعود إلى الأقدم، ثم يكرر ذلك .

١ ـ ذكر: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم عاد إلى نوح وهو أقدم المذكورين.

٢ ـ ذكر: داود و سليمان وأيوب، ثم عاد إلى يوسف وهو أقدم المذكورين.

٣ ـ ذكر: زكريا ويحيى وعيسى، ثم عاد إلى إلياس وهو أقدم المذكورين.

٤ ـ ذكر: إسماعيل واليسع ويونس، ثم عاد إلى لوط وهو أقدم المذكورين.

٥ــ موسى وهارون .

ثانياً ـ الروابط:

نجد أنّ الروابط بين:

١ـ إبراهيم وإسحاق ويعقوب:هي البنوة، أي: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

٢ـ داود وسليمان: الرابطة بينهما البنوة والملك.

٣ـ أيوب ويوسف: الرابطة بينهما أنهما اشتركا في الإنعام بعد البلوى.

٤ـ سليمان وأيوب: الرابطة بينهما أنهما قال الله فيهما: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص:٣٠] فأيوب هو العبد الصابر، وسليمان هو العبد الشاكر، والصبر والشكر جماع الإيمان .

٥ ـ موسى وهارون: الرابطة بينهما الأخوة، وأخذا شهرة الأتْباع.

٦ ـ زكريا ويحيى: الرابطة بينهما البنوة.

٧ ـ يحيى وعيسى: كلاهما مستغرب في الولادة فيحيى من أبوين أحدهما شيخ والثاني عقيم، وعيسى من أم بلا أب.

٨ ـ عيسى: ختم الله تعالى هذه المجموعة من ولد إسحق بعيسى؛ لأنه ليس له أب فكان خاتمة النسب الأول عنده، والمذكورون بعد عيسى سلسلة أخرى ليست من ذرية إسحاق، فكان عيسى عليه السلام الحد الفاصل بين السلسلتين .

والعنصر البشري في عيسى هو الأم، وبمثل هذا احتج أبو جعفر محمد الباقر أمام الحجاج حين قال له: أنتم تدّعون أنكم من آل رسول الله ومن نسله مع أنّ رسول الله ليس له ذرية !!

قال له الإمام الباقر رضي الله عنه: كأنك لم تقرأ القرآن !!

قال له: وأي شيء في القرآن؟

قال اقرأ: (ومن ذريته .....وعيسى) فعيسى من ذرية نوح منْ (أبٍ) أمْ من (أمٍّ)؟

قال له: من أم، فقال له: نحن كذلك من ذرية محمد ﷺ .

ثالثاً ـ السلالات والروابط:

١ ـ إلياس ليس من ذرية إسحق وإنما من ولد إسماعيل.

٢ ـ إسماعيل أخو إسحق، ولم يُذكر معه بل أُخّر ذكرُه؛ لأنّ الذكر هنا لأنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد إسحق ويعقوب، أمّا إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه من الأنبياء إلا محمد ﷺ ولا يجوز ذكر سيدنا محمد في هذا المقام؛ لأنه تعالى أمر محمداً أنْ يحتج على العرب في نفي الشرك بالله وبأنّ إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا، ومنها أنْ آتاه الله إبراهيم عليه السلام أولاداً كانوا أنبياء وملوكاً، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد ﷺ امتنع أنْ يذكر نفسه في هذا المعرض، ولهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحق .

٣ ـ اليسع صاحب إلياس، وحيث ورد اليسع يسبقه بذكر إسماعيل .

٤ ـ يونس ولوط ليسا من ذرية إبراهيم، ويونس ولوط كلاهما مهاجر وترك قومه، وقد جمع الله بينهما في سورة الصافات، فبدأ بالذاهب إلى ربه إبراهيم ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات:٩٩] وخُتمت بالمهاجر إلى ربه لوط ﴿فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت:٢٦].

رابعاً ـ ملاحظات:

حرف الواو لا يوجب الترتيب لا بحسب الشرف ولا بحسب الزمان، لكنّ الترتيب له وجه معين عند جمهور العلماء حسب المراتب التالية:

١ـ الملك والسلطان والقدرة: داود وسليمان.

٢ـ البلاء والمحن ثم الإنعام: أيوب ويوسف.

٣ـ قوة المعجزات وكثرة البراهين : موسى وهارون.

٤ـ الصلاح والزهد الشديد والإعراض عن الدنيا: زكريا ويحيى وعيسى وإلياس.

٥ـ الذين لم يبق لهم بين الخلق أتباع: إسماعيل واليسع ويونس ولوط.

هذا يدل على أنّ الترتيب الذي ورد له حكمة إلهية بالإضافة إلى الهيكلية. والله أعلم.

خامساً ـ أسئلة خاصة بالموضوع:

١ ـ لِمَ بدأ بسيدنا إبراهيم ولم يبدأ بسيدنا نوح عليه السلام؟

والجواب: أنّ الكلام والسياق هو في سيدنا إبراهيم، واستمر ذلك من الآية ٧٤ وحتى الآية ٨٣، فكان ذلك هو المناسب.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: ٨٧] فلِم لمْ يقل (وأزواجهم)؟

والجواب: أنّ السياق في ذكر الأنبياء،والنساء لسن كذلك؛ فلا يناسب ذكر الأزواج.

السؤال الثالث:

قال تعالى في آية النساء ١٦٣ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

وقال في آية الأنعام ٨٤: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ فما الحكمة في هذا الترتيب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٦٣.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٨٤ ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ فما دلالة هذا التقديم؟

الجواب:

هذا من باب المدح والثناء لا التخصيص؛ إذ ليس المعنى أن الله لم يهدِ إلا نوحاً.



﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (٨٩)﴾

السؤال الأول:

عبّر الله عن (الإعطاء) بالوكالة فقط ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ فلِم قال: ﴿وَكَّلْنَا﴾ ولم يقل: (فقد آتيناها)؟

الجواب:

إذا رجعنا إلى معنى التوكيل رأيناه: أنْ تسند تدبير أمر لك إلى شخص يتولى تدبيره ورعايته والحفاظ عليه، ولذلك خصّ الله إيتاء الإيمان بالوكالة؛ لأنها تقتضي الأخذ للإيمان مع الحفظ والرعاية، ففيها أخذ وصون، وأمّا الإيتاء فيقتضي الأخذ، ولكن ليس بالضرورة أنْ يحفظ ما أخذه.

السؤال الثاني:

ذكر العائد في آية الزمر ١٨ فقال: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ ولم يذكره في آية البقرة ١٤٣ وآية الأنعام رقم ٩٠، ما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٣.



﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف:١٠٤] فمتى تأتي ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ ومتى تأتي ﴿أَجۡرًاۖ﴾؟

الجواب:

نقرأ الآيتين:

في الأنعام قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ وتكلم قبلها عن الأنبياء السابقين.

وقال في آية يوسف: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ

﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

١ـ من ناحية الحكم النحوي: فإنّ تعبير ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ آكد من تعبير ﴿أَجۡرٗاۖ﴾ لأن(من) هنا استغراقية مؤكدة فاستغرق أي أجر مهما يكن.

٢ـ من الناحية البيانية:

آـ آية الأنعام هي آية واحدة لا غير وليست في التبليغ والدعوة إلى الله.

ب ـ آية يوسف وما سبقها وتلاها عدة آيات في الدعوة والتبليغ إلى الله.

٣ـ نلاحظ أنه في:

آ ـ آية يوسف: جاء فيها كلمة ﴿ذِكۡرٞ﴾، وتعني الشرف والرفعة ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزُّخرُف:٤٤] إذن الذكر شرف ورفعة والذكرى من التذكر.

ب ـ آية الأنعام: جاء فيها كلمة ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ وهي من التذكر، كما أنه تقدم في الأنعام قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ فناسب في آية الأنعام ٩٠ قوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

٤ـ عندما تقول: (سأرفعك وأعطيك منزلة ومكاناً) أو(تتذكر)، أيهما التي تحتاج إلى توكيد؟ طبعاً الذي يُرفع يحتاج لتوكيد، إذن ناسب ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤]؛ لأنّ هذا يحتاج إلى أجر.

٥ـ لذلك فإن الصيغة المؤكدة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ الاستغراقية تناسب آية يوسف للأسباب المبينة أعلاه، فوضع الصيغة المؤكدة في مكانها والأقل توكيداً في مكانها. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الهاء في كلمة ﴿اقْتَدِهْ﴾ في آية (٩٠) سورة الأنعام؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ والهاء في (اقتده) تسمى هاء السكتة وهي جائزة، وكان يمكن القول (اقتد)، لكن جاء بهاء السكتة وهي علامة الوقف، وهذا يدل على أنه أمر يجب أنْ يقف عند هداهم فلا يتعدّاه ولا يسأل عن هدى غيرهم؛ ولذا قدّم تعالى (فبهداهم) لتفيد الحصر .

وقد ذكر تعالى قسماً من الأنبياء كإبراهيم ونوح وغيرهم، كما في الآيات ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٨٤-٨٥-٨٦] ثم قال (فبهداهم اقتده) أي: اسكت هنا ولا تسأل عن هدى غيرهم، واقتد بهداهم فقط وكفّ عند هذا الحد، بمعنى: قف هنا.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ٩١ ﴿جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ ما دلالة كلمة ﴿نُورٗا﴾ وكلمة ﴿ضِيَآءٗ﴾ [يونس:٥] وهل يمكن استخدام الضياء في آية النور ٣٥ حيث إن الضياء أقوى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٤٤.

السؤال الثاني:

قال في آية يس١٥: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ فأسند الفعل إلى (الرحمن) وقال في الملك٩ والأنعام٩١: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ فأسند الفعل إلى (الله) فلماذا؟

الجواب:

إنّ كل تعبير هو الأنسب في مكانه، وبيان ذلك:

سورة الملك:

١ـ يشيع فيها ذكر العذاب ومعاقبة الكفار ومشاهد الذين كفروا في النار. انظر الآيات: [٥ـ١١].

وسبق ذلك تحذير الكفار من عقوبة الله وبطشه في الدنيا ومن أن يأمنوا عذابه من فوقهم أو من تحت أرجلهم، انظر الآيات:[١٦ـ١٨]، ثم حذَّرهم مرة أخرى وهددهم في الآيات:[٢٠ـ٢١].

وعاد مرة أخرى فذكر إنكار الكفار ليوم البعث، وحذَّرهم من العقوبات في الدنيا والآخرة، كما في الآيات:[٢٥ـ٣٠]

ولم يذكر بخصوص المؤمنين إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢] .

فلا يناسب إزاء كل هذا التهديد والتحذير وما أعد الله لعذابهم في جهنم أنْ يقرنه باسم الرحمن.

٢ـ القائلون في آية الملك إنما هم في جهنم بعد أن أُلقوا فيها فوجاً بعد فوج، وقد اشتد غضب الله عليهم ولم تدركهم رحمته؛ فلا يناسب ذكر الرحمن هنا.

سورة الأنعام:

وهي أيضاً يشيع فيها التحذير والتهديد والتوعد، وليس فيها من مشاهد الجنة، وإنما فيها صور غير قليلة من مشاهد النار.

كما أنّ سورة الأنعام على طولها لم يرد فيها اسم (الرحمن)، بينما تكرَّر فيها لفظ الجلالة (الله) ٨٧ مرة؛ فناسب ذكر ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ .

سورة يس:

القائلون في سورة يس إنما هم في الدنيا وهم يتقلبون في نعم الله ورحمته فناسب اختيار لفظ (الرحمن). والله أعلم .



﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ ما دلالة تسمية مكة بهذا الاسم؟

الجواب:

أم القرى هي مكة المكرمة وسميت بهذا الاسم؛ لأنّ الأم هي مرجع الطفل وحولها يلتف، ومكة هي أقدم القرى وأشهرها، وما تقرت القرى في بلاد العرب إلا بعدها، وإليها يؤوب الناس ويتجهون وحول كعبتها يطوفون فهي أم لكل القرى.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ


﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٩٤.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ انظر إلى هذا الأسلوب في الرد على المفترين ونفي مزاعمهم،حيث استخدم ربنا أسلوب الاستفهام. فما دلالة هذا الاستفهام؟

الجواب:

إنه استفهام إنكاري يفيد النفي، وكأنّ الآية تقول: لا أحد أظلم من هؤلاء، وإنما ابتدأ الله هذا الرد بالاستفهام دون النفي المباشر؛ لما لأسلوب الاستفهام من رسم صورة الحوار، فتبعث في النفس أنّ سائلاً سأل والكل رفض الدعوة.

السؤال الثالث:

ما دلالة المشهد في الآية ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾؟

الجواب:

نقف عند هذا المشهد المهيب مشهد الظالمين وهم يرون تبعة أفعالهم ونفوسهم تعتلج بالخوف؛ ولذلك عبّر الله عن هذا الألم وهذه الشدة بقوله: ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ والغمرة هي ما يعم ويغمر، فلا يترك للمغمور مخلصاً، تخيل ذاك الإنسان وقد أحاطت به أمواج متلاطمة من كل اتجاه، كيف تكون نفسه وجلة حين يغمره الوادي أو السيل، وهذا هو شأن الظالم وهو مغمور بذنوبه التي ارتكبها فلا منجى منها ولا خلاص.

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى ﴿غَمَرَٰتِ﴾، ألا ترى أنه جمع الغمرة مع أن الكلام يتم بالإفراد (في غمرة الموت)، ولكن هذا الجمع أُتي به للمبالغة في تهويل ما يصيبهم من أصناف الشدائد وألوانها وأنواعها.

السؤال الرابع:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾، وفي تفسيرها وجوه:

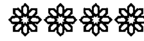
أ ـ أي عند نزول الموت بالظالمين والملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواح الظالمين يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد.

ب ـ أنّ قوله: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ أي: أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذا تعبير عن العنف والتشديد في إزهاق الروح.

ج ـ خلال غمرات الموت ووجودهم في جهنم الملائكة باسطو أيديهم عليهم بالعذاب ويقولون لهم: أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد إنْ قدرتم.

د ـ وهذا كناية عن شدة حالهم وأنهم بلغوا في البلاء والشدة إلى حيث تولى كل واحد بنفسه إزهاق روحه.

هـ ـ قوله: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ ليس بأمر، بل هو وعيد وتقريع .والله أعلم.



﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

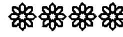
السؤال الأول:

أين فاعل (تقطّع) في الآية ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾؟

الجواب:

علماؤنا يرجحون أنْ يكون الفاعل مفهوماً أو ضميراً مستتراً تقديره هو يعود على المعنى المفهوم من كلمة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾، وعندها يكون المعنى: لقد تقطّع الوصل بينكم، و(الوصل) مفهوم من كلمة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ ؛لأنّ الشريك يتصل بشريكه، وتكون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف.

فالفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على المعنى المفهوم من كلمة ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾.



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية في استخدام فعل ﴿يُخْرِجُ﴾ مرة، والاسم ﴿وَمُخْرِجُ﴾ مرة أخرى في نفس الآية رقم ٩٥؟

الجواب:

١ـ الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، وهذه الآية تدخل في هذه القاعدة، ومن أبرز صفات الحيّ الحركة والتجديد (من الحياة)، وقد قال تعالى مع الحيّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ جاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحركة، ومن صفات الميّت السكون؛ لذا جاء بالصيغة الاسمية مع ما تقتضيه من السكون ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ﴾ .

٢ـ وكذلك في قوله تعالى في سورة الأنعام أيضاً ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ فالليل فيه السكون والهدوء فجاءت معه الصيغة

الفعلية ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾، والإصباح يدلّ على الحركة والحياة، فجاء بالصيغة الاسمية ﴿فَالِقُ﴾، وكلمة ﴿يُخۡرِجُ﴾ لا تأتي دائماً مع الحركة، وإنما تأتي حسب السياق.

لو نقرأ الآية ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ نجدها مطلقة ولم يُذْكَر منتفع، بينما ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ السكن لمن يسكن ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ حسباناً لمن يحسب.

إذن الإصباح موجود ثابت سواء كان هناك منتفع أو لم يكن هناك منتفع. بينما ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ إذا كان هناك من يسكن، فإذا لم يكن هناك من يسكن فهو ليس سكناً لأحد.

٣ـ إذن أيها الأثبت؟ الأثبت والأدوم (فالق الإصباح) سواء كان هناك منتفع أم لا، بينما قيّد الليل بالسكن ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ لمن يسكن، وجاء بالإصباح مطلقاً، فقال: (فالق الإصباح).

وقوله تعالى ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ لمن يحسب، وهنا قيّد أيضاً الشمس والقمر وعطفها على الفعل ﴿وَجَعَلَ﴾.

فعندما وضع منتفعاً قيّد؛ لأنه إذا فُقِد المنتفع انتهت المسألة. فالله هو ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ حتى قبل خلق آدم ولم يكن هناك منتفع؛ فقال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ وأما (سكنا) فيجب أن تكون بعد الخلق، فلو هلك كل الأحياء على الأرض يبقى (فالق الإصباح) لكن لا يوجد سكن، فالأدوم هو الإصباح فأتى بالاسم الدال على الثبوت ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾.

٤ـ وهناك آية أخرى فيها ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران:٢٧] هذه الآية في التغييرات التي يحدثها الله تعالى، وليست باقية على حالها ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران:٢٦] حيث لا يبقى أحد على حاله وليس هناك حالة ثبات، والآية في سياق التغييرات؛ فقال﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ أمّا الآية الآخرى السابقة فهي ليست في التغييرات؛ ولذا بدأ بها بالجملة الاسمية ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾.

السؤال الثاني:

لماذا جيء بجملة ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ والفعل متجدد ويتكرر في كل آن، ثم أتبعها بقوله ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ بصيغة الاسم لا الفعل؟

الجواب:

جيء بجملة ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] فعلية للدلالة على أنّ هذا الفعل متجدد ويتكرر في كل آن فهو أمر متكرر معلوم، ثم تلاها بقوله: ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾ بصيغة الاسم لا الفعل للدلالة على الدوام والثبات، وبذلك عبّر عن معنيين وحالتين هما التجدد والثبوت من خلال الفعل المضارع ﴿يُخۡرِجُ﴾ والاسم ﴿وَمُخۡرِجُ﴾ .

السؤال الثالث:

ما وجه اختلاف ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] عن ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]؟

الجواب:

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] أي: وسيلة لحساب الزمن، وقوله تعالى بعدها: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس:٥] يدل على أنّ الشمس لها حسابٌ والقمر له حساب. أما الآية الثانية ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥] أي: يجريان بحسابٍ دقيق مقرر معلوم من الحق سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ لماذا جاء بصيغة المجهول، وكم مرة جاء الفعل (يؤفك) مبنياً للمجهول في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٧٥.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ
فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ
أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه اختصاص كل آية بخاتمتها؟

الجواب:

١ـ حساب الشمس والقمر والاهتداء بالنجوم يختص بالعلماء؛ فناسب في الآية ٩٧ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ .

٢ـ إنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى مستقر ومستودع، ثم إلى حياة وموت، والنظر والتفكر في ذلك ناسبه في الآية ٩٨ ﴿يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفهمون، وهو اشتعال الذهن بما يتوصل به إلى غيره فيتوصل في ذلك إلى صحة وقوع البعث والنشور.

٣ـ لمّا ذكر ما أنعم به على عباده من الأرزاق والأقوات والثمار ناسب ذلك ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه في الآية ٩٩، فقال: ﴿لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩].

السؤال الثاني:

ما المستقر والمستودع المذكوران في الآية ٩٨؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ انظر إلى هذا السر العجيب وهذا اللفظ الساحر الذي يذهب بالنفس كل مذهب، فالله خلق كل نفس وجعل لها أجلاً ومبدأ، ولكن الله عبّر عن حياتك بمستقر ومستودع، والمستقر هو القرار، تقول: استقر في المكان بمعنى قرّ فيه. والاستيداع هو أنْ تودع مالاً إلى أجل ثم تسترده فهو يؤذِن بوضع مؤقت. والاستقرار يؤذن بوضع طويل أو دائم، وهذا يطلق العنان للخيال لتختار مستقرها وتزهد باستيداعها، فشأنك أيها الإنسان استقرار واستيداع، فأنت تحيا في الأرض وديعة لتغادرها إلى من أودعك فيها، كما ترجع الوديعة إلى صاحبها، ثم تذهب إلى دار الاستقرار، وأوثر التعبير بالاستقرار والاستيداع دون الحياة الآخرة؛ ليبين لك قيمة كل منهما، ولتعلم قيمة كل مرحلة منهما ودورك فيها.

السؤال الثالث:

قال في سورة الأنعام وحدها وفي الآية ٩٨: ﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ولم يقل مثل ذلك في سائر سور القرآن، في حين قال: (خلقكم) في المواطن الأخرى، كما في آية النساء: ١ والأعراف ١٨٩ والزمر ٦، فلماذا؟

الجواب:

السبب أن الفعل (أنشأ) ورد في الأنعام في أربعة مواضع، وهي الآيات: [٦-٩٨-١٣٣-١٤١].

ولم يرد أصلاً في السور الثلاث الأخرى، فاستعمله للتناسب اللفظي في هذه السورة دون غيرها. والله أعلم .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الأنعام ٩٨: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾، فما الفرق بين: (نصرف - نفصل - نبين)؟

الجواب:

١- التصريف: هو التغيير من جهة إلى أخرى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ﴾ [البقرة:١٦٤] وقد يأتي التصريف بالمسألة الواحدة فيذكرها في صور شتى حتى يوصلها لك ويثبتها في ذهنك، كذكر الله أمثلة متعددة في القرآن على خلق الإنسان وتطوره وإعادة إنبات الأرض الجرز؛ ليثبت معنى البعث والحياة الآخرة.

٢ ـ التفصيل: هو التبيين بصورة واسعة وبصور متعددة مختلفة، انظر آيات الأنعام (٩٦ـ ٩٧)، وقد يأتي التفصيل من الفصل بين الشيئين .

٣ ـ التبيين: هو توضيح أمر واحد كما تبين الكلمة الواحدة أو المسألة الواحدة، كما في آية المائدة ٧٥ .

السؤال الخامس:

ما دلالة استعمال جملة ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في آية سورة الأنعام ٩٩؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ . وقال أيضاً في نفس السورة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ .

١ـ الاشتباه هو شدة التشابه وكثرته بحيث يؤدي ذلك إلى الإشكال، ويقال: اشتبه عليه الأمر إذا أشكل عليه والتبس، ويقال: اشتبهت عليه القِبلة، و(اشتبه) الاختلاط فيه أكثر من (تشابه)، وقد يؤدي إلى الاختلاط بين الشيئين بحيث لا يمكن أن يميّز بينهما.

٢ـ التشابه قد يكون في وجه من الأوجه أو في أمر بسيط، لكن لا يصل لدرجة الإشكال والاشتباه.

٣ـ قال في كلا الموضعين: ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فنفى التشابه دون الاشتباه، فلماذا؟

ذلك لأنّ نفي التشابه ينفي الاشتباه، بينما نفي الاشتباه لا ينفي التشابه، فإذا قلت: (هذان الشيئان غير متشابهين) فقد نفيت التشابه بينهما، ونفيت الاشتباه من باب أولى، وذلك لأنّ الاشتباه إنما يحصل من شدة التشابه بين الشيئين، فإذا نفيت التشابه زال الالتباس والاشتباه .

أمّا إذا قلت: (هذان الشيئان غير مشتبهين) فقد نفيت الاشتباه بينهما لكنك لم تنفِ التشابه، فقد يكون بينهما تشابه لا يوقع في اللبس .

فلو قال في الآية الأولى: (مشتبهاً وغير مشتبه) لنفى الاشتباه لكن لم ينفِ التشابه. فعلى هذا يمكن أنْ يكون النوعان متشابهين في وجه من الوجوه، فأراد أنْ ينفي ذلك فقال: ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ وهذا أدلّ على القدرة، فإنّ جعل الأشياء بعضها متشابهاً وبعضها مختلفاً أدلّ على القدرة من جعلها كلها متشابهة أو جعلها كلها مختلفة. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما الفرق بين الآيتين (٩٩) و (١٤١) في سورة الأنعام؟

الجواب:

قال في الآية الأولى رقم ٩٩: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًاوَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾وقال في الآية الثانية رقم ١٤١: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فنفى التشابه دون الاشتباه؟

لقد ذكر المفسرون أنّ (اشتبه وتشابه) بمعنى واحد كاختصم وتخاصم واشترك وتشارك ونحوها مما اشترك فيه باب الافتعال والتفاعل .

لكن بالتدقيق يتبين أنّ كل لفظة اختصت بالموطن المناسب لها، وذلك بالرجوع إلى الآيات والسياق .

١ـ سياق الآية الأولى في بيان قدرة الله وآياته الباهرة في خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام:٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩].

٢ـ أمّا سياق الآية الثانية ففي بيان الأطعمة وما يحلُّله أهل الكفر افتراء على الله وبيان عقائدهم الباطلة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ

قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام:١٣٦-١٣٧-١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠-١٤١] ويستمر السياق .

فاتضح الفرق بين السياقين، فالآية الأولى في بيان قدرة الله وآياته والأخرى في بيان ما يؤكل من الفواكه والزرع، وإليك بيان ذلك:

أ ـ قال تعالى في الآية الأولى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، فبدأ بمرحلة ما قبل الإنبات، وبيّن أنّ الله هو الذي أنزل الماء من السماء، ولم يذكر ذلك في الآية الثانية.

ب ـ ذكر في الآية الأولى أنه أخرج به نبات كل شيء على وجه العموم ولم يخصصه بنوع معين من أنواع النبات، وهو مما يدل على القدرة الباهرة، ولم يذكر مثل ذلك في الآية الثانية.

ج ـ ذكر في الأولى أنه أخرج منه خضراً مشيراً إلى تسلسل عملية النمو والإنبات، ولم يذكر مثل ذلك في الآية الثانية.

د ـ ذكر في الأولى أنه أخرج منه حباً متراكباً، ولم يشر إلى الحبوب في الآية الثانية.

هـ ـ أنّ القصد الأول في الآية الأولى بيان قدرة الله فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ فذكر طَلعَها وقِنوانها، في حين كان المقصد الأول في الآية الثانية ذكر المطعومات فقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ فذكر ما يؤكل من ثمار الزرع

ولم يشر إلى الطلع والقنوان، (الطلع أول ما يخرج من التمر، والقنوان هي العناقيد أو العراجين أو الأعذاق).

و ـ قال في الأولى: ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ وهو نظرُ تدبُّرٍ وتأمُّلٍ، في حين قال في الثانية: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وانظر إلى تناسب ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ مع قوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾.

ز ـ قال في الأولى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ وهي الآيات الدالة على قدرته وبديع صنعه، بينما قال في الثانية: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ فاتضح الفرق بين السياقين والآيتين.

٢ـ نعود الآن إلى أصل المسألة، وهو أنه لماذا قال في الآية الأولى: ﴿مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام:٩٩] وفي الثانية: ﴿مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾؟

إنّ الفعل (اشتبه) أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال مثل: اشتبه الأمر عليَّ، واشتبهت القبلة عليَّ، وإنّ الفعل (تشابه) أكثر ما يفيد التشابه بين الشيئين أو الأشياء.

ومعلوم أنّ الذي يستطيع أن يُشَبِّه الأمور حتى تلتبس على الناظر أو المتأمل فلا يميز بينها أقدر من الذي يقدر على أنْ يجعل مجرد تشابه بين شيئين، وأنّ الأمور المشبهة كلما دقت كانت أدل على القدرة والبراعة.

من ناحية أخرى فإنّ الأمور المشتبهة تحتاج إلى زيادة نظر وتأمل لإدراك حقيقة أمرها؛ فوضع ﴿مُشۡتَبِهٗا﴾ في السياق الدال على قدرته وآياته وفي موضع الأمر بالنظر قال:

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ دون الموضع الآخر مما ليس في هذا السياق، فكان كل تعبير أنسب في سياقه الذي ورد فيه .

٣ـ وأما لماذا قال في الموضعين: ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ فنفى التشابه دون الاشتباه؛ فالسبب: أنّ نفي التشابه ينفي الاشتباه، ونفي الاشتباه لا ينفي التشابه .

وإيضاح ذلك أنك إذا قلت: هذان الشيئان غير متشابهين، فقد نفيت التشابه بينهما ونفيت الاشتباه من باب أولى؛ وذلك لأنّ الاشتباه إنما يحصل من شدة التشابه بين الشيئين، فإذا نفيت التشابه زال الالتباس والاشتباه .

أما إذا قلت: هذان الشيئان غير مشتبهين، فقد نفيت الاشتباه، ولكنك لم تنف التشابه، فقد يكون بينهما تشابه لا يوقع في اللبس.

فلو قال مثلاً في الآية الأولى: (مشتبهاً وغير مشتبه) لكان قد نفى الاشتباه ولم ينف عنه التشابه، فأراد أنْ ينفي ذلك، فقال: وغير متشابه، وهذا يدل على القدرة؛ فإنّ جعل الأشياء بعضها متشابهاً وبعضها مختلفاً أدل على القدرة من جعلها كلها متشابهة أو جعلها كلها مختلفة. والله أعلم .

السؤال السابع:

ما الفرق بين (ذلك) و(ذلكم) في الاستعمال القرآني، كما في الآيات البقرة ٢٣٢ـ الأنعام ٩٩ـ ق ٢٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٢.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِۚ ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ أي: وجعلوا الجن شركاء لله، والتقديم للاهتمام في استعظام أنْ يُتَّخَذَ لله شريك سواء كان مَلَكاً أو جنياً أو إنسياً؛ ولهذا السبب تم تقديم اسم الله على الشركاء.

٢ـ قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْۖ﴾ يحتمل وجهين:

آـ أنه خلقهم وحده بلا شريك، فَلِمَ جعلوا له في العبادة شريكاً .

ب ـ أنه خلق من جعلوه شريكاً فكيف صار في العبادة شريكاً؟

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿وَخَرَقُواْ﴾؟ وما دلالة فاصلة الآية؟

الجواب:

آ ـ قرأ نافع (وخرّقوا) مشددة الراء، والباقون ﴿وَخَرَقُواْ﴾ خفيفة الراء، والاختيار التخفيف، والتشديد للمبالغة والتكثير.

ب ـ معنى ﴿وَخَرَقُواْ﴾ افتعلوا وافتروا، وقال الفراء: خرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا وافتروا واحد.

يقال: تخرق الكذب وتخلقه، وسئل الحسن عن هذه الكلمة فقال: كلمة عربية كانت تقولها العرب، وكان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم: قد خرقها.

ثم قال: ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه، أي: شقوا له بنين وبنات.

و الخرق هو القطع والشق على سبيل الفساد ومن غير تعقل وتدبر، فهم يقولون، ولكنهم يفترون ويكذبون، وهذا الكذب فاضح لا يكتم نفسه.

ج ـ ختم الله هذه الآية بقوله ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾ أي: تنزيه لله عن كل ما لا يليق به، وتعالى الله عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد، أي: تعالى الله في ذاته عن الصفات الباطلة التي يقولها المبطلون.

السؤال الثالث:

ما إعراب كلمة (الجن) في الآية ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾؟ هل هي مفعول أوّل مؤخّر أم بدل من (شركاء)؟

الجواب:

١ـ بعض العلماء يرى أنه هنا تقديم وتأخير للاهتمام؛ لأنّ الفعل (جعل) يتعدى إلى مفعولين عندما يكون بمعنى (صيّر)، أي: إعراب (الجن) مفعول به أول منصوب. و(شركاء) مفعول به ثان مقدم منصوب .

والقول بالتقديم والتأخير لا بأس به، والجار والمجرور يتعلقان بـ (جعل﴾ .

٢ـ والرأي الآخر يقول هي: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ الجار والمجرور هو متعلق بأحد المفعولين و(شركاء) هو المفعول الآخر، و(الجن) عند ذلك يمكن أن يكون مفعولاً به لفعل محذوف تقديره (أعني)، أو يكون بدلاً أو عطف بيان من كلمة (شركاء).

ولو نظرنا في نظام الآية كأنها أريد لها أن لا تكون لفظة (الجن) متصلة بكلمة الله سبحانه وتعالى، حتى في النظم وحتى في الترتيب.

❊❊❊❊

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا اختار كلمة (صاحبة) في آية الأنعام ١٠١، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن:٣]؟ وهل كل امرأة تعد صاحبة؟

الجواب:

١ـ القاعدة العامة التي نجدها في القرآن الكريم أنّ القرآن الكريم عندما يذكر الصاحبة يذكر معها الولد.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن:٣].

- ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ [المعارج:١١-١٢].

- ﴿وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس:٣٦].

ولم ترد إلا في هذه المواطن الأربعة كلمة (صاحبة)، وعندما يقول (صاحبة) يذكر معها الولد، فكأنما هذا الاستعمال يشير إلى أنّ الزوجة التي تسمى صاحبة ينبغي أن تكون قد صحبته مدة بحيث حصل منها ولد حتى تسمى صاحبة، أما بمجرد العقد فهي زوجة فقط.

فالزوجة قد تكون صاحبة وقد لا تكون، مع ملاحظة أنّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (زوجة) بالتاء بتاتاً، وإنما استعمل كلمة (زوج)، و(الزوج) هو أحد شيئين:

٢ـ الزوج ومقلوبه (جوز):(الجوزة) تتكون عادة من فلقتين، هاتان الفلقتان تشكلان جوزاً. الزوج والزوج كلاهما يشكلان زوجاً، والعرب صارت تستعمل الزوج للواحد من الاثنين المتلازمين.

٣ـ استعمل القرآن كلمة (زوج) للمفرد الذي يكون معه نظيره، كما في آية الأنعام ١٤٣، حيث ذكر ثمانية أزواج ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾ فذكر أربعة أجناس، وقال ثمانية أزواج.

٤ـ هي زوجه وهو زوجها والقرآن استعملها بهذه الصيغة، فاستعمل كلمة ﴿زوج﴾ للمذكر والمؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة:٣٥] للمرأة و﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٠] للرجل.

فالمرأة زوج والرجل زوج. وكلمة زوج وأزواج استعمل معها الذرية والأبناء والبنين والحفدة .

٥ـ إذن كلمة (زوج) أشمل من كلمة (صاحبة) الزوج قد تكون منجبة، وقد لا تكون، وقد تكون مصاحبة وقد لا تكون، فقد تطول صحبتها أوتقصر .



﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم/ تأخير ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ في آية الأنعام ١٠٢ وآية غافر ٦٢؟

الجواب:

آيات الأنعام ١٠٠ـ١٠٢:

ـ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ .

آيات غافر ٥٧ـ٦٢:

ـ ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ

ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

البيـــان: قدّم في آية الأنعام ١٠٢ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ وأخّر ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وفي آية غافر ٦٢ جاء بالعكس ؛ وذلك:

١ ـ أنّ سياق آيات الأنعام: ١٠٠-١٠٢ في الإنكار على الشرك، والدعوة إلى التوحيد الخالص ونفي الشركاء؛ ولذا قدّم كلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ على ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ .

إضافة إلى أنه قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ﴾ بعد قوله ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ فأخّر الخلق بعد التوحيد، وهو نظير تأخيره في قوله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وهو تناظر جميل .

٢ ـ أما سياق آيات سورة غافر: ٥٧-٦٢ فهو في سياق الخلق وتعداد النعم وفضله على الناس لا في سياق التوحيد، فقدّم الخلق لذلك، ووضع كل تعبير في مكانه المناسب.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾؟

الجواب:

لماذا لا تدركه الأبصار؟ لأنّ البصر آلة إدراك لها قانونها بأن ينعكس الشعاع من المرئي إلى الرائي ويحدده، فلو أنّ الأبصار تدركه لحددته وأصبح من يراه قادراً عليه، والقادر لا ينقلب مقدوراً عليه أبداً.

لذلك من عظمته أنه لا يُدرك؛ لأن الإدراك معناه الإحاطة، كما قال أصحاب موسى (إنا لمدركون).

وبالتالي فهو لا تدركه الأبصار، لكنه هو يدرك الأبصار؛ لأنه قادر بذاته .



﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟ وما معنى: درستَ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: انظروا ما صرفنا لكم في القرآن من الآيات يتلو بعضها بعضاً، وأوضحنا بها من شريف الدلالات وعجائب التصاريف

وغرائب التعاريف، وأنّ الآية الواحدة قد تنصرف في معانٍ متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر؛ ولذلك تلزمكم الحجة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ في الكلام حذف بتقدير: (ولئلا يقولوا درست) وحذف ذلك إيجازاً، أي: دارست وتعلمت من غيرك من أهل الكتاب؛ ولذلك يقول الحق: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] ويأتي الرد من الحق: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣].

٣ـ في كلمة (درستَ) خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها:

آـ الأولى: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي قرأت وتعلمت، قراءة حمزة والكسائي.

ب ـ الثانية: {دَارَسْتَ} بمعنى ذاكرت وقارأت، قراءة لابن كثير وأبي عمرو.

ج ـ الثالثة: {دَرَسَتْ} بتسكين التاء بمعنى انمحت وتقادمت، قراءة ابن عامر.

د ـ الرابعة : {دُرِسَتْ} بضم الدال لما لم يسم فاعله، قاله قتادة .

هـ ـ الخامسة: {دَرَسَ} بمعنى قرأ وتلا، قاله أُبي بن كعب وابن مسعود.

٤ـ اللام في قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ هي لبيان الغرض، وليست لام العاقبة .

والمراد الإبلاغ في البيان فيهتدي من كان للعلم أهلاً فلا يقولون: درست، بل يقولون: إنه من عند الله. والله أعلم .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ في آية يونس ١٠٨ و ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ في آية الأنعام ١٠٧ و﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ في آية الأنعام ٦٦؟ وما الفرق في الاستعمال بين ليس و ما؟ وهل (ما) آكد من (ليس)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٦.



﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله، فما جواب الطلب في الآية؟

الجواب:

عادة يجزم الفعل المضارع بعد أدوات الجزم الظاهرة مثل: (لم ـ لمّا ـ لام الأمر ـ لا الناهية)، وقد يجزم بغير أداة ظاهرة، وهو الذي يسميه النحاة جواب الطلب، نحو: زرني أزرْك، والنحاة تقدر المعنى: إن تزرني أزرْك .

وهذا الأسلوب أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومرتبط به ارتباط الجزاء بالشرط، فإن لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص:٣٤] فإنه رفع (يصدِّقُني)؛ لأنه ليس على إرادة الشرط، إذ ليس معناه إنْ ترسله يصدقني، وإنما المعنى: أرسله ردءاً فإنه يصدقني.

وفي قوله: يصدقني، قراءتان بضم القاف وسكونها، أي: إن القراءتين جمعتا معاني الشرط والوصفية والاستئناف .

ـ ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي﴾ [مريم:٥-٦] لم يقصد الجزاء؛ فرفع.

ـ ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام:٩١] .

ـ (زرني أزرْك) مجزوم؛ لأنّ فيه معنى الشرط.

ـ (زرني أزورك)بالرفع؛ لأنّه ليس فيه معنى الشرط، وإنما المعنى: أنا ممن يزورك.

تخلف فعلِ الجزاء عن معنى الشرط:

١ـ فعل الجزاء إذا تخلف عن معنى الشرط لا يصح جزمه، وهذا يكون غالباً في الشرط بعد النهي أو النفي.

آ ـ ففي النهي لا يصح أنْ تقول: لا تدنُ من النار تحترقْ، بالجزم؛ لأنه لا يصح أن تقول: إنْ لا تدن من النار تحترق، بخلاف قولك: لا تدن من النار تسلمْ، فإنه يصح القول: إنْ لا تدن من النار تسلم، ولذا يجزم الفعل (تسلم) ولا يجزم الفعل: تحترق .

ب ـ وأمّا في النفي فلا يجوز إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت؛ لذلك يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد فيأكلَك، فالفاء هنا لبيان علة عدم الاقتراب من الأسد.

بينها لا يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد يأكلْك، فإنه لا يصح فيه الجزم إذ لا يقال: إنْ لا تدن من الأسد يأكلْك .

٢ـ أنّ ما نُصب بعد فاء السببية في الطلب إذا أسقطت منه الفاء جزمت .

تقول: (أين بيتك فأزورَك) فالفعل منصوب بعد فاء السببية، فإذا أسقطت الفاء منه وبقي في الجملة معنى السبب جزمت، فتقول:(أين بيتك أزرْك) وهذا يدل على أنّ معنى الجزم أنْ يكون الثاني مسبباً عن الأول، وهو المقصود من الشرط، فإنْ لم يصح تقدير الشرط بعد إسقاط الفاء لم يصح جزم الفعل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف:١٩].

ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:٧٣].

ـ ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

ـ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر:٣٦].

في هذه الأمثلة لا يصح إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت الفاء، فلا يصح (إن لا يُقض عليهم يموتوا)، وأما الفاء فهي لبيان العلة والسبب.

الملخص والنتيجة:

١ـ جواب الطلب هو أسلوب شرطي، لكنه مختلف عن أسلوب الشرط المشهور والذي يتضمن أداة الشرط وفعله وجزاءه، نحو: إنْ تزرني أزرك، ووجوه الاختلاف هي:

آ ـ أنّ الارتباط هنا ليس بأداة الشرط، بل بمعنى الجزاء.

ب ـ أنّ الشرط في الأسلوب المشهور يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً، بينما في جواب الطلب يكون الشرط فيه طلباً دائماً.

ج ـ في الشرط المشهور ترتبط الأسباب بمسبباتها، بينما في جواب الطلب تتحقق هذه الفائدة ويتحقق معها إفادة معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ مما لا يتحقق بالشرط.

٢ـ في حالة وجود فاء السببية لا يصح إسقاط الفاء من جواب الطلب وجزمه؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت في النهي والنفي، والفاء لمجرد بيان السبب، وأمّا إسقاطها فعلى إرادة الشرط والجزاء، وهناك فرق في المعنى بين ذكر الفاء وإسقاطها والجزم على الطلب.

* شواهد قرآنية على الفاء:

آ ـ ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[الأنعام:١٤٨] .

لا يحسن إسقاط الفاء؛ لأنّ الاستفهام مستمر إلى ما بعد الفاء، بخلاف ما لو جزمت فسينقطع الاستفهام ويصبح أسلوباً شرطياً بمعنى: إنْ كان عندكم علم تخرجوه لنا، وهو مخالف للمقصود.

ب ـ ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٦٧] فإنّ التمني مستمر إلى ما بعد الفاء.

ج ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج:٤٦] فالاستفهام مستمر بخلاف ما لو أسقطت الفاء وجزمت، فإن المعنى لا يصح.

د ـ ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] فلا يحسن إسقاط الفاء من (فأطلعَ)؛ لأنّ الترجي مستمر إلى ما بعد الفاء، ولو جزمت فقلت: (أطَّلِعْ) فسيكون المعنى: إذا بلغت الأسباب اطلعت إلى إله موسى، وهذا غير مراد، ولا يصح المعنى.

هـ ـ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠] فقد نصب الفعل بعد الفاء (فأصدّق) ثم عطف عليه بالجزم (وأكنْ) فأسقط الفاء على إرادة الشرط ولو عطف لكانا شيئاً واحداً.

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الجهد هو المشقة، والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، فتقول: جهدت رأيي وأجهدته إذا أتعبته بالفكر، فما صلة هذه المعاني بالأيمان (المواثيق)؟

الجواب:

هذا تصوير لأولئك القوم الذين أرادوا تغليظ أيمانهم، وكأنهم بذلوا غاية طاقتهم لبلوغ مرادهم، فقد بالغوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم ليثبتوا باطلهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ في الآية وما دلالة النفي في الآية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى:﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ليس نفياً وإنما استفهام بمعنى وما يدريكم؟. والمفسرون والنُّحاة ذهبوا في هذه الآية أكثر من مذهب.

٢ـ قسم ذهب أنه في اللغة تأتي (أنّ) بمعنى (لعلّ) وهي لغة عربية قديمة مستعملة، والمعنى: (وما يشعركم لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون؟) .

٣ـ بالنسبة لهذه اللغة (أنّ) بمعنى (لعلّ)، هم خرّجوها على زيادة (لا) لو أبقينا على معناها ؛ لأنّ (لا) النافية قد تُزاد في القرآن وغير القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:٧٥] وفي آية أخرى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾ [الأعراف:١٢] فإذا كان المعنى مفهوماً معلوماً يؤتى بها للتوكيد كأي حرف يؤتى به للتوكيد.

لذلك فإن معنى: ما منعك أن تسجد، أي: ما منعك من السجود، والآية ﴿أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف:١٢] لها نفس معنى ﴿أَن تَسۡجُدَ﴾ [ص:٧٥]؛ لذا قالوا: هي زائدة للتوكيد لأنها بمعناها، وكما في قوله تعالى أيضاً ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ﴾ [الحديد:٢٩] بشرط أن تكون واضحة الدلالة ليس فيها لبس ولا إشكال، فلا تزاد إذا لم يؤمن اللبس.

٤ـ وقسم ذهب إلى أنها لغة، والقرآن قد يستعمل اللغات، وفيها قراءة متواترة بالكسر (إِنَّهَا) وليس﴿أَنَّهَآ﴾ وهذه قراءة متواترة،وتكون (إِنَّهَا) للتوكيد، أي: يؤكّد ربنا أنها إذا جاءت لا يؤمنون، أي: ليس بمعنى (لعلّ) وإنما للتوكيد، فالقراءة بالكسر واضحة لا تحتاج إلى سؤال، وهي قراءة متواترة وأكثر من القراءة بالفتح.

٥ـ إذن لماذا لم يقل (لعلّ)؟ والجواب: حتى تأخذ معنى(إنّ ولعلّ)، ولو قال: (لعلّ) لا يصلح معنى إنّ؛ لأنّ (إنّ) تقوم مقامين: مقام إنّ ومقام لعلّ، أما (لعلّ) فتعطي معنى واحداً فقط.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾ بالصيغة الفعلية؟ ولماذا لم يستعمل الصيغة الاسمية؟

الجواب:

كثيراً ما استعمل القرآن للإيمان الصيغة الاسمية؛ وذلك لأنّ الإيمان له حقيقةٌ ثابتةٌ تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق يحدث وينقطع، كما هو واضح بآية السجدة ١٨ ﴿مُؤْمِنًا ﴾ وطه ١١٢ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والروم ٤٧ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

كما استعمله بالصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث: كما في سورة الأنعام ١٠٩ ﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾ ؛لأنه لم يحصل بعد، وكما في البقرة:١٣ ﴿ءَامِنُواْ﴾ و ﴿أَنُؤْمِنُ﴾.

كذلك التقوى والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر، كل هذه لها مسميات حقيقيةٌ أو مجازيةٌ يليق بها، فحيث يُراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يُراد الاتصاف بها فالأسماء .

السؤال الرابع:

كم مرة ورد الفعل: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١ .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَنُقَلِّبُ﴾ من الفعل (قلب)، فما كلمات منظومة الثني والقلب في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي: **ثنى ـ عطف ـ عوج ـ قلب ـ لوى ـ طوى** .

ثنى:

ـ ثنيت الثوب جعلته نصفين وجعلت النصف الأول فوق النصف الثاني.

ـ الفاتحة نصفان: نصف للعبد ونصف لله تعالى فهي مثنية.

ـ ثنيات الوداع: هي الطريق على شكلٍ منحنٍ .

ـ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود:٥] أي: انحنوا كاملاً كأنهم نصفان، الرأس على القدم من شدة الهروب من الشيء.

وقد يكون الثني معنوياً يدل على شدة الإغلاق؛ لأنّ الصدر مكان الهداية فهم فوق الانثناء يضعون ثيابهم على وجوههم، بحيث لا تُرى ملامحهم ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود:٥].

ـ الثني يكون باعتبار العدد أو باعتبار التكرير أو بكليهما معاً.

* شواهد قرآنية:

- ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التوبة:٤٠] ﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر:١] ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [البقرة:٦٠]

- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود:٥].

عطف:

في الطريق المستقيم إذا رجع كاملاً يسمى: رجع.

في الطريق المستقيم إذا رجع رجوعاً جزئياً يسمى: عوج.

في الطريق المستقيم إذا انحرف يسمى: عطف.

عوج:

عَوَج: تُقال للأشياء مثل الطريق والقلم.

عِوَج: تُقال للفكر والنظريات.

* شواهد قرآنية:

- ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزُّمَر:٢٨] أي: لا يمكن لأي شيء فيه أن ينحني.

- ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف:٤٥] الآية لأهل الكتاب، ولم يقل: (ويجعلونها عوجاً) بمعنى أنهم يحاولون أنْ يتهموا الإسلام اتهامات باطلة.

قلب:

هو تغيير حال الشيء إلى عكسه.

القلب والتقليب في الأمور المادية، وقد يكون التقليب من الباطل إلى الحق ومن الكفر إلى الإيمان.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [الأنعام:١١٠].

- ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

- ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف:٤٢].

- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران:١٩٦].

لوى:

- من (اللَّي) وهو فتل الحبل،ويعني الإمالة، ولوى لسانه كناية عن الكذب.

- فلان لا يلوي على أحد: إذا أمعن في الهزيمة.

* شواهد قرآنية:

- ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون:٥].

- ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨].

- ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران:١٥٣].

طوى:

- طويت الشيء طياً، ويعبّر بالطي عن مضي العمر.

- (طوى) هو اسم واد، وقال آخرون: هو اسم مكان طويت فيه المسافة بين السماء والأرض.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

ـ ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه:١٢].

****

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾؟

الجواب:

ألا ترى كيف يكشف الله خفايا النفوس وما تنطوي عليها؟ فالنفس عالم خاص لا يطلع عليه إلا الله، ولذلك عبّر الله عن عدم إيمان المشركين بقوله ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾، ولم يقل (لا يؤمنون)؛ لأن عبارة ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ أشد في تقوية نفي إيمانهم مع رؤية المعجزات كلها؛ لأنهم معاندون مكابرون غير طالبين للحق.

السؤال الثاني:

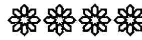
في قوله تعالى في الآية ﴿ نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ﴾ و ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ ما دلالة استعمال الحرف ﴿ إِلَى ﴾، والحرف (على) في الآية؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ استعمل (إليهم)، والحرف (إلى) يفيد انتهاء الغاية، فكفار مكة طلبوا من النبي نزول الملائكة إليهم حتى يروهم معاينة؛ فناسب استعمال الحرف (إلى) أي: ينزلون إلى مكان الكفار.

٢ـ واستعمل في قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء؛ لأنّ الحشر هو سَوق وفيه ضغط، وهو من الاستعلاء المجازي نحو قولهم: عليّ دين، والدَّين فيه هم وذل وضغط على صاحبه.

وقوله تعالى ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ أي: جاء الله لهم بكل ما طلبوا من آيات، وزاحم بعضها بعضاً لكثرتها، فلن يؤمنوا إلا أنْ يشاء الله. والله أعلم.



﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ كيف أضيفت كلمة شياطين إلى الإنس؟

الجواب:

الشيطان أصله نوع من الموجودات المجردة الخفية، وهو نوع من جنس الجن، ويطلق الشيطان على المضلل الذي يفعل الخبائث من الناس مجازاً؛ لأنّ الإنسان مشتق من التأنس والإلف، ولأنّ البشر يألف البشر ويأنس به، فإذا قام الإنسان بما يخالف تسميته

ولجأ إلى المكر والخديعة فقد تقمص شخصية الشيطان الذي من بعض معانيه التباعد عن الآخرين، ولذلك أضيفت كلمة شياطين إلى الإنس؛ لأنهم صاروا يفعلون فعلهم.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنعام ١١٢ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقال في آية الأنعام ١٣٧ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر في الأولى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وهو تسلية له ﷺ ناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

٢ـ وأما الثانية فتقدمها في الآية ١٣٦ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾؛ فناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ولو شاء الله الذي جعلوا له ذلك ما فعلوه.

السؤال الثالث:

أين المفعول به للفعل (شاء) في الآية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠.

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾؟

الجواب:

تأمل هذا التنسيق المبدع في تأليف هذه العبارة القرآنية من اختيار للفظ ﴿حَكَمًا﴾ إلى نظمها في ترتيب ونسق خاص يقف البيان أمامه عاجزاً. فانظر إلى قول الله ﴿حَكَمًا﴾، فقد طلب النبي ﷺ أن يكون الله تعالى هو الحكم لا غيره، وقال ﴿حَكَمًا﴾ ولم يقل: حاكماً؛ لأن (حكماً) هو الحاكم المتخصص بالحكم الذي لا يُنقض حكمه، فهو أخصّ من الحاكم؛ ولذلك كان من أسمائه تعالى(الحَكَم) ولم يكن منها الحاكم.

السؤال الثاني:

قال تعالى في آية البقرة ١٤٧، وفي آية الأنعام ١١٤، وآية يونس ٩٥: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾، بينما قال في آية آل عمران ٦٠: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٧.

السؤال الثالث:

جاء في آية البقرة ٥٣ ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وجاء في آية آل عمران ١٨٦ ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وجاء في آية الأنعام ١١٤ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٥٣.



﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في التعبير ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النجم:٣٠] الوارد في الآيات النحل ١٢٥ـ النجم ٣٠ـ القلم ٧، باستعمال الباء (بمن)، بينما لم يستعملها في آية الأنعام ١١٧؟

الجواب:

١ـ العرب تقول: أسرع من مشى ـ أكرم من أطعم ـ أطيب من تعطر ـ أغلى من مات، وهكذا، وليس من عادتهم أن يقولوا: أفصح بمن أنشد، أي: بزيادة الباء.

بينما في الآيات الثلاث اتصلت الباء بـ(من)؛ لأنّ في حذف هذه الباء فساداً للمعنى.

٢ـ والسبب في ذلك أنه وضع الباء، لكي يفصل بين معنى أفعل التفضيل: ﴿أَعْلَمُ﴾ وما يأتي بعده.

ويؤيده ذلك آخر الآية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ فتكررت هذه الباء لتؤكد المعنى الأول.

٣ـ في آية الأنعام ١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فإنك لا تجد هذه الباء، والفعل ﴿يَضِلُّ﴾ بالمضارع بدلاً من الماضي (ضل)، فما السر في ذلك؟

والجواب أنّ هذه الآية من سورة الأنعام تتحدث عن أمور في المستقبل، أي: أنّ الله أعلم بالذين سيضلون عن سبيله، بدليل قوله تعالى في الآية السابقة لها ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام:١١٦].

فتلاحظ أن الأفعال ﴿يُضِلُّوكَ﴾ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ كلها أفعال مضارعة تدل على الحال والمستقبل؛ فناسبها أنْ يكون الفعل مضارعاً مثلها ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ﴾ ولا ينصرف الذهن إلى معنى غير ذلك .

أمّا الآيات الأخرى فكانت تتحدث عن أشياء ماضية حدثت بالفعل وعُرِفَ أصحابها، انظر آية سورة النجم مثلاً: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم:٣٠] وكذلك آيات سورة القلم .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

السؤال الأول:

ختام الآية من حيث الظاهر أنه هو يكون أعلم بالضالين، فلِمَ سماهم بالمعتدين، فقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾؟ ولم يقل: هو أعلم بالضالين؟

الجواب:

﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ﴿لَيَضِلّونَ﴾ على أنهم ضالون بأنفسهم، وقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ على معنى أنهم: يُضلون الناس .

ولو تأملت المعنيين لرأيت أنّ دلالتهما واضحة، فالضال من شأنه أن يُضل غيره، والمضل لا يكون في الغالب إلا ضالاً، والمقصود التحذير منهم وذلك حاصل في القراءتين، وقد سمى الله فعلهم ضلالاً، فقال: ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ فكان ختام الآية من حيث الظاهر أنه هو يكون أعلم بالضالين، فلِمَ سماهم بالمعتدين، فقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ولم يقل: هو أعلم بالضالين؟

سماهم الله معتدين؛ لأنّ الاعتداء هو الظلم، وهم عندما تقلدوا الضلال دون حجة ولا نظر كانوا معتدين على أنفسهم ومعتدين على كل من دعوه إلى موافقتهم، وفي هذا

إشارة لكل من تكلم في الدين بما لا يعلمه أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتدٍ ظالمٌ لنفسه وللناس.



﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾؟ وما دلالة الفعل ﴿يَقۡتَرِفُونَ﴾؟

الجواب:

قال: ﴿يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ ولم يكتف بـ ﴿يَكۡسِبُونَ﴾ ؛ لأنّ الكسب يعم الخير والشر بخلاف قوله (يقترفون)، وفي آية أخرى، قال: ﴿وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ فلم يحدد المفعول به بأنْ قال: (وليقترفوا الآثام)؛ لأنّ الاقتراف من (قَرَف) إذا كسب سيئة، وهذا الفعل يؤذِن بأمر ذميم.

وانظر إلى اختيار هذا اللفظ ﴿يَقۡتَرِفُونَ﴾ دون غيره مثل: يجترحون أو يكسبون مثلاً، ففيه إيقاع على الأذن وصوت يُشعِر بأمر كريه إلى النفس بخلاف غيره.

السؤال الثاني:

كلمة: ﴿يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ من الفعل (اقترف)، ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٥٠.



﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية الأنعام ١٢١ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ وقوله في آية البقرة ١٢٠ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ﴾، ومن المعلوم أن القرآن يستعمل اللام للتوكيد، و﴿وَلَئِنِ﴾ آكد من ﴿إِنَّ﴾ فما سبب الاختلاف في مستوى التأكيد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ما دلالة كلمة الفسق والفسوق؟

الجواب:

١ـ يقال فسقت الرطبة أي: خرجت عن قشرها، وفسق عن أمر ربه، أي: خرج، وفسق فِسقاً وفسوقاً، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور؛ ولذلك سمي العاصي فاسقاً.

٢ـ الفسوق: الميل إلى المعصية والخروج من الدين، وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة حرف الواو، فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني استعمل ﴿فِسْقٌ﴾ [المائدة:٣] مع سياق الأطعمة واستعمل ﴿فُسُوقَ﴾ [البقرة:١٩٧] مع العام.

* شواهد قرآنية:

﴿فِسْقٌ﴾ آية المائدة ٥ - الأنعام ١٢١ـ١٤٥.

﴿فُسُوقَ﴾ البقرة ١٩٧ ـ الحجرات ٧ـ١١.



﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾

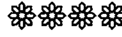
السؤال الأول:

ما دلالة صيغة المبني للمجهول في قوله تعالى في الآية ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾؟

الجواب:

هناك خط عام واضح في القرآن الكريم، وهو أنه في آيات التزيين ينسب الله الخير إلى نفسه، وأمّا تزيين القبيح فيبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[الأنفال:٤٨] وقوله:﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل:٤] لغرض إقامة العقيدة الصحيحة، ولكن لا تجد مطلقاً (زينا لهم سوء أعمالهم) بذكر السوء، والفرق ظاهر بين الأمرين.



﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ يوجب التشبيه.

٢ـ الأكابر جمع الأكبر، وفي الآية تقديم وتأخير بتقدير: جعلنا مجرميها أكابر؛ لأنهم لأجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم، ولأنّ كثرة المال والجاه تحمل الإنسان على المبالغة في حفظهما، وذلك الحفظ لا يتم إلا بجميع الأخلاق الذميمة .

٣ـ صار تقدير الآية: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ليمكروا فيها .

٤ـ اللام في ﴿لِيَمْكُرُوا﴾ هي لام العاقبة .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿أَكَابِرَ﴾ ما كلمات منظومة الرؤساء والملوك في القرآن؟

الجواب:

هذه هي منظومة ألقاب الرؤساء والملوك، وهي تختلف تماماً عن صفات الله تعالى التي تحمل نفس الاسم؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

الكبير:

كل من هو رأس يسمى كبيراً، سواء كان عادلاً أم ظالماً: الأنعام ١٢٣ .

العظيم:

إذا لم يكن الكبير فوقه أحد أعلى منه يقال له صاحب العظمة، وفي القرآن: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال:٦٨]

والكبير والعظيم ليس فيهما مدح ولا ذم.

السيد:

إذا أردت أن تمدح المدير أو العظيم تقول: السيد، وهو أعظم أوصاف الملوك؛ ولذا وُصف الرسول ﷺ بأنه سيد الخلق، و(السيد) تعني الملك المحبوب من شعبه، وهو قليل في التاريخ.

وصفات السيد:

- يفوق غيره بالعقل والدفاع عن شعبه.
- يشارك شعبه في السراء والضراء.
- هو حليم لا يحكم في ساعة الغضب .
- ورع حليم لا يسارع في العقوبة.

الجليل:

ـ صاحب الجلالة أو (الجليل) تطلق على عظيم القدر المستحق الحمد والمدح، وكل سيد يستحق الحمد والمدح يسمى جليلاً .

صاحب الجلالة:

الجلالة تعني الهيبة إذا بلغت الجلالة غايتها، ولا تطلق إلا على الله تعالى .

الوجيه:

أي: له وجه، وهو أول القوم وعظيمهم وسيدهم (وجيهاً في الدنيا) والملأ والوجهاء هم القوم المبرزون في مجتمعاتهم، ولهم رأي مسموع وشفاعة .



﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تتابع لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ﴾ في هذه الآية فقط في القرآن؟

الجواب:

اللفظة الأولى لاسم الجلالة﴿ٱللَّهِ﴾ هي من كلامهم ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾، ثم ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿ءَايَةٌ﴾ متى تذكر هذه الكلمة؟ ومتى تؤنث؟

الجواب:

١ـ عندما تكون كلمة (آية) بمعنى الدليل والبرهان يأتي الفعل بالتذكير.

٢ـ وأما إذا كانت كلمة (آية) بمعنى الآية القرآنية يأتي الفعل مؤنثا.

أمثلة على التذكير: آية آل عمران ١٣.

أمثلة على التأنيث: الأنعام ٤ ـ الأنعام ١٢٤.



﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾؟ وكيف ينشرح الصدر؟

الجواب:

١ـ شرح الصدر هو نوع من الاستعمال المجازي، وهو ليس شقاً للصدر على الحقيقة؟ لكن شرح الصدر معناه أنه يهيئه لقبول الحق.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤] هذا القفل الذي على القلب الله سبحانه وتعالى يأذن برفعه ويكون الإنسان عندها مستعداً مهيئاً

لقبول شرع الله تعالى، وهذا من فضل الله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ لأن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فأحياناً تجد الإنسان في الحوار معك يكون منشرح الصدر فيقبل كلامك، وأحياناً يكون ضيّق الصدر فلا يكون مستعداً ليقبل منك شيئاً ويرفع شعار: لا أقتنع ولو أقنعتني .

٢ـ ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ هذه الصورة كان العربي يفهمها على عمومها بأنّ الإنسان إذا صعد إلى السماء يضيق صدره، إلى أنْ جاء العلم الحديث فتكلم عن الطائرات التي ترتفع مسافات عالية ويخف الضغط الجوي ويضيق الصدر، وهذه من الآيات التي تشير إلى جانب علمي وإلى إعجاز علمي .

٣ـ والإعجاز العلمي في القرآن كثير جداً، لكنْ من الأمور التي يجب مراعاتها أنّ القرآن الكريم في الأصل هو منهج حياة للناس ينظم شؤون حياتهم، وإن كانت ترد فيه من حين لآخر حقائق علمية لبيان عظمة خلق الله وضرب الأمثال، و تتحقق لاحقاً.

٤ـ كيف يكون شرح الصدر؟ شرح الصدر هو فتح الصدر، وأصل الشرح في اللغة هو الفتح أو الشقّ، والمراد هنا ليس شق الصدر ولكنه نوع من أنواع المجاز، فإذا قيل: شرح الله صدره، يكون بمعنى يسّر الله أمره أو أراحه أو جعله يقتنع بهذا الأمر.

٥ـ هناك في اللغة أمور كثيرة لا يراد فيها معاني الألفاظ كما هي على وجه الحصر، وإنما ما يؤدي إليه اللفظ من معنى، وهذا ما سماه علماؤنا معنى المعنى، الشرح معلومٌ والصدر معلوم، لكن لا يُراد به شق الصدر وإنما الاطمئنان، والآن نستعملها بلفظة

(اطمأنّ قلبي إلى ذلك)، ويضيق الصدر بمعنى: لا يطمئن قلبه إلى هذا الأمر ويبقى قلقاً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ما الفرق بين السماء والسموات؟

الجواب:

السماء في اللغة وفي المدلول القرآني لها معنيان:

١ـ واحدة السموات السبع:

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك:٥].

٢ـ كل ما علا وارتفع عن الأرض:

فسقف البيت في اللغة يسمى سماء، قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥] يقول المفسرون: أي ليمد حبلا إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه.

وقد تكون بمعنى السحاب: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧].

وقد تكون بمعنى المطر: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:١١].

وقد تكون بمعنى الفضاء والجو: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل:٧٩].

و ذكر هذا الارتفاع العالي: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام:١٢٥] .

فالسماء كلمة واسعة جداً قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف وهي أعم وأشمل من السماوات.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟ وما دلالة التعبير ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ ؟

الجواب:

كلما ارتقت البشرية في علومها الكونية تكشف لها من آيات الله الباهرة التي تفحم العقول وتبهرها، والقرآن هو معجزة على مدار الأيام، وكلما تقدم العلم كشف عن جانب من جوانب إعجازه، ومن تلك الكشوفات الآية التي بين أيدينا، فهذه الآية تشبّه حالة المعرضين عن هدي الله بحالة الصاعد في السماء، ووجه الشبه بينهما ضيق الصدر، فالكافر يضيق ذرعاً من النور الذي يكشف ظلمته، والصاعد في السماء يضيق صدراً من نقص الأكسجين، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ الإنسان إذا ارتفع فوق سطح البحر ما بين عشرة آلاف قدم وستة عشر ألف قدم فإنه يرتفع ضغطه لتوفر أجهزة الجسم حاجة الجسم من الأكسجين، أمّا إنْ تجاوز الإنسان هذه المسافة فإنّ أجهزة الجسم لا تفي بغرضها في هذا الارتفاع المفاجيء، فما الذي يحصل؟ تظهر أعراض في مقدمتها ضيق الصدر الذي وصفته الآية وحتى يصف الله هذه الحالة قال: ﴿ضَيِّقًا﴾ [الأنعام:١٢٥]

ولم يقل ضائقاً للمبالغة في وصف ضيق الصدر، ولم يكتف السياق بوصفه ﴿ضَيِّقًا﴾ بل أتبعه بـ ﴿حَرَجًا﴾ التي تعني ضاق ضيقاً شديداً؛ ليؤكد لنا معنى الضيق، ففي الحرج معنى شدة الضيق ما لا يفيده لفظ (ضيق)، وحتى نتصور هذه الهيئة وهذا الألم الذي يعانيه المرتقي عبّر لك عنه بقوله: ﴿يَصَّعَّدُ﴾، ولم يقل (يصْعَد)؛ لنلمس هذا التكلف في الصعود، وأنه ليس بالسهل بل فيه كدّ ومشقة، وكذلك قبول تكاليف الإيمان لمن أضله الله فيها كدٌّ ومشقة لا تُحتمل.

السؤال الرابع:

هناك في القرآن صورتان لتصوير حالة الصدر في آية الأنعام ١٢٥، وآية الشرح ١، فما هما؟

الجواب:

هناك في القرآن صورتان لتصوير حالة الصدر:

١ـ الأولى هي الصدر المنشرح، وهي تخص صدر المؤمن المهتدي الذي يعيش في صفاء واطمئنان وسلام وأمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ وشرح الصدر هو نوع من الاستعمال المجازي، وليس شقاً للصدر، أي: بمعنى أن الله تعالى يهيئ القلب لقبول الحق وهو مطمئن فلا يضيق صدره، ومن الناحية اللغوية: أصل الشرح هو الفتح أو الشق، ولكنه هنا انشراح واطمئنان.

٢ـ الثانية هو ضيق الصدر وانقباض النفس، قال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وكلمة: (يصّعد) بالتشديد تشعر معها كأن الروح تخرج من صدر صاحبها بصعوبة وبطء وعسر.

والعلماء السابقون قالوا: إنّ الكافر من ضيق صدره، كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك، وهذا المعنى ليس بشيء.

أمّا العلماء في العصر الحديث فقد قرورا أنّ نسبة الأوكسجين تقل كلما ارتفع الإنسان إلى أعلى حتى تنعدم، ولذلك يخف الضغط الخارجي، والإنسان على سطح الأرض يتعادل الضغط الداخلي عنده مع الضغط الخارجي، ولذلك تستمر حياته نظراً لتوافر النسبة الكافية من الأوكسجين .

أمّا في أعالي الجو، فإن هذه النسبة تضطرب بفقدان الأوكسجين فينفجر الجسم نتيجة الضغط الداخلي الذي لا يجد ما يعادله في الخارج.

إنها حقيقة علمية عظيمة تكشف عنها أربع كلمات في جزء من آية في القرآن الكريم، فسبحان الله العظيم.



﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ فما دلالة التنسيق بين الصراط المستقيم والآيات؟

الجواب:

انظر إلى هذا التناسق في أساليب العرض الذي في القرآن، فصور القرآن وألفاظه تأخذ بيدك لتضعك أمام المشهد وكأنك تشاهد عرضاً، ألا ترى كيف ناسق الله بين عبارتي (الصراط المستقيم) و(الآيات)؟ لاحظ ذلك في الآية ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ فالصراط هو الطريق المستقيم ووصفه بقوله (مستقيماً)؛ ليبين لك أنه خالٍ من العِوَج، والكلمتان مستعارتان للعمل الموصل إلى رضا الله، ثم أتبعهما بقوله ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: آيات القرآن، ولكنّ موقعها مع لفظ الصراط المستقيم فيه رشاقة؛ لأنّ فيه تورية للمعنى اللغوي للآيات، وهو العلامة التي يهتدي بها السائل وترشد الضال في مسلكه وطريقه، فكانت آيات القرآن ترشد الضال والتائه، كما ترشد العلامة الضالّ في الطريق.



﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ ما المثوى؟ ولماذا جاءت مع أهل النار، ولم تأت مع أهل الجنة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ وفي سورة هود وفي يوسف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

١- إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدِّم العلم ويستعمل ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة ويقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

٢- حتى تتضح المسألة ننظر في الآيات التالية في تقديم العلم:

- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم؛ فقدّم العلم.

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين، ومعناه: هذا علم.

- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فيها علم؛ فقدّم ﴿عليم﴾.

- قال في المنافقين ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية؛ فقدّم (عليم).

ـ ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدم (عليم).

٣ـ نأتي للجزاء: الجزاء حكمة وحكم. من الذي يجازي ويعاقب؟ هو الحاكم، وتقدير الجزاء حكمة، قال تعالى:

ـ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، هذا حاكم يحكم؛ فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، وليس كل عالم حاكماً.

ـ ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم، فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع؛ فقدّم الحكمة.

فعندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال في آية الأنعام ١٣٠: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ وفي آية الزمر ٧١: ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾؟

الجواب:

١ـ في سورة الأنعام جرى فيها ذكر قصص الماضين في مواضع كثيرة وفيها من التحذير ومواضع العبرة ما يكفي للاتعاظ، انظر الآيات: [٦ـ١٠ـ١١ـ٣٤ـ٤٢ـ٤٥ـ٧٤ـ٨٣] فناسب ذكر القصص التي تستدعي الحذر قوله تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ .

٢ـ وأما سورة الزمر فلم تأت بها إشارة إلى الأمم السابقة غير موضع واحدعندما وهو الآيتان [٢٥ـ٢٦].

ثم إنه ورد كثيراً في سورة الزمر ذكر الكتاب وما يقتضي من تلاوته كما في الآيات:[١ـ٢ـ ٢٣ـ٢٧ـ٢٨ـ ٤١ـ ٥٥]حتى أنه ذكر الكتاب في مشهد من مشاهد يوم القيامة، فقال: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [الزُّمَر:٦٩] وقيل هو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال .

فناسب ذلك كله ذكر التلاوة، فقال: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر:٧١] والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قصّ الخبر وتلاوته؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في آية الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وقال في الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾

٢ـ هناك تشابه كبير بين قصّ الخبر و تلاوة الخبر. التلاوة تكون لنص يُقرأ سواء عن حفظ أو عن كتاب، فيجب أنْ يكون هناك نص لتكون هناك تلاوة. أمّا القصة فقد تكون مكتوبة نصاً أو يكون من غير نص مشافهة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [القصص:٢٥].

٣ـ أيّهما الأعمّ (قصّ) أم (تلا)؟ لا شك أن (قصّ) أعمّ من (تلا)؛ لأنّ (تلا) مقيّد من كتاب، أما (قصّ) فقد يكون من كتاب أو من غير كتاب. إذن (قصّ) أعمّ.

لذلك كلمة ﴿يَقُصُّونَ﴾ تشمل جميع الرسل الذين أرسل إليهم كتب والذين لم ينزل عليهم كتب، فشملت صحف إبراهيم وموسى والتوراة والزبور والقرآن والإنجيل.

أما (تلا) فشملت من أنزل عليهم الكتاب فقط.

٤ـ كيف وضع كل واحدة في مكانها؟

آية الأنعام:

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الخطاب موجه من الله تعالى لكل الجن والإنس، وقبلها قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ فلم يستثن أحداً وشمل الكل سواء من بلّغ له كتاب ومن ليس له كتاب.

آية الزمر:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّمَر:٧١] هذه زمرة، وهؤلاء قسم قليل من أولئك، أما آية الأنعام فشملت كل الإنس والجن.

فقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر:٧١] لمّا خصّص المجموعة خصّص بالتلاوة، ولمّا عمّم الإنس والجن عمّم الرسالة، فقال: ﴿يَقُصُّونَ﴾ والله أعلم.



﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ١٣١: ﴿مُهْلِكَ﴾ بالصيغة الاسمية، وفي آية هود ١١٧ ﴿لِيُهْلِكَ﴾ بالصيغة الفعلية، فما السبب؟

الجواب:

لنستعرض الآيات:

آيات الأنعام ١٢٨ ـ ١٣١:

ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾

آيات هود ١١٢ـ١١٧:

ـ ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

البيان:

قال في الأنعام: ﴿مُهْلِكَ﴾ بالصيغة الاسمية، وفي هود ﴿لِيُهْلِكَ﴾ [هود:١١٧] بالصيغة الفعلية؛ وذلك:

١ـ آيات سورة الأنعام في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة عما كان في الدنيا، فقد ذكر صفة الله وهو أنه لم يهلك قوماً بظلم وهم غافلون، أي: لم يكلفوا ولم يأتهم رسل ينذرونهم؛ لأنّ الذين لم يُنذروا هم غافلون، كما قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ [يس:٦] فالآية في سياق أمر قد ثبت واستقر وانتهى؛ فجاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت.

٢ـ آيات سورة هود على هذه الحياة وشؤونها وذكرُ سنةِ الله في الأمم وبقائها، فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد؛ لأنّ الأمم تحدث وتتجدد وتهلك ويأتي غيرها.

٣ ـ جاء في آية الأنعام١٣١ ﴿لَّمْ يَكُن﴾ الدالة على المضي؛ لأنّ الأمر حصل وتم في الدنيا فهو ماضٍ بالنسبة للآخرة، وجاء في آية هود بلام الجحود ﴿لِيُهْلِكَ﴾ [هود:١١٧] التي تدخل على الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد.

السؤال الثاني:

ختم آية الأنعام ١٣١ بقوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١﴾ وختم آية ١١٧بقوله: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ سياق الكلام في سورة الأنعام في ذكر الرسل والإنذار والتبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟

شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

فأنت ترى أنّ سياق الكلام في ذكر الرسل والإنذار والتبليغ وتبيان أنّ الله لم يهلك أقواماً غافلين لم يُنذَروا ولم يكلفوا، فإنّ من لم يُنذَر فهو غافل، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ [يس:٦] وما كان الله ليهلك مثل هؤلاء الأقوام؛ ولذا ختمها بقوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

٢ـ وأما آية هود فهي في الكلام عن الإصلاح والنهي عن الفساد في الأرض؛ ولذا ختمها بالإصلاح، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود:١١٦-١١٧] فناسب ختام كل آية السياق الذي فيه.



﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ عبّر الله تعالى عن أجر المؤمنين بالدرجات، ولم يقل: ولكلٍّ أجرٌ عظيمٌ؟

الجواب:

انظر إلى هذا التصوير لتفاوت المؤمنين في منازل الآخرة، فقد عبّر عنه بلفظ (درجات)؛ لأنّ المنزل كلما علا ازدادت درجاته، والمؤمن كلما ازداد عمله من الصالحات صعدت مرتبته.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

من أسمائه سبحانه وتعالى (الغني والرحيم)، فلماذا لم يقل (وربك الغني الرحيم)، وعبر عن رحمته بـ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾، مع أنه ليس من أسمائه سبحانه؟

الجواب:

عدل ربنا عن وصف نفسه بالرحيم إلى وصفه بـ ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ في الآية؛ لأنّ (الغني) وصف ذاتي لله لا تنتفع الخلائق إلا بلوازم ذلك الوصف، وهي كرم الله وجوده علينا، بخلاف صفة الرحمة فإن تعلقها ينفع الخلائق، وسُبقت هذه الصفة بـ ﴿ذُو﴾ لما فيها من الاستعارة بقوة ما تضاف إليه، فأنت لا تقول: ذو مال لمن عنده مال قليل، وفي موقع هذه العبارة ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ في الآية تمهيد لمعنى الإمهال في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ وكأنّ الله يخاطبنا: لا يقولنّ أحد: لماذا لم يُذهب بهؤلاء المكذبين؟ فالجواب أتانا: أمهلتهم إعذاراً لهم لأنني أنا الله ذو الرحمة.



﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة فصل ﴿إِنَّمَا﴾ في آية سورة الأنعام ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾، بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات ٥ والمرسلات ٧ والأنفال ٤٠ وطه ٦٩؟

الجواب:

١ـ هذا السؤال عائد إلى خط المصحف (الخط العثماني)، وليس عائداً لأمر نحوي، وحسب القاعدة: خطّان لا يُقاس عليهما: خط المصحف وخط العَروض، وفي كتابتنا الحالية نفصل ﴿إِنَّ﴾ عن ﴿مَا﴾ وحقُّها أن تُفصل.

٢ـ لكن المُلاحظ الغريب في هذه الآيات أننا نحس أنّ للفصل والوصل غرضاً بيانياً.

٣ـ آية الأنعام ١٣٤:

فلو لاحظنا الآيات نجد أنه تعالى لم يذكر في سورة الأنعام شيئاً يتعلّق بالآخرة أو متصلاً بها وإنما تكلم بعد الآية عن الدنيا ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام:١٣٥-١٣٦] ففصل (ما يوعدون) عن واقع الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ مَا﴾ [الأنعام:١٣٤].

٤ـ آية الذاريات ٥:

في سورة الذاريات وصل الأمر بأحداث الآخرة ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٦] والكلام في السورة جاء عن أحداث الآخرة فوصل ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٥] بأحداث الآخرة، فوصل ﴿إِنَّمَا﴾ .

٥ـ آية المرسلات ٧:

وكذلك في سورة المرسلات دخل في أحداث الآخرة.

٦ـ لذلك بشكل عام لمّا فَصَلَ الأحداث في الآخرة عن (ما يوعدون) فَصَلَ ﴿إِنَّ مَا﴾، ولمّا وصل الأحداث مع ما يوعدون وصل ﴿إِنَّمَا﴾ .

٧ـ وكذلك ما جاء في سورة طه في قوله تعالى عن موسى وفرعون: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩] السحرة صنعوا وانتهى الأمر.

٨ـ وكذلك في سورة الأنفال قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال:٤١] هم غنموا وانتهى الأمر فوصل وتكلم عن شيء فعلوه، فكأنها ظاهرة غريبة، وكأنّ الكاتب الذي كتب المصحف لاحظ هذا وما في الفصل والوصل من معنى .

٩ـ (ما) الموصولة في آيات السؤال تختلف عن ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠] التي هي كافة ومكفوفة، والتي توصل مع (إنّ).

١٠ـ توصل ﴿إِنَّمَا﴾ في جميع القرآن إلا في آية الأنعام ١٣٤ فهي مفصولة بالاتفاق. والله أعلم.



﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في آيةالأنعام ١٣٥ و ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في سورة هود ٩٣؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ وسورة الزمر ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وقال في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ .

وعلينا أنّ نلاحظ القائل في كلتا الآيتين، ففي آية سورة الأنعام الله تعالى هو الذي أمر رسوله بالتبليغ، وقد أمره أنْ يبلغ الناس كلام ربه، وهذا تهديد لهم، فأصلُ التأديب من الله تعالى .

أمّا في آية سورة هود فهي جاءت في شعيب، وليس فيها أمر تبليغ من الله تعالى، فالتهديد إذن أقل في آية سورة هود .

ولهذا فقد جاء بالفاء في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في الآية التي فيها التهديد من الله للتوكيد، ولمّا كان التهديد من شعيب حذف الفاء: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [هود:٩٣]؛ لأن التهديد أقل .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ﴾ متى تذكر أو تؤنث لفظة (عاقبة)؟

الجواب:

كلمة (العاقبة): لها معنيان: العذاب أو الجنة.

وفي كل القرآن إذا ذُكّر الفعل مع العاقبة تكون بمعنى العذاب، وإنْ أُنّث الفعل مع العاقبة تكون بمعنى الجنة.

* شواهد قرآنية:

١ـ الآيات: [الأنعام ١١ـ يونس ٧٣ ـ الأعراف ٨٤ ـ الصافات ٧٣] المقصود بالعاقبة هنا محل العذاب؛ فجاء الفعل بالتذكير .

٢ـ الآيات:[القصص ٣٧ـ الأنعام ١٣٥] العاقبة بمعنى الجنة؛ فجاء الفعل بالتأنيث.



﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة الأنعام قال في الآية ١١٢: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾، وقال في الآية ١٣٧: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر في الأولى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وهو تسلية له ﷺ ناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ (فهو الحافظ لك) ما فعلوه.

٢ـ وأمّا الثانية فتقدمها في الآية ١٣٦ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ ؛ فناسب ذلك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ولو شاء الله - الذي جعلوا له ذلك- ما فعلوه .



﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ ؟

الجواب:

إذا قلت لعاملك: إذا قصرت في العمل فسوف أخصم من مرتبك مئة درهم، علم العقوبة وسوف تولِّد عنده رادعاً، ولكن إنْ قلت لمن ارتكب خطأً في عمله: إنْ عدت لهذا التصرف مرة أخرى فسوف ترى ما أعمل بك، فأنت لم تحدد نوع العقوبة؛ فهذا النوع أشد هولاً على القلب، وكذلك قوله تعالى هنا: ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ فقد أبهم الله الجزاء تهويلاً وتعظيماً؛ لتذهب النفوس كل مذهب ممكن في أنواع الجزاء على الإثم.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعۡرُوشَـٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَـٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا اختلاف الفاصلة في هذه الآية١٤١ والآية ٩٩، وكلاهما في سورة الأنعام؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعۡرُوشَـٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَـٰتٍ﴾ جاءت هذه الآية في سياق كلام الله للامتنان على الناس بما أنشأ لهم في الأرض مما ينفعهم ولذلك ختمها بقوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾، بينما ختمت الآية المشابهة لها، وهي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمۡ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾؛ لأنها سيقت للدلالة على صنع الله وأنه المتفرد بالخلق.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الآيتين (٩٩) و (١٤١) في سورة الأنعام؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٩٩.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿لِّيُضِلَّ﴾ اللام للتعليل، فلماذا لم يستعمل (كي) مثلاً بدل اللام؟

الجواب:

الفعل ﴿لِّيُضِلَّ﴾ هو تعليل قريب من التعليل المجازي، إذ من المحتمل أنْ لم يكن غرض المفتري إضلال الناس، بدليل قوله تعالى ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ كما قال تعالى في آية الأنعام ١١٩ : ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ .

أمّا المفتري على الله الذي يضل الناس يقيناً فلا تشفع له نيته في ذلك أياً كانت، بدليل قوله تعالى في آية الكهف ١٠٣ـ١٠٥ : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ فهؤلاء لا يشفع لهم اعتقادهم أنهم يحسنون صنعاً، فاستعمل التعليل باللام، ولم يستعمله بـ (كي)؛ وذلك أنه لو قال: (افترى على الله كذبا كي يضل الناس)، كان المعنى أنه افترى الكذب لهذا الغرض، فلا يصح معه أن يقال: من دون أن يعلم﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾؟

السؤال الثاني:

أكدّ نفي الهداية بإنّ في آية الأنعام ١٤٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ولم يؤكده في آية الصف ٧، فلماذا؟

الجواب:

قال تعالى في آية الصف ٧: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ .

١ـ حيث إنّه زاد في آية الأنعام على آية الصف ﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فاقتضى ذلك زيادة تأكيد نفي الهداية لهؤلاء الذين يضلون الناس بغير علم.

٢ـ عرّف ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ في آية الصف، وهو متعلق بصفة النبي ﷺ والتبشير به فعرّفه، بينما نكّره في آية الأنعام؛ لأنهم يفترون على الله كذباً في أمور كثيرة، وليس في أمر معين، فاقتضى ذلك تأكيد نفي الهداية .



﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

تأمل هذا الأسلوب في نفي مزاعم القوم، فقد ابتدأ الله الآية بكلام على لسان رسوله ﷺ ليبين فيه ما حرم الله عليه، فلِمَ لَم يبتدئ بنفي تحريم ما ادعى المشركون تحريمه بلفظ صريح؟

الجواب:

هذا الرد جاء على طريقة الإيماء؛ ليبين لهم أنّ الذي يدّعونه ليس فيما نهي عنه، ومن ثم فليس تحريمه من أوامر الله، وهذه طريقة استدلالية؛ لأنّ فيها نفي الشيء بنفي ملزومه.

السؤال الثاني:

لِمَ قيّد الدم بوصفه ﴿مَّسۡفُوحًا﴾ مع أنّ الدم سائل؟

الجواب:

إنّ تقييد الدم بالمسفوح للتنبيه على العفو عن الدم الذي ينزّ من عروق اللحم عند طبخه، فإنه لا يمكن الاحتراز منه.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فِسۡقًا﴾ ما الفسق والفسوق؟

الجواب:

١ـ يقال فسقت الرطبة، أي: خرجت عن قشرها، وفسق: عن أمر ربه، أي: خرج: وفسق فِسقاً وفسوقاً، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور؛ ولذلك سمي العاصي فاسقاً.

٢ـ الفسوق: الميل إلى المعصية والخروج من الدين، وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة حرف (الواو)، فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني: استعمل (فسق) مع سياق الأطعمة، ويستعمل (فسوق) مع العام.

* شواهد قرآنية:

﴿فِسۡقٌ﴾ المائدة ٥ـ الأنعام ١٢١ـ١٤٥.

﴿فُسُوقَ﴾ البقرة ١٩٧ـ الحجرات ٧ـ١١.

السؤال الرابع:

ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ في آية البقرة ١٧٣ وآية المائدة ٣ وآية النحل ١١٥، بينما ورد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ في آية الأنعام ١٤٥، فلماذا؟

الجواب:

إنّ آيات البقرة والمائدة والنحل السابقة الذكر هي خطاب من الله تعالى للناس؛ فناسب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥﴾ أي: فإن الله هو المرخص لكم في ذلك، بينما آية الأنعام بدأت بلفظة ﴿قُل﴾، وهي خطاب للرسول ﷺ؛ فناسب ختمها بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾.

السؤال الخامس:

في آية البقرة ١٧٣ قدّم ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ ومعنى أُهِلّ: رفع الصوت بذبح البهيمة، وفي آيتي المائدة٣ والأنعام ١٤٥ قدّم ﴿لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ على ﴿بِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

الجار والمجرور في الآية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ متعلق بالفعل ﴿حَرَّمْنَا﴾، فلم تقدم عليه وحقه التأخير؟

الجواب:

حيث إنّ الأصل (حرّمنا كل ذي ظفر على الذين هادوا) تقدم الجار والمجرور على الفعل ﴿حَرَّمْنَا﴾ ؛ للدلالة على التخصيص، أي: حرمنا عليهم وحدهم لا على غيرهم من الأمم.



﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وقال في الآية ١٤٧ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

أي: أنهم لا يكذبونك في الباطن؛ لأنك عندهم معروف بالأمين، وإنما يكذبونك في الظاهر؛ ليصدوا عنك.



﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى في الأنعام ١٤٨: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾ وفي النحل ٣٥: ﴿مَا عَبَدْنَا﴾؟ وما سبب زيادة ﴿نَّحْنُ﴾ في النحل ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۢ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ دون الأنعام؟

الجواب:

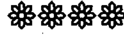
١ـ في آية الأنعام: لفظ الإشراك مؤذن بالشريك، فلم يقل: (من دونه).

٢ـ في آية النحل: لفظ ﴿عَبَدْنَا﴾ ليس مؤذناً بإشراك غيره؛ فلذلك جاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ .

٣ـ في آية النحل: زاد ﴿نَّحْنُ﴾ لمّا حال فاصلٌ بين الضمير في ﴿عَبَدْنَا﴾ وما عطف عليه، وهذا الفاصل هو ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ ؛ ولذلك أكّده بقوله ﴿نَّحْنُ﴾ .

أمّا في آية الأنعام فلم يحلْ فاصلٌ بين الضمير والمعطوف عليه؛ فلم يحتج للتأكيد بـ (نحن).

٤ـ في آية الأنعام: لمّا تقدم قوله في الآية ١٤٧: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ ناسب في الآية ١٤٨ ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.



﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا المطلع للآية ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا المطلع ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾، فهو يصور رفعة تعاليم الله وسمو أتباعه؛ ولذلك استهل هذه الآية بـ﴿تَعَالَوْا۟﴾ دون: هلموا، مثلاً؛ اهتماماً بالغرض المنتقل إليه، وبأنه أجدى عليهم من تلك السفاسف التي اهتموا بها، وليعلموا الفرق بين ما يدعون الناس إليه وما يدعوهم إليه الإسلام من جلائل الأعمال، فالفعل (تعال) يؤمر به من يراد صعوده إلى مكان مرتفع فوق مكانه، إذ الأصل في هذا الفعل أنهم كلهم إذا نادوا إلى أمر مهم ارتقى المنادي على ربوة ليسمع صوته، وأنت أيها المؤمن عندما تستجيب لهذا النداء، إنما ترتفع بإنسانيتك إلى شرف الإسلام ورفعة شأنه.

السؤال الثاني:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ هذه الآية اشتملت على المنهيات، وقد وردت بصيغة النهي (لا تشركوا، لا تقتلوا، لا تقربوا) إلا الإساءة للوالدين، فقد أتت بصيغة الأمر بالإحسان إليهما، فلِمَ عدل ربنا عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؟

الجواب:

١ـ إن في هذه الآية أمراً بالإحسان إليهما، أي: وأحسنوا بالوالدين إحساناً وهذا حتماً يفيد النهي عن ضده وهو الإساءة للوالدين؛ ولذلك كان من جملة المنهيات، وإنما عدل ربنا عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين وإكراماً لهما؛ لأنّ الله تعالى أراد برّهما، والبِرُّ إحسان .

٢ـ لو نهى وقال: لا تسيئوا إليهما، ما وفى هذا بحق الوالدين؛ لأنّ الإساءة لا تنبغي وإنما ينبغي الإحسان، وعدم الإساءة لا يقتضي الإحسان. ومنصوص الآية من حيث الدلالة (وأحسنوا بالوالدين إحساناً)؛ لأنّ الوالدين لا يكفي في حقهما النهي عن الإساءة، وعدم الإساءة إليهما أمر مفروغ منه، والإحسان إليهما واجب.

٣ـ قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (إحساناً) مفعول مطلق لفعل محذوف بتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً .

٤ـ ولذلك كل القرآن لم يأت بصيغة النهي عن الإساءة، وإنما يقول:

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦].

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣].

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف:١٥].

ولهذا لم تأت بصيغة النهي مثلا (لا تسيئوا) مطلقاً في القرآن الكريم لعظمة الوالدين وكبير أمرهما عند الله.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ حيث استخدم النهي مع الشرك بالله؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ هذا مطلوب، فبدأ بالتوحيد في صريح العبارة إشارة إلى أنّ التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، وقرن به البر بالولدين؛ لعظم مرتبتهما من باب شكر المنعم.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:٣١] من الناحية البيانية؟

الجواب:

هاتان الآيتان تكلّم فيهما القدامى كثيراً في أكثر المراجع، وحتى المحدثون ذكروها.

الآية الأولى في سورة الأنعام ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۢ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ أي من الفقر الواقع بهم يقتلونهم وبسبب الفقر الواقع عليهم، فلمّا كانوا مفتقرين فهم محتاجون للرزق ليعيلوا أنفسهم ثم أولادهم؛ لذا بدأ تعالى برزقهم هم أولاً؛ لأنهم محتاجون، ثم رزق أولادهم.

أما الآية الثانية في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء:٣١] ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء:٣١] هم ليسوا محتاجين الآن، لكنهم يخشون الفقر ويخشون أنْ تكون تكاليف الأولاد ستؤثر عليهم وتودي بهم إلى الفقر، لكنهم ليسوا مفتقرين الآن، فقال تعالى: نحن نرزقهم؛ لماذا تخافون إذن؟ فبدأ برزق الأولاد أولاً حتى يبين لهم أنّ الأولاد لن يشاركوهم في رزقهم، وإنما رزقهم معهم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ كيف استعمل القرآن الفعلين: (وصّى) و (أوصى)؟

الجواب:

استعمل القرآن (وصّى) لما هو أهم وفيه المبالغة؛ لذلك استعمله للأمور المعنوية ولأمور الدين، وهذه أمور هامة، ويُطلب فعلُها بكثرة واستمرار ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [العنكبوت:٨]، وكما في آيات: [البقرة١٣٢ـ العنكبوت ٨ـ الأنعام ١٥١]، في حين استعمل (أوصى) للأمور المادية فقط، كما في آية النساء (١١)، ولم يستعمل (أوصى) في الأمور المعنوية وأمور الدين إلا في مكان واحد في جميع القرآن في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١]؛ وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة، إضافة إلى أنّ هذا القول على لسان عيسى عليه السلام وهو لا يزال صغيراً في المهد لم يكلف بعد لا بالصلاة ولا بالزكاة فاختار اللفظ الأخف (أوصى).

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]؟

الجواب:

أولاً: في الآية الكريمة أوصى الله تعالى بخمسة أشياء، وهي:

١ـ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ .

٢ـ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ .

٣ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ .

٤ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ .

٥ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ .

ثم قال الحق: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ ولم يقل بها: فكأنّ أوامر الله ونواهيه أمر واحد متلازم تتمثل كلها في: التزم ما أمر الله به، واجتنب ما نهى الله عنه .

ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ فكأنّ العقل لو خُلِّي ليبحث هذه الأشياء بحثاً مستقلاً عن منهج السماء لوجد أنّ ضرورة العيش على الأرض تتطلب وجود هذه الأشياء؛ لأنّ هذه التكاليف أمور ظاهرة جلية فوجب تعقلها وتفهمها.

ثانياً: ونلاحظ في الآية أنّ كلها أمور نهي عدا ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ؛ لأنّ الأمر لو كان بطلب عدم الإساءة للوالدين، فإنّ ذلك لا يفي بحق الوالدين؛ لأنّ مضمون أمر الله ليس عدم الإساءة للوالدين فقط ،بل المطلوب الإحسان إليهما، وهذا واجب على كل فرد بحق والديه.

السؤال السابع:

استعمل القرآن في سياق الدعاء والبر للوالدين لفظة (الوالدين) دون لفظة (الأبوين)، فما دلالة ذلك؟ كما استخدم لفظتي (إحساناً وحُسناً) مع الوالدين فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣ .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟
ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ
فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
(١٥٣)﴾

السؤال الأول:

ما أهم التكاليف المذكورة في هاتين الآيتين؟ وما مناسبة فاصلة كل منهما؟

الجواب:

آ ـ ذكر في الآية (١٥٢) أربعة تكاليف، وهي:

١ـ التعامل مع مال اليتيم.

٢ـ إيفاء الكيل والميزان بالقسط .

٣ـ القول بالعدل ولو كان ذا قربى.

٤ـ الإيفاء بعهد الله.

وهذه الأمور أمور خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والتفكر فيها؛ حتى يقف على موقف الاعتدال؛ ولذلك قال بعدها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ .

ب ـ وأما الآية (١٥٣)، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ فقد ختمت بـ (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ ؛لأن الحق طلب فيها من الناس أن يتبعوا صراطه المستقيم جملة وتفصيلاً، وإلا وقعوا في الضلالات.

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه خط خطاً ثم قال: **هذا سبيل الرشد**، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً، ثم قال: **هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾.

وعن ابن عباس قال: إن هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار، ولذلك ختمت الآية بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين السبيل والصراط؟

الجواب:

السبيل: هو الطريق السهل، ويستعمل مفرداً وجمعاً، ﴿سبيل وسبل﴾ للخير والشر.

الصراط: هو أوسع الطرق، ولا يجمع؛ لأنه الأوسع ولا أوسع منه، ولم يرد في القرآن إلا مفرداً، ويأتي موصوفاً ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٦] ويستعمل للخير والشر، كما في آية الصافات ٢٣ ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾.

والسراط: لغة في الصراط، وسرط: أي بلع، ولذلك سمي الصراط؛ لزيادة اتساعه، فهو يسرط: يبتلع السابل.

وهو قريب من لفظ الكلمة الإنجليزية (ستريت)شارع و(ستريت)أي: مستقيم، كما في فقه اللغة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ١٥٢: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذا السياج المنيع الذي ضربه الله حول اليتيم، فهو ضعيف بفقد النصير من الوالدين، ولكنه محاط بحفرة من نار، والاقتراب منها مؤذن بالهلاك، هذه هي الصورة التي رسمها الله لليتيم، ولذلك عبّر عن صون ماله بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾، ولم يقل: لا تأكلوا مال اليتيم، أو: لا تأخذوه؛ لأنّ النهي عن القرب منه أبلغ في التحذير من النهي عن الوقوع فيه، وفي هذا اللفظ ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾ ضمان لماله وصونٌ له أبلغ من النهي عن الأخذ، فمن لم يقترب لم ير ولم يطمع، ومن ثَمَّ الوقوع في المنهي عنه أبعد.

السؤال الرابع:

ما معنى الفاء في كلمة ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾؟

الجواب:

هذه الفاء تسمى الفصيحة، والفاء الفصيحة تدل على محذوف قبلها هو سبب لما بعدها، وقد سميت فصيحة لإفصاحها عما قبلها، والمعنى: إذا كان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه .

وقيل: سميت هكذا؛ لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها فوصفت بالفصاحة على الإسناد المجازي، ولهذا لا تقع إلا في كلام بليغ، فهي تسمية بلاغية وليست نحوية .

والفاء الفصيحة هي حرف مبني على الفتح ولا محل لها من الإعراب، كما أنّ الفاء الفصيحة فيها معنى السببية، ولكنها لا تعرب لافتقارها إلى الشروط اللفظية والصناعية للفاء السببية، فهي فصيحة لأنها تفصح وتبين ما قبلها على وجه الارتباط السببي .

والفاء الفصيحة هي التي يدل السياق من دون اللفظ على علاقتها السببية بما قبلها، نحو قول النبي ﷺ في الحديث « **إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» الفاء الفصيحة هي التي ربطت آخر الكلام «**فإن أول فتنة**» بما قبله بمعنى سببي .

وإذا كانت الفاء رابطةً لجوابِ الشّرطِ فلا تُدعى فصيحَة، فلا تُسمّى فَصيحةً إلاّ إذا أفصحَتْ عن معنى الشّرطِ قبْلَها من دونِ تركيبِ الشّرطِ .

سؤال: هل يمكن اعتبار الفاء الفصيحة رابطة لجواب الشرط؟

جواب: لو كان لفظُ الشّرطِ مذكوراً باللّفظِ لجاز أنْ تكونَ الفاءُ الرّابِطةُ للجوابِ مذكورةً في صدرِ الجوابِ، نحوَ قولِه تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال:٣٨].

ومثل ذلك الفاء في الآية ٢١ من سورة الغاشية ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ الفعل (فذكّر): الفاء هي الفصيحة، أي: أفصحت عن وجود شرط محذوف، والتقدير: إن كانوا لا ينظرون إلى هذه الأشياء نظر اعتبار وتدبر وتأمل فذكّرهم.

ومثل ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧].

(فلمْ) الفاء الفصيحة، و(لمْ) حرف نفي وجزم وقلب، وقد وقعت الفاء في جواب شرط مقدم أي: إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم.



﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ١٥٥ : ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ وقال في آية الأنبياء٥٠ : ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾؟

الجواب:

١ـ قدّم الإنزال في الأنعام رداً على قول فنحاص بن عازوراء اليهودي ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] فبدأ بالإنزال اهتماماً به؛ لأنّ الكتب سماوية، فناسب البدء بالإنزال.

٢ـ آية الأنبياء في الذكر جاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة، فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] .

﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾ يقال: صدف عن الحق، أي: أعرض عن الحق، فلِمَ عبّر عن الإعراض بقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾؟

الجواب:

١ـ الفعل (أعرَض) يدل على رفض الإنسان للهدى وحسب، أما الفعل (صدف) فإنه يدل على إعراض الإنسان عن قبول الحق والهدى ،ولكنه لا يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى الآخرين فيصد الناس عن الحق، فقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَاۗ﴾ تضمن إعراضهم عنها وصرفهم للناس عن لآلئها وهديها.

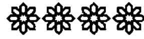
٢ـ الأصل في الصدف هو الجانب والناحية، و(الصدفان) في آية الكهف هما الجانبان.

وصدف عنه: أي أعرض إعراضاً شديداً.

الصدف: البناء المرتفع، وصدف عن الشيء أي مال.

٣ـ هناك فرق بين: (صدف عنه) و(أعرض عنه)، فالإعراض قد يكون خفيفاً، لكن (صدف عنه) أن تذهب إلى الجانب فتتركه وتعرض عنه وتمشي، فالإعراض قد يكون في القليل، والصدف مخصص لما هو أشد.

أي: أن الصدف هو الإعراض الشديد.



﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الإنسان ينتظر ما يعلم أوما يظن وقوعه، والقوم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم لم يصدقوا، فكيف يُفهم ذلك؟

الجواب:

لمّا كان واقعاً لا محالة كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى ؛ ولذلك جاء تهديداً لهم، ومعنى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

السؤال الثاني:

ما معنى هذه الآية ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؟ وما دلالتها؟

الجواب:

بدأت الآية باستفهام إنكاري من تريث المشركين بالإيمان، ثُمَّ عرضت لهم ما ينتظرون، ولكن التهديد اقتصر على تحقيق إثبات آيات الله وحدها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، ولم تتعرض الآية لمجيء الملائكة مثلاً، فهل من سبب في تخصيص مجيء الآيات دون غيرها مما ذُكر في الآية؟

نعم، لقد اقتصرت على ما يأتي من آيات الله في اليوم المؤجَّل له، ولم تتعرض لما يكون يوم تأتي الملائكة أو يأتي ربك؛ لأنّ إتيان الملائكة والرب غير محتمل الوقوع، ولم يعهد لهم ذلك حتى يهابوه، أمّا نزول آيات العذاب فقد سمعوا عنها الكثير مما سبق، ومنهم من رأى ذلك عياناً، فهذا التهديد له من الموعظة والتحذير في نفوسهم الشيء الكثير.

السؤال الثالث:

حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ واجتزأ بالكسرة في آية هود ١٠٥، دون الآيتين الأنعام ١٥٨- والأعراف ٥٣، فما الأسباب؟

الجواب:

١- تردد في سورة هود في عدة مواطن ذكر استعجال العذاب، وتردد الوعد بقرب حلوله، فكان من المناسب الحذف من فعل الإتيان إشعاراً بقرب حلوله، انظر الآيات:[٨-٣٢-٦٤-٦٥-٨١-٨٣].

٢ـ ذُكر في سورة هود أنّ يوم القيامة آتٍ، وأنه سيحل فيه عذاب الكافرين، وإنْ هو إلا أجل معدود فيحلّ، انظر الآيات: (١٠٢-١٠٥)، فحذف الياء من فعل الإتيان للدلالة على سرعة الإتيان، وليس الأمر كذلك في الآيات الأخرى .

٣- تردد ذكر الإتيان باشتقاقاته المختلفة في كل من (الأنعام) و (الأعراف) ٢٤ مرة، وفي (هود) ١٣ مرة، فلما كثُر الفعل في سورتي الأنعام والأعراف كثّر البناء، فقال: ﴿يَأْتِيَ﴾ ولما قلّ تردده في هود قلل من البناء فقال: ﴿يَأْتِ﴾ .

٤ـ لمّا منع الكلام في آية هود (إلا بإذنه)، حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ وحذف التاء من فعل التكلم فقال: ﴿تَكَلَّمُ﴾ ولم يقل: (تتكلم) إشعاراً بقلة الكلام في ذلك الوقت، وهذا مما يدعو إلى العجب .

٥ ـ لو رسمت بالياء في آية هود لما دلت على إعطاء الفرصة للاختلاس وقصر المدة؛ لذلك مع الرسم بالكسرة تشير إلى قرب ذلك اليوم فيختلس الصوت للتقريب، بينما مع إشباع الياء (يأتي) سوف يكون الوقت أبعد .



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾

السؤال الأول:

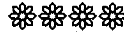
هل الشِّيَعُ من نفس الملة أو من ملل ثانية؟

الجواب:

يقولون: هذه نزلت في اليهود والنصارى الذين بدّلوا دينهم وجعلوه أقساماً، هذا الأصل، وتنطبق حتى لو كان بين المسلمين من يفعل ذلك فيكون نفس الحكم.

وقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم ولا تبحث عنهم ولا يعنيك أمرهم، فهي مفارقة تامة.

ومعنى (شِيَعاً): يعني أقساماً يجعلون الدين أقساماً أقساماً يتمسكون ببعض ويتركون بعضاً.



﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ مع أن العدد من ثلاثة إلى عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث، فلماذا؟

الجواب:

قال ﴿عَشْرُ﴾ والعدد من ثلاثة إلى عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث.

الأمثال مفرده: مِثل، المثل مذكّر، وهو قال: عشر، والمفروض قياساً أن يقال عشرة، لكن لّما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ المِثل يصير حسنة، فلمّا أفرد الحسنة أفرد المِثل؛ لأنّ المثل

حسنة، وهل عشر أمثالها غير عشر حسنات؟ فإذن هو رجع إلى معنى أنّ الأمثال هنا بمعنى الحسنات وليس معنى العدد في حد ذاته، وهذا في لغة العرب.

السؤال الثاني:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ لِمَ عدل عن الأسلوب الإخباري إلى أسلوب النفي؟

الجواب:

انظر إلى بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة، وانظر كم خفّف عنا من الإصر والمشاق، فقد قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ﴾، وهذا السياق يناسبه (ومن جاء بالسيئة فيجزى مثلها) فلِمَ عدل الأسلوب الإخباري إلى أسلوب النفي ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾؟ هذا من باب إظهار العدل الإلهي فينا، فالحسنة تضاعف كرماً وجوداً، والسيئة لا تجزى إلا مثلها، والآية في مطلق الحسنات من الأعمال.



﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنعام ١٦١: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ﴾ وفي آية فصلت ١٤ ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ

كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ جاءت كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ في الطلب، وجاءت كلمة ﴿رَبُّنَا﴾ في الجواب، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ الفرق بين الله والرب معروف: الله لفظ الجلالة، وهواسم العلم مشتق من الإله كما يقال، والرب هو المربي والموجه والمرشد.

٢ـ لكنّ سبب الاختيار في آية فصلت ١٤ ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أنّ الرسل دعوهم إلى عبادة الله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لو شاء هداية الخلق ودعوتهم لأنزل ملائكة، لأنّ الرب هو الهادي والموجه والمرشد ؛ لذلك كان الأنسب أن يقولوا: (ربنا)، والمناسب مع الهداية الرب؛ لأنه الهادي والمرشد والمربي.

ولذلك كثيراً ما يقترن الرب بالهداية، نحو قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢].

وكلمة (الرب) تستعمل لغير الله، وهي غير خاصة بالله، فنقول مثلاً: (رب البيت)، حتى في سورة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف:٢٣] ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] ؛لأنّ الرب هو القيّم والمرشد والموجه، فكان الأنسب استعمال كلمة (الرب) مع إنزال الملائكة وشؤون الخلق وهدايتهم.

٣ـ كذلك كثيراً ما يقترن لفظ الجلالة (الله) بالهداية، والله سبحانه وتعالى كل شيء بيده، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] والعبادة أقرب شيء لله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

السؤال الثاني:

لماذا نصب ﴿دِينًا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾؟

الجواب:

النصب؛ لأنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: أعني، وهذا يدخل في باب التخصيص بالمدح.



﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾

السؤال الأول:

(ياء المتكلم) متى تكون الياء مفتوحة؟ ومتى تكون ساكنة مثل: وجهيَ ووجهي؟

الجواب:

١ـ بعد الألف المقصورة: الياء يجب أنْ تكون مفتوحة، مثل ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣)﴾ [طه:١٢٣] لابدّ أنْ تفتح الياء.

٢ـ بعد المنقوص: لا بد من فتح الياء: معطي، معطيَّ، أنت معطيَّ كتاباً، هل أنت منجيَّ من عذاب الله؟ الياء لا بد أن تُفتح بعد المنقوص.

٣ـ بعد المثنى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨].

٤ـ بعد جمع المذكر السالم : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وكما في الحديث «أومخرجيَّ هم؟».

ما عدا هذا يجوز الفتح والكسر، وهذا هو الفتح الواجب، والباقي يجوز كما في [وجهي وجهيَ].

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

يذكر الله تعالى في الآية أمرين هامين للإنسان، وهما:

١ـ الصلاة: وهي عماد الدين وهي الركن الثاني، والركن الأول هو الشهادتان ويكفي أن تقولها بالعمر مرة، وباقي الأركان قد تسقط إن كنت لا تستطيع كالزكاة والصوم والحج، أمّا الصلاة فلا تسقط عن العبد أبداً، وكل تكليف من التكاليف جاء بواسطة الوحي إلا الصلاة، فإنها جاءت بالمباشرة تلقاها الرسول ﷺ من ربه دون واسطة؛ ولذلك تعتبر الصلاة عمدة الأركان وتشتمل في مضمونها على كل الأركان.

٢ـ النسك: ويُراد به كل عبادة، وتُطلق بالأخص على الذبيحة وعلى أفعال الحج مثل نسك الطواف والسعي، والوقوف بعرفة ونسك الرمي، والكلمة مأخوذة من مادة (النسيكة)، وهي السبيكة من الفضة التي تصهر صهراً يُخرج منها كل المعادن المختلطة بها حتى تصير في غاية النقاء، فسميت العبادة نسكاً؛ لأنها يجب أن تُصفى لله وحده كما

تصفى سبيكة الفضة من كل المعادن التي تخالطها، وقيل للمتعبد: ناسك؛ لأنه خلّص نفسه من دنس الآثام.

٣ـ وهذان الأمران اختياريان، أي: الصلاة والمناسك، كلاهما داخلٌ في قانون الاختيار في الحياة الدنيا، لكنْ هناك أمران آخران، وهما المحيا والممات، لا يدخل أي منهما في قانون الاختيار، بل هما في يد الله وحده.

والصلاة والنسك داخلان في ظاهر الأمر في دائرة الاختيار للعبد؛ لأنّ هذا الاختيار نابع من إيجاد الله لنا مختارين، والله هو الذي وضع المنهج وطلب منا أنْ نصلي وطلب منا الإخلاص في كل النسك الأخرى، فإنْ كانت لغيره فقد اخترت أيها العبد الخيبة والخسران في الصفقة.

أمّا العبد المؤمن الفطن فيجمع بين الأمور الاختيارية فيجعلها لله وحده ويضمها لهبة الحياة فيجعل حياته لله لا للشهوات ومماته لله لا لورثته، فيكون بذلك قد أفلح مع ربه في الأمور الاختيارية وغير الاختيارية، والله أعلم .



﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ ؟

الجواب:

المعنى العام أنّ الإسلام هو دين الله من أول الأنبياء إلى يوم الدين، وقد سبق في القرآن ذكر نوح وإبراهيم ولوط ومن اتبعهم بأنهم من المسلمين، لكن دين الإسلام كإسلام أُطلق على ديننا وسيدنا محمد ﷺ هو أول من أسلم، وللعلم فإن:

١ـ آية الأنعام ١٦٣: المراد بها أول المسلمين من أهل مكة .

٢ـ آية الأعراف ١٤٣: هو قول موسى عليه السلام: إنه أول المصدّقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يرد الإيمان الذي هو: الدين .

٣ـ آية الشعراء ٥١: يريد أولهم من قوم فرعون وآله.



﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾؟

الجواب:

١ـ المعنى: أنه بعد طول الإمهال لكم لطفاً من الله بكم ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ الذي أحسن إليكم بنعمه لا إلى غيره ﴿مَّرْجِعُكُمْ﴾ أي بالحشر، وإنْ عمرتم طويلاً أو بقيتم طويلاً ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ ؛ أي يخبركم إخباراً مستوفى .

ولمّا كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم، قال: ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾، وقدّم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه، فقال: ﴿تَخۡتَلِفُونَ﴾ أي مع رسول وغيره، ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه بأن يعظّم عقوبتكم؛ لأنكم كفرتم نعمه سبحانه .

٢ـ لم يرد في القرآن الكريم (الحكم أو الفصل مع العمل)، ولم يقل مثلاً:

(يحكم فيما كنتم تعملون)، بينما ورد (التنبيء والحكم والفصل) مع موضوع الاختلاف﴿تَخۡتَلِفُونَ﴾، كما في الآيات:

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[النحل:١٢٤].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥].

التنبيء هوالحكم، وهو القضاء، والفصل أشد؛ لأنه يكون بينهما فاصل أو حاجز. وعندما يقول في القرآن: (يفصل بينهم) تكون المسافة أبعد، كأن يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار .أما الحكم فلا فصل، وقد يكون الاثنان في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣] هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى، وليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار، فليس فيه فصل. فقال تعالى: ﴿يَخۡتَلِفُونَ﴾.

- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل:١٢٤] اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض. فقال: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة. فقال: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧] هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة، فهم فئات مختلفة؛ إذن: ﴿يفصل﴾، فالفصل يتضمن الحكم والفصل فيكون أشد.

ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٤-٢٥] قالوا الفصل بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن الفصل حكم لكنْ فيه بَوْنٌ، وكل جهة تذهب إلى مكان .

وقوله تعالى في سورة ص: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص:٢٢] هذا حكم قضاء.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَبْغِى رَبًّا﴾ ما كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني الذي يختلف عن الجانب القلبي الذي يصف العاطفة الجياشة التي تسبب لصاحبها السهر والتعب .

والحب العقلاني يتعدى بـ (أنْ) فتقول: أريد أنْ أنجح، أحب أنْ أصلي.

أحب: (الحب)

هو ميل العقل إلى فعل ما يرى الإنسان فيه خيراً، فتقول: لو فعلت كذا لكان خيراً، وهذا الحب هو مجرد إدراك:[التوبة ١٠٨ـ النور ١٩ـ ٢٢].

أشاء (المشيئة):

إذا انعقد العزم على فعل الأمر فهي المشيئة، وهذه تتغير و(أشاء)بمعنى عقدت العزم.

انظر آيات: [التكوير ٢٨ـ الأنعام ٣٥ـ المؤمنون ٢٤ـ المدثر ٣٧ـ البقرة ٢٢٠ـ٢٥٣ـ النساء ٩٠].

أرغب (الرغبة):

إذا اشتد الحرص بقوة يسمى رغبة، وهذه الرغبة تدفعك إلى أنْ تباشر أول الخطوات المؤدية إلى الفعل:[التوبة ٥٩ـ القلم ٣٢ـ البقرة ١٣٠].

أريد (الإرادة):

إذا باشرت الأسباب المؤدية إلى الفعل تسمى الإرادة، أي: اتخذت الأسباب، فالإرادة هي مباشرة الفعل واقعاً: انظر آيات: [النساء ٣٥ـ ٦٠ـ ٩١ـ المائدة ٣٧ـ التوبة ٣٢ـ الكهف ٢٨ـ القصص ٨٣ـ الروم ٣٨].

أبغي:

(أبغي) تعني أني سرت خطوات في العمل:[الأنعام ١٦٤ـ الحجرات ٩].

أبتغي (الابتغاء):

وهي قمة هذه المجموعة، إذا سرت بالأمر إلى آخر مدى وأصبح الأمر على وشك الإنجاز يسمى ابتغاء، أي: بعد الجد والطلب.

انظر آيات: [الإسراء ١٢ـ ٦٦ـ النور ٣٣ـ التوبة ٤٨ـ البقرة ١٨٧ـ الليل ٢٠].



﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في حذف (في) في آية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] وذكرها في الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر:٣٩] و ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس:١٤]؟

الجواب:

١ـ من استعراض الآيات نجد أنّ القرآن ذكر (في) في آية يونس ١٤ـ وفاطر(٣٩) ولم يذكر (في) في آية الأنعام ١٦٥.

٢ـ خلائف الأرض: مع حذف (في) هي أوسع وأشمل من حيث اللغة، أما: (خلائف في الأرض) فهي ظرفية ومحددة.

٣ـ نلاحظ أنّ سياق سورة فاطر هو في الكافرين ابتداءً وانتهاءً، وكذلك في سورة يونس السياق فيمن أهلكهم الله تعالى من الكافرين.

أمّا في سورة الأنعام فالسياق في مخاطبة المؤمنين إلى النهاية، فكانوا أعمّ وأشمل، وفيها ورد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾، فالمؤمنون خلائفهم أطول وأكثر من الكافرين، فجاء بالمعنى الأعمّ والأشمل في سورة الأنعام بحذف (في). وناسب الخطاب لهم بصيغة التعريف الدال على أنهم خلفاؤها المالكون لها.

٤ـ عندما نقول: (هو مَلِك مصر) أو (مَلِكٌ في مصر) أيهما أوسع؟ مَلِك مصر أوسع. وكذلك (خلائف الأرض) قالوا هذه في الأمة المسلمة التي سترث الأرض، ولن يأتي أمة من بعدها تحمل رسالة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥]، فقالوا: هذه الأمة المسلمة التي سترث الأرض.

٥ـ خلائف في الأرض للأفراد، وكل واحد هو خليفة في الأرض يفعل ما يشاء، إذن خلائف الأرض عامة للأمة المسلمة على العموم، أمّا تلك ففيها احتمالات، قالوا: انتفاع بما في الأرض،خلفاء من قبلكم، خلائف من خليفة ذرية يخلف بعضهم بعضاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب وعذاب) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة العقاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ٦٤ موضعاً.

٢ـ كلمة العذاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ٣٧٠ موضعاً.

٣ـ الفعل الثلاثي لكل من الكلمتين (عذب) و (عقب)، والحرفان الأول والثالث مشتركان، بينما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف الذال: من أحرف الرخاوة وفيه امتداد، بينما حرف القاف من أحرف الشدة وفيه سرعة، ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، بينما امتداد الذال يكون للدنيا والآخرة.

لذلك نستنتج أنّ كلمة (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة العقوبة .

٤ـ أي أنّ العقاب فيه شدة وسرعة، واستعملها القرآن في الدنيا، بينما استعمل العذاب في الدنيا والآخرة .

٥ـ ليس في القرآن (سريع العذاب)، وإنما (سريع العقاب).

*** شواهد قرآنية على العقاب:**

ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥] .

ـ ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ [الحج:٦٠].

ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾.
[آل عمران:١٣٧] .

* **شواهد قرآنية على العذاب:**

- ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤] **عذاب في الدنيا والآخرة.**

﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ [الحشر:٣]

والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأنعام ١٦٥: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ وقوله في آية الأعراف ١٦٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ بزيادة (لام التوكيد)، فلماذا؟

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيستعمل (اللام) مع زيادة التوكيد فيقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف:١٦٧].

البيان:

في الأنعام: ١٦٥: أكّد سرعة العقوبة بإنّ وحدها، وأكّد المغفرة والرحمة بإنّ واللام.

في الأعراف ١٦٧: أكّد سرعة العقوبة بإنّ واللام، وكذلك المغفرة والرحمة بإنّ واللام.

١ـ آية الأعراف ذُكرت في سياق العقوبات العاجلة في الدنيا، وأمّا آية الأنعام فذُكرت في سياق العقوبات الآجلة في الآخرة، فقد قال في الأعراف: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٥-١٦٦-١٦٧].

بينما قال في الأنعام: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

واللام تفيد التوكيد فأفادت هنا توكيد سرعة العقاب؛ لأنّ العقاب المذكور هنا عقاب عاجل، وهو عقاب بني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بخلاف العقاب المذكور في سورة الأنعام فإنه آجل، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ فلمّا اختصت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلاً اختصت بزيادة التأكيد لفظاً بإنّ واللام.

٢ـ في الأعراف تقدّم ما يؤذن بغضب الله وعذابه من اتخاذهم العجل وحل يوم السبت؛ فناسب توكيد جانب العذاب بدخول اللام.

لذلك لمّا كان الموطن في الأعراف هوتعجيل العقوبات في الدنيا أكّد سرعة العقاب، ولمّا لم يكن الأمر كذلك في الأنعام لم يؤكد سرعته. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فاتحة الأنعام مع خاتمتها:

بدأت السورة بقوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١] .

وقال في خواتيمها: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٦٤] .

١ ـ فقد ذكر في بدايتها أنّ الذين كفروا بربهم يعدلون، وأمّا الرسول عليه السلام فلا يعدل بربه شيئًا ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٦٤] .

فناسب بين البدء والختام.

٢ ـ وقال في البدء:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١] .

وقال في خواتيمها: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٦٤]، أليس الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور هو رب كل شيء؟! والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس حشي محمد هبيك

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الخامس

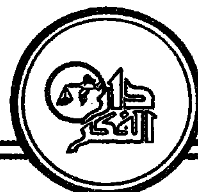
من بداية سورة الأعراف حتى آخر سورة التوبة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب:11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة الأعراف

أولاً ـ تناسب خواتيم الأنعام مع فواتح الأعراف:

١ـ قال سبحانه في أواخر سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال في أول سورة الأعراف: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف:٢].

٢ـ وقال في أواخر الأنعام: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤].

وقال في أوائل سورة الأعراف: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف:٦-٧].

والتَنْبيءُ المذكور في الأنعام مناسب للسؤال والإخبار بعلم الله وأنه سبحانه لم يكن غائباً عن فعلهم واختلافهم المذكور في الأعراف.

٣ـ قال في آخر الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥].

وقال في أول الأعراف: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف:٤].

وإهلاك القرى المذكور في الأعراف من سرعة العقاب الذي ذكره في الأنعام. فناسب آخر الأعراف أول الأنعام.

جاء في «روح المعاني» في ارتباط هاتين السورتين: "وأمّا وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأولى فهو أنه قد تقدّم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٥] وافتتح هذا بالأمر باتباع الكتاب، وأيضاً لّما تقدّم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤] قال جلّ شأنه في مفتتح هذه: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:٦]... إلخ، وذلك من شرح التنبئة المذكورة.

وأيضاً لّما قال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام:١٦٠] وذلك لا يظهر إلا في الميزان، افتتح هذه بذكر الوزن، فقال عزّ من قائل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف:٨] ثم (من ثقلت موازينه)، وهو من زاد حسناته على سيئاته، ثم (من خفت) وهو على العكس، ثم ذكر سبحانه بعد ذلك أصحاب الأعراف وهم في أحد الأقوال: من استوت حسناتهم وسيئاتهم ".

ثانياً ـ هدف السورة: احسم موقفك ولا تكن سلبياً:

سورة الأعراف من أطول السور المكية، وهي أول سورة عرضت بالتفصيل قصص الأنبياء من بداية خلق آدم عليه السلام إلى نهاية الخلق مروراً بنوح، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى على رسولنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام. والسورة تجسد الصراع الدائم بين الحق والباطل وكيف أنّ الباطل يؤدي إلى الفساد في الأرض، وفي قصص كل

الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السورة تظهر لنا الصراع بين الخير والشر وبيان كيد إبليس لآدم وذريته؛ لذا وجّه الله تعالى أربعة نداءات متتالية لأبناء آدم بـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾؛ ليحذّرهم من عدوهم الذي وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في المخالفة لأمر الله تعالى.

كما تعرضت السورة الكريمة إلى أصناف البشر، فهم على مرّ العصور ثلاثة أصناف: المؤمنون الطائعون، العصاة، والسلبيون الذين هم مقتنعون لكنهم لا ينفذون إمّا بدافع الخجل أو اللامبالاة وعدم الاكتراث.

والسلبية هي من أهم المشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع والأمة، وجاءت الآية لتحذرنا أنه علينا أنْ نحسم مواقفنا في هذه الحياة ونكون من المؤمنين الناجين يوم القيامة، ولا نكون كأصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وينتظرون أنْ يحكم الله فيهم.

* **وسميت السورة (الأعراف)**: لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلهما، وروى جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله تعالى فيهم.

وقد بدأت السورة **بمعجزة القرآن الكريم على الرسول ﷺ** وأنّ هذا القرآن نعمة من الله تعالى على الإنسانية جمعاء، فعليهم أنْ يتمسكوا بتوجيهاته وإرشاداته ليفوزوا بسعادة الدارين ويكونوا من الناجين يوم القيامة ومن أهل الجنة: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ

حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٢-٣].

* **النموذج الأول من صراع الحق والباطل:** قصة آدم مع إبليس، ويبين لنا تعالى في هذه القصة كما في باقي السورة كيف أنّ الحق ينتصر في النهاية على الباطل، وقد جاءت كلمة: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ في وصف إغواء الشيطان لآدم؛ لتبين لنا كيف أنّ الذين لا يحسمون أمورهم ومواقفهم كالمعلقين في البئر لا هم هالكون ولا هم ناجون، ممّا يؤكد على أنّ علينا أنْ نحدد موقفنا من الصراع بين الحق والباطل.

* **عرض يوم القيامة وقصة أصحاب الأعراف:** (الآيات ٤٤ -٥١) تذكر الآيات قصة أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وبقوا على الأعراف ينتظرون حكم الله تعالى فيهم، والأعراف قنطرة عالية على شكل عرف بين الجنة والنار والمكث عليها مؤقت؛ لأنّ في الآخرة الناس إمّا في النار أو في الجنة، وأصحاب الأعراف كانوا يعرفون الحق والباطل لكنهم لم يحسموا أمرهم فحُبسوا بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف:٤٦]. فعلينا أنْ لا نضع أنفسنا في هذا الموقف ونعمل جاهدين على أنْ نكون من أهل الجنة؛ حتى لا نقف هذا الموقف على الأعراف.

*** عرض نماذج من صراع الحق والباطل:**

عبر قصص الأنبياء على مر العصور عرضت الآيات قصة كل نبي مع قومه والصراع بين الخير والشر، وكيف أنّ الله تعالى ينجي نبيه ومن اتبعه وينصرهم على عدوهم.

*** قصة نوح مع قومه:** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف:٦٤].

*** قصة هود:** ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف:٧٢].

*** قصة صالح: (آية ٧٣ – ٧٩).**

*** قصة لوط** ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ .

*** قصة شعيب:** ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف:٨٨].

*** مقارنة بين الحسم والتردد في قصة موسى وفرعون والسحرة:** الآيات توضح كيف حسم السحرة موقفهم من نبي الله موسى بعدما رأوا الحق وأخذوا موقفاً واضحاً من فرعون وأتباعه وآمنوا بالله تعالى وبما جاء به موسى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف:١٢٤-١٢٥-١٢٦]، وتردد بنو إسرائيل باتباع موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن

يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف:١٢٨-١٢٩] وهذه عبرة لنا؛ ذلك أنّ التردد لا يؤدي إلى الحق والجنة.

* **قصة أهل السبت**: وكيف تحايلوا على الله تعالى؛ لأنهم لم يحسموا مواقفهم بالتسليم الكلي لله وتطبيق ما يعتقدونه عملياً حتى يكونوا من الفائزين، لكنهم كانوا يعتقدون شيئاً ويمارسون شيئاً آخر: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف:١٦٣].

* **فئات بني إسرائيل**: عرضت السورة فئات بني إسرائيل الثلاثة، فهم إمّا: عصاة، أو مؤمنون ينهون عن المعاصي، وإمّا متفرجون سلبيون، وهذه الفئات موجودة في كل المجتمعات، السلبيون قالوا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤] والمؤمنون ردوا: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ وقد ذكر الله تعالى لنا كيف نجّى الفئة المؤمنة وعاقب الفئة العاصية، كما في قصة أصحاب الأعراف: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف:١٦٥]، ولم يذكر هنا مصير الفئة السلبية، ويقول بعض العلماء: إنهم مع الفئة الضالة الظالمة؛ لأنهم لم ينهوا عن السوء، والبعض الآخر يرى أنهم سكتوا عن الحق، والله تعالى سيحسم وضعهم يوم القيامة؛ لذا لم يرد ذكرهم في السورة، والله أعلم.

إذن بعد هذا العرض للسورة نستنتج أنّ علينا الابتعاد عن السلبية، وعلينا أنْ نحسم مواقفنا من الآن؛ لأننا نريد أنْ ندخل الجنة بإذن الله، ولا نريد أنْ نكون مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وعلينا ألّا يثنينا عن نصرة الحق خجل ولا عدم مبالاة أو قلة اكتراث أو ضعف، ولعلّ الغفلة هي من أهم أسباب التردد والسلبية، فعلينا أنْ نسعى ألّا نكون من الغافلين؛ لأنّ الغافل قد يكون أسوأ من العاصي، فالعاصي قد يتوب كما فعل سحرة فرعون، أمّا الغافل فقد يتمادى في غفلته إلى حين لا ينفع معه الندم ولا العودة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف:١٧٩].

وتأتي ختام السورة لتركز على البعد عن الغفلة وحسم الأمر: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾ [الأعراف:٢٠٥].

والسجدة في الآية الأخيرة كأنما جاءت لتزيد في النفس الاستعداد للحسم فربما بهذه السجدة يصحى الغافل من غفلته ويحسم موقفه السلبي إذا عرف بين يدي من يسجد فيعود إلى الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقد ختمت السورة بإثبات التوحيد كما بدأت به، وفي هذا دعوة إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى في البدء والختام. وهذه السورة مرتبطة بسورة الأنعام؛ لأنّ الابتعاد عن السلبية وحسم الموقف هو من توحيد الله تعالى في المعتقد والتطبيق أيضاً.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:



السؤال الأول:

ما دلالة الأحرف المقطعة في أوائل السور ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١.



﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ



السؤال الأول:

ما الحرج المذكور في الآية ؟

الجواب:

الحرج في حقيقته المكان الضيق من الغابات الكثيرة الأشجار بحيث يعثر السالك فيه، فأغمض عينيك أيها المتدبر لكتاب الله، وأعمل خيالك في هذه الصورة القرآنية لحال الآسف الحزين الذي امتلأ صدره حزناً، فإنه يعسر منه التنفس من انقباض أعصاب مجاري التنفس، فتخيل هذا الضيق النفسي بضيق مكان مليء أشجاراً كيف تستطيع تجاوزها، فها هي صورة القرآن التي ترسم بألفاظها المحكمة ما تعجز ريشة الفنان عن الإتيان به.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الحرج والضيق ؟

الجواب:

١ـ الحرج هو ضيق لا منفذ فيه مأخوذ من (الحرجة)، وهي الشجر الملتف حتى لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه؛ ولهذا جاء بمعنى الشك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء:٦٥] أي: شكاً؛ لأن الشاك في الأمر لا ينفذ فيه.

وقوله تعالى في آية الأعراف: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:٢] أي: ضيق.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] أي: لا يوجد في الدين ضيق لا مخرج منه؛ لأنّ الله شرّع التوبة وهي مخرج، والرُخص وهي مخارج أيضاً.

ولقد قيل: ما أدى إلى الضيق فهو منفي، وما أوجب التوسعة فهو أولى.

٣ـ الحرج: هو الضيق أو الشك؛ لأنّ الشاك ضيق الصدر حرج الصدر كما أنّ المتيقن منشرح الصدر منفسح القلب.

السؤال الثالث:

ما معنى اللام في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ ؟

الجواب:

اللام في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ بمعنى (كي)، و هي تتعلق بقوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ على التقديم والتأخير، والتقدير: كتاب أُنزل إليك كي تنذر به، فلا يكن في صدرك حرج منه.

السؤال الرابع:

ما فائدة هذا التقديم والتأخير في الآية ؟

الجواب:

فائدة هذا التقديم والتأخير أنّ الإقدام على الإنذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل إلا عند زوال الحرج من الصدر؛ ولهذا السبب أمره الله بإزالة الحرج من الصدر، ثم أمره بعد ذلك بالإنذار والتبليغ.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ قيّد هذه الذكرى بالمؤمنين، وهو نظير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ .

والنفوس البشرية قسمان: بليدة جاهلة غارقة في الملذات، وأخرى شريفة تترقى بالحوادث الروحانية.

وبعثة الأنبياء والرسل في حق القسم الأول إنذار وتخويف، وفي حق القسم الثاني تذكير وتنبيه.

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ ؟

الجواب:

إعراب ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ فيها وجوه:

آـ في محل نصب على تقدير: (وليكون) ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ فهي خبر (يكون) المقدر.

ب ـ في محل نصب على معنى: لتنذر به ولتذكر.

ج ـ في محل رفع على معنى: متاب حق وذكرى، أو وهو ذكرى.

والله أعلم.



﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تذّكّرون وتذكّرون وتتذكرون)؟

الجواب:

الاختلاف في المعنى أنه عندما تأتي: (تَتَذَكَّرُونَ) تكون مساحة التأمل أوسع، وهذا مثال في قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠] وقبلها كان الكلام عن النظر في آيات الله في الكون، و(هذا ربي) ثم (هذا ربي) ثم (هذا ربي)، وهي أمور تحتاج إلى طول زمن.

ولكن عندما نأتي إلى (تذكّرون) أو (تذّكّرون)- بالتشديد على الذال- نجد أنّ المسألة منحصرة إمّا في أوامر من الله عز وجل يأمرهم بتنفيذها مثل ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف:٣] الأمر يأتي للتنفيد أو للتقرير فتكون المسألة منحصرة مجتزأة لا تحتاج إلى طول الوقت الذي احتاجته التأملات التي في خلق السموات والأرض، كما في قصة إبراهيم عليه السلام.

وأما التشديد على الذال فهو للتأكيد، وكل ما قرأه حفص (تذكّرون) قرأه نافع وورش (تذّكّرون) بالتشديد على الذال، وأجمعوا على قراءة (يذّكّرون) بتشديد الذال، وحيثما وردت بالتشديد ففيها معنى التأكيد لما تأتي.

السؤال الثاني:

ما دلالة حذف التاء من آية الأعراف، فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتاء واحدة ؟

الجواب:

حذف التاء من آية الأعراف فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ ٣﴾ بتاء واحدة؛ وذلك أنها خطاب للمؤمنين، والمؤمنون لا يحتاجون إلى طول تذكر لاتباع ما أنزل إليهم من ربهم، بل يفعلون ذلك بتذكر قليل، فحذف التاء وقال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾. والآية تعني اتباع الكتاب ومثله السنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].



﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة مشهد إهلاك القرية في الآية ؟

الجواب:

انظر كيف رسم القرآن مشاهده بأبدع رسم، فهنا يعرض القرآن حقيقة الهلاك للقرية دون أنْ يأتي على ذكر أهلها لقصد الإحاطة والشمول. فتخيل مشهد القرية وهي تتدمر بأكملها، ستجد نفسك أمام هذه الصورة الفظيعة وتتساءل بدهشة: إذا كان هذا ما حلّ بالقرية وهي ثابتة مستقرة فكيف بأهلها؟ وستزداد دهشة إذا علمت أنّ ساعة الهلاك هي ساعة نومهم، قال تعالى: ﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف:٤].

السؤال الثاني:

كيف يأتي البأس بعد الإهلاك في قوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا﴾ في سورة الأعراف ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ الفاء تأتي للترتيب الذِكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال، فأولاً يأتي بالموت بشكل إجمالي ثم يفصّل الإهلاك.

ومثال آخر: ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء:١٥٣] (سألوا موسى) مجملة، (وأرنا الله جهرة) مفصّلة.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هود:٤٥] تفصيل بعد الإجمال.

السؤال الثالث:

ما نوع ﴿وَكَم﴾ في الآية ؟وما إعرابها؟

الجواب:

١ـ كم: خبرية كناية عن العدد الكثير في محل رفع مبتدأ، وجملة (أهلكناها) خبر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعني أهل قرية.

السؤال الرابع:

ما البأس؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى:﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ البأس هو القوة التي لا تقهر، وهو عائد على القرية، وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ عاد الضمير إلى أهل القرية؛ لأنّ معنى البيات والقائلة لا يصح إلا فيهم، ولأنّ أهلها هم المقصودون بالذات.

السؤال الخامس:

لقائل أن يقول: قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ يقتضي أنْ يكون الإهلاك متقدماً على مجيء البأس وليس الأمر كذلك، فإنّ مجيء البأس مقدم على الإهلاك، فما توضيح ذلك ؟

الجواب:

١ـ المراد بقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: حكمنا بهلاكها فجاءها بأسنا.

٢ ـ كم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

٣ ـ الفاء في﴿فَجَآءَهَا﴾ تأتي للترتيب الذكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب فقط، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال، وأنّ البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿بَيَٰتًا﴾ مصدر واقع موقع الحال بمعنى (بائتين أو بايتين)، وسمي البيت بيتاً لأنه يبات فيه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ (أو) حرف عطف و ﴿هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة حال معطوفة على قوله (بياتاً)، كأنه قيل: فجاءها بأسنا بايتين أو قائلين، بمعنى: (نائمون ليلاً أو وقت القيلولة)، أي: أنهم كانوا في كلٍّ من الوقتين غافلين مستريحين ففاجأتهم الأحداث من دون استعداد، والعذاب في وقت الراحة يكون أشد وأغلظ.

والقيلولة عند العرب هي الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر مع نوم أو بدون نوم، والدليل على أنه قد يكون بغير نوم أنّ الجنة لا نوم فيها والله يقول: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان:٢٤].

٣ـ الحرف ﴿أَوۡ﴾ ربما أفاد أنّ البأس جاء مرة ليلاً ومرة نهاراً؛ لأنّ الكلام عن عدد كثير من القرى﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: فجاء لقرية بياتاً ولقرية أخرى في وقت القيلولة، فمثلا حدث الهلاك لقوم لوط، بالليل وحدث الهلاك لقوم شعيب في القيلولة. والله أعلم.

السؤال السابع:

كيف يأتي البأس بعد الإهلاك في الآية ٤ من سورة الأعراف ؟

الجواب:

الفاء تأتي للترتيب الذكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب فقط، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال.

* شواهد قرآنية:

آ ـ في آية الأعراف ٤ : أولاً يأتي الموت بشكل إجمالي ثم يفصّل الإجمال.

ب ـ في آية هود ٤٥ : ﴿وَنَادَىٰ﴾ ، ثم قال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فصّل بعد الإجمال.

ج ـ في آية النساء١٥٣ : (سألوا موسى) مجملة (وأرنا الله جهرة) مفصلة.

السؤال الثامن:

ما الفرق بين استعمال كم وكأين ؟ واستعمالهما في آية الأعراف ٤ والحج ٤٥؟

الجواب:

١ـ (كم): كناية عن العدد المبهم تقع على القليل منه والمتوسط والكثير، وهي على قسمين:

أ ـ استفهامية، نحو: كم درهماً عندك ؟ كم رجلاً أكرمت؟ ولا تحتمل الصدق والكذب.

ب ـ خبرية: وتكون بمعنى (كثير)، وسميت خبرية لأنها تحتمل الصدق والكذب، نحو: كم رجل أكرمت ؟ وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدخان:٢٥].

٢ـ (كأين): مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة، ثم حصل لهما بالتركيب معنى ثالث لم يكن لكل واحد منهما في حال الإفراد.

وهي تفيد التكثير مثل كم الخبرية، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مع (من) كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران:١٤٦].

والذي يبدو أنّ (كأين) تستعمل في القرآن الكريم في مواطن التفخيم والتعظيم إضافة إلى التكثير.

* شواهد قرآنية: آية الأعراف ٤ وآية الحج ٤٥:

جاء في الأعراف بـ ﴿وَكَم﴾ وفي الحج بـ ﴿ فَكَأَيِّن﴾ [الحج:٤٥] ومن مراجعة السياق في السورتين نجد أنّ سياق آيات الحج في المظلومين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقد أُذن لهم بالقتال، وفيه التأسي بما وقع للطوائف المؤمنة من قبل، فقد كذبهم قومهم وأوذوا فأملى ربك للكافرين ثم أخذهم أخذة قاصمة، ثم قال بعدها: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج:٤٥] فهذا موطن تفخيم. وليس السياق في الأعراف على هذا.

السؤال التاسع:

قوله تعالى في الآية﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ هل هو من القيلولة أو القول؟

الجواب:

كلمة﴿قَآئِلُونَ﴾ في الآية هي من القيلولة وليس من القول.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ١٩٣.



﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾

السؤال الأول:

كيف الجمع بين آية الرحمن ٣٩، وآية الحجر ٩٢، وآية الصافات ٢٤، وآية الأعراف ٦، وآية الزخرف ٤٤ ؟

الجواب:

١ـ للآخرة مواطن فلا يُسأل في موطن ويُسأل في موطن، ففي مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد. وإنما صمت عام، يبقى الناس أربعين ألف سنة لا يتكلمون، ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب، فهي مشاهد قبل الحساب ثم يذهب الناس إلى آدم عليه السلام ثم إلى بقية الأنبياء، حتى يقول البعض: اللهم ارحمنا من هذا ولو إلى النار.

٢ـ المعنى لا يُسأل عن فعله أحد منكم ولكن يُسأل بقوله: لمَ فعل الفاعل، أي: لا يُسأل سؤال استعلام، بل يُسأل سؤال توبيخ.

٣ـ قيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحِجر:٩٢] سؤال توبيخ و ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ [الرحمن:٣٩] سؤال استعلام.

٤ـ وقيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحِجر:٩٢] لِمَ عملوا، ولا يُسألون ماذا عملوا؛ لأن الله أعلم بذلك.



﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف في قصة آدم عليه السلام بين سورتي البقرة والأعراف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٩.

السؤال الثاني:

لماذا استخدمت كلمة (إبليس) مع آدم ولم تستخدم كلمة (الشيطان)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] وفي سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١] إبليس هو

أبو الشياطين كما أنّ آدم أبو البشر وبداية الصراع كانت بين أبي البشر وأبي الشياطين، و(الشيطان) يُطلق على كل من كان كافراً من الجن أي على الفرد الكافر من الجنّ.

السؤال الثالث:

لماذا جاء ذكر إبليس مع الملائكة عندما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم مع العلم أن إبليس ليس من جنس الملائكة؟

الجواب:

الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم في آية سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] وأمر إبليس على وجه الخصوص في آية سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢] فليس بالضرورة أنّ الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود كما في آية سورة البقرة، وأمر إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به في آية سورة الأعراف.

السؤال الرابع:

هل كان إبليس مأموراً بالسجود لآدم؟

الجواب:

نعم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أمراً عامّاً: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] وأمر إبليس بالسجود أمراً خاصاً: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢].

السؤال الخامس:

هل إبليس من الملائكة ؟

الجواب:

١ـ إبليس ليس من الملائكة وإنما من الجن لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠] فإبليس كان مع الملائكة، لكنه ليس منهم.

٢ـ في هذه الآية جاء الأمر للملائكة بالسجود لآدم تكريماً له، وهنا في هذه الآية لا يشمل الأمر إبليس؛ لأنه ليس من الملائكة.

٣ـ لكنّ الله أمر إبليس بالسجود أيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢] فقال: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ .

٤ـ في قوله تعالى في آية الكهف ٥٠: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ يوجد استثناء منقطع، كقولك: حضر الطلاب إلا البواب، فالبواب ليس من جنس الطلاب.

٥ـ ليس بالضرورة أنّ الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود، كما في آية سورة البقرة ٣٤، وأُمِرَ إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به، كما في آية سورة الأعراف ١٢.

السؤال السادس:

ما خطوط تحديد تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣١.

السؤال السابع:

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات (٣٠-٣٨) وجاء في آيتي الأعراف (١١-١٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ والمطلوب بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم أنْ نبين ترتيب مراحل هذه المسألة.

الجواب:

المراحل هي (والله أعلم):

١ـ خلق جميع البشر كأنفس مجردة عن المادة من آدم عليه السلام حتى قيام الساعة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف:١١].

٢- إعطاء هذه الأنفس صورها الخاصة بها ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف:١١].

٣ـ عرض الأمانة على المخلوقات، وتعهد الإنسان (النفس) بحملها.

٤ـ أخذ العهد والميثاق من جميع البشر (الأنفس) ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٥ـ إخبار الله تعالى الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة.

٦ـ معرفة الملائكة بإفساد بني آدم وسفكهم الدماء عندما كشف الله تعالى عنها غطاء غيب الزمن المستقبل.

٧ـ تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها، وإخبار آدم الملائكة بذلك.

٨ـ الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم حين الانتهاء من خلق جسده ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الحِجر:٢٩] ونفخ الروح فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر:٢٩].

ملاحظة: إنّ جميع المراحل حتى الآن تمت في عالم الأنفس بعيداً عن المادة، فجسد آدم المادي لم يخلق بعد.

٩- خلق جسد آدم عبر المراحل التي بينها القرآن الكريم، ومن ثمّ تسويته إنساناً كاملاً ونفخ الروح فيه.

وهنا دخل آدم عليه السلام مرحلة عالم المادة والمكان والزمان وأصبح محكوماً لهذه القوانين.

١٠ـ سجود الملائكة لآدم عليه السلام وعصيان إبليس بسبب مادة جسم آدم، كما في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢].

١١ـ إسكان آدم وزوجه جنّة التدريب والاختبار.

١٢- إغواء إبليس لهما.

١٣ـ تلقي آدم التوبة من الله تعالى حيث اجتباه الله تعالى وهداه.

وهنا دخل آدم عليه السلام مرحلة النبوة.

١٤ـ هبوط آدم عليه السلام وذريته إلى الأرض، ووعد الله تعالى بأنْ يرسل لهم رسلاً يحملون لهم الهدى ومنهج الحق. والله أعلم.



﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾



السؤال الأول:

ما الفرق البياني بين قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ آية سورة ص ٧٥ و ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ آية سورة الأعراف ١٢؟، وما دلالة استخدام (لا) ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ وقال في سورة ص: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

١ـ هناك قاعدة، وهي أنّ الحرف (لا) يمكن أن يُزاد إذا أُمن اللبس، وسُمّي حرف صلة، وغرضه التوكيد وليس النفي.

٢ـ ونلاحظ أنّ سياق الآيات مختلف في السورتين، ففي سورة الأعراف الآيات التي سبقت هذه الآية كانت توبيخية لإبليس ومبنية على الشدة والغضب والمحاسبة الشديدة وجو السورة عموماً فيه سجود كثير.

٣ـ النحويون يقولون: إنّ (لا) زائدة، فهي لا تغيّر المعنى وإنما يُراد بها التوكيد، ومنهم من قال: إنها صلة، وليس قولهم: إنها زائدة يعني أنه ليس منها فائدة، إنما حذفها لن يغيّر المعنى لو حُذفت، فلو قلنا مثلاً: (والله لا أفعل)، وقلنا: (لا والله لا أفعل) فالمعنى لن يتغير، برغم أننا أدخلنا (لا) على الجملة، لكن معناها لم يتغير.

أمّا في آيات القرآن الكريم فلا يمكن أن يكون في القرآن زيادة بلا فائدة، والزيادة في (لا) بالذات لا تكون إلا عند أمن اللبس.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد:٢٩] معناه: ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء، وإذا أراد الله تعالى أنْ يُنزل فضله على أحد لا يستطيع أحد أنْ يردّ هذا الفضل، فالقصد من الآية إعلامهم، وليس عدم إعلامهم، لذلك قسم من النحاة والمفسرين يقولون: إنّ اللام زائدة أو صلة.

٥ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه:٩٢-٩٣] هي ليست نافية ولكنها بمعنى: من منعك من اتباعي.

٦ـ وفي قوله تعالى في آية الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ الله تعالى يحاسب إبليس على عدم السجود، ولو جعلنا (لا) نافية يكون المعنى أنه تعالى يحاسبه على السجود وهذا غير صحيح، ولهذا قال تعالى في سورة ص: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ، إذن (لا) مزيدة للتوكيد جيء بها لغرض التوكيد؛ لأنّ المعلوم أنه يحاسبه على عدم السجود.

٧ـ لكن يبقى السؤال: لماذا المجيء ب (لا) في آية الأعراف ١٢ وحذفها في آية ص ٧٥؟

لو نظرنا في سياق قصة آدم عليه السلام في الآيتين في سورة الأعراف وص لوجدنا:

آ ـ أنّ المؤكّدات في سورة الأعراف أكثر منها في سورة ص، ففي الأعراف جاءت الآيات (لأقعدنّ، لآتينهم، لأملأن، إنك) وغيرها من المؤكّدات.

ب ـ وكذلك القصة في سورة الأعراف أطول منها في ص.

ج ـ ثم إنّ مشتقات السجود في الأعراف أكثر (٩ مرات)، أمّا في ص (٣ مرات).

ولتأكيد السجود في الأعراف جاءت ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

٨ـ ثم هناك أمر آخر انتبه له القدامى في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، وهو أنّ هذه الأحرف تطبع السورة بطابعها، فعلى سبيل المثال: سورة (ق) تطبع السورة بالقاف (القرآن، قال، تنقص، فوقهم، باسقات، قبلهم، قوم، حقّ، خلق، أقرب، خلقنا، قعيد، وغيرها) وسورة ص تطبع السورة بالصاد (مناص، اصبروا، صيحة، فصل، خصمان، وغيرها..) حتى السور التي تبدأ بـ (الر) تطبع السورة بطابعها. وسورة الأعراف تبدأ بـ (المص)، وفي الآية موضع السؤال اللام والألف وهما أحرف (لا) فناسب ذكر (لا) في آية سورة الأعراف، وناسب كذلك السياق والمقام.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ لعلّ سائلاً يقول: إذا كان المنع يعني الكف والصد، فلم جاءت الآية بحرف النفي (لا) في قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ فيكون مقتضى الظاهر أنْ يقول: ما منعك أن تسجد؟

إنّ (لا) هنا لا تفيد نفياً وإنما جيء بها للتأكيد، و (لا) من جملة الحروف التي يؤكد بها الكلام، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ①﴾ [البلد:١] أي: أقسم بهذا البلد قسماً محققاً.

٢ـ في قول الحق سبحانه في سورة ص: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾؛ أي أنه ممنوع بقوة أخرى، والمعنى: أي قوة وأي سبب منعك من السجود لآدم ؟

بينما يقول الحق في سورة الأعراف: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، والله سبحانه يعلم أزلاً أنه قد امتنع باقتناع لا بقهر ، والله لم يسأله عن المقارنة بينه وبين آدم؛ ولذلك قال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ، فكأنّ المسألة دارت في ذهنه ليوجد حيثية لعدم السجود، فلا يصح في عُرفه الإبليسي أن يسجد الأعلى للأدنى !! وكأنّ النارفي عُرفه لها علو، وهو في هذا مخطيء تماماً؛ لأن الأجناس حين تختلف فلكل جنس دوره، ولا يوجد جنس أفضل من جنس، فالنار لها مهمة والطين له مهمة، والنار لا تقدر أن تؤدي مهمة الطين، فلا يمكن أن تزرع في النار. والخيرية تتأتى في الأمرين ما دام كل منهما يؤدي مهمته، ولكنّ إبليس قالها للمعاندة وللكفر حين أعرض عن أمر الله، وأراد أن يعدل مراد الله في أمره. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قارن بين قصة آدم عليه السلام في سورة الأعراف والقصة نفسها في سورة ص ؟

الجواب:

قصة آدم عليه السلام جاءت في الآيات (١١ـ ٢٥) من سورة الأعراف وجاءت أيضاً في الآيات (٧١ ـ ٨٨) من سورة ص.

١ـ بدأت آيات قصة آدم في سورة الأعراف بتأكيدين ﴿وَلَقَدْ﴾ أي [اللام ـ قد]، بينما بدأت آيات سورة ص بـ ﴿إِذْ قَالَ﴾ .

٢ـ المؤكدات في قصة الأعراف أكثر ﴿وَلَقَدْ﴾ بزيادة اللام ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ فناسب زيادة (لا) الزائدة المؤكدة.

٣ـ مقام السخط والغضب في قصة الأعراف أكبر، فناسب ذلك الزيادة في التوكيد والغلظة في القول، ويدل على ذلك عدة أمور منها:

آ ـ لم يذكر اسم إبليس في الأعراف ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، في حين ذكره في ص: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ .

ب ـ صيغة الطرد في الأعراف كانت الطرد مع الصَغار ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾ وكرر الطرد في الآية ١٨ قائلاً: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .

وليس الأمر كذلك في آيات سورة ص، فإنه قال: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾.

ج ـ عدم التبسط في الكلام مع إبليس في آيات قصة الأعراف أكبر، مما يدل على السخط الكبير، بخلاف آيات ص، انظر جدول الآيات التالية لترى مقدار التبسط في سورة ص:

سورة الأعراف	سورة ص
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[الأعراف:١٢]	﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص:٧٥]
﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف:١٥]	﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص:٨٠-٨١]
﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾[الأعراف:١٤]	﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [ص:٧٩]

فإنه لّما كان المقام مقام تبسّطٍ تبسَّطَ إبليس في الكلام، بخلاف آيات الأعراف، فإنه لّما كان مقام سخط كبير حذف التبسط وجعل الكلام على أوجز صورة، ولكل مقام مقال.

٤ـ مما حسّن زيادة (لا) في الأعراف، وهي مؤلفة من الألف واللام، أن ذلك ينسجم مع الحروف المقطعة في بداية سورة الأعراف ﴿الٓمٓصٓ﴾، بينما لم تبدأ بهما في سورة ص.

٥ـ مما حسّن تأكيد السجود في سورة الأعراف دون سورة ص هو الاختلاف بين جو السورتين، فقد جاءت مشتقات السجود في الأعراف في تسعة مواضع بخلاف سورة ص فإنها لم تذكر إلا في ثلاثة مواضع، وبيان ذلك:

سورة الأعراف:

الآيات: [الآية ١١ وذكرت مشتقات السجود فيها ثلاث مرات، و الآيات: ١٢ ـ ٢٩ ـ ٣١ـ ١٢٠ ـ ١٦١ ـ ٢٠٦].

سورة ص:

الآيات:[٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٥].

ولهذا ناسب أنْ يؤكد السجود في الأعراف دون ص، والله أعلم.

٦ـ زيدت (لا) في سورة الأعراف دون سورة ص، علماً بأنّ زيادة (لا) هي للتوكيد، فلماذا زاد التوكيد في الأعراف دون ص ؟

السبب في ذلك أنّ سياق القصة في سورة الأعراف فيه تأكيد أكبر فاقتضى ذلك أن يُؤتى بـ (لا) الزائدة المؤكدة.



﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ هل نال إبليس تكرمة في استجابة طلبه بأنْ يكون من الكائنات الباقية؟

الجواب:

هذا ما تشير إليه الآية، لكنه في الحقيقة خاب؛ فهو أهون على الله من أنْ يجيب له طلبه وقد نفى هذا التصوير للسامع قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ فانظر كيف أفاد التأكيد

بـ ﴿إِنَّكَ﴾ والإخبار بصيغة ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ أنّ إنظاره أمر قد قضاه الله وقدّره من قبل سؤاله، وهذه هي النكتة في العدول عن أنْ يكون الجواب (أنظرتك أو أجبت لك) ممّا يدل على كرامته بعد الإجابة، ولكنه أعلمه أنّ ما سأله أمر حاصل، فسؤاله تحصيل حاصل.



﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا المجاز التمثيلي في الآية ؟

الجواب:

انظر كيف يحرص إبليس على إغواء بني آدم، فالآية ضرب من المجاز التمثيلي، وليست الجهات الأربع المذكورة بحقيقة إذا علمتَ أنه ليس للشيطان مسلك للإنسان إلا من نفسه وعقله بإلقاء الوسوسة، فكما شبّه هيئة الحرص على الإغواء بالقعود على الطريق، كذلك مُثّلت هيئة التوسل إلى الإغواء بكل وسيلة بهيئة الباحث الحريص على أخذ العدو إذ يأتيه من كل جهة حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه، أعاذنا الله من شرّه وغوايته.

السؤال الثاني:

لماذا استعمل النفي (لا) في آية سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ ؟

الجواب:

هذه الآية هي على لسان إبليس، فلما قال: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم ﴾ هذه الآية فيها تحذير كبير من مخاطر هذا المخلوق الذي أخذ على نفسه عهداً أنْ يضل ذرية آدم ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ من أي مكان وبأية وسيلة من الوسوسة.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ وهو قد بنى كلامه على ظنّه أنه نتيجة هذه التصرفات فإنّ أكثر بني آدم لا يشكرون الله سبحانه وتعالى، وهذا يتناسب مع ظنّه أن يستعمل لا النافية؛ لأنّ (لن) فيها معنى التأكيد ومعنى التأبيد وفيها دفع للمستقبل.

فإبليس لا يستطيع أن يقول: (ولن تجد أكثرهم شاكرين)، ولا يصلح أنْ يستعمل (لن)؛ لأنه لا يملك ذلك، لكن هو يستطيع أن ينفي ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ أما (لن) فهي كلمة المتأكّد المتثبت فيجزم بوقوع الحادثة وهو لا يستطيع أنْ يقول هذا الكلام، وإنما يقول: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ ولذلك على كل من يقرأ هذه الآية أن يقول: (الشكر لله، الحمد لله)؛ ليفقأ عين الشيطان.

السؤال الثالث:

ما قضية الشيطان مع ابن آدم بشكل عام ؟

الجواب:

الشيطان قد قضى اللهُ في أمره فطرده من رحمته وجعله رجيماً مبعداً، والشيطان يعرف أنّ مصيره النار ويعتقد أنّ آدم هو السبب؛ لأنّ بداية المصيبة كانت رفض إبليس طاعة أمر الله في السجود لآدم.

وكانت معصية إبليس في القمة؛ لأنه رد الأمر على الأمر، وقال لن أطيع ولن أسجد لآدم؛ لأني خير منه، هو من طين وأنا من نار، وهذه المعصية جعلت الله تعالى يطرد إبليس من رحمته ويصفه بأنه رجيم؛ وذلك حتى نعرف أنّ مصيره النار وأنّ الله لن يغفر له.

وبدأ إبليس بغواية آدم الذي عاش أولاً في جنّةٍ تعطيه مقومات حياته بلا تعب وبلا عمل، وكان في الجنة ألوف الأشجار تعطي كل الثمرات، وهي حلالٌ لآدم وزوجه يأكلان منها ما يشاءان، ما عدا شجرة واحدة حرَّمها الله عليهما، وكانت هذه الشجرة هي بداية الخطيئة، فبدأ إبليس يغري آدم وحواء على المعصية بأنْ يقنعهما بأنّ عدم الأكل منها سيحرمهما الخلود والملك.

فإبليس يصور للإنسان أنّ ما منعه الله عنه هو الخير، وأنه لو عصى سيحصل على المال والنفوذ.

لقد أكل آدم وحواء من الشجرة، فلم يخلدا بل ظهرت عوراتهما وعرفا أنّ إبليس كان كاذباً وأنّ الله سبحانه بمنهجه وما ينهانا عنه إنما هو الخير.

ولكنّ الشيطان يأتي ويزين للإنسان طريق الباطل، ولو حكّم آدمُ عقله لعرف كذب وسوسة إبليس، فلو أنّ هذه الشجرة كانت تعطي الخلد فعلاً لما طلب إبليس من الله أنْ يبقي على حياته إلى يوم القيامة، بل لأكل من الشجرة ونال الخلد.

ولكن إبليس دخل من ناحية الغفلة في النفس البشرية؛ ليوقع آدم في المعصية، وهو كذلك يدخل إلى أبناء آدم من ناحية الغفلة أيضاً، ولو أنّ أبناء آدم حكّموا عقولهم وهم يعرفون أنّ هناك عداوة مسبقة بين آدم وإبليس وأنّ إبليس طلب من الله أنْ يبقيه إلى يوم القيامة لينتقم من آدم وذريته بإغوائهم على المعصية لأخذوا حذرهم منه، وعندما تنكشف وسوسة الشيطان فإنه يهرب.

إبليس دخل إلى غواية بني آدم بعزة الله سبحانه وتعالى، فقال فيما يرويه القرآن عن لسان إبليس قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص:٨٢]، ولكنّ الحق تبارك وتعالى أخبرنا بأنه طرد إبليس من رحمته وسماه رجيماً حتى نعرف جميعاً أنه لن يدخل في رحمة الله أبداً.

ولو أن الله أراد خلق الناس مهديين ما استطاع إبليس أنْ يتقدم ناحية واحد منهم، والله هو الذي أعطى للإنسان حق الاختيار ولو شاء لجعله مقهوراً على الطاعة، ومن نقطة الاختيار تلك وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩] وضح الطريق، فبيّن الله لنا طريق الهدى وطريق المعصية، ثم ترك لنا أنْ نختار طاعة الله ورحمته أو معصية الله وعذابه.

ولم يعطنا الحق تبارك وتعالى هذا الاختيار إلا في فترة محدودة هي حياتنا الدنيا، فعندما يحتضر الإنسان تخمد بشريته ويصبح لا اختيار له، كما أنّ الله لم يعطنا الاختيار في كل أحداث الدنيا، بل أعطاه لنا في المنهج فقط في الطاعة أو المعصية.

علماً بأن إبليس لا يجتهد في إغواء من باع نفسه للمعصية وانطلق يخالف كل ما أمر الله به، فالنفس الأمارة بالسوء ليست بحاجة إلى إغواء لأنها تأمر صاحبها بالسوء؛ ولذلك فإنّ إبليس لا يذهب إلى الخمارات وبيوت الدعارة ويبذل جهداً في إغواء من يجلسون فيها، ولكنه يذهب إلى مهابط الطاعة وأماكن العبادة؛ لأنّ إبليس لم يقل: لأقعدن لهم على الطريق المعوج، بل قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾ فإبليس يريد أهل الطاعة ليزين لهم المعصية ويغريهم بالمال الحرام.

ثم انظر إلى آية الأعراف ١٧؛ لتجد أنّ جهات الغواية التي يأتي منها إبليس أربعة: الأمام والخلف واليمين والشمال، وكلنا يعلم أنّ الجهات ستٌّ وليست أربعاً، فماذا عن فوق وتحت ؟

هرب إبليس من هاتين الجهتين بالذات ولم يقل: سآتي من فوقهم أو من تحتهم؛ لأنه يعلم أنّ الجهة العلوية تمثل الفوقية الآلهية، وأنّ الجهة السفلية تمثل العبودية البشرية حينما يسجد الإنسان لله؛ ولذلك ابتعد إبليس عن هاتين الجهتين تماماً.

ومن العجيب أنك ترى أبواق الإلحاد في كل مكان وفي كل عصر تأتي من الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان، يقولون: تقدُّميٌّ جهة الأمام، ورجعيٌّ جهة الخلف، ويمينيٌّ جهة اليمين، ويساريٌّ جهة اليسار.

ونحن نقول: نحن لسنا في أي جهة من هذه الجهات، ولكننا أمة محمدية فوقية كل أمورنا من الله، وما دامت أمورنا من الله سبحانه فنحن لا نخضع لمساوٍ لنا، ولكننا نخضع لله العلي القدير، وما دمت تخضع لأعلى منك، فلا ذلة أبداً بل عزة ورفعة.

نحن أمة محمدية فوقية نعلن عبوديتنا وخضوعنا لله ونتبع منهج السماء ولذلك تميزنا عن البشر جميعاً؛ لأنّ كل إنسان لا يخضع لله ولا يأخذ عنه منهجه فهو خاضع لمنهج بشري وضعه مساوٍ له من البشر، والمناهج البشرية وضعت لمصلحة واضعيها أو لمصلحة مجموعة أفراد أو طبقة، ولكنّ الله تعالى يضع منهجه ليعطيك خيراً لا ليأخذ منك الخير؛ لأنه عزّ وجلّ ليس محتاجاً لما تملك ولا ما يملك كل البشر.

إذن فالعدل والخير والعزة هي في منهج السماء، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨] ،

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فذكر هاتين الجهتين بـ (من) ثم قال: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فذكر هاتين الجهتين بكلمة (عن).

٢ـ إذا قال قائل: جلس عن يمينه، فمعناه أنه جلس عن يمينه غير ملتصق به؛ لأنّ (عن) تفيد البعد والمباينة، وحيث إنّ الله تعالى قال عن الملكين: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق:١٧] والشيطان يتباعد عن المَلَك، فخصّ اليمين والشمال بكلمة (عن).

وقيل: إنّ الضرر في حصول العقائد الباطلة أو الكفر يحصل بسبب وسوسة الشيطان، فالذي بين أيدينا أي أمامنا هو الدار الآخرة، فالشيطان يحاول أنْ يشكك الناس في البعث وفي الآخرة ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾.

وإنّ المعاصي تحصل عن وسوسة الشيطان ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ فيقوم الشيطان ليزهد الناس بعمل الخير، واليمين رمز العمل الحسن؛ لأنّ كاتب الحسنات على اليمين وكاتب السيئات على الشمال فيأتي عن شمائلهم ليغريهم بشهوات المعصية، والقسم الأول أهم؛ لذلك خصّ اليمين والشمال بكلمة (عن).

٣ـ استخدم لفظ (عن) ولم يسخدم لفظ (على)؛ لأن (على) فيها استعلاء والشيطان ليس له استعلاء أبداً؛ لأنه لا يملك قوة القهر فيمنع ولا قوة الحجة فيقنع.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ هو حكاية عن إبليس بسبب أنه غلب على ظنه لما كان عازماً على تزيين الشهوات لذرية آدم أنهم سيتبعونه، لذلك لم يقل (لن)؛ لأنه لا يملك ذلك ولا يستطيع أن يكون متثبتاً من وقوع ذلك، فنفى بـ(لا).

٥ـ لم يأت الشيطان للإنسان من فوق ولا من تحت؛ لأنّ الفوقية هي الجهة التي يلجأ لها الإنسان مستغيثاً بربه، والتحتية هي الجهة العبودية الخاصة، فالعبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، لذلك فالإنسان محفوظ من تسلط الشيطان من تلك الجهتين.

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم في آية الأعراف ١٨ (مَن تبعه على ملء جهنم) وقدّم (ملء جهنم على من تبعه) في آية سورة ص٨٥ ؟

الجواب:

١ـ إنّ كلتا الآيتين في قصة آدم وإبليس، وقد تقدّم قبل هذه القصة في سورة ص الكلام عن جهنم وعذابها في الآيات (٥٥ ـ٦٤)، فلمّا تقدّم الكلام عن جهنم قدّم ما يتعلق بها وهو ملء جهنم.

وأمّا في سورة الأعراف فقد تأخر ذكر جهنم وعذابها عن هذه القصة لذلك أخّر ما يتعلق بها في القصة.

٢ـ في سورة الأعراف: تقدّم على القصة ذكر من تبع إبليس ممن أهلكهم الله من أهل القرى: انظر الآيات ٤ـ٥.

وتقدّم كذلك عتاب ربنا لأهل الأرض لقلة شكرهم، كما في الآية ١٠ فكأنه صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، فناسب تقديم مَن اتبعوه في الأعراف من هذه الناحية. والله أعلم.

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في آية البقرة ٣٥ ﴿وَكُلَا﴾ و آية الأعراف ١٩ ﴿فَكُلَا﴾ فما السبب؟

الجواب:

قيل: إنّ السكنى في البقرة للإقامة وفي الأعراف اتخاذ المسكن، فلمّا نسب الله القول إليه ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل؛ ولذلك قال فيه: ﴿رَغَدًا﴾ وقال: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ لأنه أعم.

وفي الأعراف قال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل بعد اتخاذ السكنى. وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ لا يعطي عموم معنى ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَتَكُونَا﴾ هل هو جواب الطلب للفعل ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾؟ وما دلالة جواب الطلب في النحو؟

الجواب:

يجزم الفعل المضارع بعد أدوات الجزم الظاهرة مثل:[لم ـ لما ـ لام الأمر ـ لا الناهية].

وقد يجزم بغير أداة ظاهرة، وهو الذي يسميه النحاة الجزم بجواب الطلب، نحو: زرني أزرْك، والنحاة تقدر المعنى: إنْ تزرني أزرْك.

وهذا الأسلوب أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومرتبط به ارتباط الجزاء بالشرط، فإن لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم.

* شواهد قرآنية:

- ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِىَ رِدۡءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ [القصص:٣٤] فإنه رفع (يصدقني)؛ لأنه ليس على إرادة الشرط، إذ ليس معناه: (إنْ ترسله يصدقني)، وإنما المعنى: أرسله ردءاً فإنه يصدقني.

وفي قوله: (يصدقني) قراءتان بضم القاف وسكونها، أي أنّ القراءتين جمعتا معاني الشرط والوصفية والاستئناف.

- ﴿فَهَبۡ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم:٥-٦] لم يقصد الجزاء فرفع.

- ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِى خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام:٩١].

- زرني أزرْك، مجزوم لأنّ فيه معنى الشرط.

- زرني أزورك، بالرفع لأنّ ليس فيه معنى الشرط وإنما المعنى: أنا ممن يزورك.

تخلف فعل الجزاء عن معنى الشرط:

١- فعل الجزاء إذا تخلف عن معنى الشرط لا يصح جزمه، وهذا يكون غالباً في الشرط بعد النهي أو النفي.

آ ـ ففي النهي لا يصح أن تقول: لا تدن من النار تحترقْ، بالجزم؛ لأنه لا يصح أنْ تقول: إنْ لا تدن من النار تحترق، بخلاف قولك: لا تدن من النار تسلمْ، فإنه يصح القول: إنْ لا تدن من النار تسلم، ولذا يجزم الفعل: (تسلم) ولا يجزم الفعل: (تحترق).

ب ـ وأمّا في النفي فلا يجوز إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت، لذلك يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد فيأكلَك، فالفاء هنا لبيان علة عدم الاقتراب من الأسد.

بينما لا يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد يأكلْك، فإنه لا يصح فيه الجزم؛ إذ لا يقال: إنْ لا تدن من الأسد يأكلْك.

٢ـ أنّ ما نصب بعد فاء السببية في الطلب إذا أسقطت منه الفاء جزمت.

تقول: أين بيتك فأزورَك، فالفعل منصوب بعد فاء السببية فإذا أسقطت الفاء منه وبقي في الجملة معنى السبب جزمت، فتقول: أين بيتك أزرْك، وهذا يدل على أنّ معنى الجزم أنْ يكون الثاني مسبباً عن الأول وهو المقصود من الشرط، فإنْ لم يصح تقدير الشرط بعد إسقاط الفاء لم يصح جزم الفعل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف:١٩].

ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:٧٣].

ـ ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

ـ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر:٣٦].

في هذه الأمثلة لا يصح إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت الفاء، فلا يصح: إنْ لا يُقض عليهم يموتوا، وأمّا الفاء فهي لبيان العلة والسبب.

<u>الملخَّص والنتيجة:</u>

١ـ جواب الطلب هو أُسلوب شرطي، لكنه مختلف عن أسلوب الشرط المشهور والذي يتضمن أداة الشرط وفعله وجزاءه، نحو: إنْ تزرني أزرك، ووجوه الاختلاف هي:

آ ـ أنّ الارتباط هنا ليس بأداة الشرط، بل بمعنى الجزاء.

ب ـ أنّ الشرط في الأسلوب المشهور يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً بينما في جواب الطلب يكون الشرط فيه طلباً دائماً.

ج ـ في الشرط المشهور ترتبط الأسباب بمسبباتها، بينما في جواب الطلب تتحقق هذه الفائدة ويتحقق معها إفادة معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ مما لا يتحقق بالشرط.

٢ـ في حالة وجود فاء السببية لا يصح إسقاط الفاء من جواب الطلب وجزمه، لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت في النهي والنفي، والفاء لمجرد بيان السبب وأما إسقاطها فعلى إرادة الشرط والجزاء، وهناك فرق في المعنى بين ذكر الفاء وإسقاطها والجزم على الطلب.

* شواهد على الفاء:

آ ـ ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨].

لا يحسن إسقاط الفاء؛ لأنَّ الاستفهام مستمر إلى ما بعد الفاء، بخلاف ما لو جزمت فسينقطع الاستفهام ويصبح أسلوباً شرطياً، بمعنى: إنْ كان عندكم علم تخرجوه لنا، وهو مخالف للمقصود.

ب ـ ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٦٧] فإنَّ التمني مستمر إلى ما بعد الفاء.

ج ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] فالاستفهام مستمر بخلاف ما لو أسقطت الفاء وجزمت فإنَّ المعنى لا يصح.

د ـ ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ الْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ السَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] فلا يحسن إسقاط الفاء من (فأطلعَ)؛ لأنَّ الترجي مستمر إلى ما بعد الفاء، ولو جزمت فقلت: أطلعْ، فسيكون المعنى: إذا بلغت الأسباب اطلعت إلى إله موسى، وهذا غير مراد، ولا يصح المعنى.

هـ ـ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠] فقد نصب الفعل بعد الفاء ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ ثم عطف عليه بالجزم (وأكنْ)، فأسقط الفاء على إرادة الشرط ولو عطف لكانا شيئاً واحداً.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النزغ والوسوسة في الآيات ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠] و ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠] ؟

الجواب:

النزغ: هو الإفساد بين الأصدقاء تحديداً، أو بين الإخوان، أو بين الناس: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٦] ومعناه: أنْ يحمل بعضهم على بعض بإفساد ما بينهم، هذا هو النزغ في اللغة، أنْ يغري بعضهم ببعض ويفسد بينهم.

الوسوسة: شيء آخر، وهي عامة، الشيطان يزين للمرء أمراً أو معصية، فالوسوسة عامة والنزغ خاص بأن يحمل بعضهم على بعض وأنْ يفسد بينهما.

١ـ قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠]، فلم يقل (وسوس)؛ لأنه مع آدم وحواء لم يكن هناك خصومة بينهما، لكن مع إخوة يوسف كان هناك خصومة، فقد حاولوا أنْ يقتلوا يوسف فأفسد بينهم.

والوسوسة عامة؛ لأنه يدخل فيها النزغ. وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠] هي الحالة الخاصة لما حدث بين يوسف وإخوته، وهذا هو المعنى اللغوي.

٢ـ يقولون أصل الوسوسة: الصوت الخفي، ويكون مسموعاً أحياناً وأحياناً يكون غير مسموع: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٥] أحياناً لا يُسمع وإنما يبقيه الشيطان في نفس الإنسان ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٤-٥] والصدر هو الممر إلى القلب، فإذا وسوس الشيطان في الصدر ملأ الساحة بالألغام، كما يفعل الأعداء في الحرب.

وقد تكون الوسوسة بالكلام المسموع، همس أو كلام خفي بينك وبين أحد، بدليل أنه لما وسوس إبليس لآدم كان كلاماً باللسان ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه:١٢٠] سماها القرآن وسوسة، ثم قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف:٢١] قاسمهما، أي: حلف لهما بالله، ولذلك لما عاتب ربّ العالمين آدم قال آدم: يا رب ما كنت أظن أحداً يحلف بك كاذباً.

فالوسوسة إذن تكون في الصوت المسموع أحياناً وبالصوت غير المسموع أحياناً.

السؤال الثاني:

يقولون إنّ الشيطان حاول أن يوسوس لآدم فلم يقدر عليه ثم تحول لحواء فقدر عليها، فهل هذا صحيح؟

الجواب:

هو أصلاً لم يذكر حواء في الوسوسة، فهو إما أن يقول: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه:١٢٠] أو ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:٢٠] وما أفرد حواء. ربنا يخبرنا ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه:١٢٠] ثم قال:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠] فليس هنالك آية أفرد فيها حواء. إمّا أنْ يقول آدم أو يجمعهما معاً. حتى في قوله (فتشقى) هو الذي يكدح، ولم يقل: فتشقيا.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين العورة والسوءة ؟

الجواب:

العورة: هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، ومنها ستر البيت بسياج عال؛ حتى لا يرى الناس فيه جمال البيت وجمال من فيه.

السوءة: هي كل شيء تستره عن الناس لقبحه كاللباس.

السؤال الرابع:

ما دلالة الشجرة في الجنة التي وردت مع قصة آدم عليه السلام ؟

الجواب:

١ـ شجرة الجنة التي أكل منها آدم عليه السلام، وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، وليس لنا شغل بها ولا فائدة من الخوض في تفاصيلها.

٢ـ وردت في سياق التحذير في آية البقرة ٣٥﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فهي قريبة منهما حتى يتعرفا عليها وحتى لا يقول آدم وحواء إنها اختلطت عليهما بغيرها، فقال: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لبيان القرب.

٣ـ لمّا جاء إبليس لغوايتهما قربهما منها حتى وصلا إليها فقال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ فجاء بـ﴿هَٰذِهِ﴾ دلالة على القرب.

٤ـ لمّا ذاقا الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وأحسّا بما ارتكباه هربا فابتعدا فناداهما الله وقال: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾، فاستعمل ﴿تِلْكُمَا﴾ دلالة على البعد.



﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

خاطب تعالى آدم وحده ومرة خاطب آدم وحواء والخطاب كان مرة واحدة بصيغ متعددة، فكيف نفهم الصيغ المتعددة في الخطاب؟

الجواب:

لم يكن الخطاب مرة واحدة. وربنا قال في القرآن: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ،﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١١٧] وهذا الخطاب غير ذاك الخطاب: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه:١٢٣] ،﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]، ولمّا قال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف:١٩] غير: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] هذا وقت متغير.

السؤال الثاني:

ذكر تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وورد ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة:٣٥] فلماذا قال (تلكما) ولم يقل (تلك)؟

الجواب:

١ـ لّما عاتبهما ربهما قال: ﴿تِلْكُمَا﴾ وهي تعني واحدة، ولكنّ المخاطب اثنان وليستا شجرتين، وللجمع (تلكم) الشجرة، المخاطب آدم وحواء فقال: (تلكما).

٢ـ هذه الكاف تسمى حرف خطاب، وفيه لغتان:

آ ـ الأولى تكون في المفرد المذكر أياً كان المخاطَب، تقول: تلك الشجرة سواء كان المخاطب واحداً أو اثنين أو جمع.

ب ـ الثانية أنْ تجعل حرف الخطاب بحسب المخاطَب، فلو كانت امرأة نقول تلكِ الشجرة، مثلما قال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ [مريم:٢١] ويمكن أنْ نقول كذلكَ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] برهانان اثنان (ذان) للبرهانين و(كـ) للمخاطب، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف:٣٧] كان يمكن أن يقول (ذلك)، لكنه يقصد الذي قاله: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] (ذلك) إشارة ليوسف، و(كُنّ) حرف خطاب للنسوة، إذن هذه الكاف هي حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً ويمكن أنْ يكون في حالة المخاطَبين. قال الشاعر:

أَبِينِي أفي يُمنى يديك جعلتني ... فأفرح؟ أم صيّرتني في شمالكِ؟
أبيت كأني بين شقين من عصا ... حذار الردى أو خيفة من زيالكِ
تعاللت كي أشجى وما بك عِلّةٌ ... تريدين قتلي قد ظفرت بذلكِ

إذن (تلكما الشجرة)، (تلك) للشجرة و (كما) للمخاطَب؛ أي لآدم وحواء.



﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأعراف ٢٣: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]، وكذلك في آية هود ٤٧: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ فاستعمل (إنْ) ولم يستعمل (لئن)، كما في آية الأعراف ١٤٩: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، فما السبب ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: (إنْ) مع التخفيف، و(لئن) مع زيادة التوكيد، أي: بزيادة اللام.

البيـان:

آية هود ٤٧ بدون توكيد وآية الأعراف ٢٣ بتوكيد الجواب باللام وآية الأعراف ١٤٩ بتوكيد الجواب وباللام الموطئة قبل الشرط، فالثالثة آكد من الثانية، والثانية آكد من الأولى، وذلك حسبما يقتضيه السياق.

١ ـ سياق آية الأعراف ١٤٩ في بني إسرائيل بعدما عبدوا عجلاً ذهباً واتخذوه إلهاً لهم، وهو كفرٌ صريح وضلالٌ مبين، ولذلك عند توبتهم أكّدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف:١٤٩].

٢ ـ آية الأعراف ٢٣ هي على لسان آدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عنها، وهذه المعصية أقل من معصية بني إسرائيل؛ فإنّ معصية قوم موسى كفر؛ لأنه عبادة لغير الله، ولم يفعل ذلك آدم بل هو مقرٌّ بربوبية الله ومقرٌّ بعبوديته لربه، وإنما هي لحظة ضعف أدركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أنْ تخرجهم عن دينهم ثم يتوبون عنها.

ألم تر كيف وصف بني إسرائيل بالضلال فقال: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ [الأعراف:١٤٩] ولم يصف آدم بذلك، فلمّا كانت المعصية أقل حذف اللام الموطئة التي تفيد التوكيد.

٣ ـ آية هود ٤٧ هي على لسان نوح عليه السلام، وذلك أنه سأل ربه أن ينجي ابنه من الغرق؛ لأنّ الله وعده أنْ ينجي معه أهله فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود:٤٥]، فقال الله له: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود:٤٦] فطلب نوح المغفرة والعفو لسؤاله، وهذا ليس بمعصية كمعصية آدم، وإنما فهم نوح أنّ ابنه يدخل مع أهله الناجين، فبيّن الله أنه ليس من أهله لأنه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل، لذلك لم يأت الكلام مؤكداً، فأنت ترى أن التوكيد يتناسب وقدر المعصية.

ثم ألا ترى في آية الأعراف ١٤٩ كيف قدّم الرحمة على المغفرة مع بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف:١٤٩] بخلاف الآيتين الأخريين، فإنه قدّم المغفرة على الرحمة، وذلك لأنّ الرحمة أعم وأوسع من المغفرة، فالرحمة لعموم الخلق حتى البهائم، ويدخل في رحمة الله المؤمن والكافر، حتى البهائم تعيش برحمة الله وتتراحم فيما بينها، ولا يصح وصفها بالمغفرة، فإذا طرد أحد من رحمة الله فلا مطمع له في شيء بعد، أمّا المغفرة فتأتي بعد الرحمة، وهي رحمةٌ خاصةٌ بالمؤمن، فالرحمة تأتي أولاً ثم المغفرة، فمن لا يرحمه الله لا يغفر له، ومن غفر له كان مرحوماً وليس كل مرحوم مغفوراً له؛ ولذا قدّم هؤلاء الذين كفروا وضلوا الرحمة على المغفرة، فهم كانوا أحقاء بأنْ يُطردوا من رحمة الله إذا بقوا على ذلك، ولذا طلب هؤلاء الرحمة أولاً ليكونوا كعموم الخلق الداخلين في رحمته ثم المغفرة فيما بعد، وهذا يتناسب مع كبر معصيتهم فأرادوا أنْ يشملهم ربهم برحمته ليكون ذلك مرقاة إلى المغفرة، بخلاف الآيتين السابقتين، فليس الأمر فيهما كذلك.

فيا سبحان الله! ما أفخم هذا الكلام وما أعظمه !

السؤال الثاني:

أكد بـ (إنّ) في آيات غافر٢٧ـ والدخان٢٠ـ وهود٤٧ـ ومريم١٨ـ وآل عمران٣٦ـ ولم يؤكد بإنّ في البقرة ٦٧ـ والمؤمنون٩٧، والمعوذتين، فلماذا؟

الجواب:

الاستعاذة تكون على قدر ما يحذره المستعيذ ويخافه، وكلما زاد الحذر زاد التأكيد بالاستعاذة، فيقول: (إني أعوذ)، وإلا قال: (أعوذ).

و التأكيد بـ (إنّ) يكون على قدر المعصية، كما أنّ التأكيد بها هو على قدر ما تقتضيه الاستعاذة.

لمزيد من التفصيل انظر آية آل عمران ٣٦.



﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحياة والموت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

في معاجم اللغة: الحياة نقيض الموت والموت ضد الحياة، والحياة هي البقاء والنمو.

والسؤال هو: ما دلالة الحياة والموت في القرآن الكريم ؟

١ـ وردت كلمة الحياة ومشتقاتها في القرآن الكريم في ١٧٢ آية، ووردت كلمة الموت ومشتقاتها في ١٣٤ آية، وهما في كثير من هذه الآيات حملتا المعنى اللغوي الأساسي للحياة والموت.

ولكنّ دلالة كل منهما تطورت بعد ذلك حتى اتخذت معنىً جديداً لم يعرفه العرب قبل نزول القرآن الكريم.

شواهد قرآنية على المعنى اللغوي للحياة والموت: آيات [الأعراف ٢٥ ـ البقرة ٢٨].

٢ـ أمّا المعنى الجديد الحقيقي الذي وضعه القرآن للحياة، فهو أنْ يعيش المرء مؤمناً بالله عابداً له متمسكاً بدينه لا يرضى عنه بديلاً ولا يشرك بربه أحداً، فهذه هي الحياة الحقة الصحيحة وما دونها الموت.

أمّا الميت فهو الذي يكفر بآيات الله ويجحد بها، أي: أنّ الميت هو الإنسان الضال ثم يحييه الله تعالى بالنور الذي ينشره الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر:١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣]

ما الأعمى هنا وما البصير وما الظلمات وما النور ؟ وما الظل وما الحرور ؟ وهل بعث النبي ﷺ ليدعو من في القبور ؟ أم أنها قبور الناس الأحياء الذين يعيشون بعيدين عن دين الله وعن نور الله، فإذا استجابوا لله ولرسوله فقد دخلوا في الحياة الحقيقية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال:٢٤]

على هذا المعنى الجديد للموت والحياة يمكن أنْ يكون الإنسان في هذه الدنيا حياً وميتاً في آن واحد، كما يمكن أنْ يكون الإنسان الذي فارق الحياة حياً في الوقت نفسه.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ تأمل هذا التصوير الرائع لمعنى التقوى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾، إنه تشبيه لملازمة تقوى الله بملازمة اللابس لثيابه، وحسبك قليل من التحول لتشهد كيف تتحول تقوى الله وخشيته إلى لباس يستر عورات النفس ويزين صاحبها بكمالات الأخلاق الرفيعة، كما أنّ بعض الجسد يستر عوراته، ولا شك أنّ عورات النفس أشد فظاظة؛ ولذلك لا بدّ من سترٍ يمحو أثرها فكانت التقوى خير لباس لها.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة اللباس في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧ .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ حَيۡثُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾؟ هل تفيد الزمان أو المكان؟

الجواب:

﴿ حَيۡثُ ﴾ الأصل فيها أنها للمكان، وقسم يقول: قد تخرج إلى الزمان، لكنْ هي عند جمهور النُّحاة للمكان، وهنا هي للمكان؛ لأنّ السياق هو في تحذير بني آدم من الشيطان: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف:٢٧] وهنا التحذير من عدو لا يُرى ويكون أخوف عندما يأتيك من مكان لا تراه فيكون أخوف وأشدّ.

وجاء بـ (إنّ) وبالهاء التي هي ضمير الشأن، إذن هنا أنسب شيء أنْ يقول: ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ أي: يأتيكم من مكان وأنتم لا تبصرونه وهو عدو لكم، فكيف يكون إذا جاءك عدوك من مكان لا تراه؟! لذا هي قطعاً للمكان وهي أنسب مكان للتحذير.

السؤال الثاني:

ماذا يقصد بالسوءة ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ ؟ وما وجه الشبه بين هذه السوءة و(ظن السوء) في سورة الفتح (١٢) ؟

الجواب:

١ـ السوءة هي العورة. السَّوْء يعني السيِّء، السَّوْءُ مصدر: ساءه سوءاً والسُوء هو الاسمُ.

قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح:١٢] وقال: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه:٢٢] من غير سُوء أي من غير مرض أو علة، أما السَّوْءُ فهو المصدر.

٢ـ هناك فرق بين المصدر والاسم مثلاً: نقول الذَّبح والذِّبح، الحملُ والحِمل، الوضوء والوَضوء.

ـ الحَمْل مصدر والحِمل ما يُحمل ﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه:١٠١] يحمل على الظهر، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام:٣١].

و الحَمل هو المصدر أو ما لا يرى بالعين ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف:١٨٩].

ـ الذَّبح هي عملية الذَّبح، أمّا الذِّبح فهو ما يُذبح كبش أو غيره ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات:١٠٧]. والوُضوء عملية التوضؤ والوَضوء هو الماء الذي يُتوضأ به.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾ ما الفرق بين العورة والسوءة ؟

الجواب:

العورة: هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، ومنها ستر البيت بسياج عالٍ؛ حتى لا يرى الناس فيه جمال البيت وجمال من فيه.

السوءة: هي كل شيء تستره عن الناس لقبحه كاللباس.



﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية مبنية على تمثيلٍ لكمال الإقبال على عبادة الله في موضع عبادته، كيف ذلك؟

الجواب:

تخيل حال المتهيء لمشاهدة أمر عظيم حين يوجه وجهه إلى صوبه لا يلتفت يمنة ولا يسرة فذلك التوجه المحض يطلق عليه إقامة؛ لأنه جعل الوجه قائماً في التوجّه، فتكون بذلك إقامة الوجوه تمثيلاً لكمال الإقبال على الله كأنه يراه أمامه.

السؤال الثاني:

لماذا اختلفت صيغة ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٦] عن صيغة ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ [النحل:٥٢] و صيغة ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٤٦.



﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ظاهرة تذكير الفاعل المؤنث في القرآن الكريم كما جاء في كلمة (الضلالة)؟

الجواب:

تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم. فإذا قصدنا باللفظ المؤنّث معنى المذكّر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بـ(الحمل على المعنى)، وقد جاء في قوله تعالى عن الضلالة: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾ [الأعراف:٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل:٣٦].

ونرى أنه في كل مرة يذكر فيها الضلالة بالتذكير تكون الضلالة بمعنى (العذاب)؛ لأنّ الكلام في الآخرة: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف:٢٩] وليس في الآخرة ضلالة بمعناها؛ لأنّ الأمور كلها تنكشف في الآخرة، وعندما تكون الضلالة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا، فلمّا كانت (الضلالة) بمعناها هي يؤنّث الفعل.



﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا الاستفهام في الآية ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ تخرج الأساليب في نظم القرآن عن حقيقتها، فتأمل الاستفهام في الآية كيف خرج من معناه الحقيقي إلى الإنكار بغرض التهكم، إذ جعل من حرم زينة الله على العباد جهلاً منه بمنزلة أهل علم يطلب منهم البيان والإفادة.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة الزينة والطيبات والرزق في الآية ؟

الجواب:

الزينة بشكل عام هي الثياب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور:٣١] و ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] وتشمل كذلك الزينة جميع أنواع التزيين من الحلي وتنظيف البدن والمركوب والطيبات من الرزق وما يشتهيه الإنسان من أنواع المأكولات والمشروبات والتطيب والتمتع بالنساء.

نحن في الآية أمام حالتين:

١ـ حالة في الدنيا: وفيها يعطي اللهُ الزينة للمؤمن والكافر، فهو عطاء الربوبية، وربما كان الكافر أكثر حظاً في الدنيا من المؤمن.

٢ـ حالة في الآخرة: تكون الزينة خالصة للمؤمنين لا يشاركهم فيها الكافرون، وهذا عطاء الألوهية.

٣ـ كلمة ﴿خَالِصَةً﴾ منصوبة على أنها حال، وفي قراءة مرفوعة على أنها خبر من بعد خبر، كما تقول: زيد لبيب عاقل، أي: هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ لهم يوم القيامة، أي: أنها جملة اسمية تفيد الثبوت.

٤ـ الرزق: قال الشعراوي رحمه الله في الرزق:

تحـــــرَّ إلى الـــــرزق أســـــبابه ولا تشـــــغلَنْ بعـــــدها بالكـــــا

فإنـــــك تجهـــــل عنوانـــــه ورزقـــــك يعـــــرف عنوانكـــــا

السؤال الثالث:

هل تمتع الإنسان باللذة مذموم ؟

الجواب:

اللَّذة من حيث هي مطلوبةٌ للإنسان ولكل حيٍّ فلا تُذمُّ من جهة كونها لذة، وإنما تذم ويكون تركُها خيراً من نيلها إذا تضمنت فواتَ لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألماً حصوله أعظم من ألم فواتها.

فها هنا يظهر الفرق بين العاقل الفَطِن والأحمق الجاهل، فمتى عَرَفَ العقلُ التفاوتَ بين اللذتين والألمين، وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا، والمعوّل في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة واحتمل الألم الأسهل على الأصعب.



﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الظلم والهضم والبغي والسحت والحرام والخطيئة والأثيم والآثم ؟

الجواب:

١ـ الهضم هو نقصان بعض الحق، ولا يقال: لمن أُخذ جميع حقه قد هُضِم، وفي القرآن: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:١١٢] أي: لا يمنع حقه ولا بعض حقه، وأصل الهضم في اللغة النقصان.

٢ـ الظلم يكون في البعض وفي الكل.

٣ـ البغي هو شدة الطلب لما ليس بحق عن طريق الغلبة، والبِغاء هو الزنا، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: يريد الترؤس على الناس بالغلبة والاستطالة.

٤ـ السُّحت: هو المبالغة في صفة الحرام؛ ولهذا يقال: حرامٌ سُحت، ولا يقال: سحتٌ حرام.

٥ـ الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الإثم إلا تعمداً، ثم كثُر ذلك حتى سُميت الذنوب كلُّها خطايا كما سُميت إسرافاً، والإسراف هو مجاوزة الحد في الشيء.

٦ـ الأثيم: المتمادي في الإثم، والآثم فاعل الإثم.



﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا عدل الله عز وجل في الآية عن ذكر العذاب أو الاستئصال مع إرادته لذلك، وذكر الأجل فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ ؟

الجواب:

لقد عدل الله عز وجل عن ذكر العذاب أو الاستئصال مع إرادته لذلك وذكر الأجل فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وما ذاك إلا إيقاظ لعقولهم من أنْ يغرهم الإمهال، فيحسبوا أنّ الله غير مؤاخذهم على تكذيبهم، كما أنه ذكر عموم الأمم في هذا الوعيد، مع أنّ المقصود هم المشركون من العرب الذين لم يؤمنوا، وهذا مبالغة في الإنذار والوعيد بتقريب حصوله كما حصل لغيرهم من الأمم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ألا ترى أن ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ لا تعلق له بغرض التهديد، فمنتظرُ الوعيد يسأل التأخير لا التقديم، وهذه السورة من روائع البيان القرآني، فكل ذلك مبني على تمثيل حالة الذي لا يستطيع التخلص من وعيد أو نحوه بهيئة من احتبس بمكان لا يستطيع تجاوزه إلى الأمام ولا إلى الوراء.

السؤال الثاني:

هل ثمة من يستعجل الموت ويستقدمه ؟

الجواب:

في الآيات الثلاث: الأعراف ٣٤ـ يونس ٤٩ـ النحل ٦١ـ بعض المعاني المشتركة:

١ـ كل الآيات تصدرت بتأكيد الأجل حيث لكل أمة أجل محدد وكل نفس ذائقة الموت.

٢ـ كل الآيات اشتملت على ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:٤٩].

٣ـ كل الآيات تقدم فيها الاستئخار على استقدام الموت.

ملاحظات على ما تقدم:

أ ـ الأجل قد يكون للفرد الواحد، وقد يكون للأمة جميعاً مثل العذاب الذي نزل في الأمم السابقة كالصيحة أو الصاعقة أو غيرها.

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:٤٩] يعني الموت المفاجىء الذي لا يستطيع الإنسان معه التوبة أو الوصية أو يغير من سلوكه شيئاً، وأمّا الموت البطيء المعروفة أعراضه ويستطيع الإنسان أنْ يفعل ما يشاء قبل حلوله فقد عبّر عنه القرآن بتعبير حضر الموت، كما في آية البقرة ١٨٠ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة:١٨٠].

ج ـ وأمّا استئخار الموت على استقدامه، فهذا أمر طبيعي يتفق وحب الإنسان للحياة، حيث يشب الإنسان وتشب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل، وفي هذا تصوير للقرآن الكريم في أعماق النفس البشرية.

وأمّا أن يطلب الإنسانُ الموتَ فهذه صفة نادرة سجلها لنا التاريخ الإسلامي في نماذج نادرة ممن تمنوا الموت واستقدموه، وهذه النماذج موجودة في كل عصر، ولكن بنسب مختلفة.

ويُروى عن سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه عندما أحس بالموت أشرق وجهه وصار يهتف بينه وبين نفسه:

غـــــــداً ألقـــى الأحبـــــــة محمـــــــــــداً وصحبـــــــــــــه

السؤال الثالث:

ما دلالة تقديم ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ على ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ في آيتي الحجر٥ والمؤمنون٤٣، بينما قدّم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾على ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ في آية الأعراف٣٤ ؟

الجواب:

نلاحظ في آيات القران الكريم أنه يقدم دائماً (ما تسبق من أمة أجلها) على (ما يستأخرون) في مقام الإهلاك والعقوبة.



﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾

السؤال الأول:

ورد في الآية عدد من حروف الجر، ما معاني حروف الجر ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٦.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال في الأنفال٣٥: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال:٣٥] وقال في الأعراف٣٩: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف:٣٩]، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ آية الأنفال ٣٥: في قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية فناسب ﴿تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢ـ آية الأعراف٣٩: في قوم ضلوا وأضلوا غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب لزيادة الكسب في الضلالة.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة معنى الحرمان من الخيرات الإلهية المحضة واستحالة دخولهم الجنة في هذه الآية ؟

الجواب:

اقرأ الآية وتأمل هذه الصورة القرآنية التي ترسم في خيال سامعها صورة متخيلة لفتح أبواب السماء كلها وليس باباً واحداً، وصورة متخيلة أخرى لولوج الجمل في سم الخياط وهو ثقب الإبرة، وتدب الحركة في هذه الصورة التخيلية بتخيل محاولات الجمل اليائسة المتكررة دخول ثقب الإبرة، إنها صورة جامعة لمعنى الحرمان من الخيرات الإلهية المحضة واستحالة دخولهم الجنة بعدها.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الجمل أحياناً تُقرأ الجُمّل بالتشديد، فهل يختلف المعنى بهذه القراءة؟

الجواب:

١ـ كلمة الجمل في اللغة لها أكثر من معنى.

آ ـ فمن معانيها الحيوان المعروف (الجمل) الذي هو الناقة والإبل والبعير والجمل، هذا معنى من معانيها.

ب ـ ومن معانيها: هو اسم لجنس سمك معيّن، العرب تسميه الجمل (سمكة في البحر تسمى جملاً).

ج ـ ومن معانيها: الحبل الغليظ.

٢ـ عندما نجد معاني متعددة للكلمة نحاول أنْ نرى العلاقة بين الألفاظ. فكلمة سم الخياط وهو ثقب الإبرة أو خرم الإبرة، هذا الثقب يناسبه الخيط وليس الجمل الحيوان،

لكن لا يمنع أنْ يكون المُراد هو الجمل، لكنّ الأكثر موافقة لصورة النص هو أنْ يكون الحبل الغليظ أو الذي تشد به السفن ويكون في غاية الغلظ.

٣ـ توجد قراءة شاذة، و كلمة (شاذة) لا تعني أنها خطأ، وإنما تعني أنه لم يكن يقرأ بها جمهور عظيم من الناس. وأهل مكة جميعاً كانوا يقرأون هكذا: (الجَمَل) .

لكنّ ابن محيصن، وهوأحد العلماء كان في مكة وكان يقرأ بروايات من قبائل قليلة، فقرأ: (الجُمّل) بتشديد الميم وضم الميم ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فلما قرأها وهي ليست قراءة أهل مكة التي هو مقيم فيها لم يقرّوها وجعلوه قارئاً شاذّاً، لأنه كان يقرأ بقراءة من خارج بلدهم.

٤ـ فما دام عندنا هذه القراءة والجَمَل له معنيان: الأول: الحبل الغليظ، وله معنى آخر وهو الحساب الخاص بالأرقام ويسمونه حساب الجُمّل. والحساب لا شأن له هنا ، فإذن ما بقي إلا الحبل الغليظ.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام فعل (يلِج)؟

الجواب:

يلج بمعنى (يدخل)، ولم يقل (يدخل)؛ لأنّ الدخول قد يكون براحة. أمّا الولوج إلى المكان ففيه شيء من التضييق في المكان. ولوج شيء في شيء يعني كأنما يكون هناك تماسّ في الولوج، لذا قال (يلِج) وتكون الحركة قليلة.

أمّا (الدخول) فالدخول يكون واسعاً. قال (يلج) لأنه سم خياط وعادة يمس الخيط - حتى الخيط الرفيع- الأطراف.

السؤال الرابع:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ سمّ الخياط: هو ثَقْب الإبرة، والإبرة معروفة وهي التي يُخاط بها.

٢ـ وفي الآية دلالة على استحالة دخول هؤلاء الذين هذه صفاتهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف:٤٠]. ولاحظ أنه لم يقل: (كذّبوا آياتنا)، وإنما قال: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف:٤٠] و(الباء) فيها معنى التأكيد.

و(كذّب) بمعنى (نسب الآيات إلى الكذب)، لكن كان يمكن أن يُعدّيها من غير باء، يقول: كذّبته أي نسبته الكذب، لكنْ أدخل الباء إشارة إلى أنهم يريدون أنْ يلصقوا الكذب بالآيات إلصاقاً؛ لأنّ (الباء) الأصل فيها الإلصاق، وإنْ كان فيها معنى الزيادة والتوكيد ،وكأنهم يريدون أنْ يرغموا فكرة الكذب إرغاماً لتلتصق بآياتنا. و في هذا بذل جهد للتكذيب.

٣ـ قوله ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ﴾ هذا هو الاستكبار والتعالي. وما قال: (استكبروا عليها)؛ حتى لا تكون الآيات تحتهم وإنما قال (عنها)، أي تجنبوها وانحازوا عنها. والذي يبذل جهداً ويشتغل في تكذيب الآيات بنوع من الاستكبار لا تفتّح له أبواب السماء، والسماء لها أبواب تحملها على الحقيقة أو على المجاز، وتوجد أحاديث صريحة بهذا.

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة التخييلية لأنواع العذاب في نار جهنم ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف:٤١] صورة جديدة متخيلة لألوان العذاب في نار جهنم، فانظر كيف تنقلب الألفاظ عن حقيقتها، فالمهاد والغواشي ما يفرشه الإنسان ويتغطى به عند اضطجاعه للنوم، وفي الآية تتحول هذه الوسائل المريحة إلى أدوات للعذاب، فشبّه البيان الإلهي ما هو تحتهم من النار بالمهاد وما هو فوقهم منها بالغواشي، كناية عن انتفاء الراحة لهم في جهنم، أعاذنا الله من حسيسها، ولا يخفى ما في هذه الآية من التهكم والسخرية بأولئك الذين اتخذوا فراشاً وثيراً في الدنيا فأُبدِلوا هذا الفراش بفراش آخر، ولكنه في نار جهنم.



﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر الجنة في هذه الآية وذكر الجنة والرحمة في آيات أخرى كما في آية آل عمران ١٠٧؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٧] وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢]

٢ـ الجنة مخلوقة لله وهي باقية بإبقاء الله لها، بينما الرحمة باقية ببقاء الله تعالى وهذا ضمان كاف، فمن يرى اللهُ فيه حُسنَ العبادة لذاته ـ سبحانه ـ يضعه الله في الرحمة.

٣ـ هناك جنة من الجنات اسمها ﴿عِلِّيُّونَ﴾ [المطفِّفين:١٩] ليس فيها متعة من المتع التي سمعنا عنها في الجنة من أكل لحم الطير والفواكه وليس فيها إلا أنْ ترى وجه الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وما دام العبد لا يأكل في الجنة عن جوع وإنما عن متعة، فما الأفضل له جنة المتع أو متعة رؤية وجه الله ؟ أي أتتمتع بالنعمة أم بالمنعم ؟

لا شك أنّ التمتع بالمنعم أرقى وأسمى من التمتع بالمتع الأخرى.

إضافة إلى أنّ رحمة الله تحيط بهم، ويؤكد الحق أنهم داخلون فيه بظرفية جديدة بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢].

فالحق يطمئننا في الآية أنّ قوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٧] هي للدخول إلى الرحمة، وأنّ قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢] أي أنها لا تنزع منهم أبداً، فهم خالدون فيها. اللهم اجعلنا منهم اللهم آمين.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

السؤال الأول:

الخطاب في هذه الآية في الآخرة بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، وعبَّر عنه بالنداء، فلِمَ اختير النداء دون القول أي عندما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٤٤] ؟

الجواب:

إنّ في خطاب أصحاب الجنة لأصحاب النار بالنداء دون القول كناية عن بلوغه أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد، فإنّ سعة الجنة وسعة النار تقتضيان ذلك، لا سيما مع قوله: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌۚ﴾ [الأعراف:٤٦].

السؤال الثاني:

قال في أصحاب الجنة: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف:٤٤] وقال في الكافرين: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الأعراف:٤٤] فما السبب ؟

الجواب:

قال في أصحاب الجنة: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف:٤٤] وقال في الكافرين: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الأعراف:٤٤]، وذلك أنّ الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد والوعيد، وليسوا

منكرين لما وعدهم به فقط ،فكأنه قال: هل وجدتم وعد ربكم حقا ؟ بخلاف المؤمنين فإنهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربهم من الخير والكرامة.

وكذلك أطلق الوعد ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأنّ الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم، فأطلق لذلك.

السؤال الثالث:

إذا كانت الجنة في أعلى السماوات والنار في أسفل الأرضين، فمع هذا البعد الشديد كيف يصل النداء ؟

الجواب:

هذا بقدرة الله تعالى وفي الآخرة لا أسباب بل بـ(كن) التي هي لله، والبعد الشديد والقرب الشديد ليسا من موانع الإدراك.

السؤال الرابع:

هل هذا النداء يقع من كل أهل الجنة أم من البعض؟

الجواب:

الآية تفيد العموم، والجمع إذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد، وكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في الدنيا.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ هل (أنْ) مخففة أم مثقلة ؟

الجواب:

لفظة ﴿أَن﴾ في الآية ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتمل أنْ تكون مخففة من الثقيلة، وأنْ تكون مفسِّرة.

السؤال السادس:

هلا قيل: ما وعدكم ربكم حقاً، كما قيل: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ ؟

الجواب:

قول المؤمنين﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ يدل على أنه تعالى خاطبهم بهذا الوعد، وفيه تشريف لائق بالمؤمنين؛ ولذلك قالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ .

أمّا الكافر فهو ليس أهلاً لأنْ يخاطبه الله تعالى؛ فلهذا السبب لم يذكر الله أنه خاطبهم بهذا الخطاب، بل ذكر تعالى أنه بيّن هذا الحكم، فقال تعالى: ﴿مَّا وَعَدَ﴾، لأنّ المراد أنْ يلفتهم إلى مطلق الوعد وليس الوعدالخاص بهم، والوعد العام المطلق لله هو أنّ أهل الجنة يدخلونها بإيمانهم وأعمالهم فضلاً من الله ورحمة، وأهل النار يدخلونها بكفرهم وعصيانهم عقاباً من الله.

وقوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ تدل على اعتراف الكفار يوم القيامة بأنّ وعد الله ووعيده حق وصدق.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ الأذان هو التصويت بالإعلام والأذان للصلاة إعلام بها وبوقتها، وهذا المؤذن من الملائكة وهو صاحب الصور قاله ابن عباس.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: ينادي منادٍ من الملائكة يُسمع أهل الجنة وأهل النار بأنّ الطرد من رحمة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بعدم الإيمان وبالتكذيب باليوم الآخر.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم﴾ كيف يكون جواب (هل) ؟ وكيف يكون جواب الاستفهام بـ(الهمزة)، كما في آيتي: [الأعراف ٤٤ـ ومريم ٩٨]؟

الجواب:

جواب (هل):

يكون جوابها بـ (نعم) أو (لا)، كقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾.

وكذلك مع (أو) نحو: هل حضر محمد أو خالد ؟ وجوابه: نعم أو لا؛ لأنّ المعنى: هل حضر أحدهما ؟

قال تعالى: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٨].

جواب الهمزة:

١ ـ جواب الهمزة وحدها والسؤال مثبت: بـ(نعم) أو (لا) نحو: أحضر محمد ؟

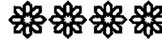
٢ ـ جواب الهمزة مع (أو) والسؤال مثبت: بـ(نعم) أو (لا) نحو: أمحمد عندك أو خالد؟

٣ ـ جواب الهمزة مع (أم) المعادلة بالتعيين نحو: أمحمد عندك أم خالد؟ والجواب: عندي محمد.

٤ ـ تجاب الهمزة إذا كان السؤال منفياً: بـ (بلى) في الإيجاب و (لا) في النفي، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] ولو قالوا: (نعم) لكفروا.

جواب أسماء الاستفهام:

يكون جواب أسماء الاستفهام بالتعيين، وذلك بحسب اسم الاستفهام، نحو: من حضر؟ فيقال: حضر محمد، ويجوز: محمد حضر، بحسب القصد.



﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار ﴿هُمْ﴾ [يوسف:٣٧] في الآية ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧] بينما في سورة الأعراف لم يكرر (هم) ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾؟ والمطلوب مقارنة بين آية الأعراف ٤٥ مع آيات [هود ١٩ ـ آية يوسف ٣٧ ـ فصّلت ٧] بشأن تكرار الضمير ﴿هُمْ﴾ .

الجواب:

١ـ التكرار يفيد التوكيد، و﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧﴾ [يوسف:٣٧] آكد من عدم ذِكر (هم). ومن أهم أغراض التكرار في اللغة التوكيد.

٢ـ إحدى الآيتين مؤكدة والأخرى ليست مؤكدة. نوضح المسألة:

أولاً ـ آيتا الأعراف ٤٥ وهود١٩:

أ ـ في الأعراف ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝٤٥﴾ الآية من دون تكرار (هم) أي: لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله.

ب ـ نأخذ آية شبيهة بها في سورة هود ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٩﴾ [هود:١٨-١٩] كرّر (هم).

ج ـ لو لاحظنا الآيتين: زاد في آية هود الافتراء على الله الكذب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ﴾ [هود:١٨] أمّا في الأعراف فما قال هذا، وإنما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود:١٩]. في آية هود قال: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود:١٨] زاد على الأولى الافتراء على الله الكذب.

لو أردنا أنْ نضع (هم) نضعها في المكان الذي وضعت فيه؛ لأنّ هؤلاء زادوا الافتراء والكذب على الله فاستحقوا التوكيد.

ثانياً: آيتا يوسف ٣٧ـ الأعراف ٤٥.

في سورة يوسف ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧] أيّهما الأشد، الكافر أم الظالم؟ الكافر أشد؛ لأنّ الظالم قد يكون مسلماً. وفي الأعراف قال: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفي يوسف قال: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ أيهما الأولى بالتوكيد؟ الكافرون أولى؛ فوضع ﴿هُمْ﴾ مع الكافرين.

ثالثاً ـ آيتا فصلت ٧ والأعراف ٤٥:

في سورة فصلت ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ من الأشدّ، المشرك أم الظالم؟ المشرك أشدّ؛ فقال: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، إذن هو يؤكد حيث ينبغي التوكيد.

لذلك نجد أنّ أقل ما ذكر في الأعراف: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فلم يؤكد وكل المذكور بعده أشدّ، إمّا: أنه زاد الافتراء على الله فكرر وأكّد، وإمّا: أنه وصفهم بالكفر وهو أشد من الظلم، ووصفهم بالشرك وهو أعظم من الكُفر. إذن وضع كل تعبير في مكانه في البلاغة.

التكرار يفيد التأكيد، والكفر بعضه أشد من بعض، وهو ليس بمرتبة واحدة، فلمّا ذكر أموراً أشدّ أكّد الكفر، فكانوا أكثر كفراً وأبعد في الكفر فقال: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فُصِّلَت:٧].

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ ما معنى الأعراف؟ وهل هي تشمل الرجال والنساء أم يقصد بها الرجال فقط؟

الجواب:

الأعراف حجاب حاجز بين أهل الجنة وأهل النار، وكلمة (الأعراف) أي: السور المضروب بين الجنة والنار، والأعراف جمع عُرف باعتباره عالياً.

وكلمة ﴿رِجَالٌ﴾ هو يتكلم عن مسألة معينة، الأعراف لمن تستوي حسناته وسيئاته سواء كان رجلاً أم امرأة، لكنّ الكلام في الآية عن رجال، ولا يتكلم عن أهل الأعراف جميعاً، وإنما الذين ينادون، فالحادثة هكذا كما تخبر عن شخص في مجموعة، وهذه الحادثة فيها رجال فيتكلم فيها عن الرجال.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿حِجَابٌ﴾ ما كلمات منظومة الحواجز في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

الجدار:

باعتبار ارتفاعه، ويحسن الاختباء خلفه لارتفاعه: [الكهف ٧٧ـ الحشر ١٤].

الحائط:

هو الجدار حول أشخاص أو حول مجموعة من البيوت ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ﴾ [النمل:٢٢] أحاط بهم سرادقها، بمعنى أنّ النار يوم القيامة متحركة تؤتى بحبال وتحيط بالكافرين بحيث لا يخرجون منها: [التوبة ٤٩].

السور:

إذا كان الجدار محيطاً بمدينة أو قرية أو قطر يسمى سوراً كسور الصين.

وفي آية الحديد ١٣، حيث السور هو حائط بين الجنة والنار، ويبدو من نسق الآيات أنّ الجنة والنار متداخلتان ومن الصعب على العقل أنْ يدركهما، وقوانين الآخرة على الصراط يوم القيامة أنّ الظلمة هي الأصل، ثم يأتي كل عبد ومعه من النور ما يناسب عمله في الدنيا، ولهذا يقول الكفار للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم؛ لأنه ليس لهم نور.

وشعار الرسول ﷺ على الصراط: «**اللهم سلّم سلّم**».

الباب والسد والردم:

الباب يُفتح ويُغلق، والسد لا يفتح أبداً، والردم لا يهدم أبداً لمتانته.

السد:

السد من صنع البشر، وفي آية يس ٩ ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ هو سد معنوي جعله الله تعالى بين الرسول وكفار قريش؛ حتى لا يروه.

الردم:

جدار لا يهدم لقوته: [الكهف ٩٥ـ ٩٦] فهو لا يهدم إلا بأمر من الله تعالى.

البرزخ:

هو الحاجز غير المنظور بين أمرين: [الرحمن ٢٠].

الحاجز:

هو الحاجز المنظور بين أمرين: [النمل ٦١].

الحجاب:

جمعها (حجب)، وهو منع شيء مهم مثل حرمات المسلمين وحرمة النساء: [الأعراف ٤٦ـ الإسراء ٤٥].



﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ذُكر لفظ النسيان مرتين في الآية، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ انظر في الآية وتدبر ألفاظها. فالنسيان في الموضعين نسيان ترك وإهمال، لاحظ الآية ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ﴾ ولا حاجة لذكر اليوم لتمام المعنى دونه، ولكنّ الله آثر ذكر ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ لما فيه من إثارة تحسرهم وندامتهم، وذلك لون من ألوان العذاب النفسي، ودلّ معنى كاف التشبيه في قوله: ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ على أنّ حرمانهم من رحمة الله كان مماثلاً لإهمالهم التصديق باللقاء، وهذه المماثلة مماثلة اعتبارية مماثلة جزاء العمل للعمل.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف:٥١] ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة:٦٧] و ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ [السجدة:١٤] كيف ينساهم الله تعالى؟

الجواب:

١ـ أحياناً نحن نأخذ الكلمة على معنى واحد من معانيها ونتحيّر فيها وننسى باقي المعاني، فمثلاً نحن نفهم النسيان بمعنى (غاب) عن ذاكرتي، هذا ليس المعنى الوحيد للنسيان في لغة العرب دائماً؛لأنّ هناك معنى ثانياً للنسيان وهو الترك والإهمال. وعندما

تقول:نسيت هذا الأمر بمعنى أهملته كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ فهم لم يكونوا متذكرين للقاء هذا اليوم حتى ينسوه، وإنما كانوا منكرين له مهملين له. ويكون المعنى أنّ الله لن يلقي لهم بالاً بنفس النمط الذي فعلوه من عدم اكترائهم بيوم القيامة.

فالنسيان هو الغياب عن الذاكرة، ويأتي أيضاً بمعنى الترك والإهمال،والنسيان، وهنا جاء بمعنى عدم الاكتراث والعبء بالشيء.

و في الآيات مقابلة: ﴿نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟﴾ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ﴿نَسِيتُمْ﴾ ﴿نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة:١٤]، وهذا نوع من المقابلة اللفظية وتسمى المشاكلة.

٢ـ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء فلا يُنسب له النسيان، كما قال تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥٢].

٣ـ قوله تعالى في آية التوبة ٦٧ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ هو أيضاً من قبيل المشاكلة.

٤ـ قوله تعالى في آية السجدة ١٤ ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي: أنتم ابتداء أهملتم هذا اليوم ولم تلقوا له بالاً، واليوم تُنسون في نفس النمط، فلا يُلقى لكم بال.

ومثال ذلك عندما تقول: بنى الأمير المدينة الفلانية، فهل تفهم من هذا أنه ذهب بنفسه ووضع الحجر أم أمر ببنائها؟ الجواب: هو أمر ببنائها، من أين فهمنا هذا المعنى؟ السياق ليس فيه أنّ الأمير بنى المدينة، وإنما من السياق والفكر والعلم يحملانك على القول بأنه ليس هو الذي قام عملياً بالبناء، وإنما أمر به.

٥ـ فعندما تأتي ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ الله سبحانه وتعالى لا يضل ولا ينسى، فلا ينسب له النسيان، وكذلك من اللفظ نفسه فهم لم ينسوا لقاء يوم القيامة وإنما ما أعدّوا له عدة ولم يكترثوا به، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٦] فهو لما خوطب بآيات الله تعالى ابتداءً أهملها ولم يلق لها بالاً، فإذن اليوم تُنسى في نفس النمط أي لا يلقى لك بال، وليس هناك تعارض بين الآيات. وهذا كلام عربي يفهمه العربي، ومتعلّم العربية يفهمه أيضاً. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الإنكار والجحود والزور والبهتان ؟

الجواب:

١ـ الجحد: هو إنكار الشيء الظاهر أو إنكارك الشيء مع علمك به، وهو أخص من الإنكار، كقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلا ظاهراً.

وكقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤] فجعل الجحد مع اليقين.

٢ـ الإنكار: يكون مع العلم وغير العلم، كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣] فجعل الإنكار للنعمة، والنعمة قد تكون خافية أو ظاهرة.

٣ـ الكذب: هو الخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وقد يكون في إنكار وغير إنكار.

٤ـ الزور: هو الكذب الذي سُوِّيَ وحُسِّنَ في الظاهر ليحسب أنه صدق من قولك: زورت الشَّيء إذا سويته وحسنته.

٥ـ البهتان: هو مواجهة الإنسان بما لا يحبه وقد بهته.



﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾



السؤال الأول:

حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ [هود:١٠٥] واجتزأ بالكسرة في آية هود ١٠٥ دون الآيتين الأنعام١٥٨ والأعراف ٥٣، فما الأسباب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٥٨.

السؤال الثاني:

ما دلالة التذكير والتأنيث في الفعل (جاء) في قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ؟

الجواب:

١ـ حسب القاعدة النحوية المعروفة أنه جائز باعتبار أنّ جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه.

٢ـ يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكّر الفعل. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران:١٨٣] فهؤلاء مجموعة من الرسل.

أما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ [الأعراف:٥٣] فالمذكورون هم جميع الرسل، وهم أكثر من الأولى، لذا جاء الفعل مؤنثاً.

السؤال الثالث:

ما دلالة صورة هذا الترقب والانتظار في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ ؟

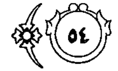
الجواب:

إنها لون من تفنن القرآن في تعبيره، فالآية هنا تتحدث عن انتظار الكفار لوعيدهم، فشبّه حال تمهلهم إلى الوقت الذي سيحل عليهم فيه ما أوعدهم به القرآن بحال المنتظرين، وهم ليسوا بمنتظرين ذلك؛ إذ هم جاحدون وقوعه. فهذه الصورة جاءت

جرياً على الاستعارة التي أريد بها التهكم بحالهم، فأنّى لهم أنْ يترقبوا عذاب الله، أوَ ينتظر الإنسان العذاب أم يفر منه؟! لكنه تهكم من جانب وإظهار لما اختبأ في صدورهم من جانب آخر.



﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة في قوله تعالى في الآية ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ؟

الجواب:

انظر كيف يخلع القرآن الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية لترقى فتصبح حياة إنسانية، ففي هذه الآية يجعل البيان القرآني الليل والنهار شخصين يفيضان حياة وحركة، وقد صور لنا الليل هنا في سمت الشخص الواعي له إرادة وقصد، فهو يطلب النهار مسرعاً مستمراً دائماً لا ينقطع حتى قيام الساعة، ولكنه محال أن يلحق به، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس:٤٠].

السؤال الثاني:

في آيات الإجمال كما في آية الأعراف ٥٤ جاء زمن الخلق في ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولكن في آية التفصيل في سورة فصلت [٩ـ١٣]جاءت في ظاهر الأمر أنها ثمانية أيام، فما حقيقة الأمر ؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام كاملة بلا زيادة ولا نقصان، أي: أنّ خلق الأرض كان في يومين وأتمها بالرواسي والأقوات في يومين آخرين فكان الانتهاء من إتمام خلق الأرض مع أقواتها ورواسيها في أربعة أيام كاملة، كما تقول مثلاً: احتجت للسفر من جدة إلى الرياض عشر ساعات وإلى الدمام أربع عشرة ساعة، فهذا يعني أنّ زمن السفر من الرياض إلى الدمام أربع ساعات لا أربع عشرة ساعة.

ثم ضم إليها خلق السماوات في يومين فيكون عدد الأيام التي تم فيها خلق السماوات والأرض ستة أيام.

والله تعالى لا يحتاج إلى علاج حتى يتطلب الزمن الممتد، إنّ ربنا يخلق بـ ﴿كُن﴾، بينما نحن البشر نعالج على حسب قدرتنا ونحتاج للزمن.

٢ـ ولكن لماذا جاء الحق بخبر الخلق في ستة أيام ؟

هناك فرق بين ميلاد الشيء وتهيئته للميلاد، فخلق الجنين مثلاً يكون من تزاوج بويضة وحيوان منوي، ويأخذ الأمر تسعة شهور، وسبحانه جلّ جلاله لا يعمل في خلق الجنين تسعة شهور، لكنه يترك الأمر ليأخذ مراحل تفاعلاته.

والله خلق السماوات والأرض بـ(كن)، وبعد ذلك ترك مكونات السماوات والأرض لتأخذ مراحلها؛ لأنّ ميلادها سيكون بعد ستة أيام، وفي القرآن آية أعطتنا لمحة عن هذه المسألة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨].

فالله خلق السماوات والأرض دون تعب؛ لأنّ ذلك يحدث بـ(كن)، فكانت السماوات والأرض، لكنه أمر بـ(كن) وترك المواد تتفاعل لستة أيام وذلك ليعلمنا التأني وألا نتعجل الأشياء.

ولذلك جاء بعدها في سورة (ق) قول الحق: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق:٣٩].

٣ـ إنّ خلق السماوات والأرض قد أنجزه الله مرة واحدة بكلمة (كن) وانفعلت الكائنات للقدرة مرة واحدة وتعددت استدامة انفعالات السامع لقدرة الله في كل جزئية من جزئيات الفعل، وأخذ الأمر ستة أيام واستقر الأمر بعد ذلك واستتب، وهذا هو المعنى العام لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فكأنّ هذا القول كناية عن تمام الأمور فقد خلقها وانتهت، وعلينا أنْ نأخذ كل شيء منسوب إلى الله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ في سورة الأعراف ؟

الجواب:

المعاني اللغوية:

ـ الغِشاء: هو الغِطاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] و ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٩].

ـ الغاشية: القيامة؛ لأنها تغشى الناس بأفزاعها.

ـ يُغشي: فعل مضارع، وقُرِىء (يغشّي) بالتشديد للدلالة على التكرار، الليل: مفعول به أول، والنهار مفعول به ثان.

ـ وذكر أبو حيان أنّ المفعولين إذا تعدى إليهما فعل وأحدهما فاعل من حيث المعنى يلزم أن يكون هو الأول منهما.

*** أمثلة:**

ضرب موسى عيسى   يجعل موسى هو الفاعل.

ملّكتُ زيداً عمراً   يجعل زيداً هو الفاعل.

يغشي الليل النهار   يجعل الليل هو الفاعل.

لذلك كلمة التغشية أنسب بالليل.

المعنى العام:

الله سبحانه خلق السماء والأرض للخليفة وهو الإنسان، وهيأ له فيها أصول الحياة الضرورية ليعمل فيها ويبذل الجهد، والجهد يقتضي الراحة فشاء الله سبحانه أنْ يبين أن

الليل والنهار متعاقبان من أجل هذا الهدف، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ [الفرقان:٦٢].

ولا يمكن أنْ يكون الليل والنهار كلاهما خلفة للآخر إلا إذا كان الله خلق الليل والنهار دفعة واحدة.

لذلك لا بد أنْ تكون الأرض كروية ليغشى النهار الجزء المواجه للشمس وليغشى الليل الجزء غير المواجه للشمس، وحين تدور الأرض يأتي النهار خلفة لليل والليل خلفة للنهار.

والله سبحانه ذكر (يغشي الليل النهار) ولم يذكر أنّ النهار يغشى الليل؛ لأنّ اللفظ يحتمله، والليل والنهار بمعنى كل ليل وكل نهار وهو متعاقب مستمر الاستبدال، فدلّ النص القرآني على تغيير كل منهما بالآخر بأخصر عبارة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يجعله غاشياً له، والله ذكر الغشيان هنا، وذكر الإيلاج في آية أخرى ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [الحج:٦١] وهذا هو التناكح المعنوي، وجعله سارياً في جميع الموجودات، وإنْ صح هذا القول نستطيع أن نفهم قولهم: الليلة حبلى، أو الليالي حبالى، والله أعلم.

السؤال الرابع:

قوله تعالى ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ جاءت في آية الرعد (٣) وجاءت أيضاً في هذه الآية، لكن جاء بعدها ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، فما دلالة ذلك في هذه الآية؟

الجواب:

آية الأعراف هذه تتحدث عن بدء خلق الكون وخلق الأرض منذ ملايين السنين، وكان طول الليل والنهار آنذاك هو أربع ساعات فقط وليس (٢٤) ساعة كما هو عليه الحال، ولذلك كان تعاقب الليل والنهار يتم بسرعة كبيرة ولهذا ناسب هنا قوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ وهذا من الأمور العلمية المعروفة عند علماء الفلك، وتم استنتاج ذلك من عدد حلقات الشعب المرجانية القديمة والحديثة. والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَثِيثًا﴾ ما كلمات منظومة السرعة في القرآن ؟

الجواب:

هذه هي منظومة كلمات السرعة في القرآن:

حثّ:

هو السير أسرع من المعتاد، وهو إسراع منظم دقيق لا يتخلله انقطاع، والحث يكون فقط في المسير المتتالي: [الأعراف ٥٤].

حضّ:

هو سرعة الفعل والحدث في غير المشي: [الحاقة ٣٤ـ الفجر ١٨].

أسرع:

الإسراع محمود والعجلة مذمومة، والإسراع هو تقصير زمن الحدث: [إبراهيم ٥١ـ آل عمران ١٣٣ـ الحديد ٢١ ـ ق ٤٤ـ المعارج ٤٣].

عجل:

العجلة هي تقصير المدة ولكن بدون إتمام العمل، والإسراع هو أنْ تسرع فيما ينبغي الإسراع فيه، وأمّا العجلة فهي أنْ تسرع فيما لا ينبغي الإسراع

فيه، وهي مذمومة، وفي المثل: في العجلة الندامة: [الأنبياء ٣٧ـ ص١٦].

هرع:

هي السرعة مع الاضطراب الشديد: [الصافات ٧٠].

جمح:

الجموح هو سرعة قبيحة، والجموح هو المسارعة في الشر: [التوبة ٥٧].

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ؟

الجواب:

للوجود ثلاث مراتب:

١ـ الذات الإلهية وصفاتها: وهو وجود مطلق غير محكوم للمكان والزمان وهو حاكم للمكان والزمان، وإليه تعود كل الموجودات الأخرى.

٢ـ عالم الأمر: (كالروح والقرآن الكريم)، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وهو وجود غير محكوم للمكان والزمان، ولكنه ليس حاكماً للزمان والمكان. . وهذا الوجود يتعلق بصفات الله مباشرة.

٣ـ عالم الخلق: وهو يتكون من مرتبتين:

أ ـ وجود مخلوق غير محسوس:

(كالنفس البشرية)، وهذا الوجود على الرغم من أنه ينتمي إلى عالم ما فوق المادة والزمان والمكان، إلا أنه يخضع لقوانين المكان والزمان، كالنفس البشرية حينما تكون داخل الجسد.

ب ـ وجود مخلوق محسوس: مثل عالم المادة الذي تنتمي إليه أجسادنا وهو وجود محكوم بقوانين المكان والزمان.

وعالم الخلق والأمر يعودان لله تعالى. والله أعلم.



﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الخِيفة والخُفية في القرآن الكريم في آيتي الأعراف ٥٥ و ٢٠٥؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ وقال تعالى في سورة الأعراف أيضاً: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾.

٢ـ في اللغة (الخُفية) من الخفاء ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣].

والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] أنْ تعلم ما تقول أي: لا تذكر ربك وقلبك غافل، وتضرعاً من التضرع، ودون الجهر من القول بمعنى أن تُسمع نفسك ولا ترفع صوتك، فلو ذكرت ربك بصوت غير مسموع، ولكن لم تعلم ما تقول فأنت لم تذكر ربك في نفسك.

٣ـ أما (الخِيفة) فهي من الخوف بمعنى التذلل والتمسكن والمسكنة والتوسل. فهي اسم وقد تكون مصدراً للهيئة، كما في الحديث «**إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة**» أو هو المصدر أو الشيء الذي تجده في النفس، كما يقال: (الجُرح) وهو مكان الشق الذي يسيل منه الدم، و(الجَرح) هو المصدر.

وكذلك (الوَقود) بمعنى الحطب الذي يوضع في النار، و(الوُقود) هو الاشتعال، و(الخيفة) يجعلونها إمّا إسماً مثل الدُهن والجُرح، وإمّا أنْ تكون الهيئة، أي: الشي الذي تجده في نفسك.

إذن(الخفية) من الخفاء، و(الخيفة) من الخوف.

السؤال الثاني:

لماذا ذكر الخوف في آيتي الأعراف ٥٥ـ ٢٠٥ ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، ولم يذكره في آية الأنعام ٦٣، وإنما قال: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والخُفية نقيض الجهر ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٣.

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ كلمة (رحمة) جاءت بالمؤنث و(قريب) بالمذكر، فما اللمسة البيانية في هذا؟ أي لماذا جاءت كلمة (قريب) في وصف الرحمة، ولم تأت (قريبة) في آية الأعراف ٥٦ ؟

الجواب:

لغوياً:

آ ـ القرب في (النسب) يذكر ويؤنث، تقول: هذا خالي وهذه عمتي.

ب ـ القرب في (غير النسب) يصح معه التذكير والتأنيث، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ . سورة الشورى.

نحوياً:

قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير والتأنيث بشرط أنْ يكون في الإمكان حذف المضاف والإبقاء على المضاف إليه مقامه، أو أنْ يكون المضاف يمثل كل المضاف إليه أو بعضه.

وهذا يُكسب توسعاً في المعنى كما سنرى.

* شواهد قرآنية:

آ ـ ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٤]

أخبر عن الأعناق وهي مؤنثة، والقياس: خاضعة، ولكنه عاملها معاملة المذكر؛ لأنّ المضاف إليه مذكر والأعناق جزء منهم.

ب ـ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ والقياس: قريبة؛ لأنّ الرحمة مؤنثة.

* أمثلة لغوية:

آ ـ (ذهبتْ بعضُ أصابعه): يمكن حذف المضاف، فتقول: ذهبت أصابعه.

ب ـ (عامة الإقليم منصرفٌ إلى الإصلاح والتعمير)؛ (عامةُ): مذكر اكتسب التذكير من المضاف إليه: منصرفٌ.

ج ـ (تواضعت سور المدينة)، يمكن حذف المضاف، فتقول: تواضعت المدينة، أمّا السور فمذكّر، ونلاحظ التوسع في المعنى، فقد أفاد أنّ المدينة تواضعت، وكذلك تواضع سورها؛ لأنه حصن المدينة وحِماها، وأنّث الفعل لإرادة المدينة.

وقد ورد هذا في قول الشاعر جرير:

لمّا أتى خبر الزبير تواضعت ... سورُ المدينة والجبالُ الخشّعُ

وقال الشاعر:

إنارة العقل مكشوف بطوع هوى ... وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

* **بيانياً: تفيد آية الأعراف ٥٦ أنه:**

إذا كان القرب مختصاً بالرحمة فيصح أنْ تكون (قريبة)، ولكنّ الله تعالى أراد أن يشعرنا بقربه هو جل جلاله؛ فجاءت الآية ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا القرب مختص بالله تعالى، وبالتالي كسب معنيين وهما: قرب رحمة الله، وقرب الله جل جلاله ،وليست الرحمة وحدها قريبة.

وكما قال الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] فجمع المعنيين معاً: قربه وقرب رحمته، فقدّم الرحمة وأخبر عن الله، وهذا من باب التوسع في المعنى.

وتفيد آية الشعراء ٤ ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ فلم يقل (خاضعة)؛ وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحابها؛ فقدّم الأعناق للإسناد وأخبر عن المضاف إليه فجمع المعنيين بذلك.

إذن من الناحية النحوية يجوز، ومن الناحية اللغوية يجوز، ومن الناحية البيانية يجوز.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (ريح) و(رياح) في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧].

أما كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

لزيادة التفصيل في الريح والرياح انظر آية آل عمران ١١٧.

السؤال الثاني:

لماذا اختلاف صيغة الفعل في قوله تعالى في آية الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾؟

الجواب:

يعبّر أحياناً عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣] والأحداث الماضية بأفعال مضارعة حكاية للحال كأنما نريد أن نستحضر الحدث أمامنا، مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ

رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧] .

السؤال الثالث:

جاءت الأفعال بالمضارع في آيات الأعراف ٥٧ والروم ٤٨ ﴿يُرْسِلُ﴾ وجاءت الأفعال بصيغة الماضي في الفرقان ٤٨ وفاطر٩ ﴿أَرْسَلَ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف ٥٧: تقدّمها في الآية٥٤ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وتقدّمها في الآية ٥٥ ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ فناسب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، لأن الدعاء إنما يكون لما يأتي.

٢ـ آية الروم٤٨: تقدمها في الآية ٤٦ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ فناسب بعدها في الآية ٤٨ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ .

٣ـ آية الفرقان ٤٨: تقدمها أفعال ماضية كقوله تعالى: ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ و ﴿لَجَعَلَهُۥ﴾ و ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ و ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ و ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ﴾، فناسب ذلك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ .

٤ـ آية فاطر٩: تقدمها في الآية ٣ قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو المطر، وإنما يذكّر الله بشكر النعم الماضية على زمن الشكر؛ فناسب ﴿أَرْسَلَ﴾ ماضياً.

السؤال الرابع:

ما دلالة وصف السحاب في الآية(٥٧) الأعراف ؟

الجواب:

١ـ كلمة السحاب وردت في تسعة مواضع، والسَّحاب هي بفتح السين وليس لها وجه آخر، والسَّحابة بفتح السين.

وفي سورة الأعراف أول موضع من المواضع التي وصف فيها السحاب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ قال فيها: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ﴾ فالرياح مبشرات.

٢ـ والعربي عندما يشم رائحة الهواء يقول: هذا وراءه غيث، ولو بعد نصف نهار يشمّه، وهذا من الخبرة والتجربة.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ وصفه بالثقل أي: ماؤه كثير.

٤ـ وقوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (البلد ميت) معناه الأرض ميتة، أي: ليس فيها نبات؛ لأنه في حقيقة الحال لولا الماء والنبات فالحيوان يموت والناس تموت.

السؤال الخامس:

ما دلالة تنوع الأوصاف للسحاب وتصنيفها في القرآن ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم:٤٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور:٤٣] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ:١٤] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة(١٦٤).



﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ بغير (واو) في آية الأعراف (٥٩) ومع (واو) في آيتي هود(٢٥) والمؤمنون(٢٣) ؟

الجواب:

١ـ في الأعراف: كلام مبتدأ لم يتقدمه دعوى نبوة، فبدأ بدون واو.

٢ـ في هود: تقدم ما يشعر ذلك في الآية ١٧ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فحَسُنَ العطف عليه بالواو.

٣ـ آية المؤمنون: تقدم ذكر نعم الله على المكلفين بحملهم على الفلك الذي كان سبباً لوجودهم ونسلهم فعطف عليه بالواو.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

زاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية ٦٦ من سورة الأعراف دون أنْ يزيدها في الآية ٦٠ من نفس السورة، فلماذا ؟

الجواب:

الآية (٦٠) هي في قصة سيدنا نوح عليه السلام، والآية ٦٦ هي في قصة سيدنا هود عليه السلام، ونجد أنه زاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على ملأ قوم
هود دون ملأ قوم نوح ، وقيل إنّ السبب:

١ ـ لأنه كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مثل: مرثد بن سعد ـ الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ، فلم يكن كلُ الملأ من قومه قائلين: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ بينما لم يكن في أشراف قوم نوح من آمن عند قولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

٢ ـ وربما يقول قائل: هذا الجواب منقوض بقوله تعالى عن قوم نوح في سورة هود ٢٧: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وجواب هذا النقض أنه: يجوز أنّ القول كان وقع مرتين، والمرة الثانية وقعت بعد إيمان بعضهم، كما يجوز أنْ يكون وصفاً وارداً للذم فقط.

السؤال الثاني:

قوله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام في الأعراف٦٠: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾، بينما جاء في قصة ثمود (قوم صالح) في الأعراف ٧٥: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ ، فما السبب؟

الجواب:

أنّ نوحاً عليه السلام لم يؤمن أحد من أشراف قومه، وصالح عليه السلام آمن بعض أشراف قومه، والله أعلم.



﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة الأعراف قال في الآية ٦٢: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾، وقال في الآية ٦٨: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ (الضلال) فعل يتجدد بترك الصواب إلى ضده ويمكن تركه في الحال فناسبه الصيغة الفعلية ﴿وَأَنصَحُ﴾ .

٢ـ تقدم الآية ٦٨ قوله تعالى في الآية ٦٦: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ والسفاهة صفة لازمة لصاحبها، فقابلها بجملة اسمية ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ .

٣ـ كلمة ﴿وَأَنصَحُ﴾ فعل مضارع يفيد الاستمرارية والتجدد، بينما كلمة ﴿نَاصِحٌ﴾ على وزن اسم الفاعل يدل على الثبات، كقولك: صابر.

٤ـ الآية ٦٢: على لسان نوح عليه السلام وقومه اتهموه بالضلال، والضال هو التائه البعيد عن الصواب، وهو وصف غير ثابت يتغير بكثرة، ويقولون له: أنت ضال فتحول إلينا وتحول إلى أفكارنا، عُد إلى عبادة ما نعبد، وتغير إلى عبادة أصنامنا.

فلمّا كان الأمر يتعلق بشيء سهل التغيير استعمل (الفعل) في الرد عليه، أي: لمّا كانت التهمة بفعلٍ استُعمل الفعل في الجواب.

٥ـ الآية ٦٨: هي على لسان هود عليه السلام وتهمتهم له أنه في سفاهة وهي الحمق والطيش والخِفة وكل ذلك أمور شبه ثابتة يصعب تبدلها بسرعة، فالسفيه يحتاج إلى مدة طويلة ليتحول عن سفهه، هذا إنْ تحول.

ولذلك لمّا كانت التهمة ثابتة استعمل معها اسم الفاعل الذي يدل على الثبات، والكوفيون يسمون اسم الفاعل بالفعل الدائم؛ لأنّ فيه معنى الدوام. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ جاء في الآية أمران، وهما: تبليغ الرسالة وبذل النصيحة، فأمّا تبليغ الرسالة فيتضمن تعريفهم أنواع التكاليف والأوامر والنواهي، وأمّا النصيحة ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ فهو

في ترغيبهم في الطاعة وتحذيرهم عن المعصية مع خلوص النية، وأنه يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: أعلم أنه يعاقبكم إن عصيتم أمر الله في الدنيا بالطوفان أو في الآخرة في جهنم.

أو أعلم من توحيد الله وصفات جلاله ما لا تعلمون، بمعنى ارجعوا إليّ في طلب تلك العلوم. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ بالجمع في قصة نوح الآية ٦٢، وهود الآية ٦٨، وشعيب الآية ٩٣، بينما أفرد في قصة صالح آية ٧٩، فقال: ﴿رِسَالَةَ﴾ ، فما السبب ؟

الجواب:

أنّ قصة نوح وهود وشعيب تضمنت أنواعاً من التبليغات، وإنْ لم تذكر هنا مع طول مدة نوح، فجمع لذلك، وقصة صالح ليست كذلك؛ فأفرد. وبيان ذلك:

آيات قصة نوح ٥٩ـ٦٢: (رسالات)

ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

البيـــــان:

١ـ قيل: تنوع التبليغات بمعنى مفردات الأوامر والنواهي؛ لأنّ كل أمر رسالة.

٢ـ قيل: أراد رسالته ورسالة غيره من الأنبياء ممن قبله كإدريس عليه السلام.

٣ـ قيل: تعددها بسبب طول المدة ٩٥٠ سنة؛ ولذلك جاء بعد ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ﴾ بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد؛ لأنّ قومه كانوا يبالغون في السفاهة عليه، ومع ذلك يعود إليهم في اليوم التالي ويدعوهم إلى الله، فناسب هذا التجديد المستمر ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾.

آيات قصة هود ٦٥ـ٦٨: (رسالات)

ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

البيـــان:

١ـ قيل: تنوع التبليغات وتفصيل أحكامها.

٢ـ قيل: أراد رسالته ورسالة غيره من الأنبياء ممن قبله في الأمور التي لم تنسخ.

٣ـ جاء بعد (رسالات ربي) قوله تعالى: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات، أي: معروف بالنصح لكم وأمين على الرسالة لا أكذب.

آيات قصة صالح ٧٣ـ٧٧: (رسالة)

ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا

قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾

البيـان:

١ـ قصة صالح في أمر واحد، وهو الناقة، وهي مفردة وسماها ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالإفراد.

٢ـ أفرد: ﴿أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فناسب إفراد ﴿رِسَالَةَ﴾ .

٣ـ جاء بالفعل ﴿وَنَصَحْتُ﴾ وعدّاه باللام (لكم) دلالة على أنه خاص بهم.

آيات قصة شعيب ٨٥ـ٨٦: (رسالات)

ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم
بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ
صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ
كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

البيـان:

١ـ ذكر الله في الآيات أموراً متعددة من التبليغات: إيفاء الكيل والميزان ـ لا تبخسوا الناس أشياءهم ـ لا تفسدوا في الأرض.

٢ـ شعيب عليه السلام أُرسل إلى مدين وأصحاب الأيكة فتعددت رسالته فناسب: رسالات.

٣ـ قيل: المقصود رسالته ورسالة الرسل السابقين في الأمور التي لم يحدث فيها نسخ.



﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ ولِمَ قدّم الإنجاء على الإغراق؟

الجواب:

تأمل كيف يختصر البيان الإلهي الزمن، فمع وجود الفاء في قوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ الدالة على التعقيب، فأنت تعلم بأنّ التكذيب كان من القادة ثم العامة، ثم أعقب الوحي وصناعة الفلك، ثم بعد ذلك يرتب الوقائع بحسب الأهمية، فالله أسرع في هذا الإخبار بالإنجاء وجعله مقدماً على الإخبار بالإغراق، مع أنّ مقتضى العبرة تقديم إغراق المكذبين ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾، فقدّم الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلاً لمسرّة السامعين من المؤمنين.

السؤال الثاني:

قال في آية الأعراف ٦٤ وآية الشعراء١١٩ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ وفي آية يونس٧٣ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعراض الآيات:

آيات سورة الشعراء ١٠٥ ـ ١٢٠ : (فأنجيناه)

ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا
أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ
﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ
إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

آيات سورة يونس ٧١ ـ ٧٣: (فنجيناه)

ـ ﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

البيـان:

القصة في سورة الشعراء ذُكرت أكثر تفصيلاً، والموقف أشد محاجة، والمحاجة أطول، والتهديدات أشد، وبيان ذلك:

ـ وصفوا المؤمنين بأنهم أراذل.

ـ طلبوا طرد المؤمنين.

ـ هددوا نبيهم نوحاً عليه السلام بالرجم إنْ لم يكف عن دعوتهم.

ـ شكا نوح إلى ربه تكذيب قومه.

ـ دعا بالنجاة له ولمن معه من المؤمنين.

فاستدعى لذلك الإسراع في انجائهم، فاستعمل ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ بخلاف ما في سورة يونس التي لم يكن فيها شيء من ذلك.

وكذلك الأمر في آيات الأعراف أيضاً، فاستعمل ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ﴾.

ومن المعلوم أنّ القرآن يستعمل (أنجى) عند الإسراع، بخلاف (نجّى).

السؤال الثالث:

قال في آية الأعراف٦٤: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾، وقال في آية يونس ٧٣ وآية الشعراء ١١٩: ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعمل في آية يونس والشعراء ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، واستعمل في آية الأعراف ٦٤ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾.

وذلك أنّ القصة في يونس والشعراء أشد محاجة منها في سورة الأعراف، ولذلك نجد أنه:

أ ـ استعمل ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ في يونس والشعراء، أي في موقف الشدة حيث يكون عدد المؤمنين في وقت الشدة قليلاً، كما هو حال عدد المسلمين في مكة، و(من) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع.

ب ـ بينما استعمل في الأعراف وفيها القصة ذات الطابع الأقل شدة (الذين) وهي للجمع فقط.

لأنّ عدد المؤمنين أكثر في الأوقات الأقل شدة، كما هو عدد المؤمنين في المدينة المنورة، حيث زاد عددهم كثيراً.

ج ـ القصة في الأعراف أطول مما في يونس وإن كلمة ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ أطول من كلمة ﴿وَمَن﴾، فناسب في مقام الإطالة أنْ يأتي بأطول الكلمتين.

د ـ وردت كلمة (من) في يونس ٢٤مرة وفي الأعراف ١٨ مرة، بينما وردت كلمة (الذين) في الأعراف ٤٧ مرة وفي يونس ٢٨ مرة.

فناسب كل تعبير موضعه من كل وجه. والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين السفينة والفلك في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ السفينة: هي الفُلك، غير أن العرب استعملت السفينة خاصة بالمفردة المؤنثة، واستعملت الفُلك بشكل عام للواحد والاثنين والجمع، واستعملتها مذكرة ومؤنثة؛ لذلك فـ(الفلك) أعم من السفينة في الاستعمال اللغوي.

وكذا استعمله القرآن:

آ ـ بالإفراد والتأنيث، كما في المؤمنون ٢٧ بقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ وهود ٤٢: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ﴿وَهِىَ تَجْرِى﴾.

ب ـ واستعمله بالإفراد والتذكير كما في آية الشعراء ١١٩ والصافات ١٤٠: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠﴾ .

ج ـ واستعملها جمعاً، كما في آية فاطر ١٢ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ و(مواخر) جمع، وكما في يونس ٢٢: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع وأنّث.

٢ـ القرآن يستعمل (الفلك) بالتذكير في حال ملئها بالحمل؛ لأنّ التذكير أقوى من التأنيث، والمذكر أقوى من المؤنث، كما هو ظاهر في الآيات التالية:

ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١١٩﴾ [الشعراء:١١٩] والمشحون هو المملوء.

ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ٤١﴾ [يس:٤١]

ـ ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠﴾ [الصافات:١٤٠] عن سيدنا يونس عليه السلام حيث أُلقي في البحر؛ لأنّ السفينة كانت ملأى، ولا بدّ أن يُخفف من حملها فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت.

٣ـ في آية هود ٤٠ وهي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠﴾ فاستعملها بالتأنيث مع وجود الحمل ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ .

وكذلك الأمر في آية المؤمنون ٢٧ ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ﴾ فاستعملها بالتأنيث مع وجود الحمل ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ .

والسبب أنّ الآيتين لا تدلان على الملء، فهو لم يقل (مملوءة)؛ لأن عدد الراكبين قلة بدليل ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠﴾ وبدليل أنّ في السفينة متسعاً فدعا ابنه للركوب.

وأما في آية (المؤمنون): فقد ذكر أنه أمره أنْ يسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهله ولم يذكر من آمن فلم يصرح بالملء بخلاف التصريح بالشحن ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء:١١٩].

٤ـ من معاني﴿ٱلْفُلْكِ﴾ موج البحر والماء الذي حركته الريح، وفَلك البحر كأنها سُميت بذلك لَّما كانت تركب الموج.

أمّا السفينة فمشتقة من (السَّفَن)، وهو القَشْر وسُميت بالسفينة؛ لأنها تسفن وجه الماء، أي: تقشره.

ولذلك معاني الفلك أعم من معاني السفينة.

وقد استعمل القرآن السفينة في مقام التخصيص فقط تناسباً مع معناها اللغوي، بخلاف الفلك فقد استعملها عامة وخاصة.

٥ـ استعمل القرآن السفينة في المملوكة دون غيرها، قال تعالى:

ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف:٧١] وهذه السفينة كانت لمساكين يعملون في البحر.

ثم قال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩﴾ أي: أراد أنْ يملكها بالقوة.

ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت:١٥] وكلمة الأصحاب قد تأتي بمعنى المالكين، وإنْ لم تكن كذلك في قصة نوح، وإنما على تقدير: وأصحابه في السفينة.

والقرآن استعمل السفينة فقط في سورة الكهف ومع سفينة نوح وهي كلها تخص مالكها.

٦ـ أما الفلك فقد تكون خاصة، كما في فلك نوح، وقد تكون مطلقة تصلح لجميع الأزمنة، قال تعالى:

ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٣١].

ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الجاثية:١٢].

ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم:٤٦].

٧ـ من لطيف الاستعمال أنه ذكر السفينة الخاصة به في سورة العنكبوت وخصّص معها مدة لبث سيدنا نوح عليه السلام، وخصّصها بأنها آية للعالمين. انظر قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت:١٤-١٥].

فما ألطف هذا التناسب !!

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ ؟

الجواب:

لو قرأنا قصص الرسل في الأعراف سنجد: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ معطوفة على ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ثم تأتي قصة نوح، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ هذه الواو واو العطف،، ويعني (وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً)، (أخاهم) مفعول به منصوب، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾ تكلم عن عاد وما فيها ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾.



﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

زاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية ٦٦ من سورة الأعراف دون أن يزيدها في الآية ٦٠ من نفس السورة فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٠.

السؤال الثاني:

قال في آية الأعراف ٦٦: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾، وقال في آية الشعراء ١٨٦: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾، فما السبب في اختلاف درجة التأكيد؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: (إنْ) مع التخفيف، و (إنّ) مع زيادة التوكيد.

آيات الأعراف ٦٥ـ٦٨: (وإنّا لنظنك)

ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

آيات الشعراء ١٨٥ـ١٨٩: (وإنْ نظنك)

ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾

البيـان:

١ـ قال في سياق آيات الأعراف: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ وفي سياق آيات الشعراء قال: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ وبالنظر إلى السياق نجد أنّ التكذيب في

آيات الأعراف أشد منه في آيات الشعراء، فقد قال في الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ بخلاف آيات الشعراء فإنه قال: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الشعراء:١٨٥].

وأنت ترى الفرق بين القائلين، ففي آيات الأعراف قول الملأ الذين كفروا، والقائلون في الآيات الثانية مختلطون؛ إذ فيهم الشديد التكذيب والقليل والإمعة والخائف، فهو تكذيب مختلط لا يصل إلى تكذيب الذين كفروا خصوصاً، ويدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات الشعراء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ أي: أنّ فيهم قلة مؤمنة، فهو قد نسب الكلام إلى أصحاب الأيكة عموماً، بخلاف آيات الأعراف فإنه نسب الكلام إلى الذين كفروا خاصة.

٢ـ ثم انظر إلى تعقيب الرسول لكلام قومه في الموطنين، فإنّ هوداً عليه السلام رد على قومه بآيات عدة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ بخلاف آية الشعراء فإنه لم يزد على قوله: ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾، ومن هنا يتبين الفرق واضحاً بين التعبيرين.



﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة ﴿نَاصِحٌ﴾ باسم الفاعل ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾، مع أنها جاءت بعدها بصيغة الفعل في الآيات [٦٢ـ ٧٩ـ ٩٣] ؟

الجواب:

عند النظر في كلام الله سبحانه وتعالى يظهر أو يتبين عِلل الاختيار:

١ـ في الآية الأولى ٦٢: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ هذه مع نوح عليه السلام فاستعمل الفعل ﴿وَأَنصَحُ﴾ بالفعل المضارع الذي فيه معنى التجدد والاستمرار؛ لأنه مستمرٌّ في نُصحهم.

٢ـ الآية الأخرى (٦٨) في السورة نفسها، وتتكلم عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ استعمل اسم الفاعل ﴿نَاصِحٌ﴾.

٣ـ علماؤنا هنا يقولون: هناك فرق بين التُّهمتين:

أ ـ التهمة الأولى الضلال: اتهموا نوحاً بأنه في ضلال، والضلال هو التيه، أي: بعيد عن الصواب، بعيد عن الحق، وهو وصف غير ثابت يتغير بسرعة. تقول للإنسان مثلاً: هذا طريق ضلال، انحرف إلى هنا، تحوّل إلى هنا، فيتحول فليس فيه هذا التشبث أو التمسك، فلما كان الأمر يتعلق بشيء سهل التغيير استعمل الفعل في الرد عليه؛ لأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث.

ب ـ التهمة الأخرى هي السفاهة: والسفاهة نوع من الحمق.

لكـــــل داء دواء يســـــتطب لــــــه   إلا الحماقـــة أعيـــت مـــن يـــداويها

فالضلال أمر طارئ يمكن أنْ يتحول عنه، أمّا السفه فيمكن أنْ يتحول عنه لكن بعد مدة طويلة، فلمّا كان الأمر يتعلق باتهام ثابت يكاد يكون ثابتاً احتاج لنفيه إلى أنْ يستعمل اسم الفاعل الذي هو دالٌّ على الثبات.

فاستعمل النصح الثابت ﴿نَاصِحٌ﴾ في مقابل التهمة الثابتة، واستعمل النصح المتغير المتطور ﴿وَأَنصَحُ﴾ في مقابل الصفة المتغيرة المتحولة العارضة، فهناك مناسبة في استعمال هذا اللفظ؛ ولذلك قال العلماء: ﴿نَاصِحٌ﴾ لا تستقيم في المكان السابق، وكلمة ﴿وَأَنصَحُ﴾ لا تستقيم في هذا المكان.

فهم لمّا استعملوا الشيء العارض ناسب أنْ تجيبهم بشيء عارض، ولمّا استعملوا الشيء الثابت ينبغي أن تجيبهم بشيء ثابت.

٣ـ الآية ٧٩ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ والآية ٩٣ الكلام فيهما بصيغة الماضي، فلا موضع لاسم الفاعل فيهما؛ ولذا فهما ليسا مما يقابل الآية ٦٨.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ
بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿بَسْطَةً﴾ بالسين في آية البقرة ٢٤٧، بينما وردت في آية الأعراف ٦٩ بالصاد ﴿بَصْۜطَةً﴾، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٧.



﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ
أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ
فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (نزّل وأنزل)، كما في آيات الأعراف ٧١- يوسف ٤٠- النجم ٢٣- آل عمران ٣- الفرقان ٣٢ وكذلك في آية القدر ١ ؟

الجواب:

١- الفعل (نزّل) يمكن أنْ يستعمل لأكثر من معنى:

أ ـ فقد يكون للتدرج والتكثير، بينما (أنزل) عامة، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣].

والقرآن نزل منجماً مفرقاً، والتوراة والإنجيل أنزلتا جملة واحدة، فقال: (أنزل).

وقسم ردوا التدرّج بقوله تعالى في آية الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢]. وقسم قالوا: هذا ليس فيه تدرج؛ لأنّ(لولا) هنا من حروف التحضيض.

لذلك كلمة (أنزل) عامة سواء كان متدرجاً أم غير متدرج.

ب ـ وقد يكون للمبالغة والاهتمام، فما ذكر فيه ﴿نَزَّلَ﴾ يكون أهم وآكد مما استعمل فيه ﴿أَنْزَلَ﴾ .

٢ـ (الإنزال) عام لا يخص التدرج أو غير التدرج، لكن (التنزيل) هو الذي يخص التدرج، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل منجماً.

٣ـ لكن الذي يبدو أنّ الفرق بين (نزّل وأنزل) أنّ (نزّل): تفيد الاهتمام نظير (وصّى وأوصى) و(كرّم وأكرم) ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ (نزّل)، والتي دونها يأتي بـ (أنزل).

* شواهد قرآنية:

- في الأعراف ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١)﴾ [الأعراف:٧١].

- وقال في يوسف: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف:٤٠].

- وقال في النجم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾ [النجم:٢٣].

أ - ننظر السياق: في الأعراف محاورة شديدة، حيث قال: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١)﴾ [الأعراف:٧٠-٧١] ففيها تهديد وكلام شديد من قومه، بمعنى: كيف نترك آلهتنا ونعبد الله !!! فقال: ﴿نَزَّلَ﴾.

ب - في سورة يوسف قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف:٤٠] لم يردّ عليه السجينان وليس فيها تهديد؛ إذن الموقف يختلف عن آية سورة الأعراف، فقال (أنزل).

ج ـ في النجم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم:١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣] لم يردّوا عليه ولم يكن هنالك محاورة ولا تهديد، فقال (أنزل).

إذن (نزّل) آكد وأقوى في موطن الاهتمام وأشد من (أنزل).

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على (الرجس والغضب) ؟

الجواب:

تأمل التقديم والتأخير في الآية، فكلاهما يدل على بلاغة كلام الله تعالى، فقدّم ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ للاهتمام بتعجيل ذكر المغضوب والغاضب إيقاظاً لبصائرهم لعلهم يبادرون بالتوبة، وأخرّ الغضب عن الرجس؛ لأنّ الرجس- وهو خبث نفوسهم- قد دلّ على أنّ الله فطرهم على خبث بحيث كان استمرارهم على الضلال أمراً جلياً، فدلّ ذلك على أنّ الله غضب عليهم لمّا وقع منهم من فسق ورجس. وقبل ذلك كله تجيء كلمة ﴿قَدْ﴾، لتؤذن بتقريب زمن الماضي من الحال، مثل قولك: (قد قامت الصلاة).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الأعراف ٧٣ وصف العذاب بالإيلام ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ وفي آية هود ٦٤ وصف العذاب بالقرب ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ وفي آية الشعراء ١٥٦

وصف يوم العذاب بالعظمة ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فما دلالة اختلاف الوصف؟

الجواب:

في آية الأعراف ذكر قوم صالح وكثرة تحديهم واستهزائهم وعتوهم، ولم يذكر مثل ذلك في السور الأخرى، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

فقد ذكر عنهم أنهم: ٤٥

١ ـ أعلنوا كفرهم.

٢ ـ عتوا عن أمر ربهم.

٣ ـ تحدوا نبيهم بالعذاب.

وليس الأمر كذلك في المكانين الآخرين؛ فقد قال في هود: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ فليس فيه هذا

التحدي ولم يذكر أنهم عتوا عن أمر ربهم ولم يصرحوا بكفرهم، بل ذكروا أنهم في شك؛ لذلك فالسياق في كل من الموطنين يختلف عن الآخر.

وكذلك ما جاء في سورة الشعراء، فإنه لم يذكر تحديهم ولا عتوهم واستكبارهم فاستحقوا أن يذكر لهم العذاب الأليم في سورة الأعراف.

جاء في كتاب «البرهان» للكرماني: أنه في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وأمّا في سورة هود، فقد وصف العذاب بالقرب لما ذكر قبله ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وأمّا في الشعراء فقد وصف اليوم لما ذكر قبلها ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)﴾ .



﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام في الأعراف ٦٠ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾، بينما جاء في قصة ثمود قوم صالح في الأعراف ٧٥ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ فما الفرق ؟

الجواب:

أنّ نوحاً عليه السلام لم يؤمن أحد من أشراف قومه، بينما صالح عليه السلام آمن بعض أشراف قومه، والله أعلم.



﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ما كلمات منظومة (جثا) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

الكلمات هي:

جثا:

هو الجلوس على الركبة، ولا يكون إلا من خوف أو تضرع أو تذلل: [الجاثية ٢٨- مريم ٦٨].

جثم:

الجاثم يأخذ هيئة الجلوس، ولكنه ثقيل جداً كأنه التصق بالأرض؛ ولذا يقال: جثمان لأنه صار ثقيلاً: [الأعراف ٧٨].

جلس:

إذا كان الشخص واقفاً أو متكئاً فجلس وعكسها (وقف)، وهي حركة يومية فيجلس الإنسان للحكم والقضاء والعلم.

قعد:

قعد من القيام، وهو ليس حركة يومية لكنها تدل على هيئة وعمل معين، والمتخلف عن الخير يقال له:(قاعد)، والقعود من التخاذل وليس من الراحة: [الجن ٩ـ التوبة ٩٠].

اتكأ:

الاتكاء يكون للراحة والترف والسعادة:[الإنسان ١٣].

استند:

يقال في حال الضعف حتى لا يقع، والاتكاء والاستناد جلسة، والمهموم لا يتكئ، إنما يجثو على ركبتيه:[المنافقون ٤].

استوى:

جلس متمكناً مع سيطرة كاملة، واستوى على العرش بمعنى (استولى)؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، والاستواء معلوم والكيفية مجهول، والسؤال عن ذلك بدعة:[الفرقان ٥٩ـ طه ٥]

السؤال الثاني:

قال في آيتي الأعراف ٧٨ و ٩١: ﴿دَارِهِمْ﴾ بصيغة الإفراد، بينما قال في آيتي هود ٦٧ـ و ٩٤: ﴿دِيَـٰرِهِمْ﴾ بالجمع، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الصيحة: هي أشمل وأهم من الرجفة؛ لذا تصيب عدداً أكبر، حيث إنّ الصوت يمتد أكثر من الرجفة، ولهذا تؤثر في ديار عديدة؛ لذا جاء استخدام كلمة ﴿دِيَـٰرِهِمْ﴾ مع الصيحة، كما في آيتي سورة هود.

أمّا الرجفة فيكون تأثيرها في مكانها فقط، لذا جاء استخدام كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ مع الرجفة، كما في آيتي سورة الأعراف.

٢ـ ولم ترد في القرآن الكريم كلمة﴿دِيَـٰرِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة، ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة. والله أعلم.



﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾ بالجمع في سورة الأعراف في قصة نوح الآية ٦٢ وهود الآية ٦٨ وشعيب الآية ٩٣، بينما أفرد في قصة صالح آية ٧٩ فقال: ﴿رِسَالَةَ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٢.

السؤال الثاني:

في سورة الأعراف: لماذا جاء في آية الأعراف ٧٩ قوله تعالى: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ في قصة سيدنا صالح، وجاءت بالجمع: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ مع باقي الرسل في الآيات[٦٢ـ ٦٨ـ ٩٣] في قصص نوح وعاد وشعيب على الترتيب، وجاءت ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ﴾ في قصة موسى عليه السلام في الآية ١٠٥؟

الجواب:

١ـ في قصة صالح عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ جاءت ﴿رِسَالَةَ﴾ بالإفراد.

و نجد فيها أنّ الكلام في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ فهناك معجزة، وهي الناقة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ .

وفي هذا تحذيرمن الله عز وجل بشأن هذه الناقة إلى قوم صالح أنه إذا مسستموها بسوء سيأخذكم عذاب أليم، فالكلام ليس عن الرسالة التي هي الشريعة والدين، وإنما المقصود بالرسالة في الآية هو التحذير من قتل الناقة، فهذه هي الرسالة (أحذّركم من أنْ تقتلوا الناقة) ولكنهم قتلوها فوقع عليهم العذاب،.

إذن هي ليست الرسالة السماوية ولو كانت الرسالة السماوية لقال (رسالات)، كما جاءت عند الأنبياء الآخرين بمعنى مفردات الأوامر والنواهي؛ لأنّ كل أمر هو رسالة.

٢ـ وعندما ننتقل إلى بقية ذكر الرسل الآخرين نجد الآيات على ألسنة أنبياء:

أ ـ الأولى على لسان نوح، هم قالوا: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف:٦٠] فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف:٦١-٦٢] أي هذه الجزئيات.

ب ـ والثاني على لسان هود: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف:٦٨].

ج ـ والثالثة على لسان شعيب: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف:٩٣].

فعندما يستعمل كلمة (رسالات) يعني الدين أو الشريعة بهذه الجزئيات المتعددة والمتفرقة، والرسالة كانت لقضية واحدة ولتحذير واحد.

٣ـ ورد على لسان موسى عليه السلام في الآية ١٠٥ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ وفيها قراءتان: (حقيقٌ عليّ)، وهذه قراءة سبعية، و(حقيقٌ على أنْ لا أقول) هذه قراءة جمهور القرّاء، والكلام من موسى إلى فرعون ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥].

أ ـ موسى عليه السلام عاش في بيت فرعون مدة طويلة، وفرعون كان يقول لهم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩] و ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] ومن حوله يقولون ما قاله، وهو من صغره لم يكن يعلم هذه المقولة ولكنها قيلت له.

ب ـ فرعون يعلم أنه ليس ربّاً؛ لأنه لا يملك أن يصنع شيئاً كما يفعله الربّ سبحانه وتعالى، فيعلم أنّ من حوله يكذبون، وموسى عليه السلام يعلم أنّ من حول فرعون زمرة تعيش بالكذب على فرعون ويكذبون عليه.

ج ـ فرعون يتعامل مع السحرة ويعلم أنهم يكذبون وموسى يعلم أنهم يكذبون.

د ـ وعندما نأتي إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ [الأعراف:١٢٣] وفي قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الشعراء:٤٩] فرعون يعلم أنّ موسى ليس كبير السحرة؛ لأنّ موسى نشأ في بيت فرعون، لكنه يريد أنْ يشيع كلمة يخرج بها إلى الناس، وهي أنه حدثت مؤامرة على فرعون من كبير السحرة موسى والسحرة تلامذته فخدعوا فرعون؛ ولذلك سيقتص منهم.

هـ - وموسى عليه السلام يعلم أنّ هذا الرجل محاط بكذابين ويعتقد أنّ كل من يكلمه كذاب؛ لذلك لا بدّ أنْ ينبههم، فكلمة ﴿حَقِيقٌ﴾ بمعنى: جدير وخليق بي أنْ لا أقول على الله إلا الحق، وإنني إنسان صادق ولست كالذين يكذبون عليك، فكان من الضروري أنْ ينبههم إلى أنه هو إنسان صادق، ليس كهؤلاء الذين يحيطون به.

و ـ فالقضية هنا ليست قضية (إني جئت مرسلاً)، وإنما أنا صادق في قولي ورسول من رب العالمين.

ز ـ لاحظ رسالة موسى عليه السلام كم هي محدودة، ولذلك فاليهود إلى الآن لا يرضون أنْ يدخل أحد في دينهم، وكذلك رسالة عيسى عليه السلام (إنما جئت لهداية الخِراف الضالة من بني إسرائيل)، فرسالته محصورة ببني إسرائيل، ثم هم أخرجوه.

والرسالة العالمية الوحيدة هي رسالة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكل رسالة موسى عليه السلام هي: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء:١٧] فقط.



﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين العوالم والعالمين ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٢.

السؤال الثاني:

لماذا صرفت كلمة ﴿لُوطٗا﴾ في الآية ؟

الجواب:

صرف (لوط) ومن قبل(نوح)؛ لخفته، فإنه مركب من ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط.

السؤال الثالث:

إن قيل: كيف يجوز أن يقال: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ مع أنّ الشهوة داعية إلى ذلك العمل أبداً؟

الجواب:

أ ـ الكثير يستقذر ذاك العمل؛ فلذلك لا يبعد انقضاء كثير من الأزمنة بحيث لا يقدم أحد على هذا العمل.

ب ـ لعلّهم بكليتهم أقبلوا على هذا العمل، والإقبال بالكلية مما لم يوجد في العصور السابقة.

السؤال الرابع:

تكررت لفظة ﴿مِنْ﴾ مرتين في الآية، فماذا تفيد في كلٍ منهما ؟

الجواب:

كلمة ﴿مِنْ﴾ الأولى تفيد التوكيد والاستغراق، و ﴿مِنْ﴾ الثانية للتبعيض.



﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأعراف ٨٢ في قصة لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾ وقال في آية العنكبوت ٢٩: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ ولفظة ﴿إِلَّآ﴾ للحصر، فكيف الجمع بينهما ؟

الجواب:

لعلّ ذلك في مجالس متعددة، ففي مجلس اختصر بذكر إتيان الفاحشة

فناسب ذكر ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ كيلا يعيب عليهم.

وفي مجلس آخر عدّد ذنوبهم فناسب مطالبتهم بسخرية (بإتيان العذاب) عليها فحصر الجواب في كل مجلس بما ذُكر فيه وناسبه.

وقد يكون أنّ الجوابين من طائفتين فلم تجيبا إلا بما ذُكر عنهما. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية العنكبوت ﴿نَادِيكُمُ﴾ ما النادي؟ وما دلالة ذكره هنا في الآية؟

الجواب:

النادي هو مكان اجتماع الناس من الفعل (ندا القوم) أي: دعاهم إلى الاجتماع في مكان ما، و(تنادوا) أي: كلٌّ نادى صاحبه، ومنه دار الندوة.

وكأنّ الله تعالى يريد أنْ يرينا مجاهرة قوم لوط بالفاحشة بحيث يمارسونها مجاهرة في النادي أمام بعضهم، مثل نوادي العراة في البلاد الغربية، وفي هذا إظهار لمدى الجرأة في مجاهرتهم بإتيان الذكور وهي الفاحشة التي ابتدعوها ما سبقهم بها من أحد من العالمين، فاستحقوا العذاب من الله سبحانه.

السؤال الثالث:

قال في آية الأعراف ٨٢: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالواو، وفي آية النمل ٥٦ بالفاء فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ ، فلماذا؟

الجواب:

هاتان الآيتان في قوم لوط، لكنه قال في آية الأعراف ٨٢ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ وفي آية النمل جاء بالفاء فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ ممّا يدل على أنّ الجواب في سورة النمل كان أسرع منه في آية الأعراف وسياق كل من الآيتين يقتضي ما ذكر:

قال في الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وقال في سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

من النظر في الآيات نجد أنّ الإنكار والتقريع في سورة النمل أشد منه في سورة الأعراف، يدل على ذلك عدة أمور منها:

١ـ قوله في الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ وفي النمل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ بإدخال همزة الاستفهام الدالة على الإنكار والتوبيخ.

٢ـ قوله في الأعراف: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ وفي النمل: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ والوصف بالجهل فيه زيادة تقريع؛ لأنّ نسبة الإنسان إلى الإسراف أهون عليه من نسبته إلى الجهل، فإذا قلت لشخص: أنت مسرف في هذا الأمر، كان أهون عليه من

قولك له: أنت جاهل؛ ولذلك بادروا بالرد عليه بسرعة ولم يتريثوا؛ لأنه أغاظهم في الكلام في سورة النمل أكثر مما أغاظهم في سورةالأعراف، فجاء بـ(الفاء) في آية النمل.

٣ـ ومما يدل على شدة غيظهم ذكر اسمه صراحة في النمل: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ بخلاف الأعراف فقد جاؤوا بالضمير ﴿أَخْرِجُوهُم﴾.

٤ـ وقد تقول: وهل هناك تناقض بين القولين والقصة واحدة ؟

والجواب: لا؛ وذلك لأن الواو لا تناقض الفاء فإن الواو لمطلق الجمع، فقد يكون ما بعدها واقعاً في عقب ما قبلها، وقد يكون متأخراً عنه وقد يكون متقدماً عليه، وأما الفاء فتفيد الترتيب، فهي تفيد أحد معاني الواو، فذكر معنى الترتيب والتعقيب في النمل؛ لأنّ الموطن يقتضيه وأطلق ذلك في الأعراف؛ لأنّ الموطن لا يقتضي التعقيب.

كما يمكن أنْ يقال: إنّ النصيحة تكررت من لوط في أزمنة مختلفة وبأساليب مختلفة، فيمكن أنه قال بعضها بصيغة أشد من الأخرى، وذلك كلما تكررت الدعوة وتكررت النصيحة كان ذلك مدعاة إلى المبالغة في القول والنصيحة، وكل ذلك جائز. والله أعلم.



﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في امرأة لوط: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر:٦٠] وقوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] وقوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف:٨٣] ؟

الجواب:

١ـ في آية الحجر كان الكلام على لسان الملائكة: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحجر:٥١] وضيف إبراهيم الملائكة ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحجر:٥٢]، و الجو الذي جاء فيه الملائكة كان فيه وجل ورهبة، قالوا: ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحجر:٥٣] قال: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحجر:٥٤] إذن عنده نوع من التشكك. ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الحجر:٥٥] أي: لا تيأس من رحمة الله، ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر:٥٦] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحجر:٥٧-٥٨-٥٩-٦٠].

لاحظ التأكيدات وإبراهيم عليه السلام يحتاج عندها لمؤكدات؛ لأنه وجلٌ وشاكٌ من الملائكة، ثم جاءت الآية: ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحجر:٦٠] تأكيد بإنّ وباللام. وهذا هو من كلام الملائكة، ولاحظ كلمة ﴿قَدَّرْنَا﴾ وهم لا يقدّرون؛ لأنهم وسيلة تنفيذ قدر الله سبحانه وتعالى فرخصوا لأنفسهم أن يقولوا: (قدّرنا) ولكن ما قالوا: (قدرناها) ولم يربطوا الضمير بالتقدير: (بأنفسهم)؛ لذلك أبعدوها مع وجود إنّ المؤكدة.

٢ـ آية النمل هي من كلام الله سبحانه وتعالى المباشر في سورة النمل: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل:٥٦-٥٧].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [النمل:٥٧] خبر، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧)﴾ [النمل:٥٧] ما قال: (قدرنا إنها) وما أبعدها وما احتاج إلى تأكيدات؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأمر: وهو أنّ قوم لوط أجابوا بهذه الإجابة، فالله سبحانه وتعالى أنجاه وأهله إلا امرأته قدّرها رب العزة من الغابرين.

وانظر كيف ربط الضمير بالفعل مباشرة ولم يبعده ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ [النمل:٥٧]؛ لأنّ هذا قدره سبحانه وتعالى، فما احتاج إلى إبعاده. و(الغابرين) قالوا بمعنى الهالكين.

ولمّا قال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨)﴾ [النمل:٥٨] فانتهى الكلام على ذكر الأمم، وكانت النهاية ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)﴾ [النمل:٥٩] فلم يذكر أمة أخرى وراءها.

٣ـ آية الأعراف ٨٣ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٨٣)﴾ [الأعراف:٨٣].

الله سبحانه وتعالى يحكي لنا ما حدث ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٨٣)﴾ [الأعراف:٨٢-٨٣].

هناك ﴿قدرناها من الغابرين﴾ وانتهى الكلام عن الأمم، لكنّ الكلام هنا كأنه كلام تاريخي، والكلام التاريخي يصلح معه ﴿كَانَ﴾ [الأعراف:٨٢].

لأنه ذكر كلاماً تاريخياً فقال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٨٤)﴾ [الأعراف:٨٣-٨٤] فاستعمل ﴿كَانَ﴾ .

فعندما يكون الكلام عن جانب تاريخي يستعمل ﴿كَانَ﴾ وأمّا عند الحديث عن قدرة الله عز وجل يستعمل كلمة (قدّرنا) والله سبحانه وتعالى أعلم.



﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (المطر والغيث) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

ـ المطر:

ذُكر في القرآن ٦ مرات وجميعها في موضع الانتقام، كما في الآيات:

[الشعراء ١٧٣ ـ النمل ٥٨ ـ الفرقان ٤٠ ـ الأحقاف ٢٤ ـ الأعراف٨٤]

ـ الغيث:

ذُكر في القرآن ٤ مرات وجميعها في موضع الخير، كما في الآيات: [الشورى ٢٨ ـ يوسف ٤٩].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿عَاقِبَةُ﴾ هل تستعمل في القرآن بالتذكير أو التأنيث ؟

الجواب:

إذا قصدنا باللفظ المؤنث معنى المذكر جاز تذكيره، وهو ما يسمى (الحمل على المعنى):

١ ـ ومثال ذلك أنه في كل مرة يأتي بكلمة الضلالة أو العاقبة بالتذكير تكون الضلالة أو العاقبة بمعنى (العذاب) ويكون الكلام عن الآخرة؛ لأنه ليس في الآخرة ضلالة والأمور كلها تتكشف في الآخرة.

٢ ـ وعندما تكون الضلالة أو العاقبة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا وتكون بمعناها المؤنث.

* شواهد قرآنية على كلمة الضلالة:

ـ في آية الأعراف ٣٠ ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ جاءت كلمة الضلالة بالتذكير؛ لأنّ معنى الضلالة هنا هو العذاب، والكلام هو في الآخرة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

ـ في آية النحل ٣٦ ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ جاءت كلمة الضلالة بالتأنيث على معناها المعتاد والكلام هو في الدنيا.

٣ـ كلمة العاقبة: لها معنيان: العذاب أو الجنة.

وفي كل القرآن إذا ذُكّر الفعل مع العاقبة تكون بمعنى (العذاب)، وإن أُنّث الفعل مع العاقبة تكون بمعنى (الجنة).

* شواهد قرآنية على كلمة العاقبة:

في الآيات: [الأنعام ١١ ـ يونس ٧٣ ـ الأعراف ٨٤ ـ الصافات ٧٣]. المقصود بالعاقبة هنا محل العذاب، فجاء الفعل مذكراً.

وأما في الآيات: [القصص ٣٧ ـ الأنعام ١٣٥] العاقبة بمعنى الجنة، فجاء الفعل بالتأنيث.



﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين البخس والنقصان ؟

الجواب:

البخس هو النقص بظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: لا تنقصوهم ظلماً، وأما النقصان فيكون بالظلم وغيره. والله أعلم.

السؤال الثاني:

لماذا ترد أحيانا ﴿أَخَاهُمْ﴾ مع شعيب عليه السلام، كما في آية الأعراف ٨٥، وهود ٨٤ والعنكبوت ٣٦ وأحيانا لا ترد كما في آية الشعراء ١٧٦؟

الجواب:

١ـ من مراجعة الآيات نجد أنه حيثما ذُكِرت الرسالة وأنّ شعيباً مرسل إلى قومه يقول: أخوهم، فيذكر الأخوّة عندما يتحدث عن الرسالة، كأنما فيها إشارة إلى أنّ واجبه معهم ورعايته لهم بحكم أنه أخوهم يريد لهم الخير، وإذا لم يذكر الرسالة لا يقول (أخوهم).

فهذه هي القاعدة العامة، حيثما ذكر الإرسال قال: ﴿أَخَاهُمْ﴾ وفي غير ذلك ذكر الاسم مجرّداً.

٢ـ ذُكر شعيب في القرآن إحدى عشرة مرة في عشر آيات، وذُكر الإرسال في ثلاثة مواضع، وهي:

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف:٨٥].

- ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود:٨٤].

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت:٣٦].

وفي ثمانية مواضع لم يُذكر الإرسال، فذكر الاسم مجرّداً:

- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف:٨٨].

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأعراف:٩٠].

- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف:٩٢].

- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود:٨٧].

- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود:٩١].

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود:٩٤].

- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء:١٧٧].

وليس في هذه المواضع كلام عن الرسالة، فهنا في هذه الآيات الثماني ليس فيها ذكر للرسالة وليس فيها ذكر للأخوّة، وهذا مضطرد في القرآن، برغم أن القرآن نزل منجماً، وهذا من دلائل النبوة نبوة محمد ﷺ.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران ٩٩ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ وفي آية الأعراف٨٦ ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ بزيادة (الواو)، فلماذا؟

الجواب:

في آية آل عمران جملة ﴿تَبْغُونَهَا﴾ حال من الضمير (تصدون) أو (من السبيل)، وإذا كان الفعل حالاً لا يدخله الواو.

وأما في آية الأعراف، فهي جملة معطوفة على جملة، ولذلك كانت ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾، كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون.



﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة لفظة ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ في الآية ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾ لتنفع في التعبير عن الأمر بالصبر للذين آمنوا تأنيساً لهم، ونفعت في كشف المصير الذي ينتظر الذين لم يؤمنوا تهديداً لهم.

فصبر المؤمنين يقودهم إلى الجنة، وصبر الكافرين، إمّا أن يخجلوا من أنفسهم فيؤمنوا وإمّا أن يجدوا العذاب.



﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

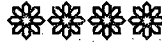
ما دلالة تقديم الجار والمجرور في آية الأعراف، فقال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ ؟

الجواب:

١ ـ قدّم الجار والمجرور في آية الأعراف ٨٩ فقال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ للدلالة على الاختصاص؛ وذلك لأنّ التوكل لا يكون إلا على الله وحده، والإنابة ليست إلا إليه وحده.

٢ ـ وفي آية الملك ٢٩ قدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ وقدّم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وذلك أنّ الإيمان لمّا لم يكن منحصراً في الإيمان بالله فقط، بل لا بدّ معه من الإيمان بالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر وغيره مما

يتوقف عليه صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين، لذلك قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأنّ غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه.



﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آيتي الأعراف ٧٨ و ٩١: ﴿دَارِهِمْ﴾ بصيغة الإفراد، بينما قال في آيتي هود ٦٧ و ٩٤: ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ بالجمع، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الصيحة: هي أشمل وأهم من الرجفة؛ لذا تصيب عدداً أكبر، حيث إنّ الصوت يمتد أكثر من الرجفة، ولهذا تؤثر في ديار عديدة، لذا جاء استخدام كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ [هود:٦٧] مع الصيحة، كما في آيتي سورة هود.

أمّا الرجفة فيكون تأثيرها في مكانها فقط؛ لذا جاء استخدام كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ [الأعراف:٧٨] مع الرجفة، كما في آيتي سورة الأعراف.

٢ـ ولم ترد في القرآن الكريم كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة.

٣ـ لذلك ترى أنه حيث ذكر (الصيحة) (جمع الدار) وحيث ذكر (الرجفة) وهي الزلزلة الشديدة (أفرد الدار)؛ وذلك لأنّ الصيحة تبلغ أكثر مما تبلغ الرجفة، فالرجفة

تختص بجزء من الأرض، أمّا الصيحة فإنما يبلغ صوتها مساحة أكبر من مساحة الرجفة، فلذلك وحّد مع الرجفة وجمع مع الصيحة، والله أعلم.



﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ بالجمع في قصة نوح الآية ٦٢ وهود الآية ٦٨ وشعيب الآية ٩٣، بينما أفرد في قصة صالح الآية ٧٧ فقال: ﴿رِسَالَةَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٢.



﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٤٢: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ وفي آية الأعراف ٩٤ ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ بالإبدال والإدغام، فما السبب ؟

الجواب:

١ ـ قال في الأنعام: ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ وفي الأعراف ﴿فِى قَرۡيَةٍ﴾ والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلمّا طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾، ولمّا كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ فجاء بما هو أقصر في البناء.

٢ ـ استعمل في الأنعام ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ﴾ وفي الأعراف ﴿أَرۡسَلۡنَا فِى﴾ والإرسال إلى شخص ما رسالة يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، وأمّا الإرسال في القرية فإنه يقتضي التبليغ والمكث، فإن ﴿فِى﴾ تفيد الظرفية وهذا يعني بقاء النبي بينهم يبلغهم ويذكرهم بالله ولا شك أنّ هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه. فجاء بالصيغة الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه فقال: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها.

السؤال الثاني:

ما البأساء والضراء ؟

الجواب:

البأساء: لغة هي الشدة عموماً والمشقة والبؤس والفقر والحرب، ولكنّ أكثر ما تستعمل في الأموال والأنفس.

الضراء: لغة تكون للمرض في الأبدان وما يصيب الأموال.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قول «فتح الله لك» وليس «فتح الله عليك»؟

الجواب:

يقال: (فتح لك) وفتح عليك، لكنّ (فتح عليك) يكون من فوق وقد يكون في الخير والشر.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر:١٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون:٧٧].

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة:٧٦].

إذن (فتح الله عليك) تأتي في الخير والشر بحسب ما يُبين الداعي أو المخبر أو ينويه، لكن تأتي من فوق. والله أعلم.



﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين(الفاء والواو) العاطفتين في بعض آيات القرآن في سورة:

(الأعراف ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠)؟

الجواب:

١ـ الفاء كما هو معلوم للتعقيب مع السبب، والتعقيب معناه أنْ يأتي بعدها مباشرة في عقب الشيء. والفاء تفيد التعقيب وتأتي للسبب، أي سببية نحو: درس فنجح.

٢ـ أما الواو فهي لمطلق الجمع وليس فيها سبب ولا يدل على ترتيب أو تعقيب كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الشورى:٣].

٣ـ الآية ٩٧ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف:٩٧]. جاء بالفاء، لأننا نلاحظ قبلها قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦] أفأمن أهل القرى هذا سبب، ولمّا قال: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ ينبغي أنْ لا يأمن الإنسان للظالم.

٤ـ الآية بعدها ٩٨ عطف ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ هذا عطف على سبب، وليست الأولى سبباً للثانية.

٥ـ الآية ٩٩ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ هذا سبب على مجموع الأمرين السابقين فبدأت بالفاء.

٦ـ الآية ١٠٠ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ليس فيها تعقيب فجاء بالواو.

٧ـ الفاء تدل على التعقيب والترتيب والسبب، فإذا كان ما قبلها سببا لما بعدها يؤتى بالفاء وإذا كان مجرد العطف مطلقاً يأتي بالواو.



﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

السؤال الأول:

لقد أَمِنَ الأنبياءُ مكرَ الله باصطفائهم للرسالة، وهناك من يسأل: كيف إذن لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ؟

الجواب:

لقد جاء في منهج الرسل جميعاً أنّ الذي يأمن مكر الله هو الخاسر، والله هو الذي أنزل المنهج للإنسان ليختار به كسب الدنيا والآخرة إنْ عمل به، وإنْ لم يعمل به فسوف يخسر طمأنينة الإيمان في الدنيا حتى وإنْ كسب فيها مالاً أو جاهاً أو علماً، ويخسر الآخرة كذلك فهو إذن أخسر الخاسرين؛ لأنه أوقع نفسه في الدنيا في الضرر وفي الآخرة في أشد العذاب.

والمكر هو الالتفاف أو الخداع فلا تكون المسائل واضحة، وبنسبته إلى الله يكون المراد به استدراجه العبد العاصي حتى يهلكه في غفلته.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأعراف ١٠٠: ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ بدون لام التوكيد، وقال في آية الزخرف ٦٠: ﴿لَجَعَلْنَا﴾ مع لام التوكيد، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

٢ـ وهنا قال في الأعراف ١٠٠: ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ بدون لام التوكيد، وقال في الزخرف ٦٠: ﴿لَجَعَلْنَا﴾ مع لام التوكيد، والسبب:

أنه نزع اللام من آية الأعراف؛ لأنّ فعلها أيسر من الآية الثانية، فأكّد ما هو أعسر وأشق وإنْ لم يكن على الله شيء عسير.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين نسبة الرسل إلى الله تعالى في الآية ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة:٣٢] ونسبتهم إليهم في الآية ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف:١٠١] ؟

الجواب:

عندما يذكرالقرآن الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: رسلنا، وعندما يتكلم بما يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: رسلهم. نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:٣٢] هذه جاءت عن الله تعالى، وذكر فيها أحكام.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف:١٠١] وهنا يتكلم عن موقف القوم من الرسل حيث كان عليهم أنْ ينتفعوا بالرسل، لكن عندما يتكلم القرآن

عما جاء به عن الله تعالى يقول: (رسلنا) وعندما يذكر موقفهم وما أصابهم وكان يمكن الانتفاع بهم يذكر (رسلهم) أي: جماعتهم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (جاء) و(أتى) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

السؤال الثالث:

لماذا حذف (الباء) من آية الأعراف ١٠١ ﴿كَذَّبُوا۟ مِن قَبۡلُۚ﴾، وذكرها في آية يونس ٧٤ ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَاۤ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الإطلاق هو سياق الأعراف، والتخصيص هو سياق سورة يونس، فأطلق التكذيب ولم يذكر (بما كذبوا) في الأعراف، بينما ذكر سياق التكذيب في يونس، فقال: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَاۤ﴾ [يونس:٧٣].

٢ ـ في الأعراف قال: ﴿وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذۡنَـٰهُم﴾ [الأعراف:٩٦] وقال: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤۡمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبۡلُۚ﴾ [الأعراف:١٠١] فلم يذكر (بما كذبوا) في الموطنين.

٣ ـ في يونس قال: ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَاۤ﴾ [يونس:٧٣] وقال: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤۡمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبۡلُۚ﴾ [الأعراف:١٠١] فذكر (ما كذبوا به) في الموطنين، فاستدعى كلُّ سياق ما ورد من ذكر وحذف.

٤ ـ بعد كل من الآيتين: انظر إلى آية الأعراف ١٠٣ وآية يونس ٧٥، حيث ذكر في الأعراف أنه بعث موسى، وفي يونس أنه بعث موسى وهارون، فزاد ذكر ﴿وَهَٰرُونَ﴾ فانظر أنه لما زاد ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في الآية ٧٣ زاد ﴿بِهِۦ﴾ في الآية ٧٤ وزاد ﴿وَهَٰرُونَ﴾ في الآية ٧٥.

٥ ـ جاء في كتاب «البرهان» للكرماني: أنّ أول القصة في سورة الأعراف في الآية ٩٦ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ ثم قال في نفس الآية: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ وليس بعدها الباء فختم القصة بمثل ما بدأ به.

وفي سورة يونس بدأها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ فختم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾ بمثل ذلك.



﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

قارن بين قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف والقصة نفسها في الشعراء.

الجواب:

أولاً ـ هناك ملاحظة عامة، وهي أنّ جميع السور التي يبدأ مطلعها بالحروف المقطعة بحرف الطاء – وهي أربع سور– تكون قصة موسى عليه السلام هي أول قصة فيها.

كما أنّ السورة التي تبدأ بالأحرف المقطعة ويكون آخرها حرف الميم تكون قصة موسى فيها مفصلةً الأحداث أكثر من الأخرى. انظر الجدول التالي:

السورة	مطلع السورة	صفة أحداث قصة موسى
طه	﴿طه﴾	تفصيل أقل
الشعراء	﴿طسٓمٓ﴾	تفصيل أكثر
النمل	﴿طسٓ﴾	تفصيل أقل
القصص	﴿طسٓمٓ﴾	تفصيل أكثر

وبالتالي فإن سورة الشعراء هي من السور التي تضمنت موضوع قصة موسى عليه السلام بشكل مفصل، وهي تحمل السمتين البارزتين التاليتين:

آ ـ التفصيل في سرد الأحداث.

ب ـ قوة المواجهة والتحدي.

أمّا القصة في سورة الأعراف، فقد بنيت على الاختصار من ناحية، كما أنه ليس فيها قوة المواجهة التي في الشعراء.

ثانياً ـ استعراض الآيات:

آيات الأعراف: ١٠٣ـ١٢٦:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ
جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ

وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا
إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ
عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ
إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ ﴾.

آيات الشعراء: ١٠ـ٥١:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ
﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ
فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ

حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ
وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ
﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ
أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

ثالثاً: ما يعنينا هنا هو ذكر الجانبين المتشابهين وما بينهما من أوجه التشابه والاختلاف في التعبير بين القصتين بحسب السياق الذي وردت فيه.

انظر الجدول التالي:

مسلسل	سورة الأعراف	سورة الشعراء
١	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف:١٠٩]	﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ ﴾ [الشعراء:٣٤]
٢	﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ ﴾ [الأعراف:١١٠]	﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ [الشعراء:٣٥]
٣	﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ [الأعراف:١١١]	﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ [الشعراء:٣٦]
٤	﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ ﴾ [الأعراف:١١٢]	﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ ﴾ [الشعراء:٣٧]
٥	﴿قَالُوٓا۟ ﴾ [الأعراف:١١٣]	﴿ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ ﴾ [الشعراء:٤١]

٦	﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف:١١٣]	﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء:٤١]
٧	﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف:١١٤]	﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء:٤٢]
٨	—	﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء:٤٤]
٩	﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف:١٢٠]	﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء:٤٦]
١٠	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ﴾ [الأعراف:١٢٣]	﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ﴾ [الشعراء:٤٩]
١١	—	﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الشعراء:٤٩]
١٢	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف:١٢٣]	﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء:٤٩]
١٣	﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف:١٢٤]	﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء:٤٩]
١٤	﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف:١٢٥]	﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشعراء:٥٠]

رابعاً ـ الملاحظات حول النقاط المبينة أعلاه بحسب رقم المسلسل:

١ـ في الأعراف القائلون هم ملأ فرعون في حين القائل في الشعراء هو فرعون نفسه لبيان زيادة غطرسته.

٢ـ زاد في الشعراء كلمة ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ لمناسبة مقام التفصيل فيها وللتأكيد على السحر.

٣ـ قال في الأعراف ﴿وَأَرْسِلْ﴾ وفي الشعراء ﴿وَٱبْعَثْ﴾ والبعث فيه معنى الإنهاض والإرسال، فكان طلب فرعون من يبعث؛ ليثير المجتمع على الإثارة والتهييج.

٤ـ قال في الأعراف: ﴿سَٰحِرٍ﴾ وفي الشعراء: ﴿سَحَّارٍ﴾ بصيغة المبالغة لتتناسب مع المبالغة في التحدي وغضب فرعون واندفاعه للنيل من موسى.

للعلم ذكرت لفظة (السحر) في الشعراء عشر مرات وفي الأعراف سبع مرات، وهذا يتناسب مع جو كل سورة.

٥ـ ذكر في الشعراء أنهم قالوا لفرعون، ولم يذكر في الأعراف أنهم قالوا له ليتناسب مع السياق، حيث إن فرعون تولى هذه المهمة بنفسه، فناسب ذلك أنْ يواجهوا فرعون بالقول بخلاف ما في الأعراف.

ولا يفهم من هذا أنّ ثمة تناقضاً بين الموقفين، فقد قال فرعون هذا القول وردده ملؤُه، فذكر القول عنه مرة وذكره عن الملأ مرة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق.

٦ـ حذف همزة الاستفهام في الأعراف وذكرها في الشعراء، وذلك لمّا كان المقام مقام إطالة ومبالغة في المحاجّة جيء بهمزة الاستفهام لتشترك في الدلالة على قوة الاستفهام والتصريح به.

٧ـ زاد كلمة ﴿إِذًا﴾ في الشعراء؛ لتدل على قوة الوعد وتوكيده، ثم إنّهم لّما أكّدوا السؤال بزيادة الهمزة في الشعراء أكّد لهم الجواب بذكر ﴿إِذًا﴾.

٨ـ أقسم السحرة بعزة فرعون في الشعراء، ولم يقل مثل ذلك في الأعراف، ذلك أنّ المقام في الشعراء مقام الانتصار لعزة فرعون في مواجهته لموسى، وذكر هنا الحبال والعصي في الشعراء، وهو المناسب لمقام التفصيل فيها، ولم يذكر ذلك في الأعراف؛ لأنّ المقام مقام إجمال.

٩ـ ثم انقلب المشهد مباشرة من غير مهلة بعد تأكيد الوعود من فرعون وتمنية السحرة بالقربى منه والقسم بعزته ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

وهذا المشهد هو المناسب لقوة التحدي، فإنّ سرعة النصر الحاسم بعد قوة التحدي هو المناسب لمثل هذا المقام.

في حين لا تجد مثل هذا التعقيب في الأعراف ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

١٠ـ ولا ندري كم مضى من الوقت بين انقلابهم صاغرين وسجودهم، فإنه جاء بالواو في الأعراف ﴿وَأُلْقِيَ﴾ والواو لا تفيد التعقيب، وجاء بالفاء التي تفيد التعقيب في الشعراء ﴿فَأُلْقِيَ﴾، لأنّ الموقف يتطلب ذلك.

وليس ثمة تناقض بين القولين؛ فإن الفاء لا تناقض الواو، وإنما هي واقعة في أحد أزمنتها المحتملة.

١١ـ قال في الأعراف: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ وفي الشعراء ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ والضمير ﴿بِهِۦ﴾ يعود على الله، وفي ﴿لَهُۥ﴾ يعود على موسى؛ وذلك أنّ موسى أغضبه في الشعراء أكثر مما في الأعراف، فذكره في الشعراء ولم يذكره في الأعراف.

١٢ـ قال في الشعراء: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ ، ولم يقل مثل ذلك في الأعراف، وهذا يدل على شدة غضب فرعون من موسى.

١٣ـ قال في الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بزيادة اللام ليؤكد تهديده، وذلك لأنّ الموقف موقف غضب زائد.

١٤ ـ قال ﴿ثُمَّ﴾ في الأعراف، أي: أعطاهم مهلة؛ لأنّ (ثم) تفيد التراخي، ولم يعطهم مهلة في الشعراء؛ وذلك لزيادة غضبه واحتراق قلبه.

١٥ـ زاد في الشعراء كلمة ﴿لَا ضَيْرَ﴾ وهو المناسب لمقام التفصيل ومناسب للرد على مقام التهديد الشديد من فرعون ليبينوا لفرعون أنهم أقل اكتراثاً حتى من تهديده الكبير.

وقد تقول: لماذا لم يذكروه في الموطنين ؟

والجواب: أنّ ذكره في الموطنين مخل بالإيجاز في سورة الأعراف التي بنيت القصة فيها على الاختصار، وذكرها في الشعراء؛ لأنّ القصة فيها مبنية على التفصيل.

وغني عن القول إنّ اختيار الألفاظ والعبارات كان مقصوداً لخدمة الناحية الفنية في أدق معانيها وأكمل صورها، والله أعلم.



﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ في آية الأعراف ١٠٥ ؟ ولماذا لم يذكر الرسالة هنا ؟

الجواب:

١ـ في الآية الكلام من موسى عليه السلام إلى فرعون.

٢ـ موسى عليه السلام عاش فترة طويلة في بيت فرعون، وكان فرعون يدعي الألوهية ويعرف هو بنفسه أنه ليس رباً وأنّ كل من حوله يكذبون عليه بمن فيهم السحرة، وفرعون يعرف موسى وأنه ليس من السحرة وليس كبيرهم، ولكنه يريد أنْ يشيع كلاماً يخرج به إلى الناس، وهو أنه حدثت عليه مؤامرة من كبير السحرة موسى والسحرة تلامذته؛ ولذلك سيقتص منهم.

٣ـ وموسى عليه السلام يعلم أنّ فرعون يعيش بالكذب ومحاط بالكذب فأراد أنْ ينبهه على وضعه فقال: ﴿حَقِيقٌ﴾ أي: أنه إنسان صادق ليس كهؤلاء الذين يحيطون به، والقضية هنا ليست قضية الرسالة، وإنما: أنا صادق في قولي ورسول من رب العالمين إلى

بني إسرائيل، فرسالته ورسالة عيسى عليهما السلام محدودتان محصورتان في بني إسرائيل، وكانت رسالة موسى إلى فرعون فقط ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٧﴾ [الشعراء:١٧]

٤ـ هناك قراءتان ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ ﴾ وهي قراءة سبعية، والأخرى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وهي قراءة جمهور القراء. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأعراف ١٠٥ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ ، بينما قال في آية طه٤٧ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ [طه:٤٧]، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف١٠٥: الكلام فيها على لسان موسى عليه السلام وحده، فقال: ﴿مَعِيَ﴾.

٢ـ في آية طه٤٧: المرسل فيها موسى وهارون عليهما السلام، فقال: ﴿مَعَنَا﴾.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ متى تكتب: (أن لا) منفصلة؟ ومتى تكتب متصلة:(ألا)؟

الجواب:

قاعدة الوصل والفصل ليست باتفاق المصاحف، فهناك قسم متفق على فصله، وآخر متفق على وصله، وقسم ثالث مختلف عليه.

لفظة (ألاّ):

توصل ألاّ: في جميع القرآن إلا في عشرة مواضع بالاتفاق، وهي:

[الأعراف ١٠٥ و ١٦٩ـ التوبة ١١٨ـ هود ١٤و ٢٦ـ الحج ٢٦ـ يس ٦٠ـ الدخان ١٩ـ الممتحنة ١٢ـ القلم ٢٤].

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿حَقِيقٌ﴾ ما كلمات منظومة أنّ الأمر قد وقع وثبت ؟

الجواب:

الكلمات هي:

لا جرم:

هي بمعنى حقاً وأنّ الأمر ثبت، ولكنه وعيد بالمستقبل، أي: أنّ الوعد ليس ناجزاً الآن، بل في المستقبل:[هود ٢٢ـ النحل ١٠٩].

حق:

عندما ينفذ الوعيد أي حق العذاب ولا مجال لهروب الكافر:[الصافات ٣١ـ ص ١٤ـ يس ٧].

حاق:

بمعنى (أحاط)، وتعني الشدة في تنفيذ الأمور، كما في الآية: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر:٤٥]

حقيق: وتعني التأكيد على شيء ثابت مقرر، وهي من مشتقات كلمة (حقَّ): [الأعراف ١٠٥].

وجب: بمعنى: حقه أنْ يوجد، ومنه قول الفقهاء: الواجب، أي: إذا لم يفعله يستحق العذاب: [الحج ٣٦].

لزم: تدل على طول المكث والمدة:[الفتح ٢٦ـ طه ١٢٩].



﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) ﴾

السؤال الأول:

ورد في القرآن الكريم ذكر عصا موسى عليه السلام بأوصاف مختلفة مرة بالجان ومرة بالثعبان ومرة بالحية، فما الفرق بينها؟

الجواب:

المعاني اللغوية:

١ـ الجان: هو فرخ الحية خفيفة سريعة الحركة تتلوى بسرعة.

٢ـ الثعبان: هو الحية الطويلة الضخمة الذَّكَر.

٣ـ الحية: عامة في غلظها وطولها، وتشمل الصغيرة والكبيرة، فالثعبان حية، والجان حية.

طريقة الاستعمال في القرآن:

أ ـ كلمة (ثعبان) لم يستعملها إلا أمام فرعون في مكانين ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف:١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء:٣٢] وذلك لإخافة فرعون من ثعبان ضخم يُدخل الرهبة في قلبه فذكر الثعبان فقط أمام فرعون.

ولم يذكر الجان مع فرعون؛ لأنه مع الملأ الموجودين إذا كانوا مئات وتأتي بجان واحد ماذا يؤثر؟ لذا اختار(ثعبان)؛ لأنه يحتاج إلى ضخامة وقوة.

ب ـ كلمة (الجان) ذكرها مرتين في موطن خوف موسى عليه السلام في القصص ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص:٣١] وفي النمل ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠] واختيار كلمة (جان) هو في مقام الخوف ﴿يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل:١٠] وفي القصص ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [القصص:٣١] عصا يلقيها فتكون جاناً، واختيار كلمة (جان)؛ لأنّ الإنسان يخاف من الجان، والجان يخيف أكثر من الثعبان، فمع الخوف استعمل كلمة جان، وسمي جاناً؛ لأنه يستتر بمقابل الإنس (الإنس للظهور والجن للستر)، هذا من حيث اللغة.

وقد يظهر الجان بشكل أو يتشكل بشكل، كما حدث مع أبي هريرة رضي الله عنه، فقد يظهر الجان بشكل من الأشكال.

ج ـ الحية جاءت في مكان واحد لبيان قدرة الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه:٢٠-٢١] لم يقل إن موسى هرب أو فزع.

فالقرآن ذكر الثعبان مع فرعون؛ لأنه مخيف، وذكر الجان مع موسى؛ لأنه يدخل الرعب على قلب موسى، وذكر الثعبان مرتين أمام فرعون والجان مرتين أمام موسى.



﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البعث والإرسال) ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف:١١١] و ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء:٣٦] ؟

الجواب:

١ـ الإرسال: أنْ ترسل رسولاً تحمّله رسالة لطرف آخر.

٢ـ البعث: فيه معنى الإرسال وزيادة في المعاني مثل (بعث الموتى) بمعنى يقيمهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة:٢٤٧] أي: أقامه منكم.

وفيه تهييج كقولهم: إنّ للفتنة بعثات، أي: إثارات، كما في آية الإسراء ٥ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ حيث بيّن فيها البأس الشديد والقوة والقسوة والجوس وما فيه من إثارة.

لذلك البعث يستعمل فيما هو أشد.

٣ـ نضرب مثالاً في قصة موسى عليه السلام في الشعراء والأعراف:

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ [الشعراء:٣٦] و ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ [الأعراف:١١١].

القصة قصة موسى عليه السلام في الحالتين: الملأ يقولون لفرعون ﴿وابعث في المدائن وأرسل في المدائن﴾، ننظر لتكملة كل آية من الآيتين ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ [الشعراء:٣٧] صيغة مبالغة، والثانية ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ [الأعراف:١١٢] (ساحر) ليس فيها مبالغة، بينما (سحّار) فيها مبالغة؛ لأنه في الشعراء المحاجّة أشد مما كانت في الأعراف.

و لو قرأنا قصة موسى وفرعون في الشعراء نجد أنّ المواجهة فيها أشد من الأعراف، وفرعون كان غاضباً، فقالوا: (وابعث في المدائن)، أي: أرسل وأقم من المدينة من يهيّج عليه أيضاً، وهذا معنى ﴿وَٱبْعَثْ﴾ [الشعراء:٣٦] أن تبعث؛ أي تهيّج و تقيم؛ لذا قال بعدها: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ [الشعراء:٣٧] ولمّا قال: (أرسل) قال: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ [الأعراف:١١٢]. فالبعث هو أشد وفيه حركة، أمّا الإرسال فلا.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ

 ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣﴾ [الأعراف:١١٣] و﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١﴾ [الشعراء:٤١] حيث حذفت الهمزة من آية سورة الأعراف ١١٣، ولم تحذف من آية الشعراء ٤١، فلماذا؟

الجواب:

أـ الأصل أنه يجوز حذف همزة الاستفهام إذا دلّ عليها دليل.

أمثلة شعرية:

فـوالله مـا أدري وإن كنـت داريـاً بسـبعٍ رَمَـينَ الجمـر أم بـثمانِ؟

طربت وما شـوقاً إلى البيض أطـرب ولا لعبـاً منـي وذو الشـيب يلعـب؟

أي: أبسبع رمين الجمر؟ فقد حذف الهمزة في البيت الأول، كما حذفها في البيت الثاني: أذو الشيب يلعب؟

ب ـ وفي القرآن حذفت الهمزة من آية سورة الأعراف ١١٣ ولم تحذف من آية الشعراء ٤١، فلماذا ؟

الجواب يكمن في السياق لكلٍّ من السورتين، فالموقف في سورة الشعراء موقف تحدٍّ كبير ومحاجّة شديدة طويلة أشد وأطول مما هو في سورة الأعراف، فوضع لكل سياق ما يناسبه من الألفاظ، وزاد الهمزة في مقام زيادة التحدي والمحاجّة وحذفها في الموطن الآخر، وإليك بيان ذلك من نماذج الاختلاف في التعبير بين السياقين:

١ـ في سورة الشعراء سأل فرعون موسى عليه السلام عن رب العالمين، وأجابه إجابة طويلة ورمى فرعون موسى بالجنون وهدده بالسجن ولم يرد ذلك في الأعراف.

٢ـ قال في الأعراف:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ وقال في الشعراء: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فنسب في الشعراء القول إلى نفسه دلالة على زيادة ضيق فرعون.

٣ـ قال في الأعراف: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ وفي الشعراء: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فزاد في الشعراء كلمة ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ .

٤ـ قال في الأعراف: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ وفي الشعراء ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ بصيغة المبالغة ﴿سَحَّارٍ﴾ ، لاحتدام الموقف وشدة المبالغة في الخصومة والمحاجّة.

٥ـ قال في الأعراف:﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ وفي الشعراء: ﴿ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ بزيادة الهمزة في الشعراء؛ ليدل على قوة الاستفهام وشدة اللهفة إلى استماع الجواب من فرعون، إضافة أنه أضمر المقول له والهمزة بالأعراف وصرح بهما في الشعراء.

٦ـ قال في الأعراف: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وفي الشعراء ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ فزاد ﴿إِذًا﴾ في الشعراء، وهي مناسبة للسياق.

٧ـ قال في الشعراء: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ فأقسموا بعزة فرعون، ولم يذكر ذلك في الأعراف.

٨ـ قال في الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ وفي الشعراء ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فزاد اللام في الشعراء زيادة في التوكيد.

٩ـ قال في الأعراف: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ وفي الشعراء ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فزاد في الشعراء ﴿لَا ضَيْرَ﴾ زيادة في التبكيت وعدم الاهتمام بعذاب فرعون، وهذه الزيادة تناسب الجو والسياق.

١٠ـ وإليك ملخصاً لأهم ما ذُكر أعلاه:

الأعراف	الشعراء
في الأعراف ذكر أنّ ملأ فرعون هم الذين قالوا إن موسى ساحر ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٩]	في الشعراء تتسم القصة بسمتين بارزتين أولهما التفصيل في سرد الأحداث والآخر قوة المواجهة والتحدي؛لأن موسى أمام فرعون ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . في الشعراء فرعون هو الذي قال وليس الملأ ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لأن الكلام كان شديداً بينه وبين موسى. في الشعراء ناسب أن يواجهوا فرعون بالقول؛ لأنه هو الذي قال.
في الأعراف قال ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ لم يقل (قالوا لفرعون)؛ لأنّ المتكلم كان الملأ، والقائل الأول ليس فرعون.	وفي الشعراء قالوا ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .
﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ - استفهام لكن لم يذكروا همزة الاستفهام. الفرق بين ﴿ إِنَّ ﴾ وأئن، هو أن (أئن) استفهام مضمر (هل تذهب؟) أحياناً حرف الاستفهام يضمر ولا يذكر لكن يفهم من السياق تذهب معي؟ أصلها أتذهب معي؟.	في الشعراء قالوا لفرعون ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ لم يقولوا إن زيادة في التوكيد وزيادة في سرد الأحداث لما كان التفصيل أكثر قال (أئن). الوضع فيه شدة وحدة وتفصيل أكثر والاستفهام أدل على هذا الأمر وصرحوا بالهمزة ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .
حتى في الجواب قال في الأعراف ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ	وفي الشعراء قال ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ

﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾	﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أضاف (إذن)؛ لأن الموقف مختلف، يريد أن ينتصر، وكان الكلام شديداً مع موسى، ولا يمكن أن يواجهه الحجة.

١ ـ وهذا جدول بأهم الفروق بين القصتين بشكل مختصر:

سورة الأعراف	سورة الشعراء
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ (قول الملأ)	﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ (قول فرعون)
﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾
﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾	﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾
﴿قَالُوٓا۟﴾	﴿قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ﴾
﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾	﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾
﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾	﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾
	﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾
﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾	﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾	﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾
	﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾
﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾	﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾	﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾

﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾	﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾



﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التقديم والتأخير في ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ في آية الأعراف ١٢٢ـ والشعراء ٤٨ و ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ في آية طه ٧٠؟

الجواب:

١ـ ننظر الآيات: في سورة طه ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ في الشعراء، وفي الأعراف قال ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ .

٢ـ لو نلاحظ ذكر هارون نجده قد تكرر كثيراً في سورة طه، وجعله تعالى شريكاً في تبليغ الدعوة، أمّا في الشعراء فلم يذكر هارون إلا قليلاً.

في سورة طه قال: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٢:٥٠].

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾

[طه: ٦٣] بينما في الشعراء قال: ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣﴾ ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ وينتهي، ولم يرد بعدها ذكر هارون.

٣- ثم إن الخطاب من فرعون موجه لموسى وحده، وهارون ليس له دور كبير في الشعراء، وإنما الكلام كان بين موسى وفرعون، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾ في الشعراء التركيز على موسى، أمّا في طه فالتركيز مشترك.

٤- وفي طه ذكر خوف موسى لمّا ألقى السحرة ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾ ولم يذكر خوف هارون فقدم (هارون)، بينما في الشعراء الكلام كله لموسى ولم يذكر الخوف؛ فقدّم موسى.

وفي الأعراف لم يرد ذكر لهارون إلا في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١﴾ فقط، فلا يستوي أنْ يقدّم هارون في الأعراف والشعراء.

٥- إذن مسألة التقديم والتأخير تراعي سياق الحال الذي يتكلم عنه القرآن الكريم.

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ القرآن لم يستعمل مطلقاً مضارعاً للفعل (جاء)، ولم يستخدم إلا الفعل الماضي (جيء، جاء) ولم يستعمل فعلاً مضارعاً لجاء، ولا فعل أمر ولا اسم مفعول ولا اسم فاعل، وإذا أراد أن يستخدم مضارعاً يستعمل الفعل (يأتي).

٢ـ يقولون: المجيء بمعنى الإتيان، لكنّ الإتيان أيسر من المجيء، ويستعمل القرآن الفعل (جاء) لما فيه صعوبة، والفعل (أتى) لما هو أيسر وأسهل.

٣ـ جاء في الآية ﴿أُوذِينَا﴾ في الماضي؛ لأنه تاريخ، وجاء ﴿تَأۡتِيَنَا﴾ في المضارع؛ لأنّ القرآن لا يستعمل مضارع (جاء)، ثم جاء الفعل ﴿جِئۡتَنَاۚ﴾ بالماضي على طريقة القرآن، وفيه دلالة منهم على زيادة الأذى عليهم بعد ما جاء موسى عليه السلام إليهم.

٤ـ جاء في الآية أولاً ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ باستخدام ﴿أَن﴾، ثم قال: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ باستخدام ﴿مَا﴾ .

و (ما) تحتمل أنْ تكون مصدرية أي: إتيانك شخصياً، ويمكن أنْ تكون موصولة أي: بعد الذي جئتنا به، وهو الرسالة، وهذا من باب التوسع في المعنى؛ لأنّ موسى عليه السلام جاء هو بنفسه ومعه الرسالة، ولو قال: من بعد أنْ جئتنا، لأعطت معنى واحداً.

٥ـ الفرق بين ما المصدرية وما الموصولة: السياق يحددها، لكن هنالك أمراً يقطع بذلك، وهو أنه إذا كان العائد موجوداً، وهو الضمير الذي يعود على الاسم الموصول فهذا يقطع بأنها اسم موصول، وفي حالة عدم وجود العائد نبحث عن المعنى: هل يحتمل المصدرية أو الموصولة، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] (ما) هنا اسم موصول، أي: صدقوا الذي عاهدوا الله عليه، ولو حذف في غير القرآن (عليه)، لو قال: (صدقوا ما عاهدوا الله) يكون: صدقوا عهد الله نفسه والعهد الذي عاهدوا عليه.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿عَسَىٰ﴾ في القرآن الكريم بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ ﴿عَسَىٰ﴾ هي من أفعال الترجي و﴿لَعَلَّ﴾ فيها معنى الإطماع والإشفاق.

٢ـ قسم من المفسرين يقولون: (عسى) في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن الكفار قالوا: (عسى) انظر [الشعراء ١٢٩ـ طه ٤٤ـ غافر ٣٦].

٣ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجب وليست في القرآن واجبة: [المائدة ٥٢ـ الأعراف ١٢٩ـ التحريم ٥].

٤ـ قسم قالوا: ليست من الله واجبة، وإنما يذكره الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله:[الأنفال ٤٥].

٥ـ أي ليس هناك حكم مطلق بخصوص عسى ولعل، وتقدر كل حالة بقدرها، والله أعلم.



﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ ما الفرق بين عام وسنة وحول وحجج ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٣.



﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

كم مرة ورد الفعل ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١.



﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة اليم ٨ مرات و لفظة البحر ٨ مرات في قصة موسى وورود لفظة البحرين مرة واحدة؟

الجواب:

١ـ وردت لفظة ﴿الْيَمِّ﴾ في قصة موسى عليه السلام ثماني مرات ووردت لفظة ﴿الْبَحْرَ﴾ في القصة نفسها ثماني مرات أيضاً، والقرآن يستعمل اليم مرة والبحر مرة أخرى في القصة نفسها.

٢ـ ﴿الْيَمِّ﴾ أصلها عبراني: يما، وجاءت في قصة موسى عليه السلام أي في قصة العبرانيين، وهذا من التناسب اللطيف، ومن الملاحظ أنّ القرآن لم يستعمل اليم إلا في مقام الخوف والعقوبة، ولم يستعمل اليم في مقام النجاة، وهذا من خصوصية القرآن في الاستعمال كونها خاصة بالخوف والعقوبة.

والعرب لا تجمع كلمة (يم)، فهي مفردة، وقالوا: لم يسمع لها جمع ولا يقاس لها جمع، وإنما جمعت كلمة بحر (أبحر وبحار).

٣ـ ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ عام، والقرآن يستعمل اليم في مقام الخوف والعقوبة، والبحر في مقام النجاة أو العقوبة، واستعملها القرآن في النِّعم لبني إسرائيل وغيرهم.

ووردت كلمة (البحرين) مرة واحدة في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، كما في آية الكهف ٦٠.

٤ـ يستعمل اليم للماء الكثير وللنهر الكبير المتسع وللبحر أيضاً.

* شواهد قرآنية: اليم:

ـ ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧]. هذا خوف.

ـ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه:٣٩]. هذا خوف.

ـ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٤٠]. هذه عقوبة.

ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف:١٣٦]. هذه عقوبة.

ـ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨]. هذه عقوبة.

* شواهد قرآنية: البحر:

ـ ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء:٦٣]. في النعم.

ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٥٠]. في النجاة.

ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ [النحل:١٤]. في النعم.

ـ ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [النمل:٦٣]. في النعم.

ـ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٦٧] في النعم.

- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة:٥٠] في الإغراق والإنجاء.

- ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي أنجيناهم.

- ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه:٧٧]. في النجاة.



﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة (القوم) و(مشارق) في الآية ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ ؟

الجواب:

فعل (أورثنا) ينصب مفعولين، وعليه فإنّ القوم: مفعول به أوّل، ومشارقَ: مفعول به ثان لفعل (أورثنا).

وهذا ينطبق أيضاً على قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧] أرضهم: مفعول به أول، وديارهم: مفعول به ثان.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ بصيغة المبني للمعلوم، بينما في آيات أخرى يقول: ﴿أُورِثُوا﴾ [الشورى:١٤] بصيغة المبني للمجهول، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

يسند الله الأمر إلى ذاته في مقام المدح، ويبني الفعل للمجهول في مقام الذم.

لذلك نجد أنّ الفعل ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ وهو مبني للمعلوم يأتي في سياق الخير وذكر النعم من الله تعالى، بينما الفعل المبني للمجهول يأتي في سياق الذم والعقوبات على أهل الكتاب أو الأقوام السابقة.

* شواهد قرآنية: أورثنا:

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ [غافر:٥٣-٥٤].

- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ [الأعراف:١٣٧].

* شواهد قرآنية: أورثوا:

- ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى:١٤].

﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في آية البقرة ٤٩ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ وفي آية إبراهيم٦ ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم:٦] وفي آية الأعراف١٤١ ﴿يُقَتِّلُونَ﴾، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤٩.

السؤال الثاني:

قال في آية البقرة ٤٩﴿نَجَّيۡنَٰكُم﴾، وفي آية الأعراف١٤١﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾ فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤٩.



﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ
لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة ٥١: ﴿وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ وقوله في آية الأعراف ١٤٢: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١] وقال في سورة الأعراف: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ آية فيها إجمال وآية فيها تفصيل، لكنْ لماذا جاءالإجمال في موضع والتفصيل في موضع آخر؟

لو عدنا إلى سياق سورة البقرة نجد أنه وردت فيها هذه الآية فقط في هذا المجال، بينما في المشهد نفسه في سورة الأعراف تفصيل كبير في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ الكلام طويل والقصة والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف ولم تذكر في البقرة؛ لأنّ المسألة في البقرة فيها إيجاز فناسب التفصيل في سورة الأعراف والإيجاز في سورة البقرة؛ لذا جاء في الأعراف أنّ موسى عليه السلام صام ثلاثين يوماً ثم أفطر، فقال تعالى: صم، فصام عشرة أيام أخرى، أمّا في سورة البقرة فجاءت على سبيل الإجمال (أربعين يوماً).

السؤال الثاني:

ما دلالة وعد الله تعالى لموسى عليه السلام في الآية ؟ ولماذا كان التحديد هنا بالليالي؟

الجواب:

وَعْدُ الله تعالى لموسى عليه السلام كان لإعطائه المنهج لإبلاغ بني إسرائيل.

وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائماً بالليالي، والسبب أنك تستطيع أن تحدد الزمن بمجرد أنْ تنظر إلى القمر، فتقول: القمر هلالاً أو بدراً أو أول الشهر، وأما قرص الشمس في النهار فلا يحدد لك في أي وقت من الشهر نحن.

والبدوي في الصحراء يستطيع أنْ يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالي فيقول لك مثلاً: هذا القمر ابن كذا ليلة.

وكلمة (وعد) هي الإخبار بشيء سار، و(الوعيد) هو الإخبار بشيء سيء.



﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في الآية ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ ومقام العبودية في قوله تعالى في آية الإسراء ١ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ ؟

الجواب:

الإنسان عندما يقول عن نفسه: أنا عبد الله، فهذا تواضع، والله تعالى عندما يقولها عن عبد يكون تكريماً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾﴾ [النجم:١٠] ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص:١٧] هذا من الله تكريم.

ولذلك يقولون إنه لمّا قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] أي لمّا ذكر كلمة (عبد) عرج به إلى السموات العلى وإلى سدرة المنتهى، ولمّا ذكر موسى باسمه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣]. إذن مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ ؟

الجواب:

قضية رؤية الله في الدنيا محسومة وأنه لا سبيل إلى ذلك، والإنسان في جسده البشري المحكوم بقوانين دنيوية، وأمّا في الآخرة فنكون خَلقاً محكوماً بقوانين تختلف عن قوانين الدنيا.

فالجسد البشري في الدنيا له فضلات وفي الآخرة لا مخلفات، وفي الدنيا يحكمنا الزمن، وأمّا في الآخرة لا زمن ولا فضلات.

ولقد حسم الله تعالى المسألة مع سيدنا موسى عليه السلام بأنْ أراه العجز البشري؛ لأنّ الجبل بقوته وجبروته لم يستطع احتمال نور الله فجعله دكّاً فصعق موسى عليه السلام.

وإذا كان موسى عليه السلام قد صعق برؤية المتجلَّى عليه، فكيف لو رأى المتجلِّي؟!!!

والإنسان حين يعجز عن إدراك شيء في الدنيا؛ لأنه مخلوق بهذه الإمكانات يكون العجز عن الإدراك إدراكاً.

والحق يبين لنا في سورة البقرة قصة الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥] و كذلك في قصة موسى عليه السلام فقد أصيب بالصاعقة أيضاً.

ولكن هناك فرقاً بين الحالتين، فمع موسى قال الله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ أي: أن الصاعقة أصابته بنوع من الإغماء، ولكنْ مع قوم موسى قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فكأنّ القوم ماتوا فعلاً من الصاعقة، ثم بُعثوا لعلهم يشكرون، أمّا موسى عليه السلام فقد أفاق من تلقاء نفسه.

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال (إن) في الآية ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ ؟ ولماذا لم يستعمل (إذا) ؟

الجواب:

ـ إنْ: تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

شواهد للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

شواهد للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ ـ المائدة ٦.

شواهد للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

شواهد للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

ـ إذا: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات:[البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

شواهد وأمثلة مشتركة تتضمن إذا وإن معًا: [التوبة ٥ ـ البقرة ١٨٠ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥].

السؤال الرابع:

ما دلالة قول تعالى في الآية ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ؟

الجواب:

التقدير بإضمار اللام، أي: لأنظر إليك، وليس إنْ تُرني أنظر إليك. والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ ؟

الجواب:

هذا قول موسى عليه السلام أنه أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا ولم يرد الإيمان الذي هو بمعنى الدين. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، لأن رؤية موسى عليه السلام لله عز وجلّ في هذا العالم المادي المحكوم بإطار المكان والزمان تقتضي أنّ الله ـ تعالى عن ذلك ـ يكون من مادة، وبالتالي محكوم بإطار المكان والزمان، وهذا يتنافى مع صفات الألوهية لله عز وجل؛ ولذلك قال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾.

وحتى يقرب الله تعالى هذه المسألة لموسى عليه السلام قال له: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فلمّا نظر موسى عليه السلام إلى الجبل، ذلك الكائن المادي المحكوم بإطار المكان والزمان، وأحاط بصره من وجود هذا الجبل في إطار المادة والمكان والزمان، عند ذلك تجلّى الله تعالى للجبل، أي: ظهر نوره للجبل في إطار المكان المحيط بهذا الجبل.

وعندما نقارن بذهننا بين الطاقة المودعة في مادة هذا الجبل وعظمة النور الإلهي وقدرته، ندرك أنه لم يبق في ذلك المكان الذي كان يشغله الجبل أي شيء من مادته، فلم يُبق منه شيئاً ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ وعندما أدرك موسى عليه السلام جوهر هذه القضية خرّ صعقاً، وأدرك أنّ هذه المسألة مرتبطة بصفات الكمال المطلق لله تعالى، وأنه أسمى من أنْ يحيط به مكان محدد، وما يقتضيه ذلك من عدم إدراك الأبصار له، وعدم قدرة الحواس عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٣].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ
ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن
كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ
يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (١٤٥)﴾

السؤال الأول:

قال في الأولى١٤٤: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ وقال في الآية الثانية ١٤٥: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ فذكر القوة، ولم يذكرها في الآية الأولى. فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في الإيتاء، والآية الثانية في الإيتاء والتبليغ، فقد أمره الله أنْ يأخذ ما آتاه بقوة ويبلغ قومه، وقال له: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ وهذا أمر بالتبليغ، والتبليغ يحتاج إلى قوة وجهد وعزيمة.

٢ـ في الآية الثانية طلب من قومه أنْ يأخذوا بأحسنها، ولم يقل يأخذوا بها، والأخذ بالأحسن أقوى من عموم الأخذ.

وإذا كان قومه مأمورين أنْ يأخذوا بالأحسن كان من المناسب أنْ يأخذها بقوة.

٣ـ في الآية الثانية تفصيل ليس في الأولى، فلمّا أجمل في الأولى أجمل في الأمر بأخذها، ولمّا فصّل في الثانية فصّل في الأمر بأخذه، فناسب الإجمال الإجمال والتفصيل التفصيل.

٤ـ ومما حسّن ذلك أن الآية الأولى جاءت عقب إفاقة موسى بعدما خرّ صعقاً كما ورد في الآية ١٤٢، والصعق في الآية هو أنْ غشي عليه، ولمّا أفاق من الصعق كان واهن القوى، فلم يذكر الأخذ بالقوة بعد ذكر الإفاقة مباشرة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة رسم الواو في القرآن في قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾؟ ولماذا زيدت الواو ؟

الجواب:

١ـ تفيد زيادة الواو على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعلى طبقة وأعظم رتبة في العيان.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥].

ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الأنبياء:٣٧].

فقد زيدت الواو تنبيهاً على ظهور ذلك الفعل للعيان بأكمل ما يكون، والآيتان جاءتا للتهديد والوعيد.

٢ـ قواعد زيادة الواو:

اتفقوا على زيادة واو ـ تكتب ولا تقرأ ـ فيما يلي:

آ ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الأنبياء:٣٧].

ب ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥].

ج ـ بعد الهمزة نحو: ﴿أُوْلُواْ﴾ ﴿أُوْلَٰتِ﴾ ﴿أُوْلَآءِ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الرُّشد والرَّشَد) مع أنّ (الرَّشَد) مستخدمة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ الرُّشد معناه: الصلاح والاستقامة، و يكون في الأمور الدينية والدنيوية،أي في الأمور الدنيوية والأخروية.

٢ـ الرَّشَد: ويكون في أمور الآخرة. والكثير من الرَّشَد أنه يستعمل في أمور الدين.

أي: أنّ الرُشد يكون في أمور الدنيا والآخرة، والرَّشَد في أمور الآخرة.

* شواهد قرآنية: الرُّشد:

ـ ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء:٦] أمر دنيوي.

ـ ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾ [الكهف:٦٦] أمر دنيوي موسى يتبع الرجل الصالح.

ـ ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦] أمر أخروي.

ـ ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف:١٤٦] أمر أخروي.

* شواهد قرآنية: الرَّشَد:

- ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف:١٠].

- ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤] وأغلب ما تستعمل في أمور الدين.

هذا ما قاله قسم من اللغويين، وإنْ كان قسم قالوا: هاتان لغتان، لكنْ هما في القرآن هكذا، فيستعمل الرُّشد في أمور الدنيا والدين، والرَّشَد في أمور الدين. وقسم قالوا: هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني. والله أعلم.



﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ في آية الأعراف ١٤٧؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

حبطت الدابة تحبط حَبَطاً، أي: انتفخ بطنها من كثرة الأكل أو من أكل ما لا يوافقها.

حبط الماء في البئر، أي: غار في الأرض وذهب تماماً.

الحباط هو وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الأكل أو لأكل ما لا يوافق، فيظن أنها سمينة متينة ولكنها في الحقيقة متورمة مريضة هزيلة وظاهرها يخدع عن باطنها وحقيقتها.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة:٥].

- ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ [الأعراف:١٤٧].

- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ [الكهف:١٠٥].

ورد في الحديث النبوي «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم**» وهذا الحديث هو مثلٌ للإنسان الحريص البخيل الذي يفرط في جمع المال ويمنع من إنفاقه في الوجوه المشروعة، فهو ممتلىء مالاً ولكنه بخيل يقتل نفسه ويقتل غيره بحرصه الشديد.

وفي الحياة تقابل أصنافاً من الناس غرقوا في الحياة، وهم يجمعون المال بطرائق متعددة وينفقونها بطرائق تغضب الله ورسوله، كما تجد قوماً آخرين يذهبون ويعودون ويعملون أعمالاً كثيرة متنوعة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولكنهم مع الأسف واقعون في وهم كبير؛ لأنّ أعمالهم لا يقصد بها وجه الله تعالى، بل ربما تحارب دين الله وتخالف أحكامه.

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ  ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الجسد والجسم ؟

الجواب:

الجسم: يطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة.

الجسد: يطلق على التمثال الجامد أو بدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه.

السؤال الثاني:

استعمل القرآن (أنّ) الثقيلة في آية الأعراف ١٤٨ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ بينما استعمل (أنْ) الخفيفة في آية طه ٨٩ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

جاء في آية الأعراف١٤٨ بأنّ الثقيلة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ وفي آية طه بأنْ المخففة ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾ [طه:٨٩]

والسبب هو الفرق في السياق بين الآيتين، فإنّ آيات الأعراف تذكر قصة بني إسرائيل وعصيانهم لربهم ومخالفتهم لموسى عليه السلام، بخلاف سورة طه، فسياقها في نجاة بني إسرائيل من فرعون.

لذا جاءت (أنّ) ثقيلة في سورة الأعراف ومخففة في سورة طه، وذلك يتناسب مع مقام التبكيت في الأعراف بخلاف سورة طه. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ فنسب الله الفعل لهم مع أن المتخذ هو السامري ؟

الجواب:

لأنهم كانوا راضين به فكأنهم اجتمعوا عليه، والآية تفيد العموم فكلهم عبدوا العجل غير هارون عليه السلام، وكما يقال: بنو تميم قالوا كذا مع أنّ القائل قد يكون واحداً.

السؤال الرابع:

لِمَ قال: ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ والحلي كانت في أيديهم على سبيل العارية ؟

الجواب:

أنه لمّا أهلك الله قوم فرعون بقيت هذه الأموال في أيديهم وصارت ملكاً لهم.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ مع أنه جسد ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿لَهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي: صوت أشبَهَ الخوار، فلذلك أطلق لفظ الخوار عليه. والعجل ليس حقيقياً، وإنما هو جسد له خوار، فاتضح الأمر أكثر من اجتماع البدل والمبدل منه، وهذا هو أهم أغراض البدل للإيضاح والتبيين.



﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأعراف ٢٣: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾، وكذلك في آية هود ٤٧ ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ فاستعمل (إنْ) ولم يستعمل (لئن) كما في آية الأعراف ١٤٩ ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٢٣.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف (يا) في قوله تعالى: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ في آية الأعراف ١٥٠ و﴿يَبۡنَؤُمَّ﴾ في آية طه ٩٤؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف:١٥٠].

وقال في سورة طه: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ [طه:٩٤]،

أ ـ ذكر الحرف وعدم ذكره له دوافع، والقاعدة العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر الحرف سواء كان ياء أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز ويحذف الحرف إذا لم يؤد ذلك إلى التباس في المعنى، كما جاء في سورة الأعراف.

ب ـ ففي سورة الأعراف حذف الحرف؛ لأنّ الموقف جاء ذكره باختصار ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف:١٥٠].

أما في سورة طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسّطة وذُكرت فيها كل الجزئيات؛ لذا اقتضى ذكر (يا). قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾.

٢ـ كما كُتبت في طه ٩٤ ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾، وذلك لأنّ همزة الوصل تسقط في الكلام المتصل، فاتصلت الألف من (يا) بالباء الساكنة من كلمة (ابن)، فأدى ذلك إلى تقصير الألف لوقوعها في مقطع مقفل، وحُذف رمزها وهو الألف فاتصلت الياء المتبقية من حرف النداء بكلمة (ابن).

وقد تتصل الياء بالكلمة التي تليها حتى ولو لم تقصر الفتحة الطويلة الألف نحو: يَقَومِ.

السؤال الثاني:

يرد في القرآن خطاب هارون لموسى بقوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ فهل هذا أسلوب استعطاف وتليين أم هو أسلوب يشير إلى أنهما ليسا إخوة أشقاء؟

الجواب:

على الأرجح أنّ موسى وهارون كانا أخوين شقيقين، لكن يقولون هذا للترقيق، ثم هنالك أمر آخر وهو أنّ ربنا ما ذكر أبا موسى وإنما ذكر أن أمه هي التي خافت وكادت لتبدي به لولا أنْ ربط الله على قلبها، وقالت لأخته قصيه، وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً، وهي التي قاست، فهذا تذكير بأمه فقال﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ وليس معنى هذا أنهما ليسا من أب واحد، هما شقيقان، ولكنْ هذا تذكير بأمه لما قاست.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ﴾ هل هو فعل لازم أم متعدٍّ ؟

الجواب:

١ـ الفعل (رجع) يأتي لازماً ومتعدياً في القرآن الكريم، ومن أمثلة الفعل اللازم قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ومن أمثلة الفعل المتعدي قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٨٣] أي: بمعنى ردّك.

والفرق بين اللازم والمتعدي أنّ اللازم رجع بذاته، أمّا المتعدي فقد أرجعه غيره.

ورجعك مثل: أرجعك، والفعل: رجعك، يكون الرجوع في ظاهر الأمر منك وبدون دوافع خارجية. أمّا: أرجعك، فهو رغماً عن إرادتك.

والفرق بين الرد والرجع أنه يجوز أنْ ترجعه من غير كراهة له، كما في آية التوبة ٨٣، ولا يجوز أنْ ترده إلا إذا كرهت حاله.

٢ـ لذلك الفعل: رجَعَ، فعل قاصر ومتعدٍّ. تقول: رَجَعَ زيدٌ ورجعتُه أنا، أي: أرجعته في لغة هذيل.

وفي حديث السحور: ﴿ **فإنه يُؤذّن بليلٍ ليَرجِع قائمكَم ويُوقظ نائمَكم** ﴾ والقائم هو الذي يصلي صلاة الليل، ورجوعه هو عَوْدُه إلى النوم أو قعوده عن الصلاة إذا سمع الأذان، والفعل رجع هنا متعدٍّ ليزاوِجَ يُوقِظُ.

ويقال: أرجع الله همه سروراً، ويقال: ارتجع المرأةَ وراجعها، أي: رجعها إلى نفسه.

السؤال الرابع:

في قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٨٣] الفاعل هو الله والضمير مفعول به والفعل متعدٍّ، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأعراف:١٥٠] موسى هو الفاعل، ولا يوجد مفعول به، والفعل لازم، وفي قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ [طه:٤٠] فيه فاعل ومفعول به. فما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ ﴾ [الأعراف:١٥٠] هو قرار اختياري من موسى.

٢ـ في آية طه ٤٠ ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ موسى كان رضيعاً لا يستطيع أنْ يرجع بذاته، فهيأ الله له من يحمله ويرجعه.

٣ـ في آية التوبة ٨٣ ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ يدل على أنّ زمام محمد ﷺ في الفعل والترك، ليس بيده، والله يريد أنْ نعرف دائماً أنّ ذهاب محمد ﷺ ورجوعه من أي مكان ليس ببشرية رسول الله ﷺ بل بإرادة الحق سبحانه، وكما حدث في أمر الهجرة إلى المدينة، فلم يهاجر ﷺ حتى أُمر بذلك.

٤ـ في آية التوبة٨٣ يتحدث الحق عن الطائفة التي تخلفت عن الجهاد بلا سبب، وهي تملك المال والسلاح، وهي التي فرحت بالتخلف عن القتال، أمّا الطوائف الأخرى فكانت عيونها تفيض بالدمع من الحزن على عدم اشتراكهم في الجهاد.

فالمقصود هنا طائفة المنافقين الذين استمروا على نفاقهم، فمن تاب منهم قبل نزول هذه الآية قبلت توبته، ومن مات منهم قبل نزول هذه الآية فإنما حسابه على الله. وبقيت طائفة المنافقين الذين فرحوا وضحكوا عندما بقوا في المدينة، وكان عقاب الله لهم بأنْ مسح أسماءهم من ديوان المجاهدين في سبيل الله، ومنعهم الثواب الكبير للجهاد.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية:﴿وَلَمَّا رَجَعَ﴾ ما كلمات منظومة الرجوع عن الخطايا والتوبة والاستغفار ؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة التوبة والاستغفار والرجوع عن نوع من أنواع الخطايا.

استغفر:

هو بداية السالكين إلى الله تعالى؛ لأنّ الاستغفار يأتي قبل التوبة، وهو يعني طلب التوبة والمغفرة.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣].

تاب:

تأتي بعد الاستغفار ومراحل التوبة:

آ ـ الاعتراف لله بالذنب.

ب ـ الندم عليه.

ج ـ العزم على عدم العودة.

أناب:

الإنابة هي السرعة في التوبة، وكل منيب تائب، وليس كل تائب منيباً: [غافر ١٣.].

الأوبة والإياب:

أوّاب هو الرجوع في القضايا الفكرية، والإياب هو الرجوع إلى نقطة الانطلاق ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص:٣٠].

أفاء والفيء:

هو خاص بالحركات التي تعتبر من الفتن، ومن ضمنها البغي، وهو التمرد على الشريعة، والفيء هو الغنائم من غير قتال، والفيء أيضاً أن تعود لوضعك الأصلي الذي كنت عليه:[الحجرات ٩].

انتهى:

الانتهاء هو استقامة العقل، والعقل هو الذي ينهى صاحبه عن الخطأ، ولهذا سمي العقل نُهىً: [طه ٥٤].

أسَف:

هي أن ترجع إلى الله عن فعل الآخرين:[الأعراف ١٥٠].

تسلسل مراحل التوبة:

مستغفر ـ تائب ـ منيب ـ أواب ـ يفيء ـ منتهي ـ أسف.

أنواع التائبين:

١ـ السابقون: وهم أصحاب النفوس المطمئنة، وهم قلّة.

٢ـ الصالحون: وهم يتوبون عن الكبائر والفواحش، ولكنْ قد يرتكبون بعض الصغائر عَرَضاً، وليس مقصوداً ويندم إذا ارتكبها، وهم أصحاب النفوس اللوامة.

٣ـ رجل مستقيم تأتيه فترات ضعف ثم يتوب، وهذا يُخشى عليه أن يأتيه الموت، وهو في ساعة ضعفه وهو في معصية.

اللهم اعف عنا يا كريم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ ما كلمات منظومة الجر والجذب في القرآن؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الجر والجذب، وكيف يساق الناس يوم القيامة:

جرّ:

الجذب لجهة الجاذب: [الأعراف ١٥٠]، ومنه الجريرة، وهي الذنب الذي يجذبك إلى الحاكم.

سحب:

هو الجذب على الأرض تماماً ووجه المسحوب وصدره وجسمه على الأرض كما تزحف الحية. [القمر ٤٨ـ غافر ٧١].

سحل:

أصلها من سحل الحديد أي برده، ومأخوذة من الساحل للماء حيث يسحل الرمل من الشاطىء بهدوء:[طه ٣٩].

سفع:

هو الجذب من الناصية، وهو يدل على شدة انقياد المجذوب وعجزه فيصبح ذليلاً ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥].

نتق:

هو شدة الاقتلاع، ويحتاج إلى قوة هائلة: [الأعراف ١٧١].

ساق وسيق:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:٧١].

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

مرة يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف:١٥١] ومرة يقول: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ الرحمة موجودة في الحالتين، في الأولى قال: ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ وفي الثانية قال: ﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وفي آية جعل خاتمة الآية رحمة، وفي الثانية مغفرة، والقاعدة أنه إذا ذكر ذنباً عقّبّ بالمغفرة، وإذا لم يذكر ذنباً عقّبّ بالرحمة.

ففي الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف:١٥١] هذا قول موسى، ولم يذكر لهما ذنباً فقال﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، بينما الآية ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٥] عندما ذكر ذنباً قال: ﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

ونظير ذلك قوله تعالى في آية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون:١٠٩]. لأنه لم يذكر ذنباً.

٢ـ إذن عموماً هذا خط عام في ذكر هاتين الفاصلتين، إذا ذكر ذنباً ذكر (الغافرين)، وإذا لم يذكر قال: (الراحمين).



﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (سكت الغضب)؟ وما اللمسة البيانية في الآية ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ ؟

الجواب:

هذه استعارة مكنية كأن الغضب آمرٌ ناه، يهيج موسى ويدعوه إلى الغضب ويلهبه، ثم أثبت له السكوت على طريقة تغيير الاستعارة، استعارة مكنية يشبهه بشخص وحذف الشخص، والغضب فاعل وفي الآية مبالغة كبيرة حيث إنّ موسى كان غضبان كأنّ الغضب كان يلحّ عليه ويهيجه ويثيره.

السؤال الثاني:

لماذا جاءت لربهم باللام ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ يمكن أن يوصل المفعول به باللام، وتسمى اللام المقوية، فيُدخل اللام على المفعول به، أي: فيما هو لو حذفناها يرجع مفعولاً به فنأتي باللام (لام المقوية) ويتقدم المفعول به على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ والمقصود يرهبون ربهم (لربّهم مفعول به مقدّم).

٢ـ والغرض منها عند النحاة أنّ الفعل إذا تقدّم يكون في أقوى حالاته في العمل، فإذا تأخر كان أضعف في العمل، فيؤتى باللام للتقوية، أي: فيؤتى باللام الزائدة المؤكِّدة زيادة في التوكيد للحدث.

٣ـ والتوكيد الذي يُدرس في النحو هو توكيد صناعي، والتوكيد باب كبير في اللغة، وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد، مثلاً التوكيد بالجار والمجرور، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨] فالمعلوم أن الطائر يطير بجناحيه، ومع هذا جاءت كلمة بـ (جناحيه) للتوكيد، والظرف المؤكّد كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] فالإسراء يكون ليلاً، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦] والسقف سيخّر بالتأكيد من فوقهم، فكلها فيها توكيد.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ﴾

السؤال الأول:

ماالفرق بين (كفّر عنهم سيئاتهم) و(غفر لهم ذنوبهم) و (حطّ عنهم خطاياهم)؟

الجواب:

١ـ السيئات هي الصغائر أي صغار الذنوب، والذنب أكبر ومنها الكبائر، والخطيئة عامة.

٢ـ يستعمل القرآن الكريم مع السيئات التكفير، والمغفرة مع الذنوب، كما في الآية ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران:١٩٣] ؟

وذلك لأنّ التكفير في الأصل هوالستر، وكفّر الشيء، أي: ستره، وأصله كفر البذرة، أي: غطاها وسترها بتراب،والليل سمي كافراً؛ لأنه يستر الناس.

والمِغفر هو الآلة التي تتقي بها السهام في الحرب فتحفظك، والليل كافر وهل إذا ضربت أحدهم بالسهم هل سيحفظه الليل؟ لا، لكن المِغفر يحفظه.

فلما كان الذنب هو أكبر من السيئة فيستعمل معه المغفرة؛ لأنه لمّا كان أكبر احتاج لوقاية أكبر.

٣ـ والخطيئة عامة، قد تكون لأكبر الذنوب وقد تكون للصغائر.

٤ـ جملة: (حُط عنا خطايانا) الحط هو الوضع والإنزال من فوق، كما في الآية ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الأعراف:١٥٧] هذه أحمال وأوزار يحطها عنهم؛ أي يضعها عنهم.

٥ـ فالخطايا عامة، السيئة للصغائر والذنب أكبر، ويستعمل (كفّر عنا سيئاتنا)؛ لأنها صغيرة، ومع الذنوب يقول: (غفران).

السؤال الثاني:

ما دلالة العدد (سبعين) في الآية ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ [التوبة:٨٠]؟

الجواب:

١ـ العدد إمّا أن يكون المراد منه حقيقة العدد، كما في الأحكام والكفارات وكفارة اليمين أو الإخبار عن الأمور التي وقعت ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة:٧] أو يدل العدد على التكثير.

٢ـ ولقد اختلف المفسرون في حقيقة العدد، ويبدو من آية التوبة ٨٠ أنّ الرسول ﷺ أراد حقيقة العدد؛ لأنّ الرسول ﷺ قال: «**لأستغفرن الله لهم سبعين وسبعين وسبعين**» لكن نزلت آية أخرى نسخت آية التوبة ٨٠، وهي قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ [المنافقون:٦] فدلت هذه الآية على أن المراد من العدد التكثير، وليس حقيقة العدد من الآية السابقة، والله أعلم.

السؤال الثالث:

قال في آية الأعراف١٥٥ : ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾ بدون (لام) في جواب لو، وقال في آية النحل٩ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ مع (لام) التوكيد في جواب لو، فلماذا؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

٢ـ قال في الأعراف ١٥٥ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾ بدون لام في جواب لو، وقال في النحل ٩ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ مع لام التوكيد في جواب لو.

والسبب أنه لم يذكر اللام في جواب (لو) في آية الأعراف بخلاف آية النحل؛ وذلك لأنّ هداية الناس أصعب وأعسر من الإهلاك، فإهلاك الألوف ممكن بوسائل الفتك والتدمير والظواهر الطبيعية، ولكنّ هدايتهم عسيرة فجاء باللام لما هو شاق عسير، ونزعها مما هو أيسر.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن قَبْلُ﴾ ظرف زمان بُني على الضم، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٤ .

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ
قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ
عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ
ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى
قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ في آية البقرة ٦٠ و ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ في آية الأعراف ١٦٠ في قصة موسى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٠.

السؤال الثاني:

المطلوب عمل مقارنة في قصة موسى عليه السلام بين آيات البقرة ٥٨ـ٦٠ وآيات الأعراف ١٥٩ـ ١٦٢

الجواب:

انظر الجواب في آيات البقرة (٥٨ـ٦٠).

السؤال الثالث:

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ وفي آل عمران ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ بدون (كانوا) ؟

الجواب:

في عموم القرآن عندما يتكلم عن الحال؛ أي الوقت الحالي، وليس الزمن الماضي، وإنما بشكل مطلق، يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ ، وعندما يتكلم عن الأقوام البائدة القديمة الماضية يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

انظر كذلك الآيات: العنكبوت ٤٠ـ التوبة ٧٠ـ البقرة ٥٧.



﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:٥٨] وفي آية أخرى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الأعراف:١٦١] ما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٥٨.



﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾؟

الجواب:

١ـ اجتماع إنّ واللام سيؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها، أو باللام وحدها.

٢ـ قال هنا: ﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ﴾ أي: بالتوكيد بإنّ واللام؛ وذلك لتأكيد سرعة العقاب؛ لأنّ العقاب هنا عاجل لبني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ، وهو في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأنعام ١٦٥: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ وقوله في آية الأعراف ١٦٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ﴾ بزيادة لام التوكيد، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٥.



﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٦٩) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية يوسف ١٠٩: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وفي آية الأعراف ١٦٩: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ في آية يوسف عليه السلام لفظ: ﴿وَلَدَارُ﴾ هي مضاف إلى موصوف محذوف معرّف وأبقى صفته المطابقة له وهي لفظ ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ .

و بيان ذلك في قوله تعالى في نفس الآية: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾ بيّن حالة مصارع الأمم المكذبة؛ لأنّ للناس حالتين: حال الدنيا وحال الآخرة. وعلى هذا يكون المعنى: دار حال الآخرة.

٢ـ في آية الأعراف لمّا تقدمها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ناسب عطف الدار على (هذا الأدنى) للمقابلة، والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٢ ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي مع التوكيد باللام، وكذلك في آية النحل ٣٠ ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لكن القرآن لم يؤكد باللام، كما في آية الأعراف ١٦٩، حيث قال: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣٢.



﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ هل (المصلحين) وصف لهم؟

الجواب:

هي إجابة عامة، والمقصود بها إرادة العموم، وهناك في القرآن أمثلة كثيرة على هذا النمط، مثل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] فلا يكون الجواب منحصراً بالشخص المذكور، ولكن تأتي للعموم، وهي أشمل، كما جاء في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ

بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف:١٧٠] جاءت للعموم، ولم يقل تعالى (لا نضيع أجرهم) للأفراد.



﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال كلمتي الجبل والطور في آيات البقرة ٦٣ والنساء ١٥٤ والأعراف ١٧١؟ وما اللمسة البيانية في تقديم وتأخير ذكر الجبل عن بنى إسرائيل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٣.



﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحرف (بلى)؟ وكم مرة وردت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

(بلى) حرف جواب لاستفهام فيه حرف نفي، كقولك: ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. وفي «مختار الصحاح»: (بلى) جواب للتحقيق توجب ما يقال لك؛ لأنها ترك للنفي، وهي ضد (لا).

وقيل الألف في (بلى) أصلية، وقيل: الأصل (بل)، والألف زائدة، وقيل هي للتأنيث بدليل إمالتها.

وقد وردت (بلى) في القرآن الكريم في (٢٢) موضعاً، وفي (١٦) سورة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ـ الوقف عليها: وهو اختيار القرّاء وأهل اللغة؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها، وذلك في عشرة مواضع: [البقرة موضعان(٨١-١١٢) آل عمران موضعان (٧٦ـ ١٢٥) الأعراف (١٧٢) النحل (٢٨) يس(٨١) غافر(٥٠) الأحقاف (٣٣) الانشقاق(١٥)]، وقد أجاز بعضهم الابتداء بها، وليس بمختار، والله أعلم.

٢ـ ما لا يجوز الوقف عليه لتعلق ما بعدها بما قبلها، وذلك في سبعة مواضع:

[الأنعام (٣٠) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ وفي النحل (٣٨) سبأ (٣) الزمر(٥٩) الأحقاف (٣٤) التغابن(٧) القيامة(٤)].

٣ ـ وفيه الخلاف بين جواز الوقف ومنعه، والأحسن عدم الوقف لاتصالها بما قبلها، وذلك في خمسة مواضع:

[البقرة (٢٦٠) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، الزمر (٧١) الزخرف (٨٠) الحديد (١٤) الملك (٩)].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين أدوات الجواب التالية: نعم ـ بلى ـ أجل ـ أي ـ جلل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٥٣.

السؤال الثالث:

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات ٣٠-٣٨، وجاء في آيتي الأعراف ١١-١٢ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)﴾ والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ والمطلوب بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم أن نبين ترتيب مراحل هذه المسألة.

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١١.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى
ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات في سورة الأعراف ؟

الجواب:

تضمنت آيات سورة الأعراف آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرئاسات والشهوات، وقد ذمت الآيات هذه الآفة من وجوه:

١ـ أنه ضلال بعد علم.

٢ـ أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً، فإنه قد انسلخ من الآيات بالجملة.

٣ـ أنّ الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به ولهذا قال: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ولم يقل: تبعه.

٤ـ أنه غوى بعد الرشد، والغي هو الضلال في العلم والقصد.

٥ـ أنه سبحانه لم يشأ أنْ يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، ولو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.

٦ـ أنه سبحانه أخبر عن خسة همته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

٧ـ أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض ولزوم دائم لها.

٨ـ أنه رغب عن هداه واتبع هواه فجعل هواه إماماً له يقتدي به.

٩ـ أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة وأبخلها وأشدها كَلَباً ولهذا سمي كلباً.

١٠ـ أنه شبّه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه أو الحمل عليه بالطرد.

وكل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الريّ وحال العطش، فضربه الله مثلاً للكافر، إنْ وعظته فهو ضال وإنْ تركته فهو ضال.



﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف الياء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [الإسراء:٩٧] والكهف ١٧ و: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ [الأعراف:١٧٨] ؟

الجواب:

١ـ كلمة (المهتدي) أطول من (المهتدِ). وعندما يكون أطول يكون فيه هداية إضافة إلى أمور أخرى تظهر لنا في الجواب.

نضرب مثالاً قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف:١٧٨] وقبلها قال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف:١٧٥] هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هل كان مهتدياً أول مرة أم لا؟ كان مهتدياً، لكنْ كان يحتاج إلى قدر من الهداية أكبر حتى لا ينسلخ؛ لذلك عقّب عليها بـ ﴿الْمُهْتَدِي﴾، لأنّ الهداية التي كانت عنده ما عصمته من الانسلاخ، فكان يريد هداية أكثر وأطول حتى يرسخ ولا يزلّ ولا يضل، ولذلك عقب ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ .

٢ـ أمّا في سورة الإسراء فقد جاء: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء:٩٧] في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ وهؤلاء من أصحاب النار.

ما الذي ينجي من الخلود في النار؟ أنْ يكون عنده هداية بسيطة (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وقسم من الفروض، فكان يكفيهم قدر بسيط من الهداية يخرجهم من هذا، أمّا ذاك فكان يحتاج إلى هداية كبيرة حتى لا ينسلخ، أمّا هؤلاء فتكفيهم هداية قليلة.

٣ـ من الناحية النحوية الإعرابية: ﴿الْمُهْتَدِ﴾ تقدّر الحركة على الياء المحذوفة (فهو المهتد: المهتد خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة).

٤ـ ثم هناك إضافة إلى ما ذكرنا، وهو ما نسميه السمة التعبيرية للسورة، مثلاً سورة مريم فيها الرحمة من أولها إلى آخرها. ولو أخذنا سورة الأعراف وسورة الإسراء والكهف نلاحظ لفظ (الهداية) تردد في الأعراف أكثر مما تردد في الإسراء وفي الكهف. في الأعراف تردد ١٧ مرة وفي الإسراء ٨ مرات وفي الكهف ٦ مرات أي: مجموع ما تردد في السورتين الإسراء والكهف ١٤ مرة، فلما تردد لفظ الهداية أكثر في الأعراف زاد الياء.

٥ـ أنّ المهتدي هو الذي يهتدي ويسير على هدى الله، وهي تكون بمقام اسم الفاعل وفيه الاستمرارية، أما في قوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ فهو من تم له الاهتداء إلى الله تعالى فصار مهتدياً ، وهنا ينطبق عليه الحديث القدسي «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها**» وذلك بدليل ما لحق بالآية ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف:١٧].



﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ ما خصوصية القرآن الكريم في استعمال كلمة أعين وعيون ؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت (أعين) في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في ٢٢ موضعاً، منها:

آـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود٣٧ـ المؤمنون٢٧ـ الطور٤٨ـ القمر١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في ١٨ موضعاً، منها: [الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة (عيون) في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ [الحِجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ [المرسلات:٤١].



﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ من الفعل (لحد)، ما كلمات منظومة: (جنح ولحد) في القرآن ؟

الجواب:

هذه هي مجموعة (جنح)، وتشمل كل أنواع الميل، وكلها صغائر تدل على أن الفعل المحرم لم يُرتكب.

جنح:

هي بداية الميل في الغالب، وليس ميلاً كاملاً: الأنفال ٦١.

زاغ:

هو الميل من الصواب إلى الخطأ، والزيغ هو النقص في الصواب.

جنف:

خاص بالحكم عندما يكون قاضياً فيميل عن الحق قليلاً، مثل أنْ يميل قلب الأب إلى الذكور، وليس هو الحكم بالظلم: البقرة ١٨٢.

حنف: ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران:٦٧] وحنفاء، أي: ليس لديهم أي ميل للشرك، وهو عكس الزيغ.

راغ: هو ميل لكن لاحتيال ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] وراغ هو من باب اللياقة في إكرام الضيف بأنْ يميل المضيف إلى أهله بطريقة خفية حتى يهيئ الطعام لضيفه.

عدل:

عَدَلَ بمعنى مال مع اعترافه بأن ميله ليس صحيحاً ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠].

زلّ:

ميل مرغم عليه ولا يقصده، كما يقال في زلة اللسان أو زلة القدم ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢٠٩]

ألحد: هو الميل إلى كتمان الحق، وهو أخطر أنواع الميل، والملحد هو الذي مال إلى كتمان التوحيد: الأعراف ١٨٠.



﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معاني كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ في القرآن الكريم على أربعة معانٍ:

١ـ بمعنى الملة أو العقيدة. أمثلة: [البقرة ٢١٣ ـ يونس ١٩ ـ الأنبياء ٩٢].

٢ـ بمعنى الجماعة. أمثلة: الأعراف ١٨١.

٣ـ بمعنى الزمن. أمثلة: [هود ٨ ـ يوسف ٤٥].

٤ ـ بمعنى الإمام القدوة الذي يعدل أمة. أمثلة النحل: ١٢٠.



﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ ما معنى (عسى) في القرآن؟

الجواب:

١ـ عسى: طمع وترجٍ وتوقع، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة:٥٢] ويكون الإنسان راجياً: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢]

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف:١٨٥] أي: ألا ينظرون في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها عليهم فيرتدعوا ويسارعوا إلى التوبة؟ ألا يتوقعون حدوثها في أي لحظة؟ ألا يتوقعون أنّ آجالهم مقتربة؟ فعسى هنا بمعنى: توقّع، كما في الآيات ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢١٦] أي: ينبغي أن تتوقع أنه فيما تحب قد يكون فيه شر، وقد يُتوقع أنه مما تكره وقد يكون فيه خير.

٢ـ لذلك (عسى) فيها معنى الترجي، وقد تأتي للتوقع ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد:٢٢] أي: هل توقعتم أن تفعلوا.

والفيصل في تحديد المعنى هو السياق، والمعجم يعطي معنى الكلمة مفردة، ولا يصح الاستناد إلى المعجم وحده للفهم، حتى في كل اللغات الأخرى لا يمكن ترجمة النص من مجرد المعجم، وإنما السياق.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأعراف ١٨٥: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ ﴾ وفي آية ق ٦ ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ ﴾ أي بدخول همزة الاستفهام، وفي آية الأحقاف ٤ ﴿أَمۡ﴾ بدون دخول همزة الاستفهام، فما الفرق بينهما ؟

الجواب:

١ـ عندما تقول: أزيدٌ في الدار وقد طلعت الشمس ؟ فهذا للإنكار.

وعندما تقول: أَوَ زيداً في الدار بعد وقد طلعت الشمس ؟ فكأنه بالواو يشير إشارة خفية إلى قبح عمله.

٢ ـ الفرق بين ﴿ أَوَلَمۡ ﴾ في آية الأعراف ١٨٥ و ﴿ أَفَلَمۡ ﴾ في آية ق ٦ أنه في سورة (ق) سبق منهم إنكار الرجع في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق:٣] فجاء بحرف الفاء تعقيباً بمخالفه، أي: أنهم لما استبعدوا أمر الرجع استبعد الله استبعادهم، وقال: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

أما (الواو) فهي تومىء بالإنكار وتدل على أمر مغاير لما بعدها، ولذلك قال بعدها في سورة ق: ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقل في السماء؛ لأن النظر في الشيء ينبىء عن التأمل والمبالغة، وقوله: ﴿فَوۡقَهُمۡ﴾ تأكيد آخر، وهو ظاهر فوق رؤوسهم.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا
هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

لماذا سميت القيامة بالساعة ؟ وما دلالة قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ؟

الجواب:

١ـ الساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا، وسميت القيامة بالساعة لوقوعها فجأة، أو لأنّ حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة.

٢ـ أيان: سؤال عن الزمان بمعنى (متى)، و(أين) سؤال عن المكان.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ المرسى هنا مصدر بمعنى الإرساء؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ وقوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٢] فكأنّ الرسو ليس لمطلق الثبات، بل هو اسم لثبات الشيء إذا كان ثقيلاً، ولمّا كان أثقل شيء على الخلق هو

الساعة بدليل قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٧] سمَّى الله وقوعها وثبوتها بالإرساء.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: لا يعلم وقت قيامها إلا الله تعالى، ثم أكّد هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهرها في وقتها المعين إلا الله سبحانه حصراً.

ولا يعلم أحد من الملائكة المقربين ولا أحد من الأنبياء المرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها، وهي من الغيب الذي اختصه الله لنفسه فقط حصراً.

٢ـ قوله تعالى:﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهي ثقيلة بأحداثها عظيمة بزلزلتها شديدة بعذابها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: لا تجيء إلا بغتة على حين غفلة من الخلق، وجاء في الحديث «**إنّ الساعة تفجأ الناس فالرجل يصلح موضعه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه**».

السؤال الرابع:

ما معنى كلمة ﴿حَفِيٌّ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وفي (الحفي) وجهان:

أـ معناه (عالم بها).

ب ـ الحفي (البار اللطيف) من الحفاوة، أي: يسألونك عنها كأنك حفي بهم أو كأنّ بينك وبينهم مودة توجب برهم، ويؤيد ذلك ما جاء أنّ قريشاً قالت لمحمد ﷺ: إنّ بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة؟

ج ـ ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: كثير السؤال شديد الطلب لمعرفتها، من الإحفاء وهو الإلحاح.

٢ـ وجاء الجواب بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأسند وأكد أنّ علمها موكول إلى الله وحده، وبيّن أنّ أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفى الله تعالى معرفة وقتها عن الخلق.

٣ـ وأمّا قوله تعالى في الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ فهو سؤال عن وقت قيام الساعة، فأجاب الله عنه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فهو سؤال عن كنه ثقل الساعة وشدتها، فأجاب الله عنه بقوله: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

والفرق بين الصورتين أنّ السؤال الأول كان واقعاً عن وقت قيام الساعة فقال: ﴿عِندَ رَبِّي﴾، ولا يخفى ما في كلمة الرب من معان.

بينما السؤال الثاني كان واقعاً عن مقدار شدة القيامة، فقال: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ باستعمال الاسم الدال على غاية المهابة، وهو ﴿ٱللَّهِ﴾ ، والله أعلم.



﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾

السؤال الأول:

جاء تقديم النفع على الضرر في آية الأعراف ١٨٨، والرعد ١٦، وجاء تقديم الضر في يونس ٤٩، والسؤال: متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟

الجواب:

القدامى بحثوا في هذه المسألة وقالوا: حيث يتقدم ما يتضمن النفع يسبق النفع، وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدم الضر.

*** شواهد قرآنية في تقديم النفع:**

- ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف:١٨٨] قدّم النفع على الضر، وقال قبلها ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ﴾ [الأعراف:١٧٨] فلما قدّم الهداية قدّم النفع. وقال بعدها

في نفس السياق: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨] فقدّم النفع على الضر.

*** شواهد قرآنية في تقديم الضر:**

- ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس:٤٩] هنا قدّم الضر، وقبلها قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ [يونس:١١] وهذا ضر، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ [يونس:١٢] وبعدها قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس:٥٠] فتقديم الضر أنسب.

- مثال آخر في سورة الرعد ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ﴾ [الرعد:١٦] وقبلها ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥].

- وفي سورة سبأ قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [سبأ:٤٢] وقبلها قال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ:٣٩] (يبسط الرزق) نفع و(يقدر) ضر.

لذلك قالوا: حيث يتقدم ما يتضمن النفع يقدم النفع، وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدم الضر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الضُّرِّ والضَّرِّ والضَّرَرِ ؟

الجواب:

الضُّرُّ: يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

الضَّرُّ: مصدر بما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

الضَّرَرُ: الاسم، وهو عام، أي: النقصان يدخل في الشيء، يقال دخل عليه ضرر ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي الذين فيهم عِلّة.



﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء١:﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ وفي الأعراف١٨٩: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾، فما الحكمة ؟

الجواب:

١ـ آية النساء١: هي في آدم وحواء عليهما السلام؛ لأنها خلقت منه، فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾.

٢ـ آية الأعراف ١٨٩ : في أحد من المشركين ولم تتخلق زوجته منه، فقال: ﴿وَجَعَلَ﴾ لأنّ الجعل لا يلزم منه الخلق، ومعناه: جعل من جنسها زوجها.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنعام ٩٨: ﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ولم يقل مثل ذلك في سائر سور القرآن، في حين قال: ﴿خَلَقَكُم﴾ في المواطن الأخرى في آيات [النساء ١ـ الأعراف ١٨٩ـ الزمر ٦]، فما السبب ؟

الجواب:

الفعل ﴿أَنشَأَ﴾ ورد في سورة الأنعام في أربعة مواضع، وهي الآيات:[٦ـ ٩٨ ـ١٣٣ ـ١٤١].

ولم يرد أصلا في السور الثلاث الأخرى، فاستعمله للتناسب اللفظي في هذه السورة دون غيرها. والله أعلم.



﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ ؟

الجواب:

المعنى العام هو: أيشركون في عبادة الله من لا يخلقون شيئاً وهم أنفسهم مخلوقون لله، وهذه الأصنام التي تعبدونها ليست قادرة على نصرة نفسها أو نصرة غيرها.

وكانوا في الجاهلية حين يفزعهم أمر جسيم ينادون آلهتهم: يا هبل يا لات يا عزى، وإنْ لم يصبهم أمر سكتوا عن نداء الأصنام، والله يخبرهم أنّ دعوتهم للأصنام لاتفيد في أي أمر تماماً كصمتهم، أي: أنّ عدم الاستجابة من آلهتهم متحقق فيهم وعدم النصر لأنفسهم ولغيرهم متحقق منهم.

وبالتالي هناك في هذه الآيات خمس مراحل في الحوار مع المشركين حول أصنامهم:

١ـ جميع الآلهة دون الله لا تخلق.

٢ـ جميع الآلهة دون الله مخلوقة.

٣ـ جميع الآلهة دون الله ضعيفة لا تستطيع أنْ تنصر نفسها.

٤ـ جميع الآلهة دون الله ضعيفة لا تستطيع أنْ تنصر غيرها.

٥ـ إنْ أردت أنْ تدعوهم إلى الهدى أو العلم فلا يقبلون ذلك.

السؤال الثاني:

قال تعالى: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ ولم يقل: أدعوتموهم أم صمتم، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ ولم يقل: أدعوتموهم أم صمتم؛ لأنّ الفعل يقتضي الحدوث، وكانوا في الجاهلية حين يفزعهم أمر جسيم ينادون آلهتهم، أمّا

بقية الوقت فقد كانوا لا يكلمونهم أبداً؛ لذلك جاءت صامتون بالصيغة الاسمية التي تقتضي الثبوت والاستمرار.

٢ـ فرّق بين طرفي التسوية فقال: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ بالفعل، ثم قال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ بالاسم ولم يسوّ بينهما، فلم يقل: أدعوتموهم أم صمتم بالفعلية أو: أأنتم داعوهم أم صامتون بالاسمية.

وذلك أنّ الحالة الثابتة للإنسان هي الصمت، وإنما يتكلم لسبب يعرض له، ولو رأيت إنساناً يكلم نفسه لاتهمته في عقله، فالكلام طارىء يحدثه الإنسان لسبب يعرض له؛ ولذا لم يسو بينهما، بل جاء للدلالة على الحالة الثابتة بالاسم ﴿صَٰمِتُونَ﴾ وعلى الحالة الطارئة بالفعل ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ أي: أأحدثتم لهم دعاء أم بقيتم على حالكم من الصمت.



﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية هود ٥٥: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ وقال في آية الأعراف١٩٥: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ فقدم الفاء وأخر﴿ثُمَّ﴾ في آية هود، وقدم ﴿ثُمَّ﴾ وأخر الفاء في آية الأعراف، فما السبب؟

الجواب:

أولاً ـ من الطريف والعجيب أنه حيث اجتمعت (ثم والفاء) في سورة الأعراف قدمت (ثم) على الفاء.

وفي سورة هود بالعكس، وهذا أغرب شيء وأعجبه. انظر الآيات:

سورة الأعراف:

ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الأعراف:١١].

ـ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ... فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف:٩٥]

ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الأعراف:١٠٣]

ـ ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف:١٩٥].

سورة هود:

ـ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود:٥٥].

ـ ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود:٦١].

ثانياً ـ حذف الياء واجتزأ بالكسرة في الأعراف ﴿كِيدُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥] وذكرها في هود ﴿فَكِيدُونِي﴾ [هود:٥٥] وذلك لاختلاف السياقين والمقامين:

١ ـ المقام في هود مقام تحد كبير ومواجهة، فأظهر نفسه زيادة في التحدي؛ إذ المتحدي لا بدّ أن يظهر نفسه.

فقد دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه، فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود:٥٠] ونصح لهم بالتوبة والاستغفار ليرضى عنهم خالقهم ويزيدهم من فضله فرفضوا قوله وردوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ فهم لم يكتفوا برد دعوته وعدم التصديق به، بل قالوا له: إنّ بعض آلهتهم اعتراه بسوء مما جعله يتحداهم ويتحدى آلهتهم فأشهد الله وأشهدهم على البراءة من آلهتهم، ثم دعاهم جميعا إلى كيدهم له ثم لا يمهلونه إنْ استطاعوا فزاد كلمة ﴿جَمِيعًا﴾ زيادة في التحدي رداً على قولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ﴾ فهم قالوا له: إنّ أحد آلهتهم اعتراه بسوء فتحدى الجميع ثم أظهر نفسه، فذكر(الياء) زيادة في التحدي.

٢ـ وليس الأمر كذلك في الأعراف، فإنه ليس فيها هذا التحدي، فقد قال في آيات الأعراف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

٣ـ من ناحية ثانية إنّ التحدي والمواجهة في هود أطول وأكثر مما في الأعراف [انظر الآيات ٥٠ ـ ٥٨] فذكر الياء في هود؛ لأنّ الياء أطول من الكسرة، وحذف الضمير واجتزأ بالكسرة في الأعراف، فناسب بين طول الكلمة والسياق، فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل والكلمة المجتزأة للسياق المجتزأ.

٤ـ تردد ذكر (ياء الضمير) في هذا الموطن مرات عديدة في هود وليس الأمر كذلك في الأعراف، فقد ذكر في هود ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾.

بينما في الأعراف لم يظهر الياء في السياق إلا مرة واحدة، وهي قوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ فناسب ذكر الياء ما ورد في هود وناسب الاجتزاء بالكسرة سياق ما ورد في الأعراف.

٥ـ قال في الأعراف ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أدخل ﴿ثُمَّ﴾ على الكيد والفاء على الإنظار.

بينما قال في هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ أدخل الفاء على الكيد و[ثم] على الإنظار، ومعلوم أنّ الفاء تفيد التعقيب، أمّا (ثم) فتفيد التراخي.

فقد طلب منهم في الأعراف عدم المهلة في الإنظار، وهذا مناسب لسياق سورة الأعراف، وهو تعجيل العقوبات لمستحقيها في الدنيا، بخلاف سورة هود، فإنّ سياقها في الإمهال في إيقاع العقوبات، ويتبين ذلك من الآيات التالية للسورتين المذكورتين:

فقد بدأت الأعراف في الآية الرابعة بقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾ فذكر حلول العقوبات وإهلاك الأمم.

وقال في الأعراف: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥﴾ فكان الأخذ بعد الاستدراج.

بينما قال في هود: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فذكر تأخير العذاب إلى أجل، وهو الإمهال.

وانظر كذلك إلى التناظر بين الآيتين [٩٥ و١٩٥] في سورة الأعراف:

ـ ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ و ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ فكلاهما بثم وكلاهما إمهال.

ـ ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ و ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ فكلاهما بالفاء وكلاهما عدم إنظار.

٦ـ ثم انظر إلى القصص في السورتين ترَ الفرق واضحا بين السياقين، فمثلا قصة نوح عليه السلام في الأعراف موجزة، وظاهر فيها عدم الإمهال، قال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فجاء بالفاء دالا على سرعة إنزال العقوبة وعدم الإنظار ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾.

أما في هود فالكلام طويل وهناك مهلة حتى استبطؤوا ما وعدهم به ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وكذلك قصة عاد، فقد قال في خاتمتها في الأعراف: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وقال في هود ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ .

فانظر كيف عجّل العقوبة لهم في الأعراف فجاء بالفاء الدالة على عدم الإمهال بخلاف ما في سورة هود.

وكذلك قصة صالح، فقد قال في نهايتها في الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

وقال في هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ فذكر إنزال العقوبة بالفاء في الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف:٧٨] وبالواو في هود ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود:٦٧].

وهكذا فأنت ترى أنّ سياق الأعراف هو عدم المهلة في الإنظار، بخلاف السياق في سورة هود، فكان من المناسب أنْ يأتي بالفاء مع عدم الإنظار في الأعراف، فيقول: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ وأن يأتي بـ﴿ثُمَّ﴾ معه في هود فيقول: ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ فما أجمل هذا التناسق وما أجل هذا الكلام !!!!.

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تنظرون وتبصرون)؟

الجواب:

العين آلة البصر، والبصر اسم للرؤية، وأبصرت الشيء رأيته، والنظر قد يكون فيه رؤية، وقد يكون من غير رؤية، ويعني توجيه الحاسة إلى مكان معين، تقول: أنا أنظر إليه الآن، لكن ليس بالضرورة أنك تبصره ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧].

لذلك (أبصرت الشيء): رأيته؛ لكن هناك احتمال أنّ الإبصار يُحسّه ببصره ويحتمل توجيه الحاسة إلى مكان معين لكن لا تحدث الرؤية، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ إذن يبصر من الرؤية بإدراك الحاسة.

والنظر فيها احتمالان قد يكون النظر إدراكاً، وقد يكون النظر من دون رؤية، وإنما توجيه النظر إلى مكان معين.



﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما القيمة الفنية في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾؟

الجواب:

هذه الآية من الآيات التي وقف عندها علماء البلاغة والبيان لما فيها من إيجاز، ويمكن أنْ نقول إنها تمثل صورة مما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم.

وهذه الآية الكريمة تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات:

١ ـ فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

٢ ـ وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ دخل فيه صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار.

٣ ـ وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ دخل فيه الحض على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

السؤال الثاني:

هل هذا الترتيب (خذ وأمر وأعرض) مقصود بذاته؟

الجواب:

١ـ هذا الترتيب: (خذ، أمر، أعرِض) مقصود بذاته حتى ينبني المجتمع بناء سليماً بأنْ يكون هناك نوع من التسامح بين أفراد هذا المجتمع، وأنْ يكون هناك تناصح وتجنب المِراء والجدل؛ لأنك مع الجاهل ستكون في حال مِراء وجدل لا ينتهي إلى نتيجة.

ولذلك إذا أحسّ الذي يريد أنْ ينصح الآخرين أو أنْ يعظهم أو يرشدهم أنّ المقابل لا نفع من ورائه أو أنّ المسألة التي يناقشها لا نفع من ورائها يكفّ عنها.

٢ـ لذلك علماؤنا يشددون على تصفية النيّة؛ لأنّ الإنسان بطبيعته تنحرف نيّته أحياناً، والإنسان قد يتكلم مع نفسه فيقول: كلامي مؤثّر، أنا نافع، أنا مفيد وغير ذلك، عند ذلك يقولون: فإذا دخله شيء من ذلك فليبادر إلى التوبة إلى الله سبحانه وتعالى ويُقلِع عنه مباشرة، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول عن المتقين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ فالمتّقي إذن يمسّه طائف من الشيطان؛ لأنّ هذه معركة مع الشيطان، والشيطان يريد أنْ يدخله النار. لكن انظر العبارة ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ لا ينتظر أنْ يغور الطائف في أعماقهم ويظلم قلوبهم وإنما بمجرد المسّ يتذكر فيتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويسأله عز وجل أنْ يجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم. ومن الأدعية المأثورة: «**اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل والصواب فيهما**».

٣ـ والإمام مالك إمام دار الهجرة والذي يقال فيه: لا يفتى ومالك في المدينة، أحياناً يُسأل فيقول للسائل: هل وقع لك هذا؟ حتى يفتيه، فإذا قال السائل:(نعم) تحرّى الجواب، وإذا قال له (لا) قال: لا أدري. ومرة جاءه رجل وسأله فقال: أوقع لك هذا؟ قال الرجل: (لا)، ولكن يمكن أنْ يقع، فقال: لا أدري، فقال: أأخرُجُ إلى الناس فأقول: مالك لا يدري؟ قال: نعم اخرج إلى الناس وقل: مالك لا يدري.

إذن هذه تربيتنا، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم، فإذا كان هناك شيءٌ لا يعلمه يقول: لا يدري، وإذا وجد أمامه شخصاً لا يحسن الحوار ودخل الأمر في المِراء والجدل الذي لا معنى له، عند ذلك ينسحب إكراماً للمبادئ التي هو يدعو إليها، وهي المبادئ المستنبطة من الكتاب والسُّنّة.

السؤال الثالث:

ماذا يحدث لو حصل الترتيب: أُؤْمُر بالعرف وخذ العفو وأعرض عن الجاهلين؟

الجواب:

١ـ انظر النظام: في البداية أنت تكوّن نفسك ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: ألزم نفسك بتربية معينة فيها معنى الصفح والسماح، هذه الأمور في البداية هي لتربية النفس.

٢ـ ثم تنتقل إلى مرحلة ثانية، وهي الأمور التي لا جدال فيها، مثلاً تأتي إلى رجل مسلم لا يصلي فتقول له: يا أخي لا يختلف اثنان أنّ الصلاة هي عمود الدين، ثم بعد ذلك عندما تصل إلى مرحلة أخرى قد تتحدث معه فيقول لك: أنا مسلم أصلي مؤمن بالنظام الاقتصادي الفلاني، لكن لا أؤمن أنّ الإسلام نظام اقتصادي فلا ينبغي أنْ ننظر فيه، أو أنّ المرأة كانت في الجاهلية لها زِيُّها والآن لها زي آخر، فلماذا تصّرون على حشمة المرأة؟

فعندما تصل إلى هذه الأمور ستنتقل من موضوع العُرف إلى موضوع جدل لتقنعه بقضية هو غير مقتنع بها، فإذا وجدته ممارياً شعاره: لا أقتنع ولو أقنعتني، فأعرض عنه.

إذن هذا هو الترتيب الطبيعي ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ يربي نفسه، ويكوّن نفسه، وينظر إلى الآخرين، يأمرهم بالشيء الذي لا مجال للجدال فيه.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في الفعل ﴿وَأْمُرْ﴾؟ ولماذا لم يستخدم فعل: انصح أو ادعُ؟

الجواب:

١ـ الأمر ليس دائماً بمعنى الفرض، وإنما قد تستخدم هذه الصيغة (افعل) بعدة مستويات:

٢ـ صيغة (افعل) قد تكون:

أ ـ من الأعلى إلى الأدنى: عندما يأمرنا رب العزة بشيء، ننظر إلى السياق هل هو أمر إلزام أو أمر إباحة؟ فعندما يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا أمر إلزام، ولكن عندما يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة:١٨٧] هذا أمر إباحة، أي: يرخّص لكم بالأكل والشرب، فيُنظر في سياق الأمر.

ب ـ وأحياناً الأمر يكون من الأدنى إلى الأعلى، مثل كلمة: (اغفر)، وهذه فعل أمر لكن هي للدعاء؛ لأنه من البشر إلى رب العزة سبحانه وتعالى (اللهم اغفر لنا، ارحمنا) وهذا فعل أمر، ولذلك بعض النحويين لا يسميه أمراً وإنما يسميه طلباً، والحقيقة هو صيغة أمر، لكن من الأدنى إلى الأعلى، وغرضه الدعاء.

ج ـ إذا كان الأمر من صديق إلى صديق يكون نوعاً من الالتماس والرجاء.

فدلالة الأمر تختلف من الآمر إلى الآخر ومن السياق.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ الأمر خاص بالرسول ﷺ وبمن يليه من الحُكّام، هذا في الأمر المُلزِم، أمّا الأمر الذي هو بمعنى النُّصح كأن أقول لك: افتح المصحف، هذا ليس أمراً؛ لأنه ليس لي عليك سلطة أمر وإنما للالتماس، ومن حيث القانون ليس لأحد سلطة أمر إلا الذي أمّره القانون، فالأمر ينظر إليه على هذا الأساس، فإذا كان الأمر من ولي الأمر يكون واجب التطبيق والطاعة، ومعصيته معصية لله ورسوله.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ لماذا لم تستخدم كلمة ﴿السفهاء﴾ بدل الجاهلين مع أنها استخدمت في مواطن أخرى في القرآن؟

الجواب:

(الجاهلون) تحوي معنيين: الجهل ضد العلم، والجهل الذي هو ضد العلم والتعقّل (السفاهة).

ولو قال: (وأعرض عن السفهاء) سيبقى إنسان جاهل تحدّثه، وهو ليس سفيهاً وليس عنده علم بالموضوع، فإذا حدّثته يقول لك: كُفّ عن هذا الكلام وإلا أترك المجلس.

ومثال آخر: عندما يأتي شخص تفوح منه رائحة الدخان فتقول له: يا فلان أنت أخي وأتمنى لو تركت التدخين؟ فيقول لك: إذا تكلمت في هذا الموضوع اترك المجلس، فتقول له: يا أخي أنا ليس لي عليك سلطان أنا آمرك نصحاً. ففرّق بين السفيه والجاهل، فجمعهما القرآن الكريم بالجاهلين بصنيعتهم.

السؤال السابع:

هل يندرج الكفار مع الجاهلين؟

الجواب:

الكفار يندرجون في الجاهلين، والمجتمع الإسلامي ليس إسلامياً صِرفاً

إنما فيه كفار وفيه عابد النار (المجوس)، ومع ذلك قال ﷺ: «**سنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب**» إلا العرب في الجاهلية لا يُقبل منهم إلا أحد أمرين: الإسلام أو القتال؛ لأنّ القرآن عربي، فيقال له: اقرأ أنت القرآن بنفسك وانظر هل تظن أنّ هذا الكلام من كلام بشر؟ فإذن إصرارك على عدم الإسلام هو إصرار في غير محلّه.

بينما عموم البشر لهم إمّا الإسلام أو الجزية، أي: إعلان الخضوع لدولة الإسلام.



﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية فصلت ٣٦ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ فأكد بضمير الفصل وعرّف السميع العليم، بينما في آية الأعراف ٢٠٠ قال ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾، فما السبب ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم ضمير الفصل (هو) بقصد التوكيد والحصر.

١ـ استعراض الآيات:

آيات سورة فصلت ٣٤ـ٣٦:

ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾.

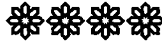
آيات الأعراف ١٩٩ـ٢٠٠:

ـ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾.

٢ـ أكّد في سورة فصلت بضمير الفصل، وعرّف (السميع العليم)، وترك ذلك في سورة الأعراف؛ وذلك:

أـ في سورة فصلت طُلب أنْ يقابل السيئة الحسنة، وهذا أمر شاق على النفس؛ لأنّ من عادة الناس أنْ يقابلوا السيئة بمثلها، فإذا أرادوا أن يحسنوا عفوا عن المسيء، أمّا أنْ يقابلوا السيئة بالحسنة فذلك أمر شاق على الإنسان عسير عليه، فإنّ الشيطان يحث على الانتصار للنفس ويثبطه عن الإحسان إلى المسيء؛ ولذا قال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾.

ب - أمّا في سورة الأعراف، فقد أمر بالإعراض عن الجاهلين، وهو أيسر من الإحسان إلى من أساء إليك؛ ولذا أكّد وعرّف في سورة فصلت وترك ذاك في سورة الأعراف، فلم تقع المبالغة في اللفظ، واقتصر الخبر على الأصل، فوضع كل تعبير في المكان الذي يقتضيه.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ لِمَ لمْ يستعمل الفعل (يبصرون) مثلاً؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ البصر صفة لازمة للمتقي، وعين الشيطان ربما حجبت، فإذا تذكر رأى المذكور، ولو قيل: (يبصرون) لأنبأ عن تجدد واكتساب لا عن صفة دائمة.



﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الأعراف ٢٠٢: عرف (الغي) بأل التعريف، فقال: ﴿ٱلْغَىِّ﴾ بينما في آية البقرة ١٥ عرّف بالإضافة، فقال: ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

عرّف الطغيان بالإضافة ﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾، وعرّف ﴿ٱلۡغَيِّ﴾ بأل التعريف، وذلك:

١ ـ في آية البقرة أسند المدّ إليه سبحانه، فالله يمدُهم في طغيانهم هم ولا يمدهم في طغيان جديد لم يفعلوه.

٢ ـ في حين أسند المدّ في آية الأعراف إلى الشياطين فذكر أنهم يمدونهم في غيٍّ جديدٍ لا في غيهم وحده، فهم يضيفون غياً إلى غيهم، وهذه هي طبيعة عمل الشياطين، لذلك أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾.



﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿وَإِذَا﴾ في الآية ؟ وما الفرق بين (إذا وإنْ) في الاستعمال ؟

الجواب:

– إن:

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة.

ـ أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

ـ أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

ـ أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

ـ أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

ـ **إذا:**

تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات [البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ لابدّ أن ننصت للقرآن الكريم لنتلقى الفوائد الثلاث: البصائر والهدى والرحمة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ ولم يقل (فاسمعوا)؛ لأنّ الاستماع فيه تعمد أنْ تسمع، أمّا السمع فأنت تسمع كلَّ ما يقال حولك، وقد تنتبه وقد لا تنتبه، وقد نهى الرسول ﷺ عن التسمع والتجسس، وكلها بالتاء بقوله: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا وكونوا عباد الله إخواناً**» وليس من المعقول والتأدب مع الله أنْ يتكلم ربك ثم تنصرف أنت عن كلامه.

٣ـ السمع هو إدراك المسموع، وهو أيضاً اسم الآلة التي يُسمع بها، والاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم، ولهذا لا يُقال: إنّ الله يستمع، وأمّا السماع فيكون اسماً للمسموع، والتسمع طلب السمع مثل: التعلم: طلب العلم.

٤ـ الإنصات هو عدم الكلام وعدم الانشغال والإصغاء: أي إدراك المسموع بإمالة السمع إليه.

والإنصات إلى القرآن مطلوب في الصلاة وخلال خطبة الجمعة أو العيدين أو في أي وضع من الأوضاع.

٥ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يقصد بها الرجاء وليس التمني، وإذا كان الرجاء من الله فهو رجاء كريم لا بد له من أنْ يقع بإذنه تعالى.



﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٢٠٥) ﴾

السؤال الأول:

لماذا ذكر الخوف في آيتي الأعراف ٥٥ و ٢٠٥ (الخوف والخفية) ولم يذكره في آية الأنعام ٦٣، وإنما قال: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والخُفية نقيض الجهر ؟

الجواب:

١ـ الدعاء والذكر المذكوران في آيتي الأعراف إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله تعالى دعاء وذكراً.

٢ـ وأمّا آية الأنعام فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالناس في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لانصرف إلى هذه الأمور المخوفة ولم ينصرف إلى الخوف من الله تعالى.

والخوف في مثل هذه المواطن مما يعتري النفس البشرية، وهذا ظاهر معلوم، وقد بينت الآية تضرعهم وتذللهم إلى الله وطلب النحاة،وقال القرآن بعدها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ فاتضح الفرق بين الموضعين، فناسب كل تعبير موضعه. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الخيفة والخُفية في القرآن الكريم ؟

الجواب:

الخُفية من الخفاء: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣].

الخِيفة من الخوف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف:٢٠٥] أي: لا تذكر ربك وقلبك غافل.

ومعنى (تضرعاً): هو من التذلل والتمسكن والتوسل إلى الله تعالى، ومعنى: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بمعنى أنْ تسمع نفسك ولا ترفع صوتك مع علمك بما تقول وتدعو.



رابعاً- تناسب فواتح الأعراف مع خواتمها:

ابتدأت السورة بقوله تعالى:

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٢ - ٣].

وقال في خاتمتها:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف:٢٠٣-٢٠٤].

فابتدأت بالكتاب وختمت به.

وقال في أول السورة: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣]، فأمر باتباع ما أنزل إليه.

وختمت بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣] فقد أطاع أمر ربه، وذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣].

فقال أولاً: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣].

وهو مناسبة ظاهرة.والله أعلم.

والسؤال: ماذا يفيد التناسب؟

القدامى ذكروا تناسب الآيات والسور، وقالوا: القرآن هو كالكلمة الواحدة في تناسبه، وذكروا أنّ تناسب الآيات والسور يعني تناسب السورة مع السورة التي قبلها وخاتمتها وما بعدها، وهذا أمر مقصود لذاته. والذي نستفيده من هذا التناسب أنّ القرآن ليس كلاماً من دون رابط كما يظن البعض، بل فيه تناسب وارتباط، والتناسب حجة تلزمهم. والله أعلم.



سورة الأنفال

أولاً ـ تناسب خواتيم الأعراف مع فواتح الأنفال:

١ ـ قال سبحانه في أواخر الأعراف:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤ - ٢٠٥].

وقال في أول الأنفال:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢].

فذكر في الأعراف قراءة القرآن، فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وقال في الأنفال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الأنفال:٢]. والآيات هي من القرآن.

وقال في الأعراف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال في الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

وكلتاهما في ذكره سبحانه.

٢ ـ قال في آخر الأعراف:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقال في أول الأنفال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال:٣].

فذكر السجود والتسبيح في آخر الأعراف، والتسبيح من الذكر.

وذكر إقامة الصلاة وذكر الله في الأنفال، فقال: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

وقال في الأعراف: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦]. وقال في الأنفال: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنفال:٣] والسجود من الصلاة.

فالتناسب ظاهر في الموضعين.

ثانياً ـ هدف السورة: قوانين النصر ربانيّة ومادية:

سورة الأنفال سورة مدنية نزلت عقب غزوة بدر التي كانت فاتحة الغزوات في تاريخ الإسلام المجيد وبداية النصر لجند الرحمن حتى سمّاها بعض الصحابة بسورة بدر، وسمّاها الله تعالى في القرآن الكريم بـ(الفرقان)؛ لأنها تناولت أحداث هذه الموقعة بإسهاب ورسمت الخطة التفصيلية للقتال وبيّنت ما ينبغي أنْ يكون عليه المسلم من البطولة والوقوف في وجه الباطل بكل جرأة وشجاعة وصمود. وقد كان عدد المسلمين ٣١٣ مقابل ١٠٠٠ من المشركين، لكنّ المسلمين على قلة عددهم انتصروا بعون الله تعالى ثم باستعدادهم للحرب على المشركين مع كثرتهم، وكانت أول المعارك بين الحق والباطل في التاريخ الإسلامي.

وقد سبق في السور الطوال التي سبقت الأنفال أنْ عرض الله تعالى لنا المنهج وكيف نثبت عليه بالتوحيد الخالص لله وبالعدل وحسم المواقف، ثم جاءت سورة الأنفال ليبيّن لنا أنه حتى ينتصر المنهج يجب أنْ يكون له قوانين للنصر، فالنصر لا يأتي صدفة

ولا فجأة وإنما يحتاج إلى قوانين، فسورة الأنفال تتحدث عن قانوني النصر في غزوة بدر، والتي يمكن أن تكون عامة لكل الغزوات والمعارك بين الحق والباطل، وهما:

*** قوانين ربّانية (النصر من عند الله).**

*** قوانين مادية (الاستعداد للقتال بالعدة والتهيئة النفسية والعسكرية).**

والسورة تنقسم إلى قسمين بارزين كل منهما يتناول أحد هذين القانونين. والسورة تحتوي على توازن بين القانونين، النصر من عند الله بعد التوحيد الخالص لله كما في سورة الأنعام وأنّ كل شيء يرجع لله تعالى وأنّ النصر من عند الله أمر طبيعي، ولكن لا بدّ من التخطيط والاستعداد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣] بمعنى: نبذل كل الجهد ونتوكل على الله حتى ينصرنا.

وسميّت السورة بالأنفال: لورود كلمة (الأنفال) فيها، وهي لغة تعني الغنائم، وكان المسلمون بعد انتصارهم قد اختلفوا كيف توزع الغنائم عليهم والله تعالى أراد أنْ ينبههم إلى أنّ الغنائم هي من الدنيا والاختلاف عليها خلاف على الدنيا، والله تعالى يريد أنْ يرسّخ في قلوب المسلمين قوانين النصر بعيداً عن الدنيا ورموزها، والأنفال قضية فرعية أمام القضية الهامة التي هي تقوى الله.

ولذا فإن السورة ابتدأت بالسؤال عن الأنفال في الآية ١: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾. ولم تأت الإجابة عن السؤال إلا في الآية ٤١: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ

﴿ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ [الأنفال:٤١]. ولهذا حكمة من الله تعالى.

إذن فالمعنى أنّ سورة الأنفال تتحدث عن قوانين النصر وأكثر ما يؤثر على قوانين النصر الدنيا، والأنفال هي من الدنيا فكأن الأنفال هي التي تضيّع النصر، وفي السورة تحذير للمسلمين من الفرقة من أجل الدنيا وتوجيه لهم بالوحدة والأخوّة والتخطيط والرجوع إلى الله لتحقيق النصر.

القسم الأول: وما النصر إلا من عند الله: (الآيات في الربعين الأولين) تذكير أنّ الله تعالى هو الذي نصرهم، فعلينا أنْ نثق بالله تعالى ونتوكل عليه؛ لأنه صانع النصر. ودليل ذلك:

* **الترتيب للمعركة من الله تعالى:** ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨﴾.

* **الإعداد النفسي للمعركة:** ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾، و: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ و:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

* نزول الملائكة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ و ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

* موعد ومكان المعركة بترتيب من الله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ لمّا أنزل الله تعالى المطر جعل الأرض عند المسلمين صلبة تعينهم على خفة الحركة، وجعل الأرض عند المشركين طينية أعاقت حركتهم في المعركة، وهذا بتدبير الله عز وجل.

* نتيجة المعركة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ و ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

وكل هذه الآيات يدل على أنّ الله تعالى هو الذي صنع النصر في غزوة بدر.

القسم الثاني من السورة: يتحدث في القوانين المادية للنصر.

* **أهمية التخطيط:** ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

* **موازين القوى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، فالأسباب المادية مهمة أيضاً حتى أنّ هزيمة الكفار تعود إلى الأسباب المادية؛ لأنهم لم يكونوا يفهمون الحرب جيداً، ولم يعرفوا عدوهم.

* **الأخوّة:** ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾. فقضية الأخوّة هي من أهم الأسباب المادية التي تصنع النصر، فالمؤمنون مهما اختلفت أجناسهم أمة واحدة. ونلاحظ ارتباط هذه السورة بسورة آل عمران من منطلق الأخوّة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣] و﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥] فسورة آل عمران تعين على الثبات، كما هو هدف السورة وآية ٤٦ في سورة الأنفال هي من قوانين النصر المادية.

وفي سورة الأنفال لفتة كريمة في صفات المؤمنين حيث إنّ الآيات التي في بداية السورة وصفت المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وفي ختام السورة جاء وصف المؤمنين أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ ، لكنّ هناك فرقاً بين الصفات في الآيتين، وهذا الفرق هو إثبات لقانوني النصر في السورة، فصفات المؤمنين في الآية ٤ هي صفات إيمانية يتحلى بها المؤمنون الذين يثقون بالله وبقدرته وبأنّ النصر من عنده، وجاءت في القسم الأول (القوانين الربّانية).

أما الآية ٧٤ فأعطت صفات المؤمنين المناسبة للأمور المادية والقوانين المادية، وجاءت في القسم الثاني للسورة (القوانين المادية). وهكذا مثلت صفات المؤمنين في السورة التوازن بين قوانين النصر الربانية والمادية.

وجاءت في سورة الأنفال **نداءات إلهية للمؤمنين** ست مرات بوصفهم بالإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله وتذكير لهم بأنّ هذه التكاليف التي أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به، وأنّ النصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان:

* **النداء الأول:** التحذير من الفرار من المعركة والوعيد للمنهزمين أمام الأعداء بالعذاب الشديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ .

* **النداء الثاني:** الأمر بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر الرسول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ .

* **النداء الثالث:** بيان أنّ ما يدعو إليه الرسول هو العزة والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ .

* **النداء الرابع:** بيان أنّ إفشاء سر الأمة للأعداء هو خيانة لله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ .

* **النداء الخامس:** التنبيه إلى ثمرة التقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ .

* **النداء السادس:** بيان طريق العزة وأسس النصر بالثبات والصبر واستحضار عظمة الله تعالى والاعتصام بالمدد الروحي الذي يعين على الثبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ .

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ عدة مرات في القرآن الكريم، ما دلالة الآيات التي تبدأ بهذا التعبير ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

وردت في القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ و ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ فما دلالة إضافة الواو وحذفها؟

الجواب:

الواو تكون عاطفة، لكن عندما يبدأ موضوعاً جديداً لا يبدأ بالواو وإنما يبدأ بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، لأنه لا يريد أنْ يستكمل كلاماً سابقاً مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ أي: غير معطوفة على ما قبلها.

السؤال الثالث:

ما دلالة عدم تكرار كلمة: (أطيعوا) في الآية، وتكرارها في مواطن أخرى ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٣٢.

السؤال الرابع:

ما دلالة التعبير ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ في القران الكريم ؟

الجواب:

١ـ ورد هذا التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ في القرآن الكريم في (١٦) موضعاً؛ وهي: [البقرة ٩١ـ٩٣ـ٢٤٨ـ٢٧٨ وآل عمران ٥٦ـ ١٣٩ ـ ١٧٥ والمائدة ـ ٢٣ ـ ٥٧ ـ ١١٢ والأعراف ٨٥ والأنفال ١ والتوبة ١٣ وهود ٨٦ والنور ١٧ والحديد ٨].

بينما ورد التركيب ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ في مكان واحد في آية التوبة ٦٢ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾

٢ـ وهذا التركيب العجيب يضع الناس أمام أنفسهم وجهاً لوجه، وسر هذا التركيب يكمن في كلمة (إن) وهي أداة شرط تستعمل في القرآن عندما يكون الأمر موضع شك قابلاً للظن والاحتمال. أما (إذا) فتستعمل في مواضع اليقين.

٣ـ وقد ورد تركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مع فئتين من الناس:

الأولى: وهم المؤمنون الصادقون الذين لا يُشكُّ في صدقهم وحسن بلائهم وسابق جهادهم وصحبتهم للنبي ﷺ.

الثانية: وهم المنافقون الفاسقون الذين لا يُشكُّ في خياناتهم وتلونهم وكذبهم.

٤ـ ومن السهل أنْ نفهم التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ مع الفئة الثانية؛ فهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين؛ ولذلك يخاطبهم الله عز وجل بأسلوب الشك في إيمانهم، ويبين للمؤمنين الصادقين كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [البقرة:٩١].

أمّا ورود هذا التركيب مع فئة المؤمنين الصادقين المخلصين، كما في آية الأنفال ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ في غزوة بدر ومعه الصحابة الذين هم أكرم أهل الأرض بعد أنبياء الله، فمن الواضح أنّ مثل هذه الآية عندما ترد مع مثل هؤلاء الناس تكون تطهيراً لهم وتعليماً وتذكيراً، كأنها تضعهم في منزلة الشك في إيمانهم إنْ لم يفعلوا ما يأمرهم الله به فيهبوا للعمل بأحكام الله فيدفعوا عنهم صورة التردد والشك؛ وليدخلوا في دائرة الإيمان الوثيق الذي يعلمه الله منهم بصدق أقوالهم وأعمالهم.



﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف المؤمنين بهذه الصفات فى بداية سورة الأنفال؟

الجواب:

إذا امتدح الله المؤمن بصفات محددة مثلاً، فهذا حصر للمؤمن الخاص نحو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وهذه شهادة ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، فلماذا؟

السبب: أنّ الله امتدحهم بصفات لا تتوفر في كل المؤمنين، فليس كل المؤمنين توجل قلوبهم إذا ذكر الله، وفي الغالب لا يخافون، أمّا هؤلاء ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: تجده يتقزم ويتحفظ ويتلفت، فالصحابة الكرام كانوا إذا ذكر النبي ﷺ وكان الصحابي نائماً يستيقظ ويجلس، فكيف إذا ذكر الله عز وجل؟ ولهذا أصبح مؤمناً خاصاً متميزاً؛ ولذلك أعطى الله مواصفاته كاملة في القرآن.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الأنفال:﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وفي الرعد٢٨: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فكيف الجمع بين الخوف والطمأنينة ؟

الجواب:

١ـ المراد بالذكر في آية الأنفال هو ذكر عظمة الله تعالى وشدة انتقامه ممن عصى أمره؛ لأنّ آية الأنفال نزلت عند اختلاف الصحابة في غنائم بدر فناسب هذا التخويف.

٢ـ آية الرعد: المراد بالذكر هو ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأناب إليه.

٣ـ جمع بينهما في آية الزمر٢٣، فقال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ والتقدير: تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها إلى حضرة الله، وهو لا يحس بالإدراك.

٤ـ قال تعالى: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: إلى رحمة الله؛ لأنّ من أحب الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله حقاً وإنما أحب شيئاً غيره، وأما من أحب الله لا لشيء سواه فهذا هو المحب الحق في الدرجة العالية، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

٥ـ قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط، وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معاً؛ لأنّ المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف، ولأنّ محل المكاشفات هو القلوب والأرواح.

٦ـ في آية الأنفال: نُسبت الزيادة﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ التي هي فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سبباً فيها، وهذا من الإسناد العقلي في القرآن الكريم. والله أعلم.



﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير في آية الأنفال ١٠ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ وآية آل عمران ١٢٦ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾؟ ولمَ ذكر ﴿لَكُمْ﴾ في آل عمران وحذفها في الأنفال؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٢٦.

السؤال الثاني:

في آية آل عمران عرّف ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ وفي آية الأنفال ١٠ استعمل التنكير، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٢٦.



﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الأمن والأمنة ؟

الجواب:

١ـ الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، وقد وردت تلك الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات.

ومن ذلك:

أ ـ آيتا الأنعام ٨١ـ٨٢: على لسان إبراهيم عليه السلام عندما هدده قومه وخوّفوه، فرد عليهم بأن بيّن لهم من هو الأولى بالخوف ومن هو الجدير بالأمن، ثم قدّم لهم

الجواب القاطع الدائم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ب ـ آية النور ٥٥: وفيها تصريح بتبديلهم أمناً بعد الخوف، أي: أن الأمن يعقب الخوف فيزيله ويزيل أسبابه.

٢ـ الأمنة هي الطمأنينة مع وجود سبب الخوف، وقد وردت مرتين في القرآن، وكلاهما في سياق واحد، وهو تثبيت الله للمؤمنين في معاركهم مع الكفار، وإنزاله سبحانه الجنود الربانيين ليكونوا معهم، مثل الملائكة والمطر والنعاس.

والآية الأولى هي آية الأنفال ١١، وهي تتحدث عن تثبيت المؤمنين في غزوة بدر، والثانية هي آية آل عمران ١٥٤ في غزوة أُحد، حيث تحدثت الآية عن النعاس يغشى المؤمنين ليزيل شعورهم بالخوف، والخائف لا ينام عادة وكذلك المهموم والمغموم، ولكنّ الله جعل المؤمنين في غزوتي بدر وأحد ينعسون؛ ليزيل عنهم الشعور بالخوف، علماً بأنّ المعركة ما زالت مستمرة وأسباب الخوف ما زالت قائمة، فهو أمر معنوي نفسي، ولم تستعمل الأمنة إلا في سياق المعارك. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية آل عمران ١٥٤: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وفي سورة الأنفال ١١ جاء ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: مع التقديم والتأخير بين النعاس والأمنة، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.



﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت ﴿يُشَاقِقِ﴾ بدون إدغام مرة ومدغمة مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ ؟

الجواب:

فكّ الإدغام مع الجزم ﴿يُشَاقِقِ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة:٢١٧] هذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استعمال يشاقّ ويشاقق؟

الجواب:

١ـ حيث ورد ذكر الرسول ﷺ يُفكّ الإدغام ﴿يُشَاقِقِ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

٢ـ وحيث أُفرِد الله تعالى تستخدم ﴿يُشَآقِّ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر:٤].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢١١ والأنفال ١٣: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ بينما أكدها باللام في آية الرعد ٦ بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾، فما سبب تخفيف أو زيادة التوكيد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١١.



﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات (ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ المعاني اللغوية:

ذاق:

وردت في القرآن الكريم ٦٣ مرة، وهي تعني ذوق العذاب الأليم والبأس والموت والحميم والعذاب الأكبر والعذاب الأدنى وعذاب النار وعذاب السعير وعذاب الحريق، أي: بشكل عام يذوق الإنسان وبال أمره وشر عمله ويجني ما كسبت يداه.

انظر الآيات:[آل عمران ١٠٦ ـ السجدة ١٤].

أذقنـــا:

وهي تعني ذوق الرحمة والنعماء، والفاعل في الفعل هو الله تعالى، فمنه الرحمة والخير.

انظر الآيات: [يونس ٢١ ـ الشورى ٤٨].

٢ـ في آية سورة الأنفال ١٤ ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ نلاحظ ما يلي:

أ ـ في الآية يوجد التفات، وهو أسلوب بلاغي، فبعد أنْ كان الضمير للخطاب ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ التفت إلى الغائب، فقال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

ب ـ الكفار هم الذين أخزاهم الله عز وجل في غزوة بدر، لكنّ القرآن لم يقل مثلاً (وأن لكم عذاب النار)، بل قال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ ذلك أنّ الله تعالى يعلم أنّ ممن كانوا في بدر كافرين أثناء المعركة سوف يسلمون ويحسن إسلامهم مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص و عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان وغيرهم، ولو

قال: وأنّ لكم عذاب النار، لدخل هؤلاء في هذا الحكم. لذلك قال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ أي: من يبقى منهم على كفره، ومن يدخل في دائرة الكافرين إلى يوم الدين.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (إدبار وأدبار)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة ق: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٤٠] وقال في سورة الطور: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور:٤٩].

(الأدبار) جمع دُبر بمعنى خلف، كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة، أي: بعد انقضائها، وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال:١٥-١٦].

أما (الإدبار) فهو مصدر فعل أدبر، مثل: أقبل إقبالاً، والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تُدبر، أي: تغرُب، عكس (إقبال).

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل (باء) في الآية؟

الجواب:

التبوء هو الاتخاذ، و(باء) بمعنى رجع إلى مكانه، وكأنما الإنسان عندما يخرج من بيته يرجع إليه دائماً، يعني: يبوء إلى داره، وأحياناً تكون بمعنى (رجع) بشكل عام، كما في الآيات:

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ أي رجع من عمله بغضب من الله سبحانه وتعالى.

﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المائدة:٢٩] أي ترجع من هذا العمل حاملاً إثمي.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿زَحْفًا﴾ ما منظومة كلمات الجهاد في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ لماذا لم يقل الحق: هرولوا إلى القتال ؟ وما معنى ﴿زَحْفًا﴾ ؟

الجواب:

الزحف هو انتقال كتلة لا ترى الناقل فيها، ومن يراها يظن أنّ الكتلة كلها تتحرك.

وكأنّ الحق يقصد: أريد منكم أنْ تتحركوا إلى الحرب كتلة واحدة متلاصقين تماماً، فيظهر الأمر وكأنكم تزحفون.

و(زحفاً) أصلها (زاحفين) على الحال، ويجوز أنْ يكون حالاً للكفار، كما يجوز أن يكون حالاً للمؤمنين، ثم عدل سبحانه عن اسم الفاعل، وجاء بالمصدر؛ ليظهر الجيش كله وحدة متماسكة، كما قال الشاعر:

خميسٌ بشرقِ الأرضِ والغربِ زحفُه   وفي أُذُنِ الجوزاءِ منه زمازِمُ

والزمازم صوت الرعد، ومن أراد أنْ يرى الكتلة كيف تسير بهذه الصورة فلينظر إلى الطواف أثناء الحج من الدور الثاني من الحرم المكي.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ تحذير من الفرار من مواجهة العدو.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ حيث نفى أولاً ما أثبته آخراً ؟

الجواب:

النبي ﷺ رمى أولاً والصحابة قاتلوا، والله تعالى هو الذي أوصل ما رماه الرسول عليه السلام إلى وجوه الكفار. وفي الآية معنى مطلوب، وهو رد الفاعلية إلى الله في كل شيء.

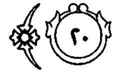
السؤال الثاني:

ما نوع الفاء في كلمة (فلم تقتلوهم)؟

الجواب:

الفاء هنا تسمى الفصيحة، وقد وقعت الفاء في جواب شرط مقدم؛ أي: إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم.

لمزيد من التفصيل حول فاء الفصيحة، انظر آية الأنعام ١٥٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ  ﴾

السؤال الأول:

نلاحظ أنه في آية الأنفال ٢٠ حذفت التاء، فقال: ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾، وهي خطاب للمؤمنين، ولم تحذف التاء في آية هود ٥٢، فقال: ﴿تَتَوَلَّوۡاْ﴾، علماً أنّ الخطاب فيها للكافرين، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ ـ تولي المؤمنين أقل من تولي الكافرين؛ ذلك لأنّ المؤمنين مطيعون لله بخلاف الكفرة، فتوليهم عام شامل، فلمّا كان تولي المؤمنين أقل حذف التاء للدلالة على قلة توليهم، وزادها مع الكفار للدلالة على زيادة توليهم.

٢ ـ كلمة ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ للمؤمنين تدل عن النهي عن التولي مهما كان قليلاً.

السؤال الثاني:

إلى أين يرجع الضمير في ﴿عَنۡهُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

إذا تقدم شيئان أو أكثر مما يصلح للتفسير فالأصل أنْ يعود الضمير على الأقرب، نحو: جاء محمد وخالد فأكرمته، أي: أكرمت خالداً.

وفي آية الأنفال الضمير ﴿عَنۡهُ﴾ عائد على القريب، وهو الرسول ﷺ.

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ﴾ ؟

الجواب:

كلمة دابة تعني كل ما يدب على الأرض، ولكنها خُصت عرفاً بذوات الأربع، وتجمع على دواب، والوجود مرتقى من حلقات أربع:

١ـ الجماد.

٢ـ النبات.

٣ـ الحيوان.

٤ـ الإنسان.

ويجمع هذه الأشياء الأربعة رباط واحد، وهو أنه أعلى مرتبة في الأدنى هي أول مرتبة في الأعلى.

ـ فمثلاً أعلى شيء في الجماد يُمثل أول شيء في النبات مثل المرجانيات، فكأنّ الجماد له ارتقاءات في ذاته تتوقف عند مرحلة لا يتخطاها فلا ترقى إلى أنْ تصير نباتاً، أو أنْ يصبح النبات حيواناً، أو يصبح الحيوان إنساناً، وكل قسم يظل مستقلاً بذاته وفيه ارتقاءات تقف عند حد معين.

ـ هناك ارتقاءات في النبات تصل إلى الحس كنبات الظل و(الست المستحية) وهي تغلق أوراقها فور اللمس، والحس أول مرتبة في الحيوان لكنها لا ترتقي إلى حيوان.

ـ والحيوانات لها ارتقاءات فهناك حيوانات تستأنس مثل الجمل وحيوانات تدرب كالأسد والنمر، وحيوانات تقلد كالقرد الذي يملك درجة من الفهم، لكن لا يستطيع هو أنْ يعلِّمها لبني جنسه.

وهناك حيوانات لا تستأنس، بل تظل متوحشة كالثعبان والبرغوث، وقد تجد بنتاً صغيرة تقود جملاً كبيراً، بينما يجعلك البرغوث ساهراً كل الليل.

إذن الوجود بحلقاته الأربع لا ترتقي حلقة إلى الأعلى منها، بل تقف عند حد معين، وتلك الشبهة التي أصابت بعض المفكرين في أن يظنوا أن أصل الإنسان قرد، والذي يهدم نظرية داروين من أولها هو هذا الفهم لطبيعة التطور.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ



السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ وجاءت في القرآن آيات كثيرة عن الربط على القلوب، فهل هناك تناقض بين (الربط والحول)؟

الجواب:

بشكل عام: الحول هو القوة وهو الحجز أيضاً، والربط هو الشد والتوثيق والتقوية.

١ـ في آية الأنفال يقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ أي: أن الله تعالى أعطاكم هذه الميزة بأنْ يتوجه إليكم رسول الله ﷺ بالدعوة وأنْ تستجيبوا له، مع أنّ الله تعالى قادر أنْ يرغمكم إرغاماً على الاستجابة فالله هو المتصرف الحقيقي بقلوبكم، وهو مجازاً أقرب إلى قلوبنا منا، أي: أنّ الله أكرمنا بأنْ طلب منا الاستجابة؛ لأنّ في الاستجابة الحياة لنا، ولو شاء الله لحملنا حملاً على الاستجابة. لذلك هذا نوع من التكريم للإنسان بأنه دُعي إلى الاستجابة إلى الله ورسوله.

٢ـ الربط هو الشد والتقوية، وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الكهف:١٤] أي: قويناها بالصبر.

وكذلك في قصة موسى عليه السلام ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [القصص:١٠] أي: قويناه وصبّرناه.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

الآية الكريمة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال:٢٤] يحول يعني: يحجز، وهو مجاز عن قرب الله من الإنسان، ويعني أنه تعالى يفصل بين الإنسان وقلبه، وهو يتمكن من قلوب العباد فيصرّفها كيف يشاء، يفسخ الإرادة أو يعطيه إرادة، يغير مقاصده كما ورد في الحديث (**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**) فهو أملك لقلوب العباد منهم، فهو يحول بين المرء

وقلبه، أي: يحجز وهو أقرب إليه، وهو قريب جداً، بحيث يحجز بين المرء وقلبه ويغير ما يشاء.



﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ ما كلمات منظومة ألطاف الله على عباده ؟

الجواب:

الكلمات التالية في منظومة ألطاف الله على عباده المؤمنين، ومنها:

أيّد والتأييد:

هي لغة الشدة والصلابة والقوة، والتأييد عطاء من الله تعالى للعبد.

* شواهد قرآنية:

- ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال:٢٦].

- ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الصف:١٤] ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران:١٣].

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة:١١٠].

- ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠].

- ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧].

مدّ ـ مدد ـ أمدّ:

أمدّ: إرسال المدد من الغير على دفعات كإمداد الملائكة، وهذا للخير عامة.

مدّ: تستعمل للشر عامة، و(مدُّ العذاب) بمعنى: مستمر بلا توقف.

* شواهد قرآنية:

﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال:٩].

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم:٧٩].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [ق:٧] يعني بسطها، ويعني رزقها إلى يوم القيامة.

نصر:

هوأنْ ينجينا الله بنفسه وبشكل مباشر، ويكون عادة عند وشوك الهزيمة فيأتي النصر من الله بعد أنْ يستنفد البشر كل طاقاتهم.

* شواهد قرآنية:

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

أعان:

إذا لم يكن النصر عسكرياً يكون عوناً، والإعانة هي نوع من أنواع المدد غير العسكري، مثل التبرعات وغيرها.

* شواهد قرآنية:

﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥].

لمزيد من التفصيل لكلمات هذه المنظومة انظر آية يوسف ٢١.



﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ ؟

الجواب:

أخبرنا الله عز وجل أنّ المال والأولاد فتنة، والفتنة اختبار، والفتنة لا تذم ولا تمدح إلا بنتيجتها، فقد تكون ممدوحة إذا نجحت في الاختبار، وتكون مذمومة حين ترسب في الاختبار.

وقد قدّم الحق سبحانه المال على الأولاد، لا لأن المال أغلى ولكن:

١ـ كل واحد له مال مهما قلّ وإن لم يكن إلا ملبسه، لكن ليس لكل واحد أولاد.

٢ـ المال عام وهو ينفق لزواج الأولاد. لذلك قدّم المال على الأولاد.

السؤال الثاني:

ما دلالة أنه قال فيها ﴿أَنَّمَآ﴾ أولا، ثم قال ﴿وَأَنَّ﴾ ؟

الجواب:

قال فيها مرة: ﴿أَنَّمَآ﴾ ومرة قال: ﴿وَأَنَّ﴾ وسر ذلك أن ﴿أَنَّمَآ﴾ للحصر، أي: ليست الأموال والأولاد إلا للفتنة والاختبار لإظهار الصلحاء من غيرهم. ثم قال ﴿وَأَنَّ﴾ ولم يقل و(أنما)؛ لأنه لا موجب للحصر، فإنّ الله عنده أجر عظيم وعقاب أليم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال وصف العظيم مع الفضل في الآية؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ فعدّد الفضل وذكر منه: يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم، إذن فهذا فضل متعدد وأُسند مباشرة إلى الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ﴾ فاستعمل معه كلمة (العظيم).

السؤال الثاني:

لماذا ذكر التكفير مع السيئات ولم يذكر شيئاً مع المغفرة في آية سورة الأنفال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الذنب كبير، والسيئة هي الشيء الذي يسيء إليك، وقد يكون طارئاً. أمّا الذنب ففيه معنى الالتصاق ومنه أُخِذ ذَنَبُ الحيوان لالتصاقه به، فالسيئة سريعة المحو، أمّا الذنب فيلتصق؛ ولذلك الغفران فيه معنى القطع.

٢ـ وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم، وحيثما وردت كلمة (الغفران) بكل صيغها مثل(يغفر، نغفر) والتكفير (يكفّر عنكم) وجدنا أنّ التكفير خاص بالسئيات والغفران خاص بالذنوب.

٣ـ كلمة (كَفَرَ وغَفَرَ) تختلفان فقط في أنّ الغين أقوى من الكاف، فالغفران أقوى من التكفير، والذنب أشد من السيئة، فالسيئات هي التي تُكفّر إذا اجتنبت الكبائر، وفي الكلمتين (كفر وغفر) معنى التغطية والقطع.

٤ـ ولننظر في استعمال (كفّر وغفر) نجد أنه قد شُدّدت كلمة (كفّر)، ولم تشدد كلمة (غفر) مع أنه جائز لغة، وتشديد كلمة (كفّر)؛ لأنّ السيئات أو صغائر الأمور هي كثيرة عند الناس، وكثيراً ما يقع الانسان في الصغائر، لكن عليه الانتباه، وأنْ لا يستهين بالسيئات؛ لأنّ الإنسان لا يدري ما الذي يُدخله النار، لكنّ الوقوع في الكبائر نادر عند المؤمن، أمّا اللمم فكثيرة؛ لذا استعمل صيغة التكفير مع السيئات ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:٣١].

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المكر في القرآن؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾؟

الجواب:

١ـ الذي يلفت النظر في الآية أن الله تعالى قال عن نفسه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ والشائع أنّ المكر فيه نوع من الدهاء.

٢ـ المكر هو التدبير، وفيه نوع من الخفية والسرّية، والمكر فِعل من الإنسان، والمكر تدبير تستعمله العرب في الغالب للسوء والخداع، كما أنّ اللغو هو تحريك اللسان، لكن صار له خصوصية؛ حيث اقتصر على الكلام في الموضوعات التي لا فائدة من ورائها، وهذا تخصيص دلالي للاستعمال، وهو غير المعنى المعجمي.

٣ـ المكر هو التدبير في الأصل، لكنّ الاستعمال اللغوي جعله لما فيه إساءة للمقابل، فالفعل (يمكر) أي يدبر شيئاً مسيئاً لآخر، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] أي هذا المكر هو بسببك يا محمد في نظرهم ،فهم جعلوك سبباً لمكرهم ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾

[الأنفال: ٣٠] وكان لديهم ثلاثة خيارات يفكرون فيها عندما كان الرسول عليه السلام في مكة، وهي:

أ ـ الإثبات بمعنى الإقامة، لكن العرب تستعمله لضربه بالسيف أو بغيره وإثخان جراحاته بحيث لا يتحرك، وهو ليس موتاً ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ معناه ليثخنوك بالجِراح حتى لا تستطيع أنْ تتحرك، وبعض العلماء قال: ليس بهذا المعنى وإنما ليحصروك في مكان واحد، وهم يريدون أنْ يضربوه بسيوفهم من غير قتله فيؤذوه في الجراحات فيلزم بيته ويبقى مدة في بيته يستقر وينجون من دورانه على القبائل و دعوته مع الناس.

ب ـ وقسم قال: نقتله.

ج ـ وقسم قال: ننفيه من أرضنا.

٤ـ فهم يمكرون ويدبرون هذا التدبير، والله تعالى له تدبير آخر: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ أي: خير المدبرين وأحسن من يدبر التدبير، هم تدبيرهم فاشل، والتدبير الجيد هو من الله تعالى، فأي التدبيرين أحكم وأفضل؟ تدبير الله عز وجل.

وإذا أخذنا الكلمة على المعنى اللغوي الأساسي نجد أنها للتدبير، وإذا أردنا فيها معنى تدبير السوء، فما يلقيه الله تعالى من سوء سيكون عليهم لأنّ إنجاء الرسول ﷺ سوء لهم ومكر عليهم وإيذاء لهم، وخسارة لما هم فيه من مناصب وجاه وسلطة لمّا أقيمت دولة المدينة.

٥ـ مع ذلك يقول بعض العلماء: إنّ الاستعمال هنا يسمى المشاكلة، أي: تستعمل اللفظة التي استعملها عدوّك بالمعنى المقارب، وإنْ كنت لا تعنيه ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ هذا المكر

من الله ليس تدبيراً سيئاً في ذاته، وإنما هو سوء لهم أو سوء عليهم، والأصل في غير القرآن: ويدبر الله لهم العقاب، كما في قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

وصحيح أنّ اللفظة في دلالتها الأساسية عدوان، لكنها في الحقيقة ردٌّ لعدوان، وإنما استعملت للمشاكلة. والعرب قديماً فهموا معنى مكر الله تعالى، وإذا رجعنا إلى الأصل اللغوي نجد أنه ليس فيه شيء، وإنما المكرهو التدبير، وهناك تدبير حسن وتدبير سيء، ونحن يجب أنْ ننظر للكلمة كما كانت تستعمل عند نزول القرآن.

٦ـ دلالة استعمال صيغة المضارع في ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾، لأنهم مستمرون بعملهم لم يتوقفوا عن ذلك، وعندما كان الرسول ﷺ في مكة كانوا يشتغلون بهذا، وعندما انتقل إلى المدينة لم يتوقف مكرهم والتحالف مع القبائل ومضايقة المسلمين، لذا صيغة المضارع إشارة إلى الاستمرار، واستعمله في الحال بدليل الاستمرار (ليثبتوك، يقتلوك، يخرجوك).

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ؟ولماذا لم يستعمل القرآن هنا كلمة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ كما في الآية ٢٦ من سورة الأنفال؟

الجواب:

١ـ نلحظ هنا أن الله تعالى لم يأت بكلمة ﴿وَاذْكُرُوا﴾، كما في الآية ٢٦ من سورة الأنفال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ حيث جاء بكلمة ﴿وَاذْكُرُوا﴾ في جانب الصحابة.

وذلك لأنه لا يطرأ على البال أنْ يغفل رسول الله ﷺ عن ذكر الله؛ لأنّ الذكر هو مهمته، كما قال الله له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية:٢١].

فالذكر والتذكير هما وظيفة الرسول ﷺ ويختلف هذا عن مهمة الإيمان في حياة المؤمنين ،لأنّ الإيمان بالنسبة لهم إنما ليعدِّل حياتهم؛ لذلك جاء بالظرف فقط.

٢ـ ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي خير المدبّرين على المعنى الأساسي لكلمة المكر، وهذا يسمى عند العرب بالمشاكلة، أي: تستعمل اللفظة التي استعملها عدوك.

واستعمل كلمة ﴿خَيْرُ﴾ لأن تدبير الله مُحكم وأفضل، بينما تدبيرهم فاشل.

لذلك ليست نسبة المكر إلى الله بمعنى الجهل والسوء، وإنما هو من المشاكلة اللفظية، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] هي عقوبة، وإنما قال: ﴿سيئة﴾ على سبيل المشاكلة.

قال الشاعر:

قالوا: اقترح شيئاً نُجد لك طبخه قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا

٣ـ استعمل الفعل المضارع ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ للدلالة على استمرارهم بعملهم هذا.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة ؟

الجواب:

الكلمات هي: حبس ـ سجن ـ إمساك ـ توقيف إثبات ـ حجر ـ رباط.

انظر الجواب في آية النساء ١٥.



﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الدعاء في آية ٣٢ من سورة الأنفال؟

الجواب:

العذاب سيقع سواء هم سألوه أم لم يسألوه، فهو واقع على الكافرين لا محالة، وروح سؤال العذاب تتكرر عند العرب في أكثر من موضع، انظر في سورة الأنفال آية ٣٢ و٣٣ ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾



العرب كانت تعرف الله عز وجل، ويقولون: يا الله واللهم.

إني إذا مـــــا حـــــدثٌ أَلّمـــــا   أقـــول يـــــااللهمَّ يـــــااللهمّا

يعني حينما يقول: إذا أصابنا شيء ندعو، إذا حدثٌ ألمّ يقول: يااللهم، يجمع بين يا والميم.

فماذا نتوقع من قوم يقولون: يا رب إذا كان ما يقول محمد ﷺ هو الحق من عندك فما الجواب؟ المنطق: إذا كان هذا هو الحق فاشرح صدورنا له، وإذا كان هذا هو الحق فاجعلنا نتّبعه، لكن لاحظ هذه القسوة في قلوبهم وكيف أخذتهم العزة بالإثم، فقالوا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يا مساكين أنتم تقولون إنْ كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة! هذا يدل على انفعالهم الوقتي، لأنّ القرآن الكريم بعد ذلك وضّح لنا حالتهم النفسية.

السؤال الثاني:

ما معنى قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؟

الجواب:

في تفسيره وجوه:

١ـ أي: وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون. فاللفظ وإنْ كان عاماً إلا أنّ المراد بعضهم، كما يُقال: قتل أهل المحلة رجلاً.

٢ـ بمعنى وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار، وفي علم الله أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه، فوصفوا بصفة أولادهم.

٣ـ أي: لو استغفروا الله لم يعذبوا، فكان المطلوب استدعاء االاستغفار منهم.

٤ـ بعضهم قال: الاستغفار هنا بمعنى الإسلام، والمعنى: أنه كان معهم قوم في علم الله أنهم سيسلمون، منهم أبو سفيان بن حرب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وغيرهم كثير.

٥ـ وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة، وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون الله. قاله الضحاك وأبو مالك.

٦ـ كان المشركون يقولون عند طوافهم بالبيت: غفرانك. قاله: أبو موسى ويزيد بن رومان، ومحمد بن قيس. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق البياني بين الدعاء بكلمة (رب) والدعاء بكلمة ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ في آية الأنفال ٣٢؟

الجواب:

كلمة (رب) فيها العبودية، والإنسان يلجأ إلى مربّيه ومتولّيه ورازقه. وفي القرآن كله لم يحصل دعاء بكلمة (اللهم) إلا في مكان واحد، وهو قوله تعالى في دعاء عيسى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٤] وقد جاء لفظ ربنا بعد اللهم.

لمعرفة معنى كلمة (اللهم) انظر آية آل عمران ٢٦.

السؤال الرابع:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لماذا استعمل الصيغة الفعلية أولاً ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ ثم استعمل الصيغة الاسمية ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ وجود الرسول ﷺ بينهم مانع للعذاب، لكن هذا المنع موقوت ببقاء الرسول ﷺ فيما بينهم.

أمّا الاستغفار فقد جعله الله تعالى مانعاً ثابتاً، والاستغفار يدفع العذاب ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ فبقاء الرسول ﷺ بينهم متغير ولو تركهم حق عليهم العذاب.

٢ـ ونلاحظ من كرم الله تعالى قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فربنا يدفع العذاب ولو لم يكن الاستغفار صفة ثابتة فيهم، أي يستغفرون الله قليلاً، لأنّ رحمته واسعة تسع كل شيء.

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩] فإذا كان الظلم صفة ثابتة فإنه يفضي بهم إلى الهلاك، لكنْ في الاستغفار حتى لو لم يكن ثابتاً يغفر الله تعالى من رحمته.

٣ـ جعل الاستغفار مانعاً ثابتاً من العذاب، أي: وحالتهم يستغفرون، فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾.

ومنع العذاب عن المشركين خلال مدة بقائه ﷺ بينهم، فجعل الحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ .

٤ـ في آية القصص ٥٩ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ فاستعمل الصيغة الاسمية؛ وذلك لأن:

أ ـ الظلم من الأسباب الثابتة في إهلاك الأمم؛ فجاء بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات، فقال: ﴿مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [القصص:٥٩].

ب ـ جاء بالظلم بالصيغة الاسمية دون الفعلية، فقال: ﴿وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص:٥٩] ولم يقل: (يظلمون)، وذلك معناه أنّ الظلم كان وصفاً ثابتاً لهم مستقراً فيهم غير طارىء، فاستحقوا الهلاك بهذا الوصف السيء.

ج ـ انظر كيف ذكر أنه يرفع العذاب عنهم باستغفارهم في آية الأنفال ٣٣ ولم يكن وصفاً ثابتاً فيهم، وأنه لا يهلكهم إلا إذا كان الظلم وصفاً ثابتاً فيهم، فإنه جاء بالاستغفار بالصيغة الفعلية ﴿يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ وجاء بالظلم بالصيغة الاسمية ﴿ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص:٥٩] فانظر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه.

السؤال الخامس:

ما دلالة اللام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ؟

الجواب:

قد تكون هذه اللام للتعليل أو لام الجحود و(ما) للنفي، تماماً كما في قوله تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ

﴿ٱلۡجِبَالُ ٤٦﴾ [إبراهيم:٤٦] واللام في ﴿لِتَزُولَ﴾ [إبراهيم:٤٦] هي لامُ الجحود، و(إنْ) نافية بمعنى (وما كان مكرهم لتزول منه الجبال).

السؤال السادس:

في الآية نفى العذاب ثم أثبته، فما معناه ؟

الجواب:

١ـ المنفي عذاب الدنيا الذي كانوا يستعجلونه، والمثبت عذاب الآخرة.

٢ـ المنفي تعذيبهم بشرط كونك فيهم، والمثبت عدم ذلك.

٣ـ المنفي عذاب الكل لعلمه تعالى أنّ بعضهم سيسلمون، والمثبت عذاب بعضهم كيوم بدر.

السؤال السابع:

قال في آية الأنفال٣٣: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ وقال في آية التوبة١٤: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾ فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ هو عذاب الاستئصال، والمراد من قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:١٤] هو عذاب القتل والحرب والأسر واغتنام أموالهم.

والفرق بين الأمرين أنّ عذاب الاستئصال قد يتعدى إلى غير المذنب وإنْ كان في حقه سبباً لمزيد الثواب، وأمّا عذاب القتل والأسر فالظاهر أنه يبقى مقصوراً على المذنب. والله أعلم.



﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنفال ٣٥: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ وقال في آية الأعراف ٣٩: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ آية الأنفال في قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية، فناسب ﴿تَكْفُرُونَ﴾ .

٢ـ آية الأعراف في قوم ضلّوا وأضلوا غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب لزيادة الكسب في الضلالة.

السؤال الثاني:

ما دلالة (المكاء والتصدية) في الآية ؟ ولماذا جاء الفعل ﴿كَانَ﴾ مذكراً مع أن الصلاة مؤنثة؟

الجواب:

١ـ المكاء والتصدية هما الصفير والتصفيق وكلاهما مذكر، وجاء الفعل ﴿كَانَ﴾ مذكرا مع كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة:٥]؛ لأنّ المراد بالصلاة هنا الصفير والتصفيق، وكلاهما مذكر فجاء الفعل مذكراً.

وكذلك الصلاة عندهم تفيد الطواف، والطواف مذكر أيضاً فجاء الفعل مذكراً.

٢ـ كيف يذكر ويؤنث جمع التكسير في الاستعمال القرآني ؟

والجواب:

أ ـ أنه يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

ب ـ يؤنث الفعل مع الكثرة، ويذكر مع القلة، كما في الآيات:

ـ في آية يوسف ٣٠: حاشية امرأة العزيز عدد محدود، فذكّر.

ـ في آية الحجرات١٤: الأعراب كُثُر، فأنَّث.

ـ في آية آل عمران ١٨٣: هم مجموعة محدودة من رسل بني إسرائيل، فذكّر مع العدد المحدود.

ـ في آية الأعراف ٥٣: الرسل المذكورون هم جميع الرسل، وهم أكثر من سابقتها فأنَّث.

ـ في آية البقرة ١١٣: اليهود كُثُر وكذلك النصارى، فأنّث.

ـ في آية الممتحنة ١٢: تندرج هذه الآية في سياق الكثرة والقلة وفي سياق زيادة الفواصل أيضاً.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿نِعْمَ﴾ في الآية؟

الجواب:

(نِعْمَ) فعل ماضٍ جامد، وهذا أشهر إعراب، وإنْ كان هناك خلاف بين الكوفيين والبصريين: هل هي اسم أو فعل؟ لكن على أشهر الأقوال أنه فعل ماض جامد. و(نِعم وبئس) يأتي في باب النحو، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال:٤٠]، ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ [هود:٩٨] وبعدها فاعل؛ لأنه يأتي بعدها المقصود بالمدح والذم.

وعندما تقول: نِعْمَ الرجل محمود، نعربها على أشهر الأوجه: نِعْمَ: فعل ماض على أشهر الأوجه، (الرجل) فاعل، (محمود) فيها أوجه متعددة: منها أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: الممدوح محمود، أو مبتدأ والخبر محذوف: محمود الممدوح، ورأي آخر (محمود) مبتدأ مؤخر، وجملة (نعم الرجل) خبر مقدم، يعني: (محمود نِعم الرجل).

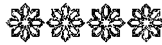
﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ
ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصل ﴿أَنَّمَا﴾ في آية سورة الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾؟ وما دلالة فصل ﴿أَنَّمَا﴾ في آية الأنعام ١٣٤ ووصلها في آية الذاريات ٥ والمرسلات ٧؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣٤.



﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى
جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا
لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آيات التزيين يستعمل القرآن (زينا) و (زُين)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿وَإِذْ﴾ في الآية ؟ وكيف زين الشيطان للمشركين ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ معناه: أي اذكر أو عطف على ما تقدم.

٢ـ في كيفية تزيين الشيطان، أنه تصور لهم في صورة إنسان وهو سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بني بكر، وكان من أشرافهم في جند الشيطان ومعه راية، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ لكن إبليس نكص على عقبيه لمّا رأى جبريل والملائكة في جيش المسلمين فخاف وفر.

السؤال الثالث:

قول الشيطان يوم بدر في الآية: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ لِمَ لم يقل ذلك حين أبى السجود ؟

الجواب:

١ـ الخوف هنا بمعنى العلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٢٩] أي: إلا أن يعلما عدم إقامة حدود الله.

٢ ـ أنّ الشيطان عَلِمَ ما أُعدّ له من عذاب القيامة، فلمّا رأى الملائكة يوم بدر ونزولها إلى الأرض توهم أنه الوقت المعلوم وأنه قد حان أجل عذابه.

٣ ـ صدق إبليس في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وكذب في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾.

وقوله تعالى:﴿تَرَآءَتِ﴾ أي: التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الأخرى. وقوله: ﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع. والله أعلم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ؟

الجواب:

قد يُحذف للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما حذف جواب القسم في:

١ـ أوائل سورة ق: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ .

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ:٣١].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق:١].

٤ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠].

وهذا الحذف حتى يذهب الذهن كل مذهب بأنّ هذا أمر عظيم وهناك من يستدعي العقوبات، لذلك جواب (لو) محذوف تقديره: لرأيت منظراً هائلاً وعذاباً شديداً.

السؤال الثاني:

هل هناك قراءة أخرى لكلمة ﴿يَتَوَفَّى﴾ في الآية ؟

الجواب:

قرأ ابن عامر وحده ﴿إذ تتوفى﴾ بالتاء على تأنيث لفظ الملائكة والجمع والباقون بالياء على المعنى.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ معناه: أي ولو شاهدت وعاينت؛ لأن (لو) ترُدّ الفعل المضارع إلى الماضي كما ترُدّ الماضي إلى المضارع.

السؤال الرابع:

لماذا رفعت لفظة ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

لفظة الملائكةُ، جاءت بالرفع، وفيها وجهان:

أـ رفعها بالفعل ﴿تَرَىٰٓ﴾ وجملة ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حال منهم.

ب ـ أو مرفوعة بالابتداء، وجملة (يضربون) خبر.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ و ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي يقبضون أرواحهم على استيفائها، وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ هذا قول الملائكة للكفار؛ لأنه صح أنه معهم مقامع، وكلما ضربوا بها التهبت النار. والله أعلم.

السؤال السادس:

لماذا قدّم المفعول به في الآية ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ؟

الجواب:

الأصل أنْ يتقدم الفاعل على المفعول، لكن يجوز تقديم المفعول على الفاعل في مقام الاهتمام والعناية.

وفي الآية قدم المفعول به ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، لأنّ الكلام على الذين كفروا وتغليظ عقوبة الكفر؛ ولأنّ الملائكة يتوفون بني آدم جميعاً مؤمنهم وكافرهم، والغرض هنا بيان احتضار الكافر، وأنه ليس كاحتضار المؤمن.

السؤال السابع:

هل تستعمل كلمة الملائكة في القرآن الكريم بالتذكير أو بالتأنيث ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣١.

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال بين: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ التقديم: أنْ تعطي وتقدم مما عندك، أمّا الكسب: فأن تجمع وتأخذ بنفسك.

٢ـ لننظر كيف يستعمل القرآن الكريم (قدمت وكسبت):

ـ آية الروم ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١] وقبلها ذكر كسباً غير مشروع فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩] وهذا كسب فقال: (بما كسبت) أيديكم، وهذا كسب، وليس (بما قدمت).

ـ آية الشورى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[الشورى:٣٠] قبلها ذكر كسب وسوء تصرف فقال:﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧] هذا كسب فقال: (كسبت).

٣ـ آيات التقديم ليست في سياق الكسب، نحو قوله تعالى:

ـ آية الروم ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم:٣٦] قبلها قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم:٣٣] ليس فيها كسب.

ـ آية الشورى ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:٤٧-٤٨] ليس فيها كسب.

ـ آية آل عمران ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٢] كأنّ هذا الكلام مقدم من قِبَلهم.

ـ آية الأنفال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال:٥٠-٥١]

فـ(التقديم) لما فعلتم وقدمتم لأخراكم، لكنّ (الكسب) يكون في نطاق الكسب والاستحواذ.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاث مرات، والمعنى أنّ الله سبحانه ينفي الظلم عن نفسه إطلاقاً.

وصيغة (ظلاّم) مبالغة من ظالم، كما تقول: أكّال و نجّار و خياط وجزّار.

وصيغ المبالغة لها حالتان: حالة إثبات وحالة نفي، فأنت حين تقول: فلان أكّال، أثبت له صفة المبالغة في الأكل ومن باب أولى صفة الأكل مطلقاً.

٢ـ وما دمت قد أثبت الصفة الأعلى تكون الصفة الأدنى ثابتة، فإذا قلت: فلان ليس أكّالاً فإنك تنفي المبالغة، ولكنها لا تنفي أنه يأكل.

وعندما تقول: فلان ليس ظلاماً، تكون قد نفيت المبالغة، لكنك لم تنف الظلم.

٣ـ نقول إنّ نفي الأعلى لا يلزم أنْ يثبت الأدنى، وإنّ نفي الأعلى لا يمنع أنْ يوجد الأدنى ولكنه لا يلزم بوجوده، لذلك قول الحق: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ هو نفي لمبدأ الظلم، وهو نفي للمبالغة.

والقرآن يكمّل بعضه بعضاً، فإذا جاءت آية أخرى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠] ونفت الأدنى فيكون إذن ليس بظلام ولا ظالم.

٤ـ من جهة أخرى الله يقول: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١﴾ ولم يقل: بـ(ظلام للعبد).

والمبالغة مرة تكون في قوة الحدث وإنْ لم يتكرر، ومرة في المبالغة في تكرار الحدث، إذن فالله ليس ظالماً لكل عبد على حدة، وبالتالي هو ليس ظلاماً لعبيده.

وقد أراد الله تعالى أنْ يخبرنا في هذه الآية أنه لا يظلم أحداً ولو بمثقال ذرة؛ لأنه لو ظلم كل عبد ذرة لكانت كمية الظلم هائلة لكثرة العباد، ولكنّ هذه الذرة من الظلم لا تحدث من الله؛ لأنّ الله ليس بظلام للعبيد.



﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾:

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيات ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران:١١] و ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنفال:٥٢] و ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال:٥٤] ؟ ما الفرق بين (كذبوا بآياتنا وكفروا بآياتنا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ 

السؤال الأول:

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟

الجواب:

١ـ (يذّكرون) أصلها يتذكرون، وفي اللغة صار فيها إبدال. وأصل الفعل الثلاثي (ذَكَر) يذكر ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم:٦٧] والفعل الثلاثي المجرد هو (ذكر)، وأمّا (تذكّر) فهذا مزيد بالتاء والتضعيف.

٢ـ الفعل (اذّكّر) أصله (تذكر) حصل فيه إبدال والتاء صارت ذالاً وهذا إبدال جائز، فيصيرعندنا إدغام (ذال وذال) الأول ساكن والعرب لا تبدأ بالساكن فجاءوا بالهمزة فقالوا: اذّكّر مثل(اطّهر، افّعل، ادّبر)، هذا كله من الإبدال الجائز.

إذن (يتذكرون ويذّكّرون) هما في الأصل فعل واحد، لكن أحدهما فيه إبدال والآخر ليس فيه إبدال، وكذلك الأمر في (يتطهرون ويطّهرون) و(يدّبر ويتدبر) أصلهما فعل واحد، لكنّ أحدهما حصل فيه إبدال والآخر ليس فيه إبدال، هذا من الناحية اللغوية الصرفية.

٣ـ لكن كيف يستعمل القرآن (يتذكرون ويذّكّرون)؟

أـ يتذكر ويذّكّر أيها الأطول في المقاطع؟ (يتذكر: ي/ ت/ ذ/ ك/ ر) خمسة مقاطع، (يذّكّر: ي/ ذ/ ك/ ر) أربعة مقاطع. يتذكر أطول ومقاطعه أكثر، هذا أمر.

ب والأمر الآخر (يتذكّر) فيها تضعيف واحد و(يذّكّر) فيها تضعيفان، والتضعيف يدل على المبالغة والتكثير.

٤ـ والقرآن الكريم يستعمل (يتذكر) الذي هو أطول لما يحتاج إلى طول وقت، ويستعمل (يذّكّر) لما فيه مبالغة في الفعل وهزة للقلب وإيقاظه.

* شواهد قرآنية: يتذكر:

ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات:٣٤-٣٥] يتذكر أعماله وحياته كلها وفيها طول.

ـ ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر:٢٣] يتذكر حياته الطويلة.

ـ ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧] العمر فيه طول.

* شواهد قرآنية: يذّكر:

ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٥-٥٦-٥٧] هؤلاء يحتاجون إلى هزة، ما عندهم قلب ويحتاجون إلى تشديد لتذكر الموقف، هنا موقف واحد، وهناك عمر كامل.

وهم يحتاجون إلى من يوقظهم، ويحتاجون إلى مبالغة في التذكر تخيفهم وترهبهم، وليس تذكراً عقلياً فقط، وإنما هذا تذكر فيه شدة وتكثير للتذكر ومبالغة فيه بحيث تجعله يستيقظ، وهذا يسمى مبالغة في التذكر.

- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة:١٢٥-١٢٦]

هؤلاء في قلوبهم رجس، ويحتاجون إلى هزة توقظ قلوبهم، وليس مسألة تعداد.

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١] ليعتبر.

٥- إذن (يتذكر ويذّكّر) الصيغتان موجودتان في القرآن عموماً، ويستعمل (يتذكر) لما هو أطول، وهو تذكر عقلي، ويستعمل (يذّكّر) فيه مبالغة وفيه إيقاظ للقلب، تهز القلب؛ لأنّ (يذّكّر) فيه إيقاظ للقلب وهزة ومبالغة مع أن الجِذر واحد.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿فِي ٱلْحَرْبِ﴾ ما كلمات منظومة الجهاد ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما نوع العداوة بين إبليس والبشر؟ عندما تذكر العداوة بالنسبة للكفار فتنسب عداوة لله والمؤمنين ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ بينما عندما يذكر عداوة الشيطان تكون فقط للمؤمنين ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس:٦٠] ؟

الجواب:

١ـ في اللغة كلمة (إبليس) هوعدو عام، من الفعل (عادى) عداءً، والعداء ليس بالضرورة مصدر (عادى)، وهي عداوة على مختلف الأصعدة حتى يورد إبليس مورد الهلكة للمؤمن ويوصله إلى النار ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج:٤].

٢ـ فالعداوة من الشيطان عامة لا تنحصر في شيء، ومنها التحريش بين المؤمنين وإثارة الفتن فيما بينهم، كما في الآيات:

ـ ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:٥]

ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣]

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] هي عداوة عامة ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف:٤٢] فالشيطان أنساه، وهذا من عداوة الشيطان.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠].

ـ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص:٤١]

إذاً عداوة الشيطان عامة حتى يورده مورد الهلكة وحتى يدخله النار في الآخرة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: (قدر ـ استطاع ـ أطاق) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة١٨٤.



﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (جنحوا) في الآية: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ ؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ لغة: جنحوا، أي: مالوا، من جنحت السفينة إذا مالت.

٢ـ اختلف الناس في تفسير هذه الآية ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ ولهم في ذلك مواقف متباينة يبتعدون فيها أحياناً عن جادة الصواب في تفسيرها.

٣ـ هذه الآيات الثلاث من سورة الأنفال [٦٠ـ٦٢] نزلت أثناء غزوة بدر، وفي سورة الأنفال الكثير من الأحكام المتعلقة بالقتال والعلاقة بين المؤمنين وغيرهم.

أ ـ الآية الأولى ٦٠: تتحدث عن جيش مسلم قوي وعن مجتمع مسلم متماسك يأمره الله بالبذل والعطاء لبناء هذا الجيش القوي، فإنْ تم ذلك ينصره الله عز وجل، هذا الجيش القوي يأمره الله تعالى أنْ يجنح إلى السلم إذا جنح أعداؤه له.

ب ـ الذي يبدأ بالجنوح للسلم هم أعداء المسلمين وليس المسلمون أولاً.

ج ـ اختيار ﴿وَإِن﴾ دون (إذا) دليل على أنّ أعداء الله لا يختارون الجنوح إلى السلم إلا إذا يئسوا من أي حل آخر؛ لأنّ ﴿وَإِن﴾ تفيد الشك في دلالتها و(إذا) تفيد اليقين، لماذا ؟

لأنّ أعداء الله لا يمكن أنْ يعترفوا للمؤمنين بالقوة والتفوق عليهم بسهولة، ولأنهم يساعد بعضهم بعضاً، فإذا لم يتحقق ذلك وشعروا بالضعف الشديد أمام المسلمين فهم يختارون أهون الشرين فيجنحون إلى السلم.

٤ـ الجنوح عادة يكون للشيء المعطوب، يقال: جنحت السفينة إلى الشاطىء عندما تصاب بعطب لا يمكنها من متابعة السير.

لذلك فالكفار أعداء الله هم الذين يبدأون بالجنوح إلى السلم وهم الضعفاء وأمّا الجيش المسلم فقوي عزيز.

٥ـ على الجيش المسلم حينذاك أنْ يأتمر بأمر الله وهو الجنوح للسلم. لماذا ؟ لأنّ الجيش المسلم لم يخرج ابتداء لمكاسب اقتصادية أو لاحتلال أرض، بل خرج لإعلاء كلمة الله، وهو لا يقاتل أساساً إلا إذا حال أعداء الله دونه ودون الدعوة إلى الله بحرية وقوة.

وهذا الموقف سيفعل في الناس فعل السحر، وسيعجبون من موقف القوي وهو يترك فرصة القضاء عليهم ليسمعهم كلمة الله.

٦ـ لعلّ معترضاً يقول: إنّ هذه غفلة من المؤمنين؛ لأنهم بعد أن كانوا متفوقين يختارون السلم قبل أنْ يقضوا على الأعداء، ولكنّ هذا متفق مع طبيعة الإسلام ومع أهداف الخروج إلى القتال، وقد صورت لنا الآية ٦٢ هذا الموقف ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال:٦٢].

أي: أنّ الله الذي كان معهم من البداية هو الذي أمرهم بأنّ يعدُّوا الجيش القوي، وهو الذي نصرهم، ثم هو الذي أمرهم باختيار السلم، فإنْ كان أعداء الله يبيتون شراً فإنّ الله عز وجل سيبطل كيدهم وسينصر جنده عليهم.

٧ـ هذا الموقف متناسب مع الآية الكريمة في سورة التوبة ٦ ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فهذه هي الصورة

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ فإنْ سنحت الفرصة لكي يعلموا فينبغي أن يستغلها المسلمون. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿جَنَحُوا﴾ ما كلمات منظومة الجبس في مراحله المختلفة ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٥.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ ما دلالة تقديم السمع على العلم ؟

الجواب:

حيث وقع في القرآن تقدم السمع على العلم؛ وذلك لأنّ السمع يتعلق بما يقرب كالأصوات وهمس الحركات، فإنّ من سمع حسك وخَفِيّ صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقول لك: إنه يعلم. ولّما كان علم الله متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وبعُد، كان ذكر السمع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم.

ويمكن أنْ يقال: إنّ السمع من وسائل العلم، فهو يسبقه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ
صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ
فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ
أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه وتعالى ينادي الرسول بـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ حين يكون الأمر متعلقاً بالأسوة السلوكية، كما في آيتي الأنفال (٦٤ و ٦٥).

أمّا إذا كان الأمر متعلقاً بتنزيل تشريع فالحق يخاطبه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]؛ وذلك لأنّ الرسل جاءوا مبلغين للمنهج عن الله.

٢ـ الله سبحانه نادى في القرآن كل رسول باسمه فقال: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ [الأعراف:١٤٤] ﴿يَـٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥] ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [هود:٧٦] ﴿يَـٰنُوحُ﴾ [هود:٤٦] إلا رسول الله ﷺ فقد خاطبه بـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال:٦٥] و ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١] وهذا النداء فيه تكريم للحضرة المحمدية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حثّهم وحمّسهم، وكلمة حَرَض: معناها بالأصل القرب من الهلاك كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف:٨٥].

٤ـ لكن هل معنى (حرّض) هنا قرّب المؤمنين من الهلاك ؟ بالطبع لا.

التضعيف هنا هو للإزالة كما تقول: قشّرت البرتقالة، أي: أزلت قشرتها. و(مرّض) الطبيب فلاناً، أي: أزال المرض.

والإزالة تأتي مرة بتضعيف الحرف الوسط مثل: حرّض وقشّر، ومرة تأتي بهمزة فتعطي معنى الإزالة مثل: أعجم الكتاب، أي: أزال عجمته، وأخفى. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه:١٥] أي: أكاد أزيل خفاءها من كثرة علاماتها الصغرى والوسطى والكبرى.

٥ـ في تتمة الآية وضع الحق معياراً إيمانياً في القتال بين المؤمنين والكافرين، وهذا المعيار من وضعه هو سبحانه ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فالمعيار الإيماني باختصار يساوي واحداً إلى عشرة.

وقد يقول قائل: لماذا ذكر الله هذا المعيار بأرقام عشرين ومئة، ولم يكتف مثلاً بأنّ الواحد يغلب عشرة ؟

والجواب: هو أنه يجب أنْ نلحظ واقع الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يرسل السرايا أي: (البعثات القتالية) بعدد من المؤمنين لا تقل عن عشرين ولا تزيد عن مائة، ولذلك ذكرها الله تعالى مرة بالعشرين ومرة بالمائة.

٦ـ لم يكتف المعيار بالعدد، وإنما وصفهم بالصبر ﴿عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ﴾ .

٧ـ ذكر الله السبب في غلبة المؤمنين على الكافرين ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أنّ المؤمنين يفقهون، فالكافر يخشى الموت ويريد أنْ يحافظ على حياته ولو بالفرار، أمّا المؤمن فيقبل على القتال بشجاعة بأمل النصر أو الشهادة، كما قال خالد بن الوليد للفرس: أتيتكم برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة. لذلك المؤمن يملك قوة دافعة للقتال لا يملكها الكافر.

٨ـ نَص الآية خبري وليس طلبياً.

٩ ـ ثم خفف الله الحكم السابق في الآية التي تليها ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: أنّ المعيار أصبح واحداً مقابل اثنين، وليس هذا نسخاً، ولكنه تخفيف أعطى لحالات الضعف البشري حساباً.

فالحكم الأول قائم، وهو الحد الأعلى والحكم الثاني قائم أيضاً، وهو الحد الأدنى؛ لذلك إنْ لقي مؤمن ثلاثة كفار وفر منهم لا يعتبر فاراً يوم الزحف ولا يؤاخذه الله على ذلك، لكن إنْ واجهه اثنان فانسحب وتركهما يعتبر فاراً؛ لأنّ الحد الأدنى هو واحد لاثنين.

والله يشرّع للمؤمنين ثم يخفف عنهم، كما شرع الصيام في رمضان ثم سمح بالفطر للمريض والمسافر، وكما شرع الصلاة ثم قصرها للمسافر، فهو تعالى يعلم مواطن

الضعف في النفس البشرية التي تجعلها لا تقوى أحياناً على التكليف، فهو يقوم بذاته بالتخفيف رحمة بنا ولا يتركنا نحن لنخفف كما نشاء.

١٠ ـ وهكذا انتقلت النسبة من واحد إلى عشرة إلى واحد مقابل اثنين، وهذا من رحمة الله تعالى، فمن رأى نفسه في مواجهة أكثر من اثنين من الأعداء فله أن ينحاز إلى فئة من المؤمنين تعصمه من نيلهم منه بلا ثمن، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾.

١١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فيها معية القوي للضعيف، ويجب ألا نحسب النصر بالعدد رياضياً أو نفتتن بالأسباب ونعزل أنفسنا عن الله مسبب الأسباب، فكل نصر هو بإذن الله ومن عنده فقط، ومتى كان الله معنا فلن تستطيع أي قوة أن تتغلب علينا.



﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ما الفرق بينهما؟

الجواب:

١ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة.

٢ـ حتى تتضح المسألة في تقديم العلم ننظر في الآيات التالية:

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم؛ فقدّم العلم.

ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين أي أنّ هذا علم.

ـ قال في المنافقين: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية.

ـ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدم العليم.

٣ـ نأتي للجزاء، الجزاء حكمة وحكم، والحاكم هوالذي يجازي ويعاقب وتقدير الجزاء هو من الحكمة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، وهذا حاكم يحكم ويقدّر الجزاء والحكم، فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، وليس كل عالم حاكماً.

ـ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا

تشريع والتشريع حاكم، فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي، وهو الذي يشرّع.

فعندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة. والله أعلم.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في آية سورة التوبة ٢٠ وآية سورة الأنفال٧٢؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)﴾ وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾

٢ـ الخط العام: إذا كان المقام في جمع وحفظ الأموال فإنه يبدأ بالتضحية بالمال، وإذا كان السياق في القتال وليس في الأموال فإنه يقدّم (في سبيل الله) على الأموال.

٣ـ سورة التوبة كلها في الجهاد وليست في الأموال، فسياق الآيات كلها عن الجهاد والقتال وليس المال، لذا اقتضى تقديم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس.

أمّا في سورة الأنفال فقدّم الأموال على ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لأنه تقدّم ذكر المال والفداء في الأسرى وعاتبهم الله تعالى على أخذ المال. إذن السياق كله في المعاتبة على أخذ المال من الأسرى.

رابعاً ـ تناسب مفتتح السورة مع خواتيمها:

١ ـ تبدأ السورة بقوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ [الأنفال:١].

وبمعركة بدر، وذلك قوله:

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ .

وتختم السورة بمعركة بدر وآثارها من الغنائم والأسرى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ﴾ وهي الأنفال.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ .

ويدخل ذلك في الجهاد وهو ما ختمت به السورة، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥].

٢ ـ وذكر في أول السورة المؤمنين حقاً من الذاكرين الله والمقيمين الصلاة والمنفقين مما رزقهم الله، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال:٣].

وقال فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤].

وذكر في آخر السورة المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين في سبيل الله والذين آووا ونصروا، وقال فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤]. وذلك قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال:٧٤].

فذكر المؤمنين في حال السلم وفي حال الجهاد وقال فيهم جميعا: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤].

إذن السورة كلها تنتظم تحت الجهاد كنسق عام للسورة. والله أعلم.



سورة التوبة

أولاً - تناسب خواتيم الأنفال مع بدايات التوبة

١ ـ أواخر سورة الأنفال هي في القتال، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال:٦٥] .

بل أغلب السورة إنما هو في القتال .

وقال في أوائل التوبة:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة:٥] .

٢ ـ وقال في أواخر الأنفال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقال في أول سورة التوبة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ [التوبة:١] .. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة:٤]

فكلتاهما في حفظ المواثيق والعهود .

٣ ـ آخر الأنفال في الجهاد في أكثر من موضع، وذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٢] .

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٤] .

وقوله في آخر آية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥] .

وسورة التوبة في الجهاد على العموم .

جاء في «روح المعاني»: إنه سبحانه ختم الأولى ـ يعني الأنفال ـ بإيجاب أنْ يوالي المؤمنين بعضهم بعضاً وأنْ يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وصرح جل شأنه في هذه ـ يعني سورة التوبة ـ بقوله تبارك وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ إلى غير ذلك من وجوه المناسبة .

وقال بعض العلماء: هما سورة واحدة، لأنّ موضوعهما متشابه وكلاهما في الجهاد والقتال.

وسورة التوبة هي عموماً في الجهاد من أولها إلى آخرها، وكل هذا يدل على شدّة الترابط بين السورتين .

ثانياً ـ هدف السورة: باب التوبة مفتوح:

هذه السورة الكريمة هي من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ عقب غزوة تبوك، أي بعد ﴿٢٢﴾ عاماً من بدء الرسالة والوحي، وكأنّ هذه السورة تمثل البيان الختامي للدعوة والرسالة، وقد نزلت في وقت كان المسلمون يستعدون للخروج برسالة الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية والانفتاح بهذه الرسالة على العالم كله؛ لذا فإنّ توقيت نزول سورة التوبة في غاية الدقة والحكمة.

وهي السورة الوحيدة في القرآن التي لم تبدأ بالبسملة، فالبسملة هي بمثابة بوابة تنقل القارئ من عالم إلى آخر تحت اسم الله تبارك وتعالى. والسرّ في عدم افتتاح السورة بالبسملة هو أنّ السورة نزلت في فضح الكفّار وأعمالهم، وقد قال الإمام علي بن أبي

طالب رضي الله عنه عندما سئل عن عدم كتابة البسملة في سورة التوبة: إنّ (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان، وبراءة (أي: سورة التوبة) نزلت بالسيف ليس فيها أمان، والسورة نزلت في المنافقين ولا أمان للمنافقين، وكأنما حرمهم الله تعالى من رحمته بالبسملة، وقد روي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً من المنافقين إلا نالت منه .

تسمى سورة التوبة بأسماء عديدة وصلت إلى (١٤) اسماً، منها: براءة، التوبة، المخزية، الفاضحة، الكاشفة، المنكّلة، سورة العذاب، المدمدمة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المثيرة والحافرة، وقد فضحت هذه السورة: الكفار والمنافقين والمتخاذلين وكشفت أفعالهم، وورود سورة التوبة بعد الأنفال له حكمة، وهي أنّ الأنفال تحدثت عن أول غزوة للمسلمين (غزوة بدر)، والتوبة تتحدث عن غزوة تبوك، وهي آخر غزوة في عهد الرسول ﷺ؛ حتى نستشعر الفرق في المجتمع الإسلامي بين الغزوتين، وكأنها تعطي صورة تحليلية للمجتمع، فكأنهما سورة واحدة بدايتهما نصر أمّة ، ونهايتهما تمكين أمّة.

وسميت السورة (التوبة): لأنها كانت آخر ما نزل من القرآن على الرسول ﷺ وبما أنها النداء الأخير للبشرية أراد الله تعالى بعد أنْ فضح الكفار والمنافقين والمتخاذلين وحذّر المؤمنين أنْ يعلمهم أنّ باب التوبة مفتوح؛ فعليهم أنْ يعجلوا بها قبل أن تغرغر أنفسهم. فسبحان الذي وسعت رحمته كل شيء وسبقت رحمته غضبه، سبحانه رحيم بعباده غفور لهم.

ولقد ورد ذكر كلمة (التوبة) في هذه السورة (١٧ مرة) أكثر من أيّة سورة أخرى في القرآن كله ، فقد وردت في البقرة (١٣ مرة)، النساء (١٢ مرة)، المائدة (٥ مرات)، فسبحان الذي يفتح أبواب التوبة للجميع من كفار وعصاة ومنافقين، برغم كل ما اقترفوه في حياتهم.

وتتوالى الآيات في سورة التوبة بسياق رائع غاية في الحكمة فتبدأ الآيات بالتهديد وتحريضٍ المؤمنين وفضحٍ للمنافقين، ثم تفتح باب التوبة ثم التهديد ثم التوبة، وهكذا سياق كل آيات السورة وحتى المؤمنين تطالبهم السورة بالتوبة، فهي تتحدث عن أخطاء وصفات، ثم تفتح باب التوبة ثم أخطاء أخرى ثم التوبة، ثم تدعو المؤمنين للقتال ونصرة الدين والتحفيز لإلجاء المنافقين على التوبة، ونلاحظ في سورة النساء أنّ القتال الذي أمر به الله تعالى كان لنصرة المستضعفين، وأنّ القتال في هذه السورة لإلجاء المنافقين للعودة إلى الله والتوبة، والسورة بشكل عام فضحت المنافقين وكشفت أعمالهم وأساليب نفاقهم وألوان فتنتهم وتخذيلهم للمؤمنين لتواجههم بها حتى يتوبوا، وكذلك حرّضت المؤمنين على قتال المنافقين ليدفعوهم للتوبة أيضاً، ودعوة المؤمنين للتوبة خاصة المتخاذلين منهم، فالتخاذل عن نصرة الدين يحتاج للتوبة تماماً كما يحتاج المؤمن للتوبة من ذنوبه.

المحور الأول: تبدأ الآيات الأولى بهذا الموقف الشديد: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ [التوبة:١] ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ [التوبة:٢]؛ لأنّ هذه الآيات نزلت في المشركين الذين نقضوا العهد

مع المسلمين مرات عديدة فقطع الله تعالى ما بينهم وبين المسلمين من صلات ومنحهم فرصة كافية أربعة أشهر يسيحون في الأرض ليتمكنوا من النظر والتدبر في أمرهم.

ثم تأتي آيات التوبة: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ وتخللت هذه الآيات آيات تهديد: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

والملاحظ أنّ الشدة في سورة التوبة إنما هي رحمة من الله تعالى؛ لأنها تحث على التوبة وتفتح بابها حتى لأشد الناس كفراً ونفاقاً ومعصية، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته بعباده مصداقاً لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**لو خلقتهم لرحمتهم**». وقد وردت كلمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٩ مرات في السورة وكلمة ﴿غَفُورٌ﴾ ٥ مرات. ثم تنتقل السورة إلى:

المحور الثاني: توجيه الخطاب للمؤمنين: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ في هذه الآية يبيّن لنا تعالى ثمانية أشياء حلال في أصلها (آباؤكم، أبناؤكم،

إخوانكم، أزواجكم، عشيرتكم، أموال، تجارة، مساكن) ولكن إذا أحببناها أكثر من رسول الله ﷺ والجهاد في سبيل الله اعتبرنا فاسقين، ثم تحدثت الآيات عن غزوة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثم يتوب الله تعالى من بعد ذلك، وقد تردد ذكر (غفور رحيم) كثيراً في هذه السورة مع آيات التوبة. ومما يلاحظ في هذا الخطاب:

١- **تحريض المؤمنين:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾، وتحريض المؤمنين واجب من أول ما بدأ الجهاد إلى يومنا هذا وإلى آخر الدنيا. ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

٢- **تحذير المتخاذلين عن نصرة الدين:** ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣- **تهديد شديد:** ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

بعد التهديد يعود سياق السورة للتوبة، وتعطي كل صنف من أصناف البشرية التوبة الخاصة به قبل الوداع الأخير، وهذا أجمل ختام للثلث الأول من القرآن بعد السور السبع الطوال بفتح باب التوبة:

١. توبة المنافقين والمرتدّين: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٢. توبة المترددين: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

٣. تذكرة للجميع بالتوبة: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

٤. توبة على النبي والمهاجرين والأنصار: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾.

٥. توبة أخيرة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ للثلاثة الذين خلّفوا وتقاعسوا عن غزوة تبوك.

وتأتي آيات رائعة في ختام السورة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ و ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ ، وهو ختام رائع مع الرسول ﷺ، فإنّ الله تعالى إنْ حرم الكفار والمنافقين من الرحمة في أول السورة بعدم ذكر البسملة فإنه أعطاهم في آخرها رحمة ورأفة، وهذا الختام مع رسول الله ﷺ.

لفتة: في برنامج النبأ العظيم للدكتور أحمد الكبيسي تحدّث الدكتور عن هذه السورة وكيف وصف الله تعالى واقع المجتمع في عصر الرسالة الأول وعدّد شرائح المجتمع المتناقضة، منها من كان على الحقّ، ومنها من كان على الباطل، وهذه الشرائح هي كما وردت في السورة:

١. البدو الذين كانوا جفاة، كما قال الرسول ﷺ: «من بدا جفا» كما في قوله تعالى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

٢. شريحة من البدو الذين آمنوا: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ .

٣. السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، وهم أحباب الله ، والذين على أكتافهم انتشر الدين: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ .

٤. المنافقون الذين يظهرون دائماً مع قوة الدين، وهؤلاء أشد على المسلمين من الكفّار، فأهل مكة كانوا كفّاراً يجاهرون بالكفر لأنّ الإسلام كان ضعيفاً في مكة، أمّا في

المدينة فقوي الإسلام والمنافقون ازدادوا، لكنهم لا يتجرؤون على المجاهرة بالعداوة لقوة الإسلام في المدينة. والنفاق عموماً يظهر في قوة الإسلام ويختفي بضعفه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾ .

٥. كل الشرائح السابقة كانت متساوية في العدد نوعاً ما وهناك شريحة كانت قليلة في عهد الرسول ﷺ، ولكنها الآن أصبحت كثيرة العدد في عصرنا الحالي: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)﴾ وهؤلاء وضّح الله تعالى في الآية التي بعدها للرسول عليه السلام كيف يتعامل معهم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ فالصدقة منهم تطهّرهم وتزكيهم، والصدقة هنا غير الزكاة، وإنما هي الإنفاق من خير الأموال، وصلاة الرسول ﷺ أي: دعاؤه لهم هو سكن لهم وكلمة (عسى) من الله تعالى تعني أنه سيتحقق بإذن الله، فهذه الشريحة إنْ تصدقت وصلّى عليها الرسول ﷺ استحقت مغفرة الله تعالى، إنه هو الغفور الرحيم سبحانه.

٦. شريحة قد فعلوا أشياء تُخِلّ بالأمن العام، ومنهم الذين تخلفوا عن الغزوة: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)﴾ [التوبة:١٠٦].

٧. وأخيراً هناك الشريحة الطائفية التي تُرسّخ العداوة بين المسلمين، وتقوم على تكفير بعض طوائف المسلمين للتفريق بينهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)﴾.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

❁❁❁❁

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة رفع ﴿وَرَسُولُهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذا يُسمّى القطع، والقطع يكون في الصفات أو العطف إذا كان من باب الصفات، والقطع يكون للأمر المهم، وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ عطف على اسم أنّ، فالقطع موجود في اللغة، وفي الصفات يكون القطع مع المرفوع للمنصوب، ومع المنصوب للمرفوع، ومع المجرور للمرفوع.

٢ـ ورد في اللغة العطف على اسم إنّ بالرفع كما في آية التوبة ٣ والمائدة ٦٩. وقال جرير:

إنّ الخلافـــةَ والنبـــوةَ فـــيهم   والمكرمـــاتُ وســـادةٌ أطهـــارُ

برفع المكرماتُ وسادةٌ. وقال بشر بن أبي حازم:

وإلا فـــاعلموا أنّـــا وأنـــتم بغـــاةٌ مـــا بقينـــا في شـــقاق

وقال آخر:

فمـــن يـــك أمـــسِ بالمدينـــةِ رحلـــه فـــإني وقيـّــــارٌ بهـــا لغريـــبُ

قال ابن يعيش: ويجوز الرفع بالعطف على موضع (إنّ)؛ لأنها في موضع الابتداء، فجاز لذلك الأمران: النصب على اللفظ والرفع على المعنى. وذكر مثل ذلك في «كتاب سيبويه» و«كتاب التصريح».

٣ـ تقول: محمدٌ مسافرٌ، فإذا أردت التوكيد قلت: إنّ محمداً مسافرٌ. فإذا أردت العطف تقول:

إنّ محمداً مسافرٌ وخالداً، فهذا عطف على اللفظ ، وإمّا أنْ تقول:

إنّ محمداً مسافرٌ وخالدٌ، فهذا عطف على المعنى قبل مرحلة التوكيد.

لذلك عند العطف على المعنى يكون العطف أقل توكيداً؛ لأنك عطفت على الرفع، أي ما قبل مرحلة التوكيد، لذلك عندما تريد العطف على اسم إنَّ بدرجة أقل توكيداً يجوز لك أنْ تعطف بالرفع على المعنى .

٤ـ آية التوبة ٣ جاء فيها كلمة ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بالرفع، علماً أنها معطوفة على لفظ الجلالة المنصوب، وسر ذلك أنّ براءة الرسول تابعة لبراءة الرب سبحانه، فهي أقل توكيداً منها وليستا بمنزلة واحدة؛ لأنّ الأصل براءة الله سبحانه، أمّا براءة الرسول فهي براءة تبعية؛ ولذلك جاءت بالرفع، والله أعلم .

٥ـ وكذلك الشاعر جرير في شعره فَصَل بين الخلافة والنبوة من جهة، والمكرمات والسادة الأطهار من جهة أخرى، وجعل الفريق الثاني أقل رتبة من النبوة والخلافة بحذف توكيده ولم يجعل الكلام بمنزلة واحدة، وقد كان موفقاً في ذلك مختاراً كان أو مضطراً .

٦ـ وبالتالي فإن إعراب كلمة (ورسولُه) يكون على احتمالين اثنين:

أ ـ مبتدأ مرفوع والخبر محذوف تقديره: ورسوله بريء .

ب ـ معطوف على اسم إنّ ـ وهو لفظ الجلالة ـ قبل توكيده.

٧ـ هذه الآية كانت سبباً في تشكيل القرآن الكريم؛ لأنّ أعرابياً قرأها (أنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ) وهذا خطأ سمعه أبو الأسود، فقام بتشكيل القرآن.



﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿ فَإِذَا ﴾ و ﴿إِنَّ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ـ إن:

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

- إذا:

تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات: [البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

شواهد مشتركة تتضمن (إذا وإنْ) معا:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ و ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ثَقِفَ: بمعنى ظفر به وأخذه. ولا تستعمل ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ إلا في القتال والخصومة، ومعناها أشمل من الإيجاد .

وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ ما كلمات منظومة الحصر والمداولة في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٠.



﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ ما الفرق بين الإبلاغ والإيصال ؟

الجواب:

١ـ الإبلاغ أشد اقتضاء للمنتهي من الإيصال؛ لأنه يقتضي بلوغ فهمه وعقله، كالبلاغة التي تصل إلى القلب.

٢ـ وقيل: إنّ الإبلاغ اختصار الشيء على جهة الانتهاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [فُصِّلَت:٦] وقوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾ ؟

الجواب:

١ـ (استقام إلى الأمر) كأنه كان بعيداً عنه، و(استقام للأمر) معناه قريب منه.

٢ـ لو نظرنا إلى الآيتين ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [فُصِّلَت:٦] إذن هم بعيدون والمطلوب أنْ يستقيموا إلى الله، وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [فُصِّلَت:٦] هم مشركون، وهم بعيدون.

أمّا الآية الأخرى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة:٧] أنت تعاهد إنساناً أمامك ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾ [التوبة:٧] ففيها قرب بينما الأولى فيها بُعد.

٣ـ بشكل عام (إلى) غاية بعيدة و(اللام) غاية قريبة، لذلك علينا أنْ نفهم متى نستعمل إلى واللام، وهناك أكثر من عالم كتبوا في معاني الحروف، ولعلّ من أفضل ما كُتِب في الأدوات كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري والجزء الأول كله عن الأدوات، وكتاب «الجنى الداني» لابن أم قاسم وهو معاصر، وهذا لفائدة القارىء الذي يريد أنْ يطّلع أكثر على معاني الأدوات والحروف.



﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤١.



﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾ ما الفرق بين القربى والإلّ؟ وما أصل كلمة (الإلّ)؟

الجواب:

١ـ الفعل (أَلَّ) يئِلُّ، مثل: أنَّ يئنُّ.

٢ـ الإِلُّ في اللغة العربية له معانٍ متعددة متقاربة بعضها من بعض، وتستعمل لكل ما له حُرمة ونسب نحو: النسب والمصاهرة والجوار والرحم وكذلك العهد .

٣ـ القربى: للقريب النسبي وربما قرابة الزوج .

٤ـ لذلك (الإِلُّ) أشمل من القربى وأوسع، والقرابة جزء من الإلّ.



﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بالتوبة في الآية ﴿تَابُواْ﴾ ؟

الجواب:

سياق الآيات في الكفار والمشركين ممن لا يرقبون في الله إلاً ولا ذمة، وينقضون العهد وينطوون على النفاق.

والمقصود بالتوبة هنا هو التوبة العامة، ومعناها الدخول في الإسلام .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الباب مفتوح دائماً للتوبة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ ولم يقل: إذا تابوا، أي: في ذلك شك؛ لأنّ ما فعلوه ضد الإيمان كثير والذي يؤمَلُ منهم قليل.

٣ـ قوله تعالى:﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ومادة (الأخوة) تأتي مرة لتعبّر عن أخوة النسب ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٥٨] ومرة عن إخوة العقيدة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠] ولكنْ هنا قال: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ لأنه ليس من المعقول أنْ يخرجوا من كل ما كانوا فيه من آثام بالتوبة ويصبحوا في نفس التو واللحظة إخوة، لكنّ ذلك يحدث عندما يتعمق إيمانهم ويثبت صدق توبتهم، حينئذ يصبحون إخوة.

وللعلم فإنّ كلمة (إخوة) جاءت في القرآن لتدل على أخوة النسب، بينما جاءت كلمة (إخوان) في (٢٢) موضعاً منها بمعنى الأصدقاء، كما في الآيات [ق١٣ـ الحجر ٤٧ـ آل عمران ١٠٣ـ الإسراء٢٧] وجاءت بمعنى النسب، كما في الآيات [النور ٣١ـ الأحزاب ٥٥ـ النور٦١]. ولربما في هذه الآية التوبة (١١) جاءت كلمة﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾؛ لتأخذ معنى الصداقة كمرحلة أولى؛ حتى يتعمق إيمانهم ويثبت صدق توبتهم، حينئذ يصبحون إخوة .

٤ـ قوله تعالى:﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: الذين يريدون دراسة الإسلام بحق وجدية ينتهون غالباً إلى إعلان إسلامهم، لذلك على الذين يدرسون الإسلام من

أهل البلاد غير الإسلامية أنْ لا ينظروا إلى المنسوبين للإسلام، ولكنْ لينظروا إلى الإسلام في جوهره ومنهجه.



﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾

السؤال الأول:

قال في البدء ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾ وفي آخر الآية ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

اللمسة البيانية في الآية هي في أغراض الخبر، حيث إن هذه الآية من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على مُوجَبِ العلم، فقال في البدء: ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾ وفي آخر الآية: ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ والله أعلم.



﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنفال٣٣: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ وقال في آية التوبة ١٤: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣] هو عذاب الاستئصال، والمراد من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ﴾ هو عذاب القتل والحرب والأسر واغتنام أموالهم.

والفرق بين الأمرين أنّ عذاب الاستئصال قد يتعدى إلى غير المذنب، وإنْ كان في حقه سبباً لمزيد الثواب، أمّا عذاب القتل والأسر فالظاهر أنه يبقى مقصوراً على المذنب.والله أعلم .



﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية التوبة١٥: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ وفي آية التوبة ٢٧: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في كفار مكة وفعلهم مع رسول الله ﷺ، فأمر الله بقتالهم ووعد بخزيهم والنصر عليهم وشفاء صدور المؤمنين، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ أي: من أسلم منهم بعد ما صدر من اجتهاده في الأذية والصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ أي: أنه سبحانه يعلم كل متطلبات الأحكام، ولكل أمر عنده حكمة.

فالقتال أراده الله عز وجل ليدك به جبروتهم، والتوبة حكمتها لمنع تمادي الكفار وطغيانهم في الشر؛ لأنّ مشروعية التوبة هي رحمة من الحق بخلقه، ولو لم يشرّع الله التوبة لقال كل من يرتكب المعصية: ما دامت لا توجد توبة وما دام مصيري إلى النار فلسوف آخذ من الدنيا ما أستطيع، وبذلك يتمادى في الظلم والفساد، ولكن تشريع التوبة يجعل الظالم لا يتمادى في ظلمه، وبهذا يحمي الله المجتمع من شروره ويجعل في نفسه الأمل لتوبته ومغفرته فيتجه إلى العمل الصالح؛ علّه يكفر عما ارتكبه من الذنوب والمعاصي.

إذن القتال له حكمة والتعذيب له حكمة والخزي له حكمة والتوبة لها حكمة، والله حين يعاقب إنما يعاقب عن حكمة، وحين يقبل التوبة فهو يقبلها عن حكمة.

٢ـ أمّا الآية الثانية فسببها - والله أعلم - ما جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم، فلم تغن عنهم شيئا ولم يثبت مع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم إلا القليل، فختمت هذه الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ تأنيساً لمن فرّ من المسلمين في ذلك اليوم وبشارةً لهم بتوبة الله عليهم، وأنّ ما وقع منهم من الفرار مغفورٌ لهم رحمة من الله تعالى لهم .

فجاء كلُ ختام آية على ما يناسب ويلائم.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿ أَمْ ﴾ إضرابية.

٢ـ الابتلاء أمر لا مفر منه، وهو ضروري لمن أراد الله له أن يتحمل أمر الدعوة إلى الله في مواجهة الفساد.

٣ـ قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾ فليس معناه أنه لم يعلم وسوف يعلم. لا ، فعلم الله أزلي ولكنه العلم الذي يحاسب الله الناس عليه، فإنه لا يحاسبهم على علمه الأزلي، وإنما على العمل الذي ينبني عليه الثواب والعقاب. وعلم الله أزلي كاشفٌ غير مجبِر .

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيجَةً﴾ من الولوج، أي: الدخول، والمراد هنا بطانة السوء التي تدخل على المؤمنين الضعاف ليفشوا أسرار المؤمنين ويبلغوها للكفار، والآية معناها أنّ الله يعلم واقعياً من جاهدوا ولم يتخذوا بطانة سوء من الكفار يدخلونهم في شؤونهم دخولاً يجعلهم يكتشفون أسرارهم.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ أي: أنّ الله مطلع على تداخلكم مع الكفار وإعطاء الأسرار ولا يخفى على الله شيء فانتبهوا، فإنْ عَمّيتم على قضاء الأرض فلن تُعمُّوا على قضاء السماء .



﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية لهذه الآية ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾ ؟

الجواب:

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني أنهم يظهرون ما هم عليه من الشرك من نصب الأوثان وعبادتها، وكانوا ينصبون الأصنام في الكعبة.

وكلمة (شاهدين) تعني أنهم يظهرون ما هم عليه من الكفر والشرك، فكيف يعمرون مساجد الله؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ فكيف يعمر هؤلاء

مساجد الله وهم يشركون بالله أو يكفرون بالله ويأتون بالأوثان والأصنام أو يذكرون أموراً مخالفة؟

هذا نفي من قِبَل الله تبارك وتعالى أنه لا ينبغي لهم ولا يصح لهم ولا يستقيم، لأنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، ولا ينبغي أن يعمروا مساجد الله؛ لأنهم شهدوا على أنفسهم بالكفر.

السؤال الثاني:

لماذا استعمل صيغة الجمع في (مساجد) في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧)﴾؟

الجواب:

١ـ هذه الآية وردت فيها كلمة ﴿مَسَاجِدَ﴾ في الآية ١٧ من سورة التوبة، وفي الآية ١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾ [التوبة:١٨].

٢ـ في الآية ١٧ قُرِيء (مساجد) وقُرِيء (مسجد)؛ لأنه كان يراد به المسجد الحرام، فعندنا قراءتان سبعيتان، لكنّ الذين قرأوا (مسجد)؛أي (المسجد الحرام) فهذا شيء طبيعي؛ لأنّ الكلام عن المسجد. وعندما تُقرأ: ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ المسجد الحرام سيكون جزءاً من هذه المساجد، وهم ليس لهم أنْ يعمروا المسجد الحرام ولا سائر المساجد؛ إذ لا حق لهم في ولوجها.

ففي الآية (١٧) توجد قراءتان: من القرّاء السبعة قرأها: مسجد بالإفراد، والخمسة الآخرون قرأوها مساجد، فالكثرة قرأتها (مساجد) وهذه تمثل قراءات العرب التي أجازها الرسول ﷺ بأمر من ربه والجمع بين القراءتين أنّ كلمة مساجد ينضوي تحتها كلمة مسجد.

٣ـ الآية (١٨) أجمع القرّاء على قراءتها (مساجد)، وأجمعوا في ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ على أنه أريد بها المساجد العامة ليوم القيامة فيدخل فيها المسجد الحرام.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ في آية التوبة ١٧ ؟

الجواب:

المعنى العام للآية: أي ما ينبغي لهم أنْ يعمروا مساجد الله؛ لأنّ المساجد هي بيوت الله ومخصصة لعبادة الله تعالى، وليس من المنطق أنْ يبنيها أو يجلس فيها مشركون أو كافرون، وهم يعبدون غير الله، وقد نصبوا فيها الأصنام بغير إذنه، وادّعوا أنها شركاؤه فشهادتهم هذه هي بالحال وبالمقال، لذلك فإنّ عمارتهم تخريب لتنافي عقيدتهم وفعلهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: شهادتهم هي سجودهم للأصنام وذلك أنهم نصبوا أصنامهم خارج المسجد الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطاً سجدوا لأصنامهم.

لذلك نفى الله تعالى عنهم أهلية العمارة ، ثم بيّن من يصلح لها في الآية ١٨، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ .



﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في آية سورة التوبة ٢٠ وآية سورة الأنفال ٧٢؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٧٢.



﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

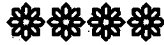
السؤال الأول:

ما دلالة التعبيرين في ﴿مَرْضَاتِ﴾ ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الرضوان عام. وهو من الله فقط. وقد وردت في القرآن ١٣ مرة، ولم ترد في القرآن من غيره، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ .

٢ـ كلمة ﴿مَرْضَاتِ﴾ قد تكون لله وقد تكون لغيره، وقد وردت في القرآن خمس مرات، منها أربع مرات مع لفظ الجلالة في الآيات: [البقرة ٢٠٧ ـ البقرة ٢٦٥ ـ النساء ١١٤ ـ الممتحنة ١]، ومرة واحدة مع أزواج النبي ﷺ في آية التحريم ١. والله أعلم.



﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة إفراد الواو أو جمعها مع (لا)، كما في الآيات ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ [سبأ:٣٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [المنافقون:٩] ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ [التوبة:٢٤] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣١] ؟

الجواب:

١ـ (الواو) من حيث الحكم يسمونها مطلق الجمع، وفيها معان كثيرة كما في الآية: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ [المنافقون:٩].

فلمّا قال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ [المنافقون:٩] يعني كلها لا تلهيكم.

٢ـ السؤال: لماذا جاء بـ ﴿لَا﴾ ؟

الجواب:

لو لم يذكر (لا)، لو قال: (لا تلهكم أموالكم وأولادكم) فهناك احتمال واحد، وهو أنه جمع بينهما.

أمّا إذا أفرد: (ولا أولادكم) ففيها احتمالان: احتمال الإفراد والجمع؛ أي أنه انه ينفي الاثنين معا، سواء على سبيل الإفراد أو الاجتماع.

٣ـ النُحاة يضربون مثلاً، فيقولون: (ما حضر محمد وخالد)، أو: (ما حضر محمد ولا خالد)، فقولهم: (ما حضر محمد وخالد) محتمل أنه حضر واحد منهما، وهذا احتمال أول، ويحتمل أنه لم يحضر محمد ولم يحضر خالد، وهذا احتمال ثان.

وهذه يسمونها تعبيرات احتمالية، وتحتمل أكثر من دلالة، ولا توجد قرينة سياقية ولا لفظية تعيّن مفهوماً محدداً لها.

لكن لو قلنا: (ما حضر محمد ولا خالد)، يعني: لم يحضرا لا على سبيل الاجتماع ولا على سبيل الإفراد.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الفتح:٤] و﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [التوبة:٢٦] في آية التوبة ٢٦ والتوبة ٤٠ وآيات الفتح ٤ـ١٨ـ٢٦ ؟

الجواب:

١ـ السكينة: هي مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر ما جاء في الخوف، وتضاف إلى القلب، كما في آية [الفتح ٤].

٢ـ حيث ذُكر الرسول أو كان موجوداً في السياق يقول: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ مضافا إلى ضميره سبحانه وتعالى، كما في الآيات[التوبة ٢٦ والتوبة ٤٠ والفتح ٢٦].

٣ـ وإذا كان عاماً يذكر السكينة. كما في آية الفتح (٤) وآية الفتح (١٨).

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح:٤] ليس فيه ذكر الرسول ﷺ.

ـ ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨] ليس فيها ذكر لكلمة الرسول ﷺ.

- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة:٢٦] صرّح بالرسول ﷺ فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ [التوبة:٢٦]

- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠] صرّح بالرسول ﷺ فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾.

- ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح:٢٦] صرّح بالرسول ﷺ فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ فحيث أضاف الضمير فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ فلا بدّ أنْ يُذكر الرسول أو يظهر في السياق، وهذه خصوصية للرسول ﷺ وتعظيم له وإكرام.



﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

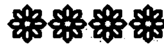
ما علاقة هذه الآية بآية سورة البقرة ٢٥٩ ؟

الجواب:

اختلف المفسرون في الشخص المقصود في آية البقرة ٢٥٩ وجمهور العلماء أنه العزير، وقيل إنه: إرمياء ـ الخضر .

وعن طريق الحساب العددي نستطيع أنْ نرجح رأي الجمهور على أنه العزير عن طريق المطابقات العددية .

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٩.



﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ فما معنى الآية؟

الجواب:

الحديث الذي يرويه عُدي بن حاتم الطائي فيه فوائد كثيرة، وكان عُدي قد تنصّر في الجاهلية وأُسِرت أخته ثم هرب ثم كتبت إليه أنّ الرسول ﷺ أكرمها مع كونها على الكفر، حيث قال ﷺ: «**أكرموها لأنها ابنة حاتم**» (وكان أبوها من أكرم العرب)

فأسلمت وأرسلت إليه ليأتي ويرى الرسول ﷺ، فدخل مسجد الرسول ﷺ وهو يقرأ قوله عز وجل عن اليهود والنصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ فقال عُدي: يا محمد إنهم لم يعبدوهم فكيف تقول: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ فأخذ الرسول ﷺ يبيّن له مفهوم العبادة في الإسلام فقال: «**بلى، أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**».

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في ذكر المسيح بن مريم في سورة التوبة؟

الجواب:

١ـ لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى عليه السلام نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

المسيح: ويدخل فيها المسيح، المسيح عيسى بن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه)

عيسى: ويدخل فيها: عيسى ابن مريم، وعيسى (اسمه)

ابن مريم: (كُنيته)

٢ـ حيث ورد (المسيح) في كل السور سواء وحده أو (المسيح عيسى بن مريم) أو (المسيح بن مريم) لم يكن ذلك في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً، ولم ترد هذه الصيغ في التكليف، وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة. قال تعالى:

- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) ﴾ [النساء:١٥٧]

- ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ [التوبة:٣١].

٣ـ وكذلك (ابن مريم) لم تأت مطلقاً بالتكليف ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) ﴾ [المؤمنون:٥٠] ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) ﴾ [الزُّخرُف:٥٧].

٤ـ أما (عيسى) في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء، فهو عام. كما في الآيات:

- ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ [المائدة:٤٦]

- ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) ﴾ [مريم:٣٤]

٥ـ ولا نجد في القرآن كله جملة (آتيناه البينات) إلا مع لفظ (عيسى)، كما في قوله تعالى:

- ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) ﴾ [الزُّخرُف:٦٣] ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح.

٦ـ إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الثناء أيضاً، وكلمة عيسى عامة ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [المائدة:١١٢].

فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب، وعيسى اسم، أي: يسوع، وابن مريم كنيته، واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم، والمسيح معناها المبارك، والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته.



﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين الآيتين ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ [التوبة:٣٢] و ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)﴾ [الصف:٨] ؟

الجواب:

آية التوبة ٣٢:

١ـ جاء بالفعل المضارع ﴿يُرِيدُونَ﴾ ولم يقل: أرادوا، لبيان أن فعلهم سوف يتكرر ويتكرر.

٢ـ في آية التوبة ٣٢ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا﴾ بأنْ والفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار والحال والاستقبال. وبيان ذلك:

أ ـ﴿أن﴾ حرف مصدري يدخل على الفعل الماضي وعلى الفعل الأمر، كما يدخل على الفعل المضارع فينتصب بعده ويصرفه إلى الاستقبال، وتفيد التعليل أيضاً.

ب ـ سبقت هذه الآية الآيات (٣٠ـ٣١)، وهي تتحدث عن اليهود والنصارى وتحريفهم للتوراة والإنجيل، وهذا أمر معلوم ومعروف لديهم؛ ولذا لم يستعمل فيها أساليب التأكيد .

وتحريفهم لمنهجهم هو نوع من محاولة إطفاء نور الله، أي: دين الله، ويأبى الله إلا أنْ يتم نوره، فأرسل نبيه محمداً ﷺ بالدين الحق غير المحرف ليظهر على جميع الأديان المحرفة الأخرى، كما قال تعالى في الآية التي تليها ٣٣: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ .

فعندما يظهر الإسلام على جميع الأديان الأخرى عند ذاك لا يجدي عملهم شيئاً، فما كان هناك حاجة إلى تأكيد.

٣ـ قوله تعالى في آية التوبة: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ أجرى الفعل ﴿وَيَأْبَى﴾ مجرى: لم يرد، بتقدير: ما أراد الله إلا ذلك، ولم يقل مثلاً: يكره.

إلا أنّ الإباء يفيد زيادة عدم الإرادة وهي المنع والامتناع، والدليل عليه قوله ﷺ: «إذا أرادوا فتنة أبينا» فامتدح بذلك، ولا يجوز أنه يمتدح بأنه يكره الظلم؛ لأنّ ذلك يصح من القوي والضعيف .

آية الصف ٨:

١ـ جاء في الآيات (٦ـ٧) من سورة الصف أنّ اليهود والنصارى غيّروا ما في كتبهم وكذبوا على الله، وهذا منهجهم باستمرار التحريف والكذب.

٢ـ في الآية ٨: جاء إصرارهم باستمرار وقصدهم لإطفاء نور الله بصيغة المضارع؛ لأنّ هذا هو هدفهم الدائم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ والفعل المضارع يدل على الاستمرار والحال والاستقبال، فإرادتهم مستمرة ومحاولة إطفائهم لنور الله مستمرة ، وجاءت اللام ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ للتوكيد ولبيان العلة والغاية من عملهم، فجاء الرد مؤكداً بالصيغة الاسمية التي تدل على الثبات ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ وهو آكد من ﴿أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ .

٣ـ هناك قراءتان ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ و (متمٌّ نورَه) فالأولى إشارة إلى وقوعه ووقوع بداياته بإرسال النبي ﷺ، وأمّا القراءة الثانية فتفيد استمرار نزول الآيات على رسوله في المستقبل.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى أنه تعالى بدأ بإتمام نوره وهو ماضٍ في هذا الإتمام مدة حياة النبي ﷺ وما بعده.

تعليق:

اليهود أعداء الله يخططون في كل وقتٍ وزمنٍ ليطفئوا نور الله ،

ولكنّ الله تعالى يأبى إلا أنْ يتم نوره ولو كره الكافرون.

لننظر إلى تاريخ الإسلام منذ نشأته . .. إلى الفرق الإسلامية المختلفة التي أدخلت في الدين ما ليس فيه . .. إلى الدول المتعددة التي كانت تنشق عن المسلمين ثم تحاربهم . .إلى المغول والتتر والصليبين القدماء . ..إلى الحكام الموالين لهم . ... إلى عملائهم المنتشرين في كل مكان ومنصب . . وإلى الصليبين الجدد في مختلف البلاد الإسلامية :

فـما زالـت القـتلى تمـجُّ دمـاءَها بدجلـة حتـى مـاء دجلـة أشـكلا

في كل مكان يحاولون قتل المسلمين واستباحة بلادهم وأموالهم وأعراضهم . .. حقد قديم ومكر دفين.. لا يماري في ذلك إلا جاهل أو مخدوع أو عميل . . وإرادتهم في ذلك مستمرة، فماذا عسانا أن نفعل من أجل رد هذا الكيد ؟؟؟؟

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ
لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ
وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ذكر تعالى شيئين، وهما الذهب والفضة، ثم قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولم يقل مثلاً (ينفقونهما)، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ خصّ الله الفضة والذهب بالذكر من بين سائر الأموال؛ لأنهما الأصل المعتبر في الأموال، وهما اللذان يقصدان بالكنز.

٢ـ قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولم يقل مثلاً: ينفقونهم، بتقدير:

أـ أنْ يكون الضمير عائداً إلى المعنى بتقدير: أموال ودنانير ودراهم وكنوز وآنية.

ب ـ أنْ يكون الضمير عائداً إلى اللفظ بتقدير: ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب، أو بتقدير: ولا ينفقون الذهب وحذف الفضة؛ لأنهما يشتركان في ثمنية الأشياء؛ لذلك كان ذكر أحدهما مغنياً عن ذكر الآخر.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة:١١] جعل الضمير للتجارة.

ـ ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء:١١٢]

فجعل الضمير للإثم. والله أعلم.



﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿فَتُكْوَىٰ﴾ ما كلمات منظومة أعمال النار يوم القيامة ؟

الجواب:

هذه الكلمات تدخل في أعمال النار يوم القيامة:

اللفح:

هو الوهج الذي يصيب ظاهر الجلد من النار، أي: يصيب البشرة: المؤمنون ١٠٤.

اللوح:

هو أثر من آثار اللفح، حيث يتغير لون الجلد إلى السواد من شدة اللفح [المدثر ٢٩ ـ الزمر ٦٠] والنفح عكسه النفخ.

الكَيُّ:

هو الحرق بشيء محمي من حديد أو ما شابه يُكوى به المكان لوسمه، فيوسم في يوم القيامة كل مجرم عن طريق الكي فيعرف ما ذنبه وما جرمه: التوبة ٣٥.

الشَّيُّ:

هو الشي بالحرارة فقط، وليس على النار أو الجمر، وإنما على حرارتها: الكهف ٢٩.

الصِّلاء:

هو الشي باللهب والجمر وهي نار خاصة بالمشركين: [الليل ١٥ـ النساء ٣٠ـ ٥٦ـ ص ٥٩] ولا يدخلها الموحدون.

النزع:

نزع أطراف الإنسان من ضمن أعمال النار ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج:١٦] والشوى هي جلدة الرأس.

الحرق:

يوضع الإنسان على الجمر حتى يحترق ويتلاشى من شدة الحرارة.

الكلح:

هو من آثار النار يوم القيامة حيث تتقلص الشفة العليا حتى تصل إلى الرأس، وتندلق الشفة السفلى حتى تصل إلى أسفل الذقن فتقسو الشفتان وتبرز الأسنان ويبدو الهلع من شدة الألم على سحنة الإنسان، وهو منظر مخيف في غاية القبح: المؤمنون ١٠٤.

الصهر:

هو أنْ يستمر الحرق بالماء الحار أو المواد شديدة الحرارة (غساق) (غسلين) فلا يبقى إلا العظم، فيصهر الجلد واللحم وينسلخ عن العظم ثم يعود، وهكذا عملية مستمرة بدون موت: المؤمنون ١٠٤.

السجر:

هو إشعال النار في الشخص: غافر ٧٢.

كيف نتقي النار:

نتقي النار عن طريق:

١ـ الإيمان والعبادات والعمل الصالح.

٢ـ الدعاء.

٣ـ شهادة الناس عليك بالخير بعد الموت.

٤ـ الاستغفار.

٥ـ الصدقة.

٦ـ التوحيد.

٧ـ عين بكت من خشية الله وعين سهرت في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله.

٨ـ شفاعة النبي ﷺ.

اللهم أجرنا ووالدينا والمسلمين من النار .

السؤال الثاني:

لماذا بدأ بالجباه ثم بالجُنوب ثم بالظهور في الآية ؟

الجواب:

بدأ بالجباه ثم الجُنُوب ثم الظهور؛ وذلك لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمّهم مجلس ازورّوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم، فتدرج بحسب الرتبة.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا
تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال ﴿مِنْهَآ﴾ و﴿فِيهِنَّ﴾ في آية التوبة ٣٦ ؟

الجواب:

١ـ العرب تستعمل الجمع تمييزاً للقلة، وتستعمل المفرد تمييزاً للكثرة فتقول: الجذوع انكسرت .

والعرب تستعمل في التأريخ لما بين الثلاثة إلى العشرة فتقول: لثلاث ليال خلون وثلاثة أيام خلون ، فإذا جزت العشرة قالوا: خلتْ أو مضتْ، و تقول: لأربع عشرة ليلة بقيتْ .

والعرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: (هن و هؤلاء)، فإذا جزت العشرة قالوا: (هي وهذه) إرادة أنْ تعرف سمة القليل من الكثير .

و يمكن أنْ نلخص الأمر في أنّ العرب تستعمل الجمع للقلة والمفرد للكثرة في مواطن، من أهمها:

أـ تمييز العدد: خمسة رجال وعشر نسوة وعشرون رجلاً.

ب ـ الضمير في التأريخ كما بيناه أعلاه .

ج ـ صفة جمع ما لا يعقل: فتقول: (أياماً معدودات) للقلة، (وأياماً معدودة) للكثرة، ونحو: (أنهار جارية) للكثرة، و(أنهار جاريات) للقلة.

د ـ ضمير الغائب (هي) للمفرد، و(هن) للجمع.

هـ ـ اسم الإشارة لغير العاقل: حسب الجدول أدناه:

جمع قلة	جمع كثرة
هؤلاء	هذه – هي
أولئك	تلك

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الإسراء:٣٦] ولم يقل: تلك، لقلتهن.

٢ـ لضربٍ من البلاغة كتنزيل القلة مكان الكثرة وبالعكس مما يليق به المقام، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤] فقال:﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ لتقليلها مع أنها أكثر من عشرة، بمعنى أنها قليلة يسيرة بالنسبة إلى قدرتكم واستطاعتكم؛ ولذا قال بعدها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وهو من باب التلطف بعباده المؤمنين .

في آية التوبة ٣٦:

لمّا قال: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ استعمل المفرد مع القلة، فقال: ﴿مِنْهَآ﴾ وذلك لأنها أكثر من عشرة.

ولمّا قال: ﴿أَرْبَعَةٌ﴾ استعمل مع الجمع ﴿فِيهِنَّ﴾ للقلة ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾

في آية البقرة ١٩٧ :

أعاد الضمير ﴿فِيهِنَّ﴾ بالجمع؛ لأنهن ثلاثة أشهر.

في آية نوح١٥ :

أعاد الضمير على السماوات بصيغة الجمع ﴿فِيهِنَّ﴾ لأنهن سبع .



﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ



السؤال الأول:

لماذا جاء الفعل في الآية ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ بصيغة المبني للمجهول ؟

الجواب:

في آيات التزيين فإنّ الله تعالى ينسب الخير إلى نفسه، وتزيين القبيح يبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأنفال:٤٨] وقال:﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن نحو ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل:٤] لغرض إقامة العقيدة الصحيحة، ولكن لا تجد فيه نحو (زينا لهم سوء أعمالهم) بذكر السوء، بل لا تجده إلا مبنياً للمجهول والفرق ظاهر بين الأمرين.

* شواهد قرآنية:

- في الحجرات ٧: أسند تزيين الإيمان في القلوب إلى ذاته سبحانه.

- في آل عمران ١٤: بنى تزيين حب الشهوات للمجهول، ولم ينسبه إلى نفسه.

- في الصافات٦ والملك٥ والحجر١٦: أسند التزيين الحسن إلى ذاته.

-[في البقرة ٢١٢ والرعد ٣٣ والأنعام ١٢٢ وفاطر٨ وغافر٣٧ والتوبة٣٧ والفتح١٢] بنى تزيين القبيح للمجهول.

السؤال الثاني:

ما دلالات الآية بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ النسيء هو التأخير.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ ولم يقل: زين الله سوء أعمالهم؛ لأنّ الله لا ينسب السوء إلى نفسه.

والزينة أمر زائد على حقيقة الذات، وهو أمر في المظهر لا في الجوهر.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

نحن نعلم أن لله سبحانه هدايتين: هداية دلالة، وهداية معونة.

أمّا هداية الدلالة فهي للمؤمن والكافر فيدل الله الجميع على المنهج ويريهم آياته، وتُبَلِّغُ الرسلُ منهجَ السماء الذي يوضح الطريق إلى رضاء الله والطريق إلى سخطه.

فمن آمن بالله دخل في مشيئة هداية المعونة، فيعينه الله في الدنيا ويعطيه الجنة في الآخرة، وأمّا من يرفض هداية الدلالة من الله فالله لا يعطيه هداية المعونة؛ لأنّ الكفر سبق من العبد.

وكذلك اقتراف الظلم والفسق فيكون بسببهما قد منع نفسه هداية المعونة بارتكابه لتلك الآثام؛ لذلك يقول الحق:

ـ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)﴾ [التوبة:٣٧].

ـ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾ [التوبة:١٩].

ـ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ [التوبة:٢٤].

إذن هم الذين قدموا الكفر والظلم والفسوق فمنعوا أنفسهم هداية المعونة، أمّا المؤمن فيقول الله تعالى فيه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ [محمد:١٧]

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ العرب عندهم أسلوب في ذكر المعدود فتصاغ عندهم على وزن (فاعل) فيقولون مثلاً هو رابع أربعة، و في كلام سعد بن أبي وقاص يقول: (مرّ علي يوم وأنا رابع أربعة فكنت رُبع الإسلام)

وكذلك (خامس خمسة) يُشتق من اللفظ نفسه و (سادس ستة) يعني هو واحد من هذا المجموع.

٢ـ لكن لهم أسلوباً آخر: يقولون: رابع ثلاثة أو خامس أربعة، في هذه الحالة يكون متمماً للعدد، ولكنه ليس شرطاً أن يكون جزءاً منه، لاحظ في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن

ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧].

نجوى الثلاثة الله رابعهم، فالله سبحانه وتعالى من غيرهم، لكنه صار في العدد بحضوره رابعاً، لكنه ليس منهم.

وفي قصة أصحاب الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف:٢٢] فالكلب ليس منهم.

٣ـ فعندما يقول القرآن: (ثاني اثنين)، معناه: هما من نوع واحد كثالث ثلاثة ورابع أربعة وخامس خمسة، وهذا فيه إشارة إلى منزلة الصدّيق رضي الله عنه؛ لأنه كان مع الرسول ﷺ وهما يشكّلان اثنين، ولم يكن الرسول ﷺ من خارجه ولم يكن هو من خارج الرسول ﷺ بالمثال الذي ضربناه.

٤ـ وهذا فضلٌ لأبي بكر رضي الله عنه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ ولاحظ الآية الكريمة ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ والصاحب قد يكون موافقاً وقد يكون مخالفاً، لكن لمّا قال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ معناه: هو مصاحب، وليس مخالفاً .

٥ـ ولاحظ الفارق بين قول الرسول عليه السلام لأبي بكر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ أي: جمع الاثنين ، وقول موسى عليه السلام لمّا قال: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

والرسول ﷺ جعل أبا بكر معه، وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. كان ممكناً في غير القرآن أن تُصاغ العبارة بشكل آخر يُخرَجُ فيه أبو بكر من الآية: إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه وهو في الغار، فقال: إن الله معي فنصره الله عز وجل.

٦ـ وننظر شيئاً آخر في الآية يتناوله علماء النحو في توزيع الضمائر، وإنْ كان بعض العلماء يقول: هذا إبعاد، لكنْ هذه حقيقة. عندما يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الهاء في (عليه) تعود إلى أبي بكر؛ لأنّ الرسول ﷺ كان مطمئناً والقلِقُ كان أبا بكر،وإنزال السكينة على أبي بكر يعد رفعا لقدره، خاصة وأنها من قبل رب العالمين، وأبو بكر - حقيقة - يستحق مثل هذا الرفع، ففي رحلة الهجرة: الرسول ﷺ يركب ناقة دفع ثمنها أبو بكر، وإنْ كان ﷺ قال بثمنها قرضة، والزاد الذي كان يأتيهم هو من مال أبي بكر، والذي كان يرعى الغنم حتى يمحو الآثار راعي أبي بكر، والذي كان يأتيهم بالأخبار ابن أبي بكر، والذي كان يأتيهم بالطعام بنت أبي بكر، والدليل الذي قادهم خارج نطاق السير الطبيعي استأجره أبو بكر.

٧ـ أول دعائم الإسلام أو أول ثماني جباه تسجد للصلاة غير الرسول ﷺ هم: الإمام علي وكان صبياً صغيراً (٨ أو ١٠ سنوات)، زيد بن حارثة أسير حرب يباع ويُشترى، و لم يكن له تأثير في المجتمع، وأبو بكر ، وخمسة جاءوا بدعاء أبي بكر، إذن كان أبو بكر مع الخمسة يمثلون ستة من ثمانية من الإسلام.

إضافة إلى موقفه من الرِّدّة، وموقفه في وفاة الرسول ﷺ وكيف عصم الله تعالى به الأمّة من أنْ تتمزق؛ لذلك الآية كأنها أرّخت في كتاب الله عز وجل لِعِظم منزلة الصدّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وهذا لا ينقص من أقدار الصحابة الآخرين شيئاً لأن كلاً له فضله، لكنّ هذا أبو بكر.

السؤال الثاني:

تكررت ﴿إِذْ﴾ ثلاث مرات في هذه الآية، فما دلالتها؟

الجواب:

١ـ هي كلها تأكيدات بمعنى أُذكر هذا الأمر. و ﴿إِذْ﴾ تأتي دائماً بمعنى: أُذكر كذا. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء:١٠] أي: اذكر هذا الأمر.

٢ـ إذ: ظرف زمان:

أ ـ تأتي للمضي في أصل وضعها، وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية، كقوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ .

ب ـ وقد تقع للاستقبال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧٠ - ٧١].

ج ـ وقد تكون للتعليل: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزُّخرُف:٣٩].

د ـ ترد للمفاجأة.

هـ ـ وقد تحذف الجملة المضافة إليها فيؤتى بالتنوين عوضاً منها نحو ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة:٤].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ في آية الأحزاب ٩ وآية التوبة ٤٠ ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ؟ وما المقصود بكلمة: لم تروها؟

الجواب:

آية التوبة ٤٠:

قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾

أ ـ الجنود أو الجند: الجند اسم للجنس، وهذا الجنس يمكن أن يُجمع (جند وأجناد) كما في قوم أقوام، وإذا ورد جمع بصيغتين فعند ذلك ينظر في القِلّة والكثرة، و صيغة (أفعال) في الجمع تكون للقلة، فإذن هنا (جنود) للكثرة.

ب ـ والجند في اللغة: الأنصار والأعوان، وبعد ذلك أُطلِقَت متأخرةً على القوات المسلحة، وعندما يقال: جنّد الجنود، أي: هيّأ الأنصار، والأنصار لم يكونوا جنوداً، وإنما كانوا في السوق يبيعون ويشترون، ثم عندما ينادى للقتال فيكونون في سياق الجيش، وفي عهد الرسول ﷺ الكل كانوا مدنيين، وفي أي لحظة يكونون مقاتلين، فالجند في اللغة الأنصار، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤] وعندما نقول أنصار الله بمعنى أنصار شرعته وأنصار دينه.

* شواهد وأمثلة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي أنتم لم تبصروا هؤلاء الجند، فكان تأييداً من الله سبحانه وتعالى وكان نصراً؛ حيث إنّ الرسول عليه السلام وأبا بكر وصلا إلى الغار، وأدركتهم قريش عند الغار، فخاف أبو بكر الصديق، وقال للرسول ﷺ: **«لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا»** فقال ﷺ: **«ما ظنّك باثنين الله ثالثهما»** فطبيعة الأشياء أنْ يلقى عليهما القبض، لكنّ ذلك لم يحدث، و الله تعالى نصر رسوله ﷺ بجنود لم يروها، وتغيير طبيعة الأشياء جزء من جند الله عز وجل.

٢ ـ سراقة بن مالك رأى رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه وأرضاه وناداهما، فكان أبو بكر يخشى من سراقة؛ لأنّ سراقة كان من الفرسان المعدودين؛ ولذلك خرج وحده معتمداً على قوته فهو يستطيع أنْ يجابه الرسول ﷺ وصاحبه وحده، لكن غارتْ قوائم فرسه في الرمال وتكرر ذلك ثلاث مرات، وهذا جند من جنود الله عز وجل، فهذا هو الجند التي لم يرها المسلمون، فقد يكونون ملائكة أو الصرف الذي صرف الله به غشاوات الأعين، و كل هذه الأمور التي تخالف طبيعة الأشياء هي جند من جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر:٣١].

٣ ـ الحشرة الصغيرة هي أيضاً جند من جنود الله عز وجل حيث دخلت في أذن النمرود، فهذه الجنود أنتم لم تروها.

آية الأحزاب ٩:

في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٩]

أ ـ ﴿جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ جنود تراها العين: وهي قريش، ومن جاء معهم من الأحزاب، والريح رأيتم فعلها، وهذا من جند الله، وهناك (جنوداً لم تروها) ومنها: التخذيل الذي حدث، والملائكة التي أدخلت الرعب في قلوب هؤلاء الناس، والخلاف الذي وقع بينهم (نبقى أو نمضي)، وكل هذا هو من جنود الله غير المرئية.

ب ـ أثناء القتال في معركة بدر بعضهم رأى الملائكة وسمع صوتها وهي تتحدث مع بعضها، ويمكن أنْ يكون هناك جند لم تروها ولم تقع أعينكم عليها سواء من الملائكة أو من غير الملائكة. وقوله تعالى: ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي: لم تروها رأي العين.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الغار والمغارة والجحر ؟

الجواب:

١ـ الغار: هو مغارة في الجبل تحديداً أو كالكهف في الجبل، قال تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ وغار ثور في جبل ثور، وغار حراء في جبل حراء، والأصل أنْ يوجد بشكل طبيعي، وقد تأوي إليه الوحوش الموجودة بقربه.

٢ـ المغارة: في الأرض عموماً، وليست في الجبل.

٣ـ الجحر: أصغر من الغار.

السؤال الخامس:

ما دلالة لا تحزن في الآية ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ؟ ولماذا لم يقل: لا تخف؟ وما الفرق بين الخوف والحزن؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ هو موجه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه على لسان الرسول ﷺ، وهما موجودان في غار ثور خلال الهجرة.

٢ـ الخوف: هو توقع مكروه قبل حصوله، فإذا حصل المكروه حزن على ما وقع، فالحزنُ هو المرحلة الثانية بعد حصول مضمون الخوف.

٣ـ كان أبو بكر يخشى الطلب خلفهما، وهذا يسمى بالخوف، وخوفه هو ليس على نفسه، وإنما على النبي ﷺ فلمّا حصل الطلب ووصل المشركون إلى باب الغار وصل الوضع معه إلى المرحلة الثانية، فكان الأحسن أن يقول: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فنهى عن الحزن مطلقاً.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ الضمير عائد على أبي بكر، وهو أقرب المذكورين في الآية، ولا يصح أنْ يعود على الرسول ﷺ؛ لأنّ الخوف كان حاصلاً مع أبي بكر، أمّا الرسول ﷺ فقد كان آمناً، فقد قال لأبي بكر: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» فصرف الله السكينة إلى أبي بكر؛ فزال خوفه.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ ؟

الجواب:

هذه الآية الكريمة هي جزء من الآية الأربعين من سورة التوبة، وهي السورة التي تعطي الصورة الكاملة للمؤمنين والمنافقين، وترى من خلالها حركة المنافقين وتخطيطهم وعبثهم في المجتمع الإسلامي.

و من الحقائق الثابتة في القرآن الكريم أنّ النصر لا يكون إلا من الله عز وجل لمن يستحقه، وقد أكّدت الآيات المختلفة ذلك بأسلوب الحصر، ولم ينسب النصر في القرآن الكريم إلا إلى الله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:١٣] ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران:١٢٦] ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

السؤال السابع:

ما دلالة أسلوب الشرط في الآية ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ في الآية أسلوب الشرط، أي: إن لم تنصروه فقد نصره الله، وأسلوب الشرط فيه عادة فعلان: الأول: فعل الشرط، والثاني: جواب الشرط .

وأدوات الشرط كثيرة، نحو: [إنْ ـ مَنْ ـ مهما ـ متى ـ أيان ـ أينما ـ كيفما ـ أي]، وجميع هذه الأدوات أسماء عدا: [إنْ] فهي حرف، وجميع هذه الأدوات مبنية عدا [أي] فإنها معربة.

٢ـ ولا يشترط أنْ يكون فعل الشرط وجوابه مضارعين، بل قد يكون أحدهما ماضياً والآخر مضارعاً، أو قد يكون كلاهما ماضيين، والحالات تُلخص فيما يلي:

فعل الشرط	جواب الشرط	مثال	الوضعية
مضارع	مضارع	إن تجتهد تنجح	شائع
ماض	ماض	إن عدتم عدنا	شائع
ماض	مضارع	إن زرتني أُكرِمُك	شائع
مضارع	ماض	إلا تنصروه فقد نصره الله	نادر

٣ـ من المعروف أنّ الأسلوب الشرطي هو أسلوب الجزاء، أي: أنه يتحقق الجواب بتحقق الفعل.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أنّ الجواب سبب في الشرط، وقولك: (إنْ تجتهد تنجح) السبب دافع في الشرط فتصور النجاح أولاً هو سبيل لبذل الجهد في تحقيق النجاح.

فعل الشرط في الآية:

هو عدم نصرة المنافقين لرسول الله ﷺ بالنفير معه حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا، وهذا كان في السنة التاسعة للهجرة.

جواب الشرط في الآية:

نصرة الله لنبيه ﷺ ليلة الهجرة:

٤ـ والأمر العجيب في الآية هو: أيحصل الجواب قبل حصول الفعل بتسع سنوات، أي أيكون الجزاء قبل العمل ؟

قال الآلوسي في تفسيره «روح المعاني»: " واستشكلت الشرطية بأنّ الجواب فيها ماضٍ، ويشترط فيه أنْ يكون مستقبلاً، حتى لو كان ماضياً قُلِبَ مستقبلاً، وهنا لم يُقلب.

وأجيب: بأنّ الجواب محذوف أقيم سببُه مقامَه وهو مستقبل، أي إن لم تنصروه فسينصره الله الذي نصره في وقت ضرورة، أي: في الغار ليلة الهجرة ،وهو أشد من هذه المرة".

٥ـ وجاء في «التفسير الكبير» للرازي: لقائل أنْ يقول: كيف يكون قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ جواباً للشرط ؟

وجوابه أنّ التقدير: إلا تنصروه فسينصره من نصره في الغار حينما لم يكن معه إلا رجل واحد، أي: ينصره الآن كما نصره في ذلك الوقت .

السؤال الثامن:

لماذا جاءت ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ بالرفع ؟

الجواب:

بعد أنْ قال الله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ ثم استأنف كلاماً جديداً فقال: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ فجاء بضمير الفصل ﴿هِىَ﴾ مع

الاستئناف، ولم يعطفها على كلمة الكفر، أي: أن كلمة الله هي العليا بدون جعل جاعل، شأنها دائماً الارتفاع والعلو وهي الرفعة دوماً بذاتها .

ولهذا جاءت بالرفع وليس بالنصب، فهذه طبيعتها جاءت بالصيغة الاسمية ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ﴾ لتدل على الثبات والاستقرار، بينما جاءت الآية بالصيغة الفعلية مع ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ﴾ لتدل على عدم الثبات وأنها تتحول وتتبدل بعكس ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ فهي عليا على الدوام لا تتزعزع ولا تتبدل ولا يتغير وضعها. والله أعلم.

السؤال التاسع:

ماذا عن استعمال (السكينة) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ السكينة هي مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر ما جاءت في الخوف، وتضاف إلى القلب، كما في آية الفتح ٤ .

٢ـ حيث ذُكر الرسول ﷺ بشكل صريح في الآية أو أنه موجود في سياقها بشكل غير مباشر يقول: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ بإضافتها لله تعالى، كما في الآيات: [التوبة ٢٦ـ والتوبة ـ٤٠ـ والفتح ٢٦].

٣ـ وإذا كان عاماً يذكر (السكينة) بدون إضافة الضمير، كما في [آية الفتح ٤ـ وآية الفتح ١٨].

السؤال العاشر:

قارن بين آيتي التوبة ٤٠ ـ والشعراء ٦٢ لبيان قولين أحدهما للرسول محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ والثاني لموسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢].

الجواب:

هذه مقارنة بين دعاءين أحدهما للرسول محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ والثاني لموسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]	﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢]
استعمال كلمة الألوهية ﴿ٱللَّهَ﴾	استعمال كلمة الربوبية ﴿رَبِّي﴾
تقديم لفظ ﴿الله﴾ على معنا، فتسكن نفس أبي بكر الذي كان معه وتطمئن.	تقديم معي على لفظ ربي. لأنّ موسى كان يخاطب قومه الماديين؛ حتى يطمئنوا على أنفسهم
المعية ﴿مَعَنَا﴾ للرسول وصاحبه.	إفراد موسى نفسه بالهداية
ترك الرسول الأمر كله لله ليتصرف كيف يشاء سبحانه.	كلمة ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ تدل على أنّ الله سيرشده لما يفعل.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾

السؤال الأول:

مفعول الفعل (علِم) مفتوح الهمزة ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩)﴾ [الحاقة:٤٩] لكن ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة، مثل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾ لماذا وردت عكس القاعدة؟

الجواب:

الفعل (علِم) ينبغي أنْ تأتي بعده (أن) مفتوحة الهمزة، لكن إذا جاءت اللام التي تسمى اللام المزحلقة، أي: لام الابتداء، كما في قولنا (علمت أن زيداً ناجح)، فإذا قلنا (علمت إن زيداً لناجح)، عند ذلك نكسر الهمزة في (إن). وفي ألفية ابن مالك توضيح هذه المسألة:

فاكسر في الابتدا وفي بدء صلة ... وحيث إنّ ليمينٍ مكمله
أو حُكيت بالقول أو حلّت محلّ ... حالٍ كزُرته وإني ذو أمل
وكسروا من بعد فِعلٍ عُلّقا ... باللام كاعلم إنه لذو تُقى

فحيثما جاءت اللام تُكسر الهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾ [المنافقون:١].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال الفعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ مع الصادقين، والفعل ﴿وَتَعۡلَمَ﴾ مع الكاذبين في الآية ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ هو خطاب للرسول ﷺ. وأصل العفو في اللغة هو المسح. تقول: عفت الريح الأثر، أي: مسحته.

٢ـ نزلت هذه الآية في المنافقين الذين ثبطوا الجيش المسلم في تبوك، وهي الغزوة التي صرّح بها الرسول ﷺ من سائر غزواته وقال: إنا ذاهبون إلى الروم.

وجاء طائفة من المنافقين إلى الرسول لطلب عدم الخروج معه وقالوا له: ائذن لنا بعدم الخروج لظروفنا الخاصة، فأذن لهم النبي ﷺ؛ لأن الجهاد تطوعي وليس عندهم جيش إلزامي.

فكأنّ القرآن يقول للنبي لو تصبرت قليلاً؛ لأنهم لا يريدون أن يخرجوا معك في الأصل، فلمّا أذنت لهم ضاعت فرصة كشفهم.

٣ـ الصيغة فيها نوع من العتاب الرقيق الدال على المحبة وليس فيه محو ذنب؛ لأنّ الأصل أنّ النبي ﷺ هو الحاكم، وهو قائد الجيش ويحق له أنْ يأذن لمن استأذنه، وأنت

تعفو عمن يرتكب مخالفة، والرسول ابتداء لم يرتكب مخالفة، وإنما استعمل حقه في الإذن لهؤلاء.

٤ـ قدّم العفو قبل العتاب، وفي هذا دلالة على المحبة وعلى مكانة الرسول ﷺ من ربه.

٥ـ التبين: هو الانكشاف والظهور والوضوح، وهذه صفات الصدق، فاستعمل معه الفعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ واستعمل معه ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ ولم يقل: صادقين؛ لأنها صفة لازمة (اسم فاعل)، أي: هذه صفته (صادق). أمّا هؤلاء فما أراد أنْ يصفهم بهذه الصفة؛ لأنهم منافقون، حتى ولو صدقوا في هذه الجزئية فقد كذبوا كثيراً في غيرها.

بينما وصف الله المهاجرين بالصادقين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات:١٥].

لذلك ما قال الصادقين، وإنما قال: ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: في حالة واحدة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ والكذب يحتاج إلى تدقيق وتبصر وإلى بحث لينكشف، وهذا ينسجم مع الفعل ﴿وَتَعْلَمَ﴾ وسماهم الكاذبين لبيان صفتهم المستمرة.

٧ـ لفظة ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا تعليلية. والله أعلم.

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي: (قعود وقاعدون) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (قعود) ثلاث مرات في القرآن الكريم، كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات: [البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة (قاعدون) في ستة مواضع كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في: [المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ـ النساء ٩٥].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

الفعل: (قعد) هو عكس (قام)، و(القعود) مقابل (القيام)، تقول: كان الرجل واقفاً فقعد.

أمّا الفعل: جلس، فيعني أنّ الرجل كان متكأً فجلس، أي: أن الجلوس عن اتكاء، والقعود عن قيام .

* شواهد قرآنية على الاستخدام اللغوي:

- ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾ [آل عمران:١٩١].

- ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر:٥٥].

- ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ﴾ [المجادلة:١١].

إحصائيات:

وردت كلمة (المجالس) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المجادلة ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ﴾ [المجادلة:١١].

بينما وردت كلمة (القعود) بكافة مشتقاته في (٣١) موضعاً.

المعنى الاصطلاحي القرآني:

١ـ كلمة (القعود) وردت في القرآن الكريم بمعنى التخلف عن الجهاد والقعود في البيوت مع النساء والمرضى والأطفال والضعفاء، وهي صفة مذمومة عند العرب كثيراً، وكان الرجل يحب أنْ يقتل قبل أن يقال له: إنك قاعد.

انظر الآيات التوبة: [٤٦ ـ التوبة ٨٣ ـ النور ٦٠].

٢ـ هذا فهم العرب للغتهم، وبهذا أدركوا إعجاز القرآن، وهو يصور دخائل النفوس ويبرز حقائق القلوب، فأيقنوا أنه ليس من كلام البشر بل من كلام خالق البشر الذي يعلم ما خلق، جل شأنه.

وعلى هذا فهم العرب هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر عندما قال له:

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا   واقعـد فإنـك أنـت الطـاعم الكـاسي

أي: أنه عاجز عن الخروج لنيل المكارم، وهو من القواعد في البيوت اللاتي يقدم لهن الطعام والكساء.

لذلك قال حسان بن ثابت عندما سئل عن هذا البيت: هل يجد فيه هجاءً قال: لم يهجه فقط بل سلح ـ أي: بال ـ عليه .



﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال الإفراد ثم الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً أن ﴿مَّن﴾ في سنن العربية يُبدأ معها بالإفراد الذي يعود على لفظ (مَن)، ثم يُؤتى بالذي يفسّر المعنى ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة:٤٩] فبدأ بمفرد ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ [التوبة:٤٩] ثم جاء بالجمع ﴿سَقَطُوا۟﴾ .

و ﴿مَن﴾ تأتي للمفرد والجمع والمثنى والمذكر والمؤنث، وتأتي أولاً بصيغة المفرد ثم يأتي بعدها بما يخصص المعنى، وهذا هو الأكثر في القرآن إلا إذا اقتضى السياق والبيان أنْ يخصص ابتداءً كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾ ما كلمات منظومة الجدار والحائط ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.



﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (الكَره) بفتح الكاف و(الكُره) بضمها؟

الجواب:

(الكَره) بفتح الكاف هو ما يأتي من الخارج، ويقابله (الطوع) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة:٥٣]. وكما في آية [النساء ١٩ـ فصلت ١١].

أما (الكُره) بضم الكاف فهو ما ينبعث من الداخل، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦] فجاءت كلمة الكُره؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يكره القتال، وكذلك في آية الأحقاف ١٥ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴿١٥﴾﴾ لأنّ الحمل وآلام الولادة أمر ثقيل على النفس .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النساء:١٣٦] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) فى آية سورة التوبة ٥٤﴿بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ في قضية الإيمان نحو الآيات: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨] ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله) ؛ لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر، نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦] ﴿ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤]، وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠ـ٨٤] فهذا يشيرإلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع، وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد، لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين في سورة التوبة ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥] والآية ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة:٨٥] ؟

الجواب:

هناك أربع اختلافات بين الآيتين. والسياق يبين لنا كثيراً من الإجابات عن الأسئلة.

ولننظر إلى الجدول التالي:

الآية ٥٥	الآية ٨٥
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾	﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ﴾
﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ﴾	﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ﴾
﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾	﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾
﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾

البيان:

قبل البدء بالجواب ومن قراءة الآيات في سورة التوبة نجد أن سياق الآية ٥٥ هو في الإنفاق والخطاب للرسول ﷺ. انظر الآيات: [٥٣ـ٥٤ـ ٥٧ـ ٥٨ـ ٦٠]، وفيها الكثير من التفصيل.

بينما سياق الآية ٨٥ هو في الجهاد والقتال: انظر الآيات[٨٣ـ ٨٤ ـ٨٦ـ٨٧ـ٨٨].

١ـ بدأت الآية الأولى بالفاء والثانية بالواو؛ لأنّ الآية الثانية معطوفة على ما قبلها، فسياق الآيات السابقة يقتضي العطف، أمّا الآية الأولى فالفاء للاستئناف وليس هناك عطف، وقد تأتي الفاء للاستئناف أو التفريع.

٢ـ ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٥] و ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٨٥].

أ ـ الآية الأولى ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٥] هي في سياق الأموال والأولاد، والخطاب عن المنافقين تحديداً ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٣-٥٤-٥٥] وقال بعدها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة:٥٨] إذن هي في سياق الأموال.

ب ـ أما الآية الثانية فالسياق مختلف، فهي في سياق القتال والجهاد: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ

أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة:٨٣-٨٤-٨٥].

فلمّا كان السياق في الأموال جاء بـ﴿ وَلَا﴾ زيادة في التوكيد؛ لأنه في سياق الأموال، أمّا الثانية فليست في سياق الإنفاق، فقال: ﴿أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ .

٣ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ [التوبة:٥٥] و ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾ [التوبة:٨٥].

أ ـ جاء بـ (اللام) للزيادة في التوكيد، حيث: (أريد لأفعل) أقوى من (أريد أنْ أفعل)، وهذه اللام عند النحاة لأحد أمرين: إمّا أن تكون مزيدة لغرض التوكيد أوتكون للتعليل، وحيث إنّ (أراد) فعل متعدٍ فهنا دخلت اللام في مفعوله، والأصل: أن يعذبهم، فجاء باللام للزيادة في التوكيد لزيادة العذاب.

إذن لّما كان في مقام الإنفاق والأموال قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ [التوبة:٥٥] ﴿بِهَا﴾ أي: بالأموال، واللام في مفعول الإرادة تأتي للتوكيد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣] .

ب ـ واللام زائدة في فعل الإرادة؛ لأنّ (أراد) فعل يتعدّى بنفسه فيؤتى باللام الزائدة للتوكيد، أو تكون للتعليل، وهي على أي قولٍ هي للتوكيد (علّل الإرادة في الآية الأولى أو أكدّ الإرادة في الآية الأولى). فلمّا كانوا متعلقين بالمال تعلّقاً شديداً أكّد باللام ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ فكان التعذيب أشدّ.

٤ـ قال في الأولى: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المال هو عصب الحياة ومبعث الرفاهية والحياة والسعادة، فلمّا كان في سياق الأموال قال: الحياة الدنيا .

أما الثانية ففي سياق الجهاد، والجهاد مظنة الموت والقتال فلم يقل الحياة، وإنما هي فَقدُ الحياة، فالقتال مظنة فَقدِ الحياة. والمال هو للحياة، والجهاد والقتال مظنة فقد الحياة، فلم يقل: الحياة الدنيا وإنما قال: الدنيا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فكل تعبير كان في مكانه، وكل آية تؤخذ في سياقها، وكل كلمة موضوعة في مكانها، وكل كلمة عاشقة لمكانها في القرآن الكريم.



﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (مدخَل ومُدَّخَل) ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء:٨٠] و ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [التوبة:٥٧] ؟

الجواب:

١ـ عندنا: (مَدخَل ومُدخَل ومُدّخل).

أ ـ (مَدخَل): من دخل يدخل هو مَدخَل، اسم مكان مثل: خرج يخرج مخرجاً.

ب ـ (مُدخَل): من أدخَل (الرباعي) وهو اسم مكان ومصدر ميمي واسم زمان، لكن (مَدخل) من الفعل الثلاثي و(مُدخل) من الرباعي.

ج ـ (مُدّخل): من ادّخل، أي: للمبالغة، لا يستطيع الدخول إلا إذا اجتهد في الدخول؛ ولذلك قال تعالى عن المنافقين: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ دخلوا فيه بقوة، وهم يريدون أنْ يهربوا فقط. وأحياناً يقولون: هو كنفق اليربوع يدخل فيه، هذا هو المُدّخل.

٢ـ الكلمات الثلاث: اسم مكان، ومصدر ميمي، واسم زمان، لكنّ الفرق في الاشتقاق، فواحدة من الثلاثي (مَدخَل) والثانية من الرباعي (مُدخَل) والثالثة من الخماسي (مُدّخل).

٣ـ مَدخَل ومُدخَل ليستا على دلالة واحدة، دخل الشخص هو يدخل، أدخل أي يُدخله شخص آخر، كما في الآية: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء:٨٠] هو لا يدخل من تلقاء نفسه، أمّا (مُدّخل) فشيء آخر أدخله مُدّخلاً في قوة وشدة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين مغارة وغار ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ و ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة:٤٠] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٠.

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما تفسير ملك اليمين ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾؟ وهل هي من مصارف الزكاة؟

الجواب:

١ـ الزكاة لها مصارف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

والصدقات تعني الزكاة، ولها ثمانية مصارف.

٢ـ قوله تعالى في الآية: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ هو في إعتاق العبيد، والرقبة تستعمل إشارة إلى هؤلاء العبيد، وللإسلام أربعة أبواب في ذلك:

أ ـ الدولة: عندما تجمع أموال الزكاة وعندها ثمانية مصارف تصرفها، وتنظر من يريد أنْ يتحرر ولا يملك فتدفع له.

ب ـ المكاتبة: وهذا باب واسع فتحته الشريعة الإسلامية لتخليص هؤلاء.

ج ـ الكفّارات: وهذا هو الباب الثالث، كما في الآيات: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ

وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء:٩٢] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:٨٩] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [المجادلة:٣].

د ـ الباب الرابع هو التطوع، وهذا التطوع باب لا ينتهي، كما في الآيات: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد:١٢-١٣].

وهذا التحبيب جاء في القرآن، وفي الأحاديث هناك أحاديث كثيرة تتحدث عن إعتاق الرقاب .

فإذن الإسلام خطا خطوات بعيدة المدى لإذابة وإنهاء الرِقّ، حيث كان نظاماً عالمياً، والآن انتهى هذا الأمر وقررت الأمم المتحدة إنهاء الرِقّ، والإسلام ليس عنده مشكلة في هذا.

ولا يوجد الآن ملك اليمين؛ لأنه من أين تأتي به؟ الآية كانت خاصة بظروفها إلى عهد قريب، أمّا الخادمات الآن فهم أحرار يعملون بمرتّب ولا يجوز معاشرتهن معاشرة المرأة إلا أن يعقد عليها، فملك اليمين لم يعد موجوداً الآن، ولو دخلت دولة مسلمة الحرب مع دولة كافرة قد يكون هناك أسرى بيننا وبينهم، وهم لا يسترقون أسرانا ولا

يجوزلنا أن نسترق أسراهم؛ لأنها بالأصل هي مقابلة بالمثل، فإذا أنتم لم تفعلوا هذا، فنحن لسنا مستعدين لفعلها.



﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ؟

الجواب:

قال المنافقون عن رسول الله ﷺ أنه ﴿أُذُنٌ﴾، فقال الله عنه: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ وهو خير يعود نفعه على البشرية، ولكن ليس بالمعنى الذي تعيبونه عليه، فهو قد يسمع إساءاتكم، ثم يسمع اعتذاركم فلا يؤذيكم ويعفو عنكم.

وقول المنافقين عنه معناه أنّ رسول الله ﷺ يصدّق كل ما يسمعه ولا يحتاط تجاه من يبلّغه، فردّ الله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ﴾، و رَدُ الله لم يكن موافقاً لما قالوه؛ لأن (أُذُنُ) عندهم غير (أذن) التي أقرها الله سبحانه.

ولكن لماذا لم يقل الحق: أُذن خير للمؤمنين، وقال: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ؟

والجواب أنّ خيرية الرسول الله ﷺ قد شملت الجميع وتعدت المؤمنين إلى المنافقين والكفار، فكان رسول الله ﷺ لا يفضح منافقاً إلا إذا فضح الله المنافق بقرآن نزل من السماء.

أمّا الكفار فقد شملتهم الخيرية؛ لأنّ دعوته ﷺ لهم إلى الإسلام جعلت عدداً منهم يسلمون فأصابهم بذلك خير عميم، لذلك فخيره للبشرية كلها.



﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (يرضوه) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة التوبة: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ .

إرضاء الله تعالى ورسوله أمر واحد لا اختلاف بينهما، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]؛ لذا جاءت كلمة (يرضوه) بضمير الغائب المفرد وليس: يرضوهما.

والله ورسوله ليستا جهتين متباينتين، فمن أرضى الرسول ﷺ فقد أرضى الله سبحانه وتعالى، ومن أرضى الله تعالى فقد أرضى الرسول ﷺ. وقد قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ

﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء:٨٠] فهما ليستا جهتين كل واحدة تحتاج لإرضاء، بل هي جهة واحدة؛ لأنّ إرضاء الله تعالى من إرضاء الرسول ﷺ.

٢ـ لو قال: (يرضوهما) لدلّت على أنّ كل واحد له مطلب، وكل واحد يجب إرضاؤه وقد تتعارض الإرادتان، بينما هنا الجهتان واحدة، إذا أرضيت إحداهما فقد أرضيت الأخرى، فإذا أرضيت الرسول ﷺ فقد أرضيت الله تعالى، وإذا أرضيت الله هذا إرضاء للرسول ﷺ.



﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام المفرد مرة والجمع مرة أخرى في الآية ٢٣ من سورة الجن و ٦٣ من سورة التوبة؟

الجواب:

١ـ آية سورة الجن ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ [الجن:٢٣].

٢ـ (مَن) لها لفظ ومعنى ويُعبّر عنها بالواحد أو الجمع، يقال: جاء من حضر (اللفظ مفرد مذكر، وحقيقتها مفرد أو مثنى أو جمع).

٣ـ (من) في اللغة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وعادة نبدأ لفظها أولاً على حالة الإفراد والتذكير، ثم نحملها على معناها، وهذا هو الأفصح عند العرب، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ [الأحزاب:٣٠] ﴿۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ [الأحزاب:٣١] يأتي بالإفراد والتذكير أولاً ثم يؤتى بما يدل على المعنى من تأنيث أو جمع أو تثنية، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا . ..وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [البقرة:٨] وقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ﴾ [محمد:١٦] وقوله: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة:٤٩].

السؤال الثاني:

كيف يستخدم القرآن الكريم كلمة (خالداً) و (خالدين) مع أصحاب الجنة وأصحاب النار ؟

الجواب:

لقد جاء في القرآن الكريم استخدام (خالداً) بصيغة الإفراد مع أهل النار، كما في سورة النساء ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء:١٤] وفي سورة التوبة ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾ [التوبة:٦٣].

وجاءت في سورة الجن بصيغة الجمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الجن:٢٣]، وجاءت بصيغة التثنية في آية الحشر: ﴿خَٰلِدَيۡنِ فِيهَا﴾ [الحشر:١٧]

أمّا مع أهل الجنة فيقول دائماً (خالدين فيها) بالجمع، ولم تأت مطلقاً بالإفراد أو التثنية؛ لأنّ الله تعالى يمكن أن يُعذّب أهل النار بالنار وبالوحدة، لأنّ الوحدة هي بحد ذاتها عذاب أيضاً، بينما في الجنّة هناك اجتماع (خالدين، متكئين، ينظرون، يُسقون).



﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاء الفعل ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بالنصب في آية سورة هود ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود:٧] بينما جاءت بالضم في آية أخرى في سورة التوبة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ في الآية الأولى في سورة هود الفعل يُبنى على الفتح؛ لأنّ نون التوكيد باشرت الفعل المضارع؛ لأنه مُسند إلى اسم ظاهر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والفعل يُفرد مع الفاعل، وهذه قاعدة: إذا كان الفاعل ظاهراً فنأتي بالفعل في حالة الإفراد، ويُبنى على الفتح؛ لأنّ نون التوكيد باشرته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٤] ولا نقول: جاءوك الذين يؤمنون.

٢ـ أمّا في الآية الثانية فالفعل مُسند إلى واو الجماعة ولم تباشره نون التوكيد، وأصل الفعل إذا حذفنا نون التوكيد (يقولون).

ومثلها الآيات (٦١ و٦٣) في سورة العنكبوت والآية (٩ و٨٧) في الزخرف والآية (٣٨) في الزمر والآية (٦٥) من سورة التوبة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥].

وكذلك الآية (٨) من سورة هود ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود:٨]

٣ـ والفعل الثاني المُسند إلى واو الجماعة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ [التوبة:٦٥] مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو محذوفة لالتقاء الساكنين. وأصل الفعل (يقولون) مرفوع بثبوت النون، وعندما جاءت نون التوكيد الثقيلة يصبح عندنا ثلاث نونات، ويصبح هذا كثيراً، فيحذفون نون الرفع وتبقى نون التوكيد، واللام لام الفعل.

٤ـ في الآية الأولى اللام في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ واقعة في جواب القسم ﴿ وَلَئِن ﴾ حيث إنّ اللام موطّئة للقسم و(إن) شرطية، و(لئن) قسم. واللام في الإثبات لا بدّ أنْ تأتي في الجواب (حتى يكون الفعل مثبتاً)، فإذا قلنا: لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ فالجواب: (يقولون).

وفي جواب القسم إذا أجبنا القسم بفعل مضارع وكان الفعل مثبتاً فلا بدّ من أنْ نأتي باللام سواء معه نون أو لم يكن معه نون كأنْ نقول: والله لأذهب الآن، أو: والله لأذهبنّ، فلو حُذفت اللام فإنها تعني النفي قطعاً، فإذا قلنا: والله أذهب، معناها: لا

أذهب، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف:٨٥] بمعنى: لا تفتأ، فمتى أجبت القسم بالفعل المضارع، ولم تأت باللام فهو نفي قطعاً، وكما في هذه الأبيات:

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تُفسد الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ... ولا أشفي بها أبداً سقيما

وكذلك:

آليت حَبَّ العراق الدهر أطعمه ... والحَبُّ يأكله في القرية السوس

فالقاعدة تقول: إنّ اللام في جواب القسم دلالة على إثبات الفعل.

السؤال الثاني:

لماذا جاء جواب الشرط في قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ مرفوعاً؟

الجواب:

هذا ليس جواباً للشرط، وإنما هو واقع في جواب القسم. والقاعدة تقول: إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما، فإن تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر كأنْ نقول: أنت والله إنْ فعلت كذا.

وفي هذه الآية القسم سابق للشرط، فلا يمكن أنْ يكون (لا يخرجون) جواباً للشرط، وإنما هو جواب القسم، فلا بد من الرفع، وهو مرفوع بثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (ليقولن) جواب قسم، وليس جواب شرط. وكذلك الأمر في قوله تعالى في آية الحشر ١٢ ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ [الحشر:١٢].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب:

هنالك أمران في اللغة يُذكران في الاستعمال القرآني:

١ـ الأمر الأول: الاستهزاء، وهو عام سواء تستهزئ بالأشخاص وبغير الأشخاص.

* شواهد قرآنية:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] الصلاة ليست شخصاً، وإنما أقاويل وأفاعيل.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾ [البقرة:٢٣١].

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥]

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:٦٥] فالرسول شخص. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ﴾ [الجاثية:٩] هنا ليس شخصاً.

أمّا السخرية ففي الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص، كما في الآية: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨].

إذن الاستهزاء عام ومعنى الاستهزاء هو السخرية ، ويقولون هوالمزاح في خفية، وهو جانب من السخرية.

٢ـ والأمر الآخرهو أنّ السخرية لم ترد إلا من فعلٍ يفعله الشخص، أمّا الاستهزاء فقد يستهزأ به من غير فعل. فالسخرية أن تسخر منه وهو يفعل الفعل هذا ، و أمّا الاستهزاء فليس كذلك، فمثلاً مع نوح عليه السلام وهو يصنع الفلك، وهذا عمل ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨] **فهذا فعل، وهم سخروا من فعل يفعله.**

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩] فهذا فعل.

إذن صار عندنا أمران في الاستعمال القرآني: أنّ الاستهزاء عام للأشخاص وغير الأشخاص، وهو لا يستوجب وقوع فعل، بينما السخرية للأشخاص فقط وتقتضي فعلاً. إذن هنالك أمران متغايران.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين التعبيرين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ و ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ في وصف المنافقين والمؤمنين في سورة التوبة في الآيتين ٦٧ و٧١ وآية المائدة ٥١؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٥١.

السؤال الثاني:

ما صفات المنافقين والمنافقات وصفات المؤمنين والمؤمنات المذكورة في آيتي التوبة٦٧ و ٧١ ؟

الجواب:

في الآية ٦٧ ذكر الله سبحانه صفات المنافقين والمنافقات وقيامهم بالأعمال الفاسدة والخبيثة، وفي الآية ٧١ ذكر صفات الخير وأعمال البر للمؤمنين والمؤمنات، وفيما يلي جدول بهذه الصفات:

رقم	صفات المنافقين	صفات المؤمنين
١	﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة:٧١]
٢	﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٧١]

٣	﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]
٤	﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة:٧١]
٥	﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:٧١]
الحكم	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧]	﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٧١]

١ـ قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: لا يتميز أحد من المنافقين والمنافقات عن الآخر في الخسة والقبح، سواء من الأتباع أو من الأسلاف.

وذكر الحق لفظة ﴿مِّنْ﴾ مع صفات المنافقين، بينما ذكر لفظة ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ مع صفات المؤمنين؛ ليدلّ على أنّ نفاق الأتباع متفرع من نفاق الأسلاف بسبب التقليد لأولئك الأكابر، وبسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة.

بينما الموافقة بين المؤمنين فإنما حصلت بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية، فتجمعهم هذه الأمور ويصبحون مجموعة متحابة قريبة من بعضها يوحّدها الإيمان والقيم والمنهج، والولاية ضد العداوة، والأصل في لفظ الولي هو القرب.

٢ـ ذكر الحق خمس صفات للمؤمن وذكر الصفات المقابلة للمنافق، وبيّن بعد ذلك وعده للمنافقين والمؤمنين كمقابلة أخرى، كما قابل بين صفات الفريقين.

٣ـ لمّا ذكر صفات المؤمنين وصفات المنافقين بيّن أنه كما وعد المنافقين نار جهنم فقد وعد المؤمنين الرحمة المستقبلة، وهي ثواب الآخرة، فأكّد فسق المنافقين بالصيغة الاسمية، وأكّد الرحمة للمؤمنين بحرف السين، ونظيره قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦] و ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضُّحى:٥] .

السؤال الثالث:

ما دلالة الآية ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ في آية التوبة ٦٧ ؟ وما معنى النسيان في آيات الأعراف ٥١ والسجدة ١٤؟

الجواب:

١ـ النسيان هو الغياب عن الذاكرة، وتأتي أيضاً بمعنى الترك والإهمال، ومن الخطأ أنْ نأخذ الكلمة على معنى واحد فقط وننسى باقي المعاني.

٢ـ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء، فلا يُنسب له النسيان كما قال تعالى :

﴿فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢]

٣ـ قوله تعالى في آية الأعراف ٥١ : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ هم لم يكونوا متذكرين للقاء ذاك اليوم، وإنما كانوا منكرين له ومهملين، فجاء نسيانهم بمعنى عدم الاكتراث.

فهناك مقابلة لفظية بين ﴿نَنسَاكُمْ﴾ ﴿نَسُوا﴾ ويسمى ذلك المشاكلة في اللفظ.

ويكون المعنى: أنّ الله لن يلقي لهم بالاً بنفس النمط الذي فعلوه من عدم اكتراثهم بيوم القيامة.

٤ـ قوله تعالى في آية التوبة ٦٧ : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ هو أيضاً من قبيل المشاكلة.

٥ـ قوله تعالى في آية السجدة ١٤ : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾

أي: أنتم ابتداءً أهملتم هذا اليوم ولم تلقوا له بالاً، واليوم تُنسون في نفس النمط، فلا يُلقى لكم بالاً.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين هذه الكلمات التالية (وعد ـ أوعد) و(يقبَل ويُتقبل) و(كُرهاً وكَرهاً) و (طوعاً وطائعاً) ؟

الجواب:

وعد وأوعد: (وعد) تأتي دائماً بالخير ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ [النور:٥٥] و(أوعد) تأتي بالشرّ.

يقبَل ويُتقبل: (يقبل) من الرسول ﷺ، ومن العباد يقبل الصلاة والزكاة وهم في الدنيا، أمّا (يُتقبل) فهو من الله تعالى، يتقبل الأعمال أو لا، وهذا في الآخرة.

كُرهاً وكَرهاً: (كُرهاً) ـ بضم الكاف ـ هو العمل مع المشقة ، أمّا (كَرهاً) ـ بفتح الكاف ـ فتفيد العمل بالإجبار من آخر.

طوعاً وطائعاً: (طوعاً) تعني تلقائياً من النفس، و(طائعاً) تعني طائعاً لإرادة الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله، وما أسند الوعد فيه إلى الرحمن ؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي: (وَعَد) إلى (الله) لم يُذكر فيها اسم الرحمن وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن، كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل: (وَعَدَ) إلى (الرحمن) تكرر اسم الرحمن في السورة، كما في سورتي يس ومريم، فقد تكرر اسم الرحمن في يس ٤ مرات وفي مريم ١١ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو مخصص للمؤمنين أو للكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ و ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ فهو وعد.

وأما ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن، فهو وعد عام يشمل عموم العباد، وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ [مريم:٦١] فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق، مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً.والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة الوعد في الآية ؟ وما الفرق بين الوعد والوعيد ؟

الجواب:

الوعد: بشارة بخير يأتي زمانه بعد الكلام، والوعيد: إنذار بسوء يأتي زمانه بعد الكلام.

١ـ جاء الأسلوب القرآني مخالفاً للعرف البشري، فجاء بكلمة (وَعَدَ)، وهي تقال دائماً للخير في حديثه سبحانه وتعالى عن المنافقين والكفار، مع أنّ الشائع لغوياً (أوعد).

واستخدم كلمة (وَعَدَ) بالنسبة للمؤمنين والمؤمنات موافقاً للمنطق البشري واللغوي؛ لأنه وعد بخير.

والسبب - والله أعلم-: أنّ الحق بعد أنْ عرّف المنافقين والمنافقات ثم تكلّم عن جزائهم إنْ أصروا على نفاقهم ،كان ذلك تحذيراً لهم حتى لا يصرّوا على النفاق مخافة العذاب الذي ينتظرهم، علّهم يقلعون عن النفاق وينصرفون إلى الخير من الإيمان.

أي أنّ الحق حين حذّرهم بالوعيد نصحهم، كما تقول لمن يهمل في دروسه: سترسب إذا أهملت دروسك، فتكون بذلك قد خدمت إقباله على المذاكرة وأوصلته بالوعيد إلى أنْ يتجنب الأمر الذي أوعد به.

لذلك حين يحذر الله المنافقين والمنافقات بالمصير الذي ينتظرهم يكون هذا خيراً ونعمة؛ لأنهم إنْ اتعظوا وأقلعوا عن النفاق إلى الإيمان فهم ينجون أنفسهم من عذاب النار، وفي هذا خير عميم.

٢ـ ولذلك استخدم الحق كلمة ﴿وَعَدَ﴾ ولم يستخدم: أوعد، وتكون الكلمة مؤدية للمعنى الذي أراده الله.

كما يمكن أنْ يكون ذلك أسلوباً من التهكم؛ لأنّ المنافقين والمنافقات يبطنون ما لا يُظهرون، فهم يبطنون الكفر ويُظهرون الإيمان ويحسبون أنهم على خير، فكأنّ القرآن استخدم كلمة ﴿وَعَدَ﴾ كنوع من المشاكلة والمشابهة ، فوعدهم بالعذاب بدل: أوعدهم

بالعذاب، وهما معنيان معكوسان متناقضان: (وعد) للخير، والعذاب شر كما هي حياتهم معكوسة متناقضة، فيبطنون ما لا يُظهرون. والله أعلم.

٣ـ على أنه إذا كان الوعد والوعيد من الحق سبحانه، فإنه مختلف مع منطق البشر؛ لأننا أهل أغيار، فقد أَعِدُ بخير ولا أستطيع تنفيذه، وقد أَعِدُ بعقاب ثم أضعف بسبب ظروف معينة.

أمّا الحق سبحانه فوعده ووعيده منه سبحانه، وهو القادر دائماً القوي دائماً الموجود دائماً صاحب الكلمة العليا، بحيث لا يوجد شيء يمكن أن يجعله لا يفي بوعده أو لا يُتم وعيده.



﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾، فلماذا استخدمت صيغة المفرد والجمع؟

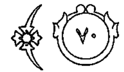
الجواب:

قال تعالى في سورة التوبة: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ

كَالَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾، ومعناها (خضتم) كخوضهم. وقد استخدمت صيغة الجمع ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾ والمفرد ﴿كَالَّذِي﴾ والجمع ثانية ﴿خَاضُوٓاْ﴾ والرأي السائد أنّ المعنى: خضتم كالذي خاضوه، أي: بالشيء الذي خاضوا فيه، و﴿كَالَّذِي﴾ عادت على الأمر المفرد، وليس على (خاضوا).



﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ



السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَتَتۡهُمۡ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

السؤال الثاني:

زاد في البقرة ٥٧ والأعراف١٦٠ والتوبة ٧٠ قوله تعالى ﴿كَانُوٓاْ﴾ بخلاف آية آل عمران١١٧، فما السبب؟

الجواب:

١ـ إنّ آيات البقرة والأعراف والتوبة في أقوام قد مضوا، وهم بنو إسرائيل وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات .

٢ـ أمّا آية آل عمران فهي ليست في أقوام ماضين، وإنما مثلٌ ضربه الله لكل عصر .

٣ـ لذلك نرى أنه عندما يتكلم الله سبحانه عن الحال يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: في الوقت الحالي وليس الزمن الماضي، كما في آية آل عمران ١١٧، حيث قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ فوصف حالة موجودة راهنة.

وكذلك عندما يتكلم عن قاعدة مطردة مطلقة، فهذا ليس ماضياً وإنما حال واستقبال، فيقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ كما في آية يونس ٤٤.

٤ـ وعندما يتكلم الله سبحانه عن الأقوام الماضية البائدة، يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كما في آية العنكبوت ٤٠.



﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين التعبيرين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ و ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في وصف المنافقين والمؤمنين في سورة التوبة في الآيات ٦٧ و ٧١ وآية المائدة ٥١؟

الجواب:

انظر آية التوبة ٦٧.



﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

السؤال الأول:

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن ؟

الجواب:

انظر آية التوبة ٦٨.

السؤال الثاني:

أكد بضمير الفصل في آية التوبة ٧٢، فقال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ دون آية التوبة ١٠٠، فما السبب؟

الجواب:

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ بقصد التوكيد والحصر.

وهنا أكّد بضمير الفصل في آية التوبة ٧٢ فقال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ دون آية التوبة ١٠٠، وذلك لجملة أسباب، منها:

١ـ ذكر في الآية ٧٢ زيادة على الجنات ما هو أكبر منها ألا وهو رضوان الله ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أكبر من الجنات وملذاتها ونعيمها، فلمّا زاد ذلك زاد في التوكيد .

٢ـ ذكر في الآية ٧٢ قوله:﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت، والتي هي آكد من الفعلية التي جاءت في الآية ١٠٠ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، فناسب كل ذلك توكيد الفوز وعظمه .

٣ـ زاد في الآية ٧٢ على الجنات ذكر المساكن الطيبة في جنات عدن، فقال: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ، فناسب ذلك أنْ يزيد في توكيد الفوز.

٤ـ قال في الآية ٧٢: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بزيادة ﴿مِن﴾ على الآية ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، و(من) هنا للابتداء، أي: أنّ الأنهار تتفجر من تحتها، وهذه الحالة أكمل من حالة ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فإنه ذكر أنّ الأنهار تجري تحتها وليس بدء الجريان منها، فناسب كل ذلك ضمير الفصل لتوكيد الفوز وعظمته.

وللعلم فإنه في القرآن الكريم حيث ذكر الجنات يقول: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بذكر ﴿مِن﴾ إلا في الآية ١٠٠ من سورة التوبة، وقيل سبب ذلك: أنه حيث ورد ذكر الجنات وردت ﴿مِن﴾ معها كان الكلام عاماً لعموم المؤمنين الذين فيهم الأنبياء والرسل وغيرهم، ففيهم من هو أعلى منزلة من المذكورين في الآية ١٠٠ التي هي مخصوصة بالسابقين الأولين، فناسب ذلك أنْ يزيد ﴿مِن﴾؛ لأنّ فيهم من هو أعلى منهم.

وجاء في كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي بخصوص هاتين الآيتين: أنّ (من) لابتداء الغاية، والأنهار أشرف جزء منها هي مباديها، والجنات التي مباديها الأنهار من تحت أشجارها أشرف من غيرها، فكل موضع ذكر فيه (من تحتها) إنما هو لأقوام عامة فيهم الأنبياء والرسل، والموضع الذي لم يذكر فيه (من) إنما هو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء، إذ لا موضع في القرآن ذكرت فيه الجنات وجري الأنهار تحتها إلا وقد دخلتها (من) سوى الموضع الذي لم ينطق ذكر الموعودين فيها على الأنبياء عليهم السلام .

علماً بأنه قد وردت الجملة ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ في حوالي ٣٤ موضعاً في القرآن الكريم في وصف الجنة ونعيمها موزعة على حوالي ٢٣ سورة. وكذلك الجملة القرآنية ﴿مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ في وصف الجنة في ثلاثة مواضع: [الأعراف ٤٣ ويونس ٩ والكهف ٣١].

كما أنّ هناك قراءة أخرى في الآية ١٠٠ (تجري من تحتها الأنهار) أي: مع صحابة رسول الله ﷺ فهناك (تجري تحتها الأنهار) و (تجري من تحتها الأنهار)، فجمع لهم صنفين من المياه (تحتها) و(من تحتها) وهي صورة خاصة بجنان صحابة الرسول ﷺ.

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ
إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن
فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿مَا قَالُوا۟﴾ ولِمَ لم تأتِ بصيغة (لم يقولوا)؟

الجواب:

(ما) في الغالب تقال للرد على قول في الأصل. تقول في الرد على دعوى: أنت قلت كذا؟ (ما قلت).

أمّا (لمْ أقل) فقد تكون من باب الإخبار، فليست بالضرورة أنْ تكون رداً على قائل، لذلك النحاة قالوا: (لم يفعل) هي نفي لـ(فعل)، بينما: (ما فعل) هي نفي لـ (لقد فعل) و(ما حضر) نفي لـ(قد حضر)، كما في الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ .

وكذلك (ما فعل) يقترن بها (لقد فعل)، وأمّا (لم يفعل) فيقترن بها (هو فعل).

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ ما الفرق بين النقمة والانتقام ؟

الجواب:

١ـ النِقمة: مصدر للفعل الثلاثي (نَقَمَ) وتصريفاتها مسندة إلى غير الله تعالى كالكفار مثلاً، وهي تعبر عن مرض نفسي خبيث يدل على الحقد والبغض.

ويخبرنا التاريخ أنّ الكفار عندما يواجهون المؤمنين يُلغون القوانين والأنظمة والمبادىء والأعراف والتشريعات التي كانوا يتبجحون بها ويقاتلونهم بنقمة وبقلب أسود حسود.

٢ـ الانتقام: مصدر الفعل الخماسي (انتقم)، وهو عقوبة من الله للكفار نتيجة ذنوبهم وكفرهم وانحرافهم.

السؤال الثالث:

عبر في آية آل عمران ٨٦ بالإيمان ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ وفي آية التوبة ٧٤ بالإسلام ﴿بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

هو لاختلاف حال من عني بهما. انظر الجواب في آية آل عمران ٨٦.

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ؟ وما دلالة (سبعين) في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٥.



﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ في أربع آيات في القرآن الكريم، واحدة منها في آية التوبة (٨١)، وثلاث أخرى في سورة الفتح في الآيات [١١ـ١٥ـ١٦] فما دلالة ذلك ؟ ولماذا سماهم الله عز وجل (المخلفينَ) ولم يطلق عليهم مثلاً (المتخلِّفين) ؟

الجواب:

لغة: (المخلفون) جمع مخلَّف ـ بفتح اللام ـ وهي اسم مفعول للفعل ـ خلّف ـ بتشديد اللام، ومعناه: ترك وراءه، أي: أنّ المخلّف هو المتروك وراء القوم بإرادة القوم واختيارهم .

لكنّ المذكورين في الآيات بوصف (المخلفين) هم الذين تخلفوا وراء القوم في غزوة الحديبية ثم في غزوة تبوك ولم يخلفهم المسلمون وراءهم، بل هم الذين تخلفوا وراء المسلمين ولم يخرجوا معهم حيث أقعدهم نفاقهم وجبنهم باعتقادهم أنّ النبي ﷺ إنما خرج لحتفه، وأنه لن يعود إلى المدينة أبداً، وأنه سيهلك لا محالة؛ ولذلك تخلفوا عنه.

فلماذا سماهم الله عز وجل (المخلّفين) ولم يطلق عليهم مثلاً (المتخلفين)؟

والجواب: أنّ الجيش المسلم لا ينتصر إلا إذا كان الجميع على قلب رجل واحد، مؤمنين متوكلين على الله، وليس الجيش المسلم بحاجة إلى أنْ يكون ضمن صفوفه بعض الجبناء والمنافقين والمثبطين والمعوقين الذين يفرون وقت الشدة، أو يعودون من بعض الطريق، أو لا يخرجون منذ البداية، فهؤلاء عبء على الجيش المسلم وخاصة في الأوقات العصيبة، ولو خرجوا معهم ما زادوهم إلا خبالاً، ولذلك يتمنى المسلمون الصادقون أنْ يبتعد هؤلاء عنهم ليجنبوهم هذه الشرور.

فكأنّ المسلمين هم الذين خلّفوهم وراءهم وهم الذين نبذوهم من البداية، ولبيان هذا وصفتهم الآيات بصفة المخلَّفين ولم تصفهم بوصف (المتخلفين)؛ حتى تكون الكلمة دالة على جبنهم ونذالتهم ونفاقهم. والله أعلم.

﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الضحك: هو انفعال غريزي فطري يحدث للإنسان عندما يقابل شيئاً يسره.

٢ـ البكاء: هو انفعال غريزي فطري يحدث للإنسان عندما يقابل شيئاً يحزنه.

٣ـ أسندهما الله إلى نفسه، فهو سبحانه وحده الذي يُبكي وهو سبحانه وحده الذي يُضحك، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم:٤٣-٤٤].

أمّا التضاحك أو التباكي فهو نوع من الافتعال، وأمّا الضحك والبكاء الحقيقي فأمران بالفطرة يملكهما الله وحده سبحانه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ هو أمر بالضحك والبكاء؛ لأنّ الكفار يضحكون قليلاً في هذه الدنيا مهما طالت أعمارهم، لكنهم سيبكون كثيراً وطويلاً في الآخرة التي فيها الخلود في العذاب.

فالذي يفرح حالياً بترك الصلاة أو الزكاة ويعتقد أنه قد غنم في الدنيا فلا بدّ أنْ يندم ويبكي كثيراً عند عذاب الآخرة الخالد.

وكما ضحك الكفار من المؤمنين في الدنيا، سيضحك المؤمنون من الكفار في الآخرة .

٥ـ لم يقل الحق (سيضحكون) ككلام خبري يجوز أنْ يحدث أو لا يحدث، بل جاء مؤكداً .

٦ـ وقد أعطانا الله السبب في أنّ ضحكهم سيكون قليلاً وبكاءهم كثيراً بقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ فهذا جزاء ما فعلوه في الدنيا.

٧ـ حذف الموصوف في الآية للإطلاق. وبدل أنْ يقول:

[فليضحكوا زمناً قليلاً + فليضحكوا ضحكاً قليلاً + وليبكوا زمناً كثيراً + وليبكوا بكاء كثيراً] قال: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ ولو لم يحذف لأفاد واحدة منها فقط حسب الذي ذكره.

لذلك لَمّا حذف الموصوف احتمل المعنيين في آن واحد.

٨ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ الكسب عمل طبيعي والاكتساب هو افتعال الكسب، والاكتساب الحرام فيه افتعال يتعب النفس ولا يجعلها منسجمة مع جوارحها، فالرجل مع زوجته في البيت مستقر الجوارح لا يخشى شيئاً، لكنه مع زوجة غيره يهيج جوارحه فيقفل النوافذ ويُطفىء الأنوار وإنْ دقّ جرس الباب يصاب بالهلع والذعر؛ لأنّ ملكات النفس ليست منسجمة مع العمل.

أمّا إذا اعتادت النفس الإثم مثل من اعتاد الإجرام فلا يهيجها الحرام. وفي هذه الحالة تنقلب عملية الاكتساب إلى كسب، وتعتاد النفس على المعصية وعلى الإثم ويصبح جزاؤها عند الله أليماً وعذابها عظيماً.

فقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ بدل (يكتسبون) يفيد أنّ هؤلاء المنافقين قد اعتادوا المعصية وعاشوا في الكفر فأصبحت العملية سهلة بالنسبة لهم، ولا تحتاج إلى أي افتعال.



﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٦.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ ما دلالة الفعل: رجع ؟ وما الفرق بين الرد والرجع ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الفسق والكفر والظلم)؟

الجواب:

١ـ الفسق: الخروج عن الطاعة من: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، ويمتد من أيسر الخروج إلى الكفر وكله يسمى فاسقاً. فالذي يخرج عن الطاعة وإنْ كان قليلاً يسمى فاسقاً، والكافر يسمى فاسقاً أيضاً، وقال ربنا عن إبليس: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠] ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة:٨٤] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

والكفر سماه فسوقاً، والنفاق سماه فسوقاً ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة:١٨] فإذن الفسق ممتد، وهو الخروج عن الطاعة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] الفسوق هنا ليس كفراً، وكيف يكون كفراً وهو في الحج؟ فالفاسق ليس بالضرورة كافراً، فقد يصل إلى الكفر وقد لا يصل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجُرات:١١] ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] هذا ليس كفراً، بينما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ﴾ [الكهف:٥٠] أي: خرج عن أمر ربه فوصل إلى الكفر، ولهذا وصف إبليس بالفسق.

وليس كل فاسق كافراً، لكن كل كافر فاسق قطعاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

٢ـ الكفر: فهو الخروج عن المِلّة، والكفر أصله اللغوي الستر وتستعار الدلالة اللغوية للدلالة الشرعية.

٣ـ الظلم: هو مجاوزة الحد عموماً، وقد يصل إلى الكفر ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤] وقد لا يصل.

السؤال الثاني:

وردت كلمة أجداث في القرآن ثلاث مرات، والقبور ثماني مرات، فما الفرق بين الجدث والقبر؟

الجواب:

١ـ عندما نأتي إلى معجمات اللغة نجد فيها أنّ الجدث هو القبر فالأجداث هي القبور. لكنّ السؤال: لماذا استعمل القرآن الأجداث هنا ولم يستعمل القبور؟

صحيح أنّ الأجداث هي القبور، لكن نريد أن نعرف حقيقة هل كان بإمكان القرآن أنْ يقول: (يخرجون من القبور) بدل ما يقولون:(من الأجداث) ؟

٢ـ علماء اللغة يقولون: القبر عام عند العرب، وهي كلمة تستعملها قبائل اليمن وقبائل الشام.

أمّا الجدث فالأصل فيه أنه لهذيل، وهذيل قبيلة في وسط الجزيرة، أي: من القبائل التي أخِذت منها العربية وتميم أيضاً في وسط الجزيرة، والهُذلي يقول جدث بالثاء، وقريش أخذت من هذيل وصارت تستعملها ونزل القرآن بها.

٣ـ هؤلاء الذين في وسط الصحراء أرضهم رملية فتخيل عندما ينشق القبر تتشقق هذه القبور وكلها رمال ماذا سيكون؟ سيكون نوع من طيران الرمال في الجو لتشققها، وهذا يتناسب مع صوت الثاء بما فيه من نفث، وعندما نقول: (جدث وأجداث) الثاء فيها نفخ، بخلاف (قبر وقبور) ففيها شدّة، لكن ليس فيها هذه الضوضاء .

٤ـ ولذلك لم يستعمل القرآن الأجداث إلا في بيان مشاهد يوم القيامة، بينما كلمتا (قبر وقبور) استعملت في الدنيا والآخرة ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار:٤] وبدون أنْ يصور لنا الصورة.

٥ـ هناك ثلاث آيات في ثلاثة مواضع، وكلها في الكلام عن النشور يوم القيامة وعن الخروج من القبور أو من الأجداث:

– الآية الأولى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس:٥١] وتعني جماعات جماعات ينسلون يتجهون و يسرعون في الخروج.

- الآية الثانية: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر:٧]: أيضاً يوم القيامة وأيضاً فيه هذا الانتشار وسرعة الحركة للجراد كأنهم جراد منتشر.

- الآية الثالثة: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ [المعارج:٤٣]: وهذا كله في مشهد يوم القيامة في الحركة والانتفاض.

٦ـ لم تستعمل إلا كلمة (جدث) ،وما استعمل أي اشتقاق من اشتقاقاتها، استعمل فقط (أجداث) في صور مشاهد يوم القيامة.

٧ـ بينما كلمة (قبر) ولأنها عامة استعمل منها الفعل ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ [عبس:٢١] واستعمل المفرد ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة:٨٤] واستعمل الجمع ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:٤] هذا في الدنيا، والمقابر في الدنيا.



﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٨٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين في سورة التوبة ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ والآية ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٨٥﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة (٥٥).

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي (قعود) و (قاعدون) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٦ .

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿ وَإِذَآ ﴾ في الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٣.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ ما الفرق بين (الإحسان والفضل والطول)؟

الجواب:

١ـ الإحسان: قد يكون واجباً وغير واجب، و(الفضل) لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يُتفضّل به من غير سبب يوجبه، والإحسان متضمن بالحمد.

٢ـ الإنعام: يكون من المنعم على غيره، وهو متضمن الشكر الذي يجب وجوب الدَّين، والنعمة متضمنة بالشكر.

٣ـ الطول: هو ما يستطيل به الإنسان على من يقصده، والطَّول بالفتح هو المنّ والتفضل.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾ أي: من معه فضل يستطيل به على عشيرته.



﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

في آية سورة التوبة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ما دلالة (الباء)؟

الجواب:

الأصل أن يتعدى فعل (رضي) بالباء نحو: رضيت بهذا، رضيت بالله رباً. والأصل (رضي به)، ويجوز نزعه من باب الجواز النحوي، ويمكن أنْ نقول: يبشرهم أنّ لهم جنات، أو بأنّ لهم جنات.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الخوالف جمع (خالفة)، نحو: فارسة وفوارس، وأمّا خالف، فجمعها: خالفون.

وكلمة (خالفة) تطلق على النساء، وهم قد ارتضوا القعود والسكون، وقعود المنافقين وتخلفهم واستئذانهم أنْ يبقوا مع النساء والعجزة والمرضى والصبية هو حطٌّ من شأنهم.

٢ـ كلمة (خالفون) جمع مذكر سالم، ويفيد جمع الصفة، بينما (الخوالف) جمع تكسير الذي يُراد به الذات أو الأشخاص، وهو المقصود في الآية.

راجع بحث كلمة (كوافر) في سورة الممتحنة آية ١٠؛ وذلك للحصول على مزيد من المعلومات في هذا الأمر.

٣ـ وما دام الكافر قد أعجبه كفر قلبه، فالحق يختم على قلبه بحيث لا يخرج ما فيه من كفر ولا يدخل إلى قلبه ما هو خارجه من إيمان، تماماً كما تختم الشيء بالشمع الأحمر.

٤ـ قال: ﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ولم يقل: في الخوالف؛ لأنّ (في) تفيد الاشتراك بأمر، وهم فئة وحدهم في المجتمع لا يشتركون مع غيرهم في هذا الأمر.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفهمون ما حُرموا من ثواب ونعيم؛ لأنهم قد فرحوا بتخلفهم عن الجهاد، وهم يحسبون أن هذا خير لهم، ولكنه شر لهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية:﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لماذا جاءت بصيغة المبني للمجهول ؟ بينما جاءت بصيغة المبني للمعلوم في آية التوبة ٩٣ فقال: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

إنّ إسناد الطبع إلى الله أشد تمكناً في القلب من بنائه للمجهول، فما أُسند إليه صراحةً يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه، فعلى هذا فالله تعالى يُسند الطبع إليه في مواطن المبالغة والتأكيد ويبنيه للمجهول فيما هو أقل من ذلك، وهذا الأمر واضح في الآيتين ٨٧ و ٩٣ من سورة التوبة.

وبالنظر في السياقين يتضح ذلك:

قال تعالى في سياق الآية الأولى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ .

وقال في سياق الآية الثانية: ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ .

فأنت ترى أنّ الآخرين أشد ضلالاً وكفراً من الأولين، ويدلك على ذلك ما ذكره من صفاتهم وأحوالهم، فإنه لم يذكر في الأولين سوى أنهم يستأذنون الرسول إذا أُنزلت سورةٌ تأمر بالإيمان والجهاد وأنهم يقولون: ﴿ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وعقّب على ذلك بقوله: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ في حين ذكر من صفات الآخرين ما يدل على شدة كفرهم وضلالهم وغضب الله عليهم ما لم يذكره في الأولين .

١ـ فقد طلب الله ردّ اعتذارهم إذا اعتذروا ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾ .

٢ـ طلب أنْ يُخبروهم بعدَم تصديقهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾.

٣ـ وأن يُخبروهم بأنّ الله نبّأ المؤمنين بأخبارهم وأحوالهم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ .

٤ـ طلب من المؤمنين أنْ يعرضوا عنهم ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ .

٥ـ ووصفهم بأنهم رجس ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة:٩٥].

٦ـ وذكر عاقبتهم وسوء مآلهم في الآخرة ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ .

٧ـ طلب من المؤمنين ضمناً أن لا يرضوا عنهم إذا ما حاولوا استرضاءهم ؛ لأنّ الله غير راضٍ عنهم ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ .

فناسب ذلك إسناد الطبع إلى الله؛ للدلالة على شدة تمكن الكفر في نفوسهم وقلوبهم، بخلاف الآية الأخرى.

ومما حسّن بناء الفعل للمجهول أيضاً في الآية الأولى ما قاله فيها: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ ببناء (أُنزل) للمجهول، فكما أنه لم يسند الإنزال إلى الله تعالى لم يسند الطبع إليه، فكان بناء الفعل للمجهول في الآية الأولى أنسب وبناؤه للمعلوم في الآية الثانية أنسب، والله أعلم.

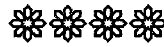
﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا رفعت كلمات (الراسخون- الله - الرسول- الظالمون) بعد كلمة ﴿لَـٰكِنِ﴾ في آيتي سورة النساء١٦٢-١٦٦ ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ﴾ وفي آية التوبة ٨٨ ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وآية مريم ٣٨ ﴿لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ ؟

الجواب:

(لكنّ) تنصب الاسم وترفع الخبر، أما (لكنْ) ساكنة النون فتهمل وجوباً؛ فيكون ما بعدها مرفوعاً.



﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟﴾ ما كلمات منظومة القعود ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٧٨.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ ما الفرق بين الضعفاء والضِّعاف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.



﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية التوبة ٨٧: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لِمَ جاءت بصيغة المبني للمجهول ؟ بينما جاءت بصيغة المبني للمعلوم في آية التوبة ٩٣ فقال: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٨٧.

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

زاد في آية التوبة (١٠٩) قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بخلاف الآية الأولى (٩٤)، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى ٩٤ في المنافقين، وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، ولا يطلع على ما في ضمائرهم إلا الله ثم رسوله بإطلاع الله إياه، ولا يعلم المؤمنون بهم إلا من أطلعه رسول الله ﷺ، فلم يقل (والمؤمنون)؛ لأنّ المؤمنين لا يرون أعمالهم، بخلاف الآية الأخرى فإنها في طاعات المؤمنين وصدقاتهم، وهي ظاهرة للجميع؛ ففرّق بين الجماعتين، انظر الآيات التوبة [١٠٣ـ١٠٥].

٢ـ من جهة أخرى ختم آية المنافقين بقوله ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ فقطعه عن الأول؛ لأنه وعيد، وختم آية المؤمنين ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾؛ لأنه وعد فبناه على قوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾.

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

الأعراب ذكرت في القرآن ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ فمن الأعراب؟

الجواب:

الأعراب هم سكان البادية، وأهل اللغة يفرّقون بين كلمتي العرب والأعراب، العرب سكان المدن، أي: الحضر، والأعراب سكان البادية.

أمّا لماذا هم أشد كفراً ونفاقاً؟ السبب أنّ توحشهم في البادية وقساوة قلوبهم حكَمَهم بهذا الوصف، ولا شك أنّ طبيعة نشأتهم تكون أقسى قلباً وأشد جفاء من سكان الحضر، مع أنّ قسماً من الأعراب أثنى عليهم ربهم؛ كما ذكر تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .



﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا استعملت (مِن) مع الجنات في القرآن كله ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ إلا في آية سورة التوبة ١٠٠ جاءت (جنات) بدون (مِن)؟

الجواب:

١ـ معنى ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ دلالة على أنّ بداية الجريان ليس من تحتها، وهي منزلة أقل؛ لأنّ هذه الآية جاءت في ذكر السابقين الأولين ولم يُذكر معهم الأنبياء أبداً، وقد جاءت على هذه الصيغة في آية واحدة فقط في القرآن كله، وهي هذه الآية في سورة التوبة.

أمّا في باقي الآيات التي وردت فيها ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فالمؤمنون ذُكروا مع الأنبياء، وهي دلالة على أنّ بداية الجريان من تحت هذه الجنات وهذه منزلة أكبر؛ لأنّ بين أهل هذه الجنات أنبياء الله تعالى، وهم الأعلى منزلة.

٢ـ هذه الآية في سورة التوبة فيها قراءة سبعية، أهل مكة كانوا يقرؤون: (تجري من تحتها الأنهار) يعني جبريل عليه السلام نزل ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا﴾ ونزل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لماذا بشكل خاص في هذا المكان؟ إنه نزل بلفظين .

٣ـ لذلك ﴿تَحۡتَهَا﴾ و ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ معناه أنّ هذه الجنات لصحابة رسول الله ﷺ، وهذه الجنات المياه التي فيها صنفان: مياه تتفجر من داخلها ومياه تأتيها من كل مكان. فلمّا تجتمع القراءتان معناه الجنان التي لأصحاب محمد ﷺ تختلف عن جنان سائر الناس، فسائر الناس تجري من تحتها الأنهار، تتفجر الأنهار وتمضي لكن أنْ تتفجر فيها وتأتيها من كل مكان، هذه الصورة خاصة بجنان صحابة رسول الله ﷺ.

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى
ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ كلمة (مَرَدَ) أي: تدرب وتمرن وأصبح الأمر عنده حرفة، والكلمة من (مرد يمرد مروداً وماردًا)، وهذه المادة تصف الشيء الناعم الأملس الذي لا تظهر فيه نتوءات، ومنه الشاب الأمرد، أي: الذي لم ينبت له شعر يخترق بشرته.

٢ـ المعنى العام للآية: أنكم مطوقون بالمنافقين في نفس المكان الذي تقيمون فيه وفيما حولكم، فالنفاق متفشٍّ في منطقتكم، منه ما تستطيعون معرفته بحركات المنافقين وسكناتهم ولحن قولهم، ومنه أمر دقيق لا تعلمونه، ولكنه سبحانه يعلمه، فاطمئنوا فسوف يفضحهم لكم .

وسترون فيهم العقوبات وهم سيعذبون مرتين في الدنيا: بفضح نفاقهم والمصائب التي ستأتيهم على شكل مغرمٍ فقط؛ لأنّ المؤمن حين يصاب إمّا أنْ يكفّر الله عنه ذنباً أو يرفعه درجة، ولكنّ المصائب للمنافق تأتي لإبادته، والمصاب هو من حُرم من الثواب .

٣ـ قوله تعالى: ﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ فهناك أنواع متعددة من العذاب: [أليم ـ عظيم ـ مهين ـ مقيم].

والعذاب العظيم يأتي إمّا بأسباب وإمّا بمسبب، وعذاب الدنيا يكون بأسباب، فقد يكون بالعصا أو الكرباج أو بالإهانة أو غيرها، أمّا عذاب الآخرة فهو بمسبب، وإن قِسْتَ عذاب الآخرة بالعذاب في الدنيا فمن المؤكد أنّ عذاب الآخرة عذاب عظيم .



﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٠٢ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا﴾ ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢ .



﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ؟ ولماذا لم يقل (من عباده)؟ والله سبحانه استعمل (من) في آية النساء ٩٢، واستعمل (عن) في آية الشورى ٢٥ والأحقاف ١٦ وآية التوبة ١٠٤ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ القبول هو أخذ الشيء برضى، أنت تعطي إنساناً شيئاً ما، فإذا قبِله معناه: أخذه وهو راضٍ، وهذا هو الشيء الطبيعي.

٢ـ التوبة هي الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، وكلُّ إنسان معرّض للخطأ وخير الخطائين التوابون، فيعود بسرعة، فالتوبة هي العودة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، والتوبة هي الكفّ عن المخالفة والعودة إلى الطاعة، لا أنْ يكون منغمساً في المخالفة ويقول: تبت يا رب، لكنْ ينبغي أنْ يكفّ أولاً ثم يعود إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

٣ـ استعمال (عن) بدل (من): إذا عدنا إلى جميع الآيات التي فيها كلمة التوبة، نجد أن كلمة (عن) تستعمل حينما يكون الكلام هو عودة إلى الله سبحانه وتعالى، والمتكلِم المباشر هو الله سبحانه وتعالى أو هو معلوم عن طريق الغيبة، وعندما يقول (هو) يعني الله سبحانه وتعالى، وعبّر عنها بصيغة الغيبة لرفع الشأن والمقام من حيث اللغة، أمّا المواطن الأخرى جميعاً فليس فيها هذه الظاهرة.

٤ـ ما الفرق بين ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ و (يقبل التوبة من عباده)؟

عندما نقول: (فلان كان يمشي بسيارته وخرج من الطريق السريع) معناه وجد منفذاً وخرج، وهذا المنفذ متصل بالطريق السريع. لكن لو قيل لك: (فلان بسيارته خرج عن الطريق السريع) معناه: انحرف كأنما انقلبت سيارته. هذه الصورة الآن نحن نفهمها بعد ألف عام فكيف كان العربي يفهم الفرق بين (من) و(عن)؟

العربي يستعمل (عن) لمجاوزة الشيء، و(من) لابتداء الغاية، كأنه ابتدأت غايته من الطريق.

مع (من) كأنه تبقى الصِلة فهناك شيء ولو صلة متخيلة، أمّا (عن) ففيها انقطاع ﴿يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] أي: لا تبقى لهم صلة. فما فائدة هذه القطيعة؟ القطيعة مقصودة مرادة.

والتوبة ترتقي إلى الله سبحانه وتعالى، ولو قيل في غير القرآن (يقبل التوبة من عباده) يكون كأنّ الإثم الذي تاب عنه يبقى متصلاً به، وهذه التوبة يتخيل معها الإنسان صورة مادية للصلة بالله سبحانه وتعالى، والصلة المادية بالله عز وجل منهيٌّ عنها لا ينبغي أن تتخيل ذلك (ليس كمثله شيء)، وكل ما خطر ببالك فالله عز وجل بخلاف ذلك.

فعندما تقول (من عباده) كأنه يبقى ذلك الخيط، لكنّ هذا ينبغي أنْ يُقطع كأنّ هذا الإثم انقطع عنك تماماً، والتوبة ترتفع إلى الله سبحانه وتعالى، أنت تبت وهي ارتفعت ولم تعد موصولة بك، ففيها صورة انقطاع من الإثم وانفصال.

وعلماؤنا يقولون: ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ يعني (من عباده) ويقولون: الحروف يستعمل بعضها مكان بعض، صحيح يستعمل بعضها مكان بعض لكن هناك غاية.

إذن ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ مقصودة، وكان يمكن أنْ يقول: (من عباده)، لكن المعنى يختلف، والصورة الذهنية ستختلف عند ذلك.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العفو فيه معنى الصفح وفيه معنى المحو، والعرب تقول: عفا عنه، أي: صفح عنه، كأنه مسح لأنّ أصل العفو هو المحو، ويقال: (عفت الريح الآثار أي: محت).

٦ـ كان يمكن أنْ يقول: ويعفو السيئات، أي: يمسحها، ويمكن أنْ يقول: (ويعفو سيئات) أو (ويعفو سيئاتهم) أو (ويعفو عن سيئاتهم) فلماذا جاءت بالألف واللام ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥] ولم تأت نكرة ولا جاءت مضافة؟ ولا جاءت من غير (عن)؟

يقال: (عفا عن أخيه) و(عفا عن ذنبه) والعرب تستعمل الاثنين معاً، عفا عن أخيه بمعنى صفح، وعفا عن ذنبه أيضاً بمعنى محا ذنبه، ويبقى فكرة الانفصال هذه، عفا عن السيئة بمعنى فصل السيئة عنه، أي: أبعدها عنه ومحاها.

٧ـ في الآية ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ الفعل (قبِل) استعمل باستعمالات متعددة في القرآن الكريم، بهذه الصور بعده حرف الجرّ:

أ ـ في القرآن استعمل في موضع (قبل له) واللام للملك.

ب ـ ومواضع أخرى متعددة استعمل (منه) .

ج ـ وثلاثة مواضع استعمل (عنه)، وهذه المواضع الثلاثة التي استعمل (عن) كلها يجمعها أنّ الكلام فيها من الله تعالى عن نفسه إمّا بصيغة الغائب أو المتكلم، أمّا المواطن الأخرى فتكون بالبناء للمجهول أو على لسان أحد من عباده. وهذه المواضع هي:

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف:١٦].

- ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤].

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى:٢٥].

هذه الآيات الثلاث فيها نسبة قبول التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، إمّا بالحديث مباشرة ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ [الأحقاف:١٦] أو على سبيل الغيبة، وهو سبحانه المتحدث، فقال: ﴿عَنۡ﴾ حتى تنفصل؛ لأنها تعود إلى الله تعالى مباشرة.

٨ـ الآيات الأخرى:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠] بناها للمجهول ولم يأت بحرف جرّ، ما قال: لم يقبل الله توبتهم؛ لأنهم لا يستحقون أن يذكر معهم اسم الله تعالى، هذه التوبة المذكورة في الآية: لا تقبل لا منهم ولا عنهم ولا لهم؛ لأنهم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً.

- ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥] الذي يصدر عنه أي دين لا يُقبل منه، يقال: إنه لا يوجد إنسان بلا دين حتى الملحد دينه الإلحاد؛ لأنّ الدين هو أن تدين بشيء. والإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، لكن مع مراعاة أنّ إسلام أي نبي هو لزمانه، فالنبي التابع الذي بعده ينبغي أنْ يتبعه أتباع النبي السابق، حتى يصل الأمر إلى خاتم الأنبياء ﷺ.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران:٩١] بناه للمجهول.

- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] بناه للمجهول.

- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة:٥٤] بناه للمجهول،

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٧].

- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم:٤٠].

٩- هذه الآيات كلها غير منسوبة لله تعالى بصراحة، فهي إمّا مبنية للمجهول أو من البشر.

- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥] ليس من كلام الله المباشر على لسان الباري سبحانه وتعالى، وإنما على لسان البشر.

- ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] هذا كلام على لسان ابن آدم.

- ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة:٥٣] بناء للمجهول.

لذلك فإن الآية عندنا: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة:١٠٤] هنا جاءت ﴿عَنْ﴾ [التوبة:١٠٤] لقطع الصلة المادية في ذهن الإنسان بينه وبين عمله، وربط التوبة مع الله سبحانه وتعالى. والله أعلم.

السؤال الثاني:

لماذا جاء في آية النساء ٩٢ بـ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بينما جاء ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ في آيتي التوبة ١٠٤، والشورى ٢٥ ؟

الجواب:

١ـ ذكر ﴿مِّنَ﴾ مع التوبة؛ ليبين الجهة التي تقبل التوبة، وهو الله تعالى، فقوله: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني أنّ التوبة قبلها الله، وهو يتوب على من يفعل ذلك.

٢ـ وأما ذكر ﴿عَنْ﴾ في قوله: ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ فهو ليُبين طالب التوبة وهم العباد، أي: أنه يقبل التوبة التي تصدر عن عباده طالبين لها.

كما أن التعدية بـ﴿عَنْ﴾ تتضمن معنى التجاوز والعفو، أي: متجاوزاً عن ذنوبهم التي تابوا عنها.

اللهم تبْ علينا وتجاوز عن سيئاتنا يا كريم يا حسن التجاوز، اللهم آمين.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

زاد في آية التوبة ١٠٩ قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بخلاف الآية الأولى ٩٤، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٩٤.



﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ اعلم أنّ الله سبحانه قسّم المتخلفين عن الجهاد إلى ثلاثة أقسام هي:

أـ المنافقون الذين مردوا على النفاق، انظر: [التوبة ١٠١].

ب ـ التائبون، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢].

ج ـ الذين بقوا موقوفين في الآية ١٠٦ ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾

٢ـ لقائل أنْ يقول: إنّ كلمة (إمّا و إمّا) في الآية تفيد الشك، والله منزه عنه، فكيف ذلك ؟

وجوابه: أنّ المراد منه هو أنّ أمْرَهم هو على الخوف والرجاء، فقوم يقولون: هلكوا إذا لم ينزل الله بهم عذراً، وآخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم.

ولا شك أن أصحاب هذا القسم الثالث كانوا نادمين على تأخرهم عن الغزو وتخلفهم عن الرسول ﷺ.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ لم يحكم الله بكونهم تائبين، وذلك يدل على أنّ الندم وحده لا يكون كافياً في صحة التوبة فلعلهم خافوا من الخجل والفضيحة فقط دون الندم على المعصية.

وقد استمر عدم قبول التوبة إلى أن سهّل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم، فعند ذلك ندموا على المعصية، وعند ذلك صحّت توبتهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: عليم بما في قلوب هؤلاء المؤمنين، حكيم فيما يحكم فيهم ويقضي عليهم.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ



السؤال الأول:

ما الفرق بين (المُطَّهِّرين و المُطَهَّرين)؟

الجواب:

المُطَّهَرُ: اسم مفعول، وهي تعني (مُطهَّر) من قِبَل الله تعالى، وبالنسبة للمسلمين يقال لهم: (متطهرين أو مُطَّهِّرين) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة:٢٢٢] و ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة:١٠٨] و(متطهرين أو مطّهِّرين) هي بفعل أنفسهم، أي: هم يطهرون أنفسهم.

والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أنّ (المطهّرون) هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة (المطهّرين) لغير الملائكة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [الواقعة:٧٩].

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ٢٥ .

السؤال الثاني:

قال تعالى في آية البقرة ٢٢٢: ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ بالتاء، وقال في آية التوبة ١٠٨: ﴿الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ بالتشديد، فما الفرق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٢.



﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٠٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البناء والبنيان) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

القرآن فرّق في الاستعمال بين البناء والبنيان، فاستعمل (البناء) للسماء، كما في آية [البقرة ٢٢ وغافر ٦٤]، واستعمل (البنيان) لما بناه البشر، كما في آية:[الكهف ٢١ الصافات ٩٧ التوبة ١٠٩]. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية:﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ ما دلالة التعبيرين ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الرضوان عام، وهو من الله فقط، ولم ترد في القرآن من غيره، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ التوبة ٢١.

٢ـ المرضاة هي أخص من الرضوان، وهي من الله ومن غير الله:[البقرة ٢٠٧ـ التحريم ١].

وهذا من خصوصيات القرآن الكريم في الاستعمال اللغوي. والله أعلم .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ ما كلمات منظومة الحرف والجرف ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣ .



﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

السؤال الأول:

جاء في آيات متعددة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ما الفرق بينهما؟

الجواب:

إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدّم العلم، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة.

حتى تتضح المسألة ننظر في الآية: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم فقدّم العلم، وقال في سورة المنافقين ﴿لَا يَزَالُ

بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١١٠] هذه أمور قلبية ، ومن الذي يطلّع على القلوب؟ الله؛ فقدم العليم.

وأمّا في قوله تعالى في آية الأنعام ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣] فقد قدّم الحكمة على العلم؛ لأن الحجة تقتضي الحكمة .

ولمزيد من الإيضاح والمعلومات انظر آية النساء ٢٦ .



﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سر تقديم (الأنفس على الأموال) في الآية ؟

الجواب:

١ـ (المال والأنفس) و(المال والبنون) دائماً المال مقدم على البنين وعلى الأنفس، ويتقدم ذكر المال على الأولاد وعلى الأنفس حيث وردا مجتمعين في القرآن الكريم، والسبب في هذا أنّ المال أظهر من الأولاد.

وقديماً كان المال يُرى: الأغنام والإبل وما أشبه ذلك، والمال يمكن أنْ يفخر به الإنسان، وقد لا يفخر بأولاده، فقد يكونون سيئين بحيث لا يستحقون أن يفتخر بهم.

٢ـ والمال هو الزينة أكثر من الأولاد ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦]، وزينة المال أظهر من زينة الأولاد وأوضح للناس والمجتمع: يرون المركب الفاره والقصر المنيف أكثر من رؤية الأولاد.

٣ـ لكن في موضع واحد، وهذا يقتضي أن يُسأل عنه، وهو الآية ١١١ في سورة التوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قدّم الأنفس؛ لأنّ التعامل هنا مع الله عز وجل، فينبغي أن يقدّم الأسمى.

وتقديم المال في آية الكهف (٤٦) ليس لأنه أسمى ولكن لأنه أظهر وأوضح، وأمّا في التعامل مع الله تعالى لا بد أنْ يقدّم النفس، وهو لا شك أنّه المناسب لما اشتراه الله سبحانه وتعالى، ولما كان قد وهبه ابتداءً، فناسب أنْ يقدم الأعلى وهو (الأنفس).

لذلك حيثما ورد المال والأنفس يتقدم المال؛ لأنه أظهر.

السؤال الثاني:

ما دلالات هذه الآية ؟ وكيف نفهم موضوع الشراء في الآية مع أن البائع هو الله والمشتري هو الله؟

الجواب:

١ـ لا يجوز أن يشتري الله شيئاً في الحقيقة؛ لأنّ المشتري إنما يشتري ما لا يملك؛ ولهذا قال الحسن: اشترى الله أنفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها، لكنّ هذا ذكره تعالى لحسن التلطف في الدعاء.

وحقيقةُ هذا أنّ المؤمن متى قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه وينفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما فعل، فجعل هذا استبدالاً وشراء، وهذا والله بيع رابح ما بعده ربح.

٢ـ ههنا البائع هو الله والمشتري هو الله، وهذا إنما يصح في حق القيّم بأمر الطفل الذي لا يمكنه رعاية المصالح في البيع والشراء.

وهذا المثل جارٍ مجرى التنبيه على كون العبد شبيهاً بالطفل، وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه.

٣ـ أضاف الأنفس والأموال إليهم تكريماً لهم، مع أنه سبحانه خلقهم ورزقهم، وأخذ منهم أحد العوضين: الجسد البالي والمال الفاني، وأعطاهم العوض الثاني: الجنة الباقية والسعادة الدائمة، فالربح حاصل والغم زائل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ .

٤ـ قوله تعالى: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ دخل فيه كل أنواع الجهاد بالنفس والمال والحجة، شريطة أنْ يكون في سبيل الله وحده.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ نصب ﴿وَعْدًا﴾ على المعنى، لأنّ معنى ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾ أنه وعدهم الجنة فكان وعداً ثابتاً أثبته الله في التوراة والإنجيل والقرآن.

٦ـ إعراب ﴿وَعْدًا﴾ مفعول مطلق منصوب. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما سبب زيادة ﴿هُوَ﴾ في ختام آية التوبة ١١١، فقال: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ بخلاف آيتي الصف رقم ١١ و ١٢، حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بدون زيادة (هو) الذي هو ضمير الفصل؟

الجواب:

قال في الصف ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ وقال في آية التوبة ١١١ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ بزيادة ضمير الفصل الذي يفيد التوكيد، والسبب يتضح بعد دراسة الجدول التالي:

مسلسل	آيتا الصف ١١-١٢	آية التوبة ١١١
١	﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف:١١]	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١١]
٢	﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف:١١]	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ [التوبة:١١١]
٣	﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الصف:١١]	﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:١١١]
٤	-	﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١]

النتائج:

١ـ جاء بالصيغة الاسمية في آية التوبة، فوصفهم بأنهم (مؤمنون) وجاء بالصيغة الفعلية في آية الصف، والاسمية أثبت وأقوى من الفعلية.

٢ـ ذكر في التوبة أنّ الله اشترى من المؤمنين الأنفس والأموال ولم يبق لهم مال ولا نفس، وأما في آية الصف فهم يجاهدون بها ولم يذكر أنهم باعوها.

٣ـ قال في التوبة: ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ وفي الصف ﴿وَتُجَاهِدُونَ﴾، والمقاتلة مظنة القتل، وأمّا الجهاد فهو عام ومنه القتال.

٤ ـ ذكر في التوبة ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ولم يذكر مثل ذلك في الصف.

٥ـ قدّم في التوبة في صفقة الشراء (الأنفس) على الأموال والأنفس أغلى من المال، فباعوا أنفسهم أولاً ثم أتبعوها المال.

ولذلك كانت التضحية في التوبة أعلى مما في الصف، والفوز إنما يكون على قدر التضحية، فلما زادوا في التضحية زاد لهم في الفوز وأكده بـ ﴿هُوَ﴾ .

والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة التأكيد في الآية في قوله تعالى: ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ؟

الجواب:

١ـ نحوياً يتم تأكيد المفعول المطلق بتأكيد عامله أو تأكيد مصدر عامله نحو: انطلقت انطلاقاً، أو تأكيد مضمون الجملة، وهو ما يسميه النحاة المؤكد لنفسه والمؤكد لغيره نحو: أنت ابني حقاً.

٢ـ في آية التوبة ١١١: لما ذكر الله فيها أنه ضمن للمجاهدين في سبيله الجنة، عُلم أنّ هذا وعد منه، فأكده بقوله: ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ، والله أعلم.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تعدد الأخبار في الآية من الناحية النحوية؟ ومتى يجب أو لا يجب ذكر الواو بينها؟

الجواب:

١ ـ قد تتعدد الأخبار عن المبتدأ الواحد فيكون للمبتدأ خبران أو أكثر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج:١٤-١٥].

ويذكر النحاة من حيث اقتران الأخبار بالواو أحوالاً ثلاثة،هي :

أ ـ قسم يجب فيه ذكر الواو: وذلك عندما تكون الأخبار متعددة؛ لأنّ المخبر عنهم متعددون، نحو: بنوك كاتب وصائغ وفقيه، أي: بعضهم كاتب وبعضهم صائغ وبعضهم فقيه.

ب ـ قسم يجب فيه ترك الواو، وهو ما تعدد في اللفظ دون المعنى نحو: الرمان حلو حامض.

ج ـ قسم يجوز فيه العطف وتركه .

وهنا إنْ تكررت النعوت لواحد فالأحسن العطف بالواو إنْ تباعد معنى الصفات نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣] وهنا كان العطف بالواو؛ لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها، لأنّ الشيء لا يكون ظاهراً باطناً من وجه والله ليس كمثله شيء، فكان العطف فيه أحسن.

٢ـ ولهذا السبب عطف (الناهون) على (الآمرون) في آية التوبة ١١٢ ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ .

وكذلك عطف ﴿وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ على ﴿ثَيِّبَـٰتٍ﴾ في آية التحريم ٥ ﴿مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ .

فجاء بالعطف؛ لأنه لا يمكن اجتماعها في محل واحد، وهذه الواو العاطفة تسمى واو الاهتمام والتحقيق، وبعضهم يسميها واو الثمانية.

٣ـ وجاء في قوله تعالى في آية آل عمران ١٧: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ أن الواو هنا بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها.

٤ـ ويُترك العطف عندما تكون الصفات متحدة المنحى كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٠-١١-١٢-١٣].

وكقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقوله: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤]

السؤال الثاني:

ما دلالة أن تجمع الصفات في الآية جمعاً مذكراً سالماً ؟

الجواب:

١ ـ الأصل في الصفات أنْ تجمع جمعاً سالماً، والجمع السالم يدل على القلة في الجوامد، وأمّا في الصفات فالأصل فيه أن يدل على الحدث، وجمع الصفات جمعاً سالماً يقربها من الفعلية، بينما تكسيرها، أي: جمع التكسير يبعدها من الفعلية إلى الاسمية.

٢ـ الجمع السالم يجري مجرى علامة الجمع من الفعل، فقولك: يقومون ويضربون، أشبه بقولك: قائمون وضاربون، فالواو للجمع في الفعل والجمع السالم.

٣ـ جاء في «شرح الرضي على الشافية»: اعلم أنّ الأصل في الصفات أن لا تكسّر لمشابهتها الأفعال وعملها، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه . .. ثم إنهم مع هذا كله كسّروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد وإن شابهت الفعل.

* شواهد قرآنية:

أ ـ ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:١١٢] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف:١٢] ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

أي: الذين يحفظون حدود الله ويحفظون فروجهم، ولم يقل: والحفّاظ أو الحفظة؛ وذلك لأنّ التكسير يبعدها عن الحدث.

ب ـ ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ [الحِجر:٢٢] و(خازنين) تفيد الفعلية بخلاف: (خزنة)، فإنها لا تدل على الفعل، وإنما تدل على الاسم إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكلين في النار، كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزُّمَر:٧١] و ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر:٤٩].

ج ـ ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾ [الزُّخرُف:٣٠] و ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الروم:٨]

ولم يقل: بلقاء ربهم لكفّار أو كفرة؛ لأنّ في ﴿كافرون﴾ معنى الحدث، فتعلق به الجار والمجرور أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم لقرب هذا الجمع من الفعلية، ولم يتعلق مرة واحدة بالكفّار أو الكفرة مع ترددهما في اثنتين وعشرين مرة في القرآن الكريم.

د ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [فُصِّلَت:١٠] ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [المرسلات:٢٧]

وقد وردت كلمة ﴿رَوَٰسِيَ﴾ [المرسلات:٢٧] تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة (راسيات) إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

* أمثلة غير قرآنية:

أ- (ذهبنا إلى المحكمة فوجدنا الحكّام حاكمين في القضية ومنصرفين) فمعنى: حاكمين، أي: حكموا أي: إرادة الحدث.

ب - (راجعنا الدائرة ووجدنا الكتّاب كاتبين الكتاب) فالمقصود بالكتّاب هو اسم لهذا الصنف من الناس وكاتبين: بمعنى كتبوا، أي: الحدث.

فاتضح بهذا أنّ الجمع السالم يدل على إرادة الحدث، والتكسير يباعده عن ذلك إلى الاسمية. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة إدخال حرف الواو في الآية ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ دون إدخالها على الصفات السابقة ؟

الجواب:

١- قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢] القدامى قالوا أدخل الواو على (الناهون)؛ لأنّ كل ما سبق من الصفات يأتي بها الإنسان لنفسه ولا يتعلق بالغير (عابد، حامد، سائح، راكع، ساجد) وأمّا (الناهون) فتتعلق بالغير، وهناك احتمال أنْ يلاقي بها من الأذى.

٢- والنحويون يعتبرون (الواو) هنا للاهتمام والتحقيق ، كما في آية التوبة١١٢ هذه، حيث جاءت الواو مع الناهين عن المنكر لزيادة الاهتمام بهذه الخصلة؛ لما تحتاج إلى صبر

وعناء وحكمة ومشقة، حيث إنّ كل ما سبق من الصفات عبادات يأتي بها الإنسان لنفسه، أمّا النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير، إضافة إلى أنها الصفة رقم ثمانية .



﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعبير بكلمة ﴿مَّوْعِدَةٍ﴾ في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾؟ ولِمَ لمْ يستعمل موعد ؟

الجواب:

١ـ (موعد): مصدر، ويمكن أنْ يتكرر الموعد، وكلمة (وعد) لا تعني بالضرورة مرة واحدة، والحدث مثل (المشي) ليس بالضرورة أن يكون مرة واحدة، والمصادر التي هي حدث لا تعني بالضرورة مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود:٦٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤]. ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ [طه:٥٨].

٢ـ (موعدة) بمعنى موعد، وهي على أوزان المرّة التي تدل على المرة الواحدة، ويمكن أحياناً أنْ نضيف التاء على المصدر إذا كان أكثر من ثلاثة أحرف، نحو: (استغفار واستغفارة). و(موعدة): كأنّ التاء وضعت بعد المصدر، كأنها مرة واحدة لم تتكرر.

٣ـ الله سبحانه نهى الرسول ﷺ، ونهى المؤمنين عن مثل موعد سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر، كما جاء في آية الممتحنة ٤ قوله تعالى :

ـ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة:٤]

أي: لقد كان لكم فيه أسوة إلا هذا ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة:١١٤] فهذه يجب ألّا تتكرر، فلا يجوز الاستغفار لأبيك الكافر.

٤ـ يصح أن نقول (موعد)، لكنّ (موعدة) أبلغ، وفيها دلالة على قِلّة هذا الأمر وأنه لا ينبغي أنْ يتكرر، فهو مرة واحدة فقط وليس لكم أنْ تكرروها ولا أنْ تفعلوها ولا أنْ تقولوها، وآيات القرآن الكريم تراعي سياق الحال الذي قيل فيه، وهذه هي البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ
خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ
وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمالات الفعل (كاد) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ (كاد) في دراسات النحو يقولون: هي من أفعال المقاربة. وعندما تقول: كاد زيد يفعل كذا، يعني قارب الفعل، ونقول: كاد المتسابق يفوز، يعني هو لم يفز، لكن قارب الفوز. واستعمال (كاد) يأتي بعدها الفعل المضارع على الغالب من غير (أنْ) إلا النادر نحو: (ما كدت أنْ أصلي العصر) والأصل أنْ تأتي من غير (أنْ): كاد يفوز، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ جاء الفعل (كاد) بمعني قارب الفعل ولم يفعله.

٢ـ (ما كاد) أو (لم يكد) معناه أصلاً لم يقاربْ، ويعني لا قاربه ولا فعله من باب أولى. وكاد يفوز: يعني قارب الفوز.

٣ـ في العامية نحن نستعملها أحياناً فنقول: (بالكاد فعلت هذا الأمر) يعني ما كدت أفعله، هو فعَلَه لكن بعد إبطاء، والناس لا تتكلم جملة واحدة، وإنما هناك واقع حال وهناك سياق.

٤ـ خلاصة الأمر أنّ السياق هو الذي يعين المعنى الطبيعي الذي عليه، أو أن المعنى الذي تحول إليه وفق السياق هو الذي يبين مراده منها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ ما كلمات منظومة جنح وزاغ وكل أنواع الميل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.



﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ١١٨ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هل التوبة الأولى هي الثانية أو غيرها ؟

الجواب:

١ـ قيل: الأولى عامة، والثانية في الفريق الذي كادت تزيغ قلوبهم.

٢ـ وقيل: الأولى هي الثانية، وإنما بيّن في الثانية سبب توبتهم.

وقوله تعالى: ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي: ليدوموا على توبتهم. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة التوبة في قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ؟

الجواب:

في موضوع التوبة هناك ثلاثة أمور:

١ـ الله سبحانه وتعالى شرّع التوبة للعباد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ولم يبتكر أحد التوبة، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٧] فهي منتهى العطاء منه سبحانه.

٢ـ الله الذي خلقنا قدّر أنّ الواحد منا قد يضعف أمام بعض الشهوات فوضع تشريع التوبة، عند ذلك يتوب العبد إلى الله ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ .

٣ـ وبعد ذلك يكون القبول من الله تعالى، كما في قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣]، وهذا مبني على العلم الشامل والحكمة الدقيقة الراسخة.

٤ـ إنّ الله عز وجل عندما قرر التوبة عليه سبحانه وأوجبها على نفسه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون فوراً، فإنه يدلنا أيضاً على مقابل هؤلاء، وهم الذين لا تقبل

منهم التوبة، هم أصحاب النفوس التي شردت عن منهج الحق، وهم لم يرتكبوا سوءاً واحداً بل ارتكبوا السيئات كما في آية (النساء ١٨).

حتى أنّ بعض الناس يتصورون عملهم في الخير وهم شاردون عن منهج الحق، مثل الذين يتعاملون مع مؤسسات الماسونية ونوادي الروتاري، ويدّعون أنها أندية خيرية وهي في حقيقتها معادية للإسلام.

٥ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:١٨] لأن التوبة لا تقبل في مثل هذه الظروف.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أنّ قبول التوبة على الله بحذف المضاف .

٧ـ قوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ معناه أنّ الإنسان يأتي بالمعصية، وربما يعلم أنها معصية، لكنه يجهل مقدار العقاب، أي: يكون جاهلاً بفعله مسلوبَ كمالِ العلم بسبب غلبة الهوى وتزيين الشيطان.

٨ـ قوله تعالى: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ هنا (من) لابتداء الغاية، أي: يجعل مبتدأ توبته زماناً قريباً من المعصية؛ لئلا يقع في زمرة المصرّين، ومن لم تقع توبته على هذا الوجه فإنه يكفيه أنْ يكون من جملة الموعودين بكلمة ﴿عَسَى﴾ في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأنه قد خرج عن المخصوصين في هذه الآية بكرامة حتم قبول التوبة على الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا شك أنّ بين الدرجتين من التفاوت ما لا يخفى.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ ما دلالة الفعل (ظنّ) ؟ وما الفرق بين (ظنّ وعلم)؟

الجواب:

الظن: هو فعل التردد بين الشك واليقين وبين القوة والضعف، فإذا قوي صار يقيناً، وإذا ضعف انقلب إلى وهم، قال تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية:٣٢].

وجاء في لسان العرب أنّ الظن شك ويقين، إلا إنه ليس بيقين عيان إنما هو يقين تدبّر، وأمّا يقين العيان فلا يقال فيه إلا (علم) ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦﴾ [التكاثر:٥-٦].

ولا يستعمل الظن بمعنى العلم إلا في الأشياء الغائبة عن مشاهدة الحواس لها، فإذا رآها صار علم اليقين بالمشاهدة، فإذا تذوق الشيء أو دخله أصبح حق اليقين.

ومما يظهر أنّ الأصل في الظن أنْ يكون شكاً، وما ذكر من معاني اليقين يمكن تأويله.

* شواهد قرآنية:

- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة:٢٠] يعني إني ملاقيه على هذه الحال من السعادة، وقد اكتسب الفعل (ظن) القوة هنا، حتى صار يقيناً من حرف التوكيد المشدد ﴿إِنّ﴾.

- ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ بمعنى أنهم يطمعون في رحمة الله والتوبة عليهم.

- ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣] بمعنى أنهم لم ييأسوا من أنْ يخفف الله عنهم، لكنّ الظن الراجح أنهم سيواقعون النار.

ـ ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] بمعنى الذين وطّنوا أنفسهم على الثبات في ساحة القتال وظنوا أنهم سيلاقون الله في هذه المعركة.

ـ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ [القيامة:٢٨] أي: غلب على ظنه أنه سيموت ويفارق الدنيا.

ملاحظات:

١ ـ هناك فرق بين (ظن وعلم) كما بينا، والإنسان مهما زادت معارفه يبقى ضمن نطاق الظن، حتى لو بلغت نسبة ظنه ٩٩ بالمائة، فلا يصل إلى علم اليقين إلا بالمشاهدة، ثم يصل بالدخول إلى الشيء أو التذوق إلى حق اليقين. ومثال ذلك:

لو أخبرك شخص صادق عن نوع جديد من الفاكهة لا تعرفه من قبل وله صفات وطعم خاص فهذا علم أولي، فإذا رأيت هذا النوع من الفاكهة الجديدة أمامك صار ذلك علم اليقين، فإذا أكلتها وتذوقتها دخلت في حق اليقين.

ولذلك يصح أن تقول: الله عالم، ولا يصح أن تقول: الله عارف؛ لأنّ المعرفة يسبقها جهل، وهذا محال على الله تعالى، بينما الإنسان يبدأ جاهلاً ثم يكتسب المعرفة شيئاً فشيئاً.

٢ـ ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كل ظن ورد بعده (أنّ) المشددة فالمراد به اليقين فهذا غالب لا مطرد، ومن غير الغالب قوله تعالى:

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢].

ـ ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧١].

ـ ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧].

٣ ـ ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كل ظن ورد بعده (أنْ) الخفيفة فالمراد به الشك، فهذا مردود بقوله تعالى:

ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة:١١٨].

ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن:١٢].

٤ـ ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كل ظنٍّ ورد بعده (أنْ) الناصبة فالمراد به الشك، فهذا يردّه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة:٢٤-٢٥] وهذا موطن يقين لا موطن شك.



﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

السؤال الأول:

زاد في الآية الأولى ١٢٠ على الآية الثانية ١٢١ قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ ـ جاء في الآية الأولى ما ليس عملاً لهم، كالظمأ والنصب والمخمصة، فهذه ليست من أعمالهم، غير أنه تكتب لهم أعمال صالحة؛ لأنها كانت في سبيل الله﴿. وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٢ ـ ما جاء في الآية الثانية كله من أعمالهم، فالنفقات وقطع الوديان هي أعمال حقيقية لهم، وهي من الأمورالصالحة المقبولة شرعاً؛ لذا لم يكن ثمة داعٍ إلى القول: ﴿كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ .

٣ ـ ختام الآية الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ ؛لأنّ ما تقدم ليس عملاً، وإنما هو من الإحسان الذي تدخل فيه عموم العبادات .

٤ ـ ختام الآية الثانية ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ .

٥ ـ لّما كان في الثانية عملهم كتب على جهته، فلم يحتج إلى أنْ يكتب به عمل صالح؛ لأنه هو كذلك، بينما الأول كان فيه ما ليس بعملهم فكتب به أجر مثل عملهم؛ فلذلك كانت الزيادة في الأولى ولم تحتج إليها الأخرى. والله أعلم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ ما كلمات منظومة الجوع ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الجوع:

الجوع: هو ألم البطن لفراغ المعدة من الطعام ، وهو أول درجات خلو البطن من الطعام، وهذا من قوانين الله في البشر: [الغاشية ٧ـ قريش ٤ـ البقرة ١٥٥].

خصاصة: إذا استمر الجوع في الفرد أو المجموعة لمدة أسبوع أو شهر أو أكثر يُسمى خصاصة، وهو أقل مرتبة من المجاعة، لكنّ الطعام قليل فتصفر الوجوه وتهزل، و(الخصّ) نبات من القش أصفر وضعيف وهزيل[الحشر ٩].

مخمصة: إذا تطور الجوع بحيث أدى إلى تشويه في الوجه والجسد فتغور العيون وتخسف البطون فيُسمى مخمصة، وفي هذه الحالة يحق لصاحبها أنْ يأكل مما حرم الله عليه بقدر اضطراره:[المائدة ٣ـ التوبة ١٢٠].

المسغبة: إذا صادف مع المخمصة حالة من التعب والعناء تسمى مسغبة، والذي يُطعم في المسغبة كمن يعتق عبداً مملوكاً مثل الشهيد في سبيل الله، فكأنّ طاعات الشهيد الأخرى قد اختزلت في هذه الشهادة:[البلد ١٤].

أنواع الجوع:

١ـ **الجوع العظيم**: وهو الصوم.

٢ـ **الجوع الإجباري**: وهو أسوأ أنواع الجوع بأنْ يحرمك غيرك من حقك بالطعام، كما حصل في حصار العراق وغزة وأماكن أخرى.

٣ـ **الجوع الرحيم**: كما فعل الأنصار، جاعوا ليطعموا إخوانهم المهاجرين.

٤ـ **الجوع الكريم**: أو جوع العفة: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣].

٥ـ **الجوع الوسيم**: وهو الجوع بهدف الرشاقة كما يفعله جنود الكوماندس.

٦ـ **الجوع اللئيم**: وهو شعور الجوع لمن لا يتق الله فيخاف الجوع؛ لأنهم لا يثقون بالله الرزّاق.

٧ـ **الجوع السقيم**: هو جوع المرض أو الخوف أو الكآبة فيفقد شهيته للطعام.

٨ـ **جوع الابتلاء**: وهو الابتلاء قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾

والابتلاء: يكون بما تكره: (جوع ـ خسف ـ خوف)، ويكون لجلاء الصبر.

والفتنة تكون بما تحب كـ(المال والنساء والأولاد)، وتكون لجلاء الشكر.

والامتحان: هو اختبار الكفاءة.



﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ ما دلالة (ما) بعد (إذا) ؟

الجواب:

الأصل في (إذا) أنْ تكون للمقطوع بحدوثه وللكثير الوقوع، فمن المقطوع بحصوله نحو قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ فإن كل واحد منا سيحضره الموت، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة:٢] ولا بد للمحرم من أنْ يتحلل .

وأمّا ما يقع كثيراً، فنحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء:٨٦] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وتدخل (ما) بعد أدوات الشرط، نحو: (إذا ما و متى ما)، وقد ذهب النحاة فيها إلى أنها تؤدي غرضين:

١ـ إفادة الإبهام والعموم:

فإذا قلت مثلا: سأزورك إذا جنّ الليل، فالراجح أنّ يكون القصد ليل يومكم ذاك، وأما إذا قلت: سأزورك إذا ما جنّ الليل، فإنه لا يتعين ليل ذلك اليوم، بل أصبح الكلام يحتمل الليالي الأخرى القابلة؛ وذلك لأنّ (ما) أبهمتها .

٢ـ إفادة التوكيد:

ومعنى التوكيد أظهر من الإبهام في الاستعمال القرآني والاستعمال العربي، و(ما) تزاد كافة وغير كافة، وتزاد بعد الأحرف المشبهة بالفعل وبعد طائفة من حروف الجر، وحيثما زيدت (ما) مع (إنْ) الشرطية في القرآن الكريم أُكّد شرطها بالنون، ولم يتخلف من ذلك موضع واحد، علما أنها وردت في أربعة عشر موضعا، نحو:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال:٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [الرعد:٤٠].

ولذلك يمكن أنْ نقول: إنّ القاعدة في زيادة (ما) هي أنه: إذا قُصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة معنى الجزاء استعملت (ما) بعدها .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٥٧.



﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل يُضمر القول في القرآن الكريم؟

الجواب:

أحوال القول والمقول كثيرة، منها:

أنْ يحذف فعل القول ويذكر المقول، كأن يقول: قال أو يقول، لكنه مفهوم، وهذا كثير أيضاً، كما في الآية: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ ما قال القرآن على لسانهم: يقولون هل يراكم من أحد، فلمْ يذكر القول، وإنما ذكر المقول.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ ما دلالة (ما) بعد (إذا) ؟

الجواب:

انظر: الجواب في آية التوبة ١٢٤.



﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

في هذه الآية وصف الله سبحانه وتعالى رسوله بخمس صفات:

- ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ . - ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ .
- ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ . - ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ﴾ . - ﴿رَّحِيمٞ﴾ .

١ـ قوله: ﴿جَآءَكُمۡ﴾ نسب المجيء للرسول ﷺ، ولم يقل جئتكم برسول، فكأنّ الشحنة الإيمانية للرسول ﷺ التي خلقها الله له جعلت لذاته عملاً، فأراد الله أنْ يثبت للرسول ﷺ المجيء ذاتياً، فهو يعشق الجهاد من أجل الدعوة، ويعشق الكفاح من أجل تحقيق هذه الرسالة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿رَسُولٞ﴾ تدل على أنه ليس من عنده، وإنما هو مرسل من الله تعالى.

٣ـ قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم ومن جنس العرب، ومنكم تعلمون تاريخه وقادر أنْ يتفاهم معكم؛ لأنّ لغته هي لغتكم.

وجاء بلفظ (أَنفس) جمع قلة، ولم يقل: (نُفوس) جمع كثرة؛ وذلك لأنه:

أ ـ المؤمنون أقل من الكفار.

ب ـ وزن (أنفس) أخف من وزن (نفوس)؛ لأنّ الفتحة أخف من الضمة، فاختير اللفظ الخفيف.

ج ـ مناسب لاتباع منهج الله و سنة الرسول ﷺ ،فاتباعهما ليس بالأمر الثقيل على النفس ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١-٢].

٤ـ قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: شاق عليه أنْ يعنتكم بحكمٍ، فقلبه رحيم بكم، وهو لا يأتي بالأحكام؛ لكي تشقّ عليكم بل تنزل الأحكام من الله لمصلحتكم، فهو نفسه يعزّ عليه أنْ يشقّ عليكم، والمعنى أنه فعل بهم ذلك؛ ليتخلصوا من العقاب المؤبد ويفوزوا بالثواب المؤبد.

٥ـ قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ يفيد الحصر لتقدم الجار والمجرور بمعنى: لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين، وأمّا الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة .

و(الرأفة): هي سلب ما يضر من الابتلاء والمشقة، و(الرحيم): هو الذي يجلب ما ينفع من النعيم والارتقاء.

وحسبه ﷺ من هاتين الصفتين أنّ الله وصف رسوله بهما، وقد ثبت أنه سبحانه وصف نفسه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل:٧]

فرأفة الرسول مستمدة من رأفة العلي الأعلى، وكذلك رحمته مستمدة من رحمة العلي الأعلى.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في آية البقرة ١٢٩ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وفي آية آل عمران ١٦٤ ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وآية التوبة ١٢٨ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؟ فما السبب؟

الجواب:

آية البقرة في سياق دعاء إبراهيم عليه السلام، وهو عام.

أمّا في آل عمران والتوبة فهما في سياق ذكر المنة على المؤمنين، فناسب ذكر ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لمزيد الحنو والمنة، وكذلك ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

رابعاً ـ تناسب فواتح التوبة مع خواتمها:

١ ـ تبدأ السورة بقوله سبحانه: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ [التوبة:١].

ثم آذنهم بالقتال فقال: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥].

وتنتهي بالأمر بقتال الكافرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:١٢٣].

٢ ـ وبدأت السورة بالمتولين عن دين الله واستوجبوا القتال من المعاهدين من المشركين، وذلك قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة:١].

وانتهت فيمن تولى عن دين الله على العموم، وذلك قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة:١٢٩].

والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مشتاق محمد هيثان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد السادس

من بداية سورة يونس وحتى سورة الرعد

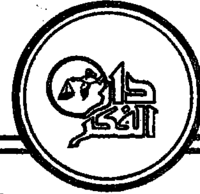
دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ
2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب: 11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 559903-01 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة يونس

أولاً ـ تناسب خواتيم التوبة مع فواتح يونس:

قال سبحانه في أواخر التوبة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٧-١٢٨].

وقال في أول سورة يونس: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس:٢].

فقوله سبحانه في آخر التوبة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [التوبة:١٢٧] يناسب قوله في أول يونس: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس:١].

وقوله في آخر التوبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨] يناسب قوله في يونس: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس:٢]. . . .

جاء في «البحر المحيط»: ومناسبتها ـ يعني سورة يونس ـ لما قبلها ـ يعني سورة التوبة ـ أنه تعالى لما أنزل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة:١٢٧] وذكر تكذيب المنافقين، ثم قال:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وهو محمد ﷺ أتبعَ ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل والنبي الذي أرسل .

ولمّا كان ذكر القرآن مقدماً على ذكر الرسول في آخر السورة السابقة جاء في أول هذه السورة كذلك، فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول.

وجاء في «روح المعاني»: وجه مناسبتها لسورة براءة: أنّ الأولى ختمت بذكر الرسول ﷺ وهذه ابتدأت به، وأيضاً أنّ في الأولى بياناً لما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن .

وفي هذه بيان لما يقوله الكفار في القرآن، حيث قال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس:٣٨].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس:١٥] .

ثانياً ـ هدف السورة: الإيمان بالقضاء والقدر:

هذه السورة من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية، الإيمان بالله تعالى وبالكتب والرسل والبعث والجزاء، وبخاصة الإيمان بالقضاء والقدر، فالكثير من الناس مشكّكون في هذا الأمر ويحارون ويجادلون في القضاء والقدر، وهل الإنسان مسيّر أم مخيّر، ويشككون في عدل الله تعالى وحكمته، ويسألون أسئلة مشككة فيقولون مثلاً: لو هداني الله لاهتديت، أو أنّ الله يعلم المؤمنين من الكافرين في علمه الأزلي، فلن

يفيد المرء ما يعمل إنْ كان الله تعالى قد كتبه في النار، وهذا كله من ضعف الإيمان ومن التشكيك بأنّ الله تعالى هو الحكيم العدل، وأنه ليس بظلاّم للعبيد.

تأتي هذه السورة بآياتها ومعانيها؛ لتثبت حقيقة الإيمان بوحدانية الله جلّ وعلا والإيمان بالقضاء والقدر تارة عن طريق قصص الأنبياء، وتارة عن طريق تذكير الله تعالى للناس بقدرته وحكمته وعدله في الكون.

وفي حديث للنبي ﷺ أنّ جبريل سأله أخبرني عن الإيمان، فقال:

(الإيمان أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره)، والذي يحدد ما إذا كنا مؤمنين بالقضاء والقدر سؤال واحد نطرحه على أنفسنا: هل الله تعالى عادل حكيم أم ظالم والعياذ بالله، وإجابتنا هي التي تحدد موقفنا.

تبدأ السورة بالأمور التالية:

١- تثبيت الحكمة لله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس:١] **وتدل على** أنّ الحكمة موجودة، ثم تليها الآية: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس:٢] وكأنّ الذين يتعجبون من اختيار محمد عليه السلام للرسالة لا يؤمنون بالقضاء والقدر،لأنهم لو آمنوا لما شككوا.

٢- تدبير الله وحكمته في الكون: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)﴾ [يونس:٣-٤-٥-٦] . والآيات ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس:٣١-٣٢]

وتأتي الآيات لتستعرض حكمة الله تعالى في الكون وفي كل ما خلق وتدعونا للتفكر في هذا الكون الذي لم يخلق عبثاً ولا صدفة، إنما خلقه الحكيم العدل، وإثبات ذلك واضح في تكرار كلمة ﴿الْحَقُّ﴾ [يونس:٣٢] في هذه السورة، فقد تكررت كلمة ﴿الْحَقُّ﴾ في السورة (٢٣ مرة)؛ لأنّ الحق عكسُ العبث والصدفة، وكل شيء في الكون خلق ويحيا بحكمة الله تعالى، لذا علينا أنْ نسلّم بالله ونتوكل عليه ولا نشكك بقدرته وتدبيره سبحانه، وكذلك ترددت كلمة ﴿يُدَبِّرُ﴾ [يونس:٣١] في السورة كثيراً، فكيف نشكك بقضاء الله وقدره: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣)﴾ [يونس:٥٣] و: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)﴾ [يونس:٥٥] وكل هذه الآيات يؤكد أنّ الله حق وأنّ إدارة هذا الكون حق، وعرّفت الآيات بصفات الإله الحق بذكر آثار قدرته ورحمته الدالة على التدبير الحكيم، وأنّ ما في هذا الكون المنظور هو من آثار القدرة الباهرة التي هي أوضح البراهين على عظمة الله وجلاله وسلطانه.

٣- تنبيه للغافلين: الذين يشككون ولا يؤمنون بالقضاء والقدر فهؤلاء يفقدون الجدية والإيمان الحق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[يونس:٧] والله تعالى لا يظلم الناس أبداً، لكنّ الناس يظلمون أنفسهم نتيجة ذنوبهم ومعاصيهم؛ لأنه حاشا لله أنْ يظلم أحداً: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٣-١٤]، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[يونس:٤٤] .

إذن فليس في الكون صدفة ولا عبث، فالحكمة واضحة والحق واضح، فلا يجب أنْ نشكك بالقضاء والقدر. والله تعالى لا يظلم أحداً ولا يجبر أحداً على فعلٍ ما، لأنه سبحانه لو أجبرنا على أعمالنا لما حاسبنا؛ لذا فالناس مخيّرون في أفعالهم.

* **أفعال الناس تجاه قضاء الله تعالى:** الآيات تواجه المتعجبين من قدر الله، ولكنّ أفعالهم أشد غرابة: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس:٢٣] . فبعد أنْ نجاهم الله تعالى بغوا في الأرض بغير الحق، فكيف يلجأ الناس إلى الله تعالى؟ فقط في ساعة الشدة يعرفون أنّ لهم رباً يلجؤون إليه ! ثم يتكبرون بعد النجاة، وكأنّ نجاتهم كانت من عند أنفسهم .

*** قصص الأنبياء عن التوكل على الله:** عرضت السورة ثلاث قصص من الأنبياء الذين توكلوا على الله فنجّاهم الله تعالى، وقد عرضت السورة الجزئية الخاصة بالتوكل في كل قصة من القصص المذكورة وهذا لخدمة هدف السورة، وهذه القصص تؤكد أنّ المؤمنين بقضاء الله وقدره يتوكلون على الله والذين لا يؤمنون هم المشككون والمجادلون في حكمة الله وعدله:

*** قصة نوح:** الذي توكل على الله تعالى، فأنجاه الله ومن معه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾[يونس:٧١].

*** قصة موسى مع فرعون:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾[يونس:٨٤-٨٥].

*** قصة قوم يونس:** ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾[يونس:٩٨].

وقد يتبادر إلى الذهن: لماذا أغرق الله تعالى فرعون بعدما قال: إنه آمن، ونجّى قوم يونس، والحالتان متشابهتان نوعاً ما؟ نقول إنّ الله تعالى علِم وهو علاّم الغيوب أنّ فرعون إنما قال: آمنت اضطراراً لا اختياراً، ولو عاد إلى الدنيا لضلّ وأضل ولم تكن كلماته صادقة بأنه آمن: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾[يونس:٩٠-٩١].

وقال الإمام الفخر: آمن فرعون ثلاث مرات أولها قوله: ﴿ءَامَنتُ﴾[يونس:٩٠] وثانيها: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠] وثالثها: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠] فما السبب في عدم قبول إيمانه؟ والجواب: أنه إنما آمن عند نزول العذاب، والإيمان في هذا الوقت غير مقبول؛ لأنه يصير الحال حال إلجاء، فلا تنفع التوبة ولا الإيمان قال تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾[غافر:٨٥].

أمّا قوم يونس فقد علم الله تعالى أنهم سيكونون مؤمنين حقاً فعفا عنهم وكانوا على وشك الهلاك بعذاب الله لكنهم حَسُنَ إيمانهم، وقد أثبت التاريخ ذلك فأصبحوا قوماً صالحين طائعين مؤمنين، والله تعالى يريد من عباده إيمان الاختيار لا إيمان الإكراه والاضطرار: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾[يونس:٩٨] فما كان ليعلم هذا إلا الله الحكيم العليم؛ ولهذا علينا أنْ نؤمن بقضاء الله وقدره؛ لأنه ليس عبثاً ولكن لكل أمر حكمة قد نعلمها وقد يخفيها الله تعالى عنا، وهذا ليمتحن صدق إيماننا به، فلو علمنا الحكمة من كل شيء فما قيمة إيماننا بالغيب إذن؟

* ختام السورة:

كيف نتعامل مع قضاء الله بالجديّة والتوكل على الله: قال تعالى:

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس:١٠٥-١٠٦]: هنا تأتي الآية فيها توجيه للرسل المؤمنين بالتوكل على الله واللجوء إليه والصبر على ما يلاقونه من الأذى في سبيل الله والاستمساك بشريعة الله تعالى فهو سبحانه الحكيم العدل: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس:١٠٩] .

*** سميّت السورة بـ (سورة يونس)** لذكر قصته فيها وما تضمنته من العبرة والعظة برفع العذاب عن قومه حين آمنوا بعد أنْ كاد يحل بهم العذاب والبلاء، وهذه من الخصائص التي خصّ الله تعالى بها قوم يونس لصدق توبتهم وإيمانهم وأنّ الله لا يظلم الناس، فلو علم صدق إيمان أي عبد من عباده فإنه ينجيه في الدنيا والآخرة؛ لأنه هو الحكيم العدل.

وفي «خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي» رحمه الله لما سئل عن ورود قصة نوح وموسى مع فرعون ويونس مجتمعين في هذه السورة قال: إنّ الذي يجمع بينهم هو الماء، فالله تعالى أغرق قوم نوح بالماء، وأغرق فرعون بالماء، وأمّا يونس فقد نجاه الله من بطن الحوت بعد أن قذف في الماء، فالماء كان مرة مصدر هلاك ومرة مصدر نجاة، فسمّى الله تعالى السورة باسم من نجّاه من الماء، وهو يونس عليه السلام، والله أعلم.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١.



﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ٢﴾

السؤال الأول:

ما المعنى العام في قوله تعالى في الآية: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾؟ وما معنى الوحي؟

الجواب:

١ـ المعنى العام: ما العجيب في أنّ الله أوحى إلى رجل منكم أنْ يبلغكم إنذار الله وبشارته؟

٢ـ الوحي: هو الإعلام بخفاء . والله أوحى للجماد:[الزلزلة ٥] وللحيوانات: [النحل ٦٨] وللملائكة: [الأنفال ١٢] وإلى الرسل جميعاً .

والطاقة العلية المرسلة إلى الموحى إليه تحتاج إلى قوة تحمّل، وكان الوحي يتعب رسول الله ﷺ وبعد أن يُسرّى عنه تبقى حلاوة ما أوحي إليه فيتشوق ثانية للوحي .

وقد شاء الحق أن يشوّق النبي ﷺ للوحي ففتر الوحي لمدة من الزمن، وحين اشتاق النبي للوحي كان ذلك يعني أنه قد شحن نفسه بطاقة مناسبة لاستقبال هذا الوحي بما فيه من تعب، فأقسم الحق بالضحى أنه ما قلى رسوله.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ ؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرِ﴾ هي كلمة عامة لكل الناس؛ حتى يتجنبوا ما يقودهم إلى النار، أمّا كلمة ﴿وَبَشِّرِ﴾ فإنّ البشارة تكون لمن آمن فقط.

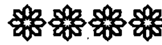
أو أنّ الإنذار والبشارة للمؤمنين، ولكنْ شاء الحق أنْ يجعل المؤمنين في صف البشارة دائماً، وأنْ يكون الإنذار لوناً من ضرورة التخلية من العيوب قبل التحلية بالكمال؛ ولذلك جاء بالإنذار قبل البشارة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي: سابقة فضل؛ لأنهم عندما آمنوا وأدوا مطلوبات المنهج عليك يا محمد أنْ تبشرهم بالجنة، وإضافة الصدق إلى القدم تنبيه على زيادة الفضل وأنه من السوابق العظيمة.

أمّا قدم كذب، فهو ما يخلعه الأفاكون على تواريخ الناس فيصفونهم بما لم يكن فيهم .

والسبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني أنّ السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم، فسُمي المسبب باسم السبب كما سُميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد.

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ أي: أنّ الرسول حين أبلغ المنهج عن الله استقبله أهل الإيمان بالتصديق، أمّا الكافرون فاتهموه بأنه ساحر، وهم لم يتهموه بذلك إلا بعد أنْ أبلغهم بالمنهج.



﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تذكرون وتتذكرون) في آيتي يونس ٣ والسجدة ٤؟

الجواب:

إذا كان الحدث أطول تأتي (تتذكرون)، وإذا كان أقل يقتطع من الفعل، أو إذا كانت في مقام الإيجاز يوجز، وإذا كانت في مقام التفصيل يفصّل.

* شواهد قرآنية :

قال تعالى في السجدة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٤-٥] .

وفي يونس قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣] إحداها (تتذكرون) والأخرى (تذكرون).

أ ـ قال في يونس: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: ٣] وفي السجدة قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤] ولمْ يقل (ما بينهما) في يونس.

ب ـ في يونس قال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] فقط، وفي السجدة ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥] فالسجدة فيها تفصيل أكثر.

ج ـ قال في يونس: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، وفي السجدة قال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤] ففي السجدة تفصيل أكثر، فناسب ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في آية يونس٤ : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، وفي آية الشورى ٥٣ : ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ وفي آية القيامة ٣٠ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ وفي آية الغاشية ٢٥ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ فما دلالة تقديم (الصيرورة والمآب والمرجع)؟ وما الفرق بين (الصيرورة والمآب والمرجع والانقلاب والإنابة والمساق)؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى في الشورى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ الله سبحانه وتعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، والمساق والإياب لا يكون إلا إلى الله، وهذا التقديم مقصود من أجل الاختصاص بشكل رئيس، إضافة لمراعاة الفاصلة في الآيات على رؤوس الآيات.

٢ـ الإياب: هو الرجوع إلى منتهى المقصد، والرجوع يكون لذلك ولغيره لذلك يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال: آب إلى بعض الطريق.

ولهذا قال أهل اللغة: التأويب أنْ يمضي الرجل في حاجته ثم يعود فيثبت في منزله، أو التأويب أنْ يسير النهار كله ليكون عند الليل في منزله، ولهذا قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾[الغاشية:٢٥] كأنّ القيامة منتهى قصدهم؛ لأنها لا منزلة بعدها.

٣ـ الرجوع: هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل.

٤ـ الانقلاب: هو المصير إلى نقيض ما كان عليه قبل؛ ولهذا تقول: انقلب الطين خزفاً، وأمّا رجوعه خزفاً فلا يصح؛ لأنه لم يكن قبل خزفاً.

٥ـ الإنابة هي الرجوع إلى الطاعة ولا يقال لمن رجع إلى معصية: إنه أناب.

والله أعلم.



﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النور والضوء؟

الجواب:

أنّ النور عادة في لغة العرب لا يكون فيه حرارة، أمّا الضوء ففيه حرارة ومرتبط بالنار، والإنسان يمكن أنْ يضع يده من مسافة في الضوء وتأتيه حرارة الضوء، كما قال في القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس:٥] فإضاءة القمر ليس فيها حرارة؛ فاستعمل النور.

النار المضيئة إذا خفتت وخمدت يبقى الجمر من مخلفات النار، وهو بصيص يُرى من مسافات بعيدة، والخشبة إذا أحرقتها يبقى فيها شيء من النور قبل أنْ تتفحم نهائياً، وليس فيها تلك الحرارة من مسافة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] و ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]؟

الجواب :

الشمس والقمر حسباناً أي: وسيلة لحساب الزمن، الله قال فعلاً: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس:٥]؛ ليدلّ على أنّ الشمس لها حسابٌ والقمر له حساب. أمّا الآية الثانية ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن:٥] أي يجريان بحسابٍ دقيق مقرر معلوم من الحق سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ إلى من يعود الضمير، أي: الهاء؟

الجواب :

١ـ إذا تقدم شيئان أو أكثر مما يصلح للتفسير، فالأصل أنْ يعود الضمير على الأقرب، نحو: جاء محمد وخالد فأكرمته، أي: أكرمت خالداً.

* شواهد قرآنية:

آية الأنفال ٢٠ ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ الضمير ﴿عَنۡهُ﴾ عائد على القريب، وهو الرسول ﷺ.

آية يونس٥ ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾الضمير الهاء، أي: قدّر القمر .

٢ـ وقد يعود الضمير على الأول مع القرينة، كما في:

* شواهد قرآنية:

آية البقرة ٤٥: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾الضمير (إنها) عائد على الصلاة دون الصبر، وختمت الآية بالكلام عنها ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وتقدّم ذكر المطالبة بها في الآية التي تسبقها في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[البقرة:٤٣].

آية الجمعة١١: ﴿ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ الضمير (إليها) عائد على التجارة دون اللهو؛ لأنها كانت سبب الانفضاض.



﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى لفظ ﴿ٱللَّهُمَّ﴾؟

الجواب :

(اللهم) معناه (يا الله)، واستغني بالميم عن ياء النداء، (اللهم) تعادل اسم الجلالة المنادى (يا الله)، وكلمة (اللهم) هي كلمة (الله) متصلة بها الميم المشددة.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٢٦.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاء قوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ في آية سورة يونس١٢، ولم تأت (على جنبه)، كما في آية آل عمران ١٩١ ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في الآية ١٢ من سورة يونس: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

٢ـ بدأ بالجنب، وقد وردت في آية آل عمران ١٩١ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ فأخّر الجنب، والإنسان عندما يصيبه الضُرّ والمرض يكون ملازماً لجنبه، ثم يقعد ثم يقوم؛ لذا بدأ بالجنب ثم القعود ثم القيام في آية سورة يونس.

٣ـ أما في حالة الصحة فهي بالعكس القيام أولاً ثم القعود ثم على الجنب لذا أخّر الجنب في آية آل عمران.

٤ـ وجاءت في آية سورة يونس باستخدام اللام بمعنى ملازم لجنبه، وبمعنى (دعانا وهو ملازم لجنبه).

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ ما كلمات منظومة الجري أو المشي السريع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧١.



﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

متى يقدم ﴿قَبْلَهُم﴾ على ﴿ٱلْقُرُونِ﴾؟ ومتى يؤخر؟

الجواب :

القاعدة في القرآن:

١ـ إذا أراد تهديد المشركين قدّم الظرف ﴿قَبْلَهُم﴾ على ﴿ٱلْقُرُونِ﴾، وورد ذلك في القرآن في ثمانية مواضع، منها:[آية الأنعام ٦ـ ويس ٣١].

٢ـ أمّا إذا لم يرد ذلك فيقدّم القرون على الظرف، وورد ذلك في موضعين، وهما[آية الإسراء ١٧ـ ويونس ١٢].

* شواهد قرآنية على تقديم القرون:

أ ـ آية الإسراء ١٧ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ ﴾ الكلام فيها على من بعد نوح من القرون، وليس فيها تهديد.

ب ـ آية يونس ١٣ : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ليس فيها تهديد وليس السياق في ذلك.

* شواهد قرآنية على تقديم الظرف :

أ ـ آية الأنعام ٦ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فيها تهديد وبيان إهلاكهم بسبب ذنوبهم.

ب ـ آية يس ٣١: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ فيها تهديد

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.



﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٦٥] و ﴿جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٤]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٥.

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿عُمُرًا﴾ ما كلمات منظومة الزمن في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٠.



﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟

الجواب :

نكّر الكذب ليشمل كل كذب عام؛ لأنّ المعرفة ما دلّ على شيء معين. فالكذب بالتعريف يقصد شيئاً معيناً وبأمر معين، نحو قوله تعالى :﴿ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[يونس:٦٨-٦٩] فهنالك أمر في السياق يقصده فذكر الكذب معرّفاً، فعندما يقول (الكذب) فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق.

أمّا عندما يقول (كذب) فيشمل كل كذب، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾[يونس:١٦-١٧] فلم يذكر مسألة معينة حصل كذب فيها، فنكّر (كذب)؛ ليشمل كل كذب وليس هنالك أمر معين.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾[الأنعام:٢١] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس:١٧]، حيث قال تعالى في آية الأنعام٢١: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وختمها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ وقال في يونس١٧: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وختمها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾؟

الجواب :

١ـ آية الأنعام ليس ما قبلها سبباً لما بعدها، فجاءت بالواو الاستئنافية، وختم بالظالمين لتقدم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

٢ـ آية يونس ما قبلها سبب لما بعدها فجاءت بالفاء المؤذنة بالسببية؛ أي بسبب إشراكهم، وختم ببيان عدم فلاح المجرمين لتقدم قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الثالث :

ما سبب اختلاف الفاصلة في الآيات الأنعام ٢١ـ يونس ١٧ـ الكهف ١٥ـ العنكبوت ٦٨؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٢١.



﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى في آية يونس١٨ : ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ وفي آية الفرقان٥٥ ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾؟

الجواب :

١ـ في آية يونس تقدّم قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ فناسب تقديم الضر، ومعنى الآية ١٨ : أي لا يضرهم إنْ عصوه ولا ينفعهم إنْ أطاعوه.

٢ـ في آية الفرقان تقدم ذكر النعم وعدّها؛ فناسب تقديم النفع، والمعنى أي: ما لا ينفعهم بنعمة من النعم.

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾؟ وبما أنّ الناس أمة واحدة، فما الغرض من بعث النبيين مبشرين ومنذرين؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[يونس:١٩] أي أمة واحدة أي متفقين على التوحيد مقرّين بالعبودية، ولكن السؤال إذا كانوا كذلك لِمَ أرسل الرسل؟ فالجواب: هو قوله تعالى في نفس الآية: ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ وهذا اقتضى إرسال النبيين والمرسلين .

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[البقرة:٢١٣]، فلمّا قال :

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ كان فيه إشارة إلى أنهم اختلفوا، وهذا اقتضى إرسال النبيين والمرسلين.

السؤال الثاني :

كلمتا (يختلفون وتختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣] و ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] ما كُنه الاختلاف؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣] أي: في الذي كانوا فيه يختلفون. والقرآن إمّا يقول: (قضي بينهم) أو(يحكم بينهم)، وعندما يقول: (يحكم بينهم) و(قضي بينهم)يستعمل (في).

٢ـ أمّا (كانوا وكنتم) فالأكثر عندما يقول: ﴿كَانُواْ﴾[البقرة:١١٣] أن يكون الكلام عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة:١١٣] فهنا الاختلاف الذي كان في الدنيا.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ فهذه الآن وليس في يوم القيامة؛ لأنّ ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴿١٩﴾﴾ تقصد الدنيا.

السؤال الثالث :

لماذا قال في آية الشورى ١٤ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ولم يقل مثل ذلك في آيات يونس١٩ـ وهود ١١٠ـ وفصلت ٤٥؟

الجواب :

١ـ إن الآيات في يونس وهود وفصّلت إنما هي في أمة واحدة، والقضاء يمكن أنْ يكون بينهم عاجلاً أو آجلاً.

ففي آية يونس ذكر الله أنّ الناس كانوا أمة واحدة اختلفت والقضاء بينهم ممكن، وآية هود هي في بني إسرائيل حين اختلفوا في الكتاب، والقضاء بينهم ممكن في الحياة الدنيا، ونحوها آية فصلت.

٢ـ وأما آية الشورى ١٤ فهي في سياق أمم مختلفة متعاقبة منها أمم مندثرة هالكة، فكيف يكون القضاء بينها في غير يوم القيامة، وهو الأجل المسمى؟

فناسب كل تعبير مكانه.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ما هي دلالة كلمة ﴿أُمَّةً ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٣.



﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾[هود:٩] و ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ ؟ [يونس:٢١] وما دلالة استعمال (إن) و(إذا)؟

الجواب :

١ـ الفرق بين (إذا) و (إنْ). (إذا) تستعمل فيما هو كثير، وفيما هو واجب و(إنْ) لما هو أقلّ في عموم الشرط، وقد يكون أقل تأكيداً، وقد يكون مستحيلاً، وقد يكون قليلاً، وهذه هي القاعدة.

٢ـ الكثير نستعمل له (إذا) وهي إمّا للمقطوع به أو كثير الوقوع، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء:٨٦] و ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ [يونس:٢١] ورحمة الله تعالى تصيب عموم الناس، وإذا مس الناس الضر دعوا ربهم، إذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها، وهذا كثير.

٣ـ (إنْ) تستعمل لما هو أقل أو لما هو نادر، أو لما ليس له وجود أصلاً ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ [هود:٩] هذه حالة فردية، وليس فقط فردية، وإنما يذيقه رحمة وينزعها منه.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿أَذَقْنَا﴾ ما دلالة الفعل(ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنفال ١٤.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في الآية قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ متى يستعمل القرآن (الشكر) فقط؟ ومتى يستعمل صيغة ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾[لقمان:٣١]؟ ولماذا؟

الجواب :

١ـ صبّار:الصبر إمّا أن يكون على طاعة الله أو على ما يصيب الإنسان من الشدائد، فالصلاة تحتاج إلى صبر، وكذلك سائر العبادات كالجهاد والصوم، والشدائد تحتاج للصبر.

٢ـ شكور: الشكر إمّا أن يكون على النعم، كما في قوله تعالى في آية النحل ١١٤: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴿١١٤﴾﴾ أو على النجاة من الشّدّة، كما في الآية: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يونس:٢٢] فالشكر إذن يكون على ما يصيب الإنسان من النِّعَم أو فيما يُنجيه الله تعالى من الشِّدّة والكرب.

٣ـ إضافة إلى هذا فإنه إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه تعالى إذا كان السياق في تهديد البحر يستعمل ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾[لقمان:٣١]وإذا كان في غيره يستعمل الشكر فقط .

ففي سورة لقمان مثلاً قال تعالى في سياق تهديد البحر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان:٣٢] .

وفي سورة الشورى ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾[الشورى:٣٣] .

أمّا في سورة الروم فقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[الروم:٤٦] فجاء بالشكر فقط .

وكذلك في سورة النحل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾[النحل:١٤] .

وفي سورة يونس ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يونس:٢٢] .

٤ـ كلمة (صبّار) لم تأت وحدها في القرآن كله، وإنما تأتي دائماً مع كلمة (شكور)؛ وهذا لأنّ الدين نصفه صبر ونصفه الآخر شكر، كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾[إبراهيم:٥] وفي سورة سبأ ﴿فَقَالُوا۟

رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾[سبأ:١٩] .

السؤال الثاني :

ما صيغ المبالغة؟ ولماذا استعمل صيغة (صبّار) على وزن (فعّال)؟

وأيهما أكثر مبالغة (فعول أو فعّال)؟

الجواب :

من صيغ المبالغة: (مِفعال، فعّال وفعول) وكل منها له دلالة خاصة.

١ـ **صيغة مِفعال:** نحو(مِعطاء ومِنحار ومِعطار) هذه الصيغة منقولة من الآلة كـ (مِفتاح ومِنشار) فنقلوها إلى المبالغة، فعندما يقولون: هو مِعطاء فكأنه صار آلة للعطاء، وقولنا: امرأة معطار بمعنى زجاجة عطر، أي: أنها آلة لذلك.

والدليل على ذلك أنّ صيغة المبالغة هذه (مِفعال) تُجمع جمع الآلة ولا تُجمع جمع المذكر السالم ولا جمع المؤنث السالم، فنقول مثلاً: مفتاح مفاتيح، ومنشار مناشير، ومحراث محاريث، ورجل مهذار ورجال مهاذير، فيجمع جمع الآلة؛ ولذلك لا يؤنث كالآلة قال الشاعر:

يــا موقــد النــار بالهنــدي والغــار   هيجتنــي حزنــاً يــا موقــد النــار
بــين الرصــافة والميــدان أرقبهــا   شــبّت لغانيــة بيضــاء معطــار

فلا نقول: معطارات، وإنما نجمع معطار على معاطير، فنقول: نساء معاطير ورجال معاطير، وامرأة مهذار ورجال مهاذير، فهي من الصيغ التي يستوي فيها المذكر

والمؤنث، ولا تجمع جمعاً سالماً، فلا نقول: امرأة معطارة، وإنما نقول: امرأة معطار ورجل معطار، ونجمعها جمع الآلة (معاطير) للرجال والنساء، وهذه هي القاعدة.

٢ـ صيغة فعّال: من الحِرفة. والعرب أكثرما تصوغ الحِرَف على وزن (فعّال) مثل: نجّار وحدّاد وبزّاز وعطّار ونشّار. فإذا جئنا بالصفة على وزن الصيغة (فعّال) فكأنما حرفته هذا الشيء، وإذا قلنا عن إنسان إنه كذّاب فكأنما يحترف الكذب، والنجّار حرفته النجارة، إذن هذه الصيغة هي من الحِرفة، وهذه الصنعة تحتاج إلى المزاولة.

وعليه فإن كلمة (صبّار) تعني الذي يحترف الصبر، وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في صفات الله تعالى، فقال تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج:١٦] وقوله تعالى: (غفّار) بعدما يقول (كفّار)؛ ليدلّ على أنّ الناس كلما أحدثوا كفراً واستغفروا غفر الله تعالى لهم ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح:١٠].

٣ـ صيغة فعول: مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويُستهلك في الاتّقاد، وكذلك الوَضوء هو الماء الذي يُستهلك في الوضوء، والسَحور ما يُؤكل في السحور، والسَفوف وهو ما يُسفّ، والبخور وهو ما يُستهلك في التبخير. فصيغة (فعول) إذن تدل على المادة التي تُستعمل في الشيء الخاصة به.

وصيغة (فعول) يستوي فيها المؤنّث والمذكر فنقول: رجل شكور وامرأة شكور، ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلاً، وكذلك صيغة (فعول) لا تُجمع جمع مذكر سالماً أو جمع مؤنّث سالماً، فلا نقول: رجال صبورون أو نساء صبورات وإنما نقول: صُبُر وشُكُر وغُفُر.

وعليه فإنّ كلمة (شكور) التي هي على وزن (فعول) منقولة من المادة، فإذا قلنا (صبور) فهي منقولة من المادة وهي الصبر، وتعني أنّ من نَصِفُه بالصبور هو كله صبر ويُستنفد في الصبر كما يُستنفد الوقود في النار، وكذلك كلمة (غفور) بمعنى كله مغفرة؛ ولذلك قالوا: إنّ أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزُمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزُّمَر:٥٣] .

٤ـ وهنا نسأل أيهما أكثر مبالغة (فعول) أو (فعّال)؟

(فعول) بالتأكيد أكثر مبالغة من (فعّال)؛ ولذلك فكلمة (صبور) هي أكثر مبالغة، وتعني أنه يفني نفسه في الصبر، وأمّا كلمة (صبّار) فهي بمعنى الحِرفة.

ونسأل أيضاً أيهما أكثر وجوداً في الحياة الصبر أو الشكر؟ الشكر بالتأكيد؛ لأنّ الشكر يكون في كل لحظة، والشكر يكون على نعم الله تعالى علينا، وهي نعم كثيرة وينبغي علينا أنْ نشكر الله تعالى عليها في كل لحظة؛ لأننا في نعمة من الله تعالى في كل لحظة، وقد امتدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾[النحل:١٢١] واستعمل كلمة (أنعُم)؛ لأنها تدل على جمع القِلّة؛ لأنه في الواقع أنّ نِعم الله تعالى لا تُحصى، فلا يمكن أنْ يكون إنسان شاكراً لنعم الله، والإنسان في نعمة في كل الأحوال، فهو في نعمة في قيامه وقعوده ونومه .. إلخ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[النحل:١٨] .

وعليه فإنّ الشكر يجب أنْ يكون أكثر من الصبر، فالصبر يكون كما أسلفنا إمّا عند الطاعات، وهي لها أوقات محددة وليست مستمرة كل لحظة كالصلاة والصيام، أو الصبر على الشدائد، وهي لا تقع دائماً أوكل لحظة، على عكس النِّعم التي تكون مستمرة في كل لحظة ولا تنقطع لحظة من لحظات الليل أو النهار، وتستوجب الشكر عليها في كل لحظة؛ فالإنسان يتقلب في نعم الله تعالى.

٥ـ ومما تقدّم نقول إنه تعالى جاء بصيغة (صبّار) للدلالة على الحِرفة وكلمة (شكور) بصيغة (فعول) التي يجب أنْ يستغرقها الإنسان في الشكر للدلالة على أنّ الانسان يُستغرق في الشكر، ويكفي أنْ يكون الإنسان صبّاراً ولا يحتاج لأنْ يكون صبوراً، أمّا صيغة (شكور)، فجاء بها لأنّ الانسان ينبغي أنْ يشكر الله تعالى على الدوام وحتى لو فعل فلن يوفِّيَ الله تعالى على نِعَمه.

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال الريح في آية ٢٢ من سورة يونس؟

الجواب:

هناك خصوصيات في استعمال القرآن، فعلى سبيل المثال القرآن يستعمل (الريح) في الشر و(الرياح) في الخير إلا في موطن واحد، حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

[يونس:٢٢] قال: ريح طيبة، ثم أتبعها بريح عاصف، وعليه ينبغي أنْ ننظر كيف يستعمل القرآن الكلمة في سياقها.

السؤال الرابع :

في بعض المواقع في القرآن نلاحظ أنه في نفس الآية توجد صيغة المخاطب والغائب، مثل قوله تعالى في سورة يونس ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ فما دلالة تحول الخطاب من صيغة المخاطب إلى الغائب؟

الجواب :

هذه الظاهرة تسمى التفاتاً في اللغة، فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ كان يخاطبهم، ثم ذهبت الفلك وأصبحوا غائبين، أي عندما جرت الفلك أصبحوا غائبين فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ فحكى عنهم بصيغة الغيبة، وهذا يسمى التفاتاً.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في آية يونس ٢٢: ﴿أَنجَيْتَنَا﴾ وفي آية الإسراء ٦٧ ﴿نَجَّىٰكُمْ﴾ وفي آية العنكبوت ٦٥ ﴿نَجَّىٰهُمْ﴾ فما الفرق في الاستعمال؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم الفعل (أنجى) للدلالة على سرعة الإنجاء، ويستعمل الفعل (نجّى) لسرعة إنجاءٍ أقل.

آيات سورة يونس ٢٢ـ٢٣ قال تعالى:

ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

آيات سورة الإسراء ٦٦ ـ ٦٧ قال تعالى:

ـ ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾

البيان:

قال في آيتي الإسراء والعنكبوت ﴿نَجَّىٰكُمْ﴾ و﴿نَجَّىٰهُمْ﴾، بينما قال في يونس ﴿أَنجَىٰهُمْ﴾، وذلك:

١ ـ الأمر في سورة يونس أشد، فإنه ذكر أنّ ريحاً عاصفاً جاءتهم وهم في الفلك، وأحاط بهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحيط بهم، وأنهم عاهدوا الله لئن أنجاهم ليكونن من الشاكرين، وهذه الحالة تتطلب الإسراع في نجاتهم وعدم المكث فيما هم فيه، فاستعمل (أنجى) للإسراع في النجاة.

٢ ـ في آية الإسراء قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فلم يحدد نوع الضر ولا شدته فقد يكون خفيفاً، وقال: ﴿مَسَّكُمُ﴾ ولم يقل أصابكم، والمس أخف من الإصابة، فاحتمل ذلك المكث في البحر أكثر مما في يونس، ولم يتعهدوا كما في يونس، فقال: ﴿نَجَّىٰكُمْ﴾.

٣ ـ في آية العنكبوت ٦٥: لم يذكر أنه أصابهم مكروه أو مسهم ضر، وإنما هي حالة خوف تعتري راكب البحر فيدعو لنفسه بالنجاة، فقال: ﴿نَجَّىٰهُمْ﴾.



﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الدلالة البلاغية في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾مع أنّ الساعة عندما ستقوم ستقوم إمّا ليلاً أو نهاراً؟

الجواب:

الوقت ليس إلا ليلاً أو نهاراً، والساعة عندما تأتي تقوم ليلاً أو نهاراً، فلِمَ ذكر التوقيت؟ الجواب: لأنّ الأرض لا تكون في وقت واحد ليلاً أو نهاراً وإنما قسم فيه ليل وقسم فيه نهار، فتأتي في وقت قسم فيه نائم وقسم غير نائم، قسم منشغل وقسم غير منشغل، وأحوال الناس في الليل والنهار ليست واحدة وإنما مختلفة فتأتيهم في جميع الأحوال في حالة اليقظة والنوم وفي الراحة وغير الراحة والانشغال.

السؤال الثاني :

وردت في القرآن الكريم آيات شبَّه الله تعالى فيها (الدنيا بالماء) كما في آية يونس ٢٤ ـ الكهف ٤٥، فلِمَ مثل الله تعالى الدنيا بالماء؟

الجواب :

١ـ لأنّ الماء ليس له قرار، وكذلك الدنيا.

٢ ـ لأنّ الماء إنْ أمسكته تغير ونتن، وكذلك الدنيا لمن أمسكها تكون بلية عليه.

٣ ـ لأنّ الماء يأتي قطرة قطرة ويذهب دفعة واحدة، وكذلك الدنيا.

٤ ـ الماء يستر الأرض، وكذلك المال وهو رمز الدنيا يغطي عيب الرجل .

٥ ـ الماء طبعه النقصان، وكذلك الدنيا.

٦ ـ الماء قليله ري للعطشان وكثيره داء ومصائب، وكذلك الدنيا.

٧ ـ الزرع يفسد بالماء الكثير وكذلك القلب يفسد بالمال الكثيرعلى الأغلب.

٨ـ الماء لا يكون كله صافياً، كذلك المال فيه الحلال والحرام والشبهة.

٩ ـ الماء قد يكون كثيراً في موضع وقليلاً في موضع آخر، كذلك الدنيا.

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هي صفة مشبهة، أي: المبالغة في الحسن، وبالتالي يكون معنى الآية: الذين بالغوا في أداء الحسنات فلهم الحسنى وزيادة، فما هذه الزيادة؟

٢ـ تتعدد مراتب الجزاء، فهناك عشرة الأمثال والسبعمائة ضعف والحسنى والزيادة عن الحسنى، وقال بعض العارفين: إنّ الزيادة المقصود بها العشرة الأمثال والسبعمائة ضعف، والفضل هو ما فوق ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨].

٣ـ ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: **إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنجنا من النار؟ قال: فيُكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.** أخرجه مسلم

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذا الأسلوب في الالتفات من صورة الخطاب إلى صورة الغيبة في الآيتين ٢٨-٢٩؟

الجواب :

١ـ هنا في الآيات يوجد جدل بين المشركين ومن كانوا يعبدونهم، كانوا يتخذونهم آلهة من دون الله ويتبعون ما يقولون، وإنْ خالف قولهم شرع الله ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وهؤلاء الشركاء يريدون شاهداً، وليس المهم (بيننا وبينكم)، لكنّ المهم أنّ (الشاهد) يشهد لهم أنهم ما كانوا يعبدونهم؛ ولذلك جاءت ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾.

٢ـ هذا الأسلوب في الالتفات من صورة الخطاب إلى صورة الغيبة مضطرد في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ لم يقل: وجرين بكم، أخذهم

ووضعهم في السفينة، ثم يتكلم عن غائبين فيشعر الإنسان أنه يركب معهم في السفينة، وهناك من يتحدث عنه وهو غائب.

السؤال الثاني :

جاء في القرآن كله تقديم كلمة (شهيد) على (بيني وبينكم)، كما جاء في سورة الأنعام ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[الأنعام:١٩] وسورة يونس آية ٢٩ والرعد آية ٤٣ والإسراء آية ٩٦ والأحقاف آية ٨، أما في سورة العنكبوت فقد جاءت كلمة (شهيد)متأخرة عن (بيني وبينكم)في الآية ٥٢ ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾فما سبب الاختلاف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٩.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ٢٩ ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ما دلالة تخفيف ﴿إِن﴾؟

الجواب :

١ـ إذا خففت (إنْ)المكسورة الهمزة بطل اختصاصها بالأسماء وجاز لها إذا دخلت على الجمل الاسمية الإهمال والإعمال، تقول: إنْ محمد لمنطلق . و: إنْ محمداً منطلق.

أمّا إذا دخلت على الجمل الفعلية أهملت وجوباً وتلزمها اللام عند الإهمال تفريقاً بينها وبين إنْ النافية، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾[الإسراء:٧٦] .

وذهب بعضهم إلى أنّ (إنْ) المخففة بمنزلة (قد) للتوكيد دون توقع أو تقليل أو تقريب، كما في الحرف (قد).

٢ـ من جهة أخرى قال بعضهم: (إنْ) المخففة هي للتوكيد بمنزلة (إنّ) المشددة، ولكنّ الأصح أنها أقل توكيداً من (إنّ) المشددة.

* شواهد قرآنية تفيد التوكيد:

ـ ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[يونس:٢٩] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾[الإسراء:١٠٨] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾[الإسراء:٧٣] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾[الإسراء:٧٦] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾[الطارق:٤] (إنْ) بمعنى (ما) نافية و(لّما) بمعنى (إلا).

* شواهد قرآنيةعلى أنّ (إنّ) المشددة آكد من المخففة:

آيات سورة يوسف :[٩١ ـ ٩٢ و ٩٧ ـ ٩٨].

آيات الأعراف:[٦٥ ـ ٦٩] و الشعراء[١٨٥ ـ ١٨٩].



﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في كلمة ﴿يَهِدِّي﴾ في سورة يونس؟

الجواب :

١ـ من حيث التكوين اللغوي كلمة ﴿يَهِدِّيٓ﴾تعني يهتدي، وحصل فيها إبدال معلوم للتاء فانقلبت دالاً مثل قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾[يس:٤٩] في سورة يس، وهي (يختصمون) وكلمة ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾[يونس:٢٤]وهي تزينت.

وكلمة ﴿يَهِدِّيٓ﴾ فيها تضعيف الدال، بينما (يهتدي) ليس فيها تضعيف الدال، والتضعيف يفيد المبالغة، أي: بالغ في عدم اهتداء هؤلاء.

والسؤال: لماذا استعملها القرآن هنا في الآية؟

٢ـ هذه الآية هي الوحيدة في القرآن كله التي وردت فيها ﴿يَهِدِّيٓ﴾وباقي الآيات ﴿يَهۡتَدِي﴾وربنا تعالى أراد أنْ يذكر المبالغة في عدم اهتدائهم؛ لأنّ هذه الآية تتكلم عن الأصنام وفيها مبالغة في عدم الاهتداء، فالأصنام ليست كالبشر؛ لأنها غير قادرة على فعل شيء، ولم يرد في القرآن نفي الهداية عن الأصنام إلا في هذه الآية.

وفي كل القرآن ورد نفي الهداية عن البشر فجاء بلفظ يهتدي وتهتدي، وإذا فقد السمع والبصر كما في حالة الأصنام تكون هناك مبالغة في عدم الهداية، وهذه المبالغة في عدم الهداية تناسبها مجيء كلمة ﴿يَهِدِّيٓ﴾أي: فكيف تهتدي الأصنام؟ لذا اقتضى المبالغة.

السؤال الثاني :

في سورة يونس ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٥﴾ ما دلالة استخدام (إلى الحق، للحق) مع فعل الهداية (هدى)؟

الجواب :

١ـ الفعل (هدى) يتعدّى بنفسه ويتعدّى بـ (إلى) ويتعدى بـ(اللام).

أ ـ يتعدّى بنفسه نحو: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم:٤٣].

ب ـ يتعدى بـ (إلى): ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٣٥] ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦].

ج ـ ويتعدى باللام: ﴿يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس:٣٥] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجُرات:١٧] ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣]، هذا مع الفعل (هدى).

٢ـ يبقى: ما دلالة كل تعبير حتى نفهمه؟

أ ـ المتعدي بنفسه نحو قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] هذا يقال لمن كان على الصراط ولمن كان بعيداً عنه، والفعل (هدى) يقال في حالات يحددها السياق.

فمن كان بعيداً عن الصراط يقول (اهدنا الصراط) كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣﴾ [مريم:٤٣] وأبوه ليس على الصراط وإنما بعيد عنه.

وقول الرُسُل: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم:١٢] وهم على الصراط، وهم أنبياء الله وهم على الصراط.

وقوله تعالى :﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] الذين يقولون :(إياك نعبد وإياك نستعين) مؤمنون على الصراط، فقالوا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] .

إذن المتعدي بنفسه يقولها لمن هو على الصراط أو بعيداً عن الصراط، و(اهدنا السبيل) قد يكون بعيداً عن السبيل وقد يكون هو على السبيل، أي: ثبّتني عليه وعلّمني ما فيه.

ب ـ المتعدّي بـ (إلى) الموجودة في آية يونس ٣٥ تقال لمن كان بعيداً عن الصراط تحديداً. فعندما تقول (اهدني إلى الصراط) أنت بعيد عن الصراط فيوصلك إليه ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص:٢٢] أنت أوصلنا إليه، وهم ليسوا على الصراط؛ لذا قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٣٥] أي :هل من الشركاء من يوصِل إلى الحق؟

ج ـ التعدية بـ(اللام) تكون لمن وصل إلى الغاية، إلى غاية الأمر، إلى المنتهى، واللام تأتي للتعليل، لطلب العِلم وتستعمل لانتهاء الغاية ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[الزُّمَر:٥].

٣ـ والإنسان يحتاج إلى هذه الهدايات كلها، فمن كان بعيداً عن الصراط يحتاج من يوصله إلى الصراط ويدلّه عليه، فمن وصل يحتاج من يعرّفه بالصراط؛ لأنه قد يستدل أحدهم على الطريق لكن لا يعرفه، فالمرحلة الأولى أنْ يوصله إلى الصراط، والمرحلة الثانية أنْ يعرّفه ماذا في الطريق من مراحل، هل هو آمن، ماذا فيه؟ والذي هو سالك في الطريق يحتاج من يوصله إلى آخر الغاية، آخر الطريق .

لذلك لا تجد في القرآن مع اللام (اهدنا للصراط)، وإنما تجد نهاية الأمور ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[النور:٣٥] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[الأعراف:٤٣] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾[الحُجُرات:١٧] . وهذه هي مسألة هدى الإنسان يحتاجها كلها.

٤ـ الآن نأتي إلى الآية: شركاؤهم لا يعرفون أين الحق، ولو سألتهم أين الحق لا يعرفون أين الحق وأين الصراط!! وهم أصلاً لا يعرفون الحق ولا أين الصراط ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ هم لا يعرفون أين الحق، إذن المرحلة الأولى من الهداية هو أنْ يعلم أين هو الصراط؟ والهداية هنا من الله تمثل المرحلتين الأولى والثانية حيث الدلالة إلى الحق وبيان ما فيه، وآلهتكم لا تعلم أين الحق، لكنّ الله تعالى يهدي إلى الحق .

ثم تأتي المرحلة الثالثة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ فالله تعالى يوصلكم للنهاية وليس فقط يهديكم إلى الحق وهذا آخر الهدايات. إذن هو الله تعالى ليس فقط يهدي إلى الحق، وإنما يوصلكم إلى آخر المطاف والمطاف هو الجنة.

فرب العالمين تعدى كل المراحل ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾، بينما شركاؤهم لا يعلمون الحق، والله تعالى يوصلكم إلى نهاية الحق و إلى نهاية المطاف .

لذا يقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[الأعراف:٤٣] ورب العالمين هداهم لهذا وأوصلهم للجنة وهي آخر الغاية ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:٤٣] .

٥ـ فإذن الأولى واضحة ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٣٥] هذا استفهام إنكاري، أي: هل من أصنامكم من يدلكم على الحق أين هو؟ لكنّ الله تعالى يهدي للحق، ويهدي إلى آخر الغاية، يهديكم إلى الصراط ويهديكم الصراط ويهديكم إلى نهاية الأمر، كما قال تعالى :﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ﴾[يونس:٣٥]. والله أعلم .

السؤال الثالث :

كيف نجمع بين قوله تعالى في الزمر٣: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ومثله في البقرة ٢٦٤ـ والمائدة ٦٧ـ والتوبة ٣٧ـ والنحل ١٠٧ـ وقوله تعالى في يونس ٣٥: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ وقد هدى خلقاً كثيراً من الكفار أسلموا من قريش وغيرهم؟

الجواب :

أنّ المراد من سبق علمه بأنه لا يؤمن وأنه يموت على كفره، فهو عام مخصوص، أو أنه غير مهدي في حال كذبه وكفره . والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما دلالة حرفي (اللام) و(إلى)في الآية ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ و ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ اللام هنا لبيان الغاية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ الحرف (إلى) هنا هو للفت الانتباه إلى أنّ الوصول للغاية يقتضي طريقاً، فأراد الله سبحانه في آية واحدة أن يجمع التعبيرين معاً.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ



السؤال الأول :

ما الفرق في التعبير بين الآيتين ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)﴾ [الأنفال:١٩] و ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾ [يونس:٣٦]؟ وما قواعد تأنيث الفعل للفاعل؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)﴾ [الأنفال:١٩] . (الفئة) مؤنث، فيفترض أنْ يكون الفعل معها مؤنثاً.

ويمكن في غير القرآن بسبب وجود الفاصل وهو كلمة (عنكم)، يمكن أنْ يقول: (يغني)، لكن عندما تأتي على الأصل لا يُسأل عنه. ولو قيل في غير القرآن: (لن يغني) من حيث اللغة جائز، لكنّ جميع القراء مطبقون على كلمة ﴿تُغْنِيَ﴾[الأنفال:١٩].

٢ـ أما الآية الأخرى في سورة يونس: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾[يونس:٣٦] لا تستطيع أن تقول (لا تغني)؛ لأنّ اللفظ مذكر.

تأنيث الفعل للفاعل فيه قواعد ثابتة منها:

١ـ إذا كان الفاعل مجازي التأنيث مثل (شمس)، يعني ليس له مذكر من جنسه، فالفعل معه يجوز تأنيثه وتذكيره على السواء عند العرب، تقول: طلعت الشمس، وتقول: طلع الشمس.

٢ـ أمّا إذا كان حقيقي التأنيث فيُنظر هل هناك فاصل؟ فإذا وجد الفاصل عند ذلك يجوز التذكير والتأنيث، فتقول: جاء إلى المحطة فاطمة، ولك أن تقول: جاءت إلى المحطة فاطمة.

أما إذا لم يكن هناك فاصل فليس لك إلا أن تؤنّث فتقول: جاءت فاطمة، ولا يجوز جاء فاطمة، وإنْ كان سيبويه قال: وسمعت بعض العرب يقول: قال فلانة، من غير فاصل، وهذا نوع من الأمانة العلمية لدى علمائنا.

٣ـ وإذا كان الفاعل ضميراً مستتراً، وكان يعود على مؤنث مجازي يجب تأنيث الفعل، نقول: الشمس طلعت، ولا يجوز أن نقول: الشمس طلع.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ ما دلالة فعل (ظن وحسب)؟ وما الفرق بينهما؟

الجواب :

(حسب): فعل يُراد به الاعتقاد الراجح ومعناه الظن، لكن هناك فرقاً بين حسب وظن، ومن ذلك :

أ ـ أنّ (حسب): وهو فعل من أفعال القلوب منقول من (حسب) الحسي الذي منه الحساب ومنه حسب الدراهم، أي: عدّها.

ب ـ والحسبان قائم على الحساب والنظر العقلي بخلاف الظن الذي يدخل الذهن، ويلابسه لأدنى سبب.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] أي كان ذلك في حسابهم.

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] لم يقل هنا (حسب) بدل (ظن)؛ لأن (ظن) قائم على رؤية، وليس في ذلك عمل حسابي.

كما لا يحسن أنْ تقوم كلمة (حسب) بدل(ظن) كما في الآيات:

ـ ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ـ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾ [الأحزاب:١٠] ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس:٣٦] .

ـ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح:٦] .

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ [الحُجُرات:١٢] .

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:٢] بدل اسم الإشارة (هذا) كما في هذه الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢ .



﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣] و ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس:٣٨] و ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود:١٣]؟

الجواب :

التحدي كان بأكثر من صورة،وقد كان هناك تحدٍّ في مكة وتحدٍّ في المدينة المنورة . انظر الجواب في آية البقرة ٢٣.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ و ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في آيات البقرة ٢٣ـ يونس ٣٨ـ هود ١٣؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣.



﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣)﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استعمال ﴿مَّن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)﴾؟

الجواب :

(مَن) في سنن العربية يُبدأ معها بالإفراد الذي يعود على لفظ (مَن) ثم يُؤتى بالذي يفسّر المعنى.

فيؤتى بالإفراد (من) ثم يفسّر بالمعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾[التوبة:٤٩]

و(من) تأتي للمفرد والجمع والمثنى والمذكر والمؤنث، وتأتي أولاً بصيغة المفرد ثم يأتي بعدها بما يخصّص المعنى، وهذا هو الأكثر في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق:١١] إلا إذا اقتضى السياق والبيان أنْ يخصص ابتداءً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢] .

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في الجمع مع (يستمعون) والإفراد مع (ينظر) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ؟

الجواب:

هنا نسأل: عادة أيّهما الأكثر (المستمعون أم الناظرون)؟

في مسجد أو محاضرة قد يحول عائق ما دون النظر إلى الخطيب، لكنّ الذين يستمعون إليه أكثر، فجاء تعالى بالجمع مع الكثرة ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ وجاء بالإفراد مع القلة ﴿يَنظُرُ﴾ ولو كان للقِلّة النسبية.

وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن، فعلى سبيل المثال يستعمل القرآن (البررة والأبرار) فيستعمل البررة دائماً للملائكة وليس للناس؛ لأنّ الملائكة كلهم بررة (كثرة نسبية) فجاء بجمع التكسير، ويستعمل الأبرار للناس.

إضافة إلى أنه قد يكون من أسباب استعمال الجمع للسمع والإفراد للنظر أنّ السمع يكون مباشراً وغير مباشر، أمّا النظر فلا يكون إلا مباشراً.

السؤال الثالث :

لماذا لم يقل (استمع إليك) في آية الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾[الجن:١] مع أنّ القرآن يستخدم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[الأنعام:٢٥] و﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢﴾[يونس:٤٢]؟

الجواب :

١ـ ليس المقصود في آية سورة الجن هو شخص الرسول ﷺ، لكنّ المقصود هو القرآن.

٢ـ هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع بحيث يقول: ﴿إِلَيْكَ﴾ لابد أنْ يجري ذكر الرسول في سياق الآية، أي: إذا قال (إليك) فلا بدّ أنْ يذكر شيئاً يتعلق بالرسول ﷺ.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾[الأنعام:٢٥] المخاطب هو الرسول ﷺ.

ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝١٦﴾[محمد:١٦] الموضوع متعلق بالرسول ﷺ.

- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس:٤٢] **المخاطب هو الرسول ﷺ .**

- ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الإسراء:٤٧] **المخاطب هو الرسول ﷺ .**

٣ـ فحيث يقول: ﴿ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [يونس:٤٢] أو ﴿ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [محمد:١٦] يجري ذكر الرسول ﷺ.

٤ـ في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً، و القصد ذكر القرآن وليس ذكر القارئ، والقرآن هو القصد وليس الرسول ﷺ، فلم يعدِّ الاستماع إليه.



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٥٧] وفي الأعراف ١٦٠ ﴿ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٠] والتوبة ٧٠ ﴿ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة:٧٠] بذكر (كانوا) وفي آل عمران ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران:١١٧] وفي آية يونس ٤٤ ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ بدون (كانوا)؟

الجواب :

زاد في البقرة والأعراف والتوبة قوله تعالى: (كانوا) بخلاف آية آل عمران ويونس؛ وذلك:

١ـ أنّ آيات البقرة والأعراف والتوبة في أقوام قد مضوا، وهم بنو إسرائيل وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات ،فناسب لفظة (كانوا) .

٢ـ أمّا آيتا آل عمران ويونس فليستا في أقوام ماضين، وإنما هو مثلٌ ضَرَبَه الله لكل عصر.

٣ـ لذلك نرى أنه عندما يتكلم الله سبحانه عن الحال يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: في الوقت الحالي وليس الزمن الماضي، كما في آية عمران ١١٧ حيث قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾[آل عمران:١١٧] فوصف حالة موجودة راهنة.

وكذلك عندما يتكلم عن قاعدة مطردة مطلقة فهذا ليس ماضياً، وإنما حال واستقبال فيقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ كما في آية يونس ٤٤.

٤ـ وعندما يتكلم الله سبحانه عن الأقوام الماضية البائدة يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٠] كما في آية العنكبوت ٤٠.

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ما دلالة (ثم) في الآية؟

الجواب :

١ـ ﴿ثُمَّ﴾ في الغالب معناها يكون الترتيب والتراخي، لكنها لا تنحصر بهذا المعنى، نحو: دخل محمد ثم خالد، هذا للترتيب والتراخي.

٢ـ وقد تكون (ثم) للتفاوت بالرتبة، يعني ما بعدها أكبر وأعظم مما قبلها في رتبته، وحتى النحاة ضربوا مثلاً وهو: أعجبني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس أعجب.

٣ـ وقد تكون ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الذكري للتفاوت في الرتبة والمنزلة، نضرب مثالاً من القرآن ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧]. ولننظر أيها الأكبر؟ ما بعد (ثم) أكبر. فإذن هو تفاوت في الرتبة، سيكون هذا الشيء أعلى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ربنا سبحانه وتعالى عالم دائماً، إذن ﴿ثُمَّ﴾ تفيد أنّ ما بعدها هو أكبر مما قبلها.

٤ـ حتى (الفاء) قد تكون للترتيب الذِّكري فقط، وليس للترتيب والتعقيب، وليس مثل: جاء أحمد فخالد، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف:٤] هل جاءها البأس قبل الإهلاك؟ ربنا قدّم الإهلاك، وهذا يسمى الترتيب الذكري.وكما في الأثر: توضأ رسول الله ﷺ فغسل يديه رجليه، هو غسل أولاً حتى يصير وضوءاً.

السؤال الثاني :

لماذا رسمت ﴿وَإِمَّا﴾ في آيتي يونس٤٦ وغافر٧٧ متصلة ﴿وَإِمَّا﴾ ورُسمت في آية الرعد ٤٠ منفصلة ﴿وَإِن مَّا﴾؟

الجواب :

١ـ الحرف (إنْ) شرطية و (ما) زائدة نحوياً مؤكدة .

٢ـ بشكل عام خط المصحف لا يقاس عليه، لكنْ من الغريب أنْ نحس أنّ للوصل والفصل غرضاً بيانياً.

٣ـ السياق في آيتي يونس وغافر إنما هو في الكلام عن الآخرة والآيتان تذكران الرجوع إلى الله، والرجوع إنما هو في الآخرة . انظر آيات يونس[٤٥ـ٤٧]وآيات غافر [٧٠ـ٧٧].

وأمّا السياق في الرعد فهو في الدنيا، انظر آيات الرعد[٣٧ـ ٤١] وقوله تعالى في الآية ٤٠ : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الرعد:٤٠] أي: في الدنيا، وقوله: ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد:٤٠] أي في الآخرة.

٤ـ لذلك فُصلت (ما) عن (إنْ) في الرعد إشارة إلى الفصل بين الأحداث فالكلام عن الدنيا والحساب في الآخرة.

ووصلت (ما) بـ (إنْ) في آيتي يونس وغافر إشارة إلى أنّ الأحداث متصلة ببعضها. والله أعلم.



﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق في الاستعمال بين (متى) و (مَن)؟

الجواب :

متى:

للسؤال عن الزمان. نحو: متى السفر؟ وقد يخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى كالاستبطاء: متى يعود أبي؟ والاستبعاد كقوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨) ﴾[يونس:٤٨] .

مَن:

للسؤال عمن يعقل، نحو: من حضر؟ فتقول: خالد، وقد تخرج عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى أشهرها:

١ـ النفي: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:١٣٥] .

٢ـ الدهشة والعجب: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[يس:٥٢].

٣ـ الإلزام: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الزُّخرُف:٩].

٤ـ التشويق والترغيب: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥].

ملاحظات:

و(من) قد تلحقها (ذا) فتكون مؤلفة: (من) اسم استفهام، و (ذا) اسم إشارة.

وقد تكون (مَنْ) اسم موصول، نحو: من ذا أكرمت أمحمد أم خالد؟

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من) نحو: (من ذا) أكرمت أمحمداً أم خالداً؟

وإذا قرن اسم الإشارة بهاء التنبيه كان أقوى وآكد؛ وذلك لأنّ فيه زيادة تنبيه، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المُلك:٢٠].



﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

هل ثمة من يستعجل الموت ويستقدمه؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٣٤.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الضُرّ والضرر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٩٥.

السؤال الثالث :

جاء تقديم النفع على الضرر في آية الأعراف ١٨٨ والرعد ١٦، وجاء في تقديم الضر في يونس ٤٩، والسؤال: متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٨٨.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الضُرّ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾[الأنعام:١٧] والضَر ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[يونس:٤٩] والضرر ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[النساء:٩٥] والحديث الشريف: «**لا ضرر ولا ضرار**»؟

الجواب :

١ـ الضُّرُّ: بالضم يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾[الأنبياء:٨٣] .

٢ـ الضَّرُّ: بالفتح مصدر بما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[الأعراف:١٨٨].

٣ـ الضَّرَرُ هوالاسم، وهو عام: أي: النقصان يدخل في الشيء، ويقال: دخل عليه ضرر، وفي الآية: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[النساء:٩٥] أي: الذين فيهم عِلّة، أمّا الضَّر فهو ما يقابل النفع.

٤ـ أحياناً يكون التغيير في المصدر بحركة أو بشيء آخر فيسمى اسماً، مثلاً: (الدَّهن والدُّهن): الدَّهن هو المصدر، دهن جسمَه دهناً، والدُّهن هو المادة المستخلصة من النبات للدهن.

(الحَمل والحِمل): الحَمل مصدر حَمَل، والحِمل هو الشيء المحمول، (الوَضوء) هو الماء و(الوُضوء) هو عملية التَّوَضُؤ نفسُها. وهذا تغيير بالحركة، وينجم عنه تغير المعنى من مصدر إلى اسم .



﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول :

قال في آية الأنعام ٤٦ ويونس ٥٠ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ وفي آيات الأنعام الأخرى رقم ٤٠ و ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بزيادة الكاف إضافة إلى الهمزة، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٤٠.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾؟

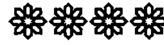
الجواب :

نشعر أنّ الآية قد أكّدت على عدة أمور:

١ـ أنّ عذاب الله قادم لغير المؤمنين، والمقصود به هنا قيام الساعة، وهو عذاب وسيكون وقعه عليهم شديداً، وهذا العذاب واقع لا محالة .

٢ ـ أنّ عذاب الله واقع على أهل القرى والمدن في هذه الدنيا .

٣ـ أنّ العذاب واقع بياتاً، أي: في الليل، حيث يكون الناس نائمين، أو نهاراً حيث يكون الناس عاملين، وهذا واضح؛ لأنّ الأرض كروية وعندما يقع العذاب يكون نصف سكان الأرض نائمين ونصفهم الآخر مستيقظين في النهار.



﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ (٥١) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال ﴿مَا﴾ بعد ﴿إِذَا﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ١٢٤.

السؤال الثاني :

في قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ (٥١) ﴾ ما دلالة (أثم)؟ وما الفرق بينها وبين (ثُم) و (ثَمّ)؟

الجواب :

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف و﴿ثَمَّ﴾ ظرف بمعنى (هناك).

(ثَمَّ) و(ثَمَّة) الدلالة واحدة، وأحياناً يؤتى بالتاء، واللغتان صحيحتان.

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِي وَرَبِّي﴾ ما أحرف الجواب؟ وما معناها واستعمالاتها؟

الجواب :

أحرف الجواب هي:

نعم:

حرف تصديق ووعد وإعلام.

ـ التصديق بعد الخبر، نحو: قد زارك محمد . فتقول: نعم.

ـ الوعد بعد الأمر والنهي، نحو: لا تخبّره بما حدث، فتقول: نعم.

ـ الإعلام بعد الاستفهام، نحو: أحضر خالد؟ فتقول: نعم.

بلى:

مختصة بإبطال النفي، وهي لا تقع إلا بعد النفي.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧] .

ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الملك:٩] .

أجل:

حرف جواب يقع بعد الخبر كثيراً فيكون تصديقاً له نحو: أزارك خالد؟ فتجيب: أجل.

إي:

بكسر الهمزة وسكون الياء وهي مثل: نعم، غير أنها لا تقع إلا قبل القسم فتكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب وإعلاماً للمستفهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾.

إي: لا تكون إلا قبل القسم، وأما (نعم)، فتكون مع القسم وغيره.

جلل:

حرف بمعنى نعم واسم بمعنى عظيم.

السؤال الثاني :

ما إعراب ﴿إِي﴾ في الآية ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾؟

الجواب :

(إي) حرف جواب مثل نعم ولا، لكنّ (إي) يكون بعدها قسم.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية يونس ٥٤: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ﴾ وقال في آية الزمر٤٧: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾[الزُّمَر:٤٧] فما الحكمة؟

الجواب :

١ـ لمّا أفرد النفس في يونس ناسب الاكتفاء بـ ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الزُّمَر:٤٧].

٢ـ ولمّا جمع في الزمر ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ناسب ذكر الفداء بما في الأرض ومثلها.



﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (الفضل والرحمة) في الآية الكريمة؟

الجواب :

١ـ الفضل: في الأصل لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يُتفضل به من غير سبب، والفضل هوالزيادة.

٢ـ الرحمة: هي الإنعام على المحتاج، وليس كذلك (النعمة)؛ لأنك إذا أنعمت بمال على شخص فقد أنعمت عليه ولا تقول إنك رحمته، والرحمة فعل الراحم، والناس يقولون: رقّ له فرحمه، فيجعلون الرقة سبب الرحمة.

٣ـ الفضل هنا في الآية يعني: معرفة الله ـ الإسلام ـ القرآن ـ أو جنس الفضل.

٤ـ رحمته تعالى تعني توفيق الله للعبد المؤمن أو القرآن أو جنس الرحمة، أو أنْ جعلكم من أهله، أي جعلكم مسلمين.

٥ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: من حطام الدنيا. والله أعلم.



﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية غافر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ وقوله في آية يونس ٦٠ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فلماذا اختلفت الصيغتان؟

الجواب:

١ـ في آية غافر: أظهر لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ وكرره، فناسب إظهاره للمشاكلة في الألفاظ، وذلك أنّ السياق الذي وردت فيه آية غافر تكرر فيه لفظ الناس بخلاف السياق في سورة يونس إذ بُني على الإضمار، وبيان ذلك قوله تعالى في سورة غافر:

ـ ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧].

ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر:٥٩].

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر:٦١].

فأظهر ذكر (الناس) كما أظهر في الآيتين قبلها رقم[٥٧ و٥٩].

٢ـ في آية يونس: أضمر الناس وكرر ضمائرهم قبل ذلك فناسب إضمارهم، والإضمار كما في الآية المتقدمة رقم ٦٠، وكما في قوله تعالى قبل ذلك:

ـ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فأضمر ذكره في قوله ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ﴾ والكلام للرسول ﷺ.

ثم قال بعدها:

ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فأضمر ما أضاف إليه (أكثرهم).

ثم انتهى إلى قوله تعالى بعد ذلك:

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فأضمر ما بنى عليه الكلام في أول الآية، فقال: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ والله أعلم.



﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية يونس ٦١: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله في آية سبأ ٣: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب :

قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)﴾ وقال في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣)﴾[سبأ:٣].

بداية الآيتين مختلفة، أمّا التذييل فمتشابه، وآية سبأ جاءت تذييلاً وتعقيباً للحديث عن الساعة، بينما آية يونس جاءت لبيان مقدار إحاطة علم الله بكل شيء، وسعة ذلك العلم، وترتب على هذا اختلاف التعبير بين الآيتين، كما سنوضح في الأسئلة التالية :

السؤال الثاني :

في آية سورة يونس٦١ استخدم ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾، أما في آية سورة سبأ ٣ فاستخدم ﴿لَا يَعْزُبُ﴾، فلماذا؟

الجواب :

١ـ السبب أنّ آية يونس جاءت في سياق الكلام عن مقدار إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، كما جاء في أول الآية ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾. وأمّا آية سورة سبأ فالسياق في التذييل والتعقيب على الساعة، وهو أمر مستقبلي .

٢ـ (لا) مطلقة تكون للحال أو للمستقبل، وقد تكون (لا) حرف نفي ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ [سبأ:٣] وقد تكون للاستقبال، مثل: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة:٤٨] وقد تكون

للحال ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل:٢٠] . إذن (لا) مطلقة تكون للحال أو للمستقبل، وهي أقدم حرف نفي في العربية وأوسعها استعمالاً، وهي مع المضارع تفيد الاستقبال، وهي حرف مطلق، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ فجاء الردّ من الله تعالى ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ و ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ و الجواب يقتضي النفي بـ﴿لَا﴾ .

٣ـ وجاء استخدام الضمير ﴿عَنْهُ﴾ في آية سورة سبأ؛ لأنه تقدّم ذكر الله تعالى قبله، أمّا في سورة يونس فلم يتقدم ذكر الله تعالى، فجاءت الآية ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾[يونس:٦١] .

السؤال الثالث :

في آية سورة يونس٦١ استخدم ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أما في آية سورة سبأ ٣ فاستخدم ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ و ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾، فلماذا؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾[سبأ:٣] كلمة (عالم) لا تأتي إلا مع المفرد ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢] و(عالم) اسم فاعل، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر:٣] أمّا (علاّم) فهي تقتضي المبالغة، مثل (غفّار).

٢ـ في آية يونس قوله تعالى: ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس:٦١]: هذه (من) الزائدة الاستغراقية، وهي تفيد الاستغراق والتوكيد، نقول في اللغة (ما حضر رجل) وتعني أنه يحتمل أنه لم يحضر أي رجل من الجنس كله أو رجل واحد فقط، وإذا قلنا: (ما حضر من رجل) فهي تعني من جنس الرجل، وهي نفي قطعي.

وقوله تعالى في سورة يونس ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس:٦١] للتوكيد؛ لأنّ الآية في سياق إحاطة علم الله بكل شيء؛ لذا اقتضى السياق استخدام ﴿مِن﴾ الاستغراقية التوكيدية.

السؤال الرابع :

موضوع التقديم والتأخير في (السماء والأرض)، حيث قدّم الأرض على السماء في آية يونس، بينما قدّم السماء على الأرض في آية سبأ، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الكلام في سورة يونس عن أهل الأرض، فناسب أنْ يقدم الأرض على السماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، واستخدمت ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في سورة يونس؛ لأنّ السياق في الاستغراق فجاء بأوسع حالة وهي السماء؛ لأنها أوسع بكثير من السموات في بعض الأحيان، فالسماء واحدة وهي تعني السموات أو كل ما علا .

٢ـ أمّا في سورة سبأ فالكلام عن الساعة، والساعة يأتي أمرها من السماء وتبدأ بأهل السماء، كما في الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الزُّمَر:٦٨] و ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[النمل:٨٧] . فناسب تقديم السماء على الأرض، وقد استخدم السموات حسب ما يقتضيه السياق.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ بالضم في سورة سبأ و ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ بالفتح في سورة يونس؟

الجواب :

١ـ في سورة يونس ﴿أَصْغَرَ﴾ اسم مبني على الفتح، و(لا) هي النافية للجنس، وتعمل عمل (إنّ) وهي تنفي الجنس على العموم. ونقول في اللغة: لا رجلَ حاضرٌ بمعنى نفي قطعي. (هل من رجل؟ لا رجلَ)، وهي شبيهة بحكم (من) السابقة. إذن جاء باستغراق نفي الجنس للتناسب مع سياق الآيات في السورة ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ و ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

٢ـ أمّا في سورة سبأ فالسياق ليس في الاستغراق، ونقول في اللغة: لا رجلَ حاضرٌ. (هل رجلٌ؟ لا رجلٌ) فهي إذن ليست للاستغراق هنا، فجاءت على الرفع.

السؤال السادس :

قوله تعالى في آية يونس: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ ما كلمات منظومة الإعلام العلني؟

الجواب :

الكلمات هي: جهر ـ أعلن ـ أظهر ـ أذن ـ أفاض ـ اصدع.

انظر الجواب في آية النساء ١٤٨.



﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى كلمة (الولي)؟

الجواب :

(الولي) تستعمل للتابع والمتبوع والناصر، والوليّ التابع المحب الذي يتولى أمره والولي هو الناصر، ويعني (الله ولينا ونحن أولياء الله): ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة:٢٥٧] أي: يتولى أمرهم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس:٦٢] فـ (الولي) تستعمل للفاعل والمفعول وتسمى من الأضداد، يقال: (مولى رسول الله والله مولانا) وهناك كلمات كثيرة في اللغة العربية تستعمل في هذا، وهي واضحة في اللغة وفي الاستعمال القرآني.



﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (الإيمان والتقوى)؟

الجواب :

١ـ هناك إسلام عام، ثم إيمان عام، ثم إيمان خاص، ثم التقوى، وهي المرحلة الرابعة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

فالإيمان غير التقوى، كما في الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾[البقرة:١٠٣] حيث انتقل من إسلام قولي إلى إيمان عام، ثم إلى إيمان خاص ثم إلى تقوى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [البقرة:١٠٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[البقرة:٢٧٨] .

٢ـ لذلك هناك الإسلام القولي ثم الإيمان العام ثم الإيمان الخاص الذي هو ممدوح ثم التقوى. والإيمان الخاص هو المتبع للسنة، ويعني هذا أنّ الإسلام دخل في قلبه ويحاول أنْ يطبقه تطبيقاً كاملاً في النوافل وفي كل شيء، ثم يترقى فيصبح متقياً.

والمتقي هذا يتعامل مع القرآن بعد أنْ خدم في الإيمان الخاص بالسُنّة ثم ترقّى، فأصبح في درجة المتقين . قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢] ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٣] ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾ [يوسف:٥٧] ﴿وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فُصِّلَت:١٨] وهكذا في كل القرآن المتقي يأتي بعد الإيمان الخاص، حيث بدأ يأخذ من منهل عظيم، وهو كتاب الله عز وجل، أي صار من أهل العلم والفهم في هذا الكتاب .



﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٥﴾

السؤال الأول :

قال في يونس ٦٥ وفاطر١٠ : ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ وقال في (المنافقون٨): ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

لا شك أنّ العزة له تعالى جميعاً وهو المختص بها وحده تعالى، وعزة الرسول ﷺ والمؤمنين منه، وهو معطيها لهم فعزتهم من عزته.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ (٦٦) ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾فكرر اسم الموصول ﴿مَن ﴾فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٦.

السؤال الثاني :

في يونس الآية ٦٦ جاء اللفظ: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾فاستخدم ﴿مَن ﴾ وفي آية البقرة ٢٨٤ يقول الله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾فاستخدم ﴿مَا ﴾، فلماذا؟

الجواب :

كل المخلوقات في الوجود تفهم عن الله، وكل الكائنات في عُرف الاستقبال عن الله سبحانه سواء بـ﴿مَن ﴾أو بـ(ما) تفهم عن الله.

﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تعريف كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٩٤.



﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (النبأ والخبر)؟

الجواب :

(النبأ)- كما يقول أهل اللغة- أهم من الخبر وأعظم منه، وفيه فائدة مهمة، والنبأ في اللغة هو الظهور، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خبر) مفردة في موطنين في قصة موسى عليه السلام :[القصص ٢٩ النمل ٧]. وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم.

وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن كلمة (نبأ) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾[يونس:٧١].

والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر (أخبر) ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾[الكهف:١٠٣].

ملحوظة: في نشرات الأخبار التي تقدمها الإذاعات إنْ كان الخبر عظيماً يجب أنْ يقال: نشرة الأنباء، وإن كان خبراً عادياً يقال نشرة الأخبار.



﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تنوع الصيغ في الآيات ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[يونس:٧٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾[الزُّمَر:١٢] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[يونس:١٠٤]؟ وما مفهوم المؤمن والمسلم والمتقي؟

الجواب :

١ـ لكي نعرف الفرق بين هذه الآيات ولماذا ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:٧٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾[الزُّمَر:١٢] ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[يونس:١٠٤] لا بدّ أنْ نعرف العلاقة والطريق إلى الله، ومراحل الوصول إلى الله.

كلنا في الطريق إلى الله، ولكنّ الطريق إلى الله يختلف المسافرون فيه من حيث قوتهم وشجاعتهم ووسائل سفرهم ومراحل وصولهم . وهذه المراحل هي: الإسلام القولي أولاً، والإيمان العام ثانياً، والإيمان الخاص ثالثاً، والتقوى رابعاً.

٢ـ لاحظ أنّ الطريق إلى الله يبدأ بالإسلام وينتهي بالإسلام، بدايته إسلام ونهايته إسلام. البداية إسلام بالقول قل :(لا إله إلا الله) ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[الحُجُرات:١٤] وكما في الحديث: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» حينئذٍ يكون الإسلام الطريق الأول الابتدائي الذي يبدأ المسلم طريقه فيه إلى الله بشكلٍ صحيح، هو الإسلام فقط سواء كنت مسيحياً أو يهودياً أو نصرانياً أو صابئياً، الإسلام أولاً يعني أن تقول :(لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، هذا عنوان الدخول إلى الطريق الصحيح إلى الله .

وإذا قال الإنسان: (لا إله إلا الله) حينئذٍ هذا الرجل أعلن أنه موحِّدٌ لله عز وجلّ ولا يعبد إلهاً غير الله، وهذه هي القضية المركزية لهذا الكون كله، وما من نبيٍّ إلا أمره الله بأن يبلغ قومه: أنْ يعبدوا الله وحده لا شريك له، هكذا تكون البداية ولا يوجد بداية غيرها.

وفي النهاية سوف ترى أنّ كل ما وراء ذلك يترتب على هذه المقولة ويأتي عليها تباعاً بمراحل، كما الابتدائية والمتوسطة والثانوية والكليات الجامعية ودكتوراه وإلخ. البداية الابتدائي ومن دون الابتدائي لا يمكن أن تصل ولا يمكن أنْ تقفز رأساً للثانوي أو الكلية فلا بدّ من الابتدائي، والابتدائية في الإسلام هي (لا إله إلا الله).

٣ـ بعدها تأتي الخطوة الثانية، وهي الإيمان وهو إيمان عام، والفرق بين الإسلام والإيمان هو أنّ الفرد الذي أسلم اقتنع وصار مؤمناً عاماً، فصار يؤدي الصلوات و الزكوات، فدخل في دائرة الإيمان العام، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[البقرة:٨٢] ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة:٤٥]

إذن المرحلة الأولى: الإسلام القولي، والمرحلة الثانية: انتقال إلى الإيمان بالتصديق والعمل.

وهذا المؤمن العام يترقى حتى يصير مؤمناً خاصاً، وذلك عن طريق اتباعه للنبي اتباعاً واضحاً ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]

والإيمان الخاص هو المتبع للسنة، ويعني هذا أنّ الإسلام دخل في قلبه ويحاول أنْ يطبقه تطبيقاً كاملاً في النوافل وفي كل شيء، ثم يترقى فيصبح متقياً.

٤ـ والمتقي هذا يتعامل مع القرآن بعد أنْ خدم في الإيمان الخاص بالسُّنّة، ثم ترقى فأصبح في درجة المتقين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾[البقرة:٢] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣] ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾[يوسف:٥٧] ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾[فُصِّلَت:١٨] وهكذا في كل القرآن (المتقي) جاء بعد الإيمان الخاص فبدأ يأخذ من منهل عظيم هو كتاب الله عز وجل، أي: صار من أهل العلم والفهم في هذا الكتاب.

السؤال الثاني :

قال في آية هود ٢٩ على لسان نوح عليه السلام: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ وعلى لسانه في آية يونس٧٢ ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ﴾ وجاء على لسانه في آية الشعراء١٠٩ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾، فما السبب؟

الجواب :

سبب ذلك أنه في الموضع الذي وردت فيه كلمة (مال) وقعت بعدها كلمة (خزائن) ولفظ المال بالخزائن أليق، فقد جاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾[هود:٣١] فناسب (المال) في آية هود بخلاف المواضع الأخرى.

وللعلم: وردت كلمة (أجر) بدل كلمة (مال) على لسان غيره من الأنبياء، انظر:[سورة هود ٥١ ـ وسورة الشعراء ١٢٧ ـ ١٤٥ ـ ١٦٤ ـ ١٨٠، وسورة سبأ ٤٧].



﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في تذكير كلمة (عاقبة) مرة وتأنيثها مرة أخرى؟

الجواب :

في لغة العرب يجوز تذكير وتأنيث الفعل، فإذا كان المعنى مؤنّثاً يستعمل الفعل مؤنثاً، وإذا كان المعنى مذكّراً يُستعمل الفعل مذكّراً، والأمثلة في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى

في سورة الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام:١١] وسورة يونس ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:٧٣] فالمقصود بالعاقبة هنا محل (العذاب)؛ فجاء الفعل مذكراً.

أمّا في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام:١٣٥] وفي سورة القصص ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص:٣٧] فجاء الفعل مؤنثاً؛ لأنّ المقصود هو (الجنّة) نفسها.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:٧٣] هل يمكن إظهار اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ نلاحظ أنه ذكر علّة الإغراق في الآية، فقال: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ﴾ يعني التي بسببها أغرِقوا .

٢ـ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ قال: ﴿كَانَ﴾ ولم يقل: (كانت)؛ لأنّ (العاقبة) هنا بمعنى العذاب، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزُّخرُف:٢٥] فالعاقبة ينظر فيها إلى المعنى، و هنا العذاب مذكّر، فقال: ﴿كَانَ﴾ (مراعاة المعنى) .

وحيث كانت (العاقبة) مؤنثة أي بمعنى(الجنة) ﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ﴾ [الأنعام:١٣٥] يؤنث الفعل؛ لأنّ الجنة مؤنثة.

وهذه من خصوصيات الاستعمال القرآني، وهي في اللغة جائزة، وإنما في القرآن يدل على أنّ التعبير مقصود.

٣ـ وهنالك أمر آخر في هذه القصة نفسها في سورة الأعراف، حيث قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [الأعراف:٦٤] وليس ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ [يونس:٧٣] و(من والذي) كلاهما اسم موصول، والقصة واحدة والألفاظ مختلفة، لكنها ليست متناقضة،والسبب هو اختلاف السياق في الموضعين .

٤ـ الملاحظ أنه في سورة يونس كانت الحالة أشد؛ لأنّ الله تعالى ذكر أموراً أشد، والله أحياناً يوجز في قصص الأنبياء وأحياناً يفصّل فيها.

في يونس قال: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾[يونس:٧١] فهو يتحدّاهم تحدياً.

وأمّا في الأعراف فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[الأعراف:٥٩-٦٠-٦١-٦٢] فقط، لذلك في يونس الموقف أشد.

٥ـ والسؤال الآن: متى يأتي الناس عادة ويؤمنون بالأفكار الجديدة؟ هل عندما يكونون في موقف عافية ورخاء أو في موقف شدة؟ في موقف الشدة ينصرفون وفي الرخاء يقبلون، كما حصل في المنافقين في المدينة، أمّا في مكة فكان الموقف أشد، فلا يأتي عندها إلا القلّة .

إذن في مواقف الشدة الناس يعزفون، إلا إذا كان عندهم دافع قوي وإيمان قوي، وإذا كانوا في موقف رخاء فقد يدخلون، لكن كم واحد يدخل؟ و(مَن) تحتمل المفرد والاثنين والجمع، أمّا (الذين) فلا تحتمل إلا الجمع ولا تحتمل الواحد أو الاثنين، ففي موقف الشدة استعمل ﴿وَمَن﴾؛ لذا قال ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾؛ لأنّ ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ قد تحتمل الواحد، وهي أقل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾[الأعراف:٦٤] . والله أعلم .

السؤال الثالث :

قال في آية الأعراف ٦٤ وآية الشعراء١١٩ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ وفي آية يونس٧٣ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٤.



﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا حذف ﴿بِهِۦ﴾ من آية الأعراف ١٠١ وذكرها في آية يونس ٧٤ ﴿كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠١.



﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (البعث والإرسال)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١١١.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ ما كلمات منظومة الظلم والاستعلاء والتكبر؟

الجواب :

هذه هي منظومة الظلمات التي تدل على الظلم والاستعلاء:

جبّار :

هو الذي يُجبر نقصه بإجبار الآخرين على أنْ يكونوا مثله، مثل إنسان ناقص صار مسلطاً على أناس كرام فأذلهم، وهي في صفة العبد نقص: [إبراهيم ١٥].

وأمّا في صفة الله تعالى فالجبار هو الذي يجبر نقص العبد فيعفو عن المذنب ويشفي المريض:[الحشر ٢٣].

متكبّر:

نفس صفات (جبار وقاهر)، ويضاف إليها الإعجاب بالنفس والزهو:[غافر ٢٧].

متعالٍ :

هو الذي يُعجب بنفسه ويحتقر غيره في الوقت نفسه: [المؤمنون ٤٦].

المجرم :

هو الذي يفتك بغيره بحيلة، والجاني يفتك بغيره بدون حيلة: [الأنعام ١٢٣ـ يونس ٧٥].

عُتُلّ :

فيه كل ما مضى من الصفات، ويضاف عليها أنه يستحوذ على غيره استحواذاً كاملاً بحيث لا يفلتون منه ﴿ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾[القلم:١٣].

عاتٍ : من العتو وفيه من كل الصفات السابقة، بالإضافة إلى كونه لا يُرجى صلاحه:[الفرقان ٢١ـ مريم ٨].

طاغية: فيه كل ما مضى ويضاف إليها أنه يرفض أي منطق حق أو برهان:[طه ٤٣].



﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول :

هل يُضمر القول في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٧ .



﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الجمع في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ مع أنّ الخطاب للمثنى؟

الجواب :

﴿ تَبَوَّءَا ﴾ الكلام مع موسى وهارون بالمثنّى، لكنْ لمّا أراد من جمهور بني إسرائيل أنْ يجعلوا هذه البيوت قِبلة استعمل الجمع فقال: ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾[يونس:٨٧] أي: تجمّعوا في هذه البيوت ولتكن بيوتكم أماكن اجتماع، فجاء الجمع، وهو ليس لموسى وهارون هنا وإنما لعموم بني إسرائيل.

ونلاحظ أنّ الله تعالى ثنّى في الأول ﴿تَبَوَّءَا﴾ لأنه خُوطب في البداية موسى وهارون عليهما السلام لأنهما المتبوعان.

ثم سيق الخطاب عاماً ﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾ ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ فالخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأنه واجب عليهم.

ثم خصّ موسى عليه السلام بالبشارة تعظيماً له، فقال:﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

لمزيد من التفصيل انظر السؤال التالي :

السؤال الثاني :

ما دلالة التحول من المثنى إلى الجمع في الآية ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾؟ بينما في الآية ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ كلها مثنى؟

الجواب :

لنستعرض الآيات: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

١ـ ﴿تَبَوَّءَا﴾ الخطاب للمثنى، ثم قال: ﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾ صار جمعاً، و بعد ذلك تكلم بالمفرد ﴿وَبَشِّرِ﴾، إذن لدينا مثنى وجمع ومفرد، فلا بدّ من الوقوف عند كل جزئية من هذه الجزئيات.

٢ـ بنو إسرائيل هؤلاء لا شك أنهم كانوا يسكنون في بيوت في مصر، فعندما يقول القرآن: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ فمعنى ذلك تبوءا بيوتاً جديدة، وهذه البيوت الجديدة هي بيوت مهيّأة للسفر؛ لأنه كان يريد أنْ يُخرِج قومه من مصر، فلا يُتصور أنْ يطلب إليهم أنْ يبنوا بيوتاً جديدة بالطين وبالآجُرّ، و كأنما خطوا خطوة في طريق الهجرة، وهذه الخطوة التي طُلِبت من موسى وأخيه، وحيث إنّ هذه القضية تتعلق بعمل وإجراءات تخص الناس فيمكن أنْ يوحى للرسول ومؤازره؛ فلذلك قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾.

٣ـ ﴿تَبَوَّءَا﴾: التبوء هو الاتخاذ، اتخذا البيت، وقالوا: البيت مباءة للإنسان؛ لأنّ أصل (باء) بمعنى رجع، وكأنما الإنسان عندما يخرج من بيته يرجع إليه دائماً، يعني يبوء إلى داره، وأحياناً تكون (رجع) عامة، كما في الآية :﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[الأنفال:١٦] أي رجع من عمله المذكور في الآية بغضب من الله سبحانه وتعالى.

٤ـ ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ إذن هي بيوت جديدة يمكن أنْ تكون خيماً أو بيوتاً مما يسمى الخصّ، والبيت هو ما يبيت فيه الإنسان .

وهذه البيوت كأنما طُلِب إليهم أن يجعلوا اتجاهها أي: اتجاه الفتحة فيها باتجاه القبلة، وجاء بالجمع ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ﴾الآن؛ لأنّ الكلام كان مع موسى وهارون، والتفت إلى بني إسرائيل، أي: أنتم جميعاً يا بني إسرائيل اجعلوا بيوتكم قبلة.

ووقف العلماء عند كلمة (قبلة) هنا: ما المراد بها؟

قسم قالوا: بعضها مقابل بعض، وقسم قال: اجعلوا بيوتكم قِبلة: صلّوا إليها، وقسم قال: مساجد، صلّوا فيها، أي صلوا في هذه المساجد. والعرب تسمي التوجه إلى الكعبة قِبلة.

هل كانت قبلة موسى عليه السلام الكعبة؟ الجواب: نعم. هي قبلة إبراهيم عليه السلام ومن وراءَه وقِبلة موسى عليه السلام كانت الكعبة، لكنْ يبدو أنه بعد ذلك في بعض أنبياء بني إسرائيل حدث نسخ وتحولوا إلى بيت المقدس؛ لأنها غالباً صارت موطناً للأصنام؛ فما عاد يُتّجه إليها أو لسبب آخر.

٥ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ يستدل العلماء منها باتجاه المعنى أنه قال: اجعلوا بيوتكم متجهة إلى الكعبة وصلّوا.

٦ـ والآن التفت التفاتاً آخر ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٧﴾ ونجد أنّ القرآن مرة ثنّى للاشتغال بشؤون الناس، ومرة جمع؛ لأنّ الأمر عام، ثم رجع فأفرد لأنّ البشارة من الرسول تكون أوقع وأعلى منزلة بخلاف لو جاءت البشارة من شخص معه. والرسول هو موسى عليه السلام وهو صاحب الرسالة، وهارون عليه السلام كان نبياً معه، والنبي يمكن أنْ يكون مع الرسول أو بعد الرسول يبلّغ رسالة الرسول ويبشر برسالة النبي، فإذن كل رسول هو نبي، ولكن ليس كل نبي رسولاً.

وهذا التلوين في العبارة مع الارتباط في المعنى يسمى (التفاتاً)، فمرة كلّم الاثنين، ثم كان لا بدّ أنْ يكلّم الجميع ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ﴾ ولا يمكن أنْ يقول: فاجعلا بيوتكما،

أي بيت موسى وهارون فقط سيكونان قبلتين وليس هذا المراد، وإنما المراد هو أن جميع البيوت تتجه باتجاه القِبلة.

وللعلم فإنّ(فرعون موسى) كان من الأسرة التاسعة عشرة الفرعونية، وهذا الوقت كان وقت موسى عليه السلام، فيرجح بعض المؤرخين أنْ تكون هذه الإجراءات العملية كانت في ممفيس، وأنّ بني إسرائيل مشوا مع البحر الأحمر، بانتظار أنْ يصلوا إلى منطقة قناة السويس الحالية ويحاولوا العبور هناك، ويبدو في تلك المنطقة أدركهم فرعون، ولو ساروا بالطريق المعهود مع نهر النيل كانوا حوصروا مبكراً، لكنْ اتخذوا لأنفسهم مكاناً بعيداً عن الطريق مع ساحل البحر الأحمر إلى أنْ وصلوا إلى هذه المنطقة الضيقة التي يعبر منها باتجاه سيناء، ومن هناك اتخذوا البر بعد ذلك. والله أعلم.

السؤال الثالث:

لماذا أثبت النون في (تتبعانّ) في الآية ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾؟

الجواب:

١ـ لمّا كان موسى عليه السلام (يدعو) كان هارون عليه السلام (يؤمّن). وجاء في القرآن الكريم رواية عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ هذه اللام يسمونها (لام العاقبة) وهي لام النتيجة، والمعنى هو الذي يبينها.

وهذه اللام تعني: إنك آتيت فرعون وملأه الزينة والأموال، وكانت نتيجة ذلك أنهم استعملوها للإضلال، ثم تابع موسى بالدعاء، فقال:

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ فقوله: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ كأنه قال: اربط على قلوبهم أو كما يقولون: اشدد عليهم فقال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾؛ لأنّ موسى كان يدعو وهارون يؤمِّن.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ في غير القرآن مفروض أنْ تكون بدون النون؛ لأنّ (لا) ناهية (ولا تتبعا)، لكنْ نجد أنّ القُرّاء يجمعون بالنون المشددة على رواية واحدة ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ وهي نون التوكيد الثقيلة، وليس في العرب من يفتح نون التوكيد مع ألف المثنّى، فالعرب جميعاً يكسرون نون التوكيد مع المثنى نحو: (هل تذهبانِّ إلى الموضع الفلاني يا أخويّ)؟ بكسرها، لأنّ نون المثنى بعد الألف تكون مكسورة دائماً، نحو: أنتما تكتبانِ، تذهبانِ، تلعبانِ، فحوفِظ على الكسرة وغُيرت الفتحة في لغة العرب جميعاً، فإذن هذه نون التوكيد وليست نون الرفع.

٣ـ تتبع: فعل مضارع مجزوم بـ (لا) مبني على حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعل، ونون الرفع محذوفة لتوالي الأمثال.

والنون في آخر الفعل هي للتوكيد، وليست نون الرفع .

والقاعدة تقول: إذا فَصَلَ بين نون التوكيد والفعل المضارع ألف الاثنين أو ياء المخاطبة أو واو الجماعة، حتى ولو تقديراً [لأننا نقول: هل تكتبُنّ دروسكم؟ (واو

محذوفة)، هل تكتبِنّ يا هندُ؟ (ياء محذوفة)، هل تكتبانِّ؟ (ألف محذوفة)] يعربُ الفعل المضارع . والله أعلم .



﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية بين قصة غرق فرعون في آيات سورة يونس وطه؟

الجواب :

قال تعالى في سورة يونس ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:٩٠] وقال في سورة طه ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[طه:٧٧-٧٨] . إذا لاحظنا الآيات في السورتين نرى ما يلي:

١ . التعبير في سورة يونس استخدم واو العطف في قوله ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾وهذا نص بالعطف على أنّ فرعون أتبع موسى ومن معه، وهذا تعبير قطعي في أنّ فرعون خرج مع جنوده وأتبع موسى، أمّا في سورة طه فاستخدم الباء في قوله: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ ﴾

[طه:٧٨] والباء في اللغة تفيد المصاحبة والاستعانة، وفي الآية الباء تحتمل المصاحبة وتحتمل الاستعانة بمعنى أمدهم بجنوده، ولا يشترط ذهاب فرعون معهم.

٢. قال في سورة يونس ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾، والتعبير في سورة يونس يوحي أنّ فرعون عازم على البطش والتنكيل، لذا خرج مع جنوده وأراد استئصال موسى بنفسه للتنكيل والبطش به؛ لأنّ سياق الآيات يفرض هذا التعبير، وذكر استكبار فرعون وملئه ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس:٧٥] فذكر أنهم مستكبرون ومجرمون، وذكر أنه ما آمن لموسى إلا قليل من قومه على خوف من فرعون وملئه، وذكر أيضاً أنّ فرعون عالٍ في الأرض ومسرف، كما ذكر أنه يفتن قومه، ومآل الأمر في سورة يونس أنّ موسى عليه السلام دعا على فرعون وقومه ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ فذِكرُ ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مناسب لسياق الآيات التي ذكرت عذاب فرعون وتنكيله بموسى وقومه.

ولم يذكر في سورة طه أنّ فرعون آذى موسى وقومه، ولم يتعرض لهذا الأمر مطلقاً في سورة طه؛ لذا فالسياق هنا مختلف؛ ولذا اختلف التعبير ولم يذكر (بغياً وعدوا)؛ ليناسب سياق الآيات في التعبير.

٣. بعد أنْ ضاق قوم موسى ذرعاً بفرعون وبطشه تدخل الله تعالى فتولّى أمر النجاة بنفسه، فقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس:٩٠]

وكان الغرق لفرعون، وإيمان فرعون عند الهلاك هو استجابة لدعوة موسى عليه السلام: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾.

أمّا في سورة طه فقد جاء الأمر وحياً من الله تعالى لموسى عليه السلام ولم يتولَّ تعالى أمر النجاة بنفسه، وإنما خاطب موسى بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه:٧٧] ثم قال تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[طه:٧٨] فذكر غرق قوم فرعون.

كل هذه الاختلافات بين المشهدين في القصة هو ما يقتضيه سياق الآيات في كل سورة.

السؤال الثاني:

ما دلالة تأنيث ﴿ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في الآية؟

الجواب:

جمع المؤنث السالم: لو كان الاسم مؤنثا حقيقياً لوجب التأنيث، كقولك: جاءت الطالبات، فإذا فصل عن فعله يجوز التذكير والتأنيث، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠] فجاء الفصل بالضمير (كم).

وقسم من النحاة يذهب إلى أنّ كل الجموع يجوز تذكيرها وتأنيثها بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يونس:٩٠] ويقول الشاعر:

إنّ قومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا

لا أبالي بجمعهم كل جمعٍ مؤنث

السؤال الثالث :

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة (اليم) ٨ مرات في قصة موسى عليه السلام، ووردت لفظة (البحر) ٨ مرات في القصة نفسها، ووردت لفظة (البحرين) مرة واحدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٣٦.



﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿خَلْفَكَ﴾ في الآية ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في سورة يونس؟

الجواب :

١ـ من حيث اللغة: (بعد) نقيضة (قبل)، وأظهر استعمال لها في الزمان، أمّا (خلف) فهي نقيضة (قُدّام) وهي في الغالب للمكان، والخلف في اللغة هو الظهر أيضاً.

وأحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى، فلا يمكننا أنْ نضع (خلف) مكان(بعد)؛ لأنّها كلها متعلقة بالزمان مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة:٥٢] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٠] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

٢ـ أمّا (خلف) فهي في الأصل للمكان: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾[الأعراف:١٧] ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ ﴾ [يس:٩] ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩ ﴾ [النساء:٩] أي: يلونهم مباشرة كأنهم واقفون خلفهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾[يونس:٩٢] .

والآية موضع السؤال، من خلفه؟ هم قومه الذين ينتظرون عودة فرعون وماذا سيفعل . ذهب فرعون بالجيش، والشعب والملأ خلفه، فالمعنى أصلاً (لمن خلفك) أي الذين ينتظرون العودة فالآية لهم حقيقة؛ لأنّ فيها تحدّياً ومسألة إيمان، لكنها صارت لنا فيما بعد آية.

السؤال الثاني :

ما استخدامات كلمة ﴿ءَايَةٗۚ ﴾في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة ﴿ءَايَةٗۚ ﴾وردت في القرآن الكريم لخمسة معان، وهي:

١ ـ البناء العالي: الشعراء ١٢٨ .

٢ ـ عبرة و موعظة: يونس ٩٢.

٣ ـ جملة من القرآن: النحل ١٠١ .

٤ ـ علامة واضحة: البقرة ١١٨ .

٥ ـ المعجزة: المؤمنون ٤٩ .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَقْضِي﴾ما كلمات المنظومة القضائية في الإسلام؟

الجواب :

هذه الكلمات تتعلق بالمنظومة القضائية في القرآن:

قضى :

القضاء هو فصل خصومة بين متخاصمين بحيث يقطع النزاع بينهما، والقاضي يقوم بكل جهد وعلى أتم وجه ويسمع من الطرفين استماعاً متساوياً:[يونس ٩٣].

والقاضي هو مَنْ كان مبدعاً في قضائه وينجز الأمر على أتم ما يكون: [فصلت ١٢].

والقضاء وحده ليس قاهراً، وإنما الحاكم هو الذي يقهر.

حكم :

الحاكم هو القاضي الذي له سلطة ملزمة، لذلك كل حاكم قاضٍ وليس كل قاض حاكماً، ولذلك سُمي الحاكم السياسي حاكماً؛ لأنّ له سلطة في تنفيذ أوامره.

فصل :

القضاء يميز العدل من الظلم، والفصل يميز الحق من الباطل في المذاهب والأفكار والفلسفات والعقائد:[الدخان ٤٠ ـ النبأ ١٧ـ الصافات ٢١ـ الحج١٧].

أفتى :

الإفتاء هو حكمٌ لسائلٍ يسأل عن قضية تحتمل أكثر من رأي:[يوسف ٤٣ـ الصافات ١٤٩].



﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

الشك لا يجوز على الرسول، فما المعنى؟

الجواب :

أنّ المراد غيره ممن يجوز عليه الشك، والتقدير: فإنْ كنت أيها الإنسان، ولذلك قال: ﴿إِلَيْكَ﴾ ولم يقل (عليك).



﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

في الآية أكد الفعل ﴿تَكُونَنَّ﴾ في آية البقرة ١٤٧ـ والأنعام ١١٤ـ ويونس ٩٥ـ دون آية آل عمران ٦٠، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٧.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

(حين) من الظروف المبهمة، بمعنى أنه ليس لها وقت محدد، لكن قد يُعلم وقتها بما تضاف اليه.

* شواهد قرآنية:

آية يونس ٩٨: تفيد مدة العمر في الحياة الدنيا.

آية الإنسان ١: تفيد مدة أربعين سنة، كما جاء في كتب التفسير.

آية ابراهيم ٢٥: تفيد مدة سنة كاملة حسب ثمار النخل كل سنة.

آية الروم ١٧: تفيد مدة اليوم الواحد.



﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال ﴿كُلُّهُمْ﴾ و ﴿جَمِيعًا ۚ﴾ في الآية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾؟

الجواب :

١ـ الآية هي في تسلية الرسول ﷺ، وفيها بيان كيف كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان قومه، وفيها تسلية لقلب الرسول ﷺ؛ لشدة حرصه فيقول له: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: الكل يؤمن، هذا توكيد لـ﴿مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

فإذن ﴿كُلُّهُمْ﴾ لبيان التأكيد على أنه لا يخرج منهم أحد عن الإيمان، ثم جاءت ﴿جَمِيعًا﴾ لبيان الحال، يعني حال كونهم مجتمعين على الإيمان وعلى مفردات الطاعة غير متفرقين عنها، فكلمة ﴿كُلُّهُمْ﴾ أدّت التوكيد وكلمة ﴿جَمِيعًا ۚ﴾ أدّت الحال. والحال لا تعني أنها منتقلة دائماً، والعلماء يقولون قد تكون الحال أحياناً دالة على الثبوت، أي: حالة كونهم مجتمعين في هذه الحال، كما في الآية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾، ﴿لَٰعِبِينَ﴾ هي حال، لكن لا تستطيع أنْ تستغني عنها.

٢ـ فإذن ﴿كُلُّهُمْ﴾ للتأكيد و﴿جَمِيعًا﴾ لبيان الحال، فواحدة مؤكِّدة وواحدة لبيان الحال، والتوكيد وبيان الحال مرادان، ومعنى بيان الحال أنهم مجتمعون على هذا الإيمان لا يفترقون حوله.

٣ـ المعنى العام: لو شاء الله سبحانه لدخل الناس جميعاً في الإيمان بحيث لا يخرج منهم أحد، ولظلوا على إيمانهم بحيث لا يزول منهم أحد بإجراء عمل مخالف للإيمان.

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾

السؤال الأول :

لماذا رُسم الفعل ﴿تُغۡنِي﴾ بالياء في آية يونس١٠١ وبدون ياء ﴿تُغۡنِ﴾ [القمر:٥] في آية سورة القمر٥؟

الجواب :

١ـ بشكل عام خط المصحف لا يقاس عليه، لكنْ من الغريب أنْ نحس أنّ للوصل والفصل غرضاً بيانياً وله دلالته.

٢ـ قال في القمر: ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾، وقال في يونس: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ فزاد في آية يونس على ما في القمر، فزاد في الرسم تبعاً لذلك.

٣ـ لمّا زادت دواعي الإغناء في يونس زاد الإغناء، ولمّا نقصت الدواعي في القمر نقص شيء من الحدث تبعاً لذلك، فَالنَّقصُ من الرسم في القمر مناسبٌ لنقص الدواعي. والله أعلم.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية يونس١٠٤: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ وفي آية النمل٩١: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ لمّا تقدم في يونس في الآية ١٠٣ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ناسب قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٢ـ ولمّا تقدم في النمل في الآية ٨١ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ ناسب بعده ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾[النمل:٩١] والله أعلم.



﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما تفسير الآية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[يونس:١٠٧]؟

الجواب :

هذه الآيات تبدأ من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾.

١ـ نلاحظ العلاقة بين هذه الآية والآية التي قبلها التي فيها نوع من التحذير، وهذا الكلام يكون خطاباً للرسول ﷺ وخطاباً للبشر جميعاً، أي: أيها الإنسان المسلم، أيها الإنسان الذي ينبغي أنْ تدخل في الإسلام، اتبع هذا الالتزام ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥)﴾ فلا تخلط الإيمان بشيء من الشِّرك والشِرك كما وصفه الرسول «**أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء**»؛ ولذلك علّمنا الرسول ﷺ أنْ نقول دائماً: «**اللهم إنا نعوذ بك أنْ نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»، وهذا من الأدعية التي ينبغي أنْ يرددها المسلم.

٢ـ في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ قدّم النفع على الضر؛ لأنّ الإنسان يحرص على نفعه قبل أنْ يحرص على دفع ما يضره فقدّمه بشكل طبيعي.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾ كلمة (الظالمين) تقترب منها ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ والظلم هو أذى وهو ضُرّ، ولذلك تقدمت كلمة الضُرّ هنا لقربها من كلمة الظلم ليكون نوع من التشابه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ هذا معناه أنّ ما يصيب الإنسان من ضر أو من خير فالأصل فيه أنه من الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى في الأصل هو الضّار وهو النافع، ومردُّ الأمور جميعاً إليه سبحانه وتعالى.

٤ـ فلمّا كان هناك كلام عن الضرّ قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ هي في الحالين ﴿وَإِن﴾ وهي غير (إذا)، (إذا) لتحقق الوقوع؛ أمّا ﴿وَإِن﴾ فهي للافتراض والاحتمال، فإذن كِلا الأمرين على الاحتمال إنْ وقع كذا وإنْ وقع كذا، وقد لا يكون هذا واقعاً لك أنْ يمسسك ضر، وقد لا يكون هذا واقعاً لك أنْ يصيبك خير، لكن هذا هو المبدأ العام.

٥ـ (المسّ) يكون عادة بالحواس وهو كاللمس، لكنّ الفرق أنّ اللمس يكون مباشراً بالحواس، أمّا المسّ فقد يكون لمساً بالحواس وقد يستعمل مجازاً للمس بغير الحواس وإنما لمس معنوي، كما يقولون: مسّه طائف من الجن ولا يقولون (لمسه)، كأنه نوع من المجاز.

السؤال الثاني:

في الخير قال: (يردك) وفي الشر، قال: (يصبك) فما الفرق بينهما؟ وما تفسير الآية؟ وما الحكمة في استعمال ﴿إِلَّا هُوَ ۖ﴾ و﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ أي: إذا أصابك هذا الضر، وذكر هنا اسم الجلالة، فلماذا استعمل ﴿إِلَّا هُوَ ۖ﴾؟

لّما ذكر فاعل المسّ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ﴾ نسبه إلى الله سبحانه وتعالى بظهور اسمه ليبيّن أنه ما يفعله الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أحد أنْ يزيله، فإذا أصاب الله إنساناً بسوء أو ضُرّ فهذا الضر لا مجال لأحد أنْ يكشفه إلا الله سبحانه وتعالى، فلمّا نسب الأمر إلى نفسه سبحانه ناسب ذلك أنْ يحصر الكشف بذاته جلّت قدرته، فقال: ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ يعني أنّ كشف هذا الضر منحصر بالله سبحانه وتعالى حصراً؛ ولهذا يقول علماؤنا: ينبغي أنْ يستحضر المسلم في نفسه حينما يمرض أنّ الذي يشفيه هو الله سبحانه وتعالى لا الطبيب ولا الدواء، لكنهما وسيلتان من وسائل الشفاء، ونحن مأمورون باتخاذ الأسباب في كل حياتنا، والله تعالى يفعل بكلمة (كُن فيكون).

فالطبيب والدواء سبب فقط، وينبغي أنْ يقر في قلوبنا أنّ الله سبحانه وتعالى هو الشافي .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾ هناك قال: (يمسسك) وهنا قال: (يُردك) فما السبب؟

(المسّ) مباشر وهو جاء منسجماً مع كلمة (الظالمين) في الآية التي سبقتها.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ أي: إذا وجّه الخير إليك فلا رادّ لفضله؛ لأنّ ﴿يُرِدۡكَ﴾ يكون للشيء قبل وقوعه، أمّا الكشف فيكون عن الشيء بعد وقوعه، فاستعمل كلمة (كاشف) مع المس؛ لأنه واقع، واستعمل كلمة (رادّ) مع ﴿يُرِدۡكَ﴾؛ لأنّ (يردك

بخير) لم يقع، واستعمال ﴿وَإِن﴾ للاحتمال ليس للجزم أو القطع، إنْ كان هذا وإنْ كان هذا.

٤ـ ونلاحظ في الآية أنّ كلمة المسّ واقعة، وكلمة الخير منتظرة، والمسّ فيه شيء ماديّ والإرادة فيها شيء أبعد، وكلا الفعلين على أمل الحدوث وليس مجزوماً بحدوثه، ولكنّ المسّ أقرب فاستعمل معه كلمة الكشف؛ لأنّ المس عادة يكون واقعاً (مسّه أي: وقع) فكشفه، لكنّ الإرادة قبل ذلك فاستعمل معها (رادّ)؛ لذا استعمل هنا (كاشف) وهنا (رادّ).

٥ـ لماذا قال: (يمسسك) مع الضر و(يردك) مع الخير؟ الكلام هنا عن قدرة الله سبحانه وتعالى وردّ الأمر إليه. وقبل ذلك كان الكلام عن الظلم، ولذا تقدم الكلام عن الضر، وتأخر الكلام عن النفع .

وفيه نوع من إشعار المسلم المتلقي بضرورة اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنه موطن تخويف من الانحراف عن طاعة الله تعالى، وعادة أنت في موطن التخويف تقدم العقاب. والجو قبل هذه الآية جو تحذير وتنبيه وتخويف، فالذي يناسبه أنْ يبدأ الكلام بالمسّ بالضُرّ، بأنْ لا تكون ظالماً ولا تدعو من دون الله ولا تكن من المشركين، فإذا مسّك الله تعالى بضر، فهذا منسجم مع قوله: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ .

٦ـ ثم تحوّل بعد ذلك إلى ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: فاستعمل الفضل هنا ولم يقل: فلا راد لخيره، وإنما قال: فلا رادّ لفضله؛ لأنه كما يقول العلماء: كل خير يصيب الإنسان هو ليس معاوضاً لعمله، وإنما هو تفضّل من الله سبحانه وتعالى . حتى دخول

الجنة بفضل الله تعالى ورحمته؛ لأنه مهما فعل الإنسان لا يستطيع أنْ يقابل فضل الله تعالى، فما يصيب الإنسان من الخير فهو فضل من الله تعالى وليس حقاً واجباً على الله سبحانه وتعالى إنما هو فضل، وهنا تأتي كلمة ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ والسياق الاعتيادي أنْ يقال: وإنْ يردك بخير، فلا راد لهذا الخير، وإنما قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، (يصيب به) يعني يوصله إلى من يشاء.

السؤال الثالث :

قال في آية الأنعام ١٧ ﴿يَمْسَسْكَ﴾ و ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ وفي آية يونس١٠٧ ﴿يُرِدْكَ﴾ و ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾؟ أي استعمل مع الخير ﴿يَمْسَسْكَ﴾ و﴿يُرِدْكَ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ الفعل (يردك) من الإرادة، والإرادة تكون عادة قبل فعل الشيء، وأمّا الفعل (يمسسك) فهو من المس أي بعد فعل الشيء ويكون الأمر قد وقع. فالأول قبل نيل الأمر والثاني بعد نيله .

٢ـ الضر إذا وقع لا يكشفه إلا الله تعالى فاستوى فيه الموضعان واتفق الجوابان، فقد قال في كل منهما : ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾.

٣ـ وأمّا الخير فله حالتان: إرادته قبل نيله، ثم نيله، وذكر الله الحالتين في السورتين.

٤ـ في آية الأنعام: ذكر الخير حالة نيله فعبّرعنه بالمس المباشر المشعر بوجوده، ثم قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[الأنعام:١٧] أي: على ذلك وفيه بشارة بنيل أمثاله.

٥ـ في آية يونس: حالة إرادة الخير قبل نيله فقال: ﴿يُرِدْكَ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ .

وفي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه، ولمّا اختلف الافتراضان كان الجواب بحسب ما يقتضيه كل افتراض. والله أعلم.



﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ في آية يونس ١٠٨ و ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ في آية الأنعام ٦٦؟ وما الفرق في الاستعمال بين(ليس و ما)؟

الجواب :

(ليس) فعل ماض ناقص من أخوات كان، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت، بينما الفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل، كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ .

لمزيد من التفاصيل انظر آية الأنعام ٦٦ .

رابعاً ـ تناسب مفتتح يونس مع خاتمتها:

قال سبحانه في أولها:

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾[يونس:١-٢].

وقال في خاتمتها:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس:١٠٨-١٠٩].

١ ـ فقد ذكر الكتاب الحكيم في أول السورة.

فإذا كان وصف الحكيم من الحكمة فهو الحق الذي ذكره في آخر السورة وهو قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾[يونس:١٠٨].

وإذا كان من الحكم فقد ناسب ذلك قوله في آخر السورة:

﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[يونس:١٠٩].

٢ ـ ثم إنّ السورة بدأت بالإنذار والتبشير، وذلك قوله: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾[يونس:٢].

وختمت بالإنذار والتبشير وذلك قوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾[يونس:١٠٨].

وقد بينت الآية الأخيرة كيف ينفذ ما طلب منه في بداية السورة، فقد قال في أول السورة: ﴿أَنذِرِ﴾ ﴿وَبَشِّرِ﴾ ثم علمّه في آيات الختام كيف يفعل ذاك فقال له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾[يونس:١٠٨].

فكأنهما من آية واحدة.

٣ـ وذكر في أول السورة ما أوحى إليه وعجب الناس من ذلك وموقف الكافرين من ذلك، فقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾[يونس:٢] . . . ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾[يونس:٢].

وطلب منه في آخر السورة أنْ يتبع ما يوحى إليه من ربه وأنْ يصبر حتى يحكم الله، فقال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[يونس:١٠٩].

والله أعلم .



سورة هود

أولاً ـ تناسب خاتمة يونس مع فاتحة هود:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة يونس:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾.

وقال في أول سورة هود:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾.

فكلتا الآيتين في الكتاب الذي أوحي إليه.

وقوله سبحانه في آخر آية يونس: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾ يناسب قوله في آية هود: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ فالذي أحكم آياته هو خير الحاكمين.

٢ ـ قال في أواخر يونس:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾.

وقال في أوائل سورة هود:

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾.

فقوله في هود: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)﴾.

وقوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾.

يناسب قوله في يونس:

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾.

جاء في «روح المعاني» في يونس وهود: مطلع هذه ـ يعني سورة هود ـ وختام تلك ـ يعني سورة يونس ـ بينهما شدة ارتباط أيضاً، حيث ختمت تلك بنفي الشرك واتباع الوحي، وافتتحت هذه ببيان الوحي والتحذير من الشرك.

والآيات التي في نفي الشرك في أواخر يونس هي قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥-١٠٦].

ثانياً ـ هدف السورة: الاستمرار في الإصلاح دون تهوّر أو ركون:

هذه السورة وأخواتها سورة يونس السابقة وسورة يوسف هي أول ثلاث سور لأسماء أنبياء، وكلّما كان اسم السورة على اسم نبي كانت قصة هذا النبي هي محور السورة، وفي ختام السورة تأتي آية تلخّص القصة، وكأنها قاعدة في كل السور المسماة بأسماء أنبياء، وهذه السور الثلاث نزلت في وقت واحد وبنفس الترتيب الذي ورد في المصحف، ونزلت السور الثلاث بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها ووفاة عم الرسول ﷺ أبي طالب وما لاقاه ﷺ من أذى في الطائف ولرفض دعوته ونصرته من

قبائل العرب، وكانت تلك الفترة عصيبة جداً على الرسول ﷺ وعلى المسلمين في مكة لما لاقوه من أذى المشركين، فمنهم من أمره الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ومنهم من بقي في مكة يتعرض للأذى والتضييق من قبل كفار قريش، فكأنما أنزل الله تعالى هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ وتسرية عنه؛ لأنها تقصّ عليه ما حدث لإخوانه الرسل من أنواع الابتلاء؛ ليتأسّى بهم في الصبر والثبات، وجاءت السورة لتوضح لنا أنّ من يمر بهذه الأزمات والمحن قد يتصرف وفق إحدى هذه التصرفات:

١. يفقد الأمل والعمل.

٢. يتهور ويلجأ إلى العنف والتصرفات غير المحسوبة وتدمير الغير.

٣. يركن للقويّ ويعيش في ظله ويترك قضيته وينتهي أمره على هذا النحو.

لكننا نرى أنّ الرسل لم يأخذوا أي واحد من هذه التصرفات، وكذلك جاءت الآيات تدعو الرسول ﷺ لعدم التصرف بهذه التصرفات، وإنما جاءت آية محورية هي أساس السورة والتي تدور الآيات حولها: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ و: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ وهذه الآيات تضمنت التوجيه للرسول ﷺ والمسلمين كيف يتصرفون في هذه المحنة وفي أي محنة قد تصيبهم في أي زمان وفي أي مكان.

إنّ هذه الآية تعالج حالة نفسية لأناس في وضع صعب للغاية؛ فجاءت بالأمر الأول ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ أي: اصبر واستمر بالدعوة، ثم جاء الأمر الثاني: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ أي: إياكم والتهور والطغيان، وجاء الأمر الثالث: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ بمعنى: إياك أنْ تعيش في ظل

القوي وتستسلم له، وهذه الأوامر الثلاث هي على عكس التصرفات المتوقعة ممن أصابته المحن كما أوردنا سابقاً، وقد قال الحسن رضي الله عنه: سبحان الذي جعل اعتدال الدين بين لاءين: لا تطغوا ولا تركنوا.

وجاءت آيات السورة تتحدث عن نماذج من الأنبياء الذين أصابتهم المحن ولاقوا من المصاعب ما لاقوا خلال دعوتهم لأقوامهم، ومع هذا كله صبروا واتبعوا هذه الأوامر الثلاث، وهذه السورة هي في غاية الأهمية للمسلمين لذا قال الرسول ﷺ: **«شيّبتني هود وأخواتها»**.

تبدأ السورة بتمجيد القرآن العظيم الذي أحكمت آياته: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ وتدعو إلى توحيد الله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ وعرضت الظروف الصعبة التي كان يعيشها المسلمون: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ ويدعو الله تعالى رسوله للثبات والاستمرار في الدعوة رغم كل الظروف: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾، وعرضت عناصر الدعوة الإسلامية في ظل كل الظروف الصعبة عن طريق الحجج العقلية مع الموازنة بين فريقي الضلال والهدى، وفرّقت بينهما كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ويتحدث الربع الأول من السورة (أول ٣٠ آية) عن هذا المعنى: التكذيب شديد وتأثيره شديد على المسلمين.

ثم تنتقل الآيات وتتحدث عن سبعة نماذج من الرسل الكرام وصبرهم على ما لاقوه من قومهم:

* قصة نوح عليه السلام (أبو البشر الثاني)، وقد وردت قصة نوح في هذه السورة بتفصيل لم تذكره آيات سورة أخرى من السور حتى سورة نوح نفسها، وتشرح كيف صبر نوح على قومه؛ فقد لبث فيهم عمراً طويلاً، أطول من أي نبي آخر ٩٥٠ عاماً يدعوهم وهم على تعنّتهم ويسخرون منه، ولّما طلب الله منه أنْ يصنع الفلك استمرت هذه العملية سنوات عديدة، حتى زرع الشجر ثم أخذ منها الخشب وصنع السفينة، وكان يمكن لله تعالى أنْ يهلك قوم نوح من غير انتظار هذه المدة الطويلة، لكنّ حكمته أرادت أنْ يظهر طول معاناة نوح وصبره كل هذه السنوات على الأذى حتى نتعلم منه الصبر مهما طال الأذى وعدم اليأس والاستمرار بالدعوة، ولم يكن رد نوح عليه السلام على قومه انفعالياً ولا غاضباً، إنما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾، فكأنه استقام كما أمره الله وصبر على الدعوة واستمر فيها ولم يتهور في ردة فعله وإنما كان ينصح لهم، (الآيات٣٥،٣٤،٣٣،٣٢،٣١،٣٠،٢٩،٢٨) ولم يركن حتى إلى ابنه الذي كان من المغرقين، ولم ترد قصة ابن نوح عليه السلام إلا في هذه السورة لمناسبة ورودها لهدف السورة وتحقيق معنى (لا تركن)، ولو كان الكافر الظالم من أهلك: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾. وآية ٤٧: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وتأتي العبرة في نهاية قصة نوح عليه السلام: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

* ثم تأتي قصة هود عليه السلام مع قومه، وقد سميت السورة باسمه تخليداً لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله؛ فقد كان قومه من العتاة المتجبرين الذين اغتروا بقوتهم وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فُصِّلَت:١٥] !! فواجههم هود عليه السلام، وكان رجلاً فرداً بين الجمّ الغفير من عتاة عاد الغلاظ الشداد، وقد حقَّرهم وانتقص آلهتهم وحثّهم على التصدي له، وقد قال لهم هود عليه السلام كلاماً جامعاً في آية واحدة ما قالها نبي ولا رسول لقومه أبداً اشتملت كل المعاني الثلاثة التي ذكرناها سابقاً: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود:٥٤-٥٥-٥٦-٥٧] . فكأنما جمعت هذه الآيات المعاني التالية: (استقم واصبر واستمر بالدعوة ولا تطغَ ولا تركن إلى الذين ظلموا)، فلم يتحدث أحد بقوة وعدم ركون وإصرار على الرسالة إلا سيدنا هود عليه السلام؛ ولذا سمى الله تعالى السورة باسمه.

* ثم جاءت قصة نبي الله صالح، ثم قصة لوط وشعيب ثم قصة موسى وهارون صلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعليهم جميعاً، ثم التعقيب المباشر بها في هذه القصص من العبر والعظات التي تدور حول محور السورة وتخدم أهدافها وتعرض صبر كل نبي على أذى قومه وعدم ركونه وطغيانه.

* ثم ختمت السورة الكريمة ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين لتثبيت قلب النبي ﷺ أمام الشدائد والأهوال التي تعرض لها: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ ثم يعرض الله تعالى لنا كيفية تنفيذ الأوامر التي وصّانا بها، ويدلنا على أنّ العبادة هي التي تعين على الاستقامة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾، والصبرفي الآية ١١٥ : ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ وكأنما الآيات كلها من الآية ١١٣ إلى نهاية السورة تعين عى تنفيذ الهدف، وتختم السورة بالتوحيد كما بدأت به ليتناسق البدء مع الختام: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[هود:١٢٣] .

ومن لطائف سورة هود البلاغية أنّ الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي ﷺ وإن كانت عامة في المعنى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [هود:١١٤]، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [هود:١١٥] وفي المنهيّات جمعت للأمة: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾[هود:١١٢]، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[هود:١١٣] .

وفى سورة هود كلها (حكيم) قبل (عليم)، بينما في سورة يوسف كلها (عليم) قبل(حكيم). والله أعلم .

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ في هذه الآية؟

الجواب :

(أحكمت آياته) أي ليس فيها خلل، قد يكون من الحكمة أو من الحكم أي استواؤها وعدم وجود الخلل فيها، وهذا من باب التوسع في المعنى.

السؤال الثالث :

ما معنى قوله تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾؟ وهل التفصيل غير الإحكام؟

الجواب :

المعنى أُحكمت آياته في اللوح المحفوظ، ثم فُصلت في إنزالها على النبي ﷺ بحسب الحاجة والمصلحة في ذلك الوقت.

السؤال الرابع :

لماذا قال تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بالبناء للمجهول، ثم بيّن الفاعل ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾؟ أي لماذا بدأ بالمجهول ثم ذكر الفاعل؟

الجواب :

١ـ المعروف في النحو واللغة أنّ المُسنَد إليه هو المتحدث عنه والمُسند هو المتحدث به، وعادة المسنَد إليه هو الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ، وإذا أراد الحديث عن نائب الفاعل

بنى الفعل للمجهول، وإذا أراد الحديث عن الفاعل ذكره. وعموم الكلام هو ماذا يريد المتكلم؟ هل الكلام عن الفاعل أو عن نائب الفاعل؟

٢ـ نأتي للآية في سورة هود، الحديث فيها عن الكتاب وتعظيمه لا على من أحكم وفصّل وهو الله سبحانه وتعالى، وقوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ فالكلام في الآية عن الكتاب وأنه أُحكمت آياته ثم فُصلت، وليس الكلام عن الحكيم الخبير.

وأمّا قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ فهذا من باب التعظيم للكتاب .

٣ـ ونظير ذلك ما ورد في بداية سورة الأعراف، فقال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:١-٢-٣] وقوله: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ [الأعراف:٣] الكلام عن الكتاب.

٤ـ فالله سبحانه وتعالى يبدأ بالسورة، فإذا كان الكلام عن الفاعل ذكر الفاعل، وإذا كان الكلام عن نائب الفاعل ذكره.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ يتكلم عن الله، وذكر الكتاب في ﴿أَنزَلَهُ﴾ لكنّ الكلام عن الفاعل، أي عن المنزِل لا عن المنزَل.

ـ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] بماذا يؤمن؟ بالكتاب.

ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر:٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ [الزُّمَر:٢] الكلام عن الله وليس عن الكتاب.

٥ـ لذلك إذا كان الكلام عن نائب الفاعل يبنيه للمجهول.

أليس هناك فرق بين ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ و ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾؟

الجواب: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾[الأعراف:٢] الكلام عن الكتاب، لكنْ يذكر من المنزِل فيما بعد لتعظيم الكتاب وليس للكلام عن الفاعل. ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ من أنزله؟ الله. إذن ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[الرعد:١] هذا استكمال لتعظيم الكتاب.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين (الإتقان والإحكام والإبرام)؟

الجواب :

١ ـ إتقان الشيء بأنْ لا تدع فيه خللاً ولا عيباً. والإحكام إيجاد الفعل مُحكماً؛ ولهذا قال الله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: خُلقت محكمة، ولم يقل: (أُتقنت آياته)؛ لأنها لم تُخلق وبها خلل ثم سُدّ خللُه.

٢ـ الإبرام: تقويه الشيء وأصله في تقوية الحبل، وهو في غيره مستعار.

السؤال السادس :

قوله تعالى في الآية: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ما الفرق بين دلالتي كلمتي الكتاب والقرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال السابع :

ما دلالة حرف العطف (ثم) في قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾؟

الجواب :

(ثُمّ) حرف عطف يفيد عدة معان :

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبّر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أو الأحوال أو غيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني ترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

* شواهد على المعنيين الأول والثاني :

١ـ آيتا سورة عبس ٢١ ـ٢٢: عقّب بالفاء بعد (أماته)؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء بـ (ثُمّ) بعد ذلك؛ لأنّ النشور يتأخر.

٢ـ آية الروم ٢٠: جاء بـ (ثُمّ)؛ لأنّ البشر المنتشر متراخٍ عن كونه تراباً وبينهما مهلة.

٣ـ آية الزمر ٦: فيها دليل على عدم الترتيب، فإنّ خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة، وأُجيب في الآية أنه أراد أنْ يذكر بدء خلق الإنسان فذكر أنه خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وليس القصد أنه جعل منها زوجها بعد خلقهم من النفس الواحدة .

* شواهد على المعنيين الثالث والرابع :

١ـ آية هود ١: (ثم) ليس معناها التراخي، ولكن في الحال كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويكون معنى الآية: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل.

٢ـ آية هود ٣: (ثم) هنا لمجرد الارتقاء، أي: بقي على التوبة؛ لأنّ البقاء عليها أفضل.

* شواهد على المعنى الخامس :

١ـ آيتا التكاثر: ٣ـ٤ : العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب وبينهما مدة، فهي للتراخي الزمني أو داخلة في التوكيد.

٢ـ آية التكاثر ٧: (ثمّ) للتوكيد.

٣ـ آيتا الإنفطار ١٧ـ١٨ : (ثمّ) لتبعيد المعرفة أو للإيغال في التوكيد.

٤ـ آيتا المدثر ١٨ـ٢٠ : (ثمّ) للعطف والتوكيد.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ما الفرق بين (التفسير والتأويل والشرح والتفصيل والقرآن والفرقان)؟

الجواب :

١ـ التفسير: هو الإخبار عن إفراد آحاد الجملة أو ما انتظمه ظاهر التنزيل.

٢ـ التأويل: هو الإخبار بمعنى الكلام، أو استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يُحتمل مجازاً أو حقيقة.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧] ولم يقل: تفسيره؛ لأنه أراد ما يُؤول من المتشابه إلى المُحكم.

٣ـ الشرح: بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور؛ ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن.

٤ـ التفصيل: هو ذكر ما تتضمنه الجملة على سبيل الإفراد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ ولم يقل: شرحت.

والتفصيل هو وصف آحاد الجنس وذكرهما معاً وربما احتاج التفصيل إلى الشرح والبيان.

٥ـ (القرآن) يفيد جميع السور وضم بعضها إلى بعض، و(الفرقان) يفيد أنه يفرّق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر.



﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾

السؤال الأول:

قدّم النذارة في هود٢ بخلاف آيات البقرة ٢١٣ الأحزاب ٤٥ فصلت٤ حيث قُدمت البشارة، فلماذا؟

الجواب :

١ـ في هود بدأ الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ فناسب تقديم النذارة على عبادة غير الله تعالى.

٢ـ أمّا في البقرة والأحزاب فناسب كرامته تعالى لعباده تقديم البشارة .

٣ـ وكذلك في فصلت ٤ فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فُصِّلَت:٣] فناسب تقديم البشارة.



﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حرف العطف (ثم) في قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ١.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[هود:٣] :

أ ـ المعنى: لا سبيل إلى طلب المغفرة من عند الله إلا بإظهار التوبة.

ب ـ المطلوب الاستغفار من سالف الذنوب ثم التوبة في المستأنف؛ لأنّ الاستغفار طلبٌ من الله تعالى لإزالة ما لا ينبغي، والتوبة سعي من الإنسان في إزالة ما لا ينبغي .

ج ـ الاستعانة بفضل الله تعالى مقدمة على الاستعانة بسعي النفس.

٢ـ قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾:

أ ـ المتاع: هو ما تستمتع به وتستقبله بسرور وانبساط، وسميت منافع الدنيا بالمتاع لأجل التنبيه على حقارتها وقلتها وكونها منقضية بقوله تعالى:﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾.

ب ـ كل مصيبة تصيب المؤمن في الدنيا يجزيه الله بها حسن الجزاء، ويستقبل المؤمن قضاء الله بنفس راضية، والمؤمن كل أمره خير، والمُصاب حقاً هو من حُرم الثواب.

ج ـ صاحب المصيبة حين يستحضر الجزاء عليها إنما يحيا في متعة، ولذلك يحمد الله على المصائب، والمصائب قد تأتي للإنسان بنعمة أوسع مما فقدته.

د ـ قال أحد العارفين للآخر: كيف حالكم في بلادكم أيها الفقراء؟ ويقصد العبّاد الزهّاد؟

فقال العبد الثاني: حالنا إنْ أُعطينا شكرنا وإنْ حُرمنا صبرنا.

فقال الأول: هذا حال الكلاب في بلخ، وهي مدينة في خراسان، أي: أنّ الكلب إنْ أعطيته يهز ذيله، وإن منعه أحد فهو يصبر.

وسأل العبد الثاني العبد الأول: وكيف حالكم أنتم؟

فقال: نحن إنْ أُعطينا آثرنا وإنْ حُرمنا شكرنا.

هـ ـ الفضل هو الأجر الزائد عن مساويه.

و ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾ أي: فإنْ أعرضوا عنك فأبلغهم أنك تخاف عليهم من عذاب يوم القيامة، وهو عذاب كبير.

﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾

السؤال الأول :

في الآية قدّم (السر على العلن)، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٤.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَثۡنُونَ﴾ ما معنى الفعل (ثنى)؟ وما الكلمات المشابهة لها؟

الجواب :

ثنى :

ـ ثنيت الثوب جعلته نصفين، وجعلت النصف الأول فوق النصف الثاني.

ـ الفاتحة نصفان: نصف للعبد ونصف لله تعالى، فهي مثنية.

ـ ثنيات الوداع هي الطريق على شكل زاوية .

ـ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ أي: انحنوا كاملاً، كأنهم نصفان، فجعل الرأس على القدم من شدة الهروب من الشيء.

وقد يكون الثني معنوياً يدل على شدة الإغلاق؛ لأنّ الصدر مكان الهداية فهم فوق الانثناء يضعون ثيابهم على وجوههم بحيث لا تُرى ملامحهم ﴿يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾.

ـ الثني يكون باعتبار العدد أو باعتبار التكرير أو بكليهما معاً.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾[التوبة:٤٠] ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[فاطر:١] ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾[البقرة:٦٠].

ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾[هود:٥].

عطف :

في الطريق المستقيم: إذا رجع كاملاً يسمى: رجع .

في الطريق المستقيم: إذا رجع رجوعاً جزئياً يسمى: عوج .

في الطريق المستقيم: إذا انحرف يسمى: عطف .

عوج :

عَوَج: تُقال للأشياء مثل الطريق والقلم.

عِوَج: تُقال للفكر والنظريات.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾[الزُّمَر:٢٨] أي: لا يمكن لأي شيء فيه أنْ ينحني.

ـ ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾[الأعراف:٤٥] الآية لأهل الكتاب، ولم يقل (ويجعلونها عوجا) بمعنى أنهم يحاولون أنْ يتهموا الإسلام اتهامات باطلة.

قلب :

هو تغيير حال الشيء إلى عكسه .

القلب والتقليب في الأمور المادية، وقد يكون التقليب من الباطل إلى الحق ومن الكفر إلى الإيمان.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾[الأنعام:١١٠].

ـ ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾[النور:٣٧].

ـ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ﴾[الكهف:٤٢].

ـ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦﴾[آل عمران:١٩٦] .

لوى :

ـ من اللي، وهو فتل الحبل وتعني الإمالة، ولوى لسانه كناية عن الكذب.

ـ فلان لا يلوي على أحد إذا أمعن في الهزيمة.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾[المنافقون:٥] .

ـ ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧٨].

ـ ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[آل عمران:١٥٣] .

طوى :

ـ طويت الشيء طياً، ويعبر بالطي عن مضي العمر.

ـ هو اسم واد، وقال آخرون: هو اسم مكان طويت فيه المسافة بين السماء والأرض.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[الأنبياء:١٠٤] .

ـ ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾[طه:١٢] .

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الدابة اسم لكل حيوان ومأخوذ من الدبيب ويطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى.

٢ـ ثبت من الآية أنّ رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى، وهذا يوجب لله تعالى العلم والقدرة.

٣ـ جملة: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ تدل أنّ الرزق لكل الحيوان واجب على الله بحسب الوعد والفضل والإحسان.

٤ـ المستقر: هو المكان في الأرض يأوي إليه الحيوان ليلاً أو نهاراً.

٥ـ المستودع: الموضع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار في صلب أو رحم أو بيضة، وهو أيضاً المكان الذي يموت فيه الحيوان.

٦ـ هذا الأمر ثابت في علم الله تعالى في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام:٥٩] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ
مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ
أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ
لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ في الآية ٧ هود؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ الابتلاء هو الاختبار والامتحان، والفعل (يبلو) متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾ يعني خلق هذه الأشياء من أجل امتحانكم ومن أجل ابتلائكم. وهذا الكون كله خُلِق وأنتم خُلِقتم أيضاً من أجل الابتلاء والامتحان، وليتبيّن مَنْ سيكون مطيعاً لله سبحانه وتعالى ومن سيكون عاصياً.

٢ـ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلقٌ بـ(خـلَق) وليس بما وراء خلق ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وإنْ كانت كل هذه المعاني داخلة ضمن الامتحان والاختبار فهي جزء منه.

وعندما يسأل الإنسان لماذا ستة أيام؟ ما المراد بالعرش؟ ما المراد بالماء؟ كيف كان عرشه على الماء؟ هذا كله يندرج بالغيب الذي يؤمن به المؤمنون ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]**؛ لأنّ كل ما غاب عنا إدراكه فالخوض فيه هو كدٌّ للذهن لا يوصل إلى نتيجة.**

ويمكن أنْ تأتي بعض النظريات والأقوال، لكنّ هذا كله ليس من شأن القرآن الكريم، والإيمان بهذا النص القرآني هو جزء من الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

٣ـ فإذن ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ دلالتها (ليختبركم)، أي: أنّ هذا الوجود هو من أجل اختباركم، أي: أنْ تُختبروا . و الاختبار لا يعني أنّ الله سبحانه وتعالى لم يكنْ يعلم؛ لأنّ المستقبل في علم الله عز وجل ماضٍ، لكنْ حتى يعلم الإنسان الذي يدخل الجنة لماذا دخل الجنة.

٤ـ الفرق بين البلاء والابتلاء: (بلاه بالشيء وابتلاه) كلاهما بمعنى اختبره، مثل: خَبِر الأمر واختبر الأمر، لكنّ الاختبار كأنّ فيه نوعاً من العمل، وعندما تقول: (خبرت) هذ الشيء، أي: صار عندك خبرة به بجهد يسير، إنما (اختبرته) فيه جهد، مثل: جهد في الأمر واجتهد في الأمر، (افتعل) فيه معنى بذل الجهد.

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾أي ليعلم من أخباركم علماً ظاهراً؛ لأنّ العلم الباطن عند الله سبحانه وتعالى معلوم، لكنْ حتى يقتنع المخلوق أنّ هذا حقّه بناء على فعله.

السؤال الثاني :

ما دلالة اختلاف تشكيل كلمة (ليقولَّن) بالفتح والضم في آيتي سورة هود ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾؟

الجواب :

١ـ الفعل ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بالفتح؛ لأنه ذكر الفاعل بعدها ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، لأنّ الفعل يُفرد مع الفاعل. أمّا الثانية ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ بالضم؛ لأنّ الفاعل محذوف وهو واو الجماعة، فالأصل (يقولون) ثم دخلت نون التوكيد، فهذا جمع وذاك مفرد.

فمع الجمع يقول ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ ومع المفرد ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بغض النظر عن الحركة الإعرابية؛ لأنّ الفعل يفرد مع الفاعل . نقول: (حضر الرجال، يحضر الرجال)، ولا نقول: يحضرون الرجال، ليحضرُنّ الرجال، وإذا ذهب الفاعل وكانوا مجموعين نقول: (ليحضرُنّ). وكما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ ولا نقول: جاءوك المنافقون.

٢ـ إذن في الآية ٧ في سورة هود الفعل﴿لَيَقُولَنَّ﴾ يُبنى على الفتح؛ لأنّ نون التوكيد باشرت الفعل المضارع؛ لأنه مُسند إلى اسم ظاهر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، والفعل يُفرد مع الفاعل، حسب القاعدة: إذا كان الفاعل ظاهراً فنأتي بالفعل في حالة الإفراد ويُبنى على الفتح؛ حيث باشرته نون التوكيد .

٣ـ أمّا في الآية الثانية هود ٨ فالفعل﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مُسند إلى واو الجماعة ولم تباشره نون التوكيد، وأصل الفعل إذا حذفنا نون التوكيد (يقولون) .

والفعل (يقولون) مرفوع بثبوت النون، وعندما جاءت نون التوكيد الثقيلة يصبح عندنا ثلاث نونات، ويصبح هذا كثيراً، فيحذفون نون الرفع وتبقى نون التوكيد. وأمّا اللام فهي لام الفعل.

ولهذا فلا بدّ أنْ يكون الفعل في الآية الأولى مبنياً على الفتح؛ لأنه مُسند إلى اسم ظاهر، وأمّا الفعل الثاني فمُسند إلى واو الجماعة مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو محذوفة لالتقاء الساكنين.

٤ـ وفي الآية الأولى رقم ٧ اللام في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ واقعة في جواب القسم ﴿وَلَئِن﴾ حيث اللام موطّئة للقسم و(إنْ) شرطية. واللام لا بد أنْ تأتي في الجواب حتى يكون الفعل مثبتاً. فإذا قلنا: لئن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون (بدون اللام) يُصبح الفعل منفيّاً في جواب القسم إذا أجبنا القسم بفعل مضارع، لأنه إذا كان الفعل مثبتاً فلا بدّ من أنْ نأتي باللام سواء معه نون أو لم يكن معه نون، كأنْ نقول: والله لأذهب الآن، أو والله لأذهبنّ، فلو حُذفت اللام فتعني النفي قطعاً، فإذا قلنا: والله أذهب، معناها لا أذهب، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ بمعنى: لا تفتأ، فمتى أجبت القسم بالفعل المضارع ولم تأت باللام فهو نفي قطعاً كما في هذه الأبيات:

رأيـت الخمـر صـالحة وفيهـا ... مناقـب تُفسـد الرجـل الكـريما
فـلا والله أشربهـا حيـاتي ... ولا أشـفي بهـا أبـداً سـقيما

السؤال الثالث :

ما دلالة جملة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وكلمة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ في آية سورة هود ٧؟

الجواب :

١ـ الابتلاء هو الاختبار والامتحان، والفعل (يبلو) متعلق بالفعل (خلق)، والمعنى يكون: خلق الله تعالى هذه الأشياء من أجل اختباركم ومن أجل ابتلائكم.

٢ـ ما المراد بستة أيام؟ ما المراد بالعرش والماء؟ وكيف كان عرشه على الماء؟ كل ذلك يندرج بالغيب الذي يؤمن به المؤمنون، فهذه المساحة من المعلومات هي من مساحات الغيب.

٣ـ الآية تدل على أنّ العرش والماء كانا قبل السموات والأرض، وفي ذكر هذا فوائد :

أ ـ كمال قدرة الله فالعرش مع كونه أعظم من السموات والأرض كان على الماء، فلولا أنه تعالى قادر على إمساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك.

ب ـ أنه تعالى أمسك الماء لا على قرار، وهذا يدل على كمال قدرة الله سبحانه.

ج ـ العرش وهو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله فوق سبع سموات من غير دعامة تحته.

٤ ـ جاء في الحديث المشهور «**كان الله وما كان معه شيء، ثم كان عرشه على الماء**»

٥ـ الابتلاء والاختبار فيه نوع من العمل وبذل الجهد.

٦ـ قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليقيم عليكم الحجة بعملكم للعمل الظاهري التنفيذي الذي يتعلق به الجزاء، وليس من أجل أن يعلم؛ لأنّ علم الله كاشف أزلي. والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ﴾ما معاني كلمة أمة في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٣.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٥.



﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ ﴾

السؤال الأول :

قال في هود ٩ والشورى٤٨: ﴿مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾بتقديم الجار والمجرور على الرحمة، بينما قدّم الرحمة على الجار والمجرور في آية فصلت ٥٠ فقال: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾، فما السبب؟

الجواب :

من النظر في المواطن الثلاثة يتضح أنّ الكلام في (فصّلت) عن الرحمة وأثرها على الإنسان أوسع مما في هود والشورى . وبيان ذلك :

١ـ أنه في هود لم يذكر إلا إذاقته إياها ونزعها منه، فذكر حالة نزع الرحمة، ولم يذكر أثر الرحمة عليه.

٢ـ وأمّا في الشورى فإنه لم يزد على أنْ قال: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾.

٣ـ وأمّا في فصلت فقد فصّل وأطال في وصف أثرها فيه واحتفائه بها فناسب تقديمها في فصلت.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في فصلت ٥٠: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ وفي هود١٠ :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ ولم يقل (منا) فلماذا؟

الجواب :

١ـ آية هود تقدم فيها لفظ ﴿مِنَّا﴾ في الآية التي قبلها ٩، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ فتركت ثانياً للدلالة عليها أولاً.

٢ـ في آية فصلت ٥٠: لم يتقدم ذلك فذكرت في الآية . والله أعلم.

٣ـ من ناحية ثانية فإنّ آية هود ٩ و١٠: هي حالات إفرادية قليلة، حيث أعطى الله لإنسان نعمة ثم نزعها منه، فاستعمل هنا ﴿وَلَئِنْ﴾، ولم يستعمل (إذا)؛ لأنّ الأخيرة تستعمل في حالات كثيرة الوقوع. والله أعلم.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما المعنى اللغوي للحرف (لعلّ)؟

الجواب :

(لعلّ) تأتي لعدة معانٍ، أهمها :

١ـ لتوقع شيء محبوب أو مكروه، فتوقع المحبوب يسمى ترجياً وإطماعاً وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً. نحو: لعلّه يهينك .

أمّا الترجي فهو نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.

والترجي لا يكون إلا في الممكن، أمّا قوله تعالى على لسان فرعون في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ فهو من باب الجهل أو من باب السخرية.

٢ ـ لمطلق التوقع: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾[هود:١٢].

٣ـ للتعليل أو للرجاء: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه:٤٤].

٤ـ قيل: إنها تأتي للاستفهام: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾[الطلاق:١].

٥ ـ قيل: تأتي للتشبيه ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[الشعراء:١٢٩] يعني كأنكم تفعلون فعل من يرجو الخلود.

٦ـ البصريون يرجعون كل هذه المعاني إلى الترجي والإشفاق وللتوقع المطلق.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَضَآئِقٌ﴾ وهي اسم فاعل، لماذا لم يستعمل كلمة (ضيّق) كصفة مشبهة؟

الجواب :

١ـ الصفة المشبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت والاستمرار، وتُصاغ فقط من الفعل الثلاثي اللازم، نحو: جميل وطويل وكريم وأبيض، لكنها في الحقيقة ليست موضوعة للحدوث في زمان، كما أنها ليست موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة. وليس معنى (حسن) إلا (ذا حُسْن) سواء كان في بعض الأزمنة أو جميع الأزمنة؛ لأنّ الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيها عليهما.

٢ـ والظاهر أنّ الصفة المشبهة على أقسام:

أ ـ منها ما يفيد الثبات والاستمرار، نحو: أبكم وأصم وأعور وأسمر وطويل وعقيم.

ب ـ ومنها ما يدل على وجه قريب من الثبوت، نحو: نحيف وسمين وكريم.

ج ـ ومنها لا يدل على الثبوت، نحو: ظمآن وغضبان وريّان.

٣ـ فإذا أردنا الحدوث حوّلنا الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل: كما في آية هود ١٢: في قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقٌ﴾، حيث لم يقل: ضيّق؛ ليدل على أنه ضيق عارض في الحال وهو غير ثابت.

ونحو ذلك تقول: زيد سيد جوّاد، عندما تريد بيان ثبات الصفة، فإذا أردت الحدوث في الحال أو الاستقبال، قلت: زيد سائد وجائد.

٤ـ والفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل: أنّ الأولى لا تطلق إلا إذا اتصف بها صاحبها، فإنك لا تقول: زيد ظمآن غداً، بخلاف اسم الفاعل فإنه يصح أن تقول: هو ظامىء غداً أو أمس.

وكذلك تقول: زيد كريم، عند ثبات الصفة، فإنْ نويت كرماً منه فيما يستقبل قلت: كارم.



﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ [البقرة:٢٣] و ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ [يونس:٣٨] و ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾ [هود:١٣]؟

أي ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣] و ﴿مِّثْلِهِ﴾ [هود:١٣] في آيات البقرة ٢٣ـ يونس ٣٨ـ هود ١٣؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ لماذا استعمل (ليس) ولم يستعمل أداة نفي أخرى مثل (ما)؟

الجواب :

١ـ لم تقع (ما) النافية بعد الأسماء الموصولة، أي: في صدر الصلة، وقد وقع غيرها من أدوات النفي مثل: (لمْ ـ لا ـ ليس)، قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:١٥١] ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[الأنعام:١٥٠] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾[هود:١٦] .

٢ـ ولم يستعمل القرآن الاستفهام التقريري بـ (ما) مطلقاً، بل استعمل(لمْ) لذلك قال تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ [الزُّمَر:٧١] ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ ﴾ [الشَّرح:١] ﴿ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ﴾ .

٣ـ لم يرد جواب (لو) منفياً بـ(لم)، بل بـ(ما) فقط، قال تعالى:﴿ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ ﴾[فاطر:١٤] ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ ﴾[البقرة:٢٥٣] ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ ﴾[آل عمران:١٦٨] .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الإحباط والتكفير؟

الجواب :

١ـ الإحباط :هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾، وهو من قولك: حبط بطنه إذا فسد بالمأكل الرديء.

٢ـ التكفير: هو إبطال السيئات بالحسنات، قال تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾[محمد:٢].



﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

أين خبر الآية ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟ وما المعنى العام للآية؟

الجواب :

١ـ الخبر محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو كثير في القرآن جرياً على عادة العرب لفهم المعنى منه، والتقدير: كمن هو ضال كفور !!.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ من هو؟

والجواب هو النبي ﷺ ومن آمن؛ ولذلك جاء بعدها ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بصيغة الجمع.

٣ـ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي: البرهان الذي عُرف به صحة الدين، وهو القرآن أو الرسول ﷺ.

٤ـ الضمير في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يرجع إلى القرآن، وهو بمعنى البينة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿شَاهِدٌ﴾ وهو الرسول شاهد من الله تعالى، وقيل جبريل عليه السلام.

٦ـ المعنى العام: أنه اجتمع في تقرير صحة الدين ثلاثة أمور هي :

أ ـ دلالة البينات العقلية على صحته.

ب ـ شهادة القرآن بصحته.

ج ـ شهادة التوراة بصحته، والتوراة تابعة للقرآن، ليس في الوجود وإنما في دلالته على صحة القرآن.

٧ـ لفظة ﴿إِمَامًا﴾ نصب على الحال. والله أعلم.

السؤال الثاني :

حذف نون (تكن) في آية هود١٧، فقال: ﴿فَلَا تَكُ﴾ وأبقاها في آية السجدة ٢٣ فقال: ﴿فَلَا تَكُن﴾، فما السبب؟

الجواب :

السبب هو لاختلاف سياق الآيتين:

١ ـ آية هود تثبيتٌ للرسول ونهيٌ له عن الريب والمرية، فقد بدأ الكلام بقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ثم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ثم ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ وختمه بقوله ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فناسب ذلك أنْ يقال: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾، أي لا يكون في المرية أصلاً، فحذف النون.

٢ ـ الكلام في آية هود في القرآن وعن قوم الرسول وتهديد من يكفر به، والكلام في آية السجدة عن التوراة وبني إسرائيل.

٣ ـ ليس في آية السجدة مثل دواعي الآية الأولى؛ فذكر النون على الأصل.



﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تكرار لفظ ﴿وَهُم﴾ في الآية ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٥.



﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (السماء) في آية سورة العنكبوت رقم (٢٢) وعدم استخدامها في آية سورة هود؟

الجواب :

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[العنكبوت:٢٢] وقال في سورة هود: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ

مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[هود:١٨-١٩-٢٠]

١ـ الكلام في سورة هود متعلق بالآخرة وبمحاسبة أهل الأرض، وأمّا السياق في سورة العنكبوت ففي الدعوة إلى النظر والتدبر في العلم والبحث ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾﴾[العنكبوت:١٩] وهذا هو الذي يوصل إلى السماء،، وحتى عند ذلك لن تكونوا معجزين، فناسب ذكر كلمة السماء في آية العنكبوت.

٢ـ ثم إنّ كلمة السماء نفسها وردت في سورة العنكبوت ٣ مرات، وفي هود مرتين، ولهذا ذُكرت السماء في آية سورة العنكبوت ولم تُذكر في آية سورة هود. فالسمة التعبيرية للسورة أنه سوف تصعدون إلى السماء، لكنكم لا تكونون معجزين هناك.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين التعبيرين ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ و ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾[الشورى:٣١] في آيتي هود٢٠ والشورى٣١؟

الجواب :

١ـ قال في هود: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾، فجاء بالفعل الماضي ﴿لَمۡ يَكُونُواْ﴾ لأنّ الكلام إنما هو في الآخرة، وهو يدور على أحداث ماضية كانت في الدنيا، فقد قال الله قبلها في الآية ١٨ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ

رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ فاقتضى ذكر الفعل الماضي.

٢ـ وأمّا الخطاب في الشورى فهو في الدنيا، قال تعالى في الآية ٣٠: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

فاقتضى كلٌّ منهما ما ذُكر في موضعه . والله أعلم.



﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اختلاف الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [هود:٢٢] ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النحل:١٠٩]؟

الجواب :

١ـ الأخسرون هم أشد خسارة، وفي آية هود التي ذكر فيها الأخسرون هي فيمن صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم، أمّا آية النحل فهي فيمن صد هو ولم يصد غيره، في سورة هود قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [هود:١٩-٢٠-٢١-٢٢] .

٢ـ في النحل قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[النحل: ١٠٧ - ١٠٩]

٣ـ لو لخصنا ما في هود وما في النحل نجد:

أ ـ قال في هود: (يصدون عن سبيل الله، يبغونها عوجاً، وهم بالآخرة هم كافرون، ما كان لهم من دون الله منْ أولياء، يضاعف لهم العذاب، ما كانوا يستطيعون السمع، ما كانوا يبصرون، يفترون على الله) .

ب ـ في النحل قال: (استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، إنّ الله لا يهدي، طبع الله على قلوبهم وأبصارهم).

٤ـ في سورة هود ذكر المعاصي أكثرمما ذكره في النحل، فاستعمل (الأخسرون) مع الكثير من المعاصي، و(الخاسرون) مع المعاصي الأقل.

السؤال الثاني :

استخدم القرآن كلمة ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ في سورة النحل ١٠٩، واستخدم كلمة ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ في هود٢٢ وفي النمل ٥ والكهف ١٠٣، فما السبب؟

الجواب :

في اللغة (الأخسر) هو أكثر خسراناً من (الخاسر)، والسياق هو الذي يحدد اختيار الكلمة.

وسياق الآيات في سورة هود يتحدث عن الذين صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم، أمّا سياق سورة النحل فهو فيمن صد عن سبيل الله ولم يصد غيره، والذي يصد نفسه وغيره أخسر ممن يصد نفسه فقط .

مقارنة بين آيات سورة هود وسورة النمل :

في سورة هود الآية ٢٢ جاء التوكيد ﴿لَا جَرَمَ﴾ وتعني التوكيد أو حقاً أو القسم عند بعضهم، إضافة إلى التوكيد الثاني ﴿أَنَّهُمْ﴾، ولمعرفة السبب في ذلك نستعرض آيات سورة هود (١٨ـ ٢١)، وهي قوله تعالى :

ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾

أ - في آية سورة النمل٥، سياق الآيات يدل على أنهم لا يؤمنون بالآخرة فقط : (الآيات ٤-٥).

ب ـ وأمّا في سورة هود فقد زاد على ذلك أنهم يصدون عن سبيل الله، وأنهم يفترون على الله الكذب، وفيها خمسة أشياء إضافية على آية سورة النمل .

لذا كان ضرورياً أنْ يؤتى بالتوكيد في سورة هود باستخدام ﴿لَا جَرَمَ﴾ وبالتوكيد بـ ﴿أَنَّهُمْ﴾، ولم يأت التوكيد في سورة النمل .

آيتا سورة الكهف ١٠٣-١٠٤ :

١- في اللغة لدينا الأفعال: فعل و عمل و صنع .

أ- فعل: تقال للجماد وللعاقل وغيره، فتقول: هذا فِعلُ الرياح .

ب - عمل: ليس بالضرورة صنعاً، فقد يعمل الإنسان بدون صنع وأغلب ما يكون للعاقل .

ج - وأمّا الصنع: فهو أدق، وهو من الصنعة وهو دقة العمل، كما في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨] وكلمة (الصنع) لا تستعمل إلا للعاقل الذي يقصد العمل بإتقان وإحسان .

٢- نلاحظ في آية الكهف استخدام كلمة ﴿ضَلَّ﴾ مع كلمة ﴿سَعْيُهُمْ﴾ ولم يقل: ضل عملهم .

ونلاحظ أنه استخدم كلمة ﴿يُحْسِنُونَ﴾، ولم يقل: يعملون .

٣- إذن في آية الكهف جاء فيها سعي وإحسان وصنع ومُضِل فكيف لا يكون الأخسر؟!!

٤- لذا استوجب أن يؤتى بكلمة ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ ومن الملاحظ أنه في القرآن الكريم لم ترد كلمة (الأخسرين أعمالاً) إلا في هذه الآية فقط وفي هذه السورة؛ لأنها الآية الوحيدة التي وقعت في سياق الأعمال من أول السورة إلى آخرها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

٥ ـ ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ اسم تفضيل أي: أنه هناك اشتراك في الخسران، فإنه يوجد خاسرون كُثُر من الكفرة والفسقة والظلمة بعضهم خاسر وبعضهم أخسر من بعض .

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿لَا جَرَمَ﴾ ما كلمات منظومة رفع الحرج أو المسؤولية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨ .

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمعنى حقاً وأن الأمر قد ثبت، فما كلمات منظومة أن الأمر قد وقع وثبت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٥ .



﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

حذف التاء في آية هود٢٤، فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ولم يحذفها في آية غافر٥٨ فقال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾، فما السبب في ذلك؟

الجواب :

١ـ في آية هود: هنا لا يحتاج الأمر إلى طول تأمل أو تفكير، لأنك إذا سألت أي فرد: هل يستوي الأعمى و البصير والأصم والسميع؟ كان جوابه: كلا لا يستويان، فحذف التاء من الفعل للدلالة على أنّ هذا لا يحتاج إلى طول تذكر.

٢ـ وقد تقول: ولكن القرآن ذكر في آية غافر ٥٨ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] فذكر ﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

والجواب: أنّ آية غافر في الذين كفروا، وهم الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ويرون أنفسهم أفضل من المؤمنين، فهم لا يقرون بهذا القول إقرارهم بالآية السابقة، خصوصاً أنه عبّر عن الكافر بالمسيء، فهم يحتاجون إلى طول تذكر وتأمل؛ ليعلموا أنّ الذين آمنوا أفضل من الكفار وأنّ الكافر مسيء .

لذلك فإنّ آية هود ليس فيها خلاف بين جميع البشر مؤمنهم وكافرهم من دون طول تفكير؛ ولذا قال في آية هود: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ [هود:٢٤] ولم يقرر ذلك، بل ترك الجواب لمن يجيب .

في حين قرّر ذلك في آية غافر فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٨]؛ لأنّ الجواب فيه اختلاف وليس بمنزلة السؤال الأول، فالفرق واضح بينهما.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بغير واو في آية الأعراف ٥٩ ومع (واو) في آيتي هود٢٥ والمؤمنون٣٣ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ في الأعراف: كلام مبتدأ لم يتقدمه دعوى نبي ورد قومه عليه.

٢ـ في هود: تقدم ما يشعر ذلك في الآية ١٧﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فحَسُنَ العطف عليه بالواو.

٣ـ آية المؤمنون: تقدم ذكر نعم الله على المكلفين بحملهم على الفلك الذي كان سبباً لوجودهم ونسلهم؛ فعطف عليه بالواو.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ ذكرها في الأنعام ٥٠ دون هود ٢٥ فما السبب؟

الجواب :

في آية هود ٢٥ تقدمها ﴿لَكُمْ ﴾ مرات عدة في الآيات[٢٥ـ٢٧ـ٣١] فاكتفى به تخفيفاً، ولم يتقدم في الأنعام إلا مرة واحدة.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ (٢٨) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (آتاني منه رحمة) كما في الآية: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾[هود:٦٣] و(آتاني رحمة من عنده) كما في الآية ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾[هود:٢٨]؟

و كذلك ما الفرق بين ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ [الزُّمَر:٤٩] و ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر:٣٥] في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

هنالك شقان للسؤال: شق سبب اختيار: (منه رحمة) و(رحمة من عنده) والشق الثاني التقديم والتأخير.

١ـ في القرآن يستعمل (رحمة من عندنا)؛ لأنها أخصّ من (رحمة منا)، ولا يستعمل (رحمة من عندنا) إلا مع المؤمنين فقط، وأمّا (رحمة منا) فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر، قال تعالى :

ـ ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يس:٤٣-٤٤] عامة، ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [فُصِّلَت:٥٠] عامة.

بينما قال على لسان سيدنا نوح: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود:٢٨]، ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف:٦٥] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٤] .

لذلك ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ يستعملها خاصة و ﴿مِّنَّا﴾ عامة.

٢ـ حتى ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ و﴿ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾، يستعمل ﴿مِّنَّا﴾ عامة و ﴿ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ خاصة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الزُّمَر:٤٩] ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزُّمَر:٨] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القمر:٣٤-٣٥] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٤] ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [هود:٢٨] .

٣ـ حتى لو ورد هذان التعبيران في نبي واحد لاختلف السياق، فمثلاً مع سيدنا أيوب عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ

بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص:٤١-٤٢-٤٣-٤٤].

وفي سيدنا أيوب أيضاً في سورة الأنبياء ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤] هي قصة واحدة، لكن مرة قال (رحمة منا) ومرة (رحمة من عندنا).

انظر لترى الفروق :

آيات سورة الأنبياء ٨٣-٨٤	آيات سورة ص ٤١-٤٤
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾	﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾
﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾	-
﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾	-
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾	﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾
﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾	﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

٤ـ بيان الفروق :

أ ـ لم يذكر سؤال الرحمة في ص، كما هو في الأنبياء .

ب ـ ذكر الاستجابة في الأنبياء دون ص .

ج ـ الإيتاء يشمل الهبة وزيادة في اللغة، وقد يكون في الأموال وغيرها فهو أعم، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢] ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:٥٩] لذلك (آتينا) أعم من (وهبنا).

د ـ قال في الأنبياء: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٤] وفي ص قال: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص:٤٣] العابدون يشملون أولي الألباب وزيادة، المكلَّف يجب أنْ يكون عنده عقل، وإلا فكيف يكلّف مجانين ليس عندهم عقل؟ إذن العابدون: أولو الألباب وزيادة، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٤] (العابدين) فيها خصوصية يعني ليس فقط أولي الألباب، بل أولي الألباب وزيادة، فصار عندنا: (أرحم الراحمين، واستجبنا له، وكشفنا له ،والعابدين، وآتيناه) فأين نضع (رحمة من عندنا)؟ نضعها مع كل هذا في آية الأنبياء.

٥ـ الاختيار بحسب السياق، ولم تتناقض القصتان، لكنّ اختيار الكلمات بحسب السياق الذي ترد فيه.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير في قوله تعالى فى آية سورة هود ٢٨ ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ وقوله تعالى في آية هود ٦٣ ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في آية هود٢٨: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ وقوله تعالى في آية هود ٦٣: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾.

٢ـ في الآية الأولى قدّم الرحمة على الجارّ والمجرور، والآية تتكلم عن الرحمة ﴿فَعُمِّيَتۡ﴾، ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾، ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ وكلها تعود على الرحمة؛ لذا اقتضى السياق تقديم الرحمة على الجارّ والمجرور.

٣ـ أمّا في الآية الثانية فالآية تتكلم عن الله تعالى (ربي، الله، منه، الضمير في عصيته)، وكلها تعود على الله تعالى؛ لذا اقتضى السياق تقديم (منه) على الرحمة.

السؤال الثالث :

ما إعراب الضمائر في ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾[هود:٢٨] و ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾[البقرة:١٣٧]؟

الجواب :

أنلزمكموها :

الهمزة للاستفهام . نلزم: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، والكاف: مفعول به أول للفعل ألزم . والهاء: مفعول به ثان .

والواو بين الضميرين للإشباع، وليست ضميراً؛ حتى لا تُقرأ (أنلزمكها) والجملة في محل جواب الشرط.

فالفعل فيه ثلاث ضمائر: ضمير المتكلم ـ ضمير الغائب ـ وضمير المخاطب.

فسيكفيكهم الله :

السين للاستقبال. يكفي: فعل مضارع . الكاف مفعول به أول لكفى . الهاء مفعول به ثان، وحركت الميم بالضم لالتقاء الساكنين.

ولفظ الجلالة: فاعل مرفوع.



﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية هود ٢٩ ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ وقوله تعالى في آية الشعراء ١٠٩ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ [الشعراء:١٠٩]، مع أنّ الآيتين في قصة نوح عليه السلام؟ وقال في آية هود ٥١ في قصة هود عليه السلام ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾، وقال في آية يونس ٧٢ في قصة نوح عليه السلام ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ﴾؟ فمتى تستعمل (أجراً)؟ ومتى تستعمل (مالاً)؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾[هود:٢٩]،

وقال تعالى في قصة هود مع قومه في نفس السورة: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾[هود:٥١] .

٢ـ لو لاحظنا سياق القصتين لوجدنا أنه في قصة نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:٥٠] جاء ذكر خزائن الله في الآية، والمال يُوضع في الخزائن، فاقتضى ذكر كلمة ﴿مَالًاۖ﴾[هود:٢٩] في قصة نوح، أمّا في قصة هود عليه السلام فلم يرد ذكر الخزائن، وإنما قال (أجراً) لأنّ الأجر عام.

٣ـ وهناك أمر آخر بين الآيتين، وهو أنه في الأولى ذكر ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ بذكر لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾، بينما جاء في الثانية ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ بذكر ﴿فَطَرَنِيٓۚ﴾ بدل الله، والسبب أنه لو نظرنا من ناحية السمة التعبيرية في القصتين لوجدنا أن كلمة ﴿ٱللَّهِۚ﴾ وردت في قصة نوح عليه السلام عشر مرات، بينما وردت ثلاث مرات في قصة هود عليه السلام.

٤ـ وهناك أمر آخر، وهو أنه تعالى ذكر في قصة نوح عليه السلام كلمة ﴿ٱللَّهِۚ﴾ اسم علم وفي هود ذكر ﴿ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ أي: عدّى الفعل إلى ذاته أي ضمير المتكلم، كما نلاحظ في قصة هود ارتباط الأمور بشخص هود عليه السلام ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ﴾، ﴿فَكِيدُونِي﴾، ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ﴾، ﴿رَبِّي﴾، فمن الذي سينجيه من الكيد؟ الذي فطره، فهو الذي خلقه ويحفظه من كل سوء، فالأمر إذن شخصي وليس عامّاً، فاقتضى ذكر ﴿ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾.

٥ـ كذلك في سورة هود قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ وهذه الآية تدل على أنّ الله تعالى يفطر قوماً آخرين غيرهم، فـ (الذي فطرني) أنسب للذكر في قصة هود عليه السلام من كلمة (الله) التي هي أنسب في قصة نوح عليه السلام.

٦ـ وننوه إلى أنّ هناك فرقاً بين (الخلق والفطر)، ولكل منها تميّز دلالي فالخلق غير الفَطر، فالخلق قد يستعمله البشر بمعنى التصوير مثلاً، وهو لفظ عام كما جاء على لسان عيسى عليه السلام ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران:٤٩] وهي تستعمل سواء للخلق الابتدائي أو التصوير، أمّا الفَطر فهو ابتداء الشيء، وهذا خاص بالله تعالى.

٧ـ وللعلم وردت كلمة (أجر) بدل كلمة (مال) على لسان غيره من الأنبياء، انظر: [سورة هود ٥١، وسورة الشعراء ١٠٩ـ ١٢٧ـ١٤٥ـ ١٦٤ ـ ١٨٠ ـ وسورة سبأ ٤٧].



﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ﴿مَن﴾ في قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ و ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ في سورة هود؟

الجواب :

يقول النحاة: إنّ (نصرناه من) تعني (نجّيناه من)، و(نصرناه على) تفيد الاستعلاء.

ونسأل: لماذا لم يستخدم سبحانه كلمة (ينجني من) بدل (ينصرني من)؟ والجواب: أنّ الفرق بين (نجيناه من) و(نصرناه من) أنّ الأولى تتعلق بالناجي نفسه، أمّا الثانية فهي تتعلق بالجانبين، بمعنى أنه نجّى نوحاً وعاقب الآخرين، فالنصرة هنا نجاة للناجي وعقاب لخصمه.

وينطبق ذلك أيضاً على الآيتين (٣٠-٦٣) في سورة هود، وفي الآية ٢٤ العنكبوت والتحريم ١١ .



﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر ﴿لَكُمۡ﴾ في قوله تعالى في آية سورة الأنعام ٥٠ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾ وعدم ذكرها في آية سورة هود ٣١ ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة الأنعام في قصة نوح عليه السلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)﴾[الأنعام:٥٠]، بينما قال في قصة نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿وَلَآ أَقُولُ

لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[هود:٣١].

٢ـ لو لاحظنا الكلام في سورة الأنعام نجده أشدّ وفيه تحذير شديد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ بينما في سورة هود سياق الآيات فيه تلطّف.

السؤال الثاني:

ما دلالة ضمير الغائب في ﴿يُؤْتِيَهُمُ﴾ في آية سورة هود ٣١ ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ﴾؟ ولماذا لم يستعمل (يؤتيكم)؟ وما معنى اللام في قوله تعالى في الآية ﴿لِلَّذِينَ﴾؟

الجواب :

قال تعالى في سورة هود في قصة نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

اللام في ﴿لِلَّذِينَ﴾ لها معان متعددة، والنحاة يخرّجونها تخريجين من حيث النحو، ولكل منهما معنى خاصٌّ به:

أ ـ الأول: أنْ تأتي بمعنى (عن) بمعنى: لا أقول عن الذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً، (وقطعاً سيقول هنا: لن يؤتيهم؛ لأنه يقول عنهم). وفي الآية نوح عليه السلام يخاطب الفئة الكافرة ويحدّثهم عن المؤمنين الذين تزدري أعينهم، فلو كانت اللام بمعنى (عن) فاستعمال (يؤتيهم) صحيح؛ لأنه يخاطب فئة عن الفئة الأخرى فيجب قول ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ﴾ وينتفي السؤال هنا أصلاً في هذه الحالة، فهو لا يخاطب الذين تزدري أعينكم وإنما يخاطب الفئة الأخرى.

ب ـ والثاني: أنّ اللام تفيد التعليل بمعنى: لأجل هؤلاء أو لغرض هؤلاء، فالأصح هنا أنْ يقول: لن يؤتيهم الله خيراً، كما قيل:

وضرائـــر الحســـناء قلـــن لوجههـــا حســـداً وبغضـــاً: إنـــه لـــدميم

[اللام في (لوجهها) تحتمل: عن وجهها أو لوجهها].

ففي الحالتين استعمال (يؤتيهم) هو المناسب للآية.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الآيتين ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ:٢٥] و ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود:٣٥]؟ وما دلالة نسب الإجرام للمؤمنين والعمل لغير المؤمنين؟

الجواب :

١ـ آية سبأ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ:٢٥] هي في سياق الدعوة والتبليغ والمحاجّة، وهذا من باب الإنصاف في الكلام حتى يستميلهم، فيقول: نحن لا نُسأل عما أجرمنا إذا كنا مجرمين، كما لا تُسألون أنتم عن إجرامنا إذا كنا كذلك، فأراد أنْ يستميل قلوبهم، فقال: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ:٢٥] وهذا يسمونه من باب الإنصاف في الدعوة، وهو لا يريد أنْ يثيره خاصة في باب التبليغ، بل يريد أنْ يفتح قلبه بالقبول، وإذا قال: تجرمون، فمعناه أنه أغلق باب التبليغ.

وقال تعالى قبلها: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤] وهذا أيضاً في باب الدعوة وفي باب التبليغ فيجعله في باب الإنصاف في الكلام؛ حتى لا يغلق الباب، وهذا غاية الإنصاف.

والسياق بشكل عام في سورة سبأ هو في سياق الدعوة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [سبأ:٢٢] ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سبأ:٢٤] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ:٢٦] فهو يريد أنْ يستميل قلوبهم وألا يغلق الباب فقال لهم كذلك.

٢ـ في حين في آية سورة هود ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود:٣٥] هذه في قصة سيدنا نوح عليه السلام، وقوله: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ [هود:٣٥]؛ لأنّ الذي يفتري على الله تعالى مجرم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ومعناه :إذا أنتم نسبتم الافتراء إليّ وأني أفتري على الله، وأنا لست كذلك، فأنتم مجرمون بحقي، وإنْ افتريته فعلاً فأنا مجرم ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ وإنْ لم أكن كذلك فأنتم نسبتم الافتراء إليّ وأنا بريء من ذلك فأنتم إذن مجرمون بحقي.

٣ـ قال: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ هوإجرام واحد، وهم نسبوا إليه أمراً واحداً ﴿افْتَرَيْتُهُ﴾ أي: افترى الرسالة، وقال: ﴿تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فيه استمرار، فهم مستمرون وإجرامهم كثير.

٤ـ هذا قيل في باب غلق الدعوة لمّا قال له ربه تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ فهنا مفاصلة، وليس كتلك الآية السابقة التي فيها محاجّة يأمل أنهم يعودون فيستميل قلوبهم، بينما هنا انغلق الأمر وانتهت المسألة وصارت هناك مفاصلة؛ لأنه أغلق باب الدعوة والتبليغ.

٥ـ قوله ﴿مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: الإجرام المستمر من السابق وإلى الآن، وقال: ﴿تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ولم يقل: من إجرامكم؛ لأنه ليس إجراماً واحداً، لأن ما يفعلونه من المعاصي هو إجرام مستمر.

والواو في قوله تعالى ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ﴾ هي عطف جملة على جملة.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ ما كلمات منظومة الحزن والضيق والابتئاس؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٨٦.



﴿وَاصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾؟

الجواب :

لم يقل: سأغرقهم؛ لأن هذا في التعبير أقوى دلالة من الفعل، والاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ما الفرق بين الأعين والعيون في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ حيثما وردت ﴿أَعْيُنِ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في ٢٢ موضعاً، منها :

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في ١٨ موضعاً، منها:[الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[الحجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[المرسلات:٤١]



﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣١ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (اسلك واحمل) في الآيات ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [المؤمنون:٢٧] ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾[هود:٤٠]؟

الجواب :

١ـ (اسلك) معناها: أدخِل ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾[القصص:٣٢] ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾[المدّثر:٤٢] أمّا (احمل) فمن الحِمل وهومعروف.

٢ـ الدلالة مختلفة، ونسأل: هل طبيعة (اسلك) في نفس زمن (احمل)؟ أيهما الأسبق: اسلُك أم احمل؟ والجواب :أنّ أُسلك أسبق فيدخل أولاً ثم يحمل.

الآن ننظر في قصة نوح نفسها، متى قال: اسلك؟ ومتى قال: احمل؟

أ ـ آية هود قال فيها: احمل ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾﴾[هود:٣٨-٣٩-٤٠] الأمر جاء وصنع الفلك.

ب ـ في آية المؤمنون ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ

إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ [المؤمنون:٢٧] هناك صنع الفلك وجاء الأمر،وهنا الصنع لم يتم فقال: (اسلك) قبل الحمل.

٣ـ عندنا حالتان: حالة قالها قبل الفعل، فاستعمل (اسلك) وحالة قالها بعد الفعل فاستعمل معها الفعل: (احمل) . والقدامى قالوا: السياق من أهم القرائن الدالّة على المعنى.

لذلك عندما نسمع (اسلُك) يجب أنْ نفهم أنّ الأمر لم يصدر بعد، و عندما نسمع (احمل) يكون الأمر قد صدر.

السؤال الثاني :

ما دلالة الفعل (جاء) في الآية ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[المؤمنون:٢٧]؟

الجواب :

إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه لم تستعمل صيغة المضارع للفعل (جاء) مطلقاً في القرآن كله، ولا صيغة فعل الأمر ولا اسم الفاعل ولا اسم المفعول، وإنما استعمل دائماً بصيغة الماضي، أمّا الفعل (أتى) فقد استخدم بصيغة المضارع.

من الناحية اللغوية: الفعل (جاء) يستعمل لما فيه مشقة، وأمّا الفعل (أتى) فيستعمل للمجيء بسهولة ويسر .

قال تعالى في سورة النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ

عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[غافر:٧٨] هنا أشقّ؛ لأنّ فيه قضاء وخسراناً وعقاباً.

السؤال الثالث :

ما دلالة ضمير التعظيم في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا﴾ ﴿أَنزَلْنَا﴾؟

الجواب :

١ـ إذا كان في مقام التعظيم يسنده إلى مقام الجمع فيقول: ﴿قُلْنَا﴾.

٢ـ وإذا كان في مقام التوحيد يكون في مقام الإفراد، يقول تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه:١٤] لذلك إذا كان في مقام التوحيد أفرد، وإذا كان في مقام التعظيم جمع.

٣ـ وقسم أيضاً يقول: إنه إذا كان أمر الله بواسطة المَلَك يلقيه يأتي بضمير الجمع، وإذا لم يكن كذلك يُفرِد. وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[الأنبياء:٩١] لأنّ النافخ تمثل لها بشراً سوياً بواسطة مَلك، أمّا عن آدم فقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص:٧٢]، فإذا كان الأمر بواسطة الملك يجمع ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود:٤٠] الملك يبلِّغ الأمر، وهذا أمر عام.

٤ـ لكنّ هناك أمراً آخر نذكره، وهو أنه في كل مقام تعظيم لا بد أنْ يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد. وفي القرآن كله لا تجد مكاناً للتعظيم إلا وسبقه أو جاء بعده ما يدل على الإفراد.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ هذه تعظيم، ثم يقول بعدها: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ (ربهم) أي إفراد، وما قال: بأمرنا.

ـ قوله تعالى في سورة النبأ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [النبأ:٦-٧-٨-٩-١٠] ثم قال: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦].

فبعد كل جمع تعظيم يأتي إفراد. وليس هناك في القرآن موطن تعظيم إلا سبقه أو جاء بعده ما يدل على المفرد.

ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر:١-٢-٣] لم يقل: فصلِّ لنا، وهذا لم يتخلّف في جميع القرآن مطلقاً.

٥ـ إذن عندنا مقام تعظيم ومقام توحيد، يجمع في مقام التعظيم، ويفرد في مقام التوحيد، ويقال: إنه إذا كان بواسطة المَلَك يجمع مع احتراز أنه ليس هنالك مقام تعظيم إلا وقبله أو بعده إفراد.

السؤال الرابع:

ما دلالة كلمة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ في قوله تعالى في سورة هود ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾؟

الجواب :

١ـ هل كلمة (أهلك) هنا اسم أم فعل؟ الحكم القاطع هو اسم بمعنى الأهل، وهناك مرجحات في ذلك منها :

أـ الآية تشير أنّ الهلاك لم يحصل بعد؛ لأنهم لم يركبوا، فالركوب لم يحصل ولم يحصل الهلاك، فلا يصح أنّ تعتبر كلمة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ بمعنى الإهلاك.

ب ـ والأمر الآخر أنه لو كان ﴿وَأَهْلَكَ﴾ فعلاً بمعنى الإهلاك يكون الاستثناء مفرّغاً، أي: المستثنى منه غير مذكور، والاستثناء المفرّغ لا يكون إلا مسبوقاً بنفي أو ما يشبه النفي، وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ فيها استثناء مفرّغ وليس مسبوقاً بنفي، وهذا ما يُضعّف أنْ يكون (أهلك) بمعنى فعل الإهلاك.

ج ـ وفي سورة المؤمنون ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾[المؤمنون:٢٧] فالضمير (منهم) يعود على الأهل، إذن نستدلّ من هذه الآية أنّ المقصود هو الأهل وليس فعل الإهلاك، وهذه كلها مرجّحات.

٢ـ أمّا ما يقطع بأنّ المقصود هم الأهل، فهو أنه لو كان (أهلك) فعلاً ماضياً سيكون الناجون على قسمين:

أـ الأول ﴿مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾.

ب ـ والثاني ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾.

و (من سبق) عليه القول هم غير المؤمنين، وفي الواقع فإنّ الناجين هم المؤمنون فقط؛ لذا فلا يمكن ولا يصح أنْ تكون النجاة لغير المؤمنين.

السؤال الخامس :

قال في آية المؤمنون ٢٧: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ ولم يذكر (منهم) في آية هود ٤٠، فما السبب؟

الجواب :

بشكل عام قصة سيدنا نوح عليه السلام في سورة هود مبنية على العموم، ومبنية على الخصوص في سورة المؤمنون، ومما يوضح ذلك:

١ ـ زيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ في سورة (المؤمنون) . فقد ورد في آية هود ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، بينما جاء في سورة (المؤمنون): ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بزيادة (منهم)؛ لأنّ ما في هود أعم مما في (المؤمنون).

٢ ـ قال في هود:﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ فزاد على الأهل ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ ولم يذكر ذلك في المؤمنون؛ لأنّ ما في هود أعم، فزاد على الأهل (من آمن).

٣ ـ قال في هود ٤٣: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، وهذا يفيد العموم فإنه استغرق نفي العاصم إلا من رحم الله، ولم يقل مثل ذلك في (المؤمنون).

٤ ـ قال في هود ٤٨: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وقال في (المؤمنون) ٢٩: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

فزاد في هود السلام على البركات، ولم يذكر ذلك في(المؤمنون) واستعمل ﴿وَبَرَكَٰتٍ﴾ بالجمع في هود، بينما في (المؤمنون) ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ بالإفراد.

٥ ـ قال في هود: ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ ولم يقل مثل ذلك في (المؤمنون)، وإنما دعا لنفسه ﴿أَنزِلْنِى﴾.

السؤال السادس:

إضافة إلى ما ذُكر في السؤال السابق، ما المقارنات الأخرى بين آيتي هود ٤٠ والمؤمنون ٢٧؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في الآيتين: ﴿مَن سَبَقَ عَلَيْهِ﴾ولم يقل (له)؛ لأنّ الحرف (على) يستعمل في المضار والعذاب، بينما قد تأتي اللام للخير، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾[الصافات:١٧١].

٢ ـ الناجون هم الذين آمنوا برسالة نوح عليه السلام، سواء كانوا من ذوي قرابته أم لا، وجاء إطلاق الأهل على ذلك في آية المؤمنون؛ ليشمل من آمن ممن ليس ذا قرابة، فإنهم ذُكروا في آية هود، والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾استثناءً منقطعاً.

٣ـ ورد في آية هود قوله تعالى: ﴿ٱحْمِلْ﴾وفي المؤمنون قوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ﴾، فلماذا؟

السلوك: قد يكون بمعنى النفاذ في الطريق، وبمعنى الدخول: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدَّثر:٤٢].

الحَمل: يكون بعد السلوك فهو يدخل السفينة أولاً ثم يحمل بعد دخوله .

وفي سورة هود ذكر ما يدل على الحمل؛ لأنّ الحمل جارٍ في السفينة، أي: حمل السفينة للأشخاص، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود:٤١] ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾[هود:٤٢] بمعنى تحملهم، بينما في سورة المؤمنون لم يذكر الحمل أو صورة الحمل، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[المؤمنون:٢٩] .

النتائج :

سورة هود :

السورة مبنية على العموم وليس على الخصوص .

* شواهد قرآنية :

- ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ فلم يذكر تعالى من آمن، أي هي أعم.
- ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[هود:٤٣] .
- ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾[هود:٤٤] .
- ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[هود:٤٤] .
- ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾[هود:٤٨].

سورة المؤمنون :

السياق في التخصيص، لذلك نجد أنّ الله ذكر في سورة هود السلام والبركات، وهذا دليل العموم ولم يذكر ذلك في المؤمنون، وإنما خصّص كما في الآية ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون:٢٩] ﴿فَاسْلُكْ﴾ [المؤمنون:٢٧] ولم يذكرهما في سورة هود، والله أعلم.

السؤال السابع :

كلمة (اثنين) ترد أحياناً مع (زوجين)، كما في آية هود ٤٠: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وأحياناً لا ترد ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات:٤٩] فما اللمسة البيانية في ورودها وعدم ورودها؟

الجواب :

١ـ (اثنين) معناها: ذكر وأنثى، قال تعالى :

ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى.

ـ ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد:٣] تأنيث وتذكير.

ـ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم:٤٥] ذكر وأنثى.

ـ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة:٣٩].

٢ـ قوله تعالى في آية الذاريات ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩] قال: (زوجين)، وهذا ليس مقصوداً فيه الذكر والأنثى، وإنما عموم المتضادات والمتقابلات مثل البروتون والإلكترون، وهذان زوجان.

٣ـ الزوج هو الواحد في الأصل ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٩٠] فالزوج هو واحد وتطلق على الذكر والأنثى، الرجل زوج والمرأة زوج وهذه أفصح اللغات، أمّا (زوجة) فهذه لغة ضعيفة، لكنّ اللغة الفصحى هي زوج للذكر والأنثى والاثنان زوجان.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ ما دلالة كلمة: قليل؟

الجواب :

١ـ قيل (ثمانون رجلاً)، وقيل غير ذلك، ولم يحدد القرآن الكريم العدد وإنما وصفه بالقليل .

٢ـ رجل صالح في عهد عمر رضي الله عنه كان يدعو الله أنْ يكون من الأقلين، فسمعه عمر وسأله: وما الأقلون؟

فأشار إلى قوله تعالى :﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود:٤٠] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة:١٣-١٤] .

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الشكل المعيّن◊ أسفل كلمة ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ في سورة هود، وأعلى كلمة ﴿تَأۡمَ۫نَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾[يوسف:١١] في سورة يوسف؟

الجواب :

١ـ هذه العلامة ◊ مذكورة في مكانين في المصحف، وهو رسم اتفاقي. والعلامة موضوعة مرتين إحداهما في سورة هود في الآية ٤١، في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ هذه إشارة إلى الإمالة .

والإمالة يقولون: أنْ تنحو بالألف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة. وجميع القرّاء قرأوها بالإمالة، ومعنى ذلك أنه ليست قبيلة واحدة كانت تقرؤها ممالة، وإنما هذه الكلمة ممالة عند جميع من قرأ من القرّاء، وقارئ القرآن لا يجوز أنْ يقرأها (مجراها)، ويجب أنْ يقرأها ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ بالإمالة ويتعلمها.

٢ـ وكذلك الأمر في سورة يوسف وضع المعين ◊ فوق النون في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف:١١] إشارة إلى أنه إذا قرأت هذه الكلمة في نطقك بين الميم والنون تضم الشفتين، كأنك تريد أنْ تقول: هناك ضمة محذوفة لأن الأصل (تأمنُنا) .

وهذا يسمى الإشمام، وبعضهم سمّى هذا الإشمام (رَوْماً)، يعني كأنك تروم إظهار الحركة، والرَّوْم لا يكون إلا في حال الوقف، وإذا كانت الكلمة مضمومة أو مكسورة يكون هناك رَوْم، وفُسّر الرَّوْمُ عند علماء اللغة أنه محاولة لإظهار شيء من الحركة عند الوقف، كأنما لبيان أنّ هذه الكلمة مرفوعة.



﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الصورة البلاغية في التعبير عن وصف طوفان نوح عليه السلام في آية القمر ١٢ وآية هود ٤٢؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في آية القمر: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾[القمر:١٢] يعني كل ذرة من الأرض انفجرت عيوناً، والأرض كلها صارت عيوناً.

٢ـ قوله تعالى في آية هود: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[هود:٤٢] معناه هناك ريح تعصف بحيث تضرب الماء فيرتفع الماء فيكون أمواجاً كالجبال وهذا شيء مخيف.

٣ـ لو قال: (في فلك)، فالفلك مكان آمن ،والإنسان آمن في داخل السفينة، لكنّ الله سبحانه أراد أن يقوّي صورة الخوف والرعب، فقال: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[القمر:١٣] وهي عبارة عن ألواح مشدودة .

وقال: ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ﴾[القمر:١٣] ما قال (في) . فعندما يتخيل الإنسان هذا المشهد، هو فوق ألواح ودسر، وهذا الماء بهذا الشكل يزداد رعباً، ويتذكر قدرة الله سبحانه وتعالى كيف حمل نوحاً ومن معه على هذه الألواح والدُّسُر.



﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام اسم (عاصم) بمعنى اسم المفعول في قوله تعالى ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾[هود:٤٣]؟

الجواب :

١ـ قسم من المفسرين يرون أحياناً في الاستعمالات القرآنية أنّ اسم الفاعل يكون بمعنى اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى لا معصوم، ومن الممكن تخريجها على صورتها الظاهرة ويبقى المعنى، وقد ذكر المفسرون آراء أخرى تؤكد الإقرار على المعاني والصيغ لاسم الفاعل واسم المفعول ويستقيم المعنى.

والمصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول في القرآن، مثل كلمة (خلق) فهي تأتي بمعنى مخلوق أحياناً.

٢ـ وفي قوله تعالى في سورة هود: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ تحتمل معنيين: لا عاصم إلا الراحم وهو الله، ولا معصوم إلا الناجي .

وقد يختلف التأويل، لكنّ المعنى يحتمل هذه التأويلات؛ لأنه لا عاصم إلا من رحمه الله تعالى، أي: ليس هناك من ينجيه إلا الله الراحم، وتأتي الآية بعد ذلك: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ لا تمنع كلا التفسيرين، وهذا ما يُسمَّى من باب التوسع في المعنى.

* شواهد قرآنية: قوله تعالى :

- ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [الطارق:٦] أي: مدفوق، والمقصود فاعل الدفق لا المني.

- ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤٣] بمعنى: لا معصوم.

- ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة:٧] بمعنى: مرضية، والمقصود صاحب العيشة لا العيشة.

- ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥] يعني ساتراً.

- ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢] يعني حافظاً.

ومن الممكن أنْ تبقى المعاني والصيغ على صورتها الظاهرة ويبقى المعنى.

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿أَقۡلِعِي﴾ من القلع وهو ترك الشيء، ما الكلمات الأخرى الشبيهة في منظومةالاجتثاث؟

الجواب :

الكلمات هي :

اجتث: الجث هو القطع من الجذور، مثل جذور كلمة الكفر، فمهما كانت جذورها عميقة لكنها واهنة، أمّا كلمة الإسلام فهي كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

والاجتثاث عموماً من الجثة جسد بلا روح، وهو قطع الشيء الواهن من الجذر الواهن.

القلع : يقال للشجرة المثمرة الحية عند نقلها إلى مكان آخر، وقوله تعالى: ﴿أَقۡلِعِي﴾ أي: انقلي الماء إلى مكان آخر: [هود ٤٤].

والإقلاع هو ترك الشيء لانشغاله بشيء آخر، أمّا الترك فهو ترك الشيء لزهده فيه أو لرداءته.

القطع : هو نزع جذع الشجرة من فوق الجذور بحيث يبقى الجذر في الأرض، والقطع يعد تخريباً:[الواقعة ٣٣ـ يوسف ٣١].

النزع :

ويقال لشيء تلبّس بغيره مثل شجرة التفّت أغصانها على شجرة أخرى، ولهذا استعملت كلمة النزع مع المُلك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾ [النازعات:١] ؛لأنّ الكافر متمسك بحياته الدنيا، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨﴾[الأعراف:١٠٨] فالمعجزة هي سحب يده بصعوبة من جيبه.

الصرم :

هو قطع الثمر فقط:[القلم ١٧].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

ذكر القرآن الكريم ٢٣ نوعا من المياه لكل منها طبيعته الخاصة، وهي :

١- الماء المغيض: وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها، غاض الماء: قل ونقص.

قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[هود:٤٤].

٢- الماء الصديد: وهو شراب أهل جهنم.

قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾[إبراهيم:١٦] .

٣- ماء المهل:وهو القطران والمذاب من معادن أو زيت مغلي.

قال تعالى ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[الكهف:٢٩].

٤- ماء الأرض: الذي خلق مع خلق الأرض، ويظل في دورة ثابتة حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾[المؤمنون:١٨].

٥- الماء الطهور: وهو العذب الطيب.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[الفرقان:٤٨].

٦- ماء الشرب: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾[النحل:١٠].

٧- الماء الأجاج: وهو شديد الملوحة وهو غير مستساغ للشراب.

قال تعالى:

- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان:٥٣].

- ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر:١٢].

- ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[الواقعة:٧٠].

٨- الماء المهين: هو الضعيف والحقير، ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾[السجدة:٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[المرسلات:٢٠].

٩- الماء غير الآسن:أي: غير متغير الرائحة،والآسن من الماء مثل الآجن، وقد أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً إذا تغيرت رائحته.

قال تعالى واصفا أنهار الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾[محمد:١٥].

١٠- الماء الحميم: حم الماء، أي: سخن، والماء الحميم: شديد السخونة والغليان. قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[محمد:١٥].

١١- الماء المبارك: الذي يحي الأرض وينبت الزرع وينشر الخير.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾[ق:٩] .

١٢- الماء المنهمر: وهو الماء المتدفق بغزارة ولفترات طويلة من السماء فيهلك الزرع والحرث، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾[القمر:١١].

١٣- الماء المسكوب: الملطف للأرض ويعطى الإحساس بالراحة للعين.

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾[الواقعة:٣٠-٣١] .

١٤- الماء الغور: الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها فلا ينتفع منه .

قال تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾[الكهف:٤١].

١٥- الماء المعين: الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ الملك ٣٠ .

١٦- الماء الغَدَق: أي الوفير .

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[الجن:١٦].

١٧- الماء الفرات :الشديد العذوبة .

قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾[المرسلات:٢٧].

١٨- الماء الثَّجَّاج: وهو السيل .

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾[النبأ:١٤] .

١٩- الماء الدافق:وهو منى الرجل يخرج في دفقات.

قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾[الطارق:٦].

٢٠- ماء مـدين :قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾[القصص:٢٣] .

٢١- الماء السراب: ما تراه العين نصف النهار كأنه ماء .

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[النور:٣٩] .

٢٢- ماء الأنهار و الينابيع: وهو الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك معروفه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الزُّمَر:٢١].

٢٣- الماء السلسبيل: وهو ماء في غاية من السلاسة وسهولة المرور في الحلق من شده العذوبة وينبع في الجنة من عين تسمى سلسبيلا؛ لأنّ ماءها على هذه الصفة.

قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾[الإنسان:١٨].

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمة ﴿ٱبْلَعِى﴾ في آية هود ٤٤؟

الجواب :

رُوي أنّ عبد الله بن المُقفّع جلس يوماً لمعارضة القرآن الكريم في نظمه وبيانه فكان أنْ تلا هذه الآية ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فكسّر أقلامه ومزّق أوراقه وقال: والله ما هذا بكلام بشر وما يستطيع امرؤ أن يصنع هذا .

١ـ جاء الفعل ﴿وَقِيلَ﴾ في أول الآية بصيغة المبني للمجهول . وجاءت كلمة ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ بأسلوب النكرة المقصودة، كما جاءت كلمة ﴿ٱبۡلَعِي﴾ وليس اشربي أو امتصي، وجاءت كلمة ﴿مَآءَكِ﴾ بإضافة الضمير إلى الأرض وهو هابط من السماء !!! وهذه الأوامر من الله تعالى بصيغة ﴿وَقِيلَ﴾ لتدل على أنه لا حاكم في العالمين ولا متصرف إلا هو، كما تدل على كمال الله وقدرته وعلو قهره ومشيئته، وأنه تعالى في الجلال والعلو والعظمة بحيث متى قيل لم ينصرف العقل إلا إليه سبحانه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ فيه تنبيه إلى أنّ كل ما قضى الله واقع لا محالة في وقته، وأنه لا دافع لقضائه ولا مانع من نفاذ حكمه في أرضه وسمائه.

٣ـ فإنْ قيل: كيف يليق بحكمته تعالى أنْ يغرق الأطفال بسبب جرم الكفار؟

فالجواب :

أ ـ قيل: إنّ الله أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يغرق إلا من بلغ سنه إلى الأربعين.

ب ـ أنه بشكل عام لا اعتراض على الله تعالى في أفعاله ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[الأنبياء:٢٣] وهذا جارٍ مجرى ذبح البهائم واستعمالها في الأعمال الشاقة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿بُعۡدًا﴾ فيه وجهان :

أ ـ أنه من كلام الله تعالى على سبيل اللعن والطرد.

ب ـ أنه من كلام نوح عليه السلام جرى مجرى الدعاء عليهم.

ملحوظات :

١ـ الفعل ﴿وَقِيلَ﴾ المقصود منها القول وليس القائل، فالقائل معلوم لا يحتاج امرؤ إلى أنْ يسأل عنه، فأمر سفينة نوح وما رافقها من أحداث عظام لا يخفى على أحد؛ لذلك بدأت الآية بقوله: ﴿وَقِيلَ﴾؛ لأنّ أمره وحكمه ظاهر لكل إنسان.

٢ـ هذه الأرض جزء من نظام الكون الواسع الشامل، وكلمة ﴿وَقِيلَ﴾ إنما هي بند من بنود هذا النظام، وهو أمر فرعي في نظام الأمر الشامل لهذا الكون، كأنه ـ ولله المثل الأعلى ـ أمر من ملك عظيم إلى جندي فرد في جيشه الجرار، وما هذه الأرض كلها بأموالها ودولها وجيوشها إلا ذرة صغيرة في بناء الكون.

٣ـ كلمة ﴿ٱبْلَعِي﴾ من (بلع) التي تعني جذب اللقمة وإنزالها إلى جوف البطن، لذلك فكلمة ﴿ٱبْلَعِي﴾ تعني خذي هذا الماء الغامر من فوق الأرض إلى الأعماق السحيقة في باطن الأرض.

ومن المعلوم أنّ الماء قد غمر الأرض في طوفان نوح عليه السلام، ولو أنّ الماء سينزل إلى الأعماق عن طريق الامتصاص التدريجي لأخذ ذلك وقتاً طويلاً لم تستمر معه الحياة، فكان لا بدّ من أنْ يذهب الماء سريعاً كما جاء سريعاً مفاجئاً، حيث إنّ الله فجّر الأرض عيوناً فأخرجت الأرض ماءها وأرسلت السماء ماءها فالتقى الماء على أمر قد قُدر، وتحقق أمر الله وحمل الله عز وجل نبيه نوحاً ومن معه على ذات ألواح ودُسُر ونجت السفينة، فأين يذهب الماء؟ !!!

لا بدّ له أنْ يغيض في جوف الأرض، فكانت كلمة ﴿ٱبْلَعِى﴾ متناسبة مع كلمة ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ بالفعل المبني للمجهول مرة أخرى؛ لأنّ الحدث هو المهم، أمّا الفاعل فمعروف وهو الله، ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.



﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول :

كيف يأتي القول بعد النداء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾؟

الجواب :

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الفاء تأتي للترتيب الذِكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال.

أولاً يأتي بالنداء بشكل إجمالي، ثم يفصّل القول.

ومثال آخر: ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣] (سألوا موسى) بصورة مجملة، و(أرنا الله جهرة) بصورة مفصّلة.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يعني لئلا تكون من الجاهلين، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] أنْ تميد بكم؛ أي كراهة أنْ تميد بكم أو لئلا تميد بكم كما يقول النحاة، والمعنى: لماذا ألقى الرواسي؟ والجواب: لئلا تميد بكم، أي: كراهة أنْ تميد بكم أو لئلا تميد بكم .

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢] أي: كراهة أنْ تضل إحداهما أو لئلا تضل.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ حيث أخبر بالمصدر عن اسم الذات؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ قال عنه: (إنه عملٌ) فأخبر بالمصدر عن الذات، والغرض من هذا الإخبار هو المبالغة، وذلك أنه جعل العين ـ ذات

الشخص ـ هو الحدث نفسه . أي: أنّ ابنك يا نوح قد تحول إلى عمل غير صالح، ولم يبق فيه عنصر من عناصر الصلاح.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾ فيه وجهان :

أ ـ ليس من أهل دينك.

ب ـ ليس من أهلك الذين وعدتك أنْ أنجيهم معك.

٢ـ الآية تدل على أنّ العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ فيها قراءتان :

أ ـ عَمِلَ: بصيغة الماضي، أي: أنّ ابنك أشرك وعمل عملاً غير صالح.

ب ـ الباقون بالرفع والتنوين ﴿عَمَلٌ﴾ أي: أخبر بالمصدر عن الذات، والغرض من هذا الإخبار هو المبالغة؛ أي: أنّ ابنك يا نوح قد تحول إلى عمل غير صالح، ولم يبق فيه عنصر من عناصر الصلاح.

٤ـ احتج بهذه الآية من قدح في عصمة الأنبياء، لكنّ الصحيح هو وجوب تنزيه الله تعالى للأنبياء عليهم السلام من المعاصي، وبالتالي حمل الآية على ترك الأفضل والأكمل، وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

ولهذا السبب حصل العتاب والأمر بالاستغفار ولا يدل على سابقة ذنب، كما جاء في سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ ومعلوم أنّ مجيء النصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجاً ليست بذنب. والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في آية هود ٤٦ : ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾ بحذف الياء، بينما قال في آية الكهف ٧٠: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ بذكر الياء، فما السبب؟

الجواب :

آية هود في سؤال نوح لربه بعد ما غرق ابنه وحذف فيها الياء فقال: ﴿تَسۡـَٔلۡنِ﴾ وآية الكهف في اشتراط الخضر على موسى عليه السلام أنْ لا يسأله حتى يخبره هو بنفسه وذكر الياء فقال: ﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾،وبالنظر إلى السياقين يتضح ما يلي :

١ ـ في الكهف تدور القصة حول ما يفعله الخضر من أفعالٍ واعتراض موسى عليه، وكان هناك ثلاثة أمور، في حين لم يكن في قصة نوح إلا سؤال واحد وهو عن ابنه، ففي الكهف مقام الإطالة والتفصيل أكثر، فناسب الإطالة في الكهف بذكر الأسئلة بذكر الياء في الكهف.

٢ ـ كان التحذير من السؤال في هود أشد مما هو في الكهف ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾، وليس ذلك في الكهف ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾[الكهف:٧٠] فناسب ذلك حذف الياء في هود إشارة إلى النهي عن أصل السؤال، بخلاف ما في الكهف.

٣ ـ ومن نافلة القول إنّ السؤال في الكهف هو سؤال استفسار، فعدّاه بـ(عن) ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ [الكهف:٧٠] أمّا سؤال نوح فإنه سؤال طلب، كما تقول: سألته حاجة، ولذلك عدّاه بنفسه .



﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الأعراف ٢٣: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾، وكذلك في آية هود ٤٧ ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ فاستعمل (إنْ) ولم يستعمل (لئن) كما في آية الأعراف ١٤٩ ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، فما السبب؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: (إنْ) مع التخفيف و ﴿لَئِن﴾ مع زيادة التوكيد، أي: بزيادة اللام.

انظر الجواب في آية الأعراف ٢٣.

السؤال الثاني :

أكد بـ﴿إِنِّىٓ﴾ في آيات غافر٢٧ والدخان ٢٠ وهود ٤٧ ومريم ١٨ وآل عمران ٣٦ ولم يؤكد بإنّ في البقرة٦٧ والمؤمنون ٩٧ والمعوذتين، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٦.



﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ﴿يَـٰنُوحُ﴾ وكل الرسل ناداهم الحق بالمشخّص العَلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص، ولكنّ رسول الله ﷺ ما ناداه باسمه أبداً إنما ناداه بالوصف الزائد عن مشخصات الذات، فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

أشرف من ناداهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هم رسلُه، لكننا نجد أنه نادى كل الرسل بمشخّصاتهم العَلَمية نحو ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة:٣٣] أي: باسمهم، والاسم لا يعطي وصفاً إلا تشخيص الذات بدون صفاتها .

فقد نادى الحق إبراهيم عليه السلام بقوله :﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الصافات:١٠٤] ونادى نوحاً عليه السلام بقوله:﴿يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨] ونادى موسى عليه السلام بقوله:﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص:٣٠] ونادى عيسى عليه السلام بقوله: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١١٠].

كل الرسل ناداهم الحق بالمشخّص العَلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص، ولكنّ رسول الله ﷺ ما ناداه باسمه أبداً، إنما ناداه بالوصف الزائد عن مشخصات الذات، فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾[المائدة:٤١] ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[الأنفال:٦٤] .

حقاً إنّ الجميع رسل، ولكنه سبحانه يريد أنْ يبلغنا أنّ محمداً ﷺ هو الرسول الذي جاء ناسخاً للكل ومؤمناً بالكل، وهو الذي يستحق النداء بالوصف الزائد عن مشخصات الذات﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وهو الرسول الذي تقوم عليه الساعة، ولذلك نجد خطاب الحق لرسوله دائماً: يا أيها الرسول، أو يا أيها النبي، وهذا نوع من التكريم.

الفرق بين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾:

١ـ النبي أعم من الرسول، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والرسول هو الذي أمر بإبلاغ الرسالة لقومه، بينما النبي قد يكون برسالة أو بدونها.

٢ـ يستعمل القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ في التبليغ والدعوة إلى الله.

٣ـ يستعمل القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ في التبليغ والأمور الشخصية، كقوله تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ﴾[الأنفال:٦٥].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ﴾[الأحزاب:٥٩].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ﴾[التحريم:١].

السؤال الثاني :

كم مرة تكرر حرف الميم في هذه الآية؟

الجواب :

تكرر الحرف ميم (١٦) مرة في آية هود ٤٨ .

وللعلم :

١ـ تكرر حرف الميم (٣٣) مرة في آية البقرة (٢٨٢) وتكرر حرف الكاف (٢٣) مرة.

٢ـ تكرر حرف الواو (٨) مرات في سورة العصر.

٣ـ أربع آيات أولها حرف الشين:[البقرة ١٨٥ـ آل عمران ١٨ـ النحل ١٢١ـ وفي آية الشورى ١٣].

٤ـ آيتان آخرهما حرف الشين :[القارعة ٥ ـ قريش ١].

السؤال الثالث :

هل كل ما جاء عطف بيان يُعرب بدلاً؟

الجواب :

عطف البيان هو قريب من البدل، نقول مثلاً: أقبل أخوك محمد، محمد يمكن أن تُعرب بدلاً أو عطف بيان. لكنْ هنالك مواطن ينفرد فيها عطف البيان عن البدل. وقسم من النحاة يذكرون الفروق بين عطف البيان والبدل ثم يقول أشهر النحاة بعد ذكر هذه الفروق: لم يتبين لي فرق بين عطف البيان والبدل.

عطف البيان على أي حال قريب من البدل، ويصح أنْ يُعرب بدلاً إلا في مواطن:

عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً، بينما البدل قد يكون فعلاً.

عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً أو تابعاً لمضمر (ضميراً أو تابع لضمير)، بينما البدل يصح أن يكون .

عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابعاً لجملة، بينما البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

وهناك مسألتان أساسيتان يركزون عليهما:

- البدل على نيّة إحلاله محل الأول.

- البدل على نية تكرار العامل أو على نية من جملة ثانية.

على سبيل المثال وحتى لا ندخل في النحو كثيراً نقول: يا غلامُ محمداً، هذه جملة صحيحة الغلام اسمه محمد، هذا لا يمكن أنْ يكون بدلاً؛ لأنه لا يصح أنْ يحل محل الأول؛ لأننا قلنا سابقاً إنّ البدل على نية إحلاله محل الأول، ومحمد علم مفرد يكون مبنياً على الضمّ، مثل ﴿يَـٰنُوحُ﴾ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ ولا نقول: يا محمداً.

وكذلك إذا قلنا: يا أيها الرجل غلام زيد، لا يمكن أنْ يكون بدلاً، لأننا لو حذفنا الرجل تصير الجملة: (يا أيها غلام زيد)، ولا تصحّ.

مثال آخر: زيد أفضل الناس الرجال والنساء، إذا حذفنا الناس لا تصح الجملة، ولا يمكن أنْ تكون (النساء) بدلاً؛ لأنه لا يصح قول: زيد أفضل الرجال والنساء. وإنما تُعرب عطف بيان.

وهناك مواطن أخرى عند غير الفرّاء مثال: أنا الضارب الرجل زيد. لا يمكن أنْ يكون الرجل بدلاً، فلا يصح أنْ يقال: أنا الضارب زيدٍ؛ لأنه إذا عرّف الأول فيجب أنْ

يعرّف الثاني. فليس دائماً يمكن أن يُعرب عطف البيان والبدل أحدهما مكان الآخر، وإنما هناك مواطن يذكرها النحاة، لكننا نقول إنّ عطف البيان موجود في اللغة، ومع ذكر كل الفروق بين عطف البيان والبدل كما ذكرنا سابقاً يأتي أشهر النحاة فيقول: إنه لم يتبين له الفرق بينهما.



﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى في آية سورة يوسف ١٠٢ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ وفي آية سورة هود ٤٩ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾؟

الجواب :

كلمة (القَصص) الواردة في آية سورة يوسف (مذكر) مثل كلمة عدد وهي ليست جمع قصة، وإنما القَصص هنا بمعنى السَّرد، أي: بمعنى اسم المفعول أي: المقصوص، وقد جاء في سورة يوسف قوله تعالى في أول السورة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف:٣] وهي قصة واحدة، هي قصة يوسف عليه السلام فجاءت الآية باستخدام ﴿ذَٰلِكَ﴾ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف:١٠٢].

أمّا في سورة هود فقد جاء فيها مجموعة من قَصص الأنبياء، فاقتضى أنْ تأتي الآية باستخدام ﴿تِلْكَ﴾ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)﴾[هود:٤٩] .



﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)﴾

السؤال الأول :

نلاحظ أنه في آية الأنفال ٢٠ حذفت التاء ﴿تَوَلَّوْا﴾ ولم تحذف التاء في آية هود٥٢، فقال: ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ ، فما السبب؟

الجواب :

نلاحظ أنه في آية الأنفال٢٠ حذفت التاء فقال: ﴿تَوَلَّوْا﴾ ، وهي خطاب للمؤمنين، ولم تحذف التاء في آية هود ٥٢ فقال: ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ ، علماً أنّ الخطاب فيها للكافرين؛ وذلك لأنّ:

١ـ تولي المؤمنين أقل من تولي الكافرين؛ لأنّ المؤمنين مطيعون لله، بخلاف الكفرة فتوليهم عام شامل، فلمّا كان تولي المؤمنين أقل حذف التاء للدلالة على قلة توليهم، وزادها مع الكفار للدلالة على زيادة توليهم.

٢ ـ كلمة ﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾ للمؤمنين تدل عن النهي عن التولي مهما كان قليلاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿ثُمَّ﴾ بالضم و(ثَمَّ) بالفتح؟

الجواب:

١ـ ثُم: بالضم حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، كما في آية [عبس٢١ـ٢٢ وآية هود٥٢].

٢ـ ثَمَّ: ظرف بمعنى هناك، وهو للبعيد بمنزلة هنا للقريب، وقد تلحقها التاء فيقال (ثَمَّة) بالتاء.

ولذلك من الخطأ الشائع أنْ يقال: ومن ثُم، والصحيح: ومن ثَمَّ، بالفتح.



﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى
بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥)﴾

السؤال الأول :

السؤال: لماذا قال في آية آل عمران٦٤: ﴿وَٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فجاء بالباء مع ﴿بِأَنَّا﴾ ولم يذكرها في آية هود ٥٤، حيث قال: ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ﴾، مع أن الفعل فيهما واحد وهو قوله (اشهدوا)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٦٤.

السؤال الثاني :

قال في آية هود٥٥: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ وقال في آية الأعراف١٩٥: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ فقدّم الفاء وأخر ﴿ثُمَّ﴾ في آية هود، وقدم ﴿ثُمَّ﴾ وأخّر الفاء في آية الأعراف، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٩٥.



﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

في آيتي سورة هود ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦] ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] ما دلالة الاستشهاد بالدابة دون الإنسان مثلاً؟

الجواب :

الدابة كل ما يدبّ على الأرض من إنسان أو غيره، والإنسان دابة والدواب الأخرى دابّة وكل ما يدب على الأرض يسمى دابة، وهذه عبارة عامة.

السؤال الثاني :

ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾؟

الجواب :

١ـ دائماً كل ما يتعلق بالكلام عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته وعن أسمائه، المسلمون فيه على قولين:

أ ـ قولٌ هو المشهور، وهو مذهب الإمام أحمد ومن تابعه، يقولون هذه الآيات نُمِرّها كما هي ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ يعني إنّ ربي على صراط مستقيم.

ب ـ وفريق آخر من المسلمين من أهل العلم والصلاح والتقوى والورع، قالوا: القرآن خاطب العرب، فكيف فهم العربي هذا؟ فنحاول أنْ نؤول بما يوافق لغة العربي وما فهمه العرب فنتأول بما تحتمله لغة العرب وليس على الهوى. وهذا الكلام ينفعنا الآن في نشر الدعوة؛ لأنه الآن أنت تريد أنْ تترجم تفسير القرآن للناس فلا تقل لهم: أمِرّوا هذا، ولكن انظر كيف فسّر العلماء المسلمون من الأتقياء الصالحين هذا واستفد منه وترجمه.

فللمسلم نقول: نُمِرّه، وأمّا لغير المسلم فلا أقول هذا، ولكنْ أستفيد مما قاله علماؤنا الذين كانوا على جانب عظيم من الصلاح والورع والتقوى.

٢ـ الفهم الثاني الآن نحتاج إليه. وعندما يقول: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ الآية تتحدث عن أحد رسل الله تعالى، قال: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ من

دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٥-٥٦].

مجاهد يقول: على الحق. وغيره يقول فيه إضمار: (إنّ ربي على صراط مستقيم) تعني: إنّ ربي على الحق فلن يسلّطكم عليّ. والله أعلم.



﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة هود قال في قصة هود آية ٥٨ وشعيب آية ٩٤ بالواو، أي ﴿وَلَمَّا﴾، وفي قصة صالح آية ٦٦ ولوط آية ٨٢ بالفاء، أي: ﴿فَلَمَّا﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ العذاب في قصة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد، فقد قال في قصة هود: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وفي قصة شعيب ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فالتخويف قارنه التسويف، فجاء بالواو المهملة.

٢ـ في قصة صالح ولوط وقع العذاب عقيب الوعيد، فقال في قصة صالح: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ وفي قصة لوط: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ فجاء بالفاء للتعجيل والتعقيب.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ﴿جَحَدُواْ﴾ ما كلمات منظومة الجحود والإنكار؟

الجواب :

هذه هي منظومة الإنكار:

جحد ـ الجحود :

هو كل ما تنكره بلسانك، ولكنّ القلب يثبته:[هود ٥٩].

الكنود :

هو الإنكار بالقلب واللسان مثل الشيوعيين والوثنيين، وأرض كندة: أي لا تصلح للزراعة، وأرض نكدة: أي تخرج النبات بصعوبة:[العاديات ٦].

الكفر والكفران:

الكفر والكفران يقال: (كفر) للدين و(كفران) للنعمة، وكفران النعمة هو إهمال قيمتها وعدم شكرها، وكل من لا يشكر النعمة فهو كفران ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء:٩٤] ومنه كفران العشير من الزوجة لزوجها إذا غضبت منه لأمر ما فتنسى فضله.

الخداع :

هو التظاهر بقبول النعمة ولكنَّ الباطن مختلف، أو إظهار غير ما يبطن، وهو صفة المنافقين: [البقرة ٩].

﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

في ثلاث قصص في سورة هود، وهي قصص (عاد وثمود ومدين) القصص الثلاثة بدأت نفس البداية ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ ﴾ [هود:٥٠] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ ﴾ [هود:٦١] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ ﴾ [هود:٨٤] ثم انتهت الآية ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [هود:٦٠] وفي الآية ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود:٦٨] وفي الآية ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود:٩٥] لماذا قال (عاد قوم هود)؟

الجواب :

قالوا إنّ عاداً أكثر من قوم، فقوم هود هو قسم من عاد، وليس كل عاد ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النجم:٥٠] لأنّ هنالك عاداً الآخرة، هذا مما قيل في هذا. هؤلاء بالذات عاد أخرىٰ، وليسوا من جماعتهم.

السؤال الثاني :

اللعن هو الطرد، وقد قال: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ فما الفائدة في قوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ ؟

الجواب:

التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على غاية التأكيد، وهذا يتَّبع عند الحديث عن الأمور الجليلة، والبُعد هو الهلاك لقوم هود بسبب جحودهم وإنكارهم.

السؤال الثالث:

ما الفائدة في قوله: ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾؟

الجواب :

كان (عاد) عادين . فالأولى القديمة هم قوم هود . والثانية هم ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر:٧] فذكر ذلك لإزالة الاشتباه، واقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠] إضافة أنّ المبالغة في التنصيص تدل على مزيد التأكيد.

السؤال الرابع :

قال في الآية ٦٠ : ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾فذكر ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ولم يذكرها في الآية رقم ٩٩؟

الجواب :

١ـ الآية ٦٠: هي في قصة عاد، بينما الآية ٩٩ هي في قصة موسى عليه السلام وفرعون.

٢ـ قصة عاد في السورة من الآية ٥٠ وحتى الآية ٦٠، بينما قصة موسى أربع آيات فقط من الآية [٩٦ـ ٩٩]؛ لذلك قصة عاد أطول؛ فناسب ذكر ﴿ٱلدُّنْيَا﴾في مقام الإطالة والتبسط وعدم ذكرها في مقام الإيجاز.

٣ـ ذكر القرآن في قصة عاد أموراً تتعلق بالدنيا، كما في الآية ٥٢ ،حيث ذكر فيها سعة الرزق وزيادة القوة، ولم يذكر أمراً بالدنيا في قصة موسى، فناسب ذلك ذكر الدنيا مع قصة عاد بخلاف قصة موسى عليه السلام.

٤ـ أشار القرآن في الآية ٥٨ إلى عذاب عاد ونجاة هود عليه السلام ومن معه في الدنيا، ولم يُشر إلى مثل ذلك في قصة موسى في سورة هود، فناسب من جهة أخرى ذكر الدنيا في قصة عاد.

٥ـ تحدث في قصة موسى في الآية ٩٨ عن العذاب الذي سيصيب فرعون وقومه يوم القيامة، ولم يتحدث عن عذابٍ سيصيب عاداً يوم القيامة.

٦ـ اختلف التعقيب بعد كل قصة بما يناسبها، ففي قصة عاد عقّب بقوله: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فلم يزد على قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ لأنه لم يذكر فيها أمراً يتعلق بيوم القيامة.

بينما عقب في قصة موسى بقوله: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ فزاد ﴿ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾؛ لأنه ذكر قبلاً العذاب الذي سيصيب فرعون وقومه يوم القيامة، فكان كل تعبير أنسب بالموضع الذي ورد فيه.

﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا
وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ [هود:٦٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ﴾[إبراهيم:٩]؟

الجواب :

١ـ في آية سورة هود الكلام في قصة صالح، فجاء بلفظ ﴿تَدْعُونَآ﴾ . أمّا في سورة إبراهيم، فالكلام عن مجموعة من الرسل؛ لذا جاء قوله: ﴿تَدْعُونَنَآ﴾ .

٢ـ لفظ ﴿وَإِنَّنَا﴾ هو آكد، وتأتي لمعنيين: التفصيل والتوكيد.

٣ـ لفظ ﴿وَإِنَّا﴾ تأتي للتوكيد سواء كانت النون مشددة أم مخففة.

ونون التوكيد قد تأتي في أول الأسماء نحو ﴿وَإِنَّنَا﴾ وفي آخر الأفعال للتوكيد ﴿وَلَيَكُونًا﴾ ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ .

٤ـ قصة صالح عليه السلام في سورة هود أطول والتكذيب أشد، بينما الكلام في سورة إبراهيم موجز، فاقتضى التوكيد في سورة هود بـ ﴿وَإِنَّنَا﴾ ولم يقتضِ التوكيد في سورة إبراهيم، فجاء بـ ﴿وَإِنَّا﴾ .

السؤال الثاني :

ما الفرق في الاستعمال بين: إنّي و إنّني و إنّا وإنّنا؟

الجواب :

يقال: إنّي و إنّني و إنّا و إنّنا.

قال تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾[الأعراف:٧١].

ـ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾[هود:٢].

ـ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾[الأعراف:١٧٠].

ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾[طه:٤٥].

يجوز عند النحاة الذكر والحذف، ولم يذكروا لذلك غرضاً لغوياً أو بيانياً، وقد وقع الاستعمالان في كتاب الله، ومن الدراسة يتبين أنّ ذكر النون إنما يكون للأغراض التالية :

١ ـ لغرض الزيادة في التوكيد، حيث (إنني) آكد من (إنّي)، و (إننا) آكد من (إنّا)، وذلك أنّ اجتماع ثلاث نونات يزيد في التوكيد .

٢ـ مراعاة مقام الإطالة فيؤتى بالنون في مقام الإطالة والتفصيل، ولا تلحق في مقام الإيجاز.

لمزيد من التفصيل . انظر الجواب في آية المائدة ٢٤.



﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير في قوله تعالى فى آية سورة هود ٢٨: ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ و قوله تعالى في آية هود ٦٣: ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٢٨.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ بدل (ونصرناه على) في آية سورة الأنبياء ٧٧؟

الجواب:

النحاة يقولون: إنّ (نصرناه من) تعني: نجيناه من، و(نصرناه على) تفيد الاستعلاء.

والفرق بين (نجيناه من) و(نصرناه من) أنّ الأولى تتعلق بالناجي نفسه، وأمّا الثانية فهي تتعلق بالجانبين، بمعنى أنه نجّى نوحاً ونصره من الآخرين، فالنصرة هنا للناجي وعقاب لخصمه.

وكذلك الأمر في الآيات[٣٠ و٦٣] في سورة هود، وفي الآيات [العنكبوت٢٤ ـ والتحريم ١١].



﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الأعراف ٧٣ وصف العذاب بالإيلام ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ وفي آية هود ٦٤ وصف العذاب بالقرب ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ وفي آية الشعراء ١٥٦ وصف يوم العذاب بالعظمة﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾، فما دلالة اختلاف الوصف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٧٣.



﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾﴾ ما الفرق بين (الموعد والموعدة)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ١١٤.



﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

وردت ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾[المعارج:١١] ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾[هود:٦٦] كلمة ﴿يَوۡمِئِذٍۚ﴾ الميم مكسورة غير (يومَئذ)، فما السبب؟

الجواب :

﴿يَوۡمِئِذٍۚ﴾ يوم هي مضاف إليه، اليوم يكون مجروراً بالإضافة ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ﴾ [المعارج:١١] مضاف إليه ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾[المعارج:١١] مضاف إليه مجرور،

وعندما لا يكون في حالة جر يكون منصوباً، فكلمة يومِئذ مضاف ومضاف إليه ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[هود:٦٦].

السؤال الثاني :

في آية هود ٦٦: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ وفي آية هود ٩٤ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؟ ما سبب الاختلاف بين (الفاء والواو) في الآيتين؟

الجواب :

١ ـ جاءت الآية الأولى رقم ٦٦ بالفاء، وهي تتكلم عن نبي الله صالح عليه السلام، وقد سبقها قوله تعالى في الآية ٦٥: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾فجاء بالفاء؛ لأنّ الحق قد حدد الموعد الذي ينزل فيه العذاب.

٢ـ أمّا الآية ٩٤ فهي تتكلم عن نبي الله شعيب عليه السلام، فجاءت بالواو ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؛ لأنه لم يسبقها، وعد ولم يحدد موعد العذاب.



﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾وفي موقع آخر: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ما الفرق بين (أخذ وأخذت) و(دارهم وديارهم)؟

الجواب :

١ـ الآية ٦٧: تتعلق بقوم صالح عليه السلام، وأمّا الآية ٩٤: فتتعلق بقوم شعيب عليه السلام.

٢ـ جاء في الآية ٦٦: ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ وكلمة (خِزي) مذكر فناسب تذكير الفعل ﴿وَأَخَذَ﴾.

٣ـ بشكل عام التذكير أقوى من التأنيث، أي أنّ الصيغة ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أقوى من الصيغة ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾.

٤ـ من حيث اللغة كلمة ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ مؤنث مجازي فيجوز هنا التذكير والتأنيث، حتى أنه مع المؤنث الحقيقي إذا فُصل بين الفعل والفاعل بفاصل جاز معه التذكير والتأنيث.

مثال: حضرت فاطمة إلى الجامعة . يجب هنا التأنيث.

حضرت / حضر إلى الجامعة فاطمة . يجوز التذكير والتأنيث حيث فصل بين الفعل والفاعل بفاصل

٥ـ انظر إلى الجدول التالي :

آيات هود ٦٦ـ٦٧ـ٦٨ صالح/ قوم ثمود	آيات هود٩٣ـ ٩٤ـ شعيب/ قوم مدين
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾[هود:٦٦]	﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾[هود:٩٤]
﴿خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾[هود:٦٦]	-
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦)﴾[هود:٦٦]	﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)﴾[هود:٩٣]
﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾[هود:٦٨]	-
﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾[هود:٦٨]	﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾[هود:٩٥]

ففي قصة صالح العذاب أشد؛ حيث ذكر فيها الفاء وهي تفيد التعقيب وليست مثل الواو، وذكر قوة الله العزيز، وذكر أنّ ثمود كفروا ربهم فاتضح أنّ التعقيب على قوم

صالح كان أشد، فجاء في عقوبتهم بلفظ التذكير فقال: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾؛ لأنّ المذكر أقوى من المؤنث، فناسب التذكير قوم صالح والتأنيث قوم شعيب.

٦ـ قصة شعيب في سورة هود أطول من قصة قوم صالح، فالأولى اثنتا عشرة آية من الآية ٨٤ إلى الآية ٩٥، بينما قصة صالح ثماني آيات من الآية ٦١ـ ٦٨.

وإنّ كلمة ﴿وَأَخَذَتِ﴾ أطول من ﴿وَأَخَذَ﴾ فناسبت الكلمة الطويلة القصة الطويلة.

٧ـ وردت كلمة ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ في قوم صالح في القرآن الكريم سبع مرات في الآيات:[الأعراف ٧٣ ـ هود ٦٤ـ الشعراء ١٥٦ـ ١٥٨ـ فصلت ١٨ـ القمر ٣٠ـ الفجر ١٣] وجاءت مع عاد وثمود وفرعون . بينما وردت مرة واحدة في أهل مدين: [هود ٩٣].

ومن معاني ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ فذكّر العذاب في قوم صالح إشارة إلى معنى (العذاب) الذي تكرر سبع مرات فيهم . وجاء بالفعل على لفظ الصيحة وهو التأنيث مع قوم شعيب.

٨ـ وأمّا قوله تعالى تعقيباً على قوم شعيب: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ فذلك؛ لأنّ طبيعة العذاب واحدة في القومين، فكلاهما أُهلك بالصيحة، فشبّه هلاك مدين بهلاك ثمود.

أمر توضيحي : قيل عن سبب اختيار التأنيث والتذكير إنّ الله أخبر عن قوم شعيب بثلاثة أنواع من العذاب كلها بألفاظ مؤنثة، وهي :

أ ـ الرجفة: في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾[الأعراف:٩١].

ب ـ الصيحة: في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[هود:٩٤].

ج ـ الظلة: في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾[الشعراء:١٨٩] .

فلذلك ناسب التأنيث في أهل مدين.

والصواب أنّ مدين أخذتهم الصيحة وأخذتهم الرجفة، وأمّا عذاب يوم الظلة، فإنه لم يصب مدين وإنما أصاب أصحاب الأيكة، علماً أنّ شعيباً عليه السلام أرسل إلى مدين وأصحاب الأيكة .

والرجفة أيضاً أصابت قوم صالح أيضاً لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾[الأعراف:٧٨] والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في قصة هود آية ٥٨ وشعيب آية ٩٤ بالواو أي: ﴿وَلَمَّا﴾وفي قصة صالح آية ٦٦ـ ولوط آية ٨٢ بالفاء أي ﴿فَلَمَّا﴾، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود٥٨ .

السؤال الثالث :

ما الفرق بين (الصيحة والرجفة) في الاستعمال القرآني؟ ولماذا لم ترد في القرآن الكريم كلمة ﴿دِيَرِهِمْ﴾إلا مع العذاب بالصيحة ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾[الأعراف:٧٨] إلا مع العذاب بالرجفة؟

الجواب :

١ـ الصيحة هي أشمل وأهم من الرجفة؛ لذا تصيب عدداً أكبر، حيث إنّ الصوت يمتد أكثر من الرجفة؛ ولهذا تؤثر في ديار عديدة؛ لذا جاء استخدام كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ مع الصيحة، كما في آيتي سورة هود .

أمّا الرجفة فيكون تأثيرها في مكانها فقط؛ لذا جاء استخدام كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ مع الرجفة، كما في آيتي سورة الأعراف.

ولم ترد في القرآن الكريم كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة، ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة .

٢ـ لذلك ترى أنه حيث ذكر الصيحة جمع الدار، وحيث ذكر الرجفة وهي الزلزلة الشديدة وحّد الدار؛ وذلك لأنّ الصيحة تبلغ أكثر مما تبلغ الرجفة . فالرجفة تختص بجزء من الأرض، أمّا الصيحة فإنها يبلغ صوتها مساحة أكبر من مساحة الرجفة، فلذلك وحّد مع الرجفة وجمع مع الصيحة. والله أعلم.



﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول :

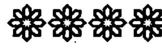
لماذا زيدت ألف مع كلمة ﴿ثَمُودَا۟﴾ في الآية؟

الجواب :

زيدت (ألف) مع كلمة ثمود في أربع آيات، وهي:[هود ٦٨ـ الفرقان ٣٨ـ العنكبوت ٣٨ـ النجم ٥١].

وقد قرأ نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي الآيات الأربعة بالتنوين، وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص بترك التنوين فيها.

وبالتالي فإنّ هذه الألف ليست إلا عوضاً عن التنوين المفتوح ما قبله عند الوقف.



﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب ﴿سَلَٰمًاۖ﴾ و﴿سَلَٰمٌۖ﴾ في الآية ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ لماذا نصبت الأولى ورفعت الثانية؟

الجواب :

١ـ سلاماً: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: نسلِّم سلاماً، وسلامٌ: مبتدأ خبره محذوف تقديره: سلام عليكم، وفيها أعاريب أخرى،لكنّ هذا أشهرها.

٢ـ هذا الأمر هو في قصة سيدنا إبراهيم: ﴿سَلَٰمًاۖ﴾ جملة فعلية هي مفعول مطلق لفعل محذوف (يسلم سلاماً) وكل منصوب هو جملة فعلية ،وإذا وجدت منصوباً وليس هناك له ناصب، فاعلم أنها جملة فعلية، بينما ﴿سَلَٰمٌۖ﴾ مبتدأ جملة اسمية.

ونحو ذلك: (ويلٌ له): جملة اسمية، (ويلاً له) جملة فعلية.

فإذن (سلاماً) جملة فعلية، وسلامٌ: جملة اسمية، وعندنا قاعدة: هي أنّ الاسم أثبت وأقوى من الفعل، هم حيَّوه بالجملة الفعلية ﴿سَلَٰمًاۖ﴾ وهو حيّاهم بما هو آكد، فهو حيّاهم بأحسن من تحيتهم، فرد التحية بالجملة الاسمية تطبيقاً للآية الكريمة: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾[النساء:٨٦].



﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾

السؤال الأول:

ما قواعد كتابة لفظة (امرأة) علماً أنها وردت في المصحف بالهاء ٤ مرات وبالتاء (امرأت) ٧ مرات؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٥.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين دلالة زوج وامرأة في اللغة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٥.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (الويل والويلة) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ الويل: هو العذاب والحزن والمشقة، وأمّا الويلة: فهي الفضيحة.

٢ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال (الويلة) في القرآن وجدناها كلها في مواطن الفضيحة، كما في الآيات:[هود ٧٢ ـ الكهف٤٩ ـ المائدة ٣١ ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد لفظ (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١] والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال تعالى في سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾[ق:٢]وفي سورة هود: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾[هود:٧٢] وفي سورة ص: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾[ص:٥] ما الفرق بين (عجيب وعجاب)؟

الجواب :

١ـ أولاً: صيغ العربية:

أـ (عجيب) تدخل في صيغ المبالغة أو صفة المشبّه (فَعيل، فُعال، فُعّال).

ب ـ صيغة (فُعَال) من حيث المبالغة أكثر من (فعيل)، نقول: هذا طويل، فإذا أردنا المبالغة نقول (طوال)، باعتبار ذلك مناسباً لمدّة الألف ومناسباً لمدّة الصوت، وأحياناً صوت الكلمة يناسب المعنى، فمدّة الألف أكثر من الياء فجعلوها للصفة الأبلغ. لذلك: (عُجاب) أبلغ من (عجيب).

٢ـ مسألة التوكيد وعدم التوكيد: أخبر عن العجيب، لكنه غير مؤكد في الأولى، ثم في الثانية آكد.

أ ـ تدرج في العجب بحسب قوته، ففي سورة (ق) استعمل ﴿عَجِيبٌ﴾ وفي هود ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[هود:٧٢] وفي سورة ص ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾[ص:٥] .

ب ـ في سورة ق: عجبوا من أنْ يجيء منذر منهم فقالوا: ﴿هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾[ق:٢] .

وأمّا في سورة هود: فقد كان العجب أكبر؛ لأنه من خلاف المعتاد أنْ تلد امرأة عجوز عمرها ٩٩ سنة وبعلها شيخ عمره ١٢٠ سنة وكانت عقيماً عن الولادة، فإذا اجتمع كل هذا كان العجب أكبر فأكد بـ(إنّ واللام) فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[هود:٧٢] .

ج ـ في سورة ص: كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر، إذ كيف يمكن أنْ يؤمنوا بوحدانية الإله ونفي الشرك وهم قوم عريقون فيه؟ بل إنّ الإسلام جاء أولاً ليردعهم عن الشرك ويشهدوا أن لا إله إلا الله، وقد استسهلوا حمل السيوف والحرب الطويلة على أنْ يقروا بهذه الكلمة، فالقتل عندهم أيسر من النطق بكلمة التوحيد؛ لذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر، فجاء بـ(إنّ واللام) وعدل من (عجيب) إلى (عُجاب)؛

وذلك أن (فُعال) أبلغ من (فعيل) عند العرب فـ(طُوال) أبلغ من (طويل) و نحوه: كريم و كُرام و شجيع و شجاع.

٣- (عُجاب) صفة مشبهة، والصفة المشبهة باسم الفاعل اسم مشتق لا يصاغ إلا من الفعل الثلاثي اللازم، أي: ليس له مفعول به، وهي وصف يدل على من قام به الفعل على وجه الثبوت.

٤ـ الفعل الثلاثي اللازم يكون على ثلاثة أوزان :

أ- (فَعَلَ) بفتح العين: يصاغ منه اسم الفاعل نحو: كتب كاتب، وقلّما يأتي منه غير هذا الوزن مثل: طيب من طاب، وشيق من شاق، وأشيب من شاب .

ب- (فَعِلَ) بكسر العين، لا يصاغ منه اسم الفاعل على وزن «فاعل»إلا نادراً، وإنما تصاغ منه الصفة المشبهه على الأوزان (فَعِلَ: مثل فرِح وطرِب- أفعَل: مثل: أحمر وأسمر - فَعلان: مثل: عطشان وجوعان).

ج- (فَعُلَ) بضم العين لا يصاغ منه اسم الفاعل على وزن «فاعل»إلا نادراً، وإنما يصاغ منه الصفة المشبهة على الأوزان (فَعِيل: شريف وكريم ـ فَعْل: شهم وسهل وضخم ـ فُعَال: شجاع وفرات و هُمام - فَعَال: جبان ـ فَعَل: بطل وحسن ـ فُعْل: حلو وصُلب ومُر).

٥ـ في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ نصب (شيخاً) على الحال، فكأنّ قوله: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ قائم مقام أنْ يقال: أشير إلى بعلي حال كونه شيخاً، والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة، وهي الشيخوخة.

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بكلمة ﴿أَهۡلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾؟

الجواب :

يستعمل القرآن كلمة (أهل) للأزواج، كما جاء في قصة إبراهيم ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ وفي قصة امرأة العزيز ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف:٢٥] ـ وفي قصة موسى ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩] وفي آية الأحزاب ٣٣ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[الأحزاب:٣٣] .

إذن (أهل) هي الأزواج كما وصفها القرآن وفي اللغة .



﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

وردت كلمة ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في القرآن كله بالياء إلا في سورة البقرة بأجمعها فقد جاءت بدون الياء ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة١٢٤ .

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (ذرع) في آيتي هود٧٧ والعنكبوت٣٣؟ .

الجواب :

قال تعالى في سورة هود٧٧: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت:٣٣] .

(الذرع) في اللغة هو الوسع والطاقة، أي: الإمكانية من حيث المعنى العام. وضاق بهم ذرعاً بمعنى: لا طاقة له بهم، وأصل التعبير (ضاق ذرعاً)، أي: مدّ ذراعه ليصل إلى شيء فلم يستطع، إذن(ضاق ذرعاً) بمعنى: لم يتمكن.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في ذكر ﴿أَن﴾ في آية سورة العنكبوت ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت:٣٣]؟ وما دلالتها مع أنها لم ترد في آية سورة هود في قصة لوط؟

الجواب :

١ ـ ﴿أَن﴾ هذه عند النُحاة زائدة إذا وقعت بعد (لمّا)، أي: لا تؤثر على المعنى العام إذا حُذفت. وبيان ذلك يتضح من مقارنة قصة لوط عليه السلام في سورتي العنكبوت وهود :

* قصة لوط بين سورتي العنكبوت وهود:

جاء في قصة لوط عليه السلام في سورة هود قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود:٧٧] بدون (أنْ) بينما وردت في سورة العنكبوت ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت:٣٣] مع ذكر (أنْ)، وهذا لأكثر من سبب :

أ ـ أفاض في ذكر القصة في سورة العنكبوت أكثر ممّا هو في سورة هود فقد ذكر فيها من صفات قوم لوط السيئة ما لم يذكره في هود ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت:٢٩]، بينما لم يزد في هود على أنْ قال: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:٧٨] ففصّل في عمل السيئات في سورة العنكبوت ما لم يفصله في سورة هود .

ب ـ لمّا كان المقام مقام إطالة وتفصيل في سورة العنكبوت ذكر (أنْ) لمناسبة سياق الإطالة والتفصيل، بخلاف سورة هود.

ج ـ الإفاضة في ذكر تفاصيل القصة في العنكبوت أكثر، ومن ذلك :

ـ بين الآيتين السابقتين، زاد في العنكبوت ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [العنكبوت:٣٣].

ـ منها دعاؤه ربه أنْ ينصره على قومه بعد أنْ كذبوه وتعجلوا العذاب: [العنكبوت ٢٩-٣٠] وليس الأمر كذلك في هود ولم يدعُ لنفسه بالنصر .

ـ منها التصريح بلفظ التنجية في العنكبوت مرتين: مرة مع سيدنا إبراهيم الآية ٣٢، ومرة مع لوط نفسه الآية ٣٣، ولم يرد مثل هذا في هود .

د ـ ذكر تعالى أنّ ضِيقَ لوط بقومه في العنكبوت أكثر، وكان ترقّبه للخلاص أكثر، وكان برِماً بقومه ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[هود:٧٧] .

هـ ـ ثم إنّ قوم لوط تعجلوا العذاب في سورة العنكبوت، ثم دعا لوط ربه أنْ ينصره عليهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾[العنكبوت:٣٠] إذن بَرَمُ لوط وضيقه بقومه كان أكثر، فكأنه استبطأ مجيء العذاب على هؤلاء، وهو نفسياً كأنما وجد أنّ مجيئهم كان طويلاً وتمنى لو أنّ العذاب جاء عليهم قبل هذا.

٢ـ لذا حسّن ذلك ذكر ﴿أن﴾ للدلالة على استطالة الوقت وطول الترقب والانتظار، وهو تعبير في غاية الجمال.

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ (٧٨) ﴾

السؤال الأول :

ماذا عن استعمال كلمة ﴿ضَيۡفِيٓۖ﴾ من ناحية الإفراد والتثنية والجمع؟

الجواب :

لفظة ضيف، تستعمل للمفرد والمثنى والجمع، وهناك ألفاظ شبيهة بذلك نحو: (بشر ـ رسول ـ خصم ـ طفل).

مع العلم أنّ لكلٍّ منها جمعاً خاصاً بها، نحو:(رسل ـ خصوم ـ أطفال ـ ضيوف).

السؤال الثاني :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى (يُهرعون) أي: يسارعون بشدة مع الحرص.

٢ـ قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ المراد نساء أمته؛ لأنهن في أنفسهن بنات، وأضافهن إليه لأنه كان نبياً لهم فهو كالأب لهم، والمقصود أنه دعاهم إلى التزوج بهن شريطة الإيمان، أو كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعته.

٣ـ قرأ أبو عمرو ونافع ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ بإثبات الياء على الأصل والباقون بحذفها للتخفيف ودلالة الكسر عليه.

ومعنى ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ أي: لا تفضحوني ولا تخجلوني في أضيافي.

٤ـ الضيف هنا قائم مقام الأضياف اسم جنس، كما قام الطفل مقام الأطفال في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾[النور:٣١].

ويجوز أنْ يكون الضيف مصدراً، فيستغنى عن جمعه كما يقال: رجال صوم.

٥ـ الرشد هو السداد، وهنا بمعنى مُرشِد، أي: رجل يقول الحق ويرد هؤلاء الأوباش عن أضيافي. والله أعلم.



﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ في الآية؟

الجواب :

لوط عليه السلام بدرت منه كلمة هي قوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ وفي الأحاديث الصحيحة أنّ الرسول ﷺ قال: «**رحم الله لوطاً (وفي رواية):غفر الله للوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»، كان يأوي إلى الله عز وجل، فكيف يقول: أو آوي إلى ركن شديد؟ وفي «مسند أحمد» في تفسير الحديث أنه كان يقصد عشيرته، أي أنه ما عنده عشيرة قوية يأوي إليها.والله أعلم .

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ما كلمات منظومة الحصن والملجأ والركن الشديد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧٨.

السؤال الثالث :

ما دلالة استعمال أداة الشرط ﴿لَوْ﴾ في الآية؟ وما أدوات الشرط؟

الجواب :

أولاً ـ أدوات الشرط نوعان :

أ ـ أدوات تجزم فعلين، وعددها اثنتا عشرة أداة، وهي :

[إنْ ـ منْ ـ ما ـ مهما ـ متى ـ أيان ـ أين ـ أينما ـ أنّى ـ حيثما ـ كيفما ـ أيّ]

ب ـ أدوات لا تجزم، وعددها سبعة، وهي :

١ ـ (لو ـ لولا ـ لوما ـ أم) وهذه حروف.

٢ ـ (إذا ـ لمّا ـ كلّما) وهذه ظروف.

والكلام هنا فقط عن الأداة (لو)، وقد وردت في القرآن الكريم ٨٠ مرة، أولها آية البقرة ٥٦، وآخرها آية التكاثر ٥.

ثانياً ـ معاني (لو) .

هي كما أسلفنا من أدوات الشرط، ومن معانيها :

١ـ امتناعية: أي: هي حرف امتناع لامتناع، أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط، وهي تدخل على الفعل الماضي غالباً، نحو قوله تعالى:﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

٢ـ شرطية، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنفال:٢٣] إذ لا يصح أنْ يقال: امتنع التولي لامتناع الإسماع، بل هم متولون على كل حال أسمعهم أم لم يسمعهم.

٣ـ للتمني، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ .

٤ـ للتقليل نحو: تصدق ولو بتمرة .

وتقع اللام في جواب (لو) للجواب المثبت كثيراً، كقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الفتح:٢٥].

وأمّا الجواب المنفي بـ (لم) فلا تلحقه اللام، والمنفي بـ(ما) يجوز إلا أنه قليل، ولم ترد في القرآن لاحقة لجوابها المنفي.

وهذه اللام تفيد التأكيد أو واقعة في جواب قسم، وهو يفيد التوكيد كذلك.

﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ (٨١) ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ما الفرق بين كلمتي(مَعَاد وميعاد)؟

الجواب :

١ـ (المَعَاد) غير الميعاد، المَعَاد هو بلد الرجل من العَوْد، مَعَاد اسم مكان بلد الرجل ومعاده؛ لأنه يسافر ثم يعود، وقسم قال: المَعَاد هو الحشر والجنة باعتبار أن الناس يعودون، أو الجنة؛ لأنه تعود إليهم حياتهم.

٢ـ هناك فرق بين (المَعَاد والميعاد): المَعَاد من عاد، والميعاد من وعد (مفعال - موعاد) أصلها (موعاد) سكّن حرف العلة وقبلها كسرة؛ فيصير ميعاد .

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾[القصص:٨٥] يعني لرادك إلى مكة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾[هود:٨١] هذا موعد من ميعاد.

السؤال الثاني :

كيف ذكر في آية هود ٨١ أنّ عذابهم الصبح وفي آية الحجر٧٣ في وقت الشروق ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ (٧٣)﴾؟

الجواب :

إنّ ابتداء العذاب كان في الصبح وآخره كان في شروق الشمس، فعبّر في هود عن ابتداء العذاب وفي الحجر عن انتهائه بالشروق . والله أعلم.

السؤال الثالث :

لمَ استثنى (امرأته) في آية هود٨١ ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ ولم يستثنها في آية الحجر٦٥؟

الجواب :

١ـ تقدم في الحجر في الآية ٥٩ـ٦٠ قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٦٠﴾ فأغنى عن إعادة استثنائها، ولم يتقدم ذلك في هود، فذكرها فيها.

٢ـ وأمّا قوله تعالى في آية الحجر ٦٥: ﴿وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أي: ليكون وراء أهله بالسير فيتحققْ نجاتهم مما أصاب قومه، أو المعنى امض لشأنك ولا تعرج على شيء.



﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ٨٢﴾

السؤال الأول :

ورد وصف في عذاب قوم لوط أنه وقع على القرية مرة ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ ومرة على القوم ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم﴾ في قوله تعالى في هود ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا

عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾وفي الحجر ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

١ـ المقصود في آية هود ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على القرية، بينما المقصود في آية الحجر ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على القوم.

٢ـ ذكر القوم أشد بياناً للعذاب من ذكر القرية، فلربما تذكر القرية في القرآن وليس فيها أحد، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[البقرة:٢٥٩]

٣ـ مع أنّ الكلام في الآيتين عن عذاب قوم لوط، إلا أنّ سبب هذا الاختيار بين ذكر القوم وذكر القرية أنه في آيات الحجر ذكر الله تعالى القوم مع صفاتهم السيئة بصورة أكثر تفصيلاً من آيات سورة هود، وبيان ذلك في الجدول التالي:

سورة الحجر	سورة هود
﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾[الحِجر:٥٨] صفة الإجرام	﴿إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾[هود:٧٠]
﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الحِجر:٦٦]ـ استئصال ـ	﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾[هود:٧٦]
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[الحِجر:٧٢]ـ قسم ـ	ـ

لذلك ناسب ذكرهم في آية الحجر لشدة إجرامهم ولذكرهم بالصفات السيئة، فقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: وهم مجتمعون في القرية، فيمطر عليهم وعلى القرية العذاب.والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في قصة هود آية ٥٨ وشعيب آية ٩٤ بالواو أي: ﴿وَلَمَّا﴾ وفي قصة صالح آية ٦٦ـ ولوط آية ٨٢ ـ بالفاء أي: ﴿فَلَمَّا﴾، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٥٨.

السؤال الثالث :

ما دلالة إسناد الأمر إلى ذاته تعالى في الآية؟

الجواب :

١ـ يسند الله الأمر إلى ذاته في مقام المدح، ويبني الفعل للمجهول في مقام الذم.

* شواهد قرآنية :

في آية الفاتحة ٧: ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، فقال: ﴿أَنْعَمْتَ﴾.

وفي آية البقرة ١٨٧: حذف الفاعل وبناه للمجهول عند التحدث عن الرفث، وهو ما يحسن ألا يقترن بالتصريح بالفاعل، فقال: ﴿أُحِلَّ﴾.

٢ـ وكذلك فإنّ إهلاك المفسدين وتدمير الظالمين والبطش بهم هو من الخير العام، وليس من الخير المطلق أنْ يُترك المفسد يعيث في الأرض يسفك الدماء، بل البطش به

وعقوبته وإزالته واستئصاله من أكبر الخير، ولذلك قد يظهر الله فيه نفسه، وذلك كما في آيات [الإسراء ١٦ ـ الحج ٤٤ ـ ٤٥ ـ الفرقان ٣٧ ـ محمد ١٠ ـ هود ٨٢ ـ ٨٣].

وإنّ في نسبة الأمر إليه في عقوبة هؤلاء وإزالتهم وإنزال بالغ نقمته عليهم ما لا يخفى من الخير.



﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا ذكر ﴿شُعَيْبٌ﴾ في آية الشعراء ١٧٧، بينما ذكر ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ في آية هود ٨٤؟

الجواب :

شعيب أُرسل إلى قومين هما: قوم مدين، وهو منهم، فعندما ذهب إليهم قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ وأصحاب الأيكة، ولم يكن منهم، وليسوا من أهله، فلم يذكر معهم أخاهم شعيباً؛ لأنه ليس أخاهم ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧].

وكذلك في القرآن الكريم لم يذكر في قصة عيسى عليه السلام أنه خاطب قومه بـ (يا قوم)، وإنما كان يخاطبهم بـ ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾؛ لأنه ليس له نسب فيهم، أمّا في قصة موسى فالخطاب على لسان موسى جاء بـ (يا قوم)؛ لأنه منهم.

السؤال الثاني :

لماذا ورد ذكر (أخاهم) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ في سورة هود، ولم ترد في سورة الشعراء ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[الشعراء:١٧٧]؟

الجواب :

١ـ من مراجعة الآيات نجد أنه حيثما ذُكِرت الرسالة وأنّ شعيباً مرسل إلى قومه يقول: (أخوهم)، فيذكر الأخوّة عندما يتحدث عن الرسالة، كأنما فيها إشارة إلى أنّ هذا هو واجبه معهم ورعايته لهم فهو أخوهم ويريد لهم الخير، وإذا لم يذكر الرسالة لا يقول: (أخوهم).

فهذه هي القاعدة العامة، حيثما ذكر الإرسال قال: ﴿أَخَاهُمْ﴾ وفي غير ذلك ذكر الاسم مجرّداً.

٢ـ ذُكر شعيب في القرآن إحدى عشرة مرة في عشر آيات، وذُكر الإرسال في ثلاثة مواضع، وهي :

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[الأعراف:٨٥] .

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾[هود:٨٤] .

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾[العنكبوت:٣٦].

وفي ثمانية مواضع لم يُذكر الإرسال، فذكر الاسم مجرّداً:

- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأعراف:٨٨] .

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[الأعراف:٩٠] .

- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف:٩٢] .

- ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾[هود:٨٧] .

- ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾[هود:٩١] .

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾[هود:٩٤] .

- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[الشعراء:١٧٧] .

ليس في هذه المواضع كلام عن الرسالة، فهنا في هذه الآيات الثماني ليس فيها ذكر للرسالة وليس فيها ذكر للأخوّة . وهذا مضطرد في القرآن، وعندما نجد شيئاً مضطرداً والقرآن يتنزل منجماً، فإنه يكون حتماً من دلائل نبوة محمد ﷺ .

السؤال الثالث :

جاء في آيتي هود ٨٤ـ٨٥ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ﴾ و ﴿أَوۡفُوا۟ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ و﴿وَلَا تَبۡخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾، فما الفائدة في هذا التكرار؟

الجواب:

١ـ إنّ القوم كانوا مصرّين على ذلك العمل، فاحتيج في المنع منه إلى المبالغة والتأكيد والتكرير؛ ليفيد شدة العناية والاهتمام.

٢ـ في الآية الأولى نهي عن التنقيص، وفي الآية الثانية أمر بإيفاء العدل وهذا ليس بتكرير.

وفي الآية الثالثة ﴿وَلَا تَبۡخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ والبخس هو النقص في كل الأشياء، فدلت على أنه تعالى عمم الحكم في جميع الأشياء فظهر بهذا البيان أنها غير مكررة. والله أعلم.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾﴾

السؤال الأول :

كلمة ﴿بَقِيَّتُ﴾ في آية سورة هود ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾﴾وقد جاءت في موضع آخر مكتوبة بالهاء ﴿بَقِيَّةٖ﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ هذا يتعلق بالرسم في المصحف، والرسم في المصحف يمثل صورة من تطور الخط العربي في زمانه، وفي كلمة ﴿بَقِيَّتُ﴾ إذا رُسمت (بقيت) بالتاء المفتوحة فستجدها في جميع نُسخ المصاحف مرسومة بالتاء المفتوحة مثل كلمة: (رحمة ورحمت) .

٢ـ كلمة (بقية) وردت في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

أ ـ في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[البقرة:٢٤٨] هذه رسمت بالهاء أو التاء المربوطة، كما يقال.

ب ـ في سورة هود أيضاً في الآية ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود:١١٦] رسمت بالهاء.

ج ـ وفي السورة نفسها هود في الآية ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾﴾[هود:٨٦] وردت بالتاء، هذا خط المصحف، وهو توقيفي.

السؤال الثاني :

ما الكلمات الأخرى التي وردت في القرآن بالتاء المفتوحة؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿بَقِيَتُ﴾ في موضع واحد في آية هود ٨٦ .

٢ـ كلمة ﴿قُرَّتُ﴾ في موضع واحد في آية القصص ٩ .

٣ـ كلمة ﴿فِطْرَتَ﴾ في موضع واحد في آية الروم ٣٠ .

٤ـ كلمة ﴿شَجَرَتَ﴾ في موضع واحد في آية الدخان ٤٣.

٥ـ كلمة ﴿وَجَنَّتُ﴾ في موضع واحد في آية الواقعة ٨٩ .

٦ـ كلمة ﴿ٱبْنَتَ﴾ في موضع واحد في آية التحريم ١٢ .

٧ـ كلمة ﴿كَلِمَتُ﴾ في موضع واحد في آية الأعراف ١٣٧ .

٨ ـ كلمة ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ في موضعين: المجادلة ٨ و ٩ .

٩ ـ كلمة ﴿لَعْنَتَ﴾ في موضعين: آل عمران ٦١ـ النور ٧ .

١٠ ـ كلمة ﴿سُنَّتَ﴾ في خمسة مواضع:[الأنفال ٣٨ـ فاطر ٤٣ـ ثلاث مرات ـ غافر ٨٥].

١١ـ كلمة ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ في سبعة مواضع:[آل عمران ٣٥ـ يوسف ٣٠ـ يوسف٥١ ـ القصص ٩ـ التحريم (١٠ـ ١٠ ـ ١١)].

١٢ ـ كلمة ﴿رَحْمَتَ﴾ في سبعة مواضع: [البقرة ٢١٨ ـ الأعراف ٥٦ ـ هود ٧٣ ـ مريم ٢ـ الروم ٥٠ـ الزخرف(٣٢ـ ٣٢)].

١٣ـ كلمة ﴿نِعْمَتَ﴾ في أحد عشر موضعاً: [البقرة ٢٣١ـ آل عمران ١٠٣ـ المائدة ١١ـ إبراهيم ٢٨ و ٣٤ـ النحل ٧٢ و٨٣ و١١٤ـ لقمان ٣١ـ فاطر ٣ ـ وآية الطور ٢٩].

السؤال الثالث :

ما دلالة التعبير في الآية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٩١.



﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾؟

الجواب :

التعريض بالضدّ في اللغة للسخرية، وأحياناً نعرّض الشيء بعكسه على سنن العربية، والسياق هو القرينة التي تُعين على الفهم؛ لأنّ أهل البلاغة واللغة والذين يتكلمون في علوم القرآن يجعلون السياق من أهم وأعظم القرائن للتعبير، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ والتعبير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ هو في الأصل مدح،

لكنْ إنْ وضعناه في سياق الآيات فهو استهزاء. وكذلك قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾[الدخان:٤٩] فالتعريض بهذه الأشياء يمثّل خطّاً في القرآن الكريم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال الهمزة في الآية في قوله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾؟

الجواب :

الهمزة أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً، فهي تستعمل للتصور والتصديق

أ ـ التصور: هو ما يُجاب عليه بالتعيين نحو: أمحمد عندك أم خالد؟ فتجيب: محمد.

ب ـ والتصديق :هو ما يجاب عنه بـ (نعم) أو (لا) نحو:أحضر القاضي؟ فتقول مثلاً: نعم.

وللهمزة معانٍ أخرى مشهورة، وأهمها :

١ ـ التسوية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ (١٩٣)﴾[الأعراف:١٩٣].

٢ ـ الإنكار: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾[الإسراء:٤٠] .

٣ ـ التقرير: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزُّمَر:٣٦].

٤ ـ التهكم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[هود:٨٧] .

٥ ـ الأمر: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[آل عمران:٢٠] أي: أسلموا

٦ ـ الاستبطاء: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الحديد:١٦].

٧ ـ الاستبعاد: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾[البقرة:٧٥] .

٨ ـ التعجب: ﴿أَجَعَلَ الْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[ص:٥].

٩ـ التحذير: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤].

١٠ـ التنفير: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[الحُجُرات:١٢].

١١ـ التشكيك: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[ص:٨].

١٢ـ التشويق: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾[آل عمران:١٥] .

١٣ـ النفي: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾[ق:١٥] والنفي هنا مشوب بالإنكار والتعجب.



﴿وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال في الآية: ﴿بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ ولم يقل: ببعيدين، مع كون القوم اسم جمع فلماذا؟

الجواب:

١ـ أن يكون التقدير: ما إهلاكهم شيئاً بعيداً.

٢ـ أنه يجوز أنْ يُسوّى في [قريب وبعيد وكثير وقليل] بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر، مثل: الصهيل والنهيق وغيرها، وكلمة (القوم) تذكر وتؤنث؛ لأنّ أسماء الجموع لا واحد لها من لفظها.

٣ـ أنْ يكون التقدير زماناً أو مكاناً، أي: في زمان بعيد أو في مكان بعيد.

٤ـ المراد من الآية إهلاكهم، فجاءت (بعيد) موافقة للمعنى.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

في آية سورة ق ١٣ قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات:[هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣]؟

الجواب :

١ـ قوم لوط في معاصيهم لا يشبهون معاصي قوم أيّ نبي آخر، وهي حالة إتيان الذكور وما سبقهم بها من أحد.

٢ـ في سورة الشعراء لم يقل لهم سيدنا لوط عليه السلام كما قال الأنبياء الآخرون: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ بل ركّز معهم على هذه الفاحشة، وهذه المعصية خاصة بالذكور لا الإناث .

والتركيز في سورة ق هو في إتيان الذكور، فقال: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ لا إخوان صالح أو إخوان هود، ولم يذكر عقوبة، وإنما قال: (فكيف كان وعيد).

٣ـ لكنْ في كل المواطن الأخرى التي ورد فيها (قوم لوط) يذكر بعدها العقوبة، والعقوبة لم تخص الذكور فقط وإنما الإناث؛ لأنهم كذّبوا كما كذّب الذكور، أي القوم كلهم، فناسب مع تلك الآيات ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾.

٤ـ كل الأنبياء المذكورين في سورة الأنبياء وغيرها كانوا يدعون أقوامهم إلى التوحيد بما فيهم سيدنا لوط عليه السلام، ولكنّه كان يذكرهم دائماً بفاحشتهم التي فعلوها والتي

ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وإنما اخترعوها وسنّوا سنة سيئة لمن بعدهم إلى يوم القيامة، فيتحملون وزرها ووزر من عمل بها.

٥ـ قيل رياضياً إنّ عدد القافات في سورة ق هي ٥٧ قافاً، وهذا العدد من مضاعفات العدد المشهور ١٩، وهو عدد أحرف البسملة، ولو قال: (وقوم لوط) بدل (وإخوان لوط)؛ لأصبح العدد ٥٨ ولا يقسم على ١٩ . والله أعلم.



﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (الود)؟ وما معنى اسم الله تعالى: ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾؟

الجواب :

المودة من الود، وهو محبة الشيء، والودود من أسماء الله الحسنى، ومن معاني الودود :

١ ـ المحب.

٢ ـ المتودد إلى أوليائه بالمغفرة والثواب.

٣ ـ أنه محبوب من عباده الصالحين لما عرفوا من كمالٍ في ذاته وصفاته وأفعاله.

والود نعمة من الله تعالى على خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦] فجعل هذا الود بين المرء وزوجه، وقوله :﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ ﴾[الروم:٢١].

وطلب منا أنْ نود أقارب الرسول ﷺ وهو أولهم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى:٢٣].

ويقول النبي ﷺ: «**إنّ أبر صلة الولد أهل ود أبيه**».

ويقول أيضاً: «**تزوجوا الودود الولود**».

وقال أبو الحسين النوري: من وصل إلى وده أنس بقربه، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد.

وقال علي بن أبي طالب لسؤالٍ من أحدهم: أعرفت محمداً بربك؟ أم عرفت ربك بمحمد؟

فقال: لو عرفت ربي بمحمد لكان محمد أوثق عندي من ربي، ولو عرفت محمداً بربي لما احتجت إلى رسول، ولكني عرفت ربي بربي وجاء محمد فبلغني مراد ربي مني.



﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

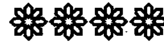
ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين قوله: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ في آية سورة الأنعام١٣٥ والزمر ٣٩ و﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ في آية سورة هود ٩٣؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام:١٣٥] وقال في سورة هود: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾[هود:٩٣].

وعلينا أنْ نلاحظ القائل في كلتا الآيتين، ففي آية سورة الأنعام الله تعالى هو الذي أمر رسوله بالتبليغ لأمره وبأنْ يبلغ الناس كلام ربه، وهذا تهديد لهم، فأصل التهديد من الله تعالى.

أمّا في آية سورة هود فهي جاءت من شعيب وليس فيها أمر تبليغ من الله تعالى، فالتهديد إذن أقل في آية سورة هود؛ ولهذا فقد جاء بالفاء في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في الآية التي فيها التهديد من الله للتوكيد، ولمّا كان التهديد من شعيب حذف الفاء ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[هود:٩٣]؛ لأنّ التهديد أقل.



﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين الفاء والواو في آية هود ٦٦ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ وآية هود ٩٤ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٦٦ .

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ وفي موقع آخر ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ ما الفرق بين (أخذ وأخذت) و(دارهم وديارهم)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٦٧.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الصيحة والرجفة في الاستعمال القرآني؟ ولماذا لم ترد في القرآن الكريم كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة، ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٦٧.



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الآيات والسلطان المبين الذي أُرسل بهما موسى عليه السلام؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: التوراة وما فيها من الشرائع والأحكام.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَسُلۡطَٰنٍ﴾ أي: المعجزات القاهرة والحجة، وقد أعطي موسى عليه السلام تسع آيات أشهرها العصا.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مُّبِينٍ﴾ أي :الظاهر البّين.

و السؤال هو ما الفرق بين هذه المراتب الثلاثة؟

والجواب :

١ـ الآيات: اسم للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد الظن والدلائل التي تفيد اليقين.

٢ـ وأمّا السلطان: فهو اسم لما يفيد القطع به، إلا أنه اسم للقدر المشترك بين الدلائل التي تؤكد بالحس والدلائل التي لم تتأكد بالحس.

٣ـ وأمّا الدليل القاطع الذي يتأكد بالحس فهو السلطان المبين.

فالآية تعم الأمارة والدليل القاطع، والسلطان يخص القاطع، والمبين يخص ما فيه جلاء ووضوح.



﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة (نِعْمَ و بِئْسَ)؟

الجواب :

(نِعْمَ): فعل ماضٍ جامد، وهذا أشهر إعراب، وإنْ كان هناك خلاف بين الكوفيين والبصريين هل هي اسم أو فعل؟ لكنْ على أشهر الأقوال إنه فعل ماضٍ جامد، ويضرب في باب النحو(نِعم وبئس)، نحو: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال:٤٠] ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ [هود:٩٨] ويكون بعدها فاعل لأنه يأتي بعدها المقصود بالمدح والذم.

و عندما تقول: نِعْمَ الرجل محمود، نعربها على أشهر الأوجه: نِعْمَ: فعل ماضٍ على أشهر الأوجه، الرجل: فاعل، محمود: فيها أوجه متعددة، منها أنْ يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي: الممدوح محمود، أو مبتدأ والخبر محذوف أي محمود الممدوح، ورأي آخر: محمود: مبتدأ مؤخر، وجملة (نعم الرجل) خبر مقدم، يعني: محمود نِعم الرجل.



﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ۝٩٩﴾

السؤال الأول :

قال في الآية ٦٠ : ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فذكر ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ ولم يذكرها في الآية ٩٩، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٦٠.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ
مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية هود ١٠٥ : ﴿يَأْتِ﴾ فحذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ واجتزأ بالكسرة في آية هود دون آية الأنعام ١٥٨ وآية الأعراف ٥٣، فما السبب؟

الجواب :

حذف الياء من (يأتِ) واجتزأ بالكسرة في آية هود دون الآيتين الأخريين للأسباب التالية :

١ ـ تردد في سورة هود في عدة مواطن ذكر استعجال العذاب وتردد الوعد بقرب حلوله، فكان من المناسب الحذف من فعل الإتيان إشعاراً بقرب حلوله، انظر الآيات: [٨-٣٢-٦٤-٦٥-٨١-٨٣].

٢ ـ ذُكر في سورة هود أنّ يوم القيامة آتٍ، وأنه سيحل فيه عذاب الكافرين، وإنْ هو إلا أجل معدود ويحلّ. انظر الآيات(١٠٢-١٠٥)، فحذف الياء من فعل الإتيان للدلالة على سرعة الإتيان، وليس الأمر كذلك في الآيات الأخرى .

٣ ـ تردد ذكر الإتيان باشتقاقاته المختلفة في كل من (الأنعام) و(الأعراف) ٢٤ مرة، وفي (هود) ١٣ مرة، فلما كثر الفعل في سورتي الأنعام والأعراف كثّر البناء، ولما قلّ تردده في هود قلل من البناء .

٤ ـ لمّا منع الكلام في آية هود ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ حذف الياء من (يأتِ) وحذف التاء من فعل التكلم، فقال: ﴿تَكَلَّمُ﴾ ولم يقل: (تتكلم) إشعارا بقلة الكلام في ذلك الوقت، وهذا مما يدعو إلى العجب.

٥ ـ لو رسمت بالياء في آية هود فلن تعطى الفرصة للاختلاس وقصر المدة؛ لذلك مع الرسم بالكسرة تشير إلى قرب ذلك اليوم فيختلس الصوت للتقريب، بينما مع إشباع الياء (يأتي)، فسوف يكون الوقت أطول .

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية هود ١٠٤ : ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ ما كلمات منظومة الحساب في القرآن؟

الجواب :

هذه هي منظومة الحساب في القرآن :

حسب :

لشيء غير محدود كمبلغ كبير من المال أو الأشياء.

* شواهد قرآنية :

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٦] و[النساء ٨٦ ـ يونس ٥ـ الأنبياء ٤٧ـ النور ٣٩ـ ص ٣٩ـ الانشقاق ٨ ـ النبأ ٢٧ـ٣٦].

عدّ والعد :

للشيء المعدود، والعّد هو ضم الأعداد إلى بعضها البعض.

* شواهد قرآنية :

- ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾[هود:١٠٤] و[التوبة ٣٦ـ يوسف ٢٠ـ ابراهيم ٣٤ الكهف ١١ـ٢٢ـ المؤمنون ١١٢ـ١١٣ـ السجدة ٥ـ الطلاق ٤].

أحصى :

كل معدود لا تعرف قدره يسمى حساباً، وكل معدود محدود سلفاً يسمى عداً، وكل عملية حساب أو عدّ تتناول أدق التفاصيل تسمى إحصاء كتعداد السكان.

* شواهد قرآنية :

- ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ ﴾[المجادلة:٦] .

- ﴿ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[مريم:٩٤].

[الكهف ٤٩ـ النحل ١٨ـ يس ١٢ـ الجن ٢٨ـ المزمل ٢٠ـ النبأ ٢٩ـ المجادلة ٦].



﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا الاستثناء في قوله تعالى في سورة هود: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ ﴾ ؟

الجواب :

هناك عدة أقوال :

١ـ قسم يقول: إنّ الحساب وقتها لم ينته، ولم يكن كل أهل الجنة في الجنة ولا كل أهل النار في النار، فاستثنى منهم مَن لا يزال في الحساب .

٢ـ وقسم يقول: إنّ أهل النار قد يُخرج بهم إلى عذاب آخر، أمّا أهل الجنة فهناك ما هو أكبر من الجنة ونعيمها، وهو رضوان الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم .

٣ـ قسم يقول: هم من يخرجون من النار من عصاة المسلمين .

٤ـ قسم قال: الاستثناء من بقائهم في القبر وخروجهم من الدنيا.

وقد تكون هذه المعاني كلها مرادة وتفيد أنهم خالدون فيها إلا المدة التي قضاها الله تعالى قبل أنْ يدخلوا الجنة أو قد تكون عامة، لكنْ قضى الله أنْ يكونوا خالدين. والاستثناء فيه إشارة إلى أنه ليس هناك شيء يلزم الله سبحانه .

كما أنّ الله تعالى في الآية طمأن المؤمنين بأنّ عطاءهم غير مجذوذ، فلا يقتطع منهم شيء. والله أعلم .

السؤال الثاني :

ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى في سورة هود: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[هود:١٠٨]؟

الجواب :

١ ـ السماوات والأرض في الآيات هي المبدلة، وهي ليست الحالية، قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[إبراهيم:٤٨] .

٢ـ نلاحظ أنّ الحق جاء في أمر خلود الأشقياء بالمشيئة، فقال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، فكأنّ خلود الأشقياء في النار تضع له مشيئةُ الله نهايةً؛ وذلك لأنّ الأشقياء ليسوا هم الكفار فحسب، بل منهم عصاة المؤمنين، وهؤلاء سيدخلون النار على قدر حظهم من المعاصي، لكنهم بعد ذلك يخرجون، إذن فالخلود في النار للشقي نقص من آخريته، أمّا الاستثناء للجنة فيكون من البدء. لماذا؟

لأنّ المؤمن الذي عصى الله لن يدخل الجنة من البداية، وإنما سيقضي فترة في النار ثم يدخل الجنة، إذن فالخلود في الجنة بالنسبة له قد نقص من أوليته.

أي أنّ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ جاءت لاستثناء الزمن من أوليته بالنسبة للسعداء أو استثناء الزمن من آخره بالنسبة للعصاة الأشقياء.

السؤال الثالث :

ما معنى ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ مع أنه يوم القيامة تتبدل السموات والأرض؟

الجواب :

ربنا تعالى أعلمنا أنّ هذه السماء ستزول وهذه الأرض ستزول: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[إبراهيم:٤٨] وفي الآخرة سيكون هناك سماء أخرى وأرض أخرى غير هذه.

السؤال الرابع :

لماذا جاءت اللام في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾؟

الجواب :

هذا أمر نحوي؛ لأنّ الفعل في كلمة (فعّال) (فَعَلَ)يتعدّى بنفسه، والمتعدي بنفسه يمكن أنْ يوصل إلى المفعول باللام، وتسمى اللام المقوية في حالتين:

أ ـ الحالة الأولى: أنْ يتقدم المفعول به على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف:١٥٤] والمقصود (يرهبون ربهم).

ب ـ الحالة الثانية: إذا كان العامل فرعاً على الفعل، كأنْ يكون اسم فاعل أو صيغة مبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر:٣١] فعل (صدّق) يتعدى بنفسه، والأصل هو مصدقاً ما معه، لكنْ جاء باللام المقوية؛ لأنّ العامل فرع على الفعل، كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ جاء باللام المقوية؛ لأنّ العامل هو صيغة مبالغة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ
أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا
تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية هود ١١٠ ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾[هود:١١٠] فاستعمل (في) ولم يستعمل (على) كما في آيات البقرة ٥٤ والنمل٧٩، فما السبب؟

الجواب :

١ـ الحرف (على) يشعر بالعلو، بخلاف الحرف (في) فإنه يدل على الانغماس في الشيء.

٢ـ في آيات البقرة ٥٤ والنمل٧٩ أمثلة على استعمال حرف الجر (على) وهو يشعر بكون السالك على هذا الصراط على هدى، ففي (على) ما ليس في (إلى) فتأمل ذلك السر البديع .

بينما في آيات التوبة ٤٥ والأنعام ٣٩ والمؤمنون ٥٤ وهود ١١٠ أتى بـ (في) الدالة على انغماس صاحبه في الضلال والظلمات والريب .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ختام الآيتين ١١١، ١١٢ في سورة هود: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ و﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟

الجواب :

هذا الاختيار نضعه في سياقه من الآية فيتضح الاختيار.

١ـ آية هود ١١١ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

ذكر ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ والشك بحاجة إلى الخبرة؛ لأنك تقطع الشك باليقين، ويجب أنْ يُعلم بواطن الأمور حتى يقطع الشك، والخبير هو الذي يعلم بواطن الأمور، و قال: ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ والحكم في الاختلاف يحتاج إلى خبرة، فإذن الشك والاختلاف يناسبها الخبرة، فأتى بالخبير الذي يعرف بواطن الأمور؛ ليزيل الشك.

٢ـ هناك سبعة أنواع من التوكيدات في الآية ١١١:

أ ـ كلمة ﴿وَإِنَّ﴾.

ب ـ كلمة ﴿كُلًّا﴾.

ج ـ اللام الداخلة على خبر إن ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

د ـ حرف (ما) إذا جعلناه على قول الفرّاء موصولاً.

هـ ـ القسم المضمر بتقدير: وإنّ جميعهم والله ليوفيهم.

و ـ اللام الثانية الداخلة على جواب القسم.

ز ـ النون المؤكدة في قوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

ولذلك ناسب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

٣ـ في الآية الثانية هود ١١٢ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

المعنى هو :استقم ولا تطغوا:

١ ـ الطغيان، وهو مُشاهَد في الأصل (وهو مجاوزة الحد)، وقد يكون غير منظور.

و كذلك الاستقامة التي جوهرها في العقائد والأعمال، وفيها جانب مشاهد وجانب غير مشاهد . فالمنظور المُشاهد هو في عملك وفي سلوكك فيظهر أنك مستقيم أو لا . وأمّا غير المشاهد فهو في أمر العقائد؛ لأنه في القلب .

٢ ـ والبصر أيضاً فيه جانبان: جانب بصر وجانب بصيرة، أي: جانب مشاهد، وهو البصر، كما في الآية ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾[الأنعام:٥٠] وجانب غير مشاهد، وهو البصيرة، كما قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾[القيامة:١٤].

٣ـ لذلك نجد في الآية تناسب (الطغيان) الذي فيه جانبان مشاهد وغير مشاهد، والاستقامة التي فيها جانبان ما يُبصر وما يُضمر، مع كلمة (البصير) والتي فيها جانبان: بصر وبصيرة، فناسب ذلك اختيار كلمة (بصير)، وهذا هومفهوم البلاغة في هذه المناسبات داخل الآية القرآنية.

السؤال الثالث :

لماذا قال في الشورى١٤: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الشورى:١٤] ولم يقل مثل ذلك في آيات يونس١٩ـ وهود١١٠ـ وفصلت٤٥؟

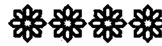
الجواب :

١ـ إن الآيات في يونس وهود وفصّلت إنما هي في أمة واحدة، والقضاء يمكن أنْ يكون بينهم عاجلاً أو آجلاً.

ففي آية يونس ذكر الله أنّ الناس كانوا أمة واحدة اختلفت والقضاء بينهم ممكن، وآية هود هي في بني إسرائيل حين اختلفوا في الكتاب، والقضاء بينهم ممكن في الحياة الدنيا، ونحوها آية فصلت.

٢ـ وأما آية الشورى١٤: فهي في سياق أمم مختلفة متعاقبة منها أمم مندثرة هالكة فكيف يكون القضاء بينها في غير يوم القيامة وهو الأجل المسمى؟

فناسب كل تعبير مكانه.



﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا كان (العقاب) هنا في الآية مساً ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ لا دخولاً فيها؟

الجواب :

١ـ الفعل ﴿ظَلَمُواْ﴾فعل ماضٍ مسند لواو الجماعة، أي: أنّ الآية حذرت من الميل إلى الذين ظلموا، والفعل يفيد أنّ صفة الظلم غير ملازمة لهم وربما يتغيرون أو يتحولون عن الظلم، ولو قال:(الظالمين)؛ لأثبت صفة الظلم .

٢ـ الفعل ﴿تَرْكَنُوٓاْ ﴾الركون هو الميل اليسير، كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم.

٣ـ في الآية تتجلى عدالة الله سبحانه بأنْ جعل الجزاء من جنس العمل، فيكون عقاب الميل اليسير إلى الذين ظلموا أنفسهم فترة من حياتهم مساً للنار لا دخولاً فيها أو خلوداً بها.

٤ـ جاء في «تفسير البيضاوي»: أنه إذا كان الركون إلى من وجِدَ منه ما يُسمى ظلماً يتسبب في مس النار له، فما ظنك بالركون إلى الظالمين، أي: الموسومين بالظلم ثم الميل إليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه؟؟



﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَزُلَفًا﴾ما معنى (الزلفة) في الآية وفي آية الملك ٢٧ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً ﴾ [الملك:٢٧]؟

الجواب :

(الزلفة): أي القريب .

١ـ آية الملك ٢٧ تتكلم عن يوم المحشر، أي: فلمّا رأوا يوم المحشر وكانوا من قبل يستبعدونه ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ساءهم رؤيته، وجاءت الجملة ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ﴾ بصيغة المجهول؛ لأنّ الكلام عن يوم المحشر واستبعادهم له في الدنيا وهو الآن أمامهم يشاهدونه.

وكما قال تعالى عن المتقين: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾[الشعراء: ٩٠] للتقريب.

٢ـ وأمّا قوله تعالى في آية هود ١١٤: ﴿وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ أي: ما هو أقرب إلى النهار، فقيل: هما صلاة المغرب والعشاء، أو المعنى: تقرب إلى الله بصلاة الليل، وليس بالضرورة المغرب والعشاء، فالزلفة فيها تقرّب على العموم.



﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾

السؤال الأول :

ختم آية الأنعام ١٣١ بقوله: ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ وختم آية هود ١١٧ بقوله: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣١.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

السؤال الأول :

في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] فيها أنّ حكمة الخلق هي للعبادة، أي خلق الله الجن والإنس للعبادة، وفي آية أخرى نجد أنّ حكمة الخلق لسبب آخر ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ أي: لأجل الاختلاف خلقهم، اختلفت حكمة الخلق، فكيف يمكن أنْ نفسر الآيتين ونعطي لكلتا الآيتين معناهما الخاص ونفهمهما؟ وكيف نفهم عملية الخلق والغرض منها؟

الجواب :

١ـ الغرض من الخلق هو العبادة، وربنا حصر الغرض من الخلق بالعبادة، ثم إرسال الرسل، ثم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾، فذكر أنه خلقهم مختلفين في العبادة فمنهم ضالّ ومنهم مهتدٍ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ﴾أي أمة هدى أو أمة ضلال كما يشاء، ولو شاء أنْ يجعلهم أمة واحدة لفعل ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾[الرعد:٣١] لكنّ ربنا ما شاء ذلك .

فإذن سيكونون مختلفين منهم ضال ومنهم مهتدٍ، هكذا خلقهم على هذه الشاكلة منهم ضال ومنهم مهتدٍ، والتكليف غرضه أنه من اهتدى وعَبَدَ الله وأطاعه فله جزاء الجنة ومن عصاه فله النار.

٢ـ وربنا سبحانه لو شاء أنْ يجعل الناس أمة واحدة أمة هدى أو أمة ضلال لفعل ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد:٣١] لكنْه لم يشأ ذلك، هو خلقهم ليعبدوه، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس:٧-٨] وهذا تكليف، والله تعالى لا يجبر الخلق على شيء معين، وإنما ربنا يحاسب الخلق، فإنْ أطاعوه دخلوا الجنة وإنْ عصوه دخلوا النار.



﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النبأ والخبر؟ ولماذا جاءت ﴿أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾؟

الجواب :

١ـ النبأ - كما يقول أهل اللغة- أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢].

وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص:٦٧] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ:٢].

٢ـ والنبأ في اللغة هو الظهور. وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خبر) مفردة في موطنين في قصة موسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

﴿ ٢٩ ﴾ [القصص:٢٩] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾[النمل:٧].

٣ـ وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن(نبأ) ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[هود:١٢٠].

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الخبر والنبأ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٧.

السؤال الثالث :

ما دلالة القصص القرآنية بشكل عام ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾؟

الجواب :

قصص القرآن الكريم جاءت لتثبت فؤاد رسول الله ﷺ والمؤمنين خلال مواقف الحياة الصعبة، وقصص القرآن تمثل القصص الحق ولم تأتِ لقتل الوقت؛ ولكنْ لتنفع حركة الحياة الإيمانية، ولها عِبَرٌ تتكرر على مر الزمن.

ففرعون مثلاً هو كل حاكم يريد أن يُعبد في الأرض، وأهل الكهف هي قصة كل فئة مؤمنة هربت من طغيان الكفر، وقصة ذي القرنين هي قصة كل حاكم مصلح يعمل بمنهج الله في الأرض، وقصة قوم شعيب هي قصة كل قوم سرقوا في الميزان والمكيال.

وهكذا قصص القرآن قصصٌ تتكرر في كل زمان حتى في عصرنا الحاضر، ويمكن أنْ تجد في زماننا أكثر من فرعون، وأكثر من أهل كهف يفرون بدينهم، وأكثر من قارون يعبد المال والذهب ويحسب أنه استغنى عن الله .

ولذلك جاءت شخصيات قصص القرآن مجهولة إلا قصة واحدة هي قصة عيسى بن مريم ومريم ابنة عمران، لماذا؟

لأنها معجزة لن تتكرر؛ ولذلك عرفّها الله لنا فقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ﴾ وقال: ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ حتى لا يلتبس الأمر وتدعي أي امرأة أنها حملت بدون رجل مثل مريم، عندها نقول: لا .. معجزةُ مريم لن تتكرر؛ ولذلك حدّدها الله بالاسم، أمّا باقي القصص في القرآن فقد جاءت مجهولة فلم يقل الله لنا: من فرعون موسى، ولا من أهل الكهف، ولا من ذو القرنين، ولا من صاحب الجنتين؛ لأنه ليس المقصود بهذه القصص شخصاً بعينه لا تتكرر القصة مع غيره.

والقصص في القرآن لا ترد متكررة، وقد يأتي بعض منها في آيات وبعض منها في آيات أخرى، ولكنّ اللقطة مختلفة بحيث إنك إذا جمعت كل الآيات التي ذكرت في القرآن تجد أمامك قصة كاملة متكاملة.

وللعلم فإنّ أكبر القصص في القرآن هي قصة موسى عليه السلام، ولكنها لم تأتِ قصة متكاملة كقصة يوسف، بل جاءت قصة موسى وقصة آدم بلقطات مختلفة؛ لتؤدي دورها في تثبيت سيدنا محمد ﷺ والمؤمنين.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الصيرورة والإياب والرجوع والانقلاب والإنابة؟

الجواب :

١ـ الصيرورة :

الله سبحانه وتعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره . قال تعالى في آية الشورى ٥٣ : ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ والمساق والإياب لا يكون إلا إلى الله.

٢ـ الإياب: هو الرجوع إلى منتهى المقصد، والرجوع يكون لذلك ولغيره؛ لذلك يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال: آب إلى بعض الطريق.

ولهذا قال أهل اللغة: التأويب أنْ يمضي الرجل في حاجته ثم يعود فيثبت في منزله، أو التأويب أنْ يسير النهار كله ليكون عند الليل في منزله؛ ولهذا قال الله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾[الغاشية:٢٥]، كأنّ القيامة منتهى قصدهم؛ لأنه لا منزلة بعدها.

٣ـ الرجوع: هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل.

٤ـ الانقلاب: هو المصير إلى نقيض ما كان عليه قبل؛ ولهذا تقول: انقلب الطين خزفاً، وأمّا رجوعه خزفاً فلا يصح؛ لأنه لم يكن قبل خزفاً.

٥ـ الإنابة: هي الرجوع إلى الطاعة، ولا يقال لمن رجع إلى معصية إنه أناب.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب مفتتح هود مع خاتمتها:

قال تعالى في بداية سورة هود:

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾[هود:١-٢-٣-٤]

وقال في آخر السورة:

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾

١ ـ فقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾[هود:١].

في بداية السورة يناسب قوله في أواخر السورة:

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[هود:١٢٠].

فهو الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

فلا شكّ أنّ هذا الكتاب هو الذي جاء فيه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين.

٢ ـ وقوله في أول السورة ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾﴾[هود:٢].

يناسب قوله في خاتمتها: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[هود:١٢٣].

٣ ـ وقوله في بداية السورة: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾[هود:٣].

يناسب قوله في آخر السورة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٩] . وقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود:١٢١-١٢٢].

٤ ـ وقوله في بداية السورة: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [هود:٤] .

يناسب قوله في خاتمة السورة: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:١٢٣].

٥ ـ وقوله في بداية السورة: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود:٥].

يناسب قوله في خاتمة السورة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢٣].

فكانت المناسبة من أكثر من وجه. والله أعلم .



سورة يوسف

تعريف عام بالسورة:

هي سورة مكية ترتيبها في المصحف هو (١٢) وآياتها (١١١) آية وعدد كلماتها (١٧٩٨) كلمة، نزلت بعد سورة هود، وهي أطول سورة تحتوي على قصة كاملة تضمنت جميع فنون القصة وعناصرها من التشويق وتصوير الأحداث والترابط المنطقي واستخدام الرمز.

قال عنها العلماء: ما قرأها محزون إلا سُرّي عنه.

أولاً ـ تناسب خواتيم هود مع فواتح يوسف :

١ ـ قال سبحانه في خواتيم سورة هود:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود:١٢٠].

وقال في أوائل سورة يوسف :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف:٣].

٢ ـ وقال في آخر سورة هود:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[هود:١٢٣].

فربنا ليس غافلاً عما فعله إخوة يوسف بأخيهم .

جاء في «البحر المحيط» في هاتين السورتين: وجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أنّ في آخر السورة التي قبلها، يعني سورة هود: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ﴾[هود:١٢٠].

وكان في تلك الأنباء المقصوصة ما لاقى الأنبياء من قومهم، فأتبع بقصة يوسف وما لاقاه من إخوته وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة؛ ليحصل للرسول ﷺ التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب .

ثانياً ـ هدف السورة : الثقة بتدبير الله : اصبر ولا تيأس

سورة يوسف هي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء بإسهاب وإطناب دلالة على إعجاز القرآن في المجمل والمفصّل وفي الإيجاز والإطناب ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[يوسف:١١١]. وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب وما لاقاه من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته والآخرين في بيت عزيز مصر والسجن وفي تآمر النسوة حتى نجّاه الله تعالى.

والمقصود بهذه السورة التسرية عن النبي ﷺ بعدما مرّ به من أذى ومن محن في عام الحزن وما لاقاه من أذى القريب والبعيد، فأراد الله تعالى أنْ يقص عليه قصة أخيه يوسف وما لاقاه هو في حياته، وكيف أنّ الله تعالى فرّج عنه في النهاية؛ لأنه وثق بتدبير الله تعالى ولم ييأس لا هو ولا أبوه يعقوب.

ونلاحظ أنّ سورة يوسف تناولت قصة يوسف الإنسان وليس يوسف النبي، إنما جاء ذكره كنبي في سورة غافر؛ لذا فقصته في سورة يوسف لها ملامح إنسانية تنطبق على يوسف، وقد تنطبق على أي من البشر، وقصة يوسف تمثل قصة نجاح في الدنيا (أصبح عزيز مصر) وقصة نجاح في الآخرة أيضاً (وقوفه أمام إغراءات امرأة العزيز رغم كل الظروف المحيطة به خوفاً من الله عزّ وجلّ).

وقد اشتملت قصة يوسف على كل عناصر القصة الأدبية واشتملت على الكثير من المشاهد التصويرية بحيث تجعل القارئ يرى فعلاً ما حدث وكأنه ماثل أمام ناظريه، وللسورة أسلوب فذّ فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف، وتسري مع النفس سريان الدم في العروق وجريان الروح في الجسد، ومع أنّ السور المكية تحمل في الغالب طابع الإنذار والتهديد إلا أنّ سورة يوسف اختلفت عن هذا الأسلوب فجاءت نديّة في أسلوب ممتع رقيق يحمل جو الأنس والرحمة، وقد قال عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها، وقال خالد بن معدان: سورة يوسف ومريم مما يتفكّه به أهل الجنة في الجنة. ولقد ابتدأت السورة بحلم: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف:٤] وانتهت بتفسير

الحلم: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ [يوسف:١٠٠].

وتسير أحداث القصة بشكل مدهش، فالأصل أنْ تكون محبة الأب لابنه شيئاً جميلاً، لكنْ مع يوسف تحول هذا الحب؛ لأنْ جعله إخوته يلقونه في البئر، ثم إنّ الوجود في البئر أمر سيء، لكنّ الله تعالى ينجي يوسف بأنْ التقطه بعض السيّارة، ثم كونه في بيت عزيز مصر كان من المفروض أنْ يكون أمراً حسناً لولا ما همّت به امرأة العزيز، ثم السجن يبدو سيئاً، لكنّ الله تعالى ينجيه منه ويجعله على خزائن الأرض، ثم يصبح عزيز مصر أو المسؤول عن خزائن مصر.

وقد أسهبت السورة في ذكر صبر يوسف على محنته بدءاً من حسد إخوته له وكيدهم، ثم رميه في الجبّ، ومحنة تعلق امرأة العزيز به ومراودته عن نفسه، ثم محنة السجن بعد الرغد الذي عاشه في بيت العزيز، ولمّا صبر على الأذى في سبيل العقيدة وصبر على الضر والبلاء نقله الله تعالى من السجن إلى القصر، وجعله عزيز مصر وملّكه خزائن الأرض وجعله السيد المطاع والعزيز المكرم، وهكذا يفعل الله تعالى بأوليائه ومن يصبر على البلاء، فلا بدّ لرسول الله ﷺ أنْ يقتدي بمن سبقه من المرسلين ويوطّد نفسه على تحمل البلاء: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥]. وكأنما قصة يوسف مشابهة نوعاً ما لما حصل مع الرسول ﷺ، فيوسف لاقى الأذى من إخوته، والرسول ﷺ لاقاه من أقرب الناس إليه من أقاربه وعشيرته، ويوسف هاجر من بلده إلى مصر وفيها أكرمه الله

بجعله عزيز مصر، وفي هذا إشارة للنبي ﷺ أنه بهجرته إلى المدينة سيكون له النصرة والمنعة ويحقق الله تعالى له النصر على من آذوه وأخرجوه من مكة.

وقد تحدثت الآيات كثيراً عن عدم اليأس في سورة يوسف، فالأمل والصبر موجودان دائماً للمؤمن مهما بلغت به المحن والبلايا: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ آية ٨٧ وآية ١١٠ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف:١١٠] . ولننظر إلى قمة التواضع عند يوسف عليه السلام فبعد كل ما أعطاه الله تعالى إياه من ملك مصر وجمعه بأهله جميعاً ماذا طلب من ربه بعد هذا كله؟ قال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف:١٠١]، فيا لتواضعه عليه السلام.

ملاحظة عامة: في سورة هود كلها: (حكيم قبل عليم) وفي سورة يوسف كلها (عليم قبل حكيم). انظر الآية رقم ٦ .

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الفعل ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ والفعل ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزُخرُف:٣]؟

الجواب :

١ـ الفعل: أنزلنـاه .

في سورة يوسف ذكر ما يتعلق بالإنزال، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف:٣] هذا إنزال، أنزل هذا الخبر، أنزل هذه القصة؛ لأنها كانت مجهولة عند العرب أصلاً، لذلك عقّب رب العالمين عليها بقوله: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[يوسف:١٠٢] فما كان هذا الأمر معلوماً عند العرب، وقد أُثير سؤال من قبل اليهود في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾[يوسف:٧] وكان سؤال اليهود: ما الذي أحلّ بني إسرائيل مصر؟ هذا سؤالهم للرسول ﷺ وهذا اختبار وهم يعلمون أنه ﷺ أميّ ليس عنده علم بالتوراة، فسألوه وهو في مكة، لكنْ بعثوا من يسأله من باب التحدي: ما الذي أحلّ بني إسرائيل مصر؟ فنزلت سورة كاملة للإجابة عن التحدي، وتُبيّن لليهود أنه ﷺ يعلم دقائق الأمور مفصلة أوفى مما في التوراة. ليس هذا فقط، وإنما اختار عبارات إعجازية ليست في التوراة، وحتى لو كان مطلعاً على التوراة وحفظها لكان ما ذكره في القرآن أوفى.ومن ذلك :

أ ـ فمثلاً التوراة لم تذكر العزيز أبداً وإنما تذكر رئيس الشُّرَط أو تذكر اسمه، والقرآن سماه العزيز ثم عرفنا مؤخراً أنّ هذه أدق ترجمة لما كان يُطلق على صاحب هذا المنصب في ذلك الوقت، كان يسمى (عزيز الإله شمس) اسم صاحب هذا المنصب، وربنا لم

يقل: (عزّيز إله شمس)؛ لأنّ هذا يكون إقراراً بأنّ الشمس إله. فأدق ترجمة بما يتناسب مع العقيدة الإسلامية (العزيز)، والتوراة ليس فيها كلمة العزيز.

فمن أعلَم هذا الرجل الأميّ بهذه التسمية؟ إنه الله سبحانه .

ب ـ التوراة تذكر دائماً موسى وفرعون، والقرآن لم يذكر فرعون مع قصة يوسف، وإنما يذكر الملك مع يوسف، ثم عرفنا فيما بعد (من حجر رشيد)، وعرفنا أنّ الملوك في مصر قسمان: قسم إذا كان من أصل مصري يسمونه فرعون، وإذا كان من الهكسوس يسمونه ملك، فهو ملك وليس فرعون، والذي كان في زمن يوسف عليه السلام كان من الهكسوس فسمي ملك، فهو الملك وليس فرعون.

أمّا في زمن موسى عليه السلام فكان الملك مصرياً، فسمي (فرعون).

ج ـ القرآن في كل مكان لا يذكر ﴿سَيِّدَهَا﴾ بمعنى الزوج إلا في قصة يوسف، قال: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يوسف:٢٥] بمعنى زوجها. وليس في القرآن كلمة ﴿سَيِّدَهَا﴾ بمعنى زوجها إلا في سورة يوسف، وعرفنا فيما بعد أنّ ﴿سَيِّدَهَا﴾ كان يستعملها الأقباط للرجال والبعول، وجاء في الكتب أنّ كلمة ﴿سَيِّدَهَا﴾ ليست عربية وإنما هي قبطية وتستعمل للزوج، ولا تستعملها العرب وإنما هي من كلام الأقباط بمعنى بعل أو زوج، ونحن عندنا الفعل (ساد يسود)، لكنّ ﴿سَيِّدَهَا﴾ بهذه الدلالة لا تستخدمها العرب وإنما تستخدم الزوج والبعل، والله سبحانه قال في قصة يوسف ﴿سَيِّدَهَا﴾ ولم يقل في مكان آخر ﴿سَيِّدَهَا﴾ فالله تعالى تحداهم بمعلومات لم تكتشف إلا فيما بعد، وذكر القصة بكل دقائقها .

٢ـ الفعل ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ :

جاء هذا الفعل في سورة الزخرف، ولم يذكرالله سبحانه أموراً تتعلق بالإنزال، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[الزُّخرُف:٣-٤] و ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾أين؟ في السماء، و ﴿لَدَيْنَا﴾أين؟ عند الله عز وجل، ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾أين؟ في العلو، إذن هذا ليس إنزالاً.

أمّا آية يوسف فإنزال ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف:٣] والوحي إنزال. بينما ﴿لَدَيْنَا﴾ ليست إنزالاً، وأمّ الكتاب ليست إنزالاً، فتحتاج لـ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾وليس أنزلناه.

ولذلك (الجعل) هنا بمعنى(القول) كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ [النحل:٥٧] وقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[إبراهيم:٣٠] أي: قالوا ووصفوا.

ونسأل: أيّ الأنسب في مقام الإنزال أن يستعمل (أنزلناه) أو (جعلناه)؟ والجواب: أنه من الأنسب في مقام الإنزال أنْ يستعمل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ وفي مقام عدم الإنزال يستعمل ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ . فنضع الإنزال مع الوحي .

٣ـ انظر الجدول التالي لبيان عدد ترداد كلمة (جعل) و (أنزل) في سورتي يوسف والزخرف:

السورة	الجعل ومشتقاته	الإنزال ومشتقاته	اختيار التعبير القرآني
يوسف	٤	٣	﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾
الزخرف	١١	٢	﴿جَعَلْنَٰهُ﴾

فناسب ذلك ذكر الجعل في الزخرف والإنزال في يوسف، فكل كلمة عاشقة لمكانها، فسبحان الله رب العالمين!

السؤال الثاني:

ما خصوصية استعمال القرآن لكلمة القرآن والفرقان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٢] وفي الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[الفرقان:١]؟

الجواب:

القرآن هو الاسم العلم على الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهذا القرآن فرّق بين الحق والباطل.

والفرقان هو الفارق بين الحق والباطل، فالتوراة تسمى فرقاناً والقرآن يسمى فرقاناً، والكتب السماوية تسمى فرقاناً أيضاً، والبعض يقول: إنّ الفرقان هو المعجزات.

والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣] فالكتاب هو التوراة، والفرقان هو المعجزات، وآخرون قالوا: إنّ الكتاب والفرقان يقصد بهما التوراة نفسها كما نقول: هذا أبو حفص عمر، وكما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾[طه:١١٢] فالظلم هو الهضم. هذا الأصل وليس القاعدة المطلقة.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١] أي القرآن، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩] هم

مؤمنون، والمعنى أنْ يجعل لكم فرقاناً وعندها ستميزون به بين الحق والباطل وتعرفون ما يصح وما لا يصح .

إذن القرآن فرقان، والإنجيل فرقان، والتوراة فرقان، والمعجزات فرقان وكلها تفرق بين الحق والباطل. أمّا قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾[الإسراء:١٠٦] فهذا يعني أنه نزل منجّماً.

السؤال الثالث:

هل توجد في القرآن كلمات غير عربية؟ وإذا وجدت كلمات غير عربية فكيف نفسر قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ؟

الجواب :

الكلمات التي وردت في القرآن دخلت العربية قبل نزول القرآن وصارت عربية في التعبير، والعرب استعملوها. ولا شك أنه ليس كل شيء موجوداً في الجزيرة العربية، هل كل النباتات موجودة في الجزيرة العربية؟ كل الفواكه؟ كل الألبسة؟ قطعاً لا. وقطعاً عندما يحصل اتصال في التجارة تدخل مفردات وكلمات، ويحدث تقارب اللغات يعني تقترب لغة من لغة، فهذه مثلاً ليس عندها مثل هذه فتستعمل الكلمات وتدخل لغتها. وإذا كان هناك حروف ليست من حروفها تحاول أنْ تجعل لها حروفاً من حروف اللغة وتدخلها في كلماتها.

فالكلمات التي في أصولها غير عربية دخلت العربية واستعملها العرب قبل الإسلام بزمن طويل، ودخلت في لغاتهم وعرّبوها وخضعت للقواعد وأصبحت عربية في الاستعمال، ولا نعلم أصولها وقد تكون أصولها غير عربية، لكنها الآن أصبحت عربية،

فقد تكون غير عربية وليست موجودة في الجزيرة العربية مثل سندس وإستبرق، والعرب لم يكن عندهم مصانع ليستخدموا السندس والاستبرق، وليس عندهم جميع الأطعمة والفواكه. لذلك جميع الكلمات في القرآن عربية الاستعمال قطعاً، والقرآن لم يأت بكلمة أعجمية ابتداءً وأدخلها في القرآن، ولو أردنا أنْ نرجع للكلمات الدخيلة التي يذكرها أهل علوم القرآن نجدها كثيرة، لكنها كلها دخلت قبل الإسلام والعرب فهمت هذه الكلمات، وكانت تستخدمها في لغتها وفي حياتها فأصبحت عربية الاستعمال.

والكلمات الأعجمية أوزانها ليست كأوزان العرب أو تجتمع فيها حروف الدال والزاي مثلاً فيضعون ضوابط للكلمات غير العربية الأصيلة مثلاً كلمة (مهندز) لا تجتمع الدال والزاي، فيضعون بعض الضوابط.

لذلك جميع الكلمات الواردة في القرآن الكريم دخلت في لسان العرب قبل الإسلام ودخلت في كلامهم وعربوها وأصبحت عربية في الاستعمال.

السؤال الرابع :

كم مرة جاءت كلمة ﴿عَرَبِيٍّ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

تذكّرْ جبريل عليه السلام وهو يأمر النبي ﷺ بـ ﴿اقْرَأْ﴾ ثم يقرأ جبريل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق:١] فجبريل عليه السلام يقرأ ويتحدث باللسان العربي المبين .

وقد ارتبطت كلمة ﴿عَرَبِيٌّ﴾ و ﴿عَرَبِيًّا﴾ بالقرآن الكريم في (١١) آية في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٥] والآيات هي:[يوسف ٢ـ الرعد ٣٧ـ النحل ١٠٣ـ طه ١١٣ـ الشعراء ١٩٥ـ الزمر ٢٨ـ فصلت ٣ـ فصلت ٤٤ـ الشورى ٧ ـ الزخرف ٣ـ الأحقاف ١٢]، وذلك للإصرار على الربط بين القرآن واللسان العربي .

لذا من واجبنا تعريب العلوم؛ لأنّ الأمة يجب أنْ تتعلم بلغتها وأنْ تنشّىء الأجيال على احترام لغتهم، بل إنّ الإبداع والتفوق لا يتأتى إلا إذا درس المرء العلوم بلغته التي يفهمها جيداً، ويستطيع أنْ يستخرج تراكيبها ودلالات ألفاظها.



﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣ ﴾

السؤال الأول :

لماذا لم تتكرر قصة يوسف في القرآن كما تكررت قصص الأنبياء الآخرين؟

الجواب :

١ـ ليست قصة يوسف عليه السلام القصة الوحيدة التي لم تتكرر في القرآن، وإنما هناك قصص أخرى منها: قصة سليمان والهدهد وقصة ذي القرنين وقصة موسى والخضر وقصة أصحاب الكهف وغيرها.

٢ـ قصة يوسف عليه السلام ليس فيها تعليمات ولا أحكام ولا دعوة قوم كباقي الأنبياء، وليس ليوسف ولا لأبيه مع قومه شأن من شؤون الدعوة، وهي تحكي قصة شأن عائلي وليست رسالة إلى مجتمع أو قوم من الأقوام.

وبذلك هي تختلف عن رسالات الأنبياء الآخرين من دعوة أقوامهم إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان والنهي عن الشرك والعقائد الباطلة.

وما قاله يوسف عليه السلام إلى السجينين معه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[يوسف:٣٩] فهذا جاء عرضاً استغله يوسف للدعوة إلى الله وهو بصدد تعبير الرؤيا، ولم يذكر القرآن لنا أنّ يوسف عليه السلام كان مكلفاً بتبليغ رسالة ما إلى قومه.

وحتى لو كان يوسف عليه السلام رسولاً من رسل الله كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾[غافر:٣٤] لكنه لم تُذكر هذه الرسالة ولا بما أُرسل، فاختلف الأمر عن بقية قصص الأنبياء الذين تكرر الحديث عنهم .والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق اللغوي بين النبأ والخبر والحديث والقصص؟

الجواب :

النبأ :

النبأ هو الخبر العظيم المدهش المهم، ويكون للإخبار بما لا يعلمه المُخْبَر.

الخبر :

الخبر هو الخبر العادي، ويحتمل الصدق والكذب، ويكون من نفسك ومن غيرك، ولذلك ليس كل خبر نبأ.

الحديث :

الأصل أن تخبر به عن نفسك، وسمي حديثاً؛ لأنه حدث لك فحدثت به، ثم كثر استعمال الخبر والحديث وسمي كل واحد باسم الآخر، فقيل للحديث خبر وللخبر حديث.

والحديث يكون قصيراً وطويلاً، فإذا طال سمي قصصاً.

القصص :

هو الحديث الطويل عن سلف، ولا يقال لله: قاص؛ لأنّ الوصف بذلك قد صار علماً لمن يتخذ القصص صناعة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾[هود:١٢٠] .

وأصل القصص هو اتباع الشيء ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[القصص:١١] .



﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا عبّر عن إخوة يوسف بالكواكب في آية يوسف ٤ ؟

الجواب :

موضوع الرؤى قد يطول الكلام فيه، لكنه بصورة موجزة هو عالم آخر غير عالم الشهادة يدخل في عالم الغيب، ويمكن أنْ يكون بينه وبين عالم الشهادة نوع من الارتباط أو الصلة أحياناً، كأنْ يكون الإنسان يفكر في شيء ثم يراه . لكنْ في كثير من الأحيان هو يرى أشياء قد لا تكون خطرت له على بال، والرسول ﷺ كان يسأل أصحابه بين حين وآخر: من رأى رؤيا فأعبّرها له؟ يعني: أُؤولها .

وتأويلات الرؤى هي لا شك نتيجة تراكم خبرات عند الناس، وذلك أنه كلما يرى هذا المشهد أو هذه الصورة يتحقق عنده الشيء الفلاني فيكون هناك ربط .

وقد تكون الرؤيا علامة تنبيه للشخص، وقد تكون بسبب استمرار تفكيره في قضية معينة، وهذا يعني أنّ هذه المسألة غير خاضعة للجانب المادي المحض، و جاء في السنة أنّ الرسول ﷺ كما في الحديث الذي ورد في مسلم وبعض كتب السُنّة أنه رأى أنه أُلبِس سوارين من ذهب، فقال الرسول ﷺ: فكرهتهما كيف ألبس الذهب؟ فقيل لي: انفخهما فنفختهما فطارا، والسوار هو قيد . فقيل: ما أوّلت هذا يا رسول الله؟ قال: أوّلتهما بهذين الكذابين (مسيلمة الكذاب والأسود العنسي) كانا مع الإسلام أشبه بطوق ثم نُفِخا.

وفي سورة يوسف، الرائي يوسف عليه السلام وكان صغير السن ورأى شيئاً، هذا الشيء تمثّله أنه شمس وقمر وكواكب، يعني كان نظره إلى السماء، الشمس والقمر أُوّلتا بالأب والأم، وشيء طبيعي أنه عندما يكون الشمس والقمر تعبيراً عن الأب والأم يكون الإخوة كواكب، لكنْ كيف رآهم ساجدين؟ هل السجود هنا بمعنى الخضوع؟

يعني هل رأى صورة الشمس والقمر أسفل من جلسته هو كأنْ يكون جالساً في مكان عال ويكونون تحت مستوى رجليه؟ أو رآهم على شكل هيئة أناس لكن تمثّلهم بالكواكب والشمس والقمر؟ هذا في الحقيقة لم يتبيّن لنا، وأي جزئية في كتاب الله عز وجل تتحدث عن قضية غيبية لم تُتبيّن يكون الخوض فيها من كدّ الذهن في ما لا ثمرة من ورائه، وهذا أصل من أصول الفكر الإسلامي،فالقضية الغيبية إذا حدّثنا عنها القرآن نتحدث فيها بالمقدار الذي حدّثنا عنه القرآن، أمّا أكثر من ذلك فنُدخل الناس في خلافات لا ثمرة من ورائها ولا طائل .

فإذن هذا نوع من التصور في المنام: هو(يوسف عليه السلام) تصوّر ثم أُوّلت؛ لأنه قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠] لأنه لمّا جاءوا خضعوا له وهو كان في موطن مسؤولية، وجاء أبواه وإخوته فأعلنوا الخضوع ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾[يوسف:١٠٠] .

والسؤال :هل كان في دينهم يجوز السجود للملك؟ أو هل أُشير بالسجود إلى معنى الخضوع وإعلان الطاعة والتبعية أو أُريد نفس السجود؟ هذا كله ممكن ومحتمل، والأصل في الكلام حمله على حقيقته. والله أعلم .

السؤال الثاني :

هل تكرار (إذ) في هذه الآية وفي الآيات التي بعدها تفيد أنّ الحديث بين يعقوب وبنيه كان طويلاً؟

الجواب :

(إذ) عندما تأتي تكون هناك كلمة محذوفة، يعني: أُذكر يا محمد. والخطاب لمحمد ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾[الشعراء:١٠] يعني أُذكر إذ نادى ربك موسى.

السؤال الثالث :

لِمَ عبّر الله تعالى عن الإخوة في رؤيا يوسف بالكواكب دون النجوم: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾؟

الجواب :

الكواكب توابع للنجوم، وهي ليست كالنجوم، إخوة يوسف توابع لأبيهم إذن هو الأنسب؛ لأنهم ليسوا مستقلين.

السؤال الرابع :

لِمَ قدّم الكواكب على الشمس والقمر، مع أنّ المعهود أنْ يؤخرهما، كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[النحل:١٢]؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾[يوسف:٤] الشمس والقمر هما أبوه وأمه، والكواكب إخوته .

ونسأل: أيّ الأولى بتعظيم الابن أنْ يسجد الأب للابن أو الإخوة يسجدون لأخيهم؟ طبعاً الإخوة، فأخّر الشمس والقمر؛ لأنّ هؤلاء أولى بالسجود والتعظيم وليس الوالدين؛ لذا لا يناسب تقديم الشمس والقمر أنْ يسجدوا لابنهم، لأنه في المعتاد

أنّ الابن يعظّم الأب، والذي حصل أنه قدَم المستحق بالتعظيم، وهو الكواكب وألحق بهم الأب والأم، فأخّر الشمس والقمر عن الكواكب؛ ولأنّ التخصيص بالذكر يدل على مزيد الشرف .

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[يوسف:١٠٠] ولم يقل هنا: والديه، مع أنّ القرآن يستعمل كلمتي: الوالدين والأبوين . وربنا سبحانه وتعالى لم يستعمل البر والإحسان والدعاء إلا للوالدين فقط، كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء:٢٣] و ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾[نوح:٢٨] فاستعمل البر والاحسان للفظ الوالدين وليس للفظ الأبوين.

الوالدان هما الوالد والوالدة، والأبوان هما الأب والأم، الوالدان هما تثنية الوالد، والولادة الحقيقية للأم وليس للأب، والأب ليس والداً؛ لأنها هي التي تلد والأبوان تثنية الأب، ونسأل :من الأحق بحسن الصحبة الأب أو الأم؟ طبعاً الأم، فقدّم الوالدين إشارة إلى الولادة .

بينما في الميراث يقول ربنا ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ [النساء:١١] لأنّ الأب له النصيب الأعلى في الميراث.

ولذلك لّما قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[يوسف:١٠٠] فهو لسببين :

أولاً: إكراماً للأم، فما قال: (والديه) إكراماً لها، فجعلها تابعة؛ لأنّ مع كلمة (الوالدين) تصير الوالدة هي التي تسجد، بينما هي أكرم من الأب .

ثانياً ـ في الآية تلميح أنّ العرش أحق بالرجال، فقُدِّم.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾؟

الجواب :

قرأ ابن عامر: يا أبتَ، بفتح التاء في كل القرآن والباقون بكسر التاء . أمّا الفتح فوجهه أنه كان في الأصل: يا أبتاه، على سبيل الندبة، فحذفت الألف والهاء . وأمّا الكسر فأصله: يا أبي، فحذفت الياء واكتفي بالكسر عنها ثم أُضيفت عليها التاء.

السؤال السادس :

قوله تعالى ﴿سَٰجِدِينَ﴾ولم لمْ يقل: ساجدة، كما تقول العرب؟

الجواب :

السجود يكون من العاقل، ويقول القرآن في هذه الآية بأنّ هذه المخلوقات قد سجدت، إذن لها عقل فاستعمل الضمير(هم) في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾وهو ضمير جمع مذكر سالم؛ لأنّ الساجد يجب أنْ يكون عاقلاً .



﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥ ﴾

السؤال الأول :

ما نوع العداوة بين إبليس والبشر؟

الجواب :

هي عداوة عامة لا تنحصر في شيء، وتشمل التحريش بين المؤمنين وإثارة الفتن وإغواء العبد لفعل المعاصي حتى يورده موارد التهلكة وحتى يُدخله النار في الآخرة .

قال تعالى:

ـ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾[الإسراء:٥٣].

ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾[الحج:٤] .

ـ ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾[يس:٦٠]



﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾[الأنعام:٨٣] وفي سورة يوسف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[يوسف:٦] فما الفرق بينهما؟

الجواب :

١ـ العلم والحكمة هما من صفات الله تعالى، وكلمتا: (العليم والحكيم) كلاهما على وزن (فعيل) التي تفيد المبالغة، فلا علم بشكل مطلق إلا علم الله سبحانه، ولا حكمة بشكل مطلق إلا حكمة الله تعالى.

فـ (العليم) هي صفة لله وهي تدل على المبالغة، والمبالغة التامة لا تتحقق إلا عند الإحاطة بكل المعلومات الخافية والظاهرة، وما ذلك إلا هو سبحانه العليم المطلق.

٢ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدّم العلم وإلا يقدّم الحكمة، وإذا كان الأمر في التشريع أو مع ذكر الحاكمية لله أو في الجزاء يقدّم الحِكمة، وإذا كان في العلم يقدّم العلم.

* شواهد قرآنية :

أولاً: العلم :

أ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣٢] السياق في العلم، فقدّم العلم.

ب ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[النساء:٢٦] هذا تبيين، ومعناه :هذا علم.

ج ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[يوسف:٦] فيها علم، فقدّم (عليم).

ثانياً: الجزاء :

أـ الجزاء حكمة وحُكم، و الذي يجازي ويعاقب هو الحاكم، وتقدير الجزاء حكمة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاءٌ، هذا حاكمٌ يحكم وتقدير الجزاء والحكم له، فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أنْ يكون العالم حاكماً وليس كل عالم حاكماً.

ب ـ ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي، وهو الذي يشرّع .

ولذلك عندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.

٣ـ قال الشاعر شوقي :

سبحانك اللهم خير معلم ... علّمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى مرشداً ... وابن البتول فعلّم الإنجيلا
وفجّرت ينبوع البيان محمداً ... فسقى الحديث وناول التنزيلا

وقال آخر :

علمُ العليم وعقل العاقل اختلفا ... من الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال: أنا أحرزت غايته ... والعقل قال أنا الرحمنُ بي عُرفا
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له: ... بأيّنا اللهُ في فرقانه اتصفا؟
فبان للعقل أنّ العلمَ سيدُه ... فقبّل العقلُ رأسَ العلم وانصرفا

٤ـ و(الحكيم) هي أيضاً من صفات الله تعالى، وتستعمل على وجهين :

أ ـ بمعنى (العليم) فيكون ذلك من صفات الذات، ونقول إنه تعالى (حكيم) في الأزل.

ب ـ أنه الذي يكون فاعلاً و لا اعتراض لأحد عليه، فيكون ذلك من صفات الفعل، فالله مقدس عن العبث .

٥ـ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ و ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

وردت هاتان الصيغتان في القرآن الكريم ١٩مرة، بينما وردت صيغة ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾سبع مرات، حسب الجدول التالي :

السورة	﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾
البقرة	٣٢	-
النساء	٢٦	-
الأنعام	-	٨٣ـ١٢٨ـ١٣٩
الأنفال	٧١	-
التوبة	١٥ـ٢٨ـ٦٠ـ٩٧ـ١٠٦ـ١١٠	-
يوسف	٦ـ٨٣ـ١٠٠	-
الحجر	-	٢٥
الحج	٥٢	-
النور	١٨ـ٥٨ـ٥٩	-
النمل	-	٦

الزخرف	-	٨٤
الذاريات	-	٣٠
الممتحنة	١٠	-
الحجرات	٨	-
التحريم	٢	-
مجموع عدد المرات	١٩	٧

كما وردت صيغة ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عشر مرات في القرآن الكريم عندما، ولم تأتِ مطلقاً صيغة العكس أي: (حكيماً عليماً)، وهي :

السورة	رقم الآيات	عدد المرات
النساء	١١-١٧-٢٤-٩٢-١٠٤-١١١-١٧٠	٧
الأحزاب	١	١
الفتح	٤	١
الإنسان	٣٠	١

٦- ملاحظات عامة حول الموضوع :

أ- لم تأت صيغتا (عليم حكيم) و (حكيم عليم) في نفس السورة مطلقاً، وإنما تأتي إحدى الصيغتين فقط في السورة.

ب- سبب الاختيار بين الصيغتين هو السياق.

ج- وردت صيغة (عليم حكيم) تسع عشرة مرة بعدد أحرف البسملة، والله أعلم.

السؤال الثاني :

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن، كما في آية يوسف رقم ٦؟

الجواب :

أولاً: توجد في القرآن مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل ولم يُذكر إسحق. وهناك ستة مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهي: [البقرة ١٣٣ـ ١٣٦ـ١٤٠ آل عمران ٨٤ ـ إبراهيم ٣٩ ـ النساء ١٦٣].

وكل موطن ذُكر فيه إسحق ذُكر فيه إسماعيل بعده بقليل أومعه، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم:٤٩] و ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم:٥٤] إلا في موطن واحد في سورة العنكبوت ٢٧.

ثانياً: في قصة يوسف عليه السلام لا يصح أن يُذكر فيها إسماعيل؛ لأنّ يوسف من ذرية إسحق، وليس من ذرية إسماعيل ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف:٣٨] .

ثالثاً: وقد ذُكر إسماعيل مرتين في القرآن بدون أن يُذكر إسحق في سورة البقرة(١٢٥_١٢٧)؛ لأنّ إسحق ليس له علاقة بهذه القصة أصلاً وهي رفع القواعد من البيت.



﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ورد في الآية اللام في ﴿لَيُوسُفُ﴾و(إنّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا﴾فما الفرق بينهما علماً أنّ كليهما للتوكيد؟

الجواب :

كلاهما للتوكيد، لكنْ لا يصح أنْ نبدل إحداهما بالأخرى على وجه الدوام، والظاهر أنّ بينهما خلافاً في الاستعمال نوجزه فيما يلي :

١ـ الحرف (إنّ) يأتي لربط الكلام بعضه ببعض، ولا يحسن الكلام بدونها نحو قوله تعالى :

ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾[الكهف:٢٩] .

ـ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأعراف:٧١].

ـ ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[البقرة:١٠٩] .

فلا يحسن في هذه المواضع حذف (إنّ)، كما لا يحسن إبدال (اللام) بها؛ إذ لا يسد حرف اللام مسد(إنّ).

٢ـ الحرف (إنّ) يفيد التعليل، كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[التوبة:١٠٣] فلا يحسن هنا إبدال (اللام) بها.

٣ـ الحرف (إنّ) مختص بتوكيد الجملة الاسمية، ولا يدخل على الأفعال بخلاف (اللام)، فإنها تدخل على الجمل الاسمية والفعلية نحو: ليقوم زيد ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠] .

٤ـ تأتي (اللام) في مواطن الرد والإنكار وفي مواطن الجواب بخلاف (إنّ) فإنها لعموم التوكيد، نحو قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف:٨] منكرين على أبيهم هذا الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[العنكبوت:٤٥].

فأنت ترى أنّه علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ثم رد على من يتصور أنّ هذا هو كل المقصود بقوله:﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١] فإنه بعد أنْ نهى عن نكاح المشركات قد يظنُّ ظانٌّ أنّ جمال المرأة سوى الإيمان داعٍ إلى تفضيلها،فرد ذلك بقوله:﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ كما قد يظن ظان أنّ سمت

الرجل ومكانته سوى الإيمان مما يدعو إلى تفضيله، فرد هذا الظن بقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[البقرة:٢٢١].

٥ ـ كل ما ورد في القرآن الكريم من مبتدأ دخلت عليه لام الابتداء، أو القسم مما كان خبره مفرداً، أي: ليس جملة، جيء بخبره اسم تفضيل ولم يرد غير ذلك.

وقد ورد ذلك في (٢٣) موطناً في القرآن الكريم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[البقرة:٢٢١].

ـ ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[البقرة:٢٢١].

ـ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾[المائدة:١٠٧].

ـ ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران:١٥٧].

ـ ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأنعام:٣٢].

ـ ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة:١٠٨].

ـ ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:٥٧].

ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾[الحشر:١٣].

ـ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت:٤٥].

وبشكل عام الأصل في (اللام) أن تكون للرد والإنكار، بخلاف (إنّ) فإنها لمجرد التوكيد.

﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ في آية سورة يوسف عليه السلام؟

الجواب :

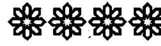
إنّ إخوة يوسف عليه السلام قد لاحظوا أنّ أباهم مشغول بيوسف عليه السلام وأنّ مشاعره تظهر على وجهه، وبالطبع لا يستطيع أحد أنْ يخفي مشاعره .

وإخوة يوسف أرادوا أنْ يظفروا بقلب أبيهم واهتمامه فأعماهم الكيد وصرفتهم الغيرة عن السلوك الصحيح، فقالوا: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ [يوسف:٩]؛ لأنهم لو قالوا: إنّ أباهم مشغول بأخيهم دونهم ما صدّقهم إنسان، فمن ذا الذي يعلم سرائر القلوب؟!

فجاءت كلمة ﴿يَخۡلُ﴾ مجزومة في جواب الطلب؛ لتصور هذه المعاني في القلوب، فسبحان الله العليم المطلع على السر وأخفى.

والوجه يعبر عن الذات كما تعبر الأيدي عن الكسب، وهذا من المجاز المرسل، والوجه هو أشرف الأعضاء وأكرمها؛ ولذلك يعبر به عن الذات كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن:٢٧] أي: يبقى ذات الله تعالى، وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾[آل عمران:٢٠] أي: أسلمت وخضعت ذاتي لله.

والله أعلم.



﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى غيابة الجب؟ وهل هي من الغياب؟

الجواب :

١ـ يقولون: هو قعر الجُبّ، أي: نهايته ثم غيبته عن عين الناظر، وقسم يقولون:هو كهف أفقي في الجب ويسمى غيابة؛ لأنه غائب عن عين الناظر.

٢ـ عندنا: (بئر وجُبّ) الجُبّ يعني البئر الذي فيه الماء كما توضح الآية ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾[يوسف:١٩] حيث تفيد أنّ الجب فيه ماء، فألقوه في مكان لا يراه أحد.

أمّا البئر فقد يكون فيها ماء وقد لا يكون، كما قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[الحج:٤٥] .

٣ـ قيل: إنّ الفرق بين البئر والجب أنّ الماء في البئر يكون فيه مرتفعاً، وأمّا الجب فيكون الماء فيه منخفضاً .

السؤال الثاني :

ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾؟

الجواب :

الملاحظ أنّ كونهم يريدون إخفاء يوسف عليه السلام لا يتلاءم مع ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ ومن الملاحظ أيضاً أنّ الشر عند الأخيار يتناقص لذلك بدأوا بفكرة القتل، ثم قالوا: اطرحوه أرضاً وهو أخف من القتل فقد ينجو وقد تفترسه الوحوش، ثم قالوا: ضعوه في الجب وهو أخف فعلى الأقل يجد الماء الذي يشرب ويحفظ حياته لمدة أطول، ثم قالوا: ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ .

وكلمة (سيارة) تعني (جماعة سائرون)، لكنه تعالى لم يقل (سائرون) لأنّ السائر هو الذي يقوم بالسير مرة واحدة، وكلمة (سيّارة) تعني قافلة تحترف السير من مكان إلى مكان، فهي تعرف دروب الصحراء وتعرف مواقع المياه وتعرف أنّ هناك جباً فيه ماء، وعندما تصل القافلة وتريد الماء لا يذهبون جميعهم إلى البئر، وإنما يرسلون بعضهم ليأتي بالماء، وهذا اسمه (الوارد) الذي يرد الماء؛ ليأتي به لبقية القافلة.



﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾

السؤال الأول :

كيف نقرأ ﴿لَا تَأۡمَ۬نَّا﴾ في الآية؟ وهل عرفت القبائل هذه القراءة بهذه الطريقة التي تسمى الإشمام؟

الجواب :

١ـ الوارد فيها إمّا الإشمام، وهو أنْ تشم الحركة، وهذه لا تتبين في النطق وإنما في النظر، أي لا تُسمع وإنما هي ضم الشفتين، هذه قراءة، وقراءة أخرى بالإدغام الكامل من دون إشمام أو مع تحريك الشفتين أي ضم الشفتين وانفراج ما بينهما، وهذه لا تسمع وإنما تتبين من حركة الشَّفَة وكلتاهما واردة؛ لأنّ الذين قرءوا بهذه هم من القُرّاء السبعة.

والأصل أن يقال: لا تأمَنُنا، تأمَنُ (النون مرفوعة) والنون في (نا) نون المتكلم مفعول به والفاعل أنت، هذا هو الأصل، وفي غير القرآن نقول (تأمننا) والقراءة التي وردت عندنا هي إدغام النون في النون فصارت (تأمنّا) وفيها قراءتان إمّا الإشمام وإمّا من دون إشمام أي إدغام، والقراءة سُنة متبعة.

والعرب قد تدغم الفعل، وهذا سماعي؛ ولدينا إدغام واجب قياسي، وهي وردت وقرئت بالإدغام، والنون ليس فيها فتح وإنما ساكنة (تأمنْا) و(نا) مفتوحة مع الألف ونكتبها مع شدّة.

والنحاة يقولون: قبل الألف هي فتحة دائمة، وهذه قاعدة عند العرب وخاصة عند المتقدمين، أيّ ألف لا يمكن أن يكون قبلها من الحركات إلا فتحة، وإنْ كان المحدثون يقولون: هي واحدة وليس قبلها شيء لكنّ المتقدمين يقولون: لا بدّ أنْ يكون قبلها فتحة قطعاً ولا يمكن أنْ يكون قبلها حركة. وأي (ألف) في أي كلمة لا يمكن أنْ يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، إذن في (تأمنا) لا بد من الفتحة في النون قبل الألف.

٢ـ ملخص ما سبق أنّ هناك قراءتين:

أ ـ إدغام النون بالنون، فصارت (تأمنّا) من دون إشمام.

ب ـ مع الإشمام: وسيأتي شرحه بعد قليل.

٣ـ أصل الفعل (تأمنُنا) من الفعل: أمن يأمن و تأمن، أي: النون مرفوعة، وحرف (لا) قبلها حرف نفي، وقُرِئت في القراءات العشر بالإدغام، أي: لا تأمنّا، ويسمى هذا بالإدغام الكبير، فسُكّن الحرف الأول (نُ) وأدغم بالحرف الثاني المتحرك فأصبحت (لا تأمنّا)، وكأنه جُزم بدون أداة جزم.

وفي علم التجويد يسمى هذا الأمر بالإشمام، وهو ضم الشفتين من غير صوت للإشارة إلى النون المضمومة، وإشعاراً للناظر بحذف إحدى النونين رسماً من (تأمننا)، وهناك قراءة من دون إشمام.

٤ـ الرّوم والإشمام موجودان في لغة العرب، وقد حكى مكي في كتاب الكشف: أنّ الرّوم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة كيف كانت في الوصل .

وتحدث سيبويه في الكتاب عن أنواع الوقف وقال: إنها في كلام العرب أربعة: الرّوم والإشمام والتضعيف والسكون.

فالروم: هو تضعيف الصوت بالحركة، حتى يذهب معظم صوتها وتصبح خفية يسمعها القريب المصغي دون البعيد.

والإشمام: هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف وهو إشارة إلى الحركة من غير صوت، وسمي إشماماً؛ لأننا نشُمّ الحرف حركة الضم شماً ولا ننطق بالحركة، وبالتالي فإنّ الروم معه صوت ضعيف والإشمام عارٍ منه.

وهناك إحدى القراءات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ بإدغام ميم الرحيم بميم ملك.

وهذا الأمر جرى بقصد التوكيد، حيث إنّ العرب تجزم بدون أداة جزم إذا أُريد التأكيد، وهذا الجزم يسمى القطع أو الإدغام الكبير، حيث يجزم الفعل المضارع بدون أداة جزم للدلالة على القطع بالشيء.

والمعنى العام للآية أنّ إشارة السكون (تأمنْا) إشارة لجزمهم بأنّ أباهم لا يأمنهم على يوسف عليه السلام.

أمثلة لغوية :

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ ... إثماً من الله ولا واغل

أي: أنه أراد أنْ يجزم بقيامه بالشرب.

والله لا يذهبْ ناجياً

أي: أنه جزم أنْ يقطع بالذهاب

السؤال الثاني :

ما قواعد حذف النون في رسم المصحف؟

الجواب :

تحذف نون من نونين متجاورتين، نحو :

ـ تأمننا: تحذف النون الأولى فتكتب ﴿تَأۡمَنَّا﴾ .

ـ ننجي: تحذف النون الثانية فتكتب ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[الأنبياء:٨٨] .

ـ ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾[يوسف:١١٠] .



﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام كلمة ﴿يَشۡعُرُونَ﴾ في سورة يوسف؟

الجواب :

قال تعالى في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ باستخدام كلمة (يشعرون) وليس يعلمون؛ لأنه أحياناً يعتري الإنسان شعور بشيء لكن ليس له علم به. وبالنسبة لإخوة يوسف لم ينتابهم الشعور بالقرابة أو المعرفة؛ لذا نفى الله تعالى عنهم الشعور؛ لأنّ نفي العلم لا ينفي الشعور، أمّا نفي الشعور فينفي العلم وهم لم ينتابهم شعور مطلقاً.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية بين ﴿وَلَمَّا﴾و ﴿فَلَمَّا﴾في سورة يوسف؟

الجواب :

١ـ وردت ﴿وَلَمَّا﴾ في سورة يوسف ٦ مرات، وهي الآيات :[٢٢ـ ٥٩ ـ٦٥ ـ٦٨ ـ٦٩ـ٩٤].

ووردت ﴿فَلَمَّا﴾ في نفس السورة ١٢ مرة، وهي الآيات :

[١٥ـ ٢٨ ـ٣١ـ٥٠ـ٥٤ـ٦٣ـ٦٦ـ٧٠ـ٨٠ـ٨٨ـ٩٦ ـ٩٩].

٢ـ من الناحية التعبيرية الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، أمّا الواو فهي لمطلق الجمع.

وفي كل آية من الآيات المذكورة يوجد فعلان، فيأتي بالفاء ﴿فَلَمَّا﴾ عندما لا يكون هناك فرق زمني بين الفعلين أو الأمرين؛ لأنّ هذا يدل على الترتيب والتعقيب، وأمّا اذا كان هناك فاصل زمني بين الفعلين فيستعمل ﴿وَلَمَّا﴾.

*** شواهد قرآنية :**

أـ الآيتان ٢٦و٢٧: هي في قصة يوسف مع امرأة العزيز، فجاء ﴿فَلَمَّا﴾في الآية ٢٨؛ لأنّ الآية في نفس المشهد والموقف لا يحتمل التأخير والأحداث تسلست وتعاقبت، وليس بين الأحداث تراخٍ أو فترة زمنية طويلة .

ب ـ الآية ٢٢: جاء فيها ﴿وَلَمَّا﴾؛ لأنّ الأمر استغرق عدة سنوات حتى بلغ أشده.

ج ـ الآية ٥٩: جاء فيها ﴿وَلَمَّا﴾؛ لأنّ هناك فرقاً زمنياً ببن التجهيز وطلب يوسف منهم.

د ـ الآية ٦٥: جاء فيها ﴿وَلَمَّا﴾ لوجود زمن بين فتح المتاع واكتشاف بضاعتهم المخبأة داخل أكياس القمح، وخاصة أنه في المجتمع البدوي يأخذون القمح كيساً كيساً فيستعملونه ولا يفتحون الأكياس دفعة واحدة.

هـ ـ الآية ٦٨: جاء فيها ﴿وَلَمَّا﴾؛ لأنّ ذهاب إخوة يوسف إلى مصر استغرق وقتا طويلاً.

و ـ الآية ٦٩: جاء فيها ﴿وَلَمَّا﴾ لوجود زمن بين الدخول وانتهاز الفرصة لينفرد بأخيه.

ز ـ الآية ٧٠: جاء فيها ﴿فَلَمَّا﴾؛ لأنّ جعل السقاية كان ضمن زمن التجهيز، فلا فرق كبير.

ح ـ الآية ٨٨: جاء فيها ﴿فَلَمَّا﴾؛ لأنهم سارعوا إلى عرض حالتهم الشديدة والمؤثرة على يوسف بمجرد أنْ دخلوا عليه؛ لذلك بادرهم إلى الكشف عن حقيقته.

ط ـ الآية ٩٤: جاء فيها ﴿وَلَمَّا﴾ لوجود زمن طويل بين فصل العير والوصول حسب سرعة سير القوافل البطيئة، وجاء الفعل ﴿لَأَجِدُ﴾ بصيغة المضارع؛ ليدل على الاستمرار والتكرار، حتى قوي له هذا الشعور فصرح به.

ي ـ الآية ٩٩: جاء فيها ﴿فَلَمَّا﴾ أي أنه لا زمن بين (دخل) و(آوى)؛ لأنه كان متحرقاً على لقائهم. وهكذا. والله أعلم.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (أتى وجاء)؟

الجواب :

١ـ القرآن الكريم يستعمل (أتى) لما هو أيسر من (جاء)،فالمجيء فيه صعوبة بالنسبة لأتى، ولذلك يكاد يكون هذا طابعاً عاماً في القرآن الكريم ولذلك لم يأت الفعل (جاء)، بصيغة المضارع ولا فعل الأمر ولا اسم الفاعل.

٢ـ المجيء في القرآن يأتي مع الصعب. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ [عبس:٣٣] شديدة، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾[النصر:١] هذا أمر عظيم وهذا نصر ولا يأتي بسهولة وإنما حروب ومعارك.

إذن الإتيان والمجيء بمعنى واحد، لكنّ الإتيان فيه سهولة ويسر، أمّا المجيء ففيه صعوبة وشدة . وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾[النمل:١٨] لأنه ليس في الوادي حرب، بينما ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾[يوسف:١٦] هذه فيها قتل.

٣ـ إذن هنالك فروق دلالية بين جميع كلمات العربية سواء علمناها أم لم نعلمها، ورأي الكثيرين من اللغويين أنه ليس هناك ترادف في القرآن إلا إذا كانت أكثر من لغة (مثل مدية وسكين)، ولا بدّ أنْ يكون هناك فارق.

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾ فلماذا لم يقل: افترسه؟

الجواب :

لأنّ عادة الذئب الافتراس، والافتراس يُفترض أنْ يمزّق ثيابه كلها، وإخوة يوسف جاءوا على قميصه بدم كذب، فدلّ ذلك على أنّ الذئب لم يفترسه؛ لذا جاء فعل ﴿ فَأَكَلَهُ ﴾.

السؤال الثاني :

ما معنى اللام في قوله تعالى: ﴿بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾؟

الجواب :

هذا سؤال نحوي: آمن له، أي: استجاب له، و(آمن له) تستعمل للأشخاص. (آمنوا به) ليس للشخص وإنما لله تعالى، والقرآن يستعمل (اللام) في الأشخاص ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف:١٧] وأمّا في الله والعقيدة فيستعمل الباء ﴿ءَامَنَ بِهِۦ﴾.

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾؟

الجواب :

الوصف بالمصدر يفيد المبالغة. وعندما تصف بالمصدر كأنها تحول الشيء إلى مصدر تقول: هذا رجل صِدقٌ ورجلٌ عدلٌ، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف:١٨] هذا أبلغ من(كاذب).

السؤال الثاني :

تكررت كلمة (قميص) في قصة يوسف عليه السلام ثلاث مرات، وكان للقميص دور بارز في القصة ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف:١٨] ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف:٢٥] ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي﴾[يوسف:٩٣] فما دلالة وجود القميص ثلاث مرات في القصة؟

الجواب :

١ـ استعمل القميص ثلاث مرات كبيّنة في ثلاثة مواضع:

أ ـ استُعمِل بيّنة مزوّرة في قوله: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف:١٨] هذه بينة مزورة، وليست بيّنة صحيحة ﴿بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ جاءوا يستدلون على قولهم أنّ الذئب أكله بالقميص الذي عليه دم كذب.

ب ـ واستعمله مرة أخرى بيّنة صحيحة للوصول إلى براءة يوسف ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦﴾ [يوسف:٢٦] إذن الأولى كانت مزورة والثانية بيّنة صحيحة للاستدلال على البراءة.

ج ـ والبيّنة الثالثة أنه استعمل بيّنة صحيحة للدلالة على أنّ يوسف لا يزال حياً ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [يوسف:٩٣] وكانت بشرى لوالده وسبباً لردّ بصره، وهذه بينة صحيحة في قميص يوسف . وليس بالضرورة أنه القميص الأول، لكنّ يعقوب عليه السلام يعرف رائحة ابنه. كما تستعمل الآن بيّنة الكلاب البوليسية للاستدلال على الرائحة .

أي أنه وردت كلمة (قميص) ثلاث مرات واستعمل في كل مرة بيّنة، ثلاث بينات: بينة مزورة وبينة صحيحة للوصول إلى الحكم وبينة صحيحة للاستدلال على أنّ يوسف لا يزال حياً.

٢ـ الأمر الآخر أنه استُعمل بداية لحزن يعقوب ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف:١٨] ونهاية حزنه ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ [يوسف:٩٣] .

٣ـ واستعمل ثلاث مرات في ثلاث مراحل من حياة يوسف عليه السلام:

أ ـ المرحلة الأولى: مرحلة رميه في الجب ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾[يوسف:١٨] وقد صيّرته مملوكاً وعاش غريباً مع غير أهله .

ب ـ المرحلة الوسطى: سجنه بعد الحادثة مع امرأة العزيز، وهذه المرحلة كانت لمّا بلغ أشدّه وصارت له بذلك معيشة أخرى غير النمط الأول.

ج ـ والمرحلة الثالثة: جمع شمله بأهله وسعادتهم أجمعين.

إذن ثلاث مراحل: الأولى عندما أصبح مملوكاً وفراقه عن أهله، والثانية عندما صار سجيناً، والثالثة اجتماعه بأهله.

٤ـ هناك أمر آخر للملاحظ وهو الموافقات في قصة يوسف:

أ ـ القميص ذُكِر في ثلاثة مواطن.

ب ـ والرؤى ثلاثة: رؤيا يوسف وهو صغير، رؤيا السجينين ورؤيا الملك. إذن القمصان ثلاثة والرؤى ثلاثة.

ج ـ والرحلات إلى يوسف ثلاثة: الرحلة الأولى لمّا جاءوا يستميرون يوسف ليأخذوا الميرة ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف:٥٨] والرحلة الثانية: لمّا جاءوا بأخيهم واستبقاه عنده ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ﴾ [يوسف:٦٩] والمرحلة الثالثة لمّا قالوا: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف:٨٨] . إذن ثلاث رحلات. القمصان ثلاثة . والرؤى ثلاثة. والرحلات ثلاثة من حيث العدد، وهذا من الموافقات.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين ﴿سَوَّلَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف:١٨] و(طوعت) في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠]؟

الجواب :

(سولت) معناها: زينت له، يقال: سولت له نفسه، أي: زينت له الأمر، بينما (طوّعت) أشد.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية المائدة ٣٠ .

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[يوسف:١٨] بالرفع ولم يقل بالنصب، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨] جاء الصبر مرفوعاً بتقدير جملة اسمية؛ لأنه وطّن نفسه على الصبر الطويل الدائم، ولم يقل: (فصبراً) بالنصب بتقدير الفعل أي: لأصبر صبراً؛ لأنه يدل على الصبر الحادث الذي يتغير، لا الصبر الدائم الثابت.



﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الثمن البخس في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾[يوسف:٢٠]؟ ولماذا أدخل الباء على الثمن فقال: ﴿بِثَمَنٍۭ﴾؟

الجواب :

١ـ الكلام عن يوسف عليه السلام، وكلمة (شروه) في الآية ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ بمعنى باعوه، وقد جاءت كلمة (شرى) بمعنى باع- أي: بعكس (اشترى) - أربع مرات في الآيات:[البقرة ١٠٢ـ البقرة ٢٠٧ـ النساء ٧٤ـ يوسف ٢٠].

٢ـ قوله تعالى: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: دون قدره. وهو غير القليل؛ لأنه قد يكون كثيراً لكنْ دون قيمته الحقيقية، فالبخس فيه نوع من الظلم، وأنت قد تشتري شيئاً يبيعه لك أحدهم بعشرة آلاف درهم، ثم يقال: هذا ثمن بخس؛ لأنه يستحق مثلاً ١٥ ألف درهم، فعشرة الآلاف ليست قليلة ولكن دون قدره. ويوسف عليه السلام له قيمة، لكنهم باعوه بأقل من قيمته الحقيقية أياً كانت وكانوا فيه من الزاهدين .

فالبخس دون قدر الشيء، والقلة هو القليل. ولو قال: بثمن قليل، قد يكون هو قدره هكذا، أمّا بخس :أي لا يناسب قدره.

٣ـ للعلم فإنّ كلمة (القيمة) تعني أنها المساوية لمقدار الثمن من غير نقصان ولا زيادة.

٤ـ الثمن قد يكون كذلك أو زائداً، والمُلْك لا يدل على الثمن، فكل ما له ثمن مملوك، وليس كل مملوك له ثمن.

٥ـ وفي قوله تعالى: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أدخل الباء في الثمن، قال الفراء: هذا؛ لأنّ العروض كلها أنت مخير في إدخال الباء فيها، إنْ شئت قلت: اشتريت بالثوب كساء، أو قلت: اشتريت بالكساء ثوباً، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن؛ لأنّ الدراهم دائماً هي الثمن.

السؤال الثاني :

ما دلالة تقديم ﴿فِيهِ﴾ في الآية؟

الجواب :

هناك لمسة في تقديم ﴿فِيهِ﴾ على ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ لأنه لو قال:وكانوا من الزاهدين فيه، لكان وصفهم بالزهد، أي: عدم الطمع، ولكن هم فيه زاهدون فقط.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة الجمع في (معدودة ومعدودات)؟

الجواب :

القاعدة: جمع غير العاقل إنْ كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم، كـ(أنهار جارية وأنهار جاريات)، فالجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات، وأشجار مثمرة أكثر من مثمرات، وجبال شاهقة أكثر من حيث العدد من شاهقات، فالعدد في الأولى أكثر، وجمع السالم قلة. وهذه من المواضع التي يكون فيها المفرد أكثر من الجمع.

لذلك كلمة (معدودات) جمع قلّة، وهي تفيد القلّة (وهي أقل من ١١)، أمّا كلمة (معدودة) فهي تدل على أكثر من ١١، وقد قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف:٢٠] أي أكثر من ١١ درهما، ولو قال (معدودات) لكانت أقل.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ
نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ
ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بمصر في الآية؟

الجواب :

(مصراً) منونة يعني أي مدينة من المدن، وليست مصر المعروفة؛ لأنّ هذه الثانية تكون ممنوعة من الصرف، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ ﴾[يوسف:٢١] ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[يوسف:٩٩] .

أمّا إذا صُرفت فتكون أي مدينة، لذلك (مصراً) معناه أي: بلدة .

السؤال الثاني :

ما مفهوم كلمة ﴿ مَكَّنَّا ﴾؟ وما الفرق بين: (مكّن وثبت وآزر وبعث)؟

الجواب :

الكلمات التي وردت في السؤال هي من ألطاف الله على عباده المؤمنين، ومنها :

مكّن :

أي: بسط النفوذ على المكان بعد صراع طويل.

* شواهد قرآنية :

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ بعد صراعات طويلة مع إخوته وامرأة العزيز.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾[القصص:٥٧] .

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [القصص:٦] مكّن لهم في الأرض ولم يحدد المكان .

ثبّت :

التثبيت هو منع الانهيار، ويكون في حالتي الحرب أو السلم وعند بداية زلزلة موقف ما.

وفي سورة إبراهيم جاءت كلمة ﴿يُثَبِّتُ﴾ [إبراهيم:٢٧] في مقابل كلمة ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم:٢٦] .

❋ شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾[الإسراء:٧٤].

ـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧].

آزر :

قوّى وشدّ وأعان، وأصله من شد الإزار، والأزر هو القوة الشديدة، وعادة تكون من الأقارب.

❋ شواهد قرآنية :

ـ ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾[طه:٣١].

ـ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾[الفتح:٢٩].

بعث :

في الأصل هو إثارة الشيء وتوجيهه، والله بعث الرسل إلى الناس ليعينوهم على التوحيد والنجاة من النار، وهذا من باب الإعانة وإلا لما اهتدى الناس.

* شواهد قرآنية :

- ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾[النحل:٣٦].

- ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾[الإسراء:٥].

لمزيد من التفصيل حول منظومة كلمات ألطاف الله على عباده. انظر آية الأنفال ٢٦.



﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَلَمَّا ﴾؟

الجواب :

الواو لمطلق الجمع، ويأتي بالفاء (فلمّا) عندما يكون هناك تعقيب؛ لأنّ الفاء للترتيب والتعقيب .

وفي الآية استعمل ﴿ وَلَمَّا ﴾؛ لأن الأمر استغرق عدة سنوات حتى بلغ أشده.

السؤال الثاني :

لماذا جاءت كلمة ﴿أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ مع موسى عليه السلام في الآية ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾[القصص:١٤] بينما لم ترد مع يوسف عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾؟

الجواب :

(استوى) في اللغة معناها: اكتمل شبابه واكتملت قوته، أي :اكتمال الشباب والقوة. والسياق الذي وردت فيه (استوى) واضح فيه موطن القوة البدنية ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾[القصص:١٥] وهذا منتهى القوة.

وعندما ذهب موسى عليه السلام إلى مدين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص:٢٣-٢٤] الصخرة على البئر تحتاج لعشرة أشخاص فرفعها موسى عليه السلام وحده وسقى لابنتي شعيب؛ ولذلك قالت بنت الرجل الصالح: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾[القصص:٢٦] وهذا كله يناسب (استوى)، فلمّا كان هناك ما يتعلق بالقوة ذكر (استوى).

أمّا مع يوسف عليه السلام فلم يذكر شيئاً من هذا، ويوسف عليه السلام كان في السجن ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف:٢٣] ليس هناك داعٍ لذكر (استوى). وإنها قال(بلغ أشده) أي: بلغ العمر المناسب، قسم يقول: ثلاثين، وقسم يقول: أربعين.

لذلك مع يوسف عليه السلام لم يكن هناك داعٍ لذكر موقف القوة ولا ندري إنْ كان قوياً أم لا، بينما المناسب أنْ يذكر (استوى) في قصة موسى عليه السلام؛ لأنها تدل على القوة.

والفيصل في تحديد معنى الكلمة هو السياق، والمعجم يعطيك جملة معانٍ للمفردة الواحدة تضعها في سياقها وترى الأنسب منها للسياق.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين (آتينا و (وهبنا)؟

الجواب :

(الإيتاء) في اللغة يشمل الهبة وزيادة، وقد يكون في الأموال، وهو يشمل الهبة وغيرها من الأمور غير المادية كالحكمة مثلاً والمُلك؛ فهو أعم، قال تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف:٢٢] ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء:٥٩] ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة:٢٦٩]؛ لذلك (آتينا) أعم من (وهبنا).

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة ﴿حُكۡمٗا﴾ في آية يوسف ٢٢؟

الجواب :

الحكم يأتي بمعنى الحِكمة، وبمعنى الحُكم . وليس بالضرورة لمن أُوتي العلم أنْ يكون حكيماً أو قاضياً، وقد يكون العكس، لكنّ الله تعالى جمع ليوسف عليه السلام الحكمة والعلم والقضاء.



﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما القيمة التعبيرية في استعمال اسم الموصول ﴿ٱلَّتِي﴾ في ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾؟ فلم يقل: امرأة العزيز مثلاً؟

الجواب :

هذا فيه نوع من الإبعاد، مثل بنى إسرائيل عندما يخاطبهم القرآن أو يدعوهم أو يذّكرهم في الأحكام الشرعية، يقول: يا بني إسرائيل، لكنْ في موطن الأذى لا يستحقون الذِكر، فيقول: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾[الأحزاب:٦٩] مع الإعراض عن ذكر اسمهم، وهو مقصود.

وهنا ربنا قال في سورة يوسف:﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾[يوسف:٢٣] بالاستعانة باسم الموصول لأداء هذا الغرض البلاغي.

و في عدم ذكر اسمها أمران :

أ ـ الأول هو سترٌ عليها وعدم فضيحة، لأنْ يرتبط هذا باسمها.

ب ـ الثاني، وهو الأرجح: هو نوع من الترفّع عنها وبيان عظمة موقف يوسف عليه السلام .

ويوسف تابع لها، وعندما يكون في بيتها فعليه أنْ يسمع وأنْ يطيع فهي سيّدته والأمر من سيّدته، وهو ينبغي أنْ يخاف منها لا أنْ ينظر إلى جمالها فهو عبد مملوك يخاف أنْ يعرض لها وإنما هي عرضت له، وهذه فرصة بالنسبة له، فكأنما يريد القرآن أنْ يبيّن لنا هذا الموقف النبيل العظيم من هذا الإنسان الذي نُبّيء، والذي صار نبيّاً فيما بعد، حيث في حال شبابه لم يكن نبياً، فهذا نوع من رفعة شأنه.

السؤال الثاني :

في سورة يوسف قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ وفي آل عمران ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران:١٥١] ما المثوى؟ولماذا لم ترد كلمة (مثوى) في حال أهل الجنة أبداً؟ ولم لم يوجد نص على أنّ الجنة مثوى المؤمنين؟

الجواب :

المثوى: يقولون في اللغة المنزل أو المكان الذي يثوي فيه الإنسان، والثواء هو الانحسار في مكان، ويكون الإنسان فيه عادة قليل الحركة مثل المسكن، المنزل، الحجرة التي يبيت فيها. والمنزل الذي يبيت فيه الإنسان حركته فيه محدودة بخلاف الفضاء فأنت تستطيع أنْ تمشي أميالاً؛ لذلك يقول الشاعر: رُبّ ثاوٍ يملّ منه الثواء، يعني يستقر في وضعه إلى أن يملّ موضعه منه، ويقول أيضاً:

فما دون مصر للغنى متطلب قال بلى إنّ أسباب الغنى لكثير

فقلت لها إنّ الثواء هو الثوى وإنّ بيوت العاجزين قبور

الثواء هو الثوى، يعني الاستقرار في مكان واحد، وإنْ كان فيه حركة فهو حركة ضيّقة.

وفي الآية ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣] يعني هذا المكان الذي أنا فيه، أي أحسن منزلي.

ويفرق أهل اللغة بين الفعلين (ثوى وأوى)، لاحظ الفرق:

الهمزة بدل الثاء، الهمزة فيها قوة، وهي حرف شديد. (أوى) فيها نوع من الضم ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ أي جعله يستقر، لكنْ ضمّه إلى المأوى وهو غير المثوى.

والمأوى استعمل في النار وفي الجنة، فالجنة تضم صاحبها، والنار تضم صاحبها، لكنْ شتان بين الضمتين، بين احتضان الجنة للإنسان واحتضان النار للإنسان.

فالثواء فيه مقام محدود، وكلمة الثوى والثواء استعملت في حال الدنيا؛ لأنه منزل يثوي إليه؛ لذلك نجدها في أكثر من سورة في حال الدنيا، وفي الآخرة استعمل اللفظة للنار فقط . لماذا؟

لأنّ الجنة ليست منطقة ضيقة محصورة؛ لأننا نتبوأ من الجنة حيث نشاء، وفيها السعة والانطلاق.

ولاحظ مثلاً في الآيات: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ أي: نُزُله في الدنيا. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ [القصص:٤٥]، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩] الأماكن التي تتقلبون فيها، تنتقلون إليها والمكان الذي تستقرون فيه ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا

وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزُّمَر:٧٤]. ولهذا لم تستعمل كلمة (المثوى) مع أهل الجنة .



﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة أداة الشرط ﴿لَوْلَآ﴾؟

الجواب :

(لولا) أداة شرط تأخذ فعل شرط وجواب شرط، وفي قصة موسى عليه السلام ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠] حيث الجواب تقدّم يعني: لولا أنْ ربطنا على قلبها لأبدت به أو لكادت أنْ تبدي به لكنها ما أبدت به.

و(لولا) أداة امتناع للوجود، أي: امتنع شيء وهو همّ يوسف لوجود برهان ربه وهو حفظ الله عز وجل ورعايته له منذ وُلِد .

السؤال الثاني :

ما دلالة تعبير ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ في آية يوسف ٢٤؟

الجواب :

اختلف المفسرون وتعددت الآراء في فهم هذه الآية، وجاء في تفسير القرطبي: واختلف العلماء في همه ولا خلاف في أنّ همها كان المعصية، لذلك لم تتوقف التفاسير عند همها به؛ لأنه لا خلاف فيه، أمّا همه بها فتعددت فيه الأقوال :

١ـ همّ بها من قبيل حديث النفس.

٢ـ قالوا: همّ بضربها ودفعها عن نفسه لولا أنْ رأى برهان ربه يكفه عن الضرب؛ حتى لا يظن أنه قصدها بالمعصية.

٣ـ همّ بالمعصية بها لولا أنْ رأى برهان ربه، وتعددت الأقوال في هذا البرهان.

والحقيقة أنّ يوسف عليه السلام لم يهمّ بها مطلقاً؛ لأنه منذ البداية وُلِدَ ليكون نبياً معصوماً من الخطأ، وقد أوحي إليه منذ أُلقي في الجب، وقد وصفه الله عز وجلّ بأنه ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بفتح اللام .

ثم أعلنت امرأة العزيز قولاً صريحاً ينفي كل شك ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ ولذلك لم يهمّ بها مطلقاً.

ولعلك تسأل لِمَ اختار الله عز وجل إذن هذا التركيب، وكان يمكن أنْ يخبرنا عن همها بيوسف فقط !!!

هذا التركيب من الله عز وجل؛ ليؤكد لنا أنّ الرجل يمكن أنْ يهمّ بالمرأة وأنّ المرأة يمكن أنْ تهمّ بالرجل إذا وجد كلاهما الفرصة مواتية، ولكنْ ليس كل رجل معصوماً عصمة يوسف عليه السلام، وكأنّ الله عز وجل يقول لنا: إنّ همّ الرجل بالمرأة إذا خلا

بها أمر محتوم إذا لم يعصمه الله تعالى من الزلل؛ لذلك كان اختيار (لولا) هنا- وهي أداة امتناع للوجود- من أظهر الأدلة على بيان الإعجاز القرآني . والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما البرهان المذكور في آية سورة يوسف ٢٤؟

الجواب :

١ـ السؤال الذي يدور كثيراً قديماً وحديثاً ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[يوسف:٢٤] ثم ينسحب السؤال على البرهان؟ وعن السؤال كيف همّ بها؟

في هذه المسألة الأفضل هو رأي أهل اللغة في فهم هذه الآية. الهمّ هو بداية الفعل.

ولو رجعنا إلى اللغة: هو لم يهمّ بها أصلاً ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ويجب أنْ لا نقف عند ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وإنما تقرأ الآية كاملة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾

لو قلت: همت به وهمّ بها فأين جواب وموقع ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾؟ هذا من حيث اللغة، فهو لم يهمّ بها.

﴿لَوْلَآ﴾ هنا حرف امتناع لوجود، ﴿لَوْلَآ﴾ تأتي في معنيين :

أ ـ للتحضيض: وتدخل على الأفعال ولا تحتاج إلى جواب، تقول: لولا فعلت هذا أي: تحضّه، كقوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠] ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور:١٢] وهذه تحتاج لفعل ولا تحتاج إلى جواب .

ب ـ حرف امتناع لوجود: لو قلت: لولا أخوه لضربته، تكون لم تضربه لأنه امتنع الضرب لوجود الأخ، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ:٣١] امتنع الشيء لوجود أمر، وفي الشعر قيل: **[ولولا بنوها حولها لخرّبتها]**، ويجوز أنْ يتقدم معنى الجواب، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[الفرقان:٧٧] فأصلها: لولا دعاؤكم لا يعبأ بكم ربي، وقوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[الفرقان:٤٢] أي :لولا أنْ صبرنا لكاد أنْ يضلنا، فيجوز التقديم والتأخير .

و في عموم أدوات الشرط يجوزأنْ يتقدم ما يدل على الجواب أو يتأخر كقولك: كنت ضربته لولا أخوه، أو لولا أخوه لكنت ضربته.

و صاحب «البحر المحيط» يقول: إذا قلت: قارفتَ الذنبَ لولا أنْ عصمك الله، تكون لمْ تقارف الذنب لوجود عصمة الله، وكذلك معنى الآية: همّ بها لولا أنْ رأى برهان ربه، أي: من حيث اللغة لم يهمّ بها أصلاً .

فيوسف عليه السلام لم يحاول لوجود (لولا) ولولا العصمة لهمّ بها، ولولا برهان ربه لهمّ بها، لكنه ما همّ .

و البعض قال: إنها همت به فعلاً وهمّ بها تركاً وهذا لا يصح لغوياً؛ لأنّ الكلام سيكون: ولقد همت به وهمّ بها، لأنه عند ذلك لن يكون لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ موقع ولا وجود.

وقسم من كبار المفسرين مثل صاحب «البحر المحيط» قال: لم يهمّ بها ونص كلامه: لم يقع منه عليه السلام همٌّ البتة، إذن من حيث اللغة لم يهمّ بها. والمفروض أنْ نفهم هذه الآية على أنه امتنع الهمّ لوجود (البرهان).

٢ـ (البرهان): يقول أهل الحديث: لا حجة قاطعة في تعيين شيء، وكل ما يقوله الناس إمّا من الإسرائيليات أو من باب التخيلات ولا يوجد نص قاطع في هذه المسألة، والبرهان هو الدليل الذي يمنعه من هذا، قال ابن كثير: أنه لا حجة قاطعة، المهم أنه رأى برهاناً صرفه عن هذا، ومنطوق الآية من حيث اللغة أنه لم يهمّ بها البتّة.

لذلك قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ يوسف عليه السلام قد رأى براهين ربه من معرفته بشريعة أبيه يعقوب، فهو على شريعة، والشريعة هي البرهان ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ﴾ [يوسف:٣٨]، و كان متّبِعاً لملّة آبائه و ملتزماً بقيَم ومُثُل ومبادئ الشريعة، فهذا هو البرهان وهو برهان عند جميع الناس.

السؤال الرابع :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي: ابتداء هذا الأمر ما حدث في نفسه، وحاشا لهؤلاء أنْ يحدثوا أنفسهم بما لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

والمعنى الدلالي لكلمة ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: الذي أخلصه الله سبحانه وتعالى لطاعته، ولذلك إبليس عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الحجر:٤٠] ونسأل الله سبحانه وتعالى دائماً أن يجعلنا من عباده المخلَصين.

والمخلِص: ـ بكسر اللام ـ هو الفاعل، أي: هو الذي أخلص لله، والمخلَص ـ بفتح اللام ـ هو من أخلصه الله سبحانه وتعالى لطاعته.



﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بكلمة ﴿سَيِّدَهَا﴾ في الآية؟

الجواب :

كلمة ﴿سَيِّدَهَا﴾ أهل مصر كانوا يسمون الزوج سيداً، وقد وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم وفي سورة يوسف؛ لأنها كانت معروفة في لغتهم آنذاك . والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما المقصود بكلمة ﴿أَهۡلُ﴾؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم كلمة ﴿أَهۡلُ﴾ للأزواج، مثل قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾[هود:٧٣] في قصة إبراهيم عليه السلام، وفي قصة امرأة العزيز ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف:٢٥] وفي قصة موسى عليه السلام ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩]. إذن (أهل) هي الأزواج كما وصفها القرآن وفي اللغة أيضاً.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَلۡفَيَا﴾في الآية؟ وما الفرق بين الفعلين ﴿وَجَدۡنَا﴾ ﴿وَأَلۡفَيَا﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ في القرآن الكريم لم يرد الفعل (ألفى) إلا فيما هو مشاهد محسوس ولذلك قال بعض النحاة: إنه ليس من أفعال القلوب. فقسم يدخلوه في أفعال القلوب وقسم يقولون: لا ليس من أفعال القلوب، وإنما في الأفعال المحسوسة المشاهدة.

وأفعال القلوب قلبية يستشعر بها، وهي فعلاً في القرآن لم ترد إلا مشاهدة، كما في هذه الآيات في القرآن ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩﴾ [الصافات:٦٩] ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ [يوسف:٢٥].

٢ــ (وجدنا) في القرآن وفي غير القرآن وردت قلبية وغير قلبية، ومشاهدة وغير مشاهدة، مثلاً قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾[آل عمران:٣٧] ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ﴾[الأعراف:١٠٢] يعني: وجدهم يخلفون الميعاد، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ

ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ [الأحزاب:٦٢] ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

لذلك الفعل (وجد) أشمل، ويستعمل للأمور القلبية وغير القلبية، بينما الفعل (ألفى) يستعمل للأمور المحسوسة، هذا في القرآن، أمّا في غير القرآن ففيه كلام.



﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما اسم الشاهد الذي تكلم في المهد في آية يوسف؟

الجواب:

١ـ لا نعرف اسمه. قيل: ابن خالها، وقيل: كان طفلاً في المهد ،وقسم قال: كان ابن عمها، وكان رجلاً حكيماً لم يشهد الوقيعة أصلاً.

إذن الجواب يدور بين أمرين:هل هو الطفل الذي في المهد وقد أنطقه الله؟ أم هو رجل حكيم صاحب رأي؟ الله أعلم .

ولكنّ سياق السورة يوضح أنه رجل حكيم وليس طفلاً، والدليل أنه لمّا قال الملك كما ورد في القرآن الكريم حكاية عنه: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [يوسف:٥٠] . فلو كان طفلاً لقال يوسف :ارجع واسأل الطفل، ألم ينطق ببراءتي؟ وهذا يكون أقوى، وكونه يطلب من الملك أنْ يسأل

النسوة مرة أخرى معناه أنّ الشاهد ليس طفلاً رضيعاً، ولو كان طفلاً رضيعاً وتكلم لكان قد أجاب المرأة طفلٌ رضيعٌ يشهد ببراءة يوسف أمامها.

والمرأة قالت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:٥١] ولو كان طفلاً رضيعاً، لكان حصحص الحق في حينها، ومن ناحية أخرى نجد أنّ الرأي ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾هو رأي حكيم لا يخرج من طفل.

والبعض يذكر الذين تكلموا في المهد ومن ضمنهم شاهد يوسف، ولو كان هنالك نص حديث صحيح في أنه طفل لقطع بذلك.

٢ـ قد يُستغنى عن المفسر في اللفظ بما يدل عليه حساً، لذلك الضمير في قوله تعالى ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾يعود على امرأة العزيز ولم يتقدم لها ذكر صريح في الآية؛ وذلك لأنّ الكلام يدور عليه وهو مدلول عليه بالحس.



﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما (المكر)؟

الجواب :

المكر: هو التغلب بالحيلة على الخصم بأنْ توهمه أنك تفعل له خيراً بينما أنت تضمر له الشر، والأصل في المكر هو الشجرة الملتفة الأغصان كأنها مجدولة بحيث لا تستطيع أنْ تميز الورقة التي تراها من أي فرع نبتت فيلتبس عليك الأمر.

والكيد والمكر لا يدلان على القوة، إنما يدلان على الضعف؛ لأنّ الشجاع القوي هو الذي يجاهر بعدائه؛ لأنه قادر على خصمه، لكنّ الضعيف هو الذي يستخدم الحيلة ليوقع بخصمه.

وقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ يفيد أنه ما دام كيدهن عظيماً فضعفهن عظيم؛ لأنّ الضعيف هو من يكيد، ولكنّ القوي لا يعجزه طلب خصمه، بينما الضعيف إذا تملك خصمه فإنه يحاول أنْ يقضي عليه، لأنه يعرف أنها فرصة لن تتكرر.

قال الشاعر :

وضـــعيفةٌ فـــإذا أصـــابت فرصـــة قتلـــتْ كـــذلك فرصـــة الضـــعفاء



﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما إعراب ﴿يُوسُفُ﴾ في الآية ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ﴾ ؟

الجواب :

يوسفُ: منادى بإسقاط حرف النداء.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في آية يوسف ٢٩؟ ولماذا لم يقل :(من الخاطئات) وقال ﴿الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ؟

الجواب :

المعاني اللغوية :

١ ـ الخطأ: من (أخطأ) أي: أذنب من غير عمد، أي: لم يقصد الذنب وفي الحديث: «**من اجتهد فأخطأ فله أجر**».

* شواهد قرآنية :

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة:٢٨٦].

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾[النساء:٩٢].

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم﴾[الأحزاب:٥] .

٢ ـ الخِطء: الذنب المتعمد، من خطِيء يُخطِيء خِطأً و خَطيئة فهو خاطىء.

* شواهد قرآنية :

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الإسراء:٣١].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾[القصص:٨] .

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾[يوسف:٢٩] .

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾[الحاقة:٩] .

٣ـ قال تعالى: ﴿ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ولم يقل الخاطئات، وذلك للأسباب التالية :

أ ـ ﴿ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾، أي: من نسل القوم الخاطئين.

ب ـ قيل: فيه تغليب المذكر على المؤنث، وذلك لأنّ أكثر من يقوم بالتحرش الجنسي هم الذكور وليس الإناث.

ج ـ الله سبحانه وتعالى سلب العزيز الغيرة، وفي هذا لطف بيوسف عليه السلام، فاكتفى العزيز بأنْ أمرها بالاستغفار من ذنبها، وأمر يوسف بالسكوت عن الأمر .

السؤال الثالث :

ما مفرد كلمة ﴿نِسْوَةٌ﴾؟

الجواب :

كلمة ﴿نِسْوَةٌ﴾ المفرد (امرأة)، والمثنى (امرأتان)، والجمع (نسوة)، ولا مفرد لها من جنسها.

السؤال الرابع :

لماذا حذفت أداة النداء في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾؟

الجواب :

معنى قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي: اصمت ولا تتكلم أي كلمة، وحذف مع يوسف حرف النداء لقربه، وفي هذا النداء باسمه تلطف به.



﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام صيغة المذكر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾؟ وما قواعد ذلك؟

الجواب :

١ـ هناك مؤنث مجازي ومؤنث حقيقي، وكلمة نسوة مؤنث حقيقي لا مفرد له من جنسه.

٢ـ القاعدة النحوية: هو أنّ الفعل يؤنّث ويذّكر إذا كان الفاعل مؤنثاً ووقع بين الفعل والفاعل فاصل، تقول: حضر إلى الجامعة فاطمة، و: حضرت إلى الجامعة فاطمة.

٣ـ جمع التكسير والجمع الذي ليس له واحد من لفظه يجوز في الفعل معه التأنيث والتذكير.

٤ـ يؤنث الفعل مع الكثرة ويذكر مع القلة، والتذكير يدلّ على القلة ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف:٣٠]؛ لأنّ النسوة كانوا قِلّة، والتأنيث يدل على الكثرة ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات:١٤] وهكذا في القرآن كله .

السؤال الثاني :

لماذا كُتبت كلمة ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ بالتاء المفتوحة في آية يوسف؟

الجواب :

لفظة (امرأة) وردت في المصحف بالهاء (٤) مرات، وبالتاء (امرأت) وردت (٧) مرات، مع ملاحظة أنّ كل امرأة ذُكرت مضافة لزوجها فهي بالتاء المفتوحة، والمواضع السبعة هي :

إمرأت :

ـ ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٥].

- ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ يوسف ٣٠ و ٥١.

- ﴿ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾[القصص:٩].

- ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾[التحريم:١٠] مرتان.

- ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾[التحريم:١١].

امرأة :

آية النساء ١٢ـ١٢٨.

آية النمل ٢٣.

آية الأحزاب ٥٠.

السؤال الثالث :

جاء في الآية ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ ولم يقل مثلاً زوج أو زوجة، فما الفرق بين (زوج وامرأة وبعل) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

استعمل في القرآن كلمة (زوج) للدلالة على الرجل أو على المرأة، وهذا هو الأفصح في اللغة.

والزوج هو الذي يشكل مع الثاني زوجين، ويطلق الزوج على الاثنين، ويوحي اللفظ بنوع من المقاربة والتوافق؛ لذلك نجد أنه :

١ ـ تأتي كلمة (زوج) في القرآن حين تكون الزوجية هي مناط الموقف كما في [آية الروم ٢١ـ والفرقان ٧٤].

ومع الرسول ﷺ استعمل القرآن ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨] فإنها أُضيفت إلى الضمير، ولعلّ فيها ملمح التقريب، فهن أزواجه في الدنيا وفي الآخرة.

بينما لا يوجد في القرآن زوج فلان، وإنما امرأة فلان .

٢ ـ فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة بسبب خيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج، مثل (امرأة فرعون) المؤمنة؛ لأنه لم تعد تشكل زوجاً مع فرعون الكافر، وكذلك الحال مع (امرأة نوح)؛ فلم تعد تستحق أنْ ترتفع بحيث تشكل مع نوح عليه السلام زوجين، كما في آية يوسف ٣٠ والتحريم ١٠.

حتى (امرأة العزيز) هي أيضاً امرأة، ومن قال: تشاطره؟ ربما كان هو على جانب من القيم والمُثل، وهي تراود فتاها!! إذن لا يناسب استعمال زوج في حالة التباين الواسعة بين الطرفين.

وأمّا كلمة (امرأة) فهي تعني (الأنثى) لا غير.

٣ ـ وإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل فامرأة لا زوج، كما في [آية هود ٧١ والذاريات ٢٩ وآل عمران ٣٥].

وأمّا البعل فلا يطلق على الرجل حتى يدخل بزوجته، و قد يأتي أيضاً بمعنى السيد .

قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الصافات:١٢٥].

السؤال الرابع :

ما قواعد رسم تاء التأنيث هاء في رسم المصحف؟

الجواب :

اتفق معظم علماء العربية على أنّ التاء هي الأصل في علامة التأنيث وأنّ الهاء تخلفها في الوقف، فجاءت معظم الأمثلة لذلك مرسومة بالهاء .

وروي عن بعض النحويين قولهم: إنّ الهاء في المؤنث هي الأصل في الأسماء؛ ليفرقوا بينها وبين الأفعال فتكون الأسماء بالهاء والأفعال بالتاء.

وانحصرت تفسيرات علماء السلف في رسم تاء التأنيث بالهاء في أنهم بنوا الخط على الوقف، والمواضع اللاتي كتبوها بالتاء بنوا الخط على الوصل، وقيل: من وقف على تاء التأنيث بالتاء ورسمها هو حسب لغة طيىء فهم يقولون: حمزت وطلحت .

* شواهد قرآنية :

لفظة ﴿رَحۡمَةِ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٣٤ مرة، وبالتاء ﴿رَحۡمَتَ﴾ ٧ مرات.

لفظة ﴿سُنَّةَ﴾ وردت في المصحف بالهاء ١٤ مرات، وبالتاء ﴿سُنَّتُ﴾ ٥ مرات.

لفظة ﴿نِعۡمَةُ﴾ وردت في المصحف بالهاء ١٧ مرة، وبالتاء ﴿نِعۡمَتَ﴾ ١١ مرة.

لفظة ﴿كَلِمَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء ١٩ مرة، وبالتاء ﴿كَلِمَتُ﴾ ٤ مرات.

لفظة ﴿لَعۡنَةُ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٧ مرات، وبالتاء ﴿لَعۡنَتَ﴾ في موضعين: [آل عمران ٦١ ـ النور ٧].

لفظة (معصية) وردت في المصحف بالتاء ﴿وَمَعۡصِيَتِ﴾ في موضعين: [المجادلة ٨و ٩].

لفظة ﴿مَرۡضَاتِ﴾ أينما وقعت.

لفظة ﴿ٱمۡرَأَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٤ مرات، وبالتاء ﴿ٱمۡرَأَتُ﴾ ٧ مرات.

مع ملاحظة أنّ كل امرأة ذُكرت مضافة لزوجها جاءت بالتاء المفتوحة و المواضع السبعة هي :

- ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾[آل عمران:٣٥].

- ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾يوسف ٣٠ و٥١.

- ﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾[القصص:٩].

- ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾[التحريم:١٠].

- ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[التحريم:١١] مرتين.

وجاءت بضع كلمات مرسومة بالتاء في موضع واحد وهي المبينة أدناه، وإذا وردت هذه الكلمات في غير هذه المواضع فتكتب بالتاء المربوطة، والكلمات هي :

﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾[الدخان:٤٣].

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾[القصص:٩] .

﴿مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾[فُصِّلَت:٤٧].

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[هود:٨٦].

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الواقعة:٨٩].

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[العنكبوت:٥٠].

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾[الروم:٣٠].

وهناك كلمات تُكتب بالتاء المفتوحة حيث وردت، وهي ليست تاء التأنيث وهي :

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾[يوسف ٤ و ١٠٠ومريم ٤٢ـ٤٣ـ٤٤ـ٤٥ القصص ٢٦].

﴿ٱللَّٰتَ﴾النجم ١٩.

﴿هَيۡهَاتَ﴾المؤمنون ٣٦.

﴿ذَاتِ﴾الأنفال ٧ـ النمل ٦٠.

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾التحريم ١٢.

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾الأعراف ١٣٧.

السؤال الخامس :

ما دلالة كلمة ﴿حُبًّاۖ﴾ في آية يوسف؟ وما كلمات منظومة الحب القلبي التي وردت في القرآن؟

الجواب :

منظومة كلمات الحب القلبي في القرآن الكريم بالمعنى لا بالنص هي: الشهوة ـ الهوى ـ الحب ـ الشغف ـ الغرام ـ الهيام ـ الود ـ إضافة إلى كلمتي :الشوق والعشق، ولكنهما لم يردا في القرآن الكريم .

الشهوة :

هي ميل النفس إلى ما يُتلذذ به حسياً أو نفسياً مثل النساء والبنين والذهب والفضة والأنعام والحرث، وكذلك السلطان والجنة والقهر، والشهوة يجب أنْ تكون في محلها.

قال تعالى: ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾[الواقعة:٢١].

الهوى :

إذا كانت الشهوة في غير محلها كانت هوى، كأنْ تشتهي امرأة لا تحل لك، ولم ترد كلمة الهوى في القرآن إلا من باب الذم، وهناك فرق؛ لأن ما تشتهيه الأنفس قد يكون حلالاً أو حراماً، وما تهواه الأنفس لا بدّ أنْ يكون حراماً .

قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[النازعات: ٤٠].

الحب :

هو تعلق القلب بما هو كريم ومطلوب، وهو ليس مذموماً، وقد ذكر الله في كتابه صفات الذين يحبهم والذين لا يحبهم: [البقرة ١٩٥ـ ٢٢٢ـ آل عمران ٧٦ـ ١٣٤ـ ١٤٨ـ ٣١ـ ٩٢ـ ١٥٢ـ النور ٢٢ـ الصف ١٤ـ القيامة ٢٠].

الشغف :

عندما ينفذ الحب إلى القلب ويستقر به ويملك على الإنسان حواسه وتفكيره يُسمى شغفاً، فكل شغف حب وليس كل حب شغفاً، قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ .

الغرام :

بعد أنْ يصل الحب إلى مرحلة الشغف، فإذا كان الحب قاهراً استولى المحبوب على من يحب، وتحول الحب إلى فناء في المحبوب فيُسمى غراماً، فالغرام هو حب انقلب إلى أسر .

ولذلك عندما ذكر القرآن عن عذاب جهنم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾[الفرقان: ٦٥] فيه دليل على أنّ عذاب جهنم قاهر مذل: [الفرقان ٦٥ـ الواقعة ٦٦].

الهيام :

هذا الغرام إذا تطور وتدلل المحبوب على الحبيب ولم يستجب له واضطرمت النار في أحشاء المحب يؤدي إلى الهيام .

والهيام لغة مأخوذة من الهيم، أي: الإبل الشاردة الهائمة على وجهها في الصحراء، كما في قصة قيس وليلى، انظر الآيات :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾[الشعراء:٢٢٥].

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾[الواقعة:٥٥].

الود :

الود هو أعلى وأسمى أنواع الحب.

كل الذي ذُكر إذا كان موجوداً بين يديك مع الوصل يسمى حباً وشغفاً وهياماً، أمّا إذا كان مع الهجر فهو الود، فالود هو أمنية، تحب بعيداً أو شيئاً تتمناه . والود هو من جهة ميل الطباع فقط، فتقول: أود أنّ ذاك كان لي، وأود الرجل، ولا تقول أود الصلاة بل تقول أحب الصلاة . قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[مريم:٩٦] .

انظر[البقرة: ٩٦ـ ١٠٥ـ ١٠٩ـ آل عمران ١١٨ـ النساء ١١٨ـ المعارج ١١ـ القلم ٩ـ الحجر ٢].

الشوق :

يكون لحبيب مسافر أو غائب.

العشق :

هو الحب الذي شاع صيته بين الناس.



﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما المكر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾؟ ولماذا سماه الله تعالى المكر؟

الجواب :

المكر في اللغة معناه التدبير، أنْ يدبر الشيء ويرتبه، وفي سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران:٥٤] هم دبروا والله عز وجل يدبّر، وهو خير المدبرين.

وفي سورة يوسف: الكلام الذي قالته هؤلاء النسوة هو كان تدبيراً منهن للإساءة إليها، فهو مكر إذن، ولو قال: (لمّا سمعت بكلامهن) فإنه لا يعطي هذه الصورة من صور الحقد واللؤم والتخطيط للإساءة إليها والنيل منها، لكنْ لمّا قال: ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ هي أيضاً دبرت تدبيراً آخر: مكرٌ يقابل مكراً.

السؤال الثاني :

يستخدم تعالى في القرآن بعض الأفعال التي ربما تتشابه حرفياً ولها نفس الدلالة مثل (أعدّ وأعتد)، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[يوسف:٣١]، لماذا لم يقل: وأعدت لهن؟

الجواب :

هذا يدخل في جانب التقارب الصوتي. والآية في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾[يوسف:٣١] فيها سؤالان:

أ- لماذا ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ وليس (أعدّت)؟

ب- ولماذا ﴿وَآتَتْ﴾ وليس (أعطت)؟

الاثنان متقاربان، لكنّ الاختلاف في الصوت. نلاحظ عندما يقول: (أعتد) الهمزة فيها هي همزة التعدية التي هي (أفعل) يبقى (الفاء والعين واللام) والفعل (عتد) حتى يكون الكلام قليلاً، وأمّا الفعل :(أعدّ) فيه همزة التعدية وبقي الأصل (عدد). ننظرالآن في (عتد) و(عدد) الفرق بينهما عين الفعل (تاء ودال)، الدال هي تاء، لكنْ ينضم إليها اهتزاز الوترين الصوتيين وهما غضروفان خلفهما الوتران، إذا اهتزا من [١٥٠ إلى ٢٥٠] مرة في الثانية يكون الصوت مجهوراً. فالتاء إذا صحبها اهتزاز الوترين تكون دالاً. جرّب أنْ تلفظ تاء من غير أنْ تلفظها، ضع لسانك بحيث إنه لا يتغير عن موضع نطقك للتاء تظهر دالاً، فالفارق هو حدوث اهتزاز. فإذن التاء مهموس والدال مجهور، وهو أنصع وأقوى وأوضح من نظيره المهموس، فعندما نقول: (أعتدت) نجد أن فيها

نوعاً من الرقّة والخفوت يتناسب مع هذه المرأة الرقيقة التي جمعت هؤلاء النسوة وهيّأت لهن هذا المتكأ، ولم يقل: المجلس؛ لأنّ (متكأ) فيه شيء من الاسترخاء، فتناسب التاء.

والقرآن يستعمل ﴿أَعۡتَدۡنَا﴾؛ لأنّ (أعتد) فيها حضور وقرب، والعتيد هو الحاضر ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾[ق:٢٣] أي: حاضر، وقوله: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ بمعنى (حضّرت).

أمّا الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال:٦٠] ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾[التوبة:٤٦] .

* شواهد قرآنية :

١ـ الحق سبحانه يقول في سورة النساء:﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ فهؤلاء ماتوا فأصبح الحال حاضراً وليس مهيئاً فقط .

٢ـ وفي سورة الفرقان ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧﴾[الفرقان:٣٧] فهم أغرقوا وماتوا، فجاءت (أعتدنا).

٣ـ أمّا في سورة النساء فقد قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾[النساء:٩٣] فهؤلاء لا يزالون أحياء، وليسوا أمواتا فجاءت (أعدّ) بمعنى (هيّأ) .

٤ـ كما أنه جاء في آخر سورة الإنسان ﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾[الإنسان:٣١]؛ لأنّ الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة .

وعلماً بأنه لم يرد في القرآن الكريم كلمة (أعددنا) مطلقا أي [أعدّ + الضمير(نا)]، وإنما يستعمل (أعتدنا)، وهي خصيصة من خصائص التعبير.

٥ـ وأمّا: لماذا ﴿وَءَاتَتۡ﴾ وليس (أعطت)؟ فتجد الجواب في السؤال الرابع في هذه الآية.

السؤال الثالث :

استعمل ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ ولم يقل مثلاً: مجلساً، فلماذا؟

الجواب :

كلمة (مجلس) ترتبط بالجلوس فقط؛ أي مجرد مكان للجلوس، بينما (المتكأ) فيه معنى الاستراحة، وعندما تتكئ على شيء ففيه نوع من أنواع الاستراحة والتراخي، فالمتكأ فهو ليس مجرد مجلس، وإنما مجلس فيه استرخاء وراحة؛ حتى تكون كل واحدة مرتاحة في جلستها.

السؤال الرابع :

استعمل ﴿وَءَاتَتۡ﴾ ولم يقل مثلاً: و(أعطت)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الإعطاء والعطاء أقوى من الإيتاء من حيث اللفظ الصوتي، انظر الجدول التالي للمقارنة بين أحرف الفعلين (أتي) و (عطو) :

مقابلة الأحرف (أتي) و (عطو)	النتيجة
العين مقابل الهمزة	العين أنصع وأقوى من الهمزة

الطاء مقابل التاء	الطاء أقوى من التاء
الواو مقابل الياء	الواو أقوى من الياء

والواو أقوى من الياء وأثقل من الياء؛ لأنّ فيها رفع اللسان من الأقصى واستدارة الشفتين بينما الياء فيها رفع اللسان من الأمام.

وبالتالي أحرف الكلمة ﴿وَءَاتَتْ﴾ أرق وأهدأ، وتناسب رقة وهدوء المتكأ ومجلس النساء.

٢ـ ومن حيث الدلالة: الفعل (أعطى): فيه شيء متملك وشيء مادي وأقوى وأميز من الإيتاء؛ ولذلك لمّا تكلم عن شيء قوي قال فيه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ الكوثر شيء عظيم فاحتاج الحرف القوي، لكن آتينا وآتنا فيها نوع من الرقة واللين.

والإيتاء فيه نوع من الرِقّة والهدوء ويناسب راحة ورقة المتكأ الذي أعدته لهم امرأة العزيز.

إذن هو إيتاء وليس عطاء (ويمكن أنْ يكون للتملك). و﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [يوسف:٣١] وكل واحدة سترجع السكين فهي ليست عطاء، ولو قال: (أعطت) يمكن أنْ يكون فيه تملك. فعملية الإيتاء ليست نهائية، لكنها ستُردّ.

ولو قال (أعطت) لكان :

أولاً: الصوت يختلف.

ثانياً: العطاء يكون فيه عدم الاسترداد.

إذن في سورة يوسف ما قال: (أعطت) وإنما (آتت)، والفرق بين آتى وأعطى: العين والألف، والألف هو مجرد هواء يهتز معه الوتران فيكون ألفاً، والعين حرف حلقي ومجهور يهتز معه الوتران، وله مخرج معيّن فهو أقوى.



﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين تشديد النون في (ليسجننّ) وتخفيفها في (ليكونا)؟ وما سبب الاختيار؟

الجواب :

١ـ في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾هذه نون التوكيد الثقيلة، وفي قوله: ﴿وَلَيَكُونًا﴾هذه نون التوكيد الخفيفة .

والمعروف في اللغة أنّ نون التوكيد الثقيلة آكد من الخفيفة؛ لأنّ تكرار النون بمثابة تكرار التوكيد، والنون الثقيلة هي عبارة عن نونين، ففي الفعل ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ثلاث نونات: نون الفعل الأصلية المبنية على الفتح، ونون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد الثقيلة آكد من الخفيفة؛ لأنهما نونان فتكرار النون بمثابة تكرار التوكيد.

٢ـ وسبب الاختيار أنها هي أكّدت على السجن فجاءت بالنون الثقيلة فسُجِن، وهي لم ترِدْه من الصاغرين؛ لأنها تحبه، وإنما تريد سجنه والصَغَار يعني الإهانة وهي لا تريد إهانته وإنما سجنه فقط، فلربما ينفذ ما تطلبه.

إذن نون التوكيد الثقيلة توحي بتوكيد الفعل، وتدخل على الفعل المضارع بشروط معينة، وعلى فعل الأمر. وفي سورة يوسف الآية ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:٣٢] النون نون التوكيد التي تخلّص الفعل للمستقبل واللام هي لام القسم، وليست لام التوكيد هنا.

السؤال الثاني :

ما دلالة استخدام اسم الإشارة ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ في الآية بدل اسم الإشارة (هذا)؟

الجواب :

١ـ نفس اسم الإشارة أحياناً يستعمل في التعظيم، وأحياناً يستعمل في الذم والذي يبين الفرق بينهما هو السياق.

فكلمة (هذا) تستعمل في المدح والثناء، نحو:(هذا الذي للمتقين إمام) ويستعمل في الذم ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾[الفرقان:٤١] .

و(كذلك) تستعمل في المدح :(أولئك آبائي فجئني بمثلهم) (أولئك) جمع (ذلك) و(هؤلاء) جمع (هذا)، وتستعمل في الذم.

(ذلك) من أسماء الإشارة، و(تلك) من أسماء الإشارة .

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[يوسف:٣٢] هو تعظيم وأحياناً يكون في الذم، تقول :هذا البعيد، و لا تريد أنْ تذكره، والذي يميز بين هذين الاستعمالين هو السياق.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] (ذلك) إشارة ليوسف، و(كُنّ) حرف خطاب للنسوة، إذن هذه الكاف هي حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً، ويمكن أنْ يكون في حالة المخاطَبين .

٣ـ لم تقل امرأة العزيز (فهذا) وهو حاضر؛ رفعاً لمنزلته في الحسن وتمهيداً للعذر في الافتنان به.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ما كلمات منظومة الحبس والسجن في القرآن؟

الجواب :

هذه الكلمات هي منظومة الحبس في مراحله المختلفة:

الإمساك :

هو المنع عن التخلية والإرسال، وهو أول مرحلة من مراحل الحبس لأنّ أول فعل يفعله رجال الشرطة هو أنْ يمسكوا بالمتهم، والإمساك يكون بلا جراح، أي: بدون مواجهة بين المتهم والشرطة . انظر الآيات :

[فاطر ٢ـ البقرة ٢٢٥ـ النساء ١٥].

الإثبات :

إذا تمت عملية الإمساك، لكنْ مع المواجهة والجراح أو حاول المتهم الهروب فأطلق عليه النار فأُرهق عن الفرار، يُسمى إثباتاً، قال تعالى: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠].

التوقيف :

سواء كانت العملية إمساكاً أم إثباتاً أوبعد الإصابة بجرح يعيقه من الفرار يوضع في التوقيف، انظر الآيات :[الصافات ٢٤ـ الأنعام ٢٧].

الحبس :

بعد التوقيف تأمر الشرطة بحبس المتهم على ذمة التحقيق، وهذا هو حبس مؤقت قبل صدور الحكم، انظر الآيات : [المائدة ١٠٦ـ هود ٨].

السجن :

بعد أنْ يُحكم على المتهم بالعقوبة المناسبة فيحكم بسجنه لمدة محدودة تطول أو تقصر حسب القضية .

السَّجن: بفتح السين ـ هو هذه المرحلة.

السِّجن: بكسر السين ـ هو المكان الذي يُنفذ فيه الحكم بالسجن.

السجِّين: سجن مع التعذيب، مثل الأشغال الشاقة وعذاب جهنم في الآخرة. انظر الآيات : [يوسف ٣٢ـ ٤٢].

الحَجر :

الحبس هو منع المتهم من رؤية الناس، بينما الحَجر منع الناس من رؤية المتهم، مثل الحجر الصحي . انظر الآيات:[الفرقان ٢٢ـ الحجر ٨٠].

الرباط :

هي محبس الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠].

والحبس هو أخطر شيء على السلطة القضائية أو التنفيذية، بأنْ يُحبس إنسان بغير وجه حق ولو لمدة يوم، وجاء في الحديث أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها.

وأشرف أنواع الحبس هو الأوقاف (الحُبُس)، وهو ما يوقفه الناس من أموالهم وممتلكاتهم للخير في سبيل الله أو طلب العلم أو المساجد.

وأخس أنواع الحبس وأخطرها: الدَّين.

ومن الأحباس الجميلة في الدنيا الحبس الاختياري، كأنْ تحبس المرأة نفسها عن الزواج بعد وفاة زوجها لتربية الأولاد .

وقد قيل: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

السؤال الرابع :

كُتبت كلمة ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بالألف، فما قواعد رسم التنوين ألفاً؟

الجواب :

١ـ رسم التنوين ألفاً :

التنوين نون ساكنة يحذف في الوقف في حالتي كون الاسم مرفوعاً أو مجروراً، لكنه في حالة النصب يحذف وتخلفه الألف عند الوقف صوتاً وكتابة .

وقد عُلل عدم إثبات التنوين نوناً في الرسم بكونه ليس من أصل الكلمة فحُذف فرقاً بين النون الزائدة والأصلية.

٢ـ نون التوكيد الخفيفة :

نون التوكيد الخفيفة هي مما يشبه التنوين، فإذا كان ما قبلها مفتوحاً أبدلت منها الألف فتكتب في الخط ألفاً؛ لأنها أشبهت التنوين.

وقد جاء من ذلك في المصحف موضعان، وهما :

ـ ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:٣٢].

ـ ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [العلق:١٥].



﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

كلمة ﴿أَحَبُّ﴾ في الآية اسم تفضيل، فكيف يصاغ اسم التفضيل؟

الجواب :

١ـ يصاغ اسم التفضيل من كل فعل ثلاثي تام غير ناقص متصرف غير جامد مثبت مبني للمعلوم، وليس الوصف منه على وزن (أفعل) الذي مؤنثه فعلاء وقابلٍ للتفاوت.

ويسمى ما قبل اسم التفضيل مفضلاً، ويسمى ما بعده مفضلاً عليه.

٢ـ إذا لم تتحقق الشروط يتوصل إلى التفضيل منه بذكر مصدره الصريح بعد: أشد أو أكثر أو أعظم نحو: أكثر مالاً وأشد قوة.

٣ـ يصاغ على وزن (أفعل) ليدل على المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما عن الآخر في هذه الصفة.

٤ـ سقطت الهمزة من كلمتي (خير وشر) والأصل: أخير وأشر.

٥ـ قد تكون المفاضلة تقديرية لا حقيقية نحو: القتل بالسيف أهون عندي من أنْ أحرق بالنار.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[يوسف:٣٣] أي: أقل قبحاً وشراً.

ـ ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الفرقان:٢٤] لأنه ليس ثمة اشتراك في الخير بين المستقرين، وليس عند أهل النار خير بل هو شر محض.

٦ـ قد لا يستعمل اسم التفضيل لمعنى المفاضلة بين شيئين، بل قد يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[الأنعام:١٥٢] فالمقصود هنا القرب من مال اليتيم بمزيد الحُسن.

ـ ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥] المراد من ذلك الزيادة في الحُسن.

ـ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[الإسراء:٥٣] المراد من ذلك الزيادة في الحُسن.

٧ـ اسم التفضيل لا يتعدى بنفسه إلى المفعول، بل يتعدى بواسطة حرف الجر، وتفصيل ذلك:

أ ـ بواسطة اللام عموماً :

ـ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾[الكهف:١٢] .

ب ـ بواسطة الباء :

وتأتي مع فعل دال على العلم أو الجهل .

ـ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾[الإسراء:٥٤] .

ج ـ بواسطة اللام أو إلى :

١ـ مع فعل دال على الحب والبغض، فيُعدى باللام إلى ما هو مفعول في المعنى، كقوله تعالى:

ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

٢ـ كما يُعدى بـ(إلى) لما هو فاعل في المعنى، نحو قولك:

ـ هم أحب الناس إلى خالد: أي: أنّ خالداً يحبهم.

ـ هم أحب الناس لخالد: أي: هم يحبون خالداً.

د ـ حالة خاصة :

إنْ كان الفعل يتعدى بحرف الجر عُدّي اسم التفضيل بذلك الحرف نفسه، تقول: هو أزهد في الدنيا وأسرع إلى الخير .

حالات اسم التفضيل :

لاسم التفضيل أربع حالات هي :

١ـ أنْ يكون مجرداً من (أل) ومن الإضافة فيكون مفرداً مذكراً وتتصل به (من) لفظاً.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف:٣٤].

٢ـ أنْ يكون مضافاً إلى نكرة فيجب هنا الإفراد والتذكير، ويلزم المضاف إليه أن يطابق الموصوف .

* شواهد لغوية :

ـ الكتاب أفضل صديق، هند أفضل امرأة .

ـ الهندات أفضل نسوة .

٣ـ أنْ يكون مضافاً إلى معرفة، فيجوز هنا المطابقة وعدمها.

* شواهد :

ـ أنتم أفضل الناس أو أفاضل الناس .

ـ ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [البقرة:٩٦] أفرد.

ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ [الأنعام:١٢٣] طابق.

٤ـ أنْ يكون معرفاً بأل، وتلزم هنا المطابقة، ولا تذكر معه (من) التفضيلية، نحو : محمد الأفضل ـ خديجة الفضلى .

وهذه الصفة تستلزم أنْ يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة، والتفضيل بأل هو أعلى وأعم درجات التفضيل.

* شواهد قرآنية :

- ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾[آل عمران:١٣٩] .

- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠].

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)﴾[الكهف:١٠٣].

- ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨)﴾[طه:٦٨] .

- ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥)﴾[طه:٧٥] .

- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦)﴾[الدخان:١٦].

ملاحظة هامة :

القاعدة النحوية: تنص على أنّ اسم التفضيل إذا كان ما بعده ليس من جنسه يُنصب، مثل: أنت أكثر مالاً ـ هو أحسن شعراً .

أما اذا كان ما بعده من جنسه فيضاف نحو: أنت أفضلُ رجلٍ .

وفي آية يوسف ٦٤ تعني أنّ حفظ الله تعالى ليوسف خير منكم، فكأنه تعالى قارن بين حفظ إخوة يوسف ليوسف وبين حفظه تعالى .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[يوسف:٣٦] فماذا يسمى ذلك في البلاغة؟

الجواب :

هذا يسمونه في البلاغة باب المجاز المرسل باعتبار ما سيؤول إليه فإنّ العنب سيصير خمراً بعد عصره .

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا﴾ما الفرق بين (نبأ وأنبأ)؟

الجواب :

إذا جاء الفعل بصيغتي (فعّل وأفعل) من نفس الفعل يكون (أفعل) هو لزمن أقصر من (فعّل)، مثل: علّم وأعلم ونبّأ وأنبأ.

وفي سورة الكهف ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾[الكهف:٧٨]. هذا ليس إنباءً وإنما تبيين من (نبّأ)؛ لأنّ فيها كلاماً كثيراً (أمّا السفينة، أمّا الغلام، أمّا الجدار) فهي ليست مختصرة. ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾جاءت بالتشديد مشددة وما قال: سأنبئك.

والصيغة المضعّفة (فعّل) من النبأ جاءت في ستة وأربعين موضعاً كما في سورة يوسف ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف:٣٦]؛ لأنّ فيها شرحاً بالتفصيل عن الرؤيا، ولم يقل: (أنبئنا) مختصرة ،وهم يريدون شرحاً مفصّلاً للرؤيا.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ما الفرق بين التأويل والتفسير والاجتهاد؟

الجواب :

أ ـ الاجتهاد: هو بذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح عن طريق القياس في رد الأمر إلى الكتاب والسنة.

ب ـ التأويل: من آل يؤول، وله معنيان :

١ـ بيان ما يؤول إليه اللفظ من معنى، أي نقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى: مثل سورة النصر سميت سورة التوديع، ومن ذلك تأويل الأحلام المرمزة نحو: سبع بقرات، أي: سبع سنين.

٢ـ بيان حقيقة الشيء أو ماهيته، وهذا لا يكون في كل موضع، فأحياناً بيان الماهية غير ممكن، كما في موضوع عذاب القبر والآيات المتشابهات.

ج ـ التفسير: هو كشف المراد من اللفظ.

د ـ إعمال العقل: أنْ يُعمل الإنسان عقله في الاستنباط.

هـ ـ القول بالرأي: أنْ تبدي رأياً وفق ضوابط .

وكل واحدة لها ضوابط، وأولها التبحر في اللغة، ولا تغني المعرفة اليسيرة.

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٧) ﴾

السؤال الأول :

الفعل ﴿يَأْتِيكُمَا﴾ جاء في الآية مرتين مرفوعاً ومنصوباً، فلماذا؟

الجواب :

لا يأتيكما: لا نافية، والفعل مرفوع.

أنْ يأتيكما: أنْ حرف ناصب، والفعل منصوب.

السؤال الثاني :

كرر هنا في آية يوسف كلمة ﴿هُمْ﴾، وكذلك كررها في آية هود ١٩ بينما لم يكررها في آية الأعراف ٤٥، فلماذا؟

الجواب :

التكرار بلفظ معين يقصد به التوكيد، كما تقول محذراً: حذار حذار.

انظر تفسير آية الأعراف ٤٥.



﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿أَنزَلَ﴾ و ﴿نَزَّلَ﴾ في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

الفعل ﴿نَزَّلَ﴾ يمكن أنْ يستعمل لأكثر من معنى، فقد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للمبالغة والاهتمام، فما ذكر فيه ﴿نَزَّلَ﴾ يكون أهم وآكد مما استعمل فيه ﴿أَنزَلَ﴾.

وفي آيات سورة يوسف ٣٩ ـ ٤٠ لم يكن الأمر للمبالغة والتكثير، وإنما هو عرضٌ لعقيدته عليه السلام قبل أنْ يؤول الرؤيا للفتيين.



﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿ظَنَّ﴾ما الفرق بينها وبين ﴿حَسِبَ﴾؟

الجواب :

١ـ حسب: فعل يُراد به الاعتقاد الراجح، ومعناه الظن، لكنْ هناك فرق بين (حسب) و(ظن)، ومن ذلك :

أ ـ أنّ (حسب): هو فعل من أفعال القلوب منقول من (حَسَبَ) الحسي الذي منه الحساب، ومنه حسب الدراهم، أي: عدّها.

ب ـ والحسبان قائم على الحساب والنظر العقلي، بخلاف الظن الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنى سبب.

٢ ـ ظن :

الظن عند أهل اللغة درجات، ويرتفع إلى أنْ يصل أعلى درجات العلم وهو الشعور في الذهن، وهذا الظن هو الذي يصل إلى درجة التوكيد واليقين، والظن هو علم ما لم يُعاين، أي: علم ما لا تبصره.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] أي: كان ذلك في حسابهم.

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] لم يقل هنا: (حسب) بدل ظن؛ لأن (ظن) قائم على رؤية، وليس في ذلك عمل حسابي.

ولا يحسن أنْ تقوم كلمة (حسب) بدل (ظن)، كما في الآيات :

ـ ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

ـ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠].

ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس:٣٦].

ـ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح:٦].

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرات:١٢] .

السؤال الثاني:

ما الحكمة في الآية ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾ [يوسف:٤٢]؟ ما الحكمة في النسيان وبقاء يوسف في السجن سنوات؟

الجواب:

الشيطان أراد أنْ يوقع بيوسف ويجعله في السجن، لكنّ الشيطان كان قصير النظر، فكان بقاء يوسف أولى وأصلح له؛ لأنه لو خرج يوسف في حينها ثم رأى الملك الرؤيا إلى من سيرجع؟ فربنا حفظه في السجن فأبقاه مدة أطول لمهمة أكبر؛ حتى يصبح عزيز مصر، فأبقاه حتى يسهل الرجوع إليه، وإلا أين يبحث عنه في مصر؟ فربنا سبحانه وتعالى أبقاه في مكانه لمهمة أكبر، وهي نفع العباد ويكون عزيز مصر فلذلك ما وفق الشيطان وحصل ما فيه مصلحة يوسف.



﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ۝٤٣﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ولم يقل (فرعون)، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

عندما يذكر القرآن حكام مصر القدماء لا يذكرهم إلا بلقب فرعون، وذلك في حوالي ٦٠ آية كريمة إلا في سورة واحدة وهي سورة يوسف حيث ذكر حاكم مصر بلقب (الملك)، وقد ذكرت السورة في ثلاث آيات فيها (٤٣-٥٠- ٥٤) أنّ حاكم مصر كان ملكاً، وليس فرعون، فكيف هذا؟

بقيت هذه الآيات الثلاث لغزاً قرآنياً حتى فكك شامبليون حجر رشيد وتعرّف على الكتابة الهيروغلوفية في أواخر القرن التاسع عشر فتعرف العالم على تاريخ مصر في مطلع القرن العشرين بشكل دقيق وظهرت المعجزة .

إنّ حياة يوسف عليه السلام في مصر كانت أيام الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة، وظلوا في مصر من عام ١٧٣٠ وحتى ١٥٨٠ قبل الميلاد أي لمدة ١٥٠ سنة، حتى أخرجهم أحمس الأول وشكّل الدولة الإمبرطورية الحديثة .

ولّما عاد الأمر إلى الفراعنة كان بنو إسرائيل في خدمة الفرعون بسبب وقوفهم إلى جوار المحتلين الهكسوس، فاضطهدهم فرعون وأعوانه.

لذلك كان القرآن دقيقاً جداً في كلماته في سورة يوسف، فاستعمل لقب الملك لحاكم مصر؛ لأنّ يوسف عليه السلام عاش في مصر أيام الملوك الهكسوس الذين تربعوا على عرش مصر بدل الفراعنة الذين انحسر حكمهم إلى الصعيد وجعلوا عاصمتهم طيبة .

وهذا من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم . والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الرؤيا والحلم؟

الجواب :

الأحلام: وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم بصيغة الجمع دلالة على الخلط والأضغاث والهواجس.

الرؤيا: جاءت سبع مرات كلها في الرؤيا الصادقة، والقرآن لا يستعملها إلا بصيغة المفرد دلالة على التميز والوضوح والصفاء.

والرؤيا هي بمعنى الرؤية، إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، فلا جرم أن فرّق بينهما بحرف التأنيث، كما قيل: القرية والقرى .

وقرىء (روياك) بقلب الهمزة واواً.

السؤال الثالث :

قال في آية يوسف: ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ وفي آية البقرة ٢٦١ ﴿سَنَابِلَ﴾، فما دلالة ذلك مع أن العدد واحد (سبعة)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٢٦١ .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى كلمة ﴿أُمَّةٍ﴾ في الآية؟

الجواب :

جاءت كلمة ﴿أُمَّةٍ﴾ في القرآن الكريم على أربعة معانٍ:

١ـ بمعنى الملة أو العقيدة: شواهد قرآنية:[البقرة ٢١٣ ـ يونس ١٩ ـ الأنبياء ٩٢].

٢ـ بمعنى الجماعة:: شواهد قرآنية: الأعراف ١٨١ .

٣ ـ بمعنى الزمن: شواهد قرآنية: هود ٨ ـ يوسف ٤٥ .

٤ ـ بمعنى الإمام القدوة الذي يعدل أمة: شواهد قرآنية: النحل ١٢٠ .

السؤال الثاني :

كلمة ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ ما دلالتها؟ وما تركيبها اللغوي؟

الجواب :

هذا سؤال صرفي في باب الإبدال ـ يمكن الرجوع إليه ـ عندما نصيغ على صيغة (افتعل) وتقلباتها: مفتَعَل ـ مفتعِل، والمشهور أنّ (افتعل) تأتي بالتاء مثل: اختبر واجتهد واشتهر، ولكنْ مع بعض الحروف لا تأتي التاء فتُبدل دالاً مع الدال والذال .

والحروف المتقاربة المخرج يصعب النطق بها على التوالي؛ لذلك إذا نظرت إلى الذال مع التاء عند النطق تقترب الذال من أنْ تصير تاء، والتاء تقترب من أنْ تصير دالاً فتجعل التاء دالاً .

فمثلاً في الفعل (ذكر) المفروض أن نقول (مذتكِر)، لكنّ العرب تستثقل هذا فتقلب الذال والتاء دالاً، فيقولون (مدّكر)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾[يوسف:٤٥].

(ادّكر) ليست من (تذكّر)، وإنما هي من (ذكر- اذتكر) على وزن افتعل، وليست تفعّل، و(ادّكر) هي من (ذكر)، وليست من تذكّر وإلا صارت يذّكّر. فبعد الزاي والدال تقلب التاء دالاً وتُدغم وتُبدل مثل: ازتحم، تصير: ازدحم، وازتكر، تصير: ادّكر، وبعد التاء تقلب دالاً.

(ادّكر) معناها تذّكر، أصلها افتعل (اذتكر) وهذه تبدل التاء دالاً هنا وجوباً، فأُبدلت التاء دالاً فصارت(ادّكر).

ومعنى ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴿٤٥﴾﴾ أي بعد حين من الزمن ليس معروفاً بالضرورة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾[هود:٨] .



﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الغيث والمطر في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

المطر :

ذُكر في القرآن أكثر من ٦ مرات، وجميعها في موضع الانتقام .

* شواهد قرآنية :

[الأنفال ٣٢ـ الشعراء ١٧٣ ـ النمل ٥٨ ـ الفرقان ٤٠ ـ الأحقاف ٢٤ ـ الأعراف ٨٤].

الغيث :

ذُكر في القرآن حوالي ٤ مرات وجميعها في موضع الخير.

* شواهد قرآنية :

[الحديد ٢٠ـ الشورى ٢٨ ـ يوسف ٤٩ ـ لقمان ٣٤].

السؤال الثاني :

ما الفرق بين العام والسنة والحول والحجج؟

الجواب :

أشهر ما قيل فيها:

١ـ السنة: تستعمل للقحط، وأمّا العام فيستعمل: للخصب والرخاء .

* شواهد قرآنية :

آية الأعراف ١٣٠ : بمعنى أصابهم القحط.

آية يوسف ٤٩ : بمعنى الخصب والرخاء

آية العنكبوت ١٤ : ألف سنة فيها شدة، وارتاح خمسين عاماً.

٢ـ الحول: هو من التحول وانقلاب الشمس وحدوث صيف وشتاء، ولمّا صار صيفاً وشتاء صار حولاً، واستعمله القرآن في الطلاق والموت فقط فالموت حاجز والطلاق حاجز .

* شواهد قرآنية :

آية البقرة ٢٤٠: السياق في الموت.

آية البقرة ٢٣٣: السياق في المطلقات، والطلاق تحول في الحياة.

آية لقمان ١٤: لم يقل عامين؛ لأنّ الموت تحول في الحياة .

ومن غرائب الدقة والاستعمال في القرآن مع كلمة (الحول) أنّ الحياة تحولت، فهذه أصبحت مطلقة والأخرى توفي عنها زوجها، فصار تحولاً في الحياة .

٣ـ الحجج: الحجة بمعنى السنة، والحج يأتي مرة في السنة فيأتي الحاج لزيارة البيت الحرام ويقوم بمناسك معينة، ثم يعود الزائر إلى بيته .

وموسى عليه السلام التجأ زائراً إلى مدين وليس إقامة فيها ثم عاد بعد سنوات؛ ولذلك ناسب لفظ (حجج)، ولا تدل كلمة سنة أو عام على الزيارة: [القصص ٢٧].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

استعمل في الآية ﴿ٱلَّـٰتِي﴾، بينما استعمل ﴿ٱلَّـٰٓـِٔي﴾ في آية الأحزاب ٤؟ فما الفرق في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ اللاتي اسم موصول ـ جمع التي ـ وتكون للعاقل ولغيره، تقول: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد، واللاتي مختصة بالإناث .

اللائي: جمع التي أيضاً، واستعمال اللائي قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، واللائي قد تستعمل قليلاً للذكور .

٢ـ انظر: آية النساء ١٥ـ والأحزاب ٤ للتعرف على الفرق في المعنى والاستعمال.



﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى كلمة ﴿حَصْحَصَ﴾؟

الجواب :

الحصحص: هو أن يحص الشعر عن مقدمة الشعر حتى ينكشف، وهنا: (حصحص)، أي: ظهر وبان بدون شبهة.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى رواية عن امرأة العزيز: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف:٥١]؟

الجواب :

الحرف (إنّ) حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد بشكل أساسي.

وفي الآية ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف:٥١] جاء بالجملة الأولى غير مؤكدة ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ﴾ والثانية مؤكدة .

وسر ذلك - والله أعلم- أنّ هذا على لسان امرأة العزيز، وقد فعلت فعلاً لا يليق بالنساء، وهي الآن في موطن إقرار بالذنب واعتراف بالخطأ، فذكرت ما صدر عنها بشكل غير مؤكد، إذ لا يحسن في مثل هذا الفعل التوكيد، وهي تريد أنْ تفر منه وتتوارى من فعلتها، وهي قد أنكرت فيما مضى أنْ تكون قد صنعته.

بخلاف نسبة الصدق إلى سيدنا يوسف عليه السلام، فجاءت به مؤكداً بإنّ واللام.

السؤال الثالث :

ما دلالة لفظة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية؟

الجواب :

صيغة السؤال هو أنّ لفظة ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغائب، والمراد هنا الإشارة إلى تلك الحادثة الحاضرة، فما دلالة ذلك؟

هناك قولان :

القول الأول :

١ ـ قيل هو قول يوسف عليه السلام بعد أنْ علم بظهور صدقه، والمعنى: وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته.

٢ـ أنّ يوسف عليه السلام إنما قال ذلك عند الملك بعد عودة الرسول إليه فذكر هذا الكلام على لفظة الغيبة تعظيماً للملك عن صيغة الخطاب المباشر الذي يكون فيه سوء أدب.

٣ـ إنْ قيل: هذه الخيانة وقعت في حق العزيز فكيف يقول: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، والجواب: قيل المراد: ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيبة، لتوصيل رسالة للملك مفادها أنه من يخون الوزير فقد يخون الملك، وطالما أني لم أخن العزيز فتأكد أني لن أخونك.

القول الثاني :

هو كلام امرأة العزيز، والمعنى: أني وإنْ أحلت الذنب عليه عند حضوره، لكني ما أحلت الذنب عليه في غيبته وهو في السجن، أي: لم أقل فيه في غيبته خلاف الحق، ثم بالغت في تأكيد الحق بهذا القول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)﴾ والله أعلم.

السؤال الرابع :

أين فعل القول ومقوله في الآية؟ وما حالات إضمار القول؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة١٢٧ .



﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين: أخ وإخوان وإخوة في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

هناك صيغ وجموع جسدت قانون التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، ومن ذلك صيغة جمع (أخ) في السياق القرآني، فقد جمعت على: إخوة و إخوان .

إخوة :

في القرآن الكريم تدل على أخوة الدم والنسب، وكلمة (إخوة) جمع قلة كما في الآيات: (يوسف ٥٨ ـ النساء ١١) إلا في موطن واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠]؛ لأنّ أخوتهم بمنزلة الأخوة في النسب، فأخوة الهدف والمنهج ترقت وتسامت إلى مصافّ أخوة النسب فأصبحت أخوة الدين أخوة في النسب .

إخوان :

وردت كلمة (إخوان) في اثنين وعشرين موطناً في كتاب الله، منها بمعنى الأصدقاء، كما في الآيات :[ق ١٣ـ الحجر ٤٧ـ آل عمران ١٠٣ـ الإسراء ٢٧] ومنها بمعنى النسب: كما في آيات[النور ٣١ـ الأحزاب ٥٥ـ النور ٦١].

يا أخت هارون :

وفق مبدأ الأخوة يجد المؤمن أنّ المسلمين كلهم رحمٌ له، ومصداق ذلك أنّ مريم البتول عندما جمعتها مع هارون صفة الصلاح والتقوى ناداها القرآن: يا أخت هارون، مع أنّ بينهما أجيالاً، فهارون من عهد موسى عليهما السلام، ومريم البتول والدة عيسى عليه السلام.



﴿ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

استعمل القرآن لفظتي (فتية و فتيان)، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

الفتى هو الشاب والفتاة هي الشابة، والفتى هو السخي الكريم.

المفرد فتى، والجمع :

أـ فتية: جمع قلة، كما ورد في سورة الكهف، وهم سبعة.

ب ـ فتيان: جمع كثرة، كما في سورة يوسف، حيث عدد المستخدمين كثير.

كما تجمع على (فُتُو) كفُعُول و(فِتي) كعصي.

السؤال الثاني:

ما المقصود بتعبير ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾؟

الجواب:

هم لم يرجعوا بعد وإنما لا يزالون في مصر، ولو قرأنا الآية ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف:٦٢] أي: لعلّهم يعودون إلى مصر مرة أخرى يأتون فيمتارون، وليس إلى أهلهم فهم لم يعودوا إلى أهلهم بعد، فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.



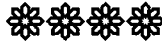
﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

هل لفظ ﴿نَكْتَلْ﴾ هنا فعل أو اسم؟

الجواب :

هذا فعل(نكتل)، أي: (نكتال) مجزوم، وهو جواب الطلب، أصلها (نكتال) مثل (نبتع نبتاع)، وجواب الطلب يكون مجزوماً، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصارت (نكتل)، ولو كان اسماً لنصبه وقال: (نكتَلَ).



﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب كلمة ﴿حَٰفِظًاۖ﴾ في الآية؟

الجواب :

المسألة فيها وجهان: تمييز أو حال.

القاعدة النحوية: تنص على أنّ اسم التفضيل إذا كان ما بعده ليس من جنسه يُنصب مثل: أنت أكثرَ مالاً ـ هو أحسنَ شعراً .

أمّا اذا كان ما بعده من جنسه فيضاف نحو: أنت أفضلُ رجلٍ .

وفي آية يوسف تعني أنّ حفظ الله تعالى خير منكم، فكأنه تعالى قارن بين حفظ إخوة يوسف ليوسف وبين حفظه تعالى .

من ناحية أخرى فالتمييز أقوى من الحال .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في يوسف: ﴿نَبْغِيۖ﴾ وفي آية الكهف ٦٤ ﴿نَبْغِۚ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

نلاحظ أنّ القرآن الكريم أثبت الياء في آية يوسف، فقال: ﴿نَبْغِيۖ﴾ ،وحذفها في آية الكهف فقال: ﴿نَبْغِۚ﴾؛ وذلك لأنّ :

الحدث مختلف في الآيتين، فنسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة، وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أنْ يتعلم منه، أمّا في سورة يوسف: فالطعام هو ما يبغون، وهو سبب رحلتهم .

فحذف من الحدث في الكهف إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وذكر الفعل كاملاً في يوسف؛ لأنه كان بغيتهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الحاجة التي في نفس يعقوب؟

الجواب:

عندنا مبدأ عام في تعاملنا مع كتاب الله سبحانه وتعالى: أيما قضية لم يفصّل فيها القرآن، ولم يرد فيها خبر صحيح عن رسول الله ﷺ يكون الخوض فيها من التكلّف الذي لا يصل إلى نتيجة، فلمّا قال لنا القرآن الكريم: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ﴾ [يوسف:٦٨] أنت ماذا تتخيل الحاجة؟ تخيّلها! البحث فيها تهويمات وليست قاطعة: أنه خاف عليهم من الحسد، خاف عليهم أنّ الملك يخشى من جمعهم فيدبر لهم شيئاً، أحد عشر أخاً إذا اجتمعوا يدبرون شيئاً، كل هذا كلام ليس عليه دليل؛ ولذلك نقول: لا ندري ما الحاجة. لك أنْ تتخيل ما شئت من هذا الأمر لكن كن واثقاً أنّ الله عز وجل ما أخبرك عن هذه الحاجة ما هي، فتكتفي بهذا القدر. وهذا تجده في أمور كثيرة أيضاً، وعندما يحدثنا علماؤنا عن الصفات كان السلف يُمرّونها هكذا، ولا يتحدثون عنها بالتفصيل.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿أَذَّنَ﴾ فما منظومة الإعلام العلني في القرآن؟

الجواب :

منظومة الإعلام العلني هي :

جهر ـ أعلن ـ أظهر ـ أذّن ـ أفاض ـ اصدع

لمعرفة التفاصيل انظر الجواب في آية النساء١٤٨ .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين السقاية والصواع؟

الجواب :

لمّا قال: صواع الملك أراد أنْ يبين السقاية؛ لأنّ الممتارين الذين يكال لهم يعلمون أنّ هذا مكيال، لكنهم لا يعلمون أنه صواع الملك.

السقاية والصواع بمعنى: جعل السقاية مكيالاً فأراد أنْ يبين أن هذه السقاية ليست مجرد سقاية، وإنما صواع الملك لبيان أهميته.

والصواع هو ما يكال به عموماً، والسقاية في الأصل هي ما يُسقى به الملك ويشرب به خمراً، وكان يستعمل صواعاً للكيل، فهو ليس مجرد سقاية عادية ولو كان عادياً نأتي بغيره، لكنّ هذا صواع الملك، وكما يقولون: كان يُسقى بها الملك .

والصواع والصاع يستعمل الآن للكيل، إذن لها حالتان حالة سقاية وحالة مكيال، حالة سقاية؛ لأنه يسقى بها وحالة صواع، وهو ما يكال به.



﴿ قَالُوا۟ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة لفظة (صواع)؟ وهل هي لفظة مؤنثة أم مذكرة؟

الجواب:

قال في الآية ٧٢: ﴿ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ ﴾بالتذكير وعنى هنا: ما يكال به.

وقال في الآية ٧٦: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ بالتأنيث، وعنى هنا به الإناء الذي يشرب به، أي: السقاية.

والصواع مؤنث مجازي فهو يذكر ويؤنث، وقيل: السقاية والصواع شيء واحد، وكل شيء يشرب به فهو صواع؛ لذلك عندما قال: (ٱسۡتَخۡرَجَهَا) عنى السقاية فبسبب ذلك أنّث.

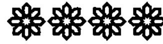
وفي قراءة أخرى (صواغ)، وهو مأخوذ من الصياغة؛ لأنه مصنوع من فضة أو ذهب أو نحاس.

جاء في «مختار الصحاح» للرازي أنّ الصاع هو الذي يكال به، والصواع لغة في الصاع، وقيل: هو إناء يشرب به.

أمّا صاغ الشيء فهو صائغ وصواغ وعمله الصياغة، وفلان يصوغ الكذب، وهو استعارة، وفي الحديث :«**كذبة كذبها الصواغون**».

ومثل ذلك المؤنث المجازي كلمة (العاقبة) فتذكر إذا استعملت للعذاب، وتؤنث إذا استعملت للصيحة.

وللعلم: أخو يوسف هو (بنيامين) ومعناه بالعبرانية: ابن الوجع، والله أعلم.



﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ (٧٣) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بحرف التاء في القرآن الكريم؟

الجواب :

(التاء) حرف قسم مثل الواو والباء، لكنّ التاء مختصة بلفظ الجلالة (الله) وتستعمل للتعظيم، وقد وردت تسع مرات في القرآن، أربعة منها في سورة يوسف [٧٣ـ٨٥ـ٩١ـ٩٥] ومرتين في النحل [٥٦ـ٦٣] والأنبياء ٥٧ـ والشعراء ٩٧ـ والصافات ٥٦].

والتاء في أصلها اللغوي مبدلة من الواو . والله أعلم .

السؤال الثاني :

عندما يُقسِم إخوة يوسف يستعملون تالله، فما دلالة هذا القسم؟ وقد جاء ذلك في سورة يوسف عليه السلام في الآيات[٧٣ـ ٨٥ـ٩١ـ٩٥]؟

الجواب:

القسم بـ ﴿تَٱللَّهِ﴾ في القرآن الكريم ليس مختصاً بإخوة يوسف، وأصلاً القسم بـ﴿تَٱللَّهِ﴾ كما يذكر أهل النحو واللغة يفيد التعجب والتفخيم والتعظيم ويُقسَم بها في الأمور العظام.

تالله: هي عبارة عن تاء القسم، وهي مُبدَلة عن الواو، وأصل حروف القسم الباء ثم الواو ثم التاء.

كيف عرفنا أنّ القسم بالباء هو الأصل؟ لأنه يذكر معه فعل القسم (بالله) أو لا يذكر، مرة تقول: أقسم بالله، ولا يصح أنْ تقول: أقسم تالله، إذن يصح ذكر فعل القسم وعدمه. و (أقسم بالله) معناه أوسع، فيمكن أنْ تقول: أقسم بالله، وتدخل الباء على الضمير (أقسم بك يا رب)، وتكون الباء في (بك) باء القسم، أمّا الواو والتاء فلا تدخلان على الضمير.

إذن الباء هي الأصل، ثم الواو، ثم التاء، والتاء مُبدلة عن الواو، كما يقولون؛ لأنّ الواو يقسم بها في كل مقسوم ظاهر، والله تعالى أقسم بالواو كما في: والضحى، والليل، والسماء. أمّا التاء فلم يرد في القرآن بالتاء إلا في الله ﴿تَٱللَّهِ﴾ وقليل ورد في غير اللغة

بالتاء، فتكاد تكون التاء مختصة بالله، وقد ترد قليلاً مع غير الله (تحياتك أي وحياتك، تربِّ الكعبة أي وربِّ الكعبة)، هذه مفردات قليلة.

إذن ﴿تَاللَّهِ﴾ قسم والتاء للقسم، وهي من حروف الجر والله لفظ الجلالة مقسم به مجرور.

أما السؤال نفسه فالتاء ليست مختصة بإخوة يوسف، فقد قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[الأنبياء:٥٧]، وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾[الشعراء:٩٧] وأصحاب الجنة قالوا لقرنائهم: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾[الصافات:٥٦] وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النحل:٥٦]و قال تعالى مخاطباً رسوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[النحل:٦٣]

إذن (تالله) هي ليست مختصة بإخوة يوسف، وجاءت في سورة يوسف على لسان إخوته؛ لأنها تفيد التعظيم.



﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿فَهُوَ﴾ في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾؟

الجواب:

الجزاء هو: سيؤخذ بالجريرة إذن هو؛ أي الجزاء.

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ
أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التعبير ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ﴾؟

الجواب :

١ ـ التعبير يعني يأسهم عن رد بنيامين معهم بعد أنْ أخذه يوسف عليه السلام بقضية سرقة الصواع.

وهم إذ ذاك الوقت في مشكلة معقدة لعدة أسباب :

أ ـ أنهم أخذوا بنيامين من أبيهم بعد إعطائه مواثيق مؤكدة، وهم متهمون عنده سابقاً في حق يوسف فكيف يرجعون من دونه !!!

ب ـ أنّ أهل بيتهم كانوا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة، فلا بدّ من رجوعهم.

ج ـ لو لم يرجعوا إلى أبيهم لظن يعقوب أنّ أولاده قد هلكوا بالكلية، وقد يحصل له من ذلك هم وغم شديد قد يهلك بسببه.

د ـ لو عادوا بدون بنيامين لظن يعقوب بهم أنهم خانوه في بنيامين، كما خانوه في يوسف.

ولذلك عبّر القرآن عنهم بأنهم: ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ﴾.

٢ـ والتعبير يعني أنهم انفردوا وحدهم منعزلين خالصين عن باقي الناس لا يخالطهم أحد للتشاور فيما بينهم .

والتعبير ﴿خَلَصُواْ نَجِيّاً﴾ هوعلى صيغة المصدر، أي: انفردوا وتحولوا إلى نجوى أو ذوي نجوى لمناجاة بعضهم بعضاً في خفاء.

فلما أخذوا في التناجي على غاية الجد صاروا كأنهم في أنفسهم صورة التناجي حقيقة. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ظرف مقطوع، فما الظروف المقطوعة؟

الجواب :

النحاة يذكرون ثلاث حالات:

أ ـ إمّا مقطوع عن الإضافة لفظاً ومعنى (هذه نكرة). كما في قوله:

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أكاد أغص بالماء الزلال

(قبلاً) ظرف مقطوع عن الإضافة لفظاً ومعنى (نكرة).

ونحن قتلنا الأسد أسد خفية فما شربوا بعداً على لذة خمراً

هذا مقطوع لفظاً ومعنى.

ب ـ وهناك ظروف مقطوعة لفظاً، وهذا قليل عند النحاة، وهذا لا ينوّن ويعامل كأنّ المضاف إليه مذكور، فيأخذ حكمه الإعرابي ويعامل كأنما سقط من الكلام مثل:

ومن قبلِ نادى كل مولى قرابةً فما عطفت مولى عليه العواطف

(من قبلِ) هناك كلمة ساقطة في اللفظ بتقدير (ذلك) مثلاً، فتبقى على حالها، وكما تقول: رأيته قبل ذلك، وهذا قليل وليس قياساً؛ ولذا يجب أنْ يكون هنالك دليل يدل على الكلمة الساقطة . وهذا يسمى مقطوعاً عن الإضافة لفظاً.

ج ـ وهناك مقطوع عن الإضافة لفظاً ونُوي معناه، يحذف المضاف إليه ويُبنى على الضم دائماً ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم:٤] هنا المعنى مفهوم، ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٠] هذا مقطوع لفظاً مفهوم معنى، وهذا عند النحاة معرفة، ويُعرب مبنياً على الضم.

وعندما نقول: سقط من فوقُ، أي: من فوق معلوم، أمّا: سقط من فوقٍ، أي: من مكان عال لا تعرف من أين، إذن ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٠] يقصد فترة زمينة محددة، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم:٤] فترة زمنية محددة .

أما قولهم : (كجلمود صخر حطَّه السيلُ من علِ)

فلا يعرف مكانه، ولو قال من علُ يجب، أن يكون المكان محدداً. وهذا يشبه بالمنادى (يا رجلُ) يبني على الضم، رجل نكرة مقصودة. وعندما تقول: يا رجلُ، أي: هناك رجل محدد تناديه.

فالظروف المقطوعة إذن ثلاثة: المقطوع لفظاً ومعنى، المقطوع لفظاً لا معنى، والمقطوع لفظاً ونُوي المعنى.

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

حذفت الألف من كلمة ﴿ وَسْـَٔلِ ﴾ فما قواعد رسم الألف في المصحف؟

الجواب :

تحذف الألف من الكتابة في المواضع التالية :

١ـ ألف (اسم) من البسملة إذا كتبت تامة، أو من آية هود ٤٤ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[هود:٤١] .

٢ـ ألف أل التعريف إذا سبقها لام نحو ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[آل عمران:٩٦] .

٣ـ ترسم كل كلمة في أولها ألفان فأكثر بألف واحدة نحو: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ ﴾ـ ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ـ ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾ـ ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ﴾ـ ﴿ءَامِنِينَ ﴾ـ ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ـ ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ ﴾ـ ﴿ ءَأَلِدُ ﴾ـ ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا ﴾.

٤ـ ألف فعل الأمر المخاطب في لفظ السؤال إذا سبقها واو أو فاء نحو: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾.

٥ـ ألف همزة ﴿ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ وكذلك الألف التي هي صورة الهمزة نحو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ ﴾ ـ ﴿فَٱدَّٰرَءْتُمْ ﴾ـ ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾ـ ﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ﴾ـ ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ﴾ .

٦ـ كل ألف من ألفين متتاليين نحو (رأ) إلا في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ﴾ [النجم:١٨] و ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [النجم:١١].

٧ـ ألف واو الجماعة في أصلين مطردين ﴿وَجَآءُو﴾ و ﴿وَبَآءُو﴾ حيث وقعا في أربعة مواقع وهي :[البقرة ٢٢٦ـ الفرقان ٢١ـ سبأ ٥ـ الحشر ٩].

٨ـ حذفت الألف بعد الواو الأصلية في الفعل في موضع واحد هو ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[النساء:٩٩] .

أمّا بعد الواو التي هي علامة الرفع في الأسماء الخمسة فلا تكتب الألف.

٩ـ ألف (يا) النداء نحو: ﴿يَـٰنُوحُ﴾ـ ﴿وَيَـٰسَمَآءُ﴾ـ ﴿يَـٰأَسَفَىٰ﴾ـ ﴿يَـٰأَيُّهَا﴾.

١٠ـ ألف ﴿أَيُّهَا﴾ حذفت في ثلاثة مواضع فحسب، وهي :

ـ ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[النور:٣١] .

ـ ﴿وَقَالُواْ يَـٰأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾[الزُّخرُف:٤٩].

ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾[الرحمن:٣١].

١١ـ ألف الضمير المرفوع للمتكلم العظيم أو لمن معه إذا اتصل به ضمير المفعول مطلقاً نحو: ﴿فَرَشْنَـٰهَا﴾ـ ﴿أَنجَيْنَـٰكُم﴾ـ ﴿عَلَّمْنَـٰهُ﴾ـ ﴿أَنشَأْنَـٰهُنَّ﴾.

١٢ـ الألف الدالة على الاثنين نحو ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ـ ﴿وَٱمْرَأَتَانِ﴾ـ ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ـ ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ـ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[الحج:١٠] .

١٣ـ ألفات جمع المذكر السالم نحو: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ـ ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ـ ﴿خَـٰسِئِينَ﴾ـ ﴿طَاغُونَ﴾

١٤ـ ألفات جمع المؤنث السالم نحو: ﴿ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ـ ﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ـ ﴿وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾.

١٥ـ ألف أسماء العدد نحو: ﴿ثَلَـٰثَةَ﴾ـ ﴿ثَمَـٰنِيَةَ﴾ـ ﴿ءَالَـٰفٍ﴾.

١٦ـ ألف النصب المنون إذا سبقها همز نحو: ماءاً، تكتب ﴿مَآءً﴾.

١٧ـ ألف هاء التنبيه نحو: هذا ـ ﴿هَٰذَٰنِ﴾ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾.

١٨ـ ألف اسم الإشارة نحو: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

١٩ـ ألف أسماء الموصولة نحو: ﴿ٱلَّٰتِي﴾ـ ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾.

٢٠ـ الألف المتوسطة في الاسم الأعجمي الزائد على ثلاثة أحرف نحو: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ـ ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ـ ﴿إِسْحَٰقَ﴾ـ ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ـ ﴿عِمْرَٰنَ﴾ـ ﴿لُقْمَٰنَ﴾.

٢١ـ ألف باء البركة نحو: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ـ ﴿بَٰرَكْنَا﴾.

٢٢ـ ألف تاء الكتاب نحو: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ـ ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

٢٣ـ ألف حاء: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ـ ﴿أَصْحَٰبَ﴾.

٢٤ـ ألف سين المساكين نحو: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ـ ﴿مَسَٰكِنِهِمْ﴾.

٢٥ـ ألف سين المساجد: ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ـ ﴿أَسَٰرَىٰ﴾.

٢٦ـ ألف صاد النصارى: ﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

٢٧ـ ألف ضاد المضاعفة: ﴿يُضَٰعِفُهُ﴾.

٢٨ـ ألف طاء سلطان: ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ـ ﴿شَيَٰطِينَ﴾.

٢٩ـ ألف عين عالم: ﴿عَٰلِمِ﴾ـ ﴿مِيعَٰدُ﴾.

٣٠ـ ألف لام: ﴿إِلَٰهَ﴾ـ ﴿لَٰكِنِ﴾ـ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ـ ﴿عَلَّٰمُ﴾ـ ﴿ٱللَّٰتَ﴾ـ ﴿خِلَٰفٍ﴾ـ ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ـ ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾.

٣١ـ ألف لام لفظ التلاقي: ﴿ لَقِيهِ ﴾ ـ ولفظ اللعنة ﴿ٱللَّعِنُونَ﴾ ـ ولفظ اللعب ـ ﴿لَعِبِينَ﴾.

٣٢ـ كل ألف بين لامين نحو: ﴿ظِلَلٍ﴾.

٣٣ـ ألف لام الأيكة حيث وردت.

٣٤ـ ألف ميم الرحمن: ﴿ٱلسَّمَوَتِ﴾ـ ﴿كَلِمَتُ﴾.

٣٥ـ ألف هاء المهاد: ﴿ٱلْمِهَادُ﴾ـ ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾.

٣٦ـ ألف ياء القيامة: ﴿ٱلْقِيَمَةِ﴾.

٣٧ـ تحذف الألف من كلمات بعينها دون نظائرها نحو: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٤٢﴾[الرعد:٤٢].

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ولم يقل مثلاً: أهل القرية، ولماذا حذف كلمة (أهل)؟

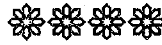
الجواب:

١ـ إخوة يوسف كانوا متهمين بأنهم ليسوا صادقين؛ لأنه يوجد عند أبيهم تجربة سابقة معهم، لمّا جاءوا وقالوا: أكل الذئب يوسف وهو لم يأكله، فالآن يقولون: ابنك سرق، وقد يكون ذلك كذباً كمسألة الذئب، فقالوا: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف:٨٢] صحيح هي أهل القرية لكن كأنهم يريدون أن يقولوا له: إنّ صدقنا ثابت في القرية حتى بجدرانها، حتى بحيوانها، اسأل القرية كاملة، القرية التي كنا فيها والبلدة

كأنها جميعاً تشهد لنا، ليس بناسها فقط وإنما حتى بجدرانها، وهذا ينسحب على العير؛ أي: القافلة ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ العير ومن عليها ومن معها ومن فيها؛ لأنهم كانوا يشكّون في أنفسهم.

٢ـ أمّا في آية سورة الذاريات ٣٦ فقال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ لو قال: غير أهل بيت لأفاد الكثرة. والقرية من بيوت، فأراد أنْ يبيّن قلة الذين اتّبعوا لوطاً عليه السلام .

في سورة الذاريات أراد الحذف؛ حتى يبيّن القِلّة وهنا (في سورة يوسف) حذف حتى يبيّن الكثرة، ولكل حذف مكان بحسب السياق، والله أعلم.



﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الجمع في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف:٨٣] في سورة يوسف؟

الجواب :

في قصة يوسف وإخوته كانوا ثلاثة، هم يوسف وأخوه الذي آواه إليه يوسف عليه السلام وأخوهم الكبير الذي قال: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟

أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف:٨٠] فهم بالأصل ليسوا اثنين، ولكن ثلاثة.

السؤال الثاني :

نلاحظ في هذه الآية والتي قبلها أن هناك حذفاً للمشاهد، فما فائدة ذلك؟

الجواب :

في سورة يوسف قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف:٨٠-٨١-٨٢-٨٣] من هذه الآيات نستنتج أنّ أخا يوسف كلف إخوته أن يقولوا هذا الكلام لأبيهم، لكنْ جاء الرد مباشرة من يعقوب واختزلت الآيات الزمن؟ وهذا كثير في القرآن.

في القرآن يحذف المشاهد التي ليس فيها كثير فائدة، ويركز فيها على الأشياء التي فيها فائدة، وهذا اسمه اختزال؛ أي حذف المشاهد.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾؟

الجواب:

١ـ في القران استعمل (الحلف) للحلف الكاذب أو الحنث فقط، انظرالآيات: [المائدة ٨٩ ـ المجادلة١٤ ـ التوبة ١٠٧] واستعمل (القسم) في الكذب والصدق.

ففي الكذب نحو: [الأعراف٢١ ـ إبراهيم ٤٤ ـ النور ٥٣ ـ]، واستعمله أيضا في الصدق نحو : [الواقعة ٧٥-٧٧ ـ المعارج ٤٠]

٢ـ ويتكون القسم عادةً من :أداة القسم + المقسم به+ جواب القسم (يمكن أنْ يكون جملة اسمية أو فعلية).

فإذا كان جواب القسم فعلاً مضارعاً وأريد الإثبات جيء باللام المفتوحة مع النون أو بدونها، نحو: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧] علماً أنّ النون وحدها تفيد الاستقبال، مثال: والله أفعلن .

أمّا اللام وحدها فتفيد الحال (والله لأفعل الآن)، فإذا لم تذكر اللام ولا النون فاعلم أنه منفيٌّ لا محالة، فإذا قلنا: والله أذهب، فمعناها: والله لا أذهب، حسب لغة العرب .

وفي الآية ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ يكون المعنى، أي: لا تفتأ، أي هناك لام محذوفة تفيد النفي، ولو أريد الاستقبال لقيل (لتفتأنّ)، ولو أُريد الحال لقيل(لتفتأ)

شواهد على حذف اللام التي تفيد النفي، قال الشاعر :

آليتُ حَبَّ العراق الدهرَ أطْعَمُه والحبُّ يأكله في القرية السوسُ

أي: لا أطعمه

وقال صفوان بن أمية في الخمر :

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تُفسد الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أشفي بها أبداً سقيما

أي: لا أشربها.

فالقاعدة أنه إذا كان جواب القسم فعلا مضارعاً مثبتاً فلا بدّ من حرف اللام أو النون أو كليهما، فإذا لم يُذكرا فهو منفي قطعاً.

٣ـ لذلك في الآية حرف نفي تقديره (لا)؛ لأنّ المعنى: (لا تفتأ)، ولكن لماذا حذف؟ علما بأنّ هذا هو الموطنُ الوحيدُ في القرآن الذي حُذف فيه حرف النفي جوابا للقسم !!!

والجواب أنه في عموم القرآن الكريم عندما يكون القسم منفياً يأتي باللام مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل:٣٨] وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

[المائدة:١٠٦] بينما آية سورة يوسف هي الآية الوحيدة التي تفيد النفي ولم يذكر فيها حرف النفي، فلماذا؟

٤ـ من المقرر في علم النحو أنّ الذكرَ يفيد التوكيد، والحذف أقل توكيداً .

ننظر الآن: الذين أقسموا هم إخوة يوسف، وأقسموا أنّ أباهم لا يزال يذكر يوسف حتى يهلك أو يمرض ويفسد بدنه، فهل هم متأكدون من ذلك؟ وهل حصل ذلك؟ كلا لم يحصل، والمقام هنا ليس مقام توكيد أصلاً .

في حين كل الأقسام الأخرى في القرآن الأمر فيها مؤكدٌ،كما في الآيات المذكورة أعلاه . أمّا في هذه الآية فهو غير مؤكد وغير متيقن؛ لذلك حذف حرف النفي، مع أنه أفاد النفي بالدلالة .

٥ـ وفي هذه الآية أيضا هذا هو الموطنُ الوحيدُ الذي استعمل معه الفعل (فتأ)، وهو أحد أربعة أفعال ناقصة يفيد معناها استمرار الفعل، وهي: (ما زال - ما برح- ما فتىء- ما انفك) .

ونجد أنّ (ما) في أول كل فعل هو حرف نفي، والأفعال تفيد النفي، فإذا دخل عليها حرف النفي عاد للإثبات؛ لأنّ: نفي النفي إثبات .

فلماذا اختار القران الفعل (فتأ) دون البقية، مع أنّ معناها متقارب، وهو الاستمرار؟

٦ـ فتأ: من معانيها في اللغة: نسي، يقال: فتأت عن الأمر إذا نسيته، ويأتي بمعنى (سكّن وأطفأ)، تقول: فتأتُ النارَ، أي: أطفأتها .

وفي هذا الموطن جمع كل المعاني، كيف؟

المفقود مع الأيام يُنسى ويُكف عن ذكره أو تسكنُ لوعة الفراق أو نار الفراق في نفس من فقد عزيزاً له، وهنا يعقوب عليه السلام لم ينس ذكر يوسف، ولم تسكن نفسه، ولم تنطفىء نار الحرقة على الفراق الموجودة في قلبه؛ فناسب اختيار هذا الفعل (فتأ)، ولو اختار غيره من الأفعال المرادفة للفعل (فتأ) لم تعطِ كل هذه المعاني الموجودة في الفعل (فتأ) .

لذا اختار الله سبحانه هذه الكلمة (تفتأ) دون أخواتها؛ لأنها أنسبُ فعلٍ يجمع المعاني الثلاثة المقصودة، إضافة إلى حذف حرف النفي الذي لا يدل على التوكيد؛ لأنّ الكلام في الآية غير متيقن، والله أعلم .

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿ حَرَضًا﴾ ما كلمات منظومة اللاشيء في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧ .



﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

لفظة ﴿وَحُزْنِيٓ﴾ في الآية إحدى كلمات منظومة الحزن في القرآن، فما كلمات تلك المنظومة؟

الجواب :

منظومة الحزن والضيق هي :

الحزن ـ الضيق ـ الحسرة ـ الأسف ـ الابتئاس ـ الهم ـ الغم ـ النكد ـ الأسى ـ الكرب.

الحزن :

هو أعم من أي كلمة أخرى في هذا المجال، وهو عندما يغلب على مشاعرك شيء تكرهه وتأسف على ما فات فأنت تحزن.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[طه:٤٠].

ـ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

والحزن أنواع منها :

الضيق :

كأن تكون أمامك مهمة أو هدف، لكنّ بعض الظروف أو الأشخاص يحولون بينك وبين تحقيق الهدف، فيصيبك ضيق.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل:١٢٧].

ـ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[النمل:٧٠].

الحسرة :

كانت أمامك فرصة سهلة عظيمة، ثم لم تأخذها لتقصير منك أو تخلفك عنها فتشعر بالحسرة، ولا حسرة مثل حسرة الكفار يوم القيامة؛ إذ كانت فرصة الإيمان أمامهم سهلة في الدنيا فلم يغتنموها، وجاء في الحديث:[**أنّ أهل الجنة يتحسرون على كل ساعة من حياتهم لم يذكروا الله فيها لما يرونه من نعيم الله**].

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[مريم:٣٩] .

ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾[الحاقة:٥٠] .

الأسف :

هو كل حزن عميق مهم، وهو حزن يبعث على الغضب، ويثير الحزنُ في نفسك الغضبَ وحبَ الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه صار غضباً، ومتى كان على من فوقه صار حزناً.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزُّخرُف:٥٥].

ـ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٤] .

الابتئاس :

هو كل ما كان ناجماً عن البأساء من فقر أو مرض أو قهر عدو، وقد يؤدي ذلك عند الشدة إلى الانهيار.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾[يوسف:٦٩].

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود:٣٦] .

الهمّ :

هو الحزن على عدم قدرتك على مهمة عظيمة، والهم يذيب قلب المهموم ويُضعفه؛ لأنه يطول.

فالحزن قد يكون ساعة، والأسف قد يكون يوماً، والحسرة قد تكون أياماً، أمّا الهم فيطول .

ومن ذلك هم أولادك الصغار حتى يكبروا ويتعلموا ويتزوجوا وينجبوا ويعملوا، فهو هم طويل .

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾[آل عمران:١٥٤] .

ـ وفي الحديث: «**إنّ من الذنوب ذنوباً لا يغفرها إلا الهم للعيال**».

الغم :

هو الحزن الذي تشعر به وأنت في محنة تظن أنها مُهلكة، أو كُربة قد تقضي عليك فيسمى غماً.

* شواهد قرآنية :

- ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[الأنبياء:٨٨].

النكد :

هو الحزن الناجم عن خيبة الأمل، أو هو الذي يكون جُهده لا يأتي إلا بمردود ضعيف جداً.

* شواهد قرآنية :

- ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ﴾[الأعراف:٥٨].

الكرب :

هو الغم الشديد، والكُربة كالغُمة، وأصل ذلك من (كَرَب الأرض)، وهو قلبها، أو من الكَرَب، وهو العقدة الغليظة في رشا الدلو.

* شواهد قرآنية :

- ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ ﴾[الصافات:٧٦] .

البث :

بث النفس ما انطوت عليه من الغم .

* شواهد قرآنية :

- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾[يوسف:٨٦].

السؤال الثاني :

كم مرة ورد موضوع الشكوى في القرآن كما في هذه الآية ﴿أَشْكُواْ﴾؟

الجواب :

وردت الشكوى مرتين في القرآن في قصة يوسف عليه السلام، وفي قصة خولة بنت الأزور.

ونلاحظ من الآيتين الأمور التالية :

١ـ أنّ الشكوى موجهة إلى الله فقط .

٢ـ آية المجادلة نَسبت لخولة فعلين: الأول الجدال، وقد كان مع الرسول ﷺ ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾ والفعل الثاني: الشكوى، ووجهتها إلى الله.

٣ـ لا بدّ من سماع الشكوى من الشاكي وحل مشكلته، والله سمع شكوى خولة وقدّم لها الحل، وقد أشارت الآية إلى ذلك ثلاث مرات ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ بصيغة الماضي و ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ﴾ بصيغة المضارع و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ بصيغة المبالغة، وقد ورد لفظ الجلالة في هذه الآية أربع مرات؛ لأنّ السياق في تعظيم الله سبحانه.

٤ـ هذا لا يمنع من إخبار الآخرين بمشكلة الإنسان وإسماعهم شكواه، لكنْ عليه الاعتقاد بأنّ البشر أسباب فقط، وأمّا المسبب الحقيقي فهو الله تعالى فقط.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ
فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمة ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ و ﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾؟ وما المقارنة في ذلك في آية يوسف ٨٨ ،وآية الأحزاب ٣٥ وآية الحديد ٣٥؟

الجواب :

أولاً ـ الأصل في كلمة (المصّدقين) هي (المتصدقين)، وأبدلت التاء إلى صاد، ويجوز إبدال التاء مع الدال والصاد، وكلمة (المصّدقين) فيها تضعيفان في الصاد والدال، أمّا (المتصدقين) ففيها تضعيف واحد في الدال فقط، والتضعيف يفيد المبالغة والتكثير مثل كسر وكسّر، لذلك (المصّدقين) فيها التكثير من الصدقة أكثر من المتصدقين .

ثانياً ـ قال في آية يوسف: ﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ وفي آية الأحزاب﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، بينما في آية الحديد ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ [الحديد:١٨] بالإبدال والإدغام، وذلك :

١ ـ قال في آية يوسف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لأكثر من سبب :

ـ مناسب لقوله: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ .

ـ أنهم طلبوا التصدق عليهم ولم يطلبوا أنْ يبالغ لهم في الصدقة، وذلك من حسن أدبهم .

ـ لو قال: (إنّ الله يجزي المصّدقين) لأفاد أنّ الله يجزي المبالغين في الصدقة دون من لم يبالغ، وهذا غير مراد الله فإنّ الله يجزي على القليل والكثير، وهو يجزي المتصدق والمصّدق.

٢ ـ ما ورد في آية الأحزاب جاء بها على الأصل من غير إدغام؛ وذلك للتفصيل في الصفات وتعدادها والإطالة في ذكرها، فناسب الفك؛ وليشمل عموم أصحاب الصدقة.

٣ ـ أمّا في آية الحديد فقد ذكر المبالغين في الصدقات، وذكر أنه يضاعف لهم ولهم أجر كريم، وذكر من بالغ في الصدقة في سورة الحديد؛ لأنه تكرر فيها ذكر الإنفاق والنهي عن البخل، فناسب ذكر المبالغة في الصدقة، انظر الآيات[٧-١٠-١١-١٨].

بينما لم يرد ذكر للإنفاق والصدقات في سورة الأحزاب على طولها (٧٣)آية عدا هذه الآية ٣٥ التي جمعت عددا من صفات أهل الإيمان، وقوله مخاطباً نساء النبي: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[الأحزاب:٣٣] فناسب ذكر المبالغين في الصدقات في الحديد دون الأحزاب . والله أعلم.

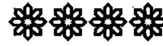
السؤال الثاني :

قال: ﴿وَتَصَدَّقۡ﴾ ولم يقل: اصّدق، فلماذا؟

الجواب :

١ـ لم يقولوا ليوسف: اصّدق علينا، بل قالوا: تصدق علينا؛ لأنّ فعل (اصّدق) أكثر من تصدق، والمصّدقون أكثر صدقة من المتصدقين، حيث يحتوي الفعل على حرفين مشددين لبيان المبالغة في التصدق، وهم يطلبون منه الصدقة وهم في حالةِ ضرٍّ ـ هم وأهلهم ـ فلم يناسب ذلك أنْ يطلبوا الكثير أدباً منهم؛ بل طلبوا القليل (تصدق) .

٢ـ ولذلك كان الدعاء له من نفس الطلب؛ فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ .



﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة في ذكر ﴿وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ في الآية ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾[يوسف:٩٠] مع أنّ إخوة يوسف يعرفون أخاهم بنيامين؟

الجواب:

يعني هذا أخي عرفته كما عرفتكم، وأنتم لم تعرفوني . ولا تتصوروا أنكم خدعتموني، فأنا عرفته وهو أخي فعلاً. ولو جاءوا بشخص آخر ليأتوا بحمل بعير كان ممكناً أن يفعلوا هذا، لكنه لن ينطلي على يوسف؛ لأنه يعرفه كما عرف إخوته.

﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِن﴾ بالتخفيف، وفي الآية ٩٧ قال: ﴿إِنَّا﴾ بالتشديد، فلماذا اختلاف مستوى التوكيد في الآيتين؟

الجواب :

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال، فيقول: (إنْ) مع التخفيف، و(إنّ) مع زيادة التوكيد .

آيات يوسف ٩١ـ٩٢:

ـ ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

آيات يوسف ٩٧ـ٩٨:

ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾

البيـــان :

الكلام في الآيتين ٩١و٩٢ موجهٌ من إخوة يوسف إلى أخيهم يوسف، وفي الآيتين ٩٧ و ٩٨ موجه إلى أبيهم، فقالوا لأخيهم: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ بإنْ المخففة ولأبيهم ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ بالمشددة.

قد يتبادر إلى الذهن أنه كان ينبغي أنْ يكون التعبير بالعكس، حيث إنهم أساؤا إساءة مباشرة إلى أخيهم يوسف، غير أنك إذا أنعمت النظر وجدت أنّ الطريقة التي استعملها القرآن هي المثلى، فإنّ أخوة يوسف لمّا رأوا أباهم وما حل به من جراء فعلتهم من الوهن واللوعة وحرقة الفؤاد وذهاب بصره من الحزن دعاهم ذلك إلى توكيد الاعتذار والاعتراف بالخطيئة، بخلاف حالة أخيهم، فإنّ الله أكرمه بعدهم وبوأه مكانة عالية ومكّن له في الأرض، وكأنّ فعلتهم تلك عادت عليه بالخير وبالرفعة بعكس ما جرى على أبيهم .

والذي يدل على ذلك السياق القرآني، فإنّ يوسف دعا لهم بالمغفرة من دون أن يسألوها منه: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وأمّا أبوهم فلم يستغفر لهم مع طلبهم الاستغفار، وإنما وعدهم بالاستغفار ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ثم انظر كيف جاء بـ(سوف) لا بالسين، و(سوف) أبعد في الاستقبال من السين، مما يدل على عمق الأثر في نفسه .

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿ءَاثَرَكَ﴾ ما الفرق بين الإيثار والاختيار؟

الجواب :

١ـ الإيثار: هو الاختيار المقدّم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: قدّم اختيارك علينا، أو فضّلك الله علينا ولفظة ﴿ءَاثَرَكَ﴾ أي فضّلك.

ثم اتسع في معنى الاختيار فقيل لأفعال الجوارح اختيارية تفرقة بين حركة البطش وحركة المرتعش.

٢ـ الاختيار: هو إرادة الشيء بدلاً من غيره، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان:٣٢] أي اخترنا إرسالهم، وتقول في الفاعل: مختار لكذا، وفي المفعول: مختار من كذا .



﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول :

كلمة ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ تفيد رفع الحرج، فما منظومة كلمات رفع الحرج أو رفع المسؤولية التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨ .

السؤال الثاني :

كلمة ﴿يَغْفِرُ﴾ما منظومة كلمات الغفران والصفح التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

هذه المنظومة هي أمل كل المؤمنين الموحدين لله؛ لأنّ طموح كل مؤمن أنْ يلقى الله وليس عليه ذنب ـ اللهم اجعلنا منهم ـ آمين .

التوبة : شرع الله التوبة أولاً، ثم يتوب العبد، ثم يتوب الله عليه . قال تعالى ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ الفرقان ٧١ .

المغفرة : هي التجاوز عن الذنب في الظاهر، وقد يبقى في الباطن ويحاسب عليه يوم القيامة . قال تعالى ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ البقرة ٢٨٦.

العفو : هو التجاوز عن الذنب ظاهراً وباطناً، وهو مرتبط بشروط معينة، كأنْ يكون موقفك سلبياً من الأمانة والرحم . قال تعالى ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾ البقرة ١٠٩ وقال تعالى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النور٢٢.

الصفح : بعد أنْ تاب العبد ثم غفر له ثم عُفي عنه، تأتي المرحلة الأجل، وهي أن يُصفح عنه فلا يُعير بذنوبه، فالصفح يأتي بعد العفو . قال تعالى ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ يوسف ٩٢ .

تكفير الذنوب : تكفير الذنب يغطي على الذنب، كأنْ تكون أسأت إلى أحد ثم تغرقه بفضلك حتى تكفر عن ذنبك، ومنها كفارة اليمين وسائر الكفارات . قال تعالى﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هود ١١٤ .

الحط والوضع : هو عدم حساب الذنب ذنباً، والحط والوضع كلٌّ منهما إلغاء كون المذنب مذنباً من حيث الأثر، وهذه منة عظيمة من منن الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ الشرح ٢ . وفي الحديث النبوي الكريم: [**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حُطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**].

التجاوز والتبديل : الله سبحانه غفور رحيم، وكونه رحيماً بعد المغفرة لا يكتفي بالتجاوز عن الذنب وإنما يبدله حسنات، وهذا من آثار المغفرة؛ لأنّ كرم الله تعالى لا تدركه عقولنا .

قال تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ الفرقان ٧٠ .



﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾ ما الفرق بين [ارجعوا واذهبوا]؟ وما دلالة استخدام صيغة الجمع مرة ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ والمفرد مرة ﴿أَبَاكُمْ﴾ ؟

الجواب :

١ـ لو قال: ارجعوا بقميصي كان معناه أنّ القميص كان مع الشخص المخاطب، مثل قوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل:٢٨]؛ ولذلك لو قال: ارجعوا بالقميص يعني احتمال أنّ القميص كان معهم، لكنّ القميص لم يكن معهم، فقال: اذهبوا بقميصي.

لذلك في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾؛ قال: اذهبوا بقميصي حتى لا يوهم أنّ القميص كان معهم، فقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾؛ لأنّ الذهاب به ليس معناه أنه كان معهم، أمّا (ارجعوا به) فمعناه أنه كان معهم.

٢ـ كلمتا: (قميصي وأبي): هناك تعاطف بينهما حتى يعود بصيراً، ولو لم تكن هذه العلاقة كيف يرجع بصيراً؟

علاقة التعاطف في الآيتين ٨١و٩٣ تظهر في أنه لمّا قال: (ارجعوا) قال: (أبيكم)، ولمّا قال: بـ(قميصي) قال: أبي، نفس الضمير(قميصي – أبي) (ارجعوا – أبيكم)، فهو تناسب دقيق.



﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ ولم يقل: جاء البشير، فما دلالة زيادة (أنْ)؟

الجواب :

زاد ﴿أَن﴾ بعد (لمّا)؛ وذلك لمناسبة حالة الانتظار والترقب التي كان يمر فيها نبي الله يعقوب عليه السلام، فقد كان شديد اللهفة على رؤية ولده، ومن المعلوم أنّ الشخص في مثل هذه الحالة يستطيل كل لحظة تمر به، ففصل بين (لمّا) ومجيء البشير وباعد بينهما إشارة إلى الشعور باستطالة الوقت وطول الوقت.

وذكر الرافعي أنّ المراد بذلك هو تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف ومجيئه ليعقوب، وأنّ ذلك كأنه كان منتظراً بقلق واضطراب، يؤكدهما ويصف الطرب لمقدمه واستقراره سكون النون في الكلمة الفاصلة ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن جَآءَ﴾.

لذلك ﴿أَن﴾ هنا للإطالة، ويقولون للتوكيد، لكنّ التوكيد له مواطن عندهم. والقياس أن تُزاد (أنْ) بعد (لمّا)، فإنْ شئت أنْ تأتي بها فلا حرج، ويقولون: إنها زائدة، والزيادة للتوكيد في الغالب، فالزيادة لها أغراض، فقد تكون تزيينية أو زيادة لازمة أو تكون لأمور أخرى، منها التنصيص على معنى معين، وهي كلها أمور نحوية.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (يأت ويرتد) في آيتي سورة يوسف ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف:٩٣] ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف:٩٦]؟ وما علاقة الفعلين مع الفعل (رجع)؟

الجواب :

١ـ الفعل (يأتي) من أتى، (يأتي) هي في الأصل بمعنى (جاء)، مع فارق بين المجيء والإتيان . أتى: الهمزة والتاء والألف: التاء حرف مهموس . جاء: الجيم انفجاري، مجهور، قوي.. فالإتيان أخف من المجيء، والمجيء يحتاج إلى قوة و إلى جهد. وفي قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾ [يوسف:٩٣] القميص قميص يوسف، وبعض الناس يكون له رائحة معينة،يكتسبها من رائحة جسمه فيمكن لأولاده مثلاً أنْ يعرفوا أنّ هذا القميص لفلان من رائحته، والمطلوب هو: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٣] وإذا ألقوه على وجهه سيكون بصيراً، وسيأتي إليّ في هيئة مبصرة. ويقوّي هذا المعنى أنه يراد به المجيء إليه؛ لأنه قال بعد ذلك: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ﴾[يوسف:٩٣]فعطف عليه (أتوني)، ومعناه أنه سيأتي إليّ مبصراً.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾[يوسف:٩٦] وجاء بكلمة (جاء)؛ لأنه بذل جهداً في المسير، فمجيء هذا البشير كان فيه جهد، حتى يأتي إلى والد يوسف مسرعاً، وبذل جهداً في السرعة ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ﴾كأنه يدخل عليها الاستقبال فوصل وأدخلها على الماضي.

٢ـ ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٦] (ارتد) بمعنى رجع إلى حاله الأولى، أي: رجع مبصراً، فالفاعل هو سيدنا يعقوب. فالردة هي العودة إلى الحال الأول، أي: رجع إلى ما كان عليه من الإبصار.

ومنه المرتدون؛ لأنهم رجعوا عن الإسلام إلى الكفر وإلى ما كانوا عليه.

٣ـ هنا قد يقول قائل: ما الداعي؟ كان من الممكن أنْ يدعو يوسف عليه السلام الله تعالى أنْ يعيد البصر إلى أبيه؛ لأنّ القميص لا يؤدي شيئاً وليس فيه علاج، لكنْ كأنّ القرآن الكريم يريد أنْ يعلمنا من تصرفات هؤلاء الأنبياء أنّ الأمور ينبغي أنْ تكون بأسبابها، وأنْ تكون هنالك مادة معينة كأنها علاج حتى لا يجلس الإنسان وهو مريض؛ لأنّ الرسول ﷺ قال: «**تداووا فإن الله سبحانه وتعالى ما جعل داء إلا جعل له دواءً إلا الهرم**» حتى لا يتكل الإنسان ويقول: إنّ الله تعالى هو الذي يشفيني. وصحيح أنّ إبراهيم عليه السلام قال عن ربه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء:٨٠] والمعنى هو يشفيني بسببٍ من الأسباب كما أنه شفى يعقوب بسبب قميص يوسف ابنه .

٤ـ واللافت للنظر في هذه الآية الكريمة ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[يوسف:٩٦] فلدينا (أتى وجاء وارتد) كلها ربما تدور في فلك دلالي واحد بمعنى الحضور أو الإتيان، مع أنّ الفاعل واحد في حالتين وهو مع سيدنا يعقوب عليه السلام. فلماذا ثبت الفاعل وتغير الفعل؟

والجواب :

﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾؛ لأنّ فيه معنى المجيء الذي لم يشأ أنْ يجعل فيه قوة أو جهداً أو تعباً كأنه يريد منهم ألا يتعبوه، أي: يأتي بصيراً.

وقوله تعالى: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ﴾ أي: تأتونا بهيئة الذي لا يجهد نفسه ويتعب، لأنّ أتى وجاء معناهما متقارب، لكن المجيء فيه جهد. والله أعلم.

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال السين وسوف وكلاهما حرفا استقبال وتوكيد؟

الجواب :

السين وسوف حرفا استقبال وتوكيد، وكلمة (سوف) تدل على البعد وتدل كذلك على الصبر .

والاستعمال القرآني لحرفي الاستقبال يدل على أنّ (سوف) أكثر توكيداً من (السين)؛ وذلك ربما لزيادة حروفها .

ومن خصائص الاستعمال القرآني :

١ ـ يستعمل القرآن (السين) للقريب وفي مقام الإيجاز أو إظهار شدة القرب، نحو: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدّثر:٢٦-٢٧].

٢ ـ ويستعمل (سوف) للبعيد وفي مقام الإطالة وشدة التوكيد، نحوقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أعطاهم وعداً أطول ﴿سَوْفَ﴾ مناسباً لما فعلوه به وبأخيهم يوسف، فهو وعدهم بالاستغفار في المستقبل حين طلبوا منه ذلك .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين استغفار يوسف لإخوته، واستغفار يعقوب لأبنائه في سورة يوسف في الآيتين (٩٢) و (٩٨)؟

الجواب :

١ـ الآية ٩٢: هي على لسان يوسف عليه السلام، والآية ٩٨: هي على لسان يعقوب عليه السلام.

٢ـ مع يوسف عليه السلام فإنّ إخوته لم يسألوه المغفرة، وإنما هو الذي دعا لهم بالمغفرة دون أنْ يسألوه، حتى إنهم لم يذكروا الخطيئة التي ارتكبوها بحق يوسف كما فعلوا مع أبيهم، وإنما ذكروا في الآية ٩١: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ وجاءوا بـ (إنْ) المخففة.

٣ـ وأمّا مع أبيهم فقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف:٩٧] ـ وجاءت ﴿إِنَّا﴾ مشددة، ويعقوب عليه السلام لم يستغفر لهم ولكن وعدهم بالاستغفار؛ لأنّ فعلتهم مع يوسف لم تكن عاقبتها على يوسف وإنما على أبيهم حيث أُصيب بالعمى والأسى؛ ولذا أجّل الاستغفار في قوله: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ وقيل: أجّله لوقت السحر حيث الإجابة أكثر، والله أعلم.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ
مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ
الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعبيرات: الاجتهاد/ التأويل/ التفسير؟

الجواب:

١ـ الاجتهاد: هو بذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحكم الشرعي في طلب الأمر، مثل قضية تعرض للفقيه الذي يفتي بها فيردها عن طريق القياس إلى الكتاب والسنة ولا يقول من رأيه، ويقول بعدها: أنا اجتهدت، وللاجتهاد شروط.

٢ـ التأويل: هو نقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى، مثل سورة النصر تأويلها عند ابن عباس رضي الله عنه أنها نعي لرسول الله ﷺ، فهذا أمر غير مصرح به في الآية، وإنما ينقله إلى معنى آخر لسبب من الأسباب.

وتأويل الأحلام يسمى تأويلاً، نحو آية يوسف ١٠٠، حيث أوّل الشمس والقمر إلى الأبوين.

٣ـ التفسير: كشف المراد عن اللفظ، أي: تفسير عبارة غير واضحة لشخص تفسرها له.

بالطبع هناك ضوابط لكل واحد من هذه التعبيرات، ومن أولها: التبحر في علم اللغة، وكذلك التبحر بالعلم الشرعي المتعلق بالحديث والسنة وأسباب النزول وغيرها . والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿نَزَغَ﴾ما الفرق بين (نزغ) و(وسوس)؟

الجواب :

١ـ النزغ: هو الإفساد بين الأصدقاء وبين الإخوان وبين الناس وهو خاص، كما في آية يوسف ١٠٠، حيث حاول إخوته أنْ يقتلوه .

والنزغ هو الإغواء بالوسوسة وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل: أصله للإزعاج بالحركة إلى الشر.

٢ـ الوسوسة: هي عامة، فالشيطان يزين للمرء أمراً لفعل المعصية، وأصل الوسوسة الصوت الخفي، وكل صوت لا يُفهم يقال له: وسوسة، وأحياناً يكون مسموعاً، كما وسوس الشيطان لآدم باللسان، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠] فسماها القرآن وسوسة، وكلمة الوسوسة فيها هدوء وخفية وفيها تكرار مقطع (وس)، فهي مرتبطة بكلام سيىء.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (١٠١)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾؟

الجواب :

قوله تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (١٠١)﴾

فقد جمعت هذه الدعوة: الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه والبراءة من مُوالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجلّ غايات العبد، وأنّ ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء.



﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية بين قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ في آية يوسف ١٠٢ وبين قوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ في آية هود ٤٩؟

الجواب :

كلمة (القَصَص) ـ بفتح القاف ـ مذكر مثل كلمة: عدد، وهي ليست جمع قصة، وإنما القَصص بمعنى السرد، أي: اسم المفعول، أي: المقصوص .

في سورة يوسف هي قصة واحدة فجاءت الآية ١٠٢ باستخدام ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مفرد.

وفي سورة هود جاء فيها مجموعة من قصص الأنبياء؛ فاقتضى أن تأتي ﴿تِلْكَ﴾مشاراً بها إلى الجمع.



﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين التعبيرين ﴿أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ و ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾،كما في آية الحج ١٨ ؟

الجواب :

(أكثر): صيغة اسم تفضيل، و(كثير) صفة مشبهة، كأنْ تقول: جماعة كثيرة، لكن ليسوا هم الأكثر، الأكثر أكثر من كثير .

والناس في آية يوسف هم جميع البشر فهم الأكثر، لكنّ المؤمنين كثير لأنهم جزء منهم.

والآية بدأت بالكفار؛ لأنهم الأكثر، ثم بالأقل وهم المؤمنون . والله أعلم.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول :

قال في آية الأنعام ٩٠ ﴿أَجْرًا﴾ وفي آية يوسف ١٠٤ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، فلماذا؟

الجواب :

١ـ من ناحية الحكم النحوي: فإن تعبير ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ آكد من تعبير ﴿أَجْرًا﴾ لأن من هنا استغراقية مؤكدة، فاستغرق أي أجر مهما يكن.

٢ـ من الناحية البيانية :

أ ـ آية الأنعام: هي آية واحدة لا غير وليست في التبليغ والدعوة إلى الله.

ب ـ آية يوسف: وما سبقها وتلاها عدة آيات في الدعوة والتبليغ إلى الله.

٣ـ نلاحظ ما يلي :

أ ـ آية الأنعام: جاء فيها كلمة ﴿ذِكْرَىٰ﴾ وهي من التذكر.

ب ـ آية يوسف: جاء فيها كلمة ﴿ذِكْرٌ﴾، وتعني الشرف والرفعة.

كما أنه تقدم في الأنعام قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ فناسب في آية الأنعام ٩٠ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

لذلك فإنّ الصيغة المؤكدة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ الاستغراقية تناسب آية يوسف للأسباب المبينة أعلاه.

فوضع الصيغة المؤكدة في مكانها والأقل توكيداً في مكانها . والله أعلم.

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن﴾ ما الفرق بينها وبين ﴿كَمْ﴾؟

الجواب :

(كم) كناية عن العدد المبهم تقع على القليل منه والمتوسط والكثير، وهي على قسمين:

١ ـ استفهامية: نحو: كم درهماً عندك؟ ولا تحتمل الصدق والكذب.

٢ـ خبرية: وتكون بمعنى كثير، وسميت خبرية؛ لأنها تحتمل الصدق والكذب، نحو: كم رجلٍ أكرمت؟ وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾[الدخان:٢٥] .

وأمّا (كأين) فمركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة، ثم حصل لهما بالتركيب معنى ثالث لم يكن لكل واحد منهما في حال الإفراد.

وهي تفيد التكثير مثل كم الخبرية، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مع (من) كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[آل عمران:١٤٦].

والذي يبدو أنها تستعمل في القرآن الكريم في مواطن التفخيم والتعظيم إضافة إلى التكثير.

ومعنى الآية: كم من آية تدعو إلى التأمل والإيمان يمرون عليها وهم معرضون عنها، وهذه الآية (يوسف ١٠٥) جاءت بعد قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٢-١٠٣]

أي: أنّ هذه القصص من أنباء الغيب لا تعلمها أنت ولا قومك، وهو دليل ظاهر على نبوتك، ولكنْ مع ذلك لم يؤمنوا، وهذا شأنهم أيضاً مع آيات الله الكونية في السماء والأرض، فهذا موضع تفخيم وتعظيم.



﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ذكر الياء في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ ولم يذكر الياء في ﴿ٱتَّبَعَنِۗ﴾ في آية آل عمران رقم ٢٠، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر آية آل عمران رقم ٢٠ لمعرفة الجواب.



﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ﴾ في هذه الآية وآية الحج ٤٦، بينما قال: ﴿أَوَلَمْ﴾ في آيات الروم ٩ـ فاطر ٤٤ـ غافر ٢١ـ فلماذا؟

الجواب :

القاعدة: في كل موضع يكون ما قبله سبباً لما بعده كان بـ(الفاء) السببية، وإنْ لم يكن سبباً لما بعده كان بـ(الواو) العاطفة؛ لأنها تعطف جملة على جملة، والسياق يبين الموضوع، فمثلاً :

١ـ آية يوسف١٠٩ : لمّا تقدمها ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ قال: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: فينظروا ويسمعوا أخبار الرسل وما جرى على من كذّبهم.

٢ـ آية الحج ٤٦ : لمّا تقدمها ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾[الحج:٤٥] قال: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ليتدبروا أحوال الماضين منهم .

٣ـ قوله تعالى في آية الروم ٩: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ استخدم العطف لعدم وجود سبب سابق .والله أعلم .

السؤال الثاني :

ذكر في آية يوسف ١٠٩ ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾ وحذف (من) من آيات الأنبياء[٧ـ الدخان٤٨]، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

آية يوسف ١٠٩: ذِكْرُ (مِنْ) تفيد الابتداء، أي: ابتداء الغاية وهو امتداد الزمن من زمن النبي محمد ﷺ إلى زمن آدم، وليس هناك فاصل .

آية الحج ١٩ : ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ تفيد أنه ليس هناك فاصل بين الرأس والصب حتى لا تضيع أية حرارة؛ لأنّ المطلوب أن يصهر به ما في بطونهم.

آية الزمر ٧٥: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ تفيد أنه ليس بين الملائكة وبين العرش فراغ.

وهذا الذكر والحذف يعتمد على سياق الآيات، فإذا كان السياق ممتداً يأتي بـ(من)، وإذا كان السياق لفترة محددة لا يأتي بها .

آية الأنبياء ٧ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ بدون (من)؛ لأنها تحتمل القريب والبعيد.

آية الدخان ٤٨ ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾ العذاب أخف من الأول ﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ﴾ [الحج:١٩] في سورة الحج.

السؤال الثالث :

قال في يوسف: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وقال في آية الأعراف ١٦٩ ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾، فلماذا؟

الجواب :

انظر تفسير الآية ١٦٩ من سورة الأعراف.



﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ ؟

الجواب :

١ـ استيأس بمعنى يئس، لكنْ فيه الشدة، أي بلغوا درجة أكثر من اليأس .

٢ـ هناك قراءة أخرى (كُذّبوا) بالتشديد.

٣ـ أشهر قولين في تفسير هذه الآية هما :

أ ـ حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، ولم تنزل العقوبة على قومهم، وظن القوم أنهم قد كُذبوا بما أخبر به رسلهم وبما حذروهم من العذاب، ويؤيد هذا الرأي أمران :

ـ قراءة (كُذّبوا) بالتشديد، أي: الرسل كذّبوا.

ـ السياق العام في الآية في عدم إيمان الأقوام.

ب ـ أنّ أتباع الرسل وُعِدُوا على لسان رسلهم بالنصر والتمكين، لكن تأخر النصرعليهم وطالت عليهم المحنة وهم يعذبون ويفتنون حتى ظنوا ذلك وبلغ الحال منهم ما بلغ، عند ذاك جاء النصر للرسل.

والقراءة الأخرى (كذّبوا)، وسياق الآية يرجح الرأي الأول . والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ولم يقل (أتاهم)، فما الفرق بين (جاء) و(أتى) في القرآن الكريم؟

الجواب :

في القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة وشدة، ويستعمل (أتى) لما هو أخف وأيسر .

وهنا في الآية الحالة أشق فيها شدة كبيرة، وقد بلغ الرسل درجة من أصعب درجات اليأس.

انظر تفسير الآية ٣١ من سورة الأنعام.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿فَنُجِّىَ﴾ ما تعليلها اللغوي؟

الجواب :

كلمة ﴿نُـجِى﴾ ﴿فَنُجِّىَ﴾ في آيتي الأنبياء ٨٨ ويوسف ١١٠ قرأهما معظم القراء بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، وقرأهما بعضهم بنون واحدة.

وقد علل علماء السلف حذف صورة النون الثانية، إنْ لم تكن قد كتبت على القراءة الأخرى، بأنها لمّا كانت ساكنة وتلاها الجيم فإنها تخفى، فلمّا خفيت حُذفت.



رابعاً ـ تناسب افتتاح سورة يوسف مع خاتمتها

١ ـ قال سبحانه في أول السورة:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف:٣].

وقال في آخرها :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[يوسف:١١١].

٢ ـ وذكر الوحي إليه في أول السورة وآخرها .

فقال في أول السورة: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾[يوسف:٣].

وقال في أواخرها: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ ﴾[يوسف:١٠٢].

وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ ﴾[يوسف:١٠٩].

٣ ـ قال في أول السورة: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف:٣]

أي إنك كنت من قبل هذا القرآن غافلاً و (إنْ) مخففة من الثقيلة، فذكر أنه كان غافلاً.

وقال في أواخرها: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ ﴾[يوسف:١٠٨].

فذكر أنه كان غافلاً ثم بعد الوحي إليه أصبح على بصيرة يدعو إلى الله سبحانه.

فكانت المناسبة من أكثر من جهة كما هو ظاهر.والله أعلم.



سورة الرعد

أولاً ـ تناسب خاتمة يوسف مع فاتحة الرعد:

١ ـ قال في خاتمة سورة يوسف:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

وقال في أول سورة الرعد:

﴿المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [الرعد:١].

فقد قال في آية يوسف: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف:١١١].

وقال في آية الرعد: ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد:١].

٢ ـ وقال في آية يوسف: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

وقال في آية الرعد: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [الرعد:١].

فكأنها تعقيب على آية يوسف.

٣ ـ قال في خواتيم سورة يوسف:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف:١٠٥].

وذكر كثيرًا من آيات السماوات والأرض في مفتتح سورة الرعد ابتداء من قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد:٢-٣-٤].

فالمناسبة ظاهرة.

جاء في «روح المعاني»: وجه مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه قال فيها تقدم ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ۝١٠٥﴾ [يوسف:١٠٥] فأجمل سبحانه الآيات السماوية والأرضية، ثم فصّل جل شأنه ذلك هنا أتم تفصيل.

وجاء في «نظم الدرر»: لما ختم التي قبلها ـ يعني سورة يوسف ـ بالدليل على حقية القرآن، وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون بعد أنْ أشار إلى كثرة ما يحسونه من آياته في السماوات والأرض مع الإعراض، ابتدأ هذه بذلك على طريق اللف والنشر، فقال: ﴿تِلۡكَ﴾ أي الأنباء المتلوة والأقاصيص المجلوة المفصلة بدُرّ المعاني وبديع الحكم... آيات. والآية: الدلالة العجيبة في التأدية إلى المعرفة.

ثانياً ـ هدف السورة: قوة الحق وضعف الباطل:

سورة الرعد من السور المدنية التي تقرر وحدانية الله تعالى والرسالة والبعث والجزاء.

وتدور السورة حول محور مهم، وهو أنّ الحق واضح بيّن راسخ وثابت، والباطل ضعيف زائف خادع مهما ظهر وعلا على الحق ببهرجهه وزيفه. وعلينا أنْ لا ننخدع

ببريق الباطل الزائف؛ لأنه زائل لا محالة ويبقى الحق يسطع بنوره على الكون كله. وعرضت السورة للمتناقضات الموجودة في الكون في آيات عديدة حتى الرعد هو من هذه المتناقضات؛ لذا ورد ذكره في السورة وسميت السورة به.

ولقد سميت السورة (سورة الرعد) لتلك الظاهرة الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله تعالى وسلطانه، وهذا الرعد جمع النقيضين فهو على كونه مخيفاً في ظاهره، إلا أنه فيه الخير كله من الماء الذي ينزل من السحاب الذي يحمل الماء والصواعق وفي الماء الإحياء وفي الصواعق الإفناء والهلاك، وقد قال القائل:

جمعُ النقيضين من أسرار قدرته   هذا السحاب به ماءٌ به نار

وتسير الآيات في السورة على النحو التالي:

* الكتاب: تبدأ السورة بقضية الإيمان بوجود الله ووحدانيته، ورغم سطوع الحق ووضوحه كذّب المشركون بالقرآن وجحدوا وحدانية الرحمن.: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾[الرعد:١] .

* مظاهر الحق في الكون: جاءت الآيات تقرر كمال قدرة الله وعجيب خلقه في الكون كله وكيف يدبر الأمر ويفصل الآيات ويمد الأرض ويغشي الليل النهار، فالله هو الحق وقرآنه حق واتّباعه حق، وبعد إظهار كل هذا الحق يشكك المشركون بالبعث بعد الموت، فليتفكروا في عظيم خلق الله في الكون: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ

ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾

* المتناقضات الموجودة في الكون:

جمعت الآيات (٣٢) متناقضاً في الكون، وعلينا أنْ نفكر أنّ الذي جمع كل هذه المتناقضات هو الحق، ولا يتم ذلك إلا بإرادته سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾[الرعد:٨]: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠﴾[الرعد:١٠] الآيات[٨ – ١٠ – ١٢– ١٥ – ١٦ – ١٧ – ٣٩]وحتى الرعد فيه متناقضات أنه موجب وسالب، وأنه على ظاهره المخيف يحمل الخير والمطر الذي ينبت الزرع ويسقي الناس والبهائم.

* الكون والقرآن: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾[الرعد:٣١] القرآن هو الوحيد في الكون الذي يمكنه أنْ يحرك الدنيا ويحرك الأرض والكون من عظمته وقوة الحق فيه، ولمّا وعى المسلمون السابقون هذا الأمر وصلت الأمة الإسلامية إلى أوجها وعمت الدنيا.

* قوة الحق: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾[الرعد:١٤] و: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ

بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد:١٧] الحق قوي له دعوة، والباطل زائف تماماً كالسيل يجرف معه على سطح الماء الأوساخ، وأمّا الذي يبقى وهو الطمي هو المفيد للزرع، وكذلك عندما يصفى الذهب تصعد الشوائب للأعلى ويبقى الذهب الخالص في الأسفل. وهذا إشارة إلى أنّ الباطل يكون على السطح؛ لأنه ظاهر، لكن الحق راسخ، وقد يكون غير ظاهر للوهلة الأولى.

* ختام السورة: تشهد للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة، وأنه مرسل من عند الله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣] .

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

على ماذا يعود الضمير في (ترونها) في آية سورة الرعد ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟

الجواب:

القدامى جعلوا فيها احتمالين:

قالوا: إنه يجوز أنْ تعود على العمد بمعنى (بغير عمد مرئية) .

ويجوز أنْ تعود على السماء بمعنى رفع السموات بغير عمد وهاأنتم ترونها مرفوعة بغير عمد.

فمن حيث التعبير يحتمل الاثنين، وهذا جائز من حيث اللغة، والفرّاء كان من اللغويين وليس من المفسرين، ومع هذا وضع الاحتمالين، فهي تجوز نحوياً وتُسمّى بالتعبيرات الاحتمالية، وقد يكون هناك غرض للاحتمال كما هناك غرض للتحديد.

نأتي الآن إلى الناحية العلمية ونسأل هل هناك عمد غير مرئية كالجاذبية أو غيرها؟ أو هناك أمور أخرى يمكن أنْ يذكرها لنا العلماء؟ الأفضل أنْ لا نفصل في الأمر إلا بعد أنْ يقول العلماء كلمتهم ويقطع العلم بأحد الشيئين، فالآية تحتمل المعنيين، فإذا قطع العلم بأحدهما آخذ به، والله تعالى أعلم إنْ كان هناك عمد غير مرئية، فهو سبحانه يفعل ما يشاء ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ سورة الحج آية ٦٥، وقد يضع أسباباً في خلقه، إذا أراد خلق السبب، وقد يكون أمسكها بدون عمد، والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال تعالى في آية سورة لقمان ١٠ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وفي آية الرعد٢، قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فما الفرق بين (رفع وخلق)؟

الجواب :

١ـ لو نظرنا في آية الرعد: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾[الرعد:١-٢] لمّا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ الإنزال إنما يكون من فوق، أي: من مكان مرتفع، فناسبها رفع

السموات، ثم ذكر أنه استوى على العرش ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾ العرش فوق السموات، إذن رفع السموات حتى تكون مرتفعة، ثم قال: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾، وهي من الأجرام السماوية، وهي مرتفعة، إذن يناسب رفع السموات.

٢ـ أمّا في لقمان فليس فيها شيء من ذلك، فبعد هذه الآية في لقمان قال: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [لقمان:١١] خلق الله مناسب لخلق السموات ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾.

٣ـ إذن السياق في الرعد يناسبه رفع السموات ،والسياق في لقمان يناسبه خلق السموات وبعدها ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ فكل تعبير في مكانه.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾

أ ـ كلمة ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ جاءت في القرآن بمعنى (النضج) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[القصص:١٤] أي: بلغ نضجه الكمالي.

كما جاءت بمعنى (صعد)، كما في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم:٦-٧] فالمقصود هو صعود محمد وجبريل عليهما السلام إلى الأفق الأعلى.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩] لكن يجب الانتباه إلى أنّ استواءه سبحانه ليس مساوياً لاستواء البشر؛ لأنه يجب أنْ نأخذ كل شيء بالنسبة لله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١].

ب ـ ورد ذكر العرش في القرآن الكريم بالنسبة لله (٢١) مرة، وورد بالنسبة لبلقيس أربع مرات في سورة النمل في الآيات:[٢٣ـ٣٨ـ٤١ـ٤٢] وورد في سورة يوسف مرة واحدة في الآية (١٠٠).

أمّا الاستواء على العرش فقد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وهي:[الأعراف ٥٤ ـ يونس ٣ ـ الرعد٢ ـ طـه ٥ ـ الفرقان ٥٩ ـ السجدة ٤ ـ الحديد ٤]، فقالوا شعراً:

وَذِكْــرُ اســتواءِ الله في كلماتــه عـلى العـرش في سـبعِ مواضـعِ فاعـددِ
ففي سورة الأعـراف ثمـة يـونس وفي الرعــد مــع طــه فللعــدِّ أكّــدِ
وفي سورة الفرقان ثمة سجــدة كــذا في الحديــد افهمــه فهــمَ مُؤيِـد

أمّا في معنى الاستواء فقد قالوا شعراً :

فلَهم مقــالاتٌ عليها أربعـــة قـد حُصّـلت للفـارس الطعـــان
وهـي اسـتقر وقـد عـلا وكـذلك ارتفَـعْ مــا فيــه مــن نكـــران
وكذاك قدْ صَعَدَ الـذي هـو رابـعٌ بـتمام أمــرٍ مــن حمــى الرحمـــن

لكن نؤكد مرة أخرى أنّ هذه المعاني يجب أن تُؤخذ ضمن إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] ولذلك نجد أهل الدقة – ومنهم الإمام مالك بن أنس– يقولون: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

السؤال الرابع :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ للشمس وللقمر منازل أو أبراج تكون فيها في كل يوم مختلفة عن البرج الآخر، وقد أوجز الشاعر أبراج الشمس، فقال:

حَمَلَ الثورُ جوزة السرطان ورعى الليثُ سُنبل الميزان

عقربُ القوس جديُ دلوٍ وحوتٌ ما عرفنا مَن أمةِ السُّريان

والليث: هو برج الأسد.

السؤال الخامس :

قال في آية الرعد٢ والزمر٥: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وقال في آية لقمان٢٩: ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فما السبب؟

الجواب :

القاعدة اللغوية:

(اللام) تفيد التعليل بمعنى كلٌّ يجري لبلوغ أجل مسمى ولوصول الهدف وبلوغه، وأمّا الحرف (إلى) فيفيد الانتهاء ومعناه: لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له .

البيـــان :

١ ـ نجد في القرآن الكريم أنّ المواضع التي ذُكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾[الزُّمَر:٥].

وكذلك في سورة فاطر، حيث ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[فاطر:١٢-١٣].

٢ ـ بينما خصّ ما في سورة لقمان بـ(إلى) التي هي للانتهاء؛ لأنّ الآيات التي تكتنفها آيات منبهةٌ على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها قال الله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾[لقمان:٢٨] وبعدها قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ﴾[لقمان:٣٣] فكان المعنى: كلٌّ يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم .

فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها، واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها. والله أعلم .



﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة آية الحجر ١٩ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟ وما الفرق بينها وبين آية الرعد٣ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾[الحِجر:١٩] . هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي.

لكن ـ والله أعلم ـ من الملاحظ أنه تعالى يقول عن الجبال أحياناً: (ألقينا)، وأحياناً يقول: (جعلنا) بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً، وقد درسنا أنّ بعض الجبال تتشكل من قذف (إلقاء) البراكين (جبال بركانية) أو بصور أخرى.

وهناك شكل آخر من التكوين، كما قال تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾[المرسلات:٢٧] وسورة الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الرعد:٣]، وهذا يدل ـ والله أعلم ـ على أنّ هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال،

وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة، هذا، والله أعلم.

٢ـ العلماء يقولون: إنّ تضاريس الأرض والجبال فيها هي التي تثبت اليابسة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد:٣] وهذا جاء موافقاً لكلام الله سبحانه وتعالى، والذين يقولون بهذا ليسوا مسلمين، كما أنّ الأوتاد تثبت أركان الخيمة والجبال تثبت اليابسة ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ:٧] حتى تبقى ممهدة.

السؤال الثاني :

مرة يقول تعالى عن الجبال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ومرة لا يقولها، فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] أنْ تميد بكم أي: كراهة أنْ تميد بكم أو لئلا تميد بكم، كما يقول النحاة، والمعنى لماذا ألقى الرواسي؟ لئلا تميد بكم، ويقولون: كراهة أنْ تميد بكم أو لئلا تميد بكم.

٢ـ يبقى السؤال: أحياناً يقول: أنْ تميد بكم وأحياناً لا يقول ذلك كما في الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ﴾ [الرعد:٣] فلماذا؟

السبب أنه إذا أراد بيان نعمته على الإنسان يقول: أنْ تميد بكم، وإذا أراد فقط أنْ يبين قدرته فيما صنع وليس له علاقة بالإنسان لا يقولها لأنّ الكلام لا يتعلق بالإنسان، وإنما يتعلق بصنع الجبال الرواسي.

السؤال الثالث:

ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ المراد بـ (زوجين اثنين) أي صنفين اثنين.

٢ـ فإن قيل: الزوجان لا بدّ وأن يكونا اثنين، فما دلالة التعبير؟

والجواب: لما قال الله: ﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ علمنا أنه تعالى أول ما خلق خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد، فكما أن البشر أُبتدئوا من زوجين اثنين هما آدم وحواء ثم كثروا، فكذلك القول في جميع الأشجار والزرع.

٣ـ حيث يذكر الله الدلائل على قدرته وعجائب صنعه كما في هذه الآية يذكر عقبها قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ أو ما يقرب منه حسب المعنى.

والله أعلم.



﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَنَخِيلٞ﴾ ما الفرق بين (النخل) و(النخيل)؟

الجواب :

١ ـ (النخل) اسم جنس جمعي، و(النخيل) جمع، واسم الجنس أشمل وأعم من الجمع كما قرره علماء اللغة، وكما هو في الاستعمال القرآني؛ ذلك أنّ اسم الجنس يشمل المفرد والمثنى والجمع، ويقع على القليل والكثير .

إذن النخل أعم وأشمل من النخيل؛ لأنه اسم جنس جمعي، ويؤيد ذلك الاستعمال القرآني، فقد أورد القرآن (النخيل) في سبعة مواضع، وهي فيها لا تفيد الشمول، وهذه المواضع :

[البقرة ٢٦٦ ـ الإسراء ٩١ ـ المؤمنون ١٩ ـ يس ٣٤]وفي هذه الآيات الأربع جعل النخيل في جنات، فلا يشمل ما في غير الجنات.

وفي آية الرعد ٤ قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ فخرج ما لم يسقَ بماء واحد.

وفي آية النحل ٦٧ قال: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فخرج منه ما لم يتخذ منه السّكر.

وكذلك وردت كلمة (النخيل) في آية النحل ١١ .

٢ـ أمّا النخل فهو عام، يشمل الصغير والكبير المثمر وغيره سواء في جنات أم في غيرها، وسواء كانت نخلة واحدة أم أكثر . وقد وردت كلمة (النخل) في القرآن الكريم (١٥) مرة منها :

في آية الرحمن ٦٨ في وصف الجنة ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ ونخل الجنة كثير كثير.

في آية الشعراء ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ والنخل ههنا يشمل ما في الجنات وغيرها.

في آية الرحمن ١١ : ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ أيضا النخل ههنا يشمل ما في الجنات وغيرها.

وكذلك كلمة النخل الواردة في الآيات :[القمر ٢٠ ـ الحاقة ٧ ـ طه ٧١ ـ ق ١٠].

لم يخصّص النخل فيها بشيء، فهو أعم من النخيل وأشمل .

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٦.

السؤال الثاني :

ما دلالة حرف الاستفهام الهمزة في قوله تعالى في الآية ﴿أَءِذَا﴾؟ وما الفرق بين حرفي الاستفهام هل والهمزة؟

الجواب :

الفرق بين هل والهمزة :

١ـ هل: للتصديق، بينما الهمزة للتصور والتصديق.

٢ـ هل: اختصاصها بالإثبات، فلا تدخل على النفي، فلا تقول: هل لم يحضر أخوك؟

٣ـ تخصيصها الفعل المضارع بالاستقبال نحو: هل تسافر؟ بخلاف الهمزة فإنها للحال والاستقبال، نحو: أيكتب الآن؟ أيسافر غداً؟

٤ ـ هل: لا تدخل على الشرط، فلا تقول: هل إنْ سافر سافرت معه؟ بخلاف الهمزة فتدخل على الشرط ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

٥ـ هل: لا تدخل على إنّ، فلا تقول: هل إنه شاعر؟ بخلاف الهمزة: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾[يوسف:٩٠] .

٦ـ هل: لا تدخل على اسم بعده فعل، فلا تقول: هل خالد يرجع؟ بخلاف الهمزة ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[يونس:٥٩].

٧ـ هل: تقع بعد العاطف لا قبله، تقول: وهل، أو: فهل ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾[يونس:١٠٢] بخلاف الهمزة فإنها تقع قبل العاطف ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾[البقرة:٧٥].

٨ـ هل: تأتي نافية؛ ولذلك تقع بعدها (إلا) نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠] بخلاف الهمزة فإنها لا تأتي بهذا المعنى فلا يقال: أحضر إلا محمد.



﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (المغفرة) و(الغفران)؟

الجواب:

١ـ كلمة (غفران) لم ترد إلا في موطن واحد في قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥] في طلب المغفرة من الله تعالى، إذن كلمة (غفران) مخصّصة بطلب المغفرة من الله تعالى، وهذه دعاء أي: نسألك المغفرة ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾. إذن (غفران) تستعمل في طلب المغفرة، ومن الله تعالى تحديداً.

٢ـ المغفرة: لم تأت في طلب المغفرة أبداً، وإنما جاءت في الإخبار وفي غير الطلب ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾[البقرة:٢٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[الرعد:٦].

٣ـ في طلب المغفرة فقط يستعمل كلمة (غفران)، ولم تأت المغفرة في الطلب، وقد تأتي من غير الله سبحانه وتعالى، كما في قوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[البقرة:٢٦٣] فقد تأتي من العباد.

٤ـ إذن (المغفرة) ليست خاصة بالله سبحانه وتعالى، ولها أكثر من جهة، ولم يستعملها القرآن في طلب المغفرة. و(الغفران) مختصة بطلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة ٢١١: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ بينما أكدها باللام في آية الرعد ٦ بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ فما سبب تخفيف أو زيادة التوكيد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١١.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ ؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يقول بعض العلماء: إنّ المعنى هو: مع ظلمهم فاستخدم حرف الجر (على) بدل (مع)، مع أنّ حرف (على) مؤلف من ثلاثة أحرف، وأنّ الحرف (مع) مؤلف من حرفين.

هذا الاستخدام لحرف الجر(على) جاء ليبيّن الله أنّ ظلم الناس كان يقتضي العقوبة، ولكنّ رحمة الله تعالى تسيطر على العقوبة.

وهكذا أدت كلمة (على) معنى (مع) وأضافت لنا أنّ الحق سبحانه هو المسيطر على العقوبة، وأنّ رحمة الله تطغى على ظلم العباد.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان:٨] أي: أنهم يحبون الطعام حباً جماً، لكنّ إرادة الكرم للفقير تطغى على حب الطعام.



﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في آية الرعد ٨؟

الجواب :

١ـ ﴿مَا﴾ اسم موصول بمعنى (الذي)، ويعلم ما تحمله كل أنثى من الولد ـ ذكورة ـ أنوثة ـ خداج .

أو مصدرية بمعنى: الذي يعلم حمل كل أنثى فلا يخفى عليه شيء.

وفي هذا الاختيار ﴿مَا﴾ جعل التعبير احتمالياً؛ لأنّ (ما) عامة فيمن يعقل وفيمن لا يعقل، وبهذا دلت الآية على كل الإناث، ما يعقل منها وما لا يعقل.

٢ ـ ما الموصولة تستعمل في الأمر غير المحدد.

٣ ـ معنى ﴿تَغِيضُ﴾ أي: تنقص، والغيض هو الذي يكون سقطاً لغير تمام وكلمة (تزيد) ليست مقابلة لكلمة (تغيض)، وإنما يسمى هذا طباقاً والمقصود منه أنه يعلم كل حالاته: تمام ـ خداج.

٤ ـ كلمة ﴿عِندَهُۥ﴾ ظرف، وتفيد أقصى نهايات القرب.



﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة لفظ (ربهم) أو لفظ الجلالة؟ ولماذا لا يأتي فعل (الإرادة) بالذات إلا مع الله ولا يأتي مع الرب، وإذا أتى هل يأتي في السوء والضر؟

الجواب :

١ـ الرب: هو المربي والقيم على الأمر والرازق والهادي، ورب الشخص عادة يريد له هدايته وصلاحه وخيره، والشخص إذا أصابه سوء أو فزع فزع إلى مالك الأمر والقائم عليه، إذن رب الجماعة يريد لهم الخير هذا من ناحية تناسب ذكر الربّ.

٢ـ لكنْ هنالك في الحقيقة أمر، وهو أنه في القرآن الكريم لم يَرِد إسناد فعل إرادة السوء أو الضر مع الرب، أي: فعل الإرادة (أراد أو أريد) إلى الرب، وإنما تسند إلى الله، ولم يَرِد (أراد ربهم أن يهلكهم) .

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[المائدة:١٧] لم يقل: ربهم.

ـ ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾[الرعد:١١] لم يقل: الرب .

ـ ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾[الأحزاب:١٧] ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾

٣ـ الله تعالى ينسب إلى نفسه الرحمة والرشد، وكذلك ينسب- إنْ أراد- السوء والضر، لكنّ فعل الإرادة بالذات لا يأتي إلا مع الله، ولا يأتي مع الرب، وإذا أتى يأتي في السوء والضر .قال تعالى :

ـ ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[الفتح:١١] .

ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزُّمَر:٣٨]

لذلك إذا ذُكِر الرب لا يسند إليه إلا إرادة الخير والرشد.

ـ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[الكهف:٨٢].

ـ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن:١٠] يعني: يسند احتمال إرادة العقوبات والسوء إلى الله، كما أسند إليه إرادة الخير والرشد، لكنّ ذكر الرب لا يسند إليه إلا إرادة الخير وفي فعل (الإرادة) خصوصاً.

٤ـ أمّا في غير أفعال الإرادة فقد يذكر الرب في عموم المقامات مع التفضل والعقوبات ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج:١٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[هود:٨٢-٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾[الفجر:٦].

وهذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، فربُ الإنسان يعاقبه، لكنّ فعل الإرادة (أي ماذا يريد) في القرآن لم يرد مع الرب إلا في الخير، وهذا معناه أنّ الله تعالى لا يريد لنا إلا الخير، وقد يأتي في العقوبات، لكنّ فعل الإرادة بالذات يأتي بالخير، وأمّا مع ﴿ٱللَّهُ﴾ فيأتي كل شيء.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ هنا ذكر مفعول الإرادة، بينما يحذف مفعول الإرادة أو المشيئة في مواطن كثيرة، كما في آيات البقرة ٣٠ـ آل عمران ٦ـ الأنعام ١١٢ـ الانفطار ٨، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣٠.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة وصف السحاب في سورة الرعد بالثقال؟

الجواب :

في سورة الرعد وصف الله عز وجل السحاب بالثقال، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ وصفه بالثقال فقط والسحاب الثقيل هوالسحاب الذي تطمعون في نتاجه، والسحاب وحده لا يخيف ولا يُطمِع؛ لأنه قد يكون سحاباً خلّباً كما هو الحال في الجيش حيث يوجد رصاص خُلّب، وهو الذي يطلق صوتاً وليس فيه بارود. وكذلك السحاب الخُلّب ليس فيه مطر، قد يبرق ويرعد لكن ما وراءه مطر، فيسمى خُلّباً.

ولو قال في غير القرآن: السحاب من غير وصف، فلا ينسجم مع كلمة ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ لأنّ الخوف والطمع يكون في السحاب الثقال، ويكون فيه برق ورعد، وهذا السحاب الثقال هو الذي يحمل الماء بطبقة متينة عالية فاكتفى بوصفه، فقال سبحانه: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾؛ لأن هذا السحاب الثقال يكون فيه عادة هذا التصادم أوالاحتكاك بين الشحنات الكهربائية في أجزاء السحاب فيكون هناك البرق والرعد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: هذا الصوت الذي تسمعه قد يكون تسبيحاً لله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤] وكل

ما يصدق عليه كلمة (شيء) هو يسبح لله تعالى بطريقته يقدّسه وينزّهه عن الشريك والضدّ وكل ما لا يليق به، فالرعد يسبح لله تعالى والجمادات تسبح بطريقتها.

السؤال الثاني :

ما دلالة تنوع الأوصاف للسحاب وتصنيفها في القرآن ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم:٤٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور:٤٣] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ:١٤]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.



﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال (من) و(ما) في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٥] وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل:٤٩]؟

الجواب :

١ـ (مَن) تستعمل لذوات العقلاء وأولي العلم فقط، أمّا (ما) فتستعمل لصفات العقلاء نحو: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس:٧]، ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣]

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾ [الليل:٣] والله هو الخالق، ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾ [الشمس:٧] والله هو المسوي، وذوات غير العاقل (أشرب مما تشرب) وهي أعمّ وأشمل.

٢ـ لكن يبقى السؤال: لماذا الاختلاف في الاستعمال في القرآن الكريم فمرة تأتي (مَن) ومرة تأتي (ما)؟

أ ـ نستعرض الآيات التي وردت فيها (من) مع السجود: قال تعالى في سورة الرعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ١٥﴾ والطوع والكره من صفات العقلاء؛ فاستعمل ﴿مَن﴾.

ب ـ أما في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩﴾ [النحل:٤٨-٤٩] الدابة أغلب ما تستعمل في اللغة لغير العاقل وهي عامة وشاملة، فاستعمل ﴿مَا﴾، كما أنه في الآية جاءت كلمة ﴿شَيۡءٖ﴾ وهي أعمّ كلمة. وعليه فإنه من ناحية العموم ناسب استعمال ﴿مَا﴾ ومن ناحية استعمالها لغير العاقل ناسب استعمال ﴿مَا﴾؛ لأنّ الدابة -كما أسلفنا- تستعمل في الغالب لغير العاقل.

٣ـ ونلاحظ في القرآن أنه تعالى عندما يستعمل (من) يعطف عليها ما لا يعقل، كما في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ١٨﴾ [الحج:١٨] . أمّا عندما يستعمل (ما) فإنه يعطف عليها ما

يعقل ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ...دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[النحل:٤٩] وهو خط بياني لم يتخلف في القرآن أبداً، والحكمة البيانية منه الجمع.

٤ـ وكذلك استعمال (من) مع فعل (يسبّح)، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء:٤٤] وفي سورة النور: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[النور:٤١].

واستعمال (ما) كما في قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٤] وسورة الجمعة ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة:١] وسورة التغابن ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[التغابن:١] وسورة الحديد ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾[الحديد:١] والحكمة البيانية من ذلك جمع كل شيء.

السؤال الثاني :

ما دلالة السجود في الآية؟ وما دلالة سجود الظلال في الآية في وقتي الغدو والآصال؟

الجواب :

١ـ السجود - كما نعرفه - حركة من حركات الصلاة، وهو يعبّر عن كامل الخضوع لله، والسجود وضْعُ أعلى ما في الإنسان في مستوى أدناه وهو قدم الإنسان.

والمراد من السجود تعظيم الله وإظهار الانقياد والخضوع والاعتراف بالعبودية لله سبحانه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ اللفظ عام، ويشمل الجميع من الملائكة والجن والإنس مؤمنهم وكافرهم.

فإن قيل فكيف الكافر؟ والجواب: أنّ الكافر إنما يتمرد بالكفر في جزء منه بما أعطاه الله له من اختيار، بدليل أنّ تسعة وتسعين بالمائة من قدراته محكومة بالقهر لا يستطيع التمرد على مرادات الله فيما لا اختيار له فيه فلا يستطيع التحكم في قلبه وحركة أعضاء جسمه ولا حتى بمسير لقمته بمجرد بلعها، ولا بحركة الهواء الذي يتنفسه، كما لا يستطيع التحكم فيما يعرض له من أمور كالمرض والصحة وسائر ما يكره وحتى ما يحب.

وخضوع الكافر في أغلب الأحيان وتمرده في البعض الآخر هو منتهى العظمة لله، فهو لا يجرؤ على التمرد بما أراده الله مُسخراً منه.

٣ـ وجاء بـ﴿مَن﴾ دون (ما)؛ لأنّ السجود إنما يكون من العقلاء ومن في حكمهم. و(من) تستعمل لذوات العقلاء وأولي العلم فقط.

و في الاستعمال القرآني عندما يستعمل (من)، فإنه قد يعطف عليها ما لا يعقل، كما هنا في الآية ﴿وَظِلَالُهُم﴾ وعندما يستعمل (ما) فإنه قد يعطف عليها ما يعقل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ أي: والظلال نفسها خاضعة، وإياك أنْ تظن أنّ ظلك خاضع لك، بل هو خاضع لله سبحانه.

فظل المؤمن يسجد لله طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد لله كرهاً وهو كاره، أي: أن الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله.

٥ـ خصّص الغدو والآصال بالذكر؛ لأنّ الظلال إنما تعظم في هذين الوقتين.

٦ـ الغدو جمع غداة، وهي البكرة، والآصال جمع أُصل، والأُصل جمع أصيل، والأصيل هو العشي، وهو ما بين العصر والمغرب، كأنه أصل الليل الذي ينشأ عنه. والله أعلم.

السؤال الثالث :

كرر اسم الموصول (من) في آية الحج ١٨ ولم يكررها في آية الرعد ١٥ فما السبب؟

الجواب :

مقام التفصيل في آية سورة الحج واضح، فقد ذكر الشمسَ والقمرَ والنجومَ والجبال والشجر وكثيراً من الناس بخلاف آية سورة الرعد.

ففي مقام التفصيل كرر وفصّل، وفي مقام الإجمال أَجمَلَ وأوجز .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿لِلَّهِ﴾ بدل (الله) في آية (المؤمنون) تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون:٨٧] في الجواب على الآية التي قبلها في سورة (المؤمنون) ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون:٨٦]، بينما في آية الرعد جاءت الآيات ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الرعد:١٦]؟

الجواب:

١ـ من حيث اللغة لو سألنا من صاحب هذه الدار؟ يكون الجواب: لفلان أو فلان، فمن حيث اللغة يجوز أن نقول: الله أو لله.

٢ـ أمّا لماذا اختار الله تعالى (الله) مرة و(لله) مرة؟ لأنّ السياق في آية (المؤمنون) كان في السؤال عن الملكية ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٥] وقوله في نفس السورة أيضاً: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون:٨٨-٨٩] إذن السؤال عن الملكية، فيكون الجواب ﴿لِلَّهِ﴾.

ولذلك لأنّ السياق كله في الملكية جاء بلام الملكية.

٣ـ أمّا في آية سورة الرعد: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد:١٦]. فالسياق في مقام التوحيد، وليس في مقام الملكية، وإنما عن الذات الواحدة لذا جاء الجواب: ﴿ٱللَّهُ﴾ .

السؤال الثاني :

متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟

الجواب :

القدامى بحثوا في هذه المسألة وقالوا: حيث يتقدم ما يتضمن النفع يسبق النفع، وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدِّم الضر.

* شواهد قرآنية في تقديم الضر:

أ ـ في سورة يونس: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يونس:٤٩] هنا قدّم الضر، حيث قبلها قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ [يونس:١١] وهذا ضر.

ب – في سورة يونس: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ ﴾ [يونس:١٢] وبعدها قال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس:٥٠] فتقديم الضر أنسب.

* شواهد قرآنية في تقديم النفع:

أ ـ في سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ﴾[الرعد:١٦] قبلها ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[الرعد:١٥].

ب ـ في سورة سبأ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[سبأ:٤٢] قبلها قال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ﴾[سبأ:٣٩] (يبسط الرزق) نفع و(يقدر) ضر.

لذلك حيث يتقدم ما يتضمن النفع يقدم النفع، وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدم الضر.

لمزيد من المعلومات والشواهد القرآنية، انظر الجواب في آية الأعراف ١٨٨.



﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ما معنى السماء في المدلول القرآني؟

الجواب :

السماء في اللغة وفي المدلول القرآني لها معنيان:

١ـ واحدة السموات السبع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات:٦] .

٢ـ كل ما علا وارتفع عن الأرض.

ـ فسقف البيت في اللغة يسمى سماء، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥] يقول المفسرون: (أي: ليمد حبلاً إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه) فالسماء هنا بمعنى السقف.

ـ وقد تكون بمعنى السحاب: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[الرعد:١٧].

ـ وقد تكون بمعنى المطر: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[نوح:١١].

ـ وقد تكون بمعنى الفضاء والجو: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾[النحل:٧٩].

ـ و قد تكون بمعنى الارتفاع العالي: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[الأنعام:١٢٥].

فالسماء كلمة واسعة جدا، قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف.

لمزيد من المعلومات انظر آية الأنعام ١٢٥ .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿زَبَدٌ﴾ما كلمات منظومة اللاشيء، أي: لا قيمة ولا نفع؟

الجواب:

هذه الكلمات تمثل منظومة اللاشيء، أي: لا قيمة ولا نفع:

حَرَض:

هو الإنسان الذي بلغ من الضعف والمرض والهزال والكبر بحيث لم يعد يطيقه أحد، فهو والموت سواء إلا أنه يتنفس: يوسف ٨٥.

بور:

هو الشيء الكاسد الذي لا يريده أحد: [فاطر ٢٩ـ الفتح ١٢].

زبد:

هو الزبد الأبيض الذي يحمله السيل سواء في القِدر عندما يغلي الماء أو في السيل، وهو لا قيمة له ولا وزن ثم يتلاشى: الرعد ١٧.

غثاء:

ما يطفح من السيل من النباتات الصغيرة التي يجرفها، وهي لا قيمة لها ولا يُنتفع بها:[المؤمنون ٤١ـ الأعلى ٥].

هباء:

هو ذرات التراب التي لا تُرى بالعين المجردة، وإنما تُرى عندما تُسلط عليها أشعة الشمس، وهي ذرات هزلة دقيقة لا قيمة لها: الواقعة ٦.

الهشيم :

هو النبات اليابس المكسر فيصبح أجزاء صغيرة بلا قيمة: القمر ٣١.

سراب :

هو الماء الوهمي الذي تراه على الطريق من خداع العين: النور ٣٩.

سدى:

وهو الأشياء التي لا قيمة لها من أثاث قديم مكسر أو ملابس بالية وتُرمى للتخلص منها: القيامة ٣٦.

خاوية :

هي ساق الأشجار المتعفنة الخاوية من الداخل ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة:٧] .



﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٨﴾

السؤال الأول :

جاء في آية آل عمران١٩٧ ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ﴾ بـــ (ثم)، وفي الرعد١٨ بالواو ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ ، فما السبب؟

الجواب :

لّما تقدم في آل عمران قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾والمراد منهما هو في الدنيا، وجهنم إنما هي في الآخرة، ناسب ﴿ثُمَّ﴾التي للتراخي.

وأمّا آية الرعد فقد عطف جهنم على ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾وهما جميعاً في الآخرة، فناسب العطف بالواو.



﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩)﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ﴿يَتَذَكَّرُ﴾وفي آية آل عمران ٧ ﴿يَذَّكَّرُ﴾فما الفرق بين يتذكرويذّكر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٧.

السؤال الثاني:

ما مواصفات أولي الألباب التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ التوحيد قولاً وعملاً . وهو وفاء العهد .

٢ـ الإيمان بالرسول ﷺ لقوله تعالى في سورة آل عمران ٨١: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

٣ـ الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهو: الرحم والأمانة والنعمة.

٤ـ خشية الله ومخافته .

٥ـ يخافون سوء الحساب بالابتعاد عن صغائر الذنوب وكبائرها.

٦ـ الصبر ابتغاء وجه الله تعالى على البلاء وعلى النعمة وعدم استعمالها في غير طاعة الله.

٧ـ الصبر على الشهوات.

٨ـ إقامة الصلاة.

٩ـ الإنفاق في السر والعلن.

١٠ـ يدرؤن بالحسنة السيئة، فكلما أذنبوا استغفروا وتابوا وأنابوا إلى الله تعالى.

وذكر الله جزاءهم على النحو التالي :

١ـ أنّ لهم عقبى الدار، وهي جنات عدن.

٢ـ ويدخلها معهم من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

٣ـ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب.

٤ـ يحيونهم بقولهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واجعلنا من أولي الألباب واحشرنا في زمرتهم يوم القيامة، اللهم آمين .

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الخوف والخشية والرهبة والهلع والوجل)؟

الجواب:

١ـ الخوف: يتعلق بالمكروه وبترك المكروه، تقول: خفت المرض، وكما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ وهو خلاف الطمأنينة، ويجوز أنْ يحدث عن تسلط بالقهر والإرهاب.

٢ـ الخشية: تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية؛ ولهذا قال الله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾.

فإنْ قيل أليس قد قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه:٩٤] قلنا: إنه خشي القول المؤدي إلى الفرقة، والمؤدي إلى الفرقة بمنزلة من يفعله.

والخشية هي خوف يشوبه تعظيم، ويكون مقداره حسب حالة الخاشي لذلك العلماء هم أشد خشية لله، والخشية هي أشد الخوف، وتسند الخشية في القرآن إلى الأنبياء والرسل ومن اتبع الذكر والمؤمنين والعلماء والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

٣ـ الرهبة: هي طول الخوف واستمراره، وسمي الراهب راهباً؛ لأنه يطيل الخوف.

٤ـ الفزع: هو مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هد.

٥ـ الهلع: هو أسوأ الجزع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج:١٩-٢٠-٢١] ولا يسمى هلوعاً حتى تجتمع فيه هذه الخصال.

٦ـ الوجل: هو اضطراب القلب كضربة السعفة (قشعريرة) وفي القرآن لا يسند الوجل إلا للقلب، بينما يسند الخوف والخشية للإنسان، وليس الوجل من الخوف في شيء. والله أعلم .



﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل هناك تفاضل بين الحركات الإعرابية بين الفعل (صَلَح) بالفتح و(صلُح) بالضم؟

الجواب :

١ـ الفتحة أخف الحركات، تليها الكسرة، والضمة أثقلها .

٢ـ لاحظنا أنّ العرب تراعي كثيراً من هذه الأمور فتجعل الثقيل للثقيل سواء في الحركات أو في اللفظ عموماً وتناسب اللفظ والمعنى، وعندما يتحول الفعل إلى(فَعُل) يتحول إمّا للتعجب أو للمدح والذم أو المبالغة أو التحوّل، مثل (فقِه وفَقُه) فقُه صار فقيهاً، أما فقِه فجزئية، (عَسِر وعَسُر) عسِر عليه الأمر، أمّا عسُر فالأمر هو عسير، فالحركة تغير الدلالة تماماً.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ ما قال (من صلُح) بالضم، وإنما قال (من صَلَح) بالفتح رأفة بالعباد، لأنّ صلُح أي: صار صالحاً إلى حد

كبير من الصلاح، والله تعالى من رحمته بعباده يكفيه أن يكون الإنسان صالحاً، لا أن يبلغ ذلك المبلغ في الصلاح.



﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[البقرة:٢٧] - ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾؟ ولماذا النهايتان مختلفتان مع أنّ الآيتين متشابهتان؟

الجواب:

١ـ آية البقرة تنتهي بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾، وآية سورة الرعد تنتهي بـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾، فما سبب ذلك؟

الخطاب في البقرة لبني إسرائيل، وبنو إسرائيل من واجبهم أن يتّبعوا سيدنا موسى عليه السلام، وهم اتبعوا سيدنا موسى إلا أنهم حرّفوا في دينهم، وعندما حرّفوا، قال الله عنهم: هؤلاء الذين نقضوا الميثاق.

والميثاق هو الذي أخذ الله به على البشرية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

[الأعراف:١٧٢] وهذا هو الميثاق الأول الذي أخذه الله تعالى على كل بني آدم (أنني أنا الله لا إله إلا أنا) وقالوا: (بلى) فمن كفر بعد ذلك فقد نقض الميثاق.

والميثاق الثاني للأنبياء جميعاً وأممهم أنْ يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١] هذان الأمران هما الميثاق، وجميع البشرية أخذ الله عليها هذا الميثاق، لكنّ بعض البشرية حرّفوا ونقضوا هذا الميثاق إمّا كُلاً أو جزءاً، كما هو الحال مع بني إسرائيل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧]؛ لأنهم نقضوا بعض ما جاء به سيدنا موسى، ولم يتبعوه وحرفوه، وإلى هذا اليوم هم يتّبعون هذا التحريف، والله قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بالصيغة الاسمية.

٢ـ أمّا في آية سورة الرعد٢٥ فالخطاب للمسلمين، والمسلمون إذا نقضوا العهد وتركوا الإسلام وحرفوه واتبعوا ما جاء به بنو إسرائيل ستكون نتيجتهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ فانحراف بني إسرائيل جزئي، وانحراف المسلم الذي يترك دينه ويتبع ما جاءت به التوراة في أوامرها وفي ولائه لهم وفي خدمته لهم تكون نتيجته: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ .

٣ـ فاليهود الذين حرّفوا وصِفوا: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾؛ لأنهم ضمن دينهم. والمسلمون الذين حرّفوا تبعاً لإرادات اليهود ومشيئتهم- وهذا في التاريخ كثير، حيث

صنع اليهود من المسلمين فرقاً أعدى ما تكون للإسلام نفسه - فهؤلاء نتيجتهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد:٢٥].



﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَبۡسُطُ﴾، بينما وردت في آية البقرة ٢٤٥ بالصاد فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٥.



﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدل من قوله: ﴿مَنۡ أَنَابَ ٢٧﴾ آخر الآية السابقة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ فيه بحث لطيف، وهو أنّ الموجودات على ثلاثة أقسام:

أ- مؤثر لا يتأثر، وهو الله سبحانه وتعالى.

ب ـ ومتأثر لا يؤثر، وهو الجسم، فهو ذاتٌ قابلةٌ للصفات المختلفة، وليس له خاصية إلا القول فقط.

ج ـ وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء، وهي الموجودات الروحانية التي إذا توجهت إلى خالقها صارت قابلة للآثار الفائضة عن مشيئة الله وقدرته، وإذا توجهت إلى عالم الأجسام والمادة اشتاقت إلى التصرف فيها؛ لأنّ عالم الأرواح مدبّرٌ لعالم الأجسام.

٣ ـ وإذا أدركت هذا فالقلب إذا توجه إلى مطالعة عالم الأجسام والمادة حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليها والتصرف فيها، ويكون الاضطراب متناسباً مع درجة التوجه، فكلما زاد التوجه زاد الاضطراب.

وأمّا إذا توجه إلى مطالعة خالقه وربه فهناك يكون ساكناً مطمئناً؛ ولهذا السبب قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾.

٤ـ في تفسير ﴿طُوبَىٰ﴾ معان متعددة منها: [شجرة في الجنة ـ حُسنى لهم ـ فرحٌ لهم ـ عيشٌ طيبٌ لهم ـ أصبت طيباً] وكلها معانٍ متقاربة، وهي على وزن (فُعلى) كبُشرى وزُلفى.

٥ـ في الآية ٢٩ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ و ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ خبر.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ المراد منه حُسن المرجع والمقر.

٧ـ جاءت الآية ٢٩: بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار فالجنة لهم مؤكدة خالدين فيها، والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الأنفال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وفي الرعد ٢٨ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فكيف الجمع بين الخوف والطمأنينة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنفال رقم ٢.



﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمتي (مَعَاد و ميعاد)؟

الجواب :

المَعَاد غير الميعاد، المَعَاد هو بلد الرجل من العَوْد، ومَعَاد اسم مكان بلد الرجل؛ لأنه يسافر ثم يعود إليه.

وهناك فرق بين المعاد والميعاد: المَعَاد من (عاد)، والميعاد من (وعد) (مفعال: موعاد) أصلها موعاد، سكن حرف العلة وقبلها كسرة فيصير ميعاد.

والميعاد هو الموعد . قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾ يعني لا يخلف الموعد، ولا يصح أنْ يقال: لا يخلف المعاد .

وقال :﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ هذا موعد من ميعاد، ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾ ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾[الحج:٤٧] .

و قسم قال: المَعَاد هو الحشر والجنة باعتبار أن الناس يعودون، أو الجنة لأنه تعود إليهم حياتهم، ونقول: نعود إلى المعاد في الميعاد.



﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في نسب الفعل لله عز وجل، مع أنّ السمة العامة فى القرآن الكريم هي أنه تعالى ينسب لنفسه الخير؟

الجواب :

هناك خط عام في القرآن الكريم، وهو أن الله تعالى لا ينسب الشرّ لنفسه مطلقاً، كما في الآية: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾[الإسراء:٨٣] ولم يقل مسسناه بالشرّ، وإنما ينسب الخير إلى نفسه والخير يُقصد به الخير العام، وليس شرطاً أنْ

يكون الخير الفردي، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

وأخذ الكافرين وإهلاكهم هو من الخير العام، وهو نعمة على الناس أصلاً، وهذا أيضاً ليعلّمنا الله تعالى أنّ الخير والشر مُقدّران من الله تعالى وهذا هو يقين العقيدة؛ حتى لا يتبادر إلى ذهن الإنسان أنّ هناك إلهاً للخير وإلهاً آخر للشرّ كما كانوا يعتقدون قبل الإسلام.

السؤال الثاني :

قال في آية الرعد ٣٢: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ وقال في آية الحج ٤٤: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ السبب أنه ذكر في آية الرعد المستهزئين ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وذكر في آية الحج المكذّبين ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾.

والمستهزئون أعظم جرماً من المكذّبين؛ لأنهم يجمعون السخرية إلى التكذيب، فكان الوعيد لهم أشد، فناسبها الإفصاح بالعقاب.

٢ـ أمّا آية الحج فإن الوعيد فيها للمذكورين بالتكذيب، ولم يذكر منهم استهزاء، فاكتفى بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾؛ لأن الإنكار قد يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل، ورب نكيرٍ لا يصحبه عقاب، فجعل كل وعيد بإزاء جرمه الذي يناسبه.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (يُضل) و(يُضلل) ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر:٣٤] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾؟

الجواب :

الفعل (يُضلل) مجزوم، وأصل الفعل (أضلّ)، وهو (رباعي)، وكل فعل مضارع مضموم حرف المضارعة فهو رباعي قطعاً، سواء كان مزيداً أم أصيلاً.

وهناك يُضِل ويَضِلّ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢] (يَضِل) الشخص نفسه، و(يُضل) هناك من يُضلّه، وهو في كلا الحالين ﴿ضَلَّ﴾.

السؤال الثاني :

ما الدلالة البيانية في مجيء ﴿زُيِّنَ﴾ مبنياً للمجهول؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ و ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ؟

الجواب :

١ـ القرآن الكريم يستعمل (أوتوا الكتاب) في مقام الذم، ويستعمل (آتيناهم الكتاب) في مقام المدح، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ﴾ [البقرة:١٤٥] هذا ذم، ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البيّنة:٤] هذا ذم، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤] ذم. بينما (آتيناهم الكتاب) تأتي مع المدح ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] هذامدح، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ﴾ [الرعد:٣٦] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص:٥٢] وهذا مدح .

٢ـ هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب)، فحيث قال: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فهو في مقام ذم، وحيث قال﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فهو مقام ثناء ومدح.

٣ـ القرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات، وإنْ لم تجر في سنن العربية، (أوتوا) في العربية لا تأتي في مقام الذم، وإنها هذا خاص بالقرآن الكريم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ ما دلالة ذلك؟ وما دلالة ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ و ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾؟

الجواب :

١ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ دلالة على أنّ الله سبحانه وتعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، والمساق والإياب لا يكون إلا إلى الله، وهذا التقديم مقصود من أجل الاختصاص بشكل رئيس إضافة لمراعاة الفاصلة في الآيات على رؤوس الآيات .

٢ـ الإياب: هو الرجوع إلى منتهى المقصد، والرجوع يكون لذلك ولغيره؛ لذلك يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال: آب إلى بعض الطريق.

ولهذا قال أهل اللغة: التأويب أنْ يمضي الرجل في حاجته ثم يعود فيثبت في منزله، أو التأويب أنْ يسير النهار كله ليكون عند الليل في منزله، ولهذا قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾﴾ كأنّ القيامة منتهى قصدهم؛ لأنها لا منزلة بعدها.

٣ـ الرجوع: هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل.

٤ـ الانقلاب: هو المصير إلى نقيض ما كان عليه قبل؛ ولهذا تقول: انقلب الطين خزفاً، وأمّا رجوعه خزفاً فلا يصح؛ لأنه لم يكن قبل خزفاً.

٥ـ الإنابة: هي الرجوع إلى الطاعة، ولا يقال لمن رجع إلى معصية إنه أناب.

والله أعلم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا
لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما سبب اختلاف الفاصلة بين آية البقرة ١٢٠ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ وفاصلة آية الرعد ٣٧ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠ .

السؤال الثاني :

ما الدرس المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾؟

الجواب :

كان اليهود يدخلون على رسول الله ﷺ مدخل كيد ولؤم فيقولون هادنا، أي: قل لنا ما في كتابنا حتى ننظر إذا كنا نتبعك أم لا؟ فأراد الله أنْ يقطع على اليهود مكرهم فأخبر رسوله بأنه لا اليهود ولا النصارى سيتبعون ملتك، وإنما يريدون أنْ تتبع ملتهم .

والخطاب وإنْ كان للرسول ﷺ فهو أيضاً لأمته إلى يوم القيامة، فلينتبه المسلمون إلى ذلك.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في آية البقرة ١٢٠، وآية الرعد ٣٧ ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، بينما قال في آية الأنعام ٥١ ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾، فزاد ﴿مِّن﴾ المؤكدة في البقرة، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٠ .

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين المشيئة و الإرادة؟

الجواب :

١ـ إنّ الله يشاء، وإنّ الله يريد ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾وقال: ﴿لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾[الرعد:٣١] أي أنه لم يشأ. وإذا أراد الله شيئا لابدّ أن ينفذه ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[هود:١٠٧] .

٢ـ روي عن ابن عباس قوله: يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره إلا الشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران .

٣ـ وقال عكرمة: يمحو الله ما يشاء ويثبت في كتاب سوى أم الكتاب .

٤ـ وروي عن ابن عباس أيضاً: أنّ الرجل يقدّم الطاعة ثم يختمها بالمعصية فتمحو ما قد سلف، والرجل يقدّم بالمعصية ثم يختمها بالطاعة فتمحو ما قد سلف .

٥ـ إنْ قيل: ألستم تزعمون أنّ المقادير سابقة قد جف بها القلم فكيف يستقيم هذا المعنى مع المحو والإثبات في الآية؟

فالجواب: أنّ المحو والإثبات هما أيضاً مما جف به القلم، فلا يمحو إلا ما سبق في علم الله وقضائه محوه.

٦ـ قوله تعالى: ﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾فالمراد أصل الكتاب كما يقال: أم القرى لمكة . والمعنى هو اللوح المحفوظ، أو هو علم الله تعالى المنزه عن التغيير . والله أعلم.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا رسمت ﴿وَإِمَّا﴾ في آيتي يونس٤٦ وغافر٧٧ متصلة ﴿وَإِمَّا﴾ ورُسمت في آية الرعد٤٠ منفصلة ﴿وَإِن مَّا﴾ ؟

الجواب :

١ـ الحرف ﴿وَإِن﴾ شرطية و (ما) زائدة نحوياً مؤكدة.

٢ـ بشكل عام خط المصحف لا يقاس عليه، لكنْ من الغريب أنْ نحس أنّ للفصل والوصل غرضاً بيانياً.

٣ـ السياق في آيتي يونس وغافر إنما هو في الكلام عن الآخرة، والآيتان تذكران الرجوع إلى الله، والرجوع إنما هو في الآخرة، انظر آيات يونس [٤٥ـ٤٧] وآيات غافر [٧٠ـ٧٧].

٤ـ وأمّا السياق في الرعد فهو في الدنيا، انظر آيات الرعد[٣٧ـ ٤١] وقوله تعالى في الآية ٤٠ : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الرعد:٤٠] أي: في الدنيا، وقوله:﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾[الرعد:٤٠] أي في الآخرة.

٥ـ لذلك فُصلت ﴿مَّا﴾ عن ﴿وَإِن﴾ في الرعد إشارة إلى الفصل بين الأحداث، فالكلام عن الدنيا والحساب في الآخرة.

ووصلت (ما) بـ(إنْ) في آيتي يونس وغافر، إشارة أنّ الأحداث متصلة ببعضها. والله أعلم.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ
وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٤١) ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ ما معنى النقصان هنا؟

الجواب :

هناك أكثر من رأي:

١ـ قالوا: انتشار الإسلام وانحسار الكفر تدريجياً. وقسم قال: ينقصها بذهاب علمائها وكبرائها، حتى يأتي آخر الزمن أناس لا يعرفون شيئاً فيفتون بغير علم فيضلون، كما ورد في الحديث «**يقبض العلم بقبض العلماء**» وكما قال الشاعر :

كالأرض تحيا إذا ما عاش عالمها   فإن يمت عالم منها يمت طرف

٢ـ والطرف في اللغة معناها الكبير العالِمُ، والطرف في اللغة الرجل الكبير.

وقسم من المحدَثين أخذوها على أنّ فيها إعجازاً علمياً، وهو أنّ الأرض كرة بيضية الشكل مثل البيضة (يقال: بيضية ولا يقال بيضاوية)، وقسم قال: ننقصها، يعني: بتقلصها وانكماش حجمها؛ لأنها دائماً هي في تقلص وقد كانت ضخمة في الأصل ثم تقلصت.

٣ـ والنقص يحتمل أنْ يكون في الأمور الحسية أو في الجواهر والأعراض.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

جاء في القرآن كله تقديم كلمة (شهيد) على (بيني وبينكم)، كما جاء في سورة الأنعام: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ وسورة يونس آية ٢٩ والرعد آية ٤٣ والإسراء آية ٩٦ والأحقاف آية ٨، أمّا في سورة العنكبوت فقد جاءت كلمة (شهيد) متأخرة عن (بيني وبينكم) في الآية ٥٢ ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ [العنكبوت:٥٢] فما سبب الاختلاف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٩.

رابعاً ـ تناسب فاتحة الرعد مع خاتمتها :

قال سبحانه في أول السورة:

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾﴾[الرعد:١].

وقال في آخرها:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[الرعد:٤٣].

فقال في أولها: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾﴾[الرعد:١].

وقال في آخرها: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[الرعد:٤٣].

ثم ردّ عليهم بقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣] فمن عنده علم الكتاب يعلم أنّ ما أنزل إليه هو الحق.

والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنى محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد السابع

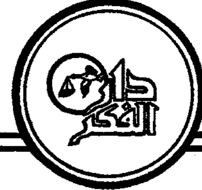
من بداية سورة إبراهيم وحتى سورة الكهف

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة إبراهيم

أولاً ـ تناسب خواتيم الرعد مع فواتح إبراهيم:

١ ـ قال في خاتمة سورة الرعد:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣].

وقال في أول سورة إبراهيم:

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم:١-٢].

فقد ذكر الذي أرسله وأنزل إليه الكتاب في سورة إبراهيم ردًا على قول الذين كفروا ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ﴾ [الرعد:٤٣].

٢ ـ قال في خواتيم الرعد:

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد:٤٢]

وقال في أول سورة إبراهيم:

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم:٢-٣].

فقد بيّن في آية إبراهيم عاقبة مكر الذين كفروا فحذّر المذكورين في آية الرعد، فقد قال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد:٤٢].

وقال في إبراهيم: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم:٢].

وبيّن من المكر الذي مكروه أنهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً.

فكأنّ آية إبراهيم توضيح لما في الرعد.

جاء في «البحر المحيط»: ارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جداً لأنه ذكر فيها ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الرعد:٣١] ثم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:٣٧] ثم ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣].

فناسب هذا قوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم:١].

وأيضاً فإنهم لمّا قالوا على سبيل الاقتراح: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الرعد:٢٧].

وقيل له: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرعد:٢٧].

أنزل ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم:١].

كأنه قيل: أولم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وهو الهدى.

وجاء في «روح المعاني»: وارتباطها ـ يعني سورة إبراهيم ـ بالسورة التي قبلها واضح جداً؛ لأنه قد ذكر في تلك السورة من مدح الكتاب وبيان أنه مغنٍ عما اقترحوه ما ذكر، وافتتحت هذه بوصف الكتاب والإيحاء إلى أنه مغنٍ عن ذلك أيضاً.

ثانياً. هدف السورة: نعمة الإيمان ونقمة الكفر:

تتحدث السورة عن مواجهة الرسل مع أقوامهم الرافضين لدعوتهم، وتركّز السورة على أنّ أهم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإيمان وشرّ نقمة هي الكفر، وقد يتخيل البعض أنّ النعم هي نعم الدنيا المادية ويتعلقون بها ويحرصون على كسبها والتنعم بها على حساب الآخرة.

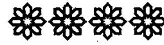
وتتحدث السورة أيضاً عن خطبة إبليس في جهنم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم:٢٢] وكيف يتبرأ ممن أغواهم.

ثم تنتقل السورة إلى أعظم نعمة في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم:٢٤] وهذه الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد وهي أفضل النعم لا النعم المادية من مال وبنين، مثلما يثمر شجر الدنيا بأطيب الثمار نأكلها فإنّ التوحيد يثمر في الآخرة جنة ونعيماً خالداً، أمّا الكفر فهو كالكلمة الخبيثة أي الشرك.

ثم تنتقل السورة إلى عرض نموذج سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عرف أنّ نعمة الله تعالى تتجلى في نعمة الإيمان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي

﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم:٣٩-٤٠] ولذا سميت السورة باسمه لأنه خير نموذج لمن قدّر النعمة.

ثم تختم السورة (الآيات العشر الأواخر) بإظهار خطورة الكفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم:٤٢] إلى نهاية السورة، وكأنما السورة عرضت لنموذجين أحدهما عرف قدر نعمة الإيمان، والآخر كفر بالنعمة فكانت نقمة عليه، وهذا هو هدف السورة ومحورها الذي دارت حوله الآيات.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كسر ﴿ٱللَّهِ﴾ في الآية ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ؟

الجواب:

﴿ٱللَّهِ﴾ هذه بدل مجرور، بدل من التوابع ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾.

السؤال الثاني:

قال في الآية الأولى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ولم يقل ذلك في الآية الخامسة فلماذا؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى: تخص نبوة النبي محمد ﷺ الباقية إلى قيام الساعة فناسب التوكيد لرسالته ونبوته بقوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾.

٢ـ الآية الخامسة: تخص رسالة موسى عليه السلام وهي مضت وانتهت فلا حاجة إلى توكيدها.

السؤال الثالث:

لماذا قدّم لفظ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ على لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ وهو الاسم العلم على واجب الوجود، علماً بأنّ المتبع في الكتابة أنّ يأتي الاسم الدال على الذات ثم تأتي الصفة بعده، فتقول: لقيت فلاناً الشاعر أو العالم؟

الجواب:

١ـ قدّم العزيز على الحميد؛ لأنّ أول العلم بالله بكونه قادراً ثم بعد ذلك بكونه عالماً ثم بعد ذلك بكونه غنياً عن الحاجات ـ والعزيز هو القادر ـ لذلك قدّم ذكر العزيز على ذكر الحميد.

٢ـ هناك قراءة ﴿ٱللَّهُ﴾ بالرفع فهي مبتدأ وهذا صحيح، لكنّ القراءة بالجر ﴿ٱللَّهِ﴾ فلها أكثر من وجه:

آـ على التقديم والتأخير: أي بتقدير: صراط الله العزيز الحميد.

ب ـ يمكن ذكر الصفة أولاً ثم الاسم ثم الصفة مرة أخرى، كأنْ تقول: مررت بالإمام محمد الفقيه، وبالتالي يكون نظير قوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

ج ـ لفظ الجلالة عطف بيان أو صفة للعزيز الحميد.

د ـ قولنا: ﴿ٱللَّهِ﴾ في أصل الوضع هو مشتق، إلا أنه بالعرف صار جارياً مجرى الاسم العلم فيبدأ بذكره ويعطف عليه سائر الصفات وذلك لأنه جُعل اسم علم، وأمّا في هذه الآية فجعل وصفاً للعزيز الحميد على أساس كونه لفظاً مشتقاً ويعني المعبود بحق.

٣ـ قوله: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ أفصح عن عمومية الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، بينما بقية الرسالات جاءت مقيدة بزمان محدد ومكان محدد كما في لفظة قومك في آية إبراهيم ٥ لبيان خصوصية رسالة موسى عليه السلام وأنها مقيدة بقومه وزمانه فحسب.

٤ـ الواو في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ﴾ استئنافية وليست للعطف.

السؤال الرابع:

لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ بدل، ما أقسام البدل وأغراضه؟

الجواب:

يعرف النحويون أن البدل هو الذي يعتمد بالحديث، وإنما يُذكر الأول كنحوٍ من توطئة وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الإفراد.

أهم أقسام البدل:

١ـ البدل المطابق: ويسمى بدل كل من كل نحو ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٤٢].

٢ـ بدل بعض من كل، نحو:

ـ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

ـ ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ [المزَّمل:٢-٣].

٣ـ بدل اشتمال: وهو ما دلّ على معنى في متبوعه نحو: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ [البروج:٤-٥] فـ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود؛ لأنّ الأخدود اشتمل على النار.

أهم أغراض البدل:

١ـ الإيضاح والتبيين: نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] فالفدية مبهمة يوضحها ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

ـ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩] فالعذاب مبهم أوضحه ما بعده.

٢ـ قد يكون الثاني مبيناً حقيقة الأول كقوله تعالى:

ـ ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف:١٤٨] فحقيقة العجل ليس حقيقياً وإنما جسد له خوار، فاتضح الأمر أكثر من اجتماع البدل والمبدل منه.

٣ـ قد يكون للمدح أو الذم نحو قوله تعالى:

ـ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم:١-٢]

فقوله: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم:١] صفتان لله تعالى دالتان على المدح.

ـ ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه:١٢] فلو قال: طوى فقط لما عُلم أنه مقدس.

ـ ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾ [التين:٣].

ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾ [العلق:١٥-١٦].

٤ـ وقد يكون للتخصيص نحو قوله تعالى:

ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦﴾ [الصافات:٦] فالزينة عامة خصصت بالكواكب.

ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان:١٥-١٦] فبين جنس القوارير.

ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾ [آل عمران:١٥٤].

٥ـ وقد يكون للتفصيل، كقوله تعالى:

ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم:٧٥] ففصل ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾.

٦ـ وقد يكون للتفخيم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾ [الحجر:٦٦] فإنه أبهم الأمر أولاً ثم أوضحه ليكسبه الإعجاب والفخامة.

٧ـ وقد يكون للإحاطة والشمول، كقوله تعالى:

ـ ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

٨ـ وقد يكون للتوكيد نحو قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

عطف البيان هو قريب من البدل، تقول: أقبل أخوك محمد، ويصح أنْ يعرب عطف البيان بدل إلا في مواطن:

آ ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً بينها البدل قد يكون فعلاً.

ب ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابع لجملة بينها البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

ج ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً بينها البدل يصح أنْ يكون.

ويأتي أشهر النحاة فيقول: ليس بين البدل وعطف البيان فروق.

السؤال الخامس:

ما دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢]؟

الجواب:

قال تعالى في سورة إبراهيم:

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢] الواو هنا ليست للعطف وإنها هي استئنافية.

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر ثلاث صفات للكافرين في هذه الآية؟ولماذا استعمل ﴿يَسۡتَحِبُّونَ﴾ ولم يستعمل (يحبون)؟ وما دلالة ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ يمكن أنْ يكون صفة للكافرين في الآية المتقدمة أو مبتدأ والخبر قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

وفي الآية ذكرُ ثلاث صفات للكافرين:

٢ـ قوله تعالى: ﴿يَسۡتَحِبُّونَ﴾ ولم يقل مثلاً: يحبون؛ لأنّ الاستحباب هو طلب محبة الشيء، والإنسان قد يحب الشيء ويميل إليه، ولكنه لا يحب كونه محباً لذلك الشيء، مثل من يميل إلى الفسق والفجور ولكنه يكره أنْ يكون محباً لهما، فإذا طلب كونه محباً لهما فهذا نهاية المحبة.

٣ـ الصفة الأولى قوله تعالى: ﴿يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ جمع الله بين الوصفين بتقدير: يستحبون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، ليتبين أنّ استحباب الدنيا وحده لا يكون مذموماً إلا بعد أنْ يضاف إليه إيثارها على الآخرة، فهذه هي المحبة المذمومة.

٤ـ الصفة الثانية قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي من كان موصوفاً باستحباب الدنيا فهو ضال، ومن منع الغير من الوصول إلى سبيل الله فهو مضل. فالمرتبة الأولى إشارة إلى كونهم ضالين، والمرتبة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله إشارة إلى كونهم مضلين.

٥ـ والصفة الثالثة من وصف الكفار قوله تعالى: ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ أي: يريدون الدين بشكل معوج وليس بمستقيم، أي: يبغون لها عوجاً بإلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق، وهذا أقصى مراتب الضلال.

وجاء بالمصدر ﴿عِوَجًاۚ﴾ بدل الصفة للدلالة على المبالغة في الضلال ولهذا ناسب ختم الآية بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾ والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ما دلالات استخدام التعابير ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

معلومات عددية:

١ـ وردت كلمة ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في القرآن الكريم ١٦٥ مرة.

٢ـ ورد تعبير ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ٦٨ مرة.

٣ـ وردت كلمة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في القرآن الكريم ١١٥ مرة.

٤ـ ورد التعبير ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ ٩ مرات.

٥ـ تعبير (الدار الدنيا) لم يرد مطلقاً.

٦ـ تعبير (الحياة الآخرة) لم يرد مطلقاً

٧ـ وردت التعابير: ﴿ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ﴿عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ ﴿وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ولم يرد مثل هذه التعبيرات للدنيا.

المعاني:

الدنـــيا:

عندما تكون مفردة تدل على الحياة التي نحياها في هذه الأرض دون أية ظلال أو إيحاءات أخرى، وهي المسافة الزمنية الممتدة من خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

والدنيا على صيغة فعلى وهي مؤنث (أدنى) وهي مشتقة من الدنو، أي الأكثر قرباً إليك نحو:[الجار الأدنى ـ السماء الدنيا ـ العدوة الدنيا] أو من الدناوة.

الآخرة:

هي علم على الحياة الثانية التي سيحياها الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا.

الحياة الدنيـــا:

١ـ وهي تعني في القرآن الكريم استغراق الإنسان في هذه الحياة وانغماسه وانشغاله فيها وانصرافه عما بعدها، فكأنّ تعبير الحياة الدنيا صورة لانصراف الإنسان عن ربه وغفلته عن الآخرة.

* شواهد قرآنية: [البقرة ٢١٢ ـ القصص ٧٩ ـ إبراهيم ٣ ـ الأنعام ٢٩].

٢ـ الحياة الدنيا حياة مؤقتة لا بدّ لها من زوال، أمّا الآخرة فهي حياة دائمة خالدة إمّا في نعيم الجنة وإمّا في شقاء النار.

لذلك قال الله: ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم:٣] ولم يقل: الحياة الآخرة؛ لأنّ الحياة الدنيا فانية زائلة والحياة في الآخرة خلود لا يزول.

لذلك عبّر عنها بالدار الآخرة؛ لأنّ الدار تحمل معنى الاستقرار والثبات والبقاء، والإنسان لا يشعر بالاستقرار إلا في داره، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر:٣٩].

وقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣].

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل:٣٠].



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام صيغة ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ولماذا جاءت (صبّار) مقدّمة على (شكور)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٢٢.

السؤال الثاني:

ما صيغ المبالغة؟ ولماذ استعمل صيغة صبّار على وزن (فعّال)؟ و أيها أكثر مبالغة فعول أو فعّال؟

الجواب:

صيغ المبالغة: (مِفعال، فعّال وفعول) كل منها له دلالة خاصة.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية يونس ٢٢.

السؤال الثالث:

قال في الآية الأولى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ولم يقل ذلك في الآية الخامسة فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية إبراهيم ١.

السؤال الرابع:

ما دلالة كلمة (الصبر) في القرآن الكريم وما مراتبه؟

الجواب:

ما من كلمة ترددت في كتاب الله عز وجل بالكثرة التي ترددت فيها كلمة الصبر، وأصبح من البديهي عند المسلمين بل وعند الناس جميعاً أنّ الصبر هو مقياس كل خير في

صفات الإنسان، والنصوص في كتاب الله وسنة رسوله على فضيلة الصبر تجعل من هذا الصبر هو المعوّل عليه يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام: **(الصبر معوّل المؤمن)** فإذا ضعف عملك وكثرت خطاياك، ثم وهنت قواك في طاعة الله عز وجل، ثم ضاقت بك السبل يوم القيامة فإنّ الصبر هو المعوّل عليه. فإذا جاء في صحيفتك موقف واحد فيه صبر على بلاء واحتسبته لله ولم تشكوه لعوّادك ولم تدعُ غير الله في كشفه فإنّ هذا الموقف وحده كافٍ لأنْ يرفع درجاتك حتى لو كبت بك أعمالك ما لم تكن مشركاً، هكذا هو الصبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦] فالصبر شطر الإيمان، فكل هذا الدين شطر، والصبر وحده شطر كامل. وكما جاء في الحديث: «**الصبر أول العبادة**».

وكلمات التجوزفي الصبر هي: الحلم والصوم والعفة والقناعة وكظم الغيظ والعفو، وكلها بحاجة إلى قوة نفسية لأنْ تفعلها، فلأنْ تكون حليماً أو أنْ تعفو عمن ظلمك، أو أنْ تقنع بقليل مع وفرة الكثير مع استطاعتك أنْ تأخذ الكثير، وأنْ تكون عفيفاً عما في يد غيرك مع إمكان الحصول عليه، وأنْ تكظم غيظك مع قدرتك على العقاب، كل هذا بحاجة إلى طاقة هائلة من نوع من أنواع الصبر لكي تتصف بها.

ولهذا فإنّ الصبير هو الجبل، ومأخوذ من الصبر لأنه لا يتزحزح، والصبير في لغة العرب: زعيم القوم، ولا يكون الزعيم زعيماً إلا إذا صبر على قومه وصبر على تحقيق مصالحهم وصبر على العفو عن مسيئهم، وقد رأينا بعض الزعماء على قلّتهم يفعلون ذلك.

الصبر وعكسه الجزع، فالصبرهو احتمال موقف مؤلم وشاق لا إرادة لك فيه في تلافيه، والفرق بين كونك حليماً وكونك صابراً أنك أنت حليم باختيارك، لكنْ أنْ تكون صابراً إذا وقع عليك موت أو بلاء فهذا صبر اضطراري، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران:١٨٦] وفي موقع آخرقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى:٤٣].

ففي الآية الأولى يدل على أنّ الصبر سهل لأنه اضطراري؛ لأنه لو افترضنا وفاة ابن شخص فليس لديه حل آخر غير الصبر، والجزع لن يفيده بشيء، وكلما ازداد جزعه قلّت قيمته، ولا بأس أنْ يبكي لكنْ لا يجزع، وكما لو جاءه مرض، أوخسر في تجارته، فهذا صبر اضطراري، ماذا تفعل؟ ولذلك ذَكَرَالله ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾.

أمّا في الآية الثانية فذكر الله ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ فأكّدها باللام لأنه إذا ظلمك أحد الناس وأنت تستطيع أنْ تجابهه ولم تفعل ذلك وصبرت، فإنّ تصرفك لمن عزم الأمور؛ وهذه طاقة هائلة أشد من طاقة الصبر على مصيبة لا تستطيع دفعها، ولذلك أكّدها باللام في هذه الآية ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ نظراً لأنّ وقعها على النفس عندما تكون حليماً أشد من وقعها عندما تكون مجرد صابر على قضاء وقدر.

ويقول ابن القيم في «مدارج السالكين» أنه سأل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صبر سيدنا يوسف عليه السلام في الجب فقال: كان صبراً اضطرارياً ولكنّ الأعظم من ذلك صبره في السجن وعلى مراودة زليخة فدخل السجن باختياره، فالصبر عكسه الجزع، والحلم عكسه السفه ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود:٧٥] ورب العالمين حليم لأنه

يؤخر العقوبة ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر:٤٥] وهذا من حلم الله عز وجل.

يقول الزبيدي رحمه الله صاحب كتاب «تاج العروس» عن الصبر: أنه حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، فلا تجزع عندما تصيبك مصيبة.

والجزع هو شدة الانهيار فأنْ تلطم وتشق ثيابك وتصرخ فهذا جزع، والصبر أنْ تحبس نفسك عن الجزع فلا تجزع عند المصيبة، وتحبس لسانك عن الشكوى بحيث إنك لا تشتكي لأحد مصيبتك، وكذلك حبس الجوارح عن التشويش وهكذا.

والصبر الجميل هو بدون شكوى، والهجر الجميل هو بدون مصارمة، والصفح الجميل هو بدون عتاب.

وذو النون يقول عن الصبر: هو السكون عند تجرّع البلية أي: عند الصدمة الأولى، وآخر يقول: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وآخر يقول: الصبر إلزام النفس الهجوم على المكاره، كأنْ تصوم في يومٍ حار جداً أو أنْ تدخل في حرب مستعرة، أو أنْ تتوضأ بماء بارد في يوم شديد البرودة، فكل ما تكرهه نفسك وهو يرضي الله عز وجل فتفعله يعتبر صبراً، وعمرو بن عثمان يقول عن الصبر: الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والسعة، ويقول الخوّاص: الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة، فكل حركة وسكنة ميزانها الكتاب والسنة، ويقول أيضاً: الصبر هو أنْ ترضى بتلف نفسك في رضى من تحب، وأكبر مثال على ذلك عروة بن الزبير وكان يسمى عروة الصابر فقد

ابتلي بابتلاءات عظيمة: قطعت يده، وذهبت عينه، واحترقت داره، وفقد ابنه، فكان كل يوم في بلاء ولذلك سمي عروة الصابر، وقد كان يقول: "وعزتك يا ربي وجلالك لو قطّعتني إرباً إرباً ما شكوت منك ولو ألقيتني في النار ما شكوت منك" فهذا أتلف نفسه في سبيل من يحب وبلغ عشقه لله عز وجل هذا المبلغ.

ويقول الحريري (في سكون الخاطر): الصبر هو ألا تفرّق بين حال النعمة وحال المحنة.

ومراتب الصبر خمس: صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصبّار.

آ ـ فالصابر: كل من يصبر على أي شيء، فكل من له شيء من الصبر يسمى صابراً، وأنواع الصبر لا حدود لها (الصابرين والصابرات).

ب ـ المصطبر: الذي يكتسب الصبر بالابتلاء، أي: أنه تعلم الصبر من كثرة ما ابتلي من بلايا متعددة.

ج ـ المتصبّر: الذي يكلّف نفسه الصبر، فهو في الحقيقة ليس صابراً ولكن في موقف ما أجبر نفسه تماماً على الصبر فيسمى متصبراً، كما في الأثر «**العلم بالتعلّم والحلم بالتحلّم والصبر بالتصبّر**».

د ـ الصبور: هو من أصابته مصيبة واحدة ولكنها كبيرة ورهيبة من حيث الكيف بحيث تنخلع لها القلوب فصبر على هذه المصيبة وهذه المحنة التي قلّ من يصبر عليها فيسمى صبوراً.

هـ الصبّار: (من الكمّ لا من الكيف) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم:٥] وهو من يتعرض للمحن بشكل دائم وكثرة المحن في حياته متعددة وقد صبر عليها جميعاً فهو صبّار.

ومعظم الناس في هذا الزمان من الصبورين أو من الصبّارين؛ لأنّ الناس في هذا الزمان المحن عليهم كثيرة، سواء في الفرد أو في الأمة أو في قومه أوفي محنة اقتصادية أووظيفية أوصحية وأمراض هذا العصر رهيبة، والبلايا في هذا العصر كثرت وكأنّ الله عز وجل يريد أنْ ينقي هذه الأمة من خطاياها؛ لأنّ هذه البلايا أعجوبة العجائب ما تذر العبد وعليه خطيئة ويأتي يوم القيامة بلا ذنب لشدة ما يرحم الله الناس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣] ومن رأفته ورحمته بالناس أنّ أي بلاء بسيط قادر على أنْ يكفر ذنوباً، وكما جاء في الحديث أنّ ليلة من الصداع والمليلة - الحمى الشديدة التي تصل إلى العظم - كفيلة بأنْ يغفر الله بها ذنوبه، فأي كرم هذا؟!.والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ [البقرة:٤٩] وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ

نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٦] ما الفرق بين ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ و ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال كلمة (بلاء) بدل (ابتلاء) في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم:٦]؟

الجواب:

لم ترد كلمة (ابتلاء) في القرآن الكريم أصلاً وإنما وردت (ليبتليكم، مبتليكم، ابتلاه).

والبلاء قد يأتي بمعنى الاختبار أو ما ينزل على الإنسان من شدّة أو ما يصيبه من خير كما في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾ [الأنبياء:٣٥].

أمّا في الآية موضع السؤال فالكلام عن بني إسرائيل قبل أنْ يأتيهم موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم:٦]. والبلاء هنا من باب البلاء القَدَري (أي: ما يُقدّره الله تعالى على الناس) وليس من باب الاختبار الشرعي، فما أصابهم من ذبح واستحياء لنسائهم لم يكن بناء على اختبار شرعي، وإنما حدث لهم قبل أنْ يُرسل الله تعالى لهم

موسى عليه السلام؛ لأنّ الاختبار الشرعي يكون بأنْ يأمر الله تعالى بشيء ما فيفعله الإنسان أو لا يفعله، وأمّا بلاء بني إسرائيل كما جاء في الآية فهو ابتلاء قدري من باب البلاء النازل على الإنسان قدَراً، لا من الاختبار الشرعي فهو ليس من الابتلاء.

وكلمة (ابتلى) هي أشد من (بلاء) ويظهر فيها معنى الاختبار أكثر، والبلاء قد لا يكون بالضرورة سيئاً، والابتلاء اختبار كما في قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر:١٥].

السؤال الثالث:

زاد في آية المائدة ٢٠: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ بالنداء، ولم يذكر ذلك في آية إبراهيم ٦ حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ بغير نداء فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٢٠.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين النعمة والنعيم؟

الجواب:

(النِعمة) في القرآن هي لنعم الدنيا وتستعمل مفرداً وجمعاً: [البقرة ٢١١ـ آل عمران ١٠٣ـ إبراهيم ٦] وأما (النعيم) فخاص بنعيم الآخرة وقد وردت كلمة النعيم ١٦مرة في القرآن.

السؤال الخامس:

ربنا تعالى قال في آية سورة البقرة ٤٩: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وفي آية سورة إبراهيم ٦ قال على لسان سيدنا موسى: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أنجاكم، ولم يقل هنا: نجّياكم، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤٩.



﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ ولم يقل بعد ذكر الكفر: لأعذبنكم كما قال﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ حسن المخاطبة هو في التصريح في الخير دون التصريح بالعذاب.

٢ـ لو صرح بخطابهم بذلك لم يكن صريحاً بدخول غيرهم في ذلك الحكم، فعدل عن إضافة ذلك إليهم ليقيد العموم في كل كافر مطلقاً.



﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢] وقال في سورة إبراهيم: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ وقال في آية الحج ٦٤: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج:٦٤] فأكّد بالضمير واللام والتعريف. فما الفرق؟

الجواب:

في آية لقمان ١٢ الأولى في سورة لقمان أكدها بـ ﴿ فَإِنَّ﴾ بقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ و(غني) نكرة و(حميد) نكرة. أمّا في الآية ٨ في سورة إبراهيم فأكّد بـ ﴿فَإِنَّ﴾ واللام ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾. وفي آية لقمان٢٦ قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٦] باستخدام الضمير ﴿هُوَ﴾ والتعريف ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ

﴿٢٦﴾ أمّا في آية الحج ٦٤ فقال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج:٦٤] فزاد تعالى (اللام) على الضمير المنفصل (لهو) فلماذا؟

١ـ الفرق بين آية لقمان الأولى(١٢) وآية سورة إبراهيم (٨) هو أنّ الآية الثانية آكد من الأولى لأنه ذكر (اللام) فيها، ففي آية سورة لقمان ذكر تعالى صنفين، أي: جعل الخلق على قسمين: من شكر ومن كفر، و(من) للتبعيض، أمّا في آية سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨] فافترض كُفر أهل الأرض جميعاً لذا جاء قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ أعم وأشمل.

٢ـ نلاحظ الاختلاف بين التعبيرين في ثلاثة أمور:

آـ في آية لقمان ١٢ جرى التعبير على التبعيض (بعضهم مؤمن وبعضهم كافر باعتبار من يشكر ومن كفر) بينما في أية إبراهيم جرى التعبير على الشمول فشملهم كلهم ولم يستثن أحداً.

ب ـ في لقمان جاء فعل الشرط بصيغة الماضي ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وفي إبراهيم جاء فعل الشرط بصيغة المضارع ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟﴾ والفرق واضح؛ لأنه إذا كان فعل الشرط ماضياً ففيه افتراض وقوع الحدث مرة، وإنْ كان مضارعاً ففيه افتراض تكرر الحدث، فهنا قال: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟﴾ يعني إذا داومتم واستمررتم على الكفر، وفيه دلالة على تكرر الكفر وتجدده.

ج ـ وفي آية إبراهيم قال: ﴿جَمِيعًا﴾ جاء بالحال المؤكدة، إذن افتراض كفر أهل الأرض بلا استثناء ولم يجعلهم قسمين، ثم افتراض الكفر مستمر، ثم أكد ذلك بـ ﴿جَمِيعًا﴾ فاقتضى ذلك زيادة التأكيد في إبراهيم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾.

٣ـ ربنا تعالى لم يؤكد (غني) في لقمان؛ لأن الناس فئتان ولمّا كان الناس على ملة واحدة أكّد؛ لأنه تعالى لا يحتاج إليهم حتى لو كانوا كلهم كفاراً ويداومون ويستمرون على ذلك، وفائدة التأكيد هنا فائدة بلاغية أنّ الله تعالى غني عن العباد كلهم حتى لو كفروا كلهم جميعاً واستمروا فربنا غني عنهم، وفيه تأكيد الغنى.

٤ـ انظر المقارنة بين آية لقمان ٢٦ وآية الحج ٦٤ في آية الحج ٦٤.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الغنى والثراء واليسار؟

الجواب:

آ ـ الغني: هو الذي لا يحتاج إلى أحد، والغنى قد يكون بالمال وغيره مثل النفس والقوة البدنية وغيرها.

ب ـ الثراء أو الثروة: فيعبّر به عن مجموع المال الكثير، وقولهم: ثرى الله القوم: بمعنى أكثرهم.

ج ـ اليسار: فهو المقدار الذي تيسر معه المطلوب من المعاش وليس ينبيء عن الكثرة. ولذا يقال: تاجر موسر، ولا يقال: ملك موسر؛ لأنّ ما يملكه التاجر قليل في جنب ما يملكه الملك.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب:

النبأ ـ كما يقول أهل اللغة ـ أهم من الخبر وأعظم منه، وفيه فائدة مهمة ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢] وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص:٦٧] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ:٢].

والنبأ في اللغة هو الظهور، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خبر) مفردة في موطنين في قصة موسى[٢٩ القصص ـ ٧ النمل] وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم.

وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن كلمة (نبأ) كما في الآية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم:٩].

والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر (أخبر) كما في الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٣].

السؤال الثاني:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ في سورة هود آية ٦٢ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ في سورة إبراهيم آية ٩؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٦٢.

السؤال الثالث:

ما الفرق في الإستعمال بين: إنّي و إنّني و إنّا وإنّنا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٦٢.

السؤال الرابع:

استعمل في الآية ﴿فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ ولم يقل: إلى أفواههم، فلماذا؟

الجواب:

السبب أنّ الحق لمّا تكلم عن الذين كذّبوا الرسل ورفضوا المنهج الذي جاؤا به من عند الله تعالى قالوا لأنبيائهم: وفّروا عليكم كلامكم فلن يجدي معنا شيئاً، وجعلوا أيديهم داخل الأفواه وعضوا عليها من الغيظ مما سمعوا من الرسل.

لذلك الحرف (في) هنا يحمل معنى المبالغة في رد المنهج الذي جاء به الرسل وهذا المعنى لا يؤديه لفظة (إلى أفواههم).



﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في الآية ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ و ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ (من) تبعيضية، أي: بعض الذنوب، وبدون (من) معناه أنه يغفر لكم الذنوب جميعاً.

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته، أمّا التعبير ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون (من) ثلاث مرات في القرآن: [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

و ورد التعبير مع وجود (من) ثلاث مرات أيضاً [١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤] والله أعلم.



﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم الجار والمجرور في آية إبراهيم فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾؟

الجواب:

١ ـ قدّم الجار والمجرور في آية إبراهيم فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ للدلالة على الاختصاص، وذلك لأنّ التوكل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده.

٢ ـ وكذلك في آية الملك ٢٩: قدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وقدم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وذلك أنّ الإيمان لمّا لم يكن منحصراً في الإيمان بالله فقط، بل لا بدّ معه من الإيمان بالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر وغيره مما يتوقف عليه صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين، لذلك قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره، لأنّ غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه.

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفعل (فتح) وما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾؟

الجواب:

١ـ الفتح: نقيض الإغلاق، وكلمة (استفتح) أي: طلب الفتح، ولدينا في اللغة (فتح واستفتح) والفتح يدل على شيء مغلق ففتح.

ويطلق الفتح على النصر كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر:١].

والمعنى العام للآية(إبراهيم: ١٥) أنّ الكفار طلبوا الفتح أي النصر، وهم قد فعلوا ذلك مظنة أنّ عندهم ما ينصرهم، لكن كيف ينصرهم الله وهم كافرون؟!!

لذلك يخيب الله ظنهم ويحكم عليهم بمصير كل من عاش جباراً في الأرض متكبراً عن عبادة ربه.

٢ـ قد يكون المقصود بـ(الفتح) أمراً حسياً في الدنيا كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ [يوسف:٦٥].

وقد يكون من الأمور التي نؤمن بها في الغيب كما في قوله تعالى ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:٤٠] وقرئت بالتخفيف والتشديد وبالياء والتاء، أي لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم إلى السماء مثل حال المؤمنين.

وكذلك قوله تعالى في مشاهد الآخرة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ:١٩].

٣ـ وقد يكون أمراً معنوياً بمعنى سابقة الخير والعلم كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٧٦] وقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر:٢].أي من مطر أو رزق.

٤ـ وقد يكون بمعنى الفصل والحكم كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف:٨٩]. وفي حديث ابن عباس: ما كنت أدري معنى هذه الآية حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعالَ أُفاتحك أي أحاكمك.

٥ـ كلمة (مِفتح) بكسر الميم تجمع على (مفاتيح ومَفَاتح)، وقيل أنّ (مَفتح) هي جمع مِفتاح ومِفتح و(المَفَاتح) هي الخزائن، وفي الحديث الشريف أنه عليه السلام قال: [**أُوتيتُ مفاتيحَ الكَلم**]. وبابٌ (فُتُح) أي لا يغلق وهو باب الله تعالى. وقارورة (فُتُح) أي ليس لها غطاء أصلاً.

٦ـ و (الفتّاح) من أسماء الله الحسنى، وهو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده. وفاتحة الشيء أوله، وافتتاح الصلاة: التكبيرة الأولى. وأم الكتاب يقال لها: فاتحة القرآن. والفُتحة هي الفرجة في الشيء.

٧ـ و (الفتحُ) أول المطر وجمعه (فتوح) بفتح الفاء، و (الفتحُ) أيضاً هو الماء الجاري على وجه الأرض أو النهر.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَبَّارٍ﴾ ما كلمات منظومة الظلم والاستعلاء؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.



﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ ما دلالة استعمال الأفعال المسندة إلى الموت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٤٤.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية البقرة٢٦٤: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ﴾ وقال في آية إبراهيم١٨: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ فما الحكمة؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة: المثلُ للعامل فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب لأنّ (على) من صلة القدرة، وفي آية البقرة السياق في الإنفاق والصدقة والمنفق معطٍ وليس كاسباً ولذلك أخّر الكسب.

٢ـ في آية إبراهيم عليه السلام: المثلُ للعمل لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ وتقديره: مثل أعمال الذين كفروا، فالسياق في العمل والعامل كاسبٌ فقدّم الكسب.

فكان تقديم ﴿مِمَّا﴾ تقديم نفي (ما كسبوا) أنسب لأنه صلة (شيء) وهو الكسب.

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين(أتباع وأشياع)؟

الجواب:

١ـ أشياع: بمعنى الأنصار، وهم الجماعة المائلة إلى جهة أو شخص من محبتهم له، أو يجتمعون على فكرة أو رأي يربط بينهم، وهي أعم من أتباع، واستعملها القرآن للمتقدم والمتأخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ [الصافات:٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾ [القمر:٥١] والمخاطَب زمن الرسول ﷺ وأشياعهم هم الأمم السابقة، ونحن أشياع سيدنا محمد وأتباعه الذين معه وقتها.

٢ـ أتباع: هم الجماعة التي تتبع الآخرين في الأمور ولو بدون فكرة أو رأي يربط بينهم، والتبع هو للمفرد والجمع، وجمعه: أتباع، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم:٢١] فهو نوع من الولاء، واستعملها القرآن فقط مع من كان مع النبي ﷺ آنذاك.

والقرآن الكريم لم يستعمل التبع إلا من كان مع الرسول وقتها، وكل أتباع الرجل من كان معه ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ بينما الأشياع ليس بالضرورة ذلك، واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر.

وقد تكلم ربنا عن سيدنا نوح عليه السلام ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ [الصافات:٧٥] ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣﴾ [الصافات:٨٣] أين إبراهيم من نوح؟ من شيعته أي من شيعة نوح، صحيح الفروع مختلفة لكنّ أصل الرسالة واحدة، وسيدنا نوح كان أسبق بكثير من إبراهيم.

٣ـ لذلك نحن أشياع الرسول ﷺ وأتباعه الذين معه.

٤ـ فالأشياع أعمّ من الأتباع، الأتباع من كانوا معه فقط ولا يستعمل للمتأخر. والأشياع عامة. وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من التبع.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ ما الفرق بين (الضعفاء والضِعاف)؟

الجواب:

١ـ (ضُعفاء) جمع على وزن: (فُعلاء) نحو: كُرماء وجُهلاء وحُكماء، و هو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية.

أمّا الجمع (فِعال) نحو: ثِقال وضِعاف، فيكاد يختص بالأمور المادية قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ و ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد:١٢].

٢ـ ومثله: [الكُبراء والكِبار] فالأول هم السادة والرؤساء، وأمّا الكِبار فهم كِبار الأجسام والأعمار.

٣ـ ومثله: [الضُعفاء والضِعاف] فالأول: ﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ فهم المستضعفون من الأتباع والعوام، وأمّا (الضِعاف) فللضعف.

شواهد قرآنية: ضعفاء:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة:٩١].

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم:٢١].

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا . . .عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر:٤٧].

وهذه كلها في الضعف المعنوي، فإنْ أردت الضَعف المادي قلت: ضِعاف، كقولك: هم ضِعاف الأجسام.

شواهد قرآنية: ضِعاف:

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:٩].

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٦].

فقد قال في الأولى: ﴿ضِعَـٰفًا﴾ وفي الثانية ﴿ضُعَفَآءُ﴾ فلماذا؟

بالتأمل في الآية الأولى يتبين أنّ قوله: ﴿ضِعَـٰفًا﴾ يعني الضعف المادي، أي: أنهم بحاجة إلى المال لأنهم فقراء.

وأمّا الثانية فليس المقصود بها الضعف المادي بل الضعف المعنوي بدليل أنّ أباهم له جنة فيها من كل الثمرات، وإنما هم ضعفاء إلى من يقوم بأمرهم. والله أعلم.



﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

متى تأتي ﴿لِىَ﴾ بفتح الياء كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ ومتى تأتي ﴿لِى﴾ بدون فتح الياء؟

الجواب:

١ـ مسألة فتح ياء المتكلم وعدم فتحها هذا جائز في اللغة. ولا تتعلق فقط بـ (ليَ ولي)، (وليَّ، وليّ).

٢ـ هناك مواطن يجب فيها الفتح وما عداها يجوز، وأمّا في القرآن فهو حسب النقل، ومواطن وجوب الفتح هي:

آ- بعد الاسم المقصورنحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢] ولا يمكن التسكين، وقوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]. والاسم المقصور هو الاسم المُعرَب الذي آخره ألف لازمة نحو:

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ [طه:١٨] عصا اسم مقصور أضيفت إلى الياء فتقول: (عصايَ)، هدايَ، محيايَ وهنا الياء واجبة الفتح.

ب- بعد الاسم المنقوص، والاسم المنقوص هو الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة وقبلها كسرة نحو: (معطي) تقول: أنت معطيَّ كذا، أنت مُنجيَّ.

ج- بعد المثنى ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح:٢٨] لا بدّ من الفتح. ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ ﴾ [القصص:٢٧].

د- بعد جمع المذكر السالم ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [إبراهيم:٢٢]. وكما في الحديث: «أومخرجيَّ هم؟»

هذه المواطن التي يجب فيها الفتح.

٣ـ و أمّا في القرآن فالنقل هو الذي يحدد.

٤ـ أمّا الباقي فيجوز فيه السكون والفتح، فيمكن أنْ تقول: (آتانيَ الله أو آتاني)، وأيضاً: (إنّ ولييَ الله) بالفتح ويمكن أنْ تقول: (وليي الله) فيجوز السكون لكنْ تحذف الياء في النطق.

السؤال الثاني:

ما معنى قوله تعالى ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ صرخ وأصرخ: (صرخ) يعني صنع فعل الصراخ واستغاث، و(أصرخ) بمعنى أغاثه وأزال الصراخ ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ أي لا تستطيعون أنْ تعينوني وتزيلوا صراخي، ولا أنا أزيل صراخكم، والهمزة في (أصرخ) هي همزة السلب، أي: تسلب الحكم الأول، مثل: (جار) بمعنى ظلم و(أجار) بمعنى رفع الجور، (قَسَط) بمعنى جار وظلم، و(أقسط) أزال القسط وأزال الظلم.

٢ـ كلمة (أصرخ) أي: سمع صراخه فذهب لينقذه، والذي يسمع الصراخ إمّا أنْ يكون ضعيفاً فلا يستجيب، وإمّا أنْ يكون قوياً فيذهب لنجدته، لذلك كلمة (أصرخه) أي: أنقذه وأزال سبب صراخه.

وقوله تعالى حاكياً ما يقوله الشيطان: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ أي: أنّ الشيطان لا يستطيع أنْ ينجيهم من العذاب وينقذهم منه، ولا أنتم أيها المتبعون لدعوة الشيطان تستطيعون دفع العذاب عن الشيطان، لذلك سيكون العذاب للطرفين.



﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿حِينٍۭ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

في اللغة هناك ظروف محددة مثل (شهر، عام، أسبوع، حول) وظروف مبهمة. و ﴿حِينٍ﴾ هي من الظروف المبهمة بمعنى أنه ليس لها وقت محدد لكن قد يُعلم وقتها بما تُضاف إليه، كقوله تعالى في سورة الروم: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم:١٧] وكذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم:٢٥] أي حسب الثمار.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ما الفرق بين (يتذكرون ويذكّرون)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٧.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في خواتيم الآيات؟ وكيف نميز بينها في الحفظ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام حفظ القرآن الكريم يعتمد على المراجعة والتكرار بالدرجة الأولى، بمعنى أنّ الذي يحفظ كلام الله سبحانه وتعالى ينبغي أنْ يراجعه، وقد كان الأولون يقومون الليل بالقرآن الكريم فيختمون القرآن في كل أسبوع، أوفي كل أسبوعين مرة

ويبقى يراجع القرآن فلا ينسى؛ لأنّ الآيات وُصِفت بأنها كالإبل الشوارد التي تشرد فلا بدّ من تقييدها بالمراجعة.

٢ـ ومع ذلك يمكن أنْ يتلمس الإنسان بعض الروابط بحيث يربط الآية بخاتمتها وتكون فيها المسألة الفلانية، و طبعاً الآيات تكون أحياناً للخطاب نحو: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وأحياناً للغيبة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وهذا أيضاً له جانب: متى يكون خطاباً ومتى يكون للغيبة؟ لأنّ القرآن يخاطب أحياناً وفجأة ينتقل للغيبة وذلك عندما يريد الحكم أنْ يكون عامّاً مطلقاً فيتحول من المخاطب إلى الغائب ليكون لجميع الغائبين وليس لهؤلاء الذين خوطبوا لجزئية معينة.

٣ـ (التقوى) هي تجنّب الوقوع فيما لا يرضي الله سبحانه وتعالى، وعندما يقول تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يكون سياق الآية في طلب شيء، إمّا بأمر (افعلوا) وإمّا بنهي (لا تفعلوا) أو بـ (كتب) بمعنى فرض بحيث على السامع أو على المؤمن أنْ يتجنب معصية الله سبحانه وتعالى بأنْ يتّقي المخالفة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قالوا: لعلّ بمعنى كي، أي: أنا أخبركم بهذه الأمور كي تتقوا الوقوع في المخالفة، هذا فيما يتعلق بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٤ـ وعندما نأتي إلى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ يكون الكلام فيه طلبٌ للتفكر إمّا بضرب مَثَلٍ حتى يتأمل الإنسان هذا المثل، وإمّا يكون جواباً عن سؤال حتى يتفكر في الإجابة عن السؤال.

٥- ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾: التذكّر للاتّعاظ أي لتكون له عظة بذلك، ونجده في سياق البيان المخالف لعُرفِهِم، أي عندهم شيء معيّن من أعرافهم ثم يأتي الحكم مخالفاً للعُرف الاجتماعي، فعند ذلك يُطلب إليهم أنْ يكون لهم بهذا الكلام عظة وعبرة يتّعظون به فلا يخالفونه. مثل قوله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم:٢٥].



﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

هل أصل الفعل (اجتثّت) كما ورد في سورة إبراهيم ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ اِجتُثَّ أو أُجتُثّ؟ ما هو ضبط الفعل وهل هو فعل خماسي؟

الجواب:

الفعل مبني للمجهول مضموم الحرف الأول مثل: أُستُمع وأُنطُلِق، وضمّ الحرف الأول في المبني للمجهول وهو فعل خماسي (افتعل) يُكسر ما قبل الآخر.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة القلع والاجتثاث ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي: اجتث ـ قلع ـ قطع ـ نزع ـ صرم.

انظر الجواب في آية هود ٤٤.



﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت الهداية بالاسم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] والضلالة بالفعل ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧]؟

الجواب:

فعل الهداية والضلالة: هناك آيات كثيرة في هذا الموضوع منها قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧] ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٦].

والهداية جاءت بالاسم والفعل، وأمّا الضلالة فجاءت بالفعل نحو قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر:٣٤] وكذلك جاءت في الحديث عن الشيطان بالاسم والفعل نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ﴾ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾.

وذلك لأنّ صفة الله تعالى الثابتة والمتجددة هي الهداية: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] وهو يهدي في حالته الثابتة والمتجددة، ولا يضل إلا مجازاة للظالم.

وأمّا صفة الشيطان الثابتة والمتجددة في الإضلال فجاءت (مضلّ) بالاسم الثابت وبفعل التجدد، ولم يقل الله تعالى عن نفسه: مُضلّ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ما كلمات منظومة ألطاف الله على عباده المؤمنين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٢٦.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا نسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم في الآية؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ نُسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم لأنّ سببَه كفرُهم، وسببُ كفرِهم هو أمرُ أكابرِهم إياهم بالكفر.

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل يُضمر القول في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٧.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لماذا لم يستعمل (اللام) فيقول: (ليقيموا) بل أضمرها؟ وما الفرق بين التصريح باللام وإضمارها؟

الجواب:

١ـ قد تضمر لام الأمر بعد قولٍ هو أمر، كما في آية الإسراء ٥٣ وآية إبراهيم ٣١ والتقدير: قل لهم ليقولوا وليقيموا.

٢ـ ليس بعد كل قول أمر يكون المحذوف لاماً، فقد يكون شرطاً أو أمراً أو يحتمل المعنيين. نحو قوله تعالى:

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] وهنا معناه الشرط.

ـ قولك: قل له يفعلْ ذاك، فقد يحتمل الأمر وقد يحتمل الشرط.

٣ـ حذف اللام ليس محصوراً بالقول، بل قد يكون مع غيره حسبما يقتضي المعنى.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البقرة:٦٩] أي: ليبين لونها.

ـ ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد:١٣] فليس المقصود (إنْ تنظرونا نقتبس من نوركم) وإنما هو طلب النظر لاقتباس النور.

ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٤٣] أي: لأنظر إليك وليس إن تُرني أنظر إليك.

ـ ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة:٦١] فقد يحتمل الشرط أو التعليل أي: إنْ كان المعنى: إنْ تدع ربك يخرج لنا، بخلاف ما لو دعوناه نحن، فهذا يحتمل الشرط، وإنْ كان المعنى: ادعه لنا ليخرج لنا، فيحتمل التعليل.

لكنه حذف اللام إكباراً وإجلالاً للذات الإلهية من أنْ يصرح معها بلام الأمر. والله أعلم.

الفرق بين التصريح باللام وإضمارها:

ما الفرق بين قولنا: (قل له يفعل) و(قل له ليفعل)؟

الجواب: أنه بذكر اللام يكون الشخص مأموراً صراحة بخلاف إضمارها فهذا أرق وألطف.

ففي قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا﴾ [البقرة:٦١] فالمخاطب هنا هو موسى عليه السلام، فاستغنى بخطابه عن ذكر لام الأمر مع الله تعالى، وهذا ألطف وأرق، في حين لو قال مثلاً: ليخرج لنا، لكانت لام الأمر صراحة لله تعالى.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١﴾ ما أوجه العطف على اسم (لا) النافية للجنس؟

الجواب:

يذكر النحاة أوجهاً متعددة في المعطوف على اسم (لا) النافية للجنس:

١ـ رفع المتعاطفين:

شواهد:

ـ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة:٢٧٧].

ـ ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١﴾ [إبراهيم:٣١].

ـ تقول: لا رجلٌ ولا امرأةٌ في الدار، وهذا جواب لسؤال: أرجلٌ أم امرأة في الدار؟

٢ـ بناء المتعاطفين:

تقول: لا رجلَ ولا امرأةَ في الدار، وهذا جوابٌ لسؤال: هل من رجلٍ ومن امرأةٍ في الدار؟

٣ـ بناء الأول ورفع الثاني:

تقول: لا رجلَ ولا امرأةٌ في الدار، وتكون الأولى نصاً في نفي الجنس والثانية محتملة للجنس والوحدة وليس فيها نصوصية على الاستغراق.

جاء في آية يونس ٦١ ﴿وَلَآ أَصْغَرَ. . .وَلَآ أَكْبَرَ﴾.

وجاء في آية سبأ ٣ ﴿وَلَآ أَصْغَرُ. . .وَلَآ أَكْبَرُ﴾.

النفي في سورة يونس أقوى وآكد ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ بزيادة (من) الاستغراقية، بخلاف سورة سبأ التي قال فيها: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ بدون (من) فجاء بـ(لا) النافية للجنس مجانسة لقوة النفي وتوكيده في آية يونس، بخلافها في آية سبأ وهو المتناسب مع السياق، حيث إنّ الكلام في سورة يونس على مقدار علم الله وإحاطته بالغيب واطّلاعه على أفعال خلقه أينما كانوا، بخلاف سورة سبأ التي كان الكلام فيها على الساعة.

٤ـ بناء الأول ونصب الثاني:

تقول: لا رجلَ ولا امرأةً في الدار، وهذا عند النحاة من أضعف الوجوه.

٥ـ رفع الأول ونصب الثاني:

تقول: لا رجلٌ ولا امرأةً حاضران. وقد منعه النحاة. وقيل: يجوز إنْ أردنا نفي المعية.



﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ختام الآيتين ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤] ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨]؟

الجواب:

هذا يتعلق بالسياق، وسياق آية إبراهيم في وصف الإنسان وذكر صفات الإنسان فختم الآية بصفة الإنسان، وآية النحل في سياق صفات الله فذكر ما يتعلق بصفات الله.

وتفصيل ذلك:

آ ـ في إبراهيم قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)﴾ الكلام كله في صفات الإنسان إلى أن يقول ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم:٣٤].

ب ـ في النحل يتكلم عن صفات الله والنعم ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى
ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن
تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا
يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ يتكلم عن
صفات الله تعالى والنِّعَم.

إذن لَمّا تكلم على صفات الله والنعم التي ذكرها قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ولَمّا تكلم عن صفات الإنسان قال: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤] فكل فاصلة مناسبة للسياق الذي وردت فيه.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿نِعۡمَتَ﴾ في آية إبراهيم ٣٤؟ وكيف تعد النعمة وهي واحدة؟

الجواب:

١ـ النعمة هنا ليست مفردة وإنما هي جنس النعمة، فهي عامة تشمل كل النعم، والنعمة التي نراها واحدة في ظاهرها في طيها نِعَمٌ شتى، فالتفاحة تراها نعمة واحدة لكن علم العناصر يُبين لنا أنّ فيها نِعَماً كثيرة وفوائد عديدة، فهي نعمة في طيها نعم.

٢ـ النعمة تقتضي: نعمة ومُنعِماً ومُنعَماً عليه.

فالنعمة في ذاتها من الكثرة بحيث لا تعد ولا تحصى، ولذلك استخدم كلمة (إنْ) الدالة على الشك ولم يقل (إذا) لأنّ هذا مجال لا يطمع فيه أحد، ونِعم الله ليست مظنة الإحصاء.

والمُنعَم عليه هو الإنسان وهو ظلوم كفار، ظلوم لنفسه ولغيره، كفّار بالنعمة، ولو آخذناه بذلك لحرمناه هذه النعم، لكنّ الذي حماه من هذا الحرمان أنّ المُنعِم عليه غفور.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ هل تكتب بالوصل (كلما) أم منفصلة (كل ما)؟

الجواب:

توصل ﴿كُلَّمَا﴾ في جميع القرآن إلا في موضع واحد فقد فصلت بالاتفاق وهو قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم:٣٤].



﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعريف والتنكير في كلمة (بلد) بين الآية في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة:١٢٦] وسورة إبراهيم ٣٥ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾؟

الجواب:

الآية الأولى هي دعاء سيدنا إبراهيم قبل أنْ تكون مكة بلداً فجاء بصيغة التنكير ﴿بَلَدًا﴾، أمّا الآية الثانية فهي دعاء سيدنا إبراهيم بعد أنْ أصبحت مكة بلداً معروفاً فجاء بصيغة التعريف في قوله: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾.



﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ ولم تختم كما في آية المائدة ١١٨ بـ ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١١٨.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾؟

الجواب:

١ـ لو أردت أنْ تصف وادياً جافاً لا أظنك تقول مثل هذا القول: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ بل قد تقول: وادٍ غير خصب أو لا ينبت فيه الزروع والثمار.

٢ـ كلمة ﴿ذِي﴾ تفيد التصاق الصفة بالموصوف والآية تعني أنه واد غير قابل للزرع.

إنّ التكنولوجيا الحديثة حفرت بمكة الأنفاق وبنت العمارات العالية والقصور الشامخة لكنها لم تستطع أنْ تزرع الجبال الصوانية الصماء بمكة المكرمة، ولو قال الله: بواد غير مزروع، لما دلّ على هذا المعنى؛ لأنّ كلمة (غير مزروع) تفيد نفي الحال لا دلالة المحال.

قال: ﴿بِوَادٍ﴾ ولم يقل (في وادٍ) فلعلها تفيد معنى التصاق ذرية إسماعيل بهذا الوادي المبارك.

٣ـ اختار كلمة ﴿زَرۡعٍ﴾ ولم يستخدم كلمة نبات أو ثمر أو غرس؛ لأنّ الزرع يحتاج إليه الناس في طعامهم الأساسي ويغلب معناه في المعاجم البر والشعير.

إضافة إلى أنّ الزرع يحتاج إلى التربة الطينية المتماسكة لتبذر فيها البذور، والأرض الصوانية الحارة الملساء في مكة المكرمة يستحيل معها إنبات الزرع حتى لو نقلت إليها التربة الطينية وفرشتها على الصخور فإنّ المطر سوف يذهب بهذا التراب وتبقى الجبال السوداء تعكس أشعة الشمس اللاهبة.

وقد يجتهد الناس بحفر حفرة وملئها بالتراب لغرس شجرة ما أو شجيرات، ولكن الحديث هنا عن الزرع بشكل عام.

٤ـ ولعلّ سيدنا إبراهيم عليه السلام أحسّ بجفاف هذا الوادي فغلبته مشاعر الأب الحاني على أبنائه وآلمه ما سيعانيه أبناؤه من قسوة الحياة فرفع يديه ضارعاً إلى ربه يدعو بحرقة وخشوع. وقال:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم:٣٧].



﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾

السؤال الأول:

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم واسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ للتبعيض، وإنما ذُكر هذا التبعيض لأنه علم بإعلام الله تعالى له أنه يكون في ذريته جمع من الكفار ،وذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ يريد أنْ يقبل الله دعاءه أو أنْ يقبل عبادته له.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٤١].

آـ ليس طلب المغفرة عن ذنب ولكنّ المقصود الالتجاء إلى الله وقطع الطمع إلا من فضله وكرمه ورحمته.

ب ـ إنْ قيل: كيف جاز أنْ يستغفر لأبويه وأبوه كافر؟ فالجواب:

ـ المنع منه لا يكون إلا بالتوقيف، فلعلّه لم يجد منه منعاً فظن ذلك جائزاً.

ـ كان ذلك بشرط الإسلام.

ج ـ قال بعضهم: كانت أمُهُ مؤمنة ولهذا خصّ أباه بالذكر في قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة:١١٤] والله أعلم.

السؤال الثاني:

في الآية ذكر طلب المغفرة مع الوالدين فقال: ﴿ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ فلماذا لم يقل أبويّ مثلاً؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٣٦.



﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفؤاد والقلب؟

الجواب:

١ـ القلب: العضلة المعروفة التي تضخ الدم إلى كافة الجسم.

٢ـ الفؤاد: مفرد (أفئدة)، وهو القلب أيضاً، لكنه من التفؤد وهو الاحتراق، ومعنى فأد في اللغة: شوى.

فالفؤاد يعني الأمور التي تدعو إلى المعاناة، والقرآن يستعمل الفؤاد بهذا المعنى.

* شواهد قرآنيـــة:

ـ ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ [القصص:١٠] أي: فيه عاطفة محترقة على ابنها.

ـ ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾ [إبراهيم:٤٣] كالاحتراق.

ـ ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾ [الهُمَزة:٦-٧] أي: سوف تحرقها.

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب:

الإنذار في القرآن الكريم لا يكون خاصاً للكفار والمنافقين، وقد يأتي الإنذار للمؤمنين والكافرين.

والإنذار للمؤمن ليس فيه توعد، فهو للمؤمنين تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أن يقوم به كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يس:١١] وهذا ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

وقد يأتي الإنذار للمؤمنين كما في الآيات: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤] ﴿ . إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر:١٨] وقد يكون للناس جميعاً ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٤] ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام:٥١].

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة اللام في قوله: ﴿لِتَزُولَ ﴾؟

الجواب:

قد تكون ﴿وَإِن ﴾ في الآية نافية واللام هي لام الجحود بمعنى: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال:٣٣] في سورة الأنفال.

وقد تكون اللام للتعليل وإنْ شرطية بمعنى: وإنْ كان مكرهم معدّاً لزوال الجبال.

السؤال الثاني:

ما المكر في القرآن؟

الجواب:

١ـ المكر هو التدبير وفيه نوع من الخفية والسرّية، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران:٥٤] هو على سبيل المشاكلة، أي: هو خير المدبرين وأحسن من يدبر التدبير، وهذا المكر من الله ليس تدبيراً سيئاً في ذاته وإنما هو سوء لهم أو سوء عليهم، والأصل في غير القرآن: ويدبر الله لهم العقاب.

٢ـ المكر استعمل للسوء، واستعمله القرآن على سبيل المشاكلة، وإذا رجعنا إلى الأصل اللغوي فليس فيه شيء وإنما المكرهو التدبير، وهناك تدبير حسن وتدبير سيء.

٣ـ المكر في اللغة بمعنى التدبير بأنْ يدبّر شيئاً أي: يرتبه، ولكن عندنا في الاستعمال صار المكر سيئاً ويستعمل للخداع، ونحن يجب أنْ ننظر للكلمة كما كانت تستعمل عند نزول القرآن.

٤ـ العرب قديماً فهموا معنى مكر الله تعالى، كما فهموا عمرو بن كلثوم لمّا قال:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـــلَ فـــوق جهـــل الجاهلينـــا

أي: لا يقم أحد فيتصرف تصرف الجاهلين فنعاقبه عقاباً شديداً، فاستعمل (فنجهلَ) فإنّ في استعمالها معنى المشاكلة.

٥ـ ولذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٩٤] الله تعالى لا يرتضي العدوان لكنّ عملهم ليس عدواناً وإنما عملهم عقوبة على عدوان وردّ عدوان، فاستعمل اللفظ للمشاكلة.

السؤال الثالث:

ما دلالة الآية ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾؟

الجواب:

الله سبحانه وتعالى يخاطب العرب، وهم لا يستطيعون أنْ يصنعوا شيئاً من غير إرادة الله تعالى فقال: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٦].

والراجح أنّ هناك شرطاً محذوفاً بتقدير: وإنْ كان مكرهم لتزول منه الجبال فهو عند الله تعالى، فهم لا يستطيعون شيئاً من غير أمره جلّت قدرته، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٧] الله تعالى لا يخلف ميعاده لعباده الصالحين.



﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ ﴾ هل ستكون الجنة والحساب والعقاب في الأرض أو في السموات يوم القيامة؟

الجواب:

هناك تبديل في السماوات والأرض، والأرض التي يرثها المؤمنون ويتبوؤون من الجنة كما في قوله تعالى في آية الزمر ٧٤ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ فهي ليست هذه الأرض التي

نحيا عليها، وإنما هي أرض الآخرة التي قال تعالى عنها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم:٤٨].



﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة؟

الجواب:

كلمات منظومة الإمساك والسيطرة هي:

الحبل ـ الوثاق ـ الطوق ـ السلسلة ـ الصفد ـ القفل ـ الغل

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.



﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الوقود؟

الجواب:

الكلمات هي:

الوَقود:

الوَقود: ـ بفتح الواو ـ هو الأشياء التي توضع في النار لكي تتقد من حجارة أو بشر أو قطران.

الوُقود: ـ بضم الواو ـ فتُطلق على عملية الاشتعال.

* شواهد قرآنية:

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

الحطب:

هو كل ما يُعد للإشعال والإيقاد قبل أنْ يشعل، وهو أنواع:

آ ـ الحجارة التي كانت أصناماً.

ب ـ المعادن المختلفة التي استعملت في الدنيا استعمالاً ظالماً كالذهب والفضة أو رشاشاً قتلت به شخصاً، وكذلك ما يسرقه الإنسان في الدنيا.

ج ـ الغلول: وهو سرقة المال العام وما يسرقه الموظف سيجده من حصب جهنم يُعذَّبُ به.

* شواهد قرآنية:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥] فالله منذ خلقهم أعدّهم ليكونوا حطباً.

الحصب:

إذا أضرمنا النار في الحطب يُسمى حصباً، وكل حصب كان حطباً.

* شواهد قرآنية:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] الآية تخاطبهم يوم القيامة بعد أنْ أصبحوا في النار.

القطران:

هو الزيت مثل البترول الأسود، وكانت تطلى به الإبل المصابة بالجرب، وهو سريع الاشتعال.

* شواهد قرآنية:

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم:٥٠].



﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ في آية سورة إبراهيم آية ٥٢ و﴿بَلَٰغٌ﴾ في آية سورة الأحقاف آية ٣٥؟

الجواب:

١ـ كلمة (بلاغ) في سورة الأحقاف هي خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: (هذا بلاغ) وفي سورة الأحقاف سياق الآيات التي قبلها والمقام هو مقام إيجاز، لذا اقتضى حذف المبتدأ فجاءت كلمة (بلاغ) ولم يخبرنا الله تعالى هنا الغرض من البلاغ.

٢ـ أمّا في سورة إبراهيم فالآيات التي سبقت الآية ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ فصّلت البلاغ والغرض منه من الآية ٤٢ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.



رابعاً ـ تناسب فاتحة إبراهيم مع خاتمتها:

قال الله سبحانه في أول السورة:

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم:١-٢].

وقال في آخرها: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

١ ـ فقال في أول السورة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١].

وقال في آخرها: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥٢].

فذكر في أول السورة أنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور. وقال في آخرها: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾.

٢ ـ وقال في أولها: إنّ له ما في السماوات وما في الأرض.

وقال في خاتمتها: ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

فالذي له ما في السماوات والأرض هو الإله الواحد.

٣ ـ وقال في أول السورة: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١-٢].

وقال في آخرها: ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم:٥٢].

فيخرجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد وإلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السماوات والأرض. والعزيز الحميد الذي له ما في السماوات والأرض إنما هو إله واحد، وليذكّر أولو الألباب وهم أهل العقول النيّرة.

٤ ـ قال في أولها: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم:٢].

وذكر في خواتمها صفة عذابهم فقال: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾... ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم:٤٤- ٥٠].

٥ ـ قال في أول السورة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم:١].

فوصفه بأنه عزيز حميد. وقال في آخرها: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾ [إبراهيم:٤٧].

فوصفه أولاً بأنه عزيز، وكذلك في أواخر السورة.

ووصفه في أولها بأنه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ وذكر في آخرها أنه ليس مخلف وعده رسله، والذي لا يخلف وعده إنما هو حميد.

ثم ذكر إقامة الحجة عليهم في الآخرة فقال لهم: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم:٤٥].

ولم يعذب من غير إقامة حجة فهو عزيز حميد. فهو الحميد من كل وجه.

٦ ـ ووصفه في أواخر السورة بأنه عزيز ذو انتقام.

وذكر الانتقام في أول السورة بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم:٢-٣].

فهؤلاء أحق أنْ ينتقم منهم العزيز الحميد ذو الانتقام. والله أعلم.



سورة الحجر

أولاً ـ تناسب خواتيم إبراهيم مع فواتح الحجر:

١ ـ قال سبحانه في خاتمة سورة إبراهيم:

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقال في بداية سورة الحجر:

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ [الحجر:١].

فالبلاغ الذي بلغ الناس به إنما هو الكتاب وما في الكتاب.

٢ ـ ذكر في خواتيم سورة إبراهيم عاقبة الظالمين فقال:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٩-٥٠].

وقال في بداية الحجر: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر:٢]

فقد قيل: إنّ هذه الودادة إنما تكون يوم القيامة عندما يرون العذاب ويرون نجاة المسلمين وفوزهم بالجنة.

٣ ـ قال في خواتيم سورة إبراهيم في الظالمين: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٤].

وقال في بداية الحجر: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحِجر:٣].

فالذين في سورة إبراهيم ألهاهم الأمل حتى ظنوا أنهم لا يزولون عن هذه الدنيا وأنما هم خالدون فيها، فقال ربنا: (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل).

فالمناسبة ظاهرة.

جاء في «البحر المحيط»: مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السماوات والأرض وأحوال الكفار في ذلك اليوم، وأنّ ما أتى به هو على حسب التبليغ والإنذار، ابتدأ في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفرة وودادتهم أنهم لو كانوا مسلمين.

ثانياً ـ هدف السورة: حفظ الله لدينه:

السورة مكية ونزلت في وقت اشتد الأذى على الرسول ﷺ، والمسلمون في مكة تعرضوا للاستهزاء والاتهام كحال المسلمين الآن، فجاءت هذه السورة وكأنها رسالة قرآنية من الله تعالى ليطمئن رسوله والمسلمين أنّ هذا الدين محفوظ من الله تعالى، وما على المسلمين إلا الاستمرار في الدعوة والتركيز عليها وعدم الانبهار بقوة أعدائهم أو الاستشعار بالضعف والوهن والانهزامية أمام الأعداء.

(الحِجْر) هو مكان سكنت فيه ثمود الذين ابتعدوا عن منهج الله تعالى، وكانوا قد نحتوه في الجبال ليختبئوا من الزلازل والصواعق بظنهم أنه مكان آمن لهم يقيهم ويحفظهم: ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحِجر:٨٢]، لكنّ الله تعالى أهلكهم

بالصيحة التي دخلت آذانهم فتركتهم صرعى ولم ينفعهم كل ما احتاطوا له، ومكثهم في الحِجر ما منع قضاء الله وعذابه من أنْ يحلّ بهم: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الحِجر:٨٤]. وفي هذا دلالة على أنّ الله تعالى هو الحافظ ولا يتم الحفظ بالوسائل المادية، وهذا حِجر ثمود أكبر دليل على ذلك، ولقد سميت السورة بسورة الحفظ؛ لأنّ كل آياتها تؤكد أن الله تعالى يحفظ كل شيء، ولذا جاءت فيها آية ٩: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ خاصة دون غيرها من سور القرآن.

وبداية السورة ونهايتها تتحدث عن حفظ الله تعالى للكون.

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [الحِجر:١] و ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحِجر:٩٧-٩٨-٩٩]. وكأنّ الآيات الأخيرة هي الحل والتوجيه حتى يحفظنا الله تعالى بحفظ القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر:٩]، والسموات والأرض: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحِجر:١٦-١٧]، والرزق: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحِجر:٢١]، وحفظ المؤمنين، وقد تحدثت الآيات عن الشيطان كيف واجه ربه بأنه سيغوي عباد الله إلا الذين حفظهم الله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحِجر:٤٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجر:٤٢].

وقد جاءت جزئية قصة إبليس عندما قال لربه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحِجر:٣٩] في هذه السورة خاصة بمعنى أنه سيحاول أنْ يخدع

المسلمين ويغويهم بالباطل لذا جاءت الآية بعدها: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر:٨٨]. فالسورة كلها تؤكد للمسلمين أنّ الله حافظهم، والمؤمنون حقاً هم الذين يحفظهم الله تعالى من الشيطان ونزغه: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر:٤٠].



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني:

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب:

١ـ إنّ كل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (الكتابُ) وحده ولم يذكرْ معه (القرآن) فإنه تتردد فيها لفظة (الكتاب) أكثر من لفظة (القرآن) وربما لم ترد فيها لفظة (القرآن).

٢ـ وكل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (القرآن) وحده ولم يذكر معه لفظة (الكتاب) تتردد فيها لفظة (القرآن) أكثر من لفظ (الكتاب) وربما لم ترد فيها لفظ (الكتاب).

٣ ـ وكل سورة اجتمع فيها ذكرهما تردد ذكرهما بصورة متقاربة بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر بأكثر من لفظ واحد.

وهذا النهج لم يختلف في أيةِ سورة من السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، ولننظر الآن إلى الجدول التالي:

اللفظ	السورة	تردد لفظ الكتاب	تردد لفظ القرآن
الكتاب	البقرة	٤٧ مرة	١ مرة واحدة
الكتاب	آل عمران	٣٣ مرة	-
القرآن	طه	١ مرة واحدة	٣ مرات
القرآن	ق	١ مرة واحدة	٢ مرتان
الكتاب والقرآن	الحجر	٢ مرتان	٣ مرات
الكتاب والقرآن	النمل	٥ مرات	٤ مرات

الملاحظات:

ـ الكتاب: من الكتابة ومشتقاتها.

ـ القرآن: مشتق من القراءة.

ـ الفرقان: هو الفرق بين الحق والباطل.

ـ الذكر: هو ذكر الآيات وذكر آلاء الله وذكر الحلال والحرام.

ـ لم يجتمع لفظ الكتاب والقرآن معاً إلا في مطلع سورة الحجر وسورة النمل.

ـ لم يحصل أنْ زاد لفظ القرآن على لفظ الكتابة أو العكس في هذا النوع إلا سورة ص، فإنّ ذكر القرآن والكتاب تساويا فقد ورد كل منهما مرة واحدة مع أنّ مطلع السورة هو (ص والقرآن ذي الذكر).

أسماء القرآن كثيرة منها:

١ـ الكتاب.

٢ـ القرآن.

٣ـ الفرقان.

٤ـ الذكر.

٥ـ التنزيل.

٦ـ الحديث.

٧ـ الموعظة.

٨ـ الحُكم والحكمة والحكيم ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)﴾ المحكم: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود:١].

٩ـ الشفاء.

١٠ـ الهدى والهادي: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

١١ـ الصراط المستقيم.

١٢ـ الحبل.

١٣ـ الرحمة.

١٤ـ الروح: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

١٥ـ القصص.

١٦ـ البيان: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨] والتبين: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

١٧ـ البصائر: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٢٠٣].

١٨ ـ الفصل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ [الطارق:١٣].

١٩ ـ المثاني.

٢٠ـ النعمة.

٢١ـ البرهان.

٢٢ـ البشير والنذير.

٢٣ـ القيم: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف:٢].

٢٤ـ المهيمن: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨].

٢٥ـ النور.

٢٦ـ الحق.

٢٧ـ العزيز: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ [فُصِّلَت:٤١].

٢٨ ـ الكريم.

٢٩ ـ العظيم: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحِجر:٨٧].

٣٠ ـ المبارك: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء:٥٠]

السؤال الرابع:

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟ وما دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ [الحِجر:١] و ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ [النمل:١] وما وجه الاختلاف بينهما واللمسات البيانية فيهما؟

الجواب:

١ـ كلمة (قرآن) هي في الأصل في اللغة مصدر الفعل (قرأ) مثل غفران وعدوان. ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة:١٨] ثم استعملت علماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول عليه السلام (القرآن).

٢ـ أمّا (الكتاب) فهي من الكتابة وأحياناً يسمى القرآن كتاباً؛ لأنّ الكتاب متعلق بالخط، وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإن لم يُخطّ ﴿أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فلم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً، ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أنْ ينزّل على رسول الله ﷺ.

٣ـ هذا من ناحية اللغة، وأمّا من ناحية الاستعمال فيلاحظ أنه عندما يبدأ بالكتاب يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن أو قد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة. وأمّا عندما يبدأ بالقرآن فيتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من الكتاب أو قد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة، وإذا اجتمع القرآن والكتاب في بداية السورة فيترددان في السورة بشكل متساوٍ تقريباً بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر بأكثر من لفظة واحدة ولنأخذ بعض الشواهد:

آ ـ في سورة البقرة بدأ بالكتاب ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢] وذكر الكتاب في السورة ٤٧ مرة والقرآن ذكر مرة واحدة في آية الصيام ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ب ـ في سورة آل عمران بدأ السورة بالكتاب ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [آل عمران:٣] وورد الكتاب ٣٣ مرة في السورة ولم ترد كلمة القرآن ولا مرة في السورة كلها.

ج ـ في سورة الحجر بدأ ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ [الحِجر:١] ورد ذكر القرآن ٣ مرات والكتاب مرتين.

د ـ في سورة النمل بدأ ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ [النمل:١] ورد ذكر القرآن ٣ مرات والكتاب أربع مرات.

٤ـ وفي هاتين السورتين ـ أي: الحجر والنمل ـ قدّم الكتاب على القرآن في سورة الحجر وأخّره في سورة النمل وذلك لأنّ تقديم الكتاب في سورة الحجر يأتي بعدها الآية التي ذكرت أهل الكتاب مباشرة ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحِجر:٤] فهي مرتبة ترتيباً في غاية الدقة.

أمّا في سورة النمل فيأتي بعد الآية ذكر أهل القرآن ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النمل:٢ - ٣].

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحِجر:٢] بتخفيف الباء في كلمة ﴿ رُبَمَا ﴾؟ وما دلالة استخدام ربما في هذا الموقف مع أنها للشك؟

الجواب:

١ـ (رُبّ) حرف جر زائد و (ما) قد تكون زائدة.

٢ـ هناك قراءتان متواترتان صحيحتان إحداهما مشددة (ربّما) والثانية مخففة ﴿ رُبَمَا ﴾ ولا إشكال لغوياً، ولا شك أن ﴿رُبَّمَا﴾ بالتشديد آكد من ﴿ رُبَمَا ﴾ غير المشددة مثل نون التوكيد الثقيلة آكد من نون التوكيد الخفيفة.

٣ـ من الناحية البلاغية فقد اختلفوا في (رُبّ) فقسم قال: إنها للتكثير كقولك: ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤] فقد أتت(قد) للتكثير وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور:٦٤] أيضاً تفيد التكثير. وقيل: هي بحسب السياق وهو أرجح الأقوال أنّ السياق هو الذي يقضي بها مثل (قد) التي تدخل على المضارع فقد تكون للتقليل (قد يصدق الكذوب) أو للتكثير. ويكون التقليل والتكثير بحسب المعنى.

وهي ليست للشك مطلقاً وإنما للتكثير أو التقليل حسب السياق.

٤ـ كلمة (ربما) تحتمل أنها قيلت في الدنيا، عندما رأى الكفار الغنائم في بدر أو غيرها، فتمنى قسم أنْ يكون مسلماً ليأخذ الغنائم، وهنا جاءت بمعنى التمني، وهنا [ربَما أو ربّما]حسب رغبة الكافر شديدة أو قليلة.

ويحتمل أنْ تكون قيلت في الآخرة عندما يُعطى المسلمون الأجور العظيمة فيتمنى الكافرون كثيراً لو كانوا مسلمين، وهنا تأكيد على تمنيهم لأنهم رأوا أجر المسلمين، وهنا (ربّما) للتكثير.

٥ـ وفي الدنيا هناك من يتمنى كثيراً لو كان مسلماً ومنهم من يتمنى قليلاً أنْ يكون مسلماً عند رؤية الغنائم فكل منهم يتمنى حسب رغبته في الغنائم، أمّا في الآخرة فهم يرغبون قطعاً رغبة قوية أن يكونوا مسلمين.

وهذان الاحتمالان التمني القليل والتمني الكثير لا يمكن أنْ يُعبر عنهما إلا باستخدام القراءاتين اللتين وردتا ﴿رُبَّمَا﴾ المشددة و ﴿رُبَمَا﴾ المخففة فتشمل كل الاحتمالات في جميع المواقف في الدنيا والآخرة.

إضافة إلى أنّ التخفيف قد يكون للتخفيف في الحدث.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَوَدُّ﴾ ما كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣١.

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ في آية سورة النحل٦١، وتأخيرها في آية سورة الحجر٥؟

الجواب:

١ـ إذا استعرضنا الآيات في سورتي الحجر والنحل نجد أنه في سورة النحل قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل:٦١] فناسب تأخير الأجل في هذه الآية وتقديم يستأخرون، ثم إنّ الناس يرغبون بتأخير الأجل وبخاصة الظالم فهو يرغب بتأخير أجله.

وأمّا في سورة الحجر فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الحجر:٤-٥] وقال بعدها: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجر:٦-٧-٨] فكأنهم عندما طلبوا إنزال الملائكة أرادوا استعجال أجلهم؛ لأنه تعالى لو أنزل الملائكة لأهلكهم فاقتضى أن يُقدّم ﴿ مَّا تَسْبِقُ ﴾ في آية سورة الحجر ليدلّ على أنهم استعجلوا الأجل وكأنما أرادوا أن يسبقوا الأجل.

٢ـ وإذا لاحظنا الآيات في القرآن نجد أنّ تقديم ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ على ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ لم يأت إلا في مقام الإهلاك والعقوبة.كما في آيات [لأعراف ٣٤ـ المؤمنون].

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الإنسان ٢٣: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣﴾ [الإنسان:٢٣] بذكر ﴿عَلَيۡكَ﴾ وفي آية سورة الحجر قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر:٩] فما دلالة ﴿عَلَيۡكَ﴾ في آية سورة الإنسان؟

الجواب:

١ـ في سورة الإنسان: لو نلاحظ ما جاء بعد هذه الآية لوجدنا أنّ الكلام موجه إلى الرسول ﷺ بالأوامر والنواهي ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان:٢٤-٢٥-٢٦] وهذه أمور تتعلق بالرسول المخاطب لذا ناسب استخدم ﴿عَلَيۡكَ﴾.

٢ـ أمّا في آية سورة الحجر: فلم يرد في الآيات التي سبقت أو تلت ما يتعلق بالرسول ﷺ لكنّ الكلام متعلق بالقرآن ﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحِجر:١٢] وكل الكلام عن الذكر وليس عن الرسول ﷺ.

السؤال الثاني:

لماذا جاء ذكر كلمة ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ في آية سورة الإنسان٢٣ وكلمة ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ في آية سورة الحجر٩؟

الجواب:

اسم الكتاب المنزّل على الرسول ﷺ هو ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ ولم يرد في سورة الإنسان له ذكر إلا في الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان:٢٣]، أمّا في سورة الحجر فقد وردت كلمة (الذكر) في سورة الحجرفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحِجر:٦] ثم قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر:٩] فلمّا سماه كفار قريش ذكراً ردّ عليهم الله تعالى بكلمة ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ ولهذا فهي أنسب للآية التي قبلها من استعمال كلمة القرآن رغم أنها وردت في سورة الحجر كثيراً.

السؤال الثالث:

ما الرد على من يقول إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر:٩] أنها يدل على أنّ الله تعالى تعهد بحفظ القرآن ولم يتعهد بحفظ اللغة العربية؟

الجواب:

ربنا تعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ والسؤال: هل تكفل بحفظ العربية؟

الصلاة، التسبيحات المسنونة، الأدعية المسنونة في الصلاة هي من اللغة العربية، إذن اللغة العربية ستبقى. وطالما هناك قرآن يقتضي تفسيره والقرآن باللغة العربية فهذا يقتضي معرفة اللغة العربية وبيان أحكام القرآن، فالقرآن يحتاج إلى بيان أحكامه وهو باللغة العربية وهذا لا يكون إذا لم يعرف اللغة العربية.

والرسول ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» كيف تكون الأمة ظاهرة على الحق وهي لا تعرف اللغة العربية، والحق هو كتاب الله وسنة رسوله وهما باللغة العربية؟

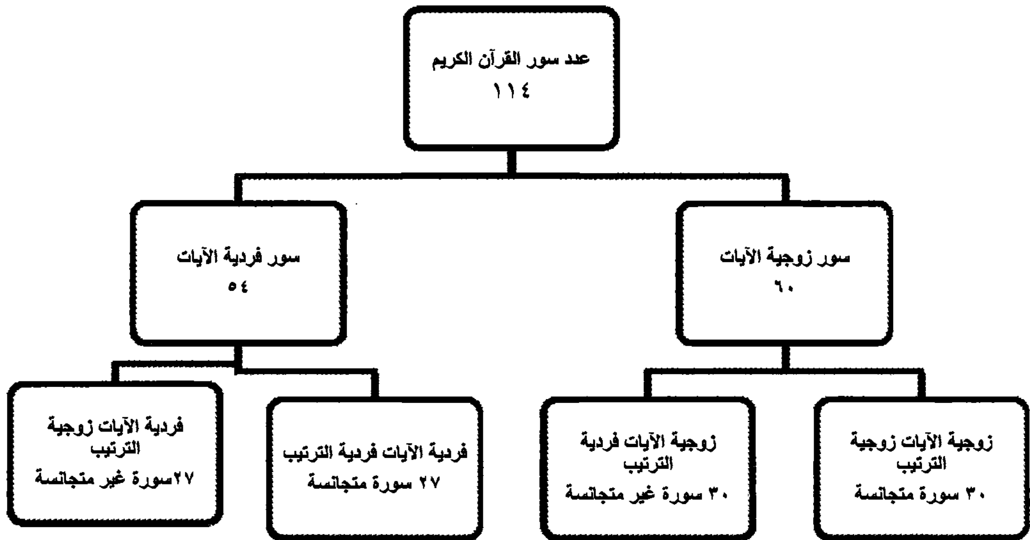
وما دام تكفل الله بحفظ القرآن فيقتضي هذا حفظ اللغة العربية، فحفظ اللغة العربية كحفظ القرآن، ولذلك ما دام ربنا سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن فاللغة العربية هي محفوظة أيضاً بحفظ الله سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

ما معجزة ترتيب سور القرآن العددية؟

الجواب:

لننظر أولاً إلى الجدول التالي والذي يبين عدد سور زوجية الآيات وفردية الآيات في القرآن الكريم:



ثم لننظر إلى الجدول أدناه والذي يحتوي على تفاصيل الجدول أعلاه:

ترتيب السورة العام	اسم السورة	عدد آياتها	السور المتجانسة				السور غير المتجانسة			
			زوجية الترتيب	زوجية الآيات	فردية الترتيب	فردية الآيات	زوجية الترتيب	فردية الآيات	فردية الترتيب	زوجية الآيات
١	الفاتحة	٧			١	٧				
٢	البقرة	٢٨٦	٢	٢٨٦						
٣	آل عمران	٢٠٠							٣	٢٠٠
٤	النساء	١٧٦	٤	١٧٦						
٥	المائده	١٢٠							٥	١٢٠
٦	الأنعام	١٦٥					٦	١٦٥		
٧	الأعراف	٢٠٦							٧	٢٠٦
٨	الأنفال	٧٥					٨	٧٥		
٩	التوبة	١٢٩			٩	١٢٩				
١٠	يونس	١٠٩					١٠	١٠٩		
١١	هود	١٢٣			١١	١٢٣				
١٢	يوسف	١١١					١٢	١١١		
١٣	الرعد	٤٣			١٣	٤٣				
١٤	ابراهيم	٥٢	١٤	٥٢						
١٥	الحجر	٩٩			١٥	٩٩				
١٦	النحل	١٢٨	١٦	١٢٨						
١٧	الإسراء	١١١			١٧	١١١				
١٨	الكهف	١١٠	١٨	١١٠						
١٩	مريم	٩٨							١٩	٩٨
٢٠	طه	١٣٥					٢٠	١٣٥		
٢١	الأنبياء	١١٢							٢١	١١٢
٢٢	الحج	٧٨	٢٢	٧٨						
٢٣	المؤمنون	١١٨							٢٣	١١٨
٢٤	النور	٦٤	٢٤	٦٤						
٢٥	الفرقان	٧٧			٢٥	٧٧				
٢٦	الشعراء	٢٢٧					٢٦	٢٢٧		
٢٧	النمل	٩٣			٢٧	٩٣				
٢٨	القصص	٨٨	٢٨	٨٨						
٢٩	العنكبوت	٦٩			٢٩	٦٩				

٣٠	الروم	٦٠	٣٠	٦٠						
٣١	لقمان	٣٤							٣١	٣٤
٣٢	السجده	٣٠	٣٢	٣٠						
٣٣	الأحزاب	٧٣			٣٣	٧٣				
٣٤	سبأ	٥٤	٣٤	٥٤						
٣٥	فاطر	٤٥			٣٥	٤٥				
٣٦	يس	٨٣					٣٦	٨٣		
٣٧	الصافات	١٨٢							٣٧	١٨٢
٣٨	ص	٨٨	٣٨	٨٨						
٣٩	الزمر	٧٥			٣٩	٧٥				
٤٠	غافر	٨٥					٤٠	٨٥		
٤١	فصلت	٥٤							٤١	٥٤
٤٢	الشورى	٥٣					٤٢	٥٣		
٤٣	الزخرف	٨٩			٤٣	٨٩				
٤٤	الدخان	٥٩					٤٤	٥٩		
٤٥	الجاثية	٣٧			٤٥	٣٧				
٤٦	الأحقاف	٣٥					٤٦	٣٥		
٤٧	محمد	٣٨							٤٧	٣٨
٤٨	الفتح	٢٩					٤٨	٢٩		
٤٩	الحجرات	١٨							٤٩	١٨
٥٠	ق	٤٥					٥٠	٤٥		
٥١	الذاريات	٦٠							٥١	٦٠
٥٢	الطور	٤٩					٥٢	٤٩		
٥٣	النجم	٦٢							٥٣	٦٢
٥٤	القمر	٥٥					٥٤	٥٥		
٥٥	الرحمن	٧٨							٥٥	٧٨
٥٦	الواقعة	٩٦	٥٦	٩٦						
٥٧	الحديد	٢٩			٥٧	٢٩				
٥٨	المجادله	٢٢	٥٨	٢٢						
٥٩	الحشر	٢٤							٥٩	٢٤
٦٠	الممتحنة	١٣					٦٠	١٣		
٦١	الصف	١٤							٦١	١٤
٦٢	الجمعة	١١					٦٢	١١		
٦٣	المنافقون	١١			٦٣	١١				

٦٤	التغابن	١٨	٦٤	١٨						
٦٥	الطلاق	١٢							٦٥	١٢
٦٦	التحريم	١٢	٦٦	١٢						
٦٧	الملك	٣٠							٦٧	٣٠
٦٨	القلم	٥٢	٦٨	٥٢						
٦٩	الحاقة	٥٢							٦٩	٥٢
٧٠	المعارج	٤٤	٧٠	٤٤						
٧١	نوح	٢٨							٧١	٢٨
٧٢	الجن	٢٨	٧٢	٢٨						
٧٣	المزمل	٢٠							٧٣	٢٠
٧٤	المدثر	٥٦	٧٤	٥٦						
٧٥	القيامة	٤٠							٧٥	٤٠
٧٦	الإنسان	٣١					٧٦	٣١		
٧٧	المرسلات	٥٠							٧٧	٥٠
٧٨	النبأ	٤٠	٧٨	٤٠						
٧٩	النازعات	٤٦							٧٩	٤٦
٨٠	عبس	٤٢	٨٠	٤٢						
٨١	التكوير	٢٩			٨١	٢٩				
٨٢	الإنفطار	١٩					٨٢	١٩		
٨٣	المطففين	٣٦							٨٣	٣٦
٨٤	الإنشقاق	٢٥					٨٤	٢٥		
٨٥	البروج	٢٢							٨٥	٢٢
٨٦	الطارق	١٧					٨٦	١٧		
٨٧	الأعلى	١٩			٨٧	١٩				
٨٨	الغاشية	٢٦	٨٨	٢٦						
٨٩	الفجر	٣٠							٨٩	٣٠
٩٠	البلد	٢٠	٩٠	٢٠						
٩١	الشمس	١٥			٩١	١٥				
٩٢	الليل	٢١					٩٢	٢١		
٩٣	الضحى	١١			٩٣	١١				
٩٤	الشرح	٨	٩٤	٨						
٩٥	التين	٨							٩٥	٨
٩٦	العلق	١٩					٩٦	١٩		
٩٧	القدر	٥			٩٧	٥				

٩٨	البينة	٨	٩٨	٨						
٩٩	الزلزلة	٨							٩٩	٨
١٠٠	العاديات	١١					١٠٠	١١		
١٠١	القارعة	١١			١٠١	١١				
١٠٢	التكاثر	٨	١٠٢	٨						
١٠٣	العصر	٣			١٠٣	٣				
١٠٤	الهمزة	٩					١٠٤	٩		
١٠٥	الفيل	٥			١٠٥	٥				
١٠٦	قريش	٤	١٠٦	٤						
١٠٧	الماعون	٧			١٠٧	٧				
١٠٨	الكوثر	٣					١٠٨	٣		
١٠٩	الكافرون	٦							١٠٩	٦
١١٠	النصر	٣					١١٠	٣		
١١١	المسد	٥			١١١	٥				
١١٢	الإخلاص	٤	١١٢	٤						
١١٣	الفلق	٥			١١٣	٥				
١١٤	الناس	٦	١١٤	٦						
مجموع الأرقام	عدد السور	عدد الآيات	عدد السور زوجية الترتيب والآيات		عدد السور فردية الترتيب والآيات		عددالسورزوجية الترتيب فرديةالآيات		عدد السورفردية الترتيب زوجيةالآيات	
٦٥٥٥	١١٤	٦٢٣٦	٣٠		٢٧		٢٧		٣٠	
المجموع			١٧٥٢	١٧٠٨	١٥٥١	١٢٢٥	١٥٥٤	١٤٩٧	١٦٩٨	١٨٠٦
المجموع			٦٢٣٦				٦٥٥٥			

البيان للجدولين المبينين أعلاه:

١ـ اهتم المسلمون منذ القرون الأولى بالعدد القرآني، وقد ذكر بعضهم أكثر من ٣٦ كتاباً في علم العدد القرآني ابتداء من «كتاب العدد» لعطاء بن يسار (ت ١٠٣هـ) وانتهاء بكتاب «زهر الغرر في عدد آيات السور» لأحمد السلمي الأندلسي (ت٧٤٧هـ) لكنّ هذا الاهتمام لم يتطور عبر العصور ليعطي النتائج المرجوة.

٢ـ والسؤال الرئيس في هذا الموضوع: هل ترتيب السور القرآنية توقيفية، أي: من فعل الرسول ﷺ أم غير ذلك؟

من دراسة الجدولين المذكورين أعلاه تحت اسم (معجزة ترتيب سور القرآن الكريم) يمكن أنْ نسجل الملاحظات التالية:

معلومات عددية:

١ـ عدد سور القرآن الكريم ـ١١٤ـ سورة منها:

آ ـ ٦٠ سورة زوجية عدد الآيات، وتنقسم بالتساوي إلى ٣٠ سورة زوجية الترتيب و ٣٠ سورة فردية الترتيب.

ب ـ ٥٤ سورة فردية عدد الآيات، وتنقسم بالتساوي إلى ٢٧ سورة زوجية الترتيب و ٢٧ سورة فردية الترتيب.

٢ـ أو بتقسيم آخر:

(٥٧) سورة متجانسة زوجية الترتيب وعدد الآيات، وفردية الترتيب وعدد الآيات.

(٥٧) سورة غير متجانسة زوجية الترتيب فردية الآيات، وفردية الترتيب زوجية الآيات.

٣ـ مجموع عدد آيات القرآن الكريم هو [٦٢٣٦] آية.

٤ـ مجموع أعداد ترتيب سور القرآن هو [٦٥٥٥].

٥ـ عدد سور القرآن ١١٤ = ٦×١٩ = [٦×١٠+٦×٩].

نتـائج:

من دراسة الجدول المشار إليه نجد المعادلات التالية:

المعادلة الأولى:

آ ـ مجموع أرقام السور المتجانسة (ترتيب وعدد) يساوي إلى مجموع آيات القرآن الكريم، ويساوي إلى ٦٢٣٦.

ب ـ مجموع أرقام السور غير المتجانسة (ترتيب وعدد آيات) يساوي إلى مجموع ترتيب سور القرآن الكريم ويساوي إلى ٦٥٥٥.

أي: أنّ هناك علاقة بين كل سورة وعدد آياتها بحيث تقتضي ارتباط رقم السورة بعدد آياتها وارتباط هذا بكل سور القرآن الكريم، وهذه العجيبة الرياضية تثبت أنّ ترتيب السور وعدد الآيات هو وحي من الله العزيز الحكيم.

ج ـ لو أنقصنا سورة البقرة آية واحدة أو جعلنا ترتيب سورة البقرة ٣ بدل ٢ لفسدت المعادلات المبينة أعلاه.

المعادلة الثانية:

لو جزأنا عدد سور القرآن إلى قسمين أي (٦٠+٥٤=١١٤) لوجدنا:

آ ـ مجموع أرقام السور ٦٠ الزوجية هو ٣٤٥٠.

ب ـ مجموع أرقام السور ٥٤ الفردية هو ٣١٠٥.

ج ـ مجموع الرقمين ٦٥٥٥.

المعادلة الثالثة:

نقسم السور القرآنية من حيث العدد إلى قسمين متساويين الأول من (١ـ٥٧) والثاني من (٥٨ـ١١٤) فسوف نجد:

آـ الأرقام الفردية في النصف الأول ٢٩ رقماً وهو عدد السور غير المتجانسة في نفس النصف.

ب ـ الأرقام الفردية في النصف الثاني ٢٨رقماً وهو عدد السور غير المتجانسة في نفس النصف.

ج ـ الأرقام الزوجية في النصف الأول ٢٨ رقماً وهو عدد السور المتجانسة في نفس النصف.

د ـ الأرقام الزوجية في النصف الثاني ٢٩ رقماً وهو عدد السور المتجانسة في نفس النصف.

النتيجة:

أي أنّ هناك توازناً في السور المتجانسة وغير المتجانسة في النصف الأول والنصف الثاني من القرآن الكريم.

المعادلة الرابعة:

عدد السور زوجية الآيات في النصف الأول من القرآن الكريم هو ٢٧ سورة وفي النصف الثاني ٣٣ سورة ونجد أنّ:

آـ مجموع آيات السور الزوجية الـ ٢٧ في النصف الأول = ٢٦٩٠.

ب ـ مجموع أرقام ترتيب السور الزوجية الـ٣٣ في النصف الثاني = ٢٦٩٠.

خصائص سورة الحديد:

آ ـ هي آخر سورة من النصف الأول وترتيبها ٥٧ وعدد آياتها ٢٩.

ب ـ رقم ترتيب السورة × عدد آياتها = ٥٧×٢٩= ١٦٥٣ وهو مجموع ترتيب السور من ١ إلى ٥٧.

ج ـ حساب جمّل كلمة (الحديد) هو ٥٧ وهو رقم ترتيب سورة الحديد وهو الوزن الذري للحديد.

د ـ حساب جمّل كلمة (حديد) هو ٢٦، وهو العدد الذري للحديد.

هـ ـ للحديد خمس نظائر أوزانها الذرية ٥٥ـ٥٦ـ٥٧ـ٥٨ـ٥٩ ويقع النظير ٥٧ في الوسط ومجموع هذه الأوزان =٢٨٥، وهو عدد الأعداد في القرآن الكريم وهو ترتيب كلمة ﴿عَدَدًا﴾ آخر كلمة من سورة الجن.

و ـ رقم ترتيب آية ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ هو ٢٥، ومع البسملة ٢٦ وهو العدد الذري للحديد.

النتائج:

١ـ ترتيب سور القرآن توقيفي وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة إذ لا يعقل أنْ تأتي هذه البنية الرياضية مصادفة.

٢ـ عدد الآيات لكل سورة توقيفي.

٣ـ عالم الأرقام هو عالم الحقائق.

السؤال الخامس:

ما اللطائف العددية في لفظة ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ الواردة في آية الحجر ٩ وفي باقي القرآن الكريم؟

الجواب:

آية سورة الحجر (٩) تحكم بأنّ الذكر وهو القرآن الكريم محفوظ من الله تعالى، أمّا باقي الرسالات السابقة فلا داعي لحفظها لأنها رسالة خاصة بزمن خاص وقوم خاص ورسول خاص.

ومن أوجه الحفظ الوجه الرياضي ببيان حفظ السور والآيات في مواقعها ومن ذلك:

١ـ وردت كلمة ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ بمعنى (القرآن الكريم) في عدة سور نبينها في الجدول التالي:

السورة	ترتيب السورة	رقم الآية	ترتيب كلمة (الذكر) في السورة
الحجر	١٥	٩	٦٣
النحل	١٦	٤٤	٥٧٥
الأنبياء	٢١	١٠٥	١١٠٣
الفرقان	٢٥	٢٩	٣٥٧
يس	٣٦	١١	٦٢
ص	٣٨	١	٤
ص	٣٨	٨	٦٣

المجموع	١٨٩		٢٢٢٧
المجموع العام = ١٨٩+٢٢٢٧= ٢٤١٦			

هذا الرقم ٢٤١٦ هو نفسه جمّل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ حسب الرسم العثماني للقرآن الكريم.

٢ـ ترتيب كلمة ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ في الآية التاسعة من سورة الحجر هو ٦٣ وهو الترتيب نفسه في سورة ص للآية ٨.

٣ـ آية الحجر ٩ مؤلفة من سبع كلمات وضرب رقم الآية بعدد كلماتها هو ٦٣ وهو ترتيب كلمة (الذكر) في الآية التاسعة من سورة الحجر هو ٦٣ وهو الترتيب نفسه في سورة ص للآية ٨.

٤ـ مجموع الحروف من بداية سورة الحجر وحتى نهاية الآية التاسعة هو ٢٨٦ حرفاً، ومجموع الحروف من بداية سورة ص وحتى نهاية الآية الثامنة هو ٢٨٩ حرفاً.

ومجموع الرقمين هو ٢٨٦+٢٨٩=٥٧٥ وهو يمثل ترتيب الكلمة الثانية لـ(لذكر) في سورة النحل.

وهذا يعني أنّ هناك علاقة بين سورة النحل وسورة الحجر وسورة ص.

٥ـ مجموع جمّل كلمتي (الحجر +النحل) هو ٢٤٢+١١٩=٣٦١= ١٩×١٩.

٦ـ مجموع جمّل كلمتي (النحل +ص) هو ١١٩+٩٠=٢٠٩=١٩×١١ ومجموع ١٩+١١=٣٠ وهو عدد أجزاء القرآن الكريم.

٧ـ عدد الآيات من نهاية الآية التاسعة من سورة الحجر إلى بداية الآية الثامنة من سورة ص وهي قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ هو ٢١٦٦ آية حسب الجدول التالي:

السورة	عدد الآيات
الحجر	٩٠
النحل	١٢٨
الإسراء	١١١
الكهف	١١٠
مريم	٩٨
طه	١٣٥
الأنبياء	١١٢
الحج	٧٨
المؤمنون	١١٨
النور	٦٤
الفرقان	٧٧
الشعراء	٢٢٧
النمل	٩٣
القصص	٨٨

العنكبوت	٦٩
الروم	٦٠
لقمان	٣٤
السجدة	٣٠
الأحزاب	٧٣
سبأ	٥٤
فاطر	٤٥
يس	٨٣
الصافات	١٨٢
ص	٧

المجموع ٢١٦٦ ويساوي ١٩×١١٤، والعدد ١١٤ هو عدد سور القرآن الكريم، وكلمة (الذكر) هي عن القرآن الكريم وتنزيله.

٨ ـ تتكون الآية ٩ من سورة الحجر، والآية ٨ من سورة (ص)من (١٩) حرفاً من الأحرف الهجائية وهي (ء ـ ا ـ ب ـ ح ـ ذ ـ ر ـ ز ـ ش ـ ظ ـ ع ـ ف ـ ق ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ هـ ـ و ـ ي) والهمزة تعادل الألف في القيمة.

ومجموع جمّل هذه الحروف هو ٢٥٣٠.

وإذا طرحنا من هذا العدد جمّل الآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ أي ٢٤١٦ يكون الباقي هو ١١٤ وهو عدد سور القرآن الكريم، والله أعلم.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الحجر ١١: ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ وفي آية الزخرف٧: ﴿مِن نَّبِيٍّ﴾ فما السبب؟

الجواب:

قال في آية الحجر ١١ ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ وفي آية الزخرف٧ ﴿مِن نَّبِيٍّ﴾ وذلك:

استعراض الآيات:

ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحِجر:١٠-١١].

ـ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٦-٧].

البيـــان:

١ ـ لمّا تقدم في آية الزخرف لفظ ﴿وَكَمْ﴾ الخبرية وهي للتكثير ناسب ذلك ذكرمن يوحى إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل، فورد هنا ما يعم الصنفين عليهم السلام.

٢ ـ أمّا آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يطلب التكثير مع ما تضمنت من قصد تأنيسه ﷺ وتسليته فخصّت بالتعيين باسم الرسالة تسلية له عن قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ وبما جرى للرسل قبله عليه السلام من مثل ذلك، ومن البيّن أنّ موقع ﴿رَّسُولٍ﴾ هنا أمكن في تسليته عليه السلام فجاء كلٌ على ما يجب من المناسبة.

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ في آية سورة الشعراء ٢٠٠ و﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ في آية سورة الحجر١٢؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء:٢٠٠] وقال في سورة الحجر ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحجر:١٢] ننظر في السياق الذي وردت فيه الآيتان في السورتين:

في سورة الحجر السياق في استمرار الرسل وتعاقبهم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ فجاء بالفعل الذي يدل على الاستمرار وهو الفعل المضارع.

بينما السياق في سورة الشعراء في الكلام عن الرسول ﷺ وحده من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ والسورة كلها أحداث ماضية والآية موضع السؤال تدل على حدث واحد معيّن ماض فجاء بالفعل الماضي.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا
سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ ما اللمسة البيانية في قول: فتح الله لك، وليس: فتح الله عليك؟

الجواب:

يقال: فتح لك، وفتح عليك، لكنّ (فتح عليك) يكون من فوق وقد يكون في الخير والشر كما في الآيات:

- ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر:١٤].
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون:٧٧].
- ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].
- ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة:٧٦].

إذن (فتح الله عليك) تأتي في الخير والشر لكن تأتي من فوق.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا﴾ أحياناً نسمع الشرط فيه أداة (لو) وجواب الشرط فيها (ما) للنفي أو (اللام) للتأكيد مثل: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤] وأحياناً

الجواب يكون (لما) وهذه لم ترد في القرآن فأرجو أن تبينوا هذه الأداة (لما) في الحكم النحوي

الجواب:

١ـ في اللغة العربية (اللام) تأتي حكماً في الغالب مع الْمُثبَت (لو كان كذا لكان) يعني مع غير المنفي كما في الآيات: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحِجر:١٤-١٥] فمع المثبت يمكن أنْ نأتي باللام للتوكيد ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة:٦٥].

٢ـ أمّا المنفي إمّا أن يكون بـ (ما) أو (لم) مثل: (لو فعل كذا ما أعطيته، لو فعل كذا لم أعطه) فإذا كان الجواب بـ (ما) فالأكثر عدم اقترانه باللام مثل:(لو زارني ما أكرمته، أو ما أكرمه) ولا نقول: لما أكرمته إلا ما ورد قليلاً، وإذا كان الجواب بـ (لم) لا تقترن به (اللام) مثل: (لو لم يخف الله لم يعصه).

٣ـ إذن اقتران (اللام) هو مع المثبت فإذا كان الجواب مثبتاً يمكن أنْ تقترن باللام ويمكن ألا تقترن حسب التوكيد، وإذا كان الجواب منفياً بـ (ما) فالأكثر ألا يقترن الجواب باللام إلا ما ورد قليلاً، وإذا كان الجواب بـ (لم) لم تقترن به اللام قولاً واحداً.

السؤال الثالث:

ما الإعجاز العلمي في الآيتين[١٤ـ١٥]؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

الإنسان إذا خرج من جو الأرض انتقل إلى ظلام فلا يبصر، وبهذا تكون السموات جزءا من السماء، لأنّ السماء كل ما علا وارتفع مما عدا الأرض، والسموات جزء منها بهذا المعنى الواسع الذي يشمل الفضاء والسقف والمطر والسحاب، فإن ﴿السَّمَآءِ﴾ تكون أوسع من (السموات) فهي تشملها وغيرها.

والعلم التجريبي يؤكد على أنّ هناك طبقة من النور حول الأرض هي طبقة لا تتعدى ٢٠٠ كم، و هي في النصف المواجه للشمس، وإنّ باقي الكون ظلام دامس، و عندما يتخطى الإنسان هذه الطبقة فإنه يرى ظلاماً دامساً. و لّما تخطى أحد رواد الفضاء الأمريكيون هذه الطبقة لأول مرة قال عن شعوره في تلك اللحظة:

(I have almost lost my eye sight or something magic has come over me)

وترجمة النص هي: (كأني فقدت بصري، أو اعتراني شيء من السحر) وهو تماماً تفسير للآية الكريمة.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾ [الحجر:١٤]الباب لا يفتح في فراغ أبداً، و القرآن يؤكد أنّ السماء بناء أي أنّ السماء بناء مؤلف من لبنات أي لا فراغ فيها. ويقول علماء الفلك: إنه لحظة الانفجار العظيم امتلأ الكون بالمادة و الطاقة، فخلقت المادة والطاقة

كما خلق المكان و الزمان، أي لا يوجد زمان بغير مكان ولا مكان بغير زمان و لا يوجد زمان و مكان بغير مادة و طاقة، فالطاقة تملأ هذا الكون. وقوله تعالى: ﴿يَعْرُجُونَ﴾ أي السير بشكل متعرج، و قد جاء العلم ليؤكد أنه لا يمكن الحركة في الكون في خط مستقيم أبداً، وإنما في خط متعرج. والله أعلم.

السؤال الرابع:

قال في آية الأنبياء رقم ٤: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي آية الفرقان رقم ٦ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وفي آية الحجر ١٤ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ فما سبب ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٩.



﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨﴾

السؤال الأول:

قال في الحجر١٨: ﴿شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨﴾ وفي الصافات١٠ ﴿شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ فما دلالة كل منهما؟ وهل يصلح استبدال أحدهما بالآخر؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

١ـ لفظة ﴿مُّبِينٞ﴾ تعني ظاهر.

٢ـ لفظة ﴿ثَاقِبٌ﴾ تعني نافذ بضوئه وشعاعه ظاهر وشديد مضيء وخارق ونافذ، لذلك لفظة ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ هو يعادل لفظة ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ وزيادة، ولذلك فلفظ (ثاقب) هو أقوى من (مبين).

٣ـ قوله تعالى: ﴿اسْتَرَقَ﴾ سرق أخذ الشيء بخفية، واسترق حاول الوصول إلى السرقة نحو نصر واستنصر، وهي هنا تعنى طلب التنصت ويكون ذلك عادة من دون حركة حتى لا ينتبه إليه أحد.

٤ـ قوله تعالى: ﴿خَطِفَ﴾ أي: سرق الشيء بسرعة وهرب وفي هذا حركة، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١] لكن لن يتمكنوا من الفرار بما خطفوه.

٥ـ معنى ﴿مَارِدٍ﴾ أي: متمرد على منهج ربه؛ لأنه وراث لإبليس يقف من ذرية آدم نفس الموقف الذي وقفه إبليس من آدم عليه السلام.

٦ـ النجوم قسمان: قسم ينقض على الشياطين فيحرقها وهذه تسمى نيازك وقسم سماها رب العالمين ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ لا دخل لها بهذه المسألة.

مقارنة بين الآيتين وسياقهما:

انظر الجدول التالي:

آية الحجر ١٨	آية الصافات ١٠
﴿اسْتَرَقَ﴾	﴿خَطِفَ﴾
﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾	﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر من (حفظ) فيه

	مبالغة والمصدر أقوى من الفعل
–	﴿مَارِدٍ﴾ أي: عاتٍ
–	﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ فيه مبالغة
–	﴿دُحُورًا﴾ مصدر من (دحر) أي طرد وفيه مبالغة والمصدر أقوى من الفعل
–	﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ أي دائم
﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾	﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾

النظرة البلاغية:

من دراسة الجدول أعلاه يتبن أنّ تفاصيل آية الصافات فيها من القوة ما ليس في آية الحجر، فناسب اختيار اللفظ الأقوى وهو﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ لآية الصافات واختيار اللفظ الآخر ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ لآية الحجر وأنه لا يمكن إلا أنْ نضع ما وُضِع في مكانه.

إضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية، والله أعلم.



﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ۝١٩﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟ وما معنى مد الأرض في الآية؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) ﴾ [الحِجر:١٩] وفي سورة النحل ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)﴾ [النحل:١٥] هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالاعجاز العلمي.

لكنْ ـ والله أعلم ـ الملاحظ أنه تعالى في الكلام عن الجبال يقول أحياناً: ألقينا، وأحياناً يقول: جعلنا، بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً. وقد درسنا أنّ بعض الجبال تُلقى إلقاء بالبراكين (جبال بركانية) والزلازل، وهناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)﴾ [النمل:٦١] وسورة المرسلات ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)﴾ [المرسلات:٢٧] وسورة الرعد ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)﴾ [الرعد:٣]، وهذا يدل ـ والله أعلم ـ على أنّ هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال، وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض، فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة، هذا والله أعلم.

لكن كيف تكون الأرض ممدودة؟ و ما معنى ذلك؟

معنى ذلك أننا مهما سرنا فيها فستبقى ممدودة أمامنا، لن تنتهي فيها إلى حاجز يحول دون ما وراءه، أو هوة أبدية نقف عندها عاجزين، فلنسر في أي اتجاه نريد، و لنسر العمر كله، و سنبقى نسير و ستبقى ممدودة، ولا يوجد شكل من الأشكال الهندسية تتحقق فيه

هذه الحالة إلا الشكل الكروي، فحيثما سرت عليه يبقى ممدداً أمامك، و أي شكل آخر لا يمكن أنْ يحقق معنى هذه الآية.

ولقد أشار كثير من المفسرين و الفقهاء المسلمين إلى كروية الأرض مما فهموه من كتاب الله عز و جل، ومن ذلك أشار ابن قيم الجوزية في كتابه: «التبيان في أقسام القرآن» أنّ الأرض كروية، وأوضح كذلك الإمام الفخر الرازي في «تفسير مفاتيح الغيب» إلى كروية الأرض حيث قال: "إنّ مد الأرض هو بسطها إلى ما لا يدرك منتهاه، و قد جعل الله حجم الأرض عظيماً لا يقع البصر على منتهاه، و الكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح المستوي الامتداد". و كذلك قال ابن تيمية في كتاب «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» قال: "اعلم أنّ الأرض قد اتفقوا إلى أنها كروية الشكل و ليست تحت وجه الأرض إلا وسطها و نهاية التحت المركز و هو الذي يسمى محيط الأثقال".

ولم يشاهد الإنسان الأرض في شكلها الكروي و هي تسبح في الفضاء السماوي إلا عندما أطلق الروس القمر الصناعي الأول (سبوتنيك) في مداره حول الأرض في أكتوبر ١٩٥٧م و استطاع العلماء الحصول على صور جيدة لكوكب الأرض بواسطة آلات التصوير التي كانت مثبتة في القمر الصناعي و في عام ١٩٦٦ م هبط القمر الصناعي (لونيك ٩) بأجهزته المتطورة على سطح القمر، وأرسل لمحطات الاستقبال على الأرض صوراً عن كوكب الأرض.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ١٩: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ [الحِجر:١٩] لغة يقال إن فيها (اشتغال) وكذلك في آية الحجر ٢٧﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ فما الاشتغال؟

الجواب:

الاشتغال عند النحاة هو كل اسم بعده فعل أو ما يشبه الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول اشتغل عنه بضميره أو بمتعلقه لو سُلط عليه لنصبه، نحو: خالداً أكرمته، و خالداً أنا مكرمه.

وذهب البيانيون إلى أنّ الاشتغال قد يفيد تخصيصاً أو توكيداً، والأصح أنّ الاشتغال هو أسلوب خاص يؤدي غرضاً معيناً؛ لأنه ليس له معنى.

أقسامه:

١ـ ما يجب فيه الرفع.

٢ـ ما يجب فيه النصب.

٣ـ ما يجوز فيه الأمران والرفع أرجح.

٤ـ ما يجوز فيه الأمران والنصب أرجح.

٥ـ ما يجوز فيه الأمران على السواء.

الفرق بين الرفع والنصب:

تقول: خالداً أكرمته وخالدٌ أكرمته. ويصح التعبيران.

لكنْ من الواضح أنّ المتحدث عنه في: خالدٌ أكرمته، هو خالد، وفي: خالداً أكرمته، هو المتكلم.

وبتعبير آخر أنت قدمت المنصوب في الاشتغال للحديث عنه بدرجة أقل من المبتدأ؛ لأنّ المبتدأ متحدث عنه والحديث يدور عليه أساساً للاهتمام بخلاف المشغول عنه.

* شواهد قرآنية على النصب:

آيات الحجر ١٦ـ٢٠:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

فقد قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الحجر:١٩] بالنصب؛ لأنّ السياق في الآيات هو على الله تعالى لا على الأرض ولكن قدّم الأرض للاهتمام بها والحديث عنها، والكلام فيها قبل وبعد على الله تعالى، ولو رفع ـ الأرضُ ـ لكان الحديث يدور عنها والإسناد لها والسياق غير ذلك.

آيات الحجر ٢٦ـ٤٢:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ بالنصب؛ لأنّ الكلام في الآيات هو على الله تعالى، لكنه أراد أنْ يُفرد الجان بحديث عنه فقدّمه وأعاد عليه الضمير للكلام عليه.

وقد تقول: ولِمَ لمْ يقدم الإنسان وقد ذكر الإنسان أيضاً؟ والجواب: أنه وإنْ ذكر الإنسان فإنّ مدار الحديث في هذه الآيات عن الجن فالكلام على إبليس ومجادلته ربه. والله أعلم.



﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر، أمّا كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا

بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧] وسورة الحجر ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر:٢٢].

وفي سورة الأنبياء ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء:٨١] استعملت كلمة (ريح) مع سليمان لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

ولمزيد من المعلومات انظر آية البقرة ١٦٤.

السؤال الثاني:

هل من إعجاز علمي في الآية؟

الجواب:

وجه الإعجاز في الآية الكريمة هو إشارتها إلى أنّ الرياح تقوم بعملية التلقيح الريحي للنباتات، فقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحِجر:٢٢] وهذا ما كشف عنه علماء النباتات في القرون الأخيرة.

التفسير اللغوي:

جاء في مختار الصحاح في مادة لقح: [(ألقح) الفحلُ الناقة والريحُ السحاب. ورياح لواقح ولا تقل مَلاقح وهو من النوادر. وقيل الأصل فيه (مُلقحةٌ) ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها (لاقح) كأنّ الرياح (لقحت)بخير فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه].

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ قال: لواقح للشجر والسحاب. وهو قول الحسن وقتادة والضحاك من التابعين. وذكر هذا القول أيضاً الطبري والقرطبي.

وقالت طائفة من المفسرين: لواقح جمع لاقح، أي: حاملة للسحاب والخير، وضدها الريح العقيم.

فعلى الأول: تكون لواقح جمع ملقحة، وعلى الثاني: تكون جمع لاقح. ولا معارضة بينهما، فلقد صوب إمام المفسرين الطبري كِلا القولين جميعاً، ذلك بأنّ الرياح تُلقِّحُ بمرورها على التراب والماء والشجر فيكون فيها اللقاح، وهي بذلك لاقحة نفسها. كما أنها ملقحة لغيرها، وإلقاحها السحاب والشجر هو عملها فيهما.

حقائق علمية:

التلقيح الريحي ضروري في عملية الإخصاب وخاصة للنباتات ذات الأزهار الفاقدة لجاذبية الحشرات.

التفسير العلمي:

أصبح من المقرر عند علماء النبات أنّ التلقيح عملية أساسية للإخصاب وتكوين البذور، حيث تنتقل حبيبات اللقاح (Pollen Grain) من العناصر الذكرية للزهرة (Anthers) إلى العناصر الأنثوية فيها (Stigmas) حيث يتم الإخصاب.

والتلقيح قد يكون بين العناصر الذكرية والأنثوية للزهرة الواحدة أو النبتة الواحـدة ويسمى عندئذ بـ» التلقـيح الـذاتي (Self Pollination) «وقـد يكـون بـين نبتتـين منفصلتين ويسمى حينئذ بـ: التلقيح المختلط.

وتختلف طرق انتقال حبيبات اللقاح باختلاف نوع النبات، فهناك فضلاً عن التلقيح بواسطة الإنسان ثلاثة طرق أخرى:

- التلقيح بواسطة الحيوانات: كالحشرات والطيور.
- التلقيح بواسطة المياه.
- التلقيح بواسطة الرياح.

وللرياح، كما تذكر الموسوعة العالمية دوراً هاماً في عملية نقل اللقاح في النباتات التـي تفتقد الأزهار ذات الرائحة والرحيق والألوان الجاذبة للحشرـات حيـث تقـوم الريـاح بنشر اللقاح على مسافات واسعة قد تصل إلى ٨٠٠ كم.

كما جاء في الموسوعة البريطانية الجديدة أنّ مما يسهل انتشار اللقاح بواسـطة الريـاح، كون عناصر الزهرة الذكرية التي تتولى إنتاج اللقاح معرضة للهواء بحيث يسهّل انتشار اللقاح، وكون الزهرة ما أورقت بعد، أو كونها في أعلى الشجرة أو النبتة.

أوَ ليست هذه الحقائق العلمية هي تأكيدات لـما جـاء في كتـاب الله تعـالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢]؟ فهـل كـان محمد صلى الله عليه وسلم عالمِ نبات ليصدر عنه مثل هذا القول وهو النبـي الأمـي؟ أم

هل كانت عنده دراسات حول النباتات وهو قاطن الصحراء منذ أكثر من أربعة عشر قرناً؟



﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور:٤٥] وفي الحجر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر:٢٦] ما وجه التوافق بين الآيتين؟

الجواب:

ما هو الصلصال؟ الصلصال هو طين يابس. ما هو الطين؟ الطين هو ماء وتراب. الصلصال هو الطين اليابس والطين هو التراب والماء، إذن الماء أولاً.

إذن هذه مراحل الخلق، يضع الماء على التراب فيصير طيناً ثم يكون طيناً لازباً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً كالفخار، إذن لا تعارض بين مراحل خلق الإنسان ،والله أعلم.



﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ترتيب ذكر الجن من حيث القدم قبل الإنس؟ وكيف يرتب القرآن الكلمات؟

الجواب:

يرتب القرآن الكريم الكلمات فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا. نحو:

١ ـ في آية الذاريات٥٦ وآية الحجر٢٧ قدّم الجن أولاً ثم الإنس بعدهم؛ لأنّ الله خلق الجن قبل خلق الإنس.

٢ ـ في آية البقرة ٢٥٥ قدّم السِّنة على النوم؛ لأنّ السنة وهي النعاس تسبق النوم فبدأ بها ثم النوم.

٣ ـ في آية العنكبوت٣٨ قدّم عاداً على ثمود، لأنّ عاداً أسبق من ثمود.

٤ ـ في آية الأنبياء٣٣ قدّم الليل على النهار؛ لأنه أسبق من النهار، ولأنه قبل خلق الأجرام كانت الظلمة، وقدّم الشمس على القمر لأنها قبله في الوجود.

٥ ـ في آية الأنعام١ قدّم الظلمات على النور وذلك لأنّ الظلمة قبل النور.

٦ ـ في آية الحديد١ ـ قدّم العزيز على الحكيم لأنه عزّ فحكم.

٧ ـ في آيتي الحج ٤٠ و٧٤ وفي آية الأحزاب٢٥ قدّم القوة على العزة؛ لأنه قوي فعزّ أي غلب، فالقوة في البدء.



﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

المطلوب مقارنة في قصة آدم عليه السلام في سورتي الحجر وص؟

الجواب:

١ـ عرض القرآن الكريم في سورتي [الحجر و ص] جانباً واحداً من القصة وهو ذكر معصية إبليس وعداوته للإنسان، ولم يذكر فيهما ما يتعلق بآدم بل لم يرد فيهما اسم آدم أصلاً، فكأنّ الغرض من ذكر القصة في الحجر وص هو تحذير الجنس البشري من عداوة إبليس الأبدية.

ومع أنّ الجانب المذكور من القصة يكاد يكون واحداً في السورتين، ومع أنّ كثيراً من الألفاظ والعبارات متطابقة في القصتين، غير أنّ هناك اختلافاً بينهما أيضاً يتناسب وسياق كل قصة.

وقصة آدم عليه السلام وردت في سورة الحجر في الآيات[٢٨ـ٤٣] ووردت نفس القصة في سورة ص في الآيات[٦٧ـ٨٨].

وللعلم فإنّ جو سورة الحجر عموماً هو الامتناع والرفض، وجو سورة ص هو الاستكبار والعلو وبيان ذلك:

سورة الحجر:

فقد ذكر في الحجر أنّ قسماً من الكفار يرفضون الهداية ولو جئتهم بكل أسبابها: الحجر ١٤ ـ ١٥.

وذكر في الحجر أنّ قوم لوط رفضوا عرض نبيهم لهم حين طلب منهم الكف عن التعرض لضيفه: الحجر ٦٨ ـ ٧٠.

وذكر في الحجر أنّ أصحاب الحجر رفضوا الآيات التي جاء بها نبيهم وأعرضوا عنها، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحِجر:٨١].

سورة ص:

ـ ذكر في أول السورة أنّ الذين كفروا في عزة، وهي هنا الاستكبار عن الحق، وشقاق.

ـ ثم ذكر قصة الخصمين اللذين بغى أحدهما على صاحبه واستكبر عليه.

ـ وذكر الطاغين وعذابهم: ص ٥٥ ـ ٥٦ والطاغية هو الأحمق المستكبر الظالم.

ـ وذكر الذين اتخذوا غيرهم سخرياً والساخر من الناس مستكبر عليهم ويراهم دونه: ص ٦٢ ـ ٦٣.

٢ـ وإليك جدولاً بأهم الفروق التعبيرية بين القصتين:

	سورة الحجر [٢٨ـ٤٣]	سورة ص [٦٧ـ٨٨]
١	﴿خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾	﴿خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾
٢	﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾	﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾
٣	﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾	﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾
٤	﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾	﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾
٥	﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾	﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ﴾
٦	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾
٧	﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾	﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾

٨	﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾	﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾

بيان أسباب الفروق التعبيرية حسب التسلسل أعلاه:

١ـ قال في الحجر: ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ وفي سورة ص ﴿طِينٍ﴾ وكلمة: صلصال تتألف من الحرف ص، وهو مفتتح سورة ﴿صٓ﴾ ومن الحرفين: الألف واللام، وهما مفتتح سورة الحجر (الر).

وبهذا الوضع اتفق الإحصاء العددي في كل من السورتين، إذ لو وضع الصلصال في سورة ص؛ لاختلف الإحصاء في السورتين جميعاً. وبيان ذلك أنّ:

عدد تكرار حرف الصاد في السور التي يحتوي مفتتحها على ص وهي: سور (ص ومريم والأعراف) هو ١٥٢، وهو من مضاعفات العدد ١٩ حسب الظاهرة العامة في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة.

٢ ـ ذكر في الحِجر أنّ إبليس ﴿أَبَىٰٓ﴾ وذكر في ص ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾.

ومعنى (أبى) رفض وامتنع وقد يكونان لغير الاستكبار، أمّا معنى ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ أي: رأى نفسه خيراً من الآخرين.

في سورة ص لمّا قال: ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ كان سؤال رب العزة ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ وكان جواب إبليس ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ وهو تكبر واضح في سورة ص.

ولم يقل مثل ذلك في سورة الحجر ولكن قال: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ وهذا هو المناسب لكلمة (أبى).

ومن هنا نلاحظ أنّ جو سورة الحجر عموماً هو الامتناع والرفض، وجو سورة ص عموماً هو الاستكبار والعلو.

٣ ـ قال في الحجر: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

وقال في سورة ص: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [ص:٧٤].

فذكر السجود في الحجر ولم يذكره في ص، وذلك أنّ كلمة السجود وردت في الحِجر ست مرات بينما وردت في ص ثلاث مرات.إضافة إلى سجود نبي الله داود ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص:٢٤].

إضافة إلى أنه لمّا قال في إبليس: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحِجر:٣١] أمر رسوله ﷺ بأنْ يكون مع الساجدين ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحِجر:٩٨] وهذا تناسق جميل في التعبير ومخالفة أصيلة لإبليس.

٤ ـ أضاف اللعنة إلى نفسه في ص ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ ولم يفعل ذلك في سورة الحجر ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحِجر:٣٥].

وذلك أنه لمّا قال في ص: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ فأضاف الخلق إلى ذاته وإلى يديه العليتين قال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ ﴾ فأضاف اللعنة إلى نفسه.

وللعلم ذكر الله تعالى نفسه في قصة ص ست مرات، وفي الحجر ثلاث مرات فكان كل تعبير مناسباً لجو القصة التي ورد فيها.

لاحظ التسلسل في سورة الحجر من أولها بـ (التعريف):[الإنسان ٢٦ ـ الجن ٢٧ ـ اللعنة ٣٥].

ولاحظ التسلسل و(التنكير) في سورة ص: [بشراً ٧١ ـ لعنتي ٧٨].

٥ـ قال في ص: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ فأقسم بعزة الله.

وقال في الحجر: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أقسم بإغوائه.

أقسم إبليس بعزة الله في سورة ص، وذلك لمّا تقدم في ص من ذكر اسمه العزيز فقال: ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ [ص:٩] ﴿الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ ﴾ ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ فناسب أنْ يقسم بعزته سبحانه.

في حين أقسم في الحجر بإغوائه لما تردد من ذكر الإغواء ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فناسب أنْ يضع كل تعبير في مكانه الذي هو أنسب له.

٦ ـ قال في الحجر: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر:٣٩] وقال في سورة ص: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فذكر التزيين في الحجر ولم يذكره في ص، وذلك أنه ورد ذكر الزينة في الحجر ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ وقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٨] وهذا من التزين في الأرض ولم يرد ذلك في سورة ص.

٧ـ قال في الحجر: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر:٤٢].

وقال في سورة ص: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص:٨٥]

فذكر الاتّباع بالتشديد في الحجر وذكر اتباعه بالتخفيف في ص، وذلك أنه لمّا جاء بعد القصة في الحجر قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩] ناسب أنْ

يخفف على عباده ويرحمهم بأنْ لا يدخل النار إلا من بالغ في اتباع إبليس، ولمّا لم يرد مثل ذلك في ص كان التحذير أشد.

٨ ـ في سورة الحجر وردت قصة آدم بعد ذكر نعم الله على البشر، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

في حين وردت قصة آدم في سورة ص بعد ذكر عقوبات أهل النار في النار، فناسب السياق في الحجر التخفيف على عباده والتفضل عليهم بخلاف السياق في ص. وبهذا ناسب كل تعبير السياق الذي ورد فيه. والله أعلم.

السؤال الثاني:

استعمل ضمير التعظيم في آية الأنبياء٩١، فقال: ﴿فَنَفَخْنَا﴾ واستعمل الإفراد في آيتي الحجر٢٩ و ص ٧٢ فقال: ﴿وَنَفَخْتُ﴾ فما بيان ذلك؟

الجواب:

هناك قاعدة مطردة في القرآن حول استعمال ضمير التعظيم (نا) أو استعمال الإفراد وهي التالي:

١ ـ في مقام التعظيم: يستعمل القرآن ضمير التعظيم فتأتي الصيغة بالجمع ﴿إِنَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ﴿وَبَنَيْنَا﴾ ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ ﴿لِنُخْرِجَ﴾ مع التنبيه أنه في القرآن الكريم لا يوجد به موضعٌ ذكر فيه ضمير التعظيم إلا وسبقه أو تبعه إفراد بما يفيد وحدانية الله تعالى.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥]... ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾ [البقرة: ١٥٦].

ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢)﴾ [الشَّرح:١-٢]. .. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشَّرح:٨] ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٧٢].

ـ ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦)﴾ [النبأ:٣٦] بعد استعمال ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ﴾ ـ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ـ ﴿وَبَنَيْنَا﴾ ـ ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ ـ ﴿لِّنُخْرِجَ﴾.

وهكذا يتبين أنه لم يذكر ضمير التعظيم في القرآن إلا سبقه أو تبعه ما يدل على الإفراد تجنبا للشرك.

٢ ـ في مقام التوحيد يستعمل الإفراد. كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾ [طه:١٤].

٣ ـ إذا كان أمر الله يتم بواسطة المَلَك فيأتي بضمير الجمع كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ [هود:٤٠] فالأمر كان إبلاغه بواسطة ملك، وأمّا مضمون الأمر فهو ﴿ فَقُلْنَا﴾.



﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ ما دلالة الحروف ﴿بِمَا﴾ ﴿لَوْلَا﴾ في الآيات القرآنية الحجر ٣٩ ـ وطه ١٣٣؟

الجواب:

(بما) هي للسبب وتقال للقسم، لكنّ السبب أظهر كما في آية الحجر ﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي: بسبب ما أغويتني.

(لولا) هي في الأصل حرف امتناع للوجود، وهي للحث والطلب أي: هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة.

(لولا) إمّا أنْ تكون حرف امتناع لوجوب عندما تدخل على الأسماء أو تكون من حروف التحضيض عندما تدخل على الأفعال ﴿لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٍ﴾.

والكفار يريدون معجزة حسية تصاحب رسالة محمد ﷺ وهي القرآن العامة للزمان والمكان، ولو كانت معجزته حسية لكانت لمن شاهدها فقط، والله عز وجل يريدها معجزة دائمة لامتداد الزمان والمكان إلى أن تقوم الساعة.



﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ما خصوصية القرآن الكريم في استعمال كلمة أعين وعيون؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت ﴿أَعۡيُنٌ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة ولم يرد بها القلة وقد جاء هذا الجمع في ٢٢ موضعاً منها:

آـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في ١٨ موضعاً منها:[الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات:٤١].



﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

الفعل ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ هو فعل أمر وله معان متعددة فما هي أشهر معانيه؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٥.

السؤال الثاني:

لماذا ذكر الأمن في آية الحجر٤٦ فقال: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ولم يقل ذلك في آية سورة ق٣٤؟

الجواب:

١ـ آية الحجر وردت في سياق قصة آدم وإبليس وانتهت بإخراج آدم من الجنة فكان من المناسب أنْ يؤمّنهم ربنا من ذلك وأنه لا يصيبهم ما أصاب أباهم حين كان في الجنة ثم أخرج منها.

وقوّى ذلك قوله تعالى في الآية ٤٨: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ لتمكين هذا المعنى في نفوسهم ولزيادة إغاظة إبليس، وهذا من لطيف المناسبات.

٢ـ وليس السياق في (ق) في مثل ذلك وإنما ذكر الموت وفرار الإنسان منه، فقال: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩] فناسب ذلك ذكر الخلود الذي لا موت فيه فقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق:٣٤].

والله أعلم.



﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول:

كيف تستعمل كلمة ﴿ضَيْفِ﴾ في اللغة؟

الجواب:

لفظة ﴿ضَيْفِ﴾ تستعمل للمفرد والمثنى والجمع، وهناك ألفاظ شبيهة بذلك نحو: [بشر ـ رسول ـ خصم ـ طفل].

مع العلم أنّ لكلٍ منها جمع خاص بها نحو: [رسل ـ خصوم ـ أطفال ـ ضيوف].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قصة ضيف إبراهيم في سورتي الذاريات في الآيات: [٢٤-٣٠] والحجر في الآيات [٥١-٥٦]؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

في سورة الذاريات جاء وصف ضيف إبراهيم عليه السلام بـ(المكرمين)، وهذا له معنى في سياق الآيات في السورة، ولم يأت ذكر صفة الضيف في آيات سورة الحجر.

وإذا استعرضنا سياق الآيات في السورتين يتبيّن لنا لماذا وردت الصفة في سورة ولم ترد في الأخرى:

سورة الذاريات	سورة الحجر
وردت التحية وردّ التحية من الإكرام	لم يذكر ردّ التحية ولم يرد الإكرام هنا

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾	﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢﴾
إنّ ضيف إبراهيم قالوا ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ أي حيّوه بجملة فعلية وهو حيّاهم بجملة إسمية والجملة الإسمية أقوى لغوياً وأثبت للمعنى وأبلغ إذن فسيدنا إبراهيم ردّ التحية بخير منها وهذا من مظاهر الإكرام أيضاً.	لم يرد في سورة الحجر أي مظهر من مظاهر الإكرام كما ورد في سورة الذاريات من حيث عدم ردّ التحية أو تحضير الطعام أو دعوتهم إليه وغيرها.
قال ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ ولم يقل (إنكم قوم منكرون) لكن عندما رآهم قال: قوم غرباء بشكل عام ولم يوجّه الخطاب لهم مباشرة وهذا من باب التكريم، وهذا يختلف عما جاء في قصة لوط في آية الحجر ٦٢ عندما قال ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٦٢﴾ لمّا جاءه الرسل لأنه كان في حالة أزمة.	
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ والعجل السمين من مظاهر الإكرام وراغ معناها أنه ذهب بخفية ولم يرد أنْ يظهر أنه ذهب وهذا من إكرام الضيف.	

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وهذا أيضاً من باب الإكرام أنْ قرّب لهم الطعام وقال ألا تأكلون.	
﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ لم يرد إبراهيم أنْ يطلعهم على خوفه وهذا من مظاهر التكريم، ولم يقل هنا أوجس في نفسه كما جاء في قصة موسى لأنّ الخوف قد يظهر وقد لا يظهر، وفي قصة موسى لم يُرد أنْ يُظهر خوفه لأنه في مواجهة فرعون وقومه.	﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ظهر عليه الخوف هنا وعمّ الخوف أهل البيت جميعاً.
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾ لم يعترض إبراهيم هنا لأنّ الإعتراض ليس من مقام الإكرام فلم يشك في قولهم ولا اعترض عليهم.	﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر:٥٣] واجههم بالخوف وأجهروا بالبشرى فكما قال لهم إنا منكم وجلون قالوا له إنا نبشرك بغلام عليم، واعترف إبراهيم أنه يشك فيهم مما بلغه من الخوف فقال: ﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾
﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾ لم تكن خائفة أو وجلة إنما	لم يذكر امرأة إبراهيم لأنّ الخوف هنا كان طاغياً على البيت كله وأهله ولهذا لم تظهر

خرجت لمواجهتهم.	امرأته لمواجهتهم.

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥)﴾ [الذاريات:٢٤-٢٥] وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢)﴾ [الحِجر:٥١-٥٢] الأولى منصوبة والثانية مرفوعة؟ وما الفرق بين (سلاماً وسلام)؟

الجواب:

سلامٌ هو جزء من جملة اسمية (سلام) إمّا مبتدأ لخبر محذوف (سلامٌ عليكم) أو خبر لمبتدأ محذوف.

والقاعدة: المرفوع يفيد الاسمية والمنصوب جزء من جملة فعلية.

فإذا قلنا (ويلٌ) فهي جملة اسمية (ويلٌ له)، وإذا قلنا (ويلاً) فهي جملة فعلية.

وفي الآية قالوا: سلاماً، أي: حيّوه بالجملة الفعلية وإبراهيم ردّ التحية بخير منها عن طريق الجملة الاسمية فقال: سلام بالسلام الثابت الشامل الدائم.

ولذلك قال تعالى: أنّ تحية أهل الجنة (سلام)يحيّون فيها بالجملة الاسمية ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد:٢٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء:٨٦] وإبراهيم عليه السلام لم يردّها وإنما حيّاهم بأحسن منها.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الحجر ٥٢ ﴿وَجِلُونَ ۝٥٢﴾ ما الفرق بين [الخوف والخشية والوجل]؟

الجواب:

١ـ الخوف: هو توقع أمر مكروه لأمارة معلومة فيخاف شيئاً.

٢ـ الخشية: خوف يشوبه تعظيم وهي أشد الخوف، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان الخاشي يعلم ماذا يخشى وممن يخشى كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] لأنّ العلماء أعلم بربهم فهم أكثر الناس تعظيماً لله.

٣ـ الوجل: هو الفزع واضطراب القلب وحصول قشعريرة في الجلد، ولم يُسند الوجل في القرآن إلا للقلب.

لذلك يمكن الترتيب: الخوف ـ الخشية ـ الوجل.

* شواهد قرآنية:

الخوف: النحل ٥٠ـ آل عمران ١٧٥.

الخشية: الزمر ٢٣ـ فاطر ٢٨.

الوجل: الحجر ٥٢ـ الحج ٣٥.

السؤال الخامس:

جاء في الحديث أنّ المولود يولد على الفطرة، فكيف الجمع بين آية الحجر ٥٣ـ و آية نوح ٢٨؟

الجواب:

هذا يسمونه في البلاغة في باب المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، هم خُلِقوا على الفطرة ولكن هم باعتبار ما سيكونون عليه في المستقبل سيكونون كفاراً، والله أوحى إليه في سورة هود الآية ٣٦ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود:٣٦].

* شواهد قرانية:

- ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف:٣٦] باعتبار ما سيؤول إليه.

- ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر:٥٣] أي: باعتبار ما سيكون.

السؤال السادس:

ما اللمسة البيانية في وصف الله تعالى إسماعيل بـ(الحليم) كما في آية الصافات ١٠١، ووصف إسحق بـ(العليم) كما في آية الحجر٥٣ وآية الذاريات٢٨؟

الجواب:

١ـ صفات إسماعيل التي ذُكرت في القرآن تقتضي وصفه بالحلم وذلك:

آ ـ علاقة إسماعيل مع أبيه في قضية ذبحه ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات:١٠٢].

ب ـ علاقة إسماعيل مع أبيه في بناء البيت ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧].

ج ـ كان إسماعيل صادق الوعد في التبليغ للآخرين وفي الرسالة ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ [مريم:٥٤] وجاءت صفته بالصيغة الاسمية وهذه الأمور تقتضي علائق اجتماعية وفيها يظهر الحلم أو غيره فوصفه بالحلم لذاك.

أمّا إسحاق فلم يذكر له علاقة بالآخرين وقد وصفه الله بـ(العلم) والعلم لا يقتضي مثل تلك العلائق.

٢ـ إنّ الله تعالى لمّا يذكر صفات الأنبياء يذكر صفةً بارزةً لكل نبي منهم لكن هذا لا ينفي باقي الصفات عن كل نبي، فإذا ذكر الحلم فذلك لا ينفي العلم، وقد وصف الله إبراهيم عليه السلام بأنه أواه منيب وحليم، والصفة البارزة في إسماعيل هي الحلم وقد أخذها عن أبيه، أمّا إسحاق فهي ليست كذلك.

٣ـ أنه في تبشير إبراهيم بإسماعيل جاءت البشارة مباشرة من الله كما في آية الصافات ١٠١.

أمّا في البشارة بإسحق فهي جاءت على لسان الملائكة ولم تكن مباشرة من الله تعالى لإبراهيم قال تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨﴾ [الذاريات:٢٨] وفي الحجر ﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٥٣﴾ [الحجر:٥٣].

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

بعض الآيات التي تتكلم عن لوط تأتي ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾ أو ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ أو ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ فما الفرق بين [قوم وإخوان وآل]؟

الجواب:

١ـ قوم الرجل: هم أهله بالصورة الواسعة يقال: فلان من قوم كذا، وقد يكون القوم أوسع من القبيلة، والعرب قوم، والقوم اسم جمع مثل شعب وجيش ليس له مفرد من جنسه.

٢ـ الآل: هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس، ومن معانيه الزوجة و الأتباع، الذرية أوالأقارب، لكن قوم أوسع.

٣ـ الإخوان: أقرب من الآل؛ لأنّ الآل قد يكون فيها الأتباع ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] أي أتباعه.

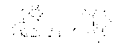
وبالنسبة لآل لوط لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، ولمّا يثني عليهم لا يستعمل كلمة قوم.



٤ـ القرآن الكريم يستعمل كلمة قوم وأحياناً كلمة آل وأحياناً كلمة إخوان، مثلاً: [قوم نوح وقوم فرعون وقوم موسى وقوم إبراهيم وقوم إسماعيل وقوم هود وقوم لوط وقوم صالح وقوم تُبّع].

وورد: [أخاهم هوداً وأخاهم صالحاً وأخاهم شعيباً، وورد أخوهم نوح وهود وصالح ولوط]. والإخوة ذكرت لشعيب وهود وصالح ولوط ونوح في حال الرفع والنصب.

وورد [إخوان لوط، إخوة يوسف، إخوان الشياطين] كل واحدة في مكانها.



ما اللمسة البيانية في الاختلاف بين قوله تعالى في سورة النمل ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وفي قوله في سورة الحجر ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ في قصة امرأة لوط؟

١ـ لو نظرنا إلى آية سورة الحجر ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ لوجدنا فيها ستة مؤكدات هي: [(إنّا)، اللام في لمنجوهم، منجوهم (اسم)، أجمعين، إنّ في (إنها) واللام في (لمن الغابرين)].

٢ـ ثم إننا إذا نظرنا في السورة كلها أي سورة الحجر لوجدنا فيها ٢٠ مؤكداً في قصة لوط، بينما في سورة النمل ففيها ثلاثة مؤكدات فقط في القصة كلها (أئنكم، لتأتون، وإنهم أناس يتطهرون).



وهذا هو الجو العام في السورتين، والوضع الوصفي سورة الحجر أنسب مع المؤكدات في القصة من آية سورة النمل.

٣ـ وقد يسأل السائل لماذا؟

آ ـ نلاحظ أنه تعالى وصف قوم لوط في سورة الحجر بالإجرام ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الحجر:٥٨] أمّا في النمل فوصفهم بالجهل ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل:٥٥] والمجرمون أشد من الجاهلين، فالوصف أشدّ وهذا الوصف الأشدّ يقتضي عقوبة أشدّ.

ب ـ ولو نظرنا إلى العقوبة في كلتا السورتين لوجدنا أنّ العقوبة في سورة الحجر أشدّ ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحجر:٧٣-٧٤] وفي سورة النمل ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النمل:٥٨] والمطر قد يكون ماء ،أمّا الحجارة في سورة الحجر فهي بالطبع أشدّ.

إذن العقوبة أشدّ والوصف أشدّ.

٤ـ ثم إن القصة في سورة الحجرمكونة من ١٩ آية من الآية(٥٨ إلى ٧٦) وهي أطول من نفس القصة في سورة النمل المكونة من خمس آيات فقط من الآية (٥٣ إلى ٥٨) فإذا نظرنا إلى القصة من جهة التوسع والإيجاز فآية سورة الحجر أنسب، ومن حيث التوكيد والعقوبة والطول أنسب، ولا يناسب وضع الآية مكان الأخرى، والقرآن الكريم يراعي التعبير في كل مكان بصورة دقيقة ويراعي التصوير الفني للقصة.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في الاختلاف بين ﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾ و ﴿قَدَّرْنَآ﴾ قوله تعالى في سورة النمل: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] وفي قوله في سورة الحجر: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحِجر:٦٠] في قصة امرأة لوط؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى في سورة الحجر الكلام كان على لسان الملائكة: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحِجر:٥١-٥٢].

والجو العام جو وجل وخوف من إبراهيم وتشكك ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الحِجر:٥٣-٥٤-٥٥] أي لا تيأس من رحمة الله ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحِجر:٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠].

لاحظ التأكيدات المتعددة وهو يحتاج لمؤكدات؛ لأنه وجل وشاكٌّ من الملائكة، وجاء التأكيد بإنّ وباللام وهو من كلام الملائكة، ولاحظ كلمة ﴿قَدَّرْنَآ﴾ وهم لا يقدّرون ولكنهم وسيلة لتنفيذ قدر الله سبحانه وتعالى فرخصوا لأنفسهم أن يقولوا: قدّرنا، ولكن ما قالوا: قدرناها، ولم يربطوا الضمير بالتقدير بأنفسهم، لذلك أبعدوها مع وجود (إنّ) المؤكدة.

فإذن كلام الملائكة يحتاج إلى تأكيد وابتعد ضمير المفعول به، والأصل هو: قدرنا، لكن أدخلوا إنّ فأبعدوها عن التقدير.

٢ـ الآية الثانية في النمل وهي من كلام الله سبحانه وتعالى المباشر في سورة النمل ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ خبر، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] ما قال: (قدّرنا إنّها) ،وما احتاج إلى تأكيدات؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأمر: بأنّ قوم لوط أجابوا بهذه الإجابة فالله سبحانه أنجاه وأهله إلا امرأته قدرها رب العزة من الغابرين.

وانظر كيف ربط الضمير بالفعل مباشرة ولم يبعده ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ لأنّ هذا قدره سبحانه وتعالى فما احتاج إلى إبعاده.

السؤال الرابع:

ما الفرق في التعبير في الآيات الثلاث بين قوله تعالى في امرأة لوط: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر:٦٠] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف:٨٣]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٨٣.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية الحجر ٦١: ﴿جَآءَ﴾ ما الفرق بين استعمال (جاء وأتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

من الناحية اللغوية: (جاء) تستعمل لما فيه مشقة، أمّا (أتى) فتستعمل للمجيء بسهولة ويسر.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الحجر:٦١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣] وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان:١].

وإذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه لم تستعمل صيغة المضارع للفعل (جاء) مطلقاً في القرآن كله ولا صيغة فعل أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول وإنما استعمله دائماً بصيغة الماضي، أمّا فعل (أتى) فقد استخدم بصيغة المضارع.



﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

استثنى امرأته في هود ٨١ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ ولم يستثنها في الحجر ٦٥ فلماذا؟

الجواب:

١ـ تقدم في الحجر في الآية ٥٩ـ٦٠ قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فأغنى عن إعادة استثنائها، ولم يتقدم ذلك في هود فذكرها فيها.

٢ـ وأما قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي: ليكون وراء أهله بالسير فيتحقق نجاتهم مما أصاب قومه، أو المعنى امض لشأنك ولا تعرج على شيء.



﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة الحجر ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ [الحجر:٦٨] وفي الذاريات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات:٢٤] كلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة مكرمين يعني جمع، فما دلالة ذلك؟

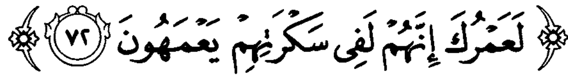
الجواب:

كلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع في اللغة، مثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد.

وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع، وعندنا كلمات في اللغة تأتي للمفرد وللجمع، وكذلك كلمة (بشر) ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤] مفرد ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة:١٨] جمع.

وعندنا كلمات تكون للمفرد وللجمع منها كلمة (ضيف) تكون للمفرد وللجمع، وعندنا (ضيوف وأضياف) وعندنا (خصم وخصوم) و(طفل وأطفال) و(رسول) أيضاً تستعمل مفرداً وجمعاً.





السؤال الأول:

هل يحق لنا استخدام كلمة (لعمري) الذي استخدمت في القرآن ﴿لَعَمۡرُكَ﴾؟

الجواب:

القسم بغير الله لا يجوز لكنْ يُسأل عن هذا السؤال فقيه لأنه من باب الحلال والحرام، وفي الحديث لا يجوز القسم بغير الله «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». لكنْ من المعروف أنّ لله أنْ يقسم بمن شاء من مخلوقاته، وأمّا للبشر فلا يجوز القسم بغير الله سبحانه.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ورد وصف عذاب قوم لوط مرة أنه وقع على القرية ومرة على القوم ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود:٨٢] ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر:٧٤] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٨٢.

هل الماء والغيث كلاهما مطر؟

الجواب:

المطر يستعمله الله سبحانه وتعالى في العقوبات ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف:٨٤] ولم يستعمل القرآن المطر إلا في العقوبة ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان:٤٠] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر:٧٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء:١٧٣].

وأمّا الغيث فيستعمله في الخير. هذا في الاستعمال القرآني.

والعرب فهمت هذا الفرق من الاستعمال كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى:٢٨].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ
وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر:٧٥] و ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر:٧٧] ما الفرق بين استخدام الجمع(الآيات) في الأولى والمفرد (الآية) في الثانية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحِجر:٧٥] هذه ذكرها تعقيباً على قوم لوط وذكر فيها عدة أمور قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الحِجر:٧٣] هذه آية، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحِجر:٧٤] هذه آية أخرى، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحِجر:٧٤] هذه آية أخرى.

إذن هي آيات وليست آية واحدة لأنّ كل واحدة منها آية، والآية يعني العلامة فناسب ﴿لَآيَاتٍ﴾ في الآية ٧٥ وقوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: للناظرين المعتبرين المتبصرين المتفكرين.

٢ـ في قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام توجد تفاصيل متعددة، و فيها آيات متعددة من إرسال الملائكة إليهما وما جرى بينهم من المحاورة بين لوط وقومه وكيفية هلاكهم وذكر الصيحة وذكر عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة فلذلك جمع ﴿لَآيَاتٍ﴾.

٣ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ أي: على طريق معلوم يسلكه الناس إشارة إلى مدائن قوم لوط.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أفرد هنا للأسباب التالية:

آ ـ إشارة إلى القصة بدون تفاصيل وكأنها حدث واحد.

ب ـ المشاهد للمدينة يرى بقية الآثار لا كل القصة فأفرد.

ج ـ وقيل للإشارة إلى أنّ المؤمنين يكفيهم آية واحدة للإعتبار.

السؤال الثاني:

لماذا انتقل إلى المثنى بعد الجمع فقال: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحِجر:٧٩]؟

الجواب:

تكلم القرآن عن قصة أصحاب الأيكة الظالمين وإهلاكهم، ثم ذكر بعدهم ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ أي قوم لوط وأصحاب الأيكة وهما في طريق واحد تمرون عليهما. ولفظ ﴿إِمَامٍ﴾ أي: طريق.

وقوله: ﴿لَتَمُرُّونَ﴾ بالمضارع الذي يفيد الاستقبال والتكرار، أي: تمرون عليهم بعد سنين من أصحاب الأيكة وقوم لوط.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الحجر ٧٩: ﴿فَانتَقَمْنَا﴾ ما هو الفرق بين (النقمة والانتقام)؟

الجواب:

١ـ النقمة: مصدر للفعل الثلاثي (نقم) وتصريفاتها مسندة إلى غير الله تعالى كالكفار مثلاً، وهي تعبر عن مرض نفسي خبيث يدل على الحقد والبغض.

ويخبرنا التاريخ أنّ الكفار عندما يواجهون المؤمنين يُلغون القوانين والأنظمة والمبادىء والأعراف والتشريعات التي كانوا يتبجحون بها ويقاتلونهم بنقمة وبقلب أسود حسود.

٢ـ الانتقام: مصدر من الفعل الرباعي (انتقم) وتصريفاته مسند إلى الله تعالى فقط وهو عقوبة من الله للكفار نتيجة ذنوبهم وكفرهم وانحرافهم.



﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما هو الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل؟

الجواب:

الهجر الجميل: هو هجر بلا أذى.

الصفح الجميل: هو صفح بلا معاتبة.

الصبر الجميل: هو صبر بغير شكوى إلى المخلوق.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ يحتمل أنْ يكون سبعاً من الآيات أو سبعاً من السور أو سبعاً من الفوائد، لكنّ أكثر المفسرين أنه فاتحة الكتاب.

٢ـ (المثاني) صيغة جمع مفردها (مثناة) وهو كل شيء يثنى أي: يجعل اثنين.

٣ـ سميت فاتحة الكتاب بالمثاني لأنها:

آ ـ سبعة آيات تثنى أي تقرأ في كل صلاة.

ب ـ روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قرأ الفاتحة وقال: **هي السبع المثاني**.

ج ـ سميت الفاتحة مثاني؛ لأنها قسمت قسمين اثنين كما جاء في الحديث القدسي المشهور: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين**».

د ـ وهي قسمان ثناء ودعاء: فالنصف الأول منها حق الربوبية وهو الثناء، والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء.

هـ نزلت الفاتحة مرتين مرة بمكة في أوائل ما نزل من القرآن ومرة في المدينة.

و ـ كلماتها مثناة مثل: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة عطف (القرآن) على (المثاني) في الآية من الناحية اللغوية؟

الجواب:

المتعاطفان يكونان على أقسام:

١ـ عطف الشيء على مغايره وهو الأصل: رأيت محمداً وخالداً.

٢ـ عطف الشيء على مرادفه: هذا كذب وافتراء.

٣ـ عطف العام على الخاص: الحجر ٨٧ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ و اشتريت رماناً وفاكهة.

٤ـ عطف الخاص على العام: كما في آية البقرة (٩٨) ويأتي لبيان الأهمية، فإنّ جبريل وميكال هم رؤساء الملائكة وليسوا كعمومهم. ومثله [آية البقرة ٢٣٨ـ وآية الرحمن ٦٨].

٥ـ عطف الشيء على نفسه لزيادة فائدة [البقرة ١٣٣].

٦ـ عطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد [الأعلى ١ ـ٤] ـ مررت برجل فقيه وشاعر وكاتب.

٧ـ عطف الاسم على الفعل وبالعكس، والأصل أنْ يعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل.

٨ـ قد يعطف الاسم المشبه بالفعل كاسم الفاعل على الفعل وبالعكس: [الملك ١٩ ـ الأنعام ٩٥] حيث عطف اسم الفاعل (مُخرِج) على الفعل (يخرج) وكذلك [العاديات ٣ ـ ٤].



﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين فعلي (الأسى والحزن)؟

الجواب:

كِلا الفعلين (حزن ـ أسى) يدل على الحزن.

١ـ عندنا: (حزِن يحزَن) و(حزَن يحزُن).

آ ـ (حزِن يحزَن) فعل لازم وليس متعدياً تقول حزِن عليه و ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحِجر:٨٨].

ب ـ (حزِن يحزُن) متعدٍّ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس:٧٦] (الكاف مفعول به).

ج ـ ولدينا: حزنني وأحزنني ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف:١٣].

د ـ اللغة العليا (حزَن يحزُن) وتستعمل أحزن أيضاً، أحزن من حَزَن.

٢ـ الفعل (أسى يأسى) يسمونه الباب الرابع ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ [الحديد:٢٣] وأسى بمعنى حزن أيضاً ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ۝٩٣﴾ [الأعراف:٩٣] هي أأسى، فهو أسي يأسى.

٣ـ كلاهما يفيد الحزن لكنّ الفارق بين (لكيلا تحزنوا) و(لكيلا تأسوا) هو أنه في (الحزن) توجد مشقة أكثر وشدة لأنه قريب من معنى الحزْن الذي هو الغلظ والشدة في الأرض وكما في الحديث الشريف: «**اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزْن إذا شئت سهلاً**» الحزْن، أي: الصعب، وتقال للأرض الصعبة.

٤ـ إذن (الحزن) فيه غِلظ وشدة في الأرض، و(الحُزن) هو الغلظ والشدة في النفس، أيهما أثقل؟ الحُزن أثقل على النفس من الحزْن، الحزْن تجتازه وانتهى الأمر، أما الحُزن فيبقى في النفس لفترة طويلة، الحَزن فتحة والحُزن ضمة، فاختاروا الضمة لما هو أثقل لأنها تتناسب اللفظة مع مدلولها أو المعنى.



﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾

السؤال الأول:

ما معنى (المقتسمين) و(عضين) في الآية؟

الجواب:

١ـ روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عن المقتسمين: هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

و ﴿الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

٢ـ كلمة ﴿عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ فيها وجوه:

آـ يعني فرقاً بعضه شعراً وبعضه سحراً وبعضه كهانة وبعضه أساطير، من عضّيت الشيء إذا فرقته.

ب ـ أنّ العضين جمع عضه وهو البهت؛ لأنهم بهتوا كتاب الله.

ج ـ أنّ العضين هم المستهزئون.

د ـ أنه عنى بالعضه السحر، وهو قول الفراء.



﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول:

كيف نوفق بين الآيتين ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن:٣٩] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر:٩٢]؟

الجواب:

هذه مواقف مختلفة يوم القيامة فالموقف الأول أنهم لا يُسألون مطلقاً ثم يصير السؤال، والموقف الأول مقداره خمسون ألف سنة لا يُسألون وهذا في الموقف قبل الحساب، ثم يكون الحساب والسؤال ﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الأمر بالإكثار من التسبيح والذكر في الآية؟

الجواب:

في القرآن نلاحظ أنّ الله تعالى يأمر بالإكثار من التسبيح والذكر في المواطن التي تحتاج إلى صبر وفي الأزمات كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر:٩٧-٩٨-٩٩] وأمره بالتسبيح في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال:٤٥].

ومداومة التسبيح تفرّج الكروب عن المرء كما جاء في قصة يونس وهو في بطن الحوت ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤] فالذي نجّى يونس من بطن الحوت هو مداومته على التسبيح ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧] والتسبيح وذكر الله هي أزكى الأعمال وأرفعها عند المليك، فهو ترتيب منطقي جداً بعدما تضيق الصدور والقلوب نذكر اسم ربنا.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الفعل (سبّح) واسم المصدر (سبحان)؟

الجواب:

١ـ سبحان: هو اسم مصدر، واسم المصدر يكون خالياً من بعض حروف الفعل الأصلي دون تعويض.

* أمثلة لغوية:

سبح تسبيحاً: ومنه (سبحان) فقد نقصت باء عن الباء المشددة في الفعل سبّح.

أعطى إعطاء: ومنه (عطاء) فقد نقصت الهمزة من الفعل (أعطى).

سلّم تسليماً: ومنه (سلام) فقد نقصت لام من اللام المشددة في الفعل (سلّم)

٢ـ الأفعال (سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون) تدل كلها على الزمن وعلى الفاعل.

أمّا (سبحان) فليست مرتبطة بفعل أو زمن فقد كان التسبيح قبل الخلق وكان بعده، وقبل من يسبح وبعد من يسبح.

رابعاً ـ تناسب بداية الحجر مع خاتمتها:

قال الله سبحانه في أول السورة:

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾... ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [الحجر: ٦ - ٧].

وقال في أواخرها:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر:٨٧-٩٩].

وبالنظر في أوائل السورة وأواخرها نذكر المناسبات الآتية:

١ ـ لقد قال في أول السورة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [الحجر:١]

وقال في أواخرها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر:٨٧]

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر:٩١].

فذكر القرآن في البدء والختام.

٢ ـ قال في أولها: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر:٢].

وقال في أواخرها: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]

فعند ذلك يتمنى الذين كفروا أنهم لو كانوا مسلمين.

٣ ـ قال في أولها: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر:٣].

وقال في أواخرها: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٨].

وهو ما كانوا يتمتعون به، فذكر التمتع أولاً وآخراً.

فقال أولاً: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ [الحِجر:٣].

وقال في الأواخر: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحِجر:٨٨].

٤ ـ قال في أوائل السورة: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحِجر:٦-٧].

وقال في آخرها: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحِجر:٩٥-٩٦-٩٧].

فاستهزؤا به أولاً فوصفوه بالجنون فقالوا ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحِجر:٦].

ثم قالوا: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحِجر:٧].

وقال في خواتمها: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحِجر:٩٥]

وذكر أنه يضيق صدره بما يقولون، وقد ذكر قولهم في أول السورة من وصفه بالجنون والكذب والاستهزاء به.

فالمناسبة ظاهرة. والله أعلم.





سورة النحل

(سورة النِّعَمْ)

أولاً ـ تناسب خواتيم الحجر مع فواتح النحل:

١ ـ قال سبحانه في خواتيم سورة الحجر:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجر:٩٤].

وقال في أول سورة النحل: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [النحل:١]

٢ ـ وقال في خواتيم الحجر:

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الحِجر:٨٥].

وقال في بداية سورة النحل:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ [النحل:٣].

٣ ـ قال في خواتيم الحجر:

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ﴾ [الحِجر:٨٥].

وقال في بداية سورة النحل:

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل:١].

جاء في «نظم الدرر»: لمّا ختم الحِجر بالإشارة إلى إتيان اليقين وهو صالح لموت الكل، ولكشف الغطاء بإتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب في الآخرة بعدما يلقون في الدنيا، ابتدأ هذه بمثل ذلك سواء، غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للإحسان لطفاً بالمخاطب، وافتتح هذه باسم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد.

ثانياً ـ هدف السورة: الشكر على النعم:

هي من السور المكية وهي سورة مليئة بنعم الله تعالى وبشكر النعم.

ونعم الله في الكون: إمّا أنْ تكون نِعم ظاهرة، يراها الإنسان في حياته ويدركها بحواسه، وهي صور حيّة مشاهدة دالة على وحدانية الله تعالى وناطقة بآثار قدرته، التي أبدع بها الكائنات من البحار والجبال والسهول والوديان والسماوات والأرض والمطر والزرع والفلك التي تجري في البحر والنجوم التي يهتدي بها السالكون في ظلمات الليل، والأنعام والخيل والبغال والحمير ونعمة خلق الإنسان ونعمة الغذاء، وإمّا أنْ تكون نِعم في الكون لا نراها ولا ندركها بأسماعنا وأبصارنا لكنها موجودة في الكون نستفيد منها بدون أنْ نلمسها، مثل المخلوقات الموجودة في أعماق البحار وما تحويه الأرض من خيرات لا ندركها وقوانين الجاذبية وغيرها من القوانين التي يسير بها الكون أو تعمل بها أجسادنا أو ما حولنا من مخلوقات الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ الآيات من ٣ إلى ١٦، وهناك نعمة أخرى هي نعمة كيف يخرج الله تعالى هذه

النعم: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل:٦٦].

و: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨] فنعم الله تعالى كثيرة جداً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ [النحل:١٨] وأهم من هذه النعم كلها، وهي ما ابتدأت به السورة هي نعمة الوحي: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل:٢] وقد جاء ترتيب نعمة الوحي ثم نعمة نزول المطر؛ لأنّ الوحي ينزل على القلوب فيحييها والمطر ينزل على الأرض فيحييها، وهذا الربط بين سورة إبراهيم وسورة النحل، فسورة إبراهيم تحدثت عن نعمة الوحي والإيمان وسورة النحل تتحدث عن باقي نعم الله في الكون.

وتأتي في السورة آية محورية هي محور السورة: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٨] وفيها تذكير بأنّ نعم الله على الخلق أكبر من أنْ تعد أو أنْ تحصى.

ثم تنتقل السورة إلى التحذير من سوء استخدام هذه النعم: فما أكثر ما يستخدم الإنسان نعم الله في معصيته أو فيما يعود عليه بالضر والإفساد له أو لغيره أو للكون: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النحل:٢٦] و: ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل:٥٥] و ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ

ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل:٥٨-٥٩] و ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل:٦٧] و: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل:٨٣].

وتأتي فواصل في السورة دائماً تذكر بأنّ النعم هذه هي من عند الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

والنعمة قيدها الشكر لذا يجب أنْ يعرف الإنسان عظمة نعم الله عليه ثم يشكره عليها بأنْ يوجهها لطاعة الله ويحذر من استخدامها في معصيته كما في مثل القرية المطمئنة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢].

سميت السورة بسورة النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل:٦٨-٦٩] وهي نعمة من الله تعالى أيضاً فقد أمر الله تعالى النحل (اتخذي، اسلكي، كلي) فلمّا نفّذت النحل أوامر الله تعالى أخرج سبحانه من بطونها غذاء نافعاً مفيداً هو العسل. وهذا توجيه للعباد بأنّ عليهم أنْ ينفذوا أوامر الله تعالى ويتبعوا الوحي حتى يخرج الله تعالى للمجتمع خيراً نافعاً مثلما أخرج العسل من النحل، ولهذا نزلت آية النحل في هذه السورة خاصة لأنها من نعم الله تعالى، فلو استعملنا نعم الله في مرضاته أخرج لنا من الخير كله ويزداد الخير في المجتمع.

ثالثاً - من اللمسات البيانية في السورة:

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال صيغة الفعل الماضي(أتى) في أول سورة النحل؟

الجواب:

قال تعالى في بداية سورة النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ الفعل الماضي في اللغة العربية ليس بالضرورة أنْ يكون لما قد حصل، فقد يكون لما شارف الوقوع، وقد يكون للمستقبل الذي سيقع بعد قرون كذكر أحداث يوم القيامة في القرآن، وأحياناً يُستعمل الفعل المضارع للماضي البعيد كقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ ..

الزمن في اللغة العربية ليس بالبساطة التي نتصورها، فالفعل الماضي له ١٦ زمناً في اللغة، فما المقصود بقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؟ هو ليس بالضرورة يوم القيامة فقد يكون النصر الذي أشرف على المجيء فلا تستعجلوه ولكنه تأكيد بأنه سيقع، يذكر الماضي للدلالة على التيقن من وقوعها كما يصف أحداث يوم القيامة، فالأحداث المستقبلية هي بدرجة تحققها مثل الأحداث التي حصلت وليس في الفعل الماضي شك فهي بمنزلة ما مضى من الأحداث، وهو حاصل وآتٍ قد يكون اقترب أو شارف على الوقوع، وقد يحتمل أنْ يكون النصر وقد يحتمل القيامة. كما نقول: قد قامت الصلاة في أذان الإقامة.

السؤال الثاني:

لم بدأت السورة بالفعل (أتى) و ليس (جاء)؟

الجواب:

١ـ إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه لم تستعمل صيغة المضارع للفعل (جاء) مطلقاً ولا صيغة فعل أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، وإنما استعمل دائماً بصيغة الماضي، أمّا فعل (أتى) فقد استخدم بصيغة المضارع.

٢ـ من الناحية اللغوية: جاء تستعمل لما فيه مشقة، أمّا أتى فتستعمل للمجيء بسهولة ويسر.

قال تعالى في سورة النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر:٧٨] فيوم القيامة أشقّ لأنّ فيه قضاء وخسران وعقاب فذكر معه (جاء).

السؤال الثالث:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر:٧٨]؟

الجواب:

١ـ آية النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فلا تستعجلوه أي هو قَرُب، والفعل (أتى) يدل على الماضي وأنه اقترب ولم يصل بعد فلا تستعجلوه، وأمّا آية غافر﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ هنا الأمر واقع و فيه قضاء وخسران.

٢ـ أي المجيئين أثقل؟ الجواب هو ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [غافر:٧٨] فهو أثقل لأنه يصور مشهداً واقعاً، أمّا في الآية الأولى فهو لم يأت بعد ولم يقع بعد، لذلك مع الذي لم يأت بعد استعمل (أتى) ولمّا حصل ما وقع وما فيه من قضاء وخسران استعمل (جاء).

٣ـ إذن الإتيان والمجيء بمعنى واحد لكنّ الإتيان فيه سهولة ويسر، أمّا المجيء ففيه صعوبة وشدة.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ [النمل:١٨] هنا لا يوجد حرب فاستعمل (أتى) بينما قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف:١٦] هذه فيها محاولة قتل فاستعمل (جاء).

إذن هنالك فروق دلالية بين جميع كلمات العربية سواء علمناها أو لم نعلمها، ورأي الكثيرين من اللغويين أنه ليس هناك ترادف في القرآن إلا إذا كانت أكثر من لغة مثل (مدية وسكين) ولا بدّ أنْ يكون هناك فارقاً.

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾

السؤال الأول:

لماذا لم يرد ذِكر الجِمال في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ [النحل:٨]؟

الجواب:

ذكر الله تعالى في هذه الآية سبل المواصلات لكنه ذكر الجمال في الآية التي سبقتها فقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [النحل:٥-٦-٧] ففي هذه الآية ذكر ما يُستعمل للركوب والأكل، والجمال تدخل في الأنعام، ثم ذكر بعدها ما يُستعمل للركوب والزينة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ [النحل:٨] وهذه كلها ليست للأكل، ففي ترتيب الذكر في الآيات ذكر أولاً ما هو للركوب والأكل، ثم أتبعها بما هو للركوب والزينة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استخدام القرآن الكريم لكلمتى (الحمير والحُمُر)؟

الجواب:

في سورة لقمان قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٩] استخدم الحمير في الآية مع أنه في مكان آخر استخدم (حُمُر) وكلاهما جمع حمار، لكنّ القرآن استعمل كلمة (الحمير) للحُمُر الأهلية واستعمل (الحُمُر) للوحشية هكذا خصّصها. قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨] خصّص هذا الجمع بالحُمُر الأهلية، والحُمُر خصّصها بالوحشية كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدّثر:٥٠-٥١] وهذه هي الوحشية التي في الغابة.

واللغة العربية لا تفرق بين الكلمتين ولكنّ هذا من خواص الاستعمال القرآني. وفي القرآن كثيرٌ من الأمور خصّصها بالجمع مثل (الأعين والعيون) العيون خصّصها لعيون الماء والأعين استعملها للعين الباصرة أو الرعاية، واستخدام (الموتى والأموات والميتون) الموتى للميّت حقيقة والميْتون لمن لم يمت بعد ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر:٣٠]. وكذلك (القعود والقاعدين) القعود استخدمها في القعود الحقيقي نقيض القيام، والقاعدون استخدمها في القاعدين عن الجهاد فقط، وهذا من خواص الاستعمال القرآني.

واللغة العربية قد تخصص مثلاً فتخصص (الخال) وهي مشتركة بين الشامة وأخ الأم، وتستخدم (الركّاب والركبان) الركاب عامة للسفينة والخيل وغيرها، أمّا الركبان

فللإبل فقط، هذا تخصيص العرب، والقرآن يخصص في الاستعمال كذلك، وقد خصص الحُمُر للوحشية والحمير للأهلية المستأنسة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠] يجادل بعض المسلمين ويقولون: هل انتهت عملية الخلق أم أنها مستمرة باستمرار، علماً أنّ هناك آية أخرى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨]؟

الجواب:

١ـ آية طه: في الأصل هي سؤال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه:٤٩]، يسأل أحدنا: من ربك؟ يقول: ربي الذي خلق السموات والأرض ووضع الجبال وسخر الأنهار، لا يقول سيخلق وإنما خلق، والسؤال في الآية: من ربكما يا موسى؟ فذكر له موسى أموراً واقعةً ولم يقل: سيفعل كذا، وإنما ربنا أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فهذه الآية لا تدل على انتهاء الخلق وإنما إجابة على السؤال.

٢ـ حتى هذه الآية فيها معنى آخر يذكره اللغويون وهو أنه ربنا أعطى خَلْقه أي: صورته لكل شيء خلقه، فهو سبحانه وتعالى خلقه وصوّره فأعطاه كل ما يحتاج إليه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام وحذف (اللام) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩] وقوله: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس:٤٧]؟

الجواب:

لا شكّ أنّ اللام في جواب (لو) تفيد التوكيد وهي آكد من حذفها، وربنا سبحانه تعالى يضع اللام في جواب (لو) لما هو آكد كما في الآية: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل:٩] بينما في قوله تعالى: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس:٤٧] لم يقل: لأطعمهم؛ لأنه يمكن أنْ تطعم من تشاء، لكنْ لا يمكن أنْ تهدي الناس أجمعين لأنه قد يتعبك أحدهم طول العمر ولا يهتدي.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؟

الجواب:

١ـ معنى (الجور) في اللغة هو الميل عن سبيل الحق.

٢ـ ذكر الله سبحانه في الآية السابقة الأنعام التي كانوا يستعملونها في أسفارهم يقصدون بها أسهل الطرق وأقومها وأوصلها إلى الغرض، ومن عَدَلَ عن ذلك كان عندهم ضالاً سخيف العقل.

ونبههم الله في أنّ ما تقدم في هذه السورة قد بيّن الطريق الأقوم الموصل إليه سبحانه فهو الواحد القادر المنعم فوجب اختصاصه بالعبادة وأنّ هذا البيان للسبيل هو فضل منه سبحانه.

٣ـ (القصد) مصدر بمعنى الفاعل يقال: سبيل قاصد، أي طريق مستقيم لا دوران فيه ولا التفاف، فالله يريد لنا أنْ نصل إلى الغاية بأقل مجهود.

ويكون معنى قوله تعالى: ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق العدل المستقيم.

٤ـ و(السبيل) عادة توصل بين نقطتين (من وإلى) منها خط مستقيم واحد وهو سبيل الله الذي ارتضاه لنا والأخرى منحنية ملتوية، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ أي: مائل عن طريق الحق فتطيل عليك المسافة وتعرضك للمخاطر ولا توصلك إلى الغاية فتهلك.

٥ـ وقد شاء الله ألا يقهر الإنسان على سبيل واحد، بل أراد له أنْ يختار ليعلم من يأتيه طائعاً محباً بقلبه ويعلم من يعصي أوامره، ثم بعد ذلك كل البشر مجموعون إلى الحساب عنده سبحانه، ولو شاء الله تعالى لهدى جميع الإنس والجن ولكنه يريد قلوباً لا قوالب.

٦ـ ولمّا كان أكثر الخلق ضالاً ربما توهم البعض أنّ ذلك خارج عن إرادة الله سبحانه، فنفى هذا التوهم عطفاً على ما تقديره: فمن شاء هداه قصد السبيل ومن شاء أسلكه الجائر، وهو قادر على ما يريد من الهداية والإضلال فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾.

٧ـ لفظة ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ قيل: الجار والمجرور خبر مقدم، وجائر: مبتدأ مؤخر، وقيل: هو في محل رفع بالابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف، أي: بعض السبل أو بعضٌ من السبل جائر.

٨ـ قوله تعالى: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ المراد من التأكيد سلب العموم لا عموم السلب.

٩ـ ذكر بعضهم: كأنّ الظاهر أنْ يُقال: وعلى الله قصد السبيل وبيان جائرها إلا أنه عدل عنه إلى ما في النظم الكريم؛ لأنّ الضلال لا يضاف إليه تعالى تأدباً فهو كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧].

السؤال الثالث:

ذكر اللام في قوله تعالى: ﴿لَهَدَاكُمْ﴾ ولم يذكرها في آية الأعراف ١٥٥ وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ [الأعراف:١٥٥] فما السبب؟

الجواب:

ذكر اللام في قوله تعالى: ﴿لَهَدَاكُمْ﴾ وهي تفيد التوكيد ولم يذكرها في آية الأعراف ١٥٥ وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

والسبب أنه لم يذكر اللام في جواب (لو) في آية الأعراف بخلاف آية النحل وذلك لأنّ هداية الناس أصعب وأعسر من الإهلاك، فإهلاك الألوف ممكن بوسائل الفتك والتدمير والظواهر الطبيعية ولكنّ هدايتهم عسيرة، فجاء بـ(اللام) لما هو شاق عسير ونزعها مما هو أيسر. والله أعلم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ
وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الجمع والإفراد في كلمة (آية وآيات) في آيات سورة النحل(١٠ ـ ١٣)؟ وما الفرق بين نهايات الآيات؟

الجواب:

١ـ ذكر في الآيتين ١٠ و١١ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ أنّ ماء السماء ينزل على الأرض للشرب وسقاية الأشجار وسقاية النباتات والزروع والنخيل والأعناب وكل ذلك هو في الأرض فاستعمل ﴿ لَءَايَةً ﴾ بالإفراد مقابل الإفراد بالحديث عن الأرض.

وختمها بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ لأنّ الزراعة والسقاية ومتابعة المحصول يحتاج للعلم والتفكر بطريقة إنتاجها وتحسين المحصول وعدم لحاق الأذى به.

والتفكر أكبر من العقل؛ لأنّ التفكر استعمال العقل للاستفادة من النتائج، ولأنّ كل عالم عاقل وليس كل عاقل عالماً.

٢ـ في الآية ١٢ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ ذكر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهذه أمور مختلفة، فجاء بقوله: ﴿لَآيَاتٍ﴾ بالجمع مقابل جمع ﴿وَالنُّجُومُ﴾ وختمها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ لأن مشاهدتها تحتاج إلى عقل.

٣ـ في الآية ١٣ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾ لم يذكر شيئاً معيناً بل ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ لذلك ختمها ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾ لأنّ الإنسان يحتاج إلى التذكر ليذكر أموراً مختلفة الألوان.

السؤال الثاني:

ما دلالة (الواو) في قوله تعالى ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ في آية سورة النحل ١٢؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ الواو إمّا عطف جملة على جملة وإما استئنافية.

٢ـ اسم الإشارة جاء بالإفراد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ لأنَّ المقام مقام إيجاز؛ ولأنَّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أكثر من ﴿ذَٰلِكَ﴾ من حيث الحروف، فإذا كان المقام كله مقام إطالة يأتي بكل ما يفيد الإطالة لغة، وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة.

٣ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام:٩٩] فيها تفصيل فقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام:٩٩]، لدينا توسع في المعنى عندما عدّد أشياء كثيرة، وصار هناك توسّع فجمع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ حتى تتلاءم مع ما قبلها.

السؤال الثالث:

ما دلالات آية النحل ١٢: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾ أي: أنّ الليل والنهار يتعاقبان لمنامكم وسعيكم في مصالحكم، وكذلك الشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتهما ليساعدا بإذن الله في نمو الأشجار وإنضاج الثمار، ولفظ ﴿لَكُمُ﴾ يفيد الاختصاص.

٢ـ التسخير في الأصل هو عبارة عن القهر والقسر، والمعنى هنا أنه لمّا دبّر الله تعالى هذه الأشياء على طريقة واحدة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع، فلهذا المعنى أُطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ كلها بالنصب مفعول به للفعل (سخّر)، لكنْ جاءت كلمة ﴿وَٱلنُّجُومُ﴾ بالرفع على الابتداء لكيلا يتكرر لفظ التسخير؛ لأنّ بعدها ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ والعرب لا تقول: سخرت هذا الشيء مسخراً، والتقدير أنه تعالى سخّر للناس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله تعالى وأمره.

من جهة أخرى، حيث لم يكن عود منافع النجوم إلى الناس بنفس منزلة منافع الجديدين والنيرين لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص ﴿لَكُمُ﴾ بل ذُكر على وجه يفيد أنها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر، ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الجملة الاسمية المفيدة للدوام والإستمرار.

٤ـ هناك قراءة لابن عامر برفع ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ وتكون ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ خبر للجميع. أمّا في حالة النصب للشمس والقمر فتكون ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ خبر للنجوم.

٥ـ قوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ أي: لقوم يُعْمِلون عقولهم في استنباط أسرار الكون بما يشاء الله لهم أنْ يستنبطوا.

٦ـ الواو في ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ إمّا عطف جملة على جملة وإمّا استئنافية.

السؤال الرابع:

استعمل القرآن في الآية ١١ لفظة ﴿وَٱلنَّخِيلَ﴾ ما الفرق في الاستعمال بين النخل والنخيل؟ ولماذا استعمل ﴿وَٱلنَّخِيلَ﴾ في آية النحل و﴿ٱلنَّخْلِ﴾ في سورة عبس وسورة ق؟

الجواب:

النخل اسم جنس جمعي أعم وأشمل من النخيل.

أولاً ـ في سورة عبس نجد أنّ ﴿ٱلنَّخْلِ﴾ أكثر من ﴿وَٱلنَّخِيلَ﴾ في النحل وذلك:

١ـ قال في النحل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وقال في عبس: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ والصبُّ أكثر من الإنزال علاوة على أنه أكده بقوله ﴿صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾

٢ـ جعل الماء في النحل للشراب والشجر فقال: ﴿مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ في حين خصّص الماء في سورة عبس للطعام ولم يذكر الشراب فالماء المعد للزراعة في عبس أكثر.

٣ـ المنتوجات في النحل: ﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النحل:١١].

والمنتوجات في عبس: الحب والعنب والقضب والزيتون والنخل والحدائق الغلب وهي الملتفة الكثيرة الشجر والفاكهة والأبّ، فلمّا زاد الماء المخصص للزرع في عبس زادت المنتوجات في النوع والكم.

٤ـ في النحل ذكر النخيل والأعناب بصورة الجمع، وفي عبس ذكر النخل والعنب بصورة اسم الجنس الجمعي، ففي عبس أكثر.

٥ـ في النحل أسند الفعل إلى ضمير الغيبة ﴿أَنزَلَ﴾. ﴿يُنۢبِتُ﴾.

أمّا في سورة عبس فأسند الفعل إلى ضمير المتكلم بصيغة الجمع للتعظيم: ﴿أَنَّا﴾. ﴿شَقَقۡنَا﴾. ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ وهذا يقتضي الزيادة في التفضل على الإنسان فيما ذكر.

٦ـ ثم انظر كيف أنه لمّا زاد في الكمية والأنواع في (عبس) جاء بضمير الجمع: ﴿أَنَّا﴾. ﴿صَبَبۡنَا﴾. ﴿شَقَقۡنَا﴾. ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ وجاء بضمير الإفراد في النحل.

ثانياً ـ استعمل ﴿ٱلنَّخۡلَ﴾ في آية ق، ولم يستعمل (النخيل) كما في النحل، وذلك:

١ـ في سورة ق: أسند إنزال الماء إلى ضمير المتكلم بصيغة الجمع للتعظيم ﴿وَنَزَّلۡنَا﴾ في حين أسنده إلى ضمير الغائب في سورة النحل كما أسلفنا.

٢ـ قال في النحل: ﴿أَنزَلَ﴾ وفي ق: ﴿وَنَزَّلۡنَا﴾ بالتضعيف للدلالة على التكثير فالماء في(ق) أكثر.

٣ـ وصف الماء في سورة (ق) بأنه مبارك، ولم يصفه بذلك في النحل، والمبارك هو الكثير الزائد فإنّ البركة هي النماء والزيادة فالماء في سورة (ق) أكثر.

٤ـ جعل الماء في (النحل) للشراب والشجر والزرع في حين خصّه في (ق) بالإنبات فجعل الماء الكثير للزرع خاصة، وهذا يقتضي زيادة في المنتوجات الزراعية في (ق) على ما في (النحل) ومن هذه المنتوجات النخل، وهذا نظير ما ذكر في النحل وعبس.

٥ـ قسّم الماء في النحل إلى ثلاثة أقسام: للشراب وما يأكله الإنسان وما يأكله الحيوان. في حين جعل الماء الكثير في سورة ق لما يأكله الإنسان فقال: ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾.

فلمّا ضاعف في التنزيل وأسنده إلى نفسه وبارك في الماء وخصّه بإنبات ما يأكله الإنسان زاد في الإنتاج في (ق) فقال: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ بصيغة اسم الجنس الجمعي.

ولمّا لم يقل مثل ذلك في النحل قال: ﴿وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ﴾ فذكر النخل في مواطن التكثير.

ثم انظر كيف أنه لمّا كان المقام في سورة (ق) مقام ذكر الزينة والجمال فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧﴾ [ق:٦-٧] فذكر زينة السماء وبهجة الزرع في الأرض وذكر جمال النخل فقال: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ وهي صورة جميلة للنخل، ثم وصف ثمرها بقوله: ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠﴾ وهي صورة جمالية أخرى.. فناسب بين الصورة والمقام.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ ما هي أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود٤٤.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة النحل الآية ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل:١٤] أمّا في سورة فاطر ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر:١٢] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب:

١ـ نقرأ الآيتين آية النحل وآية فاطر، قال سبحانه وتعالى في سورة النحل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل:١٤] وقال في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر:١٢] والسياق يوضح لنا الكثير من الإجابات.

٢ـ تقدّم هذه الآية في سورة النحل الكلام على وسائط النقل، فذكر الأنعام وقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ [النحل:٥] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:٧] ثم ذكر

الخيل البغال والحمير فقال: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا﴾ [النحل:٨] هذه وسائط نقل برية، ثم ذكر الفلك وهي واسطة نقل بحرية فقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل:١٤].

فلمّا ذكر وسائط النقل وذكر الفلك في سياق وسائط النقل قدّم صفتها﴿مَوَاخِرَ﴾ على البحر ﴿فِيهِ﴾ أي: متعلق بالبحر.

إذن لمّا كان السياق في وسائط النقل قدّم صفة وساطة النقل ﴿مَوَاخِرَ﴾ يعني ألحق الصفة بالموصوف، وليس الكلام على البحر وإنما الكلام على وسائط النقل فأخّر ما يتعلق بالبحر.

٣ـ أمّا في آية فاطر فالكلام على البحر وليس على وسائط النقل ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ [فاطر:١٢] كل الكلام على البحر ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ فقدّم ﴿فِيهِ﴾ ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾. وقبلها قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ فالكلام ليس في وسائط النقل، بينما الكلام في آية النحل في وسائط النقل فقدّم صفة واسطة النقل، وهنا الكلام على البحر، فقدّم ضمير البحر ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ هذا بالنسبة للتقديم.

السؤال الثاني:

في سورة النحل الآية ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾ [النحل:١٤] أمّا في سورة فاطر ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

﴿تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ [فاطر:١٢] فما سبب استخدام (الواو) في النحل وعدم استخدامها في فاطر ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ و﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾؟

الجواب:

١ـ قال في آية النحل ١٤: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ لتأكلوا وتستخرجوا، هذه عطف ثم قال: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ هذه عاطفة، أي (سخر البحر لتأكلوا وتستخرجوا ولتبتغوا).

٢ـ وأما آية فاطر ١٢: فليس فيها عطف ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾.

٣ـ في آية النحل عطف عِلّة على عِلّة ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾ هذه لام التعليل، وتستخرجوا تعليل معطوفة على ما قبلها ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ لام التعليل.

بينما في آية فاطر ليس هناك تعليل ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ [فاطر:١٢] ليس هناك قبلها تعليل فكيف نعطفها؟

إذن وكأنّ دلالة السياق تتوقف عند ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ لا تعليل قبلها حتى يعطف ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ عليها.

السؤال الثالث:

لماذا قال: ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ﴾ من دون لام التعليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ مع لام التعليل؟

الجواب:

١ـ المعطوف يفيد في الدلالة على ما قبله وله حكم ما قبله، فالمعطوف على المبتدأ مبتدأ والمعطوف على الخبر خبر، والمعطوف على المجرور مجرور، والمعطوف على الحال حال، والمعطوف على الظرف ظرف ،والمعطوف على المفعول به مفعول به، ولا يجوز أنْ نعطف مفعول به على حال.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ﴾ حذف لام التعليل ،لكن يبقى السؤال لماذا حذف (لام التعليل) في تستخرجوا؟

لدينا قاعدة: (الذكر آكد من الحذف)، وقوله تعالى: ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾ هذه عِلّة. وعندنا أمران: (تستخرجوا حلية تلبسونها) و(لتبتغوا) أيها الأكثر والآكد؟ والجواب: السفر في البحر أكثر ويكون لأغراض أخرى للسفر أو للتجارة، بينما استخراج الحلي هذا مقصور على أناس متخصصين يمتهنون هذه المهنة وليس عموم المسافرين في البحر، إذن السفر في البحر لأغراض أخرى أكثر إذن ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أكثر من استخراج الحلي فهو آكد. فجاء بـ(اللام).

٣ـ لمّا كان السياق في سورة النحل في ذكر النعم وتعداد النعم قال: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعني: هنالك نعم أخرى ومنافع أخرى ما ذكرناها وما عددناها، فلمّا كان

السياق في ذكر النعم وتعدادها فأراد أن يقال: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: هنالك منافع ونعم أخرى.

أمّا السياق في فاطر فليس في تعداد النعم.

السؤال الرابع:

متى يقترن الصبر بالشكر؟ ولماذا في تهديد البحر يستعمل ﴿صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ وإذا كان في غيره يستعمل الشكر فقط. كما في آية النحل ١٤؟

الجواب:

انظر الجواب في آية إبراهيم ٥.



﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ ما دلالة أن في الآية؟

الجواب:

النحاة البصريون والكوفيون يقدروها تقديرين لكنّ المعنى العام واحد، إمّا كراهة أنْ تميد بكم، أو الكوفيون يقولون: لئلا تميد بكم وسيكون المؤدّى واحدا لئلا تميد بكم أو كراهة أنْ تميد بكم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الآية ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

الجواب:

قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل:١٥].

الملاحظ أنه تعالى يقول: أحياناً (ألقينا) وأحياناً يقول: (جعلنا) في الكلام عن الجبال بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً، وقد درسنا أنّ بعض الجبال تتشكل عن طريق البراكين (جبال بركانية) والزلازل، أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كُتل، وهناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد:٣]، وهذا يدل والله أعلم على أنّ هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة. والله أعلم.



﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما مفهوم (الهدى) في القرآن؟

الجواب:

الهدى قسمان: قد يكون ظاهراً وقد يكون باطناً. فالهدى الظاهر هو في الكتب السماوية، ورب العالمين سمى التوراة والإنجيل والقرآن هدى ورحمة، والهدى الظاهر هو أدلاء الطريق ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ [طه:١٠] أي من يهديه، وذكر النجوم أيضاً ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٥-١٦] هذا هدى ظاهر.

وأمّا الهدى الباطن فهو توفيق الله وما يقذفه من نور في قلب الإنسان ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ [الكهف:١٣] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم:٧٦] ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣].



﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تذكرون وتتذكرون)؟

الجواب:

١ـ في القرآن ليس الحذف فقط في هذين الفعلين وإنما هو تعبير عام، أنه يحذف من الفعل مثل: (استطاعوا واسطاعوا) للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإذا حذف معناه أنّ الزمن المحذوف منه أقصر فيقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث،

وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز ويقول: (تذكرون) وإذا كان المقام تفصيل ويقول: (تتذكرون).

٢ـ نأتي إلى أصل السؤال وفق هذه القاعدة أنه إذا كان الحدث أطول تأتي (تتذكرون) وإذا كان أقل يقتطع من الفعل، أو إذا كان الحدث في مقام الإيجاز يوجز وإذا كان في مقام التفصيل يفصّل.

* شواهد قرآنية:

آ ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤] لو سألنا أي واحد مهما كانت ثقافته تقول له: هل الأعمى يستوي مع البصير؟ والأصم هل يستوي مع السميع؟ سيقول مباشرة: لا، إذن لا يحتاج إلى طول تذكر وإنما يجيب مباشرة، هل يستويان؟ لا، هذا لا يحتاج إلى طول تذكر فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ب ــ وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧] اسأل أي واحد سيقول: لا، هذه لا تحتاج إلى تذكر فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

ج ـ وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣] ختم على سمعه وبصره غشاوة وأضله على علم لا تحتاج إلى طول تفكر. فقال:

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ .

د ـ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] هنا لدينا إيمان وعمل للصالحات، فقال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] لأنه دخل به إيمان وعمل صالح، وهذه أطول من تلك وتحتاج إلى تأمل وتفكير، والرسول ﷺ يدعو طويلاً إلى الإيمان والعمل الصالح.



﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (النِّعمة والنَّعمة) في القرآن الكريم؟

الجواب:

(نِعمة) بالكسر جاءت في مواضع كثيرة في القرآن منها في سورة النحل ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨] ودائماً تأتي في الخير في القرآن.

(نَعمة) بالفتح وردت في سورة الدِخان ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان:٢٧] وفي سورة المزمل ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ [المزَّمل:١١] ولم ترد في القرآن كلّه إلا في السوء والشر والعقوبات.

السؤال الثاني:

ما دلالة استخدام كلمة ﴿نِعْمَةَ﴾ بالإفراد ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨]؟

الجواب:

١ـ المفرد قد يدل على الواحد أو الجنس، نحو: الحصان أسرع من الحمار، فهذا يعني الجنس وليس واحداً.

٢ـ العرب قد تأتي بالمفرد للتكثير نحو: أتينا فلاناً فكنا عنده في طعام وشراب، يعني الكثرة.

٣ـ والجنس أكثر من الجمع أحياناً. فكلمة ﴿نِعْمَةَ﴾ أكثر من نِعم وأنعم، وفي القران يذكر الله الجنة ويذكر فيها (الفاكهة)، ويذكر الدنيا ويذكر فيها ﴿فَوَٰكِهُ﴾.

وبالتالي إذا أُريد الجنس يستعمل المفرد لأنه أشمل وأعم.

٤ـ النعمة الواحدة لا تعد، انظر في نعمة الأكل، ففيها المادة الأولى ومن زرعها ومن حصدها وطحنها وخبزها والأسنان والمعدة، فكيف في عد النِّعم كلها، إنها لا تحصى. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.

٥ـ لذلك استعمل القرآن جمع القلة (أنعم) وجمع القلة من ثلاثة إلى عشرة فقال عن سيدنا إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ لأنه لا يمكن أنْ يشكر الإنسان نعم الله تعالى فأتى بجمع القلة، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠] بالكثرة لأنّ النعم كثيرة الظاهرة والباطنة، لذلك لا يمكن أنْ نقول: (شاكراً لنعمه)، نحن نشكر الله تعالى ونحمد الله بما نستطيع كما ينبغي لجلال وجهه، والله تعالى أثنى على إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل:١٢١].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ختام الآيتين ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤] ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية إبراهيم ٣٤.

السؤال الرابع:

في الآيات التالية: [البقرة ١٧٣ـ البقرة ١٨٢ـ البقرة ١٩١ـ آل عمران ٨٩ـ المائدة ٣]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ مؤكدة بإنّ، بينما قال في آية النحل ١٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فأكدها بإنّ واللام، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٣.



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

بعد قوله تعالى في الآية ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ﴾ جاء الجواب بالرفع في آية النحل ٢٤ وبالنصب في آية النحل ٣٠ فما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية النحل ٣٠: أجاب بالنصب ﴿قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ على معنى: أنزل خيراً.

٢ـ في آية النحل ٢٤: أجاب بالرفع ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ ولا يصح أنْ يكون بالنصب لأنه ليس على معنى: أنزل أساطير الأولين، وذلك لأنهم لا يقرون بإنزال الله القرآن وإنما المعنى: هذا الكلام هو أساطير الأولين، إذن هو كلام مستأنف، والكفار لا يقرون بالإنزال، أي: ليس ما تدّعون إنزاله منزّلاً بل هو أساطير الأولين.



﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية حيث أنهم يحملون وزرين؟

الجواب:

في الآية يوضح الحق أنّ الكفار بشكل عام وأهل الكتاب ضلّوا في ذواتهم وهم يحاولون إضلال غيرهم، ولذلك ينبههم الله إلى أنْ لا يفعلوا ذلك لا بضلالهم ولا بإضلال غيرهم وإلا سوف يحملون الوزرين معاً، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾

ولذلك علينا أنْ نفهم أنّ قول الحق: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ أنّ الوزر الأول هو وزر الضلال، والثاني هو وزر الإضلال.

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ما مقام ودلالة ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ مع أنه معلوم أنّ السقف يخرّ من فوقهم؟

الجواب:

١ـ (خرّ عليهم السقف) يعني انهدم ووقع، الخرّهو الوقوع، (من فوقهم) يعني هم تحته ويعني وقع فوق رؤوسهم، ووقع عليهم.

لو كان هناك ناس في غرفة ووقع سقف الغرفة لكن لم ينلهم يكون لم يقع عليهم، بل نقول: (خرّ عليهم السقف) أي انهدم لكنْ ليس من فوقهم، ووقع عليهم حائط ليس بالضرورة أنه وقع عليهم، وإنما انهدم في مكانه ولا يقتضي أنْ يكون وقع على رؤوسهم.

وإذا وقع جزء من السقف في غرفة وهم نائمون في الغرفة تقول: (خرّ عليهم السقف).

٢ـ هناك اختلاف بين: (خرّ السقف عليهم) و (خرّ السقف عليهم من فوقهم) خرّ السقف هذا عام، خرّ السقف عليهم هذا في ملكهم، أما خرّ السقف من فوقهم يعني عليهم هم، والله تعالى أراد أنْ يجسّد هذا المعنى لأنْ هذا تكون المصيبة معه أكبر.

٣ـ وعندنا في التوكيد نقول: رأيته بعيني وسمعته بأذني وعملته بيديّ هاتين، فهذا نوع من التوكيد، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام:٣٨] بماذا يطير الطائر؟ الطائر يطير بجناحيه، فهذا توكيد للمعنى.

السؤال الثاني:

ما دلالة ذكر ﴿مِن﴾ في قوله تعالى ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة النحل﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل:٢٦]

٢ـ وذكر ﴿مِن﴾ تفيد الابتداء، أي: ابتداء الغاية وهو امتداد من الزمن الذي قبلك مباشرة، أي من زمان الرسول ﷺ إلى زمن آدم وليس هناك فاصل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج:١٩] أي ليس هناك فاصل بين الرأس والصبّ حتى لا تضيع أية حرارة؛ لأنّ العاقبة لهذا الصبّ أنْ يُصهر به ما في بطونهم، وأمّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان:٤٨-٤٩] فهذا العذاب أخف من الأول ﴿مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الزُّمَر:٧٥] أي ليس بينهم وبين العرش فراغ.

٣ـ أمّا في سورة الأنبياء ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء:٧] وهي تحتمل البعيد والقريب.

٤ـ وهذا الذكر أو الحذف يعتمد على سياق الآيات فإذا كان السياق ممتداً يأتي بـ ﴿مِن﴾ وإذا كان السياق لفترة محددة لا يأتي بها.

٥ـ وفي سورة النحل كل الآيات فيها ﴿مِن﴾ لأنّ الحديث كله عن سلسلة الأنبياء (مستمرة) أمّا في سورة الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [الأنبياء:٦] فهي قائمة على التبليغ فناسب حذف (من).

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم﴾ ما الفرق بين (أتى وجاء) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ١.



﴿ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يشاقق ويشاق)؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل:٢٧] كلمة (تشاقّون) هي فعل مضارع.

و لّما يأتي الجزم للعرب لُغتان: منهم من يُبقي الإدغام ويفتح لالتقاء الساكنين ومنهم من يفك الإدغام، وهما لغتان فصيحتان تكلم بهما القرآن، فيقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ مع فك الإدغام، وفي بعض الآيات يبقى الإدغام كما في هذه الآية.

والعلماء قالوا: لّما يكون هناك ذكر لاسم الجلالة وحده يبقى الإدغام كما في هذه الآية حيث جاء اسم الجلالة وحده في الآية التي قبلها ٢٦.

والمشاقّة هي أنْ تكون في شق والثاني في شق، ومع الله سبحانه وتعالى لا يمكن أنْ تكون في شق والله عز وجل في شق فيبقي الإدغام، وهذا جاء في القرآن الكريم كله هكذا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥] جعل الرسول عليه السلام في شق وهو في شق فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال (توفّاهم وتتوفّاهم) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن كله وليس فقط في هذه الآية وجود ظاهرة الحذف كما جاء في القرآن، مثل: ﴿نَزَّلَ﴾ ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ ﴿تُبَدَّلُ﴾ ﴿يَتَبَدَّلِ﴾ وهذا الحذف هو في عموم القرآن، وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين:

آ ـ للدلالة على أنّ الحدث أقلّ.

ب ـ أو أنْ يكون في مقام الإيجاز.

٢ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] وقال في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء:٩٧].

وهؤلاء المستضعفون في آية سورة النساء هم قسم من الظالمين وليس كلهم فهم أقل، وأمّا الآية الثانية ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فالذين ظلموا أنفسهم أكثر من المستضعفين لأنهم

عموم الظالمين، فلمّا خصّ بقسم من الظالمين (المستضعفين) قال تعالى: (توفّاهم) ولمّا كثُر العدد قال: (تتوفاهم) وهذا الحذف هو جائز من حيث اللغة للتخفيف.

السؤال الثاني:

هل يُضمر القول في القرآن الكريم؟ وما حالات إضمار القول؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٧.



﴿ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل كل الكفار والمشركين والملحدين على وتيرة واحدة في دخول النار؟

الجواب:

ليس كل المشركين والملحدين على وتيرة واحدة في دخول النار، أعاذنا الله وإياكم منها، وإنما هي على أشكال متعددة:

١ـ دخول اعتيادي: أبواب جهنم موصدة تُفتح لإدخال المشركين والملحدين، وأنواع العذاب كثيرة كلٌّ بحسب عمله:

قال تعالى: ﴿ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النحل:٢٩]، وقال تعالى: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ [الليل:١٥].

٢ـ الإلقاء من بعيد، بعد أنْ يقيدوا بالسلاسل وترفعهم أنواع من الكلاليب فيُلقون من مكان بعيد.

قال تعالى:

- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس:٨].

- ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق:٢٤].

- ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان:١٢-١٣].

٣ـ قسم ثالث يُدعّون إلى جهنم دعّا، كما يُدق الوتد في الجدار كالمجرم الذي يُدفع به إلى السجن بقوة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور:١٣].

من الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار:

١ـ الدعاء.

٢ـ الصدقة.

٣ـ الشفاعة.

٤ـ عين بكت من خشية الله.

٥ـ بر الوالدين.

٦ـ شهادة الآخرين.

٧ـ تربية البنات.

٨ـ من مات له ثلاث أولاد.

٩ـ بعض الأعمال: كالمؤذن والتثويب خلفه.

١٠ـ أهل الليل والتهجد.

١١ـ أهل البلاء.

١٢ـ كل موت غير اعتيادي: حادث ـ مرض ـ حرق ـ غرق ـ غربة.

١٣ـ الصلاة في وقتها جماعة.

١٤ـ الصوم بكل أشكاله.

١٥ـ من اغبرت قدماه في سبيل الله.

١٦ـ المرابطون.

١٧ـ آية الكرسي بعد الصلاة.

١٨ـ ذكر الله.

١٩ـ سلطان عادل ـ ورجل رحيم ـ وفقير متعفف.

وغيرها كثير.

اللهم حرّم أجسادنا وأجساد آبائنا وأمهاتنا وذرياتنا وإخواننا والمسلمين على النار.

اللهم آمين.

السؤال الثاني:

ما دلالة (اللام) في قوله تعالى في الآية ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا أدخل لام التوكيد في آية النحل ٢٩ فقال: ﴿فَلَبِئْسَ﴾ دون الآيتين الأخريين في الزمر ٧٢ـ وغافر ٧٦ـ حيث قال: ﴿فَبِئْسَ﴾ وذلك أنه:

آيات سورة النحل:

ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٧ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٨ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٢٩ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

البيان:

١ ـ في سورة النحل وصف قوما أشد كفراً وأكبر جرماً من المذكورين في آيتي الزمر وغافر حيث إنهم ضلّوا وأضلوا غيرهم وهم الذين أخبروا اتباعهم عندما سألوهم عن القرآن فقالوا: ليس من عند الله وإنما هو أساطير الأولين فحملوا من أوزار الذين يضلونهم علاوة على أوزارهم هم فزاد عذابهم فناسب ذلك زيادة (اللام) لتوكيد العذاب؛ لأنّ هؤلاء أكثر آثاماً وضلالاً، فاختير عند تغليظ العقاب لهم إلى المبالغة في تأكيد لفظه فاختيرت (اللام) هنا لذلك.

٢ ـ أفاض في سورة النحل في وصف الكافرين ما لم يفضه في السورتين الأخريين فناسب ذلك ذكر (اللام) والزيادة في التوكيد، فكما زاد وتبسط في الوصف زاد في التوكيد.

٣ـ في الآية ٣٠ من سورة النحل ذكر القرآن أهل الجنة بقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ فاللام في ﴿وَلَنِعْمَ﴾ إزاء اللام في ﴿فَلَبِئْسَ﴾ وليس الأمر كذلك في سورة الزمر وغافر لأنهما في ذكر جملة الكفار.

السؤال الثالث:

في آية النحل ٢٩ ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ما هو المثوى؟ولماذا لم ترد كلمة مثوى في حال أهل الجنة أبداً؟ وما الفرق بين المثوى والمأوى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥١.



﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)﴾

السؤال الأول:

بعد قوله تعالى في الآية ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ جاء الجواب بالرفع في آية النحل ٢٤ وبالنصب في آية النحل ٣٠ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٢٤.

السؤال الثاني:

ما دلالات استخدام التعابير: الدنيا ـ الحياة الدنيا ـ الآخرة ـ في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قدّم في النحل٣١ والفرقان١٦ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَآءُونَۚ﴾ وعكسها في (ق ٣٥) فلماذا؟

الجواب:

في سورتي النحل والفرقان الكلام فيهما عن الجنة فقدّم ضمير الجنة ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَآءُونَۚ﴾.

أمّا آية سورة (ق) فإنّ الكلام على من سيدخل الجنة فقدّم ﴿مَا يَشَآءُونَۚ﴾ على ﴿فِيهَا﴾.

فناسب كل تعبير مكانه.



﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ما الفرق بين: (سلام والسلام)؟

الجواب:

١ـ (السلام) معرفة، والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، و(سلام) نكرة، والأصل في النكرة العموم، إذن كلمة سلام عامة وكلمة السلام أمر معين، ولما نقول: رجل، يعني أيّ رجل، ولما نقول: الرجل، أقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس، والأصل في النكرة العموم والشمول.

٢ـ إذن ﴿سَلَٰمٌ﴾ أعم لأنها نكرة، وربنا سبحانه وتعالى لم يجيِّ إلا بالتنكير في القرآن كله مثل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات:٧٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات:١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات:١٢٠] حتى في الجنة ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٨] حتى مع الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل:٣٢] أي أنّ ربنا تعالى لم يجييّ إلا بالتنكير؛ لأنه أعم وأشمل كل السلام ولا يترك منه شيئاً.

٣ـ وفي قوله تعالى في آية مريم ١٥ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ فهذه تحية ربنا على يحيى، وأمّا الآية الأخرى في آية مريم ٣٣ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ ففيها سلّم عيسى عليه السلام على نفسه وليس من عند الله سبحانه وتعالى، والتعريف هنا ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أفاد التخصيص.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام ﴿مَا عَمِلُوا﴾ في آية النحل ٣٤ والجاثية ٣٣ وليس ﴿مَا كَسَبُوا﴾ كما في آية سورة الزمر ٤٨ و ٥١؟

الجواب:

اختار لفظ (العمل) في النحل والجاثية، ولفظ (لكسب) في الزُّمَر، وذلك:

١ ـ قيل أنّ سبب اختيار لفظة (العمل) في النحل والجاثية هو وقوع الآيتين بين ألفاظ العمل، قال تعالى في سورة النحل: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ النحل ٢٨ وقوله: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [النحل:١١١].

وقال تعالى في سورة الجاثية: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية:٢٨-٢٩] وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية:٣٠].

٢ ـ وسبب اختيار لفظ (الكسب) في الزمر، هو وقوع الآيتين بين ألفاظ الكسب قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقوله: ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزُّمَر:٥١]

فخصّت كل سورة بما اقتضاه سياقها.

٣ ـ تردد في سورة الزمر لفظ (الكسب) خمس مرات وهي الآيات:[٢٤ـ ٤٨ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥١] في حين لم ترد هذه اللفظة في سورة النحل البتة.

وفي سورة الجاثية تردد لفظ (الكسب) ثلاث مرات في الآيات [١٠ـ ١٤ ـ ٢٢] فوضع كل لفظة في الموطن الذي يقتضيها.



﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الأنعام ١٤٨ ﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾ وفي النحل ٣٥ ﴿مَا عَبَدْنَا﴾؟ وما سبب زيادة ﴿نَّحْنُ﴾ في النحل ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ دون الأنعام؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٤٨.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾ و (كانت عاقبة)؟

الجواب:

القرآن أحياناً يستعمل معنى الكلمة فيذكر ويؤنث بحسب المعنى، وكلمة (العاقبة) يستعملها مرة مذكرة ومرة مؤنثة.

* شواهد قرآنية:

- ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾ [الزُّخرُف:٢٥].

- ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)﴾ [الأنعام:١٣٥].

والقرآن لمّا يذكِّر العاقبة لا تكون إلا بمعنى العذاب.

- ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل:٣٦] ليس بمعنى جهنم، وإنما بمعنى العذاب، والعذاب مذكر فتكون العاقبة مذكر.

وفي جميع القرآن حيث أنّث العاقبة فهي (الجنة) لأنّ الجنة مؤنثة، وحيث ذكّر العاقبة فهي (العذاب) ولم يتخلف موضع واحد في القرآن.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿بَعَثْنَا﴾ في الآية؟

الجواب:

الفعل (بعث) في الأصل هو إثارة الشيء وتوجيهه، والله بعث الرسل إلى الناس ليعينوهم على التوحيد والنجاة من النار، وهذا من باب الإعانة وإلا لما اهتدى الناس.

* شواهد قرآنية:

- ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل:٣٦].

- ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ [الإسراء:٥].

السؤال الثالث:

جاء في آية الأنعام رقم ١١ بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي والبعد فقال: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ بخلاف آية سورة النمل ٦٩ والنحل ٣٦ فقد جاء فيها ﴿فَٱنظُرُواْ ﴾ أي: بالفاء الدالة على التعقيب وليس ثم فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١١.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

كلمة (يختلفون وتختلفون) وردت في القرآن في مواضع كثيرة ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النحل:٣٩] ما كُنه الاختلاف؟

الجواب:

١ـ آية البقرة في القضاء والفصل في القضية ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] وهذا حكم، وقال: ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] أي في الذي كانوا فيه يختلفون.

والقرآن إمّا يقول: قضي بينهم أو يحكم بينهم، ولمّا يقول: يحكم بينهم وقضي بينهم يستعمل (فيه).

٢ـ أمّا (كانوا وكنتم) فالأكثر لمّا يقول: (كانوا) فالكلام عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا، وأمّا الآية: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] فهذه الآن وليس في يوم القيامة ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] لأنها تقصد الدنيا.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما هو دلالة كلمة: [الإرادة ـ والمشيئة]؟

الجواب:

الإرادة:

لا تتعلق إلا بالمستقبل، وهي لا تقتضي وجود الشيء، وتكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى.

فالله يريد من الناس أنْ يعبدوه لكنهم لم يفعلوا، ويريد منهم أعمالاً يستحبها لهم لكنهم لم يفعلوها، فليس فيه إرادة الإلزام وإنما هي مناط التكليف.

فالإرادة هي صفة قديمة أزلية لله تعالى، وتلك الصفة إذا تعلقت بشيء نقول: (أراد ويريد) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] وأمّا قبل التعلق فلا نقول: (أراد) وإنما نقول: له إرادة، وهو بها مريد.

والله سبحانه لا يخلق بعلاج وإنما يخلق بكلمة ﴿كُن﴾ بل يخلق سبحانه بمجرد مراده، فإنْ أراد شيئاً كان قبل أنْ يقول وما كلمة ﴿كُن﴾ إلا لتقريب المسألة إلى أذهاننا.

المشيئة:

المشيئة هي لِما لم يتراخ وقته، وهي ملزمة لذلك نقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهي لا تتخلف، وهي أخصّ من الإرادة.

ومعنى قوله: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ﴾ أي: للشيء الذي لم يوجد بعد، فكيف يخاطبه وهو ما يزال غيباً؟

والجواب أنّ الآية بشكل عام هي خطاب مع الخلق بما يعقلون، وليس خطاباً للمعدوم لأنّ ما أراده الله تعالى فهو كائن على كل حال وعلى ما أراده الله من الإسراع، ولكنّ العباد خوطبوا بذلك على قدر عقولهم.

وقالوا والله أعلم: الله سبحانه خلق كل الأشياء أزلاً في عالمٍ اسمه: عالم المثال، فالأشياء موجودة بالفعل لكنْ تنتظر الأمر بالظهور والخروج إلى عالم الوجود. ولذلك قال أحد العارفين: أمور يُبديها ولا يبتديها.

وفي البحر عن ابن عطية في قوله﴿لِشَىْءٍ﴾ أنه لمّا كان وجوده حتماً جاز أنْ يسمى شيئاً وهو في حال العدم. والله أعلم.



﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء ب (من) التي تفيد الابتداء في آية النحل ٤١ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ وفي آية النحل ٤٣ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ بينما لم يذكرها في آية الأنبياء٧ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

السبب أن ﴿مِن﴾ تفيد الابتداء، أي: أنّ الأمر كذلك ابتداءً من قبلك إلى القديم، بخلاف آية الأنبياء فهي ليست لهذا المعنى والذي يدل على ذلك سياق الآيتين.

أنظر آية سورة النحل ٢٦ والآيات (٣٣ ـ ٣٦) لترى أنّ هذا شأن القرى مع رسلهم منذ القديم، ثم قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل:٤١] أي: هاجروا من بعد الظلم فلم يكن هناك فاصل بين الظلم والهجرة، ولو قال: (بعد ما ظلموا) لاحتمل وجود مدة ليس فيها ظلم؛ لأنه بعد الظلم قد يحتمل الطول والقصر.

بينما السياق في آيات سورة الأنبياء ١ ـ ٦ هو إخبار أنّ الذين قبلهم لم يؤمنوا.



﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل:٦٤] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩] ما الفرق بين: نزّلنا وأنزلنا، وبين: إليك وعليك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٧١.



﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا أفرَدَ الحق تعالى في الآية كلمة (اليمين) وجَمَعَ كلمة (الشمال) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل:٤٨]؟

الجواب:

١ـ سبق هذه الآية في الآيات (٤٥ـ ٤٧) تخويف المشركين بأنواع أربعة من العذاب وهي:

آـ قوله تعالى: ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فعل بقارون وقوم لوط.

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النحل:٤٥] كما في حال النوم والدعة والغفلة.

ج ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ [النحل:٤٦] في سفرهم وإقبالهم وإدبارهم بالليل والنهار.

د ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل:٤٧] أي: على تنقُّصٍ في الثمرات وخوف من الاستئصال.

فأردف الله تعالى بذكر ما يدل على كمال قدرته وأنه لا يعجزه شيء عن إيصال العذاب إلى المشركين والكافرين.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لمّا كانت الرؤية ههنا بمعنى النظر وصلت بـ(إلى) لأنّ المراد به الاعتبار، والاعتبار لا يكون بنفس الرؤية حتى يكون معها نظر إلى الشيء وتأمل أحواله.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ﴾ باستعمال ﴿مَا﴾ وهي تستعمل لصفات العقلاء، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧] ﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] وتستعمل لذوات غير العاقل وبالتالي فهي أعم وأشمل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من تفيد الابتداء، وكلمة ﴿شَيْءٍ﴾ هي جنس الأجناس وتفيد العموم، أي: كل شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم أو أي شيء كثيف يقع له ظل على الأرض.

٥ـ قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ﴾ هو إخبار عن قوله: ﴿شَيْءٍ﴾ وليس بوصف له، ويتفيأ أي: يتفعل من الفيء، وأصل الفيء الرجوع، والمعنى تترجع الظلال وتتحول.

والظل على نوعين: ظل ثابت مستمر وظل متغير، فالظل المستمر الثابت هو الذي يوجد في الأماكن التي لا تصل إليها أشعة الشمس كقاع البحر وباطن الأرض.

وأمّا الظل المتحرك فهو الذي يسمى الفيء؛ لأنه يعود من الظل إلى الشمس أو من الشمس إلى الظل، وفي كلا الحالين يسير الظل سيراً انسيابياً، وكلمة (فيء) تجمع على (أفياء) وهي للعدد القليل، و(فيوء) للكثير كالنفوس والعيون.

ويمكن أن نقول أنّ:

آـ الفيء: هو بمعنى العودة، فاء بمعنى عاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ [الحشر:٦] أي: ما عاد للمسلمين من مال مَن خالف دينهم.

ب ـ الظل: هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل.

ج ـ الفيء: هو ما بعد الزوال، وسمي فيئاً لرجوع الظل من جانب إلى جانب.

٦ـ في قوله تعالى ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ جمع كلمة ظلاله؛ لأنّ الإنسان لا يتفيأ ظل شيء واحد، بل ظل أشياء متعددة فأضاف الظلال إلى المفرد، وإنما حسّن هذا لأنّ الذي عاد إليه الضمير وإنْ كان واحداً في اللفظ وهو قوله: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ إلا أنه كثير في المعنى.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزُّخرُف:١٣] فأضاف الظهور وهو جمع إلى ضمير مفرد؛ لأنه يعود إلى واحد أريد به الكثرة، وهو قوله تعالى: ﴿مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزُّخرُف:١٢] في آخر الآية التي تسبقها.

٧ـ في الآية أفرد اليمين وجمع الشمائل فلماذا؟

الجواب: للمعنى واللفظ وأمور أخرى:

آ ـ اليمين يُقصد به جهة المشرق والشمائل يُقصد به جهة المغرب.

والمشرق هو جهة النور وله مصدر واحد سواء كان نور الهداية أو نور الشمس وهو يأتي من السماء، أمّا الظلمات فمصادرها كثيرة كالشيطان والنفس وأصدقاء السوء والوسوسة من الجِنة والناس، ولذلك تجد أنه في كل القرآن قد أفرد الله النور وجمع الظلمات كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧] فلمّا كانت اليمين جهة النور أفردها، ولمّا كانت الشمال جهة الظلمات جمعها.

ب ـ قال بعض المفسرين: أنّ هذا الإفراد والجمع ناسب أمراً لفظياً، فأفرد الأول ليطابق ضمير ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ المجاور له يميناً، وجمع الثاني ليطابق ﴿سُجَّدًا﴾ المجاور له شمالاً.

ج ـ أنّ العرب إذا ذَكَرت صيغتي جمع عبّرت عن إحداهما بلفظ الواحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١] وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة:٧].

د ـ قيل: إذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة، وأمّا الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الأظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة، فعُبر عنها بصيغة الجمع.

هـ ـ قال الكرماني: يحتمل أنْ يُراد بالشمائل الشمال والقدام والخلف؛ لأنّ الظل يفيء من كل الجهات كلها، فبدأ باليمين لأنّ ابتداء التفيؤ منها أو تيمناً بذكرها، ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين الشمال واليمين من التضاد، ونزّل الخلف والقدام منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من خلاف.

٨ـ قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ أي: منقادة له سبحانه، أي أنّ امتداد الظل هو قسري وظل كل شيء سجوده وسجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله خاضعة، وجمع بالنظر إلى معنى ﴿مَا خَلَقَ﴾ في الآية.

٩ـ يأتون بمناسبة لطيفة ويقولون: جهة اليمين مطلع الشمس ليس فيها حُكم شرعي يتعلق بالصلاة وليس هناك صلاة واجبة من طلوع الشمس إلى الظهر، وفي الشمائل يكون هناك صلوات تبدأ من الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء، فإذن السجود سجداً لن يكون باليمين ولذا قال: سجداً مع الشمائل. ﴿وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: ذلاً وصغاراً، وجاء بالصيغة الاسمية للدلالة على ثبات هذا الأمر، فتغير الظلال أمر لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته، والجملة في محل حال من ضمير ﴿ظِلَالُهُۥ﴾.

وخصّ الظل بالذكر لسرعة تغيره والتغير دالٌّ على المغير، وفي الآية حث للمشركين على الإيمان بمعنى أنه إذا كانت الظلال وغيرها منقادة لقدرة الله تعالى فكيف تتكبرون أنتم على طاعته ولماذا لا تنقادون وتخضعون لله مثلهم !!!!

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استعمال (من) و(ما) في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٥] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل:٤٩]؟

الجواب:

١ـ (مَنْ) تستعمل لذوات العقل وأولي العلم فقط، وأمّا (ما) فتستعمل لصفات العقلاء نحو قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس:٧] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الليل:٣] والله هو المسوي والله هو الخالق، وتستعمل لذوات غير العاقل نحو (أشرب من ما تشرب) وهي أعمّ وأشمل.

٢ـ مما يلاحظ في الاستعمال القرآني أنه يستعمل مرة (مَن) ومرة (ما)، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الرعد:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥]
والطوع والكره من صفات ذوات العقل فاستعمل (مَنْ).

وأمّا في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٨ - ٤٩] فاستعمل (ما) لأنّ الدابة أغلب ما تستعمل في اللغة لغير العاقل، كما أنه جاءت كلمة ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية وهي كلمة دالة على العموم فناسب أيضاً استعمال (ما).

٣ـ ونلاحظ في القرآن أنه تعالى عندما يستعمل (مَنْ) يعطف عليها ما لا يعقل كما في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج:١٨].

وأمّا عندما يستعمل (ما) فإنه يعطف عليها ما يعقل كما في آية النحل ٤٩ أعلاه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل:٤٩] وهو خط بياني لم يتخلف في القرآن أبداً، والحكمة البيانية منه الجمع.

٤ـ وكذلك أيضاً استعمال (مَنْ) مع فعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ كما في قوله تعالى في وفي سورة النور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور:٤١]. واستعمال (ما) كما في قوله تعالى في سورة الجمعة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١] والحكمة البيانية من ذلك جمع كل شيء.



﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين [الخشية والخوف والوجل والرهبة والفزع والهلع]؟

الجواب:

١ـ **الخوف**: توقع أمر مكروه ويخاف منه، أي: يتوقع أمراً مكروهاً لأمارة معلومة فيخاف شيئاً.

٢ـ **الخشية**: خوف يشوبه تعظيم، ولذلك أكثر ما يكون ذلك إذا كان الخاشي يعلم ماذا يخشى، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] فأكثر ما تكون الخشية عن علم مما يخشى منه، والخشية أشد الخوف، وفي بعض السياقات تحتمل الخوف الذي يشوبه تعظيم والسياق هو الذي يحدد.

٣ـ **الوجل**: يقولون هو الفزع ويربطونه باضطراب القلب تحديداً كضربة السعفة (سعفة النخل) كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**الوجل في قلب المؤمن كضربة السعفة**)، ويقولون علامته حصول قشعريرة في الجلد، وقالوا: الوجل هو اضطراب النفس، ولذلك في القرآن لم نجد إسناد الوجل إلا للقلب: إمّا للشخص عامة ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾ [الحِجر:٥٢] أو للقلب خاصة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٣٥] فقد أسند للقلب، فالوجل في اضطراب القلب تحديداً ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠].

في حين أنّ الخوف والخشية لم يسندا للقلب في القرآن كله.

٤ـ وترتيب هذه الكلمات هو: الخوف، الخشية، الوجل.

٥ـ **الرهبة**: هي طول الخوف واستمراره وسمي الراهب راهباً لأنه يطيل الخوف.

٦ـ **الفزع**: هو مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هد.

٧ـ **الهلع**: هو أسوأ الجزع قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج:١٩-٢٠-٢١] ولا يسمى هلوعاً حتى تجتمع فيه هذه الخصال.



﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ولم يكرر اسم الموصول ـ ما ـ كما في آيات النحل ٥٢ـ و طه رقم ـ٦ـ وآية سبأ ١ ـ أو في آيات التسبيح فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١١٦.

السؤال الثاني:

لماذا صيغة ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ مختلفة عن صيغة ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾؟

الجواب:

١ـ في صيغة ﴿ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ قدّم الجار والمجرور لتفيد الحصر والقصر، فقصرت إخلاص الدين على الله تعالى دون غيره.

٢ـ وردت صيغة ﴿ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ في القرآن الكريم في ١١ موضعاً وهي:

[الأعراف ٢٩ـ يونس ٢٢ـ النحل ٥٢ـ العنكبوت ٦٥ـ لقمان ٣٢ـ الزمر ٢ـ٣ـ١١. غافر ١٤ـ٦٥ـ البينة ٥].

٣ـ بينما وردت صيغة ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ في موضع واحد في آية النساء ١٤٦ ضمن الآيات التي تتحدث عن المنافقين في تسع آيات وهي: (١٣٨ـ١٤٦) ابتداء من قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾.

فلمّا كان الكلام على معتقد المنافقين قدّم ما يتعلق بهم فقال: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ أمّا في باقي الآيات فالكلام فيها عن الله سبحانه وتعالى فقدّم ضميره وما يتعلق به فقال: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾.

لمزيد من التفصيل، انظر الجواب في آية النساء ١٤٦ والله أعلم.



﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ في آيتي النحل٥٥ والروم٣٤، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ في آية العنكبوت٦٦ فلماذا؟

الجواب:

إنّ آيات النحل والروم للمخاطبين فجاءت بغير (لام)، وفي العنكبوت للغائبين فناسب ذكر(اللام) فيه.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة القسم بحرف التاء في القرآن الكريم؟

الجواب:

(التاء) حرف قسم مثل الواو، لكنّ التاء تكون مختصّة بلفظ الجلالة ﴿تَاللَّهِ﴾ وتستعمل للتعظيم وقد وردت ثماني مرات في القرآن، أربعة منها في سورة يوسف و مرتين في سورة النحل ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل:٥٦] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل:٦٣]. وجاءت أيضاً في آيتي [الشعراء ٩٧ـ الصافات٥٦].

أمّا (الواو) فهي عادة تستخدم مع غير لفظ الجلالة مثل: الفجر والضحى والليل والشمس وغيرها مما يقسم الله تعالى به في القرآن الكريم، والتاء في أصلها اللغوي مُبدلةٌ من الواو.



﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين: (هوناً وهُون) في القرآن؟

الجواب:

(الهَون): هو الوقار والتؤدة كما فى قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣].

أمّا (الهُون): فهو الذلّ والعار كما في سورة النحل ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل:٥٩].



﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم الفعل (يستأخرون) في آية سورة النحل ٦١ وتأخيرها في آية سورة الحجر ٥؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحجر ٥.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النحل ٦١: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ وفي آية فاطر ٤٥ ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ فما الفرق بين الآيتين؟

الجواب:

ليس في الآيتين تكرار وإنما لكل آية معناها.

١ـ آية النحل تتكلم عن ظلم، بينما آية فاطر تتكلم عما اكتسبوه من السيئات العامة، وكلا الآيتين تعطيك لقطة جديدة؛ لأنني قد أظلم لكن أندم على ظلمي ولا أتمادى به، لكنْ إنْ صارالظلم عادة لي حتى عشقته فهو اكتساب وافتعال.

٢ـ قوله تعالى في آية النحل: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ وفي آية فاطر: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾:

تذييل آية النحل يتحدث عن الزمن والأجل الذي لا يتأخر ولا يتقدم، وفي الأخرى يتحدث عن الجزاء وأنّ الله بصير بأعمال عباده لا يخفى عليه منهم شيء و ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ متصل بالآية التي قبلها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤] فالضمير يعود على أقرب مذكور وهو الأرض.

٣ـ هناك طريقة لحفظ الآيتين دون أنْ تخلطهما ببعض، وهي لا تجمع (الظائين ولا السينين) أي إنْ قلت: ﴿بِظُلْمِهِم﴾ فلا تقل: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ وإنْ قلت: ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ فلا تقل: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾.

٤ـ قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: القيامة والعذاب، أو جاء أجل استئصالهم بعذاب.

٥ـ في الآيتين لم يذكر الله (ظهر) ماذا؟ وإنما قال: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ وهي الأرض فلم يذكرها لشدة وضوحها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ فلم يذكر القرآن صراحة لوضوحه للمخاطب والسامع.



﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آيات النحل ٦٤ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ والآية ١٠٢ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ والآية ٨٩ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾؟

الجواب:

قال تعالى في سورة النحل: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وقال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ وقال: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

١ـ في الآية الأولى قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ونسأل هل إنزال الكتاب علينا ينحصر فقط لغرض تبيان الذين اختلفوا فيه؟ لا، وإنما هو: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾

٢ـ في الآية الثانية ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ هل نزل القرآن لهذا الغرض فقط؟ أي: ليثبت، بالطبع لا.

وفي الآية الثالثة ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ نزّل القرآن تبياناً لكل شيء فجمعها كلها عندما عمّم ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾، وعندما كانت حالة جزئية كما في الآيتين الأولى والثانية في سورة النحل جزّأ.

السؤال الثاني:

لماذا جاءت ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ في الأولى ٦٤ وفي الثانية ١٠٢ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾؟

الجواب:

١ـ إذا نظرنا إلى السياق في الآيات التي جاءت بعد الآية ٦٤ نجده في مظاهر الرحمة التي رحم الله تعالى عباده بها ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٥-٦٦-٦٧] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ

أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل:٧٠-٧١-٧٢] فناسب قوله تعالى (هدى ورحمة) لأنّ السياق في (الرحمة).

٢ـ وفي الآية الثانية السياق قبلها فيه بشرى ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٦-٩٧] فناسب السياق هنا ذكر (البشرى) في الآية وناسب الجمع في آية التبيان رقم ٨٩.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤] ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤] ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩] ما الفرق بين (نزّلنا وأنزلنا) وبين (إليك وعليك)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٧١.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى ﴿نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في سورة العنكبوت٦٣ و ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [النحل:٦٥]؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت:٦٣] وفي القرآن كله وردت (بعد) بدون (من) كما في سورة النحل ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل:٦٥].

٢ـ وآية سورة العنكبوت هي الموطن الوحيد الذي وردت فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣]، واستعمال (بعد) فقط يحتمل البعدية القريبة والبعيدة، أما (من بعد) فهي تدلّ على أنها بعد الموت مباشرة، أي تحتمل البعدية القريبة فقط دون البعيدة.

وإذا استعرضنا الآيات في سورة العنكبوت قبل الآية ٦٣ نجد أنّ الإحياء كان مباشرة بعد موتها وبدون مهلة، ومجرّد استعمال العقل كان سيهديهم إلى أنّ الله تعالى هو القادر على إحياء الأرض من بعد موتها.

الجواب بشكل مفصل:

الآية ٦٣ من سورة العنكبوت هي الآية القرآنية الوحيدة التي جاء فيها هذا التعبير: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أمّا الآيات الأخرى كلها فقد جاءت بدون (من) مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤].

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)﴾ [النحل:٦٥]

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾ [الروم:١٩].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)﴾ [الروم:٢٤].

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [الروم:٥٠].

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)﴾ [فاطر:٩].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)﴾ [الجاثية:٥].

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ [الحديد:١٧].

١ـ لا بدّ لنا من معرفة الفرق بين التعبيرين لنصل إلى سبب اختلافه في الموقفين:

آ ـ (بعد موتها) تعبير احتمالي، يحتمل البعدية القريبة والبعدية البعيدة، فقد يكون إحياء الأرض بعد ساعة أو بعد شهر أو بعد سنة أو أكثر من بدء موتها.

ب ـ أمّا التعبير (من بعد موتها) فإنّ (من) فيه لابتداء الغاية، والمعنى أنه يحييها رأساً بعد الموت.

فهو دالٌ على البعدية القريبة قطعاً، وهو أدل على القدرة لأنه لا يحتاج إلى زمن ليحييها، بل هو قادر على إحياء الميت لحظة موته ولا يحتاج إلى زمن لإعادته.

٢ـ لنعد وننظر إلى سياق المواقف التي وردت فيها الآيات لنتلمس سبب تخصيص كل سياق بتعبير منها، فنجد أنّ سورة العنكبوت كان سياقها في محاكمة المشركين من ناحية عقلية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ [العنكبوت:٦١-٦٢-٦٣].

ثم جاء هذا السؤال عن إحياء الأرض، وهم قد أقروا بقدرة الله البالغة في الأسئلة السابقة.

وهذا السؤال يقول: إنه يحيي الأرض بعد موتها مباشرة بلا مهلة، فهي قدرة بالغة ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هل هذا يدعوكم إلى الشرك، لذلك قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ فنفى عنهم العقل؛ لأنّ هذا يُعقَل حتى دون علم، فالعقل المجرد يهديهم إلى أنّ الله واحد

لا شريك له، فنعى عليهم عدم استعمال العقول، وقبل هذا جاء أيضاً في السورة نفسها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

والله أعلم.



﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿بُطُونِهِۦ﴾ في آية سورة النحل ٦٦ و﴿بُطُونِهَا﴾ في آية سورة المؤمنون٢١؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل:٦٦].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون:٢١].

١ـ آية النحل تتحدث عن إسقاء اللبن من بطون الأنعام، واللبن لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من قسم من الإناث.

٢ـ أمّا آية المؤمنون فالكلام فيها على منافع الأنعام من لبن وغيره، وهي منافع عامة تعم جميع الأنعام ذكورها وإناثها صغارها وكبارها، فجاء بضمير القلة وهو ضمير

الذكور للأنعام التي يستخلص منها اللبن وهي أقل من عموم الأنعام، وجاء بضمير الكثرة وهو ضمير الإناث لعموم، وهذا جار وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أنّ المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة، بخلاف المذكر وذلك في مواطن عدة كالضمير واسم الإشارة وغيرها.



﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في الآية ٦٧ من سورة النحل؟ وهل يعقل السكران؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل:٦٧] وهذه الآية مكيّة وليست مدنية، أي: نزلت قبل تحريم الخمر.

٢ـ والسَّكَر: في اللغة من أشهر معانيها الخمر، وقسم قال: إنّ من معانيها الخلّ لكنّ الأشهر هو الخمر، وقد قال تعالى: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ﴾ ودلّ في هذا على أنّ ما يتخذه الإنسان من ثمرات النخيل والأعناب يكون إمّا سكراً (وهو ليس بالرزق الحسن) وإمّا الرزق الحسن وهو الخلّ على الأغلب.

ففي هذه الآية أول إشارة إلى أنّ الخمر أو السكر ليس من الرزق، مع أنه لم يكن قد نزل تحريمها لكنه أول تقسيم في مكة.

٣ـ والأمر الآخر أنه لم يقل في الآية (لعلكم تشكرون) لأنه لم يجعل السكر من باب النعم حتى لا يشمل الشكر الخمر.

٤ـ إنّ استخدام كلمة ﴿يَعۡقِلُونَ﴾ فيه تعريض بالخمر، لأنه يزيل العقل فكأنّ الذي يعقل ينبغي أنْ ينتهي عنه، والأمر الآخر ّخطاب في الآية لم يأت للمؤمنين وإنما فيما يتخذه الإنسان من ثمرات النخيل والأعناب (السكر والرزق الحسن).

٥ـ وهذا من التعريض بالضدّ في اللغة، فهذا سكران فكيف يعقل؟ هذا للسخرية وأحياناً نعرّض الشيء بعكسه على سنن العربية، والسياق هو القرينة التي تُعين على الفهم؛ لأنّ أهل البلاغة واللغة يتكلمون في علوم القرآن ويجعلون السياق من أهم وأعظم القرائن للتعبير، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود:٨٧] فالتعبير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ هو في الأصل مدح لكن إنْ وضعناه في سياق الآيات فهي استهزاء، وكذلك قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] فالتعريض بهذه الأشياء يمثّل خطّاً في القرآن الكريم.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل من لطائف عددية في سورة النحل؟

الجواب:

١ـ ترتيب سورة النحل في القرآن الكريم هو (١٦) وهذا هو عدد كروموسومات ذكر النحل.

٢ـ كلمة ﴿ٱلنَّحْلِ﴾ لم تذكر في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في الآية (٦٨) والتي عدد كلماتها هو (١٣).

٣ـ حاصل ضرب رقم الآية بعدد كلماتها يساوي ٦٨×١٣=٨٨٤ والمفاجأة هنا أنّ ترتيب كلمة النحل في السورة هو أيضاً ٨٨٤.

٤ـ الآية ٦٨ من سورة النحل هي الآية رقم ١٣ في المصحف التي تحمل الرقم ٦٨ ابتداء من الفاتحة حتى آخر سورة النحل التي ترتيبها ١٦ وينقص منها ثلاث سور هي الفاتحة والأنفال والرعد، ومجموع أرقام هذه الآيات حتى آية النحل هو أيضاً ٨٨٤، لأنّ ١٣×٦٨=٨٨٤.

٥ـ قلنا أنّ ترتيب سورة النحل هو ١٦ والآيات التي رقمها ١٦ في كل القرآن هي ٨٥ آية، والمفاجأة أنّ مجموع كلمات هذه الآيات هو أيضاً ٨٨٤.

٦ـ هناك ١٣ سورة في القرآن تزيد آياتها عن ١١٤ آية، ونجد أنّ هناك خمس سور متجانسة يتجانس ترتيبها مع عدد آياتها: فردي فردي وزوجي زوجي، وأنّ آخر سورة متجانسة في السور هي سورة النحل، انظر الجدول التالي:

السورة	الترتيب	عدد الآيات
البقرة	٢	٢٨٦
النساء	٤	١٧٦
التوبة	٩	١٢٩
هود	١١	١٢٣
النحل	١٦	١٢٨
المجموع	٤٢	٨٨٤

٧ـ ترتيب سورة النحل هو ١٦، وهناك ٨ آيات في سورة النحل رقمها العدد ١٦ومضاعفاته، وهذه الأرقام هي [١٦ـ٣٢ـ٤٨ـ٦٤ـ٨٠ـ٩٦ـ١١٢ـ١٢٨] والمفاجأة أنّ مجموع عدد كلمات هذه الآيات هو ١١٩ ويساوي: جمّل كلمة (النحل)، انظر الجدول التالي:

رقم الآية	عدد كلماتها
١٦	٤
٣٢	١٢
٤٨	١٧
٦٤	١٤
٨٠	٢٥
٩٦	١٥
١١٢	٢٤
١٢٨	٨
المجموع	١١٩

والله أعلم.



﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ
مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ القرآن الكريم لم يستعمل الفعل (سلك) في الآخرة إلا في النار ولم يستعمله في دخول الجنة.

٢ـ (سلك) بمعنى دخل وأدخل، لكنّ القرآن لم يستعمل سلك أو يسلك في دخول الجنة مطلقاً، وإنما استعملها فقط في النار، وهذه من خصوصيات الاستعمال القرآني؛ قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدّثر:٤٢] ولم يستعمل (سلك) في دخول الجنة، لكنْ ربما - والله أعلم - السلوك هو أيسر «**حُفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات**» فكأنّ الدخول إليها أيسر فاستعمل سلك التي هي أيسر.

٣ـ سلك فيها سهولة ويُسر ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل:٦٩] أي: مذللة، ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧] يعني يدخل العذاب بما كان يصنعه لأنها حفت بالشهوات فارتكبها فيسّر الدخول لها. والله أعلم.



﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ما الفرق بين (جعل وخلق)؟

الجواب:

١ـ ذكر الزمخشري في «أساس البلاغة» أنّ أصل فِعل (خلق) هو التقدير ولذلك يقال: خلق الخيّاط الثوب بمعنى قدّر أبعاده قبل أنْ يقصه، ثم قال: وأمّاهذا الاستعمال: خلق الله الخلق فهوعلى سبيل المجاز بمعنى أوجده على تقدير: أوجبته حكمته سبحانه وتعالى. وهذا هو الأصل.

٢ـ أمّا (جعل) فهو لفظ عام في الأفعال وهو أعمّ من فَعَل وصَنَع.

فالخلق هو الإيجاد على تقدير توجيه حكمة الله سبحانه وتعالى، والأصل الإيجاد على تقدير من غير مثال سابق، والجعل فعل عام يحمل معان كثيرة منها الصُنع وإيجاد الشيء من الشيء والتبديل والاعتقاد والظنّ والشروع في الشيء (جعل يُنشد قصيدته) يعني شرع وبدأ، والحكم بالشيء على الشيء والنسبة والتشريف أيضاً وفيها معنى الإيجاد، وهناك معانٍ كثيرة يذكرها أصحاب المعجمات.

٣ـ والذي وجدناه أن كلمة (خلق وجعل) اجتمعتا في أسلوب القرآن الكريم في أربعة عشر موضعاً، وحيثما اجتمعتا تقدّم (الخلق على الجعل) لأنّ الخلق إيجاد والجعل هو لشيء من شيء فهو من الخلق.

لذلك في القرآن إذا بدأ الكلام يبدأ بالخلق (خلق) وإذا بنى عليها شيئاً يبني بـ (جعل) إلا في موضع واحد فى آية سورة النساء ٥٩.

وفي سورة النحل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل:٧٠] ثم قال بعدها: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل:٧٢].

٤ـ ولمّا يكون الخلق مجرّداً ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النجم:٤٥] يذكر الخلق بدون الجعل.

السؤال الثاني:

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلة مرة في آية سورة النحل٧٠ و﴿لِكَيْلَا﴾ موصولة في آية سورة الحج٥؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٢.

السؤال الثالث:

قال في آية النحل٧٠: ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ بدون (من).

وقال في آية الحج٥: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ بوجود (من).

فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ (من) للابتداء.

ـ ﴿مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ معناه أنّ الجهل يبدأ من بعد العلم بلا مهلة ولا فاصل.

ـ ﴿بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ فيحتمل الزمن القريب والبعيد.

٢ـ من مقارنة السياقين يتبين التالي:

آية سورة الحج ٥: هي رد على من هو في ريب من البعث، وإيضاح بالغ في قدرة الله له، وكيف أنه خلقه من التراب بشراً فطوّره إلى أنْ يُرد إلى أرذل العمر فيجهل من بعد العلم بلا مهلة ولا فاصل، وهو أدل على قدرة الله تعالى؛ وذلك لأنه انتقال مباشر من العلم إلى الجهل فيغير بأقرب وقت من حال إلى حال، وهو المناسب لمقام بيان القدرة لمنكري البعث.

أما قوله: ﴿بَعْدَ عِلْمٍ﴾ فيحتمل أنْ مرت عليه مدة طويلة من غياب المعلومات ونسيانها فأدى ذلك إلى الجهل.



﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة: البنون ـ الحفدة ـ الأسباط ـ الذرية ـ النسل ـ السلالة؟

الجواب:

البنون:

تُطلق على الأطفال الصغار سواء كانوا أبناءك المباشرين أو أبناء أبنائك فكلهم بنون.

وأبناء الأبناء فريقان:

آ ـ الحفيد هو ابن الابن الذي يعيش مع جده.

ب ـ الذين يعيشون بعيداً عن أجدادهم فيسمون (بنون) إذا كانوا صغاراً، فإذا كبروا يسمون(أبناء).

* شواهد قرآنية:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦].

حفـــد:

الحفد جمع (حافد) وهو الخادم المتطوع لخدمة المتقن لحرفته.

الأحفاد هم أولاد الأولاد، ويقال لهم: بنون إذا كانوا صغاراً وإذا كبروا صاروا أبناء.

* شواهد قرآنية:

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢].

الأسباط:

الأصل هم أبناء البنات، وتطلق أيضاً بشكل استثنائي على أحفاد الأنبياء سواء كانوا أبناء بنين أو أبناء بنات، أي: هم ذرية الأنبياء.

* شواهد قرآنية:

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٣٦].

الذرية:

مشتقة من ذرأ، أي: الإيجاد بكثرة، أو من الذر وهو التفريق، أي: تتفرق الأسر من كثرتها.

النسل:

هو الولد لكونه ناسلاً ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٨].

السلالة:

قيل للوليد سليل؛ لأنه سُلَّ من أبيه وأمه.

* شواهد قرآنية:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١٢].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية النحل ٧٢: ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ بزيادة ﴿هُمْ﴾ على آية العنكبوت٦٧ حيث قوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ بغير ﴿هُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ آية النحل سياقها للمخاطبين فقد قال الله تعالى في أولها: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ثم عدل إلى الغَيبة بقوله تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فناسب ﴿هُمْ﴾ توكيداً للغيبة كي لا يلتبس الغيبة بالخطاب.

٢ـ وأمّا آية العنكبوت فهي للغائبين فناسب حذف ﴿هُمْ﴾ لعدم اللبس.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمة (الله) وكلمة (مسخّرات) في آية النحل٧٩ وكلمة (الرحمن) وكلمة (صافات) في سورة الملك ١٩؟

الجواب:

لفظتا: (الله) و (الرحمن):

١ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) ﴾ [النحل:٧٩] وقال في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾ [المُلك:١٩].

٢ـ للعلم أنّ كلمة (الرحمن) لم ترد في سورة النحل كلها (١٢٨ آية) بينما وردت أربع مرات في سورة الملك (٣٠ آية). وكلمة (الله) وردت في سورة النحل ٨٤ مرة بينما وردت في الملك ثلاث مرات،هذا من حيث السمة اللفظية.

٣ـ وللعلم أيضاً لم يرد إسناد الفعل (سخّر) في جميع القرآن إلى (الرحمن) وهذا هو الخط العام في القرآن، وإنما ورد ﴿سَخَّرْنَا﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ﴾ ولهذا حكمة بالتأكيد.

٤ـ الأمر الآخر أنّ السياق في سورة المُلك هو في ذكر مظاهر الرحمن ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ [المُلك:١٥] حتى لمّا حذرهم

حذّرهم بما أنعم عليهم من قبل ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الملك:١٨] ولم يقل: (فكيف كان عقاب) كما جاء في آية سورة الرعد ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد:٣٢] وهذا من مظاهر الرحمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [الملك:٢٠-٢١] فالسياق في السورة إذن في مظاهر الرحمن.

أمّا في سورة النحل فالسياق في التوحيد والنهي عن الشرك ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل:٧٥-٧٦] حتى ختم آية النحل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل:٧٩] ولفظ ﴿ٱللَّهُ﴾ مأخوذ من العبادة فهو الأنسب هنا.

لفظتا (مسخرات) و (صافات):

قال في سورة النحل ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ من باب القهر والتذليل ولا يناسب الرحمة وليس من باب الإختيار، بينما في سورة الملك جعل اختيار ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك:١٩] من باب ما يفعله الطير ليس فيها تسخير، وإعطاء الاختيار هو من باب الرحمة، ثم ذكر حالة الراحة للطير ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ وهذا أيضاً رحمة. إذن لفظ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مناسب لسورة الملك ولفظ ﴿ٱللَّهُ﴾ مناسب لسورة النحل.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الجمع في قوله تعالى ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ وهل هو جمع نوعي؟

الجواب:

الصوف جنس مثل الماء، ولمّا نقول ماء الشام عذب، تعني ماء الشام جميعاً، وعندما تسمع كلمة مياه تعطي صورة الكثرة، وهنا الصوف مثل الماء.

كان يمكن في غير القرآن أنْ يقول من صوفها ووبرها وشعرها لكنْ لا تأتي هذه الصورة؛ لأنه في موطن بيان نعمة الله تعالى وبيان فضله على هؤلاء الناس.

والجموع متواترة منذ البداية قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ ما قال: جلد؛ لأنها هنا لغرض بيان عظيم فضل الله سبحانه وتعالى باستعمال صيغة الجمع، فهذه نعمة يحسّها العربي حينما كان يأخذ من الجلود وهي خفيفة ويضعها على الجمل، وحيثما وقف ربط بعضها ببعض وصنع بيتاً يقيه الشمس والبرد والمطر، فهذه نعمة عظيمة بالنسبة له، والصوف ليس للبيوت فقط وإنما هوللأثاث والمتاع وحتى الملابس الصوفية نتمتع بها فتكون جزءاً من المتاع، فإذن هو

اختار أنْ يستعمل الجمع في معرض الكلام على فضل الله سبحانه وتعالى على البشر وعلى كثير إنعامه.



﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يذكر: البرد؟

الجواب:

١ـ قال بعضهم: استدل بذكر الحر على البرد فحذف ما يدل عليه، أي: والبرد.

٢ـ وقيل: اكتفى بقوله تعالى في أول السورة ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل:٥].

٣ـ وهناك أمر آخر حسّن عدم ذكر وقاية البرد ههنا، ذلك أنّ المقام في ذكر الحر لا البرد، والإنسان يذهب إلى الظلال ليقي نفسه الحر ويذهب إلى الجبال ليحتمي من الحر فكان المناسب ذكر الوقاية من الحر. والله أعلم.

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين [الإنكار والجحود والزور والبهتان]؟

الجواب:

١ـ الجحد: هو إنكار الشيء الظاهر أو إنكارك الشيء مع علمك به، وهو أخصّ من الإنكار كقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات ولا يكون ذلك إلا ظاهراً.

وكقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ﴾ [النمل:١٤] فجعل الجحد مع اليقين.

٢ـ الإنكار: يكون مع العلم وغير العلم، كقوله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣] فجعل الإنكار للنعمة، والنعمة قد تكون خافية أو ظاهرة.

٣ـ الكذب: هو الخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وقد يكون في إنكار وغير إنكار.

٤ـ الزور: هو الكذب الذي سُوّي وحُسّن في الظاهر ليحسب أنه صدق نحو: زوّرت الشيء إذا سويته وحسنته.

٥ـ البهتان: هو مواجهة الإنسان بما لا يحبه وقد بهته.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آيات النحل ٦٤ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والآية ١٠٢ـ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ والآية ٨٩ـ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٦٤.



﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠] وفي النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥] ما خصوصية استعمال القرآن لكلمتي (العدل والقسط)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٣٥.

السؤال الثاني:

قال أحد العلماء: لو أنّ الله تعالى لم ينزل سوى هذه الآية لكفى، وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾؟ فما دلالة قوله؟

الجواب:

هذه الآية عامة وهامة؛ لأنها تتناول مقومات المجتمع الصالح وعوامل استمراره، كما تذكر عناصر ضعف المجتمعات وتفككها وأسباب زوالها.

والآية تتحدث عن المجتمع المسلم المؤمن الذي يلتزم بأوامر الله وأوامر رسوله عليه السلام.

أولاً: مقومات المجتمع الصالح وعوامل استمراره، وهي ثلاثة:

١ـ العدل: وهو واجب وفرض وهو أساس الملك ولذلك قدّمه.

٢ـ الإحسان: وهو فوق العدل بأنْ تحسن للآخرين فوق ما يستحقون كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى:٤٠].

فالجزء الأول هو العدل ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠] والجزء الثاني هو إحسان ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:٤٠].

٣ـ إيتاء ذي القربى: وفيه تمتين العلاقات بين الأفراد والأسر وبالتالي المجتمع.

ثانياً ـ عناصر ضعف المجتمعات وتفككها وأسباب زوالها وهي ثلاثة أيضاً:

١ ـ الفحشاء: وهي عامة وتفيد الإفراط في اتباع الشهوات.

٢ـ المنكر: وهو أوسع من الفحشاء وهو يشمل كل ما أنكره الشرع والعقل السليم.

٣ـ البغي: وهو الاعتداء على الآخرين.

لذا بدأ هنا بالأعم ودخل فيه البغي.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: المقصود من هذا الوعظ أنْ تُقدموا برغبة لتحصيل هذه الأمور لتستفيدوا منها. والله أعلم.



﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل وليس بالبخس؟

الجواب:

١ ـ الثمن القليل جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى ومعنى ذلك أنَّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ ثمنه فهو ثمن قليل، قال تعالى: ﴿وَلَا

﴿تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾ [النحل:٩٥]. وحيثما ورد الكلام عن آيات الله وعن عهد الله سبحانه وتعالى، فأياً كان الثمن فهو قليل.

٢ـ في تسع آيات وصف الثمن بأنه قليل تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، إمّا أنْ ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك فى مقابل ما لا يستحق. وأمّا في قضية الوصية والشهادة فتركه مجملاً ﴿ثَمَنٗا﴾ ليشمل كل الأشياء المادية والمعنوية وحتى لا يكون هناك نوع من التحايل.

أمّا البخس فهو دون قدر الشيء، والقلة هو القليل الذي هو ثمن لا قيمة له؛ لأنه قليل في ذاته ﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ أي: لا يناسب قدره.

٣ـ ألا يمكن أنْ يتعاور الوصف بالبخس والقليل مع بعضهم البعض؟ يمكن إذا أُريد بالبخس ما هو ليس من قدر الشيء الذي بيع، ولا يستقيم مع آيات الله، لأنه ليس هناك شيء بقدر الآيات، لذلك لا يستقيم إلا القلّة.



﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ هل المقصود حياة طيبة في الدنيا أو في الآخرة أو في الدنيا والآخرة معاً؟

الجواب:

قسم قال: هي حياة الجنة، وقسم قال: هي مطلقة في الدنيا والآخرة.

لكن يجب أنْ نفهم ما الحياة الطيبة؟ فقد ترى مؤمناً صالحاً يعيش في ضنك فما المقصود بالحياة الطيبة؟

١ـ في الحياة الدنيا هي الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، فيستقبل قضاء الله وقدره بنفس رضية، خاصة إذا علم أنْ هذا يدخل في قائمة حسناته.

وإذا وقع عليه شيء مما يكره واستقبله بصبر فهذا يدخل في قائمة حسناته أيضاً، بينما الذي لا يؤمن بالله يكون قلقاً بشكل عام.

٢ـ ثم الحياة الطيبة هي الإيمان، والإيمان يعطي الأمن النفسي، والأمن مشتق من الإيمان، فالذي يؤمن بالله هو في أمن نفسي و اطمئنان، وكثير من الأمراض النفسية هي نتيجة القلق، ولو أخذنا بهذه الدلالة الواسعة ستكون حياته الطيبة في الدنيا والآخرة، لأنّ الإنسان لا بد أنْ يصيبه شيء، فإذا كان مؤمناً سيستقبله بنفس رضية وسيكتبه تعالى له في ميزان حسناته، بينما الكافر يستقبل الأحداث بقلق وشدة، وبالتالي إذا أخذناها في هذا المعنى ستكون الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

٣ـ الفرق بين الحياة والمعيشة أنّ الحياة عامة والمعيشة رزق.

السؤال الثاني:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤] لمّا عبّر عن

المؤمن الذي عمل صالحاً قال: حياة طيبة، ولمّا عبّر عن الذي أعرض عن ذكر الله تعالى قال: معيشة ضنكاً، فعبّر بالمعيشة ولم يقل: حياة، فما اللمسة البيانية وما الفرق بين الحياة والمعيشة؟

الجواب:

١ـ من حيث اللغة: المعيشة أو العيش هي الحياة المختصة بالحيوان، أمّا الحياة فتستعمل للأعمّ، والله تعالى يقول: نبات حيّ ونبات ميّت، وإذا أردنا أنْ نصف النبات بأنه حيّ نقول: حيّ ولا نقول عائش، وربنا يوصف بأنه حيّ ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

إذن المعيشة هي الحياة المختصة بالحيوان وهو أخص من الحياة، أمّا الحياة فهي أعمّ للحيوان والنبات، وتستعمل كذلك في صفات الله سبحانه وتعالى.

٢ـ لفظة (الحياة) عامة، وتستعمل للحياة المعنوية المقابل للضلال. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وأمّاالمعيشة هي لما يُعاش به كما في الآية: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزُّخرُف:٣٢] ليس حياتهم وإنما ما يُعاش به من طعام وشراب، كذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف:١٠] أي ما تأكلون.

٣ـ عرفنا الفرق بين المعيشة والحياة من حيث اللغة. ويبقى كيف استعملها القرآن؟

آـ في سورة طه لمّا ذكر الجنة وطبعاً الخطاب لآدم قال: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه:١١٧-١١٨-١١٩] يعني أسباب المعيشة من أكل وشرب ولباس، إذن هذا

سيكون مناسباً لذكر المعيشة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] أي سيتعب حتى يحصّل المعيشة على أساس أن الله تعالى ذكر معيشة أبينا آدم قبل، فهذه مقابل تلك.

وبعضهم يقول:إنّ المعيشة الضنك هي حياة القبر ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [طه:١٢٤] من أعرض عن ذكر الله.

وقسم قالوا: المعيشة الضنك هي الحرص على الدنيا والخوف من فواتها، فالذي يعرض عن ذكر الله يكون متعلقاً بالدنيا ويخشى أنْ تزول مهما كان في نعمة فيفكر في زوالها ولا يستمتع بها، إذن سيكون هناك ضنك بمعنى ضيق، فلو كان أنعم الناس ولكنه يعلم أنه سيفارقها وأنها تزول منه فهو يعيش في ضنك، فهي مناسبة من حيث ما ذكرنا أنها جاءت بعد ذكر الجنة ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩] فناسب فيها المعيشة.

ب ـ أمّا آية النحل فلم يذكر فيها أسباب المعيشة وإنما ذكر الإيمان والعمل الصالح ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧] وقسم قال: الحياة هي حياة الجنة.

وفي لفظة ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ الفاء هنا جواب الشرط؛ لأنّ نون التوكيد تفيد الاستقبال، فقسم قالوا: هي الجنة، وقسم قالوا: هي الرضى بقضاء الله وقدره، يعني يستقبل كل ما يقع وما يأتي عليه بنفس راضية مطمئنة خاصة إذا علم أن هذا سيكون في ميزان حسناته.

السؤال الثالث:

لو قلنا أن ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ متعلقة بالدنيا والمعيشة الضنك متعلقة بالدنيا أيضاً هل يكون هنالك وجه خصوصية أو عموم استعمال بين الكلمات؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ هذه عامة؛ لأنّ الله تعالى يستعمل الحياة للهدى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] وهو لم يذكر في الآية ما يعاش به وإنما قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل:٩٧] حتى الإيمان اشتقاقاً من الأمن النفسي والاطمئنان، وكأنّ هذا شرط للحياة الطيبة، فإذا كان المؤمن راضياً بقضاء الله وقدره ستكون حياته طيبة مستقرة آمنة وهادئة.

وفي كلامنا العامي عندما نسأل عن أحدهم كيف حاله؟ فيقول: عايش، وهذا خطأ ويعني أنه يأكل ويشرب فقط؛ لأنّ المعيشة خاصة بالحيوان.

٢ـ قوله: ﴿مَنْ﴾ عامة تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع والمثنى ولفظ ﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ يفيد الجنس أي: كل الذكور والإناث باختلاف أعمارهم.

٣ـقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الكلام على الأفراد ويشار بصيغة المذكر بتغليب المذكر لجماعة فيها ذكور وإناث وهذه لغة العرب.

فقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ خطاب بالفردية، وقوله: ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: هذه لمسة للإنسان يريد أنْ يحيا حياة طيبة، والجزاء جزاء جماعي ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ ففي الآيات مزاوجة بين الفردية والجماعية.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية النحل ٩٧: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ وقوله في آية العنكبوت ٧: ﴿أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ ما الفرق في الاستعمال بين (الذي) و(ما) في الآيتين؟

الجواب:

١ـ القاعدة أنّ (الذي) أخص مِن (ما). وكلاهما اسم موصول.

٢ـ في آية النحل ٩٧: جاء فيها ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ لأنّ قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾ شرطية وهي نكرة فتشمل كل عامل، وفسره ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ وهو نكرة، ثم نكّر العمل ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فجعله عاماً، ولذا جعل الجزاء عاماً فجاء بـ ﴿مَا﴾ وقال: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

٣ـ في آية العنكبوت ٧: جاء بـ ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو اسم موصول معرفة، ثم عرّف العمل الصالح ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولذا جعل الجزاء مخصصاً فقال: ﴿أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت:٧].

فجاء للعام بـ ﴿مَا﴾ وللخاص بـ ﴿ٱلَّذِى﴾.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما مدلول الاستعاذة؟

الجواب:

١ـ الآية تطلب منا الاستعاذة من الشيطان قبل أنْ نقرأ القرآن، ذلك لأنّ كل مخلوق إذا اتجه إلى خالقه واستعاذ به يكون هو الأقوى برغم ضعفه، لأنك جعلت الله في جانبك، ونحن حينما نصفي جهاز استقبالنا لحسن استقبال كلام الله، لا نفعل ذلك بقدراتنا نحن ولا بقوتنا ولكن بالاستعانة بقوة وقدرة الله لماذا؟ لأنّ معوقات المنهج عند الإنسان المؤمن إنما هي من عمل الشيطان.

وعطاء الله في القرآن الكريم متساوٍ لجميع الخلق، ولكنْ كل إنسان يأخذ على قدر إيمانه، فالقرآن يُقرأ والناس تسمع، ولكنْ هل يتقبل الجميع القرآن تقبلاً متساوياً؟ بالطبع لا.

والله سبحانه يريدنا عندما نقرأ القرآن أنْ نبعد الشيطان عن أنفسنا قبل أنْ يبعدنا هو عن منهج الله وعن آياته، وبما أننا لا نرى الشيطان وهو يرانا ولا نعرف أين هو بينما هو يعرف أين نحن، فلا بدّ من أنْ نستعيذ بقوة تستطيع أنْ تقهره، فطلب الله منا أنْ نستعيذ به وأنْ نلجأ اليه لأنه هو القادر على أنْ يحمينا ويصفي قلوبنا ونفوسنا من همزات

الشياطين فيحسن استقبالنا للقرآن وآياته فتمس آياته قلبك ونفسك وتكون لك هدى ونور.

٢ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الفاء رابطة ترتب على شيء من الآية التي قبلها ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧] فالقرآن يدل الإنسان على أحسن الأعمال. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ الذي هو المرشد، واستعمال ﴿فَإِذَا﴾ ظرف تحقيق ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر:١]. وهناك فرق بين استعمالها ومعناها واستعمال (إنْ) التي تستعمل عندما يكون الاحتمال قليلاً وتفيد الترجيح والشك ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يعني أنت تقرأ القرآن ولو قال: (فإنْ قرأت القرآن) فكأنما يرخّص بعدم قراءة القرآن، وهذا الخطاب لكل مخاطب.

٣ـ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل:٩٨] الفاء هنا جواب الشرط وهو الأمر بالاستعاذة، وفيها معنى اللجوء والاندفاع إلى حصن حصين إلى الله تعالى.

والأمر عندما يكون للرسول ﷺ فهو من باب أولى للمسلمين كما علّمنا رسول الله ﷺ في أحاديث الاستغفار كان ﷺ يستغفر الله تعالى في اليوم أكثر من سبعين مرة لم يكن يستغفره لذنب ولكن لكي يعلّم أمته الإكثار من الاستغفار، وصيغة فعل الأمر على وزن (استفعل) فيها معنى الطلب والجهد وتعني أنك تبذل جهداً في تفريغ قلبك باللجوء إلى الله تعالى تخلصاً من الشيطان الرجيم، ولم تأتي بصيغة (قل أعوذ بالله) لأنّ هذا القول تلقين وليس فيه جهد.

السؤال الثاني:

لماذا استخدم فعل ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾ ولم يقل: ألجأ أو أجأر أو احتمي؟

الجواب:

الاستعاذة فيها جانب مادي ومعنوي، ومع الله تعالى نأخذ الجانب المادي عندما تعوذ بشيء.

مثلاً إذا رُمي الإنسان بسهم يعوذ بشجرة وهذا أمر مادي. ونحن نستحضر قوة الله تعالى ولفظ: (تستعيذ) يختلف عن معنى أية كلمة أخرى، والعربي يعرف معنى كلمة الاستعاذة، ولهذا عندما سمع ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾ قال: أعوذ بالله، ولم يقل: استعيذ التي فيها معنى الطلب والجهد وبذل الجهد في أنْ أعوذ بالله، وليس هذا هو المطلوب، وإنما المطلوب أنْ تكون في عملية عوذ، وكلمة (أعوذ) يدل على الحال والاستقبال، والله تعالى يريد لك أنْ تعوذ، فعندما يقول تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ نقول: أعوذ بالله أو نعوذ بالله، أي نحن الآن في حالة عوذ، وهذا اختيار بلاغي دلالي.

السؤال الثالث:

قال: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ ولم يقل بالرحمن أو بأية صفة أخرى من صفات الله تعالى، فلماذا؟

الجواب:

قال ﴿بِٱللَّهِ﴾ ولم يقل بالرحمن أو بأية صفة أخرى من صفات الله تعالى أو أسمائه الحسنى؛ لأنّ الاستعاذة تحتاج لقوة، واسم الله تعالى ﴿ٱللَّهِ﴾ هو الاسم الوحيد الذي

انفرد به تعالى والباقي هي صفات، واستخدام لفظ الجلالة مع الاستعاذة حتى يكون الله تعالى بكل صفاته وبكل ما فيها، وعندما تستعيذ بالله تشعر بضعفك وتستعيذ من الشيطان الذي أقسم أنْ يغوي الناس إلا عباد الله المخلَصين.

السؤال الرابع:

لماذا استخدام لفظ الشيطان بدل إبليس مثلاً؟

الجواب:

يقولون: إبليس من البَلَس الذي هو نوع من الخنس والاختباء وهذا المعنى لا ينسجم مع المعنى في الآية، أمّا كلمة الشيطان فهي من الشطن والامتداد فكأنه يمتد إليكم وليس خائفاً خانعاً مبلساً، ولهذا نقول دائماً: كل كلمة في كتاب الله تعالى مرادة مقصودة لذاتها.

السؤال الخامس:

لماذا جاء الوصف هنا بالرجيم؟

الجواب:

التخويف من الشيطان يجعل قلب المسلم في هيبة كبيرة من هذا المخلوق، فأنت لجأت إلى الله وعُذت به، لكنْ لا تتصور أنّ الشيطان بهذا الجبروت تُرِك على جبروته فهو ذليل مرجوم، واختيار كلمة (الرجيم) لتقليل شأن الشيطان وإذلاله حتى لا تكون للشيطان في قلب المسلم منزلة مخيفة، وأكدّ على ذلك قوله تعالى في الآية التي تلت: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ

﴿سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:١٠٠].

السؤال السادس:

ما دلالة المناوبة بين الفردية والجماعية في آيات سورة النحل٩٧ـ١٠٠؟

الجواب:

نقف عند المناوبة بين الفردية والجماعية في آيات سورة النحل: الفردية ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ ثم الجماعية ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [النحل:٩٧] ثم انتقل إلى الفردية ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ثم الجماعية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل:٩٩].

فالفردية هي في الحياة الطيبة للإنسان، والجماعية في أنّ دخوله الجنة والجزاء لن يكون فرداً وإنما يكون في جماعة. واللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة والاتكال عليه تخلصاً من كيد الشيطان فردية؛ ينبغي على المسلم أنْ يلجأ بمفرده إلى ربه.

ومن اللطائف أنّ القرآن الذي تحدّث في هذه الآيات وفي غيرها ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ والتي تظهر فيها مكانة المرأة في الاسلام.

و ذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه «المرأة بين الفقه والقانون» أنه في الغرب عقدت مؤتمرات في الوقت الذي تحدث القرآن عن مكانة المرأة تبحث في مسألة إذا كانت المرأة إنساناً أو غير إنسان، ثم توصلوا إلى أنها إنسان لكنها خُلِقت لخدمة الرجل، وفي بلد آخر صدر قانون في ١٨٣٠م يمنع الرجل من بيع زوجته، فلننظر من كرّم المرأة؟

القرآن أم الغرب الذين يتحدثون عن حقوق المرأة وينتقدون الإسلام ! المرأة في الإسلام مكرّمة.



﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما هي استخدامات كلمة ﴿ءَايَةً﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة ﴿ءَايَةً﴾ وردت في القرآن الكريم لخمسة معان، وهي:

١ ـ البناء العالي: الشعراء ١٢٨.

٢ ـ عبرة و موعظة: يونس ٩٢.

٣ ـ جملة من القرآن: النحل ١٠١.

٤ ـ علامة واضحة: البقرة ١١٨.

٥ ـ المعجزة: المؤمنون ٤٩.

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آيات النحل ٦٤ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ والآية ١٠٢ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ والآية ٨٩ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٦٤.



﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ أحد الفلاسفة وجد أعرابياً يصلي قال: أنت تعبد الله؟ قال الأعرابي: نعم فقال: عندك دليل على وجود الله حتى تعبده؟ فنظر الأعرابي في الكون فقال: لماذا أبحث عن

دليل؟ قال: أما أنا فعندي مئة دليل على وجود الله، فقال: الأعرابي: لأنّ في قلبك مئة شك فتّشت عن مئة دليل.

هذا الكون يقول: لا إله إلا الله، وهذا القرآن نزل على العرب الفصحاء وتحداهم بأنْ يأتوا بمثله ولم يجدوا فيه خطأ قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣] كانوا يقولون: لا، أعجمي.

٢ـ أعجمي: معناه:

آ ـ اللسان: هنا بمعنى اللغة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يميلون إليه.

ج ـ قوله تعالى: ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ ولم يقل: عجمي؛ لأنّ العجم جنس يقابل العرب، وقد يكون من العجم من يجيد العربية الفصيحة كما رأينا سيبويه.

أمّا الأعجمي فهو الذي لا يُفصح ولا يبين حتى وإنْ كان عربياً، فالأعجمي مثلاً كما نرى الأجانب يتحدثون العربية مثلاً.



﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دِلالة اختلاف الفاصلة القرآنية بين ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود:٢٢] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل:١٠٩]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود٢٢.



﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الإستعمال القرآني بين ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾؟

الجواب:

في سياق الأموال يقول القرآن الكريم ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ وفي سياق العمل يقول القرآن الكريم ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾.

* شواهد قرآنية:

آ ـ آية آل عمران ١٦١: الغل هو الأخذ من الغنائم قبل اقتسامها وهو متعلقٌ بالمال فقال: ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾.

ب ـ البقرة ٢٨١: قبلها آيات فيها أمور مادية من ترك الربا، والصبر على المعسر وآية المداينة، فهي في سياق الأموال فناسب ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾.

ج ـ آية النحل ١١١: ليس فيها ذكر للأموال ولا الكسب، وإنما سبقها في الآية ١١٠ الفتنة والجهاد والصبر،وهي أمور غير مادية فقال: ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾.

السؤال الثاني:

جاء في البقرة٢٨١ وآل عمران١٦١ الفعل ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾ وفي النحل١١١ والزمر٧٠ ﴿مَّا عَمِلَتۡ﴾ فما الحكمة؟

الجواب:

١ـ قيل: هو من باب التفنن في الألفاظ.

٢ـ (العمل) لفظ عام يفيد إيجاد الأثر في الشيء يقال: يعمل الطين خزفاً، ولا يقال: يفعل ذلك.

وأمّا (الكسب) هو الفعل العائد على فاعله بنفع أو ضرر.

وفي آية البقرة ٢٨١ وآية آل عمران ١٦١ يكون معنى ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾ أي: توفى كل نفس مكتسبها جزاء ما كسبت، وفي ذلك الوعيدية للفساق والعصاة.

وتأتي غالباً مع الآيات التي تصاحبها ذكر الوعيد بممارسة الآثام والكبائر ويظن صاحبها أنه يقوم بالكسب كما في آية البقرة ٢٨١ حيث سبقها الوعيد بالتعامل بالربا، وكذلك آية آل عمران ١٦١ والتخويف من الغلول والخيانة في الغنائم.

٣ـ مع سياق الأموال يقول القرآن الكريم ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾ وفي سياق العمل يقول القرآن الكريم: ﴿مَّا عَمِلَتۡ﴾.

٤ـ وقوله تعالى: ﴿مَّا عَمِلَتۡ﴾ في آيتي النحل والزمر معناه أنْ توفى كل نفس ما عملت من غير بخس ولا نقصان جزاء ما عملت.

وللعلم فإنّ لفظ العمل ومشتقاته هو الأغلب في كل سور القرآن لكنْ قد يختار القرآن اللفظة الأكثر تكراراً كما في الفقرة التالية:

٥ـ انظر الجدول التالي:

السورة	تكرار لفظ (عمل ومشتقاته)	تكرار لفظ (كسب ومشتقاته)
النحل	١٠ مرات	-
الزمر	٧ مرات	٥ مرات

فناسب في النحل والزمر تعبير ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ لزيادة تكرارها عن تكرار ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾؟

الجواب:

نفوسنا في الدنيا الآن تفصح عنها ألسنتنا وجوارحنا ساكنة، ونفوسنا في الآخرة غداً تفصح عنها جوارحنا وألسنتا ساكنة.

نحن اليوم في الدنيا نجادل ونستخدم الحجج والبراهين وقد يقوي موقفَنا مكانتُنا الاجتماعية أو سلطتنا أو براعةُ ألفاظنا. .. يا للفتنة !!!

كم نحن مفتونون إنْ حدنا عن الحق. .. إنْ انتصرنا لأنفسنا. .. غداً تظهر الحقيقة وأعضاؤنا تنطق.

فلنكن على حذر. .. ولنكن ممن أحسنوا قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً. .. والإ يا ويلنا.

اللهم ارحمنا وسددنا واهدنا واعف عنا وحفّنا برعايتك وحفظك. ... يارب.

السؤال الرابع:

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ ما هي النفس الإنسانية وما العلاقة بين الروح والجسد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة **٢٨١**.

السؤال الخامس:

ما دلالة تأنيث الفعل فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١]

الجواب:

في التركيب الإضافي يجوز التذكير والتأنيث لكن بشرط أن يكون المضاف جزء أو كالجزء في الاستغناء عنه كما في الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (كلّ) مذكر و(نفس) مؤنث فقال: تأتي.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قدّم الأمن على الخوف في أول الآية ثم عكسه فيها، فلماذا؟

الجواب:

١ـ لمّا قال: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ هذا دلالة على الأمن وإلا لا يمكن أنْ تصل الأرزاق إذا لم تكن السبل والمدن آمنة، ولذلك قدّم الأمن على الإتيان وهذا طبيعي.

٢ـ ولمّا كفر أصحاب القرية بأنعم الله قال الله عنهم: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ فقدّم الجوع على الأمن؛ لأنّ الإنسان يحتاج إلى الطعام أكثر من الأمن، لأنه قد يموت من غيره فهو يحتاج الطعام حتى لو كان خائفاً، فقدّم ما هو أولى وما به دوام حياته.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ استعمل جمع القلة ﴿بِأَنْعُمِ﴾ ولم يقل: نِعَم، بجمع الكثرة. وذلك حتى نتنبه أنّ كفران أنعم الله يؤدي إلى هذا فكيف لو كفر الإنسان بالنِّعم !!!

أي أذاقهم الله تعالى لباس الجوع والخوف بكفران قليل النعم، فما بالك لو كفروا بالكثير !!!

٤ ـ قوله تعالى: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ أي: شملهم الجوع والخوف كما يشتمل اللباس على الإنسان.

٥ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ ولم يقل يعملون أو يكسبون؛ لأنّ الصنع هو إحسان العمل فهم كانوا يعملون السوء صناعة وهم راسخون في تلك الصنعة، والباء سببية أي: بسبب.

و (ما) تحتمل أمرين: مصدرية وموصولة، أي: بصنعهم وبما كانوا يصنعونه، وهذا يشمل عموم الصنع بالأشياء التي يصنعونها.

٦ـ الكلام على قرية كانت آمنة مطمئنة بأجمعها حتى حيواناتها يأتيها رزقها عاماً لكل من في القرية من العقلاء وغيرهم فكفرت بأنعم الله فنسب الكفران إليها، أي: إلى أهلها العقلاء الذين صرح بهم بعد ذلك، أي: كفرت بعقلائها لأنّ غير العقلاء لا يُنسب لهم الكفر، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف أي أصاب القرية كلها حتى حيواناتها.

٧ـ قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ﴾ ولم يقل: كفروا؛ لأنه لا يستطيع بعدها أنْ يقول فأذاقها، وإنما: فأذاقهم، وعند ذلك غير العقلاء ذاقوا الجوع والخوف، ولذلك فبقي الكلام مستمراً فقال: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي: ما كان يصنع العقلاء من سكان القرية. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ورد اجتماع (الجوع والخوف) معاً في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم و بصور مختلفة، فما هي؟

الجواب:

ورد اجتماع الجوع والخوف معاً في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي آيات[البقرة ١٥٥ـ النحل ١١٢ـ قريش ٤]

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٥.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين آية النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠] وآية النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢]؟

الجواب:

قراءة الآيتين يوضح الأمر: آية النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠].

وآية النحل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل:١١٢] فهذه قرية قديمة وبائدة كانت تفعل هذا فهو تاريخ فقال (كانوا).

أمّا آية النور فحالة مستمرة إلى قيام الساعة، وليست مثل تلك القرية القديمة التي كانت، ولا ينفع أنْ نقف على جزء من الآية وإنما نأخذها في سياقها، هل يتكلم عن أمر ماض أو مستقبل!. إذن﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ في الماضي، والثانية ﴿ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ في الحال.



﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال في آية البقرة ١٧٢: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ فأمر بالشكر لله، وقال في آية النحل١١٤ ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ فأمر بشكر النعمة؟

الجواب:

١ـ سياق آية البقرة هو الكلام عن الله تعالى: انظر الآيات[١٦٥ـ ١٧١] فناسب الأمر بشكر الله.

٢ـ وأمّا سياق آية النحل فهو في الكلام على النعم: انظر [الآية ١١٢] حيث ذكر فيها القرية التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، فناسب الأمر بشكر النعمة لئلا يصيبهم ما أصاب مَنْ قبلهم.

٣ـ إضافة إلى أنه وردت كلمة (النِعمة) في سورة البقرة ست مرات، بينما وردت في سورة النحل تسع مرات فناسب كل تعبير مكانه. والله أعلم.



﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بكون إبراهيم أمة في الآية ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾؟

الجواب:

الأمّة في اللغة لها أكثر من معنى، ومن معانيها الجماعة من الناس الذي هم على فكر واحد أو على اعتقاد واحد فيسمون أمة، ولذلك قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠] يعني بدخولكم هذا الدين تكونون من أمة الإسلام.

ومن معاني الأمة الرجل المتفرد في علمه، وفي خلقه، أو الرجل المُتّبَع. ومن معانيها الزمن. وكِلا هذين المعنيين يصلح على إبراهيم عليه السلام الرجل الذي لا نظير له

والإمام المتّبع. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ قال أبو عبيدة: كان أمة أي إماماً لقومه. وكان منفرداً عن سواه بالرسالة وبالنبوة، وهو لا نظير له بينهم.



﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين أنعُم ونِعَم؟

الجواب:

قال تعالى في سورة النحل: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل:١٢٠-١٢١] قال (شاكراً لأنعمه) وقال في سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠] فاستعمل (نِعمه) فهل هي نِعَم واحدة؟

(أنعم)جمع قِلّة على وزن أفعُل، (نِعم) جمع كثرة. ونعم الله تعالى لا تحصى ولا يمكن أن تُشكر ولا نستطيع شكرها، فالله تعالى مدح إبراهيم على أنه شكر الأنعم أي القليل من النِعم فمدحه على ذلك، لأنه لا يمكن لأحد أنْ يشكر نِعَم الله تعالى التي لا تُحصى فأثنى على إبراهيم لأنه كان شاكراً لأنعم الله تعالى. والله تعالى لم يسبغ علينا أنعماً ولكنه أسبغ نعماً ظاهرة وباطنة لا تُحصى. والإسباغ هو الإفاضة في ذكر النِعم. وتوجد نِعم

مستديمة منها ما نعلم ومالا نعلم، والله تعالى أفاض علينا بالنعم الكثيرة ولو شكرنا نشكر باللسان وهو بحد ذاته نعمة.



﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

لفظ يتكرر كثيراً ففي آية النحل ١٢٤ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل:١٢٤] وفي الأنعام ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤] مرة تأتي بإضافة (يحكم بينكم) ومرة (يعملون) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ﴾ [الزُّمَر:٧]؟ وما الفرق بين (الحكم والفصل) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ لم يقل مرة: (يحكم فيما كانوا يعملون) فقط ذكر الاختلاف فقال: (فيما كانوا فيه يختلفون) ولم يذكر شيئاً آخر ولم يقل: يعملون ولا يصدفون، وإنما قال: (يختلفون،) إذن الشق الأول من السؤال غير صحيح.

٢ـ نأتي للفرق بين الحكم والفصل:

الحكم هو القضاء والفصل أشد؛ لأنه يكون هناك بَوْن أحدهما، أي يكون بينهما فاصل حاجز.

إذن الفصل أشد. ولمّا يقول في القرآن (يفصل بينهم) تكون المسافة أبعد، كأنْ يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار، أمّا الحكم فلا، وقد يكون في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] هؤلاء كلاهما يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى وليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار فليس فيه فصل. ولذلك قال (يحكم).

ـ ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل:١٢٤] اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض. ولذلك قال (يحكم).

ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزُّمَر:٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة. ولذلك قال: (يحكم).

ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧] هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة فهم فئات مختلفة إذن يفصل. ولذلك قال (يفصل).

٣ـ الفصل يتضمن الحكم، فهو حكم وفصل فيكون أشد. ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٢٥﴾ [السجدة:٢٤-٢٥] قالوا: الفصل هنا بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن الفصل حكم لكن فيه بَوْن وكل جهة تذهب إلى مكان، لذا في قوله تعالى في سورة ص: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [ص:٢٢] فهذا حكم قضاء.



﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ و ﴿مَن يَضِلُّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١١٧﴾ [الأنعام:١١٧] سورة الأنعام والآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النحل:١٢٥] سورة النحل؟

الجواب:

﴿مَن﴾ استفهامية وهي من باب التعليق، والجملة في محل نصب مفعول به لفعل مقدّر.

﴿بِمَن﴾: موصولة ومعناها هو أعلم بالذي ضلّ عن سبيله.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في التعبير ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الوارد في الآيات[النحل ١٢٥ ـ النجم ٣٠ ـ القلم ٧ ـ الأنعام ١١٧]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١١٧.



﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في حذف نون ﴿تكُن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾؟

الجواب:

الحكم النحوي:

إذا جاءالفعل (كان) مجزوماً ويليه حرف متحرك وليس ساكناً على أنْ لا يكون ضميراً متصلاً يجوز فيه الحذف (يمكن القول: لم يكنْ ولم يك) فتحذف النون تخفيفاً.

إمّا إذا كان ما بعده ساكناً فلا يجوز الحذف (لم يكن الرجل) ولا يمكن القول: لم يك الرجل.

ولا يجوز الحذف أيضاً لو كان ضميراً متصلاً (لم يكن هو) ولا يجوز قول: لم يك هو.

إذن من حيث الحكم النحوي يجوز حذف النون.

أمّا السبب البياني:

في القرآن الكريم بشكل عام سواء في (يكن) أو في غيرها من الحذوف نحو: (تفرّق وتتفرق) (اسطاعوا واستطاعوا) (تنزّل وتتنزّل) يوجد حذوف كثيرة يجمعها أمران: هل هي في مقام إيجاز وتفصيل؟ أو هل الفعل مكتمل أو غير مكتمل؟ والجواب أنه إذا كان الشيء مكتملاً لا يُقتطع منه وإذا كان غير مكتمل يُقتطع منه. ويمكن توضيح الأمر من خلال الاطلاع على السؤال التالي.

السؤال الثاني:

حذف نون (تكن) في سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧] وأبقاها في سورة النمل ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل:٦٩-٧٠] فما السبب؟

الجواب:

١ـ آية سورة النحل نزلت على الرسول ﷺ بعدما مثّل المشركون بحمزة عمّ الرسول في غزوة أُحُد فحزن الرسول ﷺ عليه حزناً شديداً وقال: «**لأمثّلن بسبعين رجلاً من المشركين**» فنزلت الآية تطلب من الرسول ﷺ أنْ يعاقب بمثل ما عوقب به، وأراد أنْ يُذهب الحزن من قلبه ولا يبقى فيه من الحزن شيء، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ بمعنى: احذف الضيق من نفسك ولا تبق شيئاً منه أبداً أي: أنّ المطلوب ليس فقط عدم الحزن لكنْ مسحُ ونفيُ أي شيء من الحزن يمكن أنْ يكون في قلب الرسول ﷺ فحذفت النون من الفعل.

٢ـ أمّا في آية سورة النمل فالآيات في دعوة الناس للسير في الأرض والتفكّر والمقام ليس مقام تصبير، هنا فجاء الفعل مكتملاً ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾.

السؤال الثالث:

المطلوب شواهد قرآنية أخرى مع ﴿وَلَا تَكُن﴾ و ﴿وَلَا تَكُ﴾؟

الجواب:

في النهي عندما تقول: (لا تك) أي: تطلب منه النهي بقوة على أنْ لا يحصل من الفعل شيء، والقرأن لمّا يوغل في حصول النفي بحيث لم يحصل منه شيئاً يقول: ﴿تَكُ﴾.

* شواهد قرآنية:

١ـ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧] هذه الآية معروفة أنها نزلت بعد معركة أُحد عندما مرّ عليه السلام بحمزة وقال: «**والله لأمثلن بسبعين**» فأنزل الله تعالى الآية ﴿وَلَا تَكُ﴾ أي: امسح هذا الأمر من نفسك تماماً ولا تفكر به ولا تبق منه شيئاً، وهذا تهوين له بمعنى: احذف هذا الأمر من نفسك تماماً.

٢ـ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)﴾ [النمل:٦٩-٧٠] أنْ تمشي في الأرض ليس مثل استشهاد حمزة عم الرسول ﷺ فلا يكون النهي بتلك المنزلة، فهناك طلبَ أنْ لا يحصل لتهوين الأمر وتخفيفه عليه، حتى في النفي لمّا يوغل في حصول النفي بحيث لم يحصل منه شيئاً يقول: ﴿تَكُ﴾.

٣ـ قول مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)﴾ [مريم:٢٠] أي: لم يحصل شيء من هذا، والفعل لم يتم أصلاً، فنفي تماماً الأمر لأنه لم يحصل منه شيء لا مقدمات ولا معقبات ولا بوادر ولا شيء، والأمر برمّته منفي.

٤ـ مع زكريا قال: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾ [مريم:٤] ليست بمثل تلك، ونحن لا نعلم عندما كان يدعو هل كانت تأتي كلها مائة بالمائة أم يأتي قسم منها فهي ليست مثل تلك.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠]. أي ليس فيه أي ذرة من الشرك مطلقاً.

٦ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة:٣٧] هذا في طور التكوين ولم يكتمل الفعل، وإنما يحتاج ليلتقي بالبويضة ليصير مضغة، (لم يك) أي هو قسم فقط، لأنّ النطفة ماء الرجل فقط، لم يكتمل بعد ولا يكتمل إلا إذا التقى البويضة، إذا اكتمل الخلق اكتمل الفعل.

٧ـ ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان:١٦] في الأولى قال: ﴿تَكُ﴾ بحذف النون وأثبتها في الثانية ﴿فَتَكُن﴾، لأنّ الأولى لم يذكر لها مكان، بينما الثانية ذكر لها مكاناً واستقرّت فاستقرّت النون.

السؤال الرابع:

ما دلالة استخدام الصيغة الاسمية مرة والفعلية مرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾؟

الجواب:

١ـ ذُكرت في الآية صفتان: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]. ولو قال: (مع الذين اتقوا الذين هم محسنون) لدلت على أنهما صنف واحد.

٢ـ في الآية ١٢٦ جاء قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ أي: من عاقب بمثل ما عوقب به فقد اتقى، وقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ هذه أفضل من الأولى والصبر من الإحسان، والتقوى هي أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك. لذلك فالذين هم محسنون هم حالة أعلى من الذين اتقوا، فجاء بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت في صفة المحسنين.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ ما هي كلمات منظومة الحزن والضيق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يوسف ٨٦.



رابعاً ـ تناسب افتتاح النحل مع خاتمتها:

قال الله سبحانه في أول السورة:

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ [النحل:١-٢].

وقال في أواخرها:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا

يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨].

١ ـ فقوله سبحانه في بداية السورة: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١] يناسب قوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

ويناسب قوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] في أواخرها.

وقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١] يعني أنه يأمر بالصبر ويحث عليه.

فنهى عن الاستعجال في أول السورة، وطلب الصبر وأمر به في آخرها.

٢ ـ وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [النحل:١] في بداية السورة يناسب قوله في خواتيمها: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل:١٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

فجاء بضمير الفصل في قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

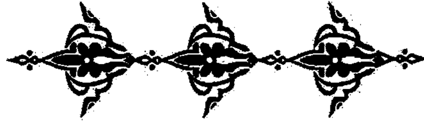
أي لا يشاركه في هذا العلم أحد، فهو وحده أعلم بذاك. فلِمَ الشرك إذن؟

٣ ـ قوله في أول السورة: ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل:٢]

يناسب قوله في خاتمتها: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] فقد علّمه كيف ينذر.

٤ ـ وقوله في أول السورة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل:٢] يناسب قوله في خاتمتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ فأمر بالتقوى في أول السورة. ثم ذكر ثمرة التقوى في آخر السورة بأنْ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾. فكأنه قال: اتقوا الله فإنّ الله مع المتقين.

فالمناسبة ظاهرة. والله أعلم.



سورة الإسراء

(سورة بني إسرائيل)

أولاً. تناسب خاتمة النحل مع بداية الإسراء:

١ ـ قال في خاتمة النحل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨].

وأعلى المعية أنْ يقربه منه فقال سبحانه في بداية الإسراء:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١].

مما يدل على أنه ﷺ أعلى الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨] يدل على أنه يسمعهم ويبصرهم فهو معهم. وذلك مناسب لقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١].

٢ ـ قال في خواتيم النحل:

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل:١٢٤].

وقال في بداية سورة الإسراء:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢].

فكلتا الآيتين في بني إسرائيل.

جاء في «البحر المحيط»: مناسبة أول هذه السورة ـ يعني الإسراء ـ لآخر ما قبلها: أنه تعالى لمّا أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأنْ يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته.

وقد أشار صاحب «البحر» في ذكر أمره بالصبر ونهيه عن الحزن إلى قوله سبحانه في آخر النحل: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل:١٢٧].

ثانياً ـ هدف السورة: قيمة القرآن:

سورة الإسراء من السور المكية التي تعنى بشؤون الدين والعقيدة والوحدانية، لكنْ تميزت هذه السورة بأنها تتكلم عن القرآن بشكل تفصيلي لم يرد في باقي سور القرآن، وقد تعرّضت السورة لمعجزة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهي لنبيه الكريم بعد ما لاقاه من أذى المشركين، وهي قصة إسراء النبي الكريم ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى حيث التقى بجميع الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم جميعاً وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام، وتقدم الرسول ﷺ فقال له جبريل: تقدم يامحمد فصلّ بالأنبياء إماماً. وهذه معجزة ليس لها مثيل في تاريخ البشرية ولم تأتِ مصادفة أو عبثاً، وإنما

هدفها كان تسليم الرسالة التي تناقلها الأنبياء من قبل إلى رسولنا ﷺ وأمته الذين سيحملون هذه الرسالة الخاتمة إلى يوم القيامة، فكأنّ تسمية السورة تفيد انتقال الكتاب من بني إسرائيل إلى أمة محمد ﷺ وكذلك فإنّ كل أنبياء بني إسرائيل صلّوا خلف الرسول ﷺ.

وهذه السورة هي أكثر سورة ورد فيها ذكر القرآن (١١ مرة). وكما سبق فإنّ هذه السورة ركّزت على قيمة القرآن وعظمته كما لم يرد في أي من سور القرآن الكريم، إذن قيمة القرآن هو محور السورة وقد جاء الحديث الشريف ليؤكد هذا المحور. قال الرسول ﷺ: «**ألا إنها ستكون فتنة**» فقال الإمام علي: فما المخرج منها؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يبلى من كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجنّ إذ سمعوه إلا أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم**».

والآيات في السورة تعرض المحاور التالية:

انتقال الكتاب إلى الأمة الجديدة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

انتقال الكتاب عبر الأمم: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٢ – ٣].

تفريط بني إسرائيل بالكتاب: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء:٤].

وصول القرآن إلى أمة محمد ﷺ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩].

قيمة الكتاب وأوامره: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣]. ... ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء:٣٨] الآيات من ٢٣ إلى ٣٨ ربع كامل تقريباً يتحدث عن هذه الأوامر التي هي أوامر الفطرة البشرية، مثل: بر الوالدين، إيتاء ذوي القربى واليتامى، عدم التبذير وعدم البخل، عدم قتل الأولاد، الابتعاد عن الزنى، عدم قتل النفس، عدم أكل أموال اليتامى، الوفاء بالعهود، القسط في الكيل والميزان، التواضع وعدم الخيلاء.

التعقيب: قيمة هذا الكتاب: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء:٣٩] و: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١].

قيمة القرآن: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥]، ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء:٥٨]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء:٦٠]، و: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء:٧٢].

حلاوة القرآن: هو الشفاء والرحمة ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء:٧٨-٧٩]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢].

عظمة القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء:٨٨-٨٩].

دور القرآن: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٥-١٠٦].

ختام السورة: أحباء القرآن: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٨-١٠٩].

وكأنّ السورة كلها تدعو لعدم التخلي عن القرآن كما فعلت الأمم السابقة لمّا تخلوا عن الكتاب استبدلهم الله بأمم أخرى تحافظ على الكتاب، وهذا القرآن هو الذي يخرج من الظلمات إلى النور وعلينا أن نتمسك به كما وصّانا ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وسنتي، والحرف فيه بحسنة، لا أقول: ألم حرف، وإنما أقول: ألف حرف، لام حرف وميم حرف**».

وهذه السورة تقع في وسط القرآن، وكأنما هي تذكير أنّ القرآن هو كتاب هذه الأمة التي جعلها تعالى أمة وسطاً، وآخر السورة فيها سجدة حتى نسجد ونستشعر قيمة هذا القرآن العظيم الذي كان الذين أوتوه من قبلنا إذا سمعوه يخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً، وفي هذا توجيه للمسلمين أن يحافظوا على هذا القرآن ويستشعروا عظمته ويحرصوا على تطبيق تعاليمه، حتى لا ينزع من هذه الأمة كما نزع ممن سبقها.

سورة الإسراء تحدثت عن القرآن، وتبدأ سورة الكهف مباشرة بعدها بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١] **فسبحان الله العلي القدير**.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

أسئلة عامة:

السؤال الأول:

لماذا جاء الخطاب في سورة الإسراء لـ (بني إسرائيل) وليس لليهود؟

الجواب:

لأن بني إسرائيل هم أبناء يعقوب(وهو إسرائيل) وهم المعنيّون بالأمر وليس اليهود عموماً هم المقصودون في الآية.

السؤال الثاني:

ذُكر أنّ الأنبياء لا يتكلمون اللغة العربية وفي رحلة الإسراء والمعراج قال الأنبياء للرسول ﷺ أهلاً بالأخ الصالح والنبي الصالح فما مفهوم ذلك؟

الجواب:

هذا خارج حياة الأرض في العالم الآخر عالم الغيب؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى طوى لحبيبه محمد ﷺ الزمان بحيث عرض عليه ما بعد قيام الساعة، وعرض عليه أناساً يعذبون وهو رآهم حقيقة وليس مجازاً، رأى الجنة وما فيها ورأى النار وما فيها وهذا شيء غيب خارج قوانين الأرض، ونحن عندنا إشارات أنّ كلام أهل الجنة وكلام الآخرة سيكون بالعربية، وأسماء الملائكة عربية ولمّا يتحدث القرآن عن النار خازنها مالك، ومالك اسم عربي، وخازن الجنة رضوان ورضوان اسم عربي، وأول ما يموت

الإنسان اللذان يوقظانه ويحاسبانه منكر ونكير أسماؤهم عربية، وهذه مؤشرات وعندنا حديث ربما كان ضعيفاً: «**أُحبّ العرب لثلاث لأني عربي، وكلام أهل الجنة عربي، والمسلمون يحبون العرب**» والحديث الضعيف غير الموضوع يؤخذ منه لأنه لمّا يكون الحديث ضعيفاً أي: هناك احتمال خمسين في المئة أنْ يكون الرسول ﷺ قاله، أمّا الموضوع فهو كذب، الضعيف عليه إشكال ومعناه صحيح لأنّ الرسول ﷺ عربي والمسلمون يحبون العرب، وكان العربي قديماً إذا ذهب إلى باكستان وتركيا يتمسحون به ويتبركون به.

لمسات بيانية في الإسراء والمعراج:

جاء ذكر حادثة الإسراء صريحاً في الآية الأولى من سورة الإسراء، أمّا المعراج فجاء ذكر أحداثه في سورة النجم في آيات متتالية من الآية[١ إلى الآية ١٨].

الإسراء:



﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

حُفّت السورة كلها بالتسبيح والتحميد قبلها وبعدها، ولعلّ في هذا إشارة إلى أنه عليه السلام سينُقل إلى مكان وعالَم كله تسبيح، وآياتها حُفّت بالتسبيح والتحميد في بدايتها بالآية ١ وفي آخرها قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن

لَهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١١] وقد سُبقت السورة بالمعيّة في أواخر سورة النحل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨] ومن أعلى أنواع المعيّة أنْ يُعرج به ﷺ إلى حيث من يُحبه بعدما لاقى من الأذى ما لاقاه من قومه وهذه أعلى معيّة للرسول ﷺ وكأنه هو أعلى من الذين اتقوا والذين هم محسنون.

السؤال الأول:

ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب:

١ـ التسبيح: هو التنزيه عما لا يليق، وأصل التسبيح هو التنزيه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي: نزّهه هؤلاء كلهم بما نفقه وبما لا نفقه من تسبيحهم، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] الطير تسبّح والأشجار تسبّح وكل شيء يسبح ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥] ولا نفقه تسبيحها.

و التسبيح ورد في صور شتّى: ورد التسبيح بالفعل الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ وورد بالفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ وورد بفعل الأمر ﴿فَسَبِّحۡ﴾ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ وورد باسم المصدر ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] كل هذا ورد فيه، لماذا؟

٢ـ ﴿سَبَّحَ﴾ للزمن الماضي و ﴿سَبِّحِ﴾: للأمر وهو يدل على أنْ تبدأ به وتستمر، (يسبح) مضارع للحال والاستقبال، حتى أن بعض النحاة قالوا هو للاستقبال أولاً ثم للحال، ونلاحظ أنّ الفعل مرتبط بزمن وبفاعل حتى يكون فعلاً.

٣ـ ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ اسم مصدر، واسم المصدر قريب من المصدر، (سبحان) معناه علمٌ على التنزيه، والمصدر هو الحدث المجرّد الذي ليس له زمن ولا فاعل، إذن صار التنزيه استغراق الزمن الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ والحال والمستقبل ﴿يُسَبِّحُ﴾ والأمر بالتسبيح ومداومته ﴿سَبَّحَ﴾ و﴿سُبۡحَٰنَ﴾ التسبيح وإن لم يكن هناك من لم يسبح في السموات والأرض قبل الزمان وبعد الزمان إنْ كان أحد أو لم يكن فهو يستحق التنزيه سبحانه، سواء كان هناك من يسبح بفاعل أو بدون فاعل، فاستغرق جميع الأزمنة وقبل الأزمنة وبعد الأزمنة واستغرق الخلق وما قبل الخلق وما بعد الخلق.

٤ـ ورد التسبيح في القرآن ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى:١] فذكر الاسم، و﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤٢] لم يذكر الاسم وذكر المفعول به مباشرة، ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى:١] و(سبّح باسمه) متعد بالباء، أي متعد بنفسه، وورد ت التعدية بالاسم وبالحمد ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾.

٥ـ ﴿سَبِّحِ﴾ هو في الأصل فعل متعد، والفعل اللازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يأخذ مفعول به مثل: ذهب ومشى ونام، وأمّا الفعل المتعدي فيتعدى إلى مفعول به مثل: أعطى، وأحياناً يستعمل المتعدي كاللازم بحسب الحاجة مثلاً يكون متعدياً إلى مفعولين فيذكر مفعولاً واحداً مثلاً ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضُّحى:٥] ماذا يعطيك؟ أطلق العطاء ولم يقيّده بأمر معيّن.

٦ـ وقالوا يستعمل استعمال اللازم كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩] وأحياناً أخرى لا يذكر المفعول به أصلاً كما في الآية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس:٦٧] مع أنّ الفعل (سمع) متعد، وكذلك في الآية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢] الفعل (علم) تأخذ مفعولين ما ذكرهما لأنه أراد الفعل بالذات ولم يُرِد المتعلق.

٧ـ قد نستعمل المتعدي كاللازم عندما نريد الفعل وليس مرتبطاً بالمفعول به، كما تقول مثلاً: فلان يعطي ويمنع، ماذا يعطي؟ وماذا يمنع؟ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] هو يسمع ويرى ولا يقيّد بشيء معين.

السؤال الثاني:

ما دلاله وصف الرسول ﷺ بالعبد في قوله تعالى ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾؟

الجواب:

١ـ الإنسان لمّا يقول عن نفسه: أنا عبد الله فهذا تواضع، والله تعالى لمّا يقولها عن عبد يكون تكريماً.

٢ـ وفي قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ تكريمان:

آ ـ الأول إختيار كلمة ﴿عَبْدٌ﴾ لأنّ الله تعالى في القرآن الكريم لمّا يذكر ﴿عَبْدٌ﴾ يذكره في مقام التكريم، والعبودية نوعان في القرآن الكريم: العبودية الاختيارية والعبودية

القسرية، فالعبودية الاختيارية هي أنّ الإنسان يختار أنْ يكون عبداً لله مطيعاً له وبهذا يتفاضل المؤمنون.

ففي مقام مدح نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء:٣] فأثنى على نوح بوصفه بالعبودية، وقال تعالى أيضاً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن:١٩] فوصفه بالعبودية.

أمّا العبودية القسرية فليس فيها فضل؛ لأنه رغماً عن الإنسان ونحن كلنا عباد الله شئنا أم أبينا ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٩٣] فهذه عبادة قسرية رغماً عنا، فالله تعالى يرزقنا ويختار لنا المكان الذي نولد فيه، ويختارلنا الأبوين ويعطينا إمكانيات ونعيش في السنن التي وضعها لا نتجاوزها، وهذه عبادة قسرية شئنا أم أبينا ليس فيها فضل وكل الناس هكذا. وأمّا قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان:١٧] فهذه عبودية قسرية.

وقمة العبودية هي العبودية الاختيارية وحتى الأنبياء يتفاضلون في عبوديتهم لله سبحانه وتعالى ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص:٣٠] فكلمة (عبد) وسام للشخص من الله تعالى.

ب ـ أضافها إلى ضميره ﴿عَبْدَهُۥ﴾ نسبه إليه، إذن فيها تكريمان لأنه لمّا ينتسب العبد إلى الله تعالى يكون في حمايته.

٣ـ ولذلك يقولون أنه لمّا قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] فلمّا ذكر كلمة (عبد) عرج به إلى السموات العلى وإلى سدرة المنتهى ،ولمّا ذكر موسى بإسمه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] إذن وكأنّ مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

٤ـ كلمة عبد في اللغة تعني إنساناً سواء كان مملوكاً أو حُرّاً، فلمّا يقول في القرآن: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] ما قال: بشراً أو إنساناً؛ لأنه يريد أنْ يربطه بالعبودية لله تعالى وهي أسمى المراتب للبشر،ففي أروع المواطن سمّاه عبداً، وكلمة (عبد) لها أكثر من عشرين جمعاً ونظمها أكثر من واحد.

السؤال الثالث:

ما دلالة المجيء باسم المصدر في قوله تعالى في الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾؟

الجواب:

١ـ المجيء بالمصدر يفيد الإطلاق بدون تقيّد بزمن أو بفعل أو بفاعل تسبيح مطلق قبل تسبيح أحد لا بفاعل معين ولا بزمن معين قبل خَلق المسبّحين أصلاً، والافتتاح بـ(سبحان) طبع السورة بجو التسبيح وشاع فيه ذكر التسبيح ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء:٤٣] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الإسراء:٤٤] ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] وهي أوسع وأشمل توسيع على الإطلاق.

٢ـ الفعل عادة مقيّد بزمن ومقيّد بفاعل، وعندما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ كان مطلقاً قبل وبعد تسبيح المسبّحين لا بفاعل معين وزمن معيّن، إنما له التسبيح المطلق قبل أنْ يخلق المسبحين أصلاً.

٣ـ والإطلاق في التسبيح في السورة متناسب جداً مع ما جاء في أول السورة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ﴾ وهو التسبيح المطلق.

وليس هناك في القرآن كله سورة شاع فيها التسبيح كما شاع في سورة الإسراء، ولا توجد سورة تضاهيها في التسبيح، ولعلها إشارة إلى أنّ الرسول ﷺ سينتقل إلى عالم وجو مليء بالتسبيح ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠] فالسورة إذن مشحونة بالتسبيح، وأسرى تفيد المشي ليلاً، وقد يكون من معانيها التسرية عن الرسول ﷺ بعدما لاقاه في عام الحزن وما حصل له في الطائف، فأراد الله تعالى أنْ يُسرّي عن رسوله ويريه كيف تكون حفاوته في السماء بعد أنْ هان على الكفّار في قريش والطائف فآذوه ولم ينصروه هذا، والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما هو (اسم المصدر) لغة؟

الجواب:

ذهب النحاة إلى أنّ اسم المصدر هو ما ساوى المصدر في الدلالة على الحدث وخالفه بخُلُوِّه من بعض حروف فعله لفظاً وتقديراً دون تعويض، نحو: عطاء وثواب وسلام

وكلام، فالعطاء معناه الإعطاء، والعذاب معناه التعذيب، والقبلة معناها التقبيل، وهو لا يعمل عند البصريين لأنّ أصل وضعه لغير المصدر بل للاسم، وقد أخذ بهذا الرأي النحاة المتأخرون.

السؤال الخامس:

السُرى هو السفر ليلاً فما دلالة ذكر ﴿لَيْلًا﴾ في آية الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]؟

الجواب:

١ـ هناك ظرف مؤكد وظرف مؤسس. الظرف المؤسس يعطيك معلومة جديدة لم تستفدها من الجملة السابقة للظرف، كأنْ تقول: سافرت يوم الجمعة، (يوم الجمعة) لم تستفدها إلا بعد أنْ ذكرت الظرف.

٢ـ قوله تعالى في الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ ليلاً: ظرف مؤكد؛ لأنّ الإسراء لا يكون إلا بالليل، والتوكيد في الظروف وغير الظروف أسلوب عربي وجائز.

ففي الصفات كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة:١٣] هي نفخة واحدة، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل:٥١] الإلهين يعني اثنين. إذن عندنا تأسيس وتأكيد في الحال والصفات والظروف، إذن ليلاً هو ظرف مؤكد، وهذا أمر أول.

٣ـ والأمر الآخر أنّ كلمة (ليلاً) أفادت معنى آخر غير كونها ظرف مؤكد، وهو أنّ الإسراء تم في جزء من الليل، ولمّا تقول سافرت ليلاً، أي: سافرت في هذا الوقت، ولا يعني أنك قضيت الليل كله، لكن لمّا تقول: سافرت الليل، أي: قضيت كل الليل سفراً، وعندما تأتي بالألف واللام سافرت الليل أو الليل والنهار أو مشيت الليل والنهار أي: كله؛ لأنّ هذا جواب (كم)؟

ولمّا تقول: سافرت ليلاً، فهو توقيت وجواب عن متى؟ قد تكون سافرت في جزء منه، أمّا لمّا تقول: سافرت الليل، تكون قد استغرقته كله كما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠] فهذا يستغرق استغراقاً لا يفترون.

٤ـ ﴿لَيۡلٗا﴾ أفاد أنّ هذه الحادثة كلها والإسراء تم في جزء من الليل، وهذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى أنْ تستغرق الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى التي تستغرق شهوراً والمعراج وما فيه كل هذا في جزء من الليل.

٥ـ إذن كلمة (ليلاً) أفادت معنيين: الأول: أنها ظرف مؤكد للإسراء، والأمر الآخر أنّ هذه الحادثة استغرقت جزءاً من الليل.

٦ـ ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ كم استغرق؟ لا نعلم. كلمة أسرى وحدها لا تدل على جزء محدد من الليل، الإسراء هو المشي بالليل فقط ولو لم يقل: ليلاً، لما دلّ على أنّ هذا تم في جزء من الليل، فكلمة (ليلاً) إذن أفادت أمرين الظرف المؤكد وأنّ هذه الحادثة لم تستغرق إلا جزءاً من الليل.

السؤال السادس:

ألا يقتضي المنطق أنّ الظرف يأتي بعد (من: إلى)؟ ألا يعني أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً؟

الجواب:

العامل هو أصلاً متقدم ﴿أَسْرَىٰ﴾ و(بعبده وليلاً) متعلقة بهذا العامل وهي معمولات لهذا العامل، ويبقى الترتيب لما هو أهمّ: بدأ بالزمان ﴿لَيْلًا﴾ ثم المكان ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ولمّا حصلت في جزء من الليل، وهذا أمر مستغرب أنه من هذا المكان إلى ذلك المكان أنْ يكون في جزء من الليل، وليس مستغرباً أن تذهب من هذا المكان إلى ذلك المكان، لكنّ المستغرب والمستبعد أن يتم ذلك في جزء من الليل.

لذلك هم قالوا: نضرب إليها أكباد الإبل ستة أشهر ذهاباً ومجيئاً، هم لم يستغربوا من الذهاب والإياب لأنهم يذهبون ويؤبون، ولكن استغربوا من الاستغراق للوقت فقط، ولو لم يقل: ليلاً، لما فهمنا أنه تم في جزء من الليل.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي من عين المكان ويكفي تسمية المسجد الحرام: يعني أنْ لا يحدث فيه سوء، وأكثر العلماء يقولون: إنّ الإسراء لم يتم من المسجد الحرام وإنما من بيت أم هانئ، وفي هذا التفاتة إلى أنّ مكة كلها حرم.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ لم يكن آنذاك مسجداً، لكن هذا إشارة إلى أنه سيكون مسجداً.

السؤال الثامن:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: أسند تعالى المباركة لنفسه للدلالة على التعظيم، ولم يقل: (بورك حوله) والنون للعظمة، ولم يقل: باركناه، بل قال: باركنا حوله؛ لأنه لو قال: (باركناه) لانحصرت المباركة بالمسجد فقط، أمّا باركنا حوله: فهو يشمل كل ما حوله وهو تعظيم للمسجد نفسه ولكنه إشارة أنّ المباركة حول المسجد أيضاً، ولم يقل: (باركنا ما حوله) لأنها عندئذ تعني الأشياء فإذا زادت الأشياء زادت المباركة، وإذا ذهبت ذهبت المباركة، لكنّ المباركة كانت مطلقة تشمل أشياء معنوية وماديّة وروحانية بما أودع الله تعالى من رزق وخير وإرسال الرسل، ولا تختص المباركة بشيء معين واحد وإنما تشمل كل هذه الأشياء.

٢ـ كما أطلق المباركة لتشمل الأشياء المعنوية والمادية والروحانية.

ومن مظاهر البركة في الأرض المقدسة:

آ ـ البركة في موقعها الجغرافي الإستراتيجي.

ب ـ البركة في مناخها المعتدل وتربتها الخصبة.

ج ـ البركة التاريخية باعتبار أثرها على حركة التاريخ قديماً وحديثاً وفي المستقبل.

د ـ البركة الإيمانية باعتبارها أرض النبوات ومهد الرسالات.

هـ ـ البركة الإسلامية باعتبارها أرض الإسلام منذ الإسراء والمعراج والفتح الإسلامي وكونها أرض الجهاد والرباط والاستشهاد حتى قيام الساعة.

السؤال التاسع:

هل نقول المعراج أو العروج؟

الجواب:

المعراج هو الآلة والعروج هو المصدر، هو الحدث، نقول: الإسراء والمعراج.

السؤال العاشر:

ما دلالة كلمة ﴿لَيْلًا﴾؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ والتوكيد باب كبير في اللغة وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد، فمثلاً التوكيد بالجار

والمجرور كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام:٣٨] والمعلوم أنّ الطائر يطير بجناحيه، ومع هذا جاءت كلمة بجناحيه للتوكيد، والظرف المؤكّد كما في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ الإسراء يكون ليلاً.

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة كلمة ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ في سورة الإسراء؟

الجواب:

١ـ قد يحتمل المعنى أنّ الرسول ﷺ أُعطي الرؤية الإلهية وتعطلت الرؤية البشرية، أو ربما يكون سبحانه وتعالى قد أعطاه رؤية قوية أكثر من قدرة البشر، بدليل أنه رأى القافلة ورأى موسى وهو يصلي في قبره ورأى جبريل عليه السلام.

٢ـ ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾: في ذلك التفات لأسلوب المتكلم بعد أنْ ابتدأ بالغائب ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ ثم التفت سبحانه للمتكلم ليدلّ على أنّ المتكلّم هو الله تعالى وليس شخصاً يُخبر عنه، إنما كان من الله تعالى مباشرة، وكلمة ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ تدلّ على أنّ أفعاله سبحانه معلّلة ولغرض معيّن ولحكمة قد يذكرها وقد يخفيها عنّا سبحانه وكأنّ هذه الرحلة معدّ لها. والله أعلم.

السؤال الثاني عشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾؟

الجواب:

أي: مقرر ومُعدّ أنْ يرى بعض الآيات وليس كلها، ولنريه: إسناد الفعل لله تعالى وشدة احتفائه برسوله ﷺ.

ولم يقل: ليرى أو ليُرى، إنما جاءت ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ وهذا إكرام وتشريف آخر من الله تعالى لرسوله ﷺ في هذه الرحلة، وإضافة الآيات إلى نفسه تعالى تأتي من باب الإحتفاء بالرسول ﷺ.

السؤال الثالث عشر:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؟

الجواب:

في الآية عودة إلى الإفراد والوحدانية، وضمير التعظيم يأتي بعد أو قبل ضمير الوحدة في القرآن الكريم، وهذا حتى لا يلتبس على السامع ويُشرك مع الله أحداً، والأمثلة على ذاك كثيرة في القرآن الكريم تماما كما في سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:١-٢]

(إنّا) تفيد التعظيم، والكاف تفيد الوحدانية؛ لأنّ الربّ واحد لا شريك له، وهي تدل على أنه سبحانه في الحقيقة هو المتفرّد بهذه الصفات، ولقصر الصفات له سبحانه جاء بالضمير ﴿هُوَ﴾.

السؤال الرابع عشر:

لماذا خُتمت الآية بـ ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾؟ ما دلالة السمع والبصر هنا؟

الجواب:

١ـ سياق الآيات تقتضي ذكر قدرة الله تعالى، والحقيقة أنه لو قال: إنه هو القدير أو إنه على كل شيء قدير لا يزيد شيئاً على معنى الآية؛ لأنّ ما في الآيات إثبات لقدرة الله تعالى، والرسول ﷺ أُسري به ليسمع ويرى أشياء لم يسمعها ولم يرها من قبل، لذلك ناسب سياق الآيات أنه ما يراه الرسول ﷺ يراه ربّه وما يسمعه يسمعه ربّه لذلك إنه هو السميع البصير.

٢ـ فلماذا لم تأت الآيات (السميع العليم) مثلاً كما وردت في آيات أخرى في القرآن؟ الذي يسمع ويرى هو عليم، ولكن إذا قيل: عليم قد يكون غائب عنك، فالعليم ليس فيه حضور، أمّا (السميع البصير) ففيه حضور، ولقد وردت (السميع العليم) في آيات أخرى لأنّ المقام في تلك الآيات اقتضى ذلك كما في الآية: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠٠] وعندما ذكر نزغات الشيطان، والشيطان لا يُرى ووساوسه لا تُرى كذلك، لذلك جاءت الآية ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ أمّا عند ذكر البشر في آية أخرى تأتي ختام الآية بـ ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر:٥٦].

السؤال الخامس عشر:

لماذا قدّم السمع على البصر؟

الجواب:

١. لأنّ من يسمعك أقرب ممن يراك، فالشخص الذي تسمعه أنت أقرب إليك من الذي تراه، وهذا يُشعر بالطمأنينة والأمن والقرب.

٢. السمع هو أهمّ من البصر في مجال الدعوة وفاقد البصر يمكن أنْ يبلّغ في مجال الدعوة، أمّا فاقد السمع فيصعب تبليغه.

٣. الإسراء في الليل، والليل آيته السمع، وفي القرآن عندما يأتي ذكر الليل تأتي الآيات بـ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وعند ذكر النهار تأتي ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ فكلّ آية تناسب وقتها فالليل للسمع والنهار للإبصار.

٤. قُدّم السمع على البصر في القرآن إلا في مواطن قليلة: منها في سورة الكهف ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ لأنّ السياق يقتضي ذلك، فقد خرج أهل الكهف فارّين حتى لا يراهم أحد، لكنّ الله تعالى يراهم في ظلمة الكهف وفي تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وكذلك في سورة السجدة ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة:١٢] قدّم البصر هنا لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا ويكذبون في الآخرة وأبصروا العذاب والحقيقة، وقولهم يعني أنهم موقنون واليقين لا يتأتى إلا بالإبصار وليس بالسمع ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ لأنهم رأوا العذاب عين اليقين.

السؤال السادس عشر:

ما هي أهم الدروس واللفتات في سورة الإسراء؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿سَمِيعٌ﴾ ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ في القرآن الكريم ٤٦ مرة.

٢ ـ ووردت كلمة ﴿بَصِيرٌ﴾ ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ في القرآن الكريم ٤٦ مرة.

٣ ـ وردت صفات الحياة والقدرة والسمع والبصر في هذه الآية ثم ذُكر الكمال في هذه الصفات بكلمة ﴿سُبْحَٰنَ﴾ فالفرد قد يكون سميعاً وبصيراً وذا قدرة ولكن قد يكون أحمقاً، أما كلمة (سبحانك) فجاءت نفياً وتنزيهاً لله تعالى عمّا يصفه أهل الجاهلية.

٤ ـ بدأت السورة بالتسبيح ﴿سُبْحَٰنَ﴾ وختمت بالتحميد ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمداً لله على نعمة الإسراء، وبعد هذا تبدأ سورة الكهف استجابة لهذا القول فافتتحت بالحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف:١] وفي الآية الرابعة ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف:٤] تأكيد على آخر سورة الإسراء أنه سبحانه ليس له شريك في الملك.

٥ـ بدأت الآية بالزمان ﴿لَيْلًا﴾ ثم المكان ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾.

وكان المستغرب أنْ يتم هذا بجزء من الليل، لذلك قالت قريش: نضرب إليها أكباد الإبل ستة أشهر ذهاباً ومجيئاً، فاستغرابهم ليس من السفر وإنما للوقت فقط.

والله أعلم.

السؤال السابع عشر:

ما موقع حادثة الإسراء بدورة الفلك؟ وعلاقتها بدورة الشمس والقمر؟

الجواب:

١ـ من المعلوم أن عدد أيام السنة الشمسية هو ٣٦٥.٢٤٢٢ يوماً، وأنّ عدد أيام السنة القمرية هو ٣٥٤.٣٦٧ يوماً وبالتالي فالفرق بينهما هو ١٠.٨٧٥٢ يوماً

٢ـ الآن نقول: ٣٦٥.٢٤٢٢ ÷ ١٠.٨٧٥٢ = ٣٣.٥٨٤٨٧٢ سنة.

أي أنه كل (٣٣.٥٨) سنة تكتمل دورة واحدة في العلاقة بين السنة الشمسية والقمرية.

٣ـ الدورة ١٩ من العلاقة بين السنة الشمسية والقمرية:

بداية الدورة ١٩ هو: ٣٣.٥٨×١٨ = ٦٠٤.٤٤ وبالتقريب ٦٠٤.

نهاية الدورة١٩ هو: ٣٣.٥٨×١٩ = ٦٣٨.١ وبالتقريب ٦٣٨.

ويكون منتصف الدورة ١٩ هو ٦٢١ لأن: (٦٠٤+٦٣٨=١٢٤٢÷٢=٦٢١) وهو عام الإسراء.

بعد ست سنوات من بداية الدورة يكون العام ٦١٠ وهو عام بعثة الرسول ﷺ

وقبل ست سنوات من نهاية الدورة يكون العام ٦٣٢ وهو عام وفاة الرسول ﷺ، ولننظر إلى الجدول التالي الذي يلخص تفاصيل الدورة ١٩ للعلاقة بين الشمس والقمر:

تفاصيل الدورة ١٩					
السنة	٦٠٤	٦١٠	٦٢١	٦٣٢	٦٣٨
البيان	بداية الدورة	البعثة النبويـــة	حادثة الإسراء	وفاة الرسول عليه السلام	نهاية الدورة

لذلك نستنتج أنّ بعثة النبي ﷺ كانت ضمن الدورة ١٩ للعلاقة بين الشمس والقمر، وكانت فيها وفاته بعد ٢٣ سنة من البعثة النبوية.

وأنّ حادثة الإسراء كانت تقريباً في منتصف الدورة ١٩ ومنتصف فترة البعثة النبوية الشريفة.

٤ـ للعلم فإن العدد ١٩ هو عدد أحرف البسملة وهي أول آية في سورة الفاتحة أي في أول القرآن الكريم.



﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾

السؤال الأول:

هل يقترن الصبّار مع الشكور دائماً؟

الجواب:

١ـ (الصبّار) لم يرد في القرآن كله إلا مع (الشكور)، بينما (الشكور) قد تأتي منفردة ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء:٣] ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر:٣٤].

٢ـ الشكور تأتي منفردة وغير منفردة، وأما الصبّار فلم تأت في جميع القرآن وحدها وإنما مقترنة بالشكور.

٣ـ إذا لم يذكر القرآن تهديداً ذكر الشكر وحده، وإذا ذكر التهديد قرن صبّار مع شكور في جميع القرآن وقدّم صبار على شكور.

* شواهد قرآنية:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ إبراهيم: ٥.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ سبأ: ١٩.



﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟ وهل تشمل النصارى واليهود؟

الجواب:

القرآن الكريم لم يُشِر فيما يتعلق بالنصارى أنهم يوقدون نار الحرب ويسعون في الأرض فساداً، وإنما أشار إلى خلاف فيما بينهم يؤدي إلى أذى شديد يؤذي بعضهم بعضاً وهذا الذي وقع في التاريخ.

ولو فتشت عمن وراء جيوش دول ليست يهودية تعتدي على دول إسلامية وتحدث حروباً فستجد هؤلاء اليهود وراءهم على وجه اليقين، وكلما حدثت مشكلات وتبحث فيها البحث العلمي الدقيق تجد هؤلاء وراءها وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ لكنْ نحن نأمل بإذن الله تعالى أنه يأتيهم من جاءهم في الماضي ويتبّر ما علوا تتبيراً ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين القضاء والحكم؟

الجواب:

١ـ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك قضاه إذا أتمه وقطع عمله.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي: فصّل الحُكم به.

ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: فصّلنا الإعلام به.

ـ ﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: فصّلنا أمر موته.

ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:١٢] أي: فصّل الأمر به.

٢ـ وقولك: قضى إليه أي أعلمه وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحِجر:٦٦] أي: أعلمناه.

٣ـ الحُكم: يقتضي المنع عن الخصومة من قولك: أحكمته إذا منعته، ويجوز أنْ يقال: الحُكم فصّل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع.

ويستعمل الحُكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء كقولك: حُكم هذا كحُكم هذا، أي: هما متشابهان في السبب أو العلة.

وأحكام الأشياء تنقسم إلى قسمين: حُكم يُردّ إلى أصل، وحُكم لا يُردّ إلى أصل لأنه أول في بابه.

لمزيد من المعلومات انظر آية الأنعام ٢.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾؟

الجواب:

قصّ علينا القرآن الكريم من قصص الأقوام السابقة من انتهى أمرهم كقوم ثمود وعاد وقصص إبراهيم ولوط وشعيب ويحيى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

﴿١﴾ [الإسراء:١] ولا تجد مثل هذه الفاصلة في جميع السورة وإنما كلها مدّ، فالمعنى هو الأول لكنْ قد يأتي مع تمام المعنى ما يناسب الفاصلة.

٢ـ في آية الحديد قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بصيغة الفعل، أمّا في الإسراء فقال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالاسم، ومعلوم كما هو مقرر في البلاغة وفي اللغة أنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم أقوى من الفعل، وهناك فرق بين أنْ تقول: هو متعلم أو هو يتعلم، وهو يتثقف وهو مثقف، هو يتفقه وهو فقيه، هو حافظ أو هو يحفظ.

ومن الثوابت في اللغة أنّ الاسم يدل على الثبوت حتى لو لم يقع، كما أنه في البلاغة عموماً عندما يذكر أنّ هذا أمر ثابت تذكره بالصيغة الاسمية ولو قبل أنْ يقع، تسأل مثلاً هل سينجح فلان؟ فتقول: هو ناجح قبل أنْ يُمتحن، لأنك واثق أنه ناجح، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود:٣٧] لم يقل (سأغرقهم). وهذا في التعبير أقوى دلالة من الفعل. فإذن في سورة الحديد قال: ﴿ءَامَنُوا﴾ وفي الإسراء قال: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣ـ الإيمان في سورة الحديد خصّصه الله تعالى بالله ورسوله ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إذن الإيمان مخصّص، أما في الإسراء أطلقها ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يخصّص الإيمان بشيء، بل جعله عاماً في كل متطلبات الإيمان وليس مختصاً بالله ورسوله، فالإيمان أنْ تؤمن بالله

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام اسم الإشارة في الآية ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] و الآية ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ختام الآيتين في قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد:٧] وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء:٩] بالتأكيد فما دلالة هذا التأكيد؟

الجواب:

١ـ بشكل عام المعنى هو السيد وليست الفاصلة، وقد يأتي بسورة كاملة ثم يأتي بآية لا توافقها أي آية بالفاصلة، ففي بداية سورة الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

غير أنّ قصص بني إسرائيل وحدهم ودون غيرهم من الأمم يستمر الحديث عنهم في كل موضع ويصف القرآن أخبارهم قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها !!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل:٧٦]

وهذا يعني أنّ بني إسرائيل حقيقة واقعة بعد نزول القرآن، وتبين آية الإسراء أنّ بني إسرائيل سيعلَون في الأرض ويفسدون فيها ولكنهم في النهاية سيُغلبون ويسامون سوء العذاب.

وإنّ دلالة اللغة لتؤكد أنّ الإفساد الثاني لبني إسرائيل هو الذي نعيش فيه الآن، فهم مسيطرون الآن على قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وصندوق النقد الدولي، وهم وراء الغزو الفكري في سياسات التعليم وهم الذين يشعلون الحروب في كل مكان وهم وراء كل فساد في الأرض.

لذلك ليس من المعقول أنْ يكون الإفساد الأول والثاني قد حدثا قبل البعثة كما يرى بعض المفسرين، وذلك لعدة أسباب:

ـ أنّ بني إسرائيل هم الأمة الوحيدة التي ذكر القرآن أخبارها قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها.

ـ أنّ كلمات آية الإسراء تدل على الاستقبال ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ إضافة إلى الآية ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة الإسراء عبّر عن الوعدين بفعل جاء ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ﴾ [الإسراء:٥] و ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء:٧] مع أنّ وعد أولاهما جاء، ووعد الآخرة لم يأت بعد؟

الجواب:

من يقول أنّ الأول جاء بالماضي والآخر بالمستقبل؟

١ـ نبدأ الآية من أولها: قال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ أي ربنا تعالى هكذا قدّر وهكذا قضى وقرّر، إذن هذه الأمور كلها بعد القضاء والتقدير.

وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين هذا كله مستقبل، يتكلم عن أمر سيقع في المستقبل.

٢ـ ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾ نون التوكيد تحوّل المضارع إلى استقبال، تخصصه للاستقبال، القضاء هو ماض وقدّر الله تعالى في الأزل في علمه أنْ سيكون ذلك، ماذا قدّر؟ قدّر أنّ بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين.

٣ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ إذن هذا المجيء مستقبل بالنسبة للقضاء، والتقدير الذي كتبه ربنا سبحانه وتعالى هو ماضٍ، وهذه الأمور ستقع تحقيقاً لما قضى ربنا.

فإذن (قضينا) أي الذي قدّره ربنا تعالى وحكمه وقرّره، ثم تأتي الأمور مستقبلية تصدق ما قضى به ربنا، فلمّا قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ كلها مستقبل بالنسبة للقضاء والتقدير فإذن ليس هنالك إشكال.

إذن ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ من الناحية اللغوية أنّ هذا مستقبل لما قدّر ربنا، وقد يكون حصل أو لم يحصل بعد، هذا أمر آخر، لكنّ كلاهما مستقبل لما قدّره ربنا سبحانه وتعالى.

٤ـ أنه يأتي بعد ﴿ فَإِذَا﴾ فعل ماضٍ ومستقبل. صحيح أنّ (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان وقد تكون للماضي كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ [يونس:٩٠] فهذا ماضٍ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ [الكهف:٩٠] وهذا ماضٍ، وكذلك ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ [الجمعة:١١] نزلت هذه الآية بعد الحادثة.

٥ـ النُحاة يقولون أنّ الشرط هو مستقبل لا ينصرف إلى الماضي، وتأتي بالفعل الماضي لكن يُراد به الاستقبال، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨] هذا للمستقبل، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر:١-٢-٣].

وجواب الشرط عند النحاة أنّ الشرط استقبال، والماضي في الشروط هو مستقبل، هذا في الغالب وهو صحيح ولكنه ليس قاعدة عامة، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ [هود:٣٥] وهو ما افتراه، فليس بالضرورة أنْ يكون الشرط للمستقبل، وهذا موجود في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف:٢٦]. فهذا شرط متعلق بماض.

وفي الشعر العربي لا يوجد ما يخالف ما قاله النُّحاة، كما في قول الشاعر وهو يرثي أبناءه، وهو على قبرهم فيقول:

فإنْ يهلك بنيّ فليس شيء ... على حال من الدنيا يدوم

لكنّ الأكثر كما يقول النحاة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (العباد والعبيد) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ إنّ كلمة (عباد) و (عبيد) كلاهما جمع ومفردهما واحد (عبد) وفي الاستعمال القراني لهما نجد أنّ هناك رأيين:

آ ـ كلمة (عباد وعبيد) هما سواء، وأنّ كلمة (عباد) تقال للمؤمن والكافر، وأدلتهم قوله تعالى:

قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨].

قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الفرقان:١٧] فاستعمل كلمة عباد للكافرين، والموقف في الآيتين من مواقف يوم القيامة.

لذا يمكن وفق هذا الرأي أنْ يكون العباد في قوله تعالى في آية الإسراء رقم ٥: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ مؤمنين أو كافرين.

ب ـ كلمة (عباد) تطلق فقط على المؤمنين.

والدليل:

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ والمراد هنا المؤمنين.

٢ـ إنّ الناس في هذا الكون وفي هذه الدنيا خاصة، مؤمنهم وكافرهم، لهم اختيارات في أشياء ومقهورون في أشياء أخرى، فجعلهم الله يستطيعون الفعل ومقابله وصالحين

للإيمان وللكفر، لكنه سبحانه أمر الناس بالإيمان، فهم إذن في منطقة القهر عبيد وجميع الخلق عبيد فيما لا اختيار لهم فيه.

وأمّا في منطقة الاختيار فيتمايز العبيد والعباد، فمن خرج من اختياره إلى اختيار ربه وقال سمعاً وطاعة فهؤلاء هم العباد، وأمّا الكفار فنسوا اختيار ربهم واستعملوا اختيارهم فهؤلاء هم العبيد ولا يقال لهم (عباد) أبداً لأنهم لا يستحقون شرف هذه الكلمة.

٣ـ فاذا جاءت الآخرة فلا محل للاختيار، فالجميع مقهور لله تعالى، ولا مجال للتقسيم السابق بل الجميع عبيد وعباد في الوقت ذاته.

إذن الكل عباد في الآخرة وليس الكل عباداً في الدنيا، وعلى هذا نستطيع فهم معنى (عباد) في الآيتين (المائدة ١١٨+ الفرقان ١٧) فسماهم الحق عباداً، لأنه لم يعد لهم اختيار يتمردون فيه فاستووا مع المؤمنين في عدم الاختيار مع مرادات الله عز وجل.

٤ـ وللمعلومية فإن جمع عبد هو: عبيد وأعبد و عباد و عُبْدان و عِبْدان، وأصل العبودية الخضوع والذل، يقال: طريق معبد، أي: مذلل، والعبادة هي الطاعة والتعبد والنسك، وقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر:٢٩] أي: في حزبي، والعبادلة هم: عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عمر بن العاص و عبد الله بن الزبير.

واجتمعت العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك فقالوا: هذا عبد من عباد الله وهؤلاء عبيد مماليك، كما يُقال للمشركين: عبدة الطاغوت.

وللعلم فإنّ المذكور أعلاه هومن تفسير الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ بتصرف واختصار ـ

وقد وردت كلمة (عباد)في القرآن الكريم كثيراً بينما وردت كلمة (عبيد) ٥ مرات فقط.

٥ـ والذي يترجح من دراسة هذا الموضوع هو أنّ كلمة (عباد) عامة، ولم تأت كلمة (عبيد) في القرآن الكريم إلا في خمس مرات كلها تفيد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ انظر الآيات:[آل عمران١٨٢ـ الأنفال ٥١ـ الحج١٠ـ فصلت٤٦ـ ق٢٩] ولم تأت مع وصف الكافرين، علماً بأنّ الله تعالى هو رب العباد والعبيد.

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد أنّ المقصود من كلمة (عباد) هم عموم البشر ومن هذه الآيات قوله تعالى:

ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠].

ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء:٩٦].

ـ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر:٣١].

ـ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى:١٩].

ـ ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

ـ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر:٨٥].

ـ ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر:٤٤].

ـ ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس:٣٠].

٦ ـ للعلم فإن كلمة (عباد) في القرآن الكريم قد وردت (١٤) مرة ووردت بالصيغ المختلفة لهذه الكلمة (١٠٤) مرة، بينما وردت كلمة (عبيد) خمس مرات فقط.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (الوعد والعهد والوأي)؟

الجواب:

١ـ العهد: ما كان مقروناً بشرط نحو قولك: إنْ فعلت كذا فعلتُ كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ [طه:١١٥] أي: أعلمناه أنك لا تخرج من الجنة ما لم تأكل من الشجرة.

والعهد يقتضي الوفاء والوعد يقتضي الإنجاز، ويقال: نقض العهد وأخلف الوعد.

٢ـ الوعد: يكون مؤقتاً وغير مؤقت فالمؤقت كقولهم: جاء وعد ربك، وفي القرآن ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ وغير المؤقت كقولهم: إذا وعد زيد أخلف وإذا وعد عمرو وفّى.

٣ـ الوأي: ما يكون من الوعد غير مؤقت، كقولك: إذا وأى زيد أخلف أو وفى.

قال الشاعر:

إنّ هنـــــدُ المليحـــــةُ الحســـــناءَ   وأيَ مـــن أضـــمرت لخـــلٍ وفـــاءَ

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية الإسراء٥: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ وفي الإسراء ١٥: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾ وفي المؤمنون ٤٤ ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ ما الفرق بين البعث والإرسال؟

الجواب:

١ـ الفعل (بعث) فيه معنى الإرسال، تقول: بعثت شخصاً أي فيه معنى الإرسال، والإرسال: أنْ ترسل رسولاً تحمّله رسالة لطرف آخر، لكنْ في الفعل (بعث) أيضاً معانٍ غير الإرسال. أي: فيه إرسال وزيادة. نحو:

ـ تبعث الموتى: ليس بمعنى إرسال ولكنْ يقيمهم، وفيه إثارة وإقامة.

ـ(إنّ للفتنة بُعثات) أي إثارات، وفيها تهييج.

ـ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ [البقرة:٢٤٧] أي أقامه منكم.

٢ـ ولذلك عموماً فإنّ (البعث) يستعمل فيما هو أشد.

* شواهد قرآنية:

آ ـ قصة موسى عليه السلام في الشعراء والأعراف:

ـ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء:٣٦] قال: ﴿وَٱبۡعَثۡ﴾.

ـ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف:١١١] قال: ﴿وَأَرۡسِلۡ﴾

ومن مقارنة القصة في السورتين يتبين أنّ التعبير في آيات الشعراء أقوى منها في آيات الأعراف، فجاء بلفظ (ابعث) في الشعراء ولفظ ﴿وَأَرْسِلْ﴾ في الأعراف.

ب ـ حتى لمّا يتكلم عن الرسول ﷺ:

ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٣] الله تعالى لم يذكر شيئاً آخرغير: (ليظهره على الدين كله).

ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨].

ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف:٩-١٠].

أمّا آية الجمعة رقم ٢ ففيها عمل للرسول ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

٣ـ فالبعث هو أشد وفيه حركة، أمّا الإرسال فلا، لذلك البعث هو الإرسال وزيادة ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء:٥] ففيه قوة وقسوة وعمل وجوس.

السؤال الخامس:

قوله تعالى ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء:٧] ما دلالة استخدام لفظة (لها) مع أنه في القرآن يستعمل عليها ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فُصِّلَت:٤٦]؟

الجواب:

١ـ المعنى العام: التقدير قلنا: إنْ أحسنتم بفعل الطاعات أحسنتم لأنفسكم وإنْ أسأتم بفعل المحرمات أسأتم إلى أنفسكم و ذلك بجرها إلى العقوبات.

٢ـ قال النحويون: إنما قال: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ للتقابل والمعنى: فإليها أو عليها، حيث إنّ حروف الإضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة:٥] أي: إليها.

٣ـ قيل أنّ اللام هنا (لها) بمعنى (إلى) فإساءتها راجعة إليها.

٤ـ وقيل هي للإستحقاق كقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١﴾.

٥ـ تأتي (عليها) في سياق العقوبة، أمّا في غير سياق العقوبة فتأتي (فلها) كما في آية [فصلت ٤٦ـ وآية الجاثية ١٥].

٦ـ وقيل: هي للاختصاص، ووجه مناسبتها أنّ اليهود لمّا عصوا سلّط الله عليهم من نهبهم وأسرهم ثم لمّا تابوا وأطاعوا حَسُنت حالهم فظهر أنّ إحسان الأعمال وإساءتها مختص بهم.

٧ـ كرر كلمة (الإحسان) مرتين وذكر (الإساءة) مرة واحدة إشارة إلى أنّ رحمة الله تعالى غلبت غضبه.

٨ـ هذه الآية ليست في سياق الإثم وما يقع عليه هو، وإنما إساءتكم راجعة لكم، فمثلاً شخص يقول: لقد أسأت لأبيك في هذا، وأنت لم تحسن إليه. لم يقل: أسأت عليه، لأنه ليس المقصود لإثم يقع عليه وإنما رجعت الإساءة له، تقول: لقد أسأت إلى نفسك.

٩ـ في مقام العقوبة ووقوع الإثم عليه كعقوبة تأتي بـ(على) وأمّا في سياق الإثم واستحقاق العقوبة لصاحبها فتأتي (لها)، لكنْ أحياناً نحن لا نستعمل هذا الشيء دائماً. نقول مثلاً: لقد أسأت إلى نفسك، لكنّ هذا ليس في سياق العقوبة.

* شواهد قرآنية:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧] هذه في سياق الإثم واختصاصه لصاحبه.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٦] هذه في سياق الحساب والعقوبة ومعناه أنه سيوقع عليه عقوبة الإساءة و يعني رَجَعت الإساءة عليه وتحمّل إثمها فربنا يعاقبه عليه و الإثم عاد عليه.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية:١٥] يعني سيحاسبكم على ما قدمتم من إساءة وإحسان.

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فكل أركان الإيمان أطلقها ولم يقيدها فجعلها

أعمّ، وأما في سورة الحديد فالإيمان مخصص بشيئين: الإيمان بالله ورسوله، ففي الإسراء مطلق لم يخصصه وهذا أعمّ من آية سورة الحديد.

٤ـ في سورة الحديد ذكر الإنفاق ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧] ولم يذكر غيره من العمل الصالح، أما في آية الإسراء فقال: ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الإسراء:٩] الذين يعملون الصالحات أعم، والإنفاق هو شيء من العمل الصالح فالذين يعملون الصالحات أعمّ من الذين أنفقوا.

٥ـ إذن: أولاً كونهم مؤمنين أثبت من الذين آمنوا، ثم أطلق الإيمان بكل مقتضيات الإيمان ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ ولم يقيده، والعمل أطلقه ولم يقيده بشيء ولم يقيده بإنفاق، وإنما قال: ﴿يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ فلا شك أن آية الإسراء أعمّ.

فلمّا كان في آية الإسراء أعمّ أُكِّد للأعمّ الثابت لا للجزئية، إذن توكيد الأجر الكبير أنسب مع الذين ذكرهم في آية الإسراء مع من هو أعمّ في العمل والإيمان وأثبت في الإيمان.

٦ـ إضافة إلى الفاصلة التي في كل آية، لذلك لو سألنا شخصاً لا يعلم بالبلاغة نقول له: أنت عندك آيتان كالتي معنا فأين تؤكد الأجر؟ يقول: في الإسراء. وبلاغة القرآن كالقوانين الرياضية الثابتة، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٧ـ ومثال ذلك في سورة يس مثلاً قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس:١٤] وقال: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٦] أكّد أول مرة بـ ﴿إِنَّآ﴾ وهذا التأكيد جاء بعد تكذيب ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس:١٤] ثم صدر إنكار آخر بعده ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾ [يس:١٥] فاحتاج لتوكيد بالقسم ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٦] وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ هذا قسمٌ عند العرب، والقَسَم بـ (إنّ) واللام في ﴿لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ هذا بعد الإنكار الآخر ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٥-١٦] فلا يستوي أنْ يقول: إنا إليكم مرسلون؛ لأنه زاد الإنكار فزاد التوكيد، والقرآن الكريم يبين ذلك تماماً كالمعادلة الرياضية.



﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾

السؤال الأول:

مسألة الزمن ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾ [الإسراء:١١] ما دلالة (كان)؟

الجواب:

﴿وَكَانَ﴾ يفرد لها النُّحاة بكلام في زمنها:

١ـ الزمان الماضي المنقطع: كأنْ تقول كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب.

٢ـ الزمان الماضي المستمر: (كان الاستمرارية) بمعنى كان ولا يزال نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء:١٠٠] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨] ويسمونها كان الاستمرارية، أي هذا كونه منذ أنْ وُجِد، وليس في الماضي المنقطع، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣] لا تعني أنّ الشيطان كان عدواً والآن أصبح صديقاً وإنما كان ولا يزال عدواً.

٣ـ و (كان) تفيد الاستقبال ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ:١٩] أي صارت في المستقبل. وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة:٧] أي صرتم، أصبحتم.

وأمّا (كان) الناقصة فهي غير (كان) التامة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَيَدْعُ﴾ بحذف الواو، فما هي قواعد حذف الواو في المصحف؟

الجواب:

قواعد حذف الواو هي:

١ـ اتفق علماء اللغة على حذف إحدى كل واوين تلاحقتا في كلمة واحدة ضُمت الأولى أو فُتحت وسواء أكانت صورة الواو أم صورة الهمزة أم كانت الثانية زائدة لتكميل الصيغ المبينة للمعاني أم لرفع جمع المذكر السالم أم ضميره نحو:

﴿دَاوُۥدُ﴾ ـ ﴿يَـُٔوسًا﴾ ـ ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ ـ ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ ـ ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ ـ ﴿بَدَءُوكُمْ﴾ ـ ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ ـ ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ ـ ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾.

٢ـ حذفوا الواو من أربعة أفعال مرفوعة وهي:

ـ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وأصلها: يدعو.

ـ ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى:٢٤] وأصلها: يمحو.

ـ ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر:٦] وأصلها: يدعو.

ـ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق:١٨] وأصلها: سندعو.

٣ـ وحذفوا الواو من لفظة (وصالحوا) في قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم:٤]



﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ﴾ [لقمان:٦] عطف بدون اللام مع أنه في موضع آخر في القرآن عطف باللام مثل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ

فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾ [الإسراء:١٢] فما اللمسة البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

لماذا لم يكرر اللام في آية لقمان في ﴿وَيَتَّخِذَهَا ﴾؟

١ـ المعلوم والمقرر في قواعد النحو أنّ التكرار آكد من عدم التكرار، مثلاً عندما تقول: مررت بمحمد وبخالد، أقوى من: مررت بمحمد وخالد.

٢ـ في آية لقمان ذكر أمرين لماذا يشتري لهو الحديث؟ وهما(ليضل عن سبيل الله ويتخذها هزواً) هل هما بمرتبة واحدة؟ الغرض الأول هو ليضل عن سبيل الله، أمّا اتخاذ الهزو فليس بالضرورة أنْ يذهب فيشتري، فالهزو يهزأ في مكانه، والسخرية لا يحتاج أن يذهب ويتاجر ويشتري، إذن هما ليسا بمرتبة واحدة، إذن (ليضل عن سبيل الله) وهو الشراء في الأصل و (ويتخذها هزواً) تأتي بعدها، وليستا بنفس القوة وهذا الترتيب له غرض.

إذن عندنا أمران بعضهما أقوى من بعض وآكد من بعض، الأول ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [لقمان:٦] فأكّد باللام، والثاني دونه في التوكيد ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ [لقمان:٦] فحذف اللام.

٣ـ أمّا في الآية ﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ذكر أمرين كلاهما له مكانة في الأهمية ﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ [الإسراء:١٢]هل يمكن أنْ نعيش بدون معرفة السنين والحساب؟ والابتغاء؟ كلاهما مهمان في الحياة: علم السنين والحساب وهما ضروريان في الحياة.

وفي خارج القرآن لو قال في الآية: لتبتغوا فضلاً من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب تصبح دونها في التوكيد والأهمية.

السؤال الثاني:

جاء في آية الإسراء١٢ ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ وفي آية النمل١٣ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ فلماذا نسب الإبصار للآيات لا للعين؟

الجواب:

أوضح العالم الإسلامي ابن الهيثم أنّ الشعاع لا يأتي من العين إلى الشيء المرئي وإنما من الشيء المرئي إلى العين، ولذلك نرى الأشياء إنْ كانت في الضوء ولا نراها إنْ كانت في الظلام، وبالتالي يكون الشيء المرئي هو الذي يبصرك من حيث هو الذي يتضح لك ويساعدك على رؤيته أي يرسل لك ما يجعلك تلتفت إليه.



﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى في الآية١٣ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ لغة يقال: إن فيها اشتغال، وكذلك في آية الحجر٢٧ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ فما هو الاشتغال؟ ولماذا نصب ﴿وَكُلَّ﴾ ولم يرفعها؟

الجواب:

بشكل عام نصب ﴿وَكُلَّ﴾ ولم يرفعها لأنّ الكلام إنما هو على الله، وقدّم ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾للاهتمام. لمزيد من التفصيل انظر آية الحجر ١٩.

السؤال الثاني:

ما إعراب ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾؟

الجواب:

كلَّ: مفعول به منصوب لفعل محذوف يفسره المذكور.

ألزمناه: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ(نا) الفاعلين. نا: ضمير فاعل.

الهاء: مفعول به أول.

طائره: مفعول به ثان. والهاء في محل جر مضاف إليه.



﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين البعث والإرسال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون:٤٤]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ٥.

السؤال الثاني:

كيف الجمع بين قوله تعالى في القصص ٤٧ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وفي الإسراء ١٥ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ ؟

الجواب:

في آية القصص: جواب لولا محذوف، وتقديره: لولا أصابتهم بمصيبة بسبب معاصيهم قبل الرسل لعذبناهم، لكنْ يؤخر العذاب إلى ما بعد إرسال الرسل، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وأما آية الإسراء ١٥، فالتعذيب يكون بعد إرسال الرسل كما هو واضح في الآية.



﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية في إظهار الله تعالى نفسه في إهلاك الظالمين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٢٧.

السؤال الثاني:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾ [الإسراء:١٦]
فيها قراءتان (: أمرنا وأمّرنا) فما الفرق بينهما في المعنى؟

الجواب:

١ـ المعنى: أي أمرناهم بالطاعة ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [الأعراف:٢٨] ففسقوا كما تقول: أمرتك فعصيت، ولا تعني أمرتك بالمعصية، أي: أمرتك بالطاعة فعصيت.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء:١٦] (مترفيها يعني علية القوم) أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، مثل أمرتك فعصيت. والمترف هو المتنعم الذي أبطرته النعمة وسعة العيش.

٣ـ وفي قراءة ﴿ أَمَّرۡنَا ﴾: (أمّر) في اللغة فيها معنى آخر وهو (كثّر)، أمّر القوم كثُروا وآمّرهم بالمد أيضاً، وأمّرت القوم كثّرتهم، وعلى هذا المعنى تسير الآية أيضاً على كثرة المترفين ففسقوا فيها.

٤ـ والمعنى العام للآية أنّ الله تعالى أمرهم بطاعته فعصوا كما يقال في اللغة: أمرتك بالطاعة فعصيت، وليس فيها إشكال، وتحتمل في اللغة كثّرنا فيها المترفين ففسقوا فيها، أي: خرجوا عما أمرهم الله فحق عليها القول فاستوجبت العذاب.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

عن كيفية استعمال القرون والقرن بعد (كم) الخبرية التكثيرية؟

الجواب:

١ـ من المعلوم أنّ قرون جمع قرن ومن السهل التفريق بينهما، لكنّ الموضوع هوالمفرد(قرن) بعد (كم) الخبرية، فهولا يدل على الواحد وإنما يدل على الكثرة، فقولك: (كم رجل أكرمت)، لا يدل على أنك أكرمت رجلاً واحداً وإنما يدل على إكرام الكثير، ومن هنا المقارنة بين (القرون) كجمع وبين (كم من قرن) التي تدل أيضاً على الكثرة.

٢ـ يستعمل القرآن الكريم (القرن) بالإفراد إذا كان يريد ذكر صفة القرن المُهلك أو حالة من حالاته أو لسبب آخر يقتضيه السياق.

بينما يستعمل الجمع (قرون) إذا كان يريد ذكر المجموع على العموم أو يريد أنْ يبين أنّ هذه القرون المهلكة سيحييها ربها ويجمعها أو لسبب آخر يقتضيه السياق.

* شواهد قرآنية على الإفراد (قرن):

آية الأنعام ٦:

ذكر فيها صفة القرن الذي أهلكه ثم ذكر بعد ذلك أنه أنشأ بعده قرناً آخر، أي أهلك قرناً وأنشأ بعده قرناً آخر فناسب الإفراد.

آية مريم ٧٤:

وصف فيها القرن المهلك بانه أحسن أثاثاً وأحسن منظراً.

آية ق ٣٦:

ذكر فيها صفة القرن بأنهم أشد بطشاً من الكفرة في زمن النبي ﷺ.

* شواهد قرآنية على الجمع (قرون):

آية يس ٣١:

ذكر فيها أنّ الله سيحييها ويجمعها ويحضرها لديه، أي: ذكر العموم.

آية السجدة ٢٥ـ٢٦:

ذكر فيها أنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة.

آية طه ١٢٨:

ذكر في الآيات ١٢٤ـ١٢٨ القرون في سياق ذكر الآخرة.

آية الإسراء ١٧:

ذكر القرون من دون وصف لها، وقد أراد بيان كثرة القرون المهلكة من بعد نوح.

السؤال الثاني:

ما السبب في تقديم الظرف على القرون ﴿أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾ كما في آية الأنعام ٦ وبين تقديم القرون على الظرف ﴿أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [يونس:١٣] و﴿أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ﴾ كما في آية الإسراء ١٧؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.



﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال صيغة المضارع مرة وصيغة الماضي مرة أخرى في قوله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ و ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ﴾؟

الجواب:

استعمال فعل المضارع مع الشرط يكون إذا كان المضمون يتكرر، وأمّا استعمال فعل الماضي فالمضمون أنْ لا يتكرر أو لا ينبغي أنْ يتكرر، كما نلاحظ أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢] فإنه ينبغي تكرار الشكر لذا جاء بصيغة الفعل المضارع ﴿يَشْكُرْ﴾، وأمّا الكفر فيكون مرة واحدة وهو لا ينبغي أنْ يتكرر فجاء بصيغة الماضي في قوله: ﴿كَفَرَ﴾.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢] المفروض أنّ القتل وقع خطأً والمفروض أنْ لا يتكرر، أمّا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء:٩٣] هنا تكرار للفعل لأنه قتل عمد.

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨] هو يريد العاجلة فما دلالة ما نشاء في ختام الآية؟

الجواب:

١ـ ما يشاء ربنا لا ما يشاء هو.

(ما نشاء) يعني ما يشاء الله تعالى للأشخاص الذين يريدهم، أي: ما نشاء بالقدر الذي نريده ومن نريده من الناس، لا من يريده هو، والآية تعني ما يشاء الله تعالى لمن يريد من الأشخاص وبالقدر الذي يريد.

٢ـ والمشيئة هي لما لم يتراخ وقته، وهي ملزمة لذلك نقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهي لا تتخلف، وهي أخص من الإرادة.

٣ـ والإرادة لا تتعلق إلا بالمستقبل، وهي لا تقتضي وجود الشيء، وتكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى.

فالله يريد من الناس أنْ يعبدوه لكنهم لم يفعلوا، ويريد منهم أعمالاً يستحبها لهم لكنهم لم يفعلوها، فليس فيه إرادة الإلزام وإنما هي مناط التكليف.

٤ـ والإرادة هي صفة قديمة أزلية لله تعالى، وتلك الصفة إذا تعلقت بشيء نقول: (أراد ويريد) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] وقبل التعلق لا نقول: أراد، وإنما نقول: له إرادة وهو بها مريد.

والله سبحانه لا يخلق بعلاج وإنما يخلق بكلمة ﴿كُن﴾ بل يخلق سبحانه بمجرد مراده، فإن أراد شيئاً كان قبل أن يقول ودون أنْ يأمر، وما كلمة ﴿كُن﴾ إلا لتقريب المسألة إلى أذهاننا.

لمزيد من التفصيل، انظر آية النحل ٤٠. والله أعلم.



﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الشرط في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٠.



﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ ﴾؟

الجواب:

المعنى أنّ الله تعالى يمد الجميع بمقومات الحياة، فمنهم من يستخدم هذه المقومات في الطاعة، ومنهم من يستخدمها في المعصية، كما لو أعطيت مالاً لرجلين فتصدق الأول بقسم من ماله وشرب الآخر بماله خمراً.

لذلك فعطاء الربوبية مددٌ يناله المؤمن والكافر والطائع والعاصي، وأمّا عطاء الألوهية المتمثل في منهج الله (افعل ولا تفعل) فهو عطاء خاص بالمؤمنين دون غيرهم.



﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣] ما دلالة كلمة ﴿أُفٍّ﴾ هل هي كلمة أو حرف؟

الجواب:

كلمة ﴿أُفٍّ﴾ اسم فعل مضارع بمعنى: أتضجر، والدليل على ذلك تنوينها ﴿أُفٍّ﴾ فالتنوين من علامات الاسم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الأبوين و الوالدين؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه وتعالى في جميع القرآن إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين في القرآن كله، مع العلم أنّ الوالدين مثنى والد ووالدة وغلّب المذكر الوالد، والأبوين مثنى وغلّب المذكر الأب ،والأبوان أب وأم.

٢ـ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ هذه عامة لم يحدد ذكر صفة من كفر أو غيره.

٣ـ لم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٤١] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

إلا في آية المواريث ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء:١١]. ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف:٨٠] فليس فيها مقام ذكر البر، لذا قال: (أبواه) أمّا في الدعاء فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح:٢٨] فلا يستعمل (الأبوين) والأبوان يستعملها في مكان آخر.

٤ـ ما الفرق بين الوالد والأب؟ التي تلد هي الأم، والوالد من الولادة، والولادة تقوم بها الأم وهذه إشارة أنّ الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد، لكنْ في

المواريث ولأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم فيستعمل الأب ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء:١١] وهذا في الأموال بينما في الدعاء يستعمل (الوالدين).

٥ـ لكنْ لماذا اختار الوالدين؟ الولادة تقوم بها المرأة وليس الرجل، أمّا تسمية الوالد يقول أهل اللغة: هو على النسب، والوالدة على الفعل هي التي تلد، إذن اختار لفظ الوالدين التي هي من الولادة التي تقوم بها الأم لكنه لم يختر الأبوين واختار لفظ الولادة ولم يختر لفظ الأبوة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾؟

الجواب:

١ـ إنّ الإنسان العادي لو طُلب منه أنْ يقول كلاماً في أمر الإحسان إلى الوالدين لقال كلاماً فيه ذكر الوالدين جميعاً ولا يخطر بباله أنْ يقول عن واحد منهما.

ولو أنّ محمداً ﷺ أراد أنْ يضع قرآناً كما يدعي بعض الملحدين والمشركين لتقرب إلى الناس بحرصه على رعاية الوالدين الشيخين ولما فكر أنْ يدعو إلى ذكر واحد دون الآخر!!!

٢ـ أمّا الصيغة القرآنية ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء:٢٣] فلا يقولها إلا الله تعالى خالق الخلق والخبير بما خلق، وهو الذي يعلم أنّ معظم الناس سوف يرعى أحد والديه فقط أمه أو أباه ويعلم أنّ قلة من الناس يرعى والديه كليهما.

٣ـ ولو تفكر كل واحد من الناس في محيط أسرته لمدة دقيقة واحدة لوجد أنّ معظم العائلات في نطاق أقاربه ومعارفه وأصدقائه فيها أحد الوالدين حي يرزق والثاني انتقل إلى جوار ربه.

من الذي يستطيع أنْ يقرر هذه الحقيقة؟ من الذي يجرؤ من الناس على توكيد هذه الصورة الاجتماعية؟

لا شك أن في هذه الآية دليل على إعجاز هذا القرآن وأنه من عند الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

السؤال الرابع:

ما الفرق بين حسناً وإحساناً؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.

السؤال الخامس:

ما أهم اللفتات في الآية؟

الجواب:

١ـ الأمر بالإحسان إلى الوالدين جاء مقروناً بالدعوة إلى التوحيد.

٢ـ جاء بكلمة الرب التي تدل على التربية والرعاية وهذا أنسب لسياق الآية ورعاية الوالدين.

٣ـ في الآية خمسة أوامر: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ـ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾ ـ ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)﴾ ـ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ ـ ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ ونهيان لصلح الأبوين: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ ـ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾ فيه أمر إلهي بإلزام الابن باستيعاب أبويه طوال حياتهما وخاصة عند الكبر، وأنْ لا يتخلى عنهما فيضعهم في دور الرعاية والملاجىء كما يفعل البعض.

وبدأت الآية بأحدهما قبل كلاهما؛ لأنّ هذا هو الأغلب في الحياة من الناحية الإحصائية في أي وقت.

٥ـ كلمة ﴿أُفٍّ﴾ ليست كلمة فقط وإنما هي حركة وسلوك في المضمون فانتبه أيها الابن !!!

٦ـ الله تعالى يأمر الإنسان أن يحافظ على كرامة أبويه ولا أقل من القول الكريم.

٧ـ معنى ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: نكون كالطير في حالة نزوله أمام أبوينا مذلولين من الرحمة التي وضعها الله في قلوب البشر والطير ينزل بهدوء وتؤدة.

٨ـ الأمر بالدعاء لهما، وفي ذلك إشارة إلى أنّ تربية الأبوين لأبنائهم قد يكون سبباً في دخول الجنة.

٩ـ قال في أولها: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾ وفي آخرها ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ليشمل جميع المراحل من الصغر إلى الكبر.

١٠ـ لو قيل: بم يتصل بالباء في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وعلام انتصب؟

هناك ثلاثة أقوال:

ـ انتصب على معنى: أحسنوا بالوالدين إحساناً.

ـ وصيناهم بالوالدين إحساناً.

ـ أنْ تعبدوا الله وتحسنوا بالوالدين.

رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، اللهم آمين.



﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمتي (نفوس) و (أنفس)؟

الجواب:

١ـ لقد وردت في القرآن الكريم لفظة (أنفس) في ١٥٣موضعاً منها ستة مواضع معرفة بأل الاستغراق وهي للكثرة، وباقي المواضع وهي ١٤٧ موضعاً مضافة، وهي للكثرة أيضاً.

أمّا لفظة (نفوس) فقد جاءت في موضعين فقط هما: [الإسراء ٢٥ـ التكوير ٧].

والسبب في كثرة ورودها على (أَنفس) ـ والله أعلم ـ:

آ ـ لاختيار اللفظ الخفيف، فالفتحة أخف من الضمة، وهذه من عادة العرب في كلامها أن تخفف.

ب ـ أنفس: مؤلفة من مقطعين، ونفوس: مؤلفة من ثلاثة مقاطع.

آية الإسراء ٢٥:

قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾ صيغة تفضيل وهي المرة الوحيدة التي جاءت فيها مع جمع نفس، ولمّا لم يذكر المفضّل عليه فمعنى ذلك أنها شملت الدقائق والعظام والصغائر والكبائر من حيث التركيب، أي: أنّ الله أشعر المستمع والقارىء بمعرفة الصغيرة والكبيرة في النفوس.

فاستعمل تعالى: ﴿نُفُوسِكُمْ﴾ بلفظها الثقيل بدل (أنفسكم) لأنه يثقل على المرء أنْ تُعلم كل دخائل نفسه.

آية التكوير ٧: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾

١ـ كثير من الناس يتمنون لو أنهم لم يبعثوا أحياء في يوم القيامة، فلمّا تُزوج النفوس أي: تعود إلى أجسادها فمعناه أنّ الحساب سيبدأ، وهذا يثقل على النفس، فناسب اللفظ الأثقل فقال: ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾ وهو اختيار متناسب على ثقل مشاهد يوم القيامة في سورة التكوير.

كما أنه ابتداءً من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ كان الإيقاع والوزن مؤلفاً من خمسة مقاطع، ثم اختلف عند الآية ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ إيذاناً أنّ الحساب بدأ.

٢ـ وهناك شيء آخر خارج مسألة المعنى وإنما يتعلق بالصوت: الانكشاف واضح في كلمة نفوس وليس فيها إدغام ولا إخفاء وكل حروفها ظاهرة مظهرة ﴿نُفُوسِكُمْ﴾ لكنْ لو في غير القرآن (أعلم بما في أنفسكم) (أنفسكم) فيها خفاء، والخفاء لا ينسجم بأنه أعلم بالدقائق حتى من حيث الصوت.



﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الشيطان بالكفور وليس الرجيم كما في الاستعاذة؟

الجواب:

فى آية الاستعاذة اختيار كلمة الرجيم لتقليل شأن الشيطان وإذلاله؛ لأنّ المراد فيها الذّلة حتى لا تكون للشيطان منزلة مخيفة، فأنت لجأت إلى الله وعُذت به فتذكر أنه ذليل مرجوم.

وإذا نظرنا لأوصاف الشيطان في سورة الإسراء نجد صفة الكفور ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء:٢٧] لأنّ الكفور قد يكون متجبراً وكافراً لكن ليس فيه إذلال.

السؤال الثاني:

ما دلالة الكلمات التالية: ﴿إِخْوَةٌ﴾ ـ ﴿إِخْوَٰنَ﴾ ـ ﴿أَخٌ﴾ ـ ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ ؟

الجواب:

هناك صيغ وجموع جسّدت قانون التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، ومن ذلك صيغة جمع ﴿أَخٌ﴾ في السياق القرآني فقد جمعت على ﴿إِخْوَةٌ﴾ و ﴿إِخْوَٰنَ﴾.

﴿إِخْوَةٌ﴾:

في القرآن الكريم تدل على أخوة الدم والنسب وكلمة ﴿إِخْوَةٌ﴾ جمع قلة: [يوسف ٥٨ ـ النساء ١١] إلا في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحُجرات:١٠] لأنّ إخوتهم بمنزلة الأخوة في النسب، فأخوة الهدف والمنهج ترقت وتسامت إلى مصافّ أخوة النسب فأصبحت أخوة الدين أخوة في النسب.

﴿إِخْوَٰنَ﴾:

وردت كلمة ﴿إِخْوَٰنَ﴾ في اثنين وعشرين موطناً في كتاب الله منها بمعنى الأصدقاء كما في:[ق ١٣ـ الحجر ٤٧ـ آل عمران ١٠٣ـ الإسراء ٢٧] ومنها بمعنى النسب كما في:[النور ٣١ـ الأحزاب ٥٥ـ النور ٦١].

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾:

وفق مبدأ الأخوة يجد المؤمن أنّ المسلمين كلهم رحمٌ له، ومصداق ذلك أنّ مريم البتول عندما جمعتها مع هارون صفة الصلاح والتقوى ناداها القرآن ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ مع أنّ بينهما أجيالاً، فهارون من عهد موسى عليهما السلام، ومريم البتول والدة عيسى عليه السلام.

السؤال الثالث:

ما دلالة كان في الآية؟ وما هي أخواتها؟

الجواب:

سميت هذه الأفعال ناقصة لأنّ سائر الأفعال تدل على الحدث والزمن، في حين أنّ هذه الأفعال لا تدل إلا على الزمن فقط، وهذه الأفعال هي:

١ـ كان:

وأشهر معانيها:

آـ الماضي المنقطع وهو الغالب عليها وهو على ضربين.

ـ الاتصاف بالحدث على وجه الثبوت: التوبة ٦٩.

ـ حدث مرة ولم يكن ثابتا: الأحزاب ١٥.

ب ـ الماضي المتجدد والمعتاد: [الذاريات ١٧ـ مريم ٥٥ ـ الأعراف ٧٠].

ج ـ الدوام والاستمرار بمعنى (لم يزل): [النساء ٩٦ ـ الأنبياء ٨١ ـ الإسراء١١ ـ ٢٧].

د ـ للدلالة على الحال: [آل عمران ١١٠ ـ النساء ١٠٣ ـ يس ٧٠ ـ الأحزاب ٤٠].

هـ ـ للاستقبال: [الإنسان ٧ ـ ٥ ـ الكهف ١٠٧].

و ـ بمعنى صار: [النبأ ١٩ ـ ٢٠ ـ الواقعة ٦].

ز ـ بمعنى ينبغي: [آل عمران ٧٩ ـ الفرقان ١٨].

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٧٩.



﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في آية سورة البقرة ٢٤٥ بينما سائر ما في القرآن (يبسط) بالسين في أكثر من عشرة مواضع فلماذا؟

الجواب:

وردت ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في سورة البقرة بينما سائر ما في القرآن (يبسط) بالسين في أكثر من عشرة مواضع وذلك:

١ ـ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يختص بشيء دون شيء، فالله هو القابض الباسط في النعم والأرزاق والأعمار والآجال والمُلك والصدور والتقتير والتوسيع، يسلب قوماً ويعطي قوماً، ويقبض الصدقات ويخلف البذل فهو بسط مطلق غير مقيد.

٢ ـ بينما في الآيات الأخرى ترى البسط مقيد بالرزق أو بغيره، مثل الغيث في آية الروم ٤٨.

٣ ـ البسط المطلق أقوى وأعم من البسط المقيد، فجاء بالصاد في الأقوى وجاء للمقيد بالسين.

لمزيد من التفاصيل انظر آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الثاني:

ما هي أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب:

أحوالهم ثلاثة:

١ـ من يُبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى، كما جاء في آية العنكبوت وهنا يأتي ﴿وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾.

٢ـ يوسع على قوم مطلقاً مثل حال قارون لا لكرامته، ويضيق على قوم مطلقاً كالأنبياء الفقراء منهم لا لهوانهم، ويفهم ذلك من آية القصص ٨٢.

٣ـ الإطلاق من دون تعيين بسط ولا قبض، أي: مطلق من غير تعيين.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ﴾ [الإسراء:٣١] وبين وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ [الأنعام:١٥١]؟

الجواب:

في آية سورة الإسراء الأهل ليسوا فقراء أصلاً وعندهم ما يكفيهم ولا يخشون الفقر، ولكنهم يخشون الفقر في المستقبل إذا أنجبوا بأنْ يأخذ المولود جزءاً من رزقهم ويصبح الرزق لا يكفيهم هم وأولادهم ويصبحوا فقراء، فخاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ﴾ ليطمئنهم على رزقهم أولادهم أولاً، ثم رزقهم هم، ولهذا قدّم الله تعالى رزقهم على إياكم؛ لأنه تعالى يرزق المولود غير رزق الأهل ولا يأخذ أحد من رزق الآخر، وأنّ الأولاد لن يشاركوهم في رزقهم وإنما رزقهم معهم.

أمّا في الآية الثانية فهم فقراء في الأصل وهمّهم أنْ يبحثوا عن طعامهم أولاً ثم طعام من سيأتيهم من أولاد، فالله تعالى يطمئن الأهل أنه سيرزقهم هم أولاً ثم يرزق أولادهم؛ لأنّ الأهل لهم رزقهم والأولاد لهم رزقهم أيضاً.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين السفاح والبغاء والزنى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾؟

الجواب:

١ـ البغاء: هو الفجور، بغى في الأرض أي: فجر فيها، أي تجاوز إلى ما ليس له. وفي الآية: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ [القصص:٧٦] تجاوز الحدّ، ولذا يقال للمرأة بغيّ، ولا يقال للرجل بغيّ ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم:٢٨] وعند العرب لا يوصف الرجل بالبغيّ في الزنا بل البغاء للمرأة، واشتقاقه اللفظي: بغت المرأة إذا فجرت؛ لأنها تجاوزت ما ليس لها.

٢ـ الزنا: هو الوطء من غير عقد شرعي، والبغاء استمراء الزنا فيصير فجوراً.

٣ـ المسافحة: أنْ تقيم معه على الفجور﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ﴾ [النساء:٢٤]، تعيش معه في الحرام من غير تزويج صحيح، والمسافحة والسفاح هي الإقامة مع الرجل من غير تزويج شرعي، وهذا أشد لأنّ المرأة تقيم مع رجل على فجور، وكل ما تقدم فيه زنا والزنا أقلهم.

إذا استمرأت الزنا صار فجوراً وبغاء، وإذا أقامت معه بغير عقد شرعي يقال: سفاح، والرجل يوصف بالسِفاح أيضاً ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ﴾

والزنا يوصف به الرجل والمرأة ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور:٢] أمّا البغاء والبغي فللمرأة تحديداً والسفاح للرجل والمرأة، وكل كلمة لها دلالتها في القرآن الكريم.



﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾؟

الجواب:

١ـ كان القياس أنْ يقابل الجمع بالجمع فيقول: ولا تقتلوا النفوس، لكنّ الحق يريد أنّ قتل النفس الواحدة مسؤولية الجميع فكأن المجتمع كله مسؤول عن قتل النفس.

٢ـ قد يقول قائل: لقد خسر المجتمع واحداً بالقتل فكيف نزيد من خسارته بقتل القاتل؟

والجواب أنه ليس الهدف من تشريع الله للقصاص كثرة القتل، وإنما الهدف إلا يقع القتل، فحين يُخبرك الحق سبحانه أنك إنْ قتلت فسوف تُقتل فهو يحمي حياتك وحياة الآخرين، لأنه عندما يعرف أنه سيقتل فنحن نمنعه أنْ يُقدم على هذه الجريمة ونلوح له بأقسى ما يمكن من العقوبة وهي حياته، ولذلك قالوا: القتل أنفى للقتل.

وكذلك الحال في حد السرقة، وفي إقامة حد الردة فحرية الدين والعقيدة هي لك قبل أنْ تدخل الإسلام دخولاً لا يجبرك أحد عليه، فلك أنْ تظل على دينك، فإنْ أردت الإسلام فتفكر جيداً، وليس هو مجال للتجربة إنْ أعجبك تظل في ساحته وإنْ لم يرق لك تخرج منه، ولتعلم أنّ دين الله أعز وأكرم من أنْ يستجدي أحداً للدخول فيه.



﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) ﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف بين [القسط والعدل والقسطاس والميزان]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٣٥.



﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) ﴾

فما هو الفؤاد؟

الجواب:

١ـ الفؤاد: قال بعضهم هو القلب نفسه، وقال آخرون: هو غشاء القلب، وقيل: وسط القلب، والذي نميل إليه هو أنّ الفؤاد هو غشاء القلب، ولمّا يتحدث القرآن عن الفؤاد فيعني الغشاء وما في داخله؛ لأنّ أصل الفؤاد من التفؤد ويعني التوقّد والاشتعال والحرقة، فكأنّ القلب هو موضع هذه الأشياء.

والتفؤد هو التوقد والاشتعال والحرقة، وفأد اللحم: شواها.

٢ـ يؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ: « **أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً** » فذكر الرسول ﷺ الفؤاد بالرقة ـ الشفافية ـ وذكر القلب باللين ـ واللين هو للشيء السميك، لذلك فالقلب لين والفؤاد رقيق، ولذلك رجحنا أنّ الفؤاد هو غشاء القلب.

٣ـ العرب عندما تستعمل الفؤاد تعني الموضع الذي فيه الفكر والعاطفة كما في آية القصص ١٠ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: ١٠] فالفؤاد المغلّف يقصد ما بداخله، والعرب عندما تستعمل الفؤاد، تستعمل اللب وتعني الموضع الذي يكون فيه الفكر والعاطفة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

لماذا السمع مقدم على البصر في القرآن؟

الجواب:

الذي يوقظ النائم بشكل طبيعي هو الصوت لأنّ الأذن مفتوحة، أمّا العين فمغلقة عند النوم، وإذا أوقدت ضوءاً ربما لا يستيقظ، وقد يكون هذا من الأسباب.

وقد يكون أنّ الإنسان يستقبل الآيات ويستقبل المواعظ والآيات من الرسل بالأذن أكثر من إستقبالها بالبصر ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦] فيسمع ما يلقيه عليه الرسل ثم ينظر في ملكوت الله ثم يعمل ما سمعه وما نظره في فؤاده.

وللعلم وفي جميع القرآن الكريم فإنّ السمع مقدم على البصر إلا في موضعين هما [الكهف ٢٦ـ السجدة ١٢].



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٧.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الإسراء٤١: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ وبعدها في الآية ٨٩ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ بتقديم (الناس على القرآن) وفي آية الكهف٥٤ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ﴾ بتقديم (القرآن على الناس) فما السبب؟

الجواب:

١ـ آية الإسراء ٤١: وردت بعدما تقدّم من الآيات من الوصايا والعظات في الآيات:[٢٢ إلى ٤١] ولذلك قال: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ أي: يذّكروه فيعملوا به.

٢ـآية الإسراء ٨٩: وردت بعد أفعال وأقوال من قوم مخصوصين، وهي التالي:

- ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ [الإسراء:٧٣].
- ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ﴾ [الإسراء:٧٦].
- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [الإسراء:٨٨].

فناسب تقديم ذكر الناس وقيام الحجة عليهم بعجزهم عن الإتيان بمثله، ولذلك جاء بعده في الآية ٩٠ ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ [الإسراء:٩٠].

٣ـ آية الكهف٥٤: وردت بعد ذكر إبليس وعداوته وذم إتخاذه وذريته أولياء كما في الآيات [٥٠ـ٥٣] من سورة الكهف فناسب تقديم ذكر القرآن الدال على عداوته ولعنه.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزيه الله عما لا يليق به.

٢ـ قوله: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ من التعالي عن الشريك والنظير والنقائص والآفات وليس من التعالي بالمكان والجهة.

٣ـ جعل (العلو) مصدر التعالي، فقال تعالى: ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ بدل القول: تعالى تعاليا كبيراً كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧].

ووصف ذلك العلو بالكبير؛ لأنّ المنافاة بين ذاته سبحانه وبين ثبوت الصاحبة والولد والشركاء والأنداد منافاة بلغت في القوة إلى حيث لا تعقل الزيادة عليها، فلهذا وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير. والله أعلم.



﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿وَمَن﴾ في الآية وليس (ما)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ لماذا استعمل صيغة العقلاء لهم وهي أشياء؟ فقال: تسبيحهم، ولم يقل: تسبيحها، وهو يريد الجمع.

(الميم) للعقلاء يقول العلماء هنا: هذه الأشياء لا تحسن إلا للعاقل: التسبيح لا يليق إلا بالعاقل فعندما يتكلم على التسبيح فهذه المسبّحات يعاملها معاملة العقلاء وبصيغة المذكر.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ ما دلالة استخدام يفقهون بدل يسمعون؟

الجواب:

نحن نسمع التسبيح لكن لا نفقهه، والطيور طبعاً تسبّح وأنت تسمعها ولكن لا تفقهها، والله تعالى قال: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد:١٣] نحن نسمع الرعد لكن لا نفقهه، والضفدع تنقّ ونحن نسمع نقيق الضفدع لكن لا نفقه إذا كانت تسبح.

الفقه أنْ تعلم ماذا يقول وماذا يريد، وأنت قد تسمع متكلماً يتكلم بلغة أجنبية لكن لا تفهم ما يقول ولا تفقهه، فالسمع ليس شرطاً في الفقه فالمهم أنْ نفقه ما يقال وليس مجرد السماع.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين العلم والفقه؟

الجواب:

١ـ الفقه: هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا لا يقال إنّ الله يفقه؛ لأنه لا يوصف بالتأمل، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف:٩٣].

٢ـ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] فإنه لمّا أتى بلفظ التسبيح الذي هو (قولٌ)ذَكَرَ الفقه.

٣ـ وسُمّي علم الشرع فقهاً؛ لأنه مبني على معرفة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

السؤال الرابع:

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ لماذا جاءت (تفقهون) وليس (تسمعون)؟ وهل لو سمعناهم لن نفهم؟ وما دلالة ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ بصيغة الجمع؟

الجواب:

١ـ الفقه هو زيادة المعرفة، ولمّا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] الكل يسبح، والتسبيح هو تعظيم وتمجيد وتنزيه لله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به وذكر حمده سبحانه وتعالى دائماً فهو في حمد ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا

﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي: ابتداء من أي جزء يسمى شيئاً، فالقلم شيء، والكرسي شيء ،والنجم شيء، والشمس شيء، وكل ما يصدق عليه كلمة شيء هو يسبح لله سبحانه وتعالى.

قال: لا تفقهون، ولم يقل: لا تسمعون، لأنّ الأصوات الصادرة قد نسمعها وقد لا نسمعها؛ والأذن البشرية مهيئة لسماع ذبذبات معينة منحصرة بين [٢٠ و٢٠٠] ألف ذبذبة في الثانية، وتبارك الله أحسن الخالقين.

وهذه الأذن مهيئة لنقل الرسالة، لكن كيف تنقلها؟ لا أحد يعلم، فإذا كانت الذبذبات أكثر من ٢٠٠ ألف ذبذبة في الثانية أو أقل من ٢٠ ألف لا تسمعه الأذن، فالصوت موجود لكنّ السمع غير حاصل، ويعني هذا أنّ التسبيح موجود بصوت ولكنه غير مسموع.

والتسبيح ليس بالصوت فقط فأحياناً قد يكون بالحركة فالنحل له لغته الخاصة التي هي بالحركة على طريقة رقم ٨ بالإنجليزية بحيث توصل الرسالة إلى المملكة بأنّ هناك طعاماً على بعد كذا باتجاه كذا، فيذهب النحل بدون أنْ تذهب معه فهذه يمكن أنْ تسبح بالحركة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ حتى ذرات جسم الإنسان تسبح، وحتى الكافر ذرات جسمه تسبح، وكل شيء يسبح بحمد الله تعالى.

٢ـ في القرآن الكريم يوجد ما يسمى بالالتفات للمناسبة، فلو نظرت في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ كان يمكن في غير القرآن أنْ يقول (تسبيحها) يعني هذه الأشياء أو (تسبيحه) للشيء، والقرآن ليس شعراً بحيث تقول: أجبرته القافية والوزن

أنْ يقول: تسبيحهم، لا، لكنْ لاحظ لّما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ معناه الجزئيات في الأشياء فصارهناك مجموعة، و﴿مِّن﴾ للتبعيض.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وقد وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في القرآن الكريم في ستة مواضع، بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في ٦٤ موضعاً، فما دلالة التعبيرين؟

الجواب:

١ـ الحلم هو الأناة والتعقل، والحليم من أسماء الله الحسنى بمعنى تأخير العقوبة عن بعض المستحقين ثم يعذبهم وقد يتجاوز عنهم.

وكلمة (حليم) في الآيات لا يؤخذ منها التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت (غفور رحيم) وإنما جاءت هنا (غفور حليم) كتهديد بالعذاب لمن لا يرتدع ويتجاوز الحد.

فمثلاً معنى الآية ٢٣٥ من سورة البقرة: أنه لا يغرنك أيها الزوج حلم الله تعالى عليك فتتمادى في ظلم زوجتك، فإنّ الله مطلع عليك ولا ينسى عملك، وتذكر أنه إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.

٢ـ ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ نجد أنّ السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى ولا يخاف بطشه سبحانه.

كما نلاحظ في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة أنّ الأفعال جاءت فيها بالمضارع ليدل على أنّ هذه الأمور متجددة الحصول وقد نقع فيها فلننتبه وهذه الأفعال هي: ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ - ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ - ﴿تَقُولُواْ﴾ - ﴿تَعْزِمُواْ﴾ - ﴿يَبْلُغَ﴾ - ﴿يَعْلَمُ﴾ - ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾.

السؤال السادس:

ما دلالة (إنْ) النافية في الآية ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾؟

الجواب:

(إنْ) النافية تدخل على الجمل الاسمية والفعلية مثل (ما):

آ ـ فإذا دخلت على الجمل الاسمية كانت:

١ ـ لنفي الحال.

٢ ـ لغير الحال ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فهي هنا للمستقبل.

٣ ـ للحقيقة غير المقيدة بزمن ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المُلك:٢٠] ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة:٢].

٤ ـ للمضي: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر:٢٤].

٥ ـ للاستمرار: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

ب ـ وإذا دخلت على الفعل المضارع كانت في الغالب لنفي الحال كما في الآية: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وقد تكون للاستمرار ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠﴾ [فاطر:٤٠].

ج ـ وإذا دخلت على الفعل الماضي فتكون لنفي الماضي القريب من الحال على الأغلب كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢﴾ [النساء:٦٢] وقد يكون للاستقبال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].



﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ أي: ساتراً. والسؤال: ما السبب في استخدام (اسم الفاعل) بمعنى (اسم المفعول) وبالعكس في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ قسم من المفسرين يرون أحياناً أنّ اسم الفاعل يكون بمعنى اسم المفعول كما في قوله تعالى:

ـ ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق:٦] أي: مدفوق، والمقصود فاعل الدفق لا المني.

ـ ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤٣] بمعنى: لا معصوم.

- ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة:٢١] بمعنى: مرضية، والمقصود صاحب العيشة لا العيشة.

- ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ يعني: ساتراً.

- سقفاً محفوظاً، يعني: حافظاً.

ومن الممكن أنْ تبقى المعاني والصيغ على صورتها الظاهرة ويبقى المعنى.

٢ـ المصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مثل كلمة (خلق) فقد تأتي بمعنى (مخلوق) أحياناً.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣] معنيان:

آ ـ لا عاصم إلا الراحم وهو الله، أي: ليس هناك من ينجيه إلا الله.

ب ـ لا معصوم إلا الناجي.

ثم تأتي بقية الآية ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ لا تمنع كلا التفسيرين.

وهذا ما يسمى من باب التوسع في المعنى. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿حِجَابًا﴾ ما كلمات منظومة الجداروالحواجز؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿إِلَيْكَ﴾ في آيات القران نحو: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ و ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ ليس المقصود في الآية شخص الرسول ﷺ لكنّ المقصود هو القرآن.

٢ـ هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع بحيث يقول ﴿إِلَيْكَ﴾ لا بد أنْ يجري ذكر الرسول في سياق الآية، فإذا قال: إليك فلا بد أنْ يذكر شيئاً يتعلق بالرسول ﷺ.

*** شواهد قرآنية:**

ـ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام:٢٥] المخاطب هو الرسول ﷺ.

ـ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد:١٦] وهذا متعلق بالرسول عليه السلام. ـ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس:٤٢] المخاطب هو الرسول ﷺ.

ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء:٤٧].

فحيث يقول: ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أو ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يجري ذكر الرسول عليه السلام في السياق.



﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

في كل القرآن الكريم ترد ﴿تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ إلا في سورة الإسراء وردت مرتين في الآيتين[٤٩ و٩٨] بقوله تعالى: ﴿عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ فما الدلالة البيانية لكلمة(رفاتاً)؟ ولماذا تقديم كلمة (عظاماً)؟

الجواب:

١ـ ﴿تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ جاء هذا التعبيرحيث ورد في القرآن في أكثر من موضع وهذا هو الأصل، وعندما تنبش قبراً تجد أولاً التراب وتحته تكون العظام ولا تجد لحماً ولا جِلداً، وهم عندما كانوا يرون هذه الجثث الميتة للحيوانات يجدون حولها تراباً وهي عظام فكانوا يقولون: تراباً وعظاماً.

٢ـ في حالة واحدة جاء: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ ويبدو أنها كانت في مناقشة مع رسول الله ﷺ ويبدو أنّ الذين ناقشوه أو أحدهم كان يحمل بيده

عظماً وأمسكه بيده وطحنه بيده فتكسّر العظم، وعندما يتكسّر العظم يكون رفاتاً، والرفات هو الأشياء المكسّرة وليست المطحونة كالتراب، فقال: بعد أنْ كنا (عظاماً) وكسّره قال: (ورفاتاً) وكأنه يقول: هذا شيء ضعيف وقد جعلته رفاتاً وكسّرته، فقالت له الآية: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)﴾ [الإسراء:٥٠-٥١] أي أنّ الرد في الآية: لو كنتم حجارة أو حديداً وهي التي ليس فيها حياة لأعادكم الله عز وجل، فمن باب أولى عندما تكونون عظاماً أو رفاتاً أنْ يعيدكم الله عز وجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)﴾ [الإسراء:٤٨-٤٩].

ولذلك لمّا تكررت المسألة في الآية ٩٨ في نفس السورة كانت هناك إعادة للعبارة الأولى ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾ [الإسراء:٩٨] ففيها إعادة للقول مرة أخرى بأسلوبه فأُعيد الكلام.

٣ـ يجب أنْ نعلم أنّ ما ورد في القرآن هي ليست عبارات من نُقِلَ عنهم وإنما هي بألفاظ القرآن بما قالوه بواقع حالهم.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ذكر الياء وعدم ذكرها في ﴿لِّعِبَادِى﴾ و ﴿عِبَادِ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٦.

السؤال الثاني:

ما نوع العداوة بين إبليس والبشر؟ عندما تذكر العداوة بالنسبة للكفار فتنسب عداوة لله والمؤمنين ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠] بينما وعندما يذكر عداوة الشيطان تكون فقط للمؤمنين ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠]؟

الجواب:

هي عامة لا تنحصر بشيء وتقوم على التحريش بين المؤمنين وإثارة الفتن فيما بينهم كما في الآيات: ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف:٥] ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣] ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] فهي عداوة عامة حتى الآية: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف:٤٢] الشيطان أنساه وهذا من عداوة

الشيطان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة:٩٠] ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١] إذن عداوة الشيطان للمؤمن هي عامة حتى يورده مورد الهلكة إنْ استطاع وحتى يدخله النار في الآخرة.

وفي اللغة كلمة (عدو) عامة، وهذه عداوة موجودة على مختلف الأصعدة حتى يورده مورد الهلكة في النار ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ [الحج:٤] فالعداوة عامة لا تنحصر في شيء.



﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾

السؤال الأول:

ما سبب إفراد (آتينا) لداود عليه السلام في الآية؟

الجواب:

﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾ [الإسراء:٥٥] بمعنى آتينا داوود زبوراً كما آتيناك كتاباً فلماذا خصّ الزبور؟ لأنّ الزبور نزل منجّماً كما أُنزل القرآن على الرسول ﷺ ويخاطب تعالى الكافرين أنهم يؤمنون بداود وقد نزل عليه الزبور منجماً وقد آتيناك كتاباً كما آتينا داوود، فلماذا لا تؤمنون بالرسول عليه السلام؟!!.والله أعلم.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الإيتاء والهبة؟

الجواب:

(الإيتاء) يشمل الهبة وزيادة في اللغة، الإيتاء يشمل الهبة وقد يكون في الأموال وفي غيرها، وهو يشمل الهبة فهو أعم. قال تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف:٢٢] ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء:٥٩] ولا يمكن أنْ نقول: وهبنا بدل(آتيناه الكتاب) لذلك فإنّ آتينا أعم من وهبنا.



﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الشجرة الملعونة في الآية ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [الإسراء:٦٠]؟

الجواب:

١ـ الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء:٦٠] أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك يعني ما أراه ربه في الإسراء والمعراج.

٢ـ الشجرة الملعونة في القرآن هذه شجرة الزقوم كما في الصحيح ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات:٦٤] إذن هي ملعونة وهي أبعد شيء عن الرحمة ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات:٦٥] والقرآن شبّه مجهولاً بمجهول، وما علمنا كيف تكون رؤوس الشياطين، وغالباً التشبيه يكون معلوماً بمعلوم وقد يكون بغير معلوم.

نحن نعلم أنّ الشياطين قبيحة ومخيفة، والشيطان ملعون وهي ملعونة وهو قبيح وهي قبيحة، وهي تخرج في أصل الجحيم فاجتمعت عليها اللعنة من كل جانب فهي شجرة ملعونة. وعندما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ [الدخان:٤٣] قال أبو جهل: إن محمداً يعدكم بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا بالتمر والزبدة لنتزقمها تزقماً، فقال تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ فذكر شجرة الزقوم فوصفها ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات:٦٤] وليس كما ذكر أبو جهل. فالرؤيا التي أريناك هي التي رآها في الإسراء والمعراج ورأى الشجرة أيضاً ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾ معطوفة على الرؤيا.

السؤال الثاني:

ما دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ المعنى: اذكر يا محمد أنّ ربك أحاط بالناس فلا يمكن أنْ يتصرفوا تصرفاً أو يقولوا قولاً يغيب عن علمه تعالى؛ لأنّ الإحاطة تعني الإلمام بالشيء من كل نواحيه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ والناس هنا عامة للكافرين والمؤمنين، لذلك فالإحاطة هنا ليست واحدة فلكلّ منهما إحاطة تناسبه، فإحاطة الكافرين هي إحاطة حصار لا يفلتون منه ولا ينفكون عنه، وإحاطة المؤمنين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فهي إحاطة عناية وحماية حتى لا ينالهم أذى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا﴾ فقد قال جمهور العلماء: إنها حادثة الإسراء والمعراج، وقال آخرون: إنها دخول المسجد الحرام (الفتح ٢٧) وكلمة (رؤيا) هنا تدل على أنها شيء عجيب وغريب كما نقول: هذا شيء لا يحدث إلا في المنام.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِتۡنَةً﴾ عدلت المعنى من الرؤيا المنامية إلى الرؤيا البصرية، والهدف من فتنة الناس هو اختبارهم وتمحيصهم.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ أي: الملعون ذكرها في القرآن، وهي شجرة الزقوم وهي أيضاً فتنة لأنها معطوفة على ما سبقها، وهي شجرة تخرج في أصل الجحيم، ومعلوم أنّ الشجرة نبات لا يعيش إلا بالماء والري، فكيف تكون الشجرة في جهنم؟

والجواب: أنّ المؤمن لا يستقبل آيات الله استقبالاً عقلياً صرفاً وإنما يعمل حساباً لقدرته تعالى؛ لأنّ الأشياء لا تأخذ قوامها بعنصر تكوينها وإنما تأخذه بقانون المعنصر

نفسه، فالخالق يقول للشجرة: كوني في أصل الجحيم فتكون بطلاقة القدرة الآلهية التي قالت: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩].

٦ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ المقصود منها الشجرة الملعون آكلها؛ لأنه لا يأكل منها إلا الأثيم.

٧ـ ولكن لماذا لم يجعل اللعن للآكل وجعلها للشجرة؟

والجواب: لأنّ العربي درج على أنّ كل شيء ضار ملعون، فكأنّ الكافر حينما يرى هذه الشجرة هو الذي يلعنها، فهي ملعونة من آكلها وقد أكل منها لأنه ملعون، لذلك تستطيع أنْ تقول: إنها ملعونة وملعون آكلها.

٨ـ من اعتراضات المستشرقين على شجرة الزقوم أنّ الله تعالى قال عنها في وصفها: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات:٦٥] فكيف شبه أمراً مجهولاً بأمر مجهول أيضاً؟ ونحن لم نر الشيطان لنعرف رأسه !!!

والجواب: أنّ كل الناس وفي كل العالم تتخيل الشيطان في صورة بشعة، ولو أراد الله أنْ يشبه طلع شجرة الزقوم بشيء معلوم لتصورناه على وجه واحد، لكنّ الحق أراد أنْ يُشيع بشاعة الطلع وأنْ تذهب النفس في تصور بشاعته كل مذهب، كما يتكلم العرب في شعرهم عن الغول مع أنه ليس له وجود لأنّ الناس يتصورونه في صورة بشعة مخيفة.

قال الشاعر امرؤ القيس:

أيقتلني والمَشرفيُّ مُضاجِعي   ومسنونةٍ زُرقٍ كأنيابِ أغوالِ

والمشرفي: هو سيف يمني منسوب إلى قرية المشارف في اليمن.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بصيغة االمضارع لتكرير الحدث، وتكرار التخويف لهم نعمة من الله حتى لا يقعوا فيه، كما في قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرحمن:٣٥-٣٦] فجعل النار والشواظ هنا نعمة؛ لأنها إعلام بشيء سيحدث في المستقبل وسيكون عاقبة عمل يجب أنْ يحذروه الآن.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء:٦٠] أي: يزدادون بالتخويف طغياناً لأنهم يخافون هدم سلطتهم الزمنية وسحبها من تحت أقدامهم إنْ آمنوا.

لذلك تجد دائماً أنّ أصحاب السلطة الزمنية هم أعداء الرسل، وتأتي الرسل لهدم هذه السلطة وجعل الناس سواسية.

السؤال الثالث:

إنْ قيل كيف قال تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ وليس في القرآن لعن شجرة ما؟

الجواب:

هناك عدة احتمالات:

١ـ فيه إضمار تقديره: والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن.

٢ـ معناه الملعون آكلوها وهم الكفرة.

٣ـ الملعونة، أي: المذمومة، كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وهي مذمومة في القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان:٤٣-٤٤] وقوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات:٦٥].

٤ـ العرب تقول لكل طعام مكروه أو ضار: ملعون.

السؤال الرابع:

قال في آية الكهف٩٠: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ بينما قال في الإسراء٦٠: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ فما السبب؟ وما الفرق بين (لم) و (ما)؟

الجواب:

١ـ السبب في آية الكهف أنه استعمل (لمْ) مع الفعل المضارع؛ لأنّ ذلك متكرر ومتطاول إذ كل يوم تطلع عليهم الشمس وليس لهم ستر دونها.

أمّا آية الإسراء فالرؤيا وقعت مرة واحدة فجاء بالفعل الماضي مع (ما) فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾.

٢ـ إضافة إلى أنّ آية الإسراء رد على الكفرة الذين سخروا من رؤياه، بخلاف آية الكهف فإنها إخبار لا رد، فجاء في آية الكهف بـ (لم) وجاء بآية الإسراء بـ (ما) والله أعلم.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

متى تثبت (الياء) ومتى تحذف كما في الكلمات التي وردت في آية المنافقون١٠ وآية الإسراء ٦٢: ﴿أَخَّرْتَنِيٓ﴾ ﴿أَخَّرْتَنِ﴾؟

الجواب:

ذكر الياء في آية (المنافقون)١٠ فقال: ﴿أَخَّرْتَنِيٓ﴾ وحذفها في آية الإسراء ٦٢فقال: ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ بسبب الفرق في المقامين، وذلك أنّ:

١ ـ آية الإسراء حكاية على لسان إبليس وطلبه لا يريده من أجل نفسه ولا لأنه محتاج إليه وإنما ليضل ذرية آدم، وهذا الطلب لا يعود عليه بنفع ولا يدفع عنه ضراً بل العكس هو الصحيح.

بينما الطلب في آية المنافقون هو على لسان المتوفى فإنه يريده لنفسه حقاً ولا شيء ألزم منه لمصلحته ودفع الضرر عنه، فطلبُ المتوفى لنفسه على وجه الحقيقة لذلك أظهر الضمير الياء، أمّا طلبُ إبليس فليس من أجل نفسه فحذف منه الضمير واجتزأ بالكسرة.

٢ ـ في سورة (المنافقون) جاء ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ وهو طلبٌ صريح فصرّح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، أمّا طلب إبليس فهو غير صريح فلم يصرّح بالضمير.

٣ ـ تردد فعل التأخير مرتين في سورة المنافقون في حين ذُكر مرة واحدة في سورة الإسراء، فزاد في موطن الزيادة وحذف في موطن الاجتزاء.

فلمّا كان الطلب صريحاً أظهر الياء صراحة ،ولمّا كان في الثانية إشارة إلى الطلب هو أشار إلى ضمير المتكلم ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ إذن عند التصريح صرّح وعند الإشارة أشار، إذن إظهار الياء يكون في المواطن الأكثر توكيداً.

السؤال الثاني:

فعل المضارع (أرى) يتعدى بمفعول أو مفعولين، و بصيغة الماضي يتعدى بمفعولين أو ثلاث، وفي صيغة الاستفهام (أرأيت) كيف تم تركيبة الصيغة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ في سورة الإسراء في الآية: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢]؟ وصيغة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في سورة الأنعام؟

الجواب:

١ـ هناك رأى البصرية للمشاهدة، ورأى القلبية بمعنى عَلِمَ.

٢ـ كلمة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ فيها الفعل (رأى) وفيها كاف الخطاب وفيها تاء الخطاب،وكأنه يقول: أرأيت نفسك.

والعرب لم تستعمل ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ بمعنى: أرأيت نفسك ،وإنما استعملوها بمعنى آخر بمعنى: أعلمني أو: أخبرني. فتقول العرب مثلاً: أرأيتك إنْ جاء زيد ستكرمه كما أكرمت أخاه؟ أي: أخبرني، مع نوع من التأكيد ونوع من التعجب من إكرامه الأول.

وقد تكون للتبكيت كقولك: أرأيتك ستفعل هذا مع فلان كما فعلت مع فلان؟

٣ـ لكن ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ وردت في القرآن الكريم على غير معنى: أخبرني.

ففي آية الإسراء عندما يخاطب إبليس رب العزة: أرأيتك، هو لا يريد: أرأيت نفسك، ولا يريد أخبرني، وإنما إبليس هو في حالةٍ من لفت النظر أو التنبيه إلى هذا الإنسان، كما نقول نحن في العامية: (شايف ابنك إذا بقي على هذه الحالة لنْ يتقدم)، وكأنّ معنى الآية: أترى هذا الذي كرمته علي سأقول لك كلاماً يقينياً بشأنه لأحتنكن ذريته.

٤ـ الهمزة في ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هي همزة سؤال أُريد بها تقرير شيء، كقول الشاعر (**ألستم خير من ركب المطايا**)، لذلك هو تقرير وليس سؤالاً.

٥ـ بناء على ذلك تكون الهمزة للاستفهام، ورأيت: فعل ماض، والتاء ضمير فاعل، والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب، والجملة مقول القول.

أرأيتكم:

١ـ وردت هذه الصيغة في موضعين في القرآن في سورة الأنعام ٤٠ـ٤٧.

٢ـ الصيغة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ فيها نوع من الإفراد والجمع: أرأيت للمفرد والكاف للجمع، وكأنها الكلمة لتنبيه كل فرد على حده.

٣ـ آية الأنعام ٤٠ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ بمعنى: أخبروني وفيها نوع من التأديب والتأنيب بمعنى: إلى من تلجأون غير الله؟!!!!.

٤ـ آية الأنعام ٤٧ ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ ليس فيها معنى الرؤية وإنما الإخبار أو طلب الإخبار أو أنّ المتكلم يخبر السامع بشيء يقين. والله أعلم.

السؤال الثالث:

كيف يستعمل القرآن الفعل (كرّم و أكرم)؟

الجواب:

يستعمل القرآن (كرّم) لما هو أبلغ وأدوم كما هو مبين في الآيات:

١ ـ آية الإسراء ٧٠: هذا تكريم لبني آدم على وجه العموم والدوام.

٢ ـ آية الإسراء ٦٢: هذا القول على لسان إبليس: ﴿كَرَّمْتَ﴾ أي: فضلته علي.

٣ ـ آيتا الفجر ١٥ و ١٧: القصد هو إكرامُه بالمال.

فاستعمل التكريم (كرّم) لما هو أبلغ وأدوم وأعم.



﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ أي: استنهض من استطعت واخدعهم بوسوستك وبصوتك، عن طريق أعوانك من شياطين الجن والإنس.

٢ـ قوله تعالى:﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: صوّت بهم ليسرعوا ولتفزعهم، والعرب تطلق الخيل وتريد بها الفرسان، كما في الحديث «**يا خيل الله اركبي**» وقوله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: للراجل والراكب مثل سلاح الفرسان وسلاح المشاة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ بأنْ يزين لهم اكتساب الحرام، أو يعبث بالأنساب فيزين للناس الزنا فيأتون بأولاد الزنا، والمفروض في الأولاد طهارة الأنساب، أو يزين لهم تهويد الأولاد أو تنصيرهم أو قتلهم مخافة الفقر. والمعنى: شاركهم في الإثم لا في المال.

ومضمون الآية تهديد لا أمر طاعة، كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أي: منّهم بأمانيك الكاذبة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء:٦٤] أي: لا يستطيع أنْ يَغُرَّ بوعوده إلا صاحب الغرة والغفلة، وفي هذا تنبيه للناس على أهمية العقل والحث على استعماله في كل أمورنا.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (أنجى ونجّى) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٢٣.



﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

لما جاءت كلمة ﴿ٱلرِّيحِ﴾ وليس رياح؟

الجواب:

كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء:٦٩].

أما كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات.

لمزيد من المعلومات انظر آية آل عمران ١١٧.

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجو في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في سورة الإسراء؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ ونلاحظ أنه تعالى استعمل صيغة الماضي في الآية (كرّمنا، حملناهم) وفي وقتها لم يكن هناك حملٌ في الجوّ هذا ساعة النزول.

والأمر الآخر أنه لمّا ذكر الآية شملت كل بني آدم من آدم إلى قيام الساعة فلو قال: (في الجو) لشمل التكريم من حُملوا في الجو، وبذلك تكون الآية أغفلت كثيراً من بني آدم، ولما شمل التكريم كل بني آدم في عهد آدم إلى قيام الساعة.

ثم إنّ السياق يتعلّق بالبر والبحر، قال تعالى في السورة نفسها ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء:٦٦-٦٧-٦٨].

السؤال الثاني:

كيف يستعمل القرآن الفعل: (كرّم و أكرم)؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٦٢ من هذه السورة.



﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.



﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾؟

الجواب:

١ـ المعنى العام للآية: لو أنك تنازلت عن المنهج الذي جاءك من الله لصرت خليلاً لهم، كما كنت خليلاً لهم من قبل ويقولون عنك الصادق الأمين، والذي جعلهم في حالة

عداء لك هو منهج الله الذي جئت به إليهم، فلو تنازلت عنه أو تهاونت فيه فسوف يتخذونك خليلاً، فلا تكن خليلاً لهم بل خليلاً لربك الذي أرسلك.

٢ـ كلمة (خليل) هو الذي بينك وبينه حب ومودة بحيث يتخلل كل منكما الآخر ويتغلغل فيه، قال الشاعر:

ولما التقينا قرّبَ الشوقُ جهدَه خليلين زادا لوعة وعتابا
كأنّ خليلاً في خلال خليله تسرب أثناء العناق وغابا

السؤال الثاني:

ما إعراب ﴿ وَإِن كَادُواْ ﴾؟

الجواب:

الواو حرف استئناف، إنْ: مخففة من الثقيلة مهملة، كادوا: فعل ماض ناقص والواو ضمير في محل رفع اسمها.



﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا (٧٤) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ ما كلمات منظومة ألطاف الله على عباده المؤمنين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال٢٦.

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

١ـ استفزه أي طلب منه النهوض، والمراد: حَمْلُك على الخروج من مكة.

٢ـ المعنى العام: لو أخرجوك من مكة فلن يلبثوا فيها بعدك إلا قليلاً، وقد حدث فعلاً فبعد خروج النبي ﷺ من مكة بعام جاءت بدر فقُتل سبعون من صناديد قريش وأُسر سبعون، وبعد أنْ خرج الرسول ﷺ من مكة لم يتمتعوا فيها بالنعيم ولا بالسيادة التي كانوا يرجونها بعد خروجه.

السؤال الثاني:

كيف تكتب ﴿وَإِذًا﴾ هل بالألف أم بالنون (إذن)؟

الجواب:

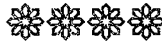
كلمة (إذن):

هي مما كتب بالألف مثل التنوين المنصوب، ويبدو أنها كانت يوقف عليها بالألف فجاءت مرسومة في المصحف كذلك حيث وقعت.

وقد مال جمهور النحاة في العصور المتأخرة إلى كتابتها بالنون، بينما مال جمهور أهل الرسم إلى كتابتها بالألف، كقوله تعالى:

- ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء:٧٦].
- ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء:٥٣].
- ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ [الإسراء:٧٥].
- ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ [الأنعام:٥٦].

وحين تلتقي الألف التي هي عوض التنوين بألف أخرى في آخر الكلمة فإنّ الرسم العثماني جرى على إثبات ألف واحدة بسبب كراهة اجتماع صورتين متفقتين في الخط نحو: ﴿مَآءً﴾ - ﴿غُثَآءً﴾ - ﴿جُفَآءً﴾ - ﴿سَوَآءً﴾.



﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التكرار في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:٤٣] في آية فاطر ٤٣، وقوله في سورة الفتح٢٣ ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح:٢٣] وقوله في آية الإسراء ٧٧ ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾؟

الجواب:

آية فاطر:

قال الإمام محمود بن حمزة الكرماني في كتابه أسرار التكرار في القرآن الكريم، المسمى: «البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» عند ذكر سورة فاطر ما نصه:

آـ التبديل: تغيير الشيء عما كان عليه، ولا يكون التبديل إلا برفعه ووضع آخر مكانه، كقوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء:٥٦] وكذلك: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

أمّا الإبدال فجعل الشيء مكان الشيء، يقال: بدلّه إذا غيّره وأبدله، أي: جاء ببدله.

ب ـ وأمّا التحويل فهو نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنة الله تعالى لا تبدل ولا تحول، فخصّ هذا الموضع بالجمع بين الوصفين لما وصف الكفار بوصفين وذكر لهم غرضين وهو قوله:

١ ـ في الآية ٣٩: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾

٢ـ وقوله في الآية ٤٣: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ وقيل هما بدلان من: ﴿نُفُورًا﴾ فكما ثنى الأول والثاني، ثنى الثالث والرابع، ليكون الكلام كله على غرار واحد.

آية الفتح:

قال في الفتح: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح:٢٣] فاقتصر على مرة واحدة لما لم يكن للتكرار موجب.

آية الإسراء:

وخص سبحانه في سورة الإسراء بقوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾ لأنّ قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ: لو كنت نبياً لذهبت إلى الشام فإنها أرض المبعث والمحشر، فهمَّ النبي ﷺ بالذهاب إليها، فهيأ أسباب الرحيل والتحويل فنزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿وَإِن

كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء:٧٦] وختم هذه الآية بقوله: ﴿تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ تطبيقا للمعنى. والله أعلم.



﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (مُدخَل ومدّخل) في الآية: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠] و﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة:٥٧]؟

الجواب:

عندنا: مَدخَل ومُدخَل ومُدّخل.

١ـ مَدْخَل: اسم مكان للدخول يقابله: مَخرَج (للخروج) وهو من الفعل الثلاثي (دخل).

٢ـ مُدْخَل: من الفعل الرباعي (أدخل) وهو اسم مكان ومصدر ميمي واسم زمان.

٣ـ مُدَّخَل: من (أدخل) مع المبالغة، أي: لا يستطيع الدخول إلا إذا اجتهد في الدخول، ولذلك قال الله عن المنافقين: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة:٥٧] أي: دخلوا فيه بقوة؛ لأنهم يريدون فقط أنْ يهربوا، و (مُدَّخل) أي: أدخله مُدخِل في قوة وشدة.

والمُدَّخل: هو نفق اليربوع يدخل فيه بصعوبة.

٤ـ الفعل (دخل) أي: بنفسه، وأما الفعل: (أدخل) أي: يُدخِله شخص آخر.



﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الشفاء والرحمة؟

الجواب:

الرحمة: أنْ لا يبتلي الله الإنسان بمرض فهي الوقاية، وأمّا الشفاء: فهو أنْ يزيل الحق أي مرض أصاب الإنسان، وهذا هو البرء بعد العلاج: [الإسراء ٨٢].

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الشفاء: أنْ تعالج داء موجوداً لتبرأ منه، والرحمة: أنْ تتخذ من أسباب الوقاية ما يضمن لك عدم معاودة المرض.

٢ـ المؤكد أنّ القرآن شفاء بالمعنى العام الشامل للماديات والمعنويات، فشفاء الماديات كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري في رقية أحد أفراد السرية لكبيرِ قومٍ لديغ مروا

بهم فرقاه بالفاتحة فشفي، ثم أعلموا الرسول ﷺ بذلك فقال: **وما أدراك أنها رقية (أي أنها رقية) ثم قال ﷺ: « كلوا منها واجعلوا لي سهماً معكم»**.

وهذا ليس عجيباً لأنْ تقرأ كلام الله وهو رب كل شيء وبكلمة (كن) يفعل ما يشاء.

ولما اعترض أحد المشككين بذلك فقال: كيف يُشفى المريض بكلمة؟ هذا غير معقول!!.

فقال له العالم: اسكت فإنك حمار، فغضب الرجل وهم بترك المكان وقد ثارت ثورته، فنظر إليه العالم وقال: انظر ماذا فعلت بك كلمة، فما بالك بكلمةٍ المتكلم بها هو الحق سبحانه.

السؤال الثالث:

لماذا قدّم الله الشفاء على الرحمة في الآية؟

الجواب:

قدّم الله الشفاء على الرحمة؛ لأنّ الرحمة تقي الناس من أي شرّ قادم ولكنْ لا بدّ من الشفاء أولاً.

وعندما نزل القرآن كانت الأمراض والداءات تملأ المجتمعات مثل الظلم وأكل حقوق الناس واستعباد الإنسان للإنسان وغير ذلك من أمراض المجتمع، فجاء الإسلام أولاً ليشفي هذه الأمراض إذا اتبع منهجه، ثم بعد ذلك تأتي الرحمة وتمنع عودة هذه الداءات، فإذا حدثت غفلة عن منهج الله عادت الداءات والأمراض، فإذا عدت إلى صيدلية القرآن لتأخذ منها الدواء يتم الشفاء.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال ﴿أَنْعَمْنَا﴾ بضمير المتكلم واستعمال ﴿مَسَّهُ﴾ بضمير الغائب؟

الجواب:

هناك خط عام في القرآن الكريم وهو أنّ الله تعالى لا ينسب الشرّ لنفسه مطلقاً كما في الآية: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الإسراء:٨٣] ولم يقل: (مسسناه بالشرّ) وإنما ينسب الخير إلى نفسه.

والخير يُقصد به الخير العام وليس شرطاً أنْ يكون الخير الفردي كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد:٣٢].

وأخذ الكافرين وإهلاكهم هو من الخير العام، وهو نعمة على الناس أصلاً، وهذا أيضاً ليعلّمنا الله تعالى أنّ الخير والشر مقدّران من الله تعالى، وهذا هو يقين العقيدة حتى لا يتبادر إلى ذهن الإنسان أنّ هناك إلهاً للخير وإلهاً آخر للشرّ كما كانوا يعتقدون قبل الإسلام.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه:٨٥] نسب الفتنة إليه سبحانه وتعالى وهى ليست شراً، وإنما هي ابتلاء فالله تعالى خلق الموت والحياة للابتلاء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك:٢]، وفي القرآن

يذكر ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل:٤] ولم يرد في القرآن مرة (زينا لهم سوء أعمالهم) وإنما جاءت ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾ [التوبة:٣٧].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (النأي والبعد)؟

الجواب:

النأي: يأتي بمعنى الإعراض والصد وهو نقيض الإقبال.

البعد: يأتي على الحقيقة أو المجاز، سواء في البعد المكاني أو الزماني، المادي والمعنوي وهو نقيض القرب، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج:٦-٧].



﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت في القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ و ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ فما دلالة إضافة الواو وحذفها؟

الجواب:

الواو تكون عاطفة فعندما يبدأ موضوعاً جديداً لا يبدأ بالواو وإنما يبدأ بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أمّا إذا أراد أنْ يستكمل كلاماً سابقاً فيأتي بالواو، ووردت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ في ستة مواضع كلها فيها عطف منها، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] و ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ في كل القرآن؟

الجواب:

١ـ التحدي كان بأكثر من صورة، كان هناك تحدٍّ في مكة وتحدٍّ في المدينة.

٢ـ السور المكية جميعاً جاءت من غير (من) مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

٣ـ أمّا في المدينة وفي سورة البقرة، وهي المكان الوحيد الذي قال: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٣].

هنا القرآن انتشر وأسلوبه صار معروفاً، الآن يقول لهم: ﴿بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] لو قال: (بسورة مثله) كما قال سابقاً يعني سورة مثل سور القرآن الكريم.

و ﴿مِّن﴾ هذه للتبعيض، والقرآن هل له مثل حتى يطالَبوا ببعض مماثله؟ هو هنا لم يقل: (فأتوا بمثله) وإنما ببعض ما يماثله ولا يوجد ما يماثله؛ لأنه سبق وقال تعالى: ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ فما معنى ذلك؟ هذا معناه زيادة التوكيد، أي بجزء من ذلك المثال الذي تخيلتموه، فهذا أبعد في التيئيس وإمعان في التحدي من قوله ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ مباشرة.

السؤال الثاني:

لماذا قدّم الجن على الإنس في آية الرحمن٣٣ بينما عكسها في آية الإسراء ٨٨؟ وما معنى المعشر؟

الجواب:

١ـ المعشر: هو الجماعة العظيمة، وتحقيقه أنّ المعشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بالابتداء فيه حيث يعيد الآحاد، فيقول: أحد عشر واثنا عشر، وثلاثون أي: ثلاث عشرات، فالمعشر كأنه محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة.

٢ـ الخطاب في آية الرحمن عام للإنس والجن بمعنى أنه لا مهرب ولا مخرج لكم عن ملك الله تعالى، وأينما توليتم فثم مُلك الله، وأينما تكونوا أتاكم حكم الله.

٣ـ قدّم الجن في آية الرحمن على الإنس لمظنة نفوذ الجن من أقطار السماوات والأرض أكثر وأليق.

والحديث في آية الرحمن عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، ولا شك أنّ هذا هو ميدان الجن لتنقلهم وسرعة حركتهم وبلوغهم أنْ يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع فقدّم الجن على الإنس؛ لأنّ النفاذ مما يناسب خواصهم وماهية أجسامهم أكثر من الإنس.

٤ـ بينما قدّم الإنس على الجن في آية الإسراء ٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ لأنّ الإتيان بمثل القرآن من الإنس أليق.

فقدّم الإنس على الجن؛ لأنّ مضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثله، أي: بنظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته، فالإنس في هذا المجال هم المقدمون؛ لأنهم هم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان لذلك كان تقديمهم أولى.



﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الإسراء ٤١ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ وبعدها في الآية ٨٩ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [الإسراء:٨٩] بتقديم الناس على القرآن وفي آية الكهف ٥٤ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ﴾ [الكهف:٥٤] بتقديم القرآن على الناس؟ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ٤١.

السؤال الثاني:

في آية الإسراء٨٩ قدّم ﴿لِلنَّاسِ﴾ على ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وأخّرها في آية الكهف٥٤ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ﴾ [الكهف:٥٤]، فلماذا؟

الجواب:

في آية الإسراء٨٩ قدّم ﴿لِلنَّاسِ﴾ على ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وأخّرها في آية الكهف٥٤ وذلك:

١ ـ تقدّم الكلامُ في الإسراء على الإنسان ونعم الله عليه ورحمته به. (انظر الآيات: ٨٣ـ ٨٨) فناسب ذلك تقديم الناس في سورة الإسراء ولم يتقدم مثل ذلك في الكهف.

٢ ـ بدأت سورة الكهف بالكلام على الكتاب وهو القرآن ثم ذكر قصص الأنبياء والناس، فناسب أنْ يتقدم ذكر القرآن على الناس في الآية (٥٤).

٣ ـ أمّا سورة الإسراء فقد بدأت بالكلام على الناس ثم القرآن فقد بدئت بالآية الأولى ثم تكلم عن بني إسرائيل، ثم قال بعد ذلك في الآية٩: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] فكان من المناسب أنْ يتقدم ذكر الناس فيها على ذكر القرآن، وهذا تناسب عجيب بين الآية ومفتتح السورة في الموضعين.

٤ ـ ختم آية الإسراء بقوله: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ والكُفُور هو جحد النعم، فناسب ذلك تقدم ذكر النعمة والرحمة والفضل في الآية (٨٣).

٥- ختم آية الكهف ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف:٥٤] وذلك لمّا ذكر قبلها وبعدها من المحاورات والجدل والمراء مثل الآيات: [٣٤-٣٧-٥١-٢٢] ومحاورة موسى عليه السلام والرجل الصالح، ولم يرد لفظ الجدل ولا المحاورة في سورة الإسراء كلها، فما ألطف هذا التناسق وما أجلّ هذا الكلام !



﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين الفعلين (تَفجُر و تُفجِّر)؟

الجواب:

(تفجُر) على صيغة أفعل، و(تفجّر) على صيغة فعّل، وهي تفيد التكثير كقوله تعالى: ﴿تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء:٩٠] وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ استعمل صيغة تفجر للينبوع، والصيغة التي تفيد التكثير استعمل (تفجّر) للأنهار لأنها أكثر.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

نحن من أتباع محمد ﷺ فإذن دعوة الناس لطاعة الله سبحانه وتعالى واجب من واجباتنا، والرسول بشر ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء:٩٣] **وتصبّره عليه السلام على قومه هو من جهده البشري.**



﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

من استعراض آيتي الإسراء ٩٤ والكهف ٥٥ نلاحظ أنه تعالى حصر في آية الإسراء غير ما حصر في آية الكهف، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ آية الإسراء: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ فيها إشارة إلى (المانع العادي) وهو استغرابهم أنّ الله بعث بشراً رسولاً.

٢ـ آية الكهف: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف:٥٥] دلت على (المانع الحقيقي) وهو إرادة الله تعالى، ويكون تقدير الآية: إلا إرادة الله هلاكهم لما سبق في علمه.





﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

جاء في القرآن الكريم كله تقديم كلمة (شهيد) على (بيني وبينكم) كما جاء في[آية سورة الإسراء ٩٦ ـ الأنعام ١٩ ـ يونس ٢٩ـ الرعد ٤٣ـ الأحقاف ٨]أمّا في آية سورة العنكبوت ٥٢ فقد جاءت كلمة (شهيد) متأخرة فما سبب الاختلاف؟

الجواب:

القاعدة البيانية:

١ـ التقديم والتأخير يفيد الاعتناء والاهتمام، فمثلاً قولك: أكرم خالداً زيدٌ، و قولك: خالداً أكرمَ زيدٌ، فالأولى فيها زيادة الاعتناء بالكرم وخالد أكثر من الاعتناء بزيد، والثانية تكون عنايتك بخالد أكثر من الكرم ومن زيد، فالتقديم يفيد زيادة في الاهتمام.

٢ـ جاء في القرآن كله تقديم كلمة (شهيد) على بيني وبينكم في خمسة مواضع وهي في الآيات:[الأنعام ١٩ ـ يونس ٢٩ـ الرعد ٤٣ـ الإسراء ٩٦ـ الأحقاف ٨].

بينما جاءت كلمة (شهيد) متأخرة عن (بيني وبينكم) في موضع واحد وهو آية العنكبوت ٥٢.

لمزيد من التفصيل انظر آية الأنعام ١٩.



﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا وردت كلمة ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ بدون ياء في آية سورة الاسراء ٩٧ و ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾ في آية سورة الأعراف ١٧٨؟

الجواب:

إنّ خط المصحف لا يُقاس عليه، لكن مع هذا لو لاحظنا لفظ الهداية في سورة الأعراف ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٨] بالياء وقوله في سورة الإسراء: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧] وفي سورة الكهف ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف:١٧] بدون ذكر الياء، ولو لاحظنا آيات السور لوجدنا أنّ لفظ الهداية تكرر في سورة الأعراف ١٧ مرة، وفي سورة الإسراء ٨ مرات وفي سورة الكهف ٦ مرات فناسب ذكر الياء في سورة الأعراف دون سورتي الإسراء والكهف. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة ذكر وعدم ذكر الياء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ﴾ [الإسراء:٩٧] و ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ﴾ [الأعراف:١٧٨]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف١٧٨.

السؤال الثالث:

ما دلالة حرف العطف في الآية ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧]؟

الجواب:

في الآية ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧] **الواو عاطفة،** وهنا (واو العطف) لم تأت على نية تكرار العامل.

مثال: عندما نقول «خرج الطلاب فاهمين فرحين شاكرين» هذه حالهم، وبهذه الأحوال خرجوا. وعندما نقول «خرج الطلاب فاهمين وشاكرين ومسرورين» عندما يكون بالعطف كأنه تتكون حملٌ جديدة فيها نوع من الاهتمام.

ونية تكرار العامل في الآية يعني نحشرهم عمياً ونحشرهم صماً ونحشرهم بكماً فيكون فيها نوع من التمييز للتنبيه أو لتركيز هذا المعنى.

وفكرة الحشر على الوجوه، هو حسب الحديث رواه الترمذي والنسائي وأحمد « أنّ رجلاً قال: يا نبي الله كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال عليه السلام: **أليس الذي أمشاه على رجليه قادر أنْ يحشره على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعزّة وربنا».**

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]؟

الجواب:

١ـ الهداية نوعان: هداية دلالة مطلقة وهذه لجميع الخلق المؤمن والكافر، وهداية توفيق ومعونة للقيام بمطلوبات المنهج الذي آمنوا به وهذه خاصة بالمؤمن.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧] هذا استطراق لوسائل الإهانة ففضلاً عن مشيهم على الوجوه سحباً ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ فهم أيضاً عُميٌ لا يرون شيئاً ولا يهتدون، وهم صمٌ لا يسمعون نداء، وهم بكمٌ لا يقدرون على الكلام.

٣ـ وردفي القرآن الكريم كثيراً ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ بهذا الترتيب بينما جاء في هذه الآية ﴿وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ومعلوم أنّ الصمم يسبق البَكَم؛ لأنّ الإنسان يحكي ما سمعه فإذا لم يسمع شيئاً لا يستطيع الكلام، واللغة بنت السماع.

ولكن لماذا جاء البكم أولا في هذه الآية؟

لأنه ساعة يُفاجأ بهول البعث والحشر كان المفروض أنْ يسأل أولاً عما يحدث ثم يسمع بعد ذلك إجابةً على ما هو فيه، لكنه فوجىء بالبعث وأهواله ولم يستطع حتى الاستفسار عما حوله، وهكذا سبق البكم الصمم في هذا الموقف.

٤ـ هذا الحال في ساعة البعث حيث قاموا من قبورهم، ثم بعد ذلك يعودون إلى توازنهم، ويعود لهم بصرهم ليشاهدوا به ألوان العذاب الخاصة بهم، وهكذا جمع الله لهم الذل في الحالين: حال العمى وحال البصر.

انظر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ [مريم:٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣﴾ [الكهف:٥٣].

وقوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق:٢٢].

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية الإسراء ٩٧: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾ ومعنى خبت أي: سكنت، وقوله تعالى في آية الزخرف٧٥: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾؟ فكيف الجمع بين الآيتين؟

الجواب:

لا يلزم من سكون النار نقص العذاب بها إمّا لبقاء حرها أو لعذابهم بشيء آخر كالزمهرير، فلا يفتر عنهم العذاب أبداً بحرها أو بزمهريرها.

السؤال السادس:

ما دلالة اختلاف النظم والتركيب لقوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ في آيتي سورتي البقرة١٨و ١٧١ والإسراء٩٧؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨.

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في كل القرآن الكريم ترد ﴿تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ إلا في سورة الإسراء وردت مرتين في الآيتين ٤٩ و ٩٨ بقوله تعالى: ﴿عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ فما الدلالة البيانية لكلمة (رفاتاً)؟ ولماذا تقديم كلمة عظاماً؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ٤٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال التعبيرين ﴿تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ ﴿عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

الرفات: هو الفتات والحُطام من كل شيء فإذا بلي الرفات أصبح تراباً ولذلك فإنّ التراب والعظام أدل على البلى من العظام والرفات لسبب ما ذُكر آنفاً.

ولذلك بعث التراب والعظام أبعد في عقول المنكرين وأغرب من بعث العظام والرفات. وهذا يتضح من السياق الذي يرد فيه كل من التعبيرين.

١ـ وردت ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ في أكثر من موضع في القرآن وهذا شيء طبيعي لأنه عندما تنبش القبر تجد أولاً التراب ثم العظام انظر الآيات: [المؤمنون٣٥ـ ٨٢ـ الصافات ٥٣ـ الواقعة ٤٧].

٢ـ بينما وردت ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ مرتين في سورة الإسراء:[٤٩ـ٩٨].

٣ـ آية الإسراء ٤٩: كانت في مناقشة أحد المشركين لرسول الله ﷺ وفي يده عظمٌ فكسره وطحنه بيده فأصبح العظم رفاتاً لا تراباً، أي فيه أجزاء مكسرة فناسب هنا ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾.

٤ـ آية الإسراء ٩٨: أعاد العبارة نفسها لأنه أعاد ذكر الحالة.

٥ـ القرآن يعبر عن أقوالهم وليس نقل أقوالهم نفسها، فيمكن أنْ قالوا مثلاً: أهذا العظم بعد أنْ كسرته وصار فتاتاً أيعود؟

وكلام الله لا يشبهه بشر، حتى أنّ عبارة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث، لم يقل: وافقني ربي، وإنما يعني عبارته جاءت بالمعنى الذي جاء به القرآن فهو لم يوافقه في لفظه وإنما في المعنى العام.

٦ـ أنه حيث ذكروا التراب والعظام أضافوا إلى ذلك ذكر الموت فيقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ وذلك للزيادة في العجب وللتوسع في الاستبعاد والإنكار، فالميت لا يحيا وإنْ كان حديث الموت فكيف إذا أصبح تراباً وعظاماً.

ولم يُذكر مثل ذلك مع العظام والرفات. والله أعلم.

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الكلمات:[كفر ـ كفران ـ كفور]؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (الكفر) في القرآن الكريم في ٢٧ موضعاً كلها تدل على الكفر في الدين.

٢ـ وردت كلمة (كفران) في موطن واحد في آية الأنبياء ٩٤وهي بمعنى الجحود وتقابل الشكر.

٣ـ وردت كلمة (الكفور) في ثلاثة مواضع، وتحتمل المعنيين:[الإسراء ٨٩ـ الفرقان ٥٠ـ الإسراء ٩٩] فكأنّ الكفور أعم من الكفر والكفران. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: (قدر ـ استطاع ـ أطاق) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٨.

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفعل (كان) في الآية ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ١١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ ما كلمات منظومة الإمساك والصوم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم**٢٦**.



﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ
فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين فعل الأمر:(اسأل وسل)؟

الجواب:

الفعل (سل): إذا بدأنا بالفعل فالعرب تخفف وتحذف كما ورد في الآية الكريمة: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١] وإذا تقدمها أي شيء يؤتى بالهمزة كما في الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:١٠١] هذه قاعدة عند أكثرية العرب، إذا سبقها شيء يبدأ بالهمزة وإذا بدأنا بها تحذف ﴿سَلْ﴾.



﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿مَثْبُورًا﴾ ما الفرق بين صيغة: مفعول وفعيل؟

الجواب:

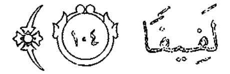
١ـ صيغة (مفعول) تحتمل الحال والاستقبال، وعندما تقول: (أراكِ مقتولاً) يمكن أن يكون في هذا اليوم أوبعده ولم يُقتل بعد، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:١٠٢] لم يقع بعد هذا، وكما قال عبد الله بن الزبير: اعلمي يا أماه أني مقتول من يومي هذا.

٢ـ صيغة (مفعول) تقال لما حصل أو لما لم يحصل بعد في المستقبل، وعندما تقول: هو مقتول، قد يكون هو فعلاً مقتولاً، وقد يكون ليس مقتولاً لكنْ سيقتل.

لكن الوصف بصيغة (فعيل) لا يمكن إلا أنْ يكون قد قتل بالفعل، ولا يمكن أنْ تقول لمن سيقتل: قتيل، ولا تقال إلا لمن وقع عليه الفعل حقاً. أمّا (مفعول) فليس بالضرورة وتقال لما وقع أو لما سيقع.



﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ



السؤال الأول:

هل المقصود في كلمة (لفيفاً) في الآية ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ أنّ دولة إسرائيل تجمع كل اليهود؟

الجواب:

لا يبعد أنهم يجتمعون في الأرض ثم يبطش بهم أناس أشداء ويتبروا ما علوا تتبيراً.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى لبني إسرائيل في الآية ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾؟

الجواب:

مادام الحق تعالى قال: ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ فهي الأرض كل الأرض، وهل يمكن أنْ تكون الأرض كلها وطناً لليهود؟ طبعاً: لا، ولكنّ الحق كتب عليهم أنْ يتفرقوا في

الأرض فلا تكون لهم دولة إلا عندما يشاء الله أنْ يجمعهم في مكان واحد ثم يسلط عليهم عباده المؤمنين.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱسۡكُنُواْ﴾ معناه: انساحوا في الأرض فلا تجمّع لكم؛ لأنه عندما تقول لشخص: اسكن القاهرة مثلاً أو دمشق فإنك تحدد له مكاناً معيناً من الأرض، أمّا قول الله: ﴿ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وهم وغيرهم في الأرض فمعناه انساحوا وتوزعوا في كل الأرض فلا تجمّع لكم في مكان معين باستمرار.

٢ـ ثم يقول الحق: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾ أي: عندما يأتي وعد الآخرة يأتي بهم الحق لفيفاً ويتجمعون لتكون الضربة قاضية عليهم وموجهة إلى مكان واحد؛ لأنّ المؤمنين لن يحاربوا اليهود في كل مكان تعيش فيه طائفة منهم، بل ستكون الضربة عليهم في مكان واحد، ولذلك سيسبقها تجمعهم في مكان واحد في الوطن القومي الذي يفرحون به الآن.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ هل هذا مجرد توكيد أم فيها أكثر من توكيد؟

الجواب:

١ـ الحق الأول غير الحق الثاني وليس تكراراً لكلمة الحق.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي أنزلناه بالحكمة الإلهية في الوقت الذي اقتضى التنزيل، وربنا سبحانه وتعالى علِم الوقت الذي اقتضى التنزيل، وقوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام هو حق.

٣ـ وهذا مثل مجتمع فيه فساد فقامت فيه دعوات للإصلاح، وقيام هذه الدعوات هذا حق من حيث المبدأ لأنّ المجتمع يحتاجها، لكن هل ما جاء في هذه الدعوات حق؟ هل هذا المنهج حق؟ هناك فرق بين الحق الأول والحق الثاني لكنّ الوقت يقتضي الإصلاح، هل ما جئت به هو الحق الذي سيصلح فعلاً؟

٤ـ الحق الأول ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الحكمة تقتضي الإصلاح لأنّ المجتمعات تقتضي الإصلاح ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ ما فيه من الأحكام هو حق، إذن هو الوقت والحكم حق، وفي الآية ذكر الحق في الإنزال وما فيه من الأحكام ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ إذن الحق غير مكرر.

السؤال الثاني:

في الآية ما يسميه النحاة التنازع، فما التنازع في اللغة؟

الجواب:

ورد عن العرب قولهم: (حضر واستمع خالد، وأعظمت وكرمت علياً) وهذا يسمى باب التنازع؛ لأنّ العاملين يتنازعان معمولاً واحداً، وإعمال الثاني هو الأولى عند الجمهور، وبه ورد القرآن الكريم ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف:٩٦] وقد يُعمل الأول.

وهذا الباب يقوم عمله على قاعدتين بحسب القصد والمعنى وهما:

١ـ ما أعملته في الاسم الظاهر أهم عندِك مما أعملته في الضمير؛ لأنّ الاسم الظاهر أقوى من الضمير.

٢ـ ما ذكرته وصرحت به أهم مما حذفته.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف:٩٦] فإنّ الاهتمام بالإفراغ أكبر من الإيتاء، لأنّ القصد من الإيتاء بالقطر هو إفراغه، فجعل القطر معمولاً للإفراغ، ولو جعله للأول لقال: آتوني أفرغه عليه قطراً.

ـ ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ [الحاقة:١٩] جعل الكتاب مفعولاً للقراءة ولم يجعله لاسم الفعل؛ لأنّ القراءة على الكتاب أهم من مجرد المناولة.

ـ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ في التصريح من البهجة ومن الفخامة ما لا يخفى على أحد.

ـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ [الإخلاص:١-٢]. في التصريح من البهجة ومن الفخامة ما لا يخفى على أحد.

ولو تُرك فيه الإظهار إلى الإضمار فقيل: وبالحق أنزلناه وبه نزل، وقل هو الله أحد هو الصمد، لعدمت الذي أنت واجده الآن.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (أُنزِل ونزّل) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾ [الإسراء:١٠٥] أنزلته فنزل، نزل هنا صار للمطاوعة، كما تقول أعلمته فعلِم، أخرجه فخرج، أي: طاوع فِعلي، والفرق الدلالي أنّ أنزلته أي: أنا أفعل، ونزل أي: هو فعل القائم بالفعل اختلف.

والفرق بين (أُنزِل ونزّل) أنّ أنزل كأنه مرة واحدة، ولذلك أنزل التوراة والإنجيل، ونزّل من معانيها التدرّج وكذلك الاهتمام، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾ [القدر:١] أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم بعد ذلك نزل مفرّقاً؟ ولذلك الفعل: نزّل (فعّل) تأتي للتدرج كما تقول : علّمه.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة قرآن؟

الجواب:

من حيث اللغة صيغة (فُعلان) تأتي مصدراً مثل كلمة غفران، من غفر، فالغفران مصدر، و(قرأ قراءة وقرآناً) فهو مصدر أي: عمل القراءة.

والمصدر هو الحدث المجرّد من الزمن، ومن حيث اللغة (قرأ قراءة وقرأ قرآناً) فهو مصدر قياسي أي: فعل فعلان.

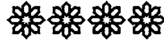
وقراءة القبائل التي استقرت في مكة كانت تقرأ هكذا (القران) من غير همز. وهم لا يقولون مؤمن بل مومن، ولا يقولون بئر بل بير، هكذا فهم لا يهمزون.

والرسول ﷺ كان يُقرئهم بالهمز فهمزوا، فقد قرأ (قرآن) و(قران) بالحالين، أو قرئت بين يديه فأجازها بأمر من ربه سبحانه وتعالى.

والقرآن هو اسم لكتاب الله عز وجل الذي أنزله على نبيه ﷺ وليس مشتقاً فقط من القراءة فهو اسم خاص، وهوكما قال: توراة، إنجيل قال: قرآن أو قران بالهمز أو بغير الهمز، وللإمام علي رضي الله عنه كلمة يقول فيها: «نزل جبرائيل بالهمز وما كنا أهل همز، ولولا أنّ جبرائيل نزل بالهمز ما همزنا»، وهذا النص صحيح.

ونفهم قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ﴾ [الإسراء:١٠٦] بأنه مرتبط بالقراءة لأنّ القرآن صار اسماً، وهو في الأصل مصدر سمي به الكلام المنزل على محمد ﷺ مما هو بين الدفتين بيننا وصار اسماً له، وصار علماً عليه، وجعل المصدر علماً معروفاً.

ويقول في «المعجم»: والأصل في هذه اللفظة الجمع في لفظة قرأ قرآناً فالفعل (قرأ) فيها معنى الجمع؛ لأنه عندما يقرأ فهو يقرأ شيئاً قد جُمعت حروفه فضم حرف إلى حرف، وسُمي القرآن قرآناً ؛لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض.



﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تخفيف همزة ﴿إِنَّ﴾ في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٢٩.



﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

السؤال الأول:

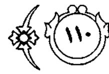
ما دلالة كلمتي (الخشوع والخضوع)؟

الجواب:

الخضوع: قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: خضع إلا تجوزاً.

والخشوع : من أفعال القلوب ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظرالآيات: [الإسراء ١٠٩ـ البقرة ٤٥ـ الأنبياء ٩٠ـ آل عمران ١٩٩ـ الحديد ١٦ـ الغاشية ٢].



﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا  ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ما كلمات منظومة الجمال؟

الجواب:

الكلمات هي:

الجمال:

هو الكمال في عضو واحد من الأعضاء كالأنف الجميل، والجمال عكس القبح.

الحُسن:

إذا كان كله جميلاً يسمى بالحُسن، والحُسن عكس الدمامة، وقوله تعالى: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ لأنها مطلقة عامة.

لذلك الجمال نسبي والحُسن عام.

زينة:

هو كل ما يجعل القبيح جميلاً كأدوات الزينة والمال والبنون، وهي سريعة الزوال.

الوسيم:

هو كل أثر في الوجه تركه موسوماً محدداً، والوسمي هو الاخضرار في الأرض بعد المطر: الفتح ٢٩.

الجميل:

الجمال كله مطلوب وهو نوعان: إمّا كمال لذاته، إنسان جميل فأمتدحه، وإمّا جمال يستحق الحمد. فالجمال مادي ومعنوي.

النضارة:

هي الجمال المترف وهي حُسن المترفين، وتطلق النضارة على الجمال عندما يكون فيه بهاء وإشراق: القيامة ٢٢.

عكس النضارة الجفاف.

وعكس الزينة التعطيل.

وأما الوسامة فيس لها عكس.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الجن: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن:٣] و﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ في سورة الإسراء،ما الفرق بينهما؟ وما الفرق بين (ما) و(لم)؟

الجواب:

(ما) في الغالب تقال للرد على قول في الأصل هو رد على دعوى،نحو: أنت قلت كذا؟ أقول: ما قلت.

أمّا (لمْ أقل) قد تكون من باب الإخبار فليست بالضرورة أن تكون رداً على قائل.

وقولهم: (لم يفعل) هي نفي لـ(فعل)، بينما (ما فعل) هي نفي لـ (لقد فعل). وكذلك (ما حضر ولم يحضر)، ما حضر نفي لـ (قد حضر)، وكما في الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤].

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾ هوضد قول اتخذ صاحبة ولا ولداً، بينما قوله: (لم يتخذ) قد تكون من باب الإخبار والتعليم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١١] فهذا من باب التعليم وليس رداً على قائل، وليس في السياق أنّ هناك من قال وردّ عليه وإنما تعليم يخبرنا إخباراً.

بينما نلاحظ لّما قال في محاجته للمشركين: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ هم يقولون: اتخذ الله ولداً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١] ولّما رد على المشركين قال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨] يقولون: هو من عند الله فيرد عليهم ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨].

لذلك في آية الإسراء لّما قال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾ يعني هو رد على أنّ هناك من يقول (اتخذ) فهو نفى قولهم ورد عليهم، أمّا (لمْ يتخذ) فتأتي للإخبار والتعليم.

السؤال الثاني:

(الحمد) إنما يكون على نعمة أنعم الله تعالى بها على العبد، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام:١] لأنّ فيها من المنافع ما لا يعد ولا يحصى.

فأي نعمة حصلت لنا من كون الله تعالى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولا ناصر حتى قال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾؟ وما دلالة الآية بشكل عام؟

الجواب:

١ـ النعمة في ذلك أنّ المَلِكَ إذا كان له ولدٌ وزوج فإنما يُنعم على عبيده بما يفْضُل عن ولده وزوجه، وإذا لم يكن له ولدٌ وزوج كان جميع إنعامه وإحسانه مصروفا على عبيده، فكان نفي اتخاذ الولد مقتضياً مزيد الإنعام عليهم.

وأمّا نفي الشريك فلأنه يكون أقدر على الإنعام على عبيده لعدم المزاحم.

وأمّا نفي النصير فلأنه يدل على القوة والاستغناء وكلاهما يقتضي القدرة على زيادة الإنعام.

٢ـ كونه سبحانه لم يتخذ ولداً هي نعمة كبيرة على العباد ويجب أنْ يحمدوه عليها؛ لأنه إنْ كان له ولد فسوف يخصه برعايته دون باقي الخلق، لكنه تعالى تنزه عن الولد وجعل الخلق كلهم عياله وكلهم عنده سواء وأحبهم إليه أتقاهم له، وهكذا ينفرد الخلق بكل حنان ربهم وبكل رحمته.

٣ـ ثم ما الحكمة من اتخاذ الولد؟

عادة تكون لأمرين:

آ ـ أنْ يكون الولد ذكرى وامتداداً لأبيه بعد موته، والحق سبحانه باقٍ دائم لا يحتاج لمن يخلّد ذكره، أو يكون امتداداً له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب ـ أو يكون الولد للعزوة والمكاثرة والتقوي به من ضعف، والحق هو الغالب القهار فلا يحتاج إلى عزوةٍ أو كثرةٍ، لذلك يأمرنا أنْ نمجّده؛ لأنه لم يتخذ صاحبة ولا

ولداً. والمتأمل في حالة الملوك والسلاطين يجد أنّ أكثر فسادهم إمّا من الولد وإما من الصاحبة.

ثم يقول سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ وهذه أيضاً من النعم التي تستوجب الحمد، ولك أنْ تتصور لو أنّ لله شريكاً في المُلك كم تكون حيرة العباد فأيهما تطيع وأيهما تُرضي؟

وفي المثل: المَرْكَب التي فيها رئيسان تغرق، وكونه سبحانه واحد لا شريك له يجعلك تطمئن إلى أمره ونهيه فتطمئن فليس هناك إله آخر يأمرك بأمر مخالف.

- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾.

الولي هو الذي يليك وأنت لا تجعل أمرك إلا لمن تثق به، فهو يجلب لك نفعاً أو يدفع عنك ضراً أو ينصرك أو يقويك، والحق سبحانه ليس له وليٌّ يلجأ إليه ليعزه لأنه العزيز المعز القائم بذاته سبحانه ولا حاجة له إلى أحد.

- ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

لأنّ عظمة الحق سبحانه في نفس المؤمن أكبر من كل شيء لذلك جُعلت (الله أكبر) شعار أذانك وصلاتك، فتكبيره بأنْ تقدّم أوامره ونواهيه على كل أمر وعلى كل نهي، وبهذا تكون قد أعززت نفسك بعزة الله التي لا يعطيها إلا لمن يخلص العبودية له سبحانه، فضلاً عن أنّ العبودية لله شرف للعبد وبها يأخذ العبد خير سيده، أمّا العبودية للبشر فهي مذمومةٌ مكروهة وهي مذلةٌ وهوانٌ حيث يأخذ السيد خير عبده.

حسب نفسي عزاً بأني عبد   يحتفي بي بلا مواعيد ربُ

هو في قدسه الأعزُ ولكنْ   أنا ألقى متى وأين أحب

فكم تتحمل من المشقة في مقابلة عظيم من عظماء الدنيا، أمّا في مقابلة رب العزة فبمجرد أنْ آمنت به أصبح الزمام في يدك تلقاه متى شئت وفي أي مكان وتحدثه في أي أمر، فأي عزة بعد هذا؟

لذلك العزة في العبودية لله وفي السجود له فعبوديتك لله تعصمك من العبودية لغيره وسجودك لله يعصمك من السجود لغيره.

إذن فكبر الله تكبيراً وعظمه تعظيماً، والتجىء إليه فمن التجأ إلى الله كان سبحانه في معيته وأفاض عليه الحق من صفاته، كالولد الصغير إنْ كان في يد أبيه لا يجرؤ أحد على الاعتداء عليه بخلاف إنْ سار وحده.

كبر الله تكبيراً واجعل أمره ونهيه فوق كل شيء، وقل: الله أكبر من كل كبير حتى من الجنة، وفي الحديث القدسي «**أولو لم أخلق جنة وناراً أما كنت أهلاً لأن أُعبد**»؟

تقول رابعة بنت إسماعيل العدوية: ـ صالحة مشهورة من أهل البصرة ت ١٣٥ هـ ـ:

كلهم يعبدونك من خوفِ نارٍ   ويرون النجاة حظاً جزيلا

أو بأنْ يسكنوا الجنان فيحظوا   بقصورٍ ويشربوا سلسبيلا

ليس لي بالجنان والنار حظٌّ   أنا لا أبتغي بحبي بديلا

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ ما كلمات منظومة الإعلام العلني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٤٨.



رابعاً ـ تناسب بداية الإسراء مع خاتمتها:

١ ـ ذكر سبحانه بعد آية الإسراء الأولى بني إسرائيل ابتداء من قوله:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢]

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤]

إلى الآية الثامنة وهي قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء:٨] وذكر بعدها القرآن وذلك قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء:٩].

وذكر في أواخرها بني إسرائيل أيضاً ابتداء من قوله سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء:١٠١].

إلى قوله: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء:١٠٤] ثم ذكر القرآن بعد ذلك كما فعل أولاً فقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

ففي البدء والختام ذكر بني إسرائيل أولاً ثم أتبع ذلك بذكر القرآن.

٢ ـ ابتدأت السورة بالتسبيح وذلك قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

وكذلك ورد التسبيح في خواتيمها وذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾.

فقال أولاً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ من غير ذكر مسبّح، وفي الخاتمة ذكر جملة ممن يسبحون الله ممن يتلى عليهم القرآن.

٣ ـ ذكر صفتين له سبحانه في أول السورة وهما السمع والبصر فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾.

وذكر ما يقتضي هذين الوصفين في خواتيم السورة، فقد قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾.

فقوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾ يقتضي الإبصار فإنّ ذلك مما يبصر فهو مناسب لوصفه بـ (البصير).

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ مما يسمع، فإنّ القول مما يسمع وهو مناسب لقوله (السميع).

وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فإنّ ربنا سميع فلا داعي للجهر.

والصلاة حركات وأقوال، فالحركات مما يبصر، والأقوال مما يسمع، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فهذا القول مما يسمع.

فناسب ذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٤ ـ قال في أول السورة: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ فابتدأت السورة بالتسبيح. وختمت بقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

فابتدأت السورة بالتسبيح وختمت بالتحميد والتكبير، وجماع ذلك (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر).

فالتسبيح في البدء والختام وذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾، والتحميد وهو قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و (لا إله إلا الله) وذلك مقتضى قوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ والتكبير وهو قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ وقد ذكر أنّ ذلك هو الباقيات الصالحات. والله أعلم.



سورة الكهف

أولاً ـ تناسب فواتح الكهف مع خواتيم الإسراء:

قال سبحانه في خاتمة سورة الإسراء:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١١].

وقال في أول سورة الكهف:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف:١-٢-٣-٤].

١ ـ أمر سبحانه رسوله في خاتمة الإسراء بأنْ يحمد الله فقال له: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء:١١١].

فكأنّ رسوله صلى الله عليه وسلم استجاب لما أمره به فقال في أول سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الكهف:١].

٢ ـ ذكر الكتاب في أواخر سورة الإسراء فقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء:١٠٥].

وذكره في بداية الكهف فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف:٢-١].

فقال فيه: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف:١] وقال فيه: ﴿قَيِّمًا﴾ ويعني ذلك أنه بالحق أنزله وبالحق نزل.

٣ ـ قال في خواتيم الإسراء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء:١٠٥].

وقال في بداية الكهف: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف:٢].

فكلتا الآيتين في الإنذار والتبشير.

٤ ـ قال في خاتمة الإسراء: ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء:١١١].

وقال في بداية الكهف: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف:٤].

جاء في (البحر المحيط): (مناسبة أول هذه السورة ـ يعني سورة الكهف ـ لآخر ما قبلها أنه لمّا قال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥] وذكر المؤمنين به وهم أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعاً، وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولداً، أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج، القيم على كل الكتب، المنذر من اتخذ ولداً ،المبشر المؤمنين بالأجر الحسن، ثم استطرد إلى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ لما في عبده من الإضافة المقتضية تشريفه ولم يجئ في التركيب (أنزل عليك).

وجاء في «روح المعاني»: وجه مناسبة وضعها بعد الإسراء على ما قيل افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد وهما مقترنان في الميزان وسائر الكلام نحو: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ﴾ [النصر:٣] فسبحان الله وبحمده، وأيضاً تشابه اختتام تلك وافتتاح هذه فإنّ في كل منهما حمداً.

ثانياً ـ هدف السورة: العصمة من الفتن:

سورة الكهف هي من السور المكية وهي إحدى خمس سور بدأت بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر) وهذه السورة ذكرت أربع قصص قرآنية هي أهل الكهف، صاحب الجنتين، موسى عليه السلام والخضر وذو القرنين، ولهذه السورة فضل كما قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين قدميه وعنان السماء**» وقال: «**من أدرك منكم الدجال فقرأ عليه فواتح سورة الكهف كانت له عصمة من الدجّال**» والأحاديث في فضلها كثيرة.

وقصص سورة الكهف الأربعة يربطها محور واحد وهو أنها تجمع الفتن الأربعة في الحياة: فتنة الدين (قصة أهل الكهف)، فتنة المال (صاحب الجنتين)، فتنة العلم (موسى عليه السلام والخضر) وفتنة السلطة (ذو القرنين). وهذه الفتن شديدة على الناس والمحرك الرئيسي لها هو الشيطان الذي يزيّن هذه الفتن ولذا جاءت الآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف:٥٠] في وسط السورة أيضاً. ولهذا قال الرسول ﷺ: «**أنه من قرأها عصمه الله تعالى من فتنة المسيح الدجّال**» لأنه سيأتي بهذه الفتن الأربعة ليفتن الناس بها، وقد جاء في الحديث الشريف: «**من خلق آدم حتى قيام الساعة ما فتنة أشدّ من فتنة المسيح الدجال**» وكان ﷺ يستعيذ في صلاته من أربع منها

فتنة المسيح الدجال، وقصص سورة الكهف كلها تتحدث عن إحدى هذه الفتن ثم يأتي بعده تعقيب بالعصمة من الفتن:

١. فتنة الدين: قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاث مئة سنة وازدادوا تسعاً وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد، ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٨-٢٩]. فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.

٢. فتنة المال: قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين، ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٥-٤٦] والعصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.

٣. فتنة العلم: قصة موسى عليه السلام مع الخضر وكان موسى عليه السلام ظنّ أنه أعلم أهل الأرض فأوحى له الله تعالى بأنّ هناك من هو أعلم منه فذهب للقائه والتعلم منه فلم يصبر على ما فعله الخضر؛ لأنه لم يفهم الحكمة في أفعاله وإنما أخذ

بظاهرها فقط، وتأتي آية العصمة من هذه الفتنة: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف:٦٩] والعصمة من فتنة العلم هي التواضع وعدم الغرور بالعلم.

٤. فتنة السلطة: قصة ذي القرنين الذي كان ملكاً عادلاً يمتلك العلم وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها يعين الناس ويدعو إلى الله وينشر الخير حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا، وتأتي آية العصمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] فالعصمة من فتنة السلطة هي الإخلاص لله في الأعمال وتذكر الآخرة.

٥. ختام السورة: العصمة من الفتن: آخر آية من سورة الكهف تركّز على العصمة الكاملة من الفتن بتذكر اليوم الآخرة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠] فعلينا أنْ نعمل عملاً صالحاً صحيحاً ومخلصاً لله حتى يَقبل عملنا.

ومما يلاحظ في سورة الكهف ما يلي:

١. الحركة في السورة كثيرة: (فانطلقا، فآووا، قاموا فقالوا، فابعثوا، ابنوا، بلغا، جاوزا، فوجدا، آتنا،) وكأنّ المعنى أنّ المطلوب من الناس الحركة في الأرض؛ لأنها تعصم من الفتن، ولهذا قال ذو القرنين: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥] أي: دعاهم للتحرك

ومساعدته ولهذا فضل قراءتها في يوم الجمعة الذي هو يوم إجازة للمسلمين حتى تعصمنا من فتن الدنيا.

٢.وهي السورة التي ابتدأت بالقرآن وختمت بالقرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ و: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ وكأنّ حكمة الله تعالى في هذا القرآن لا تنتهي وكأنّ العصمة من الفتن تكون بهذا القرآن والتمسك به.

٣.الدعوة إلى الله موجودة بكل مستوياتها: فتية يدعون الملك، وصاحب يدعو صاحبه، ومعلّم يدعو تلميذه، وحاكم يدعو رعيته.

٤. ذكر الغيبيات: وهي كثيرة في السورة وفي كل القصص: عدد الفتية غيب، وكم لبثوا غيب، وكيف بقوا في الكهف غيب، والفجوة في الكهف غيب، وقصة الخضر مع موسى عليه السلام كلها غيب، وذو القرنين غيب، وفي هذا دلالة على أنّ في الكون أشياء لا ندركها بالعين المجردة ولا نفهمها ولكنّ الله تعالى يدبّر بقدرته في هذا الكون، وعلينا أنْ نؤمن بها حتى لو لم نَرَها أو نفهمها وإنما نسلّم بغيب الله تعالى.

سميت السورة بـ(سورة الكهف): الكهف في قصة الفتية كان فيه نجاتهم مع أنّ ظاهره يوحي بالخوف والظلمة والرعب، لكنه لم يكن كذلك إنما كان العكس: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف:١٦] فالكهف في السورة ما هو إلا تعبير أنّ العصمة من الفتن أحياناً تكون

باللجوء إلى الله حتى لو أنّ ظاهر الأمر مخيف، وهو رمز الدعوة إلى الله فهو كهف الدعوة وكهف التسليم لله، ولذا سميت السورة (الكهف) وهي العصمة من الفتن.



ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (الحمد) في سورة الفاتحة وسورة الكهف؟

الجواب:

الحمد لله في الفاتحة حمد مطلق، وهو حمد على كل ما يعلمه الإنسان وما لم يعلمه وعلى ما حمده الله تعالى بذاته لذاته.

والحمد كذلك في قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

والحمد ليس معناه الشكر. وابن القيم قال: الحمد ينقسم إلى حمد شكر وحمد مدح. و الحمد له مقام إلهي ومقام تعبدي، والله تعالى ألهم كل المخلوقات ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ فالحمد عام ويراد به جنس الحمد على الإطلاق.

لمزيد من التفصيل انظر آية الفاتحة ٢.

السؤال الثاني:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ لِمَ قال: يجعل (له)عوجاً ولم يقل(فيه)عوجاً؟

الجواب:

إذا قلنا: لم يجعل اللهُ للفيل قرنين، ولم يجعل للفيل خرطوماً، فيعني هكذا ابتداء في أصل خلقته، أمّا قولنا (في الفيل) فقد يكون بعدها، لذلك القول: لم يجعل الله للفيل قرنين معناه ابتداء في أصل خلقته فهذا أبعد في النفي.

وفي الآية لم يجعل له عوجاً أصلاً. ولو قال (فيه) فيحتمل بعدها؛ لأنه حتى في يوم القيامة قال: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾، قال: فيها، ولم يقل: لها.

وقوله في يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: في أصل خِلقته. إذن (فيه) يدل أنه جاء بعد ذلك و(له) أبعد في النفي ابتداءً.



﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الظرف (لدن) في الآية ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨.



﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ ﴾

السؤال الأول:

في سورة الكهف قال الله تعالى: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ ﴾ فلماذا لم تستخدم كلمة (خالدين)؟

الجواب:

المكث: في اللغة هو الأناة واللبث والانتظار وليس بمعنى الخلود، والله سبحانه تعالى يقصد الجنّة ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ والأجر هوالذي يُدفع مقابل العمل بعد انتهاء العمل، والجنّة تكون بعد أن يوفّى الناس أجورهم.

والمقام هنا إذن مقام انتظار وليس مقام خلود بعد، وعلى قدر ما تأخذ من الأجر يكون الخلود فيما بعد الأجر وهو الخلود في الجنّة. ومن حيث الدلالة اللغوية الأجر ليس هو الجنّة، لذا ناسب أن يأتي بالمكث وليس الخلود للدلالة على الترقّب لما بعد الأجر.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿كَلِمَةً﴾ في آية سورة الكهف ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؟

الجواب:

[كبرت كلمةً] كلمةً: تمييز. والفاعل مستتر وهذا يسمونه الفاعل المفسّر بالتمييز، وأصلها: كبرت الكلمةُ كلمة، والفاعل المفسر بالتمييز يأتي في الأمور المهمة كالتفخيم والتعظيم كما في الآية: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ كبُرت: فِعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي الكلمة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف:١٧٧].

والفاعل المفسّر بالتمييز له أغراضه، مثلاً نقول: نِعْمَ رجلاً فلان، إذن كلاهما تمييز لكنّ أحدهما الفاعل مستتر.

السؤال الثاني:

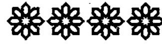
ما دلالة قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ أي: كبرت الكلمة التي قالوها بأفواههم عندما قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ فصارت مضمرة في كبرت وسميت (كلمة) كما يسمون القصيدة كلمة.

٢ـ لفظة ﴿كَلِمَةً﴾ على النصب تمييز وبالرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أكبرها كلمة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ دليل على أنّ هذه الكلمة لم تمر بعقولهم ولم تخرج منها، فلو مرت بعقولهم لما خرجت من أفواههم؛ لأنّ العقل لا يخرج منه مثل هذا الكلام، وهي مستنكرة جداً عنده. والله أعلم.



﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾

السؤال الأول:

هل (الزينة) عائدة على الأرض في الآية ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾؟ وإذا كانت عائدة على الأرض فهل هذا يعني أنه نحن كبشر ليس لنا الحق أن نتمتع بها؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ مؤنث، ولذلك لاحظ لو أخذنا تمام الآية وما بعدها قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ أي: ما على الأرض ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ أي لجاعلون الزينة وما فيها للأرض.

هي زينة تتنزين، والناظر ينظر فيها ويبتهج بالزينة وبما فيها من زينة وزهور، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحِجر:١٦] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات:٦] فهي زينة للسماء والناظر يبتهج بهذه الزينة ويذكر ربّه، فالزينة هي للأرض، والله تعالى قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ [يونس:٢٤].



قصة أصحاب الكهف:

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الرُّشد والرَّشَد) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ الرُّشد: بضم الراء فمعناه الصلاح والاستقامة ويكون في الأمور الدينية والدنيوية، أي في الأمور الدنيوية والأخروية.

* شواهد قرآنية:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦] أمر دنيوي.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف:٦٦] وهذا أمر دنيوي حيث موسى تتبع الرجل الصالح.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦].

إذن الرُّشد يستعمل في أمور الدنيا والدين.

٢ـ أمّا الرَّشَد: بفتح الراء فالكثيرمنه أنه يستعمل في أمور الدين كما في الآيات: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠] ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤] وأغلب ما تستعمل في أمور الدين. هذا ما قاله قسم من اللغويين ،وإنْ كان قسم قالوا إنّ هاتين لغتان لكن هما في القرآن هكذا، يستعمل الرُّشد في أمور الدنيا والدين والرَّشَد في أمور الدين، و هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام صيغة الجمع في القرآن مثل: ضربنا، رفعنا، قلنا، أنزلنا وغيرها مما ورد في القرآن؟

الجواب:

القرآن استعمل صيغة الجمع ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف:١١] وفي صيغة الجمع يؤتى بما يسمى ضمير التعظيم، ويستعمل إذا كان المقام مقام تعظيم وتكثير، ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام توحيد أو مقام آخر كالعقوبة المنفردة.

لكنّ المهم أنه تعالى في كل موطن في القرآن وبلا استثناء إذا استعمل ضمير التعظيم لا بدّ من أنْ يأتي بعده أو قبله بما يدل على الإفراد حتى يزيل أي شك من شائبة الشرك؛ لأنه من نَزَلَ عليهم القرآن كانوا عريقين في الشرك.

* شواهد قرآنية:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:١-٢].

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح:١-٢-٣].

فلم يقل في آية سورة الفتح (لنغفر لك) بينما قال مع النصر ﴿فَتَحْنَا﴾ لأنّ الفتح قد يأتي بأنْ يأخذ بالأسباب كالجيش والقوة، وأمّا مغفرة الذنوب فمن الله وحده ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥] فضمير التعظيم لا يمكن أنْ يستمر إلى نهاية الآيات.

السؤال الثاني:

لماذا قال هنا في الآية ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ ولم يقل: (على أعينهم) مثلاً؟

الجواب:

لأنّ السمع هو الحاسة الوحيدة التي لا تنام خلال نوم الإنسان، ولذلك يستيقظ الفرد مع سماع صوت منبه أو صوت رعد أو صوت حيوان أو صوت أي شيء آخر.

ولمّا كان المطلوب أنْ يناموا لفترة طويلة ناسب ذلك الضرب على الآذان حتى لا يستيقظوا.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام الضرب على السمع للتعبير عن الموت في الآية ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ ولماذا لم يقل: فأمتناهم؟

الجواب:

١ـ أهل الكهف لم يموتوا وإنما ناموا؛ لأنه تعالى قال: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ والراقد ليس ميتاً ولذلك لا يصلح أن يقول: أماتهم، ولم يحدد

الله تعالى عددهم ولم يذكر أسماءهم، والأصل في تعاملنا مع القرآن أنّ ما سكت عنه ربنا سبحانه وتعالى نسكت عنه لأنه لا ثمرة فيه إلا إذا ورد فيه خبر صحيح من رسول الله ﷺ يكون موضحاً لجزئية معينة.

٢ـ والضرب هو إيقاع شيء على شيء، وإذا قيل فلان يضرب في الأرض يعني إذا سافر مسافات طويلة، إشارة إلى ضرب قدمه على الأرض، وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ كأنه ضرب حاجزاً أو شيئاً على الآذان، لأنّ الذي يوقظ النائم بشكل طبيعي هو الصوت؛ ولأنّ الأذن مفتوحة، أمّا العين فمغلقة عند النوم، فقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: لم يعودوا يسمعون شيئاً وكان الضرب سنين معدودة تعدّ عداً.

٣ـ والضرب له استعمالات كثيرة حسب السياق مثل قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد:١٣] أي: بمعنى بُنِيَ سور.



﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿لِنَعْلَمَ﴾ في آية سورة الكهف ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف:١٢] مع أنّ الله تعالى يعلم كل شيء مسبقاً؟

الجواب:

العلم نوعان: علم سابق قديم الذي سجّل فيه الله تعالى القدر، وعلم لاحق يحقق هذا العلم وهو الذي يتعلق به الجزاء.

وما يفعله الإنسان هو من علم الله، والله يعلم في القدر كل شيء، والقدرهو العلم الذي قضاه الله تعالى، وما يفعله الإنسان وما يعمله هو تصديق لعلم الله هذا، وقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ يعني لنعلم أياً منهم يعلم الحقيقة؛ لأنّ هناك ثلاثة أقوال وكل قسم قال شيئاً فمن الذي يعلم الحقيقة؟ الله تعالى علِم ذلك قبل الوقوع.

السؤال الثاني:

ما إعراب ﴿أَيُّ﴾ في الآية ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾؟

الجواب:

أي: هي مبتدأ، وهي من أسماء الاستفهام، وكل الأسماء التي لها صدر الكلام لا يعمل بها ما قبلها إلا حروف الجرّ ولكن يعمل فيها ما بعدها كما في الآية: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه:٧١].

السؤال الثالث:

في الآية ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف:١٢] ما هي صيغة (أحصى)؟ هل هي اسم تفضيل أو فعل؟

الجواب:

يقول المفسرون تحتمل أنْ تكون فعلاً ماضياً، وتحتمل أنْ تكون اسم تفضيل، وليست هنالك قرينة سياقية تحدد معنى معيناً. وقد جاء ﴿أَحْصَىٰ﴾ ممنوع من الصرف، وجاء: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦] أحصاه فعل ماض.

السؤال الرابع:

في اسم التفضيل ألا يجب أنْ يكون هناك شيء مفضل على شيء؟

الجواب:

أحياناً لا يذكر اسم التفضيل، نقول: الله أكبر، ليس بالضرورة أن يُذكر، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] وإنْ كان في الأصل هو يفضل شيئاً على شيء لكن ليس بالضرورة أن يُذكر. قال الشاعر:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

و﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ ﴿أَمَدًا﴾ يحتمل أن تكون تمييزاً (أحصى أمداً) ويحتمل أن تكون مفعولاً به لأحصى، وهذا من باب التوسع في المعنى.



﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الفتية والفتيان؟

الجواب:

الفتى هو الشاب، والفتاة هي الشابة، ومنها (الفتوة) والفتى هو السخي الكريم.

المفرد (فتى) والجمع هو إما:

١ـ فتية: جمع قلة كما ورد في سورة الكهف وهم سبعة.

٢ـ فتيان: جمع كثرة كما في آية سورة يوسف٦٢ حيث عدد المستخدمين كثير. كما تجمع على: فُتُوٍّ، وفِتِيٍّ: كعُصِيٍّ بالضم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النبأ والخبر والحديث والقصص؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٧.



﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الربط على القلب في الآية ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾؟

الجواب:

هؤلاء وقفوا أمام الناس وأعلنوا إيمانهم وقالوا: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ فاشتُهِر أمرهم، فالله سبحانه وتعالى صبّرهم على هذا الإيمان؛ لأنّ أصل الربط هو الشدّ والتقوية وعندما تشد شيئاً تقويه، بمعنى قوّينا قلوبهم بالصبر على الإيمان حين قالوا هذا الكلام.

والربط على القلب هو التقوية؛ لأنّ إعلان إيمانهم هذا كان يمكن أنْ يودي بحياتهم ويموتوا، ولذلك بعد أنْ أعلنوا تركوا البلد وفرّوا بدينهم وذهبوا إلى الكهف، لكنّ العلماء يقولون: المسلم إذا علِم أنّ في موته وثباته حياة للآخرين تحمّل، كما قال الإمام أحمد رحمه الله لما كان يُجلد فقيل له: قُل كما يقول المأمون فقال: إن ثباتنا ثبات المسلمين.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الربط والحول؟

الجواب:

بشكل عام: الحول هو القوة، والربط هو الشد والتوثيق.

١ـ في آية الأنفال يقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤]. أي أنّ الله تعالى أعطاكم هذه الميزة بأنْ يتوجه إليكم رسول الله ﷺ بالدعوة وأنْ تستجيبوا له، مع أنّ الله تعالى قادر أنْ يرغمكم إرغاماً على الاستجابة، فالله هو المتصرف الحقيقي بقلوبكم، وهو مجازاً أقرب إلى قلوبنا منا.

أي أنّ الله أكرمنا بأنْ طلب منا الاستجابة؛ لأنّ في الاستجابة الحياة لنا، ولو شاء الله لحملنا حملاً على الاستجابة، لذلك هذا نوع من التكريم للإنسان بأنه دُعي إلى الاستجابة إلى الله ورسوله.

٢ـ الربط: هو الشد والتقوية، فقوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: قويناها بالصبر. وكذلك في قصة موسى عليه السلام: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص:١٠] أي: قويناه وصبّرناه.



﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام كلمة (الكذب) معرّفة وقد وردت نكرة في مواضع أخرى كما في هذه الآية؟

الجواب:

التعريف في النحو هو ما دلّ على شيء معيّن، أمّا التنكير فهو عام.

في الآيات القرآنية التي وردت كلمة (الكذب) فيها بالتعريف هي آيات خاصة بأمر معين، أمّا التي وردت فيها كلمة (كذب) بالتنكير فهي تتعلق بأمر عام.

ومثال ذلك في استخدام كلمة (الكذب) بالتعريف في القرآن قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤] الكذب هنا متعلق بالمسألة في الآية.

أمّا في قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الكهف:١٥] ليس هناك أمر خاص وإنما هو أمر عام لذا جاءت كلمة (كذب) بالتنكير.

السؤال الثاني:

كيف الجمع بين الآيتين ١٥ و ١٦ من سورة الكهف؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الكهف ١٥ – ١٦.

فعل (ٱتَّخَذُوا۟) في الآية ١٥ للماضي وهم كانوا مفردين للآلهة بالعبادة أي موحدين، أمّا الفعل ﴿يَعْبُدُونَ﴾ في الآية ١٦ فهو للاستقبال، وكذلك كان الواقع حيث عبدوا الله، فصح الاستثناء أدباً وتحرزاً.

السؤال الثالث:

ما سبب اختلاف الفاصلة في الآيات الأنعام ٢١ـ يونس ١٧ـ الكهف ١٥ـ العنكبوت ٦٨؟

الجواب:

لنستعرض الآيات أولاً:

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ الكهف ١٥.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأنعام ٢١.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ يونس ١٧.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ العنكبوت ٦٨.

البيان:

نلاحظ أنّ اختلاف الوصف بأنهم مجرمون أو كافرون أو ظالمون أو غير ذلك وهو بحسب ما يقتضيه سياق الكلام بالرغم أنّ بداية الآيات متشابهة (فمن أظلم ـ ومن أظلم) أي بمعنى: لا أظلم من هؤلاء المفترين.

١ـ آية يونس ١٧: وصفهم بأنهم مجرمون وذلك لأنه ذكر في الآية قبلها في آية يونس ١٣ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٢ـ آية العنكبوت ٦٨: وصفهم بالكفر لأنه تقدمها في الآية ٦٧ قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فناسب أنْ يصفهم بالكفر.

٣ـ آية الأنعام ٢١: وصفهم بعدم الفلاح لأنهم خسروا أثمن شيء وهو أنفُسُهم فمن أين يأتي الفلاح؟!!! وهذا مناسب لما ورد في الآية التي قبلها ٢٠ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٤ـ آية الكهف ١٥: لم يعقب بشيء؛ لأنّ القائل هنا هم الفتية أنفسهم، وهؤلاء ليس بوسعهم أنْ يقرروا إنْ كان الله سيهدي قومهم أم لا فإنّ عِلْمَ ذلك إلى الله، ولذا لم يتعدوا الوصف. والله أعلم.



﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف الياء في قوله تعالى ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الإسراء والكهف ١٧ و ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف:١٧٨]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٧٨.

السؤال الثاني:

ما معنى الشرط في الآية ﴿إِذَا طَلَعَت... وَإِذَا غَرَبَت﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٠.

السؤال الثالث:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧] لماذا استخدم (تزاور) عند الشروق و(تقرضهم) عند الغروب؟

الجواب:

لأنّ هذا هو الواقع، تقرضهم يعني تتركهم جانباً، وتزاور بمعنى تتنحى عنهم ولا تدخل إليهم، و حاصل الجملتين أنّ الشمس لا تصيبهم لا في الشروق ولا في الغروب.

السؤال الرابع:

لماذا وردت كلمة ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ بدون ياء في آية سورة الكهف ١٧ وجاءت مع الياء في آية الأعراف ١٧٨؟

الجواب:

بشكل عام خط المصحف لا يُقاس عليه، لكنْ مع هذا فهناك أمور أُخرى هنا، فلو لاحظنا لفظ (الهداية) في سورة الكهف تكرر ٦ مرات وفي سورة الأعراف تكرر ١٧ مرة كما في الآية: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف:١٧٨] فلمّا زاد ذكر كلمة الهداية في الأعراف زاد في مبنى الكلمة للدلالة على زيادة السمة التعبيرية والتكرار.



﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ مع أنّ الأحداث انتهت ومضت؟

الجواب:

الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي في ما نسميه حكاية الحال، كما يُعبّر عن الماضي للمستقبل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ

عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ [البقرة:٩١] قال (تقتلون) وقال معها: (من قبل) وحكاية الحال هو أن يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع للشيء المهم كأنْ يجعله حاضراً أمام السامع.

السؤال الثاني:

في آية سورة الكهف ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ ما الحكمة من تكرار (إن)؟

الجواب:

هذا ليس تكراراً، لأنّ (إنْ) شرطية تدخل على الأفعال و(إنّ) الناسخة تدخل على الأسماء.

السؤال الثالث:

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ ما دلالة تقديم الفرار على الرعب؟ مع أنّ المنطق يكون الرعب أولاً ثم الفرار؟

الجواب:

١ـ التولية: هي من (ولّى) هارباً، أي: أدبر، والتولية والفرار من معنى واحد كجلست قعوداً.

٢ـ الفرار:هو حركة وليس من الضروري أنْ يرافقه ذعر،نحو: آية الكهف ١٨.

٣ـ الهروب: فيه نوع من الذعر، ومقلوب الكلمة الرهبة وهي من الخوف، نحو آية الجن ١٢.

٤ـ كلمة (فراراً) منصوبة لأنها تمييز أو مفعول لأجله، والمعنى: وليّت بوجهك لأجل الفرار بسبب ما ألقى الله عليهم من الهيبة والوقار.

٥ـ كون الرعب يُملأهو مجاز كما يقال في الحُسن.

٦ـ بشكل عام الواو حرف عطف ولا يفيد الترتيب بين الفرار والرعب، وإنما قدّم الأهم لأنه بمجرد الاطلاع عليهم يكون الرد العفوي (المرحلة الأولى) من الرائي أنْ يولي وجهه عنهم من الخوف الذي ألقاه الله تعالى على من يراهم من أجل الفرار؛ لأنّ أثر هذه الرؤية على الإنسان أن يمتلأ قلبه رعباً وهذه هي المرحلة الثانية.

٧ـ والرعب أحياناً يوقف الإنسان فيتملكه ولا يستطيع أنْ يهرب فيتسمر مكانه، والذئب أحياناً إذا أتى إلى الفريسة تتسمر في مكانها ولا تستطيع الهرب، وقرأنا في التاريخ عندما احتل التتار بغداد كانوا يقولون للرجل: امكث مكانك حتى آتي بالسيف فأقتلك، فيبقى مسمراً في مكانه من الرعب، فقسم من الرعب يثبت وقسم يهرب.

و في أهل الكهف هناك حكمة في الهرب ألا يتفرس بهم ولا يشي بهم أحد، والكلب مثلهم والوصيد يعني الباب، وقسم قالوا: لم تبل أجسامهم ولم تطل شعورهم وإنما استيقظوا كما ناموا وبقوا على حالهم.والله أعلم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الكلمة الموجودة في هذه الآية التي تقسم القرآن إلى قسمين متساويين من ناحية عدد الكلمات؟

وما اللطائف الأخرى المماثلة في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ الكلمة التي تقسم القرآن إلى قسمين متساويين هي كلمة ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في الكهف ١٩.

٢ـ الكلمة التي وردت في نصف القرآن الثاني ولم ترد أبدا في النصف الأول هي كلمة ﴿كَلَّا﴾.

٣ـ سورة المجادلة هي السورة الوحيدة في القرآن التي ورد فيها لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في كل آياتها.

٤ـ آيات تقرأ من اليمين إلى اليسار وبالعكس ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ [المدّثر:٣] ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾.

٥ ـ لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ يتكون من ثلاثة أحرف فقط وهي الألف واللام والهاء، وهذه الأحرف هي التي تتكون منها عبارة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهذه الأحرف لم تتأثر بمرحلة التنقيط في اللغة العربية فبقيت كما هي منذ أيام النبي ﷺ.

السؤال الثاني:

ما الفرق في الدلالة بين (أحد و أحدكم)؟

الجواب:

١ـ كلمة (أحد) إذا أضيفت تكون بمعنى كلمة (واحد) غير أنها تكون بعضاً من المضاف إليه، فـ(أحد القوم) واحد منهم كما في قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ [القصص:٢٦].

٢ـ وتستعمل (أحد) وصفاً في الإثبات بلا إضافة وتختص بالله وحده ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

وأما (الواحد) فهو لمفتتح العدد.

السؤال الثالث:

لماذا قال: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ ولم يقل: واحدكم؟

الجواب:

لأنه أراد أي فرد منهم، ولو قال: واحدكم لدّل على بعث رئيسهم، فإنّ العرب تقول: رأيت أحد القوم، أي: فرداً منهم، ولا تقول: رأيت واحداً لقومٍ إلا إذا أرادت المقدم المعظم فيهم.

و لغة كلمة (أحد) خاصة بمن يعقل ومن يصح خطابه على العموم ولا تستعمل لغير العاقل، بينما كلمة (واحد) فتستعمل للعاقل وغيره فتقول: كتاب واحد.



﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ٢١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التعليل بـ (كي) وباللام في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾؟

الجواب:

التعليل بـ (كي) و(اللام):

هل التعليل بهما متطابق؟ الحقيقة أنه لا يبدو هناك فرق واضح بينهما في التعليل فهما متقاربان جداً، غير أنّ الذي يبدو أنّ الأصل في (كي) أنْ تستعمل لبيان الغرض الحقيقي

المؤكد، واللام تستعمل له ولغيره، فاللام أوسع استعمالا من (كي)، وهذا ما نراه في الاستعمال القرآني.

ففي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ هذا في أصحاب الكهف وهم يعلمون أنّ وعد الله حق ولا شك، وكيف لا وهم فارقوا قومهم لإيمانهم بالله تعالى؟ فلو قال: (كي يعلموا) لكان المعنى أنّ هذا هو الغرض الحقيقي وقد كانوا يجهلون ذاك.

لذلك (كي) تستعمل للغرض الحقيقي، أمّا (اللام) فهي أوسع استعمالاً منها، وأنّ الجمع بينهما يفيد التوكيد، والله أعلم.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ في الإسلام نهي عن بناء المساجد على القبور فهل هذا كان مباحاً في الأمم السابقة؟

الجواب:

يقول عليه السلام: «**لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولا تتخذوا قبري مسجداً**» نهى ﷺ عن ذلك، و قبر الرسول ﷺ ليس مسجداً.

العلماء المدققون يفرقون بين أمرين: أنْ يكون القبر موجوداً وتبني عليه مسجداً كما فعل جماعة أصحاب الكهف، والصورة الأخرى أنْ يكون المسجد قائماً ثم تأتي وتدفن فيه إنساناً (والأولى أنْ لا تدفن) لكنّ الصورة مختلفة. الفرق هو التقديس أنه يكون هناك قبر وتبني عليه مسجداً تقديساً لصاحب القبر وهذا يصدق فيه الحديث.

لكنّ الصورة الثانية من حيث اللغة تختلف أنْ يكون هناك مسجد وتأتي بمقبور (ميت) وتدفنه فيه، وللعلماء كلام في هذا منهم من قال: هذا تقصير من الفاعلين ولكنّ الصلاة فيه جائزة وهذه قضية تدخل في غير باب اللغة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (البناء والبنيان) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ﴾ [الصف:٤] ولم يقل (بناء) والقرآن فرّق في الاستعمال بين البناء والبنيان فاستعمل (البناء) للسماء كما في [آية البقرة ٢٢ وغافر ٦٤] واستعمل (البنيان) لما بناه البشر كما في آية: [الكهف ٢١ـ الصافات ٩٧ـ التوبة ١٠٩].

والله أعلم.



﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاء بسين الاستقبال في الفعل الأول ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ دون الفعلين الآخرين؟

الجواب:

اقتصر على ذكر السين في الفعل الأول إيجازاً واختصاراً ودخل الفعلان الآخران في حكم الأول بمقتضى العطف.

السؤال الثاني:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢] ما دلالة الواو في ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ القدامى المفسرون ذكروا الواو فقالوا: هذه الواو تدل على أنّ اتصافهم بهذا هو الأمر الثابت الصحيح، وأنّ هذا القول هو الحق، فقد سبقه قولان ثم قال: رجماً بالغيب، اقرأ الآية: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ إذن هذا الغيب أسقطهم وأبطل القولين، ثم قال: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فلم يقل رجماً بالغيب، وقال: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ إذن هناك من يعلمهم ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وابن عباس قال: أنا من القليل.

٢ـ هذه الواو تدل على التأكيد والاهتمام وأنّ هذا الأمر هو الصحيح، هو اليقين لأنّ الواو يؤتى بها في مواطن الاهتمام والتوكيد والتحقيق.

* شواهد قرآنية:

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

[التوبة:١١٢] القدامى قالوا أدخل الواو على (الناهون) لأنّ كل ما سبق من الصفات يأتي بها الإنسان لنفسه ولا يتعلق بالغير (عابد، حامد، سائح، راكع، ساجد) أمّا الناهون فتتعلق بالغير وهناك احتمال أنْ يلاقي بها من الأذى.

٣ـ الواو هي عاطفة ويؤتى بها للاهتمام، ولذلك النحاة عندهم قاعدة: إذا تباعد معنى الصفات فالعطف أحسن كما في الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣] فالأول نقيض الآخر، والظاهر نقيض الباطن، إذن إذا تباعدت الصفات من حيث المعنى.

وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم:١٠-١١-١٢-١٣] لم يستعمل الواو لأنّ الصفات كلها في سياق واحد.

٤ـ وقسم من النحاة قال: - وضعّفوا هذ الرأي - أنّ هذه الواو هي واو الثمانية، وقال النحاة: هذا قول ضعيف، هم يقولون: في العدّ يعدون من واحد إلى سبعة ثم يقولون وثمانية، لكنّ النحاة قالوا: هذا قول ضعيف لا يُعبأ به، ونقرأ في كتب النحو للأخفش ويقال: هذا قول ضعيف، وكل ما يقوله النحاة فيه الضعيف وفيه القوي وفيه الراجح والمرجوح.

٥ـ الواو هي للتأكيد على أنّ هذا القول الصحيح، والزمخشري قال: هذه الواو التي تفيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أنّ اتصافه بها أمر ثابت مستقر.

٦ـ هناك رأي يقول: هذه الواو قبل كلمة ثمانية هي كأنها من آثار الأعداد القديمة، والاستعمالات القديمة وكانت باقية عند قريش، بمعنى أنّ العدد الأعلى الذي ينتهي

عنده الحساب هو السبعة، وبهذا فسّروا: سبع سموات، سبع أراضين، سبعين مرة، سبعمائة، والقرآن نزل بلغة قريش فبقيت هذه الواو لذلك سميت بواو الثمانية (وثامنهم) وهذا الاستعمال الذي كان خاصاً بها أحياناً.

٧ـ العرب عندهم أسلوب في ذكر المعدود أي في (ما يعدّون) فتصاغ عندهم على وزن (فاعل) فيقولون مثلاً: هو (رابع أربعة) لكنْ لهم أسلوب آخر: يقولون: (رابع ثلاثة أو خامس أربعة) في هذه الحالة يكون متمماً للعدد ولكنه ليس شرطاً أنْ يكون جزءاً منه. ولاحظ في القرآن قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] نجوى الثلاثة الله رابعهم فالله سبحانه وتعالى من غيرهم، لكنه صار في العدد بحضوره رابعاً لكنه ليس منهم، وفي قصة أصحاب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ الكلب ليس منهم.



﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا عن ربط المستقبل بـ(غد) فقط في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾؟ ولماذا استخدام اللام في ﴿لِشَاْىْءٍ﴾ ولم يقل (عن شيء)؟

الجواب:

سبب نزول الآية هو الذي يحدد، سُئل رسول الله ﷺ عن ثلاثة أسئلة من قبل الكفار، منها عن أهل الكهف فقال الرسول ﷺ: سأجيبكم غداً؛ لأنه لم يكن لديه علم ولم يقدم المشيئة، وجاء غد ولم يُجِب الرسول ﷺ ولم ينزل عليه الوحي مدة خمس عشرة ليلة، فحصل إرجاف لأنّ الوحي يتنزّل بحكمة الله تعالى ثم نزلت الآية ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الكهف:٢٣] فهي مناسبة لأصل سبب النزول وهذا ينسحب لأنه أحياناً سبب النزول لا يتقيّد بشيء.

وقوله تعالى: ﴿غَدًا﴾ في الآية موضع السؤال لا تعني بالضرورة الغد، أي: اليوم الذي يلي وإنما قد تفيد المستقبل وهي مناسبة لما وقع وما سيقع.

وأمّا ورود اللام بعد القول ﴿تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾ فله أكثر من دلالة وهو ليس دائماً للتبليغ حيث يقال في اللغة: قلت له كذا وكذا، وإنما قد تأتي اللام مع القول لغير التبليغ، فقد تأتي بمعنى: عن شيء، وقد تأتي اللام بعد فعل (قال) للتعليل، بمعنى لأجل ذلك أو بسبب ذلك.

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

حذف الياء في آية الكهف ٢٤ ﴿يَهۡدِيَنِ﴾ وأبرزها في آية القصص٢٢ ﴿يَهۡدِيَنِي﴾ فلماذا؟

الجواب:

حذف الياء في الكهف وأبرزها في القصص وذلك للأسباب التالية:

١ ـ في آية القصص: الخوف يستدعي الإنسان أنْ يلتصق بمن يحميه، وموسى عليه السلام خرج خائفاً ضعيفاً من بطش فرعون، فاستدعى المقام القاء النفس كلها أمام ربه وخالقه ليحميه فقدّم لفظ (الرب) على فعل الهداية لأنه هو الملجأ فأظهر الياء دلالة على كمال الالتجاء لربه.

بينما المقام في آية سورة الكهف هو ذكر القول الحق فيما اختلفت فيه الأقوال، وهذا أمر يحتاج إلى الهداية والرشد فقدّم الهداية، وهذا من دقيق الاستعمال.

٢ ـ تكرر ياء الضمير في (القصص) أكثر مما في (الكهف) فناسب ذكر الياء في القصص.

٣ ـ تكرر لفظ الهداية في القصص ١٢ مرة، أمّا في الكهف فقد تردد ٥ مرات، فزاد اللفظ في القصص لما زاد تردده.

انظرآيات [الأعراف ١٧٨ والإسراء ٩٧ والكهف ١٧] وانظر إلى [الإسراء ٦٢ والمنافقون ١٠] كأمثلة إضافية.

٤ ـ إنّ قصة موسى في سورة القصص ذكرت مطولة، بينما ذكرت مختصرة في سورة الكهف، فلمّا طّول الكلام طّول الفعل بذكر الضمير في (القصص) ،ولمّا اجتزأ القول في (الكهف) اجتزأ بذكر الكسرة عن الضمير.

٥ ـ مما حسّن الحذف في الكهف علاوة عن الآية ٢٤ تكرار الحذف في آيات أخرى في نفس السورة مثل: ﴿يَهْدِ﴾ الآية١٧ و﴿تَـرَنِ﴾ الآية ٣٩ و﴿يُؤْتِيَنِ﴾ الآية ٤٠ و﴿تُعَلِّمَنِ﴾ الآية ٦٦ و﴿نَبْغِ﴾ الآية ٦٤.

وهكذا تعاضد المعنى والسياق والألفاظ والإحصاء على وضع كل لفظة في موضعها.



﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعٗا ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين العام والسنة؟

الجواب:

١ـ سواد الناس لا يفرق بين العام والسنة، ويجعلونها بمعنى واحد ولكنْ هناك فروق بينهما في حكم البلاغة وأسرار اللغة.

و(السنة) هي الزمن من أي يوم عددته إلى مثله، ويدخل فيه أجزاء الصيف والشتاء، بينما (العام) لا يكون إلا شتاء وصيفاً، والجمع(أعوام) والعام أخص من السنة، وعلى هذا نقول: كل (عام) سنة، وليس كل (سنة) عاماً.

والسنة: من سنا يسنو، إذا دار حول البئر، وكذلك السنة هي دورة من دورات الشمس؛ ولذلك قد تسمى السنة (داراً)، وفي الخبر: (إنّ بين آدم ونوح ألف دار).

وفي القرآن قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة:٢٥٩] أي لم تغيره السنون وقوله تعالى: ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦]؛ أي متغير.

٢ـ (العام) هو لما فيه خير، و(السنة) لما فيه شر، والعلماء يقولون: هذا هوالغالب، وليست مسألة مطلقة، لكنْ في الاستعمال القرآني يستعمل ذلك كما في الآيات: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف:٤٧] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف:٤٩] فالزرع فيه جهد في هذه السنين، ومع الغيث جاء (عام).

وفي قصة نوح قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] كأنّ الخمسين عاماً هي الخمسون الأولى من حياته التي كان مرتاحاً فيها وأمّا بقية السنين الـ ٩٠٠ فكان في مشقةٍ معهم، حتى بلغ أنْ يقول ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٧] بسبب تجربته معهم.

٣ـ هذا هوالغالب. ومن أراد أنْ يلتزم الاستعمال القرآني فليحرص على استعمال السنة في الجدب والقحط، والعام لما فيه خير، لكن إذا وجد المرء شاعراً يستعمل نصاً مختلفاً عن السنة فلا يستغرب، والرسول ﷺ في حديث لا ندري مداه من الصحة قال: «**اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف**» أي سنوات قحط وشر، وهذا الحديث موجود في كتب النحو، والأحاديث التي في كتب النحو يستفاد منها في الشواهد النحوية واللغة، وليس في تأصيل الحديث من حيث الصحة.

٤ـ في سورة الكهف ذكر القرآن ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ لم يقل: "وازدادوا تسعة أعوام"، وبعض الحاسبين يقول: هذه ٣٠٠ سنة في الميلادي توافق ٣٠٩ في الهجري، وإذا جاءت موافقة في الحساب فهي موافقة، لكنْ هي لون من ألوان التعبير أنْ يقول ثلاث مئة وازدادوا تسعاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين العام والسنة في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ هناك آيات تدل بوضوح على أنّ كلمة (عام) تطلق على السنة القمرية. قال تعالى:

﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة:٣٧].

فالآية الأولى تتحدث عن الحج، وهو مرتبط بالسنة القمرية، والآية الثانية تتحدث عن تلاعب المشركين بترتيب الأشهر الحرم، وهي أشهر في السنة القمرية.

٢ـ لا توجد في القرآن الكريم كلمة (سنة) تدل بوضوح على السنة القمرية، ولا توجد كلمة (عام) تدل على السنة الشمسية، ولا يعني هذا أنّ مفهوم السنة لا يشمل السنة القمرية.

٣ـ في معرض التفخيم والتكثير يستعمل القرآن لفظة (سنة)؛ لأنّ السنة أطول من العام، قال تعالى:

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج:٤].

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج:٤٧].

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨﴾ [الشعراء:١٨].

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤].

٤ـ في قوله تعالى ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف:١٥] ذكر السنين، وهي أطول من العام؛ لأنه مخبر عن اكتمال نمو الإنسان وتمام قوته واستوائه فلفظ السنين في الآية أولى؛ لأنها أكمل من الأعوام إضافة لمفهوم السن اللغوي، حيث يقال في الأصل في الماشية: ابن سنة، وابن سنتين؛ لأنّ السن فيها معتبر بالسنين، ثم قيل ذلك في الآدميين، وإنْ كان أصله في الماشية.

٥ـ العرب استعملت الأشهر القمرية، ولم يكونوا يحسبون بالأشهر الشمسية، كما في الآيات: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة:٣٧] ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤]. أمّا

قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة:٢٥٩] فهو إخبار من الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام ولأمته بمعرفة هذه المدة بالأعوام؛ لأنّ حساب العرب كان بالأعوام.

٦ـ استعمل القرآن الكريم كلمة (سنة) للسنة المجدبة، و استعمل كلمة (عام) تعبيراً عن الخصب والخير. وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ليست السنة أن لا تمطروا، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً**) رواه مسلم. وفي صحيح مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (. .**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة**). وفي حديث حليمة السعدية قالت: (خرجنا نتلمس الرضَعَاء بمكة في سنة سنهاء) أي لا نبات فيها، مثل: (ليلة ليلاء).

٧ـ علماً بأ كلمة (سنة) وردت بالإفراد في القرآن الكريم في (٧) مواضع وهي: [البقرة ٩٦ـ المائدة٢٦ـ الحج ٤٧ـ العنكبوت١٤ـ السجدة ٥ـ الأحقاف ١٥ـ المعارج ٤]

كما وردت كلمة (سنين) بالجمع في (١٢) موضعاً، وهي: [الأعراف ١٣٠ـ يونس ٥ـ يوسف ٤٢ـ يوسف ٤٧ـ الإسراء ١٢ـ الكهف ١١ـ الكهف ٢٥ـ طه٤٠ـ المؤمنون ١١٢ـ الشعراء ١٨ـ الشعراء ٢٠٥ـ الروم ٤] وبالتالي فإنّ مجموع الرقمين هو (١٩) مرة.

وحتى ترجع الأرض والقمر إلى النقطة نفسها، أي إلى الإحداثية نفسها فإن ذلك يحدث كل (١٩) سنة، وتسمى هذه المدة (الدورة الخسوفية). والله أعلم.

السؤال الثالث:

كيف نفهم: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ٢٥﴾؟ ولماذا نونت مائةٍ؟

الجواب:

١ـ يقولون: (سنين) شمسية، (سنين) بدل، ولو أضفنا نقول: مائة سنة لكنْ هنا ليست مضافة، (ثلاث مائة) لم تضفها حتى تقول: ثلاث مئة سنة هذا بدل، وليس تمييز عدد.

و﴿سِنِينَ﴾ بدل. وتمييز العدد له أحكام بعد المئة والألف، فيكون مفرداً مضافاً إليه، نحو: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ [البقرة:٢٥٩].

٢ـ ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ نوّن؛ لأنّ هذا أمر عجيب فنوّن، هذا (تنوين التمكين) لكنْ ما الغرض منه؟ ولماذا لم يضف؟ والجواب: لأنّ الأمر يدعو إلى العجب والتعجيب. و﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ أبهمت، ويسمى الإيضاح بعد الإبهام. وإذا قلنا ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ فالسامع لا يتوقع أو لا ينتظر منك شيئاً آخر؛ لأنه لو أردت أنْ تضيف لأضفت بعد المئة، إذن انتهى السائل، فإذا جئت بالبدل تكون أتيت بشيء جديد ما كان يتوقعه، قالوا: الإيضاح بعد الإبهام.

السؤال الرابع:

في الكهف ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ ما المقصود في استخدام الواو ﴿وَٱزْدَادُواْ﴾ بدل (بل)؟ وما دلالة الحرف (أو) في آية الصافت ١٤٧؟

الجواب:

في قوله تعالى في آية الصافات ١٤٧: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ (أو) قد تأتي بمعنى (بل)، تقول: سأرحل أو أمكث، سأذهب إلى المقهى أو أقيم، هذا التوجيه الأول بمعنى (بل يزيدون).

والتوجيه الآخر أنه بحسب ما يراه الرائي، يعني بالنسبة للرائي إذا نظر إليهم يقول: مائة ألف أو يزيدون، فهي إمّا أنها بمعنى (بل) أو ترجيح بالنسبة للرائي، وليس بالنسبة لله سبحانه وتعالى. أمّا (الواو) في آية الكهف فتعني: ازدادوا قطعاً.

السؤال الخامس:

لماذا جمع السنة على (سنين) في آية سورة الكهف ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ ولم يقل: ثلاث مائة سنة؟

الجواب:

هنا ﴿سِنِينَ﴾ بدل، وجاء بها بعد تمام الكلام ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ وهذا تنوين قطع؛ لأنّ الجملة انتهت، ولبثوا في كهفهم ثلاث مئةٍ، ثم يبين (سنين)، وهذا إيضاح بعد الكلام.

وهذا يكون في الأشياء المراد لفت النظر إليها، إمّا أن يقال: ثلاث مئةِ سنةٍ،(وتعرب" سنة " تمييزاً، وإما أنْ نقول: (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائةٍ سنينَ)و ﴿سِنِينَ﴾: هي بدل من العدد منصوب والبدل يمكن إحلاله محل الأول المُبدل منه، وهي (ملحق بجمع المذكر السالم). والبدل يمكن إحلاله محل الأول المُبدل منه.

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾؟

الجواب:

ثلاث: نائب عن ظرف زمان منصوب.

مئة: مضاف إليه مجرور.

سنين: بدل منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

وازدادوا: الواو حرف عطف، ازدادوا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير فاعل.

تسعاً: تمييز منصوب.

السؤال السابع:

ما اللطائف العددية في الآية٢٥ وفي سورة الكهف بشكل عام؟

الجواب:

١ـ ترتيب سورة الكهف في المصحف هو (١٨)، وعدد آيات قصة الكهف هو أيضاً (١٨) آية مكونة من (١٤٠١) حرف، ويتم الحديث عن العدد (٣٠٩) في الآيتين

الأخيرتين من القصة، وتنتهي القصة بالآية ٢٦ وترتيب هذه الآية من بداية المصحف هو (٢١٦٦)، وهو يساوي [١٩x١١٤]، والرقم (١١٤) هو عدد سور القرآن، والعدد(١٩) هو عدد أحرف البسملة.

٢ـ تبدأ آيات قصة أصحاب الكهف في السورة ابتداء من الآية التاسعة من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ وتنتهي في الآية ٢٦من نفس السورة.

فإذا عددنا الكلمات في قصة أصحاب الكهف ابتداء من كلمة ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ فسوف نجد أنّ ترتيب كلمة ﴿كَهْفِهِمْ﴾ في الآية ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ هو ٣٠٨ كلمة، ثم يأتي العدد الذي بعده كتابةً ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ فكأنه تسلسل أعداد، فانظر وتمعن. والله أعلم.

السؤال الثامن:

ما العلاقة العددية في الآية٢٥ بين السنة الشمسية والسنة القمرية؟

الجواب:

١ـ عندما تدور الأرض دورة واحدة حول الشمس تكون قد دارت حول نفسها (٣٦٥) دورة، ويكون القمر قد دار حول الأرض (١٢) دورة والسنة هنا هي عودة الأرض إلى النقطة نفسها في مدارها حول الشمس.

٢ـ السنة الشمسية المدارية تساوي (٣٦٥.٢٤٢٢) يوماً، والسنة القمرية المدارية تساوي (٣٥٤.٣٦٧٠٧) يوماً، والفرق بينهما هو (١٠.٨٧٥٢) يوماً.

الآن: ٣٦٥.٢٤٢٢÷١٠.٨٧٥٢=٣٣.٥٨ سنة شمسية

أي أنّ السنة القمرية تعود لتلتقي مع السنة الشمسية في نقطة البداية نفسها بعد (٣٣.٥٨) سنة شمسية، وتسمى هذه الفترة (دورة).

٣ـ في فهم العلاقة بين السنة الشمسية والسنة القمرية من خلال الآية في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ احتمالان، والاحتمال الأول عليه أكثر المفسرين، وهو:

٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٠ سنة قمرية +٩ سنوات قمرية

والاحتمال الثاني هو:

٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٠ سنة قمرية +٩ سنوات شمسية

وبلغة الأرقام نقول:

٣٠٠ X ٣٦٥.٢٤٢٢=٣٠٠X ٣٥٤.٣٦٧٠٧+ الفرق أي:

١٠٩٥٧٢.٦٦ = ١٠٦٣١٠.١٢+٣٢٦٢.٥٤ يوماً

وهذا الفرق (٣٢٦٢.٥٤) يوماً يعادل بالسنين الشمسية:

٣٢٦٢.٥٤÷ ٣٦٥.٢٤٢٢=٨.٩٣٢٥ سنة شمسية

أو يعادل بالسنين القمرية:

٣٢٦٢.٥٤÷ ٣٥٤.٣٦٧٠٧=٩.٢٠٦٦سنة قمرية

والرقم الناتج بالسنين الشمسية (٨.٩٣٢٥) أقرب للرقم (٩) من الرقم الناتج بالسنين القمرية (٩.٢٠٦٦)؛ لذلك فإنّ تسع سنوات شمسية أدق رياضياً من تسع سنوات قمرية، وهذا خلاف رأي المفسرين. والله أعلم.

أمّا من الناحية اللغوية:

فقد قال القرآن الكريم ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ أي من السنين (الشمسية)، ولو قال: (تسعة) لكان المقصود من الأعوام (القمرية) وهذا على اعتبار الأصل في وجوب المخالفة بين الأعداد (٣: ١٠) ومعدودها من حيث التذكير والتأنيث. والله أعلم.



﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم البصر على السمع في آية سورة الكهف٢٦؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف:٢٦] والمعلوم أنّ الأكثر

في القرآن هو تقديم السمع على البصر، لأنّ السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ؛ ولأنّ فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه، أمّا فاقد السمع فيصعب تبليغه. ثم إنّ مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه، بالإضافة إلى أنّ السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين.

٢ـ أمّا لماذا قدّم البصر على السمع في الآية، فالسبب يعود إلى أنه في آية سورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد، لكنّ الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أنْ يتلطف حتى لا يراه القوم، إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع، فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية.



﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف الجمع بين قوله تعالى في آية الكهف٢٧: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل:١٠١]؟

الجواب:

آية الكهف لها معنيان:

١ـ المعنى أنه لا مغير للقرآن من البشر، وهذا جوابٌ لقولهم للنبي ﷺ: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [يونس:١٥].

٢ـ أنّ معناه لا مخلف لمواعيده ولا مغير لحكمه.

أمّا آية النحل فتشير إلى النسخ والتبديل من الله تعالى، فلا تنافي بينهما.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ آية سورة الكهف٢٨، وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢]؟

الجواب:

(اصطبر) جاءت في الصلاة لأنها مستمرة كل يوم، وزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، والصلاة كل يوم في أوقاتها وتأديتها حق أدائها وإتمامها يحتاج إلى صبر كبير، لذا جاءت كلمة ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ للدلالة على الزيادة في الصبر.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

يستخدم تعالى في القرآن بعض الأفعال التي ربما تتشابه حرفياً ولها نفس الدلالة مثل (أعدّ وأعتد) وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف:٣١] لماذا لم يقل: وأعدت لهن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يوسف ٣١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ﴾ ما كلمات منظومة أعمال النار يوم القيامة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٣٥.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٤٤.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسْتَبْرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة البقرة يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥] وفي الكهف يقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسْتَبْرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف:٣١] فما الفرق بين (من تحتها) و(من تحتهم)؟

الجواب:

(من تحتها) الكلام عن الجنة. قال تعالى " ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزْقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

(ومن تحتهم) يتكلم عن ساكني الجنة المؤمنين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسْتَبْرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف:٣٠-٣١]، فالكلام على الساكن، أي على المؤمن.

فإذا كان الكلام على المؤمنين يقول: ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ وإذا كان الكلام على الجنة يقول: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾.

وقد يقول بعض المستشرقين: إنّ في القرآن تعارضاً: مرة تجري من تحتها ومرة من تحتهم، لكنْ نقول أنّ الأنهار تجري من تحت الجنة ومن تحت المؤمنين وليس فيها إشكال ولا تعارض، ولكنّ الأمر مرتبط بالسياق فعندما يتحدث عن المؤمنين يقول: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ﴾ وعندما يتكلم عن الجنة أكثر يقول: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب:

١ـ الاتّكاء غاية الراحة كأنّ الانسان ليس وراءه شيء؛ لأنّ الانسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء، والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية وهذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحدفي آية الكهف ٣١.

* شواهد قرآنية:

قال تعالى: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧] والاتكاء يحسُن في هذا الموضع.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾﴾ [ص:٥١] ويرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب.

وكذلك في سورة الرحمن ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن:٥٤] دائما يأتي في السياق ذكر الطعام والشراب.

٢ـ والآية الوحيدة التي لم تأت فيها كلمة (متكئين) مع الطعام والشراب هي الآية في سورة الكهف ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

ونلاحظ في هذه السورة نجد أنّ الآية التي ليس فيها طعام وشراب سبقها قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ فكأنما الله تعالى يخاطب الرسول ﷺ الذي كأنه يريد القيام فصبّره الله تعالى فجاءت (متكئين) في الآية بعدها فكأنها مقابلة، فهؤلاء المؤمنون في راحة وأراد تعالى أن يصبّر رسوله ﷺ.

٣ـ فالاتكاء غاية الراحة والسعادة، ولهذا وصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم؛ لأنه لا نوم في الجنة أصلاً، ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا.

السؤال الثالث:

ذكر الله في سورة الإنسان ٢١ ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ بينما في آيات أخرى ذكر ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ كما في الكهف٣١، ومرة ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ كما في [فاطر ٣٣ والحج ٢٣] فما السبب؟

الجواب:

لقد ذكر الله في آية سورة الإنسان٢١ ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ بينما في آيات أخرى ذكر ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ كما في الكهف ٣١، ومرة من ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ كما في فاطر ٣٣، ويقول

المفسرون: إنها تدل على المعاقبة أو الجمع، أي: مرة يلبسون ذهباً ومرة فضة ومرة يجمعون بينهما.

لكنْ لماذا جاءت ذكر أساور الفضة في سورة الإنسان، بينما جاءت (من ذهب ولؤلؤاً) في سورة فاطر، فالجواب تجده في آية سورة فاطر٣٣.



قصة صاحب الجنتين:

﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ هل التفجير تشقق الأرض وخروج الماء أم جريان الماء من داخل الأرض؟

الجواب:

التفجير: هو إخراج الماء بغزارة، والانبجاس أقل من التفجير، والإخراج أقل.



﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الكهف٣٦ ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

وقال في آية فصلت ٥٠ ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [فُصِّلَت:٥٠]

فاستعمل ﴿رُّدِدتُّ﴾ في آية الكهف واستعمل ﴿رُّجِعْتُ﴾ في فصلت، فلماذا؟

الجواب:

نجد الجواب مبيناً في الجدول التالي:

اللفظ	الكهف	فصلت
الرد	٣ مرات	١ مرة واحدة
الرجع	-	٢ مرتان

فوضع كل فعل في مكانه الذي هو أليق به.

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (ثُمّ) و(ثَمّ) في القرآن الكريم؟

الجواب:

(ثُمّ) ـ بضمّ الثاء ـ هي حرف عطف تفيد الترتيب والتراخي، كما في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٧].

أمّا (ثَمّ) ـ بفتح الثاء ـ تأتى بمعنى هناك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان:٢٠].

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ في الآية ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾﴾؟

الجواب:

كلمة (لكنّا) فيها إدغام، وهي أصلها في غير القرآن (لكن أنا) وحذفت الهمزة فصارت (لكن نا) ثم صارت (لكنّا).

و عند الوقف أقول: أنا (مفخمة) ولكن في غير الوقف أقول: أنا، كأن النون مفتوحة ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ [الزُّخرُف:٥٢] والعرب تختلس اختلاساً من المتكلم الألف فتحولها إلى فتحة، إلا في الوقف فلا يجوز.

في الوصل تقول: أنا الذي فعلت هذا، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ وعند الوقف تقول: (لكنّا) مفخمة.



﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾؟

الجواب:

روي عن جعفر الصادق أنه قال:

١ـ عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤].

٢ـ وعجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قول الله: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧].

فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٨].

٣ـ وعجبت لمن مُكِر به ولم يفزع إلى قول الله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر:٤٤] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر:٤٥].

٤ـ وعجبت لمن طلب الدنيا كيف لا يفزع إلى قول الله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف:٣٩-٤٠].

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ ﴾ ماذا تفيد عسى في الآية؟

الجواب:

(عسى) في هذه الآية تفيد الرجاء.



﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ﴾

السؤال الأول:

وردت في القرآن الكريم آيات شبه الله تعالى فيها الدنيا بالماء كما في آية يونس ٢٤ ـ الكهف ٤٥ فلِمَ مثل الله تعالى الدنيا بالماء؟

الجواب:

١ـ لأنّ الماء ليس له قرار، وكذلك الدنيا.

٢ ـ لأنّ الماء إنْ أمسكته تغير ونتن، وكذلك الدنيا لمن أمسكها تكون بلية عليه.

٣ ـ لأنّ الماء يأتي قطرة قطرة ويذهب دفعة واحدة، وكذلك الدنيا.

٤ ـ الماء يستر الأرض وكذلك المال، وهو رمز الدنيا يغطي عيب الرجل.

٥ ـ الماء طبعه النقصان وكذلك الدنيا.

٦ ـ الماء قليله ري للعطشان وكثيره داء ومصائب، وكذلك الدنيا.

٧ ـ الزرع يفسد بالماء الكثير، كذلك القلب يفسد بالمال الكثير.

٨ـ الماء لا يكون كله صافياً كذلك المال فيه الحلال والحرام والشبهة.

٩ ـ الماء قد يكون كثيراً في موضع وقليلاً في موضع آخر كذلك الدنيا.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٤٤.



﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما سر تقديم المال على البنون في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ١١١.

السؤال الثاني:

آية المال والبنون: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ هل الواو حرف عطف؟ وهل حرف العطف يبين بأنّ (المال) أهم من (البنون) أو أنّ المال يأتي أولاً لأجل البنين؟

الجواب:

١ـ الواو هنا عاطفة، وهذا يدخل في باب التقديم والتأخير فقدّم المال على البنين هنا لأنه قال زينة الحياة الدنيا، والزينة بالمال أظهر من البنين فقدّم المال.

٢ـ وتقدم الأموال على الأولاد بحسب السياق:

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ﴾ [آل عمران:١٤]هنا أخرذكر الأموال.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة:٢٤]أخّرذكر الأموال.

فعندما يذكر مسألة الحب الفطري يؤخر الأموال؛ لأنّ الأموال تترك للأبناء وهو يعمل ويكد ويعلم أنه ميّت ويترك الأموال للأبناء، وأحياناً نرى كلمة متقدمة وفي موطن آخر نراها متأخرة كما مر بنا في النفع والضر.

٣ـ (الواو) لها أغراض أخرى في اللغة غير العطف مثل واو القسم ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ وكذلك واو الحال ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [يوسف:٨] و أيضاً واو الاستئناف.

السؤال الثالث:

ما دلالة المال والبنون في الآية؟

الجواب:

١ـ هما فتنة الناس في الدنيا، لكنّ الله سبحانه وتعالى قّدّم المال على البنين ليس لأنه أعز أو أغلى؛ إنما لأنّ المال عام في المخاطب على خلاف البنين وكل إنسان لديه المال وإنْ قل، أمّا البنون فهذه خصوصية ومن الناس من حُرم منها.

كما أنّ البنين لا تأتي إلا بالمال لأنه يحتاج إلى الزواج والنفقة، والحكم هنا قضية عامة.

٢ـ وكلمة ﴿زِينَةُ﴾ أي: ليست من ضروريات الحياة فهو مجرد شكل وزخرف، والزينة عادة سريعة الانقضاء والانتهاء، والمؤمن الراضي بما قَسم الله له يعيش حياته سعيداً، وربما يشقى الإنسان بماله أو يشقى بولده لدرجة أنه يتمنى لو مات قبل أنْ يُرزق هذا المال أو ذاك الولد.

ولو أيقن الناس أنّ الإيجاد من الله نعمة وأنّ السلب من الله نعمة أيضاً وأنّ الرزق من الله تعالى لاستراح الجميع.

قال النبي ﷺ «**من أصبح مُعافىً في بدنه، آمناً في سربه، وعنده قوت يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا بحذافيرها**» رواه الترمذي وابن ماجه.

وطالما كانت خيرات الدنيا منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية فالدائم خير من المنقرض المنقضي وهذا معلوم بالضرورة.

لذلك كان مجموع السعادات العقلية والحسية هي السعادات الأخروية وهي أفضل من السعادات الحسية الدنيوية.

والمفسرون ذكروا في (الباقيات الصالحات) أقوالاً منها:

ـ قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ـ أنها الصلوات الخمس.

ـ أنها الطيب من القول.

ـ هي كل عمل وقول دعاك إلى الاشتغال بمعرفة الله ومحبته وطاعته.

وكل عمل أُريد به وجه الله تعالى فلا شك أنّ ما يتعلق به من الثواب ومن الأمل فهو أفضل عند الله في الآخرة.

البنـــون:

وردت في القرآن الكريم لفظة ﴿وَٱلْبَنُونَ﴾ أربع مرات وهي:

١ ـ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦].

٢ ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء:٨٨].

٣ ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الصافات:١٤٩].

٤ ـ ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور:٣٩].

وو ردت لفظة ﴿ٱلْبَنِينَ﴾ ١٢ مرة وهي:

١ ـ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران:١٤].

٢ ـ ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠].

٣ ـ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢].

٤ ـ ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء:٦].

٥ ـ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ [الإسراء:٤٠].

٦ ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦].

٧ ـ ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء:١٣٣].

٨ ـ ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات:١٥٣].

٩ ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّخرُف:١٦].

١٠ ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القلم:١٤].

١١ ـ ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح:١٢].

١٢ ـ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدَّثر:١٢-١٣].

ومن تتبع الآيات المذكورة أعلاه نستنتج أنّ الاستعمال القرآني لكلمة ﴿وَٱلْبَنُونَ﴾ هو للرجال وليس للنساء كما هو واضح من الآيات: [الزخرف ١٦ ـ الصافات ١٥٣ ـ الإسراء ٤٠ ـ الأنعام ١٠٠ ـ الصافات ١٤٩ ـ الطور ٣٩].

حيث نجد فيها أنّ البنين هم الذكور في مقابل البنات، وحتى في حياتنا نستخدم البنين مقابل البنات ونقول عن المرأة التي لا تلد إلا ذكوراً إنها أم البنين.

٣ـ القرآن الكريم عدّ المال والرجال هم زينة الحياة الدنيا، وهو بهذا يكشف عن حقيقة نفسية وظاهرة اجتماعية لا يستطيع الناس أنْ يخفوها.

وبالرغم أنّ الإسلام ساوى بشكل كامل بين المرأة والرجل في صنع الحياة وعمارة الأرض إلا أنّ الإنسان الضعيف ما زالت تنازعه أهواؤه من الدنيا جيلاً بعد جيل حيث كان الناس في الجاهلية يعتزون بالرجال الذين يحمون القبيلة ويدافعون عنها.

وفي زمننا الحاضر تجد الناس يستقبلون المولود الذكر بوجه غير الوجه الذي يستقبلون به الأنثى، وحتى النساء يفقن الرجال في هذا الإحساس، وهذا من العجب.

أوليس هذا دليلاً على أنّ القرآن الكريم تصور كلماته وآياته طبائع البشر جيلاً بعد جيل؟!!!

فسبحان الله العليم.

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة البنين والحفدة والذرية والأسباط؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.



﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف وصفت هيئة عرضهم في آية الكهف ٤٨ على صف منتظم، وفي آية سورة القمر ٧ بأنهم منتشرون بغير نظام ولا صفوف كالجراد؟

الجواب:

آية الكهف بينت حالهم عند السؤال، وآية القمر بينت حالهم عند خروجهم من القبور وحشرهم إلى القيامة.



﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

متى تستعمل يا ويلتنا ويا ويلنا؟ ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ و ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [القلم:٣١]؟

الجواب:

انظر الجواب في البقرة ٧٩.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (الويل والويلة) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ الويل: هو العذاب والحزن والمشقة، وأمّا الويلة فهي الفضيحة.

٢ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال الويلة في القرآن لوجدناها كلها في مواطن الفضيحة كما في الآيات: [هود ٧٢ـ الكهف٤٩ـ المائدة ٣١ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

والله أعلم.

السؤال الثالث:

لمَ قال الله تعالى في آية الكهف ٤٩ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ مع أنه أخبر أنّ الصغائر تُكفر باجتناب الكبائر في آية النساء ٣١ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾؟

الجواب:

آية الكهف ٤٩: هي في حق الكافرين بدليل قوله تعالى فيها: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وكل مجرم في القرآن يراد به الكافر.

أما آية النساء ٣١: فالمراد بها المؤمنون لأنّ اجتناب الكبائر لا يكون متحققاً مع وجود الكفر.



﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ هل (كان) هنا بمعنى صار؟

الجواب:

(كان) تأتي لمعان كثيرة طويلة وليست بالبساطة التي يأخذها الطلبة. قد تأتي للانقطاع كأنْ تقول (كان نائماً، كان في البيت) أي أمر حصل وانقطع. وقد تأتي بمعنى الوجود على الأصل أي هو هكذا كما في الآية: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١] فهذا ليس انقطاعاً، فلم يكن عجولاً ثم صار عجولاً. أي هو بمعنى الوجود على الأصل أي هكذا وُجِد. وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي هكذا خُلِق على الأصل.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٢.



﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿وَلَمۡ﴾ في الآيتين ٥٢-٥٣ بدل (ما)؟

الجواب:

آية الكهف ٥٢:

استعمل ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ وبذلك أفاد نفي الاستجابة بصورة التجدد والتطاول ولو قال: ما استجابوا لكم، لأفاد نفي الاستجابة بصورتها المنقضية التامة.

آية الكهف ٥٣:

استعمل ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ﴾ لتدل على تكرار البحث وإدامة النظر لمحاولة الخروج من النار، فكأننا نراهم يبحثون لكنهم لم يجدوا شيئاً على كثرة ما بحثوا، ولو قال: ما وجدوا، لأفاد انتفاء الحدث بصورته المنقضية لا بصورة البحث والتفتيش.

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ في آية الكهف ٥٣؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٩.

السؤال الثالث:

كيف الجمع بين العمى والقراءة والرؤية في آيات [الكهف ٥٣ـ الإسراء ١٤ـ طه ١٢٤]؟

الجواب:

في القيامة مواطن متعددة: ففي بعضها يكون أعمى وفي بعضها يكون مبصراً ويختلف ذلك باختلاف أهل الحشر فيه. والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء:٨٩] وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ٨٩.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الإسراء ٤١ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ وبعدها في الإسراء ٨٩ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ بتقديم (الناس على القرآن) وفي الكهف٥٤ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ﴾ بتقديم (القرآن على الناس) أو بعدم ذكر الناس فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء٤١ و٨٩.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

من استعراض الآيتين الإسراء ٩٤ والكهف ٥٥ نلاحظ أنه تعالى حصر في آية الإسراء غير ما حصر في آية الكهف؟ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ آية الإسراء: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ فيها إشارة إلى (المانع العادي) وهو استغرابهم أنّ الله بعث بشراً رسولاً.

٢ـ آية الكهف ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ دلت على (المانع الحقيقي) وهو إرادة الله تعالى، ويكون تقدير الآية: إلا إرادة الله هلاكهم لِما سبق في علمه.



﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الكهف ١٠٦ ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ وقال قبلها في الآية ٥٦ ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ بزيادة ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ الآية ٥٦: تقدمها أنّ الإنسان كثير الجدل وجداله باطل كما في الآيتين: [٥٤ ـ ٥٥] من نفس السورة فناسب ذلك ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾.

٢ـ الآية ١٠٦: تقدمها قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح وذي القرنين فناسب قوله تعالى: ﴿وَرُسُلِي﴾.



﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]؟ لماذا استعمل مرة (الفاء) ومرة (ثم) مع نفس الفعل؟

الجواب:

١ـ نقرأ الآيتين حتى يتبين لنا سبب الاختلاف:

آية الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾. وأمّا آية

السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾ وجاء بعدها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)﴾.

٢ـ نحن نعرف من القواعد النحوية اللغوية أنّ الفاء تفيد الترتيب والتعقيب دون تراخٍ في الزمن و(ثم) تفيد الترتيب والتراخي (يعني مهلة من الزمن). ومعنى هذا أنّ وقوع الإعراض في آية الكهف أسرع منه في آية السجدة؛ لأنه قال: (ذُكِّر فأعرض) وهناك قال: (ذُكِّر ثم أعرض) إذن معنى ذلك أنّ الإعراض في آية سورة الكهف وقوعه أسرع هذا من حيث اللغة، فما الموجب لذلك؟

القرآن ذكر في آية الكهف أموراً تسرع في إعراضه لم يذكرها في آية السجدة، فالإعراض واقع في عقب التذكير فقال: ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)﴾ هذا كله مما يسرع في إعراضهم. بينما لم يقل هذا في آية سورة السجدة ولم يذكر دواعي التَّسرُّعِ في إعراضه كما ذكر في آية الكهف ٥٧، فإذا قلنا لأي متخصص في اللغة ضعْ (الفاء) وضعْ (ثم) سيضعها في مكانها كما هي في القرآن الكريم،وهذا قانون تعبيري.

السؤال الثاني:

في القرآن الكريم مرة يذكر الإعراض عن ذكر الله كما في الآية: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ [الجن:١٧] ومرة يذكر الإعراض عن الآيات كما في آية السجدة٢٢ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فهل هنالك فرق بين الإعراضين؟

الجواب:

١ـ الذكر في الغالب هو عام و يعني عن عبادته أو عن وحيه ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾ أي عن الوحي، ولاحظنا أنه يذكر أحياناً (الإعراض عن الذكر)كما في الآية ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه:١٢٤] وأحياناً يذكر (الإعراض عن الآيات) كما في الآية: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾، لكنْ من الملاحظ أنه عندما يذكر الإعراض عن الذكر تكون العقوبة أشد.

٢ـ الذكر أعم والآيات جزء من الذكر. قال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص:١] و ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزُّخرُف:٤٤].

٣ـ ومن الملاحظ أنه عندما يتكلم القرآن عن الإعراض عن الذِّكر تكون العقوبة أشد مما قال في الإعراض عن الآيات، ويظهر ذلك من الآيات التالية:

الإعراض عن الآيات:

ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧﴾ ما عقوبة هؤلاء؟ لم يذكر العقوبة.

ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢﴾ [السجدة:٢٢] ما نوع هذا الانتقام؟ لم يذكر.

الإعراض عن الذِّكر:

- ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)﴾ [طه:٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢] هنا فصلٌ في العذاب.

- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾ [طه:١٢٤-١٢٥-١٢٦] هذا تفصيل العذاب.

- ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)﴾ [الجن:١٧] ولم يقل في الآيات مثل هذا التهديد.

إذن عندما يذكر الإعراض عن الذكر يذكر العقوبة بشكل أشد وهذا منطقي؛ لأنّ الذكر أعم والآيات جزء من الذكر.

٤- إذا قرن العذاب بالجزء ينطبق على الكل، لكن لمّا يقرن العذاب بالكل فهل ينسحب على الجزء؟

الآيات جزء من الذكر، فعندما يذكر الإعراض عن الذكر هل من المناسب أنْ يجعله كالإعراض عن آية واحدة؟ هل الإعراض عن الشريعة كلها كالإعراض عن جزئية من الشريعة؟ لا، هل العقوبة واحدة؟ لا.

هل يصح أنْ تذكر العقوبة واحدة مع الإعراض عن الكل أوالإعراض عن الجزء؟ لا. لو فعل هذا لسألنا كيف يكون الإعراض عن الجزء كالإعراض عن الكل؟

والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿فَأَعۡرَضَ﴾ ما كلمات منظومة الترك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.



قصة موسى عليه السلام و العبد الصالح:

د.عمر عبد الكافى:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾﴾

وهذه هى قصة الآية الكريمة وما تلاها من آيات فى سورة الكهف كما جاءت فى صحيح البخارى حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ أَخْبَرَنِى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفاً الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ. فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، حَدَّثَنَا أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: « **قَامَ مُوسَى النَّبِىُّ خَطِيباً فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِى بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتاً فِى مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتاً فِى مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا**

عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعا رُءوسَهُما وَنَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ (القفة الكبيرة)، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجباً، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِى أُمِرَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾، قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِى، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ - أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ - فَسَلَّمَ مُوسَى. فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى. فَقَالَ: مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾؟ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾، يَا مُوسَى إِنِّى عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ. قَالَ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ (أجر)، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِى الْبَحْرِ. فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِى الْبَحْرِ. فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ. فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَالَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾؟ قَالَ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾. فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَاناً. فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ. فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ

نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؟ قَالَ: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾؟ – قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ – ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾. قَام الْخِضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا».

بعد عرض هذه القصة الرائعة والتى أمدنا الله الكريم فيها بالكثير من الدروس و العبر، نلاحظ فيها عدم صبر سيدنا موسى عليه السلام بعد أنْ تعهد و قال: (سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا) كذلك عدم صبر سيدنا الخضر علي سيدنا موسى بعد أنْ أخذ منه العهود و المواثيق بعدم السؤال، فما لبث أنْ قال له بعد أنْ سأله سيدنا موسى عليه السلام عن تفسير أعماله ثلاث مرات: (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ).

والآن أخي المسلم بعد أنْ أخذ عليك الله الكثير من العهود و المواثيق و تفضّل عليك بالكثير الكثير من النعم، وتعصيه بعد ذلك بعد أنْ قلت مراراً و تكراراً: (وَلاَ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا) ثم تتوب إليه، فهل فى أى مرة من مرات عصيانك لله و عدم التزامك شرعه و أوامره قال الله لك: (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ) لم يحدث أبداً. سبحانك ربنا ما أرحمك بنا و صبرك علينا مع تقصيرنا.

ملاحظة: هذه اللفتة الجميلة ذكرها الشيخ الجليل: عمر عبد الكافي في برنامج «هذا ديننا» على قناة الشارقة.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آيات سورة الكهف في قصة موسى من الرجل الصالح أو الخِضر؟

الجواب:

الخضر أو الرجل الصالح ورد في الحديث أنّ اسمه الخِضْر ـ بكسر الخاء وسكون الضاد ـ وهذا هو الأفصح.

السؤال الثاني:

لِمَ قال: ﴿لِفَتَـٰهُ﴾؟ ما المقصود بالفتى؟

الجواب:

١ ـ أصل القصة كما تذكرها الأحاديث الصحيحة أنّ موسى عليه السلام سُئل عن أعلم من في الأرض أو عن العلم فقال: أنا، فقيل له: أنت لا تعلم كل شيء، وأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أنّ علمك جزء من العلم وليس كله، فأراد أنْ يربّيه التربية الإلهية بالتطبيق بأنْ يعلم أنّ هناك حيّزاً من العلم لم يُمنَحه وهو علم الغيب، وأنت تعلم العلم الظاهر، وهوعلم الشرع. فوعده عند مجمع البحرين وهناك سيفقد الحوت، وفي المكان الذي سيذهب فيه الحوت ستجد الرجل الذي وعدتك به، وهذه هي القصة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ بيان لفتاه أنه قد يمضون زمناً طويلاً في رحلتهما، والآية لا تقول لنا: إنّ الفتى وافق، لكنّ المفهوم ضمناً من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أنه كان معه.

٢ـ كلمة (فتاه) هذه لمسة من القرآن الكريم في الوقت الذي كان هناك عبودية وتبعية الإنسان لغيره، كان الرسول ﷺ ينهى أنْ يقول المرء: عبدي أو أمتي، وإنما يقول: فتاي وفتاتي، الفتى كأنه ابن، فكأنّ هذه لمسة إنسانية من رسول الله ﷺ الذي هو رسول البشرية ورسول الإنسانية جميعاً، لا يقال: خادمتي، عبدتي، عبدي، أمتي وإنما: فتاي وفتاتي، حتى يحس الشخص العامل بقيمته الإنسانية عند ذلك، فالقرآن يذكر هذا الكلام حتى يؤدّب قُرّاء القرآن كيف يتعاملون مع الناس.

السؤال الثالث:

ما المقصود بقوله تعالى: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾؟

الجواب:

﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ﴾ هذه كلمة تقال لبيان الإصرار على الشيء: لا أبرح حتى أفعل كذا، أي: سأستمر على جهدي إلى أنْ أفعل هذا الأمر.

السؤال الرابع:

ما المقصود بقوله تعالى: ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾؟

الجواب:

﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ هو مكان يجتمع فيه بحران، مع مراعاة أنّ العرب تسمي النهر الكبير بحراً: النيل في لسان العرب بحر، والفرات في لسان العرب بحر، ودجلة في لسان العرب بحر.

لكن عندما يأتي إلى الأنهار الصغيرة يقول: نهر، قد يسميه نهراً أو قد يسميه اليمّ، وقد يطلق اليمّ على البحر أو على النهر الكبير.

هناك إذن نقطة التقاء أو قد تكون نقطة إفتراق؛ لأنّ المكان الذي يجتمع فيه فرعان، والإنسان يمكن أنْ يتخيل ما شاء الله، مع مراعاة المكان الذي عاش فيه موسى عليه السلام في مصرو فلسطين وسيناء. لكن ليس فيه فائدة وما عندنا دليل واضح على وجه التحديد، ولا نطيل أين هذان البحران؟ ولا فائدة من ذلك.

السؤال الخامس:

ما المقصود بقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ۝٦٠﴾؟

الجواب:

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ۝٦٠﴾ الحقب جمع حِقبة والحقبة هي مدة من الوقت.

قسم يقول: سنة، وقسم يقول: ليس لها وقت محدود، كأنه يقول سأمضي إلى ما لا نهاية أى أوقاتاً أو دهوراً أو زماناً مفتوحاً.

وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣﴾ [النبأ:٢٣] أي: أزمنة طويلة قد لا تكون محسوبة، وقوله﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ۝٦٠﴾ هذا حتى يُعلِم الفتى بما ينتظره حتى لا يُغش أنّ المكان

قريب وتأتي معي، لا، إنما هناك مرحلة طويلة سأسلكها، وفيه نوع من التخيير إنْ شئت أنْ تمضي معي وإنْ شئت فلا، وهذا الإصرار ينبغي أنْ يعلمه المصاحِب له، ولا ينبغي أنْ يخدعه أو أنْ يغشّه، فهو معه يخدمه، إذن ينبغي أنْ يعلم مَن معك أين تريد أن تذهب.



﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال (بينِهما) بالكسر وما قال (بينَهما) بالفتح؟

الجواب:

١ـ ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: كلمة (بينِ) بكسر النون تشير إلى المساحة التي اجتمع فيها البحران، لكنّ هذه المساحة تابعة لكلا البحرين؛ بأنْ يكون هناك اختلاط بين مياه البحرين، فهو بينٌ لهذا وبينٌ لهذا فجمعه بكلمة بينِهما.

وعندما نرجع إلى أصل كلمة (البين) هي بمعنى البِعاد والمفارقة، ومنه قول الشاعر في مدح الرسول ﷺ: **بانت سعاد فقلبي اليوم متبول.**

٢ـ ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ جعل البين واحداً وفي مكان آخر جعله بينين ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ فجعل لكلٍّ بيناً، لكنْ هنا جعله بيناً واحداً، ولذلك جاءت على هذه الصيغة، ولهذا نقول: كل كلمة في القرآن هي في موضعها في كتاب الله عز وجل.

السؤال الثاني:

لماذا استعمل التثنية في النسيان ﴿نَسِيَا﴾؟

الجواب:

ممكن إذا جاء اثنان (تابع ومتبوع) أنّ المتبوع يتكلم باسم الاثنين: ذهبنا أنا وهذا، هو يتكلم باسمه.

لكن يبدو هنا أنّ النسيان بمعنيين: موسى عليه السلام نسي والفتى نسي، لكن نِسيان موسى عليه السلام غير نِسيان الفتى.

موسى عليه السلام يعلم أنّ لُقياه لهذا الرجل يكون عن طريق ذهاب الحوت، فلمّا أمضيا الليل في هذا المكان عند الصخرة ويُفترض أنه في الصباح قبل أنْ يغادر أنْ يسأل عن الحوت هل بقي أو ذهب؛ لأنّ علامة لقياه أنْ يذهب الحوت في البحر مع أنّ الحوت كان مشوياً وأكلا منه في الطريق، وهذه معجزة.

فنسيان موسى عليه السلام ليس بمعنى حدث شيء ولم يتذكره، وإنما غفل عن ذكره أو أهمله، كما قيل في القرآن الكريم ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه:١٢٦] أي: أهملتها.

وأمّا نسيان الفتى فهو أنه بينما كان موسى عليه السلام نائماً، رأى الفتى عجباً، فقد رأى هذا الحوت يقفز من المِكتل وهو مشوي ومأكول منه يقفز إلى الماء ويمضي في الماء بشكل سريع بحيث يكوّن: ﴿سَرَبًا﴾ والرسول ﷺ حلّق بين أصابعه 👌 يعني صنع نفقاً من الماء بسرعة بحيث صار الماء نتيجة سرعته كأنه نفق، وهذا لا يُنسى.

فإذن هذا الحادث وقع وكان ينبغي عندما يستيقظ موسى عليه السلام أنْ يحدّثه الغلام بما حدث لأنه أمر عظيم، لكنه نسي وغاب عنه. فنسيان موسى عليه السلام غير نسيان الفتى، لكنّ كلاهما نسي وكلٌّ نَسِي بما يناسبه من النسيان.



﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مضياً ويبدو أنهم مشيا مسافة وظهر عليهما التعب في أوائل شروق الشمس؛ لأنّ الغداء في اللغة هو غير ما نستعمله نحن الآن (وقت الظهيرة) ولكن هو ما بين الفجر وشروق الشمس، الغداء أول وجبة يتناولها العربي في وقت الغدوة بين الفجر وشروق الشمس ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور:٣٦] فالغداء قبل أو مع شروق الشمس، والإفطار يكون بعد الصيام.

فقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ معناه أنه خرجا بعد الفجر أو قبيل الفجر،بعد أن ناما وقتاً أو بعضاً من الليل ثم سارا إلى أنْ أُنهِكا فقال: لنأكل هذا الأكل ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ فتذكر الفتى أمر الحوت.

انظر كيف يعلمنا القرآن الرقة مع الناس مع أنه متعب لم يفقد أسلوب الرقة والمجاملة مع فتاه: كما يقول له: يا ولدي ائتنا بالطعام.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿جَاوَزَا﴾ ما كلمات منظومة المسارعة والتسابق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين(آتنا وأعطنا) في قوله تعالى ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؟

الجواب:

بالمقارنة بين الفعلين (آتى) و (أعطى) نجد أنّ حرف العين حرف حلقي ومجهور ويهتز معه الوتران وله مخرج معيّن فهو أقوى، والعين أقوى من اللام.

ولذلك لمّا تكلم القرآن عن شيء قوي قال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ فالكوثر شيء عظيم فاحتاج الحرف القوي فاستعمل (أعطى) بينما الفعل في (آتنا) فيه نوع من الرقة واللين.

السؤال الرابع:

ما دلالة التأكيد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾ وجود اللام يؤكد أنه ظهر عليهما التعب الشديد و (قد للتحقيق واللام للتأكيد) وكأنه قَسَمٌ محذوف: والله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.

و ﴿نَصَبًا﴾ النصب هو أشد التعب، وهذا كلام موسى عليه السلام ويفيد أنه تعب.



﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة صيغة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في الآية؟

الجواب:

الآن تَذَكر الفتى فقال: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ كلمة (أرأيت) صيغتها صيغة سؤال وحقيقتها تعجيب لأنه سيذكر له أمراً عجباً، يعجّبه من هذا الشيء، أرأيت إلى كذا؟ بمعنى أعجب من أمري، مثل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ [العلق:٩-١٠] ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ [الماعون:١].

وعندما يقول ﷺ في الحديث الشريف: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**» تربت يداك في المعجم تعني تعفّرت يداك بالتراب، ولكنها في الحديث تعنى ربِحتَ وفُزت، ولذلك نقول دائماً: أنّ الذي يحكم هو السياق.

وأمّا قوله تعالى: ﴿أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ أي: عندما احتميا بصخرة وناما.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذا النسيان ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ في الآية؟

الجواب:

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ هو لم ينسَ الحوت، وإنما نسي أنْ يخبر موسى عليه السلام بأمر الحوت، ففيها اختصار.

هل كان الفتى يعلم أنّ العلامة ذهاب الحوت؟ لا بدّ أنه أخبره بالأمر لأنه ما دام السفر طويلاً ولا يعلم مداه فلا بدّ أن يكون موسى قد أعلم فتاه بهذه الدلالة من دلالة قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ فأنت تستطيع أنْ تتخلى عني وتقول: إنّ هذا الشرط لا أستطيعه.

و نسب النسيان لنفسه نوع من الأدب؛ لأنّ موسى عليه السلام أيضاً نسي السؤال عن أمر الحوت، لكن نسبه لنفسه نوع من التأدب.

السؤال الثالث:

ما دلالة ضم الهاء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾؟

الجواب:

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾: جمهور القراء قالوا: أنسانيهِ (١٣ راوياً قرأها أنسانيهِ). والمصحف الذي بين أيدينا برواية حفص وحفص قرأ (أنسانيهُ).

هذا في الحوت الذي تزوده سيدنا موسى عليه السلام وفتاه وهما يبحثان عن الرجل الصالح، فقد أمر الله موسى أنْ يتزود حوتاً مالحاً فحيث يفقده فهناك يجد الرجل.

وهذا الحوت على ما جاء في «صحيح مسلم» حوتٌ مملحٌ، وقيل: هو حوتٌ مشوي، وفي «روح المعاني»: أنه كانا يصيبان منه حاجتهما إلى الطعام، وهذا هو الظاهر من سياق الآيات ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ فهذا يدل على أنّ الحوت كان جاهزاً لأن يُؤكل.

غير أنّ هذا الحوتَ المملح المشوي المأكول منه سرت فيه الحياةُ واتخذ سبيله في البحر والفتى ينظر إليه، وكان عند جريه ينعقد فوقه الماء فيكون كالنفق والحوت يجري في داخله، فقد صح من حديث الشيخين والترمذي والنسائي وغيرهم أنّ الله أمسك عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق أو القنطرة أو النفق، وهذا المشهد من أعجب العجب وفيه أمران كل منهما يدعو إلى العجب أكبر من صاحبه.

آ ـ أنْ يحيا حوتٌ مشويٌ مأكولٌ منه.

ب ـ أنْ يجري في البحر فينعقد فوقه الماء كأنه الطاقة حيث جرى فيكون له كالنفق.

وهذا المشهد لا يُنسى على مر الأزمان فكيف ينسى بعد لحظات، فإنّ هذا من أقوى مواطن النسيان وأغربِها وأعجبِها، فعَدَلَ في التعبير من الكسر إلى أقوى الحركات نطقاً وهي الضمة للإشارة إلى ندرةِ هذا النسيان وقوتِه، فناسب بين قوة النسيان وقوة التعبير، وندرة مثل هذا النسيان وندرة مثل هذا التعبير.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (الإنساء والنسيان)؟

الجواب:

١ـ النسيان: خلقه الله في الإنسان لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه، ويكون عما كان، أمّا السهو فيكون عما لم يكن.

٢ـ الإنساء: من أنسى: مثل: أكرم إكرام.

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يتعلق بالشيطان، لكن قد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى.

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩] وهو من قبيل المشاكلة فقط؛ لأنه يستحيل على الله النسيان.

* شواهد قرآنية:

ـ آية الكهف ٦٣ ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فتى موسى يتكلم عن نفسه أنّ الشيطان بسبب وساوسه ألهاه فنسي.

ـ آية يوسف ٤٢ ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ هذا سرد لما حدث ويتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج. أي: أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة ٢٨٦: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون:١١٠] أي: أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة ١٠٦: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ متعلقة بالله تعالى.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ ﴾؟ ولماذا اجتزئت الياء من الفعل (نبغي)؟

الجواب:

يعني هذا الذي وقع من أمرالحوت هو الذي كنا نبغيه. ﴿نَبْغِۚ﴾ يفترض أن يكون فيها ياء: (بغى يبغي) الياء هنا في الخط حُذِفت مع أن كُتّاب المصحف أثبتوها في موضع آخر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾. وكذلك ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ فيها حذف الياء. فهنا اختلس الياء أى: اختصرها ولم يشبعها وهكذا قرأها الرسول ﷺ.وهنا موسى عليه السلام مستعجل على الرجعة ويريد أن يعود إلى هذا الرجل فاختصر وأسرع في الكلام ﴿نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا﴾ على سرعة فناسبها سرعة نطق الكلمة بعدم إشباع للياء؛ لأنّ معناها واضح وهو نوع من الاختصار.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ أي يقصّان الأثر ويتتبعانه حتى لا يضيعا،وهما رجعا إلى الصخرة فوجدا الرجل، ولم يذكر القرآن من أين جاء الرجل؟ أهو نبي مرسل؟ ملك؟ ما ذكر لنا شيئاً.

السؤال الثاني:

أثبت الياء في آية يوسف٦٥ فقال: ﴿نَبْغِي﴾ وحذفها في آية الكهف٦٤ فقال: ﴿نَبْغِ﴾ فما السبب؟

الجواب:

أثبت الياء في آية يوسف٦٥ فقال: ﴿نَبْغِي﴾ وحذفها في آية الكهف٦٤ فقال: ﴿نَبْغِ﴾ وذلك لأنّ الحدث مختلف في الآيتين، فنسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى عليه السلام على وجه الحقيقة وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه.

أمّا في سورة يوسف، فالطعام هو ما يبغون وهو سبب رحلتهم.

فحذف من الحدث في الكهف إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وذكر الفعل كاملاً في يوسف لأنه كان بغيتهم.

السؤال الثالث:

صفات الرسول في القرآن ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧] وصفات العبد الصالح في سورة الكهف ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ فما الفرق؟

الجواب:

الرجل الصالح ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أُعطيَ رحمة وعلماً، والرسول وُصِف بأنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨] **فأعطاه الله عز وجل صفتين من صفاته** أكرمه بهما ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

فهو رحمة للعالمين، أي: كله رحمة ورأفة، بخلاف العبد الصالح فقد أُعطي من الرحمة، وهذا هو الفرق.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ و ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؟

الجواب:

في القرآن يستعمل ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أخصّ من ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، ولا يستعمل ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إلا مع المؤمنين فقط، أمّا ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر.

١ـ ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: هي عامة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يس:٤٣-٤٤] و ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزُّمَر:٤٩] فهي رحمة عامة، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فُصِّلَت:٥٠] فهي رحمة عامة.

٢ـ ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: يستعملها خاصة، كما في الآية على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود:٢٨]، وكذلك ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف:٦٥] ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٤].

وللعلم كذلك يستعمل القرآن: ﴿نِعۡمَةً مِّنَّا﴾ [الزُّمَر:٤٩] و ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ فيستعمل ﴿مِّنَّا﴾ عامة و ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ خاصة.

السؤال الخامس:

النبي واحد والرب واحد وأحياناً الموقف واحد ولكن قد يتغير السياق فلماذا هذا التغير؟

الجواب:

هل حصل تناقض بين (رحمة منا) أو(رحمة من عندنا)؟ من أين الرحمة؟ الضمير عائد على الله سبحانه وتعالى. إذن ليس هناك تناقض لكنّ الاختيار بحسب السياق، فاختيار المفردات هو بحسب السياق ولا تتناقض في القصتين لكنّ اختيار الكلمات هو بحسب السياق الذي ترد فيه.

السؤال السادس:

ما الفرق بين (عباد وعبيد)؟

الجواب:

١ـ كلمة (عبد) في اللغة تعني إنساناً سواء كان مملوكاً أو حُرّاً ﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠﴾ [العلق:١٠] ﴿عَبۡدًا﴾ وما قال: بشراً أو إنساناً؛ لأنه يريد أنْ يربطه بالعبودية لله تعالى، وهي أسمى المراتب للبشر، كما قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء:١] ففي أروع المواطن سمّاه (عبدا).

٢ـ (عبد) تجمع على عدة وجوه منها (عبيد وعباد) لكنْ جرى استعمال الناس كلمة (عبيد) للمملوكين و(عباد) لعباد الله، والله سبحانه وتعالى يريد أنْ يُكرم هذا الإنسان فاستخدم له كلمة عباد ﴿عِبَادِنَآ﴾. وهذا يعطينا اهتمام القرآن الكريم لاستعمال الناس، وكلها في الأصل جمع لكلمة (عبد) الذي هو إنسان ويمكن أنْ يكون مملوكاً. وقوله تعالى: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ إكراماً له أنه من عبادنا.

٣ـ كلمة (عباد) من الدرس الصوتي فيها عزة وشموخ، والياء في (عبيد) فيها انكسار وخضوع وهبوط، وكان العرب يدركون هذا لأنّ هذه لغتهم ولذا وقفوا عاجزين أمام القرآن الكريم.

السؤال السابع:

ما الفرق بين الإيتاء والإعطاء؟

الجواب:

﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ الإيتاء غير الإعطاء لأنّ فيه رفقاً وتلطفاً وليناً، (آتي وأعطى) متقاربة في المعنى لكن العين أقرب من الهمزة التي آلت إلى ألف في آتى، وأصلها أأتى، مثل أأدم صارت آدم، يقولون: نقلت الحركة إلى الهمزة التي قبلها وحُذِفت أو قُلِبت ألفاً، ولكنها في الحقيقة أسقطت الهمزة ومدّ الصوت بالحركة التي قبلها فصارت ألفاً.

السؤال الثامن:

ما الفرق بين ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ و ﴿مِن لَّدُنَّا﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ كلمة (عند) و(لدن) معناهما متقارب، لكن هناك فرق دقيق في اللغة.

١ـ (لدن) أقرب من (عند) وفيها قرب مكاني. وقد تستعمل ﴿عِندَ﴾ للشيء البعيد: يقال: عندي مال والمال يسرح في البرية، وتقول: عندي إبل لكن لا تقول: لدني إبل، والفرق بين (عند) و(لدن) في مسافة القرب من المتكلم. وعندما نتكلم عن الله سبحانه وتعالى يُنزّه في مسألة المكان لكن تكون مسألة القرب معنوية.

٢ـ قرب (عند) غير قرب (لدن) لذلك قال موسى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ أي: من أعماقي، ولم يقل: من عندي؛ لأنّ (لدن) أقرب.

٣ـ وفي الآية: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ الرحمة واسعة ممدودة فاستعمل لها (عند). وأمّا قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ لأنه علم الغيب وخاص بالله والغيب لدنه سبحانه وتعالى، ولا يقال: عنده. وفي غير القرآن يمكن أنْ نقول: (من عندنا علماً) لكن كلمات القرآن الكريم غير.

فالرحمة شاملة واسعة ولو عكس لا يستقيم المعنى؛ لأنّ الرحمة ليست خاصة بالخِضْر وإنما هي عامة يدخل فيها موسى وغيره من البشر، أمّا علم الغيب فخاصٌّ بالله تعالى أوحى منه مايشاء إلى الخِضْر وعلّمه به ولم يكن يعلمه.

السؤال التاسع:

ما دلالة الظرف (لدن)؟

الجواب:

١ـ لدن: بمعنى: من عند، و(لدن) لمبدأ غاية الزمان أو المكان، ولم ترد في القرآن الكريم إلا (مجرورة بالحرف من) لملازمتها لابتداء الغايات.

٢ـ لدن: أبلغ من (عند) قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾.

وإنّ لفظ (لدن) مشابه للفظ (اللدن) المأخوذ من اللدانة، واللدن هو اللين من كل شيء من عود أو حبل أو خلق ويقال: امرأة لدنة.

٣ـ وقد وردت كلمة (لدن) الظرفية في القرآن الكريم ١٧ مرة كلها في الرحمة والحنان والخير واللين، وهو استعمال قريب لمعنى الليونة، وقد تأتي بمعنى التلبث وهو استعمال طريف لأنه كسا معنى لدن الظرفية معنى اللدونة.

٤ـ وقد تقول: ألم يرد قول الله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ في سورة الكهف وهذا ليس في اللين والرحمة؟

والجواب أنّ هذا هو الموطن الوحيد الذي اقترن به البأس والشدة بلدن، ومع ذلك في الرحمة والنص يوضح ذلك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ فهذا الكلام هو في القرآن الكريم الذي هو خير ورحمة منذراً ومبشراً.

ثم إنه لّما كانت (لدن) أخصّ من (عند) لكونها أقرب مكاناً منها كانت أبلغ من (عند) لأنها مبدأ الزمان والمكان.

ولم تستعمل ﴿لَّدُنْ﴾ في القرآن الكريم إلا مع الله كقوله تعالى:

- ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

- ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل:٦].

- ﴿مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء:٦٧].

- ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص:٥٧].

- ﴿مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء:٨٠].

إلا في موطن واحد وهو قوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف:٧٦].

لذلك فإنّ: (لدن) أبلغ من (عند) لأنها ألصق بها، وقد استعملت في القرآن الكريم في خصوصيات الألطاف والتعليم والرحمة الآلهية.

السؤال العاشر:

ما هو العلم اللدُّنّي ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ؟

الجواب:

العلم اللدني: هو مصطلح للمتصوفة يستعملونه بينهم، ويشيرون بذلك إلى أنّ هذا الصوفي أو هذا المتصوف بلغ من مراتب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والانصراف إليه أنّ الله تعالى أطلعه على علم لم يطلع عليه غيره، وهم يبنون هذا على ما جاء في سورة

الكهف في قصة موسى عليه السلام مع صاحبه الرجل الصالح الذي أرسله الله تعالى إلى موسى عليه السلام.

والشيطان في كثير من الأحيان يدخل إلى الإنسان ويوحي له بأشياء بحيث يظن أنه وصل من أجلها إلى العلم اللدني أو العلم الذي لم يعط إلى الآخرين. وبعض الصوفية يصل بهم الحال إلى هذا الحد إذا لم يكن عارفاً بالشريعة، هذا بالنسبة للمصطلح.

وكلمة لدني (من لدن الله تعالى) أي أنّ هذا العلم هومن عند الله تعالى وليس من الكسب الشخصي، ويقال: لدني، أي: من لدن الله، وكلمة (لدني) منسوبة إلى (لدن) الله تعالى عز وجل (والياء ياء النسب).

السؤال الحادي عشر:

هل ذهب الفتى مع موسى في الرحلة؟

الجواب:

لم يذكرالقرآن أنّ الفتى ذهب مع موسى عليه السلام والخِضر؛ لأنّ الكلام بالمثنى (فانطلقا، فذهبا) ولم يقل: فانطلقوا، معناه أنه إلى هذا الحد فتى موسى عليه السلام لم يعد معه. وموسى عليه السلام صارللخضر كأنما هو فتى لهذا الرجل وهو التابع. ولم يُذكر الفتى بعد ذلك، ومن هنا تبدأ الآيات تُغفِل ذكره، وصار عندما يُتحدث عن هؤلاء الناس الذين ذهبوا في السفينة يتحدث بالمثنى.

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى في الآية ٦٤: (قصصاً) ما كلمات منظومة التحري والإحاطة والتحقق؟

الجواب:

كلمات منظومة التحري والإحاطة والتحقق هي:

التحري:

التحري هو أن تتناول الأمر من جانبه سراً بدون أنْ يشعر بك أحد للوصول إلى اليقين.

وهناك طريقتان للتحرّي، وهما:

أ- طريق التجارب تجربة بعد تجربة. قال تعالى:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن: ١٤]، فهم لم يعرفوا من مرة واحدة ولكنهم مروا بتجارب عديدة حتى وصلوا إلى الرشد.

وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١].

حيث تحرّى إبراهيم عليه السلام الكوكب والقمر والشمس فأدى به التحري إلى الرشد، وهو أرقى أنواع التفكير العقلي.

ب- استعمال الشك للوصول إلى اليقين، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فالتحري يوصل إلى اليقين والذي يؤمن بالدين يتم بعد يقينه بهذا الدين وبأنه هو الدين الصحيح.

الاستخبار:

هو أنْ تكشف خطط العدو وتعرف تصرفاته من بعيد كما فعل الهدهد مع ملكة سبأ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [التوبة: ٩٤]، والخبر يكون من قريب، أمّا الاستخبار والنبأ فيكون من بعيد.

التبيّن:

هو المراقبة من بعيد أو التغلغل في صفوف الآخرين لمعرفة صدق الخبر؛ لأنه لا بدّ من التيقن من صحة الخبر أو كذبه، كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦]، بمعنى اطلب البيان وهو التفصيل الكامل عمن الذي نقل الخبر.

التحقيق:

هو كشف مدى صدق الدعوى، وهو يختلف عن التبين الذي يكون هو كما أسلفنا لكشف صدق الخبر، والفرق بين التبيين والتحقيق أنك في الأول تجعل صاحب الخبر يبين، وأمّا في الآخر فأنت تجعل صاحب الدعوى يأتي ببرهان على صحة دعوته، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١]، فقد طلب تعالى منهم أنْ يأتوه بالبرهان على

صدق دعواهم تلك، وعلى صاحب الخبر أنْ يبين عمّا قال بالتفصيل، وعلى صاحب الدعوى أنْ يبرهن عن دعواه بالدليل.

التحسس:

هو معرفة مكان شيء أو شخص غائب أو مفقود، ولابدّ من الانطلاق بالحركة للسؤال عن هذا الغائب أو المفقود في محاولة لإيجاده، ولابدّ من استعمال كافة الحواس حتى تجعل المفقود أو الغائب مشاهداً، كما في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

والفرق بين التحسس والتجسس، أنّ التحسس يكون للصديق أو لمصلحتك، أمّا التجسس فهو محاولة اكتشاف غيب العدو وحركاته وخططه، ويكون ذلك عن طريق استراق السمع ونشر العيون، وهذا يكون لمصلحة الآخرين، وهو نوعان:

- إيجابي مع العدو: كما فعل الهدهد في قصة سبأ، لأنه قد يدفع شر العدو ويفشل خططه، أو قد يعين على مهاجمته.

- سلبي مذموم على المسلمين: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ ونهى عنه الرسول ﷺ بقوله: «**لا تحسسوا ولا تجسسوا**» وهذا من خائنة الأعين، وقد تجسس عمربن الخطاب رضي الله عنه مرة على شاربي خمر فحاجوه فاعتذر منهم.

القصّ والقصص:

هذه كانت موهبة وأصبحت الآن علماً قائماً بذاته، وقد كان السابقون يقصون آثار الناس ويتعرفون على آثار شخص ما من بين آلاف الآثار، وكان هذا العلم يسمى (قصّ الأثر).

أمّا الآن فلدينا بصمة الأصابع، وبصمة الصوت، والشفرة الوراثية، وبصمة الشعر والعين وغيرها، وهذه كلها تطوير لعلم القصّ حتى إنّ الكلاب الآن تستخدم لتقصي الأثر. قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾القصص ١١ وقال: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف: ٦٤]، أي اتبعوا آثارهم حتى وصلوا إلى المكان المراد.

التوسم:

التوسم من الفراسة وهو من اللامعقول كالقص سابقاً، فالله يعطي من يشاء من عباده بصيرة عظيمة، وهو ناجم في الغالب عن طاعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الحجر: ٧٥].

وكما في قصة الخضر حيث كشف الله تعالى له أنّ الغلام سيكون شقياً، وكذلك في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما نادى من فوق المنبر: (يا سارية الجبلَ الجبلَ)، ومن ضمنها أيضا الرؤيا الصالحة، وكما في الحديث «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».

التنقيب:

هو البحث عن الشيء الثمين في موقع معين، قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ [ق: ٣٦].

هذه جملة الأساليب التي يكتشف بها الإنسان الغيب فيصبح مشاهداً، وهي أساس حركة الكون كله من البحث عن المعادن والخصب والمرض والمجرمين وكل الاكتشافات.

صفات الاستخباري الناجح:

١- الانتماء إلى الوطن والدين انتماءً شديداً لا شكّ فيه والولاء المطلق عقدياً وعاطفياً.

٢- ضرورة الإلمام بلغة العدو ومعرفتها معرفة كاملة، وأنْ يكون صاحب المخابرات عالماً بلغة الدولة التي يستخبر عنها ويعرف آدابها وأحكامها وإشاراتها.

٣- أنْ يتمتع بالسرية التامة الكاملة.

٤- أنْ يكون سريع الاستيعاب.

٥- أنْ يعمل مع فريق ليتكامل العمل، فالعمل الفردي له حدود.

٦- أنْ تكون النتائج لخدمة الشعب وليس ضده.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾: موسى عليه السلام يعلم أنّ له موعداً مع هذا الرجل وأنه سيتعلم منه، لكنْ مع ذلك لم يقل له مثلاً: أنا عندي علم إني سأرافقك، وفي هذا نوع من أدب التعلّم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ هذا سؤال المؤدَّب، يريد إذناً منه بالاتّباع مع أنه يعرف أنه سيتبعه ويكون معه، وهذا أدب التعلم في الإسلام.

وجعل من نفسه ابتداءً تابعاً بشرط أني أتّبعك وأخدمك حتى أتعلم، وهذا التعلم هو الذي سار عليه سلفنا الصالح فينبغي أنْ يكون لدينا أدب التلمذة وأدب التعلّم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ هذا الذي أريده لنفسي وأشترطه لنفسي. إذن موسى عليه السلام يعلم أنّ هذا الرجل معلَّم وقد عُلِّم شيئاً لم يعلمه موسى عليه السلام فأراد أن يتعلم مما عُلّم. ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ ومما يؤدي به إلى الرشاد.

وقدّم الجار والمجرور للاهتمام به وللعناية بهذا الذي عَلِمَه لأنه حريص على العلم.

٤ـ كلمة ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ بحذف الياء فهذه قراءة، وهناك قراءة أخرى ﴿تُعَلِّمَنِي﴾ بالإشباع.

نسأل أيضاً لمَ اختلس وقال: ﴿تُعَلِّمَنِ﴾؟ ليس هنا موضع سرعة، ولكنْ حتى يعطي صورة لمحاولة تضاؤل التلميذ أمام شيخه فما قال: تعلمني أنا، وقابل هذا الأدب أدب من المعلِّم نفسه في قوله تعالى: ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ فما قال: (معي) بالمدّ لأنه وجده مهذباً مؤدباً يصغّر من نفسه فتواضع معه أيضاً.

فضمير المتكلم هنا جاء مقتضباً لأن (معيْ) بالسكون فيها مدّ، الياء مدية، أمّا ﴿مَعِيَ﴾ الياء ليست مدّية وإنما قيمتها قيمة حرف صامت، ولذلك تحملت الحركة ﴿مَعِيَ﴾ مثل الباء والكاف، ومثل أي حرف، فليس فيه ذاك المدّ. فهو إذن تناسب بين: ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ ﴿مَعِيَ﴾.

السؤال الثاني:

من أين عَلِم الخِضر أنّ موسى لن يستطيع صبراً بحيث قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾؟

الجواب:

١ـ موسى عليه السلام من أهل هذه الدنيا وصاحب شريعة، وصاحب نظام حياة لزمانه، فهو يعامل الأمور على ظاهرها وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «**إذا رأيتم**

الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» أي: نحكم على الناس بالظاهر، ولا نقول هذا دخيلته كذا.

وموسى عليه السلام يعلم الظاهر والخِضر أُعطي في هذه الجزئيات علم الغيب، فلا يمكن أنْ يصبر موسى عليه السلام على شيء مخالف للشريعة فيما يراه؛ لأنه في الظاهر مخالفات شرعية.

ولذلك كان الخضر مطمئناً أنّ موسى عليه السلام لن يصبر، ولا سيما أنّ طبيعة موسى عليه السلام فيها شيء من الانفعال، وهناك فرق كبير بين رسول ورسول: فمحمد ﷺ يُضرب بالحجارة ويقول: **اللهم اهد قومي**»، وموسى عليه السلام شديد وعنده نوع من الشدة كما في الآية ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص:١٥].

لذلك سنجد أنّ عجلة موسى وشدته ظهرت في مخاطبته للرجل الصالح كما في الآية: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾ لأنني سددت على نفسي المنافذ.

٢ـ العلم الذي عند موسى عليه السلام هو علم ظواهر الأشياء، والعلم الذي عند هذا الرجل الصالح هو علم الغيب حيث لا موسى ولا غيره يملك شيئاً من علم الغيب إلا إذا علّمه الله عزّ وجلّ ذلك.

والخَضِر يعلم أنّ هذا نبي الله موسى عليه السلام لأنه قيل له ذلك ،وعَلِمَ مَنْ سيقابل وكيف سيكون معه؟ وموسى عليه السلام هو إنسان من هذه الأرض وهو ملتزم بالشريعة، ولا يمكن أنْ يسكت على هذا الذي فعله الخضر، وموسى عليه عنده نوع من

الاستعجال في تصرفه فقال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وبيّن له ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾.

السؤال الثالث:

لماذا ذكر الياء كاملة في ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ و ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ ذكر الياء كاملة؛ لأنه موطن معاهدة وينبغي أنْ يظهر بشخصيته الكاملة ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ وعلّق الأمر على المشيئة، ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ وهو أيضاً مجال عهد أنه سأكون تابعاً لك كأي تابع.

٢ـ ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ ﴿أَعْصِى﴾ هنا موطن معاهدة ،وأنا أعاهدك على هذا.



﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

اشترط الرجل الصالح على موسى عليه السلام شرطاً: أنت تريد أنْ تتبعني فلا تسألني ،ولم يقل: (فلا تسألنيَ) بفتح الياء، ولم يختصر لأنه في مكان معاهدة، وفي المعاهدة كل شخص يوضح شروطه بدون اختصار.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية هود ٤٦ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ بحذف الياء بينما قال في آية الكهف ٧٠ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ بذكر الياء فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٤٦.



﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا
تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا
فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ
أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الإمر والنُكر) في الآيتين ٧١و٧٤؟

الجواب:

الإمر: الشيء العظيم الذي يأمر الناس بعضهم بعضاً بعدم فعله، بينما النُكر: هو كل شيء منكر عظيم تنكره الفطرة والشرائع، ولهذا جاء مع القتل، ومما يأمر الناس بعضهم بعضاً أنه من أحسن إليك لا تسيء إليه ولا تعرّض الآخرين للخطر.

و قد يقول قائل: إغراق مَنْ في السفينة هو أكثر من قتل نفس فلماذا لم يقل مع أمر السفينة (نكراً)؟

والجواب أنّ الإغراق غير متحقق لأنه قال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ هذه اللام هنا لام العاقبة أو لام النتيجة كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨] فهم ما التقطوه لهذه الغاية، لكنّ نتيجة التقاطه سيكون كذا.

والعبد الصالح لم يخرق السفينة ليغرق أهلها، ولكنّ موسى عليه السلام تصور أنه سينجم عن خرقها إغراق أهلها، إضافة إلى ذلك يبدو أنّ السفينة لم تكن في عرض البحر ولم تكن قد سارت بعد، بدليل قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ فلم تكن في عرض البحر، فقوله: ﴿إِمْرًا﴾: أي أنت عرّضت أهلها للخطر، وما غرق أحد، بينما هناك وقع القتل فعلاً.

لذلك إيقاع القتل جريمة كبيرة بينما هنا إفساد سفينة أو تخريب سفينة ربما تُعرّض الركاب للخطر لكنْ لم يصبهم شيء، ولربما رأى موسى عليه السلام الناس يتسابقون للخروج من السفينة لمّا بدأ الماء يدخل وبدأ الناس يقولون بدأت السفينة تغرق.

السؤال الثاني:

لماذا موسى هو الوحيد الذي يعترض؟

الجواب:

في هذه الحوادث الثلاث التي قام بها العبد الصالح رافق كل حادثة موقفان متضادان تماماً، أحدهما موقف موسى عليه السلام الذي ينظر إلى هذه الأحداث من منظار عالم الشهادة الذي نعيش فيه بعيداً عن غيبياتها، والموقف الآخر موقف العبد الصالح منها بعد أنْ أطلعه الله تعالى على غيبياتها وأمره بفعلها.

١ـ فحادثة خرق السفينة قام بها العبد الصالح نتيجة رفع الله تعالى عنه غطاء غيب المكان أي (غيب الزمن الحاضر) فقام بخرق السفينة حتى لا يأخذها الملك، ويكون بذلك عمل خيراً لصالح المساكين أصحاب السفينة، ولكنه من وجهة نظر عالم الشهادة تمثل شراً قام به العبد الصالح، وموسى عليه السلام كواحد من الذين يعيشون في عالم الشهادة والمحكومين لقانون المكان احتج على ذلك واعترض.

ويُعد (غيب المكان) أبسط أنواع الغيب، ولو وجِدَت كاميرا لموسى عليه السلام تنقل له الصورة المباشرة، كما يحصل اليوم في النقل التلفزيوني الحي عبر الأقمار الصناعية للملك الذي يأخذ كل سفينة غصباً لما احتج على خرق السفينة.

٢ـ والحادثة الثانية (قتل الغلام) التي قام بها العبد الصالح، فقد تمت بعد أنْ رفع الله تعالى عنه (غطاء غيب الزمن المستقبل) بالنسبة لهذا الغلام وأمره بقتله.

وهذا الغيب أعقد بكثير من الغيب السابق ولا أحد يستطيع مشاهدته إلا إذا رفع الله تعالى عنه غطاء غيب الزمن المستقبل، لذلك على الرغم من تحذير العبد الصالح لموسى عليه السلام من الاحتجاج، احتج من جديد؛ لأنّ الغطاء المرفوع هذه المرة أعمق من الغطاء السابق، ولأنّ عالم الشهادة الذي يعيش فيه موسى عليه السلام لا يُبرر له ولا بأي شكل من الأشكال قتل الغلام.

٣ـ وأمّا حادثة (إقامة الجدار) فقد تمت بعد أنْ رفع الله تعالى عن العبد الصالح ـ إضافة لغطائي المكان والزمان ـ غطاء غيب الباطن والجوهر والحقيقة، لذلك على الرغم من تحذير العبد الصالح لموسى عليه السلام من الاحتجاج وتعهد موسى عليه السلام بعدم الاحتجاج، احتج من جديد؛ لأنّ الغطاء المرفوع هذه المرة أعمق من الغطاء السابق في الحادثتين السابقتين.

ولكنْ على الرغم من رفع هذه الأغطية، لماذا أقام الجدار؟ ولماذا لم يستخرجه ويعطيه لليتيمين بدلاً من إقامة الجدار؟

هنا يأتي دور (غيب الجوهر) حيث إنّ الكنز يجب أنْ يبقى بعيداً عن أيدي الغلامين ما داما صغيرين غير قادرين على حمايته، وذلك بسبب بخل أهل القرية وعدم أمانتهم، فسلبهم الكنز حتى يكبر اليتيمان ويصبحا قادرين على حمايته والاستفادة منه، والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ في سورة الكهف ٧٥؟

الجواب:

١ـ زيادة ﴿لَكَ﴾ للأهمية كما جاء في سورة الكهف ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ وفي الآية الأخرى ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾. ففي الآية الأولى كان المقصود بالقول أنه عام وليس موجهاً لموسى عليه السلام وأمّا فى الثانية فتفيد أنه قد وجه إليه القول.

٢ـ وعادة لا نواجه الشخص فنقول له: (قلنا لك) في المرة الأولى كما قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف:٧٣] هنا (لا تؤاخذني) بما نسيت كان فعلاً نتيجة النسيان أو الغفلة. وللعلم فإنّ الإرهاق هو أنْ تحمّل الإنسان فوق ما يطيق، والعسر هو ضد اليسر.

وأمّا في المرة الثانية قال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ فصارت أشدّ، وفي المرة الثالثة قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ فصار الترتيب طبيعياً.

ففي البداية قال: ﴿أَلَمْ أَقُل﴾ أي: ألم يصدر مني هذا الكلام؟ وفي المرة الثانية: الكلام صدر لك مباشرة ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ وفي المرة الثالثة: انتهى الأمر.

السؤال الرابع:

ما المقصود بكلمة (غلام) في قوله تعالى في آية الكهف ٧٤: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة (غلام) يقصد بها جنس الذكر من المولودين يسمونه غلاماً منذ أنْ يولد إلى أنْ يراهق، والبنت تسمى بنتاً.

٢ـ الغلام هو الذي يغتلم يعني يصل إلى سنٍّ يشتهي الأنثى، والصبي هو أيضاً الذي يصبو إلى الجنس الآخر تفاؤلاً، مثلما سمّت العرب (فاطمة) تفاؤلاً بأنها ستكبر وتلد وتُرضِع وتفطم، وسمّت (عائشة) بأنها ستعيش، والعرب تسمي الصحراء مفازاً والملدوغ سليماً، وطبيعة الإنسان تحب الذكور أكثر فمن وُلِد له غلام ففيه نوع من التفاؤل؛ لأنّ الذكر يشتغل معه ويحارب، لكنّ الإسلام خاطب الرجل كما خاطب المرأة ورفع من شأنها كثيراً.

وفي الآية: كم كان سِنُّ هذا الغلام؟ لم تحدده لنا السورة، لكنْ من يُرهِق أبويه طغياناً وكفراً ويُخشى أنْ يستمر في هذا لا شك أنه كان بالغاً أو كان قريباً من مرحلة البلوغ، هذا من خلال الجو العام ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠﴾ والله أعلم.

السؤال الخامس:

هل كان بإمكان موسى عليه السلام أنْ يسكت على قتل الغلام في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ﴾؟

الجواب:

موسى عليه السلام أُريد له أن يُعلَّم أنّ علمه علم شريعة ظاهر. وهناك مساحة فيما اختص الله عز وجل بعلمه، حتى فيما ورد في بعض الأمور في القرآن الكريم من آيات، وما في القرآن آية إلا وهي مفهومة، لكنْ ما وراءها، أي: أنّ القضية هي بين المعنى اللغوي والمعنى المفهوم.

السؤال السادس:

ما دلالة الآية ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤]؟

الجواب:

أي: أنّ القتل شيء عظيم، ومن النظر في هذه العَظَمة سنجد بعض الآراء المتعددة، ولعلّ من ذلك أنّ الخضر لما أراد أنْ يحكي هذه القضية وهي قضية عظيمة، عظّم نفسه قال: ﴿فَخَشِينَآ﴾ بالتعظيم؛ لأنها مسألة عظيمة.

و هنا قال موسى عليه السلام: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ والرسول عليه السلام قال: [**رحِم الله موسى لو صبر لتعلّمنا منه الكثير من هذه الأمور**] فموسى عليه السلام قطع على نفسه الطريق وكان في عجلة وموسى عليه السلام هو الذي أعطى على نفسه هذا الأمر.

السؤال السابع:

ما معنى ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ في الآية ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾؟

الجواب:

لدني: أي من أعماقي كأنّ هذا الذي في قلبي وأنت وصلت إليه، ولذا لم يقلْ: (بلغت من عندي)، أي وصلت إلى هذا الموضع بحيث لا مجال فيه للاجتهاد بعد ذلك.

السؤال الثامن:

ما السبب في تنكير الغلام وتعريف السفينة؟

الجواب:

حسب التفاسير أنّ الخضر وموسى عليه السلام لم يجدا سفينة لمّا جاءا إلى الساحل، ثم جاءت سفينة مارّة فنادوهما فعرفا الخضر فحملوهما بدون أجر، ولهذا جاءت السفينة معرّفة؛ لأنها لم تكن أية سفينة، أمّا الغلام فهما لقياه في طريقهم وليس غلاماً محدداً معرّفاً.



﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ﴾ و ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ في الآية؟

الجواب:

الفعل (أستضيفك) يعني أطلب منك أنْ تجعلني ضيفاً؛ لأنّ الهمزة والسين والتاء فيها معنى الطلب وليس كما نستعملها الآن، قال:(استطعما) أي: طلبا الطعام، وهى تحتمل أمرين: تحتمل ضيافة وتحتمل شراءً، فقالت الآية: ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ إذن كان الاستطعام ضيافة، والمفروض أنْ يضيفوهما كما كان يصنع العرب قديماً، بل كان بعضهم يخرج من داره وأول مارّ يقول له: تعال نأكل؛ لأنه لا يُحسن أنْ يأكل وحده، وبعضهم كان يوقد ناراً في الصحراء حتى يراها الأضياف.

ويفهم من قوله تعالى: ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ أنهم كانوا بخلاء وللتشهير بهم وإظهارهم لم يقل القرآن (هذه القرية) أو حددها وإنما نكّرها بقصد التحقير لفعلهم والأشياء التي ليس فيها نفع لا يذكرها القرآن، وليست هناك بلدة يقال عنها إنّ أهلها بخلاء، وإنما هناك أفراد في كل بلدة بخلاء وفيها كِرام.

السؤال الثاني:

أين فعل الشرط وجوابه في الأحداث الثلاثة؟ وما دلالة خلو ﴿خَرَقَهَا﴾ من الفاء؟ وما دلالة الفاء مع ﴿فَقَتَلَهُ﴾؟

الجواب:

١ـ في المرة الأولى: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ الفعل (ركب) فعل الشرط و﴿خَرَقَهَا﴾ جواب الشرط.

وفي المرة الثانية: قوله تعالى في الآية ٧٤: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ الفعل (لقيا) هو فعل الشرط والفعل ﴿قَالَ﴾ هو جواب الشرط وليس ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾.

وفي المرة الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ الفعل (أتيا) هو فعل الشرط والفعل: (لو شئت) هذا جواب الشرط، والباقي معطوف على فعل الشرط.

٢ـ يبقى السؤال لماذا قال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بدون فاء؟ الخرق لم يتعقب ركوب السفينة ولم يحصل مباشرة وإنما بعد أنْ ركبا في السفينة بفترة، إذن لم يعقب الركوب مباشرة والفاء للتعقيب، أمّا الغلام فأول ما لقاه قتله فجاء بـ(الفاء) أي قتله مباشرة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ من دون كلام ولا شيء ولهذا اعترض موسى عليه السلام.

السؤال الثالث:

ما دلالة تكرار كلمة (الأهل) في الآية ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾؟

الجواب:

حتى يكرر ذكر الأهل تشنيعاً بهم، وينفر من ثقل توالي الضمائر في هذه الكلمة التي تطول لو قال: (استطعماهم). والكلام هنا صار على اثنين معناه أنّ فتى موسى لم يعد معهم.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾؟

الجواب:

الكلام أنّ الذي وجده هو الخِضر لكن يصير الكلام على الاثنين؛ لأنّ المتبوع هو الأصل والتابع لاحق.

وفي قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ نسب الإرادة إلى الجدار ومعناه كأنه يوشك أن يبيّن لنا أنه قارب الانهيار، فأضفى الحياة على هذا الجدار وأعطاه إرادة حتى يصوّر لنا كيف أنه متهاوٍ، يكاد يسقط، ويريد أنْ ينقض.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ هذه الإقامة والتعديل هل هدّمه وأعاده؟ هل مسح عليه فاستقام؟ هو بذل جهداً في شيء، وأصلحه.

ولم يقل: (فقوّمه) فإنه أراد أنْ يحفظه من الهدم بإقامته وليس قصده التسوية والتقويم؛ لأنّ في (قوّم) مبالغة في التقويم ما ليس في (أقام) ولأنّ إقامة الجدار مثلاً لا تقتضي مبالغة وتلبثاً كتقويمه.

وأهل القرية أُناس لم يكرموهم ولم يطعموهم فجاء اعتراض موسى خفيفاً رقيقاً ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ هو اعتراض ضمني بمعنى أنت ضيّعت علينا فرصة الطعام ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ فأنت لم تتخذ أجراً لأنك ما شئت، وكان يمكن أنْ تأخذ أجراً فنأكل ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ فهو مجرد اعتراض.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾؟

الجواب:

١- لو قال: هذا (فراقٌ بيننا) أو (فراقٌ بيني وبينك) ينصب على الظرفية، ينوّن وينصب، لكنْ تكون البينية عندئذ للفراق غير ملازمة، ويمكن أنْ يعودا مرة أخرى إلى اللقاء. بينما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ كأنّ الفراق صار فاصلاً بيننا.

٢- ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ هو أضافها ولا توجد قراءة بالتنوين حتى في القراءات الشاذة، ومعناه أنّ جمهور العرب كانوا يفهمون هذا النوع من الإضافة. ولمّا قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ كأنه جعل لنفسه بيناً وله بيناً فهما بينان، فهذا البين مملوك لا ينفك عني وبينك، فلا مجال للقاء بعدها فأضافه، والمضاف والمضاف إليه يعتبران كالكلمة الواحدة، والعطف وهو حرف (الواو) هوعلى نية التكرارأي: فراق بيني وفراق بينك.

والإضافة معناها المِلك أنْ يُنسب الشيء إليك فصار البين منسوباً لي والبين منسوباً لك فلا مجال فيه للقاء، وفعلاً لم يتم بعده لقاء، ولا يمكن أن يكون لقاه بعد ذلك في الدنيا. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما دلالة استخدام فعل ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾؟

الجواب:

الفعل (أفعَل) إذا جاء لزمن يكون أقصر من (فعّل) مثل علّم وأعلم ونبّأ وأنبأ.

وفي قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ هذا ليس إنباءً وإنما تبيين من نبّأ لأنّ فيها كلاماً كثيراً (أمّا السفينة، أمّا الغلام، أمّا الجدار) فهي ليست مختصرة.

لذلك قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ بالتشديد لأنّ فيه توضيحاً ولم يقل (أُنبئك) لأنّ الإنباء للشيء الموجز المختصر.

وقد وردت الكلمة المضعّفة (نبّأ) من النبأ في ستة وأربعين موضعاً كما في سورة يوسف ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فاستعمل (نبّأ) لأنهم يريدون شرحاً مفصّلاً للرؤيا ولم يقل (أنبئنا) مختصرة، بينما كلمة (أنبأ) لم ترد إلا في أربعة مواضع.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾؟

الجواب:

كان يستطيع أنْ يقول: هذا فراق بيني وبينك ويذهب وتنتهي القصة، لكنْ أراد الرجل الصالح أنْ يبين لموسى عليه السلام هذه التصرفات التي لم يستطع موسى أنْ يسكت عليها وهى أمور غيبية لا يعلمها.

السؤال الثامن:

ما معنى كلمة التأويل؟

الجواب:

كلمة التأويل لها معنيان:

آ ـ الأول: بمعنى التبيين أو التفسير أو البيان. والتفسير كأن يفسّر قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ أي: هذا السؤال الذي سألته وتسبب في أنْ يفارق بعضنا بعضاً نشرحه ونبيّنه ونفسّره، وهذا هو التبيين والتفسير.

ب ـ والثاني: التأويل هو معرفة حقيقة بواطن الأمور التي هي مما اختص الله تعالى بعلمه في بيان حقيقة الشيء وبيان ماهيّته، وهنا المراد بالتأويل بيان الحقيقة كما في الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: وما يعلم حقيقة أمره إلا الله سبحانه وتعالى. والراسخون في العلم يقولون: كل من عند ربنا، مثل أوصاف الجنة على الحقيقة، وما حقيقة هذا النعيم؟

السؤال التاسع:

لم جاء هنا في الآية ٧٨ بالفعل ﴿تَسْتَطِع﴾ كاملاً دون حذف التاء؟

الجواب:

جاء بالفعل كاملاً لأنه مقبل على إيضاح وإعلان وشرح وعلى كمال.

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ﴿ أَمَّا ﴾ حرف تفصيل.

﴿ أَمَّا ﴾ حرف تفصيل. ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ ﴾ بدأ من أول الأحداث. تقول حدثت أمور: أمّا الأمر الفلاني فكذا وأمّا كذا فكذا. ﴿ٱلسَّفِينَةُ﴾: مبتدأ و(كانت) خبر للمبتدأ.

٢ـ ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ كلمة مساكين دخلت عليها لام المِلك، السفينة كانت ملكهم ومن هنا حاول بعض العلماء أنْ يفرّق بين الفقراء والمساكين، فيمكن للمسكين أنْ يكون مالكاً لشيء لكن هذا المِلك لا يسد كل حاجته فيستحق من مال الله، من الزكاة، أمّا الفقير فلا يملك شيئاً، قد يكون عنده قوت يومه لكنه لا يملك مجال عمل ولا يملك شيئاً أصلاً فيقال: هو فقير.

وكلمة: ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ قد يسأل البعض أنّ كلمة (مساكين) جاءت بعد حرف الجر وهو اللام، فكان يجب أنْ تكون مجرورة ولكنها في الآية مفتوحة وذلك لأنّ (مساكين) ممنوع من الصرف لأنها على صيغة منتهى الجموع فيُجرّ بالفتحة نيابة عن الكسرة، و﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ أي يعملون على سفينتهم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ هنا الإرادة نسبها لنفسه بصيغة الإفراد، وما قال: (فأردنا أنْ نعيبها) لأنّ فيها معنى العيب، فلمّا أحدث عيباً فلا يتناسب العيب مع التفخيم ولا مجال لتعظيم نفسه، ولا تصح نسبة العيب لله سبحانه وتعالى يقيناً، وما فعله هو بوحي من ربه ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ فالقدر كله خيره وشره من الله تعالى.

وهذا الأدب هوالذي ينبغي أنْ يتعلمه الناس، وحتى في اللفظ يجب أنْ يتأدب الإنسان مع الله سبحانه وتعالى، فنسب الرجل الصالح لنفسه هذا الفعل على سبيل الإفراد ﴿فَأَرَدتُّ﴾ لأنّ فيها كلمة العيب ﴿أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولا يتلاءم مع التعظيم.

٤ـ ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ باستعمال المصدر المؤول ولم يقل: (فأردت عيبها) لأنها تعني طلبت عيبها أو فتشت عن عيب فيها فلا يستوي هنا، فلا بدّ أنْ يقول: (أردت أنْ أعيبها) حتى ينسب العيب إلى نفسه مع الإرادة بهذه الصيغة أي بصيغة المصدر المؤول.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾: طبيعة السياق أنْ يقول: (وكان أمامهم ملكٌ):

آـ كلمة (وراء) في لغة العرب أحياناً تستعمل لما ينتظرك، تقول للإنسان وراءك عمل كثير، ليس بمعنى خلف ظهرك وإنما ينتظرك عمل كثير، ولذلك قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم:١٦] يعني تنتظره جهنم والعياذ بالله.

ب ـ الوراء من حيث اللغة يكون خلفك أو قدامك، حتى هم قالوا: الوراء خلف لكن إذا كان مما تمر عليه.

ج ـ والملاحظ أنه إذا كان الأمر يطلبك تقول (وراءك) وإن كان أمامك كما في الآيات: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان:٢٧] ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم:١٥-١٦] وجهنم أمامه ترصده وتطلبه.

ونحن الآن نقولها في كلامنا: وراءك امتحان، أو وراءك شغل كأنّ الشيء يطلبك.

٦ـ قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾: يأخذها غاصباً ويأخذها عنوة من غير مقابل؛ لأنه قيل: أنّ الملك داخل معركة ويجهز جيشه، فتأخير السفينة لغرض أنْ يمشي هذا الملك بمن معه من أسطول للمعركة فينجو هؤلاء المساكين بسفينتهم، وليس المعنى أنه لم يكن يأخذ السفينة المعيبة ولكن تعني أنها لا تصل إليه.

(أردت أن أعيبها) لماذا؟ لأنّ وراءهم ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً، فالعيب يؤخرها، كيف تُصلح السفينة؟ تُسحب إلى الشاطىء، تُفرّغ من الماء، ويعود اللوح إلى مكانه ويُطلى بالقار وترجع السفينة إلى ما كانت عليه ولا تبقى معيبة. لذلك كان غاية ما في الأمرهو تأخير هؤلاء المساكين عن وصولهم إلى الملك وفعلاً حصل تأخير، سُحِبت السفينة وفُرِّغت من الماء وأعيد اللوح إلى مكانه وطُلي كأي ضرر يصيب أي سفينة وتعود، إذن الغرض من عيب السفينة التأخير.

٧ـ ﴿غَصْبًا﴾ استعمل المصدر وكان يمكن أنْ يقول: غاصباً أهلها، لكنّ المصدر في اللغة أقوى من المشتق؛ لأنها كلها تؤخذ منه.

والمشتق هو اسم الفاعل، اسم المفعول أو غيره. ولذلك قال: (يأخذ كل سفينة غصباً) كأنه يغصبهم غصباً على ذلك، وهي فيها معنى الحال لكنّ فيها معنى التوكيد أيضاً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ ما الفرق بين: يعملون ـ يفعلون ـ يصنعون في القرآن الكريم؟

الجواب:

يفعلون: الفعل عام وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد.

يعملون: في الأكثر فيه قصد وهو مختص بالإنسان، وهو أخص من الفعل لذلك قلّما ينسب إلى الحيوان، والعرب لم تقله إلا في البقر التي تحرث الأرض.

يصنعون: الصنع أخص وهو إجادة الفعل ويحتاج إلى دقة ولا ينسب إلى حيوان أو جماد فهو أخص من العمل، قال تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [النمل:٨٨].

وعندما تأتي ﴿يَصۡنَعُونَ﴾ فتعني ما يخططون وما يدبرون بدقة وإجادة.

فالفعل عام، والعمل أخص منه، والصنع أخص ويحتاج الى دقة.



﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠
فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿فَخَشِينَآ﴾ و ﴿فَأَرَدۡنَآ﴾ في الآيتين ٨٠ ـ ٨١؟

الجواب:

١ـ الإرهاق: هو تحميل الإنسان فوق ما يطيق.

وأمّا قوله تعالى: ﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾: طغياناً حال كونه طاغياً وحال كونه كافراً فيرهقهما من طغيانه وكفره، ومعنى ذلك أنه معذِّب لأبويه بكفره وطغيانه وهما مؤمنان، فإذن كان الغلام كبيراً وليس في مرحلة الطفولة الصغيرة جداً، والأبوان عادة عندما يكون ولدهما بهذه الصورة يحرصان على إيمانه، وهو يعذّبهما و يحملهما فوق ما يطيقان، عند ذلك يتجهان إلى الله سبحانه وتعالى أنْ يبدلهما خيراً منه ويدعون: اللهم أبدلني خيراً من هذا، وربما هذا المعنى هو السبب في استعمال الجمع.

وقوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾ فيه اشتراك الخضر مع الأبوين في الخشية والإرادة، أي: (الخِضر) والأبوان، فيحتمل هذا المعنى فقد كان الأبوان يخشيان ذلك وكذلك من معهما المنفّذ الذي سينفّذ القتل.

٢ـ وأمّا قوله تعالى: ﴿فَأَرَدۡنَآ﴾ ففيها أوجه:

آ ـ إرادة دعاء الخضر وأبويه كأنما أطلعه الله عز وجل على ما كان يدعو به أبوا هذا الغلام، هذا وجه.

ب ـ والوجه الثاني يمكن أنْ يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ إدخال موسى عليه السلام معه بإعتباره تابعاً هنا، وموسى عليه السلام لم يأخذ على يده فيمنعه من القتل، وإنما اعترض بعد القتل.

ج ـ والحالة الثالثة أنّ القتل أمر عظيم فيحتاج إلى معظّمٍ لنفسه أنْ يفعل هذا الفعل فقال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، بينما في الآية السابقة صغّر نفسه لأنّ فيه عيباً فقال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ بينما هنا يوجد قتل نفس وانتظار ودعاء من الله سبحانه وتعالى أنْ يعوضهما خيراً منه، فاستعمل صيغة المعظّم لنفسه ﴿فَخَشِينَآ﴾: ولم يقل: أنا تجرأت على القتل، ولكن قال﴿فَخَشِينَآ﴾ فعظّم نفسه لعظمة الحدث.

وهناك رأى آخر في الفرق بين (أردت) و (أردنا)و(أراد ربك):

١ـ الملاحظ في القرآن كله أنّ الله تعالى لا ينسب السوء إلى نفسه، وأمّا الخير والنِعم فكلها منسوبة إليه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣] ولا نجد في القرآن (زيّن لهم سوء أعمالهم) أبداً إنما نجد ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ وكذلك في قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء:٨١] وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٨٠] ولم يقل: يمرضني، تأدباً مع الله تعالى.

٢ـ ففى حادثة السفينة: الله تعالى لا ينسب العيب إلى نفسه أبداً فكان الخضر هو الذي عاب السفينة فجاء الفعل مفرداً﴿فَأَرَدتُّ﴾.

أمّا في حادثة الغلام: ففيها جانب شر وهو قتل نفس زكية بغير نفس، وجانب خير وهو الإبدال بخير منه، فأصبح فيها مشترك فجاء لفظ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾.

أمّا في قصة الجدار: فالأمر كله خير فهناك تحت الجدار كنز وأبو الغلامين كان صالحاً والأمر كله خير ليس فيه جانب سوء، فأسند الفعل إلى الله تعالى فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.



﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿يَتِيمَيْنِ﴾ تدل على صِغر الغلامين؛ لأنه لم يُتم بعد البلوغ.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾:

آ ـ يمكن أنْ تسمى القرية مدينة.

ب ـ لكنْ يمكن أنْ تكون الألف واللام هنا للعهد، ويعني كأنها هي لمدينةٍ مررنا بها.

٣ـ الكلام ينصَبّ على أهل القرية وعلى البيت لليتيمين في القرية، وعلى اليتيمين ولم يكونا في البيت، وإنما كانا في تلك المدينة عند من يرعاهما، وليس هناك من يرعى هذا الجدار فيقيمه، والجدار قطعاً هو في القرية، والذي لا يُكرِم ضيفاً لا يعتني بيتيم أيضاً.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في تنكير كلمة ﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾ وتعريف ﴿ٱلْجِدَارُ﴾ و ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة (غلام) نكرة ﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾ ثم ذكر من صفاتهما أنهما يتيمان ﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ وهذا المقدار يكفي، ولو أنه قال: للغلامين، سيُقال له: أيُّ غلامين؟

موسى عليه السلام والخضر جاءا إلى قرية وهذا الجدار يريد أنْ ينقض، والله سبحانه وتعالى يعلم أنه لطفلين مات أبوهما، وهو لم يتحدث عنهما سابقاً، ولو ذكرهما سابقاً يعود بعد ذلك للتعريف وتسمى أل العهدية.

٢ـ الجدار: أل التعريف في الآية تسمى(أل العهدية) لأنّ العهد إمّا أنْ يكون ذكرياً أو ذهنياً: (ذكرياً) أنْ يذكر الشيء من قبل، و(ذهنياً) أنْ يكون حاضراً في الذهن كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] لم يذكر الكتاب من قبل لكنه حاضر في الذهن لأنّ الكلام عليه.

٣ـ كلمة (المدينة):

آ ـ إمّا يراد بها القرية التي دخلاها، فنكّرها أولاً فقال: (قرية) ثم جاء بعد ذلك فعرّفها، كأنما يريد أنْ يشير إلى أنها قرية كبيرة فقال: مدينة.

والمدينة عادة أوسع من القرية في المصطلح اللغوي، لكنْ عند العرب المدينة يسمونها قرية أحياناً، والقرية يسمونها مدينة بحسب نظر المتكلم، ومكة أم القرى وهي مدينة واسعة ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝٧﴾ [الشورى: ٧].

ب ـ والقول الآخر أنّ هذه الألف واللام للعهد الذهني: يعني المدينة التي مررنا بها من قبل، كأنهما في ذهنهما مدينة معينة مرّا بها من قبل.

السؤال الثالث:

استعمل في الآية الأولى٧٧ ﴿قَرْيَةٍ﴾ وفي الآية الثانية٨٢ ﴿الْمَدِينَةِ﴾ مع أنّ القصة واحدة، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قيل: أنها إنطاكية، وقيل: هي الأيلة، وقيل: غيرها، والخلاف فيها كالخلاف في مجمع البحرين.

٢ـ بشكل عام (القرية) لا تنافي التسمية بالمدينة، و القرية أصغر من المدينة، ولغة: إذا اتسعت القرية تسمى مدينة، أمّا القرية فقد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة.

قال تعالى:

ـ ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾.

ـ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ [الحجر:٤].

ـ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الإسراء:٥٨].

ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء:١١].

٣ـ القرية مشتقة من القرى بمعنى الجمع، والمدينة بمعنى الإقامة.

٤ـ عبّر عنها في الآية الأولى بالقرية دون المدينة؛ لأنه أدل على الذم في ترك الضيافة للإشعار ببخلهم، وفي الحديث: «**أنهما أتيا قوماً لئاماً**».

٥ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ من التشنيع ما ليس في (أبوا أن يطعموهما) لأنّ الكريم قد يردّ السائل المستطعم لكنه لا يكاد يردّ الضيف، ومن أعظم هجاء العرب فلان يطرد ضيفه. والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة تكرار أهل (القرية) مرتين في الآية ٧٧ ولِمَ لم يعبر عن الثانية بضمير فيقول: استطعماهم، بدلاً من ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾؟

الجواب:

١ـ اختار الإمام تقي الدين السبكي والشيخ الموصلي والنيسابوري أنّ تكرار الأهل والعدول عن استطعماهم إلى ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ هو للتحقير أو للتأكيد على شناعة فعلهم.

٢ـ وقال بعضهم: إنّ الأهليْن متغايران، فلذا جيء بهما معاً إذ الأولى لبعضهم والثانية للجميع.

٣ـ وقال آخرون: الأهل واحد في المرتين وهما استطعما الرجال، وروي عن أبي هريرة والله أعلم بصحة الخبر أنه قال: أطعمتهما امرأة من بربر، فلذا جيء بالضمير دون الظاهر.

٤ـ الأهل واحد في المرتين، ولعلّ العبدين الصالحين لما أتيا القرية قدّر الله تعالى لهما استقراء الجميع على التدريج ليتبين به كمال رحمته وعدم مؤاخذته تعالى بسوء صنيع بعض عباده، ولو قيل: استطعماهم تعين إرادة البعض، فأتى بالظاهر إشعاراً بتأكيد العموم وأنهما لم يتركا أحداً حتى استطعماه وأبى.

٥ـ هذه أبيات نظمها الصلاح الصفدي ورفعها إلى الإمام تقي الدين السبكي:

أسيدنا قاضي القضاة ومن إذا ... بدا وجهه استحى له القمران

ومن كفه يوم الندى ويراعه ... على طرسه بحران يلتقيان

رأيت كتاب الله أعظم معجز ... لأفضل من يُهدى به الثقلان

ومن جملة الإعجاز كون اختصاره ... بإيجاز ألفاظ وبسط معاني

ولكنني في الكهف أبصرت آية ... بها الفكر في طول الزمان عناني

وما هي إلا استطعما أهلها فقد ... نرى استطعماهم مثله ببيان

فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر ... مكان ضمير إنّ ذاك لشان

فأرشد على عادات فضلك حَيرتي ... فما لي إلى هذا الكلام يدان

فأجاب السبكي بأنّ جملة ﴿ٱسْتَطْعَمَآ﴾ محتملة لأنْ تكون في محل جر صفة لقرية، وأنْ تكون في محل نصب صفة لأهل، وأنْ تكون جواب إذا، ولا احتمال لغير ذلك.

وكان جواب العلامة الآلوسي أنّ (استطعما) إنْ جُعل جواباً فهو متأخر عن الإتيان، وإذا جُعل صفة احتمل أنْ يكون الإتيان قد اتفق، أي: هي في محل جر صفة لقرية، وقال شعراً:

لأسرار آيـــات الكتـــاب معـــــــــاني تـدق فـلا تبـــدو لكـل معـــــــاني
وفيهـــا لمرتـــاضٍ لبيـــبٍ عجائـــــــبٌ سـنا برقِهـــا يعنـــو لـه القمـــران
وهاتيـك منهـــا قـد أبحتـك سرهـــا فشـكراً لمـن أولاك حسـن بيـــــاني
أرى اسـتطعما وصـفاً عـلى قريـة جـرى ولـيس لهـا والنحـــــو كالمـــيزان
صناعتـــه تقضـــــي بـــأنّ اسـتتار مـــا يعــود عليـــه لـيس في الإمكـــــان
ولـيس جـواب إذا ولا وصـف أهلـــها فـلا وجـــه للإضمـــار والكتمـــان
وهـذي ثـلاث مـا سـواها بممكـــــن تعيّـــن منهـــا واحـــــد فسـباني

والله أعلم.

السؤال الخامس:

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ هل ترتيب هذه الأشياء ﴿ٱلْجِدَارُ﴾ ﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾ ﴿كَنزٌ﴾ ﴿أَبُوهُمَا﴾ إذا تغيّر هل سيبقى بنفس الدلالة؟

الجواب:

هذا كأنه نظام، كأنه بناء، كأنك تبني بيتاً والبناء هكذا، والرجل الصالح ذكر سابقاً أنّ جداراً قد أقامه، فالآن يريد أنْ يفسر لموسى عليه السلام ما يتعلق بهذا الجدار، فيذكر الجدار ثم يذكر لمن هذا الجدار؟ ثم يذكر بعد ذلك ما شأن هذا الجدار؟ ولماذا أقمته؟

أمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة. لماذا أقمته؟ كان تحته كنز لهما. ما شغلنا بذلك؟ كان أبوهما صالحاً، أي: من أجل صلاح الأب، فهو ترتيب طبيعي لا يستدعي أنْ يكون هناك اضطراب.

والكنز في اللغة هو الشيء الدفين، والشيء الدفين إذا كان مالاً سمي كنزاً، وكان الهدف الحقيقي لإقامة الجدارهو أنّ هذا المال المدفون يحتفظ به حالياً حتى يكبر الغلامان.

والعلماء هنا يتحدثون هل يوجد كنز للمال بهذا الشكل؟ وهل يتعارض ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة:٣٤] والمفروض أن يشغّلها؟

قسم قالوا: هذا شرعُ من قبلنا، وقسم يقولون: إنّ الأب كان يشغّل المال، ولكن لما أحسّ بالوفاة وهو في قرية ظالمة، قرية بخيلة، لا تضيّف أحداً فأحس أنه ربما يأخذون مال أولاده فدفنه، وقال: يا رب أنت تتولاه.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾؟

الجواب:

هذا درس للآباء، فصلاحهم خير لذريتهم أيضاً.

السؤال السابع:

لماذا نسب هنا الإرادة لله تعالى؟

الجواب:

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾: نسب الإرادة لله تعالى و لم يقل: فأردت أو فأردنا؛ لأنّ بلوغ الغلامين السن الكبير هذا لله سبحانه وتعالى، ولا

يستطيع أن يُدخل الخضر نفسه فيه حتى لو عظّم نفسه، وعندما يبلغا أشدهما وهذا لا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى فيستخرجانه واستخراج الكنز من تحت الجدارأيضاً لا يملكه إلا الله تعالى.

الفعل: ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ معطوف على ﴿يَبْلُغَآ﴾ وأوكل الأمر كله إلى الله، ومن الممكن أنْ يسقط الجدار وهما بالغان، فإذا سقط وظهر الكنز عند ذلك يأخذانه، ويكونان في ذلك الوقت شديدين ﴿يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

السؤال الثامن:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وما إعراب: رحمة؟

الجواب:

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول لأجله: فُعِل هذا كله من أجل الرحمة، أي: رعاية اليتيمين وهو من رحمة الله سبحانه وتعالى، ويمكن أنْ تكون عامة على المحاور الثلاث:

- العناية بالمساكين من رحمة الله عز وجل.
- العناية بالأبوين من رحمة الله عز وجل.
- والعناية بالغلامين اليتيمين من عناية الله عز وجل.

ثم وضّح ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ أي هذا ما أمرني الله تعالى به ففعلته؛ لأنّ هذا غيب وعلم الغيب لله وحده.

ولا يقول أحد الآن: هذا يبدو أنه شرّير سأقتله تأسّياً بالخِضر وأدعو الله أن يهبهما خيراً منه.

السؤال التاسع:

ما دلالة التأويل في الآية ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾؟

الجواب:

١ـ التأويل هنا بمعنى بيان حقيقة الشيء، مما غاب عن موسى عليه السلام وعمن حوله، واستعمال ﴿ذَٰلِكَ﴾ تدل على أنه بدأ يبعد؛ لأنه يريد أنْ يفارق فلم يقل هذا تأويل، والكلام الذي تكلمته صار ﴿ذَٰلِكَ﴾.

٢ـ وقوله: ﴿مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ قبلها قال: (تستطع) حيث كان هناك فيها شرح وإيضاح فجاء بالفعل تاماً ﴿تَسۡتَطِع﴾ أمّا هنا فالوقت وقت مفارقة واختصار وابتعاد، ويريد أنْ يرحل، فحتى الكلمة اختصرها فقال: ﴿تَسۡطِع﴾ أي أنهينا الإيضاح وانتهى.

٣ـ المقام في الآية الأولى رقم ٧٨ مقام شرح وإيضاح وتبيين وتفصيل، فلم يحذف من الفعل شيئا فجاء بـ ﴿تَسۡتَطِع﴾.

وأمّا الآية الأخرى رقم ٨٢ فهي مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه بعدها فحذف من الفعل فجاء بـ ﴿تَسۡطِع﴾.

السؤال العاشر:

هل يجوز أن نقول سيدنا الخِضر؟

الجواب:

مسألة السيادة قيل: إنها لا تصح أنْ تقال حتى مع الرسول ﷺ، لكن حُبّ رسول الله ﷺ يجعلنا نقولها دائماً فهو سيدنا لأنه ﷺ استعملها مع سعد بن معاذ رضي الله عنه لما

جُرِح في الخندق وجيء به محمولاً ليقضي في بني قريظة فقال ﷺ: «**قوموا لسيّدكم**» أي: لسعد. ويقولون: سيّد الأوس، سيد الخزرج، سيد الشهداء حمزة، سيّد المهاجرين والأنصار.

و نحن نقول دائماً إذا لم يكن هناك مانع شرعي فلا مانع من إظهار هذه المودة وهذا الحب، فنحن نقول: سيدنا رسول الله عليه السلام وهو قرة العين ﷺ.

السؤال الحادي عشر:

هل خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار كان في العالم المنظور؟

الجواب:

لا شك أنها في العالم المنظور، ومن أجل هذا كان موسى عليه السلام يعترض في المرة الأولى والثانية وفي الثالثة، والاعتراض هنا كان نوعاً من التعليم أو الإفهام لموسى عليه السلام بأنّ علمه منحصر في التطبيقات الشرعية، أي في مسائل الشريعة وفي نظام حياة الناس.



قصة ذي القرنين:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في الآيات القرآنية؟

الجواب:

انظر آية البقرة ١٨٩.



﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ لماذا قدّم ذكر عذاب ذي القرنين على عذاب الله، بينما في الجزاء قال العكس ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾؟

الجواب:

١ـ الشق الأول من السؤال سليم، قدّم عذاب الدنيا على عذاب الآخرة؛ لأنه في الدنيا العذاب متقدم، والذي يفعل شيئاً يطاله القانون، والذي ظلم سيأخذ جزاءه ثم يرد إلى ربه فيعذبه وهذا بحسب الزمن.

إذن في العذاب هناك عذابان: الأول في الدنيا كأي ظلم يحصل في الأرض يحاسبه القانون والسلطة، والثاني يحاسبه الله تعالى في الآخرة. وذو القرنين ليس مكلفاً بجزاء المؤمن ولا السلطة مكلفة بجزاء المؤمن ولكن مكلفة بعقاب الظالم.

٢ـ أمّا الجزاء ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فما قال: أنا سأجازيه، وإنما قال: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ وقول: (جزاك الله خيراً) ليس جزاء، أو قول: (بارك الله فيك) فهذا ليس بجزاء، وإنما الحسنى هي الجنة.

إذن هو ذكر جزاء الآخرة ولم يذكر جزاءه بالنسبة للعمل؛ لأنّ الإيمان والعمل جزاؤه الجنة في الآخرة، أمّا الظلم فهذا ينبغي أنْ يحاسب عليه في الدنيا فيعذبه ويطاله القانون كأي واحد يعتدي على الآخرين فيعاقب.

السؤال الثاني:

ما دلالة استخدام (السين وسوف) مع ذي القرنين؟

الجواب:

(سوف) في استعمال القرآن آكد من (السين) وكلاهما يدلان على المستقبل لكنّ بعضهما آكد من بعض، وهنا (سوف) آكد من السين ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ فلا بدّ أنْ يعاقب، وهذه لغة العرب كانوا يفهمونها.

مثل: (إنّ واللام): (إنّ) آكد من (اللام) و(إنّ واللام)آكد من (إنّ) وحدها: (لمحمد مسافر) و(إنّ محمداً مسافر) آكد ،و(إنّ محمداً لمسافر) أكثر توكيداً.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿نُّكْرًا﴾ ما الفرق بين ﴿نُّكْرًا﴾ و ﴿إِمْرًا﴾ و ﴿نُّكُرٍ﴾ كما في آية القمر ٦؟

الجواب:

١ـ وصف خرق السفينة في آية الكهف ٧١ بأنه شيء (إمر) ووصف قتل الغلام في الآية ٧٤ بأنه شيء (نُكْر).

وذلك أنّ خرق السفينة ونزع لوح خشب منها هي دون قتل الغلام شناعة، فإنه خرق السفينة لتبقى لمالكيها، وهذا لا يبلغ مبلغ قتل الغلام بغير سبب ظاهر.

و(الإمر) بكسر الميم هو دون (النُكْر) وعن قتادة: النُّكر أشد من الإمر، فجاء كل على ما يلائمه ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصفين مكان الآخر.

٢ـ كذلك (الإمر) هو الأمر المُنكر أو الكبير، و(النُّكر) فيها معنى الإنكار لكنّ النكر أعظم وأبلغ من الإمر؛ لأنّ قتل النفس البريئة بغير نفس هو أكبر من خلع لوح من السفينة.

٣ـ وكلمة (نُكر) ـ بتسكين الكاف ـ هي من أوزان اسم المفعول الثمانية: (فُعْل) بضم الفاء وتسكين العين، مثل: سُؤل، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٦].

واسم المفعول يصاغ من الفعل الثلاثي الصحيح والمعتل الوسط أو الآخر، ومن غير الفعل الثلاثي وعلى وزن (فعيل) بمعنى مفعول كقتيل و جريح و كحيل و أسير، وكذلك على وزن (فُعلة) مثل لُعنة، أي: يُلعن كثيراً، أو سُبة، أي: يُسب كثيراً.

٤ـ وفي آية سورة القمر ٦: جاءت (نُكُر) ـ بضم الكاف والنون ـ وهي على صيغة (فُعُل) وهي غير صيغة (فُعْل) بتسكين الكاف. وصيغة(فُعُل) أبلغ من (فُعْل) لأنّ فيها توالي ضمتين وهي أشد في النكارة من نُكْر ـ بتسكين الكاف ـ ولو لاحظنا الآيات التي

فيها [نُكْر و نُكُر] نجد أنه من الصحيح أنّ الفاصلة تقتضي كلاً من العبارتين أو الوزنين لكنّ الدلالة تختلف.

فآية القمر هي في الآخرة وهي غير مألوفة، والصوت الذي يدعوهم إلى الخروج غير مألوف، فالأمر مستغرب والأمر غير مألوف فيما سبق من حياتهم ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر:٧-٨].

فهو يوم عسر ليس له نظير فجاء بـ ﴿نُّكُرٍ﴾ أي شديد النكارة ولم يقل (نُكْر) بتسكين الكاف.

*** شواهد قرآنية: (نُكْر) بتسكين الكاف:**

آية الكهف ٨٧: ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧﴾.

قال: نُكْراً ـ بتسكين الكاف ـ ولم يقل: نُكُراً لسببين ـ والله أعلم ـ:

١ ـ قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ ولم يقل: من كفر، وليس بالضرورة أنّ الظالم هو كافر؛ لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً.

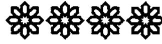
٢ ـ قال: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ إذن سينال عذاباً في الدنيا، فإذا كان العذاب مُجزياً سقط عنه في الآخرة، فمثلاً إذا أقيم حد على أحد في الدنيا لا يُعذب في الآخرة، فهذا العذاب نكارته ليس بتلك الشدة في آية القمر.

آية الكهف ٧٤: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۝٧٤﴾.

قتل النفس في الأرض كثير، وليس مستغرباً كالأمر في آية القمر فالقتل يحصل رغم استنكاره.

آية الطلاق ٨: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾.

العذاب في الدنيا كالصيحة أو الخسف أو غيرها وليست بنكارة ما في الآخرة.



﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩﴾

السؤال الأول:

قال في الآية ٨٥: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ بالفاء وفي الآية ٨٩ قال: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ من الناحية النحوية: (الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب، و(ثمّ) تفيد الترتيب والتراخي.

٢ـ من الناحية البيانية:

الكلام في هذه الآيات عن ذي القرنين، وفي الآية الأولى ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ لم يذكر القرآن أنّ ذي القرنين كان في حملة أو مهمة معينة بل قال قبلها: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝٨٤﴾ فلم يكن هناك حملة قبلها وإنما حصل هذا الشيء بعد التمكين لذي القرنين مباشرة.

أمّا الجملة الثانية ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩﴾ فهذه الحالة حصلت بعد الحالة الأولى بمدة بعد حملته إلى مغرب الشمس وحملته إلى مطلع الشمس، وهذه استغرقت مدة من الزمن ولهذا جاء استعمال ﴿ثُمَّ﴾ التي تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا
٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ﴾

السؤال الأول:

في آية الكهف ٨٦ قال: ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ لِمَ لمْ يقل: حسبها أو ظنها أو رآها؟ وهل هناك ارتباط بين (وجدها) وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾ و[ما لديه] خبرٌ قابل أنْ يكون أكيداً أو غير أكيد وليس علماً؟

الجواب:

١ـ ما ذكره القرآن لنا أنه ملك وحاكم وقائد عسكري، وكان مؤمناً انطلق إلى جهة المشرق وانطلق إلى جهة المغرب وسار بينهما، وعلى وجه اليقين هو ليس الإسكندر المقدوني لأن ذاك كان وثنياً.

٢ـ أنت عندما ترى الشمس تغيب في البحر هذا ليس ظناً وإنما هذا هو يقين بالنسبة لك، ولذلك لا يصلح مطلقاً أنْ يقول ذو القرنين للناس: إنه ظنّها تسقط هاهنا في ذلك الزمن القديم. هو يراها هكذا، لكنْ هو يعلم أنها ليست ساقطة على وجه اليقين، كما يراها أيضاً الأعرابي تسقط خلف ذلك الكثيب في الصحراء فيقول لقومه: إننا سنبيت الليلة حيث تسقط الشمس خلف ذلك الكثيب.

ونحن لا نقول بالقطع أنه وصل إلى الرباط في بلاد المغرب، لكنْ قد يكون في تلك المنطقة يوجد مجرى مائي أو نهر، وعند ذاك المجرى كان لون الأرض حقيقة فيها لون

معتم فكأنه عين حمئة، قد يكون هذا ولا نقطع بشيء. وهذا شيء معلوم عند العرب ويستعملونه فيقولون: أين مبيتنا؟ يقول: خلف هذا الكثيب حيث ستسقط الشمس، وهو يعلم يقيناً سيصلون إلى الكثيب ولا يجدون شيئاً وهم يعلمون أنّ هذا في عين الرائي.

٣ـ (الخُبر) هو المعرفة البالغة ويعني المعرفة بالجزئيات نقول: هو بذلك خبير، لكنْ هنا في السورة كأنّ هناك نوعاً من التناسب في الكلام، لاحظ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ لاحظ هذا الانكشاف الذي رآه ذو القرنين ووافقه انكشاف علمه لله سبحانه وتعالى وانكشاف ما لديه في علم الله عز وجل ،كأنّ هناك مناسبة في الانكشاف، هؤلاء منكشفون أمام الشمس، وهو ذو القرنين منكشف بها حتى في داخله أمام الله سبحانه وتعالى كأنها هذه اللمسة هي هنا.والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في آية الكهف ٩٠: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم﴾ بصيغة المضارع بينما قال في آية الإسراء ٦٠: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ بصيغة الماضي فما السبب؟

الجواب:

السبب في آية الكهف أنه استعمل (لم) مع الفعل المضارع؛ لأنّ ذلك متكرر ومتطاول إذ كل يوم تطلع عليهم الشمس وليس لهم ستر دونها.

امّا آية الإسراء فالرؤيا وقعت مرة واحدة فجاء بالفعل الماضي مع (ما) فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾.

إضافة إلى أنّ آية الإسراء رد على الكفرة الذين سخروا من رؤياه بخلاف آية الكهف فإنها إخبار لا رد، فجاء في آية الكهف بـ (لم) وجاء بآية الإسراء بـ (ما) والله أعلم.



﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾

السؤال الأول:

ما العلاقة بين العلم والفقه؟

الجواب:

١ـ الفقه: هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا لا يقال: إنّ الله يفقه لأنه لا يوصف بالتأمل، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾ [الكهف:٩٣].

٢ـ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] فإنه لمّا أتى بلفظ التسبيح الذي هو قولٌ ذَكَرَ الفقه.

٣ـ وسُمّي علم الشرع فقهاً؛ لأنه مبني على معرفة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾ [الكهف:٩٣] ما بيان الفعل كاد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٧١.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاسمين ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ قيل هما اسمان عربيان واشتقاقهما من:

آـ أجت النار أجيجاً إذا التهبت.

ب ـ من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة المحرق من ملوحته.

ج ـ من لفظة: ماج إذا اضطرب ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف:٩٩].

٢ـ هما على وزن (يفعول) في يأجوج و(مفعول) في مأجوج.

٣ـ قرأ الجمهور (يأجوج ومأجوج) بدون همز، وأمّا قراءة عاصم فهي بالهمزة.

٤ـ وإذا كان الاسمان أعجميين فليس لهما اشتقاق؛ لأنّ الأعجمية لا تشتق من العربية. والله أعلم.



﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿رَدْمًا﴾ ما الكلمات الشبيهة للجدار والسد والردم والحواجز؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿فَأَعِينُونِي﴾ ما كلمات منظومة ألطاف الله على عباده المؤمنين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٢٦.



﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)﴾ يوجد تنازع حسب تسمية النحاة، فما التنازع؟

الجواب:

ورد التنازع في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)﴾ [الكهف:٩٦] قطراً مفعول به، لكن هل هو للفعل (آتوني) أو الفعل (أُفرغ)؟

النحاة يجيزون أي واحد منهما، لكنّ الاختلاف فقط في الترجيح، فعند الكوفيين الأول هو الأولى في الإعمال، وعند البصريين الثاني هو أولى بالإعمال، وعند الفرّاء كلاهما يعملان معاً.

وعند النحاة كلاهما جائز لكنْ هناك مرجحات، فالكوفيون يقولون الأول هو أولى باعتباره سابقاً، والبصريون يقولون الثاني لأنه أقرب، ولو كان الأول لكان هناك فاصل بين العامل والمعمول، ولو كان كذلك لقال ربنا: (آتوني أفرغه عليه قطراً) لأنه إذا أعملنا الأول يجب أنْ نضمر في الثاني، وفيها كلام طويل لكنهما متفقان على أنه يجوز.

لذلك في المعنى التنازع يعمل للاثنين، لكنْ في الإعراب عند الكوفيين الأول هو الأولى ،وعند البصريين الثاني هو الأولى ،وعند الفراء يقول: سيان.

وقد يشترك أكثر من عامل في معمول واحد كما في الحديث: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون الله ثلاثاً وثلاثين**» فبدل أنْ يقول: تسبحون الله وتحمدون الله وتكبرون الله فيجمعها كلها ويأتي بمعمول واحد لها يصلح لها جميعاً.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية الإسراء ١٠٥.

السؤال الثاني:

ما معنى الصدفين في اللغة؟

الجواب:

١ـ المعاني اللغوية:

الأصل في الصدف هو الجانب والناحية، و الصدفان في آية الكهف هما الجانبان.

وصدف عنه: أي أعرض إعراضاً شديداً.

والصدف: البناء المرتفع. وصدف عن الشيء مال.

٢ـ هناك فرق بين: (صدف عنه) و(أعرض عنه) فالإعراض قد يكون خفيفاً لكنْ (صدف عنه) هو أنْ تذهب في الجانب عنه فتتركه وتعرض عنه وتمشي، فالإعراض قد يكون في القليل والصدف مخصص لما هو أشد.

أي: أنّ الصدف هو الإعراض الشديد.



﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استطاعوا واسطاعوا فى الآية ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف:٩٧]؟

الجواب:

١ـ الكلام على ما صنعه ذو القرنين من سد مصنوع كما هو معلوم من الحديد وأمور أخرى ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف:٩٧] وسدّ الحديد الضخم تسلّقه أيسر من الثقب والنقب الذي يحتاج إلى جهد فاستعمل مع السهولة الحذف ﴿ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ ومع الصعوبة كمّل الفعل ﴿ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ فاستعمل البنية الكاملة للفعل (استطاع) لما كان العمل أصعب ولما كان أيسر استعمل (اسطاع).

٢ـ زيادة (التاء) في فعل (استطاع) تجعل الفعل مناسباً للحدث، وزيادة المبنى في اللغة تفيد زيادة المعنى، والصعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه؛ لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب لذا استخدم (اسطاعوا) مع الصعود على السد و(استطاعوا) مع النقب، فحذف مع الحدث الخفيف، أي: الصعود على السد، ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإنّ الصعود على السدّ يتطلّب زمناً أقصر من إحداث النقب فيه، فحذف من الفعل وقصّر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث.



﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

السؤال الأول:

هل لكتابة كلمة (رحمة ورحمت) بهذه الطريقة دلالة معينة في المصحف؟ وهل إذا وجدت الدلالة نرد على من يحاول أنْ يرسم المصحف بالرسم الإملائي؟

الجواب:

١ـ كل مَن يُريد أنْ يرسم المصحف يرسمه نقشاً على ما رسمه الصحابة الأولون؛ لأنّ هذا إجماع الأمة وليس هناك في الأمة من يفتي بكتابة المصحف بالرسم الإملائي الحالي.

٢ـ لو نظرنا إلى الآية ٩٨ من سورة الكهف ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ نجدها مرسومة بالتاء المربوطة، ولو نظرنا بعدها بأسطر في سورة مريم ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾ [مريم:٢] نجدها مرسومة بالتاء المفتوحة.

٣ـ لفظة (رحمة) وردت في المصحف بالهاء ٧٢ مرة، وبالتاء (رحمت) ٧ مرات.

لمزيد من المعلومات، انظر آية آل عمران ٣٥.

السؤال الثاني:

ما الفرق من الناحية البيانية بين الفعل (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم؟

الجواب:

فعل حضر: الحضور في اللغة يعني الوجود وليس معناه بالضرورة المجيء إلى الشيء (يقال كنت حاضراً إذ كلّمه فلان بمعنى شاهد وموجود وهو نقيض الغياب) ويقال: كنت حاضراً مجلسهم، وكنت حاضراً في السوق، أي: كنت موجوداً فيها.

أمّا المجيء فهو الانتقال من مكان إلى مكان. فالحضور إذن غير المجيء ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان أي دليل وجوده في كل مكان، وفي القرآن يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ بمعنى لم يكن موجوداً وإنما جاء الأمر.

لمزيد من المعلومات، انظر الجواب في آية البقرة ١٣٣.

السؤال الثالث:

ما دلالة صيغة كلمة (دكّاء) في الآية؟

الجواب:

دكاء: هي الأرض المستوية. وهو في الآية يتكلم عن السد الذي صنعه ذو القرنين، (جعله دكاء) يعني جعله مستوياً بالأرض، دكّ فجعله مساوياً للأرض.

وتأتي (دكاء) بمعنى الرابية من الطين، لكنْ هي التسوية في الأرض لأنّ ربنا تعالى ذكر ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه:١٠٧] ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة:١٤].



﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول: ما دلالة (أعين وعيون) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت (أعين) في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة ولم يرد بها القلة وقد جاء هذا الجمع في ٢٢ موضعاً منها:

آـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود ٣٧ ـ المؤمنون ٢٧ ـ الطور ٤٨ ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في ١٨ موضعاً، منها: [الأعراف ١٧٩ ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة (عيون) في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١].

السؤال الثاني: قوله تعالى في الآية: ﴿غِطَآءٍ﴾ ما كلمات منظومة المنع من الوصول؟

الجواب: انظر آية المائدة ١٢.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

استخدم القرآن كلمة ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في سورة النحل ١٠٩، واستخدم كلمة ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ في هود٢٢ وفي النمل ٥ والكهف ١٠٣ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ ورد في القرآن الكريم استخدام كلمتي ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ كما جاء في سورة النحل و﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ كما جاء في سورة هود والنمل وآية سورة الكهف، وفي اللغة الأخسر هو أكثر خسراناً من الخاسر.

وفى آية سورة الكهف قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤]. نلاحظ استخدام كلمة ﴿ضَلَّ﴾ مع كلمة ﴿سَعْيُهُمْ﴾ ولم يقل: ضل عملهم؛ لأنّ السعي هو العدو أو المشي الشديد دون العدو، وقال في: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً ولم يقل يعمل صالحاً، والإحسان هو الإتقان في العمل وليس العمل العادي.

٢ـ في اللغة لدينا: (فعل وعمل وصنع). أمّا الفعل فقد تقال للجماد (نقول: هذا فعل الرياح) وقد يكون للعاقل وغيره، والعمل ليس بالضرورة صنعاً فقد يعمل الإنسان بدون صنع، وأغلب ما يكون للعاقل وقلما يُستعمل للحيوان، أمّا الصنع فهو أدق وهو من الصَّنعة وهو دقة العمل وإتقان العمل، كما في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨] والصنع لا تستعمل إلا للعاقل الذي يقصد العمل باتقان وإحسان.

٣ـ إذن آية سورة الكهف جاء فيها سعي وإحسان وصُنع ومُضِلّ، فكيف لا يكون الأخسر؟ لذا استوجب أن يؤتى بكلمة: الأخسرين أعمالاً.

٤ـ ومن الملاحظ أنه في القرآن كله لم يُنسب جهة الخُسران للعمل إلا في هذه الآية، وفي القرآن يستعمل كلمة (الأخسرين)، ولم ترد (الأخسرين أعمالاً) إلا في هذه الآية لأنها الآية الوحيدة التي وقعت في سياق الأعمال من أولها إلى آخرها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

و(الأخسرون) اسم تفضيل، أي: أنه هناك اشتراك في الخُسران، ويوجد خاسرون كُثُر سواء الكفرة والفَسَقة والظَّلَمة، بعضهم خاسر وبعضهم أخسر من بعض، أي: التفضيل فيما بين الخاسرين أنفسهم.

السؤال الثاني: ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب:

١ـ النبأ أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة، نحو قوله تعالى ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢] وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص:٦٧] والنبأ في اللغة هو الظهور.

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خبر) مفردة في موطنين في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص:٢٩] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾. [النمل:٧] وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم. وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن كلمة (نبأ) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [إبراهيم:٩].

٢ـ الصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر (أخبر) كما في الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف:١٠٣].

ونرى في سورة الزلزلة قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة:٤] استعمال كلمة (أخبارها) مناسب للسورة؛ لأنه تعالى ذكر الزلزلة في السورة، ويوم القيامة سيكون هناك أحداث أعظم من الزلزلة، فالزلزلة تحدث كل يوم ونشاهدها أمامنا.

السؤال الثالث: من المعنيون بالآية ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾؟

الجواب:

ننظر في تمام الآيات من هم الأخسرون أعمالاً؟ هم الذين يظنون أنهم يحسنون صنعاً ويعتقدون أنهم على صواب، كما في تتمة الآيات ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

هل المسلم كفر بآيات ربه ولقائه؟ كلا. القول هذا لا يشمل المسلم، فالمسلم لا يهزأ بآيات الله ولا برسل الله عز وجل، فإذن يجب أنْ يُنظر في سياق الآيات حتى يكون مطمئناً إلى مكانه، والمسلم عزيز عند الله سبحانه وتعالى، والذي يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ويعمل بمقتضاهما يكون مطمئن القلب إلى رحمة الله سبحانه وتعالى.

فهذه الآيات تبين من هؤلاء الأخسرون، فهم كفار كفروا بآيات ربهم ولقائه وليسوا من المسلمين.

السؤال الرابع: ما دلالة الفعل (حسب) في الآية ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ﴾؟

الجواب:

١ـ حسب: فعل يُراد به الاعتقاد الراجح ومعناه الظن، لكنْ هناك فرق بين (حسب وظن) ومن ذلك:

آ ـ أنّ حسب وهو فعل من أفعال القلوب، منقول من (حَسِب) الحسي الذي منه الحساب ومنه حسب الدراهم، أي: عدّها.

ب ـ والحسبان قائم على الحساب والنظر العقلي، بخلاف الظن الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنى سبب.

* شواهد قرآنية:

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

أي: كان ذلك في حسابهم.

٢ـ هناك قراءتان: (يحسَبون ويحسِبون) بكسر السين وفتحها، والفعل (حسِب يحسَبُ) و(حسِب يحسِب) لغتان والأغلب في لغة العرب الفتح.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ استعمل (هل) ولم يستعمل (الهمزة) فما دلالة ذلك؟

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم (هل) لما هو أقوى وآكد في الاستفهام من الهمزة.

انظر الجواب في آية المائدة ٦٠.

السؤال السادس:

استخدم القرآن كلمة ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ في سورة النحل ١٠٩، واستخدم كلمة ﴿الْأَخْسَرُونَ﴾ في هود٢٢ وفي النمل ٥ والكهف ١٠٣ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

في اللغة الأخسر هو أكثر خسراناً من الخاسر، والسياق هو الذي يحدد اختيار الكلمة.

انظر الجواب في آية هود ٢٢.

السؤال السابع:

قوله تعالى في الآية ١٠٥ ﴿فَحَبِطَتْ﴾ ما كلمات منظومة الإحباط للأعمال الأخروية؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الإحباط للأعمال الأخروية أو فسادها أو بطلانها.

فسد ـ الفساد:

هو وصف جزئي للعمل، أي أنّ جزءً منه فسد والباقي صالح، والعمل الصالح قد يكون فيه جزءاً فاسد.

[الروم ٤١ ـ البقرة ٢٢٠ ـ يونس ٨١ ـ الشعراء ١٥٢].

بطل ـ البطلان:

هو فساد كلي كأنّ العمل لم يكن موجوداً أصلاً [البقرة ٢٦٤ـ آل عمران ٧١ـ الأعراف ١١٨ـ هود ١٦ـ محمد ٣ـ ٣٣].

ومما يبطل العمل الرياء.

حبط ـ الإحباط:

العمل الصالح موجود لكنّ العمل تم مع ذنب أو مع خطيئة كبيرة أدت إلى مسح كل العمل أو بعضه.

والأعمال الباطلة واضحة كالأصنام والسحر، أمّا الإحباط فكثير؛ لأنه كم يُذنب الإنسان ذنوباً وخطايا قد تُحبط عمله يوم القيامة.

والإحباط نوعان:

١ – إحباط كلي نحو الشرك والردة: [الزمر ٦٥ـ المائدة ٥.].

٢– إحباط جزئي قد يمنع من دخول الجنة أو يبطىء في دخولها – والأغنياء الصالحون يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمس مئة عام – أو يمنع نيل الدرجات العلا في الجنة.

أنواع الإحباط:

الإحباط الأكبر: وهو الشرك [البقرة ٢١٧ـ آل عمران ٢٢ـ الكهف ١٠٥].

الإحباط الوسطي: وهو الذي يؤخر في دخول الجنة: نحو الغيبة وأمثالها.

الأحباط الأقل: وهو الذي يقلل من الدرجة في الجنة.

من أنواع المحبطات:

الكفر ـ الردة ـ الشرك ـ التولي يوم الزحف ـ عقوق الوالدين ـ موالاة المشركين ـ مشاقة الرسول ﷺ ـ الغيبة.

السؤال الثامن:

لمَ قال تعالى هنا في حق الكفار: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥] والميزان ينصب لتوزن به الحسنات مقابل السيئات، والكافر لا حسنة له لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة:٨-٩]؟

الجواب:

المعنى أنه لا يكون لهم عندنا قدر لحقارتهم وخستهم، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة:٨-٩] فهو من غلبت سيئاته على حسناته من المؤمنين فإنه يعذب في النار لكنه لا يخلد.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾

السؤال الأول:

قال في آية الكهف ١٠٦: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ وقال قبلها في الآية ٥٦: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾ فما دلالة ذكر ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ في الآية ٥٦ وذكر ﴿وَرُسُلِي﴾ في الآية١٠٦؟

الجواب:

١ـ الآية ٥٦: تقدّمها أنّ الإنسان كثير الجدل وجداله باطل كما في الآيتين[٥٤ـ٥٦] من نفس السورة فناسب ذلك ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾.

٢ـ الآية ١٠٦: تقدّمها قصة موسى عليه السلام والخضر وذي القرنين فناسب قوله تعالى: ﴿وَرُسُلِي﴾.



﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (نفد و نفذ)؟

الجواب:

المعنى مختلف. (نفذ) بالذال يعني خرق كما في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن:٣٣] و(نفد)

يعني انتهى كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩] أي انتهى البحر مع كلمات الله.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين المدّ والمدد؟

الجواب:

(المدّ): في قوله تعالى ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم:٧٩] (مداً) هو مصدر، وهو مفعول مطلق.

وأمّا (المَدد) في قوله تعالى ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩] (مدداً)هو اسم، أي جنود أو غيره. فالمدّ هو المصدر والمدد هو الاسم.



﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ وهل هي جواب الشرط؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ كلمة ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ في آية سورة الكهف هي جواب الشرط.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

يجب ألا يضيق صدر الداعية المسلم مما يجابهه، والمسلم مكلف، وكلنا نقول: نحن من أتباع محمد ﷺ والرسول بشر، ولذلك فإنّ دعوة الناس لطاعة الله سبحانه وتعالى واجب من واجباتنا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ و ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾؟

الجواب:

١ـ عندما يكون السياق في (العمل) يقول: (عملاً صالحاً) ،كما في آخر سورة الكهف ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف:١١٠] لأنه تكلم عن الأشخاص الذين يعملون أعمالاً سيئة، وكان السياق في الأعمال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] والسورة أصلاً بدأت بالعمل كما في الآية ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف:٢].

وفي عموم القرآن إذا كان السياق في العمل يقول: ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾.

٢ـ وأمّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] فهذه ليست في سياق الأعمال.

السؤال الرابع:

في سورة الكهف ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠] ما دلالة الباء؟

الجواب:

١ـ الحرف (في) معناها اشتراك في أمرأو في مسألة من المسائل، في بيع في تجارة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ أي: يشتركون في أمر من الأمور، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر:٤٠]ويعني يشتركون فيها.

٢ـ (الباء) يعني يجعل له شريكاً، والآية أفادت أنْ لا نجعل لله شريكاً.

و نحن نشترك في عبادة الله لكن لا نشرك بالله، ولا نجعل له شريكاً، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الإنسان والبشر وبني آدم والناس والورى؟

الجواب:

١ ـ الإنسان: مشتقة من الأُنس وهوخلاف النفور، أو من آنس أي: أبصر أي يُرى خلاف الجن، أو آنس منه رشداً، وقيل من النسيان وهذا بعيد.

٢ ـ البشر: من البَشَرة و ظاهر الجلد، أي: جلده ظاهر، بخلاف مخلوقات أخرى عليها وبر أو صوف.

٣ ـ بنو آدم: أي أولاد آدم عليه السلام.

٤ ـ الناس: قد يكون من الإنس أومن الجن. وجمع إنسان هو: أناسي وناس. قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء:٧١] أي: كل مجموعة، وأصل كلمة الناس: أناس، فلما سكنت الهمزة أدغمت اللام كما قيل:(لكنّا) وأصلها: لكن أنّا.

والناس يقع على الأحياء والورى، الأحياء منهم دون الأموات.

٥ الخلق: مصدر سمي به المخلوقات.

الاستعمال القراني لهذه المصطلحات:

١ـ البشر: يستعملها القرآن عند ذكر التساوي وعدم المفاضلة بينهم، والناس متساوون في البشرية مختلفون في الإنسانية.

٢ـ الإنسان: عند التنبيه على أصله ونهايته ومصيره وموقفه من منهج الله قال تعالى:

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٦ ﴾ [الإنفطار:٦].

ـ ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ [مريم:٦٦].

ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان:١].

٣ـ بنو آدم: عندما يذكرنا الله ما وقع لأبينا آدم عليه السلام مع إبليس فنتعظ من ذلك، وكذلك في مقام التكريم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧].

ـ ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ [الأعراف:٢٦].

ـ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١].

ـ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف:٣٥].



رابعاً ـ تناسب افتتاح السورة وخاتمتها:

قال في أول السورة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.

وقال في آخر السورة:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

١ ـ فقد قال في أول السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وقال في آخرها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾.

فقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني أنه بشر مثلهم،

والكتاب الذي ذكره في أول السورة في قوله: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو ما يوحى إليه وهو ما ذكره في آخر السورة بقوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾.

٢ ـ وذكر الإنذار والتبشير في أول السورة وذلك قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾.

وكذلك ذكر الإنذار والتبشير في أواخرها.

فقال منذرًا: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾.

وقال مبشرًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾. فبدأ بالإنذار والتبشير وختم بهما وبين عاقبة المنذرين والمبشرين. والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف
المهندس مثنّى محمّد هبيان

قدّم له:
د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلّد الثامن

من بداية سورة مريم وحتّى سورة النور

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة مريم

أولاً ـ تناسب خواتيم الكهف مع فواتح مريم:

١ ـ قال في أول سورة مريم:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم:٢].

وقال في خواتيم الكهف:

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف:٩٨].

فذكر في مريم رحمته بعبد من عباده، وذكر في الكهف رحمته بخلق كثير من عباده.

٢ ـ قال في خواتيم الكهف:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف:١٠٩].

وما فعله ربنا مع زكريا إنما هو من كلماته سبحانه.

وما فعله مع مريم إنما هو كلمة من كلماته سبحانه، وقد سمى ربنا عيسى بن مريم كلمة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥].

٣ ـ إنّ مناسبة سورة مريم لسورة الكهف على العموم ظاهرة.

فقد قال في بداية سورة مريم: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم:٢].

وذكر في الكهف أموراً عدة من رحمته سبحانه لعباده:

أ ـ فقد رحم المساكين أصحاب السفينة.

ب ـ ورحم الأبوين المؤمنين فأبدلهما خيراً من ولدهما زكاة وأقرب رحماً.

ج ـ ورحم الغلامين اليتيمين بحفظ كنزهما .

د ـ ورحم القوم الضعفاء من هجمات يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض .

وقال ذو القرنين في السد الذي صنعه: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[الكهف:٩٨] .

هـ ـ ورحم الفتية أصحاب الكهف فحفظهم ورعاهم .

فسورة الكهف في رحمة عباده المؤمنين وسورة مريم في رحمة عبد من عباده .

ومن طريف التناسب بين السورتين :

أنه ذكر في سورة الكهف فرار الفتية من قومهم والتجاءهم إلى الكهف لئلا يطلعوا عليهم .

وفي سورة مريم ذكر التجاء مريم إلى جذع النخلة في مكان بعيد عن الناس لئلا يطلعوا على ما هي فيه .

فكلتا الحالتين ابتعاد عن قومهم والتخفي عنهم .

ونهاية الحادثين بأمر عجيب غريب .

فالفتية خرجوا بعد نومهم ثلاثمائة سنين وتسعاً .

ومريم جاءت بولد من غير أب .

جاء في «البحر المحيط» في مناسبة الكهف لمريم: مناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمّن السورة قبلها قصصاً عجباً كقصة أهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين .

وهذه السورة تضمنت قصصاً عجباً ولادة يحيى بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقر، وولادة عيسى من غير أب .

فلمّا اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك.



ثانياً ـ هدف السورة: أهمية توريث الدين للأبناء:

فطر الله تعالى الخلق على حبّ الأبناء، ولكنه كما في كل الرزق الذي يرزقنا به يجب أنْ نستعمله في طاعة الله ومرضاته، والله تعالى يريد من عباده أنْ يجعلوا أولادهم حفظة للدين حتى تتوارثه الأجيال كما نورث أبناءنا المال من بعدنا، فحبّ الأبناء أمر فطري، ولكنْ للذرية هدف أسمى من المتعة الفطرية بهم ألا وهو حفظ الدين للأجيال؛ ولذا فإنّ أكثر كلمتين تكررتا في السورة هما (الولد والوراثة).

* **وراثة الدين**: تبدأ هذه السورة المكية بالحديث عن وراثة الدين التي تمثلت في دعوة سيدنا زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ٥ - ١٢] والسبب الذي من أجله طلب زكريا الولد هو ليرث الرسالة والكتاب، كما هي الحال في آل عمران، فزوجة عمران وهبت ما في بطنها لله، وزكريا يريد ابناً يرث الدين من بعده ومريم وعيسى ثم إبراهيم وإسحق ويعقوب ثم إسماعيل وأولاده فكل هؤلاء آباء ورّثوا أبناءهم هذا الدين، فالأمر واضح وصَدَقَ سيدنا زكريا ربَه بدعائه فاستجاب له تعالى بأنْ وهبه سيدنا يحيى الذي آتاه الحكم صبياً .

* **عيسى عليه السلام:** النموذج الثاني في السورة هو سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم:٣٠] ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم:٣٢] وجاءت كلمة البَر على لسان عيسى عليه السلام ويحيى عليه السلام، وهذا لأنّ أهلهم ربّوهم ليرثوا هذا الدين فكان الأبناء بارّين بأهلهم، وهذا دليل حسن الخلف لخير السلف.

* **إبراهيم عليه السلام:** قصة إبراهيم الخليل هي نموذج عكسي لما سبق إذ إنّ إبراهيم هو الذي كان ينصح أباه المشرك برفق وأدب ورقة وتكررت كلمة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أربع مرات، وعندما لم يستجب له أبوه واعتزلهم وهب الله تعالى له إسحق ويعقوب ليكونوا من ورثة دينه الحنيف: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم:٤٩].

ثم تصل الآيات إلى **سيدنا إسماعيل:** ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم:٥٥] وكيف كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة.

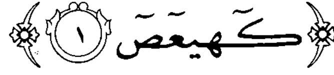
* **التعقيب:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨] وتذكر الآية الذرية الصالحة الذين يتوارثون الدين والرسالة جيلاً وراء جيل، ونلاحظ تكرار كلمة ﴿ذُرِّيَّةِ﴾ ويأتي مقابل هذا الإرث من لم يطبق هذا الأمر: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩] كيف سيحلّ عليهم عذاب الله، ونرى بديع

سياق الآيات القرآنية وكأنها بناء متماسك يطلب توريث الأبناء الرسالة والمنهج الحق ويعرض عقوبة الذي يخالف هذا المنهج.

ومن سياق الآيات نلاحظ أن ثلاثة أرباع السورة تقريباً تحدثت عن حاجة البشر للولد ونماذج مختلفة بأسلوب رقيق، فجاءت فواصل الآيات رقيقة عذبة؛ لأنّ الولد نفسه يمثل الرقة والحنو والعطف، وقد وردت كلمة (الرحمن) في السورة ١٦ مرة، أمّا في الربع الأخير من السورة فجاءت الآيات تنفي حاجة الله تعالى للولد وهو خالق الخلق كلهم، وجاء أسلوب الآيات قاسياً وفواصل الآيات شديدة؛ لأنّ هذا الأمر تخرّ الجبال له وتكاد السموات يتفطرن وتنشق الأرض منه، فالله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد لا إله إلا هو لا شريك له وما اتخذ صاحبة ولا ولداً سبحانه وتعالى عما يقولون ويفترون.

* **سميت السورة بـ** (مريم): تخليداً لمعجزة خلق إنسان بلا أب؛ ولأنّ الأم التي تمثلت في مريم عليها السلام هي المؤسسة والمورثة الحقيقية للأبناء وهي تمثل نموذجاً للمصاعب والمحن التي يواجهها توريث الدين للأبناء، وهي سيدة نساء العالمين الطاهرة العذراء البتول.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة:



السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

ما دلالة السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها مباشرة ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب :

١ـ هذه الظاهرة موجودة في خمس سور تبدأ بالأحرف المقطعة وليس وراءها مباشرة لا ذكر قرآن ولا ذكر كتاب، لكن عندما تتلو السورة كاملة ستجد في داخلها ذكراً للكتاب والقرآن أو الكتاب وحده أو القرآن وحده أو الذكر.

٢ـ كذلك فإنّ جميع السور التي تبدأ بحروف مقطعة في نهايتها كلام عن القرآن فكأنها تأخذ الأول والآخر، في البداية (ألم) وفي الآخر كلام عن القرآن أو الذكر أو حديث عن الكتاب الذي أُنزل على الرسول ﷺ فيكون جمعاً بين الاثنتين.

٣ـ وعندما يكون عندنا ٢٩ موضعاً، ٢٤ منها بهيئة معينة، والخمسة الباقية تكون محمولة على الكثير وتُفهم من خلال الكثير. وعندما يكون عندي مجموعة من الطلبة

يقرأون القرآن تقول للأول: ابدأ، فيقرأ فتلتفت إلى شخص آخر، وتقول له: يا زيد أكمل، فيُكمِل، ثم تلتفت لآخر وتقول: يا عمرو أكمل، فيُكمِل، فلو استعملت يا فلان أكمِل ٢٤ مرة ألا يسعك بعد ذلك أن تقول: يا فلان، ويفهم أنه أكمِل؟! لا تقول له: يا فلان أكمِل؛ لأنك قلتها ٢٤ مرة، فتكتفي أنْ تقول: يا فلان فيعلم من ذلك.

وعندما يكون ٢٤ موضعاً فيها بعد الأحرف المقطعة ذكر القرآن أو الكتاب، فهذه الخمسة تابعة لها ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك أنّ القرآن أو الكتاب ذُكِر في داخل السورة وأنه جاء في الآخر.

والسور الخمسة هي:

١ - **سورة مريم:** ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم:١-٢] قد يقول قائل: إنّ الآية ليس فيها ذكر الكتاب وإنما ذكر الرحمة، لكنْ عندما نمضي في السورة نجد ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦﴾ [مريم:١٦] ذكر الكتاب وفي نهاية السورة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ۝٩٧﴾ [مريم:٩٧] ما الذي يسّره بلسانه؟ واضح أنه القرآن، إذن ختمت السورة بكلام عن القرآن.

٢- **سورة العنكبوت:** ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت:١-٢] لم تذكر الكتاب والقرآن مباشرة، لكنْ عندما نمضي نجد أنه يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العنكبوت:٤٧-٤٨] وفي نهاية السورة ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا

جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت:٦٨] ما الحق الذي جاء به الله للناس؟ القرآن. إذن إشارة إلى القرآن.

٣- **سورة الروم:** ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم:١-٢-٣] لا يوجد قرآن ولا كتاب، و عندما نمضي نجد فيها ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم:٢٨] وفي الختام ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الروم:٥٨] .

٤- **سورة الشورى:** ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الشورى:١-٢] بعدها مباشرة ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الشورى:٣] ماذا يوحي؟ يوحي القرآن، ومع ذلك يقولون لم يذكر قرآن ولا كتاب. وإذا جئنا إلى نهاية السورة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] فذكر الكتاب.

٥- **سورة نون:** ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم:١] ذكر القلم مباشرة ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم:١] وفي الداخل ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم:١٥] وفي الآخر ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾﴾ [القلم:٥١]. ماذا سمعوا؟ الذكر، والذكر هو القرآن.

فإذن السور الخمس جاء في داخلها القرآن، وختمت بكلام عن القرآن أو الكتاب إمّا صريحاً وإما بإعادة الضمير، أو استعمال الذِكر، فإذن رَبَطَ الأول والآخر.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾

السؤال الأول :

ما طابع سورة مريم بشكل عام؟

الجواب :

قد تُطبع السورةُ كلها بطابع الافتتاح، وليس السياق الذي تقع فيه الآية فحسب، ومن هذا النوع من السور سورة مريم، فهي تبدأ بالرحمة ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ ولا تقتصر الرحمة على السياق الذي وقعت فيه الآية، بل إنّ السورة كلها تفيض بالرحمة، وألفاظ الرحمة تشيع فيها من أولها إلى آخرها .

١ـ فقد قالت مريم لرسول ربها الذي تمثل لها بشراً سوياً: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ [مريم:١٨] فقد استعاذت بالرحمن ليرحمها ويقيها من السوء، ولم تقل: أعوذ بالله كما فعل موسى حين قال لقومه: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝٦٧﴾ [البقرة:٦٧]؛ وذلك أنّ السياق في سورة البقرة سياق عقوبة ومسخ وتنكيل، فلا يناسب الرحمة؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ۝٦٥ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٦٥-٦٦] .

٢ـ في سورة البقرة تكرر لفظ (الرحمن) مرة واحدة، وتكرر لفظ (الله) ٢٨٢ مرة، بينما تكرر لفظ الرحمن ١٦ مرة في سورة مريم.

٣ـ قال الله في عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ﴾ [مريم:٢١] .

٤ـ وقالت مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:٢٦] .

٥ـ وقال إبراهيم لأبيه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم:٤٤].

٦ـ ثم قال له في عبارة كلها رحمة: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم:٤٥] .

ولم يقل (عذاب من الله)، وكما ذكر (المس) ناسب ذلك ذكر (الرحمة) بخلاف قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٤٧ : ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ فترى الفرق واضحاً بين التعبيرين، وهذا نظير ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم:١٨] ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ .

٧ـ وذكر رحمته لإسحاق ويعقوب فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم:٥٠] وذكر رحمته لموسى فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣] .

٨ـ وقال في وصف من أنعم عليهم من خلقه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨] .

٩ـ وذكر جنته التي وعدها عباده المتقين، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١] .

١٠ـ ثم ذكر أنه ليحضرنّ العتاة حول جهنم فقال: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ [مريم:٦٩] .

١١ـ وهدّد من كان في الضلالة وتوعده قائلاً: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥] .

١٢ـ وذكر الذي كفر وزعم أنه سيؤتى مالاً وولداً، فقال فيه: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨﴾ [مريم:٧٨] .

١٣ـ وذكر المتقين فقال: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم:٨٥] .

١٤ ـ وذكر من يُظن فيهم أنهم يملكون الشفاعة فقال: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم:٨٧].

١٥ـ ثم ذكر من زعم أنّ الله اتخذ ولداً فقال: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾ [مريم:٨٨].

١٦ ـ وردّ عليهم بقوله: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٣]

ثم قال في خاتمة السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦].

وهكذا تبتدىء السورة بالرحمة وتنتهي بالرحمة ويشيع فيها الرحمة وتستأثر باسم (الرحمن)، فلا تدانيها في ذلك سورة من السور، والله أعلم .

السؤال الثاني :

هل لكتابة كلمة ﴿رَحۡمَةٌ﴾ ﴿رَحۡمَتِ﴾ بهذه الطريقة دلالة معينة في المصحف.

الجواب :

١ـ كل من يريد أنْ يرسم المصحف يرسمه نقشاً على ما رسمه الصحابة الأولون؛ لأنّ هذا إجماع الأمة، وليس هناك في الأمة من يفتي بكتابة المصحف بالرسم الإملائي الحالي.

٢ـ لو نظرنا إلى الآية ٩٨ من سورة الكهف ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف:٩٨] نجدها مرسومة بالتاء المربوطة، ولو نظرنا بعدها بأسطر في سورة مريم ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾ [مريم:٢] نجدها مرسومة بالتاء المفتوحة.

٣ـ لفظة ﴿رَحْمَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء ٧٢مرة وبالتاء ﴿رَحْمَتِ﴾ ٧ مرات.

لمزيد من المعلومات، انظر آية آل عمران ٣٥.

٤ـ من حيث الرسم المصحفي إذا وقفنا عليها بالهاء نرسمها بالتاء المربوطة، وفي رسم المصحف قول فصل: رحمة ورحمت.

السؤال الثالث :

المطلوب مقارنة قصة زكريا عليه السلام في سورة مريم في الآيات (٢ـ١١) وفي سورة آل عمران في الآيات (٣٨ـ٤١)؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات آل عمران(٣٨ـ٤١).

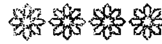
﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾

السؤال الأول:

كيف جمع بين النداء وبين كونه خفياً في آية مريم ٣؟

الجواب:

النداء هنا بمعنى الدعاء، وإنما أخفاه ليكون أقرب إلى الإخلاص، أو لئلا يلام على طلبه الولد بعد الشيخوخة، أو لئلا يعاديه بنو عمه ويقولوا: طلب الولد؛ لأنه كره أنْ نقوم مقامه من بعده.



﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين العقيم والعاقر؟

الجواب:

١ـ كلاهما امتناع الحمل أو الإنجاب، هذا هو الأصل، وهذا كتاب الله بلغة العرب، لكنْ انظر إلى هذا العلوّ الذي لا تكاد تجده في لغة أخرى.

٢ـ لو أخذنا أحرف الكلمتين: (عين وقاف) وبعدهما إمّا ميم أو راء، كيف ننطق الراء؟ الفم مفتوح والراء يتكرر، والميم: الفم مقفل ومجرى النطق الطبيعي أُغلق ويخرج

الصوت من الأنف غنّة، ويقول العلماء: لقحت الناقة عن عُقر، يعني يمكن الناقة أنْ تكون عاقراً ثم ينالها الحمل، إذن العقر قد يعقبه حمل عند العرب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ [مريم:٥] قال: عاقرًا، أي يمكن أنْ تحمل، فهو دعا الله عز وجل، وكان يتوقع أنْ يستجيب الله تعالى له، لكنْ مع ذلك فوجيء بالاستجابةً.

٣ـ العقم: هو الداء الذي لا يُبرأ منه، ورحمٌ معقومة، أي: مسدودة في اللغة لا تنفتح ولا تلد. ويقال: ريح عقيم لا تلقح سحاباً ولا شجراً،ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لايوم بعده، فإذن كلمة (العقم) تطلق على مالا نتيجة من ورائه، لكنهم الآن يستعملون معالجة العقم، وهذا استعمال محدث ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى:٤٩-٥٠]أي ليس هناك مجال للإنجاب.

السؤال: هل كانت امرأة إبراهيم عاقراً أو عقيماً؟

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات:٢٩] ما قالت: عجوز عاقر، مع أنها بُشّرت بغلام.

هي جاءت في صرة، أي: في صيحة أو ولولة وضربت وجهها كأنها تستحي على كِبر سِنّها، وقالت: عجوز عقيم؛ لأنهاعند نفسها من التجربة التي مرت بها إلى أنْ بلغت مرحلة الشيخوخة هي عقيم؛ لأنّ قولها: (عاقر) كأنها كانت تتأمل فى الإنجاب، ولكنها قطعت الأمل تماماً، ولو قالت (عاقر) لكان الكلام غير سليم .

هل كانت زوجة إبراهيم تتحدث اللغة العربية؟ القرآن ليس ترجمة حرفية لكلام من يروي عنهم، وإنما هو صياغة جديدة بالأسلوب العربي لِما وقع ولذلك تأتي العبارات مختلفة بحسب السياق لواقعة واحدة بحسب سياقها وبحسب الآيات الواردة فيها.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الزوجة والمرأة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٣٠.



﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا عدّى الفعل الأول بنفسه ﴿يَرِثُنِي﴾ وعدّى الفعل الثاني بحرف الجر ﴿وَيَرِثُ مِنْ﴾؟

الجواب :

يقال: ورثه وورث منه، فجمع بين اللغتين، وقيل: ﴿مِنْ﴾ هنا للتبعيض لا للتعدية؛ لأنّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء.



﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم:٧]؟

الجواب :

الله عز وجل بشّره بالغلام وسماه اسماً وهو ﴿يَحْيَىٰ﴾ ؛ ليدلّ على أنه سيعطيه حياة موصولة، فحين تسمي ولدك (ذكي) تتفاءل أنْ يكون ولدك ذكياً، أو (نبيل) تفاؤلاً أن يكون نبيلاً.

لكن أتملك أنت أنْ تحقق رغبتك هذه؟ !!! بالطبع لا.

قال الشاعر :

وسميتُه يحيى ليحيا فلم يكن لرد قضاء الله فيه سبيلُ

نعم أنت سميتَ، لكنك لا تهب الحياة؛ لأنّ واهب الحياة هو الله تعالى فإذا سمّى الله (يحيى) فلا بدّ من أنْ يحيا حياة موصولة؛ لذلك مات سيدنا يحيى شهيداً لتتصل حياته الدنيا بحياة الآخرة، وليحقق فيه ما أراده الله.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة (ولد وغلام) واستخدام الفعل (يفعل ويخلق) في قصتي زكريا ومريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ﴿عِتِيّٗا ٨﴾ ما كلمات منظومة الظلم والاستعلاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الطغيان والعتو والظلم والجور؟

الجواب :

١ـ الطغيان: هو مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾[الحاقة:١١] أي: تجاوز حده حتى علا كل شيء وارتفع فوقه، فكأنه غلب كل شيء.

٢ـ العتو: هوالمبالغة في المكروه دون الطغيان، وكل مُبَالغٍ في كبرٍ أو كفرٍ أو فسادٍ فقد عتا فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾ [مريم:٨] وقوله: ﴿بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦﴾ [الحاقة:٦] أي مبالغة في الشدة وقوله تعالى: ﴿عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق:٨] أي أنّ أهلها تكبروا على ربهم فلم يطيعوه.

٣ـ الجور: هو خلاف الاستقامة في الحكم، يقال: جار الحاكم إذا فارق الاستقامة، والجور: هو العدول عن الحق.

٤ـ الظلم: هو ضرر لا يستحقه صاحبه ولا يعقبه عوض سواء كان من سلطان أو حاكم أو غيرهما.

ونقيض الظلم الإنصاف، ونقيض الجور العدل.

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمة ﴿عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ ؟

الجواب :

معلومات عددية :

جاءت كلمة ﴿عَتَوْا﴾ بصيغة الفعل في أربعة مواطن في القرآن الكريم وهي: [الأعراف ٧٧ الأعراف ١٦٦ الفرقان ٢١ الذاريات ٤٤].

كما جاءت الصيغ التالية في القرآن الكريم :

- صيغة ﴿عُتُوٍّ﴾ في موطن واحد في قوله تعالى: ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [المُلك:٢١] .
- صيغة ﴿عُتُوًّا﴾ في موطن واحد في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان:٢١] .
- صيغة ﴿عِتِيًّا﴾ في الموطنين [مريم ٨ ـ٦٩].
- صيغة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ في موطن واحد في قوله تعالى: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة:٦] .

المعنى اللغوي :

أ- عتا يعتو عُتواً وعِتياً: بمعنى استكبر وجاوز الحد، وهو أيضاً بمعنى التجبر والتكبر.

والعتي: هو شديد الفساد المتمرد، الذي لا يُغالب ولا يقبل موعظة ولا نصيحة، وقيل: العتو هو الكفر.

ب ـ وعَتا الشيخ ـ بفتح العين ـ: أسنّ وكَبُرَ، ويقال: عتا يعتو وعسا يعسو عسواً وعسياً، والعاسي: هو الذي غيّره طولُ الزمن إلى حالِ البؤس ويقال: ليلٌ عاتٍ، أي: شديد الظلمة.

وفي الحديث الشريف: «**بئس العبدُ عبدٌ عَتَا وطغى**» .

والعلاقة بين المعنيين: الطغيان وكبر السن، أنّ كليهما صعبُ المقاومة فالعتي يصعب مقاومته، وكذلك الكِبَرُ الذي هو رمزٌ للضعف والشيخوخة لا يقدر أحدٌ على مقاومته أو دفعه مهما احتال عليه بالأدوية والعقاقير.

إضافة إلى أنّ العتو هو تجاوز الحد في الطغيان، وهو أيضاً تجاوز الحد في زمن العمر، فكلاهما تجاوز في الحد.

ج ـ ومعنى آية مريم ٦٩ :﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾[مريم:٦٩] أنه في يوم القيامة يُؤتى بهؤلاء الطغاة الجبارين أمام تابعيهم حتى يرونهم أذلاء صاغرين، وقد كانوا في الدنيا طغاةً متكبرين، فيبدأ الله بهم بالعذاب ليرى التابعون مصارع المتبوعين ويشهد الضعفاء مصارع الأقوياء فينقطع أملهم في النجاة، كما جاء في

القرآن عن فرعون وقد بلغ قمة الطغيان والجبروت حيث ادعى الألوهية، فقال عنه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨] فهو قائدهم إلى جهنم كما كان قائدهم إلى الضلال في الدنيا.



﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا الاختلاف في التعبيرين التاليين:

في سورة الإنسان ورد قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان:١]

وفي سورة مريم ورد قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم:٩]؟

الجواب:

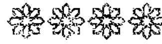
١ـ في سورة الإنسان إشارة إلى تطور مراحله، فقد خلق الله الإنسان من لا شيء فكان شيئاً ولم يكن مذكوراً، ثم من نطفة أمشاج، ولو لم يقل: (مذكوراً)؛ لأفاد أنه قفز فوق المرحلة المتوسطة.

٢ـ في سورة مريم: الآيات هي خطاب لزكريا عليه السلام عندما دعا ربه ليهب له غلاماً فقال تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ فتعجب سيدنا زكريا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ فقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم:٩] أي: أنّ الله تعالى خلقه ولم

يكن شيئاً أصلاً، ولو قال: شيئاً مذكوراً لم تظهر قدرة الله تعالى؛ لأنها ستفيد أنه كان شيئاً لكنه لم يكن مذكوراً .

إضافة إلى بيان أنّ الخلق من أبوين أيسر عند الله من الخلق من العدم أي: خلقه من العدم، وكله عند الله تعالى سهل، لكننا نتحدث من منطق البشر.

٣ـ العموم يدل على القدرة الكبرى، ولو قال في سورة مريم :(شيئاً مذكوراً) فلن تؤدي المعنى المطلوب، وهذا أدل على القدرة .



﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق التعبيري والبياني بين قصة زكريا عليه السلام في سورتي مريم وآل عمران؟ ولماذا جاء في إحداهما (ثلاث ليال) وفي الأخرى (ثلاثة أيام)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٤١.

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم:١٢] ماذا آتاه الله؟ هل الحكم هو النبوة أو آتاه شيئاً آخر؟

الجواب :

الحُكم هو الحكمة ويحيى عليه السلام من صِغره كان حكيماً.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ ما دلالة الظرف (لدن)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٨



﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (سلام) و(السلام) في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم:١٥] و ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم:٣٣]؟

الجواب :

١ـ (السلام) معرفة، والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، والأصل في النكرة العموم. إذن كلمة (سلام) عامة، وكلمة (السلام) في أمر معين.

وعندما نقول رجل، يعني: أيّ رجل، وعندما نقول: الرجل، أقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس، والأصل في النكرة العموم والشمول.

إذن ﴿ سَلَٰمٌ﴾ أعم؛ لأنها نكرة .

٢ـ وربنا سبحانه وتعالى لم يجي إلا بالتنكير في القرآن كله، مثل ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات:٧٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات:١٠٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات:١٢٠]، حتى في الجنة ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[يس:٥٨]، حتى الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣] فربنا تعالى لم يجيّ إلا بالتنكير؛ لأنه أعم وأشمل لكل السلام، فلا يترك منه شيئاً.

٣ـ قوله تعالى في آية مريم ١٥ :﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ هذه تحية ربنا على يحيى وأمّا الآية الأخرى٣٣ فعيسى عليه السلام سلّم على نفسه وليس من عند الله سبحانه وتعالى، فـ(سلام) نكرة من قبل الله تعالى، و(السلام) من عيسى عليه السلام وليس من الله تعالى، والتعريف هنا ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ﴾ أفاد التخصيص.

٤ـ لم يحيِّ الله تعالى عباده المرسلين بالتعريف أبداً، وجاء كله بالتنكير سواء في الجنة أو لعباده، وتحية سيدنا يحيى عليه السلام هي من الله تعالى لذا جاءت بالتنكير أيضاً، أمّا تحية عيسى عليه السلام فهي من نفسه فجاءت بالمعرفة.

وهناك أمر آخر وهو أنّ تحية الله تعالى أعمّ وأشمل، وعيسى عليه السلام لم يحَي نفسه بالتنكير تأدباً أمام الله تعالى فحيّا نفسه بالسلام المعرّف.

السؤال الثاني:

ما دلالة استخدام الفعل المضارع (يموت) في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٥]؟

الجواب:

١ـ الكلام عن يحيى عليه السلام، قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥] (يموت): فعل مضارع، نحن نعلم عندما قال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم: ٣٣] هو لم يمت ميتة البشر، وإنما ميتة نقل إلى السماء.

٢ـ هذا يتعلق بشيء في اللغة يسمونه: (حكاية حالٍ ماضية)، مثلاً عندما أقول: تكلم أبي معي وقال: إنه سيصنع كذا وسيقول: كذا، وذلك قبل وفاته فأنت تنقل الحال الماضية في حال المضي في واقعه عندما كان يتحدث في ذلك الوقت.

٣ـ يحيى عليه السلام في الماضي قيل عنه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٥] ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ لأنه كان مولوداً وكان حياً، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾، الكلام في

الماضي عن إنسان كان حيّاً، ويحكون حال الإنسان في الماضي ففيه مجال للفعل المضارع وفعل الأمر، كما تقول: قال أبي: افعلوا هذا ولا تفعلوا هذا، وهو يوصينا عند وفاته.

٤ـ و كذلك الكلام بالنسبة لعيسى أيضاً ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم:٣٣] القول وهو حيّ، وهو قطعاً لم يُصلب ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء:١٥٧] وحسب الحديث الصحيح «**أنه سينزل آخر الزمان يقيم الناس على دين محمد** ﷺ».

ودلالة كلمة ﴿حَيّٗا﴾ مع البعث: فيه نوع من التوكيد على أنّ هذا الموت وراءه حياة، بعثه بمعنى: أخرجه، قد يقال: أخرجه ميتاً من قبره، لكن بعثه حيّاً، أي: أعاد إليه حياته.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم:١٥]؟

الجواب :

الكلام هنا عن سيدنا يحيى عليه السلام، وفي حياة كل إنسان ثلاثة أعلام وهي: الميلاد، الموت، البعث.

ويحيى عليه السلام قد خصه الله تعالى بالسلام يوم مولده؛ لأنه وُلد على غير العادة فأمه عاقر قد أسنت، ومع ذلك لم تتعرض لألسنة الناس ولم يعترض أحد على ولادتها؛ لأنّ ماحدث لها كان آية من آيات الله تعالى، وقد بشّر الله بها زكريا عليه السلام لتكون البشرى إعداداً ومقدمة لهذا الحدث العجيب.

وخصّه الله بالسلام يوم يموت؛ لأنه سيموت شهيداً، والشهادة غير الموت، الشهادة تعطيه حياة موصولة بالحياة الأبدية الخالدة .

وكذلك خصّه بالسلام يوم القيامة حين يبعث حياً، وكلمة (حياً) فيها نوع من التأكيد على أنّ هذا الموت وراءه حياة.

وجاء الفعل ﴿يَمُوتُ﴾ بصيغة المضارع حكاية عن الحال الماضية، وفي حكاية الحال مجال للفعل المضارع وفعل الأمر، كأن تقول: تكلم معي أبي قبل وفاته لأعمل كذا أو طلب منا أن افعلوا كذا .



﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الروح والنفس؟

الجواب :

١ـ أنّ كلمة (نفس) أخصّ من كلمة (روح)، لكنْ كلمة (الروح) استعملها القرآن الكريم مفردة، ولم يستعملها مجموعة (أرواح)، بينما لدينا (نفس، أنفس، نفوس).

٢ـ معاني كلمة (الروح) في القرآن جاءت في قضايا الغيب في المسائل الغيبية:

أـ جاءت في معنى الكيان المجهول في الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[الإسراء:٨٥].

ب ـ والمعنى الثاني لها هو الوحي: إما المَلَك أو الكلمات الموحى بها وهي تنزل غيباً إلى أنْ تكون شهادة بعد ذلك، و (الروح) هو جبريل يعبّر عنها إمّا بروح القدس أو الروح ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧﴾ [مريم:١٧]، أو كلمات الوحي ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] والمقصود الكتاب.

النفس معانيها كثيرة جداً، ومن معانيها الروح، وأراد أنْ يخصص كلمة الروح لهذا الغيب.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ – الحجاب :هو الساتر، وقد يكون حجاباً مفرداً، وقد يكون حجاباً مركباً كالستائر المكونة من طبقتين فيكون الحجاب نفسه مستوراً، كما قال تعالى في آية الإسراء ٤٥: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥].

٢ـ الروح في القرآن لها إطلاقات متعددة: الروح للجسد ـ القيم ـ جبريل عليه السلام ـ وهو المعني هنا في الآية.

٣ـ لماذا جاء سيدنا جبريل عليه السلام في صورة بشرية؟

والجواب: لأنهما سيلتقيان، ويستحيل أنْ يلتقي المَلَكُ بمَلَكيته مع البشر ببشريته، فلكلٍّ منهما قانونه الخاص الذي لا يناسب الآخر، ولا بدّ في لقائهما أنْ يتصور المَلَك في

صورة بشر أو يُرقّى البشر إلى صفات الملائكة كما رُقيّ محمد ﷺ إلى صفات الملائكة في حادثة الإسراء والمعراج، ولا يتم الالتقاء بين الجنسين إلا بهذا التقارب.

لذلك لمّا طلب الكفار أنْ يكون الرسول ملَكاً رد عليهم الحق: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ۝٩٥﴾[الإسراء:٩٥] وقال أيضاً: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾[الأنعام:٩].



﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

(أعوذ) أي: ألتجئ وأعتصم بالله منك، والمؤمن هو الذي يحترم الاستعاذة بالله ويقدّرها، فإنْ استعذت بالله أعاذك، وإنْ استجرت بالله أجارك.

وقول مريم: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨﴾؛ لأنّ المؤمن هو الذي يخاف الله ويحترم الاستعاذة، وكأنها قالت: إنْ كنت تقياً فابتعد عني وقد لجأتْ إلى الرحمن الذي يحميها ويحرسها منه رحمة بها وبضعفها.

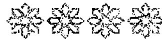
ولذلك أجابها في الآية التالية: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾، ولم يقل :رسول الله لأنّ الرب هو المتولي للتربية والحماية.

السؤال الثاني:

أكد بـ (إنّ) في آيات غافر٢٧، والدخان ٢٠، وهود ٤٧، ومريم ١٨، وآل عمران ٣٦، ولم يؤكد بـ(إنّ) في البقرة٦٧، والمؤمنون ٩٧، والمعوذتين فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٦.



﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل هناك قراءة أخرى في (لأهب)؟

الجواب:

إنّ من ينظر إلى نسخ المصحف الإمام مجتمعة يجدها مشتملة على الأحرف السبعة، ويجدها مبثوثة فيها؛ ذلك لأنّ الصحابة الذين كتبوا المصحف الإمام نسخوا عنه مصاحف متعددة، وجعلوها متفاوتة في الحذف والإثبات والنقص والزيادة؛ لأنهم قصدوا اشتمالها على الأحرف السبعة، وربما كتبوا اللفظ الواحد صالحاً لها جميعاً وربما تخالفت المصاحف تبعاً لتخالف القراءات.

وتشتمل هذه المقدمة على ثلاثة أمور:

١ـ صلاح الرسم للقراءتين: نحو ﴿فَكِهِينَ﴾ فتقرأ: ﴿فَكِهِينَ﴾ و ﴿فَاكِهِينَ﴾

٢ـ اقتصار الرسم على إحدى القراءتين : فترسم الكلمة صالحة للقراءة المغلبة، كما في كلمة (الصراط) في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة:٦] وقوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم:١٩] مع أنه قرىء بالياء (ليهب) .

٣ـ القراءات المختلفة بزيادة لا يحتملها الرسم.

ويظهر هنا اختلاف القراءة اختلافاً واضحاً بزيادة حرف لا يصلح رسم الكلمة معها للقراءة الثانية، فكتبت في بعض المصاحف العثمانية على قراءة وفي مصحف عثماني آخر على قراءة ثانية .

* شواهد قرآنية :

﴿وَوَصَّىٰ﴾ / (أوصى) .

﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ / ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ / ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾

(ما عملت أيديهم) / ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة (ولد) و(غلام)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ وهو عيسى عليه السلام، ما الصيغ التي جاءت في القرآن الكريم لاسم المسيح عليه السلام؟ وهل هناك لطائف عددية في الآية؟

الجواب :

١ـ في القرآن الكريم جاءت ست صيغ لاسم المسيح عليه السلام، وهذه الصيغ هي :

الصيغة	جمّل هذه الصيغة
عيسى	١٥٠
المسيح	١٤٩
ابن مريم	٣٤٣
عيسى ابن مريم	٤٩٣
المسيح ابن مريم	٤٩٢
المسيح عيسى ابن مريم	٦٤٢
المجموع	٢٢٦٩

٢ـ ما الآية التي ترتيبها ٢٢٦٩؟

والجواب :

إنها الآية ١٩ من السورة ١٩، وهي الآية التي تتحدث عن البشارة بالمسيح عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم:١٩] .

٣ـ كم بقي من الآيات حتى نهاية المصحف؟

والجواب :

هو [٦٢٣٦ - ٢٢٦٩=٣٩٦٧]

وهذا الرقم ينطبق على جمّل الآية (٥٩) من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران:٥٩].

فتأمل!!



﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠﴾

السؤال الأول :

ما سر الاختلاف بين استخدام كلمة (غلام) في سورة مريم ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠﴾ [مريم:٢٠] وعلى لسان زكريا في سورة آل عمران ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٠] واستخدام كلمة (ولد) في سورة آل عمران ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران:٤٧] في قصة مريم عليها السلام؟

الجواب :

١ـ عندما تأتي الرواية وتذكر لنا فيها كلمة (غلام)، كما في الآية: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم:١٩] فهو يقول لها: سأهب لك غلاماً قطعاً، وهي تقول: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ .

ونفس الأمر بالنسبة لزكريا، كما في الآية: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾؛ لأنّ الكلمة كانت مكررة.

٢ـ الصورة الأخرى في سورة آل عمران أنّ الملائكة تبشرها ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾ [آل عمران:٤٥-٤٦]

وهنا أُدخل اسم الله والصورة واضحة، هناك قال: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ مهمتي أنْ أجعلك ذات غلام، فقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ مباشرة، لكنْ هنا قالت الملائكة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ [آل عمران:٤٥] فبشرتها وذكرت لها الله سبحانه وتعالى بكل صفاته، فقالت: ﴿رَبِّ﴾ فاختارت من أسماء الله سبحانه وتعالى الربّ والمربي بكل ما فيه من صفات الحنو والرعاية ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾ [آل عمران:٤٧]. والولد في اللغة للذكر أو الأنثى .

ومريم أصلاً مستغربة أن تكون أُمّاً بصرف النظر عن أنْ يكون هذا الذي سترزق به ذكراً أو أنثى، فقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران:٤٧] وهنا ما وردت كلمة غلام، وما قيل لها: غلام حتى ترد بكلمة غلام، وإنما الكلام عن المولود،

بُشّرت بمولود، وذُكِرت كلمة (المهد) والذي في المهد هو المولود حديثاً، فالمهد يناسبه الولد، والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال كلمة (بشر) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: ٢٠]؟

الجواب :

(المسّ) في اللغة هو اللمس باليد، كأنه لمس بالأطراف، ثم توسعوا فيه فقال: مسّه المطر، بمعنى: أصابه المطر، ومسّه طائف من الجن، بمعنى: أصابه، وعبّرت العرب بكلمة المسّ أيضاً عن المعاشرة الجنسية، فقالوا: مسّ المرأة بمعنى عاشرها، وهي لفظة مأنوسة تشير إلى المسّ.

فبدل أنْ تقول مثلاً - والكلام على لسان مريم عليها السلام - في غير تعبير القرآن- (وما جامعني أحد، وما عاشرت أحداً) قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ و(بشر) هنا خاصة بالإنسان .

ولو قالت :(ولم يمسسني أحد) فكلمة أحد عامة تصلح في الحيّ وفي غير الحيّ. والأحد أي: الواحد، فهي لن تقول: (أحد) وهي تريد المعاشرة، ولا يصلح لفظة (أحد) لأنه لفظ عام.

وكذلك لو قالت: (ولم يمسسني إنسان) فـ (إنسان) كلمة عامة أيضاً مثل بشر.

وكذلك لو قالت: (لم يمسسني رجل)، و (رجل) قد تعني أنه يمكن أن يكون مسّها شاب صغير؛ لأنّ الرجل مكتمل، إذن لا تصلح (أحد) هنا ولا (رجل) ولا(إنسان).

السؤال الثالث :

ما اللمسة البيانية في حذف نون (أكن) في قوله تعالى ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾؟

الجواب :

الحكم النحوي: عندما يكون الفعل (كان) مجزوماً ويليه حرف متحرك وليس ساكناً على أنْ لا يكون ضميراً متصلاً يجوز فيه الحذف (يمكن القول: لم يكن ولم يك) فتحذف النون تخفيفاً.

السبب البياني: على العموم الحذف في القرآن الكريم يوجد في مقام الإيجاز، وأيضاً إذا كان الفعل مكتملاً يأتي بالصيغة الكاملة و لا يُقتطع منه وإذا كان غير مكتمل يُقتطع منه.

وفى قوله في سورة مريم: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾حذف النون؛ لأنه ليس في مريم أدنى شيء من البغي، وليس هناك جزء من الحدث مطلقاً أصلاً.

السؤال الرابع :

متى نثبت النون؟ ومتى نحذفها في الفعل (أكن)؟ وما أهداف حذف النون في القرآن؟

الجواب :

حذف نون المضارع جائز بشروط، ولا يدخل في باب الوجوب، ومنها :

١ـ أنْ يكون الفعل مضارعاً مجزوماً وعلامة جزمه السكون تحديداً وليس حذف النون .

٢ـ أنْ يليه حرف متحرك لا ساكن على أنْ لا يكون هذا المتحرك ضميراً متصلاً.

أهداف حذف النون في القرآن :

١ـ عندما يكون النهي بأنْ لا يحصل من الأمر شيء ولو كان قليلاً بهدف تخفيف الأمر وتهوينه: آية النحل ١٢٧ .

٢ـ الإيغال في حصول النفي، نحو آية مريم ٢٠ ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي: لم يحصل شيء من هذا مطلقاً ولم يتم أصلاً، فهو نفي للأمر برمته.

٣ـ عند عدم اكتمال الفعل ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة:٣٧] فهذا في طور التكوين.

٤ـ للتصغير أو التحقير: كما في آية سورة لقمان ١٦، فقال أولاً ﴿تَكُ﴾ لأنه لم يذكر لها مكان، وعندما ذكر لها مكاناً واستقرت قال: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ فاستقرت النون.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية مريم ٢٠: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾ وفي آية ق ٣٨: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ ما الفرق بين أدوات النفي (ما ـ لم)؟ ولماذا اختلفت أدوات النفي في الآيتين؟

الجواب:

أولا: أدوات النفي هي :

[لم ـ لما ـ لن ـ ليس ـ ما ـ إنْ ـ لا ـ غير ـ لات ـ قل وقلما وأقل] .

لم: تنفي الفعل المضارع وتجزمه وتقلب زمنه إلى الماضي.

لمّا: تنفي الفعل المضارع وتجزمه وتقلب زمنه إلى الماضي المتصل بالحال: لمّا يحضر سعيد.

لنْ: تنفي الفعل المضارع وتخلصه للاستقبال، وهي لا تفيد التأبيد ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[مريم:٢٦]فقد قيّد عدم الكلام بيوم.

ليس: تدخل على الجملة الاسمية فتنفيها :

أ ـ تكون لنفي الحال عند الإطلاق (ليس أخوك حاضراً).

ب ـ وقد تكون للاستقبال ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[هود:٨].

ج ـ وقد تكون للاستمرار ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾[الحج:١٠].

د ـ وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١].

ما: تنفي الجملة الاسمية والفعلية.

الفرق بين (ما ولم) :

١ـ أنّ الماضي المنفي بـ (ما) يكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال، وأمّا (لم) فليست مقيدة بزمن من أزمنة الماضي.

٢ـ أنّ (ما) آكد من (لم)؛ وذلك أنها تقع جواباً للقسم بخلاف (لم) .

٣ـ أنّ (ما) كثيراً ما تكون رداً على كلام أو ما نُزّل هذه المنزلة.

٤ـ الفعل الماضي يدل على أنّ الأمر انقضى مثل: (كتبَ)، وأمّا المضارع فيدل على التكرار والتجدد مثل(يَكتبُ)، فإذا دخلت (ما) على الماضي نحو (ما كتب) دل على

انتفاء الحدث بصيغة الماضي، وإذا دخلت (لم) على المضارع نحو (لم يكتب) دل على انتفاء الحدث في المضي بصيغة التجدد والاستمرار، أي: على تطاول المدة واستمرارها.

ثانياً: آيتا ق ومريم :

قال في آية ق: ﴿وَمَا مَسَّنَا﴾[ق:٣٨]، وقال في آية مريم: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾

والسبب- والله أعلم- :

١ ـ أنّ آية ق: هي رد على اليهود الذين يقولون: إنّ الله تعب من خلق السماوات والأرض فاستراح في اليوم السابع، تعالى الله عما يقولون، فرّد الله عليهم بـ (ما)، وجاء بـ (من) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ و(من) للاستغراق للدلالة على أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً، بخلاف آية مريم فإنها ردٌّ على من قال: إنها مسها بشر.

٢ ـ في آية سورة ق: جاء الفعل بصيغة الماضي ﴿مَسَّنَا﴾ لأنّ الأمر حدث وانقضى مرة واحدة، وهو خلق السماوات والأرض، وأمّا آية مريم فهي في مس الرجال للنساء، وهو أمر يتكرر ويتجدد حصوله، فدّل قولها بالمضارع على أنّ ذلك لم يحصل فيما انقضى من عمرها.

فثمة فرق بين الأمرين؛ فإنه في آية مريم كان من الممكن أنْ يتكرر المس في الماضي، بخلاف التعب الذي يعقب العمل، فإنه موقوت بذلك العمل .

فما كان شأنه التجدد والاستمرار نفاه بـ (لم) مع المضارع، وما حدث مرة واحدة نفاه بـ (ما) مع الماضي.

السؤال السادس :

ما دلالة استعمال كلمة ﴿بَغِيًّا﴾، وليس (بغية) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم:٢٠]؟

الجواب:

(بغياً) هذا الوصف غالب على النساء، وقلّما تقول العرب: رجل بغي ولم يلحقوا به علامة التأنيث إجراءً له مجرى (حائض وعاقر).



﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحركة على الحرف الأخير في كلمة ﴿كَذَٰلِكِ﴾ في قوله تعالى ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ [مريم:٢١]؟

الجواب:

الكاف حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً، ويمكن أنْ يكون بحسب المخاطب، أي لدينا لغتان:

أ ـ الأولى أنْ تكون في المفرد المذكر أياً كان المخاطَب، وسواء كان المخاطب واحداً أو اثنين أو جمعاً، تقول مثلاً (تلكَ) الشجرة، كما في الآية ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف:٢٢].

ب ـ واللغة الثانية أنْ تجعل حرف الخطاب بحسب المخاطَب، فلو كانت امرأة نقول (كذلكِ)، كما في الآيات:

ـ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾[مريم:٢١] ويمكن أنْ نقول (كذلكَ).

ـ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] برهانان اثنان (ذان) للبرهانين و(كَ) للمخاطب .

ـ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾[يوسف:٣٧] كان يمكن أنْ يقول (ذلك)، لكنه يقصد الذي قاله.

ـ ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] (ذلك) إشارة ليوسف و(كُنّ) حرف خطاب للنسوة.

ـ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف:٢٢] . (تلكما) الشجرة، (تلك) للشجرة، و (كما) للمخاطَب أي لآدم وحواء.

إذن هذه الكاف هي حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً، ويمكن أنْ يكون في حالة المخاطَبين: قال الشاعر:

أبيْنــيْ أفي يُمنــى يديــك جعلتنــي ... فــأفرح أم صــيّرتني في شــمالكِ

أبيــت كــأني بــين شِــقّينِ مــن عصــا ... حــذارَ الــردى أو خيفــةً مــن زِيالــكِ

تعاللــتِ كــي أشــجى ومــا بــكِ عِلّــةٌ ... تريــدين قــتلي؟ قــد ظفــرتِ بــذلكِ

السؤال الثاني :

قُدم الجار والمجرور في آية مريم ٢١، فقال تعالى: ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ وأُخّر في آية الروم٢٧، فقال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ، فلماذا؟

الجواب :

التقديم يفيد الاختصاص، وهو يحسّن الكلام، أي: كأن الله تعالى قال: إنّ خلق عيسى عليه السلام هو هين عليه هو، وإنْ كان مستصعباً عندكم.

وأمّا آية الروم فلا معنى للاختصاص، فجرى على أصله، والأمر مبني على ما يعقله الناس من أنّ الإعادة أسهل من الابتداء .

وكلمة ﴿أَهْوَنُ﴾ هنا معناها هين، فالأفعال بالنسبة إلى قدرة الله تعالى في السهولة سواء، وإنما تتفاوت في السهولة والصعوبة بالنسبة إلى قدرتنا.

السؤال الثالث :

ما دلالة حرف العطف (الواو) مع الفعل ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾في الآية؟

الجواب :

الواو حرف عطف، وهو معطوف على محذوف مقدّر، بمعنى أنّ الله خلق عيسى عليه السلام لأمور متعددة يعلمها الله سبحانه، ومنها ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ ثم عطف على ذلك ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ﴾ بمعنى فعلنا ذلك أو بتقدير ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً وَرَحْمَةً﴾

ونظير ذلك قوله تعالى في آية البقرة ٢٥٩ : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ﴾

والله أعلم.

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ
جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا
مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ
أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن
كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ۞ ﴾

السؤال الأول :

ماذا تفيد (الفاء) في آيات سورة مريم من الناحية البيانية؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ

شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم: ٢٢ - ٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩]

١ـ تكرر استخدام الفاء، وهي تفيد تعقيب كل شيء بحسبه؛ أي تفيد تعقيب الأحداث التي وردت في السورة. انظر الكلمات أعلاه التي تحتها خط.

٢ـ فالحمل مثلاً إذا كان في موعده تستخدم الفاء، وإذا تأخر الحمل نستخدم (ثمّ) للترتيب والتراخي في الزمن.

٣ـ ومريم عليها السلام حملت عندما نفخ فيها، ثم لم يكن هناك أي معوقات بعدها فانتبذت مكاناً قصياً، وجاء الحمل بالمدة المقررة من الله فناسب ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾، فاستخدم الفاء.

ونأخذ مثالاً: إذا قلنا (تزوج فلان فولد له)، يكون بمعنى أنه وُلد له بعد فترة الحمل الطبيعية أي: تزوج فحملت فولدت، ولو تأخر الحمل يقال: ثم وُلد له.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس:٢١] القبر يأتي عقب الموت مباشرة، فاستخدم الفاء، أمّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس:٢٢] فالنشور والقيامة يأتيان بعد القبر بمدة طويلة؛ لذا استخدم (ثمّ) التي تفيد الترتيب والتراخي.

٤ـ أمّا استخدام الواو- كما في قولنا: جاء محمد وخالد - فلا تفيد الترتيب إنما تفيد مطلق الجمع، فقد يكون محمد هو الذي أتى أولاً، وقد يكون خالد هو الذي أتى أولاً. أما (الفاء وثمّ) فتفيدان (الترتيب والتعقيب) أو (الترتيب والتراخي).

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧] أي أتت به من بعيد؛ لأنها كانت في مكان قصيّ، فلمّا وصلت ورأوا الصبي قالوا: لقد جئت شيئاً فرياً، أي لمّا وصلت إليهم ورأوه.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الفعل ﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ في الآية ٢٣ والفعل ﴿جَآءَ﴾؟

الجواب :

١ـ الفعل (جاء) معناه (جاء باختياره)، بينما (أفعل) (أجاءه فلان)؛ أي جاء به رغماً عنه، فكأنّ المخاض هو الذي ألجأها إلى جذع النخلة رغماً عنها.

٢ـ المخاض: هو الألم الذي ينتاب المرأة قبل الولادة، وليس هو الطلق الذي يسبق نزول الجنين.

السؤال الثالث :

لماذا عرّف النخلة في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ أي: لتستند عليه تخفيفاً لألم الوضع، وعرّف النخلة؛ لأنها نخلة معروفة.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين (مِتُّ) بكسر الميم و(مُتُّ) بضم الميم في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم:٢٣]؟

الجواب :

قال تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم:٢٣]، عندما يقول: ﴿مِتُّ﴾ أصلها (أُمِتُّ) التاء نائب فاعل؛ أي: أماته الله ثم بناه لصيغة المفعول، وعندما يقول: (مُتُّ) ينسب الموت لنفسه، فتُعرب التاء في (مُتّ) ضميراً مبنياً في محل رفع فاعلاً.

وفي (مِتُّ) التاء ضمير مبني في محل رفع نائب فاعل، مثل: أكرمت وأُكرمت، وفي الحالين الأمر مردّه إلى الله سبحانه وتعالى، وفي الحالين الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في آية مريم: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ ؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿سَرِيًّا﴾ هو النهر الذي يجري بالماء العذب، وتأتي بمعنى (السيّد)، وجمعها سُراة، أي: السادة، وهي بمعنى أنّ الله تعالى قد جعلك تحتك سيّداً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ﴾ أي: أنّ الله أبقى اتخاذ الأسباب لمريم مع ضعفها وعدم قدرتها، ثم تعتمد على المسبب سبحانه، وإلا لا يستطيع هز جذع النخلة اليابس إلا الرجل القوي، فكيف بامرأة تعاني من ألم الولادة؟ !!

وبهذا وفّر الحقُ لها مقومات الحياة من هواء وماء وطعام.

٣ـ قوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ﴾ أي: تتساقط عليك رطباً ناضجاً قبل موعده، وكلمة ﴿عَلَيۡكِ﴾ فيها دليل على استجابة الجماد لله تعالى.

قال الشاعر:

ألم تـــــر أنّ الله قـــالَ لمـــريم   وهـزّي إليك الجذعَ يَسّاقَط الرطبْ
وإنْ شاء أعطاها ومن غير هزّةٍ   ولكنْ كـلَّ شـيء لـه سَـببْ

السؤال السادس:

في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم:٢٣] وقد تقدم قول المَلَك: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم:١٩] و ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [مريم:٢١] فكيف ذلك بعد علمها به؟

الجواب:

لم تقله كراهة له، بل لِما يحصل لها من الخجل عند قومها بخروج ذلك عن العادة.

السؤال السابع:

قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [مريم:٢٤] هناك قراءة ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ وقراءة ﴿مَن تَحۡتَهَا﴾ فهل يختلف المعنى؟

الجواب:

هاتان قراءتان معتبرتان، فإذا كانت ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ يكون لذكر المكان و ﴿مَن تَحۡتَهَا﴾ أي: ناداها عيسى الذي تحتها.

وفي الحالتين القراءات لا تغيّر المعنى فهو باق هو هو، لكنْ كل قبيلة قرأت بقراءة فرُخّص لها بأمر الله تعالى.

السؤال الثامن:

ما دلالة كلمة (تساقط) في الآية ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم:٢٥]؟

الجواب:

(تُساقط) في اللغة تفيد تتابع السقوط، (تسقط) ليس بالضرورة فيها تتابع (ساقط) الفعل الماضي، أي: تابع إسقاطه على وزن (فاعَلَ)، وفيها تتابع واستمرار حتى في الماضي، و(ساقط) غير(سقط)، (ساقط) يعني تتابع السقوط في الماضي و(سقط) مرة واحدة، بينما (تساقط) بالمضارع، ويعني تتابع السقوط.

السؤال التاسع:

كيف يظهر معنى التوكل فى الآية الكريمة؟

الجواب:

قال تعالى لمريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم:٢٥]

١ـ فيما يتعلق بمعنى التوكل هناك أصل من أصول العقيدة الإسلامية وهو أنه لا يتم أمر إلا برضى الله عز وجل ومشيئته، وإلا بما يريد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[التكوير:٢٩].

٢ـ وهناك أصل آخر أيضاً، وهو أنّ الإنسان ينبغي أنْ يسعى؛ لأنّ معنى التوكل أنْ تخرج من طاقة نفسك وجُهدها وحولها إلى حول الله سبحانه وتعالى، أنْ تقول: يا رب ليس لي حول، ومعناه أنْ تُلقي بأمرك على غيرك، وهذا هو معنى التوكل، لكنْ فيه لمسة، وهي أنّ المتوكل في المفهوم الإسلامي ينبغي أنْ يقدّم جميع الأسباب ثم يتوكل: «**اعقلها وتوكل**»: ومعناه (اتخذْ الأسباب وتوكلْ).

٣ـ لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا وجد أُناساً في المسجد في غير وقت الصلاة سألهم: ما تصنعون؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله ويأتينا رزقنا، قال: بل أنتم المتواكلون، إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. وأمرهم بالسعي والعمل.

٤ـ وفى سورة مريم: هي ولدت حديثاً وتحتاج إلى الرطب الحلو، وهي لا تستطيع أنْ تعمل، وكان الله عزوجل قادراً على أنْ ينزّل عليها الرطب إكراماً لها، وقد جاءها بالغذاء سابقاً لمّا كان يسألها زكريا عن مصدر رزقها ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران:٣٧] والله تعالى كان يرزقها من غير سعي وهى بحالة القوة، لكنّ معنى ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ينبغي أنْ تعملي وإنْ كان عملك في الحقيقة لا يؤدي إلى هز جذع نخلة، فرجلُ بكامل قوته لا يستطيع أنْ يهز جذع نخلة، فما بالك بامرأة ضعيفة وولدت حديثاً؟

لكنّ القرآن الكريم يريد أنْ يعلمنا أنه ينبغي أنْ نقدم الأسباب، ولا بدّ من سبب وإنْ كان ضعيفاً، لكن حتى لا نتعبّد بالأسباب وننظر إلى أنّ السبب هو الفاعل، وأعطانا

مثالاً لمريم، حيث كان يأتيها الرزق وهي في مكانها من غير أنْ تقدم سبباً؛ حتى لا نتعبد بالأسباب، فلا نقول السبب هو الفاعل وإنما الفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

٥ـ فإذن التوكل غير التواكل، التوكل: أنك تحسب الأمور حساباً دنيوياً هذا يكون كذا وأفعل كذا وتقدم كل الأسباب المؤدية إلى النَّجاح، ثم تعتقد يقيناً أنه لن يكون هناك نتيجة إلا بتوكلك على الله تعالى وإلقاء الأمر إليه جلّت قدرته. وتقول: يارب هذا كل ما أستطيعه، والأمر إليك من قبل ومن بعد، حتى يبقى المسلم وثيق الصلة بقدر الله سبحانه وتعالى، لا ينفك عنه دائماً.

السؤال العاشر :

ما اللمسة البيانية في تقديم الأكل على الشرب في سورة مريم ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾؟

الجواب :

نلاحظ أنه في القرآن كله حيثما اجتمع الأكل والشرب قدّم تعالى الأكل على الشرب حتى في الجنّة ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة:٢٤] و ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦٠] والسبب أنّ الحصول على الأكل أصعب من الحصول على الشرب. والله أعلم .

السؤال الحادي عشر :

قوله تعالى في الآية ٢٦ : ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ ما كلمات منظومة الصوم؟

الجواب :

هذه هي كلمات منظومة الصوم.

صام:

كل امتناع عن شيء محدد لمدة محددة يسمى صوماً: [مريم ٢٦ ـ البقرة ١٨٥]. لكنّ القرآن الكريم خصّص (الصيام) للامتناع عن الطعام والشراب، وخصّص (الصوم) للامتناع عن الكلام .

(أمسك ـ إمساك):

هو الامتناع العام، وهو غير محدد :[الإسراء ١٠٠ـ البقرة ٢٢٩].

طوى :

هو الجوع المتعمد كما يُفعل في السجون في الإضراب عن الطعام بعدم الأكل لعدة وجبات متتالية.

الوصل والوصال :

هو استمرار الصوم لعدة أيام بدون إفطار، وهو منهي عنه إلا للرسول ﷺلأنه قال: «**إنّ ربي يُطعمني ويسقيني**» .

الحصر :

الحصور هو الذي يمنع بوله أو منيّه، ويقال له: (حصور) وليس (محصور)، والفرق بين إمساك البول والمني؛ أنّ البول قانون بشري لا بدّ منه وإلا مات، وأمّا أن تحصر المني

فهذا مدح بحق يحيى عليه السلام [آل عمران ٣٩]؛ لأنه قادر على الجماع، ومع هذا لم يقرب النساء بالرغم من اشتهائه لذلك.

السؤال الثاني عشر:

ما الفرق بين (أتى) و(جاء) في سورة مريم ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧]؟

الجواب:

القرآن الكريم يستعمل (أتى) لما هو أيسر من (جاء)، وهذا يعني أنّ المجيء فيه صعوبة بالنسبة للفعل (أتى)؛ ولذلك يكاد يكون هذا طابعاً عاماً في القرآن الكريم؛ ولذلك لم يأت فيه الفعل (جاء) بالمضارع ولا بفعل الأمر ولا باسم الفاعل.

نأتي للسؤال ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ الحمل سهل، لكن ما جاءت به من الولادة أمر عظيم، وأصل المسألة أنها امرأة ليست متزوجة وتحمل، فهذا أمر عظيم، وهي كانت خائفة من هذا وكيف تواجه قومها، فقيل لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم:٢٦] فهذا المجيء صعب عليها وهي علمت أنها ستواجه قومها وقومها سيواجهونها. لكن كيف واجهوها؟ قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم:٨٨-٨٩-٩٠] فالمجيء للأمور الصعبة.

إذن هنالك فروق دلالية بين جميع كلمات العربية سواء علمناها أم لم نعلمها. والكثيرون من اللغويين قالوا: ليس هناك ترادف في القرآن إلا إذا كانت أكثر من لغة مثل (مدية وسكين)، ولا بدّ أنْ يكون هناك فارقٌ.

السؤال الثالث عشر :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧]؟

الجواب :

نعجب للسيدة مريم أنْ تأخذ وليدها وتبادر به قومها بدل الاستتار عن أعين الناس، وما كانت لتفعل ذلك إلا لثقتها في الحجة التي معها والتي ستوافيها على يد وليدها.

ولذلك لما سأل بعض المستشرقين الإمام محمد عبده رحمه الله في باريس: بأي وجه قابلت عائشة قومها بعد حادثة الإفك؟

فأجاب الشيخ: بالوجه الذي قابلت به مريم قومها وهي تحمل وليدها أي: بوجه الواثق من البراءة المطمئن إلى تأييد الله لها.

ولذلك لّما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في القرآن قالوا لها: اشكري النبي ﷺ، فقالت: بل أشكر الله الذي برأني من فوق سبع سماوات .

السؤال الرابع عشر:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٥٨.

السؤال الخامس عشر:

ما الفرق بين السفاح والبغاء والزنى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٢٤.

السؤال السادس عشر:

ما دلالة حرف الاستفهام ﴿كَيْفَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٢١.

السؤال السابع عشر:

لماذا قال: ﴿صَبِيًّا﴾، مع أنّ كل أحد في المهد يسمى صبياً؟ وما إعرابها؟

الجواب:

كلمة (صبياً) منصوب على الحال، لا على أنه خبر لكان، والتقدير: كيف نكلم من في المهد في حال صباه؟ وقيل (كان) بمعنى (وُجِدَ) و(صبياً) حال.



﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ بكسر همزة إنّ، متى تكسر همزة إنّ؟ ومتى تفتح؟

الجواب :

أـ تُكسر همزة (إنّ) إذا وقعت :

١ـ في أول الكلام، نحو: إَنّ العدل أساس المُلك.

٢ـ بعد القول، كما في الآية: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ .

٣ـ بعد القَسَم، نحو: والله إِنّ النصر لقريب.

٤ـ في أول جملة صلة الموصول، نحو: جاء الذي إِنه ناجح.

٥ـ في بدء جملة الحال، نحو: قابلته وإِنه يستعد للسفر.

٦ـ بعد (حيثُ)، نحو: يسكن الناس حيثُ إِنّ الراحة موفورة.

ب ـ تُفتح همزة إنّ :

إذا صح تأويلها مع اسمها وخبرها بجملة، ويجب في هذه الحالة أنْ تُسبق بجملة، نحو: سرني أَنك ناجح، فيصح أنْ تقول: سرني نجاحُك .



﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا يأتي الخطاب في الحديث عن الصلاة والزكاة في القرآن للمؤمنين أمّا في الحج فيكون الخطاب للناس؟

الجواب :

الصلاة والزكاة كان مأموراً بهما من تقدّم من أهل الديانات، كما جاء في قوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم:٥٤-٥٥] وفي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١]، وفي الحديث عن بني إسرائيل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣] .

أمّا الحج فهو عبادة خاصة للمسلمين، وعندما يكون الخطاب دعوة للناس إلى الحج فكأنها هي دعوة لدخول الناس في الإسلام، أمّا إذا كانت دعوة الناس للصلاة والزكاة فهم أصلاً يفعلونها في عباداتهم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال ﴿وَأَوۡصَٰنِي﴾ فى الآية؟ وما الفرق بينها وبين (وَصَّى)؟

الجواب :

القرآن يستعمل (أوصى) للأمور المادية، كما في الآية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[النساء:١١] (يوصي) من (أوصى) ويستعمل (وصّى) للأمور المعنوية، كما في الآية: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[الشورى:١٣].

وفي المرة الوحيدة التي استعمل فيها (أوصى) للصلاة أتبعها بالزكاة في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١].



﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة المبالغة في الإكرام؟

الجواب :

كلمات منظومة المبالغة في الإكرام.هي: حفي ـ البَرـ اللطيف.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية النساء ٦٩.



﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة ﴿وَسَلَامٌ﴾و ﴿وَالسَّلَامُ﴾ في سورة مريم في قصتي يحيى وعيسى عليهما السلام؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ١٥.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٥.

السؤال الثاني :

ما إعراب كلمة ﴿قَوْلَ﴾ في الآية ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ؟

الجواب :

قول: مفعول مطلق لفعل محذوف، يعني: نقول ذلك قول الحق.



﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في زيادة ﴿هُوَ﴾ في آية سورة الزخرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّخرُف:٦٤] وهو ما لم يحدث مع آية سورة مريم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم:٣٦] ولا مع آية آل عمران ٥١؟

الجواب :

١ـ ﴿هُوَ﴾ يمكن أنْ يكون ضميراً منفصلاً يفيد التوكيد والحصر، أوهو ضمير الشأن.

٢ـ السياق في الزخرف جاء في مقام عبادة عيسى واتخاذه إلهاً ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٥٧-٥٨] فعيسى أنكر هذا، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ [الزُّخرُف:٦٤] أي حصراً وتوكيداًعلى لسان عيسى عليه السلام.

بينما في سورة مريم الآية جاءت بعد الولادة وليست في مقام اتخاذ إله.

٣ـ في آل عمران ومريم تقدم من الآيات الدالة على توحيد الرب سبحانه وقدرته وعبودية المسيح عليه السلام ما أغنى عن التوكيد .

فناسب في الزخرف توكيد انفراده بالربوبية وحده .



﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في مريم٣٧ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ وقوله في الزخرف٦٥ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية مريم: تقدمها وصف الكفار باتخاذ الولد وهو كفر صريح؛ فناسب وصفهم بالكفر.

٢ـ ولم يرد مثل ذلك في آية الزخرف، بل قال تعالى فيها: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ فوصفهم بالظلم لاختلافهم.



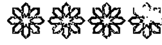
﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ ما كلمات منظومة التيه؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٠٨.



﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الحسرة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩] والندامة ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[سبأ:٣٣]؟

الجواب:

الحسرة:

هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً، والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم، كما في الآية: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾[المُلك:٤] (حسير)

أي منقطع، والحسرة هي أشد الندم. وقوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس:٣٠] أي هذه أكبر الحسرات على الإنسان وليس هناك أكبر منها.

الندم:

قد يندم الإنسان على أمر وإنْ كان فواته ليس بكبير، لكنّ الحسرة هي أشد الندم والتلهف على ما فات .

والندم له درجات أيضاً، ولكنّ الحسرة أشد الندم.

* شواهد قرآنية :

في قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[المائدة:٣١] .

وفي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٧] أي منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ ما كلمات منظومة الحزن والحسرة والأسف والضيق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٨٦.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة مريم وصف الله إبراهيم عليه السلام في الآية ٤١ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ ووصف إدريس عليه السلام في الآية ٥٦ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾﴾ ووصف موسى عليه السلام في الآية ٥١ ﴿رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾﴾ ووصف إسماعيل عليه السلام في الآية ٥٤ ﴿صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ فما وجه تخصيص كل منهم بما وُصِف وكلٌّ منهم كذلك؟

الجواب :

١ـ أمّا إبراهيم عليه السلام؛ فلأنه كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء ولبيان المبالغة في صدقه.

٢ـ وأمّا إدريس عليه السلام فهو جد أبي نوح عليه السلام، وسمي إدريس لكثرة دراسته ووصفه الله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾﴾؛ لأنه أيضاً كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء.

٣ـ وأمّا موسى عليه السلام؛ فلأنه أخلص نفسه في منابذة فرعون بالرغم من ملكه وجبروته؛ ولأنّ الله تعالى اصطفاه واجتباه وكان رسولاً نبياً، وكل رسول نبي .

٤ـ وأمّا إسماعيل عليه السلام فلصدقه في قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] ووفى بوعده فصدق في قوله.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في الآية؟

الجواب :

كلمة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ فيها ملحظ دقيق، وهو أنها تشير إلى حنان الأبوين: الأب والأم، فجاء بالتاء التي تشير إلى الجانب الآخر؛ لذلك نجدها لا تقال إلا في الحنانية المطلقة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ كما لو ماتت الأم مثلاً فقام الأب بالمهمتين مثلاً وعوّض الأبناء حنان الأم المفقود.



﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (جاء) في الآية ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣]؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣].

من الناحية اللغوية: (جاء) تستعمل لما فيه مشقة، أمّا (أتى) فتستعمل للمجيء بسهولة ويسر.

السؤال الثاني :

مادلالة الفعل هدى ﴿أَهْدِكَ﴾؟ ولماذا لم يستخدم (أُرشدك) أو(أدلّك)؟

الجزء الثاني

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم:٤٣]

وقال: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد:١٠].

هاتان الآيتان قال بسببهما بعض العلماء: إنّ كلمة (هداه الشيء) تحتمل معنيين: أنه هو في داخل الشيء أو خارج الشيء.

وكلام إبراهيم عليه السلام مع أبيه ﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ وأبو إبراهيم عليه السلام خارج الصراط، فكأنه يقول له: أنا آتي بك إلى الصراط، إذن (هداه الصراط) أي: هو في الخارج.

وكذلك في سورة البلد ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد:١٠] هو في الخارج، وبيّن له سبيل الحق وسبيل الباطل، والنجد في الأصل هو المرتفع، والمراد به هنا طريق الهداية وطريق الغواية، وأنّ الله سبحانه وتعالى بيّن للبشر ماذا يسعدهم وماذا يشقيهم؟ وبيّن لهم الخير وبيّن لهم الشر؛ لذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد:١٠] معناه: أوضحنا له هذا الطريق وهذا الطريق إذن هو في الخارج، إذن معناه يحتمل أنْ يكون في الداخل أو يكون في الخارج.

وإبراهيم عليه السلام كأنما يريد أنْ يقول لأبيه: إنني لن أتركك، إنني سآخذ بيدك إلى الصراط وأكون معك فأدلّك فيه ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم:٤٣] وكأنّ هذا فيه نوع من التطمين بخلاف ما لو قال: أهدك إلى صراط سوي، فليس فيه ذلك التطمين، بينما هنا فيه تطمين، أي أنه سيوصلني ويمضي معي في هذا الصراط.

فدلالة الفعل تختلف باختلاف الحرف المصاحب له: [هداه، هداه لـ، هداه إلى]، وهداه إلى الشيء يشير إلى بُعده.



﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥)﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥)﴾ [مريم:٤٥] مع أنّ الأمر متعلق بالعذاب؟ وما دلالة الفعل ﴿يَمَسَّكَ﴾؟

الجواب :

١ـ في الآيتين [٤٤ و ٤٥] ذكر فيهما اسم (الرحمن)، وقد تكرر لفظ (الرحمن) في هذه السورة ١٦ مرة، وهي أكثر سورة تكرر فيها لفظ (الرحمن) في القرآن، وهذا يدل على أنّ جو الرحمة يشعّ في السورة .

ولم يرد في سورة من السور مثل هذا التكرار، ففي سورة البقرة على الرغم من طولها ورد ذكر (الرحمن) مرة واحدة ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة:١٦٣]، وسورة الأنعام لم يرد فيها اسم (الرحمن) هذا من حيث الجو التعبيري.

٢ـ أمّا السؤال نفسه فنرى أنّ الآية التي جاءت بعد الآية في السؤال ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا (٤٧)﴾ [مريم:٤٧] وهنا لا يصح أنْ يقول سأستغفر لك

الجبّار؛ لأنّ المغفرة تُطلب من الرحمن، وليس من الجبّار، ولعلّه تدركه الرحمة فيؤمن؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام كان حريصاً على إيمان أبيه آزر.

٣ـ (الرحمن) قد يُعذِّب من رحمته حتى يرعوي من يرعوي، ونحن نربي أولادنا ونضربهم أحياناً حتى يرعووا.

٤ـ ونلاحظ أن لفظ (المسّ) مناسب لذكر الرحمة، ولم يقل مثل ما قال في الأنعام: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام:٤٧] أتى العذاب كاملاً ﴿أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾، بينما في سورة مريم جاء: ﴿يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ والمسّ خفيف.



﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تغير التعبيرات في فعل(الرجم) في الآيات: مريم ٤٦، يس ١٨ ،الشعراء ١١٦؟

الجواب :

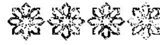
١ـ في آية الشعراء ١١٦: التهديد لنوح عليه السلام ومن معه من الأتباع والمعنى: أنه واحد ممن سيناهم الرجم ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾، ولو قال:

(لنرجمنك) لكان الرجم مختصاً بنوح دون من آمن معه.

٢ـ في آية مريم ٤٦: الخطاب موجه من أبي إبراهيم لولده إبراهيم عليه السلام وحده وليس معه آخرون؛ ولذلك قال: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

٣ـ في آية يس ١٨: الرسل كانوا ثلاثة بمنزلة واحدة والخطاب لهم جميعاً والتطير لهم جميعاً، فكان التعبير ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بصيغة الجمع.

والله أعلم.



﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ ما دلالة حرفي الاستقبال (السين وسوف)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٠.

﴿ ... تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ ...
(٤٨) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ...
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم:٤٨-٤٩]

ما دلالة الرد بـ (ما يعبدون) بدل (ما يدعون) كما جاء في السؤال؟

الآية: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨] هذا كلام سيدنا إبراهيم وقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٩] هذا قول الله في سيدنا إبراهيم.

وسيدنا إبراهيم عَبَد الله ودعاه، وهو لم يعبد إلا الله، بينما أولئك كانوا يعبدون الأصنام ويدعونهم.

إذن هنالك أمران: دعاء وعبادة، فسيدنا إبراهيم عَبَدَ الله ودعاه، قال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢)﴾ [مريم:٤٢] ثم دعا ربه فقال الله: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم:٤٩] وربما دعا ربه أنْ يهب له الذرية الطيبة.

والأمر الآخر أنّ الدعاء يأتي في اللغة بمعنى العبادة، وفيه إشارة إلى أنك إنْ دعوت غير الله فأنت تعبده.

ففي الآية ٤٨ قال: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨]، ثم قال: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٩]؛ لأنّ دعاء الأصنام إنما هو عبادة لها، وسيدنا إبراهيم لمّا قال لأبيه: ﴿وَمَا تَدۡعُونَ﴾ ما قال: ما تعبدون، هم عبدوا فدعوا، ومن طَلَبَ من الأصنام فهو يعبدها إشارة إلى أنّ الدعاء إنما يكون من الله وحده فقط، فمن دعا غير الله فهوإشارة إلى أنه عبده.

إذن الآية الأولى كلام سيدنا إبراهيم، والثانية كلام الله سبحانه وتعالى وهو إلماح لنا إلى أنْ لا ندعو غير الله؛ لأننا إنْ دعونا غير الله فقد ندخل في أمر محذور.

والله أعلم.



﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾

السؤال الأول :

في سورة مريم وصف الله إبراهيم عليه السلام في الآية ٤١ : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ ووصف إدريس عليه السلام في الآية ٥٦ : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾ ووصف موسى عليه السلام في الآية ٥١ : ﴿رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ ووصف إسماعيل عليه السلام في الآية ٥٤ ﴿صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ فما وجه تخصيص كل منهم بما وُصِف وكلٌّ منهم كذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٤١.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (الأيمن) في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾؟

الجواب :

(الأيمن) في هذه الآية هي صفة للجانب، وليس للطور أي معرّفة بالإضافة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ﴾ [طه: ٨٠].



﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾

السؤال الأول :

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.

السؤال الثاني :

لماذا يأتي الخطاب في الحديث عن الصلاة والزكاة في القرآن للمؤمنين أما في الحج فيكون الخطاب للناس؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٤٣.

السؤال الثالث :

في سورة مريم وصف الله إبراهيم عليه السلام في الآية ٤١: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ ، ووصف إدريس عليه السلام في الآية ٥٦: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ ، ووصف موسى عليه السلام في الآية ٥١ ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾، ووصف إسماعيل عليه السلام في الآية ٥٤ ﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾، فما وجه تخصيص كل منهم بما وُصِف، وكلٌّ منهم كذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٤١.



﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآيتين؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ ولم يقل رسولاً نبياً؛ لأنّ بينه وبين آدم عليهما السلام جيلين، فكانت الرسالة لآدم لا تزال قائمة.

و قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ الرفعة من الله وهي رفعة حسية إلى السماء أو رفعة معنوية، خذها كما شئت ولا تجادل بذلك، فالذي رفعه هو الله الذي خلقه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن
ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا



السؤال الأول:

ما دلالة تحديد ذكر ذرية إبراهيم وإسرائيل في سورة مريم، مع العلم أنّ إسرائيل هو من ذرية إبراهيم؟

هذه الآية ذكر فيها الله تعالى ذرية إبراهيم وإسرائيل، وصحيح أنّ إسرائيل هو من ذرية إبراهيم، لكنّ ذرية إبراهيم أعمّ وفيها إسماعيل وذريته، فهي إذن أعمّ وأشمل من ذرية إسرائيل الذي هو سيدنا يعقوب على نبينا وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ في آيات [البقرة ٣٤ـ ص ٧٢ـ مريم ٥٨]؟

الجواب:

استعراض الآيات: قال تعالى :

ـ في البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

- في آية ص قال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص:٧١-٧٢] .

- في مريم ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨] .

١- في سورة البقرة: قال تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ فعل أمر من الله تعالى للملائكة لعملية السجود، وهذا سجود اعتيادي مثل عملية السجود التي نفعلها في الصلاة.

٢- في سورة السجدة :إذا قرأنا ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:١٥] ننزل رأساً إلى تحت ﴿خَرُّوا۟﴾ .

الخرّ: هو الهبوط مع صوت من خرير الماء، وربما هو صوت البكاء مع السجود .

٣- في سورة ص: ربُّ العالمين يخاطب هؤلاء الملائكة، قال: ﴿فَقَعُوا۟﴾ بالفاء ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ من روحي ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ ، وهو ما خاطب كل الملائكة ولكن مجموعة منهم، فكأنه قال :عندما أنفخ فيه من روحي فقعوا أي اتركوا الذي في أيديكم ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ .

وهذا الفرق بين(فقعوا له) و (اسجدوا) و (خروا).والله أعلم.

السؤال الثالث :

لماذا حدّد ذكر ذرية إبراهيم وإسرائيل في آية سورة مريم ٥٨، مع العلم أنّ إسرائيل هو من ذرية إبراهيم؟

الجواب :

صحيح أنّ إسرائيل هو من ذرية إبراهيم، لكنّ ذرية إبراهيم أعم وفيها إسماعيل وذريته، فهي إذن أعم وأشمل من ذرية إسرائيل الذي هو سيدنا يعقوب على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .



﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ﴿غَيًّا﴾ما الكلمات التي تصف جهنم من الداخل؟

الجواب :

ويل:

هو واد في جهنم عمقه - كما في الحديث- سبعون خريفاً، وقد وردت كلمة (الويل) في القرآن للكافرين والمكذبين والساهين عن الصلاة (تاركيها) ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون:٤].

صَعود:

هو جبل من نار كلما مسته يد الكافر أصبح ناراً ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدَّثر:١٧] .

غَي :

هو واد في جهنم يُقذف فيه الكافر الذي يتبع الشهوات ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ .

جب الحزن :

واد في جهنم تتعوذ منه جهنم وهو للمنافقين.

هوى :

واد في جهنم يُرمى الكافر من أعلاه ويصل إلى قعره بعد أربعين سنة ﴿فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه:٨١] .

آثام :

بئر في جهنم من القيح والصديد ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان:٦٨] .

المهل :

هو الزيت المغلي، وقيل: القيح والصديد﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [الدخان:٤٥] .

غساق :

هو سائل صديد أهل النار المنتن ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص:٥٧] .

الزقوم :

حطام أهل النار من الكفار ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ [الصافات:٦٢].

غوطة :

بئر لمدمن الخمر المسلم الذي يموت ولم يتب، وهو في نار المؤمنين وهي غير نار الكافرين.



﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال صيغة (مأتيا) في قوله تعالى في سورة مريم ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ ؟

يُقصد بالوعد جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بها، والجنّات تؤتى ولا تأتي، فالجنات يذهبون إليها، فهي مأتية وليست آتية، فالوعد هو الجنة والآية في السورة في سياق الجنة.

إلى من يعود الضمير الهاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾؟

١ـ الهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعود على الرحمن، ويحتمل أن تكون ضمير الشأن الذي يفيد تفخيم الوعد وتعظيمه.

٢ـ لو قال مثلاً: إنّ الرحمن كان وعده مأتياً، لفات تفخيم الوعد وتعظيمه. ولو قال: إنّ وعد الرحمن كان مأتياً، لفات أيضاً تفخيم الوعد، ويكون الإخبار عن الوعد لا عن الرحمن، مع أنّ الكلام عن الرحمن أيضاً كما هو عن الوعد، فقد ذكر أنّ الرحمن وعد عباده وأنّ وعده مأتي، وأنه يورث الجنة لعباده الأتقياء، فقال: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم:٦٣].

٣ـ وعلى هذا فقد ذكر (الرحمن) وأعاد عليه الضمير أربع مرات، مما يدل على أهميته في السياق، ويدل هذا التعبير على تفخيم وتعظيم الرحمن والموعد، وهذه الضمائر هي :

أ ـ الضمير في ﴿عِبَادَهُۥ﴾.

ب ـ الضمير في ﴿وَعۡدُهُۥ﴾.

ج ـ الضمير المستتر في ﴿نُورِثُ﴾ .

د ـ الضمير في ﴿عِبَادِنَا﴾ .

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن؟

الجواب :

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي (وَعَد) إلى (الله) لم يذكر فيها اسم الرحمن وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل (وعد) إلى (الرحمن) تكرر اسم الرحمن في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم، وقد تكرر اسم (الرحمن) في يس ٤ مرات وفي مريم ١٦ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن: أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو مخصص بالمؤمنين أو بالكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:٧٢] و ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾[التوبة:٦٨] فهو وعد خاص.

وأمّا ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن فهو وعد عام يشمل عموم العباد وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق، مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً. والله أعلم.

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة مريم ٦٤ : ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؟ ولماذا لم تأت مثل سورة البقرة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة:٢٥٥] في آية الكرسي؟

الجواب :

في سورة مريم سياق الآيات عن المُلك ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾ [مريم:٦٢]، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [مريم:٦٣]، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [مريم:٦٥] والذي يرزق هو الذي يورّث، فهو مالك، وقوله (رب السموات) فهو مالكهم .

أمّا في آية الكرسي فالسياق عن العلم، فبعدها يأتي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

السؤال الثاني:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ من المقصود؟ لماذا لم ترد مثلاً (وننزل الملائكة)؟

الجواب:

قيل إنّ المقصود هنا هو جبريل عليه السلام، وقد احتبس جبريل عن الرسول عليه السلام ليس بأمره هو، وإنما بأمر الله مدة طويلة، فعاتبه الرسول ﷺ «**احتبست عنا ونحن أشوق إليك**» فقال: بل أنا أشوق، لكنْ أنا عبد مأمور.

وقيل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة، فكلهم لا يستطيعون التنزل إلا بأمر ربهم، بما فيهم جبريل وغيره من الملائكة.

السؤال الثالث:

ما دلالة اختلاف الخطاب في الآية ٦٤؟

الجواب:

الله تبارك وتعالى إذا رضي كلام عبد، سواء كان نبياً أم ملكاً أدرج كلامه في ثنايا كلامه، وإذا لم يرض القول نسبه إلى قائل، كما في سورة مريم عندما تكلم عن وصف الجنة ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ [مريم:٦١] جاءت الآية بعدها ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم:٦٤] على لسان جبريل عليه السلام.

وأحياناً يُضمر القول بينما القائل مختلف، نحو قوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣]،وهي ليست فقط في كلام الله، وإنما في الكلام العام أيضاً، يحذف القول أو يذكر أو يُدمج.

﴿ ٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ
بِٱلَّذِينَ ... صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾
... ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول

قال تعالى في سورة مريم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم:٦٨] وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢] هل المؤمنون والمتقون يردون جهنم؟

الجواب:

١- بعض المفسرين يقول في: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ إنه يرد الجميع على الصراط، فالكافرون يسقطون في النار والمؤمنون يتجاوزونه، وقسم يقول: يدخلون فيها ثم تكون برداً وسلاماً عليهم، وإنْ كان هناك من يقول: إذن ما فائدة دخولهم؟

٢- الربط بين الآيات يرينا رأياً آخر:

أ - قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم:٦٦-٦٨] ننظر في الصورة فنجد أنَّ هناك جهنم، وهناك هؤلاء المنكِرون للحياة الثانية، ثم

يرسم لنا صورة لهؤلاء حول جهنم في مكان يجثون على رُكبهم ويحيط بهم الخوف والرعب والهلع.

ب ـ ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم:٦٩] أي من كل مجموعة أشدهم على الله سبحانه وتعالى معاندة وكِبراً وحرباً للمؤمنين يُنزع نزعاً من بينهم، ولاحظ كلمة ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ كأنه يريد أنْ يلتصق بقومه الذين جعلوه سيّداً فيهم.

ج ـ ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم:٧٠] إذن هم الآن خارج جهنم، والله تعالى يقول: إنه أعلم بمن هو أولى من هؤلاء أنْ يصلى النار، و(صِليّا) من صلى يصلي أي يحترق. وهي ليست مجرد احتراق عادي قد تضربه النار وتحرقه، لكن هو كأنه سيتصلي بها.

د ـ ثم انتقل الخطاب إلى كل السامعين فقال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢].

ورَد المكان أو إلى المكان بمعنى: حضر إليه، والورود قد يعني الدخول وقد يعني مجرد الوصول على حدودها، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص:٢٣] هو أشرف عليه، والصورة هي أنّ الكل يجثو على ركبتيه، حتى المؤمن يكون في حدود النار حول جهنم والكل يراها، لكنْ من الذي سيصلاها؟ الله أعلم، حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ بهذه اللام المؤكدة فالذين سيصلون النار هم المنكرون للآخرة والبعث، أمّا المؤمنون فسوف يكونون جاثين على ركبهم، لكنْ كم سيستغرق هذا وهم يرون النار، وقد يدخلون فيها؟ الله أعلم.

ثم يقول الله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١] فالكل يرد جهنم أي يصل إليها حتى يراها، فالله سبحانه وتعالى ألزم نفسه بذلك و﴿كَانَ﴾ هنا للتقرير والإثبات. والله أعلم.

السؤال الثاني :

في الآية ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ ما إعراب ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾؟

الجواب :

الوجه المشهور عن ﴿أَيُّهُمْ﴾ أنها اسم موصول مبني على الضم:

أيٌّ كما وأعرِبَت ما لم تُضَف وصدرُ وَصلِها ضميرٌ انحَذف

على هذا تصير ﴿أَيُّهُمْ﴾ مفعولاً به لفعل ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ مبنياً على الضم، وهو مضاف إليه، و(أشد) خبر لمبتدأ محذوف هو صدر الصلة، يعني أيهم هو أشد، ولو ذكر صدر الصلة لأعربت(أي)، ولكان قال: أيَهم أشد، فبنيت.

فإذن أشهر إعراب هو: ﴿أَيُّ﴾ مفعول به لفعل ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ مبني على الضم، ﴿هُمْ﴾ مضاف إليه، ﴿أَشَدُّ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو صدر الصلة هذا. وهناك من يجيز أن تكون ﴿أَيُّ﴾ استفهام .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النمل:٧٢] وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء:٩٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١] فهل هناك لمسة بيانية بين (الردف) و(الورود)؟

الجواب:

(ردف) معناه: لحق ووصل، والآية تعني: عسى أنْ يكون لحق بكم هذا الشيء.

(ردِف) فعل ماض. هناك رِدف ورديف، و(الرديف) هو خلف الراكب وفي الحديث "كنت ردف النبي" فالرديف هو الذي يكون خلف الراكب.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١] هل معنى الآية أننا كلنا سنذهب إلى النار؟ وهناك آية أخرى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل:٨٩]، والورود على النار فزع، وهل سنكون في حالة فزع إذا وردنا على النار والله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧٢] فما معنى الورود؟

الجواب:

١ـ في الحديث يوضع الصراط على متن جهنم، وكل المكلّفين سيمرّون عليه، فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم كالريح المرسلة ومنهم كالماشي ومنهم من يسقط،

إذن صار الورود للجميع؛ لأنّ الصراط يضرب على متن جهنم أي فوق جهنم وكل الخلق يمرون عليه، فالورود عام.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ كأنها أقسم فكأنها تحلة القسم .

٣ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص:٢٣] الورود هنا هو المجيء للمكان، أمّا في ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فالكفرة هم الداخلون في جهنم (ورد) في اللغة بمعنى محل الشرب، و(ورد ماء مدين) أي وصل إلى محل الشرب.

٤ـ أقسم تعالى على الورود ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم:٧١] ولم يقسم على الخروج منها ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧٢] وما قال: إنّ المتقين ينجون منها؛ لأنّ الله تعالى هو الذي يُنجي، حتى المتقين لا ينجون بأنفسهم، وإنما ربنا هو الذي يُنجيهم.

إذن المرور على الصراط على متن جهنم بالنسبة للمسلمين هو حسب الأعمال والكفرة يدخلون فيها.

٥ـ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (إلا) هنا للحصر لا يتخلف أحد و(إنْ) هنا نافية يعني: وما منكم أحد إلا واردها، وهذه مثل قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الطارق:٤] (إنْ) بمعنى نافية و فيها قصر وحصر طالما جاءت (إلا) مع (إنْ).

السؤال الخامس :

أين جواب القسم في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١]؟

الجواب :

جواب القسم ليس من الضروري أنْ يُذكر وهو بحسب الغرض منه، فإذا اقتضى أنْ يُجاب القسم فيُجاب كما في [آية مريم (٦٨) والنحل (٣٨)].

وقد يُحذف إمّا للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى فيحتمل كلَ ما يرد على الذهن، وهذا في القرآن كثير .

* شواهد قرآنية:

في آية سورة ق(١) لا يوجد جواب للقسم لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات، فلا يريد الله تعالى جواباً واحداً بعينه، لكنه يريد التوسع في المعنى وكذلك في آية مريم (٦٨).

السؤال السادس :

قوله تعالى في الآية ﴿جِثِيًّا﴾ ما كلمات منظومة القعود (جثا وقعد)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف (٧٨).

السؤال السابع :

استعمل ﴿عِتِيًّا﴾ (عُتي) في آية مريم(٦٩) و﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾ في آية الفرقان (٢١)، فلماذا؟

الجواب :

هناك ملاحظتان :

أ- أنّ (عتو)و(عتي) مصدران للفعل (عتا يعتو)، والكثير منه (عتو) .

ب- أنّ الواو أثقل وأقوى نطقاً من الياء، وأنّ الضمة أثقل من الكسرة لِمَا في نطق الضمة أو الواو من الجهد العضلي، وعلى هذا فـ(عتو) أثقل من (عتي) وأقوى .

وبناء على ماتقدم نجد أنّ الأمور البيانية التالية هي السبب لاختيار ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾ في آية الفرقان دون آية مريم :

١ ـ اتصاف المذكورين بالعتو في الفرقان أشد مما في مريم؛ وذلك:

أ ـ أنه ذكر أنهم لا يرجون لقاء الله، أي هم ممن يكفرون باليوم الآخر .

ب ـ أنهم طلبوا ليؤمنوا إنزال الملائكة عليهم لا ملك واحد ، فهم أشد كفراً ممن قال الله فيهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان:٧] فطلبوا أنْ يكون الإنزال عليهم لا (إليه) كما طلب الآخرون.

ج ـ إنْ لم تنزل عليهم الملائكة، فينبغي أنْ يروا ربهم ليصدقوا بالرسول والإ فلن يصدقوا.

د ـ ذكر أنهم استكبروا في أنفسهم.

هـ ـ ذكر أنهم عتو عتوا كبيراً، فأكد الفعل بالمصدر ووصفه بالكبر.

و ـ المذكورون في الفرقان هم مِن هؤلاء المذكورين في مريم، بل من أشدهم ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾ [مريم:٦٩] .

ز ـ خصّ العتو في مريم بـ ﴿عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم:٦٩]، في حين أطلق العتو في الفرقان ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١﴾ ولم يقيده بشيء، فهم عتاة على الرحمن وعلى خلقه .

ح ـ إنّ العتو على الله لا ينال منه شيئاً، بخلاف العتو على البشر إذ ما قيمة العتو على الله؟ وما أثره عليه؟ إنه تجبرٌ مضحك .

٢ ـ لذلك جعل أخف العتوين ما كان خاصاً وأثقلهما ما كان عاماً. والله أعلم.

السؤال الثامن :

ما دلالة كلمة ﴿عِتِيًّا﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم (٨)



﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۝٧٤﴾

السؤال الأول :

ماذا عن استعمال القرون والقرن بعد (كم) الخبرية التكثيرية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام (٦)

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة مريم قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [مريم:٧٥] ما الفرق بينها وبين آية الجن ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجن:٢٤]؟

الجواب:

لننظر إلى جدول المقارنة التالي بين الآيتين:

البيان	آية الجن ٢٤	آية مريم ٧٥
التفصيل والإجمال	﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾	﴿ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾
الاختلاف في العلم	﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾	﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾
الضمير ﴿ هُوَ ﴾	-	﴿ هُوَ ﴾

١ـ سورة مريم فيها تفصيل في العذاب والساعة. انظر الآيات(٦٨ـ ٧٤)، بينما أوجز هذا الموضوع في سورة الجن.

فلمّا أوجز ذكر العذاب والساعة في سورة الجن، قال: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ ولمّا فصّل في سورة مريم قال: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾؛ فناسب الإجمال الإجمال والتفصيل التفصيل.

٢ـ الاختلاف في العلم :

أـ في آية الجن: الكفار استضعفوا الرسول ﷺ والمؤمنين بقلة عددهم فجاء الرد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن:٢٤] وناسب طبيعةعلمهم.

ب ـ في آية مريم: سبقها قوله تعالى في الآية ٧٣: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم:٧٣] فجاء الرد في قوله تعالى: ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم:٧٥].

و(المقام) هو مكان القيام والإقامة والمنزل، وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم:٧٣] يعني المجلس، والجمع أندية ومنه دار الندوة، فناسب ذلك استفسارهم.

ج ـ جاء في مريم بـ ﴿هُوَ﴾ مع ﴿مَنۡ﴾ للتأكيد على ضعفهم في آية مريم لما فيها من زيادة التفصيل، والذكر آكد وأقوى من الحذف.

٣ـ الظاهر أنّ (مَن) في آية مريم هي اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ وتعدى إلى مفعول واحد؛ لأنّ العلم هنا بمعنى المعرفة، وجملة ﴿هُوَ شَرّٞ﴾ صلة الموصول.

ويمكن أنْ تكون (مَن) استفهامية مبتدأ وقوله (أضعف) خبر.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب :

للبدل عدة أغراض، منها:

التفصيل: كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم:٧٥] .



﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين المدّ و المدد؟

الجواب :

المدّ والمَدد :

قوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم:٧٩] (مداً) هذا مصدر و(مداً) مفعول مطلق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩] (مدداً) هذا اسم، و (مدد) أي جنود أو غيره.

فالمدّ هو المصدر. ومثل (الضَر) فهو المصدر، و(الضرر) هو العلّة.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة ألطاف الله تعالى على عباده المؤمنين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٢٦.



﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في يس (٧٤) ومريم (٨١): ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وفي الفرقان ٣: ﴿مِن دُونِهِ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ أنّ آيتي (مريم ويس) وردتا بعد ضمير المتكلم، كما في قوله تعالى في مريم ٨٠: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ وفي يس ٧٢: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، فناسب الإظهار.

٢ـ وأمّا آية الفرقان فوردت بعد تكرار ضمير الغائب في قوله تعالى في الآية ٢ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢]، فناسب الإضمار للغائب لتناسب الضمائر. والله أعلم.

 ... ـنطين على الكفرين تؤزهم أزا (٨٣)

السؤال الأول

ما (الأزّ)؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب

١ـ الأزّ: هو الهز الشديد بعنف.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي ليمنع الشيطان الكافر من فرصة أنْ يتفكر فيؤمن بالله من خلال تفكيره، والشيطان ينزغك إمّا ليحرك فيك شهوة أو لينسيك طاعة.

٣ـ وسوسة الشيطان في الصلاة ظاهرة صحية لعلم الشيطان بأهمية الصلاة وأنها ستُقبل منك ويُغفَرلك بها الذنوب؛ لذلك يحاول إفسادها عليك فانتبه لذلك واستعذ بالله من الشيطان.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ومعلوم أنّ عمل الشيطان عمل مستتر فكيف يخاطب الحق رسوله عليه السلام بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وهي مسألة لا يراها الإنسان؟

و الجواب أنّ كلمة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى: ألم تعلم؟ كما في سورة الفيل والنبي ﷺ لم ير هذه الحادثة.

وبالتالي ليدلك على أنّ إخبار الله أصح من إخبار عينك لك؛ لأنّ رؤية العين ربما تخدعك، أمّا إعلام الله تعالى فهو صادق لا يخدعك أبداً وعلمك من إخبار الله تعالى أولى وأوثق من علمك بحواسك .

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم:٨٥-٨٦] وفي سورة الزمر وردت كلمة (سيق) للكافرين والمؤمنين ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:٧٣] فما دلالة تغير الفعل في آية مريم واستخدام نحشر ونسوق؟

الجواب :

ما الفرق بين (حشر) و(سيق)؟

١ـ (نحشر) معناه نجمع، والحشر من معانيه الجمع، كما في الآيات ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل:١٧] ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [النازعات:٢٣] ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف:١١١] فالحشر له معانٍ متعددة، و معنى حشر (جمع)، وربنا قال: يوم الجمع ويوم الحشر ويأتي الحشر بمعان أخرى، لكنّ المعنى المشهور هو (جمع).

٢ـ (سيق) السَوْق ليس بالضرورة أن فيه الجمع، فقد تسوق واحداً أو اثنين أو أكثر. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم:٨٥] الوفد لا بد أنْ يكتمل أفراده، وبعد الاكتمال يصير الحشر إلى الرحمن.

وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزُّمَر:٧٣] هم ليسوا مجموعين في البدء، والزمر يعني جماعات جماعات، والزمرة هي الجماعة و ليست وفداً، فيساقون إلى أنْ يكتملوا فيصيروا وفداً فيحشرهم.

وهذا يعني أنّ الذين اتقوا سيصبحون زمراً ،لأنهم ليسوا بدرجة واحدة فيُساقون زمراً حتى إذا اكتملوا حُشِروا وفداً، والزمر ليس وفداً ولا بدّ له أن يكتمل.

٣ـ في سورة مريم قال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ وليس إلى الجنة أمّا في الزمر، فقال: إلى الجنة ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزُّمَر:٧٣] فالوفد للإكرام اولاً، وهذا بعد الحساب، فبعد أنْ يساقوا زمراً إلى الجنة يذهبون وفداً إلى الرحمن تكريماً لهم، مرحلة بعد مرحلة ،ولا يصح أن نضع واحدة مكان أخرى.

أي أنّ هؤلاء المتقين يجمعهم ربنا فيحشرهم فيُذهَب بهم إلى الرحمن وفداً، وهم في البداية زمر سيقوا إلى الجنة، اجتمعوا هناك فكوّنوا وفداً فحشروا إلى الرحمن.

فكل كلمة لها دلالتها، ولا يجوز أنْ يقال: وسيق الذين اتقوا إلى الرحمن وفداً.

والله أعلم.

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة مريم لماذا ذكر كلمة (الرحمن)١٦ مرة؟ حتى في آخر سورة مريم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم:٨٨] ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم:٩١] ما دلالة لفظ (الرحمن)؟

الجواب :

هناك ما يسمى بالسِّمة التعبيرية للسورة أو للسياق. ولنأخذ شواهد :

١ـ في سورة طه قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [طه:١١] وفي النمل قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٨] فهنالك سبب في اختيار(أتاها وجاءها)، ومما ذكر أنّ لفظ الإتيان في طه أكثر من لفظ المجيء، ولفظ المجيء في النمل أكثر من لفظ الإتيان، ويقولون: ورد لفظ (الإتيان) في طه ١٥ مرة وفي النمل ١٣ مرة، ولفظ (المجيء) في النمل ٨ مرات وفي طه ٤ مرات، هذا إضافة إلى الأمور التي ذكرت بالنسبة للمجيء والإتيان من أنّ (جاءها) في الأمور الشاقة و(أتاها) في الأمور السهلة، و هنالك سبب آخر أنّ السمة التعبيرية للسورة أيضاً حسّنت هذا الأمر.

٢ـ قوله تعالى في البقرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] وفي الأنعام ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾[الأنعام:١٤٥] .

ففي الأنعام كلمة (الرب) أكثر من لفظ (الله)، وفي البقرة لفظ (الله) أكثر من (الرب)، وقد ورد لفظ (الله) في البقرة ٢٨٢ مرة، وفي الأنعام ٨٧ مرة وكلمة (الرب) في

البقرة ٤٧ مرة ،وفي الأنعام ٥٣ مرة، إضافة إلى أنه في كل مسألة هنالك سبب خاص بالسياق، لكن أيضاً عندنا السمة التعبيرية للسورة، حيث حسّنت أنه في البقرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] وفي الأنعام ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام:١٤٥].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج:١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [السجدة:٢٥] لفظ (الرب) ورد في السجدة أكثر مما ورد في الحج، ولفظ (الله) في الحج ورد أكثر مما ورد في السجدة، لفظ (الله)في الحج ورد ٧٥ مرة وفي السجدة مرة واحدة، ولفظ (الرب) ورد في السجدة ١٠ مرات وفي الحج ٨ مرات، وهناك فرق كبير بين آيات الحج والسجدة.

٤ـ الآن نأتي إلى الرحمة لنجد أنّ الرحمة شاعت في سورة مريم؛ لأنّ سياق السورة والسمة التعبيرية هما الرحمة، ونجدها شائعة من أول السورة إلى آخرها ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾ [مريم:٢] ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦] لا تدانيها سورة في ذكر الرحمن ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم:١٨] حتى لو أخذنا اللفظة (الرحمن) في مريم نجدها وردت ١٦ مرة، ووردت في البقرة مرة واحدة فقط ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣] فإذا أخذناها من السمة التعبيرية فالرحمن أكثر.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾

السؤال الأول :

في سورة مريم ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٩٣] ما إعراب كلمة (الرحمن)؟

الجواب :

هذه مضاف إليه مجرور، (آتي) اسم فاعل مثل(قادم) وليس فعلاً.



﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الإحصاء والعدّ؟ وما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾ [مريم:٩٤] ؟

الجواب :

العدُّ: هو ضمُّ الأعداد بعضها إلى بعض؛ أي: واحد اثنان ثلاثة أربعة.

أمّا الإحصاء: فيكون مع العدّ الحفظ والإحاطة.

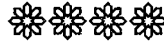
والعد ليس بالضرورة حفظها في مكان واحد، فهو مجرد ضم الأعداد دون حفظ، أمّا الإحصاء فلا بدّ أنْ يكون فيه حفظ لما تعدّه، فهو عدّ مع حفظ، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾ [مريم:٩٤] عرف عددهم وحفظهم. ولا يوجد ترادف في القرآن الكريم.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الحساب في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ١٠٤



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾

السؤال الأول :

ما معنى كلمة ﴿وُدّٗا﴾ في آية سورة مريم ٩٦؟

الجواب :

الود: هو أعلى درجات الحب، وقد أوصلته المعاجم إلى درجة الأمنية. وقد وصف الله تعالى ذاته بأنه: ﴿وَدُودٞ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج:١٤].

والمودة: هي أسمى ما يريده الله عز وجل للزوجين المؤمنين السعيدين إنْ هما سارا على منهج الله، وذكر الله أنّ هذه المودة من آياته، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم:٢١].

والمودة هي المنزلة التي أوصى الله المؤمنين أنْ يحفظوها للنبي ﷺ وآله قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣] .

ودرجات الحب كثيرة، وهي :

١ ـ **الهوى**: وفيه تحيز إلى النفس والذات، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم:٣] .

٢ـ **العلاقة**: وهو الحب الملازم للقلب.

٣ـ **الكلف**: وهو شدة الحب.

٤ـ **العشق**: وهو ما زاد عن الحد.

٥ـ **الشغف**: وهو احتراق القلب من الحب مع لذة يجدها، وقد سُمي ذلك لأنه يبلغ شغاف القلب وهو الجلدة التي يحيط به. قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠] .

٦ـ **الجوى**: وهو الحب الباطن الصامت.

٧ـ **التَّيْم**: أن يستعبده الهوى وقد تامه، ورجل مُتَيَّم؛ أي مُعَبَّد مُذَلَّل، وقيل: التَّيم: ذهاب العقل وفساده.

٨ـ **البتل**: وهو أنْ يسقمه الهوى والحب.

٩ـ **التدلي** أو (الدلة)، وهو ذهاب العقل من الحب.

١٠ـ **الهيام**: وهو من يذهب على وجهه لغلبة الحب عليه، ولكنه الحب السامي، وهو منزلة عالية لا يسمو إليها إلا من سما بمشاعره وعقله وعبادته وعَبَدَ ربه عن هدى وعلى علم، وعرف ربه حق المعرفة وسما إليه بمشاعره وتذوق متعة العبادة. ومن ذاق عرف.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

أين جواب (هل) في الآية؟

الجواب:

جواب (هل) يكون بـ (نعم) أو (لا)، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] .

وكذلك الأمرمع (أو)، نحو: هل حضر محمد أو خالد؟ وجوابه: (نعم) أو (لا)؛ لأنّ المعنى: هل حضر أحدهما؟

قال تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٨] .



رابعاً. تناسب فاتحة مريم مع خاتمتها:

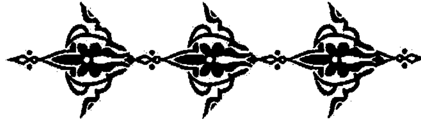
ذكر في أول السورة رحمته بعبد من عباده وهو زكريا، فقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾ [مريم: ٢].

وذكر في آخرها رحمته بعباده المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦] .

وبّر في أولها عبدًا من عباده وهو زكريا، فقال: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [مريم:٧].

وبشّر في آخرها عباده المتقين، فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [مريم:٩٧].

سورة مريم فيها رحمة وتبشير تبدأ بعبدٍ من عباده وتنتهي بالناس بعموم المتقين. والله أعلم .



سورة طه

أولاً ـ تناسب خواتيم مريم مع فواتح طه:

١ ـ قال سبحانه في خواتيم سورة مريم:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم:٩٧].

وقال في بداية سورة طه:

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه:١-٢].

فالكلام في كلا الموضعين عن القرآن .

٢ ـ وقال في خواتيم سورة مريم:

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٩٣].

وقال في بدايات سورة طه :

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه:٦].

فله ما فيهما وكل من فيهما عباده .

٣ ـ قال في آخر سورة مريم:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٨]

وضرب لنا مثلاً فيمن أهلكهم (فرعون وجنوده) في بداية سورة طه، فقد ذكر قصة موسى مع فرعون إلى أنْ أهلك فرعون وجنوده، وذلك قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨].

جاء في تفسير «روح المعاني»: ((وجه ربط أول هذه السورة بآخر تلك أنه سبحانه ذكر هناك تيسير القرآن بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام معللاً بتبشير المتقين وإنذار المعاندين، وذكر تعالى هنا ما له نوع من تأكيد ذلك)).

ثانياً ـ هدف السورة: الإسلام سعادة لا شقاء :

سورة طه مكية أيضاً، ومحور السورة يتمثل في الآية الأولى من السورة: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه:١-٢]، وكأنما سبحانه يريد أنْ يطمئن رسوله عليه السلام وأمته من بعده إلى أنّ هذا المنهج لم يأت حتى يشقى الناس به إنما هو منهج يضمن السعادة لمن تبعه وطبّقه، وهو تذكرة وهوسبب السعادة في الدنيا والآخرة، فلا يعقل أنْ يكون المؤمن شقياً كئيباً مغتمّاً قانطاً من رحمة الله مهما واجهته من مصاعب ومحن في حياته وخلال تطبيقه لهذا المنهج الربّاني فلا بدّ أنْ يجد السعادة الأبدية بتطبيقه. وهذا هو هدف سورة طه.

وهذا المنهج الذي أنزله الله تعالى لنا إنما جاء من عند **(الرحمن)**، فكيف يعقل أنْ يكون فيه شقاؤنا. وكلنا يعلم معنى كلمة الرحمن. وقد تكررت في السورة كثيراً فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يرحم خلقه أجمعين. وهذه الآية تؤكد وجود مصاعب في الحياة ومحن، وتذكر لنا قصة موسى عليه السلام وتعرض لنا ما واجهه، لكنْ دائماً تأتي

الآيات فيها رحمة الله تعالى بين آيات الصعوبات والمحن: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩]. فالمؤمن والقائم على منهج الله تعالى في سعادة ولو كان في وسط المحن، فالسعادة والشقاء مصدرهما القلب، وقد يعتقد البعض أنّ من سيلتزم بهذا المنهج والدين سيكون شقياً لا يخرج من بيته ولا يضحك ولا يخالط الناس، وهذا هو السائد في أيامنا هذه، وقد يكون هذا هو السبب الوحيد الذي يمنع الكثير من المسلمين من تطبيق المنهج؛ لأنّ عندهم فكرة مغلوطة عن حقيقة السعادة والشقاء في تطبيق منهج الله .

سيدنا موسى عليه السلام عرف هذا المعنى، فكان دائماً يدعو ربه ليشرح له صدره، مهما كانت الصعوبات التي سيواجهها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه:٢٥]، حتى سحرة فرعون لمّا آمنوا بالله ورغم أنهم تعرضوا للأذى من فرعون، إلا أنهم علموا أنهم سيحصلون على السعادة الحقيقية بتطبيق المنهج في الدنيا والآخرة: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه:٧٢] و: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه:٧٥] مع أنّ الموقف كان شديداً في مواجهة فرعون، لكنهم أحسوا بالسعادة التي تغمرهم باتباع الدين. أمّا فرعون فكان في شقاء حياً وميتاً، وعندما تقوم الساعة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب). إذن موسى والسحرة كانوا سعداء وفرعون هو الشقي؛ وذلك لأنهم استشعروا السعادة في قربهم من الله تعالى وتطبيق منهجه الذي فرضه.

التعقيب على القصة: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه:١٠٠-١٠١]: تعلّق الآيات على مفهوم السعادة وتعطي نموذجاً لمن لا يطبق منهج الله تعالى كيف سيكون في شقاء: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:١١١-١١٢] .

قصة آدم وحواء: السعادة في المنهج: تعرض الآيات نموذج آدم وكيف أنّ السعادة الحقيقية هي في طاعة الله تعالى فلا شقاء: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧] .

الشقاء بترك المنهج: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣] إلى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٦]. ونلاحظ تكرار كلمة يشقى في السورة كثيراً. فالله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣]. وهذا كلام الله أفلا نصدقه؟ !! يجب أنْ نصدقه؛ لأنه القول الحق، وأنه من يُعرض عن ذكر ربه فسيكون شقياً في الدنيا والآخرة. فعلينا أنْ نتبع هدى الله تعالى لنحظى بسعادة الدارين، فالمؤمن في سعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة.

التعقيب الأخير: رضا الله تعالى هو أعلى درجات السعادة التي علينا أن ندركها: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه:١٣٠] .

سميّت السورة: بـ (سورة طه) وهو اسم من أسماء المصطفى الشريفة على بعض الأقوال تطييباً لقلبه وتسلية لفؤاده عما يلقاه من صدود وعناد ولهذا ابتدأت السورة بملاطفته بالنداء: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه:١-٢].



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :



السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

لِمَ جاءت كلمة ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه:١-٢] وليس الكتاب؟

الجواب :

السور التي ذُكِر فيها الكتاب وحده ولم يُذكر القرآن تتردد فيها لفظة الكتاب أكثر من لفظة القرآن، والعكس صحيح. وإذا اجتمع اللفظان في آية فإن ذكرهما يتردد بصورة متقابلة، بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر إلا بلفظة واحدة في السورة كلها.

هذا النسق لم يختلف في جميع السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة وهي مقصودة وليست اعتباطية، حتى في سورة طه بدأت بلفظة القرآن وترددت لفظة القرآن ثلاث مرات في السورة، بينما ترددت لفظة الكتاب مرة واحدة.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الخامس :

ما ميزة السور التي تبدأ بحرف الطاء وهو من الأحرف النورانية؟

الجواب :

في القرآن الكريم هناك أربع سور تبدأ بحرف الطاء، وهو من الأحرف النورانية، وهذه السور هي: [طه والشعراء والنمل والقصص]. وفي هذا المجال هناك ملاحظتان:

١ـ كل سورة تبدأ بالطاء تكون فيها قصة موسى عليه السلام هي أول قصة قبل سائر القصص الأخرى.

٢ـ كل سورة من هذه السور الأربعة فيها حرفا الطاء والميم ـ طسم ـ تكون قصة موسى فيها مفصلة أكثر من السور التي لا تبدأ بالحرفين (الطاء والميم)، وإنما تبدأ بـ (طه ـ طس) .

السؤال السادس :

ما بعض اللطائف العددية في السور التي تبدأ بحرف الطاء وهو من الأحرف النورانية؟

الجواب :

سورة القصص :

١ـ عدد تكرار حرف الطاء هو (١٩) مرة.

٢ـ اسم موسى تكرر (١٨) مرة واسم هارون تكرر مرة واحدة، وعليه يكون تكرار: موسى وهارون هو (١٩) مرة.

٣ـ الجدول التالي يبين أرقام الآيات التي ورد فيها اسم موسى أو اسم هارون في سورة القصص مع بيان عدد كلماتها كل آية :

رقم الآية	عدد كلماتها
٣	٩
٧	٢٢
١٠	١٧
١٥	٣٨

١٨	١٦
١٩	٣٢
٢٠	١٨
٢٩	٢٧
٣٠	١٩
٣١	١٩
٣٤	١٤
٣٦	١٧
٣٧	١٨
٣٨	٢٧
٤٣	١٦
٤٤	١٣
٤٨	٢٦
٧٦	٢٩
المجموع	٣٧٧

وجمّل ـ موسى ـ ١١٦ـ وـ هارون ـ ٢٦١ـ وفق رسم المصحف ومجموع جمّل الاسمين هو (٣٧٧)، وهو نفس الرقم السابق الذكر.

٤ـ حسب كتاب: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي تجد أنّ كلمة (هارون) تكررت في القرآن (٢٠) مرة ومجموع ترتيب السور العشرين التي وردت فيها كلمة (هارون)هو أيضاً (٣٧٧) حسب الجدول التالي :

السورة	ترتيبها
البقرة	٢
النساء	٤
الأنعام	٦
الأعراف	٧
الأعراف	٧
يونس	١٠
مريم	١٩
مريم	١٩
طه	٢٠
طه	٢٠
طه	٢٠
طه	٢٠
الأنبياء	٢١
المؤمنون	٢٣

الفرقان	٢٥
الشعراء	٢٦
الشعراء	٢٦
القصص	٢٨
الصافات	٣٧
الصافات	٣٧
المجموع	**٣٧٧**

٥ـ في السور الأربعة التي تبدأ بحرف الطاء تكررت فيها كلمة: (هارون)) سبع مرات حسب الجدول التالي :

السورة	رقم الآية
طه	٣٠
طه	٧٠
طه	٩٠
طه	٩٢
الشعراء	١٣
الشعراء	٤٨
القصص	٣٤
المجموع	**٣٧٧**

٦ـ تكرر اسم (موسى) عليه السلام في السور الأربعة التي تبدأ بحرف الطاء (٤٦) مرة، وجمّل موسى (١١٦)؛ لأنّ الحرف الأخير صورته حرف الياء لا اللفظ.

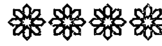
الآن :

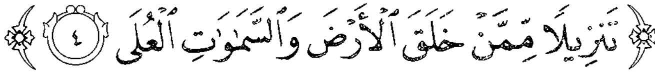
حاصل ضرب تكرار اسم موسى في جمّله هو : ٤٦×١١٦ = ٥٣٣٦

وحاصل ضرب تكرار اسم هارون في جمّله هو: ٧×٢٦١= ١٨٢٧

المجموع : (٧١٦٣) ويساوي ١٩×٣٧٧ .

وهذه مفاجأة عددية.




﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

أيهما أصح أنْ يقال: اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أم بصفاتك العلا؟

الجواب :

١ـ القاعدة اللغوية:

المفرد في الصفات مع غير العاقل يفيد أكثر من الجمع، فقولك: (عندي أشجار كثيرة)، كثرة الأشجار أكثر منها في قولك: (عندي أشجار كثيرات)؛ لذلك يعطي الوصف بالإفراد لغير العاقل معنى العدد الأكثر من الوصف بالجمع.

وعندما تجمع الصفة تكون قليلة، وأقل مما لو أفردت الصفة.

*** شواهد لغوية :**

ـ جبال شاهقة: هي أكثر من: جبال شاهقات.

ـ أنهار جارية: هي أكثر من: أنهار جاريات.

*** شواهد قرآنية:**

ـ [آية طه ٤] ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

(العلا) جمع عليا ـ والعليا مفرد ـ والسماوات سبعة. فالعلا جمع والسماوات جمع كذلك. وعندما يجمع الصفة تكون قليلة، وأقل مما لو أفرد الصفة.وهنا العدد سبعة وهو ضمن جمع القلة، فناسب ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾.

ـ [آية طه ٨] ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨] لله (٩٩) اسماً، والعدد جمع كثرة، و(الحسنى) مفرد، وإذا أفرد الصفة في غير العاقل تكون كثيرة وإذا جمع يكون أقل.

ـ ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ وما قال: موضوعات؛ لأنه إذا جمع تكون قليلة .

ـ ﴿غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ الزمر ٢٠ وما قال: مبنيات؛ لأنه إذا جمع تكون قليلة.

٢ـ لذلك قولك: (اللهم إني أسألك بصفاتك العليا) أولى من (بصفاتك العلا)، مع أنه يصح لغة، والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية طه٤ : ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه:٤] وفي غيره من المواضع بدأ بالسماوات قبل الأرض، فلماذا؟؟

الجواب:

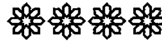
آية طه٤:

١ـ هو الواقع؛ لأنه تعالى خلق الأرض قبل السماء.

٢ـ لمّا ذكر أنّ إنزال القرآن تذكرة لمن يخشى وهم سكان الأرض، ناسب البدء بذكر الأرض.

٣ـ لمراعاة الفاصلة القرآنية.

أمّا في آيات أخرى فبدأ بالسماوات قبل الأرض لشرفها وعظمها، كما في آية الحشر ٢٤.



﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ ما كلمات منظومة القعود (قعد وجلس واستوى)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٧٨.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تكرار اسم الموصول ﴿مَا﴾ في آية طه ٦ وآية سبأ ١ وعدم تكراره في آية البقرة ١١٦ والنحل ٥٢؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٦.



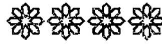
من قصة موسى عليه السلام في سورة طه

القصة في القرآن الكريم نجدها أحياناً مكرّرة ترد هنا وترد هناك بقصد التربية والعِظة، وأحياناً للإجابة عن تساؤلات.

قصة موسى عليه السلام من القَصص التي تتكرر بكثرة، والسِرّ في ذلك هو أنّ حياة موسى عليه السلام والأحداث التي مرت بحياته متعددة ومتفرقة وطويلة وتصلح أنْ تكون دروساً كثيرة للمجتمع المسلم، سواء كان في زمن الرسول عليه السلام أم في الأزمان المقبلة إلى قيام الساعة.

والقرآن الكريم يأخذ لقطة من القصة أحياناً: لاحظ مثلاً قصة إبراهيم عليه السلام أيضاً تكررت، لكنْ ليس بهذه الكثرة، قصة لوط عليه السلام موجزة جداً ومختصرة، قصة إبراهيم فيها طول، لكنّ أطول القصص هي قصة موسى عليه السلام، وعندما نأتي إلى اللقطات من قصة موسى نجدها في كل موقع لها تخصصها ولها أهميتها.

وموسى عليه السلام لم يكن يتكلم العربية، وإنما هو كلام الله سبحانه وتعالى، وهونقلٌ للواقعة بما يناسب جو السورة، فعندما يكون جو السورة جو قوة تكون الألفاظ التي تأتي قوية، وعندما يكون الجو ضعيفاً تكون الألفاظ ضعيفة.



﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة أنه رأى ناراً فآنس منها؟

الجواب:

١ـ رأى النار وآنسته يعني أحس فيها بالأُنس والاطمئنان. وموسى عليه السلام كان مع أهله، وعلى فرض أنه وُلِد له فأكبر أولاده عمره تسع سنوات، هذا إذا قضى عشر السنوات. وعندما يقول (الأهل) فإنها في لغة القرآن الكريم تعني الزوجة والذرية.

٢ـ ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ رأى ناراً فاتجه إليها؛ لأنّ عادة الناس في الصحراء والمناطق المفتوحة التي يمكن أن يتعرّض الإنسان فيها للضلال والتيه أن يوقدوا ناراً. ولكنّ موسى عليه السلام لم يجد ناراً حقيقية، وإنما كان هناك هذا الضوء الذي رآه، فلمّا رأى الضوء قال: هي النار، فبقي السرد كله على أنها نار كما تخيّلها.

أي لمّا وصل إليها لم تكن ناراً، لأنها غير محرقة، ولم يجد شيئاً يحترق ولم يجد أحداً حولها، والله سبحانه وتعالى أزال وحشته بهذا الخطاب المباشر وثبّت قلبه بالآيات، وبُلِّغ بالرسالة وخوطب.

٣ـ وقوله ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ أي هو متردد، فالحالة النفسية لموسى عليه السلام هي حالة إنسان في هذه البرية، في ظلمة، ورأى ناراً فأراد أنْ يستنجد بها. ومن خلال النصوص يظهر أنه كان عنده من العزم والإيمان والثقة فى الله وعنده في الوقت نفسه شيءمن الخوف والتردد، فالحالتان موجودتان.

السؤال الثاني :

ماذا تعنى كلمة ﴿ءَانَسَ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

في المعجم: (آنس) الشيء: أبصره، والصوت: سمعه . و(استأنس)؛ أي استأذن.

أمّا في القرآن الكريم فإنه يعطينا حس العربية المرهف وهو الطمأنينة والأُنس، كما في آية (طه ١٠). وقد وردت هذه الكلمة في خمس آيات من القرآن. وليس الإيناس فيها مجرد إبصار لظواهر الرشد المادية الحسية ولكنه الطمأنينة النفسية المؤنسة .

كذلك الأمر في آية النور ٢٧، فإنّ الاستئناس ليس مجرد الاستئذان فقط وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله .

والإنس والإنسان مشتقان من كلمة (أنس) أو (آنس).

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة النار ومرادفاتها؟

الجواب :

منظومة كلمات النار ومرادفاتها هي:

الشعلة :

هي فتيل موقود مثل فتيل السراج: [مريم ٤].

اللهب :

هي اضطرام النار الأول، أي الخطوة الأولى من النار الفعلية، واللهب الصافي هو مصدر اللهيب [المرسلات ٣١ـ المسد ٣].

شهاب :

عندما يرتفع اللهب ويوقد كل ما في النار. فالشهاب يكون في الخشبة أو العود المأخوذ من النار، ويكون قد اشتعل كله [النمل ٧].

قبس :

هوالعود الذي يؤخذ وهو مشتعل وناره مستوية ليس فيها دخان[طه ١٠].

شرر :

هو الشرر الذي يتطاير من النار من شدة الالتهاب[المرسلات ٣٢].

شواظ :

هو لسان طويل يخرج من النار[الرحمن ٣٥].

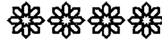
الجمر :

عندما ينطفيء اللهب وتصبح النار متقدة قوية تسمى جمراً، والجمرة عند العرب تطلق على كل قبيلة قوية.

جذوة :

هي النار الهادئة بعد أنْ كانت جمراً[القصص ٢٩].

ومعظم هذه المرادفات جاء على لسان موسى عليه السلام عند عودته من مدين إلى مصر في سيناء.



﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما وجه الاختلاف بين ﴿أَتَىٰهَا﴾ في آية سورة طه ١١، و﴿جَآءَهَا﴾ في آية سورة النمل ٨؟

الجواب :

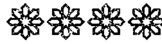
١ـ بشكل عام القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة وشدة ويستعمل (أتى) لما هو أخف وأيسر .

٢ـ المجيء والإتيان معناه أنه وصل للمكان، ولكنْ لا بدّ أنْ ننظر في السياق، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ فى سورة النمل تتناسب مع جو القوة. وننظر أيضاً في تردد الكلمات في السورة حيث تأتي حسب سياق الآيات قال تعالى فى سورة طه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ

﴿(١١)﴾ [طه:١١]، وقد تكرر لفظ الإتيان في سورة طه أكثر من ١٥ مرة والمجيء ٤ مرات.فناسب﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾ البناء للمجهول هو نوع من التعظيم والتفخيم لله سبحانه وتعالى الذي نادى.

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه:١٤] فخاطب موسى بالإفراد ولم يقل (نحن)؛ لأنه لا ينسجم هنا، فالمقام توحيد وليس مقام خلق.



﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى (١٢) وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤)﴾

السؤال الأول:

الكلام موجه لموسى عليه السلام في سورة طه ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه:١٢] ثم قال بعدها ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، وفي سورة النمل قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٩)﴾ [النمل:٩] فما الفرق بين: ﴿إِنِّيٓ﴾ ﴿إِنَّنِيٓ﴾ ﴿إِنَّهُۥٓ﴾؟

الجواب:

أولاً :إني وإنني :

١ـ (إنني) آكد من (إني) بسبب زيادة النون. ﴿إِنَّنِيٓ﴾ عبارة عن (إن) مع نون الوقاية مع الياء. ﴿إِنِّيٓ﴾ إنّ من دون نون الوقاية، لكن مع الياء. ونون الوقاية يمكن حذفها.



تقول: إنني، وتقول: إني، إذن حذفها ممكن، فلماذا يؤتى بها؟ هي لزيادة التوكيد، (إنّ) مؤكدة، و(إنني) زيادة في التوكيد .

٢ـ النون تؤكد الأفعال وتؤكد الأسماء ويؤتى بها في آخر الفعل المضارع والأمر للتوكيد، ويؤتى بها في أول الأسماء للتوكيد.

٣ـ يبقى السؤال: لماذا هنا في آية طه آكد؟

ننظر الآيات ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾ [طه:١١-١٢] هنا أمر بأن يخلع نعليه؛ لأنه بالوادي المقدس.

وتستمر الآيات ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٣-١٤] وهذا أمر بالاستماع، وهذا في مقام التوحيد والعبادة.

ففي الآية الثانية طُلب منه الاستماع؛ لأنّ الأمر الذي سيلقيه إليه أهم من خلع النعل. والكلام من الله تعالى في الآيتين، لكنّ الكلام بعضه أهم من بعض. وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه:١٤-١٥] هي تبليغات في العقيدة ورسالة وليست كـ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ فهما ليسا بمنزلة واحدة قطعاً؛ لذلك ناسب هنا التوكيد ﴿إِنَّنِيٓ﴾.

٤ـ وشبيه بهذا في كلام سيدنا إبراهيم في سورتي الأنعام والزخرف في الآيات: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام:٧٨] ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُّخرُف:٢٦] فالأولى هي في مقام تبليغ لأبيه وقومه، فقال: (بريء) والثانية هي في مقام (براء)، و(براء) مصدر

أو تحويل إلى الصفة المشبهة وكلاهما أقوى من بريء، لأنه إخبارٌ بالمصدر عن الذات، و هذا لا يؤتى به إلا في مقام التجوز. تقول: هو سعيٌ له أو هو ساعٍ؟ (هو سعيٌ) تخبر بالمصدر عن الذات.

والإخبار بالمصدر عن الذات معناه أنك تحول الذات إلى مصدر؛ لذلك فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ أقوى من (بريء)؛ لأنّ (براء) مصدر، و(بريء) صفة مشبهة، والإخبار بالمصدر عن الذات تجوّز؛ لهذا لمّا قال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ حوّلها إلى ما هو أوكد وأبلغ من (بريء)؛ ولأنه في مقام تبليغ وقوة في الكلام فقال: ﴿إِنَّنِي﴾ .

ثانياً :إنه :

في قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ [النمل:٩] ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ الهاء ضمير الشأن الذي فيه التفخيم والتعظيم. وضمير الشأن (هو) أو (هي) فقط لأنه يعود على الشأن، والشأن يعبر عنه بـ(هو) أو (هي).

ويأتي مع إنّ وأخواتها؛ أي النواسخ، نحو: (**ظننته، إنه، إنها**) ويسمونه ضمير الشأن، لكنْ عندما يكون مؤنثاً يسمونه ضمير القصة؛ لأنه يعود على القصة وهي مؤنث، بينما كلمة الشأن مذكر.

السؤال الثاني :

ما دلالة ضمير الشأن؟

الجواب :

ضمير الشأن (هو) يرد على جهة التفخيم والتعظيم للمبالغة في تعظيم القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيها.

وهنا في الآيات المذكورة آنفاً نجد أنّ الله تعالى :

قال في طه ١٢ : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بلفظ المتكلم.

وقال في القصص ٣٠ ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بلفظ المتكلم أيضاً.

وقال في النمل٩ ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ بلفظة ضمير الشأن.

وأنت تلاحظ مقام التفخيم والتعظيم في آيات سورة النمل، وذلك من السياق ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ فهو مسبوق بالتعظيم والتنزيه مما ناسب ضمير الشأن. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآيات(١٢ـ١٤) في سورة طه؟

الجواب :

١ـ خاطب الله موسى عليه السلام في البدء ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ ليطمئنه ويؤنسه بأنه المربي العطوف.

٢ ـ ثم خاطبه بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ أي هوصاحب التكاليف، والمعبود المطاع في الأمر والنهي .

وأول هذه التكاليف وقمتها هي قوله: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، وقد قال ﷺ: «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي :لا إله إلا الله**» فكأنّ الحق سبحانه يقول لموسى عليه السلام: لا تخف فلن تتلقى أوامر من غيري ولا يصح أنْ تتلقى الأمر والنهي إلا مني ولا تعتمد إلا علي:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[الفرقان:٥٨] .

٣ـ ويشترط فيمن يعطي الأوامر ويشرّع :

ـ ألاّ ينتفع بشيء من ذلك.

ـ أنْ تكون الأوامر والنواهي لمصلحة المأمورين.

ـ ألاّ يغيب عن المشرع شيء يمكن أنْ يستدرك فيها بعد.

وهذه الشروط لا توجد إلا في التشريع الإلهي، فله سبحانه صفات الكمال قبل أنْ يخلق الخلق.

٤ ـ ثم قال بعدها: ﴿فَٱعْبُدْنِى﴾ بطاعة أوامري واجتناب نواهيّ، والعبادة أوسع دائرة من دائرة الصلاة أو الزكاة أو الحج، فهي تشمل كل حركة في الحياة شريطة أن تتوفر معها النية أنها لوجه الله تعالى.

٥ ـ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ وخصّ الصلاة دون سائر العبادات الأخرى بسبب :

أ ـ هي العبادة الدائمة التي لا تنفك عن المؤمن ما دام فيه نَفَس، وباقي العبادات قد تسقط لسبب أو عذر.

ب ـ تذكرك بربك خمس مرات في اليوم.

ج ـ كل العبادات فُرضت بالوحي إلا الصلاة كانت مباشرة من الله لرسوله، وهذا يدل على أهميتها.

لذلك لمّا قرّب الله تعالى رسوله إليه فرض الصلاة وجعلها تقرباً لعباده إليه.

د ـ وقال: ﴿لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ أي: لتذكر الله؛ لأنّ دوام ورتابة النعمة قد تُنسيك المنعِم، فعندما تسمع نداء الله ـ الله أكبر ـ تهرع إلى بيوت الله فتتذكر إنْ كنت ناسياً، وينتبه قلبك إنْ كنت غافلاً.



﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟ ولماذا لم يؤكّد باللام هنا كما أكّد في آية غافر ٥٩ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؟

الجواب :

١ـ في آية سورة غافر٥٩ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ بإثبات لام التوكيد؛ لأنّ المخاطبين فيها هم الكفار، فاحتاجوا إلى تأكيد الخبر، وهنا الكلام مع نبي الله موسى، فلم يحتج إلى التوكيد، فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾.

٢ـ ومعنى الآية: اجعل في نفسك دائماً أنّ الساعة آتية لا محالة . والساعة نوعان :

ـ ساعة لكل منا، وهي عمره الذي لا يعلم متى سيكون.

ـ ساعة للكون كله، وهي القيامة الكبرى.

أمّا القيامة فسوف تقوم ولو بعد آلاف السنين، لكنّ الزمن مُلغى بعد الموت، حيث إنه لا يضبطه إلا الحدث، كما يحدث في النوم أو كما حدث مع أهل الكهف أو العزير.

٣ـ ومن حكمته تعالى أنْ أخفى الساعة للفرد؛ ليكون على حذر من أنْ يلقى الله على حال معصية. وأخفى الساعة الكبرى؛ حتى لا تأخذ ما ليس لك من حق وتعلم أنك إنْ سرقت فسترجع إلى الله فيحاسبك؛ لذلك استقم وعدّل من سلوكك.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ أي ليست مأتياً بها، فهي الآتية، مع أنّ الله هو الذي سيأتي بها، لكنّ المعنى أنها منضبطة فإذا جاء وقتها حدثت .

وجاءت بالصيغة الاسمية ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ التي تفيد الثبوت والاستقرار.

٥ـ قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ :أي: قرُب وقتها، مثل: كاد زيد أنْ يأتي أي قرب، لكنه لم يأت بعد ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأعراف:١٨٧].

ويصبح المعنى: لا يعلم أحد موعدها إلا الله.

و(خفى): بمعنى ستر، وأمّا :(أخفى): فبمعنى أزال الخفاء. ولا يُزالُ خفاء الشيء إلا بإعلانه، وإعلان الساعة هنا من كثرة بيان علاماتها الصغرى والوسطى والكبرى.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿أُخْفِيهَا﴾ توجد همزة الإزالة، فما همزة الإزالة؟ وما عملها؟

الجواب :

١ـ بعض الأفعال الثلاثية تُعطي عكس معناها عند تضعيف الحرف الثاني منها مثل: [مرض و مرّض] و [قشر و قشّر] و [حرض و حرّض].

٢ـ وقد يأتي المعنى المضاد للفعل بزيادة الهمزة على الفعل، مثل: [قسط و أقسط] و [صلى و اصطلى] و [عجم و أعجم]، وتسمى همزة الإزالة.

بيان الأمثلة :

ـ قَشَرتُ الشيء: أي جعلت له قشرة، أمّا قشّرت البرتقالة: أي أزلت قشرها.

ـ حَرَض: أي تعب وهلك. وحرّض: أي حثّ على القتال الذي يزيل الهلاك أمام الكفار.

ـ صلى النار: أي دخلها وذاق حرها ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم: ٧٠]

أمّا: اصطلى، فهو طلب النار. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

ـ عجم الأمر: أي أخفاه، وأعجم الأمر: أي أزال خفاءه .



﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما نوع السؤال في الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾؟

الجواب :

الله تعالى يسأل عباده، وهو أعلم بهم. وفي الحديث القدسي: (**يسأل الله تعالى ملائكته كيف تركتم عبادي؟ وهو أعلم بهم، ويسأل: قبضتم ولد عبدي؟ وهو أعلم ....**) ولكن هذا السؤال هو تقرير، أو يقرره الله تعالى لهؤلاء عموماً .

وعندما سأل موسى عليه السلام ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه:١٧] أراد أنْ يتثبت موسى من أنّ ما في يده عصا حتى إذا انقلبت إلى حية تسعى يشعر بقوة المعجزة وعظمها؛ ولذا ولّى موسى مدبراً ولم يعقّب بعد أنْ انقلبت عصاه حية تسعى.

فالسؤال هو لتثبيت ما بيده، لكنّ موسى أراد أنْ يتقرب إلى الله تعالى بكثرة الكلام المفيد، وهذه فرصة ليتكلم مع ربه، فلم يكن جوابه (عصا) وإنما قال: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه:١٨] وأراد أنْ يطيل الكلام خوفاً من أنْ يكون ما حصل معه امتحاناً له وهذا هو الغرض من السؤال.

والله تعالى يسأل عباده عما هو أعلم به، كما سأل عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] والهدف هو تقرير الأمر وتثبيته.

السؤال الثاني :

ماالفرق بين دلالة كلمة ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ في آية سورة سبأ و﴿عَصَاىَ﴾ في سورة طه؟

الجواب :

قال تعالى في سورة سبأ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ:١٤]، والمنسأة هي العصا.

نسأ البعير: إذا جرّه وساقه، والمنسأة هي عصا عظيمة تُزجر بها الإبل و(نسأ) بمعنى أخّر الشيء، و(النسيء)؛ أى التأخير.

فلماذا إذن استعمل كلمة (منسأة) في آية سبأ، ولم يستعمل كلمة (عصا)؟

في قصة سليمان هذه العصا كانت تسوق الجنّ إلى العمل، مع أنّ سليمان كان ميتاً إلى أنْ سقطت العصا وسقط سليمان، فكما أنّ الراعي يسوق الإبل لتسير، فهذه المنسأة كانت تسوق الجنّ. والمنسأة كأنها مدّت حكم سليمان فهي أخّرت حكمه إلى أنْ سقط. فاستعمالها في قصة سليمان أفاد المعنيين واستعمالها من الجهتين اللغويتين في غاية البيان من جهة السوق ومن جهة التأخير.

أمّا في قصة موسى فاستعمل كلمة العصا ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه:١٨] ليهشّ بها على غنمه وبها رحمة بالحيوان وعكس الأولى، ولا يناسب استخدام كلمة منسأة في آية طه.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (موسى) في القرآن الكريم (١٣٦) مرة، منها (٢٤) مرة بصيغة النداء ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ تسع مرات منها (بصيغة النداء) تقع في سورة طه التي تفيض رعاية وعناية بسيدنا موسى عليه السلام.

وفي القرآن الكريم نادى الله أحباءه ورسله بأسمائهم ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ـ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ وأمّا أعداء الله فقد نودوا بكنيتهم ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾[المَسَد:١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾[طه:١٧]:

أـ هذا سؤال تقريري عن شيء ظاهر على يمين موسى عليه السلام. ولو قال مثلاً: وما تلك في يمينك، أي لو استعمل (في) بدل (الباء) لأفاد ذلك الظرفية المكانية التي يدل عليها الحرف (في).

والسؤال من الله – وهو أعلم به– كما يسأل الله تعالى ملائكته: كيف تركتم عبادي؟ وهو أعلم بهم، وهو تقرير وتثبيت أنّ ما في يد موسى عليه السلام هو عصا، حتى إذا انقلبت حية يشعر بقوة المعجزة وعظمها.

وموسى عليه السلام ممسك بالعصا بقبضة يده، فاستعمل (الباء) التي تفيد التصاق اليد بالعصا.

ب ـ وكأنّ موسى عليه السلام استأنس بالسؤال واستمتع بالنداء وبالقرب فأراد أنْ يحظى بطول المناجاة ولذة المودة والقرب فأطال الجواب حتى تجاوز حدود الجواب المباشر إلى أشياء أخرى، فقال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا

﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه:١٨] وهذه الإجابة الأنيسة هي في حدود علم موسى عليه السلام، وهو لا يدري أنّ الله عز وجل يخبىء له في هذه العصا معجزة نبوية ستظل مرتبطة باسمه إلى يوم الدين.

ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما لّما سئل : لماذا زاد موسى عليه السلام على حد الجواب المباشر للسؤال، قال: إنه لّما قال: (عصاي) سئل سؤالاً ثانياً: وما تصنع بها؟ فأجاب بباقي الآية.

ـ وقيل إنه عدّد فوائدها وبين حاجته إليها خوفاً من أنْ يؤمر بإلقائها كما أُمر بإلقاء النعلين.

ـ وقيل إنه ذكر ذلك؛ لئلا ينسب إلى العبث في حملها.

ج ـ الفعل (هشّ) كما ورد في لسان العرب: هش الورق خبطه بعصا ليتحات فيسقط فترعاه الغنم. والهش والهشيش ما فيه رخاوة ولين، يقال: خبزة هشة، والراعي يحتاج إلى أنْ يصدر صوتاً يسوق به غنمه ويحثها على السير ويرد به الأغنام الشاردة يميناً ويساراً .

فالراعي له لغة خاصة يتعامل بها مع غنمه وإبله، ومن مفردات هذه اللغة الخاصة كلمة ـ أهش ـ التي يستعين بها في سَوْق غنمه وهو يضربها برفق بعصاه ضرباً خفيفاً.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه:١٨] :

لم يذكر موسى عليه السلام هذه المآرب. أتراه استحيا من طول الكلام مع ربه إنْ هو ذكرها! أم أنه كره أنْ يشتغل عن سماع كلام الله بتفصيل منافعها ففصّل البعض وأجمل الباقي بقوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه:١٨]؟ الله أعلم.

ومن طريف ما يُروى بهذه المناسبة أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي لقي أعرابياً فسأله: من أين أقبلت؟ قال: من البادية. قال: وما في يدك؟ قال: هي عصاي أركزها لصلاتي وأعدها لعداتي، وأسوق بها دابتي وأقوى بها على سفري وأعتمد بها في مشيتي لتتسع خطوتي، وأثب بها النهر وتؤمنني من العثر، وألقي عليها كسائي فيقيني الحر ويدفئني من القر. أقرع بها الأبواب وأتقي بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح في الطعان وعن السيف عند منازلة الأقران، ورثتها عن أبي وأورثها ابني بعدي وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى .

وأغلب الظن أنّ مآرب موسى عليه السلام لا تختلف كثيراً عن مآرب الأعرابي، ولكنّ الله له مأرب في هذا السؤال الذي وجهه إلى موسى، فالله تعالى يعلم ما في يمين موسى ويعلم ما يفعل موسى بعصاه، ولكنّ الله تعالى يريد أنْ ينبه موسى عليه السلام إلى أنّ هذه المآرب الدنيوية هي أقل ما ستحققه هذه العصا، وأنّ لهذه العصا شأناً كبيراً يوشك أنْ يظهر. إنها عصا عادية، ولكنّ قدرة الله عز وجل تجعل منها معجزة لموسى عليه السلام تبطل كيد سحرة فرعون .

السؤال الرابع :

متى تأتي(ياء المتكلم) مفتوحة؟ ومتى يجوز فتحها كما في (ليَ)؟

الجواب :

هناك مواطن وجوب الفتح، وما عداها يجوز. وفي القرآن حسب النقل .

مواطن وجوب الفتح :

١ـ بعد الاسم المقصور، نحو: (هدايَ ـ عصايَ ـ محيايَ) كما في آيات [البقرة ٣٨ـ الأنعام ١٦٢ـ طه ١٨].

٢ـ بعد الاسم المنقوص، نحو: (معطيَ ـ منجيَ)

٣ـ بعد المثنى :(والديَ ـ ابنتيَ) [نوح ٢٨ـ القصص ٢٧].

٤ـ بعد جمع المذكر السالم: (بمصرخيَ) [إبراهيم ٢٢].



﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ورد في القرآن الكريم ذكر عصا موسى بأوصاف مختلفة مرة بالجان ومرة بالثعبان ومرة بالحية، فما الفرق بينها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٧.



﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ ؟ وما دلالة الأفعال (اضمم) و(اسلك) و (أدخل)، وكلها جاءت مع قصة موسى عليه السلام في سور طه والنمل والقصص؟

الجواب :

أولاً ـ الله عز وجل عبّر عن هذا المعنى بثلاث عبارات، وهي :

أ ـ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه:٢٢] .

ب ـ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل:١٢].

ج ـ ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القصص:٣٢].

آية القصص ٣٢: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ يعني: أدخلها.

ب ـ الفرق بين ﴿وَأَدْخِلْ﴾ و﴿ٱسْلُكْ﴾ أنّ الإسلاك هو الإدخال برفق ولطف، بينما الإدخال يتم في سهولة بدون عوائق، وقيل الدخول أصعب من الإسلاك .

ج ـ قوله تعالى: ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ الجيب هو فتحة الثوب من أعلى، وسموها جيباً؛ لأنهم كانوا يجعلون الجيوب مكان حفظ الأموال في داخل الثياب حتى لا تُسرق، فكان الواحد يُدخل يده في قبَّة الثوب لتصل إلى جيبه. وقد يكون لفتحة الجيب أزرار لتغلق وقد تكون بلا أزرار فتبقى مفتوحة، وقيل: إنّ الجيب هو جنب البدن.

آية طه ٢٢ ﴿وَٱضْمُمْ﴾

المعنى: اضمم يدك اليمنى وأدخلها تحت عضدك الأيسر، وهذا هو ضم الجناح؛ لأنّ يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر بهدف التأمين من الخوف.

آية القصص ٣٢ : ﴿ اَسْلُكَ ﴾ / ﴿ وَاَضْمُمْ ﴾

(اسلك واضمم): وكلاهما بمعنى (أدخل)، وإنما خُولف بين العبارتين لاختلاف الغرض؛ وذلك أنّ الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرهب؛ وبيان ذلك :

أـ قوله تعالى: ﴿ اَسْلُكَ ﴾ أي: أدخل على الاستقامة مع الخفة والرشاقة ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، كما يُدخل السلك في الدرر ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾، أي لها شعاع كضوء الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي بدون عيب.

ب ـ قوله تعالى:﴿وَاَضْمُمْ إِلَيْكَ﴾ أي: إلى جسدك للتأمين على الخوف عند معاينة الحية التي انقلبت عن عصا، وعبّر بالجناح؛ لأنّ الطائر يكون آمناً عند ضم جناحه، والمراد هنا بالجناح هو الإبط والجانب.

ويجوز أنْ يكون المراد بالرهب الكُم وإدخالها بالكم لرجوعها إلى عادتها.

آية النمل ﴿ وَأَدْخِلْ ﴾

أـ قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: في فتحة ثوبك من الأعلى ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أي: تخرج بيضاء بياضاً نيراً له شعاع ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ ؛ أي: من غير برص أو غيره من الآفات.

ب ـ عدد آيات موسى عليه السلام تسعة، وهي: فلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم، ولمن

عدّ العصا واليد أنْ يجعل الجذب والنقصان واحداً ولا يعدّ الفلق؛ لأنه لم يبعث به إلى فرعون.

ج ـ قال في النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ وفي القصص ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾، فما الفرق؟

رأي الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى أنّ فتحة القميص قد تكون مفتوحة بدون أزرار فيدخل يده بسهولة، فيُسمى: (إدخال) .

فإنْ كانت مغلقة بأزرار مثلاً احتاج أنْ يسلك يده بأنْ يُدخلها برفق ويوسع لها مكاناً، نقول: سلك الشيء بمعنى أدخله بلطف ورفق، ومنه السلك الرفيع حين تُدخله في شيء.

والله أعلم.

ثانياً ـ انظر الجدول التالي :

السورة	اضمم	اسلك	أدخل	التعبير في الآية
طه	١	١	-	﴿وَاضْمُمْ﴾
النمل	-	-	٥	﴿وَأَدْخِلْ﴾
القصص	١	١	١	﴿اسْلُكْ﴾ / ﴿وَاضْمُمْ﴾

من دراسة الجدول يتبين عددياً تناسب اختياركلمة (أدخل) في آية النمل إضافة إلى ما ذُكر أعلاه، والله أعلم.

ثالثاً ـ لقد استعمل في سورة القصص أمرُ الفعل (سَلَكَ) الذي يستعمل كثيرا في سلوك السبل، فيقال: سلك الطريق والمكان سلكاً، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٩-٢٠]؛ ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، فقد ورد فيها: سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره، وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدين، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريقَ إلى مصر، بخلاف ما ورد في النمل، حتى إنه لم يذكر في النمل سيرَه بأهله بعد قضاء الأجل، بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة، فقال مبتدئاً: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧] بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩] فحَسُنَ ذكر (السلوك) في القصص دون النمل.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإنّ الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات في النمل، ومرة واحدة في القصص، في حين لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في طه، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ومن ناحية ثالثة: إنّ الإدخال أخص من السَّلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك؛ لأنّ السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالاً وغير إدخال. تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان؛ أي: سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك. فإن السَّلك قد يكون سهلاً ميسوراً، قال

تعالى في النحل: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل:٦٩] فانظر كيف قال: ﴿ذُلُلًا﴾ ليدلل على سهولته ويسره، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر:٢١]. وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟

فناسب وضع (السلوك) في موطن السهولة واليسر، ووضع (الإدخال) في موطن المشقة والتكليف الصعب. و ناسب (الإدخال) أنْ يوضع مع قوله تعالى: ﴿سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ [النمل:٨] ومع مهمة التبليغ إلى فرعون وقومه.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين السوء والسيئات؟

الجواب :

١ـ كلمة (السوء) عامة في الأفعال والمعاصي وغيرها، وهي مصدر تطلق على القليل والكثير، نحو: أصابه سوء. وكما في الآية: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

* شواهد قرآنية:[طه٢٢ـ النساء ١٢٣ـ النمل ٥].

٢ـ السيئة: هي فعل القبيح مقابل الحسنة، وقد تطلق على الصغائر وتجمع على سيئات.

* شواهد قرآنية: [غافر ٤٥].



﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة ألطاف الله على عباده؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنفال ٢٦.



﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الذكر والتسبيح؟ ولماذا قدّم الذكر على التسبيح في قوله تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه:٣٣-٣٤] ؟

الجواب :

١ـ التسبيح هو تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به ويحتمل أنْ يكون باللسان وأنْ يكون بالاعتقاد.

وأمّا الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء.

٢ـ الذكر أعم من التسبيح، والتسبيح هو ذِكر. والذِّكر أعم، فهو يشمل التسبيح والتحميد والتهليل، فهو عام، والتسبيح قسم منه. فإذن التسبيح أخص من الذكر، فكل تسبيح ذكر، وليس كل ذكر تسبيحاً.

٣ـ نرى كيف يستعمل القرآن كلمة (الذكر) :

أ ـ الذكر لم يجعل له وقتاً ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران:٤١]، وخصّص في التسبيح ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٤١]، فلمّا كان التسبيح أخصّ خصّص الوقت. قال تعالى :

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران:٤١].

ب ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]، فمع الأخص خصّص، ومع الأعم أطلق.

٤ـ أمّا لماذا قدّم التسبيح في آية سورة طه ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه:٣٣-٣٤]؟

كان موسى عليه السلام في حالة خوف أو في حالة ترقب، خوف أنْ يفعل بهم فرعون ما يفعل من سوء ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه:٤٥]، والتسبيح ينجي من الغم وينجي من الكرب، وربنا أخبر عن ذي النون ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وربنا قال للرسول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحِجر:٩٧-٩٨]؛ لأنّ التسبيح ينجي من الضيق والغم ويذهب الهم والكرب والخوف.

فلمّا كان موسى في حالة خوف قال: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [طه:٣٣] فبدأ بها يُذهب الهم ويُذهب الغم ويُنجي من الخوف. إذن التسبيح أخص من الذكر والذكر أعم.

السؤال الثاني :

ما دلالة التعليل بـ(كي) في آيات طه ٣٣ـ٤٠ والقصص١٣، **وباللام** في قوله: ﴿وَلِتَعۡلَمَ﴾ في آية القصص١٣؟

الجواب :

١ـ الحرفان (كي) و(اللام) متقاربان جداً في التعليل، لكنّ الحرف (كي) يستعمل لبيان الغرض الحقيقي، ولم يرد تعليل مجازي بـ (كي) في القرآن الكريم.

أمّا (اللام) فتستعمل بشكل أوسع، فهي تستعمل للغرض الحقيقي والتعليل المجازي.

وعندما يجتمع الحرفان تستعمل (كي) للغرض المؤكد والمطلوب الأول والثاني باللام.

٢ـ وقد وردت (كي) في القرآن الكريم في عشرة مواضع، هي:[آل عمران ١٥٣ ـ طه ٣٣ ـ طه ٤٠ ـ الحج ٥ ـ القصص ١٣ ـ الأحزاب ٣٧ ـ الأحزاب ٥٠ ـ الحديد ٢٣ ـ النحل ٧٠ ـ الحشر ٧].

أمّا اللام فقد وردت في مواطن كثيرة جداً.

*** شواهد قرآنية على التعليل المجازي لـ (اللام) :**

القصص ٨ ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ هذه هي لام العاقبة وهو تعليل مجازي .

آل عمران ١٤٠: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فلا شك أنّ الله يعلم ذلك ابتداء والمقصود هنا العلم الذي يتعلق به الجزاء والعقاب، فجعل التعليل باللام ولم يجعله بـ (كي)، ولو قال: (كي نعلم)، لكان المقصود العلم لذاته، ومعنى هذا أنّ الأمر مجهول له سبحانه، وهذا مستحيل بحقه جل وعلا.

الكهف ٢١: أصحاب الكهف يعلمون أنّ وعد الله حق ولا شك، وكيف لا وهم فارقوا قومهم لإيمانهم بالله تعالى؟ !!!

فلو قال: كي يعلموا، لكان المعنى أنّ هذا هو الغرض الحقيقي، وقد كانوا يجهلون ذلك.

*** شواهد قرآنية على اجتماع الحرفين:**

القصص ١٣: جعل التعليل الأول بـ (كي) والثاني بـ(اللام)، والأول هو المطلوب ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ وهو غرض كل أم سُلب منها ابنها، أنْ يعاد إليها أولاً.

ولذلك عللها في الموضعين القصص ١٣ ـ وطه ٤٠، بينما ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص:١٣] معناه الاطمئنان لا مجرد العلم، ولو قال: كي تعلم أنّ وعد الله حق، لكان المعنى أنها تجهل أنّ وعد الله حق، وأنه رده إليها لتعلم هذا الأمر.



﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿سُؤْلَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه:٣٦]؟

الجواب :

كلمة (سؤل) بتسكين الهمزة؛ أي ما سألته، وهي من أوزان اسم المفعول لأنْ أوزان اسم المفعول ثمانية، من جُملتها (فُعْل) بضمّ الفاء وتسكين العين مثل (نُكْر) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤] وكلمة خُبث أي المخبوث.



﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة (اليم) ٨ مرات في قصة موسى عليه السلام وورود لفظة (البحر) ٨ مرات في القصة نفسها وورود لفظة (البحرين) مرة واحدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٣٦.

السؤال الثاني :

حينما تكلم ربنا تبارك وتعالى عن سيدنا موسى قال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] ولّما تكلم عن الرسول ﷺ قال: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور:٤٨] فما الفروق الدلالية بين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الصنع يكون في بداية الأمر، وفي آيات سورة طه الكلام عن موسى عليه السلام، حيث تكلم عن ولادته ونشأته ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٨-٣٩] وهذا في مرحلة طفولته.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه:٤٠-٤١].

٢ـ والرسول عليه السلام بعد الأربعين يحمل همّ الرسالة، فكيف يُقال له تصنع على عيني؟ وإنما هو يحتاج إلى رعاية الآن للتبليغ.

٣ـ الدلالة العامة لقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] أي: ينشئك بالصورة التي يريدها ابتداء ويهيئ المكان الذي يريده. ولمّا قال عن النبي ﷺ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطور:٤٨] يعني: يحفظك، كما قال: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٥-١٤]، مع السفينة قال: تجري بأعيننا، يعني برعايتنا وحفظنا. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ يعني: يحفظك، فأنت تحت رعايتنا وحفظنا ونراقب الأمر، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] أي: نحن نراك ونحفظك ونحميك ونرعاك، يعني: أنت تحت رعايتنا.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه:٣٨-٣٩] فما الفرق بين الآيتين؟ وما الفرق بين (ألقيه) و(اقذفيه)؟

الجواب :

١ـ لم يحدث تناقض بين الآيتين. القذف هو إلقاء. لنقرأ جزءاً من السياق حتى يتضح الأمر.

الآية الأولى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٧-٣٨-٣٩] .

والآية الثانية في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص:١٠] .

القذف هو الرمي والإلقاء والوضع، ومن معانيه البُعد، ويأتي بمعنى الإلقاء، فالقذف له معانٍ متعددة .

٢ـ نلاحظ أنه في القصص قال: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ ولم يقل هذا الكلام في طه، ثم ذكر أنه ربط على قلبها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ ، وكونها (لا تخافي ولا تحزني) و(ربطنا

على قلبها) هذا يستدعي الهدوء في الإلقاء، الله سبحانه ربط على قلبها، إذن هي تضعه في هدوء، ثم قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧] والإرضاع يستدعي القرب وليس البعد.

أمّا في سورة طه فلم يذكر هذه الأمور، لا الربط على القلب ولا التطمين. وإنما ذكر التابوت ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه:٣٩]، ولم يذكر أنّ الرضيع يلقى في اليم، وإنما التابوت هو الذي يقذف ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ [طه:٣٩] الضمير يعود على موسى، ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ هنا الضمير يعود على التابوت، إذن موسى محمي، بينما في القصص قال: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧] .

فالتابوت يُقذف، ويقال لها: اقذفي التابوت؛ إذ التابوت محمي، ولم يقل: اقذفي موسى في اليم. فلما ذكر التابوت ذكر القذف. أمّا مع ذكر الابن فيقال لها: ألقيه، ولا يقال لها: اقذفيه.

سؤال: هل قال: اقذفيه أو ألقيه؟ ما الذي حدث؟

جواب: سيحصل إلقاء في الحالتين، لكنْ مرة ذكر التابوت ومرة لم يذكر، هذا بحسب السياق، وليس هناك تناقض، في القصص نحن أحياناً نذكر أموراً ونضيف عليها. وهنا يذكر التابوت في موطن، وفي موطن آخر لا يتكلم عنه.

٣ـ من الناحية البيانية قال في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ [طه:٣٨] لم يذكر ما يوحى، الآن مبهمة،ثم قال: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ [طه:٣٩] بيّن فصار البيان بعد الإبهام.

ففي البدء ما ذكر الذي أُوحيَ به، ثم جاء بـ (أنْ) المفسرة ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ [طه:٣٩]، فبيّن ما أوحى إليها.

٤ـ القذيفة في اللغة شيء يُرمى به، فكان موسى في سورة طه قذيفة رمي بها فرعون، قُذِفت في البحر فأغرقته.

ولذلك عنما نلاحظ العقوبة التي ذكرها في كلتا القصتين نجدها متناسبة مع ﴿ ٱقۡذِفِيهِ﴾.

فالقرآن يستعمل اختيار الكلمة في المكان البياني لها، لكنْ بشكل عام هذا مرتبط بالسياق العام في السورة نفسها، وأحياناً السورة نفسها لها سمة معينة.

والله أعلم.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾ ما الكلمات الأخرى المترادفة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ
تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ
فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (فتنة) و(فتون) في الآية: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾[طه:٤٠]؟

الجواب :

(الفتون) ذكروا فيها احتمالين:

١ـ إمّا مصدر فعل (فتن)، وفتَن أي (اختبر)، ولها معان كثيرة: منها وضع الذهب في النار حتى تبين جودته وليختبره، والفتنة هي التعذيب.

٢ـ وإمّا جمع ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ قالوا: هي جمع (فَتْن) كالظنّ والظنون، (فَتْن) (فتناً) مصدر و(فتنة) مصدر، والمصدر يُجمع إذا اختلفت أنواعه كالظنون ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]. فقالوا: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي امتحناك واختبرناك عدة مرات.

ورجّح بعضهم أنها جمع وليست مفرداً.

٣ـ فإذن الفتون تختلف عن الفتنة. (الفتنة) هي المصدر، و(الفتون) جمع.

٤ـ (فتنة) على وزن (الهيئة)، لكنها مصدر، نحو: (مشية، فعلة) وليست اسم هيئة إلا إذا أردنا الهيئة أنْ تحدد بشيء، كما في الحديث **"وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة"**.

٥ـ ويبدو أنّ(فتون)جمع؛ لأنه منّ على موسى عليه السلام بأنه اختبره عدة اختبارات ونجّاه منها، وليست مسألة واحدة، وإنما عدة اختبارات ونجاه منها وأعدّه للرسالة، فهي من باب المنّ عليه. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾ ما الفرق بين الرد والرجع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين التعبيرين: **(من يكفله)** و**(أهل بيت يكفلونه)** في آيتي طه٤٠ والقصص١٣؟

الجواب :

١ـ الكلام في سورة القصص مبني على الجمع، نحو ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨]، بينما القصة في سورة طه مبنية على الإفراد، نحو ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾، فكان قوله: ﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾ [القصص:١٢] بالجمع أنسب في القصص، وقوله: ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ [طه:٤٠] بالمفرد أنسب في طه.

٢ـ قوله في القصص: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص:٩] وامرأة الرجل أهل بيته، فناسب أنْ تدل أخته أهل بيت فرعون على أهل بيت يكفلونه، وليس في طه مثل ذلك.

٣ـ كلمة (آل) في قوله تعالى: ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص:٨] أصلها (أهل) وأُبدلت الهاء همزة ثم ألفاً لاجتماع همزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة وإذا صغّرت (آل) قيل: (أُهيل) فناسب ذكر الأهل، فذكر ﴿أَهْلِ بَيْتٍ﴾ [القصص:١٢] في القصص، وليس في طه مثل ذلك.

٤ـ القصة في طه ثلاث آيات ٣٨ـ٤٠، وفي القصص سبع آيات ٧ـ ١٣وقوله تعالى: ﴿أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [القصص:١٢] أطول من قوله تعالى ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فناسب الإيجازُ الإيجازَ والتبسطُ التبسطَ.

٥ـ وردت كلمة (أهل) في القصص أكثر مما في طه، فناسب ذلك أيضاً. انظر الجدول التالي :

السورة	كلمة (أهل)	كلمة(من)	اختيار الكلمة
القصص	٧	٢٠	﴿أَهْلِ﴾
طه	٤	٢٤	﴿مَن﴾

والله أعلم.



﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

أي: أنت ياموسى على قدرٍ من اصطفائك، فقدر الله هو الذي حرك فيك خاطر الشوق لأمك، وفي طريق العودة وفي طوى أنت على موعد مع الاصطفاء والرسالة .

واصطنعتك لنفسي: لأنني أعدّك لمهمة عندي هي إرسالك رسولاً بمنهجي إلى فرعون وإلى قومك .

وقد أحصى العلماء المطالب التي طلبها موسى عليه السلام من ربه فوجدوها ثمانية :انظر الآيات في سورة طه: [٢٥-٣٤]

١ ـ ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه:٢٥] .

٢ ـ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه:٢٦] .

٣ ـ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه:٢٧-٢٨].

٤ ـ ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾﴾ [طه:٢٩] .

٥ ـ ﴿هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ [طه:٣٠] .

٦ ـ ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾ [طه:٣١] .

٧ ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [طه:٣٣] .

٨ ـ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه:٣٤] .

ثم وجد العلماء أنّ الله تعالى أعطاه ثمانية أخرى دون سؤالٍ منه؛ ليجمع له بين العطاء بالسؤال والعطاء تكرماً من غير سؤال؛ لأنك إنْ سألت الله فأعطاك دلّ ذلك على قدرته في إجابة طلبك، لكن إنْ أعطاك بدون سؤال منك دل ذلك على محبته لك .

والأمور الثمانية الأخرى مذكورة في قوله تعالى في نفس السورة :[٣٨-٤٠]:

١ ـ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ .

٢ ـ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ . ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ .

٣ ـ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه:٣٩] .

٤ ـ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] .

٥ ـ ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه:٤٠] .

٦ ـ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [طه:٤٠]. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠] .

٧ ـ ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [طه:٤٠] .

٨ ـ ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه:٤٠] .

والله أعلم .



﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الظلم والاستعلاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.



﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما المعنى اللغوي للحرف (لعلّ)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ١٢.



﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا
تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية في استخدام لفظة ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾، ﴿إِنَّا رَسُولَا﴾ و ﴿إِنِّي رَسُولُ﴾ في قصة موسى وهارون في آيات [الشعراء ١٦ـ طه ٤٧ـ الزخرف ٤٦]؟

الجواب:

١ـ ورد مثل هذا التعبير في ثلاثة مواقع في القرآن الكريم: قال تعالى في سورة طه: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧)﴾ [طه:٤٧] بالإخبار بالمثنى عن المثنى.

وفي سورة الشعراء ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾ [الشعراء:١٦] بالإخبار بالمفرد عن المثنى.

وفي سورة الزخرف قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦)﴾ [الزُّخرُف:٤٦] بالإخبار بالمفرد عن المفرد.

٢ـ المسألة تتعلق بالسياق: ففي سورة طه السياق كله مبني على التثنية من قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ [طه:٤٢] إلى قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:٤٧] وقوله: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣)﴾ [طه:٦٣].

٣ـ أمّا في سورة الشعراء فالسياق كله مبني على الإفراد والوحدة من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨)﴾ [الشعراء:١٨] مع العلم أنّ أوائل السورة فيها تثنية، كما في الآيات: {١٥} {١٦} ثم يُغيّب هارون وتعود إلى الوحدة ويستمر النقاش مع موسى وحده، كما في الآيات: (٢٧) (٢٩) (٣٠) (٣٤).

٤ـ وكلمة (رسول) في اللغة تُطلق على الواحد المفرد وعلى الجمع وتوجد كلمات في اللغة تكون الكلمة مفردة وتختلف في التثنية، ثم في الجمع يعود إلى الإفراد، مثل كلمة

بشر، كما في الآية: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر:٢٤] مفرد، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون:٤٧] مثنى، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] جمع. وكذلك كلمة طفل ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر:٦٧] وكلمة (ضيف).

٥ـ وبالنسبة لكلمة (رسول) يقال في اللغة: نحن رسول، وإنّا رسول .

فقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم:١٩] تأتي مع البيان ومع سنن العربية وليس فيها مخالفة للّغة. فاختار تعالى الكلمة المناسبة في السياق المناسب .

٦ـ والسياق في الشعراء قائم على الجانبين: فيها إفراد ثم تثنية ثم إفراد. وموسى هو الذي بلّغ الرسالة .

٧ـ أمّا في سورة الزخرف فلم يأت ذكر هارون في سياق السورة كلها أصلاً، فقال تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزُّخرُف:٤٦]. وهذه الآيات الثلاثة لا تعارض فيها، وإنما هي لقصة واحدة، ذهب موسى وأخوه هارون إلى فرعون، وفي كل سورة جاء بجزء من القصة بما يقتضيه السياق في السورة، وهذه اللقطات إنما هي مشاهد متعددة يُعبّر عن كل مشهد حسب السياق، وليس في الآيات الثلاثة ما يخالف العربية.

السؤال الثاني:

في سورة طه - والكلام على لسان موسى عليه السلام- ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه:١٢]، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، ثم قال في آيتي طه ٤٥ـ٤٦ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٥-

٤٦] وفي سورة النمل قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل:٩] فما الفرق بينها: [إني - إنني - إنه]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ١٤.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية طه ٤٧ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ وفي آية الأعراف ١٠٥ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف: الكلام فيها على لسان موسى عليه السلام وحده فقال: معي.

٢ـ في آية طه: المرسل فيها موسى وهارون عليهما السلام، فقال: معنا .

السؤال الرابع:

ما دلالة تقديم السمع على البصر في آية طه ٤٦؟

الجواب:

١ ـ بشكل عام في القرآن يقدّم السمع على البصر، كما في آيات [الشورى ١١ و غافر ٢٠ و٥٦ والإسراء ١ والإنسان ٢]، حيث قدّم السمع على البصر، وفي آية الفرقان (٧٣) قدّم الصم وهم فاقدوا السمع على العميان وهم فاقدوا البصر؛ وذلك:

ـ السمع أول حاسة تعمل عند الطفل الوليد فهو يسمع أولاً ثم يُبصر بعد فترة.

ـ قالوا: السمع أفضل، والدليل أنّ الله لم يبعث نبياً أصم، فاقد السمع ولكنْ قد يكون النبي أعمى ولو لفترة من حياته كيعقوب عليه السلام، فإنه عمي لفقد ولده.

ـ يمكن تبليغ الأعمى بسهولة كالبصير ويصعب مع الأصم؛ لذا كان من العميان علماء كبار بخلاف الصم.

٢ ـ قد يكون لتقديم السمع على البصر سببٌ آخر، وهو أنّ مدى السمع أقل من مدى الرؤية، فقدّم ذا المدى الأقل متدرجاً من القصر إلى الطول في المدى؛ لذا في آية طه بعد قول موسى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه:٤٥] قال الله لهما: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] فقدّم السمع؛ لأنه يوحي بالقرب، إذ الذي يسمعك يكون في العادة قريباً منك بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيداً، وإنْ كان الله لا يندّ عن سمعه شيء..



﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠] يجادل بعض المسلمين ويقول: هل انتهت عملية الخلق أم أنها مستمرة باستمرار؟ علماً أنّ هناك آية أخرى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٨ .

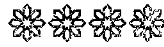
﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الإنساء والنسيان؟ وما علاقة النسيان بالشيطان؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٦.



﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣﴾

السؤال الأول:

لماذا التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣﴾ [طه:٥٣]؟

الجواب:

هذا يسمى (التفات)، ويستعمل لتطرية نشاط السامع. وقد ورد في القرآن كثيراً، فيلتفت من الغائب إلى الحاضر ومن الجمع إلى الإفراد ومن الغائب إلى المتكلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (أشتات) و(شتى)؟

الجواب:

شتى: وردت في ثلاثة مواضع بمعنى الاختلاف مقابل الائتلاف:[طه ٥٣ـ الليل ٤ـ الحشر]١٤.

أشتات: وردت في آيتين: [الزلزلة ٦ـ النور ٦١] بمعنى التفرق مقابل التجمع.

السؤال الثالث:

لماذا ذكر الفعل (**جعل**) مع السبل في آية الزخرف١٠ و الفعل (**سلك**) مع السبل في آية طه ٥٣؟

الجواب:

ذكر الفعل (**جعل**) مع السبل في سورة الزخرف والفعل (**سلك**) مع السبل في سورة طه، ولعلّ من جملة الأسباب لهذا الاختيار أنّ فعل (الجعل) ورد في الزخرف أكثر مما في طه، فقد ورد في الزخرف (١٢) مرة، وورد في طه (٣) مرات.

فاختار (الجعل) في الزخرف و(السلوك) في طه. والله أعلم.



﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة العقل والنهى؟

الجواب:

الكلمات هي :

العقل :

هو القوة المتهيأة لطلب العلم وفهمه، وهو الطاقة التي وهبها الله للإنسان وميزه به على سائر المخلوقات.

الحِجر :

إذا وصل العقل بالتربية والإعداد إلى مرحلة أن يكون قادراً على المنع من الاستجابة لشهوات النفس السيئة سُمي حِجراً[الفجر ٥].

النهى :

إذا تطور العقل أكثر واستمر في النضوج صعوداً سُمي (نُهية) وجمعها (نهى)، فالمراحل: (عقل ـ حِجر ـ نُهى).

اللب:

إذا بلغ العقل غاية النضج سُمي لُباً، فاللب هو العقل الخالص المبدع الزاكي الذي لا يكتفي بمنطوق العقل، وإنما يتجاوز ذلك إلى مكارم الأخلاق.

ففي آية البقرة ٢٨٠ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ هذا من العقل.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة:٢٨٠] فهو من اللب، ولا يفعله إلا كرام الخلق.

التفكر :

إذا تجاوزت مرحلة العقل تأتي مرحلة التفكر لاستخراج الحكم، فالتفكير تفكيك والعقل تجميع.

التذكر :

هو التدبر الطويل الذي يؤدي إلى الاستنباط والاختراعات.

الفقه :

هو الفهم الدقيق لنظرية كاملة تقتضي تفصيلاً أو إجمالاً.



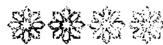
﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التعبير ﴿مَوْعِدًا﴾ في الآية؟

الجواب

انظر الجواب في آية التوبة ١١٤.



﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ لماذا جاءت (هذان) مرفوعة بعد (إنْ)؟

الجواب :

مقدمة :

١ـ في البداية هناك سؤال: إلى متى يؤخذ بكلام العرب للاستشهاد؟ أوقف العلماء الاستشهاد بكلام العرب إلى الوقت الذي اختلط الناس وصار العربي يتعلم العربية في الكُتّاب، أي في حدود ١٥٠ للهجرة، ويقولون آخر من كان يحتج به هو (ابن هرمة) الشاعر المتوفى سنة ١٥٠ للهجرة وبعض العلماء بقوا يسافرون إلى القبائل (هذا في المدن)، ويسمعون منهم وفي هذه المرحلة، أي في مرحلة السفر إلى القبائل، توقف الأخذ من قريش؛ لأنهم قالوا إنّ قريشاً اختلطت، فلم يعد أحد من العلماء يذهب إلى قريش، وإنما صاروا يذهبون إلى البوادي. ولّما بدأوا يجمعون اللغة وجدوا أنّ قريشاً قد اختلطت وفسدت ألسنتهم، فصارالعلماء يأخذون من تميم ومن هذيل ومن أسد ومن كنانة الذين هم في البادية.

وبعض العلماء بقي على ذلك إلى فترة القرن الرابع، لكنهم كانوا يمتحنون أفراداً ليروا هل فسدت ألسنتهم أم لا، وكانوا يقولون: لانَ جلدك يا فلان؛ أي صار حضرياً فلا يأخذون منه. وابن اللغة يؤخذ من لغته.

٢ـ وعندما يأتي قول الشاعر(العجير السلولي) توفي عام ٩٠ للهجرة وقوله هذا من شواهد سيبويه، وسيبويه إذا استشهد بشيء يؤخذ به والقصيدة طويلة يقول فيها:

إذا مِتُّ كان الناس صنفان شامتٌ وآخر مُثنٍ بالذي كنت أصنعُ

يعني سيكون الناس بالنسبة لي صنفين، وسيبويه قال: هنا قوله (صنفان) يعني إذا مت كان الحال "الناس صنفان" مبتدأ وخبر، (كان) فعل ناقص اسمها محذوف يعود إلى الشأن (الناس صنفان) في محل نصب خبر كان .

وعندما يأتي شاعر آخروهو صاحب الخزانة، ويقول:

إذا اسودّ جُنح الليل فلتأت ولتكن   خطاك خفافاً إنّ حرّاسنا أُسدا

لم يقل (أسدُ)، وهذا عربي يستدل بلغته. إذن لمّا قال (أُسداً) معنى ذلك يُوجّه أنّ حراسنا تجدهم أو تلقاهم أُسداً، هكذا التوجيه، والعربي لا يخطئ في لغته فيوجّه.

وكان يستطيع الشاعر في البيت الأول أنْ يقول (صنفين)، لكنه أراد أنْ يقول (صنفان)؛ لأنه يريد أنْ يقول كان الأمر أو الشأن أو القضية (الناس صنفان)، كأنه أرادها أنْ تكون كتلة وحدها، فالناس بشأني صنفان ثم أدخل (كان) ليجعل هذا فيما مضى، وأنّ حقيقة الأمر ستكون هكذا.

آية طه :٦٣

١ـ ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ لو نظرت في المصحف في هذه الآية ستجد كلمة ﴿هَٰذَٰنِ﴾ مكتوبة بدون ألف وبين الذال والنون لم يكتب شيء، هذه إضافة للألف الخنجرية.

وهذه القراءة: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ لا سؤال فيها؛ لأنّ (إنّ) إذا خففت زال عملها ولزم خبرها اللام، تقول: إنّ زيداً مجتهدٌ، فإذا خففتها وقلت: (إنْ زيدٌ لمجتهدٌ) تأتي باللام فارقة بينها وبين النافية .

٢ـ وهناك قراءة جمهور من العرب كانوا يقرأون بها ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَـٰحِرَانِ﴾ [طه:٦٣]، وهذه لا مشكلة فيها ولا يُسأل عنها.

إذن في الآية لدينا قراءتان:

أ ـ ﴿إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ﴾ (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة، و (هذان) مبتدأ واللام فارقة وساحران خبر.

ب ـ قراءة نافع ﴿إِنَّ هَـٰذَانِ﴾ [طه:٦٣].

وهذه لغة كنانة إحدى قبائل العرب المشهورة. واختلاف القراءات لا يؤدي إلى اختلاف المعنى، حتى لو كانت اللفظة فيها خلاف معنوي فالمحصلة النهائية تكون واحدة، وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة بها .

ولّما نزل القرآن نزل على جمهرة اللغة القرشية؛ لأنّ لغات العرب جميعها كانت تصب في لغة قريش في مواسم الحج والشعر، فكانت لغة قريش هي السائدة بين لغات كل القبائل؛ لذلك نزل بها القرآن.

وأنشد الفراء على هذه اللغة :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمما

وأنشد غيره :

تزودَ منا بين أذناه ضربةً دعته إلى هابي التراب عقيم

لكنّ الحق تبارك وتعالى أراد أنْ يكون للقبائل الأخرى نصيب، فجاءت بعض ألفاظ القرآن على لهجات العرب المختلفة للدلالة على أنّ القرآن ليس لقريش وحدها، وإنما جاء للجميع.

ومن لهجات القبائل التي نزل بها القرآن لهجة (كنانة) التي تلزم المثنى الألف في كل أحواله رفعاً ونصباً وجراً.

يقول شاعرهم:

إنّ أباهــــا وأبــــا أباهــــا قــــد بلغــــا في المجــــد غايتاهــــا

فقال: أباها، ولم يقل: أبيها. وقد ورد هذا الشاهد في كتاب شذور الذهب لابن هشام الأنصاري وفي شواهد ابن عقيل.

إذن لم ينزل القرآن بلغة قريش على أنها لغة سيادة، وإنما لأنها تنطوي على زُبدة فصاحات العرب الأخرى في الجزيرة العربية.

السؤال الثاني:

ما دلالة تخفيف (إنّ) لتصبح (إنْ)، كما في هذه الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٢٩.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾

السؤال:

إذا بُنيت الجملة للمجهول لا يُذكر الفاعل، فهل ذكره فى الآية: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦]؟

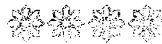
الجواب:

قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦] والمعنى: (يُخيّل إليه سعيُها أنها تسعى)؛ لأنّ (أنّ مع اسمها وخبرها) تمثل مصدراً مؤولاً .

وجملة(أنها تسعى) أي سعيُها وهو نائب الفاعل وليس فاعلاً يعني خُيِّل إليه سعيُها.

و(إليه) و(من سحرهم) متعلقان بالفعل ﴿يُخَيَّلُ﴾ [طه:٦٦].

و العرب عندما يبنون الفعل للمجهول، يعني أنهم لا يريدون أن يذكروا الفاعل، فكيف يُذكر في كتاب الله، وهو أعلى نصٍ ورد في لغة العرب؟!.



﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه:٦٧] لماذا كرراسم موسى في الآية مع استخدام الضمير في (نفسه)؟

الجواب:

١ـ في الآية تقديم وتأخير وليس فيها تكرار، وأصل الكلام: فأوجس موسى خيفة في نفسه، وليس فيها تكرار، وفَصَلَ بين الهاء والفاعل ولم يحصل تكرار، وأخّر (موسى)؛ لأنه مدلول عليه من السياق.

٢ـ ثم هناك أمر آخر، وهو أنّ تقديم ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾ أهم من تقديم موسى لأنه في مقام اختبار بينه وبين السحرة .

فأوجس في نفسه ولم يظهر على وجهه، والخوف قد يظهر على الإنسان، فالخوف كان في نفسه ولم يظهر على وجهه؛ لذلك قال: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه:٦٧] .

ولو قال: فأوجس خيفة، أي ظهر على وجهه، كما في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات:٢٨] ومعناه ظهر الخوف عليه.

٣ـ إذن تقديم ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾ أهم من تقديم الفاعل. وبيان ذلك :

أـ ربنا تعالى مع أنّه قال لموسى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ فإنه ذكر هذا الأمر؛ لأنّ هذا يعتري البشر، فحدّد مكان الخيفة والتوجس في نفسه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه:٦٧]، ولم تظهر الخيفة على وجهه. فهذا التقديم إذن له دلالة.

ب ـ في هذه الآية قدّم ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾ حتى لا تظهر عليه علامات الضعف والآية أصلاً ليس فيها تكرار.

ثم إنّ موسى هو الذي خاف وليس هارون، وموسى من أولي العزم فكم كانت قوة السحر؟! ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف:١١٦].

٤ـ لذلك أخّر (موسى) وجعله في آخر الآية. وهذا ليس لفواصل الآيات في سورة طه، وإنما تقتضيه الدلالة.

وكلمة ﴿خِيفَةً﴾ من الممكن أن تعرب مفعولا به، ومن الممكن أن تعرب مفعولا لأجله، وتحديد إعرابها يعود إلى موقعها المعنوي في الجملة. وهي في الآية الكريمة تعرب مفعولا به ؛لأنّ الحدث وقع عليها، فأوجس بمعنى: أحس أو أضمر. فالإحساسٍ وقع من موسى على الخيفة. ومثل هذا أن تقول: أحس الطائر صوتـاً. وأضمر الصديق خيرًا. أمّا إعرابها مفعولا لأجله، ففي حال كونها سبباً وعلة لوقوع حدثٍ ما. مثل:(عبدت الله خيفةً من عذابه -فررت من الأسد خيفةً منه). فالموقع المعنوي لـ [خيفة] هنا يفيد أنها هي علة وقوع الحدث. والفاعل ﴿مُّوسَىٰ﴾.

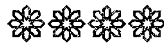
﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة عدم فصل ﴿إِنَّمَا﴾ في آية سورة طه ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩] بينما جاءت موصولة في مواطن أخرى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣٤ .



﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة طه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه:٧٠] ووردت ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء:٤٨] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب:

١ـ ليس بالضرورة أنْ يتقدم من هو الأفضل أو ما هو أفضل، فقد يتقدم المفضول بحسب السياق، ويتأخر ما هو أفضل، و إنما السياق يحدد.

٢ـ في سورة طه قدّم هارون على موسى ﴿هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه:٧٠] وفي سورة الشعراء قدّم موسى ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء:٤٨].

وقسم ذهبوا إلى أنه قدّم موسى على هارون في طه، لتواصل الفاصلة القرآنية باعتبار أنّ سورة طه أغلب آياتها في الألف (الفاصلة القرآنية) وفي الشعراء هي هكذا.

٣ـ لكنّ الحقيقة أنه في سورة طه قد تكرر ذكر هارون كثيراً، وجعله الله تعالى شريكاً لموسى في التبليغ، ولم يذكر هذا في الشعراء.

أ ـ على سبيل المثال قال في طه: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه:٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥] وقال: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه:٤٢-٤٣-٤٤-٤٥] كلها بالتثنية.

ثم قال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه:٤٦-٤٧-٤٨].

حتى خطاب فرعون كان لهما على سبيل التثنية ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٩-٥٠]، ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه:٦٣].

ب ـ بينما قال في الشعراء مرة واحدة فقط: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء:١٣-١٤-١٥-١٦-١٧]

والباقي كل الكلام كان مع موسى والخطاب موجه إلى موسى، كما في الآية: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء:٢٩] ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[الشعراء:٣٤] ولم يقل: (ساحران).

٤ـ هنالك أمر آخر في طه، وهو أنه ذكر خوف موسى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه:٦٧]، ولم يذكر أنّ هارون خاف، بل موسى هو الذي خاف .

٥ـ إذن يوجد عندنا تقديم وتأخير، فيقدّم أولاً الشخص الذي لم يذكر أنه خاف؛ ولذلك في حالة الخوف يقدّم هارون على موسى، وفي حالة عدم الخوف يقدّم موسى على هارون إضافة إلى السياق. إذن الحالتان ليستا متماثلتين.

فموسى هو الذي خاف في سورة طه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٧-٦٨] فقدّم هارون على موسى؛ لأنّ موسى هو الذي خاف، فأخّر الخائف.

٦ـ أحياناً كثيرة القرآن يضرب عن الفاصلة القرآنية إذا اقتضى الأمرذلك، كما في الآية: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه:٣٢] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩]، فليس فيها مراعاة للفاصلة.

٧ـ وفي قصة السحرة الذين جاء بهم فرعون، مرة قالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء:٤٧-٤٨]، ومرة قالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه:٧٠] .

وعدد السحرة كثير، وقيل هم سبعون ساحراً أو أكثر، فربما منهم من قال: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه:٧٠]، ومنهم من قال: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء:٤٨] .

قال بعض المفسرين: إنّ الله تعالى حتى ينقل لنا الصورة كاملة نقلها بهذين الشكلين؛ حتى يأتي لنا بالصورة كاملة، لأنه ليس كل السحرة قالوا نفس القول، فجمع الله تعالى الآيتين فأعطانا الصورة كاملة عما قاله السحرة. والله أعلم .



﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام ﴿فِى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١]؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ هذه اعتبروها في باب المجاز، والأصل كما يقولون: على جذوع النخل، لكنْ ﴿فِى جُذُوعِ﴾ أي يثبتهم فيها، يجعلها كأنها قبور لهم، هم قالوا هكذا .

ولو قال: (على) لم يؤدِّ هذا المعنى، لكنْ (في) كأنه يُدخِلهم فيها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾[طه:٧١] اسم الاستفهام (أينا) يعمل فيه ما بعده وليس ما قبله، وله صدر الكلام. والجملة كلها مفعول به.

السؤال الثاني :

ما دلالة الاستعمال القرآني لكلمتي النخل والنخيل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.

السؤال الثالث :

لماذا قال في الأعراف ١٢٣: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ وقال في طه ٧١ والشعراء٤٩ ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ ؟

الجواب :

١ـ الضمير في ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ يعود على الله تعالى وفي ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ يعود على موسى؛ أي: صدقتم وأقررتم له، وذلك أنّ موسى أغضب فرعون في الشعراء وطه أكثر مما في الأعراف، فذكره في الشعراء وطه، ولم يذكره في الأعراف.

٢ـ في القرآن الكريم إذا رأيت الإيمان معدّى بـ(اللام) فاعلم أنه لغير الله فإنه لا يعديه مع الله إلا بالباء، نحو ﴿تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ و ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الشعراء:٤٧] .

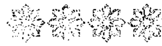
٣ـ وفي القرآن يعدّي ﴿ءَامَنَ﴾ باللام مع الأشخاص غالباً، نحو ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ وقوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وربما استعمله نادراً مع غير الأشخاص، نحو قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء:٩٣]. والله أعلم.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾

ما دلالة استعمال التذكير والجمع في قوله تعالى ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾؟

غالباً لو نظرنا في آيات القرآن الكريم نجد أنه مع (مَنْ) يُراعي ابتداءً لفظها وهو لفظ المفرد المذكر. فيقول مثلاً: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه:٧٥] فعندما يكون الكلام عن المفرد يكون دائماً على الإفراد، لكنْ عندما يكون عن الجمع يبدأ بالإفراد مراعاة للفظ (من).



﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

هل يحتمل معنى قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ﴾ [الحج:١٤] أن الجنات تجري؟

الجواب:

لا نعلم إذا كانت الجنات تجري، لكنْ بلا شك أنّ الأنهار تجري. فالجريان يكون للأنهار في الدنيا، كما في قوله تعالى في سورة طه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه:٧٦]، وفي مواطن أخرى في القرآن كذلك .

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (لا) في آية سورة طه ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه:٧٧]؟

الجواب :

(لا) هنا من باب النفي، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣].

السؤال الثاني :

لماذا ذكر (الليل) في قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ في سورة الدخان٢٣ ولم يذكر مثل ذلك في آيتي [طه٧٧ـ والشعراء٥٢]؟

الجواب :

بشكل عام الإسراء لا يكون إلا بالليل سواء ذُكر الليل أم لم يُذكر و ﴿لَيْلًا﴾ في الآية هو ظرف مؤكد. ولمّا أمر سبحانه موسى عليه السلام بالإسراء في آيتي طه والشعراء عُلم أنّ ذلك إنما هو في الليل.

وأمّا ذكر الليل في الدخان وعدم ذكره في آيتي طه والشعراء فهو لأكثر من سبب :

١ـ ذكر الله تعالى في آية الدخان أمرين :

أ ـ أنهم متبعون.

ب ـ أنّ جند فرعون مغرقون.

بينما ذكر في الشعراء أمراً واحداً، وهو أنهم متبعون،وذكر في طه النجاة له . فهو قد فصّل وبيّن في الدخان في تبليغه لموسى ما لم يفصّله ويُبينه في الموطنين الآخرين.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ يفيد لغةً تعيين الليلة التي أُمر فيها بالإسراء، أما قول: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ فإنه أُمر بالإسراء من دون تعيين الوقت.

فكان في الدخان: تعيين وقت الإسراء وبيان أنهم متبعون، وأنّ جند فرعون جند مغرقون، فناسب تبيين الوقت ما ذكره من التبيين في التبليغ.

وناسب عدم التبيين للوقت عدم التبيين لشيء مما سيقع في الموضعين الآخرين.

٣ـ ومما زاد حُسناً في الدخان أنه ذكر كلمة ﴿لَيْلَةٍ﴾ في بداية السورة في في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الدخان:٣] فذكر الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، فناسب ذلك أيضاً ذكر الليل في الليلة التي فرّق الله فيها بين جند فرعون وأصحاب موسى فأغرق فرعون وجنده ونجّى موسى ومن معه. وهذا من لطيف التناسب.

السؤال الثالث :

ما الفرق من الناحية البيانية بين قصة غرق فرعون في آيات سورتى يونس وطه؟

الجواب :

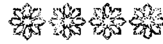
انظر الجواب في آية يونس ٩٠.

السؤال الرابع :

ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة ﴿ٱلْيَمِّ﴾ في قصة سيدنا موسى مع فرعون؟

الجواب :

اليمّ كلمة عبرانية، وقد وردت في القرآن الكريم ٨ مرات في قصة موسى وفرعون فقط؛ لأن قوم موسى كانوا عبرانيين، وكانوا يستعملون هذه الكلمة في لغتهم ولا يعرفون كلمة البحر؛ ولهذا وردت كلمة اليمّ كما عرفوها في لغتهم آنذاك.ومثل استعمال ﴿سَيِّدَهَا﴾ مع امرأة العزيز، وهى كلمة قبطية.



﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾؟ ولماذا لم يقل: وما هداهم؟

الجواب :

أخرج الفعل مخرج العموم؛ أي أنّ فرعون لم يتصف بصفة الهداية البتة. ولو قال: (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيداً بقومه؛ إذ يحتمل أنه هدى غيرهم، لكنه قال: ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ أي ما هدى أحداً.

فهو قد أضل قومه ولم يهد أحداً لا من قومه ولا غيرهم.



﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

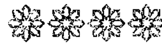
ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ [طه:٨٠] بدأ تعالى بالإشارة إلى إزالة الضرر، فقد كان فرعون ينزل بهم كثيراً من أنواع الظلم من القتل والإذلال، ثم ثنّى بقوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾، وهي المنفعة الدينية، ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية، وهي قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠﴾ [طه:٨٠].

ولا شكّ أنّ إزالة المضرة يجب أنْ تكون متقدمة على إيصال المنفعة كما لا شك في أنّ المنفعة الدينية أهم ومقدَّمة على المنفعة الدنيوية، وهكذا كان بيان الآية وتسلسل مضمونها.

٢ـ قوله:﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾ [طه:٨٠] بالجمع؛ لأنّ الخطاب لموسى عليه السلام وللسبعين المختارة، كما في آية الأعراف ١٥٥ ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٥٥]، وكان موسى عليه السلام قد وعدهم أنْ يأتيهم بكتاب من ربهم ليقفوا على الفرائض والشرائع والأحكام ويحصل لهم بسبب ذلك مزية فيما بين الناس. والله أعلم.



﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه:٨٢] هل الهداية ثمرة للإيمان والعمل الصالح؟ وما اللمسة البيانية في الآية؟

الجواب :

(ثم) قد تكون للمعنى المشهور أنها للترتيب والتراخي، وقد تأتي فقط لترتيب الإخبار، ويؤتى بها لما هو أعظم مما قبلها.

مثال قولك: أعجبني ما صنعته اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب. هذا قبل هذا، ويعني أن ما بعدها يكون أعظم مما قبلها، كما في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١]، وفي قوله أيضاً في سورة البلد ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد:١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧] الإيمان أعلى من أنْ تطعم واحداً أو تفك رقبة؛ لأنّ الإنسان إذا لم يؤمن فليس في عمله فائدة، فبدأ بما هو أهم في السياق، وهذا ليس من باب التراخي في الزمن، وإنما فيما هو أهم في هذا السياق .

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت:٣٠] إذن ليس بالضرورة أن تكون (ثم) للتراخي الزمني، وإنما لتراخي الإخبار.

السؤال الثاني :

في آية طه٨٢ قدّم الإيمان على الاهتداء ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه:٨٢] وفي آية سورة محمد ﷺ رقم ١٧ أخّر الاهتداء عن الإيمان والعمل الصالح ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد:١٧]، فما السبب؟

الجواب :

المراد بقوله: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ أي: دام على هدايته، كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة:٦] أي: ثبتنا عليه وأدمنا.



﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ ﴾

السؤال الأول :

قال في آية آل عمران ٦٦، وفي النساء ١٠٩ : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وفي آل عمران ١١٩ ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾، بينما جاء في آية طه ٨٤: ﴿أُوْلَآءِ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٦٦.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ ما استخدامات كلمة (أثر) في القرآن؟

الجواب :

كلمة (أثر) في القرآن الكريم لها ستة معانٍ :

١ ـ أثر الحديث والعلم: وأصله تتبع الأثر ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤﴾ [المدّثر:٢٤] أي: يروى وينقل.

٢ـ الأثارة: بفتح الهمزة، وهي البقية من العلم الذي يؤثر: [الأحقاف ٤] .

٣ـ أثر الشيء: هوما يدل على وجوده : [الروم ٥٠].

٤ ـ الأثر: وهو ما تتركه قدم السائر على الأرض :[طه ٨٤].

٥ ـ آثره: بمعنى فضّله من الإيثار: [يوسف ٩١].

٦ ـ أثار الأرض: أي قلبها للزراعة :[الروم ٩].



﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استعمال ﴿فَتَنَّا﴾، ﴿وَأَضَلَّهُمُ﴾ في قصة موسى عليه السلام في سورة طه؟

الجواب :

هناك خط عام في القرآن الكريم، وهو أنّ الله تعالى لا ينسب الشرّ لنفسه مطلقاً. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه:٨٥] نسب الفتنة إليه سبحانه وتعالى، وهذه الفتنة ليست شراً، وإنما هي ابتلاء، فالله تعالى خلق الموت والحياة للابتلاء، والذي هو مُراد الله تعالى للبشر، وهو من أغراض الخلق ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان:٢].

﴿ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا

ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ

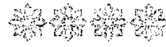
فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال الصفة المشبهة في قوله تعالى في الآية ﴿غَضْبَٰنَ﴾ ؟

الجواب

انظر الجواب في آية هود ١٢.



﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ

فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿بِمَلْكِنَا﴾ في الآية؟

الجواب:

مادة (مَلَكَ) تأتي في ثلاث صور لكلٍ منها معنى خاص بها وجميعها تفيد الحيازة والتملك.

١ـ مَلْك ـ بفتح الميم وسكون اللام ـ وتعني ما يملكه الإنسان لنفسه وذاته دون أنْ يملك شيئاً مادياً مما حوله، أي ما ملكنا الصواب باختيارنا أو بطاقتنا أو بإرادتنا أو لم نملك أنفسنا.

٢ـ مِلك ـ بكسر الميم وسكون اللام ـ وتعني ما تملك خارجاً عن ذاتك مثل أنْ تملك ثوباً، وتقول: مِلْك يميني.

٣ـ مُلك ـ بضم الميم وسكون اللام ـ وتعني أن تملك شيئاً وتملك من يملك وهذا يكون ظاهراً. ومُلْك الله هو مخلوقاته وسلطانه وعظمته، ومنه الملكوت: للأشياء المخلوقة التي لا تقع عليها حواسك، ولا يمكن أنْ تعلم عنها شيئاً إلا بإخبار خالقها. وكلمة (ملكوت) مثل كلمة (رهبوت)، وهي من الرهبة، وتاء التأنيث تدل على المبالغة.



﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في آية الأعراف١٤٨ـ بأنّ الثقيلة ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف:١٤٨] وفي آية طه ٨٩ بأنْ المخففة ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ﴾ فما السبب؟ وما معنى كلمة (خوار)؟

الجواب :

١ـ جاء في آية الأعراف ١٤٨ بأنّ الثقيلة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف:١٤٨] وجاء في آية طه٨٩ بأنْ المخففة ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾

والسبب هو الفرق في السياق بين الآيتين، فإنّ آيات الأعراف تذكر قصة بني إسرائيل وعصيانهم لربهم ومخالفتهم لموسى عليه السلام، بخلاف سورة طه فسياقها في نجاة بني إسرائيل من فرعون .

لذا جاءت (أنّ) ثقيلة في سورة الأعراف ومخففة في سورة طه، وذلك يتناسب مع مقام التبكيت في الأعراف، بخلاف سورة طه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ أي: صوت أشبه الخوار؛ فلذلك أطلق لفظ الخوار عليه. والله أعلم.



﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام (لا) في قوله تعالى ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢ – ٩٣]

هذه ليست نافية، ولكنها بمعنى: ما منعك من اتباعي؟

النحويون يقولون أنّ (لا) زائدة، فهي لا تغيّر المعنى إذا حُذفت، وإنما يُراد بها التوكيد. ومنهم من قال: إنها صلة، فلو قلنا مثلاً (والله لا أفعل) وقلنا: (لا والله لا أفعل) فالمعنى لن يتغير برغم إدخال (لا) على الجملة.

أمّا في آيات القرآن الكريم فلا يمكن أنْ يكون في القرآن زيادة بلا فائدة. والزيادة في (لا) بالذات لا تكون إلا عند من أمِن اللبس، بمعنى أنه لو كان هناك احتمال أنْ يفهم السامع النفي فلا بد من زيادتها.



﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف (يا) في قوله تعالى: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ في سورة الأعراف ١٥٠ـ و﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ في سورة طه ٩٤؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

السؤال الثاني:

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾[طه:٩٤] ما سبب الجزم في الفعل (ترقبْ)؟

الجواب :

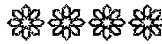
هو وجود (لمْ) الجازمة مثل: لم يلد ولم يولد.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الخوف والخشية والرهبة والهلع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ٢١.



﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين طوَّعت ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة:٣٠] وسوَّلت ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ [طه:٩٦] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف:١٨]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٣٠.

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة طه ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [طه:٩٧] الفعل الوحيد ﴿ظَلْتَ﴾ الذي ورد بهذه الصيغة، وهي حذف أحد حرفي التشديد، مع أنّ المقام مقام مبالغة في العكوف، وليس مقام تقليل إذا اعتمدنا أنّ الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، فما العِلة من ذلك؟

الجواب :

١ـ العرب وقريش وغيرها قد تخفف من الفعل المضعّف إذا صادفه تسكين. وأصل الفعل (ظللْت) مضعّف. وقسم من العرب وهم بنو سُليم يحذفون دائماً، ليس فقط في الفعل، بل ما كان شبيهاً بالمضاعف إذا سُكّن آخره، فلا يقولون: أحسست، وإنما: أحست، ولا يقولون: هممت، وإنما همت، ولا يقولون: صددت، وإنما: صدت.

٢ـ يبقى السؤال: لماذا استعمل هذه اللغة هنا، مع العلم أنه لم يحذف في المضعف في أماكن أخرى، نحو: (إنْ ضللت، صددت)، فلماذا استعملها هنا؟ و الجواب :

أـ استعملها في القرآن مرتين: هنا وفي سورة الواقعة ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة:٦٥].

ب ـ هنالك ظاهرة عامة في القرآن الكريم، وهي أنّ القرآن يحذف من الفعل إذا كان زمنه أقل، مثل (**تتوفاهم وتوفاهم**)، فالذي زمنه أقل يحذف منه مراعاة بين قصر الفعل والزمن، نحو: (**استطاعوا، اسطاعوا، تتنزل، تنزل**)، فمثلاً (تتنزل) أكثر من (تنزل)؛ لأنّ الأخيرة هي في ليلة واحدة وهي ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر:٤]، أمّا الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٠] فتحدث في كل لحظة فقال: تتنزل.

ج ـ هنا في آية طه قال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه:٩٧] فهويتكلم عن السامري الذي صنع العجل، كم ظلّ عاكفاً عليه؟

الجواب: وفق مدة ذهاب موسى عليه السلام وعودته، وليس كالذي يعبد الأصنام طول عمره، لكنْ بمقدار ما ذهب موسى عليه السلام وعاد وقال له: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه:٩٧]. إذن هذا البقاء قليل فحذف من الفعل؛ لأنّ هذه العبادة لا تشبه عبادة الآخرين الذين يقضون أعمارهم في عبادة الأصنام، لكنّ هذه مدة قصيرة بمقدار ما ناجى موسى عليه السلام ربه ثم عاد، فحذف من الفعل إشارة إلى قصر الزمن.

٣ـ حتى في سورة الواقعة في الآيات ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤-٦٥] تفكهون أي تندمون وتلاومون وتحزنون، لكنْ كم يستغرق الوقت لهذا التلاوم؟ قليل فحذف من الفعل.

وعلى الأكثر فإنّ اللام الوسطى المكسورة هي التي تُحذف، وأصل الفعل ظَلِلْت، لكن ليس فيها قاعدة.

السؤال الثاني :

ماالفرق بين (النسف و التسيير) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ النسف قد يكون له معنيان: إمّا الاقتلاع والإزالة، وإمّا التذرية في الهواء، كما جاء في قصة السامري فى سورة طه ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [طه:٩٧] .

٢ـ وأمّا النسف والتسييرللجبال فهو من مشاهد يوم القيامة كالدكّ والنصب وغيرها فهي تتابعات مشاهد يوم القيامة فتكون الجبال كالعهن المنفوش، ثم يأتي النسف والتذرية فى النهاية.

السؤال الثالث :

ما معنى ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ في الآية؟

الجواب :

معنى ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أي لنبردنه بالمبرد. يُقال: حرّقه يحرقه إذا برده. والفعل حرق وأحرق بالنار، وحرّق للكثرة واحترق، وحَرَق الشيء بالتخفيف بَرَدَه وحكّ بعضه ببعض.

﴿ ... أنباء ... ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩)
... القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم


ما دلالة الذكر والآيات و الإعراض عن الذكر؟



١ـ **الذكر** :عام، وهو الوحي أو العبادة أو الموعظة.

٢ـ **الآيات**: أخص، وهي جزء من الذكر.

٣ـ في القرآن إذا ذُكر الإعراض عن (**الذكر**) زاد في بيان العذاب والعقوبة، وإذا ذُكر الإعراض عن (**الآيات**) كان بيان العذاب أقل؛ لأنّ الذكر أعم من الآيات والآيات جزء من الذكر، فكان بيان العذاب والعقوبة في الإعراض عن (**الذكر**) أكبر منه في الإعراض عن (**الآيات**) والإعراض عن الكل أصعب من الإعراض عن الجزء.

*** شواهد قرآنية في الإعراض عن الآيات :**

ـ آية الكهف ٥٧ : لم يذكر العقوبة.

ـ آية السجدة ٢٢ : لم يذكر تفاصيل الانتقام.

ـ آية الزخرف ٤١ : لم يذكر تفاصيل الانتقام.

*** شواهد قرآنية في الإعراض عن الذكر :**

ـ آيات طه ـ ٩٩ـ١٠١ : فصّل في العذاب وأنواعه.

ـ آية طه ١٢٤ : فصّل في العذاب وأنواعه.

ـ آية الجن ١٧ : ذكر العذاب المُصعّد.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الحِمل و الحَمل؟

الجواب :

(الحِمل) بكسر الحاء هو ما يُحمل، كما في الآية: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾ [طه:١٠١] أي ما يحمل على الظهر،وقوله أيضاً: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعام:٣١].

أمّا (الحَمل) بفتح الحاء، فهو المصدر، أو ما لا يرى بالعين ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾[الأعراف:١٨٩] .



﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾

السؤال الأول :

لماذا قال القرآن ﴿عَشۡرٗا﴾ ولم يقل (عشرة) حسب قواعد النحو: عشرة أيام؟

الجواب :

١ـ ليس الموضوع بسبب الفاصلة، مع أنّ القرآن يُعنى بالفاصلة، ولكنها تابعة للمعنى، وليس العكس .

ومثال ذلك سورة الأحزاب، وهي مؤلفة من (٧٣) آية منها (٧٢) آية الفاصلة مطلقة بالألف، أمّا الآية الرابعة ففاصلتها: ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ فضحّى بالفاصلة من أجل المعنى.

٢ ـ العرب تقول في الأيام خاصة : إذا لم تُذكر الأيام، وفُهمت من السياق يؤتي باللفظ بها من غير تاء، فتقول: **صمت ثلاثاً**، ولو قلت: صمت ثلاثة، لكان هذا خارج كلام العرب.

٣ ـ الأيام في سورة طه لم تذكر صراحة، وإنما فهمت من السياق السابق.

٤ ـ في آية البقرة ١٩٦ ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ ذُكرت الأيام فجاءت حسب القاعدة.

٥ ـ في سورة طه لم تُذكر الأيام، فجاءت ﴿عَشْرًا﴾.

٦ ـ قال ﷺ: «**من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله**» لم تُذكر الأيام فجاءت من غير تاء.

٧ ـ في آية البقرة ٢٣٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ﴾ لو قال: (وعشرة) بدل (وعشراً) لعادت على الأشهر، ولفُهمت أن المدة هي (١٤) شهراً.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفاء في الآية ﴿فَقُلْ﴾ على خلاف باقي آيات (يسألونك)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في النمل ٨٨: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ وفي طه ١٠٥: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ ما أحوال الجبال في القرآن؟

الجواب :

أحوال الجبال تختلف باختلاف الأحوال عند قيام الساعة، ففي أول الأمر تسير سير السحاب وتُرى كالواقفة في رأي العين لعظمها، ثم بعد ذلك تتضاءل فتكون كالعهن المنفوش ثم تنسف فتكون الأرض قاعاً صفصفاً.

ويمكن تلخيص أحوال الجبال في القرآن الكريم عند قيام الساعة في ست حالات، وهي :

١ـ الاندكاك: لقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤].

٢ـ أنْ تصيركالعهن، كما في آية القارعة ٥: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ٥] ـ والمعارج ٩.

٣ـ أنْ تصير كالهباء فتتبدد، وهي قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة:٥-٦].

٤ـ أنْ تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة قارةٌ في مواضعها على الأرض فتنسف عنها بإرسال الرياح؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه:١٠٥].

٥ـ أنّ الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعاً في الهواء، وهي قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨].

٦ـ أنْ تصير سراباً، بمعنى لا شيء كحال السراب إذا جاء المرء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً. والله أعلم.



﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾؟

الجواب:

القاع هو:

ـ الموضع المستوي الذي لا نبات فيه.

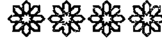
ـ الأرض الملساء.

ـ مستنقع الماء.

الصفصف :

ـ ما لا نبات فيه.

ـ المكان المستوي .



﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) ﴾

السؤال الأول :

هل نقول: الرجل داعي أم داعية؟

الجواب :

ليس بينهما تعارض، لكن الداعية فيها مبالغة، فإذا كان مكثراً من الدعوة يقال له داعية؛ لأنّ (فاعلة) من أوزان المبالغة.

و (داعي) اسم فاعل ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾ [طه:١٠٨]، فإذا أردنا المبالغة نقول (داعية) كما نقول (داهية).

وهذا ليس مؤنثاً، التاء يؤتى بها للمبالغة، وتاء التأنيث هي ليست فقط للتأنيث، كما في الآية: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1)﴾[الهُمَزة:١] والتاء تدل على التكثير.

(فاعلة وفعّالة) من أوزان المبالغة، نحو: رجلٌ علامة وفهّامة، (علاّم وعلاّمة وداهية) هي من أوزان المبالغة.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

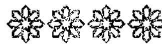
السؤال الأول:

لماذا ذكر نفي الإحاطة بالذات في سورة طه ١١٠ ونفى الإحاطة بالعلم في آية الكرسي؟

الجواب:

في قوله تعالى في سورة طه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه:١١٠] أي بذاته، لأنه في سورة طه جاءت الآية تعقيباً على عبادة بني إسرائيل للعجل وقد صنعوه بأيديهم وأحاطوا به علماً، والله لا يحاط به ولقد عبدوا إلهاً وأحاطوا به علما، فناسب أنْ يقول في الآية: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه:١١٠].

أمّا في آية الكرسي فالسياق عن العلم ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وبعد هذه الجملة يأتي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وهذه الجملة هي توطئة لما سيأتي بعدها.



﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين [الظلم والهضم والبغي والسحت والحرام والخطيئة والأثيم والآثم]؟

الجواب :

١ـ الهضم: هو نقصان بعض الحق ولا يقال لمن أُخذ جميع حقه: قد هُضِم وفي القرآن: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:١١٢]؛ أي لا يمنع حقه ولا بعض حقه، وأصل الهضم في اللغة النقصان.

٢ـ الظلم: يكون في البعض وفي الكل.

٣ـ البغي: هو شدة الطلب لما ليس بحق عن طريق الغلبة، والبِغاء هو الزنا، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٣٣]؛ أي يريد الترؤس على الناس بالغلبة والاستطالة.

٤ـ السُّحت: هو المبالغة في صفة الحرام؛ ولهذا يقال: حرامٌ سُحت، ولا يقال: سحتٌ حرام.

٥ـ الخطيئة: قد تكون من غير تعمد، ولا يكون الإثم إلا تعمداً، ثم كثُر ذلك حتى سُميت الذنوب كلُها خطايا كما سُميت إسرافاً، والإسراف هو مجاوزة الحد في الشيء.

٦ـ الأثيم: هو المتمادي في الإثم، والآثم فاعل الإثم.

السؤال الثاني :

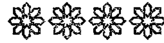
ما دلالة الجملة الاسمية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ كثيراً ما استعمل القرآن للإيمان الصيغة الاسمية؛ وذلك لأنّ الإيمان له حقيقةٌ ثابتةٌ تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق يحدث وينقطع، كما هو واضح بالآيات الواردة في سور السجدة١٨ ﴿مُؤْمِنًا﴾ وطه١١٢ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والروم ٤٧ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٢ـ كما استعمله بالصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث، كما في سورة الأنعام١٠٩ ﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾؛ لأنه لم يحصل بعد، وكما في البقرة:١٣ ﴿ءَامِنُوا﴾ و ﴿أَنُؤْمِنُ﴾.

٣ـ كذلك التقوى والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر كل هذه لها مسميات حقيقيةٌ أو مجازيةٌ يليق بها، فحيث يُراد تجدد حقائقها أو آثارها يُؤتى بالأفعال، وحيثما يُراد الاتصاف بها يُؤتى بالأسماء .



﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين [الوعد والعهد والوأي]؟

الجواب :

١ـ العهد: ما كان مقروناً بشرط، نحو قولك: إنْ فعلت كذا فعلتُ كذا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: أعلمناه أنك لا تخرج من الجنة ما لم تأكل من الشجرة .

والعهد يقتضي الوفاء، والوعد يقتضي الإنجاز، ويقال: نقض العهد وأخلف الوعد.

٢ـ الوعد: يكون مؤقتاً وغير مؤقت، فالمؤقت كقولهم: ـ جاء وعد ربك ـ وفي القرآن: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ [الإسراء:٥] وغير المؤقت كقولهم: إذا وعد زيد أخلف، وإذا وعد عمرو وفّى.

٣ـ الوأي: ما يكون من الوعد غير مؤقت، كقولك: إذا وأى زيد أخلف أو وفى.

قال الشاعر :

إنّ هندُ المليحةُ الحسناءَ   وأيَ من أضمرت لخلٍ وفاء



﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

خاطب تعالى آدم وحده، ومرة خاطب آدم وحواء، والخطاب كان مرة واحدة بصيغ متعددة، فكيف نفهم الصيغ المتعددة في الخطاب؟

الجواب :

من الذي قال: إنّ الخطاب مرة واحدة؟ ربنا قال في القرآن: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] وقال :﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه:١١٧] هذا الخطاب غير ذاك الخطاب.وقال: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ﴾ [طه:١٢٣] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [البقرة:٣٨] من أدراه أن الخطاب كان واحداً؟ ولمّا قال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [الأعراف:١٩] هذا غير ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾[الأعراف:٢٢] هذا وقت متغير.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين النزغ والوسوسة؟

الجواب:

١ـ النزغ: هو الإفساد بين الأصدقاء وبين الإخوان وبين الناس، وهو خاص، كما في آية يوسف ١٠٠ حيث حاول إخوته أن يقتلوه .

والنزغ: هو الإغواء بالوسوسة، وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل أصله للإزعاج بالحركة إلى الشر.

٢ـ الوسوسة: هي عامة، الشيطان يزين للمرء أمراً لفعل المعصية. وأصل الوسوسة: الصوت الخفي، وكل صوت لا يُفهم يقال له وسوسة وأحياناً يكون مسموعاً، كما وسوس الشيطان لآدم باللسان، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه:١٢٠] فسماها القرآن وسوسة، وقوله تعالى:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: حلف لهما بالله، وكلمة الوسوسة فيها هدوء وخفية، وفيها تكرار مقطع (وس) فهي مرتبطة بكلام.

السؤال الثالث :

يقولون: إنّ الشيطان حاول أنْ يوسوس لآدم، فلم يقدر عليه، ثم تحول لحواء فقدر عليها، فهل هذا صحيح؟

الجواب :

الله عز وجل أصلاً لم يذكر حواء في الوسوسة، إنما قال: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠]، ثم قال: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠]، وما هنالك آية أفرد فيها حواء، إمّا أنْ يقول آدم أو يجمعهما معاً، حتى في قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ هو الذي يكدح، فلم يقل: فتشقيا.

السؤال الرابع :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه:١١٨-١١٩]؟

الجواب :

أتى بالجوع مع العُري وبابه أنْ يكون مع الظمأ، وبالضحى مع الظمأ وبابه أنْ يكون مع العُري.

والسبب في ذلك أنّ الجوع والعُري اشتركا في الخلو، فالجوع خلو البطن من الطعام ، والعُري خلو الظاهر من اللباس.

والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق، فالظمأ احتراق الباطن من العطش، والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس .

وهذا يسمى بترصيع الكلام .

من كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للإمام السيوطي.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧]؟

الجواب :

١ـ في آيات سورة طه يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾.

٢ـ في هذه الآيات نلاحظ أنّ الله تعالى أعاد الفعل بصيغة المفرد، مع أنه معطوف على فعل مسند إلى الف الاثنين، فقال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧]، ولم يقل : (فتشقيا)، مع أنّ كليهما مهددان بالإخراج من الجنة .

٣ـ ومن هنا يتبين أنّ مسؤولية الكدح والحركة للرجل، أمّا المرأة فهي السكن المريح المنشط لصاحب الحركة.

والمرأة في الإسلام صنو الرجل، وهما كفتا التعادل في ميزان الحياة، ولا تقوم الحياة إلا بكليهما. وليس من المنطق أنْ يُسأل أيهما أفضل، فهو كالذي يسأل أيهما أفضل: الليل أم النهار، الشمس أم القمر ،الماء أم الهواء؟

٤ـ إنّ الإسلام أناط مهمة العمل والسعي في سبيل الإنفاق على الأسرة بالرجل في المقام الأول، وإنّ للمرأة أنْ تساعد، ولكن ليس واجباً عليها. وفي الأسرة الواحدة نلحظ أنّ الرجل هو المكلف بالسعي في المقام الأول وهي المكلفة بالرعاية والتربية في المقام الأول.

وعندما كانا في الجنة كفاهما الله تعالى تبعات الحياة، أما وقد خرجا منها فإنّ آدم سيشقى بالعمل والكد والكسب لتوفير سبل الحياة، أمّا المرأة فمهمتها الرئيسة هي رعاية بيتها وأبنائها.

ولو أنّ كل امرأة في الأرض خلت إلى نفسها وصارحت نفسها فيما تتمناه لتمنت أنْ تتفرغ إلى بيتها ومملكتها وأنْ يكفيها زوجها عناء العمل.

السؤال السادس :

ما قضية الشيطان مع ابن آدم؟

الجواب :

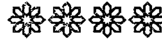
انظر الجواب في آية الأعراف ٢٠.

السؤال السابع :

ما الفرق بين إبليس والشيطان في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣٤.



﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١)﴾

السؤال الأول:

ما الذي أسقط آدم في المعصية؟

الجواب:

١ـ إنها الغفلة أو النسيان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا (١١٥)﴾[طه:١١٥].

وهل النسيان معصية؟

الجواب: نعم كان النسيان معصية في الأمم السابقة؛ لذلك يقول الرسول ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»

و(نسي وعصى) يؤديان معنى واحداً. ونلاحظ أنّ الله سبحانه أخفى أمر حواء في ذكر المعصية لآدم عليه السلام، حيث قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ لما في ستر الحرم من الكرم.

٢ـ الذين يقولون إنه لا بدّ من وجود بشر نسميه مخلِّصاً ليفدي العالم بصَلْبِه أو بغير ذلك من الخطيئة التي ارتكبها آدم، نقول له: إنك لم تفهم عن الله شيئاً ؛لأنّ القصة هي

هنا خطأ قد حدث وصُوّب. وفرق بين الخطأ والخطيئة، فالخطأ يُصوَّب، ولكنّ الخطيئة يعاقب عليها.

وآدم أخطأ وصوّب الله له وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه. إذن لا توجد خطيئة بعد أنْ علّمه الله التوبة وتاب إلى الله. ثم ماذا فعل آدم حتى نقول نخلّص العالم من خطيئة آدم: إنه أكل من الشجرة، وهل خطايا العالم كلها أكل؟ !!

إذن من الذي أوجد القتل وسفك الدماء والزنا والغيبة والنميمة؟ ومن الذي قال: إنّ الخطيئة تورّث حتى يرث العالم كله خطيئة آدم؟ والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

٣ـ آدم عليه السلام أكل من الشجرة المحرمة، وعندما علم أنه أخطأ وعصى لم يصرّ على المعصية ولم يردّ الأمر على الآمر، لكنه اعترف بذنبه وضعفه، واعترف بأنّ المنهج حق وطلب التوبة من الله وتاب الله عليه؛ لذلك ذنب آدم كان من ذنوب الغفلة.

أمّا إبليس فقد رد الأمر على الآمر، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، وقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف:١٦]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾[ص:٨٢] ... فهو ردّ الأمر على الآمر، ولم يعترف بذنبه وعاند، فيكون بذلك قد كفر والعياذ بالله؛ لأنّ ذنب إبليس كان من ذنوب الإستكبار على أمر الله.

٤ـ آدم عليه السلام أذنب ذنباً واحداً، فقال الله عنه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧]، استعمل الفعل ﴿فَتَابَ﴾.

أمّا ذرية آدم من بعده فسيكونون خلقاً كثيراً، وبالتالي سوف تحصل ذنوب كثيرة، فقال الله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧] بصيغة المبالغة في الحدث مقابل المبالغة في العدد.

ياناظراً يرنو بعيني راقد ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت أن الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنب واحد

٥ـ اكتفى الله تعالى بذكر توبة آدم دون توبة حواء؛ لأنها كانت تابعة له وقد ذكرها في قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف:٢٣].

٦ـ إنّ الله ابتلى آدم بإسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود؛ وذلك لأنه كلّفه بأنْ يكون في الجنة يأكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة أنْ يأكل منها، فما زالت به البلايا حتى وقع فيما نُهي عنه فبدت سوأته عند ذلك، وأُهبط من الجنة إلى الأرض بعد أن تاب الله عليه.

والإسكان غير التمليك؛ لأنّ الله خلقه لخلافة الأرض فكان إسكان الجنة تقدمة على ذلك.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى
هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استخدام الجمع والمثنى في الآيات ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٦] و﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ﴾ [طه:١٢٣]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٣٦.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة ٣٨: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [البقرة:٣٨] وقوله في آية طه١٢٣ : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ ؟

الجواب:

يحتمل - والله أعلم - أنّ فعل (تبع) لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، بينما الفعل: **(اتبع)** على وزن (افتعل) يشعر بتجديد الفعل.

و قصة آدم في البقرة لبيان فعله، فجيء بـ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾[البقرة:٣٨] وأمّا في طه فقد جاء بعد قوله:﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥] و﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢١]، فناسب﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾[طه:١٢٣] أي: جدد قصد الاتباع.

السؤال الثالث :

ياء المتكلم متى تُسَكَّن ومتى تُحرَّك مثل [وجهيَ و وجهي]؟

الجواب :

السؤال هو متى تكون الياء مفتوحة؟ ومتى تكون ساكنة؟ والجواب أنّ فتح ياء المتكلم وجوباً لها مواطن وما عدا ذلك جواز. وهذه المواطن هي :

١. بعد الألف المقصورة: الياء يجب أنْ تكون مفتوحة، مثل ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢] ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣] فلا بدّ أنْ تفتح الياء.

٢. بعد المنقوص: لا بدّ من فتح الياء: معطي، معطيَّ، أنت معطيَّ كتاباً هل أنت منجيَّ من عذاب الله؟ الياء لا بدّ أنْ تُفتح بعد المنقوص.

٣. بعد المثنى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[نوح:٢٨] .

٤. بعد جمع المذكر السالم: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وكما في الحديث «**أومخرجيَ هم؟**» ما عدا هذا يجوز الفتح والكسر، هذا الفتح الواجب، والباقي يجوز: (وجهي)، و يجوز (وجهيَ).

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٤] لمّا عبّر عن المؤمن الذي عمل صالحاً قال: حياة طيبة ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ ولمّا عبّر عن الذي أعرض عن ذكر الله تعالى قال: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] فعبّر بالمعيشة ولم يقل (حياة)، فما اللمسة البيانية والفرق بين الحياة والمعيشة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٩٧.

السؤال الثاني :

كيف الجمع بين [العمى والقراءة والرؤية]؟

الجواب :

في القيامة مواطن: ففي بعضها يكون أعمى، وفي بعضها يكون مبصراً ويختلف ذلك باختلاف أهل الحشر فيه. والله أعلم.

السؤال الثالث:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤] ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ﴾ [الجن:١٧] مرة يذكر الإعراض عن ذكر الله ومرة يذكر الإعراض عن الآيات ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [الكهف:٥٧]، فهل هنالك فرق بين الإعراضين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٥٧.



﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاختلاف بين الآيات ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة:٢٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس:٣١] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه:١٢٨]؟

الجواب :

(أولم يهد لهم)-(ألم يروا)-(أفلم يهد لهم):

١ـ تكررت في القرآن الكريم عبارة ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ في موضعين وتكررت عبارة ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ في موضع واحد، و تكررت عبارة ﴿أَلَمْ يَرَوْا ﴾ في خمسة مواضع، وبالعطف ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ وردت في ١١ موضعاً.

٢ـ عبارة ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ من الهداية ومتعلق بالقلب والتفكر والتأمل والآخرة أي أشياء غير مادية.

٣ـ عبارة ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ من الرؤية، ومتعلقة بشيء مادي.

٤ـ الفرق بين ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ و﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ هو حرف الواو، وهي واو العطف والعرب لا تقول: وألم يروا؛ لأنّ الهمزة تتقدم ولها صدر الكلام.

٥ـ الهمزة استفهام إنكاري فيه معنى التوبيخ والإنكار عليهم لعدم اهتدائهم فعندما نجد واواً أو فاءً يعني ذلك ارتباطها بالجملة التي قبلها أو أن الجملة جاءت في سياق العطف، علماً أنّ الفاء للترتيب وفيها شيء من التعليل كأنها تبين العلة.

٦ـ إذا لم يكن هناك واو أو فاء، كما في آية يس ٣١، فمعنى ذلك أنه لا يوجد عطف وإنما استئناف، كأنه جملة جديدة.

البيــان :

١ـ ذكر في سورة طه العقوبات في الدنيا علاوة على عقوبة الآخرة فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٧] فذكر معيشة الضنك في الدنيا، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ [طه:١٢٧] والمقصود به في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٧] فجاء بالفاء في آية طه؛ لأنها تفيد التعقيب .

٢ـ أما في آية السجدة فإنه أخرّ الأمر إلى يوم القيامة، فقد قال قبل الآية ٢٦: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥] لذا جاء بالواو في السجدة ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ .

٣ـ ومن الاختلاف أيضاً في هاتين الآيتين في غير العطف:

(من قبلهم) و (قبلهم):

قال في سورة السجدة ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾، وقال في سورة طه ﴿قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ [طه:١٢٨] بدون (من)؛ وذلك أنه ذكر في سورة السجدة هلاك ووفاة من هم في زمانه، فقال: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة:١٠-١١] فبدأ بهلاك من هو أقرب إليه فجاء بـ ﴿مِّنَ﴾ الدالة على ابتداء الغاية .

ولم يرد مثل ذلك في سورة طه، فإنه ذكر قوم موسى وأحوالهم، وهم قبل الرسول بمدة طويلة، وليسوا من قبله.

٤ ـ ثم انظر كيف ختم آية السجدة بقوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ وذلك لأنهم يسمعون بما حصل للأقرب إليهم، فإنّ خاتمة الأقرب مما يؤخذ عن طريق السماع، بخلاف الأقدمين فيؤخذ منها العبرة ،فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه:١٢٨].

فروقات أخرى بين آية طه وآية السجدة :

آية طه جاءت بعد ذكر موسى وفرعون والسامري وهلاكهم وذكر آدم وحواء، فناسب ﴿قَبْلَهُم﴾ العامة لما تقدم من الزمان؛ أي: أنّ ﴿قَبْلَهُم﴾ عامة بدون تحديد البداية، فهي عامّة ليس فيها هذه اللمسة التي تذكرهم بالبداية والقبْلية تشمل الجميع.

السؤال الثاني :

عن استعمال القرون والقرن بعد (كم) الخبرية التكثيرية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.



﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه:١٢٩] لماذا جاءت (أجلٌ) مرفوعة؟

الجواب :

هذه مسألة نحوية:

لفظة (أجل) معطوفة على (كلمة)، و(كلمة) مبتدأ، أي: لو لا الكلمة والأجل لكان العذاب لزاماً. (لزاماً) خبر كان. (وأجلٌ): الواو عطفت جملة ولم تعطف مفرداً، يعني:

(والأمر أجلٌ مسمى) كأنه خبر لمبتدأ محذوف ويكون من قبيل عطف الجمل، وليس من عطف المفردات.



﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾

السؤال الأول:

قال في طه ١٣٠ : ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ وفي ق٣٩ : ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾، فلماذا؟

الجواب:

السياق في طه أُخرج مخرج الخصوص، بينما في ق أُخرج مخرج العموم. انظر الجدول التالي :

الخصوص في طه	العموم في ق
﴿غُرُوبِهَاۖ﴾	﴿ٱلۡغُرُوبِ﴾
﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾	﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾
﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾	-
السياق عن الدنيا الآية ـ١٣١ـ	السياق عن الآخرة الآيات ـ٤١ـ٤٤ـ

أ ـ الغروب أُخرج مخرج العموم وإنْ أُريد به الخصوص. والهاء في غروبها يعود على الشمس، وناسب ذلك ذكر أطراف النهار في طه بخلاف سورة ق.

ب ـ الليل أعم من ساعات الليل أو آناء الليل.

ج ـ السياق في آية طه ١٣١ عن الدنيا والرزق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١].

وأمّا السياق في سورة ق فهو في الآخرة، فناسب فيها ذكر الغروب وذهابها مع ذهاب أمر الدنيا من النجوم والكواكب والشمس والقمر؛ ولذلك فإخراجه مخرج العموم أنسب في ق، فقال في سورة ق: ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾.

د ـ هذا وإنّ ذكر الآخرة بعد قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ من لطيف المناسبات؛ ذلك أنّ الآخرة ستكون أدبار السجود، حيث لا يكون في الدنيا رجل يقول: لا إله إلا الله، ولا رجل ساجد.

السؤال الثاني :

قال في طه١٣٠ : ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ بإطلاق التسبيح، وقال في ق٤٠ : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ بتخصيص التسبيح لله، وذلك بذكر الضمير، فلماذا؟

الجواب :

١ـ أمر الله رسوله في سورة(ق) بنوعين من التسبيح، هما:

أ ـ التسبيح بحمد ربه.

ب ـ تسبيح الله نفسه لقوله: ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ أي: سبح الله أو سبح ربك.

ثم قال: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ ومعلوم أنه بعد السجود يُسن للمصلي أنْ يسبح الله فيقول: **سبحان الله** ثلاثاً وثلاثين مرة، فناسب تسبيح الله بتعبير ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

ولم يرد في سورة طه نحو ذلك، وإنما أطلق التسبيح، فقال: ﴿وَسَبِّحْ﴾ وحذف المتعلق به ليشمل عموم التسبيح.

٢ـ الآيتان تقدمان حلاً للمضايقات التي قد يمر بها المؤمن في حياته من تصرفات الآخرين السلبية في الحياة، وما أكثرحدوث ذلك من سوء الظن والاتهامات، وركزت الآيتان على الخطة العلاجية المذكورة فيهما، والتي تتضمن التالي :

أ ـ الصبر .

ب ـ التسبيح بعد صلاة الفجر وقبل الشروق .

ج ـ التسبيح قبل الغروب .

د ـ التسبيح في الليل .

هـ ـ التسبيح بعد الصلوات .

فعليك أخي المؤمن للتخلص من كثرة التفكير في نقد الناس وإساءاتهم التحلي بالصبر والإكثار من الأذكار، نحو: [سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم].

والله أعلم.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ ما الكلمات الشبيهة بالطرف؟

الجواب :

الكلمات هي :

الحد ـ الطرف ـ الحرف ـ الرجا ـ الحافة .

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٩.



﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾؟

الجواب :

وصف الله تعالى في آية طه ١٣١ رزق الدنيا بالفتنة، ووصف رزق الآخرة بأنه خير منه، مع أنّ رزق الدنيا والآخرة وكلُ رزقٍ في هذا الوجود حتى الرزق الحرام هو من الله جل جلاله، فلا رازق إلا الله، ولكنّ الذي يجعل الرزق حراماً هو استعجال الناس عليه فيأخذونه بطريقٍ حرام، ولو صبروا لجاءهم حلالاً .

والله سبحانه هو الذي يرزق، ولكنه سمى رزقاً فتنة، وسمى رزقاً خيراً منه؛ ذلك أنّ الرزق من الله دون أسباب أعلى وأفضل منزلة من الرزق الذي يتم بالأسباب.

وفي آية البقرة ٦١ يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة:٦١] .

فبنو إسرائيل بعد أنْ كان الطعام يأتيهم من السماء ـ **المن والسلوى** ـ قالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾[البقرة:٦١]، مع أنه مكون من صنفين، ولكنه واحدٌ لرتابة نزوله.

بعد ذلك طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أنْ يدعو الله أن يخرج لهم أطعمة مما تنبت الأرض ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة:٦١] وكلها أصناف تدل على أنّ من يأكلها هم من صنف الضعفاء، ويبدو أن بني إسرائيل أحبوا حياة العبودية واستطعموها .

ولا شك أن طعام السماء ـ **المن والسلوى** ـ أعلى وأفضل مما تنبت الأرض والذي ينبت يتم عادة بالأسباب؛ ولذلك وصف الله رزق الدنيا بأنه فتنة ووصف رزق الآخرة بأنه خير وأبقى.



﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ ؟

الجواب :

(اصطبر) جاءت في الصلاة؛ لأنها مستمرة كل يوم، وزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، والصلاة كل يوم في أوقاتها وتأديتها حق أدائها وإتمامها يحتاج إلى صبر كبير؛ لذا جاءت كلمة ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ للدلالة على الزيادة في الصبر.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحرف ـ **لولا** ـ في الآيات القرآنية؟

الجواب :

(لولا) هي في الأصل حرف امتناع للوجود. وهي هنا للحث والطلب أي: هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة.

والكفار يريدون معجزة حسية تصاحب رسالة محمد ﷺ- وهي القرآن- العامة للزمان والمكان، ولو كانت معجزته حسية لكانت لمن شاهدها فقط والله عز وجل يريدها معجزة دائمة لامتداد الزمان والمكان إلى أنْ تقوم الساعة .

رابعاً ـ تناسب بداية السورة مع خاتمتها :

قال سبحانه في أول السورة:

١ ـ ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه: ١-٢-٣-٤-٥-٦].

وقال في أواخرها :

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه: ١٣٠].

فقال لنبيه في بداية السورة إنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى .

وأمره في أواخرها بالصبر والتسبيح لعله يرضى .

والرضا نقيض الشقاء وكلاهما خطاب لنبيه ﷺ.

٢ ـ وقال في أواخر السورة: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾ [طه:١٣٢]، والذي يرزقه هو من له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى المذكور في أول السورة .

ومن له ذلك كله فيرزقه فلا يشقى .

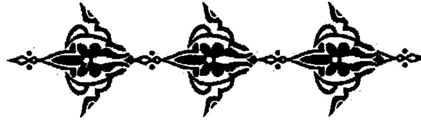
وقال في أواخر السورة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾ [طه:١٣٣].

فأرادوا آية من ربه، وقد جاءتهم التذكرة من ربهم لمن يخشى، فقال: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه:٣]، وذكر أنه تنزيل ممن خلق الأرض والسماوات العلا .

٣ ـ وقال في أواخر السورة: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه:١٣٤].

وقد ذكر ربنا أنّ القرآن تنزيل ممن خلق الأرض والسماوات العلا فجاءهم الرسول والكتاب.

والله أعلم .



سورة الأنبياء

أولاً ـ تناسب خواتيم طه مع فواتح الأنبياء:

١ ـ قال سبحانه في خواتيم سورة طه:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه:١٢٩] .

وقال في أول الأنبياء :

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء:١].

ومما قيل في الأجل المسمى المذكور في آية طه أنه يوم القيامة، وهو موعد الحساب.

٢ ـ قال سبحانه في خواتيم سورة طه:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٤-١٢٥-١٢٦] أي أتتك آياتنا فأعرضت عنها.

وقال سبحانه في أول سورة الأنبياء: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء:١] فكلتا الآيتين في المعرضين عن آيات ربهم .

٣ ـ قال في أواخر سورة طه: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه:١٣٠]

وقال في أول سورة الأنبياء: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء:٣].

وقال فيها أيضاً: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء:٥].

فأمره في سورة طه أنْ يصبر على ما قاله في الأنبياء .

٤ ـ وقال في أواخر طه:

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [طه:١٣٣] .

وقال في أول الأنبياء:

﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٥].

فكلتا الآيتين في طلب آية .

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة هذه السورة لما قبلها أنّه لمّا ذكر: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ [طه:١٣٥]. قال مشركو قريش: محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس يصح، وإنْ صح ففيه بُعد، فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء:١].

ثانياً ـ هدف السورة: دور الأنبياء هو تذكرة البشرية

سورة الأنبياء مكية تتحدث عن قصص الأنبياء، كما هو واضح من اسمها وفيها عرض لقصص الأنبياء ودورهم في مواجهة أقوامهم ومحاولة إصلاحهم ودعوتهم إلى الله تعالى وإلى رسالة التوحيد. والناس ينقسمون في كل العصور إلى أنواع ثلاثة لا رابع لهم: إمّا التقاة المؤمنون بالمنهج، وإمّا العصاة المشركون وإمّا الفئة الغافلة الذين هم بين الفئتين، فهم مؤمنون بالمنهج، إلا أنّ أعمالهم وتطبيقاتهم لا تدل على ذلك. وهذه الفئة هي التي تحتاج إلى المجهود الأكبر؛ لما في الغفلة من خطورة؛ ولهذا بدأت السورة بالآية: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:١]؛ لتدل على خطورة الغفلة وأهمية

الذكر، ودور الأنبياء يكون في تذكير الغافلين بخطورة غفلتهم ودعوتهم للذكر والتذكر.

ثم تأتي الآية ١٨: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء:١٨] في السورة التي تركّز على أنّ الحق ظاهر والباطل زاهق، وهذا ما يجب أن نعيه حتى ننتبه من الغفلة.

وتنتقل آيات السورة للحديث عن نماذج الأنبياء الذين هم بمثابة قدوة لنا نقتدي بهم. والملاحظ في الآيات أنها تحدثنا عن نماذج الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم، وهذا لتعلمنا كيف نقتدي بهم في الدعوة إلى الله. وتأتي كذلك بنموذج هؤلاء الأنبياء في عبادتهم لربهم حتى نقتدي بهم كذلك في عبادتنا لربنا وتقربنا إليه. فتأتي قصة النبي، وكيف يدعو ربه، ويأتي الرد من الله تعالى بأنه استجاب لهم، كما في قصة إبراهيم ولوط ونوح: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء:٧٦] وأيوب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٤] وإسماعيل وإدريس وذي الكفل: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء:٨٦] وذي النون: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]. ثم بعد كل هذه القصص للأنبياء تأتي الآية ٩٢: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء:٩٢]. مذكرة بأنّ هذه الأمة هي أمة واحدة، أمة التوحيد والرسالة، وفي هذا دلالة على أنّ الربّ واحد والرسالة واحدة

والرسل جميعاً يتوارثون هذه الرسالة جيلاً بعد جيل، ومهما اختلف الرسل فالرسالة واحدة تدعو لعبادة رب واحد لا إله إلا هو.

خِتام السورة تبيّن للناس أنّ من سار على نهج الأنبياء وخطاهم سيفلح في النهاية: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦)﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٦] وأنّ القوم العابدين الصالحين هم الذين سيرثون هذه الأرض. وتأتي الآية الأخيرة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء:١٠٧] بتوجيه الخطاب للرسول الكريم عليه السلام بأنّ كل نبي من الأنبياء السابقين جاء إلى قومه فقط، وأمّا الرسول عليه السلام فقد جاء رحمة للعالمين جميعاً.

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النبيين و الأنبياء؟

الجواب:

(النبيون) تفيد جمع القلة، أمّا (الأنبياء) فتفيد جمع الكثرة.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ﴾ يدل على أنّ ذلك واقع لا محالة، فجاءت بصيغة الماضي؛ لأنّ المتكلم هو الله.

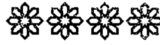
٢ـ الحساب على الأعمال، والأعمال تكون في الدنيا، فمن مات انقطع عمله واقترب وقت حسابه؛ لأنّ المدة التي يقضيها في القبر لا يشعر بها فكأنها ساعة من نهار.

٣ـ اللام في قوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ﴾ للاقتراب وليس للحساب؛ أي اقترب من الناس. والحساب يكون لهم أو عليهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ الغفلة هنا عن أصل الدين وقمته وهو الإيمان بالألوهية، فإنْ آمنت بالألوهية فالغفلة عن أحكام الدين .

والكلام هنا عن الكافرين؛ لأنّ بعدها قول الحق: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾ [الأنبياء:٢] .

ولذلك جاءت كلمة (معرضون) بالصيغة الاسمية . والذكر المحدث هنا الآيات الجديدة من القرآن يسمعونها أول مرة، فلا يعطونها اهتمامهم.



﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾

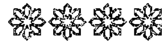
السؤال الأول :

قوله في الأنبياء ٢ : ﴿مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم﴾ وفي الشعراء٥ ﴿مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم في الأنبياء ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء:١] وذكر إعراضهم وغفلتهم، وهو وعيد وتخويف، ناسب ذكر الرب المالك ليوم القيامة المتولي ذلك الحساب.

٢ـ وفي الشعراء: تقدّم ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ الآية ٤، لكنْ لم يفعل ذلك لعموم رحمته للمؤمنين والكافرين، ولم يشأ ذلك، فناسب ذلك ذكر الرحمن لبيان رحمته. والله أعلم.



﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾

السؤال الأول:

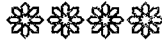
ما دلالة قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، (الذين): ليست فاعلاً لـ(أسرّوا)؛ لأنّ القاعدة النحوية تقول: إذا تقدم الفعل على الفاعل لزم صورة الإفراد، فتقول: أكل القوم . ولا نقول: أكلوا القوم؛ لذلك فإن فاعل الفعل (أسرّوا) هو واو الجماعة في الفعل أسروا، أمّا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فإعرابها (بدل) من الفاعل. والواو إشعار بأنهم هم الموسومون بالظلم الفاحش.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا﴾ عامة، فقد ظلموا أنفسهم؛ لأنّ ظلمهم عائد عليهم بالعذاب، وظلموا الناس في الحقوق وفي أمور أخرى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ هو قول الكفار في أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة:٨]، والله هو الذي أخبر رسوله بها.



﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الأنبياء:٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان:٦]؟

الجواب:

(السماء) تكون أوسع من (السموات)، فهي تشملها وغيرها.

قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان:٦]، وقال في سورة الأنبياء: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الأنبياء:٤]؛ لأنّ القول أوسع من السر، فهو قد يكون سراً، وقد يكون جهراً، فهو أوسع من السر، والسر جزء منه.

فلمّا وسّع وقال: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ وسّع وقال: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ولما ضيّق وقال: ﴿ٱلسِّرَّ﴾ قال: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف (من) في قوله تعالى في آية يوسف ١٠٩: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾، وقوله في آية الأنبياء ٧: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾؟

الجواب:

قال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩].

وذكر ﴿مِن﴾ يفيد الابتداء؛ أي ابتداء الغاية، وهو امتداد من الزمن الذي قبل الرسول ﷺ مباشرة، وليس هناك فاصل. وشبيه بهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩].

أمّا في سورة الأنبياء ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء: ٧] فكلمة (قبلك) تحتمل البعيد والقريب.

وهذا الذكر أو الحذف يعتمد أيضاً على سياق الآيات، ففي سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [الأنبياء: ٦] فهي قائمة على التبليغ، فناسب حذف (من).

السؤال الثاني :

ما دلالة حذف (من) في آية الأنبياء ٧، فقال: ﴿قَبْلَكَ﴾ وذكرها في آية يوسف١٠٩، فقال: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾، وكذلك ذكرها في آية الحج ١٩ـ الزمر ٧٥ـ وحذفها في آية الدخان ٤٨؟

الجواب:

ذكر (من) يفيد الابتداء؛ أي ابتداء الغاية، وهو امتداد الزمن من زمن النبي محمد ﷺ إلى زمن آدم، وليس هناك فاصل.

وهذا الذكر والحذف يعتمد على سياق الآيات، فإذا كان السياق ممتداً يأتي بـ(من)، وإذا كان السياق لفترة محددة لا يأتي بها.

***شواهد قرآنية:**

آية الحج ١٩ :

تفيد أنه ليس هناك فاصل بين الرأس والصب حتى لا تضيع أية حرارة لأنّ المطلوب أنْ يصهر به ما في بطونهم، فقال: ﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾.

آية الدخان ٤٨ :

العذاب أخف من الأول، فقال: ﴿فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾.

آية الزمر ٧٥ :

تفيد أنه ليس بين الملائكة والعرش فراغ، فقال: ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾.

آية الأنبياء ٧ :

بدون (من)؛لأنها تحتمل القريب والبعيد، فقال: ﴿قَبْلَكَ﴾.

السؤال الثالث :

جاء بـ ﴿مِنْ﴾ التي تفيد الابتداء في آية النحل ٤١ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾، وفي آية النحل ٤٣ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾، ولم يذكرها في آية الأنبياء٧ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾، فلماذا؟

الجواب :

السبب أن ﴿مِن﴾ تفيد الابتداء، أي أنّ الأمر كذلك ابتداءً من قبلك إلى القديم، بخلاف آية الأنبياء، فهي ليست لهذا المعنى، والذي يدل على ذلك سياق الآيتين .

انظر آيات سورة النحل: [٢٦ ـ ٣٣ ـ ٣٦] لترى أنّ هذا شأن القرى مع رسلهم منذ القديم، ثم قال الله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل:٤١] أي: هاجروا من بعد الظلم، فلم يكن هناك فاصل بين الظلم والهجرة، ولو قال: بعد ما ظلموا لاحتمل وجود مدة ليس فيها ظلم؛ لأنه بعد الظلم قد يحتمل الطول والقصر.

بينما السياق في آيات سورة الأنبياء: [١ ـ ٦] هو إخبار بأنّ الذين قبلهم لم يؤمنوا.

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ هل هناك جسد لا يأكل الطعام؟ ولماذا (الجسد) مفرد و(يأكلون) جمع؟

الجواب :

١ـ قد يكون هناك جسد لا يأكل الطعام، كما قال تعالى عن العجل الذي صنعه السامري: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه:٨٨]، وليس بالضرورة أن الجسد يأكل الطعام .

ثم العرب يقولون: إنّ الجن والملائكة جسد لا تأكل الطعام، فإذن كلمة (جسد) في العربية لا تعني أنه يأكل الطعام. والجسد في اللغة لا ينحصر فينا قطعاً، وإنما أي شيء مجسد فهو جسد، حتى قالوا: الجن جسد والملائكة جسد. وقوله تعالى(جسداً) أي مستغنين عن الطعام؛ لأنه ملك.

٢ـ (جسد) مفرد و(يأكلون) جمع:

كلمة (جسد) هي جنس، وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الأنبياء:٨] عن جماعة وليس عن واحد. و(جسد) جنس، وبالتالي تجمع، نحو: (رجل) جمعها (رجال)، والرجل جنس، وكلمة (الإنسان) ربنا جمعها (أناسي) فجمع الجنس إذن ليس فيه إشكال.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ
حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الويل والويلة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٣١.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة التحصيل الزراعي؟

الجواب :

كلمات منظومة التحصيل الزراعي هي:

جنى: تستعمل للفواكه الموسمية ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن:٥٤].

حصد: عندما يكون الزرع يابساً، وتستعمل (حصاد) للخير و(حصيد) للشر ﴿حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء:١٥].

خضد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة:٢٨].

قطف: كل ما كان حلو المذاق والمنظر يقال له قطف مثل: قطف العنب والعسل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة:٢٣].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء:١٦] فهل إذا حُذف الحال ﴿لَٰعِبِينَ﴾ يكون الحكم مقيّداً؟

الجواب :

قد تكون الحال أحياناً دالة على الثبوت، أي: حالة كونهم لاعبين .

في آية الأنبياء ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء:١٦]، ﴿لَٰعِبِينَ﴾ حال، لكن لا تستطيع أنْ تستغني عنها.

يقولون: الحال فضلة (أي ما هو خارج العُمدة)؛ أى (ليس المبتدأ والخبر وما كان أصله مبتدأ وخبراً والفعل والفاعل واسم الفعل). فمصطلح (فضلة) يعني: ليس مسنداً ولا مسنداً إليه.

ومعنى الكلام يتوقف على الفضلة في كثير من الأحيان، مثلاً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧] إذا حذفنا (مرحاً) هل يستقيم المعنى؟ وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢] ما هو المعنى إذا حذفنا (كُسالى)؟ وكذلك في الآية موضع السؤال إذا حذفنا (لاعبين) لا يستقيم المعنى. وأحياناً يحذف الكلام وتبقى الفضلة ويكون المعنى واضحاً مثل: (النار النار) حذفت العمدة هنا وجوباً، ومع هذا استقام المعنى.

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ورود (التسبيح) بالصيغة الفعلية في الآية؟

الجواب :

ورد التسبيح بالصيغة الفعلية كثيراً لنفس السبب المذكور مع الاستغفار كما في آيتي [الأنبياء ٢٠ـ والجمعة ١].

ولم يرد بالصيغة الوصفية الاسمية إلا في آيتين :

أ- في وصف النبي يونس عليه السلام في سورة الصافات :١٤٣ ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤] بمعنى أنه كان هذا وصفه الثابت فنجا؛ لأنه كان من أصحاب هذا الوصف . والصيغة الاسمية إشارة إلى أنّ مداومة التسبيح تخلّص من الكروب والمكاره في وقت الشدة .

ب- في صفة الملائكة في الصافات :١٦٦ ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾، أي هذه صفتهم .

والتسبيح صفة ثابتة لهم كما قال الله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء:٢٠] .



﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (إلا) في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأنبياء:٢٢]؟

الجواب :

(إلا) هنا بمعنى (غير)، وهي ليست (إلا) الاستثنائية، وإنما هي صفة بمعنى غير. المفسرون والنُحاة قالوا (إلا) هنا بمعنى غير، ولا يصح أنْ تكون أداة استثناء، ولا يجوز أنْ تكون أداة استثناء؛ لأنه لو أثبت الاستثناء لأثبت تعدد الآلهة، وهذا يتنافى مع جلال الله تعالى. وهذه الآية ظاهرة وهم يضعون لها شروطاً.

السؤال الثاني :

ما إعراب ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢] ؟

الجواب :

النحاة مختلفون:

١ـ قسم يقول: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ صفة تكون مرفوعة بمعنى غير، والحركة ذهبت إلى ما بعدها على طريقة العاريّة. وهذا التخريج هو أشهر التخريجات .

وبعض الآيات تستشكل على غير المتعلم، أمّا المتعلم وأهل اللغة فيعرفونها. والقرآن ليس كتاباً نحوياً ولم يجمع أبواب النحو ولا جمل النحو. مثلاً (لا سيّما) لم ترد في القرآن. فالقرآن كتاب هداية وتوجيه وليس كتاب نحو ولم يجمع التعبيرات النحوية أو القواعد النحوية، وكثير من المفردات والتعبيرات النحوية والأحوال غير موجودة في القرآن.

٢ـ وتفاصيل الإعراب هي :

﴿فِيهِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بكائن أو موجود .

﴿ءَالِهَةٌ﴾: اسم كان مرفوع.

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء بمعنى غير نعت لكلمة (آلهة) .أو ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ملغاة؛ لأن (لو) بمعنى النفي.

﴿ٱللَّهُ﴾: لفظ الجلالة مضاف إليه مرفوع لفظاً بالضمة مجرور محلاً بالكسرة، منع من ظهورها حركة العارية، أي حركة (إلا) المُعارة لما بعدها.

ورأي آخر :

لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ بدل من ضمير مستتريعود على موجود، والتقدير: لو كان فيهما أحد موجود، وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ بدل.

﴿لَوْكَانَ﴾ أي (ما كان)، وأصل التركيب: لو كان فيهما أحد موجود. وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ بدل.

﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ اللام حرف جواب، و(**فسدتا**): فعل وفاعل.

وقسم يقول: إنها داخلة على جملة مبتدأ وخبر محذوف.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ
أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا
السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ
الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (خلق) في آية الأنبياء ٣٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾ [الأنبياء:٣٣] بين آيات (الجعل) في سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢)﴾ [الأنبياء:٣٠-٣١-٣٢]؟ وما الفرق بين (الجعل والخلق والفطر)؟

الجواب :

١ـ (الجعل) كما يقول أهل اللغة: هو إخبار عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بأنْ يكون فيه أو معه أو بحالة أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] أي :جعل (منه) ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [الأنبياء:٣١] أي: أي :جعل (في). وهي ليست

لهذا فقط، وإنما تقتضي أكثر من شيء ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢] فهذه حالة من الحالات جعلها هكذا ويمكن أنْ نقول: خلق السموات.

٢ـ في الغالب (الجعل) يتعلق بشيء آخر، وليس فقط (جعل) أي خلق هكذا ،لكنّ هنالك شيئاً آخر في المفعول يتعلق به. و(جعل) تقتضي أكثر من شيء، وأكثر من أنْ تذكر المفعول وحده، وهذا ما نص عليه أهل اللغة.

٣ـ (خلق) الله الليل والنهار وخلق الشمس والقمر، لكنّ (جعل) ليست هكذا، ليس: جعل الماء، ولكن جعل منه أو جعل فيه أو جعل له حالة من حالاته، يتعدى بنفسه لا بشيء آخر، ولا نقول: جعلنا الماء كل شيء حي. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء:١٢] لمّا قال (آيتين) قال (جعل). وفي آية أخرى قال: ﴿خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأنبياء:٣٣] .

٤ـ هذا هو الفرق بين الجعل والخلق. فلمّا قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [الأنبياء:٣٣] لم يلابسه بشيء آخر، فقال: خلق،أمّا: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء:١٢] فالخلق أعمّ.

وأمّا ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ففيه ملابسة لـ (في الأرض).

٥ـ الخلق أعم. و(خلق) ليس خاصاً بالله تعالى، كما في الآية على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران:٤٩] .

٦ـ (فَطَر) هو فعل خاص بالله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠] .

السؤال الثاني :

ما أصل الكون؟ وما الفرق بين (الفتق والرتق)؟

الجواب :

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

(**فتق**) الشيء: شقَّه .أمّا **الرتق** فهو ضد الفتق، (رتق) بمعنى: التأم .وتشير الآية إلى أنّ السماء والأرض كانتا ملتئمتين؛ أي كتلة واحدة ففتقهما الله سبحانه.

ولقد جاء علم الفلك ليظهرهذه الحقيقة التي ذكرها الله في كتابه وتلاها نبيه على المسلمين قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

يرجع العلماء الفلكيون نشأة الكون إلى ١٣.٧ مليار عام، وذلك طبقاً لما أعلنته إدارة الطيران والفضاء الأميركية (ناسا) مؤخراً، حيث حدثت حادثة تعرف باسم الضربة الكبرى (Big bang)، وهي حادثة بداية الكون .

و يعدون أنّ حدوث مثل هذه الحادثة كان أمراً واقعاً؛ إذ كانت المادة الموجودة حالياً في الكون مركزة بكثافة عالية جداً في هيئة بيضة كونية ومن الأدلة على صحة نظرية الضربة الكونية الكبرى لنشأة الكون:

١. حركة التباعد المجرّية الظاهرة التي استدل عليها من خلال انحراف طيفها نحوالأحمروفق مايعرف بظاهرة دوبلر .

٢. الأمواج الراديوية الضعيفة المتوازنة، الواردة بتجانس تام من جميع أرجاء الكون، وبالشدة المتوقعة نفسها في عهدنا الحالي من الشعاع المتبرد عن الضربة الكبرى .

كما يؤكد العلماء أنّ هذا الانفجار الكوني العظيم قد نتج عنه غلالة من التراب، والقرآن يقول: غلالة من الدخان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَت:١١]، و التجربة تؤكد أنّ هذا الجرم عالي الكثافة، وإذا انفجر فلابدّ وأنْ يتحول إلى غلالة من الدخان، والتعريف العلمي للدخان أنه جسم أغلبه غاز به بعض الجسيمات الصلبة، له شيء من السواد و له شيء من الحرارة.

ويقول العلماء إنّ الكون يتوسع من الضربة الكبرى، ولا يوجد دليل بأنه سيتمدد للأبد فهو سوف يتباطأ تمدده تدريجياً،ثم يقف، وبعدها ينقلب على نفسه،ويبدأ بالتراجع في حركة تقهقرية، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]. والله أعلم .

السؤال الثالث :

ماالفرق بين ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الأنبياء:٣١] في آية الأنبياء ٣١ و ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ في آية ق ٧؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة ق ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧] وقال فى سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء:٣١] هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي.

٢ـ لكن الملاحظ أنه تعالى يقول أحياناً:(ألقينا)، وأحياناً يقول: (جعلنا) في الكلام عن الجبال، بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً، وقد درسنا أنّ بعض الجبال تُلقى إلقاء من البراكين (فتكون جبالا بركانية)، أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كُتل، وهذا يدل ـ والله أعلم ـ على أنّ هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً، ولا تتكون بطريقة واحدة. والله أعلم.

٣ـ بالنسبة لسطح الأرض، فكما يختفي معظم الوتد في الأرض للتثبيت كذلك يختفي معظم الجبل في الأرض لتثبيت قشرة الأرض. وكما تثبت السفن بمراسيها التي تغوص في ماء سائل، فكذلك تثبت قشرة الأرض بمراسيها الجبلية التي تمتد جذورها في طبقةٍ لزجةٍ نصف سائلة تطفو عليها القشرة الأرضية. والله أعلم .

السؤال الرابع :

ما اللمسة البيانية في استخدام اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول والعكس في القرآن الكريم بشكل عام، كما في آية الأنبياء٣٢ حيث قال﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ﴾ ؟

الجواب :

١ـ قسم من المفسرين يرون أحياناً في الاستعمالات القرآنية أنّ اسم الفاعل يكون بمعنى اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق:٦] يقولون: بمعنى مدفوق، وقوله ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[هود:٤٣] بمعنى لا معصوم، و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [الحاقة:٢١] بمعنى مرضية، و﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء:٤٥] بمعنى ساتراً، و﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ﴾ بمعنى حافظاً.

ومن الممكن تخريجها على صورتها الظاهرة ويبقى المعنى، وليس بالضرورة أنْ نؤوّل كلمة (دافق) للمعنى (مدفوق)، لكنْ يمكن إبقاؤها بصيغها ومعانيها. وقد ذكر المفسرون آراء أخرى تؤكد الإقرار على المعاني والصيغ لاسم الفاعل واسم المفعول ويستقيم المعنى.

٢ـ المصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، وفي القرآن تأتي كلمة (خلق) بمعنى مخلوق أحياناً.

وفي قوله تعالى في سورة هود: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣] تحتمل معنيين: لا عاصم إلا الراحم، وهو الله، ولا معصوم إلا الناجي، وقد يختلف التأويل، لكنّ المعنى يحتمل هذه التأويلات؛ لأنّه لا عاصم إلا من رحمه الله تعالى، أي ليس هناك من ينجيه إلا الله الراحم. وتأتي الآية بعد ذلك ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود:٤٣] لا تمنع كلا التفسيرين وهذا ما يُسمى من باب التوسع في المعنى.

٣ـ أحياناً الصيغة الواحدة يمكن تخريجها على أكثر من دلالة، كما في كلمة ﴿حَكِيمٌ﴾، فقد تكون اسم مفعول مثل (قتيل)، أو (حكيم) بمعنى ذو حكمة، نحو ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، وفي سورة يس ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس:١-٢] هل المقصود أنه مُحكم، أو هو ينطق بالحكمة فيكون حكيماً؟ يحتمل المعنى كل هذه التفسيرات.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين ﴿مِتُّمْ﴾ بكسر الميم و﴿مُتُّمْ﴾ بضم الميم؟

الجواب :

(مُتم) بالضم مسندة إلى المعلوم. مات يموت فيقول: مُت أنا، وهنا تكون التاء فاعلاً مبنياً في محل رفع فاعل (للمتكلم).

لكن إذا أردت أنْ تبنيها للمجهول يعني وقع عليه الموت بمعنى أُميت تصير (مِتَّ ومِتُّ أنا) تُكسر الميم. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء:٣٤] لأنّ (مات) فعل أجوف، والأجوف عندما يُبنى للمجهول يكون بهذه الصيغة في موضع الضم والكسر.

السؤال السادس :

كيف استعمل التثنية ﴿كَانَتَا﴾ ـ ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ مع وجود الجمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في آيتي الأنبياء ٣٠ وفاطر ٤١؟

الجواب :

أراد بـ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الجنس، أي: جنس السماوات وكذلك جنس الأرض فقال: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ بالمثنى.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر:٤١]. والله أعلم.

السؤال السابع :

أيهما أسبق في الخلق: السماء أم الأرض؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾، أي: أولم يعلموا .

٢ـ قوله تعالى: ﴿كَانَتَا﴾ ، ولم يقل: كُنّ، وقد سبقها ذكر السماوات بالجمع؛ وسبب ذلك أنّ الله أراد النظر إلى السماء والأرض كنوع، فالمراد هنا السماوية والأرضية، وهما مثنى.

ونظير ذلك قول الحق: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾[الحُجُرات:٩] .

٣ـ أطوار الخلق التي تأتي بعد الخلق تختلف، أمّا الخلق فيأتي مع بعض بدليل الآية، فهي مخلوقة معاً.

٤ـ ليست إحداهما أقدم من الأخرى، لكن قد تكون هناك حالة في الأرض متقدمة أو متأخرة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات:٣٠] ولم يقل: خلقها، وإنما: دحاها؛ أي: بسطها.

أي كانت مع السماء ثم فتقها وبسطها أو جعلها كرة (من الدحي).

وهكذا السماء بعد الفتق جعل فيها شموساً وكواكب وجعلها سبعاً. فالسماء والأرض خلقتا معاً، لكنْ اختلفت الأطوار، وليس لها علاقة بالخلق .

٥ـ الفتق يكون بين شيئين كانا ملتئمين متصلين ببعضهما، فإذا فُرّق بينهما فقد فُتقا، وإذا كان الشيء واحداً ففرّق بعضه عن بعض قيل: قُطع أو فُصل وشق وليس فُتق. والله أعلم.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في الآية ٣١: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.



﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ هذا العموم مخصوص، فإنّ لله تعالى نفس؛ لقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ﴾ [المائدة:١١٦]، مع أنّ الموت لا يجوز عليه، وكذا الجمادات لها نفوس، وهي لا تموت .

والعام المخصوص حُجة، فيبقى معمولاً به فيما عدا ما ذُكر.

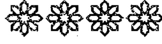
٢ـ قوله تعالى: ﴿ذَآئِقَةُ﴾ الذوق هنا هو إدراك خاص، فجعله مجازاً عن أصل الإدراك؛ لأنّ الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق، والمراد منه هنا مقدماته من الآلام العظيمة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ﴾ أي بالشدة والرخاء، أو نِعَم الدنيا وشدائدها، ولا يكون الابتلاء إلا مع التكليف .

فبيّن تعالى أنّ العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين؛ لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن.

وقوله تعالى: ﴿فِتۡنَةٗ﴾ أي: اختباراً وامتحاناً ليقيم الحُجة علينا من أعمالنا.

والله أعلم.



﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الإخبار بالمصدر عن اسم الذات في قوله تعالى: ﴿مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ ؟

الجواب:

الغرض من هذا الإخبار هو المبالغة؛ وذلك أنه جعل العين وهو ذات الشخص هو الحدث نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ وذلك لكثرة فعله إياه واعتياده له.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية البقرة ١٧٧.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة السرعة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٥٤.

السؤال الثالث:

ما قواعد زيادة الواو في المصحف، كما في الآية ﴿سَأُوْرِيكُمۡ﴾ ؟ وما التعليل اللغوي لذلك؟

الجواب :

١ـ تفيد زيادة الواو ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعلى طبقة وأعظم رتبة في العيان.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥].

ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الأنبياء:٣٧].

فقد زيدت الواو تنبيهاً على ظهور ذلك الفعل للعيان بأكمل ما يكون. والآيتان جاءتا للتهديد والوعيد.

٢ـ نقل النووي في شرحه على صحيح مسلم عن الفراء أنه قال: إنما كتبوا (الربو) في المصحف بالواو؛ لأنّ أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم (الربو)، فعلموهم صورة الخط على لغتهم.

وكذلك في الصلوة والزكوة والمشكوة، ويبدو أنه كان لأهل الحيرة نطق معين جرت عليه الكتابة عندهم.

٣ـ قواعد زيادة الواو :

اتفقوا على زيادة واو ـ تكتب ولا تقرأ ـ فيما يلي :

أ ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الأنبياء:٣٧] .

ب ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥] .

ج ـ بعد الهمزة نحو: ﴿أُوْلُواْ﴾ ـ ﴿أُوْلَٰتِ﴾ ـ ﴿أُوْلَآءِ﴾ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾؟

الجواب:

١ـ المعنى العام: هو خطاب للرسول ﷺ: أنك لست بدعاً من الرسل، فخذ هذه المسألة بصدرٍ رحب، فلقد استهزىء بالرسل من قبلك، فلا تحزن فسوف يحيق بهم ما صنعوا ويجدون عاقبة هذا الاستهزاء.

٢ـ معنى ﴿فَحَاقَ﴾ أي: حلّ وأحاط ونزل بقسوة.

٣ـ علينا ألا ننسى أنّ استهزاء الكفار بأهل الحق استهزاء موقوت في الدنيا، أمّا استهزاء الله بهم فاستهزاء أبدي لا نهاية له.

وهذا المعنى واضح في آيات سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفّفين: ٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦].

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟ وما الفرق بين الاستهزاء والسخرية؟



الجواب :

١ـ جاء في تصدير الآية بالقسم وحرف التحقيق (ولقد) للاعتناء بالمعنى وإعطائه قوة التحقيق.

٢ـ جاء بالتنوين ﴿بِرُسُلٍ﴾ للتفخيم والتكثير.

٣ـ ولمّا كان القرب في الزمن في مثل هذا مما يسلي، وكان كلٌّ من الاستهزاء والإرسال لم يستغرق الزمن أدخل الجار، فقال: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ .

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ﴾ بمعنى أحاط للدلالة على شمول العذاب وإحاطته بهم من كل ناحية.

٥ـ الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص، كالاستهزاء بالصلاة وآيات الله، بينما السخرية في الأشخاص فقط، وهذا ما ورد في جميع القرآن.

٦ـ السخرية تكون من فعلٍ يقوم به المسخور منه، بينما الاستهزاء عام لا يقتضي وجود فعل.

أي أنّ الفرق بين الاستهزاء والسخرية: أنّ الإنسان يُستهزأ به من غير أنْ يسبق منه فعلٌ يُستهزأ به من أجله، والسخر يدل على فعلٍ يسبق من المسخور منه. فتقول: استهزأت به فتعدي الفعل منك بالباء، وهي هنا للإلصاق، كأنك ألصقت به استهزاء من غير أنْ يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله .

والاستهزاء يقتضي تحقير المستهزأ به وتحقير اعتقاده، وأمّا المزاح فلا يقتضي تحقير من يمازحه.

وتقول: سخرت منه، فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله.

٧ـ وفي الآية جمع الأمرين: الاستهزاء والسخرية :

٨ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ (ما) هنا فيها قولان :

أ ـ أنّ المراد به القرآن، وهو ما جاء به محمد ﷺ.

ب ـ أنهم كانوا يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله عليهم إن لم يؤمنوا.



﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى الآية ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ﴾ ؟

الجواب :

١ - قوله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء:٤٤] القدامى لهم فيها تفسيران مشهوران، وربما أكثر:

أ ـ أنْ نأتي البلاد (بلاد الكفر) نفتحها شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام هذا أحد التفسيرين المشهورين.

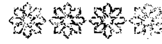
ب ـ والآخر موت العلماء (علماء الإسلام)؛ لأنّ الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها، فإنْ يمت عالم مات طرف فيها، وهذا تفسير القدامى.

٢ـ المحدثون لهم فيها رأيان أيضاً:

أ ـ الأول أنّ فيها إعجازاً علمياً، وهو أنها كروية بيضية، وينقصها من أطرافها فتكون كالبيضة؛ أي ليست على طول واحد في الأطراف، وإنما بعضها أقصر من بعض.

ب ـ والآخر أنها تنقص باستمرار؛ أي تنكمش الأرض ويقل حجمها، فقد كانت ضخمة كبيرة ثم يتبخر منها شيء من الغازات بشكل مستمر، ثم تنقص من أطرافها. أي تنقص بصورة مستمرة، فهي تنكمش ويصغر حجمها شيئاً فشيئاً، فيخرج ما يخرج من جوفها .

٣ـ وقال تعالى: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الغلبة تكون للإسلام، فالمراد الإسلام بموجب التعقيب. والله أعلم.



﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الأنبياء ٤٥: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾، وفي النمل ٨٠ والروم٥٢ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ والصم كافٍ، فما فائدة (ولوا مدبرين)؟

الجواب:

١ـ في آية الأنبياء نسب إليهم السماع، فقال: ﷺ ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾، فلم يحتج إلى توكيد ومبالغة؛ ولذلك قال: ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: يتشاغلون عن سماعه فهم كالصم الذين لا يسمعون.

٢ـ وفي آية الروم والنمل نسب الإسماع إلى النبي ﷺ فبالغ في عدم القدرة على إسماعهم بقوله تعالى: ﴿وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢﴾؛ لأنّ المُولي عن المتكلم أجدر بعدم القدرة على إسماعه من الماكث عنده؛ ولذلك شبههم بالمولّي. وفيه بسط عذر النبي ﷺ.

السؤال الثاني

ما دلالة (ما) في الآية ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾؟

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٢.

السؤال الثالث

ما دلالة استعمال فعل الشرط الماضي والمضارع:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٠.

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استعمال (مسّتهم) في الآية ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٦]؟ وما اللمسة البيانية في كلمة ﴿نَفْحَةٌ﴾؟ وكذلك كلمة (العذاب) أضيفت إلى اسم يدل على الشفقة وهو الرب (عذاب ربك)، ولم يضف إلى اسم يدل على القهر والجبروت فما اللمسة البيانية في كل هذه المفردات؟

الجواب :

١ـ (إنْ) الشرطية التي هي فيها احتمال حصول الشرط قليلاً أو كثيراً أو احتمال عدم الوقوع، وهي أقل من (إذا).

٢ـ أصل النفح من الريح اللينة .

٣ـ في المس والنفحة ثلاث مبالغات :

أـ لفظ المس هو دون الدخول أو ذوق العذاب أي دون النفوذ وهو أخف من اللمس، أمّا اللفح فهو أنّ النار أصابت وجهه أو أصابت الجسد.

ب ـ النفح يحمل معنى القلة والنزارة، أو هبوب رائحة الشيء .

ج ـ ﴿نَفْحَةٌ﴾ بالنكرة تفيد معنى المرة الواحدة، وهي اسم مرة.

٤ـ قوله: ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ ولم يقل (من الله الجبار)، وفيها شيء من الحنان .

٥ـ (من) للتبعيض، أي: قسم من عذاب ربك.

٦ـ قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٤٦﴾ فيها توكيد باللام وهي جواب القسم، وفيها نون التوكيد الثقيلة والاعتراف بالظلم، والويل هو الدعاء بالهلاك.

٧ـ المعنى العام: لئن مسهم شيء قليل من عذاب الله كالرائحة من الشيء دون جسمه ولو لمرة واحدة لتنادوا بالويل، فكيف لو دخلوا النار !!!

٨ـ هذا تصوير هائل للعذاب يوم القيامة وريح العذاب يمسهم مسّاً خفيفاً مرة واحدة، فلماذا أضاف ﴿رَبِّكَ﴾ ولم يقل الجبار القهار؟

هذا من عذاب ربك، والرب يعاقب ويؤدب، وهذه معاقبة التأديب معاقبة الربّ، فكيف بعذاب الله الجبار القهار؟

فكلمة (ربك) فيها حنان ورحمة ورأفة فكيف لو أضيفت إلى كلمة القهار أو الجبار كيف سيكون ذلك؟ وهذه كلها النفحة الواحدة والمسّ، فكيف لو كان العذاب؟ كيف لو غضب الجبار المنتقم، كيف سيعاقب؟

٩ـ يقول الشيخ سعيد النورسي إنّ الآية فيها ستة تخفيفات، وبالرغم من ذلك قالوا: يا ويلتنا.

اللهم أعذنا منها يارب العالمين.

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾؟

الجواب:

١ـ الموازين: جمع ميزان. والقسط صفة لها، وهي مصدر بمعنى عدل.

٢ـ سئل الإمام علي رضي الله عنه: كيف يُحاسب اللهُ الخلقَ جميعاً في وقت واحد؟ فأجاب: كما يرزقهم في وقت واحد.

٣ـ في قوله تعالى عن الكفار في سورة الكهف: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥]. معناه: أي وزناً لصالحهم، إنما نقيم عليه ونَدينهم .

السؤال الثاني :

قال تعالى في آية لقمان ١٦ : ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾

وقال في آية الأنبياء ٤٧ : ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

فجاء فعل الشرط وجوابه بصيغة المضارع في آية لقمان وبصيغة الماضي في آية الأنبياء، فما السبب؟

الجواب:

السبب في ذلك- والله أعلم- :

أ ـ أنّ آية لقمان هي في الدنيا ولِمَا يأتي فيها من أعمال، فيكون لكل فرد حالياً وفي المستقبل، فناسب الفعل المضارع.

بينما آية الأنبياء هي في يوم القيامة وتكون الأعمال قد انتهت وابتدأ الحساب، فناسب الفعل الماضي.

ب ـ ختم آية الأنبياء بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ لتناسب الحساب يوم القيامة فسياقها في يوم الحساب.

بينما آية لقمان هي في استخلاص مثقال الحبة من أماكن وجودها الخفية فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦﴾.

ج ـ قال في لقمان: ﴿إِن تَكُ﴾ فكان اسم (إنّ) ضميراً مؤنثاً؛ أي الفعلة أو ضمير القصة.

في حين قال في الأنبياء: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ فكان الكلام عن المذكر ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ فأسند الفعل إلى المذكر.

د ـ وأمّا ذكر الأماكن في لقمان فذلك لبيان قدرة الله وعلمه الشامل ليعرّف لقمان ابنه في ذلك ويبطل الشرك.

وأمّا في الأنبياء فالسياق في الحساب ووزن الأعمال، وليس ذكر الأماكن.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿وَضِيَآءً﴾؟ وهل يمكن استخدام الضياء بدل النور حيث إنّ الضياء أقوى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٤٤.

السؤال الثاني :

ما مواصفات أولي الألباب؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات الرعد ١٩ـ٢٤.



﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في الأنعام ١٥٥ : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، وقال في الأنبياء٥٠ : ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾، فما دلالة الفرق؟

الجواب :

١ـ قدّم الإنزال في الأنعام رداً على قول فتحاص بن عازوراء اليهودي: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] فبدأ بالكتاب اهتماماً به، وحيث إنّ الكتب سماوية ناسب البدء بالإنزال.

٢ـ آية الأنبياء هي في الذكر، فجاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة، فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾.



﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بحرف (التاء) في القرآن الكريم؟

الجواب :

التاء حرف قسم مثل الواو، لكن التاء تكون مختصّة بلفظ الجلالة (الله) وتستعمل للتعظيم. وقد وردت في القرآن الكريم في [سورة يوسف {٧٣}، {٨٥}، {٩١})] ومرتين في سورة النحل [{٥٦} ،{٦٣})]، وفى سورة الأنبياء آية {٥٧} .

أمّا الواو فهي عادة تستخدم مع غير لفظ الجلالة، مثل: الفجر والضحى والليل والشمس وغيرها مما يقسم الله تعالى به في القرآن الكريم. والتاء في أصلها اللغوي مُبدلةٌ من الواو.

السؤال الثاني:

ما سر دخول الحرف في الأسلوب الإنشائي في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾؟

الجواب:

١ـ الإنشاء هو ما فيه أمر أو استفهام أو ترجٍّ أو تحضيض أو .. والحكم يكون على الأسلوب بغض النظر عن القائل.

٢ـ القَسَم هو الإنشاء. وأمّا جواب القسم فهو من حيث الحكم النحوي: هو خبري ولا يكون إنشاء إلا مع الباء، ويصح أنْ يكون إنشاء مع الخبر الطلبي أو الاستعطافي فقط. فمثلاً لا يمكن أنْ أقول: والله أفعل ،أو: والله لا تفعل، إنما أقول: والله لأفعلنّ، و والله لتفعلنّ. ولا يمكن أنْ يكون جواب القسم طلباً أو إنشاء إلا أنْ يكون جواب القسم بالباء (بالله عليك افعل) أو (بالله عليك لا تفعل) (بربّك هل فعلت؟) أما في غير الباء فلا يكون جواب القسم طلبياً.

٣ـ إذن الجواب خبري ويكون إنشائياً مع الباء فقط، وقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ (تالله) هي الإنشاء و(لأكيدن) هي خبر.

السؤال الثالث:

ما الغرض من القسم بشكل عام؟ وما أحرف القسم؟

١ـ الغرض من القسم توكيد الكلام وتقويته، وكذلك الحلف. وقد استعمل القرآن الكريم اللفظين: القسم والحلف .

لكنْ كلُ (قسم) جاء في القرآن بلفظ (**الحلف**) فيه معنى الحنث أو الحلف الكاذب، وأمّا (القسم) فهو عام استعمله القرآن في الكذب، نحو: [التوبة ١٠٧ ـ المجادلة ١٤]، وفي الصدق، نحو [الواقعة ٧٥ـ٧٦].

٢ـ القسم نوعان :

أ ـ ظاهر صريح يستدل عليه بحرف القسم.

ب ـ مضمر غير صريح، وهو ما دلّت عليه اللام، نحو: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ .

أحرف القسم :

١ـ الواو: وهي أكثرهن استعمالاً في القسم.

٢ ـ الباء: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ .

٣ ـ التاء: وهي مختصة بلفظ الجلالة، وفيها معنى التفخيم، وهي آكد من الواو [الأنبياء ٥٧].

٤ ـ ألفاظ أخرى: لعمرك ـ أيمن الله ـ عَمْرَكَ الله ـ قعدَك الله.

ملاحظات :

١ـ تقع (لا) قبل فعل القسم كثيراً، نحو ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ [الانشقاق:١٦] وتفيد التوكيد.

٢ـ جملة جواب القسم إمّا اسمية أو فعلية:

أ ـ فإنْ كانت اسمية أُجيب القسم في الإثبات باللام المفتوحة أو ـ إنّ واللام ـ أو ـ إنّ ـ وحدها مشددة أو مخففة. أمثلة: إنه أفضل منك ـ إنه لأفضل منك.

ب ـ وإنْ كان الجواب جملة فعلية فعلها مضارع كان باللام المفتوحة مع النون أو من دون نون ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ .

فإنْ كانت الجملة منفية امتنعت النون ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[النساء:٦٥] .

حذف جواب القسم :

يحذف جواب القسم وجوباً وجوازاً:

١ـ يجب حذفه إذا تقدم القسم ما يدل عليه، نحو: أنت مخلص والله .

٢ـ ويحذف جوازاً إذا كان بعده ما يدل عليه [النازعات ١ـ٦].

وقد يكون القصد من حذف الجواب كل الأجوبة المحتملة، وهذا من قبيل التوسع في المعنى، وقد يُراد من حذف الجواب الإيجاز .

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم:٦٨] وهذا جواب مقصود بعينه.

- ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ...كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤﴾[ق ١ـ٤] الجواب يحتمل عدة أجوبة: إنك لمنذر ـ لتبعثن ـ قد علمنا ما تنقص الأرض ـ وجميع المعاني مرادة.

- ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ .... عُجَابٌ ۝٥﴾[ص ١ـ٥] عدة أجوبة أيضاً .



﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (نار) مرفوعة ونكرة في قوله تعالى ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾؟ ولماذا جاءت (برداً وسلاماً) وليس (سلاماً) فقط؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿يَٰنَارُ﴾ ليست نكرة، وفي المصطلح الحديث تُسمّى نكرة مقصودة؛ أي معيّنة؟ أمّا النحاة فيقولون (معرفة).

والنكرة المقصودة ليست مصطلحاً نحوياً قديماً، بل هي مصطلح جديد ولا يوجد في كتب النحو القديمة. وعندما نقول: (يا راكباً) هذه نكرة غير مقصودة، وإذا قصدنا أحداً نقول له: يا رجلُ ويا شرطيُ.

و قاعدة سيبويه: أنّ كل اسم في النداء مرفوع هو معرفة؛ وذلك أنه إذا قال (يا رجلُ ويا فاسقُ) كمعنى: يا أيها الرجل ويا أيها الفاسق.

٢ـ ولا يمكن أنْ تكون الآية (يا ناراً) لأنّ الله تعالى يخاطب ناراً معينة وهي نار إبراهيم فهي معرفة، والمعرفة هي ما دلّ على شيء معيّن. فلا بدّ أن تكون ﴿يَٰنَارُ﴾ بالبناء على الضم وهي ليست نكرة وإنما معرفة .

٣ـ أما قوله تعالى: ﴿بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾ : لو قال (برداً) وحدها فقد يؤذي؛ لأنّ من البرد ما يؤذي، ولم يقل (سلاماً) وحدها؛ لأنه قد يشعر بالحرّ الذي يؤذي لكنه لا يتأذى، فهي سلام. والله تعالى أراد أنْ يجمع الاثنين، فأراد أنْ لا يشعر إبراهيم عليه السلام بالحرارة، ولم يرد له أنْ يتضايق، فهي برد وسلام، فالبرد معه شيء من السلام، والسلام معه شيء من البرد، والله تعالى لم يُرد أنْ يشعر إبراهيم بالحرارة أو السخونة بحيث يتضايق؛ لذا كان لا بدّ من الأمرين معاً: البرد والسلام، ولا يمكن أنْ يستغني عن واحدة منهما.



﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾

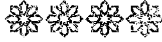
السؤال الأول :

قوله تعالى في الأنبياء ٧٠ ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾، وفي الصافات٩٨ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ ، فلماذا؟

الجواب:

١ـ في الأنبياء: أنهم أرادوا كيده بإحراقه، فأنجاه الله تعالى وأهلكهم فخسروا الدنيا والآخرة.

٢ـ في الصافات قالوا: ﴿ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ﴾ [الصافات:٩٧] أي: من فوق البناء في الجحيم، فناسب ذكر الأسفلين لقصدهم العلو، فخيبهم الله وجعلهم من الأسفلين. والله أعلم.



﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾

السؤال الأول:

ما معنى (نافلة) في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾؟

الجواب:

النافلة هي الزيادة، وإبراهيم سأل ربه، فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات:١٠٠] أراد ولداً فأعطاه الله ولداً، أعطاه (**إسحق**)، ثم أعطاه (يعقوب) زيادة (**ابن اسحق**)، إذن يعقوب هو نافلة. إسحق ابنه ويعقوب ليس ابنه، وإنما ابن اسحق، إذن (نافلة) متعلقة بيعقوب. و ﴿نَافِلَةٗۖ﴾ تُعرَب (حالاً).

والسياق هو في الكلام عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو قد دعا ربه أنْ يرزقه الولد فزاده الله ولد الولد. والنافلة هي الزيادة في العطاء. والله أعلم.

﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (من) في قوله تعالى ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٧٧] ؟

الجواب :

يقول النحاة: إنّ ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ﴾ تعني: نجّيناه من، وأمّا (نصرناه على) فتفيد الاستعلاء، مثل وصفه تعالى لقارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص:٧٩] .

ونسأل: لماذا لم يستخدم سبحانه كلمة (نجّيناه من) بدل﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ﴾ ؟ ونقول: إنّ الفرق بين (نجيناه من) و(نصرناه من) أنّ الأولى تتعلق بالناجي نفسه، أمّا النصرة هنا فهي نجاة للناجي وعقاب لخصمه، فهي تتعلق بالجانبين، بمعنى أنه نجّى نوحاً وعاقب الآخرين.

وقد ورد ذلك أيضاً في القرآن الكريم في سورة هود ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [هود:٣٠]، وفي سورة العنكبوت ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ ﴾ [العنكبوت:٢٤]، وفي سورة التحريم ﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ [التحريم:١١] .

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾؟ وما النفش والحرث؟

الجواب :

١ـ النفش: هو الرعي بالليل .

٢ـ الحرث: هو تقليب التربة وإثارتها لتكون صالحة للزراعة. والحرث نفسه لا يهلك في ذاته وإنما يهلك ما نشأ عنه من زروع وثمار، فسُمي الزرع حرثاً لأنه ناشيء عنه. وقالوا أيضاً: ليبيّن الله أنه لا يمكن الزرع إلا بحرث، وذلك بهدف إدخال الهواء للتربة، وفي ذلك إشارة إلى سنة من سنن الله تعالى في الكون.



﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وما الفرق بين اللباس واللبوس؟

الجواب :

١ـ الصنعة: هي العمل الذي يكف بها الإنسان نفسه عن الناس ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس.

٢ـ اللباس: من (لبس) وهي الملابس التي تستر عورة الإنسان وتقيه الحر والبرد.

٣ـ اللبوس: أبلغ وأحكم من اللباس. وهو اللباس الذي يعطي حماية أكبر ووقاية أكثر من اللباس العادي، مثل الدرع في الحرب لوقاية الجسم من ضربات العدو القاتلة. وكان الدرع من صفائح، وأول من سردها وحلّقها هو داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين.

٤ـ ورّث الله تعالى سليمان من داود ملكه ونبوته، وزاد عليه أمرين، فقد سخر له الريح والشياطين.



﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الضُرّ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣] والضَر ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس:٤٩] والضَرَر ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥]، والحديث الشريف (**لا ضرر ولا ضرار**)؟

الجواب:

١ـ الضُر: بضم الضاد يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

٢ـ الضَر: بفتح الضاد مصدر لما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

٣ـ الضَرَر: هو الاسم، وهوعام. ويعني النقصان، يدخل في الشيء فيقال: دخل عليه ضرر، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي الذين فيهم عِلّة.

٤ـ أحياناً يكون التغيير في المصدر بحركة أو بشيء آخر، فيسمى اسماً. مثلاً:(الدَهن والدُّهن)، الدَهن هو المصدر (دهن جسمه دهناً)، والدُهن هو المادة المستخلصة من النبات للدهن. (الحَمل والحِمل) الحَمل مصدر حمل والحِمل هو الشيء المحمول. (الوَضوء) هو الماء و(الوُضوء) هو عملية التوضؤ نفسها. وهذا سببه تغيير بالحركة فيتغير المعنى بالحركة من مصدر إلى اسم .

السؤال:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

جمع أيوب عليه السلام في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وفقره إلى ربه .

ومتى وجد المُبتلى هذا كُشِفت عنه بلواه. فأكثرْ أيها المبتلى من هذا الدعاء، ولا سيما مع هذه المعرفة يكشف الله لك الضر بإذنه.

السؤال الثالث :

ما دلالة الفرق بين التعبيرين ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ في آية الأنبياء ٨٤ و ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ في آية ص ٤٣، مع أنّ القصتين في نبي الله أيوب عليه السلام؟

الجواب:

١ـ **عند**: ظرف مكان أو زمان، وهي تفيد أقصى نهايات القرب. قال الليث: وهو في التقريب شبه اللزق.

بينما (من) لها معانٍ أشهرها: للابتداء؛ أي ابتداء وقوع الحدث؛ لذلك الظرف (عند) أخصّ من حرف الجر (من).

٢ـ لنقارن بين سياق القصتين في السورتين :

سورة الأنبياء	سورة ص
استغاث بالله وطلب رحمته	لم تذكر طلب الرحمة
(فكشفنا ما به من ضر)	لم يذكر الاستجابة وكشف الضر
(وآتيناه أهله ومثلهم معهم) أعم	(ووهبنا له أهله) أخص
(رحمة من عندنا)	(رحمة منا)
(وذكرى للعابدين)	(وذكرى لأولي الألباب)

٣ـ الإيتاء أعم من الهبة، والإيتاء يشمل الهبة وزيادة.

٤ـ العابدون يشمل أولي الألباب وزيادة، وليس كل ذي عقل عابداً بينما كل عابد ذو عقل.

٥ـ لذلك نجد السياق في سورة الأنبياء أعم وأشمل من السياق في سورة (ص)، فناسب استعمال ﴿رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الأنبياء:٨٤] في سورة الأنبياء لزيادة بيان خصوصيات سيدنا أيوب فيها عن سياق سورة ص.

فكان اختيار المفردات بحسب السياق والتفاصيل المذكورة في السورتين ولا تناقض بين القصتين، والله أعلم.

٦ـ وقد يكون أيوب عليه السلام قال أكثر من هذا، لكنّ ربنا ذكر هذا فقط في هذا الموقف. إذن لا تعارض ولا تغاير.



﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾

السؤال الأول:

بعض العلماء يقول إنّ إسماعيل هو الذبيح، والبعض يعترض ويقول: إسحق، فما المختار بين الرأيين؟

الجواب :

١ـ إبراهيم عليه السلام حدثت له قضية مع أحد ولديه، وكان الولد من الصابرين، وكانت محنة اختُبِر بها إبراهيم عليه السلام فيها ونجح في هذا الاختبار.

٢ـ المرأة الثانية زوجة إبراهيم هي التي ولدت له هذا الولد فأخذها وإياه وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم.

٣ـ وعندما ننظر في الوقائع وفي الآيات نجد نوعاً من الترجيح أنه إسماعيل الذي ذهب إلى ديار العرب وتزوج منهم وعاش هناك.

وعندما نأتي إلى الآيات في سورة الصافات التي ذكرت قصة إبراهيم يقول الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات:١٠١-١٠٢] وعندما يمضي في القصة بعد أنْ ينتهي من قصة الذبيح يقول تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات:١١٢] إذن جاءت البشارة بإسحق بعد البشارة بالذبيح. وإسحق ذكر اسمه في القرآن وإسماعيل ذكر اسمه في القرآن، فالمرجح عند أكثر العلماء أنّ الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحق. ولكنْ نقول: الذبيح هو من الصابرين، وهذه نقطة أولى .

٤ـ وعندما ننتقل إلى الآيات ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤-٨٥] أيوب صبر، وإسماعيل وإدريس كلٌّ من الصابرين، من الذي وُصِف بوصف الصبر؟ إسماعيل؛ لأنه قال عنه في آية أخرى: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات:١٠٢] وأكّد القرآن في موقع آخر أنّ إسماعيل من الصابرين، بينما إسحق ما وصف بهذا، وإنما قال: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود:٧١]

لكنْ نقول: والمسألة قبل ذلك وبعد ذلك لا يترتب عليها أمر من أمور الدين، وليس فيها نص صريح قاطع بدليل اختلاف العلماء فيها فالخوض فيها غير مثمر، ويكفي اتخاذ العِبرة منها، بصرف النظر عن الإنسان الذي وقعت له.

السؤال الثاني

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء:٨٥]؟

الجواب:

١ـ صبرُ نبي الله **إسماعيل** عليه السلام معروف على أنْ يذبحه والده برؤيا رآها.

٢ـ نبي الله **إدريس** عليه السلام هو من الجيل الخامس من أولاد آدم عليه السلام. ويقولون إنّ إدريس أول من علّمه الله غزل الصوف وخياطة الملابس، وكانوا قبلها يسترون عوراتهم بقطع الجلود.

وهو أول من استخدم النجوم لمعرفة الاتجاهات والأحوال، وأول من خطّ بالقلم. وهذه يسمونها أوليات إدريس.

٣ـ نبي الله **ذو الكفل** عليه السلام هو ابن أيوب عليه السلام، ويظهر أنّ أولاد أيوب كانوا كثيرين، إنما اختص الله ذا الكفل بالرسالة، وقيل: إنه كان رجلاً عفيفاً يتكفل بشأن كل إنسان وقع في بلاء أو تهمة أو مطالبة.

٤ـ وصفهم الله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء:٨٥]؛ لأنهم تعرضوا لأنواع البلاء والإيذاء والأهوال في سبيل دعوتهم.

٥ـ الرحمة هنا بمعنى النبوة، وهي أمر عظيم وعطاء كبير.

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى (نقدر) في الآية ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء:٨٧]؟

الجواب :

(نقدر) معناها: نضيّق، وليس بمعنى الاستطاعة، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر:١٦] أي: فضيّق عليه رزقه. فيونس عليه السلام ظنّ أنه في متسع، ولن يضيّق الله عليه، فقومه لم يستجيبوا له؛ لذلك قرر أنْ يذهب إلى مكان آخريدعو إلى الله، والله تعالى لن يضيق عليه. فخرج وهو لا يعلم أنهم تابوا .

و كلمة (قدَر) معناها: ضيّق، كما في الآيات: ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أي: فضيّق، و ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد:٢٦] يقدر؛ أي: يضيّق.

السؤال الثاني :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ما الفرق بين (مغاضباً) و(غاضباً)؟

الجواب :

١ـ (غاضب) من غَضب و(مغاضب) من غاضَب (اسم فاعل) و﴿مُغَـٰضِبًا﴾ أي غاضب قومه، ومثل ذلك :غاضَب مغاضب، حافظ محافظ جاهد مجاهد، قاتل مقاتل، شارك مشارك، عاقب معاقب.

٢ـ (مغاضب) ليس من ربه. فهو خرج مغاضباً قومه، والمفاعلة قد تكون للمبالغة، وليس بالضرورة أنْ تكون فيها مشاركة، مثل عاقب وسافر وحافظ ليس فيها مشاركة، لكن فيها مبالغة.

والمعنى: أنه إمّا اشتد به الغضب فخرج، وإمّا غضب على قومه، وهم غضبوا على ذهابه فيكون فيها مشاركة، هو غضب عليهم لعدم إيمانهم وهم غضبوا؛ لأنه خرج منهم فخشوا أنْ يعاقبهم ربهم فصار مغاضبة، ففي الحالتين (مغاضِب) هي أولى. وليس كل من يغضب يخرج، لكن (مغاضب) معناه: أنّ الغضب اشتد اشتداداً كبيراً فخرج؛ ولهذا قال تعالى: (مغاضباً).

السؤال الثالث :

من النبي الكريم يونس بن متى؟ وما قصته مع قومه؟

الجواب :

١ـ **ذو النون:** هو سيدنا يونس بن متّى صاحب الحوت، والنون من أسماء الحوت، وجمعه: نينان، كحوت وحيتان. وقد أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل.

٢ـ نُصب ﴿مُغَٰضِبٗا﴾ على الحال، وهو من المفاعلة التي قد تقتضي اشتراكاً، كما تقول: شارك زيد عمراً، وإنّ نبي الله يونس بن متّى عليه السلام غضب على قومه؛ لأنهم كذبوه فتوعدهم إنْ لم يتوبوا أنْ ينزل بهم العذاب، وأتى الموعد ولم ينزلْ بهم ما توعدهم به فخاف أنْ يكذبوه فخرج من بينهم مغاضباً إلى مكان آخر، وهو لا يعلم أنهم تابوا فأخر الله عذابهم وأجّل عقوبتهم، كما جاء في آية يونس ٩٨ في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: ٩٨].

إذن خرج يونس مُغاضباً لا غاضباً؛ لأنّ قومه شاركوه، وكانوا سبب غضبه.

٣ـ لفظة ﴿مُغَٰضِبٗا﴾ من (غاضب)، بينما لفظة: (غاضِب) من الفعل :

(غضب). وجاء في مختار الصحاح: مغاضباً، أي مُراغماً لقومه والغضب نقيض الرضا. أمّا الوصف المفرد لمادة (غضب) فهو(غاضب وغضبان)، وهو تعبير عن الحال.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: ظن يونس عليه السلام أنّ الله لن يُضيق عليه؛ لأنه من معاني (قدَر) أي: ضيّق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق:٧]؛ لأنه يعلم أنه رسول من الله تعالى، وأنّ ربه لن يخذله ولن يتركه في هذا الكرب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا من القدر لا من القدرة. أي لن نضيق عليه الخروج (من القدر الذي معناه الضيق)، لا من القدرة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ تشمل: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل.

٦ـ في آيتي الصافات [١٤٣ـ١٤٤] قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤] أي أنَّ المعنى: لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة، بمعنى: لو مات الحوت ومات في بطنه يونس عليه السلام لتفاعلت ذراتهما وتداخلت، وبهذا يكون الحوت قد احتوى يونس إلى يوم القيامة.

٧ـ قوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي: أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أنْ يعجزك شيء أو أنْ يكون ابتلائي بهذا من غير سبب مني، لأنني كنت من الظالمين حيث بادرت إلى المهاجرة من غير أمر منك. ووصف نفسه بضعف البشرية والقصور في أداء حق الربوبية.

وهذا اعتراف منه عليه السلام بذنبه وإظهار توبته ليفرّج الله كربته.

٨ـ وما حدث للنبي يونس عليه السلام لم يكن عقوبة؛ إذ لا يجوز للأنبياء أنْ يعاقبوا، بل المراد به المحنة؛ لأنّ الملامة كانت بسبب ترك الأفضل. والله أعلم.



﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ ؟

الجواب:

استجاب الله لدعاء نبيه يونس عليه السلام وأنجاه من الغم، وهو أعنف جنود الله؛ لأنّ الشيء الذي يضايقك هو الذي لا تستطيع له دفعاً.

ولذلك يقال: إنّ العدو كلما لَطُف عَنُف. فالإنسان عندما يرى عدواً ضخماً يجري منه أو يختبئ، لكن إنْ كان العدو ثعباناً رفيعاً فقد لا يراه الإنسان وقد لا يستطيع الفرار منه، وإنْ كان ميكروباً أو فيروساً لا يُرى بالعين المجردة فهو أعنف قدرة وقوة في مهاجمة الإنسان.

والغم من أشد وأقسى أنواع البلاء. وسئل علي بن أبي طالب عن أشد جنود الله قوة، فقال: هي عشرة :

١ـ الجبال الرواسي.

٢ـ والحديد يقطع الجبال.

٣ـ والنار تذيب الحديد.

٤ـ والماء يطفىء النار.

٥ـ والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء.

٦ـ والريح تقطع السحاب.

٧ـ وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب ويمضي لحاجته.

٨ـ والسَكَر يغلب ابن آدم.

٩ـ والنوم يغلب السَكَر.

١٠ـ والهم يغلب النوم. فأشد جنود الله سبحانه هو الغم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ﴿نُـۨجِى﴾ و ﴿فَنُجِّىَ﴾ في آيتي الأنبياء ٨٨ ويوسف ١١٠؟

الجواب :

كلمة ﴿نُـجِي﴾ ﴿فَنُجِّيَ﴾ في آيتي الأنبياء ويوسف قرأهما معظم القراء بنونين: الأولى مضمومة والثانية ساكنة، وقرأهما بعضهم بنون واحدة .

وقدعلل علماء السلف حذف صورة النون الثانية (إنْ لم تكن قد كتبت على القراءة الأخرى) بأنها لمّا كانت ساكنة وتلاها الجيم فإنها تخفى، فلمّا خفيت حُذفت .

السؤال الثالث :

ما قواعد حذف النون في المصحف؟

الجواب :

قواعد حذف النون :

تحذف نون من نونين متجاورتين، نحو :

- ﴿تأْمَنُنَا﴾ تحذف النون الأولى، فتكتب ﴿تَأْمَنَّا﴾[يوسف:١١] .

- ﴿نُـجِي﴾ تحذف النون الثانية، فتكتب ﴿نُـجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء:٨٨]

- ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾[يوسف:١١٠] .

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ﴿مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ ما كلمات منظومة الحزن والغم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٨٦ .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال كلمة (أصلحنا) في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ﴾ [الأنبياء: ٩٠]؟

الجواب:

الإصلاح كأنه إعادة الشيء سليماً بعد فساد. كأنْ يكون الشيء قد أصابه فساد أوضرر، فإذا أعدته تقول: أصلحته. ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ﴾ [الأنبياء: ٩٠] يعني كأنه كان هناك خراب أو فساد فيها.

العلماء منهم من قال: هو فساد واحد فقط وهو أنها عقيم فأصلحها الله تعالى فصارت ولوداً. وقيل: إنها ولدت يحيى عليه السلام وأبوه زكريا عمره فوق السبعين. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولا يتبادر إلى الذهن هنا الفساد على أنه الفساد الأخلاقي، وإنما هو الفساد بعد ضرر أو عطب فيُصلح.

وقسم من العلماء قالوا: كانت سليطة اللسان حتى يبيّن أنّ بعض الأنبياء كان يُمتحن في أهله.

السؤال الثاني:

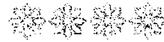
ما الفرق بين كلمتي: (زوج) و(امرأة)؟

الجواب:

كلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف[الروم ٢١ الفرقان ٧٤ـ الأنبياء ٩٠].

وإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج، انظر:[يوسف ٣٠ـ التحريم ١٠ـ مريم ٥].

لمزيد من المعلومات انظر آية البقرة ٢٣٤.



﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى في آية الأنبياء ٩١ ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾ وقوله في آية التحريم ١٢ ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾ في قصة مريم عليها السلام؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء:٩١]، وقال في سورة التحريم ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم:١٢]



أولاً :

بين هاتين الآيتين في السورتين أكثر من نقطة يجب الالتفات إليها، وهي كما يلي:

١. في سورة الأنبياء لم يذكر اسم مريم عليها السلام، بينما ذكره في سورة التحريم. والسبب في ذلك هو أنّه في سورة الأنبياء كان السياق في ذكر الأنبياء (**إبراهيم، لوط، موسى، وزكريا ويحيى**)، ثم قال: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [الأنبياء:٩١]، ولم يُصرّح القرآن باسمها؛ لأنّ السياق في ذكر الأنبياء، وهي ليست نبيّاً .

أمّا في سورة التحريم فذكر اسمها؛ لأنّ السياق كان في ذكر النساء ومنهم (**امرأة فرعون، امرأة لوط وامرأة نوح**)، فناسب ذكر اسمها حيث ذكر النساء. والتصريح بالاسم يكون أمدح إذا كان في المدح وأذمّ إذا كان في الذّم.

ونلاحظ في سورة التحريم أنّ مريم عليها السلام من أعلى المذكورات في سياق النساء؛ ولهذا ذكر اسمها من باب المدح. أمّا في سورة الأنبياء فهي أقلّ المذكورين في السورة منزلة، أي الأنبياء، فلم يذكر اسمها وهذا من باب المدح أيضاً.

٢. ذكر ابنها في سورة الأنبياء، ولم يذكره في سورة التحريم؛ وهذا لأنّ سياق سورة الأنبياء في ذكر الأنبياء، وابنُها (**عيسى عليه السلام**) نبيّ أيضاً، فناسب ذكره فيها، وكما ورد ذكر ابني إبراهيم ويحيى بن زكريا فناسب ذكر ابنها أيضاً في الآية، ولم يذكره في التحريم؛ لأنّ السياق في ذكر النساء ولا يناسب أنْ يذكر اسم ابنها مع ذكر النساء.

٣. في الأنبياء لم يذكر أنها من القانتين وذكرها من القانتين في سورة التحريم.

ونسأل: لماذا لم تأت (القانتات) بدل (القانتين)؟ والجواب: في القاعدة العامة عند العرب أنهم يغلّبون الذكور على الإناث، وكذلك في القرآن الكريم، فعندما يذكر (المؤمنون والمسلمون) يغلّب الذكور، إلا إذا احتاج السياق ذكر النساء ومخاطبتهن. وكذلك عندما يذكر جماعة الذكور يقصد بها العموم .

وإضافة إلى التغليب وجماعة الذكور هناك سبب آخر، وهو أنّ آباءها كانوا قانتين، فهي إذن تنحدر من سلالة قانتين، فكان هذا أمدح لها ويضاف على ذلك أنّ الذين كملوا من الرجال كثير وأعلى، أي هي مع الجماعة الذين هم أعلى، فمدحها أيضاً بأنها من القانتين، ومدحها بآبائها إضافة إلى التغليب أيضاً.

ثانياً :

نعود إلى الآيتين ونقول: لماذا جاء لفظ (**فيه**) مرة و(**فيها**) مرة أخرى؟ فنقول: إنّ الآية في سورة الأنبياء ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[الأنبياء:٩١] أعمّ وأمدح:

دليل أنها أعمّ:

نسأل أيهما أخصّ في التعبير؟ والجواب أنّ قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١] أعمّ من ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ . و (مريم ابنت عمران) أخصّ من ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[التحريم:١٢] فذكر الأخصّ مع الأخصّ، وجعل العام مع العام.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾ [الأنبياء:٩١] في سورة الأنبياء أعمّ؛ فجاء بـ ﴿فِيهَا﴾ ليجعل الأعمّ مع الأعمّ. وسياق الآيات في سورة الأنبياء تدل على الأعمّ.

دليل أنها أمدح:

أيهما أمدح: الآية: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ [الأنبياء:٩١] أو ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم:١٢]؟ الآية الأولى أمدح؛ لأنها تفيد أن الله جعل مريم معجزة خاصة في طريقة حملها،أما الآية الثانية فهي إخبار عنها بأنها صدقت بكلمات ربها، وليس في التصديق معجزة؛ لأنه ليس وقفاً عليها.

والأمر الثاني أنّ ذِكْرَها مع الأنبياء لا شك أنه أمدح لها من ذكرها مع النساء في سورة التحريم، إذن الآية في سورة الأنبياء أمدح لها.

ومن الملاحظ أيضاً في قصة مريم عليها السلام وعيسى عليه السلام أنّ الله تعالى جاء بضمير التعظيم في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي عن طريق جبريل عليه السلام، وهذا الضمير للتعظيم يأتي دائماً مع ذكر قصة مريم وعيسى عليهما السلام، وأمّا في قصة آدم عليه السلام فيأتي الخطاب (فنفخت فيه من روحي)؛ لأنّ الله تعالى قد نفخ في آدم الروح بعد خلقه مباشرة، أمّا في مريم فالنفخ عن طريق جبريل عليه السلام.

ما دلالة ضمير التعظيم في قوله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ والإفراد في قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾؟

إذا كان السياق في مقام التعظيم يسنده إلى أسلوب التعظيم، وإذا كان في مقام التوحيد يكون في مقام الإفراد، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه: ١٤ - ١٥].

فإذا كان في مقام التوحيد يُفرِد، نحو: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾. وإذا كان في مقام التعظيم يجمع.

وقسم أيضاً يقول إنّه إذا كان أمر الله بواسطة المَلَك يلقيه فإنه يأتي بضمير الجمع، وإذا لم يكن كذلك فإنه يُفرِد. فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ استعمل ضمير الجمع؛ لأنّ النافخ تمثل لها بشراً سوياً بواسطة ملك، أمّا عن آدم فقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾.

لذلك إذا كان الأمر بواسطة الملك يجمع: ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ والملك يبلِّغ هذا. وهذا أمر عام.

لكنّ هناك أمراً آخر نذكره، وهو أنه في كل مقام تعظيم لا بد أنْ يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد، وهذا في القرآن كله، فلا تجد مكاناً للتعظيم إلا وسبقه أو جاء بعده ما يدل على الإفراد، كما في الآيات: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١] هذه تعظيم، ثم يقول بعدها: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ رب واحد، فجاء بالإفراد، وما قال: بأمرنا.



وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:١-٢] ولم يقل: فصلِّ لنا.

فليس هناك في القرآن موطن تعظيم إلا سبقه أو جاء بعده ما يدل على المفرد، وهذا لم يتخلّف في جميع القرآن مطلقاً.

إذن عندنا مقام تعظيم ومقام توحيد، يجمع في مقام التعظيم ويفرد في مقام التوحيد، ويقال: إنه إذا كان بواسطة المَلَك يجمع مع احتراز أنه ليس هنالك مقام تعظيم إلا وقبله أو بعده إفراد.

السؤال الثالث :

لماذا يأتي ذكر السيدة مريم ضمن مواكب النبوة؟

الجواب :

النبوة اصطفاء الله لرجلٍ من دون خلق الله من الرجال، وكونه يصطفي مريم من دون نساء العالمين لتلد بدون ذكورة فهذا نوع من الاصطفاء وهو اصطفاء خاص لمريم من بين نساء العالمين ولم يتكرر في غيرها من النساء مطلقاً.

وحيث إنّ مواكب النبوة في سورة الأنبياء من الرجال، فقد ناسب ذكر السيدة مريم بصورة غير صريحة، وذكر المرأة في الأصل مبني على الستر، فتقول: (أهلي) بشكل لا تذكر فيه اسم أهلك الصريح، إضافة إلى أنّ السيدة مريم هي أقل المذكورين قدراً في سورة الأنبياء، فناسب ذلك عدم ذكر اسمها صراحة.

وناسب ذلك أيضاً ذكر ابنها دون ذكر اسمه الصريح.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في الأنبياء٩٢: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ وقوله في المؤمنون٥٢: ـ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾؟

الجواب:

١ـ في آية الأنبياء: قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ .

فلأنه خطاب عام لسائر الخلق ناسب أمرهم بالعبادة والتوحيد. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١].

٢ـ في آية (المؤمنون):قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ هو خطاب للرسل فناسب الأمر بالتقوى، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١].

٣ـ وأمّا الواو في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ فلأن ما قبل الواو لا يتعلق بها بعدها، بينما ما قبل الفاء متعلق بها بعدها؛ ولأنّ ذكر الرسل يقتضي التبليغ ولم يسمعوا من رسلهم، فكأنه قيل: بلّغهم الرسلُ دين الحق فتقطعوا أمرهم. ولذلك قيل في الأنبياء: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ وفي المؤمنون: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: بسبب الخلاف بينهم هم فرحون. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما معنى كلمة ﴿أُمَّةً﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

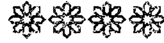
جاءت كلمة ﴿أُمَّةً﴾ في القرآن الكريم على أربعة معانٍ:

١ـ بمعنى الملة أو العقيدة: أمثلة:[البقرة ٢١٣ ـ يونس ١٩ ـ الأنبياء ٩٢].

٢ـ بمعنى الجماعة: أمثلة [الأعراف ١٨١].

٣ـ بمعنى الزمن: أمثلة [هود ٨ ـ يوسف ٤٥].

٤ ـ بمعنى الإمام القدوة الذي يعدل أمة : أمثلة [النحل ١٢٠].



﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (الكفران والكفور والكفر)؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (**الكفر**) في القرآن الكريم في ٢٧ موضعاً، كلها تدل على الكفر في الدين.

٢ـ وردت كلمة (كفران) في موطن واحد في آية الأنبياء ٩٤، وهي بمعنى الجحود وتقابل الشكر.

٣ـ وردت كلمة (**الكفور**) في ثلاثة مواضع، وتحتمل المعنيين، فكأن الكفور أعم من الكفر والكفران.

انظر :[الإسراء ٨٩ ـ الفرقان ٥٠ ـ الإسراء ٩٩].

والله أعلم.



﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاسمين ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾؟

الجواب :

١ـ قيل: هما اسمان عربيان، واشتقاقهما من :

أـ أجت النار أجيجاً إذا التهبت.

ب ـ من الأُجاج، وهو الماء الشديد الملوحة المحرق من ملوحته.

ج ـ من لفظة (ماج) إذا اضطرب، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[الكهف:٩٩].

٢ـ هما على وزن (يفعول) في يأجوج و(مفعول) في مأجوج.

٣ـ قرأ الجمهور ﴿يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ بدون همز، وأمّا قراءة عاصم فهي بالهمزة.

٤ـ وإذا كان الاسمان أعجميين فليس لهما اشتقاق؛ لأنّ الأعجمية لا تشتق من العربية. والله أعلم.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (الويل والويلة) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ **الويل** هو العذاب والحزن والمشقة، وأمّا **الويلة** فهي الفضيحة.

٢ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال الويلة في القرآن وجدناها كلها في مواطن الفضيحة. كما في الآيات: [هود ٧٢ـ الكهف ٤٩ ـ المائدة ٣١ ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

والله أعلم.



﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ [الأنبياء:٩٨] فما معنى الآية؟ وهل وردت (ما) هنا لغير العاقل؟

الجواب :

١ـ حصب المراد بها الحصباء التي هي الحجارة الصغيرة التي تكون أيضا جزءاً من النار .

٢ـ وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء:٩٨] :**(ما)** هي لغير العاقل، و(من) للعاقل، لكن إذا اختلط العاقل وغير العاقل عند ذلك يمكن أن نعبّر بـ (ما) أو نعبّر بـ(من) بحسب الموضع الذي يتكلم عليه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، والأصل في العبادة أنها كانت للأصنام؛ ولذلك استعمل **(ما)**، ولكن هذه لا تمنع من دخول العقلاء فيها؛ لأنها عامة. ونحن نعلم أنهم عبدوا فرعون والرهبان والأحبار، وذكر ذلك في حديث عدي بن حاتم الطائي الذي قال فيه للرسول عليه السلام: يا محمد إنهم لم يعبدوهم، فكيف تقول: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]؟ فالرسول ﷺ بيّن له مفهوم العبادة في الإسلام، فقال: (**بلى أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**).

فهؤلاء أيضاً هم حصب جهنم وهؤلاء الرجال يحرّفون الناس عن منهج الله سبحانه وتعالى، وهم أيضاً حصب جهنم مع من يقرّهم على ذلك بنص الحديث الصحيح، ويكون كأنه عابد لهم بإقرارهم على العبادة حتى نُخرِج من أدانوا عبادتهم وهم لم يقروهم عليه كالمسيح. فهم عبدوا المسيح، لكنه عليه السلام ما أقرّهم على ذلك. و(ما) شاملة العقلاء والأصنام والأحجار.

٣ـ هذه المخلوقات التي يعبدونها من دون الله مخلوقة لله مُسخرة لله مسبحة له، وهي بريئة من هذا الشرك ولا ترضاه، بل هي أعبد لله منهم. لذلك نطقت الأحجار على لسان الشاعر الشعراوي رحمه الله إذ يقول :

عَبَدُونا ونحنُ أعبدُ لله   من القائمين في الأسحار
اتَّخذوا صمتَنا علينا دليلاً   فَغَدونا لهم وقودَ النار
قد تجنَّوا جَهلاً كما قد تجنّوه   على ابن مريم والحواري
للمُغَالِي جزاؤه والمُغَالَى   فيه تُنجيه رحمة الغفّار

السؤال الثاني :

ما معنى الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ ؟

الجواب :

١ـ (ما تعبدون) أي الأصنام. والتعبير بـ (ما)؛ لأنّ الأصنام لا تعقل فجاء التعبير بـ (ما). والتعبير بـ (ما) لذات غير العاقل، وهذا التعبير لا يخص العقلاء، وإنما الأصنام.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ كانت المسألة أنّ عيسى والعزير عُبِدا من دون الله، حتى قريش قالوا: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾[الزُّخرُف:٥٨]. فهل يدخلون في هذا؟ هكذا كان السؤال.

٣ـ إنّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[الأنبياء:١٠١] يعني من عُبد من دون الله ولم يرضَ بذلك ودعا إلى عبادة الله .

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الاية ﴿حَصَبُ﴾ما كلمات منظومة الوقود والحطب والحصب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية إبراهيم ٥٠.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الأنبياء ١٠٠: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾، وفي غافر٤٧ ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾، وفي الشعراء ٩٦ ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾إلى غير ذلك في سورة ق والزمر مما يدل على سماعهم؟ فكيف الجمع بين الآيات؟

الجواب :

لعلّ ذلك باعتبار حالين :

أ ـ حال السماع والمحاجة، وهذا قبل اليأس من الخلاص من النار.

ب ـ حال اليأس عندها لا يسمعون، لما روي أنهم يجعلون في توابيت من نار ويسد عليهم أبوابها فحينئذ لا يسمعون. والله أعلم.

أعاذنا الله وإياكم من النار. اللهم آمين.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين الردف والورود ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[الأنبياء:٩٨]

الجواب :

(ردف) معناه لحق ووصل، و(ردِف) فعل ماض. هناك رِدف ورديف .

و(الرديف) هو خلف الراكب "**كنت ردف النبي**"، فالرديف هو الذي يكون خلف الراكب.

السؤال السادس :

هل كانت العرب غير المؤمنة تفهم هذا عندما تسمع القرآن؟

الجواب :

هذا كلامهم هم إذا تكلموا، والعرب فهموا هذا، لكنه آمن منهم من آمن وجحد بالآيات من استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣] فهم كانوا يعلمون. وإذا فاخرهم شاعر يفاخرونه، ويذهبون لمن يحكم بينهم، والمفاخرات موجودة عندهم، لكنْ لماذا سكتوا عندما سمعوا القرآن؟

السمة العامة عند العرب آنذاك أنهم كلهم فصحاء، وكلٌّ يتكلم بلسان قبيلته إلا الذين اختلطوا بالتجارة والأجانب فبدأت كلماتهم تختلط.

والله أعلم.



﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿نَطْوِى﴾ ما كلمات منظومة الثني والعطف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١١٠.



﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الزبور: هو الكتاب الذي أنزله الله على نبي الله داود عليه السلام ومعناه الشيء المكتوب، فإنْ أطلقتها على عمومها، فإنها تُطلق على كل كتاب أنزله الله .

٢ـ الذكر: يطلق على القرآن، ويطلق على الكتب السابقة.

وطالما يُطلق الزبور على كل كتاب أنزله الله فلا بدّ أنْ يكون للذكر معنى أوسع؛ لذلك يُطلق الذكر على اللوح المحفوظ؛ لأنه ذكر الذكر وفيه ذكر كل شيء.

٣ـ الذي كتبه الله لداود في الزبورهو ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥].

٤ـ كلمة ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ إذا أطلقت عموماً يراد بها الكرة الأرضية، وقد تُقيد بوصف معين، كما في: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ ـ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ .

٥ـ طالما كان السياق في الآيات عن بدء الخلق وإعادته يكون المراد الأرض المبدلة في الآخرة، والتي يرثها عباد الله الصالحون.

وقد يكون المراد بها أرض الدنيا، بمعنى أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد عليه السلام بالفتوح، كما جاء ذلك عن ابن عباس، وهكذا تشمل الآية الصلاح المادي الدنيوي والصلاح المعنوي الأخروي.

٦ـ يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (**أحب ثلاثة وحبي لثلاثة أشد .**

أحب الفقير المتواضع وحبي للغني المتواضع أشد.

وأحب الغني الكريم وحبي للفقير الكريم أشد.

وأحب الشيخ الطائع وحبي للشاب الطائع أشد.

وأكره ثلاثة وكُرهي لثلاثة أشد :

أكره الغني المتكبر وكرهي للفقير المتكبر أشد.

وأكره الفقير البخيل وكُرهي للغني البخيل أشد.

وأكره الشاب العاصي وكرهي للشيخ العاصي أشد). والله أعلم .



﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة الجن ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الجن:٢٥]، وقال في سورة الأنبياء: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنبياء:١٠٩]

ما الفرق بين الآيتين؟ولماذا ناسب ذكر كلمة (البُعد) في آية الأنبياء دون آية الجن؟

الجواب :

١ـ في سورة الأنبياء قابل القريب بالبعيد، وفيها من الوعد ما هو ظاهر القصد، وهو بعيد فعلاً.

وفي سياق آية الأنبياء ذكر أموراً تتعلق بالآخرة هي ليست قريبة، مثل ذكر يأجوج ومأجوج عند اقتراب الوعد الحق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧] وذكر جملة وعود تتعلق بأحوال الآخرة ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝١٠٣ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء:١٠٣-١٠٤].

وهذه أمور ظاهرة البعد وليست مثل ما ذكر في سورة الجن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ۝٢٤﴾ [الجن:٢٤]، وجاء بعدها ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾ [الجن:٢٥]، وقسم قال: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ يعني ما يرونه في بدر، وقالوا: هو ما يرونه في نصر المسلمين في بدر، وهذا ليس بعيداً كما تحتمل الآخرة.

٢ـ في سورة الجن ليست هناك قرينة سياقية تحدد معنى معيناً؛ ولذلك قسم قال: ما يوعدون من نصر، ويحتمل أنْ يراد يوم القيامة .

أمّا في سورة الأنبياء فظاهرٌ البُعدُ والمقصود به هو يوم القيامة ،حيث ذكر يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ ، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ ، ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ ، ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فناسب ذكر البُعد في آية الأنبياء.



﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما القواعد العامة في القرآن في تقديم أو تأخير السر وكذلك الإعلان والإخفاء والجهر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٤.

رابعاً ـ تناسب فاتحة الأنبياء مع خاتمتها :

قال سبحانه في بداية السورة:

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء:١-٢-٣].

١ ـ فابتدأت السورة باقتراب الحساب للناس، وهو قوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء:١].

وأمّا الخاتمة فهي في اقتراب الوعد الحق وأحداث الساعة وما بعدها إلى ورود النار أو دخول الجنة، وذلك ابتداء من قوله سبحانه: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء:٩٧]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨ – ٩٩ – ١٠٠].

وقوله في أصحاب الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء:١٠١] إلى قوله: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

فكأنّ خواتيم السورة استكمال لما بدأت به السورة.

فقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء:١] في بداية السورة مناسب لقوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء:٩٧] في خواتيمها.

٢ ـ ثم انظر كيف قال في أول السورة: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء:١] ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الأنبياء:٣].

وقال في أواخرها: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٩٧]، فأخبر عنهم في الدنيا أنهم في غفلة معرضون، وأخبروا عن أنفسهم في الآخرة أنهم كانوا في غفلة، وكأنّ ذلك تسلسل مشهد متصل .

والله أعلم.



سورة الحج

أولاً ـ تناسب خواتيم الأنبياء مع فواتح الحج:

إنّ خواتيم سورة الأنبياء في الساعة وما يليها من عقاب وثواب، وذلك ابتداء من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧] . . ﴿ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء:٩٩-١٠٠-١٠١]. .. ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤] . . .

وأول سورة الحج في الساعة قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج:١-٢] .

جاء في «البحر المحيط»: ((مناسبة أول هذه السورة ـ يعني سورة الحج ـ لما قبلها أنه ذكر تعالى حال الأشقياء والسعداء، وذكر الفزع الأكبر وهو يوم القيامة، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم ونزلت هذه السورة تحذيراً لهم

وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما أعد لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطورهم في خلقهم وبهمود الأرض واهتزازها بعد بالنبات)).



ثانياً ـ هدف السورة: دور الحج في بناء الأمّة :

سورة الحج هي من أعاجيب سور القرآن الكريم؛ ففيها آيات نزلت في المدينة وأخرى نزلت في مكة، وآيات نزلت ليلاً وأخرى نهاراً، وآيات نزلت في الحضر، وأخرى في السفر، وجمعت بين أشياء كثيرة.

وهي السورة الوحيدة في القرآن كله التي سميّت باسم ركن من أركان الإسلام، وهو الحج. فالسورة تتحدث عن مواضيع كثيرة؛ منها يوم القيامة والبعث والنشور والجهاد والعبودية لله، فما علاقة كل هذه الأمور ببعضها وبالحج؟ الواقع أنّ الحج هو العبادة التي تبني الأمة؛ لما فيه من عبر لا يعلمها إلا من حجّ واستشعر كل معاني الحج الحقيقية.

١. **فالحج يذكرنا بيوم القيامة**: وبزحمة ذلك اليوم والناس يملؤون أرجاء الأرض وكلهم متجهون إلى مكان واحد في لباس واحد في حرّ الشمس (النفرة من مزدلفة والنزول من عرفة والتوجه لرمي الجمرات)؛ ولذا جاءت الآيات في أول السورة عن يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج:١-٢] وكم تساءلنا عند قراءتنا لسورة الحج: ما الرابط بين يوم القيامة وسورة الحج؟! والآن وضحت الصورة وفهمنا مراد الله تعالى من هذه

الآيات، فما أنزل الله تعالى الآيات إلا في مكانها المناسب بتدبير وحكمة لا يعلمها إلا هو، ولكنّ العبد يجتهد في تحرّي هذا المعنى حتى يفهم هدف الآيات التي يتلوها، فسبحان الحكيم القدير!

٢. **والحج يذكرنا بيوم البعث:** فمنظر الحجيج في مزدلفة وهم نيام بعد وقوفهم في عرفة عليهم آثار التعب ويعلوهم التراب والغبار ثم يؤذن لصلاة الصبح فتراهم يقومون وينفضون عنهم التراب كما لو أنهم بعثوا من قبورهم يوم البعث.

٣. **والحج يذكرنا بالجهاد:** ولذا جاءت آيات الجهاد في السورة بعد آيات الحج؛ لأنّ الحج تدريب قاس على الجهاد لما فيه ارتحال من مكان لآخر وتعب والتزام بأوقات ومشاعر أمر بها الله تعالى وعلّمنا إياها رسولنا الكريم عليه السلام.

٤. **والحج يذكرنا بالعبودية الخالصة لله تعالى:** فالكل في الحج يدعون إلهاً واحداً في عرفة، حتى الشجر والدواب والطير والسموات والأرض كلهم يدعو ربه ويسبحه، لكن لا نفقه تسبيحهم.: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨] .

في ختام السورة: تأتي آية سجدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] وهناك مفارقة بين هذه السجدة والسجدة في سورة العلق: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق:١٩]، فالسجدة في سورة العلق كانت أول آية سجدة في القرآن، وهي خاصة بالرسول عليه السلام وحده،

أمّا آية السجدة في آخر سورة الحج فهي آخر آية سجدة نزلت، وهي موجهة للمؤمنين جميعاً. فسبحان الله العظيم !



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ١﴾

السؤال الأول :

ما ميزة هذه السورة؟ وما ميزة هذه الآية فيها؟

الجواب :

سورتان بدأت كل منهما بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ متناظرتان في ترتيب المصحف، هما :

١ـ سورة النساء: وهي السورة الرابعة من سور النصف الأول من القرآن.

٢ـ سورة الحج: وهي السورة الرابعة من سور النصف الثاني من القرآن.

سورة الحج :

هي من أعاجيب القرآن فيها مكي ومدني وحضري وسفري وليلي ونهاري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ.

فالمكي من رأس الثلاثين إلى آخرها، والمدني من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين.

والليلي خمس آيات من أولها، والنهاري من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشرة.

والحضري إلى رأس العشرين والسفري أولها.

والناسخ قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾[الحج:٣٩].

والمنسوخ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾[الحج:٦٩] نسختها آية السيف.

والمنسوخ أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ [الحج:٥٢] نسختها ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾[الأعلى:٦]. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما معنى الحَجّ؟

الجواب :

الحج: أصل الكلمة في اللغة الزيارة، وتدل على قصد الزيارة، ولكنْ استعملت في العبادة المعروفة. وفي الأصل الحج هو القصد للزيارة، لكنْ في العبادة هو شيء خاص، وصارت زيارة البيت الحرام بمواقيت معينة ومناسك معينة. **والحِجّة**: بمعنى السنة. قال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾.



﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾

السؤال الأول :

لماذا جمع أولاً فقال: ﴿تَرَوۡنَهَا﴾، ثم وحّد فقال: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾؟

الجواب:

جمع أولاً فقال: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ ثم وحّد فقال: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ وذلك لأنّ الرؤية عُلّقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعاً رائين لها؛ لأنّ الزلزلة عامة في وقت واحد فيدركها الكل إدراكاً واحداً.

ورؤية السكارى مختصة بكل إنسان بنفسه فيراهم هذا في وقت وذاك في وقت، فكأنه قال: وترى أيها الرائي.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج:٢] فإنْ كان المراد بالزلزلة نفس البعث والساعة فلا حمل ولا رضاع آنذاك، وإنْ كان غير الساعة، فما هو؟

الجواب :

قيل: المراد هو رجفة عظيمة عند نفخة الصعق، وقيل عند طلوع الشمس من مغربها.

وقيل: هو نفس قيام الساعة، والمراد التمثيل بأنّ الحال كذلك لو كان حينئذ يوجد حمل أو إرضاع.

و قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ [الحج:٢] أي: أنهم سكارى من الدهش لتلك الأهوال وما هم بسكارى من الشراب.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾
كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما هدف عداوة الشيطان للإنسان؟

الجواب :

عداوة الشيطان للإنسان عداوة عامة في كل شيء، وهدفه سوق الإنسان إلى الانحراف والمعاصي والضلال حتى يدخله موارد الهلاك فيدخله النار في الآخرة.

ولذلك أعلمنا الله بأنه عدو لنا وعلينا أنْ نتخذه عدواً .



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن
نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ
فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ
أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ
لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَيۡ لَا﴾ منفصلة مرة في آية سورة النحل ٧٠ و﴿لِكَيۡلَا﴾ موصولة في آية سورة الحج ٥ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٧٠.

السؤال الثاني :

قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج:٥] وقال في سورة فصّلت: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فُصِّلَت:٣٩] ما الفرق بين (هامدة وخاشعة)؟

الجواب :

١ ـ السياق في آية الحج هو في جو بعث وإحياء وإخراج مما يتصف معه تصوير الأرض بأنها ﴿هَامِدَةً﴾ ثم تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.

٢ ـ السياق في آيات فصّلت هو جو عبادة وخشوع يتصف معه تصوير الأرض بأنها خاشعة، فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت، ثم لا يزيد على الاهتزاز والإرباء، فلم يزد على الإنبات والإخراج في سورة فصّلت كما زاد في آية الحج؛ لأنه لا محل لهما في جو العبادة والسجود .

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ ما اللمسة البيانية بين (**أنزلنا إليك**) و(**أنزلنا عليك**)؟

الجواب :

١ـ لفظ: (إلى) يستعمل في القرآن الكريم مع العاقل ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[المائدة:٤٨] .

٢ـ لفظ: (على) يستعمل للعاقل وغير العاقل ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ [فُصِّلَت:٣٩].

كما تستعمل في العقوبات ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ [البقرة:٥٩] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء:٤].

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج:٥].

كيف يستعمل القرآن كلمتي (طفل وأطفال) في آيات [الحج ٥ـ النور ٣١ـ ٥٨ـ٥٩ـ غافر ٦٧]؟

وما سبب تخصيص كل موطن بالاستعمال الذي ورد فيه؟

الجواب :

إنّ العرب قد تستعمل كلمة [طفل] للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، فتقول: جارية طفل، وجاريتان طفل، وجَوارٍ طفل، وغلامٌ طفل وغِلمانٌ طفل .. كما تستعملها على القياس، فتقول: طفل وطفلة وطفلان وطفلتان وأطفال وطِفلات .. فاستعمال [الطفل] للجمع معروف عند العرب، وبه جرت ألسنتهم. جاء في مختار الصحاح: وقد يكون الطفل واحدا وجمعاً مثل الجُنُب.

وأمّا سبب تخصيص كل موطن بالاستعمال الذي ورد فيه فهذا ما يظهر من السياق :

١ـ آية الحج ٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج:٥] .

هذه الآية تتكلم عن خلق الجنس، وليس عن خلق الأفراد، فلم يقل: خلقناكم من نطف ثم من علقات، بلْ بناه على المفرد الذي يفيد الجنس والنطفة والعلقة والمضغة تخرج طفلاً لا أطفالاً، فناسب ذلك التعبير بالجنس ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[الحج:٥] .

٢ـ آية غافر ٦٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾[غافر:٦٧]، فهي مشابهة لآية الحج.

٣ـ آية النور ٥٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ﴾ [النور:٥٨] .... ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ [النور:٥٩] .

فهي مبنيةٌ على الجمع لا على الإفراد ولا على الجنس، وهي مبينة لعلاقات الأفراد في المجتمع .

والذين لم يبلغوا الحلم هم الأطفال وليس طفلاً واحداً؛ ولذلك قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [النور:٥٩] بصيغة الجمع، فناسب ذلك ما قبله، ولا يناسبه الإفراد ؛لأنّ الكلام عن الجمع .

إضافة إلى أنّ آية النور هي في الكلام عن العلاقات الاجتماعية، وهذا يتطلب مجتمعاً لا فرداً، فناسب الجمع أيضاً.

وقد تقول: إنك ذكرت أنّ كلمة [طفل] قد تكون للجمع، فلماذا كانت كلمة [أطفال] ههنا؟

والجواب أنّ كلمة [طفل] قد تكون للمفرد، وهي للمفرد أشهر منها في الجمع، في حين أنّ سياق آية النور ليس فيه احتمال أفراد، فناسب التعبير موطنه من كل ناحية .

٤ـ آية النور ٣١ ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ﴾[النور:٣١] .

استعمل [الطفل]، ويتضح سببه من السياق أيضاً، ومن الملاحظات التالية :

أ ـ أنّ كلمة [الطفل] اسم جنس يشمل كل الأطفال، تقول: الطفل لا يعي وتقصد به عموم الأطفال، فإذا قلت: لا أطفال في الدار، لا تنفي أنْ يكون طفل أو طفلان .. وإنْ قلت: لا طفل في الدار، نفيت عموم الجنس الواحد والاثنين والجمع .

ب ـ كلمة (طفل) قد تصف بها العرب الواحد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث كما ذكرنا .

ج ـ أنّ كلمة [طفل] في الآية أشمل وأعم من جميع المذكورين؛ ذلك أنّ البعل مختص بالمرأة، فهو يخص واحداً بعينه والآباء كذلك .. وكذلك أبو البعل وأبناء البعل وأبناء المرأة، وكذلك الباقي فإنه إمّا مختص بأقرباء المرأة أو ملك يمينها.

أمّا الطفل فهو عَامٌ غير مختصٍّ بقرابة، بل يشمل جميع الأطفال، فناسب ذلك استعمال الجنس؛ لأنه يراد به العموم.

د ـ أنّ المذكورين في الآية أشخاص متعددو الإحساس والمواقف بالنسبة إلى الجنس والزينة، فكل واحد له إحساس خاص به، وأمّا الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء فموقفهم واحد متجانس، وهو عدم التمييز فكأنهم شخص واحد لا تمايز بينهم، فأفردهم وجعلهم كأنهم شخص واحد فكان الإفراد ههنا أنسب. والله أعلم.

السؤال الخامس :

يقول تعالى في آية لقمان ١٠: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:١٠]، وقال في آيات أخرى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧]، وفي آية الحج ٥ قال أيضاً: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥]، فما الفرق؟

الجواب :

وهذا يسمونه (التفات) لأهمية الماء للإنسان. (أنزلنا) فيها ضمير التعظيم ومع أنه قال في أولها: ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ أول الآية، ثم التفت فتحول الضمير لبيان النعمة في إنزال الماء وإنبات ما ذكر من الأزواج، فهذا الالتفات ليبين سبحانه وتعالى نعمته على الإنسان. ومعنى (من كل زوج)؛ أي من كل صنف، فالزوج تأتي بمعنى الصنف، نحو: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة:٧].

لكن لماذا اختار هنا﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾وفي مكان آخر ﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؟

١ـ (الكريم) هو بالغ الجودة والنفاسة، وهو كثير الخير والمنفعة و(البهيج) الذي يدخل البهجة على النفوس، ولكن لماذا اختار هنا بهيج وهنا كريم؟

٢ـ يذكرالله في سورة لقمان أنه آتاه الله الحكمة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢]، والحكمة هي بالغة الخير والنفاسة والجودة ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٦٩]، فإذن هذا الكرم مناسب للحكمة وما فيها الخير الكثير، وهي مناسبة لما سيذكر بعدها من الحكمة.

لِمَ تعددت الأوصاف والزوج واحد؟

١ـ ننظر ماذا قال تعالى في سورة ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق:٦-٧] لمّا قال (وزيناها) أليست الزينة لإدخال البهجة على النفوس؟ بلى. إذن كلمة (بهيج) مناسبة للزينة التي ذكرها في السماء ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق:٧] وهذه تدخل البهجة على النفوس، ثم يقول: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾[ق:١٠] وكلها يدخل البهجة.

٢ـ كما في سورة الحج ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج:٥] ناسب بين الهمود والبهجة، هذه هامدة لا بهجة فيها مطلقاً، ثم اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ فالوصف بحسب السياق الذي ورد.

السؤال السادس :

ما الفرق بين قوله تعالى في آية النحل ٧٠: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل:٧٠] وآية الحج ٥ ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج:٥]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٧٠.



﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩)﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم (الخزي) على (الدنيا) في آية المائدة ٣٣ فقال: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ وأخّره عنها في آيتي البقرة ١١٤ والحج٩ فقال: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾؟

الجواب :

١ـ إنّ الخزي المذكور في آية المائدة أظهر للعيان مما في آيتي البقرة والحج، وهو ثابت لا يزول بخلاف ما في آيتي البقرة والحج فإنه غير ظاهر ذلك الظهور ولا ثابت ذلك الثبات.

فقد ذكر في آية البقرة أنهم لا يدخلون المساجد إلا خائفين، فالخوف مقارن للدخول، فإذا انتفى الدخول انتفى الخوف.

ثم إنّ الخوف أمر قلبي غير ظاهر للعيان؛ لذلك فالخزي المذكور في آية المائدة أظهر وأشد.

٢ـ وفي آية الحج ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩﴾، ولم يذكر الخزي الذي سيلحقهم في الدنيا.

٣ـ بينما التقتيل والتصليب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض أظهر خزياً وأشد عقوبة في الدنيا، فناسب تقديمه في آية المائدة.

والله أعلم.



﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (خُسر) و(خُسران) و(خَسار)؟

الجواب:

١ـ الخُسر: يستعمل لعموم الخسارة أو مطلق الخسارة، فكل إنسان هو في خُسر قليل أو كثير، وكل مؤمن يرى أنه خسر شيئاً كان يمكن أنْ يستزيد منه ولم يستزد. هذا هو الخُسر.

٢ـ **الخَسَار**: لم يستعمله القرآن إلا للزيادة في الخسارة، فإذا كان واحد خاسراً وزاد في الخسارة يسمى (خَسَار)، يعني ما زاد من الخسر فوق الخسارة، فهذه الزيادة يسميها (خَسَار)، كما في الآية: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح:٢١] فقط يستعمل الخَسَار في الزيادة في الخسارة.

٣ـ وأمّا **الخسران**: فهو أكبر الخسارة وأعظمها ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١]؛ لأنه لم يخسر شيئاً بسيطاً، إنما خسر الدنيا والآخرة .

٤ـ إذن الخسر مطلق الخسارة، والخسار هو الزيادة في الخسارة والخسران أعظم الخسارة. الخَسَار فيها زيادة الألف على الخُسر، فلمّا زاد في الخسار زاد الألف، ولمّا زاد الخسران زاد الألف والنون.

إذن الخسر هو البداية والخسار فوقها والخسران أعظم الخسارة، يزيد في المصدر للزيادة في الخسارة. وهذا هو الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ﴾ ما كلمات منظومة الحرف والطرف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٩.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج:١٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨]؟

الجواب :

١ـ يقولون: الإرادة لا تقتضي وجود الشيء. مثال: ربنا سبحانه وتعالى يريد من عباده أنْ يعبدوه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] هل فعلوا ذلك؟ لا.

٢ـ وقسم قالوا: الإرادة كالمشيئة ،وهناك خلاف فيها.

٣ـ وقسم قالوا: الإرادة ليست كالمشيئة، المشيئة مُلزمة، والإرادة نوعان:

أ ـ **إرادة إلزام**: إذا أراد شيئاً إرادة إلزام يقول له: كن فيكون، فهو يفعل ما يريد إذا أراد إلزاماً، كما في الآية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]، ومثل قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب:٣٣] هذا ما أراد ونفذ.

ب ـ **إرادة مناط التكليف**: هذه إرادة العبادة وإرادة الناس.

وربنا يريد من عباده المكلفين أشياء وهم لا يفعلونها أحياناً، وهو يستحبها لهم ويريدها منهم، وهم يعصونه وهو لا يريد المعصية، فالمعصية وقعت خلاف ما أراد الله؛ لأنها ليست إرادة إلزام، ولو أراد أنْ يلزمهم لألزمهم.

٤ـ المشيئة: ملزمة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فالمشيئة ليس فيها وجهان أو جانبان، المشيئة ملزمة فإذا أراد ربنا شيئاً من عباده فعل ولو يريد إرادة إلزام لفعل أيضاً.



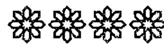
﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (السماء) في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج:١٥]؟

الجواب :

السماء في اللغة وفي المدلول القرآني لها عدة معان، منها: كل ما علا وارتفع عن الأرض، فسقف البيت في اللغة يسمى سماء، ويقول المفسرون في معنى هذه الآية: (أي ليمدّ حبلاً إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه)، فالسماء هنا بمعنى السقف.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا جاءت كلمة (الصابئون) مرفوعة في الآية ٦٩ في سورة المائدة ومنصوبة في آية الحج ١٧؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٦٢.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (الحكم والفصل) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ الحكم: هو القضاء، والفصل أشد من الحكم؛ لأنه يكون بَوْن أحدهما أي: أن يكون بينهما فاصل حاجز، إذن الفصل أشد. وعندما يقول في القرآن: (يفصل بينهم) تكون المسافة أبعد، كأن يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار. أمّا الحكم فلا؛ لأنه قد يكون في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى، وليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار، فليس فيه فصل.

ـ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل:١٢٤] هنا اختلاف في ملة واحدة، وهم اليهود وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض.

- ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة.

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج:١٧] هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة، فهم فئات مختلفة، إذن يفصل.

٢ـ الفصل يتضمن الحكم، فهوحكم وفصل فيكون أشد؛ ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [السجدة:٢٤-٢٥] قالوا: الفصل هنا بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن: الفصل حكم، لكن فيه بَوْن وكل جهة تذهب إلى مكان. أمّا قوله تعالى في سورة ص: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص:٢٢] فهذا حكم قضاء فقط.

السؤال الثالث:

قال في آية الحج ١٧ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ﴾، وقال في آية السجدة ٢٥ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

لو نظرنا إلى استعمال هاتين اللفظتين في كلٍ من هاتين السورتين لرأينا أنه وضع كل لفظة بحسب كثرة ورودها في كل سورة:

اللفظ	الحج	السجدة
الله	٧٥ مرة	١ مرة واحدة
الرب	٨ مرات	١٠ مرات

إضافة إلى ما يقتضيه المقام من ناحية المعنى، فإنه لمّا ذكر الاختلاف في آية السجدة ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أكّد الفصل بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ لأنّ الأصل في الفصل أنْ يكون عند الاختلاف، فاستخدم ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في الآية ليفيد التأكيد والاختصاص بأنه لا أحد يفصل بينهم يوم القيامة إلا الله، فجاءت كلمة ﴿هُوَ﴾ لتقطع الشك في وجود الغير.

وعندما لم يذكر الاختلاف في سورة الحج لم يؤكده. والله أعلم .

السؤال الرابع :

ما كلمات المنظومة القضائية في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٩٣.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال [مَن وما] في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النحل:٤٩]؟ وما الفرق بين استعمال (مَن) و (ما) في آيات السجود؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٥.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (كثير من الناس) و(أكثر الناس)، كما في الآيات: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ [الحج:١٨] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ [الروم:٦]؟

الجواب :

(أكثر) هذه صيغة اسم تفضيل، (كثير) صفة مشبهة. و (كثير) أي جماعة وقد يكونون كثيرين، لكن ليسوا هم الأكثر.

الأكثر أكثر من كثير ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يوسف:١٠٣] فالكفار هم الأكثر، لكنّ المؤمنين كثير.

السؤال الثالث :

ما المقصود بقوله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقد دخلوا فيمن هم في الأرض؟

الجواب :

السجود المذكور هو سجود الخضوع والانقياد لأمره تعالى وتصرفه وهو من الناس سجود العبادة المعهود.

ولو كان الخبر على ما تقدم من ذكر الأرض لأوهِم أنّ كل الناس يسجدون، كما أنّ كل الملائكة يسجدون. فبيّن أنّ كثيراً منهم يسجدون طوعاً دون كثير منهم، فإنه يمتنع عن ذلك من لا يوحد الله .

السؤال الرابع :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج:١٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج:١٨]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ١٤.

السؤال الخامس :

ما دلالة تكرار اسم الموصول ﴿مَن﴾ في الآية؟

الجواب :

مقام التفصيل في آية سورة الحج(١٨) واضح، فقد ذكر الشمسَ والقمرَ والنجومَ والجبال والشجر وكثيراً من الناس بخلاف آية سورة الرعد (١٥)

ففي مقام التفصيل كرر (من) وفصّل، وفي مقام الإجمال أَجمَلَ وأوجز .



﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال صيغة الجمع مع أنّ (خصمان) مثنى في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج:١٩]؟

الجواب :

١ـ لو نظرنا في السياق، ولو أكملنا الآية لتبين لنا ذلك . (هذان خصمان) لم يكونا شخصين، وإنما كانوا مجموعتين: الأولى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج:١٩-٢٠-٢١-٢٢] إذن هذا الخصم الأول، هذا جمع لذلك ما قال: فالذي كفر، وإنما قال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ .

والثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج:٢٣-٢٤] وهذا هو الخصم الثاني.

٢ـ كلمة (الخصم) تستخدم في القرآن الكريم للدلالة على المفرد والمثنى والجمع، نقول: هذا خصم، هذان خصم،هؤلاء خصم، ويمكن أنْ نقول: هؤلاء خصوم، فتستعمل كلمة (خصم) للإفراد والتثنية والجمع.

ولمّا استعمل (خصمان)؛ أي فئتان، وليس بمعنى (فرد) بدليل ما أتبع ذلك.

٣ـ من أسباب النزول للآية موضع السؤال يقولون: إنها نزلت في بدايات غزوة بدر، وسبب الخصام هو من أجل الله سبحانه وتعالى وفي سبيل الله تعالى.

يقولون: هي نزلت فيما وقع في أول معركة بدر لمّا خرج الإمام علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه وسيد الشهداء حمزة وشيبة. قال: المشركون أخرجوا لنا نظراءنا من قريش. فهؤلاء خصم ويقابلهم الثلاثة الذين هم من قريش. وهذا في الأصل، لكنّ خصوص السبب لا يقيّد عموم اللفظ ،فالآية عامة وإنْ كانت نزلت في هذين الخصمين.

السؤال الثاني :

ما دلالة ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج:١٩]؟

الجواب :

١ـ (من) يسموها ابتداء الغاية؛ أي ملاصق ولا يسمح لأحد بأنْ يدخل. *شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فُصِّلَت:١٠] أي من فوقها الرواسي ملاصقة للأرض.

ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ [ق:٦] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة:٦٣]، ليس ملاصقاً لهم وإنما فوق رؤسهم.

ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الملك:١٩].

ـ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر:٧٥] ليس هنالك فراغ بين العرش والملائكة.

ـ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزُّمَر:١٦] مباشرة عليهم، ولو قال (فوقهم) لاحتمل بُعد المسافة.

ـ ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج:١٩] مباشرة على رؤوسهم.

ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس:٩] ملتصق بهم حتى لا يتحرك ،ولو قال (بين أيديهم) لاحتمل أنْ يكون قريباً أو بعيداً.

ـ ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصِّلَت:٥] أي كل المسافة بيننا مملوءة، ولو قال(بيننا) لاحتمل أن يكون هناك حاجز، أمّا (من بيننا) فيعني كل المسافة.

٢ـ إذن (مِن) لابتداء الغاية. وبهذا نفهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [محمد:١٢] حيث إنّ (من تحتها) هي درجة أعلى من لفظة (تحتها): ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠]؛ لأنّ كل ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ يكون معهم الرسل أمّا تحتها فليس معهم الرسل، كما في

الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[التوبة:١٠٠] فهؤلاء ليس معهم الرسل.

السؤال الثالث :

ما دلالة حذف (من) من آية الأنبياء٧ ﴿قَبۡلَكَ﴾ وذكرها في آية يوسف ١٠٩ ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾ والحج ١٩ ﴿مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ﴾؟

الجواب :

ذكر (مِن) يفيد الابتداء؛ أي: ابتداء الغاية، وهو امتداد الزمن من زمن النبي محمد ﷺ إلى زمن آدم، وليس هناك فاصل.

آية الحج ١٩: تفيد أنه ليس هناك فاصل بين الرأس والصب؛ حتى لا تضيع أية حرارة؛ لأنّ المطلوب أنْ يصهر به ما في بطونهم.

آية الزمر ٧٥: تفيد أنه ليس بين الملائكة والعرش فراغ.

وهذا الذكر والحذف يعتمد على سياق الآيات، فإذا كان السياق ممتداً يأتي بـ(مِن)، وإذا كان السياق لفترة محددة لا يأتي بها.

آية الأنبياء ٧: بدون (من)؛ لأنها تحتمل القريب والبعيد.

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾

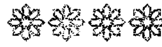
السؤال الأول:

لماذا ذكر في آية الحج ٢٢ ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾، ولم تذكر في آية السجدة ٢٠؟

الجواب:

١ـ في الحج: لمّا تقدم أنواع العذاب ناسب قوله: ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ أي: من الغموم المذكورة من صب الحميم وثياب أهل النار وغيره.

٢ـ ولم يذكر في السجدة سوى ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فناسب عدم ذكر ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ واقتصر على (منها) أي: لا يخرجون منها.



﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج:٢٤] لماذا قال: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ ولم يقل: اهتدوا أو هداهم الله؟

الجواب:

١ـ نقرأ الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج:٢٣-٢٤] هذه في الجنة يُدخلهم ويهديهم، ويُرشَدون إلى أماكن يسمعون فيها أقوالاً طيبة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٤]،

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج:٢٤] أي هُدوا إلى صراط الجنة، كما قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزُّمَر:٧٣]، فالملائكة تهديهم إلى أماكنهم في الجنة. وأما مع أهل جهنم فقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزُّمَر:٧١] أيضاً. إذن أولئك يهدون إلى صراط الحميد، وهؤلاء يهدون إلى النار.

٢ـ قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ ببناء الفعل لما لم يسمَ فاعله؛ لأنّ الملائكة يهدونهم ويأخذون بأيديهم أو إشارة إلى سهولة الهداية بدلالة الفعل الذي لم يسم فاعله، وهذا أبلغ؛ لأنّ المراد بالفعل الملائكة، ولو قال: (وهداهم ربهم) يكون الله تعالى هو الذي هداهم، لكنْ في قوله: (وسيق الذين اتقوا) الملائكة تسوقهم .

فجاء الفعل ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ بصيغة ما لم يسم فاعله إشارة إلى سهولة الهداية أوعن طريق الملائكة، واكتفى بذكر الحمد ولم يذكر العزة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ الذي وفقهم لسلوك ما يحمدون عليه، فكان فعلهم حسناً وقولهم حسناً فدخلوا الجنة، وهي أشرف دار عند خير جار.

السؤال الثاني :

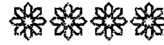
ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ ؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴿٢٤﴾﴾ فيه وجوه: شهادة أن لا إله إلا الله ـ القرآن ـ الحمد لله ـ البشارات التي تأتيهم من قبل الله بدوام النعيم والسرور والسلام، وهو

معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وهناك قول آخر: بأنّ العلاقة البدنية جارية مجرى الحجاب للأرواح البشرية في الاتصال بعالم القدس، فإذا فارقت أبدانها انكشف الغطاء ولاحت الأنوار الإلهية.



﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي: قيام وقائمين؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى القيام الحقيقي، كما في: [آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة (**قائمون**) في موطنين فقط بمعنى القيام بالأمر والعكوف، كما في الآيات: [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦]، حيث القائمون فيها بمعنى العاكفين، بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

السؤال الثاني :

ورد في الآية ذكر للطائفين والعاكفين والركع السجود، وورد ذلك أيضاً في آية آل عمران ٤٢ وآية الحج ٢٦ و ٧٧، وذكر فيها القائمين لكنْ مع التقديم والتأخير، فهل من توضيحٍ لهذا الأمر؟

الجواب :

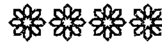
انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين سُجّد وسجود؟ ولم قال: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، ولم يقل: الركع السُجّد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.



﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في الحج ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران:٩٧] بينما الخطاب في الصلاة وغيرها بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٩٧.

السؤال الثاني:

ما دلالة تأنيث ﴿يَأۡتِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ ولماذا لم تأت يأتونك؟

الجواب:

ذكر تعالى في الآية قسمين:

أ ـ رجالاً: أي مشاة يمشون على أرجلهم، وليس بمعنى (رجال) عكس النساء.

ب ـ على كل ضامر: أي الركبان على كل ضامر. والضامر يقصد به الإبل المهزولة من التعب والسفر من كل فج عميق، وقد تناسبت كلمة (ضامر) مع (فج عميق)؛ للدلالة على التعب والسفر الطويل الذي جعل الإبل مهزولة.

فالمعنى أن يأتوك مشاة ويأتوك ركباناً على كل ضامر، وهذه الإبل تأتي من كل فج عميق.

لذلك: ﴿يَأۡتِينَ﴾ هذا ليس للنساء، وإنما وصف لما يُركب، وعادة تكون الإبل في المسافات الطويلة. و﴿يَأۡتِينَ﴾ تعود على كل ضامر، ولا تعود على نساء أو غيرهم.

السؤال الثالث:

ما دلالة ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ ولم يقل مثلاً: فج بعيد؟

الجواب :

١ـ أصلاً الاختيار لكلمة (فج) وكلمة (عميق) هو أنسب للضمور الذي هو الهُزال ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ .

٢ـ نقف مع الآية: (رجالاً) أي يمشون على أرجلهم و(ركباناً) على كل ضامر وهي البهائم، وهذه الحيوانات الضامرة تأتي من كل فج عميق.

٣ـ اختيار كلمة عميق أنسب مع الضمور؛ لأنّ أصل **الفج** في اللغة الطريق في الجبل، وطبعاً لا شك أنّ السير في الطريق الجبلي أدعى للضمور.

(عميق) نقيض العلو والارتفاع، والسير في طريق مستوٍ أيسر من السير في طريق فيه علو وارتفاع، إذن السير في طريق مرتفع يؤدي إلى الضمور. إذن (عميق) أدعى إلى الهزال؛ ولأنّ في لفظة (عميق) الإغراق في البعد، و(الفج) أدعى إليه أيضاً.

٤ـ ليس هذا فقط، وإنما الحج هو رفعة وعلو عند الله؛ لأنه مدعاة إلى مغفرة الذنوب. وهذه معناها أنّ السائر إلى طريق الحج يرتفع عند الله منزلة. وكلمة (فج وعميق) أنسب من (بعيد)، وبينهما مناسبة؛ لأنّ كونه يأتي من (فج عميق) أنسب مع الحج؛ لأنها ارتفاع، والحج فيه ارتفاع وكلمة (بعيد) لا تعطي هذا المعنى قطعاً.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

السؤال الخامس :

ما اللطائف العددية في أنّ سورة الحج هي السورة الوحيدة التي فيها سجدتان؟

الجواب :

انظر أولاً إلى الجدول التالي :

جدول بالسور التي فيها سجدة			
مسلسل السور	السوره	رقم آية السجدة	ملاحظات
١	الاعراف	٢٠٦	
٢	الرعد	١٥	
٣	النحل	٥٠	
٤	الاسراء	١٠٩	
٥	مريم	٥٨	
٦	الحج	١٨	
	مجموع جزئي	٤٥٦	ويساوي ... ٤ x ١١٤
٦	الحج	٧٧	
٧	الفرقان	٦٠	
٨	النمل	٢٦	
٩	السجده	١٥	
١٠	ص	٢٤	

١١	فصلت	٣٨	
١٢	النجم	٦٢	
١٣	الانشقاق	٢١	
١٤	العلق	١٩	
	مجموع كلي	٧٩٨	ويساوي ...١١٤x٧ =١٩x٤٢

بالرجوع إلى الجدول أعلاه الخاص بالسور التي فيها سجدة والتأمل فيه نجد الملاحظات التالية :

١ـ سورة الحج هي السورة الوحيدة التي فيها سجدتان، وقد قسّم الجدول إلى قسمين، وجُمع كل قسم مع إحدى سجدتي الحج.

٢ـ ترتيب كلمة الحج في الآية٢٧ من سورة الحج: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ﴾ هو:(٤٥٦).

٣ـ الفرق بين المجموعين الجزئيين هو (٤٥٦-٣٤٢)= ١١٤، وهو عدد سور القرآن.

٤ـ العدد (٤٢) هو جّمل كلمة (الحج) .

٥ـ مجموع رقمي آيتي السجدتين في سورة الحج هو (١٨+٧٧)= ٩٥ = ١٩×٥ ، أي: من مضاعفات عدد ١٩ وهو عدد أحرف البسملة .

٦ـ عدد السور التي فيها سجدات = ١٤ وهو عدد الأحرف النورانية.

السؤال السادس :

هل من لطائف عددية أخرى في سورة الحج؟

الجواب :

١ـ استهلت سورة الحج بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وقد وردت كلمة (الناس) في هذه السورة ١٥ مرة، وهي أعلى نسبة في سور القرآن بعد سورة الناس، والمقصود نسبة تكرار كلمة الناس إلى مجموع كلمات السورة.

٢ـ ترتيب سورة الحج في القرآن الكريم ٢٢، وعدد آياتها ٧٨، وجمّل لفظة (الحج) هو (٤٢).

٣ـ ومجموع أرقام [الترتيب والآيات وجمّل كلمة الحج] هو [٢٢+٤٢+٧٨]، ويساوي إلى (١٤٢)، وهو يساوي جمّل كلمة (الناس).

<u>آية الحج ٢٧ :</u>

أـ تكررت كلمة (الحج) في القرآن الكريم ٩ مرات، وجاءت آخر مرة في سورة الحج في الآية ٢٧ التي عدد كلماتها ١٤ كلمة.

ب ـ عدد الكلمات ضرب رقم الآية يساوي [١٤×٢٧= ٣٧٨]، وهو يساوي مجموع الأعداد من ١ إلى ٢٧ .

ج ـ حاصل ضرب تكرار كلمة الحج في جمّل كلمة الحج يساوي [٩×٤٢=٣٧٨] علماً بأنّ التكرار التاسع لكلمة الحج في القرآن وارد في الآية ٢٧.

د ـ الحديث حول الحج في سورة الحج يبدأ بالآية ٢٦ وينتهي بالآية ٣٧ وإذا جمعنا أرقام هذه الآيات نجد [٢٦+٢٧+٢٨+٢٩+٣٠+....+٣٧] نجده يساوي أيضاً (٣٧٨).

هـ ـ إذا أضفنا إلى العدد ٣٧٨ عدد آيات سورة الحج تكون النتيجة [٣٧٨+٧٨=٤٥٦]

والرقم ٤٥٦ هو ترتيب كلمة (الحج) في سورة الحج.

والله أعلم.



﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين خاتمة الآيتين ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ و﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج:٣٦]؟

الجواب:

القانع هو المحتاج الذي لا يسأل ويرضى ويقنع بما عنده، والمعترّ هو السائل الذي يتعرض بالسؤال، والبائس هو الذي أصابه البؤس والشدة والفقير هو الفقير المعتاد.

السؤال الثاني:

ما الفرق في استخدام كلمة (الأنعام) و(بهيمة الأنعام) في الآيات في سورة الحج ٢٨-٣٠-٣٤ ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج:٢٨] ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج:٣٠] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[الحج:٣٤] ؟

الجواب:

١- الأنعام: هي البقر والغنم والمعز والإبل (ثمانية أزواج).

٢- البهيمة: هي من ذوات الأرواح، ما لا عقل له، وتسمى بهائم.

٣- البهيمة: هي أعمّ، والأنعام جزء منها. البهيمة كل ما له روح ولا عقل له مثل الوحوش والأنعام، فهي بهائم.

و(بهيمة الأنعام) قسم من أهل اللغة قالوا: هي ما ماثل الأنعام، وأدخلوا بها الظباء وبقر الوحش، فهي مما يؤكل، وكذلك كل مجترّ، وقالوا هذه من المُلحَق ويدخل في بهيمة الأنعام. أي: كل ما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب قالوا: هو بهيمة الأنعام وليس الأنعام.

٤- وهنالك أمر آخر من حيث اللغة في لفظة (بهيمة الأنعام) :عندنا عموم وخصوص، (بهمية الأنعام) إضافة العام (**البهيمة**) إلى الخاص (**الأنعام**) ومنها، كتاب

النحو، فكتاب عام والنحو خاص، وهكذا، علم الفقه، شجر الأراك، إضافة العام إلى الخاص. وهذا من أساليب العربية وموجود في القرآن.

٥- لماذا ورد هنا؟ نرجع للآيات التي ذكرها، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج:٢٨] وآية أخرى مشابهة لها ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾ [الحج:٣٤] هو يتكلم عن أيام الحج وعن ذِكر الله وذِكر أسمائه، لكنْ هل الذكر هو في أيام الحج فقط أوهو ذكر عام؟

والجواب :هو ذِكر عام، وليس فقط عن بهيمة الأنعام، والذكر في الحج أمر شائع، كما في الآيات :﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٠٠] ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾[البقرة:٢٠٣] .

٦- ونلاحظ وجود أمر عام وأمر خاص في آيات سورة الحج: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٨] العامّ ذكر الله، والخاص هو: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾ [الحج:٣٤] إذن هنا جاء بأمر عام بعده خاص. (ذِكر اسم الله) عامّ، و (على ما رزقهم) خاص؛ لأنّ ذكر الله في أيام الحج هو عامّ.

أ ـ نلاحظ أنه في الآية ٢٨ ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ [الحج:٢٨] فذكر خاصّاً بعد عام ،حيث إنّ بهيمة الأنعام خاصٌّ بعد عامٍّ.

ب ـ وفي الآية الأخرى٣٤: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ ﴾ [الحج:٣٤] ذِكر اسم الله عام، وبعده قال: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الحج:٣٤] فصار خاصاً. إذن (بهمية الأنعام) خاص بعد عامّ.

ج ـ لكن قي الآية ٣٠ ذكر الأنعام وحدها ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾ [الحج:٣٠] ليس في الآية ذكر والكلام في الأنعام تحديداً.

وأمّا في االآيتين (٢٨ و٣٤) فهو خاص بعد عام، وكل خاص بعد عامّ جاء فيه: ﴿بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾ وهذه مناسبة فنية عجيبة في اللغة، وهذا من باب التناسب.

السؤال الثالث:

ما دلالة تنكير ﴿مَنَٰفِعَ﴾ في الآية؟ وما دلالة الآية بشكل عام؟

الجواب:

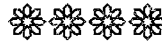
١ـ قوله تعالى: ﴿مَنَٰفِعَ﴾ بصيغة النكرة بقصد التكثير؛ لأنه أراد المنافع الدينية والدنيوية، ولا توجد في غيرها من العبادات.

٢ـ كنّى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا وذبحوا .

وفيه تنبيه على أنّ الغرض الأصلي فيما يُتقرب به إلى الله أنْ يذكر اسم الله تعالى.

٣ـ أكثر العلماء قالوا: إنّ الأيام المعلومات هي عشرُ ذي الحجة، وإنّ الأيام المعدودات هي أيام التشريق، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣].

والله أعلم.



﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (ريح)؟

الجواب:

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١].

لمزيد من المعلومات حول الريح والرياح انظر آية آل عمران ١١٧.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) ﴾

السؤال الأول:

ما السلوك التركيبي للفعل (يُسلم) من حيث التعدّي واللزوم؟ فقد جاء متعدياً بحرف الجر (اللام)، كما في الآيات: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ [الحج:٣٤] ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠] فما الفرق بين تعديته بـ(اللام) وتعديته بـ(إلى)؟

الجواب:

أكثر ما ورد في القرآن متعدياً بـ (اللام)، ولم ترد التعدية بـ (إلى) إلا في سورة لقمان ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢]، وأمّا في المواضع الأخرى فجاءت التعدية باللام أو من دون حرف جر، كما في الآية: ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤] .

ما الفرق بين (أسلم إلى) و(أسلم لـ)؟ وما الفرق بينهما في الدلالة؟

(أسلم) بمعنى: انقاد وخضع، ومنها الإسلام، هو الانقياد. بينما (أسلم إليه الشيء) معناه: دفعه إليه، وأعطاه إليه بانقياد، أو فوض أمره إليه، وهذا هو المشهور، وهو من التوكل.

(أسلم لله): معناه: انقاد له وجعل نفسه سالماً له أي خالصاً له، ومنها أخلص إليه.

ولّما قالت ملكة سبأ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾ [النمل:٤٤]؛ أي انقدتُ له وخضعت وجعلت نفسي سالمة له خالصة، وليس لأحد فيه شيء. وإبراهيم عليه السلام

قال: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١] أي أسلم له وانقاد له وجعل نفسه خالصة له.

لذا يقولون: (أسلم لله) أعلى من (أسلم إليه)؛ لأنه لم يجعل معه لأحد شيئاً و﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اختلفت الدلالة، وجاءت بمعنى :أسلم إليه؛ أي: فوّض أمره إليه وخاصة في الشدائد أو في الانقياد، كما في الآية: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٤]. أمّا (أسلم لله) فجعل نفسه خالصاً ليس لأحد شيء.

لذلك قال القدامى: (أسلم له) أعلى من (أسلم إليه)؛ لأنه إذا دفعه إليه قد يكون لم يصل، لكن (سلّم له) فيه اختصاص، واللام للملك (أسلم لله)؛ أي ملّك نفسه لله؛ ولذلك قالوا: هي أعلى.

السؤال الثاني:

في لقمان قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [لقمان:٢٢] أخّر لفظ الجلالة بعد الفعل (يُسلم)، مع أنّ الملاحظ أنه في آيات كثيرة يقدّم ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ ؟ فلم؟

الجواب :

السياق والمقام هو الذي يحدد. في سورة الحج ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج:٣٤]، وفي الزمر ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمَر:٥٤] إذا كان المقام في مقام التوحيد يُقدِّم، وإذا لم يكن في مقام التوحيد لا يقدم إلا إذا اقتضى المقام.

وسورة الحج هي في مقام التوحيد والنهي عن الشرك، فخصّص وجاء التقديم للقصر حصراً. أمّا فى آية الزمر فليس في المقام توحيد فلا يقتضي التقديم.

السؤال الثالث:

قال في الآية ٣٤ ﴿وَلِكُلِّ﴾ بالواو وفي الآية ٦٧ ﴿لِكُلِّ﴾ بدون واو؟ فلماذا؟

الجواب:

١ـ آية الحج ٣٤: تقدمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ آية الحج ٢٧ وحتى الآية ٣٤ فحسُنَ فيه العطف عليه.

٢ـ آية الحج ٦٧: فإنه لم يتقدمها ما يناسبها، حيث تقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ فجاءت ابتدائية، والله أعلم.



﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الخشية والخوف والوجل؟ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٣٥] ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]؟

الجواب:

انظر الجواب قي آية النحل ٥٠.

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى كلمة (صواف) في آية سورة الحج ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ﴾؟ هل معناها واقفة؟

الجواب :

نعم هي واقفة، تذبح وهي واقفة قد صُفت أيديهن وأرجلهن، وقرىء (صوافن) من صفون الفرس، وهو أنْ تقوم على ثلاث وتنصب الرابعة وقرىء (صوافي)؛ أي: خوالص لوجه الله تعالى .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين القانع والمعتر؟

الجواب :

١ـ القانع: سؤال الفضل؛ أي يسأل وهو قانع، ويقنع بما تعطيه، قال تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ﴾[الحج:٣٦] .

٢ـ المعتر: الذي يلم بك لتعطيه ولا يسأل، وقيل هو القانع المسكين الطوّاف.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩] ما الحكمة من بناء الفعل ﴿أُذِنَ﴾ هنا للمجهول؟

الجواب:

لماذا قال: ﴿أُذِنَ﴾؟ القتال مكروه، وفي القرآن الكريم نجد أنّ الأمور المستكرهة يبنيها ربنا للمجهول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]، وفي الأشياء الصعبة المستكرهة والشاقة يبني الفعل للمجهول، مع أنه كله بقدر الله عز وجل، لكن لا ينسبه لنفسه، وهذا خط عام في القرآن.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ بني الفعل ﴿أُذِنَ﴾ للمجهول بضم الألف، وهناك قراءة بفتحها؛ أي: أذن الله لهم في القتال.

٢ـ قرىء قوله: ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها.

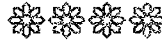
٣ـ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿أَذِنَ﴾ بالفتح و ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاء.

٤ـ في الآية محذوف والتقدير: أُذن للذين يُقاتَلون في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة (يُقاتَلون) عليه.

٥ـ قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي: بسبب كونهم مظلومين.

٦ـ قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩] فهو وعد وتأكيد من الله بنصرهم زيادة في توطين نفوس المؤمنين.

٧ـ الآية تبين أنّ الأمر من الله لرسوله وللمؤمنين، وأنّ هذا القرآن هو من عند الله تعالى. وكان الرسول ﷺ يقول للمؤمنين وهم يتظلمون إليه: **(اصبروا فإني لم أؤمر بقتال)** حتى هاجر فأنزلت هذه الآية، وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية على ما ذكره الحاكم في المستدرك.



﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ختمت الآية فى آية الحديد ٢٥ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ وفي آية سورة الحج ٤٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ ما اللمسة البيانية بين الآيتين حيث أكد في الحج بزيادة اللام؟

الجواب:

١ـ ختم بـ (قوي عزيز) في الآيتين؛ ليبيّن أنه غير محتاج لمن ينصره وربنا قوي عزيز، لكن حتى يتعلق به الجزاء.

٢ـ أكّد في الحج دون آية الحديد بزيادة اللام، والذي يحدد هو السياق.

لو نظرنا في سياق آية الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

هذه الآية في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩]، ثم وعدهم بالنصر المؤكد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠] اللام لام القسم والنون للتوكيد، قسم وتوكيد فصار مؤكداً. هنا مَن الذي ينصر؟ الله سبحانه وتعالى.

٣ـ في الحديد قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:٢٥] ففي الحديد هناك المؤمن: فهو الذي ينصر الله، وفي الحج: الله تعالى هو الذي ينصر المستضعفين.

إذن آية الحديد فيمن ينصر الله ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾، وآية الحج: ربنا هو الذي ينصر ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠]، ونسأل: من الأقوى الناصر أو الذي يُنصَر؟ الناصر أقوى. إذن آية الحج قطعاً تحتاج لتوكيد، ولا يمكن أنْ يكونا سواء. فالناصر هو أقوى؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:٤٠].

٤ـ وقول الحق: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ معناه أنّ المعركة بين الحق والباطل لا تطول؛ لأنّ الباطل زهوق، والذي يطول من المعارك هي المعارك بين الباطل والباطل، فليس أحدهما أولى بأنْ ينصره الله.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال لفظ الجلالة في آية الحج ١٧، وكلمة الرب في آية السجدة٢٥؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [الحج:١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[السجدة:٢٥] .

لفظ (الرب) ورد في السجدة أكثر مما ورد في الحج، ولفظ (الله) في الحج ورد أكثر مما ورد في السجدة. لفظ (الله) ورد في الحج ٧٥ مرة وفي السجدة مرة واحدة، ولفظ (الرب) ورد في السجدة ١٠ مرات وفي الحج ٨ مرات، وهناك فرق كبير بين آيات الحج والسجدة.

السؤال الثالث :

ما دلالة تقديم (الصوامع والبيع) على المساجد في الآية؟ ولماذا قدّم القوة على العزة؟

الجواب :

١ـ التقديم في القرآن الكريم وفي اللغة لا يفيد التفضيل دائماً، كما في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن

يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠] (مساجد) هي أفضل المذكور في الآية، لكنْ أحياناً يُقدّم ما هو أقل تفضيلاً؛ لأنّ سياق الآيات يقتضي ذلك.

وكذلك نرى في ذكر موسى وهارون في القرآن فأحياناً يُقدّم موسى على هارون، وأحياناً هارون على موسى، وهذا يكون بحسب سياق الآيات.

٢ـ في آية الحج ٤٠ وآية الأحزاب ٢٥ قدّم القوي على العزة؛ لأنه قوي فعزّ؛ أي غلب، فالقوي أول .

السؤال الرابع:

ما الصوامع والبيع والصلوات والمساجد؟

الجواب:

الصوامع :هي ما يقابل الآن الدير للنصارى، وقيل إنها مصلى الصابئين.

البيع: هي الكنائس.

صلوات: من (صالوت) أو (صلوتا)، وهي مكان عبادة اليهود.

مساجد: هي مساجد المسلمين.

ومعنى الآية أنه ستفسد الأرض إذا لم تقم الصوامع والبيع والصلوات والمساجد؛ لأنها هي التي تربط المخلوق بالخالق، ومادامت تلك الأماكن هي التي تربط المخلوق بالخالق فإنْ هُدمت يكون الناس على غير ذكر ربهم فتفتنهم الدنيا وبالتالي تفسد الأرض.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ
إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا لم يقل :(قوم موسى)، كما قال في الأقوام الأخرى؟

الجواب:

لم يقل: (قوم موسى) كما قال في الأقوام الأخرى ؛ وذلك لأنّ قوم موسى لم يكذبوه، وإنما الذي كذّبه فرعون وقومه وهم القبط .

السؤال الثاني :

ما دلالة ذكر الله نفسه في إهلاك الظالمين؟

الجواب :

إهلاك المفسدين وتدمير الظالمين والبطش بهم هو من الخير العام وليس من الخير المطلق أنْ يُترك المفسد يعيث في الأرض ويسفك الدماء بل البطش به وعقوبته وإزالته واستئصاله من أكبر الخير؛ ولذلك قد يظهر الله فيه نفسه، وذلك كما في آيات[الإسراء ١٦ـ الحج ٤٤ـ٤٥ـ الفرقان ٣٧ ـ محمد ١٠ـ هود ٨٢ـ ٨٣].

فإنّ في نسبة الأمر إليه في عقوبة هؤلاء وإزالتهم وإنزال بالغ نقمته عليهم ما لا يخفى من الخير.

السؤال الثالث:

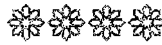
قال في آية الرعد٣٢: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ وقال في آية الحج٤٤: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾، فلماذا؟

الجواب:

السبب أنه ذكر في آية الرعد المستهزئين ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الرعد:٣٢]، وذكر في آية الحج المكذبين ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الحج:٤٢].

والمستهزئون أعظم جرماً من المكذبين؛ لأنهم يجمعون السخرية إلى التكذيب فكان الوعيد لهم أشد فناسبها الإفصاح بالعقاب.

أمّا آية الحج فإنّ الوعيد فيها للمذكورين بالتكذيب ولم يذكر منهم استهزاء فاكتفى بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحج:٤٤]؛ لأنّ الإنكار قد يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل، ورب نكيرٍ لا يصحبه عقاب فجعل كل وعيد بازاء جرمه الذي يناسبه.



﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الحج ٤٥: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بـ (الفاء)، وقال في الآية ٤٨: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ بـ (الواو)؟ فما السبب؟

الجواب :

١ـ الفاء في الآية ٤٥ بدل من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ في الآية ٤٤ فهو كالتفسير للنكرة.

٢ـ والواو في آية الحج ٤٨ هي عطف على الجمل قبلها.

٣ـ لمّا قال قبل الآية الأولى في الآية ٤٤: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فأغنى ذكر الإملاء فيما بعد؛ ولأنّ الإهلاك إنما كان بعد الإملاء المذكور.

٤ـ ولمّا تقدم في الآية الثانية في الآية ٤٧ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ ناسب ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أي: لم أعجل عليهم عند استعجالهم العذاب.

السؤال الثاني :

ما الفرق في الاستعمال بين (كأين وكم)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين (الجب والبئر)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ١٠.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر:٢١] بـ(الواو) كما في آيات الروم ٩ فاطر ٤٤، غافر ٢١ و﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بـ(الفاء) كما في آيات يوسف ١٠٩ ـ الحج ٤٦؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ١٠٩.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ القلب لا يكون إلا في الصدر، وهو كقوله تعالى:

- ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفم.
- ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨] والطيران لا يكون إلا بالجناح.

والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة.

السؤال الثالث :

ما معنى كلمة (القلب) وكلمة (الفؤاد)؟

الجواب :

١ـ **القلب** عند بعض المفسرين: هو العقل، وقسم قال: ليس هو العقل بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦] .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمتي العقل والحِجر، لكن ليس المقصود بالقلب المضغة الموجودة في الصدر، وإنما المقصود أمر آخر روحي بدليل أنّ القلب أمر روحاني غيبي .

والعقل قد يأخذ حكماً ولا يعمل به، فإيمان العقل بارد أحياناً، أمّا القلب فهو الذي يحمل الإنسان على العمل بما يؤمن به، فالقلب من هذه الناحية أهم .

لذلك القلب مناط العمل، والعقل مناط التفكير والمعرفة، وبَلِيّة الناس أنّ لهم عقولاً ولكن ليس عندهم قلوب نابضة تدفعهم إلى العمل. وقد كان كثير من أهل مكة من يعلم بصدق الرسول، وهذا من اختصاص العقل ولكنهم لم يصدّقوا برسول الله ﷺ، وهذا من عمل القلب الذي يدفع إلى العمل.

٢ـ **الفؤاد:** قال بعضهم هو القلب نفسه وقيل وسط القلب، وقال آخرون هو غشاء القلب، وفيه بعض الخصائص:

أ ـ التفؤد هو التوقد والاشتعال والحرقة، وفأد اللحم: شواه.

ب ـ يؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ **(أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً)**، فذكر الرسول ﷺ الفؤاد بالرقة (الشفافية)، وذكر القلب باللين واللين هو للشيء السميك؛ لذلك فالقلب لين والفؤاد رقيق؛ ولذلك رجحنا أنّ الفؤاد هو غشاء القلب.

٣ـ العرب عندما تستعمل القلب تستعمل اللب؛ أي: الموضع الذي فيه الفكر والعاطفة، كما في آية[القصص ١٠ والحج ٤٦].

والله أعلم.



﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الحج ٤٥ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بـ(الفاء)، وقال في الآية ٤٨ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ بـ(الواو)؟ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٤٥.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[الحج:٤٧]

وفي السجدة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة:٥]، وفي المعارج ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾[المعارج:٤] هل طول الأيام يختلف؟

الجواب :

١ـ (خمسون ألف سنة) هذه في يوم القيامة تحديداً، كما في الآية: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعارج:١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩] وهذا الكلام في يوم القيامة.

٢ـ يعرج: يعني: يصعد، والصعود يستغرق خمسين ألف سنة، وورد هذا في الحديث الصحيح عن يوم القيامة أنه (خمسون ألف سنة)، وأنه ليخفف على المؤمن كصلاة مكتوبة.

٣ـ أمّا ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة:٥] فهذا في الدنيا، و يعني اليوم عند ربنا كألف سنة مما نعد، بينما يوم القيامة جعله ربنا خمسين ألف سنة.

٤ـ الله هو أعلم، بهذا ونحن لا نعلم القياس، وفي الآية: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة:٥] يعرج الأمر من الأرض إلى الله في ألف سنة، هذه ألف سنة مما نعد، لكن عند الله يكون في لحظة.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين كلمة(ميعاد) و كلمة (معاد)؟

الجواب :

انظر الجواب قي آية الرعد ٣١ .

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

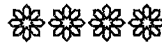
السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ٥٠: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾، ثم قال بعدها في الآية ٥٦: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ وكلاهما للذين آمنوا وعملوا الصالحات فما السبب؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم ذكر الإنذار في الأولى وهو في الدنيا بقوله تعالى في الآية ٤٩ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ ذكر جزاء إجابته في الدنيا، وهي مغفرة ورزق كريم.

٢ـ ولمّا تقدم في الثانية ذكر العقاب بقوله تعالى في الآية ٥٥: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج:٥٥] وهو يوم القيامة ناسب ذلك ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الحج:٥٦] أي يوم القيامة. والله أعلم.



﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الفعل (تمنى) له معنيان: الأول بمعنى(**أحب**)، وهذا هو القول المشهور في لغة العرب، والمعنى الثاني بمعنى: (قرأ)، وهو غير شائع. وقد ورد في شعر حسان بن ثابت في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه:

تمنّى كتابَ الله أولَ ليلةٍ وآخرَها وافاهُ حتمُ المقادِرِ

أي: قُتل عثمان وهو يقرأ القرآن.

وفي هذه الآية لا بدّ أنْ يكون المعنى هو (أحب) لا (قرأ)؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] والرسول ينزل عليه كتاب يمكن أنْ يقرأه، أمّا النبي فلا ينزل عليه كتاب، بل يعمل بشرع من سبقه من الرسل.

٢ـ الذين فهموا التمني في الآية بمعنى (قرأ) قالوا: المعنى إذا قرأ رسول الله القرآن تدخّل الشيطان في القراءة حتى يُدخل فيها ما ليس منها وذكروا قصة الغرانيق العلا وإنّ شفاعتهن لترتجى، لكنّ الله حفظ قرآنه فلا يجوز قبول مثل هذه القصص ولا يستقيم المعنى، وكيف نُدخل في القرآن هذه الكفريات؟

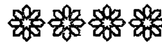
فهذا المعنى لا يستقيم مطلقاً، لكن يحتمل تدخل الشيطان على وجه آخر فحين يقرأ رسول الله القرآن على الناس وفيه هداية وأحكام ومواعظ ومعجزات، فإنه سيحاول فعلاً أنْ يشوش الأمور على الناس حتى يحول بينهم وبين سماع القرآن فيسلط أتباعه ليقولوا في القرآن إنه شعر وسحر وأساطير، لكنّ الله يخيب سعيه دائماً، ونجد أنّ القرآن

وجد قلوباً تأثرت به وآذاناً استمعت إليه فآمنت وخضعت لعظمته وأسلوبه وبلاغته فآمنت به واحداً بعد الآخر.

هذا على معنى (قرأ).

٣ـ أما على معنى (**أحب**)، فمعناه أنّ الرسول أو النبي كان يحب أن يُصدّق وأنْ يُطاع فيما جاء به، فهذه أمنيته، لكنّ الشيطان يحاول أنْ يضع العراقيل من أجل عدم تحقيق أمنية الرسول أو النبي، فيحرك ضده النفوس فيتمرد عليه قومه حيث يذكرهم الشيطان بما كان لهم من سيادة ومكانة سيفقدونها بالإسلام !!!

ومع ذلك لم يَفُتّ ما ألقى الشيطان في عضد القرآن ولا في عضد الدعوة فأخذت تزداد يوماً بعد يوم، ويزداد عدد المؤمنين بالقرآن المصدقين به.



﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

لسائل يسأل: إذا كان الله ينسخ ما يلقي الشيطان، فلماذا كان الإلقاء بداية؟

الجواب :

١ـ جعل الله الإلقاء فتنة ليختبر الناس، فالدعوة والدين مسؤولية لا يتحملها إلا المؤمن، فيصدق عليه تحمل الأمانة.

وإذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فيحصل سهو في الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة للكفار.

٢ـ لِمَ قال: ﴿فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ ؟ ولِمَ خصّهم بذلك؟

و الجواب: لأنهم مع كفرهم يحتاجون إلى ذلك التدبير. وأمّا المؤمنون فقد تقدّم علمهم، فلا يحتاجون إلى التدبر.

وخصّ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: أنّ الشك والشبهة في قلوبهم، ويقصد المنافقين.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ هم المشركون المصرّون على جهلهم ظاهراً وباطناً.

٤ـ إذن العلة الأولى: أنّ ما يلقي الشيطان يكون فتنة، والعلة الثانية أنْ يعلم المؤمن أنّ هذا القرآن هو الحق مهما شوّش عليه المشوشون. وهذا المعنى هو في الآية رقم ٥٤، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾[الحج:٥٤] .



﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ٥٠: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠﴾ ثم قال بعدها في الآية ٥٦: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾ وكلاهما للذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٥٠.



﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ
رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ
بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ
غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا
يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي
ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اختلاف فواصل الآيات في الآيات (٥٨ – ٦٥) في سورة الحج؟

الجواب :

الآية ٥٨ :(خير الرازقين):

لمّا قال الله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ناسب ذلك ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ .

الآية ٥٩ :(لعليم حليم) :

١ـ قوله تعالى: ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ معناه: ينبغي أنْ يعلم ما يرضيهم، فهو إذن (عليم).

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ الله يعلم أحوالهم وأحوال أعدائهم وهو (حليم)، فلا يعاجل أعداءهم بالعقوبة، لكنّ الله (حليم) والحليم هو الذي يُمهل ولا يعجل بالعقوبة.

الآية ٦٠ : (لعفو غفور):

١ـ في البدء قال تعالى: ﴿عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ، أي: عوقب فعاقب.

٢ـ عندما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ ولم يأخذ بحقه، معناه: عفا وغفر فناسب ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾، وفي ذلك تلميح وتوجيه للتخلق بصفات الله تعالى في العفو عن الناس.

الآية ٦١ : (سميع بصير) :

١ـ ذكر الله الليل والنهار، والليل آلته السمع، والنهار آلته الرؤيا.

٢ـ الآية مرتبطة بما قبلها ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ والناصر ينبغي أنْ يسمع ويبصر وإلا كيف ينصر؟ فناسب ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾.

الآية ٦٢: (العلي الكبير):

الناصر لمن بُغي عليه والذي يولج الليل في النهار والسميع والبصير. أليس هو العلي الكبير؟ بلى.

الآية ٦٣: (لطيف خبير):

١ـ أنْ تصبح الأرض مخضرة، هذا من لطفه سبحانه بالخلق، وهوعليم بالمقادير التي ينزلها.

٢ـ هو خبير بدقائق الأمور وبمصالح العباد يلطف عن خبرة بالمقادير التي يفعلها وعن حكمة، فناسب ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣﴾.

الآية ٦٤: (الغني الحميد)

الذي له ما في السماوات وما في الأرض، ومن أغنى منه؟ لا أحد، فالله هو الغني وهو المحمود في غناه.

الآية ٦٥: (لرؤف رحيم):

لو لم يرأف الله بهم ما أمسك السماء، فتسخير الأرض والفُلك للناس كله فيه رأفة ورحمة، فناسب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾.

السؤال الثاني:

في سورة لقمان قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠] وفي آية الحج قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢] بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ فلماذا هذا الفرق؟

الجواب:

١ـ لا شك أن ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أقوى؛ لأنّ ضمير الفصل يفيد توكيد الحصر والسياق يوضح سبب اختيار كل تعبير.

٢ـ في سورة الحج الصراع مع أهل الباطل، وأهل الباطل متمكنون يشردون المؤمنين ويقتلونهم، والله تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج:٥١]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحج:٥٨] إذن في سورة الحج أصحاب الباطل يقتلون المؤمنين ويجبرونهم على ترك ديارهم ويهاجرون في سبيل الله، إذن هم متمكنون، ولا تجد مثل هذا في سورة لقمان، فلمّا كانوا كذلك بهذه القوة وهذا التسلط أكّد الله تعالى بطلانهم ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]؛ أي لا يغرنكم ما ترونه من تسلطهم وقوتهم، وإنما هذا هو الباطل بعينه إزاء قوة الله تعالى.

٣ـ في لقمان ليس فيها هذا الشيء. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا

مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ [لقمان:٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥] كلها فيها أخذ ورد وسؤال وجواب، لكن ليس فيها صورة الباطل المتمكن المعاند الذي يقتل المؤمنين ويضطرهم إلى الهجرة. ولا شك أنّ للسلطان فتنة ورهبة فاقتضى السياق تثبيت المؤمنين في هذه الناحية، فأكّد أنّ ما عليه هؤلاء هو الباطل.

٤ـ وسبب آخر: أنه تقدم في سورة الحج ذكر ما يدعون من دون الله من المعبودات الباطلة. ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج:١٢-١٣] ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج:٧١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:٧٣]

فالكلام عن المعبودات الباطلة جارٍ في آية الحج، فأكّد أنّ هذا هو الباطل وليس ذلك في لقمان.

فهنالك أمران دعيا إلى التأكيد في سورة الحج :

أ ـ قوة وتسلط أصحاب الباطل في سياق آية الحج .

ب ـ ذكر معبوداتهم التي يعبدونها، فذكر أنهم على باطل وأنّ معبوداتهم باطلة لا تنفع شيئاً، فأكّد هذا الأمر، وليس في لقمان هذا السياق فلم يقتض هذا الأمر.

٥ـ والأمر الآخر أنّ ضميرالفصل ذكر في الحج ٨ مرات وفي لقمان ٣ مرات. وهذا مما يقتضيه السياق.

السؤال الثالث :

قوله تعالى فى آية الحج ٦٤: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾، و في آية لقمان ٢٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾، وفي آية لقمان ١٢ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، وقوله في آية العنكبوت ٦ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦]، فما دلالة الاختلاف؟

الجواب :

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٦] مع التخفيف و﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج:٦٤] مع زيادة التوكيد؛ أي بزيادة اللام.

آيات الحج ٦٣ـ٦٥ :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ

تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٣-٦٤-٦٥] .

البيان :

قال في الحج: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ ، وقال في لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ فأكّد الغنى في الحج أكثر مما هو في لقمان؛ إذ زاد اللام فيها فأدخلها على ﴿هُوَ﴾، وذلك :

١ ـ فصّل في الحج في الغنى ما لم يفصله في لقمان، فقد قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بتكرار اسم الموصول وأجمل ذلك في سورة لقمان ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلم يكرر ﴿مَا﴾، فلما فصّل في الحج وزاد على ما ذكره في لقمان زاد اللام في الحج، فقال: ﴿لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ .

كما أنه زاد الواو فقال: ﴿وَإِنَّ﴾ أي: من جملة غناه، وكأنّ الواو استئنافية، وبيان ذلك:

تقول مثلاً: فلان يملك عشرة دور، إنه غني، أي بما يملك .

وتقول أيضاً: فلان يملك عشرة دور، وإنه غني، أي من جملة غناه.

٢ ـ السياق في العنكبوت في الفتن والابتلاء، فقد قال تعالى في الآيات:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٢-٣] ثم قال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦] فاختلف التوكيد والخاتمة، فقد جاء بضمير الفصل

وتعريف الغني وزيادة اللام في سورة الحج، وجاء بضمير الفصل، ولم يعرف الغني في سورة العنكبوت، وسبب ذلك:

أـ في الحج ولقمان: ذكرٌ لِملكه وسعته وقدرته ونعمته على خلقه، وأمّا في العنكبوت فذكر: غناه عن خلقه.

وفرق بين أنْ تقول: فلان يملك كذا وكذا ويعطي وينفق ويتفضل وقولك: هو مستغن عن الناس، فإنّ معنى القول الثاني أنه مكتف وإنْ لم يكن غنياً. ألا ترى قول الخليل:

أبلـــغ ســـليمان أني عنـــه في ســـعة   وفي غنـــى غـــير أني لســـت ذا مـــال

فهناك فرق بين المستغني عن الناس والغني المالك المتفضل، فلمّا فرّق بين الحالين فرّق بين التعبيرين.

ب ـ لمّا كانت آية الحج في تعداد نعم الله على خلقه قال:﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج:٦٤] أي: الذي يُحمد على نعمه، وكذلك السياق في لقمان.

وأمّا في العنكبوت فلمّا كان السياق في ذكر الفتن لم يقل: ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج:٦٤]، بل قال:﴿لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦] أي: غني عن جهادهم، فسبحان الله رب العالمين!

السؤال الرابع :

في الآيات التالية نجد :

في آية لقمان (١٢) قال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ أكد بـ (إنّ)، والصفات نكرة.

في آية إبراهيم (٨) قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨] أكد بـ(إنّ) واللام، والصفات نكرة.

آية لقمان(٢٦) قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ أكد بالضمير والتعريف.

آية الحج (٦٤) قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ أكد بالضمير واللام والتعريف، فما السبب؟

الجواب :

١ ـ آية إبراهيم (٨) أكثر توكيداً من آية لقمان (١٢)، وذلك أنّ الله ذكر في آية لقمان صنفين من الناس: من شكر ومن كفر، أي: الناس على قسمين، بمعنى التبعيض لكل قسم.

وأمّا آية إبراهيم فافترض كُفر أهل الأرض جميعاً؛ لذا جاء قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨] فهي أعم وأشمل، وخاصة أنه قال: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ ومعناه الاستمرار، وهذا يحتاج إلى التوكيد، فكان التوكيد أنسب من الآية الأولى .

٢ ـ فعل الشرط بصيغة المضارع يفيد تكرار الحدث، وبصيغة الماضي يدا على قلة الحدث، أو حدوثه مرة واحدة؛ ولذلك قوله: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ يفيد تكرار الحدث أكثر من ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فاحتاج إلى التوكيد .

٣ـ من الناحية اللغوية :

أ ـ الغني: هو الذي لا يحتاج إلى أحد بغض النظر عمن هو، والغنى قد يكون بالمال وغيره مثل النفس والقوة البدنية وغيرها.

ب ـ الثراء أو الثروة: يعبر به عن مجموع المال الكثير. وقولهم: ثرى الله القوم، بمعنى أكثرهم.

ج ـ اليسار: هو المقدار الذي تيسر معه المطلوب من المعاش، وليس ينبيء عن الكثرة؛ ولذا يقال: تاجر موسر. ولا يقال: ملك موسر؛ لأنّ مايملكه التاجر قليل في جنب ما يملكه الملك.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في آية الحج ٦٠: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب) و(عذاب) في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٤.

السؤال السادس :

قوله تعالى في آية الحج ٦١ ﴿يُولِجُ ٱلَّيْـلَ﴾ ما الفرق بين (يولج) و(يكور)؟

الجواب :

يولج: أي يدخل الليل على النهار فيأخذ منه، ويدخل النهار على الليل فيأخذ منه.

يكور: أي يجعلها كالكرة ويدورها كالعمامة، ومن هنا قال ابن حزم في زمن مبكر في معنى آية الزمر بكروية الأرض؛ لأنّ تكويرهما يقتضي تكوير ما تحتهما.

لذلك في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْـلَ﴾ و ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ﴾ الدلالة مختلفة، ولا يوجد تعارض بينهما.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول :

قال في الآية ٣٤: ﴿وَلِكُلِّ﴾ بالواو، وفي الآية ٦٧: ﴿لِّكُلِّ﴾ بدون واو، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٣٤.



﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول :

قال في آية الحج ٧١ ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ وفي آية الزخرف ٢٠ ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ فزاد ﴿مِنْ﴾ في آية الزخرف، فما السبب؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم الحروف الزائدة بهدف التوكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد .

فقد قال في آية الحج: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌۗ﴾ وفي آية الزخرف ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ فزاد (من) في آية الزخرف؛ وذلك لأنّ المقامين مختلفان:

١ ـ الكلام في آية الحج عمن يعبد غير الله، فقد ذكر أنّ هؤلاء عبدوا ما عبدوا من دون علم ولا معرفة، والتمييز بين عبادة الله وغيره لا يحتاج إلى قدر كبير من العلم، فأقل قدر من العلم يكفي لمعرفة الطريق الصحيح وأقل قدر من النظر يهدي إليه ويدل على ضرورة ترك عبادة غير الله .

٢ ـ أمّا آية الزخرف فالكلام فيها يتعلق بالقَدَر ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ﴾ والكلام في القَدَر يحتاج إلى قدر كبير من العلم والمعرفة، وحتى الذين اتفقوا على عبادة الله اختلفوا في القَدَر اختلافاً كبيراً، حتى أُثر عن الرسول ﷺ أنه نهى عن الكلام في القدر، فاحتاج الموطن هنا إلى توكيد العلم بخلاف الموطن السابق؛ ولذا قال: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ فنفى عنهم أقل العلم وهم يخوضون في هذه المسألة الشائكة، ثم أكّد هذا المعنى بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بخلاف الآية الأولى التي ختمها بما ليس له علاقة بالعلم بل قال: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الثاني :

ما الفرق بين استعمال الفعل (ليس) وحرف النفي (ما)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٦ و ١٠٧ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (ذلك) و(ذلكم) في آيتي المائدة ٦٠ والحج ٧٢؟

الجواب :

إذا كان عندنا مجموعتان إحداهما أوسع من الأخرى، يستعمل للأوسع ضمير الجمع وللأقل ضمير الإفراد.

ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة:٦٠] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحج:٧٢] الأولى فيها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ والثانية فيها ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ ونسأل: أي الأكثر؟ الذين كفروا أو الذين جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت؟ الذين كفروا أكثر، فلمّا كانت المجموعة أكثر جمع فقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ ولما كانت أقل أفرد، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية الحج ٧٢ :﴿ أَفَأُنَبِّئُكُم ﴾ وفي آية المائدة ٦٠ والشعراء ٢٢١: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ ما الفرق بين التوكيد بـ(الهمزة) أو بـ (هل)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٦٠.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (يستنقذون) في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾؟

الجواب :

١ـ ليس المقصود هنا مسألة الشيء المأخوذ من الذباب ولا الذباب، وإنما المقصود من الآية إظهار عجز الآلهة التي يدعون إليها من دون الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾ [الحج:٧٣] ولو بذلوا كل الجهد لا يستطيعون شيئاً بسبب عجز هذه الآلهة. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ أي هم إنْ حاولوا الاستنقاذ وليس الانقاذ، ولكنْ لو بذلوا جهدهم كله فلن يستطيعوا. وهذا يبيّن ضعف ما يعبدون من آلهة، وليس مقصوداً الذباب أو ما يأخذه الذباب.

٢ـ (يستنقذوه) بمعنى (ينقذوه). وأحياناً تأتي صيغة (استفعل) بمعنى الفعل الثلاثي، لكن يُراد به المبالغة، مثل (استيأس) بمعنى: يئس، لكنْ فيه الشدة، كما في آية سورة يوسف ١١٠.

السؤال الثاني :

الذي جاء في الآية ليس بمثل، فكيف سماه الله مثلاً؟

الجواب :

لّما كان المثل في الأكثر يخص أمراً عجيباً غريباً جاز أنْ يسمى كل ما كان كذلك مثلاً.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ضُرِبَ﴾ جاء بصيغة الماضي؛ لأنه إذا كان ما يورد من الوصف معلوماً من قبل جاز ذلك فيه، ويكون ذكره بمنزلة إعادة أمر قد تقدم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: تدبروه؛ لأنّ نفس السماع لاينفع وإنما ينفع التدبر.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ المراد منه الصنم والذباب أو الطالب هو من عَبَدَ الصنم، والمطلوب هو نفسُ الصنم.

وقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ﴾ لا من حيث القوة؛ ولكن لظهور قبح هذا المذهب أو الوجه.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الضيق والحرج؟

الجواب :

١ـ الحرج: هو الضيق الذي لا منفذ فيه، وهو مأخوذ من (الحرجة) وهي الشجر الملتف، حتى لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه؛ ولهذا جاء بمعنى الشك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ [النساء:٦٥] أي: لا يجدون شكاً؛ لأن الشاك في الأمر لا ينفذ فيه .

و قوله تعالى في آية الأعراف: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ أي: ضيق.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ أي: لا يوجد في الدين ضيق لا مخرج منه؛ لأنّ الله شرّع التوبة وهي مخرج، والرُخص وهي مخارج أيضاً.

ولقد قيل: ما أدى إلى الضيق فهو منفي، وما أوجب التوسعة فهو أولى.

رابعاً. تناسب فاتحة الحج مع نهايتها:

قال سبحانه في أولها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج:١-٢].

وأرشد في آخرها الذين آمنوا لينجوا من عذاب الله ولعلهم يفلحون وعلمهم كيف يتقون ربهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

وهذه من مظاهر التقوى التي أمر بها في أول السورة وأرشد إلى أنها تنجي من عذاب الله الشديد.

وكرّر الطلب في آخر آية، فقال: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج:٧٨] فهو يتولى أمركم في الدنيا وفي الآخرة عند زلزلة الساعة.

وهذه هي من لوازم التقوى التي ذكرها في المتقين في سورة البقرة، وهي قوله سبحانه:

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧].

فقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة:١٧٧] يقابله في آية الحج قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فإنّ من لم يؤمن بما ذكره في آية البقرة فليس بمؤمن .

وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ . . .وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:١٧٧] .

يقابله في آية الحج قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج:٧٨].

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج:٧٧]. عمّ ما ذكر من أفعال الخير وما لم يذكر، فهي أعم مما ورد في آية البقرة .

وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧]. يقابله في آية الحج: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨].

فذكر في أواخر السورة مظاهر التقوى التي أمر بها في أولها.

والله أعلم .



سورة المؤمنون

أولاً ـ تناسب خاتمة الحج مع فاتحة (المؤمنون) :

قال سبحانه في خواتيم سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾ [الحج:٧٧].

وقال في آخر آية منها: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨)﴾ [الحج:٧٨].

وقال في أول سورة (المؤمنون):

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤)﴾ .

فذكر الصلاة والزكاة في خاتمة الحج وأول سورة(المؤمنون) .

وقال في خواتيم الحج : ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وقال في أول (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١)﴾ .

فترجى لهم الفلاح إذا فعلوا ذلك، وقد حصل الفلاح لمن فعل .

جاء في (روح المعاني): ((ومناسبتها ـ يعني سورة (المؤمنون) ـ لآخر السورة قبلها ظاهرة؛ لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ﴾ الآية، وفيها﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

فناسب أنْ يحقق ذلك فقال عزّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

فانظر كيف اقتضى التعبير ﴿قَدْ﴾ من جهات عدة، وانظر ارتباط كل ذلك بالسورة قبلها.

ثانياً ـ هدف السورة: مقارنة صفات المؤمنين بمصير الكافرين.

سورة (المؤمنون) من السور المكية، وهي تعرض من اسمها صفات المؤمنين وتشرح مصير من لا يسير على هذه الصفات، فعلينا أنْ نتوقف عند هذه الصفات ونحاسب أنفسنا قبل أنْ يحاسبنا الله تعالى، ونرى أي نوع من المؤمنين نحن وكم من الصفات المذكورة في الآيات نتحلى بها وكم من الصفات ما زلنا نحتاج لأن نكتسبها.

صفات المؤمنين: ابتدأت الآيات بذكر صفات المؤمنين العامة: من آية ١ إلى آية ٩:
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩].

جزاء المؤمنين: ثم تنتقل الآيات للتذكير بجزاء من تحلى بهذه الصفات: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

تاريخ المؤمنين عبر الأجيال: تعرض السورة تاريخ المؤمنين عبر الأجيال.

صفات إضافية للمؤمنين: ثم تستكمل الآيات صفات إضافية لمؤمنين من درجة أعلى في الآيات من ٥٧ إلى ٦١ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١]، هذه صفات راقية وخاصّة بمؤمنين حقا.

ختام السورة: الدعاء: تختم الآيات بالدعاء: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون:١١٨]. والدعاء ضروري؛ لأنّ المؤمنين لا بدّ أنْ يقعوا في أخطاء، ولا يغفر هذه الأخطاء إلا الدعاء الصادق الخالص لله تعالى الذي يغفر الذنوب.

والملاحظ أنّه في الثلث الأول من القرآن (من سورة البقرة إلى التوبة) تحدثت الآيات والسور عن معالم المنهج الذي شرّعه الله تعالى للمستخلفين في الأرض، وهذا المنهج صعب؛ لذا فتح في نهاية هذا الثلث باب التوبة لأنّ كل من يريد تطبيق المنهج يحتاج إلى التوبة الدائمة. ثم يأتي الثلث الثاني وتتحدث الآيات عن طرق إصلاح المسلمين المستخلفين في الأرض. فلو جمعنا كل هذه المفاهيم نحصل على إنسان متكامل ومعدّ خير إعداد ليكون المستخلف في الأرض، والأخطاء واردة وحاصلة لا محالة ؛ لذا يأتي الدعاء والاستغفار الذي لا غنى لإنسان عنه.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في سورة المؤمنون:

مقدمة :

السورة مشحونة بجو الخشوع سواء ما يتعلق بالقلب وما يتعلق بالجوارح ولقد تكررت الدعوى للتقوى كثيراً في السورة، نحو: أفلا تتقون ـ فاتقون .



﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآيات؟ ولماذا وصف المؤمنين بالصيغة الاسمية؟

الجواب :

١ـ لقد ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون:١-٢] وفي هذا النص تقرير لفلاح المؤمنين، وإخبار بحصوله في حين كان الفلاح مرجواً لهم في السورة قبلها. فقد أمرهم بالركوع والسجود، ليرجى لهم الفلاح، وهنا تحقق الفلاح بعد أنْ فعلوا ما أمرهم به ربهم. فهناك طلب وترج وهنا تنفيذ وحصول، فانظر التناسب اللطيف في التعبير، وكيف وضعه وضعاً فنياً بديعاً. فقد بدأ بالأمر والطلب من الذين آمنوا أنْ يفعلوا ما يأمرهم به ربهم، فاستجاب الذين آمنوا، ففعلوا ما أمرهم به، فوقع لهم الفلاح على وجه التحقيق، ثم انظر كيف طلب منهم ربهم وكيف استجابوا؟

قال الله تعالى في آخر سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧] ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج:٧٨] فناداهم بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحج:٧٧]، فاستجابوا واتصفوا بذلك على وجه الثبات، فوصفهم في أول سورة المؤمنون بالصيغة الاسمية ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الدالة على الثبوت.

ثم قال: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧]، وقال: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج:٧٨]، فاتصفوا بما أمرهم به ربهم على وجه الثبات، فوصفهم بالصيغة الاسمية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون:٢-٣-٤].

و قال في آخر سورة الحج: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] بصيغة ترجي الفلاح، ثم أخبر - بعد أنْ قاموا بما أمرهم به ربهم- أنّ الفلاح قد وقع على جهة التحقيق والتأكيد، فجاء بـ ﴿قَدْ﴾ الداخلة على الفعل الماضي وهي تفيد التحقيق والتوقع والتقريب. فقد كان الفلاح متوقعاً مرجواً لهم فحصل ما توقعوه وتحقق عن قريب. فما أسرع ما نفذوا وما أسرع ما تحقق لهم الفلاح!

فانظر كيف اقتضى التعبير ﴿قَدْ﴾ من جهات عدة، وانظر ارتباط كل ذلك بالسورة قبلها.

٢ ثم ذكر أول صفة للمؤمنين، وهي الخشوع في الصلاة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:٢] والخشوع في الصلاة، يعني خشية القلب وسكون الجوارح، وهو روح الصلاة، والصلاة من غير خشوع جسد بلا روح.

وهو ـ أي الخشوع ـ أمر مشترك بين القلب والجوارح، فخشوع الجوارح سكونها وترك الالتفات وغض البصر وخفض الجناح. وخشوع القلب خضوعه وخشيته وتذلل المؤمن لله وإعظام مقام ربه، وإخلاص المقال وجمع الهمة.

" وكان الرجل إذا قام إلى الصلاة، هاب الرحمن أنْ يشد بصره إلى شيء، أو يحدث نفسه بشأن من شؤون الدنيا".

٣ـ وفي تقديم الوصف بالخشوع في الصلاة على سائر الصفات المذكورة بعده "ما لا يخفى من التنويه بشأن الخشوع"وللبدء بذكره أكثر من سبب يدعوه إلى ذلك، فهو - علاوة على أنه ذل، وأنه روح الصلاة - مرتبط بما ورد في ختام السورة السابقة من ذكر الركوع والسجود، فذكر ركني الصلاة الظاهرين، وهاهنا ذكر الركن الباطن، فاستكمل ما ذكره هناك.

٤ـ ثم إنّ السورة مشحونة بجو الخشوع بشقيه سواء ما يتعلق بالقلب وما يتعلق بالجوارح وبالدعوة إليه بكل أحواله. فقد كرّر الدعوة إلى التقوى، والتقوى أمر قلبي، وهي من لوازم الخشوع .

فقال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

وقال: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون:٥٢] .

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون:٥٧] والخشية والإشفاق أمر قلبي، وهما من لوازم الخشوع.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠] والوجل أمر قلبي، وهو من لوازم الخشوع أيضاً.

وذكر الكفار وذمهم بقوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ [المؤمنون:٦٣]، وهذه الغمرة تمنعها من الخشوع والإعراض عما سوى الله تعالى، وذكرُ القلوب ههنا أمر له دلالته، فلم يقل:

(هم في غمرة)، كما قال في مكان آخر من القرآن الكريم (الذاريات ١١)، بل قال: ﴿قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ [المؤمنون:٦٣] والقلب هو موطن الخشوع ومكانه، فإنْ كان القلب في غمرة، فكيف يخشع؟

وقال في ذم الكفار: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون:٧٦] فلم يخشوا؛ لأنّ الخاشع مستكين لربه متضرع متذلل إليه.

وقال: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ والاستكبار والعلو مناقضان للخشوع إذ الخشوع تطامن وتذلل وخضوع لله رب العالمين.

فبدء السورة بالخشوع هو المناسب لجو السورة.

٥ـ ثم إنّ البدء به له دلالة أخرى؛ ذلك أنه ورد في الآثار أنّ الخشوع أول ما يرفع من الناس، وقد جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت عن النبي أنه قال: **"يوشك أنْ تدخل المسجد، فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً"** وعن حذيفة أنه قال: **"أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، وتنقض عرى الإسلام عروة عروة"**.

فبدأ بما يُرفع أولاً، وختم بما يُرفع آخراً، وهو الصلاة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج:٣٤].

٦ـ ثم انظر كيف جاء بالخشوع بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات، ولم يقل: (يخشون) للدلالة على أنه وصف لهم دائم في الصلاة غير عارض فإنّ الصلاة إذا ذهب منها الخشوع كانت ميتة بلا روح.

٧ـ ثم انظر كيف أنه لمّا وصفهم بالإيمان على جهة الثبوت، وصفهم بالخشوع في الصلاة على جهة الثبوت والدوام أيضاً، فإنه لو قال: (يخشون) لصح الوصف لهم، وإنْ حصل لحظة في القلب أو الجارحة، في حين أنه يريد أنْ يكون لهم الاتصاف في القلب والجوارح ما داموا في الصلاة.

٨ـ وتقديم الجار والمجرور ﴿فِي صَلَاتِهِمْ﴾ على ﴿خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:٢] له دلالته أيضاً؛ ذلك أنّ التقديم يفيد العناية والاهتمام، فقدم الصلاة؛ لأنها أهم ركن في الإسلام، حتى أنه جاء في الأثر الصحيح، أنّ تاركها كافر هادم للدين، وحتى أنّ الفقهاء اختلفوا في كفر تاركها؛ فمنهم من قال: إنّ تاركها كافر، وإنْ نطق بالشهادتين.

في حين أنه لو قدّم الخشوع، لكان المعنى أنّ الخشوع أهم، وليس كذلك فإنّ الصلاة أهم. والصلاة من غير خشوع أكبر وأعظم عند الله من خشوع بلا صلاة، فإنّ المصلي، وإنْ لم يكن خاشعاً أسقط فرضه وقام بركنه بخلاف من لم يصل.

وقد تقول: وكيف يكون خشوع بلا صلاة؟

فنقول: إنّ الخشوع وصف قلبي وجسمي يكون في الصلاة وغيرها ويوصف به الإنسان وغيره.

قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه:١٠٨]، فوصف الأصوات بالخشوع.

وقال: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [المعارج:٤٤] فوصف الأبصار بالخشوع.

وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية:٢] فوصف الوجوه به.

وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] فوصف القلب بالخشوع.

وليس ذلك مقصوراً على الصلاة كما هو واضح .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:١٩٩] .

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وقال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى:٤٥].

فتقديم الصلاة ههنا أهم وأهم.



﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ اللغو:هوالسقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، وفي (الكشاف) "أنّ اللغو هو ما لا يعنيك من قول أو فعل، كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه واطراحه".

وقال الزجاج: "اللغو: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية، وما لا يجمل من القول والفعل.

وقال الحسن: إنه المعاصي كلها.

فاللغو جماع لما ينبغي اطّراحه من قول وفعل. ووضع هذه الصفة بجنب الخشوع في الصلاة ألطف شيء وأبدعه، فإنّ الخاشع القلب الساكن الجوارح أبعد الناس عن اللغو والباطل؛ إذ الذي أخلى قلبه لله وأسكن جوارحه، وتطامن وهدأ ابتعد بطبعه عن اللغو والسقط وما توجب المروءة اطّراحه.

جاء في (الكشاف): "لمّا وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو؛ ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف" ويعني بالفعل الخشوع، وبالترك الإعراض عن اللغو.

٢ـ والحق أنّ الخشوع أمر يجمع بين الفعل والترك، ففيه من الفعل جمع الهمة وتذلل القلب وإلزامه التدبر والخشية، وفيه من الترك السكون وعدم الالتفات وغض البصر وما إلى ذلك.

جاء في (التفسير الكبير): " فالخاشع في صلاته، لا بدّ وأنْ يحصل له ما يتعلق بالقلب نهاية الخضوع والتذلل للمعبود. ومن الترك أنْ لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سوى التعظيم. ومما يتعلق بالجوارح، أنْ يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده، ومن الترك أنْ لا يلتفت يميناً وشمالاً".

وما بعده من الصفات المذكورة موزعة بين الفعل والترك، أو مشتركة فيهما كما هو ظاهر.

ولوضع هذه الصفة ـ الإعراض عن اللغو ـ بجنب الخشوع دلالة أخرى فإنّ السورة كما شاع فيها جو الخشوع- كما أسلفنا – فقد شاع فيها أيضاً جو الترك والإعراض، وذم اللغو بأشكاله المختلفة.

فمن ذلك أنه قال: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١] والعمل الصالح مناقض للغو وعمل الباطل.

وقال: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون:٥٤]، والغمرة هي ما هم فيه من لغو وباطل.

وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦١] والمسارعة في الشيء ضد الإعراض عنه. و(الخيرات) ضد اللغو والباطل.

وقال في وصف الكفار: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون:٦٦-٦٧]، والنكوص هو الإعراض والهجر من اللغو، وهو القبيح من الكلام والفحش في المنطق.

وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون:٧٠] وقولهم: ﴿بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ من اللغو. وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون:٧٠] من الإعراض، إذ الكره للشيء هو إعراض نفسي عنه.

وقال في وصف الكفار: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون:٧٤] وتنكب الصراط، إعراض عن الحق.

وقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون:٧١].

وقال فيهم: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المؤمنون:٧٥]، والطغيان هو الباطل، وهو من اللغو.

وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦] والعبث هو الباطل وهو من اللغو واللهو، ووصف الله نفسه بالحق، والحق نقيض الباطل والباطل من اللغو.

وقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٠]، والحق نقيض الباطل، واللغو والكذب من اللغو في القول، إلى غير ذلك.

فأنت ترى أنّ السورة مشحونة بجو الدعوة إلى الحق وذم اللغو في القول والعمل.

فوضع هذه الآية في مكانها له دلالته في جو السورة، كما هو في الآية قبلها.

٣ـ ثم انظر بناء هذه الآية، فإنه جعلها اسمية المسند، فلم يقل: (والذين لا يلغون)، أو (عن اللغو يعرضون)، وقدّم الجار والمجرور ﴿عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ على اسم الفاعل ﴿مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:٣]، ولكلٍ سبب .

أ ـ فقوله: ﴿عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:٣] أبلغ من (لا يلغون)؛ ذلك أنّ الذي لا يلغو قد لا يعرض عن اللغو، بل قد يستهويه، ويميل إليه بنفسه ويحضر مجالسه، أمّا الإعراض عنه، فهو أبلغ من عدم فعله؛ ذلك أنه أبعد في الترك، فإنّ المعرض عن اللغو

علاوة على عدم فعله ينأى عن مشاهدته وحضوره وسماعه، وإذا سمعه أعرض عنه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص:٥٥] فهم لم يكتفوا بعدم المشاركة فيه، بل هم ينأون عنه.

ثم إنّ التعبير باسمية المسند يشير إلى أنّ إعراضهم عن اللغو وصف ثابت فيهم، وليس شيئاً طارئاً. وهو- مع ذلك- متناسب مع ما ذكر فيهم من الصفات الدالة على الثبوت.

ب ـ وأمّا تقديم الجار والمجرور ﴿عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ فهو للاهتمام والحصر؛ إذ المقام يقتضي أنْ يقدم المعرض عنه لا الإعراض، فإنّ الإعراض قد يكون إعراضاً عن خير، كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون:٧١] فتقديم الباطل من القول والفعل؛ ليخبر أن ما يعرضون عنه هو الأولى، كما أنه فيه حصراً لما يعرض عنه؛ إذ الإعراض لا ينبغي أنْ يكون عن الخير، بل الخير ينبغي أنْ يسارع فيه فتقديم الجار والمجرور ليس لفواصل الآيات فقط، وإنْ كانت الفاصلة تقتضيه؛ بل لأنّ المعنى يقتضيه أيضاً.

ج ـ جاء في (روح المعاني): "أنّ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:٣] أبلغ من أنْ يقال: (لا يلغون) من وجوه: جعل الجملة اسمية دالة على الثبات والدوام، وتقديم الضمير المفيد لتقوي الحكم بتكريره، وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وقيلاً وحضوراً، فإنّ أصله أنْ يكون في عرض أي ناحية غير عرضه".

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ إنّ هذا التعبير يجمع معاني عدة كلها مرادة لا تؤدى في أي تعبير آخر. فإنه لو حذف اللام من (الزكاة) لكونها زائدة مقوية، كما ذهب بعضهم، أو قدّم (فاعلون) على (الزكاة) فحذف اللام أو أبقاها، أو بدّل (مؤتون) بـ (فاعلون) لم يؤد المعاني التي يؤديها هذا التعبير البليغ، وهذا النظم الكريم، وهي معان جليلة مرادة كلها.

٢ـ **(الزكاة)** اسم مشترك بين عدة معان، فقد يطلق على القدر الذي يخرجه المزكي من ماله إلى مستحقه، أي: قد تطلق على المال المخرج.

وقد يطلق على المصدر بمعنى: **التزكية**، وهو الحدث، والمعنى: إخراج القدر المفروض من الأموال إلى مستحقه.

وقد يكون بمعنى **العمل الصالح، وتطهير النفس** من الشرك والدنس، كما قال تعالى:

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف:٨١].

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٩-١٠]، **أي: أفلح من طهّر** نفسه وخلصها من الدنس والسوء.

وهذه المعاني مجتمعة يصح أنْ تكون مرادة في هذا التعبير.

٣ـ ذلك أنه يصح أنْ يكون المعنى: والذين هم يؤدون الزكاة، وذلك على تضمين ﴿فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ معنى (مؤدون)، أو على تقدير مضاف محذوف أي: والذين هم لأداء الزكاة فاعلون. فأصل الكلام على هذا: (والذين هم فاعلون الزكاة)، فالزكاة مفعول به لاسم الفاعل (فاعلون)، ثم قدّم المفعول للاختصاص، فصار (الزكاة فاعلون)، كما تقول: (أنا زيداً ضارب)، ثم زيدت اللام لتوكيد الاختصاص، وهو قياس مع مفعول اسم الفاعل تقدم أو تأخر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾[البقرة:٩١].

وتسمى هذه اللام لام التقوية. وبهذين التقديرين يكون المقصود بالزكاة اسم العين، وهو المال الذي يخرج لمستحقه.

٤ـ ويصح أنْ تكون (الزكاة) بمعنى التزكية، وهي الحدث، أي: فعل المزكي، فيكون ﴿فَـٰعِلُونَ﴾ بمعناها، فيكون أصل التعبير (فاعلون الزكاة) ومعنى (فعل الزكاة): زكّى، أو أخرج الزكاة، كما يقال للضارب: فعل الضرب.

جاء في (الكشاف): "الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى. فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير، والمعنى: فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره؛ لأنه ما من مصدر إلا يعبّر عن معناه بالفعل. ويقال لمحدثه: فاعل تقول للضارب: فاعل الضرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكي: فاعل التزكية، وعلى هذا الكلام كله.

وجاء في (البحر المحيط): "والزكاة إنْ أريد بها التزكية صح نسبة الفعل إليها؛ إذ كل ما يصدر صح أنْ يقال فيه فعل. وإنْ أريد بالزكاة قدر ما يخرج من المال للفقير، فيكون

على حذف: أي لأداء الزكاة فاعلون؛ إذ لا يصح فعل الأعيان من المزكي أو يضمن ﴿فَـٰعِلُونَ﴾ بمعنى (مؤدون)، وبه شرحه التبريزي".

٥ـ وجاء في (**روح المعاني**): "الظاهر أنّ المراد بالزكاة المعنى المصدري (التزكية)؛لأنه هو الذي يتعلق به فعلهم. وأمّا المعنى الثاني، وهو القدر الذي يخرجه المزكي فلا يكون نفسه مفعولاً لهم، فلا بدّ إذا أُريد من تقدير مضاف، أي لأداء الزكاة فاعلون. أو تضمن (فاعلون) معنى (مؤدون)، وبذلك فسره التبريزي، إلا أنه عقب بأنه لا يقال: (فعلت الزكاة) أي: أديتها.

وإذا أريد المعنى الأول أدى وصفهم بفعل التزكية إلى أداء العين بطريق الكناية التي هي أبلغ، وهذا أحد الوجوه للعدول عن (والذين يزكون) إلى ما في النظم الكريم".

٦ـ وجاء في (**فتح القدير**): "و معنى فعلهم للزكاة تأديتهم لها، فعبّر عن التأدية بالفعل؛ لأنها مما يصدق عليه الفعل، والمراد بالزكاة هنا المصدر لأنه الصادر عن الفاعل. وقيل: يجوز أنْ يُراد بها العين على تقدير مضاف، أي: والذين هم لتأدية الزكاة فاعلون.

ويصح أنْ تكون الزكاة بمعنى العمل الصالح وتطهير النفس، فيحتمل أنْ تكون اللام زائدة مقوية دخلت على المفعول به (الزكاة) فيكون معنى (فعل الزكاة) فعل العمل الصالح وتطهير النفس، كما يقال: (فعل خيراً، أو فعل شراً)، فيكون معنى الآية: (الذين هم فاعلون العمل الصالح وتطهير النفس) واللام زائدة في المفعول، ويسمونها **مقوية**، وهي تفيد توكيد الاختصاص في المفعول المقدم، أي:لا يفعلون إلا ذاك.

ويحتمل أنْ تكون اللام لام التعليل، أي: يفعلون من أجل الزكاة، أي: هم عاملون من أجل تزكية نفوسهم وتطهيرهم والمفعول محذوف، فيكون الفعل عاماً، وهو كل ما يؤدي إلى الخير وتطهير النفس.

٧ـ جاء في (روح المعاني): "وعن أبي مسلم، أنّ الزكاة هنا بمعنى العمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾، واختار الراغب أنّ الزكاة بمعنى الطهارة، واللام للتعليل، والمعنى: والذين يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم الله تعالى، أو يزكوا أنفسهم ... قال صاحب "الكشاف" معنى الآية، الذين هم لأجل الطهارة وتزكية النفس عاملون الخير. ويرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤- ١٥] و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس:٩].

٨ـ وجاء في (البحر المحيط): "وقيل ﴿لِلزَّكَوٰةِ﴾ للعمل الصالح، كقوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي: عملاً صالحاً. قاله أبو مسلم. وقيل: الزكاة هنا: النماء والزيادة، واللام هي لام العلة، ومعمول (فاعلون) محذوف، والتقدير: والذين هم لأجل تحصيل النماء والزيادة فاعلون الخير".

٩ـ فالزكاة إذن تحتمل العبادة المالية، وتحتمل العمل الصالح والتطهير والنماء، واللام تحتمل التقوية، وتحتمل التعليل، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فهو يريد الذين يؤدون الزكاة، ويفعلون العمل الصالح، وتطهير النفس، ويفعلون من أجل ذلك. ولا تجتمع هذه المعاني في أي تعبير آخر.

فلو أبدل كلمة (مؤتون) مكان (فاعلون) لاقتصر الأمر على زكاة المال ولو حذف اللام لم يفد معنى التعليل، فانظر كيف جمع عدة معان بأيسر سبيل.

١٠ـ جاء في (تفسير ابن كثير): "الأكثرون على أنّ المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال، مع أنّ هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أنّ التي فرضت بالمدينة، إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أنّ أصل الزكاة كان واجباً بمكة، وقد يحتمل أنْ يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]، وقد يحتمل أنْ يكون كلا الأمرين مراداً، وهو زكاة النفوس، وزكاة الأموال من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا، والله أعلم.

وتقديم الزكاة للاهتمام والعناية والقصر، أي: لا يفعلون إلا الخير والزكاة منه.

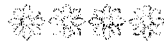
السؤال الثاني:

لِمَ لم يقل: (والذين هم للصلاة فاعلون)، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]؟

الجواب:

إنّ إخراج النصاب إلى مستحقه كاف لأداء فريضة الزكاة، وليس وراءه شيء يتعلق بها، فإنْ لم يفعل ذلك فلا زكاة. أمّا فعل الصلاة من قيام وقعود وركوع وسجود مع هيئاتها الأخرى، فليس بكاف، بل ينبغي أنْ يكون مع ذلك خشوع وتدبر وحضور قلب

وسنن وآداب تكمل هذه الأفعال الظاهرة وتتمها؛ ولذلك قال عليه السلام: **"لك من صلاتك ما عقلت منها"**،فاتضح الفرق بينهما.



﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ فَإِنَّهُمْ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)﴾

الأولى :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ قيل: المعنى: أنهم ممسكون لفروجهم على أزواجهم، وما ملكت أيمانهم.

جاء في (البحر المحيط): الفعل :(حفظ) لا يتعدى بـ(على) ... والأولى أنْ يكون من باب التضمين، ضمَّن (حافظون) معنى(ممسكون أو قاصرون)، وكلاهما يتعدى بـ (على)، كقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وجاء في (فتح القدير): "ومعنى حفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم... وقيل: إنّ الاستثناء من نفي الإرسال المفهوم من الحفظ أي: لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم.

٢ـ إنّ اختيار هذا التعبير اختيار عجيب، وفيه آيات عظيمة لمن تدبّر ونظر؛ ذلك أنه قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥)﴾ [المؤمنون: ٥]، ولم يقل (ممسكون) أو نحو ذلك مما

فسر به. وفي اختيار (الحفظ) سر بديع؛ ذلك أنّ الذي يمسك فرجه عما لا يحل يكون حافظاً لنفسه ولفرجه من الآفات والأمراض والأوجاع التي تصيبه، وهي أمراض وبيلة وخيمة العاقبة. ومن أرسله في المحرمات، فإنما يكون قد ضيعه وضيع نفسه.

جاء في الحديث: (**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا**).

٣ـ واختيار: ﴿غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ في قوله: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج:٣٠] اختيار لطيف؛ ذلك أنه علاوة على ما يفيده ظاهر النص من أنّ الذي يعتدي على أعراض الناس ملوم على ما فعل، فإنه يفيد أيضاً أنّ الذي يبتغي وراء ما ذكر ملوم من نفسه ومن الناس لما يحدث في نفسه وفيهم من أضرار وأمراض، فهو يلوم نفسه على ما أحدث فيها من أوجاع وعاهات مستديمة، وعلى ما أحدث في زوجه وعائلته، وحتى ولده الذي لا يزال جنيناً في بطن أمه قد يصيبه من عقاب بسبب ذلك ما يجعله شقياً معذباً طوال حياته، وملوم من المجتمع على ما أحدثه في نفسه وعلى ما يحدثه فيهم من أمراض معدية مهلكة. فمن حفظ فرجه فهو غير ملوم، وإلا فهو ملوم أشد اللوم.

٤ـ ثم قال: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ [المعارج:٣١] .

و﴿ٱلۡعَادُونَ﴾ هم المعتدون. ومعنى الآية: أنّ هؤلاء هم "الكاملون في العدوان المتناهون فيه" فإنه لم يقل: (فأولئك عادون) أو (من العادين)، بل قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ [المعارج:٣١] للدلالة على المبالغة في الاعتداء، من جهة أنّ العرض أثمن وأعلى من كل ما يعتدى عليه وينال منه، ومن جهة أنّ هؤلاء هم أولى من يوصف بالعدوان؛ لأنهم

يعتدون على أنفسهم بما يجرون على أزواجهم وعوائلهم، وبما ينقلونه إليهم من هذه الأوجاع والأمراض، ويعتدون على أولادهم وعلى الجيل اللاحق من أبنائهم ممن لم يظهر إلى الدنيا بما يلحقونه بهم من هذه الآفات المستديمة، ويعتدون على المجتمع الذي يعيشون فيه، بما ينقلونه إليه من أمراض معدية مرعبة، وما (الإيدز) إلا واحد من هذه الأمراض الوبيلة المرعبة. أفهناك عدوان أوسع من هذا العدوان وأخطر منه؟

نحن نعرف أنّ المعتدي قد يعتدي على بيت أو قبيلة، أما أنْ يمتد العدوان إلى الإنسان نفسه وأولاده وزوجه وربما إلى طبيبه الذي يعالجه، وإلى الجيل الذي لم يظهر بعد، وإلى المجتمع على وجه العموم، فهذا شر أنواع العدوان وأولى بأن يوسم صاحبه به.

أفرأيت العلو في الاختيار والجلالة فيه، إنه لا يؤدي تعبير آخر مؤداه.

إنه لم يقل: (فأولئك هم الضالون)، أو (أولئك هم الخاطئون) أو (الفاسقون)، مما إلى ذلك، مع أنهم منهم؛ لأنّ هذه صفات فردية، وليس فيها إشارة إلى العدوانية، كما أنه ليس فيها إشارة إلى الخطر الهائل الذي يحيق بالمجتمع من جراء ذلك.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ ذلك أنسب مع قوله: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، فإنّ المعتدي ملوم على عدوانه أكثر من صاحب الأوصاف التي ذكرناها.

٥ـ وهناك أمر آخر لاءم بين ذكر هذه الصفات، هو أنّ الصفات المذكورة كلها ذات علاقة بالآخرين، وليست فردية، فالذي لا يحفظ فرجه إنما يرسله فيما لا يحل له من أفراد المجتمع، وقوله: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ كذلك فعل الملوم يقتضي لائماً، وقد فعل ما يقتضي اللوم من الآخرين، وقوله: ﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ كذلك فإنّ العادي يقتضي معتدى عليه، ولا يسمى

عادياً حتى يكون ثمة معتدى عليه. فالصفات هذه كلها - كما ترى - ليست فردية. فانظر التناسب اللطيف بينها.

٦ـ ثم انظر كيف اختار التعبير عن هذه الصفات بالصيغة الاسمية، فقال: ﴿حَـٰفِظُونَ﴾ و ﴿مَلُومِينَ﴾ و ﴿ٱلْعَادُونَ﴾ للدلالة على ثبات هذه الصفات. فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ يفيد ثبات الحفظ ودوامه وعدم انتهاكه على سبيل الاستمرار؛ لأنّ هذا لا ينبغي أنْ يخرم ولو مرة واحدة.

ومن فعل ذلك على وجه الدوام فإنه غير ملوم على وجه الدوام أيضاً ،فإنْ خالف لِيمَ على ذلك. والذي يبتغي وراء ذلك ويلهث وراء الفاحشة هو معتدٍ على وجه الثبات أيضاً، وقد يثبت هذا العدوان فلا يمكن إزالته أبداً، وذلك ببقاء آثاره على نفسه وعلى الآخرين.

فانظر رفعة هذا التعبير وجلاله.

السؤال الثاني:

هل ﴿أَوْ﴾ للتخيير أو الجمع؟

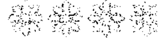
الجواب:

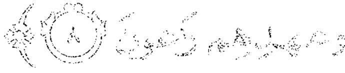
إذا أخذنا الآيات التي تتكلم عن أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم نلاحظ أنه عندما يتكلم القرآن عن حفظ الفروج دائماً يضع ﴿أَوْ﴾، كما في قوله تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المعارج: ٣٠ - ٣١]

فهل ﴿أَوْ﴾ للتخيير أو الجمع؟ هي للإباحة.

أمّا في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ فهنا يتعرض إلى علم الله تعالى في هذين الصنفين ملك اليمين والأزواج، فاستعمل الجمع بـ(الواو).



السؤال الأول

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب

١ـ وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها ظاهر؛ إذ إنّ كلاً من الفروج والأمانات ينبغي أنْ يحفظ، ومن لم يحفظ الأمانة والعهد، فهو ملوم، كما هو شأن من لم يحفظ فرجه.

٢ـ وفي الآية قدّم الأمانة على العهد، وجمع الأمانة وأفرد العهد.

أمّا جمع الأمانة، فلتعددها وتنوعها، فهي كثيرة جداً، فمن ذلك ما يؤتمن عليه الشخص من ودائع الناس وأموالهم، ومنها ما يطلع عليه من أسرار الناس وأحوالهم، ومنها الأقوال التي يسمعها ويستأمن عليها مما لا يصح أن يذيعه منها، ومنها أنْ يودع شخص أهلاً له عند شخص حتى يعود ويقول له: هؤلاء أو صغاري عندك أمانة حتى أعود، أو حتى يكبروا، فهو يتولى أمرهم ويرعاهم، والزرع قد تجعله أمانة عند شخص فيرعاه ويتعهده ويحفظه، والحكم أمانة، والرعية أمانة عند أميرهم ومتولي أمرهم

والقضاء أمانة ثقيلة، والشرع أمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب:٧٢].

٣ـ جاء في (البحر المحيط): "والأمانة الظاهر أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن ودين ودنيا، والشرع كله أمانة، وهذا قول الجمهور ولذلك قال أبي بن كعب: من الأمانة أنْ اؤتمنت المرأة على فرجها".

وفي الحديث(**المؤذن مؤتمن**)، يعني: أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم، فصلاة الناس وصيامهم أمانة عنده. وفي الحديث أيضاً: (**المجالس بالأمانة**)، و "هذا ندب إلى ترك إعادة ما يجري في المجلس من قول أو فعل، فكان ذلك أمانة عند من سمعه أو رآه. والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان، وفي الحديث: (**الإيمان أمانة ولا دين لمن لا أمانة له**)، وفي حديث آخر: (**لا إيمان لمن لا أمانة له**)، وفي الحديث أيضاً: (**أستودع الله دينك وأمانتك**) أي: أهلك، ومن تخلفه بعدك منهم، ومالك الذي تودعه".

٤ـ جاء في (روح المعاني) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المعارج:٣٢]: "الآية عند أكثر المفسرين عامة في كل ما ائتُمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى، ومن جهة الناس كالتكاليف الشرعية والأموال المودعة والإيمان والنذور والعقود ونحوها. وجمعت الأمانة دون العهد قيل: لأنها متنوعة متعددة جداً بالنسبة إلى كل مكلف من جهته تعالى، ولا يكاد يخلو مكلف من ذلك ولا كذلك العهد".

وقال السدي: إنّ حقوق الشرع كلها أمانات قد قبلها المؤتمن وضمن أداءها بقبول الإيمان. وقيل: كل ما أعطاه الله تعالى للعبد من الأعضاء وغيرها أمانة عنده، فمن استعمل ذلك في غير ما أعطاه لأجله فقد خان الأمانة.

فقد رأيت من تعددها وتنوعها وتشعبها ما يدعو إلى جمعها، وليس كذلك العهد، فأفرد العهد وجمع الأمانة.

٥ـ وأمّا تقديمها على العهد؛ فلأهميتها كما رأيت، وحسب ذلك أنْ يكون الشرع كله أمانة، وحسبك من ذلك قوله عليه السلام: " **الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له**" وقوله: **لا إيمان لمن لا أمانة له**".

وجاء في (فتح القدير): "والأمانة أعم من العهد، فكل عهد أمانة".

٦ـ أما اختيار كلمة ﴿رَٰعُونَ﴾ مع الأمانة والعهد دون (الحفظ) الذي استخدم مع الفروج، فله سبب لطيف؛ ذلك أنّ ﴿رَٰعُونَ﴾ اسم فاعل من (رعى) وأصل الرعي حفظ الحيوان وتولي أمره وتفقد شأنه.

جاء في (الكشاف): "والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح، كراعي الغنم وراعي الرعية. ويقال: من راعي هذا الشيء؟ أي: متوليه وصاحبه".

وجاء في (روح المعاني) تفسير (راعون): "قائمون بحفظها وإصلاحها. وأصل الرعي: حفظ الحيوان، إمّا بغذائه الحافظ لحياته أو بذب العدو عنه ثم استعمل في الحفظ مطلقاً".

فالرعي ليس مجرد الحفظ، بل هو الحفظ والإصلاح والعناية بالأمر وتولي شأنه، وتفقد أحواله وما إلى ذلك. وهذا ما يتعلق بالأمانة كثيراً وليس مجرد الحفظ كافياً، فالرعاية أشمل وأعم.

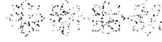
٧ـ ثم إنّ هناك فرقاً آخر بين رعي الأمانة وحفظ الفروج؛ ذلك أنّ الفروج جزء من الإنسان، وهي لا تندّ عنه، أمّا الأمانات فقد تكون في أماكن متعددة، وربما تكون أماكن حفظها نائية عنه، فهي تحتاج إلى تفقد ورعاية كما يحتاج الحيوان إلى حفظه من الذئاب والوحوش الضارية. وقد يصعب على الإنسان المحافظة على الأمانة من العادين واللصوص، فيضطر إلى تخبئتها في أماكن لا ينالها النظر ولا يطولها التفتيش، فكان على المؤتمن أنْ ينظر في حفظها كما ينظر الراعي.

٨ـ ثم إنّ اختيار كلمة ﴿رَٰعُونَ﴾ بالصيغة الاسمية دون الفعلية له سببه، فإنه لم يقل: (يرعون)؛ ذلك ليدل على لزوم ثبات الرعي ودوامه وعدم الإخلال به البتة.

٩ـ وأمّا تقديم الأمانة والعهد على ﴿رَٰعُونَ﴾ فللاهتمام والعناية بأمرهما وللدلالة على أنهما أولى ما يرعى في هذه الحياة.

كما أنّ زيادة اللام تفيد في الاختصاص والتوكيد. وتفيد فائدة أخرى وهي أنّ كلمة (الراعي) قد تكون بمعنى الصاحب، تقول: (من راعي هذه الديار؟) و (من الراعي لهذه الدار؟) أي: من صاحبها ومتولي أمرها؟

فيكون المعنى على هذا: والذين هم أصحاب الأمانات والعهود، أي: هم أهلها ومتولوها، ولو قيل بدل ذلك: (الذين هم يرعون الأمانة والعهود) لم تفد هذه الفائدة الجليلة.





ما دلالة هذه الآية؟

١ـ ختم بالمحافظة على الصلاة، وهي آخر ما يفقد من الدين، كما في الحديث الشريف، فلعلّ الختم بالمحافظة عليها إشارة إلى ذلك، أي أنها خاتمة عرى الإسلام. وإنّ ذكر الصلاة في البدء والخاتمة تعظيم لأمرها أيّما تعظيم.

٢ـ جاء في (**روح المعاني**): "وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها وتقديم الخشوع للاهتمام به، وقد قالوا: صلاة بلا خشوع جسد بلا روح".

فقد بدأ بالخشوع في الصلاة، وكأنه إشارة إلى أول ما يرفع، وختم بالمحافظة عليها إشارة إلى آخر ما يبقى، والله أعلم.

والخشوع غير المحافظة، فالخشوع أمر قلبي متضمن للخشية والتذلل وجمع الهمة والتدبر، وأمر بدني، وهو السكون في الصلاة كما سبق ذكره فهو صفة للمصلي في حال

تأديته لصلاته. وأمّا المحافظة فهي المواظبة عليها، وتأديتها وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها والمشروع من أذكارها وأنْ يوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها، وبما ينبغي أنْ تتم به أوصافها.

وقيل: "المراد: يحافظون عليها بعد فعلها من أنْ يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها". وكل ذلك مراد؛ لأنه من المحافظة عليها.

٣ـ وذكرت الصلاة أولاً بصورة المفرد؛ لِيدل ذلك على أنْ الخشوع مطلوب في جنس الصلاة، ففي كل صلاة ينبغي أنْ يكون الخشوع، أياً كانت الصلاة، فرضاً أو نافلة، فالصلاة ههنا تفيد الجنس.

وذكرت آخراً بصورة الجمع للدلالة على تعددها من صلوات اليوم والليلة إلى صلاة الجمعة والعيدين وصلاة الجنازة، وغيرها من الفرائض والسنن فالمحافظة ينبغي أن تكون على جميع أنواع الصلوات.

جاء في (**الكشاف**): "وقد وحدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة وجمعت آخراً لتفاد المحافظة على أعدادها، وهي: الصلوات الخمس والوتر والسنن الراتبة على كل صلاة، وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف، وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل.

٤ـ واستعمال الجمع مع المحافظة أنسب شيء للدلالة على المحافظة عليها بأجمعها. وقد جيء بالفعل المضارع، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بخلاف ما مر من الصفات للدلالة على التجدد والحدوث؛ لأنّ الصلوات لها مواقيت وأحوال تحدث

وتتجدد فيها فيصلى لكل وقت وحالة فليس فيها من الثبوت ما في الأوصاف التي مرت، فهناك فرق مثلاً بينها وبين قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[المؤمنون:٢]؛ لأنّ الخشوع ينبغي أنْ يكون مستمراً ثابتاً في الصلاة لا ينقطع، فهو صفة ثابتة فيها. وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون:٣] فإنه ينبغي أنْ يكون الإعراض عن اللغو دائماً مستمراً لا ينقطع، وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾[المؤمنون:٥] فإنّ حفظ الفروج ثابت دائم.

٥ـ وأمّا العطف بالواو في كل صفة من هذه الصفات، فللدلالة على الاهتمام بكل صفة على وجه الخصوص، وهذا ما تفيده الواو من عطف الإخبار والصفات.

٦ـ وكذلك ذكر الاسم الموصول مع كل صفة، فإنه يدل على الاهتمام والتوكيد، فإنه لم يقل مثلاً: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون ...الخ)، بل كرّر الموصول مع كل صفة للدلالة على توكيد هذه الصفات، وأهمية كل صفة.

جاء في (**تفسير فتح القدير**): "وكرّر الموصولات للدلالة على أنّ كل وصف من تلك الأوصاف – لجلالته– يستحق أنْ يستقل بموصوف متعدد.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

جاء بضمير الفصل والتعريف في الخبر، للدلالة على القصر، أي: هؤلاء الجامعون لهذه الأوصاف، هم الوارثون الحقيقيون، وليس غيرهم.

جاء في (الكشاف): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ الأحقاء بأنْ يسموا وراثاً دون غيرهم، ثم ترجم الوارثين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر".

ثم انظر إلى تقديم الجار والمجرور على الخبر، في قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ للدلالة على القصر، وتناسب ذلك مع التقديم في الأوصاف السابقة: في صلاتهم خاشعون، للزكاة فاعلون، لفروجهم حافظون، لأماناتهم وعهدهم راعون، فجازاهم من جنس عملهم، فإنّ أولئك الذين قصروا أعمالهم على الخير قصر الله خلودهم في أعلى الجنة، وهو الفردوس، فلا يخرجون عنه إلى ما هو أدنى درجة منه، فكان خلودهم في الفردوس لا في غيره. والفردوس أعلى الجنة وأفضلها ومنه تتفجر أنهار الجنة، كما جاء في الحديث.

السؤال الثاني

مقارنة بين صفات المؤمنين فى سورتى (المؤمنون) والمعارج:

الجواب

إنّ آيات سورة (المؤمنون) في ذكر فلاح المؤمنين وآيات سورة المعارج في ذكر المعافين من الهلع، وقد جعلت كل صفة في موطنها.

انظر الجدول أدناه :

سورة (المؤمنون)	سورة المعارج
قال تعالى فى سورة (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٧) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ	قال تعالى فى سورة (المعارج): ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ

هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ .	﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ .
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ ذكر صفة الإيمان على وجه العموم، المؤمنون بيوم الدين وغيره، فما ذكره في سورة (المؤمنون) أكمل.	﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ ذكر ركناً من أركان الإيمان، وهو التصديق بيوم الدين، وثمة فرق بين الحالين.
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ الخشوع أعم من الدوام؛ ذلك أنه يشمل الدوام على الصلاة وزيادة، فهو روح الصلاة، وهو من أفعال	﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾

القلوب والجوارح من تدبر وخضوع وتذلل وسكون وعدم التفات. والخاشع دائم على صلاته منهمك فيها حتى ينتهي.	
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ اللغوهو كل باطل من كلام وفعل وما توجب المروءة إطراحه، فهذه صفة فضل لم ترد في المعارج.	لم يذكر مثل ذلك.
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ الصيغة أعم وأشمل، فالزكاة تشمل العبادة المالية، كما تشكل طهارة النفس، فهي أعلى مما في المعارج وأكمل، فإنه ذكر في المعارج أنهم يجعلون في أموالهم حقاً للسائل والمحروم. أمّا الزكاة فإنها تشمل أصنافاً ثمانية وليس للسائل والمحروم	﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾

فقط، هذا علاوة على ما فيها من طهارة النفس وتزكيتها كما سبق تقريره.	
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾
لم يذكر ذلك	﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ذلك أنه في سياق المعاناة من الهلع، وقد ذكرنا مناسبة ذلك وعلاقته بالنجاة منه فاقتضى ذلك ذكره وتخصيصه من بين الأمانات.
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ بالجمع. والصلوات أعم من	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بإفراد الصلاة.

الصلاة وأشمل، والمحافظة على الصلوات أعلى من المحافظة على الصلاة؛ لما فيها من التعدد والفرائض والسنن.	
فلمّا كانت الصفات في آيات سورة (المؤمنون) أكمل وأعلى كان جزاؤهم كذلك، فجعل لهم الفردوس، ثم ذكر أنهم خالدون فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾. والفردوس أعلى الجنة وربوتها، وأفضلها، ومنه تتفجر أنهار الجنة. ثم ذكر أنهم فيها خالدون.	﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ ولم يذكر أنهم في الفردوس، ولم يذكر الخلود، فانظر كيف ناسب كل تعبير موطنه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾
لذلك نجد في سورة(المؤمنون) أنّ المؤمنين هم المصدقون بيوم الدين	

وزيادة، وذَكر الخشوع في الصلاة وهو الدوام عليها وزيادة، وذكر فعلهم للزكاة، وهي العبادة المالية وزيادة. ومستحقوها هم: السائل والمحروم وزيادة، وذكر الإعراض عن اللغو وهو زيادة، وذكر الصلوات، وهي الصلاة وزيادة، ثم ذكر الفردوس وهي الجنة وزيادة في الفضل والمرتبة، وذكر الخلود فيها، وهو والإكرام وزيادة. فانظر! ما أجمل هذا التناسب والتناسق! فسبحان الله رب العالمين!	

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ
مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ
أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخلق والجعل؟

الجواب :

هناك فرق بين الجعل والخلق، فالجعل هو أنْ تُغيّر الصيرورة، فتقول: جعلت الماء ثلجاً، أي أنه لم يكن ثلجاً من قبل فصار ثلجاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى﴾ [طه:٢٩-٣٠] فلم يكن هارون وزيراً من قبل فصار وزيراً.

أمّا الخلق فهو مرحلة مستقلة عن غيرها، والخلق هو من مادة بخلاف الإبداع الذي هو من عدم، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر:٢٧] فالنار مخلوقة قبل الجان. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ فإنّ استخدام حرف (من) يفيد أنّ الطين موجود وخلق آدم تم من مادة موجودة، وهي الطين .أمّا قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ فإنه لم يكن في الأرض خليفة فصار فيها.

السؤال الثاني :

لماذا تكررت كلمة ﴿خَلَقْنَا﴾ في آيات سورة (المؤمنون) [١٢-١٤] بينما جاءت كلمة ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ مرة واحدة فقط؟ ومن المقصود في الآيات[١٢-١٥] من سورة (المؤمنون)؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المقصود فيه آدم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ هم بنوه، والمراد: الجنس؛ لأنّ آدم عليه السلام لم يكن نطفة قط.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ فيها ذكر خلقه بعده من النطفة. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة الأبناء والأحفاد والسلالة في قوله تعالى: ﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الرابع :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾؟

الجواب :

القرآن الكريم كتاب تشريع، وليس كتاباً علمياً مقرراً في الجامعات أو المدارس، لكنْ من خلال عرض القرآن لأحكام الدين التي تقوم بها الحياة كان القرآن يمر ببعض

اليقينيات الكونية الكبرى الثابتة التي لا تتغير على مر الزمان مثل الليل والنهار والشمس والقمر والذكر والأنثى والحياة والموت و مراحل خلق الإنسان.

وانظر مثلاً إلى آيات مراحل خلق الإنسان في بداية سورتي الحج والمؤمنون؛ لتدرك الأدلة على وجود الله المبدع القدير العظيم، وأنّى للناس قبل خمسة عشر قرناً أنْ يدركوا تطور هذا الخلق في أصلاب الرجال وأرحام الأمهات؟ !

وأنّى للنبي ﷺ أنْ يعرف هذه الحلقات المتتابعة في خلق الإنسان إلا أنْ يعلمه الله سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠]؟ !!!!

ترى ماذا سيكون جواب الناس لو سئلوا في ذلك الزمان أو حتى قبل مائة عام قبل أنْ يعرف الناس التصوير الإشعاعي والأجهزة الحديثة: أيهما يُخلق أولاً العظام أم اللحم؟

ليس أجمل في التعليق على هذه الآيات من موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سمع هذه الآيات تقرأ عليه لأول مرة، فعندما بلغ النبي ﷺ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون:١٤] هتف عمر بقلب متبصر وذوق بياني متقد قائلاً على البديهة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فقال النبي ﷺ: **هكذا نزلت.**

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في ختام آية (المؤمنون) ١٤ ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ ظاهر اللفظ يوهم أنّ هناك خالقين آخرين، بينما يقول الله في فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣] ؟

الجواب :

المراد بالخلق: التقدير، ويطلق الخلق على التقدير لغة، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] لكنْ عند الإطلاق هو مختص بالله تعالى كالرب يطلق على رب المال والدار وعند الإطلاق يختص بالله تعالى.



﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا جاء في سورة (المؤمنون) آية ١٥ و ١٦ توكيدان في الموت وتوكيد واحد في البعث، مع أنّ الناس يشككون في البعث أكثر، ومع أنه جاء توكيد واحد في آية الزمر ٣٠ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ؟

الجواب :

١ـ جاء التوكيد في الآية ١٥ مع ذكر الموت بـ (إنّ) و(اللام)، أمّا في الآية ١٦ مع ذكر البعث فجاء التوكيد بـ (إنّ) فقط ولم يأت باللام؛ لأنّ هناك قاعدة نحوية، وهي أنّ اللام إذا دخلت على الفعل المضارع أخلصته للحال فلا يصح أن يقال: (لتبعثون)؛ لأنها لن تفيد الاستقبال، بل تخلص الفعل المضارع للحال، وليس هذا هو المقصود في الآية.

٢ـ يوم القيامة استقبال، ولا تصح اللام هنا؛ لأنّ الكلام عن يوم القيامة واللام تخلّصه للحال، ولو أنّ هناك رأياً آخر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل:١٢٤] قال النحاة في هذه الآية: هذا تنزيل المستقبل تنزيل الماضي.

وأمّا في سورة يوسف: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:٣٢] فالنون هي نون التوكيد التي تخلص الفعل للمستقبل، واللام هي لام القسم، وليست لام التوكيد هنا.

٣ـ نعود للسؤال: لماذا أكد الموت بتوكيدين في آية سورة (المؤمنون) وبمرة واحدة في آية سورة الزمر ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر:٣٠] ولم يذكر اللام هنا؟ والسبب أنه ذكر الموت في سورة المؤمنون ١٠ مرات بينما ذكر في سورة الزمر مرتين فقط، وتكررت صور الموت في سورة المؤمنون أكثر منها في سورة الزمر. ففي سورة المؤمنون الكلام أصلاً هوعن خلق الإنسان وتطويره وأحكامه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٣-١٤] .

وهذا أكبر دليل على أنّ إعادته ممكنة، ولا شك أنها أسهل من الخلق والابتداء؛ فلهذا جعل سبحانه وتعالى توكيدين في الخلق وتوكيداً واحداً في البعث؛ لأنّ البعث أهون عليه من الخلق من عدم، وكلاهما هين على الله تعالى.

٤ـ الأمر الآخر أنه لو لاحظنا ما ذكره تعالى في خلق الإنسان لتُوهّم أنّ الإنسان قد يكون مخلّداً في الدنيا، لكنّ الحقيقة أنّ الإنسان سيموت، وكثيراً ما يغفل الإنسان عن الموت وينساق وراء شهواته، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء:١٢٩] فيعمل الإنسان عمل الخلود ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر:١] فأراد تعالى أنّ يُذكّرهم بما غفلوا عنه، كما ورد في الحديث الشريف (**أكثروا من ذكر هادم اللذات**) .

ثم إنّ الآية لم ترد في سياق المنكرين للبعث، فليس من الضرورة تأكيد البعث مثل تأكيد الموت. وقد أكدّ لأطماع الناس في الخلود في الدنيا، وكل المحاولات للخلود في الدنيا ستبوء بالفشل، ومهما حاول الناس الخلود فلا يمكنهم هذا.



﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة العدد (سبعة) الذي تكرر في السورة كثيراً؟

الجواب :

نجد أن العدد (٧) تكرر في هذه السورة كثيراً، فمن ذلك :

١ـ في استهلال السورة ذكر سبحانه سبع صفات للمؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:١-٢].

٢ـ وفي مراحل خلق الإنسان نجده مرّ بسبعة أطوار: **سلالة من طين**، ثم **نطفة ـ علقة ـ مضغة ـ عظام ـ لحم ـ ثم أنشأناه خلقاً آخر** .

٣ـ وفي هذه الآية ذكر سبع سموات، ومعنى (طرائق)؛ أي: مطروقة للملائكة.

٤ـ وبعد أنْ ذكر نعمة الغيث وماء السماء ذكر سبعاً من صفات هذه النعمة وأثرها، وهي :

أـ قوله تعالى: ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: بحساب على قدر الحاجة، ولو كان غير ذلك لأصبح الماء طوفاناً مدمراً.

ب ـ ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نأخذ حاجتنا من ماء المطر والباقي يتسرب إلى باطن الأرض ليصبح مياه جوفية.

ج ـ يذكرنا الله بقدرته على سلب هذه النعمة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾

د ـ إنشاء الجنات، انظر الآية: [١٩ ـ ٢١].

هـ ـ خلق الفواكه وثمار الأشجار للأكل.

و ـ ذكر شجرة الزيتون وبين فوائدها.

ز ـ ذكر نعمة الأنعام وفوائدها.

٥ـ كان الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في الحرم المكي مع بعض المشايخ والعلماء، وكانوا يتناقشون حول العدد سبعة في القرآن وعلاقة ذلك مع العدد (٢٧) الوارد في الحديث أنها ليلة القدر على الأغلب وكيفية التنسيق بين العددين (٧) و (٢٧).

وبعد صلاة العصر وخلال المناقشة جلس إلى جانبهم رجل لا يعرفونه على سمة المجاذيب غير مهتم لنفسه وأنصت إليهم ثم شاركهم الكلام فقال: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**» إذن دعوكم من العشرين يوماً واحسبوا فقط في العشر الأواخر، قال: ثم نظرنا فلم نجده.

والله أعلم .

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٨ - ١٩]، وقال في سورة الزخرف: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٢-٧٣] ذكر (الواو) في الأولى ﴿وَمِنْهَا﴾ وحذف الواو في الثانية ﴿مِّنْهَا﴾، لماذا؟

الجواب :

في سورة (المؤمنون) السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم، فقال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون:١٩] فالفاكهة في الدنيا ليست للأكل فقط، فمنها ما هو للإدخار والبيع والمربّيات والعصائر، فكأنه تعالى يقصد بالآية: ومنها تدّخرون، ومنها تعصرون ومنها تأكلون، وهذا ما يُسمّى عطفاً على محذوف.

أمّا في سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة ،والفاكهة في الجنة كلها للأكل، ولا يُصنع منها أشياء أخرى.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين فواكه وفاكهة؟

الجواب:

١ـ فاكهة: اسم جنس، وهو عام يشمل المفرد والمثنى والجمع، أمّا فواكه فهي جمع، واسم الجنس يكون أعمّ من الجمع. فالحبة الواحدة من الفاكهة يقال عنها: فاكهة، والحبتان يقال عنهما: فاكهة، ولا يقال: فواكه، لكنّ فواكه يقال عنها: فواكه وفاكهة، وكلمة فاكهة تشمل فواكه، لكنّ فواكه لا تشمل فاكهة من حيث اللفظ؛ لأنّ هذا يدل على جمع، والفاكهة تدل على الجمع أيضاً، وتدل على المفرد والمثنى.

٢ـ لو كان عندنا أنواع من الفواكه كالرمان والبرتقال وغيرها نسميها فواكه ونسميها فاكهة أيضاً. لكنْ لو كان عندنا نوع واحد فقط من الفاكهة مثل الرمان أو التفاح نسميه فاكهة ولا نسميه فواكه. إذن فاكهة أعمّ؛ لأنها للمفرد والمثنى والجمع والمتعدد وغير المتعدد والمتنوع وغير المتنوع.

٣ـ لذلك تستعمل الفاكهة في القرآن لما هو أوسع من الفواكه، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾﴾ [الرحمن:١٠-١١] وفي آية أخرى ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٨ - ١٩].

ففي آيات الرحمن ذكر أمرين هما: الأرض ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾﴾ [الرحمن:١٠-١١]، وذكر الفواكه ﴿لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ﴾ [المؤمنون:١٩]

أيها الأكثر: الفواكه في الأرض كلها أي في عموم الأرض أو فقط في البساتين؟ لا شك أنّ الجواب هو في عموم الأرض؛ لأنّ البساتين هي في الأرض ومحدودة؛ لذلك لّما

قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠﴾ [الرحمن:١٠] قال: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ [الرحمن:١١]، ولمّا قال: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [المؤمنون:١٩] قال: ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ [المؤمنون:١٩].

٤ـ إذن الفاكهة اسم جنس والفواكه جمع، واسم الجنس هنا أعمّ من الجمع حتى في الجمع عندما يذكر فاكهة فمعناها أكثر وأعم من فواكه، حتى في الجنة، كما في الصافات، قال: ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ٤٢ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣﴾ [الصافات: ٤٢-٤٣] وفي الواقعة قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ فمع [السابقون] قال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ [الواقعة:٢٠] وتعني الكثير ومن دونهم في المرتبة والدرجة، قال: ﴿فَوَٰكِهُ﴾.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الحديقة والجنة في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠٥.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٤٤.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين عام وسنين؟ وهل كلمة سنين في: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ [التين:٢] مشتقة من سنة؟

الجواب :

١ـ (سنين) ليست كلمة عربية، وهي طور سيناء في مصر. وردت في القرآن باسمين هما: سيناء ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون:٢٠]، ووردت (طور سنين).

ويذكر أهل اللغة المحدثون أنّ هذه فيها لغتان: سيناء وسنين، كما أنّ الرسول ﷺ يسمونه محمداً وأحمد. وهذا من الإعجاز؛ لأنّ القرآن استعملها كما استعملها القدامى سنين وسيناء، لكنها ليست عربية.

٢ـ كلمة (طور) تعني الجبل، وهي في الأصل ليست عربية أيضاً وكلمة طور لم ترد إلا في بني إسرائيل في القرآن الكريم، واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾[الطور:١-٢] وقالوا هو طور سيناء، فهي كلها لبني إسرائيل.

لذلك فإنّ (الطور وسنين) ليستا عربيتين في الأصل، وتسمى اسم علم مثل أسماء كثيرة وأعلام كثيرة، نحو: إبراهيم وإسماعيل.

٣ـ ماذا عن استخدام كلمة (سنين) في القرآن الكريم؟

القرآن استخدم سنة وعام ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت:١٤] وأشهر ما قيل إنّ السنة تستعمل للقحط، والعام للرخاء، وهذا أشهر ما قيل في التفريق بين السنة والعام؛ لذلك في الاية ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] يقولون الخمسون عاماً هي التي ارتاح فيها، والباقي كان في تعب مع قومه.

وكذلك في قوله تعالى :﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف:٤٧] ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف:٤٩] .

الأصل أنّ السنة للأزمة والقحط، والعرب اشتقت منها، فقالت: أسنت الناس أي أصابهم القحط، والسنة بمعنى الأزمة.

٤ـ نأتي للجمع، كلمة (عام) لم تجمع في القرآن، وليس في القرآن أعوام وموجود منها المفرد والمثنى ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤] .

أمّا (السنة) فموجود لها في القرآن المفرد وجمع المذكر السالم فقط وليس جمع المؤنث السالم.

وفي الجمع ما لا يكون موجوداً يكون بمعنى العام؛ لذلك في القرآن الكريم يستعمل (السنين) في الخير والشدة، كما في القرآن ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف:١٣٠] ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف:٤٧] فتصير عامة؛ لأنه ليس هناك جمع أعوام؛ لذلك عندنا فرق بين عام وسنة، لكنْ في الجمع تصير عامة.

٥ـ في الغالب السنة للشدة والقحط، وإذا جمعها (سنين) تصير عامة والعام للرخاء .

وأمّا في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف:٢٥] هنا هو مطلق الزمن.



﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ (٢١)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿بُطُونِهِۦ﴾ في آية سورة النحل ٦٦ و ﴿بُطُونِهَا﴾ في آية سورة (المؤمنون٢١)؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ (٦٦)﴾ [النحل:٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [المؤمنون:٢١].

آية النحل تتحدث عن إسقاء اللبن من بطون الأنعام، واللبن لا يخرج من جميع الأنعام، بل يخرج من قسم من الإناث.

أمّا آية (المؤمنون) فالكلام فيها عن منافع الأنعام من لبن وغيره، وهي منافع عامة تعم جميع الأنعام ذكورها وإناثها صغارها وكبارها، فجاء بضمير القلة، وهو ضمير

الذكور للأنعام التي يستخلص منها اللبن، وهي أقل من عموم الأنعام، وجاء بضمير الكثرة، وهو ضمير الإناث لعموم الأنعام .

وهذا جار وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أنّ المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر، وذلك في مواطن عدة كالضمير واسم الإشارة وغيرها.



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ جاءت مع حرف (الواو) في آية هود ٢٥ وفي آية(المؤمنون ٢٣)، بينما جاءت بغير(واو) في آية الأعراف ٥٩ فما السبب؟

الجواب :

١ـ في الأعراف: كلام مبتدأ لم يتقدمه دعوى نبوة ورد قومه عليه، فجاء بغير واو.

٢ـ في هود: تقدم ما يشعر ذلك في الآية ١٧ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فحَسُنَ العطف عليه بالواو.

٣ـ آية (المؤمنون): تقدم ذكر نعم الله على المكلفين بحملهم على الفلك الذي كان سبباً لوجودهم ونسلهم فعطف عليه بالواو.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة (المؤمنون) قال تعالى عن قصة نوح عليه السلام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [المؤمنون: ٢٣ - ٢٤] وكأنّ الذين كفروا هم القليل؛ لأنّ الملأ هم أقل من القوم، ولكنّ الذين آمنوا به هم القليل. وفي آية أخرى في نفس السورة عن قصة هود عليه السلام على رأي ابن عباس ومعظم المفسرين قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون:٣٣] ما الفرق بين (الملأ من قومه الذين كفروا) و(الملأ الذين كفروا من قومه)؟ ولماذا قدّم الجار والمجرور في قصة هود عليه السلام؟

الجواب :

١ـ نقرأ الآيتين من سورة (المؤمنون): الأولى في قوم نوح ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون:٢٤] وذكربعد ذلك قوماً آخرين لم يذكر من هم ولكن على رأي ابن عباس ومعظم المفسرين أنهم قوم هود عليه السلام ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المؤمنون:٣٣]، ففي الآية الأولى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المؤمنون:٢٤] من القائل؟ ومن الذين كفروا؟

٢ـ الملأ هم أشراف القوم. ونستنتج من الآية الأولى أنّ هنالك من قومه مَن ليسوا من الذين كفروا. أي هؤلاء الذين قالوا هم الملأ الذين كفروا، وقد يكون هناك ملأ لم يكفروا؛ لذا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هو وصف للملأ، وليس وصفاً للقوم، وجملة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تعرب صفة للملأ. إذن الكفر صفة للملأ.

٣ـ الآية الثانية ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المؤمنون:٣٣] يحتمل أنّ الذين كفروا صفة للقوم.

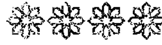
أي أنه في الآية الأولى (الذين كفروا) قطعاً صفة للملأ، وفي الآية الثانية تحتمل أنْ تكون صفة للقوم. إذن الآية الثانية أوسع وأشمل كفراً من الأولى .

٤ـ وليس هذا فقط، وإنما ذكرفي الآية الثانية صفات أخرى لم يذكرها في قوم نوح ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون:٣٣]. إذن في الآية الثانية ذكْرُ الكفر أعم والصفات أشد.

٥ـ وبناء على هذا، لمّا ذكر العقوبة ذكر ناجين في قوم نوح، بينما لم يذكر ناجين في القوم الآخرين، فقد قال في قوم نوح ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون:٢٧] إذن هناك ناجون.

أمّا في الآية الأخرى فليس هناك ناجون ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المؤمنون:٤٠-٤١] .

٦ـ فلمّا ذكر في الآية الأولى قوم نوح ذكر ناجين، وأمّا في الآية الثانية فلم يذكر ناجين، وهذا مناسب مع العموم الذي وصف به القوم من الكفر فلمّا وصف الكفر على العموم للقوم صار الهلاك على العموم للقوم، ولم يذكر ناجين، ولمّا ذكر قسماً من الكفر ذكر ناجين، فكان كل تذييل مناسباً لما ورد في الآية.



﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التربص والانتظار والترجي؟

الجواب:

١ـ التربص: هو طول الانتظار لقصير المدة وطويلها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ [المؤمنون:٢٥] وأصله من الربصة وهي التلبث.

ويسمى التاجر المتربص بالطعام بالمحتكر؛ لأنه يطيل الانتظار لزيادة الربح.

٢ـ الانتظار: هو طلب ما يُقدّر أنْ يقع، و يكون مقروناً بما يقع فيه النظر. وأمّا الإمهال فهو مبهم.

٣ـ الترجي :هو انتظار الخير خاصة، ولا يكون إلا مع الشك.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (اسلك) و(احمل) في الآيات ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [المؤمنون:٢٧] ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود:٤٠]؟

الجواب :

١ـ الفعل (اسلك) معناه: أدخِل ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القصص:٣٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدَّثر:٤٢] أمّا الفعل (احمل) فمن الحِمل المعروف.

٢ـ الدلالة مختلفة، ونسأل هل طبيعة (اسلك) في نفس وقت (احمل)؟ أيهما الأسبق: (أُسلُك) أو(احمل)؟

الآن ننظر في قصة نوح نفسها متى قال: أُسلك؟ ومتى قال: احمل؟

أ ـ في آية هود قال فيها: احمل ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٣٨ - ٣٩ - ٤٠] هنا في الآية صنع الفلك. وجاء الأمر: (احمل).

ب ـ في آية (المؤمنون) ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٢٧] هنا في الآية قال (أُسلك) قبل الحمل ؛لأنّ الصنع لم يحدث بعد.

٣ـ عندنا حالتان: حالة قالها قبل الفعل وحالة قالها بعد الفعل. فمع الأمر بصنع السفينة قال: احمل، وقبل الأمر قال: أُسلُك.

والقدامى قالوا: السياق من أهم القرائن الدالّة على المعنى؛ لذلك عندما نسمع:(أُسلُك) يجب أن نفهم أنْ الأمر لم يصدر بعد، وعندما نسمع: (احمل) يكون الأمر قد صدر.

السؤال الثاني :

كلمة (اثنين) ترد أحياناً مع زوجين ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [المؤمنون:٢٧] وأحياناً لا ترد ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات:٤٩] فما اللمسة البيانية في ورودها وعدم ورودها؟

الجواب :

لفظة (اثنين) معناه (ذكر وأنثى)، كما في الآيات: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [هود:٤٠] ذكر وأنثى، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [الرعد:٣] تأنيث وتذكير، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النجم:٤٥] ذكر وأنثى، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القيامة:٣٩].

أمّا في آية الذاريات: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩] هذا ليس مقصوداً فيه الذكر والأنثى، وإنما عموم المتضادات والمتقابلات، مثل البروتون والإلكترون، وهذان زوجان.

والزوج هو الواحد في الأصل ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء:٩٠]، ويطلق على الذكر والأنثى، فالرجل زوج، والمرأة زوج، وهذه أفصح اللغات، أمّا (زوجة) فهذه لغة ضعيفة لكنّ اللغة الفصحى هي زوج للذكر والأنثى، والاثنان زوجان.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ في قوله تعالى في سورة هود ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود:٤٠] مع المقارنة مع آية (المؤمنون ٢٧)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٤٠.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين أعين وعيون في الاستعمال القرآني؟

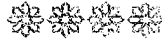
الجواب:

١ـ حيثما وردت (أعين) في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في (٢٢) موضعاً، منها:

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في (١٨) موضعاً، منها :[الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة (عيون) في القرآن الكريم في (١٠) مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١﴾ [المرسلات: ٤١].



﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ۝٣٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الابتلاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ۝٣٠﴾؟

الجواب:

يقول الله تعالى في الحديث القدسي :

(وعزتي وجلالي لا أُخرج عبدي من الدنيا وقد أردتُ به الخير حتى أوفيه ما عمله من السيئات من مرضٍ في جسمه وخسارةٍ في ماله وفقدٍ في ولده فإذا بقيت عليه سيئة ثقّلتُ عليه سكرات الموت حتى يأتيني كيوم ولدته أمه.

وعزتي وجلالي لا أُخرج عبدي من الدنيا وقد أردتُ به الشر حتى أوفيه ما عمله من الحسنات صحة في جسمه وبركة في ماله وولده فإذا بقيت له حسنة خففت عليه سكرات الموت حتى يأتيني وليست له حسنة) .

لذلك فالابتلاء كما يكون انتقاماً من الكفرة والظلمة يكون كذلك تربيباً للنفع وتمحيصاً للإيمان وإرادة للثواب.

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) ﴾

السؤال الأول:

لماذا عُدّي الفعل (أرسل) في هذه الآية بالحرف ﴿فِيهِمْ﴾ ولم يُعدّ بـ(إلى) كما في آيات أخرى؟

الجواب :

عُدّي الفعل (أرسل) في القرآن بـ(إلى) تارة وبـ(في) تارة أخرى، كما في قوله تعالى :

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾[الرعد:٣٠] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾[الأعراف:٩٤] ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾[المؤمنون:٣٢] .

والسبب أنه في هذه الآيات جُعلت الأمة أو القرية موضعاً للإرسال فصارت بمعنى (بعثنا). والله أعلم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[المؤمنون:٣٣] ما الفرق بين الإنس والإنسان والناس والأنام والبرية والورى والبشر؟

الجواب :

الإنس :

الإنسي مخالفة الوحشي. والأُنس خلاف الوحشة .

ولفظ (الإنس) يأتي مقابل (الجن)، وورد في (١٨) **موضعاً** .

الإنسان :

لفظ (الإنسان) من الإنسانية التي فيها ارتقاء إلى أهلية التكليف وحمل أمانة الإنسان وما يلابس ذلك من تعرض للابتلاء والخير. والإنسية نقيض التوحش. وقد جاء لفظ الإنسان في القرآن في خمسة وستين موضعاً.

الناس :

هم من الإنس خاصة. وهم جماعة لا واحد لها من لفظها وأصلها: أناس. وتقع لفظة الناس على الأحياء والأموات.

الورى :

هم الناس الأحياء. ويُقال: الناس ماضون، ولا يقال: الورى ماضون .

لأنّ الورى أصله من ورى الزند إذا أظهر النار.

الأنام :

هو تعظيم شأن المسمى من الناس.

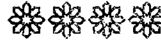
البرية :

البرية هي تميز الصورة. فالله سبحانه برأ الخلق أي ميّز صورهم. وتركت الهمزة لكثرة الاستعمال .

البشر :

البشر يقتضي حسن الهيئة، وهو مشتق من البَشَارة، وهي حسن الهيئة. والبشر يقتضي الظهور؛ لأنّ البشر سموا بشراً لظهور جلدهم أي بشرتهم.

بينما باقي الحيوانات غطي بالصوف أو الوبر أو غيره.



﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين مِتُّم ومُتُّم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٧ .

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال التعبيرين ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ٤٩ .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال بين (إنْ) و (ما)؟ كما في آيات [المؤمنون ٣٧ والجاثية ٢٤]؟

الجواب:

القاعدة اللغويـــة :

يستعمل القرآن [إنْ] لما هو آكد من استعماله لـ (ما).

آيات المؤمنون ٣٣ـ٣٨ :

ـ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

آية الجاثية ٢٤ :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

البيان:

قال في آية الجاثية: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الجاثية:٢٤] وقال في آية المؤمنون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ وواضح أنّ التكذيب في الآية الثانية أشد وأقوى من وجوه عدة:

١ ـ في آية الجاثية أسند التكذيب والإنكار إلى ضمير الكفرة، فقال: ﴿وَقَالُواْ﴾ وأمّا في آية المؤمنون فقد أسنده إلى الكفرة صراحة مضيفاً عليهم صفات تزيد في تكذيبهم وإنكارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون:٣٣] فهذه صفات تزيد في قوة التكذيب.

بخلاف آية الجاثية التي قال فيها: ﴿وَقَالُواْ﴾.

٢ ـ تفاصيل آيات (المؤمنون):

أ ـ المجادلة في صدق الرسل ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المؤمنون:٣٣].

ب ـ السخرية من الوعد بالحياة الأخرى ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون:٣٥].

ج ـ الاستبعاد المؤكد في قولهم ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون:٣٦].

د ـ ثم ختموا تكذيبهم وإنكارهم بقولهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون:٣٨].

فكان طبيعياً أنْ يكون إنكارهم أشد وآكد مما في آية الجاثية؛ ولذا جاء في آية المؤمنون [بإنْ وإلا]، وهو المناسب للسياق بخلاف الآية الأخرى في الجاثية، فإنه جاء [بما وإلا]؛ لأنه أقل توكيداً .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟

الجواب :

المعرفة: ما دلّ على شيء معين. الكذب يقصد شيئاً معيناً بأمر معين ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يونس:٦٩] ففي الآية يوجد أمر في السياق يقصده فذكر الكذب بالتعريف، فعندما يقول: (الكذب) فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق.

أمّا عندما يقول: كذب فيشمل كل كذب وليس الكذب في مسألة معينة ،مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يونس:١٦-١٧] فلم يذكر مسألة معينة حصل كذب فيها ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٣٨] إذن التنكير في اللغة يفيد العموم والشمول.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية (المؤمنون) ٤١: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ معرفاً وقال بعده في الآية ٤٤: ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ منكّراً، فلماذا؟

الجواب :

١ـ عرّف (القوم) في الآية ٤١؛ لأنها في قوم معينين، وهم قوم صالح عليه السلام، فعرّفهم بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾، وكما قال تعالى عنهم في سورة هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود:٦٥-٦٦-٦٧].

وأول قرن بعد نوح عليه السلام هم قوم هود، والقرن الأول معروف وهم قوم هود؛ لقوله تعالى في آية المؤمنون ٣١: ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾.

٢ـ وأمّا الآية الثانية ٤٢ فلم تكن في قوم معينين، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ في الآية ٤٢؛ لأنهم غير معروفين بأعيانهم فجاء بلفظ التنكير بقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾؛ لأنّ عدم الإيمان هو الصفة العامة لجميعهم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿فَبُعْدًا﴾ ما الكلمات الشبيهة في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي:

تعِس ـ تعساً:

التعس هو السقوط على الوجه والأنف، ويحدث عندما يُلقى الإنسان من علو شاهق فينزل على وجهه وأنفه.

نكس :

هو السقوط على الرأس.

السُّحق:

هوالذي يتفتت حتى يصير مسحوقاً. والسحيق هو الوادي العميق الذي يُسحق ما يقع فيه.

تباً :

أي خسر خسارة. ليس فيها ربح ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [الإسراء ٧ـ الفرقان ٣٩].

بُعداً :

ضد القرب، وبعداً بمعنى: هلاكاً لا مجال للنجاة فيه ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤١﴾ .

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ على ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ في آية سورة الحجر ٥ و(المؤمنون) ٤٣؟ بينما قدّم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ على ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ في آية الأعراف ٣٤؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الحجر: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [الحِجر:٥]، وقال في سورة (المؤمنون): ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المؤمنون:٤٣] بتقديم ﴿مَا تَسْبِقُ﴾ على ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

أمّا في سورة الأعراف فقد جاءت الآية بقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤] بتقديم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ على ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

بشكل عام إذا لاحظنا الآيات في القرآن نجد أنّ تقديم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ على ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المؤمنون:٤٣] لم يأت إلا في مقام الإهلاك والعقوبة.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين البعث والإرسال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١١١.

السؤال الثاني :

هل كلمة (تترا) اسم بمعنى: متتالية، أم فعل بمعنى: تتوالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون:٤٤]؟

الجواب :

تترا: اسم ممنوع من الصرف أصله من وَتَر، وأصل التاء الأولى واواً (وترا)، ومعنى (تتراً)؛ أي متواترين، وكثيراً ما تقلب الواو تاء في اللغة مثل (تجاهك) فأصلها وجاهك، (تُخَمة) أصلها وُخَمة، (تُهمة) أصلها وُهَمة من التوهّم، (تراث) من وَرِث.

السؤال الثالث :

ما إعراب تترا؟

الجواب :

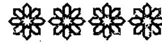
حال منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة .

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة التتابع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٩٢.



﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الظلم والاستكبار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.



﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية في استخدام لفظة (إنّا رسول، إنّا رسولا إني رسول) في قصة موسى وهارون؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٤٧.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما استخدامات كلمة (آية) في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة (آية) وردت في القرآن الكريم لخمسة معانٍ، وهي:

١ ـ البناء العالي: الشعراء ١٢٨

٢ ـ عبرة و موعظة: يونس ٩٢

٣ ـ جملة من القرآن: النحل ١٠١

٤ ـ علامة واضحة: البقرة ١١٨

٥ ـ المعجزة: المؤمنون ٤٩

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في ذكر الصيغ المختلفة للمسيح عليه السلام المسيح/ عيسى/ ابن مريم ـ في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٤٦.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى في الأنبياء٩٢: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ ﴾ [الأنبياء:٩٢-٩٣] وقوله في سورة(المؤمنون): ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ ﴾ [المؤمنون:٥٢-٥٣] ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٩٢.



﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الحرف (في) في الآية؟ وما الفرق في الاستعمال بين (في) و (على)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ١١٠.



﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخوف والخشية والوجل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ٢١.

السؤال الثاني :

لماذا هم وجلون طالما أعطوا الآخرين ومدوا لهم أيديهم؟

الجواب :

العبرة ليست بمجرد العمل، إنما العبرة بقبول العمل، والعمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله لا يخالطه رياء ولا سمعة .

لذلك يحرص المؤمن خلال أداء الصدقة السرية، بحيث لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ومع ذلك يخاف عدم القبول، وهذا من علامات الإيمان.

وفي الحديث القدسي: **الإخلاص سرٌ من أسراري أودعته قلبَ من أحببته من عبادي، لا يطلع عليه ملكٌ فيكتبه ولا شيطان فيفسده .**



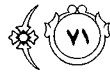
﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في آية النساء ٨٢ ومحمد ٢٤ ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾، بينما جاء في آية (المؤمنون) ﴿يَدَّبَّرُوا۟﴾، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٨٢.

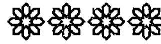
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ  ﴾

السؤال الأول :

ما وجه الفساد باتباع الحق أهواءهم؟

الجواب :

أي لو كان الحق كما يقولون من تعدد الآلهة لفسدت السماوات والأرض وهو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢] .



﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ  ﴾

السؤال الأول :

ما الخرج والخراج؟

الجواب :

١ـ الخرج: ما يخرج منك طواعية.

٢ـ الخراج: هو ما يخرج منك رغماً عنك. فالخراج أبلغ من الخرج. والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

والمعنى العام: هو خطاب للرسول عليه السلام، ومعناه: إنْ كنت تريد خرجاً فلا تأخذه من أيديهم، إنما خذه من ربك، فما عندهم ليس خرجاً، بل ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ [المؤمنون:٧٢] .

٣ـ أضاف الخراج إلى الربوبية التي تفيد الرعاية والتربية، فما دام الخراجُ خراج ربك فهو خراج كثير وعطاء لا ينفد.



﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في قول "فتح الله لك" وليس "فتح الله عليك"؟

الجواب :

يقال: فتح لك وفتح عليك. لكنْ (فتح عليك) يكون من فوق، وقد يكون في الخير والشر،كما في الآيات : ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ ﴾[الحِجر:١٤] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾ [المؤمنون:٧٧] ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦ ﴾[البقرة:٧٦] .



﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الاختلاف والتفاوت؟

الجواب :

١ـ التفاوت كله مذموم؛ ولهذا نفاه الله تعالى عن فعله، فقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [المُلك:٣] .

٢ـ أمّا الاختلاف فمنه ما ليس بمذموم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [المؤمنون:٨٠]؛ لأنّ هذا النوع من الاختلاف يكون على سَنن واحد، وهو دال على علم فاعله.

أمّا التفاوت فهو الاختلاف الواقع على غير سنن، وهو دال على جهل فاعله. والله أعلم.



﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢)﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿مِتُّمْ﴾ بكسر الميم و﴿مُتُّمْ﴾ بضم الميم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٨.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال التعبيرين ـ ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ / ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء٤٩.

﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب تقديم وتأخير لفظة (هذا) في سورة المؤمنون ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ ﴾ [المؤمنون:٨٣] وسورة النمل ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ ﴾ [النمل:٦٨]؟

الجواب:

١ـ عندنا صورتان للجملة العربية: صورة المبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه وما بعده.

٢ـ فيما يتعلق بالفعل ومرفوعه يأتي الفعل ثم الفاعل، أو الفعل ثم نائب الفاعل، ثم يأتي المفعول به أو المفعولات، وهكذا يأتي النظام.

٣ـ عندما تدخل إحدى النواسخ (كان وأخواتها) على المبتدأ والخبر فإن النظام يقتضي أنّ تأخذ (كان) اسمها أولاً؛ لأنّ أصله مبتدأ ثم تأخذ الخبر ثم يأتي بعد ذلك ما يأتي من المعطوفات أو المفعولات، هكذا هو النظام. نقول: كان زيدٌ ناجحاً وعمرو، نذكره بعد ذلك، وهذا هو الأصل.

٤ـ يمكن أحياناً أنْ نغيّر النظام؛ لأنّ العربية لغة مُعربة فيجوز فيها تغيير النظام، فبدل أنْ نقول: (كتب زيد رسالة) حسب النظام، يمكن أنْ نقول: (كتب رسالةً زيدٌ). وهذا التقديم طبعاً له غرض بلاغي.

٥ـ عندما ننظر في الآيتين في موضوع السؤال:

أ ـ الآية الأولى في سورة (المؤمنون) ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾ [المؤمنون: ٨٢ - ٨٣] ﴿وَكُنَّا﴾ كان مع اسمها، مثل: كان زيد، ﴿تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ مثل (كان زيد مجتهداً وكريماً) معطوف على الخبر مباشرة حسب نظام الجملة. وفي الآية ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ [المؤمنون:٨٣] جاء المفعول به متأخراً وفق النظام، وعندما يكون وفق النظام لا يُسأل عنه. وأنت لا تسأل عن (كتب زيد رسالة) لا تسأل لِمَ أخّر رسالة؟ النظام هكذا.

ب ـ لكن السؤال في آية سورة النمل: لِمَ غيّر النظام ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ [النمل:٦٨]؟

لاحظ الآية ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾ [النمل:٦٧] النظام في غير القرآن أنْ يقول: (أإذا كنا نحن وآباؤنا تراباً)، وهنا في الآية غيّر النظام فقال: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل:٦٧] فقدّم المنصوب وجعله فاصلاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وكما قدّم المنصوب قدّم ﴿هَٰذَا﴾ ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ [النمل:٦٨] حتى يكون هناك نوع من التناسق، أضف هذا إلى أن التقديم يكون لما هو أهم عند المرسل والمستقبل.

٦ـ من ناحية أخرى تقدّم في آية النمل٦٧ قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾ [النمل:٦٧] وهنا أدخل عندهم شبهة تبعيد البعث، فالبلى في هذه الحالة أكثر وأشد؛ وذلك أنهم أصبحوا تراباً مع آبائهم.

بينما تقدّم في آية (المؤمنون) ٨٢ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون:٨٢] هنا البلى أقل؛ وذلك أنهم تراب وعظام، ولم يذكر ما أصاب آباءهم من البلى .

ولذا قدّم ﴿هَٰذَا﴾ في آية النمل؛ لأنه أدعى إلى العجب والتبعيد .

السؤال الثاني:

قدّم ﴿نَحْنُ﴾ في (المؤمنون ٨٢) وأخّره في النمل٦٨، فما السبب؟

الجواب :

١ـ في آية (المؤمنون): لمّا تقدم ذكر آبائهم في الآية ٨١ بقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ وهو آباؤهم ناسب ذلك تقديم المؤكد، وهو ﴿نَحْنُ﴾ ليعطف عليه الآباء المقدم ذكرهم، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعاً وهو ﴿هَٰذَا﴾.

٢ـ في آية النمل: لم يذكر فيها (الأولون)، بل قال في الآية ٦٧: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، فناسب تقديم المفعول الموعود، ثم ذكر المؤكد ليعطف عليه.

أي أنّ تقديم من تقدم ذكره أنسب وأهم، وتقديم المفعول الموعود وتأخير من لم يذكر أهم وأنسب.

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ
قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿لِلَّهِ ۚ﴾ بدل (الله) في آية (المؤمنون ٨٧)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٦ .

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في اختلاف الفاصلة في هذه الآيات؟

الجواب :

عند النظر في الآيات يتبين السبب.

١ـ في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون:٨٤]
السؤال عن الأرض ومن فيها.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون:٨٦]
السموات والعرش أكبر من الأرض.

أ ـ ففي الأولى قال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون:٨٤]، وفي الثانية قال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون:٨٥] لأنّ هذا السؤال يكفيه النظر والتذكر.

ب ـ الأولى فيها تذكروالتذكر أيسر، ويكفي النظر للأرض وما فيها ليتذكروا ويتوبوا إلى ربهم، فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون:٨٥].

وأمّا الثانية ففيها تهديد ووعيد ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون:٨٦]، فلمّا كبر الأمر واتسع وهم علموا بذلك وأقام عليهم الحجة قال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون:٨٧] أي :(هذا رب السموات والأرض ويملك أموركم أفلا تتقون؟ فصار الأمر أشد.

إذن لّما كانت الثانية أشد كانت الخاتمة أشد، فقال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون:٨٧].

٢ـ وفي الآية: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون:٨٨] هذه أكبر فختمها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون:٨٩] يعني: كيف تخدعون وتصرفون؟ وأين تذهبون منه؟ أين تفرون ممن بيده ملكوت كل شيء وهويجير ولا يجار عليه؟ هل عقولكم مخدوعة إلى هذا الأمر؟ فكيف تُخدعون؟ إذن كل واحدة تناسب السؤال الذي قبلها.

٣ـ فالله تعالى في الآية الأولى يذكّرهم ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون:٨٤]، وفي الآية الثانية تهديد كبيرلهم ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون:٨٦]، وفي الآية الثالثة ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

﴿عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ [المؤمنون:٨٨] كيف تخدعون عقولكم؟ وأين تذهبون؟ وكيف تفرون منه؟

٤ـ هل هذه الصيغ أسئلة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾ [المؤمنون:٨٥] ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧﴾ [المؤمنون:٨٧]، ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون:٨٩] ؟

والجواب :

ليست استفهاماً حقيقياً، وإنما خروج للعبرة والاتعاظ، وفيها تهديد وتحذير وتخويف، وفيها تعجيب من حالتهم.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٧٥.

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ في آية (المومنون)٩١) و ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ في آية الإسراء ١١١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١١١.

السؤال الثاني :

ما حكم كتابة كلمة (إذن) و ﴿إِذًا﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ يقول النحاة :

(إذن): حرف جواب وجزاء أي شرط، كأنْ تقول: سأزورك. فيأتي الجواب: إذن أُكرِمك. فالإكرام يكون مشروطاً بالزيارة .

وقد تكون (إذن) حرف جواب، كأنْ تقول: قال أحبك، فيرد: إذن أنت صادق.

(إذا): حرف شرط.

﴿إِذًا﴾ في آية (المؤمنون ٩١) هي جواب للشرط، وكذلك ﴿إِذًا﴾ في آية الشعراء ٤٢ فهي شرط الغلبة؛ أي أنّ الأجر سيكون لهم إذا غلبوا موسى بسحرهم.

٢ ـ إذن ـ و ـ إذا ـ تكتب بأي طريقة، و في المصحف كتبتا بـ :

أ ـ بالألف مطلقاً؛ لأنه يوقف عليها بالألف ـ إذا ـ وليس بالتنوين ـ إذاً .

ب ـ لم ترسم في المصحف بالنون أبداً .

ج ـ تكتب بالنون دائما فيما عدا المصحف.

د ـ لنا أن نكتبها خارج القرآن كما نشاء بالألف أو النون.



﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ
بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى :

يـــــامن تُضــــايقه الفِعـــــالُ مـــــن التــــي ومـــن الـــــذي

ادفــــع فـــديتُك بالتـــــــي حتـــى تـــرى فـــإذا الـــــذي

وهو رحمه الله يعني :

ـ ﴿بِٱلَّتِي﴾ (ادفع بالتي هي أحسن السيئة).

ـ ﴿بِٱلَّذِي﴾ (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

والمعنى: إنْ أردت الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فاعمل وادفع بالتي هي أحسن.

السؤال الثاني :

كرر الاستعاذة في آيات (المؤمنون٩٦ـ٩٨) دون سورة الفلق، مع أنّ تكرار الاستعاذة يفيد التوكيد، فلماذا؟

الجواب :

١ـ أمر الله تعالى في آيات [المؤمنون ٩٦ـ ٩٨] أنْ يدفع السيئة بالتي هي أحسن، وهذا أمر يشق على النفس الإنسانية؛ إذ الأصل أنْ يدفع السيئة بمثلها، كما قال تعالى:

ـ ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى:٤٠] .

ـ ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [البقرة:١٩٤].

فإذا عفا عن ذلك كان أجمل وأشق على النفس .

أمّا مقابلة السيئة بالإحسان فهذا شاق جداً على النفس، وهو فعلاً أشق شيءعلى النفس وأشد أيضاً على الشيطان؛ لأنّ الشياطين تحاول أنْ تهمزه وتدفعه إلى العدوان وإلى الرد بالمثل على الأقل طلباً للكرامة والثأر للنفس.

وليس في سورة الفلق مثل هذا.

٢ـ أنه أمره أن يستعيذ من همزات الشياطين ونزغاتهم ووساوسهم والهمز في الأصل حديدة يهمز بها رائض الدابة ليحثها على المشي، وكأنّ الشيطان يهمز الإنسان ويدفعه ويحثه على المعصية، كما يفعل الرائض مع الدابة.

ولذلك استعاذ من همزات الشياطين واستعاذ من حضورهم في كل حال من الأحوال؛ لأنّ الشيطان كله شر، حضوره وهُمُزه، كما قال تعالى:

- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠٠].
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل:٩٨].
- ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فاطر:٦].

ولذلك كرّر الاستعاذة في آيات (المؤمنون) دون سورة الفلق. والله أعلم.



﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفعل ﴿جَآءَ﴾ في الآية؟

الجواب:

(جاء) فيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، وقد استعمل في القرآن بهذه الصيغة.

في سورة (المؤمنون) قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون:٩٩]، قد يقول قائل: هو يتكلم، وما أدركه الموت، كلا. الكافر يقول: رب ارجعون بعد قبض روحه، وهو يريد أنْ يرجع إلى الدنيا بعد مفارقة الحياة؛ ولذلك فإنّ معنى الآية ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩]؛ أي اقترب منه الموت وناله وفارقته الروح، وعند ذلك عندما يرى ما يرى من هول الحساب يبدأ يقول: رب ارجعون. وطلب الرجوع إنما يكون لمن فارق الحياة، وليس لمن هو في هذه الدنيا.

وهناك موضعان في القرآن ورد فيهما الفعل (جاء) بمعنى مفارقة الروح والموضعان هما في آية (المؤمنون) ٩٩ وفي آية الأنعام :﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام:٦١] ومجيء الموت هنا معناه وصول عمر الحيّ إلى نهايته، فكأن الموت يخبر بهذه النهاية، وتقدير الكلام: إذا جاء قضاء الموت على الحيّ توفت روحه الملائكةُ؛ أي أخذتها وافية غير منقوصة.



﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول :

كيف الجمع بين معاني آيات[المؤمنون ١٠١ـ الصافات ٢٧ـ عبس ٣٤]؟

الجواب :

١ـ معنى آية (المؤمنون): أي لا أنساب بينهم تنفع، كما كانت تنفع في الدنيا.

٢ـ في القيامة مواطن، ففي بعضها لا يتساءلون لاشتغال كل منهم بنفسه وفي بعضها يتساءلون.

﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ ﴾

السؤال الأول :

ما الكلمات التي تدخل في أعمال النار يوم القيامة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٣٥.



﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حذف النون أحياناً، مثل: ﴿تَكُ﴾، كما في آيات [النساء ٤٠ـ لقمان ١٦ـ غافر ٥٠ـ القيامة ٣٧] وعدم حذفها: ﴿تَكُنۡ﴾ كما في آية (المؤمنون ١٠٥)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٤٠.



﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٥١] و ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف:١٥٥] و ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ

عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [المؤمنون:١٠٩]، ما الفرق بين الخواتيم؟

الجواب:

الرحمة موجودة في الحالتين، في الأولى قال: أرحم الراحمين، وفي الثانية: خير الغافرين، وفي آية جعل خاتمة الآية رحمة وجعل في الثانية مغفرة، فإذا ذكر ذنباً عقّب بالمغفرة، وإذا لم يذكر ذنباً عقّب بالرحمة.

أ ـ في الآية الأولى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٥١]، هذا قول موسى عليه السلام ولم يذكر لهما ذنباً فقال: وأنت أرحم الراحمين.

ب ـ بينما في الآية ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٥] فعندما ذكر ذنباً قال: ﴿ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

ج ـ وفي آية (المؤمنون): ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١٠٩] لم يذكر ذنباً، فقال ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

إذن عموماً هذا خط عام في ذكر هاتين الفاصلتين، إذا ذكر ذنباً ذكر (الغافرين)، وإذا لم يذكر قال: (الراحمين).

﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين هذه الكلمات <u>سِخرياً وسُخرياً</u>؟

الجواب :

(سِخرياً) بكسر السين هي من الاستهزاء والسُخرية، أمّا (سُخرياً) بضم السين، فهي من باب الاستغلال والتسخير.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الإنساء والنسيان؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٦.



﴿ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الزمن في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٠.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؟ وما إعرابها؟

الجواب:

هذه الجملة: ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ هي صفة، وقد تكون جملة معترضة.

والصفة في اللغة لها أغراض، ومن جملتها التوكيد، مثل: كل أمسٍ دابر، و ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة:١٣] هي نفخة واحدة، و ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل:٥١]، فالصفة قد تفيد التوكيد، أي مؤكدة ولا تؤسس معنى جديداً، وإنما تؤكد مضمون ما قبلها. إذن هذه الصفة بموجب هذا الإعراب ستؤكد أنّ مضمون ما قبلها صفة لازمة ثابتة تفيد التوكيد.

وقسم آخر يقول: هي جملة اعتراضية ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون:١١٧] فالداعي ليس له برهان فيؤكد المعنى الآخر الأساسي. وفي الحالتين سواء جعلناها مؤكدة أو اعتراضية فهي مؤكدة للمعنى الأول وليست مؤسسة، وهو أنه لا إله آخر مع الله.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾؟

الجواب:

بدأت سورة (المؤمنون) بقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ وانتهت بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾.

لذا وجب الالتزام بمنهج الله في (افعل) و(لا تفعل)؛ حتى يفلح أهل الإيمان والطاعة، وإنْ غلبتكم النفس على شيء من الذنوب فتذكروا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾.



رابعاً - تناسب مفتتح سورة المؤمنون مع خواتيمها

١ - قال في أول السورة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون:١].

وقال في آخرها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون:١١٧].

فانظر التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها.

٢ - وقال في أوائلها: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون:١٢]. إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون:١٦].

وقال في أواخرها: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون:١١٥].

فذكر خلقهم في البدء والختام.

وذكر بعثهم في أول السورة وآخرها.

فقال في أول السورة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون:١٦].

وقال في أواخرها: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون:١١٥].

فالمناسبة ظاهرة كما هو واضح.



سورة النور

أولاً ـ تناسب خواتيم المؤمنون مع فواتح النور:

١ ـ ذكر سبحانه في أواخر سورة المؤمنون عذاب الظالمين الكافرين في الآخرة: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥)﴾ [المؤمنون: ١٠٤ - ١٠٥].

وفي أول سورة النور ذكر عذاب من استحق العذاب من المسلمين في الدنيا والآخرة وهو الزاني والزانية وعقاب القذف والإفك، فقال: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)﴾ [النور: ١١].

٢ ـ قال في أواخر المؤمنون:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾ [المؤمنون: ١١٦ - ١١٧].

وقال في أول سورة النور:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ﴾ [النور: ١-٢].

والذي أنزل السورة وفرضها هو رب العرش الكريم.

والذي ينزل الأحكام ويفرضها إنما هو الملك الحق.

والذي يفرض الأحكام ويحدد العقوبات ويأمر بإقامة الحدود إنما هو الملك الحق.

ثم إنّ أول سورة النور مرتبط بأول سورة (المؤمنون)، فقد قال في أول سورة (المؤمنون): ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٦ – ٧].

وقد ذكر في أول سورة النور من لم يحفظ ذلك وعقوبته.

فكان التناسب بين السورتين في المبدأ والختام.

جاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها بسورة المؤمنين أنه سبحانه لمّا قال فيها: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ [المؤمنون:٥]. ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنا، والاستئذان الذي جعل من أجل النظر. وأمر فيها بالإنكاح حفظاً للفرج وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف ونهى عن إكراه الفتيات على الزنى))

ثانياً- هدف السورة: شرع الله هو نور المجتمع:

سورة النور سورة مدنية تهتم بالآداب الاجتماعية عامة وآداب البيوت خاصة، وقد وجّهت المسلمين إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة بما فيها من توجيهات رشيدة وآداب سامية تحفظ المسلم ومجتمعه وتصون حرمته وتحافظ عليه من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يدمّر الأمم. وقد نزلت فيها آيات تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها بعد حادثة الإفك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١١ ﴾ [النور:١١]. وكل الآيات التي سبقتها إنما كانت مقدمة لتبرئتها. ثم يأتي التعقيب في: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور:١٢] وفيها توجيه للمسلمين بإحسان الظنّ بإخوانهم المسلمين وبأنفسهم وأنْ يبتعدوا عن سوء الظن بالمؤمنين، وشدّدت على أهمية إظهار البيّنة: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور:١٣]. ويأتي الوعظ الإلهي في الآية ١٧: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور:١٧]. فالسورة بشكل عام هي لحماية أعراض الناس، وهي بحقّ سورة الآداب الاجتماعية.

تبدأ السورة بآية واضحة جداً: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١]، وفيها تنبيه للمسلمين؛ لأنّ السورة فيها أحكام وآداب هي قوام المجتمع الإسلامي القويم.

تنتقل الآيات إلى عقوبة الزناة: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور:٢] والأصل في الدين الرأفة والرحمة، وأمّا في أحوال الزناة فالأمر يحتاج إلى الشدة والقسوة، وإلا فسد المجتمع جرّاء التساهل في تطبيق شرع الله وحماية حدوده؛ لذا جاءت الآيات تدل على القسوة وعلى كشف الزناة.

لكنْ يجب أنْ نفهم الدلالة من هذه الآية، فالله تعالى يأمرنا بأنْ نطبق هذه العقوبة بعد أنْ نستكمل بعض الضمانات لحماية المجتمع التي تتحدث عنها بالتفصيل الآيات التالية في السورة. والملاحظ في هذه السورة تقديم الزانية على الزاني، وكما يقول الدكتور أحمد الكبيسي في هذا التقديم: إنّ سببه أن المرأة هي التي تقع عليها مسؤولية الزنا، فهي لو

أرادت وقع الزنا، وإن لم ترد لم يقع، فبيدها المنع والقبول، وهذا على عكس عقوبة السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة:٣٨]. فهنا قدّم السارق؛ لأنّ الرجل هو الذي يسعى في الرزق على أهله، فهو الذي يكون معرضاً لفعل هذه الجريمة، هذا والله أعلم.

ضمانات لحماية المجتمع:

١. **الاستئذان**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور:٢٧]. تعلمنا الآيات ضرورة الاستئذان لدخول البيوت وحتى داخل البيت الواحد للأطفال والخدم في ساعات الراحة التي قد يكون فيها الأب والأم في خلوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾ [النور:٥٨]. ومن آداب الإسلام أنْ لا يدخل الأبناء على والديهم بدون استئذان.

٢. **غضّ البصر وحفظ الفرج**: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠]. وهذا توجيه للرجال والنساء معاً، فهم جميعاً مطالبون بغض البصر.

٣. **الحجاب**: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ

مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١].

٤. **تسهيل تزويج الشباب:** ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور:٣٢]. وتسهيل هذا الزواج لحماية الشباب الذي بلغ سن الزواج، وبالتالي حماية المجتمع كاملاً.

٥. **منع البغاء:** ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور:٣٣].

٦. **منع إشاعة الفواحش بإظهار خطورة انتشارها:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩] و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٣-٢٤]. فلقد لعن الله تعالى الذين يشيعون الفاحشة أو يرمون المحصنات، وحذّرهم من عذابه في الدنيا والآخرة.

نعود للآيات الأولى في حدّ الزنى، ونرى أنه لا تطبيق لهذا الحدّ إلا إذا تحققت هذه الضمانات الاجتماعية أولاً، وبعدها لوحدثت حادثة زنا لا يقام الحد حتى يشهد أربعة شهود، ومن غير الشهود لا يطبق الحدّ، فكأنّ إقامة الحد مستحيلة، وكأنما في هذا توكيد

على أنّ الله تعالى يحب الستر ولا يفضح إلا من جهر بالفاحشة، ولنا أنْ نتخيل أي إنسان يزني أمام أربعة شهود، هل يفعل ذلك إلا إذا كان فاجراً مجاهراً؟ وهذا هو الذي يقام عليه الحدّ؛ حتى لا يفسد المجتمع بفجوره وتجرئه على الله وعلى أعراض الناس في مجتمعه، فلو كان قد وقع في معصية ولم يكن له إلا ثلاثة شهود لا يقام عليه الحد ويجب عليه التوبة والاستغفار؛ ولهذا جاءت في السورة آيات التوبة والمغفرة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور:١٠]. و: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور:٥] و: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور:١٤]. و: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور:٢٠].

حد القذف: حذّرنا الله تعالى في هذه السورة من قذف المحصنات، وبيّن لنا العقوبة التي تقع على هؤلاء، وهي لعنة الله وعذابه في الدنيا والآخرة.

آية النور: هذه الآية التي سميّت السورة باسمها فيها من الإعجاز ما توقف عنده الكثير من العلماء. ووجودها في سورة النور هو بتدبير وبحكمة من الله تعالى، فلو طبّق المجتمع الإسلامي الضمانات التي أوردتها الآيات في السورة لشعّ النور في المجتمع، ولخرج الناس من الظلمات إلى النور. وشرع الله تعالى هو النور الذي يضيء المجتمع؛ ولذا تكررت في السورة **(آيات مبيّنات وآيات بيّنات) ٩ مرّات**؛ لأنّ هذه الآيات وما فيها من منهج تبيّن للناس طريقهم، والنور من خصائصه أنْ يبيّن ويَظهر ويكشف. وهذا النور الذي ينير المجتمع الإسلامي إنما مصدره: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ

نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور:٣٥]، وينزل هذا النور في المساجد: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ [النور:٣٦]. وينزل على: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ [النور:٣٧]. والذي لا يسير على شرع الله يكون حاله، كما في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ [النور:٣٩-٤٠].

وسميّت بسورة النور لما فيها من إشعاعات النور الربّاني بتشريع الأحكام والآداب والفضائل الإنسانية التي هي قبس من نور الله على عباده وفيض من فيوضات رحمته. وتشبيه النور بمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة، هذا التشبيه كأنه يدلّ على أن النور - حتى نحافظ عليه مضيئاً - يجب أنْ نحيطه بما يحفظه، والفتيل الذي به نشعل النور إنما هو الآية الأولى في السورة هذه. الآية الشديدة التي تحرك الناس لإضاءة مصباح مجتمعاتهم الصالحة بتحقيق الضمانات الأخلاقية؛ حتى يبقى النور مشعّاً.

ثالثاً. من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم الزانية على الزاني في الآية؟

الجواب :

قد يكون التقديم و التأخير بحسب الكثرة والقلة:

١ ـ في آية المائدة ٣٨: قدّم السارق على السارقة؛ لأنّ السرقة في الذكور أكثر، وهي مظنة فعل الرجال.

٢ ـ في آية النور٢: قدم الزانية على الزاني؛ لأنّ الزنى فيهن أكثر، وهو مظنة فعل النساء. ألا ترى أنّ قسماً من النساء يحترف هذه الفعلة الفاحشة؟ وأنّ الزنى الأصل فيه المرأة؛ لما يبدو منها من الإيماض والإطماع والكلام ولأنّ مفسدته تتحقق بالاضافة لها .

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾، ولم يقل:(فاضربوا)، فما السبب؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ ولم يقل: (فاضربوا) للإشارة إلى أنّ الغرض من الحد الإيلام، بحيث يصل ألمه إلى الجلد ردعاً له وزجراً.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

إنْ قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور:٣] أي: لا يتزوج، ونحن نرى الزاني ينكح العفيفة الطاهرة والمسلمة والزانية ينكحها العفيف والمسلم؟

الجواب :

١ـ نزلت هذه الآية في بغايا موسرات كُنّ بمكة، وكان لا يدخل عليهن إلا زانٍ من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد جماعة من فقراء المهاجرين أنْ ينكحوهن فنزلت هذه الآية زجراً لهم عن ذلك.

وأيضاً فإنّ الزواج يقوم على التكافؤ؛ حتى لا يستعلي أحد الزوجين على الآخر. والزاني فيه خسة، فلا يليق به إلا خسيسة مثله زانية، أو أخس وهي المشركة؛ لأنّ الشرك أخس من الزنا، ولأنّ الزنا فيه مخالفة أمر توجيهي من الله، أمّا الشرك فهو كفر بالله . وما ينطبق القول به على الزاني ينطبق القول به أيضاً على الزانية.

فالتقابل هنا غرضه التهويل والتفظيع لا الإباحة؛ لأنّ المسلمة لا يجوز لها أنْ تتزوج مشركاً أبداً. فكأنّ في الآية توبيخاً: أي يا خسيسة لا يليق بك إلا خسيس مثلك أو أخس.

٢ـ قيل: إنه منسوخ بآية النساء ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣].

٣ ـ وقيل إنّ المقصود في آية النور تشنيع الزنى، وقيل: إنه أُريد بها منع الزواج بالزناة الذين أقيم عليهم الحد. والله أعلم.

السؤال الثاني :

في الآية نرى أنه قدّم الرجل على المرأة، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

قدّم الرجل على المرأة في هذه الآية لذكر النكاح ﴿لَا يَنكِحُ﴾، والرجل هو الأصل في النكاح؛ لأنه هو الراغب والخاطب والبادىء بالطلب، بخلاف الآية السابقة، فقد بدأت بالمرأة؛ لأنّ الزنا مظنة المرأة أولاً، كما أنّ السرقة مظنة الرجل.



﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور:٤] في سورة النور؟ ولماذا لم يقل: منهم أو عنهم؟

الجواب :

١ ـ في قوله تعالى في سورة النور ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور:٤] استعمل ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ﴾ [النور:٤]، وكان يمكن في غير القرآن أنْ يقول: ولا تقبلوا منهم شهادة، أو: ولا تقبلوا عنهم

شهادة. و(القبول من) هو الأكثر استعمالاً؛ لأنّ القبول هو أخذ الشيء برضى، أي: هناك معطٍ وهناك آخِذ، فإذن هناك صلة مقصودة، مثلاً بأنْ أقدم لك شيئاً تقبله مني، وتبقى هناك صلة بيني وبينك، وكأنه يراد أنْ تستمر الصِلة بين الطرفين.

ولو قال :(قبل عنه) كأنه انقطعت الصلة أي أخذها وانقطعت الصلة لأنّ (عن) للمجاوزة.

أـ فإذا كان الفعل مبنياً للمعلوم، وجاء بـ (عن)، فإن الله تعالى يتكلم عن نفسه إمّا مباشرة جلت قدرته أو عن طريق الغيبة بواسطة الضمير (هو) كما في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾[الأحقاف:١٦]، فالكلام من الله سبحانه وتعالى.

ب ـ وعندما يكون الكلام من عباده أو مبنياً للمجهول تبتعد فكرة الصلة المادية. فمثلاً قولهم: (يُقبل منه) مبنية للمجهول، لكن لا تحس بالرابط الذي كأنما يراد تجنبه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً﴾[النور:٤] وردت مرة واحدة فقط، ولم يقل: لا تقبلوا منهم. اللام كما يقول علماؤنا للملك والملكية. ورمي المحصنة شيء عظيم، وليس بالأمر السهل أنْ تتهم المرأة في عفافها؛ ولذلك كانت العقوبة شديدة، وهي ثمانون جلدة أمام الناس، ولا تقبل لهم شهادة.

ولم يقل: ولا تقبلوا منهم أو عنهم، كأنما لا ينبغي أصلاً أنْ يباشروا إصدار شهادة، فلا تنفصل عنهم ولا تصدر منهم، هم لهم شهادة، ولو كان في غير القرآن كان يمكن القول: ولا تقبلوا شهادة لهم، ولكنْ في القرآن قدّم (لهم)، وتعني أنهم قد يملكون شهادة في مناسبات أخرى لكن لا يُمكّنون من إظهارها أصلاً فتبقى في ملكهم،

والمطلوب أصلاً أنْ لا يتكلم؛ لأنه اتهم امرأة عفيفة بعفافها فجُلِد، وهم يملكون شهادة، لكنْ يقال لهم احتفظوا بملككم، ولا يُمكّنون من إظهارها أصلاً حتى تقبل منهم أو تقبل عنهم. الشهادة ملكه؛ لأنه ارتكب هذا الجرم العظيم وهو قذف المرأة المحصنة.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال ضمير الفصل في الآية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ ؟

الجواب :

ليفيد المعنى القصر على جهة المبالغة أو على معنى الكمال في الصفة .



﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧﴾ ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾ ما الفرق بين اللعنة والغضب؟

الجواب :

اللعنة: في اللغة هي الطرد والإبعاد، وإبليس لعنه الله؛ أي طرده من رحمته.

ومقتضى شهادة الزوج إذا رمى زوجه بالزنا أن ترجم وتطرد وتبعد من الحياة، فهو إذن- كما أبعدها من الحياة- يستحق اللعنة والطرد والإبعاد من رحمة الله إنْ كان كاذباً، وهذا جزاؤه، كما طردها يُطرد، وكما أبعدها يُبعد.

أمّا بالنسبة للزوجة فلو فعلت ذلك تكون قد فعلت فاحشة كبيرة، فتستحق غضب الله كأي فاعل فاحشة؛ لأنّ الزوج لا يناله شيء، وشهادتها تنجيها من الحدّ، لكنها لو فعلت فعليها غضب الله كأي واحد يفعل فاحشة .

والمعنى العام للآية أنّ الزوج قد يرمي زوجه بالزنا دون شهداء فيحتكم إلى اليمين، فلو فعل ذلك سيكون مقتضى هذه الشهادة أنها ستُرجم، فإنْ كان كاذباً يستحق لعنة الله تبارك وتعالى والطرد من رحمته كما فعل بها أمّا هي فتستحق الغضب؛ لأنه لا يترتب على الزوج شيء.

السؤال الثاني :

ما سبب الاختلاف في حركة كلمة (الخامسة) في آيتي سورة النور ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ و ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ ؟

الجواب :

الأولى مرفوعة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ مبتدأ وخبر والخامسةُ معطوفة على أربع. وفي الثانية قال تعالى: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ (أربعَ: مفعول به) و(الخامسةَ) معطوفة عليها.



﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

كم مرة تكررت لفظة ﴿وَلَوْلَا﴾ في سورة النور؟

الجواب :

تكررت كلمة (لولا) سبع مرات في سبع آيات بدون غرابة ولا تكرار للمعاني في سورة النور في الآيات:[١٠ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٦ ـ ٢٠ ـ ٢١].

السؤال الثاني :

قال في نهاية الآية العاشرة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ وفي نهاية الآية العشرين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ الآية العاشرة: تقدّمها ذكر الزنا والجلد، فناسب ختمه بالتوبة حثاً على التوبة وأنها مقبولة من التائب. وناسب قوله ﴿حَكِيمٌ﴾ لأنّ الحكمة اقتضت ما قدّمه في العقوبة لما فيها من الزجر عن الزنا.

٢ـ الآية العشرون: تقدمها ذكر قصة أصحاب الإفك، فبيّن أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة على عظيم ما أتوه من الإفك؛ ولذلك قال تعالى فيما تقدمه: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الكذب والإفك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٧٥.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُحِبُّونَ﴾ ما كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٤.

السؤال الثاني :

قال في نهاية الآية العاشرة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾، وفي نهاية الآية العشرين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ١٠.



﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ
وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ﴾ ما كلمات منظومة العفو والصفح والغفران من الله تعالى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٩٢.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وما الأوصاف المتعددة التي جاءت في القرآن للعذاب؟

الجواب :

١ـ المحصنة هي: المتزوجة ـ العفيفة ـ الحرة.

٢ـ اللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وأيضاً هو الطرد والإبعاد عن حظيرة المؤمنين.

٣ـ العذاب: هو إيلام حي، وقد وصفه الله بأوصاف كثيرة:

ـ عذاب أليم: في ٧٢ موضعاً من القرآن.

ـ عذاب مهين: في ١٤ موضعاًمن القرآن.

ـ عذاب عظيم: في ٢٢ موضعاً من القرآن.

ـ عذاب شديد: في ٢١ موضعاً من القرآن.

ـ عذاب مقيم: في ٥ مرات.

ـ عذاب غليظ: في ٤ مرات.

ـ عذاب السعير: في ٤مرات.

ـ عذاب الخلد: مرتان.

ـ عذاب الخزي: مرتان.

ـ عذاب قريب: مرة واحدة.

ـ عذاب غير مردود: مرة واحدة.



﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات الآية السابقة[النور:٢٦]؟

الجواب:

هناك أقوال مختلفة في تفسير الآية؛ إذ قيل: هي الكلمات والأعمال الخبيثة للرجال الخبيثين وللنساء الخبيثات، والخبيثون من الرجال للخبيثات ومن معناها النساء الزانيات للرجال الزناة، وكثير من المفسرين يذهبون إلى أنّ الكلمات والفعلات الخبيثة لا يقولها ولا يرضاها إلا الخبيثون من الناس، والسياق اللغوي قد ذكر الصفة ولم يذكر الموصوف. وهذا في سياق القذف ففيها كلمات ورمي بالكلمات ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[النور:١٥]

وفيه قذف المحصنات الغافلات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[النور:٢٣]، والسياق يحتمل كثيراً هذا المعنى.

السؤال الثاني :

لماذا قدّم تعالى الخبيثات على الخبيثين في سورة النور؟

الجواب :

لو نظرنا إلى السياق في السورة لوجدنا أنّ الكلام في السورة عن النساء ورميهن بالإثم والقذف ورمي الأزواج لأزواجهم، كما في الآيات :

- ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور:٤] .

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور:١١] .

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور:٢٣] .

وقد جاء في بداية السورة ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور:٢] بتقديم الزانية على الزاني؛ لأنّ الفِعلة تأتي من النساء أولاً، ثم إنّ بعض النساء تحترفن هذه المهنة، ولا يحترفها رجل. فناسب السياق في السورة تقديم الخبيثات على الخبيثين. والله أعلم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين آنس واستأنس؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٦.



﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين: (لا جناح عليكم) و(ليس عليكم جناح)؟

الجواب :

من الناحية اللغوية :

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾[البقرة:٢٣٦] جملة اسمية، (لا) النافية للجنس وجناح اسمها، وخبرها جار ومجرور (عليكم).

و ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾[النور:٢٩] جملة فعلية (ليس فعل ماض ناقص من أخوات كان).

والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت، والاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل.

إذن (لا جناح عليكم) أقوى، بالإضافة إلى أنّ (لا جناح عليكم) مؤكدة حيث إنّ (لا) أقوى في النفي من (ليس)، والنفي درجات.

لا جناح عليكم:

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة، كما في الآيات:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة:١٥٨] هذه عبادة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ﴾ [البقرة:٢٢٩].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٠].

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٣].

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٤].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٥]. ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [البقرة:٢٣٦].

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ [البقرة:٢٤٠].

وهذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

ليس عليكم جناح:

تستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية، كما في الآيات :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٨] هذه في التجارة، وليست فى العبادة.

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة:٩٣] هذه في الطعام ولا تتعلق بالعبادة.

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ [النور:٢٩] .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ [النور:٦١] هذه ليست في العبادة.



﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (يصنعون) و (كانوا يصنعون) في الآيتين: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) ﴾ [النور:٣٠] و ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾ [النحل:١١٢]؟

الجواب :

قراءة الآيتين يوضح الأمر: آية النور ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠]، وآية النحل ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢] وآية النحل في قرية قديمة وبائدة كانت تفعل هذا، أمّا آية النور فحالة مستمرة إلى قيام الساعة وليست مثل تلك القرية القديمة التي كانت.

إذن ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي في الماضي، والثانية ﴿خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠] أي في الحال.

لذلك لا ينفع أنْ نقف على جزء من الآية، وإنما يجب أنْ نأخذها في سياقها .

السؤال الثاني:

القرآن الكريم يستخدم (يصنعون ويفعلون ويعملون)، فما اللمسة البيانية في هذه الأفعال؟

الجواب :

١ـ الفعل: عام يقع من الإنسان والحيوان والجماد، وهو أعم شيء. ومن ذلك: فعل الماء، وفعل الرياح، وهو بقصد أو بغير قصد.

٢ـ العمل: أخص من الفعل ويكون بقصد؛ ولذلك قلّما يُنسب إلى الحيوان. والعرب لم تقله في الحيوان إلا في البقر العوامل التي تحرث بقصد الحرث إذن العمل أخصّ من الفعل وينسب للإنسان، وقلّما ينسب إلى الحيوان.

٣ـ الصنع: هو إجادة الفعل، وهو أخصّ من العمل، ولا ينسب إلى حيوان ولا ينسب إلى جماد، وليس كل عمل صنعاً حتى يَحسن العملُ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] إذن هو أخصّ من العمل.

وعندما يستخدم القرآن (بما يصنعون) أي يحاولون ويدبّرون ويتقنون ما يفعلون، ويأخذون الحيطة ماذا نفعل لو قال كذا وماذا نصنع؟ هذا الصنع مدبّر. إذن الصنع إجادة العمل.

إذن كل فعل بحسب الآية التي ورد فيها في القرآن الكريم، لكنْ بشكل عام الفعل أعم ويقع بقصد أو بغير قصد والعمل أخصّ من الفعل ويكون بقصد ويُنسب للإنسان والصنع إجادة العمل.

٤ـ اللغة العربية دقيقة. وهناك خلاف بين اللغويين في وجود ترادف في القرآن من عدمه، فقسم يقول: في القرآن يوجد ترادف، وقسم يقول: هي لغات، والترادف مثل (المدية والسكين)، فهما كلمتان تدلان على دلالة واحدة، ويقولون: أسماء السيف ليست مترادفة وإنما هي صفات، فاسمه السيف والباقي صفات مثل الحسام، وكذلك أسماء الأسد كلها صفات والاسم هو الأسد والصفات تكون في وجهه ومشيته نحو: غضنفر،

وهذه صفة، وليس كل أسد غضنفراً، والقسورة من القسر يقسر الفريسة ويأخذها قسراً بقوة وشدة وعنف

السؤال الثالث :

لماذا أدخل ﴿مِنْ﴾ وهي للتبعيض على أمر النظر دون الفرج في الآية؟

الجواب :

أدخل (من)، وهي للتبعيض على أمر النظر دون الفرج؛ لأنّ أمر النظر أوسع من أمر الفرج؛ ولهذا يحل النظر في ذوات المحارم ولا يحل شيء من فروجهن.

وقدّم غض البصر على حفظ الفروج؛ لأنّ النظر بريد الزنى؛ ولأنّ البلوى فيه أشد، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه، وهو الباب الأكبر الذي يوصل إلى القلب.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة ﴿قُل﴾ في الآية؟

الجواب :

في كلمة ﴿قُل﴾ دقة بلاغ الرسول عن ربه وأمانته في نقل العبارة كما أنزلت عليه.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ
أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ
مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾

السؤال الأول :

ما معنى (الدنو) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ﴾ ؟

الجواب :

الكلام هنا في اللغة وليس في الفقه. الإدناء هو التقريب. والجلباب في اللغة هو ما يستر من الملابس سواء فوق الثوب أو الثوب نفسه. ولغوياً الساتر من اللباس يسمى جلباباً.

وقوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩] أي يرخين عليهن. والإدناء هو الإرخاء والإسدال بما يستر الجسم كله، وعند اللغويين: من فوق إلى أسفل.

والجلباب هو اللباس الذي يستر من فوق إلى أسفل، وقسم يقول: هو كل ثوب تلبسه المرأة فوق الثياب. و (يدنين) أي يسدلن عليهن؛ لأنّ الإدناء فيه الإرخاء والإسدال. والإدناء هو ستر الجسد من فوق إلى أسفل.

وفي سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] الخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر. هذا في حدود اللغة، وليس من الناحية الفقهية.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (بني وأبناء) في الآيات ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] و ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب:٥٥]؟

الجواب :

١ـ استعمال بني وأبناء: (بنو) بالرفع أكثر من(أبناء) من حيث العدد. و(بنو آدم) ليست مثل (أبناء آدم) و(بنو إسرائيل) كثير، بينما (أبناء يعقوب) أقل. (أبناء) هي من صيغ جموع القِلّة:[أفعُل، أفعال، أفعلة، فُعلة].

٢ـ (بنو) ملحقة بجمع المذكر السالم، كما في آية الشعراء ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ وتحذف النون للإضافة من كلمة (بنين) فتصبح (بني)، كما في (بني آدم).

٣ـ الفرق بين الآيتين: لو لاحظنا آية النور التي فيها ﴿بَنِيٓ﴾ فهذه في عموم المؤمنين، والخطاب فيها لعموم المؤمنين والمؤمنات، بينما في آية الأحزاب الخطاب لنساء النبي عليه السلام فقط .

في آية النور قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور:٣١] ونساء المؤمنين كثير وكذلك بنو أخواتهن وبنو إخوانهن، فقال: بني أخواتهن.

أمّا في الأحزاب فالخطاب لنساء النبي عليه السلام وهن قليلات بالنسبة لنساء المؤمنين فقال:(أبناء)؛ لأنّ أبناء أقل من بني، بينما في الكثير قال: (بني)؛ لأنها في عموم نساء المؤمنين، وهذه طبيعة اللغة.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة الجيوب في آية النور ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور:٣١]؟

الجواب :

١ـ الخمار في اللغة هو غطاء الرأس، وسُميت العِمامة القديمة خماراً لأنها كانت تُلفّ على الرأس وينزل جزء منها على الحنك وتُشكل في الطرف الآخر، وفي الحديث أنّ

رسول الله عليه السلام مسح على الخف والخمار (يقصد العمامة). فإذن الخمار هو غطاء رأس، وحدود هذا الغطاء ليس من شغلنا، لكنّ الخمار غطاء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]: الجيب هو فتحة العنق من الثوب، وهي الفتحة التي يُدخل الإنسان فيها رأسه؛ لأنّ الثوب عبارة عن قطعة قماش تُقصّ من جانب ويُدخل رأسه فيها ثم تُخاط من الجوانب. وهذه الفتحة تكون مريحة فيكون فيها نوع من الزيادة بحيث يظهر العنق وشيء من الصدر، والقرآن الكريم طالب المؤمنات بالغضّ من أبصارهنّ [لاحظ استعمال (من) للتبعيض حتى ترى طريقها، ولو قال: (يغضضن أبصارهن) لكان نهياً عن الإبصار لكل ما تقع عليه العين، وهذا خلاف المراد].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ الضرب هو الإزاحة، وهو أنْ تزيح الخمار من جهة رأسها وتمدّه إلى أنْ تضرب به على جيبها بحيث تستر عنقها وصدرها.

السؤال الرابع :

متى يكون استعمال (أو) و (لا) و (الواو) في الآيات ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ:٣٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[النور:٣١]؟

الجواب :

١ـ (الواو) من حيث الحكم تكون لمطلق الجمع، وفيها معان كثيرة، كما في الآية: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾[المنافقون:٩]. يعني: كلها لا تلهيكم.

٢ـ (أو) قد يكون فيها إباحة أو تخيير أو قد تكون تقسيماً.

أ ـ (أو) للإباحة: نحو: جالسوا العلماء أو الزهاد، فتبيح له أنْ يجالس هذا الصنف من الناس أو ذاك، جالس الفقهاء أو العلماء، صاحب فلاناً أو فلاناً أو فلاناً، تبيح له في صحبة هؤلاء.

ب ـ (أو) قد تكون للتخيير، والتخيير لا يقتضي الجمع، وإنما :إمّا هذا وإمّا هذا، نحو: "تزوج هنداً أو أختها" هذا تخيير، ولا يجوز الجمع بين الأختين.

٣ـ (لا): نهي عن الجمع والإفراد ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ [المنافقون:٩] نهى عن الالتهاء على سبيل الاجتماع أو التفرّق ،أي (لا الأموال ولا الأولاد .

٤ـ أما في آية النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور:٣١] هذه إباحة، وليست تخييراً.

السؤال الخامس :

ما معنى الخمار والجلباب والجيوب؟

الجواب :

نتكلم فقط من حيث اللغة. نذكرهنا ثلاث كلمات: كلمتين وردتا في القرآن وواحدة وردت في الحديث.

١ـ (الخمار و الجلباب): في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] **الخمار** عند العرب وفي اللغة هو غطاء الرأس تحديداً، **والجيب** هو فتحة الصدر، والمرأة تضع الخمار على رأسها وتداري صدرها، هذا هو الخمار.

والجلباب هو ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها، فوق الثياب ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩] والجلباب هوما يستر المرأة من فوق إلى أسفل فوق الثياب، وهو يستر الثياب التي تحته، فكل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها هو جلباب يسترها من فوق إلى أسفل، سواء كان بصورة عباءة أو بصورة أخرى.

السؤال السادس:

ما كلمات منظومة الثوب واللباس؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧.

السؤال السابع:

ما كلمات منظومة المنع من الوصول؟

الجواب:

الكلمات هي: حجاب ـ غطاء ـ غشاء ـ خمار ـ نقاب ـ ستار.

انظر الجواب في آية المائدة ١٢.

السؤال الثامن:

ما الحرف الذي تكرر إحدى عشرة مرة في آيتي النور[٣١ و ٦١]؟

الجواب:

هو حرف العطف ﴿أَوْ﴾

السؤال التاسع :

لماذا لم تذكر الآية الأعمام والأخوال في وجوب عدم إبداء الزينة أمامهن وهم من المحارم؟

الجواب :

لئلا يصفها العم عند ابنه وهو ليس بمحرم لها. وهذا من الدلالة البليغة على وجوب الاحتياط في ستر النساء.

السؤال العاشر :

لماذا ذكر الأقارب في آية الأحزاب ٥٥، ولم يذكر العم والخال وحكمهما حكم من ذكر في رفع الجناح في آيتي الأحزاب ٥٥ والنور ٣١؟

الجواب :

١ـ في الحجاب: أوجب الله على الرجال السؤال من وراء الحجاب بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب:٥٣] ويفهم منه كون المرأة محجوبة عن الرجل بالطريق الأولى، وعند الاستثناء قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٥] عند رفع الحجاب عليهن، فالرجال أولى بذلك.

٢ـ قدّم الآباء؛ لأنّ اطلاعهم على بناتهن أكثر، وكيف وهم قد رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الأبناء ثم الإخوة، وذلك ظاهر. إنما الكلام في بني الإخوة، حيث قدّمهم الله على بني الأخوات؛ لأنّ بني الأخوات آباؤهم ليسوا بمحارم، إنما هم أزواج

خالات أبنائهم، وبنو الإخوة آباؤهم محارم . ففي بني الأخوات مفسدة وهي أنّ الابن ربما يحكي خالته عند أبيه وهو ليس بمحرم.

٣ـ لم يذكر الله من المحارم الأعمام والأخوال لوجهين :

أ ـ أنّ ذلك عُلِم من بني الإخوة وبني الأخوات؛ لأنّ من عَلِمَ أنّ بني الأخ للعمات محارم عَلِم أنّ بنات الأخ للأعمام محارم. وكذلك الحال في أمر الخال.

ب ـ أنّ الأعمام ربما يذكرون بنات الأخ عند أبنائهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال.

٤ـ هذا الموضوع ذُكر أيضاً في آية النور ٣١؛ لذلك الأولى أن تستتر المرأة عن عمها وخالها لئلا يصف محاسنها عند ابنه، وهو ليس بمحرم للمرأة فيفضي ذلك إلى الفتنة.

٥ـ قوله في آية الأحزاب: ﴿وَلَا نِسَآبِهِنَّ﴾ أضيفت إلى المؤمنات؛ حتى يتبين أنه لا يجوز التكشف للكافرات.

٦ـ قوله تعالى في آية الأحزاب: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾ [الأحزاب:٥٥] من الإماء دون العبيد، وقيل إنه عام في الإماء والعبيد؛ لأنّ التكشف لهم فيه مفسدة ظاهرة.

ومن الأئمة من قال: إنّ المراد من كان دون البلوغ.

والله أعلم.

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين السفاح ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ [النساء:٢٤] والبغاء ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ [النور:٣٣] والزنى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا (٣٢) ﴾ [الإسراء:٣٢]؟

الجواب :

١ـ البغاء هو الفجور، بغى في الأرض؛ أي: فجر فيها، أي تجاوز إلى ما ليس له. ومن معاني البغاء: الزنا، وفي الآية: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ [القصص:٧٦] أي تجاوز الحدّ. والمرأة تجاوزت حدها عندما فعلت هذه الفعلة؛ لذا يقال للمرأة: بغيّ، ولا يقال للرجل بغيّ ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) ﴾ [مريم:٢٨] وعند العرب لا يوصف الرجل بالبغيّ في الزنا، وإنما البغاء للمرأة. واشتقاقه اللفظي: بغت المرأة إذا فجرت؛ لأنها تجاوزت ما ليس لها.

٢ـ الزنا هو الوطء من غير عقد شرعي. والبغاء استمراء الزنا فيصير فجوراً.

٣ـ المسافحة أنْ تقيم المرأة مع الرجل على الفجور، وتعيش معه في الحرام من غير تزويج صحيح. والمسافحة والسفاح: الإقامة مع الرجل من غير تزويج شرعي، وهذا أشد؛ لأنها إقامة امرأة مع رجل على فجور.

وكله فيه زنا، والزنا أقلهم، فإذا استمرأت المرأة الزنا صار بغاء، وإذا أقامت مع الرجل بغير عقد شرعي صار سفاحاً.

والرجل يوصف بالسِّفاح أيضاً ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء:٢٤] .

٤ـ الزنا يوصف به الرجل والمرأة ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور:٢] والسفاح للرجل والمرأة، أمّا البغاء والبغي فللمرأة تحديداً. وكل كلمة لها دلالتها في القرآن الكريم.

السؤال الثاني :

ما دلالة (إنْ) في الآية ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور:٣٣]؟

الجواب :

هي مناسبة لأصل سبب النزول ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور:٣٣] ماذا إذا لم يردن تعففاً؟ الحادثة التي حصلت أنّ عبد الله بن أبيّ أراد إكراههن وهن يردن التحصّن، فذكر المسألة كما هي واقعة، ثم تأتي أمور أخرى تبيّن المسألة.

السؤال الثالث :

ما تفسير (ملك اليمين) في آية النور ٣٣، وفي الآية ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الأحزاب:٥٠] ؟

الجواب :

١ـ العرب عادة تستعمل كلمة اليمين إشارة إلى المِلك والقوة والاستحواذ على الشيء، وهم لا يريدون اليمين التي هي غير الشمال. يقولون هذا الأمر في يميني؛ أي في سيطرتي وقدرتي وفي مِلكي. وما سُمّي بملك اليمين معناه العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون بحيث إنّ الإنسان يكون مالكاً لهم كأي حاجة من الحاجات، وهذا هو ملك اليمين. ويكون عادة من الذكور والإناث.

٢ـ تحتاج هذه المسألة لوقفة قصيرة في بيان موقف الإسلام؛ لأنّ هذا متكلّم فيه. الإسلام أقر ظاهرة الرقيق في بيع الإنسان وشرائه، لكنْ كيف أقرّها؟

ملك اليمين هم الرقيق. والرق كان نظاماً عالمياً في كل العالم، والعالم في وقتها كان بآحاد الملايين، وكان الرقيق بعشرات الألوف، وهذا يعني أنه كان موجوداً في كل بلدة وقرية، وكانت ظاهرة اجتماعية، فلا يكاد بيت يخلو من عبد أو أمة أو أكثر، وعندما نقرأ السيرة نعرف كيف فعل المشركون بمن عندهم من الرقيق، وكان هناك أسواق للنخاسة.

والإسلام لمّا واجه هذه المشكلة لم يحلّها كما حلّ مشكلة الخمر مثلاً على مراحل سريعة متتابعة إلى أن قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩١] وقال المسلمون: انتهينا يا رب، وسكبوا خمورهم في شوارع المدينة حتى صارت تجري فيها الخمور أنهاراً. فلو تخيلنا أنّ الله تعالى قال للمسلمين في الكف عن الرقيق (فهل أنتم منتهون) وأخرجوا كل من عندهم من رقيق إلى الشارع، فماذا كان سيحدث؟ الفساد بالطبع.

لكن ماذا صنع الإسلام؟ بعض الكُتّاب شبه فكرة الرقيق بحوض ماء تصب فيه مجموع صنابير(حنفيات)، وفي أسفله ثقب صغير. هذه الحنفيات التي تصب كانت موارد الرِق، وأعظم مورد كان الحروب ثم الدَّيْن، ثم السرقات ثم الولادة (ما يولد للرقيق) حنفيات كثيرة والمنفذ الوحيد الذي كان هو الموت، لا ينقذ العبد أو الأمة من الرِّق إلا الموت وإلا تبقى تباع وتشترى.

الإسلام ماذا صنع؟ أغلق جميع الحنفيات وأبقى واحدة للمقابلة بالمثل وهي الحرب؛ لأنّ الإسلام لومنع الرق في الحرب لكان يستهان بالمسلمين ويسترقهم عدوهم فجعل هذا مقابلة بالمثل في الحروب. وفتح فتحات كبيرة في داخل الحوض تفرّغ الماء، وأهم فتحات فتحها الإسلام هي :

١ـ المكاتبة: وتعني أنّه بإمكان أي عبد أو أيّة أمَة الذهاب للقاضي ويقول الواحد منهما له: أنا أريد أنْ أتحرر فليكاتبني من يملكني، فيبعث القاضي على مالكه ويقول له: مثل هذا أو مثل هذه ثمنه في السوق بقدر كذا حتى لا يشتط السيد في الثمن، فيتكاتب معه ويعمل ويسد الأجر، فإذا أنهى سداد الأجر يكون حُرّاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:٣٣] شرط أنْ يكون باستطاعته أنْ يسد وأنْ يعمل. وقال تعالى أيضاً :﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ﴾[النور:٣٣] أي ليس هذا فقط، وإنما أعينوهم على المكاتبة .

ومع ذلك فالإسلام لم يكتف بهذا، وإنما أضاف شيئاً آخر، وهو الزكاة.

٢ـ الزكاة : ولها مصارف ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠] الصدقات تعني الزكاة، وللزكاة ثمانية مصارف، ومنها ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ أي في إعتاق العبيد، والرقبة تستعمل إشارة إلى هؤلاء العبيد. فإذن الدولة عندما تجمع أموال الزكاة وتنظر من يريد أنْ يتحرر ولا يملك تدفع له. هذا إضافة إلى المكاتبة، وهذا باب واسع فتحته الشريعة الإسلامية لتخليص هؤلاء.

٣ـ الكفّارات: و فيها تحرير الرقاب، كما في الآيات: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء:٩٢] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ﴾ [المائدة:٨٩] ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [المجادلة:٣].

٤ـ التطوع: وهذا التطوع باب لا ينتهي ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد:١٢-١٣] وهذا التحبيب ليس فقط في القرآن، وإنما أيضاً في الأحاديث، وهناك أحاديث كثيرة تتحدث عن إعتاق الرقاب .

فإذن الإسلام خطا خطوات بعيدة المدى لإذابة الرِقّ وإنهائه، لكنْ لأنه كان نظاماً عالمياً بقي هذا المنفذ الذي هو منفذ المقابلة بالمثل، والآن انتهى هذا الأمر وقررت الأمم المتحدة إنهاء الرِقّ، وهل فتح الإسلام أبواب العتق من الرق إلا ليصل إلى هذا الذي تتحدث عنه الأمم المتحدة؟! بل إن طريقة الإسلام في الوصول إلى هذا الغرض هي طريقة فيها نوع من العبقرية لأنها نهجت منهج التدرج في معالجتها للقضية، وبالتالي تم الوصول إلى الهدف دونما إحداث فتنة في المجتمع أو فساد في الأرض.

السؤال الرابع :

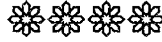
لماذا كان النهي ضعيفاً في قوله تعالى في آية سورة النور: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور:٣٣]؟

الجواب :

سبب نزول الآية أنّ شخصاً من كفار مكة كان يبعث بخادماته إلى فعل الفاحشة حتى يأخذ منهن المال. فأراد القرآن الكريم أن يشنّع به وكان من كبراء قريش ومات كافراً. ومنهم من يقول: إنّ المقصود كان أحد المنافقين في المدينة. وأياً كان فالذات غير مهمة بقدر أهمية الواقعة .

وكذلك فإنّ بعض المفسرين يذهب إلى أنّ الآية: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور:٣٣] قد تكون عامّة، فخصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم. أي إذا منعت ابنتك من الزواج وحرمتها من ذلك فقد يكون هذا سبباً في بغائها، فقد لا تصبر، فلا تكرهها على

البغاء بعدم تزويجك إياها. وهذا قول لا ينسجم مع سبب النزول، لكنْ أيضاً يمكن أنْ يفهم هكذا؛ لأنّ الكلام كان عن الزواج والتزويج فجاءت هذه الآية .



﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ٣٤ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾، وقال بعدها في الآية ٤٦: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بحذف (الواو) وحذف ﴿إِلَيْكُمْ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ الآية الأولى: جاءت بعد ما قدّمه من المواعظ والآداب والآحكام فناسب العطف عليه بـ(الواو وإليكم)، فكأنها خاصة بهم.

٢ـ الآية الثانية: عامة؛ لأنّ آيات القدرة للكل غير خاصة؛ ولذلك قال تعالى بعده: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور:٤٦].

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ
فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ
وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ
لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام كلمة ﴿نُورُ﴾ في الآية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾[النور:٣٥] ولِمَ لمْ يستخدم (ضياء)، مع أنّ الضياء أقوى من النور وأعمّ؟

الجواب :

١ـ في اللغة: هل الضياء نور؟ نعم، الضياء نور، والضياء حالة من حالات النور، وهي اشتداد النور، والنور واسع يمتد ابتداء من نور الفجر إلى أنْ يكون ضياءً. ونقول: نور الشمس، ونقول: ضياء الشمس ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾[يونس:٥] .

القمر نور، والشمس نور، لكنّ الشمس أشد إذن: الشمس ضياء.

٢ـ النور أعمّ يشمل الضياء وغير الضياء، وهناك حالات من النور نحن لا نعلمها.

ومن ذلك أن الله تعالى يذكر في القرآن الكريم فرش الجنة فيقول: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن:٥٤] قالوا: هذه هي البطائن، فما الظواهر؟ قالوا: هي من النور الجامد. هذا النور الجامد هل نعرفه؟ هل رأيناه؟ إذن هذه حالة من النور لا نعلمها.

وعندما يقول الرسول ﷺ:(**المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة**)، أي نور؟ كيف نجلس على منابر من نور؟ هذه حالة لا نعلمها أيضاً. إذن النور أوسع.

هناك حالات لا نعلمها من النور فكيف نصف الله تعالى بحالة جزئية؟ لذلك لا نصفه بالضياء؛ لأنها حالة جزئية، ولا يصح ذلك، فالله تعالى مطلق، ويوصف بالمطلق.

٣ـ الضياء حالة واحدة من النور، وهناك نور لا نعلمه. واستخدام النور والضياء في القرآن هو بحسب السياق.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥] الله مبتدأ ونور السموات خبر، والخبر فيه معنى الصفة، فهل يمكن أنْ يوصف لفظ الجلالة بالنور وهو من المحدثات؛ لأنّ النور حادث؟ أو هل يمكن أنْ تكون كلمة (نور) مصدراً بمعنى اسم الفاعل؛ حتى لا يوصف لفظ الجلالة بشيء هو من المحدثات؟ وهل يمكن أنْ ينسب لفظ الجلالة إلى النور؟ وكيف نفسر كلمة نور؟

السؤال هو أنّ النور محدث أو حادث، فكيف ننسبه إلى الله؟

١ـ علم الخلق حادث وعلم الله قديم، ونور المحدثات حادث، ونور الله قديم، ولو فسرنا النور بالنور فليس فيه إشكال. وصفات الله سبحانه وتعالى قديمة مثله ،علمه وقدرته ونوره هي من صفات الله تعالى، فليس فيها إشكال. إذن نور المحدثات حادث ونور الله قديم أزلي، وعلم المحدثات حادث، وعلم القديم قديم أزلي.



٢ـ لكن ما المقصود بالنور؟ هذا ما اختلف فيه المفسرون.

أ ـ قسم يقول: (نور) معناه (موجد) يعني أظهره إلى الوجود، كما أنّ النور يظهر الأشياء ويبينها.

ب ـ وقسم فسره: أنه (هادٍ) من الهداية، أي هادي السموات والأرض وما فيهما، وكل شيء هو يهديه. ولو أكملنا الآية: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥] فعندما يهدي الله لنوره من يشاء فإن هذا يقوّي معنى الهداية. فيترجّح - والله أعلم - أنّ المقصود هو الهداية من الله سبحانه وتعالى فيهدي ما في السموات والأرض، ويهدي كل شيء إلى ما يقومه ويصلحه ويهدي الحيوانات إلى أساليب معيشتها وبقائها واستمرارها.

٣ـ لمّا قال الشاعر أبو تمام:

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

ألا يمكن أنْ نفهم من قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ أنّ هذا مثل؟ فهذا مثلٌ يضربه تعالى.

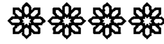
وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]، هذا من باب التشبيه؛ لأنّ الضلال يُستعمل له الظلمات، والنور للهداية.

السؤال الثالث:

ما إعراب كلمة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ في الآية؟

الجواب:

الكثير يعربون (زيتونة) عطف بيان. وعطف البيان مثل الصفة يجب أنْ يتفق مع ما قبله ولا يختلفا تنكيراً ولا تعريفاً، أمّا في البدل فيجوز الاختلاف.



﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران:٣٧] وكيف يكون بغير حساب؟

الجواب :

١ـ هو لم يقل بغير حكمة، وإنما قال بغير حساب.

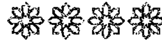
٢ـ هذه العبارة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تحتمل عدة معان مهمة :

أ ـ معناه: لا يحاسبه أحد عما يفعل، فهو يرزق من يشاء، ولا يسأله أحد: لِمَ فعلت هذا؟

ب ـ وهو لا يحاسب المرزوق على قدر الطاعة، وهذا يعني: هو لا يرزق الناس على قدر طاعتهم ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء:٢٠]، وهذا يعني أنّ الرزق ليس دليلاً على رضى الله عن العبد، وليس المنع دليلاً على سخط الله، وهذا ليس في حسابه تعالى عندما يرزق.

ج ـ الله تعالى يرزق العبد من غير أنْ يكون له حساب ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، أي ما كان له حساب.

إذن بغير حساب معناه: هو لا يُسأل عما يفعل ولا يحاسبه أحد ويرزق كما يشاء، ولو كان هناك مسؤول في الدولة يرزق ويعطي فعليه التدقيق والمحاسبة، لكنّ ربنا تعالى لا يُسأل عما يفعل، و لايحاسب المرزوق، أي لا يرزقه بحسب الطاعة، فهو لا يخشى أنْ تنفد خزائنه، ويرزق العبد من حيث لا يحتسب، وهذا توسع في المعنى، وكل هذه المعاني موجودة في قوله تعالى ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾ [النور: ٣٨]، وهذه الآية من جوامع الكلم.



﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة اللاشيء؛ أي لا قيمة ولا نفع؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في آية النور ٤٠ ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾؟

الجواب:

١ـ ذهب قسم من النحاة إلى أنّ (كاد) إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإنْ قلت: كاد يفعل، فمعناه لم يفعل. وإنْ قلت: ما كاد يفعل، فمعناه أنه فعله بعد جهد. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١].

٢ـ وقيل هي إثباتها إثبات ونفيها نفي. فإنّ معنى (كاد) مقاربة الفعل، فإذا قلت: كاد يفعل، فإنك أثبت المقاربة ولم تثبت الفعل. وإذا قلت: ما كاد يفعل، فإنك تنفي مقاربة الفعل، أي لم يفعله ولم يقرب من فعله.

لذلك فالنحاة متفقون في معنى الإثبات، ومختلفون في معنى النفي.

لذلك يكون المعنى لقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ [النور:٤٠] مبالغة في (لم يرها)، أي لم يقرب أنْ يراها فضلاً عن أنْ يراها .

والأقوى أنّ المعنى أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها. والله أعلم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول :

دلالة تكرار ﴿مَا﴾ في آيات التسبيح؟

الجواب :

توجد ظاهرة في آيات التسبيح في القرآن كله. إذا كرّر (ما) فالكلام بعدها يكون عن أهل الأرض. وإذا لم يكرر (ما) فالكلام ليس عن أهل الآرض وإنما عن شيء آخر.

في سورة الحشر قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١] بتكرار (ما)، وجاء بعدها ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢] وهذا في الأرض. وكذلك في سورة الصفّ، وفي سورة الجمعة، وفي سورة التغابن.

بينما في آية أخرى في سورة الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:١-٢-٣] ليس الكلام هنا عن أهل الأرض، وإنما هو عن الله تعالى.

وكذلك في آيات سورة النور ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور:٤١-٤٢] .

هذه قاعدة عامة في القرآن، والتعبير القرآني تعبير مقصود قصداً فنياً. وهذا في مقام التسبيح، ولم يتم التحقق من هذه القاعدة في غير مقام التسبيح.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (سحاب) في القرآن الكريم؟

الجواب :

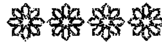
١ـ كلمة (سحاب) هي اسم جنس جمعي. واسم الجنس الجمعي معناه: لفظه لفظ مفرد، ولكن معناه معنى جمع، وليس له واحد من لفظه. فكلمة (سحاب) كأنها اسم مفرد ليس لها واحد من لفظها.

والسحابة هي القطعة من السحاب، لكن ليست واحدة من السحاب، ومثل ذلك كلمة (ماء)، فالماء اسم جنس جمعي ليس له واحد من لفظه، لكن له نقطة من الماء.

٢ـ و(السحاب) لفظه لفظ مفرد، ومعناه معنى جمع، وكأنه جمع تكسير ولذلك يُذكّر ويؤنّث، فالعرب تقول: هذا السحاب، وتقول: هذه السحاب. لكنّ الإحالة عليه بالضمير يكون بالمفرد المذكّر، فتقول: السحاب رأيته ولا تقول: السحاب رأيتها. فإذا

جمعته على (سُحُب) تؤنّث، تقول: السحب رأيتها ولا تقول رأيته للجمع، كما تقول: الشجر سقيته. وهذا أيضاً اسم جمع إفرادي، والأشجار سقيتها.

٣ـ كلمة السحاب وردت في تسعة مواضع في القرآن الكريم كله. وكلمة (السَحاب) هي بفتح السين وليس لها وجه آخر. وفي أربعة مواضع وردت كلمة السحاب فيها ليس وراءها وصف، إنما مجردة.



﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

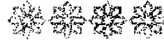
السؤال الأول :

قوله تعالى في آية النور: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور:٤٥] وقوله في آية الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر:٢٦] ما وجه التوافق بين الآيتين؟

الجواب :

ما الصلصال؟ الصلصال هو طين يابس، وما الطين؟ الطين هو ماء وتراب، فالصلصال هو الطين اليابس، والطين هو التراب والماء، إذن الماء أولاً. وهذه هي مراحل الخلق، يضع الماء على التراب فيصير طيناً ثم يكون طينا لازباً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً كالفخار. إذن لا تعارض بين مراحل خلق الإنسان.

والله أعلم.



﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ٣٤: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾، وقال بعدها في الآية ٤٦: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بحذف الواو، وحذف ﴿إِلَيْكُمْ﴾؟

الجواب:

انظر الآية ٣٤ من سورة النور.



﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في كلمة ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بتسكين القاف؟

الجواب:

جاءت كلمة (وَيَتَّقْهِ) بتسكين القاف، والقياس أنه يجب أن تكون بالكسرة (ويتّقِهِ)، فالتسكين يخفف القاف، فلماذا؟ علماً أنه لا نجد في القرآن الكريم كلمة تماثلها وتتمتع بالمواصفات الآتية:

[فعل متصل بضمير الغيبة (الهاء)، وفيه حركة ضمير الغيبة (الهاء) مكسورة].

وإنما جاء ت الأفعال التالية في القرآن: (نحشُرُه) بالضمّ، و(قتَلَهُ) بالفتح و(نُصلِه) بالكسر، و(اقتدِه) بالسكون.

وجاءت كلمة ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بتسكين القاف لتخفيفها وتخفيف النطق بها بدل القول (يتّقِهِ) بكسر القاف؛ لأنه لم يرد في القرآن فعل بهذه الحركات مجتمعة. وهذه قراءة حفص، أمّا بقية القُرّاء فيقرءونها (يتقِهِ) بكسر القاف.

وهذه لغة لبعض العرب في كل معتلّ حُذِف آخره، وعموم العرب يقولون (يتقي)، وبعضهم يقول (يتق)، مثل بقية المجزوم من الأفعال الصحيحة، نحو: لم أرْ زيداً، فهذه لغة حفص، وقد أخذ بهذه اللغة، بينما باقي القراء العشرة يقرأونه (ويتقِهِ) بالقاف المكسورة، والهاء مفعول به.

إذن هذه لغة نزل بها جبريل تخفيفاً، فقرأ بها حفص ورواها أهل اللغة واستشهدوا لها بشواهد، والتسعة الآخرون أخذوها باللغة المشهورة ﴿وَيَتَّقْهِ﴾

وإعراب (يتقه) فعل مضارع مجزوم معطوف على الفعل (يطع) وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والهاء ضمير متصل مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو .

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

هذه الآية كأنها برقية من الله تعالى، فلم تدع حكماً من أحكام الإسلام إلا جاءت به، فكأنها جمعت المنهج كله. والتعبير الموجز أصعب من التطويل والإطناب:

ـ قوله تعالى: ﴿يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: آمن بالله وأطاعه وصدّق برسوله.

ـ قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ أي: يخافه لما سبق من الذنوب.

ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ في الباقي من عمره.

ـ قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢] أفادت الحصر للفائزين.

إذا عاملت الحق تعالى فأخرِجْ الخلق وإذا عاملت الخلق فأخرج النفس.



﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠] و ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور:٥٣]؟

الجواب:

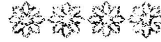
هنالك قانون في القرآن، وهو أنّ الكلام إذا كان عن الإنسان أو عن عمله فإنه يقدّم العمل، وإذا لم يكن الكلام عن الإنسان أو كان الكلام عن الله أو عن الأمور القلبية فإنه يقدّم الخبرة.

* شواهد قرآنية :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [النمل:٨٨] الكلام عن الله وليس عن الإنسان، فقال في ختامها ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل:٨٨] .

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور:٥٣] هذه أمور قلبية، هذا أمر يعرفه الله.

بينما قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد:١٠] هذا كله عمل، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد:١٠] إذن هذه القاعدة العامة ظاهرة.



﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول)؟

الجواب :

١ـ إذا لم يتكرر لفظ الطاعة، فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولا يجري ذكر للرسول ﷺ في السياق أو الإشارة إليه .

أو بمعنى آخر، إن اتحد المُطاع ـ الله والرسول ـ عطف الرسول على لفظ الجلالة فتأتي: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

* شواهد قرآنية:

ـ آية آل عمران ٣٢ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

ـ آية آل عمران ١٣٢ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ .

وهذه الآية جاءت بعد آية تحريم الربا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ .

٢ـ وإذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر الرسول ﷺ في السياق، أو بمعنى آخر: إنْ كان الأمر طاعة الله في الأمر الإجمالي وطاعة الرسول في تفصيل ذلك الأمر تأتي: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤] .

ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢] .

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣] .

ـ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[التغابن:١٢].

٣ـ إنْ كان الأمر طاعة الرسول بتفويض الله له كما في آية الحشر ٧ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ يأتي الموضوع كما في طاعة أولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩] .

وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

انظر الجواب أيضاً في آيتي آل عمران [٣٢ـ ١٣٢].



﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الفسق والكفر والظلم؟

الجواب :

الفسق: هوالخروج عن الطاعة، من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، ويمتد من أيسر الخروج إلى الكفر كله، ويسمى فاسقاً. فالذي يخرج عن الطاعة وإن كان الخروج قليلاً يسمى فاسقاً، والكافر يسمى فاسقاً أيضاً.

قال ربنا عن إبليس: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف:٥٠] وقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور:٥٥].

فالكفر سماه فسوقاً، والنفاق سماه فسوقاً. فإذن الفسق ممتد، وهو الخروج عن الطاعة.

في غير هذا قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٩٧] فهذا ليس كفراً هنا، وكيف يكون كفراً في الحج؟

لذلك الفاسق ليس بالضرورة كافراً، فقد يصل إلى الكفر وقد لا يصل، كما في الآيات: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحُجُرات:١١]و ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ [البقرة:٢٨٢]، هذا ليس كفراً.

وليس كل فاسق كافراً، لكنْ كل كافر فاسق قطعاً، كما في الآيات: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة:٦٧] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور:٥٥].

الظلم: هو مجاوزة الحد عموماً، وقد يصل إلى الكفر ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقد لا يصل.

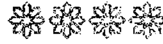
الكفر: هو الخروج عن المِلّة. والكفر أصله اللغوي الستر، وتستعار الدلالة اللغوية للدلالة الشرعية.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الأمن والأمنة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ و ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ [النور:٥٨] في آيات سورة النور ٥٨-٥٩-٦١؟

الجواب:

١ـ لفظة (آياته) مضافة إلى لفظ الجلالة لتشريفها وتعظيمها.

٢ـ كلمة (الآيات) عامة من حيث اللغة ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف:٣٥].

٣ـ من هذا يبدو لنا أنه في كل المواطن التي تضاف فيها كلمة (آية) إلى ضمير لفظ الجلالة ﴿ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ يكون معناها أهم وآكد مما لم تضف.

إذن الآيات أعم أولاً، والأمر الآخر أنّ آياته تكون في محل أهمّ وآكد لتشريفها.

٤ـ في الأحكام المختصة بالحلال والحرام يقول:(**آياته**). وفي الآيات الأقل منها في الحكم يقول:(**الآيات**).

*** شواهد قرآنية :**

أ ـ ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ هذه أحكام، حلال وحرام، فقال: (آياته).

ب ـ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ ﴾ ... ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ قال (الآيات)؛ لأنه ليس فيها حلال وحرام، فهذه في المندوبات وليست في الفروض، وحتى في ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ ﴾ لم يكن فيها تحريم بعد.

ج ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

قال: (الآيات)، وبعدها مباشرة قال: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ قال: (آياته).

أيهما الأهم: استئذان من بلغ الحلم أو استئذان من لم يبلغوا الحلم؟ طبعاً الذين بلغوا الحلم، فقال(آياته) مع الذين بلغوا الحلم والذين لم يبلغوا الحلم قال معها (الآيات).

وحتى لو أخذنا الأعم، الذين لم يبلغوا الحلم والذين ملكت أيمانكم أعم من الذين بلغوا الحلم، وهؤلاء قسم من أولئك، فاستعمل الأعم مع الأعم ومع الأخص استعمل الخصوص.

د ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور:٦١] لو لم يأكلوا فليس عليهم حرج، إنْ شاء أن يأكل يأكل وليس عليه حرج، فقال: (الآيات). إذن مع الأحكام والحدود يقول: (آياته) بإضافتها للفظ الجلالة وحسب الأهمية.

٥ـ وقد وردت في القرآن الكريم كلمة: (آية) ٨٤ مرة، وكلمة (**آيات**) ٢٩٥ مرة، وكلمة (**آياتنا**) ٩٢ مرة، وكلمة (**آياته**) ٣٨مرة، وكلمة (**آياتي**) ١٤ مرة، وكلمة (**الآيات**) ٣٣ مرة.

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في آية سورة النور ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور:٣١] لماذا جاءت كلمة (الطفل) مفرداً و(الذين) جمعاً، وجاءت كلمة (الأطفال) جمعاً في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (طفل) في سورة النور وفي سورة غافر والحج. ووردت كلمة الطفل والأطفال في القرآن .

والطفل تأتي للمفرد والمثنى والجمع، فنقول: جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل. فمن حيث اللغة ليست كلمة الطفل منحصرة بالمفرد. وقد وردت في سورة النور أيضاً كلمة الأطفال ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور:٥٩] .

٢ـ لو لاحظنا السياق في سورة الحج ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج:٥] نجد أنّ الآيات تتكلم عن خلق

الجنس، وليس عن خلق الأفراد، فكل الجنس جاء من نطفة ثم علقة ثم مضغة؛ لذا جاءت كلمة (طفل).

٣ـ أما قوله تعالى في سورة النور٥٩: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور:٥٩] بكلمة (الأطفال) فهنا السياق مبني على علاقات الأفراد وليس على الجنس، لأنّ الأطفال عندما يبلغون ينظرون إلى النساء، وكل واحد له نظرة مختلفة، فلا يعود التعاطي معهم كجنس يصلح في الحكم فقال: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ [النور:٥٨] فاقتضى الجمع هنا.

السؤال الثاني:

لماذا قال الطفل في سورة النور ٣١؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ كل المذكورين في الآية موقفهم مختلف بالنسبة لعورات النساء، أمّا الطفل فموقفه واحد بالنسبة لعورات النساء في جميع الحالات؛ لأنهم لم يعلموا بعد عن عورات النساء فهي تعني لهم نفس الشيء، فجعلهم كجنس واحد؛ لذا أفرده مع أنه جمع لكن اختيار اللفظ ناسب سياق الآيات.

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ ﴾ في الآية وكلمة (القعود)؟ وما معنى الفعل (قعد) بشكل عام؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٦.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (**أشتات**) و(**شتى**)؟

الجواب :

شتى: وردت في ثلاثة مواضع بمعنى الاختلاف مقابل الائتلاف. انظر الآيات:[طه ٥٣ـ الليل ٤ـ الحشر ١٤].

أشتات: وردت في آيتين:[الزلزلة ٦ـ النور ٦١] بمعنى التفرق مقابل التجمع.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (ليس عليكم جناح) و(لا جناح عليكم) في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٢٩.

السؤال الثالث :

ما الحرف الذي تكرر إحدى عشر مرة في آيتي النور ٣١ و ٦١؟

الجواب :

هو حرف العطف ﴿أَوْ﴾

السؤال الرابع :

ما الفرق بين ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [النور:٥٩] و ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [النور:٦١] في آيات سورة النور ٥٨ـ٥٩ـ٦١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٥٨.

***السؤال الخامس :**

ما الفرق بين الأعمى والكفيف؟

الجواب :

الأعمى هو الذي وُلِد أعمى من بطن أمه لا يرى، أمّا الكفيف فكان مبصراً ثم كُفّ بصره فيما بعد.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾

السؤال الأول:

نحن نعرف أن (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي تؤكده، وإذا دخلت على الفعل المضارع يكون الاحتمال في الموضوع، فما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾؟

الجواب:

هذا سؤال نحوي. والشائع عند طلبة العلم أنّ(قد) إذا دخلت على الماضي أفادت التحقيق، وهم يقولون تحقيق وتوقع وتقريب، وإذا دخلت (قد) على المضارع أفادت التقليل، وهذا هو نصف الحقيقة؛ لأنّ من معاني(قد) إذا دخلت على المضارع التقليل، وقد تفيد أيضاً التحقيق والتكثير، وهذا مقرر في اللغة، لكنهم أخذوا جزءاً مما ورد وانتشر. قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة:١٤٤] فهذا للتكثير، أي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُكثر من تقلب الوجه.

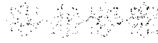
وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾ [النور:٦٤] هذا فيه تحقيق وتكثير،وكذلك في قوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾[النور:٦٣] فيه تحقيق وتكثير.

إذن من معاني(قد):التقليل، ونعلم هذا من السياق. وإذا كان الفاعل يُتصور عقلاً أنه قادر على الفعل، فهي تفيد التحقيق، والله تعالى قادر على كل شيء .

ما معنى كلمة ﴿لِوَاذًا﴾ في الآية؟

أي يلوذ بعضهم ببعض ويستتر بعضهم ويتهربون من الجهاد .

ولمزيد من المعلومات انظر منظومة الحصن والملجأ في آية النساء ٧٨.



١ ـ ذكر في أول سورة النور حد الزاني والقاذف بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾  .

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ .

وقال في آخرها: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦٣]، فذكر في أول السورة قسماً ممن يخالفون عن أمره والعذاب الذي يصيبهم.

٢ ـ وذكر في أوائل السورة الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم، وذكر من تنكر الفعلة وتكذِّب زوجها فيما رماها به، وذكر الذين يقذفون المحصنات الغافلات .

وقال في آخر السورة: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ (٦٤)﴾ [النور: ٦٤].

فربنا سبحانه يعلم ما فعلوا وما أنكروا وما قذفوا، وسوف ينبئهم بما عملوا، والله بكل شيء عليم .والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِنْ رَوَائِعِ البَيَانِ فِي سُوَرِ القُرْآنِ

فِي البَلَاغَةِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنّى محمّد هبيان

قدّم له:

د. زكريّا توفيق إسماعيل

المجلّد التّاسع

مِنْ بداية سورة الفرقان وحتّى سورة الرّوم

دار الفكر

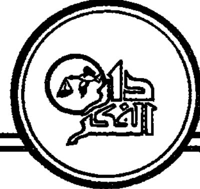
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب: 11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 559903-01 فاكس: 559904 1 00961

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 985888 7 00961



سورة الفرقان

أولاً ـ تناسب خواتيم النور مع فواتح الفرقان:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة النور:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٦٤].

وقال في أول الفرقان:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:١-٢].

فذكر في آية النور أنّ له ما في السماوات والأرض.

وقال في آية الفرقان: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٢] فذكر في الآيتين أنّ له سبحانه ملكهما وملك ما فيهما.

فقد يملك الفرد شيئاً ولا يملك ما فيه، وقد يملك داراً ويؤجرها فتكون له الدار وما فيها للمستأجر.

أمّا الله سبحانه فله ملكهما وملك ما فيهما وقد كملت إحدى الآيتين الأخرى.

٢ ـ قال في أواخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

وهذا تحذير وإنذار.

وقال في أول سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١].

فكلتا الآيتين إنذار، فقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١] هو مناسب لقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] فكلاهما إنذار.

٣ ـ قال في آخر سورة النور:

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ۝٦٤﴾ [النور:٦٤].

وقال في أول سورة الفرقان:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان:٢].

فالذي خلق كل شيء وقدره تقديراً هو بكل شيء عليم.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنّه لمّا ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول، وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه، وحذّر من يخالف أمره، وذكر أنّ له ملك السماوات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار، ناسب أنْ يفتتح هذه السورة بأنّه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير، ومن خيره أنه أنزل الفرقان على رسوله منذراً لهم، فكان في ذلك إطماع في خيره وتحذير من عقابه)).

ثانياً ـ هدف السورة: سوء عاقبة التكذيب:

سورة الفرقان سورة مكيّة وقد سميّت بهذا الاسم؛ لأنّ الله تعالى ذكر فيها الكتاب المجيد الذي أنزله على عبده ورسوله محمد عليه السلام، وكانت النعمة الكبرى على

الإنسانية، وهو الذي فرّق الله تعالى به بين الحق والباطل والكفر والإيمان فاستحق هذا الكتاب العظيم أنْ يسمّى الفرقان، وأنْ تسمى السورة بهذا الاسم تخليداً لهذا الكتاب الكريم. والسورة تدور آياتها حول إثبات صدق القرآن وبيان سوء عاقبة المكذّبين به.

والآيات في هذه السورة تسير بسياق متميّز، فتبدأ بآيات فيها ما قاله المكذبون: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾. ثم تأتي آيات تهدئة الرسول وتعقيب على ما قالوا، ثم تأتي آيات تتحدث عن عاقبة التكذيب، ويستمر هذا السياق في معظم آيات السورة الكريمة. وهذا التسلسل في الآيات مفيد جداً للمسلمين في كل زمان ومكان؛ لأنه يعرض عليهم عاقبة التكذيب ليرتدعوا عن التكذيب بالفرقان وبدين الله الواحد.

الآيات من الآية الرابعة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان:٤] إلى التاسعة: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان:٩] تعرض ما قاله المكذبون ثم تأتي آيات التهدئة للرسول الكريم عليه السلام: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان:١٠] ثم آيات إظهار عاقبة التكذيب: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾. ثم يتكرر السياق نفسه: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] ثم عاقبة التكذيب: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ

جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان:٢٧-٢٨-٢٩]. وآيات التعقيب: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ آية ٣٠ والطمأنة للرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٤]. وكذلك في الآية ٣٢: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان:٣٢]. ثم التهدئة للرسول: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:٣٣] ثم عاقبة التكذيب: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان:٣٤]. وهكذا حتى نصل إلى آية محورية في هذه السورة: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان:٤٣] وهي تعرض لماذا يكذّب المكذبون؟ والسبب واضح جليّ، وهو أنهم يتّبعون أهواءهم فالمشكلة إذن تكمن في اتّباع الهوى، وهذا هو أساس تكذيب الناس للحق.

بعد كل الآيات التي عرضت للتكذيب بالقرآن، تأتي آيات إثبات قدرة الله تعالى في الكون: وقد نتساءل لماذا تأتي هذه الآيات الكونية هنا في معرض الحديث عن التكذيب؟ نقول إنه أسلوب القرآن الكريم، عندما يشتّد الأذى على الرسول وعلى المسلمين تأتي الآيات الكونية تطمئنهم أنّ الله الذي أبدع في خلقه ما أبدع وخلق الخلق والأكوان كلها قادر على نصرتهم، فكما مدّ الله تعالى الظل للأرض سيمدّ تعالى الظلّ للمؤمنين ويذهب عنهم ضيقهم والأذى الذي يلحقهم من تكذيب المكذبين. فسبحان الله الحكيم القدير: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان:٤٥]. وفي استعراض هذه الإشارات الكونية تبدأ الآيات بجوّ السكينة

أولاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان:٤٧-٤٨]. فاختيار الآيات مناسب لمعنى الطمأنة التي أرادها تعالى لرسوله، وهي تخدم هدف السورة تماماً.

ثم تنتقل الآيات من تكذيب المكذبين بالقرآن إلى ما هو أعظم، وهو **التكذيب بالرحمن سبحانه:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠]. والرد على هؤلاء المكذبين بالرحمن يأتي بصيغة هي غاية في العظمة، فالله تعالى ردّ عليهم بعرض صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣] إلى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان:٧٦]. ولمْ يعرض صفاته جلّ وعلا، فهم لا يستحقون الرد على سؤالهم من الرحمن؟ فكأنما يقول لهم: إنّ هناك أناساً أمثالكم، لكنهم صدقوا القرآن وآمنوا بالله الرحمن وعبدوه حق عبادته، فاستحقوا وصفهم نسبة إليه سبحانه نسبة تشريف وتكريم بعباد الرحمن. وفي صفات الرحمن صفة هامة هي دعاؤهم بأنْ يكونوا للمتقين إماماً، وهكذا يجب أنْ يكون المسلم إماماً وقدوة لغيره من الخلق؛ لأنه على الحق القويم وعلى الصراط المستقيم. وتختم السورة بآية تلّخص فيها رد الله على هؤلاء المكذبين: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان:٧٧].

وقد قال القرطبي: وصف الله تعالى عباد الرحمن بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التحلي والتخلي، وهي: التواضع، والحلم والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب

الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله. ثم بيّن جزاءهم الكريم، وهو نيل الغرفة؛ أي الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنّة وأفضلها.

ثالثاً. من اللمسات البيانية في السورة:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

ما خصوصية استعمال القرآن لكلمة القرآن والفرقان ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٢] وفي الفرقان ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١]؟

الجواب:

١ـ الفرقان هو الفارق بين الحق والباطل، والتوراة تسمى فرقاناً والقرآن يسمى فرقاناً، والكتب السماوية هي فرقان. والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣].

٢ـ البعض قالوا: الفرقان هو المعجزات، أي: أنّ الكتاب هو التوراة والفرقان هو المعجزات.

والبعض قالوا: الكتاب والفرقان يقصد بهما التوراة نفسها،كما نقول: هذا أبو حفص عمر، وكما في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:١١٢]. هذا هو الأصل، وليس القاعدة المطلقة.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩] هم مؤمنون، ويجعل الله لهم فرقاناً، وعندها ستميز بين الحق والباطل وتعرف ما يصح وما لا يصح كما في الحديث: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب**».

٤ـ القرآن هو الاسم العلم على الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهذا القرآن فرّق بين الحق والباطل .

إذن القرآن فرقان، والإنجيل فرقان، والتوراة فرقان، والمعجزات فرقان تفرق بين الحق والباطل.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿تَبَارَكَ﴾؟

الجواب:

١ـ أصل كلمة ﴿تَبَارَكَ﴾ يتألف من مادة (الباء والراء والكاف)، وهذه الأحرف تدل على البركة. و(تبارك) على وزن تفاعل. والبركة هي كثرة الخير وزيادته.

٢ـ وردت في القرآن الكريم تسع مرات:

أ ـ منها سبع مرات بالألف ﴿تَبَارَكَ﴾ في الآيات: [الأعراف ٥٤ـ المؤمنون ١٤ـ الفرقان ١ـ١٠ـ٦١ـ غافر٦٤ ـ الزخرف ٨٥].

ب ـ ومنها مرتان بدون الألف: ﴿تَبَٰرَكَ﴾: [الرحمن ٧٨ ـ الملك ١].

وهذا يدل على أنّ رسم القرآن كان توقيفياً، وليس أمراً روتينياً ميكانيكياً كما في قوله في أول سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ فرسم كلمة (اسم) هنا بالألف، وفي باقي القرآن بدون الألف.

٣ـ تبارك: فعل لا يستعمل إلا بلفظ الماضي، ولا يستعمل إلا مع الله تنزيهاً له سبحانه.

٤ـ تبارك: فعل ماض مبني على الفتح.

٤ـ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ يفيد ثلاثة معانٍ:

أ ـ تعالى قدره.

ب ـ تنزه عن مشابهة ما سواه.

ج ـ عَظُمَ خيره وعطاؤه، فعطاؤه دائم لا ينقطع.



﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾ في آية (المؤمنون ٩١) و﴿وَلَمۡ يَتَّخِذۡ﴾ في آية الفرقان ٢؟

الجواب:

١ـ (ما) في الغالب تقال للرد على قول في الأصل، أي في الرد على دعوى: أنت قلت كذا؟ أقول: ما قلت.

أمّا (لمْ أقل) فقد تكون من باب الإخبار، فليست بالضرورة أنْ تكون رداً على قائل.

لذلك قالوا: (لم يفعل) هي نفي لـ(فعل)، بينما (ما فعل) هي نفي لـ (لقد فعل)، و(ما حضر) نفي لـ (قد حضر)، وكما في الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤].

٢ـ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ﴾ ضد قول: اتخذ صاحبة ولا ولداً، و(لم يتخذ) قد تكون من باب الإخبار والتعليم، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:١-٢] فهذا من باب التعليم، وليس رداً على قائل وليس في السياق أنّ هناك من قال وردّ عليه وإنما تعليم، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١] يخبرنا إخباراً.

بينما نلاحظ أنه لمّا قال في محاجته للمشركين: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١] هم يقولون: اتخذ الله ولداً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١]. فلمّا رد على المشركين قولهم قال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ﴾.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين القضاء والقدر والأجل؟

الجواب:

القضاء: هو ما سُجّل في اللوح المحفوظ قبل أنْ يقع.

القدر: هو ما وقع تصديقاً لذاك القضاء، أي الآن.

الأجل: هو المدة المضروبة للشيء.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الفرقان ٣ قدّم الضر وأخّر النفع، بعكس آية الرعد ١٦ وآية الفرقان ٥٥، فلماذا؟

الجواب:

١ـ بشكل عام النفع هو من باب الإثبات؛ لأنه مطلوب مطلقاً، والضر من باب النفي؛ لأنه يتطلب نفيه عند حصوله.

٢ـ في آية الرعد قدّم النفع؛ لأنّ النفس ترتاح إليه ولا تسأمه، وهو مطلوب مطلقاً؛ فقدمه لقوله: ﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾.

٣ـ في آية الفرقان الكلام عن الآلهة الباطلة من دون الله، وهي آلهة مزعومة لا تستطيع أنْ تفعل شيئاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وهي أيضاً لا تملك أن تدفع الضر عنها أو جلب النفع لها فكيف تملكه لغيرها؟ !!!

ولمّا تقدم في الآية ٣ ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ قدّم النفي على الإثبات فكان تقديم ما يناسب النفي أنسب لتناسب الجملتين.

٤ـ وعندما لم يتقدم في الآية ٥٥، وآية الرعد ١٦ جملة تَقَدَّم نفيُها على إثباتها، كان تقديم ما هو من باب الإثبات أنسب مما هو في باب النفي. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في يس٧٤، ومريم ٨١: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وفي الفرقان: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ آية مريم ويس وردتا بعد ضمير المتكلم، كما في قوله تعالى في مريم ٨٠: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ وفي يس ٧٢ ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ فناسب الإظهار.

٢ـ وأمّا آية الفرقان فوردت بعد تكرار ضمير الغائب في قوله تعالى في الآية ٢: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢] فناسب الإضمار للغائب لتناسب الضمائر. والله أعلم.



﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا وردت كلمة (السماء) مفرداً في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء:٤] وجمعاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [الفرقان:٦]؟

الجواب:

١ـ (السماء) كلمة واسعة جداً قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ⁽٦⁾﴾ [الفرقان:٦] القول أوسع من السر، فهو قد يكون سراً، وقد يكون جهراً فهو أوسع من السر، والسر جزء منه.

فلمّا وسع قال: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ وقال: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ولمّا ضيق وقال: ﴿ٱلسِّرَّ﴾ قال: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

فبهذا المعنى الشامل تكون ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ أوسع بكثير من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٢ـ وقوله تعالى في آية آل عمران ١٣٣: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ عندما اتسعت اتساعاً هائلاً جاء بأداة التشبيه في آية الحديد ٢١ ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنّ المشبه به عادة أبلغ من المشبه، فهي لا تبلغ هذا المبلغ الواسع الذي يشمل كل شيء.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (أنزلناه) و(أُنزل إليك) بالبناء للمجهول؟

الجواب:

المعروف في النحو واللغة أنّ المُسنَد إليه هو المتحدَّث عنه، والمُسنَد هو المتحدث به عنه. ومن المسنَد إليه الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر وما أصله مبتدأ وخبر.

فإذا أراد الحديث عن نائب الفاعل بنى الفعل للمجهول، وإذا أراد الحديث عن الفاعل ذكره. والأمر حسبما يريد المتكلم، هل الكلام عن الفاعل أو عن نائب الفاعل؟

ومثال ذلك قوله تعالى في الأعراف: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ⁽٣⁾﴾ [الأعراف:٣] ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ الكلام عن الكتاب فبدأ بالسورة ﴿الٓمٓصٓ ⁽١⁾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ⁽٢⁾﴾ [الأعراف:١-٢] فإذا

كان الكلام عن الفاعل ذكر الفاعل، وإذا كان الكلام عن نائب الفاعل بنى الفعل للمجهول.

* شواهد قرآنية:

- ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان:٦] يتكلم عن الله، فذكر الكتاب في ﴿أَنزَلَهُ﴾ لأنّ الكلام عن الفاعل لاعن المنزَل.

- ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] بماذا يؤمن؟ بالكتاب.

- ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر:٢] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا﴾ الكلام عن الله، وليس عن الكتاب.

إذن: إذا كان الكلام عن نائب الفاعل يبني الفعل للمجهول.



﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة الفرقان لماذا وردت كلمة ﴿السَّبِيلَ﴾ مرة واحدة في الآية ١٧، وست مرات ﴿سَبِيلًا﴾، مع أنّ الفاصلة القرآنية في السورة مطلقة؟

الجواب:

لنستعرض الآيات:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان:١٧].

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان:٩].

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان:٢٧].

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان:٣٤].

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان:٤٢].

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [الفرقان:٥٧].

١ـ بشكل عام الفاصلة ليست مرادة لذاتها، ولكنها تأتي التقاطاً. واللفظ هو المطلوب، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد المعنى المُراد.

و يتبين ذلك في سورة الضحى في استخدام ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ في الآية ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحى:٣] ولم يقل: قلاك، وذكرنا أنه ليس من المناسب أنْ يذكر ضمير المخاطب (الكاف) مع الفعل (قلى) في حق الرسول ﷺ.

وكذلك الأمر في الآية الرابعة من سورة الأحزاب، حيث إنه ضحى بالفاصلة من أجل المعنى ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب:٤] مع أنّ جميع الآيات مطلقة في السورة؛ لأنّ كلمة (السبيل) عندما تقف عليها تقف على السكون، والسكون فيه معنى الاستقرار والسكون، ويعني السبيل المعروف وهو الإسلام.

٢ـ عندما تأتي كلمة (السبيل) بالألف واللام - وهي لم ترد في القرآن إلا في ثلاثة مواضع منها الآية في سورة الفرقان محل السؤال:

- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان:١٧] تكون السبيل هنا بمعني سبيل الإسلام. بينما الآيات الست الأخرى في سورة الفرقان ليس فيها (أل): ثلاث منها ليس فيها مجال إلا أن تُنصب، والمنصوب في الآخر يُمدّ؛ لأنه جاءت تمييزاً فمُدّت الفتحة.

- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ تمييز.

- ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾ تمييز.

- ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ تمييز.

وفي الآية ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ لم يأت بـ(أل)، وجاء بكلمة سبيل منكرة، حتى يشير إلى أي سبيل، يعني يتمنى لو اتخذ مع الرسول سبيلاً أيَّ سبيل: سبيل المجاهدين، سبيل المنفقين، سبيل الملتزمين بالفرائض، سبيل المحافظين على النوافل، أو غيرهم، وكلها تصب في سبيل الله.

٣ـ وعندما يقول: (السبيل) فهو يعني الإسلام خالصاً، والآيات التي وردت فيها كلمة (السبيل) بالتعريف هي:

- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء:٤٤].

- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان:١٧].

ـ ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾[الأحزاب:٤]

ففي آية سورة النساء كلمة (السبيل) في نهاية الآية تعني الإسلام، وكذلك (السبيل) في آية سورة الفرقان ١٧ وآية سورة ٤. وعندما نقول السبيل فهي تعني المستقر الثابت.

٤ـ ذكرنا أنه وردت كلمة (السبيل) مرة بالإطلاق في سورة الأحزاب ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٧] ﴿سَبِيلًا﴾ بالألف واللام وبصيغة الإطلاق بخلاف الآيات الثلاث، والسبب أنهم في وضع اصطراخ، فهم يصطرخون في النار وحتى كلامهم عن السبيل جاء فيه صريخ وامتداد صوت.

هذه هي الأماكن فقط، أمّا الأماكن الأخرى فجاءت كلمة (السبيل) بدون إطلاق، ولن نجدها إلا عند الوقف مستقرة؛ لأنه يراد بها الإسلام.



﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قدّم في النحل ٣١ والفرقان ١٦ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾، وعكسها في ق ٣٥ فلماذا؟

الجواب:

في سورتي النحل والفرقان الكلام فيهما عن الجنة؛ فقدّم ضمير الجنة ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾.

أمّا آية ق، فإنّ الكلام على من سيدخل الجنة؛ فقدّم ﴿مَّا يَشَاءُونَ﴾ على ﴿فِيهَا﴾، فناسب كل تعبير مكانه.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

أصحيح أن عباد القهر سماهم (عبيد) وعباد الاختيار سماهم (عباد)؟

الجواب:

هذا غير دقيق، انظر إلى هذه الآية ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان:١٧] استعمل (عبادي) في الضالين، وهذا على معنى العبودية للعموم. وكلهم عباد الله.

السؤال الثاني:

في سورة الفرقان لماذا وردت كلمة ﴿ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ مرة واحدة في الآية ١٧ وست مرات ﴿سَبِيلًا﴾ مع أنّ الفاصلة القرآنية في السورة مطلقة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفرقان ٩.



﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين السير والمشي؟

الجواب:

يقال: سار القوم إذا امتد بهم السير في جهة ما توجهوا إليها.

وأمّا المشي فلانتقال الخطى وإنْ كانت قليلة وهو على الأرجل.

والسير قد يكون للسفر وللتجارة وللضرب في الأرض وللاعتبار ولغير ذلك على أن يكون ممتداً.

السير:

قال تعالى:

- ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩]، وهو سير ممتد للعودة إلى مصر.

- ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ:١٨]، وهو سير متطاول ممتد يستغرق ليالي وأياماً.

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦]، وهو سير للعبرة.

- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠]، وهو سير للعبرة.

المشي:

قال تعالى:

- ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥].

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ
ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

استعمل ﴿عِتِيّٗا﴾ في آية مريم ٦٩ و ﴿وَعَتَوۡ﴾ في آية الفرقان ٢١، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ٦٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾؟

الجواب:

الله عز وجل لو كان يُرى لكم في الدنيا ما صحّ أنْ يكون إلهاً؛ لأنّ المرئي مُحاطٌ بحدقة الرائي، وطالما أحيط به فهو إذن محدود، ومحدوديته تنافي ألوهيته.



﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٥.

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿خَيْرٌ﴾ و﴿وَأَحْسَنُ﴾ بصيغة اسم التفضيل، ما اسم التفضيل نحواً ولغة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٣٩.



﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الويل والويلة في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ الويل هو العذاب والحزن والمشقة، وأمّا الويلة فهي الفضيحة.

٢ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال الويلة في القرآن لوجدناها كلها في مواطن الفضيحة، كما في الآيات: [هود ٧٢ـ الكهف٤٩ـ المائدة ٣١ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

والله أعلم.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾

السؤال الأول:

في القرآن نجد ﴿يَٰرَبِّ﴾ كما في الآية هذه، ونجد ﴿رَبَّنَا﴾ بإسقاط حرف النداء، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.



﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾

السؤال الأول:

هل تأتي الهداية والضلالة في القرآن بصيغة الفعل أو الاسم؟

الجواب:

١ـ الهداية جاءت بالاسم والفعل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم:٢٧] ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان:٣١] ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة:١٦].

وأمّا الضلالة فجاءت بالفعل ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر:٣٤].

أمّا في الكلام عن الشيطان فجاءت الضلالة بالاسم والفعل: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ﴾ [القصص:١٥] ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ [الحج: ٤] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ﴾.

٢ـ صفة الله تعالى الثابتة والمتجددة هي الهداية ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] وحالته الثابتة والمتجددة هي الهداية، ولا يضل إلا مجازاة للظالم. أمّا صفة الشيطان الثابتة والمتجددة فهي الإضلال فجاءت (مُضلّ) بالاسم الثابت وبفعل التجدد. ولم يقل تعالى عن نفسه (مُضلّ) بالصيغة الاسمية وإنما قال: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧] ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ﴾ [إبراهيم:٢٧] مجازاة لهم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ﴾؟

الجواب:

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى تعليقاً على هذه الآية:

١ـ إنّ وجود عدو للدعوة مدعاة لصبغ الدعوة بصبغة الجدية.

٢ـ في ذلك تمحيص للصالح من الطالح في صف الدعوة.

٣ـ في ذلك تميّز لدعاة الحق من دعاة الباطل.

٤ـ مدعاة لفترة إعدادٍ للدعاة مستترة.

٥ـ فيه دخول في دين الله أفواجاً.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿نُزِّلَ﴾ تعني التفريق أوالتنجيم، فكيف تتناسب مع ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾؟

الجواب:

١ـ الفعل (أنزل) للمرة الواحدة، والفعل (نزّل) يفيد التكرار والتدرج والمبالغة والاهتمام والتوكيد.

٢ـ هم قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ وهم يعرفون أنه ينزل منجماً وسبقوها بالعرض والتحضيض ﴿لَوْلَا﴾.

فقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ أي: لو لا كان هذا التدرج جملة واحدة حيث إنّ ذاك مرادَهم.

فجاء الجواب من الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أردناه كذلك بأنْ ينزّل بالتدرّج مرتلاً كالرتل يتبع بعضه بعضاً لتثبيت فؤاد النبي ﷺ.

٣ـ فإذن لمعرفتهم بإنزاله مفرّقاً استعملوا اللفظة وسبقوها بالعرض أوالتحضيض: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ [الفرقان:٣٢] أي: لو لا كان هذا التدرج جملة واحدة، فإذن التدرج مرادهم؛ لذلك إمّا أنْ يكون التدرج مراداً وإمّا أنْ يكون مبالغاً، وفي الحالين ينبغي أنْ يكون الفعل (نزّل) لينسجم مع قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعني نزلناه مدرّجاً. ولو قيل في غير القرآن: (لولا أنزل) ما كانت تستقيم (كذلك)؛ لأنه ما أنزله جملة واحدة؛

لأنّ (كذلك) معناها نزل بهذه الصورة. وللعلم فإنّ الفعل (نزّل) قد يأتي للتدرج، وقد يأتي بمعنى التكثير والمبالغة، وقد يأتي بمعنى (أنزل). والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين نزّل وأنزل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣.



﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (الرسل) بالجمع في سورة الفرقان ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾[الفرقان:٣٧] مع أنّ نوحاً وباقي الرسل جاءوا منفردين في سورة الشعراء؟

الجواب:

١ـ هذه تتكرر في عموم القرآن ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾كما في الآيات:[الشعراء ١٠٥ـ ١٢٣ـ ١٤١ـ ١٦٠ـ ١٧٦].

٢ـ هو رسول واحد لكل قوم، لكنْ في مواطن كثيرة ترد (كذّبوا المرسلين)؛ ولذلك يقول علماؤنا: من كذّب رسولاً فقد كذّب جميع الرسل الذين من قبله.

فهم كذّبوا نوحاً ومن قبله؛ لأنهم أنكروا مبدأ الرسالة. ومن حيث المعنى هو رسول واحد مبلّغ عن ربه ومنبّه على وجود رسل من قبله، فإذا كذّبوه فقد كذّبوه بذاته وكذّبوا من نسب إليهم الرسالة؛ فإذا قيل هو كاذب فهو كاذب بكل قوله، ومن ضمن قوله أنه هناك رسل من قبله فكذبوا بهم جميعاً وفي ذلك إشارة إلى ارتباط الرسل كأنهم جميعاً قافلة واحدة، فمن كذّب واحداً منهم فقد كذّب الجميع.

٣ـ القرآن الكريم نزل بين عرب فصحاء، ولو كان فيه مايخالف لغة العرب لكان فرصة لهم للتشنيع عليه، ولكنهم دهشوا ببلاغته وأسلوبه.

السؤال الثاني:

ذكر الله الفعل ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في سورة الإنسان ٤ ـ والنساء ١٨ ـ والفرقان ٣٧ ـ بينما استعمل الفعل ﴿أَعَدَّ﴾ في آية النساء ٩٣ ـ والإنسان ٣١، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٨.

السؤال الثالث:

يسند الله الأمر إلى ذاته في مقام المدح ويبني الفعل للمجهول في مقام الذم فما دلالة إسناد الأمر إلى الله في الآية في إغراق قوم نوح عليه السلام؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٣٧.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ٣٨﴾

السؤال الأول:

لماذا زيدت ألف مع كلمة ﴿وَثَمُودَاْ﴾ في الآية؟

الجواب:

زيدت ألف مع كلمة (ثمود) في أربع آيات، وهي:[هود ٦٨ـ الفرقان ٣٨ـ العنكبوت ٣٨ـ النجم ٥١].

وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي الآيات الأربعة بالتنوين، وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص بترك التنوين فيها.

وبالتالي فإنّ هذه الألف ليست إلا عوضاً عن التنوين المفتوح ما قبله عند الوقف.



﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ٣٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ ما الكلمات الشبيهة في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي: [تعساً ـ سُحقاً ـ تباً ـ بعداً ـ نكس].

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية المؤمنون ٤١ .



﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين اسم الإشارة (ذلك) واسم الإشارة (هذا)؟

الجواب:

اسم الإشارة نفسه أحياناً يستعمل في التعظيم، وأحياناً يستعمل في الذم والذي يبين الفرق بينهما هو السياق.

وكلمة (هذا) تستعمل في المدح والثناء، نحو: "هذا الذي للمتقين إمام" ويستعمل في الذم ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان:٤١].

و(كذلك) تستعمل في المدح، نحو: "أولئك آبائي فجئني بمثلهم" أولئك جمع (ذلك)، و(هؤلاء) جمع (هذا) وتستعمل في الذم.

و(ذلك) من أسماء الإشارة، و(تلك) من أسماء الإشارة، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] اسم الإشارة فيه تعظيم، وأحياناً يستعمل في الذم، تقول: (هذا البعيد) ولا تريد أن تذكره، والذي يميز ذلك الاستعمال والسياق.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما تفسير قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾؟ وكيف يمد الظل؟

الجواب:

١ـ الظل موجود ويتحرك، وكأنه يشير إلى قدرة الله تعالى على تحريك الكون. لكنْ يمكن أنْ نقف عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان:٤٦] حيث إن تحرّك الظل ليس تحركاً سريعاً. ومعنى تحرّك الظل هو تحرك الأرض حول نفسها، بحيث يتحول الظل بشكل يسير؛ لأنّ الأرض تدور بانضباط، ولو قبضه قبضاً سريعاً لما بقي حيٌّ على وجه الأرض. وهذه حقيقة علمية يمكن أنْ نقول إنْ القرآن أشارإليها في هذه الآية بكلمة القبض اليسير.

وكأنّ القرآن يقول لهم: انظروا كيف يقبض الله الظل قبضاً يسيراً؟ وكيف يسير بشكل هادئ من صورة إلى صورة يطول ويقصر، وهم يشاهدونه؟

ونحن الآن عرفنا ما شأن الأرض، وكيف تدور حول نفسها وحول الشمس، ونقول: هذه حقيقة علمية، ولو لم يكن القبض يسيراً ما كانت لتكون حياة على الأرض؛ بسبب سرعتها الكبيرة آنذاك.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان:٤٥] أي أنه يوقف حركة الأرض والشمس والكون والمجموعة الشمسية كلها، فلو سرّع الأرض لاختل النظام، ولو بطّأ الأرض أو أوقفها لتعطّل النظام.

السؤال الثاني:

ما دلالة التركيب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في الآية؟

الجواب:

التركيب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه دلالتان لغويتان:

١ـ استفهام عن رؤية قلبية أو بصرية، مثل آية الفيل (١) مع (كيف) نحو قولك: ألم تر فلاناً اليوم؟ أو: ألم تر كيف حُلَّ الموضوع؟

٢ـ بمعنى التعجب، بمعنى: ألم ينتهِ لعلمك، من أجل لفت نظر السامع وطلب التأمل، مثل آية الفرقان (٤٥) مع (إلى).

إذن ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ﴾ لها دلالة غير دلالة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾.

٣ـ هذا، وقد ورد التعبير ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في القرآن الكريم في ٣١ موضعاً.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

جاءت الأفعال بالمضارع في آيات الأعراف ٥٧ ـ والروم٤٨ ﴿يُرْسِلُ﴾ وجاءت الأفعال بصيغة الماضي في الفرقان ٤٨ ـ وفاطر٩ ﴿أَرْسَلَ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٥٧.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

ذكر القرآن الكـريـم ٢٣ نوعا من المياه، لكل منها طبيعته الخاصة، وهي:

١- الماء المغيض: وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها. غاض الماء: قل ونقص.

قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود:٤٤].

٢- الماء الصديد: وهو شراب أهل جهنم.

قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم:١٦].

٣- ماء المهل: وهو القطران والمذاب من معادن أو زيت مغلي.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف:٢٩].

٤- ماء الأرض: الذي خلق مع خلق الأرض. ويظل في دوره ثابتة حتى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون:١٨].

٥- الماء الطهور: وهوالعذب الطيب.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان:٤٨].

٦- ماء الشرب.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ [النحل:١٠].

٧- الماء الأجاج: وهو شديد الملوحة، وهو غير مستساغ للشراب.

قال تعالى:

- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان:٥٣].
- ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ﴾ [فاطر:١٢].
- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة:٧٠].

٨- الماء المهين: والضعيف والحقير، ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المرسلات:٢٠].

٩- الماء غير الآسن:أي غير متغير الرائحة،والآسن من الماء مثل الآجن، وقد أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً إذا تغيرت رائحته.

قال تعالى واصفا أنهار الجنة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥].

١٠- الماء الحميم: حم الماء:أي سخن، والماء الحميم: شديد السخونة والغليان.

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد:١٥].

١١- الماء المبارك: الذي يحيي الأرض وينبت الزرع وينشر الخير.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ [ق:٩].

١٢- الماء المنهمر: وهو الماء المتدفق بغزارة ولفترة طويلة من السماء فيهلك الزرع والحرث.

قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر:١١].

١٣- الماء المسكوب: الملطف للأرض، والذي يعطى الإحساس بالراحة للعين، قال تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الواقعة:٣٠-٣١].

١٤- الماء الغور: الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها، فلا ينتفع منه.

قال تعالى: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف:٤١].

١٥- الماء المعين: الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك:٣٠].

١٦- الماء الغدق: أي: الوفير.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن:١٦].

١٧- الماء الفرات: الشديد العذوبة.

قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المرسلات:٢٧].

١٨- الماء الثجاج، وهو السيل.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ:١٤].

١٩- الماء الدافق: وهو مني الرجل يخرج في دفقات.

قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [الطارق:٦].

٢٠- ماء مدين: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص:٢٣].

٢١- الماء السراب: ما تراه العين نصف النهار كأنه ماء.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور:٣٩].

٢٢- ماء الأنهار و الينابيع: وهو الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك معروفه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر:٢١].

٢٣- الماء السلسبيل: وهو ماء في غاية من السلاسة وسهوله المرور في الحلق من شده العذوبة، وينبع في الجنة من عين تسمى سلسبيلاً، لأنّ ماءها على هذه الصفة.

قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان:١٨].



﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام كلمة ﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ في آية سورة الفرقان ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾؟

الجواب:

١ـ الآية هي: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾ لماذا لم يقل (ناساً)؟

لو نظرنا في الآية لوجدنا أنها تتحدث عن بلدة ميتة ليس فيها نبات.

ولمّا كانت هذه قرية، فكلمة (أناسيّ) هي جمع (إنس) مثل إزميل أزاميل، إنجيل أناجيل، و (أناسيّ) على وزن أفاعيل.

والإنسي ضد الوحشي، وفي الحديث الذي رواه الإمام علي كرّم الله وجهه: **نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن متعة النساء وأكل لحوم الحمر الإنسية**. وفي رواية الأهلية، والحمار الإنسي يعني الذي يعيش مع الناس الذي يعيش في البلدة.

٢ـ الإنسي هو ضد الوحشي، والوحشي هوالذي يعيش في البرية.

وهنا في الآية نجد أنّ المتحدَّث عنه هو هذه البلدة، والبلدة فيها هؤلاء الأناسي؛ أي مجموعات من البشر، ولو قال: (الناس) بشكل مطلق، لشمل كل من على الأرض، وهو

يريد أنْ يتحدث عنِ إحياء بلدة. فلمّا كان يتحدث عن إحياء بلدة ذكر إحياء نباتها ثم إحياء أنعامها بهذا الغيث، كما في الآية: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾[الحج:٥].

لاحظ التدرج: يحيا النبات وتحيا الأنعام ويحيا الأناسي، وهؤلاء الناس القليلون الذين هم مجموعات صاروا كثيراً، ولو قال: (الناس) لصارت عامة وخرجت من إطار البلدة، بينما الغيث الذي جاء هو غيث على بلدة معينة، والله أعلم.

السؤال الثاني:

لماذا قدّم تعالى إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي في هذه الآية؟

الجواب:

سقي الأرض بماء المطر سابق في الوجود على سقي الأناسي به. والله أعلم.

السؤال الثالث:

وصفت البلدة في آية الفرقان ٤٩ ﴿بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ بالتذكير ووصفت في سبأ ١٥ ﴿بَلۡدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ بالتأنيث، فلماذا؟

الجواب:

التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ، وتارة باعتبار المعنى، كقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾[المزّمل:١٨] و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[الإنفطار:١].

وأيضاً فإنّ ما فيه روح يقال له: ﴿مَيِّتٍ﴾ بالتشديد، وما لا روح فيه يقال له: (ميْتٌ) بالتسكين.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الكفر والكفران والكفور؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (الكفر) في القرآن الكريم في (٢٧) موضعاً، كلها تدل على الكفر في الدين.

٢ـ وردت كلمة (كفران) في موطن واحد في آية الأنبياء (٩٤) وهي بمعنى الجحود وتقابل الشكر.

٣ـ وردت كلمة (الكفور) في ثلاثة مواضع، وتحتمل المعنيين، وجاءت في الآيات:[الإسراء ٨٩ـ الفرقان ٥٠ـ الإسراء ٩٩] فكأنّ الكفور أعم من الكفر والكفران.

والله أعلم.



﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ﴾ [الفرقان:٥٤]؟

الجواب:

١ـ هذا نوع من مِنّة الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان، حيث جعله إنساناً اجتماعياً، وهناك أمور قد لا يلقي لها الإنسان بالاً، لكنْ لو تدبرها سيجد قدرة الله سبحانه وتعالى وسيسجد لله تعالى مؤمناً به.

والله تعالى خلق الإنسان ليكون ذا قيم وذا مُثُل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣] أي ليتعارف الناس فيما بينهم، وبذلك تنشأ المجتمعات.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾:

أ ـ النسب: هو قرابة التناسل بيني وبين أخي، أبي، عمي، وأمّا (وصهراً) فهو قرابة الزواج. وفي الحديث: «**اغتربوا ولا تضووا**» والعلم الحديث يقول إنّ زواج الأقارب قد يؤدي بمرور الوقت إلى نوع من الأمراض والإعاقة، من أعلَم محمداً ﷺ بهذا؟

ب ـ الصِّهر هو أقارب الزوجة أو أقارب الزوج، واللغة العربية وضعت للأقارب من جهة الزوج الحمو، والأحماء (جمع حمو)، ويجمع الاثنان بكلمة الأصهار، وكأنه صُهِر الاثنان في لفظ واحد.

فالله سبحانه وتعالى يمنّ على هذا الإنسان بحياته الاجتماعية، ومنها علاقات النسب وعلاقات القرابة، فتكون هناك علاقات اجتماعية وتقارب والإسلام يحرص على تآزر المجتمع وحتى تآزر الجيران، كما جاء في الحديث: « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثّه**» وللأسف حياتنا الاجتماعية الآن مختلفة، فأنت تسكن في شقة لا تعلم من جارك في الشقة المجاورة، وهذا ليس من طبيعة المجتمع المسلم.

٣ـ بشر: اسم جنس، وهو إشارة إلى البشرة، كأنه ذو بَشَرة بالفتح، وليس بالسكون (بشْرة).

لذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: بعضهم ينتسب لبعض وبعضهم يصاهر بعضاً.

وقدّم النسب على المصاهرة؛ لأنّ قرابة النسب أقرب من قرابة المصاهرة، فأنت أقرب لأبيك وأخيك من قرابتك لأهل زوجتك، وهكذا زوجتك بالنسبة لأقربائك.



﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان:٥٥]؟

الجواب:

المؤمن دائماً مع الله على عدوه الداخل فيه والخارج عنه، فيحاربهم ويعاديهم، كما يكون خواص الملك معه على حرب أعدائه.

أمّا الكافر فهو مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه، أي يظاهر الشيطان على معصية الله ليعينه عليها.

فالمعية الخاصة التي هي للمؤمن مع ربه، قد صارت لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان ومع نفسه وهواه؛ ولهذا كان صدر الآية ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان:٥٥]

السؤال الثاني:

في آية الفرقان ٣ قدّم الضر وأخّر النفع، بعكس آية الرعد ١٦ وآية الفرقان ٥٥، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفرقان ٣.

السؤال الثالث:

ما سبب التقديم والتأخير في قوله تعالى في آية يونس ١٨ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وفي آية الفرقان٥٥ ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ في يونس تقدم قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [يونس:١٥] فناسب تقديم الضر، ومعنى الآية ١٨ أي: لا يضرهم إنْ عصوه ولا ينفعهم إنْ أطاعوه.

٢ـ في آية الفرقان تقدم ذكر النعم وعدها فناسب تقديم النفع، والمعنى: أي ما لا ينفعهم بنعمة من النعم.



﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ٥٧﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٩٠] تتكرر في القرآن، وتأتي ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان:٥٧] فمتى تأتي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ ومتى تأتي ﴿أَجْرًاۖ﴾؟

الجواب:

١ـ من حيث اللغة: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان:٥٧] آكد من ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لأن ﴿مِنْ﴾ الإستغراقية دخلت على الأجر، أي دخلت على المفعول به، فهي تفيد استغراق النفي، وهي مؤكدة. إذن من حيث التركيب اللغوي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ آكد من ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام:٩٠] لوجود (من) الاستغراقية.

٢ـ يبقى: لماذا وضعت كل واحدة في مكانها؟ وهذا سؤال بياني.

أ ـ آية الأنعام آية واحدة، وليس فيها (من)، وليس قبلها شيء في التبليغ ولا في الدعوة إلى الله، لأن سياق الدعوة والإنكار يستوجب التوكيد وقد جاءت الآية في سياق التذكر: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].

ب ـ بينما سياق آية الفرقان (٥٧) هو في التبليغ والدعوة إلى الله، فاحتاج الأمر إلى التوكيد بـ(من) الاستغراقية. والله أعلم.



﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الفرقان ٥٨ أضيف التوكل إلى صفة الحياة الأبدية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] وأضيف في الشعراء (٢١٧) إلى القوة والرحمة﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾فما الحكمة من هذا التنويع؟

الجواب:

١ـ في آية الفرقان: أشار إلى الصفة التي يدوم معها نفع المتوكل عليه وهي دوام الحياة؛ لأنّ من يموت ينقطع نفعه.

٢ـ في آية الشعراء: أشار إلى الصفتين اللتين ينفع معهما التوكل، وهما العزة التي يقدر بها على النفع، والرحمة التي بها يوصله إلى المتوكل.

وخصّ بقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ في سورة الشعراء لتكرر الوصف فيها في إنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم.



﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

متى يذكر القرآن: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ﴾ [المائدة:١٧] كما في آية المائدة ١٧؟ ومتى يذكر ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كما في آية الفرقان ٥٩؟ ومتى يذكر مع هذا التعبير الملل الثلاث؟

الجواب:

ذكرُ الملل الثلاث يأتي مع التعبير ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ﴾ [المائدة:١٧] تحديداً، وليس في خلق السموات والأرض وما بينهما.

وحيث ورد هذا التعبير ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة:١٧] إمّا أنْ يكون تعقيباً على ذكر ما لا يليق في الله تعالى من الصفات أو ذكر ثلاث ملل، وهي: اليهودية والنصرانية والإسلام، مقابل ثلاثة في الآية: السموات، الأرض، ما بينهما، وهذا تناظر أدبي بياني.

والله أعلم.



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾



السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (ما) و (من)؟ وما دلالة استعمال (ما) للعاقل؟

الجواب:

١ـ (مَن) لذات من يعقل، نحو: مَن هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان، من أنت؟ أنا فلان.

إذن (من) لذات العاقل، سواء كانت اسم استفهام أم شرط أم نكرة موصوفة أم اسم موصول.

٢ـ (ما) تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل، مثل: ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا. كما تستعمل لصفات العقلاء.

* شواهد قرآنية:

- ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] لصفة العقلاء، أي انكحوا الطيّب من النساء.

- ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾ [الشمس:٧] الذي سواها هو الله.

- ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾ [الليل:٣] من الخالِق؟ الله هو الخالق.

إذن (ما) قد تكون لصفات العقلاء.

٣- ثم قد تكون (ما) للسؤال عن حقيقة الشيء، كما في الآية: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] يسألون عن حقيقته، وكذلك في سؤال فرعون، قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ [الشعراء:٢٣] يتساءل عن الحقيقة.

٤- وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم، كما في الآيات: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣﴾ [القارعة:١-٢-٣] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧﴾ [الواقعة:٢٧] فهذا تفخيم وتعظيم سواء كان فيما هو مخوف أو فيما هو خير وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أبي وما أبي؟ ذلك والله فرع مديد وطود منيب.



﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي (عباد وعبيد) في القرآن؟

الجواب:

كلمة (عباد) تضاف إلى لفظ الجلالة، فالذين يعبدون الله يضافون للفظ الجلالة فيزدادون تشريفاً، فيقال: (عباد الله)، كما ورد في سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣].

أمّا كلمة (عبيد) فهي تُطلق على عبيد الناس والله معاً، وعادة تضاف إلى الناس، والعبيد تشمل الكل محسنهم ومسيئهم، كما ورد في سورة ق ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق:٢٩] والعبد يُجمع على (عباد)، ويُجمع على (عبيد).

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (هَوناً) و(هُون) في القرآن؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣]، وقال في سورة النحل: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل:٥٩] الهَون هو الوقار والتؤدة، أمّا الهُون فهو الذلّ والعار.

السؤال الثالث:

ما صفات عباد الرحمن التي وردت في سورة الفرقان؟

الجواب:

هذه هي الآيات التي تكلمت عن صفات عباد الرحمن من الآية ٦٣: الآية ٧٦، ذكر الله سبحانه فيها وصفهم بتسعة أنواع من الصفات الجميلة، وهي:

أ- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣].

ب - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣].

ج - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤].

د - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

هـ - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧].

و - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان:٦٨].

ز - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان:٧٢].

ح - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان:٧٣].

ط - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

السؤال الرابع:

ما أهم الدلالات في هذه الآية٦٣؟

الجواب:

١- قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ﴾ مبتدأ، وفي خبره قولان:

أـ قوله تعالى في آخر السورة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ [الفرقان:٧٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان:٦٣]، وهو الأقرب.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٣] أضافهم إليه رفعة لهم، وإنْ كان كل الخلق عباده.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾، وفيها عدة مسائل:

أـ جاء بـ (إذا) دون (إنْ) للتعبير عن كثرة حصول هذه الصفة وتحققها.

ب ـ لم يقل: (والذين) هنا كبقية المعطوفات؛ لأنّ الخصلتين كشيء واحد من حيث رجوعهما إلى التواضع.

ج ـ وصف الكفار بـ ﴿ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾؛ لأنّ عملهم يخالف العلم والحكمة.

د ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ ليس المراد التحية، وإنما مرادهم طلب السلامة وإظهار الحلم مقابل الجهل، والتنبيه على سوء طريقتهم لكي يمتنعوا. وهذا يسمى سلام المتاركة.

وأطلق الخطاب: ﴿سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ إعلاماً بأنّ أكثر قول الجاهل الجهل. و(سلاماً) مصدر مؤكد لفعله المضمر، بتقدير: نسلم منكم تسليماً، فأُقيم السلام مقام التسليم.

هـ ـ المراد بالآية مدحهم بالإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ﴿يَمۡشُونَ﴾ ما الفرق بين (مشى) و(سار)؟

الجواب:

سار: إذا امتد السير من جهة إلى جهة أخرى.

مشى: هو مجرد الانتقال، وليس بالضرورة التوجه إلى هدف معين.

وجاء بالفعل المضارع ﴿يَمْشُونَ﴾ للتعبير عن الحدوث والتجدد، فهذه حالهم كلما مشوا على الأرض، ولأنّ هذه سمتهم كما جاء في الحديث «**المؤمن هين لين**».

لمزيد من المعلومات انظر آية الأنعام ١١.

السؤال السادس:

قال في آية لقمان ١٨: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ﴾، وقال في آية الفرقان ٦٣ ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، فما السبب؟

الجواب:

في آية لقمان الماشي يمشي بقوة واختيال ويضرب الأرض بقدمه تبختراً فناسب ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، بينما في آية الفرقان الماشي يمشي هوناً بسكينة فناسب ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾.



﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة الفرقان قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤] كيف يبيتون؟ هل يبيتون أبدانهم في الفراش وأرواحهم في السماء؟

الجواب:

من أحيا شيئاً من الليل كله أو بعضه بالصلاة فقد بات لربه ساجداً وقائماً. ومن قرأ شيئاً من القرآن في صلاة دخل في هذا، وليس بالضرورة أنْ يحييه كله. والمبيت في اللغة قد يكون جزءاً من الليل، وليس معناه النوم، ثم إن هذا أمر فقهي.

حتى قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء ركعتين فأكثر كان كمن بات لله ساجداً وقائماً.

و الصلاة معراج المؤمن، وقيام الليل هو مناجاة المؤمن لربه.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (قيام) و(قائمين)؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن الكريم في هذه الآية لفظة (قياماً)، كما وردت في القرآن لفظة (قائمون).

٢ـ وقد وردت كلمة (قيام) في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى القيام الحقيقي أي: في الصلاة المعروفة، كما في آيات:[آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

بينما وردت كلمة (قائمون) في موطنين فقط بمعنى القيام بالأمر والعكوف، كما في الآيات: [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦] حيث (القائمون) فيها بمعنى العاكفين بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر في الآية السابقة ما بينهم وبين الخلق من القول والفعل ومعظمه يكون نهاراً ذكر ما بينهم وبين خالقهم ليلاً.

٢ـ ذكر مع كل صفة حرف العطف ـ الواو ـ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ تنبيهاً على أنّ كل واحدة منها مقصودة لكبر أثرها.

٣ـ جاء بالفعل المضارع ﴿يَبِيتُونَ﴾ للدلالة على الحدوث والتجدد في كل ليلة؛ لأن البيتوتة تكون بالليل.

٤ـ في تقديم قوله تعالى: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ أفاد الاختصاص، أي: لربهم فقط دون غيره، واستعمال كلمة الرب هنا مناسب؛ لأنه المحسن إليهم برحمانيته يحيون الليل رحمة لأنفسهم وشكراً لفضله.

٥ـ لمّا كان السجود أهم أركان الصلاة لكونه أقرب ما يكون العبد فيه من ربه، وهو الذي تكبّر عنه الجاهلون، ذكره الله هنا وقدّمه، فقال: ﴿سُجَّدًا﴾ وأتبعه ما هو تلوه في المشقة، فيتمحض الفعلان للصلاة، قال: ﴿وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾.

قال الحسن رحمه الله: نهارهم في خشوع وليلهم في خضوع.

فأشار القرآن الكريم في هذه الآيات إلى تهذيبهم لأنفسهم للخلق والخالق.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا

 ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ كرر حرف العطف مع كل صفة لبيان أهمية كل صفة بمفردها.

٢ـ جاء بالفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾ للدلالة على الحدوث والتجدد؛ لأنهم يقولون ذلك دائماً في سجودهم وقيامهم.

٣ـ هؤلاء المؤمنون قدّموا الدعاء بالنجاة اهتماماً بدرء المفسدة وإشعاراً بأنهم مستحقون لذلك وإنْ اجتهدوا، لتقصيرهم عن أنْ يقدروه سبحانه حق قدره، فقالوا: ﴿رَبَّنَا﴾ وهو لفظ مناسب لهذا الدعاء، فالله هو المحسن، وهو المربي، وهو الحافظ.

ثم سألوا ربهم بقولهم: ﴿ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ إشعاراً منهم بأنهم مع اجتهادهم خائفون وجلون، إلا أن يتداركهم عفو الله سبحانه.

وجملة ﴿ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ كأنهم متصورون أنّ جهنم ستسعى إليهم فسألوا الله أنْ يصرفها عنهم.

٤ـ لفظة ﴿عَنَّا﴾ بضمير الجمع للإشعار بالعلاقة القوية التي تربط بين المؤمنين وللشعور بالروح الجماعية للمجتمع المسلم.

٥ـ علّل سؤالهم بقولهم: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: هلاكاً وخسراناً محيطاً ودائماً لازماً لا ينفك، ومنه الغريم لإلحاحه وإلزامه.

وعن محمد بن كعب في تفسيره لكلمة ﴿غَرَامًا﴾ أنّ الله سأل الكفار ثمن نعمه، فما أدوها، فأغرمهم فأدخلهم النار.



﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ أتبع وصف عذاب جهنم بقوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ أي: وساءت مستقراً، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي. ومستقراً: حال أو تمييز. وأنّث لتأويل المستقر بجهنم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ إشارة إلى كون العذاب مضرة خالصة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ إشارة إلى كونها دائمة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين المستقر والمقام؟

الجواب:

١ـ المستقر بمعنى المكان للإقامة المؤقتة أو العابرة غير الدائمة، أي إقامة قد تطول وقد تقصر، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة:٣٦].

ـ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام:٦٧].

ـ ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس:٣٨].

ـ ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣].

٢ـ وأما المقام: فهو الموضع المعد للإقامة الطويلة، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٥].

ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان:٥١].

ـ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء:٧٩].

وقيل: المستقر للعصاة، والمقام للكفرة.



﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ذكر أفعالهم وأقوالهم فيما بينهم وبين الخالق وقدّمه، وأخّر ذِكر أحوالهم في أموالهم، واستعمل ﴿إِذَآ﴾ دون (إنْ) للدلالة على كثرة الوقوع وأنّ هذا هو سمتهم في التعامل مع الأموال.

٢ـ الإسراف أنْ تنفق في غير حِل، وقيل: الإسراف هو الإنفاق في المعاصي، والقتر هو الإمساك عن طاعة، والإسراف والتقتير كلاهما مذمومان، وما بينهما هو العدل والتوسط بين الإفراط والتفريط، فصرّح به بقوله: ﴿قَوَامًا﴾أي: عدلاً وسطاً.

ويروى أنّ عبد الملك بن مروان لّما أراد أنْ يُزوج ابنته فاطمة من عمر بن عبد العزيز اختبره بهذا السؤال ليعرف ميزانه في الحياة، فقال له: يا عمر: ما نفقتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين نفقتي حسنة بين سيئتين، ثم تلا هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان:٦٧].

وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفاً أنْ لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.



﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ بعدما ذكر الله أحوالهم في الأموال أتبعها فيما تخلوا عنه من أمهات المعاصي.

٢ـ كرّر هنا أيضاً حرف العطف مع هذه الصفة لبيان أهمية كل صفة بمفردها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، وفيها عدة نقاط:

أـ ذكر الله قبل هذه الآية ما يدل على حسن إيمانهم، ثم ذكر هنا أنّ من صفة عباد الرحمن الاحتراز من الشرك والقتل والزنا، فبدأ بذكر الاحتراز من الشرك للاهتمام بذلك؛ لأنها مسألة عقيدة، فأكّد الأمر.

ب ـ ومعنى: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ باستعمال ﴿مَعَ﴾ وليس (غير) للإشارة إلى الشرك الخفي، لبيان أنهم لا يدعون أصحاب الأسباب لمسبباتهم وينسون المسبب سبحانه.

ج ـ قوله تعالى: ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: دعاء جلياً (بالعبادة له) وليس خفياً (بالرياء)؛ حتى لا يقتلوا أنفسهم بخسارتهم إياها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لمّا نفى عنهم ما يوجب قتل أنفسهم، أتبعه قتل غيرهم رحمة للخلق وطاعة للخالق، إلا أنْ تعمل ما يبيح قتلها كالردة والزنا بعد الإحصان.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ لما فيه من اختلاط الأنساب وانتهاك الحرمات وحصول الفتن.

وفي الحديث عن ابن مسعود: «قلت: يارسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك**، قلت ثم أي؟ قال: **أن تقتل ولدك خشية أنْ يأكل معك**، قلت: ثم أي؟ **قال: أنْ تزني بحليلة جارك**» فأنزل الله تصديقه.

٦ـ جاء بالفعل المضارع مع هذه الصفات ﴿يَدْعُونَ﴾ ـ ﴿يَقْتُلُونَ﴾ ـ ﴿يَزْنُونَ﴾ الذي يدل على التجدد والحدوث، ولم يستعمل الفعل الماضي لأن الإسلام يجب ما قبله.

٧ـ قوله تعالى: ﴿أَثَامًا﴾ وفي معنى الأثام وجوه، منها:

ـ الأثام بوزن وبال ونكال.

ـ الأثام والإثم واحد، والمراد هنا جزاء الأثام فأطلق اسم الشيء على جزائه.

ـ واد في جهنم فيه الزناة.

ـ اسم من أسماء جهنم، وقيل اسم بئر فيه.

٨ـ كرر (لا) مع كل خصلة لنفي وقوع الخصال الثلاث حال الاجتماع والانفراد.

السؤال الثاني:

ما الكلمات التي تصف جهنم من الداخل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ٥٩.



﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ هذه الآية بدل من الفعل ﴿يَلْقَ﴾.

٢ـ لا تناقض بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؛ لأنّ هذه الأفعال تكون أسوة في المجتمع تُجرّىء الآخرين على ارتكاب هذه الجرائم؛ لذلك عليه وزره كفاعل أولاً، وعليه وزر من اقتدى به.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ للتهويل، وهو أهول من غيره بما لا يقاس ليدل على المكث الطويل.

٤ـ ثم أتبعه بذكر الخلود بقوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ فجمع بين مضاعفة العذاب والمكث الطويل فيه والخلود؛ ليدل على عِظم العذاب.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مُهَانًا﴾ أي: ذليلاً؛ ليجمع الله على الكفار والمجرمين العذاب المادي والعذاب المعنوي.



﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين في سورة الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٧٠] و ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان:٧١] ؟

الجواب:

بشكل عام في عموم القرآن إذا كان السياق في العمل يقول: ﴿عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾.

١ـ ننظر إلى السؤال وإلى السياق الذي وردت فيه الآيات:

أ ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٧٠] السيئات هي أعمال غير صالحة، والحسنة عمل صالح ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ وهذه أعمال سيئة وحسنة. ثم يختم الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

ب ـ نكمل الآية الأخرى ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان:٧١] هذا تائب أصلاً، ويتوب إلى الله متاباً، وليس هناك عمل.

أمّا في الآية الثانية ليست في ذلك وإنما في التائب ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ فالأولى في العمل: سيئات وحسنات وغفران للعمل، والثانية في التائب.

٢ـ ولذلك لمّا كان السياق في العمل قال: ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ولما كان السياق في التائب لم يكررها، وقال: ﴿تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

٣ـ إذن عندما يكون السياق في العمل يقول: ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ كما في آخر سورة الكهف أيضاً: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:١١٠]؛ لأنه تكلم عن الأشخاص الذين يعملون أعمالاً سيئة، ويكون السياق في الأعمال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] والسورة أصلاً بدأت بالعمل ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف:٢].

٤ـ مع العمل يقول: (عملاً)، وأمّا مع التائب فلا يذكر ذلك، وعندما يقول: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فهذا مصدر مؤكّد مع بيان النوع، فأفاد فائدتين التوكيد والنوع.

السؤال الثاني:

ما كلمات أَمَلِ كل المؤمنين الموحدين في المغفرة وحط الذنوب والتجاوز والصفح؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يوسف ٩٢.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ لمّا أتم الله تهديد الفجار على هذه الأوزار، أتبعه ترغيب الأبرار في الإقبال على الله العزيز الغفار، لأنّ الرب الرحيم قد فتح باب التوبة لعباده فشرّع التوبة، ثم هو يقبلها من صاحبها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[التوبة:١١٨].

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ تضمن التوبة والإيمان لأنه الأساس والعمل الصالح دون غيره من الأعمال، وأكده بقوله: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا﴾ لأهمية العمل ووصفه بالصلاح.

٣ـ ثم زاد في الترغيب بالإتيان بالفاء ربطاً للجزاء بالشرط، فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: العالو المنزلة؛ لأنّ اسم الإشارة (أولئك) يستعمل للبعيد.

٤ـ ذكر لفظ الجلالة (الله) تعظيماً للأمر مع ﴿يُبَدِّلُ﴾ إشارة إلى أنه سبحانه لا منازع له.

٥ـ قوله تعالى: ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ فيمحو الله سوابق معاصيهم بالتوبة وبعد التوبة يضع الله له الحسنة تفضلاً.

وورد أنّ بعضهم يقول - كما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه -: (رب إنّ لي سيئات ما رأيتها).

٦ـ ولمّا كان هذا أمراً لم تجر العادة بمثله أخبر أن هذه صفته تعالى أزلاً وأبداً، فقال مكرراً للاسم الأعظم؛ لئلا يقيد غفرانه شيء: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: ستوراً للذنوب رحيماً بعباده يعاملهم بالإكرام.

٧ـ التوبة الأولى رجوع عن الشرك والمعاصي، والتوبة الثانية رجوع إلى الله تعالى للجزاء والمكافأة، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾[الرعد:٣٠]؛ أي: مرجعي.

٨ـ قوله تعالى:﴿وَمَن تَابَ﴾ أي: عن المعاصي التي اقترفها في الماضي على سبيل الإخلاص، فقد وعده الله بأنه سيوفقه للتوبة في المستقبل، وهذا من أعظم البشارات.

٩ـ قوله: ﴿مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ يعني توبة نصوحاً لا عودة بعدها إلى المعصية وفيها إشارة إلى العزم ساعة التوبة على ألا يعود.



﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

هذه هي الصفة السابعة لعباد الرحمن، وفيها مسائل:

١ـ كرّر حرف العطف لبيان أهمية كل صفة بمفردها، وكرّر الاسم الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ﴾.

٢ـ الزور: هو كل ما خالف الحق، والمعنى: أنهم لا يشهدون شهادة الزور، ولا يحضرون مواضع الكذب في أي لون من ألوانه قولاً أو فعلاً أو إقراراً.

٣ـ اللغو: هو الكلام والهراء الذي لا فائدة منه، أو هو كل ما يجب أنْ يُترك ويُلغى، أو العبث الذي لا يجدي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ أي: مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه أو الخوض فيه، وعبّر عن ذلك بصيغة الحال (كراماً) لبيان حالهم.

٥ـ وجاء بـ﴿وَإِذَا﴾ دون (إنْ) لبيان كثرة وقوع ذلك منهم وأنه ليس مرة واحدة، فهذه صفتهم، كلما مروا بحال اللغو أعرضوا وأنكروا وتركوا الخوض فيما لا ينبغي.



﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

هذه هي الصفة الثامنة من صفات عباد الرحمن.

١ـ كرّر حرف العطف لبيان أهمية كل صفة بمفردها وكرّر اسم الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وجاء بـ﴿إِذَا﴾ كما في الصفات السابقة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ والآيات في القرآن الكريم تطلق على ثلاثة معانٍ:

أـ آيات كونية تُلفت النظر إلى قدرة الله تعالى، وأنه صانع حكيم.

ب ـ آيات معجزات جاءت لتأييد الرسل وإثبات صدقهم في البلاغ عن الله تعالى.

ج ـ آيات الذكر الحكيم وهي القرآن، وهي تُذّكر الناس وتنبههم من الغفلة.

ومعنى الآية هنا: أنهم حين يُذّكرون بآيات الله لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً، إنما يخرون وهم مُصغون تمام الإصغاء ومبصرون تمام الإبصار.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ ليس بنفي للخرور وإنما إثبات له ونفي للصم والعمي، والمعنى أنهم أكبّوا عليها حرصاً على استماعها بآذان واعية وعيون راعية، على خلاف عمل المنافقين الذين لا يفهمون آيات ربهم المرئية والمسموعة، ولا يبصرون ما فيها.

السؤال الثاني:

قدّم في الآية [(الصُّمّ) وهم فاقدوا السمع على (العُمْيان) وهم فاقدو البصر، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ١.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (عُمْي) و(عُمْيان)؟

الجواب:

قال: ﴿وَعُمْيَانًا﴾ بجمع القلة، ولم يقل: (عُمْي) بجمع الكثرة، والعُميان أقل من العُمْي. والله وصف الكفار بالعمي ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] ووصف المؤمنين هنا ﴿وَعُمْيَانًا﴾، والمؤمنون هم أقل عدداً من الكفار بالنص القرآني ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣] فاستعمل القرآن مع العدد الأقل ﴿وَعُمْيَانًا﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

هذه هي الصفة التاسعة من صفات عباد الرحمن.

١ـ كرّر حرف العطف لبيان أهمية كل صفة بمفردها، وكرّر اسم الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وجاء بـ (إذا)، كما في الصفات السابقة.

٢ـ جاء بالفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾ للدلالة على التجدد والاستمرار.

٣ـ ناسب هنا ذكر الرب ﴿رَبَّنَا﴾؛ لأنّ من معاني الرب الإحسان والتفضل.

٤ـ قوله: ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ (من) بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرة، وفسرت بقوله: ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ وقيل:(من) ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح.

٥ـ لا شبهة في أنّ المراد أن يكونوا قرة أعين لهم في الدين لا في الأمور الدنيوية من المال والجمال.

٦ـ المعنى أنهم سألوا الله: اجعل أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، أو: ارزقنا من أزواجنا ومن ذرياتنا أعواناً وأهل طاعة تقر بهم أعيننا في الدنيا بالصلاح وفي الآخرة بالجنة.

٧ـ قال: ﴿أَعْيُنٍ﴾ بجمع القلة دون (عيون)؛ لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالنسبة إلى عيون غيرهم.

أو حسب الاستعمال القرآني بأنّ الأعين هي جمع للعين الباصرة والعيون هي جمع للعين الجارية.

٨ـ قرة العين: القرة تأتي بمعنى اللزوم والثبات. وفيها وجهان:

أـ أنْ تصادف ما يرضيها، فتقر على النظر إليه دون غيره.

ب ـ أنّ القرّ هو البرد، فيكون المعنى: برّد الله دمعها؛ لأنّ دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة.

قال الشاعر:

فأمّا قلوبُ العاشقين فأسخنت وأمّا قلوب العاذلين فقرَّتِ

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ معناه: اجعلنا بحيث يقتدون بنا أئمة هدى.

١٠ـ أفرد ﴿إِمَامًا﴾ بدل (أئمة)؛ والسبب:

أـ (إمام) يستعمل مفرداً وجمعاً.

ب ـ اسم جنس.

ج ـ لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم.

د ـ الإمام هو الذي يسير وفق منهج الله ولا يحيد عنه؛ لذلك إنْ تعددت الأئمة فهم جميعاً في حُكم إمام واحد؛ لأنهم يصدرون عن رب واحد وعن منهج واحد، ولا

تحكمهم الأهواء فتفرقهم كالأمراء مثلاً، فجَمَعَهم في القول من كل منهم على حدة، ووحّدهم في الإمامة.

هـ ـ إضافة إلى مراعاة الفاصلة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين زوج وامرأة في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٥.



﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل، وهي خبر عن (عباد الرحمن) الذين تقدمت أوصافهم.

٢ـ الغرفة: هي الجنة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، وهي مقام العندية، وهي بيوت من زبرجد ودُر وياقوت على ما رواه ابن عباس، كما أنّ الغرفة في الدنيا هي كل بناء مرتفع.

وقد يكون المراد منها الجنس، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ:٣٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ الباء سببية، و(ما) مصدرية؛ أي: بسبب صبرهم، وهذا نتيجة الصبر على فعل الطاعات وترك الشهوات.

٤ـ لم يذكر متعلق الصبر، بل أطلقه ليعم ما سلف من عبادتهم فعلاً وتركاً.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ أي: يُلقّون في الجنة سلاماً من الله وسلاماً من الملائكة وسلاماً من أهل الأعراف.

وجاءت التحية والسلام بصيغة التنكير بقصد التكثير و التعظيم، كقوله تعالى:

ـ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٨] سلام من الله تعالى.

ـ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٤] سلام من الملائكة.

ـ ﴿أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف:٤٦] سلام من أهل الأعراف.

٦ـ التحية هي الدعاء بالتعمير، والسلام: الدعاء بالسلامة.

٧ـ قيل: إنّ التحية على الروح، والسلام على الجسد، وقيل: إنّ التحية على العقل والسلام على النفس.



﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

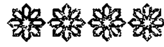
١ـ لمّا كان في معنى التحية دعاء لهم بدوام الحياة والتعمير، أكّد أنهم لايبرحون الجنة بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ و(خالدين) حال من ضمير ﴿يُجْزَوْنَ﴾ أو من ضمير ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾.

٢ـ قوله تعالى: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ أي: ما أحسنها، وهي مقابل ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

٣ـ ومعلوم أنّ من يدخل الجنة يقيم فيها إقامة أبدية دائمة، وأمّا من يدخل النار فقد يخرج منها إنْ كان مؤمناً، فكيف قال الله عن كلٍ منهما: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾؟

والجواب: أنه عندما يأتيهم نعيم أو جزاء ما في الجنة لا يكون هذا هو النعيم الدائم، فالمستقر يكون في نعمة واحدة، وأمّا المقام فهو في نعمٍ أخرى كثيرة مترقية مُستعلية، لدرجة أنّ الكمالات في عطاء الله لا تنتهي.

نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا وعليكم برضاه، ويمنحنا سوابغ نعمائه ويجمعنا بسيد أنبيائه وأحب أنبيائه ﷺ.



﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما تفسير قوله تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان:٧٧] ما يعبأ بكم ربي أي: لا يعتدّ بكم، لو لا أنكم تتضرعون إليه وتدعونه، فهو لا يعبأ بكم ولا يعتد بكم.

٢ـ (ما) هنا تحتمل أنْ تكون استفهامية، وتحتمل أنْ تكون نافية بمعنى: لا، وإذا كانت استفهامية فالاستفهام هنا ليس غرضه الاستفهام، وإنما تهويل الأمر، وأنهم - لولا الدعاء - ليسوا بشيء وليسوا بتلك المنزلة.

٣ـ حتى قسم من المفسرين قال: الدعاء معناه العبادة و(**الدعاء مخ العبادة**)، كما في الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠] فالدعاء هو التضرع، وهو أشهر شيء فيها، وهو مخ العبادة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦] فربنا لا يعتد بنا لو لا تضرعنا إليه.

والله تعالى غضب وعاقب أناساً؛ لأنهم لم يتضرعوا وأخذهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام:٤٢] فالتضرع هو الدعاء بتذلل.

وربنا سبحانه وتعالى يريد من عباده أنْ يعبدوه ويتضرعوا إليه ويدعوه ولو لا دعاؤنا لربنا لا يعتد بنا.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ وإنْ كان الخطاب عاماً، لكن هنا للكفرة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان:٧٧] أي يكون العقاب لازماً عليكم لو لم تفعلوا هذا، وسوف يكون العذاب ثابتاً وحقاً عليكم.

السؤال الثاني:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ أمر لرسوله أنْ يقول: ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ فدلّ بذلك على أنه تعالى غني عن عبادتهم، وأنه تعالى إنما كلفهم لينتفعوا بطاعتهم.

والخطاب هنا لغير المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

٢ـ قوله: ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ العبء في اللغة: الثقل. والمعنى هنا: (ما يصنع أو ما يبالي؟) على سبيل الاستحقار، أي: لا وزن لكم عند ربكم.

و (ما) تتضمن معنى الاستفهام، بمعنى: وأي عبء يعبأ بكم ربكم لولا دعاؤكم، وقد تكون نافية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: كذبتم برسلي وقصرتم في طاعتي، وهي هنا لبيان حال الكفار.

٤ـ المعنى العام: أنكم انصرفتم عن منهج الله، ولم تعبؤوا به، ولم تعبدوا الله، ولم يكن على بالكم، فكذلكم الله لا يعبأ بكم، ولن تكونوا على ذكر منه سبحانه، وسوف يهملكم.

وكما لازمتم الكفر ولم تعبدوا الله ،كذلك سيكون الجزاء من جنس العمل لزاماً لكم فلا يفارقكم أبداً. والله أعلم.



رابعاً ـ تناسب مفتتح الفرقان مع خاتمتها :

١ ـ قال سبحانه في بداية السورة:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان:١-٢].

وقال في أواخرها:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾.

فذكر الذي له ملك السماوات والأرض في البدء.

وذكر في الأواخر أنه جعل فيها سراجا وقمراً منيراً. فهو مالكها، وهو الذي جعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

٢ ـ ثم انتقل في بداية السورة إلى ذكر الكافرين والمشركين، فقال:

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان:٣]. . . ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان:٤-٥]

وذكر في أواخرها عباد الرحمن ابتداء من قوله سبحانه:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ في أواخر السورة (٦٣ ـ ٧٦).

وذلك بمقابل من ذكرهم في البدء الذين اتخذوا من دونه آلهة.

فهؤلاء عباد الرحمن، وأولئك اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون.

٣ ـ ختم السورة بقوله سبحانه:

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان:٧٧]

وكأنها استكمال لما بدأ به السورة، وهو قوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾.

فهو للعالمين نذير ولا يعبأ بهم ربه لولا دعاؤهم فقد كذبوا فسوف يكون العذاب لزاماً. وذلك من مقتنيات الإنذار ونتائجه.

ثم انظر إلى مناسبة قوله في البدء: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]

وقوله في الخاتمة. ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾

فالعبد له رب، فهو عبده، والله ربه. والله أعلم.



سورة الشعراء

أولاً ـ تناسب خواتيم الفرقان مع فواتح الشعراء:

قال سبحانه في آخر سورة الفرقان:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان:٧٧] .

وقال في أول الشعراء:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الشعراء:٢-٣-٤-٥-٦] .

ومن المناسبات بين أواخر الفرقان وبداية الشعراء:

١ ـ أنه ذكر عباد الرحمن في أواخر الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣] .. . ٦٣ ـ ٧٦.

وذكر المكذبين في أوائل الشعراء فكانت استكمالاً للمكلفين من العباد.

٢ ـ وذكر اسم الرحمن في الموضعين.

فقد ذكر عباد الرحمن في الفرقان.

وقال في الشعراء: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الشعراء:٥] فالرحمن يريد أنْ يرحم عباده وذلك بإنزال الذكر عليهم.

٣ ـ توعد المكذبين بالعذاب في آخر الفرقان، وذلك قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان:٧٧].

وكذلك في الشعراء، فقد قال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾﴾ [الشعراء:٦].

٤ ـ ذكر المكذبين في الموضعين:

فقد قال في الفرقان: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

وقال في الشعراء: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة أولها لآخر ما قبلها أنه قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان:٧٧].. أوعدهم في أول هذه فقال في إثر إخباره بتكذيبهم: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام:٥].

ثانياً ـ هدف السورة: أسلوب تبليغ رسالة الله تعالى.

السورة مكيّة، وقد عالجت أمراً هاماً نحن بأمسّ الحاجة إلى فهمه في عصرنا هذا، فالآيات في السورة تتحدث عن أساليب توصيل الرسالة بأحسن الوسائل الممكنة والاجتهاد في إيجاد الوسيلة المناسبة في كل زمان ومكان، وبمعنى آخر: السورة هي بمثابة رسالة إلى الإعلاميين خاصة في كل زمن وعصر وللمسلمين بشكل عام.

والسورة ركّزت على حوار الأنبياء مع أقوامهم، فكلّ نبي كان يتميّز بأسلوب خاص به في حواره مع قومه مختلف عن غيره من الأنبياء، وهذا دليل أنّ لكل عصر أسلوباً دعوياً خاصاً يعتمد على الناس أنفسهم وعلى وسائط الدعوة المتوفرة في ذلك العصر، وعلى مؤهلات الداعية وإمكانياته.

والسورة تتحدث عن الإعلام والشعراء الذين هم رمز الإعلام خاصة في عصر النبي عليه السلام، وكان شعراء الإسلام وسيلة تأثير هامّة في المجتمع آنذاك، خاصة أنّ العرب كانوا أهل شعر وفصاحة، فكانت هذه الوسيلة تخاطب عقولهم بطريقة خاصة. أمّا في عصر موسى عليه السلام فكان السحر هو المنتشر، فجاءت حجة موسى عليه السلام بالسحر الذي يعرفه أهل ذلك العصر جيداً، وهكذا على مرّ العصور والأزمان. وفي كل العصور فإنّ وسيلة الإعلام سلاح ذو حدين، قد تستخدم للهداية (كسحر موسى وشعراء الإسلام)، وقد تستخدم للغواية والضلال والإضلال (كسحرة فرعون وشعراء قريش الكفّار).

سميّت السورة: بالشعراء كما أسلفنا؛ لأنّ الشعراء في عصر النبّوة كانوا وسيلة من وسائل الإعلام، ولم يكونوا جميعاً يقولون ما لا يفعلون، كما وصفتهم الآية ٢٢٦: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء:٢٢٦]. إنما كان منهم وسيلة للدعوة والهداية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وقد ختمت السورة كما ابتدأت بالرد على افتراء المشركين على القرآن الذي أنزله الله تعالى هداية للخلق وشفاء لأمراض الإنسانية.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني:

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الرابع:

ما ميزة السور التي تبدأ بحرف الطاء، وهو من الأحرف النورانية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ١.



﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام (خاضعين) في الآية ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾؟ [الشعراء:٤] ولِمَ لَمْ يقل: (خاضعة)؟

الجواب:

عندنا حكم نحوي، وهو أنه قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير أو التأنيث بشروط، منها: أنْ يكون المضاف صالحاً للحذف وإقامة المضاف إليه مقامه، أو يكون المضاف كل المضاف إليه أو بعضه. وفي القرآن واللغة أمثلة كثيرة، قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء:٤] فلم يقل (خاضعة)، وجعل الخضوع للمضاف إليه ﴿خَاضِعِينَ﴾، وهذا يجوز لأنّ الأعناق جزء من الإنسان. ومن الشواهد النحوية كذلك:

كما شرقت صدر القناة من الدم

فالصدر مذكر وشرقت مؤنثة؛ لأنّ القناة مؤنثة، والصدر جزء منها.

لمزيد من المعلومات انظر آية الأعراف ٥٦.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ و﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ لفظ (إلى) يستعمل في القرآن الكريم مع العاقل ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة:٤٨].

٢ـ لفظ (على) يستعمل للعاقل وغير العاقل ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ [الحج:٥].

كما يستعمل في العقوبات ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ [البقرة:٥٩] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء:٤].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (نزّل) و(أنزل)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣.



﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال في الأنبياء ٢ ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ وفي الشعراء ٥ ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم في الأنبياء ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء:١] وذكر إعراضهم وغفلتهم، وهو وعيد وتخويف، ناسب ذكر الرب المالك ليوم القيامة المتولي ذلك الحساب.

٢ـ وفي الشعراء تقدّم ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الشعراء:٤] لكنْ لم يفعل ذلك لعموم رحمته للمؤمنين والكافرين، فلم يشأ ذلك، فناسب ذلك ذكر الرحمن لبيان رحمته، والله أعلم.

السؤال الثاني:

ذكر في آية الأنعام٥ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ مع ذكر كلمة ﴿بِالْحَقِّ﴾ وفي آية الشعراء ٥ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ بدون ذكر كلمة (الحق)، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٥.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

قال في الأنعام ٦ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وفي الشعراء٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ القاعدة أنه إنْ كان السياق يقتضي النظر والاستدلال جاء بغير (واو) كما في آية الأنعام. فالملاحظ في آية الأنعام أنّ المرئي هو إهلاك الأقوام السابقة وهو أمر غائب غير مشاهد، فالإنكار هنا أقل، فلم يأت بالواو.

٢. وإنْ كان السياق يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة جاء بالواو أو الفاء لتدل ـ الهمزة ـ على الإنكار، كما في قوله في آية الشعراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ولتدل الواو على العطف على الجمل، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف:١٨٥] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[سبأ:٩].

والملاحظ في الآيات أنّ المرئي في الشعراء إحياء الأرض وإنبات النبات والشجر، وهو مرئي كل أوان ومشاهد بالحس؛ لذا كان الإنكار هنا بترك الاعتبار فيه أشد وأقوى، فأتى بالواو الدالة على شدة الإنكار.

والله أعلم.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

(إذ) في الآية ما دلالتها؟

الجواب:

أتت (إذ) للتوكيد، بمعنى: اذكر هذا الأمر. و(إذ) تأتي دائماً بمعنى: اذكر كذا؛ وتأتي أحياناً في البداية كما قيلت لموسى عليه السلام، كما في الآيات: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:١-٢-٣-٤] فلمّا انتهى من هذا المشهد السماوي بدأ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء:١٠] أي: واذكر هذا الأمر.

السؤال الثاني:

المطلوب مقارنة قصة موسى عليه السلام في سورتي الأعراف والشعراء.

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٣.



﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه:٤٧] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء:١٦]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ٤٥.



﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء عليهم السلام (موسى- إبراهيم - نوح- هود- لوط- صالح- شعيب) في الآيات [١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠] وكلهم قالوا خلال مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلا إبراهيم وموسى عليهما السلام، فلماذا؟

الجواب:

بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام؛ فلأنّ أباه كان من المخاطبين، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الشعراء:٦٩-٧٠] فاستحيا أنْ يخاطب أباه بذلك.

وأمّا موسى عليه السلام؛ فلأنّ فرعون رباه، وقد ذكر ذلك له ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء:١٨] فلا يليق أنْ يقول له: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء:١٠٩] ألا ترى أنه لا يليق أنْ يقول شخص لأبيه أو لمن رباه وأنفق عليه: (لا أسألك أجراً).

فانظر إلى جمال الذوق وحسن الاختيار في التعبير.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين معنى الضلال في الفاتحة: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الشعراء:٢٠] و ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضُّحى:٧]؟

الجواب:

معنى الضلال في الآيات الثلاث واحد، وهو عدم معرفة شرع الله سبحانه وتعالى. فموسى عليه السلام فعل هذا قبل النبوة، فهو لا يعرف شرع الله آنذاك، والرسول ﷺ عندما يقول له الله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضُّحى:٧] يعني: لم تكن عارفاً شرع الله تعالى، فهداك إلى معرفة شرعه بالنبوة.

فالضلال هنا عدم معرفة شرع الله، وليس الضلال معناه الفسق والفجور فموسى عليه السلام قبل النبوة فعل هذا، وكان جاهلاً بشرع الله، ومحمد ﷺ لم يكن يعرف شرع الله تعالى قبل النبوة، فالمعنى واحد.



﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام (ما) بدل (من)؟

الجواب:

١ـ (من) لذات من يعقل، تقول: من هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان من أنت؟ أنا فلان. إذن (من) لذات العاقل سواء كانت اسم استفهام أم اسم شرط أم نكرة موصوفة أم اسم موصولاً.

٢ـ (ما) تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل، مثل قولك: ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا. وتستعمل لصفات العقلاء، مثل: (أشرب ما تشرب)، وقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] لصفة العاقل أي: انكحوا الطيّب من النساء.

٣ـ (ما) تستخدم لذات غير العاقل وصفته (ما لونه؟ أسود) ولصفات العقلاء ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧] والذي سواها هو الله. وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] من الخالِق؟ الله هو الخالق. إذن (ما) قد تكون لصفات العقلاء.

٤ـ ثم قد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء، كما في الآيات: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] يسألون عن حقيقته، وفي سؤال فرعون قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء:٢٣] يتساءل عن الحقيقة.

٥ـ وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة:١-٢-٣] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة:٢٧] سواء كان فيما هو مخوف أو فيما هو خير، وعائشة رضي الله عنها قالت: أبي وما أبي؟ ذلك والله فرع مديد وطود منيب.

والنُحاة ذكروا هذه المعاني لـ (ما) في كتب النحو والبلاغة.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ورد في القرآن الكريم ذكر عصا موسى عليه السلام بأوصاف مختلفة حيث وصفت مرة بالجان ومرة بالثعبان ومرة بالحية، فما الفرق بينها؟

الجواب:

المعنى اللغوي للكلمات:

١ـ الجان: هو الحية سريعة الحركة، والتي تتلوى بسرعة.

٢ـ الثعبان: هو الحية الطويلة الضخمة الذَّكَر.

٣ـ الحية: عامة تشمل الصغيرة والكبيرة، فالثعبان حية، والجان حية.

٤ـ ننظر كيف استعملها القرآن؟

أ ـ كلمة (ثعبان) لم يستعملها إلا أمام فرعون في مكانين ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٧] و ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الشعراء:٣٢] وذلك لإخافة فرعون، فهوثعبان ضخم يُدخل الرهبة في قلبه؛ من أجل هذا ذكر الثعبان أمام فرعون فقط.

ب ـ كلمة (الجان) ذكرها في موطن خوف موسى في الآيات: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [القصص:٣١] وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ

﴿١٠﴾ [النمل:١٠] فهي تتلوى وهي عصا، واختيار كلمة (جان) كان في مقام الخوف، والإنسان يخاف من الجان.

الجان فيه دلالة الحركة السريعة، وعصا موسى تهتز بسرعة؛ لذلك الجان يخيف أكثر من الثعبان، فمع الخوف استعمل كلمة (جان)، وسمي جاناً؛ لأنه يستتر بمقابل الإنس (الإنس للظهور والجن للستر)، هذا من حيث اللغة.

سؤال: كيف رآها وفيها معنى الاستتار؟

قد يظهر الجان بشكل أو يتشكل بشكل، كما حدث مع أبي هريرة.

ج ـ (الحية) جاءت في مكان واحد، لبيان قدرة الله تعالى ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه:٢٠-٢١] ولم يقل: إنّ موسى هرب أو فزع.

فذكرالقرآن كلمة (ثعبان) مع فرعون؛ لأنه مخيف وذكركلمة (جان) مع موسى؛ لأنها تدخل الرعب على قلب موسى، وتكررت (ثعبان) مرتين أمام فرعون، وتكررت (جان) مرتين أمام موسى.

سؤال: لماذا لم يذكر (جان) مع فرعون؟

لأنّ الملأ الموجودين مع فرعون كانوا بالمئات، فإذا أتيت بجان واحد ماذا يؤثر؟ لذا اختار (ثعبان)؛ لأنه يتصف بالضخامة والقوة.

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البعث) و(الإرسال)، كما في الآيات: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ في سورة الشعراء و﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ ﴾ في سورة الأعراف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١١١ـ١١٢.



﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشعراء:٣٨] ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠] ما الفرق بين استخدام (اللام) و(إلى)؟

الجواب:

١ـ (اللام) قد تكون للتعليل، مثل قولنا: جئت للاستفادة، فهذه لام التعليل وقد تأتي للانتهاء، كما في قوله تعالى: ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرعد:٢] وقوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشعراء:٣٨] أي أعددناهم لهذا اليوم وما فيه؛ حتى نبين حقيقة موسى عليه السلام.

أي جُمِع السحرة لهذا الغرض، وليس المقصود مجرد الجمع، وإنما لغرض محدد واضح، وكأنها لام العلة، مثل قولك: أعددتك لهذا اليوم.

واللام تأتي أيضاً للمِلك وشِبهه.

٢ـ أمّا (إلى) فمعناها الأساسي الانتهاء، كما في قوله تعالى:

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة:٥٠] أي: مسوقون إلى ميقات يوم معلوم، يخرجون من الأجداث سراعاً ويتبعون الداعي لا عوج له، ثم يأتون إلى مكان محدد يجتمعون فيه، أي منتهى الغاية. بينما اللام لا تدل على هذا الانتهاء.

٣ـ هنالك معانٍ تذكر في كتب النحو لأحرف الجر تتميز في الاستعمال غالباً، وأحياناً يكون فيها اجتهادات؛ لأنها تحتمل أكثر من دلالة، وحتى النحاة قد يختلفون في الدلالة؛ لأنّ الجملة قد تحتمل أحياناً أكثر من دلالة ظاهرة أو قطعية.



﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآية ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف:١١٣] و ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١١٣.

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأعراف:١١٤] و﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء:٤٢]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١١٤.



﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة طه ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [طه:٧٠] ووردت ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء:٤٨] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ٧٠.



﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال في آية الأعراف ١٢٣: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ وقال في طه ٧١ والشعراء ٤٩: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٢٣.



﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء:٥٢] وفي الدخان ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الدخان:٢٣] المعروف أنّ السُّرى يكون ليلاً، فلماذا قال: (ليلاً)، ولماذا لم يقل(ليلاً) في آية سورة الشعراء؟

الجواب:

١ـ هذا الظرف مؤكِّد. و الإسراء لا يكون إلا بالليل سواء ذُكر الليل أم لم يُذكر.

٢ـ السؤال عن آيتين في إحداهما لم يقل لفظة (ليلاً)، وهي قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الشعراء:٥٢-٥٣-٥٤-٥٥].

بينما في الآية الثانية في سورة الدخان قال:(ليلاً) ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان:٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩].

٣ـ من الناحية النحوية، ما معنى: خرجت ليلاً أو جئت ليلاً؟ عندما تقول: (ليلاً)أو (صباحاً) هذا يعني أنه في يومك أو في يوم بعينه، وإذا قلت: جئت ليلاً يعني ليلتك هذه.

لكنّ قولك جئت (في ليل) أو (في صباح) تعني: أيّ ليل أو أيّ صباح وهذه قاعدة مقررة في النحو.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف:١٦] يعني عشاء ذلك اليوم الذي خرجوا فيه.

لذلك قولهم: (أسر ليلاً) يعني هذه الليلة، بينما قوله تعالى: ﴿أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ﴾ ليس فيها وقت محدد.

٤ـ قوله تعالى في الشعراء: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ [الشعراء: ٥٢ - ٥٥] هذه فيها متسع؛ حتى يجمع فرعون جماعته ويرسل في المدائن.

وكأنّ سورة الشعراء وحيٌ من الله؛ ليجهز نفسه حتى يأتي الأمر، وكان الكلام قبلها عن السحرة ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾ [الشعراء:٤٩] وبعدها قال: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ [الشعراء:٥٣-٥٤-٥٥] فليس فيها الأمر بالخروج تلك الليلة، وفرعون عنده متسع في الوقت للإرسال في المدائن، والسياق واضح.

بينما في سورة الدخان قال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان:٢٣-٢٩] فإذن (ليلاً) أي تخرج هذه الليلة. وهذا تصوير للحادثة في ليلة حدوثها.

٥ـ وأمّا ذكر الليل في الدخان٢٣ وعدم ذكره في آيتي طه ٧٧ والشعراء،٥٢ فهو لأكثر من سبب.

انظرالجواب في آية طه ٧٧.

❋❋❋❋



﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جمع (حاذرون) في الآية؟

الجواب:

فرعون أراد من قراره أنّ الحذر يخص كل واحد من الشعب، وليس فريق الحكومة فقط؛ ليجعل الأمر على العموم، فناسب الجمع هنا في الشعراء.

❋❋❋❋



﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الكنوز في آية الشعراء ٥٨ والزروع في آية الدخان٢٦، فما الحكمة؟

الجواب:

الأمران كلاهما تركوهما؛ لأنّ مصر ذات زروع وكنوز، وقيل: ما كانوا يدخرونه من الأموال. والله أعلم.



﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

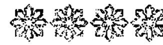
السؤال الأول:

قوله تعالى في الشعراء ٥٩ ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ وفي الدخان٢٨ ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ لما بسط القصة في سورة الشعراء، وسمى فيها موسى وهارون عليهما السلام، ناسب تعيين بني إسرائيل وتسميتهم في وراثة مصر.

٢ـ ولما اختصر القصة في سورة الدخان ولم يسم موسى فيها بل قال تعالى: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [الدخان:١٣] فأتى باسمه مبهماً، ناسب الإتيان بذكر بني إسرائيل مبهماً بقوله تعالى: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾.



﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿رَبِّى﴾ و ﴿ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

الفرق بين (الله) و(الرب) معروف:

١ـ الله لفظ الجلالة اسم العلم مشتق من الإله، كما يقال، والرب هو المربي والموجه والمرشد؛ ولذلك كثيراً ما يقترن الرب بالهداية ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:١٦١] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢].

والله سبحانه وتعالى كل شيء بيده ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦] والمناسب مع الهداية الرب؛ لأنه الهادي والمرشد والمربي. بينما العبادة أقرب شيء لله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود:٢].

٢ـ الرب تستعمل لغير الله، وهي غير خاصة بالله، فنقول مثلاً: رب البيت، وكما في سورة يوسف ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف:٢٣] ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]؛ لأنّ الرب هو القيم والمرشد والموجه، وكلمة الرب هي الأنسب مع هداية الخلق.

السؤال الثاني:

قارن بين دعاءين: أحدهما للرسول محمد ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] والثاني لموسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ في آية الشعراء ٦٢؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٠.



﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (ثُم) و(ثَمّ) في القرآن الكريم؟

الجواب:

ثُم: بضم الثاء حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، كما في آيات: [البقرة ٢٨ـ الكهف ٣٧].

ثَمَّ: بفتح الثاء ظرف بمعنى (هناك)، كما في آية [الشعراء ٦٤].



﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء (موسى-إبراهيم -نوح-هود- لوط- صالح- شعيب) في الآيات (١٠٩ـ١٢٧ـ١٤٥ـ١٦٤ـ١٨٠) وكلهم قالوا خلال مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء:١٠٩] إلا إبراهيم وموسى. فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٨.

السؤال الثاني:

قال في الصافات ٨٥ ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ وفي الشعراء ٧٠ ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فلماذا الاختلاف في التعبير في قصة إبراهيم في سورتي الصافات والشعراء؟

الجواب:

١ ـ في (ماذا) مبالغة في الاستفهام أكثر من (ما). ففي قولك (ماذا فعلت؟) قوة ليست موجودة في (ما فعلت؟)، ولعلّ ذلك يعود إلى زيادة حروفها.

٢ ـ في الصافات موقف تحدٍّ ومجابهة قوية، وليس المقام فيها مقام استفهام، وإنما هو مقام تقريع؛ ولذلك لم يجيبوه عن سؤاله، بل مضى يقرعهم ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات:٨٦].

٣ـ في الشعراء مقام محاجة: أي سؤال وجواب.

٤ ـ في الصافات انتهت القصة بتحطيم الأصنام وتحريقه بالنار، بينما في الشعراء انتهت بالمفاصلة القولية مع الكفار ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء:٧٧].

٥ ـ لذلك ثمة فرق كبير بين السياقين والنهايتين، فجاء في مقام المجابهة وشدة التحدي بـ ﴿مَاذَا﴾ دون المقام الآخر الذي جاء فيه بـ(ما).

٦ ـ التقريع حال بعد التنبيه. ومعه استعمل القرآن اللفظ الأبلغ، وهو ﴿مَاذَا﴾ التي إنْ جعلت (ذا) منها بمعنى (الذي) كان أبلغ من (ما) وحدها وإنْ جعلت (ما) مع (ذا) اسماً واحداً بمعنى: أي شيء، فهو أبلغ من (ما) وحدها.

٧ـ في الصافات جاء استعمال ﴿مَاذَا﴾ أقوى؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن ينتظر جواباً من قومه، فجاءت الآية بعدها ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات:٨٧]، أمّا في الشعراء فالسياق سياق حوار، فجاء الرد ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الشعراء:٧١].

إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (من) و(ما).

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (ينفعونكم) مقيّدة و(يضرون) مطلقة في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء:٧٣]؟

الجواب:

النفع يريده الإنسان لنفسه، أمّا الضرّ فلا يريده الإنسان لنفسه، إنما يُريده لعدوّه، أو أنه يخشى أن يُلحق به الضرر. وعلى هذا فالنفع موقع تقييد والضر موضع إطلاق.



﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في الآية؟

الجواب:

كلمة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تفيد التشبيه؛ أي بمعنى: مثل، أي: مثل ذلك الفعل يفعلون.

وقد يأتي هذا التركيب (كذلك) بمعنى (أيضاً)، كما في آية الدخان ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان:٥٤] فالمعنى كما يبدو: وزوجناهم بحور عين أيضاً.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾

السؤال الأول:

لمَ نسب إبراهيم المرض لنفسه؟

الجواب:

هناك خط عام في القرآن الكريم، وهو أنّ الله تعالى لا ينسب الشرّ لنفسه مطلقاً، كما في الآية: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ۝٨٣﴾ [الإسراء:٨٣] ولم يقل: مسسناه بالشرّ. وكذلك في قوله تعالى ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠﴾ [الجن:١٠].

ولذلك تأدباً مع الله تعالى فعل إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء:٧٨-٧٩-٨٠-٨١] فلم يقل: أمرضني.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال(الفاء) و(ثم) في الآيات ٧٨ـ٨٢؟ وما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾؟

الجواب:

١ـ عطف في الآية الأولى (٧٨) بالفاء (فهو) لتعقب بلا مهلة الهداية للخلق، وعطف في الآية الرابعة (٨١) بـ (ثم) لتراخي الإحياء عن الإماتة.

٢ـ ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ جاء للتوكيد. والتوكيد لا يأتي ابتداء، إنما يكون حسب درجات الإنكار، وقد أكّد الحق سبحانه نسبة الهداية والإطعام والسقيا والشفاء إليه؛ لأنّ هذه المسائل الأربع قد يدعيها غيره سبحانه وتعالى:

أـ فالهداية قد يدعيها واضعو القوانين من البشر، وقد رأينا ذلك عند الشيوعية والرأسمالية والوجودية والبعثية وغيرها، وكلها تدعي أنها لصالح البشر وأنها طريق هدايتهم، فأكّد الله لنفسه هذه المسألة، فقال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ فالهداية لا تكون إلا من الله وفي شرعته فقط.

ب ـ في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء:٨٠] لتأكيد أنّ الشفاء من الله وحده، بدليل أنّ الطبيب قد يمرض ويعجز عن شفاء نفسه، وقد يخطىء بالتشخيص أو وصف العلاج.

من ناحية أخرى قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: وإذا أمرضني، تأدباً مع الله فنسب المرض الى نفسه.

٣ـ أمّا في المسائل التي لا يدعيها أحد فإنها تأتي بالفعل دون توكيد، كما في الآية ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[الشعراء:٨١]؛ لأنّ الموت والحياة بيده تعالى لا يدعيهما أحد.

فإن قلت: وماذا عن قتل الإنسان لغيره؟ ألا يعد موتاً؟ نقول: بأنّ هناك فرقاً بين الموت والقتل، فالموت أنْ تخرج الروح والجسم سليم الأجزاء كامل الأعضاء، وبعد خروج الروح تُنقض البنية، أمّا القتل فيكون بنقض البنية نقضاً يترتب عليه خروج الروح.

٤ـ من جهة أخرى السياق فيه سلوك الأدب في إضافة النعمة والمحبوب إلى الله تعالى وسكوته عن المكروه من المرض والموت وإضافته إلى نفسه.

٥ـ إنّ الإطعام والسقي والشفاء قد يضاف إلى الإنسان، فيقال: فلان يطعم فلاناً ويسقيه، فأراد التأكيد بأنّ الله هو الفعال؛ لذلك أكّد الحصر بقوله: ﴿هُوَ﴾.



﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة عدم ذكر (هو) في الآية ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء:٨١] مع أنها ذكرت في آيات سابقة ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٧٨-٧٩-٨٠]؟

الجواب:

الناس والمذاهب والفلسفات لم تختلف في أنّ الله تعالى هو الذي يميت ثم يحيي، لكنهم اختلفوا هل الله هو الذي يُطعِم والذي يسقي أم هو الإنسان؟

والواقع أنّ ربنا يفعلها كلها فما كان فيه خلاف أكّده (الذي هو يهدين، والذي هو يطعمني، فهو يشفين) وكل الذي فيه خلاف أكّده، والذي ليس فيه خلاف لم يحتاج لتوكيد ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء:٨١].

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ بفتح الخاء في آية الشعراء ٦٤ وكلمة ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ بكسر الخاء في آية الشعراء ٨٤؟

الجواب:

١ـ (الآخَر) بفتح الخاء هوأحد الشيئين، فتقول مثلاً: هذا رجل، وهذا آخَر سواء كانا مشاهدين أم لا. وتأتي (الآخَر) بفتح الخاء بمعنى (غير)، تقول: رجل آخر وثوب آخر.

وأما (الآخِر) بكسر الخاء فهو يأتي بعد الأول ولو بمدة زمنية، ومنه كلمة (الأخير) وكلمة (الدار الآخِرة) بكسر الخاء وليس بفتحها، وهي مستقبلة.

و(الآخِر) بكسر الخاء هو من أسماء الله تعالى الحسنى، ومعناه: الباقي بعد فناء خلقه كله ناطقه وصامته.

٢ـ جاءت لفظة (الآخِرين) بكسر الخاء ٩ مرات في القرآن الكريم كما في الآيات [الشعراء ٨٤ـ الصافات ٧٨ـ١٠٨ـ١١٩ـ١٢٩ـ الواقعة ١٤ـ ٤٠ـ ٤٩ـ المرسلات ١٧].

بينما وردت لفظة (الآخَرين) ٥ مرات في الآيات [الشعراء ٦٤ـ٦٦ـ ١٧٢ـ الصافات ٨٢ـ١٣٦].

٣ـ معنى آية الشعراء ٨٤: أن يكون دعاء إبراهيم عليه السلام مصدقاً في جميع الملل وقد أجيب إليه، ويحتمل أنّ المراد بالآخِرين هو آخر أمة يبعث فيها نبي، وهي أمة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ولذا جاء في الحديث: (**أنا دعوة إبراهيم عليه السلام**).

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة (صدق) في الآية؟ وما معنى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ في الآية؟

الجواب:

الصدق هو الكلام المطابق للواقع. واللسان هو وسيلة التعبير، ومعنى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أي: يذكر بحق ذكراً حسناً ويذكر بصدق.

وقد وردت كلمة (الصدق) في القرآن الكريم عشر مرات حسب التالي:

الكلمة	عدد المرات	الآيات
﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾	مرتان	مريم ٥٠ـ الشعراء ٨٤
﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾	مرة واحدة	الإسراء ٨٠
﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾	مرة واحدة	الأحقاف ١٦
﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾	مرة واحدة	القمر ٥٥
﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾	مرة واحدة	يونس ٢
﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾	مرة واحدة	يونس ٩٣
﴿بِٱلصِّدْقِ﴾	مرتان	الزمر ٣٢ ـ ٣٣
﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾	مرة واحدة	الزمر ٣٣

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم الله تعالى المال على البنين؟

الجواب:

أثبتت الدراسات والواقع المجرب أنّ المال عند أكثر الناس أعزّ من الولد، وقد يستغني الإنسان عن ولده في أمور معيشته، ولكنه لا يستطيع أنْ يستغني عن المال، فبدونه لا تتحقق له معيشة وحياة، والإنسان يحرص على ماله ويصحبه عادة حتى الممات.



﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنبياء ١٠٠ ﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ وفي غافر٤٧ ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ وفي الشعراء ٩٦ ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦﴾ إلى غير ذلك في سورة ق والزمر مما يدل على سماعهم؟ فكيف الجمع بين الآيات؟

الجواب:

لعلّ ذلك باعتبار حالين:

أ ـ حال السماع والمحاجة قبل اليأس من الخلاص من النار.

ب ـ حال اليأس: لا يسمعون، لما روي أنهم يجعلون في توابيت من نار ويسد عليهم أبوابها فحينئذ لا يسمعون. والله أعلم.

أعاذنا الله وإياكم من النار. اللهم آمين.



﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت (شافعين) بالجمع و(صديق) بالمفرد؟ ولماذا قُدمت (شافعين) على (صديق) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ الشافعون كُثُر والصديق أقل. الصديق من حيث اللغة يقال للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

فلو أنت في يوم الرخاء سألتني طلاقك لم أبخل وأنت صديقي

الشافعون قد يكونون كُثُراً ويتقدمون للشفاعة ولو لم يكونوا أصدقاء لكنّ الصديق أقل، والصديق الحميم أقل من الأقل، وهو (من صدق في المعاملة والإخلاص وإمحاض النُصح والمحبة والمودة والإيثار). فالشافعون أكثر من الصديق، والتقديم لا يكون بالضرورة على الأفضل. ولم يوصف بالصديق فقط وإنما صديق وحميم، وهذا أقل، وهو في دائرة صغيرة جداً، وليس من السهل أنْ تجد صديقاً حميماً.

لذلك جمع الشافع ووحّد الصديق؛ وذلك لكثرة الشفعاء وقلة الصديق وبخاصة أنه وصف الصديق بالحميم، فإن ذلك أندر، إضافة إلى أنّ الصديق الحميم الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء.

٢ـ الإعجاز ليس أن تُضحي من أجل صديق حميم، لكن أنْ تجد صديقاً يستحق أن تُضحي من أجله.

٣ـ هذه أحاديث عن الرسول ﷺ:

- **«إنّ لله أهلين من الناس قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم أهل القرآن وخاصته أهل الله».**
- **«اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه».**
- **«يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها».**



﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (المرسلين) بالجمع، مع أنّ (نوحاً) وباقي الرسل جاؤوا منفردين؟

الجواب:

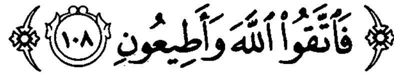
في سورة الشعراء قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء:١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء:١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء:١٤١] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء:١٦٠] ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء:١٧٦]، وهذه تتكرر في عموم القرآن.

هو رسول واحد، لكنْ في مواطن كثيرة ترد (كذبوا المرسلين).

ولذلك علماؤنا يقولون: من كذّب رسولاً فقد كذّب جميع الرسل الذين من قبله. هم كذّبوا نوحاً ومن قبله؛لأنهم أنكروا مبدأ الرسالة. ونوح عليه السلام هو رسول مبلّغ

عن ربه منبّه على وجود رسل من قبله، فإذا كذّبوه فقد كذّبوه بذاته، وكذّبوا من نسب إليهم الرسالة، فإذا قيل: هو كاذب فهو كاذب بكل قوله، ومن ضمن قوله: لقد كان هناك رسلٌ من قبله فكذبوا بهم جميعاً وفي هذا إشارة إلى ارتباط الرسل كأنهم جميعاً قافلة واحدة، فمن كذّب واحداً منهم فقد كذّب الجميع.





السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الشعراء:١٠٨] تكررت في قصة نوح عليه السلام مرتين في الآيتين[١٠٨و ١١٠]، فلماذا؟

الجواب:

١ـ لعلّه ـ والله أعلم ـ كرّر لطول مدة تبليغهم وأمرهم بالإيمان والتقوى.

٢ـ كررت هذه الآية في سورة الشعراء ثماني مرات، وهي كالتالي:

ـ مرتين مع قصة نوح عليه السلام: الآيات ١٠٨ـ١١٠.

ـ مرتين مع قصة هود عليه السلام: الآيتان ١٢٦ـ ١٣١.

ـ مرتين مع قصة صالح عليه السلام: الآيتان ١٤٤ـ ١٥٠.

ـ مرة واحدة مع قصة لوط عليه السلام: الاية ١٦٣.

ـ مرة واحدة مع قصة شعيب عليه السلام: الآية ١٧٩.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء (موسى-إبراهيم - نوح-هود-لوط- صالح- شعيب) في الآيات ١٠٩_١٢٧_١٤٥_١٦٤_١٨٠ وكلهم قالوا خلال مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء:١٠٩] إلا إبراهيم وموسى. فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٨.

السؤال الثاني:

قال في آية هود ٢٩ على لسان نوح عليه السلام ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [هود:٢٩] وعلى لسانه في آية يونس٧٢ ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ﴾ وجاء على لسانه في سورة الشعراء١٠٩ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

سبب ذلك أنه في الموضع الذي وردت فيه كلمة (مال) وقعت بعدها كلمة (خزائن)، وربط لفظ المال بالخزائن أليق، فقد جاء على لسان نوح عليه السلام ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [هود:٣١] فناسب المال هاهنا بخلاف المواضع الأخرى.

وقد وردت كلمة ﴿أَجۡرٍ﴾ بدل كلمة (مال) على لسان غيره من الأنبياء.

انظر: [سورة هود ٥١ ـ وسورة الشعراء ١٢٧ ـ١٤٥ ـ ١٦٤ ـ ١٨٠ ـ وسورة سبأ ٤٧].



﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾

السؤال الأول:

ما معاني الكلمات التالية التي تمثل منظومة السفيه: الجبت والطاغوت والرذل والزنيم والسفيه؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٥.



﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين (إنْ) و (ما)، كما في آية الشعراء ١١٥ وآية الأحقاف ٩؟

الجواب:

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن (إنْ) لما هو آكد من استعماله لـ (ما). وبيان ذلك:

آيات الشعراء ١١١ـ١٢١:

ـ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾.

البيان:

قال في آية الأحقاف٩: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ وقال في الشعراء١١٥: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء:١١٥]؛ وذلك أنّ آية الشعراء هي في مقام المحاربة والمجادلة والجهاد في القول والتنقيص من المؤمنين، بخلاف آية الأحقاف فإنها في مقام الدعوة الهادئة المبينة بالحجة.

يدل على ذلك في سورة الشعراء:

١ ـ وصفهم المؤمنين بالأرذلين.

٢ ـ طالبوا طردهم، فردّ عليهم ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الشعراء:١١٤].

٣ ـ تحذيرهم لنوح بالكف عن الدعوة وإلا رجموه ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء:١١٦].

بينما المقام في آية الأحقاف يختلف عن آيات الشعراء، فجاء في الشعراء ب (إنْ)، وجاء في الأحقاف ب (ما) و(إلا).



﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تغير التعبيرات في الرجم في الآيات يس ١٨ـ الشعراء١١٦ـ مريم ٤٦؟

الجواب:

١ـ في آية الشعراء: التهديد لنوح عليه السلام ومن معه من الأتباع. والمعنى أنه واحد ممن سينالهم الرجم، ولو قال: لنرجمنك، لكان الرجم مختصاً بنوح دون من آمن معه.

٢ـ في آية مريم: الخطاب موجه من أبي إبراهيم لولده إبراهيم عليه السلام وحده، وليس معه آخرون؛ ولذلك قال: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

٣ـ في آية يس: الرسل كانوا ثلاثة بمنزلة واحدة، والخطاب لهم جميعاً والتطير لهم جميعاً، فكان التعبير ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بصيغة الجمع.

والله أعلم.



﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين السفينة والفلك في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٤.

السؤال الثاني:

قال في الشعراء١١٩ ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ وفي يونس٧٣ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾، فما دلالة ذلك؟

وقال في الأعراف٦٤ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ ـ وقال في يونس٧٢ والشعراء١١٩ ـ ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٤.



﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (المرسلين) بالجمع، مع أنّ (هوداً) وباقي الرسل جاءوا منفردين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٠٥.



﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء (موسى-إبراهيم - نوح-هود-لوط- صالح- شعيب) في الآيات ١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠- وكلهم قالوا خلال مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء:١٢٧] إلا إبراهيم وموسى. فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٨.

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما استخدامات كلمة ﴿ءَايَةً﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة (آية) وردت في القرآن الكريم لخمسة معان، وهي:

١ ـ البناء العالي: الشعراء ١٢٨.

٢ ـ عبرة و موعظة: يونس ٩٢.

٣ ـ جملة من القرآن: النحل ١٠١.

٤ ـ علامة واضحة: البقرة ١١٨.

٥ ـ المعجزة: المؤمنون ٤٩.



﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿عَسَىٰ﴾؟ وكلمة ﴿لَعَلَّ﴾ في القرآن؟

الجواب:

١ـ (عسى) هي من أفعال الترجي، و(لعلّ) فيها معنى الإطماع والإشفاق.

٢ـ قسم من المفسرين يقولون: (عسى) في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنّ الكفار قالوا: عسى. انظر آيات [الشعراء ١٢٩ ـ طه ٤٤ ـ غافر ٣٦].

٣ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجب، وليست في القرآن واجبة. [المائدة ٥٢ـ الأعراف ١٢٩ـ التحريم ٥].

٤ـ قسم قالوا: ليست من الله واجبة؟ وإنما يذكرها الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله [الأنفال ٤٥].

أي: ليس هناك حكم مطلق بخصوص (عسى) و(لعلّ)، وتقدر كل حالة بقدرها، والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما المعنى اللغوي للحرف (لعلّ)؟

الجواب:

(لعلّ) تأتي لعدة معانٍ، أهمها:

١ـ لتوقع شيء محبوب أو مكروه، فتوقع المحبوب يسمى ترجياً وإطماعاً، وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً. نحو: لعله يهينك.

أمّا الترجي فهو نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. والترجي لا يكون إلا في الممكن.

أمّا قوله تعالى على لسان فرعون في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٧]، فهو من باب الجهل، أو من باب السخرية.

٢ ـ لمطلق التوقع ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾[هود:١٢].

٣ـ للتعليل أو للرجاء ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤].

٤ـ قيل إنها تأتي للاستفهام ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق:١].

٥ ـ وقيل: تأتي للتشبيه ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء:١٢٩] يعني كأنكم، أو تفعلون فعل من يرجو الخلود.

والبصريون يرجعون كل هذه المعاني إلى الترجي والإشفاق والتوقع المطلق.



﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (المرسلين) بالجمع، مع أنّ (صالحاً) وباقي الرسل جاءوا منفردين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٠٥.



﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء (موسى-إبراهيم - نوح-هود- لوط- صالح- شعيب) في الآيات ١٠٩ـ١٢٧ـ١٤٥ـ١٦٤ـ١٨٠ـ وكلهم قالوا خلال مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء:١٤٥] إلا إبراهيم وموسى. فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٨.



﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

استعمل القرآن أحيانا (النخل) وأحيانا (النخيل)، فما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.



﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ورد في سورة الشعراء في الآية ١٥٤ ﴿مَآ أَنتَ﴾ وفي الآية ١٨٦ ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ بزيادة الواو؟

الجواب:

١ـ في الآية ١٥٤: في قصة صالح عليه السلام جاء قول: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ هو بدل من قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء:١٥٣] فلم يغلظوا له ولم يقترحوا عليه آية معينة.

٢ـ في الآية ١٨٦: في قصة قوم شعيب عليه السلام: أغلظوا له وشَطّوا واقترحوا ما اشتهوه من الآيات.

وقولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ جملة ثانية معطوفة على ما قبلها، فعابوه بأنه من المسحرين، وبأنه بشر، وأنه من الكاذبين، واقترحوا أنْ يسقط عليهم كسفاً من السماء، فناسب العطف بالواو.

٣ـ لذلك عندما دخلت الواو قُصد معنيان كلاهما منافٍ للرسالة عندهم: السحر والبشرية، حيث كانوا يريدون النبي من الملائكة، وليس من البشر مثلهم.

وعندما تركت الواو قُصدَ معنى واحدٌ، وهو التسحير. أي سُحِرَ كثيراً حتى غُلب على عقله، ثم بعد ذلك أقروا بكونه بشراً مثلهم.

والله أعلم.



﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٥٦﴾

السؤال الأول:

في آية الأعراف ٧٣ وصف العذاب بالإيلام ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾، وفي آية هود ٦٤ وصف العذاب بالقرب ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ ٦٤﴾ وفي آية الشعراء ١٥٦ وصف يوم العذاب بالعظمة ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٣٥﴾ [الشعراء:١٣٥]، فما دلالة اختلاف الوصف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٧٣.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (المرسلين) بالجمع، مع أنّ (لوطاً) وباقي الرسل جاءوا منفردين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٠٥.

السؤال الثاني:

كل الأنبياء كانوا يدعون إلى التوحيد، أمّا لوط فدعا إلى ترك الفاحشة أولاً، فلماذا؟

الجواب:

هذا الكلام فيه نظر؛ لأنّ سيدنا لوطاً عليه السلام، وإنْ كان في مواطن قد ذكر الفاحشة، فهو في مواطن أخرى يبدأ بالتوحيد كباقي الأنبياء، كما في سورة الشعراء، فهو يبتدئ بما بدأوا به تماماً، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ وكل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في سورة الشعراء يدعون بهذه الدعوة بلا استثناء، لكنّ لوطاً عليه السلام في مواطن كثيرة يذكِّر بالفاحشة التي فعلوها، والتي ما سبقهم بها أحد من العالمين أبداً، وإنما اخترعوها فيبدأ بهذه الفاحشة المنكرة العظيمة فهم سيسنون سنة سيئة لمن بعدهم ويتحملون وزرها ويسألون عنها، كما في الحديث الشريف: «**ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»

السؤال الثالث:

في سورة ق قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾، ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ﴿قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات: هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٨٩.



﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء (موسى-إبراهيم - نوح-هود-لوط- صالح- شعيب) في الآيات ١٠٩ـ١٢٧ـ١٤٥ـ١٦٤ـ١٨٠ـ وكلهم قالوا خلال مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء:١٠٩] إلا إبراهيم وموسى. فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٨.



﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (المرسلين) بالجمع، مع أنّ (شعيباً) وباقي الرسل جاءوا منفردين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٠٥.



﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر تعالى في آية سورة الشعراء هوداً ولوطاً وصالحاً، ووُصِفوا بالأخوة ﴿أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ ﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ ﴿أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾، أما أصحاب الأيكة فقال (شعيب) بدون أخيهم ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء:١٧٦-١٧٧]؟

الجواب:

١ـ (شعيب) ليس من أصحاب الأيكة، وإنما هو من مدين؛ لذا قال في آية سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود:٨٤] وشعيب عليه السلام أُرسِل إلى قومين: مدين وأصحاب الأيكة. أمّا الباقون من الأنبياء فهم من نفس القوم، فوصفهم بالأخوة.

والشيء بالشيء يُذكر فإنه لم يرد في القرآن مطلقاً: (وإذ قال عيسى لقومه)، لكنه يقولها مع موسى أحياناً وأحياناً لا يقولها؛ وذلك لأنّ عيسى عليه السلام ليس له أب فيهم، والقوم يُنتسب إليهم بالأبوة فيخاطبهم يا (بني إسرائيل)، ولم يخاطبهم مطلقاً بـــ (يا قوم)، ولم يوصف بالأخوّة.

٢ـ من مراجعة الآيات توصلنا إلى شيء أنه حيثما ذُكِرت الرسالة وأنّ شعيباً مرسل إلى قومه يقول: أخوهم.

ويذكر الأخوّة عندما يتحدث عن الرسالة، كأنما فيها إشارة إلى أنّ هذا هو واجبه معهم وتلك رعايته لهم، فهو أخوهم يريد لهم الخير. وفي حالة عدم ذكر الرسالة لا يقول (أخوهم). وهذه القاعدة عامة، فحيثما ذكر الإرسال قال: (أخاهم)، وفي غير ذلك ذكر الاسم مجرّداً.

٣ـ الإرسال ذُكِر في ثلاثة مواضع، كما ذكره محمد فؤاد عبد الباقي في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، وهي الآيات:

١. ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف:٨٥].

٢. ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود:٨٤].

٣. ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت:٣٦].

وفي ثمانية مواضع ضمن سبع آيات لم يُذكر الإرسال، فذكر الاسم مجرّداً:

١. ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف:٨٨].

٢. ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأعراف:٩٠].

٣. ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأعراف:٩٢].

٤. ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود:٨٧].

٥. ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [هود:٩١].

٦. ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود:٩٤].

٧. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الشعراء:١٧٧].

فهنا في هذه المواضع الثمانية لا يوجد ذكر للرسالة، وليس فيها ذكر للأخوّة، وهذا مضطرد في القرآن. وعندما نجد شيئاً مضطرداً وهو يتنزل منجماً فإنه يعد من دلائل النبوة نبوة محمد عليه السلام.



﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ذكر الله تعالى في سورة الشعراء سبع قصص للأنبياء (موسى-إبراهيم - نوح-هود-لوط- صالح- شعيب) في الآيات ١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠- وكلهم قالوا خلال

مخاطبتهم أقوامهم هذه الآية ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء:١٠٩] إلا إبراهيم وموسى. فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١



﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾

السؤال الأول:

ورد في سورة الشعراء في الآية ١٥٤ ﴿مَآ أَنتَ﴾ وفي الآية ١٨٦ ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ بزيادة الواو؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الشعراء ١٥٤.

السؤال الثاني:

قال في آية الشعراء ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾، وقال في آية الأعراف ٦٦ ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٦.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام لفظ (الظُلّة) في قوله تعالى:﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:189]؟ ولم اختلفت مصطلحات العذاب: الصيحة، الرجفة؟

الجواب:

1ـ ما العقوبة التي عوقب بها قوم شعيب؟ هل عوقبوا بيوم الظُلّة أو بالصيحة أوعوقبوا بالرجفة؟

الجواب: لا يمنع أنْ يكون قد اجتمعت عليهم أكثر من حالة مجزّأة في وقت واحد، يعني أنْ يأتي هذا العارض الذي يظنونه مطراً، ثم ينزل عليهم صوتاً أو ناراً أو ما أشبه ذلك، ثم تكون هناك هزة أو رجفة في الأرض وفي كل موضع يختار لفظة معينة.

والصورة الكاملة: أنه جاءت غمامة ظاهرها أنها ممطرة ثم كان فيها نار، واهتزت الأرض، ثم سمع صوت كأنه صوت انفجار بركان، والآن تقول الدراسات الصوتية إنه يمكن للصوت أن يمزّق جسم الإنسان وصارت الأصوات تستعمل للتعذيب.

2ـ أصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب، عندما يقولون لشعيب: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187)﴾ [الشعراء:187] الآية تقول: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:189]؛ لأنّ كسف السماء يناسب ذكر الظُلّة.

وفي مكان آخر يحذّرهم ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (89)﴾ [هود:89]، ومن جملة من ذكرهم قوم صالح

الذين عوقبوا بالصيحة، فقال عن قوم شعيب: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود:٩٤] للمناسبة.

وفي الكلام العام قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠] فيمكن أنْ يجمع أكثر من صورة، فتستعمل الكلمة الملائمة للسياق.

٣ـ الصيحة صوت قوي، بحيث آذاهم أذى شديداً، وكان جزءاً من العقاب. والرجفة هي اهتزاز الأرض. والصاعقة هي الصاعقة المعروفة التي تنزل عليهم ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣] لكن لا يمنع أنْ تجتمع الحالات هذه في وضع واحد في أمر واحد.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾؟

الجواب:

هو عذاب يومٍ مشهود، حيث سلّط الله تعالى عليهم الحرارة الشديدة سبعة أيام، وقد حجز الله عنهم الريح إلا بمقدار ما يُبقي رَمق الحياة فيه، حتى اشتد عليهم الأمر، وحميت من تحتهم الرمال فراحوا يلتمسون شيئاً يُروّح عنهم فرأوا غمامة قادمة في جو السماء فاستشرفوا لها وظنوها تخفف عنهم حرارة الشمس، فلمّا استظلوا بها ينتظرون الراحة عاجلتهم بالنار تسقط عليهم كالمطر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

أي أنّ المذكور في القرآن الكريم من المبادىء العامة والأخلاق والعدل الإلهي، وقصص الأنبياء كلها أمور ثابتة في كل الكتب، وعند جميع الأنبياء ولا يتغير إلا الأحكام من كتاب لآخر لتناسب العصر والأوان الذي جاءت به.



﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (علماء) و(عالمون)؟

الجواب:

(علماء) جمع تكسير، و(عالمون) جمع مذكر سالم، وجمع المذكر السالم أقرب إلى الحدث، بينما جمع التكسير أقرب إلى الاسمية.

* شواهد قرآنية:

قال تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣] جمع مذكر سالم.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء:١٩٧] جمع تكسير.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ في سورة الشعراء ٢٠٠ و ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ [الحِجر:١٢] في سورة الحجر ١٢؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء:٢٠٠]، وقال في سورة الحجر: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحِجر:١٢].

ننظر في السياق الذي وردت فيه الآيتان في السورتين:

أ ـ في سورة الحجر السياق في استمرار الرسل وتعاقبهم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحِجر:١٢] فجاء بالفعل الذي يدل على الاستمرار، وهو الفعل المضارع (نسلكه).

ب ـ بينما في سورة الشعراء السياق في الكلام عن الرسول عليه السلام وحده من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠] والسورة كلها أحداث ماضية، والآية موضع السؤال تدل على حدث واحد معيّن ماض، فجاء بالفعل الماضي (سلكناه).

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾

السؤال الأول:

هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب:

الإنذار في القرآن الكريم لا يكون خاصاً بالكفار والمنافقين، وقد يأتي الإنذار للمؤمنين والكافرين، والإنذار للمؤمن ليس فيه توعد، فهو للمؤمنين تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أنْ يقوم به، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ ﴾ [يس:١١] وهذا ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

وقد يأتي الإنذار للمؤمنين ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء:٢١٤] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ ﴾ [فاطر:١٨].

وقد يكون للناس جميعاً ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ ﴾ [إبراهيم:٤٤] ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١ ﴾ [الأنعام:٥١].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آية الفرقان ٥٨ أضيف التوكل إلى صفة الحياة الأبدية، وأضيف في آية الشعراء٢١٧ إلى القوة والرحمة، فما الحكمة من هذا التنويع؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفرقان ٥٨.



﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢١] ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القدر:٤] كيف تنزل الشياطين؟ وهل الشياطين تستمع وتتنزل على الكهنة؟

الجواب:

لماذا لا تنزل الشياطين؟ كانوا يذهبون إلى السماء فيستمعون ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن:٩] فكانوا يستمعون شيئاً من الغيب فينزل وينقر في أذن الكاهن، هذا هو المراد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢]، واستعمل القرآن الفعل نفسه (تنزّل) مع الملائكة ومع المطر، والمهم أنه يأتي من فوق.

والفعل (تنزّل) لا يعني مرة واحد، وإنما فيه التدرج والاستمرار؛ لأنهم موجودون في كل زمن، وليس في زمن واحد، ويمكن استخدام نفس الفعل مع الملائكة والشياطين.

السؤال الثاني:

استعمل القرآن الكريم الفعل ﴿تَنَزَّلُ﴾ بحذف التاء في آية الشعراء ٢٢١، وآية القدر ٤، بينما جاء بالصيغة الكاملة ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ في آية فصلت ٣٠ فلماذا؟

الجواب:

١ـ التنزل في سورة فصلت أكثر مما في الآيتين الأخريين؛ ذلك أنّ المقصود به هو أنّ الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشرهم بالجنة، وهذا ما يحدث على مدار السنة، ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم فتتنزل الملائكة لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته، ولم يحذف منه شيئاً.

٢ـ أمّا آية الشعراء فإنّ التنزل فيها أقل؛ لأنّ الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة، وإنما تنزل على الكهنة أو على قسم منهم ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ وهؤلاء ليسوا بكثرة الأولين، بل هم قلة، فاقتطع من الحدث فقال: ﴿تَنَزَّلُ﴾.

٣ ـ وكذلك في سورة القدر، فإنّ تنزل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام، وهي ليلة القدر فاقتطع من الحدث.

لذلك ترى أنه لم يحذف من آية فصلت؛ لأنه أكثر، واقتطع إحدى التاءين في آيتي الشعراء والقدر؛ لأنّ التنزل فيهما أقل. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قال في آية المائدة ٦٠: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ [المائدة:٦٠]، وقال في آية الحج ٧٢: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ [الحج:٧٢]

وفي آية الشعراء ٢٢١ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ [الشعراء:٢٢١] فلماذا استخدم (هل) مرة و(الهمزة) مرة أخرى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٦٠.



رابعاً- تناسب بدايات السورة مع خواتمها:

١- قال سبحانه في أولها:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾﴾ [الشعراء: ٢-٣-٤-٥-٦] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء:٩].

و قال في أواخرها: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥].

وقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١١].

وهذا يناسب قوله في أول السورة: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [الشعراء:٢].

فالكتاب المبين إنما هو تنزيل رب العالمين، وما ذكره فيه من الآيات تنزيله.

٢ ـ وإنّ قوله في أول السورة: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:٤]. . . ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الشعراء:٦].

يناسب قوله في أواخرها: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الشعراء:٢٠٤] وقوله في آخر السورة: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧].

٣ ـ وقوله في أوائل السورة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء:٩].

يناسب قوله في أواخر السورة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء:٢١٧].

والله أعلم.



سورة النمل

أولاً ـ تناسب خواتيم الشعراء مع فواتح النمل:

١ ـ ذكر سبحانه القرآن في أواخر الشعراء، فقال:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١١].

وذكره قبل ذلك فقال:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥].

وذكره في أول سورة النمل فقال:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النمل:٢]... ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل:٦].

فالتناسب بينهما ظاهر.

٢ ـ ذكر في آخر الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد ذكر الشعراء الذين في كل وادٍ يهيمون، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وذكر في أول سورة النمل المؤمنين وأعمالهم، فقال:

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٢-٣].

٣ ـ هدّد الذين ظلموا في آخر الشعراء، فقال:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وهدّد غير المؤمنين في أول النمل، فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ [النمل:٤-٥].

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة أول السورة ـ يعني سورة النمل ـ لآخر ما قبلها واضحة؛ لأنه قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء:٢١٠]. وقبله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء:١٩٢]. وقال هنا:

﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [النمل:١] أي: الذي هو تنزيل رب العالمين.وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم والتعظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم)).

ثانياً ـ هدف السورة: التفوق الحضاري مع تذكر الله تعالى:

سورة النمل سورة مكيّة، وهي سورة خطيرة عن التفوق الحضاري لتثبت أنّ الدين ليس دين عبادة فقط، وإنما هو دين علم وعبادة، ويجب أنْ تكون الأمة المسلمة الموحّدة متفوقة في العلم ومتفوقة حضارياً؛ لأنّ هذا التفوق هو سبب لتميّز أمة الإسلام، كما حصل في العصر الذهبي للإسلام الذي انتشر من الشرق إلى الأندلس بالعلم والدين الحنيف، وقد تميّز فيه العلماء المسلمون في شتى مجالات العلوم.

وفي سورة النمل خطة محكمة لبناء مؤسسة أو شركة أو مجتمع أو أمة غاية في الرقي والتفوق من خلال آيات قصة سيدنا سليمان مع بلقيس ونستعرض عناصر قوة هذه المملكة الراقية التي يعلمنا إياها القرآن الكريم:

أهمية العلم: ابتداء القصة من الآية ١٥: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل:١٥]. فقد كان عند داوود وسليمان تفوق حضاري بالعلم الذي آتاهم إياه الله تعالى، وهم مدركون قيمة هذا العلم.

توارث الأجيال للعلم: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦] والاهتمام باللغات المختلفة (منطق الطير) وأهمية وجود الإمكانيات والموارد والعمل على زيادتها (وأوتينا من كل شيء).

وجود نظام ضبط وربط ووجود تعدد في الجنسيات والكائنات: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل:١٧].

أهمية التدريب الميداني للأفراد: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل:٢٠] بدليل أنّ الهدهد كان في مهمة تدريبية.

تفقد الرئيس ومتابعته لعماله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل:٢١].

إيجابية الموظفين في العمل الاستكشافي وتحري المعلومات الصحيحة: فالهدهد كان موظفاً غير عادي، وكانت عنده إيجابية، وجاء بأخبار صحيحة ودقيقة: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢].

مسؤولية الموظفين تجاه الرسالة: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل:٢٤] فالهدهد استنكر أنْ يجد أقواماً يعبدون غير الله، وهذا حرص منه على رسالة التوحيد.

أهمية تحرّي الأخبار والتأكد من صحتها وتحليلها: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل:٢٧] لم يصدق سليمان الهدهد بمجرد أنْ أخبره، لكنه أراد أنْ يتحرى صدقه فيما أخبر به، وهذا حرص المسؤول على صدق ما يصله من معلومات من عمّاله.

تجربة تحرّي الأخبار: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل:٢٨] إرسال الكتاب مع الهدهد إلى بلقيس وقومها.

أهمية الشورى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل:٣٢] مشاورة بلقيس لقومها.

سياسية جس النبض: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل:٣٥] بلقيس أرسلت هدية لسليمان لترى ردة فعله.

امتلاك قوة عسكرية هائلة: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل:٣٧] وهي ضرورية لأية أمة تريد أنْ تنشر دين الله في الأرض وتدافع عنه.

التكنولوجيا الراقية: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل:٣٨-٣٩-٤٠] نقل عرش بلقيس في زمن قياسي من مكانه إلى قصر سليمان، وهو ما يعرف في عصرنا الحاضر بانتقال المادة.

الذكاء والدبلوماسية في السياسة: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل:٤٢] أجابت بلقيس (كأنه هو)؛ حتى لا يظهر أنها لا تعرف.

الاستسلام أمام تكنولوجيا غير عادية: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل:٤٤] جعل الزجاج فوق الماء وكانت تكنولوجيا غير عادية في ذلك الزمان، فلم تستطع بلقيس إلا أنْ تسلم.

هنا نلاحظ الفرق بين ردّ بلقيس التي كانت تقدّر العلم، فقد بهرتها هذه التكنولوجيا التي رأتها بأم عينها، فأسلمت مباشرة بلا تردد، أمّا في الآية: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل:١٣] في قصة سيدنا موسى عليه السلام اعتبر قومه الآيات المعجزة التي جاء بها سحراً؛ لأنه لم يكن لديهم علم أو تكنولوجيا.

نلخّص عناصر التفوق الحضاري بالنقاط التالية:

١. الهدف السامي: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل:١٩].

٢. العلم ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦].

٣. التكنولوجيا: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

٤. القوة المادية والعسكرية ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل:٣٧].

٥. إيمان أفراد الأمة بغايتهم: (قصة الهدهد):

تتحدث الآيات بعد هذا التفصيل عن عناصر التفوق الحضاري عن قدرة الله في الكون من الآية ٥٩ إلى الآية ٦٤: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل:٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤].

وكأنّ هذا الانتقال يحذّر من أنْ يلهينا التفوق الحضاري عن تذكر الله تعالى وقدرته في الخلق والكون وفي ملكه، فهو الذي سبّب الأسباب لكل عناصر التفوق، فلا يجب أنْ ننشغل بالأسباب عن المسبب، فنلاحظ تكرر كلمة ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى إياكم أنْ تنسوا رب الكون أو أنْ تجعلوا له شركاء في تفوقكم.

وتختم السورة بنموذج من نماذج التفوق الحضاري، ألا وهو النملة، هذه الحشرة الصغيرة قد أودع الله تعالى فيها من مقومات التفوق ما لا نحصيه فالنمل يعيش في أمة منظّمة تنظيماً دقيقاً، وعنده تخزين وعنده تكييف في الأجساد، وعنده جيوش وإشارات تخاطب، وعنده تكنولوجيا لا نعلمها والعلماء يكتشفون يوماً بعد يوماً أشياء لا يمكن للعقل تصورها عن هذه الحشرة الصغيرة الحجم.

فعلينا أنْ نتعلم من هذه الحشرة التفوق الحضاري، فهي التي قالت مخاطبة النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل:١٨] حفاظاً عليهم من خطر قادم وكأنّ لديها جهاز إنذار، وقولها ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ دلالة وإشارة واضحة إلى أنه حتى النمل يعرف أنّ عباد الله المؤمنين لا يمكن أنْ يظلموا غيرهم أو يحطموهم، حتى ولو كان مجموعة من النمل، ولهذا تبسم سليمان ضاحكاً من قولها، ثم دعا ربه وشكره؛ لأنه فهم معنى ما قالته النملة.

وسميّت السورة بـ (النمل): دلالة على أنّ النمل نجحت في الأداء وحسن التنظيم والتفوق، فكيف بالبشر الذين أعطاهم الله تعالى العقل والفهم، فهم أحرى أنْ ينجحوا - كما نجح النمل - في مهمتهم في الأرض، وفيها دلالة عظيمة على علم الحيوان.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني:

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث:

ما دلالة ذكر القرآن والكتاب معاً في قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾[النمل:١]؟

الجواب:

إذا وجدت آية ذكر فيها الكتاب وحده ولم يُذكر القرآن تجد أن لفظة الكتاب تتردد في السورة أكثر من لفظة القرآن، والعكس صحيح، وإذا اجتمع اللفظان في آية تردد ذكرهما بصورة متقابلة، بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر إلا بلفظة واحدة في السورة كلها.

هذا النسق لم يختلف في جميع السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، وهي مقصودة، وليست اعتباطية، حتى في سورة طه بدأت بلفظة القرآن وترددت لفظة القرآن ثلاث مرات في السورة، بينما وردت لفظة الكتاب مرة واحدة.

السؤال الرابع:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الخامس:

ما ميزة السور التي تبدأ بحرف الطاء، وهو من الأحرف النورانية؟

الجواب:

في القرآن الكريم هناك أربع سور تبدأ بحرف الطاء، وهو من الأحرف النورانية، وهذه السور هي: طه والشعراء والنمل والقصص. وفي هذا المجال ملاحظتان:

١ـ كل سورة تبدأ بالطاء تكون فيها قصة موسى عليه السلام هي أول قصة قبل سائر القصص الأخرى.

٢ـ كل سورة من هذه السور الأربعة فيها حرفا الطاء والميم ـ طسم ـ تكون قصة موسى فيها مفصلة أكثر من السور التي لا تبدأ بالحرفين ـ الطاء والميم، وإنما تبدأ بـ(طه ـ طس).

السؤال السادس:

ما دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:١] و ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [النمل:١]؟ وما وجه الاختلاف بينهما؟ وما اللمسات البيانية فيهما؟

الجواب:

ما ذُكِر فيها (الكتاب) وحده، كما في سورة البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] ولم يُذكر القرآن تتردد لفظة (الكتاب) في السورة أكثر من لفظة القرآن، أو لا ترد أصلاً، وما يرد فيه لفظ (القرآن) تتردد فيه لفظة القرآن في السورة أكثر من تردد لفظة الكتاب، أو أن لفظة الكتاب لا ترد أصلاً، وإذا اجتمع اللفظان في آية يتردد ذكرهما بصورة متقابلة، بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر إلا بلفظة واحدة في السورة كلها.

ونأخذ بعض الأمثلة:

١ـ سورة البقرة بدأت بلفظة (الكتاب)، وترددت لفظة (الكتاب) ومشتقاتها سبعاً وأربعين مرة في السورة، بينما ترددت لفظة (القرآن) ومشتقاتها مرة واحدة فقط في آية الصيام.

٢ـ سورة آل عمران بدأت بلفظة (الكتاب)، وترددت لفظة (الكتاب) ثلاثاً وثلاثين مرة في السورة، بينما لم ترد لفظة (القرآن) ولا مرة في السورة كلها.

هذا النسق لم يختلف في جميع السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، وهي مقصودة، وليست اعتباطية، حتى في سورة طه بدأت بلفظة (القرآن) وترددت لفظة (القرآن)

ثلاث مرات في السورة، بينما وردت لفظة (الكتاب) مرة واحدة في السورة، إلا في سورة ص فقد ورد (الكتاب والقرآن) مرة واحدة.

٣ـ وفي سورة الحجر ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:١] ورد لفظ (القرآن) في السورة أربع مرات و(الكتاب) خمس مرات. وفي آية سورة النمل ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل:١] تردد (الكتاب) مرتين و(القرآن) ثلاث مرات.

السؤال السابع:

ما علاقة كلمة الكتاب مع ﴿الٓرۚ﴾ وكلمة القرآن مع ﴿طسٓۚ﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿الٓرۚ﴾ مؤلفة من أربعة مقاطع (مقطع قصير يتبعه مقطع طويل مغلق ثم مقطعان مديدان).

٢ـ ﴿طسٓۚ﴾ نجد أنها مكونة من مقطعين (مقطع طويل مفتوح ومقطع مديد).

الأول ﴿الٓرۚ﴾ ينتهي بمديدين وفيه مقطع طويل مغلق فإذن هو أثقل من حيث الجانب الصوتي ويعني يحتاج إلى جهد أكبر.

أيهما يحتاج إلى مجهود أكثر: أنْ تنطق شيئاً أو أنْ تكتبه؟ الكتابة تحتاج المجهود الأكبر لأنها تحتاج إلى القلم وسابقاً الدواة والقرطاس والقصبة ويبدأ يخطّ الحرف خطّاً فهذا فيه جهد.

الحروف المقطعة التي فيها جهد يأتي بعدها كلمة (كتاب) والحروف المقطعة التي هي أقل جهداً يأتي بعدها (القرآن)؛ لأنّ القراءة أسهل من الكتابة، وننظر في الآيات حيثما وردت في القرآن:

٣ـ الأحرف المقطعة جاءت في ٢٩ موضعاً في القرآن الكريم:

القاعدة: أنه إذا كانت الحروف المقطعة أكثر من مقطعين فعند ذلك يأتي معها (الكتاب) لأنّ الكتابة ثقيلة، وإذا كانت الحروف المقطعة تتألف من مقطعين يأتي معها (القرآن) بإستثناء إذا كان المقطع الثاني مقطعاً ثقيلاً.

مثلاً ﴿حمٓ﴾ الحاء مقطع والميم مقطع ثقيل لأنه مديد (ميم حركة طويلة، ميم: قاعدتان وقمة طويلة) وهو من مقاطع الوقف. فمقطع الميم ثقيل لأنه يبدأ بصوت وينتهي بالصوت نفسه وبينهما هذه الحركة الطويلة والعرب تستثقل ذلك ولذلك جعلوه في الوقف.

ما الدليل على الاستثقال؟ عندما نأتي إلى الفعل [ردّ يردّ] أصله (ردد يردد) لكنّ (ردد) فيه الدال وجاء إلى الفتحة ورجع إلى الدال مثل الميم (ميم، ياء، ميم) فالعربي حذف الفتحة وأدغم فقال: ردّ.

قد يقول قائل: ما الدليل على أن ردّ أصله ردد؟ نقول له: صِل ردّ بتاء المتكلم (رددتُ) تظهر. إذن فهم لا يميلون أنْ ينقل لسانه من حرف ثم يعود إليه بعد حركة فهذا يستثقله العربي.

٤ـ فالميم مقطع ثقيل والكتابة أثقل، فعندما يكون المقطع ثقيلاً يذكر كلمة الكتاب.

وفي سورة ﴿نٓ﴾ قال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم:١] لم يذكر الكتاب ولكنه ذكر آلة الكتابة ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ وعملية الكتابة ﴿يَسۡطُرُونَ ١﴾.

السؤال الثامن:

ما اللطائف العددية في سورة النمل؟

الجواب:

١ـ تبدأ سورة النمل بالحرفين (طس).

٢ـ تكرار حرف الطاء في السورة هو ٢٧ مرة ويساوي ترتيب السورة في القرآن.

٣ـ تكرار حرف السين في السورة هو ٩٣ مرة ويساوي عدد آيات السورة.

٤ـ مجموع تكرار الحرفين طس هو ١٢٠.

٥ـ اللافت للنظر أن جمّل كلمة (نمل) هو أيضاً ١٢٠.

والله أعلم.

السؤال التاسع:

ما اللطائف العددية الأخرى في سورة النمل؟

الجواب:

تستهل سورة النمل بالحرفين ﴿طسٓۚ﴾ وفيها بسملتان، لذلك لها وضع خاص إذ البسملة هي محور الإعجاز العددي.

١ ـ سورة التوبة بدون بسملة وترتيبها ٩ وسورة النمل فيها بسملتان وترتيبها ٢٧.

٢ ـ إذا بدأت العد من سورة التوبة فستجد أنّ ترتيب سورة النمل هو ١٩.

٣ ـ عدد الكلمات من أول سورة النمل حتى بداية الآية ٣٠ ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل:٣٠] هو ٣٤٢ كلمة ويساوي ١٩×١٨.

علماً أنّ العدد ١٩ هو عدد السور في الفقرة (٢) والعدد ١٨ هو الفرق بين ترتيب السورتين.

٤ ـ لم يرد [نمل ـ نملة] إلا في الآية ١٨ وهي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل:١٨] وهي مؤلفة من ١٩ كلمة.

٥ ـ انظر إلى الجدول التالي المتعلق بسورة النمل:

رقم الآية	الآية	عدد كلماتها	المضمون
١٠	﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾	١٩	معجزة العصا لموسى عليه السلام
١٢	﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ﴾	١٩	معجزة اليد لموسى عليه السلام
١٧	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾	١٩	معجزة فهم لغة النمل لسيدنا سليمان
٤٠	﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٣٨	معجزة إحضار عرش بلقيس
٦٤	﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾	١٩	معجزة الخلق والكون

المجموع لعدد الكلمات يساوي (١١٤)، وهو عدد سور القرآن الكريم والله أعلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين السوء والسيئات؟

الجواب:

١ـ السيئة هي فعل القبيح، وقد تُطلق على الصغائر.

٢ـ السوء كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال مما يُغَمّ به الإنسان يقول: أصابه سوء،أوالآفة، أو المرض. والسوء يكون في المعاصي وغيرها.

في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢﴾ [طه:٢٢]؛ أي: من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة.

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النمل:٥] كلمة (سوء) عامة، أمّا السيئة فهي فعل القبيح.

٣ـ المعصية عموماً قد تكون صغيرة أو كبيرة، والسوء يكون في المعاصي وغيرها ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] سواء صغيرة أو كبيرة.

٤ـ كلمة (سوء) عامة، وكلمة (سيئة) خاصة، وتُجمع على (سيئات). وكلمة (سوء) هي اسم المصدر، والمصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه وهذا حكم عام.

السؤال الثاني:

استخدم القرآن كلمة ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في سورة النحل ١٠٩، واستخدم كلمة ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ في هود ٢٢ ـ وفي النمل ٥ ـ والكهف ١٠٣، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٢٢.

❁❁❁❁

قصة موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص:

آيات سورة النمل



﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم
بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ
مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:٦-٧-
٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤].

من سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [القصص:٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣].

من هذين النصين تتبين طائفة من الاختلافات في التعبير ندوّن أظهرها في الجدول التالي:

الرقم	سورة النمل	سورة القصص
١	﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [النمل:٧]	﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾
٢	-	﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ [القصص:٢٩]
٣	﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧]	﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص:٢٩]
٤	﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل:٧]	﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص:٢٩]
٥	﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ [النمل:٨]	﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [القصص:٣٠]

٦	﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ﴾ [النمل:٨]	﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾
٧	﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾	-
٨	﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [النمل:٩]	﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٣٠]
٩	﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ [النمل:٩]	﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾
١٠	﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ ١٠﴾ [النمل:١٠]	﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ [القصص:٣١]
١١	﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ [النمل:١٠]	﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ﴾ [القصص:٣١]
١٢	﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾	﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١﴾ [القصص:٣١]
١٣	﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل:١١]	-
١٤	﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ [النمل:١٢]	﴿أَسۡلُكۡ يَدَكَ﴾ [القصص:٣٢]
١٥	﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل:١٢]	﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ [القصص:٣٢]
١٦	-	﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾
١٧	﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾ [النمل:١٢]	﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ﴾ [القصص:٣٢]

ملاحظات عامة:

أ ـ إنّ ما ورد أعلاه من سورة النمل، هو كل ما ورد عن قصة موسى في السورة. وأمّا ما ورد من الآيات من سورة القصص فهو جزء يسير من القصة، فقد وردت القصة مفصلة ابتداء من قبل أنْ يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه ونشأته وقتله المصري وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته

بعد عشر سنين وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة والأربعين.

فالقصة في سورة القصص إذن مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وهذا الأمر ظاهر في صياغة القصتين، واختيار التعبير لكل منهما.

ب ـ أنّ المقام في سورة النمل مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعاً بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، بل إنّ جو الخوف كان مقترناً بولادة موسى عليه السلام، فقد خافت أمه عليه من فرعونَ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ﴾ [القصص:٧]، ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠].

ثم ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام، ويساوره وذلك بعد قتله المصري: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨] فنصحه أحدُ الناصحين بالهرب من مصر؛ لأنه مهدد بالقتل: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ﴾ [القصص:٢١]، وطلب من ربه أنْ ينجيه من بطش الظالمين: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص:٢١]. فهرب إلى مدين، وهناك اتصل برجل صالح فيها، وقصّ عليه القصص فطمأنه قائلا: ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص:٢٥].

ج ـ وهذا الطابع ـ وهو طابع الخوف ـ يبقى ملازماً للقصة إلى أواخرها بل حتى إنه لمّا كلفه ربه بالذهاب إلى فرعون راجعه وقال له: إنه خائف على نفسه من القتل: ﴿قَالَ رَبِّ

﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]، وطلب أخاه ظهيراً له يعينه ويصدقه؛ لأنه يخاف أنْ يكذبوه: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص:٣٤].

بينما ليس الأمر كذلك في قصة سورة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا.

فاقتضى أنْ يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه.

وإليك إيضاح ذلك حسب تسلسل الجدول المبين أعلاه:

١ـ قال تعالى في سورة النمل: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [النمل:٧]، وقال في سورة القصص: ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩].

فزاد: ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ وذلك لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص.

٢ـ قال في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [النمل:٧]، وقال في سورة القصص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [القصص:٢٩] بزيادة "امْكُثُوا". وهذه الزيادة نظيرة ما ذكرناه آنفاً، وهي مناسِبة لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص بخلاف القصة في سورة النمل المبنية على الإيجاز.

٣ـ قال في النمل: ﴿سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧]، وقال في القصص: ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص:٢٩]. فبنى الكلام في النمل على القطع ﴿سَآتِيكُم﴾ [النمل:٧] وفي القصص على الترجي ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم﴾ [القصص:٢٩]؛ وذلك للأسباب التالية:

أ ـ إنّ مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر، فإنّ الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن. وعندما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر.

ب ـ إنّ ما ذكره في النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى، بخلاف ما في القصص.

ج ـ إنّ الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل.

فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص:٩] وهو ترجٍّ، وقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢] وهو ترجٍّ أيضاً، وقال: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص:٢٩]، وقال ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص:٢٩]، وقال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص:٣٨]، وقال: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٣] ثلاث مرات في الآيات ٤٣، ٤٦، ٥١، وقال: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [القصص:٦٧]، وقال: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص:٧٣] وهذا كله ترجّ. وذلك في عشرة مواطن .

في حين لم يرد الترجي في سورة النمل، إلا في موطنين، وهما قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [النمل:٧]، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل:٤٦].

وقد تردد القطع واليقين في سورة النمل، ومن ذلك قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢]، وقوله على لسان العفريت لسيدنا سليمان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل:٣٩] وقوله على لسان الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [النمل:٤٠].

فانظر كيف ناسب الترجي ما ورد في القصص، وناسب القطع واليقين ما ورد في النمل.

ثم انظر بعد ذلك قوله تعالى في القصة: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧] ومناسبته لقوله تعالى في آخر السورة: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل:٩٣] وانظر مناسبة ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ [النمل:٧] لـ﴿سَيُرِيكُمْ﴾ [النمل:٩٣].

وبعد كل ذلك، انظر كيف تم وضع كل تعبير في موطنه اللائق به.

د ـ كرّر فعل الإتيان في النمل، فقال: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾ [النمل:٧] ولم يكرره في القصص، بل قال: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [القصص:٢٩].

فأكّد الإتيان في سورة النمل لقوة يقينه وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة، في حين لم يكرر فعل الإتيان في القصص مناسبة لجو الخوف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ فعل (الإتيان) تكرر في النمل اثنتي عشرة مرة. (انظر الآيات: ٧ مرتين، ١٨، ٢١، ٢٨، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٥٥، ٨٧)

وتكرر في القصص ست مرات (انظر الآيات ٢٩، ٣٠، ٤٦، ٤٩، ٧١، ٧٢) فناسب تكرار ﴿ءَاتِيكُم﴾ في النمل من كل وجه.

٤ـ قال في سورة النمل: ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [النمل:٧] وقال في القصص: ﴿نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:٢٩].

فذكر في سورة النمل أنه يأتيهم بشهاب قبس، والشهاب: هو شعلة من النار ساطعة.

ومعنى (القَبَس) شعلة نار تقتبس من معظم النار، كالمقباس. يقال: قبس يقبس منه ناراً، أي: أخذ منه ناراً، وقبس العلمَ استفاده.

وأمّا (الجذوة) فهي الجمرة أو القبسة من النار، وقيل: هي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب، وفي معناها ما قيل: هي عود فيه نار بلا لهب.

والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة، لأنّ الشهاب يدفئ أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضاً، فهو أحسن من الجذوة في الاتضاءة والدفء.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ذكر أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار، وليس مختَلَساً أو محمولاً منها؛ لأنّ الشهاب يكون مقبوساً وغير مقبوس، وهذا أدل على القوة وثبات الجنان؛ لأنّ معناه أنه سيذهب إلى النار، ويقبس منها شعلة نار ساطعة.

أمّا في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل إنه سيقبسها منها.

والجذوة قد تكون قبساً وغير قبس، ولا شك أنّ الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان.

وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف ذكر الجمرة، وفي غير موطن الخوف ذكر الشهاب والقبس.

٥ـ قال في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾ [النمل:٨]، وقال في سورة القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾ [القصص:٣٠].

فما الفرق بينهما؟

قال الراغب الأصفهاني مفرقاً بين الإتيان والمجيء: الإتيان مجيءٌ بسهولة.

وقال: "المجيء كالإتيان، لكنّ المجيء أعم، لأنّ الإتيان مجيء بسهولة".

ولم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب، وإنما هم يفسرون واحداً بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء، غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة.

والذي يتبين أنّ القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة أكثر مما تستعمل له (أتى).

* شواهد قرآنية:

أ ـ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧]؛ وذلك لأن هذا المجيء فيه مشقة وشدة.

وقال: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق:١٩]، وقال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف:٧١]، وقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤].

وقال: ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم:٢٧]، وقال: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم:٨٨-٨٩-٩٠].

وقال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١]، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس:٣٣-٣٤]، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٣٤].

وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة.

ب ـ وقد تقول: وقد قال أيضاً: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١﴾ [الغاشية:١] فاستعمل (أتى) والجواب: أنّ الذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية في حين أنّ الذي جاء هناك هو الطامّة والصاخّة ونحوهما مما ذكر.

ج ـ ويتضح الاختلاف بينهما في الآيات المتشابهة التي يختلف فيها الفعلان، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١]، وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨]. ونحو قوله: ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، و﴿أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام:٣٤]، ونحو قوله: ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [العنكبوت:٥٣]، و﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [النحل:٢٦]، وما إلى ذلك.

فإنه يتضح الفرق في اختيار أحدهما على الآخر، وإليك إيضاح ذلك:

أولاً ـ قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [النحل:١].

وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ [غافر:٧٨]، فقال في غافر: ﴿جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨]، وبأدنى نظر يتضح الفرق بين التعبيرين، فإنّ المجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران في حين لم يزد في الآية الأولى على الإتيان. فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء)، ولما هو أيسر (أتى).

ثانياً ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف:١١٠].

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام:٣٤].

فقال في آية يوسف ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، وفي آية الأنعام: ﴿أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤]

ومن الواضح أنّ الحالة الأولى أشق وأصعب؛ وذلك أنّ الرسل بلغوا درجة الاستيئاس، وهي أبعد وأبلغ، وذهب بهم الظن إلى أنهم كُذبوا أي: أنّ الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّي من شاء وعوقب المجرمون.

في حين ذكر في الآية الأخرى أنهم كُذّبوا، أي: كذّبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا. وفرق بعيد بين الحالتين، فلقد يُكذّب الرسل وأتباعهم ويُؤذون ولكنّ الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمرٌ كبير.

ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحاً، فما ذكره من نجاة المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام يدلك على الفرق بينهما.

ثالثًا ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُمر:٢٥-٢٦].

وقوله: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل:٢٦-٢٧].

فقال في الآيتين: "وأتاهُمُ العَذابُ"

في حين قال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت:٥٣-٥٤-٥٥].

فقال في آية العنكبوت: ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [العنكبوت:٥٣]؛ وذلك أنّ الآيتين الأوليين هما في عذاب الدنيا بدليل قوله في آية النحل: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [النحل:٢٧] وقوله في آية الزمر: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزُّمر:٢٦]، في حين أنّ آية العنكبوت هي في عذاب الآخرة، وحتى لو كانت في عذاب الدنيا فإنّ ما ذكر فيها من العذاب أشق وأشد مما في الآيتين الأخريين بدليل قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة:٤٩] وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٥]، فجاء لما هو أشق وأشد بالفعل (جاء)، ولما هو أيسر بـ(أتى).

وقد تقول: ولكنه قال في آية العنكبوت: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ [العنكبوت:٥٣] فاستعمل مضارع (أتى).

والجواب: أنّ القرآن لم يستعمل مضارعاً للفعل (جاء).. ولذلك كل ما كان من هذا المعنى مضارعاً استعمل له مضارع (أتى)، فلا يدخل المضارع في الموازنة.

رابعاً ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧٠-٧١].

فقال: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ﴾ [التوبة:٧٠] وهو الموطن الوحيد الذي جاء فيه نحو هذا التعبير في القرآن الكريم، في حين قال في المواطن الأخرى كلها: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [إبراهيم:٩].

ولو نظرت في هذه التعبيرات، ودققت فيها لوجدت أنّ كل التعبيرات التي جاءت بالفعل (جاء) أشق وأصعب مما جاء بـ (أتى).

خامساً ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف:١٠١-١٠٢-١٠٣].

فانظر كيف قال في آية التوبة: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة:٧٠]. ولم يذكر أنهم كفروا أو عوقبوا، في حين قال في آيات الأعراف: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الأعراف:١٠١] فذكر عدم إيمانهم، وأنهم طُبع على قلوبهم: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف:١٠١]، وذكر أنه وجد أكثرهم فاسقين، وأنه لم يجد لأكثرهم عهداً، وذكر بعد ذلك ظلم فرعون وقومه لموسى وتكذيبهم بآيات الله وعاقبتهم.

فانظر موقف الأمم من الرسل في الحالتين وانظر استعمال كل من الفعلين جاء وأتى، يتبين لك الفرق واضحاً بينهما.

سادساً ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس:١٣].

فقال: ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [يونس:١٣]؛ وذلك أنه ذكر إهلاك القرون لظلمهم، وذكر تكذيبهم وعدم إيمانهم، وذكر جزاء المجرمين.

وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم:٩]، إلى أنْ يقول: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم:١٢-١٣].

ويمضي في وصف عذاب الكفرة عذاباً غليظاً: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦ – ١٧].

وقال أيضاً: ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ﴾ [الروم:٩]، والأمر في غنى عن أن نبين موقف الأمم من رسلهم، وكفرهم بما أرسلوا به، وتهديدهم لهم بإخراجهم من الأرض، وعن ذكر عذاب الكافرين في الدنيا بإهلاكهم وفي الآخرة بما وصفه أفظع الوصف.

فانظر إتيانه بالفعل (جاء)، وقارنه بالفعل (أتى) في آية التوبة يتضح الفرق بين استعمال الفعلين.

سابعاً ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾ [الروم:٩- ١٠].

فذكر عاقبة الذين أساؤوا، وأنها السوأى بتأنيث الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم لرسلهم واستهزاءهم بهم، في حين لم يصرح في آية التوبة بتكذيب ولا استهزاء، ولم يذكر لهم عاقبة ما.

ثامناً ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ [فاطر:٢٥-٢٦].

فذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم بعد أنْ جاؤوهم بكل ما يدعو إلى الإيمان من البينات والزبر والكتاب المنير، وذكر أخذَه لهم وعلّق على ذلك بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ [فاطر:٢٦].

تاسعاً ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾ [غافر٨٢-٨٣-٨٤-:٨٥].

فقال: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر:٨٣] ثم ذكر أنّ أممهم استهزؤوا برسلهم وبقوا على شركهم حتى رأوا بأس الله ينزل بهم. فلم ينفعهم إيمانهم بعد فوات الأوان.

قارن هذه الآيات التي وردت بالفعل (جاء) بالآية التي وردت بالفعل (أتى) وهي آية التوبة، يتبين الفرق بين استعمال الفعلين: جاء وأتى.

عاشراً ـ وقد تقول: ولكنه ورد في القرآن ﴿أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام:٤٠] و ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام:٣١] والساعة واحدة، فما الفرق؟

نقول ابتداء: إنه لا يصح اقتطاع جزء من الآية للاستدلال، بل ينبغي النظرُ في الآية كلها وفي السياق أيضا؛ ليصحّ الاستدلالُ والحكم.

و الآيتان اللتان فيهما ذِكرُ الساعة هما في نفس سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾ [الأنعام:٣١].

وقال: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١﴾ [الأنعام:٤١].

فقال في الآية الأولى: ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام:٣١]، وقال في الثانية: ﴿أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام:٤٠].

وبأدنى تأمل يتضح الفرق بين المقامين. فإنّ الأولى في الآخرة وفي الذين كذّبوا باليوم الآخر، وهم نادمون متحسرون على ما فرطوا في الدنيا، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، وتوضحه الآية قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا

﴿بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ [الأنعام:٣٠-٣١]، في حين أنّ الثانية هي في الدنيا بدليل قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠﴾ [الأنعام:٤٠] وقوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام:٤١] فذكر أنه يكشف ما يدعون إليه إنْ شاء، وهذا في الدنيا، وإلا فإنّ الله لا يكشف عن المشركين شيئاً في الآخرة ولا يستجيب لهم البتة.

فالموقف الأول أشق وأشد مما في الثانية، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتى) بخلاف الآية الثانية.

د ـ فاتضح أنّ القرآن إنما يستعمل (جاء) لما هو أصعب وأشق، ويستعمل (أتى) لما هو أخف وأيسر.

ولعلّ من أسباب ذلك أنّ الفعل (جاء) أثقل من (أتى) في اللفظ، حيث إنّ الفرق اللفظي بين الفعلين إنما هو الفرق بين حرفي (التاء) و (الجيم) فقط، وحرف (التاء) من أحرف الهمس، بينما حرف (الجيم) من أحرف الشدة والقلقلة؛ ولذلك حرف (الجيم) أقوى وأثقل من حرف (التاء) إضافة إلى أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ (جاء) ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي وحده، بخلاف (أتى) الذي وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول. فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء)، وخفة اللفظ وخفة الموقف في (أتى)، والله أعلم.

هـ ـ ونعود إلى ما نحن فيه من قصة موسى عليه السلام، فقد قال في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ [النمل:٨]، وقال في سورة القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [القصص:٣٠]؛ والسبب أنّ ما قطعه موسى على نفسه في النمل أصعب مما في القصص، فقد قطع في النمل على نفسه أنْ يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، في حين ترجى ذلك في القصص. والقطع أشق وأصعب من الترجي. وأنه قطع في النمل، أنْ يأتيهم بشهاب قبس، أي: بشعلة من النار ساطعة مقبوسة من النار التي رآها، في حين أنه ترجّى في القصص أنْ يأتيهم بجمرة من النار والأولى أصعب.

ثم إنّ المهمة التي ستوكل إليه في النمل أصعب وأشق مما في القصص فإنه طُلب إليه في القصص أنْ يبلّغ (فرعون وملأه)، بينما طُلِبَ منه تبليغ (فرعون وقومه) في سورة النمل، وتبليغ القوم أوسع وأصعب من تبليغ الملأ؛ ذلك أنّ دائرة الملأ ضيقة، وهم المحيطون بفرعون، في حين أنّ دائرة القوم واسعة؛ لأنهم منتشرون في المدن والقرى، وأن التعامل مع هذه الدائرة الواسعة من الناس صعب شاق، فإنهم مختلفون في الأمزجة والاستجابة والتصرف، فما في النمل أشق وأصعب، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتى) الذي هو أخف. ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [طه: ١١] ذلك لأنه أمره بالذهاب إلى فرعون، ولم يذكر معه أحداً آخر: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [طه:٢٤-٢٥-٢٦].

فانظر كيف أنه لمّا أرسله الله تعالى إلى فرعون قال: ﴿أَتَىٰهَا﴾، ولمّا أرسله إلى فرعون وملئه قال ﴿أَتَىٰهَا﴾ أيضاً، في حين لمّا أرسله إلى فرعون وقومه قال: ﴿جَآءَهَا﴾، وأنت ترى الفرق بين الموطنين ظاهراً.

٦- ذكر في القصص جهة النداء فقال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠] ولم يذكر الجهة في النمل؛ وذلك لأنّ موطن القصص موطن تفصيل، وموطن النمل موطن إيجاز، كما ذكرت.

٧- قال في النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل:٨] ولم يذكر مثل ذلك في القصص، بل ذكر جهة النداء فقط وذلك لأنّ الموقف في النمل موقف تعظيم كما أسلفنا، وهذا القول هو تعظيم لله رب العالمين.

٨ ـ قال في النمل ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾، وقال في القصص: ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾[القصص:٣٠] فجاء بـ (أنْ) المفسرة في القصص، ولم يأت بها في النمل؛ وذلك لأكثر من سبب:

أ ـ منها أنّ المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى كما ذكرنا فشرفه بالنداء المباشر، في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بها يفسر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا، أو بما هذا معناه، فهناك فرق بين قولك: (أشرت إليه أنْ اذهب) و (قلت له اذهب)، فالأول معناه: أشرت إليه بالذهاب، بأيّ لفظ أو دلالة تدل على هذا المعنى، وأمّا الثاني فقد قلت له هذا القول نصاً، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥].

أي: بما هذا تفسيره أو بما هذا معناه، بخلاف قوله: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦].

ب ـ أنّ المقام في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل، فجاء بـ (أن) زيادة في التبسط.

ج ـ أنّ ثقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء؛ ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم.

٩- قال في النمل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل:٩]، وقال في سورة القصص: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص:٣٠].

فجاء بضمير الشأن الدال على التعظيم في آية النمل: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا﴾ [النمل:٩] ولم يأت به في القصص، ثم جاء باسميه الكريمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل:٩] في النمل زيادة في التعظيم.

ثم انظر إلى اختيار هذين الاسمين وتناسبهما مع مقام ثقل التكليف، فإنّ فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزّة، ألا ترى كيف أقسم السحرة بعزته قائلين: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء:٤٤]. فاختار من بين أسمائه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ معرفا بالألف واللام للدلالة على أنه هو العزيز ولا عزيز سواه و(الحكيم) للدلالة على أنه لا حاكم ولا ذا حكمة سواه، فهو المتصف بهذين الوصفين على جهة الكمال حصراً. وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر ما لا يخفى ما لو قال (عزيز حكيم) فإنه قد يشاركه فيهما آخرون.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لمّا قال: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل:٩] لم يذكر أنّ موسى سأل ربه أن يعزّزه ويقويه بأخيه، وعندما لم يقل ذلك ذكر أنه سأل ربه أن يكون له ردءاً يصدقه ويقويه وهو أخوه هارون.

ـ وقد تقول: ولكنه قال في القصص ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص:٣٠] وفي ذلك من التعظيم ما لا يخفى؟

ونقول: وقد قال ذلك أيضاً في النمل، فقد قال: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ [النمل:٨] وزاد عليه: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ [النمل:٩]. فاتضح الفرق بين المقامين.

ـ وقد تقول: ولِمَ قال في سورة طه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه:١٢] بذكر ربوبيته له خصوصاً، ولم يقل كما قال في سورتي النمل والقصص "ربّ العالمين"؟

والجواب: أنه في سورة طه كان الخطاب والتوجيه لموسى عليه السلام أولاً فعلمه وأرشده فقال له: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ [طه: ١٤ - ١٥]. فطلب منه العبادة وإقامة الصلاة.

وقال بعد ذلك: ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣﴾ [طه:٢٣]. ثم ذكر منته عليه مرة أخرى فقال: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨﴾ [طه: ٣٧ - ٣٨].

ويمضي في ذكر منته عليه، ولم يرد مثل ذلك في النمل، ولا في القصص. فإنه لم يذكر توجيهاً له أو إرشاداً لعبادته في النمل، ولا في القصص، فلم يأمره بعبادة أو صلاة أو تكليف خاص بشأنه.

ثم إنه في سورة القصص، وإنْ كان قد فصّل في ذكر ولادته ونشأته وما إلى ذلك، فقد ذكرها في حالة الغيبة لا في حالة الخطاب: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص:٧] ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾ [القصص:١٠]. ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القصص:١٣]. ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [القصص:١٤]. ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ [القصص:١٥]. "

في حين كان الكلام في سورة طه بصورة الخطاب. فناسب أنْ يقول له في طه: "أنا ربّك" بخلاف ما في النمل والقصص، والله أعلم.

١٠ـ قال في النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل:١٠]، وقال في القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص:٣١].

فجاء بـ (أنْ) المفسرة أو المصدرية. ونظيره ما مر في قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٣١] و ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٣٠].

فقوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل:١٠] قول مباشر من رب العزة، وهو دال على التكريم.

وأمّا قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص:٣١] فإن معناه أنه ناداه بها تفسيره هذا أو بما معناه هذا. فأنت إذا قلت: (ناديته أنْ اذهب) كان المعنى ناديته بالذهاب، فقد يكون النداء بهذا اللفظ أو بغيره، بخلاف قولك: (ناديته اذهب)؛ أي: قلت له اذهب.

وهو نحو ما ذكرناه في قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٣١] و ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٣٠] فلا داعي لتكرارها.

١١ـ قال في النمل: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل:١٠]، وقال في القصص: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص:٣١]

بزيادة ﴿أَقْبِلْ﴾ على ما في النمل؛ وذلك له أكثر من سبب.

منها: أنّ مقام الإيجاز في النمل يستدعي عدم الإطالة بخلاف مقام التفصيل في القصص.

ومنها أنّ شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب، فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف.

فوضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق به.

١٢ـ قال في النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠]، وقال في القصص: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص:٣١].

ذلك أنّ المقام في سورة القصص مقام الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمنه قائلا: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص:٣١].

أمّا في سورة النمل فالمقام مقام التكريم والتشريف، فقال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠] فألمح بذلك إلى أنه منهم، وهذا تكريم وتشريف. ثم انظر كيف قال: ﴿لَدَيَّ﴾ مشعرا بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لمّا قال في سورة النمل: ﴿لَدَيَّ﴾ المفيدة للقرب ناداه بما يفيد القرب فقال: ﴿يَا مُوسَىٰ﴾ ولم يقل: ﴿أَن يَا مُوسَىٰ﴾، كما قال في القصص، ففصل بين المنادي والمنادَى بما يفيد البعد. وأمره أيضاً بما يفيد القرب بلا فاصل بينهما فقال: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل:١٠]، ولم يقل: "وأنْ ألقِ عَصاكَ" للدلالة على قرب المأمور منه. فناداه من قرب وأمرَه من قرب وذلك لأنه كان منه قريباً، فانظر علو هذا التعبير ورفعته.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف قال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠] ولم يقل: (إني لا يخاف مني المرسلون)؛ لأنّ المرسلين لا يخافون بحضرته، ولكنهم يخشونه

ويخافونه كل الخوف، وقد قال ﷺ: (**أنا أخشاكم لله**) فهو أخوف الناس منه، وأخشاهم له.

١٣ـ قال في النمل: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النمل:١١]، ولم يقل مثل ذلك في القصص؛ لأنه لا يحسن أنْ يقال: (إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء)، ولو قال هذا لم يكن كلاماً.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ناسب ذلك قول ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل:٤٤]، فإنها ظلمت نفسها بكفرها وسجودها للشمس من دون الله، ثم بدلت حسناً بعد سوء، فأسلمت لله رب العالمين فلاءم هذا التعبير موطنه من كل ناحية.

ـ وقد تقول: لقد ورد مثل هذا التعبير في سورة القصص أيضاً، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦].

والحق أنّ المقامين مختلفان، فإنّ القول في سورة القصص هو قول موسى عليه السلام حين قتل المصري، وموسى لم يكن كافراً بالله، بل هو مؤمن بالله تعالى، ألا ترى إلى قوله منيباً إلى ربه بعدما فعل فعلته: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ﴾ [القصص:١٦] وقوله حين فرّ من مصر: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص:٢١] وقوله: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢].

فإنّ موسى لم يبدل حسناً بعد سوء؛ ذلك أنه عليه السلام لم يكن سيئاً بخلاف ملكة سبأ، فإنها كانت مشركة، وقد بدلت حسناً بعد سوء. فما جاء من قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾[النمل: ١١] أكثر ملاءمة للموضع الذي ورد فيه من كل ناحية.

١٤- قال في النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾[النمل:١٢]، وقال في القصص: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾[القصص:٣٢]. وبيان ذلك هو:

أ ـ لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل (سلك) الذي يستعمل كثيراً في سلوك السبل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكاً، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩ - ٢٠]؛ ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدين وسير موسى بأهله وسلوكه الطريقَ إلى مصر، حتى إنه لم يُذكر في النمل سيرَه بأهله بعد قضاء الأجل، بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئاً: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[النمل:٧] بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩] فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل.

ب ـ من ناحية أخرى: إنّ الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات في سورة النمل (انظر الآيات ١٢، ١٨، ١٩، ٣٤، ٤٤)، في حين لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في القصص، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ج ـ إضافة إلى أنّ الإدخال أخص من السَّلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل (سلك)؛ لأنّ السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالاً وغير إدخال، تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان، أي: سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك، وإنّ السَّلك قد يكون سهلاً ميسوراً. قال تعالى في النحل: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ﴾ [النحل:٦٩] فانظر كيف قال ﴿ذُلُلًاۚ﴾ ليدلل على سهولته ويسره، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر:٢١]، وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟

فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب. وقد ناسب الإدخال أنْ يوضع مع قوله: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾[النمل:٨] ومع مهمة التبليغ إلى فرعون وقومه.

وناسب أنْ يوضع السلوك في مقام الخوف، وأنْ يوضع الإدخال في مقام الأمن والثقة.

وناسب أنْ يوضع الإدخال وهو أخص من السلوك مع (الشهاب القبس) الذي هو أخص من الجذوة، وأنْ يوضع السلوك وهو أعم من الإدخال مع الجذوة من النار التي هي أعم من الشهاب القبس. فكل لفظة وضعت في مكانها الملائم لها تماماً.

١٥ـ قال في النمل: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل:١٢]، وقال في القصص: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ [القصص:٣٢].

فقد أعطاه في سورة النمل تسع آيات إلى فرعون، وذكر في القصص برهانين، وذلك أنه لمّا كان المقام في النمل مقامَ ثقة وقوة وسّع المهمة فجعلها إلى فرعون وقومه، ووسّع الآيات فجعلها تسعاً، ولمّا كان المقام مقام خوف في القصص، ضيّق المهمة وقلل من ذكر الآيات. وكل تعبير وضع في مكانه المناسب.

ثم إنّ استعمال كلمة (آيات) في النمل مناسب لما تردد من ذكرٍ للآيات والآية في السورة، فقد تردد ذكرُهما فيها عشر مرات، في حين تردد في القصص ست مرات. فناسب وضع (الآيات) في النمل ووضع (البرهان) في القصص الذي تردد فيها مرتين، في حين ورد في النمل مرة واحدة فناسب كل تعبير مكانه.

١٦ـ قال في القصص: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص:٣٢] ولم يذكر مثل ذلك في النمل، و﴿الرَّهْبِ﴾هو الخوف، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردد في القصة، ومناسب لجو التفصيل فيها بخلاف ما في النمل.

١٧- قال في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل:١٢]، وقال في القصص: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾[القصص:٣٢].

فوسّع دائرة التبليغ في النمل كما ذكرنا، وذلك مناسب لجو التكريم في القصة، ومناسب لثقة موسى بنفسه التي أوضحتها القصة. ولمّا وسّع دائرة التبليغ وسّع الآيات التي أعطيها، بخلاف ما ورد في القصص.

١٨- قال في النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [النمل:١٣]

ومعنى ذلك أنّ موسى قبل المهمة ونفذها من دون ذكر لتردد أو مراجعة وهو المناسب لمقام القوة والثقة والتكريم، في حين قال في القصص: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]، فذكر مراجعته لربه وخوفه على نفسه من القتل، وهو المناسب لجو الخوف في السورة ولجو التبسط والتفصيل في الكلام. وكل تعبير مناسب لموطنه الذي ورد فيه كما هو ظاهر. والله أعلم.

السؤال الأول:

هل سمعت زوجة موسى مخاطبة الله عز وجل له؟

الجواب:

١ـ هذا خاص بموسى عليه السلام، ثم إنّ المكان بعيد والله تعالى عندما يخاطب رسوله لا يسمعه الآخرون. الخطاب يكون للرسول على وجه التعيين.

٢ـ هذا الخطاب لا نستطيع أنْ نقول هو صوت من أصوات الناس ،كيف نودي؟ الله أعلم. فهذا أمر خاصٌ بالله سبحانه وتعالى. ناداه الله عزّ وجل بكلامه الذي هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى، كيف هو؟ الخوض فيه لا يؤدي إلى نتيجة، نؤمن به ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]، وكلام الله عز وجل غيب.

٣ـ تكلّم الله تعالى وخاطب موسى وسمع موسى، لكن كيف تكلّم وكيف سمع موسى هذا، لا يستطيع أحد أنْ يصل فيه إلى نتيجة؛ لذلك نقول: هذا غيب نؤمن به كما ورد في كتاب ربنا سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

موسى عليه السلام لم يكن كُلِّف بالرسالة بعد، لكنْ في سورة النمل والقصص، ومن الألفاظ الواحدة ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فما مناسبتها وهو لم يُكلَّف بعد ولم يقل بنو إسرائيل بعد نحن شعب الله المختار؟

الجواب:

موسى عليه السلام يقيناً سينقل لأتباعه هذا الكلام أنّ الله سبحانه وتعالى نبّأني بهذا النبأ وخاطبني بربوبيته للعالمين وأنّ الله رب العالمين، ولا يعقل أنّ موسى عليه السلام سيقول لقومه: الله ربكم وحدكم وإنما هو الله رب العالمين.

ولا بدّ أنْ يقول موسى عليه السلام هذا الكلام، فهذا تثبيت وتاريخ بهذا الكلام أنّه قبل نبوّته أُشعِر بأنّ الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين، وكذلك بعد نبوته أيضاً وهو يُبلِّغ قومه ذلك، لكنّ قومه معاندون وظلوا على عنادهم إلى يومنا هذا.



﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الخبر والنبأ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٧.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة النار ومرادفاتها؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ١٠.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٧١.

السؤال الرابع:

ماذا تعني كلمة (آنس) في القرآن الكريم؟

الجواب:

في المعجم: آنس الشيء: أبصره والصوتَ سمعه. واستأنس؛ أي: استأذن.

أمّا في القرآن الكريم فيعطينا حس العربية المرهف وهو الطمأنينة والأُنس، كما في آية طه ١٠، وقد وردت هذه الكلمة في خمس آيات من القرآن، وليس الإيناس فيها مجرد إبصار لظواهر الرشد المادية الحسية ولكنه الطمأنينة المؤنسة.

وكذلك الأمر في آية النور ٢٧ فإن الاستئناس ليس مجرد الاستئذان فقط وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله.

والإنس والإنسان مشتق من كلمة أنس أو آنس.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى الآية ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾ [النمل:٨]؟

الجواب:

المفسرون ذكروا أقوالاً مختلفة فيها:

قوله تعالى: ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ قيل: الملائكة، وقيل: النار، وهي ليست ناراً عادية، وقيل: بورك النور الذي في النار، وقيل: بوركت النار، و(من) صلة. وقيل: هي الشجرة؛ لأنّ النار اشتعلت فيها وهي خضراء.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾فقيل: الملائكة، وقسم قال: موسى من فيها والملائكة .

والله أعلم.

السؤال الثاني:

موسى عليه السلام اعتقد أنها نار، وهي ليست ناراً، ولكن الله تعالى قال: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾فكيف نفسر هذا؟

الجواب:

هي على فهم موسى عليه السلام لها، هو فهمها ناراً ولم يفهمها نوراً وما زال يعتقدها ناراً، وهو في عجب من أمره؛ لأنه لم يكن يعرف شيئاً غير النار. وهي ليست ناراً؛ لأنها لم تحرقه، وليس هناك وقود.

مع حادثة إبراهيم عليه السلام كان هناك وقود وخشب ،أمّا هذه فهي أرض منبسطة على الجبل وليس هناك خشب، وهو ينظر، ولا يوجد شيء يحترق، ولم يجد أحداً. والله سبحانه وتعالى أزال وحشته بهذا الخطاب المباشر وثبّت قلبه بالآيات لمّا قال: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[القصص:٣١].

السؤال الثالث:

قال في طه ﴿أَتَىٰهَا﴾ وفي النمل ﴿جَآءَهَا﴾[النمل:٨] ؟

الجواب:

إنّ لفظ الإتيان في طه أكثر منه في النمل، وإنّ ألفاظ المجيء في النمل أكثر منها في طه.

فقد وردت ألفاظ الإتيان في طه ١٥ مرة، وفي النمل ١٣ مرة.

وقد وردت ألفاظ المجيء في طه ٤ مرات، وفي النمل ٨ مرات.

فاختير لفظ المجيء في النمل، واختير لفظ الإتيان في طه ووضع كل لفظ في الموضع الذي يقتضيه.



﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

الكلام في سورة طه موجه لموسى عليه السلام ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[طه:١٢]، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، وفي سورة النمل ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[النمل:٩] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ١٢.

السؤال الثاني:

ما دلالة ضمير الشأن (إنه) في الآية؟

الجواب:

ضمير الشأن (هو) يرد على جهة التفخيم والتعظيم للمبالغة في تعظيم القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيها.

وهنا في الآيات المذكورة أعلاه في السؤال نجد أنّ الله تعالى:

قال في طه ١٤: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بلفظ المتكلم.

وقال في القصص ٣٠: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بلفظ المتكلم أيضاً.

وقال في النمل٩: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ [النمل:٩] بلفظة ضمير الشأن.

وأنت تلاحظ مقام التفخيم والتعظيم في آيات سورة النمل، وذلك من السياق ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ [النمل:٨] فهو مسبوق بالتعظيم والتنزيه مما ناسب ضمير الشأن. والله أعلم.



﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾

السؤال الأول:

ورد في القرآن الكريم ذكر عصا موسى عليه السلام بأوصاف مختلفة مرة بالجان ومرة بالثعبان ومرة بالحية، فما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٧.



﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص التي فيها متشابه، فما اللمسة البيانية في اسلك يدك ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [القصص:٣٢] وأدخل يدك ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [النمل:١٢]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه٢٢، وفي قصة موسى في بداية سورة النمل.



﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الإنكار والجحود والزور والبهتان؟

الجواب:

١ـ الجحد: هو إنكار الشيء الظاهر أو إنكارك الشيء مع علمك به وهو أخصّ من الإنكار كقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فُصِّلَت:١٥] فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلا ظاهراً.

وكقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤] فجعل الجحد مع اليقين.

٢ـ الإنكار: يكون مع العلم وغير العلم، كقوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل:٨٣] فجعل الإنكار للنعمة، والنعمة قد تكون خافية أو ظاهرة.

٣ـ الكذب: هو الخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وقد يكون في إنكار وغير إنكار.

٤ـ الزور: هو الكذب الذي سُوّي وحُسّن في الظاهر، ليحسب أنه صدق وهومن قولك: زورت الشيء إذا سويته وحسنته.

٥ـ البهتان: هو مواجهة الإنسان بما لا يحبه.



﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة النمل قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦] فكيف فهم سليمان كلام النمل مع أنه عُلِّم منطق الطير فقط؟

الجواب:

التعبير لا يفيد الحصر، وكونك تقول أعرف العربية لا يعني أنك لا تعرف غيرها. إذن هي لا تفيد الحصر، فهوعُلِّم منطق الطير لكنْ لا ينفي أنه يعلم أموراً أخرى. وقد قال سليمان عليه السلام: علمنا منطق الطير لأنّ كلامه كان مع الهدهد، وهذا ليس معناه الحصر، إذ لم يقل: ما علمنا إلا منطق الطير.

السؤال الثاني:

ما منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٦.



﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الإعجاز البلاغي في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ هم يقولون: أحسّت النملة بوجود سليمان وبادرت بالإخبار ونادت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ﴾ ونبّهت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾ وأمرت ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ ونهت ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ وأكّدت بنون التوكيد الثقيلة ونصحت وبالغت ﴿يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ كلكم ولن يترك واحدة منكم، وبيّنت (من الذي سيحطمهم) وأنذرت وأعذرت سليمان ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ ونفت.

فالنملة حذّرت ونادت ونصحت قومها وأنذرت وعممت وأكدّت وقصّرت وبالغت ونفت.

٢ـ لكن كيف تركبت هذه العبارة؟

أ ـ قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ﴾، ولم تقل: يا نمل، وكلها نداء، لكن ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ فيها تنبيه والهاء هي للتنبيه، والمنادى هو النمل، حتى إذا كانت هناك واحدة مشغولة فسوف تسمع فيها بعد، ولو قالت: (يا نمل) وكانت هناك نملة واحدة لم تسمع، فسوف يفوتها النداء، وهذا الفرق بين(يا نمل) و(يا أيها النمل).

ب ـ قالت: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ هذا الخطاب بضمير العقلاء، ولم تقل: ادخلي أو ادخلن فخاطبتهم بالعقلاء؛ لأنّ العاقل يعي النصيحة.

ج ـ ثم قالت: ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ يعني كل واحدة تدخل إلى مسكنها وكل واحدة تستقر فيه، ونفهم أنّ لكل نملة مسكناً، بالإضافة إلى ضمير العاقل (كم) في مساكنكم.

د ـ ثم ذكرت ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾ باسمه العلم، ولم تذكر الصفة؛ لأنّ النمل يعرفه وإن لم يذكره؛ لأنّ هذا يحكم الجميع، فهو غير مجهول؛ وحتى يبادروا فوراً بالدخول.

هـ وقالت: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ لم تقل:(وجند سليمان)؛ لأن هذا الحاكم له جنود كثيرون من الطير وغيرهم، ولو قالت: (الجند) لكانت تعني العساكر فقط أمّا جنوده فكثيرون ومتعددون ومتنوعون ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل:١٧].

وفي كلمة ﴿جُنُودُهُۥ﴾ إضافة لسليمان تعظيماً له.

و ـ ثم قالت: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ نفت شعورهم ولم تنف العلم، وما قالت (وهم لا يعلمون).

٣ـ هل كانت النملة تكلمهم بلسان الحال؟

سيدنا سليمان عُلِّم منطق الطير فتبسم ضاحكاً من قولها، وسمع الكلام وأدركه وهي تخاطبهم.

السؤال الثاني:

جمعت هذه الآية أحد عشر أسلوباً من الكلام، فماهذه الأساليب؟

الجواب:

جمعت هذه الآية أساليب عدة، منها:

النداء والكناية والتنبيه والتسمية والأمر والقصص والتحذير والتخصيص والتعتيم والإشارة والعذر.

وأدت خمسة حقوق: حق الله وحق رسوله ـ حقها ـ حق رعيتها ـ حق نبيها ـ وحق رعيته.

السؤال الثالث:

هل من إعجاز علمي في قوله تعالى في الآية ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾؟

الجواب:

١ـ معنى ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ هو أنها تنهي النمل عن التواجد في مثل هذا المكان حتى لا يُحطم.

٢ـ أصحاب الإعجاز العلمي يقفون عند ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يقولون: إنّ قشرة جسم النمل الخارجية مصنوعة من مواد سيليكونية قابلة للتحطيم.

وفعل (يحطمنكم) مقصود في الآية؛ لأنه ثبت علمياً أنّ قشرة جسم النمل الخارجي يتركب معظمه من كمية كبيرة من السليكون الذي يدخل في صناعة الزجاج، والتحطيم هو أنسب الأوصاف للفعل الدالّ على التكسير والتهشيم والشدة.

إذن ليس المهم جمع أوجه بلاغية في التعبير، لكنّ المهم كيفية التعبير عن هذه الأوجه، وهذا ما يتفرّد به القرآن الكريم.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل:١٨] لماذا لم يقل: لكيلا يحطمنكم؟

الجواب:

١ـ يجب أن نعرف نوع (لا) في الآية. يُعتقد أنّ (لا) هذه نافية، لكنها ناهية، مثل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[الأعراف: ٢٧]أي: لا تفتتنوا بالشيطان.

وكذلك قوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣] هذه (لا) الناهية، وفي آية النمل: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ (لا) هنا ناهية.

وعلى رأي أكثر المفسرين هي بمعنى: لا تتعرضوا لأنْ يحطمكم سليمان وجنوده. والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين التحطيم والتهشيم؟

الجواب:

١ـ التحطيم: كسر الشيء اليابس تحديداً، واختلفوا في التهشيم.

٢ـ التهشيم: يقولون هو في كل شيء، وليس في اليابس وحده، حتى الرطب يمكن أنْ يهشَّم. هشم أي كسر، قسم جعله في اليابس وقسم في اللغة قالوا: هو عام.

٣ـ لكنّ السؤال هو: لماذا استعمل التحطيم في الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل:١٨] في سورة النمل. هم يقولون: إنّ النمل قسم من الحشرات فيها مادة السليكون وهوما يُصنع منه الزجاج وهو قابل للتحطيم.

٤ـ إذن التحطيم أخص، والتهشيم أعم.



﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة (ضاحكاً) في قوله تعالى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾[النمل:١٩]؟

الجواب:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا﴾[النمل:١٩]: حال مؤكدة (لاسم فاعل).

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الحال المؤكّدة والحال المؤسسة؟

الجواب:

الحال المؤكدة: هي التي يستفاد معناها من غيرها ومما قبلها، وهي مؤكدة لصاحبها أو لمعنى الجملة، كقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ والتبسّم هو الضحك.

الحال المؤسسة: هي التي لا يستفاد معناها من غيرها.



﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

زيدت الألف في كلمة ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ في الآية، فما التعليلات اللغوية في رسم الألف في المصحف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.

السؤال الثاني:

ما قواعد زيادة الألف في المصحف؟

الجواب:

اتفقوا على زيادة ألف:

١ـ بعد واو ضمير جمع المذكرين المتصل بالفعل الماضي والمضارع والأمر إذا تطرفت، نحو: ﴿ءَامَنُواْ﴾ ﴿وَهَاجَرُواْ﴾. ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ـ ﴿تَهِنُواْ﴾ـ ﴿اتَّقُواْ﴾.

٢ـ بعد واو الجمع والرفع في المذكر السالم المرفوع إذا تطرفت، نحو ﴿مُّلَٰقُواْ﴾ ـ ﴿كَاشِفُواْ﴾ـ ﴿مُرْسِلُواْ﴾ـ ﴿أُوْلُواْ﴾ بخلاف المفرد نحو ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ فلا تزاد الألف.

٣ـ بعد الواو التي هي لام الفعل المضارع نحو: ﴿أَدْعُوا﴾ ﴿يَدْعُواْ﴾ ﴿يَرْجُواْ﴾.

٤ـ بعد الواو المتطرفة التي هي صورة همزة أو مبدلة من ألف نحو: ﴿امْرُؤٌا﴾ - ﴿يَعْبَؤُاْ﴾ - ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ - ﴿لَا تَظْمَؤُاْ﴾ - ﴿لَتَنُوأُ﴾.

وكذلك بعد الواو المبدلة من ألف في ﴿الرِّبَوٰاْ﴾ حيث وردت.

٥ ـ بعد ميم (مئة) حيث جاءت مفردة ومثناة وواقعة موقع الجمع، نحو: ﴿مِائَةِ﴾ - ﴿مِائَتَيْنِ﴾ - ﴿ثَلَٰثَ مِائَةٍ﴾.

٦ـ بعد لام (ملأ) المجرور المضاف إلى مضمر، نحو: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾.

٧ـ بعد شين (لشيء) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ﴾.

٨ـ بعد ياء ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ - ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾.

٩ـ في المواضع التالية:

﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة:٤٧].

﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل:٢١].

﴿وَجِاْىٓءَ﴾ الزمر ٦٩ ـ الفجر ٢٣.

﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات:٦٨].

﴿الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠] ﴿الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب:٦٦] - ﴿السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب:٦٧].

١٠ـ ترسم نون التوكيد الخفيفة ألفاً في:

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:٣٢].

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [العلق:١٥].

﴿إِذًا﴾ حيث وردت.



﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب:

١ـ النبأ كما يقول أهل اللغة: أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة كما في الآية: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:٢٢].

وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص:٦٧] ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ:٢].

والنبأ في اللغة هو الظهور.

٢ـ وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خبر) مفردة في موطنين في قصة موسى عليه السلام ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص:٢٩] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [النمل:٧].

٣ـ وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن كلمة (نبأ) كما في الآية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التغابن:٥].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الطوق واللف والإحاطة؟

الجواب:

طوّق: كل من يُلقى عليه القبض يطوق بالطوق.

* شواهد قرآنية:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠].

لفّ: هو وضع الطوق في الأعناق، وهو نوع من الفتل.

* شواهد قرآنية:

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [القيامة:٢٩]ـ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤].

﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ:١٦].

أحاط:

هو السيطرة على الأمر من كل الجهات. وتكون الإحاطة بالخبر عندما تعرف حقيقة الخبر بالكامل.

* شواهد قرآنية:

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩].

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢].

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦].

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١].

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة التحري والإحاطة والتحقيق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الكهف ٦٤.



﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تسكين الهاء في الفعل ﴿فَأَلْقِهْ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ من ناحية الإعراب: (ألقهْ) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفيه ضمير مستتر تقديره أنت في محل رفع فاعل والهاء ضمير مفعول به.

٢ـ جاء الفعل (ألقهْ) بتسكين الهاء بقصد التوكيد، حيث إنّ العرب تجزم بدون أداة جزم إذا أُريد التأكيد، والمعنى العام للآية هو تأكيد سليمان عليه السلام على الهدهد في توصيل الكتاب إلى بلقيس.

أمثلة لغوية:

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغل

أي: أنه أراد أنْ يجزم بقيامه بالشرب. وكذلك قوله:

والله لا يذهبْ ناجياً

أي: أنه جزم أن يقطع بالذهاب.

٣ـ قرىء في السبعة ﴿فألْقِهِ﴾ بكسر الهاء وياء بعدها وباختلاس الكسرة وبسكون الهاء. (انظر تفسير الآية في تفسير روح المعاني).

٤ـ في الآية دليل على جواز إرسال الكتب إلى المشركين من الإمام لإبلاغهم الدعوة إلى الإسلام،وقد كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وغيرهما من الملوك.

٥ـ طُلب منه التنحي قليلاً من باب تعليم الأدب مع الملوك، ولم يطلب منه التنحي كاملاً بدليل ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل:٢٨].

٦ـ ﴿مَاذَا﴾ قد تكون استفهامية في موضع مفعول به ليرجعون، أو (ما) استفهامية مبتدأ، و(ذا) اسم موصول خبر.

وعلى كل فالجملة ﴿مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ محلها النصب على نزع الخافض أي: بماذا؟



﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل:٢٩] ما دلالة كلمة (إنّي)؟

الجواب:

الملكة بلقيس هي المعنية، وهي صاحبة الشأن، فـ (إنّ) تفيد التوكيد، وهي صاحبة القرار. ثم هي ملكة ألقي إليها رسالة، ولم يأت بها رسول كريم.

والرسالة عادة يأتي بها وفد أو شخص إلى ملك يحمل الكتاب، وهذه حالة غريبة فقالت: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل:٢٩] على غير المتوقع، كيف ألقي هكذا إلقاء وهي ملكة؟! فلم يأت من يحمل الكتاب لها.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية الموجزة؟

الجواب:

١ـ إيجاز رائع ورسالة من خمس كلمات قد تكون أكثر الرسائل في التاريخ إيجازاً وإعجازاً حملها الهدهد من سليمان عليه السلام إلى بلقيس ملكة سبأ وكأنها برقية، لكنّ الآيات قالت عنها إنها ﴿كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩﴾ [النمل:٢٩] أي: أنها رسالة كاملة لم يحملها الهاتف كالبرقيات، بل حملها الهدهد بثقة وأمانة وطار بها حريصاً عليها؛ لإدراكه أنّ فيها مصير أمة من الأمم يريد لها أنْ تنتقل من عبادة الشمس إلى عبادة الله تعالى.

٢ـ ومن دلائل الإعجاز الإلهي في هذه الرسالة أنها تنقل إليك الصورة النفسية للموضوع وأنت تسمع بالقصة من بعيد. فبلقيس عندما استلمت الرسالة فعلت كما يفعل كل الناس عند استلامهم لرسالة ما، فهم يبحثون أولاً عن المرسل، فقالت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل:٣٠] ثم فضت الرسالة وقرأت ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣١﴾ [النمل:٣٠-٣١].

٣ـ يلفت النظر في الآية كلمة ﴿كَرِيمٌ﴾ فقد استوحته بلقيس من النظرة الأولى للكتاب ومن هيئته العامة قبل أنْ تعرف هي وأعوانها مضمون الرسالة، وخاصة أنّ فيها شيئاً لا يسرها للوهلة الأولى، ولا يسر رجالها وقادتها.

والمفسرون ذكروا أنه كريم لكرم مرسله، أو لأنه تضمن البسملة، أو لأنه دعوة الناس إلى الإسلام، وهذا كله صحيح لكنْ يضاف على ذلك أسلوب إرسال الرسالة وأنّ طيراً حمله مختوماً بخاتم الملك والنبوة. كل ذلك جعلها تشعر بأنه كتاب كريم.

وقد روي عن النبي ﷺ أنّ «**كرم الكتاب ختمه**» وروي عن ابن المقفع: من كتب كتاباً إلى أخيه ولم يختمه فقد استخف به.

وقد اصطنع ﷺ خاتماً نقش عليه [**لا إله إلا الله محمد رسول الله**] ختم به الكتب التي أرسلها إلى العجم.

٤ـ كما يلفت النظر الفعل المبني للمجهول ﴿أُلْقِيَ﴾ ولم يسم الفاعل، وكأنما أرادت بلقيس أنْ تشعر حاشيتها ووزراءها أنها ملكة عظيمة لها وسائلها وطرقها الخاصة بوصول الكتب الهامة لها، فينظر وزراؤها إليها نظرة التقدير والأهمية والسيطرة.

٥ـ وثمة شيء آخر هو أنّ الأهمية هنا للحدث لا للفاعل، فالذي في الرسالة وطريقة وصولها هو المهم بغض النظر عن إشغال الفكر بما لا أهمية له.

٦ـ لعلّ هذا هو السبب في وضع صورة الهدهد في شعار رجال المخابرات في بعض الدول العربية.



﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاء الفعل المضارع على هذه الصيغة (حتى تشهدون) فى قوله تعالى ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل:٣٢]؟

الجواب:

١ـ في قصة سبأ الآية ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:٣٢]

الفعل (تشهدون) منصوب، وعلامة نصبه حذف النون والنون الموجودة في الفعل

﴿تَشۡهَدُونِ﴾هي نون الوقاية، والأصل (تشهدونني)، حذفت الياء(المفعول به)، وبقيت الكسرة دليلاً عليها.

٢ـ المعنى العام: ما كنت قاضية أمراً إلا بمشهدكم ومحضركم مجلسي لاستماع آرائكم، وهذا يدل على أنها كانت تأخذ بمبدأ الشورى رغم ما كان لها من الملك والسيطرة.

وكلمة ﴿تَشۡهَدُونِ﴾أي تشهدون مجلسي أو تشهدونني.



﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾

السؤال الأول:

لماذا استعمل صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ [النمل:٣٥]؟

الجواب:

١ـ المرسلون هنا ليس المراد بهم النبي، وإنها الذين أرسلتهم بلقيس يحملون الهدايا. بلقيس قالت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ [النمل:٣٥] فكلمة (مرسلون) تشير إشارة إلى عِظم الهدية التي أرسلتها، بحيث إنه كان مع الهدية مجموعة من الرسل الذين نقلوها إلى سليمان عليه السلام. و فيها إشارة إلى أنها لم ترسل إنساناً واحداً بالهدية، وإنها أرسلت مجموعة وفيها إشارة إلى عِظم الهدية التي أرسلتها، وهدية ملك إلى ملك لا بدّ أنْ تكون مناسبة.

٢ـ الهدية جنس منكّر، ترى ما هذه الهدية التي أرسلتها؟ لا شك أنها هدية تتألف من أمور كثيرة وعظيمة، ففيها إشارة إلى منزلتها؛ لأنّ الهدية منزلتها من منزلة المُهدي.

ولا شك أنها لم ترسل إنساناً واحداً، وإنما أرسلت مجموعة من الناس يحملون هذه الهدية، فلا غرابة مطلقاً في ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل:٣٥].



﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الطاقة والقِبَل ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٤٩] و ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل:٣٧] ؟

الجواب:

١ـ (الطاقة) هي القدرة. و(القِبَل) القدرة على المقابلة والمجازاة على شيء. تقول: أنا لا قِبَل لي بكذا؛ ولذلك ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل:٣٧] أي لا قدرة لهم عليها، لا قدرة لهم على مقابلتها مع أنهم أصحاب قوة.

٢ـ ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل:٣٧] هذا كلام سليمان عليه السلام؛ لأنّ جماعة بلقيس قالوا: ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل:٣٣] أي عندهم قوة وعندهم بأس في الحرب ويستطيعون المقابلة، فكان الرد ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل:٣٧] أي لا يستطيعون أنْ يقابلونا من البداية.

٣ـ وأمّا معنى قوله تعالى في آية البقرة ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٤٩] أي ليس عندنا قوة ولا قدرة أصلاً. أي قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فهم أصلاً ليس عندهم قوة.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين[الجن ـ إبليس ـ عفريت ـ شيطان ـ الجِنة]؟

الجواب:

الجن عامة هو الستر؛ ولذلك سمي الجنين جنيناً، وقد تطلق على الملائكة وكل مَلَك جني وليس كل جني ملكاً.

الجن:

مقابل الإنس، وهم أقوام لا يُرون بالحواس، والجان هو أبو الجن، كما أنّ آدم هو أبو البشر.

إبليس:

اسم لشيطان واحد أو جني واحد طرد من رحمة الله بعد رفضه لأمر الله تعالى بالسجود لآدم.

والإبلاس لغة هو اليأس التام.

شيطان:

الشيطان من (شطن) أي ابتعد عن الحق ابتعاداً لا عودة فيه، أو من (شيط) أي احترق من الغضب. والشياطين هم أشرار الجن وكفارهم.

عفريت:

هم أبطال الجن، وكل من بلغ القمة والإبداع في عمله يسمى عفريتاً من الجن.

شيطان مارد:

هو الذي ينفلت عن نظامه، ويكون في عصيانه رأساً، فيحاول أنْ يسترق السمع فيبعث الله عليه شهاباً يحرقه، انظر آية (الصافات ٧) .

شيطان رجيم:

هو الشيطان المطرود عن الخيرات ومنازل الملأ الأعلى ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحِجر:٣٤].

الجِنة:

(الجِنة) بكسر الجيم هم جماعة الجن ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس:٦] وهي مقابل الناس.

ملاحظات:

الجن مقابل الإنس، وهما الثقلان. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

الجِنة مقابل الناس. الآية ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس:٦].

الجان مقابل الإنسان. الآية ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الحِجر:٢٧].

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الظرف (عند) في الآية؟

الجواب:

[عند] ظرف زمان أو مكان لبيان مظروفها حساً أو معنى، وهي لا تفارق النصب على الظرفية إلا إلى الجر بمن، كقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥].

* شواهد قرآنية:

- ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل:٤٠].
- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل:٤٠].
- ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم:١٤-١٥].
- ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥].
- ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].
- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل:٩٦].

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل:٤١-٤٢]

كيف عرفت بلقيس أنّ عرشها عند سليمان؟ وكيف جاءت؟

الجواب:

بلقيس كانت في مملكتها في اليمن وجاءت إليه. وهي لم تعرف أنّ عرشها عند سليمان. هي قالت: (كأنه هو) لمّا سألها عن عرشها ولم تقل إنه عرشها، وهذا من حسن أدبها ورجاحة عقلها، ولو قالت: (نعم هو) لكان فيه تعريض لسليمان بالسرقة، ولما تبين ذكاؤها.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا﴾ أي: اجعلوا العرش منكراً مغيراً عن شكله الأصلي لئلا تعرفه بلقيس بسهولة، واللام في ﴿لَهَا﴾ للبيان ويدل على أنها المرادة بالتنكير.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نَنظُرْ﴾ بالجزم على **الجواب** وبالرفع على **الاستئناف**.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ وفيه وجهان:

أ ـ أتعرف أنه عرشها أم لا.

ب ـ أتعرف به نبوة سليمان عليه السلام وتهتدي للإيمان بالله ورسوله إذا رأت عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس.

فكأنّ سليمان عليه السلام أحب أنْ تنظر فتعرف به نبوته من حيث انتقال عرشها من مكان بعيد من مملكة سبأ باليمن إلى فلسطين. وهذا يدل على قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام إضافة إلى معرفة فضل عقلها، فعند ذلك سألها.

٤ـ قوله: ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ وقيل: من جهة سليمان، أو بالواسطة، وفي ﴿أَهَٰكَذَا﴾ حرف تنبيه وكاف تشبيه واسم إشارة، ولم يقل: (أهذا عرشك) لئلا يكون تلقيناً ليختبر دقة ملاحظتها وقد ذُكرت عنده بسخافة العقل فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ ولم تقل: هو هو أو نعم أو لا. وإنما بجواب دبلوماسي يدل على كمال عقلها، حيث توقفت في محل التوقف، ولو قالت: (نعم هو) لكان فيه تعريض لسليمان بالسرقة، ولما تبين ذكاؤها.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وفيه وجهان:

أ ـ هو امتداد لكلام بلقيس بعد قولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ ويعني: أُوتينا العلم قبل هذه الحادثة بكمال قدرة الله، وعرفنا أنك نبي بما شاهدناه من أمر الهدهد وما سمعناه من رسلنا إليك وتصرفاتك لمّا رددت الهدية، فلا حاجة إلى إظهار هذه المعجزة. وهو ما اختاره معظم المفسرين.

ب ـ ويُحتمل أنه من كلام سليمان عليه السلام وقومه بغرض شكر الله تعالى بأنْ خصّهم بمزية التقدم في الإسلام.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل:٤٣] هذا من كلام رب العزة، والمعنى: أنّ ما فعل معها سليمان عليه السلام من أحداث وما أظهر لها من آيات جعلها تصد عن الكفر الذي ألفته؛ لأنها كانت تعيش مع قوم كافرين يعبدون الشمس.

والله أعلم.



﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية يس ١٨ ﴿تَطَيَّرْنَا﴾ وفي النمل ٤٧ ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ التطير في النمل أشد مما في يس بدليل أنهم قالوا في يس: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يس:١٨] فهددهم بالرجم والتعذيب.

٢ ـ أمّا في النمل فقد أقسموا وتعاهدوا على قتله وقتل أهله. ومعنى ذلك أنّ التطير بلغ عندهم درجة أكبر وأشد مما في يس، فجاء بما فيه زيادة مبالغة (اطّيرنا) في النمل.

﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

استعمل القرآن الفعل ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ في آية النمل ٥٣، واستعمل الفعل ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ في آية فصلت ١٨، والآيتان كلتاهما تتحدثان عن قصة سيدنا صالح عليه السلام، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

استعمل القرآن (أنجى) و (نجّى) في القصة الواحدة، كما في الآيات المذكورة، وكلها تتحدث عن قصة سيدنا صالح عليه السلام.

وهذا سببه السياق والمقام لكل آية، فقد يتطلب المقام ذكر الإسراع في النجاة، فيستعمل (أنجى)، وقد لا يتطلب ذلك فيستعمل (نجّى)، وكل ذلك صحيح. فقد نستطيل أمراً وقد نستقصره بحسب المقام، وقد تقول في مقام: (الدنيا طويلة) وفي مقام آخر: (الدنيا قصيرة)، ولكل مقامٍ مقال.

نعود الآن الى سياق آيات سورة النمل وآيات سورة فصلت لبيان الفرق:

آيات سورة النمل ـ ٤٥ـ٥٣:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ
تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ
قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل:٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٣].

آيات سورة فصلت ـ١٧ـ١٨:

ـ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فُصِّلَت:١٧-١٨].

البيان:

١ ـ القصة في سورة النمل أكثر تفصيلاً، والموقف فيها أشد مما في سورة فصلت؛ فقد ذكر فيها:

ـ أنهم فريقان يختصمون.

ـ أنّ الكفرة استعجلوا السيئة قبل الحسنة.

ـ قالوا لنبيهم: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ [النمل:٤٧].

ـ وأنهم تقاسموا بالله على استئصاله واستئصال أهله.

ـ وأنهم مكروا لذلك وأعدوا خطتهم.

٢ ـ ليس المقام كذلك في سورة (فصلت)، فإنّه لم يذكر سوى أنه هداهم ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت:١٧].

لذلك استدعى المقام في سورة النمل إنجاءهم وتدمير أهل الباطل؛ لأنّ الوقت لم يعد يحتمل الإرجاء والإبطاء، فاستعمل (أنجى) في سورة النمل واستعمل (نجينا) في سورة فصلت.



﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾

السؤال الأول:

في أماكن قال تعالى: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، وفي أماكن قال: ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾، وفي أماكن قال: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾، لماذا قيلت كل واحدة في مكانها؟ هل كان يمكن أنْ يقول قوم لوط في جميع المواطن؟ لِمَ هذا التنويع؟ وما الفرق اللغوي بين[قوم وأصحاب والآل وإخوان]؟

الجواب:

التنويع ليس مع لفظة (لوط) فقط، وإنما مع أنبياء آخرين مثل: قوم هود وأخاهم هود وأخوهم هود، قوم صالح وأخاهم صالح وأخوهم صالح بحسب مواضعها.

وأما الفرق اللغوي بين قوم وأصحاب والآل وإخوان فهو التالي:

القوم: قوم الرجل هم أهله بالصورة الواسعة، يقال فلان من قوم كذا، وقد يكون القوم أوسع من القبيلة، والعرب قوم. وقد يُطلق على القبيلة أنها قوم فلان.

الآل: هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس إلى الشخص، ومن معانيه الزوجة، ومن معانيه الأتباع، وأتباع الرجل هم آله، وأتباعه الذين تبعوه كُثُر، لكنّ قومه أكثر من الآل، والقوم أوسع. ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾[النمل:٥٦]..

وبالنسبة لـ (آل لوط) لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، وعندما يثني عليهم و يذكرهم بخير يستعمل كلمة (آل) ولا يستعمل كلمة (قوم).

الإخوان: أقرب من الآل؛ لأنّ الآل قد يكون فيها الأتباع ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر:٤٦] أي أتباعه.

الأهل: هم المقربون، بل إنّ القرآن استعمل الأهل في الزوجة، ويمكن أنْ تطلق على الذرية أوالأقارب بحسب الحديث المشهور حديث أم سلمة.

فالكلمات فيها فوارق، ولكن بحسب السياق.

السؤال الثاني:

قال في آية الأعراف ٨٢ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٨٢] بالواو، وفي آية النمل ٥٦ بالفاء، فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾[النمل:٥٦]، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٨٢.



﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَـهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الاختلاف بين قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَـهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل:٥٧] وفي قوله في سورة الحجر ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الحجر:٦٠] في قصة امرأة لوط؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحجر ٦٠.

السؤال الثاني:

ما الفرق في التعبير بين قوله تعالى في امرأة لوط: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر:٦٠] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل:٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣﴾ [الأعراف:٨٣]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٨٣.



﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين المطر والغيث في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٨٤.



﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (سلام) نكرة و(السلام) معرفة؟

الجواب:

السلام معرفة، والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، والأصل في النكرة العموم والشمول. إذن كلمة (سلام) عامة، وكلمة (السلام) تكون في أمر معين. وعندما نقول: (رجل) نعني: أيّ رجل، وعندما نقول (الرجل) نقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس.

إذن (سلام) أعم؛ لأنها نكرة، وربنا سبحانه وتعالى لم يجيّ إلا بالتنكير في القرآن كله، نحو قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات:١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات:١٢٠].

وكذلك في الجنة ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٨] حتى الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣].

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ
حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ
ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في خواتيم آيات سورة النحل ٦٠-٦٤؟

الجواب:

١ـ الآية الستون:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل:٦٠].

هذه الأسئلة التي أثاروها هم يعلمونها؛ لأنه قال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [النمل:٦٠] وربنا قال في آية أخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾

[لقمان:٢٥]، ثم قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [النمل:٦٠]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت:٦٣]، إذن هم يعلمون الجواب لكنهم ينحرفون عن الحق، وهذا يعني أنهم قوم يعدلون وينحرفون عن الطريق مع معرفتهم بهذا الأمر. فلمّا قال:(أإله مع الله)؟! إذن ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل:٦٠] فهم عدلوا عن الحق رغم معرفتهم.

٢ـ الآية الواحدة والستون:

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل:٦١].

أي لا يعلمون شيئاً من الأشياء معتداً به، وحتى لو كانوا يعلمون، لكنّ هذا العلم لا يجعلهم يبطلون الشرك، فما قيمة هذا العلم؟ إذن لا يعلمون شيئاً يُعتدّ به، أو قد لا يعرفون هذه الأشياء الدقيقة، أنه جعل بين البحرين حاجزاً. إذن﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٣ـ الآية الثانية والستون:

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢] ربنا يذكر أنّ هؤلاء وأمثالهم إذا مسهم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، ولكن قليلاً ما تذكرون أنّ الله هو الذي نجاكم ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٢٢-٢٣].

إذن نسوا، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ نسيتم ما كنتم عليه من حال السوء ونجاكم الله، وأيضاً نسيتم الإنجاء.

وهم كثيراً ما يعاهدون الله ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾ [يونس:٢٢] ثم ينسون. وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ [النمل:٦٢] هذا سؤال معناه: من يجيب المضطر؟

٤ـ الآية الثالثة والستون:

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ [النمل:٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [النمل:٦٣] هذا سؤال أيضاً.

في الآيات الأولى ذكر صفاتهم، وقال عنهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ [النمل:٦٠].... ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ [النمل:٦١].... ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل:٦٢] والآن قال: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ [النمل:٦٣].

إذن ذكر صفات المخلوقين هؤلاء، ثم ذكر صفاته تعالى ونزهها، فقال: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ [النمل:٦٣]، فنزّه نفسه بعد أنْ ذكرهم وكيف يغيبون عن الحق.

٥ـ الآية الرابعة والستون:

قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل:٦٤] والمعنى أنه مع كل هذه الأشياء والحجج التي ألزمتكم فيها ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فيقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل:٦٤] أي نحن ذكرنا الأدلة وألزمناكم الحجة لما تقولون به فأتوا ببرهانكم. وهنا تغيرت الخاتمة.

فالله سبحانه ذكر الأحكام فيهم وصفاتهم أولاً بأول، ثم نزّه نفسه عما يفعل ثم ذكر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؟ قالوا: نعم، قل: هاتوا برهانكم على ما تقولون ما برهانكم على ما تقولون به؟!

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ في آية الحجر ١٩ و ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ في آية النحل ١٥ و ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ في آية النمل ٦١، ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحجر ١٩.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ٦٣: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ﴾ [النمل:٦٣] ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧].

أمّا كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل:٦٣].

وفي سورة سبأ ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ:١٢] استعملت كلمة ريح مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء، فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

لمزيد من المعلومات انظر آية البقرة ١٦٤.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ٦٠ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ما كلمات منظومة جنح ومال وعدل وارتكاب الذنوب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية ٦١ ﴿حَاجِزًا﴾ ما كلمات منظومة الجدار والحاجز؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.



﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله في آية النمل٦٥ أنه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥] ووصف المؤمنين في آية البقرة ٣ بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ والسؤال: ما لا يُعلم كيف يؤمن به؟

الجواب:

أنّ المراد هو الغيب الذي دلّ البرهان على صحته ووقوعه وذُكر في القرآن الكريم كالقيامة والجنة والنار.



﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب تقديم وتأخير لفظة (هذا) في سورة المؤمنون ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون:٨٣] وسورة النمل ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [النمل:٦٨]؟ وما سبب تقديم (نحن) في المؤمنون والتأخير في النمل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المؤمنون ٨٣.



﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل على الأرض؟

الجواب:

١ـ لم يقل الحق أبداً في القرآن الكريم: سيروا على الأرض؛ لأنّ الأرض ظرف يسير فيه الإنسان، والإنسان مظروف في الأرض.

ونعلم أنّ الأرض كروية والهواء يحيط بها من كل جانب، وعندما يسير الإنسان فالهواء يحيطه، وعلى ذلك فهو يسير في الأرض؛ لأنه داخل ضمن مجالها، ولو خرج من مجالها لما بقي حياً بسبب فقدان الهواء.

٢ـ من جهة أخرى جاء في هذه الآية ﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾ وجاء في آية النمل ﴿فَانظُرُوا﴾ أي: بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب، فما السبب؟

هناك سير للاعتبار وسير للمصلحة، والسير للاعتبار يعني أنْ يأخذ الإنسان العبرة مباشرة فتأتي الفاء التي تفيد التعقيب من غير تراخٍ، أمّا السير للمصلحة فهو أنْ يأخذ الإنسان العبرة ضمن المصلحة، فتأتي (ثم) التي تفيد التراخي. وكان سير قريش بقوافلها إلى الشام واليمن يجعلها قادرة على أنْ ترى آثار المكذبين من أهل ثمود أو قوم عاد أو غيرهم وكان عليهم أنْ يأخذوا العبرة في أثناء سعيهم للتجارة.

٣ـ ولمّا تقدم في الأنعام ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ ناسب قوله: ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام:١١] وكذلك لمّا تقدم في النمل ما حصل لقوم لوط وقوم صالح ناسب ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل:٦٩].

السؤال الثاني:

جاء في سورة الأنعام١١ بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي والبعد، فقال: ﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾ بخلاف آية سورة النمل ٦٩، فقد جاء فيها ﴿فَانظُرُوا﴾ أي: بالفاء الدالة على التعقيب، فما السبب؟

الجواب:

جو سورة الأنعام مبني على تأخير الوعيد والعقوبات، فاستعمل معها ﴿ثُمَّ﴾ وكذلك فإنّ المكذّب قد تعطى له مهلة أطول من مهلة المجرم؛ لأنّ المجرم ينبغي أنْ يؤخذ بجرمه على وجه التعقيب؛ ولذا جاء مع المكذبين بثم ومع المجرمين بالفاء.

ثم انظر إلى قوله تعالى في سورة النمل الآية ٧٢: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النمل:٧٢]، بينما قال في سورة الأنعام: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٥٧] فناسب ذلك ذكر (ثم) في الأنعام وذكر الفاء في آية النمل.



﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

حذف نون (تكن) في سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧] وأبقاها في سورة النمل ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل:٦٩-٧٠]، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ١٢٧.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة رفع الضيق والحرج أو رفع المسؤولية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨.



﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النمل:٧٢] وقوله ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٨] وقوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم:٧١] فهل هناك لمسة بيانية بين الردف والورود؟

الجواب:

١ـ (ردِف) معناه: لحق ووصل. (ردِف) فعل ماض. هناك رِدف ورديف الرديف هو خلف الراكب "كنت ردف النبي".

٢ـ معنى الآية: قل يا محمد: جدير وخليق أنْ يلحقكم الوعيد الذي تطلبون تعجيله، وجاء باللام (لكم) لأجل الاختصاص، والتقدير: ماذا أعددتم لدفاعه، فإنّ العاقل من ينظر في عواقب أموره. والله أعلم.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾

السؤال الأول:

كلمتا (يختلفون وتختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة:١١٣] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل:٧٦] ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة:٤٨] ما كُنه الاختلاف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١١٣.



﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأنبياء٤٥: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ [الأنبياء:٤٥] وفي النمل٨٠ـ والروم٥٢ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾ [النمل:٨٠] والصم كافٍ فما فائدة (ولوا مدبرين)؟

الجواب:

١ـ آية الأنبياء نسب إليهم السماع فقال:﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾، فلم يحتج إلى توكيد ومبالغة؛ ولذلك قال: ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ أي: يتشاغلون عن سماعه فهم كالصم الذين لا يسمعون.

٢ـ وفي آية الروم والنمل نسب الإسماع إلى النبي ﷺ فبالغ في عدم القدرة على إسماعهم بقوله تعالى: ﴿وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾؛ لأنّ المولي عن المتكلم أجدر بعدم القدرة على إسماعه من الماكث عنده؛ ولذلك شبههم بالمولي، وفيه بسط عذر النبي ﷺ.



﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١ ﴾

السؤال الأول:

لماذا وردت كلمة ﴿بِهَٰدِى﴾ بالياء في آية سورة النمل ٨١ وبدون ياء في آية سورة الروم٥٣؟

الجواب:

قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾ [النمل:٨١] بذكر (الياء)، وقال في سورة الروم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾ [الروم:٥٣] بحذف (الياء).

١ـ أولاً نقول: إنّ خط المصحف لا يُقاس عليه.

٢ـ لو لاحظنا كلمة (الهداية) في سورة النمل لوجدنا أنها تكررت ٩ مرات، بينما وردت في سورة الروم مرتين فقط، فلمّا زاد ذكر كلمة الهداية في سورة النمل زاد في مبنى الكلمة للدلالة على زيادة السمة التعبيرية والتكرار.

٣ـ هناك أمر آخر، أنه في سورة النمل ذكر قسماً من المهتدين ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل:٧٧]، ثم حثّ تعالى الرسول ﷺ على المضي في سبيله ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل:٧٩].

أمّا في سورة الروم فالسياق ليس في الهداية أصلاً، ولم يذكر قسماً من المهتدين، بل الكلام عن المطر والأرض والرياح وغيرها.

فعندما ذكر قسماً من المهتدين زاد الياء، وعندما لم يكن هناك شيء في السياق يدل على الهداية حذف الياء.

٤ـ ونظير هذا قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف:١٧٨] بالياء، وقوله في سورة الإسراء ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧]، وفي سورة الكهف ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف:١٧] بدون ذكر الياء.

ولو لاحظنا آيات السور لوجدنا أنّ لفظ الهداية تكرر في سورة الأعراف ١٧ مرة وفي سورة الإسراء ٨ مرات وفي سورة الكهف ٦ مرات.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في فصلت ٢٠: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ وفي النمل ٨٤: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾. فحذف (ما). فما السبب؟

الجواب:

القاعدة هي أنه إذا أريد توكيد جزاء الشرط لبعده عن معناه أُكّد بـ (ما) وإذا لم يكن الجزاء بعيداً عن معنى الشرط لم يحتج إلى تأكيد.

١ـ في آية فصلت: لفظ المجيء لا يعقل منه ولا يفهم شهادة السمع والبصر، فاحتاج إلى تأكيد الشرط بـ (ما).

٢ـ في آية النمل: سؤال الخلق عند مجيئهم في القيامة مفهوم؛ لعلمهم أنه الحشر؛ ولذلك لم يحتج إلى توكيد.



﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار لفظة ﴿مَن﴾ في الآية ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

لا بدّ في الكلامِ البليغِ من سببٍ للذكر والحذف، وخصوصاً في القرآن الكريم الذي هو أعلى الكلام.

لذا نذكر هنا بعض القواعد العامة في القرآن الكريم التي تبين متى يكرر اسم الموصول مع آيات التسبيح خاصة؛ ومن ذلك أنه:

١ ـ إذا قُصد التنصيص على الأفراد تكرر ذكر الموصول. أي إذا قُصد التنصيص على كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التخصيص كرر اسم الموصول. انظر آيات [الزمر (٦٨) و النمل (٨٧) وطه (٦) والحشر (١) ويونس (٦٦) والبقرة (٢٥٥)].

وأمّا إذا قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة، إشارةً إلى قصد الجنس، وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية. انظر آيات [الرحمن ـ ٢٩ ـ والبقرة ـ ١١٦ـ والحديد ١].

٢ ـ إذا كان الموطنُ دالاً على التفصيل والإحاطة كرر اسم الموصول بخلاف ما إذا كان الكلام مجملاً غير مفصل. انظر سورة المجادلة (٦-٧) لتجد فيها من ذكرٍ لسعةِ علم الله وشموله وإحاطته بالجزيئات والتفصيلات ما ليس في آية العنكبوت، فلمّا فصّل في آية المجادلة أعاد ذكر (ما)، ولما أجمل في العنكبوت أجمل في ذكر الموصول فلم يُعِد ذكرَه.

٣ ـ وجدير بالذكر أن المقصودَ في آية يونس ٦٦ هو نفيُ الشركاء الذين اتخذوهم في الأرض، فكرر(من).

٤ ـ وكذلك فإنّ المقصود في آية سورة الرحمن ٢٩ ذكر علو قدرة الله تعالى وعلمه وكونه مسؤولاً ولم يقصد ذكرَ السائلين، فلم يكرر الموصول. والله أعلم.

٥ ـ من جهة أخرى يستعمل القرآن الكريم لفظة (من) مع الفعل (سبح) كما في الآيات [الإسراء ٤٤ ـ النور ٤١].

كما يستعمل لفظة (ما)، كما في الآيات: [الحشر ٢٤ ـ الجمعة ١ ـ التغابن ١ ـ الحديد ١]، والحكمة البيانية من ذلك هي جمع كل شيء مما يعقل ومما لا يعقل في التسبيح، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] والله أعلم.

السؤال الثاني:

كم مرة تحصل النفخة؟

الجواب:

١ـ تحصل النفخة ثلاث مرات:

أ ـ نفخة الفزع: وهي الواردة في سورة النمل ٨٧: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧)﴾ [النمل:٨٧].

ب ـ نفخة الصعق: الزمر ٦٨ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨)﴾ [الزُّمَر:٦٨].

ج ـ نفخة القيـام: الزمر ٦٨.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر:٦٨] أي: لن يموت عند نفخة الصعق والله أعلم بهم. وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يميتهم الله. وقيل إنهم هم الشهداء والحور العين وسكان الكرسي والعرش.

٣ـ قوله تعالى في آية الزمر ٦٨: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ لفظة (ثم) تفيد أنّ هذه النفخة متأخرة عن نفخة الصعق؛ لأنّ (ثم) تفيد التراخي.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر:٦٨] تعني قيامهم من القبور عقيب هذه النفخة الأخيرة من غير تراخٍ وهم ينظرون بأبصارهم نظر المبهوت والمدهوش إذا فاجأهم خطب كبير. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قال في آية النمل ٨٧ ﴿فَفَزِعَ﴾ وفي الزمر ٦٨ ﴿فَصَعِقَ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ قال في النمل: ﴿فَفَزِعَ﴾، ثم قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل:٨٧] أي: صاغرين، وهو المناسب للفزع.

٢ ـ قال في الزمر: ﴿فَصَعِقَ﴾ ثم قال: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر:٦٨] فإن ذلك في مقابل الصعقة.

٣ ـ ثم انظر كيف قال بعد آية النمل: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل:٨٩] فأمّنهم من الفزع الذي يصيب الخلائق يوم القيامة. فناسب ذلك ما ورد من فزع في قصة موسى في الآية ١٠ ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠].

وكيف ناسب ذكر الصعقة في الزمر قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزُّمَر:٣٠] وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزُّمَر:٤٢].

جاء في كتاب البرهان للكرماني أنّ سورة النمل خصت بقوله: ﴿فَفَزِعَ﴾ موافقة لقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾ [النمل:٨٩] وخصت الزمر بقوله: ﴿فَصَعِقَ﴾ [الزُّمَر:٦٨] موافقة لقوله: ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزُّمَر:٣٠]؛ لأن معناه: مات.



﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨﴾

السؤال الأول:

القرآن الكريم يستخدم [يصنعون ويفعلون ويعملون]، فما دلالة هذه الأفعال؟

الجواب:

يفعلون: الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد.

يعملون: في الأكثر فيه قصد، وهو مختص بالإنسان، وهو أخص من الفعل؛ لذلك قلّما ينسب إلى الحيوان. والعرب لم تقله إلا في البقر التي تحرث الأرض.

يصنعون: الصنع أخص، وهو إجادة الفعل، ويحتاج إلى دقة، ولا ينسب إلى حيوان أو جماد، فهو أخص من العمل، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾[النمل:٨٨].

وعندما تأتي (يصنعون) تعني: ما يخططون وما يدبرون بدقة وإجادة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (بما يعملون خبير) و(خبير بما تعملون)؟

الجواب:

هنالك قانون في القرآن، وهو أنّ الكلام إذا كان عن الإنسان أو عن عمله يقدم عمله فيقول: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وإذا لم يكن الكلام عن الإنسان أو كان الكلام عن الله أو عن الأمور القلبية يقدم الخبرة ﴿خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾[النمل:٨٨].

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨] الكلام في الآية عن الله وليس عن الإنسان، فقال في ختامها ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾[النمل:٨٨].

- ﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)﴾[النور:٥٣] هذه أمور قلبية. وهذا أمر يعرفه الله.

بينما ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾

[الحديد:١٠] هذا كله عمل، فقال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ [الحديد:١٠] إذن هذه القاعدة العامة ظاهرة.

السؤال الثالث:

ما معنى الإتقان؟

الجواب:

هو الإحكام، وهو ربط القواعد الكلية بجزئياتها. والرجل المتقن هو الحاذق.

السؤال الرابع:

ما أحوال الجبال في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ١٠٥.



﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في يونس ١٠٤ ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤﴾ وفي النمل ٩١ ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ [النمل:٩١]، فما السبب؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم في يونس في الآية ١٠٣ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣] ناسب قوله: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤﴾ [يونس:١٠٤].

٢ـ ولمّا تقدم في النمل في الآية ٨١ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾ [النمل:٨١] ناسب بعده ﴿أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ [النمل:٩١]. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فاتحة النمل مع خاتمتها:

قال في أول السورة:

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾ [النمل:١-٢-٣-٤-٥-٦].

وقال في آخرها:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [النمل:٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣].

ومن التناسب في البدء والختام:

١ ـ انه ذكر القرآن في أول السورة وآخرها.

فقال في أول السورة: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ [النمل:١].

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾ [النمل:٦].

وقال في أواخرها: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ﴾ [النمل:٩٢].

٢ ـ ذكر في أول السورة من أمور العبادة ما ذكر، وذلك قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النمل:٣].

وقال في أواخرها إنه أمره ربه بعبادته، وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [النمل:٩١].

فذكر العبادة في البدء والختام.

٣ ـ قال في أوائل السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)﴾ [النمل:٥].

وذكر في أواخرها أنواع العمل وعاقبته في الآخرة، وذلك قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)﴾ [النمل:٨٩-٩٠].

فذكر في أوائل السورة من لا يؤمن بالآخرة، وذكر أنه زين لهم أعمالهم.

وذكر في أواخر السورة من آمن بالآخرة ومن لم يؤمن وذكر عمل كل من الفريقين وجزاءه.

٤ ـ قوله في آخر السورة: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [النمل:٩٣] يناسب قوله في أوائل السورة: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)﴾ [النمل:٦]. فإنّ الحكيم العليم ليس بغافل عما يعملون.

والله أعلم.

سورة القصص

أولاً: تناسب خواتيم النمل مع فواتح القصص:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة النمل:

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل:٩١-٩٢].

وقال في أول سورة القصص:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [القصص:٢].

فذكر القرآن في الموضعين باسم (القرآن) في موضع، و(الكتاب) في القصص، والمناسبة ظاهرة.

٢ـ وقال في أواخر النمل:

﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل:٩٢].

وذكر في أول سورة القصص من اهتدى وهم موسى ومن آمن به، ومن ضلّ وهم فرعون ومن تبعه، وعاقبة كل منهما.

فكان ما في القصص بياناً لما ورد في عاقبة الهدى والضلال اللذين ذكرهما في النمل.

ثانياً: هدف السورة: الثقة بوعد الله تعالى:

سورة القصص سورة مكيّة تركّز في آياتها على قصة سيدنا موسى في مرحلة الولادة، النشأة، الزواج، العودة إلى مصر وتحقق وعد الله ولم تركّز السورة على بني إسرائيل. وقد

نزلت هذه السورة وقت هجرة الرسول عليه السلام من مكة إلى المدينة وكان حزيناً لفراق مكة كما قال عليه السلام: **"والله إنك أحبّ بلاد الله إلى قلبي ولولا أنّ قومك أخرجوني ما خرجت"**. فأنزل الله تعالى هذه السورة تطميناً لرسوله عليه السلام بأنّ وعده سيتحقق تماماً كما تحقق وعد الله تعالى لموسى. ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧] وفي قصة سيدنا محمد عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص:٨٥] وهذا تطمين من الله تعالى لرسوله الذي خرج من بلده بعد ما ناله قومه بشتى أنواع الأذى وأخبره تعالى: أنه كما عاد موسى إلى مصر منصوراً، كذلك سيعود الرسول عليه السلام إلى مكة فاتحاً منتصراً مصداقاً لوعد الله تعالى. ومن المفارقات في قصة موسى ورسولنا عليه السلام أنّ موسى مكث خارج مصر بين ٨ و١٠ سنوات التي كانت مهر ابنة شعيب، والرسول عليه السلام عاد لفتح مكة في السنة الثامنة واختتمت الرسالة في السنة العاشرة، والرسول خرج من مكة متخفياً وكذلك خرج موسى من مصر خائفاً يترقب، فكأنما القصتان متشابهتان إلى أبعد الحدود.

وفي هذه السورة توجيه لأمة الإسلام أنّه مهما كانت الظروف صعبة فعليهم أنْ يثقوا بوعد الله تعالى لهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

تبدأ السورة: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [القصص:٣]. فالخطاب موجّه للمؤمنين؛ لأنهم يؤمنون ويثقون بوعد الله.

عرض الواقع الصعب لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤] فالوضع قاتم والظروف المحيطة صعبة للغاية.

مراد الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص:٦] فهو سبحانه يريد أنْ يمنّ على عباده.

الخطوة الأولى في تحقيق مراد الله تعالى: الذي يتم عبر عدة خطوات ويستغرق زمناً طويلاً فقد رجع موسى نبياً لقومه بعد ١٠ سنوات من خروجه من مصرَ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧]. فالخطوة الأولى تبدأ بأم ترضع ابنها وبقصة مولد أمّة بطفل يرمى في البحر بعدما أرضعته أمه، فما هذه الثقة بوعد الله من أم موسى التي يوحي لها تعالى أنْ إذا خفت عليه ألقيه في اليم؟ أي أمٍ يمكن أنْ تفعل هذا؟ هي أم موسى؛ لأنه تعالى قال وقوله حق ووعده حق: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص:٧]. ثم يلتقط موسى الرضيع أشد أعدائه، فيقذف تعالى حب موسى في قلب زوج فرعون. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ للمرأة في قصة سيدنا موسى دوراً كبيراً بارزاً ومؤثراً جداً: من أمه التي أطاعت وحي الله، إلى زوجة فرعون التي ربّته كابنها، إلى أخت موسى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾

[القصص:١١]. والتي دلّت آل فرعون على أهل بيت يكفلونه (أي أمه)، إلى دور ابنة شعيب التي تزوجها فيما بعد لمّا قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:٢٦] وهكذا هي الحال مع الرسول عليه السلام، فقد كان لدور السيدة خديجة رضي الله عنها أبلغ الأثر في بداية الدعوة والوحي.

تحقيق وعود الله:

الوعد الأول: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧] تحقق في: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:١٣].

والوعد الآخر: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧] تحقق الوعد في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص:٣٠].

ثم وعد آخر في قوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص:٣٥] ويتحقق هذا الوعد في: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص:٤٠] فوعد الله تعالى تحقق بغرق فرعون وقيادة موسى لبني إسرائيل. فالسورة عبارة عن وعود من الله تعالى لموسى عليه السلام ثم تتحقق هذه الوعود.

وكذلك بالنسبة إلى رسولنا الكريم عليه السلام وعده الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص:٨٥]، وقد

تحقق هذا الوعد، وفتح الرسول عليه السلام مكة وأسلمت الجزيرة العربية، وتحقق وعد الله تعالى لرسوله عليه السلام كما تحقق وعد الله لموسى وأمه.

لمن تتحقق الوعود؟ تأتي الآية ٨٣: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣]. في نهاية السورة تخبرنا أنّ وعد الله تعالى يتحقق لعباده المتقين والذين لا يريدون الاستعلاء في الأرض. وهذه هي الآية التي قالها عمر بن عبد العزيز وهو يسلم الروح. إنّ وعد الله تعالى يتحقق للمؤمنين من عباده.

سميّت السورة بـ (القصص): القصّ لغة هو اتباع الأثر حتى نهايته: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [القصص:٢٥]. فلو تتبعنا القصص في هذه السورة سنجد أنّ وعد الله يتحقق دائماً.

ملحوظة: السورة تؤكد على أنّ الملك كله لله، وبين هذه السورة وقصة موسى مع الخضر في سورة الكهف تشابه، فكل القصص التي استنكرها موسى واعترض عليها وهو بصحبة الخضر حصلت له في حياته في سورة القصص: اعترض على خرق السفينة وهو رمي في البحر واعترض على قتل الغلام وهو قتل رجلاً، واعترض على عدم استضافة أهل القرية لهم، واستضافه شعيب وأهله.

توجيه: إذا كانت الدنيا صعبة والظروف قاسية فثقوا في وعد الله إذا كنتم مؤمنين، وإذا كان الله تعالى وعد أمة الإسلام أنه سيستخلفهم في الأرض ويمكن لهم دينهم فثقوا أنّ هذا الوعد سيتحقق بإذن الله، وقد قال في الحديث الشريف: **"إنّ الله زوى الأرض لي فوجدت أنّ ملك أمتي سيبلغ ما زوى الله لي من الأرض"**. فصدق الله تعالى بوعده

وصدق رسوله الكريم عليه السلام. فمهما كان حال الأمة المسلمة في هذا الزمان فلا بدّ لنا من الثقة بوعد الله. لكنْ علينا أنْ نكون مؤمنين حقاً ليتحقق لنا وعده جلّ وعلا.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة:



السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني:

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الرابع:

ما ميزة السور التي تبدأ بحرف الطاء وهو من الأحرف النورانية؟

الجواب:

في القرآن الكريم هناك أربع سور تبدأ بحرف الطاء، وهو من الأحرف النورانية، وهذه السور هي: طه والشعراء والنمل والقصص. وفي هذا المجال ملاحظتان:

١ـ كل سورة تبدأ بالطاء تكون فيها قصة موسى عليه السلام هي أول قصة قبل سائر القصص الأخرى

٢ـ كل سورة من هذه السور الأربعة فيها حرفا الطاء والميم (طسم) تكون قصة موسى فيها مفصلة أكثر من السور التي لا تبدأ بالحرفين (الطاء والميم) وإنما تبدأ بـ (طه ـ طس).

السؤال الخامس:

ما علاقة كلمة الكتاب مع (ألر) وكلمة القرآن مع (طسم)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية االنمل ١.

السؤال السادس:

ما اللطائف العددية في سورة القصص؟

الجواب:

١ـ عدد تكرار حرف الطاء هو (١٩) مرة.

٢ـ اسم موسى تكررفي السورة (١٨) مرة واسم هارون تكرر مرة واحدة، وعليه يكون تكرار (موسى وهارون) هو (١٩) مرة.

٣ـ الجدول التالي يبين أرقام الآيات التي ورد فيها اسم موسى أو اسم هارون في سورة القصص مع بيان عدد كلمات كل آية:

رقم الآية	عدد كلماتها
٣	٩
٧	٢٢
١٠	١٧
١٥	٣٨
١٨	١٦
١٩	٣٢
٢٠	١٨
٢٩	٢٧
٣٠	١٩
٣١	١٩
٣٤	١٤
٣٦	١٧
٣٧	١٨

٣٨	٢٧
٤٣	١٦
٤٤	١٣
٤٨	٢٦
٧٦	٢٩
المجموع	٣٧٧

وجمّل (موسى) ١١٦، و(هارون) ٢٦١، وفق رسم المصحف ومجموع جمّل الاسمين هو (٣٧٧)، وهو نفس الرقم السابق الذكر.

٤ـ حسب كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي تجد أنّ كلمة: (هارون) تكررت في القرآن (٢٠) مرة ومجموع ترتيب السور العشرين التي وردت فيها كلمة (هارون) هو أيضاً (٣٧٧) حسب الجدول التالي:

مسلسل	السورة	ترتيبها
١	البقرة	٢
٢	النساء	٤
٣	الأنعام	٦
٤	الأعراف	٧
٥	الأعراف	٧
٦	يونس	١٠

٧	مريم	١٩
٨	مريم	١٩
٩	طه	٢٠
١٠	طه	٢٠
١١	طه	٢٠
١٢	طه	٢٠
١٣	الأنبياء	٢١
١٤	المؤمنون	٢٣
١٥	الفرقان	٢٥
١٦	الشعراء	٢٦
١٧	الشعراء	٢٦
١٨	القصص	٢٨
١٩	الصافات	٣٧
٢٠	الصافات	٣٧

المجموع ٣٧٧

٥ـ في السور الأربعة التي تبدأ بحرف الطاء تكررت فيها كلمة (هارون) سبع مرات حسب الجدول التالي:

السورة	رقم الآية
طه	٣٠
طه	٧٠
طه	٩٠
طه	٩٢
الشعراء	١٣
الشعراء	٤٨
القصص	٣٤

المجموع ٣٧٧ أيضاً.

٦ـ تكرر اسم (موسى) عليه السلام في السور الأربعة التي تبدأ بحرف الطاء (٤٦) مرة، وجمّل موسى (١١٦)؛ لأنّ الحرف الأخير صورته حرف الياء لا اللفظ.

الآن:

حاصل ضرب تكرار اسم موسى في جمّله هو: ٤٦×١١٦= ٥٣٣٦

وحاصل ضرب تكرار اسم هارون في جمّله هو: ٧×٢٦١= ١٨٢٧

المجموع: ٧١٦٣ ويساوي ١٩×٣٧٧.

وهذه مفاجأة عددية.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص:٤] ما اللمسة البيانية في اختيار لفظ (نساءهم) تحديداً في مقابل (يذبح أبناءهم) ولم يقل (بناتهم) مثلاً؟

الجواب:

هو يستبقي النساء حتى يستخدمهن جواري أو خادمات ليستفيدوا منهن أي يجعلونهن خادمات وجواري. فالنساء يستفيدون منهن ليخدموهنّ ويتسرون بهنّ.



﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص:٦] ما إعراب ﴿مِنْهُم﴾؟ وما اللمسة البيانية في هذه الآية؟ وما معنى الآية؟

الجواب:

١ـ إعراب ﴿مِنْهُم﴾ جار ومجرور متعلقان بـ ﴿وَنُرِيَ﴾ نري فرعون منهم ﴿مِنْهُم﴾ يعود على بني إسرائيل المستضعفين.

و قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص:٥-٦] ﴿مِنْهُم﴾ أي من الذين استضعفوا. وأنّ هؤلاء الذين استضعفوا في الأرض سيُري فرعون وهامان وجنوده منهم ما كانوا يحذرون.

٢ـ الله تعالى يريد أنْ يُري فرعون ملك البلاد، ويُري رئيس السلطة التنفيذية ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ والقوة العسكرية ووزارة الدفاع والملأ والجنود كلهم ما كانوا يحذرون من بني إسرائيل، لأنّه في الأخبار أنّ الكهنة قالوا إنه سيولد من بني إسرائيل من يخرب ملك فرعون، فبدأ يقتل المولود الذكر ويترك الأنثى، وقد قلب الله تدبيره رأساً على عقب، وربى موسى في بيته؛ وسوف يرى فرعون من موسى وأمثاله من المستضعفين ما كان يحذره.



﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص:٧] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه:٣٨-٣٩] فما الفرق بين الآيتين؟ وما الفرق بين (ألقيه واقذفيه)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ٣٩.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة (اليم) ٨ مرات في قصة موسى عليه السلام وورود لفظة (البحر) ٨ مرات في القصة نفسها وورود لفظة (البحرين) مرة واحدة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٣٦.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ في هذه الآية الكريمة ما يلي:

أـ أمران، وهما: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ و ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.

ب ـ نهيان، وهما: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ و ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾.

ج ـ بشارتان، وهما: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧].

فسبحان الله الحكيم العليم.

٢ـ هل رأيت في عمرك امرأة تطرح ولدها في النار؟ أو تلقي بابنها في البحر؟

لو قيل لك إنّ امرأة كان لها ولد رضيع في العام الأول من عمره أحاط بها وبه الأعداء ليقتلوه فعندما ضاقت عليها السبل ووصل بها الخوف واليأس منتهاه جاء من يقول لها: إذا كنت أيتها السيدة تخافين على ابنك وتتمنين أنْ ينجو فألقيه في البحر !!

هذا ما حصل لموسى عليه السلام حين وُلد والقصة معروفة. وبعد إلقائه في البحر التقطه آل فرعون وألحت امرأة فرعون أنْ تتخذه ولداً لها وأذعن فرعون لأمرها، وشاء

الله تعالى أنْ يربو موسى عليه السلام في حجر فرعون، وأنْ يعيش في قصره، وهو الذي جنّد الدنيا كلها لقتله، ثم كان من أمر موسى عليه السلام مع فرعون ما كان.

٣ـ في القصة عبرة كبيرة، وهي أنّ الأقوياء الجبارين في الأرض ومعهم جيوشهم وأسلحتهم لا يستطيعون أنْ يقفوا أمام مشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[يوسف:٢١].

السؤال الرابع:

هل من مقارنة بين ما حصل لموسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف وبين ما حصل له في حياته؟

الجواب:

ذكر المفسرون في كتب التفسير مقارنة لطيفة بين ما حصل لموسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف من ناحية وما حصل له في حياته من ناحية أخرى:

١ـ اعترض موسى عليه السلام على موضوع السفينة، ولم ينظر إلى ما دبّره له ربه عندما وضع في التابوت، كما جاء في آية القصص ٧.

٢ـ اعترض موسى عليه السلام على مسألة قتل الغلام، وهو قد قتل نفساً مع القبطي بدون حكمة يعلمها، لكنه عليه السلام اعترض على العبد الصالح الذي قتل الغلام عمداً لحكمة يجهلها موسى. والقصتان متشابهتان.

٣ـ اعترض موسى عليه السلام في عدم أخذ الأجر على إقامة الجدار وهو سقى للمرأتين بدون أجر. والقصتان متشابهتان.

ويقال بأنّ الخضر قد ذكره بذلك. والله أعلم.

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين القلب والفؤاد؟

الجواب:

القلب: هو العضلة المعروفة التي تضخ الدم إلى جميع الجسم.

الفؤاد: بعضهم قال: هو القلب نفسه. وبعضهم قال: الفؤاد ليس القلب وإنما غشاء القلب، و اللغة العربية دقيقة أحياناً فتسمي الأجزاء كل جزء باسمه.

وفي لسان العرب: فأد الخبز يفأدها فأداً أي شواها. والقلب يشتوي أحياناً بما يسمع وما يقال له، وليس على سبيل الشواء الحقيقي؛ ولذلك الفؤاد يعني الأمور التي تدعو إلى المعاناة، من التفؤد وهو الاحتراق. والفؤاد: هو القلب لتفؤده وتوقده، وقيل: وسطه، وقيل الفؤاد: هوغشاء القلب، وهو الذي يترجح من حديث للرسول ﷺ.

وفي الحديث الشريف يقول ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً**»، والرسول عليه السلام كان يحب أهل اليمن ويقول «**الإيمان يمان**» والشاهد الذي بين أيدينا يقوي الاختيار: ففي الحديث ذكر الفؤاد والقلب وذكر الفؤاد بالرقّة وهي الشفافية، وذكر القلب باللين. فالشفافية هي الشيء الرقيق واللين للشيء السميك، فالقلب ليّن والفؤاد رقيق.

واستعمل القرآن الفؤاد والقلب مع أم موسى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص:١٠] أي: فيه عاطفة محترقة. والفؤاد المغلّف يقصد به ما بداخله.

وقوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة:٦-٧] أي: سوف تحرقها، وقال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٣] أي: مثل الاحتراق.

والعرب تستعمل الفؤاد، وتستعمل القلب، وهم يعنون الموضع الذي يكون فيه الفكر والعاطفة.

وجاء في القرآن: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦] هل المراد على وجه التعيين هي هذه العضلة؟ أم هناك شيء في الصدر لا نعلمه؟ لأنّ العلم كل يوم يكتشف شيئاً جديداً، ونحن نؤمن بكلام ربنا كما هو، وعمى البصيرة يعني الموضع الذي يكون فيه الفكر، بينما البصر هو الذي يعمى. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ذكرت سابقاً الفرق بين القلب والفؤاد، فما دلالة قوله تعالى في سورة القصص ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾؟

الجواب:

العرب تستعمل القلب والفؤاد بمعنى واحد، ولكنّ الحديث فرّق بين الاثنين فجعل الفؤاد للغشاء «**أرقّ أفئدة وألين قلوباً**» فأخذنا بقول "لسان العرب" إنّ الغشاء هو الفؤاد، وهذا لا يتعارض مع الآية، ففراغ فؤاد أم موسى يتضمن فراغ القلب أيضاً،

وليس فراغاً حقيقياً، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: صبّرناها؛ لأنّ الربط على القلب بمعنى التصبير ربط على قلبه؛ أي صبّره، هكذا هي في المعجم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الربط والحول؟

الجواب:

بشكل عام: الحول هو القوة، والربط هو الشد والتوثيق.

١ـ في آية الأنفال٢٤ يقول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾؛ أي أنّ الله تعالى أعطاكم هذه الميزة بأنْ يتوجه إليكم رسول الله ﷺ بالدعوة وأنْ تستجيبوا له، مع أنّ الله تعالى قادر أنْ يرغمكم إرغاماً على الاستجابة له، فالله هو المتصرف الحقيقي بقلوبكم، وهو (مجازاً) أقرب إلى قلوبنا منا.

أي أنّ الله أكرمنا بأنْ طلب منا الاستجابة؛ لأنّ في الاستجابة حياة لنا ولو شاء الله لحملنا حملاً على الاستجابة؛ لذلك هذا نوع من التكريم للإنسان بأنه دُعي إلى الاستجابة إلى الله ورسوله.

٢ـ الربط: هو الشد والتقوية، وقوله تعالى في آية الكهف ١٤ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: قويناها بالصبر.

وكذلك في قصة موسى عليه السلام في هذه الآية ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: قويناه وصبّرناه.

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التعبيرين ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ [طه:٤٠] و﴿أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾ [القصص:١٢] في آيتي طه٤٠ والقصص١٢؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ٤٠.



﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعليل بـ (كي) في آيات طه ٣٣ـ٤٠ والقصص١٣؟ وباللام في قوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ في آية القصص١٣؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ٣٣.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ مع موسى عليه السلام في الآية ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤] بينما لم ترد مع يوسف عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف:٢٢]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يوسف ٢٢.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤] كيف يقتل موسى رجلاً بعد أنْ يؤتى العلم والحكمة؟

الجواب:

١ـ عندما قتله موسى عليه السلام لم يكن نبيّاً، ودليل ذلك أنه لمّا ناقشه فرعون قال: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء:١٧] قال: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء:١٨-١٩] أي: قتلت نفساً، وهو

يعرف ماذا فعل، لكنْ لا يريد أنْ يثيرها فردّ موسى عليه السلام ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾[الشعراء:٢٠-٢١].

فالرسالة كانت بعد الفرار، وهو لم يكن رسولاً مكلّفاً بالرسالة. وكونه غير مكلّف جعل حياته ضلالاً؛ لأنه لم يكن يعرف أحكام التكليف. والضالّ هنا بمعنى غير المكلّف، أي ليس مكلّفاً بأحكام التكليف، وليس بالمعنى الذي نفهمه الآن من فساد، لكنْ كان قبله أنبياء، وكان يعرف بعض الأحكام.

٢ـ وعندما ننظر في الآية: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[القصص:١٥].

ما معنى الوكز؟ في اللغة هو الضرب بجُمع اليد على الذقّن، وقيل على الصدر. والذي يضرب بيده على الذقن هل ينوي القتل؟ بالطبع لا. إذن موسى عليه السلام لم يكن ينوي القتل. وموسى عليه السلام ضربه ولم يكن بنية القتل، وغير متصور أنّ الضربة على الذقن تقتل، لكن يبدو أنه كان من القوة بحيث إنّ الضربة أدّت إلى قتله.

والقرآن يستخدم الضرب والوكز. الضرب يكون باليد المفتوحة، أو بعصا، أو بالسيف. فالضرب له أنواع.

أمّا الوكز حصراً فيكون بجُمع اليد، كما مثل الملاكم يضرب بجمع اليد. وأرادت الآية أنْ تبيّن نوع الضرب، فجاء ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ أي ضربه على الذقن أو الصدر. والله أعلم.

السؤال الثالث:

نعرف عصمة الأنبياء ونتزههم عن وجود نقص، فكيف وصف سيدنا موسى بأنه قاتل وأنه لا يُبين الكلام، وأنّ أخاه هارون هو أفصح منه لساناً فكيف نفهم هذه الأمور؟

الجواب:

١ـ لماذا تُعرض الأمور بهذه الصورة؟ ولماذا لا يقال هو نصير المستضعفين؟ ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القصص:١٥] هناك ظالم ومظلوم، قوي ومستضعف، فأراد موسى أنْ ينصر المستضعف فوكزه، والوكز ضربة خفيفة، وليست ضربة تميت، وهذا من باب القتل الخطأ ولم يكن قاصداً لقتله.

٢ـ الظاهر مما نقرأ من قصة سيدنا موسى أنه عندما ذهب إلى مدين وجد امرأتين تذودان ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ﴾ [القصص:٢٣]، فلم يتحمل أنْ يراهما هكذا ومن دون طلب ومن دون أجر سقى لهما ثم تولى إلى الظل ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ [القصص:٢٤]، هذا يعبر عما نفسه من حب الإعانة وحب نصرة الضعفاء والمستضعفين، وهذه ناحية إيجابية عنده.

٣ـ وكذلك نلاحظ هذه الخصلة مع العبد الصالح في سورة الكهف، إذ كان ينكر عليه أفعالاً ليست مناسبة في نظره، فاستنكر خرق السفينة واستنكر قتل الغلام واستنكر إقامة الجدار، إذن هو لا يحب الظلم ويحب نصرة الضعيف، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا

﴿تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [النساء:٧٥] إذن هو نصير المتستضعفين.

٤ـ ونلاحظ في كتب التفسير أنهم يعقدون مشابهة لطيفة بين ما حصل بين موسى والعبد الصالح من ناحية وما حصل مع موسى في ماضيه من ناحية أخرى، فيقولون:

أ ـ اعترض موسى عليه السلام على عيب السفينة، ولم ينظر إلى التدبير الذي دبره له ربه عندما وضع في التابوت.

ب ـ اعترض موسى عليه السلام على مسألة قتل الغلام، وهو قد قتل نفساً مع القبطي بدون حكمة يعلمها، لكنه عليه السلام اعترض على العبد الصالح الذي قتل الغلام عمداً لحكمة يجهلها موسى. والقصتان متشابهتان.

ج ـ اعترض موسى عليه السلام في عدم أخذ الأجر على إقامة الجدار وهو سقى للمرأتين بدون أجر. والقصتان متشابهتان.

٥ـ لذلك فموسى عليه السلام نصير الضعفاء، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص:١٥] أي استغاث به وهو لم يتدخل معه تحزباً.

٦ـ وقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [الزُّخرُف:٥٢] أي في لسانه عقدة أو حُبسة أو ثِقَل في الكلام أو تلعثم في الكلام. ونلاحظ ما يلي:

أ ـ الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، ورب العالمين ذكر أناساً في القرآن الكريم حسان المنظر وذوي منطق سليم وذمّهم ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون:٤]

فالمسألة ليست بالمنظر، وإنما هي بالمخبر وهذا هو الأصل. وفي غير مقام سيدنا موسى عليه السلام تقول العرب:

تـــرى الرجـــل الحقـــير فتزدريـــه   وفي أثوابـــــه أســـــدٌ هزبـــــر

فالمسألة ليست منظر.

ب ـ موسى عليه السلام ذكر حججاً وحاجّ فرعون وكان يلقي بالحجة ويتكلم معه.

ج ـ موسى شخصيته قوية، وتختلف عن شخصية هارون في بني إسرائيل، وكانوا يهابون موسى أكثر مما يهابون هارون ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ [الأعراف:١٥٠] وهي ليست مسألة إحسان النطق فقط، هارون أفصح منه في النطق، لكنْ من يقول إنه يأتي بحجة أقوى من حجته؟

الفصاحة أنْ يُحسن القول فلا يأتي بكلمة غريبة، وليس كل فصيح بليغاً بينما كل بليغ فصيح. وعدم وجود الفصاحة مثلاً في موسى عليه السلام ليست منقصة فيه، وليس معناها أنّ هارون أقوى منه حجة، وإنما يعني أنه يتكلم طلق اللسان. وفي سورة الشعراء الحجة كانت بين موسى وفرعون وليس بين هارون وفرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)﴾.

السؤال الرابع:

إذا نظرنا إلى بعض صفات موسى عليه السلام نجد أنه أسمر أجعد الشعر قوي يسارع إلى النهضة، قاتل، وأخوه أفصح منه، وهو لا يكاد يبين ومع هذا يقول تعالى عنه:

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه:٤١] والأنبياء عندنا لديهم صورة وحسن طلة، فكيف نوفق بينها؟

الجواب:

هل الأسمر لا يصلح أنْ يكون نبياً؟ رب العالمين ذكر امتحاناً لأيوب عليه السلام حتى عافه الناس وصار خارج المدينة. الأنبياء والرسل ليس فيهم صفات بدنية بحيث إذا رأيتهم أعجبتك أجسامهم، ولكن فيهم صفات أخرى؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤] الذي يحملها ويؤديها، وليست بالمنظر، فليس بالضرورة أن يكون الرسول أجمل الناس.

ونتعلم من هذا أنَّ الموضوع كله يكمن في الجوهر وليس في المظهر وعلى كل إنسان أنْ يفعل وسعه ولا يصده عن فعل الخير ما يرى في نفسه شيئاً ليس كاملاً، وإنما عليه أن يفعل وسعه في الخير. وهذا مثل يعطينا إياه ربنا تعالى؛ حتى لا نخجل من هذه الأشياء، وإنما نسعى في الخير وندخل في المجتمع.



﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ذكر ﴿أَنْ﴾ في آية سورة القصص ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾؟ وما دلالتها مع أنها لم ترد في آية سورة هود في قصة لوط ولم ترد كذلك في آية سورة يوسف؟

الجواب:

هذه في قصة موسى عليه السلام، استنصره هذا الذي من شيعته على الذي من عدوّه.

١ـ (أنْ) هذه عند النُحاة زائدة، إذا وقعت (أنْ) بعد لما فهي زائدة؛ أي لا تؤثر على المعنى العام إذا حُذفت.

٢ـ لكنّ الملاحظ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص:١٩] فصل بين الفعل (أراد) و (لمّا) وجاء بـ(أنْ) بينهما

ومعنى (لمّا) أي في الوقت الذي قرر فيه موسى عليه السلام، فهي زمنية وتُسمى حينية.

لذلك زيادة (أنْ) هنا في آية سورة القصص تدل على أنّ موسى عليه السلام لم يكن مُندفعاً للبطش، وللدلالة على الفاصل في الزمن، وهي ليست كالحالة الأولى في آية القصص ١٥ ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص:١٥] فاستخدم الفاء للدلالة على الترتيب والتعقيب، بينما في هذه الآية رقم ١٩ دلّت (أنْ) على التمهل والتريث.

٣ـ (أنْ) إذا دخلت على الفعل دفعته للمستقبل؛ لذا عندما قال القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [القصص:١٩] يعني حدثت منه الإرادة، لكنّ القرآن يريد أنْ يقول إنه كان متردداً وإرادته لم تكن عازمة فقال: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ ، فإذن (أنْ) هنا لها أهميتها في الحقيقة.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب التقديم والتأخير في آية سورة يس ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس:٢٠] وسورة القصص ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في سورة يس والأخرى في سورة القصص، وكلاهما في قصة موسى عليه السلام.

٢ـ قوله تعالى في آية يس ٢٠: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس:٢٠] يعني أنّ الرجل قطعياً جاء من أقصى المدينة، أي من أبعد مكان فيها. وأمّا قوله تعالى في آية القصص ٢٠: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ ليس بالضرورة ذلك وإنما تحتمل هذا المعنى وغيره، فتحتمل أنه فعلاً جاء من أقصى المدينة وتحتمل أنه هو من سكان تلك الأماكن البعيدة، لكنّ مجيئه من ذلك المكان ليس بالضرورة.

٣ـ هناك نوعان من التعبير: تعبير قطعي، وتعبير احتمالي يحتمل أكثر من دلالة، والتعبير القطعي يحتمل دلالة واحدة. وعندما تقول: (جاءني من سوريا رجل)؛ أي: رجل سوري، وأما (جاءني رجل من سوريا) ليس بالضرورة أنْ يكون المجيء من سوريا، فقد يكون من مكان آخر.

٤ـ وكذلك قوله: (جاء من أقصى المدينة رجل) يعني فعلاً جاء من أقصى المدينة، أمّا (جاء رجل من أقصى المدينة) ليس بالضرورة، فقد يكون من سكان الأماكن البعيدة، ومكانه من أقصى المدينة، لكنْ ليس بالضرورة أنّ يكون المجيء من ذاك المكان، فقد يكون من مكان آخر.

٥ـ المجيء في سورة يس أهم؛ لذا قال: ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس:٢٠] فهو قد جاء لتبليغ الدعوة وإشهار الدعوة، وأنْ يعلن ذلك أمام الملأ.

أمّا في القصص فجاء ليُسرّ في أذن موسى عليه السلام كلاماً ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص:٢٠]. هذا إسرار، أمّا ذاك فإشهار، ذاك تبليغ دعوة وهذا تحذير.

٦ـ في قصة سورة يس القرية كلها ضد الرسل ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ [يس:١٨] بينما في القصص موسى عليه السلام لم يقل له أحد هذا.

وفي يس كان إشهار الدعوة خطراً على الشخص، أمّا في القصص فليس كذلك لأنه ليس هناك أحد ضد موسى عليه السلام.

٧ـ ولهذا جاء التقديم والتأخير بحسب الموضوع الذي جاء من أجله.

فلمّا كان موضوع الدعوة في سورة يس أهمّ قدّم ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس:٢٠]؛ لأنه يحمل هم الدعوة. وفي الموضوع الآخر أخّر.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

حذف الياء في آية الكهف ٢٤ فقال: ﴿يَهْدِيَنِ﴾، وأبرزها في آية القصص ٢٢ فقال: ﴿يَهْدِيَنِي﴾، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الكهف ٢٤.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿عَسَىٰ﴾ في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

قصة موسى عليه السلام في مدين

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الذي يمكن استنباطه في الآيات من العمل الصالح لموسى عليه السلام وابنة الرجل الصالح في سورة القصص؟ وما العمل الصالح الذي فعله موسى حتى يرزقه الله تعالى الزوجة الصالحة؟ وما مواصفات الزوجة الصالحة؟

الجواب:

١ـ ابتدأت الرحلة إلى مدين بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢] استعان ربه وطلب منه الهداية وهو فارّ ولم يكن يعلم أنه متوجه إلى مدين، ولا يعلم إلى أين يذهب؟ مشى على غير هدى، لكنّ الله تعالى لحكمة أرادها هداه إلى أنْ يتجه إلى مدين ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[القصص:٢٢].

٢ـ ورد ماء مدين ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص:٢٣] والأمّة أي الخلق الكثير من الناس.

ـ ﴿مِن دُونِهِمُ﴾ يعني بعيدتين عنهم ولم يقل: معهم أو فيهم، فهذا يفيد الاختلاط، وهذا يدل على عفتهما وحيائهما.

ـ﴿تَذُودَانِ﴾ يعني تمنعان الماشية من أنْ تختلط بالآخرين. استغرب الرجل الفارّ خاصة أنه لم توجد نسوة أخريات يسقين.

فقال: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص:٢٣] لعلّه أنْ يعينهما. ومبلغ سؤاله أنْ يساعدهما، والظاهرمن ذلك أنّ في نفس موسى عليه السلام النزعة لمساعدة الآخرين والرحمة بالضعفاء.

قالتا ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص:٢٣] جاءتا بالعذر؛ حتى لا يصير سؤال وجواب، وهذا يدل على فطنتهما وحسن أدبهما وعفتهما. السبب: أبونا شيخ كبير، ولم يكن هناك تبسط في الحديث، موسى وقف عند المقدار الذي ينبغي وهما كذلك.

ـ ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص:٢٤] على السرعة، جاء بالفاء الدالة على التعقيب ولم ينتظر حتى يستريح من عناء السفر، أي من دون مهلة سقى لهما، وهذا يدل على كرمه وسرعة نجدته.

ـ ثم قال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ مما يدل على أنه سقى لهما في الشمس والحر إذن هناك تعب وشمس وحر وعجّل لهما بالسقي، وهذا يدل على شهامته ونجدته. ثم دعا ربه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص:٢٤] والخير هنا يعني العافية والقوة فكان الفرج في الحال، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

٣ـ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥] الآية يقفون فيها مرتين، إمّا ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ [القصص:٢٥] فهذا المشي على استحياء، وإمّا ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى/ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ [القصص:٢٥] يعني القول على استحياء، وكل الحديث كان: (إنّ أبي يدعوك)، فتبعها وهو يمشي أمامها وهي توجهه.

ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص:٢٥] والخائف يحتاج إلى من يؤمنه ويطعمه، كما في الآية: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[قريش:٤] فآمنه وأطعمه.

ـ ﴿قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص:٢٥] وصف القوم بالظلم وهذا الرجل يقال إنه شعيب، وهو نبي، فوصفهم بالظلم بما ذكر عنهم من أفعالهم وأنهم أرادوا قتله، مع أنّ فعله كان خطأ، ولم يكن قاصداً قتله وهذا لا يُقتل، ومن أراد قتله فهو ظالم، وموسى عليه السلام كان مصدَّقاً عند الرجل الصالح.

٤ـ إحداهما طلبت من أبيها أنْ يستأجره ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص:٢٦]، وبررت السبب بقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ وهذه كلمة جامعة.

٥ـ ثم نلاحظ أنه عرض عليه الزواج ولبّى رغبة ابنته، وهذا أنسب عرض؛ لأنّ موسى محتاج إلى مأوى وإلى أنيس وإلى أسرة، والرجل الصالح يحتاج إلى معين قوي وأمين. هي قالت: استأجره، وهو قال: أزوجك إحدى ابنتي، فالعبد الصالح رأى أنّ هذا أنسب؛ لأنّ الاستئجار قد يكون متعباً له، وموسى هو رجل غريب. وماذا يفعل له؟ كيف يدخل موسى على بيته؟ وكيف يخرج؟

إذن صاحب مدين يحتاج إلى قوي وأمين، وموسى يحتاج إلى مأوى وإلى أنيس وإلى أسرة، فلمّا كان الرجل قوياً وأميناً خطبه لابنته؛ لأنّ الرجل يخطب لابنته. وعندها سيدنا موسى عليه السلام لم يكن مكلفاً بالرسالة بعد.

السؤال الثاني:

ما دلالة الوقف في الآية على ﴿تَمۡشِي﴾ أو ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ في الآية؟

الجواب:

أ ـ يفيد المشي على الاستحياء إنْ وقفت عند آخر كلمة ﴿ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾.

ب ـ وتفيد القول على الاستحياء إنْ وقفت على كلمة (تمشي)، ثم استأنفت ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ﴾.

فالوقف والابتداء يحدد المعنى، وهذا يسمى: التوسع في المعنى.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [القصص:٣٥] هل: فلا يصلون إليكما بآياتنا؟ أو: فلا يصلون إليكما، بآياتنا أنتم الغالبون؟ الوقف يحدد المعنى.

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

خيّره الرجل بين امرأتين قد رآهما هناك ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص:٢٧] والزواج مبدؤه النظر، وابنته لم تمانع، فإذن الموافقة حاصلة من ولي الأمر ومن المرأة ومن موسى، وهذه شروط النكاح.

وذكر أن مهر المرأة أنْ يشتغل عنده ثماني حجج ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القصص:٢٧] فإذن كل أركان الزواج متحققة. فهو سيشتغل عنده ثماني حجج فإن أتمها عشراً فمن تفضله وإحسانه، ثم ذكر أنه لا يريد أنْ يستغله أو يشق عليه، وسيجده إنْ شاء الله من الصالحين في كل ما ينبغي أنْ يكون عليه الصلاح، وليس في شيء معين، فأطلق الصلاح ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص:٢٧].

وموسى عليه السلام قد ذكر شرطاً فقال: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص:٢٨] أي ليس عليه حرج في قضاء أي الأجلين ووافقا على ذلك، وأشهدا الله على هذا الاتفاق ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص:٢٨].

السؤال الثاني:

لِمَ قال: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ وقد رأى كل منهما الأمانة في صاحبه؟

الجواب:

لمّا قال: ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ يعني لا ترغم على غير ذلك. فهذا عموم ما ورد في قصة موسى في مدين.

السؤال الثالث:

أليس في الحجج الثماني مشقة على سيدنا موسى عليه السلام، فكيف قال الرجل الصالح لا أريد أنْ أشق عليك؟

الجواب:

١ـ العقد شريعة المتعاقدين، وهذا عقد، ولو كان موسى عليه السلام يرى فيه مشقة لطلب تقصير المدة أو طلب فرصة للتفكير، فالأمر يعود إلى موسى وليس لسائل السؤال، وليس هو صاحب الشأن، فالذي يقدر الأمر ويرى إنْ كان فيه مشقة أو لا هو سيدنا موسى عليه السلام. فلو كان يرى أنّ فيه مشقة لقال: اجعلها أربع سنين أو ست أو دعني أفكر وأذكر لك الجواب بعد أيام مثلاً.

٢ـ ثم إنّ موسى عليه السلام فارٌّ خرج من قومه خائفاً يترقب؛ لأنه قتل أحدهم ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص:٢٠] فوجد زوجة

ومسكناً وأماناً، وهذه نعمة من نعم الله تعالى عليه، وليس من المعقول أنّ القاتل الفارّ يعود لمن يتقاضاه بعد مدة قصيرة، بل ينتظر المدة أنْ تطول، لعلها تُنسى أو يسقط الحكم في هذه المدة.

٣ـ ثم إنّ الله تعالى ذكرها من باب المنّة على موسى عليه السلام ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه:٣٧-٣٨-٣٩-٤٠] فهذه من المنة أنْ يعيش لمدة معينة في مدين، و موسى عليه السلام كان مقراً بهذه المنة، وما كان يرى فيها غير ذلك، ولم يعتبرها موسى عليه السلام مشقة، وإنما اعتبرها مِنّة من الله تعالى، ثم صار له غنم ومال.

٤ـ ثم الأمر الظاهر جداً هو أنه قضى أبعد الأجلين كما في الحديث، فلو كان يرى فيها مشقة أو حيفاً ما كان يقضي أبعد الأجلين (الحجج العشر).

٥ـ موسى عليه السلام قصّ على الرجل الظروف التي دفعته إلى الفرار كما ورد في الآية: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص:٢٥] فقال له الرجل الصالح: لا تخف فرعون، وليس له على هذه المدينة سلطة، فالرجل الصالح أمّنه وزوّجه وجعل له عملاً مقابل مدة، والمدة ليست بكثيرة وإلا اعترض موسى عليه السلام. وحينما قال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ﴾ يقصد بالمشقة أنْ يختار موسى كما يشاء ولا يريد أنْ يلزمه الرجل الصالح بالمدة.

السؤال الرابع:

ما معنى (حجج) في الآية ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القصص:٢٧]؟

الجواب:

١ـ الحجج يعني سنوات. وهناك فرق بين السنة والعام والحجة والحول.

٢ـ الحجج معناها سنوات، وسبب اختيار ثماني حجج دون ثماني سنوات؛لأنّ أصل الحجة من الحج، وهوالقصد والزيارة، ومنها حج بيت الله. هذا هوالأصل ثم صارت العبادة المعروفة.

والزائر أو الذي يقصد بيت الله لا يلبث، والمفروض أنْ يعود لأهله بعد الحج، وكذلك الأمر بالنسبة لموسى فلم تكن مدين دار إقامة، هو فرّ من مصر إلى مدين فهي ليست مقر إقامته الدائمة؛ ولذلك استعمل الحجة؛ لأنه كالزائر.

ولّما كان الحج بمعنى القصد والزيارة المؤقتة استعمل (حجج)؛ لأنه لم يمكث فيها، وإنما عاد إلى أهله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩] كما يعود الحاج الزائر لأهله. ولو قيل (سنوات) فليس بالضرورة أنْ نفهم أن موسى عليه السلام سيعود.

٣ـ لمعرفة الفرق بين السنة والعام والحول انظر آية البقرة ٢٣٣.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ﴾ متى تفتح ياء المتكلم؟ ومتى لا تفتح؟

الجواب:

من ناحية اللغة:

١ـ وجوب الفتح في المواضع التالية:

أ ـ بعد اسم المقصور: نحو: ﴿عَصَايَ﴾ ـ ﴿هُدَايَ﴾ والأصل: عصا وهدى.

ب ـ بعد الاسم المنقوص: كقولك: أنت معطيَّ ـ أنت منجيَّ ـ والأصل: معطي ومنجي.

ج ـ بعد المثنى: ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ ﴿أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾.

د ـ بعد جمع المذكر السالم: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢].

٢ـ جواز الفتح: في المواطن غير المذكورة أعلاه.

٣ـ في القرآن: حسب النقل المتواتر.



﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفروق الدلالية بين الفعلين: سار ومشى؟

الجواب:

السير غير المشي في اللغة، ويقال: سار القوم إذا امتدّ بهم السير من جهة إلى جهة معينة في الخصوص. والسير في القرآن الكريم قد يكون لغرض فهو إمّا للعظة أوللاعتبار أو

للتجارة أو لغير ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩] ففي سورة القصص السير هنا ممتد من مدين إلى مصر، وهو ليس مشياً.

وقد يكون معنى السير السير لفترة طويلة للعبرة والاتّعاظ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ [الأنعام:١١]، وقد ورد هذا المعنى للسير في (١١) آية قرآنية ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٤٦] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ [النمل:٦٩]، والسير هنا هو الامتداد.

أمّا المشي فهو مجرد الانتقال، وليس بالضرورة التوجّه إلى هدف محدد كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النمل ٧.

السؤال الثالث:

ما معنى كلمة (آنس) في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النمل ٧.

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة النار ومرادفاتها؟

الجواب:

انظر الجواب في آية طه ١٠.



﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

اذكر أوجه التشابه والاختلاف بين عرض قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة النمل وعرضها في القصص؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النمل ٦.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى عن سيدنا موسى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل:٨] وفي القصص ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾ [القصص:٣٠] وأيضاً هناك ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٩] وفي القصص قال ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص:٣٠]؟

الجواب:

انظر الجواب في آيتي طه (١١ـ١٢) وآيتي النمل (٨ـ٩).

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (ذلك) و(ذلكم) في الاستعمال القرآني؟ وما دلالة استعمال ﴿فَذَٰنِكَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٢.



﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾

السؤال الأول:

القراءات القرآنية فيها اختلاف في الإعراب مثل: ﴿يُصدِّقْني﴾ - ﴿يُصَدِّقُنِيٓۖ﴾ و﴿تلْقفْ﴾ - ﴿تلَقَفُ﴾ فهل في هذا لمسة بيانية؟

الجواب:

لا شك أنّ الاختلاف هذا يفضي ويؤدي إلى اختلاف في المعنى، مثل ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[القصص:٣٤] و (يُصْدقْني).

١ـ ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ المعنى إنْ ترسله معي يصدقْني، أو أرسله هو يصدقُني.

٢ـ هناك قراءتان بضم القاف وسكونها: ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ و ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ والقراءتان جمعتا معاني الشرط والوصفية والاستئناف:

أـ بالضم يكون المعنى: فأرسله معي ردءاً مصدقا لي، وتكون جملة ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ نعتاً.

أو المعنى: فأرسله معي ردءاً، إنه يصدقُني، فتكون الجملة استئنافية.

ب ـ بالسكون يكون المعنى: ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ أي إنْ ترسله يصدقْني.

فجمعت القراءتان هذه المعاني كلها. والله أعلم.

٣ـ وكذلك كلمة: ﴿تَلْقَفْ﴾ عند الجزم تكون جواب طلب، وعند الرفع تكون إمّا استئنافاً أو حالاً مقدرة.

ومثال ذلك قولهم: (دعه يضربْه) و(دعه يضربُه)، الأولى في شخص يريد أنْ يضرب واحداً وأنت تمسكه وتقول له: لا تضربه اتركه، (دعه يضربْه) يعني إنْ تتركه يضربه. وأمّا الثانية (دعه يضربُه) هو يضربه الآن، وآخريريد أنْ يمسك الضارب عن الضرب، فيقول: لا دعه يضربه الفرق بين الاثنين أنه في الأولى لم يقع الضرب، وفي الثانية الضرب واقع.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)﴾

السؤال الأول:

هل هناك أكثر من طريقة وقف في الآية؟ وهل يختلف المعنى بسبب ذلك؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾ [القصص:٣٥] فيه معنيان:

أ- ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ عند الوقف على نهاية (إليكما)، ثم تستأنف: (بآياتنا أنتما).

ب- ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾ عند الوقوف على آياتنا، أي: بسبب آياتنا.

وهذا يسمى التوسع في المعنى.



﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ظاهرة تذكير الفاعل المؤنث في القرآن الكريم مثل كلمة (عاقبة)؟

الجواب:

تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم. فإذا قصدنا باللفظ المؤنّث معنى المذكّر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بالحمل على المعنى.

وقد جاء ذلك في قوله تعالى عن (العاقبة)، فتأتي بالتذكير مرة وبالتأنيث مرة أخرى، وعندما تأتي بالتذكير تكون بمعنى (العذاب)، وقد وردت في القرآن الكريم ١٢ مرة بمعنى العذاب؛ أي بالتذكير، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام:١١] و ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف:٨٤] و ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الصافات:٧٣].

وعندما تأتي بالتأنيث لا تكون إلا بمعنى (الجنّة)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص:٣٧].



﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة (اليم) ٨ مرات في قصة موسى عليه السلام وورود لفظة (البحر) ٨ مرات في القصة نفسها وورود لفظة (البحرين) مرة واحدة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٣٦.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله (الفرقان) في آية البقرة ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣]، ولم يذكره في سورة القصص ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص:٤٣] ما الفرق بين الكتاب والفرقان؟ ولماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٥٣.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ﴿ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

٢ـ ثم جاء موسى عليه السلام برزخاً بين عذاب الاستئصال من الله تعالى للمكذبين وبين رسالة محمد ﷺ حيث أمره الله بقتال الكفار والمكذبين دون أنْ ينزل عليهم عذاب الاستئصال؛ ذلك لأنّ رسالته عامة في الزمان وفي المكان، حتى تقوم الساعة، وهو ﷺ مأمون على حياة الخلق أجمعين.

وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**ما عذَّب الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية منذ أنزل الله التوراة على موسى**» رواه الحاكم.

وكأنّ عذاب الاستئصال انتهى بنزول التوراة، ولم يستثن من ذلك إلا قرية واحدة هي (أيلة) التي بين مدين والأردن، وهي القرية التي مُسخ أهلُها قردة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ هذه من خصائص الكتاب الذي أُنزل على موسى عليه السلام.



﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحرف (لولا) في قوله تعالى ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾؟ وما دلالة الآية بشكل موجز؟

الجواب:

١ـ لولا: حرف امتناع للوجود إنْ دخلت على الجملة الاسمية، نحو: لولا زيد عندك لزرتك.

وكما في هذه الآية ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ أي: لولا إصابتهم، ونحو: لولا دمشق لما كانت طليطلة.

٢ـ لولا: تفيد الحض والحث إنْ دخلت على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى في نفس الآية: ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧].

٣ـ الآية تفيد أنه لا عقوبة إلا بتجريم، ولا تجريم إلا بنص، ولا نص إلا بإعلام؛ لذلك تُنشر الأحكام في الجريدة الرسمية ليعرفها الجميع فتلزمهم الحجة، ولا يُعذر أحد بالجهل بالقانون ولا يُعفى من العقاب.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى في القصص٤٧: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [القصص:٤٧] وفي الإسراء ١٥ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]؟

الجواب:

في آية القصص ٤٧ جواب لولا محذوف، وتقديره: لولا أنّا إذا عذبناهم بمعاصيهم قبل الرسل، يقولون ذلك لعذبناهم، لكنْ يؤخر العذاب إلى ما بعد إرسال الرسل لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.



﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول:

في القرآن آية تتكرر دائماً ﴿ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] ما دلالتها؟

الجواب:

الهداية: هناك هداية إرشاد ودلالة، وهناك هداية معونة واتباع. فهداية الدلالة هي مثلما يقول الله سبحانه لمحمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] أي تبين الطريق الصحيح، فهذه هداية اهتداء، هداية الطريق الصحيح .

لكنْ كونك تهتدي بالاتباع أو لا فهذه ليست مسؤوليته ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، وإنما عائدة إلى الله وحده.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص:٥٦] و ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢]؟

الجواب:

١ـ الهداية نوعان: هداية إرشاد ودلالة، وهداية معونة.

ومهمة الرسل، ومنهم النبي ﷺ هي هداية الإرشاد والدلالة، أمّا هداية المعونة والتوفيق للإيمان فهي من الله تعالى وحده.

٢ـ فآية القصص٥٦ تنفي عن الرسول ﷺ معنى هداية المعونة والتوفيق للإيمان؛ لأنها مختصة بالله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]

أي:سمعوا الدلالة فأطاعوها، فزادهم الله هداية أخرى هي هداية الإيمان والمعونة.

٣ـ واستعمل مع الآية ﴿لَا تَهْدِي﴾، وليس (لن تهدي)؛ حتى يبين حقيقة مستمرة في الماضي والحاضر والمستقبل. أي: حقيقة أنه ليس من شأنك أنْ توصل الهداية إلى قلوب الناس فيؤمنوا؛ لأنّ هذا من اختصاص الله تعالى وفعله.

وإنما مهمته هي إبلاغ الناس ودلالتهم وإرشادهم إلى طريق الحق، كما هي مهمة الرسل بشكل عام.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت:١٧] أي: دللناهم على طريق رسلهم ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]؛ لذلك حُرموا هداية المعونة.

٤ـ أمّا آية الشورى فهي في هداية الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ المشيئة على من تعود؟

الجواب:

١ـ هناك مبدآن:

أ ـ الله سبحانه وتعالى مالك الملك، فإذا فعل شيئاً في ملكه لا يُسأل، وهو يتصرف في ملكه، فلا تسأله عما يفعل في ملكه جلّت قدرته. هذا المبدأ الأول.

ب ـ والأمر الآخر أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على إضلال كل من خلق ولا يُسأل، وهو قادر على هداية كل من خلق ولا يُسأل، وقادر على أنْ يمنح من خلق حرية الاختيار، وأنْ تكون لهم مشيئة.

٢ـ نحن من أين نعلم أننا من أي صنف؟ ممن شاء الله سبحانه وتعالى لهم أنْ يضلوا، أو ممن شاء الله لهم أنْ يهتدوا، أو ممن شاء الله لهم أنْ يكونوا مختارين؟ لا ندري. لكنّ إرسال الرسل ومجيء الكتب معهم والتذكير والتنبيه والإلحاح في طلب الهداية معناه أنك في الخانة التي هي ضمن مشيئة الله عز وجل في أنك ستختار.

٣ـ لنتصور أن هناك ثلاث خانات: خانة للمهتدين وهم الملائكة، وخانة للضالين وهم الشياطين، وخانة شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم هنا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠] إلا أنْ يشاء الله لك أن تكون ذا مشيئة يضعك في الخانة الوسط، فإذا كنت في الخانة الوسط لا تعتقد أنك تتصرف من غير إرادة الله سبحانه وتعالى.

الإنسان قد يقدّم أسباب الضلال، وقد يحجبه الله سبحانه وتعالى عن الوصول إلى نهاية الضلال - وله ذلك سبحانه – يقدّم أسباب الهداية، وقد يحجبه الله عز وجل عن الوصول إلى نهاية الهداية، لا يُسأل.

فمن هنا يأتي ربط المشيئة كاملة بالله سبحانه وتعالى، لكنّ الإنسان مطالب بأنْ يقدم أسباب الهداية ويتشبث بالخضوع لله سبحانه وتعالى أنْ يوفقه للوصول إلى آخر طريق الهداية.

٤ـ ولذلك: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ الفعل (يشاء) هنا يحتمل المعنيين: المعنى الأول: الذي يمضي في مشيئته نحو الهداية، والمعنى الآخر الذي يشاء الله سبحانه وتعالى له أنْ يصل إلى نهاية طريق الهداية؛ حتى لا ننفصل عن قدرة الله عز وجل وعن الخضوع لله سبحانه وتعالى.

والإنسان إذا قال: أنا اهتديت بنفسي، نقول كلا. أنت قدّمت أسباب الهداية لكنْ ما كان لك أنْ تصل لولا مشيئة الله سبحانه وتعالى، لكنْ لا تتوقع أنْ تقدم أسباب الضلال وتصل إلى نهاية الهداية.

٥ـ الشيء الطبيعي أنّ الإنسان إذا اتخذ أسباب الضلال سيصل إلى نهاية الضلال، وإذا اتخذ أسباب الهداية سيصل إلى نهاية الهداية بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ومن هنا نفهم ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء:٧٩]؛ لأنك في الحالين قدّمت الأسباب لكن ما كنت تستطيع أنْ تصل إلى نهاية الخير لولا مشيئة الله سبحانه وتعالى.

هذه صورة موجزة مختصرة ميسّرة.



﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣] وفي آية القصص قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[القصص:٥٩] كيف نطبق القاعدة؟

الجواب:

وجود الرسول ﷺ بينهم مانع للعذاب، لكنّ هذا المنع موقوت ببقاء الرسول ﷺ فيما بينهم، أمّا الاستغفار فقد جعله الله تعالى مانعاً ثابتاً والاستغفار يدفع العذاب ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال:٣٣] وبقاء الرسول ﷺ بينهم متغير ولو تركهم حق عليهم العذاب.

ونلاحظ من كرم الله تعالى أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣] فربنا يدفع العذاب ولو لم يكن الاستغفار صفة ثابتة فيهم لأنّ رحمته واسعة تسع كل شيء.

وفي آية القصص قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص:٥٩] فإذا كان الظلم صفة ثابتة، فإنه يفضي بهم إلى الهلاك لكنْ في الاستغفار حتى لو لم يكن ثابتاً يغفر الله تعالى من رحمته.

السؤال الثاني:

ما تسلسل أسماء القرى حسب كبر الحجم؟

الجواب:

هناك تسلسل في أسماء القرية حسب كِبَرها:

ـ نجع: وهو المكان الذي تسكنه أسرة واحدة.

ـ كَفر: لعدة أسر.

ـ قرية: للعديد من الأسر.

ـ أم القرى: وهي العاصمة أو المدينة الكبيرة في المنطقة، وكأنّ أم القرى لها حنان يشمل صغار البلاد حولها.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في القصص٦٠: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ﴾ وقوله في الشورى٣٦ ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الشورى:٣٦] بدون (زينتها) ما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية القصص: تقدمها ذكر الكفار وهم المغترون بزينة الدنيا من مساكن وأموال وخدم، فناسب ذلك ذكر ﴿وَزِينَتُهَا ۚ﴾، وختمها بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٢ـ آية الشورى: تقدمتها آيات نعم الله على عباده المؤمنين وهم لإيمانهم بالآخرة لا يغترون بزينة الدنيا، فناسب عدم ذكر الزينة، وختمها بقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢].

٣ـ زاد ﴿وَزِينَتُهَا ۚ﴾ في سورة القصص بخلاف آية سورة الشورى؛ وذلك لورود ذكرها في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ﴾ فالتحمت الآية بتلك القصة.

بينما لم يرد في كل سورة الشورى حال دنيوي واحد، بل تضمنت حقارة الدنيا ونزارة رزقها وأنه مقدور غير مبسوط، وتلك حال الأكثر.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف في الفاصلة بين الآيتين ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص:٧١] والآية بعدها ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص:٧٢]؟

الجواب:

لمّا كان الأمر يأتي عن طريق السماع قال: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ ولمّا كان الأمر مشاهداً يأتي عن طريق المشاهدة قال: أفلا تبصرون.

ولمّا ذكر الليل قال: أفلا تسمعون؛ لأنّ الليل السرمد لا يُرى فيه؛ ولأنّ الليل يصلح فيه السمع وهي الحاسة الوحيدة التي تبقى يقظة خلال النوم.

وأمّا في الآية بعدها لمّا ذكر النهار قال: (أفلا تبصرون) لأنه صالح للإبصار.

السؤال الثاني:

لِمَ قدم السمع على البصر في الآيتين (٧١)-(٧٢)؟

الجواب:

فى القرآن الكريم غالباً يتقدم السمع على البصر؛لأنّ من يسمعك أقرب إليك ممن يراك، وأنت ترى النجوم والكواكب والشمس والقمر وترى رجلاً من بعيد ولا تسمع صوته، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه:٤٦] فالسمع يشعر بالقرب والطمأنينة، وفي مجال الدعوة والتبليغ السمع أهم من البصر.

و كما فى حادثة الإسراء فقد كانت في الليل، والليل أداته السمع وليس البصر.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ۝٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٧٢﴾ [القصص:٧١-٧٢] كانت مراعاة الحالة، فناسبت الكلمة المسرح الذي تتحدث عنه.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الزمن في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٠.

السؤال الرابع:

ما دلالة استعمال أداة الشرط (إنْ) في الآية بدل (إذا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٠.

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾

السؤال الأول:

ما فلسفة النوم؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ فلسفة النوم عجيبة، فإننا لا نعرف كيف ننام، لكننا نعرف لماذا ننام. وهو لا يأتي بالاستدعاء؛ لأنّ النوم إن طلبته عنّتك وإنْ طلبك أراحك.

٢ـ الله جعل الليل والنهار محلاً للنوم ولابتغاء الرزق.

٣ـ في آية القصص قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٣] نجد أنّ الحق جمعهما معاً ثم ذكر تفصيل ذلك على الترتيب فقال: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في الليل، ثم قال: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: في النهار.

٤ـ هذا الأسلوب يُعرف في اللغة باللف والنشر. وهو أنْ تذكر عدة أشياء ثم تذكر بعدها الحكم عليها جملة وتتركه لذكاء السامع ليُرجع كل حكم إلى المحكوم عليه المناسب.

قال الشاعر:

قلبي وجَفني واللسانُ وخَالقي   راضٍ وباكٍ شاكرٌ وغفور

فجمع المحكوم عليه في ناحية. وهذا يسمى: اللف، ثم الحكم في ناحية أخرى، وهذا يسمى النشر.

ومعنى البيت أنّ القلب راضٍ والجفن باكٍ واللسان شاكر والخالق غفور.



﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال بين (أين) و(أي)؟

الجواب:

أين:

للسؤال عن المكان سواء كان استفهاماً حقيقياً، نحو: أين أخوك؟ أم مجازياً، كما في الآية: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [القصص:٧٤].

أي:

وهي بحسب ما تضاف إليه، فإنْ أضيفت إلى مكان كانت مكاناً، وإنْ أضيفت إلى زمان كانت زماناً، وإنْ أضيفت إلى غيرهما كانت بحسب ما أضيفت إليه.

* شواهد قرآنية:

- ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤].

- ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤].

- ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧].

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿مَفَاتِحُ﴾ في الآية؟

الجواب:

مفاتح: هي جمع (مِفْتَح)، وهو آلة الفتح، أو جمع (مَفْتَح) وهو الشيء الذي يقع عليه الفتح مثل الخزانة.

وكلا المعنيين مراد. فالله سبحانه يملك المفاتيح التي تفتح على الغيب والمراد بذلك علم الله بالغيب. وهو أيضاً الذي عنده خزائن الغيب والمراد به القدرة على سائر الممكنات.

والخزائن لا يوضع فيها إلا كل نفيس، وهو مخزون لأوانه، ولكل خزانة مفتاح.



﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المعنى العام للآية؟ وكيف الجمع في المعنى بين قوله تعالى في آية القصص ٧٨: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ وقوله تعالى في آية الحجر ٩٢: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر:٩٢]؟

الجواب:

١ـ المعنى العام أنّ اغترار قارون كان بماله وقوته، وردّ ذلك إلى العندية ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ بحيث رأى نفسه بها مستوجباً لكل نعمة، و هذا من الخطأ الجسيم، فالله سبحانه و تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه أضعافاً.

٢ـ الجواب على السؤال﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ يُحمل على وقتين، كما أنّ السؤال قد يكون للمحاسبة أو للتقرير والتبكيت أو للاستعتاب.

أي أنّ للآخرة مواطن فلا يُسأل في موطن ويُسأل في موطن. ففي مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد وإنما صمت عام، ويبقى الناس أربعين ألف سنة لا يتكلمون ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب. فهذه مشاهد قبل الحساب ثم يذهب الناس إلى آدم عليه السلام ثم إلى بقية الأنبياء، حتى يقول البعض: اللهم ارحمنا من هذا ولو إلى النار.



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص:٨٠] لماذا لم يقل: (أوتوا التقوى)؟ هل لأنّ أهل العلم الشرعي بالذات لديهم بصيرة ونور أكثر من أهل التقوى والصدق؟ أم هم الأقدر تمييزاً في هذا الاختيار المصيري بين الدنيا والآخرة؟

الجواب:

١ـ ذكرُ (أوتوا العلم) مناسب لما ادّعاه قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨]؛ لأنه ادعى أنّ ما حصل عليه هو من علمه، لكنّ هذا العلم الذي عنده أورده موارد الهلكة. أمّا الآخرون الذين أوتوا حق العلم فهم الذين يعرفون ماذا كان ينبغي أنْ يكون، وليس العلم الذي ادعاه قارون حتى أورده موارد الهلكة، فعلم هؤلاء بمقابل علم هذا الشخص الذي ادّعاه لنفسه.

٢ـ والأمر الآخر هو أنه ذكر الذين (أوتوا العلم)، ولم يذكر التقوى لئلا يُظن أنّ التقوى هي نقيض العلم، لو قال: أوتواالتقوى، فمعناه أنّ العلم لا ينفع.

ولو لم يذكر العلم وقال (التقوى) ستصبح التقوى بمقابل العلم، لكنّ التقوى ليست بمقابل العلم. العلم أيضاً يأتي بالتقوى وليس نقيضاً لها.

والذي يعلم حق العلم هو الذي ينجو؛ لأنّ المؤمن والمتقي قد لا يكون عالماً، وإذا لم يكن عالماً قد يقع في جهله ويقع في أمور هو لا يعلمها لكنْ الراسخون في العلم الذين يعلمون حق العلم هم المتقون فعلاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] فذكر العلم؛ لأنّ هؤلاء هم المتقون حقاً، وكلمة (أوتوا العلم) لم ترد في جميع القرآن إلا في المدح والثناء.

٣ـ إذن هذا الذي أوتي العلم حق العلم هو متقٍ وهو مؤمن، كما في الآيات: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧﴾ [الإسراء:١٠٧].

﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المعنى الدقيق لكلمة ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾؟

الجواب:

١ـ وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب، كأنّ: للتشبيه. وقد وردت في سورة القصص مرتين في قصة قارون عندما خسف به الله تعالى الأرض فقال القوم هذه الكلمة وكأنهم لا يتصورون هذه الخاتمة، فتعجبوا لمصير قارون، فجاءت كلمة (وي) التي تدل على المبالغة في التعجب، وهي من أسماء الأفعال، فالأمر الذي كان غائباً عن ذهنهم وجدوه أمامهم فقالوا: عجباً لهذا الأمر.

٢ـ ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ المشهور أنها كلمتان (وي) بمعنى أعجب و(كأنّ).

٣ـ هل تستخدم ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ في حالة معينة؟ نحن نستعملها فيما يدعو للعجب. (وي) نستعملها في العامية، نقول:وي وي، يعني: عجباً عجباً. وليس شرطاً أنْ تدخل (وي) على (كأنّ)، وليس بينهما ارتباط.

السؤال الثاني:

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب:

أحوالهم ثلاثة:

١ـ من يبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى، كما جاء في آية العنكبوت وهنا يأتي ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:٦٢].

٢ـ يوسع على قوم مطلقاً مثل حال قارون لا لكرامته، ويضيّق على قوم مطلقاً كالأنبياء الفقراء منهم لا لهوانهم، ويفهم هذا من سورة القصص.

٣ـ الإطلاق من دون تعيين بسط ولا قبض. أي مطلق من غير تعيين.



﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٤.

السؤال الثاني:

ما دلالات استخدام التعابير ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ ـ الحياة الدنيا ـ ﴿ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص:٨٥]؟ وما دلالة كلمة معاد؟ ولماذا لم يقل ميعاد؟

الجواب:

المعاد غير الميعاد.

١ـ المعاد هو بلد الرجل من العَوْد، وهو معاده؛ لأنه يسافر ثم يعود. هناك فرق بين المعاد والميعاد: المعاد من عاد والميعاد من وعد (موعاد: مفعال) أصلها (موعاد).

إذن (المعاد) من عاد من العوْد، والمعاد هو بلد الإنسان وهو معاده،أي البلد الذي يعيش فيه؛ لأنه مهما ذهب يعود إليه فهو معاده، وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ يعني لرادك إلى مكة.

٢ـ الآية نزلت في الجحفة، وهي بشارة له أنّه عليه السلام سيعود إلى مكة فالمعاد هو من العوْد من (عاد يعود).

٣ـ الميعاد من الفعل وعد، والميعاد هو الموعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد:٣١] يعني لا يخلف الموعد، ولا يصح أنْ يقال: لا يخلف المعاد.

وفي الآية: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ [هود:٨١] هذا موعد من ميعاد، وكذلك: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد:٣١] و ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ﴾ [الحج:٤٧]

قسم قال: المعاد هو الحشر، باعتبارأن الناس يعودون، أو الجنة؛ لأنه تعود إليهم حياتهم. ونقول: نعود إلى المعاد في الميعاد.



﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة(يُلقى) في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[القصص:٨٦]؟

الجواب:

١ـ الرسول ﷺ كان أمياً وكان ﷺ يعلم أنّ اليهود عندهم كتاب والنصارى عندهم كتاب. وهل الأمي يتوقع أنْ يكون نبياً؟ ما دام هناك كتب وهو لم يكن يقرأ فما كان يتصور أنْ يكون نبياً، لكنْ هناك منفذ لم يكن يتخيله ﷺ وهو أنْ يلقى القرآن إليه شفاهاً فما كان يتوقعه، فإذن هنا(يُلقى إليك) ليس بمعنى يرمى إليك، وإنما من الإلقاء.

ونحن إلى الآن نستعملها، نقول: ألقى فلاناً قصيدة جميلة، يعني: قرأها على مسامعنا شفاهاً.

٢ـ الآية تبين أنه ﷺ لم يكن يأمل أو يتوقع أنْ يكون رسولاً ينزل عليه كتاب وهو الأميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أكرمه بأنْ جعل الكتاب يُلقى إليه إلقاء فيسمعه ويبلّغه أمّته. وما كان يرجوالرسول ﷺ أنْ يكون نبياً، لكن هذا المنفذ

فوجئ به ﷺ وهو أنّ القرآن ألقي إليه إلقاء وهذا ينسجم مع ما ورد في الإنجيل أنّ أتباع النبي الخاتم أناجيلهم في صدورهم يحفظونها حفظاً. ولاحظ أنه ليس هناك كتاب يُحفظ غير القرآن. وأناجيلهم في صدورهم أي أنّ القرآن في صدورهم، وهذا مما لا يمحى أو يُحرّف.



﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] أين المستثنى والمستثنى منه؟ وما إعراب كلمة ﴿وَجْهَهُۥ﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ الوجه مستثنى من الشيء، فالمستثنى هنا ظاهر ﴿شَيْءٍ﴾ والمستثنى منه ﴿وَجْهَهُۥ﴾.

٢ـ يعرب ﴿وَجْهَهُۥ﴾ مستثنى منصوباً.



رابعاً ـ تناسب بداية القصص مع خاتمتها:

قال سبحانه في أول السورة:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢)﴾ [القصص:٢].

وقال في أواخرها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ فذكر الكتاب أولاً وآخراً، وقد ذكره في الأواخر بلفظ القرآن والكتاب، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥].

وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦].

ثم ذكر في أواخر السورة أنه رادّه إلى معاد أي إلى بلده، وذلك كما ردّ موسى إلى أمه، وذلك قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص:٧].

وكما ردّه إلى بلده بعد فراره إلى مدين.

وقال له في آخر السورة: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص:٨٦].

وذلك مناسب لما ذكره في أول السورة من قصة فرعون الذي ادعى الألوهية ثم أهلكه الله هو ومن كان ظهيراً له، وذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص:٤٠].

وهو مناسب لقول سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:١٧].

والله أعلم.



سورة العنكبوت

أولاً ـ تناسب خاتمة القصص مع فواتح العنكبوت:

١ ـ قال سبحانه في أواخر القصص:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص:٨٥].

قيل إنّ هذه الآية نزلت بالجحفة بعد أنْ خرج صلى الله عليه وسلم مهاجراً.

وقال في أول العنكبوت:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت:٢].

والهجرة إنما كانت من أثر الفتنة عليه ﷺ وعلى المؤمنين فقد فتن أهل مكة المؤمنين وأوذوا.

٢ ـ قال في أول العنكبوت:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٣].

وذكر في أواخر القصص فتنة قارون وعاقبته: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ﴾ [القصص:٧٦] إلى أن قال: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

فكانت قصة قارون مثلاً في الفتنة.

٣ ـ ذكر في آخر القصص من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة، فقال:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص:٨٤].

وذكرهما في أول العنكبوت، فقال:

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤﴾ [العنكبوت:٤].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٧].

وقد ذُكر أكثر من مناسبة في تتاليهما. جاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها بما قبلها أنه تعالى أخبر في أول السورة السابقة عن فرعون أنه: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ [القصص:٤].

وافتتح هذه بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل بكثير تسلية لهم بما وقع لمن قبله وحثّا على الصبر؛ ولذا قيل هنا: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت:٣].

وأيضا لّما كان في خاتمة الأولى الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ أي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾ [القصص:٨٥] على بعض الأقوال، وفي خاتمة هذه الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ [العنكبوت:٥٦]. ناسب تتاليهما)).

ثانياً ـ هدف السورة: جاهد الفتن:

سورة العنكبوت مكيّة وتدور آيات السورة حول الفتن وسنّة الابتلاء في هذه الحياة، وقد نزلت في وقت كان المسلمون يتعرضون في مكة لأقسى أنواع المحنة والشدّة. فالإنسان معرّض لأنْ يفتن في كثير من الأمور كفتنة المال والبنين والدنيا والسلطة

والشهوات والصحة والأهل، وهذا من تدبير الله تعالى؛ ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً، وليعلم صدق العباد، وليختبرهم في إيمانهم وصدقهم.

تبدأ السورة الكريمة تتحدث بصراحة عن فريق من الناس يحسبون الإيمان كلمة تقال باللسان، فإذا نزلت بهم محنة انتكسوا إلى جحيم الضلال وارتدوا عن الإسلام تخلصاً من عذاب الدنيا، وكأنّ عذاب الآخرة أهون. ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت:٢] وكذلك تأتي الآية الأخيرة في السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩]، تتحدث عن الفتن، وكأنّ في ذلك إشارة إلى أنّ الفتن مستمرة في حياة الناس.

عرض الفتن: التي قد يمتحن الله تعالى بها الخلق، وذكر كيفية مجاهدتها.

استعراض قصص الأنبياء: وكيف واجهوا الفتن وجاهدوها ابتداء من فتنة سيدنا نوح عليه السلام في قومه، وقد ذكرت الآيات مدة لبث نوح في أهله؛ لتأكيد استمرار الفتن على مرّ العصور، ثم تتحدث الآيات عن فتنة سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم لوط وشعيب، وتحدثت الآيات عن بعض الأمم الطغاة المتجبرين كعاد وثمود وقارون وهامان وغيرهم مع ذكر ما حلّ بهم من الهلاك والدمار. وفي هذه القصص كلها دروس من المحن والابتلاء تتمثل في ضخامة الجهد الذي يبذله الأنبياء وضآلة الحصيلة، فما آمن مع نوح إلا قليل.

تختم السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩] ببيان جزاء الذين صبروا أمام المحن وجاهدوا بأنواع الجهاد النفسي والمالي ووقفوا في وجه المحنة والابتلاء.

لماذا سمّيت السورة بـ (العنكبوت)؟: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾ [العنكبوت:٤١] ضرب الله تعالى لنا هذا المثل ليدلنا على أنه مثلما تتشابك وتتعدد خيوط العنكبوت التي ينسجها، كذلك هي الفتن في هذه الحياة متعددة ومتشابكة، لكنْ إذا استعان العبد بالله فإنّ هذه الفتن كلها تصبح واهية كبيت العنكبوت تماماً، كيف؟ لأنّ الدراسات العلمية أثبتت مؤخراً حقيقة علمية، وهي أنّ ذكر العنكبوت ما إنْ يلقّح الأنثى حتى تقضي عليه وتقطعه، ثم إذا كبر صغار العنكبوت يقتلون أمهم، فهو بحقّ من أوهن البيوت اجتماعياً. فسبحان الذي يضرب الأمثال وهو العليم الحكيم. ومَثَلُ العنكبوت هنا على عكس الأمثلة التي ضربها تعالى في النمل والنحل. فالنمل عبارة عن أمّة منظمة دقيقة رمز للتفوق الحضاري، وأمّا النحل فضربه الله تعالى لنا مثلاً للمطيع؛ لأنها لما أطاعت خالقها أخرج من بطونها العسل، سبحانه ما أعظم خلقه وما أحكم تدبيره!



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١.

السؤال الثاني:

لماذا لم يلتزم القرآن بنفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢؟

السؤال الثالث:

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢؟

السؤال الرابع:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

وهل هناك جدول إحصائي يربط بين التناسب في ذكر الكتاب أو القرآن في أول السورة وما يتردد من نفس الألفاظ في نفس السورة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الخامس:

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت:٢]؟

الجواب:

سأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله: أيهما أفضل للرجل أنْ يمكّن أو أن يبتلى؟

فقال الشافعي: لا يمكّن حتى يبتلى، فإنّ الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين، فلمّا صبروا مكّنهم فلا يظن أحد أنْ يخلص من الألم البتة.



﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام صيغة اسم الفاعل في كلمة (الكاذبين) و(المنافقين) في آيتي سورة العنكبوت٣ و ١١؟

الجواب:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٣] و ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت:١١]

فجاءت ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ و ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بصيغة الفعل، وجاءت كلمة ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ و﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل.

هناك قاعدة في اللغة، وهي أنّ الاسم أقوى وأثبت وأدوم من الفعل. والآية نزلت في قومٍ قريبي عهدٍ بالدين والتكاليف، (الذين صدقوا والكاذبين) و(الكاذبين) هم الأصل. أي: الكفرة، فهل صدقوا إيمانهم أم بقوا على حالهم؟ الكلام في عموم المنافقين الذين هم أحدث إيماناً.



﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿لَءَاتٍ﴾ في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ [العنكبوت:٥] وهل هي جواب الشرط؟

الجواب:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ [العنكبوت:٥]، وقال في سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

كلمة ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾ في آية سورة الكهف هي جواب الشرط. أمّا في آية سورة العنكبوت فكلمة ﴿لَآتٍ﴾ هي إجابة عامة، وليست للشرط فقط، والمقصود بها إرادة العموم. وهناك في القرآن أمثلة كثيرة على هذا النمط، مثل قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] فلا يكون الجواب منحصراً بالشخص المذكور، ولكنْ تأتي للعموم وهي أشمل. كما جاء في قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠] جاءت للعموم، ولم يقل تعالى (لا نضيع أجرهم) للأفراد، وكلمة (أجر) تفيد أنّ المذكورين دخلوا في المصلحين.

إذن كلمة ﴿لَآتٍ﴾ في آية سورة العنكبوت تجمع بين من كان يرجو لقاء الله ومن لم يكن يرجو لقاء الله جميعهم على وجه العموم.



﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

كيف يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد ﴿غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧] أو زيادته في الآيات ﴿لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦]؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحج ٦٤.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النحل ٩٧: ﴿بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ فجاء باسم الموصول (ما)، وفي آية العنكبوت٧ ﴿أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ فجاء باسم الموصول (الذي)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٩٧.



﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (وصّى) بالتشديد و(أوصى)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٢.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ ولمَ لمْ يقل: أبويه؟

الجواب:

الله تعالى في جميع القرآن إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين، مع العلم أنّ الوالدين مثنى (والد ووالدة) وغلّب المذكر الوالد. و(الأبوان) مثنى (أب وأم)، وغلّب المذكر الأب، فيقول:. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣] وهذه قاعدة عامة، كما في الآيات: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٤١] ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، ولم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين. أمّا (الأبوان) فيستعملها في مكان آخر، كما في آية المواريث ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء:١١]؛ لأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم، فاستعمل لفظة الأب.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف:٨٠] فليس فيها مقام ذكر البر؛ لذا قال (أبواه)، أمّا في الدعاء فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح:٢٨] ولا يستعمل الأبوين.

للمزيد انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الوالد والأب؟

الجواب:

التي تلد هي الأم والوالد من الولادة والولادة تقوم بها الأم، وهذه إشارة إلى أنّ الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد. لكنْ في المواريث حيث إنَ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء:١١]. ففي الأموال يستعمل (الأبوين) وفي الدعاء يستعمل (الوالدين).

السؤال الرابع:

ما الفرق في الاستعمال بين ﴿حُسْنًا﴾ و ﴿إِحْسَٰنًا﴾ في آيات العنكبوت ٨ والأحقاف١٥ و لقمان ١٤؟

الجواب:

في آية العنكبوت ٨ قال تعالى: ﴿حُسْنًا﴾، وفي آية الأحقاف١٥ قال: ﴿إِحْسَٰنًا﴾، وأمّا في آية لقمان ١٤ فلم ترد إحساناً ولا حسناً.

١ـ المراتب: الإحسان أكرم من الحُسن، فأنْ تعاملَ الإنسان حسناً أمر عادي، لكنْ أنْ تحسن إليه فهذه مرتبة أعلى من الحسن.

٢ـ قال في لقمان: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤]، ثم قال: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان:١٥]، بينما في العنكبوت قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾.

فقوله تعالى في آية لقمان ١٥ ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ فيها تعهد وشرط، كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القصص:٢٧]، ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ ففيها اشتراط.

٣ـ الوالدان في آية لقمان أشد كفراً، ويشترطان عليه الكفر ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ [لقمان:١٥]، أمّا في العنكبوت ﴿لِتُشۡرِكَ بِي﴾ اللام هنا للتعليل؛ لذلك ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أقوى بسبب التشرط، وكذلك فيها معنى الاستعلاء.

فلمّا كان في العنكبوت أقل المجاهدة قال: ﴿حُسۡنٗاۖ﴾؛ لأنها ليست كالتي في لقمان.

٤ـ في لقمان قال: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥] وأكثر وصية لقمان هي في المصاحبة، نحو: مصاحبة الأب لابنه ينصحه ويعلمه ومصاحبة الابن لأبيه، ومصاحبته مع الناس؛ ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأكثر وصية لقمان هي في المصاحبة، وكيف يتعامل مع الآخرين: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٧-١٨-١٩].

أمّا في سورة العنكبوت فما دامت المسألة أقل من ذلك فقد استحقا الحُسن في المعاملة، فلم يقل: صاحبهما.

وأمّا في سورة الأحقاف فلم يجاهداه على شيء ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ [الأحقاف:١٥] هذان أبوان مؤمنان و ذكر حالتهم.

٥ـ في لقمان قال: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [لقمان:١٤] ولم يذكر الوضع وإنما ذكر الحمل فقط، بينما في الأحقاف ذكر الحمل والوضع، فقال: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾

[الأحقاف:١٥] وهنا الحالتان كره؛ لذلك ألا يستحق الأبوان الإحسانَ؟ وهما مؤمنان ومستمران ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف:١٧] إذن هذان الأبوان مؤمنان؛ لذا استحقا الإحسان وهو أعلى درجة من الحسن.

أمّا في العنكبوت فاستحقا الحسن في المعاملة، وفي لقمان لمّا جاهداه مجاهدة قوية قال: صاحبهما.

٦ـ للمزيد انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (سنة) و(عام) في قوله تعالى في قصة نوح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة سنة في القرآن تدلّ عادة على الجدب والقحط. ويقال: أسنت الناس إذا أصابهم قحط. ويقال: أصابتنا سَنَة، بمعنى جدب وقحط. أمّا كلمة (عام) فهي عادة تستعمل في الخير في الغالب. وفي قصة نوح عليه السلام يقول المفسرون: إنه لبث في الدعوة ٩٥٠ سنة مع قومه بشدة وصعوبة وتكذيب له واستهزاء به، أمّا الخمسون عاماً

فهي ما كان بعد الطوفان، حيث قضاها مع المؤمنين في راحة وطمأنينة وهدوء بعيداً عن الكافرين من قومه الذين أغرقهم الله بالطوفان.

أو ربما في قصة نوح، كأنّ الخمسين عاماً هي الخمسون الأولى من حياته التي كان مرتاحاً فيها، وبقية السنين الـ ٩٥٠ كان في مشقة معهم حتى بلغ أن يقول: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾[نوح:٢٧] وهذه تجربته.

٢ـ العام هو لما فيه خير، والسنة لما فيه شر. والعلماء يقولون: هو الغالب وليست مسألة مطلقة. وقوله تعالى: ﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ [يوسف:٤٧] ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾[يوسف:٤٩] الزرع فيه جهد في هذه السنين.

فهذا هو الغالب، ومن أراد أنْ يلتزم الاستعمال القرآني يحرص على استعمال السنة في الجدب والقحط والعام لما فيه خير، لكن إذا وجد شاعراً يستعمل نصاً عن السنة بشكل مختلف فلا يستغرب.

٣ـ الرسول ﷺ في حديث لا ندري مداه من الصحة قال: «**اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف**» أي سنوات قحط وشر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين عام وسنة وحول وحجج؟

الجواب:

أشهر ما قيل فيها:

١ـ السنة: تستعمل للقحط، والعام: للخصب والرخاء.

* شواهد قرآنية:

الأعراف ١٣٠: [أسنت الناس، أي: أصابهم القحط].

يوسف ٤٩: [بمعنى الخصب والرخاء].

العنكبوت ١٤: [ألف سنة فيها شدة، وارتاح خمسين سنة].

٢ـ الحول: هو من التحول وانقلاب الشمس وحدوث صيف وشتاء، ولمّا صار صيفاً وشتاء صار حولاً، واستعمله القرآن في الطلاق والموت فقط فالموت حاجز، والطلاق حاجز.

* شواهد قرآنية:

البقرة ٢٤٠: السياق في الموت.

البقرة ٢٣٣: السياق في المطلقات، والطلاق تحول في الحياة.

لقمان ١٤: لم يقل عامين؛ لأنّ الموت تحول في الحياة.

وقوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود:٤٣] جاءت كلمة (حال)؛ أي: حجز الموت بينهما.

٣ـ الحجج: الحجة بمعنى السنة، والحج يأتي مرة في السنة فيأتي الحاج لزيارة البيت الحرام، ويقوم بمناسك معينة، ثم يعود الزائر إلى بيته.

وموسى عليه السلام التجأ زائراً إلى مدين وليس إقامة فيها، ثم عاد بعد سنوات؛ ولذلك ناسب لفظ (حجج)، ولا تدل كلمة سنة أو عام على الزيارة. انظر آية القصص ٢٧.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

ماالفرق بين السفينة والفلك في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٤.



﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التعبيرين ﴿سِيرُوا﴾ و﴿آمْشُوا﴾؟ وما الفرق بين السير والمشي؟

الجواب:

يقال: سار القوم إذا امتد بهم السير في جهة ما توجهوا إليها، وأمّا المشي فلانتقال الخطى، وإن كانت قليلة، وهو على الأرجل.

والسير قد يكون للسفر وللتجارة وللضرب في الأرض وللاعتبار ولغير ذلك على أن يكون ممتداً.

السير:

قال تعالى:

- ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩] وهو سير ممتد للعودة إلى مصر.

- ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨﴾ [سبأ:١٨] وهو سير متطاول ممتد يستغرق ليالي وأياماً.

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] وهو سير للعبرة.

- ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠] وهو سير للعبرة.

المشي:

قال تعالى:

- ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥]

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠]



﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝٢١﴾

السؤال الأول:

تقديم أو تأخير الرحمة والعذاب؟

الجواب:

في كثير من الآيات التي جمعت ذكر الرحمة والعذاب يبدأ بذكر الرحمة قبل العذاب، كما يظهر من الآيات: [المائدة ١٨ وفصلت ٤٣ وغافر ٣] وهذا ينطبق على القاعدة التي بيّنها الحديث القدسي «**إن رحمتي سبقت غضبي**».

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمةُ فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً، ومن ذلك:

١ ـ آية المائدة ٤٠؛ وذلك لأنها وردت في سياق ذكر قطاع الطرق والمحاربين والسرّاق، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب، حيث وردت هذه الآية بعد قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٣٢ التي قدّم فيها القتل على الإحياء، ثم الآية ٣٣ في ذكر جزاء قطاع الطرق والمحاربين.. ثم جاءت الآية ٣٨ في ذكر جزاء السراق، ثم جاءت الآية ٤٠ فكان من المناسب ههنا تقديم العذاب على المغفرة.

٢ ـ وكذلك قدّم العذاب على الرحمة في آية العنكبوت ٢١؛ وذلك لأنها في سياق إنذار إبراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه، وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا، فقد أنذر إبراهيم قومه في الآية ١٧، ثم هددهم بالعذاب إنْ كذبوه في الآيات:[١٨ و ٢٢ و٢٣]، فاقتضى السياق تقديم العذاب هنا.



﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في العنكبوت٢٢: ﴿بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾، وفي الشورى ٣١: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ بغير ذكر السماء، فلماذا؟

الجواب:

١ـ إنّ جو سورة العنكبوت إنما هو في ذكر الأمم الكافرة وموقفهم من رسلهم، فقد ذكر فيها أقوام نوح وإبراهيم ولوط ومدين وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، فناسب ذلك شدة التهديد والتحذير فيها. انظر آيات العنكبوت (١٧ـ ٢٣).

ولم يذكر شيئاً من ذلك في سورة الشورى، فأكثره في المؤمنين أو هو عام، انظر آيات الشورى: ٢٣ـ٢٥ـ٢٧.

٢ـ الخطاب في آية العنكبوت لقوم إبراهيم عليه السلام ومن في زمانهم من الكفار، ومنهم نمرود الذي كان يعتقد أنه بإمكانه أنْ يصعد للسماء فقال تعالى: ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: للذين يعتقدون القدرة على صعودها.

٣ـ وأمّا في آية الشورى فالخطاب للمؤمنين، والمؤمنون لا يعتقدون القدرة على ذلك، فناسب ترك ذكرها.

٤ـ ذكر تعالى في آية العنكبوت ٢٠ قدرته بما هو أعم وأشمل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

بينما ذكر شيئاً من مظاهر قدرته في الشورى ٢٩ بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ وهذا لا شك جزء من قدرته.

ولذلك ذكر في العنكبوت ما هو أعم مما في الشورى وهو السماء والأرض، وذكر جزءاً من ذلك في الشورى وهو الأرض، فناسب العمومُ العمومَ والتخصيصُ التخصيصَ.

٥ـ ذكر الله في الشورى من مظاهر مغفرته وعفوه ولطفه ما لم يذكره في العنكبوت، فقال:

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥]، وهذا من رحمة الله بمن في الأرض، فقد جعل الملائكة يستغفرون لهم، وناسب هذا ذكر الأرض في آية الشورى ٣١، وكذلك ذكر المغفرة في الآيات [١٩ـ ٢٣ـ ٢٥ـ ٢٨ـ ٣٠ـ٣١.].

بينما لم يرد في العنكبوت ذكر للمغفرة أو العفو، وإنما ذكر التهديد والتوعد، كما في الآيات [٢ـ٤ـ٥٣ـ٦٦].

٦ـ من الناحية اللفظية: تردد ذكر لفظ السماء والأرض في السورتين حسب الجدول التالي:

السورة	السماء	الأرض	اختيار اللفظ في السورة
العنكبوت	٣	٥	السماء
الشورى	-	١٠	الأرض

فناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه من كل جهة. والله أعلم.

٧ـ سياق الكلام في سورة العنكبوت في تكذيب الأنبياء ومحاربة الرسل ومعاقبة الله لهؤلاء الأقوام، فكان من المناسب أنْ يزيد لهم في القول ويبسط لهم في التحدي، ويخبرهم أنهم ضعفاء حتى لو بلغوا السماء وصعدوا فيها.

أمّا آية الشورى فإنها وردت في سياق ما يصيب الإنسان من مصائب وفي نعم الله تعالى في الأرض. انظر الآيات [٢٨ ـ ٣٠].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (أنجى) و(نجّى)؟

الجواب:

هناك فرق بين فعّل وأفعل: (فعّل) فيها تمهل وتلبّث، بينما (أفعل) فوقتها أسرع وأقصر وأقل؛ لذلك (نجّى) يفيد التمهل والتلبّث والبقاء، مثل علّم وأعلم؛ لأنّ (علّم) تحتاج إلى وقت، أمّا (أعلم) فهو إخبار.

و موسى عليه السلام يعدد النعم عليهم، فقال: ﴿أَنجَىٰكُم﴾ [إبراهيم:٦] فأنهى الموضوع بسرعة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة:٥٠]؛ لأنهم لم يمكثوا في البحر طويلاً فقال: (أنجيناكم)، وحتى في إبراهيم عليه السلام قال: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ [العنكبوت:٢٤] ولم يقل: نجّاه؛ لأنه لم يلبث كثيراً في النار.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية العنكبوت ٢٤: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وفي آية العنكبوت ٤٤ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فجمع الآيات في الأولى وأفرد في الثانية. فما السبب؟

الجواب:

١ـ المراد في الآية ٢٤ قصة إبراهيم عليه السلام وما فيها من تفاصيل أحواله مع أبيه وقومه، فجمع الآيات.

٢ـ وفي الثانية ٤٤ المراد خلق السماوات والأرض فقط دون تفاصيل فأفرد.



﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾

السؤال الأول:

في سورة العنكبوت: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت:٢٦] لم يقل: (آمن به)، فلماذا؟

الجواب:

(آمن له) أي استجاب له، وتستعمل للأشخاص. والقرآن يستعملها مع الأشخاص ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف:١٧] وأمّا في الله والعقيدة فيستعمل الباء ﴿ءَامَنَ بِهِۦ﴾ و ﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ فالباء تستعمل ليس مع الشخص، وإنما لله تعالى.



﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾

السؤال الأول:

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول في الآية [١٢٥].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [العنكبوت:٢٧] ما دلالات استخدام التعابير: (الدنيا) ـ (الحياة الدنيا) ـ (الآخرة) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.



﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة العنكبوت ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[العنكبوت:٢٩] لماذا قال (ناديكم)، ولم يقل شيئاً آخر؟

الجواب:

النادي مكان اجتماع الناس من الفعل (ندا يندو). يقال: ندا القوم، أي دعاهم إلى الاجتماع في مكان. ومن ذلك: (تنادوا)، كأنّ كلاً نادى صاحبه إلى هذا المكان، ومنه دار

الندوة التي ينتدون فيها، يعني: مكان الاجتماع، وهي عامة من جهة، وخاصة من جهة؛ لأنها منحصرة فتكون لمن يندو بعضهم بعضاً.

وهذا الاجتماع هو لجمع من الناس، فكأنما الله تعالى يريد أنْ يرينا كيف أنّ هؤلاء تمادوا في مجاهرتهم بالفاحشة، بحيث إنهم في هذا النادي يعملون المنكر الذي ما سبقهم به من أحد من العالمين. وهذا منتهى إشاعة الفاحشة والجرأة وسوء الخلق، فقال: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩] يعني بهذه المهاجرة؛ ولذلك أنزل الله سبحانه وتعالى بهم عقابه. فهم لا يستخفون ولا يستترون في هذا المكان لإظهار مدى مجاهرتهم بالفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وهو إتيانهم الرجال.

وكأنّ الله تعالى يريد أنْ يرينا مجاهرة قوم لوط بالفاحشة، بحيث يمارسونها مجاهرة في النادي أمام بعضهم، مثل نوادي العراة في البلاد الغربية، وفي هذا إظهار لمدى الجرأة في مجاهرتهم بإتيان الذكور، وهي الفاحشة التي ابتدعوها ما سبقهم بها من أحد من العالمين، فاستحقوا العذاب من الله سبحانه.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة المسارعة والتسابق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الأعراف٨٢ في قصة لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾، وقال في العنكبوت٢٩: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ ولفظة﴿إِلَّآ﴾ للحصر، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

لعلّ ذلك في مجالس متعددة، ففي مجلس اختصر بذكر إتيان الفاحشة فناسب ذكر إخراجه كيلا يعيب عليهم.

وفي مجلس آخر عدّد ذنوبهم فناسب مطالبتهم بسخرية بإتيان العذاب عليهم فحصر الجواب في كل مجلس بما ذُكر فيه وناسبه.

وقد يكون أنّ الجوابين من طائفتين فلم تجيبا إلا بما ذُكر عنهما. والله أعلم.



﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (٣١)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الصيغة الاسمية في الآية ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾؟

الجواب:

١ ـ قال في آية البقرة٣٠: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة:٣٠] فهو لم يجعله بعد، ولكن ذكره بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أنّ الأمر حاصل لا محالة فكأنه تم واستقر وثبت.

٢ ـ قال في آية هود٣٧: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ لم يقل سأغرقهم أو إنهم سيغرقون، ولكنه أخرجه مخرج الأمر الثابت، أي كأنّ الأمر قد استقر وانتهى.

٣ ـ قال في العنكبوت٣١ على لسان الملائكة: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ﴾ ولم يقولوا: سنهلك، فذكرها بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات.



﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا﴾ ما دلالة الحرف ﴿أَن﴾ في الآية؟

الجواب:

لفظة ﴿أَن﴾ عند النحاة يسمونها زائدة، وهذا من حيث الإعراب مثل (الباء) الزائدة و (ما) الزائدة.

أمّا من الناحية البيانية:

أ ـ في سورة يوسف عليه السلام، فقد كان أبوه يستطيل المسألة وحزن يعقوب عليه كثيراً، وبعد مدة طويلة قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [يوسف:٩٦] ففصل بين لمّا والبشير بالحرف (أنْ) إشارة إلى طول المدة.

ب ـ وفي قصة لوط في سورة هود ضاق لوط عليه السلام بقومه ذرعاً وقوله تعالى ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ﴾ كأنه استطال المسألة، ولمّا قال: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١] كأنه اعترض أَإلى الصبح؟ وكأنه استطال الوقت.

ج ـ وهنا أيضاً في سورة العنكبوت ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت:٣٣] وكأنه استطال الوقت، ففصل بين لمّا و جاءت رسلنا بـ (أنْ) والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة (ذرع) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [العنكبوت:٣٣] في سورتي هود والعنكبوت؟

الجواب:

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود:٧٧]، وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت:٣٣].

من حيث المعنى العام (الذرع) في اللغة هو الوسع والطاقة والإمكانية. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ بمعنى: لا طاقة له بهم. وأصل التعبير (ضاق ذرعاً) أي مدّ ذراعه ليصل إلى شيء فلم يستطع، إذن (ضاق ذرعاً) بمعنى: لم يتمكن.

السؤال الثالث:

جاء في سورة هود قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود:٧٧] بدون (أنْ)، بينما وردت في سورة العنكبوت ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت:٣٣] مع ذكر (أنْ)، لماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٧٧.



﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وأحيانا يقول: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ كما في آية الشعراء ١٧٧ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٨٥.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة زيادة ألف كلمة ثمود؟

الجواب:

انظر الجواب في آية هود ٦٨.

السؤال الثاني:

لماذا قدّم في الآية عاداً على ثمود.

الجواب:

لأنّ عاداً أسبق من ثمود، فكان التقديم حسب القدم في الوجود.

السؤال الثالث:

ما دلالة نسب التزيين إلى الشيطان في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ترتيب الأسماء في قوله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت:٣٩] وقوله تعالى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر:٢٤]؟

الجواب:

١ـ الفكرة العامة في طريقة القرآن في الآيتين أنّ ما أخّره لا يأتي على ذكره في السورة. ففي سورة العنكبوت أخّر هامان، وهامان لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية، وفي آية غافر أخّر قارون الذي لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية.

٢ـ في سورة العنكبوت قدّم قارون على فرعون، لماذا؟ لأنه إذا لاحظنا السياق في السورة وفي الآية التي سبقت الآية موضع السؤال ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت:٣٨] نجد أنّه ورد في آخرها كلمة ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ وهي عن قوم عاد وثمود،

وقارون كان مستبصراً، فقد كان من قوم موسى فبغى عليهم، أي أنه كان يعرف الحق مستبصراً به، فجاء ذكره أولاً؛ لأنه يدخل مع المستبصرين في الآية التي سبقت.

٣ـ ثم إنّ الترتيب جاء مناسباً لترتيب العقوبة في السورة عقاب قارون أولاً ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت:٤٠] ثم فرعون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت:٤٠] فالعقوبات ترتبت بموجب الذِكر، فالسياق إذن مناسب للعقوبات التي ذكرها، ولا يصح غير هذا الترتيب من الناحية الفنية.

٤ـ أمّا في سورة غافر فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [غافر:٢٣] ونسأل: لمن أرسل موسى؟ لفرعون فناسب أنْ يكون فرعون أول المذكورين في الآية التي بعدها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٤].

والسياق في السورة يدور حول فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر:٢٦] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ [غافر:٢٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر:٣٦] أمّا قارون فهو خارج السياق.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾:

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ [العنكبوت:٤١] هل العنكبوت مذكر؟ ولماذا (اتخذت) بتاء التأنيث؟

الجواب:

العنكبوت في اللغة يستعمل للمذكر وللمؤنث، فتقول: هذا عنكبوت وهذه عنكبوت. والعنكبوت (اتخذت) استعمل المؤنث؛ لأنّ الأنثى هي التي تقوم بعمل البيت وليس الذكر، حتى قالوا هذا من الإعجاز.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين: (مِثْل) بكسر الميم و(مَثَل) بفتح الثاء و(المثلات)؟

الجواب:

١ ـ لفظة (مِثْل) بكسر الميم وسكون الثاء، معناه التشبيه، لكنْ تشبيه مفرد بمفرد، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١] وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠].

٢ ـ لفظة (مَثَل) بفتح الثاء تعني تشبيه قصة أو متعدد بمتعدد، قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف:٤٥] وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ [آل عمران:٥٩] واعترض بعضهم بأنّ (مَثَل) في آية آل عمران ٥٩ جاءت تُشبه مفرداً بمفرد، والحقيقة أنّ التشبيه هو قصة خلق آدم بقصة خلق عيسى، حيث خُلق كلاهما من غير

أب، حتى أنّ ذلك موضح في تتمة الآية ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران:٥٩].

٣ ـ لفظة (المثُلات) جمع (مَثُلة)، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد:٦] وهي العقوبات التي حاقت بالأمم المكذبة حتى جعلتها عبرة لغيرها.

فإذا اشتهر المثَل انتشر على الألسنة وضربه الناس مثلاً، ويُقال كما هو بدون تغيير سواء كان للمفرد أم المثنى أم الجمع المذكر أو المؤنث، نحو: ما وراءكِ يا عصامِ؟ بالكسر؛ لأنها قيلت في أصل المثل لامرأة.

السؤال الثالث:

ما دلالة ضرب الأمثال في القرآن؟

الجواب:

لقد ضرب القرآن لنا عدة أمثلة للتوضيح والبيان ولتقريب المسائل إلى عقولنا، وليس لنا أنْ نسأل: ماذا أراد الله بهذا؟ لأنّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] أي: ما دونها صغراً لبيان أنّ عظمة الخالق كما تكون بالشيء الأكثر ضخامة تكون كذلك بالشيء الأقل حجماً الأكثر دقة.

السؤال الرابع:

ما الوقفات اللغوية في الآية؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾عادة يكون للبيت جدران حائلة وسقف مظل وباب يغلق وأمور ينتفع بها، فالجدران حائل يمنع من البرد والسقف مظل يدفع عنه الحر، فإذا لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء.

٢ـ اللام في ﴿لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾للاستغراق، أي: أنّ حال المتخذين لهم من دون الله أولياء مثل حال العنكبوت في اتخاذها لنسجها بيتاً.

٣ـ جملة ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾حالية؛ لأنه من تتمة التشبيه.

٤ـ العنكبوت معروف، والذكر عنكب، والمؤنث عنكبة، والجمع عناكب وعنكبوتات. وقيل: التاء في العنكبوت زائدة، وهو يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، لكنّ الغالب عليها التأنيث.

السؤال الخامس:

ما المعنى العام للآية؟

الجواب:

١ـ مثّل الله تعالى اتخاذ المشركين الأوثان أولياء باتخاذ العنكبوت نسجه بيتاً ولم يمثله بنسجه؛ وذلك:

أـ أنّ نسجه فيه فائدة له، فهو قد جعله مصيدة للحشرات؛ ليستفيد منها ويأكل مما يصيد، بينما اتخاذ الأوثان أولياء يفوّت عليهم خير الآخرة التي هي خيرٌ وأبقى، فليس اتخاذهم الأوثان أولياء كاتخاذ العنكبوت نسجها مصيدة.

ب ـ أنّ نسجه مفيد، لكنّ اتخاذها له بيتاً هو أمر باطل؛ لأنّ هبة ريح شديدة واحدة قد تودي بالعنكبوت وبيتها، أي أنّ خطأ العنكبوت ليس في اتخاذ نسجه مصيدة وإنما في اتخاذه بيتاً. وكذلك الكفار اتخذوا الأصنام آلهة ولو اتخذوها دلالةً على قدرة الحق في الخلق لكان أنسب وأجدى لكنهم اتخذوها أولياء كجعل العنكبوت النسج بيتاً وكلاهما باطل.

٢ ـ كما أنّ بيت العنكبوت تهدمه هبة ريح أو تقطعه، وربما تقتل العنكبوت نفسها، فكذلك أعمال المشركين بعبادة الأوثان مصيرها هباء كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣] وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم:١٨].

٣ ـ معنى ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: لو يعلمون حقيقة الأشياء فشبكة العنكبوت لا تصلح بيتاً، ولكن تصلح مصيدة للحشرات، وكذلك الأصنام والأحجار لا تنفع لأنْ تكون آلهة تُعبد، إنما لأنْ تكون دلالة على قدرة الخالق عز وجل. ولو فكروا فيها وفي أسرار خلقها لاهتدوا من خلالها للإيمان.

وبيان ذلك أنّ الجماد خادم الحيوان والنبات، وكلاهما خادم للإنسان لذلك فالجماد هو خادم الخدامين، ومع ذلك جعلوا الحجارة آلهة تعبد بدل أنْ يتأملوا في الآيات الدالة على قدرة الخالق فيعبدوه وحده لا إله إلا هو.

السؤال السادس:

ما اللطائف العددية في سورة العنكبوت؟

الجواب:

المعلومات العددية:

أولاً: ترتيب سورة العنكبوت ٢٩ ـ رقم الجزء ٢١ ـ عدد آياتها ٦٩. رقم الآية التي تكلمت عن بيت العنكبوت ٤١.

١ـ عدد كلمات آية العنكبوت (٤١) هو ١٩ كلمة أي يساوي أحرف البسملة، وهو العدد المعجز في القرآن في الدراسات العددية.

٢ـ تكرر حرف الألف في السورة ـ ٧١٥ ـ مرة و اللام ـ ٥٥٤ ـ مرة و الميم ـ ٣٤٤ ـ مرة ـ وهذا يخص فاتحة السورة (الم).

ثانيـاً: سورة العنكبوت تبدأ بـ (ألم)، وهي من الأحرف النوارنية التي تبدأ بها بعض سور القرآن، ويجمعها قولك: طرق سمعك النصيحة.

ثالثـاً: عدد سور الفواتح هو (٢٩) سورة وتقع سورة العنكبوت في المنتصف بحيث يسبقها أربع عشرة سورة ويتبعها أربع عشر سورة:

وبيان ذلك في الجدول التالي:

مسلسل	ترتيب السورة في المصحف	السورة	فاتحة السورة
١	٢	البقرة	الم
٢	٣	آل عمران	الم

٣	٧	الأعراف	المص
٤	١٠	يونس	الر
٥	١١	هود	الر
٦	١٢	يوسف	الر
٧	١٣	الرعد	المر
٨	١٤	إبراهيم	الر
٩	١٥	الحجر	الر
١٠	١٩	مريم	كهيعص
١١	٢٠	طه	طه
١٢	٢٦	الشعراء	طسم
١٣	٢٧	النمل	طس
١٤	٢٨	القصص	طسم
١٥	٢٩	**العنكبوت**	الم
١٦	٣٠	الروم	الم
١٧	٣١	لقمان	الم
١٨	٣٢	السجدة	الم
١٩	٣٦	يس	يس
٢٠	٣٨	ص	ص

٢١	٤٠	غافر	حم
٢٢	٤١	فصلت	حم
٢٣	٤٢	الشورى	حم عسق
٢٤	٤٣	الزخرف	حم
٢٥	٤٤	الدخان	حم
٢٦	٤٥	الجاثية	حم
٢٧	٤٦	الأحقاف	حم
٢٨	٥٠	ق	ق
٢٩	٦٨	القلم	ن

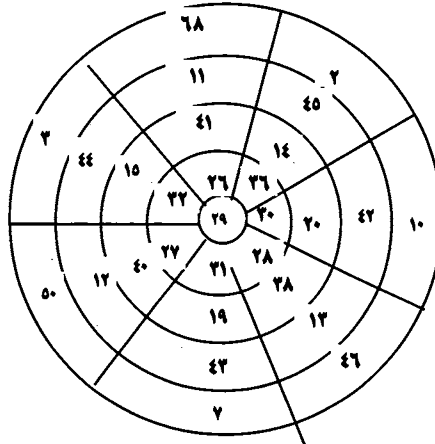
وهذا الأمر يعطينا إمكانية رسم شكل عنكبوتي بأنْ نرسم سبعة أضلاع وأربع دوائر، وتكون البؤرة رقم سورة العنكبوت أي: (٢٩)، ونضع الأرقام لسور الفواتح حسب الترتيب القرآني ووفق بعدها عن البؤرة أي عن سورة العنكبوت ٢٩، وللتبسيط وضعت هذه الأرقام للدوائر كالتالي:

الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	البؤرة	المجموع
١٠	٤٢	٢٠	٣٠	٢٩	١٠٢
٤٦	١٣	٣٨	٢٨		١٢٥
٧	٤٣	١٩	٣١		١٠٠
٥٠	١٢	٤٠	٢٧		١٢٩

٩٤		٣٢	١٥	٤٤	٣
١٤٦		٢٦	٤١	١١	٦٨
٩٧		٣٦	١٤	٤٥	٢
٧٩٣المجموع	٢٩	٢١٠	١٨٧	٢١٠	١٨٦

اللافت للانتباه تساوي المجموع في الدائرتين: الثانية والرابعة، أمّا الثالثة فتزيد ١ عن الدائرة الأولى، ولهذه الزيادة فائدة تتعلق بالعدد ١٩.

وحتى يكون الشكل عنكبوتياً نقوم بكتابة الأعداد دائرياً في الدوائر الأربعة، ثم نجمع الأرقام للأضلاع السبعة وإجمالي الدوائر، ثم نضيف ٢٩ الذي هو ترتيب السورة أو هو دائرة البؤرة فيكون المجموع هكذا [٧٩٣+٧٩٣+٢٩] ويساوي إلى ١٦١٥ ويساوي إلى٨٥ X ١٩. انظر الشكل التالي:



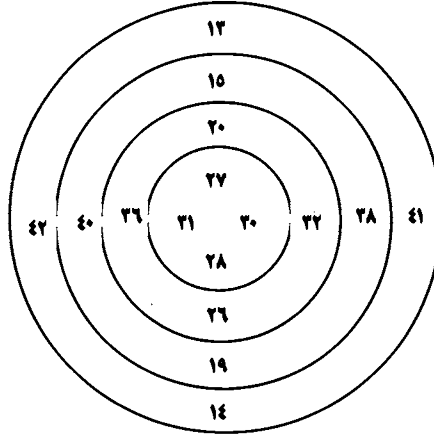
رابعاً: يلاحظ أنّ هناك ٣ سور من سور الفواتح قبل سورة العنكبوت جاءت أرقامها متسلسلة وكذلك بعدها، وبيان ذلك:

رقم الترتيب في المصحف	السورة	الفاتحة
٢٦	الشعراء	طسم
٢٧	النمل	طس
٢٨	القصص	طسم
٢٩	**العنكبوت**	الم
٣٠	الروم	الم
٣١	لقمان	الم
٣٢	السجدة	الم

خامساً: يلاحظ أنّ هناك ٨ سور قبل سورة العنكبوت تبدأ بسورة الرعد التي فاتحتها (المر)، وهي السور ذات الترتيب: [١٣ـ١٤ـ١٥ـ١٩ـ٢٠ـ٢٦ـ٢٧ـ٢٨] كما أنّ هناك ٨ سور تنتهي بسورة الشورى وفاتحتها (حم عسق)، وهي السور ذات الترتيب: [٣٠ـ٣١ـ٣٢ـ٣٦ـ٣٨ـ٤٠ـ٤١ـ٤٢].

ويلاحظ أنّ فاتحة (المر) لم تتكرر، وهي متميزة في مجموعة الفواتح (الر)، وتتكون من (الم) و(الر)، وكذلك فاتحة (حم عسق) تتكون من (حم) و (عسق).

ويمكن تشكيل شكل عنكبوتي بسيط من هذه الأرقام على شكل أربع دوائر كما هو مبين في الشكل التالي:



ويلاحظ أنّ مجموع أرقام الدائرة الأولى [١٣+٤١+١٤+٤٢]=١١٠

وأنّ مجموع أرقام الدائرة الثانية يساوي [١٥+٣٨+١٩+٤٠]=١١٢

وأنّ مجموع أرقام الدائرة الثالثة يساوي [٢٠+٣٢+٢٦+٣٦] = ١١٤

وأن مجموع أرقام الدائرة الرابعة يساوي [٢٧+٣٠+٢٨+٣١] = ١١٦

ويلفت النظر أنّ الفرق بين مجموع كل دائرة والتي تليها هو (٢).

سادساً: هناك كتاب عنوانه (الرياضيات المسلية) أفرد فيه الكاتب فصلاً سماه (الأشكال العنكبوتية)، وهي أشكال وضعها علماء الرياضيات لإبراز قدراتهم الرياضية.

والله أعلم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يؤمنون به) و(يؤمن به)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ (الذين) جمع، فيقول: (يؤمنون به)، ولا يصح أنْ يقول: (يؤمن به).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ (من) للمفرد والمثنى والجمع والأصل في (من) إذا ذكرت أنْ يُبدأ بدلالة لفظها ثم ينصرف إلى المعنى الذي يحدده السياق، كما في الآيات:

ـ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] (هم) جمع و(من يقول) مفرد، فيبدأ بالمفرد.

ـ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ﴾ [التوبة:٤٩] (من يقول) مفرد، (سقطوا) جمع، يبدأ بالمفرد.

ـ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الأحزاب:٣٠] (من يأت) مفرد.

ـ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] (من يقول) مفرد مذكر، و(ما هم بؤمنين) جمع.

ـ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١]، (من يقنت) للمفرد المذكر، (تعمل) للمؤنث المفرد.

أكثر الكلام عند العرب يبدأ بالمفرد المذكر (من)، ثم يوضح المعنى فيما بعد.



﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

استعمل في آية الأنعام٣٧ ﴿لَوْلَا نُزِّلَ﴾ وفي العنكبوت٥٠ ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾ فما السبب؟

الجواب:

إذا استعرضنا آيات سورة الأنعام (٢٥ـ٣٧) وآيات العنكبوت (٥٠ـ٥١) نجد أنه:

١ ـ يظهر من السياق أنّ الموقف في الأنعام أشد، وأنّ موقف الكافرين أعنت والمجادلة بالباطل والتكذيب أظهر وأوضح، فاستعمل في الشدة وقوة المواجهة ﴿نُزِّلَ﴾ مضعفاً لما أرادوا من التوكيد.

٢ـ آية العنكبوت لم يتقدمها شيء من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آيات الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة ﴿شَهِيدًا ۖ﴾ في آية سورة العنكبوت٥٢ وآية سورة الإسراء٩٦؟

الجواب:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت:٥٢]، وقال في سورة الإسراء: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء:٩٦].

في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء:٩٦]؛ لذا اقتضى أن يُقدّم صفته ﴿شَهِيدًا﴾ على ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾.

أمّا في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على ﴿شَهِيدًا﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (جاء) و(أتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.



﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب:

١ـ خصّ الجانبين: (فوق وتحت) بالذكر؛ لأنه في نار الدنيا تصعد بطبيعتها إلى الأعلى، وإنْ كانت تحت القدم تنطفىء، لكنه في نار جهنم هناك ترقٍّ بحيث لا تقتصر فقط على الإحاطة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت:٥٤] إنما تأتيهم أيضاً من فوقهم ومن تحتهم وهذا ذكرمن أجل التعميم.

٢ـ وذكرُ الأرجل تحقيقاً لعذاب الآدمي وللدلالة على أنهم لا يقرون ولا يجلسون، وذلك أشد العذاب المادي للأجساد.

٣ـ اللفظ ﴿مِن﴾ للابتداء، بمعنى أنّ النار تغشاهم من فوقهم مباشرة بدون فاصل، وكذلك من تحت أرجلهم من دون فاصل، للدلالة على شدة العذاب لأنه بدون ﴿مِن﴾

تفيد وجود مسافة قريبة أو بعيدة، فوقهم أو تحتهم، وأمّا بوجود ﴿مِن﴾ فتدل على التصاق العذاب بهم قبل أنْ يخف أثرها لو كانت بعيدة فوق رؤوسهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت:٥٥] القائل هو الله تعالى أو الملَك الموكل بهم، وهذا هو عذاب الأرواح، يقال لهم على سبيل التنكيل والإهانة: ذوقوا عذاب ما كنتم تعملون.

فجمع الله لهم العذاب المادي والروحي.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ﴾ هي قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي، وأمّا قراءة ابن كثير وابن عامر فهي: ﴿وَنَقُولُ﴾ بضمير العظمة.

والله أعلم.



﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ في آية سورة العنكبوت٥٦ وكلمة ﴿يَٰعِبَادِ﴾ في آية سورة الزمر١٠؟

الجواب:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت:٥٥-٥٦-٥٧].

وقال في سورة الزمر: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزُّمَر:٩-١٠]

التعبير القرآني مقصود، وكل حذف وإضافة مقصود أنْ يوضع في مكانه. وإذا لاحظنا الآيات في كلتا السورتين نجد أنّ بينهما فروقات كثيرة ليس فقط في ذكر وحذف الياء من كلمة (عبادي).

١. في سورة العنكبوت ذكر ياء المتكلم في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [العنكبوت:٥٦]، أمّا في آية سورة الزمر فأُشير إلى ياء المتكلم بالكسرة فجاءت عباد ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الزُّمَر:١٠] وفي الحالتين أضيفت ياء المتكلم، ففي الأولى هي موجودة، وفي الثانية محذوفة ومشار إليها بالكسرة.

وكلمة (عبادي) تدل على أنّ مجموعة العباد الذين يناديهم الله تعالى ويخاطبهم أوسع، والاقتطاع من الكلمة (عباد) يقتطع جزء من العباد المخاطبين. والاقتطاع جائز في اللغة ولكنْ له سبب يتعلق بطول الحدث أو اتساعه، وكلمة (عباد) تدل على عدد أقل من (عبادي).

ومن أشهر أحوال اقتطاع ياء المتكلم حذف الياء واستبدالها بالكسرة مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:٥٣] فذكر الياء؛ لأنّ المسرفين كثر؛ لذا جاءت (عبادي) بياء المتكلم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] جاءت (عبادي) بذكر ياء المتكلم؛ لأنها تشمل كل العباد. أمّا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزُّمَر:١٧] حذفت الياء؛ لأنهم طائفة أقل، فالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم قليل، حتى أنه لم يقل: (فيتبعون الحسن)، وإنما قال: (أحسنه)، فكان المخاطبون قلة.

وكذلك في قوله تعالى في آية سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت:٥٦] تدل على أنّ العبادة أوسع من التقوى فالكثير من الناس يقوم بالعبادة، لكنّ القليل منهم هم المتقون.

٢. وفي قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت:٥٦] العباد عباده والأرض أرضه، ومع إضافة الياء إلى كلمة عبادي والأرض، ناسب سعة العباد سعة الأرض، فأكدها بـ (إنّ).

بينما في آية سورة الزمر: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ لم يقتضِ التأكيد للأرض بأنها واسعة، وإنما جاءت فقط ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾.

٣. وجاء في سورة العنكبوت ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت:٥٧]، وهي تشمل جميع العباد، ثم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت:٥٧] جعلها مع الطبقة الواسعة ﴿ يَا عِبَادِيَ ﴾.

أمّا في سورة الزمر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر:١٠] والصابرون هم قلة، فناسب سياق الآية كلها الطبقة القليلة مع عباد.

٤. وإذا استعرضنا الآيات في السورتين لوجدنا أنّ ضمير المتكلم تكرر ٥ مرات في سورة العنكبوت ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾، ﴿فَإِيَّٰيَ﴾، ﴿فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾، ﴿إِلَيۡنَا﴾، ﴿أَرۡضِي﴾، بينما جاء في سورة الزمر ضمير محذوف (قل يا عباد).

٥. آية سورة العنكبوت مبنية على التكلّم، بينما آية سورة الزمر مبنية على الغيبة، أي خطاب غير مباشر وتبليغ في استخدام ﴿قُلۡ﴾.

وسياق الآيات في سورة العنكبوت مبني على ضمير ذكر النفس، كما في الآيات: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت:٣] ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ﴾، فالله تعالى يُظهر ذاته العليّة ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي﴾ [العنكبوت:٨] ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم﴾ [العنكبوت:٨] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [العنكبوت:٢٧] ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٥٦] ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ [العنكبوت:٥٨] ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩].

أمّا سورة الزمر فمبنية عل ضمير الغيبة كلها ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ﴾ [الزُمَر:١٠] ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزُمَر:٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الزُمَر:٣] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ [الزُمَر:٧] ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ [الزُمَر:٨] ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزُمَر:٥٣] إلى آخر السورة ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الزُمَر:٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ [الزُمَر:٧٣].

٦. وهنا يأتي سؤال آخر، وهو: لماذا جاءت (قل) في آية سورة الزمر ولم ترد في آية سورة العنكبوت؟

والجواب: أنّ سياق الآيات مبني على التبليغ في سورة الزمر، بينما في العنكبوت فالسياق مبني على ذكر النفس وليس التبليغ. وفي سورة الزمر أمر بالتبليغ تكرر ١٤ مرة

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾ [الزُّمَر:٩] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ [الزُّمَر:١١] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ [الزُّمَر:١٤] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر:١٥] ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾ [الزُّمَر:٣٨] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ [الزُّمَر:٤٤] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزُّمَر:٤٦] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٦٤]. **أمّا في سورة العنكبوت فقد وردت ثلاث مرات فقط؛ لذا اقتضى السياق ذكرها في آية الزمر وعدم ذكرها في آية العنكبوت.**

من حيث الإعراب (عبادي وعبادِ) واحد، فتعرب (عبادي) عباد مضاف وياء المتكلم مضاف إليه، وفي (عبادِ) يكون هذا تقديراً، مضاف ومضاف إليه مركب. وهذا من خصوصيات الاستعمال القرآني.



﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

جاءت ختام آية آل عمران١٣٦ بالواو، بخلاف ختام آية العنكبوت٥٨ ﴿نِعْمَ﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ لمّا تقدم في آل عمران ذكر الأوصاف، وهي قوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] و ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] و﴿وَٱلْعَافِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] و﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟﴾ [آل عمران:١٣٥] و﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ [آل عمران:١٣٥] و﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ [آل عمران:١٣٦] ناسب ذلك العطف بالواو المؤذنة بالتعدد والتفخيم.

٢ـ ولم يتقدم مثله في العنكبوت، فجاءت بغير (واو)، كأنه تمام الجملة.



﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (كأين) و(كم)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٦.



﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢ ﴾

السؤال الأول:

وردت ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في آية سورة البقرة٢٤٥، بينما سائر ما في القرآن ﴿يَبۡسُطُ﴾ بالسين في أكثر من عشرة مواضع، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يختص بشيء دون شيء، فالله هو القابض الباسط في النعم والأرزاق والأعمار والآجال والملك والصدور والتقتير والتوسيع، يسلب قوماً ويعطي قوماً، ويقبض الصدقات ويخلف البذل، فهو بسط مطلق غير مقيد.

٢ ـ بينما في الآيات الأخرى ترى البسط مقيداً بالرزق أو بغيره مثل الغيث في الروم:٤٨.

٣ـ البسط المطلق أقوى وأعم من البسط المقيد، فجاء بالصاد في الأقوى وجاء للمقيد بالسين.

السؤال الثاني:

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب:

أحوالهم ثلاثة:

١ـ من يبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى، كما جاء في آية العنكبوت وهنا يأتي: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾.

٢ـ يوسّع على قوم مطلقاً مثل حال قارون لا لكرامته، ويضيّق على قوم مطلقاً كالأنبياء الفقراء منهم لا لهوانهم. ويفهم ذلك من سورة القصص.

٣ـ الإطلاق من دون تعيين بسط ولا قبض، أي مطلق من غير تعيين.



﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في آية سورة العنكبوت، مع أنه ورد في القرآن كله ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ [العنكبوت:٦٣].

وفي القرآن كله وردت ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بدون (من)، كما في سورة البقرة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤] وسورة النحل ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)﴾ [النحل:٦٥] وسورة فاطر ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (٩)﴾ [فاطر:٩].

وآية سورة العنكبوت هي الموطن الوحيد الذي وردت فيه ﴿مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣].

٢ـ واستعمال ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فقط يحتمل البعدية القريبة والبعيدة، أمّا ﴿مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ فهي تدلّ على أنها بعد الموت مباشرة، أي تحتمل البعدية القريبة فقط دون البعيدة.

وإذا استعرضنا الآيات في سورة العنكبوت قبل الآية نجد أنّ الإحياء كان مباشرة بعد موتها وبدون مهلة، ومجرّد العقل كان سيهديهم إلى أنّ الله تعالى هو القادر على إحياء الأرض من بعد موتها.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿مِن﴾ في قوله تعالى في الآية ﴿مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾؟

الجواب:

١ـ في موضوع إحياء الأرض وردت ثماني آيات في القرآن الكريم من دون (من): ﴿بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ وهي: [البقرة ١٦٤ ـ النحل ٦٥ ـ الروم ١٩ ـ الروم ٢٤ ـ الروم ٥٠ ـ فاطر ٩ ـ الجاثية ٥ ـ الحديد ١٧].

بينما ذكرها في موطن واحد، وهي آية العنكبوت ٦٣﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾.

٢ـ والسبب أنّ آية العنكبوت تدور حول المشركين الذين يشركون بالله ويعبدون معه آلهة أخرى، وهي تعجيب من عقولهم وإظهار لمقدار باطلهم وتفكيرهم، في حين لو سألتهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[العنكبوت:٦١].

لذلك أدخل ﴿مِنۢ﴾ في هذا الموطن للدلالة على مقدار قدرة الله وعظمتها وذلك أنّ قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يحتمل الزمن بعد الموت بمدة قريبة أو بعيدة.

ولكنّ قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ معناه الإحياء بعد الموت بلا مهلة ولا فاصل، أي أنّ الله قادر على أنْ يحيي الميت فوراً بلا مهلة. وهذا أدل على قدرة الله وإنْ كان كلاهما من قدرة الله وحده، وقد جاء بـ ﴿مِنۢ﴾ في هذا المقام للدلالة على أنهم يشاهدون ذلك ويقرون أنّ الله يحي الأرض من الموت بلا مهلة.

السؤال الثالث:

ختم الآية في لقمان٢٥ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وختم آية العنكبوت ٦٣ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾، فما السبب؟

الجواب:

السبب ـ والله أعلم ـ أنه سألهم في لقمان سؤالاً واحداً، وهو ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [لقمان:٢٥]، بينما سألهم في العنكبوت عدة أسئلة وأجابوا عن كل ذلك أنه الله، وبالتالي بالرغم من معرفتهم بكل هذه المسلمات الأساسية للتوحيد من أنّ الله هو الذي خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر وهو الذي نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها، ومع ذلك لم يستطيعوا الإيمان به أي بالتوحيد. فلو كان عندهم شيء من العقل لأدركوا أنّ من يفعل ذلك كله هو المستحق وحده للعبادة منزهاً عن الشريك فناسب بختم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣].

بينما في لقمان كان سؤالهم أحد الأسئلة التي سألها في العنكبوت، فكان الأمر أيسر، فرماهم بما هو أيسر، وهو نفي العلم دون العقل، فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

والله أعلم.



﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت؟

الجواب:

كل الآيات في القرآن جاء (اللعب) مقدّماً على (اللهو) إلا في هذه الآية من سورة العنكبوت ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت:٦٤].

ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت:٦٢] فالرزق ليس مدعاة اللعب وإنما مدعاة اللهو، كما في قوله تعالى في سورة المنافقون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون:٩] ففي الآية نهي من الله تعالى للمؤمنين عن الالتهاء بجمع الأموال.

والعباد عموماً يلتهون بالمال سواء كانوا ممن بسط الله تعالى لهم الرزق أو ممن قُدر عليهم رزقهم، وعليه تقدّم ذكر اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت دون باقي السور.

السؤال الثاني:

الآيتان الأنعام ٣٢ والعنكبوت ٦٤ متشابهتان إلى حد كبير، لكن توجد بينهما الفوارق اللفظية، فما تلك الفوارق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣٢.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ في التعبير عن (الدارالآخرة) في سورة العنكبوت؟

الجواب:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

(الحيوان) مصدر على وزن (فعلان)، مثل: غثيان وفيضان ودوران وغليان. و(الحيوان) صيغة في المصادر تدلّ على الحركة المستمرة والحدوث، وهي أعلى أنواع الحياة؛ لأنّ من أهم صفات الحياة الحركة فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسُبات بالنسبة للآخرة، وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة. والآخرة كلها حركة، وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم. ولو استعملت كلمة الحياة لدلّت على التقلب فقط ولم تدل على الحركة والحدوث، فناسب استعمال كلمة الحيوان مع الحركة والحدوث الذي يكون في الآخرة.

ومثال ذلك تقول: (غلى الماء غلياً) إنْ أردت الفعل و لم ترد التقلب والحركة، قال تعالى﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾، فإنْ أردت الحركة قلت (غلى الماء غلياناً).

و تقول: (فاض النهر فيضاً) حين تريد الفعل فقط، فإنْ أردت الحركة قلت (فاض النهر فيضاناً). و الله أعلم.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

يستعمل القرآن الكريم الفعل (أنجى) للدلالة على سرعة الإنجاء، كما في آية يونس ٢٣، ويستعمل الفعل (نجّى)، كما في آية الإسراء ٦٧ والعنكبوت ٦٥ لسرعة إنجاءٍ أقل، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

في آية العنكبوت لم يذكر أنه أصابهم مكروه أو مسهم ضر، وإنما هي حالة خوف تعتري راكب البحر فيدعو لنفسه بالنجاة، فقال: ﴿نَجَّىٰهُمْ﴾.

انظر الجواب كاملاً في آية يونس ٢٣.

السؤال الثاني:

قال سبحانه في آية العنكبوت ٦٥ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾، وقال في آية لقمان ٣٢: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فما السبب؟

الجواب:

السبب أنّ الخطر في آية لقمان أكبر والهول أخطر وذكر: ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ أي: كالجبال، فأثّر ذلك على قلوبهم فخرج منهم ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو الذي انزجر قليلاً، أو مقتصد في الإخلاص فبقي معه شيء منه.

وأمّا في العنكبوت فلم يذكر مخاطر البحر، وإنما ذكر إشراكهم فقط. وآية العنكبوت هي في سياق الكلام عن المشركين، فقال: إنهم إذا ركبوا البحر أخلصوا دينهم لله، فلما نجّاهم إلى البر عادوا إلى شركهم فجأة؛ ولذا جاء بـ ﴿وَإِذَا﴾ الفجائية للدلالة على ذلك.

والسياق في سورة العنكبوت في المشركين، بينما السياق في سورة لقمان عام للمؤمنين وغيرهم، لكنّ الجميع دعا عند الخطر تجنباً لما قد يقع.

والله أعلم.



﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ في آيتي النحل٥٥، والروم٣٤، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ في آية العنكبوت ٦٦، فما السبب؟

الجواب:

إنّ آيات النحل والروم هي للمخاطبين، فجاءت بغير(لام)، وآيات سورة العنكبوت هي للغائبين، فناسب ذكر(اللام) فيه.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النحل ٧٢: ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل:٧٢] بزيادة ﴿هُمْ﴾ على آية العنكبوت٦٧ حيث قال: ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ بغير ﴿هُمْ﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ـ آية النحل سياقها للمخاطبين، فقد قال الله تعالى في أولها: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل:٧٢]، ثم عدل إلى الغَيبة بقوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾، فناسب ﴿هُمْ﴾ توكيداً للغيبة كي لا تلتبس الغيبة بالخطاب.

٢ـ وأمّا آية العنكبوت فهي للغائبين، فناسب حذف (هم) لعدم اللبس.



﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب اختلاف الفاصلة في الآيات الأنعام ٢١ـ يونس ١٧ـ الكهف ١٥ـ العنكبوت ٦٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٢١.

السؤال الثاني:

ما المثوى؟ ولماذا جاءت مع أهل النار والكافرين ولم تأت مع أهل الجنة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٢٨.



﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل من ذكرٍ لبعض الرقائق التي تناسب التقوى وطلب الآخرة؟

الجواب:

ـ أخسر الناس صفقةً من اشتغل عن الله بنفسه، بل أخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس.

ـ أنفع العمل أنْ تغيب فيه عن الناس بالإخلاص وعن نفسك بشهود المنّة فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق.

ـ نور الحق أضوأُ من الشمس، فيحق لخفافيش البصائر أنْ تعشو عنه.

ـ إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور، والقلب كعبة والمعبود لا يرضى بمزاحمة الأصنام.

ـ الحب غدير في صحراء ليست عليها جادة؛ فلهذا قلّ وارده.

ـ اشتغل بالله في الحياة يكفِكَ ما بعد الموت.

ـ اجتنب من يعادي أهل الكتاب والسنة لئلا يعديك خسرانه.

ـ احترز من عدوين هلك بهما أكثر الخلق: صادٍّ عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله، ومفتونٍ بدنياه ورئاسته.

ـ إذا نزل آب في القلب حلّ آذار في العين.

ـ هان سهر الحراس لّما علموا أنّ أصواتهم بسمع الملك.

ـ الجنة ترضى منك بأداء الفرائض، والنار تندفع عنك بترك المعاصي والمحبة لا تقنع منك إلا ببذل الروح.

ـ الإخلاص هو ما لا يعلمه مَلَك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يتعجَب به صاحبه فيُبطله.

ـ الأصول التي انبنت عليها سعادة العبد ثلاثة، ولكل واحد منها ضد:

١. التوحيد، وضده الشرك.

٢. السنة، وضدها البدعة.

٣. الطاعة، وضدها المعصية.

ولهذه الثلاثة ضد واحد، وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده.

ـ لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سداً.

ـ إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أَنِسوا بأحبابهم فاجعل أُنسَك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرّف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

ـ من أعطى خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه.

ـ المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة.

ـ من استطاع منكم أنْ يجعل كنزه في السماء، حيث لا يأكله السوس، ولا يناله السرّاق فليفعل، فإنّ قلب الرجل مع كنزه.

ـ السَنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل.

ـ خُلق بدن ابن آدم من الأرض، وروحه من ملكوت السماء، وقُرن بينهما فكلمّا خف البدن لطفت الروح وطلبت عالمها العلوي، وكلمّا ثقل وأخلد إلى الشهوات ثقلت الروح وصارت أرضية سفلية.

ـ العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكنْ يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم. فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فكيف يُؤمر بالفضيلة من لم يُقم الفريضة !!

ـ أُغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء:

١ـ اشتغالهم بالنعمة عن شكرها.

٢ـ رغبتهم في العلم وتركهم العمل.

٣ـ المسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة.

٤ـ الاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم.

٥ـ إدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها.

٦ـ إقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.

قال أحد الصالحين: ركعتان أصليهما لله أحب إلي من الجنة، فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامكم، فإنّ الجنة رضى نفسي والركعتان رضى ربي، ورضى ربي أحب إلي من رضى نفسي.

ـ العارف في الأرض ريحانة من رياحين الجنة إذا شمّها المريد اشتاقت نفسه إلى الجنة.

ـ قلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله، فإذا لاحظ جلاله هابه وعظّمه، وإذا لاحظ جماله أحبّه واشتاق إليه.

ـ من لاح له كمال الآخرة هان عليه فراق الدنيا.

ـ من عبد الله خوفاً أمّنه. ومن عبده رجاءً أعطاه أمله. ومن عبده حباً ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم ﴾[السجدة:١٧].

ـ من لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرة إليه.

ـ غاب الهدهد عن سليمان عليه السلام ساعة فتوعده، فيا من أطال الغيبة عن ربه هل أمنت غضبه؟ !!

ـ سلعة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ لا تبذل إلا بثمن ﴿لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢].

ـ إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ استغرقت إحساس الناظرات ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[يوسف:٣١] وما شعرن، فكيف بالحال يوم المزيد؟!!

ـ كان التصوف والفقر في مواطن القلوب فصار في ظواهر الثياب، كان حُرقةً فصار حرفة.

ـ كان أحد الصالحين إذا دخل عليه من يريد صدقة يقول: مرحباً بمن جاء يحمل حسناتي إلى الآخرة بغير أجر. ..ويستقبله بالفرحة والترحيب.

والله أعلم.



رابعاً ـ تناسب فواتح سورة العنكبوت مع خواتيمها:

قال في أولها:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٢ - ٣]... ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦].

وقال في آخرها:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩]. فالبداية في الفتنة والجهاد.

وكذلك الخاتمة، فإن الفتنة في سبيل الله من الجهاد.

والله أعلم.



سورة الروم

أولاً ـ تناسب خواتيم العنكبوت مع فواتح الروم:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة العنكبوت:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال في أوائل سورة الروم:

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم:٤ ـ ٥].

فذكر فرح المؤمنين بنصر الله، والمؤمنون هم الذين يجاهدون في الله وقد وعد ربنا بأنه يهديهم سبله وأن الله معهم.

جاء في (روح المعاني): (وجه اتصالها بالسورة السابقة أنها ختمت بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

وافتتحت هذه بوعد من غُلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر وفرح المؤمنين بذلك، وإنّ الدولة لأهل الجهاد فيه ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة).

٢ ـ قال في أواخر العنكبوت:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال في أوائل الروم:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٦ - ٧].

فأشار في آية العنكبوت إلى أنهم لا يعلمون أمر الآخرة، وأنها هي الحيوان.

ثانياً ـ هدف السورة: آيات الله واضحة بيّنة:

سورة الروم سورة مكيّة، وقد نزلت لتنبئ الرسول ﷺ والمسلمين بأمر غيبي سيقع بعد أعوام، وهو انتصار الروم على الفرس بعد أنْ هزموا وهذا الإخبار بأمر غيبي هو في قمة الإعجاز، ومن أظهر الدلالات على نبوة وصدق الرسول الكريم ﷺ.

وآيات السورة تتحدث عن آيات الله المبهرة في الكون، وقد تكررت كلمة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الروم:٢٠] في السورة ٧ مرّات. وهذه الآيات واضحة بيّنة لمن نظر وأمعن في ملكوت الله ومخلوقاته، وكأنّ هذه الآيات هي كتاب الله المنظور التي منها يستدل الإنسان على عظمة الله وقدرته، والقرآن الكريم هو كتاب الله المقروء الذي يوصلنا إلى معرفة الله واستشعار عظمته في خلقه سبحانه.

١. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم:٢٠].

٢. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

٣. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم:٢٢].

٤. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم:٢٣].

٥. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم:٢٤].

٦. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم:٢٥].

٧. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم:٤٦].

وتطلب منا الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم:٨] أنْ نتفكر في خلق الله بالنظر إلى هذه الآيات المبهرة المنشرة في السموات والأرض.

الآيات: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ٢ - ٦] من ٢ إلى ٦ تتحدث عن الإخبار بنصر الروم بعد سنين، وهذا وعد من الله تعالى، وهي عبارة عن آية مادية للمتشككين في آيات الله الكونية، فلمّا حصل ما أخبر الله تعالى به فليتفكر هؤلاء بأنه إذا كانت هذه الآية المادية قد تحققت فهذا دليل صدق الرسالة والنبوة فيصدقوا كل الآيات الكونية ويؤمنوا بخالق هذا الكون. وفي السورة دليل إعجاز

علمي آخر وهو في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:٣]. ولم يكتشف العلم إلا مؤخراً أنّ هذه الأرض التي هي البحر الميّت إنما هي حقيقة أخفض نقطة على سطح الأرض، وهذه معجزة أخرى.

وقد اشتملت السورة على آيات غير الآيات الكونية، منها آيات اقتصادية في تحريم الربا: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾ [الروم:٣٩]، وقد أثبت العلم الاقتصادي مؤخراً أنّ أفضل اقتصاد هو الذي تكون الفائدة فيه صفراً، وهذا لا يحصل إلا بإلغاء الربا.

وكذلك هناك آيات أخرى في علم الجيولوجيا والفلك والاقتصاد وغيرها فسبحانه تبارك الله أحسن الخالقين.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾

السؤال الأول:

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم:٦] فما الأمر الذي يؤكده المفعول المطلق ﴿وَعۡدَ﴾؟

الجواب:

١ـ يتم تأكيد المفعول المطلق بتأكيد عامله أو تأكيد مصدر عامله، نحو: انطلقت انطلاقاً، أو تأكيد مضمون الجملة، وهو ما يسميه النحاة: المؤكد لنفسه والمؤكد لغيره، نحو: أنت ابني حقاً.

٢ـ لمّا ذكر أنهم سيغلبون في بضع سنين، عُلم أن هذا وعد منه، فأكّده بقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم:٦].

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

تُرى لوكان هذا القرآن من عند رسول الله ﷺ فما الذي يجعله يدخل في قضية كهذه بين دولتين كانتا أعظم وأقوى دولتين في العالم في ذلك العصر؟

لمْ يطلب أحد منه أنْ يدخل فيها، وكيف يغامر رسول الله ﷺ في كلام متعَبدٍ إلى يوم القيامة لا يتبدل ولا يتغير بإعلان نتيجة معركة ستحدث بعد سنين؟ !!

وماذا كان يمكن أنْ يحدث لقضية الدين كله لو أنّ الحرب حدثت وانتصر الفرس مرة أخرى، أو أنّ الحرب لم تحدث وتوصل الطرفان إلى صلح؟ !

إنها كانت ستضيع الدين كله. .. ولكنْ لأنّ الله سبحانه هو القائل، وهو الفاعل جاءت هذه الآية معجزة لغير العرب وقت نزول القرآن.

إنه الوحي، إنه كلام الله تعالى.

السؤال الرابع:

لماذا بني الظرفان ﴿قَبْلُ﴾ و ﴿بَعْدُ﴾ على الضم في الآيات؟

الجواب:

بني الظرفان (قبلُ) و (بعدُ) على الضم لمّا قطعا عن الإضافة. ففي النصب تقول: جئت قبلَه أو بعدَه. وفي الجر تقول: من قبلِه ومن بعدِه.

وهذا شبيه بقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ في آية آل عمران ٤.

السؤال الخامس:

لماذا أتى بصفة ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم:٥] علماً بأنّ الآية الخامسة هي في سياق الحرب والنصر؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ لأنّ نصر الله مختص بغلبة أوليائه لأعدائه وأمّا غلبة أعدائه لأوليائه فليس بنصر، وإنما هو ابتلاء.

٢ـ ذكر الله من أسمائه هذين الاسمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾؛ لأنّ الله إنْ نصر المحبَ فذلك لرحمته عليه ولعزته واستغنائه عن العدو، وإنْ لم ينصر المحب فلعزته واستغنائه عن المحب، ورحمته في الآخرة واصلة إليه.

٣ـ الآية جاءت بعد غلبة الروم على الفرس بعد أنْ انتصر الفرس عليهم من قبل. فكأنه قيل: لماذا لم يدمْ نصر أهل الكتاب؟ فجاءت الآية لتبين أنّ الأمر بيد الله ينصر من يشاء، وأنه لا مانع له ولا يُسأل عما يفعل؛ لأنه هو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يعز من عادى ولا يذل من والى.

ولمّا كان هذا السياق لبشارة المؤمنين قال: ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ أي: المبالغ في الرحمة لأوليائه فينصرهم، وهذا من آثار الرحمة الدنيوية.

٤ـ قدّم وصف ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ لتقدمه في الاعتبار.

والله أعلم.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في آخر الآية السادسة: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم:٦]؟

الجواب:

١ـ ورد تعبير ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم:٦] في القرآن الكريم ١١ مرة، وورد تعبير ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦١﴾ [غافر:٦١] ثلاث مرات في سور البقرة ويوسف وغافر. وورد تعبير ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧﴾ [هود:١٧] ثلاث مرات في سور هود والرعد وغافر.

٢ـ منْ يملك أنْ يصدر هذا الحكم بأنّ أكثر الناس لا يؤمنون، لا يشكرون، لا يعلمون؟ إنه الوحي لا غير.

٣ـ إنّ عدد البشرية تجاوز خمسة أو ستة مليارات، وإنّ القليل منهم هم المؤمنون حقاً، واترك المدعين بالإيمان، فنحن نتكلم عن المؤمنين الصادقين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يوسف:١٠٣].

وإذا تجاوزنا العدد إلى الأخلاق والسلوك فإنك لا تكاد تجد في الناس إلا نسبة ضئيلة ممن يتحلون بأخلاق العلم والإيمان.

وقد ورد تعبير ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ و﴿أَكۡثَرَكُمۡ﴾ سبعاً وأربعين مرة في القرآن تضافرت كلها على الإطلاق بالحديث عن الفسوق والجهل ونقض العهد والشرك والكذب والإعراض عن الحق.

٤ـ هذا هو كتاب الله الخالد المعجز الذي يسَّره للناس ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزُمَر:٢٨].

السؤال السابع:

ما الفرق بين ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾[الحج:١٨] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الروم:٦]؟

الجواب:

(أكثر) هذه صيغة اسم تفضيل، (كثير) صفة مشبهة، والأكثر أكثر من كثير ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يوسف:١٠٣] لكنّ المؤمنين كثير.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في غافر٨ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ وفي الروم ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم:٦] وهم يعلمون ذلك، فما فائدة السؤال؟

الجواب:

أنّ المراد: وفقهم للأعمال الصالحة المقتضية دخول الجنة؛ ولذلك قال تعالى في الآية ٩: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ أي: وقهم عذاب السيئات أو جزاء السيئات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ معناه: جزاء السيئات أو ما يسوؤهم من الحزن والخوف والعذاب، وإلا لا سيئة يوم القيامة.



﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ لماذا استعمل جمع السالم، ولم يستعمل جمع التكسير؟

الجواب:

١ ـ الأصل في الصفات أنْ تجمع جمعاً سالماً، والجمع السالم يدل على القلة في الجوامد، وأمّا في الصفات، فالأصل فيه أنْ يدل على الحدث. وجمع الصفات جمعاً سالماً يقربها من الفعلية، بينما تكسيرها ـ أي جمعها جمع تكسير ـ يبعدها من الفعلية إلى الاسمية.

٢ـ الجمع السالم يجري مجرى علامة الجمع من الفعل، فقولك: يقومون ويضربون، أشبه بقولك: قائمون وضاربون، فالواو للجمع في الفعل والجمع السالم.

٣ـ جاء في (شرح الرضي على الشافية): اعلم أنّ الأصل في الصفات أن لا تكسّر لمشابهتها الأفعال وعملها، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه. .. ثم إنّهم مع هذا كله كسّروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد وإن شابهت الفعل.

* شواهد قرآنية:

أ ـ ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة:١١٢] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف:١٢] ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[الأحزاب:٣٥].

أي: الذين يحفظون حدود الله ويحفظون فروجهم، ولم يقل: والحفّاظ أو الحفظة؛ وذلك لأنّ التكسير يبعدها عن الحدث.

ب ـ ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر:٢٢] وخازنين تفيد الفعلية، بخلاف خزنة فإنها لا تدل على الفعل، وإنما تدل على الاسم ،إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكلين في النار، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزُّمَر:٧١] و﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾[غافر:٤٩].

ج ـ ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزُّخرُف:٣٠] و ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[الروم:٨].

ولم يقل بلقاء ربهم لكفّار أو كفرة؛ لأنّ في (كافرون) معنى الحدث فتعلق به الجار والمجرور أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم لقرب هذا الجمع من الفعلية، ولم يتعلق مرة واحدة بالكفار أو الكفرة مع ترددهما في اثنين وعشرين مرة في القرآن الكريم.

د ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد:٣] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [المرسلات:٢٧].

وقد وردت كلمة ﴿رَوَاسِيَ﴾ تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة ﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾ إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

* أمثلة غير قرآنية:

أـ (ذهبنا إلى المحكمة فوجدنا الحكام حاكمين في القضية ومنصرفين) فمعنى (حاكمين) أي: حكموا، أي: إرادة الحدث.

ب ـ (راجعنا الدائرة ووجدنا الكتّاب كاتبين الكتاب)، فالكتّاب اسم لهذا الصنف من الناس، و(كاتبين) بمعنى: كتبوا، أي: الحدث.

فاتضح بهذا أنّ الجمع السالم يدل على إرادة الحدث والتكسير يباعده عن ذلك إلى الاسمية.

والله أعلم.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الواو و الفاء فى ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ ﴾ و ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ ﴾؟

الجواب:

١ـ الواو لمطلق الجمع، وقد يكون عطف جملة على جملة ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[الأنعام:٩٦-٩٧].

٢ـ الفاء تفيد السبب، وهذا هو المشهور في معناها (درس فنجح)، فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو؛ لأنه لمطلق الجمع.

٣ـ هذا حكم عام، ثم إنّ الفاء يؤتى بها في التبكيت؛ أي التهديد. ولوكانت عندنا عبارتان إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء [وهو من باب جواز الذِّكر وعدم الذِّكر] نضع الفاء مع الأشد توكيداً.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾[النساء:١٣٧] ليس فيها فاء. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾[محمد:٣٤]؛ لأنهم لا تُرجى لهم توبة. ففي الأولى هم أحياء وقد يتوبون؛ لذا لم يذكر الموت، ولم يأت بالفاء و لكن لمّا ذكر الموت جاء بالفاء.

٤ـ عندما يأتي بالفاء يكون ما قبلها سبباً يفضي لما بعدها، أمّا الواو فهي للجمع المطلق.

* شواهد قرآنية:

الفاء:

أ ـ في سورة يوسف قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩)﴾ [يوسف:١٠٩] جاء بالفاء ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ﴾ [يوسف:١٠٩] ماذا قال قبلها؟ قال: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)﴾ [يوسف:١٠٧] ثم يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف:١٠٩] فما قبلها يفضي لما بعدها ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ [يوسف:١٠٧] وهم ما ساروا في الأرض؟فاستعمل الفاء.

ب ـ في سورة الحج قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج:٤٦] وقال قبلها: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥)﴾ [الحج:٤٢-٤٣-٤٤-٤٥] والذي قبلها سبب لما بعدها ووراءها ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)﴾ [الحج:٤٧]. فاستعمل الفاء.

الواو:

أ ـ بالنسبة للواو قال تعالى في سورة الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الروم:٩] هل ما قبلها هو سبب لما بعدها؟ ما قبلها ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم:٨] ليست سبباً لما بعدها، فاستعمل الواو.

ب ـ آية أخرى في سورة غافر ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر:٢١] ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر:١٩] ليس سبباً.

إذن عندما يأتي بالفاء يكون ما قبلها سبباً يفضي لما بعدها، أمّا الواو فهو للجمع المطلق.

٥ـ هذا خط عام في هذه اللغة، والعرب كانت تفهم هذه المعاني، وأبو سفيان وأبو جهل كانا يستمعان إلى القرآن ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ [الإسراء:٤٧] لا يعلم أحدهم مكان الآخر فيلتقون ويتعاهدون على أنْ لا يعودوا ثم يعودوا. هم فهموا لغة القرآن، ولكن ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل:١٤]. وكل كلمة في القرآن عاشقة لمكانها وكل كلمة مقصودة لذاتها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [الروم:٩] ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الروم: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الروم:٩] ما استخدامات كلمة (أثر) في القرآن؟

الجواب:

كلمة (أثر) في القرآن الكريم لها ستة معانٍ:

١ ـ أثر الحديث والعلم وأصله تتبُّع الأثر: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدّثر:٢٤] أي: يروى وينقل.

٢ـ الأثرة: بفتح الهمزة، وهي البقية من العلم الذي يؤثر: الأحقاف ٤.

٣ـ أثر الشيء وما يدل على وجوده: الروم ٥٠.

٤ ـ الأثر فيما تتركه قدم السائر على الأرض: طه ٨٤.

٥ ـ آثره بمعنى: فضّله، من الإيثار: يوسف ٩١.

٦ ـ أثار الأرض أي قلبها للزراعة: الروم ٩.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ [الروم:٩] متى تذكّر كلمة ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾؟ ومتى تؤنث؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ في القرآن الكريم ٥٢ مرة، وكلمة ﴿ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ ١٩ مرة، فإنْ جاءت كلمة البينات بمعنى المعجزات تؤنث، وأمّا إنْ جاءت بمعنى حبل الله أو القرآن فتذكر.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية الروم ٩ وآيتي غافر٢١ و ٨٢: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾ [الروم:٩] وفي فاطر٤٤ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ﴾ بزيادة (الواو)، فلماذا؟

الجواب:

١ـ آية الروم ٩ لم يتقدمها قصص مَن تقدم ولا ذكرهم، فناسب إجمالها فقال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾، وقال الله فيها: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾.

٢ـ آية فاطر٤٤ وردت بعد قوله تعالى: ﴿مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ثم قال الله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٢ – ٤٣].

فناسب ذكر الواو في ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ﴾ [فاطر:٤٤] لبيان حالهم ووصفهم في الدنيا من الشدة والقوة، لكنْ لم تغن عنهم شيئاً؛ ولذلك أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر:٤٤].

٣ـ آية غافر ٢١ تقدمها ذكر نوح عليه السلام في الآية الخامسة من السورة، فناسب ذلك بسط حالهم وإعادة لفظ ﴿كَانُوا﴾ و﴿هُمْ﴾ توكيداً وإشارة مرة أخرى إلى من تقدم ذكرهم.

٤ـ آية غافر ٨٢ جاءت على الاختصار، فقال تعالى: ﴿كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم:٩]، والله أعلم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في آية غافر ٨٢ ﴿كَانُوٓا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر:٨٢] وذكر لهم ثلاث صفات، بينما ذكر صفتين في آيات [غافر ٢١ـ الروم ٩ـ فاطر ٣٥]، فما السبب؟

الجواب:

لمّا تقدم قصة فرعون وتفصيل حاله وجبروته وما ذكر عنه ناسب ذلك ذكر الكثرة والشدة والآثار في الأرض، والله أعلم.



﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾؟

الجواب:

١ـ الإساءة ضد الإحسان:

ـ الإحسان: أنْ تترك الصالح على صلاحه أو تزيده صلاحاً.

ـ الإساءة: أنْ يأتي شخص إلى الصالح فيفسده أو ينشئ إفساداً جديداً.

ـ السوأى: اسم تفضيل من السوء، وهي مؤنث (سيء) مقابل: (حسن) للمذكر و(حسنى) للمؤنث.

٢ـ المعنى العام: أنّ الأمر لم يقف عند حد التكذيب بالآيات، إنما تعدّى التكذيب إلى الاستهزاء بالآخرين.

٣ـ فلسفة الاستهزاء أنّ الإنسان لم يقدر على نفسه ليحملها على الفضائل لذلك يغيظه كل صاحب فضيلة ويؤلمه أنْ يرى إنساناً مستقيماً ينعم بعز الطاعة وهو في ذل المعصية؛ لذلك يسخر منه لعلّه ينصرف عما هو فيه من الطاعة والاستقامة.



﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٖ يُحْبَرُونَ ١٥ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الحديقة في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠٥.

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿حِينَ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

في اللغة هناك ظروف محددة، مثل (شهر، عام، أسبوع، حول) وظروف مبهمة. و﴿حِينَ﴾ هي من الظروف المبهمة، بمعنى أنه ليس لها وقت محدد، لكن قد يُعلم وقتها بما تُضاف إليه. كقوله تعالى في سورة الروم: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الروم:١٧]، وكذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٥] أي حسب الثمار.

* شواهد قرآنية:

آية يونس ٩٨: تفيد مدة العمر في الحياة الدنيا.

آية الإنسان ١: تفيد مدة أربعين سنة، كما جاء في كتب التفسير.

آية إبراهيم ٢٥: تفيد مدة سنة كاملة حسب ثمار النخل كل سنة.

آية الروم ١٧: تفيد مدة اليوم الواحد.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم:١٧] ما دلالة تقديم الإمساء على الإصباح مع أنّ الإصباح أسبق، بينما عكس في آية الأحزاب ٤٢ فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤٢]؟

الجواب:

١ـ سياق آية الروم ١٧هو في ذكر الساعة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٤-١٥-١٦-١٧-١٨] فالسياق في الآخرة، والساعة هي آخر الدنيا، والمساء آخر النهار فربط بين هذه وتلك. وفي الحديث قال: (**ما بقي من يومكم إلا ما بين العصر والمغرب**) إشارة إلى أنّ الوقت قصير. فالمساء هو آخر النهار والساعة هي الآخر، فقدّم المساء على الصباح لمناسبة الحديث العام عن الموضوع.

٢ـ بينما الآية الأخرى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٢ - ٤٣].

الظلمات تمثل الليل، والنور يمثل النهار بعد الظلمات؛ لذلك كان الترتيب ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ لأنّ البكرة تأتي مباشرة بعد الظلمة، والبكرة هي الصباح والأصيل هوقبيل المغرب.

و لمّا قال: ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ قدّم البكرة على الأصيل؛ لأنّ بعد الظلمات البكرة وليس الأصيل.

٣ـ إذن ترتيب الكلمات يخضع لنسق عام أراده المولى تبارك وتعالى.

السؤال الثالث:

ما دلالة العطف في الآيتين١٧ و ١٨؟ وهل (السماء والأرض) عطف على (حين تمسون وحين تصبحون)؟

الجواب:

١ـ هاتان الآيتان من الأمثلة على العطف في القرآن، وهما قوله تعالى في سورة الروم: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨].

٢ـ هل (السماء والأرض) عطف على (حين تمسون وحين تصبحون)؟ والجواب: لا. (الأرض) معطوفة على (السموات)، و﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ معطوفة على ﴿ فَسُبْحَٰنَ ﴾، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ معطوفة على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾. ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ معطوفة على أبعد شيء.

نقول: دخلت إلى السوق واشتريت كتباً، ثم ذهبت إلى البزاز واشتريت قماشاً، ثم ذهبت إلى البقال واشتريت كذا وكذا، ثم رجعت (رجعت معطوفة على دخلت).

ولو قرأنا قصص الرسل في الأعراف نجد أنه في البداية تأتي قصة نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩] ثم تأتي قصة هود ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ ﴾ [الأعراف:٦٥]

وهي معطوفة على ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ يعني: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، (أخاهم) مفعول به منصوبة، ثم تأتي قصة صالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ هذه الواو واو العطف.

٣ـ لذلك ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ معطوفة على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ ثم الأرض معطوفة على السموات، ثم (عشياً وحين تُظهرون) معطوفة على الأول ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾.

٤ـ وكذلك في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر:٦٧] (يخرجكم) معطوفة على (خلقكم)، وهي ليست معطوفة على علقة أو تراب أو نطفة ولا يمكن أنْ تكون معطوفة عليها.

٥ـ وكذلك ما جاء في آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥] (ولا نوم) معطوفة على (سِنة)، و(ما في الأرض) معطوفة على (السموات) و(خلفهم) معطوفة على (ما بين أيديهم) (الأرض) معطوفة على (السموات)، بينما (ولا يؤوده حفظهما) فمعطوفة على(لا تأخذه سِنة ولا نوم) في أول الآية. فبالرغم من وجود أنواع متعاطفات كثيرة ومختلفة فإننا نعطف (لا يؤوده حفظهما) على(لا تأخذه سِنة ولا نوم).

وفي كلام العرب نقول: بنيت الدور والإماء، بمعنى: اشتريت الإماء.

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما تفسير الآية ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الروم:١٩]؟

الجواب:

اختلفوا في تفسير الآية؛ فقسم قالوا: تكون الحياة من موادها الميتة فيخرج حياة من مواد ميتة من التراب ومن غيره. وقسم قالوا: البذرة من الشجرة والنواة من النخلة، والبيضة من الفرخة، ويقولون: المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن؛ لأنّ الله تعالى سمى الإيمان حياة والكفر موتاً ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] قال قسم من المفسرين: يخرج الحي من الميت؛ أي: المؤمن من الكافر، وتخرج الميت من الحي أي: الكافر من المؤمن. والله أعلم.



﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معاني حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾؟

الجواب:

(ثُمَّ) حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أوالأحوال أوغيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن للثاني ترتيب في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثمّ والله.

بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أمّا اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء، فيفيد البعد المكاني.

شواهد على المعنى الأول والثاني:

١ـ آيتا سورة عبس [٢١ ـ٢٢]عقب بالفاء بعد (أماته)؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء بـ (ثم) بعد ذلك؛ لأنّ النشور يتأخر.

٢ـ الروم ٢٠: جاء بـ (ثم)؛ لأنّ البشر المنتشر متراخٍ عن كونه تراباً وبينهما مهلة.

٣ـ الزمر ٦: فيها دليل على عدم الترتيب، فإنّ خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة، وأُريد أنه في الآية أراد أنْ يذكر بدء خلق الإنسان فذكر أنه خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وليس القصد أنه جعل منها زوجها بعد خلقهم من النفس الواحدة.

شواهد على المعنى الثالث والرابع:

١ـ آية هود ١: (ثم) ليس معناها التراخي ولكنْ في الحال، كما تقول:فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويكون معنى الآية: هي محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل.

٢ـ آية هود ٣: (ثم) هنا لمجرد الارتقاء، أي بقي على التوبة؛ لأنّ البقاء عليها أفضل.

٣ـ آية طه ٨٢: (ثم) أي بقي على ذلك الهدى من التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ لأنّ البقاء عليها أفضل.

٤ ـ الأنعام ١: (ثم) هنا لتفاوت رتبة الخلق، والجعل من رتبة الكفر حيث إنّ الكفار يعدلون به إلهاً آخر لم يخلق مثل خلقه.

٥ـ البلد ١٧: (ثم) لبيان تفاوت رتبة فك الرقبة، والإطعام من رتبة الإيمان.

٦ـ النساء ١٧: (ثم) لبيان البعد بين الحالين: عمل السوء، والتوبة من قريب.

٧ـ السجدة ٢٢: (ثم) لبيان البعد بين التذكير بآيات الله واتباعها من ناحية والإعراض عنها من ناحية أخرى.

شواهد على المعنى الخامس:

١ـ التكاثر ٣ـ٤: العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب وبينهما مدة، فهي للتراخي الزمني، أوداخلة في التوكيد.

٢ـ التكاثر ٧: (ثُمَّ) للتوكيد.

٣ـ الانفطار ١٧ـ١٨: (ثم) لتبعيد المعرفة أو للإيغال في التوكيد.

٤ـ المدثر ١٨ـ٢٠: (ثم) للعطف والتوكيد.

السؤال الثاني:

قال في آية الروم ٢٠ ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وفي آية الروم ٢٥ ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾، فما السبب؟

الجواب:

السبب أن الآية الأولى في خلق الإنسان، وفيه خلق وتقدير وتدريج وتراخٍ، حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفخ فيه روحه، فإذا هو بشر فناسب الإتيان بـ (ثم).

أمّا الآية الثانية فهي في الإعادة، حيث لا يكون تدريج وتراخ، بل يكون نداءٌ وخروجٌ، فلم يقل ههنا (ثم).



﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين زوج وامرأة؟

الجواب:

كلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف، كما في الآيات:[الروم ٢١ـ الفرقان ٧٤ـ الأنبياء ٩٠].

وإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج. انظر: [يوسف ٣٠ـ التحريم ١٠ـ مريم ٥].

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية آل عمران ٣٥.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾؟ وما فلسفة الزواج في الإسلام؟

الجواب:

في هذه الآية تتضح فلسفة الزواج في الإسلام.

١ـ آيات الله تعالى عديدة، فقد ذكر بعضها في سورة الروم ابتداء من الآية ٢٠ إلى الآية ٢٦، مثل: خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان من تراب، واختلاف الألسنة والألوان، والنوم بالليل والعمل بالنهار طلباً لفضل الله، وكذلك البرق والغيث وإحياء الأرض بالمطر، وقيام السماء والأرض بأمره والخروج من الأرض يوم البعث، ومنها: ﴿أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾.

وفي ذكر هذه الآيات تنبيه للإنسان على أهميتها.

٢ـ قال تعالى في الآية ٢٢: ﴿خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمصدر دلالة على الثبوت والاكتمال، فقد تم خلق السماوات والأرض في وقت محدد وستبقى كما هي عليه الحال الآن حتى يوم القيامة.

أمّا في الآية ٢٠ فقال: ﴿أَنۡ خَلَقَكُم﴾، وفي الآية ٢١ قال: ﴿أَنۡ خَلَقَ﴾ ليدل على فعلٍ متجدِّدٍ يومياً؛ لأنّ الإنسان يولد ويموت كل يوم إلى يوم القيامة.

٣ ـ الله خلق منا أزواجاً، فالمرأة زوج الرجل، والله سبحانه خلقنا في الأصل من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وهذا هو سبب الجاذبية المتبادلة بين الرجل والمرأة؛ لأنّ كل نفس بشرية تنجذب إلى ما اشتقت منه وهذه هي الجاذبية التي تقوم عليها الحياة وبها تقوم الصلات بين الناس. وإنّ مشاعر الأمومة والأبوة هي بعض مظاهر هذه الجاذبية

الإنسانية التي تربط بني الإنسان بعضهم ببعض، كما تربط الجاذبية الكونية الأجرام السماوية بعضها ببعض.

٤ ـ إنّ الوالدين ينجذبان إلى أولادهما بمشاعر خاصة لا يشعران بمثلها مع أولاد الآخرين، وإنّ الاستثناء الوحيد في هذه الدنيا هو سيدنا موسى عليه السلام عندما أُلقي في البحر فالتقطه آل فرعون ورغبت امرأة فرعون أنْ تتخذه ولداً، لكنْ كيف تربي امرأة غير ولدها، حيث إنّ هذا خارج النظام الإلهي في الجاذبية؟ ويأتي الجواب من الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه:٣٩].

ولولا رغبة الزوجين بالآخر لما استمرت الحياة.

٥ ـ الزوجية بين الذكر والأنثى نظام إلهي، وهو نظام أقام الله تعالى عليه الكون في الإنسان والحيون والنبات والجماد، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس:٣٦].

٦ ـ حث الإسلام على الزواج المبكر، فإذا بلغ المرء أشده فقد أصبح أهلاً للزواج؛ لذلك فإن تأخير الزواج فيه خطر على المجتمع.

٧ـ قال تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾، ولم يقل: لتسكن إليه، وفي هذا يتجلى الإعجاز الإلهي، حيث إنّ الرجل بحاجة للسكن إلى زوجته أكثر من حاجة الزوجة إليه، لأنّ الرجل في الغالب يكدح خارج البيت طول النهار كدحاً يستغرق روحه وبدنه ونفسه، فإذا عاد إلى البيت فهو يحتاج إلى الهدوء والراحة والسكينة، وإلى القلب الحنون والكلام الدافىء والزوجة المحبة المتلهفة عليه، ينظر إليها فتسره ويشكو إليها همومه فتخفف عنه.

إنَّ الرجل لا يُشقيه عناء العمل، ولا ضيق ذات اليد، ولا مشاكل الحياة ولا مطالب الأبناء، إنْ كانت تنتظره في البيت زوجة بقلبها ونفسها ووجهها. قال ﷺ: **(ما أُوتي ابن آدم بعد تقوى الله عز وجل خيراً من امرأة صالحة إن نظر إليها سرته وإن غاب عنها حفظته)**.

إنَّ الزوجة المخلصة المحبة هي التي تصنع الزوج المحب المخلص المرتبط ببيته وأبنائه، وإذا كان ثمة من يشذ عن هذه القاعدة من النساء والرجال فإنما هو أمثلة محدودة قد يكون أكثر أسبابها البعد عن منهج الله في حياة أحدهما أو كلاهما.

٨ـ الفعل ﴿وَجَعَلَ﴾ يفيد الصيرورة والتحويل، فكأنَّ الله تعالى يريد منا أنْ نؤمن بأنَّ المودة والرحمة منه سبحانه، فهو الذي يزرعها في قلوب من يسعون في الزواج وفق منهج الله وشرعه وسنة نبيه عليه السلام.

والمحبة عنصر ضروري في الحياة وبها تستمر، ولولا إحساس الرجل والمرأة بأنهما بحاجة إلى بعضهما لما استقامت الحياة. وقد صنع الله هذا الإحساس منذ خلق آدم عليه السلام ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[النساء:١].

لذلك فالمحبة هي الفطرة في أصل الخلق الإنساني، ولا تحتاج إلى آلات اللهو والطرب، بل هو المنهج الإلهي الذي أودعه الله قلوب عباده، فيلتقي العروسان برباط الزواج، فيشعر أحدهما أنه لم يخلق إلا ليكون زوجاً للآخر، مع أنهما لم يلتقيا إلا من فترة قصيرة.

وليس صحيحاً ما يتقول به البعض من أنه لا بدّ أنْ يلتقيا شهوراً أو سنين في فترة الخطوبة قبل العقد ليفهم كل واحد منهما الآخر، ولو صارح الخطيبان نفسيهما لوجدا أنّ هذه الشهور والسنين تستنفد من روحيهما الدهشة والنشوة اللتين يشعر بهما المرء عندما يرى حبيبه لأول وهلة.

وقد دلت الإحصاءات أنّ الزواج الذي يأتي بعد فترة طويلة من لقاء الخطيبين غالباً ما يكون فاتراً، على حين يكون الزواج الثاني زواجاً مشرقاً بهيجاً.

إضافة إلى ما يحدث من فتور الحب بينهما، بل حدوث المشاكل التي قد تعصف بحياتهما الزوجية كعقاب من الله نتيجة الذنوب والمعاصي التي يرتكبانها في فترة الخطوبة دون عقد قران، وخاصة في البيئات المبتعدة عن منهج الله، ويظن الأهل أنّ الفتى خطيبها، بمعنى: كأنه عقد عليها وأصبحت زوجته رسمياً. وكم جرّت مثل هذه الأمور من ويلات على البنت خاصة أو عليهما معاً، ولربما طالت الويلات عائلتي الخطيبين.

ترى ماذا يسمي الناس هذه الفترة الطويلة من العشرة قبل أنْ يعقدا الزواج رسمياً وهما (يدرسان) بعضهما بعضاً؟ !! وكم من دارس ادعى الدراسة فرسب!!

وربما عند غير المسلمين يكونان قد أنجبا ولداً أو أكثر في فترة ما قبل الزواج، وهما يدرسان بعضهما بعضاً.

٩ـ الفعل الثلاثي ﴿وَجَعَلَ﴾ أي جعل بين الزوجين مودة ورحمة. هذا الحكم لا يملكه إلا الله تعالى، وإلا فمن يتجرأ أنْ يحكم هذا الحكم الصارم بأنْ الزوجين سيكون بينهما مودة ورحمة.

إنها الحقيقة القرآنية المستمرة.

وتجد في الحياة الزوجية من يمكث مع زوجته ثلاثين سنة أو أربعين سنة فلا يمل أحدهما الآخر، بل تبقى بينهما مودة ورحمة دائمة ورغبة عند كل منها بالآخر، فإنْ فارق أحدهما الآخر- ولو لفترة- دمعت عينه واضطربت نفسه، وبكى بصمت وحزن لا يعلمه إلا الله. ولو عاشت المرأة مع رجل بدون زواج لما احتمل أحدهما الآخر هذه الفترة؛ لأنّ الشيء الجسدي الذي سعى كل واحد منهمامن أجله عند الآخر قد حصل عليه.

هذه هي دلالات الفعل ﴿وَجَعَلَ﴾، ويستحيل أن تكون هذه المودة والرحمة بين شخصين لا يلتقيان على منهج الله تعالى في الزواج.

١٠ ـ ختم الله تعالى الآية ٢١ بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ والتفكر في القرآن الكريم يعني العبادة. ولولا هذه الدلالات الواسعة والأسرار العظيمة في هذه الآيات لما ختمت بهذا التأكيد الذي يدعو إلى التفكر، حتى يعلم الناس على أي أسس يقيمون حياتهم الزوجية.

بينما ختمت الآية ٢٢ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ لتناسب تفكر العلماء بآيات الله الكونية في خلق السماوات والأرض واختلاف الألوان والألسن.

ولفظة ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ قرئت بكسر اللام (للعالِمين) وفتحها (للعالَمين) فجمعت بين المعنيين.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما معنى كلمة الود في قوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةً﴾ في هذه الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ٩٦.

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة الفعل (جعل) في القرآن؟

الجواب:

الكلمات هي:

أبدع:

وهو إيجاد الشيء من العدم ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأنعام:١٠١] فلم تكن موجودة قبل.

خلق:

هو تقدير الشيء قبل إيجاده، كالتصميم في الهندسة، والخلق من شيء موجود، كما خلق الإنسان من طين.

سوّى:

إذا وجد الخلق صار تسوية، مثال التصميم عندما يُنفذ فيصبح بناء.

عدل:

هذه التسوية ليس لنفر واحد، وإنما لمليارات الناس، فحقق العدل بين البشر جميعاً بنفس المواصفات.

صنع:

الصنع هو إتقان الشيء فتصبح صناعة متطورة.

أنشأ:

أي: نمّاه من طفل إلى شاب ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزُّخرُف:١٨] ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرعد:١٢].

جعل:

بعد أنْ يخلق الله الشيء يهديه إلى وصف جديد أو صفة جديدة، كما في الآية: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ [طه:٢٩] أي: أضاف إلى هارون وصفاً جديداً.

خلق:

قدّر الله تعالى الرجل والمرأة، وخلق من الرجل امرأة، وجعل لهما وظيفة جديدة، وجعل بينهما مودة ورحمة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

عمل:

أثّر في الشيء.

فعل:

جزئيات العمل تسمى فعلاً. وكل فعل عمل، وليس كل عمل فعلاً.

صوّر - برأ:

البرء هو تمييز الصورة، وقولهم: برأ الله الخلق؛ أي ميّز صورهم.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؟ وما فلسفة النوم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية القصص ٧٣.



﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية الروم ٢٠: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، وفي آية الروم ٢٥: ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الروم ٢٠.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ ﴾

السؤال الأول:

لماذا خصّ العاقل في الآية ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، مع أنّ كل ما في الكون خاضع لله طائع مسبح يدخل في دائرة القنوت لله؟

الجواب:

لأنّ التمرد لا يأتي إلا من ناحية العقل؛ لذلك بدأ الله به، أمّا الجماد الذي لا عقل له فأمره يسير، حيث لا يتأبّى منه شيء على الله، لا الجماد ولا الحيوان ولا النبات.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾

السؤال الأول:

قدّم الجار والمجرور في آية مريم٢١، فقال تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ﴾، وأُخّر في آية الروم٢٧، فقال: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ٢١.

﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟ وما دلالة اللام في كلمة ﴿ لِيَكْفُرُوا ﴾ ؟

الجواب:

١ ـ الله سبحانه قد بيّن في الآية السابقة وفي هذه الآية أنه نجّاهم من الكرب وأذاقهم رحمته، لا ليكفروا به، وإنما ليبين لهم أنه لا مفزع لهم إلا إليه، فيتمسكوا به سبحانه فيؤمن منهم الكافر ويزداد مؤمنهم إيماناً. لكن جاء رد الفعل منهم على خلاف ذلك (لقد كفروا بالله)؛ لذلك يسمون هذه اللام لام العاقبة، وقد تكون للتعليل أيضاً.

ولهذه المسألة نظائر في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُۥ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ [القصص:٨] فهم التقطوه ليكون لهم قرة عين، ولو كانوا يعلمون هذه العاقبة لقتلوه أو أغرقوه.

فالأسلوب في الآية هنا يحمل معنى التقريع. قال الشاعر:

إذا لمْ تصادفْ في بنيكَ عنايةً ... فقد كذَب الرّاجي وخاب المؤملُ
فموسى الذي رباه جبريل كافرٌ ... وموسى الذي رباه فرعون مرسلُ

٢ـ الفعل ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ فعل أمر، وقد عُطف على الفعل المضارع ﴿ لِيَكْفُرُوا﴾ الذي يحتوي على لام التعليل، أو لام العاقبة المكسورة. وطالما عطف فعل الأمر على الفعل المضارع، فلماذا لا تكون لام ﴿ لِيَكْفُرُوا﴾ لام الأمر؟ وإذا كانت لام الأمر فلماذا هي مكسورة بدل أنْ تكون ساكنة؟

والجواب:

نعم لام الأمر ساكنة، لكنْ تكون مكسورة إذا جاءت في أول الكلام، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧] ففي هذه الآية كُررت لام الأمر، لكنّ اللام الأولى مكسورة ﴿لِيُنفِقْ﴾ لأنها في أول الكلام، وعادة لا يُبتدأ بساكن، فحُركت بالكسر للتخلص من السكون واللام الثانية ساكنة ﴿فَلْيُنفِقْ﴾؛ لأنها وقعت في وسط الكلام.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ في آيتي النحل٥٥ والروم٣٤، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ في آية العنكبوت رقم ٦٦، فما السبب؟

الجواب:

السبب - والله أعلم - أنّ آيات النحل والروم للمخاطبين، فجاءت بغير لام وفي سورة العنكبوت الآية للغائبين، فناسب ذكر اللام فيه.



﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ و﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ التقديم: أنْ تعطي وتقدم مما عندك، أمّا الكسب: فأنْ تجمع وتأخذ بنفسك.

٢ـ ننظر كيف يستعمل القرآن (قدمت) و(كسبت):

*شواهد قرآنية:

أ ـ آية الروم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١] قبلها ذكر كسباً غير مشروع ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم:٣٩] هذا كسب، فقال: (بما كسبت أيديكم)، فهوكسب وليس تقديماً.

ب ـ آية الشورى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] قبلها ذكر كسباً وسوء تصرف ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧] وهذا كسب، فقال: كسبت.

٣ـ آيات التقديم التي ليست في سياق الكسب.

* شواهد قرآنية:

أ ـ آية الروم ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم:٣٦] وقبلها قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم:٣٣] ليس فيها كسب.

ب ـ آية الشورى ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى:٤٧-٤٨] ليس فيها كسب.

ج ـ آية آل عمران ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾[آل عمران:١٨١-١٨٢] كأنّ هذا الكلام مقدم من قِبلهم.

د ـ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)﴾ [الأنفال:٥٠-٥١] التقديم لما فعلتم وقدمتم لأخراكم، لكنّ الكسب يكون في نطاق الكسب والاستحواذ.



﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)﴾

السؤال الأول:

وردت ﴿وَيَبْصُطُ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في آية سورة البقرة ٢٤٥، بينما سائر ما في القرآن ﴿يَبْسُطُ﴾ بالسين في أكثر من عشرة مواضع فما السبب؟

الجواب:

١ ـ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يختص بشيء دون شيء. فالله هو القابض الباسط في النعم والأرزاق والأعمار والآجال والملك والصدور والتقتير والتوسيع، يسلب قوماً ويعطي قوماً ويقبض الصدقات ويخلف البذل، فهو بسط مطلق غير مقيد.

٢ ـ بينما في الآيات الأخرى ترى البسط مقيداً بالرزق أو بغيره، مثل الغيث في الروم ٤٨.

٣ ـ البسط المطلق أقوى وأعم من البسط المقيد، فجاء بالصاد في الأقوى وجاء للمقيد بالسين.

لمزيد من التفصيل انظر آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الثاني:

قال في آية الروم٣٧ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وفي آية الزمر٥٢ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ ـ السبب أنّ ألفاظ الرؤية والنظر في سورة الروم أكثر مما في سورة الزمر، وألفاظ العلم في سورة الزمر أكثر منها في سورة الروم. وبيـان ذلك:

أ ـ وردت ألفاظ الرؤية والنظر في الروم ٧ مرات وفي الزمر ٦ مرات.

ب ـ وردت ألفاظ العلم والنظر في الروم ١٠ مرات وفي الزمر ١١ مرات.

٢ـ تفصيل الفقرة (أ) انظر آيات الروم[٩ـ٢٤ـ٣٧ـ٤٢ـ٤٨ـ٥٠ـ٥١] وآيات الزمر[٢١ـ٣٨ـ٥٨ـ٦٠ـ٦٨ـ٧٥].

٣ـ تفصيل الفقرة (ب) انظر آيات الروم:[٦ ـ ٧ ـ ٢٢ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣٤ ـ ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٥٦ ـ ٥٩].

وآيات الزمر: ٧[ـ٩ـ٩ـ٢٦ـ٢٩ـ٣٩ـ٤٦ـ٤٩ـ٤٩ـ٥٢ـ٧٠].

لذلك استحقت سورة الروم لفظ الرؤية، وسورة الزمر لفظ العلم.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي
عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ و ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الروم ٣٦.

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل (كسب) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٧.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الإحباط للأعمال الأخروية أو فسادها أو بطلانها؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الكهف ١٠٥.

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم الكافر على المؤمن في الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: عليه وبال كفره، وهي النار المؤبدة أو مجاز عن جزائه.

٢ـ أفرد الضمير ﴿فَعَلَيْهِ﴾ باعتبار لفظ ﴿مَن﴾، وفيه إشارة إلى قلة قدرهم عند الله تعالى وحقارتهم، مع ما علم من كثرة عددهم.

بينما قال بصيغة الجمع: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾ مع المؤمن، إشارة إلى عظم قدرهم عند الله تعالى.

٣ـ مقابلة من ﴿كَفَرَ﴾ بمن ﴿عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ لا بمن (آمن)؛ للتنويه بأهمية العمل الصالح بما يشمل العمل القلبي والقالبي، كما بيّن ذلك في الآية ٤٥.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ لتعليل اختصاص محبة الله تعالى للمؤمنين، وعدم محبة الكافرين يقتضي حرمانهم من النعيم.

السؤال الثاني:

لماذا أسند الله تعالى الكفر والإيمان إلى العبيد عندما قدّم الكافر، وأسند الجزاء إلى نفسه عندما قدّم المؤمن؟

الجواب:

١ـ هذا خط القرآن دائماً؛ إذ يظهر الله تعالى ذاته العلية في أمور الخير ولا يظهرها مع أمور الشر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن:١٠].

٢ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وعيد للكافر ليمتنع عما يضره، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ تحريض للمؤمن وترغيب له في الخير؛ ليوصله إلى الثواب.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قدّم الكفر لتقدم ذكر الكافرين قبل هذه الآية. انظر الآيات [٤١ـ ٤٣].

٢ـ ذكر عاقبة الكفر لتقدم ذكر الكفر.

السؤال الرابع:

ما دلالة الفعلين ﴿كَفَرَ﴾و ﴿عَمِلَ﴾بصيغة الماضي؟

الجواب:

١ـ الآية هي عن الآخرة؛ ولذلك ذكر ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بصيغة الماضي لأنّ العمل توقف، ولا عمل بعد يوم القيامة.

٢ـ الفعلان بالماضي لنفس السبب. بينما في آية لقمان ١٢جاء فعل الشكر بصيغة المضارع؛ لأنّ الشكر يتكرر، وينبغي أنْ يتكرر، بينما جاء فعل الكفر بالماضي؛ لأنّ الكفر يحصل ولو مرة واحدة، وينبغي أنْ يُقطع.

السؤال الخامس:

ما دلالة كلمة الكفر؟

الجواب:

الكفر له دلالتان:

أ ـ كفر مقابل الشكر في النعمة ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢] ـ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣] ـ آية لقمان ١٢.

ب ـ كفر مقابل الإيمان: آية الروم ٤٤، والعمل من متممات الإيمان.

السؤال السادس:

لماذا أفرد ﴿فَعَلَيْهِ﴾ وجمع ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾؟

الجواب:

١ـ أفرد ﴿فَعَلَيْهِ﴾ وجمع ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ إشارة إلى أنّ الرحمة أعم من الغضب فتشمله وأهله وذريته، أمّا الغضب فمسبوق بالرحمة. وكذلك عند الخير بيّن وفصّل بشارةً، وعند غيره أشار إليه إشارة.

٢ـ قوله: ﴿يَمْهَدُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ لأنه حكاية عن الحال الماضية كقوله تعالى:

ـ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: ما تلت.

- ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨] أي: وقلّبناهم.

- ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩١] أي: فلم قتلتموهم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَمْهَدُونَ﴾ أي: ما مهدوا لأنفسهم من أعمال صالحة للآخرة.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ يعني: أنا الله المجازي، فكيف يكون الجزاء؟ ثم إني لا أجازيك من العدل، وإنما أجازيك من الفضل، فيزداد الرجاء.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أوعدهم بوعيدٍ ولم يفصّله؛ لأنّ عدم المحبة من الله غاية العذاب.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة الروم الآيات (٤٦ و٤٨) تتحدث عن نفس الموضوع، بينما اختلف الموضوع في الآية (٤٧)، فما السبب في اختلاف الموضوع؟

الجواب:

١ـ ترتيب الآيات مهم، والقرآن قبل هذه الآيات ذكر عاقبة الأمم الكافرة ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم:٤٢] ثم ذكر بعدها فضله على الذين آمنوا تحديداً، فقال: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم:٤٥]، إذن أولاً ذكر عاقبة الأمم الكافرة، ثم ذكر فضله على الذين آمنوا.

٢ـ ثم بدأ بهذه الآيات ببيان فضله على الناس، فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ هذه عامة، وهذا الكلام هو عن الناس ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ إذن هذا تدرج.

ثم حذّر المخاطبين الذين لا يشكرون ربهم على ما آتاهم من النعم وذكّرهم بمن قبلهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧] أي حذّر المخاطبين الذين لا يشكرون ربهم، إذن هذا الترتيب طبيعي. وذكر هنا موقف الأمم من الرسل.

٣ـ ثم بعد ذلك ذكر ما يتعلق بأمر الرياح على سبيل الخصوص، هناك في الآية ٤٦ ذكرها عامة، وما ذكر فيها مطراً أو غيره، وإنما قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم:٤٦]، وهنا في الآية ٤٨ ذكر ما يتعلق بالمطر.

٤ـ في الآية ٤٧ ذكر موقف الأمم من الرسل، ثم هنا في الآية ٤٨ ذكر موقف الناس ـ عموم الناس ـ من النِعم، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم:٤٨] فهم يستبشرون بهذا، لكن ينسون المنعِم، استبشروا بالنعمة، ولكن نسوا المنعم، فاقتضوا التحذير.

٥ـ ثم ذكر بعد ذلك الفلك وذكر المطر. الفلك سبيل النجاة، والمطر قد يكون سبيل الهلاك.

والملاحظ هنا أنه ذكر الفضل والعقوبات ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم:٤٦] ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ﴾ [الروم:٤٧]، وذكر الكافرين والمؤمنين وذكر الرياح والريح ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الروم:٥١] الرياح تبشير، والريح عقوبة،

وذكر الاستبشار والإبلاس ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الروم:٤٩] وذكر الرحمة والانتقام ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الروم:٤٦] ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [الروم:٤٧]، فجمع كل المتقابلات. كان يأتي إلى النعمة فيذكّرهم، يذكر لهم شيئاً ثم يذكّرهم، أليس هذا أحسن لكم، ثم يذكر أمراً آخر ويذكّرهم، وهكذا.

٦ـ وهذا يحصل عادة في الحياة، فإنك قد تذكر شخصاً بأمر، ثم تقول: أليس هذا من نعمة ربك عليك يا رجل؟ ثم تكرر له أمراً آخر وتذكره بنعمة أخرى وتقول: هل يحق لك أن تكفر به؟

وهنا كذلك في الآيات، يذكر الله نعمه على عباده ثم يحذّرهم، ثم يذكر نعمة أخرى ثم يحذّرهم، هذا هو جريان مساق هذه الآيات.

وقد ذكرفي الآيات المتقابلات: الفضل والعقوبة، الكافرين والمؤمنين الرياح والريح، الاستبشار والإبلاس، الفضل والانتقام كلها في سياق واحد.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة (آية)؟ وما النعم التي ذكرها الله سبحانه في الآية ٤٦؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تُطلق الآية على ثلاثة معانٍ:

أ- آيات كونية.

ب- معجزات الرسل.

جـ- آيات القرآن التي تحمل لنا منهج الله.

٢ـ ذكرت الآية خمساً من نعم الله على عباده:

أ ـ إرسال الرياح وهي نعمة.

ب ـ تبشيرها بالمطر نعمة.

ج ـ إجراء الفُلك نعمة.

د ـ الابتغاء من فضل الله نعمة.

هـ ـ ثم الشكر على هذا كله نعمة أخرى.

السؤال الثالث:

قوله تعالى آية الروم ٤٦: ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾، وفي آية الجاثية١٢: ﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾بزيادة ﴿فِيهِ﴾، فما السبب؟

الجواب:

السياق في آية الروم لذكر الرياح، ولم يذكر البحر. وفي آية فاطر تقدم ذكر البحر فرجع الضمير إليه.

السؤال الرابع:

في آية الروم ٤٧ جعل الله نصر المؤمنين حقاً، فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي آية آل عمران ١٦٥ ابتلاهم بالمصائب من جراء الهزيمة فكيف توجيه ذلك؟

الجواب:

المراد به أنّ العاقبة لهم وإنْ تقدم وهنٌ فلتمحيصهم وإثابتهم على ذلك.

السؤال الخامس:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾في الآية ٤٧؟

الجواب:

١ـ كثيراً ما استعمل القرآن الصيغة الاسمية لكلمة (الإيمان)؛ وذلك لأنّ الإيمان له حقيقةٌ ثابتةٌ تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق يحدث وينقطع، كما هو واضح بآية سورة السجدة ١٨ ﴿مُؤْمِنًا﴾ وآية طه١١٢ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والروم ٤٧ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾.

كما استعمل الإيمان بالصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث كما في سورة الأنعام١٠٩ ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ﴾؛ لأنه لم يحصل بعد، وكما في البقرة ١٣ ﴿ءَامِنُوا﴾ و﴿أَنُؤْمِنُ﴾.

٢ـ كذلك التقوى والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر. كل هذه لها مسميات حقيقيةٌ أو مجازيةٌ تليق بها، فحيث يُراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يُراد الاتصاف بها فالأسماء.

السؤال السادس:

جاءت الأفعال بالمضارع في آيات الأعراف ٥٧ والروم ٤٨ ﴿يُرْسِلُ﴾ وجاءت الأفعال بصيغة الماضي في الفرقان ٤٨ـ وفاطر٩ ﴿أَرْسَلَ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف ٥٧ تقدّمها في الآية٥٤ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وتقدّمها في الآية ٥٥ ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ﴾، فناسب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لأنّ الدعاء إنما يكون لما يأتي.

٢ـ آية الروم٤٨ تقدمها في الآية ٤٦ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾، فناسب بعدها في الآية ٤٨ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

٣ـ آية الفرقان ٤٨ تقدّمتها أفعال ماضية كقوله تعالى: ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾و ﴿لَجَعَلَهُۥ﴾ و ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ﴾و ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾و ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ﴾، فناسب ذلك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

٤ـ آية فاطر٩ تقدمها في الآية ٣ قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو المطر، وإنها يذكّر الله بشكر النعم الماضية على زمن الشكر، فناسب ﴿أَرۡسَلَ﴾ ماضياً.

السؤال السابع:

في آية الروم ٤٦ ذكر الفلك وذكر الشكر فقط دون الصبر، فقال: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٤٦﴾ [الروم:٤٦] وهذا تكرر في آيات: [النحل ١٤ـ يونس٢٢ـ فاطر ١٢ـ الجاثية ١٢] متى يكون استخدام ﴿صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣﴾ كما في آية الشورى ٣٣، ومتى يأتي الشكر فقط؟

الجواب:

١ـ صبّار:الصبر إمّا أن يكون على طاعة الله أوعلى ما يصيب الإنسان من الشدائد. فالصلاة تحتاج إلى صبر، وكذلك سائر العبادات كالجهاد والصوم، والشدائد تحتاج للصبر.

٢ـ شكور: الشكر إمّا أن يكون على النعم ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ أوعلى النجاة من الشّدّة ﴿لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾ [الأنعام:٦٣] فالشكر إذن يكون على ما يصيب الإنسان من النِّعَم أو فيها يُنجيه الله تعالى من الشِّدّة والكرب.

٣ـ إضافة إلى هذا فإنه إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه تعالى إذا كان السياق في تهديد البحر يستعمل (صبّار شكور)، وإذا كان في غيره يستعمل الشكر فقط.

ففي سورة لقمان مثلاً قال تعالى في سياق تهديد البحر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾ [لقمان:٣١-٣٢]، وفي سورة الشورى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)﴾ [الشورى:٣٣].

أمّا في سورة الروم فقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)﴾ [الروم:٤٦]، فجاء بالشكر فقط .

وكذلك في سورة النحل ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)﴾ [النحل:١٤].

وفي سورة يونس ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)﴾ [يونس:٢٢].

وفي سورة الجاثية ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾ [الجاثية:١٢].

وفي سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر:١٢].

٤ـ كلمة (صبّار) لم تأت وحدها في القرآن كله، وإنما تأتي دائماً مع كلمة (شكور)؛ وهذا لأنّ الدين نصفه صبر ونصفه الآخر شكر، كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم:٥]، وفي سورة سبأ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ:١٩].

السؤال الثامن:

ما دلالة تنوع الأوصاف للسحاب وتصنيفها في القرآن ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم:٤٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور:٤٣] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ:١٤]؟

الجواب:

أولاً ـ المعلومات اللغوية:

١ـ كلمة (السحاب) أو (سحاب) هي كما يقول علماؤنا: اسم جنس جمعي. واسم الجنس الجمعي: لفظه لفظ مفرد، ولكنّ معناه معنى الجمع وليس له واحد من لفظه، والسحاب لفظه لفظ مفرد.

٢ـ كلمة (السحاب) وردت في تسعة مواضع في القرآن الكريم كله. والسحاب لفظه لفظ مفرد ومعناه معنى الجمع، كأنه جمع تكسير. ولذلك قالوا السحاب يُذكّر ويؤنّث، فالعرب تقول: هذا السحاب، وتقول: هذه السحاب. وتقول: ظهر السحاب وظهرت السحاب، لكنّ الإحالة عليه تكون بالضمير بالمفرد المذكّر، يعني أنك تقول: السحاب رأيته، ولا تقول السحاب رأيتها. فإذا جمعته على (سُحُب) تؤنّث وتقول: السحب رأيتها ولا تقول: رأيته.

٣ـ العرب عندما تُذكّر وتؤنّث تتبع المعنى الذي ترمي إليه، فإنّ المذكّر أقوى من المؤنّث، وهي في الحيوان المذكّر عامة.

و(هناك بعض المؤنثات أقوى من الذكور) لكنْ عموماً جنس الذكر أقوى من الأنثى، ففي عالم الحشرات الأنثى أقوى من الذكر، لكنْ في عالم الحيوان: الأسد أقوى من اللبوة، والرجل أقوى من المرأة عموماً. لذلك حينما يأتي موطن تذكير فمعناه أن هناك ميلاً إلى بيان القوة، وعندما يكون موطن تأنيث يكون أدنى.

٤ـ كلمة (السحاب) وردت في تسعة مواضع، والسَحاب هي بفتح السين وليس لها وجه آخر. منها أربعة مواضع وردت كلمة السحاب دون وصف وهذه المواضع مذكورة في آيات [النمل ٨٨ـ البقرة ١٦٤ـ النور ٤٠ـ فاطر ٩].

أمّا المواضع التي ذُكر فيها وصف للسحاب، فهي خمس آيات، وهي:

السورة	الآية	الوصف
الأعراف	٥٧	سحاباً ثقالاً
الرعد	١٢	السحاب الثقال
النور	٤٣	ركاماً
الطور	٤٤	سحاب مركوم
الروم	٤٨	فيبسطه؛ أي: السحاب.

ثانياً ـ ننظر في كل آية من الآيات التسع:

١ـ الموضع الأول: في سورة النمل:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨].

السحاب مشبّه به هنا، والكلام عن الجبال في حالٍ من أحوالها حيث تشبه السحاب فهو مشبه به لا مجال للكلام عليه. وهذه الآية جاءت في سياق أهوال قيام الساعة، ومنها أنك ترى الجبال تحسبها جامدة، ثابتة مستقرة، وحقيقتها أنها تمر مرّ السحاب. والمرور هو المجاوزة، فتكون مجاوزة بالقياس، أو الإضافة لشيء ثابت.

والصورة المفهومة من الآية أنّ الناس في مشهد الرعب يوم القيامة الناس واقفون في أماكنهم والجبال تمر، تتحرك، ثم ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا (العوج: المنخفض، والأمت: المرتفع) وتتساوى الأرض، ليس فيها

منخفضات ولا مرتفعات. وهذا الفهم المتصل بما قبله وما بعده هو مشهد من مشاهد يوم القيامة.

٢ـ الموضع الثاني في سورة البقرة:

وهي في سياق تعداد نِعم الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤].

الآية تذكر جملة أمور مؤكدة بـ ﴿إِنَّ﴾، ثم بعد ذلك تذكر الخبر ﴿لَآيَاتٍ﴾ ومن ذلك أنَّ الله تعالى خلق السموات والأرض لأجل الإنسان. ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فهو ليس نهاراً سرمداً ولا ليلاً سرمداً، بل تعاقب الليل والنهار. ومن ذلك ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ فمن رحمة الله سبحانه وتعالى أنْ سهّل للإنسان صنع أجسام تطفو على الماء يسكن فيها، وهذا ليس أمراً سهلاً لكننا أَلِفناه، والوصول إليه هداية من الله تعالى.

ومن ذلك ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ هذا الماء في الأرض يتبخر ويرتفع إلى السماء فيطهر فينزل طاهراً. ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ لأنّ الأرض من غير ماء ميتة.و ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ هذه الدواب التي على الأرض بسبب الماء أيضاً.

ومن ذلك: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ السفن تتحرك بالرياح. وكذلك السحاب يتحرك بالرياح؛ ولذلك أكّده ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ يعني: السحاب مهيأ ومُعدّ لكم، و الله تعالى سخّره بين السماء والأرض. كل هذا آيات لقوم يعقلون.

٣ـ الموضع الثالث في سورة النور ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: -٤٠].

الآية هي في الحديث عن الكافرين وأعمالهم، وفيها نوع من الالتفات بين العمل والعامل.

وتخيّل صورة عمل الكافر المنحرف عن شرع الله تعالى ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ﴾ [النور:٤٠] هذه أعمالهم ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ [النور:٤٠] وأقرب شيء للإنسان هي يده، ومع ذلك لم يكد يراها. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور:٤٠] لاحظ المزاوجة بين الظلمات والنور، إذن هنا لم يصف السحاب.

٤ـ الموضع الرابع في سورة فاطر ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر:٩].

وهذا هو الموضع الرابع الذي جاء فيه السحاب من غير وصف، وإنما مجرد سحاب. وهذا هو التسلسل (أرسل الرياح، تثير سحاباً، سقناه إلى بلد ميت، أحيينا به)، والذي يلفت النظر هذا التلوين ﴿أَرْسَلَ﴾، ﴿فَتُثِيرُ﴾ ماض ومضارع، ثم يعود مرة أخرى إلى

الحقيقة العامة، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أرسل الرياح، وهو الذي ساق الماء إلى هذا البلد.

والفعل المضارع ﴿فَتُثِيرُ﴾ كان يمكن في غير القرآن أنْ يقول: (أرسل الرياح فأثارت سحاباً)، لكنْ لمّا قال (فتثير) جعلها حيّة متجددة، وهو من أساليب العرب، إذا أرادوا إحياء الكلمة وأنْ يجعلوها حيّة حاضرة يستعملون المضارع.

فإذن هنا مجرد ذكر السحاب وبصورة موجزة من غير تفصيل.

٥ـ الموضع الخامس في سورة الأعراف:

وهو أول موضع من المواضع التي وصف فيها السحاب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف:٥٧] هناك قال رياح فقط، وهنا قال: (بشراً بين يدي رحمته) فالرياح مبشرات.

العربي عندما يشم رائحة الهواء يقول: هذا وراءه غيث، ولو كان على بعد نصف نهار يشمّه، وهذا من الخبرة والتجربة. وقوله تعالى: ﴿بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ وصفه بالثقل؛ أي ماؤه كثير. ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ وعندما يقول: (البلد ميت) معناه أنّ الأرض ميتة، وليس فيها نبات ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف:٥٧] فهنا في هذه الآية وصف السحاب بالثقل؛ لأنّ فيه إنزالاً للماء وإخراجاً من كل الثمرات.

٦ـ الموضع السادس: هو في آية سورة الرعد، حيث وصف السحاب بالثقل أيضاً، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد:١٢]

فالسحاب الثقيل تطمعون في نتاجه؛ ولذلك ما قال السحاب وحده، بل قال: (السحاب الثقال)؛ لأنّ السحاب وحده لا يخيف ولا يُطمِع لأنه قد يكون سحاباً خلّباً، يبرق ويرعد ولا يكون وراءه مطر.

٧ـ الموضع السابع: هذه الآية من سورة النور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور:٤٣].

السحاب هنا ما وصفه مباشرة، ولكنّ الله ذكر أنه يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً، يعني: بعضه فوق بعض، طبقات يتراكم بعضها فوق بعض، شيء فوق شيء. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ الودق هو المطر الغزير والقليل.

بعض العلماء يقف عند كلمة ﴿بَيْنَهُۥ﴾ ويقول: هو سحاب، فكيف يكون له بين؟ يقول الإمام الشوكاني: لأنّ السحاب قطع، فهذه قطعة وهذه قطعة فألّف بينها وأطلق عليها اسماً واحداً.

نصّ الإمام الشوكاني في كتاب (فتح القدير) في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ أنّ المراد بقوله (من السماء) يعني: من عالٍ (وليس معناه من السماء الدنيا التي فيها ما فيها)؛ لأنّ السماء قد تطلق على جهة العلوّ ومعنى (من جبال) من قِطع عظام تشبه الجبال. والشوكاني ما ركب في الطائرة، وما رأى هذا الذي يراه ركاب الطائرة في أيامنا هذه من أنّ السحاب يشبه الجبال.

وكلمة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ هذا الوصف هنا؛ حتى يمهد لهذا التراكم؛ لذكر إنزال البَرَد من هذه الجبال.

٨ـ الموضع الثامن: في آية سورة الطور ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطور:٤٤] المركوم الذي بعضه فوق بعض. والكِسَف والكِسْف هو جمعُ كِسفة لكن الكِسْف يوحي بأنه واحد، والكِسَف كأنه جمع. وكلاهما لغتان في جمع كسفة، بمعنى: قطعة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا﴾ أي مؤلفاً من مقاطع من السحاب ساقطاً وهذا السحاب المقطع كان مظلماً؛ لأنه كان عقاباً من الله عز وجل، وهم يحسبونه سحاباً متراكماً، فقالوا: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ وفيه إشارة إلى ظلمته وضخامة شأنه.

٩ـ الموضع التاسع: في آية سورة الروم تكلم عن بسط السحاب ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم:٤٨] نفس الطريقة السابقة، لكن هنا قال: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم:٤٨] وفيها إشارة إلى كيفية المشيئة، يوزعه كيف يشاء ويحوّله كسفاً قطعة هنا وقطعة هنا والغيث عام للناس جميعاً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [الروم:٤٨] فالمسألة عامة، وليست منحصرة في مكان معين.

ولمّا كان الكلام غير منحصر في مكان معين تكلم عن البسط وعن الكِسَف؛ لأنّ السحاب لن يكون متصلاً حول الأرض جميعاً، وإنما هنا مجموعة من السحب، وهنا

مجموعة من السحاب، فذكر كلمة (كسفاً) وهي جمع كِسفة؛ أي القطعة ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾. والله أعلم.



﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠] و ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة:٤٠]؟ وما دلالة الاختلاف في الأسلوب في الآيتين؟ ولماذا استعمل اسم الإشارة (ذلك) بدل (الله) أو(ربك)؟

الجواب:

١ـ العرب تستعمل اسم الإشارة أحياناً للتعظيم والتفخيم. قال الشاعربشار بن برد، توفي ١٦٧ هـ

بكّـــرا صـــاحبيَّ قبـــل الهجـــيرِ   إنّ ذاك النجـــاحَ في التبكـــيرِ

فقيل له: لِمَ لمْ تقل: في النجاح، فرد عليه: تصبح ضعيفة ليّنة وأنا أردتها عربية قوية.

وقال غيره:

أقـــول لـــه والـــرمح يـــأطر متنـــه   تأمـــل خُفافـــاً إنّنـــي أنـــا ذلكـــا

٢ـ من شأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إذا جاءت بهذا الوجه أنْ تغني غناء فاء السببية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يمكن لغة أنْ تقول: فذلك محيي الموتى، لكن يفوت التأكيد بـ﴿إِنَّ﴾، وبهذا تكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ قد ربطت الجملة الجديدة بالجملة القديمة من غير رابط، فهي في حال وصلٍ وفصلٍ في آن واحد.

قال الجرجاني معلقاً على ذلك: فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، مقطوعاً موصولاً معاً.

٤ـ التعبير﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فيه التوكيد، واللام لغرض التعظيم والبُعد النفسي لعلو شأن الله سبحانه، ويعني: إنّ ذلك العظيم الشأن لمحيي الموتى.

٥ـ آية الروم ذُكر فيها اسم الجلالة في أولها ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ فلو قال بعدها: إنّ الله لمحيي الموتى، يكون الكلام كأنّه قد انقطع.

لكن لمّا قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ كان فيه إشارة إلى ما سبق أنْ ذُكر. ويكون المعنى: أنّ ذلك ذا الرحمة الذي يحيي الأرض بعد موتها هو نفسه محيي الموتى.

لذلك فإن استعمال ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيها الربط والتفخيم والتعظيم.

٦ـ في آية القيامة: سبقها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة:٣٨-٣٩] فالله خلق، والله سوّى ﴿فَجَعَلَ﴾ الفاعل هو الله. وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ أي: هو الذي فعل كل هذه الأمور، فجاءت ﴿ذَٰلِكَ﴾ لتربط بالمعاني السابقة، إضافة إلى التعظيم والتفخيم.

السؤال الثاني:

في موضوع إحياء الأرض وردت ثماني آيات في القرآن الكريم من دون (من): ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۤ﴾، وهي: [البقرة ١٦٤ ـ النحل ٦٥ ـ الروم ١٩ ـ الروم ٢٤ ـ الروم ٥٠ ـ فاطر ٩ ـ الجاثية ٥ ـ الحديد ١٧].

بينما ذكرها في موطن واحد، وهي آية العنكبوت ٦٣﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾. فما الدلالة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤ وآية العنكبوت ٦٣.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ ما استخدامات كلمة (أثر) في القرآن؟

الجواب:

كلمة (أثر) في القرآن الكريم لها ستة معانٍ:

١ ـ أثر الحديث والعلم، وأصله: تتبع الأثر: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤﴾ [المدثر:٢٤] أي: يروى وينقل.

٢ـ الأثارة: بفتح الهمزة، وهي البقية من العلم الذي يؤثر: الأحقاف ٤.

٣ـ أثر الشيء وما يدل على وجوده: الروم ٥٠.

٤ ـ الأثر فيما تتركه قدم السائر على الأرض: طه ٨٤.

٥ ـ آثره بمعنى: فضّله، من الإيثار: يوسف ٩١.

٦ ـ أثار الأرض أي قلبها للزراعة: الروم ٩.

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الأنبياء ٤٥: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء:٤٥]، وفي النمل ٨٠ والروم ٥٢ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم:٥٢] وكلمة (الصم) كافية، فما فائدة (ولوا مدبرين)؟

الجواب:

١ـ في آية الأنبياء نسب إليهم السماع، فقال: ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ فلم يحتج إلى توكيد ومبالغة؛ ولذلك قال: ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي يتشاغلون عن سماعه فهم كالصم الذين لا يسمعون.

٢ـ وفي آية الروم والنمل نسب الإسماع إلى النبي ﷺ، فبالغ في عدم القدرة على إسماعهم بقوله تعالى: ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾؛ لأنّ المولي عن المتكلم أجدر بعدم القدرة على إسماعه من الماكث عنده؛ ولذلك شبههم بالمولي وفيه بسط عذر النبي ﷺ.



﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا وردت كلمة ﴿بِهَٰدِى﴾ بالياء في آية سورة النمل ٨١ وبدون ياء في آية سورة الروم ٥٣ ﴿بِهَٰدِ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النمل ٨١.



﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي أنها موجودة، لكنها نائمة تنتظر الإذن لها من الله بقوله لها ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فالحق يقيمها بإذنه في وقتها الذي حدده لها.

٢ـ سميت الساعة؛ لأنها دالة على الوقت الذي يأذن به الله بإنهاء العالم.

٣ـ يُقْسِمُ الكفار يوم القيامة ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ يقولون ذلك على ظنهم أو لأنّ الغافل عن الأحداث لا يدري بالزمن، وإلا فالكلام لم يعد اختيارياً كما كان في الدنيا، ولم يعد أحد يستطيع أنْ يكذب. ونحو ذلك: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ لأنّ الإنسان لا يدرك الزمن إلا بتتبع الأحداث؛ لذلك هو صادق على ظنه.

٤ـ في الآية جناس تام بين كلمة الساعة الأولى والساعة الثانية؛ لأنّ اللفظ واحد، لكنّ المعنى مختلف، فالأولى للقيامة والثانية للجزء من الوقت.

وقد قسّم أهل البلاغة الجناس إلى تام وناقص، فالأول تتفق فيه الكلمتان في عدد الحروف وترتيبها وشكلها، فإنْ اختلف من ذلك شيء فالجناس بينهما ناقص، كما في

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾ [الهمزة:١] فبين (همزة ولمزة) جناس ناقص؛ لأنهما اختلفا في الحرف الأول.

أمّا المثال على الجناس التام فهو هذه الآية، وكما في قول الشاعر:

رَحلتُ عن الديار لكمْ أسير وقلبي في محبتكمْ أسير



﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧﴾؟ وما العتاب؟

الجواب:

١ـ العِتاب: هو حوار بلطف بين اثنين في أمر أغضب أحدهما، وكان من المظنون أنْ لا يكون.

ونقول: عتب فلان على فلان فأعتبه. أي أزال عتبه؛ ولذلك يقولون: ويبقى الودُ ما بقي العتاب. ويقول الشاعر:

أمّا العتاب فبالأحبة أَخْلَق والحُب يَصلُح بالعتاب ويصدُق

ومن دعاء النبي ﷺ في الطائف مناجياً ربه: (**لك العتبى حتى ترضى**).

٢ـ قوله تعالى: ﴿يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧﴾ وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات بالبناء للمجهول:

ـ ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٨٤﴾ [النحل:٨٤].

ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧﴾ [الروم:٥٧].

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥﴾ [الجاثية:٣٥].

ووردت مرة واحدة مبنية للفاعل في سورة فصلت ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾ [فُصِّلَت:٢٤].

أي: طلبوا إزالة عتابهم، فلمْ يُزله الله، ولمْ يسمح لهم في إزالته.

أمّا بالبناء للمجهول ﴿يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ فلأنهم لم يطلبوا العتب بأنفسهم إنما جعلوا لهم شفعاء يطلبون لهم، لكنْ خاب ظنهم في هذه وفي هذه.



رابعاً- تناسب فواتح الروم مع خواتيمها:

ذكر في أول السورة وعده بغلبة الروم، وذلك قوله سبحانه:

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم:٢-٣-٤]. . . ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم:٦].

وذكر الوعد في آخرها فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم:٦٠].

فذكر وعده في البدء والختام.

والله أعلم.



فهرس المحتويات

من روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنى محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد العاشر

من سورة لقمان وحتى سورة يس

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ
2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب: 11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان:
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة لقمان

أولاً ـ تناسب خواتيم الروم مع فواتح لقمان:

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة الروم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الروم:٥٨].

وقال في أول سورة لقمان: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٢ -٣].

فكلتا الآيتين في القرآن الكريم.

فقد قال في آية الروم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

ووصفه في آية لقمان بأنه حكيم.

فالذي فيه من كل مثل إنما هو كتاب حكيم.

٢ ـ قال في أواخر سورة الروم:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الروم:٥٩].

وقال في أول سورة لقمان:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٦-٧].

والذي ذُكر في آية لقمان إنما هو مطبوع على قلبه بغير علم، فقد ذكر أنه يضل الناس بغير علم، كما قال في آية الروم: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

٣ ـ قال سبحانه في آخر آية الروم:

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

وقال في أول لقمان:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

فذكر في آية الروم الذين لا يوقنون، فقال: ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

وذكر الذين يوقنون في آية لقمان، فقال: ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وبيّن من هم وما صفاتهم.

وقال في آية الروم: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾.

وذكر ذلك في آية لقمان، فقال: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ فأشار بقوله ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

وكان في آخر تلك ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ وهنا ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ و(تلك) إشارة إلى البعيد، فاحتمل أنْ يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه.. .)).

ثانياً. هدف السورة: تربية الأولاد

سورة لقمان سورة مكيّة، وهي تمثّل بحق أفضل طرق تربية الأولاد وجاءت آياتها فيها رقة وحنو ولطف وهدوء، ولقمان ينصح ابنه بكل مودة ولطف ورقّة، ويكثر من استخدام كلمة (يا بني)، وقد أوصاه بوصايا هي قمة الآداب الاجتماعية والأخلاق الحميدة.

١ـ أوصاه بعدم الشرك بالله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

٢ـ بر الوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤].

٣ـ عبادة الله وحسن الخلق ومعرفة حقيقة الدنيا بالصبر: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧].

٤ـ الآداب والأخلاق: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨].

٥ـ الذوق وخفض الصوت: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٩].

٦ـ وضع هدف للحياة وأهمية التخطيط: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٩]؛ لأنّ معنى القصد قد يكون هدفاً في الحياة.

فهذه السورة تضع للآباء أسلوب وعظ الأبناء بحبٍّ ورقة حنان وتركز على أنّ الإسلام يرفض الاتباع الأعمى للآباء: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان:٢١].

لكنْ على الآباء أنْ يساعدوا أبناءهم ويشرحوا لهم حقيقة الحياة ويعظوهم لما فيه خيرهم بأسلوب رقيق لطيف.

وتختم السورة: بالتأكيد على علم الله تعالى وقدرته في الكون: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٣-٣٤].

وهذا ما يجب أنْ يربّي الآباء أبناءهم عليه، فلا يغتروا بالحياة الدنيا وينسوا من وهب هذه الحياة ومن خلق الكون ابتداءً. وذكرت الآية الأخيرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤] خمس غيبيات لا يعلمها إلا الله تعالى: علم الساعة، إنزال الغيث، علم ما في الأرحام، الرزق والكسب، وساعة الموت ومكانه.

ثالثاً ـ اللمسات البيانية فى السورة :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في الآية الأولى من سورة البقرة.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم القرآن بنفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

وهل هناك جدول إحصائي يربط بين التناسب في ذكر الكتاب أو القرآن في أول السورة من ناحية وما يتردد من نفس الألفاظ في نفس السورة من ناحية أخرى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الخامس :

المطلوب إجراء مقارنة بين آيات بداية سورة البقرة و آيات بداية سورة لقمان؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٥.



﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما لهو الحديث؟ وما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

قيل في أسباب النزول: إنّ النضر بن الحارث كان يخرج تاجراً إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً ويقول لهم: إنّ محمداً يحدثكم بحديث عادٍ وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم والأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

والآية لا تخص واحداً بعينه، بل تعم كل من ينطبق عليه الوصف.

١ـ اللهو: هو كل باطل ينهي عن الخير. و ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو السمر بالأساطير والأحاديث مما لا خير فيه من الفحش والخنا وساقط القول والخرافات والغناء.

٢ـ الأصل بالإنسان أنْ يشتري ما هو في صالحه وما فيه نفع له وربح وليس ما فيه خسارته وهلاكه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾يحتمل أنْ يكون المعنى: قسم يشتري بغير علم فهو لا يعلم ماذا يشتري، وهوغير بصير بالتجارة، وقسم يضل الناس بغير علم فيضلهم وهو لا يعلم ماذا يفعل وهذا من باب التنازع، أي الاثنين معاً، أي يشتري بغير علم ويضل بغير علم ، فالأول خاسر، والثاني خسارته مضاعفة وكونه لا يعلم لا يعفيه من المسؤولية.

٤ـ جاء باللام في قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾وعطف بدون لام في ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾؛ والسبب أنهما ليسا بمنزلة واحدة، فالأولى: يسافر ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وأمّا الهزء فيمكن أنْ يهزأ بمكانه ولا يحتاج أنْ يسافر ويتاجر ويشتري. فأكد الأولى باللام؛ لأنها الآكد، وحذف اللام من الثانية؛ لأنها أقل توكيداً.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾الضمير فيها يعود على آيات الله أو على السبيل.

٦- بدأ بالإفراد ﴿ وَمِنَ﴾ وانتهى بالجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والسبب أنه لما قال: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جاء التهديد له ولمن يضلهم فجمعهم في زمرته فأصبحوا جماعة. ووصف العذاب بأنه مهين؛ لأنه استهان بآيات الله واستهزأ بها واستكبر فجعل له عذاباً مهيناً.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴿٦﴾﴾عطف بدون اللام، مع أنه في موضع آخر في القرآن عطف باللام، في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء:١٢]

فما اللمسة البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٢.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان:٦] جاءت كلمة (يتخذُها) مرفوعة بقراءة ورش، فلماذا؟

الجواب :

إذا كانت في المصحف بالرفع فهي قراءة، (يتخذُها) بالرفع تكون معطوفة على (يشتري)، وإذا كانت بالنصب تكون معطوفة على (ليضلَّ) وكلاهما صحيح فصيح.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (إذا) دون (إن) في الآية؟

الجواب :

١ـ (إذا) في اللغة أقوى من (إنْ). (إنْ) تستعمل للأمور المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها ولافتراض الأمور التي قد لا تقع أو إذا وقعت فهي أقل، أمّا (إذا) فلا تستعمل إلا فيما هو واجب الوقوع، أو في الذي يقع كثيراً مع أنّ كليهما شرط.

* شواهد قرآنية على (إنْ) :

ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ فهذا أمر مشكوك فيه، وليس بالضرورة أن يستقر.

ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص:٧١] هذا افتراض.

ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القصص:٧٢]

هذا أمر افتراضي غير واقع في الحياة.

ـ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات:٩] هذا ليس أمراً يومياً، وإنما قلّما يقع.

- ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن:٣٣]. هذا افتراض وتحدٍّ.

- ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١]. هذا افتراض.

- ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة:٢٣].

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾[الأحزاب:٢٨] هذا افتراض

- ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النور:٣٣] هذا افتراض.

* شواهد قرآنية على (إذا):

- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة:١٠] الصلاة كثيرة الوقوع.

- ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة:١٨٠] الموت لا بدّ من حضوره.

- ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧] الشروق والغروب يحدث في كل يوم.

- ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولا بدّ أنْ تنسلخ.

- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة:١٠] لا بدّ أنْ تنقضي.

- ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [النساء:٨٦] التحية كثيرة الوقوع.

- ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ [لقمان:٧] القراءة حاصلة.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦] الوضوء يتكرر.

ـ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[النساء:٢٥] الإتيان مشكوك فيه وقليل.

٢ـ ويظهر الفرق في الاستعمال بين (إذا) و (إنْ) عندما يكونان في نفس الآية، نحو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة:٢٨٢]

التعامل بالدَّين كثير؛ فاستعمل (إذا) وأما حالة ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهذه أقل من الأولى، فاستعمل (إنْ).

٣ـ ولذلك كل أحداث يوم القيامة تأتي بـ (إذا)، ولا يصح أن تأتي بـ (إنْ) لأنها واقعة لا محالة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ [التكوير:١-٨].

٤ـ (إذا) و(إنْ) تدلان على الشرط، لكن (إذا) أقوى من (إنْ) من حيث الوقوع، وقد وردت في القرآن ٣٦٢ مرة ولم يرد في موطن واحد في افتراض أنها لم تقع، بينما (إنْ) في افتراض يمكن تقع أو لا تقع.

٥ ـ هناك فرق بين (إنْ) الشرطية و(إنْ) النافية، كما في الآية: ﴿إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [المُلك:٢٠].

(إنْ) النافية بمعنى (ما) ونميز الشرطية بفعل الشرط وجواب الشرط وإذا دخلت على المضارع تجزم، وهي مختصة بالدخول على الأفعال بينما (إنْ) النافية تدخل على الأسماء والأفعال.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (إذا) و(إذ)؟

الجواب :

١ـ (إذ) ظرف للماضي في الغالب ولا يعدونها من أدوات الشرط.

* شواهد قرآنية:

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الأحزاب:٩].

والنحاة يقولون: (إذ) للماضي و(إذا) للمستقبل. والأصوب أنْ نقول: (إذ) في الغالب للماضي، وهي ليست شرطية. بينما(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب لجوابه مبني على السكون.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر:٧١]. هذا للمستقبل في جهنم (سوف) يسحبون في الحميم، وإنْ كان هناك تأويل أنه مستقبل منزَّل منزلة الماضي؛ لذلك (إذ) في الغالب هي للماضي، كما أنّ (إذا) في الغالب للمستقبل ، لكن قد تكون في الماضي، كما في قوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يونس:٩٠] فهو أدركه الغرق بالفعل.

وكذلك في الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف:٨٦].

وحتى في آية الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة:١١] هذه الآية نزلت بعد ما وقع الأمر.

والنحاة لا يقولون (غالباً)، ولكنهم يقولون: إنّ أدوات الشرط كلها في الاستقبال.

السؤال الثالث :

قال في الآية (تتلى) بصيغة المضارع: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ ولم تأت بالماضي، مع أنه قال: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ فما دلالة استعمال الفعلين: الماضي والمضارع مع الشرط؟

الجواب :

١ ـ الفعل الماضي في الشرط على الأغلب يفيد حصول الحدث مرة واحدة، والمضارع يفيد تكرر الحدث.

* شواهد قرآنية :

أ ـ نلاحظ في آيتين متتابعتين ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ [النساء:٩٢].

و ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء:٩٣].

القتل الخطأ ليس من المفروض أنْ يتكرر؛ لذا في القتل الخطأ قال: ﴿قَتَلَ﴾ وقال: ﴿يَقْتُلْ﴾ في القتل المتعمد لما كان فيه افتراض تكرر الحدث.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء:١٩].

و قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران:١٤٥].

(من أراد) الفعل ماض، و(من يرد) الفعل مضارع ويتكرر؛لأنّ الثواب يتكرر، وكل شيء متعلق بالثواب يتكرر، أمّا الآخرة فواحدة.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الأنفال:١٩]

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨].

لو لاحظنا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ قالها في كفار قريش بعد وقعة بدر، وهم عادوا فعلاً، بينما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ هذه في بني إسرائيل وقد ذكر أنهم يفسدون في الأرض مرتين، إحداهما ذهبت وتبقى الأخرى.

د ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف:٧٦] بقي له سؤال واحد، ثم تنقطع المصاحبة.

بينما قوله تعالى: ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد:٣٧]هذا متكرر؛ لأنه في الأموال.

٢ـ الماضي والمضارع مع الشرط يدلان على الاستقبال، لكنّ الماضي يكون قليلاً أو مرة واحدة، والمضارع يكون فيه توقع حدوث مرات كثيرة.

٣ـ ولذلك هنا في آية لقمان قال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ دلالة على تكرار التلاوة، والذي يفترض أنْ يؤدي ذلك إلى التأمل والتفكر والانتباه، وهذا بخلاف ما لو قال :(تليت عليه) ففيه احتمال أنْ تكون قد تليت مرة واحدة.

٤ـ وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ قال (آياتنا) بإضافة الآيات إلى ضمير التعظيم لله تعالى لتعظيم فعله هذا والتشنيع عليه، فهوعند ذكر آيات الله يستهزئ بها ويولى مستكبراً كأنْ لم يسمعها.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية سورة لقمان: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ وفي الجاثية تحدث عن هذا المعنى بصورة مختلفة ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الجاثية: ٧ – ٨].

ولم يقل: كأن في أذنيه وقراً، فلِم في آية لقمان بالتحديد وردت﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾؟

الجواب :

نقرأ الآيات في سورة لقمان ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٧]، وفي الجاثية ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الجاثية: ٧ – ٨] كيف يكون في أذنيه وقر وهو يسمع كلام الله؟

في لقمان لم يقل (يسمع آيات الله)، بل قال: (تتلى عليه)، لكنه لم يقل (يسمعها). أمّا في الجاثية فقال: (يسمع آيات الله تتلى عليه) فكيف يقول (في أذنيه وقراً)؟

لذلك عندما لم يقل (يسمع) ناسب أنْ يقول: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ في لقمان. والسماع يأتي من التلاوة، وهناك من يتلو حتى يسمع. أمّا الوقرفهو المانع الذي يمنعه من السماع؛ لأنّه يوجد شيء في أذنه يجعله لا يسمع جيداً.

السؤال الخامس :

يلاحظ أن الفعل (فبشره) في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جاء بضمير الإفراد، ولم يجمع الضمير، مع أنه سبق في الآية التي قبلها الخطاب بالجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، فلماذا؟

الجواب :

قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ نلاحظ هنا أن الله تعالى ذكر الشخص وحده، ولم يذكر معه أحداً آخر، ونلاحظ أنّ الآية كلها تتكلم عن شخص واحد، بينما الآية التي قبلها جمع فيها الشخص الذي يتكلم عنه وعمن أضلّه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ لذلك أصبح هناك جماعة له ولمن يضله، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بالجمع وليس له وحده.

فإذن هناك كان التهديد للجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ له ولمن يضله، وهنا في الآية السابعة لمّا كان الكلام عنه وحده أفرد وقال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مع أنّ البشرى لا تكون إلا في الخير، لكنّ هذا استهزاء به وسخرية منه.

السؤال السادس :

ختمت الآية السابعة بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي الآية السادسة قبلها قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ فما الفرق بين العذاب المهين والعذاب الأليم؟

الجواب :

١ـ الإهانة تكون إذا وقعت أمام الآخرين. ويكون العذاب مهيناً إذا كان هناك من يشهد العذاب، أمّا إذا لم يكن هنالك من يشهد فالإهانة ليست ظاهرة، وكلما كان المشاهدون والحاضرون أكثر كانت الإهانة أكثر.

٢ـ ذكر في الآية السادسة من يُضلهم وقال: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لأنه يشهد بعضهم هذا الذي أضلهم وسيعذب أمامهم فهي إذن إهانة له، وهؤلاء أيضاً كلهم سيعذبون، وكل منهم يشهد عذاب الآخر، فهم في عذاب مهين.

٣ـ أمّا في الآية السابعة فهو وحده له عذاب أليم، فلا ينطبق عليه (مهين). والعذاب المهين قد يكون أليما أيضاً، والإهانة بحد ذاتها قد يكون فيها إيلام للآخرين، فجمع الله تعالى له بين الإهانة والألم.

٤ـ وقد لا يكون العذاب المهين مؤلماً جسدياً ويكون مؤلماً نفسياً، أمّا هنا فجمع له بين العذابين: الإهانة والإيلام في مجموعهما (أليم ومهين)، وليس مهيناً فقط من دون إيلام.

٥ـ قد يعذب شخص في سبيل الإسلام، لكن لا يرى فيه إهانة، بل يرى فيه فلاحاً وثباتاً وعزة وصلاحاً وحسنة. بينما هنا جمع له عذاباً مهيناً وأليماً كما استهزأ بالآخرين وأهانهم وآلمهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

مادلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الله سبحانه الكافرين، وأنّ لهم عذاباً أليماً ومهيناً، ذكر ما يقابلهم، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكر أنّ لهم جنات النعيم فأضاف الجنات إلى النعيم، بمقابل ما يلقاه المضِل من عذاب مهين وأليم.

٢ـ ثم في تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ هذا من باب الاختصاص، أي: لهم لا لغيرهم، للذين آمنوا وعملوا الصالحات لا ينعم أحد في الجنة غير هؤلاء حصراً.

كل الجنات هي نعيم، وليس في الجنة بؤس ولا شقاء، وكلها نعيم بمقابل ما يلقاه ذاك في النار من الإهانة والعذاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ليس فقط لهم جنات النعيم، وإنما مع الخلود فيها. ومعنى الخلود: البقاء والدوام الطويل، لكنْ بالنسبة للآخرة لا ينقضي؛ ولذلك يقول أحياناً: (أبداً) أي ليس له نهاية، وعندما يقول: (خالدين فيها أبدا) يكون هذا تأكيداً للأبدية.

٤ـ ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ ﴿وَعۡدَ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف يعني: يعدكم الله وعده حقاً ووعد الله حقاً لا يتخلف.. و(حقاً) مفعول آخر مؤكّد لفعل محذوف.

٥ـ أكّد بالذين آمنوا، وأكّد بـ ﴿حَقًّا﴾ وأكّد بالمفعول المطلق، مع أنّ كلها أشياء طيبة في الجنات لبيان أنّ الأمر مؤكد فعلاً.

السؤال الثاني :

ما سبب اختيار ختام الآية (العزيز الحكيم)؟

الجواب :

١ـ العزيز هو الغالب الممتنع، و(الحكيم) قد يكون من الحُكم، ومن الحكمة.

والعزيز الحاكم هو الذي يفعل ذلك، ولا يمنع من تنفيذ وعده مانع؛ لأنه أحياناً يكون العزيز غير حاكم، والعزة درجات. وحتى في حياتنا الدنيا منتهى العزة أنْ تكون حاكماً. وكل حاكم عزيز، وليس كل عزيز حاكماً.

فهنا جمع تعالى منتهى العزة فهو العزيز الحكيم.

٢ـ والحكيم لها هنا دلالتان: الحكيم من الحُكم، ومنتهى العزة أنْ لا يمنعه مانع؛ لأنّ بيده كل شيء، ومن الحكمة أنْ يكون حكيماً في تصرفاته وإراداته؛ لأنّ الحاكم إذا لم يكن حكيماً كان ذلك تهوراً.

والحكمة المفروض أنّها من مستلزمات الحُكم، فالنمرود كان حاكماً لكنه لم يكن حكيماً. وهنالك كثير ممن نرى ونقرأ يكونون حاكمين لكن ليسوا حكماء ، وهذا حكمه سيكون وبالاً على الآخرين.

٣ـ في اللغة قد يأتي بوصف له أكثر من دلالة، وهي كلها مرادة إذا لم يكن قرينة سياقية تحدد معنى محدداً.

مثلاً قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥] قليلاً من ماذا؟ قليلاً من الفقه أو قليلاً من الأمور؟ هي كلها مرادة؛ لأنه لو أراد لقال فقهاً قليلاً أو أمراً قليلاً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة:٨٢] هل هو قليل من الوقت أو قليل من الضحك؟ لذا عندما نعرب (قليلاً) نعربها: إمّا مفعولاً مطلقاً (ضحكاً قليلاً، حيث ناب عن المصدر صفته، وهذا مفعول مطلق) وإمّا ظرف زمان أي وقتاً طويلاً. ولم يحدد: وقتاً قليلاً أو ضحكاً قليلاً، وكذلك ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ أي بكاء كثيراً وزمناً كثيراً طويلاً، فجمع الاثنين.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤١] فحدد الذكر وليس الوقت.

٤ـ في (العزيز الحكيم) أراد العزة والحكم والحكمة. والعزيز الحكيم وردا بالتعريف، ووردا أيضاً نكرة في الآية ٢٧ من نفس السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. والعزيز الحكيم لا يمنعه مانع من تنفيذ وعده بالنسبة لأولئك وغيرهم؛ لأنه هو العزيز الحكيم.

٥ـ لو قرأنا الآية الأخرى في السورة نفسها ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧] ليس فيها

وعد لأحد أومحاربة لأحد ولا جزاء لأحد، وليس هناك شخص معاند، ولم يذكر محارباً ، بينما ذكر محارباً ومعانداً في الآية الأولى، فلم يقتض هذا الشيء.

إذن في الآية السابعة تعقيب بالعزة والحكم؛ لأنه ذكر جزاء وعقاباً جزاء للذين آمنوا وعقاباً للذين كفروا، ولا يمنعه مانع، هو العزيز الحكيم. أمّا في الآية ٢٧ فهي إخبار، وليس فيها تهديد ولا وعيد ولامحارب ولا جزاء ولا شيء، فلا يقتضي.



﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

على من يعود الضمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾؟

الجواب :

١ـ هذا بحثه القدامى في الناحية اللغوية، وبحثه الفرّاء في كتابه معاني القرآن. وهذه تسمى بالتعبيرات الاحتمالية، وهي التي تحتمل أكثر من دلالة ولذلك هم قالوا: يحتمل هذا التعبير أنه خلق السموات بغير عمد، وها أنتم ترونها بغير عمد، فتكون (ترونها) جملة استئنافية.

والاحتمال الآخر (ترونها) صفة لعمد، يعني بغير عمد مرئية، ويعني خلقها بعمد غير مرئية.

٢ـ بعض علماء الإعجاز العلمي يقول: إنّ هنالك أعمدة، ولكن لا نراها. أيهما أدل على القدرة؟ أنْ تكون بغير عمد أو تكون بعمد؟ كلها قدرة، وهو سبحانه خلق الأسباب.

٣ـ هذا التعبير بهذا الشكل يسير على نهج العرب، وأصل الجمل في العربية على قسمين: تعبيرات ذات دلالة احتمالية، وتعبيرات ذات دلالة قطعية، نحو: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥].

٤ـ إذن ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير يعود على السماء أو على العمد، وهو تعبير احتمالي، والناس في المستقبل قد يستنبطون أموراً جديدة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

السؤال الثاني :

قال تعالى في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وفي سورة الرعد قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فما الفرق بين (رفع) و(خلق)؟

الجواب :

١ـ في الرعد قال تعالى: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

فلمّا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾الإنزال إنما يكون من فوق؛ أي من مكان مرتفع، فناسبها رفع السموات.

ثم ذكر العرش ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ والعرش فوق السموات، إذن رفع السموات حتى تكون مرتفعة. ثم قال: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وهي من الأجرام السماوية، وهي مرتفعة، إذن كل هذا يناسب رفع السموات.

٢ـ أمّا في لقمان فليس فيها شيء من ذلك، وقال بعد هذه الآية: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١]خلق الله مناسب لخلق السموات ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾.

إذن السياق في الرعد يناسبه رفع السموات، والسياق في لقمان يناسبه خلق السموات، وبعدها ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾

فكان كل تعبير في مكانه.

السؤال الثالث :

ما دلالة الآية: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾؟ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

الجواب :

هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي. لكنْ نلاحظ أنه تعالى يقول أحياناً:(ألقينا) وأحياناً يقول: (جعلنا) في الكلام عن الجبال بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً. وقد درسنا أنّ بعض الجبال تُلقى إلقاء عن طريق البراكين والزلازل(جبال بركانية)، أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كُتل. وهذا يدل – والله أعلم – على

أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض، فالجبال ليست نوعاً واحداً، ولا تتكون بطريقة واحدة.

قال تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال في سورة الرعد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

مرة يقول تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ومرة لا يقولها. فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (الجبال) في القرآن الكريم أكثر من (٣٠) مرة، كما وردت كلمة (رواسي) في تسعة مواضع في القرآن في آيات [الرعد ٣ـ الحجر ١٩ـ النحل ١٥ـ الأنبياء ٣١ـ النمل ٦١ـ لقمان ١٠ـ فصلت ١٠ـ ق ٧ـ المرسلات٢٧] وقد ورد تعبير﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ مع الرواسي في ثلاثة مواضع في آيات [النحل ١٥ـ الأنبياء ٣١ـ لقمان ١٠] بينما لم يأت هذا التعبير في المواضع الستة الأخرى، كما لم يأت أيضاً مع كلمة (الجبال).

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: كراهة أنْ تميد بكم أو لئلا تميد بكم كما يقول النحاة، وكما في قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] يعني: لئلا تكون من الجاهلين.

وكما في الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢] أي :كراهة أنْ تضل إحداهما، أو لئلا تضل.

٣ـ يبقى السؤال :أحياناً يقول: أنْ تميد بكم، وأحياناً لا يقول: أنْ تميد بكم كما في آية الرعد:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الرعد:٣] فما السبب؟

أ ـ إذا أراد الله تعالى بيان نعمة الله على الإنسان يقول: أن تميد بكم.

أي لبيان نعمة الله على الإنسان، فيقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فهنا الغرض في بيان نعمة الله على الإنسان في هذه الرواسي.

وهذه الحكمة مرتبطة بقوله تعالى في بداية السورة: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ وعدم ميد الأرض بهم أليس من الرحمة؟ بلى، إذن هي مرتبطة بالرحمة التي ذكرها في أول السورة.

وهي أيضاً مرتبطة بالآية السابقة ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [لقمان:٩] فعندما بيّن الله سبحانه حكمة إلقاء الرواسي في الأرض، وهي عدم ميد الأرض، دل هذا على أنها مرتبطة بالرحمة وبالحكمة. ففيها ارتباط مناسب من الجهتين.

ب ـ أمّا إذا أراد فقط أنْ يبين قدرة الله فيما صنع، فلا يقول هذا، لأنّ الكلام لا يتعلق بالإنسان، وإنما يتعلق بصنع الجبال والرواسي.

٤ـ الرواسي: يعني أنها ثابتة؛ أي الجبال تثبت الأرض، ولم يقل (جبال) في تثبيت الأرض، مع أنه استخدم كلمة الجبال في القرآن. قال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾وأحياناً يقول: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا﴾ و(ألقى) دلالتها متقاربة من (جعل).

والجبال قسم منها ملقى يسقط من فوق صخور، وقسم يخرج من البراكين ثم يسقط، واختيار الإلقاء هنا مناسب للعزيز الحكيم.

٥ـ ولمّا كان اختيار الرواسي بمعنى الثوابت لم يستخدمها يوم القيامة عند زوالها؛ لأنه لا يمكن الجمع بين الرواسي والتسيير؟ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ:٢٠] ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ [الحاقة:١٤]؛ ولذلك في يوم القيامة لا يستعمل الرواسي مطلقاً؛ لأنّه في يوم القيامة تكون الجبال فيها حركة ورفع ودك ونسف ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة:٥].

والله أعلم.

السؤال الخامس:

يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:١٠]، وقال في آيات أخرى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧]؟ ما الفرق بين كريم وبهيج؟

الجواب :

١ـ في الآية العاشرة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ بإسناد الإنزال إلى نفسه سبحانه تعالى، وهذا يسمونه التفاتاً لأهمية الماء للإنسان. ولفظة ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ فيها ضمير التعظيم، مع أنه قال: ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ أول الآية، ثم التفت وتحول الضمير لبيان النعمة في إنزال الماء وإنبات ما ذكر من الأزواج، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

٢ـ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كل صنف، فالزوج يأتي بمعنى الصنف، كما في الآيات: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة:٧] و ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢].

لكنْ لماذا اختار هنا (زوج كريم)، وفي مكان آخر اختار(زوج بهيج)؟

٣ـ الكريم هو بالغ الجودة والنفاسة وكثير الخير والمنفعة، والبهيج هو الذي يدخل البهجة على النفوس، لكنْ لماذا اختار هنا بهيج وهنا كريم؟

أ ـ في سورة لقمان ذكر الله تعالى أنه آتى لقمان الحكمة﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[لقمان:١٢].

والحكمة بالغة الخير والنفاسة ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

ب ـ قال تعالى في سورة ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق:٦-٧]

فلمّا قال: (وزيناها) أليست الزينة لإدخال البهجة على النفوس؟ بلى، إذن كلمة (بهيج) مناسبة للزينة التي ذكرها في السماء ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ فهذه تدخل البهجة، والزينة تدخل البهجة.

٤ـ فالوصف بحسب السياق الذي ورد. فلمّا تكلم عن نفاسة الحكمة وما سيأتي من الخير الذي ذكره في الحكمة قال: ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ فهو مناسب لما سيذكر، ولَمَا ذكر الزينة والنخل الباسقات قال: ﴿بَهِيجٖ﴾ مناسبة للبهجة.

والموصوف قد يكون واحداً، لكنّ الصفات تختلف وتتعدد بحسب ما تريد أنْ تذكره أنت في السياق، فإذا أردت أن تصف شخصاً بالعلم تقول: هو عالم، وإذا كان الكلام عن الدين تقول: هو تقي، فالصفات تتعدد بحسب المقام والسياق.



﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ ﴾؟

الجواب :

كلمة (خلق) في الأصل مصدر، لكن هذا المصدر أحياناً يراد به اسم المفعول، الخلق بمعنى المخلوق.

والمصدر في اللغة أحياناً يراد به اسم الفاعل أو يراد به اسم المفعول. فمثلاً كلمة (الزرع) قد يراد به المزروع، وقد يراد به المصدر، تقول: زرعت الشجرة زرعاً، وهذا مصدر.

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ هنا تحتمل أنْ يراد بالمصدر اسم المفعول أي هذه مخلوقاته، ويحتمل أنْ يراد بها هذا صنعه، فيراد به المصدر كما ذكر.

وهذا من باب الاتساع في المعنى: هذا صنعه العجيب وفعله العظيم وخلقه المتقن وهذه مخلوقاته كما ترى. ولو قال: مخلوقاته لكان معنى واحداً لكنّ (خلق الله) تتسع لكل الخلق والمخلوق. و(هذا) إشارة للقريب.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؟ استخدم (ماذا) ولم يقل: (ما) مع أنّ كليهما للاستفهام، فما السبب؟

الجواب :

١ـ (ما) قد تكون للاستفهام، وقد تكون اسماً موصولاً (آكل ما تأكل وأشرب ما تشرب)، كما في الآيات :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق:٢٣] بمعنى: الذي.

و﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء:٣].

لذلك (ما) تحتمل أنْ تكون اسم موصول، وتحتمل أنْ تكون استفهام.

٢ـ (ماذا) اسم استفهام قطعاً، ولا تحتمل الموصولية. والله أراد هنا الاستفهام؛ لأنهم قطعاً لم يفعلوا شيئاً، وقولك :أرني ماذا فعل فلان؟ هذا فيه دلالة على أنه لم يفعل شيئاً.

والتعبير هنا في الآية: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي :هذا خلقه الله تعالى فأروني ماذا خلق الآخرون؟ هذا صنعه الله تعالى وخلقه فأروني ماذا خلق الآخرون؟ إذن لماذا أنتم تشركون؟

٣ـ ثم ترقى من هذا السؤال إلى أمر آخرفي نهاية الآية فقال: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فانتهى إلى مسألة أنّ الظالمين في ضلال.

السؤال الثالث :

لماذا قال: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾؟

الجواب:

١ـ لّما قال: ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي الذين يُعبدون من دون الله، وهنا أراد أنْ يبين لهم أنّ الشرك ظلم عظيم.

٢ـ واختار الظالم؛ لأنّ المشرك ظالم لنفسه وظالم لغيره. والشرك مؤدّاه إلى الظلم؛ لأنه عبد ما لا يستحق أصلاً، والعبادة هي أعلى شيء، فأنت أهنت نفسك وعبدت ما لا يستحق وما هو دونك كالحجارة، ثم أنت ظلمت نفسك؛ لأنك توردها مورد الهلكة و ستدخلها النار، وهذا ظلم لها.

ثم أعطى ما لا يستحق شيئاً من أعظم الأشياء، هذا لا يستحق العبادة ولا يستحق أن يقدّر فأنت تعطيه العبادة؛ لذا قال بعد آيات: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]لماذا؟ لأنّ في ذلك ظلماً كبيراً لنفسه ولغيره.

وعندما تسوي بين القادر والعاجز، بين المنعِم المتفضل والمنعَم عليه، هل هذا عدل؟! ولو تقدّم أشخاص للامتحان للتعيين في دائرة من الدوائر فكان أحدهم قد أجاب عن كل الأسئلة بأبلغ كلام وأوفى تعبير وأحسن خط وآخر لم يحسن لا الكلام ولا التعبير ولا العلم ولم يحسن أنْ يكتب، وساويت بينهما، فسوف تكون ظالماً بدون شك. والفرق بين الخالق والمخلوق أكبر من هذا بكثير. إذن هو ظالم؛ لأن الشرك ظلم عظيم ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان:١١] فهو ضلال بيّن، ولا يحتاج أصلاً إلى إبانة.

٣ـ والضلال في القرآن يأتي بمعان عدة، كما وصف سيدنا يعقوب ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف:٩٥] وضل الطريق؛ أي تنكّب الصراط وهو عكس الهداية.



﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾

السؤال الأول :

ما الحكمة؟ وما دلالة إسنادها إلى ذاته تعالى؟ ولماذا قال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ ولم يقل مثلاً: فاشكر لله؟

الجواب :

١ـ الحكمة هي وضع الشيء في محله في القول والعمل، أي إحسان القول والعمل وتوثيق القول بالعمل. إذن الحكمة لها جانبان: قولي وعملي فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم.

٢ـ نلاحظ أنّ ربنا سبحانه وتعالى أسند إيتاء الحكمة إلى نفسه﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؛ وذلك لأنّ الله تعالى يسند أفعال الخير لنفسه، والحكمة لا يسندها قطعاً إلى غيره سبحانه وتعالى. حتى إنه لمّا قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: قبلها ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] أسند إيتاء الحكمة لنفسه كما هو المعتاد في أفعال الخير.

٣ـ يبقى السؤال: لماذا قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: فاشكر؟ ما معنى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾؟

هناك فرق بين (أنْ اشكر لله) و(اشكر لله)؟ وينبغي أنْ نعرف الفرق بين التعبيرين؛ حتى نفهم لماذا قال: أنْ اشكر، ولم يقل: فاشكر.

قسم يقول: (أنْ) تفسيرية، وأنْ التفسيرية يسبقها ما فيه معنى القول دون حروفه، مثل: أوصى وأوحى، نحو: أوصيناه أنْ افعل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] هذه تفسيرية؛ أي تفسر ما سبق.

وفي الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ماذا آتاه؟ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾؟ لذلك قالوا: هل هي الحكمة أو هي من الحكمة؟ قسم ذهب إلى أنها ليست تفسيرية وإنما هي: وأوصيناه أنْ اشكر لله ، يعني أنّ هناك معطوفاً لمحذوف آتيناه وأوصيناه.

٤ـ هذا التعبير ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ يفيد :

أ ـ أنه آتاه الحكمة، فاشكر على ما آتاك. أي لقد آتاك الحكمة فاشكر لله على ما آتاك من نعمة؛ لأنّ الحكمة نعمة تستحق الشكر.

ب ـ أنه من الحكمة أنْ تشكر ربك. والشكر حكمة في حد ذاتها، ومن الحكمة أنْ تشكر ربك؛ حتى تستزيد من الخير في الدنيا والآخرة.

ج ـ وأوصاه بالشكر، وإنّ من الحكمة أنْ تشكر ربك ليزيد الخير﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

و لو قال: فاشكر، فليس لها إلا معنى واحد، هو أنْ يشكر على إيتائه الحكمة.

٥ـ هذا كله في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾، ولو قال: فاشكر لله، لا تعطي هذه المعاني، وفيها ضعف.

٦ـ ثم يأتي ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ هل الفعل (شكر) متعدٍّ أو لازم؟

والجواب أنه في القرآن عندما يكون الشكر للمنعِم، نحو: (شكرت لفلان) يكون متعدياً باللام، كما في الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤] فمع الشخص يتعدى باللام، تقول: شكرت لفلان صنيعه، شكرت لله نعمته، ولو شكرته على الفعل تقول: شكرت

عطاءك، فيكون متعدياً بذاته، وأصل الفعل الذي تشكره بسببه يكون متعدياً بذاته، أمّا إذا كان الشكر للمنعم فيتعدى باللام.

٧ـ لم يقل: أن اشكر لنا؛ لأنه أراد أنْ يبين من المتكلم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ ويريد أنْ يبين من الذي آتاه الحكمة، فذكره باسمه الصريح، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾.

كما أنه تعالى لم يذكر ضمير الجمع في موطن من المواطن في القرآن الكريم إلا إذا كان قبله أو بعده ما يدل على الإفراد؛ لئلا يتوهم الشرك أصلاً ويزيل أي شائبة من شوائب الشرك؛ حتى لا يتصور أنه إذا قال: آتينا يكون أكثر من إله، ولم يرد في القرآن موطن واحد في ضمير الجمع لله إلا سبقه أو كان بعده ما يذكر على أنه واحد، كما في الآيات: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر:١-٤].

السؤال الثاني:

الشكر جاء في الآية بصيغة المضارع ﴿يَشْكُرْ﴾، بينما الكفر جاء بصيغة الماضي ﴿كَفَرَ﴾ فهل لذلك من لمسة بيانية؟

الجواب:

١ـ السؤال هو: لماذا قال: ومن (يشكر) بالمضارع ثم ومن(كفر) بالماضي؟ والجواب أنّ الشكر يتكرر وينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ كل نعمة تمر بك لا بد أنْ تشكرها، وينبغي أنْ تشكرها. إذن الشكر يتكرر، بينما الكفر ليس كذلك، ويمكن للإنسان أنْ يكفر ويبقى

على كفره ولا يضطر لأنْ يكفر ويكفي أنْ يكفر في المعتقد أو في شيء، وأمّا الشكر فيتكرر.

٢ـ من المعلوم أنه إذا ورد فعل الشرط مضارعاً فهو مظنّة التكرار، وإذا ورد ماضياً فهو ليس مظنة التكرار.

* شواهد قرآنية :

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا ﴾ [النساء:٩٢] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء:٩٣]

فرق بين المتعمد والخطأ.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ [الإسراء:١٩].

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [آل عمران:١٤٥]

الفرق هو بين الثواب وإرادة الآخرة .

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء:٨].

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ﴾ [الكهف:٧٦].

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ [محمد:٣٧].

وهنا في الآية ورد مضارعاً بعد أداة الشرط، حيث إنّ (من) اسم شرط وجوابه (فإنما يشكر لنفسه)، فهو مظنة التكرار وينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ الشكر ينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ النِعم متكررة لا تنقطع، بينما الكفر ينبغي أنْ يُقطع أصلاً؛ ولذلك جاء به بالفعل الماضي، فخالف بين الفعلين.

المضارع فيه تجدد واستمرار في الغالب، أمّا الماضي فانقطع في الأصل، وإنْ كان النحاة يرون أنّ الماضي إذا وقع في فعل الشرط يدل على الاستقبال.

السؤال الثالث :

في سورة الروم قال: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الروم:٤٤]

فإذا قارنا بين هذه الآية وآية سورة لقمان ١٢ فما اللمسة البيانية بين الآيتين؟

الجواب :

هناك أكثر من اختلاف بين الآيتين:

١ـ نلاحظ أنه في آية الروم قدّم الكفر وأخّر العمل ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الروم:٤٤].

٢ـ ثم نلاحظ أنه ليس هذا فقط، وإنما ذكر عاقبة كلٍ من الفريقين في آية الروم فذكر عاقبة الكفر ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ وعاقبة الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، بينما في لقمان ذكر فقط عاقبة الشكر، ولم يذكر عاقبة الكفر ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان:١٢].

إذن صار الخلاف أيضاً من ناحية الجزاء، حيث ذكر في لقمان جزاء الشاكر ولم يذكر جزاء الكافر، وفي الروم ذكر جزاء الاثنين: الكافر والعمل الصالح.

٣ـ وفي الروم ذكر الفعلين بالماضي ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الروم:٤٤]. فذكر الكفر بمقابل العمل الصالح، وأمّا في لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ فذكر الكفر بمقابل الشكر.

فهي إذن ليست مسألة واحدة بين الآيتين، وإنما أكثر من وجه للاختلاف بينهما، والسياق هو الذي يحدد الأمر.

٤. السياق في سورة الروم هو في ذِكر الكافرين ومآلهم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤١-٤٤].

فالسياق في سورة الروم هو في ذِكر الكافرين فقدّمهم، وقال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

وأمّا في لقمان فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ فبدأ بالشكر، فلمّا تقدم الشكر قال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾.

فالتقديم والتأخير كله بحسب المناسبة؛ لذلك نلاحظ أنه يقدّم الكلمة في موطن ويؤخّرها في موطن آخر بحسب السياق الذي ترد فيه.

السؤال الرابع :

الأفعال في سورة لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾بين مضارع وماض، بينما في الروم بصيغة الماضي ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤] فلِمَ التنوع في الصيغة الزمنية في الفعل؟

الجواب:

١ـ آية لقمان فيمن هو في الدنيا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢]هذه كلها في الدنيا. قال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾هو يمكن أنْ يشكر طالما كان في الدنيا.

بينما آية الروم في الآخرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤٣-٤٤] هذا اليوم هو يوم القيامة وليس هنالك عمل، وسيأتي ما قدّم عاقبة من كفر ومن عمل.

٢ـ في الروم يتحدث باعتبار ما كان وما مضى ، أمّا في لقمان فيتحدث في الدنيا؛ ولهذا جاءت ﴿يَشْكُرْ﴾ في لقمان بالمضارع. فالكفر ينبغي أنْ يُقطع، وليس مظنّة التكرار، والكفر ليس كالشكر؛ لأنّ الشكر يتكرر.

٣ـ ذكر عاقبة الكفر في الروم ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ ولم يذكر عاقبة الكفر في لقمان.

والسبب أنه ذكر عاقبة الكفر في الدنيا وعاقبة ذلك في الآخرة، وقبلها قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وهذا من عقوبات الكفر وذكر العاقبة، فناسب ذكر العاقبة أيضاً في الكفر.

أي لمّا ذكر عاقبتهم في الدنيا ناسب أنْ يذكر عاقبتهم في الآخرة. وأمّا في لقمان فلم يذكر ولم يرد هذا الشيء وذكر فقط الشكر؛ ولذلك ذكر عاقبة الكفر والعمل في آية سورة الروم؛ لأنّ هذا وقت حساب.

السؤال الخامس :

لِمَ قال في آية الروم ٤٤ : ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ ولم يقل: مهّدوا لأنفسهم؟

الجواب :

١ـ أحياناً نعبر عن المضارع للدلالة على المُضيّ، ويسمونه حكاية الحال الماضية، كما في الآيات :

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١] أي: قتلتم.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: تلت.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨] أي: قلّبناهم.

أي يستخدم المضارع أحياناً للدلالة على المضي، وهذه تسمى حكاية الحال الماضية، وهي للأشياء المهمة التي يريد أنْ يركّز عليها، فيأتي بها بالمضارع.

٢ـ مثال ذلك: القتل أمر مهم جداً، فقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ بصيغة الفعل المضارع (تقتلون)؛ ليحدث نوعاً من أنواع لفت النظر.

وهم يقولون: عندما تأتي بالماضي فتضعه حاضراً للمخاطب كأنه يشاهده، فتنقل الصورة الماضية إلى الحاضر بصيغة فعل المضارع فيكون المخاطَب كأنما الآن يشاهده أمامه، أو أنك تنقل المخاطَب إلى الماضي فتجعله، كأنه من أصحاب ذلك الزمن فيشاهد ما حدث.

ومثل ذلك قول الشاعر:

فناديت أبا رافع فقال: نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهِش

قال (فأضربه) ليبرز حالة اللقطة، ولم يقل (فضربته).

السؤال السادس :

ذكر في لقمان بمقابل الكفر الشكر ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾، بينما في الروم٤٤ ذكر الكفر والعمل، فاختلفا، لماذا؟

الجواب :

١ـ الكفر لغةً له دلالتان:

أ ـ الكفر بما يقابل الشكر: كما في الآيات :

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء:٩٤].

إذن شكر يقابلها كفر، وكفر النعمة؛ أي جحدها. والكفر هو الستر في الدلالة العامة، وعندما تأتي إلى التفصيل: شكر النعمة يقابلها كفر النعمة وكفر بالنعمة؛ أي جحد بها.

ب ـ والإيمان أيضاً يقابله الكفر، وهذه دلالة أخرى.

٢ـ إذن كلمة كفر إمّا تكون مقابل الشكر، وإمّا تكون مقابل الإيمان. فإذا كان الأمر متصلاً بالنعمة فهي مقابلة للشكر، وإذا كانت متصلة بالعقيدة فمقابلها الإيمان. وأمّا العمل فيأتي من متممات الإيمان، حيث إنه آمن بالقلب وصدّقه العمل، كما في الحديث الشريف: «**الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل**».

٣ـ في آية لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. لأن مقابل الشكر هو الكفر قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

٤ـ بينما في آية الروم ٤٤ ذكرمقابل الكفر الإيمان والعمل، وقد ذكر الكافرين والمشركين قبلها، فقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ومقابل هؤلاء مؤمنون ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم: ٤٤ – ٤٥].

فإذن قابل في لقمان الشكر بالكفر وهو يتحدث عن النِعم، أمّا في الروم فيتحدث عن العقيدة ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فكان مقابل الكفر الإيمان والعمل. وكل واحدة بمقابلها.

ونحن لا نستطيع أن نفهم آية من آي القرآن الكريم إلا من خلال السياق العام الذي تتحدث عنه الآية؛ لذلك يقولون السياق هو أعظم القرائن.

٥ـ قوله تعالى في آية لقمان: ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ جاء بـ (إنما) للدلالة على الحصر؛ لأنها تفيد الحصر، أي سيشكر لنفسه حصراً؛ لأنه هو الذي سيستفيد؛ ولأنّ الله تعالى لا يستفيد من شكر الشاكرين، ولا يضره كفر الكافرين؛ لأنّ الشكر ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة. أي أنّ الشكر لا يفيد إلا صاحبه، أمّا الله فلا ينفعه شكر ولا تضره معصية، كما جاء في الحديث القدسي :

« يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا

على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر »

لذلك قال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

السؤال السابع :

في لقمان قال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ما دلالة الجمع بين غني وحميد؟ وما دلالة حميد في اللغة؟

الجواب :

١ـ الحميد هو ابتداءً الذي يستحق الحمد على الدوام. وقوله تعالى: ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ هو من ألطف الجمع في الدنيا؛ لأنّ الشخص عموماً في حياتنا الدنيا قد يكون غنياً، لكنه غير محمود، أوغنياً ولا يُحمد في غناه، و قد يكون بخيلاً ومحموداً غير غني. فإذا اجتمع أنه غني وحميد في آن واحد فهذا من الكمال. وكم من أناسٍ نعرفهم لم يكونوا أغنياء، لكنهم كانوا محمودي السيرة وكانوا يُمدحون، فلما اغتنوا تغيّرت طباعهم. فربنا جمع بين الغنى وأنه محمود على الدوام.

٢ـ هو محمود وحميد، لكنْ هناك فرق بين الصيغتين:

(حميد) على وزن فعيل، بمعنى (مفعول) على الأرجح، مثل(جريح وقتيل وكسير وأسير).

لكن ما الفرق بين هاتين الصيغتين (محمود وحميد)؟

عندنا قاعدة، وهي أنّ (فعيل) أبلغ من (مفعول)، و(محمود) هذه اسم مفعول، وليست صيغة مبالغة، و(حميد) اسم مفعول، أي: الذي يُحمد كثيراً وقد يقول البعض: إنها قد تكون بمعنى حامد. والأرجح في كتب اللغة أنّ حميد أي محمود هو الذي يُحمد على نِعَمه.

إذن كلاهما اسم مفعول، قتيل ومقتول كلاهما اسم مفعول، جريح ومجروح كلاهما اسم مفعول، لكنّ الوصف بين فعيل ومفعول: فعيل أبلغ من مفعول عموماً، ويعني كأنما الوصف أصبح في صاحبه ملازماً له خِلقة.

٣ـ ثم (مفعول) تحتمل الحال والاستقبال. وعندما تقول: أراك مقتولاً هذا اليوم وبعده فهولم يُقتل، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾[الإسراء:١٠٢] ولم يكن قد وقع.

ولّما قال عبد الله بن الزبير: اعلمي يا أماه أني مقتول من يومي هذا. لذلك صيغة مفعول تقال لما حصل، أو لما لم يحصل بعد.

٤ـ ثم (فعيل) أبلغ في كيفية الحدث، يقولون: لا تقولوا لمن جُرِح في أُنملته جريح، وإنما مجروح.

(فعيل) يقال على وجه الاتساع والشمول ولما هو أبلغ. (جريح) يعني جرح بشكل بالغ، (مجروح) يقال للجرح البسيط أو البليغ، وهو عام، أمّا جريح (فعيل) فلا تقال إلا للوصف البليغ، جريح لا تقال إلا للمثخن بالجراح على وجه المبالغة والشمول والاتساع. إذن ربنا غني حميد.

السؤال الثامن :

ورد في سورة إبراهيم في الآية ٨: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾ [إبراهيم:٨]، وفي لقمان في مكان آخرمن نفس السورة في الآية ٢٦ قال: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان:٢٦]

وهنا في لقمان في الآية ١٢ قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ فما السبب؟

وكيف نفهم الفروق البيانية الدلالية الموجودة بين الآيات الثلاث ونظهر اللمسات البيانية فيها؟

الجواب :

١ ـ ربنا سبحانه وتعالى قال في سورة إبراهيم على لسان موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾ و قال في لقمان: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾.

ففي لقمان أكد بـ (إنّ) وحدها فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ بينما في إبراهيم أكد بإنّ واللام فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ والسياق هو الذي يوضح هذا الأمر.

٢ـ لو نقرأ الآية في سورة لقمان ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ إذن قسّم العباد إلى قسمين قسم شاكر وقسم كافر، من يشكر ومن كفر، إذن قسّم العباد إلى قسمين.

بينما في سورة إبراهيم افترض كفر أهل الأرض جميعاً ولم يقسمهم إلى قسمين فقال: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾.

إذن في لقمان افترض العباد قسمين، وفي إبراهيم افترض كفر أهل الأرض جميعاً، فنلاحظ الاختلاف بين التعبيرين في ثلاثة أمور:

أ ـ في لقمان جرى على التبعيض (بعضهم مؤمن وبعضهم كافر باعتبار من يشكر ومن كفر)، بينما في إبراهيم على الشمول شملهم كلهم ولم يستثن أحداً.

ب ـ نلاحظ في لقمان قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالماضي، وفي إبراهيم قال: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ بالمضارع، في لقمان فعل الشرط ماضٍ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وفي إبراهيم فعل الشرط مضارع ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ والفرق واضح؛ لأنه إذا كان فعل الشرط ماضياً كان فيه افتراض وقوع الحدث مرة، وإنْ كان مضارعاً ففيه افتراض تكرر الحدث. ففي إبراهيم قال: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ يعني إذا داومتم واستمررتم على الكفر، ويعني أنكم تستمرون على الكفر وتداومون عليه وأمّا في لقمان فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

ج ـ ثم قال في سورة إبراهيم: ﴿جَمِيعًا﴾ فجاء بالحال المؤكدة.

٣ـ إذن في سورة إبراهيم افتراض كفر أهل الأرض بلا استثناء ولم يجعلهم قسمين، ثم افتراض الكفر مستمر، ثم أكد ذلك بـ﴿جَمِيعًا﴾ فاقتضى ذلك زيادة التأكيد في إبراهيم فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

٤ـ وربنا تعالى لم يؤكد (غني) في لقمان؛ لأنّ الناس فئتان، ولمّا كان الناس على ملة واحدة أكّده؛ لأنه تعالى لا يحتاج إليهم حتى لو كانوا كلهم كفاراً ويداومون ويستمرون على ذلك. وفائدة التأكيد أنّ الله تعالى غني عن العباد كلهم لو كفروا كلهم جميعاً واستمروا فربنا غني عنهم، فأكّد الغنى.

٥- في لقمان أيضاً في الآية ٢٦ قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[لقمان:٢٦] فجاء بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ وعرّف الغني.

و ضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر، وبين اسم إنّ وخبرها،أو بين اسم كان وخبرها، أو بين مفعولين، و يفيد التوكيد ويفيد الحصر أحياناً. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يعني ليس في الحقيقة غنيّ سواه.

٦ ـ في آية لقمان رقم ٨ لم يذكر الملك، وقال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ كأنه يقول أنا غنيّ عنك وعن شكرك، كما إذا قلت لأحد: أعطني لأمدحك فيقول لك: أنا غني عن ذلك، وليس بالضرورة أنْ تكون مالكاً. قال الخليل لمّا أرسل له أمير الأهواز بِغالاً محمّلة وطلب منه أن يأتي إليه:

أبلــغ ســليمان أني عنــه في جِــدَةٍ وفي غنــى غــير أني لســت ذا مــال

وربنا لم يذكر في آية لقمان الأولى ٨ أنّ له ملكاً، بينما في الآية الأخرى ٢٦ ذكر له ملكاً، ولا شك أنّ الذي يملك هو الغني؛ لأنّ قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ يعني أنه غني. والغنى درجات، والناس يتفاوتون في الغنى وعندما تقول: فلان غني، يعني هو أحد الأغنياء، وقد يكون هناك أغنياء آخرون، وقد يكون هناك من هو أغنى منه، وهو أحد الأغنياء. لكنْ (هو الغني)، أي لا أحد سواه بمثل غناه.

فلمّا ذكر ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لم يبق شيء للآخرين، فهو في الحقيقة

الغني وحده. فكل تعبير في مكانه أنسب، وأيّ واحد عنده شيء من البلاغة يضع كل تعبير في مكانه كما هو في القرآن، ولا يصح أنْ يضع (هو الغني الحميد) في مكان ليس فيه ملك، وإنما كل كلمة هي في مكانها المناسب.



﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ هذه من حكمة لقمان.

و يعني أن ما ذكره من الكلام هو من توجيهه لابنه ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ وفي هذا توجيه للآباء أنْ لا يتركوا أبناءهم لأصدقاء السوء يتعلمون منهم ما يضرهم ولا ينفعهم، وإنما ينبغي للآباء أنْ يتعهدوا أبناءهم ويوجهوهم ويعلموهم ما هو خير لهم. وحكمة لقمان ليست فيما قاله من الكلام فقط وإنما في وعظه ابنه أيضاً، والوعظ بحد ذاته حكمة.

٢ـ يقول الأولون: إنّ حكمة لقمان فيها جانبان: تكميل لنفسه بالشكر ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ وتكميل لغيره بوعظ ابنه. أي في تكميل النفس وتكميل الآخرين أو في إصلاح النفس

وإصلاح الآخرين. والأقرب هو الابن، فإذن قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إشارة إلى الكمال، وقوله: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ إشارة إلى تكميل ابنه.

٣ـ لمّا قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني أنّ كل ما قاله لابنه كان يطبقه على نفسه، بحيث يكون مثالاً صالحاً لابنه، ولا يجعل له ثغرة. وبالتالي فإنّ الحكمة ليست فقط في الأقوال التي قالها، وإنما أيضاً هي تكملة لنفسه بالشكر لله ونصحه لابنه وأنْ يطبق ما قاله على نفسه.

٤ـ ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: الواو تحتمل أمرين: أنْ تكون واو الحال وصاحب الحال لقمان، أو أنْ تكون الواو استنافية، ولكلٍ دلالة.

واو الحال: أي قال لابنه واعظاً، أي: في حالة وعظ، وهذه إشارة إلى أنه لم يقلها هكذا بسرعة، وإنما توخّى الوقت المناسب وتوخّى فراغ ابنه واستعداده، فاختار الوقت المناسب والحال المناسبة فبدأ يعظه، وليست نصيحة طارئة بسرعة.

واو الاستئنافية: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ أي هو من عادة لقمان أنْ يعظ ابنه ولا يتركه. والواو الاستئنافية تعني جملة جديدة، الجملة (وإذ قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله) هذا مقول القول، وتكون ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ استئنافية، إذن من شأن لقمان أنْ يعظ ابنه لا يتركه. فالواو لها دلالتان: أنه يختار الحالة المناسبة للوعظ، وهو يتعهده ولا يتركه.

٥ـ لو قال: (واعظاً) لأعطت دلالة واحدة وهي الحالية، بينما جملة ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ اكتسبت معنى الاستئناف ومعنى الحالية.

السؤال الثاني :

قوله ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ بدأ بالشرك، فهل لهذا من دلالة؟

الجواب :

١ـ بدأ بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بُنيّ: تصغير (ابن) وإضافة إلى النفس (بُنيّ) يعني (ابني)، وفيها تحبيب ورفق وتلطف كما مع نوح ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود:٤٢] فيها شفقة به ورحمة.

لّما قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بدأ الوعظ فيما ذكر بعد ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ ولكن أراد في البداية أنْ يفتح قلبه، وهذا توجيه للدعاة وللآباء أنْ يبدأوا بكلمة رقيقة فيها حنان وشفقة ورأفة؛ لأنّ الكلام اللين يفتح القلوب والنفوس، فهو لا يصرخ بابنه، وإنما يأتي إلى ابنه بكلام لطيف ، ويضع يده على كتفه ويبدأ بالكلام اللطيف الهين، وعند ذلك ينتفع الابن باللطف والحنان أكثر مما ينتفع بالقول. وحتى ربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٣-٤٤].

اللين في القول يفتح القلوب العصيّة ويفتح النفوس؛ لذا قال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بحنان ورفق ولطف وشفقة، وحتى لو كان الابن ينوي المخالفة سيخجل من المخالفة.

٢ـ ثم بدأ ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ قبل العبادة. التوحيد رأس الإيمان وأول ما ينبغي أنْ يغرس في النفوس التوحيد؛ لأنّه هوأساس الصلاح، والنهي عن الشرك مقدّم على العبادة؛ لأنه لا تنفع عبادة مع الشرك، فإذن بدأ بما هو أهمّ.

ثم النهي عن الشرك يتعلمه الصغير والكبير، ويمكن أنْ تعلّم الصغير(لا إله إلا الله)، وأمّا العبادة فلا تكون إلا بعد التكليف.

٣ـ الانتهاء عن الشرك أيسر من العبادة وأسهل، وكثير من الموحّدين يتهاونون في العبادة. فبدأ بما هو أهم وأيسر وأعمّ، وبما يعم الصغير والكبير.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ كيف يكون الشرك ظلماً عظيماً؟

الجواب :

١ـ هو ظلم؛ لأنه يسوّي بين القادر والعاجز، والعالم والجاهل، والمنعِم والمحتاج إلى النعمة

٢ـ أنه لو تقدّم جماعة لإشغال وظيفة في الدولة وقدموا اختباراً، وأحدهم أجاب عن الأسئلة بأحسن إجابة وبأوضح كلام، وآخر لم يجب عن ذلك ولا بكلمة واحدة صحيحة ولم يحسن الكلام ولم يحسن القول، وسوّيت بينهما تكون ظالماً، والفرق بين الخالق والمخلوق أكبر من هذا بكثير.

إذن هو ظلم؛ لأنك سويت بين العاجز والقادر، بين العالِم والجاهل، بين المنعِم والمحتاج للنعمة.

والظلم واقع على النفس؛ لأنك عبدت من لا يستحق العبادة فأهنت نفسك وقد يكون المعبود أقل منك كالشجر والحجر، فإذن أنت ظلمت نفسك، وأوردتها مورد الهلاك وأدخلتها النار، ظلمتها بأنْ حططت من قدرها وأهنتها فكنت ظالماً.

٣- لماذا اختار الظلم؟ لأنّ فطرة الإنسان تكره الظالم، وحتى الظالم إذا وقع عليه ظلم يكرهه فهو يستسيغه من نفسه ولا يسيغه إذا وقع عليه.

إذن طبيعة النفس تكره الظلم والظالمين، حتى في الأفلام عندما نرى إنساناً ظالماً يتحزّب المشاهدون ضده.

فأراد لقمان ذكر الظلم؛ لأنّ النفس تكره الظلم؛ حتى تشمئز نفس ابنه. إضافة إلى أنّه لّما قال له: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ دلَّ هذا على أنّ الموجه والناصح والمعلم والداعية ينبغي أنْ يعلل الأوامر ولا يذكر هذا من دون تعليل حتى يقبل كلامه.

لماذا لا تشرك بالله؟ لأنّ الشرك لظلم عظيم. وهذا الظلم يقع عليك وعلى الآخرين، فهذا التعليل من أدب الوعظ والتوجيه.



﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

هذا كلام الله تعالى، مع أنّ لقمان لم ينته بعد من الوصية، فلماذا هذه المداخلة؟

الجواب:

أراد الله سبحانه تعالى أنْ يتولى الأمر بالمصاحبة بالمعروف لعظيم منزلة الأبوين عند الله. وربنا هو الذي أراد أنْ يأمر ويوصي بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف وليس لقمان، وهذه فيها أكثر من نقطة:

أ ـ لو قال لقمان لابنه: أنْ أطع أبويك، لتصور الابن أنّ الأب أراد أنْ يستغله ويستفيد منه ويجعله تابعاً له، كما يحدث عندما يقدم أحد لك نصيحة تنظر هل يستفيد هو منها أو لا؟

فالذي وصّى هو الله، وهذا الأمر لا ينفعه ولا يفيده، فإذن ربنا أراد أنه هو الذي يأمر بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف لا لقمان لعظيم منزلة الأبوين عند الله، فهو الذي تولى هذا الأمر، و حتى لا يظن ابن لقمان أنّ أباه هو المنتفع.

ب ـ قد يسأل سائل لِمَ لمْ يجعل لقمان ينتهي من الوصية ثم يأتي بهذه الآية؟

والجواب أنّ ربنا سبحانه وتعالى أراد أنْ يضع الوصية بالوالدين بعد النهي عن الشرك أو بعد الأمر بعبادته وطاعته، ولا يجعلها في آخر الوصايا. وهو لا يريد أنْ يقول: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ﴾[لقمان:١٩] ثم يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ لكنه وضعها بعد النهي عن الشرك بالله، كما في الآيات: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١].

و﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣] و﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] و ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦] فهو يضعها بعد عبادة الله تعالى، وكأنها منزلة تالية بعد العبادة مباشرة، وهي الإحسان إلى الوالدين.

وهذه فيها إشارة إلى عظيم منزلة الأبوين عند الله، كون ربنا هو الذي وصّى ولم يجعل لقمان يوصي، وتدخّل في مكانها بعد النهي عن الشرك ولم يدع لقمان ينتهي من الكلام

فتكن في آخر الكلام، وإنما وضعها بعد النهي عن الشرك، أو تأتي بعد الأمر بعبادته سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني :

ينزل الله تبارك وتعالى الوالدين منزلة كريمة بعد عبادة الله أو النهي عن الشرك بالله. لكنْ لِمَ الوالدان تحديداً وليس (الأبوين) مثلاً؟

الجواب :

الآية فيها جوانب كثيرة:

١ـ أولاً استعمل (وصّى) المشددة، ولم يقل: أوصينا؛ وذلك للتشديد على الوصية والمبالغة فيها.

ومن الملاحظ في القرآن أنه يستعمل (وصّى) في أمور الدين والأمور المعنوية و(أوصى) في الأمور المادية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] ويستعمل (أوصى) في المواريث ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء:١١]. ولم ترد (أوصى) في الأمور المعنوية، وفي أمور الدين إلا في موطن واحد اقترنت بأمر مادي عبادي، وهو قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣١] فقال: (أوصاني)؛ لأنها اقترنت بأمر مادي وعبادي وهو الزكاة ، إضافة أنّ القائل هو غير مكلّف في وقتها؛ لذلك خفّف من الوصية فلم يكن وقتها مكلفاً لا بالصلاة ولا بالزكاة، فخفّف؛ لأنه لا تكاليف عليه.

٢ـ وقال (وصّينا) بإسناد التوصية إلى نفسه سبحانه بضمير التعظيم وربنا في أمور الخير وفي الأمور المهمة يسند الأفعال إلى نفسه، ولم يقل: وصّى الإنسان، وإنما قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ بإسناد الفعل إليه سبحانه بضمير التعظيم. ثم استمر ورجع إلى الإفراد ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ وهذه من عادة القرآن، أنه إذا ذكر ضمير التعظيم يذكر قبله أو بعده ما يدل على الإفراد ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي﴾ ولم يقل: أنْ اشكر لنا.

٣ـ الوالدان: هو لم يقل :(أبوين) لأكثر من سبب:

أ ـ (الوالدان): تثنية الوالد والوالدة لكن غلّب المذكر، (الأبوان): تثنية الأب والأم، لكن غلّب الأب. إذن في الحالتين غلّب المذكر، في الأبوين تغليب الأب وفي الوالدين تغليب الوالد.

لكن لماذا اختار الوالدين؟ الولادة تقوم بها المرأة وليس الرجل. أمّا تسمية الوالد فيقول أهل اللغة (هوعلى النسب) والوالدة على الفعل، وهي التي تلد.

ب ـ إذن اختار لفظ الوالدين، من الولادة التي تقوم بها الأم، لكنه لم يختر الأبوين. الوالدان (الوالد والوالدة) مأخوذة من الولادة، أمّا الأبوان فليست من الولادة.

والقرآن يستعمل (أبوين) للجدّين، كما في الآيات: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف:٦] ويستعمل (أبوين) لآدم وحواء﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧].

٤ ـ إذن هو اختار لفظ الولادة، لكنْ لماذا؟ هناك جملة دواعي لسبب الاختيار:

أ ـ السياق ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان:١٤] ذكر فيه الحمل والفصال ، والفصال هو الفطام من الرضاعة وماذا بين الحمل والإرضاع؟ توجد الولادة.

فهو ذكر الحمل والفصال أي الفطام من الرضاعة وبينهما الولادة فاختار لفظ الوالدين.

ب ـ ثم فيه تذكير بولادته وهو جاء إلى الدنيا ضعيفاً عاجزاً، وهما أحسنا إليه وربياه، فيذكره بالحالة الأولى التي يكون فيها أعجز ما يكون. وفيها تعبير إحسان الصحبة إلى الأم أكثر من الأب، فالولادة هي للأم وليس للأب، فلمّا قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ كان فيه إشارة إلى أنّ إحسان الصحبة والوصية للأم أكثر من الأب، وحتى شرعاً وفي الحديث «**من أحق الناس بحسن صحبتي؟ فقال ﷺ: أمك، ثم أمك، ثم أمك**».

٥ـ هناك خط لا يتخلف في جميع القرآن: عندما يذكر الإحسان إلى الأبوين والبر بهما والدعاء لهما يذكر لفظ الوالدين ولا يذكر الأبوين ولم يقل مطلقاً: رب اغفر لي ولأبوي، وإنما الوالدين، كما في الآيات: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ [نوح:٢٨]﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الأنعام:١٥١].

ولم يرد مرة واحدة في القرآن في إحسان الصحبة أو البر أو الدعاء بلفظ الأبوين، وإنما كله بلفظ الوالدين.

بينما يستخدم الأبوين في المواريث؛ ولعلّ ذلك لأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم فيغلّبه. لكنْ في الوالدين يغلّب الأم؛ لأنّ الأم أولى بالدعاء وحسن الصحبة. وفي المواريث يذكر أبويه؛ لأنّ نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى.

٦ـ و لعلّ سائلاً يقول: إنّ القرآن استعمل لفظة الأبوين في سورة يوسف وهذا من باب الإكرام، فقال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف:١٠٠]

والجواب: قيل: هذا من باب الإكرام، وهو رفع أبويه على العرش لأكثر من سبب:

أ ـ على الأرجح أنهما كانا أمه وأباه، وهذه مسألة خلافية.

ب ـ لم يرد في قصة يوسف ذكر للأم وإنما ذكر الأب، وهو الذي حزن وفقد بصره، ولم يرد ذكر للأم في قصة يوسف، حتى قال: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف:٨٥]فإذن كونه لم يرد ذكر للأم معناه: الأب يتغلب.

ج ـ أنّه لّما قال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ هذا إكرام للأم وليس للأب، وفيه إلماح إلى تكريم الأم؛ لأنّ معنى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي: عظموه والمفروض أنّ الابن يعظم الأبوين. فلمّا كان فيها تعظيم الأبوين لابنهما اختار أقلّهما وهو الأبوين فدلّ هذا على إكرام الأم. ثم فيه إلماح إلى أنّ العرش للأب وليس للأم.

السؤال الثالث :

قال تعالى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ ولم يقل: اشكر لنا، مع أنه قال ﴿وَوَصَّيْنَا﴾؟ ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ ولم يقل: أن اشكر لنا؟ فلماذا؟

والجواب:

أ ـ وصّاه بالشكر للمنعم الأول الذي هو الله الذي أوجده من العدم، وهيأ له أسباب الحياة، وهيأ له من يحمله ويرضعه وهو ضعيف عاجز.

ب ـ ثم وصاه بالشكر لوالديه.

ج ـ هناك خط عام في القرآن: أنّه إذا ذكر ضمير التعظيم يذكر قبله أو بعده ما يدل على التوحيد، فقوله :﴿وَوَصَّيْنَا﴾ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي﴾ (وصينا) فيها ضمير تعظيم، (أنْ اشكر لي) فيها ضمير الإفراد.

٢ـ ما المقصود بالشكر؟ هل تقول بلسانك: الحمد لله؟ ليس الشكر مطلق القول باللسان؛ لأنّ الشكر عمل، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] ويعني أنّه من لم يؤد حق النعمة فليس بشاكر ولو بقي الليل والنهار يقول: الحمد لله، يعني: من آتاه الله مالاً ولم يؤد حقه فليس بشاكر وإنْ شكر بلسانه، فالشكر عمل ويكون معه القول.

لذلك قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ معناه :اشكر لي حق الله تعالى بأنْ تقوم بتأدية نِعَم الله تعالى عليك عملاً وقولاً.

وفي الآية إشارة إلى الحياة الآخرة في ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي هي المرجع.

السؤال الرابع :

ما علاقة ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بصدر الآية؟

الجواب :

أي مآل ذلك فيما إن خالفت إليّ، وسيجزيك الله بما تعمل وبما أوصاك به ربك. كأنّ هذه تذكير بالمآل، أي :مآل ذلك: ماذا سيكون؟

ثم قال: ﴿إِلَيَّ﴾ بتقديم الجار والمجرور للدلالة على الحصر إليه لا إلى غيره، وفي هذا نفي للشرك وإثبات للمعاد. ولو قال: المصير إليّ، لم يفد الحصر.

السؤال الخامس :

في صدر الآية نفهم أنّ الكلام عن غائب ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ ثم يتحول إلى المخاطب ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾؟ من المخاطب؟

الجواب :

هو قال: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ عموماً، بماذا وصّاه؟ بأنْ اشكر لي ولوالديك، إذن الوصية هي: أنْ اشكر لي ولوالديك. والمخاطب هو العموم.

السؤال السادس :

هل تعني الآية أنّ الأب مهضوم الحق؟

الجواب :

بالطبع لا. هو قال: بوالديه ، ولم يقل بأمه، وهي أولى بحسن الصحبة كما في الحديث. وذكرنا سابقاً أنّ (أبوين ووالدين) كلاهما من حيث اللغة تغليب المذكر، والوالدان هما

الوالد والوالدة، لكن غُلِّب فيها لفظ المذكر وهو الوالد، والأبوان هما الأب والأم، لكن غُلِّب بلفظ المذكر الذي هو الأب إذن كلاهما تغليب المذكر.

وهذا ورد في اللغة، يقولون: القمران أي الشمس والقمر، لكنْ في الخط القرآني العام يذكر مع الوصية والدعاء والبر لفظة الوالدين، وأمّا في المال فيذكر لفظ الأبوين؛ لأنّ لفظ الأب له نصيبه في الميراث أكثر.

السؤال السابع:

ما الفرق بين العام والسنة والحول؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٣.



﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الدلالة العامة للآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿جَـٰهَدَاكَ﴾ أي: بذلا جهدهما على أنْ تشرك بالله، وإذا بذلا جهدهما وحاولا أنْ تشرك بالله فلا تطعهما.

٢ـ ثم قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ هذا مقام توحيد. والقرآن لا يستعمل في مقام التوحيد ونفي الشرك إلا ضمير المفرد، كما في الآية: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ١٥﴾ [طه:١٤-١٥].

٣ـ ثم قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ أبطل الشك من جميع نواحيه وأقسامه. والإنسان في معلوماته إمّا أنْ يعلم بأمر ما أنّ هذا لا يصلح أنْ يكون شريكاً لله أو لا يعلم. وكل ما في الوجود بالنسبة للإنسان أحد أمرين: إمّا أن يعلم أو لا يعلم. فالأمرالذي يعلم يعلمه، وبقي الذي لا يعلم، فقال: ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ وهذه تعود على الذي يريد أنْ يشركه بالله وهو لا يعلم.

أي أنّه نهاه عن كل الشرك بكل أقسامه ما علِم وما لم يعلم. وإذا نفى ما ليس له به علم، فالمنطق أنْ يكون نفى الذي له به علم؛ لأنه يعرفه.

٤ـ في الآية ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ (ما) هنا مفعول به للفعل (تشرك).

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ لفظة الدنيا يحملها المفسرون على أمرين: إمّا في الحياة الدنيا؛ لأنّ هذه المصاحبة ستكون في الدنيا فقط ثم ستنتهي ويفترقان في الآخرة، وإمّا المصاحبة في أمور الدنيا لا في أمور الدين، حيث: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

في أمور الدين لا تطعهما، بينما في أمور الدنيا قد تطيعهما، فصاحبهما في أمور الدنيا لا في أمور الدين.

السؤال الثاني :

حينما يتحدث الله تعالى عن العلاقة بين الأفراد والمعاشرات يقول: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٢] وهنا في آية سورة لقمان قال: ﴿مَعْرُوفًا﴾ ولم يقل: (بمعروف)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ هذا التعبير يدل على عظيم منزلة الأبوين عند الله، ويعني أنْ تصاحبهما في الدنيا مصاحبة هي المعروف بعينه، و ليست مصاحبة للمعروف.

٢ـ لو قال: (صاحبهما بمعروف) يعني أنْ تكون المصاحبة مع المعروف والباء للإلصاق، أو قد تكون للمعية أي: مصاحبة للمعروف، وليست هي المعروف كله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة:٢٣١] هذه في مصاحبة الزوج للزوجة، فأنت تستطيع أنْ تنهر زوجتك أو ترفع صوتك عليها أو تعضلها أو تضربها، أمّا مع الأبوين فلا يمكن أنْ يحصل شيء من هذا. وأنت قد تصاحب المرأة بمعروف، لكن مع هذه المصاحبة بالمعروف قد تنهرها وتزجرها وتؤدبها، لكنْ لا يمكن أنْ يكون هذا مع الوالدين.

٣ـ ﴿مَعْرُوفًا﴾ تُعرَب مفعولاً مطلقاً، وهو في الأصل وصف للمصدر: أي: صِحاباً معروفاً.

السؤال الثالث :

في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت:٨]

وفي الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]ولكن هنا قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]

فما اللمسة البيانية في اختيار حُسناً وإحساناً؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٨.

السؤال الرابع :

جاءت لفظة ﴿مَعْرُوفًا﴾ في آية لقمان ١٥، بينما جاءت لفظة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في آية المجادلة٢٢، فلماذا؟

الجواب :

١ـ جاءت لفظة ﴿مَعْرُوفًا﴾ في آية لقمان ١٥، بينما جاءت لفظة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في آية المجادلة؛ لأنّ آية لقمان تحث الأبناء على إحسان معاملة الوالدين، بينما الآية الثانية قد توحي للذهن من النظرة السطحية أنها تعارض آية لقمان، لكنْ لدى التعمق الدقيق بينهما في المفردتين ﴿مَعْرُوفًا﴾و﴿يُوَآدُّونَ﴾ يتجلى التنسيق بينهما.

٢ـ لفظة (الود) هي أنْ تكون بينك وبين المودود علاقة محبة: وددت الرجل إذا أحببته.

بينما (المعروف) لا يشترط فيه المحبة؛ لأنّ المعروف هو حسن الصحبة والتعامل مع الأهل والناس.

ومن هنا جاءت آية لقمان تمنع إقامة علاقة ودية مع الوالدين غير المسلمين؛ لأنّ الإيمان لا يتجزأ. ومن ضوابط هذا الإيمان أنْ يكون الحب والكره في الله، وهذا ينطبق حتى على الأبوين غير المسلمين؛ لأنّ حب الله أولى من حبهما، لكنّ هذا الأمر لا يمنع من تقديم المعروف لهما وإحسان صحبتهما اعترافاً بفضلهما.



﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في الآية: ﴿إِن تَكُ﴾ ثم قال: ﴿فَتَكُن﴾ ما الفرق في حذف النون وإثباتها في الفعل المضارع؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ للتحبيب والتقريب.

٢ـ قوله: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ ﴿إِنَّهَآ﴾ هو ضمير القصة أي الأمر أو المسألة أو الفعلة أو الخصلة.

٣ـ قوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ بإثبات النون.

ولمّا قال: ﴿إِن تَكُ﴾ لم يذكر مكاناً لها ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ ولمّا قال: ﴿فَتَكُن﴾ ذكر مكاناً لها ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾أي عندما لم يذكر المكان لم يذكر النون، وعندما ذكر المكان ذكر النون.

٤ـ هناك قراءة أخرى (فتكِن) من: وَكَن يكِن، أي: دخل الطائر عُشّه والوَكْن هو العُشّ، يعني أنها تُستر في صخرة، وفي قراءة ﴿فَتَكُن﴾ هي من: كنّ يكِنّ، وكلها مما يقوي ذكر النون، وكل القراءات النون فيها مذكورة.

٥ـ لماذا الصخرة؟ الصخرة لا بدّ أنْ تكون في السموات والأرض وهناك صخور في السموات وفي المشتري وزحل وفي غيرها.

وقوله تعالى: ﴿فِي صَخۡرَةٍ﴾ يعني استخلاص الشيء من باطن الصخرة وهوأمر عسير.

وأنت إذا أردت أنْ تحفظ شيئاً لا ترميه في ساحة الدار وإنما تضعه في صندوق، وإذا أردت المبالغة في حفظه تضعه في حقيبة ثم في خزانة، وإذا أردت أنْ لا يصل إليه أحد فقد تأتي بقفل يصعب فتحه، وقد تضعها في مكان ليس له مفتاح أصلاً.

والصخرة عبارة عن محفظة ليس فيها مفتاح، وما قال: على صخرة وإنما قال: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ مثلها مثل محفظة ليس لها مفتاح وبداخلها مثقال حبة من خردل، كيف يخرجها ربنا تعالى من دون تحطيم للصخرة؟! يخرجها بلطفه وخبرته فيأتي بها الله. ولم يقل: يعلمها؛ لأنك قد تعلم المكان، لكن لا تقدر أنْ تأتي بها.

إذن: (يأتي بها الله) أدل على العلم والقدرة، فإنها- وإنْ كانت صغيرة وفي مكان صغير عميق شديد وصلب وليس فيها مفتاح- يأتي بها الله تعالى من دون تكسير للصخرة فيستخرجها بلطفه وقدرته.

السؤال الثاني :

ما دلالة ﴿تَكُ﴾ و ﴿فَتَكُن﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ ثم قال: ﴿فَتَكُن﴾.

لمّا قال: ﴿تَكُ﴾ لم تكن في مكان معين، وإنما ذكرها هباءة تائهة في الوجود ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ ثم ذكر مكانها، فلمّا ذكر مكانها يعني أنها استقرت ذكر النون ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾.

٢ـ استوفى طرق الخفاء في الآية، فهي إمّا أن تكون في غاية الصغر ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أو تكون بعيدةً في السموات مثلاً، أو في مكان مظلم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنه لا يوجد نور، أو من وراء حجاب ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ فهذه طرق الخفاء استوفاها كلها: الصغر ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ البعد ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الظلمة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، الحجاب ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ استوفاها كلها.

و جاءت كلمة (صخرة) نكرة و(السموات والأرض) معرفة؛ لأنّ الصخرة غير معروفة ، والسموات والأرض معروفة.

السؤال الثالث :

في آية سورة الأنبياء ٤٧ قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] قارن بينها وبين آية لقمان ١٦ حيث فعل الشرط وجوابه في لقمان مضارعان وفي الأنبياء ماضيان.

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٤٧.

السؤال الرابع :

لماذا جاء فعل الكينونة في آية لقمان مؤنثاً ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وجاء في آية الأنبياء ٤٧ مذكراً ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ ؟

الجواب :

١ ـ في مثل هذا التعبير يجوز التأنيث والتذكير ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾. وكقاعدة نحوية في مثل هذا التعبير يجوز فيه الوجهان :

وربما أكسب ثانٍ أولاً تأنيثاً إن كان لحذف موهلا

٢ ـ المضاف إليه يكسب المضاف التأنيث، وطبعاً يكسبه التذكير. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال (قريب) ولم يقل قريبة. وقولهم: (إنارة العقل مكسوفٌ بطوع هوى) ما قال مكسوفة. وقولهم: (وما حب الديار شغفن قلبي) (حب) مذكر و(شغفن) مؤنثة جاءت من الديار من المضاف إليه.

٣ـ مثقال حبة من خردل: (مثقال) مذكر و(حبة) مؤنث، ويجوز أنْ يكتسب التذكير والتأنيث بشرط أنْ يكون المضاف جزءاً أو كالجزء في الاستغناء عنه، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ [النحل:١١١](كلّ) مذكر و(نفس) مؤنث، فقال:(تأتي). ومثل (قُطعت بعض أصابعي)، يمكن أنْ يقال: قُطعت أصابعي، ومثل قول الشاعر :

لمـا أتـى خـبر الـزبير تواضـعت   سـور المدينـة والجبـال الخُشّـع

(سور) مذكر و(تواضعت) مؤنثة.

٤ـ إذن من حيث الحكم النحوي ليس فيه إشكال، ويبقى طبيعة الاستخدام:

أ ـ قال في الأنبياء: ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾ (شيئاً) مذكّر، فقال ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ والمعنى: وإنْ كان الشيء مثقال حبة، فذكّر، مع أنه يجوز التأنيث .

ب ـ أمّا في لقمان فقال: ﴿إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ وقد يكون ذلك للحبة أو الفِعلة أو قد يكون للعمل.

ففي الأنبياء قال بصيغة فعل الكيونة بالماضي (كان)؛ لأنه يدل على حالة محددة، وهي حالة الحساب يوم القيامة، للدلالة على أي عمل كان في الدنيا، وأتى به مذكراً لمناسبته مع ما قبله(شيء) وهو مذكر.

السؤال الخامس :

في لقمان ذكر تعالى أماكن وجود المتحدث عنه ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وفي الأنبياء لم يذكر مكان وجودها، فلماذا؟

الجواب :

١ـ في الأنبياء: ليس الغرض في هذا الأمر بيان قدرة الله تعالى، وإنما السياق سياق وزن الأعمال، ولا يحتاج لذكر الأماكن.

٢ـ في لقمان: هو يبين لابنه قدرة الله سبحانه وتعالى، ويريد أنْ يعلم ابنه فقال: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ ويذكر الأماكن، أمّا في الأنبياء فقال :﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أينما كانت؛ لأنّ السياق ليس في ذلك ولا هو في بيان قدرته تعالى للخلق. فالخلق يعرفون قدرته، والجامع هو الله، ولا يشك أحد في قدرته.

أمّا في سورة لقمان فيعلّم لقمان ابنه أمراً من أمور الدنيا، ويوم القيامة ليس الأمر مجهولاً لأي أحد، وإنما الأمر معلوم للجميع.

السؤال السادس :

ختام الآية في لقمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ وفي الأنبياء﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ فما الفرق؟

الجواب :

في الأنبياء مكان حساب ووقت حساب﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ لأنه مقام حساب وليس في مقام استخلاص المثقال من مكانه.

أمّا في لقمان فالسياق في مكان استخلاص الحبة ومكان الحبة، فقال:﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ .

السؤال السابع :

في سورة لقمان عندما كان لقمان يوصي ابنه قال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾لم يقل مثلاً: (عليم)؛ لأنه يعلم أماكن وجود ضمير الشأن (حبة الخردل) فما دلالة اللطف في الآية؟

الجواب :

١ـ استخلاص هذا المثقال من هذا المكان يحتاج إلى لطف وإلى خبرة والخبرة هي العلم ببواطن الأمور، والخبير هو العليم ببواطن الأمور واللطيف هو الذي يتوصل إلى أشياء بالخفاء.

وقسم قال: اللطيف؛ أي: الذي لا يُرى، وقالوا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:١٩]بمعنى آخر: أنه يلطف بهم ويرأف بهم. و(اللطيف) هو الذي يأتي بأمور بخفاء يستخلصها بخبرته وبطريق الخفاء، ويأتي بها من دون أنْ يحطّم الصخرة بلطف وخفاء، فتمتد قدرته إليها فيستخلصها.

٢ـ ذكر هذا الأمر من لقمان لابنه؛ ليعلمه أنه إذا كان رب العالمين سبحانه وتعالى يأتي بمثقال حبة من خردل من هذه الأماكن، فلماذا الشرك؟ ماذا يفعل الشريك؟ الشريك لا يستطيع أنْ يمنع هذه الحبة الصغيرة من أنْ يأتي بها الله، فلماذا الشرك؟

٣ـ ثم هناك أمر آخر، أنّ لقمان يبين المسألة ويوضح قدرة الله لابنه وفي هذا يعلمنا لقمان بحكمته أنّ المسألة ليست في الأوامر والنواهي، لا تفعل كذا أو افعل كذا، وإنما يضرب له الأمثال ويبين له بالحجج حتى يقتنع ويستوعب المسألة، وهذا فيه توجيه

للآباء والوعاظ والمرشدين بأنْ لا يكثروا فقط من الأوامر والنواهي، وإنما ينبغي أنْ يعلّلوا ويبينوا حتى يقتنع السامع بعقله ويقبل هذ الشيء.

هذا التعليم من حسن التربية: أولاً الرفق، فقد كان دائماً يردد قول ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ وعندما يذكر الأمر يعلل له العلة حتى يقتنع بما يقول وحتى يستوعب المسألة، وحتى تتضح له المسألة، وليس مجرد أوامر.

وهذا توجيه للآباء والمرشدين عموماً بأنْ يحسنوا في القول ويلطفوا في القول ولا يكونوا أشداء.

والأمر الآخر: أنّ عليهم أنْ يوضحوا ويبينوا ويأتوا بالحجج المبينة حتى يقبل العقل ما يقولون، وليس مجرد أوامر ونواهٍ.



﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه الآية فيها أوامر، فبعد أنْ نهاه عن الشرك وأمره بالتوحيد بدأ بأهم العبادات. ففي البدء أقام العقيدة السليمة، وهي التوحيد؛ لأنه لا تصح عبادة مع الشرك، فجاءه بأهم الأمور وأعمها وأيسرها وهو نفي الشرك بالله وترسيخ عقيدة التوحيد ثم أمره

بالعبادات وبدأ بأهم العبادات وأوجبها وهي الصلاة، وهي التي لا تسقط بحال من الأحوال، وهي أول ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة.

٢ـ وإسماعيل عليه السلام كان يأمر أهله بالصلاة، وكذلك موسى عليه السلام، كما في الآية: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس:٨٧] والصلاة هي عبادة أوجبها الله تعالى منذ البدء، وهي آخر ما يُرفع من الأعمال قبل يوم القيامة.

ولم يقل له: صلِّ، وإنما قال: أقم الصلاة؛ أي: الإتيان بها على أتم حالاتها بكل سكناتها وحركاتها وخشوعها.

٣ـ نلاحظ أنه بعد الأمر بإقامة الصلاة ما قال أموراً أخرى، وإنما قال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ إذن هو أمره بنوعين من العبادات: عبادة فردية شخصية (الصلاة) وعبادة عامة اجتماعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

الصلاة عبادة فردية، والثانية عبادة اجتماعية، وكما قال القدامى إحداهما تكميل للنفس (الصلاة)، والثانية تكميل للمجتمع (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) إذن هما عبادتان إحداهما للنفس وتكميلها، والثانية للمجتمع لأنّ من حق المجتمع على الفرد أنْ يحفظه ويرسي قواعد الخير فيه ويجتث أمور الشر فيه، والأمر بالمعروف يرسي قواعد الخير والنهي عن المنكر ويجتث قواعد التخريب وقواعد الهدم.

٤ـ قوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدركه الأذى من الآخرين، وهكذا قال القدامى؛ لأنك تتعرض للآخرين، تأمرهم

بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فقد تسمع منهم كلاماً يؤذيك. ولقمان أدرك بحكمته أنّ ابنه إذا فعل هذا سيتعرض للأذى لأنه من أمر بالمعروف عليه أنْ يتوقع أن يصيبه أذى.

والغريب أنه من حكمة لقمان أنه أمر ابنه بذلك (مع أنه يدرك أنّ ابنه سيصيبه أذى) والآباء عادة يقولون لأبنائهم: اتركوا الناس بشأنهم لا عليكم منهم، يخشون على أبنائهم من الأذى، فيقولون لهم: اتركوا الناس، أمّا لقمان بحكمته الثاقبة، ومع أنه يعلم أنّ ابنه سيصيبه الأذى، لكنه علم أنّ هذا الأمر أولى من راحة ابنه، وأنّ إرساء قواعد الخير في المجتمع واجتثاث عوامل الشر منه أولى من راحة ابنه؛ لأنّ المجتمع إذا انهار ينهار عليه وعلى ابنه وأسرته، فالانهيار لا يختص بواحد، وإنما يعم الجميع. ولذلك هو مع معرفته بذلك أوصاه بفعل ذلك، وهذا من حكمة لقمان الثاقبة، فهو كم يحب ابنه ويتمنى له الخير وهو يعلم أنه سيصيبه أذى، لكنّ هذا الأذى أهون من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الصبر على إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها من الأمور الواجبة المقطوعة التي لا ينبغي التخلي عنها، وإنْ كانت الثانية أكثر؛ لأنها مواجهة ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (ذلك تعود) على البعيد، أي: الأمور التي لا ينبغي التخلي عنها مهما أوذي في ذلك.

السؤال الثاني:

ختمت الآية في سورة لقمان ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وفي سورة الشورى﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣]، فما اللمسة البيانية في الاختلاف بينهما؟

الجواب :

١ـ في لقمان قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ وفي الشورى قال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

أيّها الأشد: أنْ تصبر وتغفر أو أنْ تصبر فقط؟ والجواب :أنْ تصبر وتغفر؛ لأنها أشق على النفس.

٢ـ يطالبنا ربنا بالصبر والمغفرة؛ لأنّ هذا أسدى إلى الخير وأكمل للمعروف ويؤلف قلوب الآخرين ولا يثير فيهم الضغائن، وإذا فعلت لهم الحسنة فقد جمعت قلوبهم ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

٣ـ أكّد في الشورى بـ (إنّ واللام)، وفي لقمان بـ(إنّ) فقط؛ وذلك لأنّه تعالى أوصانا في الشورى بشيئين: الصبر والمغفرة لمن أساء الينا، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾وأوصى لقمان ابنه بالصبرفقط فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ والأول أشق على النفس من مجرد الصبر، فاحتاج إلى زيادة التوكيد، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.



﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما التصعير؟ ومن المختال؟ وما المرح؟

الجواب :

١ ـ الصَّعر: هو الكبر والميل والتشدق في الكلام وإعراض الوجه عن الناس تكبراً.

والمعنى اللغوي: هو داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه فيُميله تخفيفاً للألم ومنه أُخذ التصعير، بمعنى إمالة الخد عند النظر إلى الناس كبراً وخيلاء.

وهناك قراءة (ولا تُصاعر) ومعناها: الإعراض من الكبر.

٢ـ المرح: هو النشاط مع الزهو والخيلاء، أي يختال في مشيته.

٣ـ المختال: هو المتباهي الصلف المعجب بنفسه، و(اختال) أبلغ من الفعل (خال)؛ لأنه على وزن (افتعل)، ومن معانيها المبالغة في الفعل.

٤ـ الفخور: من صيغ المبالغة للدلالة على الذي يعدد ما أُعطي من المال والجاه والنسب، ولا يشكر الله تعالى.

وهذه الكلمات كلها تفيد المبالغة.

٥ ـ لم يرد لكلمة ﴿تُصَعِّرْ﴾ أي اشتقاق إلا في هذا الموضع، على حين ورد تعبير: استكبر ـ استكبرتم ـ متكبر ـ متكبرين ـ وغيرها في حوالي ٥٧ موضعاً.

وهذا يدل على أنّ الله تعالى أراد أن يصوّر المتكبر بهذه الصفة القبيحة حتى يرى المتكبر نفسه على حقيقته ويعلم أنه يتصرف تصرفاً مريضاً وأنه لو عقل وشُفي من مرضه لأدرك أنّ الذين يتكبر عليهم كلهم أفضل منه.

٦ـ نلاحظ أنّ لقمان انتقل بابنه إلى الآداب في معاملة الناس وكيف ينبغي أنْ يعامل الناس فنهاه عن التكبر وتصعير الخد ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ﴾ والتصعير هو إمالة الخد كِبراً، يشيح

بوجهه تكبراً وإعراضاً، وصعّر خده أي: أماله كِبراً. والمرح هو النشاط مع الخيلاء والزهو، ويعني أنه معجب بنفسه. والمختال هو المتكبر، وقالوا المختال هو الصَّلِف المتباهي الجهول المُعجَب بنفسه.

٧ـ (مختال) اسم فاعل، ويصلح أنْ يكون اسم فاعل واسم مفعول. مختال فعله الثلاثي (خالَ)، بينما (اختال) فيه زيادة في الاختيال وفي التكبر وفيها مبالغة.

إذن المختال هو المبالغ في الأصل، و(مختال) أبلغ في هذا الوصف. و(فخور) صفة مبالغة (فعول). إذن (مختال) مبالغة، و(فخور) مبالغة.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لِمَ لمْ يقل :على الأرض؟ ولماذا؟

الجواب :

١ـ قال: لا تمش في الأرض، ولم يقل: على الأرض، مع أنّه قال في موطن آخر: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦٣].

(في) تفيد الظرفية، و(على) للاستعلاء، وكأنّ هذا المختال يريد أنْ يخرق الأرض وهو يمشي كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ [الإسراء:٣٧] ولذلك قال تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لأن فيها تكبراً وخيلاءً وفخراً.

فالمختال يمشي في الأرض هكذا. أمّا عباد الرحمن فيمشون على الأرض هوناً بوقار وسكينة، وليس في الأرض كما يفعل أولئك.

٢ـ بشكل عام (على) تفيد الاستعلاء و(في) تفيد الظرفية، كما في الآيات: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] و ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:٢٤] فالهدى استعلاء، وهو استعلاء على السوء وعلى الشر وعلى السفاسف.

٣ـ نلاحظ أنّ الأبنية في الآية كلها تفيد المبالغة ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾

وبيان ذلك :

أ ـ (مرحاً) حال، جاء بها على وزن المصدر (مرح)، وهذا يفيد المبالغة، وإذا أتيت بالحال مصدراً فهو للمبالغة قطعاً، وعندما تقول: جاء ركضاً أبلغ من جاءك راكضاً، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة:٢٦٠] أبلغ من ساعيات؛ لأنك أخبرت عن الذات بالحدث المجرد.

ب ـ (في الأرض) مبالغة في المشي.

ج ـ ثم (إنّ) توكيد.

د ـ و(مختال) فيه المبالغة من (اختال) على وزن افتعل، و(فخور) مبالغة. ويعني هذا أنّ كل أبنية الآية وكل ترتيبها للمبالغة.



﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه الآية الكريمة تفيد طلب توسّط في المشي بين الإسراع والإبطاء. وقد قال تعالى قبلها: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

والآن يوجهنا إلى الطريق المستقيم الصحيح في القصد والاعتدال في المشي وفي الكلام.

والقصد هو التوسّط بين الإسراع والإبطاء، فإذا احتجت إلى الإسراع فأسرِع بقدر ما تحتاج ولا تمشِ مشياً متهاوتاً، وإنما مشية القصد والمتوسط لا مشية المتهاوت ولا مشية المسرع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ اغضض يعني: اخفض، جاء بـ ﴿مِن﴾ وما قال: اغضض صوتك، بل قال: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ للتبعيض فيخفض منه بحيث لا يكون مرتفعاً فيؤذي ولا يكون همساً فلا يُسمَع. وعندما نقول اغضض من صوتك؛ أي اخفض منه قليلاً. ولذلك عند الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ ولذلك كان الصحابة لا يكاد يُسمع أصواتهم عند رسول الله ﷺ.

وهناك فرق بين خطاب عموم الناس وبين أنْ تكون عند الرسول ﷺ فتغض صوتك. لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي توسط في الصوت والحديث مثل التوسط في المشي.

٣ـ ثم ذكّره بما تستقبحه الآذان فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ ذكّر من يرفع صوته أكثر مما يحتاج إليه السامعون، ذكّره بصوت الحمار ونُكره في النفس.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ استخدم الحمير في الآية، مع أنه في مكان آخر استخدم ﴿حُمُرٌ﴾ فما دلالة استخدام ﴿ٱلْحَمِيرِ﴾ ؟

الجواب :

١ـ كلاهما جمع حمار، لكنّ القرآن استعمل كلمة (الحمير) للحُمُر الأهلية و(الحُمُر) للوحشية، هكذا خصّصها. قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل:٨] خصّص هذا الجمع بالحُمُر الأهلية، والحُمُر خصصها بالوحشية في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ [المدّثر:٥٠-٥١] فهذه هي الوحشية التي في الغابة.

٢ـ اللغة العربية لا تفرق بين الكلمتين، ولكن هذا من خواص الاستعمال القرآني. وفي القرآن كثير من الأمور خصصها بالجمع مثل: الأعين والعيون، العيون عيون الماء، والأعين استعملها للعين الباصرة أو الرعاية وكذلك استخدام (الموتى والأموات والميّتين)، الموتى للميّت حقيقة والميّتون لمن لم يمت بعد ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمَر:٣٠]. وكذلك (القعود والقاعدون): القعود استخدمها في القعود الحقيقي نقيض القيام، والقاعدون في القاعدين عن الجهاد فقط، وهذا من خواص الاستعمال القرآني.

٣ـ اللغة العربية قد تخصص كلمة معينة، مثلاً تخصص (الخال) وهي مشتركة بين الشامة وأخ الأم، وتستخدم (خيلان) جمع (خال) الشامة و(أخوال) لجمع خال (أخي الأم). الركاب والركبان، (الركاب) عامة للسفينة والخيل وغيرها، أمّا (الركبان) فللإبل

فقط، وهذا تخصيص العرب والقرآن كذلك يخصّص في الاستعمال، فالحُمُر للوحشية والحمير للأهلية المستأنسة.



﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

كيف نربط بين هذه الآية وما سبقها من آيات؟

الجواب :

١ـ انتهت وصية لقمان بالآية ١٩، وبدأ الآن كلاماً آخر وهو كلام رب العالمين وخطابه للخلق ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠]..

٢ـ الله تعالى قال قبل وصية لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ فذكر خلق السموات وإلقاء الرواسي في الأرض وما بثّ فيها من كل دابة، وهنا ذكر النِعم التي أنعمها في السموات والتسخير وأسباب النِعم فهناك الخلق وهنا المرحلة الأخرى، وهي التسخير بعد الخلق. هناك خلق السموات وهنا تسخيرها؛ لأنّ التسخير يكون بعد الخلق.

٣ـ ومن حيث المضمون فالناس يعلمون أنّ الله خالق السموات والأرض﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزُّمَر:٣٨] وكان المتوقع أنّ معرفة هذا الأمر تدعو الناس إلى عبادته سبحانه، ومع ذلك فقد ذكر الله أنّ قسماً من الناس يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين. ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾.

فهذه الآية ليس لها ارتباط فقط بالآية التي سبقت وصية لقمان، بل كأنها مكملة لها في خلق السموات وما إلى ذلك، ثم بعدها التسخير.

٤ـ وحتى يبدو أنّ لها ارتباطاً بأول السورة في الآية: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٢-٣] فوصف الكتاب بأنه حكيم وذكر أنه هدى ورحمة للمحسنين ، وذكر أنّ هؤلاء يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. هناك ذكر الكتاب وذكر أنه حكيم، وهنا ذكر أنهم يجادلون بغير علم، ولو اطلعوا على الكتاب لكان عندهم علم. إذن (بغير علم) يقابل وصف الكتاب بأنه (حكيم)؛ لأنهم لو اطلعوا وقرؤوا الكتاب لكانوا يتكلمون بعلم.

ففي فاتحة السورة قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٢-٣]. فأثبت أنه كتاب حكيم، ووصف الكتب بأنها هدى ورحمة للمحسنين، بينما هنا قال: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ فهم لم يحسنوا الجدال، بل يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

* من اللمسات البيانية في الآية:

١ـ قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾، ولم يقل: ألم تر، أي الخطاب لعموم العقلاء وليس للمفرد فقط، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أي ألم تبصروا، يعني: ألم تعلموا. و(رأى) قد يكون قلبياً أو بصرياً.

٢ـ ثم قال: ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ ذكر نعمته بالتسخير لعموم الخلق، ثم قال: ﴿مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ شمل عموم ما فيهما، ما في السموات وما في الأرض وهذا أعمّ تسخير، وما بمعنى الذي. ولم يقل كما قال في مواطن أخرى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم:٣٣]تحديداً ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم:٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النحل:١٢]﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الجاثية:١٢]فهذه جزيئات بينما هنا قال: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

إذن (ألم تروا) جمع، (سخر لكم)جمع، ثم (ما في السموات وما في الأرض) أعم تسخير.

٣ـ ثم قال: ﴿وَأَسْبَغَ﴾ معناها: أفاض في العطاء وليس العطاء فقط وكلها في الزيادة والمبالغة في الشيء.

٤ـ ثم قال ﴿نِعَمَهُ﴾ بجمع الكثرة، لم يقل: أنعمه؛ لأنّ أنعم جمع قلة. وجمع القِلّة معدود بين الثلاثة والعشرة، و(نِعم) جمع كثرة غير معدود.

ولمّا أثنى الله تعالى على إبراهيم عليه السلام قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢٠ - ١٢١] لم يقل لنعمه؛ لأنها لا تُحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

و(نعمة) هنا جنس، وحتى النعمة الواحدة فيها نِعم. النِعم عامة والنعمة قد تكون للجنس مثل الإنسان، فتشمل جميع النِعم وحتى لو كانت واحدة فهي لا تُحصى.

٥ـ ثم قال: ﴿ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ وفيها دلالة على شمول النِعم لجميع أنواعها الظاهرة والباطنة.

ولو قال: (وأسبغ عليكم نعمه) فقد يظن ظان أنها ظاهرة وغير باطنة مثلاً؟ فذكر (ظاهرة وباطنة) للشمول؛ لأنّ من النعم ما هو باطن مثل العقل والقلب وما أودعه الله تعالى فينا من القوة والأشياء الباطنة؛ ولأنّ الإنسان قد لا يحس إلا بالنعم الظاهرة فقال: ﴿ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾وهذه كلها متناسبة مع الشمول الذي يذكره.

٦ـ ثم قال: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ فأفاض في ذكر مركّب الجهل وعناصر الجدل.

وكما أوسع ربنا وأفاض فيما سخره، وأوسع وأفاض في النعم، وأوسع وأفاض في الشمول، فقد أوسع وأفاض في ذكر عناصر الجهل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ بحيث تشمل عناصر الجهل المركّب الظاهر والباطن:

أ ـ العلم هنا باطني، وعندما ترى إنساناً لا يمكنك أنْ تحدد علمه من الرؤية، وقد تظهر لك بعض الآثار إذا تكلم الشخص، فهذا أمر باطني.

ب ـ والهدى قسمان: قد يكون ظاهراً في الكتب، ورب العالمين سمى الكتب هدى، فالتوراة والإنجيل والقرآن هدى ورحمة. وقد يكون الهدى باطناً.

فالهدى الظاهر هو أدلاء الطريق، كما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ [طه:١٠]﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٥-١٦] هذا هدى ظاهر.

وأما الهدى الباطن فهو توفيق الله وما يقذفه من نور في قلب الإنسان ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف:١٣]﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾ [مريم:٧٦] ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣].

ج ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ هذا كتاب ظاهر مقروء.

إذن نفى عناصر الجهل، وتدرج في ذكر العناصر من الباطن إلى المشترك إلى الظاهر، الباطن هو العلم في الكتاب والمشترك هو الهدى، ثم وصف الكتاب بأنه منير، ولم يقل (ولا كتاب) فقط؛ لأنّ هؤلاء قد يرجعون إلى كتب غير منيرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [لقمان:٦] وقد يرجعون إلى الكتب المحرفة، إذن كلمة (منير) أفادت أنها حددت كتاب الله.

٧ـ وعلاقة (منير) بالوصف الذي قبله من الجهل المركّب الذين هم فيه أنهم في ظلمات ويخرجهم من الظلمات إلى النور. واللطيفة أنّ هذه المجادلة في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير هي أنكر المجادلات، وهي مثل إنكار صوت الحمير، فمن اللطيفة أنْ تكون بعدها، وهي مناسبة لما قبلها. فجعل كليهما من المستنكرات، المستنكر في العقول أنْ يرفع الإنسان صوته، والمستنكر في الجدال والنقاش أنه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

والقرآن كله وحدة واحدة مترابطة دائماً، ولا يمكن تفسير القرآن بما هو خارج عنه، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النحل: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل:١٢١]، وفي سورة لقمان ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠] فما الفرق بين أنعُم ونِعَم؟ نِعمه هل هي نِعَم واحدة؟

الجواب:

١ـ (أنعم) جمع قِلّة على وزن أفعُل، (نِعم) جمع كثرة. ونعم الله تعالى لا تحصى ولا يمكن أنْ تُشكر ولا نستطيع شكرها.

والله تعالى مدح إبراهيم عليه السلام على أنه شكر (الأنعم) أي القليل من النِعم فمدحه على ذلك؛ لأنه لا يمكن لأحد أنْ يشكر نِعَم الله تعالى التي لا تُحصى، فأثنى على إبراهيم عليه السلام؛ لأنه كان شاكراً لأنعم الله تعالى. والله تعالى لم يسبغ علينا أنعماً، ولكنه أسبغ نعماً ظاهرة وباطنة لا تُحصى.

٢ـ والإسباغ هو الإفاضة في ذكر النِعم. وتوجد نِعم مستديمة منها ما نعلم وما لا نعلم، والله تعالى أفاض علينا بالنعم الكثيرة، ولو شكرنا نشكر باللسان، وهو بحد ذاته نعمة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ماااللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ أراد أنْ يبين ضلالهم وجهلهم بعد أنْ ذكر مجادلتهم في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وهنا في الآية قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ولو قال: (اتبعوا سبيلنا) لقالوا: سبيلنا أفضل؛ لذلك قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فهذه محايدة، أي: هل ما عندهم أفضل مما أنزل الله؟ بالطبع لا.

٢ـ ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ بني الفعل لما لم يسمَ فاعله﴿قِيلَ﴾ ولم يذكر فاعلاً معيناً؛ لأنه لا يتعلق الأمر بذكره، وحتى لا يُظن أنّ رفضهم بسبب هذا القائل؛ ولذلك قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للمحايدة؛ حتى لا تأخذهم العزة بالإثم.

٣ـ ثم قال: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي جعلوا آباءهم بإزاء الله تعالى ولو قالوا: لو نعلم أنّ هذا أنزله الله لاتبعناه، لكان يعذرهم السامع حتى يقيم عليهم الحجة، لكنْ قيل لهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ فهم يرفضون الرسالة بحد ذاتها، وآثروا اتباع آباءهم على ما أنزل الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

٤ـ ثم قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ هذا سؤال تعجيب من حالهم، هذا كلام رب العالمين يتعجب من حال هؤلاء ﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾ استفهام يُنكر عليهم ويثير العجب من حالهم. هم قالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ بإزاء ما أنزل الله، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فهذا تعجيب من حالهم لأنّ معتنق كل فكرة يبتغي المآل السعيد والعاقبة الحسنة.

والله سبحانه ذكر أمرين: (الشيطان يدعوهم)، والشيطان لا شك أنه عدو للإنسان، ثم عاقبة من اتبعه، وهي (عذاب السعير)، فكيف يتبعونه؟!

٥ـ هذه إهابة لكل عاقل أنْ ينجو بجلده ويفر مما هو فيه إلى ما أنزل الله. الشيطان غرّهم كما غرّ أباهم آدم عليه السلام. والشياطين يدعون إلى عذاب السعير.

٦ـ التركيب ﴿أَوَلَوْ﴾ يعني أولو كان ذلك؟ وفي هذا إصرار عجيب، وما التفتوا ولا انتبهوا؛ لأنّ الشيطان عمّ عليهم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين [وجدنا وألفينا] في القرآن﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان:٢١]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة:١٠٤]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.



﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما السلوك التركيبي للفعل (يُسلم) من حيث التعدّي واللزوم؟هنا جاء الفعل (يُسلم) متعدياً بحرف الجر (إلى) (يُسلم) وفي مواطن أخرى في القرآن متعدياً بحرف الجر (اللام) ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤] ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠]

فما الفرق بين التعدية باللام والتعدية بإلى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٢٠.

السؤال الثاني :

في آية سورة البقرة١١٢ قال تعالى:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ ورد الفعل (أسلم) بالماضي وفي آية لقمان ٢٢ بالمضارع (يُسلم) فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٢.

السؤال الثالث :

في لقمان قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾أخّر لفظ الجلالة بعد (يُسلم)، مع أن الملاحظ أنه في آيات كثيرة يقدّم﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾، كما في آية الحج ٣٤؟ فلِمَ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٣٤.

السؤال الرابع :

في آية البقرة ٢٥٦ يقول تعالى: ﴿بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾

ولم يقل في آية لقمان ٢٢: لا انفصام لها، فما السبب؟

الجواب :

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٦٥]

والطاغوت رأس كل طغيان من ظالم أو غيره، وهذا معنى الطاغوت، وهو من كان رأساً في الطغيان مثل فرعون والشيطان وجمعها (طواغيت). و أحياناً الكفر بالطاغوت يؤدي إلى أذى شديد وهلكة. إذن تحتاج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي لا يحصل فيها أي خدش أو انفصال.

فلمّا ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى مظلمة كبيرة أو إلى عذاب أو إلى هلكة أكّد فقال: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾. وكأنها تحفيز للاستعصام والاستمساك بالله سبحانه وتعالى.

أمّا في لقمان فهي اتباع ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فلا تحتاج.

السؤال الخامس :

ما دلالة﴿فَقَدِ﴾ في قوله تعالى في آية لقمان: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾؟

الجواب :

١ـ (قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع فلها أكثر من معنى، منها التقليل (قد يصدق الكذوب)، لكنْ قد تأتي للتكثير والتحقيق مع دخولها على المضارع. والمشهور عند الطلبة أنها إذا دخلت على المضارع تكون للتقليل فقط، لكنْ (قد) تكون للتقليل، وقد تكون للتحقيق نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أو للتكثير، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي كثيراً ما تنظر إلى السماء.

٢ـ إذن (قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع يكون من معانيها التقليل.

٣ـ لذلك (قد) تفيد التحقيق، والآية: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تعني تحقق استمساكه.

السؤال السادس :

ما دلالة الفعل ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾ في الآية؟

الجواب :

قال: استمسك، ولم يقل: أمسك ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾.

١ـ (استمسك)على وزن (استفعل) (قد) تفيد المبالغة في التمسك والاستمساك، وأحرف استفعل(الألف والسين والتاء) لها معان متعددة، فقد تكون للطلب مثل:استنصره، أي: طلب نصره ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾[الأنفال:٧٢].

ومثل ذلك :استنجد به؛ أي: طلب النجدة، استغفر: طلب المغفرة.

وقد تكون للمبالغة، مثل: استيأس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف:١١٠] فيها مبالغة في اليأس، ومثل استقر: فيها مبالغة في الاستقرار (قرّ واستقرّ).

٢ـ الاستمساك في القرآن لا يأتي إلا في أمور الدين، كما في الآيات: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزُّخرُف:٤٣] ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ٢١﴾[الزُّخرُف:٢١].

وهذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، و(استمسك) في اللغة تأتي بمعان عدة.

٣ـ ثم وصف العروة بأنها (الوثقى)، ولم يقل: العروة الوثيقة، وإنما هي أوثق العرى، وهي أعلى درجات التفضيل. والعروة هي ما يُمسك به والوثقى هي أقواها وأمتنها.

وتأتي (وثيقة ـ وثيق) كصفة مشبهة، وتأتي كصيغة مبالغة، وتأتي فعيل بمعنى مفعول.

وأمّا (وثقى) على وزن فُعلى فهي مؤنث الأوثق، ومثل ذلك: [الأعظم – العظمى]، [الأفضل – الفضلى]، [الأكبر – الكبرى] . إذن الفُعلى تأتيث الأفعل، والوثقى تأنيث الأوثق. والأوثق هو الدرجة العليا في التفضيل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ قدّم الجار والمجرور للحصر؛ لأنّ الأمور عاقبتها ترجع إليه وحده سبحانه وتعالى، ولو قال: (عاقبة الأمور إلى الله، لم تدل على الحصر.

٥ـ إذاً: (استمسك) فيها مبالغة، و(الوثقى) فيها مبالغة والتقديم فيه حصر، فمن كل المؤشرات نستدل على أنه علينا أنْ نسلم وجوهنا إلى الله تعالى ونفوض أمورنا إلى الله ونسلم انقيادنا إليه مع الإحسان؛ لأن القاعدة تقول: تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.



﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣﴾

السؤال الأول:

لماذا قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالماضي وقبلها قال: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ﴾ بالمضارع؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢]معنى ﴿يُسۡلِمۡ﴾ إمّا أنْ يتبع أوامر الله، والاتّباع يكون في مسائل كثيرة، أو يفوض أمره إلى الله، فالمصائب التي تقع على الإنسان وما يحذره وما يخافه كثيرة جداً فقال: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ﴾ بصيغة المضارع التي تفيد التجدد والتكرار.

و أمّا (من كفر) فليس بالضرورة أنْ يتجدد الكفر، فلو كفر في الاعتقاد مرة واحدة، فلا يحتاج إلى التكرار.

٢ـ ونظير ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل:٤٠] فالشكر يتجدد وينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ النعم متكررة متجددة، فكل نعمة تستوجب الشكر، فقال: ومن يشكر.

السؤال الثاني :

ما دلالة الفاء في ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ ثم ما دلالة هذا التعبير بالذات؟ وما اللمسات البيانية فيها؟

الجواب :

١ـ في الآية التفات من صيغة الإفراد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ إلى صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ ولم يقل: إليّ مرجعه؛ لأنّ (من) في اللغة تقوم مقام الأسماء الموصولة كلها، فإنْ أردت لفظها فأفردها وإنْ أردت معناها فاجمعها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ لو تأملنا فيه فهو تعبير غريب وليس مِثلَ: فلا تحزن لكفره:

أ ـ الكفر فاعل، وكاف المخاطب مفعول به، والمخاطَب هو الرسول ﷺ.

ب ـ في اللغة المنهي هو الفاعل. وفي الآية الكفر هو المنهي وليس الرسول ﷺ.

ج ـ المعنى العام: لا تحزن لكفره، وهذا أصل المعنى، لكن كيف اختار التعبير؟ لماذا لم يقل فلا تحزن لكفره.

د ـ لم يقل تعالى: فلا تحزن، وإنما قال: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ الكاف مفعول به. لو قال: لا تحزن، يكون الفاعل المخاطب (أنت)، لكنْ في الآية المنهي هو الكفر. و يعني أيها الكفر: لا تُحزِن رسول الله ﷺ، فينهى تعالى الكفر ألا يُحزن رسول الله ﷺ إشفاقاً على رسول الله ﷺ.

٣ـ هذه فيها تعبير مجازي، كأنّ الكفر ذات عاقلة تريد أنْ تحزن الرسول فينهاه تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾، وهوتعبير في غاية اللطافة والرقة.

قال تعالى في آيات أخرى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٧] وهنا لا يوجد مفعول به منهي.

٤ـ الفاء في ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ الفاء يمكن حذفها، لكنّ ذكرها له معنى وحذفها له معنى. الفاء هنا عرّفتنا جواب الشرط، ولو حذف الفاء لا تكون (من) شرطية، وإنما تكون موصولة.

وإذا كانت موصولة فالمعنى ليس واحداً؛ لأنّ الشرط يفيد العموم قطعاً نحو :(من يستعن بالله يعنه)، فهولا يقصد شخصاً معيناً، وأمّا الموصول فلا يدل على العموم؛ لأنّ الموصول معرفة، وقد تكون المعرفة للجنس أو للواحد، كما في الآيات﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدّثر: ١١ - ٢٠] فهو شخص معين واحد، وهو الوليد بن المغيرة. والموصول لا يقتضي أنْ يكون جنساً، بل يحتمل أنْ يكون واحداً معيناً أو جنساً.

السؤال الثالث :

قال تعالى في الآية: ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ [لقمان:٢٣] بالجمع، وفي آية سابقة قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾[لقمان:١٥]بالمفرد وإضافة ﴿ثُمَّ﴾، فما الفرق؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿إِلَيۡنَا﴾ فيه ضمير التعظيم، بينما﴿إِلَيَّ﴾ ضمير الإفراد.

والآية السابقة ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان:١٥]هي في مقام الوحدانية والنهي عن الشرك، فجاء بضمير الوحدة ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ و﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ فكلها في مقام التوحيد والنهي عن الشرك، فقال: ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾.

أمّا الآية الثانية وهي آية لقمان ٢٣ فليست في مقام التوحيد، فجاء بضمير التعظيم، وأيضاً قدّم الجار والمجرور ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ للحصر أي: إلينا مرجعهم لا إلى غيري.

السؤال الرابع :

هنا في لقمان ٢٣ قال: ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم﴾ وفي لقمان ١٥ قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾فما الفرق؟

الجواب :

١ـ في الآية السابقة في لقمان ١٥ قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم﴾ [لقمان:١٥]هنا (ثم) عاطفة تفيد التراخي. أي: تفيد أن هناك مهلة.

٢ـ وفي الآية٢٣ لم يأت بـ(ثم)، وقال: ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم﴾ و معناها تقريب المرجع ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ أي: لم يكن هناك مهلة، وإنما جعل المرجع أقرب.

٣ـ لماذا جعل هناك مهلة، وهنا لم يجعل مهلة بدون (ثم)؟

القرآن جاء بـ (ثم) في الآية ١٥ لأكثر من سبب :

أ ـ قال تعالى في الآية ١٥: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ المجاهدة قد تسغرق وقتاً وقال: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ وفيها وقت، وقال: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ وفيها وقت، وهذا يناسب (ثم).

ب ـ أمّا في هذه الآية ٢٣ فليس فيها ما يدل على التراخي وما يقتضي التراخي. والسياق في هذه الآية كأنّ فيه تقريب الأمر ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ أي وقت قليل وينتهي.

وأنت عندما ترى صاحبك في ضيق وتريد أنْ تخفف عنه تقول له: الدنيا قصيرة فتقلل الأمر في عينه حتى يخف، فلمّا قال تعالى: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ يريد أنْ يصبره فبيّن أنّ الوقت قصير ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ فالله تعالى عندما ينهاه عن الحزن لا يطيل الوقت عليه.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في لقمان ١٥: ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ وفي لقمان ٢٣ ﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾ وفي الأنعام ١٥٩ قل: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ فاستعمل ﴿ثُمَّ﴾ و لم يستعمل الفاء، فلماذا؟

الجواب :

في مواطن قال: ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ ﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾ وفي مواطن قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ والأمر الأساسي في فهم التعبير هو السياق ووضعه في مكانه.

١ـ في آية الأنعام ١٥٩ أصل السياق في الدنيا﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩]، فلم يذكر(إلينا مرجعهم)، فلمّا ذكر ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ صار بين الدنيا والتنبيه وقت طويل فقال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾.

٢ـ في آيتي لقمان ذكرالمرجع ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ و﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾فلما رجعوا سيكون التنبيه أقرب، فاستعمل الفاء.

٣ـ في آية المائدة ١٤ قال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة:١٤]قال: إلى يوم القيامة االوقت ممتد، فقال: سوف، فالسياق هو الذي يحدد.

٤ـ لذلك إذا كان السياق مبنياً على التأخير يقول (ثم). كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام:٥٧] ليس هناك استعجال، فلا يقول: فأنبئكم.

بينما في نفس السياق في آية الأنعام ١٥٩ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

يقول هنا (ثم)؛ لأنّ المقام ليس في الاستعجال. فالسياق هو الذي يحدد ولا ينبغي أنْ نقطع كلمة من سياقها.

السؤال السادس :

قال تعالى في آية لقمان ٢٣: ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾وفي آية لقمان ١٥ قال: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فما الفرق بين الآيتين؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا يسمى الماضي المستمر، كنتم تعملون أي كنتم مستمرين على العمل في الماضي، بينما ﴿عَمِلُوٓاْ﴾ هذا يسمى الماضي المنقطع.

٢ـ السياق يحدد المسألة، في آية لقمان ١٥ ذكر استمرار المجاهدة﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ واستمرار المصاحبة بالمعروف﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ واستمرار اتباع المنيبين إليه ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ و ﴿ثُمَّ﴾ تفيد المهلة والتراخي، وهذه الأمور تحتاج إلى استمرار العمل.

٣ـ في آية لقمان ٢٣ ليس فيها استمرار عمل ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ وما ذكر أموراً فيها دلالة على استمرار العمل. وهنا ما قال: (ثم).

إذن سياق الآية ١٥ يدل على استمرار العمل، فقال: (بما كنتم تعملون) فجاء بالماضي المستمر، وأمّا في آية لقمان٢٣ فليس فيها استمرار عمل فقال: (بما عملوا)، فإذن هذه مناسبة لهذا الموضع، وتلك مناسبة للموضع الذي وردت فيه.

٤ـ الماضي فيه أكثر من ستة عشر زمناً، وهذا ينبغي أن يكون معروفاً.

فهناك الماضي المنقطع، أي الذي انقطع وانتهى. وقد يكون ماضياً واستمر عليه ولم ينقطع، نحو: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [طه:٨٠] فليس مرة واحدة، وأيضاً هناك الماضي المعتاد، مثل :كان رسول الله يفعل كذا؛ أي: معتاداً عليه.

السؤال السابع :

في آخر آية لقمان ٢٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لم يقل: إننا، مع أنه قال قبلها: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بضمير الجمع،فلماذا؟

الجواب :

بشكل عام إذا ورد ضمير التعظيم فلا بدّ أنْ يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد، وهذا سمت في القرآن الكريم لم يتخلف في أي موطن من المواطن في جميع القرآن. فلمّا كان ما سبق هو في ضمير التعظيم ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ﴾ أتى بعده ما يدل على الإفراد لئلا تبقى في الذهن شائبة شرك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وهذا ثابت في القرآن وواضح في جميع آياته، ولم يتخلف في موطن واحد، فحيث ذكر ضمير التعظيم لا بدّ أنْ يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ مع أنّ الآية تتكلم عن الذي كفر، ومع هذا لم يقل: عليم به، فلماذا؟

الجواب :

١ـ لو قال: إن الله عليم به لقصر العلم الآن على من كفر ، لكن لمّا قال: (عليم بذات الصدور) صارت أشمل، ودخل فيها الذي كفر ومن لم يكفر.

٢ـ والله تعالى ليس فقط عليم بالذي كفر، بل هو عليم بذات الصدور عموماً، وهذا الأسلوب يفيد العموم، كما في الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠].

فما قال: (إنا لا نضيع أجرهم)، أي أنّ الذين يمسكون الكتاب، وأقاموا الصلاة هم من المصلحين، ثم هنالك مصلحون آخرون دخلوا فيهم فدخل فيهم هؤلاء وهؤلاء.

٣ـ هو قال: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وذات الصدور تعني خفايا الصدور، و لو قال: عليم به. ستكون للأشياء الظاهرة، لكن لمّا قال: (بذات الصدور) صار يعني ما في داخل الصدور. فإذن شمل علمه ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ وهذا أمر ظاهر و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بذات الصدور هذا أمر خفي.

إذن لمّا قال: (بذات الصدور) شملت الظاهر والباطن، ولو قال: عليم به أفادت الظاهر فقط.

٤ـ ثم قال: ﴿عَلِيمٌ﴾ ولم يقل عالم، و(عليم) صيغة مبالغة.

وللعلم فإن كلمة (عالم) في القرآن لم ترد إلا في علم الغيب خصوصاً بصيغة المفرد﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أومع الغيب والشهادة ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وأمّا ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ و﴿عَلِيمٌ﴾ فهي مطلقة لكل شيء.

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

كلمة ﴿قَلِيلًا﴾ ما دلالتها؟ وما إعرابها؟

الجواب :

١ـ ﴿قَلِيلًا﴾ فيها احتمالان في الإعراب :

أ ـ محتمل أنْ نعربها مفعولاً مطلقاً، يعني: تمتيعاً قليلاً أي: يكون (قليل) وصفاً للمصدر.

ب ـ أو نعربها ظرف زمان؛ أي: زمناً قليلاً.

فإذن من حيث الإعراب تحتمل الحدث وهو (تمتيعاً قليلاً)، وتحتمل الزمن، وهو (زمناً قليلاً) والقرآن قد حذف الموصوف؛ لأنه لو ذكر الموصوف لتحدد بشيء واحد، فلو قال زمناً أو تمتيعاً لحدد، وعندما حذف شمل الاثنين، أي: اتسع المعنى واستفدنا أنه يمتعهم تمتيعاً قليلاً وزمناً قليلاً، ولو ذكر لخصّص الذي ذكره وأطلق الآخر.

٢ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة:٨٢] فبدل أنْ يقول: فليضحكوا ضحكاً قليلاً زمناً قليلاً وليبكوا بكاء كثيراً زمناً كثيراً حذف فجمع المعنيين .

وأحياناً يكون الحذف أبلغ من الذكر، وحينها يحذف لا بدّ أنْ تدل ﴿قَلِيلًا﴾ على المعنيين: نمتعهم تمتيعاً قليلاً زمناً قليلاً، وعندما تُعرب تُعرب باحتمالين، والحذف هنا جائز.

السؤال الثاني :

في آية البقرة ١٢٦ قال: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]

بضمير المفرد، وفي لقمان ٢٤ بالجمع ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٦.

السؤال الثالث :

في لقمان ٢٤ قال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ ولم يقلها في آية البقرة ١٢٦، فلماذا؟

الجواب :

١ـ إبراهيم عليه السلام سأل ربه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ والرزق فيه تمتيع إذن هذه المسألة ليست متعلقة بالتبليغ، وإنما هو طلب الرزق. فلمّا سأل ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ كان الجواب ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ وهذه ليست في التبليغ.

أمّا آية لقمان ففي التبليغ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾والسياق مختلف تماماً، والآية في التبليغ، حيث قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ أمّا في آية البقرة فليست في التبليغ، فقال: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾.

٢ـ في لقمان قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ولم يقلها في البقرة أيضاً؛ لأنّ هؤلاء الكفار في آية لقمان موجودون، أمّا هؤلاء الذين قال فيهم الآية في سورة البقرة فلم يخلقوا بعد أي هذا باعتبار ما سيكون. فهم

ليسوا مخلوقين أصلاً، قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ فكيف يقول: فلا يحزنك كفره وهم غير موجودين، ويأتون بعده بقرون، بينما في آية لقمان فهو معاصر لهم ويبلغهم.

السؤال الرابع :

في لقمان قال: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان:٢٤] وفي البقرة قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٦] فما السبب؟

الجواب :

١ـ أيهما الأشد: أنْ تقول: إلى عذاب غليظ، أو إلى عذاب النار وبئس المصير؟ بالطبع عذاب النار. فعندما يقول: عذاب غليظ هل معناه أنك ستحرقه؟ كلا؛ لأنك لم تصرح أنه بالنار، أمّا عذاب النار ففيه حرق. فأيهما الأشد؟ عذاب النارأشد.

٢ـ لم يذكر ناراً في لقمان، وفي البقرة ذكر ناراً وبئس المصير. إذن هذا العذاب أشد، ذكر النار وقال: إنه بئس المصير. وعذاب غليظ لا يشترط أنْ يكون بالنار، وقد يكون بعضه غليظاً.

٣ـ قال: عذاب النار في أهل مكة، وإبراهيم يطلب البلد الآمن والرزق، والسيئة في مكة قد تتضاعف أكثر بكثير من مكان آخر، وكذلك الحسنة تتضاعف في مكة، ومن أساء في مكة في بلد الله الحرام فليس كمن أساء في غيرها، فإذن عندما تكون السيئة تتضاعف فالعذاب قد يتضاعف ويشتد لذا قال: عذاب النار وبئس المصير؛ لأنه ذكر السيئة والكفر في مكة.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في لقمان: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾؟ ماتفسير هذا الاضطرار؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي نلجئهم إلى ذلك العذاب الغليظ الشديد الثقيل. وفي تفسير هذا الاضطرار أقوال منها:

أ ـ ما في الحديث من أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل عليهم الزمهرير فيكون أشد عليهم من اللهب فيتمنون عود اللهب اضطراراً فهو اختيار عن اضطرار.

ب ـ يسلط عليهم عذاباً غليظاً فيضطرون إلى عذاب النار فراراً من الملائكة الغلاظ الشداد.



﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

في هذه الآية لم يقل الله تعالى: ليقولن خلقهن الله، مع أنه في سورة الزخرف قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزُّخرُف:٩]، فما الفرق؟

الجواب :

١ـ كل الآيات التي سألهم فيها نحو هذا السؤال: من خلق السموات والأرض، أو من خلقهم يقولون الله من دون ذكر (خلقهن الله أو خلقنا الله) إلا آية الزخرف فقط ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ والمعنى معلوم سواء ذكر الفعل (خلق) أو لم يذكر.

ولا شك أن ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾أوجز من حيث الكلام، فهي أوجز من قوله تعالى:﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأنّ هذا فيه توسع.

٢ـ البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ففي مقام الإيجاز يوجز وفي مقام التوسع يتوسع.

٣ـ في الزخرف أراد أنْ يتوسع في الكلام عن الخلق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزُّخرُف:٩-١٢] فذكر ما يتعلق بالخلق، ولم يقل فقط:خلق السموات والأرض.

٤ـ في الآيات الأخرى التي لم يذكر خلقهن لم يذكر شيئاً في الخلق ولم يتوسع، وقد تكون آية وحيدة وليس بعدها شيء يدل على الخلق، كما في قوله تعالى :

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١] وبعدها مباشرة ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت:٦٢] وليس فيها خلق.

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٥-٢٦].

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر:٣٨].

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٧-٨٨].

٥ـ آية الزخرف هي الآية الوحيدة من بين ما ورد، والتي توسع فيها بالسياق فذكر الخلق فناسب لهذا التوسع والتفصيل أنْ يقول: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

السؤال الثاني:

لماذا جاء الفعل ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بالنصب في آية سورة هود ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود:٧]بينما جاءت بالضم في آية أخرى في سورة لقمان ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٧.

السؤال الثالث :

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ما دلالة الحمد لله في الآية الكريمة؟

الجواب :

الحمد في الآية لأكثر من سبب :

١ـ أنّ الحجة قامت عليهم، فهو يدعوهم ويبلغهم وهم يعلمون ، لكن لمّا قالوا: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ صار إقراراً؛ لذا يجب أنْ يعبدوا الله الذي خلقهم وألا يشركوا به شيئاً. إذن الحجة لزمتهم وأبرأ نفسه فأقام الحجة عليهم. إذن الحمد؛ لأنّ الحجة قامت عليهم

٢ـ ثم الحمد لله الذي هدانا للحق أننا لم نكن مثلهم ممن يدعوهم الشيطان إلى عذاب السعير.

٣ـ إذن الحمد؛ لأنّ الحجة قامت عليهم، فألزمهم الحجة وأبرأ نفسه والحمد لله الذي هدانا إلى الحق ولم يجعلنا مثلهم فنكون من أصحاب السعير والحمد لله الذي خلق السموات والأرض فهو سبحانه يستحق الحمد ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إذن الحمد لله مناسبة لعدة جهات.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية لقمان: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)﴾ وفي العنكبوت قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ [العنكبوت:٦٣] فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٦٣.



﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ نلاحظ ابتداءً أنه قدّم الجار والمجرور، وهو الخبر على المبتدأ للحصر، وهذا من باب تقديم العامل على المعمول، وهو في الغالب يفيد الحصر أو القصر، ويعني لله ما في السموات والأرض حصراً، وليس لأحد غيره.

٢ـ نلاحظ هنا أنه ذكر أنّ له ما في السموات والأرض، وقبل هذه الآية قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فذكر هنالك خلق السموات، وهنا قال: لله ما في السموات، وهذا يدل على أنّ له السموات والأرض وما فيهما.

إذن هو الصانع لهما فدلّ على أنّ له السموات والأرض وما فيهما باعتباره خالقاً وصانعاً ومالكاً لما فيهما؛ لأنّ الشخص قد يملك الظرف، لكن لا يملك ما فيه، وقد يملك أحدهم بيتاً وآخر يملك الأثاث، فالأثاث للساكن والبيت لصاحب البيت. لذلك (لله)، اللام تفيد الملكية.

٣ـ هو خلق السموات والأرض، إذن هما ملكه، وذكر أنّ ما فيهما أيضاً ملكه، إذن صارت السموات والأرض وما فيهما ملكه؛ حتى لا يظن ظان أنه مجرد خالق للسموات والأرض، أمّا المالك فشخص آخر كمن عنده مخزن يؤجره لشخص يضع فيه بضاعة، فالبضاعة لشخص والمالك شخص آخر. لذلك دلت الآية على أنّ السموات الظرف والمظروف كله لله سبحانه وتعالى.

٤ـ وفي قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ دلّ على أنه المتصرف فيهما، وليس فقط أنه المالك، فهناك خلق وهنالك مِلك وهنالك تصرف. والخلق لا يغني عن الملك والتصرف. إذن هو المالك للسموات والأرض وما فيهما والمتصرف فيهما.

السؤال الثاني:

قال تعالى هنا في لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ وقال في آية سورة الحج: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج:٦٤] فما الفرق بين الآيتين؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحج ٦٤.

السؤال الثالث:

مرة يقول: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومرة يقول: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾فما الفرق؟

الجواب :

١ـ هناك فرق بين مُلك ومِلك. (المُلك) هو الحُكم، وقد جاء في القرآن على لسان فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزُّخرُف:٥١]. وهويعني الحكم وليس مملوكة له. و(المِلك) من التملّك فصاحب المُلك مَلِك وصاحب المِلك مالك .

٢ـ عندما يقول: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني هو الحاكم، وعندما يقول: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني التملك؛ أي مملوكة له. فإذن في مجموعة هذه الآيات أنه هو المالك وهو الملك، وكل آية لا تدل على الأخرى، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هو من التملك، فهو ملكها ومالكها، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦].

٣ـ المُلك هو مِلكه ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ وبيده التصرف فهي ملكه.

٤ـ وفي الفاتحة نقول: (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)؛ لأنه تعالى الملك والمالك.

وفي الفاتحة هنالك قراءتان متواتران (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)، وهي قراءات نزل بها جبريل، وأقرها رسول الله عليه السلام بأمر من ربه. وهناك عشر قراءات متواترة عن الرسول عليه السلام أقرها الرسول عليه السلام بأمر من ربه.



﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر قبل هذه الآية أنّ له ما في السموات والأرض لربما يظن ظان أن هذا هو جميع ملكه، لكنْ جاءت بعدها ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾ وكلماته تعني: ما يريد أنْ يعمل ويخلق، إذن لا حدود لملكه وخزائنه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ﴾ جاء بـ (منْ) الاستغراقية، أي لو تتبعنا شجرة شجرة وجعلنا من أغصان كل واحدة أقلاماً ، والشجرة فيها عدد لا يحصى من الأقلام فلا نترك شجرة في الأرض إلا ونصنع منها أقلاماً، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر بمداد

ليكتب به كلمات الله، وهي الأشياء التي عنده تعالى في خزائنه، فإنّ الأقلام تفنى والبحر ينفد ويجف ولا تنفد كلمات الرحمن.

٣ـ اختارلفظة (كلمات)، مع أنها جمع قلة، واستخدم القرآن (كلِم) بالجمع، كما في الآية: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

والآية بينت أنّ كلماته لا تفي بها البحار، فكيف بالكلِم؟! ما قلّ من كلمات لا تفي بها هذه البحار والأقلام فكيف بالكلِم؟! وذلك حتى نعلم أنّ ما ذكر قبلها من الآيات شيء من كلماته سبحانه، وما في السموات والأرض مجرد شيء واحد معين.

٤ـ جاء بـ ﴿ٱلْبَحْرُ﴾ معرفاً لاستغراق الجنس، ثم قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ إشارة إلى بحار غير موجودة.

٥ـ قوله: ﴿سَبْعَةُ﴾ إشارة إلى الكثرة.

السؤال الثاني :

لماذا جعل الإمداد للماء ولم يجعله للشجر؟

الجواب :

أ ـ لأنّ القلم الواحد، أوما يسمى الريشة سابقاً، يكتب بالحبر لفترة طويلة لا حصر لها. والحبر هو مظنة الانتهاء لا الخشب، كما أنّ الشجر ينمو ويتجدد، أمّا ماء البحر فثابت لا يزيد.

ب ـ إشارة إلى أنّ البحر لو كان أكثر من الموجود لاستوى القلم والبحر في المعنى.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ في الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ جاء بجمع القلة إشارة إلى أنّ كل ما ذكره من الأقلام والمداد لا يفي كلمات الله، فكيف بكَلِمِه؟

وكلمات الله هي كلامه وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ٢٧: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأكد بـ (إنّ)، بينما قال في نفس السورة في الآية ٩ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بتعريف الاسمين الجليلين ولم يؤكد بـ (إنّ) فلِمَ ذاك؟

الجواب :

أ ـ الآيتان (٨ـ٩) من سورة لقمان إنما سياقهما في الآخرة وهناك لا يبقى عزيز إلا الله ولا حاكم إلا هو.

وكان الناس في الدنيا يرون أشخاصاً أعزة وحكاماً يتداولون الحكم والملك، أمّا في الآخرة فيرى الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم أنْ لا عزيز إلا هو ولا ملك إلا هو. ولذلك لم يؤكد بإنّ فيقول مثلاً: إنه هو العزيز الحكيم لأنّ الكل في الآخرة يعرف ذلك ويراه عياناً ويسلم به، فلا حاجة إلى التوكيد، فقال بالتعريف ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فلم يؤكد؛ لأنه أمر ظاهر واضح للجميع في الآخرة.

ب ـ أما الآية ٢٧: فهي في الدنيا، وهناك من يجحد، فناسب التأكيد بإنّ وناسب كل تعبير موضعه. والله أعلم.

السؤال الخامس :

كلمة ﴿أَبۡحُرٍ﴾ في الآية جمع تكسير. ما الفرق بين جمع السالم وجمع التكسير؟

الجواب :

١ـ الجموع في العربية على نوعين: جمع سالم وجمع تكسير. وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً.

٢ـ وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع، نحو: كافر وكفار وكفرة وكافرين وساجد وسُجد وساجدين وسجود. وقد استعمل القرآن الجموع المختلفة.

٣ـ وأهم أسباب اختلاف أوزان الجموع :

أ ـ اختلاف لغات العرب.

ب ـ اختلاف المعنى، فالعرب على الأغلب تستعمل :

ـ الأسرى: للذين في اليد و(أسارى) للذين في وثاق.

ـ الكفار: في جمع الكافر المضاد للإيمان و (كفرة) في جمع كافر النعمة.

ـ العِدى: بكسر العين للأعداء الذين تقاتلهم و(العُدى) بالضم للأعداء الذين لا تقاتلهم.

ـ الكعوب: للرمح و (الكِعاب) للإنسان وغيره.

ـ المصير: يعني نهاية الأمر ﴿وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بخلاف الصيرورة.

ـ المآب: يعني نهاية الأوب و(الإياب) فإنه الرجوع.

ـ المنقلب: يعني خاتمة الأمر وعاقبته و (الانقلاب) :التغير المعاكس.

ـ الركبان: لركاب الإبل فقط و(الركّاب) لركاب الخيل والسفينة وغيرها.

ج ـ القلة والكثرة: فالقلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة فإنْ زاد على العشرة فهو جمع كثرة، وأوزان القلة [أفعل كـ(أشهر) وأفعال وأفعِلة وفِعْلة]، كما في آيات القرآن:

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ للقلة و ﴿ٱلْبِحَارُ﴾ للكثرة انظر آية لقمان ٢٧ و الانفطار ٣.

ـ ﴿فِتْيَةٌ﴾الكهف ١٣ و ﴿فَتَيَانِ﴾ يوسف ٦٢.

ـ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ للقلة على وزن أفعل؛ لأنّ أشهر الحج ثلاثة.

ـ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ البقرة ٢٢٦.

ـ ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ التوبة ٢.

ـ ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ التوبة ٥.

ـ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ التوبة ٣٦؛ لأنها زادت على العشرة.

ـ ﴿إِخْوَةٌ﴾ جمع قلة، وأكثر ما تستعمل في النسب.

ـ (إخوان) جمع كثرة، وأكثر ما تستعمل للأصدقاء.

ـ ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ للقلة و﴿سَنَابِلَ﴾ للكثرة.

ـ خطيئات للقلة، وخطايا للكثرة.

ملاحظات :

١ـ بشكل عام الجمع السالم يفيد القلة، وجمع التكسير يفيد الكثرة.

٢ـ قد يستغنى بجمع عن جمع فيستعمل جمع القلة للكثرة وبالعكس، نحو:

أ ـ كلمة: رجال و: أقلام، هذه من أوزان الكثرة، لكنْ قد تستعمل للقلة والكثرة.

ب ـ قروء: استغنوا بها عن ثلاثة أقراء.



﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في الآية ٢٨؟ ما ارتباط هذه الآية بما قبلها وما بعدها؟

الجواب :

١ـ هذه الآية من الناحية البيانية ارتبطت بما قبلها﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧] ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان:٢٨]

خلقُ الناس من كلمات الله وبعثهم من كلمات الله، خلقكُم كنفس واحدة من كلمات الله، وبعثُهم كنفس واحدة من كلمات الله.

وختم الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ وقبلها قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لاحظ كيف ارتبطت هذه الآية بخاتمة الآية السابقة.

٢ـ من الناحية البيانية الخالق عزيز حكيم، والخالق له العزة والمخلوقات كلها من صنعه، وهي له طائعة، إذن هذا مرتبط باسمه ﴿عَزِيزٌ﴾.

والخالق حكيم، حكيم في خلقه وصنعه وخلقهم لحكمة أرادها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]إذن هو حكيم في الصنع وحكيم في الغرض، إذن ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ارتبط بقوله (العزيز) من حيث الحكمة والعزة. والذي يبعث الخلق ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾عزيز حكيم، عزيز؛ لأنه يجازي ويعذِّب ولا رادّ لأمره، وحكيم بمعنى (الحكم) فهو الحاكم، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ [الزُّمَر:٤٦]وهو أيضاً الحكمة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٥]إذن هو حكيم بمعنى الحكم وبمعنى الحكمة.

٣ـ إذن ارتبطت الآية السابقة بهذه بالآية ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾لأنّ الخالق والباعث عزيز حكيم من الحكم ومن الحكمة. وارتبطت هذه الآية بما بعدها ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩] هذا الأجل المسمى هو البعث الذي ذكره ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨] والناس يجرون كجري الشمس والقمر إلى منتهاه.

٤ـ وارتبطت بجو السورة التي شاع فيها ذكر الخلق والبعث، حيث قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ [لقمان:١٠] ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان:١١]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. والبعث شائع من

أولها إلى آخرها، فقال في أولها: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٤] وقال في آخرها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان:٣٣] فالخالق لا بدّ أنْ يكون سميعاً بصيراً؟ والذي يبعث لا بدّ أن يكون سميعاً بصيراً، وإلا كيف يحاسبهم على أقوالهم وعلى أفعالهم ويسمع أقوالهم؟ فإذن هذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها والآية التي بعدها وبالجو العام للسورة وبخاتمة السورة.

السؤال الثاني :

حينما نتأمل في هذه الآية، المتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنها تعبّر عن القدرة الإلهية في الخلق والبعث، والقريب للعقل أنْ تختتم الآية بـ: إنّ الله على كل شيء قدير، ولكنّ الآية ختمت بـ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، فكيف نفهم الخاتمة في سياقات الآية؟

الجواب :

١ـ الآية قد تحتمل أكثر من خاتمة، فيمكن أنْ تجعل (إنّ الله على كل شيء قدير)، وهذه يمكن أنْ تصلح لخاتمة أكثر من آية في السورة ، لكنّ اختيار الخاتمة ينبغي أنْ يكون مناسباً للسياق الذي وردت فيه الآية والغرض الذي ذكرت من أجله.

٢ـ هذه الآية ليست مقتطعة، وإنما هي موضوعة في سياقها، فلماذا ذُكِرت الآية؟ ننظر هل هي واردة في سياق بيان القدرة الإلهية؟ أو بيان الحكمة؟ أو بيان التفضل والنعمة؟ ليتبين بعد ذلك اختيار الخاتمة المناسبة للسياق.

* شواهد قرآنية :

أ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣] فختم الآية بـ ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران:١٤٧] هنا ختم الآية بـ ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

في آية آل عمران (١٤٧) قبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران:١٤٦] هل يمكن في القتال أن تقول: توفّنا؟ تقول في القتال انصرنا؛ لذا لا يجوز أنْ نقتطعها ونضع لها خاتمة. ولا يمكن أنْ تضع خاتمة تلك الآية في هذه الآية؛ لأنّ كلاً منها في سياق مختلف.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ وردت مرتين كل مرة بخاتمة، الآية الواردة في سورة النحل ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل:١٨]وسياقها في في بيان صفات الله، فختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

أمّا الثانية فوردت في سورة إبراهيم، وسياقها في بيان صفات الإنسان وجحوده، فلمّا كانت في بيان صفات الإنسان وجحوده ختمها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٤]

فالنعم لا تحصى، لكنّ الإنسان ظلوم كفار، ومع أنّ نِعَم الله على الإنسان متتالية عليه ومتتابعة، لكنه ظلوم كفار.

٣ـ الآن في الآية ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

اتفقت خاتمة الآية بسياقها؟ ابتدأت بالخلق والبعث وختمت بالسمع والبصر، والخالق لا بدّ أنْ يكون سميعاً بصيراً؟

لا بدّ أنْ يكون الخالق سميعاً بصيراً، والذي يبعث الخلق من مدافنهم لا بدّ أنْ يكون سميعاً بصيراً، والخالق الذي يخلق عباده ليعبدوه وليبلوهم أيهم أحسن عملاً لا بدّ أنْ يكون سميعاً لأقوالهم بصيراً بأعمالهم، والذي يبعثهم ليحاسبهم على أعمالهم لا بدّ أن يكون سميعاً لما قالوه في الدنيا وما يحتجون به في الآخرة، وبصيراً بأعمالهم في الدنيا وبما كانوا يعملون وبما أعدّ لهم فلا بدّ أنْ يكون بصيراً بهذا الشيء، وأنه لا يبقى منهم أحد لا يحاسب.

وأعمال الإنسان منها ما يُسمَع، ومنها ما يُبصَر، ومنها ما يُضمَر، ولمّا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ استوفى ما يُسمع وما يُبصر وما يُضمر، فالسميع يسمع والبصير يحتمل رؤية العين ويحتمل أنْ يكون من البصيرة ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة:١٤].

إذن هذه الآية شملت ما يُسمع وما يُبصر وما يُضمر ، وهذا يتلاءم مع الخلق والبعث، ولا بدّ للخالق أنْ يكون كذلك والباعث لا بدّ أنْ يكون كذلك (سميعاً بصيراً).

ونفهم القدرة الإلهية من الخلق والبعث والسمع والبصر، ولو قال: إنّ الله على كل شيء قدير، فهذا مفهوم أصلاً.

السؤال الثالث :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ ولم يقل: إنّ الله هو السميع البصير، فما دلالة عدم تعريف (سميع بصير)؟

الجواب :

عندما يقول الله سبحانه وتعالى: (هو السميع البصير) يعني أنه المتفرد بالسمع والبصر، لكنه أثبت لنا في السورة أنه سميع بصير، وبيان ذلك:

١ـ الله سبحانه أثبت البصر لعباده، كما في الآيات التالية :

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان:٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [لقمان:٢٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان:٣١].

٢ـ وكذلك أثبت السمع للإنسان كما في الآيات:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان:٧].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠]والذي يجادل يسمع الكلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان:٢١].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

فهم أجابوا عن السؤال، إذن أثبت لهم في السورة السمع وأثبت لهم الرؤية فكيف يكون متفرداً في السمع والبصر؟ السياق لا يتحمل هذا.

وللعلم فإنّ أحد معاني البصير من البصر، وهي الأشهر، فطالما أثبتها للعباد فلا يتناسب أنْ يقول: إن الله هو السميع البصير، لأنّ السورة مليئة بالسمع والبصر.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم السمع على البصر؟

الجواب :

١ـ الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر، كما في الآيات :﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ [غافر:٥٦] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ [الفرقان:٧٣].

٢ـ القدامى يقولون: إنّ السمع أفضل، واستدلوا على أنه تعالى لم يبعث نبياً أصمّ (يعقوب عليه السلام عميَ، لكنه لم يفقد السمع)، والظاهر أنّ السمع بالنسبة لتلقي الرسالة أفضل من البصر؛ لأنّ فاقد البصر يسمع الرسالة، والقرآن يسمعه الأعمى ويفهم مقاصده، أمّا الأصم فلا يفهم. إذن بالنسبة إلى تلقي الرسالة السمع أفضل وفاقد البصر يسمع.

٣ـ وقد يكون هناك سبب آخر، وهو أنّ مدى السمع أقل من مدى الرؤية وأنت ترى أشياء من بعيد، لكنْ لا تسمعها، فإذا اقتضى هذا الشيء قدّم السمع، كما في الآية ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه:٤٦] ويشير إلى معنى أنه قريب منكم؛ لأنّ مدى السمع أقرب، فمعناها أنه قريب.

٤ـ وقد يقدّم البصر، لكنْ في المواطن التي تقتضي ذلك، على سبيل المثال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة:١٢] قدّم البصر لأكثر من سبب:

قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ والرؤية تحتاج إلى بصر، وهم قالوا: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ كانوا في الدنيا يسمعون عن جهنم والآخرة ولكن لا يبصرونها، والآن أبصروها وسمعوا؛ لذلك قدّم البصر لأولويته في هذا المقام، فالإبصار هنا أهم من السمع؛ لأنّ السمع يدخل في باب الظن والشك، أمّا الإبصار فهو يقين، فجاءت الآية: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ وهذا يقين.

٥ـ إذن في التقديم والتأخير هو يقدم السمع على البصر على العموم لكن إذا اقتضى الأمر تقديم البصر على السمع يقدِّم، وفي الخِلقة يخلق الله تعالى السمع قبل البصر.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه ذكر في السورة قبل هذا الموضع خلق السموات، وذكر ما يتعلق بالأرض على العموم من إلقاء الرواسي وغيرها ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى

﴿ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [لقمان:١٠]، ثم ذكر تسخير ما فيها على العموم أيضاً ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [لقمان:٢٠]ثم ذكر تسخير بعض ما فيهما بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ فهذا بعض ما في السموات، وليس الكل.

٢ـ إذن ذكر العموم في الخلق والتسخير، ثم انتقل إلى الخصوص فذكر بعض ما فيهما، وهو تسخير الليل والنهار والشمس والقمروهو من بعض ما في السماء، ثم قال بعد ذلك: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ وهذا بعض ما في الأرض. إذن ذكر العموم ثم انتقل إلى الخاص، وهذا هو المنهج الذي سار عليه في كيفية ترتيب الآيات.

السؤال الثاني :

ما وجه ارتباط هذه الآية ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾ [لقمان:٢٩]بما قبلها وبأول السورة؟

الجواب :

١ـ هي ليست مرتبطة فقط بأول السورة، وإنما مرتبطة أيضاً بما قبلها فقد قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان:٢٦]إلى أنْ قال قبلها مباشرة: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان:٢٨]ثم تأتي هذه الآية ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾ [لقمان:٢٩].

٢ـ الليل والنهار والشمس والقمر أليس مما في الأرض؟ بلى. والأجل المسمى ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقبلها ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ متى سيكون البعث؟ وكذلك في الأجل المسمى الذي ذكره، فهي مرتبطة بما قبلها ارتباطاً واضحاً.

ويأتي ارتباطها أيضاً بأول السورة: ﴿الٓمٓ ① تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ② هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⑤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ⑥﴾ .

وقال في هذه الآية التي نحن بصددها: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهذا هو اليوم الذي يجازى فيه المحسنون ويحاسب فيه الكافرون، وقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٤] أليس هذا في الآخرة؟ بلى.

٣ـ ربنا ختم الآية بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٢٩].

والله ذكر الأعمال في أول السورة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان:٤] فالله خبير بما تعملون وهذه أعمال، فكأنما هذه الآية جاءت بعد أول السورة، فإذن المناسبة ظاهرة بما قبلها وبأول السورة.

السؤال الثالث :

هنا في الآية٢٩ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بالمفرد وقبلها في الآية ٢٠ قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ بالجمع، فلماذا؟

الجواب :

السياق هو الذي يوضح لنا الإجابة.

١ـ السياق في الآية الأولى ٢٠ بالجمع ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾

فالخطاب هو في الجمع، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ ﴾.

٢ـ الآية ٢٩ السياق في خطاب المفرد ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، فالسياق هناك في الجمع وهنا في سياق الإفراد، وهذا تحوّل في الخطاب من الجمع إلى المفرد.

٣ـ لمّا ذكر ما في السموات وما في الأرض على العموم خاطب على العموم، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ ﴾ بالجمع، ولمّا ذكر بعض ما فيهما خصّص، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾. إذن لمّا عمم جمع، ولمّا خصص أفرد.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم الليل على النهار في الآية ٢٩في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾

الجواب :

١ـ الليل أصلاً أسبق من النهار في الوجود؛ لأنه كان قبل خلق الشمس. حتى المفسرون القدامى قالوا: الليل هو الأصل، بدليل قوله تعالى في سورة يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [يس:٣٧]أي النهار هو كالغلاف، نسلخ يعني: ننزع النهار فيصير ليلاً، فإذا هم مظلمون.

وإذا خرج أحد من الغلاف الأرضي فإنه لا يرى شيئاً، وسيكون في ظلام دامس، وهذا من الإعجاز العلمي، فالليل هو الأصل؛ ولذلك قدّم الليل.

٢ـ في القرآن الكريم حيثما ورد الليل والنهار قدّم الليل على النهار وكذلك تقديم الشمس على القمر، وتقديم الليل؛ لأسبقيته في الوجود. وكذلك وجود القمر، وقالوا: القمر هو من الأرض أصلاً، والأرض هي من الشمس، كما في الآية: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠] رتقاً بمعنى ملتصقتين، والفتق: الإبعاد بينهما.

٣ـ إذن هذا التقديم مقصود بحد ذاته داخل القرآن. وعندما يقول القرآن: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ الليل يدخله في النهار والنهار يدخله في الليل، وهذا حاصل في كل لحظة، وفي كل وقت الليل يأخذ من النهار، والنهار يأخذ من الليل.

٤ـ عندما يولج النهار في الليل يصبح الليل أطول، وبالعكس عندما يولج الليل في النهار يصير النهار أطول في الصيف؛ لأنه يأخذ جزءاً من الليل وهذا من جملة ما ذكِر.

ليس هذا فقط، وإنما هو في كل لحظة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل؛ لأنّ الأرض كروية. فهو في كل لحظة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين يولج الليل ويكور الليل؟

الجواب :

الله تعالى يولج ويكور، والتكوير استدل به ابن حزم على كروية الأرض وليس فيهما إشكال، وإنما هذا زيادة في الإعجاز.

السؤال السادس :

قال تعالى في آية لقمان ٢٩: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

(يولج) جاءت بالفعل المضارع ، ومع الشمس والقمر جاء الفعل (سخر) بالماضي، فما دلالة تغير الزمن؟

الجواب :

جاء الفعل المضارع (يولج)؛ لأنه يتجدد، فالإيلاج يتجدد في كل لحظة وأمّا التسخير فربنا منذ خلقها سخّرها ابتداءً، بينما (يولج) يتم في كل لحظة وفي كل يوم، فالمضارع يفيد التجدد والاستمرار.

أمّا الفعل (سخّر) فهو سخرها منذ خلقها، وهذا أنسب تعبير، ولو قال: يسخر الشمس والقمر، لفهم أنه كل يوم يسخِّرها.

السؤال السابع:

قال تعالى في آية لقمان ٢٩: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ولم يقل: سخر لكم كما جاء في آية قبلها رقم ٢٠ ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ الآية ٢٠ هي في مقام تعداد النعم ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ وأمّا هذه الآية ٢٩ ففي سياق إظهار الآيات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان:٣١].

فلمّا كان السياق في تعداد النعم على الإنسان قال: ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ ولمّا كان الكلام لمطلق القدرة وليست لها علاقة بالنعم قال: ﴿سَخَّرَ﴾.

٢ـ عندما يقول – كما في آية لقمان ٢٩–: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩] فهذه عامة وذكر أنّ لهما أجلاً مسمى، وهذا لا يناسب النعم؛ لأنّ من تمام النعم دوامها.

بينما في آية لقمان ٢٠ لم يذكر أنّ لهما أجلاً مسمى؛ ولذلك حيثما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ لم يقل: (إلى أجل مسمى) في جميع القرآن مما يُفهم دوام النعمة؛ لأنه لا يناسب الانقطاع مع دوام النعمة .

ولذلك لم يرد في القرآن (سخر لكم) مع (أجل مسمى) مطلقاً؛ لأنّ فيها إشعاراً بالانقطاع.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في آية لقمان ٢٩: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عدّى الفعل بـ (إلى) مع أنّه في مواطن أخرى عداه باللام ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ﴾ [فاطر:١٣] فما السبب؟

الجواب:

١ـ (إلى) تفيد الانتهاء، و(اللام) قد تفيد الانتهاء، وقد تكون للتعليل، فقد تكون لغرض الوصول وبيان العلّة. مثال: (أدرسُ لأنجحَ) هذه اللام لبيان العلة والسبب.

٢ـ الأصل أنّ دلالة (إلى) الانتهاء، واللام قد تأتي للانتهاء، وقد تأتي للملك والاختصاص و للتعليل.

٣ـ قال القدامى: حيث ورد فيها التنبيه على الانتهاء والحشر يوم القيامة جاء بـ (إلى)، وحيث كان الكلام على بداية الخلق يأتي بـ (اللام).

قال تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هذه الآية في لقمان، وقال قبلها: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ وبعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ والكلام عن الحشر.

بينما في فاطر ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ

﴿١٣﴾ [فاطر:١٣] الكلام في بدايات الخلق فقال: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أمّا في آية لقمان فيتكلم عن الآخرة، فقال: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٤ـ لذلك عندما يذكر نهاية الخلق يكون الأجل سينتهي إلى أجل مسمى وهو ذكر انتهاء الغاية وذكر الحشر، فعندما يذكر انتهاء الغاية من حياة الناس يذكر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وعندما يذكر بداية الخلق وليس انتهاء الخلق مع البداية يذكر (اللام).

السؤال التاسع :

ختمت الآية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فما دلالة تقديم العمل على الخبرة الإلهية؟

الجواب :

١ـ هنالك قاعدة استنبطت مما ورد في القرآن الكريم: إذا كان السياق في عمل الإنسان قدّم عمله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وإذا كان السياق في غير العمل، أو كان في الأمور القلبية، أو كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى قدّم صفة الله ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

* شواهد قرآنية: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ :

ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة:٢٧١] لمّا ذكر عمل الإنسان قدّم عمله.

ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠] لمّا ذكر عمل الإنسان قدّم عمله.

- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾ [البقرة:٢٣٤]. هذا عمل فقدّم.

- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ [التغابن:٨]هذا عمل فقدّم أيضاً.

* شواهد فرآنية: ﴿اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾:

- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾ [النمل:٨٨]هذا ليس عمل الإنسان، فقدّم الخبرة على العمل.

وكذلك الأمر عندما يكون الأمر قلبياً غير ظاهر،كما في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر:١٨].

فهذا على العموم: إذا كان الأمر في عمل الإنسان قدّم العمل، وإذا كان في غير عمل الإنسان أو في الأمور القلبية أو عن الكلام عن الله سبحانه وتعالى يقدم (خبير).

٢ـ الناس يتفاوتون في البلاغة، فالعرب كلهم كانوا يتكلمون كلاماً فصيحاً من حيث صحة الكلام؛ ولذلك يؤخذ من كلام المجانين عندهم؛ لأنّ المجانين يتكلمون بلغة قومهم، ويستشهدون بأشعار المجانين؛ لأنّ كلامهم يجري على نسق اللغة، أمّا البلاغة فمتفاوتة، ويقول الرسول ﷺ: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**».

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية بشكل عام؟

الجواب :

١ـ سبق قبل هذه الآية أنْ ذكر الله تعالى أمور إيلاج الليل في النهار وصفات ربنا تعالى وما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما إلى ذلك، وهذا كله يبين أنّ الله هو الحق الموجد الأول الذي أوجد هذا الكون.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود على ما ذكر سابقاً، وكيف حصلت؟ لأنّ الله الموجد الأول وهو الذي فعل ذلك وهو الحق، وما يدعون من دونه الباطل؛ لأنه لا يمكن أنْ يُصنع مثل ذلك.

وكذلك ما أمر به ونهى عنه هو الحق؛ لأنّ ربنا لمّا كان هو الحق المبين فما فعله هو الحق وليس الباطل، وما أمر به هو الحق، وكل أوامره ونواهيه لازمة بسبب أنه الحق، فهو الحق. وهذا تعليل لكل أفعاله وصفاته وتعليل للزوم طاعته سبحانه؛ لأنه الحق.

٢ـ والإنسان ينبغي أنْ يطيع ما هو حق، والله هو الحق وأوامره هي الحق وينبغي أنْ يُطاع، والله هو الحق وصفاته هي الحق وينبغي أنْ يُعبد.

٣ـ اختيار كلمة (الحق) تحديداً؛ لأنّ كل هذا التسخير معناه أنّ الله هو الحقيقة الوحيدة الموجودة في الكون المستحقة للعبادة، وليس ما يدعون من دونه.والله هو الحق

وحده، وليس هناك حق بمنزلة هذا الحق. فالجنة حق والنار حق، وكون ربنا خلقها وأوجدها وهو الحق، فهي حق.

السؤال الثاني :

كيف نفهم تعريف الحق والباطل في الآية؟

الجواب :

١ـ فرقٌ بين أنْ تقول :(هو حق) فيكون من جملة ما هو حق. أنت تقول مثلاً: هذا تلفاز، فهو حق، وهذا قدح وهو حق، هو حق لكن ليس هو الحق.

٢ـ الحق الأول هوالموجب لجميع الأشياء والذي أفاض على كل الأشياء الموجودة بالوجود، وهي حق|؛ لأنّ الحق الأول أوجدها، والأرض حق والسموات حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، وهذه مخلوقات لله تعالى وهي حق؛ لأنّ الحق الأول هو الذي أوجدها، ولو لم يكن الحق الأول موجوداً لما وُجِد شيء؛ ولهذا تفرّد سبحانه وتعالى بالحق الحق المطلق، وأنّ ما يدعون من دونه من آلهة هو الباطل.

٣ـ الشرك هو أنْ تجعل لله نداً. و كفار قريش مشركون، لكنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ جعلوا الله تعالى نداً ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فهم لا يعبدون الله أصلاً بل يعبدون من دونه، وجعلوه بإزاء الله سبحانه .

وهذا هو الباطل بعينه، ولو قال: باطلاً، لكان من جملة ما هو باطل فأراد تعالى أنْ يفخم فعلتهم هذه، فقال: (الباطل) .

السؤال الثالث :

في هذه الآية قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ وفي آية الحج قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢]

بضمير الفصل (هو)، فلماذا هذا الفرق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٦٢.

السؤال الرابع :

ختمت الآية ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ماذا عن هذه الفاصلة؟

الجواب :

١ـ جاء بضمير الفصل (هو)، وعرّف (العلي الكبير)، والعلي هو القاهر الذي ليس فوقه شيء ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٨] والكبير السلطان العظيم الشأن.

٢ـ إذن بعد أنْ وصف ربنا تعالى نفسه بأنه هو الحق، ووصف ما يدعون من دونه بالباطل، ذكر أنّ هذا هوالحق، فهو عالٍ على وجه الثبوت والدوام ، والحق هو العالي دائماً، والباطل هو سافل مهين.

٣ـ والحق هو العالي، وهو الذي يزهق الباطل، وهو العالي على وجه الدوام والثبوت، وهو الظاهر وهو القاهر.

بينما الباطل هو سافل مهين يزهقه الحق ، فالحق كبير والباطل صغير صغراً وصغاراً، صغير في الحجم، وصغار في الحقيقة ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٢٤] والصَغار بمعنى الذلة، مهما انتفش ومهما انتفخ فهو صغير وذليل.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ربنا تعالى أول مرة ذكر خلق السموات على العموم وما فيها، وذكر تسخير السموات والأرض على العموم، ثم ذكر بعض ما فيهما، فذكر في الآية السابقة تسخير الشمس والقمر ﴿ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [لقمان:٢٩] هذه من آيات السماء، وهنا في الآية ذكر تسخير بعض ما في الأرض؛ لأنه قبلهما قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان:٢٠] إجمالاً، ثم ذكر بعض ما في السماء.

والآن يذكر قسماً مما في الأرض مما سخره ربنا، قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٣١] فذكر هناك جريان الشمس والقمر، وذكر هنا جريان الفلك، هناك ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهنا ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهنا ذكر بعض آيات الأرض وهي الفلك التي سخرها لنا ربنا سبحانه وتعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ ما المقصود بنعمة الله؟

هنا فيها احتمالان:

أ ـ يعني: تجري بسبب نعمة الله، وهو الذي سخرها، فتسخيرها من نعم الله، أي أنّ جريانها نعمة من الله، والباء هنا سبب، وتعني: تجري بسبب نعمة الله.

ب ـ والاحتمال الثاني تجري بنعمة الله بما تحمله من البضائع مما أنعم الله به على الإنسان، والبضائع من نعم الله ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود:٤٢] تجري بهم؛ أي تحملهم.

فإذن (تجري بنعمة الله) فيها احتمالان: بسبب الله، فجريانها نعمة من نعم الله، ولو لم يسخرها لم تجر، فهو قد سخّرها وسخّر البحر ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [إبراهيم:٣٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الجاثية:١٢] وهذا هو الاحتمال الأول، وأمّا الاحتمال الثاني: أي تجري بما تحمله من النعم من البضائع، وهي كلها من نعمة الله. والأمران مقصودان في الآية، وهذا من باب التوسع في المعنى، والمعنيان مرادان.

السؤال الثاني :

ما دلالة اقتران (صبار) مع (شكور) في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية إبراهيم ٥.

السؤال الثالث :

من المخاطب في الآية ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟

الجواب :

كل من يصح خطابه من المكلّفين. فبدأ الخطاب بالمفرد ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ثم جاء بالجمع ﴿لِيُرِيَكُم﴾ وهذه عامة، ولم يخص النبي عليه السلام بالخطاب.



﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ هذه آية عظيمة من آيات الله في الإنسان. الله تعالى فطر الإنسان على التوحيد، وعلى الإيمان به وتوحيده، لكنّ فطرة الإنسان قد تغطيها أتربة الحياة.

والمنطق العقلي ينكر أحياناً وجود الله أو يشرك به، لكن إذا وقع في مهلكة وأصابه مرض، وانقطعت به كل أسباب الرجاء، وأيقن بالهلاك وخاب أمله في كل من كان يرجو منه العون وعجز الجميع عن تنجيته انزاح عن الفطرة ما كان يغطيها من الأتربة، واتجه إلى الله تعالى وظهرت الفطرة التي فطره الله تعالى عليها مستغيثة بالواحد الأحد

فقط ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧].

٢ـ هذه آية عظيمة من آيات الله، وقد رأينا وسمعنا في حياتنا أناساً من أشد الناس إلحاداً، فلما انقطعت بهم الأسباب قالوا: يا رب يا حفيظ وطلبوا ممن معهم أنْ يدعوا لهم بالشفاء، فهذه آية عظيمة.

٣ـ الظُلل جمع ظلة، وهو الجبل أو السحاب أو كل ما أظلّك، ويعني إذا جاءهم الموج كالجبال وغطاهم وأيقنوا بالهلاك دعوا الله مخلصين له الدين وكأنّ الآية تصورهم في البحر في عزلة تامة لا أحد يتمكن من الوصول إليهم في هذا البحر العظيم المتلاطم، فلمّا نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد.

٤ـ من المقتصد؟ هو مقتصد في الإخلاص، فعندما وقع به الحال كان يدعو ربه ويستغيث مخلصاً له الدين، فلمّا خرج لم يكن على هذا الإخلاص فقلّ إخلاصه. أي أنّ منهم مقتصداً في الكفر وكان كافراً، لكنْ لمّا نجا قال: لعلّي أرجع مرة أخرى فيقلل غلواءه في الكفر فيقتصد.

أي إمّا يقتصد في الطاعة، وإمّا يقتصد في الكفر ويرتدع بعض الشيء لأنّ المسألة لا تزال قريبة من نفسه، فهناك هزة عنيفة تجعله ينزجر بعض الانزجار ويرتدع، وهذا هو المقتصد.

٥ـ وأما الختار: الختر هو أشد الغدر والخيانة، (ختر) بمعنى: غدر وخان. ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان:٣٢] هو أخلص لله عندما دعا ربه في البحر، أمّا الآن فقد خرج وغدر في إخلاصه.

٦ـ والجحود: هو إنكار ما تعلم من الحق، ينكر حقاً يعلم أنه حق، وهذا معنى الجحود، وهو إنكار ما تعلم من الحق.

ولو أنّ شخصاً مديناً إلى شخص، والمدين يعلم أنه مدين، وقال لست مديناً فهذا جحود، لكنْ لو نسي لا يسمى جاحداً.

فالجحود إنكار ما يعلم من الحق ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤]جحد بآياتنا، أي بها رأى وما حدث وما حصل بهذه الآيات .

السؤال الثاني:

في سورة العنكبوت قال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت:٦٥] وفي لقمان٣٢ قال:﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾ فما الفرق بينهما؟

الجواب :

١ـ السبب أنّ الخطر في آية لقمان أكبر والهول أخطر، وذكر﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ أي كالجبال، فأثّر ذلك على قلوبهم فخرج منهم ﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو الذي انزجر قليلاً، أو مقتصد في الإخلاص، فبقي معه شيء منه.

٢ـ وأمّا في العنكبوت فلم يذكر مخاطر البحر، وإنما ذكر إشراكهم فقط. وآية العنكبوت هي في سياق الكلام عن المشركين، فقال: إنهم إذا ركبوا البحر أخلصوا دينهم لله، فلمّا نجاهم إلى البر عادوا إلى شركهم فجأة. ولذا جاء بـ ﴿إِذَا﴾ الفجائية للدلالة على ذلك.

وللعلم فإنّ السياق في العنكبوت في المشركين، والسياق في لقمان عام للمؤمنين وغيرهم، لكنّ الجميع دعا عند الخطر تجنباً لما قد يقع.

والله أعلم.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ ولم يقل: اتقوا الله. كما ورد في بعض آي القرآن الكريم، فما دلالة اختيار كلمة ﴿رَبَّكُمْ﴾ تحديداً؟

الجواب :

١ـ ربنا سبحانه وتعالى أمر الناس أنْ يتقوا ربهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أولاً بإفراد الرب﴿رَبَّكُمْ﴾ وإضافته إلى الضمير ﴿رَبَّكُمْ﴾ تدل على أنّ لهم رباً واحداً، وليست أرباباً، فهو رب واحد للخلق أجمعين، وليس رب فئة دون فئة، أو شعب أو دون شعب.

وقسم كانوا يقولون: هو رب شعب دون شعب، وكانوا يقولون: هو رب إسرائيل، لكنه هو رب الجميع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾ رب واحد وهو رب الجميع.

٢ـ ثم اختيار لفظ الرب له دلالته، فهنا الرب هو المربي والسيد والقيم والمنعم، إذن بيده النفع والضر، وهو الذي ينفع ويضر؛ لأنّ من معاني الرب السيد والمنعم والقيم ، أي من بيده النفع والضر.

٣ـ (الله) اسم العلم،، والرب والمنعم هذه صفات، وكل واحدة لها دلالة. وجاء في الحديث: (**إنّ لله تسعة وتسعين اسماً**) ويسمونها أسماء وصفات ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨] ويعني هي أسماؤه وصفاته واسمه العلم(الله).

الرب يستعمل في غير الله، نقول: رب الدار ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢]﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف:٢٣].

٤ـ الرب ليست خاصة بالله، ونقول مَنْ رب الدار؟ أي من مالكها؟

السؤال الثاني :

هل تكون التقوى من الله أو من الرب؟

الجواب :

١ـ التقوى هي لله لكنْ بصفاته، وهو لما فيه من صفات يتّقونه. الناس أحياناً يتقون شخصاً ويحذرونه لما له من صفة ،إمّا لكونه عزيزاً أو رئيساً فيتقونه لصفته.

٢ـ القرآن قال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إذن السياق هو الذي يختار. وعندما يقول: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ معناه اتقوا من بيده النفع والضر، والناس يتقون من بيده ذلك ويخشون أنْ يقطع عنهم النفع أو يدخل عليهم الضر.

٣ـ الرب هو المعلم والقيم والمرشد والمربي، واللفظة مناسبة مع الوالد الذي هو القيم على أبنائه ويربيهم وهو المنفق عليهم، فهناك تناسب، إذن اختيار الرب هنا مناسب في قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾.

السؤال الثالث :

في قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ هذه جملة صفة والقياس - كما نعلم - أنه في جملة الصفة نقول: (لا يجزي فيه) والد عن ولده كما قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]فلماذا لا يأتي هنا بـ (فيه)؟

الجواب :

١ـ جملة الصفة يكون فيها عائد (ضمير) يعود على الموصوف قد يكون مذكوراً وقد يكون مقدّراً، وهنا مقدر، والنحاة يقدرون هنا :لا يجزي فيه. هذا من حيث التقدير.

وهذا جائز الذكر وجائز التقدير؛ لأنه ذكرها في مواطن أخرى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٢ـ يبقى: لماذا اختار عدم الذكر، مع أنّ الأمرين جائزان، وقد ذكرا في مواطن متعددة؟

والجواب :

أ ـ أنّ الحذف يفيد الإطلاق عموماً. فقولك: فلان يسمعك أو فلان يسمع، (يسمع) أعم، فعدم ذكر المتعلقات يفيد الإطلاق، يعطي المال أو يعطي، يعطي أعمّ. إذن هو الآن أظهر التعبير بمظهر الإطلاق، ولم يذكر (فيه) ومعناه أظهره بمظهر الإطلاق. وحق السؤال: لماذا لم يذكر هنا، وفي مواطن أخرى ذكر؟

ب ـ لو جزى (فيه) والد عن ولده، أي لو دفع عنه في يوم القيامة، هل هذا الجزاء يختص بهذا اليوم أو بما بعده؟ الجواب بذلك اليوم، ولو جزى والد عن ولده (بدون فيه) لو جزى عنه يعني: لو قضى عنه ما عليه، هذا الجزاء سيكون الجنة. والجزاء ليس في ذلك اليوم؛ لأنه آنذاك في يوم الحساب، وإنما أثر الجزاء سيمتد.

ج ـ ولذلك حيث قال: (لا يجزي) لم يقل (فيه) في كل القرآن، نحو: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] ما قال (فيه).

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة:١٢٣] ما قال (فيه).

بخلاف الآيات التي فيها (فيه)، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١] أي توفى في ذلك اليوم، فإمّا أن يذهب للجنة وإمّا إلى النار. وكذلك قوله تعالى :﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في ذلك اليوم يوجد تقلب، وبعده ليس فيه تقلب لأنه يذهب للجنة.

د ـ ذِكر (فيه) يخصصها باليوم فقط، فلمّا قال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ هذا في يوم القيامة وليس مستمراً، الذي في الجنة توفي والذي في النار توفي عمله، والتوفي في يوم القيامة توفية الحساب وأثر التوفية: إمّا يذهب إلى الجنة وإمّا إلى النار، وتقلّب القلوب والأبصارهو في يوم القيامة ثم يذهب أصحاب الجنة إلى الجنة وأصحاب النار في النار، ولا يعود هناك تقلب قلوب ولا تقلب أبصار.

٣ـ لو جزى والدٌ عن ولده لكان أثر الجزاء ليس خاصاً في ذلك اليوم وإنما يمتد إلى الخلود وإلى الأبد؛ ولذلك لم يذكر (فيه) وأخرجه مخرج الإطلاق.

لذلك حيث قال: (لا تجزي) لم يقل (فيه) لنفي المتعلق وما يترتب عليها فيما بعد.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وفي سورة لقمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [لقمان:٣٣]، فما دلالة هذه الصيغة؟

الجواب :

١ـ الولد يقع على الولد وعلى ولد الولد أي الأحفاد ، وأمّا المولود فلا يقع إلا على من وِلِد منك. فقولك: عندي ولد غير قولك عندي مولود. والولد تستعمله العرب لمن وِلِد منك ولمن بعده. فالولد يعني ابني أو ابن ابني، أمّا المولود فهو ابني.

٢ـ في الآية: لو الولد شفع للأب الأدنى أي لأبيه الذي وِلِد منه لن تقبل شفاعته فكيف بالآخرين؟! والآية: ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾هذه خاصة بالأب الأقرب.

بينما ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾هذه عامة سواء كان ابنه أو حفيده، ويقولون أحياناً: الحفيد أعز من الولد.

لكنّ كلمة (المولود) خاصة فجاءت ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾يعني أنه لا يشفع لأبيه الأقرب فكيف بغيره؟! فإنْ كان لا يشفع للأقرب فلن يشفع لغيره.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في آية لقمان ٣٣: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ وفي البقرة قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ [البقرة:٤٨]فلماذا ذُكر الوالد والولد في لقمان دون آية البقرة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٤٨.

السؤال السادس:

في الآية: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ قدّم الوالد على الولد، فلماذا؟

الجواب :

لأنّ الوالد أكثر شفقة على الولد، فالوالد يتمنى أنْ ينقذ ابنه بأي سبيل من السبل وبأية وسيلة بدافع الشفقة وليس بدافع التكليف، وأي أبٍ يتمنى أنْ يدفع عن ابنه الضر إذا رأى أنه سيصيبه، فقدّم الوالد بدافع الشفقة؛ لأنّ الأب أحرص على ابنه وأحرص على نفعه وأحرص على دفع الضر عنه.

السؤال السابع :

قوله تعالى : ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (يجزي) جاء بصيغة الفعل و(جازٍ) بصيغة اسم الفاعل، فما دلالة اختلاف الصيغة؟

الجواب :

١ـ الأقوى هو الاسم؛ لأنه يدل على الثبوت، وربنا وصّى الأبناء بالآباء إذن هذا تكليف شرعي ثابت، ويعني الإحسان إلى الأبوين.

٢ـ الأب ليس مكلفاً الإنفاق على الولد إذا بلغ سن الرشد، فإذن بعد البلوغ يصير الابن مكلفاً بنفسه وبأبيه، وبعد البلوغ الابن هو المكلّف، وهو المطلوب منه الإحسان إلى والديه وليس العكس. والإحسان إلى الأبوين من الأبناء، وهم مكلفون فيه على وجه التكليف، بينما الآباء إحسانهم على وجه الشفقة، وليس على وجه التكليف.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾هذا بدافع الشفقة؛ ولذلك جاء بالصيغة الفعلية، بينما ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ جاء بالصيغة الاسمية الدالّة على الثبوت، وهذا بدافع التكليف؛ لأنّ الابن هو مكلّف بالإحسان إلى الأب.

٤ـ المصاحبة ليست واحدة فلا يمكن أنْ يساوي بينهما، واحدة واجبة من الابن لأبيه بدافع التكليف، وواحدة بدافع الشفقة من الأب لابنه وليس مكلفاً شرعاً.

السؤال الثامن :

ما دلالة كلمة: ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ﴿شَيْـًٔا﴾ فيها احتمالان: إمّا: لا يجزي شيئاً من الجزاء، أو لا يجزي شيئاً من الأشياء الملموسة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] ﴿شَيْـًٔا﴾ فيها دلالتان: إمّا شيئاً من الشرك؛ لأنّ الشرك درجات، فهناك شرك أصغر وشرك أكبر، أو شيئاً من الأشياء، سواء كان أحداً من الناس أو الأصنام أو غيره.

وهذه ليست مثل (ولا يشرك به أحداً) أحداً، هنا يعني شخصاً.

٢ـ الله سبحانه أراد الإطلاق العام، سواء في الجزاء أو في ما يجزى به من الأشياء. و﴿شَيْـًٔا﴾ نفهمها هنا للوالد والولد معاً.

السؤال التاسع :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] ؟

الجواب :

١ـ المعنى العام : هذا نهي عن الاغترار بالحياة الدنيا.

٢ـ القرآن نسب الغر للحياة الدنيا، وأصلها: فلا تغتروا بالحياة الدنيا فكأنّ الحياة الدنيا والشيطان ينصبان الشَرَك لغرّ الإنسان، ولو قال: لا تغتروا فقط سيكون النهي متعلقاً بالإنسان.

٣ـ (لا) ناهية، هو ينهي الحياة الدنيا عن أنْ تغرّ الإنسان وينهي الشيطان عن غرّه، والمعنى: لا تغتروا؛ لأنّ الحياة الدنيا تنصب لكم الشرك كأنما الحياة الدنيا والشيطان قائمان على نصب الشراك لإيقاع الإنسان بالعداوة. فالمعنى أنْ لا يغتر الإنسان بهذه الحياة، والصيغة هي نهي الحياة الدنيا عن أن لا تغر المسلم.

٤ـ الغرور هو الشيطان وما قاله الشيطان. والشيطان أشهر من يغرّ الإنسان، لكنْ أيضاً كل من يغرّ يدخل في ذلك. فإذن اختار الغرور وليس الشيطان؛ حتى يشمل ويعم كل من يغر شخصاً آخر.

٥ـ ونلاحظ أنه أكّد الفعلين بالنون ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ ، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾ والمعنى أنه نهي مؤكد، لماذا نهي مؤكد؟ لأنّ الدنيا والشيطان يغرّان الإنسان قطعاً لا محالة. إذن النهي ينبغي أنْ يكون مؤكداً فلمّا كان غرهما مؤكداً ينبغي أنْ يكون النهي مؤكداً.

٦ـ وقدم الحياة الدنيا على الشيطان؛ لأنها مبتغى الإنسان الأول، حتى عندما يغرّه الشيطان يغرّه بالدنيا، وهو يكدح من أجل الدنيا، فقدّم الدنيا لأنها مبتغى الإنسان، والشيطان إذا أراد أن يغر الإنسان فبسببها. ولذلك لم يقل: لا تغرنكم الدنيا، وإنما قال: الحياة الدنيا؛ لأنّ الحياة هي المطلب الأول.

السؤال العاشر:

ما الفرق بين الغَرور والغُرور؟

الجواب :

الغَرور: بفتح الغين هو الشيطان، والغُرور بضمها هو المصدر ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

الغَرور صيغة مبالغة واسم للشيطان، وأمّا الغُرور فهو المصدر.



﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾؟

الجواب :

١ـ هذه الآية الكريمة ذكرت مفاتح الغيب فبدأت بعلم الساعة، وهذا أمر اختصّ الله تعالى به نفسه، ولم يطلع عليه أحداً أبداً. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

وأكّد ذلك في أكثر من موطن:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف:١٨٧].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٤]

٢ـ وفي تركيب الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قدّم الخبر فقدّم ﴿عِندَهُۥ﴾ على المبتدأ ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، والجملة كلها خبر (إنّ) وأصلها (علم الساعة عنده)، وهذا التقديم يفيد الاختصاص؛ أي عند الله فقط حصراً، أي لا يعلمه إلا هو، وأكد الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾ وهو يفيد تأكيد القصر. إذن التقديم والتأكيد يفيد القصر والحصر بأنّ علم الساعة منتهاه إلى الله تعالى حصراً.

السؤال الثاني :

ما دلالة العطف في الآية؟

الجواب :

١ـ ربنا سبحانه وتعالى استأثر بالعلم والقدرة؛ لأن أول شيء ذكره هو علم الساعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٢ـ ثم قال بعدها: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ والله لم يذكر علة نزول الغيث، فما قال: ويعلم نزول الغيث، لكنْ قال: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾؛ لأنّ تنزيل الغيث هو الذي يعني العباد وليس العلم به، بمعنى أنّ تنزيل الغيث هو الذي فيه حياتهم ومعاشهم، فإذن الله سبحانه ذكر ما هو أمس بحياة الناس ونعمة الله عليهم بالغيث الذي تتم به مصالحهم وحياتهم، فاختار ما هو أدل على النعم قال: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾.

٣ـ علم الساعة يكون بعد زوال هؤلاء وذهابهم بقرون، وهم في حياتهم الحالية يعنيهم علمها للتذكر وأخذ العبرة، أمّا موعدها فلا يعنيهم. وأمّا نزول الغيث فيعنيهم هم؛ لذلك ذكر ما هو أدل على النعمة، فقال: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ .

٤ـ قال: (ينزل) بالمضارع؛ لأنّ هذا يتكرر ويتجدد، وكذلك قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ ؛ لأنّ هذا متجدد أيضاً، والأرحام مستمرة في كل لحظة في عملها، والله يعلم ما يحصل في الأرحام.

٥ـ ليس المقصود فقط علم الجنس: ذكر أو أنثى، وإنما هذا شيء من العلم، فالله يعلم ما في الأرحام بشكل كامل ومفصل، فهويعلم الجنس إنْ كان تاماً أو ناقصاً، ذكياً أو بليغاً شقياً أو سعيداً وما استعداداته البدنية وصفاته الخلقية والنفسية، وعمله وغناه وفقره، ولا يمكن أنْ يعلم بها أحد إلا الله سبحانه. وحتى علم الأجنة يعلم فقط عندما يستكمل الجنين فلا يعلمون جنسه عندما يكون علقة ولا يمكن أنْ يعلموا ما في الأرحام من المرحلة الأولى وإنما يعلمونه بعد التشكل، بينما ربنا تعالى يعلم ما في الأرحام من بدايته بل حتى قبل ذلك، فهو يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

٦ـ والأرحام لا تعني الإنسان فقط، وإنما تشمل كل شيء ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد:٨] وليس فقط ما يتعلق بالإنسان، وربنا يتكلم عنا ويعلم ما في السموات والأرض ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[التغابن:٤]. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ وليس الجنس فقط وإنما العلم بهذه السعة والشمول والدقة في كل الأحوال على مدى الزمن وفي كل لحظة الله تعالى فقط يعلم بها.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ﴾ فيه قصر وحصر أنّ علم الساعة لله تعالى دون غيره، فهل باقي الآية يفيد القصر والحصر أيضاً؟

الجواب :

١ـ قسم يقول: إذا دخلت واو العطف فليس بالضرورة أن تفيد القصر لأنها معطوفة على خبر (إنّ). وقسم قال: كما أنه أفاد القصر في الأول فالمعطوف عليه يفيد القصر أيضاً. وقسم قال: ليس بالضرورة أن يكون المعطوف نفس المعطوف عليه.

نقول: محمد حضر وحضر فلان معه فعطف جملة فعلية على جملة اسمية، وقد تعطف جملة مؤكدة على جملة غير مؤكدة أو جملة مثبتة على جملة منفية أو العكس: حضر فلان ولم يحضر أخوه، هذا ممكن.

٢ـ ربنا تعالى قال عن نفسه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ لكن ليس فيها قصر على نفسه، فإذن لا غرابة في أنْ يتحدث أحد يقول نعلم ذكراً أو أنثى، فهوعلم ناقص وفي وقت محدد عند الاستكمال.

ونحن نفهم الآية عامة بهذه الدلالة أنّ ما في الأرحام في كل لحظة وفي كل الأحوال، وهذا لا يمكن أنْ يكون إلا لله تعالى. وقد ذكر الرسول ﷺ: «**أجله ورزقه، شقي أو سعيد**» هذا لا يعلمه إلا الله تعالى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ تأتي إلى نفس الإشكال إذا كانت تفيد القصر لغة، قسم قالوا: تفيد وقسم قالوا: لا.

هل يستطيع الإنسان أنْ ينزل الغيث الآن؟ ربنا ينزل الغيث، يسوق السحاب وينزل الغيث، الناس تصلي صلاة الاستسقاء والبلاد الأخرى التي فيها جفاف، من ينزل الغيث؟ فلينزلوا غيثهم إذا استطاعوا، الجفاف يأكل الأرض فمن ينزل الغيث إلا الله تعالى، فإذن ربنا سبحانه وتعالى هو الذي ينزل الغيث، ربنا سبحانه وتعالى هو القادر على ذلك، وهو الذي يفعل ذلك إنْ شاء.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ قسم كان يقول: أنا موظف وراتبي محدود، فيقول: أنا أعلم ما أكسبه اليوم وغداً. والجواب أنّ الكسب لا يتعلق بأمور المعاش فقط، المعاش كسب، لكنّ ربنا تعالى ذكر الكسب في الأعمال من الحسنات والسيئات، قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] الكسب قد يكون للقلب﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] والكسب لليد ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠] فالكسب عام وحتى أصحاب الأجور الثابتة قد يأتيهم ما ليس في البال، بهذا المعنى المطلق لا يمكن أنْ يعلم أحد ماذا سيكسب غداً؛ لأنّ الكسب متعلق بالأعمال من حسنات وسيئات وكسب القلب وما إلى ذلك والذي يأتيه من مال.

الرزق واحد من معاني الكسب، والكسب عام، فلماذا يحدد بشيء واحد؟ ومن يعلم ذلك؟ لا يستطيع أحد أنْ يعلم ماذا سيكسب غداً، وماذا لو توفاه الله؟

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ هذا مكان الأجل.

السؤال الرابع :

ما دلالة وحكمة الترتيب في الآية؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه بدأ بالساعة وهي رأس المغيبات وجعلها بعد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾هذه الساعة، فلمّا قال: عنده علم الساعة، ناسب ما قبلها وهذا اليوم الذي طلب منا أنْ نخشاه.

٢ـ ثم ذكر بعد علم الساعة تنزيل الغيث ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ وهو أسبق المذكورات في الآية بعده وجوداً. فالمطر أسبق؛ لأنّ الإنسان لا يعيش دون زرع. فإذن بدأ بالأسبق هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى ربنا تعالى كثيراً ما يستدل في القرآن بنزول الغيث على الساعة ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)﴾ [ق:١١] إذن صارت مرتبطة بما قبلها، إذن تنزيل الغيث ارتبط بما قبلها، وهي الساعة وارتبط بما بعده، وهو ما في الأرحام؛ لأنّ ما في الأرحام يعيشون على الزروع، إذن(ينزل الغيث) له ارتباط بما قبله وما بعده، فارتبط بعلم الساعة أنه تعالى يستدل به على علم الساعة، ويستدل به على اليوم الآخر.

وارتبط أيضاً بما بعدها ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ لأنّ ما في الأرحام كثيراً ما يعيشون على الزروع وما تنبت الأرض سواء كان إنساناً أو حيواناً، ثم ذكر ماذا تكسب غداً، هذا بعد الولادة وبعد ما في الأرحام، ثم ذكر الموت آخراً.

٣ـ فإذن رتبها ترتيب أسبقية الوجود والارتباط، وفيها إثبات لعلم الله ونفي لما عداه، إثبات لعلم الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان:٣٤]ونفي ما عداه ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾.

٤ـ ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ فأثبت له العلم والخبرة على صفة المبالغة، وهذا من اجتماع العلم والخبرة، عليم بالأمور خبير ببواطنها. خبير تضاف إلى عليم.

السؤال الخامس :

ما دلالة النفي بـ ﴿مَا﴾ في الآية ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾؟

الجواب :

١ـ عندنا مزايا في اللغة العربية لا يمكن التعبير عنها في اللغات الأخرى وهي تعدد أدوات النفي. تقول: أنا ما أذهب، أنا لا أذهب، أنا إنْ أذهب، أنا لست أذهب. وورد مثلها في القرآن في قوله: ﴿أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٩]بمعنى نفي (ما). وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [الأحقاف:٩]نفاها بـ (ما)، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان:٣٤]قال: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ [الطلاق:١]قال: ما أدري، وقال: إنْ أدري، وقال: لا أدري، نفاها كلها.

٢ـ الفرق من حيث الدلالة، والمعلوم المشهور أنه إذا نفيت الفعل المضارع بـ (ما) دلّ على الحال، يعني: ما أدري الآن، بينما: لا أدري أكثر النحاة يخصصونها للاستقبال. لكنّ قسماً من النحاة يقول هي للحال والاستقبال مطلقة، وأكثرهم يخصصها بالاستقبال. والزمخشري يقول: (لا ولن) أخْتانِ في نفي المستقبل وهذا عليه أكثر النحاة.

السؤال السادس :

هل الله سبحانه وتعالى في حاجة إلى كل هذا التأكيد، ونحن نقرّ له بالعلم؟

الجواب :

هناك قسم يقر له بالعلم، وهناك من لم يقر له بالعلم، وهناك من يعبد الحجر، وهناك من يعبد الشجر، وهناك من يعبد الحيوان، وهناك وهناك. فهذا الكلام للجميع.

أنت علمت بعد أنْ علمت من القرآن بعدما أعلمك الله تعالى ولم يكن هناك اختلاف في شيء إلا اختلاف على الله سبحانه وتعالى، قسم قالوا: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢] وربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات:١٨٠] يصفونه بأشياء لا ينبغي أنْ يوصف بها، فمن أهمّ الأشياء ينبغي أنْ نعلم أنّ ربنا عليم وخبير وقدير وحليم وله الأسماء الحسنى.

السؤال السابع :

لماذا حُدد المكان ولم يُحدد الزمان في الآية الأخيرة من سورة لقمان؟

الجواب :

قال تعالى في آخر سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤] وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد أنّ الانتقال من أرض إلى أرض والانتقال في الفلك هو السياق ، ثم بعدها قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان:٣٢] فلمّا نجاهم إلى البر، أي أنّ كل سياق الآيات يفيد الانتقال من مكان إلى مكان؛ لذا ناسب ذكر المكان في الآية وجاءت بأي أرض تموت هل في البحر أم في الأرض.

رابعاً ـ تناسب فواتح لقمان مع خواتيمها :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

وقال في أواخرها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾. فذكر في أول السورة الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم يوقنون بالآخرة.

وقال في أواخر السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾. ومن التقوى ما ذكر في أول السورة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر. كما ذكر ذلك في آية البقرة

(١٧٧) وفيها قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾. وقال فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

وقد أكّد الإيمان باليوم الآخر في أول السورة، فقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وذكر اليوم الآخر في آخر السورة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣].

وذكر الساعة في آخر آية من السورة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٢ ـ ذكر في أول السورة قسماً ممن غرتهم الحياة الدنيا، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٦-٧].

فحذّر هؤلاء وأضرابهم من ذلك اليوم الذي لا تجزي نفس عن نفس شيئاً من أنْ تغرهم الحياة الدنيا وأنْ يغرهم بالله الغرور، فناسب آخر السورة أولها، والله أعلم.



سورة السجدة

أولاً ـ تناسب خواتيم لقمان مع فواتح السجدة:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة لقمان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٣-٣٤].

فذكر اليوم الآخر والساعة.

وقال في أوائل السجدة:

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

فكأنه أجاب في لقمان عن سؤالهم واستهزائهم في السجدة: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وذكر أنهم بلقاء ربهم كافرون.

وذكر في آية لقمان ما ذكر من أمور اليوم الآخر وحذّرهم مما يكون فيه.

ثم حذّرهم في السجدة من ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾..

فكأن الموضعين متكاملان في ذلك.

٢ ـ ذكر في آخر آية من لقمان أنه يعلم ما في الأرحام.

وذكر في السجدة بداية خلق الإنسان، فقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٧-٨].

فالموضعان متناسبان.

٣ ـ قال في آخر لقمان:

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾.

وقال في السجدة:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة:١١].

فكلتا الآيتين في آجال الإنسان وموته.

ثانياً ـ هدف السورة: الخضوع لله تبارك وتعالى:

سورة السجدة سورة مكية وهدفها واضح من اسمها، ألا وهو الخضوع لله تعالى لأنّ السجود هو صفة الخضوع لله تعالى. وفيها آية السجدة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ التي صوّرت المؤمنين يخرّون سجداً وهذه قمة الخضوع؛ ولذلك كان الرسول عليه السلام يقرؤها في الركعة الأولى من صلاة الصبح يوم الجمعة، وهو اليوم الذي منّ الله تعالى فيه بخلق آدم عليه السلام.

نتيجة عدم الخضوع: تبين السورة كذلك عقاب من لا يخضع لله في الدنيا فعدم الخضوع لله في الدنيا إيماناً به وتعظيماً له ينتج عنه خضوع ذلٍ في الآخرة: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا

نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٤]
و: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:٢٠]. أمّا المؤمنون فهم خاضعون لله والسجود لله
عندهم عزة ورفعة: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة:١٦].

رسالة السورة: هي توجيه للناس بأنْ يتذكروا الآخرة ويخضعوا في الدنيا؛ حتى يكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة.

ونلاحظ من خلال أهداف سور القرآن الكريم أنها عبارة عن رسائل لو جمعناها أعطت رسالة كاملة ومنهجاً متكاملاً للأمّة التي تستحق أنْ تكون مستخلفة في الأرض. وهذا القرآن نقل أمّة كانت ترعى الغنم إلى أمة قائدة. ومعجزة القرآن أنه إذا قرأناه وعملنا به ننتقل من أناس لا قيمة لهم إلى عظماء قادة يحكمون الأرض بالعدل وبمنهج الله تعالى.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤] هل قبل الخلق كان على العرش؟ وما دلالة (ثم)؟

الجواب:

١ـ ﴿ثُمَّ﴾ في الغالب معناها يكون الترتيب والتراخي، لكنها لا تنحصر بهذا المعنى. وقد تكون (ثم) للتفاوت بالرتبة، ويعني: ما بعدها أكبر وأعظم مما قبلها في رتبته، وحتى النحاة ضربوا مثلاً، وهو قولهم: أعجبني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس أعجب، (ما صنعت) هذا قبله.

٢ـ وقد تكون ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الذكري أو للتفاوت في الرتبة والمنزلة. نضرب شواهد من القرآن:

ـ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد: ١١ – ١٧] أيهما الأكبر: ما قبل (ثم) أم بعدها؟ ما بعد (ثم) أكبر. فإذن تفاوت في الرتبة، وسيكون هذا الشيء أعلى.

- ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذا تفاوت في الرتبة، هذا أكبر من خلق السموات والأرض. إذن ليس هو كما يظن السائل أنها تكون بعد وإنما رتبتها أعلى.

- ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:٤٦] ربنا سبحانه وتعالى عالم دائماً، إذن (ثم) تفيد أن ما بعدها أكبر مما قبلها.

- مثال النحاة: أعجبني ما صنعتَ اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب، هذا للتفاوت. وأمّا: دخل محمد ثم خالد . هذا للترتيب والتراخي.

٣- حتى في الفاء قد تكون للترتيب الذِكري فقط وليس للترتيب والتعقيب وليس مثل (جاء أحمد فخالد)، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف:٤] هل جاءها البأس قبل الإهلاك؟ ربنا قدّم الإهلاك، وهذا يسمى الترتيب الذكري، وكذلك :توضأ رسول الله عليه السلام فغسل يديه ورجليه، هو غسل أولاً؛ حتى يصير وضوءاً.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام:٨٠] و ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة:٤] و ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر:٥٨] و ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود:٢٤]

فما الفرق بين تذكرون وتتذكرون؟

الجواب :

يوجد في القرآن ضابط، ليس فقط في هذين الفعلين وإنما تعبير عام، وهو أنه يحذف من الفعل مثل: استطاعوا واسطاعوا للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإذا حذف فمعناه: أنّ الزمن المحذوف منه أقصر فيقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث. وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز وإذا كان المقام تفصيل يقول الصيغة كاملة.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية الأنعام ٨٠.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين النفيين ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ حيث نفى بـ (ليس) في آيتي الأنعام (٥١) و (٧٠)، بينما نفى بـ (ما) في آية السجدة ٤، وجاء معها بـ (من) فقال ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٥١.



﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين اليوم في كلتا الآيتين ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة:٥] و﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج:٤] ؟

الجواب :

١ـ هذان اليومان مختلفان: خمسون ألف سنة هو يوم القيامة، كما في الحديث الصحيح، وكما هو في سياق آية المعارج ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾ [المعارج: ١ - ٩] هذا يوم القيامة، وكل الكلام في يوم القيامة.

٢ـ في سورة السجدة الكلام في الحياة الدنيا ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة:٥]الزمن الذي تأخذه الملائكة للصعود بأعمال العباد إلى السماء. يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ويُخفّف على المؤمن كالصلاة المكتوبة، وعلى غير المؤمن هوخمسون ألف سنة، والرسول ﷺ بيّنه في حديث في صحيح مسلم. هو هكذا كما ذكر ربنا، لكنه يُخفف على المؤمنين، أمّا في آية السجدة فهذا في الدنيا، و ليس في يوم القيامة.

السؤال الثاني :

هل الزمن في التعبير القرآني له نفس مقدار الزمن، كما في حياتنا عموماً؟

الجواب :

الله تعالى عندما يذكر الأحكام الشرعية يذكرها بما نعلم من أيامنا، شهر رمضان، كفارة اليمين، عشرة كاملة، شهرين، فأماته الله مائة عام يعني مائة عام، ثلاثمائة سنين، فهي كما ذكر تعالى. وهذه الأزمنة هي على زمننا الذي نعرفه.

في معلوماتنا الأولية أنّ سنة المشتري غير سنة الأرض، ويوم المشتري غير يوم الأرض، وكل كوكب تختلف أيامه وسنواته عن أيامنا، فلماذا نستغرب من طول يوم القيامة؟!.

السؤال الثالث :

هل هناك علاقة بين هذه الآية وسرعة الضوء المعروفة وهي ٣٠٠٠٠٠ كم بالثانية؟

الجواب :

١ـ معظم المفسرين يقولون: بأنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو من أيامنا المعروفة في الدنيا.

٢ـ من المعروف أنّ قانون السرعة هو = المسافة / الزمن.

٣ـ المسافة عند العرب كانت تقدر بالزمن فكانوا يقولون مثلاً: مشينا ساعة أو مشينا مسيرة ثلاثة أيام، والزمن عند العرب كان يقدر بالسنة القمرية، واليوم القمري هو بالتحديد: ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤.٠٩٠٦ ثانية أي يساوي(٨٦١٦٤.٠٩٠٦) ثانية بالتحديد.

٤ـ المسافة التي يقطعها القمر في شهر قمري واحد حول الأرض أي دورة واحدة للقمر حول الأرض هي (٢١٥٢٦١٢.٣٤) كم. وبالتالي فإنّ المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة هي ماتعادل ١٢٠٠٠ دورة للقمر حول الأرض وتساوي(٢٥٨٣١٣٤٨٠٨٠) كم.

٥ـ وبتطبيق قانون السرعة التي تساوي المسافة / الزمن ينتج :

٢٥٨٣١٣٤٨٠٨٠/ ٨٦١٦٤.٠٩٠٦= ٢٩٩٧٩٢.٤٩٩٤٠٥ كم / ثا. وهو الرقم الدقيق المعتمد علمياً في العالم، وهو بالتقريب يساوي ٣٠٠٠٠٠كم/ ثا، وهو الرقم الذي يذكر في المدارس والجامعات.

٦ـ هناك قاعدة عامة،وهي أنه لا زمان بغير حركة ولا مكان بدون مادة.

٧ـ هذه النتيجة في هذه الآية تبين المعجزة القرآنية في قياس السرعة الضوئية.



﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم البصر على السمع في آية سورة الكهف ٢٦ وآية سورة السجدة ١٢؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٢٦.



﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]

وفي السجدة ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة:١٣] الجِنة مقصود بهم الجن، فما الفرق بين الجن والجِنّة؟ وما دلالة البدء بالجن والجِنّة؟

الجواب :

١ـ (الجن) القرآن يستعمله بما يقابل الإنس (الجنّ – الإنس)، وهما الأصلان لهذين الجنسين ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

٢ـ أمّا (الجِنة) فيستعملها بمقابل (الناس)، كما في الآية :﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣] ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس:٦].

٣ـ الجنّ والإنس هما الأصلان، وأمّا الناس فتكون مجموعة قليلة أو كثيرة من هؤلاء أو أفراداً منهم، وقد يكون الجميع ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] فهذا لجميع المخاطبين من آدم إلى أن تقوم الساعة، أو أفراد منهم، كما في الآية: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران:١٧٣] وتكون هناك قرينة سياقية تحدد المعنى لكن لا تدل على عدد معين، إنما تدل على مجموع قد يشمل جميع الناس ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ وفي الحديث « **أشيروا عليّ أيها الناس**» والمقصود الأنصار.

٤ـ الجِنّة مجموعة من الجن قد تكون قليلة أو كثيرة. الجنّ هم الأصل مع الإنس، ويستعمل في الغالب الجان بمقابل الإنسان. الجنّ الأصل مثل الإنس والجان قد يكون واحداً من هؤلاء، مثل الإنس والإنسان فالإنسان واحد من الناس، وقد يطلق على الأكثر.

الإنس غير الناس أحياناً، ولا يمكن استعمال الإنس مكان الناس، كما في الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٣]لا يمكن أنْ يقال كما آمن الإنس.وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] هنا لا تنفع الإنس.

فإذن الإنس بمقابل الجنّ، والناس بمقابل الجِنّة، والجان مقابل الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٤ - ١٥]. وهذا ليس من خصوصية الاستعمال القرآني، وإنما هو في لغة العرب.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ حق القول في القرآن معناه: ثبت لهم العذاب. والقول هو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣].

وكلمة (حق القول) إشارة إلى حق القول من الله.

والذي ورد في القرآن الكريم هو أنّ حق القول المقصود به﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣] أو﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص:٨٥].

٢ـ وكذلك (حقت الكلمة) لم ترد إلا في ثبوت العذاب، وهذا يمتد في جميع القرآن، بمعنى: وجب لهم العذاب أو ثبت لهم العذاب، كما في الآيات:

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّمَر:٧١].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص:٦٣].

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فُصِّلَت:٢٥].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف:١٨].

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [يس:٧].

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس:٧٠].

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الصافات:٣١].

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزُّمَر:١٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ [غافر:٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:٩٦-٩٧].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس:٣٣].

وكل هذه الآيات لم يرد في القرآن إلا بهذا المعنى وهذه الدلالة، (حق القول) أو (حقت الكلمة)، فلم ترد إلا بهذه الدلالة. والله أعلم.



﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي ذوقوا العذاب.

٢ـ اختار حاسة التذوق؛ لأنها وسيلة الإدراك لما يتصل بالحياة من الأكل والشرب، وهما ضرورتا الحياة لا مجرد ترف، فالتعبير بالذوق هنا لشمول الإذاقة، وهذه الشمولية لتعبر عن أنها تستولي على جوارح الجسم كله. قال الشاعر في معنى الشمولية :

خَطراتُ ذِكركَ تستثيرُ مودتي ... فأُحسُ منها في الفؤاد دبيبا
لا عضوَ لي إلا وفيه صبابةٌ ... فكأنّ أعضائي خُلقن قلوبا

٣ـ علة تلك الإذاقة ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ فقد نسوا يوم القيامة بالرغم من تحذير الله لهم، فلا عذر الآن.

٤ـ تكون العاقبة ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي أنّ الله سوف يترككم للعذاب بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا.

٥ـ لذلك انتبه أيها الإنسان إلى هذه الصفقة واحسب حسابك الصحيح فإنّ الآخرة الخالدة ونعيم الله الخالد يستحقان أنْ نبيع من أجلها الدنيا بكل ما فيها من غالٍ ونفيس؛ ولذلك سماها رسول الله ﷺ تجارة رابحة.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:١٤] كيف ينساهم الله تعالى؟

الجواب :

١ـ النسيان هو الغياب عن الذاكرة، ويأتي أيضاً بمعنى الترك والإهمال. ومن الخطأ أنْ نأخذ الكلمة على معنى واحد فقط وننسى باقي المعاني.

٢ـ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء، فلا يُنسب له النسيان، كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

٣ـ قوله تعالى في آية الأعراف٥١ : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ هم كانوا منكرين لهذا اليوم ومهملين له، فجاء نسيانهم بمعنى عدم الاكتراث.

فهناك مقابلة لفظية بين ﴿نَنسَاهُمْ﴾ ﴿نَسُوا﴾ ويسمى هذا المشاكلة في اللفظ.

ويكون المعنى أنّ الله لن يلقي لهم بالاً، بنفس النمط الذي فعلوه من عدم اكتراثهم بيوم القيامة.

٤ـ قوله تعالى في آية التوبة٦٧: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ هو أيضاً من قبيل المشاكلة.

٥ـ قوله تعالى في آية السجدة: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ أي أنتم ابتداء أهملتم هذا اليوم ولم تلقوا له بالاً، واليوم تُنسون في نفس النمط، فلا يُلقى لكم بالاً.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالات (ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٦.



﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾ ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا﴾؟

الجواب :

١ـ رب العالمين يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]في آية ص قال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١ - ٧٢] وآية أخرى

﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨]

ما الفرق بين (اسجدوا) و (وقعوا له ساجدين) و (خروا سجداً)؟

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ هذا سجود اعتيادي، كما نفعله في الصلاة. وفي يوم الجمعة من السنن أنْ نقرأ سورة السجدة ونحن واقفون خلف الإمام و هو يقرأ سورة السجدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:١٥].

(خرّوا) لماذا؟ نحن واقفون ننزل رأساً إلى تحت ﴿خَرُّوا۟﴾.

الخرّ: هو الهبوط مع صوت من خرير الماء، وهنالك فرق بين جريان الماء بلا صوت، والخرير من شلال نازل بصوت، فهذا خرّ ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

٤ـ مرة قال: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾، ومرة قال: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾والبكاء كان مع السجود، وقال: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ من التسبيح: سبحان الله وبحمده.

٥ـ خلق الله سبحانه آدم عليه السلام، ثم قال للملائكة أو جزء منهم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي اتركوا عملكم وقعوا له ساجدين. ورب العالمين يخاطب هؤلاء الملائكة، فقال: ﴿فَقَعُوا۟﴾ بالفاء ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أي اتركوا

الذي في أيديكم ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ وهذا هو الفرق بين (فقعوا له) و (اسجدوا) و (خروا).

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل من لطائف عددية في سورة السجدة و في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ترتيب سورة السجدة في القرآن (٣٢) ورقم آية السجدة فيها (١٥) وتتألف هذه الآية من (١٥) كلمة.

٢ـ عدد آيات سورة السجدة (٣٠) آية، أي أنّ آية السجدة جاءت في نهاية النصف الأول منها، أي =١٥×٢.

٣ـ عدد السجدات في القرآن (١٥) سجدة موزعة في (١٤) سورة. ويؤيد هذا حديث عمرو بن العاص: أنّ رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي الحج سجدتان " فدلّ على أنّ السجدات خمس عشرة منها سجدتان في الحج.

٤ـ ترتيب كلمة﴿سُجَّدًا﴾في السورة من بدايتها هو (١٨٦)، فإذا ضربنا هذا العدد بـ (٢) إشارة إلى النصفين المذكورين آنفاً، لكان الناتج (٣٧٢) وهو عدد كلمات سورة السجدة.

٥ـ لاحظ البعض أنّ عدد السور التي وردت فيها مادة (سجد) هي (٣٢) سورة، وهو ترتيب سورة السجدة، والله أعلم.



﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

نلاحظ في الآية أنّ لفظي (مؤمن) و(فاسق) جاءا بصيغة المفرد، وبالتالي كان القياس أن نقول: لا يستويان، إنما جاء القرآن بـ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾، فلماذا؟

الجواب :

١ـ نعلم أنّ (ما) و (مَن) الموصولتين تأتيان للمفرد أو للمثنى أو للجمع وللمذكر وللمؤنث، فمرة يراعي السياق اللفظ، ومرة يراعي السياق المعنى.

والله سبحانه في هذه الآية لا يتكلم عن المفرد، وإنما عن الجمع، أو أنها قيلت رداً لحالة مخصوصة بين مؤمن وكافر، فأراد الله أن يعطيها العموم لا خصوص السبب، فراعى السياق لخصوص السبب ـ مؤمن وكافر ـ وراعى عموم الموضوع، فقال: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

٢ـ والقاعدة الفقهية تقول: «العبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

وقد جاءت الآية بصيغة الاستفهام، ولا بدّ أنْ نقول نحن في جواب هذا السؤال: لا يستوي مؤمن وكافر. ومن يقل بهذا فقد وافق مراد ربه.

وما دام المؤمن لا يستوي مع الفاسق، فلكلٍّ منهما جزاء يناسبه.

السؤال الثاني :

جاءت كلمة (مؤمن) و(فاسق) بالصيغة الاسمية، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ كثيراً ما استعمل القرآن للإيمان الصيغة الاسمية؛ وذلك لأنّ الإيمان له حقيقةٌ ثابتةٌ تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق يحدث وينقطع، كما هو واضح بالآيات الواردة هنا في سور السجدة ١٨ ﴿مُؤْمِنًا﴾ [طه:٧٥] ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والروم٤٧ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ـ كما استعمله بالصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث، كما في سورة الأنعام ١٠٩ ﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾؛ لأنه لم يحصل بعد، وكما في البقرة:١٣ ﴿ءَامَنُوا﴾ و﴿أَنُؤْمِنُ﴾.

٣ـ كذلك التقوى والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر، كل هذه لها مسميات حقيقيةٌ أو مجازيةٌ تليق بها، فحيث يُراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يُراد الاتصاف بها فالأسماء.



﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿ٱلَّذِى﴾ مع عذاب النار مرة، كما في آية السجدة ٢٠، ومرة ﴿ٱلَّتِى﴾ كما في آية سبأ ٤٢؟

الجواب :

في سورة السجدة الخطاب موجّه للفاسقين، و﴿ٱلَّذِى﴾ يشير إلى العذاب نفسه.

أمّا في سورة سبأ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ:٤٢] فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين، و﴿ٱلَّتِى﴾ مقصود بها النار نفسها.

والفاسق يمكن أنْ يكون مؤمناً، ويمكن أنْ يكون كافراً، فهو لا يُكذّب بالنار، إنما يُكذّب بالعذاب، أمّا الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً، ولا ينكرون العذاب فقط.

السؤال الثاني :

لماذا ذكر في آية الحج ٢٢ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ ولم تذكر في آية السجدة؟

الجواب :

١ـ في الحج: لمّا تقدم أنواع العذاب ناسب قوله ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ أي من الغموم المذكورة من صب الحميم وثياب أهل النار وغيره.

٢ـ ولم يذكر في السجدة سوى ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فناسب عدم ذكر (من غم) واقتصر على﴿مِنْهَا﴾ أي لا يخرجون منها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

يأتي الضر مع الفعل (مسّ)، ومع الرحمة يأتي الفعل (أذقنا) فى القرآن الكريم، فما الفرق بين المسّ والإذاقة في القرآن؟

الجواب :

هذا التفريق غير دقيق، فالذوق والمس يأتي للضر وغير الضر. والذوق هو إدراك الطعم، والمسّ هو أي اتصال.

وأمّا كون المس يأتي مع الشر فغير صحيح؛ لأنّ المس يأتي مع الرحمة أيضاً، كما في الآيات: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢٠ - ٢١] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٠] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام:١٧].

وكذلك الإذاقة تأتي مع العذاب ومع الرحمة، كما في الآيات: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة:٢١] ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الشورى:٤٨] ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:١٩]. فليس هنالك تقييد في الاستعمال.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف:٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة:٢٢]؟ لماذا استعمل (ثم) في آية السجدة واستعمل (الفاء) في آية الكهف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٥٧.

السؤال الثاني :

ما معاني حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الإعراض عن الذكر والإعراض عن الآيات؟

الجواب :

١ـ الذكر: عام، وهو الوحي أو العبادة أو الموعظة.

٢ـ الآيات: أخص، وهي جزء من الذكر.

٣ـ في القرآن إذا ذُكر الإعراض عن (الذكر) زاد في بيان العذاب والعقوبة، وإذا ذُكر الإعراض عن (الآيات) كان بيان العذاب أقل؛ لأنّ الذكر أعم من الآيات، والآيات جزء من الذكر، فكان بيان العذاب والعقوبة في الإعراض عن (الذكر) أكبر منه في الإعراض عن (الآيات) والإعراض عن الكل أصعب من الإعراض عن الجزء.

* شواهد قرآنية في الإعراض عن الآيات :

ـ آية الكهف ٥٧ : لم يذكر العقوبة.

ـ آية السجدة ٢٢ : لم يذكر تفاصيل الانتقام.

ـ آية الزخرف ٤١ : لم يذكر تفاصيل الانتقام.

* شواهد قرآنية في الإعراض عن الذكر :

ـ آيات طه ٩٩ـ١٠١ : فصّل في العذاب وأنواعه.

ـ آية طه ١٢٤ : فصّل في العذاب وأنواعه.

ـ آية الجن ١٧ : ذكر العذاب المصعّد.



﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا حذف نون (تكن) في آية هود١٧ وأبقاها في آية السجدة ٢٣؟

الجواب:

السبب لاختلاف سياق الآيتين:

١ ـ آية هود تثبيتٌ للرسول ونهيٌ له عن الريب والمرية. فقد بدأ الكلام بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [هود:١٧] وختمه بقوله: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فناسب ذلك أنْ يقال: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي لا يكون في المرية أصلاً فحذف النون.

والكلام في آية هود في القرآن، وعن قوم الرسول وتهديد من يكفر به.

٢ـ بينما الكلام في آية السجدة عن التوراة وبني إسرائيل، وليس في آية السجدة مثل دواعي الآية الأولى، فذكر النون على الأصل.



﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

كلمتا (يختلفون) و(تختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة، منها البقرة (١١٣) ويونس (١٩) والمائدة (٤٨) و﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥]، ما كُنه الاختلاف بين الآيات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى في آية المائدة٤٨ : ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:٤٨] أي أنبأهم بالأمر، فقال: ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ .

وأما آية البقرة١١٣ فهي في القضاء والفصل، فقد حكم في القضية ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣] وهذا حكم، فقال:﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، أي: في الذي كانوا فيه يختلفون.

٢ـ القرآن إمّا أنْ يقول: (قضي بينهم) أو (يحكم بينهم)، وعندما يقول (يحكم بينهم وقضي بينهم) يستعمل (فيه).

٣ـ أمّا (كانوا) و(كنتم) فالأكثرعندما يقول:﴿كَانُوا۟﴾ أن يكون الكلام عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا، كما في الآيات: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣] و﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٧].

وأمّا الآية: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] فهذه الآن، وليست في يوم القيامة، فقال: ﴿بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ لأنها تقصد الدنيا.

السؤال الثاني :

هل (كان) فعل ناقص؟

الجواب :

نعم فعل ناقص، وأحياناً يأتي تاماً وله استخدامات كثيرة.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية:١٧]

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥]

ما الفرق بين (يفصل) و(يقضي)؟ وما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في آية السجدة؟

الجواب :

١ـ لو قرأنا الآيتين تتضح الإجابة :

آيات سورة السجدة [٢٣ـ٢٥]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٣-٢٥] السياق هو بين المؤمنين والكافرين، والله يفصل بين الأنبياء وأممهم.

آيات سورة السجدة [١٨ـ٢٦]

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة:١٨-٢٦].

السياق في أمتين: جماعة بني إسرائيل ونبيهم موسى عليه السلام،وأنت أيضاً يا محمد آتيناك الكتاب، فصاروا أمتين مختلفتين، فقال ربنا لرسوله محمد عليه السلام: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾.

آيات سورة الجاثية[١٦-١٧]:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية:١٦-١٧]

السياق هو في الاختلاف بين بني إسرئيل في ملة واحدة.

٢ـ في سورة السجدة: الاختلاف بين أمم مختلفة، وعلى الأقل بين أمة الإسلام وبني إسرائيل، وأمّا في سورة الجاثية فالفصل بين ملة واحدة مختلفة فيما بينها.

فلمّا كان بين ملل مختلفة قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾، وقال: (يفصل) وأكّد بـ (هو)، وأمّا ما كان بين ملة واحدة فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ فاستعمل (يقضي)، ولم يأت بـ (هو).

٣ـ هناك فرق دلالي بين (يقضي) و(يفصل)، يفصل: يعني يجعلهما مختلفين وبينهما حاجز، أي افتراق بين الطائفتين.

فلمّا كان الخلاف في الملل المختلفة فهؤلاء لا يلتقون ويذهب بعضهم إلى النار وبعضهم إلى الجنة؛ ولهذا قال: (يفصل).

وأمّا (يقضي) فهي بين ملة واحدة، فقال: (يقضي بينهم)؛ أي يحكم بينهم وليس بالضرورة (يفصل)، والحكم لا يقتضي الفصل، لكنّ الفصل يقتضي الحكم؛ لأنّ فيه حكماً وفصلاً، ولهذا الاختلاف في الملل يُحتاج حكم وفصل.

٤ـ وقال: ﴿هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾ هو: ضمير الفصل، وهو يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، مثال: محمد هو القائل، مبتدأ وخبر، وكما في الآيات: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ﴾ [آل عمران:٦٢] يقع الضمير(هو) بين اسم إنّ وخبرها، وكذلك: ﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦﴾ [الصافات:١١٦] يقع الضمير(هو) بين اسم كان وخبرها.

والغرض البلاغي من ضمير الفصل (هو) التوكيد والقصر في الغالب ومعنى قوله تعالى : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:٥]؛ أي حصراً، وليس هناك مفلح غيرهم حصراً وتوكيداً، وكذلك الآية: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة:٢٥٤] لذلك ضمير الفصل يفيد في الغالب التوكيد والقصر.

حتى في تسمية ضمير الفصل قالوا: يفصل الخبر عن الصفة، وهذا أصل التسمية؛ حتى يُعلم أنّ الذي بعده خبر وليس صفة. فمثلاً في الآية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ﴾، يحتمل أنْ يكون (القصص) بدلاً، وفي ذلك التباس فإذا أردنا أنْ نجعل (القصص) هو الخبر وليس الصفة نقول هذا (هو القصص)، هذا أصل التسمية.

٥- ثم ذُكر له فوائد في الغالب وهو القصر الحقيقي أو الادعائي (تدعي أنّ فلانا شاعر مثلاً وهو ليس بشاعر)، أو التوكيد.

أمّا في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهذا ضمير الشأن وليس ضمير الفصل.

٦- ضمير الفصل على الأرجح ليس له محل من الإعراب، وهوفي أشهر الأقوال حرف لا محل له من الإعراب.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الحكم والفصل في القرآن الكريم؟

الجواب :

١- الفرق بين الحكم والفصل أنّ الحكم هو القضاء والفصل أشد؛ لأنّ الفصل هو بين فريقين، ويصبح بينهما فاصلاً أوحاجزاً.

وعندما يقول في القرآن :(يفصل بينهم) تكون المسافة بينهما أبعد كأنْ يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار، وأمّا الحكم فلا، وقد يكون في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣].

هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى كلاهما معاً، وليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار، فليس فيه فصل، فقال: (يحكم).

ـ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل:١٢٤].

اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض، فقال: (يحكم).

ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزُّمَر:٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة لا جهتين. فقال: (يحكم).

ـ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج:١٧].

هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة فهم فئات مختلفة، فقال: (يفصل).

﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ [ص:٢٢]هذا حكم قضاء فقط فقال: (احكم).

٢ـ الفصل يتضمن الحكم، أي :حكم وفصل فيكون أشد. ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤ - ٢٥].

قالوا: الفصل هنا هو بين الأنبياء وأممهم، وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن الفصل حكم، لكنْ فيه بَوْن، وكل جهة تذهب إلى مكان.

السؤال الخامس :

قال في آية الحج١٧ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ﴾ وقال في آية السجدة٢٥ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ﴾ فلماذااستعمل لفظتي ﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿رَبَّكَ﴾؟

الجواب :

لو نظرنا إلى استعمال هاتين اللفظتين في كل من هاتين السورتين لرأينا أنه وضع كل لفظة بحسب كثرة ورودها في كل سورة:

اللفظ	الحج	السجدة
الله	٧٥ مرة	١ مرة
الرب	٨ مرات	١٠ مرات

إضافة إلى ما يقتضيه المقام من ناحية المعنى، فإنه لمّا ذكر الاختلاف في آية السجدة ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ أكّد الفصل بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ لأنّ الأصل في الفصل أنْ يكون عند الاختلاف، فاستخدم ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في الآية ليفيد التأكيد والاختصاص بأنه لا أحد يفصل بينهم يوم القيامة إلا الله، فجاءت كلمة ﴿هُوَ﴾ لتقطع الشك في وجود فاصل غير الله.

وعندما لم يذكر الاختلاف في سورة الحج لم يؤكده. والله أعلم.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي
مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ
الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ
أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاختلاف بين الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [السجدة:٢٦] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يس:٣١] ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ ﴾ [طه:١٢٨] ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٢٨.

السؤال الثاني :

ما دلالة اختلاف الفاصلة القرآنية بين قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [السجدة:٢٦]

وبعدها مباشرة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة:٢٧]؟

الجواب:

آيتان متتاليتان في سورة السجدة. قال في الأولى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ هذا يأتي عن طريق السماع، فالقرون الماضية تسمع بالأخبار، فقال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

وقال في الثانية ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ هذا يُنقل مشاهدة وليس سماعاً، فقال: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

فلمّا كان الأمر يأتي عن طريق السماع قال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ولمّا كان الأمر مشاهداً يأتي عن طريق المشاهدة قال: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

السؤال الثالث:

ماذا عن استعمال القرون والقرن بعد كم الخبرية التكثيرية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

السؤال الرابع:

ما دلالة تقديم (الناس) على (الأنعام) في آية عبس ٣٢ وتقديم (الأنعام) على (الناس) في آية السجدة ٢٧؟

الجواب:

١ ـ في آية السجدة ٢٧ قدّم الأنعام على الناس، وذلك لمّا تقدّم ذكر الزرع فناسب تقديم الأنعام.

٢ ـ في آية عبس ٣٢ السياق في طعام الإنسان، فذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً، ثم ذكر بعده طعام الأنعام ﴿وَأَبًّا﴾ وهو التبن. قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس:٢٤-٣١] فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا في آية عبس.

رابعاً ـ تناسب فواتح السجدة مع خواتيمها :

قال في أولها :

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة:٢-٣].

وقال في أواخرها :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة:٢٣].

١ ـ فكما آتى ربنا موسى الكتاب، فإنّ تنزيل الكتاب على رسوله محمد إنما هو من رب العالمين.

٢ ـ وقال في بداية السورة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . وذكر قولهم إنه افتراء.

وقال في الأواخر: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾. أي فلا يكن عندك ريب.

٣ ـ وقال في أول السورة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

فكتابه هدى لقومه وللعالمين، كما أنّ كتاب موسى هدى لقومه من بني إسرائيل.

٤ ـ قال في أوائل السورة: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾ [السجدة: ١٠].

وقال في آخرها: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾ [السجدة: ٢٨ - ٢٩].

فسألوا أولاً: هل سيعودون إلى الحياة مرة أخرى؟ ثم قالوا: متى ذلك؟

فقال في الآية الأولى: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ فذكر أنهم كافرون بذلك اليوم.

وقال في الآية الأخيرة: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾ أي لا ينفع الذين كفروا باليوم الآخر في الدنيا إيمانهم به في الآخرة.

والله أعلم.



سورة الأحزاب

أولاً ـ تناسب خواتيم السجدة مع فواتح الأحزاب:

١ ـ قال سبحانه في خاتمة السجدة:

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠) ﴾.

وقال في أول الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)﴾.

فعدم طاعة الكافرين والمنافقين إنما هو من الإعراض عنهم.

٢ ـ قال في أواخر السجدة:

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩)﴾.

ولو أنهم آمنوا في الدنيا لنفعهم إيمانهم.

وقد أمر الله نبيه في الأحزاب بتقوى الله، وهي التي تنفع في الدنيا ويوم الفتح. ويوم الفتح هو يوم القيامة.

٣ ـ قال سبحانه في أواخر السجدة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ﴾ [السجدة:٢٢].

وقال في أول الأحزاب:

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) ﴾ [الأحزاب:٢].

فذكر في آيات السجدة من أعرض عن آيات ربه.

وأمره في الأحزاب باتباع آيات ربه، وهي ما يوحى إليه منه.

جاء في (البحر المحيط): ((ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة، وهي أنه حكى عنهم أنهم يستعجلون يوم الفتح وهو الفصل بينهم وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم.

فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به)).

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام لله في المواقف الحرجة.

الأجزاء التي سبقت من القرآن الكريم من الجزء الأول إلى جزء ٢١ شملت المنهج الكامل للمسلم الذي هو مستخلف في الأرض، وكان لكل سورة هدف واضح محدد يوضّح لنا عنصراً من عناصر هذا المنهج.

أما الأجزاء القادمة في القرآن من ٢٢ إلى ٣٠ فكل مجموعة من السور تشترك في هدف محدد مجتمعة، وتتطرق كل سورة من السور إلى جانب من هذا الهدف كما سنلاحظ في السور القادمة.

ونبدأ بالجزأين ٢٢ و٢٣ من سورة الأحزاب إلى سورة ص، والواضح أنها مجتمعة تهدف إلى الدعوة إلى الاستسلام إلى الله تعالى، واسم ديننا الإسلام، وهو التسليم الكامل لله رب العالمين خالقنا، والخضوع التام للخالق عزّ وجلّ. وكل سورة في هذين الجزأين تركّز على جانب من جوانب الاستسلام لله تعالى: ونستعرض سريعاً هذه الأهداف، كما هو مبين ثم نفصّل كل سورة على حدة

السورة	الهدف
سورة الأحزاب	الاستسلام لله في المواقف الحرجة
سورة سبأ	الاستسلام لله سبيل بقاء الحضارات
سورة فاطر	الاستسلام لله هو سبيل العزة
سورة يس	الاستسلام لله بالإصرار على الدعوة
سورة الصّافّات	الاستسلام لله وإن لم تفهم الأمر
سورة ص	الاستسلام لله بالعودة للحق بلا عناد

وكأنّ الله تعالى يريدنا أن نعلم بعد أن استقرّ المنهج وثبت معنى الإيمان الذي أوضحه الله في سور القرآن في الأجزاء [١ – ٢١].

لذلك يجب علينا أن نكون خاضعين مستسلمين لله تعالى الذي شرّع هذا المنهج وارتضى هذا الدين لنا. ولنعلم أن عزّتنا هي في استسلامنا لله تعالى والخضوع التام له وفي هذا يتحقق معنى العبودية التامة لله. وكيف ذلك؟ الإيمان بالله قد يكون على هيئتين: فقد يؤمن أحدنا بالله تعالى لكن بعد أن يعلم الحكمة من كل أوامر الله ويطمئن لها عقله وقلبه فيؤمن، ومنها أن يؤمن بالله لما يرى من إبداع خلق الكون والمخلوقات من حوله، ولكنّ الإيمان الحقّ أن تؤمن وأنت لا تفهم مراد الله تعالى في أوامره ونواهيه وهذا هو الإيمان المطلق بالله، أن أؤمن بالله سواء عرفت الحكمة من الامتثال لأوامره أم لم أعرف؛ لأني على يقين أن هذا هو الحق.

والإيمان هو التصديق التام والخضوع التام لله فيما أمر وفيما نهى عنه. وإلا فكيف أكون مؤمناً إذا طالبت في كل مرة أن أعرف المقصود من أمر الله وأفهم الحكمة من وراء ذلك؟ واستسلامي لله هو الذي يعطيني العزّة في الدنيا، وهو الذي يعطيني اليقين بأني لو أخطأت لا أستكبر عن العودة للحق.

نتقل للحديث عن سورة الأحزاب، وهي سورة مدنية تحدثت عن غزوة الأحزاب أو (غزوة الخندق): ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٢-٢٣]. وصورتها السورة تصويراً دقيقاً بتآلب قوى الشرّ على المؤمنين، وقد أحاط المشركون بالمسلمين من كل جانب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:١٠-١١]وكان موقف المسلمين حرجاً للغاية، ولكنّ هذا هو الابتلاء من الله تعالى، ولتأكيد معنى أنه لمّا استسلم المؤمنون لله تعالى في هذا الموقف رد تعالى كيد أعدائهم بارسال الملائكة والريح. وتحدثت السورة عن عدة مواقف صعبة مرّت على الرسول ﷺ وعلى المسلمين في تلك الفترة، منها:

إلغاء التبني: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب:٥].

وتطليق زيد بن حارثة لزينب بنت جحش ثم يتزوجها الرسول عليه السلام.

ثم موقف الحجاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩]

ونقض اليهود عهدهم مع الرسول ﷺ.

ومحور هذه السورة هو الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]. تؤكد على معنى الاستسلام لله تعالى والامتثال لأوامره وأوامر رسوله عليه السلام بدون معرفة الحكمة من وراء ذلك، فهو الله، وطاعته لازمة واجبة و لانتجرأ بأن نطيعه في أمور ونقول له: لن أطيع في هذا الأمر إلا بعد أن أعرف الحكمة من ورائه، تخيّل هذا المعنى من رفض الاستسلام لله وإطاعته! إنْ كان البشر لا يتجرؤون أنْ يعصوا ولي الأمر أو رئيسهم في العمل وإنما ينفذون الأوامر بلا تردد فكيف بنا بأوامر خالق الخلق؟ !

ويأتي ختام السورة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]

عرض الله سبحانه الأمانة على السموات والأرض والجبال فرفضن حملها؛ لأنها أرادت أن تبقى مستسلمة لله بدون أن تكون مخيّرة وخافوا من حمل الأمانة، أما الإنسان فحملها؛ لأنه كان جاهلاً ثقلها والعواقب الوخيمة التي تقع على من يفرّط بها.

سميّت السورة بـ (الأحزاب): لأن غزوة الأحزاب هي رمز لأصعب موقف مرّ به الصحابة: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:١١] بعد أن تحزّب عليهم

المشركون من كل جهة، ولكن الله ردّهم وكفى المؤمنين المستسلمين له الخاضعين له القتال.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

وردت كلمة ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ في آية الأحزاب ٤ وكلمة ﴿سَبِيلًا﴾ في الآية ٦٧، ما دلالة اختلاف الفاصلة؟

الجواب :

١ـ الفاصلة ليست مرادة لذاتها، ولكنها تأتي التقاطاً، واللفظ هو المطلوب، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد المعنى المُراد .

٢ـ في الآية الرابعة من سورة الأحزاب ضحّى بالفاصلة من أجل المعنى ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾، مع أنّ جميع الآيات مطلقة في السورة.

٣ـ كلمة (السبيل) عندما تقف عليها تقف على السكون، والسكون فيه معنى الاستقراروالسكون. و السبيل المعروف هو الإسلام.

٤ـ وقد وردت كلمة (السبيل) مرة بالإطلاق في سورة الأحزاب ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٧] (سبيلا) بالألف واللام والإطلاق؛ والسبب أنهم في وضع اصطراخ، فهم يصطرخون في النار فحتى كلامهم عن السبيل جاء فيه صريخ وامتداد صوت فناسب المد.

في حين أنّ الآية ٤ من سورة الأحزاب ليست كذلك، وإنما هي قول الله مقرراً حقيقة عقلية مستقرة، والمقام لا يقتضي المد.

٥ـ وللعلم فإنّ عدد آيات سورة الأحزاب ٧٣ آية منها ٧٢ آية فاصلتها الألف عدا الآية ٤، وهذا يدل على أنّ الفاصلة ليست مطلوبة بذاتها.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾؟

الجواب :

في آية الأحزاب ٤ يقول الله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ ولم يقل مثلاً لبشرٍ أو خلقٍ أو امرأة، وإنما قال: ﴿لِرَجُلٍ﴾؛ لأنّ هذه الكلمات قد تعني الرجل أو المرأة، بينما المقصود هو الرجل بذاته؛ لأنه لا يمر بحالة الحمل كالمرأة، حيث يكون في جوف المرأة حينها أكثر من قلب خلال حملها، أي قلبها وقلب جنينها، وقد تحمل بتوأم أو أكثر. والله أعلم.

السؤال الثالث :

استعمل ﴿الَّئِي﴾ في الأحزاب ٤، والمجادلة٢، والطلاق ٤، بينما استعمل ﴿الَّتِي﴾ في النساء٢٣، ويوسف ٥٠، فلماذا؟

الجواب :

١ ـ اللاتي: اسم موصول (جمع التي) وتكون للعاقل وغيره، وهذا اللفظ شبيه بلفظ جمع المؤنث السالم الذي يكون للعاقل وغيره، مثلا: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد، وتقول: طالبات وشجرات. و(اللاتي) مختصة بالإناث.

٢ ـ اللائي: هي جمع التي أيضاً. فتقول: عادت اللائي ذهبن. واستعمال اللائي قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، واللائي قد ترد للذكور قليلا.

٣ ـ اللائي كأنها مشتقة من اللأي أو من اللأواء، وهي الشدة. وفي الحديث « من **كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجابا من النار**» و «**من صبر على لأواء المدينة..**». واللأي هو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة.

٤ ـ لذلك نجد القرآن استعمل﴿الَّئِي﴾ بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق فقط، ولم يستعملها في غيرهما، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة، وهي حالات المفارقة والشدة والاحتباس، حيث إنّ المُظاهر والمُطلِق محتبس عن امرأته مبطيءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين ، فجمع القرآن حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال.

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ؟

الجواب :

١ـ (لا جناح عليكم) جملة اسمية، و (لا) هنا هي لا النافية للجنس على تضمن (من) الاستغراقية والمؤكِّدة ودخلت على المبتدأ والخبر، والنحاة يقولون: إنّ (لا) في النفي هي بمثابة (إنّ) في الإثبات.

ومن المسلمات الأولية في المعاني أنّ الجملة الاسمية أقوى وأثبت وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية، وعليه يكون ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ مؤكّدة كونها جملة اسمية، وكونها منفية بـ (لا)، وهذا من الناحية النحوية.

٢ـ أمّا الجملة ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فهي جملة فعلية. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية.

٣ـ أمّا من حيث الاستعمال القرآني، فإذا استعرضنا الآيات التي وردت فيها (ليس عليكم جناح) و(لا جناح عليكم) في القرآن نجد أنّ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور

المهمة، أمّا ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فتستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية. ونورد أدناه بعض الآيات القرآنية التي جاءت فيها الجملتان:

(لا جناح. ..):

في سورة البقرة:[(١٥٨) عبادة، (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٤٠))] وهذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

وكذلك في سورة الأحزاب ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب:٥١].

و ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٥].

(ليس عليكم جناح):

في سورة البقرة: الآية (١٩٨) هي في الإفاضة من عرفات، وكذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [البقرة:٢٨٢].

وكذلك في سورة الأحزاب ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب:٥].

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف جعل الله أزواج النبي بمنزلة أمهات المؤمنين حكماً، وما جعل النبي ﷺ بمنزلة أبيهم، حيث يقول تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن ﴾؟

الجواب :

أراد الله من أمة الرسول ﷺ أنْ يدعو أزواجه بأشرف الأسماء، وأشرف الأسماء هو(الأم)، وأشرف الأسماء للنبي ﷺ هو رسول الله لا الأب.

من جهة أخرى فإنّ الله تعالى جعلهن أمهات المؤمنين تحريماً لهن وإجلالاً وتعظيماً له عليه السلام؛ كيلا يطمع أحد في نكاحهن بعده.

ولو جُعل النبي أباً للمؤمنين أيضاً لكان أباً للمؤمنات، فلم يجعل له نكاح امرأة من المؤمنات بل يحرمن عليه، وذلك ينافي إجلاله وتعظيمه. وقد جعله الله أعظم من الأب في القرب والحرمة بقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فجعل النبي ﷺ أقرب إليهم من أنفسهم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الزوج والبعل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٣٥.



﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

كيف قُدم النبي ﷺ على نوح في آية الأحزاب ٧؟ ولماذا ذكر بعض النبيين في الآية؟

الجواب :

١ـ هذا من باب عطف الخاص على العام؛ وذلك لبيان التفضيل والتخصيص، فلمّا كان النبي ﷺ أفضل هؤلاء المفضلين قُدم عليهم.

٢ـ وقد ذكر الله في آية الأحزاب أربعة من الأنبياء، وهؤلاء الأنبياء هم :

أ ـ نوح عليه السلام باعتباره أصلاً ثانياً للناس، حيث وُجد الخلق منه بعد الطوفان، ولم يذكر آدم عليه السلام؛ لأنّ خلقه كان للعمارة و نبوته كانت للإرشاد، بينما نوح كان مخلوقاً للنبوة وأرسل للإنذار؛ ولهذا أهلك قومه وأغرقوا.

ب ـ إبراهيم عليه السلام، فقد كان العرب يقولون بفضله ويتبعونه في بعض شعائرهم.

ج ـ موسى وعيسى عليهما السلام باعتبار وجود اليهود والنصارى فذكرهما احتجاجاً على قومهما.

السؤال الثاني :

كيف قُدم نوح عليه السلام في نظير ذلك في آية الشورى ١٣؟

الجواب :

هذه الآية سيقت لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة، كأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بُعث عليه نوح عليه السلام في العهد القديم وبُعث عليه محمد ﷺ في العهد الحديث، وبُعث عليه من توسطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح عليه السلام أنسب.

من جهة أخرى، أعاد في نفس آية الأحزاب (٧) قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ للتأكيد ووصف الميثاق المذكور بالجلالة والعظم.

وقيل إنّ المراد بالميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا من إبلاغ الرسالة لأقوامهم، فلا إعادة لاختلاف دلالة الميثاقين.

السؤال الثالث :

مادلالة التقديم في آية النساء ٦٩ والأحزاب ٧؟

الجواب :

١ ـ في آية النساء٦٩: قُدّم الله على الرسول، ثم قدّم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأ بالأفضلين وهم الأنبياء وهم أقل الخلق، ثم بالصديقين وهم أكثر، ثم بالشهداء ثم بالصالحين، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل، ولا شك أنّ أفضل الخلق هم أقل الخلق إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم.

٢ ـ في آيةالأحزاب٧ بدأ بالرسول؛ لأنه أفضلهم ﷺ.



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ ما المقصود بكلمة: لم تروها؟

الجواب:

في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٩].

﴿ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾جنود تراها العين: قريش ومن جاء معهم من الأحزاب. وكذلك الريح وهي من جنود الله، وقد رأيتم فعلها أيضاً.

وهناك ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهذه الجنود منها: التخذيل الذي حدث والملائكة التي أدخلت الرعب في قلوب هؤلاء الناس، والخلاف الذي وقع بينهم (نبقى أو نمضي)، كل هذا هو من جنود الله غير المرئية.

فإذن لا يتوقع المسلم أنّ الله سبحانه وتعالى دائماً يرسل جنداً مرئية؛ لأنّ الملائكة شاهدها بعضهم في القتال وسمعها بعضهم. وهناك جند لم يروها ولم تقع أعينهم عليها سواء من الملائكة أو من غير الملائكة.

المهم أنْ تكون واثقاً بنصر الله سبحانه وتعالى، وأنه تعالى له جنود يسخّرها ليكونوا نصراً لدينه.



﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاءت كلمة ﴿أَسْفَلَ﴾ منصوبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب:١٠]؟

الجواب :

أسفلَ مجرورة، وعلامة جرها الفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف، ومثلها أصفر وأخضر وأحمر.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦] (بأحسنَ) ليست منصوبة، وعلامة جرها الفتحة لأنها ممنوعة من الصرف، حسب القاعدة النحوية: [وجُرّ بالفتحة ما لا ينصرف].

أحسن: اسم تفضيل على وزن أفعل ، والقاعدة تقول: إنّ الوصفية إذا كانت على وزن (أفعل) تمنع من الصرف ما لم تؤنّث بالتاء.

السؤال الثاني :

لماذا مد كلمة﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ وأطلقها؟

الجواب :

مد (الظنونا) وأطلقها؛ وذلك لأنهم ظنوا ظنوناً كثيرة مختلفة فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها. والمؤمنون ههنا في ضيق شديد فغرتهم الظنون وشرّقوا وغرّبوا بها فأطلق الصوت لإطلاق الظنون. هذا علاوة على رعاية الفاصلة.

كذلك لم يقل: (ظنونا) وهي مطلقة أصلاً؟ بل قال: ﴿ٱلظُّنُونَا﴾؛ لأنها معلومة للمؤمنين ومعلومة لله سبحانه، فهي معارف لا نكرات، فناسب ذلك المد والتعريف.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الفعل ظن والفعل حسب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.



﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين العورة والسوءة؟

الجواب :

العورة: هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، ومنها ستر البيت بسياج عالٍ؛ حتى لا يرى الناس فيه جمال البيت وجمال من فيه.

السوءة: هي كل شيء تستره عن الناس لقبحه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ ما الفرق بين (ما) و (لا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢.



﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الموت والقتل في الآية ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب:١٦]؟

الجواب:

الموت نقيض الحياة. وعندما نقول: قتله، يعني: أماته بضرب أو حجر أو سُمّ، يعني: بفعل فيه يؤدي إلى أنْ يموت.

الموت: أنْ يموت وحده وتخرج روحه هكذا، أمّا القتل: فيكون بفعل فاعل.

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (قد) في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب:١٨] في سورة الأحزاب؟

الجواب :

نحن عُلّمنا بشكل موجز أنّ (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي تفيد التحقيق (فقد جاء) محققاً، وإذا دخلت على الفعل المضارع تفيد التقليل (قد يأتي زيد) أو الشك. وهذا ليس على إطلاقه، وإنما السياق يتحكم في (قد) ومن الممكن أنْ تأتي (قد) للتكثير.

و عندما يقول الباري عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الرسول عليه السلام كان يقلّب وجهه في السماء، فهل ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ تعني أنّ الله تعالى محتمل أنْ يراه؟ أو كثيراً ما كان يرى تقلب وجه النبي في السماء؟

في لغة العرب نجد أن ﴿قَدْ﴾ يمكن أنْ تستعمل في الكثرة، وفي هذا المعنى السياق يضبطها.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل كلمة (الأسوة) مذكر أم مؤنث؟ ولماذا أنّثها في آية الممتحنة ٤ وذكّرها في آية الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١؟

الجواب :

١ـ الأسوة: تطلق على الخصلة أو الصفة التي يؤتسى بها، وهي هنا بمعنى المؤنث. وقد تطلق على الشخص المتأسى به، وهنا بمعنى المذكر.

والراجح في آية الممتحنة ٤ أنه أُريد بها الخصلة أو الصفة فأنّث، أمّا في الآيتين الأخريين [الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١] فيُراد بها الشخص المتأسى به، ولم يذكر الخصلة فذكّر الفعل.

٢ ـ الأمور اللغوية والبلاغية :

أـ من الناحية النحوية: عندما تكون الفاصلة بين الفعل والفاعل، أو إذا كثرت الفواصل، فالتّذكير أفضل.

ب ـ ومن الناحية البلاغية: التذكير في العبادات أفضل وأهم من التأنيث كما جاء في مريم ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾؛ لأنّ الذين كملوا في التذكير أكثر.

وكذلك من الناحية البلاغية عندما يتحدث عن عبادة الملائكة يذكّر.

* شواهد قرآنية:

في الممتحنة ٤ توجد فاصلة بين الفعل والفاعل، فأنث ﴿كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ والفاصل﴿لَكُمْ﴾.

وفي الممتحنة ٦ يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾، وهذه الفواصل هي: ﴿لَكُمْ﴾ ﴿فِيهِمْ﴾.

وفي الأحزاب ٢١: يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ والفواصل هي﴿لَكُمْ﴾ ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾.

السؤال الثاني:

نلاحظ أنه أنّث في الفعل (كانت) في الممتحنة ٤، وذكّر(كان) في الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١، فلماذا أيضاً؟

الجواب:

أي العبادات أكثر في هذه الآيات؟

في الممتحنة ٤ كانت الأسوة في القول في أمر واحد إلا ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ والاستثناء هو من قول إبراهيم. وهنا جاء بـ﴿قَدْ﴾ وأنّث الفعل.

في الممتحنة ٦ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ هذه عامة وهي أهم؛ ولذلك أكّدها باللام ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ لذا عندما اتسعت العبادة ذكّر.

في آية الأحزاب ٢١ الآية عامة، ولم يخصص بشيء؛ ولهذا ذكّر.

السؤال الثالث :

لماذا قدّم الأسوة في الآية الرابعة من الممتحنة على المؤتسى به وأخّرها في الآيتين الأُخريين؟

الجواب:

قدّم الأسوة في الآية الرابعة؛ لأنّ الكلام يدور عليها، وقد بينها بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنكُمْ﴾ فكانت الخصلة محط الاهتمام.

وأمّا في الآيتين الأخريين فلم يذكر الخصلة، وإنما ذكر المؤتسى به فقط فقدّمه على الأسوة؛ لأنّ المؤتسى به هو محط الاهتمام.

وأكّد باللام في الممتحنة ٦ وآية الأحزاب فقال: ﴿لَقَدْ﴾ لأنه أطلق التأسي ليشمل كل الأمور الحسنة أكثر مما أكّد في آية الممتحنة ٤، فجاء باللام إضافة إلى ﴿قَدْ﴾.

والله أعلم.



﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤)﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤)﴾ [الأحزاب:٢٤]ما دلالة استخدام كان بصيغة الماضي؟

الجواب :

١ـ لفظة (كان) بحد ذاتها فيها كلام عند النحاة، وفيها معانٍ وفيها بحث مخصوص. وهي فعل لكنْ له دلالاته الخاصة.

٢ـ لدينا: كان الاستمرارية بمعنى: لا يزال ولم يزل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ أي لا يزال، فهذه صفة مستمرة.

ـ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣]كان ولا يزال.

ـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧]معناه: مستمر.

ـ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]مستمر.

ـ ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١]مستمر.

٣ـ (كان) فعل ماضٍ لكن له دلالات، (ليس) فعل ماضٍ وتقبل علامات الفعل الماضي وتقبل بالتاء، والتاء من علامات الفعل الماضي، والأصل في ليس أنْ تقال للحال (لست مسافراً)، وكما في الآية: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:٨] فبعض الأفعال له خصائص معينة وله بحوث خاصة عند النحاة.

٤ـ (كان) قد تكون للحال.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل:٢٠]هذا الآن.

ـ ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس:٧٠]الآن، وهذه دلالة على الحال.

- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآن وهذه دلالة على الحال.

٥ـ (كان) قد تكون للاستقبال، نحو: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان:٧].

٦ـ (كان) فعل ماضٍ من حيث الإعراب النحوي، لكنْ من حيث الدلالة الزمن مختلف.

٧ـ عادة تكون هناك قرينة في الآية تدلنا على معنى معين.

* شواهد قرآنية :

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ هذه مطلقة؛ لأنّ صفات الله تعالى ثابتة دائماً.

- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان:٥] بمعنى صار.

- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ١٩ - ٢٠] بمعنى: صار وتحوّل.

٨ـ (كان) قد تكون فعلا ماضيا تاما بمعنى (وُجِد) مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم:٢٩]هل كان في المهد صبياً؟ هو الآن في المهد بحيث أتت به قومها تحمله، بمعنى من وُجِد في المهد صبياً. هذا فعل تام أو يدل على الحال.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]يعني إنْ وُجِد، هو مدين وليس أنه كان ذا عسرة والآن صار غنياً، أي بمعنى: وجد ذو عسرة.

٩ـ إذن الفعل (كان) متعدد الدلالة في التراكيب المستخدم فيها.

السؤال الثاني :

كيف علّق الله تعالى عذاب المنافقين بمشيئته، وعذابهم متيقن مقطوع به لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤٥] ؟

الجواب :

المعنى إنْ شاء تعذيبهم بإماتتهم على النفاق، وقيل: معناه: إنْ شاء ذلك وقد شاءه.

السؤال الثالث :

هناك عدة اختلافات بين الآيتين (٢٣ـ٢٤) و (٧٢ـ٧٣) في سورة الأحزاب، فما تلك الاختلافات في الصيغة؟

الجواب :

هناك عدة اختلافات بين الآيتين المذكورتين في سورة الأحزاب نلخصها في الجدول التالي :

الرقم	الآيات ٢٣ ـ٢٤	الآيات ٧٢ـ ٧٣
١	﴿وَيُعَذِّبَ﴾	﴿ لِّيُعَذِّبَ﴾
٢	﴿ لِّيَجْزِىَ﴾	﴿يَتُوبَ﴾
٣	قدّم جزاء المؤمنين وأخّر عذاب المنافقين	قدّم عذاب المنافقين وأخّر التوبة للمؤمنين
٤	ذكر المشيئة ﴿إِن شَآءَ﴾	لم يذكر المشيئة
٥	ذكر احتمال التوبة	لم يذكر احتمال التوبة

٦	ذكر المؤمنين والمنافقين ذكوراً	ذكر المؤمنين والمنافقين والمشركين ذكوراً وإناثاً

وأما سبب ذلك فهو السياق بشكل أساسي. ونلخص الأمور حسب التالي :

الآيات: ٢٣ ـ ٢٤ :

١ ـ السياق في المؤمنين الصادقين؛ ولذا قدّمهم وأكرمهم وأخّر المنافقين.

٢ ـ الآيات جاءت بعد وقعة الأحزاب؛ لذا فُتِحَ مجالُ التوبة والتشجيع للمنافقين للدخول في الإيمان والإسلام؛ ولذا جاءت ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾لأنهم ما زالوا في الدنيا.

٣ ـ حيث إنّ وقعة الأحزاب هي للرجال؛ لذا لم يرد ذكرٌ للنساء، فذكر ما يخص الرجال ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ ولم يقل الصادقات؛ لأنّ الموطن يقتضي ذلك.

٤ ـ أكّد المغفرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ليفتح للمنافقين باب التوبة والدخول في الإسلام؛ حتى يغفر الله للعبد كل ما تقدم. إضافة إلى أنّ توكيد المشيئة واحتمال التوبة يقتضي توكيد المغفرة.

٥ ـ حيث إنّ سياق الآيات في المؤمنين الصادقين، فقد أكّد جزاءهم باللام فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ﴾بينما لم يؤكد عذاب المنافقين، فقال: ﴿وَيُعَذِّبُ﴾بدون لام التأكيد؛ لأنه علقها على المشيئة أو التوبة، وهذا لا يناسب تأكيد العذاب.

الآيات ٧٢ ـ ٧٣ :

١ ـ السياق في هذه الآيات عن المنافقين، وليس عن المؤمنين؛ لذا قدّم عذابهم وأكّده، ولم يذكر المؤمنين.

٢ ـ الآيات هنا في الآخرة، فقد سبقها﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ فلا يوجد هنا مجال للتوبة أو المشيئة، ولم يفتح لهم باب الأمل في التوبة ولم يعلقها بالمشيئة.

٣ ـ ذكرت الآية المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات؛ لأنّ العذاب في الآخرة يطال الجميع ذكوراً وإناثاً.

٤ ـ قال في آخر الآيات: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بدون توكيد؛ لأنه لا يوجد هنا احتمال التوبة، فلم يحتج إلى توكيد المغفرة.

٥ ـ السياق في المنافقين، وهو في الآخرة، فأكّد عذاب المنافقين حيث لا يوجد هناك توبة، وترك فعل التوبة دون توكيد للمؤمنين (ويتوب)؛ لأن ذلك تابع له سبحانه.



﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم القوة على العزة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾؟

الجواب :

قدّم القوة على العزة؛ لأنه قوي فعزّ؛ أي غلب، فالقوة أولاً.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (فريقاً) في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ في سورة الأحزاب؟

الجواب:

١ـ حالة القتل التي وردت في هذه الآية هي أغرب حالات القتل وأندرها، والإنسان يدافع عادة عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن داره عن أهله، عن أرضه، فإذا اجتمعت كلها يدافع عن كل شيء. فكيف إذا جاء أحدهم وقال لك: أعطني سيفك لأقتلك وآخذ مالك وأرضك وأموالك وكل ما تملك؟ هذه تعتبر من أغرب حالات القتل وأندرها. فما بالك إذا كان هذا الشخص في حصن فقيل له: انزل حتى أقتلك؟

هذه حالة أعجب!

٢ـ والحالة في الآية المذكورة تقول: إنه أنزلهم من الحصن وألقوا أسلحتهم وأخذ أراضيهم وديارهم وأموالهم وأولادهم. فهل هناك أعجب وأغرب من هذه الحالة؟ كانوا ٦٠٠ رجل في الحصن فألقوا أسلحتهم من غير قتال، وكانوا في حالة رعب عجيبة، فسلّموا كل ما عندهم ونزلوا من حصونهم، وأُخذ أرضهم وديارهم وأموالهم، وأُسرت نساؤهم وذريتهم فقدّم (فريقاً) في حالة القتل؛ لأنها حالة عجيبة من الرعب

والذعر ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وصياصيهم بمعنى حصونهم.

٣ـ أمّا مع الأسر فلا داعي هنا لتقديم (فريقاً) على تأسرون؛ لأنه ليس هناك مقاتلة وإنما أسروا النساء والأطفال، فهذا الفريق الثاني ليس بينهم مقاتل أصلاً وهذه الحالة لا تستدعي التقديم. أمّا الأولى فهي أعجب وأندر وأغرب حالات القتل.

السؤال الثاني :

ما دلالة استخدام صيغة المضارع في الفعلين (تقتلون وتأسرون) بينما استخدمت باقي الأفعال في الآية بصيغة الماضي (أنزل، قذف)؟

الجواب :

١ـ هذا يُسمّى حكاية الحال. بمعنى إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإنّ العرب تأتي بصيغة المضارع حتى تجعل الحدث وكأنه شاخص ومُشاهد أمامك.

والمضارع يدل على الحال والاستقبال، والإنسان يتفاعل عادة مع الحدث الذي يشاهده أكثر من الحدث الذي لم يره أو الذي وقع منذ زمن بعيد، فالعرب تحول صيغة الأحداث إلى صيغة مضارع وإنْ كانت ماضية.

٢ـ وهذا الأمر ورد في القرآن كثيراً، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩١] وقتل الأنبياء حالة مستغربة .

٣ـ وفي القرآن يأتي بصيغة المضارع مع الأشياء التي تدل على الحركة والحيوية والمهمة. وقد جاء في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر:٩].

فقد جاء الفعل ﴿أَرْسَلَ﴾، بصيغة الماضي ثم جاء الفعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع، ثم جاء الفعل ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ بصيغة الماضي، مع أن السّوق يأتي بعد الإثارة، والأحداث كلها ماضية، لكنّ الإثارة هي في مشهد الحركة فجعلها بصيغة المضارع ليدل على الحضور.

وهذا الأمر نجده أيضاً في السيرة، ففيما روي عن الصحابي الذي قتل أبا رافع اليهودي الذي آذى الرسول عليه السلام قال يصف ما حصل شعراً:

فناديت أبا رافع فقال نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهش

فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب، فكأن السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الحصن والصياصي؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٧٨.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب كلمة (أرضهم وديارهم) في الآية ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧]؟

الجواب :

الفعل (أورث) ينصب مفعولين، وعليه ضمير الكاف في (أورثكم) في محل نصب مفعول به أول، و(أرضهم) مفعول به ثان، و(ديارهم) معطوف منصوب.



﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (يا أيها النبي) و(يا أيها الرسول)؟

الجواب :

١ـ الرسول من الرسالة والتبليغ حتى لو لم يكن نبياً: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم:١٩]الرسول معه رسالة تبيلغ، والنبي أعم فقد يكون رسولاً وقد يكون لنفسه، لكن ليس مكلفاً بتبليغ دعوة إلى الآخرين.

٢ـ كلمة النبي أعم، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. وقد لا يكون مكلفاً بالتبليغ مثل يعقوب عليه السلام، وهو نبي، وإسحق نبي، والمكلف بالرسالة والتبليغ هو رسول، وغير المكلف هو نبي. والنبي قد يكون رسولاً وقد يكون غير رسول.

النبي أعم، وقد يكون رسولاً، وقد يستعمل في جانب الرسالة والدعوة والتبليغ، وقد يستعمل في جانب آخر في الجانب الشخصي في غير التبليغ.

٣ـ في القرآن: عندما يقول: (يا أيها الرسول) ينظر فيها إلى جانب التبليغ، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة:٤١].

٤ـ النبي عامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال:٦٥]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال:٧٠]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[التوبة:٧٣]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١]هذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه.

إذن النبي أعم. والقرآن يستخدم (يا أيها الرسول) إذا كان يتكلم في أمر الرسالة والتبليغ، ويستخدم لفظة النبي بشكل عام.

السؤال الثاني:

لسائل أنْ يسأل: ما سر هذه النقلة الكبيرة من الكلام من حرب الأحزاب وحرب بني قريظة إلى هذا التوجيه لزوجاته ﷺ؟

الجواب :

لأنّ مسألة الأحزاب انتهت بقوله تعالى﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾فربما طلبت زوجات الرسول ﷺ أن يُمتعهن وينفق عليهن مما فتح الله عليه من خيرات، فجاءت هذه الآية. والله أعلم.



﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام المذكر أولاً ثم المؤنث في قوله تعالى: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب:٣٠-٣١] ثم لماذا الخطاب مرة لجماعة الإناث ثم جماعة الذكور؟

الجواب :

١ـ من المعلوم أنّ (ما) و (مَن) لفظهما مذكر ومعناهما يختلف، وقد يدل على واحد أو أكثر، مذكراً أو مؤنثاً. (مَن) و(ما) تسمى من الأسماء المشتركة، وتشترك في العدد والجنس سواء كانتا اسم استفهام أو اسم موصول، إذاً من حيث اللغة يجوز.

والعرب في الغالب عندما تأتي (مَن) يبدؤون بذكر ما يدل على لفظها ثم يبينون المعنى، ولفظها مفرد مذكر فيأتي أول مرة بالمفرد المذكر ثم يوضح المعنى.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨].

(من يقول) جاءت للمفرد المذكر و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هم) جمع ليبين المعنى، بدأ بالمفرد المذكر على اللفظ، ثم بيّن معناه.

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩].

- ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة:٩٩]

- ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة:٧٥].

وهذا أمر جارٍ وهو الأفصح في اللغة، والأكثر والأشيع أنْ تبدأ بالمفرد المذكر، ثم تبين المعنى.

٢ـ إذا طبقنا هذا على آية سورة الأحزاب: ﴿مَن يَأْتِ﴾ و﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ مفرد مذكر، ثم بين المعنى بـ﴿وَتَعْمَلْ﴾.

والقاعدة النحوية هو أنّ الفعل يؤنّث ويذّكر، و الخطاب الموجه لنساء النبي عليه السلام في قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذا خطاب خاص بهن، فجاء بصيغة خطاب الإناث.

أمّا في الآية ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ هذا الخطاب يشمل كل أهل بيت النبوة وفيهم الإناث والذكور؛ لذا اقتضى أن يكون الخطاب بصيغة المذكر.

السؤال الثاني :

في الآية ٣٠: حين ذكر الفاحشة ومضاعفة العذاب جاء الفعل ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ مبنياً للمجهول.

أمّا في الآية ٣١: عند الكلام عن القنوت لله قال: ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا﴾ فجاء الفعل مسنداً إلى الحق سبحانه، فلماذا؟

الجواب :

الحق سبحانه في القرآن الكريم يسند فعل الخير إليه، أمّا في مقام فعل العذاب أو الشر فلا يسنده إلى نفسه. وهو خط واضح في جميع القرآن الكريم.

السؤال الثالث :

ما دلالة تأنيث الفعل في قوله تعالى: ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ راعى المعنى، مع أنه لغة يجوز أنْ يقول: (ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً نؤتها أجرها) هنا يكون قد راعى اللفظ فقط.

لغة العرب تراعي لفظ (من) أولاً ثم تعكف عليه بمراعاة المعنى؛ لأنّ اللفظ هو الظاهر، والمعنى يأتي بعد ذلك، فهي أولاً تراعي اللفظ ثم تعلّق عليه بمراعاة المعنى. ولو عكس لاعترضت العرب وقالوا: هذا ليس من كلامنا.

٢ـ و خمسة من القرّاء السبعة أي أكثر القبائل العربية وحتى لغة قريش قرؤا (من يقنت - وتعمل).

٣ـ عندما ننظر ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ هذا التأنيث إذا تم تذكيره قد يُلبس؛ لأن قبله ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ في الآية ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ وكأن العمل يعود على الرسول ﷺ، فتفادياً لمثل هذا اللبس الذي قد يحدث قرأ الجمهور ﴿وَتَعْمَلْ﴾ وليس هذا هو السبب لكنْ أيضاً روعي اللفظ ثم المعنى، ولكنْ لمّا روعي ابتعد هذا اللبس.

٤ـ الواو في ﴿وَتَعْمَلْ﴾ عاطفة على ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ ولذلك جزم.



﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بكلمة (أهل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم كلمة (أهل) للأزواج، وهذه الآية ليست الوحيدة في القرآن التي وردت فيها كلمة أهل. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ في قصة إبراهيم عليه السلام، وفي قصة امرأة العزيز ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾وفي قصة موسى عليه السلام ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾. إذن (أهل) هي الأزواج، كما وصفها القرآن وفي اللغة أيضاً.

السؤال الثاني :

المطلوب تسليط الضوء على لفظ (الجاهلية الأولى) في الآية: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]وهل هناك ما يسمى بجاهلية أخرى غير هذه الأولى؟ وكيف كانت تتبرج النساء في الجاهلية الأولى؟

الجواب :

المفسرون ذكروا أيضاً عدة جاهليات، وهي ليست واحدة. وأمّا المقصود بالجاهلية الأولى فهناك أكثر من رأي. قسم قالوا: في زمن ما بين نوح وإدريس، وقالوا: كان لهم عيد وكان الرجال يتبرجون للنساء والنساء تتبرج للرجال، وكان هذا في يوم العيد، فظهرت فيهم الفاحشة.

وقسم قالوا: في زمن سليمان وداود حيث كانت النساء تلبس قميصاً لا جوانب فيه وغير مخيط الجانبين فيظهر ما يظهر وهذه قديمة من زمن داوود وسليمان. وقسم قال:

الجاهلية الأولى هي جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى هي جاهلية الفسوق.

و ما يحدث الآن هو جاهلية جديدة مستحدثة، وما نشاهده الآن ليس إسلاماً، لكن هذه جاهلية مستحدثة حصلت في العصر الحديث، و حصل مثلها في عصر الإسلام، وفي مختلف العصور لو حصلت فهي جاهلية.

الخطاب في الآية لنساء النبي، والتبرج للنساء. إذن الجاهلية الأولى قبل الإسلام، وكل ما يحدث في الإسلام من أمور مخالفة هي جاهلية جديدة.



﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الحكمة من ذكر المسلمات والمؤمنات في الآية رغم أنّ ذكر المسلمين والمؤمنين يشمل الجميع؟

الجواب :

١ـ في سبب النزول: أنّ أم سلمة رضي الله عنها قالت للرسول ﷺ: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ فنزلت الآية، فهي إجابة من الله تعالى لها.

٢ـ السياق في الآيات [٢٨ـ ٣٤] من سورة الأحزاب هو في ذكر الإناث ونساء النبي عليه السلام ونساء المؤمنين، فناسب ذلك.

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الأحزاب: ٢٨ - ٣٤].

فالسياق في ذكر الإناث والنساء، وهن نساء النبي ونساء المؤمنين.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ و ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ في آيات الحديد ١٨ والأحزاب ٣٥ ويوسف ٨٨؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٨٨.



﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

يذكر عقد الزواج بالنكاح في القرآن، فما الفرق بين النكاح والزواج؟

الجواب :

١ـ ورد في القرآن في هذه الآية لفظة :﴿زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ .

الزواج لغة: هو زوّجه؛ أي قرنه به، وزوج الرجل هو قرينه، وأمّا النكاح فأصله العقد، أي عقد الزواج ثم استعير للجماع بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩] فالنكاح هو العقد قبل الدخول وهذا هو الأصل، لكنه استعير للدخول أي لعملية الجماع نفسها.

٢ـ العقد في الزواج هو النكاح. نقول: عقد النكاح، ومن حيث اللغة جائز أنْ يقال: تزوجت ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[الأحزاب:٣٧] يعني أصبحت زوجة له.

٣ـ كلمة (الزواج) تدل على الاقتران وكلمة (النكاح) تدل على العقد ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص:٥٨] ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢] وكلمة الزواج تدل على الاقتران لكنْ فيها عموم وشمول، وأمّا كلمة النكاح ففيها خصوصية العلاقة بين الرجل والمرأة، والزواج أعم.

٤ـ والملاحظ أيضاً في استعمال القرآن أنه لا يستعمل في الزواج مع الحور العين الفعل (زوّج) متعدياً إلى مفعولين، وإنما يقول: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ وإنما في زواج الدنيا نقول: زوّجته فلانة، كما في قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ متعدٍ إلى مفعولين (الكاف والهاء)، أمّا في الحور العين فما قال: نزوجهم حوراً عيناً، وإنما قال: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

الاستعمال القرآني في الحياة الدنيا يستعمل الفعل (زوّج) متعدياً إلى مفعولين، وفي الآخرة يستعمله متعدياً لمفعول به واحد ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ يعني قرنّاهم بحور عين.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في هذه الآية، مع أنّ الرسول عليه السلام من ضمن من قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]؟ وما المقصود بالخشية؟

الجواب :

١ـ جملة (تخشى الناس) أي تستحي من اعتراضهم وليس الخوف، فقد كان في المجتمع الجاهلي أمراً كبير أنْ يتزوج الرجل ممن كانت زوجة ابنه بالتبني. وزيد كان ابن

الرسول بالتبني، ثم أنزل تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٥]، فكيف يتزوج المرء زوجة ابنه؟! هذا الأمر يعتبرونه عندهم في المجتمع الجاهلي كبيرة وعندهم أنّ امرأة المتبنى لا يمكن أنْ تتزوجها. وإلغاء التبني وإلغاء ما يتبعه يجب أنْ يصير حكماً شرعياً.

٢ـ الأمر من زواج النبي ﷺ بزينب بعدما يطلقها زيد دلالة على القضاء التام على التبني وعلى ما يتبعه من أمور، وهذا أمر الرسول سيقوم به. فلذلك قال: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: يستحي؛ لأنه كيف يفعل هذا الفعل والناس أطبقوا على أنّ هذا أمر مستنكر في عقولهم، لكنْ: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ هذا أمر وحكم شرعي ينبغي أنْ يقوم به هو.

٣ـ ربما يفهم أحدهم الآية ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أنّ الرسول ﷺ كان يحب زينب في قرارة نفسه ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ؟

والرسول ﷺ يقول لزيد: لا تطلقها ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ وقال: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ربنا سبحانه وتعالى أوحى إلى الرسول أنّ زيداً سيطلق زوجته زينب بنت جحش فكيف يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إذا كان يريدها؟ كان يمكن أنْ يقول له طلقها! إنما هذا تشريع.

٤ـ هذه الآية خاصة بإلغاء التبني، والدلالة على ذلك أنّ الرسول ﷺ يتزوج زوجة ابنه بالتبني ، وهذا الأمر كان كبيراً عند العرب في الجاهلية.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ يعني أنّ الحكم هو إلغاء التبني وما يتبعه من أمور.وهو أمر وحكم من الله، والرسول مأمور بتنفيذه، لذلك أمره الله عزوجل أنْ يجعل الخشية لله وحده ويطبق الأمر الإلهي.

٦ـ في قوله تعالى: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ فيه رد كامل على ما قيل في حق الرسول ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ فقد أبدى الله ذلك وهو الحكم بإلغاء التبني وما يتبعه من أمور.

وكأنّ الله عز وجل يبيّن فيها زيادة تبرئة للنبي ﷺ من الشبهات أنّ الله يريد إنهاء التبني، وأنّ هذا الأمر شاق جداً حتى عليك أنت يا رسول الله فإذا أنت تخشى الناس أنْ تواجه بهذا الأمر فكيف بالآخرين؟!.

الله تعالى يبين للناس جميعاً أنّ هذا الأمر ثقيل حتى على رسول الله فلو لم يفعله ما كان لأحد أنْ يفعله، وهذا فيه زيادة تبرئة وزيادة تأكيد على أنّ الرسول عليه السلام إنما فعله لأنه ملزم أن يفعله.

السؤال الثالث :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَيۡ لَا﴾ منفصلة مرة و ﴿لِكَيۡلَا﴾ موصولة مرة أخرى؟

الجواب :

كتبت (لكي لا) منفصلة؛ لأنه لا يحلّ الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدّة، فلا يصح إذن الزواج بها إلا بعد الانفصال، فجاء رسم (لكي لا) منفصلاً.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٣.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الذكر والتسبيح؟

الجواب :

التسبيح هو تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به ويحتمل أنْ يكون باللسان وأنْ يكون بالاعتقاد.

وأمّا الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء ولا شك أنّ النفي مقدم على الإثبات.

السؤال الثاني :

لماذا قدّم الذكر على التسبيح؟

الجواب :

قدّم الذكر على التسبيح للأمور التالية :

١ـ الذكر أعم من التسبيح، والتسبيح أخص.

لذلك لم يحدد وقتاً للذكر في آيتي [الأحزاب٤١ وآل عمران ٤١]، بينما خصّص مع التسبيح في العشي والإبكار؛ لأنّ التسبيح أخص.

٢ـ التسبيح ينجي من الكرب والهم والغم كما ورد في آية الصافات ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال في آية الحجر: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحِجر:٩٧-٩٨].

وحالة موسى وهارون على رسولنا وعليهما أفضل الصلاة السلام في خوف من فرعون، والتسبيح ينجي من الكرب والهم والغم والخوف ولذلك تم تقديم الذكر على التسبيح.

السؤال الثالث :

ما دلالة الأفعال: سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون، وكذلك ما معنى (سبحان)؟

الجواب :

١ـ سبحان: هو اسم مصدر، واسم المصدر يكون خالياً من بعض حروف الفعل الأصلي دون تعويض.

* أمثلة :

سبح تسبيحاً، ومنه (سبحان) فقد نقصت باء عن الباء المشددة في الفعل (سبّح).

أعطى إعطاء، ومنه(عطاء)، فقد نقصت الهمزة من الفعل: أعطى.

سلّم تسليماً، ومنه (سلام) فقد نقصت لام من اللام المشددة في الفعل (سلّم).

٢ـ الأفعال: سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون، تدل كلها على الزمن وعلى الفاعل.

أمّا (سبحان) فليست مرتبطة بفعل أو زمن، فقد كان التسبيح قبل الخلق وكان بعده، وقبل من يسبح وبعد من يسبح.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة كثيراً في قوله تعالى في الآية ﴿ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ؟

الجواب :

كلمة ﴿كَثِيرٗا﴾ مصدر، أي ذكراً كثيراً، وتحتمل أنْ يراد بها الزمن الكثير. فالتعبير جمع المعنيين في آن واحد: المقدار والزمن.

السؤال الخامس :

ما دلالة هذه الآية؟ وما الرقائق الواردة في الذكر؟

الجواب :

قد ينسى المؤمن ذكر الله تعالى، فأمر بدوام الذكر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أمّا النبي فلا ينسى، ولكنْ قد يغتر المقرب من المَلِكِ بقربه منه فيقل خوفه فقال: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فإنّ المخلص على خطر عظيم، وحسنة الأولياء سيئة الأنبياء.

من الرقائق في هذا المجال :

١ـ أول منازل القوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ وأوسطها ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وآخرها: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ .

٢ـ ليس العَجبُ من مملوك يتذلل لله ويتعبد له ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه، إنما العجبُ من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه، كفى بك عزاً أنك له عبد وكفى بك فخراً أنه لك رب.

٣ـ إذا علقت شروش المعرفة في أرض القلب نبتت فيه شجرة المحبة فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

٤ـ ليس العجب من قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وإنما العجب من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾.

٥ـ ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد.

السؤال السادس :

قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الروم:١٧]ما دلالة تقديم الإمساء على الإصباح، مع أنَّ الإصباح أسبق، وكذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٢]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ١٧.



﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة﴿سَلَٰمٌ﴾ و﴿ وَٱلسَّلَٰمُ﴾ في سورة مريم في قصتي يحيى وعيسى عليهما السلام؟ وفي آية الأحزاب ٤٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ١٥ .



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في الآية ترتيب حسن ﴿شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ فالنبي أُرسل شاهداً بقول (لا إله إلا الله)، ويُرغّب في ذلك بالبشارة بالجنة، فإنْ لم يكف ذلك يرّهب بالإنذارمن النار.

٢ـ لم يقل (وشاهداً بإذنه)، بل قال: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ وذلك لأنّ من يقول: عن مَلِكٍ أنه ملك الدنيا لا غيره لا يحتاج فيه إلى إذن منه، فإنه وصفه بما فيه ، وكذلك إذا قال: من يطعه يسعد ومن يعصه يشقى، لا يحتاج إلى إذن الملك.

أمّا إذا قال: تعالوا إلى سماطه واحضروا على خوانه يحتاج فيه إلى إذن.

٣ـ قال تعالى في حق النبي ﷺ ﴿وَسِرَاجًا﴾، ولم يقل إنه شمس، مع أنّ الشمس أشد إضاءة من السراج؛ لفوائد منها :

أ ـ أنّ الشمس نورها لا يؤخذ منه شيء، والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة فإذا انطفأ الأول يبقى الذي أخذ منه، وكذلك الرسول ﷺ إنْ غاب كان كل صحابي أخذ منه نور الهداية، كما قال عليه ﷺ: « **أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**».

ب ـ وفي الحديث السابق جعل النبي ﷺ أصحابه كالنجوم لا كالسرج، لأنّ النجم لا يؤخذ منه نور، بل له في نفسه نور إذا غرب هو لا يبقى له نور مستفاد منه.

والصحابي كذلك إذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي ﷺ ولا يأخذ القول والفعل إلا من النبي، وكذلك المجتهدون.

ولو جعلهم الرسول كالسرج والنبي ﷺ سراج كان للمجتهد أنْ يستنير بمن أراد منهم ويأخذ النور ممن اختار. وليس الأمر كذلك، فإنه مع نص النبي ﷺ لا يُعمل بقول الصحابي، لذلك يؤخذ النور فقط من النبي ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجاً.

٤ـ السراج هو القرآن؛ لأنه يهتدى به.

السؤال الثاني :

قدم النذارة في هود٢، بخلاف آيات البقرة ٢١٣، الأحزاب ٤٥، فصلت٤، حيث قُدمت البشارة، فلماذا؟

الجواب :

١ـ في هود بدأ الآية بقوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فناسب تقديم النذارة على عبادة غير الله تعالى.

٢ـ أمّا في البقرة والأحزاب فناسب كرامته تعالى تقديم البشارة.

٣ـ وكذلك في فصلت تقدّمها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فناسب تقديم البشارة.

السؤال الثالث:

كيف حصر رسالة النبي ﷺ في آية ص ٦٥: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ بأنه منذر مع أنه في آية الأحزاب والفتح (شاهد ومبشر ومنذر)؟

الجواب:

١ـ أنّ ما يتقدمه التخويف يناسب أنْ يليه إنذار. وهو ذلك في ص كذلك لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجتهم فيها: انظر الآيات [٥٥ـ٦٥].

٢ـ وأمّا ما يتقدمه الرجاء فقط أو التخويف مع الرجاء فيَليه الوصفان: التبشير والإنذار، كما في آيات الأحزاب والفتح وفاطر. قال تعالى:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب:٤٥].

ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح:٨].

ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر:٢٤].

والله أعلم.



﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء:١٣٨]

وفي سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥]

وفي سورة الأحزاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب:٤٧]

ذكر (الباء) في آية النساء والأحزاب ﴿بِأَنَّ﴾ وحذفها في البقرة ﴿أَنَّ﴾ مع أنّ التقدير هو (بأن)، فلماذا؟

الجواب :

لأنّ تبشير المنافقين آكد من تبشير المؤمنين. ففي سورة النساء أكّد وفصّل في عذاب المنافقين في عشر آيات ابتداء من قوله:﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾.

أمّا في آية البقرة فهي الآية الوحيدة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين في كل سورة البقرة.

وفي سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم.

إذن ﴿بِأَنَّ﴾ أكثر من﴿أَنَّ﴾ فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزائهم.

السؤال الثاني :

في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ وفي إعراب(أشهد أن لا إله إلا الله)، تقدر الباء بعد أشهد، مع أنّ حرف الباء لا يدخل إلا على الاسم، فكيف ذلك؟

الجواب :

في إعراب(أشهد أنْ لا إله إلا الله) الباء داخلة على اسم؛ لأنها داخلة على أنْ المصدرية، والمصدر المؤول هو الذي يدخل عليه حرف الجر مثل﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء:١٣٨] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٧] الباء داخلة على المصدر، والمصدر اسم فصار مصدراً مؤولاً (أن وما بعدها مصدر).

الحروف المصدرية (أنّ) حرف مصدري واسمها وخبرها، نحو: علمت أنك مسافر، أي علمت سفرك. الحروف المصدرية:[أنْ وأنّ ولو وما وكي] فإذن هي لم تدخل على الفعل، كما في السؤال، بل دخلت على المصدر المؤول وهذا جائز، وعلى نزع الخافض في الأصل مثل ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ نُزِع الخافض.

إذن في (أشهد بأن لا إله إلا الله)، نُزِع الخافض فصارت أشهد أن لا إله إلا الله. والخافض هو حرف الجر على مصطلح الكوفيين، والخفض هو الجرّ.



﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الترك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾؟

الجواب :

١ـ أسند العدة للرجال في قوله﴿لَكُمۡ﴾ إشارة إلى أنها حق للمطلِّق فوجوب العدة على المرأة من أجل الحفاظ على نسب الإنسان، فإنّ الرجل يغار على ولده ويهمه ألا يسقى زرعُه بماء غيره.

ولكنها على المشهور ليست حقاً خالصاً للعبد بل تعلّق بها حقُ الشارع أيضاً، فإنّ منع الفساد باختلاط الأنساب من حق الشارع.

٢ـ قوله تعالى:﴿نَكَحۡتُمُ﴾ أي حدث عقد النكاح، ولم يحدث الجماع بعد لقوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام المفرد ثم الجمع في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]

الجواب :

١ـ الرسول ﷺ له خالات، وله خال واحد هو عبد يغوث. ويذكرون من خالاته: فريعة بنت وهب، وذكروا :هالة بنت وهب، و خالة اسمها: فاختة.

٢ـ وهناك سؤال آخر عن العم والعمات في قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ الرسول ﷺ له عمّات وبناتهن متزوجات، وله أعمام كثيرون بناتهم متزوجات، لكنه قال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ وذكروا من أعمام الرسول عليه السلام العباس وحمزة، وعندهم بنات غير متزوجات، لكنّ هؤلاء (العباس وحمزة) إخوان الرسول عليه السلام من

الرضاعة، فإذن لا تحلّ للرسول عليه السلام بناتهم، وذكروا أبا طالب وعنده أم هانئ ولم تكن مهاجرة وفي الآية قال: ﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فيكون له عمّ واحد فقط له ابنة، والباقيات متزوجات، فقال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾. هذا هو الواقع، وهذا أمر تاريخي.

السؤال الثاني :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَيْ لَا﴾ منفصلة مرة في سورة النحل ومتصلة في سورة الحج وسورة الأحزاب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٣.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾؟

الجواب :

يذكر النحاة أنّ الواو في (سرت ومحمداً) بمعنى (مع) فَهَل من فرقٍ بين قولنا: سرت ومحمداً، و: سرت مع محمدٍ؟

١ـ (مع): هي للمكان، نحو: جئت مع سعيد، أو للزمان نحو: جئت مع الغروب،والأكثر أنْ تكون للمكان. وقد وردت في القرآن الكريم في ١٦٠ موطناً كلها للمكان.

أمّا الواو فهي حرف يفيد المصاحبة والاقتران، وليس مكاناً أو زماناً ولذا قد يختلفان في المعنى.

٢ـ لكون (مع) مكاناً أو زماناً صح الإخبار بها ولا يخبر بالواو. تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ولا تقول: إن الله والصابرين.

٣ـ قد تكون (مع) للمساعدة والإعانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ولا تكون الواو لهذا المعنى.

٤ـ آية الأحزاب ٥٠ ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ المعنى هاجرن صائرات معك ولو قال: هاجرن وإياك، لاختلف المعنى ولا يصح ذلك؛ لأنهن لم يصحبنه في الهجرة، وإنما صحبه أبو بكر رضي الله عنه.



﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين تبدّل وتتبدل؟

الجواب :

في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب:٥٢].

وقوله تعالى ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾ [النساء:٢].

آية سورة الأحزاب مقصورة على الرسول ﷺ، والحكم مقصور عليه ﷺ. أمّا آية سورة النساء فهي آية عامة لكل المسلمين، وهذا التبدّل هو لعموم المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين، وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة. لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة ﴿تَبَدَّلَ﴾ وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة ﴿تَتَبَدَّلُوا﴾.

السؤال الثاني :

يقول المستشرقون: إذا كان الرسول قد شرّع للناس، فلمَ لمْ يطبق هذا الأمر على نفسه في عدد الزوجات؟ ولماذا اتخذ تسع زوجات؟

الجواب:

إذا قمنا بعملية حسابية منصفة لوجدنا أنها ليست توسعة لرسول الله ﷺ وإنما هي تضييق عليه.

فأنت حين تأخذها من ناحية العدد فقط تقول إنّ رسول الله أخذ تسع زوجات، وأمته أخذت أربعاً، ولكنك لم تلاحظ مع العدد المعدود. أي أنه إذا ماتت زوجاتك الأربع أُحلت لك أربع أخريات، وإنْ ماتت واحدة أحلت لك أخرى. فأنت كمسلم عندك عدد لا معدود بحيث إذا طلقت واحدة أو أكثر حلت لك زوجة أخرى أو أكثر،فأنت مقيد بالعدد، ولكنّ المعدود أنت حر فيه.

أمّا رسول الله ﷺ فلا يحل له التبدل مطلقاً ولو ماتت كل زوجاته أو طلقهن لما حلّ له أنْ يتزوج بغيرهن.

وهكذا نجد التشريع ضيّق على رسول الله ﷺ في المعدود، وكان استثناؤه عليه السلام في العدد للتشريع، فقد كان ﷺ يتزوج بإرادة التشريع التي يشاؤها الله تعالى.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾ ما كلمات منظومة الحواجز؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.



﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء:١٤٩] وقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤﴾ [الأحزاب:٥٤].

وقال في آية النساء: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ وفي آية الأحزاب : ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٤٩.



﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين بني وأبناء في الآيات﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] و ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب:٥٥]

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٣١.

السؤال الثاني:

كيف ذكر الأقارب في آية الأحزاب ٥٥ ولم يذكر العم والخال وحكمهما حكم من ذكر في رفع الجناح في آيتي الأحزاب ٥٥ والنور ٣١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٣١.



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ جاء النبي ﷺ لأمته مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، وكان ﷺ حريصاً على هداية قومه، كما قال تعالى في سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وكان ﷺ يألم ويحزن إنْ تَفلّتَ أحدٌ من يده وخَرَجَ عن ساحة الإيمان، وكان يكلّف نفسه في أمر الدعوة فوق ما يطيق، حتى خاطبه ربه بقوله في سورة الكهف: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦].

ومعلوم أنّ سيدنا محمداً ﷺ لم يُطلب منه إلا البلاغ، أمّا الهداية فمن الله. ولشدة حرصه ﷺ على هداية قومه عاتبه ربه؛ لأنه شق على نفسه.

٢ـ وقد ظهرت قمة حرصه ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضُّحى:١-٥]

فالتقطها رسول الله من ربه وجعلها لأمته، فقال: « **إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار** ».

فإذا كان رسول الله حريصاً عليكم بهذا الشكل فهو يستحق منكم أن تصلّوا عليه؛ لأنّ كل خير يناله يعمكم ويعود إليكم؛ لذلك قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

٣ـ تلحظ في الآية أنّ الخبر﴿يُصَلُّونَ﴾ خبر عن الله والملائكة فجمع الحق سبحانه بين صلاته وصلاة ملائكته.

ومرة سمع النبي ﷺ خطيباً يخطب يقول: (من يتق الله ورسوله يُثْبه الله ومن يعصهما يعاقبه الله) فقال: الرسول ﷺ له :«**بئس خطيب القوم أنت. . قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى** » أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود.

لماذا؟ قالوا: لأنه جمع بين الله ورسوله في (ومن يعصهما) وكان عليه أنْ يقول: (ومن يعص الله ورسوله) فالله وحده هو الذي يجمع معه من يشاء قال سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

أمّا نحن فليس لنا أبداً أنْ نأتي بصيغة تشريكية بين الله تعالى وأحد من خلقه.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ هكذا قال الله وجمع معه سبحانه من يشاء من خلقه. وأنت لا يجوز لك هذا الجمع إلا اذا كنت تقرؤه على أنه قرآن، فإنْ أردت أن تنشيء كلاماً من عندك فلا بدّ أنْ تقول: الله يصلي على النبي، والملائكة يصلون على النبي.

لذلك احتاط علماء التفسير لهذه المسألة فقالوا: إنّ ﴿يُصَلُّونَ﴾ ليست خبراً للكل، إنما تقدير الخبر أنّ الله يصلي على النبي، والملائكة يصلون على النبي.

وإذا كان الله يصلي على النبي والملائكة يصلون على النبي فماذا عنكم أنتم؟ يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

٤ـ والصلاة في الأصل الدعاء، لكنْ لها معنى خاص لكلٍ بحسبه... فالصلاة من الله إنما هي رحمة شاملة وعامة ويكفي من رحمته تعالى لنبيه ﷺ أنْ جعله خاتم المرسلين وأنْ قرن اسمه باسمه ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ وأنه سيقبل شفاعته يوم القيامة، لا لأمته فحسب، وإنما للخلق جميعاً. ..وخاطب كل الرسل بأسمائهم المشخصة لهم وخاطبه بالوصف المكرم في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾.

٥ـ أمّا صلاة الملائكة فهي دعاء، واقرأ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر: ٧ ـ ٩]

فإذا كان الخلق محل صلاة الملائكة واستغفارهم ودعائهم حتى الذين أذنبوا منهم ثم تابوا، فما بالك برسول الله وهو هادي الناس جميعاً؟

٦ـ وأمّا الصلاة من المؤمنين فهي الاستغفار، واستغفارهم ليس لرسول الله وإنما لأنفسهم؛ لأنّ رسول الله جاء رحمة لهم، وكان الواجب عليهم ألا يغيب توقيره عن بالهم أبداً.

٧ـ وحين يصلي المؤمن على رسول الله، ماذا يملك من عطاء يؤديه لرسول الله؟ ماذا بأيدينا؟ لذلك تأمل لفظ صلاتك على رسول الله. .أنك لا تقول: أصلي، ولكن تقول: اللهم صل على محمد، أو صلى الله على محمد فنطلب ممن هو أعلى أن يصلي على رسول الله. . لأنه لا يوجد عطاء عندنا نؤديه لرسول الله.

إذن فالصلاة من الله الرحمة العامة المطلقة، والصلاة من الملائكة الدعاء، والصلاة من المؤمنين الاستغفار وإظهار التعظيم.

٨ـ دخل رجل على رسول الله فسأله: ما الصلاة عليك؟ قال ﷺ : «**ذلك من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني ما قلته. .إنّ الله وكل بي ملكين فإذا صلى واحد عليّ قال الملكان غفر الله لك ويقول الله: آمين، وتقول الملائكة: آمين**». . ذكره السيوطي في (الدر المنثور).

سبحان الله. . الله عز وجل بذاته يؤمّن على دعاء الملكين وجاء في الحديث « **أبْخَلُ البخلاء من ذُكرتُ عنده فلم يصل علي** ».

٩ـ وقوله تعالى بعدها: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ لك أنْ تلحظ في صدر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ ولم يقل سبحانه: ويسلمون، فلمّا أمر المؤمنين قال: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

قال العلماء؛ لأنّ الصلاة على رسول الله لا تكون إلا مع التسليم له بمعنى طاعته وأنْ تسلم زمامك له في كل صغيرة وكبيرة، وإلا كيف تصلي عليه وأنت تعصي أمره، وقد قال تعالى في سورة النساء﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

١٠ـ ومن معاني التسليم أنْ نقول: السلام عليك أيها النبي.. كما نقول في التشهد.. والسلام اسم من أسماء الله، ومعنى السلام عليك يا رسول الله أي: جعل الله لك وقاية، فلا ينالك أحد بسوء.



﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾

السؤال الأول :

ما معنى (الدنو) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب:٥٩]؟

الجواب :

نحن نتكلم في اللغة وليس في الفقه. الإدناء هو التقريب. الجلباب في اللغة هو ما يستر من الملابس سواء فوق الثوب أو الثوب نفسه. لغوياً هو الساتر من اللباس، ويسمى جلباباً.

وقوله تعالى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ أي يرخين عليهن. الإدناء هو الإرخاء والإسدال، ما ستر الجسم كله. وعند اللغويين من فوق إلى أسفل هذا في اللغة.

إذن الجلباب الذي يستر من فوق إلى أسفل، وقسم يقول: هو كل ثوب تلبسه المرأة فوق الثياب. (يدنين) أي يقرّبن عليهن، يسدلن عليهن؛ لأن الإدناء فيه الإرخاء والإسدال. فالإدناء ستر الجسد من فوق إلى أسفل.

وفي سورة النور ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور:٣١]الخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر. هذا في حدود اللغة، وليس من الناحية الفقهية.

السؤال الثاني :

ما المقصود بآيات الحجاب في القرآن ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]؟ فهل الستر أوجب أم الكشف أوجب؟

الجواب :

ليس المقصود أنْ يعرفها فلان، وهي لا يمكن أنْ تُعرَف. الآية نزلت بسبب أنه في الليل تخرج المرأة لقضاء حاجتها فلا تُعرف، فأمرها بالتستر بلبس الجلباب، فيعرفون أنها حرّة وليست أمة، فلا يتعرضون لها. وهم إذا رأوا المرأة تلبس جلباباً يعرفون أنها حرة، وأمّا النساء الباقيات فكُنّ يلبسن القميص. ونحن الآن من اللباس نعرف الشخص من أين هو؟

في المدينة جُعل الجلباب علامة لمعرفة أنّ هؤلاء من الحرائر ولسن من الإماء، فلا يُتعرض لهن. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنّ هؤلاء حرائر أي أقرب إلى المعرفة، وليس المقصود معرفة الوجه أو كشفه، فهذا لا يُعرف، وإنما الغرض تمييز النساء الحرائر بالجلباب، فلا يعتدى عليهن، وليس هو الكشف، وإنما هو إدناء الجلباب؛ حتى تُعرف أن هذه حُرّة إذا خرجت في الليل والنهار. ويكون اللباس علامة أنها حُرّة وفيها معنى الستر.

السؤال الثالث :

هل يمكن شرح آيات الحجاب، وما معنى الخمار والجلباب والجيوب؟ وكذلك في الحديث النبوي «فشققن مروطهن»؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٣١.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ هذا النداء، لِمَ لم يقل (يا أيها الرسول)؟ ثم ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِمَ لم يقل: أزواج وبنات المؤمنين؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ كل رسول هو نبي. والرسول هو الذي لديه رسالة إلى الناس ومطلوب منه أن يبلّغها، بينما النبي هو الذي كان يوحى إليه أشياء قد لا تكون مطلوبة منه أنْ يذيعها للناس، فقد تكون لأهل بيته أو قبيلته فقط. فكلمة الرسول أوسع من النبي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: إذا نظرنا في الآيات التي وردت فيها (يا أيها الرسول) والآيات التي وردت فيها (يا أيها النبي) نجد أنّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ جاءت في مكانين فقط في مخاطبة رسول الله ﷺ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

و ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

والكلام فيهما عن الرسالة والإيمان بالرسول، وفيما سوى ذلك عندما يتعلق الأمر بتنظيم شؤون الحياة وليس الموضوع الرسالة يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ وذلك في ١٣ موضعاً في القرآن كله.

فإذن هنا في الآية هي ليست في تبليغ رسالة، وإنما تنظيم شؤون الحياة لذلك من المناسب هنا أن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾ لأنّ الكلام في أمور حياتية وليس في الرسالة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ أي: لنسائك أو لنساء المؤمنين، والآية تشملهم. والله سبحانه وتعالى في هذه الآية يرفع من قدر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن جميعاً، ومات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهن جميعاً ومات وهو في حجر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ أي قرّبهن بذكرهن؛ لأنّ المطلوب حماية لهنّ، فهؤلاء رفيعات الشأن.

٣ـ ﴿وَبَنَاتِكَ﴾ رفعة لشأنهن وكل بناته ﷺ جميعاً من صُلبه ومن رحِم خديجة رضي الله عنها، لا كما يقول البعض: إنّ فاطمة فقط هي بنت محمد ﷺ والباقيات بنات خديجة من زوجها السابق، هذا كذب وافتراء على التاريخ.

﴿وَبَنَاتِكَ﴾ رُسمت بالألف في كل المصاحف؛ حتى لا يأتي ضال أو مضل فيقرأها بنتك، فزوجات عثمان رضي الله عنه هما ابنتا محمد ﷺ وخديجة ليعلم المسلمون ذلك؛ لأنّ هناك نوعاً من التشويش والتضليل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِمَ لم يقل: أزواج وبنات المؤمنين؟ اختصرها بـ ﴿وَنِسَآءِ﴾؛ لأنه اكتفى بما تقدّم؛ لأنه قال: الأزواج والبنات. والنساء تشمل الأزواج والبنات.

والملاحظ أنّ كلمة أزواج جمع زوج، وهي اللغة الفصحى. وهناك لغة ضعيفة يقولون هي (زوجته) بالتاء، كما نقول الآن، والفصيح أنْ يقال: زوج فلان وتكمّل معه النصف الثاني. ولفظة (زوجة) لم ترد في القرآن الكريم أبداً، وكلمة زوج يُقصد بها المرأة ويقصد بها الرجل.

٥ـ ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كلمة نساء تشمل الزوجات والبنات، وتُطلق على الإناث.

ذكر تعالى صنفين: ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾؛ ولأنه ذكر الصنفين جمع الاثنين مرة أخرى في كلمة ﴿نِسَآءِ﴾ حتى لا يكرر فيقول: قل لأزواجك وبناتك وأزواج المؤمنين وبنات المؤمنين.

وكلمة (نساء) تطلق - كما قلنا - على الأزواج وعلى البنات، كما في الآيات ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾. وفي تقسيم المواريث ﴿نِسَآءً﴾ تدل على بنات المتوفّى.

وقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ يعني الزوجات ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تشمل هذه وتشمل تلك.

٦ـ ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: المؤمنين ولم يقل المسلمين؛ لأنّ المؤمنين تشمل المسلمين عامة. والمؤمنون دخل ضمنهم هؤلاء المسلمون الذين التزموا بتعاليم الله سبحانه وتعالى في قلوبهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦].

فعندما يقول: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الذين استقر الإيمان في قلوبهم من المسلمين. أمّا الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم فهؤلاء ينبغي أنْ يكونوا تبعاً حتى من المنافقين ليحافظوا على أعراضهم، وهذه فرصة أنْ تميّز نساؤهم من الإماء، فالكل سيتبعون المؤمنين، فجعل المؤمنين سمة أو ميزة على الذين أسلموا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجُرات: ١٤].

فهؤلاء الذين دخل الإيمان في قلوبهم مميّزون مقدّمون. والجميع سيقلدون المؤمنين.

٧ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وذلك عمّا بدر منكم سابقاً من عدم تحجّب نسائكم بهذه الطريقة. والله سبحانه وتعالى غفور بالشيء الماضي رحيم بكم في توجيهه لكم بأنْ تعملوا هذا.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣]كلمة الساعة جاءت بالمؤنث وقريب بالمذكر، فهل يجوز ذلك من الناحية اللغوية؟

الجواب :

المعروف في اللغة أنّ كلمة (قريب) إذا كان القُرب للنَسَب تطابق، تقول: هو قريبي وهي قريبتي، هذا (قريب) في النسب تحديداً.

وإذا لم تكن للنسب فتجوز المطابقة وعدمها، قال تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣] ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى:١٧]هذه ليست للنسب. فإذن في النحو جائز.

السؤال الثاني :

في سورة الأحزاب قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣]وفي سورة الشورى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى:١٧]ما الفرق بين الآيتين؟ وما معنى ﴿لَعَلَّ﴾ في آية الشورى؟

الجواب:

١ـ آية الأحزاب تفيد أنّ الكفار لا يهمهم سواء قامت الساعة أم لم تقم لأنهم في الأصل ليسوا مؤمنين بها.

٢ـ وفي آية الشورى يقول تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ هنا الساعة معلقة بالفعل، أي الإنسان ينتظر، ففي أي وقت يمكن للساعة أنْ تأتي فيكون مستعداً لها. والله أعلم.

السؤال الثالث :

مالفرق بين ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ بصيغة المضارع، و﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ بصيغة الماضي؟

الجواب :

١ـ جاءت الصيغة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ في آيات عديدة، منها :

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدّثر:٢٧].

ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ [المرسلات:١٤].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة:٣].

ـ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة:٣].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [البلد:١٢].

ـ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ [القارعة:١٠].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ [الانفطار:١٧].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ [القدْر:٢].

وهكذا في كل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ تعني أنك لم تكن تعرفه من قبل، لكنّ الله سيخبرك به.

٢ـ وأما صيغة ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فتعني أنّ هذا الشيء المبهم سيظل مبهماً لا يطلعك الله عليه لا لك ولا لغيرك ولو كان الله مُطْلعاً أحداً لأطلع نبيه، لكن أبداً لا هذه ولا هذه.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى:١٧].

﴿يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

ولذلك كان النبي ﷺ إذا سئل عن الساعة قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

والله أعلم.



﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا اقترن لفظ ﴿أَبَدٗا﴾ في خلود الكافرين في النار، وأحياناً لا ترد؟

الجواب :

١ـ ﴿أَبَدٗا﴾ ترد أحياناً مع أهل النار، وأحياناً مع أهل الجنة، وأحياناً يذكر الخلود من دون (أبداً).

٢ـ والقاعدة هو أنه إذا كان المقام مقام تفصيل وبسط للموضوع يذكر (أبداً)، أو إذا كان المقام مقام تهديد كثير أو وعيد كثير أو وعد كثير، كما جاء في الوعد الكثير

للمؤمنين في سورة البينة وتفصيل جزائهم﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة:٨].

وكذلك في سورة الجنّ الآيات فيها تهديد ووعيد شديد للكافرين، فجاءت (أبداً) ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣].

وكذلك في سورة الأحزاب في مقام التفصيل والتوعّد الشديد، فذكر(أبداً) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

وإذا لم يكن كذلك، أي كان مقام إيجاز لا يذكر (أبداً)، مثل قوله تعالى في سورة البيّنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيِّنة:٦].



﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول :

استعمل المد في هاتين الآيتين ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ ولم يستعمل المد في آية الأحزاب ٤، حيث قال: ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب رقم ٤.

السؤال الثاني :

مادلالة كلمة ﴿رَبَّنَآ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿رَبَّنَآ﴾ هي منادى بإسقاط حرف النداء، والنداء هو طلب الإقبال، والمنادى اسم يقع بعد أداة من أدوات النداء، وأدوات النداء تختلف باختلاف المسافة بينك وبين المنادى:

أ ـ فإذا كان المنادى بجوارك تقول: محمدُ افعل كذا، أي: بدون أداة نداء.

ب ـ فإنْ كان بعيداً تقول: أمحمد، أي باستعمال الهمزة.

ج ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: يا محمد، أي: باستعمال الياء.

د ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: أيا محمد، أي: باستعمال الهمزة والياء.

٢ـ إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم جاز حذف الياء والاستغناء عنها بالكسرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

٣ـ قد يأتي المنادى ويحذف حرف النداء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية البقرة ١٢٦.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب:٦٩] مم برّأه الله تعالى؟

الجواب :

١ـ الآيات لا تقول لنا مم برّأه ولا ما الذي قالوه، لكنها تدعو المسلمين أنْ لا يكونوا كهؤلاء الذين آذوا نبيّهم. أي يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا محمداً ﷺ بشيء، أو بأي نوع من الإيذاء، وذكّرهم أنّ موسى ﷺ آذاه قومه فبرّأه الله من هذا الأذى، فهو نهي عن إيذاء محمد ﷺ ولم يحدثنا ما هو.

٢ـ عندنا روايات في الكتب: يمكن أنهم قالوا له ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ عندما عبروا وقالوا ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾: وهذا أشد إيذاءً. وهناك روايات أخرى وهذا كلام لا ينفعنا ، لكنّ المهم أنّ المؤمنين منادون بأحب الأسماء إليهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أنْ لا يرتكبوا ما يؤذي رسول الله ﷺ فالمسلم يتفكر إلى قيام الساعة في كلامه أو فعله هل يؤذيان رسول الله ﷺ؟ لأنّ الرسول ﷺ يقول: «**إني مباهٍ بكم الأمم، مفاخرٌ بكم الأمم**». هل هذا العمل أو القول يؤدي إلى إيذائه ﷺ؟ إنْ كان يؤدي إلى ذلك يفترض أنْ لا يفعله.

السؤال الثاني :

ما معنى قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ ؟

الجواب :

١ـ موسى عليه السلام كانت له في دعوته علاقتان :

أ ـ علاقة مع بني إسرائيل ليؤمنوا فهو مرسل لهم؛ وليخلصهم من استعباد فرعون لهم.

ب ـ علاقة مع فرعون على هامش دعوته الأساسية لبني إسرائيل، ومع ذلك لم يسلم من أذاه.

٢ـ قال العلماء: إنّ بني إسرائيل آذوا موسى في المواطن التالية :

أ ـ حين آذوا من بعثه، وهو الله بقولهم ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣].

ب ـ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

ج ـ حين اعترضوا على طعام المن والسلوى ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة:٦١].

د ـ آذوا موسى في شخصه حين اتهموه بقتل أخيه هارون حين صعدا الجبل ومات هارون هناك.

هـ ـ اتهموا موسى بمرض في جسده أو بعيب في أعضائه.

و ـ حين استأجر قارون امرأة بغياً لتتهم موسى فشاء الله أنْ ينطقها وتقول: قارون فعل كذا وكذا فبرأه الله بذلك.

لذلك برأه الله من العيوب التي قالوها ثم أثبت له الوجاهة والشرف بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

السؤال الثالث :

ما القيمة التعبيرية في استعمال اسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾، ولم يقل كبني إسرائيل مثلاً؟

الجواب :

هذا فيه نوع من الإبعاد لهم، فلو ذكرهم لقرّبهم. عندما يخاطبهم أو يبكّتهم أو يدعوهم أو يذكرهم في الأحكام الشرعية يقول: يا بني إسرائيل لكنْ هنا في موطن الأذى لا يستحقون الذِّكر، فقال: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ فالإعراض عن ذكر اسمهم مقصود. وتكون أيضاً مواءمة بين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ و﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟﴾ والاستعانة باسم الموصول لأداء هذا الغرض البلاغي.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٦.



﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ و ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ؟

الجواب :

١ـ (من) تبعيضية أي بعض الذنوب، وبدون (من) معناه: يغفر لكم الذنوب جميعاً.

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته.

أمّا التعبير ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون (من) ثلاث مرات في القرآن: [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

وورد التعبير مع وجود (من) ثلاث مرات أيضاً :[إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤].

والله أعلم.



﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر الجبال مع السموات والأرض في آية الأمانة في سورة الأحزاب، مع أنّ الجبال من الأرض؟

الجواب :

قال تعالى في أواخر سورة الأحزاب ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢] من حيث الحكم

النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

فالصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات، لكن لأهميتها وعظمة شأنها ذكرت وحدها.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨]وجبريل من الملائكة، وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨].

والنخل والرمان من الفاكهة، وهي فاكهة أهل الجنة.

فمن حيث التكييف اللغوي جائز، لكنْ لماذا يؤتى بها؟

ذكر تعالى الجبال؛ لأنها أعظم مخلوقات الأرض، هذا أمر. والأمر الآخر أنّ الأمانة ثقيلة وذكر الجبال مناسب للأمانة. ثم من قال: إنّ الأرض خاصة بالجبال فقط، فكل الأجرام فيها جبال، والأمر الثالث أنّ الجبال هي رواسي الأرض ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان:١٠].

فوظيفة الجبال أنْ تثبّت الأرض كيلا تميد، وكذلك المؤمنون﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧] فالجبال تزول ولا تزول الأمانة؛ لأنها في الآخرة تثبت المؤمنين على الصراط، فهي أرسى من الجبال.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] لِمَ خصّ الإنسان تحديداً والجن أيضاً مكلَّف؟

الجواب :

هذه الآية من سورة الأحزاب، ولو نظرنا في السورة لوجدنا أنها في الإنسان من أولها لآخرها، كما في الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١].

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٧].

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب:٦٠].

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦٣]قال الناس ولم يقل الجن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأحزاب:٧٠] إلى آخرها.

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٧٣].

إذن السياق في الإنسان، وتكلم عن الإنسان، لكنْ لم يحصره فيه، مع أنّ الجن مكلّف، ولم يقل: لم يحملها إلا الإنسان.

سؤال:

مع أنّ الجن مكلّف، وهو يتحدث عن الأمانة بمعنى التكليف الشرعي والجن مكلف شرعياً؟ أليس في ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ قصر على أن الإنسان حملها وحده؟

جواب:

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ من الناحية البيانية ليس فيها قصر على الإنسان فقط، ربما الإنسان وغيره، لكن الآن ذكر الإنسان وقد يكون الجن لم يحملها، أي أبى أنْ يحملها، لكنّ السياق في الإنسان، والإنسان هو الذي حملها، والقرآن لا يخرج عن السياق.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الأرض والسماء والجبال مقهورة باختيارها؛ لأنّ الله لمّا عرض عليهن الأمانة أبين أنْ يحملنها وأشفقن منها، بينما الإنسان اغتر بعقله وذكائه فقَبِلَ الاختيار.

٢ـ الأمانة هي أمانة الاختيار والتكليف في أنْ تؤمن أو تكفر أو في أنْ تطيع أو تعصي، وفرقٌ بين وقت التحمل ووقت الأداء. فمن يلاحظ وقت التحمل فقط يُقدم عليها ويقبلها، لكن من يلاحظ مع التحمل الأداء يرفض.

٣ـ لا تدخل نفسك في فهم كيف تم العرض على السماوات والأرض والجبال وهي جمادات، والعرض كان من خالقها وربها فهو الذي يخاطبها فأرح نفسك وانسب الفعل

إلى فاعله وأنت تستريح؛ لأنّ العرض ليس منك حتى لا تفهمك الجمادات وإنما كان العرض من ربها وخالقها.

٤ـ قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي خفن وقت التحمل مخافة أنْ يأتي وقت الأداء فلا يؤدى؛ لذلك حملها الإنسان لما عنده من فكر واختيار، لكنْ قد يأتي فكره بالضرر.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ هذه صيغة فعول الدالة على المبالغة في الظلم والمبالغة في الجهل.

وقد يُعقل الظلم للغير مظنة أنّ يستفيد الظالم من ذلك، أما أنْ يظلم المرء نفسه بأنْ يمنعها خيراً أو يجلب لها ضراً، فهذا مما لا يُعقل ودليل الغباء.

وحُكمُ الله على الإنسان بأنه ظلوم؛ لأنه ظلم نفسه بتحمل الأمانه، وجهول لأنه ضمن وقت التحمل ولم يضمن وقت الأداء. والعاقل هو الذي ينظر إلى وقت أداء الأمانة لا إلى وقت تحملها.

السؤال الرابع :

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات (٣٠-٣٨) وجاء في آيتي الأعراف [١٠ - ١١] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١٠ - ١١] والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢: ﴿إِنَّا

عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ والمطلوب بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم أنْ نبين ترتيب مراحل هذه المسألة.

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١١.



﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

هناك عدة اختلافات بين الآيتين (٢٣ـ٢٤) و (٧٢ـ٧٣) في سورة الأحزاب، فما تلك الاختلافات في الصيغة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب ٢٣.

السؤال الثاني :

ختمت الآية ٧٢ بقوله تعالى ﴿ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾، وختمت الآية ٧٣ بقوله تعالى: ﴿غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾، فما دلالة هذا التقابل؟

الجواب :

١ ـ ذُيلت الآية السابقة ٧٢ بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾وذُيلت هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾فكأنّ وصف ﴿ظَلُومًا﴾ قابله ﴿غَفُورًا﴾ ولفظ ﴿جَهُولًا ﴾ قابله ﴿رَّحِيمًا ﴾.

فالحق سبحانه غفور لمن ظلم ورحيم لمن جهل، لكنْ لا ينبغي أنْ تغرك صفات الجمال في ربك فتُقدم على الذنب وتظلم اعتماداً على أنّ ربك سيغفر ويرحم.

٢ ـ الحق جعل التكليف ليتبعه الناس فلا يعذبون. واللام في قوله تعالى:

ـ﴿ لِّيُعَذِّبَ ﴾ليست للتعليل، وإنما هي لام العاقبة الدالة على النتيجة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فساعة التقطه آل فرعون التقطوه؛ ليكون قرة عين لهم لا ليكون عدواً، لكنّ الذي حدث أنه صار عدواً وحزنا، فاللام ليست للتعليل، وإنما للعاقبة والنتيجة.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ﴾وقوله: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ ﴾قد فصل الفعلين بتكرار الفاعل الصريح وهو لفظ الجلالة، وذلك لفصل هذا عن هذا، ويعزله بحكم خاص به؛ لأنّ الله تعالى له صفات جلال تختص بالكافرين والمنافقين وصفات جمال تختص بالمؤمنين، ولكلٍّ من النوعين سياقٌ خاصٌّ مستقل.

٤ـ جاءت اللام المؤكدة مع عذاب المنافقين والمشركين، ولم تأت اللام مع التوبة على المؤمنين، وذلك أنّ عذاب المنافقين والمشركين مؤكد ثابت في الآخرة بسبب كفرهم. أمّا

التوبة على المؤمنين عن ذنوبهم التي اكتسبوها في حياتهم فهي عائدة لمشيئة الله تعالى وليست بالضرورة فإنْ شاء تاب عليهم وإنْ شاء عذبهم، لكنهم لا يخلدون في النار.

٥ـ عطف الله المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى، وعند التوبة أعاد اسمه تعالى لتفضيل المؤمن على المنافق، والله سبحانه يظهر نفسه مع الخير، فذكر الفاعل.

٦ـ الله سبحانه أعلَمَ عبده بأنه (غفور رحيم) وبصّره بنفسه فرآه (ظلوماً جهولاً)، ثم عرض عليه الأمانة، فقبلها مع ظلمه وجهله لعلمه فيما يجبرها من الغفران والرحمة.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح الأحزاب مع خاتمتها

قال تعالى في أول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾ [الأحزاب:١].

وقال في أواخرها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

١ ـ فقد قال في أول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فقد أمر نبيه أولاً بالتقوى، ثم أمر المؤمنين بها بعد ذلك.

٢ ـ قال في أول السورة: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

فنهى عن إطاعة الكافرين والمنافقين في البدء.

وبيّن في الآخر عاقبة طاعة الله ورسوله من الفوز العظيم.

٣ ـ قال في خاتمة السورة: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب:٧٣].

فذكر الكافرين والمنافقين في بداية السورة.

وذكر المنافقين والمشركين في الخاتمة.

وقدّم المنافقين في الآخرة؛ لأن السياق كان فيهم، وذلك ابتداء من قوله تعالى:

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١].

ثم ذكر الكافرين بعدهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

والله أعلم.



سورة سبأ

أولاً ـ تناسب خواتيم الأحزاب مع فواتح سبأ:

١ ـ قال في أواخر الأحزاب:

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

وقال في أوائل سبأ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ:٣]. فالموضعان في الساعة.

٢ ـ ذكر عقوبة الكافرين في أواخر الأحزاب، فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].وذكر المؤمنين وخاطبهم بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]وذكرهما في أوائل سبأ فقال في الكافرين:

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [سبأ:٥].

وقال في المؤمنين:

﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سبأ:٤].

٣ ـ قال سبحانه في آخر الأحزاب:

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٣].

وذكر جزاء كل منهما في سبأ، كما ذكرنا.

وذلك قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [سبأ:٥].

وقوله: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سبأ:٤]. فالمناسبة ظاهرة كما هو بيّن.

ثانيا ـ هدف السورة: الاستسلام لله سبيل بقاء الحضارات.

هذه السورة مكيّة، وقد ضربت مثالين مهمّين لنماذج حضارات راقية: قصة سيدنا داوود وسليمان وقصة سبأ.

أما قصة سيدنا داوود وسليمان فكانت نموذجاً لحضارة قوية راقية استقرّت وانتشرت؛ لأنها كانت مستسلمة لله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ:١٠]، وفي استخدام القرآن لكلمة ﴿أَوِّبِي﴾ دلالة على منتهى الاستسلام، وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح وعين القطر والجن لمّا استسلم لله تعالى.

ويأتي النموذج العكسي لقصة سليمان وداوود في قصة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ:١٥-١٧]هذه الحضارة العريقة؛ لأنها لم تستسلم لله تعالى ولم تعبده، كان مصيرها الزوال.

وتسمية السورة بـ (سبأ) هو رمز لأي حضارة لا تستسلم لله تعالى؛ لأنّ الاستسلام لله هو سبيل بقاء الحضارات، أمّا الحضارات البعيدة عن الله فلن تستمر في الكون مهما ارتقت وعظمت تماماً مثل مملكة سبأ. ففي كل عصر يمكننا أنْ نضع اسماً مكان سبأ ينطبق عليهم قول الله تعالى، فلكل عصر سبأ خاص.

ثالثاً. من اللمسات البيانية في السورة :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ثم كرر الحمد بقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾؟

الجواب :

وردت جملة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ في القرآن الكريم ثماني وثلاثين مرة، وخُصت منها في فواتح السور خمس مرات، وهي سور (الفاتحة ـ الأنعام ـ الكهف ـ سبأ ـ فاطر).

وهذه الجملة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ قائلها الحق سبحانه لا لنفسه، وإنما ليعلمنا الصيغة التي يحبها لنقولها، ويستوي فيها الفيلسوف وراعي الغنم.

ـ والله سبحانه بدأ خلقه من عدم، فله علينا نعمة الخلق من عدم.

ـ ثم أمدّنا بمقومات الحياة المادية كالأقوات والتناسل وغيرها، وأمدّنا بالمنهج الذي يحكم حياتنا،ثم في الآخرة سوف نعيش مع المسبب سبحانه.

وعند النظر في هذه السور الخمس التي بدأت بالحمد نجدها تتناول هذه المراحل كلها:

١ـ في أول الأنعام﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١] فتكلم الحق عن بدء الخلق، أي عن الخلق الأول.

٢ـ في أول الكهف ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف:١].

فذكر الحق مسألة وضع المنهج والقيم لتتساند الحياة ولا تتعاند.

٣ـ في أول سبأ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ:١] فذكر الحق الحمد في الآخرة، وهو حمد مركب لأنك في الدنيا تحمد الله تعالى على خلق الأشياء التي تتفاعل بها لتعيش بالأسباب، لكنْ في الآخرة لا توجد

أسباب، إنما المسبب هو الله سبحانه. لذلك حمد الآخرة أكبر؛ ليناسب عيشك مع ذات ربك سبحانه.

٤ـ قال في أول فاطر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا﴾ [فاطر:١] لنحمد الله على القيم وعلى المنهج الذي وضعه الله لنا بواسطة الملائكة الذين هم رسل الله إلى الخلق.

٥ـ ثم جاءت أم الكتاب فجمعت هذا كله في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر السورة؛ ولأنها جمعت البداية والنهاية والدنيا والآخرة سُميت فاتحة الكتاب، وسميت المثاني، وسميت أم القرآن.

٦ـ كرر اسم الموصول في الآية، ولم يقل: (ما في السماوات والأرض) لأنّ هناك خلقاً خاصاً في الأرض، وخلقاً خاصاً في السماء، وخلقاً بين السماء والأرض. فإذا أراد الكل قال: (ما في السماوات والأرض)، وإنْ أراد الاختلاف كلاً في جهته قال: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٧ـ الحمد هنا إشارة إلى النعمة، فذكر سبحانه أولاً النعم المرئية، وهي ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وهي غير مرئية الآن لتقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وفناء العاجلة؛ ولهذا ختمها بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ إشارة إلى أنّ خلق هذه الأشياء بالحكمة والخبرة.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في تقديم (الرحيم) على (الغفور) في سورة سبأ، وقد وردت في باقي القرآن (الغفور الرحيم)؟

الجواب :

١ـ في آية واحدة وردت تقديم الرحيم على الغفور وفي بقية الآيات تقديم الغفور على الرحيم.

٢ـ لو لاحظنا آية سبأ التي تقدم فيها الرحيم على الغفور نجد :

أ ـ أولاً المغفرة تكون للمكلّفين، والرحمة عامة، حتى الحيوانات تشملها الرحمة، لكنّ المغفرة للمكلفين. وفي سورة سبأ لم يتقدم الآية ما يتعلق بالمكلَّفين، وإنما تقدّمها أمر عام، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: ١ - ٢] فليس فيها ذكر للمكلفين. وقد جاء ذِكر المكلفين بعدها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ:٣].

ب - إذاً تأخّر ذكر المكلفين فتأخّر ما يتعلق بهم ﴿ٱلْغَفُورُ﴾.

٣ـ قدّم الرحمة؛ لأنّ ما تقدم كان أمراً عاماً ليس خاصاً بالمكلفين، فقدّم الرحمة، ولّما ذكر المكلفين فيما بعد قدم الغفور فيما بعد.

٤ـ ولذلك في جميع المواطن في القرآن بلا استثناء إذا قال: غفور رحيم يتقدم ذكر المكلفين، كما في الآيات :

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩]. وهؤلاء مكلّفون.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة:٧٤].

﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمر:٥٣].

السؤال الثالث :

كرر اسم الموصول في الآية ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٦.

السؤال الرابع :

ما دلالة الآية بشكل عام؟ وما دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؟

الجواب :

١ـ المعنى العام: مايلج في الأرض من الحبوب والأموات. ..وما يخرج منها من النبات والأحياء. ..وما ينزل من السماء من أنواع رحمته تعالى ومنها المطر والملائكة والقرآن. .. وما يعرج فيها من الأعمال الصالحة والأرواح؛ لقوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

٢ـ قدّم ما يلج في الأرض على ما ينزل من السماء؛ لأنّ الحبة تبذر أولاً ثم تسقى ثانياً.

٣ـ قال: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، ولم يقل: (إليها)؛ لأنّ (إلى) للغاية، ولو قال (إليها) لفُهم الوقوف عند السماوات؛ لأنها الغاية؛ ولذلك قال: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ليفهم نفوذها فيها وصعودها؛ لأنّ الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول إليه، وأمّا السماء فهي دنيا وفوقها المنتهى؛ ولذلك قال في سورة فاطر: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ (رحيم) بالإنزال، حيث ينزل الرزق من السماء، و(غفور) عندما تعرج إليه الأرواح والأعمال، فرحم أولاً بالإنزال، وغفر ثانياً عند العروج.

السؤال الخامس :

ما دلالة تأخير المغفرة على الرحمة في الآية، بينما تقدمت المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة في القرآن الكريم؟

الجواب :

تقدمت المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وسبب ذلك - والله أعلم - أنّ المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

بينما في آية سبأ تأخرت المغفرة على الرحمة؛ وذلك أنّ جميع الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تعيش وتحيا، وبرحمته تتراحم، وأمّا المغفرة فتخص المكلفين فالرحمة أعم.

السؤال السادس :

قال الله في ختام آية سبأ٢ ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ .

وقال الله في ختام آية الحديد ٤﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤] .

فما الحكمة من ذلك؟

الجواب :

١ـ ذكر في آية الحديد ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وهي تفيد المراقبة، بينما لم يذكرها في آية سبأ، فأراد الله أنْ يرحم الناس بعدم ذكر المراقبة في آية سبأ فناسب في سبأ ذكر ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ بينما ذكر المراقبة في آية الحديد﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، فناسب ذكر ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

ولا شك أنّ عدم ذكر المراقبة أنسب معه ذكر الرحمة والمغفرة، وإنّ ذكره أنه بصير بعملنا أنسب مع ذكر المراقبة.

انظر الجدول التالي :

السورة	المراقبة	ختام الآية	آيات قبلها أو بعدها
الحديد	﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	﴿ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾
سبأ	-	﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾	-

٢ـ آية الحديد في بدء خلق السماوات والأرض، وبالتالي في بدء الأعمال فناسب مع بدء الأعمال الختام بـ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

بينما سورة سبأ تتحدث في بداياتها عن الآخرة، والتي هي للجزاء وليست للعمل، فقد طويت صفحة الأعمال، وبدأ وقت المحاسبة، فناسب ذلك الرحمة والغفران.

٣ـ جو سورة سبأ مليء بذكر الآخرة، فناسب ذكر الرحمة والغفران بينما جو سورة الحديد مليء بذكر العلم والمراقبة، فناسب ذكر ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

٤ـ قدّم العمل على البصر ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لأنه معهم أينما كانوا.

بشكل عام وكخط واضح في القرآن:

أـ عندما يكون السياق في العمل يقدّم العمل على البصر فيقول: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ب ـ وعندما يكون السياق في غير العمل أو في صفات الله يقدّم البصر على العمل، فيقول ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* شواهد قرآنية على ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ :

ـ ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصِّلَت:٤٠].

ـ ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ [سبأ:١١].

ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

* شواهد قرآنية على: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

ـ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [البقرة:٩٦].

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحجُرات:١٨].

ـ ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة:٧١].



﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى في آية يونس ٦١: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله في آية سبأ ٣ ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٦١.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أخبر الله بإتيان الساعة وأكّده باليمين.

٢ـ والدليل على قيام الساعة قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ لأنه تعالى إذا كان عالماً بجميع الأشياء وأجزائها ويقدر على جمعها فالساعة ممكنة القيام، وقد أخبر الله عنها فتكون واقعة.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾إشارة إلى علمه بالأرواح، وفي قوله: ﴿ذَرَّةٍ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾إشارة إلى علمه بالأجسام.

وإذا كان يعلم الأرواح والأجسام ويقدر على جمعها لا يبقى استبعاد في المعاد.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ أراد الله إثبات الأمور في الكتاب صغيرها وكبيرها، ولو اقتصر على الأصغر، لتوهم أنّ الأكبر محل النسيان، فبيّن علمه بالصغائر والكبائر، وجمع ذلك إثباتاً للجزاء.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ في آية يونس٦١ وبين ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ في آية سبأ ٣؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٦١.

السؤال الرابع :

التقديم والتأخير في السماء والأرض، حيث قدّم الأرض على السماء في آية يونس ٦١، بينما قدم السماء على الأرض في آية سبأ٣، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الكلام في سورة يونس عن أهل الأرض، فناسب أنْ يقدم الأرض على السماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ و حيث إنّ السياق في سورة يونس هو في الاستغراق جاء بأوسع حالة، وهي ﴿السَّمَاءِ﴾؛ لأنها أوسع بكثير من السموات في بعض الأحيان. فالسماء تعني السموات أو كل ما علا.

٢ـ وأمّا في سورة سبأ فالكلام عن الساعة، والساعة يأتي أمرها من السماء، وتبدأ بأهل السماء ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾.

وفي سورة سبأ استخدم ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ حسب ما يقتضيه السياق.



﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر الله في الآية أمرين: الإيمان والعمل الصالح. وذكر لهما أمرين: المغفرة والرزق الكريم. فالمغفرة جزاء الإيمان، وكل مؤمن مغفور له لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] وقوله ﷺ: « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه ذرة من إيمان** »

٢ـ اللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ للتعليل، ومعناه الآخرة للجزاء.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أ ـ أنْ يكون ذلك لهم جزاء فيوصله إليهم.

ب ـ أنْ يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشيء آخر؛لأنّ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم﴾ جملة تامة اسمية، وقوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾جملة فعلية تامة وهذا أبلغ في البشارة من القول (ليجزي الذين آمنوا رزقاً).

٤ـ ميّز الله الرزق بالوصف بقوله (كريم)، ولم يصف المغفرة؛ وذلك لأنّ الرزق أنواع منه الطيب مثل الفواكه والشراب ومنه الكريه مثل شجرة الزقوم والحميم. فميّز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها.



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ القول يحتاج إلى قائل وإلى مقول له.

فالقائل هم الذين كفروا، والمقول له: هم أتباعهم الذين يقلدونهم أو قالوا لبعضهم وهم يتسامرون.

٢ـ كلمة ﴿رَجُلٍ﴾ نكرة قصدوا منها الاستهزاء والتقليل من شأن الرسول ﷺ، وهذا يدل على غبائهم؛ لأنهم وصفوه رسول الله في قولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [المنافقون:٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ من النبأ، ولا يطلق إلا على الخبر الهام، كقوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ التمزيق إبعاد الأجزاء عن بعضها وكلمة ﴿كُلَّ﴾ غير كلمة (كُلِّي).

فالكل مكون من أشياء كثيرة مختلفة في الحقيقة في التكوين كأجزاء الكرسي (خشب ـ مسمار ـ غراء)، والكل يقتضي الإحاطة بالأبعاض.

أمّا الكلي فيُطلق على أشياء كثيرة منفصلة لكنها متفقة في الحقيقة، مثل (إنسان) يُطلق على المجموع من جسم وروح وأعضاء.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ هو استقصاء لأبعد حدود التمزق، لكنّ قدرة الله تعالى تستطيع أنْ تعيد الإنسان من جديد إلى أصل تكوينه وهو الخلق الجديد لأنّ الله يعلم عن مكان كل ذرة تبعثرت، كما هو في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق:٤] وعلم الله علم مسجل محفوظ لا يناله تغيير ولا تبديل.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

استعمل في آية الطور ٤٤ لفظة الكسف، فقال: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ الخسف في الأرض، فقال: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ في آية الطور ٤٤ استعمل في السماء لفظة الكسف، فقال: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ الخسف في الأرض، فقال: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ وهو يدل على صحة من قال: يقال في القمر خسوف وفي الشمس كسوف.

٢ـ ووجه ذلك أنّ مخرج الخاء دون مخرج الكاف، ومخرج الكاف فوقه متصل به. فاستعمل وصف الأسفل للأسفل والأعلى للأعلى، فقالوا في الشمس والسماء (الكسوف والكسف)، وفي القمر والأرض (الخسوف والخسف).

والله أعلم.

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة﴿ٱلرِّيحَ﴾في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ:١٢]؟ ولماذا جاءت على صيغة الإفراد؟

الجواب :

١ـ كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ [القمر:١٩].

وفي سورة الحجّ ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج:٣١]فَتَخْطَفُهُ

وفي سورة الإسراء ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الإسراء:٦٩].

٢ـ أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢] وسورة النمل ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النمل:٦٣].

٣ـ وأما قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ:١٢].

استعملت كلمة (ريح) مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء، فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.



﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة سبأ ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣]

لماذا ورد فعل (اعملوا)، مع أنّ الأقرب إلى العقل أن يقول: (اشكروا آل داوود شكراً) باعتبار الشكر مصدراً؟ ولماذا ورد الفعل (اعملوا) ولم يقل: افعلوا؟ وما إعراب (شكراً)؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ الشكر لله مطلوب دائماً، لكنه ليس لساناً فقط وإنما هو عمل أيضاً.

٢ـ ما معناها وما إعرابها؟

أ ـ إمّا مفعول به بتقدير: اعملوا الشكر. مثلاً: لو أعطاك الله مالاً فتشكره ليس بأنْ تقول الحمد لله فقط، وإنما أن تؤدي حقّه، فإنْ لم تؤد حقه فأنت لست بشاكر ولو بقيت تشكر ربك كلاماً طوال عمرك، فالشكر عمل مع القول، وليس قولاً فقط.

ب ـ وقسم يجعل شكراً: حالاً. أي: اعملوا كونكم شاكرين. مثل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ [الأنفال:١٥] زحفاً: حال.

ج ـ وقسم يجعلها مفعولاً لأجله بتقدير: اعملوا لأجل الشكر، أنتم أعطاكم نِعَماً فاعملوا لتشكروه واللام لام التعليل، إذن صار مفعولاً لأجله.

٣ـ الشكر هو عمل بأنْ تؤدي الحقوق التي عليك فيما آتاك الله من النعم وأنْ تقوم به عملاً. أعطاك الله جاهاً فتنفع الناس بجاهك في الخير، أعطاك الله علماً وكتمته فأنت آثم، حتى لو قلت: الحمد لله على ما أعطاني من النعمة، إذا كنت كاتماً للعلم فأنت لست بشاكر. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ و(الشكور) مبالغة، وهو الذي يشكر ربه دائماً؛ لأنّ هذا متعلق بالأعمال ومتعلق باللسان.

٤ـ إذن (اعملوا شكراً) فيها جملة معانٍ، وهي مقصودة ومرادة، ولو قال: اشكروا شكراً، لكان معنى واحداً ، بينما هنا المفعول به والمفعول لأجله والمفعول المطلق والحال. أيُّها الأشمل؟ (اعملوا) أشمل؛ لاتساع دائرة الدلالة.

٥ـ وأيضاً قال: (اعملوا) وليس (افعلوا)، لأنّ العمل بقصد، ولو قال: (افعلوا آل داوود شكراً)، فليس بالضرورة أنْ يكون بقصد. وفي الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**» فالله تعالى حكمه عام وكيف يشاء ولا أحد يحاسبه.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين رواسي وراسيات؟

الجواب :

وردت كلمة ﴿رَوَاسِيَ﴾ تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة ﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾ إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

السؤال الثالث :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الآية بشكل عام تصف سكن داود وسليمان، وهي أبنية ملكية.

فالمحاريب إشارة إلى الأبنية المرتفعة ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ والتماثيل ما فيها من نقوش.

والجفان الجواب، جمع جابية، وهي الحوض الكبير أو الخزان للماء والقدور الراسيات، أي ثابتات لا تنقل لكبرها يغرف منها الأكل ولا تحضر هناك.

٢ـ قدّم المحاريب، وهي الأبنية على التماثيل؛ لأنّ النقوش تكون في الأبنية، إشارة إلى وصف هذه الأبنية الملكية لبيان عظمتها.

٣ـ بيّن حال الجفان العظيمة، وأشار إلى القدور المناسبة للجفان، إشارة إلى الطعام وكميته.

٤ـ داود عليه السلام قتل جالوت والملوك الجبابرة، واستوى على الحكم فاشتغل في الحرب، وورث سليمانُ داودَ، وكان السِلم هو المسيطر في زمانه وإنْ حاربه أحد كان زمان الحرب يسيراً؛ لإدراكه إياه بالريح فكان في زمانه العظمة بالإطعام والإنعام.

٥ـ لمّا قال في الآية السابقة: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ وهي الدروع من الزرد قال هنا: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ وفي ذلك إشارة إلى عدم الالتفات إلى هذه الأشياء الدنيوية والاستغراق فيها، بل المطلوب الإكثار من العمل الصالح الذي يكون شكراً.

٦ـ لفظة﴿شُكۡرٗاۚ﴾ منصوبة، فقد تكون: مفعولاً به ـ مفعولاً لأجله ـ أو مفعولاً مطلق ـ أو حالاً: أي شاكرين ـ أو مصدراً: أي: اشكروا شكراً، أو اعملوا الشكر، أو لأجل الشكر؛ أي اعملوا طاعة.

والمعنى أنّ الشكر ليس باللسان فقط وإنما هو عمل، لذلك ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ بحيث تؤدي الحقوق التي عليك فيما آتاك الله من النعم، فيكون الشكر عملاً مع القول، وليس قولاً فقط.

فوسّع دائرة الدلالة، ولو قال مثلاً: اشكروا شكراً، لأفاد معنى واحداً فقط.

٧ـ قوله: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ إشارة إلى أنّ الله خفّف الأمر على عباده فكأن الله قال: إنْ كنتم لا تقدرون على الشكر التام، فليس عليكم في ذلك حرج، فإنّ عبادي قليل منهم الشكور.

٨ـ قوله: ﴿عِبَادِىَ﴾ مع الإضافة إلى نفسه هو تكريم من الله سبحانه في حق الناجين كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

لذلك الشكر التام صعب جداً، وكأنّ الله يقول: يا عبدي ما أتيت به من الشكر القليل قبلته منك وكتبت لك أنك شاكر لأنعمي. وهذا القبول نعمة عظيمة لا أكلفك شكرها.



﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (منسأته) في آية سورة سبأ؟

الجواب:

١ـ المنسأة هي العصا.

٢ـ نسأ في اللغة لها دلالتان:

أـ نسأ البعير إذا جرّه وساقه، والمنسأة هي عصا عظيمة تُزجر بها الإبل لتسوقها.

ب ـ ونسأ بمعنى: أخّر الشيء، ومنه ﴿ٱلنَّسِىٓءُ﴾.

٣ـ لماذا إذن استعمل كلمة منسأة، ولم يستعمل كلمة عصا؟

قلنا إنّ المنسأة لها معنيان، وهما سوق الإبل والتأخير. وفي قصة سليملن هذه العصا كانت تسوق الجنّ إلى العمل، مع أنّ سليمان كان ميتاً إلى أنْ سقطت العصا وسقط سليمان ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ فكما أنّ الراعي يسوق الإبل لتسير، فهذه المنسأة كانت تسوق الجنّ.

والمنسأة كأنها مدّت حكم سليمان، فهي أخّرت حكمه إلى أنْ سقط. فاستعمالها في قصة سليمان أفاد المعنيين، واستعمالها من الجهتين اللغويتين في غاية البيان من جهة السوق ومن جهة التأخير.

٤ـ أمّا في قصة موسى فاستعمل كلمة العصا ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه:١٨]ليهشّ بها على غنمه وبها رحمة بالحيوان، ولا يناسب استخدام كلمة (منسأة) فيها.

السؤال الثاني:

ما معنى القضاء؟ وما الفرق بينه وبين الحكم؟

الجواب :

١ـ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام، من قولك: قضاه إذا أتمه وقطع عمله.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي فصل الحُكم به.

ـ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي فصلنا الإعلام به.

ـ ﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي فصلنا أمر موته.

ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي فصل الأمر به.

٢ـ وقولك: قضى إليه؛ أي أعلمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي أعلمناه.

٣ـ الحُكم يقتضي المنع عن الخصومة، من قولك: أحكمته إذا منعته. ويجوز أنْ يقال: الحُكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع.

ويستعمل الحُكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء، كقولك: حُكم هذا كحُكم هذا، أي هما متشابهان في السبب أو العلة.

٤ـ وأحكام الأشياء تنقسم إلى قسمين: حُكم يُردّ إلى أصل، وحُكم لا يُردّ إلى أصل؛ لأنه أول في بابه.



﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

من سبأ؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ (سبأ) عَلَمٌ على رجل اسمه (عمرو بن عامر)، وكان له عشرة أولاد ذهب ستة منهم إلى اليمن وأربعة إلى الشام. واسم سبأ كان علماً على شخص تعدّى إلى أنْ صار اسماً لقبيلة، ثم اسماً للمكان الذي يسكنونه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ المكان الذي يعيش فيه الإنسان يسمى: (سكن أو بيت أو منزل).

أ ـ فالسكن فيه دوامٌ واستقرار، وتتوفر فيه مقومات الحياة والأمن، وفي القرآن على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾.

ب ـ المنزل هو استراحة تنزل فيه مرة أو عدة مرات ثم ترحل عنه ولا تقيم فيه إقامة دائمة. كما قال الصحابي الجليل الحباب بن المنذر قبيل معركة بدر: يا رسول الله: أهذا منزل أنزلكه الله؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

ج ـ البيت: يلاحظ فيه البيتوتة، والإنسان لا ينام نوماً مريحاً إلا في مكان يأمن فيه على نفسه وعلى ماله؛ لأنّ الخائف والجوعان لا ينامان.

٣ـ كلمة ﴿ءَايَةً﴾ معناها الشيء العجيب النادر، ولم يقل الله آيتين للجنتين لأنّ الآيتين آية واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ فلم يقل: آيتين؛ لأنّ الأمر العجيب الذي جمعهما واحد، فعيسى عليه السلام ولد من لا ذكورة، وأمه حملت وولدت كذلك من لا ذكورة.

٤ـ قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والأخرى عن شماله، وكانتا آية في ثمارها وطيب أرضها وليس فيها هوام.

٥ـ قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي من هاتين الجنتين؛ لأنّ الثمر طيب حلو لايصيبه العطب سريعاً؛ ولذلك يجب شكر الله على هذه النعمة؛ لأنها رزق الله من دون أسباب.

وقد قيل إنّ المرأة كانت تمشي فيها وعلى رأسها مكتل فيمتلىء وما مسته بيدها. لذلك طلب الله منهم أنْ لا يغتروا بالنعمة فيظنوا أنها أصبحت ملكاً أصيلاً لهم، لكنهم لم يشكروا وأعرضوا وأترفتهم النعمة، أي: غرتهم النعمة، ونسبوها إلى أنفسهم ونسوا المنعِم فأرسل الله عليهم سيل العرم فأهلكهم.

ومن العجيب أنّ الله جعل من الماء كل شيء حي، لكنّ الله إذا أراده وسيلة هلاك أهلك، وبه أهلك الله قوم نوح و وبه أهلك فرعون وجنوده وهذا من طلاقة القدرة، حيث يوجه الشيء للحياة فيُحيي وللهلاك فيُهلك.

السؤال الثاني :

وصفت البلدة في آية الفرقان٤٩ ﴿بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ بالتذكير، ووصفت في سبأ ١٥ ﴿بَلۡدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ بالتأنيث؟ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ، وتارة باعتبار المعنى، كقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾.

وأيضاً فإن ما فيه روح يقال له: ﴿مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد، و ما لا روح فيه يقال له: (ميْت) بالتسكين.



﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾؟

الجواب :

المراد هل يُجازى بسبب الظلم والمعاصي إلا الكفور؛ لأنّ المؤمن قد يعفى عنه، فلا يجازى بمعصية تفضلاً عليه ولشرف إيمانه.



﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ١٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أهل سبأ لم يعجبهم أنْ قارب الله لهم بين القرى، فطلبوا من الله أنْ يباعد بين هذه القرى، بحيث لا يستطيع السفر فيها إلا الأغنياء وأصحاب المطايا القوية فقط؛ لأنّ قرب المسافة بين القرى شجّع الفقراء على السفر لرحلة الشام.

٢ـ هذا هو بطرٌ لنعمة الله عليهم، وظلموا أنفسهم؛ لأنهم حرموا من الراحة التي حباهم الله إياها.

ونظرتهم في هذه المسألة نظرة اقتصادية فيها جشع وطمع، فهم يريدون أنْ يحرموا الفقراء والضعفاء من السفر معهم، فيستأثر الأغنياء بالتجارة ويحتكروها، وهذا يدل على عدم اكتمال الإيمان في نفوسهم؛ لأنّ الإيمان لا يكتمل حتى يحب المؤمن لغيره ما يحبه لنفسه.

٣ـ كانت عاقبة هذا الجشع والطمع ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي أحدوثة يتحدث بها الناس، فجعلهم الله عبرة لغيرهم حتى صارت سيرتهم مثلاً؛ ولذا يقال في المثل العربي الدال على التفرق (تفرقوا أيدي سبأ) والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استخدام صيغة﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؟ ولماذا جاءت صبّار مقدّمة على شكور؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ٣١.



﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ تأكيدان: (اللام) و(قد)؛ أي حقّق وأكّد إبليس ظنه.

٢ـ هذا الظن من إبليس ليس علماً بالغيب، وإنما قياس قاس به ذرية آدم على أبيهم، بمعنى أنه قدر على أبيهم بإغوائه وإخراجه من الجنة فهو على ذريته أقدر، وهذا قياس؛ ولذلك سماه ظناً.

فلمّا قدر إبليس على ذرية آدم وأغواهم بالفعل قال: ظني جاء في محله.

٣ـ ثم يأتي بعد ذلك هذا الاستثناء ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مطابقاً للاستثناء الأول ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.



﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ ـ الشفع هو اثنان؟ وهو يقابل الوتر، وسميت شفاعة؛ لأنّ صاحب الحاجة واحد، وإذا انضم إليه الشافع فهما اثنان.

وقال العلماء: للشفاعة شروط منها :

أـ شرط في المشفوع له أنْ يكون من أهل التوحيد.

ب ـ شرط في الشافع، وهو أنْ يُؤذن له بالشفاعة، فلا يقوم الشافع فيشفع مباشرة، وإنما ينتظر أنْ يُؤذن له بها. وهنا يضطرب المشفوع له ويفزع ويكون قلقاً. يا تُرى أيُؤذن للشافع أم تُرد شفاعته؟

لذلك يقول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي أُزيل عنها الفزع؛ لأنّ التضعيف في﴿فُزِّعَ﴾ أفاد إزالة الحدث المأخوذ منه الفعل، كما تقول: (مرّضه) يعني أزال مرضه، و(قشّر) البرتقالة؛ أي أزال قشرتها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾، ولم يقل (تُقبل) فانتفى نفع الشفاعة لا قبولها، وفرق بين أنْ توجد الشفاعة وأنْ تنفع الشفاعة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ أي قال القول الحق، وأَذن بالشفاعة لمن ارتضى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فالله عليٌّ في أي قرار يتخذه، وكبيرٌ بمعنى أنه تعالى أكبر من الشافع، وأكبرمن المشفوع له، فلا يعبأ بشافع مهما كانت منزلته ولا بمشفوع له مهما كانت ذلته؛ لأنه سبحانه العلي الكبير.



﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الحرف (على) مع الهداية والحرف (في) مع الضلال؟

الجواب :

استعمل مع الهداية حرف الاستعلاء [على] ومع الضلال [في]؛ وذلك لأنّ من كان على الهدى كان مستعلياً على الحق ومتمكناً منه ومتثبتاً مما هو فيه، بخلاف من كان في الضلالة؛ إذ هو كأنه ساقط فيها والساقط في الشيء غير متمكن من نفسه؛ لذا جاء مع الهدى بحرف الاستعلاء [على] ومع الضلال بـ[في].

جاء في كتاب الكشاف للزمخشري : فإنْ قلت كيف خُولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأنّ صاحب الحق كأنه مستعلٍ على فرس جواد يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي قل لهم يا محمد هذا السؤال، وهم لن يجيبوا؛ لذلك أجاب الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فهذه حقيقة لا يستطيعون مجابهتها، ولو اعترفوا بها لقلنا لهم إذن: لماذا لم تؤمنوا بالله وهو رازقكم؟ أي اعترافهم بهذه الحقيقة يلزمهم الحجة.

٢ـ الهدى: هو الدلالة على الخير والطريق إليه. والضلال: أنْ تضل عن الخير والدلالة إليه.

والهدى والضلال من التناقضات في الدين، والمتناقضان لا يجتمعان أبداً.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي الرسول يقول لهم: أنا وأنتم على النقيض، إنْ كان أحدنا على الهدى فالآخر في ضلال.

٤ـ الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ يفيد الاستعلاء كأنه مطية توصلك للخير المطلوب وللطريق المستقيم وإلى الجنة والنعيم.

أمّا الحرف ﴿فِي﴾ فيظهرها كأنها ظلمة تحيط بالضال، وهو يتخبط فيها.

٥ـ ومعنى ﴿مُّبِينٍ﴾ أي واضح بيّن.



﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الآيتين﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ:٢٥] و﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود:٣٥]؟ وما دلالة نسب الإجرام للمؤمنين والعمل لغير المؤمنين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٣٥.

السؤال الثاني :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

الآية ٢٥:

هذا تلطف وارتقاء في حجاج الكفار، ويُظهر مدى حرص النبي ﷺ على أنْ يستل الضغينة من نفوس الكفار.

١ـ قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ فلم يسو الرسول هذه المرة بين الطرفين، فجعل الإجرام في جانبه ولم يقل عن الكفار: (تجرمون)، بل قال: ﴿تَعْمَلُونَ﴾.

٢ـ لفظة ﴿أَجْرَمْنَا﴾ بالماضي، كأنّ الإجرام حدث بالفعل، ومعهم كانت اللفظة﴿تَعْمَلُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ ليدل على أنه لم يحدث منهم شيء بعد وهذا تلطف آخر وارتقاء بالنقاش وتودد إلى الخصم علّه يرعوي ويتوب ويؤمن فيفرح الله به.

٣ـ هذا الأسلوب لا يأتي إلا من المجادل القوي الحجة.

٤ـ لسائل أنْ يسأل: كيف يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أنْ ينسب الإجرام إلى نفسه؟ قالوا لأنّ الجُرم يختلف باختلاف المخاطب به، كما قالوا: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

الآية ٢٦:

١ـ حيث إنّ الرسول يتكلم بالحق والكفار يتلاعبون بالباطل تنتهي المناقشة في الآية السابقة إلى أنْ الله يفصل بيننا وبينهم يوم القيامة في محكمته الإلهية بعد أنْ يجمع الله الجميع عنده للحساب والجزاء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي الذي يحكم عن علم كامل، ولا تخفى عليه خافية.

٣ـ سُمي الحكم فتحاً؛ لأنه يفتح فرجة بين شيئين متشابكين بحيث يلتبس الحق بالباطل فيأتي الحكم يفتح بينهما، ولا يفتح بين الحق والباطل إلا الله تبارك وتعالى.



﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرُونِيَ﴾ الرسول كان يرى هذه الأصنام التي كان الكفار يعبدونها ويستحيون أنْ يشيروا إليها؛ لأنهم يعلمون أنها أحجار صماء لا تضر ولا تنفع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ من الإلحاق، وهو أنْ تأتي بشيء جديد تلحقه بشيء ثابت، فكأنّ ألوهية الله هي الألوهية الثابتة الحقة.

٣ـ لفظة ﴿بَلْ﴾ تفيد الإضراب عما قبلها وإثبات الحكم لما بعدها، فالإله الحق هو الله.

٤ـ الضمير ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، ولا ينصرف إلا لغائب واحد هو الموجود الأعلى سبحانه.



﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الفعل ﴿ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ أي جعلناك رسولاً، وهو الرسول الخاتم الذي جاء ليعالج كل الداءات في كل المجتمعات، بعد أنْ أصبح العالم مهيئاً ليكون قرية واحدة.

٢ـ معنى أنه خاتم الرسل أنه مشهود له، وليس شاهداً لغيره.

٣ـ لفظة ﴿ كَآفَّةً ﴾ هي وصف للناس، بمعنى: جميعاً، أو هو وصف للرسول عليه السلام، بمعنى: كافٌّ للناس عن الشر.

وكلمة ﴿ كَآفَّةً ﴾ من كف الشيء يكفه فهو كاف، وزيدت التاء للمبالغة كما في عالم وعلاّم وعلامة، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

فإن قلت: لماذا لم يقل علامة؟ نقول: لأنّ علم الله تعالى لا يترقى بلاغة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ البشارة هي أنْ تخبرأحداً بخير لم يأت أوانه بعد، ويقابلها النذارة، وهي أنْ تخبر بشر لم يأت أوانه بعد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾يعني أنّ القلة المؤمنة هي التي تعلم، وهي التي تتمسك بالحق وتسعى إليه، فهي موجودة في كل زمان ومكان وإنْ قلّتْ.



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب فى بعض آيات القرآن الكريم؟ كما في هذه الآية؟

الجواب :

قد يُحذف للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما حذف جواب القسم في أوائل سورة ق: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١]. وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١﴾ [سبأ:٣١]وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق:١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال:٥٠]

وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب، وهذا أمر عظيم فهناك من يستدعي العقوبات.

السؤال الثاني :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قول الكفار: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾يدل على لجلجتهم وتخبطهم؛لأنهم أقروا بالقرآن، والاعتراض هوعلى من نَزَلَ عليه القرآن لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزُّخرُف:٣١]ومثله قولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ وقديماً قيل: إنْ كنت كذوباً فكن ذكوراً أي تذكَّر ما قلت.

٢ـ أداة الشرط ﴿لَوْ﴾ تحتاج إلى جواب، وهذا الجواب حُذف من سياق الآية؛ ليدل على التهويل والتفظيع، أي بتقدير: لرأيت أمراً عظيماً.

فقد حُذف الجواب لنأخذه نحن على المحمل المخيف؛ لأنه لو حكى واقعاً لجاء على لون واحد وهيئة واحدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ﴾ من المراجعة فواحد يقول، والآخر يرد كلامه. والمراجعة هنا بين السادة الكبار الأقوياء والضعفاء؛ ذلك لأنّ الضعف والاستكبار والتبعية كان كل منها في الدنيا أمّا في الآخرة فقد تساوت الرؤوس، وكلاهما خائب خاسر.



﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الحسرة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩]والندامة﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[سبأ:٣٣]؟

الجواب :

١ـ الحسرة :هي أشد الندم، حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً. والحسير هو المنقطع. وفي القرآن الكريم :﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك:٤] ارجع البصر كرتين، ثم ارجع البصر، فالحسير هو المنقطع. وقوله تعالى: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ﴾[يس:٣٠] هذه أكبر الحسرات على الإنسان، وليس هناك أكبر منها.

٢ـ النَّدم: قد يندم على أمر، وإنْ كان فواته ليس بذلك، لكنّ الحسرة هي أشد الندم والتلهف على ما فات، حتى قالوا: ينقطع تماماً. ويقولون هو كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه.

وفي قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١]

والندم له درجات أيضاً، ولكنّ الحسرة أشد الندم، وهي من الندم، لكنْ أقوى من الندم، حيث يبلغ الندم مبلغاً. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ أي منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.



﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذُكرت النذارة في هذه الآية ولم تُذكر البِشارة؛ لأنّ الحديث فيها عن قرية استشرى فيها الفساد بحيث لم يعد لها إلا النذارة. أمّا البشارة فتكون في عموم الدعوة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَرْيَةٍ﴾ أي في أهل قرية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾ من الفعل (أترف)؛ أي أنّ النعمة أطغته وفتنته فكانّ الترف استدراجاً من الله للعبد. أمّا الفعل: (ترف) يترف أي تنعَّم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم﴾ دل على غبائهم؛ لأنهم لم يقولوا بما جئتم به أو بما ادعيتموه؛ لذلك هم يعترفون بأنهم مرسلون، فهذه كلمة الحق ساقها الله على ألسنتهم.



﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾

السؤال الأول :

وردت (يبصط) بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في آية سورة البقرة ٢٤٥، بينما سائر ما في القرآن وردت ﴿يَبۡسُطُ﴾ بالسين، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الثاني :

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب :

أحوالهم ثلاثة :

١ـ من يُبسط رزقه تارة ويُضيق عليه أخرى، كما جاء في آية العنكبوت٦٢، وهنا يأت ﴿وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾.

٢ـ يوسّع على قوم مطلقاً، مثل حال قارون لا لكرامته، ويضيّق على قوم مطلقاً، كالأنبياء الفقراء منهم لا لهوانهم. ويفهم ذلك من آية القصص٨٢.

٣ـ الإطلاق من دون تعيين بسط ولا قبض، أي: مطلق من غير تعيين.

السؤال الثالث :

لماذا قال في آية سبأ ٣٦ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ وقال في آية سبأ ٣٩ ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾؟

الجواب :

ذكر ربنا في السورة قسمين من العباد :

أـ قسماً بسط الله لهم الرزق ولم يقدره عليهم كداود وسليمان عليهما السلام.

ب ـ قسم بسط الله لهم الرزق ثم قدره عليهم، أي ضيقه، مثل قوم سبأ: انظر الآيات[١٥ـ١٧].

فناسبت كل آية قسماً من المذكورين في السورة.

السؤال الرابع :

لماذا قال في آية سبأ ٣٩: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ولم يقل مثل ذلك في آية سبأ ٣٦ ؟

الجواب :

١ ـ قيل إنّ الآية ٣٦ في الكافرين، والثانية ٣٩ في المؤمنين، وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ مشعر بذلك.

٢ ـ ختم الآية ٣٦ بالكلام عن الناس، وختم الآية ٣٩ بالكلام عن المؤمنين المنفقين، وهم أخص من الأولين؛ لأنهم جزء منهم.

ولذلك أطلق في الآية ٣٦ ولم يقل (من عباده)، وخصّص في الآية ٣٩ فقال: ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾، فناسب العموم العموم والخصوص الخصوص.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

اختار كلمة ﴿رَبِّي﴾ في آية سورة سبأ، وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ في آية سورة العنكبوت، فلماذا؟

الجواب :

السبب – والله أعلم – أنّ لفظ (الرب) قد ورد في سورة سبأ أكثر مما في ورد في العنكبوت، ولفظ (الله) ورد في سورة العنكبوت أكثر مما ورد في سورة سبأ. انظر الجدول التالي :

اللفظ	سبأ	العنكبوت
الرب	١٤ مرة	٥ مرات
الله	٨ مرات	٤٢ مرة

فانظر إلى هذا الاختيار العجيب في استعمال الكلمات.



﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل المضارع (يسعون) في قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾ [سبأ:٣٨]؟

الجواب :

الفعل المضارع له أزمنة كثيرة، فقد يكون للمضي، كما في الآية: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أو للحال أو الاستمرار أو الاستقبال.

فهو إذن له زمن متّسع اتساعاً كبيراً. وهنا في الآية استعمل للمزاولة المستمرة، وليس بالضرورة ما كان في المستقبل فقط، ولو قال: (سعوا) لاحتمل أنْ يكون هذا الساعي تاب ولا يقام عليه هذا الأمر، لكنّ الذي هو مستمر هو الذي يُقام عليه الأمر.

وقد ورد هذا الفعل﴿يَسْعَوْنَ﴾ بصيغة المضارع أيضاً في سورة المائدة في الآيتين [٣٣ و٦٤].



﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

السؤال الثاني :

قال في آية سبأ ٣٦ ﴿وَيَقْدِرُ﴾، وقال في آية سبأ ٣٩ ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

السؤال الثالث :

لماذا قال في آية سبأ ٣٩ ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾، ولم يقل مثل ذلك في آية سبأ ٣٦؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

السؤال الرابع :

اختار كلمة ﴿رَبِّي﴾ في سورة سبأ وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ في سورة العنكبوت، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.



﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ﴾ أي: واذكر يوم يحشرهم جميعاً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ خصّ الملائكة بهذا السؤال؛ لأنهم أعلى الأجناس التي عُبدت من دون الله وأقربهم إلى الله، فالمشركون يظنون أنّ الملائكة لهم كلمة عند الله، ويمكن أنْ يشفعوا لهم عنده؛ ولذلك قالوا عنهم: بنات الله.

ووجِّه السؤال للملائكة المعبودين، ولم يُوجه للعابدين الذين أشركوا؛ لأنّ الحق أراد أنْ يسمع المشركون الرد من الملائكة أنفسهم لتكون الحجة عليهم أبلغ.

٣ـ الجن: هو الجنس الذي يقابل الإنس، وسُمي بالجن لأنه مستور عنا يرانا ولا نراه.



﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿ٱلَّذِى﴾ مرة، كما في آية السجدة ٢٠ ومرة ﴿ٱلَّتِى﴾ كما في آية سبأ ٤٢ مع عذاب النار؟

الجواب :

في سورة السجدة الخطاب موجّه للفاسقين و﴿ٱلَّذِى﴾ يشير إلى العذاب نفسه.

أمّا في سورة سبأ، فقال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سبأ:٤٢] فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين و﴿ٱلَّتِى﴾ مقصود بها النار نفسها. فالفاسق يمكن أنْ يكون مؤمناً ويمكن أنْ يكون كافراً، فهو لا يُكذّب بالنار، إنما يُكذّب بالعذاب. أمّا الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً، ولا ينكرون العذاب فقط وإنما يُنكرون النار أصلاً.

السؤال الثاني :

متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٨٨.



﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما أهم دلالات هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ في الآية حدة الأسلوب خلافاً لما سبقها من الآيات، وكأنّ الحق يقول لهم: لا تظنوا أننا سنظل نتودد لكم، فالدين سيُظهره الله رغم عنادكم والحق سيعلو رغم كفركم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ أي رداً عليهم، بعد أنْ أعطاكم الله الفرصة، وبعد أنْ طال تمردكم، فالآن ربي سيقذف بالحق.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَقْذِفُ﴾ القاذف هو الله بقدرته وعلمه، وهو عالم بكل غيب يؤثر على مسار المقذوف، وهذه العملية لا تخطيء.

والمقذوف الحق لا بد أنْ يصل إلى صاحبه المختار له لا إلى سواه.

٤ـ في هذه الآية رد على بعض طوائف الشيعة، وهم أصحاب (العلباء بن ذراع الدوسي)، وكان يفضل علياً على النبي ﷺ فزعم أنّ الوحي أخطأ فنزل على محمد بدل أنْ ينزل على علي رضي الله عنه.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ تدل هنا على كثرة المؤثرات التي يمكن أنْ تعترض القذيفة فتحول بينها وبين هدفها، وهذه المؤثرات لا يعلمها إلا الله.

٦ـ فإن قلت الفعل ﴿يَقْذِفُ﴾ بالمضارع أي الحال أو المستقبل فهل قذفه إلى رسول الله؟

تأتي الإجابة في الآية التالية ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي قذفه بالفعل في صورة القرآن الذي نزل على محمد الذي اختاره الله لحمل الرسالة.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي أنّ الباطل ما هو إلا وهم وخيال في أذهان أصحابه لا وجود له، فلا يبدىء في الأولى؛ أي الدنيا ولا يعيد في الأخرى.

والله أعلم.



﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ أسلوب شرط وَرَدَ عدة مرات في القرآن الكريم، كما في الآيات: [سبأ ٣١ـ الأنعام ٢٧] ولم يُذكر له جواب؛ لأنّه معلوم من السياق.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ ﴾ أي لا مهرب ولا نجاة. والإنسان قد يفزع ويخاف، لكنْ قد يستطيع الهرب أو ربما ينقذه أحد، أمّا هؤلاء فسوف يفزعون دون منقذ ودون مهرب ولا مفر. وهذا يشفي صدرك وصدور المؤمنين الذين أوذوا معك في سبيل نشر دعوة الحق.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أخذوا؛ أي أهلكوا و ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ هو يوم القيامة، يعني أنّ الله لم يترك لهم بحبوحة، إنما أخذهم من الحساب إلى النار والعياذ بالله تعالى.



﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الايتين؟

الجواب :

١ ـ المشهد هو في الآخرة وليس في الدنيا، بدليل قوله تعالى قبل ذلك ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وهو مكان الحساب يوم القيامة، فلم يترك لهم الحق بحبوحة، إنما أخذهم من الحساب إلى النار.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بعد أنْ شاهدوا أهوال القيامة قالوا ذلك حيث لا ينفع إيمان.

٣ـ قوله: ﴿وَأَنَّىٰ﴾لها معنيان: منهما التعجب وهو المقصود هنا، والمعنى الثاني: من أين؟

٤ـ قوله: ﴿التَّنَاوُشُ﴾أي التناول عن قرب، وقيل عن بعد. والمقصود به تناول الإيمان.

أي كيف لهم الإيمان الآن وهم في موقف البعث والحساب، وقد كان الإيمان قريباً منهم في الدنيا ولم يؤمنوا، أمّا الآن فهو أبعد ما يكون عنهم.

٥ـ لمّا جعل الله تعالى الفعل مأخوذاً كالجسم، جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان، فقال: ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ والمراد به ما مضى من الدنيا.

٦ـ قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ هو القرآن أو الإيمان بالحق الذي جاء به الرسول عليه السلام من ربه، وكانوا هم في الدنيا محل الإيمان والتكاليف فكفروا به.

٧ـ قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ أي كانوا يتكلمون بالظن فيما لا علم لهم به.

والقذف في الأصل هو الرمي. وقذف هؤلاء من مكان بعيد ، و القذف من بعيد لا يصيب الهدف، وهم في قذفهم لا يعلمون الغيب.

ومن ذلك كانوا يقولون بأنّ الساعة حتى إذا كانت قائمة فالثواب والنعيم لنا. وهذا القذف في الدنيا من مكان بعيد عن الآخرة وهم غير مؤمنين بها أصلاً، فكيف يصيبون ما يقولون؟ !!!

السؤال الثاني :

ما معنى هذه الآية ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ ؟

الجواب :

هذه الآية فيها دلالتان:

١ـ الأولى، قال: ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ هم الآن في الآخرة ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ وحتى قيل: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سبأ:٥٤].

فهم كفروا بالله وهم في الدنيا.

٢ـ الثانية :أنهم ذكروا من صفات الله والشرك. فقسم قال: الملائكة بنات الله، وقسم قال: لله ابن، وقسم ذكروا أموراً أخرى عن صفات الله، ومثلهم كمثل واحد يقذف نحو شيء لا يعلم أين هو حتى يرميه، ودون أنْ يدرك مقدار المسافة عن الشيء حتى

يصيبه، وهذا مثل الكافرعندما يقذف بالغيب، وهو لا يعلم أين هو؟ والمكان بعيد فكيف يصل إليه؟ فهؤلاء يرجمون الكلام عن الله تعالى جزافاً.

لذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ فهم كفروا بالله، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ هم هكذا كانوا في الدنيا، يقذفون بالغيب، أي يرجمون الكلام عن الله تعالى جزافاً. وهذا تصوير عجيب لا يعلمون بما يرمون، ولا أين يرمون، ولا يعلمون هو في أي وجهة ويرمون من مكان بعيد!.



﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ﴾أي فُصِل أو مُنع من أنْ ينال مراده.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾وهي شهوة النفس من الكفار بأنْ يطمسوا دعوة الحق؛ لتبقى لهم السيادة التي نهبوها على حساب الضعفاء، لكنّ الله لم يمكّنهم من طمسها.

وهذه الشهوة من النفس لا مدخل للشيطان فيها، لماذا؟ لأنهم كفروا بالله وفرغ الشيطان منهم، فلم تبق إلا شهوات النفس، فاشتهوا أنْ يطمسوا الدعوة ويذلّوا من آمن بها، لكنّ الله حال بينهم وبين ما اشتهوا.

٣ـ قوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يعني هذه القضية ليست خاصة بكفار مكة، إنما هي سنة متبعة في الأمم السابقة من أشياعهم وأمثالهم.

٤ـ الكفار معتقدون أنّ الله هو الخالق، لكنهم شاكون في مسألة البلاغ عن الله، وأنها جاءت على لسان محمد ﷺ؛ لذلك فهم في شك يُوقع في الارتياب كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة سبأ مع خواتيمها:

١ ـ قال في أوائل السورة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

وقال في أواخرها:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾.

فذكر في البدء الكافرين وإنكارهم للساعة.

وذكر في أواخرها حدوثها وحصولها، وذِّكر الكافرين بها من قبل وقد أعلنوا إيمانهم حين لا ينفع الإيمان في ذلك الحين.

٢ ـ قال في أوائلها:

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سبأ:٤].

وقال في آخرها: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

فذكر في البدء أنّ للذين آمنوا الرزق الكريم.

وذكر في الأخير أن الكافرين حيل بينهم وبين ما يشتهون.

فكأنهما آيتان متتاليتان.

وقال في أول السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سبأ:١]. فذكر أنّ له الحمد في الآخرة.

وقد ختمت السورة بالكلام عن الآخرة. والله أعلم.



سورة فاطر

أولاً ـ تناسب خواتيم سبأ مع فواتح فاطر:

ذكر سبحانه في خاتمة سبأ عاقبة الكافرين، فقال:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٥١-٥٤].

وقال في أوائل فاطر:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

[فاطر: ٤-٧].

فالموضعان في عاقبة الكافرين.

جاء في البحر المحيط: ((لمّا ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها ـ يعني سورة سبأ ـ هلاك المشركين أعداء المؤمنين وأنزلهم منازل العذاب تعيّن على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

ويعني بذلك مفتتح سورة فاطر والآيات التي بعده، وهي قوله سبحانه:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:١-٣].

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام لله هو سبيل العزّة.

سورة فاطر مكيّة نزلت قبل هجرة الرسول ﷺ. الاستسلام لله هو كمال الطاعة، والاستسلام لله ليس مذلة، وإنما هو عزّ، فالعبودية للبشر ذلٌّ وصغار والعبودية لله تعالى رفعة وعزّ، فالعزّة تبدأ بالاستسلام لله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر:١٠].

والناس مهما كانوا وتعاظموا فهم الفقراء والله تعالى هو الغني: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

ثم تتحدث آيات كثيرة في السورة (الآيات ١، ٢، ٣، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ٢٧، ٢٨، ٤١، ٤٤) عن آيات الله تعالى في الكون ودلائل القدرة والسيطرة على هذا الكون الفسيح، وكأنما في هذا تأكيد على أنّ الاستسلام لخالق هذا الكون وما فيه ومن فيه لا يمكن أنْ يكون ذلاً أبداً، إنما هو عزٌّ ما بعده عز أنْ أستسلم وأخضع لمن خلق السموات والأرض، وخلق الأكوان والخلق والكائنات على اختلافها، وكل هذه المخلوقات تشهد بعظمة الخالق وتنطق بعظمة الواحد القهّار، فتبارك الخالق رب العالمين.

وإنْ كان أحدنا يستسلم لرأي طبيبه ويرى أنه هو الصواب، وعليه أنْ ينفّذ التعليمات كما وصفها وهو بشر لا يملك أنْ يضر أو ينفع إلا بإذن الله ولا يسأله ما الحكمة من وراء هذا العلاج بالذات ويخضع لأمره دون مناقشة، ثم يعترض على خالق الخلق بأنْ لا يستسلم بالكلّية لأوامره، وهو القدير الحكيم العليم. يا لجهالة البشر بخالقهم، صدق تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

سميّت السورة بـ (فاطر) لذكر هذا الاسم الجليل في طليعتها؛ لما يحمل هذا الوصف من دلائل الإبداع والإيجاد من عدم، ولما فيه من التصوير الدقيق الذي يشير لعظمة الله وقدرته الباهرة وخلقه المبدع في هذا الكون.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الرحمة إنْ أرادها الله لعبد فلا أحد يمنعها عنه، فهو يعطي ويمنح، ولا مانع ولا حابس لها.

٢ـ قال: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ﴾، ولم يقل مقابلها: ما يغلق، بل قال: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾؛ لأنّ المُغلَق ربما تمكّن أحد من فتحه بالحيلة أو القوة. أمّا ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ فلا أحد يستطيع أنْ ينال شيئاً أمسكه الله تعالى.

٣ـ من معاني الرحمة (الرسالة) لرسول الله ﷺ.

٤ـ علة قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾أنه واحد لا شريك له ولا إله غيره، ولو كان معه إله آخر لكان له رأي آخر. لذلك الحق وحده يتصرف في ملكه تصرف من لا شريك له.

ولذلك زيّل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فهو عزيز لا يُغلب ولا يُمانع وعزته ليست صادرة عن بطش أو ظلم، إنما صادرة عن حكمة، فهو حكيم في عطائه .



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية المؤمنون ١٤ : ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وظاهر اللفظ يوهم أنّ هناك خالقين آخرين ، بينما يقول الله في فاطر٣ ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، هل يوجد تناقض؟

الجواب :

المراد بالخلق التقدير. ويطلق الخلق على التقدير لغة، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، لكنْ عند الإطلاق هو مختص بالله تعالى. كالرب يطلق على رب المال والدار، وعند الإطلاق يكون لله تعالى.



﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما قضية الشيطان مع ابن آدم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٢٠.

السؤال الثاني :

هل عداوة الشيطان للإنسان هي عداوة عامة؟ وما هدفه؟.

الجواب :

عداوة الشيطان للإنسان عداوة عامة في كل شيء، وهدفه سوق الإنسان إلى الانحراف والمعاصي والضلال حتى يدخله موارد الهلاك فيدخله النار في الآخرة.

ولذلك أعلمنا الله بأنه عدو لنا، وعلينا أنْ نتخذه عدواً.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الأسلوب في ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾أسلوب استفهام، لكن لم يذكر المقابل له، وتقديره: هل يستوي ومن لم يُزَين له سوء عمله؟

والحق لم يذكر جواباً؛ لأنه معلوم، ولا يملك أحد إلا أنْ يقول: لا يستويان لأنّ الناس منهم من يعمل السيئة ويعلم أنها سيئة، ومنهم من يتعدى فيفعل السيئة ويدّعي أنها حسنة، وهذه مصيبة أعظم؛ لأنه ارتكب السيئة ثم رآها حسنة، وهذا اختلال وضلال في الرؤية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ يهدي: بمعنى يرشد إلى طريق الخير،وهذا الإرشاد من الله لكل الناس، فمن سمع هذا الإرشاد وسار على هداه وصل إلى طريق الخير، وكان له من الله العون وزيادة الهدى، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

وأمّا الذي أغلق سمعه فلم يسمع ولم يهتد فضلّ الطريق وانحرف عن الجادة فزادهم الله ضلالاً، فلا يدخل في قلوبهم إيمان، كما قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾.

والله سبحانه لم يترك المسألة هكذا، إنما بيّن من يهديه ومن يضله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ هذا خطاب للنبي عليه السلام أي: لا تهلك نفسك حسرة على عدم إيمانهم؛ لأنه عليه السلام كان يألم أشد الألم حين يشرد أحد منهم عن طريق الإيمان.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيه تسلية للرسول عليه السلام بأن الله لا تخفى عليه خافية من أفعالهم، وسوف يجازيهم ما يستحقون من عقاب فاطمئن ولا تحزن.

السؤال الثاني :

ما خط القرآن الكريم مع آيات التزيين؟

الجواب :

في القرآن الكريم وفي آيات التزيين الله تعالى ينسب الخير إلى نفسه، وأمّا تزيين القبيح فيبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأنفال:٤٨] وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن نحو ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ لغرض إقامة العقيدة الصحيحة ولكن لا تجد فيه نحو [زينا لهم سوء أعمالهم] بذكر السوء، بل لا تجده إلا مبنياً للمجهول، والفرق ظاهر بين الأمرين.

*** شواهد قرآنية :**

في الحجرات ٧: أسند تزيين الإيمان في القلوب إلى ذاته سبحانه.

في آل عمران ١٤: بنى تزيين حب الشهوات للمجهول، ولم ينسبه إلى نفسه.

في [الصافات ٦، والملك ٥، والحجر ١٦] أسند التزيين الحسن إلى ذاته.

في البقرة [٢١٢ـ والرعد٣٣ـ والأنعام١٢٢ـ وفاطر٨ـ وغافر٣٧ـ والتوبة ٣٧ـ والفتح ١٢] بنى تزيين القبيح للمجهول.



﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة اختلاف صيغة الأفعال بين الماضي والمضارع في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر:٩]؟

الجواب:

١ـ (أرسل: فعل ماض، تثير: فعل مضارع، سقناه: فعل ماض) أيها الأسبق إثارة: السحاب أم سوقه إلى بلد؟ إثارة السحاب أسبق من السوق. فجاء الفعل ﴿أَرْسَلَ﴾ بصيغة الماضي، ثم الفعل﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع، ثم الفعل﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ بصيغة الماضي، مع أنّ السّوق يأتي بعد الإثارة، والأحداث كلها ماضية ، لكنّ الإثارة هي في مشهد الحركة، فجعلها بصيغة المضارع ليدل على الحركة والحضور.

وحتى في السيرة عندما قتل الصحابى أبا رافع اليهودى تكلم كيف قتله فقال:

فناديت أبا رافع، فقال: نعم، فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهِش.

هو يريد أنْ يسلط الضوء على عملية الضرب، فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب، فكأنّ السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه.

٢ـ حتى هذا الأمر الغريب قد يأتى المضارع مع أداة الشرط، مع أنّ أداة الشرط تصرف الماضي للمستقبل مثل (إنْ زرتنى أكرمتك). لكنْ أحياناً يأتي العربي بالمضارع بعد أداة الشرط ويريد بها الماضي. مثال أحدهم يرثي آخر:

إنْ يقتلــوك فــإنّ قتلــك لم يكــنْ عـــاراً عليــك ورب قتــلٍ عــارُ

هم قتلوه فى الماضي، وجاء الفعل بعد أداة الشرط بصيغة المضارع.

والآخر يرثي أبناءه الذين هلكوا وماتوا، فقال:

كــأنّ الليــل محبــوسٌ دجــاه فأوّلــــه وآخــــــره مقــيم

لمهلــكِ فتيــةٍ تركــوا أبــاهم وأصــغر مــا بــه مــنهم عظـيم

فــإنْ يهلــك بنــيّ فلــيس شــيءٌ عــلى شيء مــن الــدنيا يــدوم

وقد هلكوا، الشاهد (يهلك) مضارع بعد أداة الشرط ويراد به الماضي.

٣ـ إذن السياق هو الذي يحدد؛ لأنّ المضارع قد يأتي بمعنى الماضي والماضي يأتي بمعنى المستقبل، وهذا اسمه حكاية الحال.

السؤال الثاني :

ما الدلالة البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ﴾ بالماضي، لكن الفعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ في صيغة المضارع ولم يقل سبحانه: فأثارت

لأنّ الفعل ﴿أَرْسَلَ﴾ أي أمر أنْ ترسل فهذه مسألة انتهت وفُرغ منها، أمّا إثارة السحاب وتحريكه فمسألة مستمرة في كل لحظة، فناسبها الفعل المضارع الدال على الحال والمستقبل.

أو أنه التفات من الماضي إلى الحاضر لتنبيه السامع.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣]في آية العنكبوت٦٣ مع أنه ورد في القرآن﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في آية [فاطر:٩]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.



﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

قال في فاطر ١٠: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ وقال في المنافقون ٨: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فكيف الجمع بين الآيتين؟

الجواب :

لا تعارض بين الآيتين؛ لأنّ العزة في الأصل لله، وعزة الرسول ﷺ من التحامه بالله العزيز، وعزة المؤمنين من التحامهم بعزيز العزيز، فهي عزة موصولة من الله تعالى لمن اعتز به.

وأول من اعتز به الله رسولُه ثم المؤمنون به.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الصُعود ـ بضم الصاد ـ كما في آية فاطر ١٠ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ والصَّعود ـ بفتح الصاد ـ كما في آية المدثر ١٧ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾؟

الجواب :

١ـ الصُّعود : بضم الصاد، هو الارتقاء، وهو مصدر من الفعل (صَعِد) بفتح العين، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

٢ـ الصَّعود: بفتح الصاد، هو العقبة الشاقة والطريق الصاعد، قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

٣ـ ذكر المفسرون أن الصَعود هو صخرة أو جبل من نار في جهنم يتصعّد فيه (الوليد بن المغيرة) الذي نزلت فيه الآيات سبعين خريفاً ثم يهوي، فهو فيه كذلك أبداً.

٤ـ والملاحظة العجيبة هنا أنّ الله كتب على الوليد بن المغيرة هذا النوع العجيب من العذاب، وهو التردد بين الأمل في النجاة عندما يبلغ قمة الجبل أو الصخرة ثم السقوط العنيف إلى الهاوية ليبدأ رحلة العذاب من جديد ذلك أنّ هذا الرجل تردد في حكمه

على دين محمد ﷺ وفكّر فيه مراراً وقال فيه في البداية كلاماً طيباً: (والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه).

فلمّا وثبت قريش في وجهه وعنفته تراجع وفكر ثم فكر ثم أدبر واستكبر وقال قولته القبيحة: ﴿...إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدّثر: ٢٤-٢٥]

فمثل هذا التردد يناسب ذلك العذاب بين الأمل واليأس، مثلما تردد بين التصديق والكفر.



﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾؟

الجواب:

١ـ معنى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ مُعمَّر صيغة اسم المفعول، أي طويل العمر وإنما سمي معمراً بما هو سائر إليه، أي المعمَّر ذاتٌ ثبت لها التعمير.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الضمير هنا يعود على الذات دون الصفة؛ أي ينقص من بعض ذاته، أي وما يُعمر من مُعمر ولا ينقص من ذاته.

فالذات لم يثبت لها التعمير إلا بإذن الله، نحو: تصدقت بدرهم ونصفه.

السؤال الثاني:

ما دلالة صيغة الاستمرارية في الكلمتين ﴿يُعَمَّرُ﴾ ﴿يُنقَصُ﴾؟

الجواب:

١ـ القرآن الكريم يبين أنّ الله تعالى يرى في كل لحظة ما عاشه الإنسان حتى هذه اللحظة، وما بقي له من عمره حتى نهاية العمر، وإنْ صعب علينا تصور ذلك فإنه على الله تعالى يسير.

٢ـ وردت الكلمتان ﴿يُعَمَّرُ﴾ ﴿يُنقَصُ﴾ بصيغة الاستمرارية فما يُعمر الإنسان من ولادته حتى لحظة معينة، يزداد كل لحظة على حساب ما بقي له من عمره، وما بقي له من عمره اعتباراً من لحظة معينة ينقص كل لحظة لحساب ما عمّر حتى تلك اللحظة.

٣ـ ربما لا تعني هذه الآية ـ كما ذهب بعضهم ـ أنّ عمر الإنسان يزيد وينقص. .. إنما تعني أنّ عمر الإنسان ـ في علم الله تعالى ـ محدد وثابت حيث يرى الله تعالى في كل لحظة من حياة الإنسان ما عاش حتى تلك اللحظة (الماضي بالنسبة للإنسان) وما بقي له من العمر حتى يموت (المستقبل بالنسبة للإنسان) والزمن مخلوق من مخلوقات الله تعالى، شأنه بذلك شأن جميع المخلوقات الأخرى، واقرأ ما حدث للعزير في آية البقرة ٢٥٩ وما حدث لأصحاب الكهف؛ حتى يتبين ذلك بوضوح.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر:١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ [فاطر:١٢] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]

ما دلالة استعمال أداة النفي (ما) و(لا)؟

الجواب :

ما :

أداة النفي (ما) تدخل على الفعل المضارع وهي لنفي الحال .

* شواهد قرآنية :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ مشاهد في الدنيا أي للحال، فاستعمل (ما).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ مشاهد في الدنيا أي للحال فاستعمل (ما).

لا :

أداة النفي (لا) قد تكون للحال والاستقبال، أي نفي غير مُشاهَد، كقوله تعالى :

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ هذا نفي للحال.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ هذا استقبال، فاستعمل (لا).

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذا في الآخرة أي للمستقبل، فاستعمل (لا).

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾هذا استقبال، فاستعمل (لا).

السؤال الثاني :

في سورة النحل الآية﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل:١٤]

أما في سورة فاطر ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر:١٢]فما دلالة التقديم والتأخير واستخدام الواو وعدمه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١٤.



﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما وجه الاختلاف بين الآيات ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤] و ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]؟

الجواب :

١ـ عندنا فتيل ونقير وقطمير، كل هذا لضرب المثل بالقلة، لكنْ لماذا قال مرة: فتيل ومرة: نقير؟

٢ـ الفتيل لغة: هو الشيء المفتول الأسود وترميه مثل الخيط، وهو من الوساخات.

ورب العالمين لمّا تكلم عن اليهود قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾[النساء:٤٩] ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة:١١١]﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨] أي نحن شعب الله المختار، فردّ عليهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]. فرب العالمين ضرب مثلاً في القلة لناس فاسدين وسخين في عقيدتهم وفي سلوكهم، فقال: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ كهذا الفتيل الذي في أجسادكم الوسخة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

ولمّا ضرب الله سبحانه المثل للمسلمين الذين يؤمنون بالله عز وجل ويعملون الصالحات قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء:١٢٤]فاستعمل النقير.

والنقير هو تلك النقطة التي في ظهر النواة المعروفة عند العرب جميعاً. لذلك يضرب الله المثل للصالحين من عباده بأنكم ستأخذون جزاءكم كاملاً ولن تظلموا بقدر هذه النقطة القليلة التي في ظهر النواة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ، والنواة من التمر وأحلى ما في التمرة عندما تمص النواة.

بينما يضرب الله للناس الفاسدين في أعمالهم وسلوكهم فيقول:﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

٣ـ ثم يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ والقطمير هوالغشاء الشفاف الذي على النواة، ما قيمته هذا؟ ورب العالمين لمّا تكلم عن الملوك قال: أنا رب العالمين أنا الذي أنعمت عليكم كل هذه النعم وملكي لا حدود له، هذا الذي تعبدونه ما الذي لديه؟ هذا الصنم أو آلهتكم التي تصنعونها التي تدعونها من دون الله لا يملكون من قطمير، هذا ضرب المثل باللاشيء.



﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال أداة النفي (ما) و(لا)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية فاطر ١٢.



﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب :

الإنذار في القرآن الكريم لا يكون خاصاً بالكفار والمنافقين، وقد يأتي الإنذار للمؤمنين والكافرين. والإنذار للمؤمن ليس فيه توعد، فهو للمؤمنين تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أن يقوم به، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس:١١]

وهذا ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

وقد يأتي الإنذار للمؤمنين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر:١٨].

وقد يكون للناس جميعاً: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم:٤٤] ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام:٥١].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية فاطر ١٨ ﴿يَخْشَوْنَ﴾ ما اللمسة البيانية في استعمال الأفعال المضارعة واستعمال أفعال ماضية في وسط الأفعال المضارعة كما في آيتي الرعد ٢١-٢٢ وآية الأعراف ١٧٠ وفاطر ٢٩؟

الجواب :

١ـ لو نظرنا في المسألة نجد أنه في سورة الرعد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢٢].

فما كان له وقت محدد عبّر عنه بالفعل الماضي ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فالصلاة لها أوقات محددة، وحتى الإنفاق والزكاة أو الإفطار في رمضان، وما كان سابقاً لكل الأوصاف يستعمل معه الفعل الماضي.

وكذلك الصبر، فهو يسبق كل هذه الأوصاف، وكلها تحتاج إلى صبر فهو أسبق منها جميعاً فعبّر عنه بالماضي، وما عدا ذلك فهو مستمر، فاستعمل الفعل المضارع، نحو: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ليس له وقت، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ، ليس لها وقت، فهذه مستمرة.

٢ـ هذا ليس هو التعبير الوحيد في القرآن، ولكنْ هناك تعبير نظيره وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر:٢٩] ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [فاطر:١٨] فالأفعال : [يمسكون ـ يتلون ـ يرجون ـ يخشون] تفيد الاستمرار، فجاءت بصيغة المضارع.

وللعلم فإنّ الصبر لم يأت في القرآن صلة بغير صيغة الماضي، كما في الآيات: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود:١١].

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد:٢٢].

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٤٢].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل:٩٦].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فُصِّلَت:٣٥].

٣ـ هذه من خصوصيات التعبير والبيان القرآني. والقرآن هزّ قلوباً استشعرت هذا البيان القرآني.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ما شروط الالتحاق بأولي الألباب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الرعد ٢١ـ٢٢.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا
ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال (لا) بين المتعاطفين وعدم استعمالها؟

الجواب :

١ـ كرّر كلمة النفي (لا) بين الظلمات والنور، وبين الظل والحرور وبين الأحياء والأموات. ولم يكرر بين الأعمى والبصير؛ وذلك لأنّ التكرير للتأكيد في المنافاة بين المتقابلين.

أـ فالعمى والبصر صفتان قد تجتمعان في الشخص الواحد، فقد يكون الشخص بصيراً اليوم وأعمى غداً؛ لذلك لم يؤكد معنى عدم الاستواء بين الأعمى والبصير.

ب ـ بينما أكّد بـ (لا) بين الظلمات والنور؛ لأنهما متقابلان لا يجتمعان.

ج ـ وكذلك المنافاة أتم بين الحي والميت لا من ناحية الوصف، وإنما على وجه الحقيقة، فكّرر التأكيد بـ (لا)، وخاصة أنّ كلمة الأحياء هنا تعني المؤمنين، والأموات تعني الكفار، وكم بين الكفر والإيمان !!.

٢ـ قدّم الأعمى على البصير، مع أنّ البصير أشرف؛ لأنه إشارة إلى الكافر، وهو موجود قبل البعثة والدعوة إلى الإيمان.

٣ـ وقدّم الظلمات على النور؛ لأنّ الباطل كان موجوداً فدمغه الحق ببعثته عليه السلام، كما أنّ الظلمات أسبق في الخلق من النور، كما قال تعالى في الآية الأولى من سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.

٤ـ لكنه لم يقدم الحرور على الظل، بل قدّم الظل لمناسبته للعمى والظلمة أو لسبق الرحمة، مع ما ذلك من رعاية الفاصلة.

وقيل إنّ الظل كناية عن نعيم الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ والحرور كناية عن العذاب وشدة حره.

٥ـ وقدّم الأحياء على الأموات ولم يعكس الأمر؛ ليوافق الأولين في تقديم غير الأشرف؛ لأنّ الأحياء إشارة إلى المؤمنين بعد الدعوة والأموات إشارة إلى المصرّين على الكفر بعدها.

وبالتالي يكون قد قدّم الأشرف في مثلين، وهما (الظل والأحياء)، وأخّره في مثلين (الأعمى والظلمات).

٦ـ قابل الأعمى بالبصير بلفظ المفرد، وكذلك الظل بالحرور، وقابل الأحياء بالأموات بلفظ الجمع، وقابل الظلمات وهي جمع بالنور، وهو مفرد، وذلك :

أـ لم يجمع الأعمى والبصير؛ لأنّ القصد هو مقابلة الجنس بالجنس وجنس البصير خير من جنس الأعمى.

ب ـ جمع ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ للدلالة على أنّ طرق الضلال متعددة، وهي مثال للأباطيل، وأفرد ﴿ٱلنُّورُ﴾الذي هو مثال الحق، والحق واحد وهو التوحيد.

ج ـ كذلك أفرد الظل والحرور لمقابلة الجنس بالجنس.

د ـ وجمع وقابل بين الأحياء والأموات؛ لأن التفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميت يساوي في الإدراك حياً من الأحياء، فذكر أنّ الأحياء والأموات لا يتساوون، سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد.

٧ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ يحتمل معنيين:

أـ أنّ حال الكفار بالنسبة لسماعهم كلام النبي ﷺ دون حال الموتى، فإنّ الله يُسمع الموتى، والنبي لا يُسمع من مات وقُبر.

ب ـ أنْ يكون المراد تسلية النبي ﷺ؛ ولذلك قال تعالى بعد ذلك: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فهذه هي مهمته، أي مهمته الإنذار فقط، وأمّا الهداية فمن الله تعالى. فأرح نفسك، فلو أرادهم الله جميعاً مؤمنين لجاؤوا طائعين.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

متى تزاد (لا) بين المتعاطفين في مثل هذه الآيات؟ ومتى لا تزاد؟

الجواب :

١ـ تزاد (لا) بين المتعاطفين في المواطن التي تحتمل أن يكون قصد الاستواء في الجنس نفسه، فيمكن أنْ يقال إنّ الظلمات لا تستوي فيما بينها فقد يكون بعضها أشد من بعض. وكذلك النور والظل، وكذلك الأموات والأحياء، والمؤمنون والمسيئون، والحسنة والسيئة، فحسنة أعظم من حسنة وسيئة أكبر من سيئة. كل هذا ممكن لغة.

٢ـ ويحتمل أيضاً زيادة (لا) عندما يكون المقصود نفي الاستواء بين المتعاطفين.

٣ـ أي إذا ورد بـ (لا) احتمل أنْ يكون معناه نفي استواء الجنس فيما بينه كما يحتمل نفي الاستواء بين المتعاطفين، اللهم إلا فيما لا يمكن أنْ يكون جنساً، نحو: ما يستوي محمد ولا خالد، فإنه في نحو هذا تتعين زيادة (لا) لأمن اللبس.

٤ـ و (لا) تزاد كثيراً (للتوكيد) عند أمن اللبس، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾أي من منعك أنْ تسجد؟ فإنْ لم يرد التعبير بـ (لا) تعين أن المقصود نفي الاستواء بين المتعاطفين.

السؤال الثالث :

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾؟

الجواب :

١ـ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: ما أنت بمسمع السماع المؤدي إلى الهداية، كما أنك لا تُسمع من في القبور؛ لأنّ زمن السماع وقبول الهداية انتهى بالموت.

٢ـ إذن فما مهمة الرسول؟

الجواب هو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ و(إنْ) هنا بمعنى (ما) النافية أي ما أنت إلا نذير، أي مُحذر من المعصية ومن الكفر ومن العذاب.

٣ـ أي أنّ مهمة الرسول الإنذار، أمّا الهداية فمن الله، فلو أرادهم مؤمنين لجاؤوا جميعاً طائعين كالملائكة.

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف التوفيق بين التأكيد على بعث الرسل لكل أمة، كما في آية سورة فاطر ٢٤، ونفي ذلك عن أمة محمد ﷺ في آية سورة يس٦؟

الجواب :

١ـ المراد بآية فاطر مطلق الأمم كعاد وثمود وقوم نوح وقوم إبراهيم وبني إسرائيل.

وفي العرب من ولد إسماعيل كان هناك نبيان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وهما (خالد بن سنان) وبُعث إلى عبس، وروى حديثه في المستدرك، وقال فيه النبي ﷺ: « **ذاك نبي أضاعه قومه** ».

والثاني هو (حنظلة بن صفوان) وبعث إلى حمير، وهو نبي الرس المذكور في قوله تعالى: ﴿ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾[ق: ١٢].

٢ـ وأمّا آية يس فالمراد بهم قريش خاصة وأهل مكة الموجودون زمن النبي ﷺ، وآباؤهم لم يأتهم نذير خاص بهم قبل النبي ﷺ.

السؤال الثاني :

كيف حصر رسالة النبي ﷺ في ص ٦٥ بأنه (منذر)، مع أنه في آية الأحزاب٤٥ والفتح ٨ وفاطر ٢٤ (شاهد ومبشر ومنذر)؟

الجواب :

١ـ أنّ ما يتقدمه التخويف يناسب أنْ يليه إنذار. وهو في ص كذلك؛ لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجتهم فيها، انظر الآيات [٥٥ـ٦٥].

٢ـ وأمّا ما يتقدمه الرجاء فقط أو التخويف مع الرجاء فيليه الوصفان: التبشير والإنذار، كما في آيات الأحزاب والفتح وفاطر. قال تعالى:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب:٤٥].

ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح:٨].

ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة:١١٩].

والله أعلم.



﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران:١٨٤] و﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر:٢٥]؟ حيث حذفت الباء في آية آل عمران مع كلمتي ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ وذكرت في آية فاطر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٨٤ .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين جاء وأتى في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آلأنعام ٣٤.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

السؤال الثاني :

ما دلالة التوكيد في قوله تعالى في الآية ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٨٨ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى
ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخوف والخشية والوجل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٥٠.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام الفعل الماضي والمضارع في آية سورة فاطر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر:٢٩]؟

الجواب :

قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر:٢٩].

١ـ (يتلون) فعل مضارع و(أقاموا) فعل ماض، والفعل المضارع يدل على الحال والتجدد والاستقبال والماضي فيما مضى، وهذا هو الأصل.

٢ـ في الآية ذكر تعالى أكثر ما يتجدد أولاً، وهو تلاوة القرآن؛ لأنّ تلاوة القرآن أكثر من الصلاة؛ ولأنّ إقامة الصلاة لا تكون إلا بقراءة القرآن وقراءة القرآن تكون في كل وقت، وكذلك إقامة الصلاة هي أكثر من الإنفاق. إذن فالأفعال مرتّبة في الآية بحسب الكثرة وبحسب الاستمرار فبدأ بما هو أكثر ثم بالأكثر استمراراً، ثم بما دونها كثرة أي: (الصلاة) ثم الأقل (الإنفاق).

٣ـ والفعل(أقاموا) هو فعل ماض جاء بعد اسم الموصول، والفعل الماضي بعد اسم الموصول يكون له زمنان :

أ ـ فقد يكون له زمن ماض، مثل قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ وهذا يحتمل معنى المضي.

ب ـ وقد يكون له زمن الاستقبال، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠]

هذه الأفعال الماضية في الآية ﴿تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ تدل على احتمال الاستقبال؛ لأنها جاءت بعد الكتمان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾ .

٤ـ إذن زمن الفعل الماضي بعد الاسم الموصول يحتمل المضي ويحتمل الاستقبال، وهنالك أمور قطعية، وهنالك أمور تبقى مشتركة.

أمّا (كان) فلها أزمنة خاصة بها، فهي تفيد الاستمرارية (كان ولا يزال) وتأتي أصلاً للاستقبال، كما في وصف الآيات للآخرة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾وفي الحديث عن الله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فهي تدل على كونه غفوراً رحيماً، وهذا كونه سبحانه.



﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الكتاب هو القرآن، وبالتالي فإنّ المرحلة بعد رسول الله ﷺ مرحلة ميراث للكتاب والمنهج يورثه العلماء عن رسول الله. وقد جاء في الحديث «**إنّ العلماء ورثة الأنبياء** ».

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱصْطَفَيْنَا﴾ معناه: اخترنا، اصطفاه الله على الكفار بقوله شهادة أن لا إله إلا الله، ولو كان مرتكباً للذنوب. وفي الحديث: «**أيزني المؤمن يا رسول الله؟ قال: نعم. أيسرق المؤمن يارسول الله؟ قال: نعم**».

٣ـ قوله ﴿أَوْرَثْنَا﴾ أي طلبنا منهم أنْ يفعلوا في الرسالة فعل الوارث في المال.

٤ـ ثم يقسم الله سبحانه هؤلاء إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ قسم ظلم نفسه بالتقصير في حق القرآن الذي ورثه فلم يعمل به كما يجب بل قد يرتكب الكبائر والعياذ بالله.

ب ـ قسم مقتصد: يعني: يخلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً.

ج ـ قسم سابق بالخيرات، وكلمة ﴿سَابِقٌۢ﴾ تدل على السباق والمنافسة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ فالحق يعاملنا بالفضل الكبير الحسنة بعشر أمثالها أو يزيدها إلى سبعمائة ضعف، ومن غلبت حسناته سيئاته يُرجى له الجنة، ومن غلبت سيئاته على حسناته فهو مرجأ لأمر الله إنْ شاء عذبه بعدله ومآله إلى الجنة، وإنْ شاء غفر له بفضله.

اللهم عاملنا بالفضل لا بالعدل، وعاملنا بالإحسان لا بالميزان، وعاملنا بالجبر لا بالحساب.

السؤال الثاني :

لماذا قدّم في آية فاطر الظالم ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله ثم السابقين؟

الجواب :

١ ـ في آية فاطر قدّم الظالم لكثرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، وهذا للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأنّ المقتصدين قليل (وهم المتوسطون في الطاعات)، وأنّ السابقين أقل من القليل. ألا ترى كيف أشار الله إلى ندرتهم وقلة وجودهم في سورة الواقعة (١٣ـ١٤).

٢ ـ (الظالم لنفسه)، وهم أهل الذنوب والكبائر والصغائر من هذه الأمة. وروي عن عمر رضي الله عنه قال: (**سَابِقُنا سابقٌ ومُقتصدنا ناجٍ وظالِمُنا مغفور له بإذن الله**).

السؤال الثالث :

قال تعالى في آية غافر٥٣: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قدّم المفعول الأول ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾

وقال تعالى في آية فاطر ٣٢: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قدم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ فما السبب؟

الجواب :

السبب هو السياق :

ففي آية فاطر الكلام جارٍ على الكتاب؛ ولذلك قدّمه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر:٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر:٣١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

فناسب تقديم الكتاب.

أمّا في سورة غافر فالكلام عن حَمَلَة الكتاب؛ فلذلك قدّمهم.

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر:٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر:٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٥٣﴾ [غافر:٥٣].



﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٣٣ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام حروف الجر في القرآن﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [فاطر:٣٣]لماذا قال: (من أساور) ولم يقل: (بأساور)؟

الجواب :

١ـ الفعل (حلّ) يتعدى بنفسه إلى مفعولين في الأصل. حلاّها؛ أي ألبسها حِلية، حلّيتَها أساور؛ أي ألبستها أساور. وقد يستعمل مع (من) كبقية الأفعال التي تتعدى، كأنْ تقول: أعطيته دفاتر، أو أعطيته من الدفاتر (للتبعيض).

٢ـ والقرآن استعمل هذا الفعل هكذا، مرة معدّى بنفسه إلى مفعولين ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ المفعول الأول هو الواو التي هي نائب فاعل، وأساور: مفعول ثان. وقال:

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، هذا له مفعول واحد، كما تقول: (أعطيته من الكتب) و(أعطيته كتباً)؛ أي أحياناً يتعدى إلى مفعول واحد، وأحياناً نستعمله متعديا بمفعولين.

٣ـ لكنّ السؤال: لماذا لم يقل مثلاً: يحلون فيها بأساور؟

الأصل في الفعل (يحلون) أن يتعدى بنفسه وليس بالباء، ولا يصح أنْ نقول: يحلون فيها بأساور. (يحلون) لا يأتي مع الباء، ويقال في اللغة حليته أساور ومن أساور. الأصل في الفعل (حلَّى) أنه لا يتعدى بالباء.

السؤال الثاني :

لماذا مرة قال في آية فاطر ٣٣: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ومرة في آية الإنسان ٢١ ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ﴾؟ لماذا مرة عدّاه إلى مفعولين (أحدهما نائب فاعل والآخر مفعول به) ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ومرة عداها إلى مفعول به واحد، وجاء بـ﴿مِن﴾ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ لماذا لم يقل (يحلون فيها أساور من ذهب)؟

الجواب :

١ـ في القرآن نجد استعمالين :

أ ـ في سورة الإنسان قال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

قال﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وجاء بـ ﴿أَسَاوِرَ﴾ من دون (من).

ب ـ في سورة فاطر قال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾.

قال: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، وجاء بـ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ مع (من).

٢ـ ما جاء بـ (من) أعلى، يكون الأجر أعلى والجزاء أعلى.

نقرأ الآيتين:

أ ـ في سورة الإنسان قال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

ذكر أمرين في العمل: أولاً يوفون بالنذر، والآخر يطعمون الطعام على حبه.

ب ـ أمّا في فاطر فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر:٢٩] وقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٣].

أي العملين أعلى؟ في سورة الإنسان ذكر: يوفون بالنذر، والنذر أصلاً مكروه لكنّ الوفاء به واجب، ثم إطعام الطعام وذكر (مسكيناً ويتيماً وأسيراً).

وفي سورة فاطر لدينا: يتلون كتاب الله، وإقامة الصلاة والصلاة عماد الدين، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية وليس فقط إطعام الطعام، فالإنفاق أعم من الطعام.

فالأعلى هو الوضع المذكور في سورة فاطر، فجاء معها: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ وهو أعلى مما ذكر في سورة الإنسان التي جاء معها: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾

إذن الأعلى ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ أعلى من ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ لأنه لما كان العمل أكثر كان الجزاء أكبر.

٣ـ لماذا جاء بـ (من)؟

لو قلت لك: البس هذه الملابس، أو: البس من هذه الملابس؟ الأكثر (من هذه الملابس). وهذا مثل﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ هي كثيرة لكنّ :﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ أكثر أي : البس منها ما تشاء.

إضافة أنه قال في فاطر: ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ بينما قال في سورة الإنسان: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ فالأولى أعلى ثم جاء بـ (من) دلالة على كثرة الموجود، والعمل أعلى فالجزاء أعلى.

٤ـ الله سبحانه في سورة الإنسان أخبر عنهم بالماضي﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان:١١]بينما في سورة فاطر أخبر عنهم بالاستقبال فقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٣].

وسياق السورة الأولى أصلاً في الماضي والثانية في المستقبل.

٥ـ أساور جمع، وسوار مفرد. أسورة جمع قلة. وأساور جمع كثرة، سوار مفرد ويُجمع على أسورة.

السؤال الثالث :

مادلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿ جَنَّٰتُ﴾ هي جنات عدة لا جنة واحدة، وهي دائمة باقية لا يخرج منها من دخلها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ فقد ذكر الحق التحلية والزينة قبل الضروريات. وهذا يعني أنّ الضروريات جاهزة مفروغ منها والتحلية ستكون من الذهب ومن الحرير، وكلاهما من المحرمات على الرجال في الدنيا، أمّا في الآخرة فشيء آخر.

٣ـ قوله: ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة، وأسورة جمع سوار فهي جمع الجمع. وجاء بجمع الجمع ليدل على الكثرة، بينما قال عن الثياب: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ بصيغة المفرد؛ لأنك لا تحتاج إلى العديد من الثياب إلا لترد عن نفسك البرد أو الحر، وليس في الجنة شيء من هذا.

السؤال الرابع :

ذكر الله في آية سورة الإنسان ٢١ ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾، بينما في آيات أخرى ذكر ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، كما في الكهف ٣١ ومرة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾كما في فاطر ٣٣، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.

السؤال الخامس :

ما دلالة واو الجماعة في الفعل﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ في الآية؟

الجواب :

جاء في كتاب (أضواء البيان) للشيخ الشنقيطي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣] فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أنّ إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب دليل على أنّ الله تعالى اصطفاها في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وبيّن في الآية أنهم ثلاثة أقسام :

١ـ الظالم لنفسه: وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أحياناً.

٢ـ المقتصد: وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

٣ـ السابق بالخيرات: وهو الذي يأتي بالواجبات، ويجتنب المحرمات، ويتقرب إلى الله بالطاعات والقُربات التي هي غير واجبة.

ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ والواو في الفعل ﴿يَدْخُلُونَهَا ﴾ شاملة للظالم والمقتصد والسابق بالخيرات على التحقيق، ولذلك قال بعض أهل العلم: (حقٌّ لهذه الواو أنْ تكتبَ بماء العينين) فلم يبقَ من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة. ولذلك تعتبر (واو الجماعة) هذه أغلى (واو جماعة) في القرآن الكريم من ناحية خيريتها ودلالتها. والله أعلم.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النصب واللغوب؟

الجواب :

١ـ النصب: هو التعب والإعياء، واللغوب: هو الفتور وهو نتيجة النصب، فبعد النصب يفتر الإنسان.

٢ـ النصب أولاً ثم اللغوب، النصب تعب، ثم نتيجة ذلك الإعياء فيحصل فتور.

٣ـ وقسم من أهل اللغة يفرّق فيقول: النصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس.

في الجنة قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر:٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق:٣٨] يعني أيّ فتور.

(ما مسنا من لغوب) يعني حتى الفتور ما مسّنا فكيف بالنصب؟! الشيء القليل ما مسنا فما بالك بالكثير؟ بينما في التوراة المحرفة قالوا: خلق الله السماء والأرض في ستة أيام ثم تعب فارتاح يوم السبت!.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى:﴿أَحَلَّنَا﴾ أي أدخلنا وجعلها محلاً لنا.

٢ـ قوله تعالى: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي مكان الإقامة الدائمة والمراد الجنة فالجنة دار إقامة دائمة، أمّا الدنيا فما هي إلا معبر إلى الآخرة.

والجنة جعلها الله محلاً للمؤمنين ليس بأعمالهم وإنما بفضلٍ منه وتكرم.

٣ـ قوله تعالى:﴿لَا يَمَسُّنَا﴾ أي لا يصيبنا ولو شيئاً قليلاً.

٤ـ النصب هو التعب والمشقة وهو تعب الجوارح، واللغوب هو تعب الصدور مثل القلق والهم.

٥ـ تكرار﴿لَا يَمَسُّنَا﴾ يفيد أنّ كلا الأمرين (النصب واللغوب) مجتمعين أو منفردين لا يمسهم، ولو لم يكرر لربما فُهم أنّ النصب منفرداً، أو اللغوب منفرداً قد يمسهم ، فكرّر الفعل لذلك.

والله أعلم.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة جواب الطلب في الآية ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾؟

الجواب :

١ـ يجزم الفعل المضارع بعد أدوات الجزم الظاهرة مثل: لم ـ لما ـ لام الأمر ـ لا الناهية.

٢ـ وقد يجزم بغير أداة ظاهرة، وهو الذي يسميه النحاة جواب الطلب. نحو: زرني أزرْك، والنحاة تقدر المعنى: إنْ تزرني أزرْك.

وهذا الأسلوب أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومرتبط به ارتباط الجواب بالشرط، فإنْ لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩].

ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣].

ـ ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

ـ ﴿جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر:٣٦].

في هذه الأمثلة لا يصح إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت الفاء، فلا يصح: إنْ لا يُقض عليهم يموتوا؛ لأنّ الفاء هي لبيان العلة والسبب.



﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟ ويتذكر ويذّكر؟

الجواب :

آية فاطر معناها أنكم بقيتم في الدنيا مدة طويلة، وهي كفاية للتذكر لكنكم لم تتذكروا، فجاء بصيغة الفك الطويلة ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

لمزيد من التفاصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٧.



﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في ذكر وحذف ﴿فِى﴾ في الآيتين ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] و﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٩]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٥.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الكفران والإنكار و الجحود ومرادفاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود٥٩.



﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الخطاب للرسول ﷺ ﴿قُلْ﴾والمراد هنا الإخبار عن حال شركائهم الذين عبدوهم من دون الله، وليس للاستفهام عن الرؤية، وجعلهم هم أنفسهم حكماً في هذه المسألة.

٢ـ طلب الإخبار عن شركائهم في الأمور التالية :

أـ هل هم خلقوا الأرض وانفردوا فيها؟ !

ب ـ هل شاركوا الله في الخلق؟ !

ج ـ هل عندهم كتاب يبيح لهم الشرك يكون لهم حجة في شركهم؟!

٣ـ كان الرد هو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

أي كل هذا باطل، فشركاؤهم ما خلقوا شيئاً وما شاركوا في خلق شيء ولا آتيناهم كتاباً يكون حجة لهم، وكل هذا خداع منهم وزخرفة. والحقيقة أنهم يغرّ بعضهم بعضاً ويخدع بعضهم بعضاً بهذه الأباطيل.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة ﴿مَاذَا﴾ في الآية؟ ولِمَ لم يستعمل (ما)؟

الجواب :

هنا في الآية يوجد تحدٍّ كبير للمشركين لا يمكنهم الإفلات منه، فيقول لهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؟ أي اذكروا لي شيئاً واحداً خلقوه وإنْ هان، فجاء بـ (ماذا) في التحدي وهو أبلغ وأقوى من (ما).



﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الله وحده هو الذي يمسك السموات أنْ تقع على الأرض، ويمسك السماوات من أنْ تتحرك من أماكنها فتسقط وتتهدم. وهذه المسألة لله وحده ليس فيها شريك ولا معارض. والله هو الذي خلق السماوات بغير عمد. وليست المسألة جاذبية ولا غيرها، وإنما هي القدرة الإلهية التي خلقت كوناً مُحكماً يجعل لكل مخلوق في السماوات والأرض ما يحفظ توازنه ويمسكه من أن يقع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ﴾ يعني: ما يمسكهما، فهي بمعنى أداة النفي.

٣ ـ ما علاقة نهاية الآية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي ما علاقة هاتين الصفتين لله تعالى (الحليم والغفور) بمسألة إمساك السماوات والأرض وهي مسألة كونية؟

والجواب :

كأنّ الله يقول لنا: إنّ هذه المسألة الكونية سيكثر حولها الجدل وتتعدون حدودكم وتخوضون أكثرمما ينبغي، لذلك فالحق سبحانه حليم لا يعاقب المتجرئين عليه الخائضين في حقه بل المنكرين لوجوده، ولولا حلمه ومغفرته لذنوبنا ما أمسك السموات والأرض، ولتهدم هذا الكون على من فيه.

جاء في الحديث القدسي:. ..فقال الله: « **دعوني وخلقي، لو خلقتموهم لرحمتموهم، إن تابوا إلي فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم** ».

السؤال الثاني :

ما دلالة الفعل ﴿يُمۡسِكُ﴾ في الآية؟

الجواب :

جاء الفعل﴿يُمۡسِكُ﴾ بصيغة الاستمرارية، أي أنّ إمساك الله تعالى لمادة الكون من الزوال مستمرة، لذلك فالمخلوقات مدينة بوجودها في كل لحظة للخالق سبحانه وتعالى. وإيداع حيثيات الوجود في المادة لا يعني أنها أصبحت أصيلة ومستقلة في وجودها عن أمر الله تعالى، وهذه الحيثيات تُخرج المادة إلى ساحة الوجود المكاني والزماني في كل لحظة بأمر الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث :

كيف استعمل التثنية مع وجود الجمع﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في آيتي الأنبياء ٣٠ وفاطر ٤١؟

الجواب :

أراد بـ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الجنس، أي جنس السماوات، وكذلك جنس الأرض فقال: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ بالمثنى.

ونحو ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].

والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية٤١: ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾، وقد وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في القرآن الكريم في ٦ مواضع، بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في ٦٤ موضعاً. فما دلالة ذلك؟

الجواب:

الحلم هو الأناة والتعقل. والحليم من أسماء الله الحسنى بمعنى تأخير العقوبة عن بعض المستحقين، ثم يعذبهم، وقد يتجاوز عنهم.

وكلمة (حليم) في آيات القرآن الكريم لا يؤخذ منها التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت غفور رحيم، وإنما جاءت هنا ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ كتهديد بالعذاب لمن لا يرتدع ويتجاوز الحد.

ومعنى الآية ٢٣٥ من سورة البقرة أنه لا يغرنّك أيها الزوج حلم الله تعالى عليك فتتمادى في ظلم زوجتك فإن الله مطلع عليك ولا ينسى عملك وتذكر أنه إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ نجد أنّ السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى ولا يخاف بطشه سبحانه.

كما نلاحظ في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة أنّ الأفعال جاءت فيها بالمضارع؛ ليدل على أنّ هذه الأمور متجددة الحصول وقد نقع فيها فلننتبه وهذه الأفعال هي: ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ ﴿تَقُولُوا﴾ ﴿تَعْزِمُوا﴾ ﴿يَبْلُغَ﴾ ﴿يَعْلَمُ﴾ ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾

السؤال الخامس :

ما دلالة ﴿إِنْ﴾ النافية في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٧ .

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾ [فاطر:٤٢] ﴿وَلَيَكُونًا﴾ [يوسف:٣٢]؟

الجواب :

هذا ليس تنويناً، وإنما نون التوكيد الخفيفة ونون التوكيد الثقيلة.



﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الحكمة من تكرار التركيب في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]؟

الجواب :

١ـ التبديل هو تبديل العقوبة؛ لأنّ الآية في سياق العقوبة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ وهي عامة، ولكنها جاءت هكذا ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ سنة الأولين ذكرها تعالى في العقوبة. فهذه لا يمكن لأحد أنْ يغيّر العذاب الذي أنزله أو يبدّل هذه العقوبة بأمر آخر. والذي يفعل مثل فعل

الأولين ربنا يعاقبه بمثل العقاب الذي نال الأولين، و إذا أراد أي أحد أنْ ينفعهم أو أنْ يبدل العقوبة فلا يمكن له ذلك ولا يمكن له أنْ يحولها من ناس إلى آخرين.

السؤال الثاني:

الآية واحدة والقصة واحدة، ومع هذا تتحول المفردات من كلمة لأخرى فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب :

التبديل غير التحويل. التبديل هو تبديل العقوبة بغيرها أو يبدلها من عقوبة إلى شيء آخر، بينما التحويل هو أنْ تحولها من أناس إلى أناس آخرين. فالذين يفعلون المعاصي وتحل عليهم عقوبة، لا يمكن أنْ يحول العقوبة من أحد إلى آخر .

والذي يفعل مثل هذا الفعل ربنا سبحانه وتعالى يجري السُّنّة عليه فلايمكن أنْ تتبدل ولا يمكن أنْ تتحول من هؤلاء إلى آخرين، والذي يفعل مثل هذا الفعل يناله نفس الجزاء، ولا يمكن أنْ تبدل العقوبة بغيرها.

ربنا يعاقب المجتمعات الظالمة بعقوبات محددة، ولا يمكن لأحد أنْ يبدّل العقوبة إلى عقوبة أخرى غير التي قدّرها الله أو يجعلها مكافأة بدلاً عنها فهذا لا يمكن أنْ يكون. و لا يمكن لأحد أنْ يحوّل ما وضعه الله تعالى من سُنن، ولا يمكن أنْ يحوّل العقوبة من الظالمين لغيرهم أو من المكذبين لغيرهم، بل كل شيء بيد الله وحده وحسب سننه التي وضعها والتي لا يمكن لأحد أنْ يبدلها أو يحولها. والله أعلم.

السؤال الثالث :

السؤال: ما دلالة التكرار في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾؟

الجواب:

آية فاطر٤٣ :

قال الإمام محمود بن حمزة الكرماني في كتابه أسرار التكرار في القران الكريم المسمى: (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) عند ذكر آية سورة فاطر٤٣ ما نصه:

وقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ كرّر،وقال في آية الإسراء ٧٧: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾، ولم يكرر. بينما قال في الفتح٢٣: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾.

أ ـ التبديل: تغيير الشيء عما كان عليه، ولا يكون التبديل إلا برفعه ووضع آخر مكانه. كقوله تعالى: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ وكذلك: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾.

فالإبدال هو جعل الشيء مكان الشيء. يقال بدلّه إذا غيّره، وأبدله أي جاء ببدله.

ب ـ وأما التحويل فهو نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنة الله تعالى لا تبدل ولا تحول. فخصّ هذا الموضع في سورة فاطر بالجمع بين الوصفين لما وصف الكفار بوصفين وذكر لهم غرضين، وهو قوله:

١ـ في الآية ٣٩: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

٢ـ وقوله في الآية ٤٣: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ وقيل: هما بدلان من ﴿نُفُورًا﴾ فكما ثنى الأول والثاني، ثنى الثالث والرابع؛ ليكون الكلام كله على غرار واحد.

بينما قال في الفتح٢٣: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ فاقتصر على مرة واحدة لما لم يكن للتكرار موجب.

وخصّ سبحانه في آية سورة الإسراء٧٧ بقوله: ﴿تَحۡوِيلًا﴾؛ لأنّ قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ: لو كنت نبياً لذهبت إلى الشام، فإنها أرض المبعث والمحشر، فهمَّ النبي ﷺ بالذهاب إليها، فهيأ أسباب الرحيل والتحويل، فنزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ﴾ وختم هذه الآية بقوله ﴿تَحۡوِيلًا﴾تطبيقا للمعنى.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة الحف والحصر والإحاقة والمداولة؟ ·

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٠.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في يوسف ١٠٩ والحج ٤٦ ﴿أَفَلَمْ﴾وجاء في الروم٩ وفاطر٤٤ وغافر٢١ ﴿أَوَلَمْ﴾، فلماذا؟

الجواب:

القاعدة أنه في كل موضع يكون ما قبله سبباً لما بعده يكون (بالفاء) السببية، وإنْ لم يكن سبباً لما بعده يكون (بالواو) العاطفة؛ لأنها تعطف جملة على جملة. والسياق يبيّن الموضوع، فمثلاً :

١ـ آية يوسف١٠٩ : لمّا تقدمها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ قال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾أي: فينظروا ويسمعوا أخبار الرسل وما جرى على من كذبهم.فاستعمل (الفاء)؛ لأنّ ما قبلها سبب لما بعدها.

٢ـ آية الحج٤٦: لمّا تقدمها﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ليتدبروا أحوال الماضين منهم. فاستعمل (الفاء) لأنّ ما قبلها سبب لما بعدها.

وهكذا. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية الروم ٩ وآيتي غافر ٢١-٨٢: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾ وفي فاطر ٤٤ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾؟ بزيادة الواو، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٩.



﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾

السؤال الأول :

علام يعود الضمير في ﴿ظَهۡرِهَا﴾ في الآية؟

الجواب:

قد يعود الضمير على العلم به، وإنْ لم يتقدم له ذكر، كما في :

- آية فاطر ٤٥: الضمير في ﴿ظَهۡرِهَا﴾ يعود على الأرض؛ وذلك لأنّ الكلام عن الناس والناس على الأرض.

- آية ص ٣٢: الضمير في ﴿تَوَارَتۡ﴾ يعني الشمس، فهي مفهومة من السياق.

- آية القدر ١ : الضمير يعود على القرآن.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية النحل ٦١ ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ وفي آية فاطر ٤٥ ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، فما السبب؟

الجواب :

ليس في الآيتين تكرار، وإنما لكل آية معناها :

١ـ آية النحل تتكلم عن ظلم الناس، بينما آية فاطر تتكلم عما اكتسبوه من السيئات العامة، وكلتا الآيتين تعطيك لقطة جديدة؛ لأنني قد أظلم لكن قد أندم على ظلمي ولا أتمادى به. لكن إنْ صار عادة لي حتى عشقته فهو اكتساب وافتعال.

٢ـ في آية النحل ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ وفي آية فاطر ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾.

٣ـ تذييل آية النحل يتحدث عن الزمن والأجل الذي لا يتأخر ولا يتقدم وفي الأخرى يتحدث عن الجزاء وأنّ الله بصير بأعمال عباده لا يخفى عليه منهم شيء، و﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ متصل بالآية التي قبلها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾فالضمير يعود على أقرب مذكور، وهو الأرض.

٤ـ هناك طريقة لحفظ الآيتين دون أنْ تخلط بعضهما ببعض، وهي أنْ [لا تجمع الظائين ولا السينين] أي إنْ قلت: بظلمهم، فلا تقل: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ وإنْ قلت: بما كسبوا، فلا تقل: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾أي القيامة والعذاب، أو جاء أجل استئصالهم بعذاب.

٦ـ في الآيتين لم يذكر الله ظهر ماذا؟ وإنما قال: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ وهي الأرض، فلم يذكرها لشدة وضوحها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فلم يذكر القرآن صراحة لوضوحه للمخاطب والسامع.

والله أعلم

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة فاطر مع خواتيمها:

١ ـ قال سبحانه في أول السورة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقال في أواخرها:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. فهو فاطرهما، وما كان ليعجزه شيء فيهما.

٢ ـ وقال في أوائلها:

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:٢-٣].

وقال في آخرها:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر:٤٥].

وهذا مناسب لقوله في أوائل السورة: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾. فإنه لو أمسك رحمته ما ترك على ظهرها من دابة.

هذا وإنّ عدم مؤاخذته الناس بما كسبوا من رحمته ونعمته سبحانه عليهم.

وهو مناسب لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

٣ ـ وقال في أوائلها:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ [فاطر: ٤].

وقال في أواخرها:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ﴾ [فاطر: ٤٤].

فهو في الآية الثانية يوجههم إلى النظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وإلى السير في الأرض؛ ليتبين ذلك لهم.

والله أعلم.



سورة يس

أولاً ـ تناسب خواتيم فاطر مع فواتح يس

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة فاطر :

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ ﴾ [فاطر:٤٢-٤٣] .

وقال في أول سورة يس :

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . . . ﴾ [يس:١-٧] .

فذكرهم في الموضعين وذكر صدودهم وعنادهم.

٢ ـ قال سبحانه في آخر سورة فاطر :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر:٤٤] .

وضرب لهم في أوائل يس مثلاً لعاقبة الذين كذبوا من قبلهم، وهو قصة أصحاب القرية، وذلك قوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

إلى قوله: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يس:١٣-٢٩] .

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام لله والإصرار على الدعوة:

سورة (يس) تظهر أنه لا بد للمسلم من الاستسلام لله تعالى وتفويض الأمر إليه أثناء الدعوة إلى الله، بأنْ يبقى المرء مصراً على الدعوة سواء اهتدى الناس أم لم يهتدوا؛ لأنّ الدعوة إلى الله عبادة لله، وأنت تتقرب إلى الله بهذه العبادة سواء أرأيت النتائج أمامك أم لم ترها.

ولذلك فإن سورة (يس) تصور لنا نموذجين من الأشخاص: نموذجاً لأشخاص ما تزال قلوبهم تنبض بالحياة، ونموذجاً آخر لأشخاص ماتت قلوبهم. ولأنّ المرء لا يعلم ما في قلوب الناس، فهو بالتالي لا يعلم من ترجى هدايته ممن لا يرجى، فوجب عليه دعوة الجميع سواء اهتدوا أو لم يهتدوا.

*** سبب نزول السورة :**

تبدأ السورة بذكر الذين لا ترجى هدايتهم: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [يس:١٠] ثم مباشرة تذكر من ترجى هدايته: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس:١١].

فالسورة تصور الفئتين مما يوضح سبب نزولها على النبي ﷺ قبل الهجرة مباشرةعندما توقف انتشار الإسلام وبدأ المسلمون يشعرون باليأس من دعوتهم. لذلك ترى آيات كثيرة تثبت أن النبي عليه السلام على الحق وتقوي عزيمته للاستمرار في طريق الدعوة: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾.

فكأنّ السورة تسأل الدعاة وتسألنا أيضاً: هل ستطيعون الله وتستسلمون له وتستمرون بدعوتكم؟

*** نموذج للاستسلام لله وعدم اليأس :**

ونرى هنا قصة القرية التي أرسل الله لها ثلاثة من المرسلين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس:١٣-١٤].

لكنّ هناك رجلاً أحس بمسؤوليته عن هذا الدين وكان موقفه رائعاً :

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس:٢٠-٢٢] فهذا الرجل لم يقف مكتوف اليدين دون أنْ يدعو إلى الله بحجة وجود الأنبياء في هذه القرية، لكنه أصرّ على الاستمرار في دعوة قومه رغم أنهم لم يستجيبوا للأنبياء الذين هم أفضل منه بكثير.

وهكذا تصب القصة في محور السورة: إياك واليأس من دعوة الناس إلى الله.

*** الآيات الكونية ونهاياتها :**

ركزت السورة على الموت والبعث حتى نتذكر أننا جميعاً سنموت؛ لذلك ينبغي الاستمرار في الدعوة لعلّ الله يحيي قلب رجلٍ عاصٍ قبل الموت.

وهذا المحور جاء مقروناً بالآيات الكونية المذكورة في السورة التي ركزت على النهايات، وكأنها تذكر الكافرين بالموت، فللشمس وللقمر نهاية كما لكل المخلوقات.

: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس:٣٨-٣٩].

*** اقرؤوا يس على موتاكم :**

ومن هنا نفهم حديث الرسول ﷺ «**اقرؤوا يس على موتاكم** » والمقصود حال احتضاره، وليس على قبره. وكأنّ المعنى: اقرأ هذه السورة على كل حي حتى أولئك الذين يلفظون أنفاسهم الأخيرة؛ لأنّ الحياة لا تزال موجودة فيهم. فإذاً لا بدّ من توجيه الدعوة إليهم وعدم اليأس منهم. .. وهذا معنى جميل ومهم لكل الدعاة إلى الله.



ثالثاً ـ اللمسات البيانية في السورة:

﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة يس؟ وهل - كما قيل- ترمز للرسول ﷺ؟ وما دلالة الآية الثانية بيانياً؟

الجواب :

١ـ ﴿يسٓ﴾ قيل في الأحرف المقطعة كلام كثير ـ والله أعلم بمراده ـ ولكنْ بشكل عام فإنّ هذه الأحرف تلفت انتباه السامع، وتجعله يصغي إلى ما يقال بعدها، فكأنها وسيلة تعبيرية تشد الذهن.

٢ـ ذهب بعضهم إلى أنّ ﴿يسٓ﴾ من أسماء الرسول ﷺ بدليل مابعدها ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾.

والأقرب إلى الصواب أنّ هذا الرأي ليس سديداً، بدليل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى:١-٣].

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم:١-٢].

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [القلم:١-٣].

ولم يقل أحد أنّ (حم عسق) أو (كهيعص) أو (ن) من أسماء الرسول ﷺ



﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

١ـ أقسم ربنا بالقرآن الحكيم. والقرآن مأخوذ من لفظ القراءة، والقرآن في الأصل مصدر للفعل (قرأ) والمصدر الثاني (قراءة)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ أي قراءته.

ويسمى أيضاً بالكتاب، وأقسم به ربنا أيضاً فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ والكتاب من الكتابة.

ولذلك فإنّ التسمية بالقرآن والكتاب إشارة إلى أنه يُقرأ ويُكتب، فأقسم به ربنا مكتوباً ومقروءاً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ يحتمل عدة معان كلها يمكن أنْ تكون مرادة :

أ ـ على وزن (فعيل) بمعنى اسم المفعول أي: مُحكم، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود:١].

ب ـ بمعنى صاحب الحكمة أو ذو حكمة فيكون الإسناد مجازياً، وحقيقة الإسناد إلى الله تعالى.

ج ـ الحكيم مبالغة من الحُكم فهو بمعنى الحاكم؛ أي أنه قرآن حاكم، وهو كذلك فهو الحَكَم العدل والقول الفصل، وحكمه يعلو على جميع الأحكام.

أي أنه جمع بقوله: (الحكيم) بين الحقيقة والمجاز، وجمع بين المجاز العقلي والاستعارة، ولا تؤدي كلمة أخرى هذا المؤدى.

والله أعلم.



﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

أين جواب القسم في الآية السابقة ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ ؟

الجواب:

هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

١ـ هذا جواب القسم، فالله أقسم بالقرآن الحكيم إنّه لمن المرسلين.

٢ـ إنّ هذا ليس مجرد الحلف، وإنما هو دليلٌ خرج في صورة اليمين لأنّ القرآن معجزة ودليل كونه مرسلاً هو المعجزة والقرآن كذلك.

ولذلك أقسم بالقرآن، مع أنّ كفار قريش لا يرون القرآن كلام الله، ولكنْ حيث إنّ القرآن جعله الله معجزة الرسول والدليل الأكبر على رسالته وسماه برهاناً، كما في آية

النساء ١٧٤: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقد تحداهم الله به أكثر من مرة وأقام الحجة عليهم، فكأنه قال لهم: تدبروا هذا القرآن وتأملوه، فإنه أُحكم إحكاماً لا إحكام بعده، وإنه حكيم ينطق بالحكمة، وهو حاكم يعلو ولا يُعلى عليه، فلو تدبرتموه لعلمتم علم اليقين أنه أُنزل من عند الله. وهذا من أحسن القسم.

٣ـ أكّد الجواب بإنّ واللام؛ وذلك لشدة إنكار قومه لرسالته، كما بينت الآيات التي بعدها.

٤ـ قال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقل: إنك رسول؛ ليدل على أنه واحد من جماعة الرسل المرسلين، وليس بدعاً من الرسل.

٥ـ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يحتمل أنْ يكون الجار والمجرور خبراً بعد خبر بتقدير: إنك على صراط مستقيم.

ويحتمل أنْ يكون الجار والمجرور متعلقاً بالمرسلين، بتقدير: إنك من الذين أُرسلوا على صراط مستقيم.

والاحتمال الأول أي خبراً بعد خبر، يعني أنه يصح أنْ تستغني بأحد الخبرين ، لكنه لم يكتف بأحد الخبرين؛ لأنه لو قال فقط: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لدلّ على أنه على صراط مستقيم تضمينياً لا تصريحاً؛ لأنّ كونه من المرسلين يدل على أمور كثيرة، منها أنه صادق، ومنها أنه على حق ومنها أنه يأمر بالخير، ومنها أنه على صراط مستقيم ؛ولذلك جاء قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لتحدد أمراً معيناً، فلم يدعْ ذلك للذهن أنْ يستنتجه.

وأمّا الاحتمال الثاني (إنك على صراط مستقيم) فقط فلا يدل على أنه من المرسلين، فكون الشخص على الصراط المستقيم لا يعني أنه رسول من عند الله.

٦ـ قدّم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ على قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لعدة أسباب :

أ ـ قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أفضل من كونه على صراط مستقيم؛ لأن كونه مرسلاً يعني أنه على صراط مستقيم وأنه نبي.

ب ـ قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يتضمن أنه على صراط مستقيم؛ لأنّ كونه على صراط مستقيم إنما هو بسبب أنه مرسل أوحي إليه بهذا الصراط فهو أسبق في الرتبة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة الصراط؟

الجواب :

الصراط هو :

١ـ الطريق.

٢ـ هو الجسر المضروب على متن جهنم يمر عليه البارُّ والفاجر والمؤمن والكافر، كلٌّ بحسب عمله.

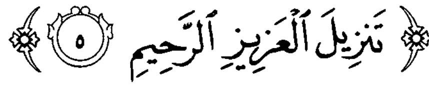
وحين تمر على الصراط لا يكون معك عصاً تحفظ بها توازنك كلاعب السيرك؛ لأنّ الذي يزن حركتك على الصراط هو القرآن الذي تمسكت به في حياتك الدنيا.

٣ـ سُمي: (مستقيم)؛ لأنه يوصلك للغاية من أقرب مسافة وأيسرها. وعبارة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيها إشارة إلى أنّ الصراط له مهمة هي أنْ يُوصلك إلى الغاية المرادة، فالصراط في خدمتك.

وسُمي طريق المؤمنين الصراط المستقيم؛ لأنّ الله تعالى هو الذي شرعه ولأنه منزّل منه سبحانه.

٤ـ الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ أي أنك تعتليه وكأنه مطية توصلك لغايتك، فهو يحملك لا تحمله أنت.




﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الكتاب يُعظّم عادة من ناحيتين: من حيث ما فيه ومن حيث مرسله. وهذا ما عظّمه الله في الآيات السابقة من وصف القرآن بالحكمة.

ثم إنّ مُرسله يكون معظّماً من ناحيتين: بسبب أنْ يكون مرهوباً، أو بسبب أنْ يرجى خيره. وقد جمع الله ذلك بقوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾فجمع بين الترغيب والترهيب وهما مصدر التعظيم للذات.

فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾يفيد أنه نافذ أمره، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ يفيد أنه ذو رحمة وليس متجبراً.

٢ـ نُصب قوله: ﴿تَنزِيلَ﴾ على المدح أو على المصدرية بتقدير: نزل تنزيلَ. وأياً كان ففيه إظهارٌ لفخامة القرآن الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة.

كما قرىء ﴿تنزيلِ﴾ بالجر على أنه بدل من القرآن.

٣ـ التنزيل إنما يكون من المكان العالي المرتفع، ممّا يدل على رفعة القرآن ورفعة مكانه، فالقرآن كان محفوظاً في اللوح المحفوظ، وهذا تعظيم آخر للقرآن.

وعلى هذا يكون القرآن قد أشار إلى تعظيم القرآن من عدة نواح:

أ ـ الإقسام به.

ب ـ وصفه بأنه حكيم.

ج ـ أنه في مكان عالٍ، وقد نزّله العزيز الرحيم بأمره.

د ـ أنّ الله أضافه إلى نفسه بوصفي (العزيز الرحيم) ترهيباً وترغيباً.

٤ـ وللعلم فإنّ طابع سورة (يس) طبعت بطابع هذين الاسمين الجليلين ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وجو السورة يشع فيه العزة والرحمة.

٥ـ ونجد من الآيات السابقة أنه ذُكر لربنا سبحانه ثلاثة أسماء واحداً بالتضمين واثنين تصريحاً.

أمّا المذكور بالتضمين فهو قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فإنه وصف به القرآن وهو كلامه، وإذا كان الكلام حكيماً فصاحبه حكيم أيضاً.

وأمّا الاسمان المصرح بهما فهما ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكمال الاتصاف بهما أنْ تكون الحكمة والعزة معاً، فرحمة من دون عزة ضعف، وهي من دون حكمة نقص.

والله أعلم.



﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ فيه احتمالان:

أ ـ يحتمل أنْ يكون متعلقاً بقوله: ﴿تَنزِيلَ﴾ أو بالفعل المضمر (نزّل) بتقدير: تنزيل العزيز الرحيم لتنذر، أو نزله العزيز الحكيم لتنذر.

ب ـ كما يمكن أنْ يكون متعلقاً بـ(المرسلين) أي: إنك لمن المرسلين لتنذر قوماً.

٢ـ الحرف (ما) له احتمالان :

أ ـ نافية: بمعنى: لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم، ولذلك هم غافلون؛ لأنّ عدم الإنذار هو سبب غفلتهم المستحكمة، وهنا يفهم نفي الإنذار للآباء.

ب ـ موصولة أو مصدرية، بمعنى: لتنذر قوماً الشيء الذي أُنذره آباؤهم أو: لتنذر قوماً مثل إنذار آبائهم، والمقصود بالآباء آباؤهم الأقدمون، وهنا يفهم إثبات الإنذار للآباء.

٣ـ فإنْ قلت: أي فرق بين تعلقي قوله: ﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ على التفسيرين؟

فالجواب هو أنه على النفي (الوجه الأول) لم ينذر آباؤهم؛ ولذلك هم غافلون، وعلى الوجه الثاني (الإثبات) بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي لتنذر كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره، فإنه غافل أو فهو غافل.

٤ـ على قول (ما) نافية معناه: لم ينذر آباؤهم، وعلى إثبات الإنذار يكون الإنذار لآبائهم الأولين دون المتأخرين منهم.

لكن لا مناقضة بين الرأيين في تفسير (ما)؛ لأنّ الآية في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم.

وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة لهم.

٥ـ والأقرب إلى الذهن هو المعنى الأول بنفي الإنذار، وإنّ المدة الزمنية بين رسولنا عليه السلام وأقرب نبي وهو عيسى عليه السلام أكثر من خمسمائة عام.

فما بالك بمن قبله، ولا شك - على هذا- أنّ آباءهم لم ينذروا، والله أعلم.

السؤال الثاني :

كيف التوجيه بين التأكيد على بعث الرسل لكل أمة في سورة فاطر٢٤ ونفي ذلك عن أمة محمد ﷺ في آية سورة يس ٦؟

الجواب :

١ـ المراد بآية فاطر مطلق الأمم كعاد وثمود وقوم نوح وقوم إبراهيم وبني إسرائيل.

وفي العرب من ولد إسماعيل، كان هناك نبيان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وهما (خالد بن سنان) وبُعث إلى عبس وروى حديثه في المستدرك وقال فيه النبي ﷺ: «**ذاك نبي أضاعه قومه**».

والثاني هو (حنظلة بن صفوان) وبعث إلى حمير وهو نبي الرس المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾.

٢ـ وأمّا آية يس فالمراد بهم قريش خاصة وأهل مكة الموجودون زمن النبي ﷺ، وآباؤهم لم يأتهم نذير خاص بهم قبل النبي ﷺ.



﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ معنى ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ في القرآن الكريم؛ أي ثبت لهم العذاب ووجب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

وهذا هو الرأي المشهور عند المفسرين.

وهناك أوجه أخرى منها :

أ ـ سبق في علمه أنّ هذا يؤمن وأنّ هذا لا يؤمن.

ب ـ لقد حقّ القول الذي قاله الله على لسان رسله من التوحيد وغيره وبان برهانه على أنّ أكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا.

٢ـ في القرآن الكريم أسند الفعل (حقّ) إلى القول﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أو إلى الكلمة ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ في ثلاثة عشر موضعاً مما يدل على الوجه الأول للتفسير، وهي الآيات :

[القصص ٦٣ـ فصلت ٢٥ـ الأحقاف ١٨ـ السجدة ١٣ـ يس ٧ـ ٧٠ـ الصافات ٣١ـ الزمر ١٩ـ ٧١ـ يونس ٣٣ـ ٩٦ـ غافر ٦ـ الإسراء ١٦].

وبذا يترجح الوجه الأول للتفسير.

٣ـ ذكر في الآية يس ٧ أنه حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون وهذا ما حصل فعلاً، وهذا من الإعجاز؛ لأنه أخبر بالشيء قبل حصوله فحصل.

ويكفي ورود ذلك في القرآن دليلاً، فإنّ القرآن أصدق وثيقة تاريخية عما أخبر في وقته. وهذه الآية كانوا يسمعونها دوماً فلو لم يحصل ذلك لكذبوه.

٤ـ الآية مصدّرة بـ ﴿لَقَدْ﴾ واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق ومعنى هذا أنّ ما أخبر عنه قد حصل فعلاً.

٥ـ قال: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولم يقل: فهم لم يؤمنوا؛ ليدل على أنهم سيموتون على الكفر، وأنهم لا يؤمنون في مستقبل حياتهم، ولو قال: فهم لم يؤمنوا لكان إخباراً عن أمر قد مضى.

٦ـ في قوله: ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ قدّم القول على الجار والمجرور، بينما في مواطن أخرى قدّم الجار والمجرور على القول، كما في قوله تعالى:

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ...﴾ [فُصِّلَت:٢٥].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس:٣٣].

وهذا التقديم والتأخير إنما يكون لغرض معنوي، كما هو مقرر في علم البلاغة، فما كانت العناية به أكثر قدّم في الكلام. ولنأخذ بعض الشواهد القرآنية :

آية فصلت ٢٥:

قدّم فيها الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِمُ﴾ على ﴿ٱلْقَوْلُ﴾، ذلك أنّ السياق على أعداء الله وعلى الذين حق عليهم القول، إي على الأقوام الذين حق عليهم العذاب، انظر آيات فصلت ١٩ـ٢٩، فناسب تقديم (هؤلاء) على (القول) لأنّ الكلام يدور عليهم.

آية يونس ٣٣:

انظر آيات سورة يونس ٢٩ـ٣٥ لتجد أنّ الكلام عن الله ونعمه واستحقاقه للعبادة، فناسب تقديم كلمة ﴿رَبِّكَ﴾ على الجار والمجرور﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾

آية يس ٧:

العناية بقول الله عليهم أكثر من الكلام عن القوم وأفعالهم، فإنه لم يذكر عن القوم إلا أنهم غافلون، فذكر ما فعله ربنا ولم يذكر مافعلوه، فقدّم (القول) على الجار والمجرور.

٧ـ من جهة أخرى لفظية وفي جميع الآيات ذات الصلة، وهو أنه إذا كان حرف الجر داخلاً على الضمير نحو (عليهم) و (علينا) تقدّم الجار والمجرور على القول، وإلا تأخر.

* شواهد قرآنية :

أ ـ بتقديم الجار والمجرور على الفاعل:

ـ ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص:٦٣]ـ [فُصِّلَت:٢٥]ـ [الأحقاف:١٨].

ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الإسراء:١٦].

ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [الصافات:٣١].

ـ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزُّمَر:١٩].

ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس:٩٦].

ب ـ بتقديم الفاعل على الجار والمجرور :

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ [يس:٧].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [يونس:٣٣].

﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّمَر:٧١].

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٧٠].

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما كلمات المنظومة التي تدل على أنّ الأمر وقع وثبت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٥.



﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى قوله تعالى ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾؟

الجواب :

المقمَح: مأخوذ من إبل قِماح، وهي التي حين تذهب لشرب الماء تغرف منه ثم ترفع رؤوسها إلى أعلى.

وهذه الصورة رسمها الحق لمن غَلَّ يده عن الصدقة وعن الإنفاق، كذلك تغل يده إلى عنقه يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.

والأغلال جمع (غل) وهو الحديدة التي تمسك اليد وتشدها تحت الذقن فيرتفع الرأس إلى أعلى، وبالتالي يرتفع مستوى النظر إلى أعلى، فلا يكاد يرى الإنسان طريقه ولا يهتدي إلى موضع قدمه.

أعاذنا الله من ذلك. اللهم آمين.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الأغلال جمع غُل، وهو حلقة من الحديد تحيط بالعنق أو باليد أو تجمع بينهما وتسمى الجامعة، وذلك بقصد التضييق والتعذيب والأسر.

والمقمح هو الذي يرفع رأسه ويغض بصره.

٢ـ والمعنى العام للآية: إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ثقالاً غلاظاً بحيث تبلغ إلى الأذقان، فلم يتمكن المغلول معها من أنْ يطأطىء رأسه.

وهذا تمثيل وكناية لحال هؤلاء الكفرة وبقائهم على ضلالهم، فلا يتمكنون من الهدى في الدنيا، وربما كان هذا حالهم يوم القيامة.

٣ـ إنّ المغلول يكون ممنوعاً من إبصار الطريق الحسي المستقيم الذي جاء به الرسول عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ فأسند الله هذا الأمر إلى نفسه مع التأكيد بـ(إنّ) ليدل على استحكام هذا الأمر، وأنه لا يتمكن أحد من فك هذا الغل فلا يتحررون منه، وهو تأكيد لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾.

٥ـ قدّم ﴿أَعْنَٰقِهِمْ﴾ على الأغلال؛ لأنّ الكلام عليهم وهم مدار الحديث فكان تقديم ما تعلق بهم أولى.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما طرق دخول النار؟ وما الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار؟

الجواب :

ليس كل المشركين والملحدين على وتيرة واحدة في دخول النار ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ وإنما على أشكال متعددة :

١ـ دخول اعتيادي: أبواب جهنم موصدة تُفتح لإدخال المشركين والملحدين، وأنواع العذاب كثيرة كلٌ بحسب عمله.

قال تعالى: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النحل:٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ﴾ [الليل:١٥].

٢ـ الإلقاء من بعيد: بعد أنْ يقيدوا بالسلاسل وترفعهم أنواع من الكلاليب فيُلقون من مكان بعيد.

قال تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يس:٨].

﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ق:٢٤].

﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفرقان:١٢-١٣].

٣ـ قسم ثالث يُدعّون إلى جهنم دعّا، كما يُدق الوتد في الجدار كالمجرم الذي يُدفع به إلى السجن بقوة.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ [الطور:١٣].

من الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار :

١ـ الدعاء.

٢ـ الصدقة.

٣ـ الشفاعة.

٤ـ عين بكت من خشية الله.

٥ـ بر الوالدين.

٦ـ شهادة الآخرين.

٧ـ تربية البنات.

٨ـ من مات له ثلاثة أولاد.

٩ـ بعض الأعمال: كالمؤذن والتثويب خلفه.

١٠ـ أهل الليل والتهجد.

١١ـ أهل البلاء.

١٢ـ كل موت غير اعتيادي: حادث ـ مرض ـ حرق ـ غرق ـ غربة.

١٣ـ الصلاة في وقتها جماعة.

١٤ـ الصوم بكل أشكاله.

١٥ـ من اغبرت قدماه في سبيل الله.

١٦ـ المرابطون.

١٧ـ آية الكرسي بعد الصلاة.

١٨ـ ذكر الله.

١٩ـ سلطان عادل، ورجل رحيم، وفقير متعفف.

وغيرها كثير.

اللهم حرم أجسادنا وأجساد آبائنا وأمهاتنا وذرياتنا وإخواننا والمسلمين على النار. اللهم آمين.



﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما النظرات البلاغية في الآية؟

الجواب:

١ـ بعد ما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه جعل في أعناقهم أغلالاً ذكر في هذه الآية أنه جعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً.

٢ـ كرر(منْ) في الآية، ولم يقل مثلا: وجعلنا من بين أيديهم سداً وخلفهم سداً؛ ذلك أنّ (منْ) تفيد الابتداء، ومعنى ذلك أنه جعل السد ابتداء من بين أيديهم، ولم يترك بينه وبينهم فراغاً، وكذلك من خلفهم فإن السد ملتصق بهم من الأمام ومن الخلف،

بخلاف ما إذا لم يذكر (منْ)، فإنه يحتمل أنْ يكون بينهم وبين السد مسافة بعيدة أو قريبة.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾لم يستعمل (من)؛ لأنّ بينهم وبين السماء مسافة بعيدة.

ـ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾لم يستعمل (من) لأنّ بينهم وبين الطيور مسافة غير قليلة.

ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ استعمل (من)؛ ليدل على أنّ الرواسي ملتصقة بالأرض ليس بينها وبينها فراغ.

٣ـ قدّم الجار والمجرور على السد؛ وذلك لأنّ الكلام عليهم لا عن السد فكان تقديم ما تعلق بهم أولى.

٤ـ السد من الأمام ومن الخلف الهدف منه منعهم من السير للأمام ومنعهم من العودة إلى أماكنهم الأولى.

٥ـ ثم أغشى أبصارهم وغطاهم فمنعهم من الرؤية فهم لا يبصرون ولا يتحركون، فكيف يهتدون؟ !!

٦ـ قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل أنه أغشاهم بالسدين، فلا يستطيعون الإبصار ولا الحركة، أو أغشى أبصارهم علاوة على السدين، وفي كلتا الحالتين لا يستطيعون الحركة ولا الإبصار.

٧ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ يشمل جميع الجهات لأنّ أية جهة يتجهون إليها ستكون ما بين أيديهم، فلا حاجة إلى ذكر جهتي اليمين واليسار.

٨ـ أسند الله الجعل والإغشاء إليه سبحانه، لبيان أنه لا يمكن لأحد أنْ يزيل السدين أو يرفع الغشاوة.

٩ـ الفاء في قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾ متعلقة بالإغشاء بالسد، فكيف ذلك؟

والجواب من وجهين:

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ أي: فلا يبصرون أنفسهم لإقحامهم وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ أي: فلا يبصرون ما في الآفاق، وحين ذاك يمكن أنْ يروا السماء وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد ذلك كله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ أي فلا يبصرون شيئاً أصلاً.

ب ـ ويحتمل أنْ يكون المراد هو أنّ الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود، وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد، فيظن أنه على الطريقة المستقيمة وغير ضال.

١٠ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ فأغلق منافذ الإيمان والهدى في آية البقرة، بينما أغلق منافذ السير على الصراط المستقيم في آيات يس، فناسب كل تعبير مكانه الأليق.

١١ ـ لم يكرر الفعل ﴿جَعَلۡنَا﴾ من الخلف، بل ذكره مع السد الأمامي فقط والسبب- والله أعلم - أنه مع أنّ التكرار يفيد التأكيد، إلا أنّ السدين ليسا بمنزلة واحدة؛ لأنّ

السد الأمامي هو الأهم؛ لأنه هو الموصل إلى الهدى والفلاح، وأمّا السد الخلفي فهو مانع من الرجوع فقط.

فلمّا لم يكن السدان بمنزلة واحدة من حيث الأهمية لم يجعلهما في التعبير بمنزلة واحدة، بخلاف آية النبأ ١٠-١١ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾، حيث كرر الفعل (جعلنا)؛ لأنّ الليل والنهار كليهما مهمان للإنسان، فلا تصلح الحياة بليل لا نهار ولا تصلح بنهار لا ليل فيه و الحياة إنما تستقيم بالليل والنهار معاً مما جعلهما بمنزلة واحدة، فكرر الجعل مع كل واحد منهما.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١- ما كفر أحدٌ غصباً عن الله، إنما كفر بما أودع اللهُ فيه من اختيار.

٢- حين ينادي الرب عبده فيتأبى ولا يقبل أنْ يكون عبداً له ويعشق الكفر ويبعد عن الهداية، فإنّ الله يختم على قلبه فلا يدخله إيمان ولا يخرج منه كفر.

والله رب الجميع ويعين الجميع، فمن أراد الإيمان وأحبه أعانه على الإيمان، والذي أراد الكفر وعشقه أعانه عليه وختم على قلبه، ولذلك ختم الله على قلوب الكافرين فجعل سداً من أمامهم ومن خلفهم، وهذا مانع مادي خارج عن تكوين الإنسان، ثم جعل على أبصارهم غشاوة وغطاء فهم مصدودون عن الحق.

٣ـ لو قلت: فماذا لو ساروا على الجنب لأنهم لا يستطيعون التقدم إلى الأمام أو الرجوع إلى الخلف، لكان الجواب: لو ساروا لليسار مثلاً لصار اليسار لهم أماماً، واليمين صار خلفاً، فهم إذن محاصرون بالموانع باستمرار.

٤ـ يصح أنْ تكون الموانع هي التأمل والنظر في الأدلة العقلية المنصوبة أمامهم في الكون فلا ينتهوا إلى الفطرة الإيمانية المودعة فيهم في عهد الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها في عالم الذر.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

جعل الله تعالى السد للكفرة في يس ٩ دون آية البقرة٧، فلماذا؟

الجواب :

١ـ وصف الله تعالى في أول البقرة الكتاب بأنه لا ريب فيه وهو هدى للمتقين، وبيّن صفات المتقين فذكر ما يتعلق بالإيمان والتقوى والهدى، ثم ذكر الكفرة فذكر أنه مختوم على قلوبهم وعلى سمعهم وأنّ على أبصارهم غشاوة فانسدت منافذ الإيمان والتقوى والهدى.

٢ـ بينما ذكر في يس ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ والصراط إنما يكون للسير فيه وسلوكه، فذكر ما يمنع الكفرة من سلوك الصراط المستقيم وهو الأغلال في أعناقهم والسد من بين أيديهم ومن خلفهم.

أمّا المؤمنون فإنهم على الصراط المستقيم يسلكونه ويتخذونه سبيلاً، ولم يذكر مثل ذلك في البقرة فكان ذكر السد مناسباً في يس، فناسب كل تعبير مكانه الذي هو أليق به.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة السد والجدار والحواجز في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.



﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الموانع التي تمنعهم من الإيمان بيّن أنّ الإنذار وعدمه في حقهم سواء، فهو لا ينفع معهم شيئاً.

٢ـ قد تقول: إذا كان الأمر كذلك فما الغرض من إنذارهم؟ والجواب: أنّ ذلك للإعذار، ولتقوم عليهم الحجة.

٣ـ قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقل: سواء عليك؛ لأنّ الرسول ﷺ مأمور بالإنذار للجميع سواء لمن علم أنه لا يستجيب أو لمن لم يعلم، والدعوة مطلوبة في كل الأحوال، وهذا يدل على عظم مكانة الدعوة إلى الله وأنها لا تسقط بحال من الأحوال.

فالإنذار بالنسبة للرسول ﷺ ليس كعدم الإنذار؛ لأنّ أحدهما مخرج له عن العهدة وسبب له في سيادته وسعادته آجلاً، وأمّا بالنسبة إليهم فهو على السواء لا ينتفعون به.

ثم إنّ هذا الإنذار يكتب في صحيفة أعمال الداعي الصالحة، وإنْ لم ينتفع به الكفار لما كُتب عليهم من البوار في دار القرار.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما سبب زيادة الواو بين الآيتين ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ في آية البقرة ٦ و ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ في آية يس ١٠؟

الجواب :

في آية البقرة قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ هو ضمن جملة اسمية.

أمّا في آية يس: فهي جملة مستقلة معطوفة على جملة سابقة، فجاءت بواو العطف فقال: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾

والله أعلم.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قال في الآية السادسة: ﴿لِتُنذِرَ﴾ وهو الإنذار العام سواء أفاد أم لم يفد وهنا قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ فاقتضى التخصيص، أي أنّ الإنذار النافع إنما ينفع من يتبع الذكر ويخشى الرحمن بالغيب.

والمعنى أنّ الإنذار ينفع طائفتين :

أـ طائفة المؤمنين المتبعين للذكر، الخاشعين للرحمن فإنّ الإنذار يزيدهم إيماناً وتمسكاً، والذكر هنا هو القرآن والمواعظ.

ب ـ طائفة أخرى وهي التي لها قلب وسمع وبصر فتدخل في زمرة أهل الإيمان، وهذا شأن كثير من أُنذروا، فإنهم فارقوا دينهم وآمنوا بدين الله.

٢ـ قد تقول: إنه عبّر بالفعل الماضي ﴿اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وهذا يخص طائفة من المؤمنين، ولا يشمل من لم يدخل الإيمان قلبه بعد؟

والجواب: إنّ الفعل الماضي قد يعبّر به عن المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: تخرج، وفي قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠] أي: إلا الذين يتوبون بعد الكتمان، فإذا كان الكتمان مضارعاً فلا شك أنّ التوبة منه والتبين يكونان بعده، ولكنه عبّر عن ذلك بالفعل الماضي.

لذلك الفعل: ﴿ٱتَّبَعَ﴾ بمعنى: يتبع، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع والمعنى: إنما ينفع إنذارك المؤمنين الذين اتبعوا.

وقيل إنّ المراد من اتبع في علم الله وهم الأقلون الذين لم يحق القول عليهم.

٣ـ قال: ﴿ٱتَّبَعَ﴾ ولم يقل: (تبع) للدلالة على المبالغة في الاتباع والاجتهاد فيه؛ ولذلك أتبعه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

٤ـ نكّر المغفرة والأجر للدلالة على السعة والكثرة، والغفران جزاء الإيمان وهو ما يتعلق بالذنوب، والأجر الكريم جزاء العمل الصالح فشمل ذلك كل أنواع العمل سواء كان سيئاً أم صالحاً.

وقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ للدلالة على أنّ البشرى عظيمة، وهي تدل على الأمر الثاني من أمري الرسالة، وهما: (بشيراً ونذيراً).

٥ـ ذكر الله اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾دون غيره من أسمائه الحسنى؛ لأكثر من سبب :

أـ أنه قد يسبق إلى الذهن أنّ الرحمن لا يعاقب؛ لأنّ رحمته واسعة فينسى العبد الخشية فذكر ذلك لئلا يغتر مغترٌّ برحمته.

ب ـ أنّ الرحمة تورث الاتكال فقرنه بالخشية؛ لئلا يتكل على رحمته وينسى عقابه.

ج ـ من كانت نعمته بسبب رحمته، فينبغي أنْ يكون الخوف منه أتم وأكثر لئلا يقطع عنه نعمته.

د ـ جو السورة يشيع فيه جو الرحمة فناسب ذكر الرحمن.

هـ ـ في ذلك توجيه للمربين أنّ الرحمة ينبغي أنْ تكون مقرونة بخشية الراحم؛ لأنّ الرحمة وحدها قد تكون ضعفاً. فهو توجيه للمربين ليجمعوا بين الرحمة والخشية؛ ولذا قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحِجر:٤٩-٥٠].

و ـ جاء في تفسير روح المعاني ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾أي: خشي عقابه ولم يغتر برحمته عز وجل.

٦ـ قد تقول: ولم قال هنا: ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فذكر الغيب مع أنه قال في أكثر من موطن: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ من دون ذكر الغيب؟

والجواب: أنّ قوله تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ هي خشية عامة مطلقة تشمل الخشية بالغيب والخشية بالمشاهدة، بينما قوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾هي جزء منها. فالخشية العامة هي الخشية بالغيب وزيادة.

فإذا كان المقام يقتضي ذكر الخشية العامة من دون تقييد ذكرها مطلقة ولم يقيدها، كما في الآيات:[الرعد ٢١ـ الزمر ٢٣].

وأما إذا كان المقام لا يقتضي ذكر الخشية العامة قيدها فذكر الغيب، كما في الآيات: [الأنبياء ٤٨ـ٤٩ ـ فاطر١٨ـ الملك ١٢ـ ق ٣٢ـ٣٣ـ يس ١١].

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب :

الإنذار في القرآن لا يكون خاصاً بالكافرين والمنافقين، فقد يأتي للمؤمنين لكنه للمؤمن تخويف وليس فيه توعد.

في آية يس ١١: الإنذار ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

في آية الشعراء ٢١٤: إنذار للمؤمنين.

في آية فاطر ١٨: إنذار للمؤمنين.

في آية إبراهيم ٤٤: الإنذار للناس جميعاً.

في آية الأنعام ٥١: الإنذار للناس جميعاً.

السؤال الثالث :

ما شروط الالتحاق بأولي الألباب؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات الرعد ١٩ـ٢٤.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ هذان ضميران للمتكلم على سبيل التعظيم ولفظة ﴿إِنَّا﴾ هي بمعنى﴿نَحْنُ﴾، فكأنّ الحق يقول: إنا إنا، أي: لا أحد سواي بقصد التأكيد؛ لأنه تعالى هو وحده ولا أحد سواه يحيي الموتى ويكتب ويحصي عمل المخلوقات.

٢ـ نلحظ في القرآن الكريم أنّ كل الآيات التي تتحدث عن فعل من أفعال الله تعالى أو عن فضل من أفضاله تأتي بضمير التعظيم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ لأنّ كل فعل من أفعاله تعالى يحتاج إلى عدة صفات: علم وحكمة وقدرة وغيرها. وكل هذه الصفات كامنة في﴿نَحْنُ﴾ الدالة على العظمة المتكاملة في الأسماء الحسنى لله تعالى.

٣ـ أمّا حين يتكلم سبحانه عن ذاته فيأتي بضمير المتكلم المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾فلم يقل مثلاً: إننا نحن الله؛ لأنّ (إننا ونحن) تدل على الجمع، والكلام هنا عن الوحدانية، فلا بدّ أنْ يأتي بصيغة المفرد.

٤ـ عادة في القرآن عندما يأتي ضمير التعظيم الدال على الجمع يسبقة أو يعقبه ضمير الإفراد لتثبيت معنى الوحدانية، فمثلاً قال تعالى في سورة الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ بصيغة الجمع ﴿نَشْرَحْ﴾ وفي نهاية السورة ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٨] بالإفراد ﴿رَبِّكَ﴾.

وكذلك في سورة الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ بالجمع، ثم قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ بصيغة الإفراد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي أنّ عملية البعث وإحياء الموتى لله وحده لا يشاركه فيها أحد.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ والكتابة كانت في الدنيا لحصر الأعمال تمهيداً للحساب وللثواب والعقاب، وهذا يحدث قبل البعث ، فلماذا قدّم إحياء الموتى في الآية على كتابة الأعمال؟

والجواب :

أولاً: الإحياء أعظم من الكتابة فناسب أنْ يقدمها، وثانياً: ما فائدة الكتابة إنْ لم يكن هناك إحياء للموتى وحساب وجزاء؟

وكلمة ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ أي: من الأعمال في الدنيا بما فيها الأعمال المثمرة المستمر ثوابها بعد موت صاحبها كالصدقة الجارية.

وكلمة﴿وَءَاثَـٰرَهُمۡ﴾ أي ما سنّه للناس وتركه من بعده، كما في الحديث « **من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة** »

وقال بعض العلماء: نكتب ما قدموا من النية التي تسبق العمل، ثم نكتب العمل نفسه، وهو آثار هذه النية، كما في الحديث الشريف «**من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ومن همّ بها فعملها كُتبت له عشراً**».

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ الله يسجل علينا الأعمال كتابة أولاً ثم إحصاء وعداً، وهذا كله مسجل في إمام مبين، والإمام هو ما يؤتم به، والمراد هنا اللوح المحفوظ الذي تأخذ منه الملائكة مهمتها في إدارة الكون.

السؤال الثاني :

على أي شيء دلت آيات سورة يس المتقدمة؟

الجواب :

١ـ دلت آيات سورة يس المتقدمة على أصول الإيمان الثلاثة:

أ ـ التوحيد: بقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ .

ب ـ الرسالة: بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ والرسالة تقتضي مرسلاً.

ج ـ الحشر: بقوله:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ ﴾ فيه تأكيد مع ذكر ضمير الفصل﴿نَحۡنُ﴾ لإفادة القصر و للتقوية ، أي ليس غيرنا أحد يشاركنا. وضمير العظمة للإشارة إلى جلالة الفعل.

وهذا التوكيد والحصر؛ لأنّ الكفار لا يقرون بالحشر ولا يؤمنون بالحياة بعد الموت.

٣ـ لم يؤكد باللام في سورة يس، كما هو الحال في موطن آخر في آية الحجر ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والسبب أنّ آيات الحجر ١٦ـ٢٣ فيها تفصيل وإطالة، فاقتضى ذلك أنْ يذكر اللام توكيداً ومناسبة لمقام التفصيل، في حين لم يذكر شيئاً من ذلك في سورة يس فناسب الإيجاز الإيجاز، والتفصيل التفصيل.

٤ـ قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ أي ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة.

وقوله: ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ أي التي أبقوها بعدهم من الأعمال الصالحة ووجوه البر، ومن الأعمال السيئة والشرور وسنّوها بعدهم للمفسدين.

٥ـ قدّم الله (إحياء الموتى) على كتابة ما قدموا وآثارهم، مع أنّ كتابة ما قدموا يكون قبل إحياء الموتى؛ لأنّ التقديم والتأخير لا يكون مبنياً دائماً على السبق في الزمان أو على الأشرف، وإنما هو مبني على العناية والاهتمام وهنا في الآية رتّب المذكورات بحسب الأهمية، فإنّ أهم شيء فيما ذكر هو الإحياء بعد الموت، ثم كتابة الأعمال، ثم كتابة الآثار.

كما قدّم الأهم وهو ما لا يستطيع فعله إلا الله وهو إحياء الموتى؛ ولذا جاء به بأسلوب القصر المؤكد؛ ليدل على أنه لا يفعله إلا الله، بينما الكتابة فإنها يمكن أنْ يفعلها المخلوقون، وإنْ لم تكن بنفس الدرجة من الدقة والإحاطة.

ثم إنه قدّم إحياء الموتى؛ لأنّ السورة مبنية على ذلك، وأنّ جوها يشيع فيه ذكر الحياة بعد الموت، كما في الآيات: [٣٢ـ٣٣ـ٤٨ـ٥١ـ٥٣ـ٧٨ـ٧٩].

٦ـ قال: ﴿وَنَكۡتُبُ﴾ ولم يقل: نعلم، لغرض الاهتمام بها وتوثيقها وإطلاع صاحبها عليها بصغيرها وكبيرها، فإنّ الإنسان قد يعلم أشياء ولا يدونها، فإنْ كانت مهمة دوّنها. وجاء بصيغة المضارع (نكتب) لتجدد الكتابة لكل شيء يفعله الإنسان.

٧ـ قال: ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ بالفعل الماضي؛ لأنّ الإحصاء في الإمام المبين -وهو اللوح المحفوظ - سابق على الكتابة، فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وكلمة ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ أبلغ من (كتبناه)؛ لأنّ الإحصاء يحتاج إلى الكتابة والعد والجمع.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ بنصب (كلّ) ولم يقل برفع (كلُّ)؛ وذلك لأنّ المعنى بنصب﴿وَكُلَّ﴾ هو أننا أحصينا كل شيء في كتاب مبين. وأمّا بالرفع فيحتمل وجهين:

أ ـ (وكلُّ)مبتدأ، وجملة ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ خبر أي كل شيء أحصيناه في كتاب مبين، وهو نفس المعنى بالنصب.

ب ـ أنْ تكون جملة﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ صفة لشيء والخبر ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ بمعنى أنّ الأشياء التي أحصيناها إنما هي في إمام مبين، ومعنى ذلك أنّ الأشياء على قسمين:

ـ قسم محصى، وهو في إمام مبين.

ـ وقسم غير محصى وهو ليس كذلك، وهذا المعنى باطل، ولا يمكن أنْ يُراد.

فجاء بالعبارة ذات الدلالة القطعية التي لا تحتمل دلالة أخرى.

والله أعلم.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ يحتمل معنيين مرادين مرتبطين بما قبلهما.

أ ـ أنْ يكون المعنى: واضرب أصحاب القرية مثلاً لكفار قريش في الغلو في الكفر والإصرار على التكذيب، أي طبّق حالهم بحالهم. ويكون ﴿مَّثَلًا﴾ مفعولاً به أولاً و﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مفعولاً به ثانياً.

ب ـ اذكر لكفار قريش قصة هي في الغرابة كالمثل، أي بتقدير مضاف أي: مثل أصحاب القرية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ولم يقل: إذ جاءهم؛ لأنه أراد أنهم أتوهم في مكانهم لينذروهم، ولو قال: إذ جاءهم، لم يفد أنهم أتوهم إلى مكانهم، بل يحتمل أنهم كانوا في مكان ما فأتاهم الرسل إليه.

٣ـ قال: ﴿جَآءَهَا﴾ ولم يقل: أتاها؛ لأن المجيء يكون لما فيه مشقة ولما هو أصعب من الإتيان.

ويبدو أنه كان في المجيء إلى أهل القرية وتبليغهم مشقة وأذى وتهديد فاختار المجيء على الإتيان، بينما كان الوضع مختلفاً في آية الفرقان ٤٠ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ

﴿ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ حيث إنهم مروا بها وهم في طريقهم بشكل سهل، فاختارلفظة ﴿أَتَوۡا﴾.

وكذلك في قوله تعالى في آية الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ فاختار ﴿أَتَيَآ﴾؛ لأنّ إتيانها ودخولها كان ميسراً بدون مشقة، فاستعمل ﴿أَتَيَآ﴾ دون (جاءا).

والله أعلم.

السؤال الثاني :

وردت كلمة ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ في آية يس ١٣ ووردت كلمة﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ في آية يس ٢٠، ما الفرق بين القرية والمدينة؟

الجواب :

لغة: إذا اتسعت القرية تسمى مدينة. أمّا القرية فقد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة.

في سورة يس وردت الكلمتان: ففي الآية ١٣ جَدّ الرسل في التبليغ، حتى وصلوا إلى أبعد نقطة في المدينة.

وقوله تعالى:﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ أي أنّ هذا الرجل جاء يحمل هم الدعوة والتبليغ، ووصل التبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة، مع أنها متسعة، وهذا دليل على جهدهم لنشر الدعوة.

وهِمَمُ الرجال هي التي تحدد أوطانهم ومنازلهم وأعلى هذه المنازل رجلٌ وطنه العالم كله ويحب الخير لهم.

ومسؤولية الدعوة يتحملها الرسل أولاً، ثم المؤمنون بهم الذين بلغتهم الدعوة، وهذا التحمل ليس تفضلاً، إنما تكليف من الله تعالى كقول الحق: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنّ المؤمنين بالرسالة امتداد للرسول.

وأمّا في سورة الكهف ٧٧ و ٨٢ فقد استطعم موسى والخضر أهل القرية على اتساعها، أي: أنهما جالا فيها كلها وبلغ فيهم الجوع كثيراً حتى استطعموا أهلها.



﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قال: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ ولم يقل: أرسلنا إليها، كما قال: (جاءها)؛ لأنّ الإرسال في حقيقته كان لأهل القرية لا إلى القرية. أمّا المجيء فكان إلى القرية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ الفاء تسمى فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن المحذوف وهو التبليغ؛ لأنّ التكذيب لا يكون إلا مع التبليغ، فحذف ما هو مفهوم من الكلام. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا، غير أنه لم يذكر المفعول به حتى يشمل المعنى تقوية الحق علاوة على تقوية الشخصين، ولو ذكر المفعول به لتقيد التعزيز بها قيّد.

٤ـ أسند الله التعزير إلى نفسه، فقال: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ كما قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ للدلالة على أنّ المرسل والمعزّز واحد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أسند القول إليهم جميعاً بعد أنْ انضم الثالث إلى الاثنين.

وأكد بـ ﴿إِنَّآ﴾ لأنّ الموقف يحتاج إلى توكيد بسبب تكذيب أهل القرية فقواهما الله بثالث، واحتاج الكلام بعد التكذيب والتقوية إلى توكيد، ويدل على ذلك قولهم بصيغة الجمع ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

والله أعلم.



﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية ١٥؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ في هذا القول تكذيب لهم وإنكار للنبوات بشكل عام. وقولهم: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ليس المقصود منه إثبات بشرية الرسل، فهذا أمر لم ينازعهم فيه أحد، وإنما المقصود إنكار النبوات والتكذيب.

٢ ـ وسداً وقطعاً على المناقشة وعلى ما قد يجاوب به الرسل من أنهم بشر قد منّ الله عليهم بالرسالة، ولو أرسل ربنا مَلكاً لجعله رجلاً فقد أبانوا عن معتقدهم بقولهم: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ ثم بينوا رأيهم في هؤلاء الرسل، فقالوا: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ يعني أنهم يؤمنون بالله وينكرون النبوات، وهذا شأن كثير من المجتمعات البشرية التي حكى عنها الله في القرآن: انظر آيات [العنكبوت ٦١ـ الأنبياء ٣ـ ق ٢].

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ إشارة إلى الرد عليهم؛ لأنّ الله لمّا كان رحمن الدنيا والإرسال رحمة، فكيف لا ينزّل رحمته وهو رحمن؟

٤ـ قال هنا: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الرحمن، بينما أسند الفعل إلى الله في آيتي [الأنعام ٩١ـ والملك ٩]، والسبب هو السياق لكل آية منهما.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾فكان النفي والإثبات بـ(إنْ) و(إلا) بعد أنْ كان النفي والإثبات بـ(ما) و(إلا) في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾

وذلك أنّ (إنْ) أقوى في النفي من (ما)، وقولهم: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ غير منكور، وهو معلوم للجميع، ولا يحتاج إلى إثبات أو دليل.

وأمّا قولهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ فهو موضوع النزاع والجدال بين المرسلين وأهل القرية. فناسب ذكر أقوى الحرفين فيما فيه قوة إنكار ويحتاج إلى إثبات.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية يس١٤: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ وفي آية يس١٦ ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٦] بالتأكيد بالقسم و اللام زيادة عن الآية الأولى، فلماذا؟

الجواب :

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال.

آيات يس ١٣_١٧ :

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس:١٣-١٧].

البيـان:

١_ عندما كُذّب رسل عيسى عليه السلام في المرة الأولى قالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ فأكدوا بإنّ واسمية الجملة.

وفي المرة الثانية: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ فأكّد بالقسم وإنّ واللام لمبالغة المخاطبين في الإنكار في المرة الثانية؛ إذ قالوا: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ وهددوهم بالرجم إنْ لم ينتهوا عن دعوتهم؛ لذا كان الرد في المرة الثانية أقوى من الرد في المرة الأولى.

٢ـ وبمعنى آخر: الله سبحانه أرسل إليهم في البداية رسولين فكذبوهما ثم عزّز بثالث فأنكروا إنكاراً شديداً؛ لذا جاء التوكيد في الآية الثانية واقتضى أنْ يؤكد أكثر فصار التوكيد بالقسم؛ لأنّ جملة ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ هي قَسَم في لغة العرب، فلمّا ازداد الإنكار ازداد التوكيد.

واستخدام ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بدل (عززناهما) يفيد أنّ التعزيز ليس للرسل أنفسهم وإنما للدعوة التي يدعو الرسل إليها.

٣ـ اجتماع (إنّ واللام) سيؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها أو باللام وحدها.

* شواهد قرآنية :

[آيات سورة يس ١٣ـ١٧، آية الأنعام ١٦٥، آية الأعراف ١٦٧، آيتا المائدة ٥٢ـ و١٠٧].

السؤال الثالث :

قال في آية يس ١٥ : ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الرحمن وقال في آية الملك ٩ والأنعام٩١ : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الله، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٩١.

السؤال الرابع :

ما دلالة الآية ١٦؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ بالغ أصحاب القرية في تكذيبهم وردهم رداً غير جميل، لم يتركهم رسلهم ولم يرحلوا وإنما أقسموا على صدقهم، واستمروا في إبلاغ دعوة ربهم. وفي هذا توجيه للدعاة أنْ لا يسأموا إذا جوبهوا، بل عليهم أن يعيدوا النصح والتبليغ.

٢ـ قولهم: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ يجري عند العرب مجرى اليمين، كما تقول: علم الله، وهذا الاختيار هنا هو الأنسب، فإنهم نسبوا العلم إلى الله أي أنهم أُرسلوا بأمره وعلمه.

وقيل إنّ من قال: يعلم الله ذلك، وهو غير صادق فيما يقول، فقد كفر لأنه نسب الجهل إلى الله بخلاف اليمين الكاذبة.

٣ـ كما أنّ اختيار (الرب) مع الرسالة أنسب شيء؛ فإنّ الرب هو المربي والهادي، والهداية هنا هي الرسالة؛ ولذلك كثيراً ما يقترن الإرسال بالرب كما في قوله تعالى:

ـ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه:١٣٤].

ـ ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾[القصص:٤٧].

ـ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾ [الأعراف:٧٩].

ـ ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الزُّخرُف:٤٦].

٤ـ إضافة الرب إلى ضمير المتكلم﴿رَبُّنَا﴾ يعني أنّ ربهم الذي خلقهم هو الذي أرسلهم وأيدهم بالمعجزات، ولو قالوا: (ربكم يعلم.. .) لاحتمل أنْ يقولوا لهم: إنّ ربنا لا يرسل الرسل.

ثم إنهم اتخذوا أرباباً لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه، فكيف ترسل الرسل؟

ثم إنّ ذلك يعني أيضاً أنّ ربهم هو الذي أرسلهم إلى أهل القرية؛ لأنه ربهم أيضاً، ولو لم يكن ربهم لم يعنه أمرهم.

كما أنّ تقديم الرب على الفعل يفيد التوكيد والتقوية.

٥ـ وتقديم الجار والمجرور ﴿إِلَيْكُمْ﴾ يفيد التخصيص أي: إنهم أُرسلوا على وجه الخصوص لهم لإبلاغهم رسالة الله.

٦ـ قال هنا: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ بالللام، وقال قبلها: ﴿مُّرْسَلُونَ﴾بدون لام، وذلك زيادة في التوكيد لزيادة الإنكار، فقد أكّد العبارة الأولى بـ﴿إِنَّآ﴾ بعد التكذيب، فلمّا زاد التكذيب والإنكار بثلاث جمل كلٌ منها في غاية التكذيب والإنكار زاد في التوكيد. والله أعلم.

السؤال الخامس :

مفعول الفعل (علِم)مفتوح الهمزة ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ [المزّمل:٢٠] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الحاقة:٤٩] لكن ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة:٤٢] ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس:١٦] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١] لماذا وردت عكس القاعدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٤٢.

﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكروا أنّ مهمتهم هي البلاغ المبين، وهذا الأمر هو الذي أنيط بهم وعليهم تنفيذه، ولو جوبهوا بالتكذيب والإنكار.

٢ـ قوله: ﴿عَلَيْنَآ﴾ أي نحن مكلفون بذلك، وهو واجبنا.

٣ـ البلاغ المبين يتضمن أمرين :

أ ـ إيضاح الرسالة وتبليغها كلها بدون إبقاء أي شيء منها غير مبلغ ولا معلوم.

ب ـ أنْ يكون التبليغ شاملاً لكل من أُرسل إليهم فرداً فرداً.

وإلا لم يكن بلاغاً مبيناً. والله أعلم.



﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى في الآية: ﴿تَطَيَّرۡنَا﴾ أي تشاءَمنا منكم ولم نر على وجوهكم الخير في معيشتنا. والتطير من الطيرة وهي عادة معروفة عند العرب وكان أحدهم عندما يريد عمل شيء ما يأتي إلى طير فيزجره ويُطلقه فيرى أين يطير، فإنْ طار إلى اليمين أمضى ما ينوي عليه، وإنْ طار إلى اليسار أمسك وتشاءم، وقد حرّم الإسلام هذه العادة ونهى عنها.

٢ ـ أكد بإنّ في الآية، والتأكيد إنما يكون بحسب الغرض والمقام، فإنّ أصحاب القرية هددوهم بالرجم والتعذيب مؤكدين ذلك بالقسم ونون التوكيد ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ فناسب ذلك توكيد التطير.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ فيه تأكيد بالقسم وبنون التوكيد فهم كما أكدوا تطيرهم بـ﴿إِنَّا﴾ أكّدوا تهديدهم بالقسم وبنون التوكيد الثقيلة. وجاء التهديد بالرجم على صيغة الجمع؛ لأنّ الرسل كانوا ثلاثة فكان الخطاب لهم جميعاً.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فيه تهديد بالعذاب الأليم إضافة إلى الرجم، وجاؤوا بالواو التي تفيد الجمع، ثم أعادوا اللام للدلالة على تأكيد العمل الثاني وكذلك نون التوكيدالثقيلة.

مع أنه كان هناك خيار آخر وهو نون التوكيد الخفيفة، كما في آية يوسف ٣٢؛ وذلك ليدل على أنهما بمنزلة واحدة في التوكيد وأنهم سيفعلونهما جميعاً.

٥ـ قالوا: (منا) للدلالة على الجهة التي ستقوم بالعذاب، ولو لم يقولوا (منا) لربما فهم أنّ العذاب سيأتيهم من جهة أخرى مثل آلهتهم المزعومة. كما أنّ لفظة ﴿مِّنَّا﴾تدل على أنهم جميعاً في صف واحد في مقابلة الرسل.

٦ـ قدم الجار والمجرور ﴿مِّنَّا﴾ على العذاب؛ لأنّ الكلام عنهم وهم مدار الإسناد، قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ ﴿مِّنَّا﴾.

ثم إنّ تقديم الجار والمجرور يفيد تعلقه بالفعل ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ أي نحن الذين نعذبكم ونتولى أمر ذلك بأنفسنا، ولا ندع ذلك لغيرنا ممن قد يرق لحالكم أو يخفف عنكم.

وقد يكون الرجم على حقيقته بشدة حتى الموت، أو بهوادة فيراد به الإيلام.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال تعالى في آية النمل ٤٧ : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾فأبدل وأدغم ولم يقل في يس ١٨مثل ذلك، فما السبب؟

الجواب :

السبب أنّ (اطيّر) أبلغ من (تطير)؛ وذلك لتضعيف مكان الفاء والعين في الفعل، فدلّ ذلك على أنّ التطير في سورة النمل أشد منه في آية يس. والسبب أن :

أ ـ التطير في النمل أشد مما في يس، بدليل أنهم قالوا في يس: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ فهددوهم بالرجم والتعذيب.

ب ـ أمّا في النمل فقد أقسموا وتعاهدوا على قتله وقتل أهله، ومعنى ذلك أنّ التطير بلغ عندهم درجة أكبر وأشد مما في يس فجاء بما فيه زيادة مبالغة ﴿ٱطَّيَّرۡنَا﴾ في النمل.

السؤال الثالث :

ما دلالة تغير التعبيرات في الرجم في الآيات يس١٨ـ الشعراء ١١٦ـ مريم ٤٦؟

الجواب :

١ـ في آية الشعراء: التهديد لنوح عليه السلام ومن معه من الأتباع. والمعنى أنه واحد ممن سينالهم الرجم، ولو قال: (لنرجمنك) لكان الرجم مختصاً بنوح دون من آمن معه؛ ولذلك قالوا: ﴿مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾.

٢ـ في آية مريم: الخطاب موجه من أبي إبراهيم لولده إبراهيم عليه السلام وحده، وليس معه آخرون؛ ولذلك قال: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾.

٣ـ في آية يس: الرسل كانوا ثلاثة بمنزلة واحدة والخطاب لهم جميعاً والتطير لهم جميعاً، فكان التعبير ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بصيغة الجمع.

والله أعلم.



﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ معنى ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾أي تشاؤمكم ملازم لكم، والمراد هنا الإقامة على الكفر، وأمّا نحن فلا شؤم معنا لأننا ندعو على التوحيد وعبادة الله وفي ذلك غاية اليمن والبركة.

٢ـ الهمزة الأولى في ﴿أَئِن﴾ للاستفهام و(إنْ) أداة شرط وجوابها محذوف لإطلاقه وعدم تقييده بشيء معين، أي بتقدير: أئن ذكرتم بما هو خير لكم في الدنيا والآخرة تطيرتم أو تتوعدونا بالرجم والتعذيب؟ !!!.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ أي: مجاوزون للحد في المعاصي أو في التطير أو في العدوان، وأطلق الإسراف ولم يقيده بشيء؛ ليشمل كل إسراف في سوء. والله أعلم.

في هذه الأثناء ماذا حدث؟ تجد ذلك في الآيات التالية بإذن الله تعالى.



﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في هذا الوقت العصيب وفي خضم التهديد والوعيد، جاء من أقصى المدينة رجل يسعى؛ ليعلن اتباعه للرسل وإيمانه بهم؛ وليبيّن ضلال قومه غير مبالٍ بما سيحدث له.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ فيه إشارة إلى انتشار الدعوة، فقد وصلت إلى أبعد مكان فيها، فجاء هذا الرجل حاملاً هم الدعوة.

٣ـ قال: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ وقد سماها سابقاً قرية للدلالة على أنها واسعة فالقرية إذا كانت واسعة تسمى مدينة.

٤ـ قوله: ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي يسرع، وهو توجيه للدعاة بعدم التواني في أمر الله.

٥ـ لم يسكت عن الحق ولم يهادن، بل دعا قومه إلى الإيمان بما جاءت به الرسل.

٦ـ إنّ مجيئه من أقصى المدينة يدل على وصول الدعوة والبلاغ إلى أبعد مكان فيها مما يدل على جدية الرسل في التبليغ.

٧ـ نكّر ﴿رَجُلٌ﴾ مع أنه كان معروفاً؛ لتعظيم شأنه، وليكون مفيداً لظهور الحق من جانب المرسلين، حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال: إنهم تواطئوا.

٨ـ قال هنا: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ فقدّم ﴿مِنْ أَقْصَا﴾ على ﴿رَجُلٌ﴾ وقال في آية القصص ٢٠ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ بتقديم ﴿رَجُلٌ﴾ على ﴿مِّنْ أَقْصَا﴾؛ ذلك أنّ القصد في آية يس أنْ يبين أن مجيء الرجل كان من أبعد مواضعها، وأمّا في القصص فإنه يفيد أنّ الرجل هو من أهل المواضع البعيدة، أي مسكنه في أطراف المدينة، غير أنه لا يلزم أن يكون مجيئه من أقصى المدينة.

ولمزيد من المقارنة بين آيتي يس والقصص انظر الجدول التالي :

آية يس	آية القصص	ملاحظات
مجيء الرجل لتبليغ الدعوة	مجيء الرجل لتحذير موسى	تبليغ الدعوة أهم

لإشهار إيمانه أمام الملأ	ليُسر لموسى كلمة في أُذنه	الإشهار أهم
مجيئه فيه مجازفة	ليس فيها مجازفة وإنما للتحذير	مجيء يس أخطر
مجتمع القرية كله ضد الرسل	المجتمع ليس فيه دعوة أصلاً	ظرف يس أخطر
تعزيز الرسل تعزيز لدين الله	موسى آنذاك لم يكلف بالرسالة بعد	
مهمة الرجل	-	في يس أهم
الموقف أخطر وأهم	الموقف أقل خطراً	

لذلك فإنّ كلا الموقفين هام، غير أنّ أحدهما أهم من الآخر، فقدّم ما قدّم ليدل على الاهتمام، أي قدّم ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾؛ ليدل على أنّ الموقف أهم وأخطر.

٩ـ قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ليعطّف قلوبهم؛ لأنهم مرسلون من الله تعالى يدعون إليه لا إلى أنفسهم. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ أي أنّ هذا الرجل جاء يحمل هم الدعوة والتبليغ، ووصل التبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة، مع أنها متسعة، وهذا دليل على جهدهم لنشر الدعوة.

ومسؤولية الدعوة يتحملها الرسل أولاً، ثم المؤمنون بهم الذين بلغتهم الدعوة، وهذا التحمل ليس تفضلاً، إنما تكليف من الله تعالى كقول الحق: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنّ المؤمنين بالرسالة امتداد للرسول.

السؤال الثالث :

ما دلالة التقديم والتأخير في كلمة ﴿رَجُلٌ﴾ في آيتي القصص ٢٠ ويس ٢٠؟

الجواب :

انظر الجواب في آية القصص ٢٠.

السؤال الرابع :

ما دلالة التنكير في قوله تعالى في الآية: ﴿رَجُلٌ﴾؟ وما أهم أغراض التنكير؟

الجواب :

النكرة إذا أطلقت دلت على إرادة الوحدة، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾.

أو إرادة الجنس، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾.

وأهم أغراض التنكير هي :

١ـ إرادة الوحدة ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

٢ـ إرادة الجنس ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٣ـ التعظيم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود:١٠٣].

٤ـ التهويل ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾.

٥ـ التكثير ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

٦ـ التقليل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾.

٧ـ التخصيص ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ فالمراد هنا وجوه الكفار، فالنكرة عامة، والمراد بها التخصيص.

٨ـ التحقير ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾.

٩ـ التجاهل والاستهزاء ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ [سبأ:٧].



﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ليعطّف قلوبهم، وذكر لهم ثلاثة أمور تدعوهم إلى اتباع هؤلاء الدعاة، وهي :

أ ـ كونهم مرسلين من الله يدعون إلى الإيمان به وبمنهجه، ولا يدعون إلى أنفسهم ولا إلى أفكار بشرية أو خاصة.

ب ـ لا يسألون أجراً على هذا التبليغ، كما هو شأن كثير من أصحاب الدعوات الأرضية، ممّا يدل على أنهم مخلصون في دعوتهم إلى الله.

ج ـ أنهم مهتدون، وهذا يقتضي الاتباع، وهو بغية كل متبع مخلص.

٢ـ كرروا الاتباع للتوكيد ولبيان أنّ المرسلين ينبغي أنْ يُتبعوا أصلاً.

٣ـ اختار ﴿مَن﴾ على (الذين) لكونها أعم، فإنها تشمل كل داعٍ إلى الله واحداً كان أو أكثر.



﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بدأ الرجل المؤمن يتكلم عن نفسه بصيغة المفرد ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ ثم عدل إلى خطاب الجماعة والقوم المكذبين، ولم يقل مثلاً: وإليه أرجع، فلماذا؟

الجواب أنّ الطاعة التي هي أصل العبادة إنما تأتي على مراحل ثلاث :

أ ـ العبادة تكون لمن بكماله يستحق أن يُعبد.

ب ـ العبادة تكون لمن نعمه متوالية.

ج ـ العبادة تكون لمجرد الخوف من المعبود.

وقد حقق الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى المرحلتين الأولى والثانية في قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: أنا أعبده؛ لأنه يستحق بكماله أنْ يعبد، وأعبده لنعمه المتوالية.

أمّا المرحلة الثالثة فجعلها لهؤلاء المكذبين من قومه، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

٢ـ ويكون معنى الآية: تنبهوا يا قوم: إذا لم تقدّروا في الله صفات الكمال التي يُحَبُّ لأجلها، ولم تقدّروا في الله نعمه المتوالية عليكم، فاعلموا أنّ العودة إليه والمصير بين يديه، وهو سبحانه قوي عليكم لا يفلت من قبضته أحد.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ أبرزالكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم حيث لا يريد لهم إلا ما يريده لروحه، وأنه اختار لهم ما اختاره لنفسه، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره.

٢ـ فبعد أن نصح لهم باتباع المرسلين؛ لأنهم على الهدى ذكر أنه بدأ بنفسه فآمن بدعوتهم واتبعهم.

٣ـ اختار من الدواعي لعبادة ربه أنه المبدىء والمعيد، فهو الذي فطرهم وأوجدهم وأنهم إليه يرجعون فيحاسبهم على أعمالهم فيعاقبهم أو يكرمهم وفي هذا تخويف وإطماع.

واختار هذين الأمرين من موجبات العبادة لعلمهم جميعاً أنّ آلهتهم لا تفعلهما ولا تستطيعهما، وبهذا سقط كل موجب لعبادة غيره.

٤ـ قدّم الجار والمجرور ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على ﴿تُرْجَعُونَ﴾ لقصد الاختصاص والمعنى أنّ الرجوع إليه حصراً لا إلى غيره، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ و ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ و ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾.

والله أعلم.



﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الاستفهام في ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ يحمل معنى التعجب والإنكار؛ لأنه ما دامت هذه آلهة متخذة فمعنى ذلك أنها ليس لها وجود أصلاً، فهي لا تستحق أنْ تكون آلهة لأنها متخذة، وكأنّ الرجل يُصحح للقوم فكرتهم عن العبادة.

٢ـ قوله في آية يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ إشارة إلى أنّ غير الله ليس بإله؛ لأنّ المُتخَذَ لا يكون إلهاً. ولهذا قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

٣ـ وللعلم فإنه لا يقال لغة: اتخذته، إذا كان الشيء موجوداً أصلاً من غير انفكاك ولا اختيار، فلا يقال: اتخذت فلاناً أباً، إذا كان أباه حقيقة وإنما يقال ذلك لما يصح فيه التخلي والاختيار، فتقول: اتخذت فلاناً صديقاً لأنك مختار في اختيار الأصدقاء.

وعلى هذا لا يصح أنْ تقول: اتخذت الكوكب خالقاً، أو اتخذت فلاناً خالقاً، ولا: اتخذت الله خالقاً؛ لأنه هو الخالق وليس متخذاً. لكنك قد تقول: اتخذته معبوداً؛ لأنك مختار في اتخاذ ما تعبد.

٤ـ وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾.

فإنّ لك أنْ تختار الوكلاء وأنْ تتخذ من تشاء، فاتخذ الله وكيلاً تفلح.

٥ـ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ و ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ فهذه وكالة قسرية، وليست وكالة الاختيار والطاعة.

٦ـ ونظير ذلك أيضاً الألوهية والربوبية، فالله سبحانه هو إله الخلق كلهم وربهم شاؤوا أم أبوا، وهذه الألوهية والربوبية قسرية ولا يترتب عليها ثواب. قال تعالى:

ـ ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤].

ـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ـ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣].

ـ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنعام:١٩].

ـ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥].

وإنما يترتب الثواب والعقاب على من اتخذه إلهاً ورباً، أو اتخذ غيره كما قال تعالى:

ـ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام:٧٤].

ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

- ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]فالاتخاذ أمر اختياري يفعله المتخذ، وهو غير الأمر الكائن أصلاً من غير اتخاذ، وهناك فرق بين قولك: (هذا ولدي) و(هذا اتخذته ولداً لي).

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ جمع السياق بين صفة الرحمة والضر فما معنى ذلك؟

الجواب :

١ـ إنّ اللمسة في الآية هي أنّ الرحمة إنْ كانت تنافي عندكَ فِعل الضر فهذا عندك أنت، إنما عند مجريها لا تنافي؛ لأنها من الرحمانية.

وكأنّ الله يقول لك: تنبه إنه ليس كل ما تراه بقوانينك أنت ضاراً لك؛ لأنّ مُجريه عليك هو الرحمن، ففي طيات الضر نفع كثير.

ومثال ذلك عندما يقدم الأب الحنون ولده للطبيب فيجري له عملية جراحية مؤلمة فهذا ضرر في الظاهر، لكنه في الحقيقة رحمة به.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾أي أنّ شفاعة هذه الآلهة - إنْ كانت لهم شفاعة - لا تُجدي؛ لأنهم شركاء لله، فكيف تُقبل شفاعتهم عنده سبحانه؟

وشرط في الشفاعة أنْ يكون الشافع محبوباً عند المشفوع عنده. وهذه الآلهة غير مقبولة عند الله تعالى، مع أنّ هذه الآلهة في ذاتها معذورة حيث لا ذنب لها، وهي ما ادعت أنها آلهة، إنما ادعى البشر ذلك.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أي لا تستطيع هذه الآلهة أنْ تنقذ من طلب منها أنْ تشفع له.

٤ـ استعمل الفعل المضارع فعلاً للشرط، فقال: ﴿إِن يُرِدْنِ﴾ واستعمل الفعل الماضي في آية الزمر ٣٨ فقال: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ فما السبب؟

الجواب :

الذي يترجح في هذا الموضوع أنّ الفعل المضارع مع الشرط كثيراً ما يفيد افتراض تكرر الحدث، بخلاف الفعل الماضي فإنه كثيراً ما يفيد افتراض وقوع الحدث مرة واحدة.

واستعمال الفعل المضارع في آية يس إشارة إلى أنه كان يتوقع تكرر وقوع الضرر عليه من قومه.

السؤال الثالث :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر من يستحق العبادة أفاد أنه ينبغي أنْ يوحده، وأنه لا ينبغي أنْ يُتخذ إلهاً من دونه ولا معه، ولا ذاتاً لتقربه إليه، فهو دعاهم إلى التوحيد الخالص. وبيان ذلك:

أ ـ قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أي لا ينبغي أنْ يتخذ من دونه إلهاً.

ب ـ قوله: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ أي لا يتخذ إلهاً معه؛ لأنّ ما يتخذونهم معه لا يملكون ضراً ولا نفعاً؛ لذا لا يصح أنْ يتخذوا معه آلهة.

ج ـ قوله: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ﴾لذلك لا يصح أنْ يتخذوا ذاتاً لتقربه إليه لأنه لا تغني شفاعتهم شيئاً.

٢ـ قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ هو أسلوب الاستفهام الإنكاري وليس أسلوب الخبر، بمعنى: أيصح ذلك عقلاً؟ أيجوز اتخاذ غيره إلهاً؟ ولا شك أنّ أي عاقل سيجيب: لا يصح.

٣ـ قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ بعد أنْ بين أنه يعبد الله بقوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾يعني أن من دونه لا تجوز عبادته.

٤ـ استبان من الآيات أنّ الله مستحق للعبادة من كل وجه:

ـ أنه فطر الخلق وأوجدهم.

ـ أنه يرسل الرسل إليهم؛ ليرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم.

ـ إليه المرجع والمصير فيعاقب المسيء ويكافئ المحسن.

ـ أنه رحيم بعباده ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

ـ أنه قوي مقتدر ليس لقدرته حدود.

ـ أنّ ما يدعون من دونه ليس لهم جاه وليس لهم قدرة.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

أسند الإرادة إلى الرحمن ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في هذه الآية بخلاف آية الزمر ٣٨، حيث أسند الإرادة إلى الله ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ فما السبب؟

الجواب :

أ ـ أنّ القائل في آية يس يتوقع وقوع الضرر عليه من قومه، فذكر اسم الرحمن كأنه يلوذ به ويعتصم، وهو بمثابة سؤاله الرحمة بخلاف ما في آية الزمر، فإنه ليس الأمر كذلك.

ب ـ حسّن ذكر اسم﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مع الشفاعة في آية يس؛ لأنّ الشفيع إنما يستدر رحمة من يشفع له، والمتصف بالرحمة قد يقبل شفاعة من ليس له جاه كبير عنده، أمّا هؤلاء الآلهة فلا تنفع شفاعتهم حتى مع الرحمن.

ج ـ ورد اسم (الرحمن) في يس (٤) مرات، ولم يرد مطلقاً في الزمر.

وورد اسم (الله) في الزمر (٥٩) مرة، بينما ورد في يس (٣) مرات فناسب ذلك ذكر اسم (الله) في الزمر و (الرحمن) في يس.

السؤال الخامس :

في آية يس استعمل ضمير الذكور العقلاء ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾ و ﴿يُنقِذُونِ﴾بينما استعمل في آية الزمر٣٨ ضمير الإناث﴿هُنَّ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

أولاً ـ من الناحية اللغوية :

أ ـ ضمير الإناث يستعمل للإناث ولجمع غير العاقل، تقول: الجبال هن شاهقات.

ب ـ جمع المؤنث السالم يستعمل جمعاً للمؤنث، ويستعمل لجمع المذكر غير العاقل اسماً أو وصفاً، نحو: جبال شاهقات، حيث (شاهقات) وصف لمذكر غير عاقل.

ج ـ الاسم المذكر غير العاقل قد يجمع جمع مؤنث سالم إذا لم يسمع له جمع تكسير، فجمع (حمام ـ حمامات) و(إصطبل ـ إصطبلات).

د ـ ضمير جماعة الذكور نحو: (هم) و (الواو) في نحو: يمشون، فهو خاص بجماعة الذكور العقلاء أو ما نزّل منزلتهم.

ثانياً ـ السياق :

آية الزمر:

أ ـ هذه الآية نزلت في المجتمع الجاهلي، والخطاب للرسول ﷺ وكان الكفار يقولون عن أصنامهم: إنها بنات الله، وكان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه: أنثى بني فلان، ويسمون الأصنام بأسماء مؤنثة، نحو: اللات والعزى ومناة، وقال الله فيهم: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾.

ب ـ قال تعالى في الآية: ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ فجعل آلهتهم لا تعقل، واستعمل (ما) لذات ما لا يعقل.

ج ـ جاء بضمير الإناث ﴿هُنَّ﴾ وهذا الضمير يمكن أنْ يستعمل لجمع الإناث أو لجمع غير العاقل مذكراً أو مؤنثاً، فجعلهم غير عقلاء، وهو متناسب مع (ما) التي هي لغير العاقل.

د ـ جاء بجمع المؤنث السالم ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ وهو يمكن أنْ يكون لصفات الذكور غير العقلاء، فجعلهم غير عقلاء.

فناسب التأنيث من كل جهة.

آية يس :

أ ـ استعمل ضمير العقلاء؛ ذلك لأنه قال: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ﴾ والشفيع لا بد من أنْ يكون عاقلاً، وإلا كيف يشفع؟

ثم قال: ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ والمنقذ لا بد أنْ يكون عاقلا أيضاً، وإلا كيف ينقذ؟

فناسب كل ضمير مكانه اللائق.

السؤال السادس :

في آية يس ٢٣: أدخل الباء على الضر ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ ولم يقل مثلاً: إن يردن الرحمن ضراً، فما السبب؟

الجواب :

السبب ـ والله أعلم ـ أنه في التعبير القرآني تتصل الباء في الذي عليه السياق، وهو مدار الكلام وهو الأهم فيه. وهنا الكلام عن الضر وهو مدار الاهتمام؛ ولذلك عقّب بكشف الضر وإزالته، فقال: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾.

السؤال السابع :

هل لفظ الشفاعة مؤنث أو مذكر؟

الجواب :

١ـ في آية البقرة ٤٨ : ذَكّر الفعل فقال: ﴿يُقْبَلُ﴾؛ لأنّ الشفاعة هنا جاءت لمن سيشفع أو من ذي الشفاعة.

٢ـ في آية البقرة ١٢٣ : أنّث الفعل فقال: ﴿تَنفَعُهَا﴾لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها، وليس الكلام عن الشفيع.

٣ـ في آيات يس ٢٣ والنجم ٢٦ : أنّث الفعل؛ لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها.



﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى أنه إنْ اتخذتُ من دون الله آلهة فإني في ضلال ظاهر، وهو لا يعني نفسه فقط، وإنما يريد المخاطبين أيضاً. وقد أجرى القول على نفسه ولم يواجههم بذاك؛ لئلا يثير عصبيتهم وليستعملوا عقولهم وتفكيرهم لعلّهم يرجعون إلى الحق.

٢ ـ أكّد العبارة بإنّ واللام ووصف الضلال بأنه مبين واضح؛ لأنّ المقام يستدعي هذه التأكيدات؛ ولأنّ المخاطبين ينكرون ذلك أشد الإنكار بالرغم من ظهوره ووضوحه.

﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في هذا الجو المكفهر أعلن الرجل إيمانه بكل صراحة وصدع بالحق بقوة وتحدٍّ فقال: ها أنا آمنت بربكم فاسمعون.

٢ـ قوله: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ يدل على أنه أعلن إيمانه بصوت ظاهر مسموع غير خفي، وهذا يدل على قوة إيمان الرجل وأنه غير مبالٍ بما سيحصل له من قومه.

٣ـ قوله: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ ﴾فيها من التوكيد والقوة ما ليس في قوله: أنا آمنت.

٤ ـ قوله: ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾ وفي معناها وجوه :

أـ هم المرسلون. قال المفسرون: أقبل القوم عليه ليقتلوه، فقال للرسل: إني آمنت بربكم فاشهدوا قولي.

ب ـ هم الكفار.

ج ـ المراد: أيها السامعون على العموم.

٥ـ قوله: ﴿ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾أولى من قوله: آمنت بربي؛ لأنّ كل شخص إنما هو مؤمن بربه على حسب معتقده. وقوله: ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾ يدل على أنه الرب الذي يدعو إليه الرسل، ورب الرسل هو ربه ورب قومه ورب الناس جميعاً.

وفي هذا تقوية لموقف الرسل آنذاك.

٦ـ قال الرجل سابقاً: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾، وهنا قال: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾ فجعله هو الإله وهو الرب، وبذلك جمع بين الألوهية والربوبية.

والله أعلم.



﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ الفعل ﴿ قِيلَ ﴾ مبني للمجهول، وهو يفيد التعميم، والقائل قد يكون الملائكة عند الموت تبشره بالجنة، أو أنّ الحق سبحانه حكى عنه ما يقوله بعد موته وهذا إكبار من الله له، ولم يقل: قيل له، لانصباب الغرض إلى المقول لا إلى المقول له مع كونه معلوماً.

٢ ـ الظاهر أنّ الأمر إذنٌ له بدخول الجنة حقيقة بعد أنْ فارق الحياة الدنيا والجمهور على أنه قتل.

٣ـ قوله: ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ أي تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة والإيمان. وفي الحديث « **نصح قومه حياً وميتاً** » وفي هذا إشارة للدعاة ليحبوا الهداية لعموم الخلق.

٤ـ لقد تمنى أنْ يعلم قومه أمرين:

أ ـ مغفرة ربه له وذلك ليتوبوا ولا ييأسوا من رحمة الله.

ب ـ وإكرامه ليحفّزهم ذلك إلى العمل لينالوا حُسن العاقبة.

٥ ـ ﴿مَا﴾ تحتمل أنْ تكون مصدرية بتقدير: يا ليتهم يعلمون بمغفرة ربي لي.

أو اسم موصول بمعنى: ياليتهم يعلمون بالذي غفر لي ربي، وهو اتباع الرسل

ولم يقل: (بالذي)؛ ليشمل المصدرية والموصولة، أي بالمغفرة والإكرام ولو قال: (بالذي) لم يدل إلا على معنى واحد.

٦ ـ قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ولم يقل: وجعلني مكرماً؛ ليدل على أنّ هذا طريق سار عليه قبله المؤمنون والشهداء والصالحون، فهو واحد منهم وليس فذاً لم يسبقه إليه أحد.

٧ـ قدّم الجار والمجرور على الفاعل ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ لأنه المهم وهو مدار الكلام؛ لأنه معلوم أنّ الله هو يغفر الذنوب، فالفاعل معلوم، ولكن المهم أنْ نعلم المغفور له.

كما أنّ اختيار لفظ ﴿رَبِّي﴾ مناسب لقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ وإضافته لنفسه فيها من الرعاية واللطف ما لا يخفى.

٨ـ قدّم المغفرة على الإكرام؛ لأنّ المغفرة هي سبب الإكرام؛ ولأنها تسبقه، فالمغفرة أولاً ثم يليها الإكرام.

اللهم اجعلنا مع الذين تكرمهم بمغفرتك وتغمرهم بإكرامك. اللهم آمين.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما أهم دلالات هذه الآية أيضاً؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قِيلَ﴾مبني للمجهول وهو يفيد التعميم، فمن قال له ادخل الجنة؟ والجواب:

أـ الملائكة عند الموت تبشره بها.

ب ـ أو الحق سبحانه حكى عنه ما يقوله بعد أنْ يموت ويدخل الجنة وهذا إكرام من الله تعالى له.

٢ـ من مؤهلات هذا الرجل لدخول الجنة أنه لم ينظر إلى حظ نفسه فقط إنما نظر إلى حظ إخوانه أيضاً؛ لأنه بعد أن بُشِّر بالجنة قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾أي ما أنا فيه من النعيم.

أي اعملوا مثلي وأقبلوا على الطاعة لتنالوا ما نلت من النعيم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾لاحظ فيها أنَّ المغفرة سبقت المكرُمة، وهذا ما يسمى: التخلية قبل التحلية. فالحق قبل أنْ يُدخل عبده الجنة ينقيه أولاً من الذنوب، وهذه هي التخلية ثم يُكرمه بالجنة، وهذه هي التحلية.

وكما في قوله تعالى: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ أي نُقيتم فادخلوا الجنة. وكذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾فالأولى تخلية والثانية تحلية.

السؤال الثالث:

ما محطات التنقية للعبد في الدنيا والقبر والآخرة؟

الجواب :

لدى التمعن في هذه الآية نجد أنّ هناك معادلة أو شرطاً في دخول الجنة وهذا الشرط هو قوله تعالى على لسان الملائكة بعد السلام على المؤمنين:﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ أي طبتم من دنس المعاصي وطُهرتم من خبث الخطايا. وبمعنى آخر لقد تمت التخلية قبل التحلية.

وقول الملائكة للمؤمنين: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ الفاء تدل على كون الدخول معللاً بالطيب والطهارة، ومن فضل الله على المؤمنين أنه يبدل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طيبين طاهرين نقيين من الذنوب.

وهناك محطات للتنقية قبل دخول الجنة، وعددها (١١) محطة، وهي تساعد على التنقية واحدة تلو الأخرى :

في الدنيا :

١ـ التوبة.

٢ـ الاستغفار.

٣ـ حسنات تمحو السيئات أي الإكثار من الحسنات.

٤ـ المصائب المكفرة للذنوب: مرض ـ مصائب ـ موت ـ...ـ

في القبر :

١ـ صلاة الجنازة عليك.

٢ـ أهوال القبر ـ ظلمة ـ وحشة ـ ضمة قبر.

٣ـ هدايا الأحياء «**إذا مات ابن آدم. ...**» الحديث.

في الآخرة :

١ـ أهوال يوم القيامة.

٢ـ الوقوف بين يدي الله للحساب والعتاب.

٣ـ شفاعة النبي ﷺ.

٤ـ عفو الله عز وجل ورحمته في الآخرة.

هذه المحطات تنقي الإنسان، فإذا نقي طاب فدخل الجنة بفضل الله تعالى.

اللهم نقنا من الذنوب والخطايا وأدخلنا الجنة بفضلك وكرمك بصحبة النبي محمد ﷺ.

اللهم آمين.



﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي لم يحتج الأمر إلى إنزال جند من السماء ليهلكهم، فهم أتفه من ذلك.

٢ـ وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ معناه أنه ما كان يصح في حكمتنا أنْ ننزل عليهم جنداً من السماء؛ لأنهم أقل شأناً من هذا، وإننا لم نفعل ذلك فيما مضى.

وبالتالي نفى الإنزال على وجه العموم بدءاً من الماضي إلى هؤلاء القوم.

٣ـ وأمّا إنزال الجنود لنصرة رسولنا محمد ﷺ فذلك إنما هو تعظيم لشأنه وهو لا يشمله، وأمّا ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ فإنّ ذلك متعلق بالأمم السابقة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ بإضافة القوم إلى ضمير الرجل القتيل.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ ولم يقل (بعده)؛ ليدل على أنّ الله أنزل العذاب عليهم بعده مباشرة، ولم يمهلهم فإنّ (من) تفيد ابتداء الغاية، ولو قال: (بعده) لاحتمل الزمن القصير والطويل، فجاء بما يدل على أنه عاجلهم بالعقوبة من غير إمهال.

٦ـ اختار كلمة ﴿جُندٍ﴾ على (مَلَك)؛ لأنه في مقام العقوبة والمحاربة كان اختيار لفظ الجند أنسب.

ولم يقل: من جنود، وجمع الجند أجناد وجنود، ونفي الجند يعني نفي الجنود، أمّا نفي الجنود فلا يعني نفي الجند، ونفي الواحد مع (من) الاستغراقية يعني نفي الجنس كله.

وللعلم فإنّ (الجند) اسم جنس مفرده (جندي) فالياء للواحد وحذفها للجنس نحو: زنج وزنجي.

٧ـ وبالتالي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾نفى الواحد والاثنين والجمع، ولو جاء بالجنود لم ينف الواحد والاثنين.

٨ـ اختار﴿وَمَآ﴾ في النفي على (لمْ) فلم يقل: (ولم ننزل)؛ لأنّ (ما) أقوى في النفي من (لمْ)، وقد أكّد النفي بذكر (من) الاستغراقية المؤكدة.

وللعلم فإنه لم يأت في جميع القرآن بـ(من) الاستغراقية مع (لمْ) بخلاف (ما).

٩ـ قال: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقل: (من السماوات)؛ لأنّ السماء أعم وأشمل من السماوات، وتشمل أيضاً الجو والسحاب وما علاك على وجه العموم فالسماء تشمل السماوات وزيادة.

وناسب هذا ذكر ﴿مِن﴾ الاستغراقية؛ لأنّ السماء و(من) كليهما للاستغراق والعموم.

١٠ـ وقد تقول: وما الحاجة إلى ذكر السماء وهو لم ينزل عليهم جنداً أصلاً لا من الأرض ولا من السماء؟

والجواب: أنّ الله تعالى ذكر أنه أهلكهم بصيحة من السماء، فالسماء هي مبدأ إنزال العذاب، لكن ليس بالجند وإنما بالصيحة.

والله أعلم.



﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي ما كانت العقوبة أو الأخذة إلا صيحة واحدة.

٢ـ نفى بـ﴿إن﴾ ولم ينف بـ(ما)؛ لأنّ (إنْ) أقوى من (ما) في النفي ولذلك كثيراً ما تقترن بإلا لإفادة القصر.

٣ـ قوله تعالى:﴿وَاحِدَةً﴾ نعت مؤكد لبيان قدرة الله لكون الأمر هيناً عند الله، ولبيان هوانهم وضعفهم، فإنهم لم يحتاجوا إلى أكثر من صيحة واحدة.

٤ـ أضمر اسم كان لوضوحه أي الأخذة أو العقوبة.

٥ـ جاء بالفاء وإذا الفجائية للدلالة على سرعة هلاكهم، فإنّ الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، وإذا تفيد المفاجأة، فجاء بهما معاً للدلالة على سرعة المفاجأة بحيث لم تكن بين الصيحة وخمودهم مهلة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ولم يقل: (هامدون)؛ والسبب- والله أعلم- :

أ ـ في ذلك إشارة إلى سرعة سكونهم، فإنّ الخمود أسرع من الهمود.

ب ـ لبيان أنّ حركتهم وأصواتهم قد خمدت فلا تسمع لهم حساً، وذلك بعد الصخب والضجيج والبطش والقتل في القرية فإذا هم ساكتون.

ج ـ جاء في روح المعاني: لعلّ في العدول عن (هامدون) إلى (خامدون) رمزاً خفياً إلى البعث بعد الموت.

د ـ من معاني الخمود الموت كالهمود، فأعطى الخمود معنى الهمود مع معان أخرى لا يؤديها الهمود، كسرعة الهلاك والسكوت بعد الصيحة والرمز الخفي إلى البعث بعد الموت، وأنّ ظاهرهم ساكن بارد وحقيقتهم نار تحرق.

والله أعلم.



﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾؟

الجواب :

١ـ الحسرة هي الغم على ما فات والندم عليه.

٢ـ يا للنداء، ﴿يَـٰحَسْرَةً﴾ هو المنادى ونداؤها مجاز بتنزيلها منزلة العقلاء لبيان عظم الموقف، كأنه قيل: ياحسرة احضري، أو ليتحسر عليهم المتحسرون، أو: أيتها الحسرة أقبلي فهذا وقت حضورك.

٣ـ التنكير للكثرة.

٤ـ التعريف في ﴿ٱلْعِبَادِ﴾ هو لتعريف جنس الكفار المكذبين.

٥ـ مَن المتحسر؟ هناك عدة وجوه :

أ ـ لا متحسر أصلاً في الحقيقة؛ إذ المقصود أنّ ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب.

ب ـ أنّ القائل هو الله تعالى على الاستعارة تعظيماً للأمر وتهويلاً له. وهذا كالألفاظ التي وردت في حق الله تعالى كالضحك والتعجب والتمني والسخر، ويكون المعنى إخباراً عن وقوع الندامة.

ج ـ أنها حسرة الملائكة والمؤمنين على العباد في تكذيبهم الرسل والاستهزاء بهم.

د ـ قيل إنّ المراد بالعباد هم الرسل الثلاثة الذين وردوا في سورة يس قبل هذه الآية.

هـ ـ لعلّ الأوفق أنّ المراد نداء حسرة كل من يتأتى منه التحسر، ففيه من المبالغة ما فيه.

٦ـ من تمام الإيمان أنْ يتحسر المؤمن على من لم يذق طعم الإيمان ولذة الطاعة، فهو مسكين يستحق من يشفق عليه ويتحسر على حاله.

٧ـ الله سبحانه خلق الإنسان وخلق له مقومات حياته المادية وهي مكفولة للجميع المؤمن والكافر، أمّا عطاء القيم والروح فأخذها المؤمن وتركها الكافر، فياحسرة عليه.

٨ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هذا بيان سبب الحسرة والندم.

٩ـ قوله: ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ يفيد الاستغراق، والمعنى أنه لم يسلم رسول من الاستهزاء.

١٠ ـ لم يقل هنا: من نبي، كما في الزخرف [٦ـ٧] وهي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾فإنه لمّا تقدّم لفظ (كم) الخبرية التكثيرية للأنبياء ناسب (من نبي)، والأنبياء أكثر من الرسل، فإنّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

١١ـ قدّم﴿بِهِۦ﴾ على الفعل للاهتمام؛ إذ المفروض أنْ يستقبل العباد رسولهم بالاهتمام لا بالاستهزاء. إضافة إلى مراعاة الفاصلة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الحسرة والندامة؟

الجواب :

١ـ الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً. والحسير في القرآن هو المنقطع. والحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه.

٢ـ قد يندم الإنسان على أمر والندم له درجات ، لكنّ الحسرة هي أشد أنواع الندم والتلهف على ما فات.

٣ـ قوله تعالى:﴿ يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ أي هذه أكبر الحسرات، وليس هناك أكبر منها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾أي منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الأسف والندم والحسرة؟

الجواب :

الأسف :

يكون على الفائت من فعلك وفعل غيرك، وهو حسرة معها غيظ أو غضب. والآسف هو الغضبان لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي أغضبونا. وللعلم فإنّ استعمال الغضب في صفات الله مجاز وحقيقته إيجاب العقاب للمغضوب عليه.

الندم :

جنس من أفعال القلوب يتعلق فقط بفعل النادم دون غيره.

الحسرة :

غم يتجدد لفوت فائدة، وليس كل غم حسرة.



﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الآية تحمل أكثر من معنى حسب عَوْد الضمير في ﴿أَنَّهُمْ﴾ وفي ﴿إِلَيْهِمْ﴾ والآية تتحدث عن قرونٍ أُهلكت من قبل وتُخاطب مكذّبين معاصرين.

٢ـ فإنْ عاد ضمير الغائبين في ﴿أَنَّهُمْ﴾ إلى القرون الأولى التي أُهلكت يكون المعنى: أنهم لا يرجعون، ولم نَرَ أحداً منهم رجع بعد هلاكه.

٣ـ وإنْ عاد الضمير على المخاطبين الموجودين فالمعنى يكون: أيها المخاطبون لا ترجعوا في نسبكم إلى هؤلاء الذين أهلكهم الله؛ لأنّ الله استأصلهم بحيث لم يبقِ منهم أحداً ولا نسلاً.

٤ـ الآية في مجملها تعني أنّ هلاك الكافرين والمكذبين هو سنة متبعة على مر الزمان.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِن﴾ بمعنى ما النافية و ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى إلا، أي: وما كلٌ إلا جميعٌ لدينا محضرون.

٦ـ قوله تعالى: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي مجبرون على الحضور ومكرهون رغم أنوفهم.

السؤال الثاني :

ما أهم اللفتات في الآيتين؟

الجواب :

١ـ لمّا بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ المهلكين لا رجعة لهم إلى الدنيا ذكر أنهم إليه راجعون ومحضرون لديه للحساب وللعقاب.

٢ـ﴿ وَإِن﴾ نافية و(لمّا) بمعنى (إلا) و(كل) مبتدأ، وخبره (جميع)

٣ـ فإن قلت: كيف أخبر عن ﴿كُلٌّ﴾ بـ ﴿جَمِيعٌ﴾ ومعناهما واحد؟

فالجواب: المعنى ليس بواحد؛ لأنّ (كل) تفيد معنى الإحاطة وأنْ لا ينفلت منهم أحد.

والجميع معناه الاجتماع وأنّ المحشر يجمعهم، و﴿جَمِيعٌ﴾ على وزن فعيل لكن بمعنى مفعول.

٤ـ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي للحساب وتقديم الظرف﴿لَّدَيْنَا﴾ لإفادة الحصر بمعنى الإحضار إليه لا لغيره. وصيغة ﴿مُحْضَرُونَ﴾ تعني أنّ حضورهم بالإكراه لا برغبتهم وإنما بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

و(محضرون) إما خبر ثانٍ أو نعت لـــ (جميع) على المعنى، ويصح إفراده بتقدير: وإنْ كل لمّا جميع لدينا محضر، حملاً على اللفظ، كما في آية القمر ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر:٤٤].

٥ـ قد تقول: لكنه جمع، ولم يفرد في آية الشعراء ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فلماذا؟

والجواب: أنّ فرعون أراد من قراره أنّ الحذر يخص كل واحد من الشعب وليس فريق الحكومة؛ ليجعل الأمر على العموم فناسب الجمع هنا في الشعراء.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة تقديم الظرف ﴿قَبْلَهُم﴾ على﴿ٱلْقُرُونِ﴾في آية يس ٣١ والأنعام ٦ وتقديم (القرون) على (الظرف) في آيات الإسراء ١٧ ويونس ١٢؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

السؤال الرابع :

قال في طه ١٢٨ :﴿أَفَلَمْ﴾ بالفاء وفي السجدة٢٦، و يس ٣١﴿ أَوَلَمْ﴾بالواو، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٢٨.

السؤال الخامس :

لِمَ حَمَلَ على المعنى في يس٣٢ وحمل على اللفظ في القمر٤٤؟

الجواب :

لّما ذكر القرون في يس ناسب أنْ يجمع فيقول: ﴿مُحْضَرُونَ﴾. أمّا في القمر فإنهم فريق واحد أو جمع واحد وليس جموعاً، كما قال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فناسب ذلك الإفراد.

ثم إنّ الانتصار إنما هو للفريق كله وليس لكل فرد؛ لأنه يقال: (النصر لنا) ولا يقول: (النصر لي) فوحّد الوصف للفريق لا لأفراده فرداً فرداً بخلاف الإحضار للحساب أمام الله، فهو لكل فرد ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ فناسب الجمع في يس من جهة أخرى.

السؤال السادس :

عن استعمال القرون والقرن بعد (كم) الخبرية التكثيرية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

السؤال السابع :

ما دلالة﴿إن﴾ النافية عندما تدخل على الجمل الاسمية أو الفعلية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٧.



﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا ذكر الحشر في الآية السابقة، ذكر الدليل على إمكانية وقوعه فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾والآية بمعنى العلامة والدليل.

كما استدل بهذه الآية على توحيد الله وبيان قدرته ورحمته وذكر جملة من نعمه عليهم.

٢ـ الضمير ﴿لَّهُمُ﴾ يعود على أهل مكة ومن يجري مجراهم في إنكار البعث والحشر.

٣ـ قدّم ﴿وَءَايَةٌ﴾؛ لأنّ الكلام عن العلامات الدالة على قدرة الله. وقدّم ﴿وَءَايَةٌ﴾ على الجار والمجرور (لهم) للدلالة على أنها آية لهم ولكنها لا تخصهم وحدهم، ولو قدم

الجار والمجرور دون ﴿وَءَايَةٌ﴾ فقال مثلاً: (ولهم الأرض الميتة آية) لكان ذلك تخصيص الآية لهم دون غيرهم، في حين أنها آية للجميع.

٤ـ بدأ بذكر الأرض؛ لأنها مسكنهم ومستقرهم.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ بدأ بالحب؛ لأنه طعام الإنسان وهو أهم ما يأكله البشر، وإذا فقد الحب هلك الناس.

وقدّم الجار والمجرور ﴿مِنْهَا﴾ على الفعل ﴿يَأْكُلُونَ﴾ لأهميته في حياة البشر حتى كأنه لا مأكول غيره، و(من) تبعيضية.



﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الحب وهو الأهم ذكر الجنات من النخيل والأعناب وهما دون الحب بالنسبة إلى طعام الناس.

والمقصود بالنخيل والأعناب هما الشجر وليس الثمر؛ ولذلك قال فيها بعد: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾.

٢ـ قدّم شجرة النخيل على العنب؛ لأنها أفضل منها من حيث الفائدة.

٣ـ النخل بالنسبة إلى ثمرته (التمر) عظيمة الفوائد ينتفع بكل شيء منها بينما شجرة الكرم إلى ثمرة (العنب) تعتبر حقيرة.

ولذلك في القرآن وفي المواضع التي يذكر فيها الله الفواكه، لا يذكر التمر وإنما يذكر شجرته (النخيل)؛ لأهمية هذه الشجرة، ولا يذكر العنب بشجرته (الكرمة) لقلة فائدتها.

٤ ـ قدّم القرآن العنب على النخيل في موضعين فقط وهما: [الرعد ٤ ـ عبس ٢٨ـ٢٩].

والسبب :

أ ـ في آيات عبس لمّا قال الله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ ذكر الأطعمة: الحب والعنب والزيتون وهذه كلها أطعمة، ثم ذكر النخيل وهو شجر وجعله بجنب الحدائق فقال: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [عبس:٢٩-٣٠].

كما رتبها بحسب كثرتها في العالم، فالحب هو الأكثر ثم العنب، وهو أقل من الحب وأكثر من الزيتون ثم الزيتون.

ب ـ وأمّا في آية الرعد فإنه ذكر فيها المتجاور من النبات، فبدأ بجنات الأعناب وهي قطع متجاورة من البساتين، ثم ذكر ما هو أقرب تجاوراً وهو الزرع ، والزرع أقرب إلى بعضه من أشجار العنب، ثم انتهى إلى النخل الصنوان وغيره، إذ الصنوان هو النخل الذي يخرج من أصل واحد وهي الفسائل المتعددة التي تخرج من أصل واحد، وهذه أقرب من كل شيء إلى بعضها وهي أقرب المذكورات تجاوراً. أي رتبها حسب التجاور

فبدأ بالجنات وانتهى إلى الأشجار التي تخرج من أصل واحد، فكان التقديم بحسب ما يقتضيه السياق.

٥ـ قال في الحب: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وقال في الثمر: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بلام التعليل؛ ذلك أنّ الناس يأكلون من الحب على الدوام، أمّا الفاكهة فيأكلونها في أوقات متباعدة، ففرّق بين ما هو مستمرون على أكله وما ليس ذلك.

٦ـ ذكر الأكل مباشرة بعد ذكر الحب، بينما أخّر الأكل عن الثمار إلى ما بعد ذكر تفجير العيون، وقيل عن السبب إنّ الحب لا يحتاج إلى العيون والأنهار وإنما يكفيه ماء السماء، بخلاف الجنات فإنّ الثمار والجنات لا تتم إلا بالأنهار أو العيون، بينما الحب يتم بمياه الأمطار؛ ولهذا يُرى في أكثر البلاد التي ليس فيها أشجار وأنهار أنه لا تبطل فيها زراعة القمح اعتماداً على ماء السماء.

٧ـ قدّم ذكر الحب والفاكهة، وأخّر ذكر العيون، مع أنّ الماء سابق لهما وهو شرط لوجودهما. والسبب - والله أعلم- :

أـ قدّم المطعوم على المشروب؛ لأنّ الطعام أهم، والحصول عليه أصعب. والناس يجهدون للحصول عليه بخلاف الماء، فإنّ الحصول عليه أسهل وتقديم الطعام على المشروب شائع في القرآن، كما في الآيات:

ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦٠].

ـ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء:٧٩].

ـ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾...[الى]... أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقعة ٦٣-٦٨].

ب ـ السياق في إحياء الموتى، فذكر الأرض الميتة وإحياءها وإخراج الحب والجنات، وهذا أدل على ذلك من تفجير العيون.

ج ـ ذكر الأكل ولم يذكر الشرب ولم يقل: (ليشربوا منه)؛ ولذلك قدّم ما ذكر وهو أكل الحب والفاكهة، وأخّر ما لم يجر له ذكر.

د ـ الماء هو السبب الأول لإخراج الحب والجنات وليست العيون، ولا يوجد ارتباط لازم بين الجنات والعيون، فقد تكون جنات وليس فيها عيون وقد تكون عيون وليس ثمة جنات.

والجنات أهم من عيون الماء؛ لأنّ بها غذاء الناس وطعامهم، أمّا الماء فمقدور عليه في الغالب.

هـ ـ الشائع في القرآن الكريم أنه إذا اجتمعت الجنات والعيون قدّم الجنات على العيون، كما في الآيات:

ـ ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥].

ـ ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الشعراء:٥٧].

ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدخان:٢٥].

ـ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح:١٢].

غير أنه يقدّم الماء إذا أراد أنْ يبين أنه سبب الإنبات، كما في الآيات:

ـ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [ق:٩].

ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ:١٤-١٦].

٨ـ قال: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بتضعيف العين للدلالة على الكثرة، وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فذلك يدل على كثرة الماء في النهر.

٩ـ الضمير في ﴿فِيهَا﴾إما يعود على الجنات أو يعود على الأرض :

أـ فإنْ عاد على الجنات كانت الجنات سابقة على العيون، وتكون العيون متأخرة عنها في الوجود، فناسب تأخير العيون.

ب ـ وإنْ عاد على الأرض فالتفجير ليس له علاقة بجنات النخيل والأعناب؛ لأنّ التفجير سيكون في الأرض في الجنات وغيرها.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ تحتمل ﴿وَمَا﴾ أنْ تكون نافية، فالثمر لم تعمله أيدي الناس، وتحتمل أنْ تكون اسماً موصولاً بمعنى :

أـ وما يعملون من الثمار مثل: الشراب والمربى والدبس وغيرها.

ب ـ وما عملته أيديهم من الغرس والسقي والكد.

ج ـ وقيل (ما) نافية وضمير (عملته) راجع إلى الثمر.

١١ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ومعناها :

أـ ألا يستدعي ذلك شكر المنعم الذي أمدهم بهذه النعم الجليلة؟

وقال ذلك بصيغة الاستفهام؛ لأنه أراد أنْ يقول لهم: ألا يستوجب ذلك شكر ربهم؟ وهو عرض لطلب الشكر مع إنكارٍ لعدم الشكر، وجاء بالفاء الدالة على السبب.

ب ـ قال في الواقعة: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ بـ(لولا) الدالة على التحضيض وهو الطلب بشدة؛ لأنّ السياق في الواقعة في مقام التحذير والتوعد والتهديد بالعقوبة، بينما السياق في يس في مقام تعداد النعم وذكر الآيات.

ج ـ أطلق الشكر ولم يقيده، فإن الشكر قد يكون للنعمة، وقد يكون للمنعم كما في الآيات:

ـ ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل:١١٤].

ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل:١٩].

ـ ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

ـ ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ:١٥].

وهنا أطلق الشكر ليشمل النعمة والمنعم. والله أعلم.

السؤال الثاني:

كيف يستعمل القرآن الكريم لفظتي النخل والنخيل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.



﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿ سُبۡحَٰنَ ﴾ تعني التنزيه المطلق لواجب الوجوب الأعلى عن أنْ تحكمه قوانين الموجود.

والتنزيه المطلق للحق سبحانه له مقامات ثلاثة :

أ ـ أنْ تنزّه ذاته سبحانه عن كل الذوات.

ب ـ أنْ تنزّه صفاته عن كل الصفات.

ج ـ أنْ تنزّه فعله سبحانه أنْ يشبه بالأفعال.

والميزان في ذلك كله قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

٢ـ الزوجية موجودة في كل شيء في الوجود، وكلمة (زوج) لا تعني اثنين، إنما تعني الشيء الواحد، إنما معه مثله، نحو توأم فكلٌّ منهما توأم وهما توأمان.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾لم يذكر سبحانه الحيوان؛ لأنه ذكر الإنسان وهو الحيوان الناطق وهو الأعلى فالآخر مثله وتابع له.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لها مدلولات وقعت أخبر الله عنها قبل أنْ نكتشفها لنعلم أنّ الغيب الذي يخبرنا الله به يأتي كمقدمة لغيب آخر سنعرفه في المستقبل. وكأنّ الحق يلفت أنظارنا : أنه كما صدّق الواقع ما أخبرت به من الغيب فصدّقوا ما أخبرتكم به من غيب الآخرة.

٥ـ بدأ بذكر الأزواج بالأرض ثم بأنفسهم ثم بما لا يعلمون؛ لأنه لّما كان الكلام عن الأرض بدأ بالأزواج عليها. ثم لّما كان الناس هم المستفيدين من الأرض يأكلون من

حبها وثمرها وهم سكانها ذكرهم بعد ذلك. ثم ذكر ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مما لا علاقة لهم به ولا معرفة لهم به مما سيكشفه المستقبل من معلومات الزوجية في الوجود.

والله أعلم.



﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الأرض واستدل بأحوالها على التوحيد والحشر استدل بالليل والنهار على ذلك فكان استدلاله بالمكان والزمان، فالمكان هو الأرض والزمان هو الليل والنهار.

٢ـ في يس قدّم الاستدلال بالأرض على الاستدلال بالليل والنهار، بينما عكس الموضوع في آيات فصلت ٣٧ـ٣٩، وهي قوله تعالى :

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٧-٣٩].

والسبب في ذلك - والله أعلم - أنّ :

أ ـ السياق في يس هو الاستدلال على الحشر، والاستدلال بإحياء الأرض الميتة أدل على ذلك من الاستدلال بالليل والنهار.

ب ـ أمّا في فصلت فالسياق في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد كان قسم من المشركين يعبدون الشمس والقمر ويسجدون لهما، فقال: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ فكان تقديم الليل والنهار وآيتيهما أولى.

٣ـ وقد تقول: إذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل في الآية؟

والجواب أنه لمّا استدل بالمكان المظلم وهو الأرض وقال: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ استدل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو الليل.

كما أنّ الليل فيه سكون وهدوء وفيه نوم، وهو أشبه بالموت، بينما النهار فيه حركة.

٤ـ ومعنى ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي نزيله منه، من سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله.

٥ـ ومعنى ﴿مُّظۡلِمُونَ﴾ أي داخلون في الظلام.

ويفيد هذا التعبير أنّ الليل مغطى بالنهار، والنهار كالجلد الذي يغطيه فيسلخ منه النهار كما يسلخ الجلد، فيكون تحته الليل.

وقد فهم المفسرون ذلك فقالوا: إنّ الليل أصل والنهار فرع طارىء عليه ولذلك لم يقل القرآن العكس بأنّ النهار نسلخ منه الليل، فهذا لا يصح؛ لأنّ الأرض مظلمة وليست مضيئة؛ ولأنّ الضوء هو الذي يزيل الظلمة وليست الظلمة هي التي تزيل النور وتمحوه.

٦ـ وقال: ﴿نَسۡلَخُ﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه تعالى؛ ليدل على أنّ ذلك يجري بفعل الله وقدرته، ولم يحصل ذلك من دون مدبر.

٧ـ قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ ولم يقل: فإذا الأرض مظلمة؛ ليبين أثر ذلك فيهم وفي حياتهم؛ وليبين أثر النعمة عليهم في الضياء والإظلام.

وجاء بـ ﴿فَإِذَا﴾ الفجائية للدلالة على سرعة التغير. و الله أعلم.



﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ من المحتمل أنْ تكون الواو عاطفة على الليل فتكون المتعاطفات كلها آية، ولذلك لم يكرر كلمة (آية)؛ لأنه أراد أنْ يكون كل ما ذكر آية.

٢ـ ويحتمل أنْ تكون﴿ وَٱلشَّمۡسُ﴾ مبتدأ وما بعدها خبر والجملة معطوفة على ما قبلها.

٣ـ ومعنى ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾أي: أنّ لها حداً تنتهي إليه سواء كان الحد زماناً أو مكاناً، فالمستقر اسم مكان أو اسم زمان.

وقيل المستقر هو آخر السنة أو الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريانها وهو يوم القيامة، وقيل غير ذلك.

٤ـ ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ بعد أنْ أسند الجري إليها؛ ولئلا يُظن أنها تجري بنفسها من دون تقدير أو تدبير، فإنها تجري بتقدير العزيز العليم على وفق سنة وضعها لها خالقها، فهي ليست حرة مختارة، وإنما هي خاضعة لمن جعل لها مستقراً لا تتخطاه، فأبطل بذلك صحة أن تكون معبودة أو مُتخذة إلهاً.

والله أعلم.



﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر هنا القمر وأنه قدّر له منازل يسير فيها، كما قدّر للشمس جرياناً لمستقر لها، حتى يكون كالعرجون القديم.

٢ـ نسب التقدير إلى نفسه فقال: ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ كما نسب جري الشمس إلى تقديره.

٣ـ استغنى بقوله: ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ عن إعادة وصف العزيز العليم.

٤ ـ العرجون: هو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة و العرجون هو عذق النخلة الذي يحمل الثمار، وهو مكون من عدة شماريخ رفيعة، لكن قاعدته عند اتصاله بجذع النخلة عريض ومفلطح، وهذا العذق ييبس ويضمر كلما تقادم، ويعوج كلما جفت المائية منه.

٥ـ اختار﴿عَادَ﴾ على (صار)؛ لأنه يعود إلى هذه الحالة في كل شهر وليس في (صار) إشعار بهذا المعنى.



﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

بيّن سبحانه جامعاً بين الشمس والقمر وبين الليل والنهار أنه :

١ـ كلٌّ من الشمس والقمر له فلكه الخاص به، فهما ليسا في سباق، وكل منهما يدور في دائرة لا يتعداها، وكل دائرة تختلف عن الأخرى سعة ووضعاً، وليس أحدهما يدرك الآخر ولا أحدهما سابق لصاحبه.

٢ـ وكذلك تعبّر هذه الآية عن حقيقة علمية ثابتة، ذلك أنّ الشمس في كل لحظة تشرق على مكان فيكون عليه نهار، وتغرب عن مكان آخر فيكون عليه ليل، فالليل أمامه نهار وخلفه نهار، وكذلك النهار أمامه ليل وخلفه ليل فالليل ليس سابقاً للنهار وليس النهار سابقاً لليل، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية لا أسبقية لليل على نهار.

ونلاحظ أنه في الآية نفيان :

أـ نفي لأنْ تدرك الشمس القمر.

ب ـ نفي لأنْ يسبق الليل النهار.

٣ـ استعمل الفعل ﴿تُدْرِكَ﴾ مع الشمس، واستعمل الاسم ﴿سَابِقُ﴾ مع الليل ولم يجعلهما على نسق واحد؛ ذلك أنّ قوله ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ قد يفهم منه أنّ الليل سابق، فقال: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾فردّ هذا التصور.

٤ـ في تقديم الشمس على الفعل وتقديم حرف النفي عليها حيث إنّ الأصل (لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر)، ولكنه عدل إلى ما قاله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾لأكثر من سبب :

أ ـ الحرف (لا) إذا دخل على اسم معرفة فإنه يُراد به نفي أكثر من أمر فتكرر(لا) وجوباً، بخلاف ما إذا دخلت على فعل مضارع، فإنها ليست كذلك. وههنا أراد نفي أمرين فقدّم الاسم المعرفة؛ ليؤذن بأنه يريد نفي أكثر من مسألة.

ب ـ قد يفيد تقديم الاسم على الفعل في حيز النفي نفي الفعل عن المذكور وإثباته لغيره، أي في الآية نفي القدرة عن الشمس لإدراك القمر وإثباتها لله العزيز العليم.

ج ـ قد يكون هذا التقديم لغرض العناية والاهتمام، ذلك أنه جرى ذكر للشمس والقمر قبل هذه الآية، فناسب تقديم الشمس.

٥ ـ قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾التنوين يفيد العموم، أي كل الأجرام تسبح فدخل فيها الشمس والقمر، ولو قال: كلٌّ منهما، لتخصص الكلام بهما.

ولمّا أفاد ﴿وَكُلٌّ﴾ العموم لكل الأجرام والكواكب ناسب الجمع، فقال: ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ واستعمل واو الجماعة للعقلاء؛ ليشعر أنّ الأجرام عاقلة ملتزمة وليست كالإبل الهائجة، وفي ذلك إشعار بالأمان للناس مما فوقهم فلا تنقض عليهم.

واختيار لفظ السباحة أنسب شيء للتعبير عن حركة الأجرام، وقد اختار علماء العصر الحديث هذا اللفظ للتعبير عن الحركة في الفضاء.

٦ـ كلمة ﴿فَلَكٍ﴾ تعبر عن مدار النجوم، والجمع (أفلاك)، كما تفيد استدارة مسار الأجرام.

والفلك استدارة السماء والفلك أيضاً قطعة مستديرة مرتفعة من الأرض.

والله اعلم.



﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ
مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةً
مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾﴾

١ـ قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ هي آية لنا ولهم (لنا) لنقنعهم، و(لهم) لتدعوهم إلى الإيمان بالله.

ولذلك لما سئل الإمام علي رضي الله عنه: أعرفت ربك بمحمد أم عرفت محمداً بربك؟ فقال: عرفت ربي بربي، وجاء محمد فبلّغني مراد ربي مني.

٢ـ الفُلك: تستعمل للمفرد والجمع. وقيل هي السفن التي تجري في البحار إلى قيام الساعة، والذرية هم الأولاد، فامتن على الآباء بحمل أولادهم في البحار.

وقيل المقصود بالفلك هو سفينة نوح عليه السلام، والمعنى أنه لمّا حمل آباءهم الأقدمين يكون قد حمل ذريتهم في أصلابهم، ولولا ذلك الحمل لم يبق للآدمي نسل.

٣ـ الامتنان إنما هو بالحمل في الفلك وليس في الفلك نفسه، ذلك أنّ الحمل فيه هو النعمة.

٤ـ ليس في كون الفلك سفينة نوح استشكال، فإنه قال للمخاطبين: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ والله لم يحملهم، وإنما حمل آباءهم، فإنّ المخاطبين وذريتهم هم جميعاً ذرية المحمولين في السفينة.

٥ـ الفلك المشحون أي المملوء، وهذا يفيد أنّ الآدمي يرسب في الماء وأنّ حفظ الثقيل فوق الماء لا يتم إلا بإرادة الله وقدرته.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾

١ـ قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يعني من مثل الفلك.

٢ـ قوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه وجهان :

أ ـ أنه الفُلك وما يركبونه من السفن والزوارق.

ب ـ أنه عموم ما يُركب في البر من الإبل وغيره.

والظاهر أنه يشمل عموم ما يركب في البر والبحر. فذكّرهم بنعمة السكن وهي الأرض ونعمة الطعام ونعمة الليل والنهار وحملهم وحمل بضائعهم في البر والبحر.

٣ـ قوله: ﴿لَهُمْ﴾ يدل على تمام نعمته عليهم، أي لأجلهم.

٤ـ قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بإضافة الذرية إليهم فيه تفضل آخر بخلاف ما لو قال: (إنا حملنا ذرية المخلوقات) فإنّ ذلك يعم، وهذا يخصهم هم.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾

١ـ هددهم بالإغراق فلا ينقذهم أحد، كما فعل مع المغرقين من قوم نوح.

٢ ـ قد تقول: كيف يصح التهديد بالإغراق، وهو لم يذكر حملهم في الفلك وإنما ذكر حمل ذريتهم؟

فالجواب: أنه لما قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ فذكر ما يركبونه من مثل الفلك صح أن يكون التهديد لهم.

٣ـ قال: ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ أي لا مغيث، ولم يقل: فلا مغيث لهم، والسبب :

أ ـ الصريخ يجمع عدة معان منها المغيث، ومنها المستغيث، ومنها صوت المستصرخ.

ب ـ وفي الآية يحتمل هذه المعاني كلها.

ج ـ قد تقول: كيف يحتمل في الآية نفي المغيث والمستغيث ولا شك أنهم مستغيثون؟

والجواب: أنّ المعنى: لا مستغيث لهم، بمعنى لم يستغث لهم أحد، وعلى هذا يكون المعنى أنه إنْ شاء أغرقهم فلا يستغيث لهم أحد، ولا مغيث لهم فلا يكون من يطلب العون لهم ولا من يعين فنفى المغيث والمستغيث لهم.

د ـ والصريخ أيضاً صوت المستصرخ، أي بمعنى أنهم لا يمكنهم الصراخ وطلب العون؛ لأن الماء يلجم أفواههم.

وبهذا نفى المغيث والمستغيث ونفى إمكانية رفع الصوت.

هـ واختار لفظ الصريخ على المغيث؛ لأنّ الصريخ من الصراخ والصرخة هي الصيحة الشديدة عند الفزع. فكان لفظ الصريخ أنسب.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ﴾أي لا ينقذهم أحد أو شيء سواه، فقد لا يكون هناك مغيث، ولكنْ قد يكون هناك شيء كقطعة من الخشب يتعلق بها فانتفت نجاتهم بكل سبيل.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾

١ـ التعبير يحتمل معنيين :

أـ أنْ ينقذهم الله رحمة بهم ويمتعهم إلى حين.

ب ـ أنّ إنقاذهم على نوعين: إنقاذ رحمة وإنقاذ تمتيع.

فالقسم الأول يؤمن بعد الكفر ويهتدون، فكان إنقاذهم رحمة منه تعالى لهم والقسم الثاني يبقون على كفرهم، فيكون إنقاذهم متاعاً إلى حين.

وعلى هذا فكلهم مرحومون ممتعون، ولكنّ منهم من نالته رحمة أوسع بنجاته وإيمانه.

٢ ـ قوله: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا﴾ ليدل على أنّ الرحمة بهم منه سبحانه، وإلا فليس من يرحمهم ويغيثهم غيره.

٣ـ قوله: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا﴾ تفيد أنّ الرحمة عامة تشمل جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، بينما قوله تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا﴾ فهي رحمة خاصة بالمؤمن ولم ترد في القرآن في غير المؤمنين، كما في [هود ٢٨ـ الكهف ٦٥ـ الأنبياء ٨٤].

٤ـ قدّم الرحمة على الجار والمجرور هنا في الآية؛ لأنه لو عكس لاختل المعنى، ذلك لو قال: (ولا هم ينقذون منا إلا رحمة ومتاعاً إلى حين) كان المعنى أنه سينقذهم من الله منقذ وينجيهم مغيث، وبذلك يكون الله عاجزاً عن إغراقهم- تعالى الله عن ذلك- ولذا لا يصح التقديم في الآية.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين السفينة والفلك في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٤.

السؤال الثالث :

ما الفرق في الدلالة بين ﴿رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا﴾ و ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الكهف ٦٥ .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ جاء بـ﴿وَإِذَا﴾ولم يأت بـ (إنْ)؛ ليدل على أنّ هذا القول ليس أمراً افتراضياً، وإنما هو أمر حاصل متكرر؛ لأنّ (إذا) تستعمل لما هو مقطوع بحصوله ويتكرر كثيراً بخلاف (إنْ)، فقد تستعمل لجميع الافتراضات لما يقع ولما لا يقع ولقليل الوقوع.

٢ـ لم يذكر جواب الشرط؛ لأنه معلوم مما بعده في الآية التالية رقم ٤٦ وقد يفيد الحذف أنهم إذا قيل لهم سكتوا ولم يجيبوا، كما يفعل بعض الناس إذا سمع كلاماً لا يعجبه.

٣ـ قوله: ﴿اتَّقُوا﴾ يعني: احذروا واحفظوا أنفسكم منه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ يحتمل أنْ يكون المعنى :

أـ ما مضى من الذنوب.

ب ـ العقوبات التي أوقعها الله بالأمم السابقة.

ج ـ الآفات والنوازل المحيطة بكم وأنواع العذاب مثل الحرق والغرق.

د ـ ما ظهر لكم.

هـ ـ الآخرة.

٥ـ قوله تعالى:﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ يحتمل أنْ يكون المعنى :

أـ ما بقي من الذنوب.

ب ـ الموت وأمر الساعة وعذاب الآخرة.

ج ـ ما خفي عنكم.

د ـ الدنيا.

٦ـ يتضح مما ذُكر أعلاه أنّ قوله تعالى:﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ليس هو في أمر معين، وإنما هو عام في كل ما ينبغي أنْ يتقى.

وجاء في روح المعاني أنّ المعنى: اتقوا العذاب واتقوا ما يترتب العذاب عليه

٧ـ لقد ذكر أمرين للنجاة من المحذور، وهما :

أ ـ مايتعلق بالإنسان وما يتخذه من أسباب لدفع المحذور وحفظ نفسه.

ب ـ ما هو متعلق برحمة الله تعالى ومشيئته.

لأنّ الأسباب وحدها قد لا تكفي، ولا بدّ من رجاء رحمة الله؛ ولذلك قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولم يقل: (لترحموا)؛ لأنّ الاتقاء مرجوٌّ معه رحمة الله ولا يدفع المحذور وحده. ولو قال: (لترحموا) لجعل الاتقاء بالأسباب وحدها. ولذلك جيء بـ(لعلّ) التي تفيد الترجي؛ لكيلا يتكل الإنسان على الأسباب وينسى المسبب ربه.

٨ـ قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولم يقل: عسى أنْ ترحموا؛ لأكثر من سبب :

أ ـ قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالفعل المضارع يفيد الحال والمستقبل، بينما (عسى أن ترحموا) يفيد الاستقبال فقط.

ب ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جملة اسمية، وقولنا: (عسى أنْ ترحموا) جملة فعلية، والجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية.

ج ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آكد وأقوى؛ لأنه أسند إليهم وقوع الرحمة بهم مرتين: ضمير الخطاب (كم) والواو في الفعل ﴿تُرْحَمُونَ﴾.

بينما في قولنا: (عسى أنْ ترحموا) فيه ذكر ضمير الخطاب مرة واحدة.

د ـ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ في آية الإسراء ٨ خاص بأمر مستقبل موجه لبني إسرائيل بعد المرة الثانية وهو مستقبل فناسب ﴿عَسَىٰ﴾.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

١ـ المعنى العام أنه ما تأتيهم آية سواء التي ينزل بها الوحي أو الآيات الكونية في الأرض والسماء إلا كان شأنهم الإعراض عنها وعدم النظر والتدبر فيها. أي فهم معرضون عن الآيات كلها.

٢ـ نفى بـ ﴿وَمَا﴾ ولم ينف بـ (لا)؛ لأنه أراد أنْ يبين حالتهم؛ لأن (ما) تفيد الحال إذا دخلت على الفعل المضارع، أمّا (لا) فإنها تفيد الإطلاق وكثيراً ما يؤتى بها للاستقبال، والقرآن لا يريد أنْ يبين حالتهم في المستقبل بل يريد ما هم عليه، فنفى لذلك بما.

٣ـ استعمل الفعل المضارع ﴿تَأْتِيهِم﴾ للدلالة على الاستمرار، وأنّ هذا شأنهم.

٤ـ قال:﴿مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ فجاء بمن الاستغراقية؛ ليشمل الإعراض عن جميع الآيات.

٥ـ أضاف الآيات إلى الرب المضاف إليهم﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ ليبيّن سوء هذا الإعراض؛ لأنهم يعرضون عن آيات ربهم المتفضل عليهم بدل أنْ يشكروه.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ فجاء باسم الفاعل ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ ليدلّ على أنّ هذا هو وصفهم الثابت، ولو قال: إلا أعرضوا، بالفعل الماضي لفهم أنّ الإعراض حادث.

ولذلك جاء بـ (كان)؛ ليدل على أنّ الإعراض حاصل أصلاً، وهو ثابت فيهم ولم يحدث بعد هذه الآية.

٧ـ قدّم الجار والمجرور ﴿عَنۡهَا﴾ على اسم الفاعل؛ ليدل على أنّ الإعراض خاص بآيات ربهم، فهم لا يطيقون سماعها، بينما يسمعون غيرها، فكان التقديم للقصر إضافة إلى الفاصلة.

٨ـ هذه الآية مبنية على بيان أنّ إعراضهم مستمر، ويحصل كلما جاءتهم آية، ولا يفيد تعبير الشرط ذلك نصاً. ويسمى هذا التعبير بالاستثناء المفرغ فقولك: إنْ يأتني محمد أكرمته، يفيد أنك تكرمه عند زيارته، وهذا يكون صحيحاً ولو بمرة واحدة، بينما قولك: ما يأتيني إلا أكرمته، فإنه يفيد بإكرامك له كلما جاءك.

والله أعلم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى العام أنه إذا طُلب منهم الإنفاق مما رزقهم الله امتنعوا واحتجوا أنّ طلبكم هذا مخالف لمشيئة الله وهو ضلال ظاهر.

٢ـ الظاهر أنّ المقصود بقوله: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ هو إطعام المحتاجين بدليل قولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ إلا أنه أخرجه مخرج العموم في الطلب والخصوص في الجواب.

٣ـ استعمل ﴿وَإِذَا﴾ ولم يستعمل (إنْ) – كما في الآية السابقة- للدلالة على كثرة وقوع الحدث فعلاً.

٤ـ بنى الفعل ﴿قِيلَ﴾ للمجهول كما في الآية السابقة لأكثر من سبب :

آـ القائل معلوم وهم المؤمنون.

ب ـ المقصود هو المقول وليس القائل، ولذلك ينبغي النظر في القول الحق أياً كان قائله.

ج ـ لو ذكر القائل لظن أنّ هذا الموقف من الكفرة بسبب القائل، وربما لو تغير القائل لتغير الموقف.

٥ـ جاء بـ (من) التبعيضية للدلالة على أنه طلب منهم إنفاق جزء مما أنعم الله به عليهم وليس كل ما يملكون.

٦ـ أسند الرزق إلى الله، أي: أنّ الله هو الذي رزقكم وتفضل عليكم.

٧ـ قال: ﴿أَنفِقُواْ﴾ وهو عام ليشمل وجوه الخير كلها، وليشمل عموم الخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو لم يقل: أنفقوا على المؤمنين، ثم بيّن المقصود بالإنفاق ههنا وهو إطعام المحتاجين.

٨ـ لّما أسند الرزق إلى الله بقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أسندوا الإطعام إليه فقالوا ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ فكأنهم قالوا: الله الذي رزقنا هو الذي حرمهم.

٩ـ لم يذكر اللام في جواب (لو)؛ ذلك أنّ الإطعام سهل ميسور فلا يحتاج إلى توكيد. والملاحظ في القرآن أنّ منزوع اللام من جواب (لو) أقل توكيداً مما ذكرت فيه اللام.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ جاء باللام؛ لأنّ الهداية صعبة.

ـ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ جاء باللام؛ لأنّ عملية المسخ صعبة.

ـ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ لم يذكر اللام؛ لأنّ الإهلاك أسهل من الهداية.

ـ ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ لم يذكر اللام؛ لأنه مقدور عليه من كثير من الناس.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

١ـ الضلال على قسمين: خفي وظاهر، وهنا وصف الضلال بالمبين لأنه لا يخفى على أحد.

٢ـ أخرج الكلام على جهة القصر: أي لستم إلا في الضلال.

٣ـ نفى بـ ﴿إِنْ﴾ ولم ينف بـ (ما)؛ لأنّ (إنْ) آكد في النفي من (ما).

٤ ـ قال: ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ فاستعمل (في) وهو حرف يفيد الظرفية، أي: مغمورون في الضلال.

وعادة يستعمل القرآن الحرف (على) مع الهداية، والحرف (في) في الضلال.

والله أعلم.



﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى: متى يوم القيامة الذي تحذروننا منه إنْ كنتم صادقين في قولكم؟

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ بالفعل المضارع؛ ليدل على استمرارهم على هذا القول، ولم يقولوا ذلك مرة واحدة، وإلا استعمل الفعل الماضي.

٣ـ قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وكلمة الوعد تستعمل في البشارة على خلاف الوعيد، وعجيب منهم أنْ ينكروا الوعد وهو في صالحهم.

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ معنى النظر هنا هو وقوع الشيء من غير ترقب، فلا يرونه إلا واقعاً.

٢ـ فإنْ قيل: هم ما كانوا ينتظرون الصيحة، بل كانوا يجزمون بعدمها فالجواب أنّ الانتظار فعلي؛ لأنه لا بدّ من وقوعها فجعلوها كأنهم ينتظرونها.

٣ـ قال: ﴿يَنظُرُونَ﴾ ولم يقل: ينتظرون، والأولى يرون الأمر واقعاً من غير ترقب ولا توقع، بينما (ينتظرون) فيها ترقب وقوع الأمر.

ثم إنّ بناء (انتظر) أطول من (نظر)، وذلك يدل أيضاً على زيادة الانتظار.

وهنا الكلام عن اليوم الآخر، وهو يأتيهم من غير ترقب أو توقع، فاختار ﴿يَنظُرُونَ﴾ إضافة إلى الفزع الأكبر الحاصل مع الغافل عن الشيء أكثر ممن ينتظر الشيء.

٤ـ ذكر القرآن الصيحة مع أصحاب القرية وهنا في الآية، وكلا الصنفين لم يتق مابين يديه وما خلفه، فلم يرحمه ربه وأخذته الصيحة.

٥ـ قال في أصحاب القرية: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ بالفعل الماضي؛ لأنّ الصيحة قد وقعت، فقال بعدها: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾، بينما استعمل هنا الفعل المضارع؛ لأنها لم تقع بعد فقال بعدها: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يختصمون في أمور الدنيا و﴿يَخِصِّمُونَ﴾ فيها، أبدل التاء صاداً وضعّفها وكسر الخاء لالتقاء الساكنين فصار﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

٧ـ ذكر أنّ الصيحة واحدة؛ لأنهم لا يحتاجون إلى أخرى، فالصيحة الواحدة تأخذهم جميعاً فلا حاجة إلى ثانية.

أمّا الصيحة الثانية فهي لجمعهم عند رب العالمين.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾

١ـ قال إنهم لا يستطيعون التوصية، ولم يقل: فلا يوصون؛ لأنّ نفي الاستطاعة أبلغ؛ ولأنّ نفي التوصية لا ينفي الاستطاعة، بينما نفي الاستطاعة ينفي التوصية.

٢ـ نكّر التوصية؛ لأنه أراد العموم فهم لا يستطيعون أنْ يوصوا أية توصية مهما كانت.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ نفى الرجوع إلى الأهل وأثبت الرجوع إلى غيرهم وهو الله، أي لا يرجعون إليهم بل إلينا. والإنسان يتمنى أنْ يموت بين أهله، وهؤلاء لا يستطيعون أنْ يبلغوا أهلهم بشيء ولا أنْ يعودوا إليهم، فحرموا من الأمنيتين كلتيهما.

٤ـ قدّم الفعل ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ على المفعول به﴿تَوْصِيَةً﴾ وأخّر الفعل﴿يَرْجِعُونَ ﴾ عن الجار والمجرور ولم يجعلهما في نسق واحد والسبب :

أ ـ لوقال: (فلا توصية يستطيعون) لنفى الاستطاعة بالتوصية ولكنْ قد يستطيعون غيرها، بينما في الآية نفى التوصية ولم يثبت غيرها فكان النفي أعم وأشمل.

ب ـ ولو قال: (ولا يرجعون إلى أهلهم) لنفى الرجوع إلى الأهل ولم يثبت الرجوع إلي الله، بينما في الآية أراد إثبات الرجوع إليه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في كلمتي يخصّمون ويسّمعون؟

الجواب :

١ـ (يخصّمون): أصلها يختصمون، فقد أبدل التاء صاداً وأدغم، وهذا إبدال وإدغام جائز من حيث التكوين الصرفي.

(يسّمعون): أصلها يستمعون صار فيها إبدال أيضاً. هذا من حيث التكوين الصرفي، ويبقى من حيث التكوين البياني.

٢ـ ذكرنا أنّ (يتفعلون) التي هي الأصل أطول و(يفّعّل) فيها مبالغة؛ لأنّ فيها تضعيفين، وهذا من حيث الزمن أطول من (يتفعل) وهذه فيها مبالغة في الحدث؛ لأنّ فيها إدغاماً (يخصّمون، يسّمعون).

٣ـ لماذا قال﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾؟ الكلام عن الساعة ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس:٤٩] تأخذهم وهم يخصّمون، أي وهم منهمكون في أمور الدنيا وفي الخصومة في الدنيا، لكنها لا تنقضي الخصومات فتأخذهم رأساً قبل أنْ تنتهي الخصومات بينهم؛ لأنه في حديث الساعة أنها تقوم فلا يرفع من يأكل اللقمة إلى فيه، والمتبايعان تأخذهما الساعة قبل إنهاء البيع. إذن توجد مبالغة في الاختصام في الدنيا بشكل شديد فاستعمل: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

بينما قال في مكان آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر:٣١] لم يقل: (تخصّمون)؛ لأنّ هذه فيها إقامة حجة وقضاء وسماع كلام القاضي، فهي مسألة طويلة، فجاء بالفعل الكامل (تختصمون).

٤ـ كذلك قوله تعالى: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ فيها مبالغة﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾ [الصافات:٨]يعني يريدون أقصى التسمع في أقصر وقت، فقال (يسّمعون)؛ لأنّ تسّمع يحتاج إلى وقت طويل، وهم يريدون الوقت القصير.

والله أعلم.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا
مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي في البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه هي نفخة البعث، وتسبقها نفخة الصعق، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

وجاءت بصيغة الماضي لتحققها.

٢ـ فإن قلت: النفخة واحدة، فكيف تميت الأولى وتحيي الثانية؟

الجواب: النفخة في الصور هي علامة فقط للحدث، أمّا الفاعل على الحقيقة فهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يميت في الأولى ويحيي في الثانية.

٣ـ ﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ هي القبور، وقوله: ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يسرعون، وأصلها من نسل الثوب أي خرجت الخيوط عن أماكنها.

٤ـ قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ هم يقولونها لأنفسهم، فهم يعترفون أنّ الموت كان مجرد مرقد، والمرقد لا بدّ بعده من يقظة. وعندها يُرد عليهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾أي: وصدق المرسلون في البلاغ عن الله.

٥ـ حياة البرزخ إلى حياة الآخرة هجعة، كأنّ البرزخ كان حلماً بالنسبة لاستيقاظة الآخرة، كالمستيقظ من النوم كان يرى كابوساً، فحياة البرزخ إلى الساعة كالرقاد.

وقيل: إنّ بين النفختين يهجع الموتى في قبورهم وينامون، فإذا نفخ الثانية استيقظوا من رقادهم.

٦ـ قال في يس٥١ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ وقال في الزمر ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر:٦٨] ولا منافاة بين الآيتين لجواز اجتماع القيام والنظر والمشي، فالقيام لا ينافي المشي السريع، ولا ينافي النظر.

٧ ـ عبّر عن الحدث بالماضي، فقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ للدلالة على أنه محقق الوقوع بمنزلة ما حدث في الماضي.

٨ـ ثم قال: ﴿فَإِذَا﴾ فجاء بالفاء مع (إذا) الفجائية؛ ذلك أنّ الفاء للترتيب والتعقيب، أي عقب النفخة الثانية يخرجون من دون تلبث من قبورهم وينسلون إلى ربهم؛ ولهذا لم يأت بـ (ثم) مع (إذا) الفجائية.

٩ـ قدّم ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهو مبدأ النسلان، ثم ذكر بعده ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهو انتهاء الغاية.

١٠ـ كما قدّم الجارين والمجرورين على الفعل للاهتمام والقصر، وهو أمر عجيب أنْ يخرج الميت من قبره بعد أنْ كان عظاماً نخرة مسرعاً إلى غاية مرسومة له.

١١ـ ذكر أنّ إسراعهم إنما هو إلى ربهم الذي هو مالك أمرهم، فهم ينسلون إلى ربهم حصراً.

١٢ـ واختيار لفظ ﴿رَبِّهِمْ﴾ أنسب شيء؛ ذلك أنّ الخارجين من الأجداث قسمان:

أ ـ قسم أطاع ربه فهو ذاهب إليه وهو الأرحم به، كما يلتجىء العبد إلى سيده.

ب ـ وقسم عصى ربه الذي أحسن إليه، وشر الإساءة أنْ تسيء إلى من أحسن إليك، فهي شر إعادة وأسوأ رجعة.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾

١ـ الويل هو الحزن والعذاب والهلاك والمشقة. والمعنى: ياويلنا احضر فهذا أوانك؛ لأنّ الأمر فوق ما نحتمل وفوق ما نتصور، ولا نستطيع دفعه.

٢ـ قال: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا﴾، ولم يقل: يقولون ياويلنا؛ وذلك حتى لا يكون القول حالاً للنسلان، في حين أنّ القول هو في ابتداء بعثهم من القبور.

٣ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال (الويلة) في القرآن لوجدناها كلها في مواطن الفضيحة، كما في الآيات:[هود ٧٢ـ الكهف ٤٩ـ المائدة ٣١ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

٤ـ المرقد: يحتمل المكان ويحتمل المصدر أي الرقاد. وهو هنا بمعنى الرقاد. أي تكون ضجعة القبر كالنوم بالنسبة إلى اليقظة، فيكون البعث يقظة والرقاد في القبر كالنوم.

وقال: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ ولم يقل: من أجداثنا؛ ليشمل المكان والمصدر فهم قد بعثوا من الأجداث وبعثوا من رقدة الموت.

٥ـ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قد يكون هذا الجواب من الملائكة أو من المؤمنين أو أنْ يكون كلام الكافرين، وقد حذف القائل؛ ليعم جميع الاحتمالات، ويشمل كل من يصح منه القول.

٦ـ هذا الرد ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هو جواب لسؤالين قد ذكرا وهما :

أـ متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين.

ب ـ من بعثنا من مرقدنا.

٧ـ كلمة ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى المرقد أو إلى البعث.

٨ـ لفظة ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ تحتمل أنْ تكون اسماً موصولاً؛ أي: الذي وعده الرحمن، ويحتمل أنْ تكون مصدرية؛ أي: هذا وعد الرحمن، فجاء بـ (ما) ولم يأت بـ (الذي)؛ ليشمل المعنيين معاً.

٩ـ الوعد هنا رغم أنه إنذار بالشر الذي ينتظرهم إلا أنه في حقهم يسمى وعداً لا وعيداً؛ لأنّ التحذير من الشر قبل الوقوع فيه نعمة كبرى، كما تحذر ولدك من الرسوب إنْ لم يدرس، فالوعيد له هو عين النعمة؛ لذلك سمي وعداً لا وعيداً.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الواو تحتمل العطف، وتحتمل الحالية أي: وصدق المرسلون فيما أخبروا به.

١١ـ اختيار لفظ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ له أكثر من سبب :

أ ـ إذا كان قول المؤمنين فإنهم آثروا اسم الرحمن؛ لأنّ هذا وقت رحمته التامة بهم؛ ليدخلهم في رحمته.

ب ـ وإذا كان قول الكافرين، فإنهم آثروا اسم الرحمن طمعاً في رحمته.

ج ـ تردد اسم الرحمن في السورة أربع مرات في الآيات :

[١١ـ١٥ـ٢٣ـ٥٢] وجو الرحمة شائع فيها، كما في الآيات: [٥ـ٥٨ـ٤٤ـ٤٥] فناسب ذكر اسم (الرحمن).

مع ملاحظة أنّ اسم (الرحمن) كثيراً ما يذكر في القرآن الكريم في مشاهد الآخرة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿اللَّهُ﴾ لم يذكر فيها اسم (الرحمن) وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن، كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿الرَّحْمَنُ﴾ تكرر اسم (الرحمن) في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم. وقد تكرر اسم الرحمن في يس ٤ مرات وفي مريم ١١ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو للمؤمنين أو للكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ و ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾.

وأمّا ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن، فهو وعد عام يشمل عموم العباد وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق، مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين القبر والجدث؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (الأجداث) في القرآن الكريم ثلاث مرات وكلمة القبور مفردة أو جمعاً ثماني مرات.

٢ـ كلمة القبر عامة تستعملها العرب وقبائل اليمن، وأمّا كلمة (الجدث) فكانت تستعملها قبيلة هذيل وتميم، وكانتا تعيش في وسط الجزيرة وأرضهم رملية.

٣ـ حرف الثاء في جدث وأجداث فيه تصور النفخ والنفث، ويناسب صوت تشقق القبور في الأراضي الرملية يوم القيامة وما يصاحبه من انتشار الرمال في الجو والحركة والاضطراب والإثارة.

ولفظة (الجدث) قريبة من لفظة (جَدَثة)، وهو صوت الحافر والخف ومضغ اللحم.

أمّا القبر فتشققه فيه شدة لكنْ بدون ضوضاء.

٤ـ لذلك نجد أنّ القرآن استعمل الأجداث فقط لبيان مشاهد يوم القيامة حيث صوت خروج الموتى من الأجداث مُسرعين شبيه بصوت الحافر والخف عند السير والعَدو. بينما استعمل القبر والقبور في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦ﴾. ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

٥ـ من معاني (الجدثة) مضغ اللحم، فكأنّ المعنى أنهم يخرجون بعدما أكلتهم الأرض ومضغت لحومهم، وليس في القبور مثل هذا المعنى.

معاني آيات الأجداث :

آية يس٥١ : يعني جماعات جماعات ينسلون ويتجهون في الخروج.

آية القمر٧: فيها الانتشار وسرعة الحركة كأنهم الجراد المنتشر.

آية المعارج٤٣: مشهد متحرك مثير من مشاهد يوم القيامة.

السؤال الرابع :

هناك كلمات أخرى مرادفة للقبر مثل: (لحد ـ ريم ـ رمس)، لكنها لم ترد في القرآن الكريم. فما اللحد؟

الجواب :

القبر :

هو بيت الجثة باعتبار عمقه، وكل شيء يدفن عميقاً يسمى قبراً (عبس ٢١).

الجدث:

هو القبر الذي صار عمقه ذاهباً بفعل الزمن (يس ٥١) وجمع جدث أجدُث وأجداث.

اللحد:

هو الجزء من القبر الذي توضع فيه الجثة بشكل مائل. والإلحاد هو الميل عن التوحيد. فالقبر عميق والجزء المائل منه هو اللحد، وتقال كلمة (ضريح) عندما يكون اللحد في الوسط.

والقبر قبران:

قبر دنيوي: وهو مقر الجسد الفاني الطيني فيتحلل ويعود إلى عناصره الأولى.

وقبر برزخي: وهو مكان مستقر الأرواح قبل خلق آدم وبعد الموت والعذاب يكون في القبر البرزخي. والله أعلم.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾ ما دلالة الاستفهام بـ(من) أو (متى)؟

الجواب :

متى :

للسؤال عن الزمان، نحو: متى السفر؟ وقد يخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى كالاستبطاء: متى يعود أبي؟ والاستبعاد كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس:٤٨].

مَن :

للسؤال عمن يعقل، نحو: من حضر؟ فتقول: خالد. وقد تخرج عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى أشهرها :

١ـ النفي ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

٢ـ الدهشة والعجب ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢].

٣ـ الإلزام ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٤ـ التشويق والترغيب ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥].

٥ـ قد تلحقها (ذا) فتكون (من) اسم استفهام و (ذا) اسم إشارة.

وقد تكون (من) اسم موصول، نحو: من ذا أكرمت أمحمد أم خالد؟

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من)، نحو: من ذا أكرمت أمحمداً أم خالداً؟

إذا قرن اسم الإشارة بهاء التنبيه كان أقوى وآكد؛ وذلك لأنّ فيه زيادة تنبيه، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المُلك:٢٠].

٦ـ مما تقدم يتبين أنّ مراحل التعبير من حيث قوته وتأكيده تتدرج حسب التالي:

من فعل؟

من ذا فعل؟

من ذا الذي فعل؟

من هذا الذي فعل؟

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي ما كانت النفخة المذكورة في الآية السابقة ٥١ إلا صيحة واحدة فإذا هم مجموعون محضرون لدى رب العزة.

٢ـ جاء بالفاء وإذا الفجائية للدلالة على مفاجأة الجمع والإحضار بعد الموت؛ لأنّ الفاء تدل على الحدث بلا تراخ، وإذا تفيد المفاجأة واجتماعهما يدل على المفاجأة والسرعة.

٣ـ ومعنى ﴿جَمِيعٌ﴾ أي مجموعون ، ولكنه لم يقل: مجموعون، كما قال في [الواقعة ٥٠ـ وهود ١٠٣]، وهي قوله تعالى :

ـ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة:٥٠].

ـ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود:١٠٣].

والسبب أنّ كلمة (جميع) تأتي بمعنيين:

أـ بمعنى مفعول: أي مجموعون.

ب ـ بمعنى مجتمعين.

وبيان ذلك :

أولاً: جاء بـ﴿مُحْضَرُونَ﴾؛ ليدل على أنّهم مجموعون لا مجتمعون أي لم يجتمعوا بخيارهم، وأمّا كلمة (مجموعون) فهي تدل تنصيصاً على اسم المفعول، أي جُمعوا جمعاً؛ ولذا لم يحتج إلى نحو: محضرون.

ثانياً: وكلمة (جميع) على وزن فعيل، وهي بمعنى مفعول، كما تقول: قتيل، وهو مقتول.

لكنّ صيغة (فعيل) لا تقال إلا لما وقع، كقولك: قتيل، لمن قتل، وأمّا صيغة (مقتول) فتقال لمن قتل ولمن سيقتل؛ أي أنّ :

أـ صيغة (فعيل) تقال لما وقع فعلاً، كما في هذه الآية التي تتحدث عما وقع من أحداث يوم القيامة، فقال: ﴿جَمِيعٌ﴾.

ب ـ صيغة (مفعول) تحتمل الحال والمستقبل، كما في آيتي الواقعة وهود فإنهما في سياق المستقبل، فجاء بهما على صيغة مفعول، فقال: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾.

٤ـ وقوله: ﴿لَّدَيْنَا﴾ يدل على الحضور والقرب، وهو أخص من (عندنا) فإنّ (عند) قد تكون للحاضر والغائب.

٥ـ وتقديم ﴿لَّدَيْنَا﴾ يدل على القصر، أي محضرون إلينا لا لدى غيرنا.

والله أعلم.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المقصود باليوم هو يوم القيامة، وفيه يُحضر الجميع للحساب، ولا تظلم فيه نفس شيئاً.

٢ـ نكّر﴿نَفْسٌ﴾ ليشمل كل نفس بَرَّة كانت أو فاجرة، فالتنكير أفاد العموم.

٣ـ نفى الظلم على الإطلاق، كما قال تعالى:﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾ يحتمل معنيين :

أـ المصدرية: بتقدير: لا تظلمون شيئاً من الظلم، وإنْ قل.

ب ـ المفعول به بتقدير: لا تظلمون شيئاً من الأشياء.

وكلا المعنيين مراد، فلا تظلم نفس شيئاً من الظلم، ولا شيئاً من الأشياء ولذا أطلق كلمة﴿شَيْـًٔا﴾، ولم يقيدها.

٥ـ قوله تعالى:﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قيل فيه :

أـ هو خطاب للكافرين؛ ذلك أنّ المؤمن يجزى أضعاف ما كان يعمل وأمّا الكافر فلا يجزى إلا ما كان يعمل.

ب ـ وقيل إنّ الخطاب عام؛ لأنّ المقصود به الجنس، بمعنى أنّ الجزاء من جنس العمل إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر.

٦ـ الفاء في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ هي للتعقيب؛ أي يجمعون في يوم القيامة للحساب والجزاء مباشرة.

٧ـ قال: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ولم يقل: عين ما كانوا يعملون والسبب أنّ:

أـ المراد أنّ الجزاء من جنس العمل، فإنّ (ما) غير راجعة إلى الخصوص، وإنما هي للجنس.

ب ـ هو أنكم تجزون بمقدار ما كنتم تعملون.

والأرجح أنّ الخطاب في عموم الخلق، وأنه يعني أنّ الجزاء من جنس العمل باستثناء المؤمنين، فإنّ جزاءهم أكبر من عملهم فضلاً من الله ورحمة منه.

وبيان ذلك :

أولاً:

القرآن يستعمل الباء مع الجزاء للمؤمنين والكافرين، كما في قوله تعالى:

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ فكلاهما جعل جزاءه بالباء.

ثانياً :

يستعمل مع الكافرين أنه يجزيهم بما عملوا، كما في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأعراف:١٤٧].

ـ ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

ـ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠].

ـ ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٦].

ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤].

ثالثاً:

يستعمل مع المؤمنين، فيذكر أنه يجزيهم بالحسنى وليس بما عملوا، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢١].

ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٨].

فاتضح الفرق بين التعبيرين. والله أعلم.



﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

الآية: ﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١ـ قد يكون هذا الكلام موجهاً للكافرين زيادة في حسرتهم، وقد يكون كلاماً جديداً وإخباراً عن أصحاب الجنة ونعيمهم لنقتدي بسيرتهم، وقد يراد المعنيان.

٢ـ نكّر (شغل) ههنا، ولا يحسن التعريف؛ لأنّ الشغل غير معلوم ولا معروف، وإنما هو شغل آخر، يكفي أنْ يقال: إنهم فاكهون فيه.

٣ـ التعبير يحتمل عدة معان: أنهم في شغل، أنهم فاكهون على العموم سواء كان ذلك في الشغل أم في غيره، أنهم فاكهون في الشغل.

ومعنى (فاكهون) أي متنعمون ومتلذذون بما يحصل لهم.

٤ـ قدّم ﴿فِي شُغُلٍ﴾ على ﴿فَاكِهُونَ﴾ للاهتمام.

الآية: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾

١ـ هم مبتدأ وما بعده خبر بتقدير كلام جديد مستأنف للإخبار عن أصحاب الجنة.

٢ـ ويحتمل ﴿هُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في (فاكهون) بتقدير: إنّ أصحاب الجنة في شغل فاكهون هم وأزواجهم.

٣ـ ثم أخبر عنهم جميعاً بأنهم في ظلال على الأرائك متكئون.

٤ـ قدّم ﴿الْأَرَائِكِ﴾ على ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ كما قدّم الشغل على (فاكهون) في الآية السابقة، فقابل بين الشغل ومكانه، وبيّن حالتهم في الموطنين، علاوة على مراعاة الفاصلة.

الآية: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾

١ـ معنى ﴿يَدَّعُونَ﴾ يطلبون.

٢ـ قدّم ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿فِيهَا﴾ وأخّر الفاكهة؛ وذلك لأنّ الكلام عنهم. نظير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣١].

٣ـ قال هنا : ﴿يَدَّعُونَ﴾ وقال في مكان آخر: ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ والفرق بينهما أنّ ما تدعيه هو ما تطلبه بالقول، بينما ما تشتهيه هو ما تريده النفس سواء طلبته أم لم تطلبه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف٣١.

السؤال الثالث :

ما معنى الظل في الجنة حيث لا شمس فيها وإنما يكون الظل حيث تكون الشمس؟

الجواب:

ظل أشجار الجنة من نور العرش؛ لئلا تبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس، وقيل من نور قناديل العرش.

وفرّق أهل اللغة بين الفيء والظل، فقالوا: الفيء ماكان بالعشي أي بعد الظهر؛ لأنه الذي نسخته الشمس، والظل ما كان بالغداة؛ لأنه لم تنسخه الشمس. وفي الجنة ظل وليس فيء؛ لأنه لا شمس فيها، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة:٣٠].

وأنشدوا :

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من برد العشي يذوق

السؤال الرابع :

كرر﴿فِيهَا﴾ في فصلت ٣١ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ولم يكررها في يس ٥٧، فما الفرق؟

الجواب :

١ـ آية فصلت الكلام فيها قبل دخول الجنة، وهو عند الموت عندما تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بالجنة، فكرر (فيها) ليعلمهم أنّ كلا الأمرين في الجنة، ولو قال: ولكم ما تدعون، بدون (فيها) لاحتمل أنْ يكون ذلك قبل دخول الجنة عند الخطاب، فأعلمهم أنّ ذلك إنما يكون في الجنة.

٢ـ أما آية يس فالكلام فيها عمن في الجنة، فلم يكرر لأنهم فيها، فلا يحتاج إلى ما كرر في فصلت.

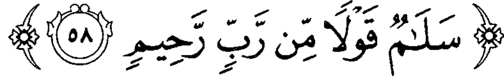
٣ـ قال في يس: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾، وقال في فصلت ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾والسبب أنّ آية يس في أصحاب الجنة عموماً، وأمّا آية فصلت فهي في صنف معين من أهل الجنة وهم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾وهؤلاء أعلى منزلة من عدد غير قليل من أهل الجنة؛ لأنهم استقاموا على الشريعة واستمروا على ذلك، وليس كل أهل الجنة كذلك، فإنّ منهم من لم يلتزم كل حياته، ولكنه دخل الجنة تفضلاً منه سبحانه.

فقال في الذين استقاموا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ فكان الجزاء أعلى من مجرد الفاكهة؛ لأنّ الفاكهة ليست إلا جزءاً مما تشهيه النفس.

٤ـ قال في يس ﴿يَدَّعُونَ﴾ وفي فصلت ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ والفرق بين (ما تدعي) و (ما يشتهون) هو أنّ ما تدعيه؛ أي ما تطلبه بالقول، وأمّا ما تشتهيه فهو ما تريده النفس، سواء طلبته أم لم تطلبه.

والله أعلم.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى: أي سلام حالة كونه من رب رحيم، وليس بلاغاً عن الله من أحد. واختار هنا لفظ الربوبية التي تقتضي أنّ المربي يحب المربَّى، فما بالك إذا وصفت الربوبية بالرحمة ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

والسلام من الله تعالى هو السلام المطلق الذي يحميك من كل جوانبك، فلا ينفذ إليك شيء يضرك.

٢ـ السلام هو التحية ويحتمل أن يكون معنى (سلاماً) أي: خالصاً لهم لا شوب فيه.

٣ـ قد تقول: ولِمَ لمْ يقل: سلام عليكم، والجواب أنه لم يقل ذلك ليشمل المعنيين: التحية وأنه خالص لهم.



السؤال الثاني :

قال هنا في يس ٥٨ : ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ وقال في فصلت ٣٢: ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ فما الفرق؟

الجواب :

أنّ آية يس فيمن هو في الجنة، وأنّ آية فصلت فيمن لم يدخلها بعد وإنما يبشر بها، فقال في فصلت:﴿ نُزُلٗا﴾ ؛ لأنّ النزل ما هُيىء للضيف من طعام ومكان.

كما قال: ﴿مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ فذكر المغفرة؛ لأنّ الحساب لم يحصل بعد وهم يخافون من ذنوبهم، فطمأنتهم الملائكة بقوله: ﴿مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ .

أمّا آية يس فهي في أهل الجنة وهم يتنعمون بها وقد انتهى الحساب وليس ثمة ذنوب ولا معاصٍ يرجون مغفرتها، فقال: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ فذكر (الرب)؛ لأنها الأنسب، فالرب هو المربي وهو متولي أمرهم يرعاهم ويكرمهم، ووصفه بالرحمة؛ لأنّ رحمته مما يحتاجون إليها دائماً والجنة هي مستقر رحمته، فلا تنقطع رحمته عنهم أبداً.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما إعراب كلمة﴿قَوۡلٗا﴾ في الآية؟

الجواب :

مفعول مطلق.

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى العام: تميزوا أيها المجرمون عن المؤمنين وانحازوا بعيداً عنهم. وقيل إنّ المعنى: انفردوا أيها المجرمون بعضكم عن بعض، فيكون لكل كافر بيت من نار يكون فيه لا يرى ولا يُرى.

٢ـ ويبدو ـ والله أعلم ـ أنّ التمايز أول ما يكون بين المجرمين و المؤمنين ثم يكون بينهم فيما بعد، فيجمع الله عليهم عذاب النار وعذاب الفرقة والوحدة، بخلاف المؤمنين، فيتنعمون بنعيم الجنة ونعيم الاجتماع.



﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ كأنّ سائلاً يسأل: وهل يستحق الكفارُ كل هذا العذاب وهذا الغضب من الله تعالى؟

فيجيب الحق: نعم يستحقون؛ لأنّ الله نبههم وحذّرهم من مداخل الشيطان وبيّن عداوته للإنسان وعداوته المسبقة مع آدم عليه السلام منذ أنْ أُمر بالسجود فأبى.

ولم ينته أمره بذاك إنما أغوى آدم، وأراد أنْ ينتقم منه ومن ذريته من بعده ، بل وأقسم على ذلك أمام خالقه فقال بجبروت الإغواء كما حكى القرآن: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لكنه تذّكر عبوديته للرب الأعلى، فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾فهؤلاء لا مدخل لي إليهم، أي بمعنى أنّ الخصومة ليست بيني وبينك يارب، وإنما هي بيني وبين بني آدم.

٢ـ سحرة فرعون عندما أقسموا قالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾أمّا إبليس فيعرف جيداً كيف يقسم، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يعني: باستغنائك عن خلقك ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ وهذا هو الباب الذي سأدخل منه إليهم، أمّا من تريده أنت يارب، فلا أستطيع أن أقترب منه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾ يعني آمركم أنْ تحذروا مكايد الشيطان وشباكه وخططه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ أي: طاعة نزغاته ووسوسته والعلة في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي عدو بيّن العداوة.

٥ـ بعد أنْ نهانا الله عن عبادة الشيطان وجهنا إلى العبادة الحقة، فقال: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

ونلاحظ أنّ القياس بعد ذكر عدواة الشيطان أنْ يذكر مثلاً: لأنني حبيبكم كما جاء في الحديث القدسي « **يا ابن آدم أنا لك مُحِب فبحقي عليك كن لي محباً** » لكنّ الله سبحانه لم يعُلل عبادته بالمحبة، إنما علّل أنْ اعبدوني لأني أدعوكم إلى الصراط المستقيم النافع

لكم في حياتكم وأخراكم، فينبغي اتباع هذا الصرط سواء كنت أحبكم أو لا، لأنكم أنتم المستفيدون من ذلك.

٦ـ الصراط المستقيم هو الطريق العَدل الذي لا اعوجاج فيه وأقصر مسافة بين نقطتين، وهما الدنيا والآخرة.

السؤال الثاني :

ما نوع العداوة بين إبليس والبشر؟

الجواب :

هي عداوة عامة لا تنحصر بشيء، فتشمل :

١ـ التحريش بين المؤمنين وإثارة الفتن: [يوسف ٥ـ٤٢ الإسراء ٥٣].

٢ـ الإغواء لفعل المعاصي للعبد حتى يورده موارد التهلكة؛ وحتى يُدخله النار في الآخرة: الحج٤.

فالعداوة عامة لا تنحصر في شيء.

السؤال الثالث :

ما اللمسات البيانية في الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ خاطب المجرمين وأمرهم بالانفراد خاطب عموم بني آدم وذكّرهم بما عهد إليهم من ترك عبادة الشيطان، وأمرهم بعبادة الله وحده لأنّ عاقبة المجرمين تلك كانت بسبب عبادة الشيطان وعدم طاعة الله.

٢ـ ومعنى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾ أي: ألم أوص.

٣ـ العهد والوصية متقاربان، لكنّ العهد أقوى من الوصية، والعهد بمعنى الموثق واليمين.

كما أنّ العاهد هو صاحب الشأن، وأمّا الموصي فقد يوصي بشيء من باب النصح، كما تقول لصديقك: أوصيك باستشارة فلان، بخلاف ما لو قال: أعهد إليك أمر فلان.

٤ـ ومعنى عهد إليه: كلفه وحمّله الأمر وجعله مسؤولاً عنه.

٥ـ ولم يسند فعل (العهد) في القرآن إلى غير الله تعالى، كما في الآيات: [البقرة ١٢٥ـ طه ١١٥ـ آل عمران ١٨٣].

في حين أسند فعل (الوصية) إليه وإلى غيره، كما في الآيات:[البقرة ١٣٢ـ النساء ١٢ـ النساء ١٣١].

٦ـ وهنا أسند الله هذا العهد إلى نفسه لأهمية هذا الأمر؛ وليحملوه محمل الجد والطاعة والعمل به على أتم وجه.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾

١ـ أي لا تطيعوه فيما يوسوس به إليكم ويزينه في قلوبكم.

٢ـ عبّر عن ذلك بالعبادة لا بالطاعة؛ لأنّ الطاعة قد تكون عن طريق الإكراه، بينما العبادة تعني الطاعة مع الاستسلام والانقياد للأمر والتذلل.

٣ـ عبادة الشيطان لا تختص بالسجود له أو تعظيمه، وإنما بتنفيذ مقاصده واتباع خطواته، فكل ذلك عبادة له، وكل عبادة لغير الله إنما هي عبادة للشيطان، كما في قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:٤٢].

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم:٤٤].

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

١ـ هذا تعليل للنهي، فإنّ ذلك يوجب الابتعاد منه لا عبادته وطاعته.

٢ـ العدو قسمان: ظاهر في عداوته، ومخفٍ لها. والعداوة قسمان: ظاهرة وخفية.

والشيطان عدو ظاهر العداوة ومظهر لها غير مخفيها، وقد أظهر هذه العداوة وذكرها لربه صراحة، فقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧]. وقال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٩].

فكيف يتعبد من دون الله مع كل ذلك؟

٣ـ قدّم الجار والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وذلك لغرض الاختصاص، فهو عدو لنا خاصة وكل همه أنْ يضلنا ويبعدنا عن طاعة ربنا.

ولو قال: (إنه عدو مبين لكم) لأظهر الإبانة، أمّا العداوة فليست نصاً، بل ربما كانت لنا أو لغيرنا.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

١ـ كانت العلة في النهي عن عبادة الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وكان القياس بعدها (وأنْ اعبدوني لأنني حبيبكم) كما جاء في الحديث القدسي «**يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محباً**».

لكنّ الحق سبحانه لم يُعلل عبادته بالمحبة، وإنما اعبدوني لأني أدعوكم إلى الصراط المستقيم النافع لكم المنظم لحياتكم، ومن صالحك اتباع هذا الصراط المستقيم؛ لأنك المستفيد منه بغض النظر عن المحبة وجدت أم لا.

٢ـ وصف الطريق بالاستقامة؛ لأنّ الاستقامة هي المطلوبة، وقيل إنّ التنكير للمبالغة، بمعنى أنّ الصراط بالغ في استقامته.

والإنسان لا بدّ له من الصراط المستقيم يسير على وفقه في حياته الدنيا لئلا يشقى، وليفضي به إلى الجنان في الآخرة عند الرحمن الرحيم.

بمعنى أنّ الإنسان لا بد له في حياته من طريق ومنهج، فإنْ لم يكن هو منهج الله كان طريق الشيطان الذي فيه الهلاك؛ ولأنّ عبادة الله وطاعته تفسد إذا داخلتها عبادة الشيطان وطاعته، وعبادة الله لا تؤتي ثمرها إلا بترك عبادة الشيطان

٣ـ وبالنظر إلى الآيتين: ٦٠ـ٦١ تدلان على أنّ فيهما تقديم النهي على الأمر، كما أنّ التخلية قبل التحلية.

و كذلك لتتصل عبادة الله بـ ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ﴾ لتدل على أنّ عبادة الله تعالى هي معروفة في الصراط المستقيم فقط.

والله أعلم.



﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الجِبِلّ: هو الخلق الكثير والأمة العظيمة. وتعني الآية أنّ الشيطان أضل خلقاً كثيراً، ثم وصفه مع ذلك بالكثرة؛ ليدل على المبالغة في الكثرة. فقوله: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ معناه: الكثرة الكاثرة، ولو قال: (خلقاً كثيراً) لأفاد الكثرة دون المبالغة فيها.

٢ـ إن مادة (جبل) التي أُخذ منها لفظ (الجِبِل) تجمع ثلاثة معان :

أ ـ الكثرة.

ب ـ الغلظة والقساوة.

ج ـ القبح، فقولك: أنت جِبل. أي قبيح.

ولعلّ القرآن اختار هذه اللفظة دون (الخلق)؛ ليجمع هذه المعاني كلها ليدل أنّ هؤلاء الذين أضلهم الشيطان إنما هم عتاة غلاظ قساة القلوب كحجارة الجبال، متجبرون على خلق الله كتجبر الجبال على السهول المجاورة.

كما أنّ جرس الكلمة وبناءها يوحيان بالثقل، ثقل الضلال وثقل الغلظة وثقل القبح على النفوس.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ ولم يقل: تعلمون؛ لأنّ من كان عنده مسكة من العقل ابتعد عن طريق الشيطان وأخذ حذره منه، حتى ولو لم يكن عنده من العلم شيء، فإنّ وجود العقل كافٍ للابتعاد عن الضرر ومصدره.

٤ـ إسناد الإضلال إلى ضمير الشيطان؛ لأنه المباشر للإغواء.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ عطف على مقدّر يقتضيه المقام، أي كنتم تشاهدون آثار عقوباتهم، أفلم تكونوا تعقلون أنّ هذه العقوبات كانت بسبب ضلالهم فترتدعوا عما كانوا عليه، كيلا يحيق بكم العذاب الأليم كما لحق بهم، فأين كانت عقولكم؟ ؟



﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الذين أضلهم الشيطان ذكر مآلهم وأوقفهم على شفير جهنم وقرّعهم قائلاً لهم: انظروا هذه جهنم التي كنتم توعدون فكذبتم بها واتبعتم الشيطان فاصلوها وقاسوا حرها.

ولذلك قال: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾، ولم يقل (تلك) للدلالة على قربها، وهذا من صور التقريع المخيف.

٢ـ قال: ﴿جَهَنَّمُ﴾ باسمها العلم، ولم يقل: (النار)، كما قال في آية الطور ١٤: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ⁽١٤⁾﴾ لأنه سبقها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ⁽١٣⁾﴾ فذكر النار في الطور.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ولم يقل: التي وُعدتم، للدلالة على استمرار الوعد وتطاوله، ولو قال: وُعدتم، لم يفد الاستمرار.

كما بنى الفعل ﴿تُوعَدُونَ﴾ للمجهول، ولم يذكر الواعد للدلالة على كثرة الواعدين وهم رسل الله والمبلغون عنهم.

٤ـ قال في يس٦٣: ﴿تُوعَدُونَ﴾، وقال في الطور١٤: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ لأكثر من سبب :

أ ـ سبق في الطور قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⁽١١⁾﴾ فناسب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ في الطور و﴿تُوعَدُونَ﴾ في يس.

ب ـ ورد في يس الوعد في أكثر من آية :

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ⁽٤٨⁾﴾ [يس:٤٨].

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ [يس:٥٢].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣﴾ [يس:٦٣].

فناسب قوله: ﴿تُوعَدُونَ﴾ في يس.

﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾

١ـ ﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾: فعل أمر من الفعل: صلى النار، أي قاسى حرها.

٢ـ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ يعني العذاب حاضر، فهو لمّا ذكر الوعد قبلها وهم كانوا يكذبون بهذا الوعد ويسخرون منه، قال لهم: اليوم تنفيذ الوعد الذي كنتم توعدونه، فلا تأخير.

٣ـ قال: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ للدلالة على استمرار كفرهم، ولم يقل: بما كفرتم، فإنّ ذلك لا يفيد الاستمرار والدوام.

وقوله: ﴿تَكۡفُرُونَ﴾ يفيد الإطلاق، فهو لم يقيد الكفر بأي قيد. والكفر قد يكون نقيض الإيمان، وقد يكون نقيض الشكر، وكلاهما موجب للنار، ولو قيده لتعين معنى واحد دون آخر، وهم كانوا يكفرون بالله ويكفرون بنعمه.

والسياق يقتضي هذا الإطلاق وإرادة المعنيين؛ ذلك لتقدّم ذكر رسل الله وما دعوهم إليه فكفروا وكذّبوا، كما أنه عدّد عليهم نعمه فكفروا بها وجحدوا.

٤ ـ أوجز في يس، وفصّل في الطور: الآيات ١١ـ١٦، حيث فصّل صفات أصحاب جهنم، وفصّل في عقوباتهم وأكثر من تبكيتهم وتقريعهم والسبب أنّ المذكورين في الطور أكثر ضلالاً وكفراً من المذكورين في (يس) وذلك:

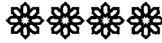
أ ـ أنهم مكذبون على العموم ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾.

ب ـ أنهم في خوض يلعبون.

ج ـ أنهم يكذبون بالنار ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾.

فناسب في الطور أن يزيد في عقوباتهم ويفصّل في ذكرها.

والله أعلم.



﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في يوم القيامة يختم الله على أفواه الناس وخاصة الكفار فلا يستطيعون الكلام، وكان قد ختم على قلوبهم في الدنيا. والمقام هنا مقام حساب لا عمل، فلا جدوى من الاستغفار أو الاعتذار، فقد انتهى أوان الكلام ولم يعُد للسان دور، فاليوم تُغلق الأفواه وتُقيد الألسنة لتنطق الجوارح.

٢ـ بعد الختم على الأفواه تتكلم الأيدي والأرجل طوعاً لا أمراً، وإنما هي تطوعت بالشهادة، مع أنها هي نفس الجوارح التي بُوشرت بها المعاصي والذنوب في الدنيا؛ لأنه في الآخرة تكون قد تحررت الجوارح من تبعيتها للنفس الواعية، وأصبح الملك كله والتفويض كله لله تعالى، فالآن تتكلم الجوارح وتشهد بما كان أمام الرب الأعلى.

٣ـ الذي أنطق اللسان وهو قطعة من لحم ودم قادر على أن يُنطق باقي الأعضاء.

٤ـ قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، ولم يقل: بما كانوا يعملون؛ لأنّ هناك فرقاً بين إنسان يُقبل على المعصية بدون فرح بل يندم بعدها ويعاقب نفسه على ارتكابها، وآخر يعتبر ارتكاب المعصية مكسباً فيفرح بها ويتحدث عنها ويتباهى بارتكابها.

٥ـ من حيث اللغة مادة (كسب) تدل على الربح في البيع والشراء بشكل طبيعي لا تكلف فيه، وغالباً ما يُستخدم هذا الفعل في الخير.

ويأتي هذا الفعل مزيداً بالهمزة والتاء (اكتسب)؛ ليدل على الافتعال والتكلف، وتُستخدم هذه الصيغة في الإثم؛ لأنّ الإنسان في عمل الشر والإثم يتلصص له ويحتال ويبذل الجهد ليؤدي ذاك العمل الشرير.

فإذا جاءت (كسب) محل (اكتسب) فاعلم أنّ صاحب المعصية قد تعود عليها وألفها حتى كاد يجاهر بها ولا يستحي منها، فعدّ الاكتساب في حقه كسباً.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ ـ جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: «**كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه قال: أتدرون مم ضحكت؟ قلنا: لا يارسول الله. قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: إني لا أجيز علي إلا شاهداً مني فيقول: كفى بنفسك عليك شاهداً وبالكرام**

الكاتبين شهوداً فيُختم على فيه ويُقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكُنّ وسحقاً فعنكُنّ كنت أناضل».

٢ـ أسند الله فعل الختم إلى نفسه، فقال: ﴿نَخۡتِمُ﴾ وأسند الكلام إلى الأيدي والشهادة إلى الأرجل؛ لأنّ الأفعال تُسند إلى الأيدي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ﴾ و ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ أي بأنفسكم فالأيدي كالعاملة، وقوله: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ و ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾.

والشاهد ينبغي أنْ يكون غير العامل فجعل الأرجل والجلود من جملة الشهود لبعد إضافة الأفعال إليها.

السؤال الثالث :

قد تقول: لقد جعل الله الألسنة تشهد عليهم في آية النور ٢٤ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾، بينما ختم على الأفواه في آية يس، فلماذا؟

الجواب :

١ـ ليس كل أهل الحشر يختم على أفواههم وأنهم يحاسبون على نمط واحد، بل كل صنف يحاسب بما يقتضي الأمر، وتكون الشهادة عليه بما ينبغي.

٢ ـ المقام في سورة النور هو في قصة الإفك ورمي المحصنات وما لاكته الألسنة من بهتان، فكان المناسب أنْ يستنطقها؛ لأنها هي التي قامت بالجرم، وجمع إليها الأيدي والأرجل، والشهادات إنما تكون بالألسنة فناسب أيضاً استنطاقها، إضافة إلى أنه تكرر في السورة ذكر الشهادات والشهود.

٣ـ قال في يس: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، وقال في النور: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ذلك أنّ سورة النور قد شاع فيها العمل، كما في الآيات: [٢٨ـ ٣٨ـ٣٩ـ٥٣ـ٥٥ـ٦٤] فناسب ذكر العمل.

بينما شاع في سورة يس الكسب، كما في الآيات :[٣٣ـ٣٥ـ٤٢ـ٤٧ـ٧١ـ ٧٢ـ٧٣] فناسب فيها ذكر الكسب.

والله أعلم.



﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الطمس إذهاب الشيء وأثره جملة واحدة حتى كأنه لم يوجد، وطمس العين ذهابها فلا يبين لها شق ولا جفن، فكأنّ الطمس بمنزلة المسخ للشيء.

٢ـ ومعنى الآية أنّ الله لو يشاء لذهب بأعينهم وأزالها، حتى لا يبقى لها شق ولا جفن، وهذا عمى ومسخ ، ولم يقل: لأعميناهم؛ وذلك ليشمل العمى وزيادة، وهو ذهاب العين وأثرها.

٣ـ قال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ ولم يقل: ولو شئنا، للدلالة على أنّ عدم الطمس لاستمرار عدم المشيئة؛ لأنّ الفعل المضارع ﴿نَشَآءُ﴾ يفيد الحال والاستقبال، وقد يفيد الاستمرار، بينما الفعل الماضي (شئنا) يفيد المضي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ يفيد ثلاثة معان :

أـ تسابقوا إلى الصراط، كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

ب ـ بادروا إليه، كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

ج ـ جاوزوه وتركوه فلم يهتدوا إليه، كما في هذه الآية.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي كيف يبصرون، و﴿فَأَنَّىٰ﴾ تحتمل معنى آخر، وهو: من أين؟

٦ ـ ونلخص ما مضى بالتالي :

قال: ﴿لَطَمَسْنَا﴾ بدل (أعمينا) وهو يشمل العمى وزيادة.

قال: ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾وهو يشمل الطمس وزيادة الشدة.

قال: ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾وهو يشمل المسابقة وزيادة، والمبادرة وزيادة، والضلال.

قال: ﴿الصِّرَاطَ﴾ولم يقل (إلى الصراط)؛ ليشمل معنى (إلى) والتعدية المباشرة.

قال: ﴿فَأَنَّىٰ﴾وهو يشمل معنى: كيف، وزيادة.

السؤال الثاني :

قال في يس٦٦ : ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ فعدّى الفعل بـ (على)، بينما عداه بنفسه في آية القمر ٣٧ فقال: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

هما عند أهل اللغة واحد، لكنّ الحقيقة أنّ بينهما اختلافا في المعنى وذلك لأنّ :

أـ الحرف (على) يفيد الاستعلاء، فالختم على الشيء أشد من ختمه بقصد تغطيته بما يمنع الدخول إليه والخروج منه، وكذلك طمسه وطمس عليه فإنّ الطمس على الأعين يدل على شدة المسخ والطمس، وهو مناسب للمسخ العام الذي ورد في الآية التي تلي هذه الآية.

ب ـ السبب في الاختيار أنّ ما ذكره في آية يس أشد؛ ذلك أنه قال: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ في حين لم يزد في القمر على قوله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾.

ج ـ ثم إنه مناسب لورود ﴿عَلَىٰٓ﴾ في الآية السابقة﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ ومع ذكر العقوبات الخاصة الخارجة عن المألوف في الآيات السابقة ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾.

والله أعلم.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المسخ: هو تحويل صورة إلى صورة أخرى أقبح منها، فقد يكون التحويل إلى حجر أو حيوان.

٢ـ المكانة: هي المكان أو المنزلة.

٣ـ المعنى: لمسخناهم على أمكنتهم، فلا يستطيعون مغادرتها أو فيجمدون في أمكنتهم.

٤ـ قال: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ ليشمل المكان والحال التي هم عليها.

٥ـ قدّم المضي على الرجوع لأكثر من سبب:

أـ المضي أهم من الرجوع؛ وذلك أنّ الناس يريدون المضي إلى أعمالهم فبدأ بما هو أهم.

ب ـ المضي أصعب من الرجوع؛ فإنّ الرجوع ينبىء عن معرفة الطريق ذلك لأنه سيعود في الطريق التي جاء فيها، وأمّا المضي فقد يكون في طريق غير مألوفة.

ج ـ المضي فيه ابتعاد عن محل الإقامة بعكس الرجوع فيكون الرجوع أسهل، فبدأ بالأصعب.

٦ـ جمع في هذه الآية والآية التي قبلها:

أـ عدم الإبصار بسبب تعطيل آلة الرؤية، وليس بسبب خارجي.

ب ـ عدم الحركة بسبب ما حصل للجسم، وليس بسبب خارجي.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما المعنى اللغوي لكلمة﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ في الآية؟

الجواب :

أشارت الآية التي قبلها يس ٦٦ : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ إلى طمس الأعين وفقد البصر، فكيف يبصرون وهم يُسابقون إلى الصراط.

ثم جاءت الآية ٦٧ : لتبين أنّ الأمر لا ينتهي عند العمى والطمس على الأعين، إنما هناك ما هو أشد، وهو المسخ.

والمسخ أن يصيروا كالمساخيط وكالجماد لا يتحركون، أي لحولنا صورهم إلى صور قبيحة إذلالاً وإهانة لهم.

والمعنى الأول أوجه لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ فقد تجمدوا فلا حركة لهم إلى الأمام ولا حتى العودة إلى الخلف.

السؤال الثالث :

قال في الآية ٤٧ ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ بدون لام التوكيد، بينما قال في الآية ٦٧ : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ مع لام التوكيد، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم اللام كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا قال في الآية ٤٧: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ بدون لام التوكيد، بينما قال في الآية ٦٧: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ مع لام التوكيد.

والسبب - والله أعلم- أنّ الإطعام أيسر من المسخ، فجاء باللام في الموضع الذي تستحقه، ونزعها من الموضع الذي لا يقتضي ذكرها.



﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى أن الذي يُعمر لا بدّ أنْ يتنكس في خلقه إلى أسفل، فبعد أنْ كان يرتقي إلى الأعلى في النمو والقوة والعقل يبدأ بالضعف والوهن في الجسم والعقل حتى يُرد إلى أرذل العمر، فلا يعلم بعد علم شيئاً.

٢ـ قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ معناه: فأين عقولكم من هذه المسألة؟ ! وجاءت بأسلوب الاستفهام لا بأسلوب الإخبار؛ ليقروا على أنفسهم بعدم التعقل.

وجاء بالفاء الدالة على السبب، أي أفلا يكون ذلك سبباً لأنْ يعقلوا ويتفكروا.

٣ ـ أسند التعمير والتنكيس إلى ذاته سبحانه للدلالة على أنّ هذا من فعله وقدرته في البدء والختام.

ولو قال: ومن يُعمر يُنكس، بصيغة المجهول لم يدل على أن ذلك من فعله سبحانه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ هذا على أمر مشاهد حاضر يرونه في حياتهم يعيشونه ويعيشون معه، فناسب ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

بينما في آية يس السابقة ٦٢ قال: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ لأنّ الكلام من رب العزة يوم القيامة عما فعله بنو آدم في الدنيا، فناسب ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

والله أعلم.



﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر الله تعالى جهنم والختم على الأفواه وتكليم الأيدي وشهادة الأرجل وغير ذلك مما هو مستغرب وغير مألوف، قد يظن ظان أنّ هذا من خيال الشعراء وتصويراتهم وليس من الحقائق، فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾.

٢ـ نفى بـ﴿وَمَا﴾ ولم ينفه بـ (لم)؛ وذلك لقوة (ما) في النفي، و(ما) إذا نفت الفعل الماضي كانت بمنزلة جواب القسم.

وأمّا النفي بـ(لا) فإنها تدخل عادة على الفعل المضارع، وأكثر ما تكون للاستقبال، وقال بعض النحاة: إنها للاستقبال فقط، كما جاء في الآية على لسان سيدنا سليمان عليه السلام في آية سورة ص ٣٥: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾فإن ذلك دال على المستقبل، فقد قال: ﴿مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾. .

٣ـ ومعنى ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أي: ما يصح له ولا يليق ولا يتأتى له لو أراده فنفى بذلك كون الرسول ﷺ شاعراً.

فقد نفى أولاً تعليمه للرسول الشعر فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ولربما ظن ظان أنه ربما كان في ذلك خير حُرم منه، ولو علمه إياه لكان أكمل، فقال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾؛ لأنّ مهمة النبي غير مهمة الشعر، فلا يليق بالنبي أن يكون شاعراً. والسبب أنّ الشاعر قد يزيد في الحقائق أو ينقص منها، أو يعتني بتزويق الكلام على حساب المعنى، أو يضع الكلمة في غير موضعها لضرورة الشعر.

والشعر إنما هو قول بشر، والشعر له نظير، والشعراء لهم نظراء.

أمّا القرآن فإنه يضع التعبير في أعلى مراتب البلاغة، وهو كلام الله ليس له نظير.

٤ ـ وأما إنشاد الرسول في غزوة حنين :

أنـــــا النبـــــي لا كــــــذب   أنـــــا ابـــــن عبـــــد المطلـــــب

فهو قول صادف وزناً شعرياً، وليس شعراً خاضعاً للوزن والقافية، وفرق بين الشعر وكلام يصادف وزناً دون قصد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي هذا الذي تسمعونه منه وتسمونه شعراً، ما هو إلا ذكر وموعظة من الله وقرآن مبين واضح لكل أحد. إنه ليس شعراً وإنما هو قرآن يتلى أنزله الله.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

١ـ قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ قد يكون القرآن أو الرسول، فكلاهما منذر.

٢ـ قوله: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: من كان عاقلاً حي القلب والبصيرة متأملاً يقبل الحق ويأبى الباطل، والإنذار في أصله عام لكل الخلق مؤمنهم وكافرهم.

٣ـ ومعنى ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: تجب عليهم كلمة العذاب بعد أنْ أنزل عليهم الرسل وبلغوهم وألزموهم الحجة، فيحق القول بعد الإنذار.

٤ ـ في مقابلة: الكافرين بالحي، إشارة إلى أنّ الكفار أموات، كما قال ربنا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢].

السؤال الثاني :

في هذه الآية يس ٦٩ نفى وأثبت بـ [إنْ وإلا] ، بينما قوله تعالى في آية القلم ٥٢ :﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ فنفى وأثبت بـ [ما وإلا]، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ أنّ النفي بـ (إنْ) أقوى من النفي بـ (ما) فنفى بما هو أقوى.

٢ ـ والسبب في ذلك أنه في سورة القلم لم يكن السياق عن القرآن، ولم يذكر عنه إلا آية واحدة، فنفى بـ (ما).

بينما الكلام في يس عن القرآن، كما في الآيات ٦٩ـ٧٠، وهو أطول مما في سورة القلم، فنفى بـ (إنْ).

٣ـ ونظير ذلك الآيات التالية:

ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤].

ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص:٨٧].



﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ ذكر القرآن أنه ليس بشعر وأنّ الرسول ليس بشاعر لفت نظرهم إلى آيات الله في خلقه، فذكر أقرب شيء لهم وألصقه في حياتهم وهو: الأنعام.

٢ـ الواو في ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بعد همزة الاستفهام هي واو العطف، وهي تعطف على مذكور، وقد تعطف على مقدر في المعنى.

وقد يرد في القرآن ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ بدون واو، وهذا أيضاً نظير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ و ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٣ـ (الواو) في هذه الصيغ تستعمل فيما كثر أمثاله في الحياة مما هو مُشاهد، وأمّا من دون(واو) فهو من باب ما لا يكثر مثله.

٤ـ قوله: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ فأسند الخلق إلى نفسه ولم يبنه للمجهول، وهذا من باب التفضل والإنعام، والقرآن يسند النعمة والتفضل والخير إلى الله سبحانه، ولا يناسب بناؤه للمجهول؛ لأنه قال بعدها: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ فإذا كان الفاعل مجهولاً فالناس لا تعرف الجهة التي ينبغي أنْ يقدّموا لها الشكر.

٥ ـ أسند في يس الخلق لله بضمير المتكلم فقال: ﴿خَلَقْنَا﴾ وأسنده إلى ضمير الغائب في آية النحل ٥، فقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾.

والسبب أنّ السياق في سورة النحل مبني على الإسناد إلى ضمير الغيبة بل إنّ جو السورة مبني على ذلك، بينما السياق في سورة يس وجو السورة كذلك مبني على الإسناد إلى ضمير المتكلم، فناسب كل تعبير مكانه الذي ورد فيه.

٦ـ قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ أي مما أبدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة. وأسند العمل إلى الأيدي مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق، كما يقول الواحد منا: عملته بنفسي، للدلالة على تفرده بعمله.

٧ـ (ما) تحتمل الموصولية، أي من الذي عملته أيدينا، وتحتمل المصدرية: أي من عمل أيدينا، وكلاهما مراد. وهذا من باب التوسع في المعنى، ولو عبّر بـ (الذي) لأفاد الموصولية فقط.

وقال: ﴿مِّمَّا﴾ بـ (من) التبعيضية، ولو قال: ما عملته أيدينا، لاقتصر العمل على الأنعام.

وقال: ﴿أَيْدِينَآ﴾ بالجمع؛ لأنه ذكر نفسه بالجمع.

٨ـ قوله: ﴿أَنْعَـٰمًا﴾ جمع (نَعَم) وهي البقر والغنم والإبل، وهو مفعول: خلقنا.

٩ ـ قدّم الجار والمجرور ﴿لَهُم﴾ على المفعول به للاهتمام بتكريمهم وهو﴿لَهُم﴾ أي: لأجلهم.

١٠ـ قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾قدّم الجار والمجرور ﴿لَهَا﴾ على ﴿مَـٰلِكُونَ﴾ للاهتمام بشأن المملوك؛ وذلك لأنها من أهم أموالهم وأكرمها عليهم فقدّمها للاهتمام بها، ولا يفيد هذا التقديم قصراً.

وقال: ﴿مَـٰلِكُونَ﴾ بالاسم، ولم يقل: يملكون، للدلالة على ثبات الأمر، ولو استعمل الفعل لدل على أنهم سيملكونها في المستقبل.

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾

١ـ قوله: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ هو من زيادة الإنعام، فإنّ المملوك إذا كان أبياً متمرداً لا ينفع، فذكر ما به تمام النعمة.

٢ـ قوله: ﴿فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ﴾ والركوب اسم مفعول أي مركوب، فهي اسم وصفة، كما تقول: رسول ومرسل، فهي ناقة مذللة وناقة أمون؛ أي تُؤمن في الركوب.

والفاء للتفريع فهي فرعت أحكام التذليل إلى ما يركب وإلى ما يؤكل و(من) للتبعيض.

٣ـ الأنعام لا تركب كلها، فالبقر والغنم لا تركب، وإنما تركب الإبل لذلك قال هنا مع ذكر الأنعام ما معناه : لتركبوا منها، بينما قال في آية النحل ٨: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا﴾ لأنها كلها تركب.

٤ـ قوله:﴿وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ﴾ أي تاكلون منها على معنى الابتداء أو على معنى التبعيض، والتبعيض ليس واقعاً على جنس الأنعام، بل على أجزاء منها أي اللحوم والشحوم، فإن أجزاء منها لا تؤكل كالجلود والصوف والشعر وغيرها.

٥ ـ غيّر الأسلوب في الأكل إلى الفعلية، قال: ﴿وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ﴾ مع أنّ قبلها بالاسمية؛ ذلك لأنّ الفعل يدل على التجدد، أي: ومنها يأكلون عادة.

ثم إنّ الناس كلهم يأكلون، وليسوا كلهم يركبون، فالأكل حاجة يومية متكررة بخلاف الركوب، فاقتضى ذلك المغايرة بين الركوب والأكل.

كما قدّم الركوب على الأكل؛ لأنه ذكر التذليل قبلها، وأهم مظاهر التذليل الركوب.

٦ ـ ذكر الركوب في يس، فقال: ﴿فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ﴾ وذكر حمل الأثقال في النحل، فقال: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ والسبب أنه في يس ذكر الركوب في الآيتين (٤١ـ٤٢) فذكر هنا

الركوب، بينما ذكر حمل الأثقال في النحل كما في الآيات (١٤ـ ٢٥) فناسب ذلك ما ورد في النحل.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

١ـ قدّم الضمير في ﴿وَلَهُمْ﴾ على ضمير الأنعام ﴿فِيهَا﴾؛ لأنّ الكلام إنما هو عنهم، وهي مخلوقة لهم، وهم العلة المسببة لخلقها.

٢ـ ثم ذكر أنّ لهم فيها منافع عدا الركوب والأكل، كالجلود والأوبار والأصواف وغيرها كالحراثة وما إلى ذلك.

٣ـ المشارب تعم: اللبن وأدوات الشرب، فإنّ من الجلود ما يُتخذ أواني للشرب، فجمع بذلك معنيين. ولو قال :(لهم فيها شراب) لم يفد إلا معنى واحداً وهو اللبن.

وذكر المشارب بعد المنافع، من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميتها واعتناء العرب بها.

٤ـ قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أي ألا يكون ذلك سبباً لشكرهم لاستدامة النعم. وقال ذلك بصيغة الاستفهام - لا الإخبار- لاستثارة النفوس إلى مقابلة النعم بالشكر.

٥ ـ وجاء بالفاء الدالة على السبب، وأطلق الشكر؛ ليتناول المنعم والنعمة.

والله أعلم.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ ذكر لهم ما خلق لهم من الأنعام وأسبغ عليهم من النعم التي تستدعي عبادة الخالق وشكره، ذكر أنهم اتخذوا من دون الله آلهة، وفي ذلك من التوبيخ والتقريع على مقابلة الإحسان بالإساءة.

٢ـ أقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع، وتوقعوا منه النصرة، وفي الحقيقة لا هي ناصرة ولا منصورة.

وأطلق النصر والجهة التي ينصرون عليها، فهم يريدون النصر في كل موطن يستدعي النصر، وأنْ ينصروهم عند الله بأنْ يكونوا شفعاء لهم عنده يقربونهم إليه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، ولم يقل: لا ينصرونهم؛ لأنّ ذلك قد يدل على أنهم قادرون على النصر ولكنْ لا يفعلون ذلك؛ ولذلك قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾؛ ليدل على عجزهم وضعفهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾أي الكفاروالمشركون هم عابدوها وهم لهم جند يدافعون عنهم وينصرونهم، فهم بدل أنْ ينتصروا بهم صاروا جنوداً لهم؛ لأنهم عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم. وهذا أسوأ ما يكون من خيبة الأمل.

وهذا على تقدير أنّ الضمير ﴿وَهُمْ﴾ للمشركين وضمير ﴿لَهُمْ﴾ للآلهة.

٥ـ وقيل إنّ المعنى: أنّ المشركين جند للآلهة محضرون للعذاب في الآخرة، وذلك أنّ هذه الآلهة توقد بها النار يوم القيامة، فتتقدمهم إلى النار وهم يتبعونهم إليها كما يتبع الجند قائدهم.

٦ـ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ معانٍ متعددة :

أـ أنْ يكون العابدون جنداً لما اتخذوه آلهة، فالآلهة عاجزة وهم لها جند.

ب ـ أنهم وآلهتهم سيكونون محضرين للعذاب في النار.

ج ـ أنّ الآلهة لا تستطيع أنْ تنصرهم ولو كان لها جند، فكيف وهي ليست كذلك؟

فجمع هذا التعبير كل هذه المعاني.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في يس٧٤ ومريم٨١: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وفي الفرقان ٣ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ أنّ آية مريم ويس وردتا بعد ضمير المتكلم، كما في قوله تعالى في مريم ٨٠: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ وفي يس ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ ٧٢ فناسب الإظهار.

٢ـ وأمّا آية الفرقان فوردت بعد تكرار ضمير الغائب في قوله تعالى في الآية الثانية: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ فناسب الإضمار للغائب لتناسب الضمائر. والله أعلم.



﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول :

متى يقدم السر على العلن في القرآن الكريم؟ ومتى يقدم الجهر على الإخفاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٤.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نهاه أنْ يحزن لما يقولونه فيه وفي دعوته، وأطلق القول؛ ليشمل كل ما يقولونه فيه وفيما يدعو إليه.

٢ـ ثم استأنف معللاً بقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فالله يعلم سرهم وجهرهم، وهو قادر على إبطال ما يظهرون أو يضمرون.

٣ - ﴿مَا﴾ في الآية تحتمل الموصولية والمصدرية؛ أي: الذي يسرونه أو إسرارهم، والمتبادر الأول هو الأولى.

٤ـ قدّم السر على العلن؛ لأنّ مرتبة السر مقدمة على مرتبة العلن ، كما أنّ السر يدل على الإحاطة بالمعلومات كلها، فمن كان يعلم السر فهو يعلم العلن من باب أولى.

٥ ـ الملاحظ في القرآن الكريم أنه لا يقتصر على تقديم السر، فهو كما يقدم السر على الإعلان قد يقدم الجهر على الإخفاء، كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾.

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾.

وهو أحياناً يكتفي بذكر أحدهما دون الآخر فيكتفي بذكر الإسرار دون الإعلان، كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

والله أعلم.



﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المقصود هو التعجب من حال الإنسان بعدما خلقه الله، فإذا هو مخاصم لربه مفرط في جحود نعمه، وكيف له ذلك مع دناءة أصله ومهانة أوله أنْ يتصدى لمخاصمة الجبار.

٢ـ قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مبالغ في الخصومة والجدال.

٣ـ بدأت الآية بهمزة الاستفهام للتعجب والإنكار، فهي تنكر عليه فعله وتتعجب من أنْ يقابل الإنسان الإحسان بالإساءة والنعمة بالجحود.

٤ـ وجاء بالواو﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ ليدل على كثرة الوقوع، وذكر الإنسان صراحة؛ ليخص كل إنسان فينظر في نفسه وفي أصله وماذا عليه الآن.

وهذا التعبير ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ هو كلام عام؛ لأنه مع جنس الإنسان، وهو مع جمع منهم من كفر بالله واتخذ من دونه آلهة.

٥ـ قوله: ﴿خَلَقْنَـٰهُ﴾بإسناد الخلق إلى ضمير المعظم نفسه؛ ليبين الفاعل وقدرته وإنعامه.

٦ـ قوله:﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ حتى لا ينسى الإنسان نفسه؛ ليذّكره بقدرة الخلاق العليم.

٧ـ قوله: ﴿فَإِذَا﴾ ليجمع بين معنيي التعقيب؛ لأنّ الفاء للتعقيب، وهي تفيد السبب أيضاً.

و﴿فَإِذَا﴾ الفجائية، وهي للدلالة على أنّ موقفه هذا مفاجىء، وليس متوقعاً أنْ يفعل ذلك مع من أحسن إليه.

٨ـ قوله: ﴿خَصِيمٌ﴾أي مبالغ في الخصومة، و﴿مُّبِينٌ﴾ أي: مفصح عما في نفسه من الخصومة، فجمعت الآية بين أضعف شيء في طور خلق الإنسان وهي النطفة وأبلغ شيء فيه وهو الخصيم.

وجاء بالجملة الاسمية الدالة على ثبوت هذا الأمر في الإنسان.

٩ـ اختار (الخصيم) مكان الناطق؛ لأنه أعلى أحوال الناطق؛ لأنّ كلامه لغيره خصماً أعلى من الكلام العادي، أو من الكلام مع نفسه، كما اختار ﴿مُّبِينٌ﴾ إشارة إلى قوة عقله بعدما كان نطفة.

والله أعلم.



﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

الجواب:

١ـ الضرب في الأصل إيقاع جسم على جسم بعنف، ويُشترط أنْ يكون الضارب أقوى من المضروب، وإلا كانت النتيجة عكسية.

وضرب المثل هو إيجاد شيء يُوقع على شيء؛ ليبين لك الأثر الحاسم الفعال، فيقربه إلى ذهنك.

٢ـ قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ هو من لطيف التذكير والاحتجاج، فإنه لو كان ذاكراً لم يسأل ولم يعجب.

ولم يكتف بهذا التذكير، بل أجاب بحجة ظاهرة ملزمة، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

٣ـ قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ صيغة مبالغة على وزن فعيل، فإنه لمّا قال: ﴿بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ اقتضى ذلك المبالغة في العلم.

٤ـ العدول من الصيغة الفعلية ﴿يُحْيِيهَا﴾ إلى الصيغة الاسمية ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ للتنبيه على أنّ علمه سبحانه بها ذكر مستمر ليس كإنشائه للمنشآت.

السؤال الثاني :

قال في آية الأنبياء ٨١: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ وفي آية يس ٧٩ ﴿عَلِيمٌ﴾، فما السبب؟

الجواب:

أـ وصف الله تعالى نفسه بكل صفات العلم وأحواله، فوصف نفسه ﴿يَعْلَمُ﴾ بالفعل الدال على الحدوث والتجدد، ووصف نفسه بأنه ﴿عَٰلِمُ﴾ على صيغة اسم الفاعل، وهو أثبت من الفعل، ووصف نفسه بأنه عليم وعلام بالمبالغة فجمع لنفسه كل صفات العلم، إلا أنه يضع كل وصف أو لفظ في مكانه.

ب ـ في آية الأنبياء: جاء السياق في مسألة خاصة، وهي مسألة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، وتعليم داود صنعة الدروع وتسخير الريح لسليمان، وهذا أخصّ من

خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض وإحياء الموتى والبعث، وهذا يشمل العلم بكل الخلق وذرات ترابهم، فناسب في يس ﴿عَلِيمٌ﴾ وفي الأنبياء ﴿عَٰلِمِينَ﴾ وصيغة فعيل أقوى من صيغة فاعل.

والله أعلم.



﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ عندما استبعد الكافر الإحياء بعد الموت، لفت الله نظره إلى أمر أدعى إلى الاستبعاد، وهو أنْ جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً يوقدون منه وهو أمر مستبعد في المألوف؛ لأنّ الماء تطفىء النار، فذكر قدرته على ما هو مستبعد في تفكيرهم مما يألفونه.

٢ـ المقصود بالشجر هنا عموم الشجر،وفي أمثالهم: [في كل شجر نار واستمجد المرخ والعَفار]، حيث يؤخذ قضيب كالمسواك من كل شجرة فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهو أنثى، وهما يقطران ماء فتنقدح النار بإذن الله.

٣ـ قال: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾بالفعل، ولم يقل: موقدون، بالاسم؛ لأنّ هذا مما يفعلونه عند الحاجة، فجاء بها يدل على الحدوث.

والله أعلم.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بدأ بالاستدلال بخلق الإنسان من نطفة، ثم استدل بما هو مستعجب مما حولهم، وهو اتقاد النار من الشجر الأخضر، ثم ترقى إلى خلق السماوات والأرض وهو أعظم وأعجب، فيكون المعنى أنه لا داعي لاستبعاد البعث بعد الموت، فإنّ أجزاءهم موجودة وإنّ جمعها وإعادتها أيسر من خلق شيء ليس له مادة ولا وجود ابتداء وهو خلق السماوات والأرض، فذكر ما هو أبعد في الخلق وأعسر من الإعادة.

٢ـ قوله: ﴿أَوَلَيْسَ﴾ الهمزة للإنكار، والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام.

أي أليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ أي مثلهم في الصغر والحقارة بالنسبة إليهما؟

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فذكر ههنا صفتين له سبحانه :

أـ صفة العلم بالمخلوقات كلها.

ب ـ صفة الخلق، فذكر أنه هو الخلاق العليم.

وجمع بين الصفتين؛ لأنه قد يعلم المرء شيئاً، لكنه لا يستطيع فعله، فذكر العلم والخلق.

٤ـ قال: ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ ولم يقل: خلاق عليم؛ لئلا يشاركه في هذين الوصفين أحد، فإنّ الإنسان قد يكون خالقاً على أحد معاني الخلق، وهو: التقدير، وهو يوصف بأنه عليم، كما قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

ولكن لا يوصف بـ (الخلاق العليم) غير الله، فجاء بالألف واللام الدالة على القصر والكمال في هاتين الصفتين.

٥ـ قد تقول: لكنه وصف نفسه بأنه عليم في آية سابقة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾.

فالجواب أنه لمّا قال ﴿بِكُلِّ خَلۡقٍ﴾ عُلم أنّ ذلك لا يكون لغير الله؛ لأنه لا يكون عليماً بكل خلق الله غير الله.

٦ـ قال: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ فجاء بالباء الزائدة المؤكدة؛ لأنّ الموطن موطن إنكار فجاء بما يؤكد قدرته على خلق مثلهم وإعادتهم.

٧ـ لمّا ذكر في آية يس ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم﴾ ناسب أنْ يختم الآية بـ ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.

و لمّا ذكر في آية الأحقاف ٣٣ قوله تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ﴾ ناسب أن يختم الآية ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين استعمال ﴿قَادِرٌ﴾ و ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ بزيادة الباء؟

الجواب :

القاعدة اللغوية:

أنه تدخل الباء الزائدة على أخبار ليس وما ولا وكان المنفية لتأكيد النفي لأنّ العرب استعملت الباء لتأكيد النفي، واستعملت اللام في تأكيد الإثبات.

١ـ في آية الإسراء٩٩ ﴿قَادِرٌ﴾ خبر: أنّ الله.

٢ـ في آية يس ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾٨١ هو خبر ليس في أول الآية، فدخلت الباء في خبرها.

٣ـ في آية الأحقاف٣٣ لّما أكد النفي بنفي ثان، وهو﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾.

السؤال الثالث :

ختم آية يس ٨١ بـ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وختم آية الأحقاف٣٣ بـ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فما السبب؟

الجواب :

لّما ذكر في آية يس﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ ناسب أن يختم الآية بـ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

و لّما ذكر في آية الأحقاف ٣٣ قوله تعالى: ﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ناسب أن يختم الآية﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما دلالة الحرف (بلى) في الآية ٧١ في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة (٨١).



﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر في هذه الآية قدرته التي لا تحد في كل وقت، في الماضي والحال والاستقبال؛ لئلا يظن أنّ ذلك الأمر قد انتهى، فذكر أنه إذا أراد شيئاً قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كما أمر وكما أراد سبحانه وتعالى.

٢ـ جاء بالفاء فقال: ﴿فَيَكُونُ﴾ ولم يقل: ثم يكون، للدلالة على التعقيب وأنه يكون مباشرة بدون تراخ أو مهلة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، كما في آية الحج ١٤، و ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في آية الحج ١٨، و ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ كما في آية يس ٨٢؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحج ١٤.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الإرادة والمشيئة؟

الجواب :

الإرادة :

الإرادة لا تقتضي وجود الشيء، وبالتالي لا تقتضي الإلزام. وهناك إرادتان إرادة إلزام وإرادة أخرى هي مناط التكليف.

* شواهد قرآنية :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الأحزاب ٣٣ هذا ما أراد ونفذ.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات ٥٦ الله أراد أنْ يعبدوه لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل يعصونه وهو لا يريد المعصية، والمعصية وقعت خلاف ما أراد الله؛ لأنها ليست إرادة إلزام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠] الله يحب أنْ نفعل ذلك، وهذه ليست ملزمة، فالبعض لا يفعل هذه الأمور.

المشيئة :

المشيئة ملزمة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالمشيئة لا تتخلف كقوله تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]هذه إرادة ملزمة.

فالمشيئة ملزمة، والإرادة نوعان: إرادة ملزمة وأخرى مناط التكليف.

لمزيد من التفصيل، انظر آية النحل ٤٠. والله أعلم.



﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قرّر الله في هذه الآية التوحيد بقوله: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ليدلّ على أنه واحد لا شريك له، كما قرّر الحشر بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

٢ـ نزّه الله سبحانه من بيده الملك، وهو يعني ذاته العلية، عن كل نقص ليُعلِم خلقه أنه خالق مقتدر بيده ملكوت كل شيء.

٣ ـ الملكوت مبالغة في الملك، وهو بمعنى الملك التام مع العز والسلطان وليس مجرد الملك فقط.

٤ ـ جاء بالفاء ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ للدلالة على السبب.

٥ ـ قال: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ليدل على أنه المالك المتصرف في ملكه كما يشاء؛ ولئلا يظن ظان أنه خلق الخلق وتركهم كلٌ يتصرف وفق هواه ليس لله عليه قدرة ولا حكم ولا مشيئة، فقال: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

٦ـ قدّم ﴿بِيَدِهِۦ﴾ وهو الخبر على المبتدأ ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لإفادة القصر له وأنه ليس لآخر فيه نصيب.

٧ـ ثم قال ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ليدل على أنّ ما ذكره من التصرف في الملكوت ليس مقصوراً في الدنيا، وإنما بيده الملكوت في الآخرة، كما هو في الدنيا وأنه إليه المصير والمرجع.

٨ـ قدّم الجار والمجرور ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ على الفعل لإفادة الحصر، أي أنّ الرجوع إليه حصراً لا إلى غيره. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الله سبحانه إذا قال: (كُنْ) انفعلت له الأشياء وأطاعت، أمّا إذا قالها الإنسان فلن يستجيب له شيء. فقادرية الله هي التي فعلت، ومقدورية الأشياء هي التي انفعلت.

٢ـ ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يعني تنزيهاً له عن أن يُشبهه أحد، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

٣ـ كلمة (ملكوت) من مادة (ملك)، والتي لها أربعة معانٍ، وهي :

أ ـ مالك: وهو من يملك شيئاً، ولو كان يسيراً.

ب ـ مَلِك: وهو الذي يملك أنْ يتصرف في ملكه وفي إدارة حركته.

ج ـ مُلك: وهو ما يملك من الأمور الظاهرة للناس.

د ـ ﴿مَلَكُوتُ﴾ ويُراد بها المُلك المستور غير الظاهر، وهو أقوى وأعم من المُلك، وقد يكون الشيء من عالم الملكوت ثم يصير إلى عالم المُلك، مثل الأشياء التي كانت غيباً واكتشفها الإنسان فصارت مشهودة. وهناك أشياء تبقى في عالم الملكوت لا نعرف شيئاً عنها إلا في الآخرة.

وكلمة ﴿مَلَكُوتُ﴾ تحمل معنى المبالغة، مثل: رحموت، وجبروت ورهبوت.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي يوم القيامة، والفعل مبني للمجهول، ولم يقل (تَرجعون) أي باختياركم، وإنما تُرجعون قهراً.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٧٥.

رابعاً ـ تناسب بداية يس مع خاتمتها:

١ - قال سبحانه في أول السورة:

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

وقال في أواخرها: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس:٦٩].

فذكر القرآن في البدء والختام. ووصفه أولاً بأنه حكيم، ووصفه فيما بعد بأنه مبين. فهو حكيم مبين.

٢ ـ قال في أول السورة: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس:٦].

وقال في أواخرها: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس:٧٠].

فبدأ بإنذار قومه وانتهى بإنذار من كان حياً من المكلفين، وهو الأمر الطبيعي، فيبدأ أولا بالأقرب إليه ثم ينتهي بعموم الخلق.

٣ ـ قال في أول السورة: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

فالله هو العزيز، أمّا آلهتهم فلا تستطيع لهم نصراً.

وقال في آخر السورة: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فالذي بيده كل شيء هو العزيز الرحيم.

ومن مظاهر رحمته ما ذكره في أواخر السورة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ومن ذلك ما ذكره في قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

فالذي بيده ملكوت كل شيء هو العزيز.

ومولي هذه النعم هو الرحيم، فهو العزيز الرحيم.

٤ ـ قال في أول السورة: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

وقال في آخرها: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

فقد ذكر أولاً أنه حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون.

ثم ذكر عقيدتهم بعد ذلك، فذكر أنهم مشركون اتخذوا من دون الله آلهة. فهم مصرّون على اعتقادهم.

٥ ـ قال في أول السورة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

وقال في آخرها: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

فذكر في أول السورة أنه يحيي الموتى.

وقال في آخرها إنّ الذي يحيي العظام هو الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم.

فكانت المناسبة من أكثر من جهة.

والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف
المهندس مثنّى محمّد هبيان

قدّم له:
د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الحادي عشر

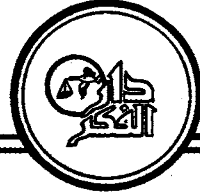
من بداية سورة الصافات وحتى سورة الفتح

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب:11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة الصّافّات

أولاً ـ تناسب خواتيم يس مع فواتح الصافات :

١ ـ قال سبحانه في أواخر يس :

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

وقال في أول الصافات :

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾.

فردّ على اتخاذ المشركين من دون الله آلهة بأنّ الإله واحد وهو رب السماوات والأرض وما بينهما.

٢ ـ قال في أواخر يس :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

وقال في أوائل الصافات على لسان الكفرة :

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

فذكر قول الكفرة في إنكار اليوم الآخر، وردّ عليهم في الموضعين.

٣ـ قال في آخر يس :

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ... فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وقال في أوائل الصافات :

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ .

فالذي خلق السماوات والأرض هو ربهما.

ورب السماوات والأرض هو الذي بيده ملكوت كل شيء.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لمّا ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلقت إرادته بشيء كان ذكر تعالى وحدانيته، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجوداً وعدماً إلا بكون المريد واحداً، وتقدّم الكلام على ذلك في قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾)).

ثانياً ـ هدف السورة : الاستسلام لله وإن لم تفهم الأمر :

سورة الصافات مكّية ابتدأت بالحديث عن الملائكة الأبرار، واستعرضت السورة مجموعة من الأنبياء استسلموا لأمر الله من غير أنْ يعرفوا الحكمة من ذلك الأمر، وأفضل مثال على ذلك قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ

﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: ٩٩ – ١٠٣] الله تعالى الذي وهبه الولد الحليم (إسماعيل) بعدما كبر سنّه وفقد الأمل من الإنجاب، وفرح به إبراهيم فرحاً شديداً، ثم جاءه في المنام أمر بذبح هذا الولد بيده، ولم يكن وحياً في اليقظة، لكنه استسلم لأمر ربه وقال لابنه: ماذا ترى؟ وكأنما أراد أنْ يشاركه ابنه هذا الاستسلام لله حتى ينال الجزاء معه، فما كان من إسماعيل إلا أنْ كان أكثر استسلاماً وقال لأبيه: افعل ما تؤمر. ولم ينته الأمر هنا بل إنّ إبراهيم باشر بالتنفيذ فعلاً: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾[الصافات: ١٠٣] وعندها تحقق من إبراهيم وإسماعيل الاستسلام التام لله، جاء وحي الله بأنْ فدى إسماعيل بذبح عظيم. أطاع إبراهيم الله واستسلم له . وهكذا نحن علينا بعد أنْ عرفنا منهج الله في عشرين جزءاً مضى من القرآن، علينا أنْ نستسلم لله كما استسلم إبراهيم لربه عزّ وجلّ وهذه قمة العبودية والخضوع لله.

وفي السورة توجيه هام في الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة، وهو أنه على الناس أنْ يستسلموا في الدنيا استسلام عبادة، بدل أنْ يستسلموا في الآخرة استسلام ذل ومهانة.

سميّت السورة بـ (الصافات) تذكيراً للعباد بالملأ الأعلى من الملائكة الأطهار، الذين يصطفّون لعبادة الله خاضعين مستسلمين له يصلّون ويسبحون ولا ينفكّون عن عبادة الله تعالى.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة (الكواكب) في قوله تعالى (بزينة الكواكب)؟

الجواب:

الكواكب بدل من زينة.

السؤال الثاني:

ما أغراض البدل:

الجواب:

للبدل عدة أغراض منها:

١- أنْ يكون للإيضاح والتبيين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ ﴾[البقرة: ١٨٤] طعام مسكين إيضاح للفدية.

٢- قد يكون للمدح أو الذمّ، كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [العلق: ١٥-١٦] و﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين: ٣].

٣- قد يكون للتخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ [الصافات: ٦] الكواكب (بدل من زينة) مخصصة والزينة عامة. والبدل والمبدل منه لا يشترط تطابقهما تعريفاً وتنكيراً، مثل قوله تعالى: ﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾. وكذلك

في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥ – ١٦].

٤- التفصيل كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم: ٧٥].

٥- قد يكون للتفخيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: ٦٦] ما ذلك الأمر؟ أنّ دابر هؤلاء مقطوع.

٦- قد يكون للإحاطة والشمول، كما في قوله: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

٧- وقد يكون للتوكيد أيضاً.

وللبدل أنواع لا مجال لذكرها في هذا المقام منها: الاشتمال وغيره، نحو قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] قتال بدل اشتمال، وفي قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢ – ٣] نصفه: بدل (بعض من كُلّ). ولكل نوع من أنواع البدل دلالة وسياق.

السؤال الثالث :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الشياطين معروفون بالدهاء والحيلة؛ لذلك يصعدون إلى أماكن في السماء غير معينة، فإنْ وصلوا إلى أماكن للملائكة احترقوا، وإنْ لم يصلوا لم يفوزوا بمقصودهم. لذلك الذين يسلمون من الاحتراق هم الذين لا يصلون إلى مواضع الملائكة.

٢ـ تاريخياً كانت الشهب قبل مجيء النبي عليه السلام، والأقرب أنها كثرت في زمان النبي عليه السلام فصارت بسبب الكثرة معجزة.

٣ ـ نيران الشهب أقوى حالاً من الشياطين فتحرقهم مع أنّ أصلهم من النار، ألا ترى كيف يتأذى الإنسان إذا ضرب بالتراب، مع أنّ أصله من التراب؟ !!

٤ـ مقر الملائكة في السموات، والشياطين تقترب من السطح الأسفل من الفلك والمسافة بينهما كبيرة، وربما يقوّي الله سمع الشياطين حتى يسمعوا كلام الملائكة، وإذا سمع الشيطان رُمي بالشهب، وأفعال الله تعالى غير معللة، فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد.

السؤال الرابع :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ﴾؟

الجواب :

في آيات التزيين فإنّ الله سبحانه ينسب الخير إلى نفسه، وتزيين القبيح يبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨] وقال: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقد تجد في القرآن نحو ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ لغرض إقامة العقيدة الصحيحة ولكنْ لا تجد فيه، نحو [زينا لهم سوء أعمالهم] بذكر السوء، بل لا تجده إلا مبنياً للمجهول، والفرق ظاهر بين الأمرين.

وفي آيات القرآن تجد التالي :

في آية الحجرات ٧ أسند تزيين الإيمان في القلوب إلى ذاته سبحانه.

في آية آل عمران ١٤ بنى تزيين حب الشهوات للمجهول، ولم ينسبه إلى نفسه.

في آيات التزيين في الصافات والملك والحجر أسند التزيين الحسن إلى ذاته.

وفي [البقرة ٢١٢ـ والرعد ٣٣ـ والأنعام١٢٢ـ وفاطر٨ـ وغافر٣٧ـ والتوبة٣٧ـ والفتح ١٢] بنى تزيين القبيح للمجهول.

السؤال الخامس :

ما دلالة الكلمات التالية: الجن ـ إبليس ـ عفريت ـ شيطان ـ الجِنة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النمل ٣٩.



﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ في الآية؟

الجواب :

كلمة ﴿ يَسَّمَّعُونَ ﴾ فيها مبالغة ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [الصافات: ٨] يعني يريدون أقصى التسمع في أقصر وقت فقال: يسّمعون لأنّ (تسّمع) يحتاج وقتاً طويلاً، وهم يريدون الوقت القصير.

والله أعلم.



﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾؟

الجواب :

١ـ ﴿ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾ أي سرقها بسرعة، والشيطان يخطف بعض الأخبار ويحاول الفرار بها لكنْ هيهات له ذلك ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ أي كوكب ينقض عليه، و(ثاقب) أي: نافذ إلى هدفه بسرعة.

٢ـ إنْ قلت: لماذا لا يمنع بداية من استراق السمع؟

فالجواب :

هناك فرق بين أنْ يُمنع من الشيء أصلاً، وبين أنْ يناله ثم لا ينفذ به ولا يستفيد منه.

إنّ الله يُمكّنه من بعض الأخبار فيسمعها لكن تُعاجله الشهب من كل ناحية فتكون حسرته أعظم، لأنه تعب وتحمل المشاق ثم لم ينتفع بما سمعه فتكون حسرته أعظم.

السؤال الثاني :

قال في آية الحجر ١٨ : ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ وفي الصافات ١٠ ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ فما دلالة كل منهما؟ وهل يصلح استبدال أحدهما بالآخر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجر ١٨ .



﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الحرف ﴿ بَلْ ﴾ للإضراب عن الكلام السابق وبداية لكلام جديد.

٢ـ ﴿ عَجِبْتَ ﴾ بالفتح من العَجَب، وهو استغراب وقوع الشيء على خلاف نظائره، والرسول عجب من إنكارهم ومن كفرهم مع وضوح الأدلة الدامغة ووجود الأدلة المتتابعة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ السخرية هي الاستهزاء من الشيء، فهم يسخرون من النبي عليه السلام ومن المؤمنين.

٤ـ والكفار ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي إذا جاءتهم براهين أخرى يُعرضون عنها ويصرون على الإنكار، والكفار أيضاً ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي إذا رأوا دليلاً جديداً يبالغون في السخرية.

٥ـ الفرق بين (يسخرون) و (يستسخرون) أنّ الأولى: يسخرون هم بأنفسهم، وأمّا الثانية فيطلبون من الآخرين ممن لا يسخر أنْ يسخر.

والله أعلم.



﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ١٦ ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ ثم قال بعدها في الآية ٥٣: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾؟

الجواب:

١ـ أنّ القائل الأول في الآية ١٦ هو منكر للبعث في الدنيا.

٢ـ أنّ القائل الثاني في الآية ٥٣ هو في الجنة لثبوت إيمانه في الدنيا وموبخ لقرينه الذي كان ينكر ذلك في الدنيا ويقول متعجباً: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي لمحاسبون ومجازون ويقولها على سبيل الاستنكار.

واقرأ ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾[الصافات: ٤٨ – ٥٧].



﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ ﴾أي مسألة البعث ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾أي صيحة واحدة أو نفخة واحدة لا غير، وهي كافية أنْ تخرجهم من قبورهم دفعة واحدة أي لن نذهب إلى كل واحد منهم ونوقظه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أي هكذا مباشرة فهي مفاجأة والأمر لن يستغرق طويلاً، وأول ما يقومون من القبور ينظرون وسيرون أمراً عجيباً لا عهد لهم به وسيُفاجئهم ما كانوا يكذّبون به في الدنيا، فهذا يوم الدين و ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الصافات: ٢١].

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الويل والويلة في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ الويل هو العذاب والحزن والمشقة، وأمّا الويلة فهي الفضيحة.

٢ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال (الويلة) في القرآن لوجدناها كلها في مواطن الفضيحة، كما في الآيات: [هود ٧٢ـ الكهف٤٩ـ المائدة ٣١ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما الكلمات التي تتعلق بالمنظومة القضائية في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٩٣.



﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الزوج والبعل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٨.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المحشور ثلاثة:

أ ـ الذين ظلموا جزاء ظلمهم.

ب ـ أزواجهم في الدنيا الذين كانوا يعينون أزواجهم على الظلم كامرأة أبي لهب.

ج ـ وما كانوا يعبدونه من دون الله.

٢ـ كلمة (زوج) تعني المفرد ومعه مثله، فلا نقول على الرجل والمرأة زوج إنما زوجان، الرجل زوج والمرأة زوج، ومثلها كلمة توأم، فكل منهما يسمى توأماً، وهما معاً توأمان.

٣ـ قد يُراد بأزواجهم نظائرهم وقرناؤهم الذين أضلوهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾أي احبسوهم للسؤال والحساب. وهذا السؤال سيكون فردياً لا جماعياً، فكل واحد سيُسأل وسيُناقش.

وفي السؤال تبكيت للنفس قبل أنْ يُبكتهم الله الذي كفروا به، وساعة يعاينون البعث وموقف الحساب يُبكتون أنفسهم ويندمون ساعة لا ينفع الندم.

نسأل الله تعالى المغفرة والرحمة وحسن السؤال بين يدي العزيز الجبار.

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٥.

السؤال الرابع :

كيف الجمع بين آية الرحمن ٣٩ ـ وآية الحجر ٩٢ ـ وآية الصافات ٢٤ ـ وآية الأعراف ٦ ـ وآية الزخرف ٤٤؟.

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين السبيل والصراط؟

الجواب :

انظر الجواب في الفاتحة ٧ و آية الأنعام ١٥٣.



﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف الجمع بين معاني الآيات المؤمنون ١٠١ ـ الصافات ٢٧ ـ عبس ٣٤؟

الجواب :

١ـ معنى آية المؤمنون: أي لا أنساب بينهم تنفع كما كانت تنفع في الدنيا.

٢ـ في القيامة مواطن، ففي بعضها لا يتساءلون لاشتغال كلٍّ بنفسه وفي بعضها يتساءلون.



﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى حق القول؟

الجواب :

انظر الجواب في آية السجدة ١٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ معنى ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا ﴾ أي وقع ووجب على التابع والمتبوع. والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير. وهذا المعنى ورد في القرآن الكريم بأساليب ثلاثة :

أـ ﴿ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ [هود: ٤٠].

ب ـ ﴿ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ [يس: ٧].

ج ـ ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾[النمل: ٨٢].

وقالوا إنّ كلمة (وقع) لم تُستخدم إلا في الشر، ما عدا مرة واحدة استخدمت في الخير، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[النساء: ١٠٠].

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ ولم يقولوا معذّبون أو محرّقون لأنّ العذاب أو الإحراق يمكن أنْ ينته، أمّا الإذاقة فهي دائمة مستمرة، ومن مظاهر ذلك تبدل الجلد كلما نضج؛ ليذوقوا العذاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي نحن كنا غاوين، فلماذا نترككم للهداية والإيمان، ولا بدّ أنْ تشربوا معنا من نفس الكأس، وهذا هو منطق أستاذهم إبليس، فلمّا عصى وطُرد من رحمة الله أقسم أنْ يُضل معه ذرية بني آدم ليكونوا مثله في الضلال.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي هذه سنة الله في المجرمين المكذبين الذين يكذّبون بالله الواحد الأحد.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ في الآية؟

الجواب :

(المخلَصين) بفتح اللام من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أمّا المخلِصين بكسر اللام فتعني: من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته.



﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ في سورة الواقعة، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ في سورة الصافات؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ وفي سورة الصافات ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

كلمة (يُنزِفون) من أنزف، ولها معنيان: (أنزف يُنزف) بمعنى سكِر وبمعنى نفد شرابه وانقطع، ويقال: أنزف القوم إذا نفد شرابهم وهو فعل لازم غير متعد. بينما كلمة (يُنزَفون) فهي من الفعل (يُنزَف)، وهوفعل متعدٍّ معناه: سكِر وذهب عقله من السكر.

إذا استعرضنا الآيات في السورتين وجدنا ما يلي:

سورة الواقعة	سورة الصافات
وردت (يُنزفون) في السابقين وشرح أحوال السابقين وجزائهم ونعيمهم في الجنّة. وهم قِلّة وفي درجات عليا.	ورد(يُنزَفون) في عباد الله الآخِرين، وهم أقلّ درجة من السابقين.
﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ في الآية تخيير وزيادة لحم طير.	﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لا يوجد تخيير هنا.
﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ التقريب هو الإكرام وزيادة.	﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦ ﴾ التنعّم هنا أكثر: موضونة، اتّكاء، تقابل.	﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝٤٤ ﴾ لم يذكر إلا التقابل فقط.
﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ ﴾ تحديد الولدان المخلدون.	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم ﴾ الفاعل مبني للمجهول ولم يُحدد.
﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ ﴾ زيادة وتنويع في الأواني لتنوع الأشربة.	﴿ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ ﴾ كأس واحد فقط.
﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ ﴾ لا يصيبهم صداع. ونفي الصداع نفي لما هو أكبر وهو الغول. والآية تدل على أنّ خمر الجنة لا تُسكر ولا ينقطع الشراب، فالتكريم هنا أعلى من سورة الصافات.	﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ الغول إمّا للإفساد والإهلاك وإمّا اغتيال العقول، وهي لا تهلك الجسم ولا تفسده ولا تسكره. ونفي الغول لا ينفي الصداع. وإذا كان المقصود بالغول إفساد العقول فالغول و(ينزفون) بمعنى واحد، لكنّ الأول يكون صفة المشروب والثانية صفة الشارب
﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ ﴾ ذكر صنفين والوصف هنا جاء أعلى.	﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ صفة واحدة من صفات حور الجنة ﴿ بَيْضٌ

	تَمَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.
﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نفي لسماع أي لغو ولم ترد في الصافات.	لم يرد شيء عن نفي سماع اللغو.
﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ بما أن يُنزفون مبنية للمعلوم ناسب أنْ يقال (يطوف عليهم) مبنية للمعلوم أيضاً.	﴿ يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ مبنية للمجهول، فناسب أن يقال ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم ﴾ مبنية للمجهول.

ففي سورة الواقعة إذن دلّ السياق على الإكرام وزيادة، والسُرر وزيادة والكأس وزيادة، والعين وزيادة، ونفي السُكر وزيادة، ونفي اللغو وزيادة.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ٤٦ : ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ قال: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ولم يقل لذيذة، إنما قال: ﴿لَذَّةٍ﴾أي هي في ذاتها لذة، وكأنّ اللذة تجسدت في هذا الكأس، كما تقول: فلان عادل، فإذا أردت المبالغة في الوصف قلت: فلان عدل.

٢ـ ووصف القرآن خمر الآخرة بأنها ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ لأنّ البيضاء هي أصفى أنواع الخمر عند العرب.

ووصفها ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ليُفرّق بينها وبين خمر الدنيا؛ لأنّ خمر الدنيا لا تُشرب لذة، بل يوضع القليل منها في الكأس ثم تصب في الفم صباً ويتناولها صاحبُها على مضض لكراهية طعمها، ولذلك يتناولون بجانبها ما يغيرون ذاك الطعم المر الكريه ويسمونه: مازات.

وخمر الدنيا يشربونها لا للذة في تعاطيها، وإنما للأثر الذي ينشأ منها فتغيب متعاطيها عن عقله واتزانه الذي يُعد حارساً على الحركة، وهم يريدون الانطلاق والحرية من هذا الحارس.

أمّا خمر الآخرة فلا يجمعها مع خمر الدنيا إلا الاسم فقط؛ لأنّ خمر الآخرة لذة في شربها ولا تذهب بالعقل ولا تغتاله ولا ينفد.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ٤٧ : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما الفرق بين النفي بـ(ما) و(لا)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٦.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾؟

الجواب :

أهم أغراض تقديم الجار والمجرور على المبتدأ هو الاختصاص والحصر، كقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾، وكما في هذه الآية: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾.

السؤال الخامس :

ما دلالة الآيتين ٤٨ـ٤٩ من سورة الصافات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ﴾ يفيد الحصر، أي عندهم لا عند غيرهم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ أي زوجات تغض بصرها فلا تنظر إلى غير زوجها. وهذا المقياس جعله الله للمؤمنة في الدنيا وهي كذلك في الآخرة، فكأنّ الحق سبحانه يُطمئن الأزواج على هذه الخصوصية ويؤكد أنّ الزوجة لا يشاركه فيها أحد ولو حتى بالنظرة.

٣ـ معنى ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ جمع عيناء، وهي واسعة العينين مع حُسنهما.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ شُبهن ببيض النعام؛ لأنها أكبر وأجمل في اللون.

ويقولون لمن يحمي القبيلة ونساءها: يحمي بيضتها؛ لذلك وصف البيض بأنه مكنون مصون مستور لم تمتد إليه يد.

السؤال السادس :

هل ذُكرت الحور العين في كل السور مع ذكر الجنات في السورة؟ ولماذا عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين؟

الجواب :

١ـ كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات. وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات :[الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات :[الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة: ٦٦ مرة.

جنات: ٦٩مرة.

جنتك: ٢ مرتان.

جنته: ١ مرة واحدة.

جنتي: ١مرة واحدة.

جنتان: ٣ مرات.

جنتين: ٤ مرات.

٢ـ ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّـرَةٌ ﴾ وكما في الآيات: [البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

القرين الذي ورد ذكره في عدة آيات في القرآن الكريم، هل هو الوسواس أو هل هو قرين السوء، أم هناك قرين غير السوء فهل يمكن توضيح ما هية القرين؟

الجواب :

قد يكون القرين من الإنس ومن الجن كما وضح ربنا تعالى، والقرين هو المصاحب. قال تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ هذا إنس.

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ هذا شيطان إنس.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦] هذا من الجن.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [فصلت: ٢٥] وقوله: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ق: ٢٣] فيجوز من الإنس والجن، لكنّ الدلالة واحدة وهي المصاحبة.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ١٦ ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ ثم قال بعدها في الآية ٥٣ : ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ما دلالته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ١٦.



﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الغرض من القسم في الآية؟ وما أحرف القسم؟

الجواب:

١ـ الغرض من القسم توكيد الكلام وتقويته، وكذلك الحلف. وقد استعمل القرآن الكريم اللفظين القسم والحلف.

لكنْ كل قسم جاء في القرآن بلفظ: الحلف، ففيه معنى الحنث أو الحلف الكاذب. وأمّا القسم فهو عام استعمله القرآن في الكذب، نحو:[التوبة ١٠٧ ـ المجادلة ١٤] وفي الصدق نحو: [الواقعة ٧٥ـ٧٦].

والقسم نوعان :

أ ـ ظاهر صريح يستدل عليه بحرف القسم.

ب ـ مضمر غير صريح، وهو ما دلت عليه اللام ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٢ـ أحرف القسم :

الواو: وهي أكثر هذه الحروف استعمالاً في القسم.

الباء: نحو﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

التاء: وهي مختصة بلفظ الجلالة، وفيها معنى التفخيم، وهي آكد من الواو [الأنبياء ٥٧].

ألفاظ أخرى نحو: لعمرك ـ أيمن الله ـ عَمْرَكَ الله ـ قعدَك الله.



﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الكلمات التي تصف جهنم من الداخل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٥٩.

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

شبّه الله تعالى شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، مع أنّ الأصل في التشبيه أنْ يكون المشبه به معلوماً، لكنْ في الآية تشبيه غير معلوم بغير معلوم فما الحكمة من ذلك؟

الجواب :

هذا التشبيه موجود في اللغة، ويكون مجهولاً بمعلوم. لكنْ في القرآن نقرأ قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ شبه مجهولاً بمجهول وهذا موجود في اللغة: تشبيه عقلي بعقلي، تشبيه خيالي، موجود معلوم بخيالي. والبيت المشهور:

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ... ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوالِ

من رأى الأغوال؟ الغول له صورة، والإنسان يتخيله والشيطان أيضاً نتخيله.

إني رأيــت عجبــاً مــذ أمســى ... عجــائزاً مثــل الســعالي خمســا

يــأكلن مــا في رحلهــن همســاً ... لا تــرك الله لهــن ضرســا

والأطفال عندنا يخوفونهم بمخلوقات غريبة لا وجود لها، فهذا التشبيه موجود في اللغة.

والقرآن الكريم دائماً يقرب الصورة للأذهان؛ ليذهب الذهن في قبح هذه الصورة ما يذهب، فيتكلم عن شجرة الزقوم ولم نرها، ويتكلم عن رؤوس الشياطين ولم نر شجرة الزقوم ولم نر رؤوس الشياطين، إذن هو يتكلم عن أمر مغيّب لكي يبين لنا قبح

الصورة، فكيف تتخيل رأس الشيطان؟ أنت تتخيل ما شئت من السوء. فالتشبيه هنا من حيث قبح المنظر، أمّا الطعم فهذا شيء آخر.



﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين وجدنا وألفينا في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ ما منظومة كلمات السرعة في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٥٤.



﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ظاهرة تذكير وتأنيث كلمة(العاقبة) في القرآن الكريم؟

الجواب :

تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم. فإذا قصدنا باللفظ المؤنّث معنى المذكّر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بالحمل على المعنى.

وبالنسبة لكلمة (العاقبة) تأتي بالتذكير مرة وبالتأنيث مرة، وعندما تأتي بالتذكير تكون بمعنى (العذاب)، وقد وردت في القرآن الكريم ١٢ مرة بمعنى العذاب أي بالتذكير، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١١] و﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٤] و﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات: ٧٣].

وعندما تأتي بالتأنيث لا تكون إلا بمعنى (الجنّة)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القصص: ٣٧].



﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ سبق في الآية ٧٢ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي لم نتركهم على غفلتهم، بل أرسلنا إليهم الرسل تنذرهم وتحذرهم، وهذا على الإجمال.

٢ـ ثم بدأ بسيدنا نوح عليه السلام، قالوا لأنّ لنوح خاصية، فالمؤمنون به هم وحدهم الموجودون في العالم كله، فكأنّ له عمومية رسالة بخصوص الموضوع، ورسول الله ﷺ له عمومية رسالة لكن في عموم الموضوع.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي أنّ نوحاً عليه السلام كان نعم الداعي استنفد كل وسائله في دعوة قومه ولم تفلح، فلا بدّ أنْ يُقابل بنعم المجيبون ولم يقل: فلنعم المجيب؛ لأنّ الحق سبحانه يجيبه بجنوده في الأرض مثل الهواء والماء والملائكة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فكانت نتيجة هذه الإجابة قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾.

٤ـ ثم تبع ذكرُ نوحٍ عليه السلام ذكرَ سيدنا إبراهيم عليه السلام في آية الصافات٨٣.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين سلام والسلام؟

الجواب :

السلام معرفة. والمعرفة ما دلّت على أمر معين، والأصل في النكرة العموم. إذن كلمة (سلام) عامة، وكلمة (السلام) في أمر معين.

عندما نقول: رجل، يعني أيّ رجل وعندما نقول: الرجل، نقصد رجلاً معيناً، أو تعريف الجنس. والأصل في النكرة العموم والشمول.

إذن ﴿ سَلَٰمٌ ﴾أعم؛ لأنها نكرة، وربنا سبحانه وتعالى لم يجيئ إلا بالتنكير في القرآن كله، مثل: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ﴾ [النمل: ٥٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الصافات: ٧٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٢٠] وحتى في الجنة ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨] وحتى الملائكة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الزمر: ٧٣].

وربنا تعالى لم يجيئ هو إلا بالتنكير؛ لأنه أعم وأشمل كل السلام، فلا يترك منه شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ ﴾ هذه تحية ربنا على يحيى. وأمّا الآية الأخرى ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ﴾ فهذه عيسى عليه السلام سلّم على نفسه، وليس من عند الله سبحانه وتعالى. والتعريف هنا (السلام) أفاد التخصيص. ويقولون تعريض بالذين يدعون أنّ مريم كذا وكذا، فقال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ﴾ ففيه رد على متهمي مريم عليها السلام.

السؤال الثاني :

ما إعراب ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ في الآية ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾؟

الجواب :

سلامٌ: مبتدأ، وصح الابتداء به؛ لأنه دعاء (لا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تُفِد) الإفادة هنا في كونها دعاء، فإذا كانت دعاء يجوز الابتداء بها ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

السؤال الثالث :

جاء ذِكر ستةٍ من الرسل في سورة الصافات، ورد مع أربعة منهم كلمة (سلام) وهم ﴿ نُوحٍ ﴾ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ﴿ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ولم يرد ذلك مع لوط ويونس، على رسولنا وعليهم جميعاً الصلاة والسلام فما دلالة ذلك؟

الجواب :

لو نظرنا في السورة سنجد أنه مع كل نبي يكون مع ذكره حديث عن شخصه وعما جرى معه، و تُذكر أحياناً ذريته، ثم يقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

إلا مع سيدنا لوط وسيدنا يونس فنجد أنّ الكلام جرى حوله قليلاً، ثم انتقل الكلام إلى حال أمته بحيث ابتعد الكلام عنه، ولم يعد من المناسب أنْ يأتي كما مع سيدنا نوح ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ وعُوّض ذلك في آخر السورة بالسلام عليهما مع الجميع بقوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ وبيان ذلك :

١ـ لم يخصّ الله سبحانه وتعالى لوطاً ويونس عليهما السلام في نفس الموضع وإنما ابتعد، وسبب الابتعاد هو البناء اللفظي الذي سنقف عنده لكنْ مع هذا هناك شيء

يتبادر للذهن ولا نجزم به، وهو أنّ لوطاً عليه السلام بدرت منه كلمة هي قوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠] وفي الأحاديث الصحيحة أنّ الرسول عليه السلام قال: «**رحم الله لوطاً (وفي رواية غفر الله للوط) لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»، كان يأوي إلى الله عز وجل، فكيف يقول: أو آوي إلى ركن شديد؟

وفي مسند أحمد في تفسير الحديث أنه كان يقصد عشيرته أي ما عنده عشيرة قوية يأوي إليها، فيمكن أنْ يكون هذا من أسباب تأخير السلام عليه فاختلف عن سائر الأنبياء، قد يكون هذا ولا نجزم بهذا.

٢ـ أمّا يونس عليه السلام فقد ترك مجال الدعوة وذهب مغاضباً وهو مأمور أنْ يدعو قومه في ذلك المكان، لكنه يغضب ويترك ويقول لقومه: إنه لا ينفع معكم شيء، ويركب في السفينة، وعوقب في وقتها، فقد يكون هذا أيضاً. لكنّ السياق القرآني ابتعد عن مجال التسليم عليه.

٣ـ هل نُظم القرآن الكريم بهذه الطريقة بحيث يبتعد التسليم عليهما إلى آخر السورة؛ لأنه قال: إنهما عليهما السلام من المرسلين ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ ثم قال في آخر السورة:

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ كلهم؟

أ ـ في قصة يونس عليه السلام الواردة في الصافات ذَكر القرآن عنه عدم الأَوْلى من فعله، فقال: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ أبق أي فر هارباً، ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ

﴿١٤٢﴾ ﴾ مليم يعني أتى فعلاً يستحق اللوم، أمّا مُلام يعني أنت تلومه، هذا اسم مفعول، مليم اسم فاعل من (ألام) إذا فعل فعلاً يُلام عليه، يستحق اللوم.

وربنا قال عن فرعون: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٠].

وقال في الصافات عن يونس عليه السلام: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ فلمّا ذكر عدم الأَولى والمؤاخذات عليه، هل يقول: (سلام على يونس)؟! يعني لا يناسب بعد ذكر هذه المؤاخذات أنْ يقال له: (سلام على يونس).

علماً أنّ الله تعالى أدخلهم فيما بعد حينما قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ فدخل فيه يونس ولوط، هذا بالنسبة ليونس عليه السلام والله أعلم.

ب ـ أمّا بالنسبة للوط عليه السلام فإنّ قومه فعلوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وهي حساسة يُستحيا من ذكرها ولا تكاد تذكر، لوط لم يؤمن به أحد من قومه، ولم ينج من قومه أحد يذكره بالخير فيما بعد وكلهم أهلكوا وما نجا إلا هو وابنتاه فقط، فلا يستقيم أنْ يقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ لذلك لم يرد معه تلك الآية. فقال تعالى فيما بعد: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

ج ـ والمسألة الأخرى، نرى ماذا ذكر تعالى في لوط في الصافات نفسها، لم يذكر أنه دعا قومه إلى شيء ولا حمل رسالة إليهم بخلاف الذين ذكر فيهم ذلك، كل ما قال في لوط: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ لم يذكر أنه دعا قومه إلى شيء.

بينما الآخرون ذكر دعوتهم، إبراهيم دعا قومه وحاولوا حرقه، لكنْ ما ذكر هذا مع لوط؛ ولذلك لم يذكر ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ مثل الأنبياء الآخرين، وبيان ذلك:

١ ـ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٢٥) ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٢٦)﴾ ذكر مع إلياس دعوته فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾.

٢ ـ مع نوح عليه السلام قال: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ (٧٧)﴾ جعل ذريته هم الباقين والذرية تذكره فقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ (٧٨)﴾ إضافة إلى أنه قال:

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥)﴾ نادانا يعني دعانا، ولم يذكر مع لوط أنه دعا من هو نعم المجيب، وربنا سبحانه وتعالى من نعمة الإجابة أنْ يترك عليه في الآخرين. إذن ليس فقط أجبنا وإنما نعم المجيب، فنوح دعا وربنا أجاب ونعم المجيب فقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ (٧٨)﴾. والله أعلم.

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين أتباع وأشياع؟

الجواب:

الأشياع هم أتباع الرجل على جماعة واحدة، والأتباع هم أنصار الرجل لكن ما الفرق؟

١ـ الأتباع أنصار أيضاً، لكنّ الأشياع أعمّ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ ﴾ [القمر: ٥١] والمخاطَب هو في زمن الرسول ﷺ أشياعهم أي الأمم السابقة، ونحن أشياع سيدنا محمد ﷺ وأتباعه المؤمنون الذين كانوا معه وقتها.

٢ـ القرآن الكريم لم يستعمل التبع إلا من كان مع الرسول عليه السلام وقتها، وكل أتباع الرجل من كان معه، كما في الآية: ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا ﴾ [إبراهيم: ٢١].

بينما الأشياع ليس بالضرورة واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر فالقرآن تكلم عن سيدنا نوح عليه السلام ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ثم قال: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾[الصافات: ٨٣] أين إبراهيم عليه السلام من نوح عليه السلام؟ من

شيعته أي من شيعة نوح، صحيح الفروع مختلفة لكنّ أصل الرسالة واحد. وسيدنا نوح عليه السلام كان أسبق بكثير من إبراهيم.

فالأشياع أعمّ من الأتباع، الأتباع من كانوا معه فقط ولا يستعمل للمتأخر. التبع يكون معه، والأشياع عامة، وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من التبع.

السؤال الثاني :

لماذا الاختلاف في التعبير في قصة إبراهيم في سورة الصافات ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾؟

الجواب :

في الأولى استعمال ﴿مَاذَا﴾ وهي أقوى؛ لأنّ إبراهيم لم يكن ينتظر جواباً من قومه، فجاءت الآية بعدها ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾، وأمّا في الشعراء فالسياق سياق حوار، فجاء الرد ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾. إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (مَن) و(ما).

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية الشعراء ٧٠.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ بدأ القرآن التفصيل بذكر الأنبياء بعد أنْ أجملهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢﴾ [الصافات: ٧٢] فذكر أولاً سيدنا نوحاً عليه السلام، ثم بدأ هنا بسيدنا إبراهيم عليه

السلام، والعلة في ذلك ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ لأنّ سلامة القلب هي الأساس في الدين وفي العقيدة.

وإبراهيم عليه السلام هو صاحب القلب الذي فُطر عليه أولاً، وبقي كما هو لم يتغير فعاش به وجاء به إلى ربه في الدنيا، لذلك يظفر به في الآخرة، كما قال تعالى في سورة الشعراء ٨٩: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٢ـ ونلاحظ من كلمة (جاء) أنّ إبراهيم عليه السلام لم ينتظر أنْ يأتي إليه رسول يدعوه وإنما أقبل على الله بنفسه، وجاء بفكره يبحث ويتأمل في ملكوت السماوات والأرض إلى أنْ اهتدى إلى الله، ولذلك قدّمه الله تعالى لمعشر الإيمان بهذه البرقية الموجزة: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾[النحل: ١٢٠] أي أنّ إبراهيم عليه السلام قد حاز كل المواهب التي في أمة كاملة، فهو لذلك يعدل أمة.

ولذلك استحق عليه السلام أنْ يُريه الله تعالى ملكوت السماوات والأرض فالناس جميعاً يكتفون بعالم المُلك، أمّا هو فقد تجاوز هذا العالم إلى عالم الملكوت وجرّد نفسه عن شبهة اليقين بأحدٍ غير الله.

ودليل ذلك أنه لمّا أُلقي في النار جاءه المَلَكُ يعرض عليه المساعدة، ألك حاجة؟ فيقول سيدنا إبراهيم عليه السلام بما لديه من رصيد الإيمان واليقين بالله: أمّا إليك فلا. يقولها في هذا الوقت العصيب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ أي أنّ إبراهيم عليه السلام كان من شيعة سيدنا نوح عليه السلام، أي من أتباعه الذين ساروا على دربه.

السؤال الرابع :

كم مرة وردت كلمة ﴿لِأَبِيهِ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة ﴿لِأَبِيهِ﴾ وردت في القرآن عشر مرات منها :

أ ـ مرة واحدة لسيدنا يوسف عليه السلام ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ..﴾.

ب ـ ثماني مرات لسيدنا إبراهيم بداية من الأنعام إلى سورة الممتحنة بالوصف فقط بدون ذكر آزر.

ج ـ مرة واحدة لسيدنا إبراهيم جمع فيه بين الوصف والاسم في سورة الأنعام ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ لتشعرنا بشيء معين أنّ آزر لم يكن الأب الحقيقي أي الوالد لسيدنا إبراهيم وإنما هو عمه، فالقرآن يسمي العمّ أباً، كما في قوله تعالى:

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣].

ومعلوم أنّ إسماعيل أخو إسحاق، ومع ذلك أدخله في جملة الآباء بالنسبة لسيدنا يعقوب على نبينا وعليهم جميعاً الصلاة و السلام.

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿ فَتَوَلَّوْا ﴾ ما كلمات منظومة الترك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.



﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين البناء والبنيان في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

قال: ﴿ بُنْيَانًا ﴾ ولم يقل: بناء، والقرآن فرّق في الاستعمال بين البناء والبنيان فاستعمل (البناء) للسماء، كما في آيتي [البقرة ٢٢ ـ وغافر ٦٤] واستعمل (البنيان) لما بناه البشر، كما في آيات [الكهف ٢١ ـ الصافات ٩٧ ـ التوبة ١٠٩].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الأنبياء ٧٠: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ وفي الصافات ٩٨ ﴿ فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ في الأنبياء: أنهم أرادوا كيده بإحراقه فأنجاه الله تعالى وأهلكهم فخسروا الدنيا والآخرة.

٢ـ في الصافات قالوا: ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ ﴾ أي من فوق البناء في الجحيم، فناسب ذكر الأسفلين لقصدهم العلو، فخيبهم الله وجعلهم من الأسفلين. والله أعلم.



﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ معناه أنه ذاهب لنصرة دينه وإلا فربه موجود معه، أو مهاجر إلى أي مكان حيث أجد من يسمعني ويستجيب لدعوتي، وما دمت ذاهباً إلى ربي فإنه ﴿سَيَهْدِينِ ﴾ إلى المكان المناسب لدعوتي، وقيل هي الشام؛ لأنها أرض مباركة. ومعني ﴿سَيَهْدِينِ ﴾أي سيثبتني على الهدى ويزيدني هدى.

٢ـ لم يقل: رب هب لي الصالحين، وإنما ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ فأراد من ذريته من هو صالح ضمن صلاح غيره. أي هو يريد الصلاح لذريته وللآخرين، فاستجاب الله له بقوله:

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ وفعلاً ظهر هذا الحلم في أول اختبار يتعرض له خلال مسألة منام أبيه بذبحه.

٣ـ دلت هذه الآية على أنّ الموضع الذي يكثر فيه الأعداء تجب مهاجرته كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام.





﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في وصف الله تعالى إسماعيل بـ (الحليم) كما في آية الصافات١٠١ ووصف إسحق بـ (العليم) كما في آية الحجر٥٣ وآية الذاريات٢٨؟

الجواب :

وصف الله تعالى في القرآن إسماعيل بـ (الحليم) مرة واحدة، كما في آية الصافات١٠١ ووصف إسحق بـ (العليم) مرتين، كما في آية الحجر٥٣ وآية الذاريات٢٨.

وقد وصف الله سبحانه (إسماعيل) بأنه سيكون حليماً وهو مايزال غلاماً والحلم عادة هو ما يتكون عند الرجل الواعي الذي يستطيع أنْ يقدّر الأمور

١ـ صفات إسماعيل التي ذُكرت في القرآن تقتضي وصفه بالحلم، وذلك :

أ ـ علاقة إسماعيل مع أبيه في قضية ذبحه﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ فتجلّى منه هذا الحلم وهو غلام، وأي حلم يكون أعظم من ولد عرض عليه أبوه الذبح ثم استسلم له.

ب ـ علاقة إسماعيل مع أبيه في بناء البيت ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾.

ج ـ أبوه إبراهيم عليه السلام كان موصوفاً بالحلم كذلك، كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة ١١٤، فجاء الولد موصوفاً بالحلم وأنه قائم مقام أبيه في صفات الحلم والفضيلة.

د ـ كان إسماعيل (صادق الوعد) في التبليغ للآخرين وفي الرسالة ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤] وجاء ذلك بالصيغة الاسمية وهذه الأمور تقتضي علائق اجتماعية وفيها يظهر الحلم أو غيره، فوصفه بالحلم لذاك.

أمّا إسحاق فلم يذكر له علاقة بالآخرين، وقد وصفه الله بـ (العلم)، والعلم لا يقتضي مثل تلك العلائق.

٢ـ إنّ الله تعالى عندما يذكر صفات الأنبياء يذكر صفةً بارزة لكل نبي منهم، لكْن هذا لا ينفي باقي الصفات عن كل نبي، فإذا ذكر الحلم فذلك لا ينفي العلم، وقد وصف الله إبراهيم عليه السلام بأنه أواه منيب وحليم. والصفة البارزة في إسماعيل هي (الحلم) وقد أخذها عن أبيه، أمّا إسحاق فهي ليست كذلك.

٣ـ أنه في تبشير إبراهيم بإسماعيل جاءت البشارة مباشرة من الله، كما في آية الصافات١٠١ ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

أمّا في البشارة بإسحق فهي جاءت على لسان الملائكة ولم تكن مباشرة من الله تعالى لإبراهيم. قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات: ٢٨] وفي الحجر ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾[الحجر: ٥٣].



﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع (أرى) في قوله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾؟

الجواب :

١ـ أولاً رؤية إبراهيم عليه السلام كما يُنقل لم يرها مرة واحدة وإنما تكررت ثلاث ليال.

٢ـ والأمر الآخر هو أنّ الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي فيما نسميه حكاية الحال، كما يُعبّر عن الماضي للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ قال: (تقتلون) وقال معها (من قبل).

وحكاية الحال هو أنْ يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع للشيء المهم كأنْ يجعله حاضراً أمام السامع. واستحضار الصورة في القرآن كثير وفي غير القرآن، فكأنّ الرؤية التي رآها إبراهيم عليه السلام لأهميتها استحضرها فاستخدم الفعل بصيغة المضارع.

والأمثلة في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾[الكهف: ١٨] مع أنّ الأحداث انتهت ومضت وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[البقرة: ١٠٢] وهما علّما الناس وانتهى الأمر.

٣ـ الواقعة معروفة مشهورة عند المسلمين كيف أنّ إبراهيم عليه السلام رأى في المنام أنّ عليه أنْ يذبح ولده إسماعيل، ورؤى الأنبياء كما ورد في الصحيح وحي. والنبي ﷺ إذا رأى شيئاً في المنام فهو وحي من الله سبحانه وتعالى. وأي صورة من صور الوحي بأنْ يكلّم في المنام بأمر فينبغي أنْ ينفذه.

٤ـ ولأنّ الأمر في غاية الخطورة: ذبح الابن والابن الوحيد الذي انتظره طويلاً أو الابن الثاني بعد إسحق من هذه المرأة أيّاً كان، وتكررت الرؤيا ثلاث مرات كما يذكر علماؤنا في ثلاث ليال متتابعة يرى الرؤيا نفسها وكان هناك هاتف يهاتفه يقول له: اذبح ولدك.

فلمّا تكررت الرؤيا ثلاث مرات لم يأمن أنْ تتكرر أكثر، فأراد أنْ يبيّن لولده أنّ هذه الرؤيا مكررة ومستمرة فاستعمل الفعل المضارع الذي يناسب هذا الاستمرار ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ ولو قال: (إني رأيت) كان مرة واحدة، لكنْ لمّا قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ ثبتت الرؤيا، وهي مكررة ورؤيا الأنبياء في الأصل وحي من الله تعالى حق.

٥ـ ﴿أَذْبَحُكَ﴾ بالمضارع يعني عليّ أنْ أقوم بهذا الأمر. وكان الجواب ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ لأنه أدرك أنّ هذا أمر من الله عز وجل ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ وليس سهلاً أنْ يُذبح الإنسان.

٦ـ استعمال الفعل ﴿أَذْبَحُكَ﴾ لأنّ هذا الذي طُلب إليه، ولم يُطلب منه خنقه أو دفنه في التراب، وإنما طُلِب إليه أنْ يأخذ السكين ويُمِرّها على رقبة ولده. وهذا ليس بالأمر السهل، وإنما امتحان عظيم لأبي الأنبياء إبراهيم، وقد نجح في الامتحان ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.



﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

السؤال الأول :

كل الرسل ناداهم الحق بالمشخّص العَلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص ولكن رسول الله ﷺ ما ناداه باسمه أبداً، إنما ناداه بالوصف الزائد عن مشخصات الذات فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٤١.



﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ضمير الفصل ﴿لَهُوَ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٦٢.



﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء ذِكر ستةٍ من الرسل في سورة الصافات، ورد مع أربعة منهم كلمة سلام، وهم ﴿نُوحٍ﴾ ﴿إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ ﴿إِلْيَاسَ﴾ ولم يرد ذلك مع لوط ويونس، على رسولنا وعليهم جميعاً الصلاة والسلام فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ٧٩.

السؤال الثاني :

قوله تعالى عن إبراهيم في الآية ١١٠ : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ وعن موسى وهارون في الآية ١٢١ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ وعن إلياس في الآية ١٣١ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ فلماذا؟

الجواب :

في قصة إبراهيم حيث تقدّم في الآية ١٠٥ ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ فكفى عن الثانية وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

بينما لم يتقدم مثل ذلك في بقية المواضع، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.



﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل الماضي (بشرناه) في قوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾؟

الجواب :

هو لم يأت بعد ولكنْ باعتبار ما سيكون، كما في قوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] التحليق والتقصير يكون بعد أنْ يتموا العمرة وليس عند الدخول.

هذه حال محكية يتكلم عن أمر قد مضى. وهي حال مقدرة مستقبلة؛ لأنّ الحال أكثر ما تكون مقارِنة، وقد تكون مقدرة أوقد تكون محكية بحسب الزمن، والحال المحكية تكون للماضي والمقدرة للمستقبل.



﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢١) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تنكير السلام في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ١٥.

السؤال الثاني :

قوله تعالى عن إبراهيم في الآية ١١٠: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) ﴾ وعن موسى وهارون في الآية ١٢١﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢١) ﴾ وعن إلياس في الآية ١٣١ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) ﴾ فلماذا؟

الجواب :

في قصة إبراهيم حيث تقدم فيها في الآية ١٠٥﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) ﴾ فكفى عن الثانية، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) ﴾.

بينما لم يتقدم مثل ذلك في بقية المواضع، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.



﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المراد بصيغة الجمع ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ في قوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الصافات: ١٢٥]؟

الجواب:

الخلق له معنيان: إمّا الخلق ابتداءً، وهذا خاص بالله سبحانه وتعالى. والخلق بمعنى التقدير، وهذا ليس خاصاً بالله ويقال للبشر كذلك، كما قال على لسان عيسى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فإذن الخلق ليس مختصاً بالله في قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾، الخلق ابتداء خاص بالله تعالى، والخلق بمعنى التقدير تقال للبشر.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿بَعْلًا﴾ في الآية؟

الجواب :

(بعل) في الآية هو اسم علم لصنم من ذهب كانوا يعبدونه كمناة وهبل وكان في مدينة بعلبك في لبنان، ولربما اشتق اسمها من اسمه. وهي غير بعل بمعنى الزوج.

والله أعلم.



﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء ذِكر ستةٍ من الرسل في سورة الصافات، ورد مع أربعة منهم كلمة سلام، وهم ﴿ نُوحٍ ﴾ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ﴿ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ولم يرد ذلك مع لوط ويونس، على رسولنا وعليهم جميعاً الصلاة والسلام، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ٧٩.

السؤال الثاني:

قوله تعالى عن إبراهيم في الآية ١١٠ ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ وعن موسى وهارون في الآية ١٢١ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ وعن إلياس في الآية ١٣١ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ١١٠ .

السؤال الثالث :

هل سيدنا إلياس هو نفسه (إل ياسين) في آيات سورة الصافات (١٢٣ _ ١٣٢)؟

الجواب :

قال تعالى في الحديث عن إلياس: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ
إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

(إلياس) هو إلْ ياسين؛ لأنّ العرب تتصرف في الاسم الأعجمي، كما قالوا (طور سيناء) و(طور سنين). الفاصلة مهمة في العبارة لكنها مرتبطة بالمعنى . و(إلياس) عليه السلام اسمه يُتصرف فيه، فتصرف فيه لملاءمة الفاصلة، والقرآن لم يغفل الفاصلة لكنها مرتبطة بالمعنى، ولم يغير المعنى لأجل الفاصلة. والعربي يميل لهذه الرتابة في نهاية الآيات في السجع والشعر. والفاصلة القرآنية - ولله المثل الأعلى- فيها جانب من العناية الصوتية وعناية في الانسجام الصوتي.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾
وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

من المعنيُّ بهذه الآية؟

الجواب :

قوم لوط كانوا يمرون عليهم في سفرهم للشام ويرجعون، وكانوا يمرون على آثارهم في سدوم. والخطاب لأهل مكة الذين كانوا يمرون عليهم في تجارتهم.



﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى
بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى (مليم) في الآية؟

الجواب :

١ـ معنى (مليم) أي أتى عملاً يُلام عليه؛ لأنه خرج من قومه بدون إذن من الله، اجتهاداً منه أنّ الله لن يضيق عليه الدعوة في مكان آخر، كما قال تعالى :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧] ومعنى نقدر: أي نضيق.

٢ـ ﴿مُلِيمٌ﴾ من (ألام) أي شديد الملامة. الفعل (لامه) و(ألامه) وفيه زيادة. و في اللغة قد تأتي بالثلاثي والرباعي بمعنى واحد.

يقول لبيد يتحدث عن المطر:

سقى قومي بني مجد وأسقى نميراً والقبائل من هلال

(سقى) و(أسقى) بمعنى واحد وفي مكان واحد، لكنْ يقولون: أسقى لما أدخل عليها الهمزة كأنه صار أغزر. وكذلك قول الشاعر :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

(أوفى) بمعنى (وفى) ولكن فيها زيادة.

(لامه) على الشيء أي بكّته وعاتبه، و(ألامه) أيضاً لوم لكن فيها زيادة. (مليم) اسم فاعل يعني كأنه صار يلوم نفسه هو، صار يلوم وصار يستغفر.

السؤال الثاني :

ما دلالة الآية ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾ لأنّ فيها ضيقاً، فقد نسب الأمر لغير الله كما هو عادة القرآن في أنّ الخير يُنسب إلى الله تعالى، ونسبة الضر تأتي لغير الله

سبحانه وتعالى. و صورة الحال في الآية هي صورة إنسان رُمي في البحر فالتقمه الحوت مع أنّ الله عز وجل سخّر الحوت ليلتقمه وظاهرها كأنه موت.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ كأنه إحياء؛ ولذا لم يقل: نبذه الحوت، و ليبين الله لنا أنّ فعل الرحمة هو منه سبحانه وتعالى نتيجة هذا الاستغفار والتوبة، فالله قد استجاب له.

السؤال الثالث :

ما دلالة الفعل ﴿أَبَقَ﴾؟

الجواب :

١ـ (أبق) تستعمل لفرار العبد المملوك تحديداً. أنت عبد لله مملوك مكلّف بعمل، فكيف تترك العمل وتذهب للفلك المشحون غضبان؟!

وهو درس لرسول الله ﷺ ولأمته من بعده أنْ لا يضيق صدر الداعية المسلم مما يجابهه، فهذا نبيّ عوقب لمّا ضاق صدره وترك قومه وهو مكلف. والمسلم مكلف كذلك: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف: ١٠٨].

وكلنا نقول نحن من أتباع محمد عليه السلام، فإذن دعوة الناس لطاعة الله سبحانه وتعالى واجب من واجباتنا. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

٢ـ يونس عليه السلام عندما لم يصبر أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين وأوقعه الله تعالى في المحنة: سفينة مملوءة فيها ثقل استهموا فخرج سهم يونس فألقي في البحر فالتقمه الحوت وهو مليم.

٣ـ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ جاءت النجدة، تسبّح وتلجأ إلى الله سبحانه وتعالى في كل ضيق وفي كل شدة وهذا درس للجميع، ولولا ذلك للبث في بطن الحوت إلى يوم يبعثون ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى في الآية: ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ ولِمَ لم يستعمل الصيغة الفعلية؟

الجواب :

ورد التسبيح بالصيغة الفعلية كثيراً، كما في آيتي الأنبياء٢٠ والجمعة ١

ولم يرد بالصيغة الوصفية إلا في آيتين :

أ- في وصف النبي يونس عليه السلام في سورة الصافات :١٤٣ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ بمعنى أنه كان هذا وصفه الثابت، فنجا

لأنه كان من أصحاب هذا الوصف. والصيغة الاسمية إشارة إلى أنّ مداومة التسبيح تخلّص من الكروب والمكاره في وقت الشدة.

ب- في صفة الملائكة في الصافات :١٦٦ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ أي هذه صفتهم والتسبيح صفة ثابتة لهم كما قال الله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾.



﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٧] وفي الكهف ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ فما المقصود في استخدام (أو) بدل الواو؟

الجواب :

١ـ هنالك جوابان :

أ ـ﴿ أَوْ ﴾ تأتي بمعنى (بل)، تقول سأرحل أو أمكث، سأذهب إلى المقهى ثم تغير رأيك فتقول أو أبقى في البيت، يعني أضربت عن الذهاب. إذن هذا التوجيه الأول بمعنى (بل يزيدون).

ب ـ والتوجيه الآخر أنه بحسب ما يراه الرائي إذا نظر إليهم يقول: مائة ألف، لا أكثر، أو يزيدون.

وكما يقال: هي كالبدر أو هي أجمل (بل هي أجمل)، ويقول الشاعر:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أو أنت في العين أملح

٢ـ ولا يمكن أنْ تكون (أو) بمعنى (الواو) في هذه الآية؛ لأنها ستدلّ على أنهم يبدؤون في الزيادة (ويزيدون)، وهذا غير مقصود.

فهي إمّا أنها بمعنى(بل) أو ترجيح بالنسبة للرائي، وليس بالنسبة لله سبحانه وتعالى، أمّا الواو فتعني: ازدادوا قطعاً، ومعنى الواو سيكون ضعيفاً.



﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ ما كلمات المنظومة القضائية في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٩٣.



﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ ولِمَ لم يستعمل الصيغة الفعلية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ١٤٣.



﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ذكر الضمير في الآية ١٧٥ فقال: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ وحذفه من الآية الثانية ١٧٩ فقال: ﴿وَأَبْصِرْ﴾ فلماذا؟

الجواب :

ذكر الضمير في الآية ١٧٥ فقال: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ وحذفه من الآية الثانية ١٧٩ فقال: ﴿وَأَبْصِرْ﴾وذلك لما يلي:

١ ـ الأولى كانت بسبب نزول العذاب بالمشركين يوم بدر، وما حلّ فيهم من قتل وأسر ومن قتل صناديدهم، وهذا كله كان شفاء لصدور المؤمنين فقال: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ حيث تضمنت التشفي.

٢ ـ الثانية كانت في فتح مكة وليس فيها قتل ولا أسر وإنما هو هداية ورحمة وفتح لجزيرة العرب فأطلق ﴿وَأَبْصِرْ﴾ لأنه ليس مختصاً بأهل مكة كما في بدر.

٣ ـ اقترن يوم الفتح بتأمين أهل مكة ولم يكن وقفاً للتشفي بهم، بل كان في استسلامهم للرسول عليه السلام قرة لعينيه ومسرة لقلبه، فقيل له:

﴿وَأَبْصِرْ﴾.



﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

السؤال الأول :

ذكر الضمير في الآية ١٧٥ فقال ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وحذفه من الآية الثانية ١٧٩ فقال ﴿وَأَبْصِرْ﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ١٧٥.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الصافات مع خواتيمها :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة:

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾.

وقال في آخرها :

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

فرب السماوات والأرض وما بينهما هو رب العالمين الذي له الحمد.

٢ ـ وقال في أوائلها :

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ . . أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

وقال في أواخرها :

﴿ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ وقال: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ فاستبعدوا العذاب وكفروا بما جاء عن رب العالمين، فهددهم رب العزة بقوله: ﴿ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

والله أعلم.



سورة ص

أولاً ـ تناسب خواتيم الصافات مع فواتح ص :

١ ـ قال سبحانه في أواخر الصافات :

﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الصافات: ١٦٧ – ١٧٠].

وقال في أول سورة ص :

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾.

فذكر الذكر والكفر به في الموضعين.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها ـ أي سورة ص ـ لآخر ما قبلها أنه لمّا ذكر عن الكفار أنهم كانوا يقولون لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين لأخلصنا العبادة لله، وأخبر أنه أتاهم الذكر وكفروا به، بدأ في هذه السورة بالقسم بالقرآن؛ لأنه الذكر الذي جاءهم وأخبر عنهم أنهم كافرون وأنهم في تعزز ومشاقة للرسول الذي جاء به ثم ذكر من أهلك من القرون التي شاقّت الرسل ليتعظوا))[1].

٢ ـ وقال في أواخر الصافات :

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

وقال في أوائل ص :

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾﴾.. إلى أنْ قال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾.

فذكر عذابهم في الموضعين.

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام في العودة إلى الحق.

سورة ص سورة مكّية ابتدأت بالقسم بالقرآن المعجز المشتمل على المواعظ البليغة التي تشهد أنه حق وأن محمداً عليه السلام حق.

والسورة تعرض جواباً عن سؤال هام: ماذا يحدث عندما يحصل خطأ ما مع إنسان مؤمن مع استسلامه لله تعالى؟ السورة تتحدث عن ثلاثة أنبياء استسلموا لله تعالى بعدما أخذوا قرارات ظنّوها بعيدة عن الحق ثم عادوا إلى الحق وكيف ردّ الله تعالى عليهم، ثم تحدثت عن نموذج عكسي وهو إبليس الذي عاند ورفض أنْ يستسلم بعدما عرف الحق.

قصة داود: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧].

عودته للحق: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾﴾[ص: ٢٤].

قصة سليمان: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

عودته للحق: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: ٣٤].

قصة أيوب : ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾.

عودته للحق: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤٤].

في هذه القصص الثلاث يعطي الله تعالى لكل نبي صفة (عبدنا، العبد) وكلمة (أوّاب) معناها سريع العودة، و(ذا الأيد) معناها كثير الخير. ونلاحظ تكرار كلمة (أناب) رمز العودة إلى الحق.

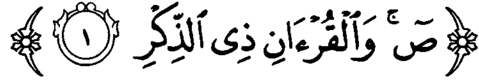
هذه القصص الثلاث نأخذ منها عبرة: أنّ المستسلم لله يكون سهل العودة إلى الله وإلى الحق.

تختم السورة بنموذج عكسي للعودة إلى الحق وهو نموذج إبليس اللعين وعناده: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[ص: ٧٣ – ٧٦].

فلنقارن بين هذه النماذج التي تعود إلى الحق؛ لأنها استسلمت لله والنموذج الذي لم يستسلم لله وعاند كانت نتيجة عدم استسلامه غضباً شديداً من الله تعالى ولعنة منه وطرداً من رحمة الله وعذاباً في الآخرة أشد: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾[ص: ٧٧ – ٧٨].

خلاصة القول إنّ الاستسلام لله تبارك وتعالى هو عزّنا وسبب بقائنا واستمرارنا في الأرض؛ ولهذا سمى الله تعالى هذا الدين (الإسلام).

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :



السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في الآية الأولى من سورة البقرة.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم القرآن بنفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في **السؤال الثاني** من آية البقرة ٢.

السؤال الثالث :

ما الفرق

بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

من الناحية اللغوية :

١ـ كلمة (قرآن) هي في الأصل لغة مصدر الفعل(قرأ) نحو: غفران وعدوان، وكما في الآية ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٨] ثم استعملت علماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول عليه السلام وهو القرآن الكريم.

٢ـ أمّا الكتاب فهو من الكتابة، ويسمى كتاباً؛ لأنّ الكتاب متعلق بالخط وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإنْ لم يُخطّ، قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ والقرآن لم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً، ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أنْ ينزّل على رسول الله ﷺ.

من ناحية الاستعمال:

١ـ يلاحظ أنه عندما يبدأ بـ (الكتاب) يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن، أو قد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة.

٢ـ أمّا عندما يبدأ بـ (القرآن) فيتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من ذكر الكتاب، أو قد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة.

٣ـ وإذا اجتمع القرآن والكتاب فإنهما يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً.

ونأخذ بعض الشواهد:

أ ـ في سورة البقرة بدأ بالكتاب ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ وذُكر (الكتاب) في السورة ٤٧ مرة و(القرآن) مرة واحدة في آية الصيام ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾.

ب ـ في سورة آل عمران بدأ السورة بالكتاب ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ وورد (الكتاب) ٣٣ مرة في السورة، ولم ترد كلمة القرآن ولا مرة في السورة كلها.

ج ـ في سورة طه: بدأ السورة بالقرآن ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ وورد (القرآن) فيها ٣ مرات و(الكتاب) مرة واحدة.

د ـ في سورة ق بدأ بالقرآن ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ وورد(القرآن) ٣ مرات في السورة، بينما ورد (الكتاب) مرة واحدة.

هـ ـ في سورة ص تساوى ذكر القرآن والكتاب.

و ـ في سورة الحجر بدأ ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ ورد ذكر (القرآن) ٣ مرات و(الكتاب) مرتين.

ز ـ في سورة النمل بدأ ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ ورد ذكر (القرآن) ٣ مرات و(الكتاب) أربع مرات.

وبشكل عام نقول :إنّ الذي أنزله الله عز وجل على رسوله عليه السلام ويمكن أنْ يقال له هو الكتاب، ويمكن أنْ يقال له هو القرآن، ويمكن أنْ يقال له هو الفرقان، ويمكن أنْ يقال له هو الذِّكر.

السؤال الرابع:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

وهل هناك جدول إحصائي يربط بين التناسب في ذكر الكتاب أو القرآن في أول السورة وبين ما يتردد من نفس الألفاظ في نفس السورة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣.

السؤال الخامس:

أين جواب القسم في سورة ص ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ ؟

الجواب:

جواب القسم ليس بالضرورة أنْ يُذكر، وإنما بحسب الغرض منه، فإذا اقتضى أنْ يُجاب القسم يُجاب كما في الآيات: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ [مريم: ٦٨] ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النحل: ٣٨].

وقد يُحذف إمّا للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى فيحتمل المعنى كل ما يرد على الذهن وهذا في القرآن كثير. وفي قوله تعالى: ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ لا يوجد جواب للقسم في سورة ق، وكذلك في سورة ص ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ لا نجد جواباً للقسم حُذف لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات فلا يريد تعالى جواباً بعينه، لكنه يريد أنْ يوسع المعنى.

السؤال السادس :

هل هناك من لطائف عددية تجمع بين سورة مريم وسورة ص؟

الجواب :

١ـ ترتيب سورة مريم (١٩) وترتيب سورة ص (٣٨).

٢ـ كلا العددين من مضاعفات العدد (١٩) ولا يوجد غيرهما من المضاعفات ضمن السور الـ (٢٩) التي تستهل بالأحرف النورانية.

٣ـ انظر الجدول التالي :

اسم السورة	ترتيب السورة	جمّل اسم السورة	فاتحة السورة	جمّل فاتحة السورة
مريم	١٩	٢٩٠	كهيعص	١٩٥
ص	٣٨	٩٠	ص	٩٠
المجموع	٥٧	٣٨٠		٢٨٥

ونلاحظ أنّ [٥٧=١٩×٣] وأنّ [٣٨٠=١٩×٢٠] وأنّ ٢٨٥[=١٩×١٥].

٤ـ مجموع الأرقام أعلاه هو [٥٧+٣٨٠+٢٨٥=٧٢٢=١٩×٣٨]

٥ـ نلاحظ أنّ العدد [٧٢٢= ١٩×٣٨] أي حاصل ضرب ترتيب السورتين.

٦ـ جمّل مريم +ترتيبها= ٢٩٠+١٩=٣٠٩ وهو العدد المركزي في سورة الكهف التي تسبق سورة مريم.

٧ـ نضيف ٣٠٩+ عدد آيات سورة مريم ٩٨= ٤٠٧ وهو جمّل:سورة الكهف.

أي أنّ هناك أموراً عددية مشتركة بين سورتي الكهف ومريم. والله أعلم.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما أصل كلمة (لات) في قوله تعالى ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾؟

الجواب :

(لات) من أخوات ليس ويكون دائماً أحد معموليها محذوفاً. ففي قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ [ص: ٣] (حين) هنا خبر لات منصوب، واسمها محذوف يعني :(لات الحينُ حينَ مناص) وكذلك: (لات الساعةُ ساعةَ مندم)، وورد العكس: (لات ساعةُ مندم).

السؤال الثاني :

لماذا نصبت كلمة ﴿حِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ [ص: ٣]؟

الجواب :

١ـ (لات) من العاملات عمل (ليس)؛ لأنّ فيها معنى النفي. و(إنْ، ما، لا، لات) هي المشبهات بـ(ليس)، و(ليس) ترفع اسماً وتنصب خبراً.

٢ـ ولكنّ (لات) لها خصوصية، وسيبويه يقول: لا تعمل إلا في الأحيان ولا عمل لها في غير الأحيان.

٣ـ ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ يعني ولات الحين حين مناص، الاسم محذوف و ﴿حِينَ﴾ خبر لات.

(لات) معناها النفي أي ليس الوقت وقت كذا. (لات) لغة عالية عند العرب، وهي أقوى من (ليس)؛ لأنه حرف مبني على الفتح وعاملٌ عمل ليس، و قالوا: (لات) هي (لا) والتاء من (تحين).

السؤال الثالث :

ما المناص؟ وماذا تفيد (كم) في الآية؟ وما القرن؟

الجواب :

١ـ المناص هو المنجى والغوث والفوت والفرار، والنوص هو التأخر والبوص هو التقدم.

وأنشد امرؤ القيس :

أمِن ذكر ليلى إن نأتك تنوص فتقصرُ عنها خطوةً وتبوص

والمعنى العام: ليس الوقت وقت فرار أو مَغاث أو ملجأ. ولات: اللام مشبهة بليس، والتاء زيدت للتأنيث أو للمبالغة. واسمها محذوف تقديره: وليس الحين، والخبر هو: حينَ.

وقيل: إنّ اللام في لات تنفي الجنس، فهي من أخوات إنّ.

٢ـ (كم) في الآية خبرية، ومعناهاالإخبار عن عدد كثير، وهي في محل نصب مفعول به للفعل (أهلكنا) الذي جاء بصيغة الجمع للتعظيم.

٣ـ القرن يطلق على الأمّة، وعلى بعض من الزمن، وأهل زمان واحد وأشهر الأقوال فيه أنه مائة سنة، وتجمع على (قرون).



﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في ص٤: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ بالواو، وقال في ق٢: ﴿ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ بالفاء، فما السبب؟

الجواب :

أنّ ما قبل آية ق وهو قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ يصلح سبباً لما قالوا بعده فجاء بالفاء المتعلقة بهذا السبب، أي عجبوا من كونه منذراً من وقوع الحشر.

وأمّا ما قبل آية ص وهو قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ فلا يصلح أنْ يكون سبباً لقولهم: ﴿ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ لأنّ تعجبهم سببه أنْ يختص الرسول عليه السلام برسالة الله، وأنْ يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة وهو من رهطهم وعشيرتهم وكان مساوياً لهم. لذلك فتعجبهم هو إشارة إلى مجيء المنذر منهم لا إلى الحشر، كما في آية ق، فجاء هنا بالواو العاطفة أي: وعجبوا، وقال: الكافرون.

والله أعلم.



﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ وفي سورة هود ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ وفي سورة ص ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ ما الفرق بين عجيب وعجاب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٧٢.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين عجباً ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١] وعجاب ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾؟



الجواب :

١ـ (إنّا) إنّ حرف ناسخ و(نا)ضمير الشأن، ويسمونه ضمير القصة ولا يعود على أمر معين أحياناً، ويؤتى به في مقام التفخيم والتعظيم والجملة بعده خبر. وهذا التفخيم يتناسب مع وصفهم القرآن بـ ﴿عَجَبًا﴾ هذا الوصف بالمصدر، وهذا يفيد المبالغة.

٢ـ (عجب) هو أكثر من (عجيب) وعندما تصف بالمصدر كأنما تحول الشيء إلى مصدر. تقول هذا رجل صِدقٌ ورجلٌ عدلٌ، وكما في الآية الكريمة ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[يوسف: ١٨] فهذا أبلغ من كاذب وقولك: رجلٌ عدلٌ يعني كله عدل، وأقوى من رجل عادل.

٣ـ في القرآن استخدم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص: ٥] هذا وصف، إذن ﴿عَجَبًا﴾ أقوى من ﴿ عُجَابٌ ﴾ لأنّ الوصف بالمصدر أقوى من الوصف بالصفة، وعندما تقول: هذا رجل سوءٌ أو رجل كذبٌ أو رجل صومٌ، هذا أبلغ من رجل صائم ومفطر وما إلى ذلك؛ لأنك تقول: رجل صائم إذا صام يوماً واحداً، لكنْ لا تقول رجل صوم حتى يكون أكثر أيامه صوماً وإذا قلنا: رجل صوم يفهم أنه كثير الصيام. (قرآناً عجباً) ليس عجيباً وإنما فوق العجيب؛ لذلك هذا ناسب ضمير الشأن.

السؤال الثالث :

ما أوزان الفعل الثلاثي؟

الجواب:

الفعل الثلاثي اللازم يكون على ثلاثة أوزان :

أ- (فَعَلَ) بفتح العين: يصاغ منه اسم الفاعل نحو: كتب كاتب وقلما يأتي منه غير هذا الوزن، مثل: طيب من "طاب" وشيق من "شاق" وأشيب من "شاب".

ب- (فَعِلَ) بكسر العين، لا يصاغ منه اسم الفاعل على وزن "فاعل" إلا نادراً، وإنما يصاغ منه الصفة المشبهه على الأوزان (فَعِلَ: مثل: فرِح وطرِب- أفعَل مثل: أحمر وأسمر - فعلان: مثل: عطشان وجوعان).

ج- (فَعُلَ) بضم العين: لا يصاغ منه اسم الفاعل على وزن "فاعل" إلا نادراً، وإنما يصاغ منه الصفة المشبهه على الأوزان (فَعِيل: شريف وكريم ـ فَعْل: شهم وسهل وضخم ـ فُعَال: شجاع وفرات و هُمام - فَعَال: جبان ـ فَعَل: بطل وحسن ـ فُعْل: حلو وصُلب ومُر).



﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللطائف العددية في لفظة ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ الواردة في آية ص٨ وفي باقي القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحجر ٩.



﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

في سورة ق قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ـ قوم لوط ـ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات ـ هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٨٩.



﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا قال في آية ص ١٤ : ﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ وفي آية ق ١٤ : ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ العقاب أشد من الوعيد. والصفات المذكورة للكافرين وتوعدهم وعقوبات الأمم السابقة في سورة (ص) أشد مما في سورة (ق) انظر آيات سورة ص ١ـ١٧ وآيات سورة ق ١ ـ ١٤ لترى ذلك بشكل مباشر.

٢ـ انظر الجدول التالي :

موقف الكافرين	سورة ص	سورة ق	ملاحظات
وصف الكافرين	﴿ عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾	-	
الإهلاك	﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾	-	
قولهم في الرسول	﴿ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾	-	
إنكارهم	﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾	-	
عجبهم	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾	﴿ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾	
طلبهم للنصرة	﴿ أَمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾	-	
تكرار التكذيب	﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾	-	
تكرار الإنكار	﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾	-	
توعد الله لهم	﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾	-	

نتيجة المعركة	﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾	-	وقع في بدر وما بعده
الأمم السابقة المكذبة	﴿ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾	﴿ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾	
وصف فرعون	﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾	-	
توعد الله لهم	﴿ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾	-	
دعاؤهم على أنفسهم	﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾	-	سألوا تعجيل العذاب
أمر الله للرسول	﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾	-	
تكرار لفظة وعيد	-	٤	أكثر سورة في القرآن
تكرار لفظة العقاب	١	-	

من هذا يتضح الفرق: أنّ موقف الكافرين في ص أشد منه في ق فاستحقوا الزيادة في التهديد، فقال: ﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ الذي هو أشد من الوعيد، فناسب كل سياق ما ورد فيه.

نقاط للتنويه :

أ ـ قوله تعالى في ص: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ هو بأسلوب القصر.

ب ـ صيغة ﴿ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ أشد عجباً من صيغة ﴿ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾.

ج ـ قد تقول: ورد التكذيب في سورة (ق) فقال: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾.

والجواب إنه ورد في (ص) من التكذيب ما هو أشد إضافة إلى وصف الرسول عليه السلام بالسحر والكذب فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾﴾.

د ـ معنى ﴿فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ أي ما لها توقف مقدار (فواق) وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع.

هـ ـ القِط: هو الحظ والنصيب.

و ـ أكثر سورة ورد فيها كلمة ﴿وَعِيدِ﴾ هي سورة ق.

والله أعلم.



﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفواق؟

الجواب:

الفُواق: بضم الفاء مأخوذ من فُواق الناقة وهو المدة بين الحلبتين وأصله من الرجوع. يقال أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة.

الفَواق ـ بفتح الفاء تعني السكون أو الرجوع.

والمعنى العام: ما تسكن هذه الصيحة ولا ترجع إلى السكون فهي صيحة واحدة لا تثنى ولا تردد.

والصيحة هنا هي النفخة الأولى.



﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿عَبۡدَنَا﴾ في الآية؟

الجواب:

الإنسان عندما يقول عن نفسه: أنا عبد الله فهذا تواضع، والله تعالى عندما يقولها عن عبد يكون تكريماً، كما في الآيات: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾[الإسراء: ١]. ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧] هذا من الله تكريم.

ولذلك لاحظ أنه لمّا قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ وذكر كلمة (عبد) عرج به إلى السموات العلا وإلى سدرة المنتهى، ولمّا ذكر (موسى) باسمه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾[الأعراف: ١٤٣] إذن وكأنّ مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

ذكر الله تعالى في هذه الآيات عشر صفات في مدح داود عليه السلام وهي :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ﴾ هو خطاب لمحمد عليه السلام في أنْ يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود، وذلك تشريف عظيم وإكرام كبير لداود عليه السلام.

ووجه تعلق صبره ﷺ بذكر داود أنّ الكفار استعجلوا العذاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ فهمّ رسول الله ﷺ بالدعاء بنزول العذاب عليهم، فأمره الله عز وجل بالصبر عليهم، وأنْ يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود عليه السلام.

٢ـ قوله تعالى: ﴿عَبۡدَنَا﴾ فيه غاية التشريف، كما قال تعالى لمّا أراد أنْ يشرف النبي عليه السلام ليلة المعراج: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ وهذا يدل على علو درجته وأضيفت إلى كلمة (عبد) الضمير (نا) زيادة في التكريم والتشريف.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي القوة على أداء الطاعة والبعد عن المعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي بقوة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ من آب إذا رجع بصيغة المبالغة كقتّال وضرّاب، أي أنّ داود كان رجّاعاً في أموره كلها إلى الطاعة والاستغفار والتوبة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ وجاء قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ بالصيغة الفعلية ليدلّ على الحدوث والتجدد، فكان التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكان ذلك في كل يوم مساء وصباحاً وقت الشروق، ومنه صلاة الضحى كان يصليها داود عليه السلام.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ كان داود عليه السلام إذا سبح جاوبته الجبال، واجتمعت إليه الطير فسبحت معه واجتماعها إليه هو حشرها. وجاءت ﴿مَحْشُورَةً﴾ بالصيغة الاسمية؛ لأنه ليس في الحشر مثل ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث والتجدد و﴿مَحْشُورَةً﴾ حال تدل على الحشر الدفعي أي سخرنا الطير حال كونها محشورة.

٧ـ قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ أي أنّ الجبال والطير ترجع إلى التسبيح كلما سبح داود عليه السلام.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي قويناه بالأسباب الدنيوية والدينية أي بالجنود والهيبة.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ أي في القضاء والعدل فيه. وقيل إنه أول من قال: أمّا بعد. وقيل إنه البيان الكافي في كلامه ونطقه.

السؤال الثالث :

ما دلالة التعريف (العشي) و(الإشراق) فى قوله تعالى مع سيدنا داوود: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾[ص: ١٨]؟

الجواب :

المعرفة غالباً تفيد الدوام أى ليس هناك يوم محدد، وفي الآية: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾[فصلت: ٣٨] ليس هناك وقت محدد، بينما في مريم قال: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ بكرة وعشية تأتي في وقت محدد.

و عندما تقول: (سأخرج صباحاً) لا بدّ أنْ تأتي صباح يومٍ بعينه. أمّا عندما تقول: سأخرج في الصباح يعني أيّ صباح. ولذلك لمّا قال تعالى للرسول ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[غافر: ٥٥] ليس هناك أيام محددة جاء بها بالمعرفة ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ
قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ
وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا استغفر داوود عليه السلام ربه في سورة ص ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾؟

الجواب :

١ـ هذه الآية في سورة ص ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾﴾ وكانت في الحُكم. وفي كتب التفسير الكثير من الإسرائيليات التي لا تُقبل من شخص عادي فكيف بنبيّ؟

٢ـ لكنّ هذا الحُكم الذي حكم به داود خارج عن طريقة الحُكم الصحيحة لأنه لم يستوف أركان الحُكم. كيف؟

أولاً: فزع داود من الخصم ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ والقاضي لا يصح أنْ يحكُم بالفزع، ولا بدّ أنْ يكون آمناً حتى يحكم وحُكم القاضي لا يجوز إذا كان خائفاً.

ثانياً: إنّ داود استمع إلى خصم واحد، ولم يستمع للآخر ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ وهذا لا يجوز في الحكم ومخالف لأركان الحُكم. وقد قيل في الحُكم إنْ جاءك شخص فقئت عينه فلا تحكم حتى ترى الآخر فربما فقئت كلتا عينيه.

ثالثاً: لم يسأل عن البيّنة، وإنما حكم مباشرة ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ فهل يجوز أنْ يحكم أحد بلا بيّنة؟

فداود حكم في حالة خوف وسمع لخصم واحد ولم يسأل عن البيّنة، فهل يجوز هذا في الحكم؟ وكأنّ الله تعالى أراد أن يُعلِّم داود أصول الحكم الصحيح وقد جعله خليفة ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ ولهذا استغفر داوود ربه.

وكان داود قاضياً قبل هذه الحادثة وكان يجلس للقضاء يوماً ويتعبّد يوماً فجاءه الخصم في يوم تعبّده ففزع منهم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [ص: ٢١] ثم الآية ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [ص: ٢٢] وقوله تعالى ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ سورة الحج، لماذا جاءت (الخصم) مرة مفردة ومرة مثنى وجمعاً؟

الجواب :

الخصم تأتي للمفرد والجمع ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ مثل كلمة: بشر وفلك وضيف وطفل، وربما تأتي للتثنية ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾.

يقول المفسرون: هما فريقان كل فريق له جماعة، فلمّا جاءا يختصمان جاء من كل فريق شخص واحد يمثّل الفريق، والمتحدثان هما أصحاب المسألة ﴿ خَصْمَانِ ﴾.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ فكل طائفة لها جماعة، وعند الصلح يأتي من كل طائفة من يفاوض باسمها لكنْ إذا وقع القتال بينهما يقتتل كل الأفراد، فإذا اختصم الفريقان يقال: اختصما وإذا اختصم أفراد الفريقين يقال: (اختصموا).

وكذلك الأمر في كلمة بشر في قوله تعالى: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾. وكلمة (طفل) قد تأتي للمفرد والجمع وقد يكون لها جمع في اللغة ﴿ ٱلْأَطْفَٰلُ ﴾ وقد استعمل القرآن هاتين الكلمتين.

السؤال الثالث :

ما سر الاختلاف في استعمال ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٧] بالتضعيف و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ بالهمزة ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣)﴾ [ص: ٢٣] ؟

الجواب :

هذه من الكفالة. والرسول عليه السلام يقول:« **أنا وكافل اليتيم كهاتين**». والكافل هو الذي يتولى التربية والرعاية والتوجيه.

وعندما يُضعّف (كفّلها) نحو: كفّلت زيداً، ونحو: علّمت زيداً ففيه معنى التكثير والمبالغة والتدرج، وعندما يستعمل (أكفل) شيئاً معناه أندرج تحت تربيته.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٣٧.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الركوع والسجود في القرآن ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ في سورة (ص) و لِمَ لمْ يقل: خرّ ساجداً؟

الجواب:

١ـ الركوع له معانٍ: منها الخضوع، فيقال: راكع لمن طأطأ رأسه ويقال للسجود. لكنْ لماذا قال هنا: خر راكعاً، ولم يقل: خر ساجداً؟

من جملة معاني الراكع مطأطئ الرأس، وخرّ راكعاً: أي كان مطأطئاً رأسه فسجد. والخرّ في اللغة السقوط إلى الأمام.

وفي لغة اليمن: الركعة هي الهويُّ إلى الأرض. فيقولون: (خرّ راكعاً) مع احتمال أنه كان مطأطئاً رأسه.

وأصلاً (خرّ ساجداً) لم يستعملها القرآن إلا مع سماع كلام الله وتلاوته ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]. ولم يرد في القرآن (خرِّ ساجداً) إلا في هذه الحال.

٢ـ نأتي إلى (خرّ راكعاً): هل ذكر في هذا الموطن لداوود عليه السلام معصية؟ كلا، وإنما ذكر له خِلاف الأَوْلى في الحُكم أنه سمع من أحدهما ولم يسمع من الآخر، ولم يذكر له معصية، إذن ذكر ما دون المعصية فذكر ما دون السجود وهو الركوع.

السؤال الخامس :

هل سجدة داود في سورة ص ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤] سجدة شكر؟

الجواب :

١ـ المصحف المتداول الآن الذي هو مصحف المدينة النبوية وما طُبع عليه بملايين النسخ، ودول أخرى أعادت الطباعة على الصورة نفسها وهذا المصحف في أصل وضع الوقفات والرموز هو للجنة التي كانت في مصر في بداية الثلاثينات، وكان مسؤول هذه اللجنة الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحدّاد، وهو من كبار علماء الأزهر، وكان من كبار القُرّاء في مصر ومن علماء القراءات القرآنية وكتب نسخة المصحف بخط يده، فالنسخة المتداولة منسوخة على ما كتبه بخط يده هو، وكان عضواً في اللجنة ورئيساً للجنة، فهم اختاروا أماكن الوقوف من كتب القراءات والوقف والابتداء لم يكن عبثاً واجتهدوا في هذا. فهذا المصحف الذي بين أيدينا في الحقيقة ثروة هائلة ينبغي أنْ لا يُفرّط في اختيارات اللجنة ثم جاءت اللجان من بعد فأقرّت ما صنعته اللجنة الأولى التي هي من كبار علماء الأمة.

٢ـ عندما نأتي إلى الآيات ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤] هم وضعوا علامة السجدة هنا. وما دامت هذه اللجان هي من كبار علماء

الأمة، إذن لا نسأل هل هي سجدة عزيمة أم هل هي سجدة شكر، إنما ما دامت موجودة فأنا أسجد.

٣ـ لكنْ مع ذلك نتكلم عن الآية، حتى نعرف هذا السجود لماذا كان؟ هو عبّر بالركوع.

الحديث عن داود عليه السلام ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾

وكان هناك شكوى من طرفين وهناك شهود لكل واحد. والقاضي ينبغي أنْ يسمع من الطرفين ويسأل الشهود.

٤ـ داود عليه السلام كان معرّضاً لامتحان. فقد تكلم الخصم الأول ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ ظاهر الأمر أنه لا يحتاج إلى تحقيق؛ لأن ٩٩ نعجة وهو له نعجة واحدة، وهذا يريد أنْ يأخذها يربّيها عنده مع نعاجه (وهي نعجة وليس كما يقولون في الإسرائيليات زوجات، ولا نخوض في هذا) لكنّ هذا هو النص القرآني وعندما تأتي إلى قاضي وتقول له هذا أخي عنده ٩٩ نعجة وأنا عندي نعجة واحدة أحلبها وأشرب منها وأخي يقول لي أعطني إياها وأنا أرعاها وآخذها ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقد ألحّ عليّ في الخطاب وغلبني وقال لي: أنت ماذا تصنع بواحدة؟ ائتني بها. يعني عرضت على القاضي قضية واضحٌ أنّ الحق مع المتكلم.

٥ـ الآن داوود عليه السلام حكم ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾.

ثم لمّا اختفى الجميع فجأة علِم أنهم ملائكة جاءوا يعلّمونه، كما جاء جبريل عليه السلام يعلم المسلمين أمور دينهم ثم اختفى، علِم داوود أنه قد امتُحنِ، ولم ينجح في الامتحان و﴿وَظَنَّ﴾ بمعنى: تيقّن ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤] ولاحظ التعقيب يؤكد ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

القضية ليست قضية نساء. القضية قضية حكم ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾.

٦ـ لذلك هذا مبدأ عام عند المسلمين: أنّ القاضي مهما تبيّن له أنّ الذي يعرض عليه المشكل أنه هو صاحب الحق لا يقضيه حتى يسمع الثاني.

لذلك السجدة ما دامت ثبتت بالمصحف نسجد ونفقأ عين الشيطان؛ لأنّ الشيطان يبكي يقول: أُمروا بالسجود فسجدوا وأُمرت بالسجود فلم أسجد.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ
الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب كلمة﴿ نِعْمَ ﴾ في الآية ٣٠؟

الجواب :

١ـ (نِعْمَ) فعل ماض جامد، وهذا أشهر إعراب، وإنْ كان هناك خلاف بين الكوفيين والبصريين هل هي اسم أو فعل؟ لكنْ على أشهر الأقوال إنه فعل ماض جامد. نحو: نعم الرجل زيد، ويضرب في باب النحو نِعم وبئس ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾، ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود: ٩٨]، ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: ٣٠].

٢ـ بعدها فاعل؛ لأنه يأتي بعدها المقصود بالمدح والذم.

٣ـ عندما تقول: (نِعْمَ الرجل محمود) نعربها على أشهر الأوجه:

أ ـ (نِعْمَ) فعل ماض على أشهر الأوجه.

ب ـ (الرجل) فاعل.

ج ـ (محمود) فيها أوجه متعددة، منها: أنْ يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي الممدوح محمود، أو مبتدأ والخبر محذوف مع محمود الممدوح، ورأي ثالث أنّ (محمود) مبتدأ مؤخر وجملة (نعم الرجل) خبر مقدم، يعني: محمود نِعم الرجل.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ المخصوص محذوف والمقصود هو داود عليه السلام.

السؤال الثاني :

على من يعود الضمير في كلمة ﴿تَوَارَتْ﴾ في الآية ٣٢؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] هل الشمس التي توارت بالحجاب أم الخيل؟ الضمير يعود على غير مذكور، و لكنه معلوم من السياق كما هو ظاهر في السؤال التالي.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

إنّ رباط الخيل كان مندوباً في دين داود عليه السلام كما هو الحال في ديننا، واحتاج داود إلى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر بإجرائها ليتفحصها، وذكر أنه لا يحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها ليستعملها في الحرب نصرةً لدين الله تعالى.

ثم إنّ داود أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره. ثم أمر الرائضين أنْ يردوا تلك الخيل إليه، فلمّا عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها وذلك لعدة أهداف :

أ ـ إبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان على دفع العدو.

ب ـ نوع من السياسة في الملك بأنْ يباشر أكثر الأمور بنفسه.

ج ـ كان عالماً بالخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها؛ حتى يطمئن عليها من ناحية الصحة والمرض.

لذلك يجب رد الإسرائيليات والقصص التي وردت في بعض التفاسير لهذه الآيات؛ لأنّ الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء عليهم السلام. والقصص المذكورة لا تُقبل من فاسق فكيف تناسب أنْ تأتي من داود عليه السلام، والذي ذكر الله له عشر صفات في الآيات التي سبقت هذه الآية.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة التوبة والاستغفار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجري أو المشي السريع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧١.



﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾
ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً
مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ في آية ص٤٣ و ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ في آية الأنبياء ٨٤؟ مع أن القصتين في نبي الله أيوب عليه السلام؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٨٤.

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى (أولي الأيدي والأبصار) في ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ ﴾[ص: ٤٥] وما معنى (المصطفَيْن الأخيار) في ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ ﴾[ص: ٤٧]؟

الجواب :

١ـ الآيات تتحدث عن تذكير الرسول ﷺ بمن سبقه من الأنبياء والرسل تسلية لقلبه، وحتى يجد فيها العبرة. ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ ﴾ إذن هو تذكير. وهؤلاء رجال أنبياء وعندما تقول: لهم أيدي ولهم أبصار وتريد هذه الأيدي والأبصارالمعروفة، هل فيها نفع أو فائدة؟ قطعاً ليس المقصود هو هذا.

٢ـ الأيدي ليست الأيدي جمع العضو المعروف، وإنما جمهور العلماء يقولون: إنّ اللغة فيها مجاز.

٣ـ العلماء لهم فيها جملة توجيهات، ويقولون يمكن أنْ تكون الأيدي بمعنى القوة (أصحاب القوة) ويمكن أنْ تكون بمعنى الكرم.

أمّا الأبصار فبالإجماع يرون أنها البصيرة في العلم والدين، فقد كانت لهم بصيرة في العلم والدين، وهذا كرم من الله سبحانه وتعالى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (المصطفى) من الاختيار والاصطفاء.

ويلفت النظر قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ والكلام كان مع الرسول عليه السلام لتذكيره بشأن هؤلاء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم جميعاً الصلاة والسلام. وقوله تعالى: ﴿ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ﴾ أخلصه في الأصل بمعنى نقّاه وصفّاه من الشوائب فيكون خالصاً منقىً. فالتنقية جاءت مرتين: هم نُقّوا بين البشر، وعندهم صفة انتُقيت لهم خالصة لهم دون غيرهم، فالتنقية والإخلاص كانتا مرتين.

و كلمة ﴿ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ يمكن أنْ تكون من (التذكر)، ويمكن أنْ تكون من (التذكير)، فهو يقدّم ذكرى للآخرين، فاللفظ يمثل المعنيين. والمعنيان مرادان يعني: هم يذكرون الآخرة دائماً ويُذكّرون بها، وهذا شيء أخلصوا به.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ كلمة (مصطفى) تُصلح أن تكون مثالاً لبيان اسم المفعول غير الثلاثي. عندما نقول: (اختبر) يكون اسم المفعول من غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر (مُختبَر)، واسم الفاعل كسر ما قبل الآخر (مُختبِر). مُختبَر الذي وقع عليه الاختبار ومُختبِر الذي يقوم بالاختبار.

٦ـ (المصطفَين) جمع للمصطفى (وقع عليهم الاصطفاء، فهم المختارون)

و(المصطفَين) تعني أنّ الله سبحانه يوم القيامة لا يضع الناس على درجة واحدة، وإنما هم على درجات. فهناك منزلة الاصطفاء لهؤلاء الأنبياء فيكونون في الاصطفاء ومن المصطفين. ومحمد عليه السلام من خير هؤلاء المصطفين وهذه بشارة لهذه الطبقة العليا.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩] هذه ميزة لأمة محمد عليه السلام.



﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال الوصف ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب:

١ـ الاتّكاء غاية الراحة، كأنّ الإنسان ليس وراءه شيء؛ لأنّ الإنسان لو كان وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية. وهذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد في آية الكهف ٣١.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يس: ٥٦ – ٥٧] والاتكاء يحسُن في هذا الموضع.

وقال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ﴾ [ص: ٥١] يرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب، وكذلك في سورة الرحمن ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ و ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة: ١٦] و ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الطور: ٢٠] فجاء في السياق مع هذه الآيات ذكر الطعام والشراب.

فالاتكاء غاية الراحة؛ ولهذا وصِف به أهل الجنة، ولم يأت وصفهم بالنوم؛ لأنه لا نوم في الجنة أصلاً. ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا، والاتكاء غاية الراحة والسعادة.

٢ـ أمّا في آية الكهف (٣١) فهي الآية الوحيدة التي لم تأت فيها كلمة متكئين مع الطعام والشراب، وقد سبقها مخاطبة الله تعالى للرسول ﷺ في الآية ٢٨ ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ وهي في أهل الصفة وهم جماعة من أهل الله انقطعوا للعبادة.

وهذه الآية أمرٌ للرسول ﷺ بملازمة أهل الصفّة وعدم الانصراف عنهم فكأنه ﷺ يريد القيام فصبّره الله تعالى فجاءت (متكئين) في الآية بعدها فكأنها مقابلة، فهؤلاء المؤمنون في راحة وأراد الله أنْ يصبّر رسوله.

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الكلمات التي تصف جهنم من الداخل؟ أعاذنا الله وإياكم منها.

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٥٩.



﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] و ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾[ص: ٦٥] مع أن كليهما لنفي الجنس؟

الجواب :

السؤال: ما الفرق بين (لا رجلَ في الدار) و (ما من رجلٍ في الدار) مع أنّ كليهما لنفي الجنس؟

١ـ لا النافية للجنس تستغرق كل الجنس المذكور. فعندما تقول: لا رجلَ يعني جميع الرجال لا واحد ولا أكثر وكل هذا الجنس منفي.

بينما عندما تقول: ما من رجل، أيضاً تنفي استغراق الجنس و(من) زائدة وتفيد استغراق الجنس كله.

إذن ما الفرق بينهما إذا كان المعنى واحداً؟ والقرآن يستعملهما ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥]؟

٢ـ لا النافية للجنس يقولون: هي جواب لـ (هل من) يعني: كأنّ سائلاً سألك: هل من رجل في الدار؟ فتقول له: لا رجلَ في الدار، فهذه إجابة على سؤال (هل من؟)

و عندما تقول: هل رجلٌ في الدار؟ فتجاب بـ: لا رجلٌ في الدار (لا هنا نافية). وعندما تقول: هل من رجلٍ في الدار؟ فتجاب بـ: لا رجلَ في الدار (هذه لا النافية للجنس). و(من) زائدة لاستغراق الجنس.

٣ـ إذن: لا النافية للجنس إجابة عن سؤال، و(ما من رجل) رد على قول: إنّ في الدار رجلاً. وهذا هو الفرق الأول.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴾ [المائدة: ٧٣]

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨] هذا رد

ـ ﴿ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍ ﴾ [الأحزاب: ١٣] هذه رد.

ـ ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٨] هذا رد

ـ ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ ﴾ [التوبة: ٥٦] هذا رد.

ـ ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هذا تعليم وليس رداً على قول.

ـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢] هذا أمر.

- ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] هذا إخبار.

٤ـ الفرق الثاني أنه بـ (ما) هذه و(من) نستطيع نفي الجنس بـ(ما متصلة ومنفصلة)، لكنْ لا أستطيع أنْ أنفي بـ (لا النافية) إذا كانت منفصلة، ولا أستطيع أنْ أقول: لا في الدار رجل، وتكون (لا) هنا مهملة ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٌ﴾[الصافات: ٤٧].

أمّا (ما) فيمكن أنْ تكون متصلة أو منفصلة ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠﴾ [الشعراء: ١٠٠] ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] ولا يمكن أنْ نقول: لا لكم من إله غيره. فإذن (ما) تكون أوسع في نفي الجنس.

٥ـ إذن هنالك أمران :

أ ـ أنّ (لا) جواب عن سؤال وإخبار وإعلام و(ما) رد على قول.

ب ـ و (ما) هي أوسع استعمالاً لنفي الجنس من (لا).

٦ـ النتيجة: هنالك (لا) النافية للجنس و (ما من) ما تُعرب نافية؛ لأنّ الجنس يأتي من (من) ولا يأتي من (ما)، والتركيب (ما من) نافية للجنس و(من) تسمى من الاستغراقية ونعربها زائدة، لكنّ معناها استغراق نفي الجنس.

السؤال الثاني :

كيف حصر رسالة النبي ﷺ في آية (ص) ٦٥ بأنه (منذر)، مع أنه في آية الأحزاب٤٥ والفتح ٨ (شاهد ومبشر ومنذر)؟

الجواب :

١ـ أنّ ما يتقدمه التخويف يناسب أنْ يليه إنذار، وهو في ص كذلك؛ لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجتهم فيها، انظر الآيات [٥٥ـ٦٥].

٢ـ وأمّا ما يتقدمه الرجاء فقط أو التخويف مع الرجاء فيليه الوصفان: التبشير والإنذار، كما في آيات الأحزاب والفتح وفاطر. قال تعالى:

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٥].

ـ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[الفتح: ٨].

ـ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[فاطر: ٢٤].

والله أعلم.



﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النمل ٧.

﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

متى تفتح ياء المتكلم ومتى لا تفتح؟

الجواب:

من ناحية اللغة:

١ـ وجوب الفتح في المواضع التالية:

أ ـ بعد الاسم المقصور نحو: عصايَ ـ هُدايَ ـ والأصل ـ عصا وهدى.

ب ـ بعد الاسم المنقوص: كقولك: أنت معطيَّ ـ أنت منجيَّ ـ والأصل معطي ومنجي.

ج ـ بعد المثنى: ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ ﴿أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾.

د ـ بعد جمع المذكر السالم: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ لأنّ أصلها (مصرخون).

٢ـ جواز الفتح: في المواطن غير المذكورة أعلاه.

٣ـ في القرآن: حسب النقل المتواتر.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ
بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ
فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ
﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

السؤال الأول :

قارن بين قصة آدم عليه السلام في سورة الحجر والقصة نفسها في سورة ص؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات الحجر ٢٦ـ٤٣.

السؤال الثاني :

المطلوب مقارنة في قصة آدم عليه السلام في سورتي الأعراف وص؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات الأعراف ١١ـ٢٥.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين ﴿اسْجُدُوا﴾ في البقرة ٣٤ و ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ في ص ٧٢ و ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ في مريم ٥٨ والسجدة ١٥؟

الجواب :

انظر الجواب في آية السجدة ١٥.

السؤال الرابع:

استعمل ضمير التعظيم في آية الأنبياء ٩١ فقال: ﴿فَنَفَخْنَا﴾ واستعمل الإفراد في آيتي الحجر ٢٩ و ص ٧٢، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ﴾ فما بيان ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٩١.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في آية ص ٧٣: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ ما سبب التذكير مرة والتأنيث مرة مع الملائكة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٣١.

السؤال السادس :

ما فائدة ﴿ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ بعد ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ في الآية ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ هذان تأكيدان في نفس الآية. والعرب أحياناً يكون في كلامها أكثر من مؤكِّد. يقال لك مثلاً: نجح الطلاب، وأنت لا تتوقع أنْ ينجحوا جميعاً فيقال لك: نجح الطلاب كلهم أجمعون. فهذه كلها تأكيدات. وكذلك كلمة (أجمعون)، كأنها هنا زيادة توكيد.

وأجمعون إعرابها توكيد مرفوع.

٢ـ عندما يكون الشك بالغاً أو محاولة نفي أي احتمال لعدم الجمع يزاد في التوكيد.

٣ـ أكّد في الآية بقوله: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ حتى لا يبقى أي ريب في أنّ جميع الملائكة سجدوا لينتزع كل ريب من نفس السامع والمتلقي، ثم استثني إبليس ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ ومعنى ذلك أنه كان مأموراً، وهناك نص ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ وعدم ذكره في الأول إكراماً للملائكة؛ لأنّ هؤلاء الملائكة - كما يذهب بعض علمائنا - أنه ليس كل الملائكة في الكون دخلوا الامتحان وإنما الذين لهم شغلٌ في الأرض، وإبليس له شغل في الأرض كما سبق في علم الله سبحانه وتعالى وفي قدره، فهؤلاء الذين لهم شغل في الأرض جميعاً وإبليس معهم دخلوا الامتحان وطُلِب إليهم أنْ يسجدوا

ومن ضمنهم إبليس طلب إليه أنْ يسجد، لكنْ دَخَلَه الكِبر والجرأة على الله سبحانه وتعالى وردّ الأمر وغلّطه وأبى التوبة ابتداءً، وكان عليه أصلاً عندما أحس بالغلط أنْ يتوب لكنْ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فهذه فائدة التوكيد؛ لأنّ الأمر يقتضي نزع كل ذرة من ذرات احتمال أنْ يكون بعض الملائكة توقف عن السجود، فاحتاج إلى تأكيدين.

والله أعلم.

السؤال السابع :

ما الفرق البياني بين قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] و ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٢.

السؤال الثامن :

ما الفرق بين الآيات الكريمة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩] ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٥٢] ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٨٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾؟

الجواب :

١ـ اللعنة هي الطرد، وفلان ملعون أي مطرود. وهذا معنى اللعن.

٢ـ في القرآن مرة قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ بالفعل المضارع، ومرة قال: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾[النساء: ٥٢] بالفعل الماضي، ومرة قال: ﴿أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٨٧] بتعبير آخر، ومرة قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] بتعبير رابع، ومرة قال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾[ص: ٧٨] قالها لإبليس لمّا رفض أنْ يسجد فطرده ولعنه ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ هكذا.

٣ـ كل تعبير من هذه التعابير تعني أسلوباً في اللعن. واللعن هذا أخطر ما يمكن أنْ يصادفه المخلوق سواء كان إنساً أو جناً أو ملكاً أو بشراً. وجاء في الحديث«**ليس المؤمن لعّاناً**».

وسيدنا علي رضي الله عنه لما وصل إلى بابل وكان وقت العصر سأل: نحن أين الآن قالوا: في بابل قال: أعوذ بالله إنها أرضٌ ملعونة، فانطلقوا ولم يصلوا العصر، حتى يهربوا من هذا المكان الملعون.

ونفس الشيء أيضاً في ديار قوم لوط، إذا مر بها شخص يهرب بسرعة لأنها أرض ملعونة.

لذلك إياك أنْ تلعن أحداً لا يستحق اللعن. ولا ينبغي أنْ تلعن إلا من لعنه الله ورسوله.

٤ـ عندما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ قال: (يلعنهم) بصيغة

المضارع التي تفيد الاستمرار؛ لأنه في كل عصر هناك من يكتم الآيات البينات ويكتم الحق.

وفي كل أدوار التاريخ ما من نبي جاء من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام جميعاً إلا وابتلي ذلك الدين بشخص مثل: (مفتي أو كاهن أو قس أو شيخ أو عالم أو مُلا) يعرف الحق تماماً لكنه يلويه ويغطيه لكي يصل إلى نتيجة دنيوية لمصلحته. وما عانت الأديان أكثر مما عانت من أمثال هؤلاء الذين ينحرفون عن الرسالة السماوية. إذاً هذا الكتمان وهذا الانحراف موجود في التاريخ فقال: (يلعنهم) بالفعل المضارع، والمضارع هو للحال والمستقبل ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

٥ـ إذا قال: ﴿لَّعَنَهُمُ﴾ أي قد انتهى، أي يعبّر عن ناس ارتدوا وكفروا ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

٦ـ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران: ٨٦ – ٨٧] فهذه قضية حُكم بها، وهؤلاء الذين ارتدوا بعد الإسلام بعد أنْ آمنوا بالله، وهذا من باب التهديد.

٧ـ عندنا تعبير آخر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ وهذا أيضاً تعبير جديد يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ فهناك مجموعة ذنوب كبيرة بعضها أكبر من

بعض فاجتمعت فقال: ﴿لَهُمُ﴾ هذه اللام للاختصاص ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ كأنّ اللعن ما خُلِق إلا لهؤلاء ينقضون عهد الله بالتوحيد ويقطعون ما أمر الله به طبعاً بعد ميثاقه.

٨ـ أقوى هذه التعبيرات الرهيبة جاءت مرة واحدة في القرآن الكريم ورب العالمين لعن بها إبليس لمّا قال له: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ [ص: ٧٧ – ٧٨] و رب العالمين إذا اختص وحده باللعنة فيعني التهديد في أكبر وأعظم صوره. والله أعلم.

السؤال التاسع :

لماذا حلف الشيطان بعزّة الله في الآية ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢﴾ ؟

الجواب :

١ـ بعض العلماء يقول: علِم عدو الله أنه ليست له عزّة فأقسم بعزة الله سبحانه وتعالى، وهذا قول لبعض العلماء.

ولكنّ بعضهم يقول: القسم عادة يتناسب مع المقسم عليه، والقسم بلفظ الله يصلح لكل نوع، يقول الإنسان: والله لا أفعل هذا، والله لأفعلنّ كذا، لكنْ حينما يكون الأمر بحاجة إلى قوة وسلطان، عند ذلك يكون القَسَم بعزة الله لأنّ العزة فيها معنى القوة والسلطان. فلا يبعد أنّ القرآن الكريم ذكر هذا اللفظ؛ ليشير إلى أنّ الأمر يحتاج إلى قوة وإلى سلطان في إغواء هؤلاء.

٢ـ هذه القوة من أين جاءته وهو ما عنده قوة ولا سلطان؟ هذه القدرة والقابلية على إغواء الناس وعلى الدخول إلى قلوبهم هي في واقع الحال من تمكين الله سبحانه وتعالى لهذا المخلوق؛ لأنه يعلم - هذا المخلوق - أنه إذا لم يمكّنه الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أنْ يصل. والإنسان يوسوس له الشيطان، وهذه الوسوسة إذا لم يشأ الله سبحانه وتعالى أنْ تحدث أثرها لا تحدث أثراً، فلا يكون شيء في مُلك الله عز وجل من غير إرادته.

فالظاهر – والله أعلم – أنّ القَسَم هنا كان مناسباً، يعني: كأنما أنا سُلبت مني العزة، فأنا أقسم بعزتك وكأنه يتشبث بهذه العزة، بهذه القوة حتى يستطيع أنْ يغوي؛ لأنه قال ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ بهذا التأكيد بمجموعهم واستثنى ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٣].

والله سبحانه تعالى في الحديث القدسي استعمل « **وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**» لأنّ فيها معنى القوة. وعندما يكون الأمر بحاجة إلى بيان القوة والسلطان يقسم بالعزّة.

السؤال العاشر:

ما معنى حق القول في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾؟

الجواب:

(حق القول) في القرآن معناه: ثبت لهم العذاب. و(القول) هو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة: ١٣].

وكلمة (حق القول) إشارة إلى حق القول مني.

والذي ورد في القرآن الكريم أنّ (حق القول) المقصود به ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣] أو ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[ص: ٨٤ – ٨٥].

(حق القول) في القرآن الكريم، وكذلك (حقت الكلمة) لم ترد إلا في ثبوت العذاب، وهذا يمتد في جميع القرآن بمعنى: وجب لهم العذاب أو ثبت لهم العذاب، كما في الآيات: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[القصص: ٦٣] ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[فصلت: ٢٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٨]. وكذلك في الآيات: (١٣) السجدة (٧) يس (٧٠) يس (٣١) الصافات (١٩) الزمر (٧١) الزمر (٦) غافر (٩٦) (٩٧) يونس (٣٣) وكلها لم ترد في القرآن إلا بهذا المعنى وهذه الدلالة.

السؤال الحادي عشر :

ما قضية الشيطان مع ابن آدم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٢٠.

السؤال الثاني عشر :

قوله تعالى في آية ص ٨٣: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ وفي آية يوسف ٢٤: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فما دلالة الجمع بين الآيتين؟

الجواب :

١ـ في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ قيل إنّ غرض إبليس من هذا الاستثناء أنْ لا يقع في كلامه كذب، فلو ادعى أنه يغوي الكل لظهر كذبه حين يعجز عن إغواء عباد الله الصالحين وعند هذا يقال: إنّ الكذب شيء يستنكف منه إبليس فكيف يليق بالمسلم الإقدام عليه؟ !!!.

٢ـ آية ص تدل على أنّ إبليس لا يغوي عباد الله الصالحين.

وقد قال تعالى في صفة يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فنصل من مجموع الآيتين إلى أنّ إبليس ما أغوى يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، وفي هذا رد من القرآن على من نسب إلى يوسف عليه السلام شيئاً من القبائح.

والله أعلم.

السؤال الثالث عشر :

ما الفرق بين المخلَصين ـ بفتح اللام، والمخلِصين ـ بكسر اللام؟

الجواب :

(المخلَصين) بفتح اللام هو من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أمّا (المخلِصين) بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته.

السؤال الرابع عشر :

لماذا قدّم في آية الأعراف ١٨ (مَن تبعه) على (ملء جهنم) وقدّم (ملء جهنم) على (من تبعه) في آية سورة ص ٨٥؟

الجواب :

١ـ إنّ كلتا الآيتين في قصة آدم وإبليس، وقد تقدّم قبلِ هذه القصة في سورة ص الكلام عن جهنم وعذابها في الآيات[٥٥ـ٦٤] فلما تقدّم الكلام عن جهنم قدّم ما يتعلق بها وهو ملء جهنم.

وأمّا في سورة الأعراف فقد تأخر ذكر جهنم وعذابها عن هذه القصة لذلك أخّر ما يتعلق بها في القصة.

٢ـ في سورة الأعرافِ تقدّم على القصة ذكر من تبع إبليس ممن أهلكهم الله من أهل القرى. انظر الآيات ٤ـ٥.

وتقدّم كذلك عتاب ربنا لأهل الأرض لقلة شكرهم، كما في الآية ١٠، فكأنه صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه.

فناسب تقديم مَن اتبعوه في الأعراف من هذه الناحية. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة (ص) مع خواتيمها:

قال في أول السورة: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾.

وقال في آخرها: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾.

والمناسبة أوضح من أنْ تذكر. والله أعلم



سورة الزُمر

أولاً ـ تناسب خواتيم ص مع فواتح الزمر:

١ ـ قال سبحانه في آخر ص:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾

وقال في أول الزمر:

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)﴾

جاء في (روح المعاني): ((وجه اتصال أولها بآخر سورة ص أنه: قال سبحانه هناك: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧)﴾ وقال جلّ شأنه هنا ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ وفي ذلك كمال الالتئام بحيث لو أسقطت البسملة لم يتنافر الكلام.

ثم إنه تعالى ذكر آخر (ص) قصة خلق آدم، وذكر في صدر هذه قصة خلق زوجه منه وخلق الناس كلهم منه وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق ثم ذكر أنهم ميتون)).

٢ ـ ذكر في آخر سورة (ص) قسَمَ إبليس على إغواء بني آدم إلا المخلصين من عباده فقال:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾

وقال في أول سورة الزمر :

﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ فأمره بعبادة الله مخلصاً له الدين لينجو من إغواء إبليس. وهذا هو السبيل للنجاة.

سؤال: هل نهايات السور أيضاً توقيفية؟

لا شك،والمسلمون كانوا يعرفون ما بين السورتين بالبسملة فتبدأ السورة بالبسملة إلا سورة براءة، وجبريل عليه السلام أطلع الرسول ﷺ على السور، وأسماء السور توقيفية أيضاً كما ورد في الحديث « **افتتح بآل عمران**».

وقد يكون للسورة أكثر من اسم كما في الحديث «**من قرأ سورة الإخلاص**» وكل ما وصل إلينا من المصحف هو توقيفي لم يتدخل المصطفى ﷺ ولا الصحابة في شيء، وإنما هكذا لقّنه إياه جبريل عليه السلام.

وحتى القراءات لمّا أراد الرسول ﷺ أنْ يخفف على عباد الله حيث أُنزل القرآن على سبعة أحرف، كما في الحديث «**سألت التخفيف**» فطلب الاستزادة فقال: «**نظرت إلى ميكائيل فقال: انتهت العدة**» أي أنه ليس للرسول ﷺ دخل فيها، ولذلك ليس لنا أنْ نشكك في القراءات، وكلها بإذن الله تعالى، وما وردنا من صحيح القراءات المتواترة من صحيح الروايات قد أقرها الرسول ﷺ بإذن من ربه، وقرأها جبريل عليه السلام عليه ولذلك فإنّ هذه القراءات المتواترة هي عن الرسول ﷺ.

ثانياً ـ هدف السورة: الإخلاص لله تعالى.

هذه السورة مكّية وتدور حول محور الإخلاص لله تعالى في كل الأمور. وتبدأ بدعوة الرسول الكريم عليه السلام بإخلاص الدين له وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين. كما ذكرت الآيات البراهين على وحدانية الله في إبداعه في الخلق. وشدّدت على أهمية الإخلاص لله حتى يوصلنا هذا الإخلاص للجنة مع زمرة المؤمنين. وهي سورة رقيقة تذكرنا بأهمية الإخلاص لله تعالى وترك الرياء.

والإخلاص يكون في عدة أمور: إخلاص العبادة لله وإخلاص النيّة والإخلاص في كل أمور الدنيا، والحرص على أن يكون كل ما نعمله في هذه الدنيا خالصاً لله رب العالمين، حتى ننال خير الجزاء ونسعد بالجنة ونعيمها. وقد وردت كلمة الإخلاص ومشتقاتها في هذه السورة ٤ مرّات للدلالة على أهميته.

تبدأ السورة ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾[الزمر: ٢ – ٣] بالدعوة لإخلاص العبادة لله وأنّ الدين لله وحده. وكما جاء سابقاً في القرآن: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل: ٦٦]، من بين الفرث والدم يخرج لنا اللبن الخالص من الشوائب النقي، كذلك العبادة لله يجب أنْ تكون خالصة لله مهما أحاطها من زيف الدنيا. و﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ

ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ والآيات من ١١ إلى ١٤ كلها تدعو لإخلاص الدين لله.

ثم تنتقل الآيات لبيان من أولى بالإخلاص له: الله تعالى أم غيره؟.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩] فالحمد لله أنه إله واحد لا شريك له، إياه نعبد مخلصين له الدين.

إخلاص العبادة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

إخلاص التوبة: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣ – ٥٤]، واستخدام كلمة ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾ للدلالة على سرعة العودة لله. وذكر الصحابة رضوان الله عليهم أنّ هذه الآية هي من أرجى آيات القرآن الكريم لما فيها من سعة رحمة الله ومغفرته لذنوب عباده ودعوتهم لحسن الظنّ به وبعفوه عنهم مهما تعاظمت ذنوبهم، فهي لا شيء أمام سعة رحمة الله تعالى، فله الحمد وله الشكر.

تحذير من الإشراك بالله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر: ٦٤ – ٦٦].

عظمة الله في الخلق تدفعنا للإخلاص له: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]. وهذا أساس عدم الإخلاص؛ لأنه لو علم العبد قدر الله تعالى لما أشرك معه أحداً من مخلوقاته.

وصف المخلصين في يوم القيامة ومقارنتهم بالكفار. الكلّ يساق زمراً الكفار يساقون إلى النّار: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾[الزمر: ٧١]، والمخلصون يساقون إلى الجنة زمراً: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[الزمر: ٧٣] لأنّ الله تعالى يأبى أنْ يدخل المؤمن وحيداً إلى الجنة، وإنما يدخل قي صحبته الصالحة في الدنيا، وكأنّ هذا الجمع والدخول الجماعي هو ثمرة الإخلاص في الدنيا، فالصحبة الصالحة أساسية في الدنيا؛ لأنها تعين على إخلاص العبادة لله، وفي الآخرة تدخل أفرادها زمراً لجنة الخلد. فكلّ زمرة تحابوا في الله في الدنيا يدخلون الجنّة سوياً إنْ شاء الله.

وسميّت السورة بـ (الزُمَّر): لأنّ الله تعالى ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة وزمرة الأشقياء من أهل النار، وفي هذا دلالة على أهمية الصحبة في الدنيا فلنحسن صحبتنا في الدنيا، عسى الله أنْ يحشرنا معهم زمراً إلى الجنة. اللهم آمين.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب الآية؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ﴿ تَنزِيلُ ﴾: مبتدأ، والخبر قوله تعالى:﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ ولا لزوم لإضمار المبتدأ بتقدير: هذا تنزيل. وجملة المبتدأ والخبر تفيد أنّ التنزيل يكون من الله لا من غيره.

٢ـ هناك آيات كثيرة وصفت القرآن بكونه تنزيلاً وآيات بكونه منزلاً.

* شواهد قرآنية:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [فصلت: ٢].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩].

﴿أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[الإسراء: ١٠٥].

٣ـ والقرآن كونه منزلاً أقرب إلى الحقيقة من كونه تنزيلاً، فكونه منزلاً مجاز أيضاً؛ لأنه إذا كان المراد من القرآن الصفة القائمة بذات الله فهو لا يقبل الانفصال والنزول، وإنْ كان المراد منه الحروف والأصوات فهي أعراض لا تقبل الانتقال والنزول، بل المراد من النزول نزول المَلَك الذي بلغها إلى الرسول ﷺ.

٤ـ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ هو القادر الذي لا يُغلب و ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ هو الذي يفعل لداعية الحكمة لا لداعية الشهوة، وهذا إنما يتم بكون الله عالماً بجميع المعلومات وأنه غني عن جميع الحاجات.

فكون الله (عزيزاً حكيماً) يدل على ثلاث صفات: العلم بجميع المعلومات والقدرة على كل الممكنات، والاستغناء عن كل الحاجات، ومن كان كذلك فكل ما يفعله يكون حكمة وصواباً.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين التنزيل والإنزال والنزول؟

الجواب :

النزول هو الحدث الذي يأتي بشيء من أعلى إلى أدنى، والإنزال يدل على أنّ الذي أنزل أعلى من المُنزل عليه. وأمّا التنزيل فيدل على النزول على فترات بحسب الأحوال.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾[الزمر: ٢] و ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[الزمر: ٤١] ما الفرق بين (إليك وعليك)؟

الجواب :

١ـ ينبغي أنْ نعلم ما الفرق بين (إلى) و(على) في اللغة؟

(إلى) تفيد الانتهاء و(على) للاستعلاء، لذلك يقول أهل اللغة (على) تأتي للأمور المستثقلة الشاقة والمستكرهة.

* شواهد قرآنية :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[البقرة: ١٨٣] لأنه شاق.

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[النساء: ١٠٣].

والنحاة يقولون: سرنا عشرة وبقيت علينا ليلتان، وقد حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، هذا لك وهذا عليك، بخلاف كتب لكم ﴿ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[المائدة: ٢١]. لذلك تأتي (على) لما هو أشق في اللغة.

٢ـ نقرأ الآيتين الواردتين في السؤال ونرى في الآية الأولى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ والثانية ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

نسأل: أيهما الأشق والأثقل أنْ تعبد الله وحدك أو تبلِّغ الناس؟ أنْ تبلغ الناس أشدّ. الآية الأولى ليس فيها تبليغ وإنما خطاب للنبي عليه السلام والثانية قال: (للناس) وهذا تبليغ، الأولى ليس فيها تبليغ والثانية فيها تبليغ وهي الأشق والأشد فيضع (على) مع التبليغ.

الآية الأولى فيها نبوة والثانية فيها رسالة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ ﴾ هذه رسالة، بينما الأولى ليس فيها تبليغ للناس؛ ولذلك قال ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ إذن المشقة فيما أمر به في الدعوة إلى سبيل الله تعالى.

السؤال الثاني :

كيف الجمع بين كلمة ﴿أَنزَلْنَا﴾ في هذه الآية وكلمة ﴿تَنزِيلُ﴾ في الآية السابقة؟ وما أهم دلالات هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ لفظ ﴿أَنزَلْنَا﴾ يشعر بإنزاله دفعة واحدة، ولفظ ﴿تَنزِيلُ﴾ في الآية السابقة يشعر بأنه تعالى أنزله منجماً على سبيل التدرج.

وإذا صح الفرق بين التنزيل والإنزال فطريق الجمع بينهما أنْ يقال إنّ المعنى: إنّا حكمنا حكماً كلياً جازماً أنْ يوصل إليك هذا الكتاب ،وهذا هو الإنزال. ثم أوصلناه نجماً نجماً إليك على وفق المصالح، وهذا هو التنزيل.

كما يصح أنْ يقال: إن القرآن نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وهذا هو الإنزال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ ثم نزل منجماً إلى الدنيا بحسب المصالح والمناسبات فنزل من السماء الدنيا إلى الرسول عليه السلام، وهذا هو التنزيل.

٢ـ جاء بضمير الجمع والتعظيم (إنّا) ثم أتبعه بما يؤكد التوحيد فقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ وهذا من السمات البارزة في السياق القرآني.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي متلبساً بالحق والصدق والصواب، لما أودعناه فيه من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف.

وهو أيضاً قد نزل على دليل حق من الله تعالى، وهذا الدليل هو عجز الفصحاء عن معارضته، فلو لم يكن معجزاً حقاً لما عجزوا عن معارضته.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ لمّا ذكر الله تعالى أنه أنزل الكتاب بالحق، وكلمة الحق تفيد الصدق والصواب، طلب أنْ يشتغل الإنسان بعبادة الله على سبيل الإخلاص، وهو قوله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا ﴾ وأنْ يتبرأ عن عبادة غير الله تعالى بالكلية، وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾.

ولذلك لا تُعرف حقيقة العبادة إلا مع الإخلاص.

٥ـ العبادة هي فعل أو قول أو ترك فعل أو ترك قول لمجرد اعتقاده أنّ الأمر عظيم يجب قبوله والامتثال إليه.

٦ـ الإخلاص هو أنْ يكون الداعي له إلى الإتيان بذلك الفعل أو الترك مجرد الانقياد والامتثال لله وحده لا إلى أي داعٍ آخر، وإلا لا تفيد هذه العبادة.

٧ـ وأما الوجوه المنافية للإخلاص فمنها :

أـ الرياء والسمعة.

ب ـ يجب أنْ يكون مقصوده طاعة الله وطلب رضوانه وطلب الفوز بالجنة والنجاة من النار، وإلا ما كان عمله فيه إخلاص.

ج ـ أنْ يبتعد في هذه الطاعات عن الكبائر.

٨ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾؛ ليبين أنّ رأس العبادات هو الإخلاص في التوحيد.

ولذلك أردف هذه الآية بذم طريقة المشركين فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾.

٩ـ الضمير في ﴿ نَعْبُدُهُمْ ﴾ و ﴿ لِيُقَرِّبُونَآ ﴾ عائد على الأشياء التي عُبدت من دون الله وهي قسمان :

أـ عقلاء: كالمسيح والعزير والملائكة، أو حتى الذين عبدوا الشمس والقمر والنجوم يعتقدون أنها أحياء عاقلة ناطقة.

ب ـ غير عاقلة كالأصنام.

ولذلك استعمل ضمير العقلاء، إمّا على القسم الأول، أو على فلسفة عبّاد الأصنام بأنّ الإله الأعظم أجلّ من أنْ يعبده البشر، لكنّ اللائق بالبشر أنْ يشتغلوا بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب والأرواح السماوية.

١٠ـ لمّا حكى الله مذهب الذين اتخذوا من دونه أولياء اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ كمرحلة أولى رغبة في بعدهم عن الإصرار على الباطل.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ أي أنّ من أصرّ على الكذب والكفر بقي محروماً من الهداية.

وقال: ﴿كَـٰذِبٌ﴾ لأنهم جعلوا الأصنام التي نحتوها بأيديهم مستحقة للعبادة، وهذا من أكبر الكذب.

وقال: ﴿كَفَّارٌ ۝٣﴾ لأنّ اعتقادهم الألوهية بالأصنام هو جهل وكفر.

١١ـ قال: ﴿كَفَّارٌ ۝٣﴾ بصيغة المبالغة؛ لأنهم كفروا نعمة المنعم عليهم وهو الله سبحانه وأصروا على هذا، علماً أنّ هذه الأوثان ليس لها مدخل في ذلك الإنعام، وكفروا عندما جعلوا للأصنام صفة الألوهية فعبدوها عن جهل وكفر.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (أُنزل) بالبناء للمجهول و (أَنزل) بالبناء للمعلوم؟

الجواب:

إذا أراد الحديث عن نائب الفاعل بنى الفعل للمجهول، وإذا أراد الحديث عن الفاعل ذكره. والأصل في الكلام ماذا يريد المتكلم؟ هل الكلام عن الفاعل أو عن نائب الفاعل؟ فإذا كان الكلام عن الفاعل ذكر الفاعل، وإذا كان الكلام عن نائب الفاعل ذكره. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[الزمر: ٢] و ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ الكلام عن الله وليس عن الكتاب، أمّا إذا كان الكلام عن نائب الفاعل فيبنيه للمجهول.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الحكم والفصل في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ الفرق بين الحكم والفصل: الحكم هو القضاء والفصل أشد؛ لأنه يكون بَوْن أحدهما، أي أنْ يكون بينهما فاصل أو حاجز. إذن الفصل أشد.

فإذن لمّا يقول في القرآن: (يفصل بينهم)تكون المسافة أبعد، كأنْ يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار، أمّا الحكم فلا، وقد يكون في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[البقرة: ١١٣] هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى كلاهما، ليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار، فليس فيه فصل.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[النحل: ١٢٤] اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧] هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة فهم فئات مختلفة إذن (يفصل). الفصل يتضمن الحكم، أي: حكم وفصل فيكون أشد.

٢ـ ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤ – ٢٥] قالوا: الفصل هنا بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن الفصل حكم لكن فيه بَوْنٌ وكل جهة تذهب إلى مكان، وأمّا قوله تعالى في سورة ص: ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ هذا حكم قضاء.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين قوله تعالى في آيات كثيرة في القرآن الكريم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣] ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

الجواب:

الآيات توضح الأمر: الأكثرعندما يقول: ﴿ كَانُواْ ﴾ الكلام يكون عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا، كما في الآية: ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣] فالاختلاف في الدنيا.

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية: ١٧]. فقوله: ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ هذه الآن وليس في يوم القيامة؛ لأنها تقصد الدنيا.

السؤال السادس :

لماذا صيغة ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ مختلفة عن صيغة ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾؟

الجواب :

١ـ في صيغة ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ قدّم الجار والمجرور؛ لتفيد الحصر والقصر فقصرت إخلاص الدين على الله تعالى دون غيره.

٢ـ وردت صيغة ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ في القرآن الكريم في ١١ موضعاً، وهي :

[الأعراف ٢٩ـ يونس ٢٢ـ النحل ٥٢ـ العنكبوت ٦٥ـ لقمان ٣٢ـ الزمر ٢ـ٣ـ١١. غافر ١٤ـ٦٥ـ البينة ٥].

٣ـ بينما وردت صيغة ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ في موضع واحد في آية النساء ١٤٦ ضمن الآيات التي تتحدث عن المنافقين في تسع آيات، وهي: (١٣٨ـ١٤٦) ابتداء من قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾.

فلمّا كان الكلام عن معتقد المنافقين قدّم ما يتعلق بهم فقال: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ أمّا في باقي الآيات فالكلام فيها عن الله سبحانه وتعالى فقدّم ضميره وما يتعلق به فقال: ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾.

لمزيد من التفصيل، انظر الجواب في آية النساء ١٤٦ والله أعلم.

السؤال السابع :

قوله تعالى في الزمر٣: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ ومثله في البقرة ٢٦٤ـ والمائدة ٦٧ـ والتوبة ٣٧ـ والنحل ١٠٧ـ وقوله تعالى في يونس ٣٥: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ وقد هدى خلقاً كثيراً من الكفار أسلموا من قريش وغيرهم، فكيف نوفق بين هذا؟

الجواب :

أنّ المراد من سبق علمه بأنه لا يؤمن، وأنه يموت على كفره، فهو عام مخصوص، أو أنه غير مهدي في حال كذبه وكفره. والله أعلم.



﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل (أراد) في الآية؟

الجواب :

ورد الفعل ﴿أَرَادَ﴾ بصيغه المختلفة في القرآن الكريم في (١٣٦) موطناً لم يحذف مفعوله في واحد منها إلا في عائد الصلة، كقوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[هود: ١٠٧] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود: ٧٩] وهذا غير مختص بفعل دون فعل، فحذفُ عائد الصلة كثيرٌ في عموم الأفعال كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ أي بعثه وقوله: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ أي خلقته.

وهذا الحذف في عائد الصلة ورد في فعل الإرادة في (٧) مواطن والباقي (١٢٩) موطناً من فعل الإرادة لم يحذف في واحد منها، كقوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾[الرعد: ١١].

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[الكهف: ٨٢].

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾[الأحزاب: ١٧].

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[الزمر: ٤].



﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين يولج ويكور؟

الجواب :

يولج: أي يدخل الليل على النهار فيأخذ منه، ويدخل النهار على الليل فيأخذ منه.

يكور: أي جعلها كالكرة يدورها كالعمامة، ومن هنا قال ابن حزم في زمن مبكر في معنى آية الزمر ٥ بكروية الأرض؛ لأنّ تكويرهما يقتضي تكوير ما تحتهما.

لذلك في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ﴾ و ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ﴾ الدلالة مختلفة، ولا يوجد تعارض بينهما.

السؤال الثاني :

ما دلالة مثل هذه الآيات ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٢٧.

السؤال الثالث :

قال في الرعد٢ والزمر٥: ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ وفي لقمان ٢٩ ﴿كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ٢.

السؤال الرابع :

ما مناسبة ورود اسم ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ في الآية؟

الجواب:

لأنّ الله سبحانه وتعالى تفضل على خلقه بهذه الآيات الشمس والقمر والليل والنهار، وأعطاهم مقومات حياتهم، ومع ذلك لا ينظر إلى ذنوبهم وتقصيرهم في حقه تعالى؛ لأنه الغفار ويعفو عن كثير.



﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[النساء: ١] وفي الأعراف قال ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وفي الزمر ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فما اللمسة البيانية في الاختلاف بين الآيات؟ وما الفرق بين الخلق والجعل؟

الجواب:

١ـ الجعل في الغالب حالة بعد الخلق، فالخلق أقدم وأسبق. جعل الزرع حطاماً ليس مثل خلق الزرع حطاماً. جعل بمعنى صيّر، هو خلقه ثم جعله وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[المائدة: ٦٠] لا يعني (خلقهم)، وإنما يعني (صيّرهم).

٢ـ إذن في الغالب الجعل بعد الخلق ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] صيّره إماماً وليس خلقه إماماً.

٣ـ هذا الأمر هو العام، ولذلك كلُ (جعل زوجها) يكون بعد الخلق، وأمّا في آية سورة النساء فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ هذا في آدم وحواء، هذا خلق.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٩ – ١٩٠] هذه ليس آدم وحواء وإنما هنا جعل، جعل هذه زوج هذه.

٥ـ في سورة الزمر قال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ خلقكم من نفس واحدة آدم، وهذا الأصل، لكنْ جعل زوجة فلان زوج فلان.

إذن: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يقصد حواء و﴿ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ الكلام عن الذرية، فلمّا ذكر حواء قال: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ولمّا ذكر الذرية قال: ﴿ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾. والله أعلم.

السؤال الثاني :

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾[الزمر: ٦] ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

من المقصود بالنفس الواحدة؟ آدم عليه السلام. ومن المقصود بـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؟ حواء. هذان آدم وحواء أنزلهما إلى الأرض وأنزل معهما طعامهما ومستلزمات الحياة فذكر في الآية: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ هذه الأزواج هي مستلزمات وجود الإنسان على الأرض.

أمّا نحن فقد خُلِقنا بعدها ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ هذا ليس آدم وحواء، وإنما نحن. فالله ذكر خلق آدم وحواء في بداية السورة خلقهما وأنزلهما، وكان الغذاء معداً لهما فلا ينزلهما بدون غذاء. لذلك فإنّ مضمون قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعنينا نحن؛ لذا ذكرها بعد الأولى (خلق آدم وحواء).

إذن خلق آدم وحواء سابقة علينا وذكر ما يتعلق بهما، ثم ذكر خلقنا نحن.

لذلك لاحظ في سورة النحل لمّا ذكر تعالى خلقنا ذكر بعدها الأنعام ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ هذا خلقُنا نحن وليس آدم، ثم ذكر بعدها ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ ﴾ خلقها لنا هنا وليس لآدم. أمّا في سورة الزمر فقد ذكر آدم ثم ذريته من بعد.

السؤال الثالث :

لماذا جاء ذكر الأنعام قبل ذكر خلق البشر؟

الجواب :

في الآية تسلسل منطقي للأحداث.

فقد ذكر الحق في بداية الآية أنه خلق آدم عليه السلام ثم خلق حواء وهما أول البشر. ثم أُخرجا من الجنة وأُنزلا إلى الدنيا فذكر الله أنه أنزل ثمانية أزواج من الأنعام وذلك لتأمين احتياج آدم وأولاده من مقومات الحياة من الطعام.

وثمانية أزواج أي ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، والزوج اسم لكل واحد معه آخر، فإذا انفرد فهو فرد. قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾.

ثم ذكر بعد ذلك خلق باقي البشر؛ لأنه ذكر ﴿ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ بينما ذكر عن خلق آدم ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ لأنهما لم يوجدا عن طريق التوالد كبقية خلق البشر. والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة (أنزل) في الآية ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦]؟

الجواب :

أنزل في هذه الآية بمعنى خلق وأوجد، والأنعام من النعم الموجودة في الأرض لكنها من عند الله تعالى، فكأنه أنزلها، وقيل إنه تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض. والإنزال هنا ناسبه حرف الجر (لكم) ولم يقل (عليكم)؛ لأنّ الأنعام شيء منفصل عن الإنسان.

السؤال الخامس :

ما دلالة الحرف (ثم) في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٧.

السؤال السادس :

ما الظلمات الثلاث التي وردت في آية الزمر ٦ ؟

الجواب :

قام فريق الأبحاث الذي كان يجري تجاربه على إنتاج ما يسمى طفل الأنابيب بعدة تجارب فاشلة في البداية، واستمر فشلهم لفترة طويلة قبل أنْ يهتدي أحدهم ويطلب إجراء التجارب في جو مظلم ظلمة تامة. وقد كانت نتائج التجارب السابقة تنتج أطفالاً مشوهين، ولمّا أخذوا برأيه وأجروا تجاربهم في جو كامل الظلمة تكللت تجاربهم بالنجاح.

والظلمات في الآية هي :

١ـ ظلمة الأغشية التي تحيط بالجنين، وهي [غشاء الأمنيون والغشاء المشيمي والغشاء الساقط].

٢ـ ظلمة الرحم الذي تستقر فيه تلك الأغشية.

٣ـ ظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم.

والله أعلم.

السؤال السابع :

ما الفرق بين المُلك والمِلك والملكوت؟

الجواب :

المِلك بالكسر هو ما تملكه ولو كان يسيراً، والمُلك بالضم أنْ تملكَ من يملك. والمِلك والمُلك في عالم المشاهدة، أمّا الملكوت فهو ما لا تشاهده من مُلك الله، ولا يطلع عليه إلا من اصطفاه من أنبيائه ورسله وأهل طاعته ممن صفت فطرتهم الإيمانية وسلم لهم جهاز الاستقبال عن الله تعالى.



﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ يعني أنه وإنْ كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا أنه لا يرضى بالكفر.

ولاشك أنّا نقول: إنّ الكفر بإرادة الله تعالى، ولا نقول: إنه برضا الله تعالى، والرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة عن الإرادة.

٢ـ ولمّا بيّن سبحانه أنه لا يرضى الكفر بيّن أنه يرضى الشكر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ والشكر مزيج من قول واعتقاد وعمل فالقول هو الإقرار بحصول النعمة، وأمّا الاعتقاد فهو اعتقاد بأنّ النعمة قد صدرت من المنعم سبحانه، وأمّا العمل فهو يدل على السلوك العملي للقول والاعتقاد.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي أنّ الله لا يعذب أحداً على فعل غيره، فمثلاً لا يعذب الأولاد بذنوب الآباء.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيه إثبات على البعث والقيامة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيه تهديد للعاصي وبشارة للمطيع.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ⑦﴾ جاءت بصيغة التوكيد وفي ذلك إثبات العلم لله، وأنه مطلع على الأعمال والقلوب.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين آتاني ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ و ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؟

الجواب :

١ـ في القرآن يستعمل ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أخصّ من ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، ولا يستعمل ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إلا مع المؤمنين فقط، أمّا ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر.

والقرآن يستعمل لفظة: ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ للخاص، ويستعمل لفظة: ﴿مِّنَّا﴾ بشكل عام، ليس فقط مع الرحمة كما هو مذكور أعلاه ،لكنْ بستعملها أيضاً مع النعمة فيقول: ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ و ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، فيستعمل ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ عامة و ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ خاصة، كما في الآيات :

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[الزمر: ٤٩].

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ [الزمر: ٨].

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القمر: ٣٤ – ٣٥].

﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[الكهف: ٦٥].

٢ـ (عند) ظرف مكان أو زمان، وهي تفيد أقصى نهايات القرب.

بينما (من) لها معانٍ أشهرها: للابتداء، أي: ابتداء وقوع الحدث. لذلك الظرف(عند) أخص من حرف الجر (من).

٣ـ و لذلك في الاستعمال القرآني استعمل ﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ ﴾ للمؤمنين فقط أي بشكل خاص، بينما استعمل التعبير ﴿نِعۡمَةٗ مِّنَّا ﴾ بشكل عام للمومن والكافر.

وربما تم الاختيار بين التعبيرين في نفس القصة حسب السياق.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ أي أنه لا يقتصر على أنْ يضلّ نفسه، بل يدعو غيره إمّا بفعله أو قوله إلى أنْ يشاركه في ذلك فيزداد إثماً على إثمه.

السؤال الثالث :

في سورة الزمر في الآية ٤٩ تم العطف بالفاء ﴿فَإِذَا مَسَّ ﴾، بينما في الآية ٨ تم العطف بالواو ﴿وَإِذَا مَسَّ ﴾ فلماذا؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ حكى الله تعالى قبل الآية ٤٩ أنّ الكفار يشمئزون من سماع التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء، ثم ذكر بـ(فاء التعقيب) أنهم إذا وقعوا في الضر والابتلاء التجؤوا إلى الله وحده فكان الفعل مناقضاً للثاني، وهذا هو الفائدة في ذكر فاء التعقيب ههنا.

أمّا في الآية ٨ فليس المقصود منه بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم أن ذكر الله بحرف(الواو) لا بحرف الفاء.

٢ ـ قوله: ﴿ خَوَّلَهُۥ ﴾ التخويل هو التفضل، ويعني نحن نتفضل عليه وهو يظن أنه إنما وجده بالاستحقاق.



﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حذف جواب الشرط في الآية؟

الجواب :

١ـ (أم) تفيد التخيير بين أمرين.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾[الزمر: ٩] هو بتقدير: أم من هو قانت كمن لا يكون كذلك؟ !! ثم حذف الجواب لدلالة الكلام عليه في الآية التي قبلها رقم ٨.

والمعنى: أيهما أحسن مَنْ صفته إذا مسّه الضر يضرع إلى الله، فإذا كشف عنه الضرَ جعل له أنداداً، أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه؟ !

٣ـ ونظائره في القرآن كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾[الأنعام: ٣٥] والتقدير: فافعل، ثم حذف الجواب لدلالة الكلام عليه.

٤ ـ وكذلك قوله تعالى في آية آل عمران ١٥٢ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾شرط وجوابه محذوف بتقدير: من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره وإنما حَسُنَ حذف هذا الجواب؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ ما الفرق بين يتذكر ويذّكر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٧.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بدأ بالآية بذكر العمل ﴿ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ وختم فيها بذكر العلم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا يدل على أنّ كمال الإنسان محصور

في هذين المقصدين، فالعمل هو البداية، والعلم هو النهاية، وبين المرحلتين جاء مقام الخوف ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ ثم جاء بعد ذلك مقام الرحمة ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

٢ـ أضاف الحذر إلى العبد ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ وأضاف الرحمة إلى نفسه سبحانه ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ وهذا يدل على أنّ جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تنبيه عظيم على فضيلة العلم.

السؤال الرابع :

ما مفرد كلمة ﴿ءَانَآءَ﴾ التي وردت في الآية؟

الجواب :

(آناء) جمع (إِنو) وكلمة (إِنو) أي جزء من الليل. ومن حيث التصريف (أأْ ناو) قُلبت الهمزة إلى مد والواو إلى همزة؛ لأنها وقعت بعد الألف الزائدة فصارت (آناء).



﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿عِبَادِ﴾ و﴿عِبَادِىَ﴾؟

الجواب :

١ـ في القرآن الكلمتان موجودتان (عبادي) مرسومة بالياء و(عبادِ) بالكسرة، وكلتاهما مضافة إلى ياء المتكلم.

٢ـ في القرآن عندما يقول ﴿ عِبَادِيَ ﴾ بالياء تكون مجموعة العباد أكثر فكأنه بحذف الياء يكون معنى كلمة العباد أقل.

٣ـ وكلمة (عبادي) أحرفها أكثر من عباد فهم أكثر، وهذا في القرآن كله إذا قال: عبادي بالياء فالمجموعة أكثر.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣] هؤلاء كثرة؛ لأنه ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ـ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦] كلهم بدون استثناء لم يستثن فجاء عبادي بالياء، يجبهم كلهم.

ـ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ـ ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨] قلة.

ـ ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠]. والصابرون قلة.

ـ ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

ـ ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٦ – ٥٧] وهؤلاء كثرة، فجاء بـ(عبادي) مع الكثرة و(عبادِ) مع القلة.

٤ـ من حيث الإعراب (عبادي وعبادِ) واحد، (عبادي) عباد مضاف وياء المتكلم مضاف إليه، وفي (عبادِ) هذه تقديراً، مضاف ومضاف إليه مركب. وهذه من خصوصيات الاستعمال القرآني.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ﴿عِبَادِي﴾ في آية سورة العنكبوت ٥٦، وكلمة ﴿عِبَادِ﴾ في آية سورة الزمر ١٠؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٥٦.

السؤال الثالث :

لماذا جاءت كلمة (قل) في آية سورة الزمر ١٠، ولم ترد في آية سورة العنكبوت ٥٦؟

الجواب :

هوأنّ سياق الآيات مبني على التبليغ في سورة الزمر، بينما في العنكبوت السياق مبني على ذكر النفس وليس التبليغ. وفي سورة الزمر الأمْرُ بالتبليغ تكرر ١٤ مرة ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي﴾ [الزُّمَر:٩] ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ﴾ [الزُّمَر:١١] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ﴾ [الزُّمَر:١٤] ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾

[الزُّمَر:١٥] ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾ [الزُّمَر:٣٨] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ [الزُّمَر:٤٤] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزُّمَر:٤٦] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٦٤]. أمّا في سورة العنكبوت فقد وردت ثلاث مرات فقط؛ لذا اقتضى السياق ذكرها في آية الزمر وعدم ذكرها في آية العنكبوت.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين ذكر الياء (عبادي) وعدم ذكرها (عباد) في آيتي سورة الزمر٥٣ و١٠:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ و ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]؟

الجواب :

١ـ هذه ظاهرة في القرآن. عبادي وعبادِ، أيها الأكثر حروفاً؟

كلمّا يقول (عبادي) يكون العدد أكثر من عدد (عبادِ) مناسبة لسعة الكلمة وطولها وسعة المجموعة.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الذين أسرفوا كثير ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ: ١٣] فقال: ﴿عِبَادِى﴾.

- ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ ما قال: يستمعون الحسن وإنما أحسنه وهؤلاء أقل، فقال: ﴿عِبَادِ﴾.

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[البقرة: ١٨٦] كل العباد تسأل، وهذا لا يخص عبداً دون عبد، إذن هي كثيرة. فقال: ﴿عِبَادِى﴾.

- ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء: ٥٣] كل العباد مكلفون أنْ يقولوا التي هي أحسن. فقال: ﴿عِبَادِى﴾.

- ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[العنكبوت: ٥٦] كثير فقال: ﴿عِبَادِى﴾.

- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠] المؤمنون أكثر من المتقين لأنّ المتقين جزء من المؤمنين، فمع المؤمنين جاء بـ ﴿عِبَادِى﴾ بالياء ومع المتقين جاء بـ ﴿عِبَادِ﴾ بدون ياء.

٢ـ نلاحظ في آيتي العنكبوت ٥٦ وآية الزمر ١٠ أنّ نهاية الآية تكون متناسبة مع الكثرة والقلة، ففي آية العنكبوت ٥٦ قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾[العنكبوت: ٥٦ – ٥٧] هنا قال (كل نفس) و هم كثرة فجعلها مع (عبادي) التي تفيد الكثرة أيضاً. وكذلك الأمر في آية الزمر ١٠ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ

ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ هنا قال (الصابرون) وهؤلاء أقل فجعلهم مع (عبادِ) الذين هم قِلّة، وهذا من التناسب العجيب.

٣ـ إذن في القرآن الكريم حيث قال: (عبادي) بالياء فهم أكثر من (عبادِ) بدون ياء.

ولم تحذف هنا الياء للضرورة، والعرب كانت تحذف الياء من الاسم والفعل، فمرة تذكر ومرة تحذف وتجري على لسانهم، وليس لها ضابط عندهم، لكنْ كيف يستعمل القرآن هذا الأمر الجاري على لسان العرب وكيف يستخدمها؟ هذه هي البلاغة.

* شواهد قرآنية :

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ ﴾ [الكهف: ٦٤].

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا ﴾ [يوسف: ٦٥].

﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ ﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِي ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

السؤال الخامس :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾؟

الجواب :

المفسرون يفسرونها أحد تفسيرين :

١ـ الأجر يصب على الصابرين بغير حساب للدلالة على المبالغة في الأجر.

٢ـ الأجر يصب على الصابرين بدون أنْ يحاسبوا ويدخله الله الجنة بغير حساب.

إذن ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ قد تكون للأجر، وقد تكون للصابرين. قال ﷺ: «**سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب**».

اللهم اجعلنا والقارئين منهم يا رب.



﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾

السؤال الأول :

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ عن سيدنا محمد مع العلم أنّ الأنبياء قبله كانوا مسلمين؟

الجواب :

الإسلام هو دين الله، وهو الدين من أول الأنبياء إلى يوم الدين، وقد سبق في القرآن الكريم ذكر نوح وإبراهيم ولوط ومن اتبعهم بأنهم من المسلمين، لكنّ دين الإسلام كإسلام أُطلق على ديننا، وسيدنا محمد عليه السلام هو أول من أسلم.

والأولية قد تكون في الزمن وقد تكون في التفوق. فقوله تعالى في آية الأنعام ١٦٣: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ على لسان موسى عليه السلام؛ أي: مسلمي زمانه، وأمّا رسول الله ﷺ فأول المسلمين في زمنه وفي زمن غيره بسبب التفوق.

فإذا قال رسول من الرسل: أنا أول المسلمين فالمراد أول المسلمين في زمانه، وإذا قيل لمحمد ﷺ: إنك أول المسلمين فالمراد أول المسلمين تفوقاً من لدن آدم إلى قيام الساعة.

السؤال الثاني:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ يشتمل على أمرين الأول: الأمر بعبادة الله، والثاني أنْ تكون تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك.

وقد خصّ الله نبيه بهذا الأمر؛ لينبه على أنّ غيره أحق بذلك، فهو كالترغيب للغير.

٢ـ ذكر الجزء الأشرف أولاً، وهو قوله: ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ ثم ذكر عمل الجوارح، وهو الإسلام ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

٣ـ كرر كلمة ﴿أُمِرْتُ﴾؛ لأنّ الأولى في عمل القلب، والثانية في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريراً، فالأمر الأول خاصٌ بالعقائد، والأمر الثاني خاص بالتكاليف الإسلامية بافعل ولا تفعل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ فيه تنبيه على أنّ الرسول واجب الطاعة؛ لأنّ أول المسلمين في شرائع الله لا يمكن أنْ يكون إلا رسول الله، وعن طريقه تُعرف الشرائع.

٥ـ الله سبحانه أمر نبيه ﷺ أنْ يجري هذا الكلام على نفسه، والمقصود منه المبالغة في زجر الآخرين عن المعاصي؛ لأنه مع جلال قدره وشرف نبوته إذا وجب أنْ يكون خائفاً حذراً من المعاصي فغيره بذلك أولى حيث قال الله على لسان نبيه في الآية التالية: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ١٣].

السؤال الثالث :

ما وجه دخول اللام في الآية ١٢ بقوله تعالى: ﴿لِأَنْ أَكُونَ﴾ دون الآية ١١ حيث قال: ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾؟

الجواب:

أنّ متعلق ﴿أُمِرْتُ﴾ الثاني غير الأول لاختلاف جهتيهما :

١ـ في الآية الأولى ١١ أمره بالإخلاص في العبادة.

٢ـ في الآية الثانية ١٢ أمره بذلك لأجل أنْ يكون أول المسلمين بمكة ولهذا سميت اللام هنا بلام (أجل).

السؤال الرابع :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١٢] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس: ١٠٤]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٢.

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ ﴾

السؤال الأول :

لماذا حذف ياء المتكلم في آية الكافرون ٦ ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ ولم يحذفها في آية الزمر ١٤ ﴿ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ ﴾ مع أنّ فواصل الآيات في السورتين متشابهة؟

الجواب :

١ـ لنستعرض آيات الزمر (١١ـ ١٤)، قال تعالى:

﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ ﴾[الزمر: ١١ – ١٤].

٢ـ الكلام عن الدين في سورة الزمر أطول، كما في الآيات: ﴿ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ ﴾ ﴿ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ ﴾ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ أمّا في الكافرون فهي آية واحدة ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ فناسب أنْ يقول: ﴿ دِينِي ﴾ في الزمر من حيث الطول.

٣ـ في آيات الزمر[١١ـ١٤] يوجد فيها ثلاثة عشر ضميراً، بينما في كل سورة الكافرون فيها سبعة ضمائر فقط، أي: حوالي الضعف، فذكر الياء مع السمة التعبيرية للسياق.

٤ـ في سورة الكافرون المطلوب نفي العبادة ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ ﴾ وفي الزمر إثبات العبادة والأمر بها.

ولا شك أنّ الترك أيسر من العمل؛ لأنّ العبادة أشق، فمع الترك الخفيف حذف ومع العمل الثقيل ذكر، وهذه تسمى مناسبة الحدث للحدث.

٥ـ يجوز في اللغة أنْ يقول في سورة الكافرون (ولي ديني) لكن نحن نتحدث عن البلاغة وعن المناسبة، لماذا حذف؟ ولماذا أثبت؟ وهذه مراعاة لمقتضى الحال، وهي ليست فقط مسألة تناسب صوتي مع أنه موجود، لكن أحياناً يغاير التناسب الصوتي ما قبلها وما بعدها.

والمشركون كانوا يفهمون أكثر مما نفهم قطعاً ويعلمون أكثر مما نعلم ولذلك هم نأوا عن الإتيان بمثل سورة الكافرون أو الكوثر أو غيرها، مع أنّ الله تعالى تحداهم بسورة وهم نأوا عن ذلك.



﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (مِن) في الآية؟

الجواب :

(من) لابتداء الغاية، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] أي ليس هنالك فراغ بين العرش والملائكة. وقوله: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن

﴿تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[الزمر: ١٦] أي مباشرة عليهم، و لو قال: فوقهم، فإنها تحتمل بُعد المسافة أو قربها.



﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة الطاغوت؟ وهل هي موجودة في لغة العرب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٦.

السؤال الثاني:

قال في الزمر١٧ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ وفي الفجر٢٩ ﴿فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾ فذكر ياء المتكلم، فلماذا؟

الجواب:

١ ـ إنّ ما ذُكرت فيه الياء أوسع وأشمل مما حُذفت منه الياء.

٢ ـ (العباد) في آية الفجر أكثر منهم في آية الزمر، فقد خصّصهم الله تعالى في آية الزمر بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ فهم لم يكتفوا بالحسن بل يتبعون الأحسن، وأطلقهم في آية الفجر في عموم عباده الذين يدخلون الجنة ولا شك أنّ فيهم من لم يكن يتبع أحسن القول.

فلمّا كثر العباد في آية الفجر زاد في البناء مناسبة لزيادة العباد، فقال: ﴿عِبَٰدِى﴾ ولمّا كان العباد في آية الزمر جزءاً ممن ذكر في آية الفجر اقتطع من الكلمة لتناسب قلة البناء قلة العباد فقال: ﴿عِبَادِ﴾.

٣ـ ومما حسّن ذلك أيضاً مراعاة الفواصل في السورتين.



﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى حق القول؟

الجواب:

(حق القول) في القرآن معناه: ثبت لهم العذاب. و (القول) هو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]. وكلمة (حق القول) إشارة إلى حق القول مني.

وعموم النحاة يذكرون أنّ (حق القول) المقصود به ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣] أو ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[ص: ٨٤ – ٨٥].

وجملة (حق القول) في القرآن الكريم، وكذلك (حقت الكلمة) لم ترد إلا في ثبوت العذاب، وهذا يمتد في جميع القرآن بمعنى: وجب لهم العذاب أو ثبت لهم العذاب، كما في الآيات: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [يس: ٧] ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الصافات: ٣١] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزمر: ١٩] ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزمر: ٧١] وكلها لم ترد في القرآن إلا بهذا المعنى وهذه الدلالة.

السؤال الثاني:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ يدل على أنّ السماع قدر مشترك بين الكل، وأنّ تمييز الأحسن عما سواه لا يأتي بالسماع فقط وإنما بحجة العقل.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ فيه تنبيه على أنّ الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا، هم الموصوفون بأنهم هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أي اختيار الأحسن في أبواب الاعتقادات.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ فيه دقيقة عجيبة، وهي أنّ حصول الهداية في العقل والروح أمر حادث ولا بدّ له من فاعل ـ وهو الله ـ وقابل الضميرفي (هداهم) مع (أولئك هم أولوا الألباب)؛ لأنّ الإنسان ما لم يكن عاقلاً كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقية في قلبه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ هو صيغة سؤال، ولا يصح في الكلام العربي أنْ يدخل حرف الاستفهام على الاسم وعلى الخبر معاً، فلا يُقال: أزيد أتقتله، بل هنا شيء آخر أنه دخل حرف الاستفهام على الشرط وعلى الجزاء، وكذلك دخل عليهما الفاء معاً وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ﴾ و ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾، ولأجل هذا السؤال اختلف النحويون وذكروا فيه وجوهاً :

أ ـ الآية جملتان، والتقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تحميه أفأنت تنقذ من في النار.

ب ـ أنّ أصل الكلام: أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه. وهي جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار. والفاء هنا هي فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب والتقدير: أأنت مالك أمرهم.

ج ـ جاء حرف الاستفهام لإفادة معنى الإنكار. ولمّا كان استنكاره هذا المعنى كاملاً تاماً، ذكر هذا الحرف في الشرط وأعاده في الجزاء تنبيهاً على المبالغة التامة في ذلك الإنكار.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

لماذا لم تلحق الفعل ﴿حَقَّ﴾ علامة التأنيث، مع أن فاعله ﴿كَلِمَةُ﴾ مونثة؟

الجواب :

لأنّ المونث هنا غير حقيقي، فيجوز في الفعل التأنيث وعدمه.

السؤال الرابع :

الاستفهام في الآية ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ يحتاج إلى خبر، فما تقديره؟

الجواب :

التقدير :(أفمن حقّ عليه كلمة العذاب) أتريد أنْ تنقذه من النار وقد حكم الله عليه أنه من أهلها؟

السؤال الخامس :

ذكر العائد في آية الزمر١٨ فقال: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ ولم يذكره في آيتي البقرة ١٤٣ والأنعام٩٠، فقال: ﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٣.

﴿ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ ﴾ تفيد أنّ منازل الجنة تكون مستجمعة لكل الفضائل، وهي عالية مرتفعة في غاية القوة والمتانة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾ والوعد مصدر مؤكد.

و نلاحظ في كثير من آيات الوعد أنّ الله أكّدها وقوّاها، نحو ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾ وأنه لا يخلف وعده.

بينما لم يذكر في آيات الوعيد مثل هذا التأكيد والتقوية، وذلك يدلّ على أنّ جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين السلوك و الدخول؟

الجواب :

السلوك أيسر من الدخول ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ ﴾[النحل: ٦٩] هذا أيسر وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[الزمر: ٢١] هذا أيسر.

السؤال الثاني :

في الآية عدد من حروف العطف، ما حروف العطف؟ وما استعمالاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَنَـٰبِيعَ ﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفرقان ٤٨.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخشية والخوف والوجل؟ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج: ٣٥] ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٥٠.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الأنفال٢: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ وفي الرعد ٢٨ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ فكيف الجمع بين الخوف والطمأنينة؟ وما التناسب بين ذلك وآية الزمر ٢٣؟

الجواب :

١ـ المراد بالذكر في آية الأنفال هو ذكر عظمة الله تعالى وشدة انتقامه ممن عصى أمره؛ لأنّ آية الأنفال نزلت عند اختلاف الصحابة في غنائم بدر فناسب هذا التخويف.

٢ـ آية الرعد: المراد بالذكر هو ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأناب إليه.

٣ـ جمع بينهما في آية الزمر٢٣ فقال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ والتقدير: تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها إلى حضرة الله وهو لا يحس بالإدراك.

٤ـ قال تعالى ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل (إلى رحمة الله)؛ لأنّ من أحب الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله حقاً، وإنما أحب شيئاً غيره، وأمّا من أحب الله لا لشيء سواه، فهذا هو المحب الحق في الدرجة العالية، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

٥ـ ذكر في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط، وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معاً؛ لأنّ المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف؛ ولأنّ محل المكاشفات هو القلوب والأرواح.

٦ـ في آية الأنفال: نُسبت الزيادة التي هي فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سبباً فيها، وهذا من الإسناد العقلي في القرآن الكريم.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

ذكر الله تعالى في هذه الآية أربع صفات من صفات القرآن الكريم، وهي :

١ـ قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ وهذا يكون بحسب لفظه وبحسب معناه.

أ ـ بحسب اللفظ: بفصاحته وجزالته وأسلوبه، فهو ليس شعراً ولا نثراً ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل، بل هو نوع يخالف الكل مع أنّ كل ذي طبع سليم يستطيبه.

ب ـ بحسب المعنى: فهو منزه عن التناقض، واشتماله على الغيوب في الماضي والمستقبل، والعلوم الموجودة فيه كثيرة جداً، وهي علوم نافعة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضاً، متشابه في فصاحته وآياته يقوي بعضها بعضاً، ومراد آياته متشابه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مَّثَانِيَ﴾ وفيها معنيان :

أ ـ أنها تكرر بالقراءة مرة بعد مرة.

ب ـ أكثر الأشياء المذكورة فيه وقعت زوجين زوجين مثل: الأمر والنهي ـ العام والخاص ـ المجمل والمفصل ـ أحوال السماوات وأحوال الأرض ـ الجنة والنار ـ الظلمة والنور ـ اللوح والقلم ـ الملائكة والشياطين ـ العرش والكرسي ـ الوعد والوعيد ـ الرجاء والخوف.

والمقصود منه أنّ بيان كل ما سوى الحق زوج، ويدل على أنّ كل شيء مبتلى بضده، وأنّ الفرد الأحد هو الله سبحانه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي تأخذهم قشعريرة، وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف.

والقرآن الكريم دلّ على أنّ أولياء الله تارة تقشعر جلودهم وأخرى تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، وليس فيه أنّ عقولهم تضطرب.

ولفظة قشعريرة هي من التقشع، وهو الأديم اليابس مضموماً إليه حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد، ويُقال: اقشعر جلده من الخوف، ووقف شعره للدلالة على شدة الخوف.

٥ـ ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ ما الوجه في التعدية بالحرف (إلى) ؟

والجواب: التقدير: تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها إلى حضرة الله وهو لا يحس بالإدراك.

والله أعلم.



﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين جاء وأتى في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٣٤.



﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ما الفرق بين يتذكر و يذّكر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٧.

السؤال الثاني :

كم مرة وردت كلمة (مثل) في القرآن؟

الجواب :

وردت في (٤٧) موضعاً في (٤٦) آية.



﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا في سورة المؤمنون آية ١٥ و ١٦ جاء توكيدان في الموت وتوكيد واحد فى سورة الزمر ٣٠ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾؟

الجواب :

مسألة التوكيد أولاً تعود للسياق، والقرآن أكّد الموت بتوكيدين في آية سورة المؤمنون ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ و أكّد مرة واحدة في آية سورة الزمر ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ولم يذكر اللام هنا، والسبب أنه ذكر الموت في سورة المؤمنون ١٠ مرات بينما ذكر في سورة الزمر مرتين فقط، وتكررت صور الموت في سورة المؤمنون أكثر منها في سورة الزمر، وفي سورة المؤمنون الكلام أصلاً عن خلق الإنسان وتطويره وأحكامه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية المؤمنون ١٥ .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة (ميْت) و(ميّت) في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة (ميْت) بتسكين الياء تقال لمن مات فعلاً نحو ما جاء في سورة الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ولذا جاء في القرآن الكريم تحريم أكل لحم الميتة بتسكين الياء وقد تكون حقيقة أو مجازاً.

أمّا (الميّت) بتشديد الياء، فقد يكون لمن مات أو من سيموت، بمعنى من مآله إلى الموت حتماً، كما في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾.



﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ في آية الزمر ٣١ و﴿يَخِصِّمُونَ﴾ في آية يس ٤٩؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يس ٤٩.



﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي﴾ لماذا استعمل (الذي) ولم يستعمل (ما)؟

الجواب:

١ـ القاعدة أن: الذي، أخص من: ما.

٢ـ لمّا قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ فجاء به مخصصاً فخصّص الجزاء فقال: ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف يقول القرآن ﴿ بِٱلَّذِينَ ﴾ وهي للمذكر ولم يقل (باللاتي)، مع أنّ أسماء الأصنام مونثة؟

الجواب :

١ ـ كان الكفار يقولون عن أصنامهم إنها بنات الله، وكان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه: أنثى بني فلان، ويسمون الأصنام بأسماء مؤنثة، نحو :اللات والعزى ومناة، وقال الله فيهم: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾.

٢ـ هناك فرق بين اسم الصنم ومسماه، فمن حيث هو صنم يكون الجمع مذكراً، ومن حيث المسمى مؤنثاً. فـ(الذين) للاسم أي للأصنام، واللاتي للمسمى.



﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾



السؤال الأول :

ما دلالة تأنيث أصنام كفار قريش في الآية، وكما في الآية السابقة؟

الجواب :

أ ـ هذه الآية نزلت في المجتمع الجاهلي، والخطاب للرسول عليه السلام وكان الكفار يقولون عن أصنامهم: إنها بنات الله، وكان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان ويسمون الأصنام بأسماء مؤنثة، نحو: اللات والعزى ومناة، وقال الله فيهم: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾.

ب ـ قال تعالى في الآية: ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ فجعل آلهتهم لا تعقل، واستعمل ﴿مَّا﴾ لذات ما لا يعقل.

ج ـ جاء بضمير الإناث ﴿هُنَّ﴾ وهذا الضمير يمكن أنْ يستعمل لجمع الإناث، أو لجمع غير العاقل مذكراً أو مؤنثاً، فجعلهم غير عقلاء، وهو متناسب مع (ما) التي هي لغير العاقل.

د ـ جاء بجمع المؤنث السا لم ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ وهو يمكن أنْ يكون لصفات الذكور غير العقلاء فجعلهم غير عقلاء.

فناسب التأنيث من كل جهة.



﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في آية سورة الأنعام ١٣٥ والزمر٣٩ و﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في آية سورة هود٩٣؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ وسورة الزمر ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وقال في سورة هود: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾

علينا أنْ نلاحظ القائل في الآيات، ففي آية سورة الأنعام الله تعالى هو الذي أمر رسوله بالتبليغ، أمره أنْ يبلغ الناس كلام ربه وهذا تهديد لهم فأصل التأديب من الله تعالى. وكذلك الأمر في آية الزمر.

أمّا في آية سورة هود فهي جاءت في شعيب وليس فيها أمر تبليغ من الله تعالى، فالتهديد إذن أقل في آية سورة هود؛ ولهذا فقد جاء بالفاء للتوكيد في آيتي الأنعام والزمر ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾؛ لأنّ فيهما التهديد من الله ولمّا كان التهديد من شعيب حذف الفاء ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾؛ لأنّ التهديد أقل.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾[الزمر: ٢] و ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾[الزمر: ٤١] ما الفرق بين إليك وعليك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ٢.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ في آية الزمر ٤١- و﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾﴾ في آية الأنعام ٦٦؟ وما الفرق في الاستعمال بين ليس و ما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٦.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الموت والوفاة في سورة الزمر ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾؟ وما النفس؟ وما الفرق بين الحياة والروح؟

الجواب :

١ـ الوفاة: يقولون: وفّى ماله من الرجل؛ أي: استوفاه كاملاً غير منقوص أي قبضه وأخذه، فعندما يقال: توفي فلان، كأنه قُبِضت روحه كاملة غير منقوصة.

والموت هو مفارقة الحياة، وليس فيه معنى القبض؛ ولذلك يستعمل لفظ الموت أحياناً استعمالات مجازية، يقال: ماتت الريح أي سكنت وهمدت والذي ينام مستغرقاً يقال: له: مات فلان إذا نام نوماً عميقاً مستغرقاً. هذا السكون للموت، فكأنّ هذا الشيء الذي يفارق جسد الإنسان بالمفارقة هو موت، والذي توفّي تقبضه ملائكة الموت.

٢ـ عندما نقول: مفارقة الحياة أو مفارقة الروح يمكن أنْ ننظر إلى نوع من التفريق بين الحياة والروح. وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ لا

نعلم ماهية الروح، لكنْ هي يقيناً غير الحياة؛ لأنّ الحيوان المنوي (الذي يتولد منه الكائن الحيّ عند الذكر) حيّ وفيه حياة وبويضة الأنثى فيها حياة وعندما يتم الإخصاب فهذا الشيء المخصّب فيه حياة، وأول ما يحصل لهذا الشيء المخصب هو نبض قلبه، ونبض القلب حياة، لكنْ بعد شهرين أو أكثر تُنفخ فيه الروح، لكنْ قبل ذلك كان فيه حياة فالحياة غير الروح.

٣ـ النفس فيها معنى الشيء المحسوس؛ لأنّ لها علاقة بالنَفَس والحركة. هل النفس هي الروح؟ الله أعلم. وقال بعضهم: إنّ النفس هي مجموع التقاء مادة الجسد بالروح، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ يمكن أنْ تكون الروح، والتي لم تمت في منامها.

٤ـ يتوفّى: أي يقبضها كاملة غير منقوصة عندما تفارق جسدها، أمّا الموت فهو مجرد مفارقة الروح للجسد، والوفاة إشارة إلى قبضها وأخذها. والعرب يقولون: توفى فلان دينه من فلان، أي قبضه كاملاً. أمّا مجرد الموت فليس فيه إشارة للقبض.

السؤال الثاني:

لماذا استعمل الأنفس ولم يقل النفوس؟

الجواب:

١ـ قال: الأنفس، وهي جمع قِلّة على وزن (أفعُل)، لكنّ جمع القلة إذا أضيف أو دخلت عليه أل الاستغراق ينتقل إلى الكثرة، بمعنى: لكل الأنفس.

٢ـ والفرق بين أل الاستغراق وأل التعريف، أنّ أل التعريف تكون عادة للشيء المعهود، فتقول مثلاً: هذا كتاب جيّد، ثم تقول: قرأت الكتاب أي هذا الكتاب المعهود الذي تعرفه.

أمّا أل الاستغراق فليس المقصود منه تعريف شيء معين، وإنما للدلالة على شيء عام، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ الإنسان تدل على أنه ليس إنساناً معيناً بذاته، وإنما استغراق الإنسان كجنس، فيحسب كل إنسان أنه خاسر فيتطلع إلى الإنقاذ، فيأتيه الإنقاذ في قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.

٣ـ إذا أريد ذاتاً معينة تكون أل للتعريف، كأنْ تكون لعهد ذهني أو عهد ذكري (يقال: سأل عنك رجل ثم تقول :رأيت الرجل، تقصد به الرجل الذي سأل عنك) عُرِف من العهد المذكور سابقاً. وهذا العهد الذكري.

أمّا العهد الذهني فهو في الذهن حاضر، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الكتاب: أي الكتاب المعهود في الذهن أنه الكتاب المقروء، أي القرآن فهو حاضر في الذهن.

٤ـ لمّا دخلت أل الاستغراق على (أنفس) نقلتها من جمع القلة إلى الكثرة أمّا كلمة (نفوس) فهي ابتداء للكثرة، فلماذا لم تستعمل إذن؟

إذا رجعنا إلى المواضع التي وردت فيها كلمة (أنفس) وكلمة (نفوس) في القرآن الكريم وفق ما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وجدنا أن كلمة (أنفس) وردت في(١٥٣) موضعاً على النحو التالي:

أ ـ معرّفة بأل الاستغراق في ستة مواضع.

ب ـ مضافة في المواضع الأخرى ١٤٧ موضعاً وجميعها للكثرة [(٤٩ أضيفت إلى (كم)] و[٩١ أضيفت إلى (هم)] و[٤ مواضع أضيفت إلى (هنّ)] و[٣ مواضع أضيفت إلى (نا)].

٥ـ صيغة الكثرة في (نفوس) وردت مرتين فقط الإسراء ٢٥ـ التكوير ٧ـ ونسأل: لماذا؟

نحن نقول دائماً: إنّ كتاب الله عز وجل ليس من عند بشر، والذي يقول: إنه من عند محمد عليه السلام فهو لم يقرأ القرآن. الله تعالى عالم أنّ هذه اللفظة واردة في كتابه ١٥٣ مرة وسيقرؤها العرب، فاختار لهم اللفظ الخفيف (أنفس) للمواطن الكثيرة؛ لأنه أخف من لفظ (نفوس).

٦ـ قد يقول قائل: كيف؟ نقول: إنّ الفتحة هي أخف الحركات، والضمة أثقلها. وإذا نظرنا في كلمة أنفس ونفوس نجد أنّ كلمة (أنفس) فيها مقطعان الأول خفيف وحركته خفيفة (أَنْ)، والثاني ثقيل وحركته ثقيلة ضمة (فُس) أمّا كلمة (نفوس) ففيها مقطعان كلاها فيه ضمة ثقيلة، الأول (نُ) والثاني مبالغ في ثقلة (فُوس). فإذن (أنفس) أخف من (نفوس)، فاستعمل الخفيف للكثرة، ونفوس للمرتين.

السؤال الثالث :

لماذا جاء لفظ (النفوس) في موضعين فقط؟ هل هناك فارق دلالي؟

الجواب :

صيغة الكثرة في (نفوس) وردت مرتين فقط الإسراء ٢٥ـ التكوير ٧.

هذان الموضعان هما موطن الثقل. كلمة (أنفس) جمع قلة (عادة من ٣ إلى ١٠) وجمع الكثرة (ما فوق يتجاوز العشرة) ومنهم من يقول: (من أحد عشر فما فوق) لكنْ من خلال استقراء كلام العرب وجد العلماء أنّ جمع القلة إذا أضيف أو دخله أل التعريف انتقل من القلة إلى الكثرة، نحو قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ ولم تستعمل كلمة (أنفس) مجردة من الإضافة أو بدون أل في القرآن؛ لتدل على الكثرة.

وهنا يرد سؤال: لماذا حوّل جمع القلة بإدخال أل أو الإضافة، ولم يستعمل جمع الكثرة (نفوس) ابتداءً؟ والجواب: لأنّ وزن (أنفس) أخف من (نفوس) وكلمة (أنفس) استعملت بكثرة في القرآن، فاختير اللفظ الخفيف في جميع القرآن ولم يختر اللفظ الثقيل، والخفة والثقل معتبران عند العرب فيرتاح إليه.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الوضع اللغوي لكلمة (اللهمَّ) في الآية؟

الجواب :

١ ـ عند البصريين أنّ الأصل: يا الله، والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر (يا) فتقول: (يا الله)، وكأنّ حذف حرف النداء يُعلمنا أنّ الله هو وحده المستدعى بدون حرف نداء، وشُددت الميم لكونها عوضاً عن حرفين (يا).

٢ ـ في اللغة العربية لا ينادى ما فيه أداة التعريف بـ(يا) فلا يُقال: يا الرجل، لكنْ مع لفظ الجلالة المعرف تميّز حتى في نطقه، وكأنّ الله يُرغم حتى الكافرين بأنْ يجعل للفظ الجلالة تميزٌ، حتى في أفواه الكافرين فيقولون مع المؤمنين: (يا الله)، أمّا بقية الأسماء التي تسبقها أداة التعريف فلا بدّ أنْ تقول: يا أيها الرجل، يا أيها العباس. ولا تقول حتى في نداء النبي: يا النبي، ولكن تقول: يا أيها النبي.

٣ ـ ما رأينا في لغة العرب عَلَماً دخلت عليه (تاء) القسم، فإننا نقول: تالله ولم نجد من يقول: تزيد أو: تعمرو، فتاء القسم مختصة بلفظ الجلالة فقط.

٤ ـ دخول اللام في القَسَم التعجبي أو في الأمور العظام، نحو: لله لتبعثن.

إنها خصوصيات لاسم صاحب الخصوصية الأعلى سبحانه وتعالى.

٥ـ حين نستقرئ القرآن الكريم نجد أن كلمة (اللهُ) وردت بالرفع في (٩٨٥) موضعاً ليس فيها دعاء إلا باللهمَّ في خمسة مواضع، وهي :

أـ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ب ـ ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [المائدة: ١١٤].

ج ـ ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

د ـ ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠].

هـ ـ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الزمر: ٤٦].

٦ـ أما في نداء الربوبية فتقول: (يا رب) وفرق بين نداء لفظة الجلالة (الله) ونداء لفظة الربوبية (رب)، فالألوهية تكليف بافعل ولا تفعل وأمّا الربوبية فإيجاد من عدم وتربية وعطاء من منعِم.

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في يونس٥٤: ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ ﴾، وقال في الزمر٤٧: ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ ﴾ فما الحكمة؟

الجواب :

١ـ لمّا أفرد النفس في يونس ناسب الاكتفاء بـ ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

٢ـ ولمّا جمع في الزمر ﴿ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ ناسب ذكر الفداء بما في الأرض ومثلها.

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

اختار لفظ (العمل) في النحل ٣٤ والجاثية ٣٣ ولفظة (الكسب) في الزمر ٤٨و٥١، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٣٤.

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة الزمر في الآية ٤٩ تم العطف بالفاء ﴿ فَإِذَا مَسَّ ﴾ بينما في الآية ٨ تم العطف بالواو ﴿ وَإِذَا مَسَّ ﴾، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ٨.

السؤال الثاني

ما الفرق بين آتاني ﴿ نِعْمَةً مِّنَّا ﴾ و ﴿ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ٨.



﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول :

اختار لفظ (العمل) في النحل ٣٤ والجاثية ٣٣ ولفظة (الكسب) في الزمر ٤٨ و ٥١، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النحل ٣٤.



﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

وردت ﴿ وَيَبْصُۜطُ ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في سورة البقرة ٢٤٥، بينما سائر ما في القرآن ﴿يَبْسُطُ ﴾ بالسين في أكثر من عشرة مواضع، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الثاني :

قال في آية الروم٣٧ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ وفي آية الزمر ٥٢ ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ فلماذا؟

الجواب :

ألفاظ الرؤية والنظر في سورة الروم أكثر مما في سورة الزمر، وألفاظ العلم في سورة الزمر أكثر منها في سورة الروم، فقد:

أـ وردت ألفاظ الرؤية والنظر في الروم ٧ مرات وفي الزمر ٦ مرات.

ب ـ وردت ألفاظ العلم في الروم ١٠ مرات وفي الزمر ١١ مرة.

تفصيل الفقرة (أ):

انظر آيات الروم[٩ـ٢٤ـ٣٧ـ٤٢ـ٤٨ـ٥٠ـ٥١].

وآيات الزمر[٢١ـ٣٨ـ٥٨ـ٦٠ـ٦٨ـ٧٥].

تفصيل الفقرة (ب):

انظر آيات الروم[٦ـ٧ـ٢٢ـ٢٩ـ٣٠ـ٣٤ـ٥٤ـ٥٦ـ٥٦ـ٥٩].

وآيات الزمر[٧ـ٩ـ٩ـ٢٦ـ٢٩ـ٣٩ـ٤٦ـ٤٩ـ٤٩ـ٥٢ـ٧٠].

لذلك استحقت سورة الروم لفظ الرؤية وسورة الزمر لفظ العلم.



﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين﴿عِبَادِ﴾ و﴿عِبَادِى﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ١٠.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ في آية سورة العنكبوت ٥٦ وكلمة ﴿يَٰعِبَادِ ﴾في آية سورة الزمر ١٠؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٥٦.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين ذكر الياء (عبادي) وعدم ذكرها (عباد) في آيتي سورة الزمر٥٣ و١٠:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ و ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ١٠.

السؤال الرابع :

ما دلالة الحصر في قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾؟

الجواب :

قصرت المغفرة والرحمة عليه سبحانه؛ لأنّ كل ذنب من الذنوب حقّ لله تعالى، وهو وحده الذي يملك أنْ يغفره وأنْ يرحم صاحبه، وله سبحانه أنْ يؤاخذ ويعاقب؛ لأنّ له سبحانه طلاقة القدرة، وليس معه إله آخر يعترض عليه.



﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجنب والشفا والجرف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

السؤال الثاني :

لماذا غلّب التذكير في الآية فقال: (الساخرين) ولم يقل: الساخرات؟

الجواب :

النفس مؤنثة، فإذا أُريد بها الإنسان تُذكّر.

﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما مفرد كلمة ﴿مَقَالِيدُ﴾؟

الجواب :

(مقاليد) جمع مِقلاد على وزن مِفتاح، أو جمع مقليد، وفي لغة أخرى يقولون: إقليد. ومعناها التملك والتصرف والحفظ والصيانة، فلله تعالى مُلك السماوات والأرض، وله مطلق التصرف في أمورهما، وله سبحانه حفظهما وتدبير شؤونهما.



﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول

ما دلالة تقديم اللفظ على عامله في الآية؟

الجواب :

من هذا الباب: تقديم المفعول به على فعله ،تقديم الحال على فعله وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك.

وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص، فقولك: (أنجدت خالداً) يفيد أنك أنجدت خالداً، ولا يفيد أنك خصصت خالداً بالنجاة، بل يجوز أنك أنجدت غيره أو لم

تنجد أحداً معه. فإذا قلت: (خالداً أنجدت) أفاد ذلك أنك خصصت خالداً بالنجدة وأنك لم تنجد أحداً آخر.

ومثل هذا التقديم في القرآن كثير: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] في سورة الفاتحة، فقد قدّم المفعول به إياك على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية، فلم يقل: (إيانا اهد) كما قال في الأولين؛ وسبب ذلك أنّ العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. وهذ نظير قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[الزمر: ٦٦] وقوله: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢] فقدّم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين؛ وذلك لأنّ العبادة مختصة بالله تعالى.



﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (جميعاً) في قوله تعالى في سورة الزمر ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾؟

الجواب:

١ـ الكلام عن يوم القيامة، والصورة التي ترسمها الآية صورة هيمنة لله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد ولو على سبيل المجاز.

في حياتنا الآن يمكن أنْ يقول لك شخص كما قال النمرود لإبراهيم: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ يدّعي لنفسه شيئاً هو لله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ يقول: هذا محكوم بالإعدام فأبرّئه وهذا بريء فأقتله.

في الدنيا يمكن أنْ يكون هناك نوع من الادّعاء، لكنْ في الآخرة عندما يقول الباري عز وجل: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ جميعاً هنا حال، والواو هنا واو الحال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ﴾ مبتدأ وخبر، أي حال كونها مجتمعة بكل جزئياتها، بمن فيها ومن عليها ومن فوقها ومن تحتها.

٢ـ ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى و بصفاته وبما يُنسب إليه من مدلولات المسلمون فيه على قولين: منهم من يقول: نُمِرّها هكذا، وهم الجمهور، يعني ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ معناها: والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة وكفى، وافهم منها ما تفهم. ونترك المضمون لله تعالى وحده ونقول: الله أعلم بمراده.

والفريقان من أهل العلم والصلاح والتقوى والورع، ويسع المسلم أنْ يأخذ بالقولين، ونحن الآن بأمس الحاجة للرأي الآخر (قول التأويل) بسبب ترجمة هذه المعاني.

العرب عندما تقول: في قبضته أو تحت قبضته يعني هو تحت سيطرته. ونحن نستعملها، يقال: صار في قبضة العدو، ولا تعني القبضة أي جعله في راحته وأغلق يده عليه كلا وإنما تحت سيطرته، تحت قوته، تحت قدرته. بهذا المعنى نفهم ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ من غير منازع، ولو على سبيل المجاز. ولن نجد من يقول كما قال النمرود : عندي حرس وشعبي في قبضتي إذا كان من يقولها في الدنيا، ففي الآخرة لن تجد من يقولها.

٣ـ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ اليمين معناها: القوة والقدرة عند العرب. ولذلك قالوا: (مِلك اليمين) والعرب عندما تقول: هو ملك يمينه، لا يقصدون هذه اليد اليمنى، وإنما ما في ملكه أي في قدرته وتصرفه، ولا يعنون يده.

ونهى علماؤنا إذا تكلمنا عن صفات الله سبحانه وتعالى أنْ نشير بأيدينا مثلاً عندما تقول: قلب الرجل بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، فلا يجوز أنْ تشير بأصابعك؛ حتى لا يكون هناك تجسيم، وإنما تقول بلسانك شفاهاً فقط.

٤ـ الطيّ معلوم. تطوي الورقة؛ أي تقلب جزءاً على جزء وتجمعها في يدك. وفيها أيضاً إشارة إلى معنى المِلك والقدرة والهيمنة الكاملة والسلطة الكاملة. وعندما يكون الشيء مطوياً بيمينك؛ أي تحت السيطرة.

فإذن الأرض جميعاً والسموات جميعاً تحت قبضته. وحتى نتبين عظم الصورة فإنّ كل هذا الكون المنظور تحت السماء الأولى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ وحيثما كانت النجوم فهي في السماء الدنيا، و كيف هي السماء الدنيا؟ لا ندري.

ونذكر هنا قصة الذي كان يدرس على شيخه فأخذ ورقة وبدأ يقلب فيها وشيخه كان فيه كِبر، قال الشيخ للتلميذ: ما تصنع؟ قال أريد أنْ أرى الأرض بالنسبة لملك الله، قال كهذه النقطة. فصار يقلّب فقال: ماذا تفعل؟ قال أفتش عنك يا سيدي. فكانت له بها عبرة.

الآية لا توحي بأي إشارة للتجسيد؛ ولذلك قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ينزّه الباري عز وجل عما يشركون.

السؤال الثاني :

ما صفات أرض وسماء الآخرة؟

الجواب :

أرض الآخرة لا زرع فيها ولا حرث ولا حصاد، إنما تأكل وتشرب بمجرد إرادة الأكل والشرب، فما يخطر على بالك تجده بين يديك، لا بأسباب، وإنما بقدرة المسبب سبحانه. قال سبحانه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وكذلك السماء، في الدنيا سماء وأسباب ينزل منها المطر وتشرق فيها الشمس وينورها القمر. أمّا في الآخرة فلا شيىء من ذلك، لا مطر ولا شمس ولا قمر، إنما تُنور الأرض بنور ربها. والله أعلم.



﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ الكلام عن مشهد من مشاهد يوم القيامة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، نلاحظ كلمة نُفِخ مبنية للمجهول؛ لأنّ هناك من ينفخ بالصور. والصور قالوا: هو القرن المجوف مثل البوق ينفخ فيه. وعندنا في الأحاديث أنه مَلَك مخصص للنفخة الأولى، وهو (إسرافيل) عليه السلام.

٢ـ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ نلاحظ هنا أنه استعمل الماضي إشارة إلى التحقق (دلالة الماضي في الاستعمال القرآني إذا أراد التحقق يستعمل الماضي) كأنه وقع فعلاً وصار النفخ.

٣ـ ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ماضٍ أيضاً، يقول العلماء هنا استعمل ﴿ مَن ﴾ التي هي للعاقل للشمول؛ لتشمل العاقل وغير العاقل. وتأتي (من) للعاقل وغير العاقل، وقُدِّمت ﴿ مَن ﴾ لأنّ أصل القيامة لأجل محاسبة العقلاء، وأمّا بقية المخلوقات وغير العقلاء سيصعق أيضاً. وفي الحديث أنّ الشاة الجمّاء تأخذ حقها من الشاة القرناء، ويفصل بين الخلائق، ثم يكونون جميعاً تراباً عدا هذا الخليفة وذريته، فيكون لهم حساب.

٤ـ ﴿ فَصَعِقَ ﴾ الصعقة بمعنى غُشي عليه أو مات، يقال: صعق فلان أي غشي عليه، وصعق فلان، بمعنى: مات، وهنا بمعنى الموت أو غشي عليهم فماتوا؛ حتى نجمع المعنيين. ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ويكون الهدوء عاماً عند ذلك.

٥ـ ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هذه المشيئة المطلقة لله سبحانه وتعالى يختار من يشاء لعدم موته بتلك النفخة؛ لأنّ هذا الذي ينفخ في الصور عقلاً لم يمت لا يصعق هو، لكن قال العلماء بناء على الآثار إنه بعد أنْ يصعق كل من في السموات والأرض يموت.

٦ـ ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ مَن ﴾اسم الموصول، وتستعمل للواحد أو للجمع فيمكن أنْ يكون الذي ينفخ في الصور حتى ينفخ النفخة الأخرى قد يكون معه آخرون من الملائكة.

وليست حجة قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ لأنّ كل من عليها أي على هذه الأرض، ولا يحتج بهذا كما يقول العلماء، ونحن دائماً نحتج بقول العلماء؛ حتى لا نأتي بشيء من عند أنفسنا.

٧ـ قد يأمر الله سبحانه وتعالى أنْ يموت المَلَك بعد النفخة؛ حتى لا يبقى سوى الله سبحانه وتعالى حيّاً، ثم بعد ذلك يحييه ويأمره بالنفخة الثانية أو أنه لا يموت، ما عندنا دليل على أنّ الكل يموت من الملائكة، لكن يقيناً أهل الأرض جميعاً يموتون ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾.

لا يمنع أنْ هذا الملك النافخ سيموت بعد ذلك، ولا يمنع أنه سيبقى فيتولى النفخة الأخرى، ينفخ النفخة الثانية فإذا هم قيام ينظرون، يقفون، وأهم شيء عندهم التلفّت والنظر ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ ،عند ذلك يتيقن الجميع أنه سيكون هناك حساب: المؤمن مطمئن، والكافر يقول: من بعثنا من مرقدنا؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، عند ذلك يؤمنون، لكن لا فائدة من إيمانهم.

السؤال الثاني :

ما دلالة تكرار اسم الموصول ﴿مَن﴾ في الآية؟

الجواب :

إذا كان الموطن دالاً على التفصيل والإحاطة كما هو في هذه الآية كرّر اسم الموصول؛ ليشمل الصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

السؤال الثالث :

كم نفخة ذكرت في القرآن عند يوم القيامة؟

الجواب :

١ـ تحصل النفخة ثلاث مرات :

أ ـ نفخة الفزع: وهي الواردة في سورة النمل ٨٧﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

ب ـ نفخة الصعق :الزمر ٦٨﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

ج ـ نفخة القيام: الزمر ٦٨﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

٢ـ قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي لن يموت عند نفخة الصعق والله أعلم بهم. وقيل هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يميتهم الله وقيل إنهم هم الشهداء والحور العين وسكان الكرسي والعرش.

٣ـ قوله تعالى:﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ لفظة﴿ ثُمَّ ﴾ تفيد أنّ هذه النفخة متأخرة عن نفخة الصعق؛ لأنّ (ثم) تفيد التراخي.

وجملة﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ تعني قيامهم من القبور عقيب هذه النفخة الأخيرة من غير تراخٍ، وهم ينظرون بأبصارهم نظر المبهوت والمدهوش إذا فاجأهم خطب كبير. والله أعلم.

السؤال الرابع :

لماذا قدمت السماوات على الأرض في الآية؟

الجواب :

الكلام في آية سورة الزمر ٦٨ عن الساعة، والساعة يأتي أمرها من السماء، وتبدأ من السماء ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ولذلك قدّم السماء على الأرض.

السؤال الخامس :

قال في النمل٨٧ ﴿فَفَزِعَ﴾ وفي الزمر٦٨ ﴿فَصَعِقَ﴾ فما سبب ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النمل ٨٧.

السؤال السادس :

ما الفرق بين كلمتي ﴿قِيَامٌ﴾ وقائمين؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى القيام الحقيقي، كما في :[آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة (قائمون) في موطنين فقط بمعنى: القيام بالأمر والعكوف، كما في الآيات: [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦] حيث (القائمون) فيها بمعنى العاكفين بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في البقرة ٢٨١ وآل عمران ١٦١ الفعل ﴿ كَسَبَتْ ﴾ وفي النحل١١١ـ والزمر٧٠ ﴿عَمِلَتْ ﴾ فما الحكمة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨١.

السؤال الثاني :

في سورة الزمر ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ العمل جاء بصيغة الفعل الماضي، وجاء الفعل (يفعلون) بصيغة المضارع، وهو يفيد الاستمرار والمستقبل، فما الفرق بين العمل والفعل؟ ولماذا جاء العمل بصيغة الماضي، بينما الفعل بصيغة المضارع؟

الجواب :

١ـ الفعل عام، ويكون بقصد أو بدون قصد من الإنسان والحيوان والجماد، تقول: فعل المياه وفعل الرياح وفعل الإنسان.

٢ـ العمل: يكون فقط بقصد ومن الإنسان فقط، فهو أخصّ.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ شمل علم الله تعالى للعمل والفعل بقصد وبدون قصد فاتسعت دائرة العلم؛ لتشمل العمل وغير العمل كالنيات مثلا ولو قال: يعملون، لفهم ما عُمل بقصد فقط.

٤ـ هذه الآية في أحوال الآخرة وقوله تعالى: ﴿عَمِلَتۡ﴾ أي في الدنيا فناسب الفعل الماضي.

٥ـ سبق هذه الآية الكلام عن الدنيا والإخبار عما سيكون فالتفت في نهاية هذه الآية إلى الدنيا ليناسب السياق، فقال: ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ فناسب الفعل المضارع؛ لأنه يتكلم عن الدنيا بعد الالتفات.

والله أعلم.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ
وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ
فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا استعمل القرآن كلمة (سيق) للكافرين وللمؤمنين في سورة الزمر؟

الجواب :

ليس غريباً أنْ يُؤتى بفعل يشمل الجميع فكل النفوس تُساق بدون استثناء كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق: ٢١] لكنّ المهم أين تُساق كل مجموعة والجهة التي تساق إليها.

إذن كلهم يساقون، لكنّ المهم جهة السوق، فهؤلاء يُساق بهم إلى الجنة وهؤلاء يُساق بهم إلى النار.

تماماً كما يستعمل القرآن كلمة (ادخلوا) فهي تقال للجميع، لكنّ المهم أين سيدخلون الجنة أو النار، وكلمة (خلق) أيضاً عامة للجميع، وكذلك كلمة (الحشر). فليس المهم الفعل وإنما متعلّق الفعل.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥ – ٨٦] وفي سورة الزمر وردت كلمة سيق للكافرين والمؤمنين ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فما دلالة تغير الفعل في آية مريم واستخدام نحشر ونسوق؟

الجواب :

أولاً: ما الفرق بين الحشر وسيق؟

١ـ (نحشر) معناه: نجمع، الحشر من معانيه: الجمع، وربنا قال يوم الجمع ويوم الحشر، ويأتي بمعانٍ أخرى، لكنّ المعنى المشهور(الجمع).

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)﴾[النمل: ١٧].

وقوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣)﴾ [النازعات: ٢٣] ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١)﴾ [الأعراف: ١١١].

٢ـ السَوْق ليس بالضرورة جمعا، فقد تسوق واحداً أو اثنين أو أكثر.

٣ـ في آية مريم قال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ الوفد لا بّد أنْ يكتمل أفراده، إذن بعد الاكتمال يصير الحشر، والوفد يجب أنْ يكتمل.

أمّا في الزمر فقال: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ إذن ليسوا مجموعين، الزمر يعني: جماعات جماعات، الزمرة هي الجماعة، وليسوا وفداً مجموعين. والآية تعني أنّ الذين اتقوا سيصبحون زمراً؛ لأنهم ليسوا بدرجة واحدة، فيُساقون زمراً حتى إذا اكتملوا حُشِروا وفداً، بينما الزمر ليس وفداً.

٤ـ وفي آية مريم قال: ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وليس إلى الجنة، أمّا في الزمر فقال إلى الجنة: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ الوفد هنا للإكرام. وهذا بعد الحساب، بعد أنْ يساقوا زمراً إلى الجنة، يذهبون وفداً إلى الرحمن تكريماً لهم.

٥ـ الأمر إذن هو مرحلة بعد مرحلة، ولا يصح أنْ نضع واحدة مكان أخرى. هم بداية زمر (جماعات) سيقوا إلى الجنة اجتمعوا هناك فكوّنوا وفداً فحشروا إلى الرحمن. وكل كلمة لها دلالتها.

لذلك كل كلمة فيها ملمح دلالي خاص بالمقام السياقي الذي يود الله تبارك وتعالى التعبير عنه، والاختيار لا يمكن أنْ يكون غير ذلك، ومن له معرفة بالبيان لا يمكن أنْ يختار غير ذلك. ولا يجوز أنْ يقال: وسيق الذين اتقوا إلى الرحمن وفداً.

والذي ثبت أنّ أحداً من الكفار زمن الرسول ﷺ لم يعترض على كلمة من القرآن الكريم، مع أنهم هم أصحاب اللغة والبلاغة.

السؤال الثالث :

لماذا حذف كلمة (ربهم) في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۝٧١﴾ في آية سورة الزمر٧١ وذكرها مع الذين اتقوا﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ ﴾ في الآية ٧٣؟

الجواب :

١ـ ذكر الله سبحانه وتعالى كلمة ﴿ رَبَّهُمۡ ﴾ مع الذين اتقوا، ولم يذكرها مع الذين كفروا؛ لأن الذين كفروا لا يستحقون أنْ يرد معهم اسم الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أنْ يذكر اسم الرب ﴿ رَبَّهُمۡ ﴾ الذي يعني المربي والرحيم العطوف الذي يرعى عباده، فلا تنسجم كلمة (ربهم) هنا مع سوق الكافرين إلى جهنم.

٢ـ وعدم ذكر كلمة (ربهم) مع الذين كفروا هو لسببين :

أ ـ الأول أنهم يساقون إلى النار.

ب ـ والثاني أنهم لا يستحقون أنْ تذكر كلمة (ربهم) معهم، فلا نقول وسيق الذين كفروا ربهم إلى جهنم ؛ لأنّ كلمة الرب هنا فيها نوع من التكريم.

٣ـ والواقع أنه كما قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾ لكنْ مع المؤمنين قال: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ ﴾ فذكر كلمة (ربهم)؛ هنا لتنسجم مع الذين اتقوا.

٤ـ والفعل (كفر) يتعدّى بنفسه أو بحرف الجر، وهنا لم يتعد الفعل، وهذا يدل على إطلاق الذين كفروا بدون تحديد ما الذي كفروا به؛ لتدل على أنّ الكفر مطلق، فهم كفروا بالله وبالايمان وبالرسل وبكل ما يستتبع الإيمان.

٥ـ وقد وردت (كفروا ربهم) في مواطن أخرى في القرآن، لكنْ في هذا الموقع لم ترد؛ لأنها لا تنسجم مع سوق الكافرين إلى النار.

ولا بدّ أنْ ننظر في سياق الآيات، فإذا اقتطعت آية من مكانها قد تؤول وتفسّر على غير وجهها المقصود، لكنْ إذا أخذتها في داخل سياقها فستعطي المعنى المطلوب الذي لا يحتمل وجهاً آخر؛ ولذا يجب أخذ الآيات في سياقها.

السؤال الرابع :

ما دلالة ذكر الواو مع الجنة في الآية ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣] وعدم ذكرها مع أهل النار ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[الزمر: ٧١]؟

الجواب :

١ـ قال ربنا: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ ﴾[الهمزة: ٨] ويعني: أبوابها مغلقة مثل السجن، والسجن لا يُفتح بابه إلا لداخل فيه أو خارج منه، إذن جهنم مغلقة أبوابها لا تفتح إلا إذا جاؤوها؛ لذلك قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[الزمر: ٧١] لأنها كانت مغلقة.

٢ـ الجنة مفتحة أبوابها، وليست مغلقة ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ ﴾ [ص: ٥٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾.

٣ـ (الواو) هنا حاليّة، جاؤوها في هذه الحالة جاؤوها وقد فتحت أبوابها أوحال كون أبوابها مفتحة ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾.

أمّا بدون واو ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ معناها أنّ الأبواب مغلقة وحتى لا تتبدد الحرارة، أمّا في الجنة فأبوابها مفتحة.

حتى في الحديث عن الذي يخرج من النار ويرى أهل الجنة منعمين. إذن هي مفتوحة وإلا كيف يراهم؟ وأهل الأعراف يرونهم؛ لذا قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾.

٤ـ الأمر الآخر: ذكر جواب الشرط ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾، في أهل الجنة لم يذكر جواب الشرط. هنا جواب الشرط محذوف للتفخيم. وأحياناً يحذف فعل الشرط للتفخيم والتعظيم، سواء كان في العذاب أو في الإكرام، كما في الآية: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧ ﴾ [محمد: ٢٧] فالمشهد أكبر من الحديث.

وحتى في كلامنا العادي نقول: والله لئن قمت إليك وتسكت، أنت تريد ألا تكمل؛ حتى لا يعلم السامع ماذا ستفعل ؛لأنك لو ذكرت أمراً معيناً لاتّقاه وتهيأ له، فهذا من الهويل، وهنا نفس الشيء ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ هذه كلها

عطف ولا تجد جواب الشرط مطلقاً، فحذف جواب الشرط لتفخيم وتعظيم ما يلقونه؛ لأنّ ما يلقونه يضيق عنه الكلام ويعني أنّ اللغة الحالية الآن لا تستطيع أن تعبّر عما يجدون.

وكما ورد في الحديث الشريف: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» إذن ما يجدونه أكبر من اللغة، ولا تستطيع اللغة أن تعبر عنه. فالجواب هناك، والجواب ما تراه لا ما تسمعه.

السؤال الخامس :

ما دلالة استخدام ﴿ مَا ﴾ أو حذفها في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [فصلت: ٢٠] وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧١]؟

الجواب :

١ـ (ما) تفيد التوكيد.

٢ـ قال تعالى في سورة فصلت: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وهذا من غرائب الأمور، أنْ يشهد السمع والبصر والجلود على الناس؛ ولذا اقتضى استخدام ﴿ مَا ﴾ للتوكيد.

أمّا في سورة الزمر فقد جاءت الآية ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ

﴿ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ وهنا الأمر عادي إذا جاءوا فُتحت الأبواب.

السؤال السادس :

ما الفرق بين (يتلون) عليكم آيات ربكم، و(يقصون) عليكم في الآيات ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٧١] ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]؟

الجواب :

١ـ القصة هي الخبر، والقصة قد تكون مكتوبة نصاً أو تكون من غير نص، مشافهة سواء من كتب أو من غير.

٢ـ (تلا) يعني: قرأ، تلوت القرآن، التلاوة تكون لنص يُقرأ سواء عن حفظ أو عن كتاب، ويجب أنْ يكون هناك نص لتكون هناك تلاوة، سواء كان النص عن حفظ أو من كتاب، أمّا القصة فقد تكون من صحف أومن أمر عام.

٣ـ أيّهما الأعمّ: (قصّ) أم (تلا)؟ (قصّ) أعمّ من (تلا)، (تلا) مقيّد من كتاب، أمّا (قصّ) فقد يكون من كتاب أو من غير كتاب. إذن (قصّ) أعمّ.

٤ـ ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ الرسل كلهم أصحاب رسالة لكن ليس كلهم عندهم كتب. إذن كلمة ﴿ يَقُصُّونَ ﴾ تشمل الرسل الذين أنزل عليهم كتب والذين لم ينزل عليهم كتب. إذن (يقصون) شملت من أنزل عليه كتاب ومن لم ينزل عليه كتاب.

أمّا (تلا) فشملت من أنزل عليهم الكتاب فقط. إذن (قصّ) أعم، وتشمل جميع الرسل، أمّا (تلا) فتخص من أنزل عليهم الكتاب فقط.

٥ـ لماذا وضع كل واحدة في مكانها؟

في آية الأنعام١٣٠ قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ الخطاب موجه من الله تعالى لكل الجن والإنس، وقبلها قال: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) ﴾ فلم يستثن أحداً. إذن شمل الكل سواء من بلّغ له كتاب أو ليس له كتاب.

أمّا في آية الزمر٧١ فقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧١) ﴾ هذه زمرة، وهؤلاء قسم من أولئك، وأمّا آية الأنعام فشملت كل الإنس والجن.

إذن قال: ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ﴾ زمرة أقل، و آية الأنعام للجميع فلمّا خصّص المجموعة خصّص بالتلاوة، ولمّا عمّم الإنس والجن عمّم الرسالة فقال: ﴿ يَقُصُّونَ ﴾.

هذا التعميم يحتاج إلى تعميم، والتخصيص يحتاج إلى تخصيص.

لمزيد من التفصيل انظر أيضاً الجواب في آية الأنعام ١٣٠.

السؤال السابع :

ما الفرق بين سلام والسلام؟

الجواب :

١ـ (السلام) معرفة، والمعرفة هي ما دلّ على أمر معيّن، و (سلام) نكرة، وهي في الأصل للعموم. إذن كلمة (سلام) عامة، وكلمة (السلام) في أمر معين.

وعندما نقول: رجل، يعني أيّ رجل، وعندما نقول: الرجل، نقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس.

٢ـ إذن (سلام) أعم؛ لأنها نكرة. وربنا سبحانه وتعالى لم يحيّ إلا بالتنكير في القرآن كله، كما في الآيات: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الصافات: ٧٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٢٠] حتى في الجنة السلام بالتنكير، كما في الآية :

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨] وكذلك الملائكة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣].

السؤال الثامن :

ما دلالة الحرف ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية ٧١ في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة (٨١).

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بكلمة (الأرض) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ في سورة الزمر؟

الجواب:

هناك تبديل في الأرض الحالية التي نعيش عليها، فالأرض الذي يرثها المؤمنون يتبوؤن من الجنة، هي ليست هذه الأرض، وإنما هي أرض الآخرة التي قال تعالى عنها: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم: ٤٨].

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٨] ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٦] ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[الزمر: ٧٤]

لماذا مرة ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ ومرة بالواو ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ ومرة بالفاء ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾؟

الجواب:

١ـ حرف (الواو) يفيد العطف المطلق، وأمّا حرف (الفاء) فيفيد العطف مع التعقيب، هذا بشكل عام.

٢ـ قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٨].

(نعم أجر العاملين) وهذا الأجر لجميع المسلمين المؤمنين بالله إذا داوموا على الإيمان والعمل الصالح، وهذا الأجر هو الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، هذا (نِعم أجر العاملين).

٣ـ لكن هناك أناس مرتبتهم أعلى، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤ – ١٣٦] شهوات قوية صبروا عليها، فقال: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ فهذه مرتبة أعلى.

٤ـ وعندما تدخل الجنة وترى النعيم: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[الزمر: ٧٣ – ٧٤] جاء بالفاء، أي: استلمنا.

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ لا تقولها إلا عندما تستلم جائزتك وأجرك.

فالأجر إنْ وُعِدت به فهو ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ وإذا كان شيئاً متميزاً لأنك أنت متميز، فهو ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ وإذا استلمته ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ والله أعلم.



﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ﴿مِنْ ﴾ فى الآية ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾؟

الجواب :

(مِن) تفيد ابتداء الغاية، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾ يعني: متصلاً بهم، ليس بينهم وبين السد مسافة، وإنما السد ملتصق بهم و لو قال :(بين أيديهم) لاحتملت هذا، وتحتمل المسافة البعيدة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ﴾ [فصلت: ١٠] لأنّ الجبال هي ملتصقة بالأرض ليس بينها وبين الأرض فاصل؛ لذلك لم يقل: رواسي فوقها، (فوقها) تحتمل الملاصقة وعدمها، أمّا (من فوقها) فتعني الملاصقة.

وكذلك في ذكر العرش في يوم القيامة ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [الزمر: ٧٥] فتفيد أنه ليس بينهم وبين العرش فراغ، ولو قال (حول العرش) لاحتملت الملاصقة وعدمها.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الزمر مع خواتيمها:

قال سبحانه في أول السورة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

وقال في آخرها:

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) ﴾.

و (قُضي) هنا بمعنى: حكم وقضى. والفرق بين الحكم والقضاء أنّ الحكم قد يكون من الحِكمة أو من القضاء، فالحُكم أعم، قال تعالى: ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) ﴾ [الشعراء: ٢١] أي بمعنى الحكمة، وقال: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) ﴾ [مريم: ١٢] أي الحكمة؛ لأنّ الصبي ليس حاكماً فيأتي بمعنى القضاء. وهنا في السورة ذكر الحكم في الحالتين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾. والله أعلم.

سورة غافر

أولاً ـ تناسب خواتيم الزمر مع فواتح غافر:

١ ـ ذكر في خواتيم سورة الزمر مَن سيق إلى النار ومن سيق إلى الجنة:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾.

وذكر في أول سورة غافر أنه سبحانه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول، فقال سبحانه:

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾.

وذلك ليدعوهم إلى التوبة والاستغفار، وذكّرهم بأنه شديد العقاب؛ لينجوا من العقاب الشديد فيكونوا من أهل زمر الجنة.

٢ ـ لمّا ذكر مصيرهم في خواتيم الزمر قال في أول سورة غافر: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

٣ ـ ذكر في الزمر عاقبة الكافرين في الآخرة وعقوباتهم.

وذكر في غافر عقوبة المكذبين في الدنيا فقال:

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾.

فذكر في الزمر وغافر عاقبة المكذبين في الدنيا والآخرة.

٤ ـ قال في آخر سورة الزمر:

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

وقال في أوائل غافر :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ .. ﴾.

فذكر الملائكة وتسبيحهم في الدنيا والآخرة والدعاء للمؤمنين بالنجاة من النار ودخول الجنة.

جاء في (روح المعاني): ((وجه مناسبة أولها لآخر الزمر أنه تعالى لمّا ذكر هناك ما يؤول إليه حال الكافر وحال المؤمن، ذكر هنا أنه غافر الذنب وقابل التوب؛ ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عما هو فيه)).

ثانياً ـ هدف السورة :أهمية الدعوة و التفويض إلى الله.

سورة غافر مكية، نزلت بعد سورة الزمر وهي بعدها في ترتيب المصحف، والمحور الرئيس الذي تتحدث عنه السورة هو أهمية الدعوة وتفويض الأمر إلى الله أثناء الدعوة.

وسورة غافر تنضم إلى سور كثيرة في القرآن في حثها على أشرف مهمة في التاريخ، وهي الدعوة إلى الله؛ لأنها طريق الأنبياء والمرسلين.

والدعوة ليست صعبة؛ إذ لا يشترط أنْ يكون المرء علاّمة حتى يدعو إلى الله. حدث أصحابك عن الإسلام وعظمته، انشر الشريط الإسلامي أو الكتب النافعة، إذ المطلوب العمل فقط، والله وحده هو الذي يهدي من يشاء.

ففي قصة موسى خلال دعوته وحين وصل الأمر التهديد بالقتل فوّض أمره إلى الله، كما قال القرآن: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ وفي قصة مؤمن آل فرعون نجد أنه قد وقف يدافع عن موسى، وكان مؤكداً أنّ فرعون سيبطش به، فانتقل من الدعوة إلى التفويض: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

وكأنّ المعنى: أيها المسلم ادع إلى الله ولا تخش في الله لومة لائم وفوض أمرك إليه؛ ليحميك من أعدائك واستعذ دوماً بالله تعالى: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾

نعم طريق الدعوة صعب ومليء بالمشاق والمتاعب؛ لذلك عليك أيها المسلم أنْ تفوض أمرك إلى الله؛ كي يعينك على مهمتك.

وفي السورة دروس وعبر من قصة مؤمن آل فرعون، ومن ذلك :

١ـ الإقناع العقلي :

كما قص القرآن: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾

٢ـ التواضع مع الناس :

كما قال القرآن عن مؤمن آل فرعون: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا . . ﴾ .

٣ـ صدق العاطفة :

كما قال القرآن عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) ﴾ و﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ (٣٠) ﴾ .

٤ـ استخدام التاريخ في الدعوة :

كما قال القرآن عن مؤمن آل فرعون: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ .

٥ـ التذكير بيوم القيامة :

وهذا من أقوى الوسائل التي يجب على الدعاة أنْ يستعينوا بها في دعوتهم: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) ﴾ .

٦ـ تفويض الأمر إلى الله : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ .

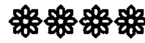
٧ـ الدعاء عنوان التفويض : ركزت السورة كثيراً على الدعاء، ففي بدايتها ذكرت دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾.

وختمت السورة بالآية المشهورة في الحث على الدعاء: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

وخلال السورة وردت آيات كثيرة في نفس المعنى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ﴿قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ﴾.

لذلك إذا أردت العون من الله خلال دعوتك إلى الله والتسليم له، فاقرأ سورة الدعوة والتفويض، اقرأ سورة غافر بهذه النية.



ثالثاً - من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢



﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم المغفرة على العذاب في الآية؟

الجواب :

كثير من الآيات التي جمعت ذكر الرحمة والعذاب بدأ بذكر الرحمة قبل العذاب، كما يظهر من الآيات: [المائدة ١٨ وفصلت ٤٣ وغافر٣] وهذا ينطبق على القاعدة التي بيّنها الحديث القدسي « **إنّ رحمتي سبقت غضبي**».

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمةُ فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً، ومن ذلك :

١ ـ آية المائدة (٤٠) وذلك لأنها وردت في سياق ذكر قُطَّاع الطرق والمحاربين والسرّاق، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب، حيث وردت هذه الآية بعد قوله تعالى في سورة المائدة الآية٣٢ التي قدّم فيها القتل على الإحياء، ثم الآية ٣٣ في ذكر جزاء قطاع الطرق والمحاربين. . ثم جاءت الآية ٣٨ في ذكر جزاء السراق، ثم جاءت الآية ٤٠، فكان من المناسب ههنا تقديم العذاب على المغفرة.

٢ ـ وكذلك قدّم العذاب على الرحمة في آية العنكبوت ٢١ ؛ وذلك لأنها في سياق إنذار إبراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا، فقد أنذر إبراهيم قومه في الآية ١٧ ثم هدّدهم بالعذاب إنْ كذبوه في الآيات:[١٨ و ٢٢ و٢٣]، فاقتضى السياق تقديم العذاب هنا.

السؤال الثاني :

ما دلالة حرف الواو بين الوصفين الأوليين في الآية؟

الجواب :

جاءت الواو بين الوصفين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة؛ لأنّ الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب، أمّا التائب من الذنب فهو كمن لا ذنب له.

السؤال الثالث :

كيف الجمع بين هذه الآية و قوله تعالى في آية النساء ٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؟

الجواب :

لا تعارض بين الآيتين؛ لأنّ الذنب أنْ تخالف أمراً مأموراً به أو منهياً عنه من المشرّع سبحانه، أمّا الشرك بالله فهو خروج عن الإيمان أصلاً فلا يقال له مذنب.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الإحسان والفضل والطَّول؟

الجواب :

١ـ الإحسان قد يكون واجباً وغير واجب، والفضل لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يُتفضّل به من غير سبب يوجبه، والإحسان متضمن بالحمد.

٢ـ الإنعام يكون من المنعم على غيره، وهو متضمن الشكر الذي يجب وجوب الدَّين، والنعمة متضمنة بالشكر.

٣ـ الطَول هو ما يستطيل به الإنسان على من يقصده، والطَول بالفتح هو المنّ والتفضل.

وقوله تعالى ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي من معه فضل يستطيل به على عشيرته.

السؤال الخامس :

ما كلمات منظومة التوبة والاستغفار والرجوع عن الذنب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.



﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين(لا يغررك) و (لا يغرنّك)؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم نون التوكيد بهدف التوكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وقد أكّد بالنون في آية آل عمران١٩٦ فقال: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ ﴾ بخلاف آية غافر٤ فقد قال: ﴿ فَلَا يَغۡرُرۡكَ ﴾ بدون التوكيد بالنون.

والسبب أنّ سياق آية آل عمران في بيان ابتلاء المسلمين في أموالهم وأنفسهم والأذى الكثير ينالهم من عدوهم الكافر الذي يبطش بهم ويفتنهم عن دينهم وينال منهم حتى يبلغ الأمر إلى أنْ يخرجهم من ديارهم، فاقتضى ذلك تأكيد عدم الاغترار بتقلب الذين كفروا في البلاد وسيطرتهم عليها.

في حين لم يكن السياق في شيء من ذلك في آية غافر، فلم يحتج إلى التأكيد، والله أعلم.



﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾

السؤال الأول :

إن قيل: ما فائدة قوله تعالى في وصف حملة العرش ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ ولا يخفى على أحد أنّ حملة العرش يؤمنون بالله تعالى؟

الجواب :

ذكر صاحب تفسير الكشاف وهو الزمخشري في كتابه (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل): أنّ المقصود منه التنبيه على أنّ الله لو كان حاضراً بالعرش لكان حملة العرش والحافون حوله يشاهدونه ويعاينونه، ولما كان إيمانهم بوجود الله موجباً للمدح والثناء؛ لأنّ الإقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معاين لا يوجب المدح والثناء، ألا ترى أنّ الإقرار بوجود الشمس لا يوجب المدح والثناء. فلمّا ذكر الله إيمانهم بالله على سبيل المدح والثناء عُلم أنهم آمنوا به من غير أنْ يروه، ولو رأوه لم يعد لفظ ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ مناسباً .

وقال الفخر الرازي في (التفسير الكبير) عن الزمخشري: ولو لم يكنْ للإمام صاحب الكشاف إلا هذه لكفته طيلة حياته.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة الاستغفار في الآية بالصيغة الفعلية؟

الجواب :

لمّا كان الاستغفارُ يحدثُ ويتجدد، جاء به بالصيغة الفعلية كثيراً شأن الإنفاق، ولم يرد بالصيغة الاسمية إلا في آية واحدة وهي: آل عمران ١٧ وهي في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات، أي: أصحاب هذه الصفات.

السؤال الثالث :

قال في غافر ٧ ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وفي الشورى ٥ ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

آيات سورة غافر :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا

وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾[غافر: ٧ – ٨]

آية سورة الشورى :

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾[الشورى: ٥]

البيـان :

١ ـ آية غافر ذكرت جماعة مخصوصة من الملائكة، وهم حملة العرش ومن حوله، بينما آية الشورى ذكرت عموم الملائكة، فناسب أنْ تستغفر خاصة الملائكة للخاصة من الناس وهم المؤمنون، وأنْ تستغفر عامة الملائكة لعموم أهل الأرض.

٢ ـ لمّا ذكر في آية غافر ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ناسب أنْ يذكر من اتصف بهذه الصفة من أهل الأرض.

٣ ـ ثم إنّ قوله ﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ يفيد التخصيص ولا يفيد العموم، فناسب ذلك أنْ يخصوا المؤمنين بالذكر، لا أنْ يذكروا عموم أهل الأرض، وأغلبهم لا ينطبق عليه هذه الأوصاف.

٤ ـ ثم إنهم لمّا سألوا ربهم أنْ يقيهم عذاب الجحيم وأنْ يدخلهم جنات عدن ومعلوم أنّ ذلك لا يكون إلا للمؤمنين، ناسب ذلك ذكر المؤمنين وإلا فليس من المناسب أنْ تسأل الجنة لكافر.

وأمّا آية الشورى فلم يرد فيها مثل ذلك، بل ذكر فيها عموم الملائكة فناسب أنْ يذكر عموم أهل الأرض، ولم يذكر صفة أخرى تقيّد هذا العموم.

٥ـ ثم إنه لمّا ختم آية الشورى بقوله ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ ناسب ذكر هاتين الصفتين وقصرهما وتعريفهما وتأكيدهما وذكر العموم.



﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في غافر ٨ ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾ وفي الروم٦ ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ وهم يعلمون ذلك، فما فائدة السؤال؟

الجواب:

أنّ المراد أنه وفقهم للأعمال الصالحة المقتضية دخول الجنة؛ ولذلك قال تعالى في الآية التاسعة ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ أي وقهم عذاب السيئات أو جزاء السيئات.

وقوله تعالى ﴿ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ ﴾ معناه جزاء السيئات أو ما يسوؤهم من الحزن والخوف والعذاب، وإلا فلا سيئة يوم القيامة.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة التوبة والاستغفار و الرجوع عن أي نوع من أنواع الخطايا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.



﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة (رفيع) على وزن (فعيل) من الفعل (رفع)، وتأتي بمعنى (رافع) أي أنه سبحانه رافع لغيره كما يرفع سبحانه بعض الخلق على بعض. وتأتي بمعنى مفعول أي (مرتفع) في ذاته.

أي أنّ قوله تعالى ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ لها معنيان:

أ ـ كونه رافعاً الدرجات للأنبياء والأولياء في الجنة، أو رافعاً درجات الخلق في العلوم والأخلاق الفاضلة.

ب ـ أو كونه مرتفعاً في صفات الجلال ونعوت العزة عن كل الموجودات، وهذا الكلام عقلي برهاني.

٢ـ قوله تعالى﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ أي أنه مالكه ومدبره وخالقه.

٣ـ قوله تعالى﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ المراد به الوحي المنزل على الأنبياء عليهم السلام؛ ليصرفوا الخلق من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾؟ ولِمَ لم يقل التلاقي؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ هو يوم القيامة، حيث تتلاقى الأرواح بالأجساد، ويتلاقى فيه أهل السماء مع أهل الأرض، ويتلاقى فيه العابدون والمعبودون، ويتلاقى فيه آدم وجميع ذريته، ويتلاقى فيه الظالم والمظلوم ويتلاقى فيه العمل والجزاء.

٢ـ قال: ﴿ ٱلتَّلَاقِ ﴾ ولم يقل: (التلاقي)؛ لأنّ حدث التلاقي في الآخرة قصير، بمعنى أن التلاقي في يوم القيامة ليس كالتلاقي في الدنيا من حيث الطول وتبادل الحديث وبث الأشواق، ولا يُحدّث بعضهم بعضاً عما جرى لكل منهم في الفراق

الطويل بينهما؛ لأنّ يوم القيامة إنما هو يوم الفرار الأكبر، وكما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ ولا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

فاقتطع من الحدث؛ ليدل على أنه ليس حدثاً مكتملاً يجري فيه ما يجري مع المتلاقين في الدنيا.

٣ـ إضافة إلى مراعاة الفواصل. والله أعلم.

السؤال الثالث :

هل هناك أسماء أخرى ليوم القيامة ذكرت في هذه السورة؟

الجواب :

هناك أسماء أخرى ليوم القيامة ذكرت في هذه السورة، وهي (يوم الآزفة) بقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ [غافر: ١٨]، و(يوم التناد) في قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ [غافر: ٣٢] حيث ينادي أهل النار أهل الجنة، وبالعكس، أو كما قال الله: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١].



﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم السمع على البصر في الآية؟

الجواب :

١ ـ في آيات [الشورى١١ و غافر ٢٠ و٥٦ والإسراء١ والإنسان ٢] قدّم السمع على البصر، وفي آية الفرقان ٧٣ قدّم الصُّم، وهم فاقدو السمع على العميان وهم فاقدو البصر؛ وذلك أنّ :

ـ السمع أول حاسة تعمل عند الطفل الوليد فهو يسمع أولاً ثم يُبصر بعد فترة.

ـ قالوا السمع أفضل، والدليل أنّ الله لم يبعث نبياً أصم (فاقد السمع) ولكنْ قد يكون النبي أعمى ولو لفترة من حياته، كيعقوب عليه السلام، فإنه عمي لفقد ولده.

ـ يمكن تبليغ الأعمى بسهولة كالبصير ويصعب مع الأصم ؛ لذا كان من العميان علماء كبار بخلاف الصم.

٢ ـ قد يكون لتقديم السمع على البصر سببٌ آخر، وهو أنّ مدى السمع أقل من مدى الرؤية، فقدّم ذا المدى الأقل متدرجاً من القصر إلى الطول في المدى، لذا في آية طه بعد قول موسى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ قال الله لهما: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ فقدّم السمع؛ لأنه يوحي بالقرب، إذ الذي يسمعك يكون في العادة قريباً منك، بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيداً، وإنْ كان الله لا يندّ عن سمعه شيء.

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في يوسف ١٠٩ والحج ٤٦ ﴿ أَفَلَمْ ﴾ وجاء في الروم٩ وفاطر٤٤ وغافر٢١ ﴿أَوَلَمْ ﴾ فلماذا؟

الجواب:

القاعدة: في كل موضع يكون ما قبله سبباً لما بعده يكون بالفاء السببية وإنْ لم يكن سبباً لما بعده كان بالواو العاطفة؛ لأنها تعطف جملة على جملة والسياق يبيّن الموضوع، فمثلاً :

١ـ آية يوسف: لمّا تقدمها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي فينظروا ويسمعوا أخبار الرسل وما جرى على من كذّبهم.

٢ـ آية الحج: لمّا تقدمها ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ قال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي ليتدبروا أحوال الماضين منهم.

وهكذا. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية الروم ٩ ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ وفي فاطر ٤٤ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ بزيادة الواو. فما سبب ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٩.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في آية غافر ٨٢ ﴿كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وذكر لهم ثلاث صفات، بينما ذكر صفتين في باقي الآيات؟

الجواب :

لمّا تقدم قصة فرعون وتفصيل حاله وجبروته وما ذكر عنه ناسب ذلك ذكر الكثرة والشدة والآثار في الأرض. والله أعلم.



﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في ترتيب الأسماء في آية العنكبوت ٣٩ وآية غافر ٢٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٣٩.



﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

أكد بـ (إنّ) في آيات غافر٢٧ والدخان ٢٠ وهود ٤٧ ومريم١٨ وآل عمران ٣٦، ولم يؤكد بإنّ في البقرة ٦٧ والمؤمنون ٩٧ والمعوذتين، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٦.

السؤال الثاني :

من أي شيء استعاذ موسى عليه السلام في الآية؟

الجواب :

استعاذ موسى عليه السلام كما ذكرت الآية ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ بصيغة الجمع وبالوصف، ولم يصرح باسم خصمه فرعون صاحب القضية ومُدّعي الألوهية؛ لأنْ :

أ ـ لا يُجعل فرعون في مقابل الله، لو قال: إني عذت بربي من فرعون.

ب ـ فرعون لم يكن وحده، بل كان معه آخرون على شاكلته، فأراد أنْ يجمعهم بكلمة تشمل كل متكبر.

ج ـ راعى موسى عليه السلام هنا حق التربية، وحفظ لفرعون هذا الجميل، فلم يصرح باسمه، واكتفى أنه ضمن هذا الوصف.

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة التكبر والظلم والاستعلاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.



﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ٢٨ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ وفي الآية ٣٤ ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فما سبب اختلاف الصيغة؟

الجواب :

١ـ لمّا قال في الأولى: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾ ناسب ﴿مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾.

٢ـ ولمّا قال في الآية ٣٤ ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ ناسب ﴿مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ

٣٤﴾



﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الرُّشد و الرَّشَد؟

الجواب :

١ـ الرُشد: بضم الراء يقال للأمور الدنيوية والأُخروية، أمّا: الرَّشَد بفتح الراء ففي الأمور الأُخروية فقط. والرُّشد عام، ويشمل الرشاد.

٢ـ الرشاد هو سبيل القصد والصلاح، وهو مصدر. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ أي سبيل الصلاح عموماً.

* شواهد قرآنية :

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] الرُشد في الدنيا.

[آية البقرة ٢٥٦ـ الكهف ٢٤]الرُشد في الأمور الدنيوية والأُخروية.



﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا لم تتكرر قصة يوسف في القرآن كما تكررت قصص الأنبياء الآخرين؟

الجواب :

١ـ ليست قصة يوسف عليه السلام القصة الوحيدة التي لم تتكرر في القرآن، وإنما هناك قصص أخرى منها قصة سليمان والهدهد وقصة ذي القرنين وقصة موسى والخضر وقصة أصحاب الكهف وغيرها.

٢ـ قصة يوسف عليه السلام ليس فيها تعليمات ولا أحكام ولا دعوة قوم كباقي الأنبياء، وليس ليوسف ولا لأبيه مع قومه شأن من شؤون الدعوة وهي تحكي قصة شأن عائلي، وليست رسالة إلى مجتمع أو قوم من الأقوام.

وبذلك هي تختلف عن رسالات الأنبياء الآخرين من دعوة أقوامهم إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان والنهي عن الشرك والعقائد الباطلة.

وما قاله يوسف عليه السلام إلى السجينين معه ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ فهذا جاء عرضاً استغله يوسف للدعوة إلى الله وهو بصدد تعبير الرؤيا، ولم يذكر القرآن لنا أنّ يوسف عليه السلام كان مكلفاً بتبليغ رسالة ما إلى قومه.

وحتى لو كان يوسف عليه السلام رسولاً من رسل الله كما يُفهم من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ [غافر: ٣٤] لكنه لم تُذكر هذه الرسالة ولا بما أُرسل، فاختلف الأمر عن بقية قصص الأنبياء الذين تكرر الحديث عنهم.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ٢٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ وفي الآية ٣٤ ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ فما سبب اختلاف الصيغة؟

الجواب :

١ـ لمّا قال في الأولى: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ ناسب ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

٢ـ ولمّا قال في الآية ٣٤: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ ناسب ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما المعنى اللغوي للحرف (لعلّ)؟

الجواب :

(لعلّ) تأتي لعدة معانٍ أهمها :

١ـ لتوقع شيء محبوب أو مكروه، فتوقع المحبوب يسمى ترجياً وإطماعاً ،وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً، نحو: لعلّه يهينك.

أمّا الترجي فهو نحو قوله تعالى﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

والترجي لا يكون إلا في الممكن، أمّا قوله تعالى على لسان فرعون في سورة غافر ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ فهو من باب الجهل أو من باب السخرية.

٢ ـ لمطلق التوقع ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾.

٣ـ للتعليل أو للرجاء ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤].

٤ـ قيل إنها تأتي للاستفهام ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق: ١].

٥ ـ قيل تأتي للتشبيه ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ يعني كأنكم تفعلون فعل من يرجو الخلود.

٦ـ البصريون يرجعون كل هذه المعاني إلى الترجي والإشفاق والتوقع المطلق.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ بصيغة المبني للمجهول؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.



﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف يستعمل القرآن حرفي السين وسوف بشكل عام؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٠.



﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين السوء والسيئات؟

الجواب :

١ـ كلمة (السوء) عامة في الأفعال والمعاصي وغيرها، وهي مصدر تطلق على القليل والكثير، نحو: (أصابه سوء ـ من غير سوء).

شواهد قرآنية:[طه٢٢ـ النساء ١٢٣ـ النمل ٥].

٢ـ السيئة: هي فعل قبيح مقابل الحسنة، وقد تطلق على الصغائر وتجمع على (سيئات).

شواهد قرآنية: [غافر ٤٥].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿وَحَاقَ﴾ ما منظومة الكلمات التي تدل على أن الأمر وقع وثبت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٥.



﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق اللغوي بين قوم وأصحاب وآل وإخوان؟

الجواب :

١ـ قوم الرجل هم أهله بالصورة الواسعة، يقال: فلان من قوم كذا، وقد يكون القوم أوسع من القبيلة، والعرب قوم. وقد يُطلق على القبيلة أنها قوم فلان.

٢ـ الآل: هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس، ومن معانيه الزوجة ومن معانيه الأتباع، وأتباع الرجل آله، وأتباعه الذين تبعوه، لكنّ قومه أكثر من الآل، القوم أوسع. ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦].

٣ـ الإخوان: أقرب من الآل؛ لأنّ الآل قد يكون فيها الأتباع ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] أي أتباعه.

٤ـ الأهل: هم المقربون، بل إنّ القرآن استعمل الأهل في الزوجة، على أنه يمكن أنْ تطلق على الذرية أو الأقارب بحسب الحديث المشهور حديث أم سلمة.

الكلمات فيها فوارق ولكن بحسب السياق، فلو جئنا لكل آية استعمل فيها (قوم) هنا واستعملت كلمة(آل) هناك، نجد بالنسبة لآل لوط لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، فعندما يثني عليهم وعندما يذكرهم بخير يستعمل كلمة(آل)، ولا يستعمل كلمة(قوم).

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الضُعفاء والضِعاف؟

الجواب :

١ـ الجمع على وزن (فُعلاء) نحو كُرماء وجُهلاء وحُكماء، هو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية.

أمّا الجمع على وزن (فِعال) نحو ثِقال وضِعاف، فيكاد يختص بالأمور المادية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ و ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾.

٢ـ ومثله: الكُبراء.

٣ـ ومثله (الضُّعفاء والضِّعاف)، فالأول (الضُّعفاء) بضم الضاد فهم المستضعفون من الأتباع والعوام، وأما (الضِّعاف) فللضعف المادي.

* شواهد قرآنية (ضُعفاء):

- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ . . ﴾[التوبة: ٩١].
- ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾[إبراهيم: ٢١].
- ﴿ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[غافر: ٤٧].

وهذه كلها في الضعف المعنوي، فإنْ أردت الضَعف المادي قلت: ضِعاف. كقولك: هم ضِعاف الأجسام.

* **شواهد قرآنية (ضِعاف): قوله تعالى :**

- ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾[النساء: ٩].
- ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

قال في الأولى: ﴿ضِعَـٰفًا﴾ وفي الثانية ﴿ضُعَفَآءُ ﴾ فلماذا؟

بالتأمل في الآية الأولى يتبين أنّ قوله ﴿ضِعَـٰفًا﴾ يعني الضعف المادي أي أنهم بحاجة إلى المال؛ لأنهم فقراء.

وأمّا الثانية فليس المقصود بها الضعف المادي، بل الضعف المعنوي بدليل أنّ أباهم له جنة فيها من كل الثمرات، وإنما هم ضعفاء إلى من يقوم بأمرهم.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الأنبياء١٠٠ ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ وفي غافر٤٧ ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ وفي الشعراء ٩٦﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ إلى غير ذلك في سورة ق والزمر مما يدل على سماعهم؟ فكيف الجمع بين الآيات؟

الجواب :

لعلّ ذلك باعتبار حالين :

أ ـ حال السماع والمحاجة قبل اليأس من الخلاص من النار.

ب ـ حال اليأس لا يسمعون، لما روي أنهم يجعلون في توابيت من نار ويسد عليهم أبوابها فحينئذ لا يسمعون. والله أعلم.

أعاذنا الله وإياكم من النار. اللهم آمين.



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

كلمة (خزنة) جمع تكسير، لماذا لم تجمع جمع مذكر سالماً (خازنون)؟

الجواب :

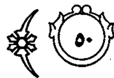
انظر الجواب في آية التوبة ١١٢.



﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿تَكُ﴾ بحذف النون، و ﴿تَكُنْ﴾ وكلاهما استعمل في الآيات القرآنية؟



الجواب :

قوله تعالى في آية غافر ٥٠ ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾ أي جاءتهم رسلهم من أقرب شيء في البيان وأقله الحس ثم إلى العقل ثم إلى الذكر، ورقوهم من أخفض رتبة وهي الجهل إلى أرفع رتبة وهي اليقين فناسب أقل الحس وأخفض رتبة حذف النون.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية النساء ٤٠.

السؤال الثاني :

متى تذكر أو تؤنث كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

وردت كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ في القرآن الكريم ٥٢ مرة وكلمة ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ ١٩ مرة، فإنْ جاءت كلمة (البينات) بمعنى (المعجزات) تؤنث، وأمّا إنْ جاءت بمعنى (حبل الله أو القرآن) فتذكر.



﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الربط بين قوله تعالى في آية البقرة ٦١ ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وقوله تعالى في آية غافر ٥١ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؟

الجواب :

هو أمر عام أُريد به رسلٌ مخصوصون، وهم الذين أُمروا بالقتال، وما من رسول أُمر بذلك إلا نُصر على من قاتله.

وقيل: أُريد به العاقبة إمّا لهم أو لقومهم بعدهم، وإمّا يُراد به النصر عليهم بالحجة والدليل أو بالسيف أو بهما معاً، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾.



﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم المفعول به الثاني على الأول في الآية؟

الجواب :

في سورة غافر الكلام عن حَمَلَة الكتاب وهم بنو إسرائيل؛ فلذلك قدّمهم.

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣﴾ [غافر: ٥٣].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ بإسناد الأمر إلى ذاته سبحانه، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم السمع على البصر في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١.

السؤال الثاني :

ما معنى قوله تعالى في الآية ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؟

الجواب :

الآيات هنا على ثلاثة أقسام :

أ ـ آيات كونية مثل الشمس والقمر والنجوم والأرض والهواء والماء لإثبات وجود الله وبيان قدرته وبديع صنعه.

ب ـ المعجزات التي يجعلها الله للرسل لإثبات صدق الرسول في البلاغ عن الله.

ج ـ آيات القرآن الكريم التي تحمل أحكام الله إلى الناس.

والمعنى: في أي هذه الأنواع يجادلون؟



﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة حرف اللام في قوله تعالى ﴿ لَخَلْقُ ﴾؟

الجواب:

اللام تدل على القسم، وكأنّ الحق سبحانه يقول: وعزتي وجلالي لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

السؤال الثاني:

ما علاقة هذه الآية بفاصلتها؟

الجواب :

بيّن الحق أنّ من عِلْمِه خلق السموات والأرض، وأنّ ذاك الخلق أكبر من خلق الإنسان وإعادته ثانياً؛ لأنّ الإنسان أضعف من ذلك وأيسر، فناسب ختمها بـ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.



﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

متى تزاد (ولا) بين المتعاطفين، كما في قوله تعالى﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية فاطر ١٩.

السؤال الثاني :

ما الأساليب القرآنية في الآيات التي تتضمن الفعل (يستوي)؟

الجواب :

١ـ نلاحظ أنّ هناك أسلوبين في مثل هذه الآيات التي تتضمن الفعل (يستوي) :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ بدون (لا) مع الأمر الثاني.

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ مع وجود (لا) مع الأمر الثاني.

ويمكن أنْ نقول التالي :

أ ـ مع وجود (لا) يحتمل المعنى نفي استواء الجنس فيما بينه، ويحتمل نفي الاستواء بين المتعاطفين، كما في الآيات فصلت ٣٤.

ب ـ فإذا لم يرد التعبير (لا) تعين أنّ المقصود نفي الاستواء بين المتعاطفين فقط، كما في آية غافر ٥٨.

٢ـ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ والفعل (استوى) يقتضي أمرين :

فقال بعضهم إنَّ (لا) الثانية زائدة لأمن اللبس، لكنّ القرآن ليس فيه أحرف زائدة.

وذهب آخرون إلى أنّ جنس الحسنة لا يستوي أفراده وجنس السيئة لا يستوي أفراده، لذلك تكون (لا) ليست زائدة والواو عاطفة.

السؤال الثالث :

حذف التاء في آية هود٢٤ فقال: ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولم يحذفها في آية غافر٥٨ فقال: ﴿ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٢٤



﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما علاقة هذه الآية بفاصلتها؟

الجواب :

لمّا ذكر الساعة وأنها آتية لا ريب قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ أي لا يصدقون بها لاستبعادهم البعث.

السؤال الثاني :

ما دلالة التعبير في الآية ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٦.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في غافر ٥٩ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ كيف يستعمل القرآن تخفيف التوكيد أو زيادته؟

الجواب :

في غافر ٥٩ أكّد إتيان الساعة بإنّ واللام، بينما أكّد بإنّ وحدها في آية طه ١٥؛ وذلك :

١ ـ الكلام في سورة غافر عن الكفار الذين ينكرون الساعة، فقد قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ [غافر: ٥٦] ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ [غافر: ٥٩] أي: لا يؤمنون بالساعة،

بينما في سورة طه الخطاب لموسى عليه السلام وموسى وهوغير منكر لها؛ ولذا أكّدها مع الكافرين أكثر مما أكّدها مع موسى عليه السلام.

٢ـ في سورة غافر قال تعقيباً: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ فحسُن أنْ يؤكد إتيانها؛ إذ كان أكثر الناس لا يؤمنون بها، بخلاف سورة طه، فقد قال: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه: ١٥] فسياق كل من الآيتين يقتضي أنْ يضع ما وضع وأنْ يحذف ما حذف.

٣ ـ جو سورة غافر هو في الكلام عن الساعة. انظر الآيات[٤٧ و ٧٠ـ ٧٦] فاقتضى ذلك زيادة التوكيد في هذه السورة.



﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذا إحسان عظيم من الله تعالى، حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء. والدعاء في الآية على شرط، فإنْ دعا العبد في وقت لا يبقى فيه التفات إلى غير الله تحصل الإجابة بإذن الله. أمّا الدعاء باللسان فقط دون القلب فربما لا فائدة فيه.

٢ـ وقال الرسول ﷺ في الحديث حكاية **عن** ربه « **من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»وهذا الخبر يقتضي أنّ ترك الدعاء أفضل، فكيف الجمع بين الآية والحديث؟

و**الجواب** :

لا شك إذا كان العبد والعقل مستغرقاً في الثناء على الله كان ذلك أفضل من الدعاء؛ لأنّ الدعاء طلبٌ للحظ، بينما الاستغراق في معرفة جلال الله أفضل من طلب الحظ.

أمّا إذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان الاشتغال بالدعاء أفضل؛ لأنّ الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية.

و الآية تضمنت تنبيه المخاطب على خطأ ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ أي يتركون دعاء الله وإظهار العبودية له.

٣ـ اللهم يامن لا يبلغ أدنى ما استأثرت به من جلالك وعزتك أقصى نعوت الناعتين، اللهم يا من تقاصرت عن الإحاطة بمبادىء أسرار كبريائه أفهامُ المتفكرين وأنظار المتأملين، لا تجعلنا بفضلك ورحمتك في زمرة الخاسرين المبطلين، ولا تجعلنا يوم القيامة من المحرومين، فإنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. ... اللهم آمين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول :

ما علاقة هذه الآية بفاصلتها؟

الجواب :

لمّا ذكر نعمه على الناس وفضله عليهم ناسب ختم الآية بـ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في غافر٦١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ بذكر الناس، وفي يونس ٦٠ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ في آية غافر: أظهر لفظة (الناس) وكررها، فناسب إظهاره للمشاكلة في الألفاظ.

فقد قال في سورة غافر :

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾.

فأظهر ذكر الناس كما أظهر في الآيتين قبلها رقم[٥٧ و ٥٩].

٢ـ في آية يونس: أضمر الناس وكرر ضمائرهم قبل ذلك فناسب إضمارهم.

السؤال الثالث :

ما دلالة أنه استعمل مع الليل الفعل ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ بالصيغة الفعلية ومع النهار الاسم ﴿مُبْصِرًا﴾ بالصيغة الاسمية؟

الجواب:

استعمل مع الليل الفعل ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ ومع النهار الاسم ﴿مُبْصِرًا﴾ ولم يسوّ بينهما، فلم يقل: (ساكناً ومبصراً) ولا (لتسكنوا فيه ولتبصروا فيه) مع أنّ الاستعمال الحقيقي هو (لتبصروا فيه).

وذلك أنه جمع الحقيقة والمجاز في تعبير واحد، ولو جعلهما بصورة تعبيرية واحدة لفاتت هذه المزية الفنية؛ وذلك :

١ ـ لو قال: (هو الذي جعل لكم الليل ساكناً) لم يكن فيه دلالة نعمة على الخلق، ولكانت (لكم) هنا زائدة ليس فيها فائدة. فهو جاء بـ (لكم) وبالصيغة الفعلية للدلالة على قصد النعمة والتفضل علينا.

٢ ـ لو قال: (ساكناً) لم يكن التعبير مجازياً؛ لأنّ الليل يصح أنْ يوصف بالسكون نحو (ليل ساكن) فتحويله إلى الصيغة الاسمية ليس فيه فائدة معنوية ولا فنية، ولمّا تقررت دلالةُ النعمة في صدر الآية كان العدولُ إلى التعبير المجازي كسباً فنياً.

٣ ـ وعدل من الفعل إلى الاسم ومن الحقيقة إلى المجاز، فقال: ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ ﴾؛ وذلك أنّ النهار لا يبصر بل يبصر من فيه، فجمع بين التعبير الحقيقي والمجازي ودلّ على المقصد الأول من الآية، وهو الدلالة على النعمة بأقرب طريق فكسب المعنى والفن معاً.

٤ ـ لو قال: (لتسكنوا فيه ولتبصروا فيه) لفات التعبيرُ الفنيُ الجميلُ تعبيرَ المجاز.

٥ ـ لو قال: ساكناً ومبصراً، لفاتت الدلالة على النعمة التي هي المقصد الأول من هذه الآية.

٦ ـ لو قال: ساكناً ولتبصروا فيه، لفات المجازُ في التعبيرين ولكان التعبير سمجاً.

٧ ـ أفاد العدول إلى الاسمية في النهار معنيين :

أ ـ أننا نبصر فيه.

ب ـ جعل النهار مبصراً أيضا يبصر أعمالنا، ويكون شاهداً علينا بالخير والشر، فكأنّ له عينين تبصران، فنحن نبصر فيه، وهو يبصر أيضاً.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) ﴾

السؤال الأول :

قدّم في آية الأنعام١٠٢ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وأخّر﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وفي آية غافر٦٢ جاء بالعكس، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ ـ أنّ سياق آيات الأنعام [١٠٠-١٠٢] في الإنكار على الشرك والدعوة إلى التوحيد الخالص ونفي الشركاء؛ ولذا قدّم كلمة التوحيد﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ على ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾.

إضافة إلى أنه قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ بعد قوله ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ فأخّر الخلق بعد التوحيد، وهو نظير تأخيره في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾وهو تناظر جميل.

٢ ـ أمّا سياق آيات سورة غافر [٥٧-٦٢] فهو في سياق الخلق وتعداد النعم وفضله على الناس لا على التوحيد، فقدم الخلق لذلك، ووضع كل تعبير في مكانه المناسب.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين البناء والبنيان في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

قال تعالى في آية الصف ٤ ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ﴾ ولم يقل: بناء، والقرآن فرّق في الاستعمال بين البناء والبنيان فاستعمل البناء للسماء، كما في [آية البقرة ٢٢ وغافر ٦٤] واستعمل البنيان لما بناه البشر، كما في [آية الكهف ٢١ الصافات ٩٧ ـ التوبة ١٠٩].

والله أعلم.



﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل يجوز تذكير وتأنيث كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؟

الجواب :

كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ ليست مؤنثاً حقيقياً؛ لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها.

عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بمعنى العلامات الدالة على المعجزات والنبوءات يؤنث الفعل.

أمّا عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بمعنى الأمر والنهي فيذّكر الفعل.

* شواهد على التأنيث: أي بمعنى المعجزات والنبوءات

الآيات :[البقرة ٢٠٩ ـ البقرة ٢١٣ ـ البقرة ٢٥٣ ـ النساء ١٥٣].

* شواهد على التذكير: بمعنى الأمر والنهي

الآيات: [آل عمران ٨٦ ـ آل عمران١٠٥ ـ غافر ٦٦].



﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول :

كلمة ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ في الآية على أي شيء معطوفة في الآية؟

الجواب :

﴿ يُخْرِجُكُمْ ﴾ معطوفة على ﴿ خَلَقَكُم ﴾ وليست معطوفة على علقة أو تراب أو نطفة، ولا يمكن أنْ تكون معطوفة عليها.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال طفل و أطفال في القرآن الكريم؟ ولماذا خصّ القرآن كل موطن بما استعمل فيه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٥.

السؤال الثالث :

ما مراحل عمر الإنسان؟

الجواب :

يسمى الإنسان :

١ـ جنينا: في بطن أمه.

٢ ـ وليداً: عندما تلده أمه.

٣ـ صريخاً: بعد سبعة أيام من مولده.

٤ـ رضيعاً: في فترة الرضاع.

٥ـ فطيماً: عند فطمه عن الرضاعة.

٦ـ الدرج: عندما يحبو.

٧ ـ النشء: إذا بلغ العاشرة من عمره.

٨ ـ البالغ: إذا ظهرت عليه علامات الرجولة.

٩ ـ الفتى: إذا ظهر الشارب.

١٠ ـ الشاب: حتى يبلغ الثلاثين.

١١ ـ الرجل البالغ: حتى الأربعين.

١٢ ـ الشيخ: حتى الستين.

١٣ ـ الهرم: إذا تجاوز السبعين.

وفي بداية حياة الإنسان يُحمل ولا يمشي، ثم يزحف على أربع، ثم يتعلم المشي معتدلاً على قدمين، ويتجبر ويعصي، ثم يمشي على ثلاث (قدميه والعكاز) ثم يحمل مرة أخرى ولكنْ إلى القبر.

سبحان الله !!!!

وعند ولادة الطفل أمرنا رسولنا الكريم ﷺ بأنْ نؤذن للمولود في أذنه اليمنى، ونقيم الصلاة في أذنه اليسرى، وكل أذان تتبعه صلاة، فأين الصلاة؟ ؟؟

الصلاة تصلى عند وفاته. ولاحظوا أنّ صلاة الجنازة هي بدون أذان ولا إقامة، إنما كان الأذان والإقامة يوم مولده والصلاة يوم وفاته.

قال الشاعر :

أذان المـــرء حـــين الطفـــل يـــأتي وتـــأخير الصـــلاة إلى المـــمات

دليـــــل أنّ محيــــــاه قصـــــيرٌ كـــما بــــين الأذان إلى الصــــلاة

وهذه عبرة على أنّ الدنيا ما هي إلا ساعة كما بين الأذان والإقامة والصلاة!!!

اللهم ارحمنا واحفظنا ولا تشغلنا بالدنيا عنك. اللهم آمين.



﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حرفي الاستقبال السين وسوف في الاستعمال القرآني :

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٠.

السؤال الثاني :

ما دلالة الظرف ﴿ إِذِ ﴾ في الآية؟

الجواب :

﴿ إِذِ ﴾ ظرف زمان.

١ـ وتأتي للماضي في أصل وضعها ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾.

٢ـ قد تقع للاستقبال ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾.

٣ـ وقد تكون للتعليل ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

٤ ـ وترد للمفاجأة.

٥ـ (إذ) تدخل على الجملة الاسمية والفعلية كقوله تعالى ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

وقد تحذف الجملة المضاف إليها فيؤتى بالتنوين عوضاً منها، نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.



﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ ما الكلمات التي تختص وتدخل في أعمال النار يوم القيامة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٣٥.

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (فرح) في القرآن؟

الجواب :

الفرح: هو انبساط النفس بما يسرها ويُسعدها، لكنّ الفرح الحقيقي أنْ تسعد وتسر بما يُعينها على غايتها، فهناك فرحٌ مشروع محمود، وهناك فرحٌ غير مشروع وغير محمود.

والفرح بحق أنْ تفرح بما يعينك على غايتك، أمّا الشيىء الذي لا يعينك على هذه الغاية، بل يصادمها، فهذه لذة عابرة تعقبها حسرات ربما تفوق أضعاف اللذة التي حصلت من هذا الشيىء.

ولقد جاء الفرح المحمود المشروع في القرآن الكريم في أربعة مواضع وهي :

ـ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

ـ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الرعد: ٣٦].

- ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٢ – ٥].

وما عدا الفرح المشروع هو فرح أحمق، وقد جاء هذا الفرح غير المشروع في القرآن الكريم في تسعة مواضع، وهي :

[(آل عمران ١٢٠) ـ (آل عمران ١٨٨) ـ (الأنعام ٤٤) ـ (التوبة ٥٠) ـ (هود ١٠) ـ (المؤمنون ٥٣) ـ (القصص ٧٦) ـ (غافر ٧٥) ـ (غافر ٨٣)]. والله أعلم.



﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية غافر ٧٦، وفي آية الزمر ٧٢ ﴿فَبِئْسَ﴾ وفي آية النحل ٢٩ ﴿فَلَبِئْسَ﴾ بزيادة لام التوكيد، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٢٩.

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا رسمت (إمّا) في آيتي يونس ٤٦ وغافر ٧٧ متصلة ﴿إِمَّا﴾ ورُسمت في آية الرعد ٤٠ منفصلة ﴿وَإِن مَّا﴾؟

الجواب :

١ـ (إنْ) شرطية و (ما) زائدة نحوياً مؤكدة.

٢ـ بشكل عام خط المصحف لا يقاس عليه، لكنْ من الغريب أنْ نحس أنّ للفصل والوصل غرضاً بيانياً.

٣ـ السياق في آيتي يونس وغافر إنما هو في الكلام عن الآخرة، والآيتان تذكران الرجوع إلى الله والرجوع إنما هو في الآخرة. انظر آيات يونس :(٤٥ـ٤٧) وآيات غافر (٧٠ـ٧٧).

٤ـ وأمّا السياق في الرعد فهو في الدنيا. انظر آيات الرعد(٣٧ـ ٤١) وقوله تعالى في الآية ٤٠ ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الرعد:٤٠] أي: في الدنيا، وقوله:﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد:٤٠] أي في الآخرة.

٥ـ لذلك فُصلت (ما) عن (إنْ) في الرعد إشارة إلى الفصل بين الأحداث، فالكلام عن الدنيا والحساب في الآخرة.

ووصلت (ما) بـ (إنْ) في آيتي يونس وغافر، إشارة إلى أنّ الأحداث متصلة ببعضها.

والله أعلم.



﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين جاء وأتى في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.



﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا دخلت لام التعليل على الفعل ﴿لِتَرْكَبُوا۟ ﴾دون الفعل ﴿تَأْكُلُونَ ﴾؟

الجواب:

١ـ الأنعام المذكورة في القرآن هي الأزواج الثمانية، أي: ذكر وأنثى من الإبل والبقر والغنم والمعز، وقيل هنا المقصود الإبل؛ لأنه ذكر الركوب.

والركوب عادة هو للحج والغزو أو التنقل، فأدخل هنا حرف التعليل لأهمية الركوب؛ لأنه مما يلحق بالضروريات؛ لأنّ الركوب قد يكون لأمر ديني كجهاد ونشر علم يطلبه الحكيم جل شأنه.

أمّا الأكل فهو من جنس المباحات التي لا تكون غرض الحكيم.

٢ـ وذكر في الآية لفظ ﴿ مِنۡهَا ﴾ أي من بعضها، فليست جميع الأنعام مناسبة للركوب، حتى الإبل تُعد النجائب منها للركوب، وذكر ﴿ مِنۡهَا ﴾ أيضاً مع ﴿ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي أنّ لها فوائد عديدة، ومن بعض هذه الفوائد أن نأكل من لحمها.

وليس المراد على إرادة التبعيض أنّ كلاً من الركوب والأكل مختص ببعض معين منها، بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر، بل على أنّ بعضاً منها صالح لكل منهما.



﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الروم ٩ ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾ وفي فاطر ٤٤ ﴿ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية الروم: لم يتقدمها قصص من تقدم، ولا ذكرهم فناسب إجمالها فقال: ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾ وقال الله فيها ﴿ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم ﴾.

٢ـ آية فاطر وردت بعد قوله تعالى ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٢ – ٤٣] ثم قال الله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣]

فناسب ذكر الواو في ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لبيان حالهم ووصفهم في الدنيا من الشدة والقوة، لكنْ لم تغن عنهم شيئاً؛ ولذلك أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

٣ـ آية غافر ٢١: تقدمها ذكر نوح عليه السلام في الآية الخامسة من السورة، فناسب ذلك بسط حالهم وإعادة لفظ ﴿كَانُوا۟﴾ و﴿هُمْ﴾ توكيداً وإشارة مرة أخرى إلى من تقدم ذكرهم.

٤ـ آية غافر ٨٢ جاءت على الاختصار، فقال تعالى: ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية غافر ٨٢ ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وذكر لهم ثلاث صفات، بينما ذكر صفتين في باقي الآيات غافر ٢١ـ الروم ٩ـ فاطر ٤٤؟

الجواب :

لمّا تقدم قصة فرعون وتفصيل حاله وجبروته وما ذكر عنه، ناسب ذلك ذكر الكثرة والشدة والآثار في الأرض. والله أعلم.

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٥) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حذف النون من كلمة ﴿ يَكُ ﴾ في الآية؟

الجواب :

في آية غافر ٨٥ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ ﴾ انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع مهما كان هذا الانتفاع صغيراً، وأقله ما انتفى أصله، فحذف النون.

السؤال الثاني :

ختم الآية رقم (٧٨) بقوله ﴿ ٱلْمُبْطِلُونَ (٧٨) ﴾ وختم الآية رقم (٨٥) بقوله ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٥) ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ السبب أنّ كل كلمة مناسبة للسياق الذي وردت فيه.

فالأولى رقم (٧٨) وردت في سياق الحق، ونقيض الحق الباطل، والثانية رقم (٨٥) في سياق الإيمان، ونقيض الإيمان الكفر.

قال تعالى في الآية الأولى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ (٧٨) ﴾.

وقال في الثانية: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٤ – ٨٥]

٢ـ جاء في كتاب (البرهان في متشابه القرآن) للكرماني: أنّ الأول متصل بقوله: ﴿ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ونقيض الحق الباطل، والثاني متصل بايهان غيرِ مجدٍ، ونقيضُ الإيهان الكفر.

والله أعلم.

رابعاً: تناسب مفتتح سورة غافر مع خاتمتها:

قال سبحانه في أول السورة:

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾.

وقال في آخرها:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ . . . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

١ ـ قال في الآية الأولى ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾﴾.

وقال في الأواخر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

فلماذا تغتر بتقلب الذين كفروا في البلاد، وقد أخذ ربنا مَن هم أشد قوة وآثاراً في الأرض.

٢ ـ وذكر في أوائل السورة أنه همت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

وقال في أواخرها: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

فذكر أنه همت كل أمة برسولهم ليأخذوه وأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، غير أنهم لمّا رأوا بأسه سبحانه قالوا: آمنا بالله وحده، وكفروا بالباطل الذي كانوا يجادلون به، غير أنهم لم ينفعهم إيمانهم حينذاك وخسر هنالك الكافرون. والله أعلم.



سورة فصلت

أولاً: تناسب خاتمة سورة غافر مع فاتحة سورة فصلت:

ذكر سبحانه في أواخر سورة غافر عاقبة الذين كفروا في الدنيا، فقال:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾.

إلى أنْ ختم السورة بقوله:

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴾.

وذكر في أوائل سورة فصلت إعراض قريش وحذّرهم أنْ يصيبهم مثل ما أصاب الأولين، فقال:

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) ﴾.

إلى أنْ قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه ذكر قبل ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وكان ذلك متضمنا تهديدًا وتقريعا لقريش وذكر جلّ شأنه هنا نوعاً آخر من التهديد والتقريع وخصّهم بالخطاب في قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ ثم بيّن سبحانه كيفية إهلاكهم وفيه نوع بيان لما في قوله ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾)).

ثانياً :هدف السورة:

أنتم مسؤولون عن هذه الأرض. واجبات ومحاذير:

سورة فصلت تتحدث عن أهمية الاستقبال السليم لأوامر الله تعالى. وحتى تنتقل أي رسالة إلى مستمعيها بشكل سليم لا بدّ من سلامة جهازي الإرسال والاستقبال، بالإضافة إلى وضوح اللغة المستخدمة، وهذا ما بينته الآية الأولى من السورة: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾.

ونرى هذا المعنى واضحاً في الاية ٤٤: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾.

لذلك تأتينا السورة بعد ذلك بصفات المستقبل السليم لأوامر الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ فحُسْنُ الاستقبال يتطلب إيمانا أولاً ثم استقامة على طاعته.

سوء استقبال الوحي :

وبالمقابل ترينا السورة أنّ الكثير من الناس يهتمون بمصلحتهم فقط فيصرفه ذلك عن الاستقبال السليم: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى .. ﴾ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾.

لذلك المطلوب من المرء أنْ يصلح نفسه ويصلح جهاز استقباله؛ حتى يستفيد من هذه الواجبات والمحاذير التي يحتاجها خلال فترة مسؤوليته في الحياة.

ثالثاً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما دلالة هذه الآيات؟ وما دلالة قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾؟

الجواب :

١ـ تأمل كلمة ﴿تَنزِيلٌ﴾ وتذكر جبريل عليه السلام وهو يأمر النبي ﷺ بأن ﴿ٱقْرَأْ﴾ ثم يقرأ جبريل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ فجبريل عليه السلام يقرأ ويتحدث باللسان العربي المبين.

وقد ارتبطت كلمة (عربي) و (عربياً) بالقرآن الكريم في (١١) آية في كتاب الله تعالى، منها ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ وكذلك آيات [النحل ١٠٣ و فصلت ٣ ـ والشورى ٧] للإصرار على الربط بين القرآن واللسان العربي.

لذا من واجبنا تعريب العلوم؛ لأنّ الأمة يجب أنْ تتعلم بلغتها وأنْ تنشىء الأجيال على احترام لغتهم.

بل إنّ الإبداع والتفوق لا يتأتى إلا إذا درس المرء العلوم بلغته التي يفهمها جيداً ويستطيع أنْ يستخرج أسرار تراكيبها ودلالات ألفاظها.

٢ـ القرآن: هو الاسم العلم على الكتاب الذي أُنزل على سيدنا محمد ﷺ.

٣ـ الفرقان: هو الفارق بين الحق والباطل؛ لذلك يمكن أنْ نسمي جميع الكتب السماوية فرقاناً. والمعجزات أيضاً هي فرقان تفرق بين الحق والباطل وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ يعني: نزّلناه منجماً.



﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

قدّم النذارة في هود ٢ بخلاف آيات [البقرة ٢١٣ـ الأحزاب ٤٥ـ فصلت٤] حيث قُدمت البشارة، فلماذا؟

الجواب:

١ـ في هود بدأ الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فناسب تقديم النذارة على عبادة غير الله تعالى.

٢ـ أمّا في البقرة والأحزاب فناسب كرامته تقديم البشارة.

٣ـ وكذلك في فصلت تقدمها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فناسب تقديم البشارة.

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا
وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ ﴾

السؤال الأول:

ما فائدة (من) في آية فصلت رقم ٥ ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا ﴾؟

الجواب:

(من) هنا للابتداء، واستعمال (من) في الآية يفيد أنّ الحجاب ابتداؤه منا ومنك، فكأنّ المسافة المتوسطة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.

ولولا (من) لكان المعنى أنّ حجاباً فاصلاً وسط الجهتين فقط.



﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ
أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ
لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ
سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ
وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية العاشرة: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا ﴾؟ وما الفرق لو قال: فوقها؟

الجواب :

المعنى: أي ابتداء من سطح الأرض وإلى أعلى، وبدون (من) أفاد المعنى فوق الأرض بفاصل أو غير فاصل، كما في قوله تعالى في آية الملك ١٩ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ فهناك مسافة بين البشر ومستوى تحليق الطير.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية البقرة ٦٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات في مقدار الزمن لخلق السماوات والأرض؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ في آيات الإجمال جاء زمن الخلق في ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولكنْ في آية التفصيل في سورة فصلت جاءت في ظاهر الأمر أنها ثمانية أيام.

ومن هذه النقطة دخل المستشرقون وادعوا زوراً أنّ القرآن فيه اختلاف وحاولوا أنْ يجعلوها ضجة عالية.

إنّ الله سبحانه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام كاملة بلا زيادة ولا نقصان، فالمراد أنّ خلق الأرض كان في يومين وأتمها بالرواسي والأقوات في يومين آخرين، فكان الانتهاء من إتمام خلق الأرض مع أقواتها ورواسيها في أربعة أيام كاملة. كما تقول مثلاً: احتجت للسفر من جدة إلى الرياض بالسيارة إلى عشر ساعات وإلى الدمام أربع عشرة

ساعة، فهذا يعني أنّ زمن السفر من الرياض إلى الدمام أربع ساعات لا أربع عشرة ساعة.

ثم ضم إليها خلق السماوات في يومين، فيكون عدد الأيام التي تم فيها خلق السماوات والأرض ستة أيام.

والله تعالى لا يحتاج إلى علاج حتى يتطلب الزمن الممتد، إنّ ربنا يخلق بـ ﴿كُن﴾ بينما نحن البشر نعالج على حسب قدرتنا ونحتاج للزمن.

ولكنْ لماذا جاء الحق بخبر الخلق في ستة أيام؟

هناك فرق بين ميلاد الشيء وتهيئته للميلاد، فخلق الجنين مثلاً يكون من تزاوج بويضة وحيوان منوي، ويأخذ الأمر تسعة أشهر، وسبحانه جلّ جلاله لا يعمل في خلق الجنين تسعة أشهر، لكنه يترك الأمر ليأخذ مراحل تفاعلاته.

والله خلق السماوات والأرض بـ ﴿كُن﴾ وبعد ذلك ترك مكونات السماوات والأرض لتأخذ مراحلها؛ لأنّ ميلادها سيكون بعد ستة أيام. وفي القرآن آية أعطتنا لمحة عن هذه المسألة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

فالله خلق السماوات والأرض دون تعب؛ لأنّ ذلك يحدث بـ ﴿كُن﴾ فكانت السماوات والأرض، لكنه أمر بـ ﴿كُن﴾ وترك المواد تتفاعل لستة أيام؛ وذلك ليعلمنا

التأني وألا نتعجل الأشياء؛ لأنه هو القادر على إبراز السماوات والأرض في لحظة، لكنه خلقها في ستة أيام.

ولذلك جاء بعدها في سورة ق قول الحق ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾.

إنّ خلق السماوات والأرض قد أنجزه الله مرة واحدة بكلمة (كن) وانفعلت الكائنات للقدرة مرة واحدة، وتعددت استدامة انفعالات السامع لقدرة الله في كل جزئية من جزيئات الفعل، وأخذ الأمر ستة أيام واستقر الأمر بعد ذلك واستتب، وهذا هو المعنى العام لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ فكأنّ هذا القول كناية عن تمام الأمور فقد خلقها وانتهت، وعلينا أنْ نأخذ كل شيء منسوب إلى الله في إطار ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ١١ ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ ما الفرق بين الكُره بالضم والكَره بالفتح؟

الجواب :

١ـ الكَره بفتح الكاف هو ما يأتي من الخارج، ويقابله الطوع.

* شواهد قرآنية :

آيات النساء ١٩ ـ التوبة ٥٣ـ فصلت ١١.

٢ـ أما الكُره بضم الكاف فهو ما ينبعث من الداخل.

* شواهد قرآنية :

ـ آية البقرة ٢١٦ : جاءت بضم الكاف؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يكره القتال.

ـ آية الأحقاف ١٥ : جاءت بضم الكاف؛ لأنّ الحمل وآلام والولادة أمر ثقيل على النفس.

السؤال الرابع :

ما دلالة استعمال المثنى والجمع في آيتي سورة فصلت ١١ـ١٢؟

الجواب :

١ـ الآيات تتحدث عن خلق الأرض وخلق السماوات، وتقدّم أولاً ذكر الأرض في الآية التي قبلها رقم ٩ : ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ الدخان هو الغاز المرئي وهو تقريب للذهن؛ لأننا لا نعرف ما حقيقة السماء ولا مادتها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ خاطب الله السماوات والأرض على أنهما كيانان عاقلان، وقال: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ﴾ ولم يقل: لهما؛ لأنّ كل واحدة لها كيانها الخاص.

ولا ندري كيف خوطبتا وكيف قالتا، وهذا من المتشابه نؤمن به، وهو مما استأثر الله بعلمه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ السماء هو العلو، وكل ما علاك هو سماء، وهذا العلو ومعه الأرض قال معهما: ﴿ٱئْتِيَا﴾ ويستقيم حتى مع التعدد، حيث جعل السماء كياناً واحداً والأرض كياناً واحداً، فخاطبهما على أنهما كيانان ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾.

٥ـ ثم التفت مرة أخرى فقال: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ أي بعد أنْ نادى وأتيا طائعين قال: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾ وكان يمكن أنْ يقول: (فقضى)، ولكن أراد أنْ يمهد لذكر العدد ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾.

السؤال الخامس :

كيف الجمع بين آية فصلت ١١ التي ظاهرها أنّ تسوية السماء تم بعد دحي الأرض وأقواتها، وآية النازعات ٣٠ ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾؟

الجواب :

قوله تعالى في الآية ١١ من سورة فصلت: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ فجاء بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ وهذا حرف عطف قد يأتي لترتيب الأخبار، لا لترتيب الوقائع المخبر عنها.

ونحو ذلك البيت المشهور :

إنّ مـــن ســـاد ثـــم ســـاد أبـــوه ثـــم ســـاد بعـــد ذلـــك جـــده

فسيادة الأب ليست بعد سيادة الابن. والمقصود في البيت هو ترتيب درجات المعالي فابتدأ بسيادته ثم بسيادة أبيه ثم بسيادة جده، وإنْ كانت سيادة الأب مقدمة في الزمان على سيادة نفسه.

السؤال السادس :

ما الفرق في المعنى بين: طوعاً وطائعاً؟

الجواب :

طوعاً: تعني: تلقائياً من النفس.

طائعاً: تعني: طائعاً لإرادة الله سبحانه.

السؤال السابع :

ما الفرق بين الحكم والقضاء؟

الجواب :

١ـ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك: قضاه إذا أتمه وقطع عمله.

* شواهد قرآنية :

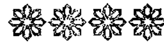
- ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي فصل الحُكم به.
- ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي فصلنا الإعلام به.
- ﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي فصلنا أمر موته.
- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي فصل الأمر به.

وقولك: قضى إليه؛ أي: أعلمه، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: أعلمناه.

٢ـ الحُكم يقتضي المنع عن الخصومة، من قولك: أحكمته إذا منعته ويجوز أنْ يقال: الحُكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع.

ويستعمل الحُكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء، كقولك: حُكم هذا كحُكم هذا؛ أي: هما متشابهان في السبب أو العلة.

وأحكام الأشياء تنقسم إلى قسمين: حُكم يُردّ إلى أصل، وحُكم لا يُردّ إلى أصل؛ لأنه أول في بابه.



﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟
شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام كلمة ﴿رَبُّنَا﴾ في السؤال في آية فصلت ١٤؟

الجواب:

١ـ الفرق بين الله والرب معروف، فلفظ الجلالة اسم العلم مشتق من الإله والرب هو المربي والمرشد والموجه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي لو شاء ربنا دعوة الخلق وهدايتهم لأنزل ملائكة؛ لأنّ الرسل دعوهم إلى عبادة الله، والرب هو الهادي والموجه والمرشد؛ لذلك من الأنسب أن يقول: ﴿رَبُّنَا﴾.

٣ـ المناسب مع الهداية الرب، وكثيراً ما يقترن الرب بالهداية في القرآن الكريم ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾.

والمناسب مع العبادة لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

والله أعلم.



﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

قال في فصلت١٦: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ وفي القمر١٩ ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ وفي الحاقة٧ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

إن (اليوم) يعبر به عن (الأيام) كقولهم يوم الحرة ويوم بعاث، وقد يراد به اليوم الذي بدأ به الريح.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الريح والرياح في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.



﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة أنّ الله تعالى ذكر في آية فصلت ١٧ الهداية للكفار ونفاها في آية الزمر٣؟

الجواب :

في آية الزمر: المعنى أنّ ذلك في علم الله تعالى أنه لا يؤمن، أو يكون عاماً مخصوصاً بمن علم الله ذلك منه.

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

استعمل القرآن (أنجى) و (نجّى) في القصة الواحدة، كما في آيات النمل ٥٣ وفصلت ١٨، وكلها تتحدث عن قصة سيدنا نوح عليه السلام، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النمل ٥٣.



﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (ما) الزائدة نحوياً بعد (إذا) في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٢.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في فصلت ٢٠ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ ﴾ وفي النمل ٨٤ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ ﴾ فحذف (ما)؟

الجواب :

القاعدة: إذا أريد توكيد جزاء الشرط لبعده عن معناه أُكّد بـ (ما)، وإذا لم يكن الجزاء بعيداً عن معنى الشرط لم يحتج إلى تأكيد.

١ـ في آية فصلت: لفظ المجيء لا يعقل منه ولا يفهم شهادة السمع والبصر، فاحتاج إلى تأكيد الشرط بـ (ما).

٢ـ في آية النمل: سؤال الخلق عند مجيئهم في القيامة مفهوم لعلمهم أنه الحشر؛ ولذلك لم يحتج إلى توكيد.

السؤال الثالث :

زاد ﴿مَا﴾ بعد [إذا] في آية فصلت ٢٠ دون الآيتين في الزخرف ٣٨ والزمر ٧١، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ٧١.

السؤال الرابع :

ما دلالة سؤال الجلود دون غيرها من الأعضاء التي شهدت عليهم؟

الجواب:

١ـ الجلود تحس العذاب وينالها العذاب وتدركه، فالعذاب سيقع على الجلود فيسألونها: لماذا شهدت علينا؟ أنت حق عليك العذاب فلم شهدت علينا؟ أي أنّ الجلد ليس كالسمع والبصر.

٢ـ الجلود هي فعلاً الأَولى بالسؤال؛ لأنّ العذاب سينالها وكلما نضجت الجلود بُدلت لتذوق العذاب فهي مدركة للعذاب، وهي تحس بالألم فيتوجه لها السؤال منطقياً.

٣ـ لكنّ هذا لا ينفي أنْ يكون السؤال موجهاً إلى الأعضاء الأخرى كالسمع والبصر، لكنّ مناط الشعور بالألم والعذاب هو الجلود. والجلود شهدت؛ ولهذا انتقيت الجلود بالسؤال. والله أعلم.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾

السؤال الأول :

قال في آية فصلت ٣٠: ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ في آية الشعراء ٢٢١ وآية القدر ٤ ﴿تَنَزَّلُ﴾ بحذف التاء، فما السبب؟

الجواب :

١ـ التنزل في سورة (فصلت) أكثر مما في الآيتين الأخريين؛ ذلك أنّ المقصود به هو أنّ الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت؛ لتبشرهم بالجنة، وهذا ما يحدث على مدار السنة، ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم فتتنزل الملائكة لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته ولم يحذف منه شيئاً.

٢ـ أمّا آية الشعراء فإنّ التنزل فيها أقل؛ لأنّ الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة، وإنما تنزل على الكهنة أو على قسم منهم ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾ وهؤلاء ليسوا بكثرة الأولين بل هم قلة، فاقتطع من الحدث فقال: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾.

٣ ـ وكذلك في سورة القدر، فإنّ تنزل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام، وهي ليلة القدر فاقتطع من الحدث.

لذلك ترى أنه لم يحذف من آية (فصلت)؛ لأنه أكثر واقتطع إحدى التاءين في آيتي الشعراء والقدر؛ لأنّ التنزل فيهما أقل. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما أغراض الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٥.



﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ ﴾

السؤال الأول :

لماذا كرر لفظة ﴿فِيهَا﴾ في آية فصلت ٣١، ولم يكررها في آية يس ٥٧؟

الجواب :

١ـ آية فصلت الكلام فيها قبل دخول الجنة، وهو عند الموت عندما تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بالجنة، فكرّر ﴿ فِيهَا ﴾ ليعلمهم أنّ كلا الأمرين إنما هو في الجنة، ولو قال: ولكم ما تدعون بدون ﴿ فِيهَا ﴾ لاحتمل أنْ يكون ذلك قبل دخول الجنة عند الخطاب، فأعلمهم أنّ ذلك إنما يكون في الجنة.

٢ـ أمّا آية يس، فالكلام فيها عمن في الجنة، فلم يكرر؛ لأنهم فيها فلا يحتاج إلى ما كرر في فصلت.

٣ـ قال في يس: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ ﴾ وقال في فصلت: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ ﴾؛ والسبب أنّ آية يس في أصحاب الجنة عموماً، وأمّا آية فصلت فهي في صنف معين من أهل الجنة، وهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وهؤلاء أعلى منزلة من عدد غير قليل من أهل الجنة؛ لأنهم استقاموا على الشريعة واستمروا على ذلك، وليس كل أهل الجنة كذلك فإنّ منهم من لم يلتزم كل حياته، ولكنه دخل الجنة تفضلاً منه سبحانه.

فقال في الذين استقاموا: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ ﴾ فكان الجزاء أعلى من مجرد الفاكهة؛ لأنّ الفاكهة ليست إلا جزءاً مما تشهيه النفس.

٤ـ قال في يس: ﴿يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ وفي فصلت ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ والفرق بين: (ما تدعي)، و (ما يشتهون) هو أنّ ما تدعيه؛ أي: ما تطلبه بالقول، وأمّا ما تشتهيه فهو ما تريده النفس سواء طلبته أم لم تطلبه.

والله أعلم.



﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾

السؤال الأول :

قال في يس ٥٨: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ وفي فصلت ٣٢ ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ فما دلالة الفرق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥٨.



﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾

السؤال الأول :

متى تزاد (ولا) بين المتعاطفين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية فاطر ١٩.

السؤال الثاني :

ما الأساليب القرآنية في الآيات التي تتضمن الفعل (يستوي)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية غافر ٥٨.

السؤال الثالث :

ما دلالة استخدام ﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾ في آية فصلت ٣٤؟ ولماذا لم تستعمل (الحسنى)؟

الجواب :

الحسنى لا تقابل السيئة، والحسنى مؤنث الأحسن، مثل الأصغر والصغرى والأكبر والكبرى والأسوأ والسوأى.

أمّا الحسنة فهي التي تقابل السيئة، ولو استعملت الحسنى، كما في السؤال لأعطت معنى أنه يمكن أن تستوي الحسنة والسيئة، أي الحسنى لا تستوي وما دونها يستوي، فنفى القِلّة ونفى الأكثر من باب أولى. والله أعلم.



﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

أكد في آية سورة فصلت٣٦ بضمير الفصل (هو) وعرّف (السميع العليم) وترك ذلك في آية سورة الأعراف ٢٠٠، فما السبب؟

الجواب :

١ ـ في سورة فصلت طُلب أنْ يقابل السيئة الحسنة، وهذا أمر شاق على النفس؛ لأنّ من عادة الناس أنْ يقابلوا السيئة بمثلها، فاذا أرادوا أن يحسنوا عفوا عن المسيء.

أمّا أن يقابلوا السيئة بالحسنة فذلك أمر شاق على الإنسان عسير عليه فإنّ الشيطان يحث على الانتصار للنفس ويثبطه عن الإحسان إلى المسيء ولذا قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

أمّا في سورة الأعراف فقد أمر بالإعراض عن الجاهلين، وهو أيسر من الإحسان إلى من أساء إليك؛ ولذا أكّد وعرّف في سورة فصلت وترك ذاك في سورة الأعراف، فلم تقع المبالغة في اللفظ، واقتصر الخبر على الأصل فوضع كل تعبير في المكان الذي يقتضيه.

٢ـ وقد وردت الصفتان منكّرتين في آية الأعراف ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ووردتا معرفتين في آية فصلت، وزِيْدَ قبلهما ضمير الفصل (هو)، فقال: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ وذلك :

أ ـ ورد قبل آية الأعراف وصف آلهتهم بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتحرك ولا تقدر على شيء، ممّا يدل على أنها ليس فيها شيء من الحياة. قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ

أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٥].

فوصف الله نفسه بالسمع والعلم في مقابل آلهتهم التي لا تسمع ولا تعي.

ب ـ أمّا آية فصلت فقد تقدم قبلها قوله: ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فصلت: ٢٢] فأثبتوا لله قليل العلم ونفوا عنه كثيره، فاقتضى ذلك أنْ يبين لهم أنه هو المختص بالعلم الكامل والسمع الكامل، فجاء بالصفتين معرفتين للدلالة على الكمال في الوصف.

وجاء بضمير الفصل للدلالة على قصر هاتين الصفتين عليه سبحانه وبيان أنّ ما عداه لا يعلم ولا يسمع إذا ما قيس بعلمه وسمعه، ولو جاء بهما نكرتين لم يفيدا هذا المعنى؛ إذ كل من عنده سمع وعلم يصح أنْ يوصف بأنه سميع عليم.



﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر الجمع في ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ مع أنه ذكر الشمس والقمر؟

الجواب :

١ـ الآيات بدأت ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ﴾وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن آياته التي ذكرها في الآية ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾؛ لذلك استعمل الجمع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُنَّ ﴾ ولم يقل: (خلقها) مع أنها لغير العاقل والسبب:

أـ المعنى: لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلق هذه الأشياء التي ذكرها، فهي تعود على الليل والنهار والشمس والقمر.

ب ـ كرر ﴿ لَا ﴾ حتى يفهم أنَّ المنهي عنه السجود للشمس والقمر منفردين ومجتمعين؛ لذلك كرر (لا) للتأكيد والفصل.

ج ـ لو قال: خلقها، لانصرف الذهن للشمس؛ لأنها المؤنث الوحيد بين الأمور الأربعة التي ذكرها.

والله أعلم.



﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في آية الحج٥: ﴿هَامِدَةً ﴾ وفي آية فصلت٣٩: ﴿خَـٰشِعَةً ﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ ـ السياق في آية الحج هو في جو بعث وإحياء وإخراج مما يتصف معه تصوير الأرض بأنها ﴿هَامِدَةً﴾ ثم تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.

٢ ـ السياق في آيات فصلت هو جو عبادة وخشوع يتصف معه تصوير الأرض بأنها ﴿خَٰشِعَةً﴾ فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت، ثم لا يزيد على الاهتزاز والإرباء هنا في فصلت الإنبات والإخراج كما زاد هناك في سورة الحج؛ لأنه لا محل لهما في جو العبادة والسجود.



﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم الرحمة والعذاب في الآيات القرآنية؟

الجواب :

في كثير من الآيات التي جمعت ذكر الرحمة والعذاب بدأ بذكر الرحمة قبل العذاب، كما يظهر من الآيات :[المائدة ١٨ ـ وفصلت ٤٣ ـ وغافر ٣] وهذا ينطبق على القاعدة التي بيّنها الحديث القدسي «**إن رحمتي سبقت غضبي**».

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمةُ فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً. ومن ذلك :

١ ـ آية المائدة ٤٠؛ وذلك لأنها وردت في سياق ذكر قطاع الطرق والمحاربين والسرّاق، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب حيث وردت هذه الآية بعد قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٣٢ التي قدّم فيها القتل على الإحياء، ثم الآية ٣٣ في ذكر جزاء قطاع الطرق والمحاربين. . ثم جاءت الآية ٣٨ في ذكر جزاء السراق، ثم جاءت الآية ٤٠ فكان من المناسب ههنا تقديم العذاب على المغفرة.

٢ ـ وكذلك قدّم العذاب على الرحمة في آية العنكبوت ٢١؛ وذلك لأنها في سياق إنذار إبراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه، وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا، فقد أنذر إبراهيم قومه في الآية ١٧، ثم هددهم بالعذاب إنْ كذبوه في الآيات: [١٨ و ٢٢ و٢٣] فاقتضى السياق تقديم العذاب هنا.



﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا قال في الشورى ١٤: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ولم يقل مثل ذلك في آيات يونس ١٩ـ وهود ١١٠ـ وفصلت٤٥؟

الجواب :

١ـ إنّ الآيات في يونس وهود وفصلت إنما هي في أمة واحدة والقضاء يمكن أنْ يكون بينهم عاجلاً أو آجلاً.

ففي آية يونس ذكر الله أنّ الناس كانوا أمة واحدة اختلفت والقضاء بينهم ممكن، وآية هود هي في بني إسرائيل حين اختلفوا في الكتاب، والقضاء بينهم ممكن في الحياة الدنيا، ونحوها آية فصلت.

٢ـ وأمّا آية الشورى فهي في سياق أمم مختلفة متعاقبة، منها أمم مندثرة هالكة، فكيف يكون القضاء بينها في غير يوم القيامة وهو الأجل المسمى؟

فناسب كل تعبير مكانه.



﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى العام هو التقدير: قلنا: إنْ أحسنتم بفعل الطاعات أحسنتم لأنفسكم، وإنْ أسأتم بفعل المحرمات أسأتم إلى أنفسكم، وذلك بجرها إلى العقوبات.

٢ـ قال النحويون: إنما قال: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ للتقابل والمعنى: فإليها أو عليها، حيث إنّ حروف الإضافة يقوم بعضها مقام بعض، كقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي إليها.

وعبّر عنها لمشاكلة ما قبلها ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾.

٣ـ قيل إنّ اللام هنا (لها) بمعنى (إلى)، فإساءتها راجعة إليها.

٤ـ وقيل هي للاستحقاق، كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٥ـ تأتي (عليها) في سياق العقوبة، أمّا في غير سياق العقوبة فتأتي ﴿فَلَهَا﴾ كما في آية فصلت ٤٦ وآية الجاثية ١٥.

٦ـ وقيل هي للاختصاص، ووجه مناسبتها أنّ اليهود لما عصوا سلّط الله عليهم من نهبهم وأسرهم، ثم لمّا تابوا وأطاعوا حَسُنت حالهم، فظهر أنّ إحسان الأعمال وإساءتها مختص بهم.

٧ـ كرر كلمة الإحسان مرتين، وذكر الإساءة مرة واحدة، إشارة إلى أنّ رحمة الله تعالى غلبت غضبه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استخدام صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ علماً أن صيغة المبالغة لا تنفي الحدث؟

الجواب :

كأنّ السؤال هو أنّ الآية تنفي أنْ يكون الله ظّلاماً، ولكن لا تنفي أن يكون ظالماً ـ وحاشاه تعالى ـ فكيف المعنى؟

إذا ظلم شخص شخصاً ولو لمرة واحدة يكون ظالماً، أمّا إذا كثُر المظلومون يكون ظلّاماً وليس ظالماً.

نلاحظ أنّ الله قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ أي جاء بصيغة الجمع في كلمة عبيد، والعبيد جمع كثرة، كما قال في آية أخرى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ باستخدام الغيوب جمع كثرة، أي أنه ليس ظالماً لفلان وفلان وفلان وهكذا فهو لذلك ليس بظلّام.

لذلك عندما يجمع الصفة ويبالغ فيها فإنه يستخدم صيغة المبالغة، وعندما يُفرد الصفة يُفرد الصيغة، كما في قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ ولم يقل: علاّم الغيب، بل قال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

* شواهد قرآنية أخرى :

آية الحجر ٢٨ ﴿خَـٰلِقُۢ بَشَـرًا﴾؛ لأنّ السياق خالق لبشر واحد.

آية يس ٨١ ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّـٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ اقتضى المبالغة عند ذكر خلق السماوات والأرض.

السؤال الثالث :

ما سبب اختلاف الفاصلة في آية الجاثية ١٥ وآية فصلت ٤٦؟

الجواب :

جاء في الآية ١٤ من سورة الجاثية قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ فناسب الختام بفاصلة البعث في الآية ١٥.

وأمّا آية فصلت فالختام فيها مناسب: فهو لا يضيع عملاً صالحاً ولا يزيد على من عمل سيئاً.



﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم علم الساعة ومفاتح الغيب؟

الجواب :

قدّم الجار والمجرور في آية فصلت ٤٧ والظرف في آية لقمان ٣٤ الذي هو الخبر على المبتدأ ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لأنّ علم الساعة مختص بالله وحده لا يعلمه أحد غيره.

وفي آية الأنعام ٥٩ قدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾؛ وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب. ألا ترى كيف أكّد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر، فقال: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في فصلت ٥٠: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ وفي هود ١٠ ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ فلم لم يقل هنا: منا؟

الجواب :

١ـ آية هود: تقدم فيها لفظ ﴿مِّنَّا ﴾ في الآية التي قبلها ٩، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ فتركت ثانياً للدلالة عليها أولاً.

٢ـ في آية فصلت: لم يتقدم ذلك، فذكرت في الآية.

٣ـ من ناحية ثانية فإن آية هود (٩) و(١٠) هي حالات إفرادية قليلة حيث أعطى الله لإنسان نعمة ثم نزعها منه، فاستعمل هنا ﴿وَلَئِنْ ﴾، ولم يستعمل (إذا)؛ لأنّ الأخيرة تستعمل في حالات كثيرة الوقوع.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في هود ٩ والشورى ٤٨: ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ بتقديم الجار والمجرور على الرحمة، بينما قدّم الرحمة على الجار والمجرور في آية فصلت ٥٠ فقال: ﴿رَحْمَةً﴾، فما السبب؟

الجواب :

من النظر في المواطن الثلاثة يتضح أنّ الكلام في فصلت عن الرحمة أكثر، وأثرها على الإنسان أوسع مما في هود والشورى. وبيان ذلك :

١ـ أنه في هود لم يذكر إلا إذاقته إياها ونزعها منه، فذكر حالة نزع الرحمة، ولم يذكر أثر الرحمة عليه.

٢ـ وأمّا في الشورى فإنه لم يزد على أن قال: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾.

٣ـ وأمّا في فصلت فقد فصّل وأطال في وصف أثرها فيه واحتفائه بها فناسب تقديمها في سورة (فصلت).

والله أعلم.

السؤال الثالث :

قال في الكهف ٣٦: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

وقال في فصلت ٥٠: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾

فاستعمل ﴿ رُّدِدتُّ ﴾ في آية الكهف، واستعمل ﴿ رُّجِعْتُ ﴾ في فصلت فلماذا؟

الجواب :

نجد الجواب مبيناً في الجدول التالي:

اللفظ	الكهف	فصلت
الرد	٣ مرات	مرة واحدة
الرجع	-	مرتان

فوضع كل فعل في مكانه الذي هو أليق به.

السؤال الرابع :

ما الفرق في الدلالة بين ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ كما في آيتي [الكهف ٦٥ـ والأنبياء ٨٤] و ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ كما في آيتي [يس ٤٤ـ وفصلت ٥٠]؟

الجواب :

١ـ (عند) ظرف مكان أو زمان، وهي تفيد أقصى نهايات القرب، قال الليث: وهو في التقريب شبه اللزق.

بينما (من) لها معانٍ أشهرها: للابتداء أي ابتداء وقوع الحدث. لذلك الظرف (عند) أخص من حرف الجر (من).

٢ـ و لذلك في الاستعمال القرآني استعمل ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ للمؤمنين فقط أي بشكل خاص، بينما استعمل التعبير ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ بشكل عام للمؤمن والكافر

* شواهد قرآنية: (رحمة منا) :

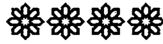
﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [يس: ٤٣ - ٤٤].

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [فصلت: ٥٠].

* شواهد قرآنية :(رحمة من عندنا) :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف: ٦٥].

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الأنبياء: ٨٤].



﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في فصلت ٥٢: ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ ﴾ وفي الأحقاف ١٠ ﴿ وَكَفَرْتُم بِهِ ﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ في آية الأحقاف: الواو للعطف، وجواب الشرط تقديره: إنْ اجتمع كونه من عند الله وكفرتم به وشهادة الشاهد وإيمانه ألستم بكفركم ظلمة؟ !!

ولذلك ختمها الله بـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢ـ في آية فصلت: يجوز أنْ يكون (ثم) حثهم للاستبعاد عن الكفر مع العلم بكونه من عند الله، وفي هذا حث لهم أنْ لا يبالغوا في إظهار النفرة عن التوحيد؛ لأنّ التخلف عن الإيمان بعد ظهور أنه من عند الله مستبعد عند العقلاء؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب بداية السورة مع خواتيمها:

قال سبحانه في أولها:

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

وقال في آخرها:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾.

١ ـ فالكلام عن الكتاب في البدء والخاتمة:

فقد قال في أول السورة: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

وقال في آخرها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ قال في بداية السورة: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾.

وقال في الأواخر: ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

٣ ـ قال في البداية: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾. وقال في الأخير: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

فالكافر بالآخرة في مرية من لقاء ربه.

٤ـ ذكر عنهم أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

وقال في الأخير: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

فسيرفع الحجاب الذي يمنع الرؤية ويريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم فتخترق الأكنة ويزيح الوقر، حتى يظهر لهم الحق ويتبين. والله أعلم.



سورة الشورى

أولاً ـ تناسب خواتيم فصلت مع فواتح الشورى:

قال سبحانه في خاتمة فصلت:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ
(٥٢) سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ (٥٤) ﴾.

وقال في أول الشورى:

﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) ﴾

فأشار إلى القرآن في الموضعين، وذكر الله سبحانه وصفاته فيهما.

فقد قال في فصلت: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ (٥٤)﴾.

وقال في الشورى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) ﴾

فالذي له ما في السماوات وما في الأرض العلي العظيم هو الذي بكل شيء محيط.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة أول السورة لآخر ما قبلها أنه قال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، وكان في ذلك الحكم عليهم بالضلال لمّا كفروا به، وقال

هنا: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي كفر به هؤلاء: ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ ﴾ أي إنّ وحيه إليك متصل غير منقطع يتعهدك وقتاً بعد وقت)).

ثانياً ـ هدف السورة :

أهمية الشورى والوحدة وخطورة الفرقة

تركّز سورة الشورى على واجب من واجبات المسؤولية عن المنهج، ألا وهو أهمية الوحدة والحذر من خطورة الفرقة. وأوضح أنّ الاختلاف وارد لكن الواجب عند الاختلاف هو الاحتكام إلى الله تعالى وكتابه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى: ١٠]، ففي الاختلاف يأمر الله تعالى بأنْ يرد الأمر لله، أمّا في الفرقة فقد عاب على الأمم السابقة فرقتهم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى: ١٣].

وحتى نتجنب أنْ تحصل أية فرقة يجب أنْ نأخذ ونطبق مبدأ الشورى وهذا واجب يجب الحرص عليه، والشورى تكون في كل أمر ابتداء من تعامل البشر في بيوتهم إلى قضايا الحكم وغيرها. والشورى هي أصل من أصول الإسلام العظيمة وسياج لحماية المنهج في كل أمور الحياة؛ لأنّ الخلاف حاصل ومتوقع وطبيعي.

وعلى هذا المبدأ، ولأهميته في الإسلام سميّت السورة بـ (الشورى) فلمنهج الشورى الأثر العظيم في حياة الفرد والمجتمع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الشورى: ٣٨].

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١.



﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في غافر٧: ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وفي الشورى٥ ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية غافر ٧.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في الأنعام ٦٦: ﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ ﴾ وفي الأنعام ١٠٧ـ الزمر ٤١ـ الشورى ٦ قال: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ ﴾ وفي يونس ١٠٨: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾ فما دلالة اختلاف الصيغ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٦.



﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٢.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الكاف في قوله تعالى في الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾؟

الجواب :

١ـ النحاة يستشهدون بهذه الآية على زيادة الكاف. الكاف زائدة للتوكيد يعني ليس مثله شيء. ويقولون: إنّ الكاف الداخلة على (مثل) زائدة، نحو: كمثل البدر، الكاف زائدة للتوكيد؛ لأنّ الكاف نفس معنى التشبيه.

وقسم آخر يقول: ليست زائدة، وفيها كلام كثير لن نخوض فيه، لكنّ الذي يبدو أنها ليست زائدة.

٢ـ التشبيه درجات في البلاغة، وأعلى التشبيه أنْ تحذف وجه الشبه وأداة التشبيه مثل: هو أسد أو هو الأسد، هي البدر. قال الشاعر :

هـي الشـمس مسـكنُها في السـماء ... فعـزِّ الفـؤاد عـزاءً جميـلاً
فلـن تسـتطيع إليهـا الصـعود ... ولـن تسـتطيع إليـك النـزولا

هذا أعلى شيء ودونه هي كالبدر أو هي مثل البدر.

٣ـ وهم يقولون إنّ (مثل) أعلى في التشبيه من (الكاف)؛ لأنّ فيها معنى الموازنة، فإذا جئت بأداة التشبيه ستكون ذلك للتشبيه، وإذا جئت بأداتي التشبيه سيكون دون ذلك أبعد في التشبيه.

٤ـ فربنا جاء بأداتي التشبيه، يعني: ليس كمثله شيء ولو من وجه بعيد فمع أداتي التشبيه أبعد (الكاف ومثل) . إذن ليس له مثيل ولو من وجه بعيد. إذن ليست زائدة، وإنما تؤدي معنى.

٥ـ (الكاف) حرف جر، وأبرز معنى لها هو التشبيه، ولها معانٍ أخرى وبالتالي لا زيادة فيها، وإنما جيء بها لأداء معنى.

٦ـ فإذن ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ نفي المشابه ولو من وجه بعيد، بحيث لا يتبادر إلى الذهن أدنى شبه ولو من بعيد، وجاء بأداتين (مثل ـ الكاف) فليس هناك شبه قريب.

٧ـ لو قال خارج القرآن: ليس مثله شيء، تكون أقرب. وليس فيها هذه الدلالة للتأكيد على نفي المثلية.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ﴾ ما الفرق بين كاف التشبيه والمثل؟ وبين الشبه والمثل؟ وبين العِدل والعَدل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٢.

السؤال الثالث :

ما دلالة تقديم السمع على البصر في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٧.



﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

وردت ﴿ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في آية البقرة ٢٤٥ بينما سائر ما في القرآن ﴿ يَبۡسُطُ ﴾ بالسين في أكثر من عشرة مواضع فلماذا؟

الجواب :

١ ـ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يختص بشيء دون شيء، فالله هو القابض الباسط في النعم والأرزاق والأعمار والآجال والملك والصدور والتقتير والتوسيع، يسلب قوماً ويعطي قوماً ويقبض الصدقات ويخلف البذل، فهو بسط مطلق غير مقيد.

٢ ـ بينما في الآيات الأخرى ترى البسط مقيداً بالرزق أو بغيره مثل الغيث في آية الروم٤٨.

٣ ـ البسط المطلق أقوى وأعم من البسط المقيد، فجاء بالصاد في الأقوى وجاء للمقيد بالسين.

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الثاني :

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ٢٠.



﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾



السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال (ما) و(الذي) في الآية؟

الجواب :

١ـ كلاهما اسم موصول، لكنّ (الذي) اسم موصول يسمونه (مختص) ويسمونه (نصّ) أيضاً، لأنه يختص بالمفرد المذكر تحديداً.

(ما) مشتركة، وكذلك (من) يستعمل كل منهما للمذكر والمؤنث ويستعمل للمفرد والمثنى والجمع. الفرق اللغوي بينهما أنّ (الذي) مختص أو نصّ (أي في معنى معين، وهو المفرد المذكر)، و(ما) مشترِك أو مشترَك وبهذا يقولون إنّ (الذي) أعرف من (ما) مع أنّ كليهما معرفة، لكنّ المختص أعرف.

٢ـ إذن الأسماء الموصولة كالضمائر بعضها أعرف من بعض. إذن (الذي) أعرف من (ما).

٣ـ نقرأ الآية ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الذي أوحينا إليك هو معروف لمحمد ﷺ وكل ما جاء يعرفه، وهو القرآن الكريم، أمّا ما وصى به نوحاً فهو غير معروف ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ وما وصينا به إبراهيم وموسى غير معروف، والتوراة ليست موجودة وكانت محرفة حتى في زمن الرسول، ولا يُعلم كل ما وصى به من كلمات.

فالقرآن أعرف مما وصّى الله به إبراهيم وموسى وعيسى ونوحاً، وهذا تفسير عام وليس تحديداً . فجميعنا يقول: لا إله إلا الله، وهذه كلمة عامة لكنّ دقائق الأمور والأحكام التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ونوح لا يعرفها الرسول عليه السلام فـ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾ أعرف، فجاء بما هو أعرف لما هو أعرف، وجاء لمن دونه في المعرفة بما هو دونه بالمعرفة ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ﴾ وكل كلمة في مكانها بحسب القاعدة.

٤ـ الفرق بين الوحي والوصايا: الشريعة قد يكون فيها وحي وقد يكون فيها وصايا، مع نوح وعيسى وموسى وإبراهيم قال: ﴿ مَا وَصَّىٰ ﴾ ومع الرسول عليه السلام استعمل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لهذا استخدم (الذي وما).

السؤال الثاني :

ما الفرق بين تفرقوا وتتفرقوا فى القرآن الكريم في آيتي آل عمران ١٠٣ ـ والشورى ١٣؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

السؤال الثالث :

كيف قُدم نوح عليه السلام في نظير ذلك في آية الشورى ١٣؟

الجواب :

هذه الآية سيقت لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة. كأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح عليه السلام في العهد القديم وبُعث عليه محمد عليه السلام في العهد الحديث وبُعث عليه من توسطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح عليه السلام أنسب.

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ
بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا قال في الشورى ١٤ : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ ولم يقل مثل ذلك في آيات يونس١٩ـ وهود ١١٠ـ وفصلت٤٥؟

الجواب :

١ـ إنّ الآيات في يونس وهود وفصلت إنما هي في أمة واحدة، والقضاء يمكن أنْ يكون بينهم عاجلاً أو آجلاً.

ففي آية يونس ذكر الله أنّ الناس كانوا أمة واحدة فاختلفت والقضاء بينهم ممكن، وآية هود هي في بني إسرائيل حين اختلفوا في الكتاب والقضاء بينهم ممكن في الحياة الدنيا، ونحوها آية فصلت.

٢ـ وأمّا آية الشورى فهي في سياق أمم مختلفة متعاقبة منها أمم مندثرة هالكة، فكيف يكون القضاء بينها في غير يوم القيامة وهو الأجل المسمى؟

فناسب كل تعبير مكانه.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أُورِثُواْ﴾؟

الجواب :

يسند الله الأمر إلى ذاته في مقام المدح، ويبني الفعل للمجهول في مقام الذم.

لمزيد من المعلومات انظر آية الفاتحة ٧ـ



﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

مالفرق بين ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ بصيغة المضارع و ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ بصيغة الماضي؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب ٦٣.



﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ ما كلمات منظومة التيه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٠٨.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة المبالغة في الإكرام؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٦٩.



﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الشورى ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾ (يقترف) عادة تأتي مع الذنب، لكنْ هنا جاءت مع الحسنة فما دلالتها؟ وهل لختام الآية ﴿غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾ علاقة مع الاقتراف؟

الجواب :

١ـ الاقتراف يعني الاكتساب ويدخل في الحسنة والسيئة، ولا تقتصر على السيئة فقط، والاكتساب يستعمل للحسنات والسيئات.

٢ـ يقترف: بمعنى يكتسب، والمراد بالحسنة هنا في قربى الرسول ﷺ.

وأصل القرف الكسب والاقتراف الاكتساب.

وذيلت الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ والمعنى :

أ ـ غفور للذنوب شكور للحسنات.

ب ـ غفور لذنوب آل رسول الله ﷺ شكور لحسناتهم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ولم يقل مثلاً: إلا مودة القربى لأنّ قوله ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ تفيد جعل المودة محلاً ومقراً لها للمبالغة، كما يقال: (ولي فيهم هوى وحب شديد).

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢ .



﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟

الجواب :

نكّر الكذب؛ ليشمل كل كذب عام؛ لأنّ المعرفة ما دلّ على شيء معين. و(الكذب) بالتعريف يقصد شيئاً معيناً بأمر معين .

فعندما يقول: (الكذب) فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق أمّا عندما يقول: (كذب) فإنه يشمل كل كذب، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران: ٩٣ – ٩٤] فالكلام عن الطعام، وهو أمر معين، وهو حرّم على نفسه وكذب على الله وقال: الله حرّم كذا، قال: فأتوا بالتوراة في هذه المسألة في مسألة الطعام فقال: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ لأنّ الكذب في مسألة معينة محددة. هذا هو التعريف (الكذب).

ومثال التنكير قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٩٢ – ٩٣] ليس هنالك مسألة معينة ذكرها، فهذه عامة، و(كذب) يشمل كل كذب وليس الكذب في مسألة معينة. وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ [الشورى: ٢٤] لم يقل: ما هذا الشيء. إذن التنكير في اللغة يفيد العموم والشمول.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر (الواو) وحذفها في قوله تعالى في آيات سورة الشورى [٢٥ـ٣٠ـ٣٤] ﴿ وَيَعْفُ ﴾ و﴿ وَيَعْفُواْ ﴾ ؟

الجواب :

ورود الواو وعدم ورودها:

الواو في﴿ وَيَعْفُواْ ﴾ في الآيتين ٢٥ـ٣٠ هذه ليست واو الجماعة حتى لو شاهدناها في القرآن ومعها ألف بعدها فهي لا تدل على الجماعة. هذه هي واو الفعل، وليست للجماعة﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى: ٢٥] ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠].

أمّا في الآية ٣٤﴿ وَيَعْفُ ﴾ فهي معطوفة على الشرط في الآية ٣٣؛ لذا جاءت مجزومة فحذفت الواو﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الشورى: ٣٤].

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في استخدام حروف الجر في القرآن﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٥] ولم يقل: (من عباده)؟

الجواب :

١ـ ربنا تعالى مرة استعمل (عن) ومرة استعمل (من)،كما في الآيات: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[الشورى: ٢٥] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[التوبة: ١٠٤] ومرة قال: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[النساء: ٩٢].

٢ـ عندما يقترن الكلام بالعباد يعني التوبة الصادرة عن العباد، وهو يتجاوز عنهم ويعفو عنهم، لذلك قال بعضهم: هو نوع من التجاوز، يعني يتجاوز عن عباده ويعفو عنهم، وقسم قال المعنى: الصادرة عن عباده، أي يعفو عنه من باب التضمين. (تاب عنه) أي (عفا عنه).

٣ـ يستعمل القرآن ﴿مِّنَ﴾ مع الجهة التي تتوب، أي مع الله، أي هو التائب عن العباد وهم يتوبون، فهذه: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[النساء: ٩٢] يتوب عنهم أي يعفو عنهم والتوبة من الله، أمّا ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي الصادرة عنهم.

فمع الجهة التي تقبل التوبة يستعمل ﴿مِنْ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[المائدة: ٢٧].

ويستعمل (عن) مع الصادر عنه أي التائب من باب التضمين، كما في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾[الأحقاف: ١٦] والله قال مع العمل:(نتقبل عنهم) و قال: (يتقبل الله) بنفسه.

٤ـ ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾: وردت (يقبل التوبة عن) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٦].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى: ٢٥].

هذه الآيات الثلاث فيها نسبة قبول التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، إمّا بالحديث مباشرة ﴿ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ ﴾ أو على سبيل الغيبة وهو سبحانه المتحدث فقال: ﴿ عَنْ ﴾ حتى تنفصل؛ لأنها تعود إلى الله تعالى مباشرة.



﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿ يَبْسُطُ ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

وردت لفظة ﴿بَسَطَ﴾ في آيات متعددة وبصيغ مختلفة، وكلمة (بسط) تأتي بمعنى ما تحب وبمعنى ما تكره، أي تأتي بمعنى ما تكره وما لا تكره والسياق يحدد ذلك:

* شواهدقرآنية :

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[الشورى: ٢٧].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة: ٦٤].

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾[المائدة: ٢٨].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾[الأنعام: ٩٣] أي مادون أيديهم بالعذاب.

لمزيد من المعلومات، انظر الحواب في آية البقرة ٢٤٥. والله أعلم.



﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين المطر والغيث في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٤٩.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل في هذه الآية ما يدل على وجود مخلوقات أخرى في الكون؟

الجواب :

القدامى قالوا: إنّ هذه الآية تدل على ذلك، وتدل على وجود دواب. وقسم فسرها على أنها الملائكة.

والدابة هي كل حيوان له دبيب وحركة، ويجوز أنْ يكون هناك مخلوقات في السموات والأرض والآية تدل على ذلك، والقدامى فهموا ذلك، ولا ندري إذا كان هناك حيوانات في مكان آخر في السماوات. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله في الجاثية ٤ : ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ وقوله في الشورى ٢٩ : ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ﴾ ؟

الجواب :

١ـ في آية الجاثية: المراد ذكر استمرار نعمة الله وقدرته على الناس قوماً بعد قوم، فاستعمل الفعل المضارع (يبث) للدلالة على الاستمرارية.

٢ـ في آية الشورى: المراد ابتداء خلقه الدواب وبثها في الأرض والسماء فاستعمل الفعل الماضي (بثّ). والله أعلم.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر الواو وحذفها في قوله تعالى في آيات سورة الشورى ٢٥ـ٣٠ـ٣٤ـ ﴿ وَيَعۡفُ ﴾ و﴿ وَيَعۡفُواْ ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في الآية ٢٥.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال القرآن للتعبيرين ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ ﴾ و ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٩٥.



﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ في آية سورة العنكبوت ٢٢ وعدم استخدامها في آية سورة الشورى ٣١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٢٢.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين التعبيرين ﴿ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ ﴾ ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ في آيتي هود٢٠ والشورى ٣١؟

الجواب :

١ـ قال في هود: ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ فجاء بالفعل الماضي ﴿ لَمْ يَكُونُوا ﴾ لأنّ الكلام إنما هو في الآخرة، وهو يدور عن أحداث ماضية كانت في الدنيا، فقد قال الله قبلها في الآية ١٨: ﴿ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴾ فاقتضى ذكر الفعل الماضي.

٢ـ وأمّا الخطاب في الشورى فهو في الدنيا، قال تعالى في الآية ٣٠ ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾
فاقتضى كلٌّ منهما ما ذُكر في موضعه. والله أعلم.

السؤال الثالث :

متى تستعمل ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾؟ [البقرة: ١٢٠] ومتى ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) ﴾ [الشورى: ٣١]؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي ليس لكم ولي من الله ينصركم، ولم يهيىء أحداً ينصركم، فليس هنالك نصير (من الله) ينصركم من الملائكة أو من غير الملائكة. أي :ليس لكم (من الله) وليّ من جهته و لم يهيىء لكم وليّاً.

أما﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فتعني من غير الله. إذن المعنى مختلف تماماً.



﴿ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام صيغة (صبّار شكور)؟ وما علاقة الفاصلة بصدر الآية في سورة الشورى؟ ولماذا جاءت (صبّار) مقدّمة على (شكور)؟

الجواب :

١ـ كلمة صبّار: الصبر إمّا أن يكون على طاعة الله، أو على ما يصيب الإنسان من الشدائد. فالصلاة تحتاج إلى صبر، وكذلك سائر العبادات كالجهاد والصوم. والشدائد تحتاج للصبر.

أمّا كلمة شكور: فالشكر إمّا أن يكون على النعم ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أو على النجاة من الشّدّة ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ فالشكر إذن يكون على ما يصيب الإنسان من النِّعَم، أو فيما يُنجيه الله تعالى من الشِّدّة والكرب.

٢ـ لماذا قدّم الصبر على الشكر؟

لننظر في الآيات التي وردت قبل الآية وبعدها في سورة الشورى. قال تعالى في الآيات التي قبلها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ والآية فيها قنوط أولاً ثم إنزال الغيث، فالأول (القنوط) ويحتاج إلى صبر، والثاني (إنزال الغيث) ويحتاج إلى الشكر لأنّ إنزال الغيث هو رحمة فتحتاج إلى الشكر، وأمّا القنوط فكان عندما كان المطر محبوساً، وهو أمر يحتاج إلى الصبر.

أمّا في الآية التي بعدها فقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ وهذه الآيات فيها أمران أيضاً: الأول وهو أنْ لا تجري السفن ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ وهذا أمر يحتاج إلى الصبر، والثاني إهلاكهن ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ وهذا من المصائب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾ لها احتمالان:

أ ـ احتمال إرادة إهلاك من فيها، على المجاز المرسل، فأطلق المحل وأراد الحالّ، فقال تعالى: (الجوار) أي السفن، والمُراد:من فيها، وهذا ما يُسمّى بالمجاز المُرسل وعلاقته محلية.

ب ـ أو احتمال إرادة البضائع التي فيها.

فهذه مصيبة سواء كانت في الأموال (أي السفن نفسها) أو في الأنفس (من في السفن) وكلمة (يوبقهن) تحتمل الإهلاك في السفن أو المال وكلاهما يحتاج إلى صبر.

٤ـ أما قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ فهي تحتاج إلى شكر.

إذن ما تقدّم الآية موضع السؤال وما جاء بعدها يحتاج لصبر وشكر والصبر تقدّم على الشكر فيها، وعليه فإن نهاية الآية ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ جاءت واضحة ومتلائمة مع السياق.

٥ـ إضافة إلى هذا، فإنه إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه إذا كان السياق في تهديد البحر يستعمل ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وإذا كان في غيره يستعمل الشكر فقط.

ففي سورة لقمان مثلاً قال تعالى في سياق تهديد البحر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

وفي سورة الشورى: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

أمّا في سورة الروم فقد قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ فجاء بالشكر فقط.

وكذلك في سورة النحل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

وفي سورة يونس: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

وفي سورة الجاثية: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

وفي سورة فاطر: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

٦ـ وهناك أمر آخر، وهو أنّ كلمة (صبّار) لم تأت وحدها في القرآن كله وإنما تأتي دائماً مع كلمة (شكور)؛ وهذا لأنّ الدين نصفه صبر ونصفه الآخر شكر، كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ وفي سورة سبأ ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾.

٧ـ والآن نسأل: لماذا استعمل صيغة صبّار على وزن (فعّال) وهذا السؤال يدخل في باب صيغ المبالغة وهو موضوع واسع لكننا نوجزه هنا فيما يخصّ السؤال.

صيغ المبالغة: مِفعال، فعّال وفعول، وكل منها لها دلالة خاصة.

أ ـ (مِفعال): نحو(معطاء ومنحار ومعطار) هذه الصيغة منقولة من الآلة كـ (مفتاح ومنشار) فنقلوها إلى المبالغة، فعندما يقولون: هو معطاء، فكأنه صار آلة للعطاء، وقولنا: امرأة معطار بمعنى زجاجة عطر، أي أنها آلة لذلك.

والدليل على ذلك أنّ صيغة المبالغة هذه (مِفعال) تُجمع جمع الآلة ولا تُجمع جمع المذكر السالم ولا جمع المؤنث السالم، فنقول مثلاً: مفتاح مفاتيح، ومنشار مناشير، ومحراث محاريث، ورجل مهذار ورجال مهاذير، فيجمع جمع الآلة؛ ولذلك لا يؤنث كالآلة. قال الشاعر :

يـا موقـد النـار بالهنـدي والغـار هيجتنـي حزنـاً يـا موقـد النـار
بـين الرصـافة والميـدان أرقبهـا شـبّت لغانيـة بيضـاء معطـار

فلا نقول: معطارات، وإنما نجمع معطار على معاطير، فنقول نساء معاطير ورجال معاطير، وامرأة مهذار رجال مهاذير، فهي من الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث، ولا تجمع جمعا سالماً، فلا نقول: امرأة معطارة، وإنما نقول: امرأة معطار ورجل معطار، ونجمعها جمع الآلة (معاطير) للرجال والنساء. وهذه هي القاعدة.

ب ـ صيغة (فعّال): من الحِرفة. والعرب أكثرما تصوغ الحِرَف على وزن فعّال مثل نجّار وحدّاد وبزّاز وعطّار ونشّار. فإذا جئنا بالصفة على وزن الصيغة (فعّال) فكأنما حرفته هذا الشيء. وإذا قلنا عن إنسان إنه كذّاب فكأنما يحترف الكذب. والنجّار حرفته النجارة. إذن هذه الصيغة هي من الحِرفة، وهذه الصنعة تحتاج إلى المزاولة. وعليه فإن كلمة (صبّار) تعني الذي يحترف الصبر.

وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في صفات الله تعالى فقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ وقوله تعالى: (غفّار) بعدما يقول: ﴿كَفَّارٌ﴾ ليدلّ على أنّ الناس كلما أحدثوا كفراً واستغفروا غفر الله تعالى لهم ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠].

ج ـ صيغة (فعول): مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويُستهلك في الاتّقاد، والوَضوء: الماء الذي يُستهلك في الوضوء، والسَّحور: ما يُؤكل في السحور، والسَّفوف وهو ما يُسفّ، والبَخور وهو ما يُستهلك في التبخير. فصيغة فعول

إذن تدل على المادة التي تُستعمل في الشيء الخاصة به. وصيغة فَعُول يستوي فيها المؤنّث والمذكر، فنقول رجل شكور وامرأة شكور. ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلاً. وكذلك صيغة (فعول) لا تُجمع جمع مذكر سالماً أو جمع مؤنّث سالماً، فلا نقول: رجال صبورين أو نساء صبورات، وإنما نقول: صُبُر وشُكُر وغُفُر.

وعليه فإن كلمة (شكور) التي هي على وزن صيغة فعول منقولة من المادة. فإذا قلنا: صبور فهي منقولة من المادة وهي الصبر، وتعني أنّ من نصفه بالصبور، هو كله صبر، ويُستنفد في الصبر، كما يُستنفذ الوقود في النار.

وكذلك كلمة (غفور) بمعنى كله مغفرة؛ ولذلك قالوا: إنّ أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزُمر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٨ـ وهنا نسأل: أيهما أكثر مبالغة فَعول أم فعّال؟ فَعول بالتأكيد أكثر مبالغة من فعّال؛ ولذلك فكلمة (صبور) هي أكثر مبالغة، وتعني أنه يفني نفسه في الصبر، أمّا كلمة (صبّار) فهي بمعنى الحِرفة.

٩ـ ونسأل أيضاً: أيهما ينبغي أكثر في الحياة الصبر أم الشكر؟ الشكر بالتأكيد؛ لأنّ الشكر يكون في كل لحظة، والشكر يكون على نعم الله تعالى علينا، وهي نعم كثيرة، وينبغي علينا أنْ نشكر الله تعالى عليها في كل لحظة؛ لأننا في نعمة من الله تعالى في كل لحظة.

وقد امتدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ واستعمل كلمة (أنعُم)؛ لأنها تدل على جمع القِلّة؛ لأنّ نِعم الله تعالى لا تُحصى، فلا يمكن أنْ يكون إنسان شاكراً لنعم الله، والإنسان في نعمة في كل الأحوال، هو في نعمة في قيامه وقعوده ونومه. . كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

وعليه فإنّ الشكر يجب أنْ يكون أكثر من الصبر، فالصبر يكون كما أسلفنا إمّا عند الطاعات، وهي لها أوقات محددة، وليست مستمرة كل لحظة كالصلاة والصيام أو الصبر على الشدائد، وهي لا تقع دائماً وكل لحظة على عكس النِّعم التي تكون مستمرة في كل لحظة، ولا تنقطع لحظة من لحظات الليل أو النهار، وتستوجب الشكر عليها في كل لحظة، فالإنسان يتقلب في نعم الله تعالى.

١٠ـ ومما تقدّم نقول إنه تعالى جاء بصيغة (صبّار) للدلالة على الحِرفة وكلمة (شكور) بصيغة فعول التي يجب أنْ يستغرقها الإنسان في الشكر للدلالة على أنّ الانسان يستغرق في الشكر، ويكفي أنْ يكون الإنسان صبّاراً ولا يحتاج لأن يكون صبوراً. أمّا صيغة (شكور) فجاء بها؛ لأنّ الانسان ينبغي أنْ يشكر الله تعالى على الدوام، وحتى لو فعل فلن يوفّي الله تعالى على نِعَمه.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

زاد﴿ وَزِينَتُهَا ۚ ﴾ في سورة القصص ٦٠ بخلاف آية سورة الشورى ٣٦ فما السبب؟

الجواب :

١ـ ذلك لورود ذكرها في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ فالتحمت الآية بتلك القصة.

بينما لم يرد في جميع سورة الشورى حال دنيوي واحد، بل تضمنت حقارة الدنيا ونزارة رزقها وأنه مقدور غير مبسوط، وتلك حال الأكثر.

٢ـ في آية القصص: تقدمها ذكر الكفار وهم المغترون بزينة الدنيا من مساكن وأموال وخدم، فناسب ذلك ذكر﴿ وَزِينَتُهَا ﴾ وختمها بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وأمّا آية الشورى فتقدمها آيات نعم الله على عباده المؤمنين، وهم لإيمانهم بالآخرة لا يغترون بزينة الدنيا، فناسب عدم ذكر الزينة وختمها بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩)﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ ما كلمات منظومة الجهاد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.



﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)﴾ [الشورى: ٤٣] و ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)﴾ [لقمان: ١٧]؟

الجواب :

في آية لقمان ١٧ جاء ذكر الصبر وحده، بينما جاء في آية الشورى ٤٣ ذكر الصبر والغفران.

والصبر قد يقدر عليه الكثيرون، لكنّ الصبر والغفران أصعب ويحتاج إلى مشقة أكبر؛ لذا اقتضى توكيد الأمر بأنه من عزم الأمور ـ بإنّ واللام ـ بخلاف الصبر وحده الذي ورد في سورة لقمان.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية لقمان ١٧.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في استعمال الأفعال المضارعة أحياناً والأفعال الماضية أحياناً أخرى؟

الجواب :

لو نظرنا في المسألة نجد أنه ما كان له وقت محدد عبّر عنه بالفعل الماضي، نحو: ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فالصلاة لها أوقات محددة، وكذلك الإنفاق أوالزكاة أو الإفطار في رمضان، وكذلك الصبر فهو يسبق كل هذه الأوصاف؛ لأنها كلها تحتاج إلى صبر، فهو أسبق منها جميعاً فعبر عنه بالماضي.

والصبر لم يأت في القرآن صلة بغير صيغة الماضي، كما في الآيات:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣] .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود: ١١].

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٢].

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النحل: ٤٢].

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل: ٩٦]. ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ [فصلت: ٣٥].

فلم يرد صلة موصول إلا ماضياً. وهذه من خصوصيات التعبير والبيان القرآني. والقرآن هزّ قلوباً استشعرت هذا البيان القرآني.

وما عدا ذلك هو مستمر نحو: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ليس له وقت، (يخشون ربهم)، ليس لها وقت، هذه مستمرة. وتأتي كلها بصيغة الفعل المضارع.



﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿مَلْجَأٍ﴾ ما كلمات منظومة الصياصي والملجأ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٧٨.



﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فصلت: ٥٠] و﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾[الشورى: ٤٨]؟ وما دلالة استعمال ﴿وَلَئِنْ﴾ و﴿إِذَآ﴾؟

الجواب :

نعرف أولاً الفرق بين (إذا) و(إنْ).

١ـ (إذا)تستعمل فيما هو كثير وفيما هو للمقطوع به و(إنْ) لما هو أقلّ وقد يكون مستحيلاً، وقد يكون قليلاً، وهذه هي القاعدة.

أ ـ الكثير نستعمل له (إذا)، كما في الآيات :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ [المائدة: ٦] الجُنُب أقل؛ فاستعمل (إنْ).

﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ﴾ [النساء: ٢٥] كل البنات محصنات، فاستعمل (إذا).

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ ﴾ [النساء: ٨٦] التحية كثيرة الوقوع.

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ ﴾ [يونس: ٢١] عموم الناس قد تصيبهم رحمة، ورحمة الله تعالى تصيب عموم الناس، وهذا كثير.

ب ـ بينما (إنْ) تستعمل لما هو أقل أولما هو نادر أو لما ليس له وجود أصلاً. كما في الآيات :

﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ ﴾ هذه فردية وليس فقط فردية، وإنما يذيقه رحمة وينزعها منه.

﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ ﴾ [فصلت: ٥٠].

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود: ١٠] هذه حالة فردية.

٢ـ في الحالة الفردية يستعمل (إنْ)، وفي الحالة المطلقة يستعمل (إذا). حتى عندما يذكر الصفات، كما في الآية: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود: ٩] (تصبهم)عامة، و(لئن أذقنا الإنسان) هذه أقل. فالحالات الفردية القليلة يستعمل لها (إنْ) وفي الحالات العامة يستعمل (إذا).

السؤال الثاني :

ما الفرق بين بما﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾و ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٣٦.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين المسّ والإذاقة في القرآن؟

الجواب :

الذوق هو إدراك الطعم، والمسّ هو أي اتصال، و يأتي مع الشر ويأتي مع الرحمة أيضاً. وكذلك الإذاقة تأتي مع العذاب ومع الرحمة.

* شواهد قرآنية: (المس):

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾[المعارج: ٢٠ – ٢١].

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾[آل عمران: ١٢٠]

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

* شواهد قرآنية: (الإذاقة):

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة: ٢١]

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَا﴾[الشورى: ٤٨]

﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾[الفرقان:١٩] وليس هنالك تقييد في الاستعمال.

لمزيد من المعلومات انظر آية آل عمران ١٠٦.

السؤال الرابع :

قال في هود ٩ والشورى ٤٨ : ﴿مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾ بتقديم الجار والمجرور على الرحمة، بينما قدّم الرحمة على الجار والمجرور في آية فصلت ٥٠ فقال: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾، فما السبب؟

الجواب :

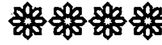
من النظر في المواطن الثلاثة يتضح أنّ الكلام في فصلت عن الرحمة أكثر، وأثرها على الإنسان أوسع مما في هود والشورى. وبيان ذلك :

١ـ أنه في هود لم يذكر إلا إذاقته إياها ونزعها منه، فذكر حالة نزع الرحمة ولم يذكر أثر الرحمة عليه.

٢ـ وأمّا في الشورى فإنه لم يزد على أنْ قال: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾.

٣ـ وأمّا في فصّلت فقد فصّل وأطال في وصف أثرها فيه واحتفائه بها فناسب تقديمها في (فصلت).

والله أعلم.



﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا (إناثاً) نكرة و(الذكور) معرفة؟ ولماذا استعمال (ذكراناً) وليس (ذكوراً)؟

الجواب :

١ـ القرآن يستعمل كلمة (ذُكران) فيما هو أقل من (الذكور) من حيث العدد، كما يستعمل(العميان) لما هوأقل من حيث العدد، فهي أقل من (العُمي).

قال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[البقرة: ١٨]هذا في عموم وصف الكافرين، واستعمل معه (عمي)، بينما (العميان) هو قالها في وصف المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الفرقان: ٧٣]لأنّ المؤمنين هم أقل

من الكافرين، كما في الآية: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣] فعند ذكر المؤمنين يقول: عمياناً، وعند ذكر الكافرين يقول: عمي.

٢ـ هنا قال: يهب لمن يشاء (إناثاً) وحدهم، أو يهب لمن يشاء (الذكور) وحدهم، أو يخلطهم ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا ﴾. أيهما الأكثر: أنْ تلد المرأة ذكوراً وحدهم من حيث عدد الذكور؟ أو ذكوراً وإناثاً؟ بالطبع الحالة الأولى، أي ذكور فقط، فلمّا أفردهم قال: ذكوراً ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ولمّا يخلطهم يصبح العدد أقل فقال: ذكراناً ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا ﴾ يخلطهم بنين وبنات، فيكون عدد البنين أقل.

٣ـ يبقى التنكير والتعريف: العرب تحاول أنْ تستر حتى أعلام الإناث لا تذكرها بينما تذكر الذكور. حتى عندما تسأل أحدهم تقول له: كيف أحمد؟ كيف فلان؟ لكن عندما تسأله: كيف ليلى؟ لا يقبلها، تسأله عن اسم أبيه يقبل لكنْ عندما تسأله عن اسم أمه يغضب.

إذن العرب تذكر الذكور ولا تكاد تذكر الإناث؛ لذلك عرّف الذكور ولم يعرف الإناث، حتى المرأة في الغرب تُنسب لزوجها، ولا تُنسب لأمها.

لكنْ نلاحظ أنّ القرآن الكريم في الآية قد ذكر الإناث أولاً ونكّرهم، ثم ذكر الذكور ثانياً وعرّفهم فأوجد في الصيغة توازناً جميلاً متعادلاً.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿ وَإِنَٰثًا ﴾ منكّرة ومقدمة على كلمة ﴿ ٱلذُّكُورَ ﴾ في سورة الشورى؟

الجواب :

١ـ سورة الشورى عموماً هي في مستكرهات الأمور، أي فيما يشاؤه الله تعالى، لا ما يشاؤه الإنسان، كما في الآيات :

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) ﴾.

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (٤٣) ﴾.

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ (٤٨) ﴾

٢ـ وعند العرب الإناث مما يُستكره من الأمور، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾. إذن تنكير الإناث وتقديمهم على الذكور جاء للأسباب التالية:

أ ـ الله سبحانه يهب ما يشاء هو، لا ما يشاء الناس.

ب ـ التقديم فيه أمر آخر، وهو أنّ الإحسان إليهن ستر من النار.

ج ـ التقديم له دلالة أخرى، وهي أنّ الإناث ألصق بالأبّ من الذكور فالذكر تنتهي رعايته عند البلوغ، إنما البنت فلا بدّ من وجود قيّم عليها من الذكور (أبوها أو أخوها هي في بيت أهلها ثم زوجها بعد أنْ تتزوج).

٣. تعريف الذكور وتنكير الإناث: هناك قاعدة عامة عند العرب سجّلها أهل اللغة مفادها أنّ العرب لا يذكرون أسماء الإناث وينكّرونها عند التحدث، فنسأل :كيف الأهل؟ ولا نقول: كيف (أختك فلانة أو ابنتك فلانة) أي لا يُصرّح باسم الإناث؛ لأنّ العرب يصونون بناتهم وإناثهم عن الذكر بخلاف الذكور حتى في الغرب ينسبون المرأة إلى زوجها.

٤. والذكور من المعارف والإناث من التنكير (بحسب طبيعة العرب صوناً للإناث) وليس من باب الحظوة أو تفضيل الذكور على الإنسان، كما يفهمها البعض. وقد قال الشاعر:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... وما التذكير فخرٌ للهلال

أمّا استخدام كلمة ﴿ذُكۡرَانٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا﴾ كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾ فهي تفيد التخصيص وكلمة الذكور أعمّ وأشمل من كلمة (الإناث).

السؤال الثالث :

ما الفرق بين العقر والعقم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.

السؤال الرابع :

ما معنى كلمة (يزوجهم) في الآية ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾؟

الجواب :

أي يهبهم نوعين من الأولاد (إناثاً وذكوراً)، وليس معناه: يُنكحهم.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ١٩٣.



﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ و ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية القصص ٥٦.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ المشيئة على من تعود؟

الجواب :

١ـ الله سبحانه وتعالى مالك الملك، فإذا فعل شيئاً في ملكه لا يُسأل، هو يتصرف في ملكه، فلا تسأله عما يفعل في ملكه جلّت قدرته، هذا هو المبدأ الأول.

والمبدأ الآخر هو أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على إضلال كل من خلق ولا يُسأل، وقادر على هداية كل من خلق ولا يُسأل، وقادر على أنْ يمنح من خلق حرية الاختيار وأنْ تكون لهم مشيئة.

نحن لا نعلم من أي صنف؟ ممن شاء الله سبحانه وتعالى لنا أنْ نضل أو ممن شاء الله لنا أنْ نهتدي، أو ممن شاء الله لنا أنْ نكون مختارين؟ لا ندري، لكنّ إرسال الرسل ومجيء الكتب معهم والتذكير والتنبيه والإلحاح في طلب الهداية معناه أننا في الخانة التي هي ضمن مشيئة الله عز وجل في أننا سنختار.

٢ـ لنتصور أنّ هناك ثلاث خانات: خانة للمهتدين وهم الملائكة، وخانة للضالين وهم الشياطين، وخانة شاء الله سبحانه وتعالى أنْ يجعلهم هنا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ . شاء الله لك أن تكون ذا مشيئة، يضعك في الخانة الوسط فإذا كنت في الخانة الوسط فلا تعتقد أنك تتصرف من غير إرادة الله سبحانه وتعالى، إنما أنت تقدِّم.

ومن هنا يأتي ربط المشيئة كاملة بالله سبحانه وتعالى. الإنسان مطالب بأنْ يقدّم أسباب الهداية ويتشبث بالخضوع لله سبحانه وتعالى أنْ يوفقه للوصول إلى آخر طريق الهداية.

٣ـ ولذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يشاء هنا تحتمل المعنيين: المعنى الأول: الذي يمضي في مشيئته نحو الهداية يوفقه الله إليها والمعنى الآخر: الذي يشاء الله سبحانه وتعالى له أنْ يصل إلى نهاية طريق الهداية؛ حتى لا ننفصل عن قدرة الله عز وجل وعن الخضوع لله سبحانه وتعالى، فيقول الإنسان: أنا اهتديت بنفسي، كلا.

٤ـ الشيء الطبيعي أنّ الإنسان إذا اتخذ أسباب الضلال سيصل إلى نهاية الضلال، وإذا اتخذ أسباب الهداية سيصل إلى نهاية الهداية بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ومن هنا نفهم قول الله سبحانه ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩] لأنك في الحالين قدمت الأسباب، لكنْ ما كنت تستطيع أنْ تصل إلى نهاية الخير لولا مشيئة الله سبحانه وتعالى. هذه صورة موجزة مختصرة ميسّرة.



﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم الصيرورة في الآيات القرآنية؟ وما الفرق بين الصيرورة والإياب والرجوع؟

الجواب :

١ـ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

الله سبحانه وتعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، والمساق والإياب لا يكون إلا إلى الله. وهذا التقديم مقصود من أجل الاختصاص بشكل رئيس، إضافة لمراعاة الفاصلة في الآيات على رؤوس الآيات.

٢ـ الإياب: هو الرجوع إلى منتهى المقصد، والرجوع وقد يكون لذلك ولغيره؛ لذلك يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال: آب إلى بعض الطريق.

ولهذا قال أهل اللغة: التأويب أنْ يمضي الرجل في حاجته ثم يعود فيثبت في منزله، أو التأويب أنْ يسير النهار كله ليكون عند الليل في منزله ولهذا قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ كأنّ القيامة منتهى قصدهم؛ لأنها لا منزلة بعدها.

٣ـ الرجوع: هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل.

٤ـ الانقلاب هو المصير إلى نقيض ما كان عليه قبل؛ ولهذا تقول: انقلب الطين خزفاً، وأمّا رجوعه خزفاً فلا يصح؛ لأنه لم يكن قبل خزفاً.

٥ـ الإنابة هي الرجوع إلى الطاعة، ولا يقال لمن رجع إلى معصية: إنه أناب.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين التعبيرات القرآنية ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٣] ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٩] ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢]؟

الجواب :

١ـ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ :

نحن كبشر من عباد الله من بني آدم بدأت رحلتنا لمّا كنا في ظهور آدم في عالم الذر، خاطبنا رب العالمين ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم بقينا هناك إلى أنْ تزوج آباؤنا بأمهاتنا ثم حملوا بنا ثم ولدنا ثم مشينا في الطريق إلى أنْ متنا ثم ذهبنا إلى البرزخ، ثم سوف نبعث يوم القيامة ثم سوف نحشر، مسيرة طويلة جداً إلى أنْ تصل أجسامنا وأجسادنا إلى ساحة المحشر. هذا مصيرنا ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

وتبقى الخطوة الأخيرة عندما نتوجه إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، فذاك ممشى آخر، وعندما نقف أمام الله وبين يديه للحساب فقد انتهت الرحلة.

لذلك ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي أمرك بيد من؟ مصيرك بيد من؟ هو بيد الله سبحانه وتعالى.

٢ـ ﴿ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ بالحكم عليك وشؤونك وأحوالك كلها إلى ما لا نهاية.

نحن عندما نقف أمام رب العالمين فهذا هو المصير. ورب العالمين سبحانه وتعالى في تلك الساعة سوف يحاسبنا، وهو فقط من يملك المحاكمة؟ وهو فقط من يملك أنْ يحكم عليك بالخلود في النار أو بالخلود في الجنة؟ وهذا يسمى مرجعية الحكم.

من المرجعية التي يكون كلامها هو الفصل؟

عند الخصومة في الدنيا القاضي هو الذي ترجع إليه الأمور، تذهب أنت والخصم، ولديك محام وهو لديه محام، وتذهب إلى المحكمة ثم يقف الخصمان أمام القاضي، فالقاضي هو الذي يحكم بينكما فترجع الأمور إلى القاضي، والذي يقوله القاضي هو الحكم وليس هناك غيره، هذا في الدنيا إلى القاضي ترجع الأمور.

وأمّا يوم القيامة فلمن ترجع الأمور؟ إلى الله عز وجل. فهذه الآية تتكلم عن فصل رب العالمين بين العباد، هذا هو الفصل والحساب ثم إصدار الحكم.

٣ـ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ صدر الحكم من مرجعيته المباشرة، وهو الله عز وجل. إلى أين نتوجه؟ قال: ستتوجهون حتى النهاية.

٤ـ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ إمّا خالدٌ في الجنة أو خالد في النار، وعندما تمشي من ساعة الحساب ثم تعبر الصراط، وعلى الصراط هناك عقبات وبعد الصراط هناك حوض الكوثر، وبعد حوض الكوثريكون دخول الجنة ثم يستقبلونك على الباب، وسيكون لديك مدير أعمال يأخذك إلى دارك فهذا هو الممشى ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾

فالعاقبة آخر شيء، وأنت ذاهب إلى أنْ تستقر استقراراً نهائياً، إمّا في الجنة خالداً أو في النار خالداً ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

والذي يدخل النار ثم يخرج منها فيغتسل ثم يذهب إلى الجنة في الطريق كل هذا إلى الله ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

فالمرحلة النهائية عندما يصل كل واحد منا إلى داره إلى سكناه ويدخل القصر ﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الشورى مع خواتيمها:

قال سبحانه في أولها:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

وقال في آخرها:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾.

١ ـ الكلام في البدء والختام عن الوحي، فقد قال في أول السورة:

﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾.

و ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾.

٢ ـ وقال في البدء: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

وقال في آخرها: ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾.

٣ ـ وقال في أولها: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

وقال في الأخير: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

والذي تصير إليه الأمور هو العلي العظيم.

٤ ـ قال في أوائل السورة: ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾.

فالذي يهديه سبحانه يدخله في رحمته. والله أعلم.



سورة الزخرف

أولاً ـ تناسب خواتيم الشورى مع فواتح الزخرف:

قال سبحانه في خاتمة الشورى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

وقال في أول الزخرف:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

وقال أيضا في أول الزخرف:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

١ ـ فذكر القرآن في الموضعين في خاتمة الشورى وأول الزخرف، فقد قال في خاتمة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾.

وقال في أول الزخرف: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

٢ ـ وصف القرآن في أول الزخرف بأنه علي حكيم فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾

ووصف الله سبحانه نفسه في خواتيم الشورى بأنه عليّ حكيم، فقال :

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

فالقرآن عليّ حكيم، والذي أوحاه عليّ حكيم.

وهل يوحي العلي الحكيم إلا العلي الحكيم؟ !

٣ ـ قال في خاتمة الشورى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

وقال في أول الزخرف: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾

فربنا سبحانه خلق السماوات والأرض، وله ما فيهما، وإليه وحده تصير الأمور.

ولا يخفى تناسب ما في الموضعين.

ثانياً ـ هدف السورة:

تحذير من الانخداع بالمظاهر المادية

هي سورة المتعلقين بالمظاهر المادية، وفيها تحذير من الانخداع بالمظاهر المادية؛ لأنّ الانخداع بها واعتبارها وسيلة لتقييم الأمور فيه ضياع للأمة كما ضاعت الأمم السابقة

-لاحظ تكرار ذكر الذهب والفضة وبريقها في الآيات- لأنّ الأمم السابقة انخدعت واعتبرت أنّ متاع الحياة الدنيا وزخرفها هو النعيم الحقيقي، وغاب عنهم أنّ النعيم الحقيقي إنما هو نعيم الآخرة الذي لا ينتهي: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧١] فالزخرف الحقيقي ليس زخرف الدنيا الزائل.

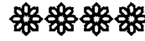
وتتحدث السورة عن أنّ مظاهر التكذيب كانت مظاهر مادية: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١] في قصة إبراهيم: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٣] في قصة موسى مع فرعون.

وآيات السورة تركّز على أنّ الشرف الحقيقي ليس المال والجاه والمظاهر المادية، إنما هو الدين: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٤] والذكر هنا بمعنى الشرف، وتحدثت الآيات عن عيسى عليه السلام؛ لأنه رمز الزهد وعدم الانخداع بالمظاهر المادية: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٣] جاء بالحكمة بدل المظاهر المادية الزائلة.

السورة كلها تتحدث عن خطورة المظاهر المادية: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] لأنّ سر اختيار الصحبة في الدنيا يتوقف على

المظاهر المادية، لكنّ التقوى والحكمة هما اللتان تبقيان في الآخرة، فعلينا اختيار الصحبة في الدنيا على أسس صحيحة من التقوى والحكمة ولا ننخدع بالمظاهر المادية الزائفة التي ليس لها وزن ولا قيمة في الآخرة.

وقد سميّت السورة بهذا الاسم؛ لما فيها من تمثيل رائع لمتاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع بالزخرف اللامع الذي ينخدع به الكثيرون، مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. ولهذا فالدنيا يعطيها الله تعالى للأبرار والفجّار وينالها الأخيار والأشرار، أمّا الآخرة فلا يمنحها إلا لعباده المتقين فالدنيا دار الفناء والآخرة دار البقاء.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة:



السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١ .

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١ .



﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمتي (أنزلناه) ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[يوسف: ٢] و(جعلناه) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣] في الآيتين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٢.

السؤال الثاني :

لِمَ قال الله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ ولم يقل: قلناه أو أنزلناه؛ لأنّ الجعل هو الخلق؟

الجواب :

يأتي (الجعل) أيضاً بمعنى القول. كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ و ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: قالوا ووصفوا.



﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في آية الحجر ١١ : ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ وفي آية الزخرف ٧: ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجر ١١.



﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وما مقارنتها مع آية لقمان ٢٥؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ٢٥.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا ذكر الفعل ﴿ جَعَلَ ﴾ مع السبل في سورة الزخرف ١٠ و الفعل ﴿ وَسَلَكَ ﴾ مع السبل في سورة طه ٥٣؟

الجواب :

ذكر الفعل ﴿ جَعَلَ ﴾ مع السبل في سورة الزخرف والفعل ﴿ وَسَلَكَ ﴾ مع السبل في سورة طه، ولعلّ من جملة الأسباب لهذا الاختيار أنّ فعل (الجعل) ورد في الزخرف أكثر مما في طه، فقد ورد في سورة الزخرف (١٢) مرة وورد في سورة طه (٣) مرات.

فاختار (الجعل) في الزخرف و(السلوك) في طه. والله أعلم.



﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما علاقة قولنا كما علّمنا القرآن ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ بقولنا: ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾؟

الجواب:

١ـ السبب أننا سننقلب إلى الله في الآخرة وسنُسأل عن هذا النعيم، فإنْ شكرنا ربنا على هذه النعمة فقد أدينا حقها، ومنْ شكر الله على نعمة في الدنيا لم يُسأل عنها في الآخرة؛ لأنه أدى حقها.

٢ـ معنى ﴿مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي مطيقين أو مماثلين له في القوة، وأصل الكلمة مأخوذ من الإقران. يقال: أقرن فلان. إذا أطاق. أو مأخوذ من المقارنة، وهو أنْ يقرن بعضها ببعض في السير.

وحكى سليمان بن يسار أنّ قوماً كانوا في سفر فقرؤوا الآية وكان فيهم رجل على ناقة له لا تتحرك هزالاً، فقال: أما أنا فإني لهذه مقرن، قال: فقصمت به فدقت عنقه.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف: ١٣] أضاف الظهور وهو جمع إلى ضمير مفرد؛ لأنه يعود إلى واحد أريد به الكثرة وهو قوله تعالى: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ في آخر الآية السابقة.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الزخرف ١٤ ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ مع اللام، وفي الشعراء ٥٠ ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بدون اللام؟

الجواب :

١ـ في آية الزخرف: المحكي عنه هو الاستواء على ظهور الفلك والأنعام و أنْ تذكر نعمة الله في ركوبها، وجاء بعده إرشاد من الله تعالى لعبيده أنْ يقولوا في كل زمان ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ فناسب التوكيد باللام حثاً عليه.

٢ـ آية الشعراء: أخبر عن قوم مخصوصين وهم سحرة فرعون وما كان من شأنهم وقد مضوا، فلم يكن للتأكيد معنى. والله أعلم.



﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿ٱلۡبَنِينَ﴾ في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٤٦.



﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النفي بـ(ما) كما في آية الزخرف ٢٠ ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ و النفي بـ(ليس) كما في آية الأنعام ٦٦ـ الحج ٧١ ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٌۗ﴾؟

الجواب :

بشكل عام (ما) آكد من (ليس).

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٦.

السؤال الثاني :

ختم الله تعالى آية الزخرف ٢٠ بقوله: ﴿يَخۡرُصُونَ ۝٢٠﴾ وآية الجاثية ٢٤ بقوله: ﴿يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ آية الزخرف: في جعلهم الملائكة بنات الله، وذلك كذب محض فناسب ﴿يَخۡرُصُونَ﴾ أي يكذبون.

٢ـ آية الجاثية: في إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعاً، فناسب ﴿يَظُنُّونَ﴾ والله أعلم.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿مِنۡ عِلۡمٍ﴾ ما الفرق بين ﴿مِنۡ عِلۡمٍ﴾ و ﴿بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ كما في آية الحج ٧١؟

الجواب :

بشكل عام يستعمل القرآن الكريم الحروف الزائدة بهدف التوكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد.

انظر الجواب في آية الحج ٧١.



﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ختم الله الآية ٢٢ بقوله: ﴿ مُّهْتَدُونَ ﴾ وختم الآية ٢٣ بقوله: ﴿مُّقْتَدُونَ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية الزخرف ٢٢ في قريش حيث بُعث إليهم النبي محمد ﷺ فادعوا أنهم وآباءهم على الهدى؛ ولهذا قال لهم الله في الآية ٢٤: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ فناسب قوله تعالى: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾.

٢ـ آية الزخرف ٢٣ هي خبر عن أمم سالفة لم يدعوا أنهم على هدى بل متبعين آباءهم، فناسب قوله تعالى: ﴿مُّقْتَدُونَ﴾.

﴿ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

في الآية ٢٤ رسمت ﴿قَـٰلَ﴾ بدون ألف، ورسمت في الآية ٢٦ بألف فلماذا؟

الجواب :

١ـ خط المصحف لا يقاس عليه.

٢ـ في الآية ٢٤ توجد قراءتان متواترتان مع الفعل (قال)، هما :

أـ قراءة ﴿قَالَ﴾ بالفعل الماضي، وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم.

ب ـ قراءة (قُل) بفعل الأمر، وهي قراءة الباقين من العشرة.

لذاك رُسمت بما تصح فيه القراءتان. والله أعلم.



﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النقمة والانتقام؟

الجواب :

١ـ النقمة: مصدر للفعل الثلاثي (نقم)، وتصريفاتها مسندة إلى غير الله تعالى كالكفار مثلاً، وهي تعبر عن مرض نفسي خبيث يدل على الحقد والبغض.

ويخبرنا التاريخ أنّ الكفار عندما يواجهون المؤمنين يُلغون القوانين والأنظمة والمبادىء والأعراف والتشريعات التي كانوا يتبجحون بها ويقاتلونهم بنقمة وبقلب أسود حسود.

٢ـ الانتقام مصدر من الفعل الرباعي (انتقم)، وتصريفاته مسندة إلى الله تعالى فقط، وهو عقوبة من الله للكفار نتيجة ذنوبهم وكفرهم وانحرافهم.



﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّنِى﴾ وأحياناً يستعمل ﴿إِنِّى﴾ كما في آية الأنعام ٧٨، فما الفرق في الدلالة بين استعمال إني وإنني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٢٤.

السؤال الثاني :

جاء في آية الأنعام ٧٨ ﴿بَرِىٓءٌ﴾ وفي آية الزخرف ٢٦ ﴿بَرَآءٌ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٧٨.

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ
رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين سِخرياً وسُخرياً؟

الجواب :

﴿ سِخْرِيًّا ﴾ بكسر السين هي من الاستهزاء والسخرية، أمّا﴿ سُخْرِيًّا ﴾ بضم السين فهي من باب الاستغلال والتسخير.



﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب﴿ لِبُيُوتِهِمْ ﴾ في قوله تعالى:﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴾؟

الجواب :

﴿ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا ﴾ بدل من قوله:﴿ لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

القرين الذي ورد ذكره في عدة آيات في القرآن الكريم هل هو الوسواس أو هل قرين السوء أم هناك قرين غير السوء، فهل يمكن توضيح ماهية القرين؟

الجواب :

قد يكون من الإنس ومن الجن كما وضّح ربنا تعالى، والقرين هو المصاحب، كما في الآيات :

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الصافات: ٥١ – ٥٣] هذا إنس.

﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ هذا شيطان إنس.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزخرف: ٣٦]هذا من الجن.

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء: ٣٨].

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾[فصلت: ٢٥] فالقرناء قد يكونون من الإنس وقد يكونون من الجن. وقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[ق: ٢٣] يجوز من الإنس أو من الجن، لكنّ الدلالة واحدة، وهي المصاحبة.



﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الظرف ﴿ إِذ ﴾ في الآية؟

الجواب :

(إذ) ظرف زمان.

١ـ وتأتي للمضي في أصل وضعها: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾.

٢ـ قد تقع للاستقبال: ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

٣ـ وقد تكون للتعليل: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٤ ـ وترد للمفاجأة.

٥ـ إذ: تدخل على الجملة الاسمية والفعلية، كقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

وقد تحذف الجملة المضاف إليها فيؤتى بالتنوين عوضاً منها، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾.



﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

يقول تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ و ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ فجمع الاثنين فيها، مع أنهما وردتا في القرآن متفرقتين في الآيتين ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣] و ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٥٢] ما سبب الاختلاف؟ و لماذا اكتفى في موطن بـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ وفي موطن بـ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾؟

الجواب:

السؤال: لماذا اكتفى في آية البقرة ٢٥٢ بـ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ و اكتفى في آية الزخرف ٤٣ بـ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾؟

١ـ في آية البقرة قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وفي آية الزخرف قال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

أ ـ في آية البقرة التي لم يذكرفيها (على صراط مستقيم)، السياق أصلاً ليس فيه ذكر للدعوة، والدعوة هي صراط مستقيم، وقد وردت في سياق القصص القرآني في سياق قصة طالوت وجالوت وقسم من الأنبياء أيضاً فقال: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٢] والآية تعني أنّ فيها دليلاً على إثبات نبوته عليه السلام بإخباره عما لم يعلم من أخبار الماضي، فإذن لمّا ذكر قصة طالوت وجالوت التي لا يعلمها قومه ولا يعلمها هو فأجراها على لسانه دل هذا على رسالته.

وهذا شبيه أيضاً بما ذُكر تعقيباً في قصة نوح في سورة هود لمّا قال له: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: ٤٩] الله تعالى أعلمه بقصة نوح عليه السلام وفيها دلالة على كونه مرسَلاً من قِبَل الله سبحانه وتعالى.

وكذلك الأمرفي قصة يوسف ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف: ١٠٢] ويعني أنّ علمه عليه السلام بهذه القصة هو البرهان والدليل على أنه مرسَل من المرسلين. ولم يقل: (على صراط مستقيم) في هذه الآيات المذكورة؛ لأنها ليست في سياق الدعوة، وإنما في سياق إثبات نبوته.

ب ـ بينما آية الزخرف هي في سياق الدعوة إلى الله وفي هداية الخلق قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾[الزخرف: ٤٠] فهو مكلّف إذن بالهداية ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الزخرف: ٤١ – ٤٥] إذن الكلام في سياق الدعوة.

٢ـ ثم لاحظ عندما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ فدلت الآية على أنّ الرسول عليه السلام قد جمع الرسالة ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ وأنه من المرسلين؛ لأنه قال بعدها: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ فقوله: (من قبلك) يعني أنت بعدهم، فأنت واحد منهم. إذن هو جمع الأمرين هنا ولكن بشكل آخر، وذكر الدعوة إلى الله لأنه في سياق الدعوة، فذكر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ ووصف الصراط أنه مستقيم.

٣ـ وهكذا نجد أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ و ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كل واحدة وردت في موطن، بينما وردتا في يس معاً، وكل واحدة مناسبة في سياقها. والله أعلم.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف الجمع بين آية الرحمن ٣٩، وآية الحجر ٩٢، وآية الصافات ٢٤، وآية الأعراف ٦، وآية الزخرف ٤٤؟

الجواب :

١ـ للآخرة مواطن، فلا يُسأل في موطن ويُسأل في موطن، ففي مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد، وإنما صمت عام ويبقى الناس أكثر من أربعين ألف سنة لا يتكلمون، ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب. فهي مشاهد قبل الحساب، ثم يذهب الناس إلى آدم عليه السلام ثم إلى بقية الأنبياء حتى يقول البعض: اللهم ارحمنا من هذا ولو إلى النار.

٢ـ المعنى: لا يُسأل عن فعله أحد منكم، ولكن يُسأل بقوله لِمَ فعل الفاعل أي لا يُسأل سؤال استعلام، بل يُسأل سؤال توبيخ.

٣ـ قيل: (لنسألنهم) سؤال توبيخ، و(لا يُسأل عن ذنبه) سؤال استعلام.

٤ـ وقيل: (لنسألنهم) لما عملوا و(ولا يُسألون) ماذا عملوا؛ لأنّ الله أعلم بذلك.

﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما ميزة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ آية الزخرف ٤٥ : شيعها عند نزولها عشرون ألف ملك [الإتقان للسيوطي].

وللعلم فإنّ:

٢ـ آية الكرسي ٢٥٥ شيعها عند نزولها ثلاثون ألف ملك [البرهان للزركشي].

٣ـ سورة الفاتحة: شيعها عند نزولها ثمانون ألف ملك [البرهان للزركشي].

٤ـ سورة يونس: شيعها عند نزولها ثلاثون ألف ملك [البرهان للزركشي].

٥ ـ سورة الكهف: شيعها عند نزولهاسبعون ألف ملك [الإتقان للسيوطي].

والله أعلم.



﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية في استخدام لفظة (إنّا رسول، إنّا رسولا، إني رسول) في قصة موسى وهارون؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٤٧.



﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل ﴿يَكَادُ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٧١.



﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الأسف والحزن والحسرة والندم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٨٦.



﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في هذه الآية ﴿لَجَعَلْنَا﴾ مع التوكيد باللام، وقوله في آية الأعراف ١٠٠ ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ بدون التوكيد باللام، فما السبب؟

الجواب :

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وقد قال في الأعراف: ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ بدون لام التوكيد، وقال في الزخرف: ﴿لَجَعَلْنَا﴾ مع لام التوكيد؛ والسبب :

أنه نزع اللام من آية الأعراف؛ لأنّ فعلها أيسر من الآية الثانية، فأكّد ما هو أعسر وأشق، وإنْ لم يكن على الله شيء عسير.



﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول :

في آيتي الزخرف ٥٧ و ٦٣ ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

المسيح: ويدخل فيها المسيح، المسيح عيسى بن مريم، المسيح بن مريم (لقبه). عيسى، ويدخل فيها: عيسى بن مريم وعيسى (اسمه) و: ابن مريم (كُنيته).

٢ـ حيث ورد لفظ (المسيح) في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح بن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً، ولم ترد في التكليف، وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة.

انظر الآيات: [(٤٥) آل عمران (١٥٧) النساء (١٧) المائدة (٣١) التوبة].

٣ـ وكذلك (ابن مريم) لم تأت مطلقاً بالتكليف ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾[المؤمنون: ٥٠] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾[الزخرف: ٥٧].

٤ـ أمّا (عيسى) في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام، كما في الآيات:[(٤٦) المائدة، (٣٤) مريم].

٥ـ ولا نجد في القرآن كله (آتيناه البينات) إلا مع لفظ (عيسى) ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف: ٦٣] ولم يأت أبداً مع(ابن مريم) ولا (المسيح).

السؤال الثاني :

كلمة (يختلفون) و(تختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة، منها ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٣] ما كُنه الاختلاف؟

الجواب :

كنه الاختلاف هنا هو الاختلاف في أمر العقيدة بين الملل المختلفة أو بين أهل الملّة الواحدة.

* شواهد قرآنية :

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١١٣] المسألة هنا فى العقيدة والاختلاف في العقيدة بين ملل مختلفة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل: ١٢٤] هنا ملة واحدة، والاختلاف فى العقيدة بين أهل ملة واحدة فقط.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣] هذا اعتقاد، والخلاف هو في أمر المعبود.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٣].

إذن عموم الاختلاف المذكور هو في الاعتقاد بين أهل الملل المختلفة أو أهل الملة الواحدة. والاختلاف هو بمعنى التضاد في الآراء .



﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في زيادة (هو) في آية سورة الزخرف ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ عن آية سورة مريم ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ وعن آية آل عمران ٥١ ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ هو: ضمير منفصل يفيد التوكيد والحصر أو ضمير الشأن.

٢ـ السياق في الزخرف جاء في مقام عبادة عيسى واتخاذه إلهاً ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فهو أنكر هذا، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ حصراً.

بينما في سورة مريم الآية جاءت بعد الولادة، وليست في مقام اتخاذ إله ولا تزال المسألة مسألة طفل تحمله أمه في المهد.

أمّا سورة الزخرف ففي مقام اتخاذ عيسى إلهاً، فنفى الله تعالى على لسان عيسى ذلك، وقال حصراً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾.

٣ـ في آل عمران ومريم تقدم من الآيات الدالة على توحيد الرب سبحانه وقدرته وعبودية المسيح عليه السلام له ما أغنى عن التوكيد.

بينما في الزخرف لم يتقدم مثل ذلك، فناسب توكيد انفراده بالربوبية وحده.

٤ـ لمزيد من المعلومات والتفاصيل حول استعمال ضمير الفصل (هو) انظر الجواب في آية آل عمران ٥١.



﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (حزب) و(أحزاب) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

في القرآن الكريم وردت كلمة حزب وأحزاب، أي بصيغة الإفراد والجمع.

١ـ حزب: بالإفراد:

وردت في سياق إيجابي ﴿حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ وغير إيجابي ﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وربما دل ذلك على أنّ الخير والشر في صراع مستمر في هذه الحياة.

٢ـ أحزاب: بالجمع :

وردت ١١ مرة في معاني الشر كله، كما في قوله تعالى الزخرف ٦٥.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية مريم ٣٧: ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ وقوله في الزخرف ٦٥: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية مريم: تقدمها وصف الكفار باتخاذ الولد، وهو كفر صريح فناسب وصفهم بالكفر.

٢ـ ولم يرد مثل ذلك في آية الزخرف، بل قال تعالى فيها: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ فوصفهم بالظلم لاختلافهم.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ وقال في سورة الزخرف: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ذكر الواو في الأولى ﴿ وَمِنْهَا ﴾ وحذف الواو في الثانية ﴿ مِّنْهَا ﴾، فلماذا؟

الجواب :

في سورة المؤمنون السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم قال: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ فالفاكهة في الدنيا ليست للأكل فقط، فمنها ما هو للادخار والبيع والمربّيات والعصائر، فكأنه تعالى يقصد بالآية: ومنها تدّخرون، ومنها تعصرون ومنها تأكلون، وهذا ما يُسمّى عطفاً على محذوف.

أمّا في سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة، والفاكهة في الجنة كلها للأكل، ولا يُصنع منها أشياء أخرى.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿ وَتِلْكَ ﴾ وهي اسم إشارة. ما أهم دلالات اسم الإشارة؟ وما أهم أغراضه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٧٥.



﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف الجمع بين قوله تعالى في آية الإسراء ٩٧: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ ومعنى خبت أي: سكنت، وقوله تعالى في الزخرف ٧٥ : ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾؟

الجواب :

لا يلزم من سكون النار نقص العذاب بها؛ إمّا لبقاء حرها أو لعذابهم بشيء آخر كالزمهرير، ولا يفتر عنهم العذاب إمّا بحرها أو زمهريرها.



﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ حرف الشرط (إنْ) يأتي في القرآن الكريم للأمور قليلة الوقوع وللأمور المشكوك بحصولها، كقوله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام: ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ ويأتي للأمور المستحيلة كما هو في هذه الآية، أمّا (إذا) - فبعكس (إنْ) - تأتي للأمور كثيرة الوقوع والمتيقن منها.

٢ـ والجملة الشرطية تتألف عادة من فعل الشرط وجوابه، وهنا في الآية دخلت الفاء على جواب الشرط.

٣ـ ويمكن تصنيف فعل الشرط وجوابه حسب كونهما حقيقين أو باطلين إلى أربعة أقسام، وهي :

فعل الشرط	جواب الشرط	مثـال
حقيقة	حقيقة	إنْ كان الإنسان حيواناً فالإنسان جسم
باطل	باطل	إنْ كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين
باطل	حقيقة	إنْ كان الإنسان حجراً فهو جسم
حقيقة	باطل	محال

في الأقسام الثلاثة الأولى يصح الشرط، حتى لو كان فعل الشرط وجوابه باطلين، أمّا القسم الرابع فمُحال؛ لأنّ هذا التركيب يلزم منه كون الحق مستلزماً للباطل، وهذا بعكس القسم الثالث فإنه يلزم منه كون الباطل مستلزماً للحق، وذلك ليس بمحال.

٤ـ بعد بيان هذه الأمور نرجع إلى الآية فنجد أنها مؤلفة من فعل شرط باطل ومن جزاء باطل؛ لأن:

قولنا: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ باطل، وقولنا ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي عابد لذلك الولد، وهذا باطل أيضاً، فالشرط هنا من النوع الثاني؛ لأنّ كليهما باطل، لكنْ لا يمنع أنْ يكون استلزام أحدهما للآخر حقاً، كما في المثال: (إنْ كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين) فثبت أنّ هذا الكلام لا امتناع في إجرائه على ظاهره: أي إنْ كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد، فإنّ السلطان إذا كان له ولد فعلى عبد السلطان أنْ يخدم السلطان ويخدم ولده. لكنْ قد بينا أنّ هذا التركيب لا يدل على الاعتراف بإثبات ولد أم لا. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال (إذا) و (إن) في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في تكرار كلمة إله في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾؟

الجواب :

١ـ قد يصح لغوياً القول: (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله)، لكن لو جاءت هكذا في القرآن لدلت على أنه في السماء إله (موجود في السماء)، وفي الأرض إله (موجود في الأرض) وهذا الاحتمال غير مراد أصلاً في الآية؛ لأنه سبحانه إله واحد لا شريك له في السماء وفي الأرض أيضاً.

٢ـ كذلك يمكن القول من ناحية اللغة (وهو الذي في السماء والأرض إله) لكن هذا يؤدي إلى أنه إله مشترك فيهم، وقد تعني أنه قد يكون هناك آلهة غيره، وهذا لا يكون ولا يصح؛ لأنه سبحانه هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله حصراً، ولا إله غيره في السماء ولا في الأرض.

٣ـ﴿إِلَٰهٌ﴾ في الآية هي خبر عن مبتدأ محذوف تقديره: هو، أي بمعنى (هو الذي في السماء هو إله)؛ لذا كان التكرار لمقتضى المعنى المراد، وهو أنه إله في السماء لا إله غيره وفي الأرض هو لا إله غيره.

٤ـ وقيل إنه كرر ذلك؛ لأنّ عبودية أهل السماء تختلف عن عبودية أهل الأرض، كما جاء في (روح المعاني).

٥ـ هذه الآية تدل على أنّ الله ليس مستقراً في السماء؛ لأنّ الآية تبين أنّ نسبته إلى السماء بالإلهية كنسبته إلى الأرض، فلمّا كان إلهاً للأرض مع أنه غير مستقر فيها، فكذلك يجب أنْ يكون إلهاً للسماء، مع أنه لا يكون مستقراً فيها.

٦ـ قدّم السماء؛ ليكون أصلاً في الكلام؛ لأنّ الأرض تبع لها في غالب الأمور، فقال دالاً على أنّ نسبة الوجود كله إليه على حد سواء؛ لأنه منزه عن الاحتياج إلى مكان أو زمان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ أي بليغ الحكمة البالغ في علمه؛ ولأنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

السؤال الثاني :

ما القصة اللطيفة التي مرت مع الشيخ الشعراوي رحمه الله مع هذه الآية؟

الجواب :

١ـ القاعدة النحوية تقول: إنّ النكرة إذا تكررت حُسِبَ التكرار، وإنّ المعرفة إذا تكررت كانت نفسها، أي لا تُحسب.

مثال: تقول: لقيت رجلاً وأكرمت رجلاً. هذا يعني أنّ عدد الرجال اثنان.

بينما قولك: لقيت الرجل فأكرمت الرجل. فالرجل واحدٌ نفسُه لم يتكرر.

٢ـ والسؤال الذي يطرح نفسه :كيف نفعل الآن مع آية الزخرف ٨٤ حيث تكرر لفظ ﴿إِلَٰهٌ﴾ مرتين وهو نكرة، وحسب القاعدة النحوية السابقة يُحسب تكرار النكرة والمعنى لا يصح مطلقاً وفيه إشكال، فكيف الجواب؟!!!!!!

روى الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى هذه القصة قال :

كنا في المسجد الأحمدي بطنطا وجاء شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت يزور طنطا، فلمّا دخل وصلى في المسجد جاءه الشيخ أبو العينين وقال له: يامولانا الحمد لله الذي رأيتك هنا؛ لأنني كنت في درس بالمسجد أمس ونبحث في آية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ

﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)﴾ وحصل إشكال في الفهم مع العسر واليسر. فقال الشيخ شلتوت: بأنّ القاعدة المذكورة أعلاه، ليست على إطلاقها ـ كأسلوب تخلص ـ وخلال المناقشة والأخذ والرد إذ دخل رجل والله ما عرفناه قط ولا عرفناه بعد، وهو حاسر الرأس ومعه عصا وجاء إلينا ونحن جلوس نتناقش، وهو يقول: ـ يا عُلما ياعُلما ـ أي يا علماء ـ أنتم ناسون اسم الموصول في الآية ـ الذي ـ وهو معرفة، وهذا صلة الموصول للاثنين، إذن لم يحصل مشكلة بالتعدد، ثم مشى وانسحب، وبقينا والله حوالي نصف ساعة لا يتكلم منا أحد.

٣ـ إن كلمة ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول يدلنا على أنّ الحق صلته بالسماء والأرض واحدة، واسم الموصول معرفة، ولا يجوز البحث عن النكرة المكررة بمعزل عن اسم الموصول.

ومثال ذلك عندما تقول: هذا الذي في التجارة بارع وفي الصناعة بارع. هو نفس الشخص

السؤال الثالث :

ما دلالة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)﴾؟

الجواب :

الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه بحكمة، والعليم بما يصلح خلقه وبما يعينهم على معاشهم ومعادهم، فما كان الله ليعطي الإنسان مقومات المادة من هواء وماء وغذاء ثم يتركهم بدون قيم، فلا بدّ لهم من منهج.

السؤال الرابع :

ختم سبحانه الآية بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾؟

الجواب:

١ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدّم العلم، وإلا يقدّم الحكمة.

٢ـ إذا كان السياق في التشريع أو في الجزاء يقدّم الحكمة، وإذا كان في العلم يقدّم العلم.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ٣٢.



﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في آية البقرة ٢٨٤: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

وجاء في القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أو كما في هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي بزيادة ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فما دلالة هذه الزيادة؟

الجواب :

١ـ جاء في القرآن الكريم ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في ثلاث آيات، هي:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة:١٧].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة:١٨].

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزُّخرُف:٨٥].

٢ـ ومن ملاحظة هذا الموضوع في القرآن الكريم يتبين لنا التالي :

أ ـ في كل موطن في القرآن الكريم يذكر ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزُّخرُف:٨٥] يأتي تعقيباً على من يذكر صفات الله بغير ما يستحق.

* شواهد قرانية:

آية المائدة ١٧ : تعقيب على قول النصارى.

آية المائدة ١٨ : تعقيب على قول اليهود.

آية الزخرف ٨٥: تعقيب على آية (قل إنْ كان للرحمن ولد).

ب ـ في كل آية ورد ذكر السماوات والأرض وما بينهما، أي: أنه ذكر ثلاثة أمور: السماوات والأرض وما بينهما، نجد بالمقابل وفي جميع الآيات المذكورة أعلاه أنه سبقها ذكر ثلاثة أمور تتعلق باليهود والنصارى والمسلمين. انظر الجدول التالي مع أرقام الآيات:

السورة	موسى/ اليهودية رقم الآية	عيسى/ النصرانية رقم الآية	محمد/ الإسلام رقم الآية
المائدة	١٢	١٤	١٩
الزخرف	٤٦	٥٧	٨١



﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ (٨٨) فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ (٨٩) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ (٨٨) ﴾[الزخرف: ٨٨] هل ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ أهو فعل مبني للمجهول أم مصدر؟

الجواب:

هذا ليس فعلاً، وإنما اسم.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ في آية الزخرف ٨٨ ؟

الجواب:

المعنى هو: قيلاً، من قال قولاً ومقالاً وقيلاً.

والمعنى: المقصود هو قول الرسول ﷺ لما ضجر من قومه: يارب هؤلاء لم يؤمنوا بك، وغضبه منهم؛ لأنهم لم يؤمنوا وليس لما فعلوه به فالغضب لله وليس لنفسه، فأمر الله نبيه أنْ: اصفح عن سفههم وتاركهم والمقصود منه التهديد.

أمّا هؤلاء القوم فسوف يعلمون صدقك في إنذارهم وعند حلول العذاب بهم.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يَـٰرَبِّ﴾ مع أنه ورد النداء بدون حرف النداء (رب)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

رابعاً ـ تناسب فواتح الزخرف مع خواتيمها :

قال سبحانه في أوائلها :

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾.

وقال في أواخرها:

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾. . .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

ومن النظر في النصين تتضح مناسبات عديدة، منها:

١ ـ إنّ قوله تعالى في بداية السورة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾. يناسب قوله في آخرها: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٨٣﴾.

٢ ـ قوله في أولها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ يناسب قوله في آخرها: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٨٢﴾.

وقوله: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾.

فلئن سألتهم من خلق السماوات والأرض أو من خلقهم ليقولن: الله فسبحان رب السماوات والأرض، وتبارك الذي له ملكهما.

٣ ـ قوله في أول السورة: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾. مناسب لقوله في آخرها: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾.

ومناسب لقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٨٣﴾ والله أعلم.



سورة الدخان

أولاً ـ تناسب خواتيم الزخرف مع فواتح الدخان:

١ ـ قال ربنا سبحانه في خواتيم الزخرف:

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

وقال: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

وقال في أول الدخان:

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٢ ـ قال في خاتمة الزخرف:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾.

وقال في أوائل الدخان:

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

فالذي هو في السماء إله وفي الأرض لا إله إلا هو.

فاتصل الموضعان وتناسبا.

٣ ـ قال في خاتمة الزخرف:

﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣ ﴾.

وقال في أوائل الدخان :

﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾. فذكر اللعب والتهديد في الموضعين؛ حتى يلاقوا ما يلاقون.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣ ﴾.

فذكر يوماً غير معين ولا موصوف، فبيّن في أوائل هذه السورة ذلك اليوم بوصف وصفه، فقال: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾. فإنْ كان العذاب يأتيهم من قبلك ويحل بهم من الجدب والقحط فإن العذاب يكون في الدنيا، وإنْ كان العذاب في الآخرة فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة)).

وجاء في (روح المعاني): ((وجه مناسبتها لما قبلها أنه عزّ وجلّ ختم ما قبل بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بشيء من الإنذار الشديد، وذكر سبحانه هناك قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ ﴾.

وهنا نظيره فيما حكى عن أخيه موسى عليهما الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢ ﴾[الدخان: ٢٢].

ثانياً ـ هدف السورة

تحذير من الانخداع بالسلطة والتمكين :

هذه السورة تركّز على مظهر آخر من المظاهر المادية، ألا وهو مظهر التمكين والسلطة: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الدخان: ٢٧]، وعرضت السورة قصة فرعون وقومه وما حلّ بهم من العذاب بسبب الطغيان والإجرام، وكيف تركوا كل آثارهم وقصورهم وحدائقهم وما حلّ بهم من ضياع وتشرد بسبب طغيانهم في الأرض وعصيانهم لأوامر الله بعد أنْ مكّنهم الله في الأرض، فلم يحافظوا على الأمانة واستكبروا بما أعطاهم الله تعالى، فكان عاقبتهم الهلاك والضياع.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالتي كلمتي الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١.



﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

أكد بـ(إنّ) في آيات غافر٢٧ والدخان ٢٠ وهود ٤٧ ومريم١٨ وآل عمران ٣٦ ولم يؤكد بإنّ في البقرة٦٧ والمؤمنون٩٧ والمعوذتين، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٣٦.

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا ذكر الليل في قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ في سورة الدخان ٢٣ ولم يذكر مثل ذلك في آيتي طه ٧٧ والشعراء ٥٢؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٧٧.



﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الكلمات التي استعملها القرآن الكريم بمعانٍ مخصوصة ومنها كلمة (عيون) الواردة في الآية؟

الجواب:

هناك الكثير من الكلمات التي استعملها القرآن الكريم بمعان مخصوصة. ومنها :

١ـ خصّ (العيون) لعيون الماء، و(أعين) للعين الباصرة.

٢ ـ خصّ (الغيث) للماء النازل من السماء، و(المطر) للعذاب الذي نزل على الكافرين.

٣ ـ خصّ (الصوم) بالصمت عن الكلام، كما في آية مريم ٢٦، ولم ترد كلمة الصوم في غير هذا الموطن، وكأنها لمّا كانت بمعنى الصمت جيء بها على وزنه، وخصها الله به.

وأمّا الصيام فهو للعبادة المعروفة، وقد وردت في تسعة مواطن من القرآن الكريم.

٤ ـ خصّ (اللواتي) في المواطن العادية و(اللائي) في مواطن التعب والشدة والحبس في الطلاق والظهار.

٥ ـ خصّ (الرياح) بالجمع؛ لتدل على البركة والرحمة، وبالإفراد (ريح) لتدل على الشدة والعذاب.

٦ـ جاءت كلمة (حلف) في ثلاثة عشر موضعاً كلها بغير استثناء في اليمين الكاذبة، وأمّا الفعل (أقسم) فيأتي لمطلق اليمين سواء كان حقيقة أو وهماً.

٧ـ خص كلمة (بناء) مع السماء وكلمة (بنيان) مع ما يبنيه البشر.

٨ـ خصّ استعمال (الحمير) بالحُمُر الأهلية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا ﴾ [النحل: ٨] و﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٩] وخصّ (الحُمُر) بالوحشية، كما في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المدثر: ٥٠].

٩ـ خصّ (الموتى) لمن أصابهم الموت حقيقة، وقد وردت كلمة (الموتى) سبع عشرة مرة في القرآن الكريم، كما في[البقرة ٢٦٠ـ الأنعام ١١١ـ القيامة ٤٠].

وخصّ (الأموات) لمن ماتوا حقيقة ولغيرهم، كما في قوله تعالى:

﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ﴾[البقرة: ٢٨].

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ [النحل: ٢١].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ ﴾ [البقرة: ١٥٤].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾[المرسلات: ٢٥ – ٢٦].

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر: ٢٢].

وخصّ (الميِّتين) لمن لم يمت بعد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٠ـ خصّ (الأبرار) للمؤمنين، و(بررة) للملائكة.

١١ـ خصّ (قيام) للقيام الحقيقي،و(قائمون) بمعنى القيام بالأمر والعكوف.

١٢ـ خصّ (قعود) للقعود الحقيقي، و(قاعدون) للقعود عن الجهاد.

١٣ـ خصّ(الضَّر) بالفتح في كل شيء، و(الضُر) بالضم في النفس من مرض وهزال.

السؤال الثاني :

ذكرفي قصة هلاك فرعون وقومه (الكنوز) في الشعراء و(الزروع) في الدخان، فما الحكمة؟

الجواب :

كلا الأمرين تركوه؛ لأنّ مصر ذات زروع وكنوز، وقيل أيضاً ما كانوا يدخرونه من الأموال. والله أعلم.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ﴿تَرَكُوا۟ ﴾ ما كلمات منظومة الترك في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.



﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النِّعمة والنَّعمة وأنعم بصيغة التفضيل؟

الجواب :

النِعمة: (بكسر النون)

اسم هيئة يشير إلى الحالة المستمرة للإنسان، وتدل على هيئته وهو يتقلب في نعم الله، وهي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها، ووردت في القران الكريم ٤٧ مرة [نِعمة ٣٤ مرة ـ نعمتك ٢ مرة ـ نعمته ٥ مرات ـ نعمتي ٦ مرات]، وتستعمل في القرآن مع الخير.

ـ إضافة النعمة إلى الله :

وردت ٥١ مرة، مثل: نعمة الله ـ نعمتي ـ نعمته.

ووردت ٢ مرة مجردة عن الإضافة [الشعراء ٢٢ ـ الليل ١٩]

النَّعمة: (بفتح النون)

اسم مرة يدل على الحدث مرة واحدة، ويوحي بقصر مدتها وسرعة زوالها، وقد وردت مرتين [الدخان ٢٧ والمزمل ١١]، وهي من الرفاهية والتنعم والرخاء، ولم ترد في القرآن إلا مع الذم.

ـ **النعمة بصيغتها الفعلية:** [نعّمه ـ أنعمت ـ أنعمنا ـ أنعم]

وردت الصيغة الفعلية (١٨) مرة بصيغة الماضي؛ لتفيد الثبات والاستقرار منها (١٧) مرة مسندة إلى الله تعالى، وهذا إسناد حقيقي، ومرة واحدة مسندة إلى الرسول ﷺ في قصة الصحابي زيد بن حارثة، وهذا إسناد مجازي؛ لأنّ الله تعالى هو الذي قدّر لزيد أن يُعتق، فالرسول ﷺ سبب ظاهري.

صيغة التفضيل بالمعنى :

ـ أَنْعَمَ: وردت (١٧) مرة في سياق الإخبار عن نعم الله على الإنسان.

ـ نَعّم: وردت مرة واحدة في سياق الذم، فقال تعالى في آية الفجر ١٥ : ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ حيث يتصور البعض أنّ كل من أعطاه الله النعم فقد أكرمه وأحبه وفضّله، وأنّ كل من ضيّق عليه رزقه فقد أبعده وأهانه، فردّ القرآن ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة: النِّعمة والنَّعمة في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ النَّعمة بالفتح: لم ترد في القرآن كله إلا في السوء والشر والعقوبات.

شواهد قرآنية: الدخان ٤٤ـ المزمل ١١.

٢ـ النِّعمة بالكسر: تدل دائماً على الخير، وقد وردت كثيراً في القرآن الكريم، منها: آية النحل ١٨.

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) ﴾

السؤال الأول :

كيف الجمع بين قوله تعالى في الشعراء ٥٩ ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) ﴾ وفي الدخان ٢٨ ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) ﴾؟

الجواب :

١ـ لمّا بسط القصة في سورة الشعراء وسمى فيها موسى وهارون عليهما السلام، ناسب تعيين بني إسرائيل وتسميتهم في وراثة مصر.

٢ـ ولمّا اختصر القصة في سورة الدخان ولم يسمِّ موسى فيها، بل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ﴾ فأتى باسمه مبهماً، ناسب الإتيان بذكر بني إسرائيل مبهماً بقوله تعالى: ﴿ قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) ﴾.



﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٢) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الاختيار والإيثار؟

الجواب :

١ـ الإيثار: هو الاختيار المقدّم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أي قدّم اختيارك علينا، أو فضّلك الله علينا.

ثم اتسع في معنى الاختيار فقيل لأفعال الجوارح اختيارية تفرقة بين حركة البطش وحركة المرتعش.

٢ـ الاختيار: هو إرادة الشيء بدلاً من غيره، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي: اخترنا إرسالهم، وتقول في الفاعل (مختار لكذا)، وفي المفعول (مختار من كذا).



﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق اللغوي في المعنى بين (غلْي) و (غَلَيان)؟

الجواب :

صيغة (فَعَلان) تدل على التقلب والحركة.

تقول: غلى الماء غلْياً، إنْ أردت حركة الفعل (المصدر)، ولم تُرد التقلب والحركة. قال تعالى: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الدخان: ٤٥ – ٤٦] فإنْ أردت الحركة قلت: غلى الماء غلياناً.

وتقول: فاض النهر فيضاً، حين تريد الفعل فقط، فإنْ أردت الحركة قلت: فاض النهر فيضاناً.

والله أعلم.

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حذف (من) من آية الدخان ٤٨، فلم يقل مثلاً: من فوق رأسه؟

الجواب :

هذا الذكر والحذف للفظة (من) يعتمد على سياق الآيات، فإذا كان السياق ممتداً يأتي بـ (من)، وإذا كان السياق لفترة محددة لا يأتي بها.

* شواهد قرآنية:

ـ آية الأنبياء ٧ بدون (من)؛ لأنها تحتمل القريب والبعيد؛ لأنّ ذكر (من) يفيد الابتداء أي ابتداء الغاية، وهو امتداد الزمن من زمن النبي محمد ﷺ إلى زمن آدم، وليس هناك فاصل.

ـ آية الدخان ٤٨: العذاب هنا أخف من العذاب المذكور في: ﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ﴾ في آية الحج رقم ١٩.

ـ آية الحج ١٩: تفيد أنه ليس هناك فاصل بين الرأس والصب؛ حتى لا تضيع أية حرارة؛ لأنّ المطلوب أنْ يصهر به ما في بطونهم.

ـ آية الزمر ٧٥: تفيد أنه ليس بين الملائكة والعرش فراغ.

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

الذوق هنا في الآية جاء من باب السخرية والتهكم، وهذا يعرف من السياق.



﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وما دلالة حرف الباء مع الفعل ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ﴾؟

الجواب :

١ ـ المعنى: جعلناهم أزواجاً كما يزوّج البعل بالبعل. واختلف المفسرون في هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج أم لا؟

قال يونس في تفسير الآية: أي قرناهم بهن، فليس من عقد التزويج. والعرب لا تقول: تزوجت بها، وإنما تقول: تزوجتها، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ ولو كان المراد: تزوجت بها لقال: زوجناك بها.

وقول القائل: زوّجته به معناه: أنه كان فرداً فزوجته بآخر.

٢ـ النكاح أصله العقد، أي عقد الزواج واستعير للجماع.

٣ـ الزواج أي الاقتران، وهو أعم.

٤ـ في القرآن يستعمل: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ متعدياً بالباء، بينما في الدنيا ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ يكون متعدياً لمفعولين.

السؤال الثاني :

ما معنى الحور العين؟

الجواب :

١ ـ الحور: أصل الحَوَر البياض، وعين حوراء إذا اشتد بياضها.

٢ ـ عين: تدل على سعة العين وضخامتها وجمالها.

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في الآية؟

الجواب :

كلمة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تفيد التشبيه، أي بمعنى: مثل، كما في آية الشعراء ٧٤ أي مثل ذلك الفعل يفعلون.

وقد يأتي هذا التركيب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ بمعنى أيضاً، كما في آية الدخان ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ فالمعنى كما يبدو: وزوجناهم بحور عين أيضاً.

السؤال الرابع :

هل تذكر الحور العين مع ذكر الجنات في كل سور القرآن؟ وكم مرة ذكرت الكلمات (الحور العين والجنات) بصيغها المختلفة؟

الجواب :

١ـ كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات.

٢ـ للعلم، فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات: [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات: [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة: ٦٦ مرة.

جنات: ٦٩ مرة.

جنتك: ٢ مرتان.

جنته: ١ مرة واحدة.

جنتي: ١ مرة واحدة.

جنتان: ٣ مرات.

جنتين: ٤ مرات.

السؤال الخامس :

ما الحكمة في أنّ القرآن الكريم عندما يذكر أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين؟

الجواب :

نلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، وكما في الآيات: [البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧]، فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الدخان مع خواتيمها :

قال سبحانه في أولها :

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾.

١ ـ قال في أولها: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾.

وقال في آخرها: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

٢ ـ وقال في أولها: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾.

وقال في آخرها: ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

والله أعلم.



سورة الجاثية

أولاً ـ تناسب خواتيم الدخان مع فواتح الجاثية :

١ ـ قال سبحانه في خاتمة الدخان :

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩ ﴾.

وقال في أول الجاثية :

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾.

وقال أيضاً :

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾. فالموضعان كلاهما في القرآن.

جاء في (البحر المحيط): ((ومناسبة أولها لآخر ما قبلها في غاية الوضوح. قال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ وقال: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾)).

٢ ـ قال في خاتمة الدخان: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ ﴾.

وذكر في أوائل الجاثية طرفا مما يدعو إلى التذكر. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ
فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

فكلا الموضعين مدعاة إلى التذكر والإيمان.

فما ذكره في الجاثية يدعو إلى ما ذكره في الدخان.

ثانياً ـ هدف السورة: خطورة التكبّر في الأرض:

تركّز السورة على خطورة التكبر في الأرض؛ لأنها ستضيّع الرسالة مصداقاً لحديث الرسول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فالتكبر محظور وخطر: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾[الجاثية: ٨ – ٩]. وسميّت السورة هذا الاسم للأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق على الركب من الفزع في انتظار الحساب.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١ .

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالتي كلمتي الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢ .

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١ .



﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله في الجاثية ٤ : ﴿يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾ وقوله في الشورى ٢٩ : ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ في آية الجاثية: المراد ذكر استمرار نعمة الله وقدرته على الناس قوماً بعد قوم، فاستعمل الفعل المضارع.

٢ـ في آية الشورى: المراد ابتداء خلقه الدواب وبثها في الأرض والسماء فاستعمل الفعل الماضي. والله أعلم.



﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.



﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الكذب والإفك؟

الجواب :

١ـ الكذب: هو الإخبار بغير الحقيقة والواقع.

٢ـ الإفك: هو الكذب الفاحش، مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن ومثل قذف المحصنات، وأصل الإفك هو الصرف، نحو قوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾[الجاثية: ٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور: ١١].

﴿انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥] أي يصرفون عن الحق.

٣ـ تسمى الرياح بالمؤتفكات؛ لأنها تقلب الأرض فتصرفها عما عهدت عليه، وسميت ديار قوم لوط المؤتفكات؛ لأنها قُلبت بهم.



﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ
يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة اختلاف (وصف العذاب) في فواصل آيات الجاثية[٩ـ١١]؟

الجواب :

١ـ الآية ٩ ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ أي كما استهان واستهزأ بآيات الله له عذاب مهين، إذن ينبغي أنْ يهان كما استهان واستهزأ بآيات الله. فناسب (عذاب مهين).

٢ـ الآية ١٠ ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ هؤلاء مشركون اتخذوا من دون الله أولياء لهم والله لا يغفر أنْ يشرك به، فناسب (عذاب عظيم)؛ لأنهم مشركون.

٣ـ الآية ١١ ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ يأتي العذاب بمعنى الرجز، ويأتي بمعنى العقاب المتتابع.

ولدينا كلمتا :(الرجز والرجس) فالرجس أي النجس، أي عذاب قذر شديد متتابع؛ لأنّ الذي يكفر بآيات ربه والآيات متتابعة، ينبغي أنْ يكون العذاب متتابعاً كما صنع.

وهكذا الأمر: (استهزأ- يُهان)، (أشرك ،عذاب عظيم) ،(تتابع بالكفر بآيات الله ـ تتابع العذاب). ولهذا يتغير وصف العذاب في القرآن الكريم. والاختيار في غاية الدقة.

السؤال الثاني :

زاد في آية سورة لقمان٧ ﴿ كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ دون آية الجاثية ٨، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ٧.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ ما الفرق بين :(استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب :

هنالك أمران في اللغة يذكران في الاستعمال القرآني:

١ـ الاستهزاء عام سواء أتستهزئ بالأشخاص أم بغير الأشخاص، كما في الآيات :

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة: ٥٨] فالصلاة ليست شخصاً وإنما أقاويل وأفاعيل.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾[الجاثية: ٩]ليس شخصاً.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾[البقرة: ٢٣١]

﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾[التوبة: ٦٥] الرسول عليه السلام شخص.

إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص.

أمّا السخرية ففي الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا مع الأشخاص ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٨].

٢ـ الاستهزاء أعم من السخرية، والسخرية خاصة بالأشخاص، ولم ترد في القرآن إلا للأشخاص، أمّا الاستهزاء فعامّ ورد في الأشخاص وغير الأشخاص.

٣ـ السخرية أنت تسخر منه وهو يفعل الفعل، وأمّا الاستهزاء فليس كذلك.

مثلاً مع نوح عليه السلام، وهو يصنع الفلك ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٨] هذا فعل، وهم سخروا من فعل يفعله.

وكذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾[التوبة: ٧٩] هذا فعل.

٤ـ إذاً صار عندنا أمران: الأول: أنّ الاستهزاء عام للأشخاص وغير الأشخاص، والثاني: أنّ الاستهزاء لا يستوجب وقوع فعل، بينما السخرية تقتضي فعلاً. إذن هنالك أمران متغايران.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية الجاثية ٩ : ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ قال:﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ مع أنه قال (شيئاً)، فلماذا لم يقل: اتخذه؟

الجواب :

المعنى :اتخذ الآيات؛ لأنّ الشيء المتخذ هو من الآيات، اتخذ شيئاً من الآيات.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] قال: ﴿عَشْرُ﴾ والعدد من ٣ إلى ١٠ يخالف المعدود في التذكير والتأنيث و(الأمثال) مفرده (مِثل) والمثل مذكر، وهو قال: عشر، والمفروض قياساً أن يقال: عشرة، لكنْ لما قال:

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ المِثل يصير حسنة فلمّا أفرد الحسنة أفرد المِثل ؛لأنّ المثل حسنة، و(عشر أمثالها) غير (عشر حسنات). فـ (الأمثال) هنا بمعنى الحسنات، وليس بمعنى العدد في حد ذاته.



﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الروم ٤٦ : ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ وفي الجاثية١٢ : ﴿ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾، فما السبب؟

الجواب :

السياق في آية الروم لذكر الرياح ولم يذكر البحر، وفي آية الجاثية تقدّم ذكر البحر فرجع الضمير إليه.



﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما يستفاد من هذه الآية؟

الجواب :

يحكى أنّ طبيباً نصرانياً للرشيد ناظر الإمام الواقدي ذات يوم، فقال له النصراني بحضرة الخليفة الرشيد: إنّ في كتابكم ما يدل على أنّ عيسى ابن الله وأنه جزء من الله، ثم تلا الآية ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١] أي أنّ عيسى جزء من الله فهو ابن الله.

فقال له الإمام الواقدي: ويحك كيف فهمت هذا الفهم الخاطىء؟ إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] فيجب على زعمك إذا كان عيسى ابن الله لأنه جزء من الله أنْ يكون ما في السماوات والأرض جزءاً من الله؛ لأنّ الله يقول: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ فانقطعت حجة النصراني فخضع وأذعن، وفرح الخليفة الرشيد بذلك فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة عظيمة.



﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة لفظة ﴿فَعَلَيْهَا﴾ في الآية؟

الجواب :

تأتي ﴿عَلَيْهَا﴾ في سياق العقوبة، وأمّا في غير سياق العقوبة فتأتي (فلها)، كما في آية فصلت ٤٦ وآية الجاثية ١٥.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية في ذكر النعم على بني إسرائيل؟

الجواب:

١ـ نِعَم الله على قسمين: نِعَم الدين، ونِعَم الدنيا. ونعم الدين أفضل ولذلك بدأ بها في هذه الآية، فقال في نعم الدين: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ والكتاب هو التوراة والحكم وهو معرفة أحكام الله تعالى وهو علم الفقه، والنبوة معروفة.

٢ ـ وأمّا نعم الدنيا فهي قوله تعالى: ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فوسّع الله عليهم في الدنيا وأورثهم ديار فرعون وأمواله، ثم أنزل عليهم المن والسلوى، وكانوا أكبر درجة وأرفع منقبة ممن سواهم في وقتهم.



﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الجاثية: ١٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[السجدة: ٢٥] ما الفرق بين يفصل ويقضي؟ وما دلالة ضمير الفصل (هو) في آية السجدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية السجدة ٢٥.



﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.



﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

الضالّ هو من لم يعرف، فكيف نفهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]؟

الجواب :

١ـ خلال الكلام عن سورة الفاتحة ورد عند كلمة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أنّ المغضوب عليهم هم الذين يعرفون الحق وينحرفون، ويعني أنهم يضلون على علم، فهم مغضوب عليهم. أمّا الضالون فهم الذين يكونون في معصية من غير معرفة أحكام الشرع.

٢ـ والآية تقول: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ و لم تقل: وضلّ هو على علم، لا. وهو يُصنّف (من استمر على علم) بأنه من ضمن المغضوب عليهم، ودليل الغضب هو الآية ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فهو لا يسأل ما حكم الشرع في هذا؟ وإنما ما يوافق هوى نفسه يفعله من دون أنْ ينظر في حكم شرع الله ولا يسأل هل هذا يجوز أو لا يجوز؟ فإلهه هواه ولم يتخذ الشرع منهاجاً.

إذن ما دام هكذا واتخذ إلهه هواه فإذن ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ هو على معرفة. والعقوبة ستكون: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ فهو لم يضلّ بنفسه، وإنما الله تعالى أضله؛ لأنه اتخذ من نفسه إلهاً فغُضِب عليه، وهذه المصائب التي نزلت على رأسه من قبيل غضب الله عز وجل عليه.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين تذكرون وتتذكرون؟

الجواب :

١ـ في مجال الذكر والحذف، إذا حذف الحرف معناه أنّ الزمن المحذوف منه أقصر، فيقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث. فإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز فيقول :(تذكرون)، وإذا كان المقام تفصيل يقول: (تتذكرون).

٢ـ وفق هذه القاعدة: إذا كان الحدث أطول تأتي (تتذكرون)، وإذا كان أقل يقتطع من الفعل، أو إذا كانت في مقام الإيجاز يوجز وفي مقام التفصيل يفصل.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ لو سألنا أي واحد مهما كانت ثقافته نقول له: هل الأعمى يستوي مع البصير؟ والأصم هل يستوي مع السميع؟ سيقول مباشرة: لا، إذن لا يحتاج إلى طول تذكر وإنما يجيب مباشرة. هل يستويان؟ لا، هذا لا يحتاج إلى طول تذكر، فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [غافر: ٥٨] هنا دخل في الأمر إيمان وعمل صالح. هذه أطول من تلك، فهي تحتاج إلى تأمل وتفكير، والرسول يدعو طويلاً إلى الإيمان والعمل الصالح، إذن ناسب ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾؛ لأنها تحتاج إلى طول تذكر.

﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾[النحل: ١٧] اسأل أي واحد سيقول: لا، هذه لا تحتاج إلى تذكر. فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾[الجاثية: ٢٣] ختم على سمعه وبصره غشاوة وأضله على علم لا تحتاج إلى طول تفكر. فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

السؤال الثالث :

في آية البقرة ٧ قدّم القلوب على السمع، وفي آية الجاثية٢٣ قدّم السمع على القلب، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٧.



﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤ ﴾

السؤال الأول :

ختم الله تعالى آية الزخرف ٢٠ بقوله: ﴿يَخۡرُصُونَ﴾ وآية الجاثية ٢٤ بقوله: ﴿يَظُنُّونَ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية الزخرف: في جعلهم الملائكة بنات الله، وذلك كذب محض فناسب ﴿يَخْرُصُونَ﴾ أي: يكذبون.

٢ـ آية الجاثية: في إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعاً، فناسب هنا ﴿يَظُنُّونَ﴾ والله أعلم.

السؤال الثاني :

يستعمل القرآن ﴿إِنْ هِيَ﴾ كما في آية المؤمنون ٣٧، ويستعمل ﴿مَا هِيَ﴾ كما في آية الجاثية ٢٤ فما الفرق بينهما؟

الجواب :

بشكل عام: يستعمل القرآن [إنْ] لما هو آكد من استعماله لـ [ما].

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٧.



﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الجثو؟ ولماذا جاءت كلمة ﴿جَاثِيَةً﴾ منصوبة في ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[الجاثية: ٢٨]؟

الجواب :

١ـ الجثو هو الركوع على الركبتين. يجثو على الأرض؛ أي يهبط إلى الأرض جاثياً على ركبتيه.

٢ـ جاثيةً: ينبغي أنْ تأتي منصوبة بسبب الفعل (رأى)، لكنّ الإعراب يختلف.

٣ـ لدينا (رأى) البصرية، نحو: أبصرته ماشياً، وتأخذ مفعولاً واحداً. ولدينا أيضاً (رأى) الذهنية أو القلبية التي هي بمعنى اعتقد أو علِم، وهذه تأخذ مفعولين، كما في القول: (رأيت اللهَ أكبرَ كل شيء) أكبرَ مفعول ثانٍ.

٤ـ الآية: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ هذا في حال الجثو، وهنا (ترى) بمعنى البصر. فكلمة (جاثية) منصوبة في الحالتين، لكنها تعرب (حالاً) بحسب الإعراب وبحسب المعنى.



﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل (ظن) في الآية؟ وما الفرق بين ظن وعلم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٩.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

اختار لفظ (العمل) في النحل ٣٤ والجاثية ٣٣ ولفظ (الكسب) في الزُمَر٤٨ و ٥١، فما سبب ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٣٤.



﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا التفصيل في الجاثية ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦] ولم ترد في الفاتحة؟

الجواب :

١ـ في الجاثية: تردَّدَ ذكر السموات والأرض وما فيهن، وذكر ربوبية الله تعالى لهما، فقد جاء في أول السورة ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الجاثية:٣] فلو نظرنا في جوِّ سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الجاثية:٢٧] يعني هو ربُّهما ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ

﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الجاثية:٢٧] إذن هو رب العالمين ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٢] فهو ربهما ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الجاثية:٢٢] فهو ربُّ العالمين. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦] فجمع الربوبية في السموات والأرض والعالمين في آية واحدة.

أمّا في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط، وذكر أصناف الخلق من العالمين ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.. لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٧] ولم يذكر الكبرياء في الفاتحة؛ لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الجاثية:٧-٨-٩] فدلّ هذا على مظهر من مظاهر الاستكبار؛ لذا ناسب أنْ يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض.

فسبحانه تعالى يضع الكلام بميزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.



رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الجاثية مع خواتيمها:

قال سبحانه في أولها:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾... ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ

ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ ﴾.

ومن النظر في أول السورة وخاتمتها تتبين مناسبات عدة، منها:

١ ـ أنّ قوله في أول السورة: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ ﴾ [الجاثية: ٧ ـ ٨] يناسب قوله في آخرها: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

٢ ـ وقوله في أول السورة: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ ﴾. يناسب قوله في خاتمة السورة: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣ ـ قوله في البداية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ ﴾ يناسب قوله في الخاتمة: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٤ ـ قوله في بداية السورة: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾. يناسب قوله في الخاتمة: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

والله أعلم.



سورة الأحقاف

أولاً ـ تناسب خواتيم الجاثية مع فواتح الأحقاف:

قال سبحانه في خاتمة الجاثية:

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

وقال في أول الأحقاف:

﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

والمناسبة بين النصين ظاهرة في أكثر من موضع:

١ ـ فإنّ قوله سبحانه في الجاثية: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ يناسب قوله في الأحقاف: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

٢ ـ وقوله في الجاثية: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ يناسب قوله في الأحقاف: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ وآيات الله إنما هي من الكتاب.

٣ ـ قوله في الجاثية: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يناسبه في الأحقاف ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

٤ ـ قوله في الجاثية: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ يناسبه قوله في الأحقاف: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾.

٥ ـ ذكر اسميه الكريمين ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في الجاثية والأحقاف.

فقد ختم الجاثية بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

وقال في أول الأحقاف: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة أولها لما قبلها أنّ في آخر ما قبلها ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ وقلتم إنه عليه الصلاة والسلام اختلقها فقال تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾. وهاتان الصفتان هما آخر تلك وهما أول هذه. وأجل مسمى أي موعد لفساد هذه البنية)).

وجاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها أنه تعالى لمّا ختم السورة التي قبلها بذكر التوحيد وذم أهل الشرك والوعيد افتتح هذه بالتوحيد ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد)).



ثانياً ـ هدف السورة:

الاستجابة توفيق وهداية من الله لمن أراد أنْ يسمع:

تأتي هذه السورة لتوضح أنه بعد أنْ عرض القرآن كل ما سبق من منهج وتوجيهات من المؤكد أنه سيكون هناك من سيسمع ومن سيرفض هذا المنهج، وفي السورة تناقضات عجيبة، فقد ضرب الله تعالى مثل من استمع للقرآن وهم الجنّ وكيف تفاعلوا معه ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحقاف: ٢٩ – ٣٢].

وضرب لنا مثلاً آخر لأب يدعو ابنه ليطيعه والابن يرفض ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وكذلك قصة (أخا عاد) إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف: ٢١].

وخلاصة القول إنّ الاستجابة لأوامر الله ولمنهجه هو أمر من الله وتوفيق وهداية منه سبحانه لمن أراد أنْ يسمع.

وسميّت السورة بهذا الاسم؛ لأنّ الأحقاف من أرض اليمن هي مساكن عاد الذين أهلكهم الله تعالى بطغيانهم وجبروتهم.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالتي كلمتي الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية مريم ١.



﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما استخدامات كلمة (أثر) في القرآن ؟

الجواب :

كلمة (أثر) في القرآن الكريم لها ستة معانٍ :

١ ـ أثر الحديث والعلم، وأصله: تتبع الأثر ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: يروى وينقل.

٢ـ الأثرة: بفتح الهمزة، وهي البقية من العلم الذي يؤثر: الأحقاف ٤.

٣ـ أثر الشيء وما يدل على وجوده: الروم ٥٠.

٤ ـ الأثر فيما تتركه قدم السائر على الأرض: طه ٨٤.

٥ ـ آثره بمعنى فضّله من الإيثار: يوسف ٩١.

٦ ـ أثار الأرض، أي: قلبها للزراعة: الروم ٩.

السؤال الثاني :

في قوله تعالى في الآية: ﴿أَرَءَيْتُم﴾ استعمل فعل الرؤية في آية الأحقاف: ٤ واستعمل فعل النظر (ينظروا) في آية ق ٦، فما الفرق بين الفعلين رأى ونظر ؟

الجواب:

١ـ رأى: بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين.

أمّا نَظَر فهو تأمل الشيء بالعين ويقال: نظر إلى الشيء.

٢ـ الرؤية أتم من النظر.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في القرآن كله تقديم كلمة (شهيد) على (بيني وبينكم)، كما جاء في آية الأنعام ١٩ ﴿ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ وآية يونس آية ٢٩ والرعد آية ٤٣ والإسراء آية ٩٦ والأحقاف آية ٨.

أما في سورة العنكبوت فقد جاءت كلمة (شهيد) متأخرة عن(بيني وبينكم) في الآية ٥٢ ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ ﴾ فما سبب الاختلاف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٩.



﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ وقوله تعالى في آية الشعراء ١١٥ : ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ ما الفرق في الاستعمال بين (إنْ) و(ما) في النفي؟

الجواب :

بشكل عام يستعمل القرآن (إنْ) لما هو آكد من استعماله (ما).

انظر الجواب في آية الشعراء ١١٥ .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿ وَمَآ أَدۡرِي ﴾ كما هو في آية الأحقاف ٩، و ﴿وَمَا تَـدۡرِي ﴾ كما في آية لقمان ٣٤؟

الجواب:

ورد مثلها في القرآن كما في الآيات:

﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ [الأنبياء: ١٠٩] بمعنى نفي (ما). ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[الأحقاف: ٩] نفاها بـ (ما).

﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤] نفاها بـ (ما).

١ـ الفرق من حيث الدلالة: المعلوم والمشهور أنه إذا نفيت الفعل المضارع بـ (ما) دلّ على الحال، يعني: ما أدري الآن، وقسم من النحاة يقول: هي للحال والاستقبال مطلقة، وأكثرهم يخصّصوها بالاستقبال والزمخشري يقول: (لا) و (لن) أختان في نفي المستقبل، وهذا عليه أكثر النحاة.

والأقرب أنها تكون للحال والاستقبال بدلالة ما استدل به بعض النحاة في القرآن ﴿ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾[النمل: ٢٠] حال، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ [البقرة: ٤٨] و (أنا لا أفهم ما تقول) حال .

لذلك (ما) مطلقة، وخاصة أنها منتهية بالألف، والألف حرف مطلق. فهي ممتدة.

٢ـ (إنْ أذهب) أقوى كما يقول النحاة. و(لست أذهب) ليس فيها الكثير وهي تنفي الحال، لكنْ فيها جملة اسمية وفعلية، فهي مركبة.



﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في فصلت ٥٢: ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ وفي الأحقاف ١٠ ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ في آية الأحقاف: الواو للعطف، وجواب الشرط تقديره: إنْ اجتمع كونه من عند الله وكفرتم به وشهادة الشاهد وإيمانه، ألستم بكفركم ظلمة؟ !!

ولذلك ختمها الله بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

٢ـ في آية فصلت: يجوز أنْ يكون معنى (ثم) حثهم للاستبعاد عن الكفر مع العلم بكونه من عند الله، وفي هذا حث لهم أنْ لا يبالغوا في إظهار النفرة عن التوحيد؛ لأنّ التخلف عن الإيمان بعد ظهور أنه من عند الله مستبعد عند العقلاء؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ والله أعلم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخوف والخشية والوجل؟

الجواب :

الخوف:

هو توقع مكروه فيخاف، وهو خلاف الطمأنينة. قال تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

ويجوز أنْ يحدث عن تسلط بالقهر والإرهاب.

الخشية :

هي خوف يشوبه تعظيم، ويكون مقداره حسب حالة الخاشي، لذلك فالعلماء هم أشد خشية لله، والخشية هي أشد الخوف، وتسند الخشية في القرآن إلى الأنبياء والرسل ومن اتبع الذكر والمؤمنين والعلماء والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

الوجل :

هو اضطراب القلب كضربة السعفة ـ قشعريرة ـ وفي القرآن لا يسند الوجل إلا للقلب، بينما يسند الخوف والخشية للإنسان، وليس الوجل من الخوف في شيء.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ
وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ
وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمة (الكَره) بفتح الكاف و(الكُره) بضمها؟

الجواب :

١ـ (الكَره) بفتح الكاف هو ما يأتي من الخارج ويقابله الطوع كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٥٣) ﴾[التوبة: ٥٣].

٢ـ أما (الكُره) بضم الكاف فهو ما ينبعث من الداخل، كما في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾[البقرة: ٢١٦]

وجاءت كلمة (الكُره)؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يكره القتال.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾[الأحقاف: ١٥] الحمل في نفس الأم ثقيل وليس مفروضاً عليها، وكذلك آلام الوضع والولادة، وأي إنسان لا يريد المشقة لنفسه أصلاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الآية ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾[لقمان: ١٤] والآية ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾[الأحقاف: ١٥]؟ ولماذا قيل في الأولى عامين وفي الثانية ثلاثون شهراً؟ وما دلالة ذكر وحذف ﴿إِحْسَٰنًا﴾ في آية لقمان؟

الجواب :

١ـ العامان والثلاثون واضحة باعتبار حمله وفصاله. والحمل يمكن أنْ يكون ستة أشهر، وقسم من الفقهاء استندوا إلى أنّ أقل الحمل ستة أشهر. فأقل الحمل هو: ستة أشهر، والفصال يكون في عامين أي (٢٤) شهراً والمجموع يكون ثلاثين شهراً، أي: (٢٤+٦).

٢ـ مسألة حذف كلمة (إحساناً): في آية أخرى قال: ﴿حُسْنًا﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وفي آية ﴿إِحْسَٰنًا﴾ وفي آية لم يذكرها.

انظر الجواب في آية العنكبوت ٨.

السؤال الثالث:

ما دلالة أنّ الله تعالى في جميع القرآن إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين في القرآن كله؟

الجواب:

الله تعالى إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل (الوالدين) وليس (الأبوين) في القرآن كله، مع العلم أنّ (الوالدين) مثنى والد ووالدة، وغلّب المذكر الوالد و(الأبوين) مثنى، وغلّب المذكر الأب، والأبوان أب وأم، كما في الآيات:

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ هذه عامة، لم يحدد ذكر صفة من كفر أو غيره.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[إبراهيم: ٤١].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء: ٢٣].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾.

ولم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين.

واستعمل (الأبوين) في غير ذلك، كما في آية المواريث ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾[النساء: ١١].و ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾[الكهف: ٨٠] فليس فيهما مقام ذكر البر؛ لذا قال: (أبواه). أمّا في الدعاء فلا يستعمل (الأبوين).

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الوالد والأب؟

الجواب :

التي تلد هي الأم، والوالد من الولادة، والولادة تقوم بها الأم، وهذه إشارة إلى أنّ الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد.

لكنْ في المواريث - لأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم - استعمل الأب ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ففي الأموال يستعمل (الأبوين)، وفي الدعاء يستعمل (الوالدين).



﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا قال: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ ولم يقل: منهم؟

الجواب:

١ـ في القرآن يستعمل (من) مع الجهة التي يُتقبل منها والتي يصدر عنها العمل، بمعنى: نحن الجهة التي يصدر من عندنا العمل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٢ـ وعندما يقول: عنهم، فهو يتكلم عن العمل نفسه.

وفي الآية لمّا ذكر العمل الصادر عنهم ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ ذكر (عن) مع الشيء المتقبل في حد ذاته.

* شواهد قرآنية (من):

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ [المائدة: ٢٧].

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾ [المائدة: ٢٧].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٣٦].

٣ـ وردت (يقبل عن) في ثلاثة مواضع:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) ﴾ [الأحقاف: ١٦].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى: ٢٥].

هذه الآيات الثلاث فيها نسبة قبول التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، إمّا بالحديث مباشرة ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ أو على سبيل الغيبة وهو سبحانه المتحدث فقال: (عن) حتى تنفصل؛ ولأنها تعود إلى الله تعالى مباشرة، كما في الآية ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ ﴾ فهنا جاءت (عن) لقطع الصلة المادية في ذهن الإنسان بين عمله، وبين توبة الإنسان والله سبحانه وتعالى.



﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الأحقاف ١٧: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ في آية الأنعام ٢٥ ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فما الفرق؟

الجواب :

القاعدة اللغويـــة:

يستعمل القرآن [إنْ] لما هو آكد من استعماله لـ[ما].

البيان :

قال في آية الأنعام: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وفي آية الأحقاف ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

الآية الأولى آكد يدل على ذلك السياق فقد قال فيها :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾.

﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾.

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴾.

لذلك ترى أنّ درجة التكذيب أشد مما في آية الأحقاف؛ لأنّ الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والإنكار في المكذبين في آية الأنعام أشد وأكثر ولذلك أكد النفي فيها بـ[إنْ] بخلاف الثانية.



﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى حق القول؟

الجواب :

١ـ جملة (حق القول) في القرآنّ معناه: ثبت لهم العذاب.

٢ـ جملة (حق القول) إشارة إلى (حق القول مني). وعموم النحاة كلهم يذكرون أنّ (حق القول) المقصود به هو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣] أو ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤ – ٨٥]

٣ـ جملة(حق القول) في القرآن الكريم، وكذلك جملة (حقت الكلمة) لم ترد إلا في ثبوت العذاب، وهذا يمتد في جميع القرآن بمعنى: وجب لهم العذاب أو ثبت لهم العذاب، كما في الآيات:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: ١٨].

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [يس: ٧].

وكلها لم ترد في القرآن إلا بهذا المعنى وهذه الدلالة، لذلك (حق القول) أو (حقت الكلمة) لم ترد إلا بهذه الدلالة.

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً
فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟
يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام (الأبصار) بالجمع و(السمع) بالإفراد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]؟

الجواب:

١ـ السمع: مصدر، وعندنا قاعدة، وهي أنّ المصدر لا يجمع إلا إذا تعدد. وكذلك المشي والجلوس لا يجمع. المصدر يدل على الحدث، والحدث يدل على القليل والكثير، ولا يُجمع إلا إذا تعدد واختلفت أنواعه مثل: ظروف وامتيازات، لكنّ المصدر بحد ذاته لا يُجمع. لذلك فإنّ كلمات مثل (السكوت والوقار) لا تجمع. إذن السمع مصدر؛ ولذلك لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه واختلفت.

٢ـ البصر: يقولون هو العين في المعجم، إلا أنه مذكر وهي مؤنثة. ومعناه آلة الإبصار وتُجمع على أعين وعيون. لكنّ الفرق أنّ العين قد تكون عمياء، والبصرهو العين المبصرة التي تبصر تحديداً. وهم قالوا: إنّ البصر هو العين، إلا أنه مذكر وهي مؤنثة.

٣ـ وهناك أمر آخر، وهو أنّ الأبصار تدرك أشياء مختلفة متعددة في آن واحد مثل الألوان المختلفة يدركها البصر في آن واحد، وكذلك الاختلاف في الطول والقصر، والمتباعدة والقريبة يدركها في آن واحد. أمّا السمع فلا إذا تكلم أحد وأنت تسمع لغيره تقول له: دعني أسمع.

البصر مدركاته كثيرة؛ ولذلك جمع لكثرة المتعلقات، أمّا السمع فأقلّ. ويتعدد البصر لتعدد المدركات، أمّا السمع فليس كذلك.

٤ـ إذن هناك أمران:

أ ـ كونه إذا كان بمعنى العين كما في المعجم فالعين تجمع: عيون وأعين.

ب ـ يجمع البصر لتعدد مدركاته، بخلاف السمع الذي ليس مثل البصر.

٥ـ الأفئدة: هي القلوب مفردها (فؤاد) لكنّ الفؤاد يقولون فيه: هو من التفؤد، وهو الاحتراق (فأد معناه شوى في اللغة)، و(فؤاد) يعني الأمور التي تدعو إلى المعاناة، فيستعمل له الفؤاد، كما في الآية: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾[القصص: ١٠] ففيه عاطفة محترقة على ابنها. وقوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[إبراهيم: ٤٣] فهو كالاحتراق وقوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾[الهمزة: ٦ – ٧] أي سوف تحرقها.

٦ـ لهذا جاء (السمع) مفرداً لعدم تعدد مدركاته، أمّا (الإبصار) فتعددت مدركاته لذا جمع، و(الأفئدة) جمع في الأصل. وقد يجمع السمع إذا تعدد.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] ولم يصرح بالقرآن كأنْ يقول: استمع نفر من الجن قرآناً، كما قال في آية أخرى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] فما الفرق؟

الجواب :

١ـ في سورة الجن قال: ﴿ قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ ولم يقل: (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن للقرآن)، بينما في آية الأحقاف ذكر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الكلام عن القرآن، ذكر وفصّل في القرآن ما لم يفصّل في سورة الجن.

٢ـ في سورة الجن قال: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾.

بينما في الأحقاف قال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ حضروا قراءة القرآن وأنصتوا لسماعه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

لاحظ التفصيل: في الأحقاف فصّل في ذكر القرآن ما دعا إلى ذكر القرآن، بينما في سورة الجن كان الكلام عن القرآن موجزاً وإشارة إلى القرآن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾. ففي مقام التفصيل يفصّل وفي مقام الإيجاز يوجز، مع أنه مفهوم.



﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ٢] وفي الأحقاف قال تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: ٣٠] فما الفرق بين الرُشد والحق؟ وكيف نفهم اللمسات البيانية في الآيتين؟

الجواب :

١ـ الحق ليس مناقضاً للرُشد ولا الرُشد مناقضاً للحق.

٢ـ الحق أعم من الرُشد، والذي يوصف بالحق أحياناً لا يوصف بالرشد ويُخبر عن الرشد بما لا يخبرعنه بالحق، كما في الآيات :

﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء: ٦] هل يمكن أنْ يقال: آنستم منهم حقاً؟ كلا.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [ص: ٦٤].

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١]

﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

﴿ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾[آل عمران: ٨٦].

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾[المائدة: ٢٧]. كلها لا يصح فيها الرُشد فالحق أعم من الرشد.

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأنعام: ٥٧] ولا يصح أنْ يقال: يقص الرُّشد.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [يونس: ٣٢] الحق أعمّ.

وهذا هو الفرق الأول بين الحق والرشد، أنّ الحق أعم وأنه يُذكر في أمور لا يصح فيها ذكر الرُّشد.

٣ـ والأمر الآخر أنّ الرُّشد لا يقال إلا في العاقل، فالعاقل يوصف بالرُشد، أمّا الحق فهو عام. نقول: القتل بالحق ـ هذا المال حق لك ـ إذن الله هو الحق ـ الجنة حق والنار حق.

٤ـ إذن هنالك أمران:

أ ـ الحق أعمّ من الرُشد ويُخبر به عن الإنسان وغيره.

ب ـ الرُشد خاص بالعاقل.

إذن الرشد قسم من الحق وليس الحق كله، وكل رشد هو حق لكنْ ليس كل حق رشداً باعتبار الحق أعمّ.

٥ـ يبقى سبب الاختلاف:

أ ـ ما ذكره في سورة الأحقاف عن الجن أوسع وأشمل مما ذكره في سورة الجن، فعمم في الأحقاف ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ ثم ذكر أموراً في القرآن كثيرة فصّل فيها.

ب ـ ذكرنا أنّ الحق أعم من الرشد، والرشد معناه الصلاح في الدنيا وقد يكون في الآخرة.

لذلك ما ذكره في الأحقاف ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ مناسب؛ لأنّ سياق الآية أعم مما في آية الجن وأوسع وأشمل، فناسب ذكر الحق الذي هو أوسع وأشمل.

ونجد أنه في سورة الأحقاف قد اتسع الحديث عن القرآن والتأثير فيهم هم سمعوا القرآن وآمنوا به، لم يكتفوا وإنما ذهبوا إلى قومهم منذرين ويدعونهم إلى الإيمان ﴿وَإِذْ

صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

وأمّا في سورة الجن فقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ ثم انصرف إلى أقسام الجن ومعتقداتهم وأنهم كانوا يقعدون مقاعد للسمع مما ليس لها علاقة بالقرآن.

فالكلام عن القرآن متسع في الأحقاف وهو جزء من آية في سورة الجن فلمّا كان الكلام متسعاً أتى بالكلمة التي هي مناسبة والتي هي (الحق).

٦ ـ من ناحية أخرى كلمة (الحق) وردت في سورة الأحقاف ست مرات ولم ترد في سورة الجن، وكلمتا (الرُشد والرَشد) وردتا في سورة الجن أربع مرات، ولم تردا في سورة الأحقاف. فالاختيار من هذه الناحية صار مناسباً.

٧ ـ في سورة الجن قال: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ وفي سورة الأحقاف قال تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ فلم يتوقف في آية الأحقاف عند الحق وإنما اتسع الأمر ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ لماذا إلى طريق مستقيم؟

لأنّ الحق أعم من الطريق المستقيم، وهو طريق سلكه الأنبياء والرسل وساروا فيه قبله، كما في الآية: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ إذن هي طريق مسلوكة، و ليست طريقة مبتدعة، وإنما سلكها الأنبياء والرسل من قبله.

السؤال الثاني :

لماذا لم يذكر (الإنجيل) بعد موسى في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ هذا كلام الجن، ويقال إنّ هؤلاء من اليهود الذين لا يعترفون بالإنجيل أصلاً. وهناك جن يهود وجن نصارى من أتباع عيسى وموسى عليهما السلام، فقيل: هؤلاء من اليهود، ولم يعترفوا بعيسى شأن البشر.

٢ـ النصارى يعترفون بالتوراة ويعتبرون أنهم مكلفون بما جاء فيها؛ لأنّ عيسى عليه السلام قال: ما جئت لأنقض الناموس. إذن هؤلاء الجن من اليهود الذين لا يعترفون بعيسى. والله أعلم.

السؤال الثالث :

﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأحقاف: ٣٠] ما دلالة استعمال كلمة (الطريق) بدل (الصراط)؟

الجواب:

١ـ الحق هو العقائد الصحيحة والأمور الثابتة الصحيحة.

٢ـ لماذا قال: الطريق، ولم يقل: الصراط؟

الطريق هو السبيل الذي تطرقه الأرجل ويعني أنّ هذا الطريق مسلوك والقرآن ذكر في هذه الآية على لسان الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ومعناه أنّ هذا طريق مسلوك ولم يبتدعه صاحبه ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ إذن سار على نفس الطريق ولم يبتدعه ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ فهوطريق مسلوكة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

٣ـ أمّا الصراط فهو الطريق الواسع وسمي الصراط؛ لأنه يصرط السابلة، يعني: يبلعهم، وهو متسع ضخم. أمّا الطريق فليس فيه هذا المعنى فقال الحق سبحانه: ﴿طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يغفر لكم من ذنوبكم) و(يغفر لكم ذنوبكم)؟

الجواب :

١ـ (من) تبعيضية، أي للتبعيض أي: بعضاً من ذنوبكم. وبحسب السياق تُغفر بعض الذنوب.

٢ـ لكنْ هنالك أمر، وهو أنه لم يرد في القرآن ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إلا في أمة محمد عليه السلام في القرآن كله إكراماً له ولأمته، أمّا ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فعامّة لأمة محمد عليه السلام ولغيرهم.

٣ـ قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ هذه عن الجن.

٤ـ ورد التعبير بدون (من) ثلاث مرات في القرآن :[آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

و ورد التعبير مع وجود (من) ثلاث مرات أيضاً:[إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤].

والله أعلم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال ﴿قَٰدِرٌ﴾ و ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ بزيادة الباء؟

الجواب :

القاعدة اللغوية :

تدخل الباء الزائدة على أخبار(ليس وما ولا وكان المنفية) لتأكيد النفي لأنّ العرب استعملت الباء لتأكيد النفي، واستعملت اللام في تأكيد الإثبات.

١ـ في آية الإسراء٩٩: (قادر): خبر ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾.

٢ـ في آية يس ٨١: (بقادر) هو خبر ليس في أول الآية فدخلت الباء في خبرها.

٣ـ في آية الأحقاف٣٣: (بقادر) لمّا أكّد النفي بنفي ثان وهو ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين قدير وقادر؟

الجواب :

١ـ قدير: على وزن (فعيل) من صيغ المبالغة، وتأتي في القرآن :

أ ـ إذا عمّم القدرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ب ـ إذا أطلق القدرة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾.

٢ـ أمّا إذا قيّد القدرة بشيء فيقول ﴿قَـٰدِرٌ﴾.

* شواهد قرآنية :

آية الأنعام ٣٧ قيدت بإنزال آية.

آية الأنعام ٦٥ قيدت بالعذاب.

٣ـ حيث عمّم القدرة أو أطلقها يأتي بصيغة المبالغة ﴿قَدِيرٌ﴾ وحيث قيّدها يأتي باسم الفاعل: (قادر).

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ختم آية يس ٨١ بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ وختم آية الأحقاف ٣٣ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ فما السبب؟

الجواب :

لمّا ذكر في آية يس ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ ناسب أنْ يختم الآية بـ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

و لمّا ذكر في آية الأحقاف ٣٣ قوله تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ﴾ ناسب أنْ يختم الآية ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾.

والله أعلم.



﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ سورة إبراهيم آية ٥٢ و﴿بَلَٰغٌ ۚ﴾ سورة الأحقاف آية ٣٥؟

الجواب :

كلمة ﴿بَلَـٰغٌۚ﴾ في سورة الأحقاف هي خبر لمبتدأ محذوف،تقديره: هذا بلاغ.

وفي سورة الأحقاف سياق الآيات التي قبلها والمقام هو مقام إيجاز؛ لذا اقتضى حذف المبتدأ، فجاءت كلمة (بلاغ) ولم يخبرنا الله تعالى هنا بالغرض من البلاغ.

أمّا في سورة إبراهيم فإنّ الآيات التي سبقت الآية ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ فصّلت البلاغ والغرض منه من الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الأحقاف مع خواتيمها :

١ ـ قال في أولها: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

وقال في أواخرها :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

٢ ـ قال في أولها :

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ وقال في أواخرها :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فقد ذكر في الموضعين خلق السماوات والأرض.

وذكر في الآية الأولى أنّ ذلك بأجل مسمى، وهو يوم القيامة، وذكر في الأواخر أنه قادر على أنْ يحيي الموتى وهو الأجل المسمى المذكور في الآية الأولى، كما ذكر طرفاً من أحوال يوم القيامة. وكل ذلك من الأجل المسمى.

٣ ـ قال في الآية الأولى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

وذكر عاقبة هذا الإعراض في الأواخر، وذلك قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ . . ﴾.

٤ ـ قال في أوائل السورة: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾.

وقال في آخر السورة:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ ﴾ فصبّره على ما يقولونه فيه.

وقال في الآية الأولى: ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾.

وأشار في الآية الأخيرة إلى أولي العزم من الرسل، وأمره أنْ يصبر كما صبروا فهو ليس بدعاً في ذلك، وليس واحداً ليس له نظير، وإنما هو طريق سلكه قبله الرسل فصبروا على ما أوذوا، فاصبر أنت أيضاً كما صبروا.

والله أعلم.



سورة محمد

أولاً ـ تناسب خواتيم الأحقاف مع فواتح سورة محمد:

ذكر في خواتيم الأحقاف أنّ نفراً من الجن سمعوا القرآن فآمنوا.

قال سبحانه:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ وفي هذا النص أكثر من مناسبة بينه وبين افتتاح سورة محمد.

١ ـ فقد قال في خواتيم الأحقاف:

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

وقال في افتتاح سورة محمد:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ ومن كان في ضلال مبين فقد ضل عمله.

٢ ـ ذكر سبحانه في أواخر الأحقاف أنّ الجن قالوا: إنّ القرآن يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

وقال في مفتتح سورة محمد: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

فقد ذكر في سورة محمد أنّ ما نزل على محمد هو الحق من ربهم.

وقال في خواتيم الأحقاف ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾.

٣ ـ قال في خواتيم الأحقاف: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

وقال في سورة محمد إنّ من آمن بما أنزل على محمد كفر عنهم سيئاتهم.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾.

٤ ـ قال في آخر سورة الأحقاف:

﴿بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقال في أول سورة محمد :...

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ...﴾.

ثانياً ـ هدف السورة :

اتّباع محمد عليه السلام هو مقياس قبول الأعمال :

سورة محمد عليه السلام وسورتا الفتح والحجرات يجمعها محور واحد وهو الرسول عليه السلام، والسور الثلاثة مدنية، ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة.

ورد في سورة محمد ذكر إحباط الأعمال وقبولها ١٢ مرّة في ٣٨ آية وهذا لأهمية الأعمال في حياة المسلم، وتربط السورة دائماً مسألة قبول أو إحباط الأعمال بإطاعة الرسول عليه السلام واتّباع أوامره وسنّته.

كما جاء في السورة ذكر القتال؛ لأنه امتحان لصدق أتباع الرسول عليه السلام، وهو أمر شاقُ على الأنفس، فطاعة الرسول تتمثل في إقبالهم على الجهاد في سبيل الله، والحبوط لغة هو انتفاخ بطن الدّابة حيت تأكل نوعاً ساماً من الكلأ ثم تلقى حتفها، وهذا اللفظ أنسب شيء لوصف الأعمال التي يظنّ أصحابها أنها رابحة، ولكنها تنتهي إلى البوار.

قال تعالى في طاعة الرسول وارتباطه بقبول أو إحباط الأعمال:

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ ﴾ .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ﴾ .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾.

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾.

ثم تتوسط السورة آية محورية ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾ تخبر المسلمين أنه أولى لهم طاعة الرسول عليه السلام إذا أرادوا قبول أعمالهم؛ لأنّ كل طريق غير طريق محمد هو ضلال كما قال عليه السلام.

وقد قال الإمام ابن حنبل: نظرت في القرآن فوجدت (أطيعوا الرسول) ٣٣ مرة، ثم سمعت قوله تعالى ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾.

وختمت السورة بذكر عقاب المؤمنين الذين لا يتّبعون الرسول عليه السلام.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾.

سميّت السورة بـ (محمد) تذكيراً باتباع محمد عليه السلام الذي هو مقياس لقبول الأعمال.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الإحباط والتكفير؟

الجواب :

١ـ الإحباط هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ وهو من قولك: حبط بطنه إذا فسد بالمأكل الرديء.

٢ـ التكفير هو إبطال السيئات بالحسنات، قال تعالى: ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ
بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما سبب نصب ﴿ فَضَرْبَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾؟

الجواب :

١ـ ضربَ الرقاب: ضربَ: مفعول مطلق بتقدير: فاضربوا ضربَ الرقاب.

مثل: صبراً جميلاً. ويقول النحاة: إنه منصوب؛ لأن هذا الضرب موقوف في هذه المعركة فقط ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وليس كالملاقاة العادية في الشارع والطرقات.

٢ـ هي منصوبة. بعض العلماء يعربه صفة لموصوف محذوف، ومنهم من يعربه مفعولاً مطلقاً، يعني (فاضربوا الرقاب ضرباً) فهذا مفعول مطلق والفعل محذوف، أو (فعليكم ضرب الرقاب)، لكنّ إعرابها: مفعول مطلق منصوب.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾؟

الجواب :

١ ـ هذه أبلغ، وكأنّ في ذلك نوعاً من الإسراع في القتل، فبدل أنْ يقول: فاضربوا الرقاب ضرباً، هو يريد التأكيد، فحذف وبدأ بها ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾.

المؤمنون في القتال أشداء على الكفار رحماء بينهم، وهم أمام المقاتل يكونون أشداء، حتى إذا تسامع الناس كيفية قتال المسلمين يخافون، ولا يكون قتالهم ضعيفاً ليّناً؛ لذا بدأ بقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أي تدخل عليهم مباشرة بضرب الرقاب.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ بالنصب على المصدر؛ أي: اضربوا ضرب الرقاب، وجاءت بالصيغة الفعلية؛ لأنّ وقت المعركة محدود وليس مستمراً ثابتاً كقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ بالصيغة الاسمية.

السؤال الثالث :

استخدم في بقية الآية أفعال ﴿فَشُدُّواْ﴾، ﴿فَشَرِّدْ﴾ إلا في ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ فما دلالة هذا الاستعمال؟

الجواب :

١ـ المصدر هو لتأكيد فعله، فكان ممكناً في غير القرآن أنْ يقول: فاضربوا رقابهم ضرباً، وهذا هو المعنى، وقارن بين قولنا (فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم ضرباً) فهذه الجملة نائمة وفيها رخاوة، لكنْ في قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أسقط الفعل

وجاء بالمؤكد، فحافظ على التوكيد وفيها معنى السرعة في المجابهة ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾، أنت لقيته فينبغي أنْ تكون شديداً.

٢ـ هذه الشدة ليست مطلوبة بعد ذلك في لفظ (أثختنموهم)، ولم يقل إثخاناً لكنْ قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾ أي إذا وقع هذا منكم فقوموا بعمل شد الوثاق للأسرى. وقوله تعالى: ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾ أي أمر إرشاد.

ثم بعد ذلك قال: ﴿ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ ﴾ فقدّم المنّ الذي هو العفو والصفح عن الأسرى، إذن ليست المسألة مسألة حقد، وإنما إزاحة هذه العقدة التي تحول بينكم وبين إبلاغ رسالة الله تعالى، فإذا زالت قوة هؤلاء الذين كانوا يقاتلونكم وهم حريصون على قتلكم، فإمّا المنّ وإمّا الفداء.

٣ـ وقوله تعالى :﴿مَنَّۢا ﴾ مفعول مطلق، وقوله: ﴿فَإِمَّا ﴾ تفصيلية، حرف تفصيل: إمّا كذا وإمّا كذا.

و﴿بَعۡدُ ﴾ ظرف زمان مبني على الضمّ، والأصل أنْ يكون مبنياً.

٤ـ ما البناء؟ يقولون: الكلمة العربية لها ثلاث مراتب:

أ ـ المرتبة العليا: الاسم الأمكن يكون مُعرباً ويجر بالكسرة، وينوّن مثل: زيدٌ.

ب ـ المرتبة الثانية: هي مرتبة الفعل وهو لا ينوّن ولا يُجرّ بالكسرة، فإذا هبط الاسم من الرتبة الأولى إلى الرتبة الثانية تُسلب منه هاتان الصفتان لأنه صار يشبه الفعل، فمثلاً

كلمة (زينب) اسم علم لكنه اسم علم مؤنث أشبه بالفعل في جوانب فهو لا يجرّ بالكسرة ولا ينوّن، تقول: سلّمت على زينبَ لا ينوّن ولا يُجرّ بالكسرة.

ج ـ وإذا هبط الاسم إلى الدرجة الثالثة يُبنى؛ مثل كلمة سيبويهِ،ومثل: ﴿قَبۡلُ﴾.

السؤال الرابع:

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

السؤال الخامس :

ما دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ بالنصب على المصدر أي: اضربوا ضرب الرقاب، وجاءت بالصيغة الفعلية؛ لأنّ وقت المعركة محدود وليس مستمراً ثابتاً كقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ بالصيغة الاسمية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ أي أمر إرشاد.

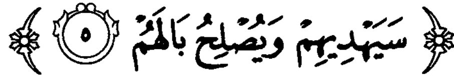
٣ـ قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي حالهم بعد الأسر غير منحصر في الأمرين، بل يجوز القتل والاسترقاق والمن والفداء، ونقول: هذا إرشاد. فذكر القرآن الأمر العام

الجائز في سائر الأجناس، والرسول ﷺ كان معهم فلم يذكر الاسترقاق، وأمّا القتل فقد ذكره في قوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ فلم يبق إلا المن والفداء.

٤ـ نصب (مناً وفداءً) لكونهما مصدرين بتقدير: فإمّا تمنون مناً وإمّا تفدون فداءً. وقُدّم المن على الفداء، وفيه إشارة إلى ترجيح حرمة النفس على طلب المال، والفداء يجوز أنْ يكون مالاً أو أنْ يكون بغيره من الأسرى.

٥ـ قدّم المن على الفداء في الآية إشارة إلى ترجيح حرمة النفس على طلب المال؛ لأنّ المجاهد يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، لا للمغنم المادي والكسب الدنيوي.





﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾

السؤال الأول:

ما معنى الهداية بعد القتل في قوله تعالى في سورة محمد: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ والآية وردت في حق الذين قتلوا؟

الجواب:

١ـ هذه الآية جاءت ضمن مجموعة من الآيات تتحدث عن نتائج غزوة أُحُد. وفي أُحُد كان عدد من الشهداء غير طبيعي بالقياس إلى بقية غزوات الرسول ﷺ. والآية تقول في سورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا

بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾.

٢ـ جمهور القُرّاء قرءوا ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيُنتفى السؤال عند ذلك. وحفص قرأ ﴿قُتِلُوا۟﴾ و شعبة قرأ (قاتلوا) وهما راويا عاصم.

و القبائل حول الكوفة كثيرة، وعاصم سمع من هؤلاء وهؤلاء، فأقرأ حفصاً (قُتلوا) وأقرأ شعبة (قاتلوا)؛ لأنّ هذه القبائل نقلت هذه القراءة عن الرسول ﷺ والتغير في الفعل لا يحتمل تغييراً كبيراً؛ لأنّ الذين قاتلوا في سبيل الله سيهديهم ويصلح بالهم، والذين قتلوا كانوا قد قاتلوا في سبيل الله فهؤلاء وهؤلاء سواء، فإذا كانوا قاتلوا فهذه بشارة لهم أنّ الله تعالى سيدخلهم الجنة.

٣ـ الهداية تتعلق في الحالين: الذين قاتلوا والذين قتلوا، فالهداية للمقتولين هي إلى الجنة، كما في الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣] هذا في الجنة، فالهداية إلى الجنة، والشهيد يهديه الله سبحانه وتعالى إلى الجنة ويصلح باله ويرتاح فيها.

وأمّا غير الشهيد المقاتل فيهديه الله أيضاً في الدنيا والآخرة؛ لأنه قاتل في سبيل الله، فكأنّ الله سبحانه وتعالى يبشّره بالجنة، فالأمران سواء والقراءتان تؤديان إلى معنى واحد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿تَنصُرُوا﴾ ما كلمات ألطاف الله على عباده المؤمنين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنفال ٢٦.



﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية محمد ٩: ﴿أَنزَلَ﴾ وفي آية محمد ٢٦ ﴿نَزَّلَ﴾ فما الفرق بين نزّل وأنزل؟

الجواب :

بشكل عام (نزّل) أقوى من (أنزل) والأولى فيها تشديد دون الثانية.

من النظر في السياقين يظهر الفرق بين التعبيرين:

الآيات [٨ـ ١١]: قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)

۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١)﴾ [محمد: ٨ – ١١].

الآيات [٢٥ ـ٢٩]: قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ ﴾[محمد: ٢٥ – ٢٩].

البيان:

١ ـ الآيات الأولى [٨ ـ١١]:

ـ الآيتان ٨ و٩ تتكلمان عن الكافرين، وما بعد ذلك يكون الكلام على من قبلهم من الأمم.

ـ قال: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ﴾

ـ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ و ﴿بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾

٢ ـ الآيات الثانية[٢٥ ـ٢٩]:

ـ الآيات ٢٥–٢٩: سياقها بأجمعها عن الكفر.

ـ قال في الآية ٢٧: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾ فالتهديد أشد، وصفات الكفر أشد؛ وذلك أنه ذكر :

أ– ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، أي ارتدوا بعد علم.

ب- أنّ الشيطان سوّل لهم وأملى لهم.

ج- أنهم سيطيعون الذين كرهوا ما نزّل الله في بعض الأمر.

د- أنهم اتبعوا ما أسخط الله.

هـ- وكرهوا رضوانه.

ح- وأنّ في قلوبهم مرضاً.

ط- أنهم يُبطنون الأضغان.

لذلك يظهر من السياق أنّ السياق في الآيات الثانية أشد وأقوى في الهجوم على الكفر وأهله، فاستعمل ﴿نَزَّلَ﴾ لما هو أشد وأقوى.



﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر الله تعالى نفسه مع إهلاك المفسدين؟

الجواب:

١ـ يسند الله الأمر إلى ذاته في مقام المدح ويبني الفعل للمجهول في مقام الذم.

٢ـ وكذلك فإنّ إهلاك المفسدين وتدمير الظالمين والبطش بهم هو من الخير العام، وليس من الخير المطلق أنْ يُترك المفسد يعيث في الأرض يسفك الدماء، بل البطش به

وعقوبته وإزالته واستئصاله من أكبر الخير ولذلك قد يظهر الله فيه نفسه، وذلك كما في آيات :[الأسراء ١٦ـ الحج ٤٤ـ-٤٥ـ الفرقان ٣٧ ـ محمد ١٠ ـ هود ٨٢ـ ٨٣].

فإنّ في نسبة الأمر إليه في عقوبة هؤلاء وإزالتهم وإنزال بالغ نقمته عليهم ما لا يخفى من الخير.



﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾

السؤال الأول :

قال في حق المؤمن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ﴾ بصيغة الوعد بالصيغة الفعلية وقال في حق الكافر: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ بالصيغة الاسمية الدالة عن الاستحقاق، فما السبب؟

الجواب :

السبب أنّ الإحسان بدخول الجنة ليس هو استحقاق، وإنما بفضل الله وكرمه فقال بالوعد: ﴿يُدۡخِلُ﴾ أي: يدخل بفضله وكرمه، وأمّا الكافر فهو مستحق للعذاب بسبب كفره.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة عدم ذكر كلمة (تجري) للأنهار في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ .. ﴾؟

الجواب :

في آيات القرآن الكريم، وعند الحديث عن الماء وعن الأنهار في الجنة إمّا يقول: (تجري) وإمّا يقول: (ماء غير آسن) ولا يجمع بينهما في نفس الموضع.

وفي الآية لم ترد كلمة (تجري) للأنهار؛ لأنه ذكر فيها أنّ الماء غير آسن. والآسن لا يكون إلا بركود الماء فلم يتطلب السياق ذكر كلمة (تجري).

أمّا في قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ فلم يكن هناك من داع لتحديد (غير آسن)؛ لأن وصف الأنهار جاء بالجريان، الأمر الذي لا يؤدي إلى أنْ يأسن الماء.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين حميم ويحموم؟

الجواب :

١ـ الحميم هو الماء الحار ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥] من حمّ والحمّى. والحميم يأتي من الشيء وضده، حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً (مشترك لفظي).

٢ـ اليحموم هو الدخان الأسود الشديد السواد ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾[الواقعة: ٤٣].

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ما الحكمة منه بعد وصف النعم على أهل الجنة، والمغفرة سابقة لتلك النعم؟

الجواب :

أنّ (الواو) لا توجب الترتيب في الأخبار، وإفاضة النعم لا يلزم منه الستر، فذكر الله سبحانه أنه مع ذلك ستر ذنوبهم ولم يفضحهم بها. والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

ذكر القرآن الكريم ٢٣ نوعا من المياه لكل منها طبيعته الخاصة، وهي :

١ – الماء المغيض: وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها. غاض الماء: قلّ ونقص.

قال تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[هود: ٤٤].

٢- الماء الصديد: وهو شراب أهل جهنم.

قال تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٦].

٣- ماء المهل: وهو القطران والمذاب من معادن أو زيت مغلي.

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ [الكهف: ٢٩].

٤- ماء الأرض: الذي خلق مع خلق الأرض. ويظل في دورة ثابتة حتى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المؤمنون: ١٨].

٥- الماء الطهور: وهو العذب الطيب.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٨].

٦- ماء الشرب.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾ [النحل: ١٠].

٧- الماء الأجاج: وهو شديد الملوحة، وهو غير مستساغ للشراب.

قال تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣].

﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر: ١٢].

﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٠].

٨- الماء المهين: والضعيف والحقير، ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة: ٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[المرسلات: ٢٠].

٩- الماء غير الآسن: أي غير متغير الرائحة، والآسن من الماء مثل الآجن، وقد أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً إذا تغيرت رائحته.

قال تعالى واصفا أنهار الجنة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾[محمد: ١٥].

١٠- الماء الحميم: حم الماء: أي سخن، والماء الحميم: شديد السخونة والغليان.

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد: ١٥].

١١- الماء المبارك: الذي يحيي الأرض، وينبت الزرع، وينشر الخير.

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾[ق: ٩]

١٢- الماء المنهمر: وهو الماء المتدفق بغزاره ولفترة طويلة من السماء فيهلك الزرع والحرث، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾[القمر: ١١].

١٣- الماء المسكوب: الملطف للأرض ويعطى الإحساس بالراحة للعين.

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الواقعة: ٣٠- ٣١].

١٤- الماء الغور: الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها فلا ينتفع منه.

قال تعالى: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف: ٤١].

١٥- الماء المعين: الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الملك: ٣٠].

١٦- الماء الغـدق: أي الوفير.

قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن: ١٦].

١٧- الماء الفرات :الشديد العذوبة.

قال تعالى: ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٧].

١٨- الماء الثجاج: وهو السيل.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النبأ: ١٤].

١٩- الماء الدافق:وهو منى الرجل يخرج في دفقات.

قال تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الطارق: ٦].

٢٠- ماء مـدين :

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص: ٢٣].

٢١- الماء السراب: ما تراه العين نصف النهار كأنه ماء.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ [النور: ٣٩].

٢٢- ماء الأنهار و الينابيع: وهو الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك معروفة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١].

٢٣- الماء السلسبيل: وهو ماء في غاية من السلاسة وسهولة المرور في الحلق من شده العذوبة وينبع في الجنة من عين تسمى سلسبيلاً؛ لأنّ ماءها على هذه الصفة.

قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٨].



﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في اسخدام المفرد مرة (من) والجمع مرة أخرى(خرجوا) في الآية ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ ﴾؟

الجواب:

١ـ (مَن) لها لفظ ومعنى، ويُعبّر عنها بالواحد أو الجمع، يقال: جاء من حضر. (اللفظ مفرد مذكر وحقيقته: مفرد أو مثنى أو جمع).

٢ـ هناك قاعدة نحوية تقول: في كلام العرب يراعى المفرد أولاً ثم الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ ﴾ وقوله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ ﴾ وليس غريباً هذا الاستخدام في اللغة.

٣ـ لذلك (مَن) في اللغة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وعادة نبدأ لفظها أولاً على حالة الإفراد والتذكير، ثم نحملها على معناها وهذا هو الأفصح عند العرب. كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ و ﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا ﴾ فتأتي بالإفراد والتذكير أولاً، ثم يؤتى بما يدلّ على المعنى من تأنيث أو جمع أو تثنية.

السؤال الثاني :

متى يأتى الفعل ﴿ يَسۡتَمِعُ ﴾ متعدياً فى القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع بحيث يقول (إليك) لا بدّ أنْ يجري ذكر الرسول في سياق الآية. فإذا قال (إليك) فلا بدّ أنْ يذكر شيئاً يتعلق بالرسول عليه السلام.

*شواهد قرآنية :

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥ ﴾[الأنعام: ٢٥]

المخاطب هو الرسول ﷺ.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد: ١٦] متعلق بالرسول ﷺ ﴿ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس: ٤٢] المخاطب هو الرسول ﷺ.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٧]. وهنا لم يرد ذكر الرسول مطلقاً.

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ [الجن: ١] وهنا في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً. القصد هو ذكر القرآن وليس الرسول ﷺ. فلم يعدِّ الاستماع إليه.

٢ـ فحيث يقول: ﴿ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ أو ﴿ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ يجري ذكر الرسول عليه السلام في السياق.



﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

نحن نعلم أنّ لله سبحانه هدايتين: هداية دلالة وهداية معونة.

أمّا هداية الدلالة فهي للمؤمن والكافر، فيدل الله الجميع على المنهج ويريهم آياته، وتُبَلِّغُ الرسلُ منهجَ السماء الذي يوضح الطريق إلى رضاء الله والطريق إلى سخطه.

فمن آمن بالله دخل في مشيئة هداية المعونة فيعينه الله في الدنيا ويعطيه الجنة في الآخرة، وأمّا من يرفض هداية الدلالة من الله، فالله لا يعطيه هداية المعونة؛ لأنّ الكفر سبق من العبد.

وكذلك الظلم والفسق، فيكون قد منع نفسه هداية المعونة بارتكابه لتلك الآثام، لذلك يقول الحق سبحانه :

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾[التوبة: ٣٧].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

إذن هم الذين قدّموا الكفر والظلم والفسوق فمنعوا أنفسهم هداية المعونة أمّا المؤمن فيقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

السؤال الثاني :

في آية طه٨٣ قدّم الإيمان على الاهتداء، وفي آية سورة محمد ﷺ رقم ١٧ أخّر الاهتداء عن الإيمان والعمل الصالح، فلماذا؟

الجواب :

المراد بقوله: ﴿ ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي دام على هدايته، كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ أي ثبتنا عليه وأدمنا.



﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩] و ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥] مع أنّ كليهما لنفي الجنس؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ص ٦٥.

ملاحظة :

يقول الدكتور: فاضل السامرائي حفظه الله ورعاه :

وأنا أؤلف كتاب معاني النحو حدثت حادثة غريبة، فأنا عادة مع كل موضوع وقبل أنْ أشرع في الكتابة فيه أضع خطة للموضوع ما يتعلق بالمعنى، إلى أنْ وصلت إلى (لا) النافية للجنس أيضاً فوضعت الخطة ورجعت للمراجع والقرآن وبدأت أكتب.

وإذا واحد بالمنام يأتيني فقال: هناك مسألة في لا النافية للجنس لم تذكرها، قلت له: ما هي؟

قال: ما الفرق بين: (لا رجلَ في الدار) و(ما من رجلٍ في الدار)، مع أنّ كليهما لنفي الجنس؟ (من) الاستغراقية لنفي الجنس ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩] و ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥ ﴾[ص: ٦٥] كلاهما لنفي الجنس.

وما كنت قد فكرت بها أصلاً، ولا أدرجتها في الخطة.

وقال لي: لمْ تذكر الفرق بينهما في المعنى.

فقلت له: صحيح وذكرت له الجواب في المنام. فقال: صح.

ثم استيقظت فتذكرت السؤال ونسيت الجواب.

بدأت أبحث في الكتب ولم تذكر الكتب الفرق بينهما.

لا أعلم من الهاتف الذي جاءني في المنام، وبقى السؤال في ذهني ولم أذكر ماذا أجبته. ورجعت إلى المراجع التي بين يدي فلم أجد في كتب النحو التي بين يدي هذا الجواب، فبدأت من جديد أنظر في المسألة ورجعت للقرآن من جديد أفكر، وبقيت أكثر من نصف شهر أفكر في المسألة وأقلب فيها، ثم اهتديت إلى الجواب فتذكرت أنّ هذا الجواب هو الذي أجبت الهاتف به.

السؤال الثاني :

ما إعراب: أشهد أن لا إله إلا الله؟

الجواب :

ـ أشهد: فعل مضارع مرفوع، وفيه ضمير مستتر فاعل.

ـ أنْ: مخففة من الثقيلة وأصلها ـ أنّ ـ واسمها ضمير الشأن محذوف والتقدير: أنه

ـ لا: نافية للجنس.

ـ إله: اسمها مبني على الفتح.

ـ إلا: أداة حصر أو إستثناء.

ـ اللهُ: لفظ الجلالة بدل من خبر (لا) المحذوف، وتقديره: موجود، أي لا إله موجود إلا الله، ولا يصح أنْ يكون خبر (لا)؛ لأنّ لا النافية للجنس تدخل على النكرة فقط، ولفظ (الله) معرفة، فلا يمكن أنْ تعرب خبر لا النافية للجنس، ولذلك كان الخبر محذوفاً. وكثيراً ما يحذف خبر لا النافية للجنس.

وجملة (لا واسمها وخبرها) في محل نزع الخافض، أي: أشهد بأن لا إله إلا الله، لأنّ (شهد) يتعدى بالباء وهي داخلة على أنْ المصدرية. وأنْ: حرف مصدري والمصدر المؤول هو الذي يدخل عليه حرف الجر كقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

في آية القيامة[٣٤ـ٣٥] كرر اللفظ والدعاء للتوكيد ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ بخلاف آية سورة محمد ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ فلم يكررها فلماذا؟

الجواب :

١ـ السبب أنّ المذكور في آية القيامة أشد كفراً وضلالاً من المذكور في آية سورة محمد، حيث قال: ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ وهؤلاء هم من ضَعَفَة الدين.

وكذلك فإنّ المذكورين في سورة محمد أخبر عنهم وهم أحياء، وربما يتوبون فباب التوبة مفتوح، بعكس المذكورين في سورة القيامة فأخبر عنهم بعد الموت وقد ماتوا على التكذيب.

٢ـ كذلك ذكر في آية سورة محمد صفة واحدة وهي الجبن عن القتال فهددهم مرة واحدة، في حين ذكر أكثر من صفة من صفات الكفر في سورة القيامة فكرر تهديدهم. وبيان ذلك:

- ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ .... ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾.

- ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾. .... ﴿فَأَوْلَىٰ﴾.

ثم كرر هاتين الصفتين وأكدهما بمعناها فقال: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بمعنى: فلا صدق ثم قال: ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ وهي إثبات لعدم الصلاة وغيرها من الطاعات لذلك الآية الثانية تكرير وتوكيد لما في الآية الأولى.



﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى عسى في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ٥٢.



﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (أم) في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] هل هي متصلة أم منقطعة؟

الجواب :

١ـ العلماء يختلفون أحياناً في تفسير النص سواء كان آية أو غيرها.

٢ـ سيبويه ذهب إلى أنها متصلة. والمتصلة هي التي يُجاب عنها بالتعيين ولا يستغني ما بعدها عما قبلها، مثلاً: أعندك دفتر أم قلم؟ ستجيب عندي كذا. أرأيت محمداً أم خالداً؟ يجاب عنها بالتعيين بمعنى (أيّ)، أيهما عندك؟ أنت تجيب بالتعيين هذا أو ذاك، أضربت خالداً أم وبّخته؟ تجيب بالتعيين.

وقد تأتي (أم) بعد لفظة (سواء)، كما في الآيات :

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾﴾[إبراهيم: ٢١].

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾[يس: ١٠].

٣ـ وأما المنقطعة فتأتي بمعنى (بل) أي جملة منفصلة كما في الآيات :

﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾[القلم: ٣٥ – ٣٩] بمعنى (بل).

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[ص: ٢٨] بمعنى (بل).

﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[الطور: ٣٩].

﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[الطور: ٣٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [السجدة: ٣] بمعنى (بل).

﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ [الرعد: ١٦] ينتقل إلى أمر آخر وسؤال آخر ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ ﴾ وما بعدها ليس مرتبطاً بما قبلها، هذه المنقطعة.

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾[الشورى: ٢١].

المنقطعة جملة منفصلة أهذا أم هذا؟ بمعنى (بل)، وهذا يسمى: (إضراب عن حُكم آخر). وكلها يضرب سؤالاً ثم ينتقل إلى سؤال آخر فهي منقطعة.

٤ـ بالنسبة للآية ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فيها احتمالان:

أ- على رأي سيبويه الذي قال: أرى أنها متصلة يعني هل حصل هذا أو هذا؟ أفلا يتدبرون القرآن الذي وصل إليهم أم على قلوب أقفالها؟ ستجيب بأحدها مثلاً :على قلوب أقفالها.

ب ـ والآخر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يعني: هم ليسوا متدبرين بل على قلوب أقفالها، وهذه للتوبيخ.

ولذلك هنالك رأيان عند العلماء: قسم قال هي متصلة وذهب إلى معنى الاتصال، وقسم قال هي منقطعة، ويراد بها التوبيخ.

٥ـ التعبيرات في العربية على قسمين: تعبيرات احتمالية تحتمل أكثر من معنى، وتعبيرات قطعية ليس لها إلا معنى واحد ودلالة واحدة.

السؤال الثاني :

ما دلالة تأخير ﴿أَقۡفَالُهَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد: ٢٤]؟

الجواب :

الضمير في ﴿أَقۡفَالُهَآ﴾ يعود على متقدم، فلو أخّرنا الضمير يصبح على متأخر لفظاً ورُتبة، وهو لا يصح في الكلام، فلا نقول: أقفالها على قلوب.

السؤال الثالث :

جاء في آية النساء ٨٢ ومحمد ٢٤ ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ بينما في آية المؤمنون٦٨ ﴿يَدَّبَّرُواْ﴾، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٨٢.



﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية محمد ٩﴿أَنزَلَ﴾ وفي آية محمد ٢٦﴿نَزَّلَ﴾ فما الفرق بين نزّل وأنزل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية محمد ٩.



﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما خطوط تحديد تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٣١.



﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (لو)؟ وهل هي أداة جازمة؟

الجواب :

(لو) ليست من الأدوات الجازمة. هي من أدوات الشرط غير الجازمة مثل (إذا)، ولها معان، فقد تكون حرف امتناع لامتناع، أو حرف شرط من دون امتناع، وهي لا

تجزم أصلاً، مثل ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ [محمد: ٣٠] وبعدها الفعل المضارع يكون مرفوعاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين اللحن والخطأ؟

الجواب:

١ـ اللحن هو صرفك الكلام عن جهته، ثم صار اسماً لازماً لمخالفة الإعراب. واللحن لا يكون إلا في القول.

٢ـ الخطأ إصابة خلاف ما يُقصد، وقد يكون بالقول وبالفعل، فيقال: أخطأ في فعله، ولا يقال: لحن في فعله، بل لحن في قوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾.

٣ـ اللَحَن: بالتحريك هو الفطنة، ومنه قوله عليه السلام: « **لعلّ بعضكم ألحن بحجته** »



﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (حتى نعلم)، مع أنّ الله تعالى هو العليم الخبير﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٣١]؟

الجواب :

لا شك أن ربنا عالم بالشيء قبل وقوعه، وهو الذي كتب كل شيء، لكنه يقصد العلم الذي يتعلق به الجزاء. ربنا يجازي الشخص على عمله لا على علمه فقط، يعلم ويعمل ويجازيه. وهذا العلم الذي يتعلق به الجزاء هو في القرآن كثير:

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ [الحديد: ٢٥] ربنا يعلم، لكنْ يريد من ينصره ورسله في واقع الحياة، لمقصود علمه بعد عمل المرء.

﴿ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٤٣] هو يعلم قبل ذلك لكنّه علم يتعلق به الجزاء، وهو تطبيق عملي على ما في علم الله.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٣١].

السؤال الثاني :

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب :

١ـ النبأ - كما يقول أهل اللغة- أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة. ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢] وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ [ص: ٦٧] ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[النبأ: ٢].

والنبأ في اللغة هو الظهور، وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم.

وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن نبأ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾[التغابن: ٥].

٢ـ وقد يسأل أحدهم: جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[محمد: ٣١] فلم لم يقل: نبلوا أنباءكم؟

والجواب أنّ هذا يدل على عِظم النبأ؛ لأنه إذا بلى القليل من الأخبار فقطعاً سيبلي الكثير، وإذا اختبر القليل فهو بالتأكيد يختبر الكثير. وإذا قال: (نبلوا أنباءكم) تحتمل أنْ تعني: لا يبلوا أخباركم، فهل إذا بلى ما هو قليل سيترك ما هو أعظم؟ بالطبع: لا، فهو سيبلو الأنباء التي هي أعظم.

٣ـ والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر (أخبر) ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾[الكهف: ١٠٣].

٤ـ ملحوظة: في نشرات الأخبار التي تقدمها الإذاعات إنْ كان الخبر عظيماً يجب أنْ يقال نشرة الأنباء، وإنْ كان خبراً عادياً يقال نشرة الأخبار.

والمُراد من هذا كله أنّ النبأ أعظم من الخبر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية محمد ٣٢: ﴿لَن يَضُرُّواْ﴾ بدون فاء، وفي آية محمد ٣٤ ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ مع الفاء، فما السبب؟

الجواب :

جرّد الآية الأولى ٣٢ من (الفاء)، وجاء في الآية الثانية ٣٤ بـ(الفاء) توكيداً؛ لأنهم ماتوا وهم كفار.



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا يرد في القرآن أحياناً ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وأحياناً أخرى يرد ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾؟

الجواب :

١ـ في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده، ولم يجر ذكر الرسول ﷺ في السياق أو أي إشارة إليه، كما جاء في سورة آل عمران ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

٢ـ والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور: ٥٤] و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد: ٣٣] وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الإحباط للأعمال الأخروية أو فسادها؟

الجواب :

الكلمات هي: حبط ـ فسد ـ بطل.

انظر الجواب في آية الكهف ١٠٥.



﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر الفاء وحذفها في بعض الآيات؟

الجواب :

هناك أمران:

أ ـ الأول أنّ (الفاء) تكون للسبب (سببية) " درس فنجح" وهذا هو المشهور في معناها، فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها، أي الذي قبلها يفضي لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو؛ لأنه لمطلق الجمع. نحو: "لا تأكل كثيراً فتمرض" ويُنصب بعدها المضارع.

ب ـ ثم إنّ (الفاء) يؤتى بها في التبكيت؛ أي التهديد.

ولوكان عندنا عبارتان إحداهما فيها (فاء) والأخرى بغير(فاء) وهو من باب جواز الذِكر وعدم الذِّكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً.

* شواهد قرآنية :

١ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ ﴾[النساء: ١٣٧] ليس فيها فاء.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[محمد: ٣٤] لأنهم لا تُرجى لهم توبة. ففي الأولى هم أحياء قد يتوبون. لم يذكر الموت فلم يأت بالفاء، ولمّا ذكر الموت جاء بالفاء.

٢ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٠].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ٩١].

الآيتان فيهما نفس التعبير، وهو النفي بـ (لن) واحدة جاءت بالفاء مع الذين: ﴿ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ انتهى عملهم، فجاءت الفاء للتوكيد.

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين: السِّلْم ـ والسَّلْم ـ والسَّلَم؟

الجواب :

السِّلْم – بكسر السين وتشديدها وسكون اللام هو الإسلام، وكل الناس مأمورون بالدخول فيه كافة، وهو السلام.

السَّلْم: بفتح السين وكسرها، يُذكّر ويؤنث، هو الصلح أوهو الميل إلى الاستسلام والمسالمة وترك القتال والحرب، وهذه دعوة موجهة إلى الكفار ليجنحوا إليه وهو محرم على المسلمين.

السَّلَم: بفتح السين وتشديدها وفتح اللام هوالسّلف، وهوأيضاً الاستسلام الذليل المهين، حيث يُلقي الكفار للمسلمين السَّلَم في الدنيا.



﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الدعاء والمسألة والنداء والصوت؟

الجواب :

١ـ المسألة: يقابلها الخضوع والاستكانة؛ ولهذا قالوا: المسألة ممن دونك والأمر ممن فوقك، والطلب ممن يساويك.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ فهو يجري مجرى الرفق في الكلام واستعطاف السامع به، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

٢ـ الدعاء: إذا كان لله تعالى فهو مثل المسألة، ويكون معه استكانة وخضوع، وإذا كان لغير الله جاز معه الخضوع أو عدمه كدعاء النبي عليه السلام أبا جهل إلى الإسلام، فلم يكن فيه استكانة.

٣ـ النداء: هو رفع الصوت بما له معنى، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه وفي القرآن ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي يأخذه العذابُ كأنه يدعوه إليه.

٤ـ الصوت عام في كل شيء.



﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام صيغة المضارع فى قوله تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾[محمد: ٣٧] ؟

الجواب :

١ـ استخدام صيغة الماضي والمضارع في القرآن كثير، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣] أي كلما سنحت له الفرصة قتل، وهذا دليل التكرار؛ لذا جاء الفعل بصيغة المضارع.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ صيغة المضارع؛ لأنّ الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله، أما ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ جاء بصيغة الماضي؛ لأنّ الكفر يحصل مرة واحدة فقط.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ [محمد: ٣٧] سؤال متكرر؛ لأنّ سؤال الأموال متكرر، فجاء الفعل بصيغة المضارع.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الكهف: ٧٦] السؤال حصل مرة واحدة، فجاء بصيغة الماضي.

٢ـ لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٠.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة مجيء الفعل ﴿تَتَوَلَّوۡاْ﴾ بتاءين ولم يحذف أحدهما؟

الجواب :

قال في الآية ٣٨: ﴿ تَتَوَلَّوۡاْ ﴾ بتاءين؛ وذلك لأنّ المقصود بالتولي هنا هو التولي عن الإيمان والتقوى، فجاء بالتولي تاماً فلم يحذف من الفعل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٦-٣٨].

السؤال الثاني :

ورد في الآية كثير من حروف الجر، فما معانيها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٨٦.



رابعاً ـ تناسب فواتح سورة محمد مع خواتيمها :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة :

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ①﴾.

وقال في أواخرها :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ㉜﴾.

وقال أيضاً :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ㉞﴾ فذكر في الأول والأواخر الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

وذكر في الآية الأولى أنه أضل أعمالهم.

وذكر في الأواخر أنه سيحبط أعمالهم ولن يغفر لهم، وهذا عاقبة ضلال الأعمال.

٢ ـ قال في أوائلها مخاطباً الذين آمنوا :

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾.

وقال في أواخرها مخاطبا الذين آمنوا :

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ㉟﴾.

فكأنهما آيتان متتابعتان في موقف الحرب.

٣ ـ قال في أوائل السورة :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾.

وقال في أواخرها :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ فاتباع الحق الذي ذكره في أوائل السورة إنما هو في إطاعة الله والرسول التي ذكرها في أواخرها.

٤ ـ قال في أوائل السورة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ وبيّن في آخرها أنّ نصر الله إنما يكون بالجهاد بالنفس والإنفاق في سبيل الله.

فقال في الجهاد بالنفس: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ وهذا في الجهاد بالنفس.

وقال في آخر السورة: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ وهذا نظير قوله سبحانه ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

والله أعلم.



سورة الفتح

أولاً ـ تناسب خواتيم محمد مع فواتح الفتح:

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة محمد :

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾.

وقال في أول سورة الفتح :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ
صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾.

٢ ـ وقال في أواخر سورة محمد :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾.

وقال في أوائل الفتح :

﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ
دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾.

والذين لا يغفر الله لهم يعذبهم.

فكأنهما آيتان متتاليتان.

٣ ـ قال في أواخر سورة محمد :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.. . ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾والسياق في سورة الفتح إنما هو في الجهاد والمبايعة على النصر.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾. . . ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ ... ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾. . . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه تقدم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ الآية، وهو خطاب لكفار قريش، أخبر رسوله بالفتح العظيم وأنه بهذا الفتح حصل الاستبدال، وآمن كل من كان بها، وصارت مكة دار إيمان)).

ثانياً ـ هدف السورة :

سورة الفتوحات والتجلّيات الربانية :

سورة محمد والفتح والحجرات يجمعها محور واحد وهو الرسول ﷺ والسور الثلاثة مدنية، ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة.

نزلت هذه السورة الكريمة على الرسول عليه السلام بعد عودته من صلح الحديبية، ولّما نزلت فرح بها فرحاً شديداً، وقال: «**أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها**». وقد كان الصحابة محبطين من منعهم من أداء العمرة، ثم عقدوا صلح الحديبية فكانت فترة الصلح بمثابة الهدنة. ومن عظيم الخطاب القرآني وعظم الرسالة

أنْ تسمّى هذه السورة الفتح مع أنها تتحدث عن فترة هدنة وصلح، وهذا دليل على أنّ الإسلام يدعو للصلح ولا يدعو للحرب كما يتصوره البعض من ضعفاء النفوس، ولقد كانت فترة الهدنة هذه من أهمّ الفترات في انتشار الرسالة وإسلام العديد من الناس وهي أكثر فترة ينتشر فيها الدين. ولقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرسول ﷺ: أفتح هو؟ قال: يا عمر إنّه لفتح. وهي من أكثر السور التي ذكر فيها الصحابة بخير؛ لأنهم لمّا غضبوا بعد منعهم من العمرة كان غضبهم لله ورسوله، وليس لأنفسهم فكانوا مخلصين في إحساسهم وغضبهم لدينهم فجاء التفضّل عليهم من رب العزة بالمدح والثناء عليهم في هذه السورة الكريمة.

وهذه السورة هي سورة الفتوحات بحق، فكل آية فيها تشير إلى نوع من أنواع الفتح نستعرضها فيما يلي:

١. مغفرة الذنوب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

٢. إتمام النعمة والهداية ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢].

٣. النصر ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ٣].

٤. إنزال السكينة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤]. نلاحظ ورود لفظة السكينة ٣ مرّات في السورة.

٥. الجنّة ﴿ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفتح: ٥].

٦.كشف المنافقين ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[الفتح: ٦].

٧.الرضا عن المؤمنين ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

٨. الغنائم ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الفتح: ١٩ – ٢٠].

٩. طمأنينة الأقلية المؤمنة في مكة ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفتح: ٢٥].

١٠. بشرى فتح مكة ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)﴾ [الفتح: ٢٧].

١١. إظهار الدين ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨)﴾ [الفتح: ٢٨].

١٢. الوعد بالمغفرة والنصر العظيم.

١٣. أكبر عدد دخل الإسلام بعد صلح الحديبية.

١٤. آية الرضوان ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾ [الفتح: ١٨].

فلماذا استحق المسلمون هذا الفتح كلّه؟ لأنهم ببساطة صدقوا الله في العبادة، وعلم الله صدقهم ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾ [الفتح: ١٨].

ثم تأتي الآيات تدل على مواصفات الفئة المستحقة للفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذه آية خطيرة؛ لأنها أوضحت صفات الرسول ﷺ والذين معه وجمعت لهم الصفات التي لم تكن عند اليهود والنصارى من قبلهم، جمعت لهم العبادة الخالصة لله ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ مقابل صفات اليهود الماديين الذين لم يتصفوا بالعبادة. وجمعت لهم صفة العمل والجد والنجاح ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بنيّة إغاظة الكفّار، وهذه صفات لم تكن عند النصارى الذين كانوا ربّانيين ورهباناً وروحانيّين ولم يكونوا يدعون للعمل، وكأنّ صفات المؤمنين الذين يستحقون الفتح من الله هي الصفات التي تجمع بين العبادة والعمل، فهم الأمة الوحيدة التي جمعت هاتين الصفتين معاً. اليهود كانوا ماديين فقط والنصارى كانوا روحانيين وربانيين فقط.

* لفتة:

في ختام سورة (محمد) السابقة ختمت السورة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

وختمت هذه السورة بصفات المؤمنين الذين يطيعون الرسول ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام صيغة الجمع في القرآن، مثل :[ضربنا، رفعنا، قلنا، أنزلنا، فتحنا] وغيرها مما ورد في القرآن؟

الجواب:

١ـ القرآن استعمل صيغة الجمع، كما في الآيات: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ﴾[الكهف: ١١] ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) ﴾[الشرح: ١ ـ ٤].

واستعمل صيغة الإفراد، كما في الآيات: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ﴾[المدثر: ١١ ـ ١٤].

٢ـ وفي صيغة الجمع يؤتى بما يسمى ضمير التعظيم، ويستعمل إذا كان المقام مقام تعظيم وتكثير، ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام توحيد أو مقام آخر كالعقوبة المنفردة.

٣ـ لكنْ من المهم أنْ نذكر أمراً، وهو أنه سبحانه وتعالى في كل موطن في القرآن الكريم- وبلا استثناء- إذا استعمل ضمير التعظيم لا بدّ من أنْ يأتي بعده أو قبله بما يدلّ على الإفراد؛ حتى يزيل أي شك من شائبة الشرك لأنّ من نزل عليهم القرآن كانوا عريقين في الشرك، كما في الآيات :

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾.

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾.

لم يقل في آية سورة الفتح: لنغفر لك. بينما قال في النصر: ﴿فَتَحۡنَا﴾ لأنّ الفتح قد يأتي بأنْ يأخذ بالأسباب كالجيش وغيره، ويأتي النصر من عند الله أمّا مغفرة الذنوب فمن الله وحده، ولا تحتاج لجمع ،لأنه هو وحده الذي يغفر ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فضمير التعظيم لا يمكن أنْ يستمر إلى نهاية الآيات، فلا بدّ من وجود شيء يدل على الإفراد.

السؤال الثاني :

في آية الوضوء في آية المائدة٦ وردت (اللام) في فعل ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ وفعل ﴿وَلِيُتِمَّ﴾.

بينما في آية الفتح ٣ ذكر (اللام) في فعل (ليغفر) وحذفه في ﴿وَيُتِمَّ﴾ و﴿وَيَهْدِيَكَ﴾ فما السبب؟

الجواب :

السبب: أنه في آية الوضوء كان الكلام فيها في أصول الدين وهي الصلاة وفي الوضوء والغسل، وهي عامة للمؤمنين وتشملهم إلى يوم القيامة. وكذلك النعمة فهي عامة واسعة وتشمل الكثير. لذلك أكّد الفعلين بلام التعليل المؤكدة.

أمّا آية الفتح فالخطاب هنا للرسول ﷺ وهي خاصة به وليست عامة للمؤمنين، وهي ليست في أصول الدين؛ لذلك حذف اللام .

فالأمران ليسا بدرجة واحدة من الاتساع.



﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦] ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[الفتح: ١٨] ما الفرق بين (فأنزل السكينة عليهم) و(أنزل الله سكينته)؟

الجواب :

١ـ الملاحظ في (السكينة) بالذات أنه حيث ذُكِر الرسول أو كان موجوداً في السياق يقول: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ بالإضافة إليه تعظيماً له. وحيث كان الأمر عاماً ليس فيه الرسول يقول: (السكينة).

* شواهد قرآنية :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤] ليس فيه ذكر لكلمة الرسول.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨] ليس فيها ذكر لكلمة الرسول.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة: ٢٦] صرّح بالرسول.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة: ٤٠]ذكر الرسول بشكل غير صريح.

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح: ٢٦] ذكر الرسول بشكل صريح.

٢ـ لذلك حيث أضاف فلا بدّ أنْ يُذكر الرسول أو يظهر في السياق. وهذه خصوصية للرسول ﷺ وتعظيم له وإكرام.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين التوقير والوقار والسكينة؟

الجواب :

١ـ الوَقار: بالفتح هو الحِلم والرزانة والهدوء وقلة الحركة في المجلس كقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ وتقع أيضاً على مفارقة الطيش عند الغضب، ولا تجوز الصفة به على الله تعالى.

٢ـ التوقير: يستعمل في معنى التعظيم، وقد أقيم الوقار في موضع التوقير في قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ أي: تعظيماً، وقوله: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾.

٣ـ الله تعالى لا يوصف بالوقار، ويوصف العباد بأنهم يوقّرونه أي يعظمونه. ولا يقال: إنه وقور، بمعنى عظيم؛ لأنّ الوقار مما تتغير به الهيبة والصفة بالتوقير ترجع إلى من توقره.

وقال أبو هلال العسكري: عندنا أنه يوصف بالتوقير إنْ وصف به على معنى التعظيم، لا لغير ذلك.

٤ـ السكينة: هي مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، ويُضاف إلى القلب، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيكون هيبة وغير هيبة، والوقار لا يكون إلا هيبة.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ وقال بعدها في الآية السابعة: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ في الآية الرابعة: لّما ذكر الله ذلك النصر وهو صلح الحديبية، وما يترتب عليه من فتح مكة والمغفرة للرسول ﷺ وتمام نعمته عليه وهدايته مع ظهور صد الكفار من أهل مكة له، ختم الآية بقوله: ﴿ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي عليماً بما يترتب على ذلك الصد من الفتح وصلاح الأحوال و ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبره لك من كتاب الصلح بينك وبين قريش، فإنه كان سبب الفتح.

٢ـ في الآية السابعة: لّما ذكر الله في الآية الخامسة والسادسة ما أعدّ للمؤمنين من الجنات وتكفير السيئات وتعذيب المنافقين والمشركين، ختم الآية السابعة بقوله: عزيزاً، أي: قادر على ذلك ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما يفعله من إكرام المؤمن وتعذيب الكافر.

السؤال الرابع :

قال في الآية ٤ : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ وفي الآية ٧ والآية ١٩ : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ قيل: إنّ الكلام في الآية ٤ متصل بإنزال السكينة وازدياد المؤمنين إيماناً، فقد قال قبلها: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ فهذا موضع علم وحكمة، فقال: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾.

٢ـ وأمّا الآية الثانية ٧ فهي في موضع عذاب وعقوبات، فقد جاءت بعد قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ فهذا موضع عزة وغلبة وحكم، فقال: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

٣ـ وشبيه بهذا الآية الثالثة رقم ١٩ من سورة الفتح، فهي في مقام النصر وأخذ الأموال والغنائم، فكان موضع عزة وغلبة وحكم، فقال تعالى: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣] والآية ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[النساء: ٩٣].

يعني: حصل عنده قرار ولا رجعة عنه بقتل مؤمن متعمداً كلما سنحت له الفرصة، وكما يحصل في هذه الأيام وفي أماكن عديدة في العالم الإسلامي في استحلال قتل كثير من العلماء والصالحين والكتاب والمسلمين والموحدين.

وهؤلاء الذين يقتلون مؤمناً متعمدين اختارالله لهم العذاب والخلود في جهنم، إضافة إلى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ أي طردهم من رحمته ولم يغفر لهم الله سبحانه وتعالى. والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار له العذاب العظيم.

وأنواع العذاب في جهنم لا حصر لها من حر وبرد وأفاعي وعقارب وتجويع، وهناك عذاب مهين و عذاب كبير و عذاب أليم وعذاب عظيم ولا حصر لعذابات جهنم نعوذ بالله منها.

هذه هي جهنم الرهيبة ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨].

٢ـ في حين هناك آخرون، كما في آية الفتح: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦] لم يختر لهم نوع العذاب. وهؤلاء مصيرهم السيء هو إلى جهنم، وفي جهنم أنواع العذابات تتفاوت كبراً وصغراً وقوة وضعفاً.

لكنّ الذين يقتلون مؤمناً متعمدين هؤلاء اختار لهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ليتناسب مع عظم الجريمة التي ارتكبوها في قتل المؤمن إضافة إلى طردهم من رحمة الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين حسب وظن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ وقال بعدها في الآية السابعة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفتح ٤.

السؤال الثاني :

قال في الآية ٤: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ وفي الآية ٧ والآية ١٩ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفتح ٤.



﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

كيف حصر رسالة النبي ﷺ في ص٦٥ بأنه (منذر) مع أنه في آية الأحزاب٤٥ والفتح٨ وصفه بأنه: (شاهد ومبشر ومنذر)؟

الجواب :

١ـ أنّ ما يتقدمه التخويف يناسب أنْ يليه إنذار، وهو كذلك في سورة (ص)؛ لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجتهم فيها. انظر الآيات [٥٥ـ٦٥] في سورة ص.

٢ـ وأمّا ما يتقدمه الرجاء فقط أو التخويف مع الرجاء فيليه الوصفان: التبشير والإنذار، كما في آيات الأحزاب والفتح وفاطر، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح: ٨].

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ ﴾ [فاطر: ٢٤].

والله أعلم.



﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين التعزير والتوقير، وعلى ماذا تعود الضمائر في قوله تعالى: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ التعزيرهو القوة والنصر، عزّره: أعانه، نصره، أي قوّاه. وأمّا التوقير فهو التعظيم. فإذن التعزير فيه معنى التأييد والنصر. ولذلك قالوا: كل الضمائر تعود على الله سبحانه وتعالى ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ أي تنصروه بالسيف ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧] وتوقّروه تعظموه، وتسبّحوه ،وإنْ كان قسم قال: تعزروه وتوقروه: للرسول عليه السلام، وتسبحوه: لله تعالى.

٢ـ الخلاف على من يعود الضمير، وليس بالضرورة أنْ يعود الضمير على الأقرب، فقد يعود الضمير على الأبعد، كما في الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾[الجمعة: ١١] التجارة أبعد، لكنْ ما يقتضيه المعنى.

٣ـ وفي الآية: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لمّا قال: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ هذه خالصة لله تعالى.

فقسم قال: كل الضمائر تعود لله، التعزير والنصر والتسبيح لله فكلها تعود على الله.

وقسم قال: تعزروه وتوقروه للرسول، وتسبحوه لله. والأقرب أنّ الضمائر تعود على الله تعالى، التعزير والتوقير والتسبيح لله؛ لأنّ اللغة تحتمل.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين التوقير والوقار والسكينة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفتح ٤.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى:﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الفتح: ٩] بدون (الباء) بينما جاءت مع (الباء) في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾؟

الجواب :

١ـ في قضية الإيمان﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وردت هذه الجملة (١٢) مرة، ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله)، وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله) ؛ لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر، نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين،

وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾[الصافات: ٣٦] ﴿وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص: ٤] وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠ـ٨٤] فهذا يشيرإلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد؛ لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون الرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من الإيمان بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما إعراب كلمة ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ في الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠]؟ وما دلالة الضمّ في ﴿عَلَيْهُ﴾؟

الجواب :

١ـ ﴿ عَلَيْهُ ﴾ جار ومجرور، الهاء ضمير مبني على الضم في محل جر وهذه لغة قريش ﴿ عَلَيْهُ ﴾ بناء الضمير على الضم. والإعراب ليس فيه إشكال، كما نقول: (منه وله) فهو نفس الضمير. (بِهِ، إليهِ) هذا رعاية للكسرة التي قبله.

٢ـ وهذه قراءة حفص عن عاصم.﴿ عَلَيْهُ ﴾ وهو ليس رفعاً، وإنما بناء على الضم، والمعروف أنّ الضم لغة الحجاز، وهذا الضمير تبنيه على الضم مطلقاً في كل كلامها ولا تكسره، تقول: مررت بهُ وإليهُ وعليهُ وكلها تبنيه على الضم مطلقاً، بينما سائر العرب إذا كان قبل الضمير كسرة أو ياء ساكنة تكسره مثل: (بهِ، عليهِ، أنسانيهِ) وما عدا ذلك تضمه.

٣ـ ضمُ الضمير مثل:﴿ عَلَيْهُ ﴾ وهي لغة الحجاز استعملها القرآن في موطنين، في آية الفتح ١٠ ﴿ عَلَيْهُ ﴾ وفي آية الكهف﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣]، لكنْ لماذا اختار هذه اللغة تحديداً؟

والجواب :

آية الفتح :

يذكرون أمرين عن هذه الآية﴿ عَلَيْهُ ﴾ :

أ- نحن نعرف أنّ الضمة أثقل من الكسرة نطقاً، والفتحة أخف الحركات والعهد الذي جاء به في الآية هو أثقل العهود، وهذه في بيعة الحديبية وهي مبايعة حتى الموت،

فلمّا كانت هذه البيعة أثقل العهود وهي البيعة على الموت، جاء بأثقل الحركات وهي الضمة، فأثقل أنواع العهد أنْ تبايع على الموت، فجاء بأثقل شيء وهي الضمة.

ب- الأمر الآخر أنه عندما تأتي بالضمة تفخم لفظ الجلالة ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ ولو جئت بالكسرة سترقق اللام، فتفخيم لفظ الجلالة مناسب لتفخيم العهد وهذا عهد عظيم مفخّم حتى بالصوت.

٤ـ ربما تقول: ألم يقل في مكان آخر (عليهِ الله) ولماذا لم يفخِّم؟

والجواب: لا لم يرد في القرآن (عليهِ الله) ولم يرد لفظ الجلالة بعد عليهِ.

إذن ﴿عَلَيْهُ﴾ الرفع هنا؛ لأنه اختار أثقل الحركات لأثقل البيعات ولتفخيم لفظ الجلالة.

آية الكهف :

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣] الآية ليس فيها عهد ثقيل، وليس فيها لفظ الجلالة، وإنما فيها سمكة مشوية مأكول منها فكيف تعود إليها الحياة؟! كيف عادت إليها الحياة فذهبت تسبح في الماء وتترك خلفها طاقة كالنفق ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: ٦١] ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣] هو يعجب؛ لأنّ سمكة مشوية مأكول منها تمشي في البحر،وهل تُنسى هذه الحالة؟ لا يمكن أنْ تُنسى، فكيف نسيها؟ فهذه أندر حالات النسيان، فناسب بين قوة النسيان وقوة التعبير وندرة مثل هذا النسيان وندرة مثل هذا التعبير.

هذه المواءمة موجودة في آيات القرآن حتى في البناء والحركات الإعرابية، وتناسب الحالة التي يتحدث عنها القرآن الكريم.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] ولِمِ لمْ تذكر يد الرسول ﷺ؟

الجواب:

١ـ ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾: هذه رواية حفص عن عاصم التي نقرأ بها، وقارئ القرآن أو الراوي عنه أشبه بشريط تسجيل لا يفكر ولا يتصرف إنما يلتقط ويحفظ.

٢ـ عاصم أحد قُرّاء الكوفة من السبعة، أقرأ حفصاً ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ بناء على سماعه من قبائل من العرب، وأقرأ أبا بكر شُعبة (عليهِ الله) وسائر القراء أقرؤوا هكذا. وهذا معناه أنّ بعض قبائل العرب قرءوها هكذا، وأقرّهم عليها رسول الله عليه السلام بإذن من ربّه. إذن (عليهِ الله) قراءة سبعية تصح الصلاة بها.

٣ـ هذه الآية لها حكاية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠] هذا كان في صلح الحديبية لمّا أرسل الرسول عليه السلام في أول الأمر خِراش المُزني، وهوصحابي من قبيلة مزينة ذهب لمكة ليقول للناس هناك: إنّ الرسول عليه السلام لم

يأت مقاتلاً وإنما جاء معتمراً، فأحاط به الناس فحوّطه الأحباش وكان عنده حلف من الأحباش، وقالوا: لا يُمَسّ بأذى، لكنْ أخذوا البعير الذي أرسل عليه، فذهب وقال: للرسول: لقد فعلوا به هكذا، فاستشار النبي عليه السلام أصحابه وأراد أنْ يرسل عمر بن الخطاب فقال له: ليس من أهل الخطاب أحد في مكة، فإذا أرادوا أنْ يقتلوني فلا أحد ينجدني، واستقر الرأي على عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لأنّ عنده بني أمية يملؤون السهل والجبل وهم حكام قريش قبل وبعد الإسلام، فقال عثمان: أنا أذهب. فذهب واستقبله أبان بن سعيد بن العاص من كبار الأمويين، وأركبه على دابته وجاء به إلى دار الندوة، ولا أحد يتكلم مع عثمان، فقالوا له: يا عثمانْ طُف بالبيت إذا أردت، أمّا محمد فلا، فقال عثمان: لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ نحن ما جئنا لقتال، وإنما جئنا معتمرين.

هذه الإحاطة تمت بعثمان رضي الله عنه، وبعض الناس خرج وقال للرسول: أحاط الناس بعثمان ولا يبعد أنْ يكون قد قُتِل. فدعا الرسول ﷺ للبيعة لأجل عثمان[١٤٠٠] صحابياً فبايعوا، وقال الرسول ﷺ لأحد الأنصار: علام تبايع؟ فقال: على ما في نفسك يا رسول الله، أي أياً ما كان في نفسك. وبعض الصحابة قال: بايعنا على الموت، وبعضهم قال: ما فهمنا هذا، وقالوا: بايعنا على أنْ لا نفِرّ، والعلماء قالوا: المعنى واحد، فالذي يقاتل ولا يفرّ كأنه يبايع على الموت، فالبيعة كانت على الموت.

فالرسول ﷺكان مادّاً يده ويأتي الناس ويضربون على يده، فجاء الرسول ﷺ بيده اليمنى وقال: هذه يد عثمان إكراماً لعثمان، وهذه مما أُكرِم به عثمان.

وإكرام عثمان كان أولاً بتزويجه ابنتي رسول الله ﷺ.

٤ـ البيعة كانت مع يد رسول الله ﷺ، لكنّ الله عز وجل أراد أنْ يبين للمسلمين أنّ البيعة هي مع الله تعالى تعظيماً لشأن البيعة، وإلا فيدُ الرسول ﷺ مستعملة للبيعة حقيقة؛ ولذلك لم تُذكر، و ذكرت يد الله تعالى ولله المثل الأعلى.

وذكر العلماء أنّ صفات الله عز وجل، وكل كلام يتعلق بشأن الباري نُمِرّه كما هو، ونفهمه كما تعيننا عليه اللغة. (يد الله فوق أيديهم) يعني هم يبايعون الله، وهذا تصوير للبيعة. افهمها كما تشاء لكن ليس بهذه الأصابع وإنما بما يليق بجلال قدره سبحانه وتعالى في ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٥ـ عادة العربي في المبايعة على الشيء عندما يريد أنْ يبايع هي أنْ يضع يده في يد من يبايعه.



﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (أفواههم) في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ و(ألسنتهم) في سورة الفتح ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٦٧.

السؤال الثاني :

زاد (لكم) في آية سورة الفتح ١١ دون آية المائدة١٧، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ١٧.

السؤال الثالث :

وردت كلمة ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ في أربع آيات في القرآن الكريم، واحدة منها في آية التوبة ٨١ وثلاث أخرى في سورة الفتح في الآيات[١١ـ١٥ـ١٦] فما دلالة ذلك؟ ولماذا سماهم الله عز وجل: (المخلفين)، ولم يطلق عليهم مثلاً (المتخلفين)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٨١.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الفتح١١ : ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ وقوله تعالى في المائدة١٧ : ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فما السبب في زيادة (لكم)؟

الجواب :

١ـ آية الفتح مع قوم مخاطبين بذلك، فناسب التأكيد والتخصيص بقوله: (لكم).

٢ـ آية المائدة: عامة لا تختص بقوم؛ ولذلك قال الله فيها: ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

والله أعلم.



﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧] ماذا يقصد بالسوءة؟ وما وجه الشبه بين هذه (السوءة) و(ظن السوء) في سورة الفتح ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾؟

الجواب:

١ـ السوءة هي العورة.

٢ـ في آية الفتح :السَوْء يعني السيىء، السَوْء: مصدر ساءه سوءاً والسُوء هو الاسم، كما في الآية ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: ٢٢] (من غير سُوء)، أي من غير مرض أو علة.

٣ـ هناك فرق بين المصدر والاسم. مثلاً نقول الذَبح والذِبح، الحَمل والحِمل، الوُضوء والوَضوء.

أ ـ الحِمل هو الاسم وهو ما يُحمل: كما في الآيات: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١ ﴾[طه: ١٠١] أي ما يحمل على الظهر، ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾ [الأنعام: ٣١].

أما الحَمْل فهو المصدر، أو ما لا يرى بالعين ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

ب ـ الذَبح هو عملية الذَبح، أما الذِبح فهو ما يُذبح، كبش أو غيره ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ ﴾[الصافات: ١٠٧].

ج ـ الوُضوء عملية التوضؤ، والوَضوء هو الماء الذي يُتوضأ به.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿بُورٗا ١٢ ﴾ ما كلمات منظومة اللاشيء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧ .

السؤال الثالث :

ما دلالة صيغة المبني للمجهول ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤ .

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ ؟

الجواب :

ينوب عن المصدر ما يدل عليه، كله أو بعضه ونوعه وصفته وهيئته ومرادفه وضميره والإشارة إليه وغيرها؛ وذلك لأداء معان لا يؤديها مصدر الفعل أحياناً.

* شواهد قرآنية :

١ـ آية آل عمران ٤١ : تحتمل كلمة ﴿ كَثِيرًا ﴾ معنى: ذكراً كثيراً وتحتمل أنْ يراد بها الزمن الكثير، فالتعبير جمع المعنيين في آن واحد.

٢ـ آية التوبة ٨٢ :

ـ لو قال: ضحكاً قليلاً وبكاء كثيراً كان نصاً على الضحك والبكاء.

ـ لو قال: زمناً قليلاً أو كثيراً كان نصاً على الزمن.

لذلك لمّا حذف الموصوف احتمل المعنيين في آن واحد.

٣ـ آية الفتح ١٥ : ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ جمع معنى المفعولية والمصدرية عندما حذف الموصوف، فكأنّ المعنى: أي لا يفقهون إلا قليلاً من الأمور فقهاً قليلاً.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾

السؤال الأول :

لماذا لم تحذف التاء من كلمة ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ في الآية؟

الجواب :

في آية الفتح ١٦ لم تحذف التاء، وإنما قال: ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ وذلك لأنّ :

هؤلاء الأعراب لم يكونوا ممن تمكن الإيمان في قلوبهم، وتخلُّفهم كان تخلفَ نفاق، بدليل ما قبلها من الآيات: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)﴾ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فجاء بالتولي تاماً ﴿تَتَوَلَّوْا﴾.

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر أعذار السفر: العمى ـ العرج ـ المرض.

٢ـ قدّم الأعمى على الأعرج؛ لأنّ عذر الأعمى يستمر ولو حضر القتال والأعرج إنْ حضر راكباً يقدر على القتال بالرمي وغيره.

٣ـ ذكر تعالى: ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ والجريان يدل على حركة الماء وعلى أنها صالحة للاستعمال، فإذا لم يذكر الجريان مع أنهار الجنة وصف ماء أنهارها بأنه غير آسن، أي إمّا أنْ يذكر الجريان أو يذكر (غير آسن) ليفيد المعنى.



﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ وقوله تعالى [الفتح: ٢٦] ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨] ما الفرق بين (فأنزل السكينة عليهم) و(أنزل الله سكينته)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفتح ٤.



﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال في الآية ٤ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ وفي الآية ٧ والآية ١٩ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفتح ٤.



﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين العالم بالشيء، والمحيط به؟

الجواب :

١ـ أصل المحيط هو الإحاطة بالشيء من حوله، كالسور الدائر عليه يمنعه أنْ يخرج عنه ما هو منه ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً

* شواهد قرآنية :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النساء: ١٢٦] أي يعلم بجميع الأشياء من جميع وجوهها، وهي تحت مقدوره وتصرفه.

﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] أي علمه من جميع وجوهه.

﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ [الجن: ٢٨]أي في العلم والقدرة.

﴿ قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ [الفتح: ٢١] أي أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩] أي يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه وهو نوع من التخويف.

٢ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور أو من جهة العلم والقدرة، أمّا إذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير.



﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التكرار في قوله تعالى في آية فاطر ٤٣ : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ ولم يكرر قي آية الفتح ٢٣؟ وما الفرق بين التبديل والتحويل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية فاطر ٤٣.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾[الأعراف: ١٢٩]واستخدام ﴿أَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[الفتح: ٢٤]؟

الجواب :

١ـ الفعل الماضي يأتي بعد (أنْ) في اللغة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ﴾[يوسف: ١٠٠]، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[الفتح: ٢٤].

٢ـ لكن لماذا هنا استخدم (ما) وهنا استخدم (أنْ)؟

والجواب :

﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾: ﴿مَا﴾ هذه تحتمل معنيين في اللغة هنا:

أ ـ الأول (ما) المصدرية.

ب ـ والثاني (ما) الموصولة.

وهذا توسع في المعنى، وتحتمل الأمرين: من بعد مجيئه هو شخصياً ومن بعد الذي جاء به من الرسالة. ولذلك ما قال: (من بعد أنْ جئتنا به) لتشمل المعنيين.

فهنا في ﴿مَا جِئۡتَنَاۖ﴾ ذكر أمرين: مجيئه بالرسالة ومجيئه هو، فجمع معنيين هنا، وهذا من باب التوسع في المعنى.

٣ـ الفرق بين (ما) المصدرية و(ما) الموصولة: السياق يحدده، لكنْ هنالك أمر يقطع: إذا كان العائد وهو الضمير الذي يعود على الاسم الموصول موجوداً فهذا يقطع بأنها اسم موصول. وفي حالة عدم وجود العائد نبحث عن المعنى هل يحتمل المصدرية أو الموصولة. مثال: قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] (ما) هنا اسم موصول؛ أي صدقوا الذي عاهدوا الله عليه. لو حذف في غير القرآن (عليه)، لو قال: صدقوا ما عاهدوا الله يكون: صدقوا عهد الله نفسه والعهد الذي عاهدوا عليه.

٤ـ للعلم: يوجد أحياناً حوالي ٢٥ أسلوباً من أساليب الجملة في العربية أو أكثر، وكل واحدة لها معنى، يقابلها جملة واحدة في اللغات الأخرى.

السؤال الثاني :

قال في آية آل عمران ٩٦ ﴿بِبَكَّةَ﴾ وفي الفتح ٢٤ ﴿مَكَّةَ﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٩٦.

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٣١] وفي سورة الفتح ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفتح: ٢٥] ما دلالة تأخير وتقديم المشيئة؟

الجواب :

١ـ الآية الأولى في سورة الإنسان: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ والآية الثانية في سورة الفتح: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢ـ السياق في سورة الإنسان في غير المرحومين ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ إلى أنْ يقول: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ فلمّا كان السياق في غير المرحومين أخّر الرحمة.

٣ـ والسياق في سورة الفتح في المرحومين وفي الكلام عن الله :

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الكلام عن الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الكلام في الصحابة.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ هذا الكلام في المرحومين، فلمّا كان الكلام في المرحومين قدّم رحمته ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ولمّا كان السياق في غير المرحومين أخّر رحمته.

وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ هذا الكلام عن الله، فقدّم ما يتعلق بالله، والضمير يعود إليه.

٤ـ من حيث البلاغة ليس ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ كمثل ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.

وكل تقديم وتأخير له غرض عند المتكلم البليغ، فعندما تكلم القرآن عن الله فقال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ قدّم ضميره، ولمّا كان الكلام عن الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان، فقال: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ فالمشيئة لله، لكن (من) للإنسان.

لذلك لمّا تكلم في سورة الإنسان عن غير المرحومين أخّر الرحمة وعندما تكلم في سورة الفتح عن المرحومين قدّم الرحمة، وعندما كان الكلام عن الله قدّم ما يتعلق به، وعندما كان الكلام عن الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ ما دلالة أداة الشرط (لو)؟

الجواب :

أولاً:

(لو): من أدوات الشرط، ومن معانيها :

١ـ امتناعية ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢ـ شرطية ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣] إذ لا يصح أن يقال: امتنع التولي لامتناع الإسماع، بل هم متولون على كل حال أسمعهم أم لم يسمعهم.

٣ـ للتمني ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠].

٤ـ للتقليل، نحو: تصدق ولو بتمرة.

ثانياً:

تقع اللام في جواب (لو) للجواب المثبت كثيراً، كقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفتح: ٢٥].

وأمّا الجواب المنفي بـ (لم) فلا تلحقه اللام، وأمّا المنفي بـ (ما) فيجوز إلا أنه قليل، ولم ترد في القرآن لاحقة لجوابها المنفي.

وهذه اللام تفيد التأكيد أو واقعة في جواب قسم، وهو يفيد التوكيد كذلك.



﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ <u>فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ</u> عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الفتح: ١٨] ما الفرق بين ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفتح ٤.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة أنّ الأمر ثبت وتم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٥.



﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿ مُحَلِّقِينَ ﴾... ﴿ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ هو حال مقدّرة، ما الحال المقدرة والحال المحكية؟

الجواب :

الحال المقدرة يسمونها (مستقبلة)؛ لأنّ الحال أكثر ما تكون مقارِنة، وقد تكون مقدرة، وقد تكون محكية بحسب الزمن.

وأمّا الحال المحكية فتكون للماضي، كما في الآيات:

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات: ١١٢] هو لم يأت بعد ولكنْ باعتبار ما سيكون. فهذه حال مقدرة.

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] التحليق والتقصير يكون بعد أنْ يتموا العمرة وليس عند الدخول. وهذه حال محكية يتكلم فيها عن أمر قد مضى.

ومثال ذلك لو رأيت عقرباً كبيرة تقول: هذه العقرب تلسع صغيرة وكبيرة، صغيرة: حال محكية، وهي ماضية، يعني حالة كونها صغيرة.

السؤال الثاني :

كيف علّق دخول المسجد الحرام على مشيئة الله ولم يجزم به باعتباره خبراً من الله تعالى الذي يعرف أنهم سيدخلون المسجد الحرام؟

الجواب :

١ـ أنّ ذلك تعليم من الله تعالى لعباده، وتأكيد لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

٢ـ وهو تأديب لهم في أمر سابق ومستقبل يُعزم عليه، أي عندما لم يقع الدخول عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال: (لتدخلن) بصيغة المضارع التي تفيد الاستقبال بشكل عام، ولكن ليس بإرادتكم، وإنما بمشيئة الله تعالى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أي: غير خائفين بالصيغة الاسمية، وهذا ينبىء عن دوام الأمن إلى الحلق أو التقصير. فكأنه قال: تدخلونها آمنين متمكنين من أنْ تتموا الحج محلقين.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ فيه بيان الكمال في الأمن بعد قوله: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾؛ لأنّ المحرم بعد الخروج من الإحرام لا يحرم عليه القتال. وكان أهل مكة يحرمون قتال من أحرم ومن دخل الحرم، فكأنه قال: تدخلون آمنين وتحلقون ويبقى أمنكم بعد تحللكم من الإحرام.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ أي حصلت المصلحة لكم في العام القابل، وعلم الله أنّ بمكة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم سوف تكونون سبباً في وطئهم إنْ دخلتم في سنتكم.

٦ـ قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ وهو فتح مكة. والله أعلم.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا
سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ
ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ
فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين سُجَّد وسجود؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٥.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ ما الفرق بين (أشداء وشِداد)؟

الجواب :

١ـ الجمع (فُعلاء) نحو: كُرماء وجُهلاء وحُكماء، هو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية.

أمّا جمع (فِعال) نحو: ثِقال وضِعاف فيكاد يختص بالأمور المادية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ و ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾.

٢ـ ومثله (الكُبراء والكِبار) فالأول هم السادة والرؤساء، وأمّا (الكِبار) فهم كِبار الأجسام والأعمار.

٣ـ ومثله (الضعفاء والضِّعاف) فالأول (الضعفاء) فهم المستضعفون من الأتباع والعوام، وأمّا (الضِّعاف) فللضعف المادي.

٤ـ ومثله هنا (أشداء وشداد) فـ (الأشداء) جمع شديد من الشدة المعنوية و(الشِداد) جمع شديد من الناحية المادية.

* شواهد قرآنية ﴿أَشِدَّآءُ﴾ :

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ قابل بين الشدة والرحمة، وهما أمران معنويان.

* شواهد قرآنية﴿شِدَادٌ﴾ :

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦] أي الملائكة ضِخام الأجسام وشداد.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ: ١٢] أي في أجرامهم قوة وغلظة.

وهذا من الأمور المادية. والله أعلم.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ ما كلمات منظومة الجمال والحسن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١١٠.

السؤال الرابع :

ما ميزة آية الفتح ٢٩؟

الجواب :

آية الفتح ٢٩ قد جمعت جميع حروف المعجم، وكذلك آية آل عمران ١٥٤.

السؤال الخامس :

قال في آية المائدة ٩: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ وقال في آية الفتح ٢٩: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾؟

الجواب :

١ـ آية المائدة عامة غير مخصوصة بقوم معينين، وجاءت بعد ما قدّم خطاب المؤمنين بأحكام عامة، فكأنه قال: من عمل بما ذكرناه فله مغفرة وأجر عظيم.

٢ـ آية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون، فقال: ﴿مِنْهُم﴾ تمييزاً وتفضيلاً ونصاً عليهم بعد ما ذكر من جميل صفاتهم.

السؤال السادس :

لِمَ قال الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ وكل أصحاب النبي ﷺ موصوفون بالإيمان والعمل الصالح، فما معنى هذا التبعيض؟

الجواب :

١ـ﴿ مِنْهُم ﴾ قد تكون هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، كقوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [الحج: ٣٠].

وقد تكون للتبعيض؛ لأنّ آية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون فقال: ﴿ مِنْهُم ﴾ تمييزاً وتفضيلاً ونصاً عليهم بعد ما ذكر من جميل صفاتهم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ الزرّاع جمع (زارع) وهو الذي يزرع ليستفيد ويفيد الآخرين.

وقوله: ﴿ يُعْجِبُ ﴾ هذا الكلام يُقصد به سيدنا محمد عليه السلام والذين آمنوا معه، والفعل رباعي من: أعجب يُعجب، وهو بقصد الثناء والمدح فيهم، كما قال تعالى عن الأمة المحمدية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ولم يقل: (خرجت)؛ لأنها من ترتيب رب العالمين، فهو قد أخرجها للناس برسالة معينة ومواصفات معينة.



رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الفتح مع خواتيمها :

قال سبحانه في أول السورة :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟

إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾.

وبالنظر في هذه الآيات وما ورد في أواخر السورة يتبين عدد من التناسب بينهما، ومن ذلك ما يأتي :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة :

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾.

وقال في أواخرها :

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

فذكر الهداية في أوائل السورة فقال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾.

وذكر الهداية في آخرها فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾.

وذكر النصر في الآيات الأولى فقال: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾.

وذكره في أواخر السورة فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾.

٢ ـ وذكر المؤمنين في أول السورة فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾.

وذكرهم في آخر السورة وأثنى عليهم فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾.

٣ ـ وقال في أول السورة: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ ﴾.

وقال في آخر السورة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾. والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِنْ رَوَائِعِ البَيَانِ فِي سُوَرِ القُرْآنِ

فِي البَلَاغَةِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِ ذَلِك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنّى محمّد هبيان

قدّم له:

د. زكريّا توفيق إسماعيل

المجلّد الثّاني عشر

مِنْ بداية سورة الحُجُرات حتّى سورة المنافقون

دار الفكر

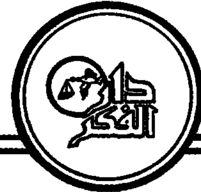
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب: 11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سورة الحجرات

أولاً - تناسب خواتيم الفتح مع فواتح الحجرات :

١ ـ الكلام في خاتمة سورة الفتح عن الذين آمنوا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾. . [الفتح:٢٩].

وفي بداية سورة الحجرات الخطاب لهؤلاء المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾[الحُجُرات:١].

٢ ـ قال في خاتمة سورة الفتح:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[الفتح:٢٩].

وقال في أوائل الحجرات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحُجُرات:٣].

فكلتا الآيتين في أصحاب رسول الله عليه السلام، وقد وعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم.

٣ ـ آية الفتح فيمن كان معه في الحرب، وآية الحجرات فيمن كان معه في السلم يعلمهم ربهم كيف يتعاملون مع الرسول ﷺ ومع المسلمين.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه ذكر رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الفتح:٢٩] فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أنْ يُنهى عنه، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجُرات:١] وكانت عادة العرب - وهي إلى الآن - الاشتراك في الآراء، وأنْ يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك)).

ثانياً ـ هدف السورة : أدب العلاقات :

سورة محمد والفتح والحجرات يجمعها محور واحد، وهو الرسول عليه السلام، والسور الثلاثة مدنية، ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة.

سورة الحجرات هي سورة تتحدث عن أدب العلاقات والتعامل مع الرسول عليه السلام ومع المسلمين والناس عامة. وكأنّ الهدف من هذه الآداب والتوجيهات أنكم يا من سينزل عليكم الفتح يجب أن تتأدبوا بالعلاقات مع الرسول عليه السلام، هذا بالإضافة إلى الصفات التي أوردها الله تعالى في سورة الفتح (آية ٢٩)، فكأنما أراد الله تعالى أنْ يجمع لهم صفات العبادة والعمل مع الصفات الخلقية والذوقية؛ حتى يكونوا أهلاً للفتح من عند الله تعالى. وقد تضمّنت السورة العديد من الآداب نستعرضها فيما يلي:

١. الأدب مع الشرع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[الحُجُرات:١].

٢. الأدب مع النبي عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الحُجُرات:٢-٣].

٣. أدب تلقّي الأخبار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[الحُجُرات:٦].

٤. أدب الأخوّة بين المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[الحُجُرات:١٠].

٥. أدب الإصلاح في حال وقوع خلاف: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾[الحُجُرات:٩].

٦. الآداب الاجتماعية بين المسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[الحُجُرات:١١-١٢].

٧. أدب التعامل مع الناس بشكل عام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجُرات:١٣]. وقد تأخّر ذكر أدب التعامل مع الناس في السورة، وهذا ليرشدنا أنه قبل أنْ نتعامل مع الناس بأدب علينا أنْ نحقق ونكتسب كل الآداب السابقة في التعامل مع رسولنا وفيما بيننا حتى نتميّز بأخلاقنا وآدابنا، وحتى نترك عند الناس من غير المسلمين الانطباع الحسن؛ لأنّ الخلق الحسن قد يفتح من البلاد وقلوب العباد ما لا تفتحه الحروب والمعارك، وكم من الناس دخلوا في الإسلام بأخلاق المسلمين الفاتحين لا بالسيف.

٨. أدب التعامل مع الإيمان ومع الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[الحجُرات:١٧].

فهذه السورة هي حقاً سورة الآداب الاجتماعية، وقد سميّت بـ (الحجرات)؛ لأنّ الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي، وهي الحجرات التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن؛ وهذا ليربطنا بالنبي عليه السلام. وفي هذا دلالة أيضاً على ارتباط السور الثلاثة محمد والفتح والحجرات بمحور واحد هو (محمد عليه السلام)، ففي سورة محمد كان الهدف اتّباع الرسول عليه السلام، وفي سورة الفتح مواصفات أتباعه، وفي سورة الحجرات أدب التعامل مع الرسول عليه السلام والمجتمع.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ في الآية ولِمَ لمْ يقل: من أصواتهم؟

الجواب :

قوله تعالى في آية لقمان ١٩: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ أي: اخفض، وجاء هنا بـ (من) للتبعيض، ولم يقل: (اخفض صوتك)؛ لأنّ المطلوب خفض جزء من الصوت لا كله بحيث يكون مسموعاً معتدلاً.

بينما قال في آية الحجرات ٣: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لأنّ المطلوب خفض كلي للصوت؛ ولذلك كان الصحابة لا يكاد يسمع لهم صوت عند الرسول عليه السلام.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ ما كلمات منظومة التحري والاستخبار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٦٤.



﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿وَالْفُسُوقَ﴾ في الآية؟ وكيف استعملها القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ يقال: فسقت الرطبة؛ أي: خرجت عن قشرها و ﴿فِسْقٌ﴾ عن أمر ربه؛ أي: خرج. وفسق فِسقاً وفسوقاً. وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها. وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة؛ ولذلك سمي العاصي فاسقاً.

٢ـ الفسوق :هو الميل إلى المعصية والخروج من الدين، وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة الحرف ـ الواو ـ فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني استعمل ﴿فِسْقٌ﴾ مع سياق الأطعمة، واستعمل ﴿فُسُوقٌ﴾ مع العام.

* شواهد قرآنية :

﴿فِسْقٌ﴾: المائدة ٥ـ الأنعام [١٢١ـ١٤٥].

﴿فُسُوقَ﴾: البقرة ١٩٧ـ الحجرات [٧ـ١١].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ كيف يتعامل القرآن مع آيات التزيين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٣.



﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نصب (فضلاً) بتقدير: يبتغون فضلاً من الله ونعمة.

٢ـ قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما عند الله من الخير، وهو مستغنٍ عنه والفضل ينبىء عن الزيادة، وفيه معنى لطيف، وهو تأكيد الإعطاء.

٣ـ قوله: ﴿وَنِعْمَةً﴾ إشارة إلى ما يصل إلى العبد وهو محتاج إليه. والنعمة تنبىء عن الرأفة والرحمة.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

بدأ بالتثنية ﴿طَآئِفَتَانِ﴾ ثم بالجمع ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ ثم عاد إلى التثنية، فكيف ذلك؟

الجواب :

معنى الآية أنّ كل طائفة لها جماعة، وعند الصلح يأتي من كل طائفة من يفاوض باسمها، لكن إذا وقع القتال بينهما يقتتل كل الأفراد.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية ص ٢٢.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَآءَتْ﴾ ما كلمات منظومة التوبة والاستغفار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

السؤال الثالث :

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ (إذا) في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله، كما في الآيات:

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[البقرة:١٨٠] ولا بدّ أنْ يحضر الموت.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾[التوبة:٥] ولا بدّ للأشهر الحرم من أنْ تنسلخ.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾[الكهف:١٧] ولا بدّ للشمس من أنْ تطلع.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾[الجمعة:١٠] ولا بدّ للصلاة أنْ تنقضي.

وتستعمل للكثير الحصول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].

٢ـ ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(إنْ) للأقلّ، كما في آية الوضوء في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] القيام إلى الصلاة كثير الحصول، فجاء بـ (إذا)، أمّا كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ؛ لذا جاء بـ (إنْ).

٣ـ وأما (إنْ) فستعمل لما قد يقع، ولما هو محتمل حدوثه ،أو مشكوك فيه أو نادر، أو مستحيل، كما في الآيات:

﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾[القصص:٧١] هنا احتمال وافتراض.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾[الطور:٤٤] لم يقع ولكنه احتمال.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] الأصل أنْ لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه.

﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣] افتراض واحتمال وقوعه.



﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال [أخ ـ إخوان ـ إخوة]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٥٨.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

في سورة الحجرات الخطاب فيها تكرر ٥ مرات بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في الآيات [١ـ٢ـ٦ـ١١ـ١٢]، بينما جاءت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مرة واحدة في الآية١٣ فما دلالة تغيّر الخطاب؟

الجواب:

١ـ يأتي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إذا كان يخاطب المؤمنين خاصة،كما في الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحُجُرات:١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحُجُرات:١٢].

بينما تأتي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحُجُرات:١٣] عندما يكون الخطاب لعموم الناس ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحُجُرات:١٣] فهذه ليست للذين آمنوا وإنما لكل الناس، وهذا ليس خاصاً بالمؤمنين، فقال: يا أيها الناس. الخطاب للناس، لكنّ الأخرى هي أحكام للمؤمنين.

٢ـ تضمّنت سورة الحجرات العديد من الآداب وهي للمؤمنين، فلزم من ذلك الإكثار من استعمال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

انظر هدف السورة لمعرفة التفاصيل.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ في الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلۡفُسُوقُ﴾ في الآية؟ وكيف استعملها القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات ٧.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمة (ميْت) و(ميّت) في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة (ميْت) بتسكين الياء تقال لمن مات فعلاً، نحو ما جاء في سورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرات:١٢] ولذا جاء في القرآن الكريم تحريم أكل لحم الميْتة بتسكين الياء وقد تكون حقيقة أو مجازاً.

أمّا (الميّت) فقد يكون لمن مات أو من سيموت، بمعنى: مَن مآله إلى الموت حتماً، كما في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزُّمَر:٣٠].

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ظن وحسب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.



﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾



السؤال الأول :

ما دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾[يوسف:٣٠] و ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[الحُجرات:١٤]؟

الجواب :

١ـ بحسب القاعدة النحوية المعروفة: يجوز التذكير والتأنيث مع جمع التكسير.

٢ـ يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكّر الفعل.

* شواهد قرآنية :

﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ ونسوة هن حاشية امرأة العزيز لا غير، فذكّر الفعل (قال).

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحُجُرات:١٤] استخدم الفعل (قالت) مؤنثاً؛ لأنّ الأعراب كُثُر.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٣] هؤلاء مجموعة من الرسل تخص بني اسرائيل فقط. فذكّر الفعل (جاءكم).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأعراف:٥٣] المذكورون هنا في يوم القيامة وهم جميع الرسل وهم أكثر من الأولى؛ لذا جاء الفعل مؤنثاً. (جاءت).

السؤال الثاني :

ما معنى الفعل﴿يَلِتْكُم﴾ في الآية؟

الجواب :

معنى الفعل ﴿يَلِتْكُم﴾ أي ينقصكم ويبخسكم من (لاته يليته)، وهو(فعل أجوف)، وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ البصريان: (يألتكم) من الألت (ألت يألت) بضم اللام وكسرها ألتاً (فعل مهموز)، وهو النقص أيضاً وهي لغة أسد وغضفان، وهم المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها، قال أبو حيان: نزلت في بني أسد بن خزيمة، فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها وعدل عن لغة الحجاز. قال الحطيئة :

أبلــغ سراة بنــي ســعد مغلغلــة   جهــد الرســالة لا ألتــاً ولا كــذبا



﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحُجُرات:١٥] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) فى آية سورة التوبة ٥٤﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؟

الجواب :

١ـ في قضية الإيمان نحو الآيات :﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨] ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله)؛ لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾[الصافات: ٣٦] ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤] وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠ـ٨٤] فهذا يشيرإلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع، وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد؛ لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الحجرات مع خواتيمها :

السورة كلها في توجيه المؤمنين إلى حسن التعامل مع الرسول ﷺ ومع إخوانهم من المؤمنين. وأمّا التناسب بين أول السورة وآخرها فهو ظاهر.

فقد قال في أول السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾[الحُجُرات:١].

ومعنى الآية: لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله ﷺ به ويأذنا فيه، ولا تعجلوا بالأمر دونه.

وقال في خواتيمها:

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الحُجُرات:١٦] فكأنّ الذي يقدم بين يدي الله ورسوله يعلّم الله بدينه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحُجُرات:١] في أول السورة يناسب قوله في خواتيمها﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾[الحُجُرات:١٦].

وختم السورة بقوله :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[الحُجُرات:١٨].

فذكر السمع والعلم في أول السورة.

وذكر البصر والعلم في آخرها، بل ذكر أنه بكل شيء عليم.

فناسب آخر السورة أولها. والله أعلم.

سورة ق

أولاً ـ تناسب خواتيم الحجرات مع فواتح ق :

١ ـ أواخر سورة الحجرات في المؤمنين، وفيمن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه.

وأول سورة (ق) في الكافرين.

فقد قال سبحانه في الحجرات مخاطبا المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾. . [الحُجرات:١٢].

وقال فيمن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[الحُجرات:١٤].

ثم ذكر صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحُجرات:١٥]. . . ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحُجرات:١٧].

وذكر في أول سورة ق من كفر وكذّب بالحق، فقال :

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾﴾[ق:٢-٣]. . . ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾[ق:٥].

فاستعرض في الموضعين المكلفين جميعا: المسلم، ومن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه، والكافر.

٢ ـ قال في آخر سورة الحجرات :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الحُجُرات:١٨].

وقال في أوائل ق :﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[ق:٤].

فكلتا الآيتين في بالغ علم الله سبحانه.

جاء في (البحر المحيط): ((ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه تعالى أخبر أنّ أولئك الذين قالوا آمنا لم يكنْ إيمانهم حقاً، وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول ﷺ فقال: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ ﴾[ق:٢] وعدم الإيمان أيضاً يدل على إنكار البعث؛ فلذلك أعقبه به)).

ثانياً ـ هدف السورة :

اختيار طريق الجنّة أو طريق النار

السورة مكّية، وقد بدأت بالقسم بالقرآن الكريم الذي يكذب به المجرمون. وفيها تعرض الآيات طريق النار وطريق الجنة عن طريق حوار في الآيات بين الملائكة وأهل النار والعياذ بالله ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ آية ٢٣ إلى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[ق:٣٠]. وبينهم وبين أهل الجنة جعلنا الله تعالى منهم ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ آية ٣١ إلى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[ق:٣٥].

ونلاحظ بلاغة التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[ق:٣٠] وقوله تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾[ق:٣١] فالنار تقول هل من مزيد، دليل على سعة جهنم، وأنها تتسع لكل المجرمين والكفار لو ألقوا فيها، أمّا الجنة

فقد أدنيت من المؤمنين المتقين حتى تكون بمرأى منهم، زيادة في إكرامهم. فبعد هذا التصوير الدقيق يا ترى ماذا نختار؟؟

وفي السورة أيضاً عرضت الآيات للنوازع الثلاثة التي قد تؤثّر على الإنسان وتؤدي إلى هلاكه:

أـ وسوسة النفس البشرية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق:١٦] آية ١٦.

ب ـ وسوسة الشيطان: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾[ق:٢٣].

ج ـ الغفلة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧].

وتختم الآيات في هذه السورة بتذكرة الناس بالقرآن الكريم؛ لأنّ فيه التذكرة لمن خاف عذاب الله وأراد أن يتّقيه، فينجو بفضل الله تعالى ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾[ق:٤٥] آية ٤٥.

ثم هناك أمر آخر انتبه له القدامى في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة وهو أنّ هذه الأحرف تطبع السورة بطابعها، فعلى سبيل المثال: سورة ق تطبع السورة بالقاف (القرآن، قال، تنقص، فوقهم، باسقات، قبلهم، قوم، حقّ، خلق، أقرب، خلقنا، قعيد، وغيرها).

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١ .

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١ .

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالتي كلمتي الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ١ .

السؤال الخامس :

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر جواب القسم فى أوائل سورة ق؟

الجواب :

١ـ جواب الشرط يُحذف في القرآن كثيراً للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾[سبأ:٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾[الانشقاق:١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[الأنفال:٥٠]؛ وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب، وهذا أمر عظيم.

٢ـ جواب القسم ليس بالضرورة أنْ يُذكر، فإذا اقتضى أنْ يُجاب القسم يُجاب كما في الآيات: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم:٦٨] ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[النحل:٣٨].

٣ـ وقد يُحذف إمّا للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى، فيحتمل المعنى كل ما يرد على الذهن، وهذا في القرآن كثير، كما في سورة (ق) ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾[ق:١] حيث لا يوجد جواب للقسم في سورة (ق)، وكذلك في سورة ص ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾

[ص:١] لا نجد جواباً للقسم وقد حُذف لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات، فلا يريد تعالى جواباً بعينه، لكنه يريد أنْ يوسع المعنى.

السؤال السادس :

كيف تُكتب أحرف فواتح السور؟

الجواب :

تُحذف أحرف مقروءة من أحرف فواتح السور فلا يكتب إلا المدلول اللفظي نحو: ق ـ ن ـ ص ـ كهيعص. وتقرأ: قاف ـ نون ـ صاد ـ كاف ها يا عين صاد.

السؤال السابع :

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.



﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾[ق:٢] وفي سورة هود ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾[هود:٧٢] وفي سورة ص ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾[ص:٥] ما دلالة اختلاف هذه الصيغ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٧٢.

السؤال الثاني :

قال في ص ٤: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بالواو، وقال في آية سورة ق ٢ ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بالفاء، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ص ٤.



﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿فَوْقَهُمْ﴾ و (من فوقهم)؟

الجواب :

(من) تفيد ابتداء الغاية، ويعني: ليس هناك فاصل، ولمّا قال (فوقهم) احتملت المسافة القريبة أو البعيدة ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق:٦] كم بينك وبين السماء؟! كثير، ما قال: (من فوقهم) ولا يصح، وكذلك الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المُلك:١٩]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فُصِّلَت:١٠].

السؤال الثاني :

تدخل همزة الاستفهام على الكلام مع (الواو)، نحو ﴿ أَوَلَمْ ﴾[الأعراف:١٨٥] كما في آية الأعراف ١٨٥، أو تدخل وبعدها الفاء، نحو ﴿ أَفَلَمْ ﴾ كما في آية ق ٦ ـ فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٨٥.

السؤال الثالث :

استعمل فعل الرؤية في آية الأحقاف ٤، واستعمل فعل النظر في آية ق٦ فما الفرق بين الفعلين (رأى ونظر)؟

الجواب :

١ـ (رأى) بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وتأتي بمعنى العلم فتتعدى إلى مفعولين.

أمّا (نَظَر) فهو تأمل الشيء بالعين، ويقال: نظر إلى الشيء.

٢ـ الرؤية أتم من النظر.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية الإنسان ٢١: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾، بينما استعمل لفظة ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في آيات النساء ١٥٤ـ ق ٦ـ الملك ١٩ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

يقول المفسرون إنّ كلمة (عاليهم) تعني: فوقهم، لكن في الحقيقةِ الفوقيةُ لا تقتضي الملامسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾[المُلك:١٩] وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾[ق:٦] والنساء ١٥٤.

فكلمة (فوق) ظرفٌ مبهمٌ ليس له حدود، مثل: يمين ويسار. وعليه فإنّ كلمة ﴿عَلِيَهُمْ﴾[الإنسان:٢١] في سورة الإنسان تفيد الملامسة، وتعني: يلبسونها.



﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

مادلالة الآية ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾؟ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

الجواب :

هذا سؤال يخص المعنيين بالإعجاز العلمي، ولكنْ من الملاحظ أنّ القرآن يقول أحياناً: (ألقينا)، وأحياناً (جعلنا) في الكلام عن الجبال بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً. وقد علمنا أنّ بعض الجبال تتشكل من المادة المنصهرة الصادرة عن البراكين، أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كتل.

انظر الآيات [الحجر ١٩ ـ ق ٧ ـ لقمان ١٠ ـ النمل ٦١ ـ الأنبياء ٣١ ـ المرسلات ٢٧ ـ الرعد ٣].

وهذا يدل على أنّ هناك أكثر من وسيلة لتشكل الجبال، والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في لقمان ١٠ : ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ وفي آية ق ٧ ﴿زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ١٠ .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

لمَ قال الله: ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ فأضاف الشيء إلى نفسه؟

الجواب :

المعنى: وحب الزرع الحصيد أو النبات الحصيد.

السؤال الثاني :

كيف استعمل ﴿النَّخِيلِ﴾ في آية النحل ١١ و: ﴿وَالنَّخْلَ﴾ في آية عبس ٢٩ وآية سورة ق ٩؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١١.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَاءً مُّبَارَكًا﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

ذكر القرآن الكـريـم ٢٣ نوعا من المياه، لكل منها طبيعته الخاصة، وهي :

١- الماء المغيض: وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها. غاض الماء: قلّ ونقص.

قال تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[هود:٤٤].

٢- الماء الصديد: وهو شراب أهل جهنم.

قال تعالى: ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾[إبراهيم:١٦].

٣- ماء المهل: وهو القطران والمذاب من معادن أو زيت مغلي.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[الكهف:٢٩].

٤- ماء الأرض: الذي خُلق مع خلق الأرض. ويظل في دوره ثابتة حتى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[المؤمنون:١٨].

٥- الماء الطهور: وهوالعذب الطيب.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[الفرقان:٤٨].

٦- ماء الشرب.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾[النحل:١٠].

٧- الماء الأجاج: وهو شديد الملوحة، وهو غير مستساغ للشراب.

قال تعالى:

- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان:٥٣].
- ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر:١٢].
- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[الواقعة:٧٠].

٨- الماء المهين: أو الضعيف والحقير، ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[السجدة:٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[المرسلات:٢٠].

٩- الماء غير الآسن: أي غير متغير الرائحة، والآسن من الماء مثل الآجن، وقد أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً إذا تغيرت رائحته.

قال تعالى واصفا أنهار الجنة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[محمد:١٥].

١٠- الماء الحميم: حُمّ الماء:أي سخن والماء الحميم: شديد السخونة والغليان.

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد:١٥].

١١- الماء المبـارك: الذي يحيي الأرض، وينبت الزرع، وينشر الخير.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾[ق:٩].

١٢- الماء المنهـمر: وهو الماء المتدفق بغزارة ولفترة طويلة من السماء فيهلك الزرع والحرث.

قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾[القمر:١١].

١٣- الماء المسكوب: الملطف للأرض، ويعطى الإحساس بالراحة للعين.

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الواقعة:٣٠-٣١].

١٤- الماء الغور: الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها، فلا ينتفع منه.

قال تعالى: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف:٤١].

١٥- الماء المعين: الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[الملك:٣٠].

١٦- الماء الغـدق: أي الوفير.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[الجن:١٦].

١٧- الماء الفرات: أي شديد العذوبة.

قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾[المرسلات:٢٧].

١٨- الماء الثجاج: وهو السيل.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾[النبأ:١٤].

١٩- الماء الدافق: وهو مني الرجل يخرج في دفقات.

قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾[الطارق:٦].

٢٠- ماء مـدين: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾[القصص:٢٣].

٢١- الماء السراب: وهوما تراه العين نصف النهار كأنه ماء.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[النور:٣٩].

٢٢- ماء الأنهار و الينابيع: وهو الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك معروفة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[الزُّمَر:٢١].

٢٣- الماء السلسبيل: وهو ماء في غاية من السلاسة وسهولة المرور في الحلق من شدة العذوبة، وينبع في الجنة من عين تسمى سلسبيلاً؛ لأنّ ماءها على هذه الصفة. قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾[الإنسان:١٨].



﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

في أماكن قال: (آل لوط)، وفي أماكن قال: (قوم لوط)، وفي أماكن قال: (إخوان لوط)، لماذا قيلت كل واحدة في مكانها؟ وهل كان يمكن أنْ يقول: قوم لوط في جميع المواطن؟ ولِمَ هذا التنويع؟

الجواب :

١ـ التنويع ليس مع لفظة لوط فقط، وإنما مع أنبياء آخرين مثل هود: قوم هود وأخاهم هود وأخوهم هود، قوم صالح وأخاهم صالحاً وأخوهم صالح بحسب مواضعها.

٢ـ لكن عندما نأتي إلى الآية ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[ق:١٢-١٣-١٤] هناك نوع من التناسق في هذه الآية :

أ ـ تناسق المواضع: عندنا كلمة (قوم) تكررت مرتين، وكلمة (أصحاب) تكررت مرتين، وجاءت كلمة (إخوان) كأنها مرحلة وسط بين هذه وهذه بمعنى لو قيل في هذا المكان (وقوم لوط) ستكون (قوم) تكررت ثلاث مرات و(أصحاب) تكررت مرتين. فإذن هي نوع من الموازنة اللفظية وإخوان لوط هم قوم لوط.

ب ـ الجانب الصوتي:

نلاحظ أنه في الآيـة ١٣ ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ عـلى طريقـة التحليـل نجـد أنهـا مكونةمن ١٢ مقطعاً(و/ عا/ دُ/ وا/ فر/ عو/ ن/ و/ إخ/ وا/ ن/ لـوط) وكـذلك الآيـة التي قبلها مؤلفة من اثني عشر مقطعاً:

(قو/ م/ نو/ حٍ/ و/ أص/ حا/ بر/ رس/ س/ و/ ث/ مود).

هذا هوالتجانس الصوتي، حيث نجد أنّ عندنا مقاطع كثيرة بنفس العدد: [٥ مقاطع قصيرة هنا، ٥ مقاطع قصيرة هناك] والمقاطع الطويلة [٤ مقاطع طويلة مغلقـة في الآيـة الأولى و٤ مقاطع طويلة مغلقة في الآية الثانية]، ونجد [مقطعين طويلين مفتوحين، كـل منهما مكون من حرف وحركة طويلـة، وهـي (نـو – حـا) يقابلهـا (عـا – وا) في الآيـة الثانية]. (نو) طويل مفتوح و (حا) طويل مفتوح يقابله (عا) و (وا).

لو أنه كان في غير القرآن بدل (وإخوان لوط) (و/ إخ/ وا/ ن/ لوط) قال: (وقوم لوط) (و/ قو/ م/ لوط) سيسقط مقطع طويل مفتوح فيكون تخلخل في تناسق الصوت، وسيكون عندنا [٥ مقاطع قصيرة، ٥ مقاطع قصيرة]،[٤ مقاطع طويلة مغلقة – ٤ مقاطع طويلة مغلقة]، هنا سيكون [مقطعان طويلان مفتوحان، وهنا مقطع طويل

مفتوح] ويكون في هذه الآية ١١ مقطعاً وفي الثانية ١٢ مقطعاً فيختل عدد المقاطع لو قيل: (وقوم لوط) سيسقط مقطع طويل مفتوح. وهذا التناسق سيفوت عند ذلك.

٣ـ فإذن اختيار كلمة (وإخوان لوط) هنا أولاً فيه فائدة في الفصل بين الآيتين (أصحاب وقوم هنا وأصحاب وقوم هناك وإخوان في الوسط)، والأمر الثاني في هذا التناسق هو الصوت بالنسبة للمقاطع الطويلة المفتوحة وفي عدد المقاطع.

لذلك نجد أنّ هذا الاهتمام أو هذه العناية وتغيير الكلمة هنا بكلمة أخرى ليس من أجل الأرقام، وإنما من أجل المعنى، وبقصد محاولة الربط من حيث المعنى ومن حيث الجانب الصوتي أيضاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق اللغوي بين: [قوم وأصحاب والآل وإخوان]؟

الجواب :

١ـ (قوم) الرجل هم أهله بالصورة الواسعة. يقال فلان من قوم كذا،وقد يكون القوم أوسع من القبيلة،والعرب قوم.وقد يُطلق على القبيلة أنها قوم فلان.

والقوم هم الرجال في الأصل، ولا يقع على النساء إلا على وجه التبع كما قال عزوجل ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ فالمراد الرجال والنساء تبع لهم.

٢ـ (الآل) هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس، ومن معانيها الزوجة ومن معانيها الأتباع، و(أتباع) الرجل آله، وأتباعه الذين تبعوه كُثُر لكنّ قومه أكثر من الآل، و (قوم) أوسع.

٣ـ (الإخوان) أقرب من الآل؛ لأنّ الآل قد يكون فيها الأتباع، كما في الآية: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر:٤٦] أي أتباعه.

٤ـ الأهل:هم المقربون، بل إنّ القرآن استعمل الأهل فى الزوجة، ويمكن أنْ تطلق على الذرية أوالأقارب بحسب الحديث المشهورحديث أم سلمة.

٥ـ الكلمات فيها فوارق ولكن بحسب السياق. فلو جئنا لكل آية نجد أنه بالنسبة لـ (آل لوط) لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، فعندما يثني عليهم يذكرهم بخير يستعمل كلمة (آل)، ولا يستعمل كلمة (قوم).

السؤال الثالث :

في سورة ق قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات [هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣] فما السبب؟

الجواب :

١ـ قوم لوط معاصيهم لا تشبه معاصي قوم أي نبي آخر ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[الأعراف: ٨٠ - ٨١] وهذه لم ترد في الأنبياء الآخرين وما سبقهم بها من أحد.

٢ـ في سورة الشعراء وفي قصة سيدنا لوط ما قال لهم كما قال الأنبياء الآخرون: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ مع أنّ لوطاً عليه السلام قال كما قال الأنبياء الآخرون:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الشعراء:١٦٣] لكنّ التركيزكان على هذه الفاحشة، وهي إتيان الذكور من العالمين، وهذه المعصية قضية خاصة بالذكور لا بالإناث، وإخوان لوط ذكور، بخلاف الأقوام الأخرى التي هي عامة. لذلك عند التركيز على هذه المسألة (إتيان الذكور) يقول (إخوان لوط) ولا يقول (قوم لوط)؛ لأنّ هذا يدل على عموم القوم.

٣ـ (قوم لوط) وردت في العقوبة فقط؛ لأنّ الفاحشة عمّت الذكور، لكنّ القوم كذبوا وحتى النساء كذبت، وما وردت كلمة (قوم لوط) في القرآن إلا في عقوبة القوم، وبعدها تأتي الآيات الدالة على أنه أهلكهم، والعقوبة لا تخص الذكور، وإنما هي عامة.

٤ـ كل الأنبياء المذكورين في سورة الأنبياء وغيرها كانوا يدعون أقوامهم إلى التوحيد بما فيهم سيدنا لوط عليه السلام، ولكنه كان يذكّرهم دائماً بفاحشتهم التي فعلوها والتي ما سبقهم بها من أحد من العالمين وسنوا سنة سيئة لما بعدهم إلى يوم القيامة، فيتحملون وزرها ووزر من عمل بها.

٥ـ أصل المسألة أنّ هذه المعصية (إتيان الذكور) ما سبقهم بها من أحد وعندها يقول: (إخوان لوط) لا يذكر عقوبة، وإنما يقول: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾.

لكن كل المواطن التي ورد فيها (قوم لوط) يذكر بعدها العقوبة والعقوبة لا تخص الذكور وإنما القوم كلهم. فكلمة (قوم لوط) وردت في العقوبة؛ لأنّ العقوبة عمّتهم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[ق:١٤] لماذا لم يقل: كذبوا؟

الجواب :

لفظة (كل) لها قواعد في التعبير:

١ـ (كل) إذا أضيفت إلى [نكرة] يراعى معناها، مثل: (كل رجل حضر) (كل امرأة حضرت) (كل رجلين حضرا)، فإذا أضيف إلى نكرة روعي المعنى.

وإذا أضيفت إلى [معرفة] يصح مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، مثال: (كل إخوتك) (إخوتك) جمع يجوز أن يقال: كل إخوتك ذاهب ويقال: كل إخوتك ذاهبون، فيجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى.

٢ـ لفظة (كل) لفظها مفرد مذكر، ومعناها تكتسبه بحسب المضاف إليه. فإذا أضيفت لنكرة يراعى المضاف إليه، وإذا أضيفت لمعرفة يجوز مراعاة اللفظ والمعنى.

نوضح القاعدة:

أـ تقول: (كل الرجال حضر) و(كلهم حضر)، وإذا قطعت عن الإضافة لفظاً جاز مراعاة اللفظ والمعنى، كما في الآيات:

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٨٥] ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء:٣٣] ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[ق:١٤] ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾[البقرة:١١٦].

فمع مجموعة قوم نوح وعاد وفرعون قال: (كلٌ كذب الرسل).

إذن من حيث القاعدة النحوية: إذا قطعت عن الإضافة جاز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، كما في الآية ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء:٣٣] فإنه لفظاً يمكن أنْ يقال: (كلٌ في فلك يسبح) و(كلٌ في فلك يسبحون).

ب ـ لكنْ هل هنالك اختلاف في المعنى في القرآن ليختار هذا أو ذاك؟ هذا هو السؤال؟

من حيث اللغة جائز. والقرآن استخدم الاثنين ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء:٩٣] ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء:٣٣] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٤] ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[ق:١٤].

ومما قيل في هذا الخلاف: الإخبار بالجمع، يعني: كلهم مجتمعون في هذا الحدث، وعندما يفرد يكون كل واحد على حدة وليسوا مجتمعين. فعندما يقال: (كلٌّ حضروا). يعني حضروا مجتمعين، وعندما يقال: (كلٌّ حضر) يعني كل واحد حضرعلى حدة.

* شواهد قرآنية :

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء:٣٣] كلهم يسبحون في آن واحد.

﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الأنبياء:٩٣] يوم القيامة كلهم مع بعضهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[الإسراء:٨٤] كلٌّ على حدة.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾[ق:١٤] كلٌّ على حدة، وكل واحد في زمن مختلف.

السؤال الخامس :

هل من لطائف عددية في سورة ق؟

الجواب :

قيل رياضياً: إنّ عدد القافات في سورة ق هو ـ٥٧ـ قافاً، وهذا العدد من مضاعفات العدد المشهور (١٩)، وهو عدد أحرف البسملة، ولو قال: (وقوم لوط) بدل (وإخوان لوط) لأصبح العدد (٥٨) ولا يقسم على (١٩). والله أعلم.

السؤال السادس :

لماذا قال في آية ص ١٤ : ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾ وفي آية ق ١٤ : ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ص ١٤.



﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق:١٦] فيه بيان لكمال علمه تعالى، والوريد العِرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل إلى كل أجزاء البدن. والله سبحانه أقرب من ذلك بعلمه؛ لأنَ العِرْق تحجبه أجزاء اللحم، وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شيء.

وجاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾. والله أعلم.



﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾

السؤال الأول :

لِمَ قال الله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ ولم يقل: قعيدان؟

الجواب :

١ـ القعيد هو الملازم أو المُقاعد، كما في النديم بمعنى المنادم. والمعنى أنه عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، إلا أنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. قال الشاعر :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فإني وقيّار بها لغريب

يعني إني لغريب وقيّار غريب.

٢ـ صيغة (فعيل) يستوي فيها الواحد والاثنان والجمع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾[التحريم:٤].

٣ـ إضافة إلى مراعاة الفاصلة.



﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[ق:١٨] رقيب وعتيد كيف يسجلان أعمالنا؟

الجواب :

١ـ هنالك ملكان يسجلان ما يلفظ من قول، والرقيب هو الذي يراقب كل حرف وكل كلمة وقيل كل عمل، والعتيد هو الحاضر المهيأ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾

[ق:٢٣] عتيد يعني حاضر،كما في الآية: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[يوسف:٣١] أي أحضرت، و (عتيد) معناه: حاضر مهيأ.

إذن رقيب عتيد ملكان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات. و كل لفظة تصدر من الإنسان يكتبها هذان الملكان، فالحسنة يكتبها أحدهما والآخر يكتب السيئة. وقالوا: ملك الحسنات هو الآمر الأول، فيقال إنه إذا تكلم الشخص بكلمة فأراد أنْ يكتبها الملك الذي يكتب السيئات، يقال له: تريث لعله يستغفر فإنْ لم يستغفر يقال له: اكتبها.

إذن رقيب عتيد هما ملكان، وكل شخص له ملكان موكلان به، يكتب أحدهما الحسنات والآخر السيئات، وهاتان صفتان للملكين.

٢ـ كل الملائكة (رقيب عتيد) فيكف يكون عَلَماً؟ (رقيب عتيد) هذه صفة والعَلَم ما أطلق على شيء ولم يتناول غيره ما أشبهه، والعَلَم يكون خاصاً وكل إنسان عنده رقيب عتيد، فكيف يكون علماً؟

إذن (رقيب) صفة مراقبة و(عتيد) من الحضور والتهيؤ، وكل واحد له هذان الملكان، وكل منهما (رقيب عتيد)، أحدهما موكل بكتابة الحسنات والآخر بكتابة السيئات، وما يلفظ من قول إلا كتبه أحد هذين الملكين. والله أعلم.



﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

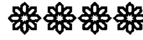
السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ السائق: هو الذي يسوق الإنسان إلى الموقف، ومنه إلى مقعده، وهو لازم للبر والفاجر. فأمّا البر فيُساق إلى الجنة وأمّا الفاجر فيُساق إلى النار.

٢ـ أما الشهيد فهو الكاتب الذي كان يكتب على الإنسان عمله.



﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل يمكن توضيح ماهية القرين؟

الجواب :

١ـ القرين هو المصاحب، قد يكون من الإنس و قد يكون من الجن، كما وضّح ربنا تعالى في الآيات:

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الصافات:٥١-٥٢-٥٣] هذا إنس.

﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الصافات:٥٥-٥٦-٥٧] هذا شيطان إنس.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزُّخرُف:٣٦] ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾[فُصِّلت:٢٥]. هذا من الجن.

٢ـ لذلك نفهم من الآية ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق:٢٣] أنّ القرين يجوز أنْ يكون من الإنس، ويجوز أنْ يكون من الجن، لكنّ الدلالة واحدة وهي المصاحبة.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية ق ٢٣: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ ثم قال في الآية ٢٧: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ بغير (واو)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الآية ٢٣هوالملك الشهيد عليه من الحفظة يقول: هذا الذي وكلت به قد أحضرته، أو إشارة إلى كتّاب أعمال الإنسان الذي كان موكلاً به.

٢ـ الآية ٢٧ هوقرينه من الشياطين مخاطباً لربه تعالى، فانقطع الكلام عن الأول، فجاء مستقبلاً بغير(واو).



﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

هذا الخطاب إمّا أن يكون للمَلَكين سائق وشهيد، أو خطاباً للمَلَك الموكل بعذابه وإنْ كان واحداً، وهو مذهب معروف من مذاهب العرب في خطابها أو تكون الألف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، ثم أجري الوصل مجرى الوقف.

والعرب تقول: خليليّ و صاحبيّ وقفا وعوجّا، كما قال الشاعر امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل. ..

ثم ذكر القرآن صفات هذا المُلقى فذكر له ست صفات :

١ـ أنه كفّار لنعم الله، كفّار بدينه وتوحيده، كفّار برسله وملائكته ،كفّار بكتبه ولقائه.

٢ـ أنه معاند للحق بدفعه له جحداً وعناداً.

٣ـ أنه منّاع للخير، فليس له خير لنفسه ولا لبني جنسه.

٤ـ أنه معتدٍ على الناس بيده ولسانه.

٥ـ أنه مريب وصاحب شك.

٦ـ أنه مع ذلك مشرك بالله قد اتخذ مع الله إلهاً آخر.

السؤال الثاني :

ما طرق دخول النار؟ وما الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٢٩.



﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية سورة ق: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ق:٢٥] وفي آية سورة القلم يقول: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم:١٢] فما الفرق بينهما؟

الجواب :

(معتدٍ مريب) يعني هو هكذا حيثما كان، متجاوز للحدود، وهو دائم الشك و التهمة في الدين وفي البعث، وموقع غيره فيه. فهو هكذا دائماً إذا كلمك، إذا أحبك، إذا صافحك ،فهو مريب ولا يمكن أنْ تستريح نفسك إليه، لماذا؟

لأنّ كل حركاته مريبة، فهو رجلٌ يتتبع الشك والريبة في القول والعمل والفعل.

وأمّا (معتد أثيم) فهو ثابت التجاوز للحدود، وهو مبالغ في ارتكاب ما يوجب الإثم، فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث ويرغب في المعاصي، ويدع الطاعات.



﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ عندما يقول الحق: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ فذلك يدل على أنّ الصاحب هو الذي يألف صاحبه ويحب أنْ يجلس معه ويقضي أجمل أوقاته، لذلك فقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ دليل على عشق النار لهم، فهي تفرح بهم عندما يدخلونها كما يفرح الصديق بصديقه.

واقرأ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠] لترى مدى العشق بين النار والكفار، فالنار تصاحبهم في كل مكان، وهي ليست مصاحبة كريهة

بالنسبة للنار، ولكنها مصاحبة تحبها النار؛ لأنّ النارتكون سعيدة حين تحرق كل كافر وآثم ومنافق وتعاقب الذين كفروا بمنهج الله.

٢ـ وكذلك الحال بالنسبة للجنة، فإنّ الجنة تحب مصاحبة كل من آمن بالله وأخلص له العبادة وطبّق منهجه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود:٢٣] فالجنة تكون سعيدة، وهي تمتع المؤمن.



﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

أخبر الله تعالى عن تقريب الجنة من المتقين ـ اللهم اجعلنا منهم ـ وأنّ أهلها هم الذين اتصفوا بالصفات الأربع التالية:

١ـ أنْ يكون أواباً؛ أي رجّاعاً إلى الله من معصيته إلى طاعته ومن الغفلة عنه إلى ذكره.

٢ـ أنْ يكون حافظاً لما استودعه الله من حقه ونعمته.

والنفس لها قوتان: قوة الطلب وقوة الإمساك، فالأواب يستعمل قوة الطلب في رجوعه إلى الله ومرضاته، والحفيظ يستعمل قوة الإمساك ليبعد نفسه عن المعاصي والنواهي.

٣- قوله: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق:٣٣] يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه المحيط، ويتضمن الإقرار بكتبه ورسله ووعده ووعيده ولقائه.

٤- قوله: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣٣] أي مقبل على طاعة الله راجع عن معاصي الله.

فإنْ قيل: ما وجه التقريب مع أنّ الجنة مكان ،والأمكنة يقرب منها وهي لا تقرب؟

فالجواب أنّ المؤمن لا يؤمر بالانتقال إليها مع بعدها، ولكنّ الله يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة، وهذا هو التقريب إكراماً للمؤمن.

ثم ذكر الله سبحانه جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٢٤-٣٥].

اللهم اجعلنا منهم. اللهم آمين.

السؤال الثاني :

ما الحِكَم والرقائق في هذا المجال؟

الجواب :

- من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه.

- للعبد رب هو ملاقيه وبيت هو ساكنه، فينبغي له أنْ يسترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

ـ كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟

ـ لو نفع العلم بلا عمل لما ذمّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذمّ المنافقين.

ـ يخرج العارف من الدنيا ولم يقضِ وطره من شيئين: بكائه على نفسه وثنائه على ربه.

ـ من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات.

ـ لمّا طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها ولمّا طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين.

السؤال الثالث :

لماذا ذكر الأمن في آية الحجر٤٦ فقال: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحِجر:٤٦] ولم يقل ذلك في آية سورة ق٣٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجر ٤٦.

السؤال الرابع :

قدّم في النحل ٣١ والفرقان ١٦ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ وعكسها في ق٣٥ فقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ في سورتي النحل والفرقان الكلام فيهما عن الجنة، فقدّم ضمير الجنة ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾.

٢- أمّا آية ق ٣٥ فإنّ الكلام على من سيدخل الجنة، فقدّم ﴿مَّا يَشَآءُونَ﴾ على ﴿فِيهَا﴾ فناسب كل تعبير مكانه.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية ٣٣ : ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ ما مواصفات أولي الألباب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ٢١.



﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

في آية سورة ق ٣٦ لِمَ عبّر عن الأمم الذين أُهلِكوا بالقرن؟

الجواب :

ما القرن؟ أحد معانيه: مائة عام، وليس هو المعنى الوحيد. القرن هو القوم من الناس الذين يعيشون في زمن واحد، أي مجموعة من الناس يعيشون في زمن واحد ويسمون القرن، وفي كتب اللغة القرن أهل زمان واحد.

إذا ذهب القرنُ الذي أنت فيهُمُ وخُلِّفت في قرنٍ فأنت غريب

أي أنه إذا ذهب الناس الذين تعرفهم وعشت بينهم ونشأت بينهم وخلّفت في قوم آخرين فأنت غريب.

إذن القرن ليس معناه فقط مائة سنة، وإنما هذا أحد معاني القرن. القرن هم القوم المقترنون في زمن واحد، والذين يعيشون في زمن واحد.

السؤال الثاني :

عن كيفية استعمال القرآن الكريم للقرن والقرون بعد (كم) التكثيرية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.



﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧] ؟

الجواب :

١ـ إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك وألق سمعك عند تلاوته، فإنه خطابٌ من الله تعالى لك على لسان رسوله ﷺ.

٢ـ وقد جمعت الآية على المؤثروهو القرآن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ والمحل القابل للتأثر ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ وشرط التأثر بالكلام ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ وانتفاء المانع الذي يمنع منه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ .

فإذا حصل المؤثر وهو القرآن ،والمحل القابل وهو القلب الحي ،ووجِد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر.

٣ـ فإنْ قيل: إذا كان التأثر إنما يتم بمجموع هذه فما وجه دخول أداة ﴿أَوْ﴾في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾والموضع موضع واو الجماعة لا موضع الحرف (أو) التي هي لأحد الشيئين؟

والجواب: أنّ الكلام خرج بـ (أو) باعتبار حال المخاطب المدعو :

فإنّ من الناس من يكون حيّ القلب تام الفطرة، فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دلّه قلبه وعقله على صحة القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، فهذا حال صاحب القلب الحي الواعي.

ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الواعي، فطريق حصول هدايته أنْ يفرّغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكر فيه، فيعلم حينئذ أنه الحق. فالأول في مقام الإحسان والثاني في مقام الإيمان، وهو قد وصل إلى علم اليقين، وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين، وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام.

والله أعلم.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النصب واللغوب؟

الجواب :

١ـ النصب هو التعب والإعياء، واللغوب هو الفتور وهو نتيجة النصب فنتيجة النصب يفتر الإنسان. فالنصب أولاً ثم اللغوب. والنصب تعب، ثم نتيجة الإعياء يحصل فتور.

٢ـ وقسم من أهل اللغة يفرّق فيقول إنّ النصب هو تعب البدن واللغوب هو تعب النفس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[ق:٣٨] يعني أيّ فتور.

٣ـ في الجنة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[فاطر:٣٥] وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[ق:٣٨] يعني حتى الفتور ما مسّنا فكيف بالنصب؟! الشيء القليل ما مسنا فما بالك بالكثير؟ بينما في التوراة المحرفة قالوا: خلق الله السماء والأرض في ستة أيام ثم تعب فارتاح يوم السبت!

السؤال الثاني :

ما الفرق في النفي ب (ما) أو بـ(لم)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٢٠.



﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين إدبار وأدبار؟

الجواب :

قال تعالى في سورة ق: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[ق:٤٠] وقال في سورة الطور :﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾[الطور:٤٩].

١ـ (الأدبار) بفتح الهمزة جمع دُبر بمعنى: خلف، كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة أي بعد انقضائها. وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[الأنفال:١٥-١٦].

٢ـ أمّا (الإدبار) بكسر الهمزة فهو مصدر فعل (أدبر)، مثل: أقبل إقبالاً والنجوم ليس لها أدبار، ولكنها تُدبر؛ أي تغرُب عكس الإقبال.

السؤال الثاني :

قال في آية طه ١٣٠ : ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وفي ق ٣٩ ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ فلماذا؟

و قال في طه ١٣٠ : ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ بإطلاق التسبيح، وقال في ق ٤٠ : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ بتخصيص التسبيح لله وذلك بذكر الضمير،فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٣٠ .



﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

ما التعليل اللغوي لكتابة لفظة ﴿ٱلْمُنَادِ﴾بدون ياء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٤٦.



﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة السرعة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٥٤.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة ق مع خواتيمها :

١ ـ بدأت السورة بقوله ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١].

وختمت بقوله :﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق:٤٥].

فكلتا الآيتين في القرآن.

٢ ـ وقال في أوائلها :

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾ [ق:٣].

وقال في أواخرها :

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤﴾ [ق:٤٢-٤٣-٤٤].

فهم في الآية الأولى استبعدوا الحياة بعد الموت، وقالوا ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾[ق:٣].

وذكر ربنا في الآيات الأواخر أنّ ذلك سيحصل وأنّ الحشر علينا يسير.

٣ ـ قال في أول السورة :

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧﴾[ق: ٦ - ٧].

وقال في أواخرها: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ۝٣٨﴾[ق:٣٨].

فكلا الموضعين في خلق السماوات والأرض، فالمناسبة ظاهرة. والله أعلم.

الجزء السابع والعشرون

الهدف العام: قضية الاختيار:

هذا الجزء يشتمل على سبع سور يجمعها محور واحد، وينفرد كل منها بهدف من أهداف المحور الرئيس للجزء كلّه.

وبعد أنْ عرضت الأجزاء السابقة في القرآن الكريم المنهج، يأتي هذا الجزء والذي يُخيّرنا الله تعالى بين أمور عدة علينا أنْ نحسن الاختيارمن بينها حتى نفوز في النهاية. وقد عرضت السور والآيات عدة طرق للاختيار منها: طريق إرضاء الله وطريق إغضابه، وطريق الجنة وطريق النار، وطرق النعم وطريق النقم، وطريق الرزق وغيرها، والمطلوب منك أيها المسلم المؤمن أنْ تحسم أمرك وتختار بعد أنْ عرفت عن كل هذه الاختيارات ما يعينك على حسن الاختيار. وهذا الجزء كله يركّز على التذكرة بالآخرة، وفيه أسلوب ترقيق القلوب الذي هو من أنجح الأساليب في الدعوة وتطهير القلوب والنفس البشرية. والسور كلها مكّية ما عدا سورة الحديد فهي مدنية. وأربع منها ابتدأت بالقسم، وهي (ق، الطور، النجم، الذاريات).

سورة الذاريات

أولاً ـ تناسب خواتيم ق مع فواتح الذاريات :

إنّ خاتمة سورة (ق) تحدثت عن يوم الحشر، وكذلك أول الذاريات.

فقد قال في خاتمة ق :

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق:٤١-٤٢-٤٣-٤٤].

وقال في أول الذاريات :

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٥-٦].

ثم ذكر عاقبة كل من المكذبين والمؤمنين فقال :

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١-١٢-١٣-١٤].

وذكر المتقين فقال :

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٦].

وقد سبق ذكر ذلك في ق فقال :

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق:٢٤].. . ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وذكر عاقبة المتقين فقال:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾... ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

فالمناسبة ظاهرة.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق:٤٥].

وقال أول هذه بعد القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٥-٦].

وجاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لسورة ق أنها لمّا ختمت بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك، افتتحت هذه بالإقسام على أنّ ما وعدوا من ذلك لصادق وأنَّ الجزاء لواقع)).

ثانياً ـ هدف السورة :

العطاء والمنع بيد الله تعالى :

هذه السورة مكيّة وتبدأ بالقسم بالذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ فالذاريات: هي الريح الشديدة التي تفرق السحاب المحمّل بالمطر فتمنعه عن الإنزال، والحاملات: هي الرياح التي تدفع السحاب ليتجمّع وينزل المطر بإذن الله، والجاريات: هي الفلك تجري في البحر بدفع

الرياح لها تجلب الرزق للناس، والمقسمات: هي الملائكة التي أُمرت أنْ تقسّم أرزاق العباد. فالجأ إلى الله واطلب منه وحده؛ لأنه هو الذي يعطي الرزق أو يمنعه بأمره وقدرته. وتتحدث الآيات كلها عن رزق الله؛ ولهذا جاءت فيها الآية المحورية: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾[الذاريات:٢٢].

وحتى ورود قصة سيدنا إبراهيم في السورة جاء ليخدم الهدف وهو الرزق، فركّزت على رزق الله تعالى له بالغلام بعد سنين طويلة؛ لأنّ الأولاد هم من رزق الله وعطائه سبحانه، ثم إكرام إبراهيم لضيفه: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] دليل الكرم، ثم جاء لهم بعجل سمين، وهذا من باب الكرم والرزق والعطاء.

وتختم الآيات بأنه إذا كان العطاء والمنع من الله تعالى ففروا أيها الناس إليه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾[الذاريات:٥٠]، وتأتي الآية المحورية في السورة: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذاريات: ٥٧ - ٥٨] فالرزق من عند الله، وعلينا الاختيار بين من يعطي الرزق ومن لا يملك الرزق.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بالذاريات؟ وما نوع هذا القسم؟

الجواب :

١ـ في جميع السور التي أقسم الله تعالى في ابتدائها بغير الحروف كان القسم لإثبات أحد الأصول الثلاثة :

أ ـ الوحدانية: وهذا في سورة واحدة وهي سورة الصافات، حيث قال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصافات:٤].

ب ـ الرسالة: وهذا موجود في سورتين لإثبات صدق محمد عليه السلام وكونه رسولاً، وهما سورة النجم ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم:١-٢] وسورة الضحى ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ .

ج ـ الحشر: في باقي السور التي بدأت بالقسم.

٢ـ نلاحظ أنّ الله تعالى أقسم بجمع المؤنث السالم في خمس سور، وهي: [والذاريات ـ والصافات ـ و المرسلات ـ والنازعات ـ والعاديات]، ولم يقسم بجمع المذكر السالم في أية سورة أصلاً، مع أنّ المذكر أشرف؛ وذلك لأنّ جموع السلامة بالواو والنون في الأمر الغالب لمن يعقل، والقسم بهذه الأشياء (الذاريات، الصافات، المرسلات، النازعات، العاديات) جاء لإثبات الحشر والجزاء، وإثبات الحشر والجزاء هو لبيان ثواب الصالح وعذاب الطالح، أي أن الأمر يتعلق بالعقلاء، فكان الأمر يقتضي أنْ يكون القسم بغيرهم. والله أعلم.

٣ـ نلاحظ أنّ الله أقسم في سورة الصافات لإثبات الوحدانية، فأقسم بالساكنات، فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ وفي السور الأربعة الأخرى، أقسم بالمتحركات؛ وذلك لأنّ الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحركة أليق.

٤ـ في الذاريات أقوال: أصحها (الرياح)، والمذكور في الآيات التالية هو صفات أربع للرياح: الذاريات فالحاملات فالجاريات وفالمقسمات.

وقيل: إنّ الذاريات هي الرياح، والحاملات هي السحاب، والجاريات هي السفن، والمقسمات هي الملائكة.

٥ـ الفاء لترتيب الأمور في الوجود، فالذاريات تنشىء السحاب فتقسم الأمطار على الأقطار.

وإنْ قلنا إنها أربعة أمور، فالفاء للترتيب في القسم لا للترتيب في المقسم به. فكأنه يقول: أقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحب الحاملات ثم بالسفن الجاريات ثم بالملائكة المقسمات.

٦ـ قوله تعالى : ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة يرسلها الله تعالى في أمور مختلفة. وكلمة (أمراً) هي مفعول به للوصف الذي هو (المقسمات)، وهو مفرد أُريد به الجمع.

والله أعلم.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة فصل (إنما) في آية سورة الأنعام ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾[الأنعام:١٣٤] بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات ٥ ـ والمرسلات ٧؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣٤.



﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ورود الفعل ﴿يُؤْفَكُ﴾ مبنياً للمجهول في الآية؟

الجواب :

ورد الفعل ﴿يُؤْفَكُ﴾ مبنياً للمجهول في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة وبصيغ مختلفة، كقوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾[الذاريات:٩] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ والحكمة ـ والله أعلم ـ من حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول أنّ الفاعل يحتمل عدة احتمالات، فقد يكون الذي يصرف الكفار عن الإيمان هو الشيطان أو الهوى أو الشبهة أو الشهوة أو النفس أو القرين أو العرف الباطل أو التقليد الأعمى أو الدنيا الخادعة أو المصلحة الذاتية أو غير ذلك.

لهذا حُذف الفاعل وبُني الفعل للمجهول. والله أعلم.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الفتنة والاختبار والابتلاء والتكليف والتحميل؟

الجواب :

١ـ الفتنة هي أشد أنواع الاختبار: وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده، ويكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات:١٣] وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] وقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٦-١٧] فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المُنعَم عليه.

٢ـ الابتلاء: لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق، بينما الاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب أيضاً. ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: هو مبتلى بالنعمة، بل مختبر بها.

والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، بينما الاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر هو العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته.

٣ـ التحميل لا يكون إلا لما يُستثقل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ [البقرة:٢٨٦] والإصر هو الثقل.

أمّا التكليف فقد يكون لما لا ثقل له، نحو الاستغفار فتقول: كلفه الله الاستغفار، ولا تقول: حمّله ذلك.

والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾؟

الجواب :

إنْ قيل ما الذي جاء بالإحسان في قوله: ﴿كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ تكون الإجابة:

أ ـ قوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات:١٧] فالمسلم حر بعد صلاة العشاء، وله الحق أنْ ينام إلى الفجر، لكنّ المحسن يريد الارتقاء بإيمانه فيزيد من صلواته في الليل.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٨] أكَلّفَ اللهُ الخلق بأن يستغفروا بالأسحار؟ لا. . بل إنّ الرسول يجيب على رجل سأله عن الفروض الأساسية المطلوبة منه، فذكر له أركان الإسلام ومن بينها الصلاة المكتوبة، فقال الرجل: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال الرسول ﷺ: «**أفلح إنْ صدق**». لكنّ الاستغفار في الأسحار من صفات المحسنين.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات:١٩] ولم يقل: الحق هنا حق معلوم، كما في آية المعارج ٢٤، إنما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾﴾ [المعارج:٢٤] فالحق

المعلوم هو الزكاة، أمّا المحسن فللسائل والمحروم في ماله حق غير معلوم؛ وذلك ليفسح سبحانه المجال للطموحات الإيمانية فمن يزد العطاء فله رصيد أكبر عند الله.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾[الذاريات:١٥]؟

الجواب :

١ـ المتقي له مقامات أدناها أنْ يتقي الشرك، وأعلاها أنْ يتقي الله وحده. وأدنى درجات المتقي الجنة، فما من مكلف اجتنب الكفر إلا ويدخل الجنة فيرزق نعيمها.

٢ـ في القرآن وردت لفظة ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ بالإفراد، كما في آية [محمد ١٥] و﴿جَنَّٰتٍ﴾ بالجمع [الذاريات ١٥] و﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ بالتثنية [الرحمن ٤٦].

أمّا الإفراد فلأنها - لاتصال المنازل والأشجار والأنهار- كجنة واحدة وأمّا الجمع فلكبرها واتساعها فكأنها جنات لا يحصرها عدد، وأمّا التثنية فهو عطاء وفضل من الله للمؤمن، فكانها جنة مقابل فعل الطاعات وجنة مقابل ترك المعاصي. وقيل: جنة جسمية لنعيم المأكل والمشرب والمنكح وجنة روحية لنعيم الروح.

وهذا في مقابل ماذكره الله عن المجرم من أنه يطوف بين نارجهنم وحميم آن، فهناك نوعان من العذاب وهنا نوعان من النعيم. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة التعابير التالية التي وردت في الآيات [١٥ـ١٩]؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ يدل على التملك.

٢ـ قوله: ﴿ءَاتَىٰهُمۡ﴾ أي أعطاهم الله من فضله.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾ إشارة إلى ثمن الجنة؛ أي أخذوها من فضل الله نتيجة الإحسان.

ولفظة ﴿ذَٰلِكَ﴾ تدل على ما قبل دخول الجنة أو قبل إعطائهم الجنة أو إشارة إلى حالهم في الدنيا.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ [الذاريات:١٧] تفسير لكونهم محسنين، حيث يسهرون الليل في طاعة الله يسبحونه ويستغفرونه.



﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بـ ﴿تُوعَدُونَ ٢٢﴾ في الآية ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ هل هي تعني الجنة والنار في السماء؟

الجواب :

﴿وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ قسم قال: ما توعدون من خير وشر، أي المقدّرات وهي في السماء باعتبارها كتبت كلها في السماء (في اللوح المحفوظ) وهوكل ما كان وما سيكون إلى يوم

الدين، فهي في السماء، إذن (ما توعدون) من خير وشر وكله مدوّن في السماء. وقسم قال: الجنة والنار.

وقسم جعلها جملة جديدة: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات:٢٢-٢٣] أي كل ما توعدونه وكل ما وعدتم به ووعدكم الرسل، وكل ما جاء على ألسنة الرسل ورب السماء والأرض إنه لحق فأقسم على أنه حق، على ما وعدوا به، فجعل (ما توعدون إنه لحق) وأقسم على ذلك.

فإذن فيها احتمالات وكلها مقبولة. أليس ما نوعد به مدون في السماء؟ بلى، إذن يحتمل هذا الشيء.

والجنة في السماء، والرسول عليه السلام رأى الجنة والنار عندما عُرِج به، وهذا أيضاً حق، ولكنّ الأغلب أنه الجنة والنار، أي ما توعدون من جنة أو نار، وإنْ كانت كل الاحتمالات مقبولة.

أليست الجنة والنار من الرزق؟ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾[الذاريات:٢٢].

لذلك فالمعنى للرزق أنه إمّا أن يكون مدوناً في السماء، أوهو المطر الذي ينزل من السماء ويعتبر من الرزق. وفي الحديث الشريف " **لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها**" إذن هي مدونة. والله أعلم.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا
قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ
قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة الذاريات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات:٢٤] كلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة المكرمين جمع. فكيف ذلك؟

الجواب :

عندنا كلمات في اللغة تأتي للمفرد وللجمع. ومنها كلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع، ومثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد.

وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع ،ومثلها كلمة (بشر) ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾[القمر:٢٤] بالمفرد ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[المائدة:١٨] بالجمع.

إذن كلمة (ضيف) تكون للمفرد وللجمع (ضيوف وأضياف) وعندنا (خصم وخصوم) و(طفل وأطفال) و(رسول ورسل)، و(رسول) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمصدر أيضاً، وهذا يسمى في اللغة اشتراك.

و(الرسول) تأتي بمعنى الرسالة والإرسال، كما في الآيات: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[الشعراء:١٦] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه:٤٧].

فإذن (ضيف) تأتي بصيغة المفرد والجمع.

السؤال الثاني :

وردت قصة ضيف إبراهيم في سورتي الذاريات والحجر. فما الفرق بين السياقين؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات سورة الحجر [٥١ـ٥٦]؟

السؤال الثالث :

ما الفرق بين سلام الملائكة وسلام إبراهيم في الآية ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الذاريات:٢٥]؟

الجواب :

١ـ (سلامٌ) هو جزء من جملة اسمية ﴿سَلَٰمٌ﴾ إمّا مبتدأ لخبر محذوف (سلام عليكم) أو خبر لمبتدأ محذوف.

والقاعدة اللغوية: أنّ المرفوع يفيد الجملة الاسمية، والمنصوب هو جزء من جملة فعلية. فإذا قلنا: (ويلٌ) فهي جملة اسمية (ويل له) وإذا قلنا: (ويلاً) فهي جملة فعلية. وقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ هي جملة فعلية.

٢ـ والملائكة (قالوا سلاماً) أي حيّوه بالجملة الفعلية، وإبراهيم عليه السلام ردّ التحية بخير منها عن طريق الجملة الاسمية، فقال: (سلام) أي السلام الثابت الشامل الدائم. فإبراهيم عليه السلام لم يردّها فقط، وإنما حيّاهم بأحسن منها تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].

وللعلم فإنّ تحية أهل الجنة هي: (سلام) وتكون من الله تعالى ومن الملائكة ويحيّون فيها بالجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد:٢٤].

٣ـ قوله تعالى : ﴿سَلَٰمًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره نسلِّم سلاماً. و﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم. وفيها أعاريب أخرى لكنّ هذا أشهرها.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ٢٦: ﴿فَرَاغَ﴾ ما كلمات منظومة (جنح وجنف)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.

السؤال الخامس :

ما اللمسة البيانية في وصف الله تعالى إسماعيل بـ(الحليم)، كما في آية الصافات١٠١ ووصف إسحق بـ (العليم) كما في آية الحجر٥٣ وآية الذاريات ٢٨؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ١٠١.

السؤال السادس :

قوله تعالى في الآية ٢٩ ﴿ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ ما الفرق بين زوج وامرأة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.

السؤال السابع :

قوله تعالى في الآية ٢٩: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ ما الفرق بين عقم وعقر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.



﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين المؤمنين والمسلمين في سورة الذاريات ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦]؟

الجواب :

١ـ هذه الآية تتكلم عن بيت واحد لا أكثر، لكنه وُصِف مرة بكلمة المؤمنين ومرة أخرى وُصِف بكلمة المسلمين، وذلك في موضع واحد وهو بيت لوط عليه السلام.

٢ـ والحكاية أنّ الملائكة جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام، والقصة معروفة، فسألهم إلى أين أنتم؟ قالوا: إلى هذه البقعة قال: إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت:٣٢] فأخرجوا زوجته من الأهلية لأنه في الأصل المرأة من أهل البيت، لكن أخرجوها؛ لأنها كانت تعمل – باتفاقها مع المشركين – ضد لوط عليه السلام.

و الآية تقول: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات:٣٥] ﴿فِيهَا﴾ تعني من هذه البلدة التي كان فيها لوط عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان؛ لأنه كان الوحيد الذي آمن بإبراهيم عليه السلام من أهل البلدة، ثم صار نبيّاً وصار يدعو ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦].

٣ـ في القرآن الكريم في بعض المواطن يوجد تفريق بين المؤمنين والمسلمين، بل حتى في حديث سعد بن أبي وقاص لمّا قال: يا رسول الله أعطِ فلاناً فإنه مؤمن. قال: أو مسلم.

فهناك فرق بين المؤمن والمسلم، كما في الآية ﴿۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحُجُرات:١٤] فإذن الإيمان شيء داخلي، وهو: ما وقر في القلب وصدّقه العمل. وكذلك ما جاء في الحديث لمّا جاء جبريل عليه السلام يعلّم المسلمين أمور دينهم " حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال:[**بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع**

كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أنْ تشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إنْ استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أنْ تعبد الله كأنك تراه. فإنْ لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: "أنْ تلد الأمة ربتها، وأنْ ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان". قال ثم انطلق. فلبثت ملياً. ثم قال لي: "يا عمر! أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " فالأعمال الظاهرية هي الإسلام، والأعمال الباطنية هي الإيمان. والمؤمن يقيناً هو مسلم؛ لأنّ الذي يستقر الإيمان في قلبه يطبّق تعاليم الإسلام، لكنْ يمكن أنّ يكون الإنسان مطبِّقاً، ولمّا يدخل الإيمان بعد في قلبه.

٤ـ كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلِم مؤمناً. وعندما يحدثنا القرآن الكريم عن إنسان معيّن ويقول: إنه مؤمن، ثم يقول بعد ذلك: إنه هو مسلم. معنى ذلك أنه جمع له الأمرين: الإيمان الباطني والتطبيق العملي .

وفي الآية فإنّ أهل هذا البيت كانوا مؤمنين ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات:٣٥] (لوط وأهل بيته)؛ لأنه ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات:٣٦]

و(البيت) المقصود به هم أصحاب البيت، سكان البيت؛ لأنّ البيت هو ما يبيت فيه الإنسان. وهذا على قبيل قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[يوسف:٨٢] في سورة يوسف.

٥ـ لم يقل (المؤمنين) حتى لا تتكرر؛ لأنه لو قال - في غير القرآن-: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا غير بيت من المؤمنين) هنا التكرار غير محمود؛ لأنه لا معنى له.

٦ـ قوله : ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾هذا الوصف بصيغة الإطلاق فيه رفعة لشأن هؤلاء.

ولو قال: (غير بيت منهم) يكون كأنه يصغّرهم وهو يريد لهم قيمة.

٧ـ إذا كرر لفظة (المؤمنين) هنا وهي قريبة، كأنما يكون تركيزاً على الإيمان، وليس فيه إشارة إلى التطبيق العملي، والآية أرادت أن تذكر أنهم مؤمنون مطبقون لإيمانهم عملياً، فجمعت لهم بين الإيمان والإسلام. وهذا هو قول جمهور المفسرين.

السؤال الثاني :

قد يقول القائل: لماذا لم يقل: وجدنا فيها غير أهل بيت؟ لماذا حذف (أهل)؟ وكذلك في آية سورة يوسف ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [يوسف:٨٢] حذف (أهل) أيضاً؟

الجواب :

١ـ الحذف هناك في سورة يوسف يختلف عن الحذف هنا في الذاريات بحسب السياق، وهناك فارق في الصورة :

أ - في سورة يوسف ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ إخوة يوسف كانوا متهمين بأنهم ليسوا صادقين؛ لأنّ عند أبيهم تجربة سابقة معهم لمّا جاءوا وقالوا: أكل الذئب يوسف وهو لم يأكله، والآن يقولون: ابنك سرق، وقد يكون كذباً كالذئب، فقالوا: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ صحيح هي أهل القرية لكنْ كأنهم يريدون أنْ يقولوا له: إنّ صدقنا ثابت في القرية حتى بجدرانها، حتى بسكانها، اسأل القرية كاملة، فالقرية التي كنا فيها كأنها جميعاً تشهد لنا ليس بناسها فقط، وإنما حتى بجدرانها.

وهذا ينسحب على العير، أي القافلة ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢] العير ومن عليها ومن معها ومن فيها؛ لأنهم كانوا يشكّون في أنفسهم.

ب ـ أما في آية سورة الذاريات فقوله: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ ولو قال: غير أهل بيت تكثر. أهل البيت تدل على الكثرة: القرية من بيوت، فأراد أنْ يبيّن قلة الذين اتّبعوا لوطاً عليه السلام، فقال: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي بيت واحد فقط، ولو قال: أهل بيت تكون الصورة فيها كثرة، فحذف هنا.

٢ـ هنا (في سورة الذاريات) أراد الحذف حتى يبيّن القِلّة، وهناك (في سورة يوسف) حذف؛ حتى يبيّن الكثرة. ولكل حذف مكان بحسب السياق والله أعلم.

﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

رسمت كلمة ﴿سَٰحِرٌ﴾ في الآية ٣٩ بلا ألف ورُسمت في الآية ٥٢ بالألف ﴿سَاحِرٌ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ خط المصحف لا يقاس عليه.

٢ـ مع تعريف كلمة (ساحر) تكتب بالألف حيث وقعت، هكذا (الساحر) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[طه:٦٩].

٣ـ كلمة (ساحر) في الذاريات ٣٩ قيلت في موسى عليه السلام، وهو شخص واحد، أمّا الآية ٥٢ فهي في الأمم السابقة، وقد قالوا في كل واحد من رسلهم: ﴿سَاحِرٌ﴾.

فلمّا كثر الرسل وزادوا، زيد في الرسم مناسبة للزيادة، فكتبت ﴿سَاحِرٌ﴾.

٤ـ قد تقول: ولكنها رسمت بدون ألف في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾[يونس:٧٩] وقوله: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأعراف:١١٢] من دون ألف مع أنهم أكثر من واحد، فما الفرق؟

والجواب: أنّ هؤلاء في قوم واحد وهو قوم فرعون. وأمّا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾[الذاريات:٥٢] فهو في جميع الأمم السابقة. فلمّا كثرت الأمم وامتدت زيد في الرسم.

٥ـ بشكل عام كل ما فيه قراءتان تكتب إحداهما.



﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين [أنزلنا و أرسلنا] و [إليك وعليك]؟

الجواب :

١ـ (على) أقوى من (إلى)، وتأتي (على) في الغالب في العقوبات، كما في الآية: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾[الذاريات:٤١] وفيها معنى الاستعلاء؛ ولذلك كان فيها معنى الشدة والقوة.

وأمّا (إلى) فليست كذلك، وإنما تفيد منتهى الغاية فقط.

٢ـ وربنا عندما يقول مرة: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٨] ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ﴾ [الفرقان:٧] نلاحظ أنّ السياق يختلف، وهناك فرق بين إليه وعليه.

فقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾[الأنعام:٨] فيها تهديد، بينما قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ

إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾[الفرقان:٧-٨] ليس فيها تهديد.

الأقوى (على)، إذن (نزّل) أقوى من (أنزل)، و(على) أقوى من (إلى).



﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما إعراب ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ في سورة الذاريات، ولماذا جاءت منصوبة؟

الجواب :

١ـ ننظر في الآية قبلها والتي تتكلم عن فرعون: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات:٤٠] فصار العطف ظاهراً ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ معطوفة على الضمير المفعول به في (فأخذناه) أي أخذناه وأخذنا قوم نوح.

وقسم يقول معطوفة على ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ أي نبذناه ونبذنا قوم نوح.

٢ـ في سورة الأعراف آية: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥] وآية : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:٧٣] معطوفة على آية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩] الأولى، وليس بالضرورة أنْ يكون العطف على الأقرب، ولكنْ على المعنى.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى لفظة ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ في الآية ؟

الجواب :

(الأيد) في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيّد أي رجل قوي ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ أي قويناه به. وليست جمع

(يد) في الآية، ولو كان قوله تعالى :﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ جمع يد لكان وزنه (أفعلا)، فتكون الهمزة زائدة، والياء في مكان الفاء ،والدال في مكان العين، والياء المحذوفة لكونه منقوصاً هي اللام.

ومعنى الآية: والسماء بنيناها بقوة. والأظهر ـ والله أعلم ـ أنّ هذه الآية ليست من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم. والله أعلم.

السؤال الثاني :

زيدت ياء في كتابة لفظة ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ في الآية. ما قواعد زيادة الياء؟

الجواب :

قواعد زيادة الياء هي :

اتفقوا على زيادة ياء تكتب ولا تقرأ في تسعة مواضع، وهي :

ـ ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾[آل عمران: ١٤٤].

ـ ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾[الأنبياء:٣٤] لا في غيرهما.

ـ ﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنعام:٣٤] في حين نبأ موسى (القصص٣) دون زيادة ياء.

ـ ﴿مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾[يونس:١٥].

ـ ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[النحل:٩٠].

ـ ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾[طه:١٣٠].

ـ ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[الشورى:٥١] في حين لم تزد ياء في غيرها، نحو ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣].

ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[الذاريات:٤٧].

ـ ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾[القلم:٦].



﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى الآية؟

الجواب :

المعنى من قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي فروا من عقوبته إلى رحمته.

كما أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] أي يخوفكم عذابه، ومعنى (نفسه) أي: إياه.

السؤال الثاني :

ما دلالة تكرار الفاصلة: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [الذاريات:٥٠] في الآيتين المتتاليتين في سورة الذاريات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ ينبيء عن سرعة الإهلاك، كأنه يقول الإهلاك والعذاب أسرع من أن يَحتَملَ الحال، فافزعوا سريعاً وفروا.

والفاء الأولى في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ هي للتعقيب والترتيب بعد قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات:٤٩] بمعنى إذا ثبت أنّ خالق الزوجين فردٌ ففروا إليه واتركوا غيره؛ لأنّ كلا الزوجين يحتاج للآخر، وأنه لا بدّ أنْ ينتهي الأمر إلى واحد، وأنه لا يحتاج ذلك إلى تأمل كبير، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وحذف التاء أي بقليل من التذكر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لبيان المهروب إليه، ولم يذكر الذي هرب منه إمّا لكونه معلوماً وهو هول العذاب، أو فروا من الشيطان وكيده، أو يكون عاماً كأنه يقول: كل ما عدا الله هو عدوكم ففروا إلي الله من كل ما عداه.

٣ـ الآية الأولى ٥٠ هي في الأمر بالإيمان ولزوم الطاعة والعمل الصالح، وأمّا الآية ٥١ فهي في النهي عن الشرك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فالأمران متغايران.

٤ـ كرر قوله: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات:٥١] ليُعلم أنّ الإيمان يلزمه العمل الصالح، و العمل الصالح لا ينفع إلا مع الإيمان، والفائز عند الله تعالى هو من يجمع بينهما ويرحمه الله بفضله.

٥ـ لاشك أنّ الأمر بترك الشرك في الآية ٥١ مقدّم على الأمر بالعمل الصالح في الآية ٥٠، لذلك في الآية تقديم الأمر على النهي فيها، نظير قوله تعالى:

ـ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف:١١٠].

ـ ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء:٣٦].

والله أعلم.

السؤال الثالث :

كرر الله ختم الآيتين ٥٠ و٥١ بقوله: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ فما الحكمة من ذلك؟

الجواب :

١ـ الآية ٥٠ الفرار الأول هو من المعاصي إلى الطاعات، والإنذار فيه من عقوبة المعاصي.

٢ـ الآية ٥١ تحذر من عقوبة الشرك، وللدلالة على أنّ الطاعات مع الشرك غير نافعة من العذاب عليه.

٣ـ لمّا قال الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في الآية ٥٠ أثبت وجود الله، ولمّا قال في الآية ٥١: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الذاريات:٥١] نفى الأكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين؛ ولهـذا قال مرتين: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات:٥١].



﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢﴾

السؤال الأول :

رسمت كلمة ﴿سَٰحِرٌ﴾ في الآية ٣٩ بلا ألف، ورُسمت في الآية ٥٢ بالألف ﴿سَاحِرٌ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الذاريات ٣٩.



﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] وفي السجدة ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣] والجنة مقصود بهم الجن، فما الفرق بين الجن والجِنّة؟ وما دلالة البدء بالجن والجِنّة؟

الجواب:

١ـ (الجن): القرآن يستعمله بما يقابل الإنس (الجنّ - الإنس)، وهما الأصلان لهذين الجنسين، وأصلان للمخلوقات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء:٨٨].

٢ـ أمّا (الجِنة) فيستعملها القرآن بمقابل الناس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣] ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٥-٦].

٣ـ الجنّ والإنس هما الأصلان، أمّا (الناس) فتكون مجموعة قليلة أو كثيرة من هؤلاء، وقد يكون الجميع، كما في الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] فهذا لجميع المخاطبين من آدم إلى أن تقوم الساعة، أويكون المعنى من

(الناس) أفراد منهم، كما في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وكما في الحديث « **أشيروا عليّ أيها الناس**» والمقصود الأنصار.

٤ـ (الجِنّة) مجموعة من الجن قد تكون قليلة أو كثيرة. الجنّ هم الأصل مع الإنس، ويستعمل في الغالب [الجان بمقابل الإنسان].

٥ـ (الإنس) غير(الناس) وأحياناً لا يمكن استعمال الإنس مكان الناس كما في الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٣] فلا يمكن أن يقال: كما آمن الإنس. وكما في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] لا تنفع هنا كلمة (الإنس).

فإذن الإنس بمقابل الجنّ، والناس بمقابل الجِنّة، والجان مقابل الإنسان قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن:١٤-١٥]. وهذا ليس من خصوصية الاستعمال القرآني، وإنما هو في لغة العرب.

السؤال الثاني:

في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] أمّا في سورة الرحمن فقدم الإنس ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب :

١ـ التقديم والتأخير يقتضيه المقام والسياق، فأحياناً يقدّم الجن على الإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦]؛ لأنّ الجن وجودهم أسبق من الإنس، كما في الآية: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[الحجر:٢٧] وإبليس قبل آدم.

فقد يكون السبب هو القِدَم، فالأقدم يقدّمه مثل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦]. وأمّا قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾[الرحمن:٣٣] فقدّم الجن على الإنس؛ لأنّ الجن أقدر على النفاذ من الإنسان وهم كانوا يستمعون، فلمّا تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى؛ أي بالجنّ.

٢ـ وأمّا الآية التي في سورة الرحمن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾[الرحمن:٥٦] فهنّ أهل الجنة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن:٧٢]، ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾[الرحمن:٥٦].

هنا قدّم الإنس؛ لأنّ المرأة إذا طمثها إنسي يحجم عنها طالب الزواج إحجاماً؛ ولذلك قدّم ما تشمئز منه النفس فبدأ بالإنس أولاً، ولأنّ هذا أدعى إلى طهارتها، ولو قال: (لم يطمثهن جن ولا إنس) لم تكن بتلك المنزلة فقدّم ما هو أشد، والطمث يعني الدخول بها.

ونفسياً إذا كان أحدهم يريد أنْ يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج، أمّا إذا قيل له: جنّي اتصل بها، يقول: هذا كلام وخرافة.

والآية تتكلم عن نساء الجنة، عن حور الجنة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[الرحمن:٧٢] وهنّ نساء الجنة، كما قال ربنا: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾[الواقعة:٣٦].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين العبادة والطاعة؟ وما معنى الآية؟

الجواب:

١ـ العبادة هي غاية الخضوع، ولا تُستَحق إلا بغاية الإنعام؛ ولهذا لا يجوز أنْ يُعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود.

٢ـ الطاعة هي الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك. وقد تكون الطاعة للخالق والمخلوق، أمّا العبادة فلا تكون إلا للخالق.

والطاعة في مجاز اللغة تكون في اتباع المدعو للداعي إلى ما دعاه إليه وإن لم يقصد التبع، كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان وإنْ لم يقصد أنْ يطيعه ولكنه اتبع دعاءه وإرادته.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الأظهر في معناها: إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم وأختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر. ويؤيد هذا المعنى آيات محكمات كثيرة منها: [هود٧ـ الكهف٧ـ الملك ٢]، وخير ما يفسر به القرآن القرآن. والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين: الجن ـ إبليس ـ عفريت ـ شيطان ـ الجِنَّة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النمل ٣٩.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين: الإنس الإنسان ـ الناس ـ الأنام ـ البرية ـ البشر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٣.



﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين القوة والمتانة؟

الجواب:

١ـ (المتانة) هي صلابةٌ في ارتفاع، والمتن من الأرض هو الصلب المرتفع، والجمع (مِتان) ومنه سُمي عَقِب الظهر متناً. والصلاية قريبة من ذلك. ولا تجوز الصفة بالصلابة والمتانة على الله.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨] المتين هنا مبالغة في الوصف بأنه قوي، والمتانة في الأصل نقيض الرخاوة، فاستعملت في نقيض الضَّعف للمبالغة في صفة القوة. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الذاريات مع خواتيمها :

أقسم ربنا بالذاريات وما بعدها على قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات:٥-٦] أي الحساب.

وقال في خاتمة السورة : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ [الذاريات:٦٠].

فكلاهما في اليوم الآخر والحساب.



سورة الطور

أولاً ـ تناسب خواتيم الذاريات مع فواتح الطور :

قال سبحانه في خاتمة الذاريات:

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الذاريات:٥٩-٦٠].

وقال في أول الطور :

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور:٧-٨-٩-١٠-١١].

فالموضعان في عذاب الظالمين المكذّبين وتهديدهم بالويل.

والذَّنوب هو النصيب من العذاب.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة إذ كان في آخر تلك: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات:٥٩]. وقال هنا: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور:٧].

وجاء في (روح المعاني): ((مناسبة أولها لآخر ما قبلها اشتمال كل على الوعيد)).

ثانياً ـ هدف السورة: اختيار الجنّة أو النار:

سورة الطور تبدأ بالقسم بخمسة أمور، وهذا دليل على أهمية الموضوع وهو أهوال الآخرة وما يلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرهيب، وأقسمت أنّ العذاب واقع بالكفار لا محالة ولا يمنعه مانع.

والسورة تطرح اختياراً جديداً هو: ماذا نختار؟ عذاب أهل النار أو نعيم أهل الجنّة؟ فتبدأ السورة بوصف جهنم وأهلها: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور:١١] ثم تنتقل إلى وصف الجنّة وأهلها من المتقين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور:١٧]. وفي السورة آية محورية. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور:٢١].

وقد سمّيت بالطور؛ لأنّ الله تعالى بدأ بالقسم بجبل الطور الذي كلّم الله تعالى عليه موسى، وقد نال هذا الجبل من الأنوار والتجليات الإلهية ما جعله مكاناً مشرّفاً على سائر الجبال في الأرض.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة:

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات هذه الآيات؟

الجواب :

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ ﴾ :

اسم للجبل، وقيل طور سيناء، وقيل جبل مبهم.

﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾ : والمقصود :

١ـ القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ.

٢ـ صحائف الأعمال.

٣ـ الكتب السماوية الأخرى.

ومسطور؛ أي: مكتوب.

﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ ﴾ :

الرق هو الجلد المهيأ بالقشر للكتابة، والمقصود :

١ـ صحائف الأعمال.

٢ـ ورق مكتوب.

﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ ﴾ :

١ـ هو بيت فوق ست سماوات ودون السابعة، وهو بحذاء البيت العتيق لو خرّ خرّ عليه.

٢ـ هو البيت الحرام.

﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ ﴾ : والمقصود :

السماء ـ العرش.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ٦﴾ : والمقصود :

جهنم ـ بحر تحت العرش ـ بحر الأرض.

﴿ٱلْمَسْجُورِ ٦﴾ : والمقصود :

المحبوس ـ الموقد ناراً ـ الممتلىء.

ملحوظات :

١ـ قيل إنّ الطور والبيت المعمور والبحر المسجورهي أماكن كانت لثلاثة أنبياء انفردوا فيها للخلوة بربهم ومناجاة خالقهم.

أمّا الطور فانتقل إليه موسى عليه السلام، والبيت المعمور انتقل إليه محمد ﷺ خلال المعراج، والبحر المسجور انتقل إليه يونس عليه السلام والكل خاطبوا الله من هناك.

٢ـ نكّر(الكتاب) بالتنكير، فقال: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ٢﴾ [الطور:٢] وعرّف باقي الأشياء؛ لأنّ التنكير هنا يدل على شدة الشهرة، بحيث خرج ليعرف بكنه عظمته فهو عظيم بلفظه ومعناه. ويقال: رأيت الأمير ورأيت أميراً ماله نظير، وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم.

ويكون كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٣﴾ [الحاقة:١-٢-٣] فاللام وإنْ كانت معرفة، لكنْ أخرجها عن المعرفة كون شدة هولها غير معروف.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣﴾ [الطور:١-٢-٣] ما اللمسة البيانية في كلمة (رَقّ)؟

الجواب :

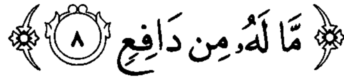
الرَق هو الجلد الرقيق يُكتب فيه، ومنشور أي المبسوط بالنظر، لكنْ ما هذا الرَق الذي كُتب فيه؟

يختلف المفسرون؛ فقسم يقول: هي أعمال العباد(صحائف الأعمال).

وربنا سبحانه وتعالى يعطيه للعبد يوم القيامة، يخرج له كتاباً يلقاه منشوراً، وربنا أقسم بالكتاب المسطور في الرَق المنشور.

وقسم قال: هو اللوح المحفوظ، وقسم قال: هو ما يؤتاه العبد يوم القيامة والرَق جلد رقيق للكتابة. و (منشور) توضح الرَق، فقد يكون منشوراً لمن يراه في الملأ الأعلى، والآية تحتمل الوجهين، وليست هنالك قرينة سياقية تحدد معنى دون الآخر. والله أعلم.





السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨ ﴾[الطور:٨] و﴿ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ ﴾[المعارج:٢]؟ لماذا استعمل مرة ﴿لَيۡسَ﴾ ومرة ﴿ مَّا ﴾؟

الجواب :

١ـ كلتا الآيتين تنفي وجود الدافع عن العذاب. ففي الآية الأولى لا يوجد شيء سيمنع هذا العذاب، وكذلك في الآية الثانية.

لكنّ صيغة التعبير جاءت مرة ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ ومرة جاءت ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ وهذا لافت للنظر.

٢ـ بشكل عام الجملة الاسمية آكد وأقوى من الجملة الفعلية، ولذلك الجملة مع (ليس) أقل توكيداً.

وآية الطور ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ استعملت (ما) فالجملة الاسمية، وآية المعارج ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢﴾ [المعارج:٢] الجملة فعلية، فالآية التي في سورة الطور آكد من الجملة التي في سورة المعارج.

٣ـ في آية الطور ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ [الطور:٨] (من) هي التبعيضية، ويعني فيها زيادة تأكيد، بمعنى أنه: حتى جزء دافع ما له أثر. ولو قال: (ماله دافع) ستكون مجرد تأكيد، بينما (ما له من دافع) زيادة في التأكيد.

٤ـ السياق الذي وردت فيه الآيتان:

عندما ننظر فيه نجد أنّ الآية الأولى التي في الطور تنسجم فعلاً مع شدة التوكيدات، بينما الآية الثانية ليس فيها توكيد أصلاً.

ونلاحظ أنّ الآيات الأولى في سورة الطور تبدأ بقسم والقسم توكيد، وعندما تقسم على شيء فأنت تؤكده، فإذن فالجو جو تأكيد. انظر الآيات: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ هذا قسم للتذكير بيوم القيامة: (إنّ عذاب ربك لواقع) ،(إنّ)

للتأكيد، واللام في (لواقع) مؤكدة، لاحظ المؤكدات، فالجو جو توكيد، فجاءت ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ منسجمة مع الجو العام للسورة التي هي تعيش في توكيدات.

لكنْ عندما نأتي إلى السورة الثانية، وهي سورة المعارج ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج:١-٢-٣] هكذا تبدأ السورة، فليس فيها جو توكيدات حتى يؤكد.

هناك الجو بكامله جو تأكيد، فاستعمل الصيغ التي تتناسب مع جو السورة. فهناك تناسب.

٥ـ وعندما ننظر هنا نلاحظ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج:١] هذا سائل، والسائل هنا لا يعني المستفهم، وإنما يعني الذي يدعو، وهذا شخص لم يذكره القرآن الكريم من هو على عادته في إغفال ذكر الأشياء التي لا أهمية لها.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج:١] يعني دعا على قومه ونفسه بالعذاب، وهذا معنى (سأل) والعذاب واقع، سأله أو لم يسأله، واقع على الكافرين لا محالة.

٦ـ هل أفادت التعدية بالباء معنى التكذيب؟ التعدية بالباء في ﴿بِعَذَابٍ﴾ [المعارج:١] نحو :(سأل بالشيء) يعني كأنه دعا به لبيان أنّ هذا الفعل قد استُخدم في معنى آخر غير المعنى الأساسي الذي هو الاستفهام، فهو دعاء و طلب أيضاً، فهو قد طلب هذا العذاب، لكنْ حمّله معنى الدعاء، فدخلت الباء كما تدخل على الفعل دعا (دعا بكذا على قومه).

﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في الآية؟

الجواب :

(تمور) يعني تضطرب وتشقق، و(المور) هو الحركة بتموّج. وربنا تعالى ذكر هذا الأمر بقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾[الانشقاق:١] وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾[الانفطار:١].

وقسم قال: هي (تمور) يعني: تجيء وتذهب. وهو مشهد من مشاهد يوم القيامة دالّ على الهول والفزع الأكبر.



﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ ﴾

السؤال الأول :

ما طرق دخول النار أعاذنا الله منها جميعاً؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٢٩.



﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

١ـ الاتّكاء غاية الراحة كأنّ الانسان ليس وراءه شيء؛ لأنّ الانسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء، والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية، وهذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٦ - ٥٧] والاتكاء يحسُن في هذا الموضع.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص:٥١] ويرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب، وكذلك في سورة الرحمن ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن:٥٤] فهو دائماً يأتي في سياق ذكر الطعام والشراب.

٢ـ والآية الوحيدة التي لم تأت فيها كلمة متكئين مع الطعام والشراب هي الآية في سورة الكهف ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

ونلاحظ في هذه السورة أنّ الآية التي ليس فيها طعام وشراب سبقها قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ فكأنما يخاطب الله تعالى الرسول ﷺ الذي كأنه يريد القيام، فصبّره الله تعالى فجاءت متكئين في الآية بعدها فكأنها مقابلة، فهؤلاء المؤمنون في راحة، وأراد تعالى أنْ يُصَبِّر رسوله ﷺ.

٣ـ فالاتكاء غاية الراحة والسعادة؛ ولهذا وصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم؛ لأنه لا نوم في الجنة أصلاً، ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط، فهم يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا.

السؤال الثاني :

ما دلالة ذكر الحور العين في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة (٦٦) مرة.

جنات (٦٩) مرة.

جنتك (٢) مرتين.

جنته (١) مرة واحدة.

جنتي (١) مرة واحدة.

جنتان (٣) مرات.

جنتين (٤) مرات.

٢ـ ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في الآيات [البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧]، فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

السؤال الثالث :

ما اهم اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ معناه أنّ الله هو المزوّج.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ ولم يقل مثلاً:(وزوجناهم حوراً) مع أنّ لفظ (التزويج) يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧] وذلك إشارة إلى أنّ المنفعة في التزويج للمؤمنين، فقد زُوجوا من أجل لذتهم بالحور لا للذة الحور بهم؛ وذلك لأنّ المفعول بغير حرف يعلق الفعل به.

٣ـ الآية تدل على عدم الاقتصار على الزوجات، بل وصف الحور بالحُسن بشكل عام في الجسم والروح، فالحَور يدل على حسن المزاج في الأعضاء، وأمّا وفرة الروح فهي بسبب سعة العين وكثرة الروح المصوبة إليها.

٤ـ وجاء بالفعل ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ بصيغة الماضي؛ لأنّ أمور الآخرة آتية ومحققة، فهي بحكم الماضي.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال منصوب.

والله أعلم.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في سورة الطور: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ [الطور:٢٣] التنازع يكون في شيء شاق، وقد نهينا عن التنازع ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦] فهل التنازع في الدنيا مذموم وفي الآخرة محمود؟

الجواب :

التنازع هنا ليس معناه الخصومة كما في الدنيا، وإنما تعني التبادل أحدهم يعطي الآخر، حتى في الدنيا نقول: نتنازع الكؤوس، أي نتبادلها.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ولدان وغلمان؟

الجواب :

١ـ (الولدان) هم الصغار. الوليد منذ أنْ يولد إلى أنْ يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمى ولداً ثم يقال غلام.

٢ـ (الغلمان) جمع غلام، وهو الشاب الذي أوشك على البلوغ.

٣ـ الغلام أقل من الشاب سنّاً أو بداية الشباب إذا طال شاربه.

٤ـ في الجنة عندما يذكر غلمان يقول: (غلمان لهم) أي مختص بهم ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور:٢٤] أمّا (ولدان) فعامّة ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة:١٧] والقرآن لا يقول (ولدان لهم)؛ لأنهم صغار، أمّا الكبير فيكون مع الأسرة وخاص بالبيت.



﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الطور: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور:٢٩] وقال في سورة القلم: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم:٢] فزاد قوله: ﴿بِكَاهِنٍ﴾ في سورة الطور، فما سبب ذاك؟

الجواب:

هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة:

١- منها أنه فصّل في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول ﷺ فقد ذكروا أنه كاهن، وذكروا أنه مجنون، وذكروا أنه شاعر. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور:٣٠]. وقالوا إنه كاذب: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطور:٣٣].

في حين لم يذكر غير قولهم (إنه مجنون) في سورة القلم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم:٥١] فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.

٢- ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[الطور:٣٨] والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجنِّ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

٣- ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:١٥] فناسب ذكر السحر ذكرَ الكهنة.

٤- وممّا حسّن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم، فقد قال: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾.

في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بـ(القلم وما يسطرون)، فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة.

٥- ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة: (إنه لمجنون)، ولم يزد على هذا القول فقال: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾[القلم:٥١] فردّ عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[القلم:٢]. فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢] التوكيد باللام في الإثبات ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١] لأنّ الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾ [الطور:٣٠] هل المنون جمع أم مفرد؟ وما أصل الكلمة؟

الجواب:

١ـ كلمة المنون كما ورد في المعجمات مأخوذة من الفعل (منّ، يمنّ) بمعنى قطع يقطع.

لكنّ هذه الكلمة (منون) على وزن (فعول) معناها فيه نوع من صيغة المبالغة، كما نقول: (غافر وغفور) غفور فيها مبالغة (فعول) فإذن(منون) صيغة مبالغة من (منّ)، واسم الفاعل (مانّ) أي قاطع.

لكنّ العرب استعملتها إستعمالات كثيرة بحيث استعملوها للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، وعبّروا بها عن الموت؛ لأنّ الموت يقطع حياة الإنسان. ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾ [الطور:٣٠] أي نتربص به مصائب الموت. المنون هنا الموت. قال أبو ذوئيب الهذلي:

أمن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

٢ـ و(التربص) فيه معنى الانتظار لكنْ مع شيء من التلبّث، كأنه يشتاق إلى الشيء (يتربص به) أي يشتاق إليه ليس شوق الغرام والحب، ولكنْ يرغب رغبة شديدة في هذا الأمر، وهو من الفعل (ربص) أي انتظر والفعل ربص يتعدى بالباء (ربص به).

وعندما نأخذ نظرية الاشتقاق اللفظي لابن جنّي نجد: (صبر)، والصبر فيه معنى اللبث، فالتربص انتظار مع اللبث وتشوق لوقوع الحادث، كأنهم يتشوقون إلى موته عليه السلام.

السؤال الثاني :

ما اللطيفة في الحرف ﴿أَمْ﴾ في سورة الطور؟

الجواب :

تكرر حرف العطف ﴿أَمْ﴾ ست عشرة مرة في سورة الطور بلا غرابة ولا تنافر

السؤال الثالث :

ما أهم معاني ﴿أَمْ﴾؟

الجواب :

هي تفيد الإضراب على أية حال، وأهم معانيها :

١ـ الإضراب المجرد، كما في الآية: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد:١٦].

٢ـ قد تتضمن معه استفهاماً فتكون بمعنى (بل) والهمزة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور:٣٧] والمعنى: بل أعندهم خزائن ربك.

٣ـ قد يكون الاستفهام غير حقيقي فيراد به الإنكار والتوبيخ، كما في الآية: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[الطور:٣٩].



﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تنوع وصف السحاب فى قوله تعالى في سورة الطور ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾[الطور:٤٤]؟

الجواب:

١ـ المركوم الذي بعضه فوق بعض ،ولم ينسبوه إلى الله تعالى، لكنّ هذه صورته، سحاب بعضه فوق بعض.

٢ـ (الكِسَف والكِسْف) هو جمعُ كِسفة، لكنّ الكِسْف يوحي بأنه واحد والكِسَف كأنه جمع.

٣ـ (الكِسَف والكِسْف) كلاهما لغتان في جمع (كسفة) بمعنى قطعة،وكل قطعة من شيء تسمى كسفة منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا﴾ أي :مقطّعاً ومؤلفاً من مقاطع، ولمّا كان هذا السحاب المقطع مظلماً فهو عقاب من الله عز وجل وهم يحسبونه سحاباً متراكماً فقالوا: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ فيه إشارة إلى ظلمته وضخامة شأنه لأنه هو عقاب لهم. ثم قال تعالى :

﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾[الطور:٤٥] وفيه إنذار وتحذير للعرب ولقريش أنّ هذا يمكن أنْ يقع لهم.

السؤال الثاني:

في آية الطور٤٤ استعمل في السماء لفظة الكسف، فقال: ﴿كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ الخسف في الأرض فقال: ﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية سبأ ٩.

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحجرات ٩.



﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨﴾

السؤال الأول:

حينما تكلم ربنا تبارك وتعالى عن سيدنا موسى قال: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾[طه:٣٩] ولمّا تكلم عن الرسول عليه السلام قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨﴾[الطور:٤٨] فما الفروق الدلالية بين الآيتين؟

الجواب:

١ـ الصنع يكون في بداية الأمر.

٢ـ السياق في سورة طه عن موسى عليه السلام، فتكلم عن ولادته ونشأته ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾[طه:٣٨-٣٩] ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾[طه:٤٠-٤١]. وهذا في مرحلة طفولته.

٣ـ الرسول عليه السلام بعد الأربعين ويحمل همّ الرسالة، فكيف يقال له: تصنع على عيني؟ وإنما هو يحتاج إلى رعاية الآن للتبليغ.

٤ـ الدلالة العامة لقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه:٣٩] أي ينشئك بالصورة التي يريدها ابتداء ويهيىء المكان الذي يريده.

ولمّا قال الله سبحانه عن النبي عليه السلام: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ يعني: يحفظك كما قال عن سفينة نوح عليه السلام: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٣-١٤] قال: تجري بأعيننا، يعني برعايتنا وحفظنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[المائدة:٦٧] يعني: يحفظك، فأنت تحت رعايتنا وحفظنا ونراقب الأمر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه:٤٦] أي: نحن نراك ونحفظك ونحميك ونرعاك، وهذا يعني: أنت تحت رعايتنا.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين أعين وعيون في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت ﴿أَعۡيُنٍ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في (٢٢) موضعاً منها:

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن :[هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في (١٨) موضعاً، منها: [الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ [الحِجر:٤٥] وقوله أيضاً ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ [المرسلات:٤١].



﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين إدبار وأدبار؟

الجواب:

انظر الجواب في آية (ق) ٤٠.

رابعاً- تناسب فواتح الطور مع خواتيمها:

أقسم ربنا في بداية السورة بالطور وما بعده على قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور:٧-٨-٩-١٠-١١].

وقال في أواخرها:

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور:٤٤-٤٥-٤٦-٤٧].

فالبدء والختام في أحداث الساعة والإنذار للمكذبين.

والله أعلم.



سورة النجم

أولاً ـ تناسب خواتيم الطور مع فواتح النجم :

١ ـ قال في خاتمة سورة الطور :

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور:٤٩].

وقال في أول سورة النجم :

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ [النجم:١].

وهويّ النجم إدباره.

وذكر التسبيح في خاتمة الطور، وسورة النجم إنما هي في المعراج إلى السماء الممتلئة بالتسبيح.

٢ ـ ذكر في سورة الطور ما يقوله الكفار في الرسول ﷺ وفي القرآن فقال: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور:٢٩].

وقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور:٣٣-٣٤].

وقال في أول سورة النجم :

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٢ - ٤].

فردّ عليهم أقوالهم.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ [الطور:٣٣]. أي اختلق القرآن ونسبوه إلى الشعر وقالوا هو كاهن ومجنون.

فأقسم تعالى أنه ﷺ ﴿مَا ضَلَّ﴾ وأنّ ما يأتي به هو وحي من ربه)).

وجاء في (روح المعاني): ((هي شديدة المناسبة لما قبلها، فإنّ الطور ختمت بقوله: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور:٤٩] وافتتحت هذه بقوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ [النجم:١].

ثانياً ـ هدف السورة :

مصادر العلم والمعرفة من الله تعالى :

ابتدأت السورة بالقسم بـ (النجم) الذي هوى، ويفسّر المفسرون (هوى) بمعنى" سجد"؛ ليتناسب مع جلال الموقف في قصة المعراج، ويتناسب مع خواتيم سورة الطور. والله أعلم.

وهذه السورة تعرض لنا أنّ العلوم والمعرفة بالله وبخالق الأكوان لها طريقان: طريق الظنون والأوهام، وطريق الوحي الذي جاء به النبي، وهو الكلام الصادق، وما عندكم من غير طريق الوحي هو الظن والوهم.

وقد أسهبت الآيات في عرض أنّ الوحي صِدق من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤]، و﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم:١١]، و ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم:١٧] وكلها تؤكد على أنّ العلم والمعرفة هي من الله تعالى. فإياكم أنْ يكون في النفس شك أو ريب في صدق هذا الوحي الذي هو من علم الله تعالى، وإياكم أنْ تكونوا كالأمم السابقة، فيصيبكم ما أصابهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ

وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم:٢٣]، و ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم:٢٨]، و: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم:٣٠] و ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [النجم:٣٥].

وعلينا أنْ نقارن من أين نستقي العلم والمعرفة عن الله تعالى. فالنجم وهو يهوي أو يسقط هو ظاهرة مادية واضحة، وكذلك الوحي الذي نزل على النبي صادق وواضح، والنبي عليه السلام لا يضل ولا يهوي، وهذا دليل وثوق الوحي والقرآن.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

المعراج:

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١ - ١٨].

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة القسم بالنجم؟ وما نوع هذا القسم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الذاريات ١.

السؤال الثاني:

ما علاقة هذا القسم بنهاية سورة الطور؟

الجواب:

١ـ سبق سورة النجم ذكر التسبيح في خواتيم سورة الطور ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾[الطور:٤٩] فجاء القسم بالنجم في هذه السورة.

٢ـ هوى: معناه (غرَب) ومعناه (سقط)، فإذا كان المعنى الأول في خواتيم سورة الطور ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور:٤٩] أي غروبها، فهي إذن مرتبطة بالتسبيح ومرتبطة بإدبار النجوم، فأصبح هناك تناسق بين إدبار النجوم والنجم إذا هوى.

وإذا كان (هوى) بمعنى سقط، والسقوط هوي إلى الأرض، فهي مناسبة للحركة؛ لأنّ السجود هوي إلى الأرض، وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى، وفي السجود يكون العبد أقرب إلى الله تعالى العبد كما جاء في الحديث الشريف (**أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد**)؛ لذا اختار سبحانه أقرب حالة إليه في أقرب معيّة وهي العروج بالرسول عليه السلام إلى سدرة المنتهى، فهي أقرب حالة من الله لأقرب رحلة إلى الله تعالى.

٣ـ ثم ناسب افتتاح السورة خاتمتها في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢]؛ لأنّ السجود هو أهم ركن من أركان الصلاة، والصلاة فُرِضت في المعراج، وهذه السورة بداية رحلة المعراج.



﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الضلالة والغواية؟

الجواب :

١ـ في الآية نفى شيئين، وهما الضلالة والغواية. وهناك فرق بين الضلالة والغواية، فالضلالة قد تكون عن قصد أو عن غير قصد، كما في الآيات: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤] وأمّا الغواية فهي عن قصد، وهو الإمعان في الضلال.

٢ـ والضلال عام. نقول: ضلّت الدابة ولا نقول غوت الدابّة، والغواية هي للمكلّف.

٣ـ والضلال نقيض الهدى، والغواية نقيض الرشد. قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه:٧٩]، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦] ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نفى الله تعالى عن رسوله عليه السلام الأمرين: الضلالة والغواية.

٢ـ وقد ذكر القرآن كلمة ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ ولم يقل اسمه، وقد وردت (صاحبكم) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم: إمّا لنفي الضلال، وإمّا لنفي الجنون، كما في الآيات: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ:٤٦]، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير:٢٢]، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم:٢] لأنّ فيها معنى الصحبة، فقد لبث الرسول عليه السلام فيهم عمراً طويلاً، وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه وأمانته، ولا يكذّبونه فهو صاحبهم، فكيف يمكنْ لهم أنْ يتهموه بالضلال؟ وقد وردت كلمة (صاحبكم) دائماً لنفي الجنون والغواية، وهذا فيه معنى الصحبة أيضاً.

٣ـ ولو لاحظنا القسَم في بداية السورة نجد أنّ فيه دلالة على الهوي والسقوط، والضلال والغيّ هما سقوط في السلوك، ودائماً يأتي في القرآن الضلال مع الحرف (في) ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا دليل على السقوط، أمّا عند ذكر الهداية فيأتي بالحرف (على)؛ لأنّ كلمة الهدى تفيد الاستعلاء، وهو عليه السلام متمكن من وقع قدمه وقادر أنْ يرى.

حتى الهمزة تفيد السقوط وتأتي مع (في) الظرفية دلالة على السقوط ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤] والنجم إذا ضلّ مساره سقط.

السؤال الثالث :

ما دلالة تكرار النفي في الآية؟

الجواب :

١ـ تكرار حرف النفي ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم:٢] حتى لا يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما فقط، وإنما نفى الجمع بينهما والإفراد.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ تعني نفي الضلالة والغواية معاً أو كل منهما على حدة.

أمّا القول : (ما ضلّ صاحبكم وغوى) فهي تفيد النفي بالجمع بين الصفتين.

وهذا من باب الاحتياط للمعنى، فنفاهما على سبيل الجمع والإفراد ومعناه أنه عليه السلام اهتدى ورشد فهو مهتد رشيد.

٢ـ إذن لماذا لم يقل (هدى ورشد) بدل (ما ضلّ وما غوى)؟ لو قال: (اهتدى) قد تفيد أنه قد يكون قبل الهداية ضالاً، لكنه عليه السلام مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة.

والآية: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم:٢] تفيد أنه مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة في أي وقت أوزمن كان.



﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة أنه نفى الفعلين السابقين بالماضي (ما ضلّ وما غوى)، وهنا نفي بالمضارع ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ ؟

الجواب :

أولاً نفى القرآن الفعلين السابقين بالماضي (ما ضلّ) و(ما غوى)، وهنا نفي بالمضارع ليفيد الاستمرار والحاضر، فلو قال: (ما نطق عن الهوى) لاحتمل المعنى أنه نفى عنه الهوى في الماضي فقط ولم ينفه عنه فيما يستقبل من نُطقه. فالله سبحانه قد نفى عن رسوله عليه السلام الضلال والغواية في الماضي كله، ونفى عنه الهوى في النطق في الحاضر والمستقبل، فهو إذن عليه السلام منفيّ عنه الضلال والغواية في السلوك فيما مضى وفي المستقبل.

السؤال الثاني :

ما دلالة الحرف (عن) في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③﴾[النجم:٣]؟

الجواب :

النطق عادة يكون بالباء ﴿كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٩] أمّا هنا فجاءت (عن) ومعناها ما ينطق صادراً عن هوى، وهذا يعني أنّ الدافع للنطق ليس من هوى.

وهو هنا بمنزلة تزكية للنفس القائلة؛ لأنّ الإنسان قد ينطق بالحق، لكنْ عن هوى (حق أريد به باطل) ويعني (ناطق عن هوى).

وهكذا زكّى الله تعالى رسوله عليه السلام بتزكية الدافع للقول، فالدافع له زكي صادق ونطقه صادق أيضاً، وعليه جاءت الآية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③﴾[النجم:٣].

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

الهوى: أنْ تعرف الحق، لكنّ هواك يصرفك عنه، والرسول ﷺ لم يعرف في بعض المسائل حكماً فانصرف عنه، وإنما نطق وحكم على مقتضى ما فهم من أمر لم ينزل فيه من الله شيء، ثم نزل الحكم من الله ليعدّل اجتهاد رسوله.

وفي تعديل الحق سبحانه لرسوله وتبليغ الرسول لأمته بهذا التعديل أكبر دليل على صدقه ﷺ وأمانته في البلاغ عن ربه، وإلا فلم يكن أحد ليعلم هذا التعديل لو أخفاه الرسول تعصباً لنفسه أو لدفع الخطأ عنه.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾[التحريم:١].

وكذلك في سورة التوبة ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة:٤٣].



﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (إنْ) و (إلاّ) معاً في الآية؟

الجواب :

١ـ (إنْ) هي أقوى ما في النفي، وأقوى من ذلك أن تأتي (إن) و (إلاّ) معاً.

٢ـ مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمان والكفر، فجاء سبحانه بأقوى حالات الإثبات؛ لأنّ الوحي كان سبب المسألة الخلافية بين الكفّار والرسول.

٣ـ والإنسان قد ينطق غير صادق عن هوى، لكنْ ليس بالضرورة أنْ يكون كلامه كله حقاً وصدقاً حتى ولو كان دافعه دافع إخلاص. لذلك فبعد أنْ زكّى سبحانه الدافع ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾[النجم:٣] ثبّته أنه وحي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٤]. واستخدام الضمير ﴿هُوَ﴾ يعود على النطق، ومعناه: ما نُطقه إلا وحي يوحى.



﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الوحي بالعربية قد يكون إلهاماً، مثل الوحي لأم موسى بإلقائه في اليم، والوحي (للنحل، ولشياطين الإنس والجنّ)، فأراد سبحانه أنْ يقطع أي فكرة، فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾[النجم:٥] بمعنى أنه ليس إلهاماً ولكنه وحي علّمه إياه شديد القوى، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء:١١٣] فنسب العلم إلى الله سبحانه أنه هو المُعلّم.

٢ـ وفي ذكر الوحي يجب ذكر المسؤول عن إيصال الوحي، وهو جبريل عليه السلام، فالله تعالى هو المُعلّم الأول، وعندما ذكر أنّ كلامه وحي كان من الداعي أنْ يذكر من علّمه وأوصل العلم إليه.

٣ـ والفعل (علّمه) يفيد المداومة والتكثير على خلاف (أُعلّمه).

٤ـ كل الآيات السابقة مبنية على عدم ذكر اسم الفاعل ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

السؤال الثاني :

ما معنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر تعالى وصفين: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾.

٢ـ (المِرّة) قد تأتي بمعنى العقل والإحكام والحصانة والاستحكام، وتأتي بمعنى القوة أيضاً، فلماذا اختار سبحانه هذين الوصفين (شديد القوى وذو مِرّة)؟

هاتان الصفتان فيهما إشارة، وهي أنّ الخروج إلى أقطار السموات يحتاج إلى أمرين هما القوة والعلم. والرسول في رحلته في أقطار السموات يحتاج إلى قوة شديدة وإلى إحكام وعقل، وهنا إشارة إلى تمكّن جبريل عليه السلام من حفظ الرسول عليه الصلاة والسلام في رحلته، فكان قوياً في حفظ الرسول، ومحكماً في حفظ الوحي. وكل حفظ يحتاج إلى قوة وعقل وإحكام.

وهذه الرحلة (المعراج) كانت في أقطار السموات والأرض، أمّا في سورة الرحمن فذكر الحق سبحانه: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن:٣٣]؛ لأنّ الخروج من أقطار السموات والأرض فيه تحدٍّ، ويحتاج إلى سلطان القوة والعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦﴾[النجم:٦]؟

الجواب :

(استوى) تعني: اعتدل واستقام وتهيّأ. وينزل جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ ويتدلّى إليه ويصحبه بعد أنْ تهيّأ لذلك من الأفق الأعلى (وليس العالي)؛ وهذا حتى يليق بمقام النبوة.

وهذا فيه ثناء على جبريل حيث استعدّ للأمر قبل أنْ يأتي ويقوم بمهمته وفيه تكريم للرسول عليه السلام؛ لأنّ مقام الشخصية يستدعي زيادة التهيئة والاستعداد، وفيه إشارة إلى عِظم المهمة وعِظم الزائر، وهو الرسول عليه السلام.

السؤال الرابع :

في هذه الآية في سورة النجم ذكرت ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[النجم:٧] وفي آية سورة التكوير ذكر ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣﴾[التكوير:٢٣]، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

في آية سورة النجم يُراد بالآيات والرحلة العروج إلى الأفق الأعلى وهو المكان الذي سيعرُج إليه الرسول عليه السلام. أمّا في آية سورة التكوير ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣﴾[التكوير:٢٣] فتشير إلى رؤية الرسول عليه السلام لجبريل بالأفق المبين وهو أفق السماء، وهي تدل على الإبانة الواضحة. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة هذا الدنو في الآية ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [النجم:٨]؟ وما الفرق بين الدنو والتدلي؟

الجواب :

قوله تعالى :﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ فيه تكريم للرسول عليه السلام؛ لأنّ الدنو غير التدلي، فالدنو هو القرب من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل وغيره، أمّا التدلّي فلا يكون إلا من أعلى لأسفل. ومعناه أنّ جبريل عليه السلام تدلّى للرسول عليه السلام، وهذا أمر فيه غاية التكريم له.



﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اختيار (القوس) في الآية؟

الجواب :

العرب تقول في القرُب أشياء كثيرة كناية عن القرب، فلماذا اختار سبحانه (قاب قوسين أو أدنى)؟

اختيار (قاب قوسين) تدل على القرب، والقوس هي في حد ذاتها لا بدّ أنْ تكون قوية شديدة، والوتر لا بدّ أنْ يكون قوياً شديداً، والرامي ينبغي أنْ يكون قوياً مُسدداً، فالقوس يحتاج إلى إحكام في التسديد والانطلاق وهذه كلها عناصر الرحلة، وقد سبق

ذلك قوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم:٥-٦] والقوس شديد، ويستعمله قوي شديد، والرحلة وهي الانطلاق؛ لذا جاء استعمال (قاب قوسين أو أدنى).

السؤال الثاني :

ما معنى ﴿أَوْ﴾ في الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[النجم:٩]؟

الجواب :

١ـ (أو) حرف عطف يمكن أنْ يكون للتخيير لا للشك، بمعنى إنْ شئتم قدّروا القرب بقوسين، وإنْ شئتم قدّروا بأدنى منهما.

٢ـ (أو) بمعنى بل، أي أدنى من قوسين.



﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نفس الكلام الذي ورد في (أسرى بعبده) في الآية الأولى من سورة الإسراء ينطبق على ورود كلمة (عبده) هنا في هذه الآية.

٢ـ تطلق كلمة (عبد) على مجموع الجسد والروح، وهذا إثبات على أنّ الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد، وإلاّ فأين المعجزة؟! ولو كان بالروح فقط لما كذّبه الكفار، فهم عرفوا وتأكدوا أنّ الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً.

٣ـ الإنسان عندما يقول عن نفسه: أنا عبد الله، فهذا تواضع. والله تعالى عندما يقولها عن عبد يكون تكريماً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[الإسراء:١] ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم:١٠] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[ص:١٧] فهذا من الله تكريم.

ولذلك يقولون إنه لمّا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] ذكر كلمة (عبد) عرج به إلى السموات العلا وإلى سدرة المنتهى، ولمّا ذكر موسى باسمه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] إذن وكأنّ مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.



﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تصديق الفؤاد البصر في الآية؟

الجواب :

١ـ اختيار لفظ (الفؤاد) هو من التفؤد والتوقّد (يقال: فأد اللحم بمعنى شواه) واختار الفؤاد؛ لأنّ فؤاده عليه السلام متوقّد ليرى كل ما حوله.

٢ـ في قوله سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم:١١] تأكيد على أنّ فؤاده عليه السلام صدّق بصره، ويعني: ما رأيته ببصرك لم يشكك به الفؤاد على توقّده، فقد صدّق الفؤاد البصر، وما يراه البصر هو حق صادق.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في اختيار كلمة (المراء)؟ وما فرق المِرية عن الجدال؟

الجواب :

المرية: فيها شك. لم يقل سبحانه: (أفتجادلونه)، إنما قال: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾[النجم:١٢]؛ لأنّ المِرية تختلف عن الجدال، فالكفار كانوا يشككون في الرواية وليس في الأفكار، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ [الشورى:١٨] ﴿يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ [الشورى:١٨] أي يجادلون في الساعة؛ لأنه لا أحد رآها أمّا الرؤية فهي ليست موضوع نقاش في هذه السورة ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾[النجم:١٢] أي لا يُمارى في رؤيته عليه السلام.

والملاحظ هنا استخدام حرف (على)، أمّا في الآية السابقة فاستخدم الحرف (في).



﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ استخدم كلمة ﴿نَزْلَةً﴾ وليس كلمة (مرّة)؛ لأنّ النزلة من النزول فقال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم:١٣]، أي عند نزوله عليه السلام رأى جبريل وهذا دليل على أنه عليه السلام صعد إلى مكان أعلى من الذي وصل إليه جبريل، وفي رحلة عودته عليه السلام رأى جبريل عند نزوله، وهذا مصداق الحديث أنّ جبريل عليه السلام قال للرسول عليه السلام: تقدم. وقال: لو تقدمتُ لاحترقت.

٢ـ اختيار (سدرة المنتهى): سدرة المنتهى هي آخر شيء وآخر نقطة ومكانها عند جنّة المأوى.



﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في هذه الآية أمور لا نعرفها نحن، فالله أعلم بمجريات هذه الرحلة وما فيها وما رآه الرسول عليه السلام فيها، وما في السدرة وما يغشاها.

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى ﴿زَاغَ﴾ في الآية؟

الجواب :

(زاغ) من الزيغان وهو الذهاب يميناً وشمالاً. أمّا (الطغيان) فهو مجاوزة الحدّ والقدر والتطلع إلى ما ليس له. بمعنى أنه عليه الصلاة السلام في رحلته ما مال بصره ولا جاوز قدره، بل وقف في المكان الذي خُصص له.

وفي هذا مدح للرسول عليه السلام فقد وقف بصره في المكان المحدد له مع أنّ المكان يستدعي أخذ البصر والالتفات.

وقد سبق أنْ نفى الله تعالى عن رسوله عليه السلام الضلال والغواية في الأرض، وكذلك نفى عنه أنْ يكون زاغ بصره أو طغى في السموات، فهو لم يتجاوز لا في الأرض ولا في السماء، فسبحان الله تعالى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

(مِن) يقال لها التبعيضيّة.

لم ير كل شيء، لكنّ الرحلة كان لها منهج معين، وجاء بالكبرى، وفيه تكريم آخر للرسول عليه السلام أنه رأى بعض الآيات الكبرى.

والسورة كلها فيها تكريم للرسول عليه السلام، وهذه الآية مبنية على الإبهام، وهذا الإبهام للتعظيم.

وقد أورد الشيخ الشعراوي رحمه الله في خواطره أنّ الرسول عليه السلام رأى من آيات ربه الآية الكبرى، والله أعلم بهذا.



﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال الله: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[النجم:٢٠] فوصف الثالثة بالأخرى والعرب إنما تصف بالأخرى الثانية لا الثالثة؟

الجواب:

الأخرى نعت للعزى والتقدير: أفرأيتم اللات والعزى الثانية ومناة الثالثة لأنها ثالثة الصنمين في الذكر، وإنما أخّر الأخرى رعاية للفاصلة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

في رسم لفظة ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ في الآية أبدلت الألف واواً ومثلها كلمتا ﴿الصَّلَوٰةَ﴾ و ﴿الزَّكَوٰةَ﴾ فما أقسام الإبدال في رسم المصحف؟

الجواب:

يشتمل الإبدال على خمسة أقسام، وهي :

١ـ إبدال الألف واواً:

أ ـ ترسم الألف واواً في أربعة أصول مطردة حيث وقعن غير مضافات وهي: الصلوة ـ الزكوة ـ الحيوة ـ الربوا .

ب ـ كما ترسم واواً في أربعة مواضع، وهي :

ـ ﴿بِالْغَدَوٰةِ﴾ الأنعام ٥٢ـ الكهف ٢٨.

ـ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ النور ٣٥.

ـ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ النجم ٢٠.

٢ـ إبدال الألف ياء :

أ ـ اتفقوا على رسم الألف المتطرفة ياء، وإنْ اتصلت بضمير أو هاء تأنيث. نحو: ﴿الْهُدَىٰ﴾ـ ﴿الْقُرَىٰ﴾ـ ﴿فَتَىٰ﴾ـ ﴿شَتَّىٰ﴾ـ ﴿أَدْنَىٰ﴾ـ ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ـ ﴿أَرْسَىٰهَا﴾ـ ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾.

ب ـ استثنوا كل ألف جاورت ياء قبلها أو بعدها، نحو: ﴿الدُّنْيَا﴾ـ ﴿الْعُلْيَا﴾ـ ﴿الْحَوَايَا﴾ـ ﴿هُدَايَ﴾ـ ﴿مَثْوَايَ﴾ـ ﴿تَتْرَا﴾ـ ﴿كِلْتَا﴾ـ ﴿أَقْصَا﴾.

ج ـ لفظة ﴿يَحْيَىٰ﴾ كتبت بالياء اسماً كانت أو فعلاً.

د ـ اتفقوا على رسم الألف ياء في (أنىّ) بمعنى: كيف، وكذلك في [متى ـ بلى ـ حتى ـ إلى ـ على ـ لدى].

٣ـ إبدال :

تبدل النون ألفاً في :

ـ ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[يوسف:٣٢].

ـ ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾[العلق:١٥].

ـ ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾[محمد:٨].

٤ـ إبدال تاء التأنيث المربوطة تاء مفتوحة.

٥ـ إبدال الثلاثي الواوي ألفاً :

رُسم بالألف ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الواو على ثلاثة أحرف، نحو [الصفا ـ شفا ـ سنا ـ أبَّ] ما عدا التالي :

أ ـ لفظ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فكتب بالياء أينما وقع.

ب ـ ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾[النور:٢١].

ج ـ ﴿دَحَىٰهَآ﴾[النازعات:٣٠].

د ـ ﴿تَلَىٰهَا﴾[الشمس:٢] ﴿طَحَىٰهَا﴾[الشمس:٦].

هـ ـ ﴿سَجَىٰ﴾[الضُّحى:٢].

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في كلمة (ضيزى) في آية سورة النجم ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾؟

الجواب:

(ضيزى) معناها: جائرة ظالمة. ويقولون: أصلها ضُيزى. يقولون: هذا من باب اسم التفضيل (الأفعل والفعلى) للمؤنث، نحو: أكبر كبرى، أصغر صغرى. وهذه (ضيزى) وزنها (فُعلى) في الأصل، لكن الضمة قلبت كسرة حتى تبقى صحيحة، والضاد مضمومة في الأصل وتغيّرت إلى كسر فصارت (ضِيزى) وهي كلمة عربية؛ لأنّ (ضاز) معناه: جار.

لدينا فعلان: (ضاز يضيز) بمعنى جار و(ضاز يضوز) بمعنى لاك الشيء ومضغه، والدلالة متغيرة تماماً، لكنّ هذا الاختيارسببه أنّ (ضيزى) ليس فقط جائرة، وإنما هذا الذي تلوكونه بألسنتكم وتمضغونه ليس له قيمة فجاء بهذه الكلمة الغريبة؛ لأنها قِسمة غريبة، وهي فعلاً من الكلمات الغريبة، فاستعملها لأنها قسمة غريبة ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾[النجم:٢١] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾[النحل:٥٧] فاختار الكلمة الغريبة للقسمة الغريبة.

إذن (ضيزى) تحتمل الدلالتين: قسمة جائرة غير عادلة، ويلوكونها بدون معرفة.

السؤال الثاني:

ما الأصل اللغوي لكلمة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾؟

الجواب:

كلمة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ من الفعل: ضأز يضأز ضأزاً؛ أي: جار. وقسمة ضيزى: أي جائرة غير عادلة. والضوزة من الرجال الحقير الصغير الشأن.

والعرب تقول:

أـ ضُؤزى: بالضم والهمز.

ب ـ ضُوزى: بالضم بلا همز.

ج ـ ضِئزى: بالكسر والهمز.

د ـ ضِيزى: بالكسر بلا همز.



﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ و﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؟

الجواب:

بشكل عام (نزّل) آكد وأقوى في موطن الاهتمام من(أنزل).

انظر الجواب في آية آل عمران ٣.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ٢٣: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[النجم:٢٣] وقال في الآية ٢٧: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾[النجم:٢٧]، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الآية ٢٣ جاءت بعد ذكر آلهتهم في الآيات[١٩ـ٢١]وتسميتها آلهة فقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[النجم:٢٣] أي بهواكم من غير دليل.

٢ـ الآية ٢٧ في تسمية الملائكة تسمية الأنثى، وأنّ الظن في أنّ الملائكة إناث لا يغني من الحق شيئاً ولا يفيد قاصد علم. والله أعلم.



﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

متى تذكر أو تؤنث كلمة الشفاعة؟

الجواب :

١ـ في آية البقرة ٤٨ ذكَّر الفعل فقال: ﴿يُقْبَلُ﴾ لأنّ الشفاعة هنا جاءت لمن سيشفع أو من ذي الشفاعة.

٢ـ في آية البقرة ١٢٣ أنّث الفعل فقال: ﴿تَنفَعُهَا﴾؛ لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها وليس الكلام عن الشفيع.

٣ـ في آيات يس ٢٣ والنجم ٢٦ أنّث الفعل؛ لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

لماذ قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية البنات؟

الجواب :

١ـ المراد به الجنس.

٢ـ الإناث تحتمل معنيين: البنات، وأعلام البنات، أي أسماءهم كعائشة وحفصة.

٣ ـ مراعاة الفاصلة.

لذلك عندما قال: (تسمية الأنثى) تعيّن أنْ تكون للجنس وهي البنت والبنات.

والمعنى: كيف تدعون أنكم تعظمون الملائكة وتعبدونها وأنتم تسمونهم تسمية الأنثى؟ !!



﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [النجم:٣٠] أي غاية ما يبلغون أنهم يأخذون بالظن.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ [النجم:٣٠] (هو) ضمير الفصل و﴿أَعۡلَمُ﴾ بمعنى عالم لا عالم مثله، كما يقال: (الله أكبر) أي كبير ولا أكبر إلا هو.

٣ـ قدّم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدي في كثير من المواضع، كما في [سورة الأنعام ١١٧ـ وسورة القلم ٧] وهنا أيضاً في الآية؛ لأنه في هذه المواضع كلها المذكور نبيه عليه السلام والمعاندون، فذكرهم أولاً تهديداً لهم، وتسلية لقلب نبيه عليه الصلاة والسلام.

٤ـ قال في الضلال (عن سبيله) ولم يقل في الاهتداء إلى سبيله؛ لأنّ الضلال عن السبيل هو الضلال، ولا يكون الضلال إلا في السبيل ،ولأنّ من ضل عن سبيله لا يصل إلى المقصود سواء سلك سبيلاً أم لم يسلك.

وأمّا من اهتدى إلى سبيل الله فلا وصول إنْ لم يسلكه، فلا يكون مهتدياً إلا إذا اهتدى إلى كل مسألة يضر الجهل بها بالإيمان، فكان الاهتداء اليقيني هو الاهتداء المطلق، فقال هنا: ﴿بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ وقال: ﴿بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧﴾ في الأنعام ١١٧.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٧] وهنا قال: ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، فلماذا؟

الجواب:

لمّا قال: ﴿ضَلَّ﴾ بصيغة الماضي تعلق الأمر بعلمه تعالى الأزلي وقت وجوده فعلم.

ولمّا قال: ﴿يَضِلُّ﴾ تعلق الأمر عند الوقوع، وإنْ كان قد علم في الأزل أنه سيضل؛ لأنّ للعلم تعلقاً آخر عند حصوله التنفيذي، وهذا هو العلم الذي يبنى عليه الجزاء، ولا يُبنى الجزاء على علم الله الأزلي.

أي قال: (ضل) في علم الله الأزلي. وقال: (يضل) عند حصوله المؤكد التنفيذي.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في التعبير ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الوارد في الآيات النحل ١٢٥ ـ النجم ٣٠ ـ القلم ٧؟

الجواب:

١ـ العرب تقول: أسرع من مشى ـ أكرم من طعم ـ أطيب من تعطر ـ أغلى من مات، وهكذا، وليس من عادتهم أن يقولوا: (أفصح بمن أنشد) أي بزيادة (الباء).

بينما في الآيات الثلاث اتصلت الباء ﴿بِمَن﴾؛ لأنّ في حذف هذه الباء فساد المعنى بحيث يكون أنّ الله أعلم الضالين عن سبيله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢ـ ومثال ذلك: لو قلت إنَّ فلاناً أعلم من دَرّس النحو، لكان ذلك يعني أنه أعلم دارسي النحو. ولو قلت: فلان أعلم بمن درس النحو، لتغير المعنى وربما أنه لا يعرف النحو بنفسه، لكنه يعرف من درسه.

وهنا في الآية وضع (الباء) لكي يفصل بين معنى أفعل التفضيل ﴿أَعْلَمُ﴾ وما يأتي بعده.

ويؤيده ذلك آخر الآية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فتكررت هذه الباء؛ لتؤكد المعنى الأول.

٣ـ في آية الأنعام ١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فإنك لا تجد هذه (الباء)، والفعل (يضل) بالمضارع بدلاً من الماضي (ضل) فما السر في ذلك؟

والجواب أنّ هذه الآية من سورة الأنعام تتحدث عن أمور في المستقبل أي أنّ الله أعلم بالذين سيضلون عن سبيله، بدليل قوله تعالى في الآية السابقة لها: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ١١٦﴾[الأنعام:١١٦].

فتلاحظ أنّ الأفعال ﴿يُضِلُّوكَ﴾ ـ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ ـ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ كلها أفعال مضارعة تدل على الحال والمستقبل فناسبها أنْ يكون الفعل مضارعاً مثلها ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ولا ينصرف الذهن إلى معنى غير ذلك.

٤ـ أمّا الآيات الأخرى فكانت تتحدث عن أشياء ماضية حدثت بالفعل وعُرِفَ أصحابها. انظر آية سورة النجم مثلاً ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾[النجم:٣٠] وكذلك آيات سورة القلم.

والله أعلم.



﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين التزكيتين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾[الشمس:٩] ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم:٣٢]؟ وما معنى التزكية في القرآن الكريم؟

الجواب :

كثير من الكلمات يسمونه من المشترك اللفظي بحيث يكون له أكثر من معنى يصح في حال، وآخر قد يكون منهياً عنه. أمثلة :

١ ـ (مشترِك ـ مشترَك) :

ـ (اشترك) فعل لازم وليس متعدياً. ولو قدّرنا الفعل لازماً بدون تقدير نقول (مشترِك) كما في قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الصافات:٣٣].

ـ(مشترَك) في التعبير مثلاً كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه:٣٢] كما نقول اشترك في كذا فيصير (مشترَك) في أمر من الأمور.

٢ ـ (زكّى نفسه) فيها معنيان:

ـ التطهير، ومنه الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] والزكاة هي النماء في الحقيقة. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس:٩] أي طهّر نفسه.

ـ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢] زكّى نفسه؛ أي نسبها إلى التزكية، قال: أنا جيّد أنا خير من كذا، ففي هذه الحالة لا يجوز، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا تقولوا أنا أحسن من هذا، أنا أفضل؛ لأنه تعالى أعلم بمن اتقى.

فمعنى (قد أفلح من زكاها) أي طهّرها، ومعنى (لا تزكوا أنفسكم)؛ أي لا تفتخر بنفسك، وكل واحدة لها معنى.

٣ـ ونظير ذلك الفعل (قوّم) بمعنى: عدّل، كقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة:٥] و(قوّم) بمعنى أعطى للشيء قيمة ،كم تقوّم هذه الساعة مثلاً؟ أو هذه السلعة؟ (قوّم السلعة) أي بيّن مقدار قيمتها. (قوّم ولا تقوّم) يعني عدّلها، لكن لا تقوم قيمتها.

فإذن هذه من المشترك، وكل واحدة لها معنى.

السؤال الثاني :

ما أهم اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الكبائر جمع كبيرة وهي صفة، فما الموصوف؟ !!.

٢ـ قال في الكبائر: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ ولم يقل: الفواحش من الإثم؛ لأنّ الكبائر إشارة إلى المقدار، والفواحش إشارة إلى ما فيها من وصف القبح، فكأنه قال: عظيمة المقادير قبيحة الصور.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ أي الصغير من الذنب، يقال ألَمّ بالطعام إذا قلل من أكله، وفيها وجوه:

أ ـ استثناء منقطع؛ لأنّ اللمم ليس من الفواحش.

ب ـ استثناء غير منقطع؛ لأنّ كل معصية إذا نظرت إلى جانب الله تعالى فهي كبيرة. ولذلك قالوا: الفواحش هي كل معصية إلا ما استثنى الله تعالى منها ووعدنا بالعفو عنه.

ج ـ (إلا) بمعنى غير، والتقدير والفواحش غير اللمم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ جاء بالتوكيد ﴿إِنَّ﴾ وذكر لفظة الرب لأنها مشتقة من التربية والاهتمام. وجاءت كلمة ﴿وَٰسِعُ﴾ لتدل على عظيم عفوه وكرمه.

وجاءت الآية بالصيغة الاسمية؛ لتدل على الثبات، ولتدل على أنّ الذنوب كلها وإنْ كانت عظيمة، فإنها صغيرة إنْ قورنت بقليل عفو الله وكرمه.

٥ـ قوله: ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي إنْ كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال إنشائكم من الأرض؛ لأنّ آدم أصله من تراب.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمى إلا ولداً أو سقطاً.

وفي الآية تنبيه على كمال العلم والقدرة لله، فمن يعلم بحال الجنين لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد.

٧ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ (هو) ضمير الفصل الذي يدل على أنه يعلم لا غيره. والمخاطب هنا خاص: الكفار، وعام: المؤمنون.

وفي الآية إرشاد للمؤمنين بأنْ لا يزكوا أنفسهم خيلاء، وفيه إشارة إلى وجوب الخوف من العاقبة، أي لا تقطعوا بخلاصكم أيها المؤمنون، فإنّ الله يعلم عاقبة من يكون على التقى.

السؤال الثالث:

ما دلالة النهي عن تزكية النفس في الآية؟

الجواب:

١ـ التزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه، ومنه تزكية الشاهد في القضاء. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم:٣٢] وحيث إنّ التزكية متعلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن، ولا يعلم حقيقتها إلا الله فلا جرم أنه لا تصلح التزكية إلا من الله؛ ولذلك قال الله: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٩].

٢ـ إنْ قيل: أليس النبي عليه السلام قال: (**والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض**)، فكيف نفهم هذا؟

والجواب: إنما قاله النبي عليه السلام حين قال المنافقون له: اعدل في القسمة؛ ولأنّ الله تعالى لمّا زكاه بدلالة المعجزات جاز له ذلك بخلاف غيره.

٣ـ الفعل (زَكَى) قد يكون بمعنى: نسب الشيء إلى (الزكاء)، كما في آية النجم ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تنسبوها إلى زكاء الأعمال، ولا تثنوا عليها.

وقد يكون بمعنى (طهّر)، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ أي من طهرها. وعلى هذا يصح أنْ تقول: زكّوا أنفسكم ولا تزكوها. أي: طهروا أنفسكم ولا تمدحوها بزكاء الأعمال، فإنه لا يزكّي الأنفسَ إلا الله.

والله أعلم.



﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة حذف المفعول به في الآيتين [٤٣ و ٤٤]؟

الجواب:

حذف المفعول به على نوعين:

١ـ أنْ يحذف لفظاً لكنه مرادٌ معنى، والقصد هو: الحذف اختصاراً. ولا يُحذف إلا لدليل.

٢ـ أنْ يكون المفعول به غير مراد، ولا يصح تقديره؛ لأنّ تقدير أي مفعول به مفسد للمعنى. ويكون ذلك بحسب الحاجة، والقصد هو: الحذف اقتصاراً.

وقد تكون الحاجة لذكر المفعولين ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر:١] ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥] أولذكر مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضُّحى:٥].

* شواهد قرآنية على النوع الأول :

ـ ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ [المدَّثر:١١] أي من خلقته وحيداً؛ لأنّ اسم الموصول لا بدّ له من عائد.

ـ ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠] أي أنعمتها.

ـ ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤] أي فإنْ لم تفعلوا الإتيان ولنْ تفعلوه وقد حُذف للعلم به.

ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ [الضُّحى:٣] والحذف هنا لإكرام الرسول عليه السلام فلا يناسب: وما قلاك.

ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه:٧٩] أي وما هداهم، وللعموم، أي: وما هدى غيرهم.

ـ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة:٢١] الحذف هنا للعموم والتحقير للكافرين.

* شواهد قرآنية على النوع الثاني :

ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة:٥٥] لم يذكر لمن يؤتون الزكاة؛ لأنّ القصد هنا أنْ يصف المؤمنين بإيتاء الزكاة.

ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٥-٦] لم يذكر من أعطى ولا ما أعطى؛ لأنّ القصد أنْ يصفهم بصفة العطاء والتقوى.

ـ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥٢] أي لا يتصف بالنسيان.

ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور:٦١] لم يذكر مفعول الأكل؛ لأنه لا يتعلق غرض بذكره.

ـ البقرة ١٨٧ : لم يذكر ما يأكلون وما يشربون.

ـ الفرقان ٦٧ : لم يذكر ماذا ينفقون.

ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر:٦٨] أي أنه متصف بصفة الإحياء والإماتة.

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [النجم:٤٣-٤٤] أي متصف بصفة الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء.

ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص:٣] لم يذكر ما يلد، ولو ذكر لفسد المعنى.

السؤال الثاني :

جاء ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في الآيات [٤٣ـ٤٤ـ٤٨ـ٤٩]ولم يأت به في الآيات [٤٥ـ٤٧ـ٥٠]، فما السبب؟

الجواب :

جاء ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في كل موضع اُدعي فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله، ولم يؤت به حيث لم يُدّع. لذلك لم يؤت به في الآيات التالية :

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾[النجم:٤٥].

ـ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[النجم:٤٧].

ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[النجم:٥٠].

لأنّ ذلك لم يُدّع لغير الله تعالى، وأُتي به في الباقي لادعائه لغيره وهي الآيات :

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾[النجم:٤٣-٤٤].

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾[النجم:٤٨-٤٩].

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ٤٧ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[النجم:٤٧]؟

الجواب :

١ـ عند أكثر المفسرين أنّ الآية إشارة إلى الحشر.

٢ـ لكنْ يحتمل أنْ يكون المراد نفخ الروح الإنسانية في الإنسان، كما قال تعالى بعد خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاماً، ثم: ﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[المؤمنون:١٤].

٣ـ قوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي تعينت له نفخ الروح الإنسانية وإعادة الحشر، فهو الذي يقوم بذلك لا غيره.

٤ـ قوله: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ هي مصدر كالضربة على وزن (فَعلة) أي مرة بعد مرة؛ لذلك يعني النشأة الأخرى يوم القيامة بعد النشأة الأولى بخلق الناس في الدنيا.

السؤال الرابع :

ما دلالة الآية ٤٨ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨﴾[النجم:٤٨]؟

الجواب :

أي أغنى من الفقر، وأقنى من الغنى فقنع.





السؤال الأول :

لماذا زيدت ألف مع كلمة ﴿وَثَمُودَاْ﴾ في رسم المصحف؟

الجواب :

زيدت (ألف) مع كلمة ثمود في أربع آيات، وهي [هود ٦٨ـ الفرقان ٣٨ـ العنكبوت ٣٨ـ النجم ٥١].

وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي الآيات الأربعة بالتنوين، وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص بترك التنوين فيها.

وبالتالي فإنّ هذه الألف ليست إلا عوضاً عن التنوين المفتوح ما قبله عند الوقف.

﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية المشتركة بين آية طه ٧٨ ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] وآية النجم ٥٤ ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم:٥٤]؟

الجواب :

اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] هو استعماله لاسم الموصول ﴿مَا﴾ للتفخيم.

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم:٥٤].



رابعاً ـ تناسب فواتح النجم مع خواتيمها :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة :

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ – ٤].

وقال في أواخرها: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم:٥٦]. أي ليس ضلالاً ولا غواية ولا نطقاً عن هوى، وإنما هو وحي من الله سبحانه.

ثم قال في آخرها:

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ [النجم: ٥٩ – ٦٢].

فقوله: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ [النجم:٥٩] يناسب قوله في البدء: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤].

٢ ـ ثم ذكر في أوائلها حديث المعراج، ومن ذلك قوله:

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ [النجم: ١٢ - ١٨].

وذلك يناسب أيضاً قوله في آخر السورة: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ۝٦١﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

٣ ـ ذكر في أوائل السورة ما يعبدونه من الأصنام، وذلك قوله:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠].. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣﴾ [النجم:٢٣].

وطلب في آخر السورة السجود لله والعبادة له، وذلك قوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم:٦٢].

لقد قال في أول السورة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم:١].

وقال في آخرها: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ۝٦٢﴾ [النجم:٦٢].

وهويّ النجم يقابله السجود، فكلاهما هويّ. فالتناسب بين البدء والختام من أكثر من جهة.



سورة القمر

أولاً ـ تناسب خواتيم النجم مع فواتح القمر :

قال سبحانه في خواتيم سورة النجم :

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾[النجم: ٥٧ – ٥٨].

وقال في أول سورة القمر:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[القمر:١].

وقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾[القمر: ٦ – ٧].

فكلا الموضعين في الساعة واقترابها.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبة أولها لآخر السورة قبلها ظاهرة فقد قال سبحانه: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧﴾[النجم:٥٧]، وهنا ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[القمر:١].

سؤال :

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧﴾[النجم:٥٧] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[القمر:١] ألا يعتبر هذا صورة من صور التكرار؟ والجواب أنّ الدلالة واحدة، لكنّ الأسلوب في التعبير مختلف. والقرآن ذكر في سورة القمر ما لم يذكره في النجم، فهناك إشارة وهنا توضيح، هناك لم يقل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦]. وهنا بيّنها، هناك لم يقل: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر:١].

هناك ذكر كلاماً عاماً، وهنا ذكر توضيحاً لما ذكره فيما تقدم كأنها مقدمة لأنّ : ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾[النجم:٥٧] هذه مجرد إشارة.

إذن في النجم إشارة وفي القمر توضيح، فقوله تعالى: ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ [القمر:٦]. وهذه لم تذكر في النجم، فكأنه تبيين لما ذكره، وكأنما هي بعدها في التوضيح، وكأنها من سورة واحدة متصلة.

ثانياً ـ هدف السورة :

التعرّف على الله من خلال النقم :

هذه السورة تتحدث بمعظم آياتها عن نماذج لمن كذّب بآيات القرآن وتحمل السورة طابع التهديد والوعيد والإنذار مع صور شتّى من مشاهد العذاب والدمار. وقد تكرر فيها ذكر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾[القمر:١٦] وكذلك: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[القمر:١٧]. وتحدثت عن قوم نوح: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر:١٢]، وقوم عاد: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر:١٩]، وقوم ثمود: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾[القمر:٣١]، وقوم لوط: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾[القمر:٣٤]، وآل فرعون: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ

عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾[القمر:٤٢]. وكلها تتحدث عن كيفية غضب الله تعالى لنتعرف عليه من خلال النقم التي لحقت بمن كذّب بهذا القرآن.

وقد ختمت السورة بآية بيّنت مآل السعداء المتقين لتحافظ على توازن أسلوب القرآن في الترغيب والترهيب: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾[القمر:٥٤].

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

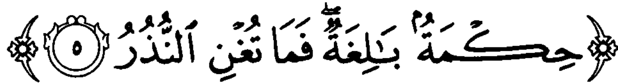
الجواب :

يحدّث ـ داوود موسى بيسكوك ـ رئيس الحزب الإسلامي البريطاني فيقول: إنّ سبب إسلامي كان أنني استمعت إلى مناظرة بين علماء الفضاء الأميركيين مع مجموعة من العلماء البريطانيين في التلفزيون البريطاني فقال البريطانيون للأميركان: كم أنفقتم من المليارات حتى وصلتم إلى القمر؟ فما الذي جئتم به؟ هذه الأحجار هل قيمتها تساوي المليارات التي أنفقتموها؟ فخشي الأميركان من تشويه سمعتهم أمام جمهورهم في أميركا وأوربا فقالوا: لا، نحن لم نصعد من أجل هذا، وإنما صعدنا من أجل أنْ نحقق في ظاهرة أذهلتنا، فقد وجدنا أنّ القمر مشقوق نصفين ،وأنّ كل نصف ابتعد عن النصف الآخر، وأنه عاد والتحم النصفان وأنّ دليلنا على ذلك هو أنّ سلاسل الجبال التي كانت ملتحمة بعضها مع بعض. . هذه السلاسل لما عاد الالتحام حدث لها انزياح فأصبح

نصف الجبل هذا يلتحم مع النصف الآخر ونصف الجبل الآخر يلتحم مع نصف الجبل الآخر وهكذا جميع الجبال. .. أنصاف الجبال التي في سلاسل جبال في إحدى الجهات وجدوها متقدمة عن مثيلاتها وأنصافها الأخرى مما دل على أنّ القمر قد انشق.

وهذه معجزة للرسول محمد ﷺ سجلها القرآن الكريم في أوائل سورة القمر.





السؤال الأول :

لماذا رُسم الفعل ﴿تُغْنِي﴾ بالياء في آية يونس ١٠١ وبدون ياء ﴿تُغْنِ﴾ في آية سورة القمر٥؟

الجواب :

١ـ بشكل عام خط المصحف لا يقاس عليه، لكنْ من الغريب أنْ نحس أنّ للفصل والوصل غرضاً بيانياً وله دلالته.

٢ـ قال في آية القمر: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر:٥] وقال في يونس: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾[يونس:١٠١] فزاد في آية يونس على ما في القمر، فزاد في الرسم تبعاً لذلك.

٣ـ لمّا زادت دواعي الإغناء في يونس زاد الإغناء، ولمّا نقصت الدواعي في القمر نقص شيء من الحدث تبعاً لذلك، فَنَقْصٌ من الرسم في القمر مناسبٌ لنقص الدواعي.

والله أعلم.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (نُكْر) بسكون الكاف و(نُكُر) بضم الكاف؟

الجواب :

١ـ قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦] جاءت (نُكُر) بضم الكاف هنا، ولا تصلح هنا مع الفاصلة أنْ تأتي(نُكر) بتسكين الكاف.

٢ـ صيغة (فُعُل) بضم العين غير صيغة (فُعْل) بتسكين العين ولكل منها دلالة خاصة. يقال: باب (فُتُح) أي مفتّح لا يُغلق، ويقال: من وجد باباً مُغلقاً فإنّ هناك بابًا (فُتُحاً) هو باب الله. ويقال: قارورة (فُتُح) أي ليس لها غطاء أصلاً.

٣ـ صيغة (فُعُل) أبلغ من (فُعْل)؛ لأنّ فيها توالي ضمّتين، و(نُكُر) أبلغ وأشد في النكارة من (نُكر) بتسكين الكاف، ولو لاحظنا ما ورد في الآيات التي فيها (نُكر) و(نُكُر) نجد أنه من الصحيح أنّ الفاصلة تقتضي كلاً من التعبيرين والعبارتين أو الوزنين، لكنّ الدلالة تختلف.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦] هذه الآية في الآخرة، وهي غير مألوفة، والصوت الذي يدعوهم إلى الخروج غير مألوف، فالأمر مُستغرب، ولم يسمعوا به، والدعوة هائلة والأمر غير مألوف فيما سبق من حياتهم ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ

﴿ ﴿٨﴾ ﴾[القمر: ٧ – ٨] فليس له نظير فجاء بـ (نُكُر) شديد النكارة ولم يقل (نُكر) بتسكين الكاف.

٥ـ أمّا في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾[الكهف:٨٧] فلم يقل (نُكُراً) علماً أنّ الحديث في الآخرة أيضاً؛ وهذا لسببين:

أ ـ أولاً قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ ولم يقل: (من كفر) وليس بالضرورة أنّ الظالم هو كافر، فكل كافر ظالم، وليس كل ظالم كافراً.

ب ـ وثانياً أنه قال: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ إذن سينال عذاباً في الدنيا، فإذا كان العذاب مُجزياً في الدنيا سقط عنه في الآخرة، وإذا لم يكن مجزياً عُذب في الآخرة. وإذا أقيم على أحدٍ الحدّ في الدنيا بسبب ذنب خاص، فإنه لا يُعذب عليه في الآخرة. فهذا العذاب نكارته ليس بتلك الشدة التي في آية سورة القمر.

٦ـ أما في قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤] قتل النفس في الأرض كثير، وليس مستغرباً كالأمر في آية سورة القمر، فالقتل يحصل رغم استنكاره.

٧ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق:٨] هذا في الدنيا كالصيحة أو الخسف أو غيرها وليس في الآخرة، وليست بنكارة ما في الآخرة.

٨ـ واختلاف الصيغ كثير منها: [عسِر وعسير] ولكل منهما دلالة خاصة و[طويل وطُوال] وتقال مثلاً إذا كان شخصان كلاهما طويل، لكنّ أحدهم أطول من الآخر، فيقال له: (طُوال) إذا كان بالغ الطول.



﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (خشعاً أبصارهم) و(خاشعةأبصارهم) و(أبصارها خاشعة) كما في الآيات: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾[القمر:٧]، ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج:٤٤]، ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾[القلم:٤٣] ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾[النازعات:٩]؟

الجواب :

١ـ (خُشّع) هذا الجمع على وزن (فُعّل). والخشوع هو الانكسار والذلة ويكون للإنسان عموماً وللقلوب وللأبصار والوجوه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الغاشية:٢] ويظهر فيها الذلة والانكسار، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون:٢] فهوخشوع عام في القلب والجوارح.

٢ـ (خُشّع) جمع مفرده (خاشع) مثل :(سُجّد وساجد). قال الله في الآيتين في السؤال ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ (خُشّع) جمع على وزن (فُعّل) هذا الوزن يفيد التكثير والمبالغة، نظير قولنا في المبالغة مثل (قُلّب) نقول: هذا رجُل قُلّب، أي كثير

التقلب وسريع التقلب، وبَرْق (خُلّب) أي ليس فيه مطر، ورجُل (حُوّل) أي كثير التحوّل.

وهذه من صيغ المبالغة، وبهذا المعنى اتضح الفرق بين خاشع وخُشّع و(خاشعة) اسم فاعل، و(خُشّع) جمع يفيد التكثير، هذا هو الفرق في الدلالة.

٣ـ يبقى سبب الاختيار: لماذا هنا قال خُشّعاً وهنا خاشعة؟

نقرأ الآية في سورة القمر ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٦ - ٨] :

أ ـ قال: ﴿شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ نُكُر أي شديد النكارة غير مألوف ولا معروف. صيغة (فُعُل) من صيغ المبالغة الدالة على شدة النكارة غير المألوفة وغير المعروفة.

ب ـ ثم تقديم الحال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ بينما في آيات سورة المعارج كلها مؤخرة: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٣ - ٤٤] الحال متأخرة هنا، بينما في سورة القمر الحالة متقدمة لشدة الأمر ﴿خُشَّعًا﴾، وهي الحال الدالة على الكثرة.

ج ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر:٧-٨] مهطعين أي مسرعين، مادّي أعناقهم خائفين، ولم يذكر في سورة المعارج مثل هذه الأشياء. وكل هذه الأمور تدل على الموقف والهول وشدة النكارة، فقال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ فجاء بالصيغة التي تدل على الكثرة والمبالغة وقدّمها.

بينما أقصى ما قال في سورة المعارج ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج:٤٣] وهذه يشاهدونها، وهم يسرعون إلى أصنامهم وهي حالة مألوفة، لكن لمّا قال: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦] هذا غير مألوف، شديد النكارة، وهوغير معروف.

د ـ في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾[القمر: ٧ – ٨] وصفهم كالجراد في الكثرة والحركة.

٤ـ أيها الأنسب لمن يعرف اللغة؟ أين يضع (خشعاً) و(خاشعة)؟ لا شك أنه يضعها في مكانها. وهذه موازين كالمعادلة الرياضية، قدّم خشعاً وخاشعة على الإبصار، وأمّا في آية ﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾[النازعات:٩] فهذه إخبار، مبتدأ وخبر.

السؤال الثاني :

وردت كلمة (أجداث) في القرآن ثلاث مراتٍ، والقبور ثماني مرات فهل هناك فرق بين الجدث والقبر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.

السؤال الثالث :

هناك كلمات أخرى مرادفة للقبر مثل: [لحد ـ ريم ـ رمس] لكنها لم ترد في القرآن الكريم. فما اللحد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.

السؤال الرابع :

كيف وصفت هيئة عرضهم في آية الكهف ٤٨ ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴿٤٨﴾﴾ على صف منتظم، وفي آية القمر ٧ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ بأنهم منتشرون بغير نظام ولا صفوف كالجراد؟

الجواب :

آية الكهف عند السؤال، وآية القمر عند خروجهم من القبور وحشرهم إلى القيامة.



﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام صيغة ﴿عَسِرٌ﴾ في آية (٨) سورة القمر؟ وما الفرق بين (عَسِر) و(عسير)؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة القمر: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾[القمر:٨].

لفظة ﴿عَسِرٌ﴾ من أوزان الصفة المشبّهة [فعِل وفعيل] فتأتي هاتان الصفتان للمبالغة، أو صفة مشبّهة، يُقال: فرِح وطويل. و(عَسِر) غير (عسير).

٢ـ (عسِر) تستعمل للأشياء الداخلية، بينما (أعسر) تستعمل للصفات الظاهرة والجسمية.

ومثال ذلك:

(شريف وأشرف): شريف صفة عامة، وأشرف تعني: المرتفِع الكتفين.

(رئيس وأرأس) رئيس صفة عامة، وأرأس بمعنى: رأسه كبير.

صيغة (أفعل) مثل أحمر تستعمل للنعوت والحُلي الظاهرة.

(مليح وأملح) مليح بمعنى جميل، وأملح بمعنى أبيض اللون.

(نشِط ونشيط) نشِط (مندفع وهي حالة اندفاعية) أمّا نشيط فهي صفة عامة.

٣ـ وكذلك الأمر في (عسِر و عسير) فيقال: (عسِر) عليه الأمرُ فهو عسِرٍ فالأمر خاص به. وقد يكون عسِراً عليه، لكنه ليس كذلك على غيره كما يعسر أمر ما على طفل، ولا يعسر على من هو أكبر منه.

أمّا (عسير) فتقال عندما يكون الأمر عسيراً في ذاته، ويدل على الثبوت خِلقة أو اكتساباً.

بينما (عسِر) فهو نسبي، وهو وصف الكافرين الذين يقولون ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر:٨] لأنه نسبي لهم، لكنّ الله تعالى ييسره على من يشاء. وهو لا شك يوم عسير، كما وصفه تعالى في سورة المدّثر ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدَّثر:٩-١٠] فهو على الكافرين عسير، لكنْ قد لا يكون كذلك على غيرهم. ولو لم يحدد الله تعالى أنه عسير على الكافرين لكان عسيراً على الكل.

فكلمة [عسِر وعسير] اشتقاقهما من مادة واحدة (ع س ر)، لكنّ المعنى اختلف باختلاف الصيغة. [عسِر وعسير وأعسر] كلها صفات مشبهة لكنْ لكل منها معنى مختلف عن الأخرى.



﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ تم إلحاق ضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل وهو (قومُ نوح)، وهذا جائز بالاتفاق وحسن، بينما إلحاق ضمير الجمع بالفعل هو قبيح عند الأكثرين، فلا يجوزون: كذبوا قوم نوح، بل يجوزون (كذبت).

والعرب تؤنث مع الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أي كذبوا بآياتنا.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي كذبوا نوحاً عليه السلام بالرسالة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿عَبْدَنَا﴾ فيه تشريف وإكرام لنوح عليه السلام؛ لأنّ مقام العبودية لله مقام تشريف.

كما أنّ قوله: ﴿عَبْدَنَا﴾ أدل على صدقه عليه السلام؛ لأنّ العبد مأمور بإبلاغ ما يوحى إليه، ولا يستطيع التغيير والتبديل من نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٥-٤٦].

٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه، فقالوا: هو مصاب بالجنون، فبيّن الحق سبحانه مبالغتهم في التكذيب.

٦- قوله تعالى: ﴿وَازْدُجِرَ (٩)﴾ هو إخبار من الله أو حكاية قولهم، والمعنى: أوذي وزجر، وهو كقوله تعالى: ﴿كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ [الأنعام: ٣٤].

فقال: (وازدجر). أي فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم. ولو قال: (زجروه) ما كان يفيد أنه تأذى منهم؛ لأنّ الفعل (أوذي) لازم، ولا يقال إلا عند حصول الفعل لا قبله.

والمقصود من الآية تقوية قلب النبي ﷺ بذكر من تقدمه.

والله أعلم.



﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (١٠) ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا بيّن الحق في الآية السابقة أنهم زجروا سيدنا نوحاً عليه السلام دعا ربه أني مغلوب.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّي﴾ بالفتح على معنى بأني، وقرىء بالكسر (إني) على أنه دعاء، فكأنه قال: إني مغلوب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مَغْلُوبٌ﴾ أي غلبني الكفار فانتصرْ لي منهم لا من نفسي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ وجاء بصيغة الإطلاق ولم يقيد كما أطلق في ﴿مَغْلُوبٌ﴾ لتشمل كل الأمور، نحو :

ـ انتصر لي أو لنفسك فإنهم كفروا بك.

ـ أو لدينك، فإني عجزت عن الانتصار لدينك.

ـ أوانتصر للحق، ولا يكون فيه ذكره ولا ذكر ربه، وهذا يقوله عادة قوي النفس من يوقن بكون الحق معه.

والله أعلم.

﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ
﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:٤٤]، وقال في سورة القمر: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر:١١-١٢] لِمَ قدّم هنا السماء على الأرض؟

الجواب :

١ـ في سورة القمر قال: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١] فبدأ بالسماء، لأنّ نوحاً عليه السلام في البداية دعا ربه : ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:١٠] والداعي تفتح له أبواب السماء، فدعا ربه ففتح أبواب السماء بماء منهمر.

وهذه الإجابة كانت فعلية، والدعوة تفتح لها أبواب السماء، دعا ربه ففتحنا أبواب السماء، وهذه هي الإجابة، وجاء بـ (الفاء) في [فدعا ـ ففتحنا]؛ لتدل على السرعة في الإجابة، ولم يقل: (فتح أبواب السماء لدعوته فاستجبنا له)، وإنما قال: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١].

٢ـ في سورة هود ليس هناك أصلاً دعاء!! ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود:٤٠].

السؤال الثاني :

ما أهم اللمسات البيانية في هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١] أي كأنّ الماء جاء وفتح الباب، دلالة على أنّ الماء جرى كأفواه القُرب.

٢ـ قال مع السماء: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر:١١] ولم يقل: (وشققنا السماء)؛ لأنّ السماء ما لها من فطور، وقال في الأرض: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:١٢] لأنّ الأرض ذات الصدع.

٣ـ وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:١٢] فكأنّ الله فجّر الأرض كلها عيوناً لتقابل كثرة العيون سعة أبواب السماء، فيحصل بالكثرة ههنا ما حصل بالسعة ههنا.

٤ـ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر:١٢] أي أمر الإهلاك، ولم يصرح بينما عند الرحمة ذكر الإيحاء صريحاً بقوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ وأسند الأمر إليه سبحانه تكرماً منه.

ونحو ذلك ذكر القرآن في موضع آخر العنكبوت ١٤ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ ولم يقل: فأُهلكوا. وقال في آية العنكبوت ١٥: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ فصرح بالإنجاء ولم يصرح بالإهلاك؛ لأنّ الله تعالى لا ينسب عمل الشر إليه، بل ينسب عمل الخير إليه.

٥ـ قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ (الدسر) جمع دسار مثل كتب وكتاب، وأصل (دَسَرَ) بمعنى أدخل بقوة أو شدّ بقوة، بمعنى ربط بين لوحين بقوة بالمسمار أو الحبل أو الليف.

وبالتالي (ذات ألواح ودسر) أي سفينة أو فلك، لكنه لم يذكرها وذكر الصفة وحذف الموصوف.

والسبب أنّ جو الآيات والسياق جو رعب وخوف: ماء يغمر كل شيء وريح تعصف وموج كالجبال، وبالتالي تكون الصورة أنه محمول (على) وليس (في) ألواح مشدودة ضمن موج كالجبال، فيتذكر قدرة الله كيف حمل نوحاً ومن معه على الألواح والدُسُر، ولم يقل (سفينة) حتى لا تعطي نوعاً من الأمن والطمأنينة.

فهذه هي الصورة التي رسمها القرآن، وعندما يسمعها الإنسان ينتقل فوراً للتشبث برحمة الله تعالى التي أنقذت نوحاً ومن معه وهو في هذه الحال.

٦ـ قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ وهذا أبلغ من (حفظنا) والمراد هو حفظ الله للسفينة خلالَ جَرْيها؛ ولهذا يُقال: الرؤية لسان العين، وهي جزاء لسيدنا نوح عليه السلام لصبره على قومه ودعوته:﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾[القمر:١٠].

٧ـ قوله تعالى: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١٤] الذي كُفر هو سيدنا نوح عليه السلام؛ أي كُفرت دعوته.

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً﴾ أي مجازاة. أي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام فإنه كان نعمة أنعمها الله على قومه فكفروها. وكذا كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته.

٨ـ قوله تعالى: ﴿كُفِرَ﴾ فيه عدة وجوه :

أـ أنْ يكون (كَفَر) بالفتح مثل شَكَر، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

ب ـ أنْ يكون من الكُفر لا من الكفران؛ أي جزاء لمن أُنكر شأنه.

ج ـ أو بتقدير: كُفِرَ به، وهو نوح عليه السلام، وتُرك لظهور المراد.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

لماذا جاء وصف السفينة في سورة القمر على هذا النحو ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[القمر:١٣] ولم يستعمل الفلك أو السفينة؟

الجواب :

١ـ العربي يميل بطبعه إلى رتابة النهايات في الجُمل؛ لذلك جاء عنده السجع، والسجع يراه العربي كلاماً عالياً عندما يكون الكلام مسجوعا في النثر، والسجع هو أن تنهي الجمل بحرف واحد، مثلما قال: (من مات فات وكل ما هو آتٍ آت).

وفي الشعر هناك القافية، أوحرف الرويّ الذي هو فيها ملازم لحرف واحد يأتي. وهذه طبيعة قبائل العرب ويميلون إلى ذلك، ويأنسون به، ويرون فيه نوعاً – على قولهم– من الموسيقى يأنسون لها.

٢ـ وعندما نأتي إلى القرآن الكريم نجد نهايات الآيات أو ما يسمى برؤوس الآي تلزم في كثير من الأحيان حرفاً واحداً، وعلماؤنا تحرّجوا أنْ يسموه سجعاً أو أنْ يسموا ذلك قافية ابتعاداً بالقرآن عن لفظ السجع والقافية لأنه من كلام البشر، فأطلقوا عليه كلمة الفاصلة القرآنية، وفواصل القرآن جاءت على ما يأنس به العربي. لكنْ هل كانت الفاصلة مرادة لذاتها من غير علاقة بالمعنى؟ الجواب قطعاً لا؛ ولذلك إذا كان المعنى يقتضي التضحية بالفاصلة فالآية تضحّي بالفاصلة، كما في آية الأحزاب ٤.

وفي سورة الضحى لم يضح بالفاصلة وإنما أراد الفاصلة لكنه مرتبط بالمعنى، فلما قال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحى:٣] فما قال: ما قلاك، بل حصل على الفاصلة لكنْ في الوقت نفسه نزّه ضمير الرسول عليه السلام من أنْ يرتبط بالقلى الذي هو البغض.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣﴾ [القمر:١٣]: الدُسُر جمع دسار مثل كتب وكتاب والدسر أو الدسار، يستعملها العربي لمعنى المسمار ؛لأنّ (دسر) هي في الأصل بمعنى: أدخل بقوة أو شدّ بقوة.

فقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣﴾ [القمر:١٣] يعني الفلك لكن لم يذكرها، وإنما ذكر الصفة فحذف الموصوف وذكر الصفة.

ومثال ذلك بيت للمتنبي الذي كان فارساً شاعراً وقتله بيتٌ من الشعر قال:

مفرشي صهوة الحصان ولكـ ... ـن قميصي مسرودةٌ من حديد

مفرشي صهوة الحصان (المكان الذي يوضع عيله السرج) أي أنا هناك حتى من غير سرج، ولكنْ قميصي (القميص مذكّر) مسرودة بالحديد (مؤنث). كيف يقول المتنبي

قميصي مسرودة؟ قال: هو ما أراد القميص وإنما أراد أنْ يقول: قميصي درعٌ مسرودة من حديد، فحذف الموصوف وأبقى الصفة ،على غرار الآية: ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ١٣﴾.

٤ـ لِمَ لم يقل هنا: فلك، مع أنه استعمل الفلك ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾؟

السبب أنّ جو الآيات والسياق جو رعب وخوف: ماء يغمر كل شيء وريح تعصف، وموج كالجبال، وبالتالي تكون الصورة أنه محمول (على) وليس (في) ألواح مشدودة ضمن موج كالجبال، فيتذكر قدرة الله كيف حمل نوحاً ومن معه على الألواح والدُسُر، ولم يقل (سفينة) حتى لا تعطي نوعاً من الأمن والطمأنينة.

وقال: ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ﴾[القمر:١٣] ما قال: (في)، فعندما يتخيل الإنسان هذا المشهد، هو فوق ألواح ودسر، وهذا الماء بهذا الشكل يزداد رعباً، ويتذكر أنّ قدرة الله سبحانه وتعالى حملت نوحاً ومن معه على هذه الألواح والدُسُر.

هذا المعنى يفوت لو قيل في غير القرآن: (وحملناه على فلك أو في فلك أو في سفينة أو على السفينة).

فهذه الصورة التي رسمها القرآن، وعندما يسمعها الإنسان ينتقل فوراً للتشبث برحمة الله تعالى التي أنقذت نوحاً ومن معه، وهو في هذه الحال.

السؤال الرابع:

في قصة نوح عليه السلام في الآية ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١٤] هل ﴿كُفِرَ﴾ وافقت السياق ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر: ١٢ - ١٣] أم لها معنى؟ ولماذا لم تأت (كَفَر)؟

الجواب:

الذي (كُفِر) تعود على سيدنا نوح عليه السلام، أي هي تجري جزاء لسيدنا نوح الذي دعا ربه أني مغلوب فانتصِر، فحمله ربُ العزة على ذات ألواح ودسر، وهي سفينة، وهي تجري برعايته سبحانه جزاء لمن كان كُفِر. فلا يصح أنْ تكون (جزاء لمن كان كَفَر) أي ثواباً لصبره على قومه. ونوح عليه السلام دعا ربه أني مغلوب فانتصِر، فربنا سبحانه وتعالى استجاب له وحمله.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ كيف استعمل القرآن الكريم كلمتي [أعين وعيون]؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت ﴿أَعْيُنٌ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في (٢٢) موضعاً، منها :

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في (١٨) موضعاً، منها [الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ في القرآن الكريم في (١٠) مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١].

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية محمد ١٥.



﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧] فما اللمسة البيانية في كلمة (مدّكر)؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ في سورة القمر ست مرات في الآيات: [(١٥)-(١٧)-(٢٢)ـ(٣٢)-(٤٠)-(٥١).

وهذا سؤال صرفي يُدرس في الصرف، ويسمى: الإبدال.

٢ـ عندما نصوغ على صيغة (افتعل) وتقلباتها [مفتَعل ومفتعِل] المشهور أنّ (افتعل) تأتي بالتاء، مثل: اختبر واجتهد واشتهر، لكنْ مع بعض الحروف لا تأتي التاء، فتُبدل دالاً (مع الدال والذال).

أ ـ مثلاً (اذتكر) هي صيغة (افتعل) من (ذَكَر)، والمفروض أنْ نقول: (مذتكر)، هذا هو القياس.

ب ـ وكذلك (ادّعى) المفروض أنْ نقول: (ادتعى) على وزن (افتعل). لكنّ العرب تستثقل هذا، فتقلب الذال والدال دالاً، فمع الذال تتحول إلى دال فتصير (مذدكر) ثم الذال تتحول إلى الدال وتدغم فتصبح (مدّكر) على وزن (مفتعل). فيقولون ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ كما في الآية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف:٤٥] (ادّكر) بمعنى ذكر.

ج ـ وتبدل التاء مع الصاد والضاد مثل: ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ والقياس (اصتبر) بالتاء، فيبدلون التاء طاء، وكذلك (اطّلع)، والقياس (اضتلع). وليس هناك في المعجم (دكر) وإنما ذكر، وهذه قاعدة صرفية.



﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

تكرر قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ في أربع مواضع في سورة القمر في الآيات [١٦ـ ١٨ـ ٢١ـ ٣٠] فما المقصود منه؟

الجواب:

١ ـ هذا التعبير جاء به القرآن مرة بعد ذكر العذاب كما في قصة نوح عليه السلام، و مرة جاء به قبل ذكر العذاب، كما في قصة ثمود، وأخرى أتى به مرتين قبل ذكر العذاب وبعد ذكر العذاب، كما في قصة عاد، فما السبب في ذلك؟

والجواب: أنّ هذا التعبير ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أتى في حالتين هما :

أ ـ أنْ يذكر القوم ومخالفتهم رسولهم فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي فكيف عاقبناهم، ويكون السؤال بقصد بيان العذاب.

ب ـ أنْ يذكر القوم ويذكر مخالفتهم رسولهم ثم يذكر عقابهم فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي أليس هذا ما تستحقونه؟ ويكون القصد من ذلك هو التعجيب والتهويل من عقوبة الله لهم وسوء عاقبتهم.

٢ـ وأمّا الجواب عن سبب مجيئه مرة واحدة في قوم نوح، و مرة واحدة في قوم ثمود، ومريتن في (عاد)، فذلك – والله أعلم –:

أ ـ أنّ تكذيب (عاد) أعم من تكذيب (نوح وثمود)، فقد قال في نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر:٩] فذكر أنهم كذبوا عبد الله أي رسوله وهو نوح عليه السلام.

ب ـ وقال في ثمود ٢٣ـ٢٤: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ فذكر أنهم كذبوا بالنذر.

ج ـ وأمّا عاد فلم يذكر بماذا كذبوا ولا من كذبوا، وإنما قال: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فكان تكذيبهم أعم، وذكر التعبير مرتين قبل العذاب وبعده ليجمع حالتي البيان والتهويل، فعمّ ذلك الحالتين، وهذا أعم من أنْ يذكر حالة واحدة، فناسب العموم للعموم. والله أعلم.

٣ـ المعنى العام للآية هو تنبيه الخلق على عاقبة التكذيب وعظم العاقبة. وحذفت الياء من ﴿وَنُذُرِ﴾ كما حذف ياء ﴿يَسۡرِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾ [الفجر:٤] وكذلك عند الوقف، ومثله في القرآن كثير، نحو: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ـ ﴿يُنقِذُونِ﴾ـ ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ـ ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾.

والنذر جمع نذير، أي: كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة إنذاري؟ !!

والله أعلم.



﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ
نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾

السؤال الأول:

ذكّر في آية القمر ٢٠ فقال: ﴿نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ وأنثها في الحاقة٧ فقال: ﴿نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ فما سبب ذلك؟ وهل يصح وضع إحداهما في مكان الأخرى؟

الجواب :

المعاني اللغويـــة :

لقد ذكر علماء العربية والمفسرون أنّ (النخل) اسم جنس يذكّرنظراً للفظ ويؤنث نظراً للمعنى، وإنما وضع كل صفة بمكانها مراعاة للفاصلة والصحيح أنّ ذلك مراعاة للمعنى وليس للفاصلة وحدها، وإنْ كانت الفاصلة تقتضي أن تكون كل لفظة بمكانها.

إنّ العرب قد تؤنث للكثرة وتذكر للقلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] و ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات:١٤] وقد تؤنث للمبالغة، نحو: [راوية وداهية].

أي أنّ القاعدة العامة هي أنّ التأنيث يفيد التكثير والمبالغة.

البيـــــــان :

(النخل) في آية الحاقة أكثر منه في آية القمر، يدل على ذلك السياق :

١ـ قال في القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[القمر:١٩].

وقال في الحاقة: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾[الحاقة:٦] فزاد في وصف الريح في الحاقة، فهي أشد مما في القمر، وإذا كانت كذلك كان تدميرها أكبر وأبلغ واقتلاعها أكثر.

٢ـ قال في القمر: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[القمر:١٩].

وقال في الحاقة: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[الحاقة:٧] فزاد في الحاقة في بيان وقت التدمير والعذاب، ولا شك أنّ طول المدة يقتضي تدميراً أكثر وأبلغ، فالريح

تقتلع وتدمر في سبع ليال وثمانية أيام أكثر مما تفعله في يوم، فزاد في النخل المقتلع في الحاقة.

٣ـ لمّا زادت الريح شدةً وزمناً في الحاقة، ذكر أنها استأصلتهم كلهم فلم تبق منهم أحداً، فقال: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة:٨] ولم يقل مثل ذلك في القمر.

٤ـ إنّ النخل المنقعر معناه المنخلع عن مغارسه الساقط على الأرض... وأمّا النخل الخاوية فهي الخربة التي خَلَت أعجازها بِلىً وفساداً فانقلعت عن منابتها... فالنخل الخاوية تشمل النخل المنقعر وزيادة. . فكل نخل منقعر هو خاوٍ، وليس كل خاوٍ منقعراً.

فأنّث الخاوية؛ لأنه أكثر من المنقعر، وأنّ دماره أبلغ، وجعلها في سياق الدمار الشامل.

ومن هذا يتبين أن :

أ ـ الخاوي أكثر من المنقعر.

ب ـ أنّث الخاوي فقال: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ فزاد كثرة ومبالغة؛ لأنّ التأنيث قد يأتي للكثرة والمبالغة.

ج ـ وضع النخل الكثير المدمر مع الريح المتصفة بزيادة التدمير، وهي صفة العتو ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة:٦].

د ـ ووضعه أيضاً مع زيادة وقت التدمير وهو سبع ليال وثمانية أيام بخلاف ما دمر في يوم.

هـ ـ ووضعه مع استئصال القوم فلم ينج منهم أحد.

لذلك ترى أنه لو لم تكن الفاصلة تقتضي ما وضع لاقتضاه المعنى، فزاد حسناً على حسنٍ، فلا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى، والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر:١٩].

أمّا كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل:٦٣].

وفي سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ:١٢] واستعملت كلمة (ريح)مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء، فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

السؤال الثالث:

قال في فصلت ١٦: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ وفي القمر ١٩ ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ وفي الحاقة٧ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، فما السبب؟

الجواب :

إنّ (اليوم) قد يُعبر به عن (الأيام) كقولهم: يوم الحرة ويوم بعاث.

وقد يُراد به اليوم الذي بدأ به الريح.



﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (بشر) للدلالة على المفرد فى الآية ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر:٢٤]؟

الجواب :

١ـ في سورة الحجرقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ [الحجر:٦٨] كلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة جمع، فلماذا؟

وكلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع في اللغة، مثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد. وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع.

٢ـ وكذلك كلمة (بشر)، كما في الآية ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر:٢٤] جاءت للمفرد، بينما في الآية ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة:١٨] جاءت للجمع.

٣ـ عندنا كلمات تكون للمفرد وللجمع، منها كلمة (ضيف) فتكون للمفرد وللجمع (ضيوف وأضياف) وعندنا (خصم وخصوم) و(طفل وأطفال) و(رسول ورسل) تستعمل مفرداً وجمعاً، وهذا يسمى في اللغة: (اشتراك).

٤ـ وكلمة (الرسول): تأتي بمعنى الرسالة والإرسال، كما في الآيات: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[الشعراء:١٦] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه:٤٧].



﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة اللاشيء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.



﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول :

في آية سورة ق ١٣ قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات [هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ق ١٣ .

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ؟

الجواب :

١ـ الحاصب هو اسم للحجارة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي عذاباً حاصباً، إذ المقصود بيان جنس العذاب لا بيان من على يده العذاب أي هو ما حُصبوا به من السماء.

والعذاب مع قوم نوح كان بالطوفان والإغراق، ومع قوم عاد بالريح ومع قوم ثمود بالصيحة، ومع قوم لوط بالحاصب، حيث طمس أعين القوم إلا قليلاً منهم، وهم الذين دخلوا دار لوط عليه السلام يراودونه عن ضيفه ثم صبّحهم العذاب العام بقلب الأرض فيهم (المؤتفكات).

٢ـ ورد في السورة قصص أربع أقوام مع أنبيائهم، وهم [قوم نوح ـ قوم عاد ـ قوم ثمود ـ قوم لوط] وقد تكرر بعد ذكرعذاب الأقوام الثلاثة [قوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود] قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾[القمر:٣٠] أربع مرات في الحكايات الثلاث الأولى، لكنْ لم يذكرها مع عذاب قوم لوط في الحكاية الرابعة، كما في الآيات [٣٦ـ٣٩] بل قال في حكايتهم: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾[القمر:٣٩] مرتين، فلماذا؟

والجواب:

أـ عادة التكرار يكون ثلاثاً بقصد التأكيد، كما في قول النبي ﷺ « **ألا هل بلغت**» **ثلاثاً**، وقال ﷺ في حديث آخر «**فنكاحها باطل باطل باطل**».

ب ـ تم ذِكْرُ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾[القمر:٣٠] في ثلاث حكايات أربع مرات، واحدة مع قوم نوح للتعظيم، ومرتين في حكاية قوم ثمود للتعظيم والبيان في الآيتين[١٨ـ٢١] ورابعة في حكاية قوم عاد للتهويل. فالمرة الأولى للإنذار والمرات الثلاث للإنكار. كما هو الحال في سورة الرحمن حيث ذكر الله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٣١) مرة كانت المرة الأولى للبيان، والباقي للإنكار.

ج ـ في حكاية قوم لوط قال تعالى: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أي أعماهم وأذهب الله صورة أعينهم وضوءها، فصارت كالصفحة الملساء، وهذا عذاب لهم. والقول: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ هوعلى ألسنة الملائكة عليهم السلام، وأُسند إليه تعالى مجازاً؛ لأنه سبحانه الآمر.

ثم كان العذاب العام المذكور في الآيتين[٣٨ و ٣٩] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ فكان العذاب مرتين: الأول خاص للمراودين والآخر عام.

ولذلك قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾[القمر:٣٧] مرة أخرى بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾[القمر:٣٧] والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿نِعۡمَةً مِّنَّا﴾ كما في آية الزمر ٤٩ و ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ كما في آية القمر ٣٥؟

الجواب:

١ـ في القرآن يستعمل ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ أخصّ من ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا﴾.

٢ـ ولا يستعمل ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ إلا مع المؤمنين فقط.

٣ـ أمّا ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا﴾ فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾﴾ [يس:٤٣-٤٤]

هذه عامة.

ـ ﴿فَوَجَدَا عَبۡدًا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف:٦٥] ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾ يستعمل (عندنا) خاصة و (منا) عامة.

٤ـ وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿نِعۡمَةً مِّنَّا﴾ و ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾، فيستعمل ﴿مِّنَّا﴾ عامة و ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ خاصة، كما في الآيات: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۚ﴾ [الزُّمَر:٤٩] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر:٣٤-٣٥].

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤ ﴾

السؤال الأول :

لِمَ حمل على المعنى في يس٣٢ فأخبر عن ﴿كُلّٞ﴾بجميع ومعناهما واحد ﴿وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾[يس:٣٢] وحمل على اللفظ في القمر٤٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٣٢.



﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجر والجذب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.



﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين أتباع وأشياع؟

الجواب :

١ـ الأشياع هم أتباع الرجل على جماعة واحدة، والأتباع هم أنصار الرجل، لكن ما الفرق؟

٢ـ الأشياع أنصار أيضاً، لكنّ الأشياع أعمّ. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾[القمر:٥١] المخاطَب هو في زمن الرسول عليه السلام وأشياعهم الأمم السابقة، ونحن أشياع سيدنا محمد عليه السلام، بينما أتباعه الذين معه وقتها.

٣ـ القرآن الكريم لم يستعمل (التبع) إلا من كان مع الرسول عليه السلام وقتها، وكل أتباع الرجل من كان معه ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم:٢١] .

٤ـ الأشياع ليس بالضرورة، واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر وعندما تكلم القرآن عن سيدنا نوح عليه السلام قال: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات:٧٥] ثم قال: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾[الصافات:٨٣] أين إبراهيم عليه السلام من نوح عليه السلام؟ من شيعته أي من شيعة نوح وصحيح أن الفروع مختلفة، لكنّ أصل الرسالة واحد. وسيدنا نوح عليه السلام كان أسبق بكثير من إبراهيم.

٥ـ الأشياع أعمّ من الأتباع، الأتباع من كانوا معه فقط، ولا يستعمل للمتأخر. (التبع) يكون معه و(الأشياع) عامة، وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من التبع.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (نَهَر) بفتح الهاء وكلمة (مقتدر) في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥]؟

الجواب :

١ـ النَهَر: بالفتح لها عدة معانٍ، منها :

أ ـ هي من السعة في العيش والرزق وما تقتضيه السعادة.

ب ـ وهي من الضياء، ومقتطعة من كلمة (نهار)؛ لأنّ الجنّة ليس فيها ظلمة ولا ليل.

ج ـ ونهر بمعنى مجرى الماء ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ ﴾[محمد:١٥] و ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القمر:٥٤] بمعنى أنهار وسعة وضياء وهذا ما يسمى التوسع بالمعنى.

والمراد هنا أنّ المتقين في جنات وعند الأنهار، وحَسُن إطلاق اللفظ للمجاورة، كما قال الشاعر :

علفتها تبنــاً ومــاء بارداً

أي: علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً. وكما يقال: تقلدت سيفاً ورمحاً، فالرمح لا يتقلد، ولكن للمجاورة.

٢ـوفي قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ

﴿هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥] لم ترد كلمة (تجري للأنهار)؛ لأنّ الماء الآسن لا يكون إلا بركود الماء، فلم يتطلب السياق ذكر كلمة (تجري)، أمّا في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فلم يكن هناك من داع لتحديد (غير آسن)؛ لأنه جاء وصف الأنهار بالجريان، الأمر الذي لا يؤدي إلى أنْ يأسن الماء.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾؟ ولماذا لم يستعمل كلمة (مقام)؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ هذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم كله التي وردت في وصف الجنة بهذا التعبير ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾.

ودلالة (مقعد صدق) أنّ المقاعد الأخرى كلها كاذبة، وهذا هو المقام الوحيد الصدق؛ لأنها إمّا أنْ تزول بزوال القعيد أو الملك، وهذا المقعد الوحيد الذي لا يزول. وقد يأتي الصدق في معنى الجودة، فيقال: نسيج صدق، بمعنى مقعد الخير ولا أفضل منه.

٢ـ إذن ما دلالة كلمة (مقعد)؟ ولماذا لم يستعمل كلمة (مقام)؟

أ ـ لأنّ الأكرم هو القعود، وهو يدل على الانتهاء من القيام والراحة.

ب ـ ولأنه قد ورد في كل القرآن الكريم كلمة (مقام) في ذكر مقام الربّ ومعها يذكر الخوف ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] فكلمة (مقام) تعني معه الخوف،

فمن خاف المقام يؤمّن، وكما أنهم خافوا مقام ربهم في الدنيا أمنّهم في الآخرة ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾؟

الجواب :

١ـ استعمل القرآن كلمة (مليك) من المُلك، وهو الحكم، ولم يقل (مالك) من التملك، والمَلِكُ ليس مالكاً. والله تعالى جمع لنفسه المتملك والملك ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾.

٢ـ الفرق بين مليك ومَلِك: هذه هي الآية الوحيدة التي وردت فيها كلمة (مليك) في القرآن.

و(المَلِك) على صيغة فَعِل، وأما (مليك) فهي على صيغة فعيل. وصيغة (فَعِل) تختلف عن صيغة (فعيل) بالدلالة، فصيغة (فعِل) تدل على الأعراض وتدلّ على الأشياء الطارئة، مثال: رجل عَسِر، أمّا (فعيل) فتدل على الثبوت مثل جميل وصغير وقصير، وهي صفة مشبهة، أي صفات ثابتة أو تدل على التحول إلى الثبوت، فلا يُسمّى الخطيب خطيباً من أول خطبة بل بعد عدة خطب. وكما يقال: فَقِه المسألة. فهو فقِه. ويقال: فَقُه الرجل. أي صار فقيهاً، وكذلك نقول: (عَسَر) الأمر، فهو عَسِر، و(عَسُر) الأمرُ فهو عسير.

وبما أنّ المقعد في الآية ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ورد في مقام الاستمرارية وجب قول مليك مقتدر ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾.

٣ـ واستخدام كلمة (مقتدر) تفيد المبالغة في القدرة، وتماشت مع سياق الآية؛ لأنها تشمل مبالغة في الوصف والجزاء والطاعة والأجر والسعة ولذا اقتضى المبالغة في القدرة.

فانظر كيف بالغ وأعظمَ في الأجر، وبالغَ وأعظمَ في المُلك، وبالغَ وأعظمَ في القدرة لمن بالغ وجدّ في عمله وصدق فيه وهم المتقون.

السؤال الرابع :

ما دلالة الظرف ﴿عِندَ﴾ في الآية ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾؟

الجواب :

[عند] ظرف زمان أو مكان لبيان مظروفها حساً أو معنى، وهي لا تفارق النصب على الظرفية إلا إلى الجر بـ (من) كقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[الكهف:٦٥].

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾[النمل:٤٠].

ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النمل:٤٠].

ـ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾[النجم:١٤-١٥].

ـ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾[القمر:٥٥].

ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[التحريم:١١].

ـ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل:٩٦].

السؤال الخامس :

فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٤-٥٥] لم وحّد تعالى: (النهر) في هذه الآية ولم يجمعه، مع أنّ الجنات قبله (جمع) بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة، جمع النهر أيضاً، فيقول: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[الحج:١٤]؟

الجواب :

١ـ السبب أنه جمع في لفظ (النَهَر) عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: (أنهار)؛ ذلك أنه علاوة على أنّ فواصل الآيات تقتضي (النهر) لا (الأنهار)؛ لأنّ آيات السورة على هذا الوزن، فقد جاء قبلها: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر:٥٢-٥٣] وجاء بعدها: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥] فإنّ المعنى أيضاً يقتضي ذلك، وذلك من جهات أخرى، منها:

٢ـ أنّ النهر اسم جنس بمعنى الأنهار، وهو بمعنى الجمع والكثرة، ومنه قوله عليه السلام: «**أهلك الناس الدينار والدرهم**» والمراد بالدينار والدرهم الجنس لا الواحد.

٣ـ وجاء في (معاني القرآن): "و(نَهَر) معناه أنهار، وهو في مذهبه كقوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[القمر:٤٥] وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمة ونبيذة فوحّد ومعناه الكثير".

٤ـ ومنها: أنّ من معاني (النَهَر) أيضاً السعة، والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه.

جاء في (البحر المحيط): "ونَهَر: أي سعة في الأرزاق والمنازل". وجاء في (روح المعاني): "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمهما".

٥ـ ومنها: أنّ من معاني (النَهَر) أيضاً الضياء.

جاء في (لسان العرب): "وأمّا قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ [القمر:٥٤] فقد يجوز أنْ يعني به السعة والضياء.

٦ـ وقيل في قوله: ﴿جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ أي: في ضياء وسعة؛ لأنّ الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ". وجاء في (معاني القرآن) للفراء: "ويقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ [القمر:٥٤] في ضياء وسعة".

٧ـ وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإنّ المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة.

٨ـ فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات، بخلاف ما لو قال: (أنهار)، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً.

ثم انظر كيف أنه لمّا كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين، أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: ﴿وَنَهَرٍ﴾ ولم يقل: (وأنهار)، ولمّا أعلى

أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بها يدل على المبالغة فقال: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ ولم يقل: (ملك قادر)، فإنّ (مليك) أبلغ من (مَلِك) و(مقتدر) أبلغ من (قادر) فإنّ كلمة (مليك) على صيغة (فعيل)، وهي أبلغ وأثبت من صيغة (فَعِل).

جاء في (روح المعاني): ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾، أي: ملك عظيم المُلك، وهو صيغة مبالغة، وليست الياء من الإشباع".

٩ـ ولّما جاء بالصيغة الدالة على الثبوت قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ "ذلك لأن هذا المقعد ثابت لا يزول، فهو وحده مقعد الصدق، وكل المقاعد الأخرى كاذبة؛ لأنها تزول إمّا بزوال الملك لصاحبه، وإمّا بزوال القعيد، وإمّا بطرده، وهذا المقعد وحده الذي لا يزول، وقد يفيد أيضاً أنه المقعد الذي صدقوا في الخبر به".

١٠ـ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إنّ معنى الصدق ههنا يفيد معنى الخير أيضاً والجودة والصلاح، فجمعت كلمة (الصدق) ههنا معنيي الخير والصدق معاً، كما جمع (النَهَر) أكثر من معنى، ثم انظر كيف أنهم لّما صدقوا في إيمانهم وعملهم، كان لهم مقعد الصدق.

١١ـ و(المقتدر) أبلغ أيضاً من (القادر)؛ ذلك أنّ (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر)، فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف (فَعَل) ومنه اكتسب واصطبر واجتهد، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦] .

١٢ـ جاء في (الكشاف) في هذه الآية: "فإنْ قلت: لم خصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟

قلت: في الاكتساب اعتمال، فلمّا كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال".

وجاء في (البحر المحيط): "والذي يظهر لي أنّ الحسنات، هي مما تكتسب دون تكلف والسيئات ببناء المبالغة".

وقال سيبويه: "كسب: أصاب، واكتسب: تصرف واجتهد".

فجاء ههنا، أي: في قوله: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت.

فانظر كيف بالغ وأعظم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق فيه وهم المتقون. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة القمر مع خواتيمها :

قال في أولها:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾[القمر:١].

ثم ذكر طرفا من أحداثها بقوله:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾[القمر:٦-٧-٨].

وذكر الساعة في خواتيمها وطرفاً من أحداثها مما هو بعد الخروج من الأجداث الذي ذكره في بداية السورة، وذلك ابتداء من قوله: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾[القمر:٤٦-٤٧-٤٨].. . ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر:٥٠].

إلى أنْ يقول في خاتمة السورة :

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥]. فكأنها تتمة لما ذكر من الأحداث في أول السورة.

والله أعلم.



سورة الرحمن

أولاً ـ تناسب خواتيم القمر مع فواتح الرحمن :

قال سبحانه في خاتمة سورة القمر :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقال في بداية سورة الرحمن :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ ﴾[الرحمن:١-٢-٣].

والمليك المقتدر هو الرحمن الذي علّم القرآن وخلق الإنسان. ويكونون في مقعد الصدق إذا أطاعوا ما في القرآن.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا أبرز قوله سبحانه : ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٥] بصورة التنكير فكأن سائلا يسأل ويقول:مَن المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين؟ فقيل:الرحمن)).

والمليك المقتدر هو الرحمن الذي علّم القرآن فيكون مقعد صدق لمن أطاع ما في القرآن.

ثانياً ـ هدف السورة :

التعرف إلى الله تعالى من خلال النعم :

سورة الرحمن مكّية وهي تعرف بـ (عروس القرآن) كما ورد في الحديث الشريف: **(لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن)**. وقد ابتدأت بتعداد نعم الله تعالى على عباده التي لا تحصى ولا تعد، وفي طليعتها تعليم القرآن. ثم أسهبت الآيات في ذكر نعم الله تعالى وآلائه في الكون وفيما خلق فيه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن:٧]، و: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن:١٠]، و: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن:١٢]، و ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن:١٩]. ثم عرضت السورة لحال المجرمين: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[الرحمن:٤١] وحال المتقين السعداء: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن:٤٦] وتكرر فيها ذكر ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ وردت (٣١) مرة في السورة. وقد ورد في الحديث عن ابن عمر أنّ رسول الله عليه السلام قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال: ما لي أسمع الجنّ أحسن جواباً لربها منكم؟ ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ إلا قالوا: لا بشيء من نعمك نكذب فلك الحمد.

فكيف نختار بعد أن تعرّفنا على كل هذه النعم من الله تبارك وتعالى؟

وهذ السورة هي أول سورة في القرآن موجهة إلى الجنّ والإنس معاً وفيها خطاب مباشر للجن: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾[الرحمن:٣١-٣٢-٣٣].

وختمت السورة بتمجيد الله تعالى والثناء عليه؛ لأنّ النعم تستحق الثناء على المنعم، وهو أنسب ختام لسورة سميّت باسم من أسماء الله الحسنى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾[الرحمن:٧٨] وهذا الختام يتناسب مع البداية في أروع صور البيان.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الحق سبحانه خلق الكون من عدم وأوجدنا من عدم ووضع لنا المنهج الذي يحفظ القيم وينظم حركة الحياة قبل أنْ توجد الحياة.

لذلك فالمنهج المتمثل في القرآن وُضع أولاً ليحدد لك مهمتك وقانون صيانتك قبل أنْ توجد أيها الإنسان.

٢ـ الله خلقنا وخلق الجن لعبادته، أي لغرض يجب أنْ يكون مرسوماً عنده مسبقاً، فلمّا كان القرآن هو كتاب العبادة إلى قيام الساعة كان الأسبق فالغرض أسبق من الخلق.

٣ـ من ناحية أخرى، القرآن هو أصلاً قبل خلق الإنسان وكلام الله موجود قبل خلق الإنسان.

لذلك من حيث العلة القرآن أسبق من الإنسان، ومن حيث الوجود القرآن أسبق من الإنسان.

٤ـ لذلك في آيات سورة الرحمن ذكر العلة أولاً ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ ثم ذكر بعدها ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾﴾ ثم قال: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ بالإطلاق قبل خلق الإنسان أصلاً، فلم يقل: علم الإنسان البيان، وإنما ذكرها بالإطلاق قبل خلق الإنسان.

٥ـ ومن الآيات نفهم الترتيب الزمني:

أ ـ العلة: لأنّ الغرض أسبق من العمل.

ب ـ الغرض: هو العبادة، والقرآن كتاب العبادة وهو أسبق وجوداً فقدّم؛ لأنه هو أسبق على العلة والغرض والفضل.

ج ـ ثم خلق الإنسان.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان في آية سورة الرحمن مع أنه يتصور أنّ الخلق يكون أولاً ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن:١-٢-٣-٤] ؟

الجواب:

١ـ ربنا خلق الإنسان والجن للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] وأي واحد يريد أنْ يصنع شيئاً يجب أنْ يكون الغرض مرسوماً عنده. فلمّا كان خلق الإنسان والجن لغرض العبادة، والقرآن هو كتاب العبادة التي سيستغرق

الإنس والجن إلى قيام الساعة، فهذا الكتاب هو للغرض من خلق الإنسان فهو الأسبق؛ لأنّ الغرض أسبق من الخلق.

فالإنسان خُلِق للعبادة وكتاب العبادة قبله.

٢ـ والأمر الآخر هو أنّ القرآن هو أصلاً قبل خلق الإنسان، والقرآن هوكلام الله ومن علم الله، وهو موجود قبل الإنسان. فإذن من حيث العِلّة هو أسبق من الإنسان ومن حيث الوجود هو أسبق من الإنسان.

٣ـ (الرحمن علّم القرآن) لم يقل: علّم الإنسان القرآن، بل قال: (علّمه البيان)؛ لأنّ البيان يتأخر عن الإنسان، أمّا القرآن فمتقدم.

وحتى لو كان التعليم متأخراً لكنّ القرآن متقدم.

٤ـ الغرض أسبق من العمل :

أ ـ فإذا كان الغرض العبادة، فالقرآن هو كتاب العبادة أسبق وجوداً وواقعاً، فقدّم.

ب ـ وإذا كان على الفضل فهو أسبق، وإذا كان على الزمن فهو أسبق.

ج ـ وإذا كان على العِلّة والغرض فهو أسبق.

القرآن ليس بالضرورة أنْ يراعي الترتيب الزمني، وإنما بحسب الضرورة أو حسب السياق، حسب الأسبق أو حسب الأفضل، وأحياناً يقدّم المتأخر.

السؤال الثالث :

ما دلالة الفعل ﴿عَلَّمَ﴾بتشديد اللام؟

الجواب :

هناك [علِم وعلّم]، الرحمن برحمته علّم القرآن وأراد أن يرحم خلقه فعلّمهم القرآن.

عندنا الفعلان (علّم) أو(أعلَم) والفرق بينهما أنّ (أعلم) في مرة واحدة أمّا (علّم) فيحتاج لوقت أطول. تقول: (علّمته الحساب) للتكثير والمبالغة ويقتضي وقتاً أطول وممارسة أكثر، أمّا (أعلم) فيكون في لحظة واحدة تقول مثلاً :أعلمته مسألة. ونحو ذلك الفعلان [نبّأ وأنبأ] فما يقتضي ممارسة أكثر وحدث أكثر يستعمل له التضعيف (فعّل).

السؤال الرابع :

السؤال عن سبب ترتيب الآيات والعلاقة بين علم القرآن وعلم البيان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[الرحمن: ١ – ٤]؟

الجواب :

١ـ كأنّ الذي يخطر في الذهن أنْ يقول في غير القرآن: الرحمن خلق الإنسان علمه البيان علمه القرآن. أي يبدأ بخلق الإنسان وتعليم البيان ثم تعليم القرآن.

٢ـ الأمر ليس أمر ترتيب تاريخي، والقرآن لا يتحدث حديثاً تاريخياً وإنما هذه السورة تبدأ باسم الرحمن، وأسماء الله سبحانه وتعالى كلها تتضمن معنى الصفة. وعندما تقول: (الرحمن) تتخيل الرحمة، بينما عندما تذكرلفظ الجلالة وتقول:(الله) يخطر ببالك ما يخطر من صفات الله: الرحمن، الرحيم، الملك، السميع، البصير وغيره من الصفات.

وفي هذه السورة بدأ باسمه (الرحمن)، ومن رحمته أنه علّم القرآن لمحمد عليه السلام، وهذا من أعظم رحمات الله عز وجل أنه علّم القرآن لرسول الله عليه السلام حتى يبثه للناس.

٣ـ ثم انتقل إلى خلق الإنسان الذي سيُخاطب بالقرآن، وإلى الميزة التي أُعطيها وهي أنه كان مبيّناً، أي كان ذا لغة، فإذن من رحمة الله عز وجل الرحمن أنه علّم رسوله عليه السلام القرآن وخلق الإنسان وعلّمه البيان حتى يفهم القرآن.

٤ـ فالآيات مترابطة متشابكة، وهذا نظامها، وليس كما يتخيل الإنسان من أول نظرة.

فمن رحمة الله تعالى القرآن وتعليمه للرسول عليه السلام، ثم خَلْقُ الإنسان وتعليمه البيان ليُدرك القرآن الذي ذكره قبل ذلك.

والله أعلم.



﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾

السؤال الأول :

يقول تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] و ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥] فما دلالة ذلك؟

الجواب :

في قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ أي وسيلة لحساب الزمن، والله قال: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾[يونس:٥] وهذا يدل على أنّ الشمس لها حسابٌ والقمر له حساب.

أمّا الآية الثانية ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾[الرحمن:٥] أي يجريان بحسابٍ دقيق مقرر معلوم من الحق سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني :

ما معنى الآية ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾[الرحمن:٦] ؟

الجواب :

١ـ في النجم قولان :

أ ـ نجم السماء، والمراد به جميع النجوم. والأرجح أن هذا هو الصواب والله أعلم؛ لأنّ القرآن صرّح بسجود نجوم السماء والشجر، كما في آية الحج١٨ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ ۝١٨﴾ ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق بخصوصه.

ب ـ النجم هو النبات الذي قد نجم على الأرض ليس له ساق، والشجر ما كان له ساق.

٢ـ وفي سجودهما أقوال :

أ ـ سجود ظلهما.

ب ـ أنّ سجودهما هو دوران الظل معهما ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ﴾[النحل:٤٨].

ج ـ هوسجودٌ الله أعلم به، ففيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود والخضوع.



﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تكرار لفظ (الميزان) في ختم الآيات الثلاث [٧ـ٨ـ٩]؟

الجواب :

في ذلك توكيد أكثر في إيفاء الحقوق، وعدم التطفيف لفرط الحاجة إليه في المعاملات الجارية بين الناس، إضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية.

والله أعلم.



﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الإنس والإنسان والناس والأنام والبرية والبشر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٣.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين [فاكهة وفواكه] في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ١٩.

السؤال الثالث :

استعمل القرآن أحيانا (النخل) وأحيانا (النخيل)، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.

السؤال الرابع :

ما الحكمة في ذكر الفاكهة باسمها لا باسم أشجارها، وذكر النخل باسمها لا باسم ثمرها؟

الجواب :

شجرة النخل بالنسبة إلى ثمرتها عظيمة، وفيها من الفوائد الكثيرة من الانتفاع بجُمّارها وبالطلع والبسر والرطب، إضافة إلى أكمامها ويدخل فيه لحاؤها وليفها ونواها، فثمرتها في أوقات مختلفة كأنها ثمرات مختلفة فهي أتم نعمة بالنسبة إلى الغير من الأشجار، فذكر النخل باسمه وذكر الفاكهة دون أشجارها، فإنّ فوائد أشجارها في عين ثمارها.

والجُمَّار: بضم الجيم وتشديد الميم هو شحم النخل و:جَمَرَ النخلة تجميراً أي قطع جُمّارها.

والطلع: هو طلع النخلة؛ أي منتوجها.

والبُسر: أول طلع النخلة ثم: (خَلال) بالفتح، ثم: (بَلَح) بفتحتين، ثم: (رُطب).

و(الأكمام) جمع (كِم) بكسر الكاف، وهو ما يظهر من النخلة في ابتداء إثمارها شبه اللسان، وقيل: هو ليفها. واختار ابن جرير شموله للأمرين.

السؤال الخامس :

في بداية سورة الرحمن قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ الآية تدل على خلق الإنسان ولم يقل :(الأنام) التي تدل على المخلوقات عامة، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

ذلك لأنّ الإنسان هو الذي أُنزل عليه الكتاب أو القرآن وبيّنه للثقلين. و(علّمه البيان) بمعنى: ليبيّن عن نفسه، والبيان هو القدرة على التعبير عمّا في النفس. أمّا كلمة (الأنام) فتدل على المخلوقات عامة، وليست كلها معدة لتعلم البيان. والله أعلم.



﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تكرار الآية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة الرحمن؟

الجواب :

١ـ تكرار الآيات قد يكون للتوكيد والتذكير بالنعم، فكان مع كل مرة يذكر نعمة من النعم يذكّر الثقلين بها.

وربنا يريد أنْ يقرر النِعم على عباده على الثقلين الجن والإنس فيكرر هذا الشيء، وهذا أمر يجري في كلامنا العادي، وإذا أردنا أن نذكر أحدهم بالنعمة نقرره، كما نقول: لقد تعهدك فلان أتنكر ذاك؟ وأدخلك المدارس وأنفق عليك، أتنكر ذاك؟ وأدخلك الجامعة، أتنكر ذاك؟ فهذا من باب التذكير بالنعم، ربنا يذكرنا بالنعم ويقررنا ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

٢ـ نلحظ أنه في ذكر النار من قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن:٣١] تكررت الآية﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ سبع مرات على عدد أبواب جهنم، أمّا في ذكر الجنة ابتداء من الآية ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن:٦٢] تكررت الآية ثماني مرات على عدد أبواب الجنة.

٣ـ وللعلم فقد تكررت هذه الآية في السورة (٣١) مرة.

السؤال الثاني :

لمن يوجّه الله تعالى خطابه في قوله في هذه الآية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾؟

الجواب :

١ـ يقول المفسرون إن المقصود بهما الثقلان؛ أي الإنس والجنّ. لكنّ السؤال: لماذا جاءت أول مرة؟ ولمن الخطاب هنا؟

يقول عامة المفسرين إنه ليس بالضرورة عندما تخاطب واحداً أو جماعة أنْ يسبقه كلام، فمن الممكن مخاطبة جماعة لأول مرة بدون سابق خطاب نحو: (أين أنتم ذاهبون؟) ومع ذلك فقد ورد قبلها ما يدل على المخاطبين فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ [الرحمن:١٠] والأنام من معانيها (الثقلان) أي الإنس والجنّ، وقسم من المفسرين يحصرونها بهذا المعنى ومن معانيها البشر، وقسم آخر يقول: إنها تعني كل المخلوقات على الأرض، لكنْ قطعاً من معانيها: (الثقلان) مما يشمل الإنس والجنّ.

٢ـ من ناحية أخرى بداية السورة فيها خطاب المكلفين ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾[الرحمن:٨-٩] والمكلفون هم الإنس والجنّ.

فإذا أخذنا معنى الأنام المقصور على الثقلين انتهى الأمر، وإذا أخذنا المعنى أنه المخلوقات جميعاً، فالآيات تفيد التخصيص.

لذلك قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هو خطاب للثقلين مباشرة دون أنْ يسبقه كلام.

السؤال الثالث :

جاء الخطاب في الآية للثقلين (بالمثنّى)، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ﴾بالجمع، لماذا؟

الجواب :

الخطاب للثقلين بالمثنى هو للفريقين عموماً، وهما فريقان اثنان (فريق الإنس وفريق الجنّ) على غرار قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ [ص:٢٢] وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] وصيغة الجمع تدل على أنّ الخطاب هو لكل فرد من أفراد هذين الفريقين.

السؤال الرابع :

ما إعراب قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

الجواب :

﴿فَبِأَيِّ﴾ جار ومجرور، (أيّ) اسم مجرور، وهو مضاف و﴿ءَالَآءِ﴾ مضاف إليه، وهو مضاف و(رب) مضاف إليه وهو مضاف، والضمير (كما) مضاف إليه و﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.



﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم؟

الجواب :

الله سبحانه خلق الإنسان من تراب، ثم جعله طيناً ثم جعله حمأً مسنوناً ثم صلصالاً؛ لذلك وردت هذه المراحل موزعة على عدة آيات :

قال تعالى: ﴿مِّن تُرَابٍ﴾[الروم:٢٠].

قال تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾[الصافات:١١].

قال تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[الحجر:٢٦].

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن:١٤] ـ والصلصال هو الطين اليابس الذي لم يطبخ، لكن له صلصلة؛ أي صوت إذا نقر.

والله أعلم.



﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الجدار والسد والبرزخ والحواجز؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.



﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] و﴿تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن:٧٨]، مرة ﴿ذُو﴾ ومرة ﴿ذِى﴾ فما اللمسات البيانية الموجودة في الآيتين؟ وما دلالة ذكر الوجه؟

الجواب :

الوجه هو الذات، وهذا استعمال مجازٍ مرسل، كما في استعمال الأيدي في الأنفس ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[الشورى:٣٠] فليست الأيدي التي كسبت وإنما الإنسان هو الذي كسب، فهذا مجاز مرسل وعلاقته جزئية.

لذلك يوجد في الآية مجاز مرسل ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ أي ذاته، والمجاز المرسل جاء في كثير من الآيات :

- ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾[آل عمران:٢٠] أسلمت، هل الوجه فقط؟ كل الجسد بما يشتمل، لكنّ الوجه هو أكرم شيء، فإذا أسلمت وجهك لله فقد أسلمت نفسك، أي الذات كلها.

- ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾[الإنسان:٩].

- ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١١٢] كيف يُسلِم وجهه فقط؟ يسلم الكل، أي الذات.

- ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾[الرعد:٢٢].

- ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[البقرة:١٤٤] (وجه) مجاز مرسل.



﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الإمام أحمد بن حنبل كان يتكلم ويشرح قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] فقام رجل فسأله: ما شأن ربنا اليوم؟ فسكت الإمام أحمد بن حنبل ورجع للبيت، وحاول يقلب يميناً ويساراً ولم يستطع أنْ يجيب، وفي اليوم الثاني أيضاً تكررت نفس الحالة ونفس السؤال والإمام أحمد لم يجب فعاد للبيت حسران تعبان ويريد أنْ يفهم الموضوع وهو أمام الناس، فرأى النبي ﷺ في الرؤيا وحكى له القصة فقال له: يا رسول الله: ما شأن ربنا اليوم؟ قال له: أمورٌ يبديها ولا يبتديها. الإمام أحمد كغيره من العلماء فهم هذه الجملة بالضبط. فلمّا جاء اليوم الثالث وسيدنا أحمد تكلم في نفس الموضوع وجاء هذا السائل فقال له: ما شأن ربنا اليوم؟ قال له الإمام أحمد: (أمورٌ يبديها ولا يبتديها) فقال له الرجل: يا أحمد صلِّ على من علّمك.

٢ـ المعنى العام: لا تظنوا أنّ الله سبحانه خلق النواميس والقوانين وقال لها: اعملي أنتِ، لا، فهو سبحانه كل يوم هو في شأن.

ولذلك حين سئل أحد العلماء: ما شأن ربك الآن، وقد صحّ أنّ القلم قد جف؟ فقال: شؤون يُبديها لا شؤون يبتديها. أي لا يتغير حكمه. أي أنّ المعنى: سوق المقادير إلى المواقيت. فإذا جاء ذلك الوقت تعلقت إرادته بالفعل فيه فيوجد.

بمعنى أنه في كل يوم يشفي سقيماً ويمرض سليماً ويعزّ ذليلاً ويذل عزيزاً ويغفر ذنباً ويفرج كرباً ويبرم رزقاً، فيوجد تعالى من الأفعال المختلفة ما لا يحصر ولا يحصى في آن واحد.

٣ـ والله لا يشغله شأن عن شأن أصلاً، أسبابه تمنع أسباباً أخرى لكنها لا تمنع الفاعل.

فهو سبحانه قد رسم كل شيء وجعل له زماناً ليظهر، فهو سبحانه قيوم أي: مُبَالغ في القيام على مصالحكم.

٤ـ ونقرأ في الحديث النبوي الشريف: «**إنّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**»

ولكن نهار من؟ وليل من؟ والنهار والليل في زمن لا ينقطع، إذن فالله تعالى يده مبسوطة دائماً لا يقبضها أبداً كما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

سبحان من خصّ العـــــزيز بعزه　　والنـــاس مســتغنون عـــن أجناســـه
وأذل أنفــــاس الهواء وكل ذي　　نفـــسٍ فمحتــــــاج إلى أنفاســـه



﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم الجن على الإنس في آية الرحمن ٣٣ بينما عكسها في آية الإسراء ٨٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الإسراء ٣٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ (إنْ):

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة :

شواهد للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

شواهد للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

شواهد للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣ .

شواهد للمعاني المفترضة ـ القصص ٧١.

٢ـ (إذا): تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات [البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

٣ـ شواهد مشتركة تتضمن (إذا وإنْ) معاً :

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعشر هو الجماعة العظيمة، وتحقيقه أنّ المعشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بالابتداء فيه حيث يعيد الآحاد، ويقول: أحد عشر واثنا عشر، وثلاثون أي ثلاث عشرات، فالمعشر كأنه محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة.

٢ـ الخطاب عام للإنس والجن، بمعنى أنه لا مهرب ولا مخرج لكم عن ملك الله تعالى، وأينما توليتم فثم مُلك الله، وأينما تكونوا أتاكم حكم الله.



﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) ﴾

السؤال الأول :

بماذا اعترض المستشرقون على هذه الآية؟

الجواب :

اعترض المستشرقون على الآية وقالوا كيف يناسب ذلك قول الله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مع أنّ الآية تتحدث عن نقمة وعذاب؟

والجواب: أنّ الآية منسجمة كل الانسجام؛ لأنّ من النعمة أن ننبهك بالعظة للأمر الذي ينتظرك والعذاب الذي أُعد لك حتى لا تقع في أسبابه، فالذي يعلم حقيقة العذاب على الفعل لا يقترفه، فيكون بذلك له نعمة.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة النار ومرادفاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠.

السؤال الثالث :

كيف ثنى الضمير في قوله: ﴿عَلَيْكُمَا﴾ مع أنه جمع قبله بقوله: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ والخطاب مع طائفتي الإنس والجن؟

الجواب :

١ ـ من ناحية المعنى: في قوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ هو خطاب للجن والإنس، بمعنى: إنْ استطعتم باجتماعكم وقوتكم فانفذوا، ولن تستطيعوا ذلك مجتمعين أو متفرقين، فهو خطاب عام.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فهو لبيان الإرسال على النوعين لا على كل واحد منهما.

٢ ـ من ناحية اللفظ: فالخطاب في قوله: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ هو للمعشر وأما قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فهو خطاب للنوعين.

٣ ـ الشواظ: هو لهب النار وهو لسانه، وأمّا النحاس فمعروف وقيل الدخان.

٤ ـ قيل: إنّ ذكر الأمرين بعد خطاب النوعين يحتمل أنْ يكون لاختصاص كل واحد بواحد، فالنار الخفيفة للإنس، والنحاس الثقيل للجن لأنه يخالف جوهره، فإنّ الإنس ثقيل والنار خفيفة، والجن خفاف والنحاس ثقيل.

كما يحتمل ورودهما على حد واحد منهما وهو الأظهر. والله أعلم.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾[الرحمن:٣٩] هذا مغاير لآيات تؤكد سؤال المجرمين عما كانوا يعملون ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف:٦] ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الزُّخرُف:٤٤]؟

الجواب :

١ـ هذه مشاهد من يوم القيامة. ففي مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد وإنما صمت عام يبقى الناس فيه أربعين ألف سنة أو أكثر لا يتكلمون، ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب.

إذن هي مشاهد قبل الحساب، ففي المشهد الأول لا يتكلم أحد ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه:١٠٨] والملائكة لا يتكلمون، هذا هو المشهد، ليس فيه كلام، ويبقى الناس لا يتكلمون، ثم يذهبون إلى آدم وحتى يقول البعض: اللهم أرحنا من هذا ولو إلى النار.

٢ـ السؤال المنفي في آية الرحمن﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ وكذلك آية القصص﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ هو أخص من السؤال المثبت في قوله تعالى في سورة الحجر : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ لأنّ هذه

فيها تعميم السؤال في كل عمل، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة.

٣ـ المعنى: لا يُسأل عن فعله أحد منكم، ولكن يُسأل بقوله: لمَ فعل الفاعل، أي لا يُسأل سؤال استعلام، بل يُسأل سؤال توبيخ وتقريع، وهذا فيه نوع من العذاب.

٤ـ قيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾[الحِجر:٩٢] سؤال توبيخ وتقريع و ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩] هوسؤال استعلام واستخبار؛ لأنّ الله أعلم بذنبه منه.

٥ـ وقيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾[الحِجر:٩٢] لِمَ عملوا و ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ﴾[البقرة:٢٧٣] ولا يُسألون ماذا عملوا؛ لأنّ الله أعلم بذلك.

٦ـ وأمّا سؤال الموؤودة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ فالمراد بسؤالها توبيخ قاتلها؛ لأنها هي تقول: لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً.

وكذلك سؤال الرسل، فإنّ المراد به توبيخ من كذبهم مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته.



﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن:٤٦] ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن:٦٢] هل يمكن شرح مفصل للآيتين؟

الجواب :

نقرأ الآيات حتى تتضح: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ [الرحمن:٧٧].

١ـ في الأولى العليا قال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن:٤٨] وفي الثانية قال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٤] الأولى أعلى؛ لأنّ الأفنان تطلق على ضروب عدة، والأفنان جمع فنن، وهي الأغصان، أو جمع (فن) أي تدل على عموم النعم من الأشجار والألوان المختلفة والثمار، وقال عطاء: في كل غصن فنون من الفاكهة، وهذه لا يفيد معها مدهامتان، و(مدهامتان) أي شديدتا الخضرة تميل إلى السواد، فلم يذكر نِعَم وإنما ذكر الخضرة. و(مدهامتان) كلمة عربية ومفردها على صيغة (إفعالّة) وهي قليلة في اللغة مثل: احمارّ واصفارّ وهي أشد وفيها مبالغة أكثر، و(أدهم) من مدهامتان؛ أي يميل إلى السواد.

لذلك (مدهامتان) أي مائلتان إلى السواد من شدة الخضرة. فهنا إذن ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن:٤٨] أعلى.

٢ـ ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الرحمن:٥٠] مقابل ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الرحمن:٦٦] أي فيهما ماء قليل وتجريان أقوى، وأقل من الضخ النضح.

٣ـ ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الرحمن:٥٢] أكثر وأقوى من ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾ [الرحمن:٦٨].

٤ـ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ ﴾ [الرحمن:٥٤] مقابل ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الرحمن:٧٦] في الأولى ذكر البطائن ولم يذكر الظاهر، البطائن من إستبرق، فما بالك بالظواهر؟ ولذلك قسم قالوا: الظواهر هي من النور الجامد.

٥ـ قال: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ [الرحمن:٥٦] مقابل ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن:٧٢] (قاصرات) لا تنظر إلى غير زوجها ولا ترى أفضل منه ولا أحب منه، فهي قاصرة الطرف على زوجها، أمّا (مقصورات) أي مثل المحبوسات في الخيام محددة إقامتهم.

٦ـ وقال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن:٥٨] ولم يقلها في مقصورات في الخيام ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن:٥٨].

٧ـ ثم قال: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:٦٠] ولم يقل مثل ذلك في الثانية. إذن في كل لفظة في الأولى أعلى ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦].

السؤال الثاني :

ربما يظهر سؤال، وهو أنّ الجنتين الأوليين جزاء لمن خاف مقام ربه، فلِمنْ اللتان من دونهما؟

الجواب :

لا نعلم، ربما لمن هو دونهم. كل من يقول: لا إله إلا الله موحد يدخل الجنة. جنتان هما بستانان خارج القصر وداخله، والجنة بمعنى البستان. وذكر القدامى أنه تكرر (فبأي آلآء ربكما تكذبنان) مع كل جنة ثماني مرات على عدد أبواب الجنة، وأبواب الجنة ثمانية كما في الحديث.

وربما يكون المكان واحداً لكنّ الدرجة وما بها من مميزات تختلف من إحداها عن الأخرى، كما قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنفال:٤].

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] فما معنى (جنتان)؟ وهل هي جنة واحدة أم جنتان؟

الجواب :

الجنة هي البستان، وهي مفردة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[الكهف:٣٥] ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم:١٧] الجنة هي دار السعادة عموماً، وكل واحد عنده أكثر من جنة.

ثم أطلقت الجنة على دار السعادة عموماً بما يقابل جهنم دار الشقاء. وكل واحد في منزلته له أكثر من جنة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن:٤٦] أي بستانان في منزلته هي خاصان به، و ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾[الرحمن:٦٢] أي تحتهما وأقل منهما. المهم له جنتان في منزلته هو، داخل قصره بستان وخارج قصره بستان.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

يقول الله تعالى في سورة الرحمن في الآية ٤٦: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ وفي الآية ٦٢ :﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ أي بلفظ التثنية.

بينما يقول في نفس السورة في الآية ٥٦: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ وفي الآية ٧٠ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾[الرحمن:٧٠] وكلتا الآيتين تتحدثان عن الحور العين فعدل عن صيغة (فيهما) إلى صيغة ﴿فِيهِنَّ﴾ بالجمع، فلماذا؟

الجواب :

١ـ قالوا: لأنّ نعيم الجنة مشترك، فيصح أن يشترك فيه الجميع في التمتع بأنهار الجنة وثمارها، إلا في نعمة الحور العين، فلها خصوصيتها فكأنّ الحق تبارك وتعالى يحترم مشاعر الغيرة عند الرجل، ففي هذه المسألة يكون لكل واحد منا جنته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد.

٢ـ وحور الجنة تجمع بين حسن الصورة والجمال والعز والشرف والكمال فتزداد اللذة لسبب كمالها؛ لذلك ينبغي أنْ يكون لكل واحدة مايليق بها من المسكن الواسع. لذلك

تصير الجنة التي هي واحدة من حيث اتصال أشجارها تحتوي على مساكن كثيرة فيها للحور؛ لذلك قال: ﴿فِيهِنَّ﴾.

٣ـ وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة قال: «**بينما نحن عند النبي ﷺ إذ قال: بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فذكرت غيرته فوليت مدبراً**». فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

٤ـ ذكر الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] ثم قال بعدها: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ وجاءت بصيغة الجمع، وهؤلاء المتكئون لكل واحد منهم حور عين و(هنّ) بالجمع، فناسب ﴿فِيهِنَّ﴾.

فانتقل إلى صورة الجمع، جنات بالجمع تخص المؤمن، و في الجنات قاصرات الطرف كذلك بالجمع.



﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة التحصيل الزراعي؟

الجواب :

الكلمات هي :

جنى: تستعمل للفواكه الموسمية ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾[الرحمن:٥٤].

حصد: عندما يكون الزرع يابساً، وتستعمل (حصاد) للخير و(حصيد) للشر ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥﴾[الأنبياء:١٥].

حصد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ ﴾.

قطف: كل ما هو حلو المذاق والمنظر يقال له (قطف)، كما في العنب والعسل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[الحاقة:٢٣].



﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾

السؤال الأول :

في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦] أمّا في سورة الرحمن فقدم الإنس: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾[الرحمن:٥٦] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب :

١ـ التقديم والتأخير يقتضيه المقام، والسياق أحياناً يقدّم الجنّ على الإنس كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]؛ لأنّ الجن وجودهم أسبق من الإنس، ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحِجر:٢٧] وإبليس وجوده قبل وجود آدم.

٢ـ وفي قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن:٣٣] قدّم الجنّ على الإنس؛ لأنّ الجن أقدر على النفاذ من الإنس وهم كانوا يستمعون، فلمّا تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى؛ أي بالجنّ.

٣ـ وقال تعالى في سورة الرحمن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦] الكلام عن الحور: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن:٧٢]، ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦]، ونفسياً إذا كان أحدهم يريد أنْ يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج، أمّا إذا قيل له: جنّي اتصل بها، فإنه يقول: هذا كلام وخرافة.

ولذلك قدّم الإنس؛ لأنّ النفس إذا طمثها إنسي يحجم عنها، ولذلك قدّم ما تشمئز منه النفس أولاً، فبدأ بالإنس؛ لأنّ هذا أدعى إلى طهارتها، ولو قال: (لم يطمثهن جن ولا إنس) فهي ليست بتلك المنزلة، فقدّم ما هو أشد. والآية تتكلم عن نساء الجنة، عن

حور الجنة: ﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ [الرحمن:٧٢] وهنّ نساء الجنة كما قال ربنا: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾ [الواقعة:٣٦].

السؤال الثاني :

قال الله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ٧٤﴾ [الرحمن:٧٤] أي لم يفتضهن ونساء الدنيا لا يفتضهن الجان، فما فائدة تخصيص الحور بذلك؟

الجواب :

معناه أنّ (قاصرات الطرف) إنسيات للإنس وجنيات للجن، فلم يطمث الإنسيات إنسي ولا الجنيات جني.

وفي هذه الآية دليل على أنّ الجن يواقعون كما يواقع الإنس.



﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن:٦٠] وقولنا: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

الجواب :

١ـ النفي بـ (هل) ليس نفياً محضاً، بل هو استفهام أُشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار أو غير ذلك من المعاني.

٢ـ وقوله تعالى في آية سورة التوبة ٥٢: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة:٥٢] يختلف عن قولنا: (ما تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) فإنّ الأولى ليست نفياً خالصاً؛ لأنّ فيها من التحدي والاستخفاف ما لا يؤديه النفي المحض، بخلاف الثانية فهي نفي محض.

٣ـ النفي الصريح إنما هو إقرار من المخبر، وأمّا الاستفهام فإنّ المقصود منه مخاطبة المخاطب لإشراكه في الأمر.

فقولنا: (ما جزاء الإحسان إلا الإحسان) هو نفي يقوله المتكلم ابتداء.

أمّا قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:٦٠]، فهو استفهام يترك للمخاطب ليقوله.

٤ـ قيل: إنّ في القرآن ثلاث آيات في كل منها مئة قول. وهي :

أـ قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة:١٥٢].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء:٨].

ج ـ قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:٦٠].

السؤال الثاني :

ما معاني حرف الاستفهام (هل)؟

الجواب :

هل: حرف استفهام مختص بالتصديق فيجاب بنعم أو لا. لكنّ هناك معاني أخرى أشهرها :

١ـ الأمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة:٩١].

٢ـ التمني: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١﴾ [غافر:١١].

٣ـ العرض: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات:١٨].

٤ـ التشويق: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ [الصف:١٠].

٥ـ التعليم والإرشاد: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣﴾ [الكهف:١٠٣].

٦ـ التبكيت: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج:١٥].

٧ـ الإلزام: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨].

٨ـ النفي: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء:٩٣].

٩ـ التهويل والتعظيم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١].

١٠ ـ التحذير: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد:٢٢].

١١ ـ بمعنى (قد): ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان:١].

بشكل عام هذه المعاني ليست مجردة عن الاستفهام، بل يشوبها كلها معنى الاستفهام.



﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكرالنخل والرمان مع الفاكهة في سورة الرحمن، مع أنّ النخل والرمان من الفاكهة؟

الجواب :

من حيث الحكم النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨] والصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات، لكنْ لأهميتها وعظمة شأنها ذكرت وحدها، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] وجبريل من الملائكة، وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨] والنخل والرمان من الفاكهة، وهي فاكهة أهل الجنة.

السؤال الثاني :

استعمل القرآن أحيانا (النخل)وأحيانا (النخيل)، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.



﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما السر في استعمال ﴿فِيهِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦] ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن:٧٠] مع أن باقي الآيات ورد فيها

﴿فِيهِمَا﴾ مثل : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾[الرحمن:٥٠]، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾[الرحمن:٥٢]، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾[الرحمن:٦٦]، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾[الرحمن:٦٨]؟

الجواب :

١ـ في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن:٤٦] هذا نوع من الإكرام لمن خاف مقام ربه، و يطبّق ما يريده ربه، وهذا الإكرام ليس جنة واحدة، وإنما يُوهَب جنتين.

٢ـ الاسم :(مَنْ) لفظه لفظ مفرد، ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾وهي عامّة لفظها لفظ مفرد، حتى أنّ البعض قال: ما الدليل على أنّ لفظها لفظ مفرد؟ فقالوا الدليل أن تأبّط شرّاً (هو شاعر جاهلي معروف) جمعها على (منون) يقول:

أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ فقالوا: الجِنّ قلت: عِموا ظلاماً

والشاعرأوقد ناراً في الليل،فصار أضيافه من الجنّ.

٣ـ (منْ) عندما يستعمله القرآن يراعي لفظه مرة ومعناه مرة، فيقدّم مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى، كما في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[البقرة:٨] يقول: مفرد، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[البقرة:٨] جمع، وما قال (وما هو) هذا السياق موجود في القرآن في مواطن كثيرة.

فعندما يكون (من) مراداً به الجمع يستعمل أولاً المفرد ثم بعد ذلك يأتي إلى الجمع. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[النساء:٦٩] (ومن يطع) مفرد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾[النساء:٦٩] جمع، فالسياق يراعي اللفظ ويراعي المعنى، ويقدّم مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى.

كان العرب يلاحظون هذا ويعجبون ويقفون إجلالاً لكلام الله سبحانه وتعالى عندما يسمعونه، كهذا الذي سمع قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾[فُصِّلَت:١٣] وضع يده على رأسه قال: ستسقط على رأسي، فكانوا يتحسسون هذا.

٤ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن:٤٦] الذي خاف مقام ربه من آدم إلى قيام الساعة هم جماعة وليس واحداً، والخائفون كُثُر، فإذن جنتان لأول، وجنتان لآخر، وجنتان لكل واحد، إذن تكون جنّات، ولذلك نجد القرآن في موضع آخر قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ ثم قال: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ عندما جاء يتحدث عن الخائفين قال: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾. ولم يقل: متكيء؛ لأنه راعى المعنى هنا.

فلمّا قال: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ المتكئون لا يكون لهم حوراء واحدة، وإنما حور عين، ولا يكون لهم قاصرة طرف وإنما قاصرات.

فلمّا جاء لذكر النساء في يوم القيامة كان لا بدّ أن يجمع فقال: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦].

٥ـ وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن:٧٠]، استمر يتكلم ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن:٦٢] لأنّ الجنة مراتب، والرسول عليه السلام يقول: **(اسألوا الله الفردوس الأعلى)**.

٦ـ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾[الرحمن:٦٢] رجع للجنتين التي هي لكل واحد خاف مقام ربه ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨] فصارت جنات، فلمّا جاء إلى ذكر الخيرات الحسان قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾[الرحمن:٧٠]

و (الخيرات) جمع خيرة التي أصلها خيّرة وخُفّفت، وهي جمع الزوجات. والله أعلم.



﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا لم يذكر في كثير من السور الحور العين بالرغم من ذكر الجنات؟

الجواب :

كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات. وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات:[الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات: [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة (٦٦) مرة.

جنات (٦٩) مرة.

جنتك (٢) مرتان.

جنته (١) مرة واحدة.

جنتي (١) مرة واحدة.

جنتان (٣) مرات.

جنتين: (٤) مرات.

ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في آيات[البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.



﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف﴿ مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرحمن ٥٤.



﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] و ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن:٧٨]، مرة ﴿ذُو﴾ ومرة ﴿ذِى﴾ فما اللمسات البيانية الموجودة في الآيتين؟ وما دلالة ذكر الوجه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرحمن ٢٧.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الرحمن مع خواتيمها :

قال سبحانه في أولها:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾[الرحمن: ١ – ٤].

١ ـ فذكر خلق الإنسان في أول السورة.

ثم ذكر عاقبته ونهايته في آخرها.

فذكر عاقبة المجرمين المكذبين: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

ثم ذكر عاقبة من خاف مقام ربه إلى أنْ قال في خاتمة السورة :

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾[الرحمن:٧٦].

فذكر خلقه أولاً وعاقبته في الأخير.

٢ ـ افتتحت السورة باسم من أسمائه سبحانه وهو: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١﴾[الرحمن:١]

وختمت بذلك أيضاً فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾[الرحمن:٧٨].

والله أعلم.



سورة الواقعة

أولاً ـ تناسب خواتيم الرحمن مع فواتح الواقعة :

يكاد يكون أغلب سورة الرحمن في اليوم الآخر، وذلك من قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن:٣٧] إلى خاتمتها، وذلك قوله سبحانه: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[الرحمن:٧٦].

وبداية سورة الواقعة في القيامة، وذلك قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ١ – ٢].

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنّ ما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين، وفاصل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعضهم الآخر بقوله:﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الرحمن:٦٢] فانقسم العالم بذلك إلى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل.

ثانياً ـ هدف السورة :

الاختيار بين نماذج ثلاثة :

سورة الواقعة مكّية، وهي تشتمل على أحوال يوم القيامة، وتركّز على انقسام الناس إلى ثلاث طوائف [أصحاب اليمين: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:٨] – أصحاب الشمال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ ﴾ [الواقعة:٩] – و(السابقون):

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾[الواقعة:١٠]، وتحدثت السورة عن مآل كل من هذه الطوائف وما أعدّه الله تعالى لهم من الجزاء العادل. وتحدثت السورة عن دلائل قدرة الله تعالى في الكون: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الواقعة:٥٨] و: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقعة:٦٣] و: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقعة:٦٨] و: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الواقعة:٧١] لتجيب عن سؤال: من مالك الكون غير الله تعالى؟

ثم تتحدث عن لحظات خروج الروح، وحال كل من الطوائف الثلاث في هذا الموقف، ثم تنتقل إلى التذكير بعاقبة كل منهم: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الواقعة:٨٨] و: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ [الواقعة:٩٠] و: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الواقعة:٩٢].

فكأنها السورة ابتدأت بذكر الطوائف الثلاث، ثم عرضت لقدرة الله تعالى في الكون وبأنه مالك الكون كله في الوسط، ثم اختتمت بذكر الطوائف الثلاث وعاقبتهم في الآخرة.

وختمت السورة: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الواقعة:٩٦] تسبيح لله تعالى العظيم لتمهّد لبداية سورة الحديد.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (كان) في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾[الواقعة:٧] ؟

الجواب :

(كان) يفرد لها النُحاة بكلام في زمنها:

١ـ الزمان الماضي المنقطع: كأنْ تقول: كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب.

٢ـ الزمان الماضي المستمر (كان الاستمرارية) بمعنى: كان ولا يزال كما في الآيات: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء:١٠٠] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨] ويسمونها (كان) الاستمرارية، أي هذا كونه منذ أن وُجِد.

٣ـ زمن الاستقبال، كما في الآية: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ:١٩] أي صارت في المستقبل، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾[الواقعة:٧] أي صرتم، أصبحتم.

(كان) فيها كلام كثير عند النُحاة، غير كان التامة والناقصة من حيث الزمن.

السؤال الثاني :

ما أهم اللمسات البيانية في هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ (إذا) تأتي في القرآن للكثير الحصول والمقطوع في حصوله مثل هذه الآية. والأظهر أنّ قوله تعالى: (إذا رجت) بدل من قوله :(إذا وقعت الواقعة). والرج :هو التحريك الشديد.

٢ـ البَسُّ: هو التفتيت والطحن، والهباء: هو الهواء المختلط بأجزاء التراب تظهر في أشعة الشمس إذا دخلت من كوة.

٣ـ هناك علاقة بين الحروف والمعاني، فالهواء إذا خالطه أجزاء أرضية ترابية ثُقّل من لفظه حرف، فأُبدلت الواو الخفيفة بالباء التي لا ينطق بها إلا بإطباق الشفتين بقوة، وتصير الكلمة (هباء) بدل (هواء).

٤ـ جوانب الإنسان أربعة: يمين وشمال وخلف وأمام. وجَعْلُ الله الخلق على ثلاثة أقسام ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾[الواقعة:٧] وهودليل غلبة الرحمة فذكرتعالى :

أ ـ أصحاب اليمين: وهم الناجون، ويعطون كتبهم بأيمانهم مكرمين فغطى جهة اليمين.

وقيل لهم: أصحاب اليمين؛ لأنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، أو لأنهم على يمين أبيهم آدم كما رآهم النبي عليه السلام ليلة الإسراء، أو لأنهم ميامين أي (مباركون). واليُمن بركة.

ب ـ وذكر أصحاب الشمال مقابلهم، ويعطون كتبهم بشمائلهم مهانين فغطى جهة اليسار. والعرب تسمي الشمال شؤماً، كما تسمي اليمين يمناً.

ج ـ وذكر السابقين الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق من غير حساب، وهم المقربون بين يدي الله ويشفعون للغير، وهم أعلى منزلة من أصحاب اليمين، فغطى جهة الأمام.

ثم لم يذكر الله مقابل الخلف قوماً مؤخرين عن أصحاب الشمال لا يلتفت إليهم لشدة الغضب عليهم، فكانت القسمة رباعية فصارت بفضل الله ثلاثية وهو كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[فاطر:٣٢] ولم يقل: منهم متخلف عن الكل.

٥ ـ بعد أنْ ذكر الله أنّ الناس سيكونون ثلاثة أصناف، بدأ بذكر أصحاب اليمين ثم بأصحاب الشمال ثم ذكر السابقين؛ لأنّ يوم القيامة فيه من التخويف الشيء الكثير ـ ترغيباً وتخويفاً ـ فقدّم سبحانه أصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون ثم أصحاب الشمال.

ثم ذكر السابقين ليجتهد أصحاب اليمين ويقربوا من درجتهم، وإنْ كان لا ينالها أحد إلا بجذبٍ من الله تعالى، فإن السابق يناله ما يناله بجذب. وإليه الإشارة بقولهم :جذبٌ من جذبات الرحمن خيرٌ من عبادة سبعين سنة.

٦ـ قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة:٩] مقابل الميمنة، فهو من باب الشؤم عليهم، وهناك تقابل في الجهات :

أ ـ اليمين هو الجانب المعروف من الآدمي، ولفظ الشمال في مقابلته.

ب ـ الأيمن مقابل الأيسر، والميمنة مقابل الميسرة، واليمنى مقابل اليسرى.

ج ـ سموا الشمال يساراً، وهو مشتق من الشيء اليسير، فصار في مقابلة اليمين تكرهاً لجعل جانب من الإنسان شؤماً.

د ـ لا تستعمل الشمال كما تستعمل اليمين، فلا يقال الأشمل ولا المشملة ولا يقال في مقابلة اليمين لفظ من باب الشؤم، لذلك سموا الشمال يساراً.

فذكر الله الكفار بلفظين مختلفين ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ و ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية الخامسة: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥﴾[الواقعة:٥] وقوله تعالى في آية النمل٨٨: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ وفي آية طه١٠٥ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥﴾[طه:١٠٥] فما أحوال الجبال في القرآن؟

الجواب :

ذلك باختلاف الأحوال. ففي أول الأمر تسير سير السحاب وتُرى كالواقفة في رأي العين لعظمها، ثم بعد ذلك تتضاءل فتكون كالعهن المنفوش، ثم تنسف فتكون الأرض قاعاً صفصفاً.

ويمكن تلخيص أحوال الجبال في القرآن الكريم عند قيام الساعة في ست حالات، وهي :

١ـ الاندكاك: لقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤﴾[الحاقة:١٤].

٢ـ أنْ تصير: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ كما في [آية القارعة ٥ والمعارج ٩].

٣ـ أنْ تصير كالهباء فتتبدد، وهي قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾[الواقعة:٥-٦].

٤ـ أنْ تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة قارةٌ في مواضعها على الأرض فتنسف عنها بإرسال الرياح لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾[طه:١٠٥].

٥ـ أنّ الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعاً في الهواء، وهي قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل:٨٨].

٦ـ أنْ تصير سراباً، بمعنى: لا شيء، كحال السراب إذا جاء المرءالموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة اللاشيء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.



﴿ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام (ما) في الآيتين وليس (من)؟

الجواب :

١ـ (من) لذات من يعقل، للذات، من هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان، من أنت؟ أنا فلان.

إذن (من) لذات العاقل، سواء كانت اسم استفهام أم شرط أم نكرة موصوفة أم اسم موصول.

٢ـ (ما) تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل، مثل: ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا. وتستعمل لصفات العقلاء. مثل أن تقول: من هذا؟ تقول خالد، ما هو؟ تقول تاجر، شاعر. وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[النساء:٣] صفة للعاقل، أي انكحوا الطيّب من النساء.

و(ما) تستخدم لذات غير العاقل وصفاتهم (ما لونه؟ أسود) ولصفات العقلاء ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾[الشمس:٧] الذي سواها هو الله.

ومهما كان معنى (ما) سواء كانت (الذي) أو غيره فهذه دلالتها ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾[الليل:٣] من الخالِق؟ الله هو الخالق.

٣ـ إذن (ما) قد تكون لصفات العقلاء ثم قد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾[الفرقان:٦٠] يسألون عن حقيقته، وكذلك فرعون يتساءل عن الحقيقة فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣].

٤ـ وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم. كما في الآيات: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة:٣] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة:٢٧] ففيها تفخيم وتعظيم. وهذا أسلوب استفهام أُريد به التعجب من شأن هؤلاء في السعادة وشأن أولئك في الشقاوة.

والتعظيم يكون في الخير أو في السوء، أو ما يصيبه المرء من السوء أو الخير. والنُحاة ذكروا هذه المعاني لـ(ما) في كتب النحو والبلاغة.

السؤال الثاني :

لماذا لم يرد تصنيف لأصحاب المشأمة في سورة الواقعة على غرار تصنيف أصحاب الميمنة والسابقين؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١ - ١١] والسؤال أنّ أهل اليمين (ميمنة وسابقون)، فلماذا لم يصنف أصحاب المشأمة على صنفين؟

١ـ ليست المسألة مسألة تقسيم، وإنما نحن في هذه الدنيا مؤمنون وغير مؤمنين. المنافقون كافرون في الحقيقة لكن يتظاهرون بالإيمان، والمنافق كافر ولكن يتظاهر بالإيمان؛ ولذلك صار أشد، لأنّ عنده صفة الكفر إضافة إلى صفة المخادعة.

٢ـ المطلوب في هذه الحياة المنافسة في الخير ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين:٢٦].

وأنا عندما أعلم أنّ الجنة درجات وأعلاها الفردوس الأعلى، وعندي نوع من الهِمّة أحاول أنْ أسابق الآخرين في الارتقاء إلى هذه الدرجة العليا، ففيها مجال للمنافسةالكبيرة.

٣ـ لذلك عندنا في الآخرة (أصحاب يمين)، وهؤلاء جنتهم لها صفات معينة، وعندنا (السابقون السابقون) وجنّتهم أيضاً لها صفات معينة. وأنا عندما أقرأ هذه الآيات أحرص على الأفضل، فأحاول أنْ أقدم الخيرما استطعت.

٤ـ لكنّ الذي سيدخل جهنم هو سيشوى بمجرد دخولها ولا مجال للتمايز، حتى الدركات هم نازلون فيها، وليس هناك مجال للتنافس في أخذ الأفضل، وهذا الذي سيشوى، سواء كان في الدركة الأولى أو الثانية فهو مشوي مشوي، ولا مجال لتشجيعه على التنافس، وهم في داخلها ويصطرخون، نسأل الله السلامة والعافية.

وأمّا في الجنة فهناك مجال منافسة للأفضل؛ ولذا كان عندنا ميمنة وسابقون.

٥ـ إذن الغرض من التقسيم – والله أعلم– هو الحث على المنافسة؛ لأنّ هناك أكثر من درجة، وهناك مراتب والناس عند الله سبحانه وتعالى مقامات وليسوا سواء. قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنفال:٤].

لذلك جاء التقسيم (ميمنة وسابقون)، بينما أهل النار لا يحتاجون إلى تقسيم؛ لأنه ليس فيها حثٌ على المنافسة والمسابقة، ولا مجال للترغيب.

والكافر كيف يتسابق في النار؟ هل يزيد من سيئاته ليتسابق في أهل النار؟ فهم لا يقسّمون.

ولله المثل الأعلى، مثل طلبة الجامعة فالناجحون يقسّمون بحسب درجاتهم، لكنّ الذي يرسب في صفه هو راسب، أي سيعيد العام ولا يوجد راسب رقم٤٠ وراسب رقم ٣٠، هو راسب وسيعيد الفصل الدراسي، لكنْ في الآخرة لا توجد إعادة أبداً.



﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة المسارعة والتسابق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.



﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا عرّف (النعيم) في الآية ١١ونكّرها في الآية ٨٩ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٩]؟

الجواب :

١ـ عرّف (النعيم) باللام، ونكّرها (نعيم) في آخر السورة: ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [الواقعة:٨٩] علماً أنّ المذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة واللفظ نكرة، وهذه معرفة بالإضافة، فما الفرق بينهما؟

والجواب :

هناك فرقان: لفظي ومعنوي :

أ ـ فرق لفظي: السابقون معرفون باللام المستغرقة لجنسهم، فجعل موضع المعرّفين معرفة، وأمّا هناك فهو غير معرّف؛ لأنّ قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾[الواقعة:٨٨] أي إنْ كان فرداً منهم، فجعل موضعه غير معرف مع جواز أنْ يكون الشخص معرّفاً وموضعه غير معرف كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾[الحجر:٤٥] و ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤﴾[القمر:٥٤] وبالعكس أيضاً.

ب ـ فرق معنوي: عند ذكر الجمع في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ جمع الجنات في سائر المواضع﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾.

٢ـ السابقون نوع أعلى من المتقين، ولهم منازل ليس فوقها منازل فهي صارت معروفة، لكونها في غاية العلو، أو لأنها لا أحد فوقها، وأمّا باقي المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة، فهم في جنات متناسبة في المنزلة لا يجمعها صف واحد لاختلاف منازلهم، بينما جنات السابقين على حدٍّ واحد في أعلى عليين ويعرفها كل واحد، فلا حاجة لتعريف جنة (السابق).

٣ـ قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة:١٢] بإضافة الجنة إلى النعيم، ولم يقتصر على ذكر جنات فقط، وفي ذلك فائدة للتمييز عن الملائكة، فإنّ قرب الملائكة هو قرب الخواص عند الملك الذين هم للأشغال، فهم ليسوا في نعيم وإن كانوا في لذة عظيمة، ولا يزالون مشفقين قائمين بباب الله يَرِدُ عليهم الأمر ولا يرتفع عنهم التكليف. والسابقون في الآية لهم قربٌ عند الله كما يكون لجلساء الملوك، فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يَرِدُ عليهم أمر فيتلذذون بالقرب ويتنعمون بالراحة.



﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

في آيات سورة الواقعة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة:١٤] و ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٨ - ٤٠] ما الفرق بين (ثلة) و(قليل)؟

الجواب :

١ـ الثلة هي الجماعة الكثيرة، والقليل قليل.

٢ـ قوله تعالى في السابقين ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٤]:

السابقون هم الأنبياء وأتباعهم وهم ثلة من الأولين، وأمّا السابقون من الآخرين فهم قلة.

وأصحاب اليمين هم دون السابقين، فقال (ثلة) و (وثلة) فهم كثر في الأولين والآخرين.

٣ـ وقسم يقول: إنه في كل أمة ومع كلّ نبي في صدرها ثُلة، وما بعدهم يكونون قلة. وبالنسبة للأمة الإسلامية هي على هذا القياس، والله أعلم، أي أنّ الثلة هم جماعة **"خير القرون قرني"** والقلة بعد هذا العصر. فالثلة في خير القرون وما بعدهم قليل. اللهم اجعلنا من هذا القليل.

السؤال الثاني :

ما اللطيفة التي سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول الأقلين؟

الجواب :

رجل صالح في عهد عمر رضي الله عنه كان يدعو الله أنْ يكون من الأقلين، فسمعه عمر وسأله: وما الأقلون؟ فأشار إلى قوله تعالى :

ـ ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[هود: ٤٠].

ـ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ: ١٣].

ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص: ٢٤].

ـ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة: ١٣-١٤].

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة:١٤]؟

الجواب :

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾من يستطيع أنْ يحكم هذا الحكم؟ ومن يستطيع أنْ يرسل قولاً يتلى إلى يوم القيامة أنّ أكثر الناس ليسوا بمؤمنين وأنّ أقل الناس هم المؤمنون؟ !!!

إنه الوحي... إنه الله العليم القادر.

انظر إلى أحوال الدنيا عبر القرون لتتأكد من صدق القرآن وتجد أنّ الفئات الباغية تفوق الفئات الصالحة بعددها وعدتها.

وجاء القرآن مع الأحاديث النبوية لتبشر القلة المؤمنة برضوان الله وجنته بالرغم أنّ الأحاديث النبوية تؤكد أنه لا يدخل الجنة إلا واحد من كل ألف، وارتعد المسلمون عندما نزلت الآية ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة:١٣-١٤] فطمأنهم النبي ﷺ فقال: (**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**).

وهذه الفئة القليلة هي التي حظيت بجنة الله تعالى ورضوانه، اللهم اجعلنا منهم. اللهم آمين.

قال الشاعر الجاهلي السموءل :

تُعيرنا أنّا قليل عديدُنا   فقلتُ لها: إنّ الكرام قليل

وما ضرّنا أنّا قليل وجارنُا   عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ١٦ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.



﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (ولدان) و(غلمان)؟

الجواب :

١ـ الولدان هم الصغار، أمّا الغلمان، فمفردها (غلام)، وهو الشاب الذي أوشك على البلوغ.

٢ـ الوليد منذ أنْ يولد إلى أنْ يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمى ولداً ثم يقال له: غلام.

٣ـ في الجنة عندما يذكر غلمان يقول: غلمان لهم، أي مختصون بهم ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ ﴾ [الطور:٢٤] ولا يقول: (ولدان لهم) لأنهم صغار. أمّا ولدان فعامّة ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة:١٧] الغلام أقل من الشاب سنّاً، أو بداية الشباب إذا طرَّ شاربه.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة:١٩] في سورة الواقعة وقوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] في سورة الصافات؟ فما الفرق بيت الصيغتين؟ و هل يصح وضع أحدهما مكان الآخر؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة:١٩] وفي سورة الصافات ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧].

١ـ كلمة ﴿يُنزِفُونَ﴾ في سورة الواقعة (بكسر الزاي) من (أنزف) وله معنيان:

أ ـ أنزف يُنزِف بمعنى سَكِر وذهب عقله.

ب ـ وبمعنى: نفد شرابه وانقطع.

ويقال أنزف القوم إذا نفد شرابهم، وأنزف الرجل أي فَنِي شرابه. وأنزف إذا ذهب عقله من السُكْر، والمنزوف هو السكران المنزوف العقل وقد نُزِفَ.

لذلك معنى الآية في الواقعة: أنّ شرابهم لا ينفد ولا ينقطع. وأنهم لا يسكرون بسببه.

٢ـ كلمة ﴿يُنزَفُونَ﴾ في سورة الصافات (بفتح الزاي) من الفعل :

(نزف)، وهو مبني للمجهول (يُنزَف) أي ذهب عقله من السُّكر.

ومعنى الآية في الصافات: أنّ شرابهم لا يُذهب عقولهم، فلا يسكرون بسببه السؤال: هل يصح وضع أحدهما مكان الآخر؟

الجواب :

إذا استعرضنا الآيات في السورتين وجدنا ما يلي:

وردت ﴿يُنزِفُونَ﴾ في الواقعة في سياق السابقين المقربين من أهل الجنة وجزائهم ونعيمهم في الجنّة. وهم قِلّة وفي درجات عليا، وهم أعلى الخلق من المكلفين.

وسياق آيات سورة الصافات إنما هو في عباد الله المؤمنين المخلَصين وهم أقلّ درجة من السابقين المقربين.

والسابقون أعلى من هؤلاء، وإنه ليس كل مخلصٍ هو من السابقين بينما كلُ سابقٍ مُخلص؛ ولذلك نرى الجزاء مختلفاً.

١ـ قال في الصافات: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الصافات: ٤١ - ٤٢] ففسر الرزق بالفواكه.

وقال في الواقعة: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢١] فقد ذكر اللحم إضافة إلى الفاكهة. . ثم ذكر أنهم يتخيرون الفاكهة واللحم ولم يذكر في الصافات أنهم يتخيرون، بل قال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الصافات:٤١] فما في الواقعة أعلى.

٢ـ قال في الصافات: ﴿فَوَاكِهُ﴾ وفي الواقعة ﴿وَفَاكِهَةٍ﴾ والسبب أنّ الفاكهة اسم جنس، وهي أعم وأوسع من كلمة الفواكه؛ لأنه يشمل الحبة الواحدة والاثنتين والجمع، ويشمل عموم الأنواع.

فالتفاحة الواحدة فاكهة وليست فواكه، والتفاحتان فاكهة وليستا فواكه والتفاح فاكهة. . وكذلك التين والرمان والعنب فاكهة. . أمّا الفواكه فتقال للأنواع؛ ولذلك نقول: (فاكهاني) للذي يبيعها ولا نقول: (فواكهي)؛ لأنّ الفاكهاني يبيع أنواعاً كثيرة من الفاكهة.

وإيضاح ذلك أنك تقول للتفاح وحده فاكهة وإنْ كثر.. ولا يقال له: فواكه، فإنْ جمعت معه الرمان والتين والتمر صح أنْ يقال لها: فواكه وأنْ يقال لها: فاكهة، أي أنّ الفاكهة تطلق على النوع الواحد وعلى الأنواع، وتقال للمفرد والمثنى والجمع، وأمّا الفواكه فلا تطلق إلا على ما تعدد ولا تطلق على الحبة والحبتين ولا على النوع الواحد. .. لذلك فالفاكهة أعم وأشمل ويندرج تحت اسمها جميع الفواكه.. لذلك يأتي القرآن بـ[الفاكهة] في مواطن السعة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ [الرحمن: ١٠ - ١١] في حين قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٨ - ١٩].

فلمّا ذكر الأرض على العموم قال: ﴿فِيهَا فَوَٰكِهُ﴾ ولمّا ذكر الجنات في الأرض ذكر الفواكه، وذلك أنه خصص الفواكه التي في الجنات في حين أطلقها في آية الرحمن.

لذلك لمّا قال في سورة الواقعة: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٠] عُلِم أنها أنواع كثيرة وليست نوعاً واحداً. .. فما في الواقعة أعلى.

٣ـ قال في الصافات: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات: ٤٢ - ٤٣] وقال في الواقعة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢] فذكر أنهم مقربون في جنات النعيم، وهو أعلى من مجرد الإكرام؛ لأنه يشمله وزيادة.

٤ـ قال في الصافات: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الصافات:٤٤] وقال في الواقعة: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: ١٥ - ١٦] فذكر أنّ السرر موضونة أي منسوجة بالذهب مشبكة بما يسر الناظر، ثم ذكر الاتكاء عليها للزيادة في التنعم، ولم يقل مثل ذلك في الصافات.

٥ـ قال في الصافات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ [الصافات:٤٥] وقال في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة:١٧] فلم يذكر الطائفين في آيات الصافات وذكرهم في الواقعة زيادة في التنعم.

٦ـ قال في الصافات: ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الصافات:٤٥] وقال في الواقعة: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة:١٨] فزاد الأكواب والأباريق على الكأس ولا شك أنّ تنوع الأواني هو لتنوع الأشربة وتعددها، فتنعم السابقين أعظم وأعلى.

٧ـ قال في الصافات: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] وقال في الواقعة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة:١٩] فذكر في الصافات ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ والغول هو الفساد أو الإهلاك أو اغتيال العقول وهو السُّكر... أي أنها لا تفسدهم أو لا تُهلكهم أو

لا تغتال عقولهم ولا تسكرهم، بينما ذكر في الواقعة أنهم لا يصيبهم منه صداع ولا يسكرون، وهذا الشراب لا ينفد.

لذلك فإنّ نفي الغول لا ينفي ما دونه من الآفات، فإنك إذا قلت [هذا الشراب لا يميت] فإنه لا ينفي أنْ يكون فيه بعض أنواع العلل دون الموت. . وأما في سورة الواقعة فإنه نفى الأدنى وهو الصداع فانتفاء الأكبر إذاً هو من طريق الأولى، وعلى هذا فإنّ انتفاء الغَول لا ينفي الصداع، وانتفاء الصداع ينفي الغَول فيكون ما في الواقعة أعلى.

وإذا كان الغَول بمعنى اغتيال العقول وهو السُّكر فإنه نفى بقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] شيئاً واحداً عنها، فإنّ معنى ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧] لا يُنزَفون كمعنى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات:٤٧] ولكنّ إحداهما صفة الخمرة والأخرى صفة لشاربها.... وأمّا في الواقعة فإنه نفى عنها شيئين: الصداع والسُكر، وهذا أتم.

ثم إنه في الصافات نفى عنهم السُكر فقال: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] بفتح الزاي أي لا يسكرون عنها. .. بينما في الواقعة نفى السُّكر ونفاد الشراب فقال: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ بكسر الزاي، أي أنّ الشارب لا يسكر ولا ينفد، فهذا أتم وأكمل.

٨ـ قال في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨ - ٤٩]

وقال في الواقعة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣] فذكر في

الصافات صفة جسمانية واحدة، وهي: ﴿عِينٌ﴾والعِين جمع عيناء وهي الواسعة العين في جمال. . وذكر في الواقعة صفتين، وهما ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[الواقعة:٢٢] والحَوَر البياض.

كما ذكر في الصافات: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات:٤٩] وفي الواقعة: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة:٢٣] وأنت تحس الفرق بين تشبيه المرأة البيضاء بالبيضة، وتشبيهها باللؤلؤة المكنونة.

٩ـ وقال في الواقعة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾[الواقعة: ٢٥ - ٢٦] فنفى سماع الرديء من القول والساقط منه وأثبت الحسن: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦] فكان التنعم بالنفي والإثبات. . ولم يذكر مثل ذلك في الصافات.

فناسب ﴿يُنزَفُونَ﴾ بالبناء للمعلوم ما في الواقعة و ﴿يُنزَفُونَ﴾ بالبناء للمجهول ما في الصافات.

ومما زاده حسناً قوله في الصافات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾[الصافات:٤٥] بالبناء للمجهول، فناسب ﴿يُنزَفُونَ﴾ بالبناء للمجهول.

وقال في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة:١٧] بالبناء للمعلوم فناسب ﴿يُنزِفُونَ﴾ بالبناء للمعلوم.

فانظر كيف ذكر في الواقعة التقريب، وهو يشمل الإكرام وزيادة. . وذكر السرر وزيادة وهي أنها موضونة، وذكر التقابل وزيادة وهو الاتكاء وذكر الطواف وزيادة

وهي الولدان المخلدون، وذكر الكأس وزيادة وهي الأكواب، وذكر العين وزيادة وهي الحور، ونفي السُكر وزيادة وهي عدم النفاد، وزاد نفي اللغو والتأثيم وإثبات السلام.

فيا ترى أين تصلح كلٌ من كلمتي ﴿يُنزَفُونَ﴾ و ﴿يُنزِفُونَ﴾؟ وأين تضعها أنت؟ وهل هذا كلام بشر أم هو تنزيل رب العالمين؟



﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قُدمت الفاكهة على اللحم في الآيتين[٢٠ـ٢١]؟ ولماذا خُصصت الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ بالجر معطوف على جنات النعيم، وهذا العطف في اللفظ للمجاورة لا في المعنى كقولهم: تقلدت سيفاً ورمحاً .

٢ـ خُصصت الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء؛ وذلك لأنّ الفاكهة تَحْضُرُ عندهم فيتخير المؤمن منها ما يشاء.

وفي كلمة: ﴿يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ولم يقل: يختارون؛ لأنّ في التخير باباً من أبواب التكلف فكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار.

أمّا اللحم فالمروي أنّ الطائر يطير فتميل نفس المؤمن إلى لحمه فينزل مشوياً أو مقلياً كما يشتهيه.

٣ـ وقُدمت الفاكهة على اللحم؛ لأنّ الفاكهة دائمة الحضور، واللحم يُشهى ويحضر عند الاشتهاء، وهذا يدل على عدم الجوع؛ لأنّ الجائع حاجته للحم أكثر من الفاكهة.

وحالة المؤمن في الجنة تشبه حال الشبعان في الدنيا، فيميل إلى الفاكهة أكثر؛ ولذلك قدّمها.

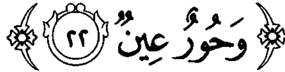
السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ ما كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣١ .





السؤال الأول:

لماذا لم يذكر في كثير من السور الحور العين بالرغم من ذكر الجنات؟

الجواب:

كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات. وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم:

الحور: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة (٦٦) مرة.

جنات (٦٩) مرة.

جنتك (٢) مرتان.

جنته (١) مرة واحدة.

جنتي (١) مرة واحدة.

جنتان (٣) مرات.

جنتين (٤) مرات.

ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في آيات [البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.



﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ:٣٥]؟ وما الفرق بين اللغو والتأثيم؟

الجواب :

١ـ بدأ الله ذكر النعم الفعلية وقابلها بأعمالهم حيث قال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ثم ذكر النعم القولية في مقابلة أذكارهم الحسنة، أي بدأها بالنعم المرئية بالنظر، وختم بمثلها وهي نعمة المخاطبة، فما يعطيهم الله تعالى من النعمة تكون نعمة لم ترها عين ولا سمعتها أُذن ولا خطرت على قلب بشر.

٢ـ (اللغو) هو الكلام غير المعتبر وغير المفيد، وهو مكروه عند المعتبرين من الرجال، وأمّا(التأثيم) فهو منسوب إلى الإثم. والمعنى أنهم لا يتكلمون اللغو ولا يصدر منهم لغو ولا ما يشبه اللغو. والتأثيم أبلغ من الكذب.

٣ـ في آية سورة النبأ ٣٥ يقول الله: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝٣٥﴾ [النبأ:٣٥] أي لا يسمعون كذباً، ولا أحد يقول لآخر: (كذبت) بعكس الدنيا. والكذاب كثير الكذب.

السؤال الثاني :

ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلٗا﴾؟ ولماذا كرر كلمة ﴿سَلَٰمٗا﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلٗا﴾هو استثناء منقطع؛ لأنَّ السلام ليس من جنس اللغو، وقد يكون استثناءً متصلاً مجازاً في المعنى، كأنْ تقول: ما لي ذنب إلا أحبك، فتستثني المحبة من الذنب.

٢ـ قوله: ﴿قِيلًا﴾ هو مصدر، يقال: قال قولاً وقيلاً. واستعمل (قيلاً) لعدم اختصاص هذا القول بقائلٍ معين، ويسمع هذا القول دائماً من الملائكة والناس ومن رب العزة.

٣ـ كرر لفظة: ﴿سَلَٰمًا﴾ إشارة إلى تمام النعمة؛ وذلك لأنّ أثر السلام في الدنيا لا يتم إلا بالتسليم ورد السلام، فكذلك في الآخرة يقولون: ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

ثم إنه لمّا قال الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[يس:٥٨] لم يكن له رد لأنّ تسليم الله على عبده هو تأمين للعبد، وأمّا الله تعالى فهو منزه عن أنْ يؤمنه أحد، والرد إنْ كان فهو قول المؤمن: (سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

السؤال الثالث :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾[الواقعة:٢٦] وقوله: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود:٦٩]؟

الجواب :

قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أتم وأبلغ من قولهم (سلاماً) فأراد إبراهيم عليه السلام أنْ تكون تحيته أفضل.

أمّا هنا في الجنة فلا يتفضل أحد على الآخر مثل التفضل المذكور آنفاً إذ هم من جنس واحد وهم المؤمنون، ولا ينسب أحدٌ إلى أحدٍ تقصيراً.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفائدة في ذكرهم بلفظ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ عند ذكر الأقسام وبلفظ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ عند ذكر الإنعام؟

الجواب :

(الميمنة) على وزن مفعلة أي بموضع اليمين، وفيها دلالة على الموضع كالمحكمة لموضع الحكم. فالأزواج الثلاثة في أول الأمر يتميز بعضهم عن بعض لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم:١٤] وقال: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ فأشار إليهم في الأول بلفظ يدل على المكان، ثم عند الثواب وقع تفرقهم فهم لا يتشاركون في المكان، فذكر النوع أي الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.

السؤال الثاني :

ما الحكمة من ذكر: ﴿فِى سِدْرٍ﴾ و(السدر) هو من أشجار البوادي ليس بمر ولا حلو ولا طيب؟

الجواب :

١ـ اقتصر المفسرون في الجواب بأنّ الجنة تمثّل بما كان عند العرب محموداً، وهو صواب لكنه غير فائق، والفائق الرائق الذي هو بتفسير كلام الله لائق، هو أنْ نقول إنَّ البليغ يذكر طرفي أمرين يتضمن ذكرهما إشارة إلى جميع ما بينهما، كما يقال: فلان ملك الشرق والغرب، أي ملكهما وملك ما بينهما.

٢ـ وأوراق الأشجار على نوعين: صغيرة وكبيرة. وأوراق السدر في غاية الصغر وأوراق الموز في غاية الكبر، فقوله: ﴿فِى سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٢٩] فيه إشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظراً إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر.

٣ـ ونظيره في الثمار، فقد ذكر الله الأعناب والنخيل: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ﴾ [يس:٣٤] فإنّ النخل من أعظم الأشجار المثمرة والكرم من أصغر الأشجار المثمرة، وبينهما أشجار فوقعت الإشارة إليهما جامعة لسائر الأشجار.

٤ـ قوله: ﴿مَّخۡضُودٖ﴾ أي مأخوذ الشوك، ولولا الشوك لكان منتزه العرب وأوراقه كثيرة متداخلة.

٥ـ قوله: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾﴾ هو شجر الموز، ومنضود هو صفة إمّا للورق وإمّا للثمر فأوراقه بعضها فوق بعض، وقرط الموز مرتب بعضه فوق بعض.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة التحصيل الزراعي؟

الجواب:

كلمات منظومة التحصيل الزراعي هي:

جنى: تستعمل للفواكه الموسمية ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن:٥٤].

حصد: عندما يكون الزرع يابساً، وتستعمل (حصاد) للخير و(حصيد) للشر ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء:١٥].

خضد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨)﴾[الواقعة:٢٨].

قطف: وهو كل ما هو حلو المذاق والمنظر. يقال: قطف العنب والعسل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[الحاقة:٢٣].



﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات في بيان أنواع النعيم في الجنة؟

الجواب :

١ـ الظل الممدود: أي الدائم الذي لا زوال له، وظل الأشجار في الجنة ليس مبعثه الشمس كما في الدنيا، بل هو ظل يخلقه الله تعالى.

٢ـ قوله: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١)﴾[الواقعة:٣١] أي مسكوب من فوق، جارٍ في غير أخدود في الهواء.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)﴾[الواقعة: ٣٢ - ٣٣] لمّا ذكر الله الأشجار التي يطلب منها ورقها ذكر بعدها الأشجار التي يقصد منها ثمرها، وهنا توجد نقاط، منها :

أـ قدّم الأشجار المورقة على غير المورقة على طريقة الارتقاء من نعمة إلى نعمة فوقها.

ب ـ ذكر الأشجار المورقة بأنفسها، وذكر أشجار الفواكه بثمارها؛ لأنّ الأوراق حسنها عند كونها على الشجر، وأمّا الثمار فهي مطلوبة في أنفسها سواء كانت عليها أم مقطوعة؛ ولهذا صارت الفواكه لها أسماء تعرف بها أشجارها.

ج ـ وصف الفاكهة بالكثرة لا بالطيب واللذة؛ لأنّ الفاكهة على وزن فاعلة أي ذات فكهة، وهي لا تكون بالطبيعة إلا باللذة، وأمّا الكثرة فحيث ذكر الله الفاكهة ذكر ما يدل على كثرتها؛ لأنها ليست لدفع الحاجة حتى تكون بقدر الحاجة، بل هي للتنعيم فوصفها بالكثرة والتنوع.

د ـ قوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي ليست كفاكهة الدنيا، فإنها تنقطع في أكثر الأوقات وفي كثير من المناطق.

هـ ـ قوله: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي لا تمنع من الناس لطلب ثمنها.

وقدّم نفي كونها مقطوعة؛ لأنّ القطع للموجود والمنع بعد الوجود؛ لأنها توجد أولاً ثم لا تمنع عن أصحاب الجنة.

٤ـ قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ أي مرفوعة القدر والقيمة، مرفوعة بعضها على بعض فوق السرير عالية.

وقد يُراد من الفرش النساء؛ لذلك جاء بعدها مباشرة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ [الواقعة:٣٥]، والله أعلم.

السؤال الثاني :

إن قيل: ما معنى الظل في الجنة حيث لا شمس فيها وإنما يكون الظل حيث تكون الشمس؟

الجواب :

ظل أشجار الجنة من نور العرش؛ لئلا تبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس، وقيل من نور قناديل العرش.

وفرَّق أهل اللغة بين الفيء والظل، فقالوا: الفيء ماكان بالعشي أي بعد الظهر؛ لأنه الذي نسخته الشمس، والظل ما كان بالغداة؛ لأنه لم تنسخه الشمس. وفي الجنة ظل وليس فيء؛ لأنه لا شمس فيها قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة:٣٠] وأنشدوا :

فلا الظل من برد الضحى ولا   الفيء من برد العشي يذوق

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ٣٣: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ ما كلمات منظومة القطع والاجتثاث والنزع؟

الجواب :

الكلمات هي :[اجتث ـ قلع ـ قطع ـ نزع ـ صرم].

انظر التفصيل في آية هود ٤٤.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الواقعة:٣١]، ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سورة محمد ١٥.



﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين حميم ويحموم؟

الجواب :

(الحميم) هو الماء الحار ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥] من حمّ والحُمّى.

و(الحميم) يأتي من الشيء وضده، حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً (مشترك لفظي).

و(اليحموم) هو الدخان الأسود الشديد السواد ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة:٤٣].

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات في بيان أنواع العذاب لأهل الشمال؟

الجواب :

١ـ في هذه الآيات ذكر السموم والحميم إشارة من الأدنى إلى الأعلى فالهواء والماء أبرد الأشياء، ومع ذلك فالهواء سموم والماء حميم، فما ظنكم ياكفار بالنار؟ ! أو كأنه قال للكفار: أبردُ الأشياء لكم أحرُّها فكيف حالكم مع أحرِّها؟ !!

والسموم هي ريح حارة أو هي هواء متعفن يُمرض أو يقتل غالباً وأصله من السم كسم الحية ينفذ في المسام فيفسدها.

٢ـ والحميم هو الماء الحار، واليحموم اسم من أسماء جهنم معناه الدخان الحار المظلم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة:٤٤] أي لا بارد فيطلب ولا ذو كرامة أُعد للجلوس فيه. فلا مدح فيه أصلاً لا حساً ولا عقلاً.



﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (مِتم) بكسر الميم و(مُتم) بضم الميم؟

الجواب:

١ـ الموت في (مات) بالفعل الماضي ومنسوب إلى المتكلم أو المتكلمين قد ورد في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم.

٢ـ لفظة: ﴿مِتُّ﴾ للمتكلم أو المتكلمة بكسر الميم، كما في سورة مريم: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [مريم:٢٣] و ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم:٦٦]، و ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء:٣٤].

٣ـ لفظة :﴿مِتُّمْ﴾ في سورة المؤمنون: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون:٣٥]، و ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٧ – ١٥٨].

٤ـ لفظة :﴿مِتْنَا﴾ في سورة المؤمنون ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٢]، والصافات ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الصافات:١٦]، ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الصافات:٥٣]، ق ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[ق:٣]، والواقعة ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الواقعة:٤٧].

٥ـ حيثما وردت (مِتم) بكسر الميم في الأحد عشر موضعاً الميم مكسورة عند [نافع، يعني أهل المدينة، والمغرب العربي، حمزة والكسائي].

٦ـ وحيثما وردت (مُتم) بضم الميم في الأحد عشر موضعاً الميم مضمومة عند [ابن كثير (مكة)، ابن عامر (بلاد الشام) وأبي عمرو (البصرة) وشعبة عن عاصم (قبائل من الكوفة)].

٧ـ حفص عن عاصم وحده (كسر الميم) في تسعة مواضع، و(ضمّ الميم) في موضعين.

٨ـ الراوي هو ناقل لما يسمع ممن سمع عن رسول الله عليه السلام ولا يتصرف، ومعناه (شعبة عن عاصم) في الأحد عشر موضعاً ضم الميم بينما (حفص عن عاصم) روى بكسر الميم إلا في آل عمران في الموضعين قال: مُتم، لِمَ؟ لا يمكن أنْ نقول: لِمَ، سوى بقولنا: إنّ القبائل قرأت هذا عن رسول الله عليه السلام.

والقراءات كلها عن رسول الله عليه السلام، فهذه لهجاتها، وهي هكذا تنطق.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال التعبيرين ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا ﴾/ ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا ﴾في القرآن الكريم؟

الجواب :

الرفات: هو الفتات والحُطام من كل شيء، فإذا بلي الرفات أصبح تراباً؛ ولذلك فإنّ (التراب والعظام)أدل على البلى من (العظام والرفات) لسبب ما ذُكر آنفاً.

ولذلك بَعْث (التراب والعظام) أبعد في عقول المنكرين وأغرب من بعث (العظام والرفات)، وهذا يتضح من السياق الذي يرد فيه كل من التعبيرين.

١ـ وردت ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا ﴾ في أكثر من موضع في القرآن، وهذا شيء طبيعي؛ لأنه عندما تنبش القبر تجد أولاً التراب ثم العظام. انظر الآيات [المؤمنون٣٥ـ ٨٢ـ الصافات ٥٣ـ الواقعة ٤٧].

٢ـ بينما وردت ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا ﴾مرتين في سورة الإسراء [٤٩ـ٩٨].

٣ـ آية الإسراء ٤٩ كانت في مناقشة أحد المشركين لرسول الله عليه السلام وفي يده عظم فكسره وطحنه بيده فأصبح العظم رفاتاً لا تراباً، أي فيه أجزاء مكسرة، فناسب هنا ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا ﴾.

٤ـ في آية الإسراء ٩٨ أعاد العبارة نفسها؛ لأنه أعاد ذكر الحالة.

٥ـ القرآن يعبّر عن أقوالهم وليس نقل أقوالهم نفسها، فيمكن أنهم قالوا مثلاً: أهذا العظم بعد أنْ كسرته وصار فتاتاً أيعود؟

وكلام الله لا يشبهه بشر، حتى أنّ عبارة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وافقت ربي في ثلاث)، لم يقل (وافقني ربي)، وإنما يعني: عبارته جاءت بالمعنى الذي جاء به القرآن، فهو لم يوافقه في لفظه، وإنما في المعنى العام.

٦ـ أنه حيث ذكروا: التراب والعظام أضافوا إلى ذلك ذكر الموت فيقولون ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ وذلك للزيادة في العجب وللتوسع في الاستبعاد والإنكار، فالميت لا يحيا وإنْ كان حديث الموت، فكيف إذا أصبح تراباً وعظاماً؟

ولم يُذكر مثل ذلك مع العظام والرفات.

والله أعلم.



﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾[الشعراء:٣٨] و ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾[الواقعة:٥٠] ما الفرق بين استخدام (اللام) و(إلى)؟

الجواب :

١ـ اللام قد تكون للتعليل، ومن معانيها: التعليل، مثل قولنا: جئت للاستفادة، هذه لام التعليل، وقد تأتي اللام للانتهاء.

٢ـ أمّا (إلى) فمعناها الأساسي: الانتهاء.

* شواهد قرآنية :

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[فاطر:١٣] للتعليل، كما تقول: أنا أعددتك لهذا اليوم، كنت هيأتك لهذا اليوم.

﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[لقمان:٢٩]. أي يجري إلى الأجل المسمى عند الله.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الشعراء:٣٨] جمعناهم لغرض هذا اليوم وما فيه حتى نبين حقيقة موسى عليه السلام، أعددناهم لهذا ليوم.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ [الواقعة:٥٠] أي مسوقون إلى ميقات يوم معلوم، يخرجون من الأجداث سراعاً، يتبعون الداعي لا عوج له، ثم يأتون إلى مكان محدد يجتمعون فيه، أي منتهى الغاية.



﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١﴾ [الواقعة:٥١] في سورة الواقعة، ثم يقول: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾ [الواقعة:٩٢] فلماذا تقدمت (الضالون) في الآية الأولى دون الثانية؟

الجواب :

١ـ في الآية الأولى ٥١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١﴾ الله تعالى يقولها حكاية ويخاطبهم وهم في الدنيا والضال قد يهتدي.

وأمّا الثانية فهي في يوم القيامة والأمر انتهى.

٢ ـ في الآية ٥١ ذكر الضالين وهم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم، وهو الشرك، فضلّوا ولم يصلوا إلى الإيمان وذلك ضلال عظيم ثم كذبوا رسله وقالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ فكذبوا بالحشر، فكأنه قال: (أيها الضالون الذين أشركوا، المكذبون، الذين أنكرتم الحشر لتأكلون ما تكرهون).

وأما في الآية ٩٢ فقال لهم: (أيها المكذبون الذين كذبتم بالحشر، الضالون، الذين لا يهتدون إلى النعيم).

٣ ـ وقيل إنّ الخطاب في الآية ٥١ هو للكفار، فكأنه قال: ياأيها الذين ضللتم أولاً وكذبتم ثانياً.

وأما الخطاب في الآية ٩٢ فهو للرسول عليه السلام يبين له حال الأزواج الثلاثة، فقال: المقربون في روح وريحان وجنة نعيم، وأصحاب اليمين في سلام، وأمّا المكذبون الذين كذّبوا فقد ضلوا، فقدّم تكذيبهم إشارة إلى كرامة النبي عليه السلام، حيث بيّن أنّ أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم للرسول عليه السلام. والذي يدل على أنّ الكلام هناك مع الرسول عليه السلام قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾[الواقعة:٩١].

٤ـ الزقوم: طعام أهل جهنم، وهو في الطعم مر وفي اللمس حار وفي الرائحة منتن وفي المنظر أسود.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات بالمقارنة مع الآيات (٦٣ـ٦٥) و(٦٨ـ٧٠) و(٧١ـ٧٣)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٦٠] بمعنى أنّ هذا الحيوان المنوي نحن قادرون على أنْ نميته، وهذا تحدٍّ.

وكذلك بالنسبة للزرع ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٥] إنه تحدٍّ كذلك.

ولمّا ذكر تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠] هذا تحدٍّ أيضاً؛ لأنّ الماء المالح غير صالح للشرب.

أمّا مع النار فتغير الأسلوب وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٣] ربنا لا يريد أنْ يطفئ هذه النار؛ حتى تبقى تذكرة للناس بالعذاب إلى يوم القيامة.

السؤال الثاني :

ما وجه الترتيب في الآيات (٥٨ـ٧٤)؟

الجواب :

١ـ الله سبحانه أنعم على الإنسان أولاً بإيجاده، ثم أنعم عليه بما يحتاج إليه من طعامه، ثم ما يحتاج إليه من شرابه، ثم ما يحتاج إليه في إصلاح ذلك، وهو النار.

٢ـ فختم الأولى بـ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ حثاً على النظر كيف خلق وعلى قدرة الله في البعث بعد الموت.

٣ـ وختم الثانية والثالثة: الطعام والشراب، بقوله: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لأنّ نعمه تستوجب ذلك.

وللعلم فإنّ مادة (الشكر) تتعدى إلى النعمة تارة وإلى المُنعم تارة أخرى فإن عُديت إلى النعمة تعدت إليها بنفسها دون حرف الجر، كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ وإن عُديت إلى المُنعم تعدت إليه بحرف الجر وهو اللام، كقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول :

هل كلمة (الزُرّاع) جمع زارع؟ وفي سورة الواقعة قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ولم يستعمل (الزُرّاع)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الزُرّاع: جمع (زارع) مثل كُتّاب وكاتب ووعّاظ وواعظ. وعندنا (زارعون) جمع.

وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة (ساجد) تُجمع على سُجّد ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩] وسجود ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥] وساجدين ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء:٢١٩] فيكون هناك أكثر من جمع للكلمة.

وكذلك كلمة (ميّت) تُجمع على (ميّتين) ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الصافات:٥٨] وموتى ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فُصّلَت:٣٩] وأموات ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة:١٥٤] وكلها جموع، و تختلف بين القِلّة والكثرة ودلالات أخرى.

٢ ـ وفى سورة الواقعة عندما يذكر ضمير التعظيم يذكر جمع المذكر السالم، فاستخدم (زارعون).

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اللام في قوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ في سورة الواقعة وحذفها في ﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ وفي النار ﴿جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)﴾[الواقعة: ٦٣ - ٦٥] والآية تتحدث عن الزرع.

أما الآية الثانية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)﴾[الواقعة: ٦٨ - ٧٠] فهي تتحدث عن الماء.

٢ـ الآيتان فيهما تهديد، الأولى أنه تعالى لو شاء أنْ يجعل الزرع حطاماً فلا يمكن أنْ يكون طعاماً يؤكل أو يستفاد منه، وهذه عقوبة أشد من جعل الماء أجاجاً؛ لأنّ الماء الأجاج يمكن أنْ يُحوّل إلى ماء عذب، والتهديد لم يأت في الآية بغور الماء كلياً كما في تهديد جعل الزرع حطاماً، فكانت العقوبة في الزرع أشد من العقوبة في الماء، فجاء باللام لتأكيد التهديد في آية الزرع، وحذفها من آية التهديد بالماء، وهذه اللام تُسمى اللام المؤكدة.

٣ـ أمّا في النار فلم يذكر تحذيراً أو تهديداً، وإنما ذكر حالتها فقط: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)﴾

[الواقعة: ٧١ - ٧٣] لم يقل: لو نشاء لذهبنا بها؛ لأنّ الناس يمكن أنْ يعيشوا بلا نار، لكنْ لا يمكنهم أنْ يعيشوا بلا طعام أو ماء.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه:٩٧] الفعل الوحيد (ظلت) هو الذي ورد بهذه الصيغة وهي حذف أحد حرفي التشديد، مع أنّ المقام مقام مبالغة في العكوف، وليس مقام تقليل إذا اعتمدنا أنّ الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، وكذلك في سورة الواقعة ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فما العِلة من ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٩٧.



﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما تفسير الآيات ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الواقعة: ٦٦ - ٦٧]؟ وما دلالة استخدام لفظ الجمع (إنا ونحن)؟ لماذا أكّد الآية ٦٦ دون الآية ٦٧؟

الجواب :

١ـ المُغرَم: معناه: المدين الذي أثقلته الديون، نحن نستعمل المغرم بمعنى الذي وقع في الغرام، المُغرَم معناه يتقاضاه كما يتقاضى الغريم دينه. فإذن المُغرَم هو المدين، والمدين يتقاضاه الدائن.

٢ـ المحروم: مقتصر على نفسه وليس عنده شيء، لكن ليس بالضرورة أن يكون مديناً يتقاضاه أحد.

إذن المغرم مدين يتقاضاه الدائن، وأمّا المحروم فليس بالضرورة. إذن المُغرَم هو محروم وزيادة.

٣ـ أيهما الأولى بالتوكيد بالخسارة؟ المُغرم أولى بالتوكيد؛ لذا جاءت الآية ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾؛ لأنّ المغرم والمحروم ليسا بدرجة واحدة، المُغرم مطلوب يتقاضاه الدائن ويطلبه، والمغرم هو محروم وزيادة، فهو أولى بالتأكيد من حيث الخسارة، أمّا المحروم فهو محروم فقط، وهذه قاعدة رياضية.



﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في هذه الآية؟ وما دلالة المقوين؟

الجواب :

الكلام في الآية عن النار، و(المقوين) هم المسافرون الذين يذهبون في القواء، والقواء هو القفر.

وقسم قالوا: (المحتاجين)، قالوا القواء قد يكون بمعنى الاحتياج، وإذا كان بهذا المعنى ستكون من المشترك اللفظي؛ لأنّ المفردات أحياناً تشترك في أكثر من معنى.

لذلك قسم قال: القواء هو الاحتياج. و(المقوين) يعني المحتاجين، وقسم قالوا: هم المسافرون الذين ذهبوا في القواء، والقواء يعني القفر ويحتاجون النار في القفر إمّا للاستدفاء أو الطعام.

والنار(تذكرة) تذكرهم بالآخرة فهي تذكرة من ناحية، ومتاع من ناحية أخرى، متاع للانتفاع بها كما تذكر بالنارفي الآخرة؛ لأنه لو لم يعلموا النار كيف يذكرهم بالنار؟ فلا بدّ أنْ يعرفوها حتى يحذرهم ويخوفهم، فجعلها ربنا تذكرة ومتاعاً للمقوين.

وهذا اللفظ (متاعاً للمقوين) جيء به للامتنان، أي وهي أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران.



﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم؟ وما أركانه؟

الجواب :

القسم من أساليب التوكيد، وهو يتكون من ثلاثة أركان :

١ـ أدوات القسم: مثل الواو، الباء، التاء.

٢ـ المقسم به: مثل لفظ الجلالة (الله) أو بعض الألفاظ التي جرى استعمالها كمقسم به.

٣ـ جواب القسم: ويكون إمّا جملة اسمية مثبتة مع وجوب تأكيدها بإنّ وباللام أو بإنّ وحدها، مثل: (والله إنّ فاعلَ الخير لمحبوبٌ)، أو (والله إنّ فاعل الخير محبوبٌ).

أوجملة فعلية مثبتة فعلها ماضٍ مع تأكيد الجواب بقد واللام، أو قد وحدها، مثل: (والله لقد أطعت أمرك) أو(تالله قد أطعت أمرك).

أو جملة فعلية فعلها مضارع مثبت، ويؤكد بلام القسم ونون التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾[الأنبياء:٥٧].

أمّا إذا كان جواب القسم منفياً فإنه لا يؤكد، سواء كان جملة اسمية أو فعلية، مثل: (والله لا نجاح إلا بالمثابرة)، (والله ما يضيع مجهودك).

لمزيد من المعلومات انظر التفاصيل في آية سورة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾[يوسف:٨٥].

السؤال الثاني :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين (أقسم) و(حلف)؟

الجواب :

١ـ كل قَسَم ورد في القرآن بلفظ (الحلف) فيه معنى الحنث أو الحلف الكاذب.

* شواهد قرآنية :

[المائدة ٨٩ ـ المجادلة ١٤ ـ التوبة ١٠٧].

٢ـ وأما القسَم فهو عام استعمله القرآن في الكذب والصدق.

* شواهد قرآنية:

[الأعراف ٢١ـ ابراهيم ٤٤ ـ النور ٥٣ ـ الواقعة ٧٥ـ٧٦ ـ المعارج ٤٠].

السؤال الثالث :

ما دلالة القسم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ حيثما أقسم الله في القرآن الكريم ذاكراً فعل القسم ﴿أُقْسِمُ﴾ جاء بـ (لا) قبله فلم يقل مرة: أقسم بكذا، بل كل ما ورد ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾.

وكذلك جاءت (لا) في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء:٦٥].

٢ـ وقد تكررت لفظة: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ تسع مرات في القرآن الكريم.

٣ـ لفظة: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ لون من ألوان القسم في اللغة العربية. فعندما تخبر صاحبك عن أمر يجهله أو ينكره قد يحتاج إلى قسم لتوكيده، لكنك تقول له: لا داعي لأنْ أحلف لك على هذا، وهذا مستعمل في اللغة الدارجة عندنا. تقول مثلاً: ما أحلف لك أنّ الأمر كيت وكيت فأنت تخبره بالأمر، وتقول له لا داعي للحلف بالمعظمات على هذا الأمر.

أو تقول لصديقك: لا أريد أنْ أحلف إنْ قدمت فزرنا، أو لابنك: ما أريد أنْ أوصيك بالدراسة، وأنت تريد حقا توصيته بها. فهذا من هذا الضرب والله أعلم.

٤ـ لذلك يكون معنى ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أنّ هذا الأمر أمر واضح لا يحتاج إلى قسم، ومع ذلك سأقسم لك، ونفي القسم هنا أشد من القسم المثبت؛ لأنّ القسم إنما يأتي لتأكيد المقسم عليه.

وبصورة مختصرة (لا) إمّا للتوكيد، وإمّا نافية بقصد تعظيم المقسم.

* أمثلة للتوكيد :

والله لا أفعل: قسم يفيد أنه لا يفعل.

لا والله لا أفعل: قسم يفيد أنه لا يفعل مع زيادة التوكيد بـ (لا).

لا أريد أن أوصيك بالدراسة: نفي ظاهري يفيد التوكيد.

* مثال لتعظيم المقسم.

لا أقسم: أي أنّ هذا الأمر أمر واضح لا يحتاج إلى قسم، ومع ذلك سأقسم لك.

السؤال الرابع :

ما فلسفة القسم؟

الجواب :

من فلسفة القسم أنْ يكون المقسمُ به أعظمَ من المقسم عليه، فإذا كان المقسم به في مرتبة المقسم عليه، أو كان المقسم به أدنى مرتبة من المقسم عليه عندها لا يكون القسم في حقيقته إلا في الشكل.

*شواهد من القرآن الكريم :

أ ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج: ٤٠] ـ

المقسم به: رب المشارق والمغارب.

المقسم عليه: القدرة.

المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية في المرتبة نفسها أي الخالق عزّوجلّ وقدرته.

ب ـ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١ - ٢].

المقسم به: يوم القيامة والنفس اللوامة.

المقسم عليه: قدرة الله على البعث.

لا شك أنّ المقسم عليه، وهو صفة من صفات الله تعالى هو أعظم من يوم القيامة وأعظم من النفس اللوامة.

ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم استخدم ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ لأنّ القسم في حقيقته هنا قسم في الشكل، ولا ينسجم مع فلسفة القسم كما أوردنا.

وحيث إنه لا أعلى مرتبة من الله تعالى وهو المقسم به، وكل المقسم عليه هو أدنى مرتبة من المقسم به؛ لذلك لا يوجد قسم من الله تعالى في القرآن يستحق لفظة (أقسم)، وإنما هو في حقيقته قسم في الشكل. والله أعلم.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما تفسير كلمة (المطهرون) في الآية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[الواقعة:٧٩]؟

الجواب :

١ـ المطهَّرون هم الملائكة، والمُطهّر اسم مفعول، وهي تعني: مُطهّر من قِبَل الله تعالى، والقرآن الكريم لم يستعمل (المطهّرين) للبشر مطلقاً وإنما يستعمل (متطهرين).

كما في الآيات:

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾[البقرة:٢٥].

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾﴾[عبس: ١٣ - ١٤] فإذن (المطهَّرون) لم تأت في القرآن للبشر، إنما أتت في أزواج الجنة. وقوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩] مكنون أي: محفوظ، ولا تستطيع الشياطين أن تمسه.

٢ـ ثم إنه من حيث اللغة (لا) هنا نافية، وليست ناهية في هذه الجملة ولا يمكن أنْ تكون ناهية في النحو بدليل أنّ الفعل مرفوع ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ولو كانت ناهية تجزم، إمّا أن يقول: (لا يمسسه) وإمّا يقول: (لا يمسَّه) بالفتح. (في حالة التقاء ساكنين)

لذلك لا يمكن في النحو أنْ تكون (لا) ناهية هنا في هذا الموطن، وإنما نافية قطعاً من الناحية النحوية.

لذلك فإنّ (لا) هنا نافية، و(المطهرون) في القرآن لم تستعمل للبشر، وإنما استعملت للملائكة أو الأزواج في الجنة. ويستعمل للبشر [المتطهرين والمطهِّرين].

٣ـ وهذه الآية من الناحية اللغوية لا تنص شرعاً على عدم جواز مس المصحف إلا بوضوء إلا إذا كان في الأحاديث ما ينصّ على ذلك. وهناك حديث عن عدم جواز مس المصحف للجُنُب. وإذا كان هناك نصٌّ يحكم فهو يحكم بدلالته، لكن ليس بدلالة هذه الآية.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾[الواقعة:٧٧] أي هو مقروء كريم لا يهون بكثرة التلاوة، ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري. ومن هنا وُصف القرآن بالحديث، فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة. وجاءت الآية بالصيغة الاسمية المؤكدة بإنّ واللام.

٢ـ قوله: ﴿ فِي كِتَٰبٖ ﴾[الواقعة:٧٨] هو اللوح المحفوظ، والمكنون هو المحفوظ. وفائدة كونه ﴿ فِي كِتَٰبٖ ﴾ هو لتأكيد الرد على الكفار؛ لأنهم كانوا يقولون: إنه مفترى، فلمّا قال (مقروء) اندفع كلامهم.

وأمّا قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ [الواقعة:٧٨] فهو ردٌّ على من قال: إنه أساطير الأولين.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة:٧٩] الضمير عائد على الكتاب أو هو عائد إلى ما عاد إليه المضمر من قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾، ومعناه: لا يمس القرآن إلا المطهرون، والصيغة إخبار، لكنّ الخلاف هل هو بمعنى النهي؟

والمطهرون: هم الملائكة طهرهم الله في أول أمرهم وأبقاهم كذلك طول عمرهم، ولو كان المراد نفي الحدث لقال: لا يمسه إلا المتطهرون أو المطّهّرون.

و بالطبع لا ينصرف النفي إلى النهي إلا بدليل أو نص.

٤ـ قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الواقعة:٨٠] مصدر، والقرآن الذي في كتاب ليس تنزيلاً، إنما هو منزّل، فذكر المصدر وإرادة المفعول.

والتنزيل والمنزل كلاهما مفعولان ولهما تعلق بالفاعل، لكنّ تعلق الفاعل بالمصدر أكثر، وتعلق المفعول عبارة عن الوصف القائم له.

ومن ناحية أخرى قد يُذكر المفعول ويُراد به المصدر، كما في قوله: ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ أي دخول صدق أو إدخال صدق. وقال تعالى: ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي تمزيق، فالممزق من التمزيق كالمنزل من التنزيل وعلى العكس سواء.

وفي البلاغة أنّ الفعل لا يُرى والمفعول به يصير مرئياً، والمرئي أقوى في العلم، وهو فعل معلوم لكل أحد، فيصير التمزق هنا كما صار الممزق ثابتاً مرئياً.

٥ـ قوله: ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ هو لتعظيم القرآن؛ لأنّ الكلام يعظم بعظمة المتكلم.



﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤﴾

السؤال الأول:

الوفاة والموت، هل لحظة الوفاة تعتبر هي اللحظة التي لا تقبل فيها التوبة؟ ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣﴾[الواقعة:٨٣] أي في حالة الغرغرة؟

الجواب:

هذا سؤال فقهي، لكنْ نقول إنّ الوفاة حالة غير اختيارية، أي أنه ليس عالماً بما يفعل؛ لأنهم يقولون: الوفاة هي النوم ،فإذا لم يكن عالماً ما يفعل أو مختاراً فالتوبة لا تقع.

السؤال الثاني:

ما تفسير الآية ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤﴾ [الواقعة:٨٤] فهل يمكن أنْ يبصر الإنسان الملك الذي يقبض روحه؟

الجواب:

هذه فيها أحاديث، والقرآن يشير إلى هذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[فُصِّلَت:٣٠] هذا قيل عند النزع.

وفي الحديث عند النزع أنّ الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة من هذا الجسد الذي تعمرينه إلى روح وريحان ورب غير غضبان. وهناك أكثر من

حديث في هذا فيه تبشير لهؤلاء، وفيه إنذار للآخرين، كما في الآيات: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام:٩٣] هذا عند النزع، وعند سكرات الموت ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الأنعام:٩٣] هذه في السكرات.

إذن هناك أحاديث أنه عند النزع يبشر المؤمن ويهان الكافر ويضرب ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[الأنفال:٥٠].

ونفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٤ – ٨٥] أنتم تنظرون إلى الميت حين النزع، لكن لا تبصرون نحن لا نبصر لكن الميّت هو الذي يُبصر.

هناك فرق بين (الإبصار) و(النظر)، فالإبصار هو وقوع الرؤية، وأمّا النظر فليس بالضرورة، وعندما نقول (أبصر) فهو إدراك الشيء، بينما أنا أنظرإلى الهلال فليس بالضرورة أني أراه، لكن إذا أبصرت الهلال فقد وقعت الرؤية.



﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

السؤال الأول :

عرّف (النعيم) باللام وقال: في آخر السورة ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الواقعة:٨٩] والمذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة واللفظ نكرة ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وهذه معرفة بالإضافة، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ١٢.



﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول :

قدّم الضال على المكذب في الآية ٥١ وعكس الوضع في الآية ٩٢ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٥١.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الواقعة مع خواتيمها :

ذكر في أولها الواقعة ونهاية الأرض: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾[الواقعة: ٤ -٦].

وذكر انقسام الخلق إلى أزواج ثلاثة: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، فذكر المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

وذكر في خاتمة السورة خاتمة الإنسان، وذكر أقسامه، وهي الأقسام التي ذكرها في أول السورة، فقال :

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ – ٩٤].

فالمناسبة ظاهرة لا تحتاج إلى بيان. والله أعلم.

سورة الحديد

أولاً ـ تناسب خواتيم الواقعة مع فواتح الحديد :

ختمت سورة الواقعة بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٩٦].

وافتتحت سورة الحديد بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١].

جاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها بالواقعة أنها بُدئت بذكر التسبيح وتلك ختمت بالأمر به. وكان أولها واقعاً موقع العلة للأمر به فكأنه قيل: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٩٦]؛ لأنه سبح له ما في السماوات والأرض)).

ثانياً ـ هدف السورة : التوازن بين المادية والروحانية :

السورة مدنية، وهي تدل في آياتها على أنه علينا التوازن بين المادية والروحانية، وتحدثت السورة عن نوعين من الناس: الماديين الذين أخذتهم الحياة، وخاطبهم الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦]، وتكلمت عن الذين عاشوا في روحانية مطلقة وخاطبهم الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ

﴿٢٧﴾ [الحديد:٢٧] والنموذجان لم يستطيعا أنْ يكملا حمل الرسالة والمنهج. وجاءت الآية بعد خطاب الماديين: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد:١٧] أنّ الله الذي يحيي الأرض بعد موتها، فالله تعالى هو القادر على إحياء الأرض بعد موتها، قادر على أنْ يحيي القلوب في الصدور.

فالسورة تقول مخاطبة أمة محمد: أنتم لستم ماديين كبني إسرائيل ولستم متفرغين للروحانية كالنصارى، إنما أنتم متوازنون بين الاثنين.

وفي السورة آية محورية هي من أهم آيات السورة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:٢٥] فقوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد:٢٥] تدل على الروحانية، وقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ تدل على الماديّة.

وعليها سميّت السورة: (الحديد) وفي قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [الحديد:٢٥] إشارة إلى استعمال الحديد في الصناعات وعدة الحروب والغواصات والمدافع والسيوف والرماح.

فيا أمّة محمد عليه السلام يا أمّة الحديد وأمّة الإيمان وازنوا؛ لأنّ الكون كله متوازن؛ ولذا بدأت السورة بعرض كل المتضادات في الكون وكل شيء متوازن بأمر الله تعالى، فهل يعقل أنْ تكون أمة سورة الحديد ليس لديها تكنولوجيا؟ فعلينا أنْ نهتم بالصناعات التي فيها قوة الإنسان في السلم وفي الحرب وعدّته في البنيان والعمران.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

نظرة عامة:

تبدأ سورة الحديد بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١]

هل لها علاقة بما قبلها؟

سورة الواقعة والتي تنتهي بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٩٦] قال بعدها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١] يعني: لقد سبّح لله، فسبِّح أنت توافق مع ما في السموات والأرض، هؤلاء كلهم سبحوا الله سبحانه وتعالى فسبِّح أنت باسم ربك العظيم. لا شك أنّ هذه مناسبة بيانية لطيفة.



﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ﴾ ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

١ـ التسبيح هو التنزيه عما لا يليق، وأصل التسبيح هو التنزيه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي نزّهه، وكل شيء يسبح بحمد الله بما نفقه وبما لا نفقه من تسبيحهم ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] والطير تسبّح والأشجار تسبّح، وكل شيء يسبح ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥] ولكن لا نفقه تسبيحها.

٢ـ التسبيح هو التنزيه عن كل ما لا يليق عن كل نقص، سواء أنْ تقول لله ولد، أو تشبهه بخلقه، أو أي شيء لا يليق بذاته.

٣ـ التسبيح ورد في صور شتّى: ورد التسبيح بالفعل الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ وورد بالفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ وورد بفعل الأمر ﴿فَسَبِّحْ﴾ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾[الأعلى:١] وورد باسم المصدر ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسراء:١] كل هذا ورد في القرآن، لماذا؟

(سبّح) للزمن الماضي، (يسبح) للزمن المضارع للحال والاستقبال والمضارع يفيد للاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج:١٧] فهذا في يوم القيامة، حتى أنّ بعض النحاة قالوا :هو للاستقبال أولاً ثم للحال. و ﴿سَبِّحِ﴾ بصيغة فعل الأمر وهو يدل على أنْ تبدأ به وتستمر، و(سبحان) اسم مصدر. واسم المصدر قريب من المصدر، و(سبحان) معناه أن الله علمٌ على التنزيه.

ونلاحظ أنّ الفعل مرتبط بزمن وبفاعل حتى يكون فعلاً، وأمّا المصدر فهو الحدث المجرّد الذي ليس له زمن ولا فاعل.

٤ـ إذن صار التنزيه استغراق الزمن الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ والحال والمستقبل ﴿يُسَبِّحُ﴾ والأمر بالتسبيح ومداومته ﴿سَبِّحِ﴾ وسبحان بالمصدر، لأنّ التسبيح لله وإنْ لم يكنْ هناك من لم يسبح في السموات والأرض قبل الزمان وبعد الزمان، إنْ كان أحد أو لم يكنْ، فهو يستحق التنزيه سبحانه سواء كان هناك من يسبح بفاعل أو بدون فاعل، فاستغرق

جميع الأزمنة وقبل الأزمنة وبعد الأزمنة، واستغرق الخلق وما قبل الخلق وما بعد الخلق.

٥ـ ورد التسبيح بصيغ مختلفة: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى:١] فذكر الاسم، و﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب:٤٢] لم يذكر الاسم وذكر المفعول به مباشرة (سبّحوه) و ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى:١] فعل متعد بنفسه بالاسم، و﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ سبّح متعد بالباء، فالتعدية بالاسم وبالحمد.

٦ـ ﴿سَبَّحَ﴾ هو في الأصل فعل متعد. والفعل اللازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يأخذ مفعولا به، مثل ذهب ومشى ونام ،وأمّا الفعل المتعدي فيتعدى إلى مفعول به مثل: أعطى، وأحياناً يكون متعدياً إلى مفعولين أو يذكر مفعولاً واحداً.

وأحياناً يُستعمل المتعدي كاللازم بحسب الحاجة، مثلاً نحو: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥] ماذا يعطيك؟ أطلق العطاء ولم يقيّده بأمر معيّن. وقالوا: يستعمل استعمال اللازم. وأحياناً لا يذكر المفعول به أصلاً كما في الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧] الفعل (سمع) متعد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢] (علم) تأخذ مفعولين وما ذكرها؛ لأنه أراد الفعل بالذات ولم يُرِد المتعلق.

وقد نستعمل المتعدي كاللازم عندما نريد الفعل لكن ليس مرتبطاً بالمفعول به، كما تقول مثلاً: فلان يعطي ويمنع، ماذا يعطي؟ وماذا يمنع؟ كما في الآية :﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه:٤٦] هو يسمع ويرى ولا يقيّد بشيء معين.

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ﴾ يستخدمه القرآن (متعدياً بنفسه) مرة أو بـ (حرف جرّ) مرة أخرى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

١ـ (سبّح) أي نزّه، (سبّح لله) اللام للتعليل بمعنى الإخلاص، أي تسبّحه لأجله، كما في الآية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[الأنعام:١٦٢] ويسمونها لام التعليل لبيان العِلّة، وهي تدل على الإخلاص.

فقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي أخلص التسبيح له، فمن صلّى ولم يُصَلِّ لله فلا تقبل صلاته؛ لأنه لم يُصَلِ لله، هو قام بالفعل لكنْ لم يصل لله لأنه لم يُخلِص، ولو سبّح أمام الناس لكنْ لم يكن التسبيح لله فهو لم يسبح لله، هذا هو الإخلاص وهومعقد النية التي تتحول إلى عبادة.

٢ـ إذن هناك فرق بين: ﴿سَبَّحَ﴾ أي قام بالفعل، لكنْ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ معناه أنه قام بالفعل وأخلص التسبيح له، ولو نسك لغير الله فلا يُقبل.

وإذا تعدى الفعل بنفسه نحو: (سبّحه) معناه: قام بالفعل، وأمّا ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ فاللام للتعليل، أي لأجله. إذن ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي سبّح الله بإخلاص.

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحديد:١] ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الحشر:١] فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

١ـ في كل القرآن في آيات التسبيح كلها بلا استثناء إذا كرّر (ما) يعقب الآية بالكلام عن أهل الأرض.

فإذا قال: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعقب الكلام لأهل الأرض كما في الآية: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾[الصف: ١ - ٢] الكلام عن أهل الأرض.

وفي سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[الحشر: ١ - ٢] الكلام عن أهل الأرض].

٢ـ وإذا لم يكرر (ما) لا يذكر أهل الأرض ولا يعقبها، وإنما يعقبها بشيء عن نفسه أو شيء آخر، كما في الآية: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾[الحديد: ١ - ٢] لم يتكلم عن أهل الأرض.

لذلك في جميع القرآن في آيات التسبيح حيث كرّر (ما) يعقب الآية بالكلام عن أهل الأرض.

ونلاحظ أنه في سورة الحشر بدأ بتكرار (ما) في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾[الحشر:١] وانتهت السورة بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ

﴿ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٤] ولم يكرر (ما)؛ لأنه لم يأت بعدها كلام عن أهل الأرض وانتهت السورة.

ولذلك نقول: القرآن تعبير فني مقصود، فكل كلمة، وكل تعبير، وكل ذكر، وكل حذف قُصِد قصداً، ولم يأت هكذا.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

لا بدّ في الكلامِ البليغِ من سببٍ للذكر والحذف، وخصوصاً في القرآن الكريم الذي هو أعلى الكلام.

لذا نذكر هنا بعض القواعد العامة في القرآن الكريم التي تبين متى يكرر اسم الموصول مع آيات التسبيح خاصة، ومن ذلك أنه :

١ ـ إذا قُصد التنصيص على الأفراد تكرر ذكر الموصول، أي إذا قُصد التنصيص على كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التخصيص كرّر اسم الموصول. كما في الآيات [الزمر (٦٨) والنمل (٨٧) وطه (٦) والحشر (١) ويونس (٦٦) والبقرة (٢٥٥)].

٢ ـ وأمّا إذا قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلامرة واحدة، إشارةً إلى قصد الجنس وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية، كما في الآيات [الرحمن ـ ٢٩ ـ والبقرة ـ ١١٦ـ والحديد ١].

٣ ـ إذا كان الموطنُ دالاً على التفصيل والإحاطة كرّر اسم الموصول بخلاف ما إذا كان الكلام مجملاً غير مفصل. انظر سورة المجادلة (٦:٧) لتجد فيها من ذكرٍ لسعةِ علم الله وشموله وإحاطته بالجزيئات والتفصيلات ما ليس في آية العنكبوت٥٢، فلمّا فصّل في آية المجادلة أعاد ذكر (ما) ولمّا أجمل في العنكبوت أجمل في ذكر الموصول فلم يُعِد ذكرَه.

السؤال الخامس :

ما بعض ملامح سورة الحديد؟

الجواب :

١ـ بدأت السورة بالتسبيح، وكأنها مرتبطة مع قوله تعالى في ختام السورة التي قبلها؛ أي سورة الواقعة: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الواقعة:٩٦].

٢ـ كل السور التي تبدأ بالتسبيح يكون في بدايتها الاسمان الكريمان: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ أو شبيهان بهما، كما في سورة التغابن.

٣ـ ذُكر في السورة من صفات الله تعالى ما لم يذكر في موضع آخر في القرآن: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد:٣].

٤ـ جاء في السورة الأمر بالإيمان بالله ورسوله أكثر من مرة، وليس أركان الإيمان عموماً، وهذه تطبع السورة عموماً بالإيمان بالله ورسوله دون الإيمان بالأمور الأخرى. والسبب أنه طالما آمن بالله ورسوله فستأتي بقية الأركان تباعاً.

٥ـ ذكر الإنفاق خصوصاً، ولم يذكر عموم العمل الصالح، وقد ذكر القتال فقط ولم يحض عليه.

٦ـ ذكر من مشاهد يوم القيامة مشهداً لم يذكر في مكان آخر: السُور ومساءلة المنافقين والمحاورة بين المنافقين والمؤمنين.

٧ـ أهاب بالمؤمنين أنْ تخشع قلوبهم لذكر الله.

٨ـ بيّن الله أمراً هاماً في الحياة، وهو أنّ الحق لا يقوم بنفسه وإنما يحتاج إلى قوة لتحميه ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾.

٩ـ ذكر الله في أكثر من مكان في السورة تفضله على عباده: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١] حتى في الجنة ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

١٠ـ ذكر أنّ المؤمنين يؤتيهم كفلين من رحمته، وهذا من الفضل العظيم من الله لعباده المؤمنين.

١١ـ ذكر الإنفاق، وإذا ذكر الإنفاق وحده يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

وإذا ذكر الإيمان والإنفاق يقول: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد:٧]؛ لأنه اتسعت الدائرة وكبرت فيقول: ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. والله أعلم.

السؤال السادس :

ما الفرق بين (ما) و (من) في الاستخدام اللغوي؟

الجواب :

١ـ في اللغة تستعمل (ما) لذوات غير العاقل، نحو: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾[طه:٦٩] ماذا في يمينه؟ عصاه، ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ لذات غير العاقل، كما تستعمل (ما) لصفات العقلاء. تقول من هذا؟ هذا فلان، تسأل ما هو؟ تسأل عن صفته فيقال مثلاً هو: تاجر، (من هو؟) تسأل عن ذاته.

إذن (ما) هي تستعمل لأمرين: لذات غير العاقل ولصفات العقلاء، وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] أي: انكحوا الطيب من النساء أي (صفات العاقل).

وربنا سبحانه وتعالى يستخدمها لنفسه، كما جاء في سورة الشمس ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾[الشمس:٧] فهو يتكلم عن نفسه سبحانه.

٢ـ (ما) تقع أيضاً على صفات أولي العلم جميعاً، حتى قسم من النُحاة يحدد بشكل أدق بأنّ (ما) لا تقع مع صفات أولي العقل، بل مع صفات أولي العلم؛ لأنّ الله تعالى لا يوصف بالعقل، ولا يصف نفسه أنه العاقل، وإنما العالِم، فيقول النحاة إنّ (ما) تستعمل لذوي العلم وذوات غير العاقل.

في سورة الليل قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] من الخالق؟ الله سبحانه وتعالى.

في سورة الكافرون قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾[الكافرون:٣] ما أعبد هو الله تعالى، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ [الكافرون:٤] الأصنام غير عاقلة و(ما) تستعمل لذوات غير العاقل، وتستعمل لصفات العقلاء.

٣ـ (من) إذا انفردت تكون لذوات العقلاء تحديداً، وقد تستعمل في مواطن تخرج عن هذا الأمر، مثلاً: عندما أنت تُنزِلُ غير العاقل منزلة العاقل، تتكلم مع حصانك مثلاً فيقولون لك: من تُكلِّم؟ تقول: أكلِّم من يفهمني، وهذا تجوّز.

في الأصل أنّ (من) لذات العاقل، وأحياناً يشترك العاقل مع غير العاقل فتطلق عليهم (من) فيصير تفصيلاً، كما في الآية: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٤٥﴾[النور:٤٥] من يمشي على بطنه غير العاقل، ومن يمشي على رجلين الإنسان.

لذلك إذا اجتمعت في عموم فصّل بـ(من) ولها مواطن، أمّا إذا انفردت فلا تكون إلا للعاقل ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾[المُلك:١٤] وهذا لذي العِلم.

السؤال السابع:

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي، وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

١ـ نلاحظ أن كل سورة تبدأ بـ﴿سَبَّحَ﴾ بالفعل الماضي لا بد أنْ يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن، و أمّا المبدوءة بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ فليس فيها ذكر للقتال أبداً.

فسورة الصف بدأت بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف:١]ثم جاء بعدها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[الصف:٤] وكل السور التي تبدأ بـ﴿سَبَّحَ﴾ لا بدّ أن يجري فيها ذكر القتال.

وكذلك الأمر في سورة الحديد، فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحديد:١] ثم جاء بعدها: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾[الحديد:١٠] وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ﴿سَبَّحَ﴾ إلا ويجري فيها ذكر للقتال، وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ إلا لم يذكر فيها القتال.

٢ـ عندما يقول: ﴿يُسَبِّحُ﴾ الفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال ولا يذكر القتال في السورة، وكأنما هو توجيه – والله أعلم – للخلق في حاضرهم ومستقبلهم أنْ لا يتقاتلوا فيما بينهم، أنْ يتفاهموا، أنْ يتحاوروا، أنْ يتحادثوا، أنْ تكون صدورهم رحبة، فهذا أنفع لهم من القتال، فالماضي ﴿سَبَّحَ﴾ ذهب وانتهى، لكنْ ﴿يُسَبِّحُ﴾ كأنه توجيه لعباده.

والرابط بين القتال والتسبيح هو التنزيه عما لا يليق، والقتال مما لا يليق كما قالت الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة:٣٠].

٣ـ طبعاً الفعل الماضي لا يراد به المضي فقط، وإنما قد يراد به المواصلة والاستمرار، فعندما يأتي قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ يعني هذه الموجودات سبّحت لله سبحانه وتعالى ونزهته وقدسته، لكنها هي ماضية على ذلك.

وعندما يكون الحديث محتاجاً إلى ذكر للحاضر والمستقبل (أي للاستمرار) يستعمل الفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾.

ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[الجمعة:١] لكن انظر كيف قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾[الجمعة:٢] الكلام عن الرسالة، والرسالة حاضرة ومستقبلة؛ لذا قال: ﴿يَتۡلُواْ﴾ وما قال (تلا)، فلذلك الفعل (يسبح) ينسجم مع الأفعال [يتلو ويعلّم ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب].

فلمّا كان الكلام كلاماً عن حاضر ومستقبل، استعمل الفعل (يسبح)، ولمّا كان الكلام مطلقاً استعمل الفعل الثابت (سبّح). والله أعلم.

السؤال الثامن :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:١]؟

الجواب :

التقديم حسب الاهتمام في البلاغة، هل الكلام عن الفاعل الآن، أو عن مستحق التسبيح؟

لمّا كان الكلام عن الله وليس عن الفاعل قدّم الجار والمجرور، إضافة إلى أنه يفيد الحصر والقصر.

السؤال التاسع :

لماذا قدّم السموات على الأرض؟

الجواب :

لو سألنا: من الذي كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ الجواب أهل السماء؛ لأنّ أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، وهم موجودون قبل أنْ يخلق آدم، فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، وبمن هو أدوم تسبيحاً ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨] فهم أدوم في هذه العبادة.

السؤال العاشر :

ما دلالة ذكر الاسمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ العزيز: في اللغة هو الغالب الممتنع، فهو إشارة إلى كمال القدرة.

٢ـ الحكيم: هو العالم بجميع الجزئيات والكليات وتكون أعماله على وفق الحكمة والصواب.

والحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً ،ويقولون: هي: (توفيق العلم بالعمل)، والله تعالى ذو الحكمة البالغة.

وكلمة ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ لها دلالتان: إمّا أنْ تكون من الحُكم أو من الحِكمة. وكلمة (الحكيم) قد تكون اسم مفعول بمعنى محكم (مثل قتيل بمعنى مقتول)، كما في قوله تعالى في سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١] يعني (مُحكم).

وهنا في هذه الآية (حكيم) لها دلالتان: حكيم من الحُكم، وحكيم من الحِكمة، وتجمع المعنيين للتوسع في المعنى. والمعنيان مرادان.

٣ـ هذا الجمع ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أجمل جمع: فالعزيز قد يكون حكيماً وقد لا يكون حكيماً، وقد يكون حاكماً وقد لا يكون حاكماً، والحاكم هو منتهى العزة فصار كمال العزة بالحكم أعزّ شيء.

ومن جهة أخرى إذا كان العزيز متهوراً تكون عزّته صفة ذم، فإذن ينبغي أنْ يتمم بالحكمة. وربُّنا تعالى هو العزيز الحكيم والحاكم الحكيم، كمُل في العزة بالحُكم فكان أعلى شيء؛ لأنّ منتهى العزة أنْ يكون حاكماً وأكمل الكمال عندما كان عزيزاً، فهو حكيم وهو عزيز. إذن اجتمعت العزة والحكم والحكمة. ولو كان عزيزاً غير حكيم

تكون صفة ذم، ولو كان حاكماً غير حكيم تكون صفة ذم. إذن الاثنان مرادان. وقدّم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزّ فحكم، وليس عندنا في القرآن الكريم (حكيم عزيز).

السؤال الحادي عشر :

ما الحكمة من تقديم العزة على الحكمة؟

الجواب :

العزة قد لا يكون صاحبها حكيماً، فهو تدرج، فبدأ بما هو أقل ثم انتقل للأعلى، فهو يكون عزيزاً ثم يكون حاكماً، كيف يكون حاكماً؟ كيف وصل إلى الحكم إذا لم يكن هناك جماعة تعزّه فتوصلهِ إلى الحكم؟ لا بدّ أنّ هناك جماعة أوصلوه، ولا بدّ أنْ يكون عزيزاً عند هؤلاء حتى أوصلوه، إذن عزّ فحكم.

السؤال الثاني عشر :

ما دلالة تعريف الاسمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؟

الجواب :

١ـ قال:﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بالتعريف، ولم يقل هو (عزيز حكيم) بالتنكير؛ لأنه أراد أن يقصر العزة عليه وحده لا عزّة لغيره على سبيل الحقيقة، فهو (العزيز).

و(الحكيم) هو الحاكم في الحقيقة ولا حاكم سواه على وجه الحقيقة.

والله تعالى هو الذي يعزّ ويذلّ ويؤتي الحكم وينزعه، كما في قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦] إذن هو صاحب العزة والحكمة ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ﴾

[البقرة:٢٦٩]، وهوأيضاً صاحب الحكم ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد:٤١] وهذا التعريف يفيد القصر على أنه لا عزّة لغيره على سبيل الحقيقة.

وقد استخدمت كلمة ﴿عَزِيزٌ﴾ نكرة في القرآن، وهذا بحسب السياق الذي تأتي فيه.

٢ـ لفظ ﴿هُوَ﴾ يفيد الحصر.



﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ذكر سابقاً أنه سبح له ما في السموات والأرض، ثم ذكر هنا أنّ له ملك السموات والأرض، وهذا يقتضي أنه ملك ما فيهما، وقدّم الجار والمجرور للحصر، أي لا مُلك لأحد سواه على الحقيقة.

٢ـ المَلِك الحق هو الذي يستغني في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه. ويحتاج كلُ ما عداه إليه في ذواتهم وفي صفاتهم، والموصوف بهذين الأمرين ليس إلا هو سبحانه.

٣ـ قوله: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من المعلوم أنّ مُلك السماوات والأرض بالنسبة إلى كمال ملكه أقل من الذرة، بل لا نسبة إلى كمال ملكه أصلاً، لكنه سبحانه وتعالى ذكر مُلك السماوات والأرض؛ لأنه شيء محسوس مشاهد؛ ولأنّ أكثر الناس يصعب عليهم الترقي من المحسوس إلى المعقول.

٤ـ لم يقل هنا: (له ملك السماوات والأرض وما بينهما)؛ لأنّ القرآن في كل موطن يقول: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يأتي بالتعقيب على من يذكر الله فيما يليق [انظرآية المائدة ١٧ـ١٨] ويأتي بذكر الملل الثلاث في السياق (اليهود والنصارى والمسلمين) وأمّا ما لم يرد في السياق ذلك فلا يذكر﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

انظر[آيات المائدة: ١٢ـ١٤] وكذلك [آيات الزخرف: ٤٦ـ ٥٦].

ومن الطريف أنه عندما يذكر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ﴾[المائدة:١٧] وهي ثلاثة يذكر الملل الثلاثة.

وهنا آية الحديد فيها تنزيه لله تعالى، وليس فيها ذكر للملل الثلاث، فلم يذكر (وما بينهما).

٥ـ قوله: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ إشارة إلى ذكر دلائل الأنفس بعد ذكر دلائل الآفاق. ومعناه أنّ الله هو القادر على خلق الحياة والموت، وهو المنزّه في كل ما يفعل.

وقوله: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ أي هو المنزّه في كل ما يفعل، في إحيائه وفي إماتته، وفي كل شيء، وهذا يدل على التوحيد.

وقدّم الحياة على الموت؛ لأنه الأصل للأحياء، وجاء بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

٦ـ لمّا ذكر دلائل الآفاق أولاً ودلائل الأنفس ثانياً، ذكر لفظاً تناول الكل فقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾[الحديد:٢] :

أ ـ وجاء بالضمير ﴿هُوَ﴾ للعموم والحصر.

ب ـ وجاء بصيغة ﴿قَدِيرٌ﴾ للمبالغة، ولم يقل (قادر)، ويستعملها القرآن إذا عمّم القدرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ أو أطلقها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾.

أمّا إذا قيدها فيأتي باسم الفاعل (قادر)، فإنه لا يطلقه ولا يعممه بل يقيده كما في آية الأنعام ٦٥ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[الأنعام:٦٥] وآية يس ٨١.

٧ـ وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ أي لا حكيم سواه ولا عزيز سواه، وهو الحاكم في كل شيء.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾[الحديد:٢] ما دلالة ورود هذه الآية بعد الآية الأولى؟ وهل هناك علاقة رابطة بينهما؟

الجواب :

١ـ الشخص قد يُحمد في ذاته حتى إنْ لم يكن مالكاً أو مَلِكاً، فإنْ حكم فقد يتغير. والشخص ربما تعرفه في ذاته أنه جيد فإذا صار مَلِكاً فقد يتغير.

٢ـ وربنا تعالى ذكر أنه منزّه في جميع أحواله: منزه في ذاته ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ قبل أنْ يكون هناك مُلك وقبل أنْ يكون هناك أحد، ومنزّه في صفاته، منزه في عزته، منزه في حكمته، منزه في حكمه، منزّه في ملكه، منزّه في إحيائه وإماتته، لا يحيي ويميت عن عبث وإنما لحكمة، فهو منزه في كل ذلك، لا يفعل ذلك إلا عن حكمة.

٣ـ وهذا يدل على خضوع أهل السموات والأرض له خضوع قهر وخضوع عبادة، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥﴾ [الحديد:٥] ورب العالمين وصف تعالى نفسه بالقهار ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ والقهر هو التمكن، وهذا خضوع قهر.

وكثير من الرؤساء في الدول يُخضِعون رعيتهم خضوع قهر.

٤ـ وعباد الله سبحانه وتعالى يخضعون له في ملكه خضوعين: خضوع قهر وخضوع عبادة. العبادة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ والقهر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ وهذا قهر، وسبحان من قهر عباده بالموت.

٥ـ إذن هذه الآية جمعت تنزيه وخضوع العبادة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ وكذلك خضوع القهر بما ذكر من الصفات، فهو منزّه في ذاته وصفاته سبحانه.

السؤال الثالث:

ورد في بعض آي القرآن الكريم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أما في هذه السورة فلم يرد (ما بينهما)، فهل لهذا دلالة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ١٨.

السؤال الرابع:

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ [الحديد:٢] لِمَ لَمْ يقل (قادر)؟

الجواب:

١ـ هو قدير على كل شيء، فأراد كل شيء حصراً وعلى العموم.

٢ـ هنا قال: ﴿قَدِيرٌ﴾ ولم يقل (قادر)، مع أنه استخدم (قادر) في مواطن أخرى في القرآن؛ لأنّ (قدير) من صيغ المبالغة على وزن (فعيل).

٣ـ إذا عمّم القدرة أو أطلقها يستعمل المبالغة: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ويستخدم ﴿قَدِيرٌ﴾.

٤ـ وإذا قيّدها بشيء يقول: ﴿قَادِرٌ﴾ كما في الآية ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام:٣٧] قُيّدت بإنزال آية.

وكما في الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام:٦٥] قيدت بالعذاب.

لذلك إذا قيّدها يقول (قادر)؛ لأنّ (قادر) اسم فاعل وليس مبالغة كما في الآية ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس:٨١].

٥ـ (قادر) اسم فاعل من فعل (قدر). (قدير) صيغة مبالغة. (قدر) هي مشترك لفظي ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي لها أكثر من معنى.



﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الدلالة العامة لهذه الآية؟

الجواب :

أحسن تفسير للآية، كما قال النبي ﷺ في دعائه: «**اللهم أنت الأول ليس قبلك شيء و أنت الآخر ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

١ـ (الأول) الذي ليس لوجوده بداية، وهو قبل كل شيء، و(الآخر) الذي ليس لوجوده نهاية، فالله سبحانه ليس لوجوده بداية وليس لوجوده نهاية، ليس بعده شيء؛ لأنه آخر ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨] هذا من حيث الدلالة.

٢ـ كلمة (الظاهر) لها دلالتان في اللغة، وهما مقصودان في الآية:

أ ـ الظاهر هو الذي تجلى للعقول بالدلائل التي أقامها على وجوده، فهو ظاهر ظهر بآياته ومعجزاته الدالة عليه في الكون. إذن الظاهرهو الذي ظهر للعقول وتجلّى، كما قال أحدهم:(لو كُشِف الحجاب ما ازددت يقيناً).

ب ـ والظاهر يأتي بمعنى الغالب في اللغة، أي العالي على كل شيء، من الظهور؛ أي الغَلَبة ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الصف:١٤] ظاهرين أي غالبين.

إذن كلمة (الظاهر) لها دلالتان: الذي ظهر وتجلى للعقول بآياته والظاهر هو الغالب القهّار.

٣ـ وكلمة (الباطن) أيضاً لها دلالتان:

أ ـ هو غير المُدرَك بالحواس المحتجب عن الأبصار، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٣].

ب ـ والباطن أيضاً الذي يعلم كل شيء، ويعلم بواطن الأمور وخفاياها ما ظهر وما بطن من الأمور.

إذن كلمة (الظاهر) لها دلالتان، وكلمة (الباطن) لها دلالتان، هذا من حيث اللغة. والكلمة أحياناً يكون لها أكثر من دلالة تُراد ويحتملها السياق.

٤ـ فالله سبحانه هو الذي تجلّى وهو الغالب القهار، وهو المحتجب عن الأبصار الذي لا تدركه الأبصار، وهو الذي يعلم خفايا الأمور وبواطنها.

السؤال الثاني :

ما دلالة تعريف الصفات في الآية؟

الجواب :

١ـ ما قال تعالى: (هو أول آخر ظاهر باطن)، وإنما قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣] بالتعريف؛ لأنّ التعريف هو للقصر، أي أنه لا يشاركه في هذه الصفات أحد.

ولو قال: هو أول، يحتمل أنْ يشاركه أحد، أمّا (الأول) فهي حصر تحديداً و(الآخر) تحديداً و(الظاهر) تحديداً و(الباطن) تحديداً. إذن لا يشاركه في هذه الصفات أحد ولا شيء.

٢ـ ونلاحظ أنّ القرآن لم يقيّد هذه الصفات بشيء، لا بإضافة ولا وصف فلم يقل مثلاً :هو أول الحكماء، أول الأغنياء، الأول في كذا، هذه مطلقة لم يقيدها بشيء. إذن هو الأول على الإطلاق وليس بموجب شيء معين ولا مقيد بأمر معين، هو الأول لكل

شيء، فهو سبحانه قبل الزمن. وكلمة (الأول) تخرج من نطاق الزمن، ولو أراد أنْ يقيدها لقيدها.

أنت يمكن أن تقول: هو الأول في الفصل مثلاً، هو الأول في السباق. لو قلت: هذا الطالب هو الأول فهذا تحدده أنت، فقد تكون القرينة مقولة وقد تكون مفهومة من السياق، والمقام هو الذي يحدد، وليس من الضروري أنْ تنطق كل القرائن.

٣ـ هنا في هذه الآية ليس من قرينة تحدد، فهو [الأول والآخر والظاهر والباطن] على الإطلاق وعلى القصر والتعريف. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما فائدة العطف في الآية بحرف العطف الواو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؟

الجواب :

١ـ ما قال تعالى هنا في آية الحديد: هو الأول الآخرالظاهر الباطن، كما قال في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٣] لأنّ العطف يأتي في الصفات فيما تباعَد منها؛ لأنه يصير أمراً مستغرباً، أمّا في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف.

٢ـ إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بـ (الواو)، ويعني أنّ الصفات ليست متقاربة من حيث أحداثها، مثلاً أنت تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكن لا يعلم مثلاً أنه شاعر، فتقول له: هو شاعر، فيقول: هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب

متباعدان فيقول: وطبيب؟ فهو يستغرب من اجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص؛ لذا تأتي (الواو) إذا تباعدت الصفات.

٣ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الأول والآخر والظاهر والباطن صفات متباعدة، وليست مثل (العزيز الحكيم) المتقاربة، لكنّ الأول والآخر منتهى التباعد، والظاهر والباطن منتهى التباعد.

٤ـ هذه الآية دلّت أيضاً على إبطال الشِرك: فقوله (هو الأول) إذن ليس معه شريك، لأنه الأول. إذن الله ليس معه شريك وهو الغني المطلق.

و(هو الأول) إذن كل ما نراه من الأمور هو الذي أوجدها؛ لأنه هو الأول ولأنه هو الغني المطلق، ولا يحتاج إلى شيء؛ لأنه قبل كل شيء هو الخالق القادر.

٥ـ ثم دلّ قوله :﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ على العلم المطلق، فهو الإله الحق في العلم والغنى والقدرة والوجود وعدم الشرك، وهو محيط بعلمه بكل شيء في الكون.

السؤال الرابع :

ما دلالة استخدام صيغة ﴿عَلِيمٌ﴾ ولم يقل (عالم) أو(علاّم)؟

الجواب :

١ـ (عليم) صيغة مبالغة على وزن (فعيل)، (علاّم) أيضاً صيغة مبالغة على وزن (فعّال، (عالم) اسم فاعل. والمبالغة تعني الكثرة في الأشياء.

و كلمة (عليم) لم تحدد بشيء معين، إمّا للعموم أو كونها مطلقة من كل شيء، أو مع الجمع أو مع فعل الجمع، و لم تأت(عليم) مع متعلق مفرد في القرآن، فلا تجد (عليم بفلان) مثلاً.

٢ـ كلمة ﴿عَٰلِمُ﴾ في القرآن جاءت في [١٤] موضعاً لم ترد إلا في (عالم الغيب) مفرداً أو (الغيب والشهادة)، إمّا (الغيب) وإمّا (الغيب والشهادة) في القرآن كله، كما هو في الآيات: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن:٢٦] و ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام:٧٣]. ولفظة﴿عَٰلِمُ﴾ اسم فاعل لا يدل على الكثير عادة، فاستعملها بالمفرد الذي لا يدل على التكثير.

٣ـ لفظة ﴿عَلَّٰمُ﴾ خصّصها للغيوب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة:٧٨] ولا تجد كلمة (علاّم) في القرآن في غير (علاّم الغيوب). والغيوب جمع غيب.

٤ـ ومثل ذلك: (سمّاع) و(سميع) في القرآن: (سمّاع) استعملها في الذمّ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المائدة:٤١] ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾ [التوبة:٤٧] و(سميع) استعملها تعالى لنفسه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ واستعملها في الثناء على الإنسان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان:٢].

السؤال الخامس :

ما ارتباط الآية بما بعدها؟

الجواب :

هذه الآية مرتبطة بما بعدها:

١ـ ﴿ٱلۡأَوَّلُ﴾ مرتبط بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الحديد:٤] الذي خلق السموات والأرض هو الأول.

٢ـ ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ مرتبط بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥﴾ [الحديد:٥].

٣ـ ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ ذكرنا أنّ لها معنيين: إذا كان بمعنى الغالب فهو يقول: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فالذي له الملك غالب، وإذا كان بمعنى المتجلي للعباد فهو يقول: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الحديد:٤]؛ لأنّ السموات والأرض آيات دالة على وجوده.

٤ـ ﴿وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ إذا كانت بمعنى المحتجب يرتبط بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد:٤] وإذا كان بمعنى الذي يعلم بواطن الأمور وخفاياها فيرتبط بقوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾ [الحديد:٦] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣].

إذن الآية مرتبطة ارتباطاً بما قبلها وما بعدها، وهذه سمة في القرآن الكريم، كل كلماته مرتبطة، والرازي يقول: إنّ سور القرآن كلها كالآية الواحدة، بل كالكلمة الواحدة في ترابطها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما النظرة العامة والدلالات في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يدل على أنه المالِك لهما وهو خلقهما، إذن هو المالِك إضافة إلى أنه ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ فهو الخالق، إذن هو المالك. ودلّ قوله في الآية الثانية: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾[الحديد:٥] قبلها وبعدها على أنه هو المالك. إذن هو المالك قبلها وبعدها وهو الملِك؛ لأنّ المُلك من الحكم، وهو ملك مالك. إذن هو مالك الملك كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[آل عمران:٢٦].

المُلك بضم الميم من الحُكم ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾[الزُّخرُف:٥١] وصاحبه مَلِك والمِلك بكسر الميم من التملّك من البيع والشراء وصاحبه مالك. وكل من المَلِك والمالك له تصرف يختلف عن الآخر.

٢ـ الله سبحانه وتعالى ذكر أمرين: (له ملك) إذن هو مَلِك، وقال: (خلق السموات والأرض) إذن هو مالك. إذن هو ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾. المُلك هو مِلكه كما يملك المالك أي شيء.

ولذلك في سورة الفاتحة نزلت الآية مرتين: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة:٤] ونزلت ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قراءتين متواترتين، وكان الرسول عليه السلام يقرأ بهما حتى يجمع معنى (مالك الملك).

٣ـ لمّا كان كل من الملِك والمالِك كلاهما ينبغي أنْ لا يندّ عنه في ملكه شيء، إذن كلاهما المالك والملك ينبغي أنْ يعلما عن ملكه أو عما يملك إذا كان مالكاً.

ولمّا كان ربنا سبحانه وتعالى (مالك الملك) إذن ينبغي أنْ يعلم كل شيء في مُلكه، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد:٤] لأنه لا يصح لملك أو مالك أنْ لا يعلم شيئاً فيما يملك؛ ولذلك لا يندّ عنه في ملكوته شيء، لا المسكن ولا الساكن، في الأرض ولا في السماء كلها.

٤ـ وليس يعلم فقط، وإنما ذكر العلم المطلق ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ليس ذلك فقط وإنما هو يُبصر ما فيهما ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ لأنّ العلم قد يأتي عن طريق الإخبار.

والفرق بين [العليم والبصير] أنّ العليم قد يأتي عن طريق الخبر وليس بالضرورة أنْ يرى، فالمَلِك قد تأتيه الأخبار دون أنْ يبصر، وهذه مرحلة أخرى، والله ليس فقط يعلم، وإنما هو يُبصر أيضاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾.

٥ـ وأيضاً له مرتبة فوق الإبصار وهي المعيّة والمصاحبة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لأنّ البصير قد يبصر عن بعيد، لكنّ (معكم) تفيد أن معنا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾[ق:١٦] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فهذه مرحلة فوق الإبصار.

٦ـ وله مرتبة فوق ذلك في الآية، وليس فقط المعية والمصاحبة وإنما هو يعلم ماذا نفعل، ويعلم عمل كل عامل لِمَ عمله.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ (بصير) لها معنيان: البصر و الرؤية فهو سبحانه يرى، ولكن ليس كرؤيتنا؛ لأن كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك. وتأتي بمعنى عِلم دواخل النفوس، فهو بصير بما يعمل العاملون. فالله سبحانه بصير من الرؤية، وبصير بالشيء أي بدواخل الأمور.

٧ـ هذه الآية ذكرت كل مراتب العلم:

أـ عليم ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ إذن هو يعلم الداخل والخارج والصاعد والنازل.

ب ـ مصاحب لنا أينما كنا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

ج ـ مبصر لأعمالنا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾.

د ـ ويعلم لِمَ فعلنا ذلك.

إذن استوفى كل مراتب العلم، وهذا يتناسب مع الآية السابقة: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾ وارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

عرفنا ترتيب الآية وهيكلها لكنْ ننظر الآن كيف استعملها؟

١ـ لو لاحظنا أنّ الله تعالى قال: ﴿يَلِجُ﴾ ولم يقل: يعلم ما (يولِج) في الأرض (يلج بمعنى يدخل) والله تعالى من قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، فمن حيث العلم عادةً الشخص يعلم ما يفعله هو، ولو قال الله: (يولج) لكان طبيعياً أنه يعلم ما يفعله هو وما يولجه هو، وهذه تدل على القدرة، لكن لمّا قال: ﴿يَلِجُ﴾ فهذا يدل على العلم، فجملة (يعلم ما يولِج) تدل على القدرة؛ لأنه هو يولِج فهو يعلم، لكنه قال هنا: ﴿يَلِجُ﴾ هذا يدل على العلم.

٢ـ وقال: ﴿وَمَا يَخْرُجُ﴾ وما قال (وما يُخرِج) وقال: ﴿وَمَا يَنزِلُ﴾ وما قال (وما يُنزِل) وقال: ﴿وَمَايَعْرُجُ﴾ ولم يقل (وما يُعرِج) وهذا كله يدل على العلم، فقال ما يدل على العلم المطلق.

٣ـ قدّم تعالى ما يتعلق بالأرض على ما يتعلق بالسماء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ لأنّ الكلام عن أهل الأرض ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

إذن لمّا كان الكلام عن أهل الأرض ويتكلم عن مسكنهم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ مع أنه قبل ذلك قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فقدّم السموات هنا؛ لأنّ خلق السموات أسبق، لكنْ هنا يتكلم عن العلم، فقدّم الأرض.

٤ـ من الناحية الفنية ناسب بين صورتين فيما يتعلق بالأرض والسماء، بالنسبة للأرض قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وبالنسبة للسماء قال: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

في الأرض قال: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ وفي السماء قال: ﴿وَمَا يَنزِلُ﴾ وكلاهما نزول إلى أسفل: إنزال ودخول. وكثير مما ينزل من السماء هو يلج في الأرض من مطر وغيره. ثم قال: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ و ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ وكلاهما ارتفاع وعلو.

إذن من الناحية الفنية ناسب ليس فقط اختيار مفردات لكن ناسب بين الصور: [ما يلج وما ينزل] و[ما يخرج وما يعرج]، وكثير مما ينزل من السماء قد يلج في الأرض، وكثيراً مما يخرج من الأرض يعرج إلى السماء.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ فيه احتمالان: ما يخرج منها من الحشرات والنبات، أو ما يخرج من محيطها.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام السموات بالجمع والأرض بالمفرد؟

الجواب :

القرآن لم يذكر الأرض بالجمع مطلقاً، السموات سبع ولم يجمع كلمة الأرض في القرآن أبداً، وإنما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] أمّا في الحديث فجمعت الأرض على أراضين **"طوّق من سبع أراضين"**.

السؤال الرابع :

قال تعالى في سورة الحديد: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤] وقال في سورة سبأ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ:٢] اختلف ختام الآيتين وفي آية سورة سبأ لم يذكر ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ فما اللمسة البيانية في الآيتين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٢.

السؤال الخامس :

يقول تعالى : ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ وفي آية أخرى يقول: ﴿بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟

الجواب :

التقديم والتأخير يأتي لسبب، والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور.

١ـ إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل، وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته.

* شواهد قرآنية: تقديم العمل على البصر :

ـ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾[البقرة:١١٠] بهذا العمل بصير.

ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة:٢٦٥] هذا إنفاق أي عمل.

ـ ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾[البقرة:٢٣٣]. هذا عمل.

ـ ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾[البقرة:٢٣٧] هذا عمل.

ـ ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[هود:١١٢] الكلام عن العمل فقدّم العمل.

ـ ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سبأ:١١] قدّم العمل.

ـ ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[فُصِّلَت:٤٠].

شواهد قرآنية: تقديم البصر على العمل:

ـ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[البقرة:٩٦] ليس فيها عمل.

ـ ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾[المائدة:٧١] لا يوجد عمل.

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحُجُرات:١٨] يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

٢ـ هذا أيضاً في [الخبرة والعمل] وليس فقط في [العلم والبصر]، وهذا خط عام في القرآن.

* شواهد قرآنية:

ـ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾[البقرة:٢٧١] هذا عمل، فقدّم العمل على الخبرة.

- ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[الحديد:١٠] الإنفاق عمل، فقدّم العمل.

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] هذا عمل، فقدّم العمل.

- ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] ليس في الآية عمل فقدّم الخبرة ؛لأنّ الكلام ليس عن عمل الإنسان، ولكن عن صنع الله الذي أتقن كل شيء.



﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الدلالة العامة للآية؟

الجواب :

١ـ في الآية التي قبلها ذكر خلق السموات والأرض ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الصانع قد لا يكون ملكاً، خلق السموات والأرض هو خلقها، وهو صنعها. والخلق قد يكون ابتداء أي سوّاها وقد يكون صنعها والصناعة لا تقتضي أنْ يكون ملِكاً، وصانع الشيء ليس بالضرورة أنْ يكون ملكاً حاكماً.

٢ـ في هذه الآية قال: ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥﴾[الحديد:٥] يعني هو الملك وليس فقط الصانع.

وذكرنا أنّ المُلك هو من الحُكم والمِلك من التملك. وفي هذه الآية قال: ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فهي تدل على المُلك وقبلها يدل على الملكية. فليس هناك ملك سواه وإنّ ملكه ممتد بعد انقضاء الدنيا ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

٣ـ كلمة (خلق) كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون:١٤] يصح نسبتها للإنسان عندما تكون بمعنى التقدير والتصوير، وهذا ممكن لأنّ عيسى عليه السلام قال: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾[آل عمران:٤٩].

٤ـ الله سبحانه هو الذي خلق تحديداً، وله الملك تحديداً، فإذن هو الملك وهو الصانع الذي صنع وهو المَلِك فلا مَلِك سواه؛ لأنه قدّم ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ﴾

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥﴾: المفسرون يذكرون فيها أمرين:

أ ـ الأمور كلها ترجع إليه، وهو الذي يقطع في الأمور ويبتّ فيها.

ب ـ والمعنى الآخر إثبات المعاد أي الآخرة.

٦ـ وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لله فقط، كما في الآيات الأخرى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة:١١] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة:٣٠] أي إلى الله حصراً لا إلى جهة أخرى. ولو قال: (ترجع الأمور إلى الله) فليس فيها حصر، وقد يحتمل أنْ ترجع إلى شيء آخر.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما ارتباط هذه الآية بما سبقها؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾[الحديد:٦] هذه الآية فيها أمران:

أ ـ فيها دلالة على القدرة فارتبطت بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد:٢] في أوائل السورة.

ب ـ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ دال على علمه، فارتبط بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد:٣].

فدلّ بهذه الآية وما قبلها على أنه يعلم الظاهر والباطن والمشاهد والغائب فهو سبحانه محيط بكل شيء بالأعمال التي يظهرونها والنيات التي يضمرونها.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ألا يدلّ (يولج الليل في النهار) على أنه (يولج النهار في الليل) أيضاً؟

الجواب :

(يولج الليل في النهار) لا تعني بالضرورة(يولج النهار في الليل) أيضاً وإنما جعل الاثنين؛ ليشمل الليل والنهار.

(يولج) أصلها من فعل: ولج يلِج بمعنى يدخل.

السؤال الثالث:

ماالفرق بين يلج ويدخل؟

الجواب:

(يدخل) أوسع، وتستعمل في أشياء كثيرة ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٩ - ٣٠] وكأنما الولوج في شيء يحتاج إلى ضيق والدخول أوسع.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين يولج ويكور؟

الجواب:

يولج: أي يدخل الليل على النهار فيأخذ منه، ويدخل النهار على الليل فيأخذ منه.

يكور: أي جعلها كالكرة يدورها كالعمامة، ومن هنا قال ابن حزم في زمن مبكرفي معنى آية الزمر: بكروية الأرض؛ لأنّ تكويرهما يقتضي تكوير ما تحتهما.

لذلك في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ﴾ و ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ﴾ الدلالة مختلفة ولا يوجد تعارض بينهما.

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾

السؤال الأول :

ما الدلالة العامة للآية؟

الجواب :

١ـ في الآية أمرهم بشيئين: الإيمان بالله والرسول والإنفاق. وهذان الأمران يطبعان السورة إلى حد كبير، الإيمان بالله والرسول ويشيع ذكرهما في السورة كلها،ولم يذكر أركان الإيمان الأخرى ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحديد:٧] فذكر قسماً من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ورسوله، ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ﴾ [الحديد:٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩]، ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾ [الحديد:٢١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٢٨] وهذه صبغة عامة تطبع السورة في عمومها.

والإنفاق كذلك يطبع السورة إلى حد كبير ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾[الحديد:٧]، ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:١٠]، ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾[الحديد:١١]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾[الحديد:١٨]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ ﴾[الحديد:٢٤].

٢ـ فالسورة مطبوعة بهذين الطابعين، ولم يذكر جميع أركان الإيمان ولا عموم العمل الصالح، وإنما ذكر جانباً من العمل الصالح، وهو ما يتعلق بالإنفاق.

ومع أنه ذكر القتال لكنه لم يأمر به ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد:١٠] ما قال: قاتلوا، ولكنْ قال: (أنفقوا)، وجاء فيها ذكر للشهداء، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥] هو من مظنّة الجهاد، لكنّ الإنفاق هو الطابع العام في السورة وليس عموم العمل الصالح. لذلك جزء من العمل الصالح وقسم من أركان الإيمان، هما منهج السورة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧] رغّبنا في الإنفاق أكبر ترغيب، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم﴾ وجاء بـ ﴿مِمَّا﴾ للتبعيض لو قال: (وأنفقوا ما جعلكم مستخلفين) لكان المعنى: أنفقوا الكل.

ربنا تعالى أعطانا المال وهو يأمرنا بالإنفاق، فقوله: ﴿جَعَلَكُم﴾ يعني هو الذي أعطانا إياه، وقوله: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي أنّ الأموال هي أموال الله تعالى واستخلفكم فيها فقد كانت لغيركم، ثم نقلها إليكم، وستنتقل إلى غيرنا سواء في حياتنا أو بعد موتنا.

فالمال مال الله، وهو استخلفنا فيه ولن يبقى معنا، كان لغيرنا ثم نقله إلينا وهو بين أيدينا الآن، وقد ينتقل إلى غيرنا في محيانا أو بعد مماتنا فلم لا تنفقون؟ فهو الترغيب في الإنفاق إلى حد كبير.

السؤال الثاني :

في آية سورة الحديد قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد:٧] وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩] أكّد في الإسراء ولم يؤكد في الحديد، فلماذا؟

الجواب :

١ـ السبب في ذلك - والله أعلم - هو :

أـ في الحديد استعمل الفعل ﴿ءَامَنُوا۟﴾ وفي الإسراء استعمل الاسم ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والاسم أقوى وأثبت من الفعل.

ب ـ ذكر في الحديد الإيمان بالله ورسوله، وأطلقه في الإسراء فهو أعم.

ج ـ ذكر في الحديد الإنفاق، وذكر في الإسراء عمل الصالحات فهو أعم.

د ـ الفاصلة القرآنية.

فناسب ذلك بلاغياً التأكيد في آية الإسراء دون آية الحديد، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وبلاغة القرآن كالقوانين الرياضية.

٢ـ وللعلم لم يقل القرآن هنا: (لهم مغفرة وأجر كبير) كما جاء في سورة فاطر وسورة الملك؛ لأنه عندما يذكر القرآن المغفرة يجب أنْ يسبقها أو يعقبها ذكرٌ للكفر أو الذنوب.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في آية الحديد ٧: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ وفي الآية ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾ وفي آية البقرة ٢٤٥ ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ أضعافاً مضاعفة، فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية سورة الحديد ٧ جاء فيها: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ لأن في الآية طلبين: آمنوا وأنفقوا. فلما اتسعت الدائرة وكبرت كبُر الأجر.

٢ـ والكلام في نفس السورة في الآية١١عن القرض الحسن، والأجر الكريم هو الأجر الحسن البالغ الحُسن.

٣ـ في آية البقرة ٢٤٥ لم يرد (أجر كريم) أو(أجر كبير)؛ لذا جاءت أضعافاً مضاعفة. وأمّا في سورة الحديد عوّض عن الأضعاف المضاعفة بـ ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين خواتيم الآيتين البقرة ٢٤٥، والحديد ١١؟ وهل من فروق أخرى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد:٧] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات١٥.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في الآية السابقة رقم (٧) طلبت الآية الإيمان بالله والرسول ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ثم جاءت هذه الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ﴾ بالصيغة الاستفهامية أي: لماذا لا تؤمنون بالله والرسول موجود بينكم، وجاء بالآيات والدلائل الواضحة على أنه رسول من عند الله.

١ـ الله تعالى وبّخ على ترك الإيمان بالرغم من وجود أمرين :

أ ـ أنّ الرسول يدعو للإيمان وجاء بالآيات والدلائل الواضحة على أنه رسول من عند الله.

ب ـ أنّ الله أخذ الميثاق.

وبالرغم من ذلك فهم لا يؤمنون !!! فهذا أمر يدعو إلى العجب، فهو استفهام غرضه العجب.

٢ـ الميثاق هو العهد والعقد، وفي أخذ العهد وجوه:

أ ـ دلائل عقلية: فإنْ استعملت عقلك بحق وتجرد قادك إلى الإيمان حتماً.

ب ـ دلائل نقلية: كما ورد في القرآن الكريم.

ج ـ دلائل فطرية: وهوصوت الفطرة فيك، فأنت تقول في الشدائد والمحن : يا رب.

وفي تفسير الميثاق: يريد حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. وجاء بقد ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ للتحقيق.

لذلك يكون المعنى: كيف لا تؤمنون بالله مع وجود الرسول عليه السلام بينكم ومع وجود دلائل العقل والنقل، فلماذا لا تؤمنون؟ !!

٣ـ قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يدل على قدرتهم على الإيمان.

٤ـ قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ أي إنْ كنتم تعتزمون الإيمان أو تريدونه أو تنوون أنْ تؤمنوا، فهو خطاب عام لمن آمن ولغير المؤمن، وهو نظير قولنا: نحن خارجون إنْ كنت خارجاً، أي إنْ نويت ذلك فافعل.

٥ـ لفظ الجلالة ﴿بِاللَّهِ﴾ الله في قوله: ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هو علمٌ على واجب الوجود، وهو الاسم الذي اختاره الله لنفسه شاملاً لكل صفات الكمال.

والصفات الأخرى التي نسميها الأسماء الحسنى مثل: القادر والسميع والبصير والحي والقيوم كلها صفات وصارت أسماء؛ لأنها مطلقة بالنسبة لله وهذه الصفات حين تنصرف على إطلاقها فهي لله، ومن الجائز أنْ تضاف في نسبتها الحادثة إلى غير الله.

أمّا اسم الله فلا يطلق إلا على الحق سبحانه وتعالى، ويتحدى الله الكافرين به أنْ يسمي أحدهم أي شيء غيره بـ الله، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥] وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ أصلها (الإله) أي المعبود ثم خففت الهمزة وأدغمت اللامان فصارت ﴿ٱللَّهُ﴾.

وكل كلمة ليس لها نظير لا تثنى ولا تجمع.

٦ـ قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ ذكر الرب ومعناه المربي والمشرف والمهتم فجمع بذلك الاسمين: الله والرب، وهو واحد، ولو قال: لتؤمنوا بالله لكان اسماً واحداً فقط.

السؤال الثاني :

ما دلالة التعبير: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ في القران الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٩١.



﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿هُوَ﴾ يفيد الحصر أنه هو لا غيره.

٢ـ قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ أي الرسول عليه السلام، وفي ذلك تكريمان :

أ ـ عبد: وتمثل العبودية الاختيارية التي يتفاضل فيها الناس ﴿عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء:٣] ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص:٣٠] أمّا العبودية القسرية فيستوي فيها الجميع ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾[مريم:٩٥].

ب ـ الضمير: ﴿عَبْدِهِۦٓ﴾ بإضافة العبودية لله تعالى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالفعل المضارع للدلالة على استمرار التنزيل.

٤ـ ﴿ءَايَـٰتٍۭ﴾ جمع آية، وهي العلامة.

٥ـ ﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ الضمير فيها راجع إلى الله أو إلى الرسول.

٦ـ جمع الظلمات وأفرد النور، فنور الله وهديه واحد.

٧ـ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ أوضحه بعد أنْ كان ضميراً ﴿هُوَ﴾.

٨ـ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ الرأفة خاصة: وهي دفع المكروه وإزالة الضرر. أمّا الرحمة فعامة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧]، وفي الآية توكيدان: إنّ واللام. وتدرجت من الخاص إلى العام ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

السؤال الثاني:

هل جاء الجمع بين الاسمين الجليلين (الرؤوف) و(الرحيم) أو الجمع بين الرأفة والرحمة في كل آيات القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ للعلم فإنّ جميع الآيات في القرآن الكريم جاءت بالجمع بين الاسمين الجليلين (الرؤوف) و(الرحيم) أو الجمع بين الرأفة والرحمة إلا في مكانين :

أ ـ في سورة البقرة الآية٢٠٧ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[البقرة:٢٠٧].

ب ـ في سورة آل عمران الآية ٣٠ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[آل عمران:٣٠].

والسبب في ذلك أنّ السياق كان يتكلم عن المجاهرين بالإثم والفساد، فلا يناسب ذكر الرحمة لهؤلاء.

٢ـ ورد اسم الله ﴿رَءُوفٌ﴾ في القرآن إحدى عشرة مرة واسم الله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ٩٥ مرة، وصفته ﴿رَحِيمًا﴾ ٢٠ مرة.



﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في آية الحديد السابقة رقم (٧) طلب الله الإنفاق من المؤمنين، فجاءت هذه الآية لتحثهم على الإنفاق. أي لماذا لا تنفقون في سبيل الله والله تعالى وارث أموالكم، وستؤول إليه أموال الخلق كلهم، فأنفِقوا حتى تنالوا جزاء المنفقين قبل أن تنتقل رغماً عنكم وتذهب إلى الله تعالى، أنفقوا حتى تنالوا.

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قدّم الجار والمجرور للحصر والقصر، والمعنى أنّ أموالكم ستؤول إليه حصراً وقصراً؛ لأنّ الإنفاق في سبيل الله في الغالب هو المال. ولم يقل: ميراث أموالكم، لكنها دخلت في العموم، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] فهؤلاء المعنيون في هذه الآية دخلوا في عموم الكافرين.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ من أنفق وقاتل من قبل الفتح لا يستوي مع من فعل ذلك بعد الفتح؛ لأنّ الذي ينفق بعد النصر حاصل وفيها احتمال الغنائم والفائدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي كل هؤلاء على سبيل الاستغراق داخلون في وعد الله تعالى بالحسنى، فالحسنى حاصلة، لكنّ الدرجات تختلف.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُنفِقُواْ﴾ أصلها: أن لا، وأنْ تفيد تخليص الفعل إلى الاستقبال، والإنفاق يحتمل الاستقبال والإرجاء، فناسب :(أنْ) للاستقبال.

أمّا قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحديد:٨] فلم يأت بـ(أن) لأنّ الإيمان لا يحتمل الاستقبال، ولا بدّ أن تؤمن الآن في الحال فلا تدري بعد لحظة ما الذي يحصل.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنفَقَ﴾ بالمفرد، ثم بعد ذلك قال: ﴿الَّذِينَ أَنفَقُوا﴾ بالجمع؛ لأنه قبل الفتح كان المنفقون قليلين، و كان المسلمون قليلين فأفرد فقال: ﴿مَنْ أَنفَقَ﴾ ولمّا كثروا بعد الفتح استعمل ما يدل على الجمع فقال: ﴿الَّذِينَ أَنفَقُوا﴾

السؤال الثاني :

جاء في القرآن التعبيران ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ و ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فما القاعدة في ذلك؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ قدّم العمل على الخبرة؛ لأنّ القاعدة في القرآن أنه إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدّم العمل على الخبرة، وإذا لم يكن الكلام عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام عن الله تعالى يقدّم الخبرة :

* شواهد قرآنية :تقديم العمل :

ـ ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾[البقرة:٢٧١] هذا عمل.

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] الكلام عن العمل ﴿فَعَلْنَ﴾ فختم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾.

- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٧ – ٨] ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله فقدّم العمل.

*شواهد قرآنية :تقديم الخبرة :

- ﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور:٥٣] النفاق أمر قلبي، فقدّم الخبرة.

- ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] يتكلم عن الله، فقدّم الخبرة.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨] التقوى أمر قلبي، فقدّم الخبرة.



﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ﴾ مبني للمعلوم، ولم يقل: (إقراضاً) بصيغة المصدر، بل قال: ﴿قَرْضًا﴾ وهو مصدر الفعل الثلاثي (قرض) أي: قرض قرضاً، فجمع بين المعنيين، وهذا من باب التوسع في المعنى؛ لأنه جمع بين الإقراض والمال.

٢ـ سمى القرض بالحسن، وشروطه هي :

أ ـ أنْ يكون بإخلاص النية لله « **إنما الأعمال بالنيات**».

ب ـ أنْ يكون بدون مقابل في الدنيا ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ج ـ أنْ يكون عن طيب نفس دون مَنٍّ ولا تكدير، وإنما فيه بشاشة وجه ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾[البقرة:٢٦٢].

د ـ أنْ يكون المال حلالاً طيباً فإنْ كان حراماً لا يصح «**إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً**».

هـ ـ أنْ يتحرى المال الكريم ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢٦٧].

و ـ أنْ يتحرى أفضل الجهات وأشدها حاجة وأكثرها نفعاً للمسلمين.

٣ـ الإقراض غير الصدقة؛ لأنّ الصدقة لا تطالب بها، بعكس الإقراض وهذا تهوين على المقرض أكثر من الصدقة. لذلك قال بعضهم: الإقراض هو في السنن والمندوبات، وليس في المفروض.

لذلك أنت تقرض الله تعالى بنية القرض وبالشروط المبينة أعلاه ووعد الله تعالى بأن يعيده عليك مضاعفاً، وسماه قرضاً حتى يهونها على المنفقين لأنّ من شروط القرض أنْ يُعاد إلى صاحبه ،أمّا الصدقات فلا تعاد.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ فيه وعد من الله بالمضاعفة والأجر الكريم الحسن البالغ الجودة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا﴾ هي عامة؛ لأنّ كل واحد مسؤول عن انفاقه وكل شخص مدعو بذاته أن يفعل هذا، فالخطاب موجه لكل شخص.

٦ـ قال في آية البقرة ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة:٢٤٥] وفي الحديد ذكر المضاعفة وزاد الأجر الكريم فأغنى ذلك والله أعلم عن قوله: ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ فذكر في البقرة الكم ولم يذكر الكيف، وفي الحديد ذكر الكم والكيف.

قيل في الأسباب ما يلي :

أ ـ سورة الحديد مطبوعة بطابع الإيمان والإنفاق، بينما الإقراض في البقرة في سياق القتال، فناسب ذلك ذكر الجزاء في آية الحديد بالكم والكيف.

ب ـ جاء في آية البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ أي يضيّق الرزق عن بعض عباده، فكأنه قال له: أنفق حتى لا يصيبك القبض وحتى يُبسط لك، أي فيها تهديد بالقبض فقال: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ وقال في نفس السورة في الآية السابعة: ﴿أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾، فما الفرق؟

في الآية السابعة ذكر الله الإيمان والإنفاق، وفي الآية (١١) ذكر الإنفاق فقط، فلمّا اتسعت الدائرة اتسع الأجر فقال: ﴿أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ أما في سورة الحديد فليس فيها تهديد.

٨ـ قوله تعالى في آية الحديد ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ وقوله في ختام الآية ٢٤٥: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ والسبب أنّ سياق آيات البقرة في القتال والموت وطلب الإقراض فيها هو لتجهيز الجيوش، والقتال والموت والقتل مظنة الرجوع إلى الله تعالى، فقال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

وأمّا سورة الحديد فالكلام فيها في الإنفاق، وليس في الموت والقتال فناسب ختام كل آية السياق الذي وردت فيه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الحسنة والقرض؟

الجواب :

١ـ ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**رأيتُ ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر. فقلت يا جبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأنّ السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة**». أخرجه ابن ماجه.

٢ـ وتفسير ذلك أنك لو تصدقت بدرهم فقد عملت حسنة تُضاعف لك إلى عشر حسنات حسب قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام:١٦٠] لكن هل يردّ السائل الدينار إليك؟ بالطبع لا.

أمّا القرض فإنك تقرض درهماً مثلاً لشخص فيكون بذلك عشر حسنات وعندما يرد لك هذا القرض تكون قد أخذت تسعة، والتسعة حسب الآية تُضاعف فتكون ثمانية عشر. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الحديد ٧: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وفي الآية ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وفي آية البقرة ٢٤٥: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحديد ٧.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين خواتيم الآيتين البقرة ٢٤٥ والحديد ١١؟ وهل من فروق أخرى؟

الجواب:

انظرالجواب في آية البقرة ٢٤٥.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ يجوز أنْ يكون ظرفاً متعلقاً بختام الآية السابقة على تقدير: وله أجر كريم في ذلك اليوم، أوعلى تقدير: اذكر يوم ترى المؤمنين. والمراد من هذا اليوم هو يوم القيامة والمحاسبة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالتعريف؛ ليكون ذلك مقابل (المنافقون والمنافقات) في الآية التالية، والإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، ولولا العمل لنال البشرى جميع من آمن ونال التبكيت جميع من نافق.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ السعي أسرع من المشي، وأسند السعي إلى النور؛ لأنّ الفاعل هو ﴿نُورُهُم﴾ أي: أنّ النور يسعى بهم فلا يتركهم فهم يُسرعون معه، وبالتالي يكون إسراعهم أو الإسراع بهم.

وأضاف النور إليهم فقال (نورهم) للدلالة على أنه نور أعمالهم فيُعطى لكل مؤمن نورٌ على قدر عمله.

٤ـ لم يقل مثلاً: يسيرون؛ لأنّ في ذلك إفضاء إلى الجهد والتعب، بل قال: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ أي: يُسعى بهم على مطايا فيسرعون فيسرع نورهم معهم وأضاف النور لهم كل حسب عمله.

٥ـ قوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي أمامهم مباشرة ولم يقل: أمامهم؛ لأنّ الأمام يحتمل القريب والبعيد.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ اليمين جهة السعداء، والباء للإلصاق، أي النور ملتصق بأيمانهم.

٧ـ قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي تقول لهم الملائكة: بشراكم اليوم. وهذه البشرى موجهة للمؤمنين، وفيه التفات من الغائب إلى المتكلم.

٨ـ قوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ حذف القول. والمشهد كان في السابق خبراً وأصبح في هذا اليوم بالضبط مرئياً ومشاهداً لا مسموعاً أو منقولاً.

٩ـ قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٌ﴾ فلكل واحد أكثر من جنة.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي أنّ مبتدى منابع الأنهار من تحتها و(من) هنا للابتداء.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يذكر القرآن كلمة (أبدا) مع زيادة التفصيل في الآيات، أو مع تفصيل نعيم الجنة، للدلالة على الأبدية في النعيم تطميناً للمؤمن، فإنّ الإنسان يخشى أنْ يفوته النعيم أو يترك هو النعيم.

١٢ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عائد على النور والبشرى بالجنات؛ لأنّ ذلك كائن في ذلك اليوم وليس بعده، فاستعمل (ذلك) للقريب الواقع.

١٣ ـ عرّف (الفوز) وجاء بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ ليفيد التوكيد والحصر على أنّ ذلك وحده هو الفوز العظيم، وليس ثمة فوز غيره، وأنّ ما عداه هو الخسران المبين. وضمير الفصل يقع عادة بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر.



﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر الله في هذه الآية (المنافقين والمنافقات) مقابل (المؤمنين والمؤمنات) في الآية السابقة؛ حتى لا يُظن أنّ هناك علاقة بين المؤمن والمنافق ولو كان قريبه، فكل فرد من الجنسين ينال جزاءه وكلٌّ مسؤول عن نفسه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ لها معنيان: من النظر، ومن الانتظار.

أمّا بمعنى النظر أي: أنّ المؤمنين إذا نظر إليهم المنافقون والمنافقات فسوف يستضيئون من أنوارهم فيرون طريقهم.

وأمّا بمعنى الانتظار: فالتاء فيها تمهل، أي طلبوا أقل الوقت لينتظرهم المؤمنون عسى أن يلحقوا بهم.

لكنّ القرآن لم يقل: (انتظرونا)؛ لأنهم لن ينتظروهم، فطلبوا ﴿ٱنظُرُونَا﴾ أي انتظرونا ولو قليلاً من الوقت، ولو كان في الوقت فسحة لساغ طلب الانتظار، كما في آية يونس ١٠٣ وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ فقال ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ وقال ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لأنّ في الوقت متسعاً.

وكلمة ﴿ٱنظُرُونَا﴾ من الفعل الثلاثي (نظر)، بينما ﴿فَأَنظِرْنِىٓ﴾ من الفعل الرباعي: (أنظر)، أي: أمهل.

٣ـ القبس: هوالشعلة من النار أو السراج، ويتم ذلك بأخذ عود من الأرض فيضعه في النار فيشتعل ثم يأخذه، وهذا هو الاقتباس. أمّا الأخذ فهو أخذ من النار.

وبالتالي الاقتباس لا ينقص من النار بعكس الأخذ. لذلك لم يقل المنافقون للمؤمنين: دعونا نأخذ من نوركم؛ لأنهم لن يوافقوا أنْ يأخذوا شيئاً من نورهم، وإنما قالوا لهم ﴿نَقْتَبِسْ﴾ أي بدون أنْ ينقص نوركم شيئاً.

والفعل (اقتبس) أعظم من (قبس) وهو يدل على عظم نور المؤمنين وإكرامهم. وفي الغالب – وليس شرطاً – الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى. مثلاً كلمة: (حذِر)، أبلغ من كلمة (حاذر).

٤ـ قوله تعالى: ﴿مِن نُّورِكُمْ﴾ وليس: من النور الذي معكم، للدلالة على أنه نورهم هم، ونسب النور إليهم أي للمؤمنين بقصد الإكرام فكل واحد له نور.

٥ـ قوله تعالى: ﴿قِيلَ﴾ مبني للمجهول، والقائلون هم الملائكة؛ لأنّ المؤمنين مشغولون بما هو أهم فلم يردوا على المنافقين.

٦ـ قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ (وراء) هو ظرف مؤكد للفعل (ارجعوا) كما يؤكد الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾،وقد تأتي (وراءكم) اسم فعل أمر بمعنى :ارجعوا.

والظرف أو الحال قد يأتي ظرفاً مؤسِساً، بمعنى أنه يؤسس معنى جديداً في الجملة، نحو: جاء يوم الجمعة، أو يأتي ظرفاً مؤكداً للفعل، نحو: جلست زمناً، وتكلم حيناً.

٧ـ قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا﴾ فيه عدة أقوال :

أ ـ أنها خدعة للمنافقين بأنْ يرجعوا إلى المكان الذي قُسِّم فيه النور فلا يجدون شيئاً، كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢] وهونوع من التهكم للمنافقين إذ لا نور وراءهم.

ب ـ ﴿ارْجِعُوا﴾ بمعنى منع المنافقين من الاستضاءة.

٨ـ قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ﴾ أي حُجز بين المؤمنين والمنافقين بسور وحرف الجرالباء (بسور) يفيد التضمين، والتضمين يفيد معنيين: الأول أصلي والثاني معنى جديد بسبب حرف الجر، كما قال تعالى:﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾[الأنبياء:٧٧]ونصرناه من

الذين كفروا، أي: نجاه الله من الذين كفروا، فأصبح الفعل (نصر) له معنى النجاة إضافة إلى معنى النصر الأصلي المعروف.

٩ـ السور هو ما أحاط بالشيء من بناء وغيره.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ حتى لا يُظن أنّ المؤمنين محتجزون فيه وإنما ينفذون إلى مرادهم وهو الطريق إلى الجنة، فالمنافقون لا يتمكنون من الدخول فيه ليلتقوا بالمؤمنين، والمؤمنون يتمكنون من الخروج منه.

١١ـ وصف الله الباب بقوله: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ وفي ذلك تشبيه لحال المنافق حيث يخالف باطنه ظاهره، وهو تناظر لطيف بين السور والمنافقين في اختلاف الباطن عن الظاهر.

والمعنى أنّ هذا السور بين الجنة والنار له باب، فالمؤمنون يدخلون الجنة من ذاك الباب، والكافرون يبقون في العذاب والنار؛ لأنّ كلمة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ أي: خارجه، لذلك يدخل المؤمنون الجنة من ذاك الباب.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة الحواجز كالجدار والسور وغيره؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

السؤال الثالث :

في قوله تعالى في الآية: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي بتقدير(لنقتبس)، ما الفرق بين التصريح باللام وإضمارها؟

الجواب :

١ـ ما الفرق بين قولنا: قل له: يفعل، و: قل له: ليفعل؟

والجواب: أنه بذكر اللام يكون الشخص مأموراً صراحة بخلاف إضمارها، فهذا أرق وألطف.

وفي قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ [البقرة:٦١] المخاطب هنا هو موسى عليه السلام فاستغنى بخطابه عن ذكر (لام الأمر) مع الله تعالى، وهذا ألطف وأرق.

في حين لو قال مثلاً: ليخرج لنا؛ لكانت (لام الأمر) صراحة لله تعالى.

٢ـ قد تضمر (لام الأمر) بعد قولٍ هو أمر. كما في آية الإسراء ٥٣ـ وآية إبراهيم ٣١ـ والتقدير: قل لهم ليقولوا وليقيموا.

٣ـ ليس بعد كل قول أمر يكون المحذوف لاماً، فقد يكون شرطاً أو أمراً أو يحتمل المعنيين، كما في الآية:

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١] هنا معناه الشرط.

ـ قولك: قل له: يفعلْ ذاك، قد يحتمل الأمر، وقد يحتمل الشرط.

٤ـ حذف اللام ليس محصوراً بالقول، بل قد يكون مع غيره حسبما يقتضي المعنى.

* شواهد قرآنية:

- ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾[البقرة:٦٩] أي ليبين لونها.

- ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد:١٣] فليس المقصود إنْ تنظرونا نقتبس من نوركم، وإنما هو طلب النظر لاقتباس النور.

- ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٤٣] أي لأنظر إليك وليس إن تُرني أنظر إليك.

- ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة:٦١] فقد يحتمل الشرط أو التعليل أي :

إنْ كان المعنى: إنْ تدع ربك يخرج لنا بخلاف ما لو دعوناه نحن، فهذا يحتمل الشرط.

وإنْ كان المعنى: ادعه لنا ليخرج لنا، فيحتمل التعليل.

لكنه حذف اللام إكباراً وإجلالاً للذات الإلهية من أنْ يصرح معها بلام الأمر. والله أعلم.



﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: برفع الصوت؛ لأنّ السور قد أصبح فاصلاً بين المؤمنين والمنافقين، ولم يستعمل هنا مثلاً: يقولون لهم؛ لأنّ القول ليس فيه رفع الصوت بعكس النداء.

وللعلم فإنّ المسافة بين الجنة والنار كبيرة جداً، وهذا يدل على أنّ البعد الشديد لا يمنع من الإدراك بقدرة الله تعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ولم يقل: نكن منكم؛ لأنهم لم يكونوا من المؤمنين في الدنيا وإنما كانوا يعيشون معهم، ولذلك أجابوهم ﴿بَلَىٰ﴾ ولو قالوا: ألم نكن منكم، لأجابوهم بكلا.

٣ـ الفعل ﴿قَالُوا﴾ أي: أجابت الجهة المعنية بذلك؛ لأنّ هذا سؤال ولا يصح جوابه، وقيل: بل الجواب من الجهة المعنية.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ﴾ والفتنة تطلق على الاختبار و الإحراق، أي دخول النار للعذاب ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[الذاريات:١٣].

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: وضعتم أنفسكم في الاختبار بين الحق والباطل طيلة حياتكم، وأصابكم العذاب النفسي؛ لأنه طال هذا الاختبار.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أمضيتم عمركم تنتظرون أي فريق يفوز وينتصر.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم في وعيد الله وفي نبوة محمد ﷺ وفي البعث، وقال: ارتبتم بدون أنْ يبين بماذا بقصد الإطلاق؛ لأنّ ذلك كان طيلة عمرهم.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ أي: غلب على أمنيتكم أنّ محمداً سيُغلَب وأنّ الكفار سينتصرون.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ أي: غرّكم الشيطان بمعنى جعلكم تغترون بسلامتكم من الله وعذابه.

١٠ـ إنّ هذه المذكورات مرتبة ترتيباً منطقياً، فهم فتنوا أنفسهم بأنْ أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر فكان عليهم التربص والانتظار، وبذا كان التربص من أثر الفتنة والاختبار.

ثم لمّا طال التربص ولم تظهر له نتيجة حاسمة داخلتهم الريبة والشكوك فيمن سيظهر ويغلب، فجاء هنا دور الأماني الخادعة تغرّهم وتمنيهم، ثم جاء دور الشيطان لئلا تصحو ضمائرهم فغرّهم بالله وهوّن عليهم الأمر واستمروا على ذلك حتى جاء أمر الله ورحلوا عن هذه الدنيا منافقين مغرورين من أنفسهم ومن الشيطان فسوف يلقون غياً.

والله أعلم.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ هو قول من الله تعالى، أو من الملائكة الموكلين بهذا الرد.

٢ـ الفدية في القرآن: هي صيام أو مال أو نسك، كما قال تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة:١٩٦].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُ﴾ دلالة على أنّ الفدية هنا هي المال.

٤ ـ بيّن الله أنه لن تؤخذ الفدية من المنافقين أو من الكفار؛ حتى لا يظنوا أنه بالإمكان أخذها من غيرهم من الكفار.

٥ـ المأوى: هي دار الإقامة أو الملجأ.

٦ـ ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ أي النار هي التي ستتولى أمركم، أو الولي هو الذي يليك من القرب، فجمع الله عليهم أمرين من الشر: المأوى والولي.

ولم يأت في القرآن الكريم كلمة ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ إلا هنا؛ لأنّ النار قربهم.

السؤال الثاني :

نلاحظ في آيات سورة الحديد من الآية ١٢ وحتى الآية ١٥ تكريماً كبيراً للمؤمنين وإهانة كبيرة للمنافقين مع تفاصيل دقيقة في الحالين، فما دلالات تكريم المؤمنين؟ وما دلالات إهانة المنافقين؟

الجواب :

دلالات تكريم المؤمنين :

١ـ قال: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ ولم يقل: يمشي نورهم، للدلالة على السرعة.

٢ـ أسند السعي إلى النور ولم يسنده إليهم، ولم يقل: يسعون.

٣ـ قال: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ فذكر الفاعل ولم يبنه للمجهول.

٤ـ أضاف النور إليهم، فهو نورهم وفيه تكريم لهم.

٥ـ قال: ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: أمامهم ولم يقل: أمامهم؛ لأنّ الأمام قد يكون بعيداً عن الشخص.

٦ـ قال: ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ ولم يقل: عن أيمانهم، فالباء للالتصاق، بينما (عن) تفيد المجاوزة.

٧ـ قال: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ﴾ ولم يقل: قيل بشراكم؛ لأنّ المشهد أصبح حاضراً وليس غائباً.

٨ـ أضاف البشرى إلى ضمير المخاطبين لتنال البشرى كل واحد منهم.

٩ـ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ للدلالة على قرب البشرى.

١٠ـ قال: ﴿جَنَّٰتٌ﴾ ولم يقل: جنة، للدلالة على أنّ كل واحد له جنة.

١١ـ قال: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ للدلالة على أنّ الماء يجري وليس راكداً فيأسن.

١٢ـ قال: ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ ولم يقل: نهر، للدلالة على كثرة الأنهار.

١٣ـ قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجمع وهي بشرى أخرى، وكلمة ﴿فِيهَاۚ﴾ للدلالة على أنّ الخلود في الجنات، وليست الجنة مرحلة مؤقتة.

١٤ـ قال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢﴾ فعرّف الفوز وقصره وجاء بضمير الفصل للتأكيد.

١٥ـ ذكر أنّ المنافقين يقولون: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ ولم يقولوا: انتظرونا، وفي هذا دلالة على الإسراع بالمؤمنين إلى الجنة.

١٦ـ قال: ﴿نَقۡتَبِسۡ﴾ ولم يقل: نقبس، وهذا يدل على عظم النور الذي عليهم، فالاقتباس أكثر من القبس.

١٧ـ قال: ﴿مِن نُّورِكُمۡ﴾ ولم يقل: من النور، فالنور نورهم وفيه تكريم.

١٨ـ قال: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ﴾ ولم يقل: قالوا؛ لأنه أراد ألا ينشغلوا بما لا فائدة فيه، فتكلم الملائكة عنهم وتابع المؤمنون طريقهم إلى الجنة.

١٩ـ قال: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾ فحجزوا المؤمنين عن الكافرين.

٢٠ـ ثم قال: ﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ للدلالة على أنهم غير متحتجزين فيه.

٢١ـ ثم قال: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ وهو تكريم آخر، كيف لا وهم في رحمة الله؟ !

دلالات إهانة المنافقين :

١ـ طَلَبَ المنافقون من المؤمنين الاقتباس؛ لأنهم في ظلمة.

٢ـ قال: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ فبنى الفعل للمجهول، وقيل: هذا قول الملائكة لأنَّ المؤمنين مشغولون بما هو أهم. وفي عدم الرد عليهم من المؤمنين إهانة للمنافقين.

٣ـ قال: ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾ فيه إهانة أخرى.

٤ـ قوله: ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾ هو إمّا ظرف مؤكِّد أو فعل بمعنى (ارجع)، فالمعنى: ارجعوا ارجعوا، وهو إهانة ظاهرة.

٥ـ قال: ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ هذا من باب التهكم فهم يعلمون أنه ليس ثمة نور.

٦ـ قال: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ فحجزوهم عن اللحاق بالمؤمنين، وفي هذا إهانة.

٧ـ قال: ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهي جهتهم.

٨ـ قال: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ فرفعوا صوتهم من وراء السور ليلتحقوا بالمؤمنين ولكن هيهات.

٩ـ في رد المؤمنين عليهم إهانات متعددة لهم ﴿فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾[الحديد:١٤]

١٠ـ قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[الحديد:١٥] فيه إهانات متعددة للمنافقين وإخبار لهم بما سيلاقونه من سوء العذاب. والله أعلم.

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ أي: ألم يحنْ، من الفعل (أنى) أي حان.

٢ـ أسند الخشوع إلى القلب في قوله: ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ والخشوع أمر مشترك بين القلب والجوارح، فهو يُسند إلى الأبصار وإلى الوجوه وإلى الأصوات. والخشوع هو الخضوع والخشية والتذلل لله.

وقد ذكر القرآن في هذه الآية ثلاثة أمور، كلٌّ منها يستدعي الخشية :

أـ كون المخاطبين مؤمنين، وهذا يستدعي الخشية.

ب ـ ذكْرُ الله وهو مدعاة إلى الخشية.

ج ـ ما نزل من الحق وهو القرآن وهو مدعاة إلى الخشية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو ذكر عام مطلق، وقوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ هو خاص فعطف الخاص على العام، والحق هنا هو القرآن، وهو جامع للوصفين: الذكر والموعظة.

٤ـ قدّم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القرآن؛ لأنّ الخشوع والخوف والخشية لا تحصل إلا عند ذكر الله، وأمّا حصولها عند سماع القرآن فذاك لأجل اشتمال القرآن على ذكر الله.

وجاء الفعل ﴿تَخۡشَعَ﴾ مقابل الفعل ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ ليكون التحذير من أنْ يكونوا مثل الذين أوتوا الكتاب وليس كقلوبهم، أي المقابلة جماعة بجماعة.

٥ـ قوله: ﴿أُوتُواْ﴾ في القرآن تأتي في مقام الذم، بينما تأتي (آتيناهم) في مقام المدح.

٦ـ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ هو ظرف مبني على الضم في محل جر، والظرف المبني على الضم يدل على مدة معينة أو مكان معين، وإنْ بني على الكسر (قبلِهِ) فلا يدل على مدة معينة. وهنا توجد مدة معينة تبدأ من نزول التوراة والإنجيل؛ فلذلك استعمل ﴿مِن قَبۡلُ﴾ بالضم.

٧ـ قوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ للدلالة على أنّ الأولين قست قلوبهم، وكذلك المحدثون، بينما بدون (من) تدل فقط على الذين كانوا في زمن النبي عليه السلام وأنّ الأولين لم تقسُ قلوبهم.

٨ـ في القرآن تنسب القسوة إلى القلب فقط دون غيره من الأعضاء.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ﴾ على وزن (فعيل) صفة مشبهة، وهذا وصف للأشخاص لا للقلوب، ويستعمل القرآن صيغة التفضيل ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ عندما يطيل في ذكر الموضوع ويعدد الصفات فتأتي صيغة التفضيل [انظر آيات سورة المائدة ٥٨ ـ ٧٨] وعندما لا يطيل يستعمل ﴿وَكَثِيرٞ﴾

١٠ـ صيغة (فعيل) من الفعل المتعدي تكون للمبالغة ومن الفعل اللازم تكون صفة مشبهة، نحو :

ـ (سميع) من الفعل المتعدي (سمع) فتكون للمبالغة.

ـ (عليم) من الفعل المتعدي (علم) فتكون للمبالغة.

ـ (رحيم)من الفعل المتعدي (رَحِمَ) فتكون للمبالغة.

ـ (طويل) من الفعل اللازم (طال) فتكون صفة مشبهة.

ـ (قصير) من الفعل اللازم(قصر) فتكون صفة مشبهة.

١١ـ قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي خارجون عن دينهم، وكأنه إشارة إلى أنّ عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر.

١٢ـ في الآية نوع من التقابل، مثل :

﴿ءَامَنُوٓاْ﴾	مقابل	﴿أُوتُواْ﴾
﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾	مقابل	﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ﴾	مقابل	﴿قَسَتْ﴾

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الخضوع والخشوع؟

الجواب :

١ـ الخضوع قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: (خضع) إلا تجوزاً.

٢ـ الخشوع من أفعال القلوب، ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظر آيات [الإسراء ١٠٩ـ البقرة ٤٥ـ الأنبياء ٩٠ـ آل عمران ١٩٩ـ الحديد ١٦ـ الغاشية ٢].

السؤال الثالث :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ و ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٦.



﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في الآية وجهان :

أـ أنه تمثيل: والمعنى أنّ المواظبة على الذكر سبب لعودة حياة الخشوع إلى القلوب التي ماتت بسبب القساوة، كما يحيي الله الأرض بالغيث.

ب ـ أنّ المراد بعث الأموات؛ ليكون ذكر ذلك ترغيباً في الخشوع والخضوع وزجراً عن القساوة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي: ماتت بنفسها؛ لأنّ الفعل (مات) لازم أمّا الفعل: (أمات)، فهو متعدٍّ، ومنه: أمات يُميت؛ ولذلك لم يقل: (بعد إماتتها)؛ حتى لا يظن ظان أنّ أحداً غيره أماتها.

٣ـ في الآية المطلوب العلم بأنّ الله وحده فقط يحيي ولا غيره مطلقاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق في الدلالة بين ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ و ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾؟

الجواب :

الحرف (من): للابتداء.

جملة (من بعد موتها): معناه أنّ الإحياء يبدأ من بعد الموت بلا مهلة ولا فاصل.

وأمّا جملة (بعد موتها): فيحتمل الزمن القريب والبعيد.

لذلك ناسب الآية ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ لأنّ الإحياء قد يحتمل الزمن القريب والبعيد.

والله أعلم.

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الرابط بينها وبين ما سبق أنّ الصدقة تُضاعف كما تُضاعف الأرض غلتها، كما في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[الحديد:١٧].

٢ـ ذكر المتصدّقين والمتصدّقات؛ ليبيِّن استقلال الرجل والمرأة في العمل وفي مضاعفة الأجر، فهما متساويان ومستقلان؛ ولذلك لم يكتف بصيغة الذكور فقط.

٣ـ المصّدّقين: أصلها فيها إبدال للتاء بالصاد ودغمها في الصاد الثانية وفي الكلمة حرفان مشددان لبيان المبالغة في الصدقة.

٤ـ المعنى أنّ الذين اتصفوا بصفة الإكثار من الصدقة ثم أتوا بالقرض الحسن يُضاعف لهم.

٥ـ ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ هم كثيرو الصدقة، والتشديد للمبالغة والصدقة دائماً في الفروض والعبادة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هذا في التطوع، وهذا في العبادة والمعاملة المالية.

٧ـ في كل القرآن الكريم وصف الله القرض بصفة الحسن وأنه لله فقط. والقرض هنا للمال، ووصفُ الحُسنِ لأنه حسنٌ في الشخص، بطيب نفسه وبشاشته، وحسنٌ في المال، مكسبه حلالٌ ومن كريم ماله، وحسنٌ في الجهة التي يقرضها، فهو يعطيها لأفضل الجهات نفعاً للمسلمين.

٨ـ الصدقة عبادة فقط ومنها الزكاة، بينما القرض يستعمل للتعامل المالي وللعبادة؛ ولذلك قال: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ حتى يفرّق بين العبادة والتعامل المالي.

٩ـ وُصف الأجر بكونه كريماً؛ لأنه هو الذي يجلب مضاعفة الأجر.

١٠ـ تم عطف الفعل على الاسم وهذا يجوز، قال الشاعر:

إنّ الثمانين وبُلّغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجُمان

١١ـ جعل الصدقة بالصيغة الاسمية ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ للثبوت؛ لأنها عبادة فقط وجعل القرض بالصيغة الفعلية ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ للحدوث؛ لأنّ القرض للعبادة والتعامل المالي؛ ولأنه تطوع لا فرض.

لذلك لا تجد في القرآن مطلقاً (المقرضين)، وإنما تجد ﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

١٢ـ قد يذكر القرآن القرض الحسن بعد الزكاة، وقد يأمر به بعد الأمر بالزكاة، مما يشير إلى أنّ القرض الحسن إنما هو من باب التطوع بعد الفريضة.

١٣ـ المُقرض ليس ملزماً بالإقراض، بخلاف المزكّي فإنه ملزم بإخراجها وبخلاف المتصدق فإنّ من الصدقة ما يُلزم، والقرض الحسن أعم من الصدقة فهو في الصدقات وغيرها من وجوه الإنفاق في أبواب الخير.

١٤ـ لم يذكر الله القرض في القرآن إلا وصفه بالحسن بخلاف الصدقة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

الفعل: (أقرض) أشهر من الفعل: (قرض). والمصدر قرضاً وإقراضاً فلماذا استعمل القرآن (قرضاً) ولم يستعمل (إقراضاً)؟

الجواب :

١ـ لو قال: إقراضاً، لدل على المصدر أي الحدث فقط، بينما (قرضاً) تدل على المال والحدث، أي المصدر.

فجمع بين المعنيين، ولو قال: (إقراضاً) لدل على معنى واحد فقط.

٢ـ ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزّمل:٨]

٣ـ ومثل ذلك استعمال القرآن لكلمة (نباتاً) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح:١٧] وقال تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عن السيدة مريم في سورة آل عمران ٣٧، والسبب :

لو قال: إنباتاً، فإنّ المنبت هو الله تعالى؛ لأنه المنبت لكل شيء، وهنا يدل على الحدث.

أمّا قوله تعالى: ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: أنبتها فنبتت نباتاً حسناً، أي: جعل لها فضلاً في معدنها الكريم.

ولو قال: (إنبات) لم يجعل لها فضلاً؛ لأنّ الإنبات فعل من الله للجميع.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين كلمة ﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ و ﴿ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب ٣٥.



﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ هو عام في مقابله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في نفس الآية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦٓ﴾ يقابله ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي عن طريق الرسل.

٣ـ الصدّيق: نعت لمن كثر منه الصدق، وجمع صدقاً إلى صدقٍ في الإيمان بالله والإيمان برسله، لذلك كل من آمن بالله ورسله هو صديق بشكل عام. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾[الزُمَر:٣٣] فالمؤمن يصدق ويصدّق.

وصفة الصدق ملازمة دائماً للمؤمن، وحين سئل الرسول عليه السلام عن المؤمن هل يكذب؟ قال: لا، مع أنه قال: نعم للسرقة والزنى، فدلّ على أنّ الكذب يُخرج من الإيمان في لحظة الكذب.

٤ـ الصدّيقون: إمّا الموحدون بشكل عام، أو أنّ الآية خاصة تخص الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم مباشرة دون تكذيب لهم، مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأبي بكر وعمر وبقية المبشرين، وخصّ الرسول ﷺ أبا بكر بهذا اللقب؛ لأنه من صفوة الصفوة.

٥ـ الصدّيقون درجات: أعلاهم الأنبياء ثم غيرهم.

٦ـ جاءت كلمة ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ بعد الصديقين.

٧ ـ الشهداء: هم الأنبياء وشهداء المعركة في سبيل الله ومن ذكره الرسول من أنّ المبطون شهيد والمطعون شهيد.

ومن ناحية النحو هناك وجهان :

أ ـ إمّا عطف على (الصديقون) ويكون كل مؤمن صديقاً وشهيداً وسمي ذلك؛ لأنّ كل مؤمن يشهد كرامة ربه.

ب ـ ليس عطفاً وإنما مبتدأ وخبره: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

٨ـ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم. وقد تكرر ذكر الأجر والنور في السورة حتى أصبحت السورة قد طُبعت بهما. انظر الآيات التالية لكلمة: الأجر [٧ ـ ١١ـ ١٨ـ ٢٨].

و انظر الآيات التالية لكلمة: النور [٩ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٩ ـ ٢٨].

٩ـ نلاحظ أنّ الله تعالى ذكر الشهداء بعد الصديقين، ثم ذكر أجرهم ونورهم، وهذان الأمران هما طابع السورة.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ولم يبيّن ما كفروا به، وإنما أطلقها لأنّ الكفر بالآيات أحد أركان الكفر، فلو آمنوا بالله وكفروا بالرسالات ولم يصدقوها سيكونون كافرين؛ لذا لم يخصصها وإنما أطلقها عامة (كفروا) على العموم. والكفر عام، وهو بمعنى الستر والتغطية.

والله أعلم.



﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المقصود العام من هذه الآية تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة.

٢ـ ذكر أمر الدنيا كما هي في الحياة، فبدأ بها حسب تدرج الواقع :

أ ـ اللعب: وهو فعل الصبيان في الطفولة، واللعب أيضاً نقيض الجد.

ب ـ اللهو: وهو فعل الشبان، والغالب بعد انقضائه أنه لا يبقى إلا الحسرة.

ج ـ زينة: وهذا دأب النساء، وهو لتحسين القبيح وترميم الخراب وتكميل الناقص، ومن المعلوم أنّ العَرضي لا يقاوم الذاتي.

د ـ تفاخر بينكم: بالنسب والقدرة والقوة، وكلها ذاهبة.

هـ ـ ﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ ـ وفيها ذم التباهي بذلك، وقدّم الأموال لأنها تلهي أكثر، وغالباً يقدم القرآن المال على الأولاد إلا في حالات خاصة من السياق، ومن المعلوم أنّ السياق هو الذي يحدد التقديم والتأخير.

٣ـ عندما فصّل في هذه الآية فصّل مراحل الحياة، وإذا أجمل في مكان آخر ذكر اللعب واللهو فقط؛ لأنّ الباقي يتبع اللهو مثل المال والأولاد، قال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر:١] وقال: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾[المنافقون:٩].

٤ ـ الكفار: جمع كافر، وهو إمّا من الكفر وهو نقيض الإيمان، أو هو الزارع كما في آية الفتح (٢٩)، ولم يقل هنا ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ كما في آية الفتح لأنّ الزارع هو الذي يزرع ليستفيد ويفيد الآخرين، والكلام هنا ليس عن الزرع وإنما عن النبات، وهو يحمل في معناه كل ما نبت من الأرض مما يفيد أو لا يفيد؛ ولأنّ الكلام هنا عن الغيث لا عن زرع الزارع كما في آية الفتح.

٥ـ قوله تعالى: ﴿يَهِيجُ﴾ أي يتحرك وييبس، وبمجرد أنْ ييبس يصفر ولذلك جاء بالفاء للعطف والتعقيب ﴿فَتَرَىٰهُ﴾.

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ ولم يقل: (فيكون مصفراً)، أو لخطاب لكل ناظر، وهو يتعلق بالزينة التي سبق ذكرها، فعلقها بالناظر.

٧ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ أي كان حطاماً حقيقة، وليس حسب رؤية الناظر، والمعنى: أنّ النبات كان حطاماً، وهو تعبير عن الدنيا، فلِمَ تغتر بها؟ !.

لذلك لم يقل مثلاً ثم تراه حطاماً؛ لأنك ربما تراه ولكن لا يعرف حقيقته إلا صاحب الشأن، فبيّن الله وهو هنا صاحب الشأن أنه حقيقةٌ هو حطامٌ.

٨ـ لم يقل مثلاً: يجعله حطاماً؛ لأنّ السياق ليس فيه ذكر الله، بينما في آية الزمر قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾[الزُّمَر:٢١].

نرى في الآية أنّ الإسناد كله لله، فهو الذي أنزل وهو الذي سلك، وهو الذي يخرج وهو الذي يجعله حطاماً؛ لأنه أسند الفعل إلى الله في جميع الآية.

٩ـ قدّم العذاب قبل المغفرة؛ لأنّ الكلام عن الآخرة وفيها العذاب قبل الحساب والجزاء:

أـ عذاب الموقف والانتظار.

ب ـ عذاب ورود النار لجميع الخلق.

ج ـ قسم يعذبون ثم يخرجون إلى الجنة وليس العكس.

١٠ ـ قدّم المغفرة على الرضوان؛ لأنّ الرضوان هنا هو الجنة والمغفرة تكون قبل دخول الجنة وليس بعدها.

وخصص المغفرة وقال: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لتقابل الرضوان؛ لأنّ الرضوان مخصص في كونه من الله، وكلاهما مطلقٌ من حيث الدلالة، فتناظرا من حيث كونهما خاصين بالله عامين من حيث الدلالة.

١١ ـ لم يقل (عذاب من الله)، بل قال: ﴿وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ ورضوان من الله، للدلالة على سعة رحمة الله، وأنّ رحمته سبقت عذابه، إضافة أنّ الله لا ينسب لنفسه السوء، وإنما ينسب لنفسه الخير.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين المغفرة والغفران؟

الجواب :

الغُفران :

وردت مرة واحدة فقط في القرآن في قوله تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] وهي طلب المغفرة من الله، ومنه وحده فقط.

المغفرة :

أ ـ تستعمل في المغفرة من الله وغيره، فهي عامة من حيث الغافر.

ب ـ لم تأتِ في الطلب وإنما في الإخبار، كقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ وكقوله تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾[البقرة:٢٦٣]. لذلك قد تتعدد المغفرة من غير الله، وهي ليست خاصة لله فقط.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الرضوان والمرضاة؟

الجواب:

الرضوان:

أ ـ الرضوان خاص في أنه من الله فقط، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾[التوبة:٢١].

ب ـ عام في ابتغاء الرضا من حيث الدلالة.

المرضاة:

أ ـ خاصة في ابتغاء الرضا، فهي لم تستعمل في غيره.

ب ـ عامة في المبتغى منه الرضا، فهو الله أو غيره.

والله أعلم.



﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ طلب الله تعالى من عباده المسابقة في طلب الآخرة بدلاً من مسابقة الدنيا.

٢ـ قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فذكر الرب وهو المربي والمرشد والموجه؛ ليتناسب مع توجيهه بالمسابقة في طلب الآخرة، ولم يقل (من الله)؛ لأنّ لفظ الجلالة اسم علم على واجب الوجود، ويستعمل للعبادة عادة.

٣ـ جاء بحرف التشبيه: ﴿ كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنّ لفظ السماء أوسع دلالة من لفظ السماوات، ولأنّ السماء تشمل لغوياً كل ما علاك بما فيها السقف والجو والسحاب والسماوات.

فلمّا اتسع المشبه لزم التشبيه بحرف الكاف.

٤ـ قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ولم يقل هنا مثلاً: وعملوا الصالحات، وهذا فضل كبير من الله لدخول الجنة؛ لذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد:٢١].

٥ـ وسّع الله دائرة الخلق الذين سيدخلون الجنة ووسّع الفضل فاتسع المكان فاستعمل ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ .

٦ـ في الآية :

قال: ـ ﴿سَابِقُوٓا۟ ﴾ـ وفيها مسارعة وزيادة.

وقال: ـ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ـ وتعني السماوات وزيادة.

وقال: ـ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ ـ وتشمل المتقين وزيادة.

وقال: ـ ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ ـ وفيه فضل وزيادة.

السؤال الثاني :

المطلوب مقارنة بين آية الحديد ٢١ وآية آل عمران ١٣٣.

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٣٣.



﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

المعنى العام: أنه ما حلّت من مصيبة في الأرض أو في نفسٍ إلا وهي مكتوبة مقدرة قبل وقوعها.

١ـ قوله: ﴿أَصَابَ﴾ وهو ضد الخطأ، أي أنّ المصائب تقع في أماكنها المقدر لها وزمانها المقدر لها ولا تخطىء. والقرآن لا يستعمل مع المصيبة إلا الفعل (أصاب) أو ما تصرف منه.

ولو قال: (حلّت) بدل (أصاب) فلا يفيد هذا المعنى، بل تفيد (وقعت) فقط.

وقوله: ﴿أَصَابَ﴾ هو قول مطلق عام لم يقيده بزمان أو شخص، بخلاف ما لو قال (أصابكم)، فإنه يكون قولا خاصاً للمخاطبين.

٢ـ قدّم الأرض؛ لأنها سابقة على الإنسان، وكان فيها كوارث قبل البشر فمصائب الأرض أسبق؛ ولذلك قدّمها.

٣ـ قوله: ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾ (من) استغراقية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢] وقوله: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[المائدة:١٩].

وعندما تقول: (ما جاءني رجل) قد تحتمل أنه جاءك رجلان أو أكثر لكنْ عندما تقول: (ما جاءني من رجل) فمعناه: لم يأت جنس الرجال فاستغرق الجنس.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يدل على العلم ﴿فِي كِتَابٍ﴾. وعلى القدرة ـ ﴿نَّبْرَأَهَا﴾ ويدل على التوحيد؛ لأنه لا غيره فعل ويفعل ذلك. وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يدل على القضاء والقدر.

٥ـ قوله: ﴿نَّبْرَأَهَا﴾ أي نوجدها ونخلقها، وأطلق الضمير، فقد يعود على المصائب أو الأرض أو الأنفس، والمراد الجميع.

ولو قال مثلاً: (قبل أن تقع) لدلّ ذلك على العلم دون القدرة.

والضمير في ﴿نَّبْرَأَهَا﴾ جاء بالجمع للتعظيم، فجاء بعده ما يدل على الإفراد؛ ليثبت معنى التوحيد، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾.

وضمير غير العاقل في ﴿نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ يأتي بضمير الإفراد مع الكثرة، فوق العشرة. ويأتي بضمير الجمع مع القلة، من الثلاثة إلى العشرة. وذلك كقوله تعالى:

ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾[التوبة:٣٦].

فقال: ﴿مِنۡهَآ﴾ بضمير الإفراد؛ لأنه يشير إلى عددها الـ ١٢ شهراً، وقال: ﴿فِيهِنَّ﴾ بضمير الجمع؛ لأنه يشير إلى عدد الأشهر الحرم، وهي أربعة.

ونحو ذلك في آية البقرة (١٩٧) وهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ فأعاد الضمير عليهن بالجمع؛ لأنهن ثلاثة أشهر.

وكقوله تعالى في آية نوح: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾ [نوح:١٥-١٦] فأعاد الضمير على السماوات بصيغة الجمع؛ لأنهن سبع.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ قدّم فيه الجار والمجرور؛ ليفيد الحصر. والله أعلم.

السؤال الثاني:

زاد في آية الحديد ٢٢ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ على ما في آية التغابن ١١ فلماذا؟

الجواب :

لما فصّل في سورة الحديد في أحوال الدنيا والآخرة ما لم يفصله في آية التغابن زاد في التفصيل فيها موافقة لما قبلها، فقال: ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.



﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا ذكر الله تعالى في الآية السابقة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢] بيّن أنه إذا كان كل ذلك مدوناً، فلماذا تأسون على الفائت كثيراً وتفرحون الفرح المطغي بحيث تختالون على خلق الله بسبب ما آتاكم الله؟ !

وفي هذا توطين للنفس على قبول ما يحصل لها من ضر وعدم الاختيال على عباد الله بما يؤتيه الله تعالى من النعم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ الأسى هو الحُزن، لكنّ الحَزن أصعب وأشد من الأسى.

ومن دعاء الرسول عليه السلام: **اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحَزن إذا شئت سهلاً.**

٣ـ الحُزْن أثقل على النفس من الحَزن، فالحَزن تجتازه وينتهي الأمر أمّا الحُزن فيبقى في النفس.

(الحُزن) بالضم و(الحَزَن) بالفتح، والضم أثقل حركة ولفظاً من الفتح.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَاتَكُمْ﴾ أي من الخير وأسند الفوت إلى الشيء نفسه وقوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي من النعم وأسند الله الأمر إلى نفسه، كما هو الخط العام في القرآن، حيث يسند الله تعالى الخير إلى نفسه.

السؤال الثاني :

قال الله في الحديد ٢٣ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ وفي آل عمران ١٥٣ ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ والحُزن أشد وأصعب من الأسى، فلماذا؟

الجواب :

أ ـ في آيات آل عمران: الحزن في أمرين: على ما فاتهم، وعلى ما أصابهم.

ب ـ في الحديد: على أمر واحد ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، أما (بما آتاكم) فهي نعمة.

لذلك الحُزن في آل عمران أشد، فناسب اختيار: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾.

السؤال الثالث :

ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ وختم الله تعالى في آية لقمان ١٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ بالتأكيد بـ ﴿إِنَّ﴾ فلماذا؟

الجواب :

آية لقمان في آداب المعاملات والتصرف بين الناس، وذكر في لقمان من الصفات ما هو أسوأ، نحو: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان:١٨] - (القصد في المشي، غض الصوت)، فاحتاج للتأكيد في لقمان أكثر، فقال: ﴿إِنَّ﴾ .

بينما لم يذكر في الحديد إلا: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فلم يحتج إلى التأكيد.

السؤال الرابع :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿ لِّكَيْلَا﴾ متصلة مرة في آية الحديد ٢٣ ومنفصلة في آية النحل ٧٠؟

الجواب :

أولاً: وردت (كي) في القران الكريم عشر مرات منها ثلاث مرات بمفردها وسبع مرات مقترنة بلام النافية، وضمن هذه المرات السبع كتبت (كيلا) متصلة أربع مرات في آيات [آل عمران ١٥٣ - والحج ٥ - والأحزاب ٥٠ - والحديد ٢٣] وثلاث مرات منفصلة؛ أي كتبت ﴿كَىْ لَا﴾ في آيات [الأحزاب ٣٧ - والنحل ٧٠ - والحشر ٧].

وبشكل عام يمكن أن نقول :

١- خطان لا يُقاس عليهما: خط المصحف وخط العروض.

٢- من الناحية اللغوية جائز كتابة (لكيلا) متصلة أو منفصلة، لكنها تُرسم بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام.

٣ـ من الناحية البيانية ﴿كَيۡ لَا﴾ منفصلة تحتمل الفصل والزمن الطويل أمّا الكلمة الموصولة ﴿لِّكَيۡلَا﴾ فلا تحتمل الفصل.

ثانياً ـ الآية تبين أن ما قدّر الله من مصائب في الأرض مثل الزلازل والفيضانات وأمثال ذلك أو في أنفس الناس من الأمراض وضيق العيش كل ذلك مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل حصوله، وهذا الأمر متصل ومطبق في حياتكم سواء كان الأمر محزناً أم مفرحاً. والمؤمن يجعل مصيبته صبراً والخير شكراً. ولذلك كان من المناسب استخدام ﴿لِّكَيۡلَا﴾متصلة لاتصال ذلك القدر بحياة الناس.

ثالثاً ـ لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية النحل ٧٠.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما فائدة العدول عن قوله: (يبغض) إلى قوله: ﴿لَا يُحِبُّ﴾ في آية الحديد ٢٣، مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض؟ وما فائدة تخصيص كل آية بما ذكر فيها في آيات البقرة ٢٧٦ـ النساء [٣٦ـ١٠٧]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٦.

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ وصف آخر للذين لا يحبهم الله، وهي ليست معطوفة على ما قبلها، وإنما بدل من: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ أو نعت أو صفة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ هو وصف آخر أيضاً لهم، فهم لم يكتفوا بأنهم بخلاء، ولكن يأمرون الآخرين بالبخل، ومن دواعي ذلك حتى لا يُذكر أحدهم بخير فيكونوا بذلك سواء.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي يعرض عن الأشياء التي أمر الله بها.

٤ـ فيكون الرد من الله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ أكدها بالتوكيد ﴿فَإِنَّ﴾ وبضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ وبتعريف الصفتين: ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ فهو الغني الحميد بحق لا غيره.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

ذكر ربنا في الآية إرسال الرسل وذكر البينات والميزان وذكر الغرض ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ﴾ ثم ذكر إنزال الحديد ومنافعه ثم ذكر العلّة ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ﴾ علم يتعلق به الجزاء؛ لأنّ الله ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

١ـ قدّم البينات على الكتاب؛ لأنّ البينة أو المعجزة هي السبيل للإيمان وهي دليل صدق الرسول؛ لذلك البيّنة تسبق الكتاب.

٢ـ قدّم الكتاب على الميزان: لأنّ الكتاب يتضمن الميزان، حيث فيه كل ما يتعلق بالحقوق ومنها إقامة الوزن بالقسط، والميزان هو الآلة المعروفة والكتاب والميزان هو ما يميّز به الحق من الباطل والعدل من الظلم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ ۖ﴾ القسط هو العدل والحصة والنصيب، وهو من الفعل الرباعي (أقسط).

أما الفعل الثلاثي: (قسط)، فهو بمعنى: جار وظلم، وتسمى همزة أقسط همزة السلب، يعني: رفع الظلم وسلبه وأزاله؛ أي عدل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ ولم يقل: بالعدل، والسبب :

أ ـ القسط: تستعمل في القرآن في الوزن وغيره؛ لأنّ القسط هو الحصة والنصيب، والغرض من الميزان أنْ يأخذ الإنسان نصيبه، كما في الآيات: [المائدة ٤٢ـ النساء ١٣٥] ولم يستعمل القرآن مع الوزن إلا القسط، ولم يستعمل معه العدل.

ومن أسماء الميزان: القسطاس: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾.

ب ـ لم يستعمل القرآن الفعل (يقوم) في الوزن وغير الوزن إلا مع القسط ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ ـ ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

ج ـ العدل: لم تستعمل كلمة العدل في القرآن مطلقاً مع الوزن، بل جاءت كلمة القسط ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ ـ ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ ـ ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾.

ولذلك قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ لأنه :

أ ـ هوإشارة إلى أنّ الحق بحاجة إلى قوة لتحميه، ولذلك قال: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ولم يقل: (قوة)؛ لأنه أحياناً يقتضي الحرب لإقامة القسط، وإذا لم يكن هناك قوة تحمي العدل تضيع الحقوق.

والبأس: بمعنى الحرب أو الشدة في الحرب، وهو بمعنى العذاب أيضاً كما في الآيات: [الإسراء ٥ـ النمل ٣٣ـ الأحزاب ١٨].

وبالتالي يكون المعنى: أنزلنا الحديد حتى تُحمى حقوق الله.

ب ـ والبأس درجات، والقوة عامة، وأحياناً ليس لها علاقة بالردع. فالقوة عامة والبأس خاص.

انظر الآيات [الروم ٥٤ـ مريم ١٢ـالنمل ٣٣].

٦ـ جاء في تفسير الرازي: أنّ ذكرالكتاب في الآية يشير إلى القوة النظرية، وذكر الميزان يشير إلى القوة العملية، وذكر الحديد يشير إلى دفع ما لا ينبغي.

ولّما كان أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية، ثم رعاية المصالح الجسمانية، ثم الزجر عما ينبغي روعي هذا الترتيب في الآية.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قال المفسرون القدامى: بأنّ الحديد أنزله الله من السماء ولم ينشأ في الأرض. وهذا ما مال إليه العلماء المحدثون ويعتبرون ذلك من الإعجاز العلمي.

وجاء بضمير التعظيم مع الفعل ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ وأتبعه بالإفراد (ليعلم الله) ليثبت معنى التوحيد، كما هو خط القرآن في ذلك.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي هم فعلوا ذلك وإنْ لم يطلع عليهم أحد من الناس، وفيه دلالة على إخلاصهم ونصرتهم لله، فهم ينصرونه ولا يبصرونه، وينصرونه وهم مؤمنون بالله.

والآية تحتمل: الإخلاص والإيمان بالغيب من شدة الإخلاص.

٩ـ ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ ليبين الله أنه غير محتاج لمن ينصره، وربنا قوي عزيز لكنْ حتى يتعلق الجزاء به.

السؤال الثاني:

ختم في آية الحج ٤٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾مع التأكيد باللام، ولم يؤكد ذلك في آية الحديد ٢٥، فلماذا؟

الجواب:

أ ـ آية الحج في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد. اقرأ قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[الحج:٣٩-٤٠]. ونلاحظ أنه:

ـ أذِن لهم بالجهاد مع بيان أنّ الله هو الناصر الأقوى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

ـ أنّ الله تعالى وعدهم بالنصر المؤكد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

ب ـ في آية الحديد ذكر فقط بأنّ المؤمن هو الذي ينصر الله، وقال في الحج :إنّ الله هو الذي ينصر المؤمنين.

فلما كان الناصر في آية الحج أقوى ناسب التوكيد الأقوى، فقال: ﴿لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة (الواو) و(مع) في الآية ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥] فلا يصح أنْ يقول: أنزلنا وإياهم الكتاب؛ لأنهم لم يقترنوا في الإنزال، فإنّ الرسل لم تنزل.

السؤال الرابع :

ما اللطائف العددية في سورة الحديد؟

الجواب :

١ـ هي السورة الوحيدة التي سميت باسم عنصر معدني معروف في الطبيعة.

٢ـ هي آخر سورة في النصف الأول من سور القرآن، وترتيبها في المصحف (٥٧).

٣ـ جمّل كلمة (الحديد) هو [١+٣٠+٨+٤+١٠+٤= ٥٧] وهو نفس رقم ترتيب السورة في القرآن، ويساوي الوزن الذري لعنصر الحديد.

٤ـ جمّل كلمة (حديد) هو (٢٦) ويساوي (العدد الذري) لعنصر الحديد.

٥ـ للعلم فإنّ العدد الذري في علم الكيمياء هو عدد البروتونات في الذرة والوزن الذري يتعلق بعدد (البروتونات+النيوترونات).

٦ـ قد يقول البعض إنّ الوزن الذري للحديد هو (٥٥.٨) وليس (٥٧) والصحيح أنّ للحديد خمسة نظائر أوزانها الذرية هي: [٥٥ـ٥٦ـ٥٧ـ٥٨ـ٥٩] واللافت للنظر أنّ النظير (٥٧) جاء في منتصف الأوزان.

أمّا الرقم (٥٥.٨) فهو لا يتعلق ببنية الذرات، وإنما هو متعلق بنسبة انتشار كل نظير في الطبيعة.

٧ـ لذلك نشعر أنّ للعدد (٥٧) أهمية خاصة في هذا المقام، ومن ذلك:

أـ ترتيب سورة الحديد في المصحف هو (٥٧) وعدد آياتها (٢٩) وحاصل ضرب الرقمين هو: [٥٧×٢٩= ١٦٥٣] وهذا يساوي أيضاً مجموع الأرقام من (١) إلى (٥٧).

ب ـ وردت كلمة (حديد) في القرآن (٦) مرات في (٦) سور حسب الجدول التالي:

السورة	الكلمة	ترتيب الكلمة في السورة
الإسراء	﴿حَدِيدًا﴾	٦٦٧
الكهف	﴿ٱلْحَدِيدِ﴾	١٤٠٢
الحج	﴿حَدِيدٍ﴾	٣٦٨
سبأ	﴿ٱلْحَدِيدَ﴾	١٧٧
ق	﴿حَدِيدٌ﴾	١٨٣
الحديد	﴿ٱلْحَدِيدَ﴾	٤٦١
المجموع		٣٢٥٨

والجذر التربيعي لهذا العدد هو ٥٧.٠٧٨٨ على وجه التقريب.

٨ـ لو سألت ما الحكمة التي ذكرها الله في القرآن من إنزال الحديد لكان الجواب من الآية ٢٥ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ وجمّل هذه الكلمات الخمسة عشر هو ٣٢٦٣ والجذر التربيعي لهذا العدد هو بالتقريب (٥٧.١٢).

والملاحظ أنّ الفرق بين هذا العدد ٣٢٦٣ ومجموع مواقع كلمة (حديد) هو ٥ فما السر؟ !! هل هو عدد نظائر الحديد؟ الله أعلم.



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

كما قدّم البينة على الكتاب في الآية السابقة قدّم هنا النبوة على الكتاب لأنها هي السبيل للتصديق بالكتاب. فالنبوة هي تصديق للكتاب وأحياناً يتأخر الكتاب عن النبوة بزمان بعيد مثل موسى عليه السلام حيث مكث فترة طويلة قبل أن يؤتى الكتاب.

وقد تكون النبوة بدون كتاب مثل إسحق ويعقوب عليهما السلام والرسول مكلف بالتبليغ، وليس شرطاً أنْ يكون معه كتاب.

لذلك النبوة أعم، ومن حيث الإنزال تكون أسبق، والكتاب ليس شائعاً كالنبوة، لذلك من الطبيعي أن يقدّم النبوة على الكتاب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الحديد:٢٦] قابل بين [مهتد و فاسق] وليس بين [مهتد وضال]، فلماذا؟

الجواب:

أ ـ الضلال هو نقيض الهداية، والضلال هو عدم تبين الأمر. وقد يكون عن غير قصد وعن غير علم، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف:١٠٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١١٩].

ب ـ الفسق: هو بَعْدَ العلم تحديداً، وحتى يكون فاسقاً ينبغي أن يكون مبَلَّغاً؛ حتى يكون فسق عن أمر ربه.

ج ـ الضلال عام: وليس حصراً على اليهود والنصارى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢].

إذن مع كلمة ﴿فَاسِقُونَ﴾ نفهم أنهم مبلَّغون، ثم خرجوا عن الأمر فإذن هم فاسقون.

ولو قال: (ضالون) قد يعطيهم بعض العذر أنهم عن غير قصد، لكنهم فاسقون بعد المعرفة، أي بعد التبليغ فسقوا.

ويكون معنى ختام الآية: تنكبوا الصراط بعد المعرفة.

د ـ لم يصف المهتدين بالكثرة، بل وصف الفاسقين في الكثرة زيادة في الذم لهم.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

بعد أن ذكر ربنا في الآية السابقة ﴿نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ﴾ قال هنا في هذه الآية: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فلماذا ذكر هنا (عيسى) عليه السلام؟

الجواب :

أ ـ عيسى عليه السلام هو آخر الرسل من تلك السلسلة، ثم تنتقل النبوة إلى بني إسماعيل أي إلى الرسول الخاتم محمد ﷺ.

ب ـ عيسى عليه السلام هو من ذرية إبراهيم لكن ليس من جهة الأب وإنما من جهة الأم، وعيسى عليه السلام تفرّد عن بقية الرسل فاقتضى ذكره وذكر عدة أمور تخصه.

ج ـ ذكر كتابه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وذكر أتباعه: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

السؤال الثاني :

قال هنا: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد:٢٧] وقال في آية المائدة ٤٦ : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ في آية الحديد :

أ ـ معنى: (قفى على أثره) يدل على قرب ما بين الماشيين، أي جاء الثاني قبل أنْ يزول أثر الأول، ولو طالت المدة أعواماً لزال الأثر.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد:٢٧] أي تتابعت الرسل بعد الأبوين نوح وإبراهيم على مدد متقاربة قبل أنْ يزول أثر من كان قبله ولم يذكر بعد عيسى عليه السلام في الآية.

ثم قال: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد:٢٧] ولم يقل هنا على آثارهم؛ لأنّ الفترة بين عيسى عليه السلام وآخر نبي قبله [قيله يونس بن متى عليه السلام والذي أُرسل إلى أهل نينوى في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد] فترة طويلة كما ذكر المؤرخون حوالي (٨٠٠) سنة فانعدمت الآثار؛ لذا قال: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد:٢٧].

٢ـ في سورة المائدة: لننظر أولاً في الآيات[٤٤ـ٤٦] قال تعالى :

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ

ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾[المائدة:٤٤-٤٥-٤٦].

فالتقفية في المائدة ليست في الرسل، وإنما في تقفية الربانيين والأحبار وهؤلاء لم ينقطعوا.

لذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ متعلقة بالربانيين والأحبار، أمّا في آية الحديد فمتعلقة بالأنبياء والرسل خاصة.

فلمّا كانت في الرسل قال: ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ ولم يقل: (على آثارهم)، ولمّا كان الكلام عن الربانيين والأحبار وهم لم ينقطعوا قال: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:٢٧].

أ ـ جعل الله في قلوبهم رأفة ورحمة، وهم ابتدعوا الرهبانية ولم يكتبها الله عليهم. و(الواو) ليست عاطفة؛ لأنّ الرهبانية لا تكون في القلب، فهي ليست معطوفة على (جعلنا)، وهذا يسمى الاشتغال.

ب ـ في قوله تعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ذم من وجهين :

ـ أنهم ابتدعوها، فالدين لا يؤخذ بالابتداع، ولو كان الغرض رضوان الله؛ لأنّ رضوان الله يأتي بالاتباع لا بالابتداع.

ـ عدم الإيفاء بحقها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

ج ـ في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧] هذا يسمى استثناء منقطعاً، وليست متعلقة بابتداع الرهبانية.

إذن ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ قد تكون متعلقة بابتداع الرهبانية، أو بما كتب الله عليهم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وقبلها مباشرة قال: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ عبّر عنهم بالذين آمنوا، ولم يقل الذين رعوها حق رعايتها، فلماذا؟

الجواب :

أ ـ دلت الآية على أنّ مناط الأمر هو الإيمان، وليس غيره مثل رهبانية مبتدعة.

ب ـ لم يقل: (الذين رعوها)؛ حتى لا يظن ظان أنّ الله يرضى عن الابتداع حتى ولو كان لغرض رضوانه، لذلك أُرجِعَ الموضوع إلى الأصل وهو الإيمان، فقال: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾.

السؤال الخامس :

قال الله هنا في الآية: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ والآية التي قبلها ﴿فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾[الحديد:٢٦]، فلماذا؟

الجواب :

قال الله تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾؛ حتى لا يُظن أنّ الذين ابتدعوا الرهبانية يوصفون بالهداية، وربنا لا يصفهم بالهداية، ولذلك لم يذكر ذلك فأسقط الابتداع، وإنما قال: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾.

السؤال السادس :

ما ملخص أمر أتباع عيسى عليه السلام في الآية؟

الجواب :

تلخيص القول هو:

أ ـ إنّ الذين اتبعوا عيسى عليه السلام في قلوبهم رأفة ورحمة.

ب ـ لكنْ هناك صنفان: صنف آمن، وصنف ابتدع.

ج ـ الذي ابتدع ذمه الله من جهتين: أنه ابتدع ولم تشفع له نيته، ثم هو لم يراع ما ابتدع؛ لأنه نذر ولم يفِ بنذره.

د ـ ثم تكلم عن الذين آمنوا وليس عن الذين ابتدعوا، يعني أنه أسقط الابتداع مهما كانت النية.

هـ ـ وكثير منهم فاسقون: أي هؤلاء الكثرة هم الذين ابتدعوا فضيعوا ففسقوا؛ لأنهم خرجوا عن حدود ما أنزل الله، أمّا القليل فهم المتبعون.

السؤال السابع :

في آية المائدة ٤٦ وصف الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ولم يقل ذلك في آية الحديد ٢٧، فما السبب؟

الجواب :

أ ـ الهدى والنور عام في الكتب السماوية كلها.

ب ـ في الآية ٤٦ ذكر التوراة وذكر أنّ فيها هدى ونوراً، وذكر الإنجيل وذكر أنّ فيه هدى ونوراً.

وعندما ذكر التوراة ذكر بعض الأحكام، كما في الآية ٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥] ثم جاء بعدها: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٦] فذكرهما في سياق واحد.

أمّا في آية الحديد فلم يذكر أحكاماً، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾.

والله أعلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٢٨] هذا الطلب هو:

أ ـ للمؤمنين من أهل الكتاب، أنه لا يشفع لهم إيمانهم السابق إلا أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام.

ب ـ للمؤمنين بمحمد عليه السلام أنْ يثبتوا على ذلك. ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ﴾ الثانية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾ أي نصيبين من الأجر، ولم يقل (أجرين) والسبب:

أ ـ أنّ الكفل ليس له علاقة بالعمل وإنما نصيب، وقد يكون في الخير أو الشر، بينما الأجر هو الجزاء على العمل.

ب ـ وهنا لم يذكر عملاً وإنما التقوى والإيمان، فناسب ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾ لأنهم عند ذاك آمنوا مرتين: الأولى بموسى أو عيسى عليهما السلام، والثانية الإيمان بمحمد ﷺ.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ وهو عام في الدنيا والآخرة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الحديد: ﴿تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ وفي آية الأنعام ١٢٢ ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾، فلماذا؟

الجواب:

السبب أنّ آية الحديد عامة، بينما الكلام في سورة الأنعام اكتنفه الكلام عن الدنيا وذكر معاملاتهم وافتراءاتهم وضلالاتهم. انظر الآيات[١١٦ـ ١٢٢].

بخلاف سورة الحديد، فلم يذكر فيها معاملات الناس وأحوالهم، وإنما هو ذِكرٌ بشكل عام. مثلاً قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ ولم يقل بين الناس؛ لأنه في الآخرة ليس المشي في الناس وإنما يمشي بالنور وحده، والنور له وحده لا يشاركه فيه أحد. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفكرة العامة لسبب نزول هذه الآية؟

الجواب:

الذين أسلموا من أهل الكتاب كانوا يفخرون على المسلمين أنّ الذي يسلم منهم له أجره مرتين، وأنتم تأخذون أجركم مرة واحدة، فحزن المسلمون فأنزل الله الآية السابقة ٢٨ وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي ليعلم أهل الكتاب، وقسم من النحاة يسمون هذه اللام صلة، بحيث لو أسقطتها يبقى المعنى مستقيماً لكنْ تفيد التوكيد.

وتزاد في اللغة عادة بشرط أنْ يكون اللَبس مأموناً والمعنى متضحاً.

*شواهد قرآنية :

ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾[طه:٩٢-٩٣].

ـ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾[الأعراف:١٢].

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي أنّ أهل الكتاب لا يقدرون على شيء من فضل ربنا، فهو الذي قدّر أنه يؤتيهم كفلين من رحمته لكل من آمن بالرسول محمد ﷺ بعد ما كان مؤمناً برسوله السابق موسى أو عيسى عليهما السلام.

السؤال الثاني :

ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ بالتعريف، بينما خُتمت آية آل عمران (١٧٤) بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

أ ـ التعريف يفيد العموم والشمول، والتنكير يفيد التقليل.

ب ـ آية آل عمران في أُحُد وفي نجاتهم مما كان يُراد بهم. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وفي أُحد مسهم سوء فلهم أجر.

ج ـ في آية الحديد ذكر كفلين من رحمته ومغفرة ونوراً، وهذا أكبر ولذا قال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الحديد مع خواتيمها

١ ـ قال سبحانه في بداية السورة:

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾[الحديد:٢].

وقال أيضاً :

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾[الحديد:٥].

وذكر فضله في آخر السورة، فقال :

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد:٢٩].

فذكر أنّ له الملك العظيم في بداية السورة.

وذكر فضله العظيم في خاتمتها، فالذي له ملك السماوات والأرض هو ذو الفضل العظيم.

٢ ـ قال في أوائل السورة:

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧].

وقال في خواتمها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨].

فأمرهم بالإيمان بالله والرسول والإنفاق في سبيله أولاً، وأمرهم بتقوى الله والإيمان برسوله في الختام.

وذكر أنّ للذين آمنوا وأنفقوا أجرًا كبيرا في البداية.

وأنّ الذين اتقوا وآمنوا برسوله يؤتيهم كفلين من رحمته في الخاتمة.

والأجر الكبير من رحمته سبحانه.

والله أعلم.



الجزء الثامن والعشرون

الانتماء للإسلام والتبرؤ من المشركين والكفر

كل السور في الجزء الثامن والعشرين تهدف إلى الدعوة للانتماء للإسلام والتبرؤ من الكفر ومن المشركين، فلا بدّ يا مَن أيقنت وآمنت بالقرآن أن تكون في حالة وحدة مع المؤمنين .

والانتماء هذا يبدأ بالأسرة التي يجب أن تكون متماسكة وموحّدة. يجب أن تشعر أن كيانك كلّه مرتبط بهذا الدين، فولاؤك وانتماؤك ومناصرتك كلّه للمؤمنين وأنْ تتبرأ من كل شخص لا ينتمي لهذا الدين.

وقد سبق لسور القرآن أنْ عرضت على المسلمين المنهج، ثم جاءت السور تؤكد أدوات المؤمن لحمل المنهج، ثم جاء الاختيار في الجزء السابق، والآن جاءت هذه السور لتؤكد أنه لا بدّ من الإحساس والانتماء فلا يكفي للمسلم أنْ يؤدي عباداته كالصلاة والزكاة.

ولنستعرض السور كلاً على حدة، فكل منها يخدم جانباً من جوانب الهدف الرئيس للجزء.

فالسور الأربعة الأولى (المجادلة، الحشر، الصفّ، الجمعة) كلها تدعو للاجتماع والوحدة والانتماء، ودليل هذا الانتماء هو ترابط المؤمنين ووحدتهم.

ثم تأتي سورة الممتحنة التي فيها امتحان إيمان المسلم وتعطي نماذج عن أناس امتحنوا في إيمانهم، ثم سورة المنافقين؛ لأنّ أكثر ما يضيّع وحدة الصف عند المسلمين والانتماء لدينهم هو النفاق والمنافقون. ثم تأتي مجموعة السور الأخيرة (التغابن، الطلاق، التحريم) وكلها تركّز على الشواغل التي تمنع من الانتماء كالأولاد والذرية والبيوت.

والله أعلم.



سورة المجادلة

أولاً ـ تناسب خواتيم الحديد مع فواتح المجادلة :

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة الحديد :

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الحديد:٢٩].

وذكر من فضل الله العظيم في أول سورة المجادلة أنه سمع للمرأة التي تجادل رسول الله في زوجها، وأنها تشتكي إلى الله، فحفظها من التضييع وحفظ المسلمين من نحو هذا إلى يوم القيامة.

جاء في (روح المعاني): ((وجه مناسبتها لما قبلها أن الأولى ـ يعني سورة الحديد ـ ختمت بفضل الله تعالى وافتتحت هذه بما هو من ذلك)).

٢ ـ ذكر في أواخر سورة الحديد أنّ أهل الكتاب ابتدعوا رهبانية ما كتبها الله عليهم، وذلك قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[الحديد:٢٧].

وذكر في أول سورة المجادلة من الأمور المبتدعة التي لم يكتبها الله سبحانه بل أبطلها، وهي الظهار. قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ﴾[المجادلة:٢].

ثانياً ـ هدف السورة : أهمية وحدة الأسرة

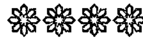
السورة تفصّل الولاء للمؤمنين والانتماء للدين والتبرؤ من المعادين للدين. وقضية الأسرة مهمة للغاية؛ لأنّ ترابط المجتمع يبدأ من ترابط الأسرة. وكأنّ هذه السورة هي مفتاح باقي السور في الجزء، ففيها موضوع الانتماء والتبرؤ، وباقي السور تأتي لتشرح هذا المبدأ.

تبدأ السورة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة:١] بقضية الأسرة من حادثة خولة ابنة ثعلبة التي ظاهر منها زوجها، وجاءت تشتكي إلى النبي حتى أنزل الله تعالى الوحي بهذه السورة وفرّج كربتها وأنزل كفّارة الظهار. وهذا يدل على كرامة المرأة في الإسلام والحرص على حقها. والمرأة عندما تتيقن أن هذا الدين ينصفها ويعطيها حقها تربي أسرتها على مبادىء هذا الدين وعلى الوحدة. ومن اللافت أنّ هذا الجزء (٢٨) ابتدأ بقصة امرأة وانتهى بذكر نماذج نسائية في آخر سورة التحريم (امرأة فرعون ومريم بنت عمران) تماماً كما جاءت سورة كاملة باسم النساء، وهذا حجة ودليل على من يدّعون أن الإسلام بخس المرأة حقها في المجتمع.

ثم تأتي الآيات في ختام السورة تبين الفرق بين من يتبع حزب الشيطان ومن يكون في حزب الله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩] و: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم

بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي الختام آية مهمة تبيّن حقيقة الحب في الله والبغض في الله الذي هو أصل الإيمان، ولا بدّ في اكتمال الدين من معاداة أعداء الله، فالمنتمي لهذا الدين لا يمكن أنْ يوادّ من حارب الله ورسوله أبداً.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (١)﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في تكرار لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آيات سورة المجادلة؟

الجواب:

في كل آية من آيات سورة المجادلة ورد ذكر لفظ الجلالة (الله) بلا استثناء وهناك سور أطول من المجادلة لم يرد فيها ذكر الله، مثل سورة القلم، سورة القيامة، سورة المرسلات، سورة النبأ، سورة عبس، وهي تتعلق بالسياق الموجود. أمّا في سورة المجادلة فيذكر في كل آية ما يتعلق بالله إسناداً أو صفة أو شيئاً يقتضي ذكر الله.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الزوج ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾[المجادلة:١] والبعل ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[البقرة:٢٢٨]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٨.

السؤال الثالث :

وردت الشكوى مرتين في القرآن في قصة يوسف عليه السلام وفي قصة خولة بنت الأزور. فما دلالة ذلك؟

الجواب :

نلاحظ من الآيتين الأمور التالية :

١ـ أنّ الشكوى موجهة إلى الله فقط.

٢ـ آية المجادلة نسبت لخولة فعلين: الأول (الجدال)، وقد كان مع الرسول عليه السلام ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾والفعل الثاني (الشكوى) ووجهتها إلى الله.

٣ـ لا بدّ من سماع الشكوى من الشاكي وحل مشكلته، والله سمع شكوى خولة وقدّم لها الحل وقد أشارت الآية إلى ذلك ثلاث مرات: ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ـ بصيغة الماضي و ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ﴾ بصيغة المضارع و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة:١] بصيغة المبالغة، وقد ورد لفظ الجلالة في هذه الآية أربع مرات لأنّ السياق في تعظيم الله سبحانه.

٤ـ هذا لا يمنع من إخبار الآخرين بمشكلة الإنسان وإسماعهم شكواه لكنْ عليه الاعتقاد بأنّ البشر أسباب فقط، وأمّا المسبب الحقيقي فهو الله تعالى فقط.



﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ ﴾

السؤال الأول :

استعمل ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ في الأحزاب ٤، والمجادلة٢، والطلاق ٤، بينما استعمل ﴿ٱلَّٰتِي﴾ في النساء٢٣، ويوسف٥٠، فلماذا؟

الجواب :

١ ـ اللاتي: اسم موصول (جمع التي) وتكون للعاقل وغيره، وهذا اللفظ شبيه بلفظ جمع المؤنث السالم الذي يكون للعاقل وغيره، مثلا: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد، وتقول: طالبات وشجرات. واللاتي مختصة بالإناث.

٢ ـ اللائي: هي جمع التي أيضاً. فتقول: عادت اللائي ذهبن. واستعمال اللائي قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، واللائي قد ترد للذكور قليلاً.

٣ ـ (اللائي) كأنها مشتقة من اللأي أو من اللأواء، وهي الشدة. وفي الحديث « **من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجاباً من النار**» و «**من صبر على لأواء المدينة..**». واللأي هو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة.

٤ ـ لذلك نجد القرآن استعمل﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق فقط، ولم يستعملها في غيرهما، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة وهي حالات المفارقة والشدة والاحتباس، حيث إنّ المُظاهر والمُطلّق محتبس عن امرأته مبطىءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين، فجمع القرآن حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال.



﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (فك رقبة) و(تحرير رقبة)؟

الجواب:

١ـ (تحرير رقبة) تقال: في الرّق والاسترقاق، وهذا غير موجود الآن. و(تحرير الرقبة) لم يأت في القرآن إلا في الفِداء ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة:٣].

٢ـ (فك رقبة) يعني تخليصها من إعسار، من قَوَد، من أسر وغيره، ويعني فك عسرها أنْ تفكها مما هي واقعة فيه، وهذه باقية إلى يوم الدين ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)﴾[البلد:١٣].

(تحرير رقبة) ليست موجودة الآن، ولا تأتي (تحريررقبة) إلا في الفداء وهي بمعنى العتق، أمّا فك رقبة فهوتخليصها من عسرها إمّا من مغرمة أو عسر أو دين.

السؤال الثاني:

جاء في آية المجادلة (٣) ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ بالجمع، وفي آية البقرة (٢٣٢) بالإفراد ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب:

القاعدة:

لقد استعمل القرآن الكريم كاف الخطاب مطابقة للجمع للزيادة في التوكيد فإذا كان موقفان وكان أحدهما آكد من الآخر، جاء في الموطن المؤكد بمطابقة الجمع دون الآخر.

كما أنّ القرآن الكريم استعمل الخطاب بالجمع للمجموعة الكثيرة وبالإفراد للمجموعة القليلة.

آيات المجادلة:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة: ١-٢-٣-٤]

وهنا نجد أنّ التشديد كبير في سياق الظهار، والطلب من قائله هو: تحرير رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، بخلاف آية البقرة ٢٣٢ وهي في

الطلاق؛ لذا أكدّ القرآن على منع الظهار، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ بينما قال في الطلاق: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ والله أعلم.



﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ـ ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾ ما كلمات منظومة التتابع؟

الجواب :

كلمات منظومة التتابع هي :

تترا :

ليس لها مرادف في القرآن إلا كلمة (متتابع)، وهي كناية عن الترتيب العددي واحداً بعد الآخر، كما في الآية: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون:٤٤].

متتابع :

هو ترتيب زمني بغض النظر عن العدد، أي لا يفصل بينهما فاصل زمني، وجاء في كفارة القتل الخطأ والظِّهار والجماع في نهار رمضان وهي ستون يوماً متتابعة بدون فطر، فإنْ أفطر وجب عليه إعادة صوم الشهرين من جديد مع التتابع [النساء ٩٢ـ المجادلة ٤].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وفي الآية الخامسة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ لّما قابل في الأولى الإيمان بالكفر في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وكل عذاب مؤلم.

٢ـ ولّما قال الله في الثانية: ﴿كُبِتُوا﴾ والكبت هو الإذلال والإهانة ناسب ختمه: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

وقوله تعالى في آية المجادلة الخامسة: ﴿يُحَادُّونَ﴾ يمكن أنْ يكون راجعاً إلى المنافقين، أو إلى سائر الكفار، فأعلم الله تعالى رسوله أنهم ﴿كُبِتُوا﴾ أي خذلوا.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [المجادلة:٤] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) فى آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات١٥.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وفي الآية الخامسة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية السابقة.



﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية السادسة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ﴾ وقال في آخر السورة في الآية ١٨: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾[المجادلة:١٨]، فما السبب؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى رقم ٦ مطلق في المؤمن والكافر.

٢ـ الآية الثانية رقم ١٨ في المنافقين خاصة؛ لأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ لنفي ما يُنسب إليهم من النفاق وما يدل عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾؟

الجواب:

كل ثلاثة يجتمعون معاً يقال لكل واحد منهم: ثالث ثلاثة، وليس هذا القول ممنوعاً إلا في حالة واحدة، أنْ تقول ثالث ثلاثة آلهة؛ لأنّ الإله لا يتعدد.

وفي آية المجادلة ٧ لم يقل الحق: ما يكون من نجوى اثنين إلا هو ثالثهم لأنّ النجوى لا تكون إلا من ثلاثة، فإنْ جلس اثنان معاً فهما قد يتكلمان بدون نجوى، والنجوى مسارة، وأول النجوى ثلاثة؛ ولذلك بدأها الحق بأول عدد تنطبق عليه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ ما دلالة تكرار اسم الموصول في الآية؟

الجواب:

لا بدّ في الكلامِ البليغِ من سببٍ للذكر والحذف، وخصوصاً في القرآن الكريم الذي هو أعلى الكلام.

لذا نذكر هنا بعض القواعد العامة في القرآن الكريم التي تبين متى يكرر اسم الموصول مع آيات التسبيح خاصة، ومن ذلك أنه :

١ ـ إذا قُصد التنصيص على الأفراد تكرر ذكر الموصول؛ أي إذا قُصد التنصيص على كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التخصيص كرّر اسم الموصول. انظر آيات [الزمر (٦٨) و النمل (٨٧)و طه (٦) والحشر (١) ويونس (٦٦) والبقرة (٢٥٥)].

٢ ـ وأمّا إذا قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة، إشارةً إلى قصد الجنس وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية. انظر آيات: [الرحمن ـ ٢٩ ـ والبقرة ـ ١١٦ـ والحديد ١].

٣ ـ وإذا كان الموطنُ دالاً على التفصيل والإحاطة كرّر اسم الموصول بخلاف ما إذا كان الكلام مجملاً غير مفصل.

انظر سورة المجادلة (٦:٧) لتجد فيها من ذكرٍ لسعةِ علم الله وشموله وإحاطته بالجزيئات والتفصيلات ما ليس في آية العنكبوت(٥٢) فلمّا فصّل في آية المجادلة أعاد ذكر (ما)، ولمّا أجمل في العنكبوت أجمل في ذكر الموصول، فلم يُعِد ذكرَه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (ذلك) و(ذلكم) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ الكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ حرف خطاب، وحرف الخطاب في [ذلك وتلك وأولئك] قد يطابق المخاطب [ذلك، ذلكما، ذلكنّ] حسب المخاطبين المشار إليهم.

(ذلكَ) المشار إليه واحد، والمخاطَب واحد مفرد مذكر. و(ذلكِ) المشار إليه واحد والمخاطبة امرأة. و(ذلكما) المشار إليه واحد والمخاطب اثنان. و(ذلكم) المشار إليه واحد والمخاطب جماعة ذكور. و(ذلكنّ) المشار إليه واحد والمخاطب جماعة إناث، كما في الآية: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾[يوسف:٣٢] ولا يدل على جمع المشار إليه.

٢ـ هذه الكاف تسمى حرف خطاب، وفيه لغتان:

أ ـ الأولى تكون في المفرد المذكر أياً كان المخاطَب، تقول: تلك الشجرة سواء كان المخاطب واحداً أو اثنين أو جمعاً.

ب ـ الثانية أنْ تجعل حرف الخطاب بحسب المخاطَب، فلو كانت امرأة تقول (تلكِ الشجرة)، مثلما قال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ [مريم:٢١] ويمكن أنْ تقول (كذلكَ) مثلما قال: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] برهانان اثنان (ذان) للبرهانين و(كـ)

للمخاطب، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧] وقوله: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[يوسف:٣٢] (ذلك) إشارة ليوسف، و(كُنّ) حرف خطاب للنسوة.

إذن هذه الكاف هي حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً، ويمكن أنْ يكون في حالة المخاطَبين.

٣ـ لكنْ يبقى كيف استعملها القرآن؟ فمرة يستعملها بصيغة المفرد ومرة يستعملها بصيغة الجمع.

في اللغة كله جائز من حيث الحكم النحوي، لكنْ نسأل من الناحية البيانية؛ لأنه أحياناً يطابق وأحياناً يُفرِد، فلماذا؟

والجواب أنّ هناك فرقاً بين الحكم النحوي اللغوي والاستخدام البياني وهنالك أسباب عدّة لهذا الأمر من جملتها:

أ ـ أنْ يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير فيأتي بالحرف مناسباً لأنّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أكثر من (ذلك) من حيث الحروف، فإذا كان المقام كله مقام إطالة يأتي بكل ما يفيد الإطالة لغة.

ب ـ وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ

ﭐنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام:٩٩] فيها تفصيل فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل:١٢]؛ لأنّ المقام مقام إيجاز.

ج - وقد يكون في مقام التوكيد، فيأتي بما هو أكثر توكيداً فيجمع، وإذا كان أقل توكيداً يُفرِد.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة:٢٣٢] هذا حُكم في الطلاق، قال ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة:١٢] قال ﴿ذَٰلِكَ﴾.

الأولى قال: (ذلكم)، والثانية قال: (ذلك)، أيُّ الحُكمين آكد وأدوم؟ الطلاق آكد وأدوم؛ لأنه حكم عام إلى قيام الساعة يشمل جميع المسلمين وأمّا الآية الثانية فهي للأغنياء، ثم ما لبث أياماً قليلة ونسخ الحكم ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المجادلة:١٣]، فالآية الأولى آكد والحكم فيها عام مستمر، بينما الثانية الحكم متعلق بجماعة من

المسلمين ثم ألغي، فالآية الأولى آكد، فقال مع الأولى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ومع الثانية قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

د ـ إذا كان عندنا مجموعتان إحداهما أوسع من الأخرى يستعمل للأوسع ضمير الجمع وللأقل ضمير الإفراد، حتى لو رجعنا للآيتين السابقتين ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ هذه لمجموع المسلمين، وهو أكثر، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ومع الأقل قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

السؤال الثاني:

جمع في آية البقرة ٢٣٢ فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ وأفرد في آية المجادلة ١٢ فقال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٢ وكذلك في السؤال السابق.



﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

قال في الآية ١٢: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾، وقال في الآية ١٣: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ هذا التكليف فيه إعظام الرسول عليه السلام وإعظام مناجاته وفيه نفع كثير للفقراء بتلك الصدقة.

٢ـ ظاهر الآية يدل على أنّ تقديم الصدقة كان واجباً، ويتأكد ذلك بقوله تعالى في نفس الآية: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[المجادلة:١٢].

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾أي خير لكم في دينكم وأطهر؛ لأنّ الصدقة طهرة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[المجادلة:١٢] المراد منه الفقراء وهذا يدل على أنّ من لم يجد ما يتصدق به كان معفواً عنه.

٥ـ قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾أي حيث إنكم لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورخّص لكم في أنْ لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

٦ـ (إذ) ظرف للمضي غالباً، كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦] وقد يكون للاستقبال كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾[غافر: ٧٠ - ٧١]وقد تعامل معاملة أدوات الشرط فتقترن بجوابها الفاء كما في آية المجادلة ١٣ وقوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور:١٣].

٧ـ هذا التكليف كان مقدراً بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى الغاية المخصوصة فلا يكون هذا نسخاً، لكنّ المشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾، ومنهم من قال: إنه منسوخ بوجوب الزكاة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول)؟

الجواب :

١ـ توجد في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولم يجرِ ذكر الرسول عليه السلام في السياق أو أي إشارة إليه، كما جاء في سورة آل عمران ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

٢ـ و إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩] و﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[المائدة:٩٢] و﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال:١] و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنفال:٢٠] و ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور:٥٤] و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[محمد:٣٣] و﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[المجادلة:١٣] و﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[التغابن:١٢] .

وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.



﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية السادسة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [المجادلة:٦] وقال في آخر السورة الآية ١٨: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى رقم (٦) مطلقة في المؤمن والكافر.

٢ـ الآية الثانية رقم (١٨) في المنافقين خاصة، لأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ لنفي ما يُنسب إليهم من النفاق وما يدل عليه.



﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا استخدم الفعل (استحوذ) في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩]؟ ولماذا لم تطبق القاعدة فيقول: استحاذ على القياس؟

الجواب :

١ـ القياس: استحاذ مثل استنار واستعان واستعاذ، والتفسيرات الموجودة التي فسرها النحويون قد تصح وقد لا تصح.

٢ـ هناك صيغ أبقتها العرب على حالها كأنه إشارة إلى الأصول، منها :

أُغيلت المرأة: ما قالوا أغالت بمعنى حملت، مع أنّ القاعدة تقول: أغالت.

استنوق الجمل: ولم يقولوا استناق.

استفيل الرجل: وما قالوا استفال الرجل.

استقال الرجل: وليس استقول.

استحوذ، ولم يُسمع من عربي: استحاذ.

٣ـ هذه الكلمات قالوا: هذا حكمها؛ لأنّ اللغة استعمال، أي أنْ تستعمل كما وردت ولا يجوز أنْ تطوّع للقياس، ولا يصح لأحد أن يقول: استناق الجمل؛ لأنّ العرب قالت: استنوق لكن لا يجوز أنْ تقيس عليها، ولا يجوز أنْ تقول: استقول فلان من وظيفته وأنت تريد طلب إقالته بل قُل: استقال ولا تقول هذه قياساً على استنوق.

(استنوقت) لا تطوّع للقياس ولا يقاس عليها، ولم يسمع من عربي استناق، ولم يسمع من عربي (استحاذ)، وإنما نستعمل استنوق واستحوذ.



﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حذف المفعول به من قوله تعالى في الآية: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ ؟

الجواب :

حذف المفعول به على ضربين :

١ـ أنْ يحذف لفظاً لكنه مرادٌ معنى والقصد: الحذف اختصاراً، ولا يُحذف إلا لدليل.

٢ـ أو أنْ يكون المفعول به غير مراد ولا يصح تقديره؛ لأنّ تقدير أي مفعول يكون مفسداً للمعنى، ويكون ذلك بحسب الحاجة.

وقد تدعو الحاجة إلى ذكر المفعولين: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر:١] ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، أو مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضُّحى:٥].

٣ـ وفي الآية : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة:٢١] أي: لأغلبن الكافرين والحذف هنا للعموم والتحقير.

والله أعلم.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾

السؤال الأول :

جاءت لفظة ﴿مَعْرُوفًا ۖ﴾ في آية لقمان (١٥)، بينما جاءت لفظة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في آية المجادلة، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ١٥.

السؤال الثاني :

قال في المائدة ١١٩: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ وفي المجادلة ٢٢ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ في آية المائدة: لمّا تقدم وصفهم بالصدق ونفعهم إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكدّه بقوله: ﴿أَبَدًا ۚ﴾ وأكدّه بقوله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾.

٢ـ ولمّا تقدم في المجادلة: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أكده بقوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة المجادلة مع خواتيمها :

بعد أنْ ذكر أمر التي سمع الله قول التي تجادل في زوجها والحكم في ذلك قال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ [المجادلة: ٥].

وقال في أواخرها :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾ [المجادلة: ٢٠]. فذكر في أول السورة أنهم كبتوا.

وقال في أواخرها أنهم في الأذلين.

ثم ذكر في آخر السورة ما ينبغي أنْ يكون موقف المؤمنين من هؤلاء فقال:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالمناسبة ظاهرة. والله أعلم.



سورة الحشر

أولاً ـ تناسب خواتيم المجادلة مع فواتح الحشر :

قال سبحانه في آخر المجادلة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢١].

وقال في أوائل الحشر:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر:٢].. . ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحشر:٤].

فقد أذلّ الذين حادّوا الله ورسوله وأخرجوهم من حصونهم.

فاتصلت الآيات كأنها في موضع واحد.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لما قبلها أنّ في آخر تلك ـ يعني سورة المجادلة ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾ [المجادلة:٢١].

وفي أول هذه: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ ﴾ [الحشر:٢].

وفي آخر تلك ذكر من حادّ الله ورسوله، وفي أول هذه من شاقّ الله ورسوله)).

ثانياً ـ هدف السورة :

الانتماء للإسلام والتبرؤ من المشركين والكفر :

في هذه السورة معان عجيبة، فهي تتكلم عن يهود بني النضير وكيف أجلاهم النبي عليه السلام من المدينة، وكيف وقف المنافقون في صف اليهود، وحاولوا مساعدتهم بالوعود فقط، لكنهم لم يعاونوهم حقيقة أبداً لأنهم كما عهدناهم لا يوفون بالعهود، ويقولون ما لا يفعلون: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر:١١] و: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر:١٢] فالسورة تبرز نوعين من الناس: المنتمي للإسلام والمتبرئ.

وتعطي السورة نموذجاً ثانياً عندما يتخلى الشيطان عن أتباعه من أهل الكفر: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦ - ١٧]. ثم وصفت الآيات في السورة أصناف أهل الإيمان على مرّ الأجيال، فهم واحد من أصناف ثلاثة: المنتمين للإسلام: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨]، والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، والأجيال المتعاقبة ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي

﴿قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠] وقد وعظت السورة المؤمنين بتذكر يوم الحشر ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه حسب ولا نسب، وبيّنت الفراق بين أهل الجنة وأهل النار ومصيرهم في الآخرة.

وفي السورة آية هي من أجمل الآيات تصوّر لنا عظمة هذا القرآن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١] ووجود هذه الآية في موقعها في السورة إثبات لليهود الذين ظنوا أنّ حصونهم مانعتهم من الله، فإذا كان الجبل الصلب العظيم يخشع إذا أنزل عليه القرآن فكيف بالحصون والقلاع؟ ومَنْ أشدّ الجبل العظيم أم القلاع والحصون؟ فلا ناصر ولا معين إلا الله تعالى.

وقد ختمت السورة بآيات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٣-٢٤]. واشتملت على العديد من أسماء الله الحسنى، وهي كلها أسماء تدل على العظمة والقوة، فكيف أيها المؤمن لا تنتمي لله الذي هذه بعض من صفاته والذي له الأسماء الحسنى سبحانه؟!

ولا ننسى أنّ السورة ابتدأت أيضاً بتنزيه الله وتمجيده، فالكون كله وما فيه من متناقضات وإنسان وحيوان ونبات وجماد كله شاهد على وحدانية الله وقدرته ناطق

بعظمته وسلطانه سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر:١].



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ ﴾ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ ﴾يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ﴾فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الخامس :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السادس :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السابع :

لماذا قدّم السموات على الأرض؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثامن :

ما سبب ذكر وحذف ﴿مَا﴾في بدايات سورة الحديد وسورة الصف واختلاف صيغة الفعل (سبح) بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف وجاء(يسبح) في صيغة المضارع، كما في سورة الجمعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.



﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿حُصُونُهُم﴾ ما كلمات منظومة الحصن والصياصي؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧٨

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب) و(عذاب) في القرآن الكريم؟ وما معنى كلمة (العاقبة)؟.

الجواب :

١ـ كلمة (العقاب) ومشتقاتها وردت في القرآن في (٦٤) موضعاً.

٢ـ كلمة (العذاب) ومشتقاتها وردت في القرآن في (٣٧٠) موضعاً.

٣ـ الفعل الثلاثي لكلٍّ من الكلمتين: (عذب) و (عقب)، والحرفان الأول والثالث مشتركان، بينما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف الذال: من أحرف الرخاوة وفيها امتداد، وفيها طول، ويكون للدنيا والآخرة.

بينما حرف القاف من أحرف الشدة يُولد بانطباقٍ يعقبه انفصال مفاجيء مثل الباء، وفيه سرعة ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، بينما الذال المشددة فيها امتداد.

لذلك نستنتج أنّ كلمة: (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة (العقوبة).

فعندما نأتي إلى الآيات التي تتحدث عن عقوبة للمشركين في الدنيا نجده يسميه عذاباً، ويسميه في الآخرة عذاباً أيضاً، لكن لا يسميه عقاباً في الآخرة، وإنما العقاب في الدنيا فقط.

٤ـ و(العقاب) فيه شدة، واستعملها القرآن في الدنيا فقط، بينما استعمل (العذاب) في الدنيا والآخرة.

وكلمة (العقاب) فيها سرعة أيضاً، كما وردت في القرآن ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥] وليس في القرآن (سريع العذاب) وإنما ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾

وعندما يأتي الوصف لله عز وجل لا يكون مؤقتاً لا بدنيا ولا بآخرة وإنما يقول: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ و يعني هذه صفته سبحانه. لكن عندما يستعمل كلمة العقاب مع البشر يستعملها في الدنيا، ولم تستعمل في الآخرة.

٥ـ أمّا (العذاب) فاستعملها للعذاب في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾ [البقرة:١٦٥].

*** شواهد قرآنية :(العقاب) :**

ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٥﴾ [الأنعام:١٦٥] وصف لله سبحانه وتعالى بأنه سريع العقاب، لكن لم يصف نفسه جلّت قدرته بأنه سريع العذاب.

ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠] عاقب وعوقب في الدنيا.

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾[المائدة:٢] صفة عامة.

*** شواهد قرآنية: (العذاب) :**

ـ ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١١٤﴾[البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

ـ ﴿ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾[الحشر:٣].

ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥﴾[النمل:٥] عذاب دنيوي.

ـ ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[النور:٢] هذه عقوبة، وسمّاها الله عذاباً مما يدل على أنّ العذاب أوسع من العقاب؛ لأنه يستعمل في الدنيا والآخرة ويستعمل بمكان العقاب.

(العاقبة) :

وتعني النتيجة، ومأخوذة من عقب القدم وهو مؤخر القدم؛ ولذلك يقولون: نكص على عقبيه. واستعمل القرآن الكريم كلمة (العاقبة) للخير وللشر، بينما (العقاب) لا يستعمل إلا للشر. وقد وردت كلمة (العاقبة) في ٣٢ موضعاً في القرآن كله.

*** شواهد قرآنية :**

ـ ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧﴾[آل عمران:١٣٧] هذا في الدنيا، لكن في الآخرة نتيجة العمل ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾[الحشر:١٧]؛ لأنّ الكلام على ما يعقب العمل.

ـ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[الأعراف:١٢٨] النتيجة التي تعقب هذا العمل هي للمتقين.

ـ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[طه:١٣٢].

والله أعلم.



﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (يشاقّ) و(يشاقق)؟

الجواب:

١ـ حيث ورد ذكر الرسول ﷺ يُفكّ الإدغام ﴿يُشَاقِقِ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾[الأنفال:١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء:١١٥].

٢ـ وحيث أُفرِد الله تعالى يستخدم ﴿يُشَآقِّ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾[الحشر:٤].

٣ ـ كلمة ﴿يُشَاقِقِ﴾ هي فعل مضارع، وعندما تكون مجزومة يفُكّ إدغامها، وأمّا [شاقّه يشاقّه] بالإدغام، فعندما يأتي الجزم فللعرب لُغتان:

أ ـ منهم من يُبقي الإدغام ويفتح لالتقاء الساكنين، تقول: تكلّم فلان فلم (يردَّ)عليه أحد، (يرُدَّ) مجزوم وعلامة جزمه السكون، وقد فُتِح لالتقاء الساكنين؛ لأنه حوفظ على الإدغام)

ب ـ وبعض قبائل العرب يقول: تكلم فلان فلم (يردُد) عليه أحد (تفُكّ الإدغام).

وهما لغتان فصيحتان تكلم بهما القرآن.

٤ـ هنا في الآية ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ فك الإدغام. وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾[الحشر:٤] أبقى الإدغام. فالعلماء وقفوا وقالوا :

أ ـ عندما يكون ذكر لاسم الجلالة (الله) وحده يبقى الإدغام. وبعض العلماء يقول: مع كلمة (الله) الألف واللام ثابتة، فبقي الإدغام.

ب ـ وقسم يقول: إذا ذكر الرسول عليه السلام - لأنّ الألف واللام في كلمة الرسول طارئة - فهي على نية الانفصال، فيصير فك إدغام.

ج ـ المشاقّة هي أنْ تكون في شق والثاني في شق، ومع الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تكون في شق والله عز وجل في شق، فأُبقي الإدغام. وهكذا جاء في القرآن الكريم كله. والله أعلم.

لمزيد من المعلومات انظر أيضاً آية النساء ١١٥.

السؤال الثاني :

لماذا جاءت ﴿يُشَآقِّ﴾ بالكسر في آية سورة الحشر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾[الحشر:٤]؟

الجواب :

هذا الفعل مجزوم وعلامة جزمه السكون، وحُرِّك لالتقاء الساكنين.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب) و(عذاب) كما وردتا في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر٣.



﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلة مرة و﴿لِكَيْلَا﴾ موصولة مرة أخرى؟

الجواب :

١ـ أولاً خط المصحف لا يقاس عليه أصلاً، لكن يبدو في هذا الرسم ملحظ بياني والله أعلم في أكثر من موطن. فمرة تكتب ﴿لِكَىْ لَا﴾ مفصولة ومرة ﴿لِكَيْلَا﴾ موصولة. و هذا ليس فقط للخط وإنما لأمر بياني.

٢ـ هناك فرق بين ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ حيث تحتمل الزمن الطويل والقصير، أمّا قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ فهي مباشرة بعد العلم.

وكذلك في كلمة ﴿لِكَيْلَا﴾ فإذا احتمل الفاصل فصل ﴿لِكَيْ لَا﴾ وإذا لم يحتمل وصل بينهما فكتب ﴿لِكَيْلَا﴾.

٣ـ وفي القرآن الكريم شواهد على مثل هذا، كما في آية سورة الأحزاب ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب:٣٧] كتبت ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلة؛ لأنه لا يحلّ الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدّة، فلا يصح إذن الزواج بها إلا بعد الانفصال، فجاء رسم ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلاً.

٤ـ وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب:٥٠] ليس في الآية انفصال فالكلام عن أزواج الرسول وهنا الاتصال قائم، والإنسان مع زوجته في اتصال قائم وليس هناك فصل؛ لذا جاءت ﴿لِكَيْلَا﴾ متصلة.

٥ـ وفي هذه الآية من سورة الحشر ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧] فصل ﴿لِكَىْ لَا﴾ هنا؛ لأنه يريد أنْ

يفصل الأموال، لأنها لا ينبغي أنْ تبقى دُولة بين الأغنياء، وإنما يجب أنْ تتسع الأموال لتشمل الفقراء فاقتضى الفصل في رسم ﴿لِكَيْ لَا﴾ في هذه الآية.

٦ـ وهذا الأمر هو من باب الجواز، فهو جائز أن تكتب ﴿لِكَيْلَا﴾ متصلة أو منفصلة ﴿لِكَيْ لَا﴾ لكنها تُرسم أيضاً بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام.

والله أعلم.



﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿خَصَاصَةٌ﴾ ما كلمات منظومة الجوع؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ١٢٠.

﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحشر:١١] ما الفرق بين (لئن أخرجتم) و(إنْ قوتلتم)؟

الجواب :

١ـ اللام في ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ موطئة للقسم، اللام لام القسم و(لنخرجن معكم) جواب القسم، وأمّا في ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ﴾ فلا وجود للام.

٢ـ أيها الأقوى ﴿لَئِنۡ﴾ باللام أو بدون لام؟ بالطبع باللام، لام القسم أقوى. إذن ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ هذه حالة و﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ هذه حالة أخرى أقل. إذن الأولى أقوى.

وهذا حكم نحوي، واحدة فيها لام القسم والأخرى ليس فيها لام القسم.

٣ـ المنافقون قالوا في الإخراج: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ فيها توكيد أمّا في القتال فليس فيها توكيد فصار التوكيد أقل ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ القتال ليس بمنزلة الإخراج،

فأكدوا في الخروج ولم يؤكدوا في القتال، ولسان حال المنافقين أنهم يخافون على أنفسهم من الموت في القتال.

لكنّ الله تعالى شهد على كونهم كاذبين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾ وأتبع ذلك تفصيلاً في الآية التي تليها. والله أعلم.



﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاء جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾[الحشر:١٢] في سورة الحشر مرفوعاً؟

الجواب :

هذا ليس جواباً للشرط، وإنما هو واقع في جواب القسم. والقاعدة تقول: إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما، فإنْ تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر، كأن نقول "أنت والله إنْ فعلت كذا".

وفي هذه الآية القسم سابق للشرط، فلا يمكن أنْ يكون ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ جواباً للشرط، وإنما هو جواب القسم، فلا بدّ من الرفع، وهو مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة (يخرجون).

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[التوبة:٦٥] (ليقولن) جواب قسم، وليس جواب شرط.



﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجهاد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمتي ﴿شَتَّىٰ ۚ﴾و (أشتات)؟

الجواب :

(شتى): وردت في ثلاثة مواضع بمعنى الاختلاف مقابل الائتلاف [طه ٥٣ـ الليل ٤ـ الحشر ١٤].

(أشتات): وردت في آيتين [الزلزلة ٦ـ النور ٦١] بمعنى التفرق مقابل التجمع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾

السؤال الأول :

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فما اللمسة البيانية في تقديم العمل على الخبرة هنا علماً أنه في آيات أخرى يقدم الخبرة على العمل ﴿خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؟

الجواب :

القاعدة في ذلك أنّ القرآن يقدم العمل على الخبرة أو الخبرة على العمل بحسب ما يقتضيه المقام، فإذا كان السياق في عمل الإنسان وليس في الإنسان، قدّم العمل.

وإذا كان السياق في غير العمل ويتكلم عن الإنسان في غير عملٍ كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدم صفة الخبير على العمل، هذا خط عام.

أي إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدّم العمل فيقول: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فيقدم العمل على الخبرة، وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾ [البقرة:٢٧١] **هذا عمل، فختم الآية** ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾.

ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾ [الحديد:١٠] الكلام عن الإنفاق والقتال، فقدّم العمل.

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر:١٨] التقوى أمر قلبي، فقدّم الخبرة.



﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الإنساء والنسيان، وما علاقة النسيان بالشيطان؟

الجواب:

١ـ النسيان: خلقه الله في الإنسان؛ لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه ويكون عما كان، أمّا السهو فيكون عما لم يكن.

٢ـ الإنساء: من أنسى، مثل: أكرم إكراماً.

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يتعلق بالشيطان، لكنْ قد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى.

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾.

*** شواهد قرآنية:**

ـ آية طه ٥٢ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢)﴾ لا ينسى من تلقاء نفسه.

ـ آية الكهف٦٣﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فتى موسى يتكلم عن نفسه أنّ الشيطان بسبب وساوسه ألهاه فنسي.

ـ آية يوسف٤٢: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ هذا سرد لما حدث، يتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج، أي أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة ٢٨٦: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ أي أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة ١٠٦: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ متعلقة بالله تعالى.



﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال أداة النفي ﴿مَا﴾ و﴿لَا﴾؟

الجواب:

١ـ﴿مَا﴾ التي تدخل على المضارع هي لنفي الحال، ﴿لَا﴾ يقولون: للاستقبال. وقسم من النُحاة يقولون: قد تكون للحال وللاستقبال. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة:٤٨] هذا استقبال.

٢ـ ننظر كيف تستعمل في القرآن: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر:١٩] هذا مشاهَد في الدنيا ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾[فاطر:١٢] هذا مُشاهَد ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ﴾ [فاطر:٢٢] هذا مُشاهَد، ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٥] عدم الاستواء هذا في الآخرة غير مشاهَد، فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي﴾ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ﴾[الحديد:١٠] عدم الاستواء هذا في الآخرة، ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ﴾[الحشر:٢٠] هذا في الآخرة غير مُشاهَد.

٣ـ ﴿لَا﴾ تدل على النفي في الاستقبال (نفي غير مشاهد) وقسم يقولون: قد تكون للحال. وأكثر النحاة يقولون: هي للاستقبال. لكنّ قسماً يقول: قد تكون للحال والأكثر للاستقبال، بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل:٢٠] هذه حال وليس استقبالاً، فقال: قد تأتي للحال أيضاً وهم متفقون على أنها للاستقبال.

والأصل أنْ تكون للاستقبال؛ لذلك يقول الزمخشري: (لا) و(لن) أُختان في نفي المستقبل إلا أنّ في (لن) تأكيداً.



﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية بين ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ و ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ ؟

الجواب :

١ـ لفظ (إلى) تستعمل في القرآن الكريم مع العاقل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة:٤٨].

٢ـ لفظ (على) تستعمل للعاقل وغير العاقل ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾.

كما تستعمل في العقوبات ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾. ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ﴾[الشعراء:٤].



﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما فائدة غياب حرف العطف في ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٣]؟

الجواب :

١ـ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر:٢٣]

و قال في موضع آخر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[الحديد:٣].

ما قال تعالى (هو الأول الآخر..) لأنّ العطف يأتي في الصفات فيما تباعَد من الصفات؛ لأنه يصير أمراً مستغرباً، أمّا في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف.

٢ـ أحياناً تأتي الواو للاهتمام وللتباعد ما بين الصفات. إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بالواو، مثلاً أنت تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكنْ لا يعلم مثلاً أنه شاعر فتقول له: هو شاعر، فيقول: هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب متباعدان، فيقول: وطبيب؟ يستغرب من اجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص؛ لذا تأتي الواو فإذا تباعدت الصفات فيحسن الإتيان بالواو.

لمزيد من التفصيل انظر آية البقرة ٢٥٥حول تعدد الأخبار. وكذلك آية الحديد٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة واو الاهتمام أو واو الثمانية كما يسمونها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٢٢.

السؤال الثالث :

ما دلالة أسماء الله الحسنى المذكورة في الآيتين؟

الجواب :

١ ـ ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ : هو البليغ في النزاهة في الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء، وهو يعني براءته من العيوب في الزمن الماضي والحاضر. وقيل: معناه(المبارك).

٢ ـ ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: مبالغة في كونه سليماً من النقائص. وكونه سليماً فيه إشارة إلى براءته من جميع العيوب في الزمان المستقبل، فإنّ الذي يطرأ عليه شيء من العيوب تزول سلامته ولا يبقى سليماً.

٣ـ ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الذي آمن، أي الذي يؤمّن أولياءه عذابه.

٤ـ ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء.

٥ـ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يوجد له نظير، الغالب القاهر.

٦ـ ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ : هو جابر كل كسير وفقير، وهو الذي يقهر الناس فيجبرهم على ما أراد.

٧ـ ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ : الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، المتعظم عن كل سوء، الذي تعظم عن ظلم العباد، المتكبر ذو الكبرياء، الملك.

٨ـ ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾: الخلق هو التقدير، والخالقية راجعة إلى صفة الإرادة.

٩ـ ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: هو بمنزلة قولنا: صانع وموجد، إلا أنه يفيد اختراع الأجسام.

١٠ـ ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ : أي الذي يخلق صور الخلق على ما يريد، وقدّم ذكر الخالق على البارىء؛ لأنّ ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة، وقدّم البارىء على المصور؛ لأنّ إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات.

السؤال الرابع :

أيهما أصح أن يقال اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أو صفاتك العلا؟

الجواب :

١ـ الإفراد في غير العاقل هو أكثر من الجمع، (العلا) جمع و(العليا) مفرد وكلاهما صحيح، لكنْ أيهما الأولى؟

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر:٢٤] الحسنى مفرد والأسماء جمع، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾[طه:٤] العلا جمع عليا، والسموات سبع.

٢ـ المفرد في الصفات مع غير العاقل يفيد أكثر من الجمع، أي عندما تقول: عندي أشجار كثيرة، هو أكثر من أشجار كثيرات.

٣ـ المفرد مع غير العاقل أكثر من الجمع. (الصفات العليا) الصفات جمع، فنقول: العليا، ويصح العلا، لكنّ الأولى أنْ يقال: العليا.

*** شواهد قرآنية :**

ـ ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾[الغاشية:١٤] ما قال (موضوعات)؛ لأنها تكون أقل.

ـ ﴿غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[الزُّمَر:٢٠] لا يقول: غرف مبنيات.

لذلك إذا أفرد الصفة في غير العاقل تكون كثيرة، وإذا جمع يكون أقل.

واللغة الأعلى أنْ يقال: (الصفات العليا).

السؤال الخامس:

ما الفرق بين استعمال (من) و(ما) في قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ و ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿مَن﴾ تستعمل لذوات العقلاء وأولي العلم فقط.

وأمّا ﴿مَا﴾ فتستعمل لصفات العقلاء ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧]، ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل:٣] والله هو الخالق، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:٧] والله هو المسوي، وذوات غير العاقل نحو: (أشرب مما تشرب)، وهي أعمّ وأشمل.

٢ـ لكنْ يبقى السؤال: لماذا الاختلاف في الاستعمال في القرآن الكريم فمرة تأتي ﴿مَن﴾ ومرة تأتي ﴿مَا﴾؟

والجواب:

أ ـ نلاحظ في القرآن أنه تعالى عندما يستعمل ﴿مَن﴾ يعطف عليها ما لا يعقل كما في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨﴾ [الحج:١٨].

ب ـ أمّا عندما يستعمل ﴿مَا﴾ فإنه يعطف عليها ما يعقل ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾. . ﴿دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وهو خط بياني لم يتخلف في القرآن أبدا، والحكمة البيانية منه الجمع.

ج ـ وكذلك استعمال ﴿مَن﴾ مع الفعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] وفي سورة النور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[النور:٤١]

د ـ واستعمال ﴿مَا﴾ كما في قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٤] وسورة الجمعة (١) وسورة التغابن (١) وسورة الحديد (١) والحكمة البيانية من ذلك جمع كل شيء.

السؤال السادس :

ما كلمات المنظومة التي تدل على الظلم والاستعلاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.

السؤال السابع :

في سورة الحشر في أولها كرر اسم الموصول ﴿مَا﴾ فقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[الحشر:١] في نفس السورة لمّا ختمها في جو من تمجيد الله تعالى لم يكرر اسم الموصول، فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٤] فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر رقم ١.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في آية طه٤: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ وقال في غيره من المواضع، ومنها آية الحشر ٢٤: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فبدأ بالسماوات؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٤.

رابعاً ـ تناسب فاتحة سورة الحشر مع خاتمتها :

بدأت السورة بقوله سبحانه :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[الحشر:١].

وختمت بقوله:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٤].

فبُدِئَت بالتسبيحِ وخُتِمَت به، حتى أنها ابتدأت باسميه العزيز الحكيم وختمت بهما أيضاً.

والله أعلم.



سورة الممتحنة

أولاً ـ تناسب خواتيم الحشر مع فواتح الممتحنة :

١ ـ خاطب الله المؤمنين في أواخر الحشر وأمرهم ونهاهم فقال :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٨-١٩].

وخاطبهم في أول الممتحنة مبينا ما أراد أنْ يبينه لهم فقال :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة:١-٢].

فكأنّ ما في الممتحنة جاء استكمالاً للأوامر والتوجيه.

فآية الحشر في تقوى الله ومراعاته.

وآية الممتحنة في معاملة أعداء الله.

٢ ـ ذكر في الحشر قبل ذكر أسماء الله وصفاته ما يتعلق بالقتال، فقال :

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ ...﴾ [الحشر: ١٣ - ١٤].

ونحو ذلك ذكر في أول الممتحنة فقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة:٢] ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]. . .

٣ ـ ذكر في أواخر الحشر الاستعداد لليوم الآخر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨].

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر:٢٠].

وقال في أول الممتحنة: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة:٣].

فذكر أنّ الله خبير بما يعملون في سورة الحشر.

وأنه بصير بما يعملون في الممتحنة.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لما قبلها أنه ذكر فيما قبل موالاة الذين نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب.

وذكر في هذه نهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء لئلا يشابهوا المنافقين)).

ثانياً ـ هدف السورة :الامتحانات :

ابتدأت السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة:١] بالدلالة على الانتماء، ويجب أنْ ننتبه إلى أنّ الإسلام لا يدعو إلى عدم التعامل مع غير

المسلمين، وإنما النهي يكون عن الذين يقاتلون المسلمين ويؤذونهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [الممتحنة:٨-٩]. ويجب أنْ يكون هناك توازن بين عدم اتّخاذ الأعداء أولياء وبين القسط والبر بالذين لم يقاتلوا المسلمين.

وهذه السورة هي سورة الامتحانات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ [الممتحنة:١٢].

وفيها امتحانات أربعة:

أ ـ أولها نموذج امتُحن فأخطأ وهي حادثة حاتم بن أبي بلتعة الذي كتب إلى أهل مكة يخبرهم بأنّ الرسول يتجهز لفتح مكة وأنه يريد غزوهم؛ وذلك لأنه كان له قرابات في مكة أراد أنْ يحميهم فنزل الوحي على الرسول وأخبره بذلك فعفا عنه الرسول؛ لأنه كان ممن شهدوا بدراً ونزلت الآية رقم ١.

ب ـ والاختبار الثاني اختبار سيدنا إبراهيم الذي امتُحن فنجح: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)﴾ [الممتحنة:٤].

ج ـ والثالث امتحان العدل في معاملة غير المسلمين آية [٨ و ٩].

د ـ آخرها امتحان المبايعة للنساء آية ١٢.

وعلى المسلم أنْ يأخذ العبر ويستعد لامتحانه.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما قصة هذه الآية؟ وأين أماكن الوقف فيها؟

الجواب :

أولاً: إشارات الوقف :

١ـ إنّ العلامات التي في المصحف هي من اجتهاد اللجان التي تولت طباعته. فقد يجد المسلم إشارة بمنع الوقف. وهنا عندنا إشارة عند قوله تعالى ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ بعد كلمة ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ هناك إشارة وقف ﴿لا﴾ يعني: تقترح اللجنة أنه لا يستحسن الوقف هاهنا ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم يأتي قوله تعالى ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ لأنّ معنى الآية هو: يخرجون الرسول ويخرجونكم؛ لأنكم تؤمنون بالله ربكم، هذا هو المعنى. لكنْ إذا أحس القارئ

أنه لو وقف هنا يتبيّن له المعنى أكثر ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم يقول ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ معناه: لأنْ تؤمنوا بالله ربكم يمكن أنْ يقف عند إشارة الوقف أو أنْ يصِل.

٢ـ من عادة العرب أنها تحذف الفعل وتستغني بحرف العطف (أكرمت زيداً وخالداً)، يعني: وأكرمت خالداً؛ ولذلك يأخذ الحركة الإعرابية.

وهنا المعنى لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يخرجون الرسول ويخرجونكم، لكنْ يخرجون الرسول ويخرجونكم فيها تكرارللفعل فحذفت (يخرجون) وبقيت (كُم) وحدها (يخرجون الرسول وكُم) وهذا لايستقيم فتأتي (إيّا) فصارت (إياكم) بمعنى: يخرجون الرسول ويخرجونكم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: هنا اللام محذوفة كأنه مفعول لأجله يعني (لأجل إيمانكم أخرجوكم). و(أن) تحذف قبلها اللام في لغة العرب كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس:١-٢] بمعنى: لأنْ جاءه الأعمى.

واللام تحذف كثيراً؛ لأنها تكون مفهومة، والعربي إذا كان الشيء مفهوماً لا يذكره، ولذلك أحياناً إذا ذكر في موطن الفهم الواضح يقولون: هذا شاذّ، كما قال الشاعر:

لـك العِـزُّ إنْ مـولاك عـزّ وإنْ يَهُـنْ ... فأنــت لــدى بحبوحــة الهــون كــائن

قالوا: فأنت لدى بحبوحة الهون كائن، قال: هو واضح كائن. وقولك: (زيدٌ في الدار) لا تقول: زيد كائن في الدار. فالحذف هنا واجب.

٤ـ لذلك إشارة الوقف (لا) بعد ﴿إِيَّاكُمْ﴾ في الآية ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ﴾ لا نقف عند (إياكم)، وهذا اجتهاد اللجنة. ويمكن بالوصل أنْ تستقيم العبارة ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

٥ـ ولا تقف عند كلمة (الرسول) في الآية؛ لأنه لا يجوز؛ لأنك فصلت بين المعطوف عليه والمعطوف، وسيلتبس المعنى عند ذلك وتصبح كأنه ينهاهم عن الإيمان؛ لأنّ لفظة (إياكم) قد تفيد معنى التحذير.

٦ـ اللجنة أرادت أن تُقرأ الآية كاملة. وهذه العلامات غير منضبطة في المصاحف، ولكنْ في الغالب علامة الوقف متشابهة في المصاحف وهناك خلافات يسيرة جداً جزئية، لكنّ الجميع يضع (لا) على هذه الكلمة كأنه يريد أنْ تُقرأ الآية كاملة. لكنّ الإنسان قد ينقطع نفسه فهو يحتاط لذلك فيقف في المكان الصحيح.

ثانياً: سبب النزول :

هذه الآية لها قصة وهي كما يقال: خصوص السبب لا يمنع عموم المعنى واللفظ، وكما يقال: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

نزلت هذه الآية بسبب معين، وفيه درس للمسلمين، وفيه بيان لرحمة رسول الله عليه السلام الرحمة المهداة عليه السلام.

بعد صلح الحديبية نكثت قريش العهد، وقتلت مجموعة من حلفاء الرسول عليه السلام، ومزقت المعاهدة بهذا العمل، وأراد عليه السلام أنْ يعدّ العدّة لفتح مكة، وكشأنه في سائر أموره كان يستشير ويسأل. وفي هذه المرة استشار عدداً محدداً، وممن

استشارهم أحد المهاجرين وبدريّ من أهل بدر، ممن شهد بدراً وهو (حاطب بن أبي بلتعة) رضي الله عنه استشاره، وصار الرأي أنْ يفتح مكة وجميع المسلمين لا يعلمون.

وكتب(حاطب بن أبي بلتعة) رسالة إلى قريش وأرسلها مع امرأة - وهو مهاجر وقاتل في بدر لكن هذه خطرات الشيطان - كتب إلى قريش يُعلمهم فيها بعزم الرسول عليه السلام، وعلِم عليه السلام بذلك.

والذي يروي الحديث هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يقول: دعاني الرسول عليه السلام وقال (في رواية البخاري): تذهب مع أبي مرثد والزبير رضي الله عنهم جميعاً، قال: ستجدون امرأة في المكان الفلاني (وسمى المكان خاخ) ستجدون معها رسالة ائتوني بالرسالة. ذهبوا إليها، هم فرسان وهي تركب ظعينة على بعير فأنكرت وأقسمت - وهي مشركة- أنها ما معها شيء، وكادوا يرجعون، ثم تنبّه الإمام علي فقال: والله ما كذبنا رسول الله عليه السلام، لتخرجنّ الرسالة أو لأكشفن عن سترك، فأخرجت الرسالة من ضفيرتها، فجاءوا بها إلى الرسول عليه السلام.

وهذا كشف سر حربي فكيف يتصرف الرحمة المهداة؟ بالطبع لا ينسى ماضي الرجل، فله ماض وهو مؤمن، يرسل إليه فيقول: ما حملك على هذا؟ فيقول: يا رسول الله والله ما حملني عليه ردّة عن الإسلام أو كفرٌ بك أو كفرٌ بالله سبحانه وتعالى، ولكن إخواني من المهاجرين لهم عشائر، والله سبحانه وتعالى جعلهم سبباً في حماية من هناك من ذرياتهم [هو كان لصيقاً بقريش ولم يكن عنده أحد وأولاده وذريته هناك] أنا ما عندي أحد فأردت أن تكون لي يد ينفعني الله بها عندهم (نلاحظ أنه ردّ الأمر أيضاً إلى

الله)، وفي رواية (وقد علمت أنهم مهزومون) أي حتى إذا علموا فهم مهزومون، فقال عليه السلام: صدقت.

ويُروى أن عمر قال: يا رسول الله هذا نافق فلأقطعن عنقه، قال: ما يدريك لعل الله عز وجل اطّلع على قلوب أهل بدر فقال :(**اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**)؛ لأنّ هؤلاء بنوا دعامة الإسلام، فلا ينبغي أن يُنكر لذلك، ولا يجوز إنكار فضل ذوي الفضل.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟ وما معناها؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء بأحبّ صفة للمسلمين وهي الإيمان.

٢ـ ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾عدو المؤمنين هو عدو الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم كفروا بما أنزله الله سبحانه وتعالى.

من أين جاءت العداوة؟ ما نقمتهم؟ ماذا صنع أصحاب الأخدود بالملك؟ لم يعملوا انقلاباً، وإنما مجرد آمنوا بالله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[البروج:٨] مجرد الإيمان يوغر صدور الكافرين، فلا يجوز أنْ تلقي إليهم بالمودة، ولا يجوز أنْ تسمعهم المودة.

٣ـ ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾: استعمل الفعل المضارع، ولم يقل: (أخرجوا) هم واقعاً أخرجوا الرسول عليه السلام وأخرجوكم، لكنّ الفعل المضارع يدل على الاستمرار.

يعني: هذا شأنهم، وهذا دأبهم، وهذه أخلاقهم، وهم ماضون في إخراج إخوانكم الآخرين، فإخراجهم إخراجٌ لكم، وهم مستمرون في المضايقة. ما قال (أخرجوا) حتى لا تكون القضية تاريخية وإنما واقع حال، فكيف تلقون إليهم بالمودة؟ والسبب هو إيمانكم ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾ فقط.

٤ـ ﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ﴾ : هذا الشرط جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله وهو (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمودة ولا تسروا إليهم بالمودة) يعني: دلّ عليه ما تقدّم وهذا تأكيد له.

٥ـ ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ هذا الإسرار لا ينفع؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾ ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ من يلق إليهم بالمودة ويسر إليهم بالمودة فقد ضل سواء السبيل، أي حاد عن الطريق المستقيم السليم. وفيه لمسة رحمة بالمسلمين؛ لأنه قال: (ضلّ) سواء السبيل، لم يقل (كفر)، إنما انحرف عن الطريق، وينبغي أنْ لا ينحرف، لكنْ إذا انحرف يُعاد إلى الطريق.

٦ـ دلالة استخدام الفعل (يُخرج) تحديداً، ما قال: (يطردكم)؛ لأنّ هذه بلدكم مكة، هذا مكانكم، والإنسان مرتبط بمكان نشأته. والمشركون أخرجوا المسلمين إخراجاً من مكة المكرمة.

المسلمون أقاموا في المدينة دولة الإسلام، ومع ذلك كان يقف بلال رضي الله عنه وينشد أبياتاً يتغنى فيها بمكة وأماكن مكة (قد يكون من شِعره أو حفظها عن غيره):

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليل

وهـــل أرِدن يومـــاً ميـــاه مجنّـــة   وهـــل يبـــدونّ لي شـــامت وطفيـــل

(إذخر وجليل) مناطق في مكة وشامت وطفيل جبال، وكل مكان له فيه ذكريات.

يقول له رسول الله عليه السلام: [**يا بلال دعِ القلوب تقِرّ**]. أي لا تهيّج قلوبنا إلى مكة، ثم قال عليه السلام: [**اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة**].

٧ـ الطرد: أنت قد تطرد شيئاً لصيقاً، لكنْ (تخرجه) يعني كأنك تقلعه من جذوره. الإخراج تقول: أخرجه من المكان الفلاني تدل على علاقة متينة بالمكان كأنه متأصّلٌ فيه. قال تعالى: ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ٣٧﴾ [محمد:٣٧] كأنّ الأحقاد متأصلة، ولكنّ الله تعالى يخرجها.



﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

المعنى أنّ هذه حالهم فكيف تسالمونهم؟ الفعل (ثقِفَه) بمعنى استولى عليه أو حصل عليه. والكفار لديهم الرغبة والحرص الشديد على كفر المسلمين ويريدون أنْ يعيدوهم إلى ملّتهم.

السؤال الثاني :

ما المقصود بالبسط في الآية: ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾؟

الجواب :

البسط هو المدّ، بسط يده مدّها. والبسط يأتي فيما يسرّ وفيما يكره، بسط إلي يده بما أحب وبما أكره.

والبسط يأتي بالسوء ويأتي بالخير، والذي يحدد هذا الأمر السياق وفي الحديث عن عائشة **"يبسطني ما يبسطها ويسرني ما يسرها"** ويأتي البسط بمعنى الفرح.

* شواهد قرآنية :

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة:٢٨] هذاالبسط يعني الضرب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ﴾[المائدة:١١].

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾[الممتحنة:٢].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ أي لن تنفعكم الأرحام يوم القيامة، يمكن أنْ نربطها بـ (لن تنفعكم يوم القيامة) أو بـ ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾. والذي ينفع هو أُخوّة الإيمان وليس الأرحام والأرحام ليست هي الأصل مع أنّ هناك وصية وتشديداً في صلة الرحم لكنّ الرحم هو رحم الإيمان.

٢ـ الرحم رحم جنس ورحم الإيمان، فإذا فُقِد رحم الإيمان، فعند ذلك لا يجوز هذا، ويكونون أعداء.

وهم ليسوا نسيجاً وحدهم في هذا، لكنْ يذكّرهم الله تعالى بما كان من إبراهيم وقومه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[الممتحنة:٤]. فالرابط هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤)﴾

السؤال الأول :

تكرر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ مرتين، فما فائدة هذا التكرار وهما في آيتين متقاربتين (الرابعة والسادسة)؟

الجواب :

١ـ الآية الآولى رقم ٤ أُريد بها التأسي بهم في البراءة من الكفار ومن عبادة غير الله تعالى.

٢ـ الآية الثانية رقم ٦ أُريد بها التأسي بهم في الطاعات واجتناب المعاصي لقوله تعالى بعده: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ أي يريد ثوابه ويخشى عقابه.

السؤال الثاني :

لماذا أنث الفعل في الآية الرابعة فقال: ﴿كَانَتْ﴾ وذكّره في الموطنين الآخرين الممتحنة٦ الأحزاب٢١ مع أنّ اسم ﴿كَانَ﴾ في المواطن كلها واحد وهو الأسوة؟

الجواب :

١ـ الأسوة: تطلق على الخصلة أو الصفة التي يؤتسى بها، وتكون عندها بمعنى المؤنث. وتطلق على الشخص المتأسى به، وتكون عندها بمعنى المذكر.

والراجح في الآية الرابعة أنه أُريد به الخصلة أو الصفة فأنّث. وأمّا في الآيتين الأخريين فيُراد به الشخص المتأسى به ولم يذكر الخصلة فذكّر الفعل.

٢ ـ الأمور اللغوية والبلاغية :

أـ من الناحية النحوية: عندما تكون فاصلة واحدة بين الفعل والفاعل فالتأنيث أفضل، وأمّا إذا كثرت الفواصل، فالتذكير أفضل.

ب ـ ومن الناحية البلاغية: التذكير في العبادات أفضل وأهم من التأنيث كما جاء في مريم ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[التحريم:١٢]؛ لأنّ الذين كملوا في التذكير أكثر.

وكذلك عندما يتحدث عن عبادة الملائكة يذكّر.

* شواهد قرآنية :

في الممتحنة ٤: توجد فاصلة بين الفعل والفاعل فأنث ﴿كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ الفاصل: (لكم).

وفي الممتحنة ٦: يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾ وهذه الفواصل هي: (لكم، فيهم).

وفي الأحزاب ٢١: يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ والفواصل هي: ﴿لَكُمْ﴾، ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ .

السؤال الثالث :

نلاحظ أنه (أنّث) في الفعل في الممتحنة ٤ و(ذكّر) في الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١، فلماذا أيضاً؟

الجواب :

أي العبادات أكثر في هذه الآيات؟

١ـ في الممتحنة ٤ كانت الأسوة في القول في أمر واحد وهو: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والاستثناء هو من قول إبراهيم. وهنا جاء بـ ﴿قَدْ﴾ و(أنّث) الفعل.

٢ـ في الممتحنة ٦ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ هذه عامة وهي أهم؛ ولذلك أكّدها باللام وقد ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ لذا عندما اتسعت العبادة (ذكّر).

٣ـ في آية الأحزاب ٢١ الآية عامة ولم يخصص بشيء؛ ولهذا (ذكّر).

السؤال الرابع :

لماذا قدّم في الآية الرابعة الأسوة على المؤتسى به، وأخّرها في الآيتين الأُخريين الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١؟

الجواب :

قدّم الأسوة في الآية الرابعة؛ لأنّ الكلام يدور عليها، وقد بينها بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟﴾. فكانت الخصلة محط الاهتمام.

وأمّا في الآيتين الأخريين فلم يذكر الخصلة، وإنما ذكر المؤتسى به فقط فقدمه على الأسوة؛ لأنّ المؤتسى به هو محط الاهتمام.

وأكّد باللام في الممتحنة ٦ وآية الأحزاب فقال: ﴿لَقَدْ﴾ لأنه أطلق التأسي ليشمل كل الأمور الحسنة أكثر مما أكد في آية الممتحنة ٤ فجاء باللام إضافة إلى: (قد). والله أعلم.



﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) ﴾



السؤال الأول:

ما دلالة استعمال (عسى) و(لعلّ) في القرآن الكريم؟ البعض يقولون: إنها لا تفيد مجرد الاحتمال والتمني، وإنما تفيد التوكيد ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾؟

الجواب:

١ـ كثير من المفسرين يقولون: (عسى) من عند الله واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنّ الكفار قالوا عسى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ [الشعراء:١٢٩] ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾ [طه:٤٤] فليست واجبة وهو لم يتذكر ولم يخش، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ (٣٦)﴾ [غافر:٣٦] فليس واجباً.

٢ـ (عسى) و(لعلّ) من أفعال الترجي، ويقولون: (لعلّ) فيها معنى الإطماع والإشفاق فهي للترجي.

٣ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجبة وليست في القرآن واجبة:

أ ـ فقسم قالوا: هي من عند الله واجبة، كما في الآيات: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [المائدة:٥٢] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥].

ب ـ وقسم قالوا: ليست واجبة حتى مع إسناد ذلك إلى الله تعالى، وإنما يذكره الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال:٤٥] أي اذكروا الله راجين الفلاح من الله حتى يبقى الإنسان خائفاً من ربه.

ج ـ وقسم من أصحاب التفسير قالوا: ليست هي واجبة وإنما المقصود الرجاء من الله سبحانه وتعالى وتقدّر كل حالة بقدرها، وليس هناك حكم مطلق بخصوص (عسى) و(لعلّ.)

٤ـ المعنى العام واضح، لكنْ هل هو واجب؟ هذا بحسب السياق. والله أعلم.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠﴾

السؤال الأول:

ذَكَرَ التأنيث والتذكير في القرآن مع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والصابرين والصابرات والمنافقين والمنافقات وذكر الكافرين ولم يذكر الكافرات، فلماذا؟

الجواب :

وردت الكوافر في القرآن ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠] الكوافر أشمل وأعم من الكافرات. الكوافر أكثر من الكافرات؛ لأنه جمع تكسير والكافرات أقل؛ لأنه جمع قلة، والكافرات دخلت في الكوافر، أمّا المؤمنون والمؤمنات فليس هناك جمع قلة وكثرة. ونحن مضطرون أنْ نقول: المنافقون والمنافقات، لكنا لسنا مضطرين لقول: الكافرين والكافرات.

(الكوافر) جمع كافرة تحديداً، وهو جمع تكسير جمع كثرة، جمع (ساجد) ساجدون وسُجّد وسجود، وهذا ما ورد في اللغة العربية. (ميّت) جمعها موتى وأموات وميّتون، لكنّ (مسلم) جمعها مسلمون وليس عندنا اختيار. ويقول العرب: إنْ لم يكن جمع آخر فالجمع السالم يدل على الكثرة والقلة، وهذا نص.

السؤال الثاني :

ما الكفر؟ وما أنواعه؟

الجواب :

الكفر: هو نقيض الإيمان. والكفر على أربعة أنواع :

١ـ كفر إنكار: بأنْ لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به ويكفر بقلبه وبلسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦] أي الذين كفروا بتوحيد الله.

٢ـ كفر جحود: فهو يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [البقرة:٨٩].

٣ـ كفر معاندة: فهو يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه، ولا يَدين به حسداً وبغياً ككفر أبي جهل، أو يأبى أن يقبل ككفر أبي طالب.

٤ـ كفر نفاق: فهو يقر بلسانه ويكفر بقلبه.

السؤال الثالث :

هل تتعدد الجموع في العربية؟

الجواب :

الجموع في العربية على نوعين: جمع سالم وجمع تكسير. وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً.

وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع نحو: كافر وكفار وكفرة وكافرين وساجد وسُجد وساجدين وسجود، وقد استعمل القرآن الجموع المختلفة.

وأهم أسباب اختلاف أوزان الجموع :

أـ اختلاف لغات العرب.

ب ـ اختلاف المعنى، فالعرب على الأغلب تستعمل (الأسرى) للذين في اليد و(أسارى) للذين في وثاق، كما تستعمل (الكفّار) في جمع الكافر المضاد للإيمان، و (كفرة) في جمع كافر النعمة.

ج ـ القلة والكثرة.

وللعلم فقد وردت في القرآن الكريم كلمة (الكافرون) بالرفع ٣٦ مرة وكلمة (الكافرين) ٩٣ مرة وكلمة (الكفار) ١٩مرة و كلمة (كوافر) مرة واحدة فقط، ولم يأت في القرآن الكريم لفظ (كافرات).

و(كوافر) هي جمع تكسير على وزن (فواعل) نحو طوائف وعواصف وشوارع، وهي صيغة منتهى الجموع وأوزانها عديدة تصل إلى (١٧) صيغة وأشهرها سبعة، وهي:

أفاعل نحو: أكابر وأفاضل وأعاظم.

أفاعيل نحو: أناشيد وأباريق وأغاريد.

فعائل نحو: رسائل وصحائف وعجائب.

مفاعل نحو: مذاهب ومساجد و مدارس.

مفاعيل نحو: مفاتيح ومناديل و مصابيح.

فواعل نحو: جواهر وعواصف وكوافر.

فعاليل نحو: قناديل وعصافير و فوانيس.

السؤال الرابع :

من الناحية اللغوية ما الفرق بين جمع (كافرة) على (كافرات) و(كوافر)؟

الجواب :

١ ـ الأصل في الصفات أنْ تجمع جمعاً سالماً، والجمع السالم يدل على القلة في الجوامد، وأمّا في الصفات فالأصل فيه أنْ يدل على الحدث وجمع الصفات جمعاً سالماً يقربها من الفعلية، بينها تكسيرها، أي جمع التكسير، يبعدها من الفعلية إلى الاسمية.

٢ـ الجمع السالم يجري مجرى علامة الجمع من الفعل، فقولك: يقومون ويضربون، أشبه بقولك: قائمون وضاربون. فالواو للجمع في الفعل والجمع السالم.

٣ـ جاء في (شرح الرضي على الشافية) :[اعلم أنّ الأصل في الصفات أنْ لا تكسّر لمشابهتها الأفعال وعملها، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون ويتبعه الألف والتاء لأنه فرعه. .. ثم إنهم مع هذا كله كسّروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد، وإنْ شابهت الفعل].

*** شواهد قرآنية :**

أ ـ ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾...﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾. ..﴿وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾.

أي الذين يحفظون حدود الله ويحفظون فروجهم، ولم يقل: والحفّاظ أو الحفظة؛ وذلك لأنّ التكسير يبعدها عن الحدث.

ب ـ ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ و(خازنين) تفيد الفعلية بخلاف: خزنة فإنها لا تدل على الفعل وإنما تدل على الاسم، إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكلين في النار، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزُّمَر:٧٣] و ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾[غافر:٤٩].

ج ـ ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٠] و ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم:٨].

ولم يقل: (بلقاء ربهم لكفّار أو كفرة)؛ لأنّ في (كافرون) معنى الحدث فتعلق به الجار والمجرور أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم لقرب هذا الجمع من الفعلية، ولم يتعلق مرة واحدة بالكفار أو الكفرة مع ترددهما في اثنتين وعشرين مرة في القرآن الكريم.

د ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ ، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ .

وقد وردت كلمة (رواسي) تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة (راسيات) إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

هـ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾[الانفطار:١٠-١١].

لم يقل: (كتبة) أو (كُتاب) أو (حفظة)؛ لأنه أراد الصفة أو الحدث، أي كونهم حافظين، كونهم كراماً، كونهم كاتبين. أي هم راسخون في تلك الصفات، ولم يُرِد الملائكة بعينهم كاسم صنف.

و ـ وكذلك نجد في القرآن الكريم أيضاً أنه إذا أراد إبراز الحدث استعمل (الكافرون) كجمع سالم، وإذا أراد الاسمية استعمل (كفّار) كجمع تكسير كما في آية الممتحنة ١٠.

٤ـ ورد في القرآن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ولم يرد مطلقاً أنّ الله لا يحب الكفرة أو الظلمة أو الفسقة؛ وذلك لأنّ الله تعالى لا يحب فعل تلك الصفات من الكفر والظلم والفسق، فاستعمل جمع السالم ولم يستعمل جمع التكسير؛ لأنه لم يرد الاسمية، وإنما أراد الفعل.

٥ـ وردت كلمة (الكفّار) في القرآن الكريم ١٩ مرة بجمع التكسير وهي تدل على الاسمية لا على الحدث، أي اسم لصنف الأشخاص لا على صفتهم، نحو قوله تعالى :

ـ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ ـ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ ـ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ ـ ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفّفين:٣٦].

٦ـ لم يرد في القرآن الكريم مطلقاً (جاهد الكافرين)، وإنما ورد ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ لأنّ الجهاد قتال مع أشخاص لا مع صفات.

٧ـ ونظير ذلك قوله تعالى في سورة عبس: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس:٤٢].

٨ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ:٣٣] فإنّ (كواعب) جمع (كاعب) ولم يقل: (كاعبات)؛ لأنه أراد الاسمية لا الحدث، لأنّ المؤمن يتزوج ذاتاً أي امرأة لا صفة.

٩ـ كذلك قوله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة:٨٧] فإنّ (الخوالف) جمع (خالفة) والأصل أن يقول: (خالفون) جمع (خالف)؛ لأنّ الخوالف جمع خالفة، ولم يقل: (خالفات)؛ لأنه لا توجد خالفات تخلفن عن الجيش كما فعل بعض الرجال.

ولمّا كان المقصود من الآية تشبيه المتخلفين بالنساء- حيث إنهم بقوا في المدينة ولم يخرجوا للجهاد - استعمل جمع التكسير (الخوالف)؛ لأنه أراد الاسمية لا الحدث.

١٠ـ وهنا في الآية دلت كلمة ﴿ٱلْكَوَافِرِ﴾ على الاسمية أي على اسم صنف النساء من هذا النوع حيث تتحدث عن توقف عقد الزواج معهن، والزواج يكون مع النساء كذوات وليس مع صفاتهن.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾؟ ولِمَ لم يؤكد بإنّ بعد الفعل (علم)؟

الجواب :

لم يقل مثلاً: (فإنْ علمتم أنهن مؤمنات)؛ لأنّ الإيمان أمر قلبي لا يطلع على حقيقته إلا الله تعالى؛ ولذلك قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ فاكتفى بالأمارات والدلالات الظاهرة التي تدل على الإيمان، ولم يؤكده بالحرف (أنَّ)؛ لأنه لا سبيل إلى اليقين القاطع.

والفعل (علم) يفيد اليقين، وهو من أفعال اليقين، لكنّ العلم درجات. ومعنى الآية: أي كان بعد الامتحان والاختبار الذي هو أحد درجات العلم.

السؤال السادس :

لماذا ذكّر الفعل ﴿جَآءَكُمُ﴾ مع أنّ الحديث عن المؤمنات؟

الجواب :

١ـ النحويون يقولون: إنّ الجموع مؤنثة تأنيثاً مجازياً وليس حقيقياً ولذلك يجوز معها التذكير والتأنيث. تقول: جاء الرجال وجاءت الرجال وحضر النساء وحضرت النساء.

٢ـ الآية تتحدث عن هجرة المؤمنات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية ليلتحقن بالرسول عليه السلام في المدينة.

والهجرة عمل شاق وجهاد أصيل، وهذه الأعمال من مهام الرجال عادة لأنها تتفق مع طبيعتهم وتكوينهم، بينما النساء فإنهن غالباً يؤثرن الراحة والدعة، قال الشاعر:

كُتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جرُّ الذيول

والمؤمنات خالفن هذا وفضلن المشقة والتعب، وقمن بالهجرة واقتحمن الأخطار، وصبرن على الألم والحر انتصاراً لدينهن وطلباً لمرضاة ربهن.

فالجو جو رجولة وجهاد وتحمل، فناسب أنْ يكون الفعل بالتذكير وكأنّ الرجولة قد انعكست على الفعل فقلبت تأنيثه إلى تذكير.

٣ـ وهو من باب التغليب للذكور.

والله أعلم.

السؤال السابع :

لماذا قال بالصيغة الاسمية: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ وقال بالفعل: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ولم يجعلهما على نسق واحد؟

الجواب :

الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتغير، فعبّر عن المؤمنات بالاسم؛ لأنّ الحكم لا يتغير بالنسبة إليهن ولا يجوز منهن التغيير وعبّر عن الكفار بالفعل؛ لأن الحكم يتغير بتغيرهم بأنْ يسلموا.

والله أعلم.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

كيف يذكر ويؤنث جمع التكسير في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

القاعدة هي :

١ ـ أنه يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

٢ ـ يؤنث الفعل مع الكثرة ويذكر مع القلة.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ حاشية امرأة العزيز عدد محدود، فذكّر.

ـ ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ الحجرات ١٤. الأعراب كُثُر، فأنث.

ـ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ آل عمران ١٨٣.هم مجموعة محدودة من رسل بني إسرائيل، فذكّر مع العدد المحدود.

ـ ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ الأعراف ٥٣. الرسل المذكورون هم جميع الرسل وهم أكثر من سابقتها، فأنّث.

ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ البقرة ١١٣. اليهود كُثُر وكذلك النصارى، فأنّث.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ الممتحنة ١٢تندرج هذه الآية في سياق الكثرة والقلة، وفي سياق زيادة الفواصل أيضاً.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الممتحنة مع خواتيمها :

قال سبحانه في أول السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]. . . . إلى أنْ يقول: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

وقال في آخرها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة:١٣].

فكأنهما آيتان متتاليتان.

والله أعلم.



سورة الصفّ

أولاً - تناسب خواتيم الممتحنة مع فواتح الصف

١ - قال سبحانه في خواتيم الممتحنة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢].

وقال في أول الصف:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣].

فلا يصح أنْ يبايعوا على شيء ولا يفعلوه.

٢ - قال في خاتمة الممتحنة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقال في أول الصف:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤].

فعليهم أنْ يجاهدوهم ويقاتلوهم لا أنْ يتولوهم.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر السورة قبلها أنّ في آخر تلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الممتحنة:١٣] فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم، فحضّ تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم)).

ثانياً ـ هدف السورة : أهمية وحدة المسلمين :

من اسمها فيها دعوة للصفّ والوحدة والتراصّ في سبيل الله، وفيها آيات تدل على المزيد من الانتماء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[الصف:٤]، وآيات تدل على العكس: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾[الصف:٨] وتختم السورة بسيدنا عيسى ودعوته إلى الحواريين أنْ ينتموا إلى الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾[الصف:١٤] فالانتماء حتى عند سيدنا عيسى والحواريين، والدين ليس محصوراً بالصلاة والصوم والعبادة، وإنما هو الانتماء للدين أيضاً.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ﴾ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ﴾ يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الصف:١] فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي وفي بعض السور: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السادس:

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السابع:

لماذا قدم السموات على الأرض؟

الجواب:

من الذي كان يسبح سابقاً؟ أأهل السماء أو أهل الأرض؟ بالطبع أهل السماء؛ لأنّ أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، بينما أهل السماء موجودون قبل أنْ يخلق آدم، فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، وبمن هو أدوم تسبيحاً ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨] فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم، ولأنهم أدوم تسبيحاً، وأدوم في هذه العبادة.

السؤال الثامن :

ما سبب ذكر وحذف ﴿مَا﴾ في بدايات سورة الحديد و في سورة الصف واختلاف صيغة الفعل (سبح) بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف، وجاء(يسبح) في صيغة المضارع كما في سورة الجمعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر ١.

السؤال التاسع :

ما الفرق بين ﴿مَا﴾ و (من) في الاستخدام اللغوي؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أخرج الكلام مخرجاً عاماً، وإنْ كان السببُ في هذا التقريع خاصة فإنه لم يقل: لم تقولون كذا وكذا بل جعله عاماً، ولو ذكر الأمر الخاص الذي نزلت بسببه لكان يُظن أنّ الإنكار بسبب ذاك الأمر لا بغيره.

وللعلم فقد ذُكر أنّ جماعة من المؤمنين قالوا: لو كنا نعلم أحب الأعمال إلى الله لبادرنا إليه، فلمّا كتب عليهم القتال كرهوا ذلك أو نكلوا عنه.

٢ـ وسواء كان ذلك سبب النزول أو غيره، فإنّ ذلك الوصف ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾[الصف:٢] وصف ممقوت ويندرج فيمن يقول ما لا يفعل.

والله أعلم.



﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ يقال: (كَبِر الرجل)، بكسر الباء للكبر في السن وللأمور المادية ويقال: (كَبُر الأمر) بضم الباء للأمور المعنوية. والكبر ههنا في الآية غير مادي فقال بالضم ويكون التعبير خبرياً.

٢ـ وفيه احتمال آخر، وهو أنّ الفعل محوّل إلى (فُعُل) بضم العين لقصد التعجب أي ما أكبره مقتاً، أو بقصد الذم.

٣ـ ﴿مَقۡتًا﴾: يحتمل أنْ يكون تمييزاً مفسراً لفاعل محذوف تقديره: كبر المقت مقتاً، ويكون المصدر المؤول بعده: أن تقولوا، بدلاً لقصد الإيضاح بعد الإبهام.

ويحتمل أنْ يكون الفاعل هو المصدر المؤول، و(مقتاً) تمييز.

٤ـ التعبير: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ اجتمع فيه :

أـ احتمال الخبر على أصل التعبير.

ب ـ احتمال التحويل إلى صيغة (فَعُل) سواء بقصد التعجب أو بقصد الذم.

ج ـ استعمال المقت دون البغض، والمقت أشد البغض.

د ـ يحتمل تحويل الفاعل إلى تمييز لقصد المبالغة.

هـ ـ يحتمل إضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز لقصد الإيضاح بعد الإبهام.

و ـ وصفه بالكبر.

ز ـ زاد هذا الوصف بغضاً بقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإنّ المبغوض عند الله هو أسوأ ما يبغض.

فجعل هذا التعبير ممقوتاً من كل وجه.

٥ـ قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ ولم يقل: (قولكم) بالمصدر الصريح؛ لأنّ: (قولكم) يحتمل أنّ ذلك وقع مرة واحدة فيكون المقت الكبير لما حصل لمرة واحدة، وليس هذا بمراد.

فأراد أنْ يبين أنّ هذا المقت الكبير عند الله يكون إذا تكرر حصول ذلك فجاء بالفعل الدال على التجدد والاستمرار.

السؤال الثاني :

لماذا لم يذكر فعل المقت في الآية ٣ فيقول :(يمقت)، كما قال: ﴿يُحِبُّ﴾ في الآية التي تليها؟

الجواب:

١ـ لم يجعل المقت للفاعل كما في الآية ٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾وإنما جعل المقت للفعل والحب للفاعل؛ وذلك لأنّ الله تعالى خاطب أصحاب الوصف الممقوت بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فلو قال بعدها مثلاً: إنّ الله يمقت الذين يقولون ما لا يفعلون، لأفضى ذلك إلى مقت الذين آمنوا الذين خوطبوا بذلك، والله لا يمقت الذين آمنوا بل يحبهم ولكنه يمقت هذا الوصف، فنزههم عن أنْ يمقتهم ربهم، وكفى بذلك إكراماً للمؤمن.

في حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾فجعل الحب للفاعلين بسبب فعلهم فأحب الفعل والفاعلين.

٢ـ لم يجعل الآية الرابعة على نسق الآية الثالثة، فلم يقل مثلاً: إنّ الله يحب الذين يفعلون ما يقولون؛ وذلك أنّ الله يحب الأفعال التي أرادها ربنا وارتضاها لنا، ولا يحب كل فعل أياً كان ذلك الفعل فإنه ليس الأمر على الإطلاق، والله لا يحب مثلاً الذي يقول: بأنه سيفعل سوءاً ثم يفعله بل عليه أن ينتهي عنه حتى لو أقسم على فعله.

ولذا لا يصح هذا القول على إطلاقه.

والله أعلم.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ
ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر قصة موسى عليه السلام ليتأسى رسول الله ﷺ؛ وذلك أنّ قوم موسى آذوه مع علمهم أنه رسول الله إليهم.

وفيها أيضاً تحذير لمن يزيغ عن طريق الحق ولا يتبع رسول الله ﷺ أنْ يزيغ الله قلبه كما فعل مع أصحاب موسى.

٢ـ قال لهم موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ استصراخاً لداعي القربى واستثارة للمودة لتليين قلوبهم.

ومن الملاحظ في القرآن الكريم أنّ موسى يستعمل معهم ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إذا كان الموقف يتطلب إثارة حميتهم وتليين قلوبهم أو كان في مقام تذكيرهم بنعم الله عليهم، كما في آيات المائدة [٢٠ـ٢١] في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ

أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة:٢٠-٢١] فذكرهم بنعمة النبوة والملك فيهم؛ ليستثير حميتهم لدخول الأرض المقدسة، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾.

وإذا كان في موقف تقريع وذم وتذكيرهم بما يسؤوهم لم يقل: (يا قوم) كما في آية إبراهيم رقم ٦، وهي قوله تعالى:

ـ ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم:٦] فذكّرهم بأيام ذلتهم عند فرعون، وكيف كان يسومهم سوء العذاب، والإنسان لا يعتز بالانتساب إلى القوم الأذلاء.

وفرق كبير بين النعمتين في الآيتين، فتلك نعمة العزة والملك والأخرى نعمة النجاة من الذلة، فوضع النداء حيث كان أحق به.

وكذلك ما جاء في آية البقرة ٦٧ ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ . ..ـ فلم يقل لهم (ياقوم) وهم في موقف الذم والتقريع فهم قد قتلوا نفساً فادارؤوا فيها، فأراد الله أنْ يستخرج القاتل مما لا يشرف قوماً ذكره فلم يقل: يا قوم.

وقد تقول: لقد ذكر ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ في آية البقرة ٥٤، ولم يذكرها في آية الأعراف ١٥٠؛ والسبب في ذلك أنّ السياق والمقام مختلف، فإنّ ما في الأعراف كان في وقت الحدث وفي شدة الغضب، وأمّا آية البقرة فإنها تذكر ما وقع بعد الحدث بمدة وبعد هدوء الغضب ودعوتهم للتوبة، بل إنها وقعت بعد ما عفا الله عنهم، كما في الآية [٥١ـ ٥٢] في قوله

تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[البقرة:٥١-٥٢].

٣ـ قال: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ ولم يقل: آذيتموني، للدلالة على استمرار الأذى له عليه السلام.

٤ـ قوله: ﴿إِلَيْكُم﴾ في قوله: ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ دل على أنّ رسالة موسى عليه السلام ليست عامة للبشر، وإنما هي لبني إسرائيل، وهذا شأن الرسل قبل سيدنا محمد عليه السلام.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ فكان جزاء وفاقاً بسبب زيغهم فإن الله لا يظلم أحداً.

٦ـ اختار في ختام الآية وصفهم بالفسق؛ لأنه هو المناسب، ذلك أنّ معنى: (فسق) هو الخروج عن الطريق الحق، وأصلها من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وهم قد خرجوا عن الطريق الحق ومالوا عنه فكان وصفهم بالفسق أنسب.

والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا لم يقل عيسى عليه السلام: (ياقوم) كما قال موسى عليه السلام في الآية السابقة؟

الجواب :

لم يقل في عيسى :(وإذ قال عيسى لقومه) كما قال في موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ﴾ بل قال: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلك أنّ عيسى عليه السلام لم يكن له فيهم نسب فيكونوا قومه؛ إذ لم يكن له فيهم أب بخلاف موسى.

وهكذا لا تجد في كل القرآن (وإذ قال عيسى لقومه)، بل (يا بني إسرائيل).

السؤال الثاني :

جاءت لفظة ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ ﷺ في آية آل عمران ١٤٤، وجاءت لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾ في آية الصف ٦، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

كلاهما مشتق من الحمد، لكنْ لكل لفظ دلالته البلاغية:

١ـ لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾ جاءت على صيغة اسم التفضيل (أفعل) من اسم الفاعل (حامد) الذي وقع منه فعل الحمد، فكان (حامد) .

وفي لفظة (أحمد) زاد في أداء الحمد عن (حامد) فكان (أحمد).

٢ـ لفظة (محمّد) على وزن صيغة (مفعّل) بزيادة التضعيف على صيغة اسم المفعول (محمود) من (حمد) الذي وصف بالحمد، فكان محموداً.

وعلى هذا فإنّ صيغة التضعيف تحمل في ثناياها زيادة في معنى الحمد.

وزيادة المبنى فيها دلالة على زيادة المعنى.

٣ـ إنّ اسم (أحمد) قد جسّد حمد الله مراراً، وهذا استشعار لفضل المنعم وأداء حقوقه بالقلب واللسان والجوارح.

بينما تضمن اسم (محمد) طاقة مكثفة من حمد الناس وثنائهم عليه تحقيقاً لما وصفه به ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤] فكأنّ الله تعالى قد جمع في اسمي [محمد وأحمد] صفتي المجاهدة والاصطفاء؛ ولذلك وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها: **(كان خلقه القرآن)**.

صلى الله عليك يارسول الله.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نسب عيسى عليه السلام إلى أمه؛ ليدل على أنه ليس ابن الله كما يقول النصارى.

٢ـ لم يقل لهم عيسى عليه السلام (يا قوم) كما قال موسى عليه السلام لأنه ليس له نسب فيهم فيكونون قومه، ولم يرد في القرآن مطلقاً أن ناداهم: (يا قوم) بل: ﴿يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

٣ـ قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم﴾ خصّ رسالته بهم؛ ليدل أنّ رسالته لبني إسرائيل خاصة.

٤ ـ قوله: ﴿مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ هو تصديق بنبوة موسى، وقوله: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ﴾ هو تبشير بالنبي الخاتم سيدنا محمد عليه السلام ومن أسمائه (أحمد).

٥ـ جاء بقوله: ﴿مُّصَدِّقٗا﴾ و ﴿وَمُبَشِّرَۢا﴾ منصوبين على الحال والعامل فيهما هو (رسول الله)، فدلّ على أنّ هذين من أمور الرسالة التي أُرسل بها ولو قالهما بالرفع لأفاد أنه أخبر عن نفسه بذلك.

٦ـ قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِي﴾ ولم يقل (بعدي) ليدل على أنه ليس بينهما نبي وذلك لأنّ (من) تفيد ابتداء الغاية في البعدية، وأمّا (بعد) من دون (من) فتحتمل البعدية القريبة والبعيدة.

٧ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ يحتمل أنْ يكون المقصود به عيسى عليه السلام، كما يحتمل أنْ يكون المقصود به محمداً عليه السلام، فإنّ قوم عيسى وكذلك قوم محمد ﷺ قالوا: القول نفسه.

٨ـ جاء في البحر المحيط: الظاهر أنّ الضمير المرفوع في ﴿جَآءَهُم﴾ يعود على عيسى؛ لأنه المحدث عنه، وقيل يعود على أحمد.

٩ـ ذُكرت في آيات هذه السورة من مطلعها حتى هذه الآية ثلاثة أقوام :

أـ من آمن من قوم محمد، وهو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

ب ـ قوم موسى.

ج ـ المكذبون من قوم موسى أو قوم محمد عليهما السلام.

ورتبهم بحسب الإيمان والطاعة، فالأولون أفضلهم، ثم قوم موسى، ثم من كفر. وهذا يتناسب أيضاً مع المسبحين، فبدأ بذكر المسبحين في السماوات والأرض، ثم بمن يسبحونه في الأرض طوعاً وهم المؤمنون بمحمد عليه السلام، فهم يسبحون الله في صلواتهم وأدبار السجود وفي غير ذلك من الأوقات، ثم انتقل إلى قوم أقل تسبيحاً وهم قوم موسى عليه السلام.

والله أعلم.



﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ معرّفة في سورة الصف وقد وردت نكرة في مواضع أخرى؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الصفّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف:٧]. التعريف في النحو هو ما دلّ على شيء معيّن (إزالة الاشتراك عن الشيء) أمّا التنكير فهو عام.

والآيات القرآنية التي وردت كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ فيها بالتعريف هي آيات خاصة بأمر معين، أمّا التي وردت فيها كلمة (كذب) بالتنكير فهي تتعلق بأمر عام.

ومثال ذلك في استخدام كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾بالتعريف في القرآن قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤] فالكذب هنا متعلق بالمسألة في الآية.

أمّا في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف:١٥] فليس هناك أمر خاص، وإنما هو أمر عام؛ لذا جاءت كلمة (كذب) بالتنكير.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ إنما كانوا أظلم الناس؛ لأنهم ظلموا الرسول عليه السلام بنسبته إلى ما ليس فيه؛ إذ قالوا: هو ساحر، وظلموا أنفسهم إذ لم يتوخوا لها النجاة وظلموا الناس بحملهم على التكذيب، وظلموهم بإخفاء الأخبار التي جاءت في التوراة والإنجيل.

٢ـ قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فأخرجه مخرج الاستفهام، ولم يقل: ولا أظلم ممن افترى، أو نحو ذلك والسبب ليشارك السامع بالإجابة، وليقرر بنفسه أنْ لا أظلم ممن افترى على الله الكذب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ فجعل نفي الهداية ختاماً للآية لأنه قال: ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي يدعى إلى الهدى، فناسب نفي الهداية.

السؤال الثالث :

أكد نفي الهداية بـ ﴿إِنَّ﴾ في آية الأنعام ١٤٤ ولم يؤكده في آية الصف٧ فلماذا؟

الجواب :

١ـ لأنه زاد على آية الصف ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فاقتضى ذلك زيادة تأكيد نفي الهداية لهؤلاء الذين يضلون الناس بغير علم.

٢ـ عرّف ﴿الْكَذِبَ﴾ في آية الصف، وهو متعلق بصفة النبي عليه السلام والتبشير به فعرّفه، ونكّره في آية الأنعام؛ لأنهم يفترون على الله كذباً في أمور كثيرة وليس في أمر معين، فاقتضى ذلك تأكيد نفي الهداية.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما سبب الاختلاف بين الآيتين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢] و ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨] ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٣٢.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذا تهكم بهم فمثّل تكذيبهم وإخفاءهم صفة النبي محمد عليه السلام وإنكارهم الحق الذي جاء به وقولهم إنه سحر مبين بمن ينفخ نور الشمس بفمه ليطفئها.

٢ـ قال: ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ ليدل على أنّ ما جاء به محمد إنما هو نوره سبحانه ليهدي به الخلق.

٣ـ اللام في ﴿لِيُطْفِـُٔواْ﴾ إمّا للتوكيد أو للتعليل، ولم يذكر اللام في آية التوبة ٣٢ حيث قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ وللتعرف على الجواب انظر آية التوبة ٣٢.

٤ـ جاء في ختام الآية باسم الفاعل الدال على الثبوت فقال: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بمعنى أنّ الأمر ثبت واستقر، في حين قال في التوبة ٣٢: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ فجاء بالفعل المضارع المسبوق بأنْ التي تنص على الاستقبال فكان ما في آية الصف آكد.

٥ـ قال: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ليدل على الصورة المضحكة، فهم لم ينفخوا بآلة ذات دفع قوي لعلّهم يطفئون نور الله بل بأفواههم.

وقد أنجز الله ما وعد وأتم نوره رغم أنف الكافرين.

والله أعلم.



﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أضاف الرسول إلى ضميره وذلك لتكريمه، والناس عادة يحمون من يضافون إليهم وينصرونهم، فكيف بالله وقد أضافه إلى نفسه سبحانه؟

٢ـ قدّم الهدى على دين الحق؛ لأنه مدعاة إلى قبول دين الحق وأضاف (الدين) إلى (الحق) فقال: ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾.

وهذه الإضافة جرت في القرآن الكريم على سبيل الاطراد حيث اجتمعت الكلمتان، ولم يصف الدين بالحق إلا إذا أضافه إلى كلمة أخرى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾[النور:٢٥] والدين في آية النور بمعنى الجزاء والحساب، وهو غير معنى الدين في آية الصف.

وإضافة الدين إلى الحق تؤدي أكثر من معنى :

أ ـ الحق من أسماء الله الحسنى، ولمّا كان الله هو الحق كان دينه حقاً أيضاً.

ب ـ الحق نقيض الباطل، وبالتالي هو دين الحق وليس دين الباطل.

ج ـ هو دين الله، وهو دين الحق، وهو الدين الحق.

السؤال الثاني :

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٩﴾ ولِمَ لم يقل (الكافرون) مثلاً؟

الجواب :

١ ـ أنّ الكافر يمثل الظلمة، فلمّا قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ كان ذلك كفراً بالمعنى اللغوي، فناسب ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ٨﴾.

٢ ـ الكفر أعم من الشرك، فكل كافر مشرك وليس كل مشرك كافراً والنور أعم من الرسول والدين، فجعل العام بمقابل العام والخاص بمقابل الخاص، فلمّا ذكر النور ذكر في مقابله الكفر، ولمّا ذكر الرسول والدين ذكر مقابله الشرك.

٣ـ الجدول التالي يبين تناسب التعبير بين الآيتين ٨ و ٩.

الآية ٨	الآية ٩	التعليق
﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾	النور إزاء الهدى
﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾	﴿رَسُولَهُۥ﴾	الإضافة متشابهة
﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾	﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	إتمام النصر

٤ـ قال في الصف ٩ والتوبة ٣٣ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ⑨﴾ ولم يقل ذلك في آية الفتح ٢٨ وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ㉘﴾[الفتح:٢٨].

والسبب أنه لم يذكر في آية الفتح محادة للمشركين ولا محاربتهم كما ذكر في سياق آيتي الصف والتوبة كافر فلم يقتض ذلك أنْ يقول: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ⑨﴾ في الفتح كما قال في السورتين.

وقد ذكر قبل آية الفتح الوعد بدخول المسجد الحرام آمنين بالاتفاق بين الرسول عليه السلام والمشركين في صلح الحديبية، فلم يقتض قول: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ⑨﴾.

والله أعلم.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الآية فيها خطاب للذين آمنوا بأسلوب التشويق وبها يدل على تكريم الله للمؤمنين.

٢ـ قال: ﴿أَدُلُّكُمْ﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه وذكر المفعول به الضمير في (أدلكم) وهذان الأمران يدلان على الاهتمام بأمر المؤمنين فالقائل هو الله، والذي عرض الأمر على المؤمنين هو الله سبحانه.

٣ـ قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ بالاستفهام الدال على التشويق.

٤ـ قال: ﴿أَدُلُّكُمْ﴾ فقيد الفعل بضمير المخاطبين؛ ليفيد أنّ الدلالة مختصة بهم.

٥ـ قال: ﴿تُنجِيكُم﴾ بالتخفيف للدلالة على سرعة الإنجاء، وقيّد الإنجاء بضمير المخاطبين للدلالة على حب الخير لهم.

٦ـ قال: ﴿مِّنْ عَذَابٍ﴾ فنكّر العذاب؛ ليشمل كل أنواعه.

٧ـ قال: ﴿أَلِيمٍ﴾ ليشمل كل مؤلم منه.

٨ـ أطلق العذاب؛ ليشمل عذاب الدنيا والآخرة.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة حرف الاستفهام (هل) في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الرحمن ٦٠.

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ فسّر التجارة بأمرين، وهما: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

والأول يبعث على الطمأنينة والرضا بقضاء الله و ينجي من العذاب النفسي والباطني، وأمّا الآخر وهو الجهاد فهو ينجي من العذاب الظاهر فإنّ الشعوب التي لا تجاهد شعوب خائفة مستضعفة، فدلّ ذلك على أنّ هذه التجارة تنجي من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

٢ـ قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ولم يقل: أنْ تؤمنوا؛ وذلك لأنّ (أنْ) تفيد الاستقبال فلو ذكرها لكان يعني أنّ طلب الإيمان إنما يكون في المستقبل، مع أنّ الإيمان ينبغي أن يكون في الحال.

٣ـ قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ يفيد الطلب بمعنى: آمنوا، وعَدَلَ عن الأمر الصريح إلى الخبر للدلالة على أنهم كأنهم امتثلوا لما أمرهم به.

ويدل على أنّ هذا الفعل بمعنى الطلب قوله: ﴿يَغْفِرْ﴾ المجزوم كأنه جواب الطلب.

٤ـ وقد تقول: ولكنْ تقدم الطلب، وهو الاستفهام ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ فكيف جاز إجابته بالجزم؟!

والجواب: إنّ المعنى يأبى ذلك، فإنّ الدلالة على التجارة لا تستلزم المغفرة وإدخال الجنة، وإلا دخل كل الناس الجنة؛ لأنهم دُلّوا بوسيلة من الوسائل وإنما الذي يفضي إلى الجنة والنصر هو الطاعة.

ولذلك جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الصف:١١] ذكر في سبيل الله لأنّ كل جهاد في غير سبيله باطل.

٦ـ قدّم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس؛ لأنه أهم منهما هنا.

٧ـ قد تقول: إنّ القرآن قدّم الأموال والأنفس على قوله:

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في مواطن أخرى، كما في آية الأنفال ٧٢ وآية الحجرات ١٥ فلم ذاك؟

والجواب: أنّ ذلك بحسب ما يقتضيه السياق، فإذا كان السياق في جمع وحفظ الأموال يبدأ بطلب التضحية به، وإذا كان السياق في القتال وليس في الأموال يقدّم (في سبيل الله) على الأموال.

٨ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ معناه أنّ الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس خير من إيثار الراحة والقعود بالرغم من أنّ القتال مكرّه إلى النفوس، ولكنْ في هذا المكروه الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

٩ـ قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ولم يقل: (ذلك)؛ لأنه أراد أنّ الخير للأمة جميعها وليس لفرد أو فئة وعلى سبيل الدوام.

١٠ـ وقد تقول: ولكن القرآن استعمل (ذلك) في آية المجادلة ١٢، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ﴾[المجادلة:١٢] فما الفرق؟

والجواب: أنّ المخاطبين بآية الجهاد هم عموم المؤمنين إلى يوم القيامة والجهاد أشمل وأعم، ويشمل الغني والفقير، كما قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[التوبة:٤١] بخلاف آية تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول عليه السلام فإنها تخص الأغنياء فقط، إضافة إلى أنّ آية تقديم الصدقة قد نسخت بعد ذلك بمدة وجيزة وانتهى حكمها.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الصف:١١] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات١٥.

﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قال: ﴿يَغۡفِرۡ﴾ بالجزم؛ ليدل على أنّ ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ طلب، وليس إخباراً.

٢ـ قال: ﴿ذُنُوبَكُمۡ﴾ ولم يقل: (من ذنوبكم)؛ ليدل على غفران الذنوب كلها لا بعضها.

٣ـ قال: ﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وتلك عاقبة من يُغفر له ذنبه.

٤ـ قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ فوصف المساكن بأنها طيبة، وإنما خصصت المساكن بالذكر؛لأنّ في الجهاد مفارقة مساكِنِهم فوُعدوا على تلك المفارقة بمساكن أبدية.

٥ـ قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ تعني الإقامة والبقاء، والإنسان بطبعه يحب الحياة ويؤثر البقاء ويكره القتال؛ لأنه مظنة مفارقة الحياة، فذكر أنّ المجاهد إنما هو ذاهب إلى مساكن أطيب من مسكنه في دار البقاء، فهو إذن يجاهد للبقاء والإقامة الطيبة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ هذا هو الفوز الثاني بعد الفوز الأول وهو النجاة من النار.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ﴾ ولم يقل: (ذلك فوز) للدلالة على قصر الفوز عليه وأنّ ما عداه ليس بفوز.

ووصفه بالعظيم للدلالة على عظمة الفوز.

السؤال الثاني :

ما سبب زيادة (هو) في ختام آية التوبة (١١١) فقال: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

بخلاف آية الصف(١٢) بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾ ؟

الجواب :

قال هنا: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾ وقال في آية التوبة ١١١ :﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾

بزيادة ضمير الفصل الذي يفيد التوكيد، والسبب يتضح بعد دراسة الجدول التالي :

مسلسل	آية الصف ١١- ١٢	آية التوبة ١١١
١	﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
٢	﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾
٣	﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾
٤	-	﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾

النتائج :

١ـ جاء بالصيغة الاسمية في آية التوبة فوصفهم بأنهم مؤمنون، وجاء بالصيغة الفعلية في آية الصف، والاسمية أثبت وأقوى من الفعلية.

٢ـ ذكر في التوبة أنّ الله اشترى من المؤمنين الأنفس والأموال ولم يبق لهم مال ولا نفس. وأمّا في آية الصف فهم يجاهدون بها ولم يذكر أنهم باعوها.

٣ـ قال في التوبة: ﴿يُقَـٰتِلُونَ﴾ وفي الصف: ﴿وَتُجَـٰهِدُونَ﴾ والمقاتلة مظنة القتل، وأمّا الجهاد فهو عام ومنه القتال.

٤ ـ ذكر في التوبة: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ ولم يذكر مثل ذلك في الصف.

٥ـ قدّم في التوبة في صفقة الشراء الأنفس على الأموال، والأنفس أغلى من المال فباعوا أنفسهم أولاً ثم أتبعوها بالمال.

ولذلك كانت التضحية في التوبة أعلى مما في الصف، والفوز إنما يكون على قدر التضحية، فلمّا زادوا في التضحية زاد لهم في الفوز وأكده بـ (هو).

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ و ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾؟

الجواب:

١ـ (من) تبعيضية، أي بعض الذنوب، وبدونها معناه أنه يغفر لكم الذنوب جميعاً.

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته.

أمّا التعبير ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون ﴿مِّن﴾ ثلاث مرات في القرآن [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ١٧ـ الصف ١٢].

وورد التعبير مع وجود ﴿مِّن﴾ ثلاث مرات أيضاً [إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤].

والله أعلم.

﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي ونعمة محبوبة عندكم وهي النصر من الله والفتح القريب. ومعنى هذا أنّ النصر لا يأتي من دون جهاد.

٢ـ قوله: ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ تتناسب مع قوله تعالى في أول السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فكأنه قال: افعلوا ما يحبه الله يعطكم ما تحبون من النصر والفتح القريب.

٣ـ قوله: ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ فلم يقل: هل أدلكم على تجارة تحبونها؛ لأنّ في بعض هذه التجارة كرهاً وهو القتال، فكأنه قال: أطيعوا الله فيما يحب وتكرهون يعطكم ما تحبون.

٤ـ قوله: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ دل على أنّ النصر إنما هو من الله وليس بجهادكم وعدّتكم.

٥ـ قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ لقد أمر الله رسوله أنْ يبشر المؤمنين بالنصر والفتح القريب، ولم يجعل البشارة داخلة في جواب الشرط، وإنما هي أمر بالتبليغ لما هو حاصل، وقد حصل ما بشر به فدلّ على صدقه ﷺ.

والله أعلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ بعد أنْ شوقهم لذكر التجارة وهو من باب الأمر والتكليف، وليس من باب الاختيار والمندوب.

وفي قوله: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ طلب للفعل وليس طلباً للقول، وهذا مناسب لتأنيبه لمن قال ولم يفعل في أول السورة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هو على لسان سيدنا عيسى عليه السلام وله معنيان:

أ ـ أنا أنصر الله وأنصر دينه، فمن معي في نصرة دين الله؟

ب ـ إنّ الله ينصرني ويؤيدني، فمن يكون معي في نصرة الله إياي؟

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ جمع المعنيين السابقين.

٤ـ إنّ الذي قال للحواريين: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ﴾ هو عيسى عليه السلام، وأمّا القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فهو الله؛ ليدل ذلك على عظم التبليغ للمؤمنين وأهميته.

٥ـ المراد من قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن أنصار دين الله وأنصار أنبيائه؛ لأنّ نصرة الله تعالى في الحقيقة مُحال.

وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي فيما يقرب إلى الله، وهو كما يقال: (اللهم منك وإليك).

٦ـ قوله تعالى على لسانهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقولوا: (نحن أنصارك). لأنّ الصيغة الأخيرة متعلقة بوجوده، فإذا ذهب انفضوا. ولم يقولوا: (سنكون أنصار الله)، بل قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن أنصاره الآن. ولذلك قال: ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ وذلك لأنهم قاموا بالنصرة فعلاً فاستحقوا التأييد، وجاء بالفاء الدالة على التعقيب، ولم يقل: (ثم أيدنا) الدالة على التراخي.

لذلك فإنّ الصيغة الأولى ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ تدل على الإطلاق، أي أنهم مع نصرة دين الله، سواء كان عيسى عليه السلام موجوداً أم غير موجود.

٧ـ قال: ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه؛ ليدل على أنّ التأييد منه سبحانه فقط.

والتأييد يحتمل أمرين: التأييد بالحجة، أي فأصبحوا ظاهرين في حجتهم ويحتمل التأييد بالسيف والغلبة.

٨ـ وعيسى عليه السلام لم يسألهم: من أنصار الله؟ بل سألهم ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنهم كلهم سيقولون ذلك بالإيجاب.

٩ـ قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تفيد من يضيف نصرته إلى نصرة الله إياي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي مضمومة إلى أموالكم.

وفي الحديث كان ﷺ يقول إذا ضحّى: **(اللهم منك وإليك)** أي تقرباً إليك.

وقال الحسن: تقدير الآية: من أنصاري في سبيل الله، وإلى بمعنى: (في) جائز.

١٠ـ الحواري أصله من الحور، وهو شدة البياض، والحواريون كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه والمخلصين في حبه، وقيل: كانوا قصارين يبيضون الثياب، وقيل لأنّ قلوبهم كانت نقية طاهرة فسموا بذلك مدحاً لهم.

١١ـ لقد طلب الله من المؤمنين عامة على مر الزمان أنْ يكونوا كالحواريين؛ ولذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ولم يقل: يا أصحاب محمد، ولم يقل: كونوا أنصار محمد؛ وذلك ليشمل الطلب عموم المؤمنين، ولئلا ترتبط النصرة بشخص النبي محمد عليه السلام.

١٢ـ قول عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلماح إلى أنّ رسالته منقطعة، فإنه أضاف الأنصار إليه، وهذا يدل على أنه بعد توفيه ستنقطع نصرته.

وأمّا قول الله للمؤمنين: ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فيدل على أنّ الرسالة دائمة غير منقطعة؛ لأنّ الإضافة إلى الله لا إلى شخص معين.

١٣ـ قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ متناسب مع النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فدخلوا في التأييد.

١٤ـ ثم إنّ بشارة المسلمين أعظم، فإنه قال في أتباع عيسى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ فخصّ ذلك بالتأييد على العدو، وقال في المسلمين: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ وإظهار الدين إنما يكون بظهور معتنقيه وزاد لهم النصر والفتح القريب.

١٥ـ من الملاحظ أنّ عيسى لم يعد أتباعه بشيء، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر والفتح القريب.

١٦ ـ طلبُ عيسى النصرةَ في هذه الآية ونسبته إلى أمه في مكان آخر من السورة يدل على أنّ عيسى عليه السلام بشر وليس ابناً لله. تعالى الله عن ذلك.

١٧ـ ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ واختتمت بقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ مما يدل على أنّ عاقبة الجهاد تأييد الله ونصره، فارتبط أول السورة بآخرها أحسن ارتباط.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل قالوا فعلاً هذا الكلام؟

الجواب :

هم لم يتكلموا العربية فربنا نقل عنهم معنى الكلام تماماً بأسلوبه المعجز كما قالوا، وكذلك حينما نقل عن فرعون نقل الكلام الذي يريده فرعون لكنْ بأسلوب معجز وتعبير أدبي. هذا ما حدث بالفعل، لكنّ الله تعالى نقله لنا بأسلوب معجز.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الصف مع خواتيمها :

قال سبحانه في أول السورة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾[الصف: ٢ - ٤].

وقال في آخرها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الصف: ١٠ - ١١]. . . ﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[الصف: ١٣ - ١٤]. . . .

فالسياق في نصرة المؤمنين لدينهم وجهادهم وقتالهم في سبيل الله في البدء والختام.

والله أعلم.



سورة الجمعة

أولاً ـ تناسب خواتيم الصف مع فواتح الجمعة :

١ ـ قال سبحانه في خاتمة سورة الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾[الصف:١٤].

وقال في أول الجمعة :

﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ ﴾[الجمعة:٢]. فما ذكره في آية الصف إنما هو من تعليم الله لهم في كتابه.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر تأييد من آمن على أعدائهم؛ أي قوله تعالى ﴿ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤ ﴾[الصف:١٤]. أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه وذكر ما أنعم به على أمة محمد ﷺ من بعثته إليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم، فصارت أمته غالبة سائر الأمم، قاهرة لها منتشرة الدعوة، كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم)).

٢ ـ قال في أواخر الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾[الصف:١٠-١١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[الصف:١٤].

وقال في الجمعة:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الجمعة:٦-٧].

فالمسلمون يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

والذين هادوا لا يتمنون الموت ويفرون منه.

٣ ـ وقد ذم بني إسرائيل في الصف والجمعة.

فقال في الصف:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف:٥].

وقال في الجمعة:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة:٥].

ثانياً ـ هدف السورة: الوحدة والجماعة رمز الانتماء.

السورة رمز الوحدة والانتماء واجتماع المؤمنين. وقد حدد ذلك أهداف صلاة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة:٢] فالرسول يتلو آيات الله ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وهذه الأهداف هي التي يجب أنْ تكون عليها صلاة الجمعة.

الجمعة هو يوم وحدة الأمة ويوم تذكرة الأمة، وهذا من ضمن الانتماء للإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة:٩] وقد جاء في السورة ذكر اليهود الذين لم يتتموا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة:٥].



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ﴾ ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ﴾ يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الخامس :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السادس :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السابع :

لماذا قدم السموات على الأرض؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثامن :

ما سبب ذكر وحذف ﴿مَا﴾ في بدايات سورة الحديد و في سورة الصف واختلاف صيغة الفعل سبح بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف وجاء (يسبح) في صيغة المضارع، كما في سورة الجمعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر ١.

السؤال التاسع :

ما دلالة استعمال ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في سورة الجمعة؟

الجواب :

توجد ظاهرة في آيات التسبيح في القرآن كله. إذا كرّر ﴿مَا﴾ فالكلام بعدها يكون عن أهل الأرض، وإذا لم يكرر ﴿مَا﴾ فالكلام ليس عن أهل الأرض، وإنما عن شيء آخر.

في سورة الحشر وكذلك في سورة الصفّ وفي سورة الجمعة نجد: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ وفي سورة التغابن.

السؤال العاشر :

ما دلالة أنه ورد التسبيح بالصيغة الفعلية كثيراً مع الاستغفار، كما في آيتي الأنبياء ٢٠ والجمعة ١؟

الجواب :

لم يرد التسبيح بالصيغة الوصفية الاسمية إلا في آيتين :

أ- في وصف النبي يونس عليه السلام في سورةالصافات ١٤٣: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] بمعنى أنه كان هذا وصفه الثابت فنجا؛ لأنه كان من أصحاب هذا الوصف، والصيغة الاسمية إشارة إلى أنّ مداومة التسبيح تخلّص من الكروب والمكاره في وقت الشدة.

ب- في صفة الملائكة في الصافات ١٦٦: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي هذه صفتهم والتسبيح صفة ثابتة لهم، كما قال الله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.



﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين البعث والإرسال؟

الجواب :

١ـ (البعث) فيه معنى الإرسال، تقول: بعثت شخصاً، فيه معنى الإرسال، لكنْ في (بعث) أيضاً معاني غير الإرسال، وغير أنْ ترسل رسولاً تحمّله رسالة لطرف آخر.

٢ـ (البعث) قد يكون فيه إرسال، وقد يكون فيه معان أخرى غير الإرسال، أي هو إرسال وزيادة. فمثلاً (يبعث الموتى) ليس بمعنى إرسال ولكن بمعنى: يقيمهم، والبعث فيه إثارة (إنّ للفتنة بعثات)، وفيه تهييج. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾[البقرة:٢٤٧] أي أقامه منكم.

ولذلك فإنّ البعث يستعمل فيما هو أشد.

* شواهد قرآنية:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[يونس:٧٥].

ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾[المؤمنون:٤٥-٤٦] الآيتان لهما نفس الدلالة لكنّ واحدة في (يونس) وجاء معها (بعثنا) والأخرى في (المؤمنون)، واستعمل معها كلمة (أرسلنا).

لو قرأنا الآيات في سورة يونس نجد أنه كانت المحاجة شديدة بين موسى وفرعون وإيذاء لبني إسرائيل[الآيات٧٧ـ٧٨] ثم موسى عليه السلام دعا على فرعون (٨٨) وهذا كله في يونس.

أمّا في سورة المؤمنون فهي عبارة عن أربع آيات فقط [٤٥ـ٤٨) ثم انتهت القصة في المؤمنون، بينما في يونس هناك كلام طويل وفيه قوة ودعاء عليهم فقال: (بعثنا). وفي المؤمنون قال: (أرسلنا).

ب ـ جاء في القرآن الكريم عن الرسول عليه السلام قوله تعالى :

. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢]. هذه فيها عمل للرسول عليه السلام: [يتلو ـ يزكي ـ يعلم]، فقال (بعث).

. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] الله تعالى يظهر على الدين كله، ولم يذكر عملاً للرسول، فقال (أرسل).

. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح:٢٨] الله تعالى يظهر على الدين كله،ولم يذكر عملاً للرسول، فقال (أرسل).

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف:٩-١٠]. الله تعالى يظهر على الدين كله، ولم يذكر عملاً للرسول، فقال (أرسل).

ج ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾[الإسراء:٥] هذه فيها قوة وقسوة وعمل، فاستعمل (بعثنا).

فالبعث هو أشد من (الإرسال) وفيه حركة وأمّا الإرسال فلا، والبعث هو الإرسال وزيادة.

السؤال الثاني :

قال في آل عمران (١٦٤): ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ و قال في الجمعة(٢): ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٦٤.



﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة بناء الفعل للمجهول (حُمّلوا) فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا ﴾؟

الجواب :

١ـ القرآن الكريم يستعمل التعبير (أوتوا الكتاب) وكذلك مثلما ورد في هذه الآية: ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ في مقام الذم، ويستعمل (آتيناهم الكتاب) في مقام المدح.

وهذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب) و(آتيناهم الكتاب). والقرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات، وإن لم تجرِ في سنن العربية. والفعل (أوتوا) في العربية لا يأتي في مقام الذم وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم.

٢ـ عموماً إذا كان التفضل فيه خير فإن الله تعالى ينسبه لنفسه: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[فاطر:٣٢] فهذا مدح.

أمّا ما فيه ذم فينسبه للمجهول، كما في الآيات: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى:١٤]

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في هذه الآية كأنّ الحق يقول: لا تكونوا مثل الحمار الذي يكتفي من الخير أنْ يحمله، ولكنْ أريد منكم أنْ تحملوا المنهج وأنْ تنتفعوا بما يحويه من التشريع.

وهذه الأمثلة في القرآن الكريم ليست ذماً للحمار أو للكلب، إنما ذمٌّ لمن يتشبه بهما؛ لأنه نزل إلى مرتبة لم يرده الله لها، وأراد الله المثل فيها بشيء لا تذم منه، ولكنه مذموم من الإنسان.



﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآيات التي فيها ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ والآيات التي فيها ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾؟

الجواب :

١ـ الآيات التي فيها الفعل ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ ليس فيها كسب، ولم يرد فيها كسب.

* شواهد قرآنية :

البقرة ٩٥ـ النساء ٦٢ـ القصص ٤٧ـ الروم ٢٦ـ الشورى ٤٨ـ الجمعة ٧.

٢ـ آيات الكسب نحو: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يسبقها شيء يدل على الكسب والكسب هنا هو الكسب غير المشروع.

*** شواهد قرآنية :**

البقرة ٢٢٥ـ الأنعام ٧٠ـ الرعد ٣٣ـ الروم ٤١ـ غافر ١٧ـ الشورى ٣٠ـ الجاثية ٢٢ـ المدثر ٣٨ـ

فمثلاً في آية الشورى ٣٠ ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى:٣٠].

وسبقها في الآية ٢٧ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى:٢٧] وبسط الرزق يدل على الكسب.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

نفى التمني في آية الجمعة ٧ بـ [لا] فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ﴾ ونفاه في آية البقرة ٩٥ بـ [لن] فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ﴾، فما السبب؟

الجواب :

السبب هو اختلاف سياق الآيتين :

١ـ قال في الجمعة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة:٦-٧].

وقال في البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥].

فأنت ترى الفرق واضحاً بين السياقين، فالكلام في آية البقرة عن الآخرة، والدار الآخرة للاستقبال فنفى بـ[لن]؛ إذ هو حرفٌ خاصٌّ بالاستقبال.

وأما الكلام في آية الجمعة فهو عام لا يختص بزمن دون زمن: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الجمعة:٦] فهذا أمر مطلق فنفى بـ [لا]، وهو حرف يفيد الإطلاق والعموم.

٢ـ من ناحية ثانية أنه لمّا كان الزمنُ في آية الجمعة عاماً مطلقاً غير مقيد نفاه بـ[لا] التي آخرها حرف إطلاق، وهو الألف، ولمّا كان الزمن مقيداً في آية البقرة للاستقبال وهو زمنٌ مقيد نفاه بـ[لن] التي آخرها حرف مقيد وهو النون الساكنة، وهو تناظر فني جميل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر يوم الجمعة والسبت دون باقي الأيام في القرآن؟

الجواب :

١ـ هناك يومان في الأسبوع ذكرا في القرآن بالاسم وهما الجمعة والسبت، بينما باقي أيام الأسبوع – وهي خمسة – لم تذكر في القرآن بالاسم.

ونلاحظ أنّ يوم الجمعة لم يأخذ اشتقاقه من العدد كباقي أيام الأسبوع: الأحد من الواحد والاثنان منسوب إلى اثنين، وهكذا.

وكان من المفروض أن ينسب يوم الجمعة إلى ستة ولكنه لم ينسب فلماذا؟

لأنه اليوم الذي اجتمع فيه للكون نظام وجوده، فسماه الله سبحانه الجمعة وجعله لنا عيداً.

٢ـ والعيد هو اجتماع نعمة الله في إيجاد الكون وتمامها في ذلك اليوم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾[الحديد:٤] وكان تمام الخلق يوم الجمعة.

أما اليوم السابع وهو يوم السبت فمعناه القطع، وسبت يسبت سبتاً إذا انقطع عمله، وفي ذلك اليوم كان كل شيء قد استقر وفرغ من خلق الكون ولذلك قيل له سبات؛ لأن فيه سكوناً وانقطاعاً بعد تمام الخلق.

فلما أراد اليهود يوماً للراحة أعطاهم الله يوم السبت، وفيه تم ابتلاؤهم وامتحانهم بقضية الحيتان، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأعراف:١٦٣].

لكنّ اليهود سقطوا في هذا الامتحان فصدر الحكم عليهم ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة:٦٥] والإنسان إذا مسخ فإنه لا يتناسل وهؤلاء مسخوا ولم يتناسلوا حتى انقرضوا، ولو أنهم تناسلوا لتحمل الأبناء وزر آبائهم وهذا مرفوض عند الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ والمسخ أصاب جزءاً منهم وهم العاصون وليس جميعهم. وبقيت الأكثرية ليصل نسلها إلينا اليوم.



﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال [إذا و إنْ] في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ إنْ :

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع، أو المشكوك في حصولها، أو المستحيلة أو المفترضة :

* شواهد للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

* شواهد للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ ـ المائدة ٦.

* شواهد للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

* شواهد للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

٢ ـ إذا :

تستعمل للمقطوع بحدوثه، والكثير الوقوع، كما في الآيات: البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤.

* شواهد مشتركة تتضمن (إذا) و(إن) معاً :

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].



﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

لم قدمت التجارة على اللهو أولاً فقال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ وأخّرها عنه بعد فقال: ﴿ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة:١١]؟

الجواب :

١ـ الجواب – والله أعلم – أنّ سبب تقديم التجارة على اللهو في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْلَهْوًا﴾ أنها كانت سبب الانفضاض؛ ذلك أنه قدمت عير المدينة وكان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، وكان من عُرْفِهم أن يدخل بالطبل والدفوف والمعازف عند قدومها، فانفض الناس إليها ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً﴾.

فقدّمها؛ لأنها كانت سبب الانفضاض وليس اللهو، وإنما كان اللهو والضرب بالدفوف بسببها فقدّمها لذلك. ولهذا أفرد الضمير في ﴿إِلَيْهَا﴾ ولم يقل: (إليهما)؛ لأنهم في الحقيقة إنما انفضوا إلى التجارة، وكان قد مسهم شيء من غلاء الأسعار.

٢ـ وأمّا تقديم اللهو عليها فيما بعد في قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ فذلك؛ لأنّ اللهو أعم من التجارة، فليس كل الناس يشتغلون في التجارة ولكنّ أكثرهم يلهون. فالفقراء والأغنياء يلهون، فكان اللهو أعم فقدّمه لذلك، إذ كان حكماً عاماً فقدّم التجارة في الحكم الخاص؛ لأنها في حادثة معينة، وقدّم اللهو في الحكم العام لأنه أعم.

وجاء في (روح المعاني): "واختار ضمير التجارة(إليها) دون اللهو لأنها الأهم المقصود..".

وتقديم اللهوفي الآية ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ ليس من تقديم العدم على الملكة كما توهم، بل لأنه أقوى مذمة، فناسب تقديمه في مقام الذم.

وقال ابن عطية: قُدمت التجارة على اللهو في الرؤية؛ لأنها أهم وأخرت مع التفضيل لتقع النفس أولاً على الأبين.

٣ـ وكرر (من) مع اللهو ومع التجارة، فقال: ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ ليؤذن باستقلال الأفضلية لكل واحد منهما، لئلا يتصور أنّ الذم إنما هو لاجتماع التجارة واللهو، فإنْ انفرد اللهو أو التجارة خرج من الذم، فأراد أنْ يبيّن ذم كل منهما على جهة الاستقلال؛ لئلا يتهاون في تقديم ما يرضي الله وتفضيله

فجاء بـ (من) ليؤذن باستقلال كل من اللهو والتجارة، وأنه ليس المقصود ذم الجميع بين الأمرين، بل ذم وتنقيص كل واحد منهما، بالنسبة إلى ما عند الله.

٤ـ وتأخير التجارة عن اللهو مناسب لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ فالتجارة من أسباب الرزق وليس اللهو، فوضعها بجنبه؛ ولأنّ العادة أنك إذا فاضلت بين أمور فإنك تبدأ بالأدنى، ثم تترقى. وأنك إذا بدأت بالأفضل انتفت الحاجة إلى ذكر من هو أدنى، فبدأ باللهو؛ لأنه ظاهر المذمة ثم ترقى إلى التجارة التي فيها كسب ومنفعة.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾[الجمعة:١١]؟ وما دلالة تقديم التجارة واللهو مرة وتأخيرها مرة أخرى؟

الجواب :

١ـ هذه الآية نزلت بينما كان الرسول ﷺ يخطب بعد صلاة الجمعة فجاءت العير بقافلة، وكانت سنة شديدة وغلاء في الأسعار فانفض الناس والرسول عليه السلام يخطب.

والتجارة كان يُضرَب لها بالدفوف إشعاراً بمجيئها فانفض معظم الناس وتركوا الخطبة، إذن التجارة التي كانت سبب الانفضاض وليس اللهو؛ لأنّ ضرب الدفوف كان بسبب التجارة وإشعاراً بأنها جاءت (اللهو هنا هو ضرب الدفوف)؛ ولذا قدّم التجارة في أولها ـ ﴿رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ لأن الانفضاض كان للتجارة. ومعناه: تركوا سماع الخطبة وذهبوا. هذا هو الأصل وكان تقديم التجارة؛ لأنها سبب الانفضاض.

٢ـ أمّا تقديم اللهو فيما بعد ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ فالناس ليسوا كلهم عندهم تجارة واللهو أعم من التجارة. وأكثرهم يلهون لكن ليس أكثرهم يتاجر، فقدّم ما هو أعم ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾،

٣ـ كرر ﴿مِنَ﴾ في الآية ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ مع أنه يجوز لغة أنْ يقول: من اللهو والتجارة، لكنْ لماذا جاء بـ (من)؟

إذا جاء (من اللهو والتجارة) يحتمل أنه في اجتماعهما ذم، لكن يمكن أنْ يكون خير في تفرقهما، لكن لمّا قال: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ فهذا يؤذن باستقلال الأفضلية لكل منهما إذا اجتمعا. كما نقول: (الأناة خير من التهور ومن العجلة) فهي خير من كل واحدة

على حدة، ولو قال:(خير من التهور والعجلة) تعني: إذا اجتمعا. فهي تفيد أنّ الخيرية من اللهو على جهة الاستقلال، ومن التجارة على جهة الاستقلال أيضاً، فإن اجتمعا زاد الأمر سوءاً.

٤ـ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ جعل الرزق بجانب التجارة؛ لأنّ التجارة من أسباب الرزق، وليس اللهو من أسباب الرزق.

وليس لائقاً ولا مناسباً أن يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ بجانب اللهو وفي اللغة عادة تترقّى من الأدنى إلى الأعلى، فذكر الأدنى (اللهو) ثم الأعلى (التجارة). والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الجمعة مع خواتيمها :

بدأت السورة بقوله سبحانه :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾[الجمعة:١].

وقال في أواخرها :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾[الجمعة:٩].

والصلاة ذكر وتسبيح، وقد طلب منهم السعي إلى ذكر الله، فهو مناسب لتسبيح ما في السماوات وما في الأرض، والتسبيح ذكر.

وقال بعد ذلك: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾[الجمعة:١٠].

فأمرهم بذكر الله كثيراً بعد الصلاة.

وهو مناسب لتسبيح ما في السماوات والأرض.

فناسب تسبيح المؤمنين وذكرهم لله تسبيح ما في السماوات والأرض والصلاة إنما هي ذكر وتسبيح. والله أعلم.





سورة المنافقون

أولاً ـ تناسب خواتيم الجمعة مع فواتح المنافقون :

١ ـ ذكر الله في سورة الجمعة الكافرين والمسلمين فقال في خاتمة الجمعة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة:٩]... ٩ ـ ١١.

وذكر قبلها الكافرين: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة:٥].. ٥ ـ ٨.

وذكر المنافقين في أول سورة المنافقين، فقال :

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾[المنافقون:١].

فذكر الكافرين من أهل الكتاب، وذكر المؤمنين، وذكر المنافقين.

فجمع عموم المكلفين.

٢ ـ ذكر صفة متشابهة بين اليهود والمنافقين، وهي الجبن.

فقال في اليهود في الجمعة: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾[الجمعة:٦-٧].

وقال في المنافقين في أول سورة المنافقين: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ﴾[المنافقون:٤].

٣ ـ قال في خاتمة الجمعة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة:١١].

وقال في سورة المنافقين: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون:٧] فالذي له خزائن السماوات والأرض هو خير الرازقين.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لمّا كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ﴾[الجمعة:١١] ربما كان حاصلاً عن المنافقين، واتبعهم ناس كثير من المؤمنين في ذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة إذ كان وقت مجاعة جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ﴾[المنافقون:٧] إذ كانوا هم أصحاب أموال، والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى)).

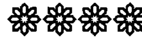
وجاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها أنّ سورة الجمعة ذُكر فيها المؤمنون، وهذه ذُكر فيها أضدادهم وهم المنافقون)).

ثانياً ـ هدف السورة : تحذير ما يفرق وحدة الصف.

تتكلم السورة عن صفات المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾[المنافقون:١] ومن اللمسات البيانية في هذه الآية ورود: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؛ لأنها لو لم ترد لكان المعنى أنّ الله تعالى يكذّب

المنافقين الذين شهدوا للرسول بالرسالة، وحاشا لله أنْ يشهد هذا، لكنه علم ما في نواياهم وما قصدوه من شهادتهم هذه. وجاء في السورة ذكر خمس عشرة صفة للمنافقين وهم يمنعون وحدة الصفّ.

وتختم الآيات بدعوة المؤمنين بعدم جعل الأولاد والأموال أداة تلهيهم عن انتمائهم لهذا الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون:٩] وفي هذا تقديم لما سيأتي بالتفصيل في السور الثلاثة اللاحقة (التغابن، التحريم، الطلاق).



ثالثاً- من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾

السؤال الأول :

مفعول الفعل (علِم)مفتوح الهمزة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزّمل:٢٠] ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩﴾ [الحاقة:٤٩] لكنْ ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾ [التوبة:٤٢] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٦] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] لماذا وردت عكس القاعدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٤٢.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

السؤال الذي يطرح نفسه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيم كذب المنافقون؟

هل كذبوا في قولهم: إنك لرسول الله؟ لا، بل إنّ الحق قد أيّد هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

١ـ إنّ الله كذبهم عندما قالوا: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾ لقد كذّبهم الله في شهادتهم، لا في المشهود به، وهو محمد رسول الله ﷺ.

إنّ الله تعالى يعلم أنّ محمداً رسوله المبعوث منه رحمة للعالمين، لكنّ الكذب كان في شهادتهم هم.

٢ـ إنّ كلام المنافقين مردود من الله. .. لماذا؟ لأنّ الشهادة تعني أنْ يواطىء اللسان القلب ويوافقه، وقولهم يمثل شهادة لا توافق قلوبهم وتعني كذبهم.

إذن فالتكذيب هو لشهادتهم، ومن هنا ندرك السر في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

إنّ الحق يؤكد الأمر المشهود به، وهو بعث محمد رسولاً من عند الحق.

وبعد ذلك يأتي لنا الحق بشهادته أنّ المنافقين كاذبون في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ﴾ لأنّ الصدق أن تطابق النسبة الكلامية الواقع، وشهادة المنافق نسبة كلامية لا تطابق واقع نفسه، فهو لا يَصْدُقُ مع نفسه ولا يصدق مع الناس.

إنّ الكافر له صدق مع نفسه، أمّا المنافق فهو غير صادق مع نفسه وغير صادق مع ربه أيضاً.



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَوَّوۡاْ﴾ ما كلمات منظومة (ثنى ولوى)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١١٠.

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ٧: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ ثم قال بعده في الآية ٨ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨]، فما السبب؟

الجواب :

١ـ في الآية ٧ لمّا قال المنافقون: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ ختم بأنهم ﴿لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ أي لا يفهمون أنّ الأرزاق على الله تعالى وأنّ منعهم ذلك لا يضرهم؛ لأنّ الله يرزقهم.

فلمّا كان الفكر في ذلك خفياً يحتاج إلى فكر وفهم قال: ﴿لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

٢ـ الآية ٨ قوله تعالى: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ هو رد على عبد الله بن أبيّ ابن سلول حين قال: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ لأنّ ذلك يدل على عدم علمه أنّ العزة لله وللرسول، يعزّ من يشاء ويذل من يشاء، فمن الله العزة وهو معطيها لمن يشاء، وهذا من الأمور الظاهرة لمن عرف الله تعالى، فجهّلهم بقولهم ذلك مع ظهور الدليل.

السؤال الثاني :

قال في يونس ٦٥ وفاطر ١٠ : ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وقال في المنافقون٨: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

أنّ العزة له تعالى جميعاً، وعزة الرسول والمؤمنين منه، وهو معطيها لهم، فعزتهم من عزته، فهو المختص بها وحده تعالى.

ولا تعارض بين الآيتين؛ لأنّ العزة في الأصل لله، وعزة الرسول عليه السلام من صلته بالله العزيز، وعزة المؤمنين من صلتهم بعزيز العزيز فهي عزة موصولة من الله تعالى لمن اعتز به.

وأول من اعتز بالله رسولُه ثم المؤمنون به.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

متى يكون استعمال (أو) و (لا) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾[المنافقون:٩] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾[النور:٣١] ؟

الجواب :

١ـ الواو من حيث الحكم يسمونها مطلق الجمع، أمّا (أو) فلها معاني الإباحة والتخيير.

خـــيّر أَبِـــحْ قَسِّـــمْ بـــأو وأَبْهِـــمِ واشـــكُكْ وإضرابٌ بهـــا أيضـــاً نُمِـــى

والواو فيها معانٍ كثيرة.

٢ـ (أو) فيها إباحة أو تخيير أو تقسيم.

أ ـ إباحة: نحو: جالسوا العلماء أو الزهاد، تبيح له أنْ يجالس هذا الصنف من الناس، جالس الفقهاء أو العلماء، صاحب فلاناً أو فلاناً. أي تبيح له في صحبة هؤلاء.

ب ـ قد تكون للتخيير، والتخيير لا يجيز الجمع إمّا هذا وإمّا هذا، بخلاف الإباحة "تزوج هنداً أو أختها" هذا تخيير، ولا يجوز الجمع بين الأختين.

٣ـ السؤال: لماذا جاء بـ (لا) في الآية: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾؟

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ فيها نهى عن الالتهاء على سبيل الاجتماع أو التفرّق، أي لا الأموال ولا الأولاد، ولو حذف (لا) تصير تعبيراً احتمالياً، يعني: لو أحدهما ألهاكم فلا بأس.

أمّا في الآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور:٣١] هذه إباحة، وليست تخييراً.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في آية سورة المنافقون ٩؟

الجواب :

لقد نهى الله في هذه عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، وكذلك الانشغال بأمر الأولاد إلى حد الغفلة عن ذكر الله وإيثار ذلك عليه، ومن يفعل ذلك كان خاسراً خسارة عظيمة.

هذا هو معنى الآية على وجه الإجمال، إلا أنّ هناك أسراراً تعبيرية تدعو إلى التأمل، منها:

١ـ أنه قال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾، ومعنى ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ : لا تشغلكم، وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم)؟

والجواب: أنّ من الشغل ما هو محمود، فقد يكون شغلاً في حق كما جاء في الحديث: **"إنّ في الصلاة لشغلاً"** وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾[يس:٥٥] أمّا الإلهاء فمما لا خير فيه، وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.

٢ـ لقد أسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد، فقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ فقد نهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهي المؤمن عن الالتهاء بما ذكر.

والمعنى: لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله، وهذا من باب النهي عن الشيء والمراد غيره، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣] فقد نهى الحياة الدنيا أنْ تغرّ المؤمن والمراد نهي المؤمن عن الاغترار بالدنيا.

إنّ المنهي في اللغة: هو الفاعل، نحو قولك: (لا يضرب محمود خالداً) فـ (محمود) هو المنهي عن أن يضرب خالداً، ونحو قولك: (لا يسافر إبراهيم اليوم) فإبراهيم منهي عن

السفر. ونحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا ﴿١١﴾﴾ [الحجرات] فالقوم هم المنهيون وكذلك النساء، فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به. والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد، أمّا المخاطبون فمفعول به، فالمنهي إذن هو الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن.

وقد تقول: ولِمَ لمْ يعبر بالتعبير الطبيعي فيقول: لا تلتهوا بالأموال والأولاد، على أصل المعنى؟

والجواب: أنّ في هذا العدول عدة فوائد:

أ ـ أنه نهى الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله، فكأنه قال: أيتها الأموال لا تلهي المؤمن عن ذكري. فكأنّ الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن أنْ يتعرض له، فكيف عن التعرض.

وفي هذا النهي مبالغة، إذ المراد نهي المؤمن، ولكنه بدأ بأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه، فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد، تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر؛ لينقطع سبب الالتهاء ويقمعه.

ب ـ أنّ فيه إهابة للمؤمن ألا يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأنّ الأموال والأولاد ينصبون الشرك ليلهوه عن ذكر الله، فعليه أنْ يحذر من أنْ يقع فيه كما تقول: (لا يخدعك فلان)، فإنّ فيه إهابة لأخذ الحذر منه.

هذا بالإضافة إلى ما فيه من التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال، فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع المؤمن في الفخ.

جاء في (روح المعاني): "والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهي المخاطبين، وإنما وجه إليها للمبالغة؛ لأنها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جُعلت كأنها لاهية وقد نهيت عن اللهو، فالأصل: لا تلهوا بأموالكم. . إلخ. فالتجوز في الإسناد. وقيل: إنه تجوز بالسبب عن المسبب، كقوله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ أي: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم".

وجاء في (تفسير البيضاوي): "توجيه النهي إليها للمبالغة".

٣ـ جاء بـ (لا) بعد حرف العطف، فقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ﴾ ولم يقل: (أموالكم وأولادكم)؛ ذلك أنّ كلاً من الأموال والأولاد داعٍ من دواعي الإلهاء.

ولو قال: (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أنّ النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فلو انشغل بالمال وحده جاز، أو انشغل بالأولاد وحدهم جاز، وهو غير مراد؛ إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.

٤ـ قدّم الأموال على الأولاد؛ لأنّ الأموال تلهي أكثر من الأولاد، فإنّ الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً، وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يراهم إلا لماماً؛ فقدّم الأموال لذلك.

٥ـ قدّم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأموال؛ لأنّ المال إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم؛ وذلك لأكثر من سبب :

أ ـ أنّ المقام مقام إلهاء كما ذكرنا، فاستدعى تقديمها.

ب ـ أنّ المقام يقتضي ذلك من جهة أخرى، وهي أن هذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول، وهو قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ فقدّم الصدقة على كونه من الصالحين.

ولّما قدم النهي عن الالتهاء بالمال قدّم الصدقة. والصدقة إنما هي إخراج للمال من اليد والقلب.

ولّما قال: ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ لأنّ المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من الصالحين، فهو تناظر جميل.

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾. .. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾.

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. .... ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾

والملاحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم يقدّم المال على الولد إلا في موطن واحد، وذلك نحو قوله تعالى:

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح:١١] وقوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] وقوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ [المدّثر:١٢-١٣]، ونحو ذلك، لأنّ المال في هذه المواطن أدعى إلى التقديم؛ إمّا لأنّ الانشغال به أكثر كما ذكرنا، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر، وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال.

أمّا الموطن الذي قدم فيه الولد على المال، فهو قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة:٢٤]؛ وذلك لأنّ المقام مقام حب. ولا شك أنّ المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من الأموال؛ لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الدار.

ثم لا تنس أنه قدّم مجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، ولا شك أنّ هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال. فالأبناء وحدهم أثقل في ميزان الآباء من الأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب.

٦ـ قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل: (ومن تلهه تلك) فنسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء.

فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ للدلالة على أنّ ذلك بمقدور، وأنّ هذا من فعله وكسبه. فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه.

٧ـ ثم انظر كيف جاء لذلك بالفعل المضارع فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ﴾ للدلالة على استمرار الحدث وتكرره، ولم يقل: (ومن فعل) بالماضي، ذلك لأنّ الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، ولذا عبّر عنه الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتطاول.

٨ـ ثم قال بعد ذلك: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩﴾ واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء ههنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها.

فإنّ الذي ينشغل بالمال إنما يريد الربح، ويريد تنمية ماله فقال له: إنّ هذا خسران وليس ربحاً حيث باع "العظيم الباقي بالحقير الفاني".

٩ـ ثم إنّ الإتيان بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ بين المبتدأ والخبر وتعريف ﴿ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أنّ هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى من يسمون خاسرين، فإنه لم يقل: (فأولئك خاسرون)، أو من الخاسرين ولو قال لأفاد أنّ خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم، بل قال: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩﴾ للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى.

جاء في (روح المعاني): "وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من المبالغة".

١٠ـ اختار الإلهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات فلم يقل مثلاً: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو عن غير ذلك من العبادات، ذلك أنّ ذكر الله يشمل جميع الفرائض، فكل عمل تعمله لا يكون لله إلا إذا كنت ذاكراً لله في نفسك أو على لسانك أو مستحضراً له في قلبك، والذكر قد يكون في اللسان، قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥] وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾ [طه:١٤] فذكر الله "عام في

الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال الحسن: "جميع الفرائض".

ولذلك كان الخسران كبيراً فهو متناسب مع عظم المعصية، والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما اللمسات البيانية في آية المنافقون ١٠ في قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾؟ لِمَ عطف بالجزم على النصب، فقال: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ بالنصب ثم قال: ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

الجواب:

١ـ تبدأ الآية بقوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ وهذا الأمر بالإنفاق مقابل النهي عن الإنفاق على أصحاب رسول الله من المنافقين. فالمنافقون يقولون لأوليائهم: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[المنافقون:٧] والله يقول لأوليائه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فانظر كيف قابل النهي بالأمر.

٢ـ قال: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فجاء بـ (من) الدالة على التبعيض، ولم يقل: (أنفقوا ما رزقناكم)، للدلالة على أنّ الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله، فتستسهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ربها بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنها تستعظم ذلك وتبخل به، قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾[محمد:٣٦-٣٧].

٣ـ أسند الرزق إلى نفسه، فقال: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ للدلالة على أنّ هذا المال إنما هو من رزق الله سبحانه، ملّكه عباده، فتطيب النفوس لإخراج بعض ما رزقه الله، استجابة لأمر الله الرازق.

وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.

٤ـ ثم قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فجاء بـ ﴿مِن﴾ ولم يقل: (قبل أن يأتي أحدكم الموت) إشارة إلى قرب الموت من الإنسان، وأنه على الإنسان أنْ يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح، فإنّ ﴿مِن﴾ هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية، ومعناه الزمن القريب من الموت بل المتصل به، وأنّ حذفها يفيد الوقت الذي هو قبل الموت سواء كان قريباً أم بعيداً، ويفيد إعطاء المهلة مع أنّ الأجل إذا جاء لا يمهل، فالمجيء بها يفيد طلب التعجيل بالتوبة والإنفاق؛ إذ كل ساعة تمر بالإنسان تحتمل أنْ تكون هي ساعة الموت وهي التي ذكرها بقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فانظر حسن التعبير ودقته.

٥- في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ استخدم الفعل ﴿يَأْتِيَ﴾ بدل الفعل (جاء) في الآية، ومن الملاحظ أنّ الفعل (جاء) لم يرد أبداً في القرآن كله بصيغة المضارع ،أمّا بالنسبة للفعل (أتى) فقد استعمل مضارعاً واستعملت كل مشتقاته (آتيكم، مأتيا).

٦ـ ثم إنّنا نجد في الآية تقديم المفعول به على الفاعل؛ لأنه أهم، وهو المأمور والمنهي، وهو المحاسب وهو محور الخطاب، والموت يأتي في كل لحظة.

وقدّم المفعول به على الفاعل، فقال: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ ولم يقل: (يأتي الموتُ أحدَكم)؛ ذلك لأنّ المفعول به هو المهم ههنا، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح، وهو المدعو للإنفاق، وهو المتحسر النادم إذا عاجله الموت.

فالعناية والاهتمام منصبان على المفعول الذي يأتيه الموت، وهو كل واحد منا.

٧ـ جاء بالفاء في قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ﴾ ولم يأت بـ (ثم) أو(الواو)؛ ذلك لأنّ الفاء تفيد معنيين: السبب والعطف، في حين أنّ (ثم) أو (الواو) لا تفيد السبب، وإنما تفيد العطف وحده.

ومن ناحية أخرى، إنّ الفاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أنّ (ثم) تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع.

فجاء بالفاء لجمع معنيي السبب والعطف، أي أنّ الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف له من سوء المنقلب والعياذ بالله.

ثم إنّ طلب التأخير يأتي رأساً بلا مهلة، ففي ساعة الموت وعند حضوره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين، ولو جاء بـ (ثم) لما أفاد ذاك، بل يفيد أنّ طلب ذاك إنما يكون بعد مهلة وتراخ، وكذلك (الواو) لا تفيد ما أفادته الفاء.

٨ـ ثم انظر كيف ناسب المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت مع حذف حرف النداء، فقال: ﴿رَبِّ﴾ ولم يقل: (يا رب)؛ لأنّ الوقت لم يعد يحتمل التضبيع في الكلام فيأتي بـ (يا)، بل يريد أنْ يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده.

٩ـ جاء بـ ﴿لَوۡلَآ﴾ فقال: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ ولم يقل (لو أخرتني)؛ لأنّ (لولا) أشد في الطلب من (لو) وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل: (لو)، فإنّ (لو) تكون للطلب برفق، وأما (لولا) فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أنّ ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأنْ يجأر به وأنْ يأتي بما هو من أشد أدوات الطلب قوة، كما أنها من أدوات التنديم وفيها تنديم للنفس على ما فرط، ولو جاء بـ (لو) لأفاد العرض الخفيف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنّ (لو) قد تفيد التمني، والتمني قد يكون ميئوساً منه، وليس لصاحبه فيه مطمع، نحو (لو يعود الميت إلى الحياة، فيخبر الناس بما هو فيه) في حين أنّ هذا القائل ليس متمنياً، بل هو طالب للعودة سائل لها، فلو جاء بـ (لو) لأفاد أنّ هذا من باب التمني الذي يتمناه الإنسان، ولا يرجو وقوعه كقول القائل:

ألا ليت الشباب يعود يوماً

والتمني قد يكون في حال العافية كما يكون في غيرها، في حين أنّ هذا طالب للتأخير وليس متمنياً.

١٠ـ جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) فقال: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ ولم يقل: (لولا تؤخرني)؛ ذلك أنّ المحذور وقع، في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد أنّ الأمر لم يقع بعد، وأنّ في الأمر سعة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾[الواقعة:٧٠] وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾ [النمل:٤٦].

هذا علاوة على ما يفيد دخول (لولا) على الماضي من قوة الطلب وشدته، وإنْ كان مستقبل المعنى.

١١ـ ثم انظر كيف طلب مهلة قصيرة لإصلاح حاله، مع أنه كان يتقلب في الأرض من دون أدنى تفكير أو اهتمام بمآله في الآخرة، أو بالأوقات التي يضيعها هدراً من دون اكتراث، فقال: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ولم يقل: (إلى أجل) فيحتمل القريب والبعيد، فطلب مهلة قصيرة وأجلاً قريباً لتدارك ما فات.

فانظر كيف جاء بالفاء الدالة على قصر الزمن بين إتيان الموت وطلب التأخير، وحذف (يا) النداء اختصاراً للزمن ليفرغ إلى طلبه، وجاء بـ(لولا) الدالة على الإلحاح في الطلب، كل ذلك ليحصل على مهلة قليلة ليصلح شأنه، فانظر أية إشارات هذه إلى هول ما هو فيه؟

١٢ـ وقد تقول: ولِمَ قال ههنا: ﴿أَخَّرْتَنِىٓ﴾ بالياء، وقال في سورة الإسراء: ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ فحذف الياء واجتزأ بالكسرة؟

والجواب: أنّ المقام يوضح ذلك.

فقد قال في سورة الإسراء على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء:٦٢].

وقال ههنا: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ وهنا نسأل: أي الطلبين يريده المتكلم لنفسه على وجه الحقيقة، وأيهما يعود بالنفع عليها ودفع الضرر

عنها، أهو قوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[المنافقون:١٠] أم قوله: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾[الإسراء:٦٢].

والجواب ظاهر، فإنّ طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم. ثم إنّ هذا الطلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضراً وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً، وإنه لا شئ ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.

فلمّا كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير، ولّما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع حذف الضمير واجتزأ بالكسرة.

ثم في الحقيقة، إنّ كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح، وأمّا قوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ فهو طلب صريح ففرّق تبعاً لذلك بين التعبيرين، فصرّح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير.

١٣ـ وهنا نأتي إلى السؤال، وهو: لِمَ عطف بالجزم على النصب، فقال: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ بالنصب، ثم قال ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

والجواب: أنّ هذا مما يسميه النحاة (العطف على المعنى) وقد يسمى في غير القرآن (العطف على التوهم). ذلك أنّ (أصّدق) منصوب بعد فاء السببية، و(أكنْ) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إنْ أخرتني أكنْ من الصالحين، ونحو ذلك أنْ تقول: (هلا تدلني على بيتك أزرْك)، فـ: (أزرْك) مجزوم بجواب الطلب، والمعنى، إنْ تدلني على بيتك أزرْك، ولو جئت بفاء السبب لنصبت، فقلت: (هلا تدلني على بيتك فأزورَك)، وإنْ أسقطت الفاء وأردت معنى الشرط جزمت.

جاء في (البحر المحيط): "وقرأ جمهور السبعة (وأكنْ) مجزوماً. قال الزمخشري: (وأكنْ) مجزوماً على محل (فأصّدق) كأنه قيل: إنْ أخرتني أصّدق وأكن. وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع؛ لأنّ التقدير: إنْ تؤخرني أصّدّق وأكن"

ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب، وجاء بالمعطوف على معنى الشرط، فجمع بين معنيي السبب والشرط، فالعطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء، بل على إرادة معنى جديد.

جاء في (معاني النحو): "عطف (أكنْ) المجزوم على (أصّدق) المنصوب، وهو عطف على المعنى، وذلك أنّ المعطوف عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب، فإنّ (أصّدق) منصوب بعد فاء السبب وأمّا المعطوف فليس على تقدير الفاء، ولو أراد السبب لنصب، ولكنه جزم لأنه جواب الطلب، نظير قولنا: (هل تدلني على بيتك أزرْك؟) كأنه قال: إنْ تدلني على بيتك أزرك، فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أنْ أقول لك: (احترم أخاك يحترمْك) و(احترم أخاك فيحترمَك) فالأول جواب

الطلب والثاني سبب وتعليل، وتقول في الجمع بين المعنيين (أكرم صاحبك فيكرمَك ويعرفْ لك فضلك) وهو عطف على المعنى".

وقد تقول: ولماذا لم يسو بينهما، فيجعلهما نسقاً واحداً؟

والجواب أنهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية، فالصلاح أهم من الصدقة ذلك أنَّ الذي ينجي من العذاب هو كونه من الصالحين لا كونه متصدقاً فإنّ المؤمن قد لا يتصدق بصدقة أصلاً، ومع ذلك يدخل الجنة بصلاحه وقد لا يكون معه ما يتصدق به. فالذي ينجيه من العذاب، ويدخله الجنة، هو أنْ يكون من الصالحين، والتصدق إنما يكون من الصلاح. والذي يدلك على ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠] فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة؛ لأنّ الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال وإنفاقها، وذلك يدل على أنّ الصلاح هو مناط النجاة وأنه هو الأهم، فعبّر عن كونه من الصالحين بأسلوب الشرط؛ لأنه أقوى في الدلالة على التعهد والتوثيق، فقد اشترط على نفسه أنْ يكون من الصالحين، وقطع عهداً على نفسه بذلك، فأعطى الأهم والأولى أسلوب الشرط الدال على القوة في الأخذ على النفس والالتزام، وأعطى ما هو دونه في الأهمية والأولوية أسلوب التعليل، ولم يجعلهما بمرتبة واحدة.

وقد تقول: إذا كان الأمر كذلك فلِمَ قدّم الصدقة على الصلاح؟

والجواب: أنّ السياق هو في إنفاق الأموال، فقد قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾. .. فدعا إلى الإنفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام.

ثم إنه تردد في السورة ذكر الأموال والانشغال بها، وما إلى ذلك، فقد جاء قبل هذه الآية قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ فنهى عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وجاء قبلها قوله في المنافقين: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

فأنت ترى أنّ تقديم الصدقة هو المناسب للسياق الذي وردت فيه الآية وللجو الذي تردد فيه ذكر الأموال والانشغال بها، والتوصية من المنافقين بعدم إنفاقها في سبيل الخير.

وقد تقول: ولِمَ قال: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ولم يقل (فأتصدق) الذي هو الأصل؟

والجواب: أنّ هناك عدة أسباب تدعو إلى هذا الاختيار.

آ ـ منها أنّ مقاطع (فأتصدق) أكثر من مقاطع (فأصّدق)، فإنّ مقاطع (فأتصدق) ستة، ومقاطع (فأصدق) خمسة:

[فَ + أَ + تَ +صد +دَ +قَ] = ستة مقاطع.

[فَ +أص+صَ +دَ +قَ]= خمسة مقاطع.

وهو طَلَبَ التأخير إلى أجل قريب، فاختار اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدة.

ب ـ ثم إنّ في ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ تضعيفين أحدهما في الصاد، والآخر في الدال في حين أنّ في (فأتصدق) تضعيفاً واحداً موطنه الدال، والتضعيف مما يدل على المبالغة والتكثير؛ ولذا كان في قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ من المبالغة والتكثير في الصدقة ما ليس في (فأتصدق)، فدلّ بذلك أنه أراد أجلاً قريباً ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.

فهذا البناء أفاد معنيين:

الأول: قصر المدة؛ وذلك لأنه طلب التأخير مدة قصيرة.

والآخر: هو الإكثار من الصدقة في هذه المدة القصيرة، فكان ذلك أنسب.

من هذا ترى أنه وضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق، وأعطى كلاً منهما حقه الذي هو له. فانظر كيف جمع بين معنيين: التعليل والشرط.

وقدّم الصدقة مناسبة للمقام، وأعطى الصلاح أهمية تفوق الصدقة وجاء بلفظة (أصّدق) لتدل على قصر المدة والإكثار من الصدقة فجمعت معنيين مناسبة للمقام، كل ذلك بأوجز عبارة وأبلغها. والله أعلم.

السؤال الرابع :

ماذا عن استعمال الأفعال المسندة إلى الموت؟ وما دلالة تقديم المفعول به مع ذكر الموت؟

الجواب :

١ـ جاء لفظ (الموت) فاعلاً في (١١) موضعاً في القرآن الكريم كله. ويقول العلماء إنّ تقديم المفعول به وإبعاد الفاعل هو إمّا للاهتمام بالمقدَّم أو لإبعاد شبح الموت، وهو شيء مكروه لكل البشر، فالكل لا يحب قدومه.



انظر الجدول التالي :

الفعل مع الموت	عدد المواضع	الآيات
﴿حَضَرَ﴾	٤	البقرة ١٣٣ـ البقرة ١٨٠ـ المائدة ١٠٦ـ النساء ١٨
﴿جَآءَ﴾	٢	الأنعام ٦١ـ المؤمنون ٩٩
﴿يُدْرِكُ﴾	٢	النساء ٧٨ـ النساء ١٠٠
﴿يَأْتِي﴾	٢	إبراهيم ١٧ـ المنافقون ١٠
﴿يَتَوَفَّى﴾	١	النساء ١٥

المجموع ١١ موضعاً

الفعل: ﴿حَضَرَ﴾

الفعل (حضر) هو من الحضور وهو نقيض الغياب، كقولك: (كنت حاضراً معهم) أي موجوداً؛ ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان ونلمس بالفعل (حضر) شدة القرب.

واستعمل القرآن الكريم في الآيات حضور الموت للأحكام والوصايا وكأنّ الموت من جملة الشهود، والقرآن لا يتحدث في آيات ﴿حَضَرَ﴾ عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، لكنّ الكلام هو في الأحكام والوصايا، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ ووصية يعقوب لأولاده.

الفعل: ﴿جَآءَ﴾

فيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، والفعل (جاء) معناه الانتقال من مكان إلى مكان، وفي القرآن ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ بمعنى: لم يكن موجوداً، وإنما جاء الأمر، وكذلك ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾.

و مجيء الموت في القرآن يستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، كما في آية المؤمنون ٩٩ وآية الأنعام ٦١ .

وكذلك يستعمل الفعل (جاء) مع غير كلمة الموت كالأجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وسكرة الموت: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

الفعل: ﴿يُدْرِككُّ﴾

(أدرك) أي لحق به وقبض عليه، وفيه صورة الملاحقة، كما في آية النساء ٧٨، حيث تصور الآية من ينتقل من مكان لآخر هرباً من الموت والموت يسعى وراءه حتى يدركه، ولو كان متحصناً في بروج مشيدة.

الفعل: ﴿يَأْتِيَ﴾

إتيان الموت المراد به إتيان أسبابه من وسائل التعذيب، والكلام عن المعذَّب بنار جهنم، كما في آية إبراهيم ١٧ـ يونس ٣٦.

الفعل: ﴿يَتَوَفَّىٰ﴾

الفعل(توفّى) يأتي في القرآن على ثلاثة ألوان :

١ـ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[الزُّمَر:٤٢].

٢ـ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[السجدة:١١].

٣ـ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[الأنعام:٦١].

فهو سبحانه ينسب التوفي له وللملك الموت ولرسله، فأخذ الأرواح وقبضها إلى الله أمراً، وإلى ملك الموت وسيلة وواسطة، وإلى الرسل تنفيذاً. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة المنافقون مع خواتيمها :

السورة إنما هي في المنافقين وصفاتهم عدا آيتين في خواتيم السورة هما في عباده المؤمنين وتوجيههم. وقد ناداهم بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾. ذلك لأنهم بمقابل المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان.

وقد أمر ربنا المؤمنين أنْ ينفقوا مما رزقهم الله فقال : ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[المنافقون:١٠].

وهذا بمقابل ما يقوله المنافقون لنظرائهم ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾.

فالمنافقون يقولون: ﴿لَا تُنفِقُواْ﴾ والله يقول : ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾.

والله أعلم.



فهرس المحتويات

مِنْ رَوَائِعِ البَيَانِ فِي سُوَرِ القُرْآنِ

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مشتق محمد هيثان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الثالث عشر

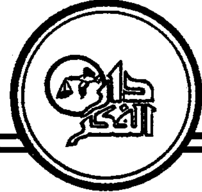
من سورة التغابن وحتى سورة الناس

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com



الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب: 11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888



سور التغابن والطلاق والتحريم

كل هذه السور تتحدث عن الشواغل التي تمنع من الانتماء للدين أو تشغل عنه.



أولاً ـ تناسب خواتيم (المنافقون) مع فواتح التغابن :

١ - ذكر سبحانه المؤمنين والكافرين في خاتمة سورة (المنافقون) فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾[المنافقون:٩ - ١٠].

وذكر المؤمنين والكافرين في أول سورة التغابن، فقال:

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾[التغابن:٢].

٢ ـ قال في خاتمة سورة المنافقون: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾[المنافقون:١١].

وقال في أول سورة التغابن: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾[التغابن:٢].

فذكر علمه بالعمل في الموضعين، ثم ذكر علمه بكل شيء في السماوات والأرض بعد ذلك، فقال:

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾[التغابن:٤]

فاستوفى علمه كل شيء.

٣ ـ قال في خواتيم سورة المنافقون:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون:٨].

وقال في أوائل التغابن:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾[التغابن:٥].

فللكافرين الذلة وللمؤمنين العزة، وقد أتاهم نبأ الذين كفروا من قبل ممن ذاقوا وبال أمرهم.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة هذه السورة لما قبلها أنّ ما قبلها يشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب المؤمنين، فأتبعه بما يناسب قوله:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[التغابن:٢]. وهذا تقسيم في الإيمان والكفر)).

وجاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه ذكر هناك حال المنافقين، وخاطب بعد ذلك المؤمنين.

وذكر جلّ وعلا هنا تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر.

وأيضاً قال في آخر تلك: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾[المنافقون:٩].

وقال في هذه: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ﴾ [التغابن:١٥] وهذه الجملة على ما قيل كالتعليل لتلك)).

ثانياً - هدف السورة : الحذر مما يشغلك عن الدين.

بيّنت السورة خطورة بعض الأولاد والزوجات الذين قد يلهون المسلم عن الانتماء للإسلام: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن:١٤] وهذا في الغبن - وذكر (من أولادكم) أي ليس كل الأولاد- أمّا في الفتنة فجاءت الآية: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن:١٥] للكل، ولم يستثن أحداً.

ولكي تحافظ على الانتماء عليك أنْ تنتبه لما قد يشغلك عن الدين وانتمائك له.



ثالثاً - من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾



السؤال الأول :

الآية الأولى من سورة التغابن هى الوحيدة من آيات التسبيح فى بدايات السور التى لم تختم بـ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ واحتوت في بدايتها على ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

كل السور التي تبدأ بالتسبيح يكون فيها (العزيز الحكيم) هذان الاسمان الكريمان أو شبيهان بهما إمّا في الآية أو في السورة، وكل سورة تبدأ بالتسبيح، إمّا أن يقول (العزيز الحكيم) أو نحو هذا، أو أنّ السورة لا تخلو من هذين الاسمين (العزيز الحكيم) إلا آية

واحدة في سورة التغابن ختمت بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن:١] وختم السورة بقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن:١٨] فما دلالة هذا؟

التسبيح هو التنزيه عن كل نقص، والنقص لايظهرعادة على شخص ليس عنده مسؤولية، لكنْ إذا كان حاكماً أو عزيزاً أو حاكماً فقد يظهر عليه النقص، والشخص إذا كان عزيزاً وانتهت عزته إلى الحكم فالعزة تسبق الحكم أو الحكمة.

وربنا سبحانه وتعالى في هذين الأمرين (العزة والحكم) الذين يظهر فيهما العيب على الآخرين، هو ينزه نفسه عن كل نقص في عزته وحكمه وحكمته، ولذلك كانت كل السور التي تبدأ بالتسبيح يقول فيها ربنا: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أو ما في هذا المعنى، وهو آية واحدة ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ وهذه عزة، ومنتهى العزة أنْ يكون له الملك.

إذن (له الملك) هي في معنى من معاني (العزيز الحكيم)، وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ هو من الحكمة، فإذن تصبح بمعنى (العزيز الحكيم) وقد أنهى السورة بقوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن:١٨].

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ﴾ ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثالث :

﴿سَبَّحَ﴾يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الرابع :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الخامس :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السادس :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾بصيغة الماضي وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال السابع :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الثامن :

لماذا قدم السموات على الأرض؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .



﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ ؟

الجواب :

التقديم بحسب الكثرة والقلة:

١ـ في آية التغابن: بدأ بالكفار؛ لأنهم أكثر كما بينه الله في آية يوسف: ١٠٣ .

٢ـ وهو إشارة إلى أنه سيبدأ بذكر الكافرين ثم بذكر المؤمنين بعدهم، فقد ذكر الكافرين في سورة التغابن بعد هذه الآية في الآيات [٥ و٧] ثم ذكر المؤمنين في الآية ٩ .

٣ـ لا مانع أنْ يكون أكثر من ملحظ للتقديم والتأخير، فقد يتعاضد أمران كلاهما يقتضي ذلك، وهو تعاضد فني رفيع.



﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ



السؤال الأول :

ما دلالة حرف الجواب ﴿بَلَىٰ﴾ في الآية؟

الجواب :

حرف الجواب ﴿بَلَىٰ﴾ مختص بإبطال النفي، وهو لا يقع إلا بعد النفي.

* **شواهد قرآنية:**

ـ ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

ـ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧].

ـ ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [المُلك:٨-٩].

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التغابن:٨] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ ؟

الجواب :

١ـ في قضية الإيمان، نحو الآيات: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨]، ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمدﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله) ؛ لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداًﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿وَيَقُولُونَ

أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ ﴾[الصافات: ٣٦] ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤] وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠ـ٨٤] فهذا يشير إلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد؛ لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن:٨] و ﴿خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون:١١]؟

الجواب :

١ـ إذا كان السياق في غير العمل، ويتكلم عن الإنسان في غير عمل كالقلب، أو كان السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدّم صفة الخبير على العمل، ويقول: ﴿خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، وهذا خط عام.

٢ـ وإذا كان السياق في عمل الإنسان فإنه يقدّم العمل على الخبرة، ويقول: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

* شواهد قرآنية:

- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن:٧-٨] ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله، فقدّم العمل.

- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٣﴾[النور:٥٣] النفاق أمر قلبي وليس عملاً، فقدّم الخبرة.

٣ـ هذه القاعدة العامة، فإذا كان الكلام عن عمل الإنسان فإنه يقدّم العمل على الخبرة، وإذا لم يكن الكلام عن العمل وإنما في أمر قلبي أوكان الكلام عن الله سبحانه وتعالى فإنه يقدّم الخبرة على العمل.



﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحٗا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٩﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الطلاق ١١: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحٗا﴾ وفي آية التغابن ٩ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحٗا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فما دلالة هذه الزيادة؟

الجواب:

السبب في زيادة ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾في آية التغابن أنّ:

١ ـ آية التغابن هي خطاب للكافرين وقد دعاهم إلى الإيمان، انظر التغابن(٩:٧).

٢ ـ أمّا آية الطلاق فهي خطاب للمؤمنين وقد دعاهم إلى التقوى، انظر الآيات (١١:١٠).

فكان ذكر (تكفير السيئات) مع الكافرين الذين هم في معصية مستديمة وسيئاتهم غير منقطعة أولى من ذكرها مع المؤمنين.



﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية التغابن ١١: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾وقوله في آية الحديد ٢٢: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾فما دلالة هذه الزيادة؟

الجواب:

زاد في آية الحديد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾على ما في آية التغابن؛ وذلك لأنه:

فصّل في سورة الحديد في أحوال الدنيا والآخرة ما لم يفصله في آية التغابن؛ لذا زاد في التفصيل فيها موافقة لما قبلها، فقال: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول)؟

الجواب :

١ـ توجد في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولم يجر ذكر الرسول عليه السلام في السياق أو أي إشارة إليه، كما جاء في سورة آل عمران ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[آل عمران:١٣٢].

٢ـ وأنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعاً قد ذُكر الرسول في السياق كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء:٥٩] و ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[المائدة:٩٢] و ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[الأنفال:١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال:٢٠] و ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾[التغابن:١٢]، وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

٣ـ وكذلك ما جاء في آية التغابن ١٢، فقد ختمها بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾[التغابن:١٢].

هذا، وإنّ كل آية ختمت بمثل هذا التعقيب كرر فيها لفظ الطاعة للرسول. والله أعلم.

السؤال الثاني:

في آية المائدة (٩٢) وآية التغابن (١٢) قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾لكنه زاد في آية المائدة(٩٢)كلمة ﴿وَٱحْذَرُوا۟ۚ﴾وزاد فيها أيضاً كلمة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾، ولم يتم ذلك في آية التغابن ،فما دلالة ذلك؟

الجواب:

زاد في آية المائدة كلمة ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ وكلمة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ مع اتحاد ما تضمنته الآيتان فيما سوى ذلك.

والسبب – والله أعلم – أنّ آية المائدة سبقها الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها من المحرمات، انظر آية المائدة (٩١) وما تجره عليهم هذه المحرمات من شرور، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩٢] فناسب ذلك ذكر هذه الزيادة لتأكيد التحذير.

وأمّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، فجاء كلٌّ على ما يجبُ ويناسب.



﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الفتنة والاختبار والابتلاء والتكليف؟

الجواب :

١ـ الفتنة أشد أنواع الاختبار، وأصلها عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده ويكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ وقوله: ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾[الجن:١٦-١٧] فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المُنعَم عليه.

٢ـ الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق والاختبار، بينما الاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: هو مبتلى بالنعمة بل مختبر بها.

والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، بينما الاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر هو العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته.

٣ـ التحميل لا يكون إلا لما يُستثقل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ والإصر هو الثقل.

أمّا التكليف فقد يكون لما لا ثقل له، نحو الاستغفار، فتقول: كلّفه الله الاستغفار، ولا تقول: حمّله ذلك.

والله أعلم.

رابعاً - تناسب فواتح سورة التغابن مع خواتيمها :

قال في أول السورة:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾.

وقال في آخرها:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾.

فكلتا الآيتين في الله وصفاته.

وقوله في الآية الأولى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ يناسب قوله في آخر السورة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾.

فالذي له الملك هو العزيز وهو الحكيم من الحكم.

والذي له الحمد هو الحكيم من الحكمة وهو الذي ينزهه أهل السماوات والأرض ويسبحونه.

والذي له الملك وله الحمد ينبغي أنْ يكون عالماً بما في ملكه لا يندّ عنه شيء، فقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التغابن:١٨].

وقال في أوائل السورة: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)﴾ [التغابن:٤].

والذي يعلم ذلك هو عالم الغيب والشهادة المذكور في آخر آية من السورة.

ثم ذكر الذين كفروا بعد ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾[التغابن:٥].

وذكر بعدها الذين آمنوا إلى خواتيمها، فقال: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾ [التغابن: ١١ - ١٢]، وذلك إلى نهاية السورة. والله أعلم.



سورة الطلاق

أولاً ـ تناسب خواتيم التغابن مع فواتح الطلاق :

١ ـ قال سبحانه في أواخر التغابن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[التغابن:١٤].

وقال في أول سورة الطلاق:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[الطلاق:١].

إذ ربما كانت العداوة تؤدي إلى الانفصال بين الزوجين.

٢ ـ قال سبحانه في أواخر التغابن:

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[التغابن:١٦].

وقال في أول سورة الطلاق:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾[الطلاق:١].

فقال في التغابن: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦].

وقال في الطلاق: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾[الطلاق:١].

وقال في التغابن: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[التغابن:١٦].

وقال في الطلاق: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق:١].

ومن يتعدّ حدود الله لم يسمع ولم يطع.

٣ـ قال في آخر التغابن:

﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ﴾ [التغابن:١٦-١٧].

وقال في أوائل الطلاق:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال أيضاً:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤].

فكانت المناسبة من أكثر من وجه.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذكر سبحانه فيما تقدم ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن:١٤] وكانت العداوة قد تفضي إلى الطلاق ذكر جلّ شأنه هنا الطلاق وأرشد سبحانه إلى الانفصال منهن على الوجه الجميل وذكر أيضاً ما يتعلق بالأولاد في الجملة)).

وجاء في (البرهان في تناسب سور القرآن): ((لمّا تقدم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [المنافقون:٩]، وقوله في التغابن:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ﴾ [التغابن:١٤] وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ﴾ [التغابن:١٥]، والمؤمن قد يعرض له ما يضطره إلى فراق من نُبّه على فتنته

وعظيم محنته، فقد وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم في هذا الافتراق وموضحة أحكام الطلاق، وإنّ هذه العداوة وإنْ استحكمت، ونار هذه الفتنة وإنْ اضطرمت، لا توجب التبري بالجملة وقطع المعروف ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق:١])).

وجاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر الفتنة بالمال والولد، أشار إلى الفتنة بالنساء وأنهن قد يعرضن الرجال للفتنة حتى لا يجد مخلصاً إلا بالطلاق، فذكر أنه ينفصل منهن بالوجه الجميل بأنْ لا يكون بينهن اتصال لا بطلب ولد ولا حمل)).

ثانياً ـ هدف السورة الحرص على وحدة الأسرة :

بيّنت هذه السورة نوعاً آخر من التفكك الاجتماعي الذي يجب أن نحرص على التقوى فيه حتى لا تتفكك المجتمعات والأسر، فإذا وجدت التقوى في كل الأمور تبقى وحدة المجتمع ويبقى الانتماء، وقد جاءت كلمة التقوى كثيراً في السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق:١]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق:٢]، ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ

أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤]، : ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾[الطلاق:٥].



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في آية سورة الطلاق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ﴾[الطلاق:١]؟

الجواب :

١ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ نداء للنبي عليه السلام، وعندما يقول: يا أيها النبي، معناه: يا أيها النبي ويا أتباع النبي، فتأتي العبارة بخطاب المؤمنين كأنه محذوف: يا أيها النبي أنت ومن معك؛ لأنّ الحكم يكون للمؤمنين عامة وليس خاصاً برسول الله عليه السلام.

وإذا خصّه بشيء يكون خاصاً به، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾[الأحزاب:٥٠] هذا نص، لكنْ عندما

يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩] هذا شيء عام، أي وبنات المؤمنين أيضاً؛ لأنّ بنات المؤمنين دخلت ضمن بناتك.

٢ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]: معناه: إذا باشرتم أو قاربتم التطليق، أي إذا نويتم أنْ تطلّقوا ليكن التطليق وهنّ مستقبلات العدة؛ لأنه عندما يطلقها ستلتزم بعدة أشهر معينة، إمّا بالحيض أو بانتهاء الحيض (القُرء: إمّا الحيض وإمّا الطهر) وهي مستقبلة لما سوف تعدّه، أمّا وهي في داخل الحيض فلا يجوز. كما قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة:٦] أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا.

٣ـ ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ : اللام هنا كأنها لام الزمن، وتسمى اللام هنا للزمن. وعندما يقول الكاتب: "انتهيت من كتابة هذا الكتاب لثلاث خلون من رجب" أي لهذا الوقت.

٤ـ ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ : أي اضبطوا العدد، وأتقنوا إحصاء وقتها.

٥ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ : لاحظ هذه اللمسة لم يقل: واتقوا الله فقط. وكان يمكن في غير القرآن أن يقول: "أحصوا العدة واتقوا الله" لكنّ كلمة (ربكم) جاءت هاهنا؛ لأنّ الربّ فيه معنى التربية ،وفيه معنى التوجيه، وفيه معنى الرعاية. فإذن المعنى: اعلموا أنّ هذا الحكم هو من رعاية هذا الربّ سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيه تخويف من الله؛ أي خافوا الله، ثم قوله ﴿رَبَّكُمْ﴾ الذي يعلّمكم فجمع بين التخويف وهذه اللمسة لقلوب المؤمنين ليدل على أنّ هذا

الحكم ليس قاسياً عليكم، ليس لإيذائكم، ليس للإضرار بكم، بل هو لخيركم من مربٍّ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾.

٦ـ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ لم يقل: (ولا تخرجوهن) لاحظ الواو في ﴿وَأَحْصُوا﴾، ﴿وَاتَّقُوا﴾ كان يمكن أن يقول في غير القرآن "ولا تخرجوهن" لكنْ حذف الواو كأنه ابتدأ كلاماً جديداً لبيان أهمية ما سيأتي، كأنه قال: قفوا، هناك شيء، فقال: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾، كأنه حكم مهم إشارة إلى أهميته.

٧ـ وقوله تعالى ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ قال: (بيوتهن) مع أنها بيوتهم والبيت للرجل، لكن سماه: من بيوتهن إشارة إلى شدة التصاقها بالبيت، لا تخرجها، هذا بيتها، وهذا من أدب القرآن.

٨ـ ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ هي أيضاً لا تغادر البيت، وهذا نوع من التقريب: تبقى في البيت وهو في البيت وهي لا تخرج، وقد يكون هذا سبباً في إعادة الألفة بينهما.

٩ـ ﴿إِلَّا﴾ استثناء؛ أي أنّ الخروج معلّق على شرط ﴿أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ والفاحشة هي كل ما فيه عِظَم في الإساءة.

والفاحشة هي الفعل السيء العظيم، ومنه الزنا. فإذا ارتكبت الزنا في بيتها عند ذلك تخرجها لإقامة الحدّ عليها. ومنه رتب الفقهاء أنه ليس الزنا حصراً، وإنما إذا ارتكبت فاحشة بحق زوجها أو حق أم زوجها وهي في البيت ويقدّره أهل العلم في وقتها فيمكن أنْ تخرج من بيتها، أمّا بدون هذا ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾.

١٠ـ ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي فاحشة واضحة صريحة يعلمها الناس، لا تقول: هي نظرت إليّ نظرة شزراً وهذه فاحشة بالنسبة لي، لا، هي ليست فاحشة مبيّنة عند الناس.

١١ـ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ : لأنه يسيء إلى نفسه ويدخلها النار. لا تدري هذا الحكم؟ ومن أجل ماذا هذا التطويل؟

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ لعلّ الله تعالى يجمع بينكما من جديد. فالإسلام يحرص على عدم هدم البيت المسلم؛ لأنه أساس بناء المجتمع المسلم. الطلاق في الإسلام ليس بالأمر السهل الهيّن.

السؤال الثاني:

ما المعنى اللغوي للحرف ﴿لَعَلَّ﴾ في الآية؟

الجواب:

(لعلّ)تأتي لعدة معانٍ، أهمها:

١ـ لتوقع شيء محبوب أو مكروه، فتوقع المحبوب يسمى ترجياً وإطماعاً، وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً، نحو: لعله يهينك.

أمّا لترجي فهو نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

والترجي لا يكون إلا في الممكن، وأمّا قوله تعالى على لسان فرعون في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧] فهو من باب الجهل أو من باب السخرية.

٢ـ لمطلق التوقع: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾[هود:١٢].

٣ـ للتعليل أو للرجاء: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤].

٤ـ قيل: إنها تأتي للاستفهام: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق:١]

٥ ـ وقيل: تأتي للتشبيه ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء:١٢٩] يعني: كأنكم، أو تفعلون فعل من يرجو الخلود.

والبصريون يرجعون كل هذه المعاني إلى الترجي والإشفاق والتوقع المطلق.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (ما أدرى) و (لا أدرى) و (إنْ أدرى)؟

الجواب:

١ـ عندنا مزايا في اللغة العربية لا توجد في اللغات الأخرى، منها تعدد أدوات النفي. تقول: [أنا ما أذهب، أنا لا أذهب، أنا إنْ أذهب، أنا لست أذهب]، وكلها تقولها في الإنجليزية [I don"t go].

٢ـ وكذلك جملة (إنْ أدري) ورد مثلها في القرآن في قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنبياء:١٠٩] بمعنى نفي (ما).

وجاء أيضاً: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩] نفاها بـ (ما)، وجاء ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤] وجاء: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق:١] فقال: (ما أدري) وقال: (إنْ أدري) وقال: (لا تدري) وقال: (ما تدري)، ونفاها كلها.

٣ـ الفرق من حيث الدلالة، والمعلوم المشهور أنه إذا نفيت الفعل المضارع بـ (ما) دلّ على الحال يعني: (ما أدري) الآن.

أمّا (لا أدري) فأكثر النحاة يخصصونها للاستقبال، لكنّ قسماً من النحاة يقول: هي للحال والاستقبال مطلقة، وأكثرهم يخصصوها بالاستقبال، وهذا عليه أكثر النحاة.

* شواهد قرآنية:

- ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾[النمل:٢٠] هذا حال.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾[البقرة:٤٨] للاستقبال.

قولك: (أنا لا أفهم ما تقول) حال.

فهي إذن مطلقة.



﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾

السؤال الأول:

قال في البقرة ٢٣٢: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾، وفي الطلاق ٢: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب:

١- في آية البقرة حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فالخطاب للنبي ﷺ، وقُدّم تشريفاً له ثم عمم فقال: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾[البقرة:٢٣٢].

وفي آية الطلاق الخطاب له وللأمة جميعاً، وقدّم تشريفه بالنداء لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[الطلاق:١].

٢ـ وفي اللغة العربية جائز توحيد الكاف ﴿ذَٰلِكَ﴾ وجائز التثنية. والقرآن جاء بالحالتين:

* شواهد قرآنية:

- ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧].

- ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢].



﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾

السؤال الأول :

هل كل من يتقي الله ويتوكل عليه يرزقه الله تعالى، كما في الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:٢-٣] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]؟ وما معنى التوكل؟

الجواب :

١ـ الآية موضع السؤال في أصلها تتعلق بالكلام في موضوع النساء وطلاق النساء، لكنّ العبارة عامة.

و الآية عامة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[الطلاق:٢-٣].

٢ـ وأمّا السؤال عن معنى التوكل، وهل من خلال الآية المتقي المتوكل مرزوق حتماً؟

فالجواب:

فيما يتعلق بمعنى التوكل:

أ ـ هناك أصل من أصول العقيدة الإسلامية، وهو أنه لا يتم أمر إلا برضا الله عز وجل، وإلا بما يريد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان:٣٠].

ب ـ وهناك أصل آخر أيضاً، وهو أنّ الإنسان ينبغي أنْ يسعى؛ لأنّ معنى التوكل أنْ تخرج من طاقة نفسك وجُهدها وحولها إلى حول الله سبحانه وتعالى. وأنْ تقول: يا رب ليس لي حول، وتُلقي بأمرك على غيرك هذا معنى التوكل.

لكنّ فيه لمسة، وهي أنّ المتوكل في المفهوم الإسلامي ينبغي أنْ يقدّم جميع الأسباب ثم يتوكل (اعقلها وتوكّل) ومعناه: اتخذ الأسباب وتوكل.

والأسباب لا بدّ من اتخاذها، لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا وجد أُناساً في المسجد في غير وقت الصلاة سألهم: ما تصنعون؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله ويأتينا رزقنا، قال: بل أنتم المتواكلون. إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأمرهم بالسعي والعمل.

وفي قوله تعالى لمريم عليها السلام ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم:٢٥] هي ولدت حديثاً وتحتاج إلى الرطب الحلو وهي لا تستطيع أنْ تعمل، لكنْ ينبغي أنْ تعملي وإنْ كان عملك في الحقيقة لا يؤدي إلى هزّ جذع نخلة، ورجل بكامل

قوته لا يستطيع أن يهز جذع نخلة، فما بالك بامرأة ضعيفة؟ وما بالك وهي ولدت حديثاً؟ لكنّ القرآن الكريم يريد أنْ يعلمنا أنه ينبغي أنْ نقدم الأسباب.

فإذن التوكل غير التواكل: ونحن نقدم كل الأسباب المؤدية إلى النجاح ثم نقول: يا رب توكلنا عليك.

٣ـ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣] هذا عهد من الله تعالى، وينبغي أنْ نطمئن إليه؛ لأنه عندنا شرط ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وجواب شرط ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾. فمع التقوى كن مطمئناً أنّ الله عز وجل سيجد لك مخرجاً ويرزقك من حيث لا تحتسب.

٤ـ الرزق نوعان: رزق بمال يدخل إليك وهذا هو المنظور، ورزق بضُرٍّ يدفعه الله عز وجل عنك، وهذا رزق أيضاً ولكنه مستور.

وفي الحديث الشريف **"لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"** ليس كما ترزق الطير في عشها، وإنما تغدو؛ أي تذهب وتفتش عن الحبوب، فهي تقدم الأسباب، ويمكن أن يذهب الطير إلى مكان ولا يجد حَبّاً، لكنْ يجب أنْ يذهب ويفتش.

والمسلم ينبغي أنْ يكون هكذا يذهب ويغدو ويعود. وهذا هو التوكل الحق الإنسان يخرج من حول نفسه إلى حول الله سبحانه وتعالى بعد أنْ يقدّم الأسباب، وهذا أصل من أصول الفكر الإسلامي.

٥ـ استخدم القرآن لفظ (التوكل)، ولم يقل (يعتمد) مثلاً، كأنك توكل هذا الأمر إلى الله فتجعله وكيلاً عنك.

٦ـ هل هناك لمسة بيانية بين الفعلين: يتق ويتوكل؟

التقوى هي تجنب كل ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى كما يتجنب الإنسان ما يسيء إليه إذا سار في أرض شائكة.

التقوى ليست خوفاً وإنما هي خشوع في القلب وتجنب لما لا يرضي الله سبحانه وتعالى. والإنسان يتجنب كل الذي يغضب ربه عزّ وجل، التقوى فيها معنى الخوف، معنى الخشوع والهيبة، وليس الخوف الاعتيادي الذي فيه خوف مع بغضاء، وإنما هذا خوف مع حب، فأنت تحب الله تعالى وتخشاه وتستحيي منه. فالخشية والخوف والاستحياء كله ينجمع في التقوى.

أمّا التوكل وأنت خاشع خاضع متجنب للمعاصي متى تُلقي بأمور حياتك كلها إلى إله الكون سبحانه تعالى، فتقول يا رب: تولّ هذا الأمر أنت، كن أنت وليّ، كن وكيلي.

٧ـ تنكير كلمة (مخرج) هل هو للدلالة على أي مخرج؟ لم يقل: يجعل له المخرج المعلوم. سيكون هناك مخرج، ما هذا المخرج؟ لا ندري، لكنْ على وجه اليقين هناك مخرج كما قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢] لا يدري كيف، ولكن هو على يقين بأنّ الله تعالى سيوجهه ويهديه إلى طريق الخلاص.

وكلمة ﴿كَلَّآ﴾ في الآية كلمة ردع، وانظر إلى القرآن كيف استعملها؟

في البداية قال: ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء:٥٢] رفعا لقيمتهم فقال: (بعبادي)، لكنْ لمّا قالوا: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء:٦١] نزلوا رتبة، وقال: ﴿أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ولم يقل (عبادي).

في البداية قال: ﴿أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ﴾ رفعاً لقيمتهم؛ لأنهم كانوا هم المؤمنين، لكنْ لما وصلوا البحر صار عندهم شك، فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ وهذا الشك أنزلهم رتبة من عبودية الله إلى صحبة موسى عليه السلام وهي رتبة عالية ولكنْ شتان بين أصحاب موسى وعباد الله، فقال تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ولم يقل (عبادي).

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي
لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ
أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ
أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن
كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية بين كلمتي ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾و ﴿ٱلَّتِي﴾في القرآن الكريم؟

الجواب :

لفظ ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾هي لفظة متخصصة، وهي مشتقة من اللأواء أو التعب، وقد استخدم هذا اللفظ في الآيات التي تفيد التعب للنساء، كما في الحيض في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾. أما لفظ ﴿ٱلَّتِي﴾ فهو لفظ عام.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق:٤] ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق:٦] ما الفرق بين الأحمال والحمل؟ أي ما الفرق في الدلالة بين ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾و ﴿أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾؟

الجواب :

١ـ (الأحمال) جمع، و(حَمْل) مفرد. وما في البطن يسمى (حَمل)، وما على الظهر يسمى (حِمل).

٢ـ نقرأ الآيتين وهما تتكلمان عن المطلقات:

ـ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق:٤] هنا أحمال.

ـ ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾ [الطلاق:٦] هنا (حمل).

٣ـ الآية الأولى في ذكر الحوامل المتوفى عنها زوجها أو المطلقة، وأمّا الآية الثانية فهي في النفقة على الزوجة الحامل بسبب العدة من طلاق بائن أو رجعي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ هل تختلف (أولات الأحمال) في الآية الرابعة في الحكم؟ لا تختلف، وكلهن تسري عليهن القاعدة.

أمّا الآية السادسة التي بعدها فتختلف بأمرين:

أ ـ من حيث الإنفاق: والإنفاق بحسب قدرة الزوج ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق:٧].

ب ـ من حيث الإرضاع توافق أو لا توافق، ترضع أو لا ترضع.

أي أنّ الآية الثانية مرتبطة بأمرين: بحالة الزوج ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ ومرتبطة برغبة الزوجة في الإرضاع وغير الإرضاع، أي متعلقة بحكمين مختلفين.

أمّا الأولى فهي عامة تشمل الجميع.

٥ـ أيهما الأكثر وقوعاً الأولى أم الثانية؟ الحكم الأول أم الحكم الثاني؟ الحكم الأول أكثر وأشمل وأعم، إذن جاء بالجمع ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ لأنه ليس فيها اختلاف، بينما الثانية فيها اختلاف.

والمعنى المفهوم من هذا التركيب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ و ﴿أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾ ألا يجعلنا نفهم أنهن اللاتي يضعن حملهن؟ !

الآية الأولى(الطلاق ٤) تشمل الجميع ولا تتخلف واحدة عنها أبداً فاستعمل الجمع معها (أولات الأحمال)، أمّا الآية الثانية (الطلاق ٦) فمختلفة، فلمّا تغيرت الأحكام تغيرت الصيغة وأصبحت أقل، فاستعمل معها: (أولات حمل).

٦ـ التعبير ﴿أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾ ألا نفهم منها معنى الجمع أيضاً؟

والجواب: طبعاً ﴿أُوْلَٰتِ﴾ جمع مثل (أولي)، لكنْ لاحظ الاستعمال في الجمع والإفراد، لماذا اختار الإفراد واختار الجمع؟

والجواب هوعلى القلة النسبية، فالثانية قطعاً أقل؛ لأنها مرتبطة بأمرين مختلفين: سعة الزوج ورغبة الزوجة في الإرضاع، أمّا الأولى فشملها كلها، إذن تشمل الكثرة وهذا من باب مراعاة السياق، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والله أعلم.



السؤال الثالث :

جاء في كتابة المصحف كما في الآية الرابعة ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي ﴾ بلام واحدة، ما القواعد العامة في حذف اللام؟

الجواب :

١ـ اتفقوا على حذف (لام) ما أوله (لام) إذا سبقتها أل التعريف نحو [الذي ـ و ـ التي] حيث جاءت بالإفراد والتثنية والجمع نحو [الذي ـ الذان ـ الذين ـ التي ـ اللاتي ـ اللائي].

٢ـ كذلك حذف (لام) ـ الليل ـ إذا سبقها أل التعريف حيث وردت نحو: اليل.

٣ـ ويبقى اللامان على الأصل في الكلمات [اللغو ـ اللهو ـ اللؤلؤ ـ اللحم ـ اللطيف ـ اللوامة ـ اللعنة ـ اللاعبين].

٤ـ وتثبت اللام فيما عدا ذلك.



﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾[الطلاق:٧]، و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٦]؟

الجواب :

١ ـ انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٦.

السؤال الثاني :

لماذا جاءت الآية ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق:٧] ولم تأت على نسق قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشَّرح:٦]؟

الجواب :

١ـ ﴿سَيَجْعَلُ﴾ هنا ذِكرُ حالة عسر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧] وليس معه يسر الآن، وإنما قُدِر عليه الرزق الآن، وهو مُضيّق عليه، واليسر سيكون فيما بعد، ولا يمكن أنْ تأتي محلها ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ فهذه حالة عامة، هذه في سورة الشرح، وفيها رأيان: قسم يقول: إنها خاصة بالرسول عليه السلام؛ لأنّ سورة الشرح والضحى خاصتان بالرسول عليه السلام. وقسم يقول: هذه عامة بمعنى أنّ الله تعالى إذا قضى عُسراً قضى معه اليُسر حتى يغلبه.

٢ـ إذن الآية الأولى حالة خاصة ومسألة معينة ولا يصح معها ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ لأنّ الرزق مقدّر ومُضيّق عليه الآن، والآية وعد بأنْ ييسر الله تعالى له فيما بعد.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الطغيان والعتو والظلم والجور؟

الجواب :

١ـ الطغيان: هو مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي تجاوز حده حتى علا كل شيء وارتفع فوقه فكأنه غلب كل شيء.

٢ـ العتو: هو المبالغة في المكروه دون الطغيان، وكل مُبالغٍ في كبرٍ أو كفرٍ أو فسادٍ فقد عتا فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾[مريم:٨] وقوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾[الحاقة:٦] أي مبالغة في الشدة، وقوله تعالى: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي أنّ أهلها تكبروا على ربهم فلم يطيعوه.

٣ـ الجور: هو خلاف الاستقامة في الحكم. يقال: جار الحاكم إذا فارق الاستقامة، والجور هو العدول عن الحق.

٤ـ الظلم: ضرر لا يستحقه صاحبه ولا يعقبه عوض، سواء كان من سلطان أو حاكم أو غيرهما.

ونقيض الظلم الإنصاف، ونقيض الجور العدل.

السؤال الثاني:

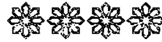
كيف تكتب كلمة ﴿وَكَأَيِّن﴾ في المصحف؟

الجواب:

كلمة ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي الكلمة الوحيدة التي كتب فيها التنوين نوناً، وذلك على مراد الوصل دون الوقف، ولم يكتب في القرآن تنوين إلا في هذا الحرف.

وقد جاءت كلمة ﴿وَكَأَيِّن﴾ في سبعة مواضع، وهي:

[آل عمران ١٤٦ـ يوسف ١٠٥ـ الحج ٤٥ـ الحج ٤٨ـ العنكبوت ٦٠ـ محمد ١٣ـ الطلاق ٨].



﴿رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال الإفراد ثم الجمع ثم الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١]؟

الجواب :

١ـ لفظ (من) في سنن العربية يُبدأ معه بالإفراد الذي يعود على لفظ (مَن)، ثم يُؤتى بالذي يفسّر المعنى.

و(من) تأتي للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وتأتي أولاً بصيغة المفرد، ثم يأتي بعدها بما يخصص المعنى، وهذا هو الأكثر في القرآن إلا إذا اقتضى السياق والبيان أنْ يخصص ابتداءً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾[يونس:٤٢].

٢ـ جاءت ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجمع؛ لأنّ القرآن لم يذكر أبداً خالداً في الجنة بصيغة المفرد، وأمّا في النار فجاءت بالإفراد وبالتثنية وبالجمع.

والإفراد في النار يدل على أنّ العزلة وحدها عذاب، وهناك من يُعذّب بالعزلة ومنهم من يُعذّب بالنار، أمّا المؤمنون فتأتي (خالدين) فيها للدلالة على الجمع بين نعيم الجنة ووجود الآخرين معه.

٣ـ ثم نسأل: لماذا عاد إلى الإفراد في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾؟ هذا الإفراد للدلالة على أنّ لكل فرد رزقاً، ولو قال تعالى: (لهم) تصبح للعموم، ولا تعني كل واحد يُحسن له الرزق.

فالإفراد دلّ على أنه تعالى أفرد كل واحد على وجه الخصوص ويُحسن له الرزق وليس على العموم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية الطلاق ١١ : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ وفي آية التغابن ٩ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾[التغابن:٩] فما دلالة هذه الزيادة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التغابن٩.



﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في سورة الطلاق؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] والمثلية هنا ليس بالعدد إنما لها أمور كثيرة لا نعرفها نحن، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾.

٢ـ اللام في كلمة الأرض قد تكون للتعريف بأنها الأرض التي نعيش عليها.

٣ـ كلمة ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ تحتمل العدد وتحتمل المادة وتحتمل غير ذلك، وليس عندنا مُرجح.

والآية لم تقل عددهن، وإنما قالت ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ . أين تكون هذه الأراضين؟ الله أعلم.

٤ـ في القرآن لم تأت كلمة الأرض إلا مفردة، بينما جاءت كلمة السماء بالإفراد والجمع. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين العالم بالشيء والمحيط به؟

الجواب :

١ـ المحيط: هوالإحاطة بالشيء من حوله كالسور الدائر عليه يمنعه أنْ يخرج عنه ما هو منه ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦] أي يعلم بجميع الأشياء من جميع وجوهها وهي تحت مقدوره وتصرفه.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢] أي علمه من جميع وجوهه.

ـ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن:٢٨] أي في العلم والقدرة.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١] أي أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

ـ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة:١٩] أي يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه وهو نوع من التخويف.

٢ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور، أو من جهة العلم والقدرة، وأمّا إذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير. والله أعلم.

رابعاً- تناسب فواتح سورة الطلاق مع خواتيمها:

أغلب السورة في الطلاق وأحكامه.

١ ـ خاطب سبحانه في أولها النبي وناداه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[الطلاق:١].

ثم التفت إلى المؤمنين قائلاً لهم: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾[الطلاق:١]. . . .

ثم نادى في آخر السورة الذين آمنوا وأمرهم بتقوى الله فقال:

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١]. . . .

فأمرهم بتقوى الله في البدء والختام.

٢ ـ إنّ خطابه في بدء السورة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾مناسب لقوله في الخواتيم: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾.

فالذي ناداه ربه بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾في بدء السورة هو الرسول الذي أنزل عليه الآيات المبينات والمذكور في أواخر السورة. والله أعلم.



سورة التحريم

أولاً ـ تناسب خواتيم الطلاق مع فواتح التحريم :

سورة الطلاق في الطلاق وأحكامه.

قال في أوائل سورة التحريم:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥].

وقال في خاتمة سورة الطلاق:

﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وذكر في أول سورة التحريم علمه بما نبأت به بعض أزواجه وأظهره الله عليه، فقال:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم:٣].

جاء في (البحر المحيط): (المناسبة بينها وبين السورة قبلها أنه لمّا ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات الرسول الله ﷺ).

ثانياً ـ هدف السورة: دور الأسرة في الانتماء :

دور الأسرة في قضية الإنماء دور هام وعظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] فالأسرة محور أساسي في ترابط المجتمع وبدونها يتفكك ولا يوجد انتماء،

والمرأة لها دور أساسي في كل هذا؛ لأنها هي التي تربي الأجيال وتؤثر على أفراد المجتمع وهي مصنع الرجال. وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة عن نماذج نساء نجحن في انتمائهن كامرأة فرعون ومريم ابنة عمران: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم:١١-١٢] وأخريات فشلن في هذا الانتماء للدين واخترن غيره فنلن عقابهن: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم:١٠]. فالانتماء مسألة هوية، وآن لنا أنْ ننتمي للدين وللأمّة الإسلامية.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (يا أيها النبي) و(يا أيها الرسول)؟

الجواب :

١ـ الرسول من الرسالة والتبليغ، حتى لو لم يكن نبياً، كما في الآية: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم:١٩] فالرسول معه رسالة تبليغ والنبي أعم، فقد يكون رسولاً، وقد يكون لنفسه ليس مكلفاً بتبليغ دعوة إلى الآخرين.

وكلمة (النبي) أعم. وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. والنبي قد لا يكون مكلفاً بالتبليغ مثل يعقوب عليه السلام فهوغير مكلف بالتبليغ لكنه نبي وكذلك إسحق نبي، بينما المكلف بالرسالة والتبليغ هو رسول، وغير المكلف نبي. والنبي قد يكون رسولاً وقد يكون غير رسول.

٢ـ في القرآن عندما يقول: (يا أيها الرسول) ينظر فيها إلى جانب الرسالة والدعوة والتبليغ ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[المائدة:٦٧].

وقد يستعمل في الجانب الشخصي في غير التبليغ، كما في الآيات: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[المائدة:٦٧] ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة:٤١]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾[الأحزاب:٢٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[التحريم:١] وهذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه.

بينما مع لفظة (النبي) تأتي الأمور العامة، كما في الآيات: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾[الأنفال:٦٥] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾[الأنفال:٧٠] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾[التوبة:٧٣].

فالقرآن يستخدم (يا أيها الرسول) إذا كان يتكلم في أمر الرسالة والتبليغ و يستخدم (يا أيها النبي) في الأمور العامة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (رضوان) و(مرضاة)؟

الجواب:

١ـ الرضوان: هو الرضا، (الرضوان مصدر)، ولم يستعمل في القرآن كلمة الرضوان إلا رضا من الله تعالى.

أمّا (المرضاة) فتأتي من الله ومن غيره.

٢ـ والرضوان: هو أعظم الرضا وأكبره فخصّه بالله سبحانه وتعالى أمّا (مرضاة) فليست مختصة بالله تعالى، وإنما تأتي لله تعالى ولغيره.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٠٧] وقوله: ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [التحريم:١].

٣ـ و(الرضوان) أعلى من الجنة، وفي الأثر: [**إنكم لتحتاجون إلى علمائكم في الجنة كما تحتاجون إليهم في الدنيا، فقالوا كيف يا رسول الله؟ قال يطُلّ الله تعالى على عباده أصحاب الجنة فيقول: سلوني، فيحارون ماذا يسألونه وكل شيء موجود، فينظر بعضهم إلى بعض فيذهبون إلى علمائهم يقولون ما نسأل ربنا؟ فيقول العلماء سلوه الرضا**].

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ
وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

هذه الآية ورد فيها الفعل (نبّأ) ثلاث مرات، وورد الفعل (أنبأ) مرة واحدة، فما اللمسة البيانية في هذا؟

الجواب :

١ـ (نبّأ) يقتضي التنبيء أكثر من (أنبأ)، مثل: علّم وأعلم، (أعلم) يفيد مرة واحدة، لكنّ (علّم) يقتضي وقتاً أطول.

إذن التنبيء وقته أو ما يُذكر فيه أكثر من (أنبأ).

٢ـ قال: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ أعرض، يعني: لم يذكره، ما أراد أنْ يحاسبها حساباً عسيراً، فذكر قسماً منه وأعرض عن الباقي، أي ذكر جزءاً من الحديث ولم ينبئها بكل ما حدث مع علمه به، وإنما (أنبأها) الرسول عليه السلام بجزء فقط.

٣ـ والإنباء أقل من التنبيء، هي قالت: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ يعني بهذا الجزء؟ وهو قال: ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ يعني أنّ ربه نبّأه به كله.

٤ـ هذه الظاهرة في استعمال [نبّأ وأنبأ] مضطردة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[البقرة:٣١]

ونجد أنّ الفعل (أنبأ) ورد في أربعة مواضع في القرآن كله، وفي جميعها اختصار للزمن، وفيها وقت قصير وليس فيها وقت طويل. أمّا الفعل (نبّأ) فحيث ورد- وقد ورد في ستة وأربعين موضعاً (حسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)- ففيه معنى الكثرة والزمن الطويل.

٥ـ وإذا جاء الفعل بصيغتي[فعّل وأفعل] لنفس الفعل فيكون (أفعل) إذا جاء لزمن أقصر من (فعّل)، مثل: علّم وأعلم، ونجّى وأنجى.

٦ـ وفي سورة الكهف قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف:٧٨]. هذا ليس إنباءً وإنما تنبيء من (نبّأ) لأنّ فيها كلاماً كثيراً (أمّا السفينة، أمّا الغلام، أمّاالجدار) وهي ليست مختصرة.

وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف:٣٦] استعمل (نبّأ)؛ لأنّ فيها شرحاً بالتفصيل عن الرؤيا، ولم يقل (أنبئنا) مختصرة، وهم يريدون شرحاً مفصّلاً للرؤيا.



﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

كان الخطاب للمثنى في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ فما دلالة الجمع في ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ولم يقل: قلباكما؟ وهل أقل الجمع اثنان؟

الجواب :

١ـ الأفصح في اللغة أنه إذا أضيف المثنى إلى متضمّنه (أي الذي يتضمنه) فالأفضل جمع المضاف والمثنى يُجمع. مثال: القلب والإنسان، الإنسان يتضمن القلب، فإذن الأفصح أن لا يقال: قلباكما، وكما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة:٣٨] فلم يقل: يديهما،وإنما قال: (أيديهما)، والأفصح في اللغة أنه إذا أضيف المثنى إلى متضمنه [سارق وسارقة اثنان واليد متضمنة في الشخصين]، فلم يقل: (يديهما)، وإنما قال: (أيديهما) بالجمع.

والعرب تقول: أكلت رؤوس الكبشين (لا رأسي الكبشين).

٢ـ ولذلك جاءت الآية على الأفصح في اللغة، فقال: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم:٤] هل هي (صالح المؤمنين)أم (صالحوا المؤمنين)؟

الجواب :

١- قال المفسرون: فيها احتمالان:

أ ـ (صالحوا) وحذفت الواو، لأنه أحياناً خط المصحف يكون فيه حذف مثل (هاد) تأتي بحذف الياء، و(داع) تأتي بحذف الياء، فقسم يذهب إلى أنها هي و (صالحوا المؤمنين) مرسومة بلا (واو).

ب ـ وقسم قال: هي (وصالحُ المؤمنين).

و(صالحُ المؤمنين) هذه عامة وهذا وصف وليس شخصاً واحداً.

٢ـ من حيث اللغة والدلالة (صالحُ المؤمنين) تصيرعامة وكذلك (صالحوا المؤمنين) هي عامة لا تنطبق على واحد ،والأفضل - والله أعلم- المفرد (صالح)؛ لأنها تشمل المفرد والجمع، أمّا (صالحوا) فتشمل الجمع فقط.



﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ﴿عَسَىٰ﴾ في القرآن؟

الجواب :

١ـ عسى: هي من أفعال الترجي و(لعلّ) فيها معنى الإطماع والإشفاق.

٢ـ قسم من المفسرين يقولون: (عسى) في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنّ الكفار قالوا: عسى. انظرآيات [الشعراء ١٢٩ـ طه ٤٤ـ غافر ٣٦].

٣ـ وقسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجب، وليست في القرآن واجبة. انظر الآيات [المائدة ٥٢ـ الأعراف ١٢٩ـ التحريم ٥].

٤ـ وقسم قالوا: ليست من الله واجبة وإنما يذكرها الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله [الأنفال ٤٥].

أي ليس هناك حكم مطلق بخصوص [عسى ولعلّ]، وتقدر كل حالة بقدرها.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قيل إن الواو في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ هي واو الثمانية، فما واو الثمانية؟ وهل الأفضل أن تسمى واو الاهتمام؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٢٢ والزمر ٧٣.

السؤال الثالث :

ماسبب عدم وجود (واو) بين النعوت المختلفة في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ١١٢.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾

السؤال الأول :

في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ كيف نتقيه بينما نحن نطلب من الله كل النعم وكل الخير، كيف يتم هذا؟ وكيف نتقي من نحب؟

الجواب :

١ـ معنى آية التحريم: أي اعملوا بينكم وبين النار وقاية، احترسوا من أنْ تقعوا فيها.

والله سبحانه وتعالى له صفات جلال وصفات جمال. . فصفات الجلال تجدها في القهار والجبار والمذل والمنتقم والضار.

أمّا صفات الجمال فتجدها في الغفار والرحمن والرحيم، فإذا كنت تقي نفسك من النار، وهي من صفات الجلال فلا بدّ أنْ تقي نفسك من صفات الجلال كلها؛ لأنه قد يكون من متعلقاتها ما هو أشد عذاباً وإيلاماً من النار.

فكأنّ الحق سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ ـ و ـ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني أنْ نتقي غضب الله الذي يؤدي بنا أن نتقي كل صفات جلاله ونجعل بيننا وبينها وقاية، فمن اتقى صفات جلال الله أخذ صفات جماله.

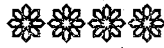
٢ـ ولذلك يقول الرسول ﷺ: **"إذا كانت آخر ليلة من رمضان تجلى الجبار بالمغفرة"** وكان المنطق حسب تقدير البشر أنْ يقول الرسول ﷺ: تجلى الرحمن بالمغفرة، ولكنْ ما دامت هناك ذنوب فالمقام لصفة الجبار الذي يعذب خلقه بذنوبهم، فكأنّ صفة الغفار تشفع عند صفة الجبار، وصفة الجبار للعاصين، فتأتي صفة الغفار لتشفع عندها فيغفر الله للعاصين ذنوبهم.

٣ـ وجمال المقابلة هنا حينما تسمع أنّ الجبار يتجلى بجبروته تشعر بالفزع والخوف والرعب لكنْ عندما تسمع: تجلى الجبار بالمغفرة، فإنّ السعادة تدخل إلى قلبك؛ لأنك تعرف أنّ صاحب العقوبة- وهو قادر عليها- قد غفر لك.

والنار ليست آمرة ولا فاعلة بذاتها ولكنها مأمورة، إذن فاستعذ منها بالآمر أو بصفات الجمال في الأمر.

٤ـ من جهة ثانية عرّف (النار) في آية البقرة ٢٤ ونكّرها في آية التحريم٦؛ لأنّ الخطاب في البقرة مع المنافقين وهم في أسفل النار، فعرّفت بلام الاستغراق.

أمّا في آية سورة التحريم فالنار مع المؤمنين، والذي يُعَذَّبُ من عصاتهم بالنار يكون في جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقللها.



﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا ورد اسم زوجة سيدنا لوط ولُعنت في القرآن مرات كثيرة، وورد اسم زوجة سيدنا نوح ولعنت مرة واحدة فقط في سورة التحريم؟

الجواب :

١ـ امرأة لوط غير امرأة نوح.

٢ـ بالنسبة إلى لوط عليه السلام لم يؤمن له إلا أهل بيته، وليس هنالك شخص آخر آمن إلا أهل بيته، إلا امرأته فما آمنت به، أي كل عائلته آمنوا إلا زوجته.

أمّا نوح عليه السلام فليس كذلك، فابنه لم يؤمن أيضاً مع امرأته فليست هي الوحيدة في العائلة التي لم تؤمن بنوح.

لذلك عندما يتكلم القرآن عن نجاة لوط عليه السلام يستثني امرأته ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف:٨٣] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت:٣٢] ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ [هود:٨١] ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾[العنكبوت:٣٣]

ولم ترد امرأة نوح وحدها في أمر النجاة، وإنما وردت في شيء آخر ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم:١٠].

٣ـ إذن امرأة لوط غير امرأة نوح؛ لأنّ امرأة لوط هي الوحيدة التي لم تؤمن من أهل لوط عليه السلام، وهي الوحيدة التي لم تنجُ، بينما أهل لوط نجوا جميعاً.

وأمّا امرأة نوح فلم تنجُ لاهي ولا ابنها.

ومثلُ (امرأة لوط) لم يقع في رسل الله بهذه الصورة، جميع أفراد العائلة آمنوا إلا زوجته، ولم يذكر في القرآن ذلك إلا مع امرأة لوط.

قد يكون هناك أخريات غير مؤمنات لكنْ في مسألة النجاة ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ لم يرد هذا الشيء إلا مع امرأة لوط، أمّا امرأة نوح فهي ليست الوحيدة من الأهل التي لم تنج.

٤ـ وقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ الخيانة هنا عدم التصديق بهما وليس عمل الفاحشة، والخيانة بهذا المفهوم هو استعمال حديث. والخيانة في القرآن وردت بمعنى خيانة الأمانة وغيرها، كما في الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنفال:٢٧].

٥ـ وليس المقصود بالخيانة هنا الخيانة الجنسية، لكنْ نستدل على أنّ الرسول وإنْ كان رسولاً فليس له القدرة على أنْ يقهر زوجته على عقيدة فهي تملك حرية الاعتقاد ،فلا ولاية للرجل على المرأة في العقيدة، حتى لو ادعى الألوهية كفرعون مثلاً.

٦ـ قضية الإيمان لا ينفع فيها النسب أو الزواج أو المجتمع، ومثال ذلك: ابن نوح وأبو سيدنا إبراهيم وأصحاب الكهف؛ لأنّ جنسية المسلم عقيدته.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين زوج وامرأة في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

كلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف. انظر الآيات [الروم ٢١ـ الفرقان ٧٤ـ الأنبياء ٩٠].

وإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج. انظر الآيات [يوسف ٣٠ـ التحريم ١٠ـ مريم ٥].

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية آل عمران ٣٥.

السؤال الثالث :

متى تكتب لفظة ﴿ٱمۡرَأَةٌ﴾ في المصحف بالهاء؟ ومتى تكتب بالتاء ﴿ٱمۡرَأَتَ﴾؟

الجواب :

لفظة ﴿ٱمۡرَأَةٌ﴾ وردت في المصحف بالهاء (٤) مرات، وبالتاء ﴿ٱمۡرَأَتَ﴾ (٧)مرات، مع ملاحظة أنّ كل امرأة ذُكرت مضافة لزوجها فهي بالتاء المفتوحة. و المواضع السبعة هي:

امرأت:

ـ ﴿ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾[آل عمران:٣٥].

ـ ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾[يوسف:٣٠و٥١]. مرتان.

ـ ﴿ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾[القصص:٩].

ـ ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾[التحريم:١٠] مرتان.

ـ ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾[التحريم:١١].

امرأة: النساء: [١٢ـ١٢٨].

النمل ٢٣. الأحزاب ٥٠.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الظرف ﴿عِندَ﴾ في الآية؟

الجواب :

[عند] ظرف زمان أو مكان لبيان مظروفها حساً أو معنى، وهي لا تفارق النصب على الظرفية إلا إلى الجر بـ (من)، كقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[الكهف:٦٥].

*** شواهد قرآنية:**

- ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾[النمل:٤٠].
- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النمل:٤٠].
- ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[النجم:١٤-١٥].
- ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٥].
- ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[التحريم:١١].
- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل:٩٦].

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى في آية الأنبياء ٩١: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ وقوله في آية التحريم ١٢: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في قصة مريم عليها السلام؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٩١.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين استخدام لفظ ﴿وَنَفَخْتُ﴾ و﴿فَنَفَخْنَا﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ وردت لفظة ﴿وَنَفَخْتُ﴾، كما في الآية ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٢٩] مرتين في القرآن الكريم في قصة خلق آدم عليه السلام في(سورة الحجر وسورة ص)

أمّا في قصة عيسى عليه السلام وأمه مريم عليها السلام فجاءت بلفظ ﴿فَنَفَخْنَا﴾.

٢ـ كلمة (روح) تطلق في القرآن الكريم على أكثر من معنى، وأمّا في موضوع عيسى عليه السلام فهي تطلق على جبريل عليه السلام، كما جاء في سورة القدر ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القدر:٤] الروح هنا جبريل عليه السلام. وفي قصة مريم



عليها السلام قوله تعالى أنه أرسل إليها روحاً، وهو جبريل عليه السلام، فقال تعالى:

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم:١٧].

كما تأتي (الروح) التي هي قوام الحياة.

٣ـ هناك فرق بين النفخ في الطين في خلق آدم عليه السلام، فهذا النفخ كان مباشراً من الله تعالى، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

وأمّا في خلق عيسى عليه السلام فكان النفخ في مريم عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يكن نفخاً مباشراً، فجاء التعبير المناسب بقوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا﴾ كما في الآيات:

ـ ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء:٩١].

ـ ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم:١٢].

٤ـ اللفظ في القرآن له غاية ووسيلة، ونحن لا نعرف كيفية النفخ ولا يعلمها إلا الله تعالى. نفخ جبريل عليه السلام في مريم فكان عيسى عليه السلام، وهذا أمر سهل؛ لأنّ عيسى له أم، وأمّا النفخ في آدم عليه السلام فهذا أعجب؛ لأنّ آدم لم يكن له أب ولا أم.

السؤال الثالث :

لفظ القنوت جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وفي أحد المواضع جاء بصفة الأمر ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران:٤٣]، وفي مواضع أخرى جاء: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢] ما الفرق بين هذا القنوت والذي قبله؟

الجواب :

هذا أمرٌ، أمرها الله بالقنوت، ثم بعد ذلك لمّا قنتت وطال قنوتها كانت من القانتين. وأنت أيها المؤمن أمرك الله بالصلاة فلمّا طالت صلاتك كنت أنت من القانتين، والقنوت هو طول الصلاة وطول الوقوف والدعاء في الصلاة.

وعندما تقرأ سور البقرة وآل عمران والنساء كما كان النبي ﷺ يقرأ في التهجد في ركعة فهذا قنوت، والسيدة مريم عليها السلام كانت هكذا تقنت بما أمرها الله أن تقنت به.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

لماذا قال في الآية: ﴿مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ ولم يقل: من القانتات؟

الجواب :

هذا من باب التغليب للذكور على الإناث، كما في الحديث «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة. ..**».

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة التحريم مع خواتيمها :

بدأت السورة بالكلام عن أزواج النبي قائلة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ [التحريم:١].

ثم ذكر إسراره ﷺ إلى بعض أزواجه حديثا ثم نبأت به: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ [التحريم:٣] ثم ذكر أنها نبأت به وحذرهن من نحو ذلك.

وخُتمت السورة بالكلام عن امرأتين من أزواج الأنبياء السابقين عصتا ربهما وهما امرأة نوح وامرأة لوط فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين، وذلك قوله:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم:١٠].

وبالكلام عن امرأتين صالحتين أطاعتا ربهما وهما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وذلك قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [التحريم: ١١ - ١٢]. . . .

فالكلام في البدء والختام عن النساء وطاعتهن لله، وتحذير ممن يستوجب التحذير منهن. والله أعلم.

سور الجزء التاسع والعشرين

يحمل هذا الجزء الوصية بفريضة الدعوة إلى الله وضرورة حمل منهج الإسلام للأرض كلها.

وفريضة الدعوة إلى الله تعالى واجبة على كل مسلم ومسلمة، مهما كانت معلوماتهم الدينية قليلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**».

ولنا في سيدنا أبي بكرالصديق رضي الله عنه قدوة حسنة عندما أسلم على يديه ستة من كبار الصحابة في أول يوم من إسلامه، رغم أنّ معلوماته الدينية كانت آنذاك قليلة.

فإذا علمت أنّ الصلاة واجبة فحدّث الناس في الصلاة. .. . وكذلك كلّمهم في حب ربنا وحلاوة الجنة وأهوال الآخرة.



سورة الملك

أولاً : تناسب خواتيم التحريم مع فواتح الملك :

١ـ ذكر في آخر سورة التحريم من الذين أحسنوا العمل امرأة فرعون ومريم ابنة عمران [١١، ١٢].

ومن الذين أساؤا العمل امرأة نوح وامرأة لوط [١٠].

وذكر في أول سورة الملك أنه سبحانه خلق الموت والحياة ليبلو المكلفين أيهم أحسن عملاً، فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك:١-٢].

فذكر في آخر التحريم قسماً ممن بلاهم أيهم أحسن عملاً.

فكان ما في التحريم مثالاً لما ذكر في سورة الملك.

٢ ـ ذكر في سورة التحريم جزاء من أساء ومن أحسن فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [التحريم:٧]

وقال فيمن أحسن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم:٨].

وكذلك ذكر في سورة الملك جزاء الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ [الملك:٦-٧]. . .

وقال في الذين يخشون ربهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

ثانياً ـ هدف السورة : تعرّف إلى من ستدعو.

تعرف على ملك الله وعظمته ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

تعرف إلى إتقانه في كونه ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك:٣].

انظر إلى الطيور فوقك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ﴾ [الملك:١٩].

انظر إلى الماء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك:٣٠].

كل هذه المعاني تمهد لك أيها الداعية طريق الدعوة إلى الله؛ لتملأ قلبك بحب الله قبل أنْ تخرج بالدعوة إلى الناس.



ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخلق والجعل؟

الجواب :

الخلق: هو الإيجاد والتقدير ابتداء، وأمّا الجعل: فهو تغير أو تحول صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه، كقولك: جعل الطين خزفاً، وجعل الساكن متحركاً، وقوله تعالى:

ـ ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾.

ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾.

ـ ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ فقال (جعلنا) مع ذكر السقف، أمّا مع الخلق فلا يذكر السقف، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي ابتداء.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في آية سورة الإنسان٢ ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ وفي آية سورة المُلك٢ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فما الفرق؟

الجواب :

١ـ في سورة الإنسان قال: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بمعنى: نختبره ونمتحنه، والفعل المجرد: [بلى يبلو].

أمّا الفعل: [ابتلى يبتلي]، ففيه مبالغة أكثر، فقال الله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ وليس نبلوه، للدلالة على المبالغة في الاختبار. قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾، ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾[الأحزاب:١١].

٢ـ في سورة الملك قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك:٢].

فاستعمل هنا الفعل (بلى يبلي) بالتخفيف ولم يستعمل (ليبتليكم)، فلماذا؟

أ ـ آية الملك ٢ تنتهي بـ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ والمغفرة تقتضي التخفيف لأنّ الابتلاء والشدة لا تتناسبان مع الغفور وهي صيغة مبالغة، والتخفيف جزء من المغفرة.

ب ـ في سورة الإنسان ذكر ما يصح معه الابتلاء كالسمع والبصر وبيان السبيل، وأطال في ذلك فناسب إطالة صيغة الابتلاء ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أمّا في سورة الملك فلم يذكر أياً من وسائل الابتلاء، إنما ذكر خلق السماوات مباشرة في الآية ٣ فاقتضى استعمال الصيغة المخففة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾.

ج ـ في سورة الإنسان ذكر السياق والوسائل وما ذكر من أعمال وأفاض في ذكر النعيم وذكر الكافرين والظالمين، مما جعل ذكر الابتلاء أنسب. انظر الآيات [٧ـ٨ـ٢٤ـ ٢٥].



﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾

السؤال الأول :

لماذا قال (خلق الرحمن) ولم يقل: (خلق السماوات)؟ وما معنى طباقاً؟

الجواب :

١ـ سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ فدلّ على رحمته بالخلق، فناسب لإكرامه ورحمته لهم بالمغفرة قوله: ﴿خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

٢ـ الكلام من أول السورة عن الله سبحانه وصفاته، ومنها: أنه خلق سبع سماوات، ولمّا قال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ دخل فيها السماوات كلها وغير السماوات. ولو قال (في خلق السماوات) لم يدخل فيها غير السماوات، وقد يكون هناك تفاوت في غيرها.

وفي هذا توجيه من الله لنا لنمعن بصرنا في خلق السماوات وخلق الأرض وخلق غيرها.

٣ـ كلمة: (طبقة) تجمع على (طبقات)، وتكون بعضها فوق بعض. تقول: هذه طبقة تعلوها طبقة أخرى، ومنه (الطبق) الذي هو الغطاء.

وأما كلمة (طباق) فهي مصدر من (طابق)، أي من المطابقة، وكلمة (طباق) أشمل وأوسع من (طبقات).

٤ـ ومن هنا نجد أنّ كلمة (طبقة) تجمع على: (طبقات) أي جمع مؤنث سالم. و(طباق): جمع تكسير، وتعتبر أكثر فصاحة.

والسبب أنّ العرب تفضل جمع التكسير؛ لأنّ جمع المؤنث السالم يعتبرونه جمع الأعاجم، كما هو الحال في جمع مقبرة على مقابر ومقبرات فاستعملت مقابر لنفس السبب وتعتبر أكثر فصاحة. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الاختلاف والتفاوت؟

الجواب :

١ـ التفاوت كله مذموم؛ ولهذا نفاه الله تعالى عن فعله، فقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾.

٢ـ يوجد من الاختلاف ما ليس بمذموم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾[المؤمنون:٨٠]؛ لأنّ هذا النوع من الاختلاف يكون على سَنن واحد، وهو دالّ على علم فاعله.

أمّا التفاوت فهو الاختلاف الواقع على غير سنن، وهو دالّ على جهل فاعله، والله أعلم.



﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الحسرة والندامة؟

الجواب :

١ـ الحسرة: هي أشد الندم، حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً والحسير في القرآن هو المنقطع، والحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه.

٢ـ قد يندم الإنسان على أمر والندم له درجات، لكنّ الحسرة هي أشد أنواع الندم والتلهف على ما فات.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ أي هذه أكبر الحسرات، وليس هناك أكبر منها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي منقطعة، ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.



﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾

السؤال الأول:

هل كانت الشهب موجودة قبل مبعث النبي ﷺ؟

الجواب:

الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ، كما ورد في كتب الأقدمين. إلا أنه بعد بعثته عليه السلام كثرت وأُمرت بدفع الجن وزجرهم.

السؤال الثاني:

كيف يجوز للجن أنْ يشاهدوا أقرانهم يسترقون السمع فيحترقوا، ثم يكررون صنيعهم؟

الجواب :

أنه إذا جاء القدر عمي البصر، فإذا قضى الله على طائفة منهم الحرق قيض لها دواعي الطمع في إدرك المقصود، فتُقدِم على العمل المفضي إلى الهلاك.

السؤال الثالث :

لِمَ لا تسكت الملائكة عن ذكر الأمور المستقبلية التي عرفوها حتى لا يتمكن الجن من الوقوف عليها؟

الجواب :

ورد في معنى الحديث النبوي: أنّ ربنا تعالى إذا قضى أمراً سبحت حملة العرش، ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ولا يزال ذلك الخبر من سماء إلى سماءإلى أنْ ينتهي إلى السماء الدنيا، فتحاول الجن خطفه فيرمون، فما جاؤا به حق ولكنهم يزيدون فيه.

السؤال الرابع :

الشياطين مخلوقون من النار، فكيف يتعذبون بها؟

الحواب :

الشياطين مخلوقون من النار، لكنّ هناك ناراً أقوى من نار، فالأقوى يبطل الأضعف، وهم سيعذبون في جهنم.

من جهة أخرى، نعم أصلهم من النار لكنْ ليس معنى ذلك أنهم لايتأثرون ولا يحترقون بالنار، ألا ترى أنّ أصل الإنسان من تراب ومع ذلك فهو يتأذى إن رُمي بالتراب؟

السؤال الخامس :

إذا كان رجم الشياطين إنما حدث بالقرب من نبوة الرسول عليه السلام فَلِمَ دام بعد وفاته ﷺ؟

الجواب :

أنه دام بعد وفاته ﷺ لإبطال الكهانة فلو لمْ يدم لعادت الكهانة، وذلك يقدح في خبر الرسول عن بطلان الكهانة.

السؤال السادس :

روي أن ثُخن السماء مسيرة خمسمائة عام، فكيف تسمع الجن كلام الملائكة وهم خارج السماء والملائكة داخلها؟

الجواب :

البعد غير مانع من السماع، ولعلّ الله أجرى أمره بأنهم إذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

السؤال السابع :

لماذا لا تنقل الجن أسرار المؤمنين إلى الكفار وهم يصلون إلى مشارف السماء الدنيا؟

الجواب :

لعلّ الله أقدرهم على استماع الغيوب وأعجزهم عن إيصال الأسرار إلى الكافرين.

السؤال الثامن :

لِمَ لمْ يمنع الله الشياطين ابتداء من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب؟

الجواب :

أفعال الله لا تعلل، فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

السؤال التاسع :

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ما دلالة نسب التزيين إلى نفسه سبحانه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٢.

السؤال العاشر :

لماذا ذكر (السماء) في الآية ولم يذكر (السماوات)؟

الجواب :

١ ـ السماء أعم من السماوات؛ وذلك أن "السماء" في القرآن تستعمل على معنيين:

فهي:

أ ـ إمّا أنْ تكون واحدة في السماوات.

كآية الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾[الملك:٥] وآية الحجر رقم ١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

ب ـ وإمّا أنْ تكون لكل ما علاك، فتشمل السماوات وغيرها كالسحاب والمطر والجو والسقف.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[نوح:١١] السماء بمعنى المطر.

ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[الرعد:١٧] السماء بمعنى السحاب.

ـ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥] السماء بمعنى الجو، وفي ذلك إعجاز علمي؛ لأنّ المرتفع في الجو يضيق صدره لانخفاض الضغط الجوي.

ـ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:١٥] السماء بمعنى السقف وفي الآية إعجاز لأنه إخبار عن المستقبل بأنّ محمداً ﷺ منتصر لا محالة، وقد تحقق ذلك.

ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩].

٢ـ فلا شك أنّ السماء بالمعنى الثاني أعم وأشمل من السماوات؛ لأنها تشمل السماوات وغيرها مما علا وارتفع.

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ
جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿بَلَىٰ﴾ والتي وردت في الآية التاسعة في سورة الملك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٨١ وآية الأعراف ١٧٢.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين أدوات الجواب التالية: نعم - بلى - أجل - أي - جلل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٥٣.

السؤال الثالث :

قال في آية يس ١٥ : ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الرحمن وقال في الملك ٩ والأنعام ٩١ : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الله؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٩١.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال ﴿فِىٓ﴾ بدل (من) في الآية؟ ولماذا لم يقل: (نبصر) بدل ﴿نَعْقِلُ﴾؟

الجواب :

١ـ (في): تفيد الظرفية، والمعنى: أي ما كنا في عدادهم وهم قد أُلقوا في السعير، كما جاء في الآيات قبلها.

٢ـ (من): بهذا المعنى تبعيضية، وتعني أنهم ليسوا في السعير الآن فقد يكونون في الصراط أو مكان آخر.

لذلك ﴿فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ أدل وأقوى على أنهم في السعير ويعذبون الآن.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ معناه أنه يكفي العقل والسماع للنجاة، ولا نحتاج للإبصار؛ لأنه لو أبصر لانتهى ورفع الحجاب ووقع ما وقع. ولذلك لو استعملنا سمعنا وعقلنا عندما جاءتنا الرسل لنجونا، فهي تعبر عن حالة معينة في توقيت محدد. والله أعلم.



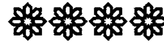
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ ما مواصفات أولي الألباب؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات الرعد ١٩ـ٢٤.



﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟﴾ في آية الملك١٥ وقوله تعالى: ﴿سِيرُوا۟﴾ في آية العنكبوت ٢٠؟

الجواب :

يقال: سار القوم إذا امتد بهم السير في جهة ما توجهوا إليها، وأمّا المشي فلانتقال الخطى وإنْ كانت قليلة، وهو على الأرجل.

والسير قد يكون للسفر وللتجارة وللضرب في الأرض وللاعتبار ولغير ذلك على أن يكون ممتداً.

* شواهد قرآنية: السير:

قال تعالى:

ـ ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾[القصص:٢٩] وهو سير ممتد للعودة إلى مصر.

ـ ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ:١٨] وهو سير متطاول ممتد يستغرق ليالي وأياماً.

ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[الحج:٤٦] وهو سير للعبرة.

ـ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[العنكبوت:٢٠] وهو سير للعبرة.

* شواهد قرآنية: المشي:

ـ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾[القصص:٢٥].

ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾

[الفرقان:٢٠].



﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)﴾

السؤال الأول:

قدّم خسف الأرض على إرسال الحاصب في آية الملك ١٦ وأخّر عذاب الأرض عما يأتي من السماء في آية الأنعام ٦٥، فلماذا؟

الجواب:

١ ـ في آية الملك قدّم خسف الأرض على إرسال الحاصب؛ ذلك أنّ آية الملك تقدمها الآية ١٥: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ فكان من المناسب في الموعظة تذكيرهم بخسفها من تحتهم.

٢ ـ أمّا آية الأنعام فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)﴾[الأنعام:٦١] فصَرفَ هذا الخطاب تفكر

النفس في عين الجهة التي ذكر منها القهر وكان أنسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف آية الملك.

٣ ـ مما زاد ذلك حسناً قوله تعالى ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ والحفظة هم الملائكة ومسكنهم في السماء، وربنا يرسلهم من فوق، فناسب تقديم هذه الجهة.



﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾

السؤال الأول :

ما الفرق في الدلالة بين قوله تعالى في الآية: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ وبين قوله تعالى في آيات أخرى ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾؟

الجواب :

﴿مِن﴾ للابتداء، ولذلك معنى ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي: فوق الأرض مباشرة ومعنى ﴿فَوْقَهَا﴾ أي: تحتمل المسافة القريبة والبعيدة.

وكذلك الأمر في التعبيرين: ﴿حَوْلِ﴾ و ﴿مِنْ حَوْلِ﴾، والتعبيرين: ﴿بَعْدِ﴾ و ﴿مِنْ بَعْدِ﴾. والتعبيرين: ﴿تَحْتِ﴾ و ﴿مِن تَحْتِ﴾.

*** شواهد قرآنية: فوق:**

ـ آية فصلت ١٠ قال فيها: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ أي: ابتداء من سطح الأرض وإلى الأعلى؛ لأنّ الجبال ملتصقة بالأرض، بل لها جذور (أوتاد).

ـ آية البقرة ٦٣ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ ليس الطور مباشرة من فوق رؤوسهم، بل هناك مسافة بين الطور والرؤوس.

ـ آية الملك ١٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ هناك مسافة بين البشر ومستوى تحليق الطير.

*** شواهد قرآنية: حول:**

ـ آية الزمر ٧٥ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ وفيها ﴿مِنْ﴾ أي أنّ صفوف الملائكة تبدأ مباشرة من حول العرش، ولو قال: حول العرش لاحتمل المسافة القريبة والبعيدة.

ـ آية الزمر ١٦ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي أنّ الظلل تكون ابتداء من فوقهم ومن تحت أرجلهم بلا فاصل بينها وبينهم لبيان شدة العذاب، والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ وفي آية الإنسان ٢١ ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ فما الفرق بين التعبيرين؟

الجواب :

يقول المفسرون: إنّ كلمة (عاليهم) تعني فوقهم، لكن الفوقيةَ لا تقتضي الملامسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾[الملك:١٩]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾[ق:٦] والنساء ١٥٤.

فكلمة (فوق) ظرفٌ مبهمٌ ليس له حدود مثل يمين ويسار، وعليه فإنّ كلمة ﴿عَلِيَهُمْ﴾ في سورة الإنسان تفيد الملامسة وتعني (يلبسونها).

السؤال الثالث :

ما اللمسة البيانية في استخدام: ﴿مُسَخَّرَٰتٍ... ٱللَّهُ﴾ في آية سورة النحل ٧٩ و ﴿صَٰٓفَّٰتٍ..ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في آية سورة الملك ١٩؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٧٩.



﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاستفهام بالحرف ﴿أَمَّنْ﴾ في الآية؟

الجواب :

أولاً: (مَنْ) هي للسؤال عمن يعقل، نحو: من حضر؟ فتقول: خالد.

وقد تخرج عن معنى الاستفهام إلى معانٍ أخرى أشهرها:

١ـ النفي: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:١٣٥].

٢ـ الدهشة والعجب: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾[يس:٥٢].

٣ـ الإلزام: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٤ـ التشويق والترغيب: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة:٢٤٥].

ثانياً:

أـ قد تلحقها ﴿ذَا﴾ فتكون (من) اسم استفهام و (ذا) اسم إشارة.

ب ـ وقد تكون ﴿مَّن﴾ اسم موصول، نحو: من ذا أكرمت أمحمد أم خالد؟

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من) نحو: من ذا أكرمت أمحمداً أم خالداً؟

ج ـ إذا قرن اسم الإشارة بهاء التنبيه كان أقوى وآكد؛ وذلك لأنّ فيه زيادة تنبيه، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾[المُلك: ٢٠].

د ـ مما تقدم يتبين أنّ مراحل التعبير من حيث قوته وتأكيده تتدرج حسب التالي:

من فعل؟

من ذا فعل؟

من ذا الذي فعل؟

من هذا الذي فعل؟



﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

لم يجيء بـ(ها) في آية آل عمران ١٦٠، والبقرة ٢٥٥ فقال: ﴿ذَا﴾ وجاء بـ (ها) للتنبيه في آية الملك، فقال ﴿هَٰذَا﴾ فما سبب ذلك؟

الجواب :

الهاء للتنبيه والتحذير.

١ ـ سياق آيات آل عمران (١٥٩:١٦٠) بعد معركة أحد والمقام مقام رحمة ومسح على جراح المؤمنين، ومقام عفو ومغفرة فلا يلزم تنبيه.

٢ ـ سياق آيات سورة الملك (١٦:٢١) في الكلام عن الكافرين مع الترهيب والإنذار والتخويف فجاء بالحرف (ها)؛ لأنّ التنبيه زيادة في التحذير، ومقدارالتنبيه هو حسب ما يقتضيه المقام.

٣ ـ سياق آية الكرسي ليست للكافرين كسابقتها وإنما مقامها مقام شفاعة بينما مقام آية الملك مقام نصر ورزق. ومقام الشفيع يختلف عن مقام الناصر؛ لأنّ الشفيع طالب حاجة من يد من هو أعلى منه، فهو متلطف بسؤاله لا يحتاج إلى استعمال التنبيه.

بينما في سورة الملك سأل ربُ العزة قائلا: من هذا الناصر الرازق من دوني؟ فزاد التنبيه؛ لأنّ النصر والرزق لا يمكن أنْ يكون لغير الله فاحتاجت آية الملك إلى زيادة التنبيه بخلاف آية الكرسي، فما أعظم هذا الكلام وأجله !



﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق في الاستعمال والدلالة بين قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ كما في آية البقرة ٢٤٥، وقوله في آية الملك ٢٤: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؟

الجواب :

١ـ آية سورة البقرة تتكلم عن الجانب المالي وعن القرض، والمال يذهب ويجيء، فالله يبسطه ويقبضه، أي ذهاب المال وإياب المال فناسب كلمة الرجوع: أي أنتم وأموالكم ترجعون إلى الله؛ لأنّ فيها قبضاً وبسطاً، ففيها رجوع؛ ولذلك ناسب ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

٢ـ آية المُلك فيها كلمة: ﴿ذَرَأَكُمْ﴾، و(ذرأ) بمعنى: نشر. ومعنى الآية أنّ الله هو الذي يبثكم وينشركم في الأرض، والذي يناسب الشيء المنثور الموزع في الأرض هو كلمة (الحشر)؛ لأنّ كلمة الحشر فيها معنى الجمع لذلك ناسب ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ والله أعلم.



﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى آية الملك؟ ٢٧ وما معنى الزلفة؟

الجواب :

١ـ الزلفة أي القريب، والآية تتكلم عن يوم المحشر، أي فلمّا رأوا يوم المحشر، وكانوا من قبل يستبعدونه ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ساءهم رؤيته، أو ساء يوم القيامة وجوه الذين كفروا، فقيل: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ﴾ بصيغة المجهول؛ لأنّ المعنى واضح والكلام عن يوم المحشر واستبعادهم له في الدنيا، وهو الآن أمامهم يشاهدونه.

كما قال تعالى عن المتقين: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الشعراء:٩٠] للتقريب.

٢ـ وقوله تعالى في آية هود ١١٤: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي ما هو أقرب إلى النهار، فقيل هما صلاة المغرب والعشاء، أو المعنى: تقرب إلى الله بصلاة الليل، وليس بالضرورة المغرب والعشاء، فالزلفة فيها تقرّب على العموم.



﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى في الآية: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وكذلك في آية الأعراف ٨٩، بينما قدّم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ قدّم الجار والمجرور في آية الأعراف ٨٩، فقال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ للدلالة على الاختصاص؛ وذلك لأنّ التوكل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده.

٢ ـ في آية الملك قدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، وقدم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وذلك أنّ الإيمان لمّا كان غير منحصر في الإيمان بالله فقط، بل لا بدّ معه من الإيمان بالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر وغيره مما يتوقف عليه صحة الإيمان بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم

القديمين؛ لذلك قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأنّ غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه.



﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿غَوْرًا﴾ ما دلالة الإخبار بالمصدر عن اسم الذات؟

الجواب:

﴿غَوْرًا﴾ تعني (غائراً)، والغرض من ذلك المبالغة.

لمزيد من التفصيل انظر آية البقرة ١٧٧، وآية هود ٤٦.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

ذكر القرآن الكريم ٢٣ نوعاً من المياه لكل منها طبيعته الخاصة، وهي:

١- الماء المغيض: وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها. غاض الماء: قلّ ونقص.

قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[هود:٤٤].

٢- الماء الصديد: وهو شراب أهل جهنم.

قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾[إبراهيم:١٦].

٣- ماء المهل: وهو القطران والمذاب من معادن أو زيت مغلي.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[الكهف:٢٩].

٤- ماء الأرض: الذي خلق مع خلق الأرض. ويظل في دوره ثابتة حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[المؤمنون:١٨].

٥- الماء الطهور: وهو العذب الطيب.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[الفرقان:٤٨].

٦- ماء الشرب.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾[النحل:١٠].

٧- الماء الأجاج: وهو شديد الملوحة، وهو غير مستساغ للشراب.

قال تعالى:

- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان:٥٣].
- ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر:١٢].
- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[الواقعة:٧٠].

٨- الماء المهين: أي الضعيف والحقير، ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾[السجدة:٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[المرسلات:٢٠].

٩- الماء غير الآسن: أي غير متغير الرائحة، والآسن من الماء مثل الآجن، وقد أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً إذا تغيرت رائحته.

قال تعالى واصفاً أنهار الجنة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[محمد:١٥].

١٠- الماء الحميم: حُمّ الماء:أي سخن، والماء الحميم: شديد السخونة والغليان

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[محمد:١٥].

١١- الماء المبارك: الذي يحيي الأرض وينبت الزرع وينشر الخير.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾[ق:٩].

١٢- الماء المنهمر: وهو الماء المتدفق بغزاره ولفترة طويلة من السماء فيهلك الزرع والحرث.

قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾[القمر:١١].

١٣- الماء المسكوب: الملطف للأرض ويعطى الإحساس بالراحة للعين.

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾[الواقعة:٣٠-٣١].

١٤- الماء الغور: الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها فلا ينتفع منه.

قال تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾[الكهف:٤١].

١٥- الماء المعين: الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾[الملك:٣٠].

١٦- الماء الغدق: أي الوفير.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[الجن:١٦].

١٧- الماء الفرات: الشديد العذوبة.

قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾[المرسلات:٢٧].

١٨ – الماء الثجاج: وهو السيل.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ:١٤].

١٩ – الماء الدافق: وهو منى الرجل يخرج في دفقات.

قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [الطارق:٦].



رابعاً ـ التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

١ ـ قال سبحانه في بداية السورة:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١]

وقال في خواتيمها:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الملك:٢٨]. . .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك:٣٠].

فالذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير هو الذي يفعل ما ذكره في آخر السورة من إهلاك من يشاء وإجارة من شاء من عذاب أليم، وأنْ يأتي بالماء المعين إنْ غار الماء.

فالذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير هو الذي يفعل ذاك.

٢ ـ قال في أوائل السورة:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢].

وقال في أواخرها:

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المُلك: ٢٣ - ٢٤].

فالذي أنشأ الناس وذرأهم في الأرض هو الذي خلق الحياة.

وهوالذي يهلك من يشاء أو يرحمهم ويحشرهم، وذلك ما ذكره في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ [المُلك:٢٨] هو الذي خلق الموت.

فهو الذي خلق الموت والحياة.

٣ ـ في قوله سبحانه في أوائل السورة:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك:٢].

أشار إلى من يحسن عمله بقوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [المُلك:٢].

وأشار إلى من يسيء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك:٢]، فإنّ المغفرة إنما تكون للذنوب.

وفيه إشارة إلى اليوم الآخر فإنّ مغفرة الذنوب إنما تنفع في الآخرة.

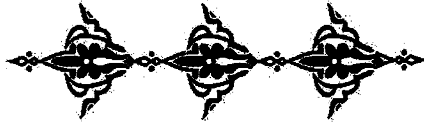
وذكر في آخر السورة من أساء في عمله ومن أحسن.

فقال فيمن أساء: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المُلك:٢٥]. . . ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المُلك:٢٧].

وقال فيمن أحسن:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الملك:٢٩].

فالمناسبة ظاهرة كما هو واضح. والله أعلم.





سورة القلم

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الملك وفاتحة سورة القلم :

قال سبحانه في أواخر سورة الملك:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[المُلك:٢٩].

وقال في أول سورة القلم:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾[القلم:٧] وقال:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ ﴾[القلم:٥-٦].

فالمناسبة ظاهرة بينهما.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصباً وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله ﷺ بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر ومرة إلى السحر ومرة إلى الجنون، فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه العظيم)).

والله أعلم.

ثانياً ـ هدف السورة : أخلاق الدعاة :

ترشدنا سورة القلم إلى المبادىء التي يجب أنْ يتحلى بها الدعاة إلى الله فتعرض نموذجين من الأخلاق: قدوة الدعاة هو الرسول ﷺ وخلقه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

وبالمقابل نرى فيها أصحاب الأخلاق السيئة؛ لأنّ هؤلاء أبعد ما يكونون عن الاستفادة من الدعوة: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾[القلم: ١٠ - ١٤].

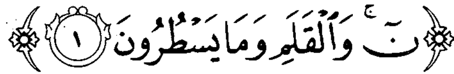
وتأتي السورة على ذكر قصة أصحاب الجنة، الذين أدى بخلهم الشديد إلى كره الناس لهم وحرمانهم من الرزق. وكأنها تقول لنا: إياكم والبخل لأنه من أسوأ الأخلاق التي قد تصيب الدعاة فتمنع وصول الرسالة إلى الناس.

ولا بدّ للداعية من أنْ يتعلم مبادىء الإسلام البسيطة وأنْ يوثق علمه بالقراءة المستمرة.

ومن هنا نفهم سبب تسمية السورة بسورة القلم، وندرك لماذا كانت هذه السورة ثاني سور القرآن نزولاً بعد سورة العلق التي كانت أول كلمة فيها ﴿ٱقْرَأْ﴾.

أيها الدعاة: كيف ننتمي إلى أمة (اقرأ)؟ وكيف ندعو الناس إذا لم نلتزم بالقراءة المستمرة وتدوين العلوم وتوثيقها؟

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة :



السؤال الأول :

ما التعريف العام بهذه السورة؟

الجواب :

المشهور أنها نزلت بعد العَلق فتكون ثانية السور في ترتيب النزول قال البرهان الجعبري في منظومته (تقريب المأمول في ترتيب النزول):

اقــرأ ونــون مزمــلٌ مدثـــــرُ والحمــد تبــت كــورت الأعــلى

وبالرغم أنها في ترتيب المصحف بعد سورة الملك، لكنّ سورة الملك نزلت متأخرة، فهي السابعة والسبعون في ترتيب النزول على المشهور.

وفي السورة جدل من المشركين في نبوة المصطفى عليه السلام، وجحد لمعجزته القرآن وقولٌ بأنها من أساطير الأولين، فكأن هذا الحرف ﴿نٓ﴾ الذي تبدأ به السورة تمهيد لمعجزة القرآن التي تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثلها.

وقد كانت كلمة الوحي الأولى ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ لافتة للإنسان في تلك البيئة الجاهلية فجاءت بعدها سورة القلم مبتدأة بالحرف ﴿نٓ﴾ لافتة إلى سر الحرف الذي هو مناط القراءة والعلم والبيان.

وكونها نزلت في الوليد أو أبي جهل لا يقتضي الاعتبار بخصوص السبب، حيث لا قرينة تصرف إليه عموم اللفظ.

السؤال الثاني :

ما دلالة الحرف ﴿نٓ﴾في أول السورة؟

الجواب :

انظر الجواب في أول سورة البقرة وأول سورة ق للاطلاع على دلالات الحروف المقطعة في أوائل السور.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ السورة تبدأ بالحرف ﴿نٓ﴾ وهي أول سورة نزلت مفتتحة بحرف من هذه الحروف المقطعة، وبعدها نزلت ثمان وعشرون سورة مفتتحة بهذه الحروف، منها ٢٦ سورة مكية وثلاث سور مدنية وهي البقرة وآل عمران والرعد، ومجموع حروف غير المكرر منها ١٤ حرفاً وهي نصف حروف معجمنا، ويجمعها قولك: (طرق سمعك النصيحة).

٢ـ القلم معروف: غير أنّ القلم الذي أقسم به ربنا هو القلم الذي خلقه تعالى فأمره بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة.

٣ـ الواو في ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ خرجت عن معناها الأول في التعظيم لملحظ بياني هو اللفت إلى ما عهدوا من أمر القلم والكتابة توطئة إيضاحية للرد على جدل المشركين في كلمات الله تعالى.

٤ـ الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ ۝١﴾ عائد لمن كان ينقل من العرب أساطير الأولين ويحاولون أنْ يُشبهوا القرآن الكريم بها، كما قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾[الأنفال:٣١].

السؤال الرابع :

هل التسطير مرتبط بالقلم؟

الجواب :

١ـ التسطير هو الكتابة، وهو معطوف على القسم، فالقسم بالقلم و﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ معطوفة على القسم.

٢ـ يسطر أي يكتب، والكتابة قد تكون في حرف أو كلمة، أمّا السطر فالكتابة أكثر.

٣ـ ﴿وَمَا﴾ مع ما بعدها في تقدير مصدر: وسطرهم، فيكون القسم واقعاً بنفس الكتابة. ويحتمل أنْ يكون المراد المسطور والمكتوب.

٤ـ ويحتمل أنْ يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر.

٥ـ قوله: ﴿يَسْطُرُونَ﴾ ليس المراد منه الجمع بل التعظيم، أو الجمع لجميع الأمور المكتوبة فيه إلى يوم القيامة. والله أعلم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ الرسول عليه السلام كان في أول عهده بالوحي في أشد الحاجة إلى ما يثبت به فؤاده ويُذهب عنه قلق النفس، وقد قامت زوجه خديجة رضي الله عنها بهذه المهمة كما بينت كتب السيرة؛ لذلك جاءت هذه الآيات لتثبيت المصطفى وتقوية فؤاده؛ ليتحمل أعباء الدعوة ويصبر على أذى المشركين والكفار.

٢ـ جمهرة المفسرين على أنّ جملة ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراضية، لكنّ ذلك فيه تكلف؛ لأنّ بيان القرآن يُفهم في بساطة ويسر.

٣ـ الباء في كلمة ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ عند النحاة زائدة أو صلة لتأكيد النفي، لكنْ في القرآن الكريم إذا جاءت الباء في خبر المنفي بأسلوب الاستفهام، نحو: [أليس ـ ألست] لم تكن لتأكيد النفي بل تخرجه بيانياً من النفي إلى تقريرٍ ملزم وإثباتٍ مؤكد، نحو: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾ـ ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ـ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ـ ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ۝٨١﴾.

٤ـ الأجر هو الجزاء المادي على العمل، وقد يكون مادياً، وقد يكون معنوياً. ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ـ ﴿أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾.

٥ـ المنّ: من معانيه في اللغة ما يوزن به والممنون الموزون. والمنّ لا يكون على الحقيقة إلا من الله سبحانه، كما في الآيات: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ـ ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ﴾ ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ إلا أنْ يكون في نص السياق قرينة صارفةٌ من البشر، كما في آية ص ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص:٣٩].

والممنون المقطوع، ومعنى الآية أنه أجر غير مقطوع، ولا مشوب بما ينغصه، كما هو الحال مع من البشر.

٦ـ تنكير ﴿لَأَجْرًا﴾ يفيد الإطلاق.

٧ـ الرسول عليه السلام كان خُلُقُه القرآن، وباعتبار أنّ السورة مكية مبكرة جداً، فالآية تؤكد ما علم الله من خلق نبيه المصطفى، ولقد كان معروفاً منذ صباه بسمو الخلق.

وقال عمه أبو طالب في خطبة زواج محمد عليه السلام من خديجة: أمّا بعد فإنّ محمداً ممن لا يوازَن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً. ولُقّب بالأمين.

وهذه الآية شهادة إلهية بعظمة خُلق المصطفي عليه الصلاة والسلام تتوج ما كان معروفاً عنه من مكارم أخلاقه، وتمنحه القوة النفسية على مواجهة المكذبين الطاغين.

السؤال الثاني :

ما الفرق البياني بين قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور:٢٩] وقوله في آية القلم ٢: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ وقوله ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ في آية القلم ٥١؟

الجواب :

١ ـ زاد في آية الطور كلمة ﴿كَاهِنٍ﴾ في قول الكفار، حيث قالوا عن رسول الله ﷺ: إنه شاعر، وقالوا: إنه كذاب، وتوسع الكافرون في التهم؛ لذا استدعى السياق إدخال كلمة ﴿كَاهِنٍ﴾ كزيادة.

وهذه الزيادة ﴿كَاهِنٍ﴾ في سورة الطور تتناسب مع ما جاء فيها، فقد جاء فيها: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الطور:٣٨] والاستماع مما تدعيه الكهنة، وكذلك الآية ١٥ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢ ـ أمّا في سورة القلم فقد زاد الباء ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ لأنه لم يزد الكافرون عما جاء في الآيات، فناسب أول السورة ما جاء في آخرها، إضافة إلى أن الباء تأتي لتوكيد النفي ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ واللام لتوكيد الإيجاب ﴿لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ فهو نفي مقابل لام التوكيد، واستخدام ﴿إِنَّ﴾ للتوكيد على ما قالوه عن النبي ﷺ.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الأصل في البصر للعين الباصرة، ومعنى الآية: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل. و(البصير) من أسماء الله تعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ والمفتون هو المجنون، الضال الشيطان، المعذب. ومعنى الآية: أنّ ربك يامحمد هو أعلم بك وأنك المهتدي وأنّ قومك هم الضالون عن سبيل الحق.

والآية أمسكت عن ذكر مفضول ﴿أَعْلَمُ﴾ وهذا يطلقه من قيد المفاضلة بين عالم وأعلم.

ومن معاني الفتنة: الابتلاء والإعجاب بالشيء والضلال والكفر والإيقاع بين الناس.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في التعبير ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الوارد في الآيات [النحل ١٢٥ ـ النجم ٣٠ ـ القلم ٧]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١٢٥.



﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ التكذيب هنا هو بآيات الله ونبوة رسوله، والإدهان هو اللين والتساهل والمداراة، وهو مأخوذ من الدهن، وشبّه التليين في القول بتليين الدهن.

٢ـ ومعنى الآية: ودوا لو تلين فيلينون، أو تكفر فيكفرون، أو تكذب فيكذبون.

٣ـ الحرف ﴿لَوْ﴾ يفيد حس التمني من المشركين أنْ يلين لهم الرسول. وقد وقف النحاة طويلاً عند ثبوت النون في ﴿فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ والقاعدة أنْ تحذف.

والأفضل أنه لا يجوز أن يُعرض القرآن وهو البيان الأعلى على قواعد النحاة؛ لأنّ القرآن هو الأصل والحجة، ومن ثم تبقى الآية على وجهها وتكون الفاء حرف عطف فتثبت النون، والفاء العاطفة لا تفقد ملحظ السببية.

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الحلاف: صيغة مبالغة من حلف، ويدلّ ذلك على عادته بالحلف.

٢ـ الهماز: مبالغة من الهامز، وهو الفتّان الطعّان المغتاب الذي يلوي شدقيه من وراء الناس.

٣ـ النميمة: هي الإيقاع بين الناس بقصد الفتنة والعداوة.

٤ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ مبالغة من (مانع) والخير هنا على عمومه، وهو نقيض الشر.

٥ـ العتل: الجلف القاسي الغليظ.

٦ـ ﴿زَنِيمٍ﴾ ولم تأت هذه الصيغة إلا في هذه الآية، وهي بمعنى الفاحش اللئيم الملصق بالقوم وليس منهم.

والمعنى العام للآيات: أنّ الله تعالى نهى رسوله الكريم ﷺ عن طاعة المكذبين وكل حلاف لئيم، وحذره من أنْ يؤخذ بما قد يُبدون له من إدهان احتيالاً على الموقف الصعب بقصد الفتنة والشر.

السؤال الثاني :

ما دلالة ترتيب هذه الآيات؟

الجواب :

التقديم حسب الرتبة.

بدأ بالهمّاز، وهو الذي يعيب الناس، وهو في محله لا يحتاج إلى مشي أو حركة.

ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو المشي بالنميمة.

ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء، وهو أنه يمنع الخير عن الآخرين وهذه مرتبة أبعد في الإيذاء مما تقدمها.

ثم انتقل إلى مرتبة أبعد مما قبلها وهو الاعتداء، فإنّ منع الخير قد لا يصحبه اعتداء، أمّا العدوان فهو مرتبة أشد في الإيذاء.

ثم ختمها بقوله: ﴿أَثِيمٍ﴾ وهو وصف جامع لأنواع الشرور، فهي مرتبة أشد إيذاء.

السؤال الثالث :

ما دلالة عدم ذكر حرف العطف بين الصفات في الآيات أعلاه؟

الجواب :

يُترك العطف عندما تكون الصفات متحدة المنحى، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم:١٠-١١-١٢-١٣].

وكقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤].

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية التوبة ١١٢.

السؤال الرابع :

استعمل ﴿هُمَزَةٍ﴾ في آية الهمزة (١) واستعمل ﴿هَمَّازٍ﴾ في آية القلم(١١) فلماذا؟

الجواب :

١ـ المعنى اللغوي:

همّاز: صيغة مبالغة على وزن (فعّال)، وتدل على الحرفة مثل: نجار وحداد فتدل على المزاولة للحرفة.

هُمزة: صيغة مبالغة تدل على النهاية في الوصف، ويبالغ في التاء ليدل على النهاية في الوصف، مثل: (نازلة)، فليس كل نازل نازلة، وليس كل قارع قارعة. فالتأنيث للمبالغة ومثله: القيامة والصاخة والطامة، وهذا كله يدل على النهاية في الوصف.

٢ـ ما اللمسة البلاغية في اختيار كل لفظ في مكانه؟

أ ـ استعمال (هُمزة) في سورة الهمزة؛ لأنه ذكر النتيجة وتعرض للعاقبة فهي نتيجة وغاية وعاقبة، وجاء فيها ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ [الهُمَزة:٤] والحُطمة هي بنفس صيغة هُمزة، وهي تدل على المبالغة، وهي تفيد بأنّ الجزاء من جنس العمل، فكما أنه يبالغ في الهمز فسيكون مصيره مماثلاً في الشدة، فهي عليهم مؤصدة في عمد ممددة.

ب ـ أمّا في سورة القلم، فاستخدم صيغة (همّاز)؛ لأنّ الكلام في التعامل مع الناس ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ وسورة القلم تتناول السلوكيات ولا تذكر العاقبة إلا قليلاً، وهي ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ وإنما ذكر صفات الناس ﴿حَلَّافٍ﴾ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ ولم

تتطرق السورة إلى نهايتهم، بل اكتفت بالأمر بعدم طاعتهم حتى لوكانوا أصحاب مال ونفوذ. قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ وقال: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي ينبغي أنْ لا يطاع ولو كان ذا مال وبنين، أي مال وقوة، وهو سبب استعلائهم كما هو مشاهد اليوم من استعلاء الدول الكبرى صاحبة المال والقوة على الشعوب المستضعفة.

السؤال الخامس :

ما معنى الكلمات التالية: (جبت ـ طاغوت ـ رذل ـ زنيم ـ سفيه)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٥١.

السؤال السادس :

ما منظومة الكلمات التي تدل على الظلم والاستعلاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.



﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

قوله يعتبر جحداً لنبوة المصطفى وتكذيباً بآيات الله وإمعاناً في البغي والضلال.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ السمة هي العلامة والوسم معروف، والخرطوم هو الأنف أو مقدمته وشاع في الفيل.

والآية هي على وجه الوعيد بالإذلال والإهانة صدعاً لكبرياء المغتر بماله وبنيه، و رد الخرطوم إلى الأنف فيه تحقير المغرور الخبيث والهبوط بآدميته إلى البهيمية.

٢ـ والسمة ضرب من العلامات مخصوص، وهو ما يكون بالنار في جسد الحيوان مثل سمات الإبل.

٣ـ قيل إنّ هذا الوسم يحصل في الدنيا، فقد روي أنه قاتل يوم بدر فخطم بالسيف في القتال، وقيل يحصل في الآخرة ليعرفه أهل القيامة.

٤ـ ذلك الكافر بالغ في عداوة الرسول عليه السلام، وفي الطعن في الدين بسبب الأنفة والحمية، فكان الجزاء من نفس العمل بأنْ أذله الله وأهانه بهذا الوسم الذي يكون في جسد الحيوان كنوع من العذاب النفسي إضافة إلى العذاب الجسدي في النار. والله أعلم.

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ
عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا
عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ
(٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾

السؤال الأول :

ما أهم دلالات هذه الآيات؟

الجواب :

المفردات اللغوية:

١ـ البلاء: هو المحنة والابتلاء الامتحان.

٢ـ الجنة: في الأصل هي دار النعيم في الآخرة، وجاءت في القرآن نحو (١٢٠) مرة، وجاءت (جنة الدنيا) وهي الأرض المزروعة والمشجرة مفردة في تسع آيات، ومثناة في خمس آيات، واثنتي عشرة مرة بصيغة الجمع، والسياق هو الذي يحدد نوع الجنة.

٣ـ الصرم: هو القطع، والصريم هو المقطوع والمحصود.

٤ـ الإصباح: هو وقت الصبح وأول النهار.

٥ـ الاستثناء في الآية أنهم لم يقولوا: (إنْ شاء الله)، حينما أقسموا ليصرمنها مصبحين.

وظاهر النص أنّ خطيئتهم التي أُخذوا بها هي التصميم على صرم جنتهم خفية، والاستئثار بكل خيرها، ولا يؤدون حق مسكين ولا فقير.

٦ـ التخافت: هو أنْ يتحدث بعضهم إلى بعض في خفوت فلا يسمع أحد بهم.

٧ـ الحرد: هو المنع، ويكون عن نفور. والحرد قصد الشيء من بُعد. ورجل حريد: إذا لم يخالط الناس، وكوكب حريد: أي متنح عن الكواكب.

وفي آية القلم ٢٥ المراد أنهم قصدوا أمراً بعيداً فأهلك الله ثمارهم.

٨ـ الأوسط والوسط في معنى العدل، ملحوظاً فيه أنه توازن بين طرفين متباعدين.

٩ـ التلاوم: هو أنْ يلوم بعضهم بعضاً.

١٠ـ التسبيح: هو ذكر الله، ونفهمه في الآية بمعنى: (لولا تذكرون الله فتؤدوا حقه وتشكروا نعمه).

١١ ـ الطغيان: هو تجاوز الحد، وأصله في طغيان الماء ثم نقل على الجبروت وتجاوز الحد.

١٢ـ والقرآن الكريم ضرب هذه القصة مثلاً بدون ذكر الأشخاص والزمان والمكان إلا ما كان من جوهر القصة وموضع العبرة، وهؤلاء أهل الجنة الذين أنعم الله عليهم فبغوا وظلموا أنفسهم ونسوا الله، فحق عليهم العقاب والحرمان.

وظاهر النص صريح في ردع غرور كل الطغاة المتجبرين الذين غرتهم فتنة المال وجاه العدد، وأخذتهم العزة بالإثم والطغيان، وانتهت القصة بالعبرة، وهي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ونميل إلى أنّ الضمير في ﴿بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعود على الطغاة المكذبين، وليس لأهل الجنة المذكورين في سورة القلم الذين أقروا بظلمهم وتابوا. والله أعلم

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ١٧: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ما كلمات منظومة (اجتث وقطع)؟

الجواب :

انظر الجواب في آيةهود ٤٤.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ٣١: ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ما الفرق بين الويل والويلة في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ الويل: هو العذاب والحزن والمشقة، وأمّا (الويلة) فهي الفضيحة.

٢ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال (الويلة) في القرآن وجدناها كلها في مواطن الفضيحة، كما في الآيات [هود ٧٢ـ الكهف٤٩ـ المائدة ٣١ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ٣٢:﴿رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ما كلمات منظومة الحب العقلاني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٤.



﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً
أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

هنا بيّن القرآن عاقبة المتقين بعد الذي ساقه من عبرة أصحاب الجنة فيعمد إلى الاستفهام الذي يخرج عن أصل معناه اللغوي في طلب الجواب إلى الرفض والإنكار أنْ يجعل الله المسلمين كالمجرمين.

والخطاب في الآيات للمشركين من عتاة قريش إنكاراً لسَفَه عقولهم وهزؤاً بضلال حكمهم، ويسألهم ألهم كتاب يدرسون؟ وفيه إنّ لهم ما يختارون من دنياهم وأخراهم؟

أم لهم أيمان وعهود موثقة على الله بالغة إلى يوم القيامة أنّ لهم ما يحكمون؟

أي غرورغرّهم بالخالق؟

وأي وَهْم تورطوا فيه أنهم ما أوتوا المال والجاه والبنين إلا لكونهم أهلاً للإكرام؟

ثم يتجه الخطاب إلى النبي عليه السلام، سلهم أيهم بذلك زعيم؟ بحيث يضمن أنّ لهم إلى يوم القيامة ما يحكمون؟

أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين؟

وتمضي الأسئلة لا تنتظر جواباً، وإنما حسْب القرآن أنْ يواجههم، غضاً من شأنهم وصدعاً لغرورهم وتحقيراً لكبرهم.

وعدم انتظار الجواب عنها فيه تعجيز لهم وإفحام، وفيه عبرة لكل ذي سمع وبصر.

السؤال الثاني :

مادلالة قوله تعالى في الآيتين [٤٢-٤٣]: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[القلم: ٤٢ - ٤٣]؟

الجواب :

١ـ الكشف عن الساق كناية عن التأهب، ولا حاجة للتأويلات الغريبة.

٢ـ لا ضرورة أن يُحمل عجزهم عن السجود في الآخرة على العجز الجسدي، وإنما على فوات أوان التعبد ومهلة التكليف.

السؤال الثالث :

ما دلالة (أم) في آيتي القلم [٣٧ و٣٩] هل هي متصلة أم منقطعة؟

الجواب :

١ـ معنى (متصلة): أي لا يستغنى ما قبلها عما بعدها، كقولك: عندك فلان أم فلان؟

وقد تكون بعد كلمة سواء، كما في آية إبراهيم ٢١: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١﴾.

٢ـ معنى (منقطعة): تكون بمعنى (بل) جملة منفصلة، كما في آيات سورة القلم [٣٥ـ٣٩]، وهي قوله تعالى:

ـ ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٩].

والآيات تحتمل أنْ تكون متصلة على رأي سيبويه، وقسم قال: هي منقطعة يراد بها التوبيخ.

وللعلم فإنّ التعبيرات في اللغة العربية هي على قسمين: قطعية لها معنى واحد، واحتمالية، ولها أكثر من معنى.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي
لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا
أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات باختصار؟

الجواب:

الآيات [٤٤ـ٤٧]:

١ـ الاستدراج: هو الأخذ على مهل درجة درجة، وذلك بأنْ يمتعهم الله بمتاع الدنيا، حتى يظنوا أنهم مُتعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

٢ـ أُملي: أي أُمهل وأُرخي له في عنانه.

٣ـ الأجر هو جزاء العمل، وسياق الآية أنه من الأجر المادي بشاهد من النص ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ومُغرم مصدر ميمي من الغُرم.

٤ـ والمعنى أنَّ الله تعالى أمر رسوله أنْ يترك هؤلاء الطغاة المكذبين وما كان الرسول عليه السلام يسألهم أجراً على ما يهديهم إليه من خير الدنيا والآخرة فيثقلهم المغرم، وما كان عندهم علمٌ بالغيب ليجادلوا فيما يتلوه من أمر ربه.

الآيات: [٤٨ ـ ٥٠]:

صاحب الحوت هو سيدنا يونس عليه السلام وقصته معروفة، وتلفت الآيات هنا إلى جوهر القصة ومناط العبرة.

والخطاب للنبي ﷺ تقوية له على ما يحتمل من أذى المكذبين، ورياضة له على الصبر لحكم ربه عن رضا وتسليم، لا عن غيظ مكبوت وضيق مكظوم.

الآيات: [٥١ـ٥٢]:

هاتان الآيتان جاءتا تأييداً للمصطفى ﷺ ويرتبطان بما بدأت به السورة من مثل هذا التأييد الإلهي ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣﴾ [القلم:٢-٣] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤] وصدق الله العظيم.

السؤال الثاني :

ما دلالة الآيتين [٤٨ـ٤٩]؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ كأنه قيل للرسول ﷺ: لا تكن مكظوماً كصاحب الحوت وهو يونس عليه السلام حال ندائه.

٢ـ لِمَ لمْ يقل: (تداركته)؟

الجواب: إنما حسُن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه، وقرأ ابن عباس: تداركته.

٣ـ قوله تعالى: ﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ معناه أنعم عليه بالتوبة، وهذا يدل على أنه لا يتم شيء من الصالحات والطاعات إلا بتوفيق الله وهدايته.

٤ـ جواب (لولا) بتقدير: لولا هذه النعمة لنبذ بالعراء، فلمّا حصلت هذه النعمة لم يوجد النبذ بالعراء.

٥ـ هل يدل قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ على كونه فاعلاً للذنب؟

الجواب:

أ ـ كلمة (لولا) دلت على أنّ هذا الذم لم يحصل.

ب ـ لعلّ المراد من الذم ترك الأفضل، فإنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ج ـ لعلّ هذه الواقعة قبل النبوة لقوله: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ والفاء للتعقيب.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق البياني بين قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾، في آية الطور٢٩ وقوله في آية القلم ٢: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ في آية القلم٥١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية القلم ٢.

والله أعلم.

رابعاً : التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

قال في أولها:

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ [القلم:٢].

وقال في آخرها:

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم:٥١-٥٢].

فنفى عنه الجنون أولاً، وذكر قولهم في آخرها: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١﴾.



سورة الحاقة

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة القلم ومفتتح سورة الحاقة :

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة القلم:

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾ [القلم: ٤٤ – ٤٥].

وذكر في أول الحاقة قسماً ممن كذّب رسله واستدرجهم وأهلكهم فقال:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)﴾ [الحاقة: ٤ – ٦]. . . .

٢ ـ ذكر في أواخر القلم المتقين والكافرين فقال:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤)﴾ [القلم: ٣٤].

وقال في الكافرين:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

وذلك في يوم القيامة.

وذكر ذلك اليوم في ابتداء السورة فقال:

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)﴾ [الحاقة: ١-٢-٣].

ثم ذكر بعد ذلك من أوتي كتابه بيمينه:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة:١٩].

وذكر من أوتي كتابه بشماله:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة:٢٥].

والله أعلم.

ثانياً: هدف السورة: تذّكر الآخرة.

الحاقة هي أحد أسماء يوم القيامة، والتذكير بهذا اليوم هو من أهم الوسائل التي يجب أنْ يستخدمها الداعية لترقيق قلوب الآخرين وإيقاظهم من غفلتهم.

ونرى فيها هول العرض على الجبار: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨].

ثم تنتقل بك الآيات بعد ذلك إلى مصير الناس بعد تطاير الصحف: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٢].

أرأيت فرحته.. أسمعت نداء الفوز، فلماذا لا تكون مثله؟

وفي المقابل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٣٢].

آيات رائعة ومقابلة رهيبة. .. ولا حظ أنّ السورة بدأت بأهل الجنة قبل أهل النار، وكأنّ المعنى: حبب الناس بالجنة قبل تخويفهم بالنار؛ لأنّ الترغيب يؤثر في النفوس بشكل أقوى من الترهيب.



ثالثاً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال حرف الاستفهام ﴿مَا﴾ في الآيات؟ وهل لها معانٍ أخرى غير الاستفهام؟

الجواب :

(ما) تكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل، وللسؤال عن صفة من يعقل. مثال النوع الأول: ما عندك؟ فيجاب: كتاب. ومثال النوع الثاني: ما محمد؟ فيقال: كاتب.

و(ما) لها معانٍ أخرى إضافة إلى الاستفهام، وأهمها:

١ـ التعظيم والتفخيم: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾[الحاقة:١-٢].

٢ـ التحقير: ما أنت والشعر.

٣ـ الحث: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٧٥].

٤ ـ الإنكار: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾[البقرة:١٤٢].

٥ ـ الإلزام: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[البقرة:٩١].

٦ـ الاستبعاد: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[النساء:١٤٧].

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿مَا﴾و ﴿مَاذَآ﴾؟

الجواب :

١ـ (ذا) تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره.

٢ـ إنّ في (ماذا) قوة ومبالغة في الاستفهام ما ليس في (ما)، فقولنا: ماذا فعلت؟ فيه قوة ليست في (ما فعلت)؟



﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم (ثمود) على (عاد) في سورة الحاقة، مع أنها تتأخر في باقي القرآن؟

الجواب :

١ـ التأخير والتقديم عموماً قد يكون بالمتقدم أو المتأخر، أو بالأقرب ثم الأبعد، وأحياناً بالعكس.

٢ـ السمت العام في سورة الحاقة أنها تبدأ بالأقرب فالأبعد.

شواهد:

أـ الأقوام:

ـ بدأ بثمود ثم عاد، ثم فرعون ومن قبله، ثم المؤتفكات، ثم قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة:١١] إشارة إلى نوح عليه السلام.

ب ـ مشاهد يوم القيامة:

بدأ بالأرض ثم الجبال، وفي غير سورة الحاقة كالتكوير: بدأ بالشمس ثم النجوم ثم الجبال.

ج ـ القسم:

ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة:٣٨-٣٩] ما تبصر أقرب مما لا تبصر.

٣ـ ربما كان التقديم لثمود من حيث إنّ بلادهم أقرب إلى مكان قريش وواعظ القرب أكبر.

والله أعلم.



﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ذكّر في آية القمر ٢٠ فقال: ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ وأنثها في الحاقة٧ فقال: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ فما سبب ذلك؟ وهل يصح وضع إحداهما في مكان الأخرى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سورة القمر ٢٠.

السؤال الثاني :

قال في فصلت ١٦: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ وفي القمر١٩: ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ وفي الحاقة ٧: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ فلماذا؟

الجواب :

إنّ (اليوم) يعبر به عن الأيام. كقولهم: يوم الحرة ويوم بعاث.

وقد يراد به اليوم الذي بدأ به الريح.

السؤال الثالث :

استعمل القرآن أحيانا (النخل) وأحيانا (النخيل) فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.



﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الطغيان والعتو والظلم والجور؟

الجواب :

١ـ الطغيان: هو مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي تجاوز حده حتى علا كل شيء وارتفع فوقه فكأنه غلب كل شيء.

٢ـ العتو: هوالمبالغة في المكروه دون الطغيان، وكل مُبَالغٍ في كبرٍ أو كفرٍ أو فسادٍ فقد عتا فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾[مريم:٨] وقوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ أي مبالغة في الشدة، وقوله تعالى: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي أنَّ أهلها تكبروا على ربهم فلم يطيعوه.

٣ـ الجور: هو خلاف الاستقامة في الحكم، يقال: جار الحاكم إذا فارق الاستقامة، والجور هو العدول عن الحق.

٤ـ الظلم ضرر لا يستحقه صاحبه، ولا يعقبه عوض، سواء كان من سلطان أو حاكم أو غيرهما.

ونقيض الظلم الإنصاف، ونقيض الجور العدل.



﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وما المراد من هذه النفخة؟

الجواب :

١ـ المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة الأولى؛ لأنَّ عندها يحصل خراب العالم.

٢ـ قرىء (نفخة) بالنصب والرفع:

نفخةٌ: بالرفع، إعرابها: نائب فاعل وأسند الفعل لها وهو مصدر اسم مرة.

نفخةً: بالنصب، إعرابها: مفعول مطلق .

٣ـ ذُكر الفعل ﴿نُفِخَ﴾ للأسباب التالية:

أ ـ كلمة (نفخة) مؤنث مجازي يصح معه التذكير والتأنيث.

ب ـ حسُنَ تذكير الفعل للفصل بين الفعل والفاعل بفاصل.

ج ـ هذه المشاهد من مشاهد يوم القيامة وهو يوم شديد، والتذكير مع الشدة أولى.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في النمل٨٨: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، وفي طه١٠٥: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه:١٠٥]، وفي الحاقة١٤: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ فما أحوال الجبال في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠٥.



﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿أَرْجَآئِهَا﴾ ومفردها (رجا) ما الرجا؟ وما الكلمات القرآنية المرادفة لها؟

الجواب :

الرجـــا: وجمعها أرجاء، والرجا عكس الحرف بالمعنى فهو واسع يمكن الجلوس عليه أو تبني فيه.

* شواهد قرآنية:

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ﴾[الحاقة:١٧] فالملائكة حول العرش في غاية الراحة والسعة.

الحد:

هو الطرف الذي يميزه عن غيره، لكن لا يختلط بغيره كحد الأرض.

* شواهد قرآنية:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾[البقرة:٢٢٩].

الطرف:

بداية الشيء ونهايته ولا يمكن فصله عنه.

* شواهد قرآنية:

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾[طه:١٣٠].

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾[الأنبياء:٤٤].

الحرف:

هو طرف الشيء العالي المدبب، وهو حاد كالسكين يصعب الوقوف عليه، وإنْ وقفت يصعب التماسك وتتعرض للسقوط.

* شواهد قرآنية:

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[الحج:١١].

الحافـــة:

مانع يمنعك من السقوط على الطرف.



﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما المعنى العام للآية؟ وما معنى كلمة ﴿هَآؤُمُ﴾؟

الجواب :

١ـ المعنى العام للآية أنّ المؤمن عندما يأخذ كتابه باليمين، علم أنه من الناجين ومن الفائزين بالنعيم ـ جعلنا الله تعالى منهم ـ فإنه يكون قد بلغ الغاية في السرور، فأحب أنْ يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله. وقيل: إنه يقول ذلك لأهل بيته وقرابته.

لذلك قال العلماء: إنّ ﴿هَآؤُمُ﴾ تستعمل في لحظة الفرح الشديد.

٢ـ حرف الهاء صوتٌ يُصوت به فيفهم منه معنى(خذ)، لذلك تعتبر(هاء) بمعنى (خذ).

وفيه لغات وأجودها ما حكاه سيبويه حيث قال: العرب تقول:

هاءَ يارجل بفتح الهمزة، وهاءِ يا امرأة بكسرها، وهاؤما يارجلان أو امرأتان، وهاؤم يارجال، وهاؤن يانسوة.

٣ـ والضمة في همزة ﴿هَآؤُمُ﴾ إنما هي ضمة ميم الجمع؛ لأنّ الأصل فيه: هاؤموا، مثل: أنتموا، فأشبعوا الضمة وحكموا للاثنين بحكم الجمع؛ لأنّ الاثنين عندهم في حكم الجمع.

٤ـ وقيل: إنّ (هاؤم) بمعنى هاكم فأُبدلت الهمزة من الكاف. وقيل إنّ (هاؤم) بمعنى: هلموا.

٥ـ لفظة: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعول به، وقد يكون لـ: (هاؤم)، بمعنى خذوا كتابيه وقد يكون مفعولاً به للفعل: (اقرؤوا) أي اقرؤوا كتابيه.

وإذا اجتمع عاملان على معمول واحد فإعمال الأقرب جائز بالاتفاق وإعمال الأبعد جائز عند الكوفيين، أمّا البصريون فمنعوه.

٦ـ في آية الحاقة قال: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾: بفتح الياء.

وياء المتكلم يجوز فيها الفتح والسكون، تقول: كتابي و كتابيه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

في الآية ما يسمى (التنازع)، مادلالة هذه الكلمة؟

الجواب :

ورد عن العرب قولهم: (حضر واستمع خالد) و (أعظمت وكرمت علياً). وهذا يسمى باب التنازع؛ لأنّ العاملين يتنازعان معمولاً واحداً وإعمال الثاني هو الأولى عند الجمهور، وبه ورد القرآن الكريم: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴿٩٦﴾﴾ وقد يُعمل الأول.

وهذا الباب يقوم عمله على قاعدتين بحسب القصد والمعنى، وهما:

١ـ ما أعملته في الاسم الظاهر أهم عندك مما أعملته في الضمير؛ لأنّ الاسم الظاهر أقوى من الضمير.

٢ـ ما ذكرته وصرحت به أهم مما حذفته.

*** شواهد قرآنية:**

ـ ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ فإنّ الاهتمام بالإفراغ أكبر من الإيتاء؛ لأنّ القصد من الإيتاء بالقطر هو إفراغه فجعل (القطر) معمولاً للإفراغ، ولو جعله للأول لقال: (آتوني أفرغه عليه قطراً).

ـ ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ جعل الكتاب مفعولاً للقراءة ولم يجعله لاسم الفعل لأنّ القراءة على الكتاب أهم من مجرد المناولة.

ـ ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ في التصريح من البهجة ومن الفخامة ما لا يخفى على أحد.

ـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾[الإخلاص:١-٢] في التصريح من البهجة ومن الفخامة ما لا يخفى على أحد.

ولو تُرك فيه الإظهار إلى الإضمار فقيل: (وبالحق أنزلناه وبه نزل) و(قل هو الله أحد هو الصمد) لعدمت الذي أنت واجده الآن.

السؤال الثالث :

ما دلالة السكون على فواصل الآيات في كثير من آيات سورة الحاقة؟

الجواب :

وفي سورة الحاقة جاءت الفاصلة القرآنية: ﴿مَالِيَهْ﴾ - ﴿حِسَابِيَهْ﴾ - ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ - ﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ فلماذا جاءت الهاء؟

هذا الكلام يقال في يوم الحشر، وهو يوم - كما وصفه الله تعالى - ثقيل عسير عبوس قمطرير، والناس يبقون خمسين ألف سنة في هذه الشدة حتى يفزعون إلى الأنبياء. والهاء أشبه بالعُناة المتعبين فهي تصور المشهد الذي هم فيه من تعب وعناء، فاختارها الله تعالى لمراعاة الموقف الذي هم فيه كما اختار الألف في البكاء في سورة الأحزاب: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾- ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

إذن فاستخدام حرف (الهاء) في فواصل هذه السورة يدل على التعب والعناء والألم، و(الهاء) مأخوذة من الآه.



﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ورود الفعل (ظن) مع حرف المشبه بالفعل (إنّ)؟

الجواب :

في القرآن الكريم إذا قرن الظن بـ (أنَّ) أو (إنّ) أفاد اليقين.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية البقرة ٤٦ .

السؤال الثاني :

ما السبب في استخدام اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول وبالعكس في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ قسم من المفسرين يرون أحياناً أنّ اسم الفاعل يكون بمعنى اسم المفعول، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ⑥﴾ أي مدفوق، والمقصود فعل الدفق لا المني.

ـ ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى لا معصوم.

ـ ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ بمعنى مرضية، والمقصود صاحب العيشة لا العيشة.

ـ ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ④٥﴾ يعني ساتراً.

ـ ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ يعني حافظاً.

ومن الممكن أنْ تبقى المعاني والصيغ على صورتها الظاهرة ويبقى المعنى.

٢ـ المصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مثل كلمة (خَلْق) فقد تأتي بمعنى (مخلوق) أحياناً.

٣ـ في قوله تعالى في آية هود ٤٣ : ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ معنيان:

أ ـ لا عاصم إلا الراحم وهو الله، أي ليس هناك من ينجيه إلا الله.

ب ـ لا معصوم إلا الناجي.

ثم تأتي بقية الآية ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ④٣﴾ لا تمنع كلا التفسيرين.

وهذا ما يسمى من باب التوسع في المعنى. والله أعلم.

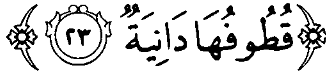
السؤال الثالث :

ما دلالة الفعل (ظن) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٩.





﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة التحصيل الزراعي؟

الجواب :

هذه هي كلمات منظومة التحصيل الزراعي:

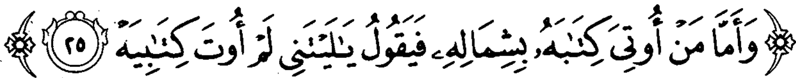
جنى: تستعمل للفواكه الموسمية ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾.

حصد: عندما يكون الزرع يابساً، وتستعمل لحصاد الخير ولحصاد الشر ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

خضد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾[الواقعة:٢٨].

قطف: كل ما حلو المذاق والمنظر. ويقال: قطف العنب والعسل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾.





﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية الانشقاق ١٠: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق:١٠]، وفي الحاقة ٢٥: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب :

قيل: تغل يداه إلى عنقه ويجعل شماله من وراء ظهره.

وقيل: يخرج شماله من صدره إلى ظهره فهو من شماله وراء ظهره.



﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) ﴾

السؤال الأول :

ما الكلمات التي لحقتها هاء السكت في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ الكلمات التي لحقتها هاء السكت في القرآن الكريم سبعة، وهي:

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ﴿اقْتَدِهْ﴾ ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ ﴿حِسَابِيَهْ﴾ ﴿مَالِيَهْ﴾ ﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ ﴿مَاهِيَهْ﴾

والقاعدة اللغوية العامة هي الوقف بالسكون، والعربي ينفر من الوقف على المقطع المتحرك المفتوح، لذلك يطيل نَفَسه بعد هذه الحركة بحيث تتولد هاء، فيكون ذلك أمارة على أنّ الحنجرة قد لفظت آخر أصواتها الكلامية، وتكون وظيفة هذه الهاء تبيين الحركة التي قبلها.

٢ـ وجملة القول في ذلك إنّ الغالب الشائع في اللغة العربية أن تلحق هاء السكت أصوات الحركات القصيرة عند الوقف، بشرط أنْ تكون جزءاً من بنية الكلمة ويحرص المتكلم على إظهارها، وعلى هذا لا تلحق هاء السكت حركات الإعراب.

السؤال الثاني :

ما دلالة ضمير الشأن في الآية ٢٧ ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾؟

الجواب :

من عادة العرب - ولغرض التفخيم - أنْ تقدم على الجملة ضميراً تفسره الجملة بعده، ويسمى ضمير الشأن، نحو: هو زيد منطلق. ويكون منفصلاً ومتصلاً مستتراً وبارزاً على حسب العوامل.

وهناك فرق في معنى الجمل التالية:

ـ قولك: زيد منطلق، هو إخبار لا غير.

ـ قولك: زيد هو منطلق، فيها معنى التخصيص.

ـ قولك: هو زيد منطلق، فيها معنى التفخيم والتعظيم.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾.

ـ ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾.

ـ ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾.

ونلاحظ أنّ لضمير الشأن - إضافة إلى معنى التفخيم والتعظيم - مهمة أخرى، وهي إدخال الحروف المشبهة بالفعل على الجمل الفعلية، ولولا (هو) ما أمكن ذلك.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الإمساك والسيطرة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.



﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بصيغة ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٧٥.

السؤال الثاني :

ما دلالة البدء بالقسم بالأقرب ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ثم الأبعد ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ؟

الجواب :

ما تبصر أقرب مما لا تبصر. فبدأ بالأقرب. والله أعلم.

انظر المزيد في آية الحاقة ٤.

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ يعني يؤمنون بالقليل بأنّ القرآن من عند الله. والمعنى أنهم لا يؤمنون أصلاً. والعرب تقول: فلان قلما يأتينا، ويريدون لا يأتينا.

وقد يُراد أنهم قد يؤمنون في قلوبهم لحظات ثم يرجعون عنه سريعاً ولا يتمون الاستدلال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)﴾ إلى أن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)﴾

٢ـ في نفي الشاعرية: قال: ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١)﴾ أي أنكم لا تريدون الإيمان ولو أردتموه لعلمتم كذب قولكم إنه شاعر، لمفارقة هذا التركيب ضروب الشعر.

٣ـ في نفي الكاهنية: قال: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ لأنه ورد في القرآن ذم الشياطين وشتمها، فلا يمكن أنْ يكون ذلك من إلهام الشياطين، فلو كنتم تتذكرون هذا لعلمتم أنّ القرآن من عند الله.



﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) ﴾

السؤال الأول:

جاءت ﴿أَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة في آيتي المزمل ٢٠ والحاقة٤٩، وجاءت بالكسر ﴿إِنَّ﴾ في آيتي التوبة٤٢ والمنافقون١ فلماذا؟

الجواب :

القاعدة أنّ فعل ﴿عَلِمَ﴾ تأتي بعده (أنّ) مفتوحة الهمزة، لكن إنْ جاءت في الجملة اللام المزحلقة تكسر.

*** شواهد قرآنية:**

- ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ بفتح الهمزة.

- ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بكسر الهمزة لوجود اللام.

- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ بكسر الهمزة لوجود اللام.

- ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ بكسر الهمزة لوجود اللام.

والله أعلم.

رابعاً : التناسب بين مفتتح السورة وآخرها :

ذكر الحاقة في أول السورة، وذكر طرفا من عقوبة المكذبين بها في الدنيا، فذكر ثمود وعادًا فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: ٤ – ٦]. .

ثم ذكر جزاء المؤمنين بها والمكذبين بها في الآخرة فقال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ ١٩ ـ ٢٤.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ وذلك إلى أواخر السورة.

ثم ذكر في خاتمتها المؤمنين والمكذبين فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الحاقة: ٤٨ – ٤٩].

وذكر أنّ عاقبة المكذبين هي الحسرة فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الحاقة:٥٠] ثم أمره بتسبيح ربه في كل ما يفعل ومن ذلك ما يجازي به عباده فقال: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢﴾ [الحاقة:٥٢].

والله أعلم.



سورة المعارج

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الحاقة ومفتتح سورة المعارج :

ذكر في الحاقة يوم القيامة ابتداء من قوله:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة:١٣]. إلى أواخرها.

ثم قال في آخرها:

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الحاقة:٤٩-٥٠].

وذكر في أول المعارج يوم القيامة فقال:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعارج: ٤ - ٩]. . . .

ويستمر في ذكر أحداث ذلك اليوم.

جاء في (روح المعاني): ((هي كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف القيامة والنار)). والله أعلم.

ثانياً : هدف السورة : صفات المؤمنين.

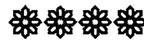
كما تحدثت سورة القلم عن أخلاق الدعاة، تتناول سورة المعارج الجانب الآخر من صفات الدعاة وهو العبادة، حتى يجمع الدعاة بين الأخلاق والعبادة ولا يفرطوا بأحدهما على حساب الآخر، فتأتي آيات رائعة في وصف المصلين: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ

هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

والملاحظ أنّ هذه الصفات هي نفسها التي وردت في سورة المؤمنون وكأنّ المعنى: أين أنت أيها الداعية من المؤمنين؟ هل قويت إيمانك وعبادتك قبل أن تدعو الناس إلى الله؟

لكن بالمقابل إياك أنْ تفهم من هذه السورة أنك لا تقدر أنْ تدعو إلى الله إلا بعد اكتمال الإيمان. لذلك يقول ابن تيمية رحمه الله كلمة جميلة في هذه المسألة " لا يقولن أحدكم لا أدعو حتى يكتمل إيماني، فإنه بين أمرين فإما أنْ يأتي يوم ويقول قد اكتمل إيماني فقد ضل، وإمّا أنْ يموت ولم يكتمل إيمانه. ."

فما الحل؟ اسمع قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] الحل هو أنْ تدعو إلى الله وتحسن أخلاقك وتزيد من إيمانك. وكل هذا لا يتعارض مع الدعوة والأخذ بيد الناس، لأنهما يعينانك أصلاً على العبادة والخلق الحسن.



ثالثاً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اللام في قوله تعالى: ﴿ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾؟

الجواب :

١ـ ورد في القرآن (وقع على) في ستة مواضع؛ لأنّ الوقوع هو سقوط من أعلى.

كما ورد (واقع بهم) فاستعمل الباء، وهنا استعمل اللام ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولكلٍّ استعماله البياني.

٢ـ في سبب النزول أنّ أحد الكفار وكان عنده نوع من العنجهية والمجابهة طلب عذاباً كنوع من التحدي، ويقال في الروايات أنه رُمي بصاعقة وهو خارج.

٣ـ الباء في ﴿بِعَذَابٍ﴾ هي للتوكيد ولم يقل (سيقع) بينما ﴿وَاقِعٍ﴾ أي لا محالة واقع في الدنيا أو في الآخرة.

والباء لها معان كثيرة، وذكر لها ابن هشام اثني عشر معنى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ اللام قد تكون للملك أو للتخصيص أو للغاية كأنّ غاية العذاب أن ينتهي إليهم.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ في آية الطور ٨، و ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ في آية المعارج ٢؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ معناه: لا شيء سيمنع هذا العذاب والصيغة جاءت بالجملة الاسمية، وهي أقوى وتدل على الثبات، وجاء بـ (من) التبعيضية للدلالة على التأكيد، أي حتى جزء من العذاب ما له دافع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ أي لا يوجد شيء يمنع هذا العذاب والصيغة هنا بالجملة الفعلية، وهي أقل توكيداً من الجملة الاسمية.

٣ـ سبب الاختيار أنّ سورة الطور بدأت بالقسم بعدة أمور وهي كلها تفيد التوكيد، ثم أكّد في الآية السابعة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [الطور:٧] بإنّ المشددة واللام.

فالجو جو تأكيد، فجاء بالصيغة الاسمية.

أمّا آية المعارج فالسياق ليس فيه هذه التأكيدات، وليس فيها قسم بل سؤال ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ فجاء بالصيغة الفعلية.

والله أعلم.



﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة المعارج؟ وما الفرق بين العروج والصعود؟

الجواب :

المعارج: جمع معرج وهو المصعد، ومنه قوله تعالى في آية الزخرف٣٣ ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ والفعل هو: (عرج) ورجل أعرج في مشيه، وبناء فيه عرج أي ميل.

والمفسرون ذكروا في (المعارج) وجوهاً:

١ـ هي مصاعد الملائكة التي تصعد فيها وتعرج فيها بالأوامر والنواهي.

٢ـ هي تشبه الدرج الذي لا انتهاء له أصلاً، وسميت بذلك لأنّ الصاعد في الدرج يشبه مشية الأعرج.

٣ـ المصاعد في الدنيا تكون شاقولية بشكل كامل ولا يمكن أنْ يكون فيها أي ميل، وحيث إنّ المعارج هي مصاعد لا حد لانتهاء علوها، فلربما يكون في مسارها شكل من أشكال الميل أو الانحناء؛ لأنّ معنى (عرّج البناء أي ميّله). و لذلك كلمة المعارج التي تحتمل لغة أنْ يكون فيها ميل أي أنّ مسارها فيه انحناء يتناسب مع نظرية كروية الكون.

٤ ـ كما أنّ آية الحجر ١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ فيها كلمة: ﴿يَعْرُجُونَ﴾ أي السير بشكل متعرج، و قد جاء العلم ليؤكد أنه لا يمكن الحركة في الكون في خط مستقيم أبداً، وإنما في خط منحن. والله أعلم.



﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اجتماع (الروح والملائكة) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ في القرآن الكريم وعند اجتماع (الروح والملائكة) في نفس الآية أحياناً يقدم الملائكة على الروح، كما في آيات المعارج ٤ والقدر ٤ وأحياناً يقدم الروح على الملائكة كما في آية النبأ ٣٨.

٢ـ والخط العام أنه يقدّم الملائكة في الحركة، كما في آيات المعارج والقدر ﴿تَعْرُجُ﴾ ﴿تَنَزَّلُ﴾.

٣ـ بينما إذا كانت الحركة قليلة يقدم الروح، كما في آية النبأ ٣٨ حيث قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ ففي ذلك دلالة على قلة الحركة آنذاك، وقال: ﴿يَقُومُ﴾ وهي أقل حركة من العروج والنزول.

٤ـ الروح هو جبريل عليه السلام أو خلق من خلق الله. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة يوم في آية المعارج ٤ والسجدة ٥؟

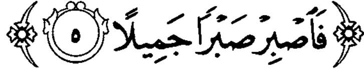
الجواب :

١ـ اليوم في آية المعارج هو يوم القيامة، ومقداره - كما هو في الآية - خمسون ألف سنة حسب ما جاء في كتب التفسير وفي الحديث الصحيح وهذا اليوم يُخفف على المؤمن حتى يكون بمقدار صلاة مكتوبة.

٢ـ أمّا اليوم في آية السجدة فهذا قياس على يوم الدنيا، وهو ليس يوم القيامة.

٣ـ الزمن آية من آيات الله وربما فيه سر الخلود، ونحن نعلم أنّ اليوم على الأرض ليس كاليوم على الكواكب الأخرى، فلماذا نستغرب من طول يوم القيامة؟! والله أعلم.





السؤال الأول :

ما الصبر الجميل؟

الجواب :

الهجر الجميل: هو هجر بلا أذى.

الصفح الجميل: هو صفح بلا معاتبة.

الصبر الجميل: هو صبر بغير شكوى إلى المخلوق.





السؤال الأول :

ما الفرق بين العلم والرؤية؟

الجواب :

١ـ الرؤية لا تكون إلا لموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم، وكل رؤية هي لمحدود أو قائم في محدود.

٢ـ الرؤية في اللغة على ثلاثة أوجة:

أ ـ العلم: وهو قوله تعالى: ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي نعلمه متى هو بالتحديد وكل آت قريب.

ب ـ الظن: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾ أي يظنونه ولا يكون ذلك بمعنى العلم ؛ لأنه لا يجوز أنْ يكونوا عالمين بأنه بعيد وهو قريب في علم الله، واستعمال الرؤية في الوجهين السابقين مجاز.

ج ـ رؤية العين: وهي حقيقة.



﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾

السؤال الأول :

لماذا زاد كلمة ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾ في آية القارعة ٥ على ما في آية سورة المعارج٩؟ وما سبب ذلك؟

الجواب :

١ ـ ذكر كلمة القارعة في أول السورة، والقارعة من القرع، وهو الضرب بالعصا، فناسب ذلك النفش للصوف.

٢ ـ ذكر في القارعة ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ فكرّر ذكرها وعظمها وهولها، فناسب هذا التعظيم والتهويل أنْ يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش.

أمّا في سورة المعارج فلم يذكر إلا طول يوم القيامة، وأنه تعرج الملائكة والروح فيه ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [المعارج: ٤-٧].

لذلك كون الجبال كالعهن المنفوش أعظم من أن تكون كالعهن من غير نفش.

٣ ـ التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها بخلاف الإجمال في سورة المعارج.

٤ ـ مناسبة الفواصل القرآنية.

٥ ـ انظر الجدول التالي:

سورة القارعة	سورة المعارج
﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾	﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾
﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾	﴿كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾

النار الحامية تذيب الجبال وتجعلها كالعهن المنفوش، وذلك من شدة الحرارة، وأمّا الحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان فهي أقل من التي تذيب الجبال وتجعلها كالعهن المنفوش.

فناسب زيادة ﴿ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ في القارعة من كل ناحية، فقد جمعت السورة ذكر الصوف المنفوش وذكر النار الحامية، فناسب أول السورة آخرها.

السؤال الثاني:

ما أحوال الجبال في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠٥.



﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ
وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة صيغة ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ في آية المعارج ١١؟

الجواب :

١ـ بصُر: فعل لازم، وأبصر: فعل متعدي.

٢ـ بصّره: معناه: (أراه يتعدى لمفعولين)، يُقال: بصّرته زيداً أي أريته إياه.

السؤال الثاني :

لماذا لم يذكر الوالدين بالفدية؟

الجواب :

لأنّ هذا يُغضب الله تعالى الذي سوف يعذبه، فهو يحاول أنْ يفتدي من عذاب الله لا أنْ يزيد عذاب الله وغضبه عليه.

والسبب في ذلك أنّ الله تعالى أمر بطاعة الوالدين والإحسان إليهما لا بتقديمهما فدية بدلاً عن المجرم إلى النار.

وهذا من عظيم منزلة الوالدين عند الله تعالى.

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمة ﴿صَٰحِبَةً﴾؟ وهل كل امرأة تعد صاحبة؟

الجواب :

١ـ الصاحبة هي الزوجة التي صاحبت زوجها فترة بحيث حصل منها ولد، أمّا الزوجة فهي زوجة بمجرد العقد حتى لو لم يدخل بها.

أي أنّ الزوجة قد تكون صاحبة وقد لا تكون، وقد تكون منجبة وقد لا تكون.

٢ـ وردت كلمة ﴿صَٰحِبَةً﴾ في القرآن في أربعة مواضع، وكلها يذكر معها الولد، ولم تأتِ في القرآن الكريم إلا مصاحبة للولد.

٣ـ الزوج ومقلوبه (الجوز) هو أحد شيئين أو أحد النظيرين، والجوزة تتكون من فلقتين، وهاتان الفلقتان تشكلان زوجاً.

٤ـ وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (زوج) للمفرد الذي معه نظير،كما في آية الأنعام ١٤٣ حيث ذكر فيها أربعة أجناس وقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾.

٥ـ كما استعمل كلمة (زوج) للمذكر والمؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ و ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

بدأ في سورة (عبس) بذكر الأخ فالأم فالأب ثم الأبناء، وفي سورة المعارج على عكس ذلك بدأ بالأبناء ثم انتهى بأهل الأرض، فلماذا؟

الجواب :

١ـ المقام في سورة عبس مقام الفرار والهروب، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ﴾ والإنسان يفر من الأباعد أولاً ثم ينتهي بألصق الناس به.

والأخ هو أبعد المذكورين في الآية من المرء، أمّا ألصقهم به فهم زوجه وأبناؤه. ونحن في الحياة ملتصقون بأزواجنا وأبنائنا أكثر من التصاقنا بإخواننا وآبائنا، وقد تمر فترة ونحن لا نرى إخواننا، بينما نأوي كل يوم إلى أزواجنا وأبنائنا.

والإنسان قد يترك أمه وأباه ليعيش مع زوجه وأبنائه، وهو ألصق بأبنائه من زوجه، فقد يفارق زوجه ويسرحها ولكنْ لا يترك ابنه، والأبناء هم آخر من يفر المرء منهم ويهرب.

٢ـ وهكذا رتب الله المذكورين في الآية بحسب العلائق فأقواهم به علاقة هو آخر من يفر منه، فبدأ بالأخ ثم الأم ثم الأب.

وقدّم الأم على الأب؛ لأنه أقدر على النصرة والمعاونة من الأم، وهو أقدر منها على الإعانة في الرأي والمشورة، وأقدر على النفع والدفع؛ لأنّ الأم عادة ضعيفة تحتاج إلى الإعانة بخلاف الأب، والإنسان في موقف الفرار أكثر حاجة للأب؛ لذلك قدّم الفرار من الأم على الفرار من الأب.

وقدّم الفرار من الأب على الفرار من الزوجة لمكانة الزوجة من قلب الرجل وشدة علاقته بها، فهي حافظة سره وشريكته في حياته.

ثم ذكر الفرار من الأبناء في آخر المطاف؛ ذلك لأنه ألصق بهم وهم راجون نصرته ودفع السوء عنه أكثر من كل المذكورين.

هذا هو السياق في (عبس) سياق الفرار من المعارف والعلائق للخلو إلى النفس، فإن لكل امرىء شأناً يشغله وهماً يغنيه.

٣ـ أمّا السياق في سورة المعارج فهو مختلف؛ ذلك أنه مشهد من مشاهد العذاب الذي لا يطاق، فقد جيء بالمجرم ليقذف به في الجحيم المستعر وهذا المجرم يود النجاة بكل سبيل، ولو أدى ذلك أنْ يبدأ بابنه فيضعه في دركات لظى، فرتّب المذكورين ترتيباً آخر يقتضيه السياق، وهو البدء بالأقرب إلى القلب والأعلق بالنفس فيفتدي به فضلاً عن الآخرين.

٤ـ في آيات المعارج ذَكَرَ ﴿ٱلْمُجْرِمُ﴾ فهو ليس شخصاً عادياً، والمجرم مستعدٌّ لفعل أي شيء لينجو، ولو أنْ يبدأ بأقرب المقربين إليه فيضعه في السعير وهو لا يهمه أنْ يفتدي بأهل الأرض كلهم.

٥ـ ذكر الله تعالى بعد هذه الآيات من سورة المعارج قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ فلمّا أدرك المجرم العقاب معاينة أدركه الهلع والجزع، ومن مظاهر هذا الهلع أنه بدأ بفدية نفسه بأقرب الناس إليه، ولكن هيهات.

٦ـ إنّ هذا التصرف من المجرم يدل على أنّ العذاب فوق التصور وهوله أبعد من الخيال، بحيث جعله يبعد عن أية مساومة في ذلك، فبدأ بالأبناء فالزوجة فالأخ

فالفصيلة، وهم رهطه الأقربون وفيهم الأبوان، ثم انتهى بأهل الأرض أجمعين فلا يبقى أحد غيره.

٧ـ في سورة (عبس) استعمل لفظة ﴿ٱلْمَرْءُ﴾ في حين قال قبلها: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[عبس:١٧].

ولفظة (المرء) تطلق على الرجل، وقد تؤنث فيقال (امرأة) وجمع المرء: الرجال، من غير لفظه، وقد تطلق على الإنسان أيضاً.

واختيار لفظة (المرء) هنا أوفق من لفظة (الإنسان)؛ ذلك أنه ذكر الفرار من (الزوجة) وكلمة (الإنسان) تشمل الذكر والأنثى في حين أنّ الفار من الصاحبة هو الرجل.

٨ـ أنّ كلمة (المرء) أي الرجل هو عام يشمل رجال الإنس والجن قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[الجن:٦]

٩ـ كلمة (المرء) قد تستعمل للرجل خاصة فتكون أخص من كلمة (الإنسان) التي تشمل عموم البشر من الذكور والإناث.

وقد تستعمل لغير الإنسان ـ أي للجن ـ الذين يشملهم الفرار في الآخرة فتكون أعم بهذا المعنى، في حين أنّ المعنيّ بآيات سورة عبس هو الإنسان فقط، لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾[عبس: ٢٤ – ٢٥].. وهذا خاص بالإنسان.

١٠ـ كلمة (مرء) تشمل الصغار والكبار، فهي أعم من كلمة (رجل) التي تشمل الكبار فقط.

لهذا كان اختيار كلمة (مرء) بدل (إنسان) و (رجل) لاعتبارات متعددة، فكلمة (المرء) تعني الإنسان، وتعني الرجل من الإنس والجن ولا تخص الكبار، بل تشمل الكبار والصغار.

١١ـ سورة (عبس) بدأت بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ والتولي هو من أنواع الفرار من الشيء، والعبوس أيضاً نوع من الفرار النفسي.

وكذلك (التلهي) في قوله تعالى في نفس السورة: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس:١٠] هو نوع من الفرار بصورة ما.

لذلك وضعُ مشهد الفرار الأكبر في الآخرة في (عبس) مناسب لجو السورة.

ووضعُ مشهد العذاب الأكبر في سورة المعارجَ بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ ومشهد تمني الفدية من العذاب الأكبرمناسب لبداية السورة التي بدأت بالعذاب ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾.

فما أحسن هذا التناسب والاختيار في الموطنين.والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة كلمة ﴿يُنجِيهِ ۝١٤﴾ في الآية ١٤؟

الجواب :

معنى الآية أنّ المجرم يود لو يفتدي بكل شيء على أنْ لا يدخل لظى ولا يذوقها لهولها، فإنه لا يحتمل ورودها فكيف أنْ يصلاها؟ !! فاستعمل ﴿يُنجِيهِ﴾ وهو مضارع (أنجى) للدلالة على سرعة طلب الإنجاء.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النداء والصوت؟

الجواب:

١ـ النداء هو رفع الصوت بما له معنى، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، وفي القرآن: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي يأخذه العذابُ كأنه يدعوه إليه.

٢ـ الصوت عام في كل شيء.



﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الهلع والرهبة والخشية والخوف؟

الجواب:

١ـ الخوف: يتعلق بالمكروه وبترك المكروه. وتقول: خفت المرض وكما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠] وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾[الرعد:٢١] وهو خلاف الطمأنينة.

٢ـ الخشية: تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية؛ ولهذا قال الله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾[الرعد:٢١].

فإنْ قيل أليس قد قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه:٩٤] قلنا أنه خشي القول المؤدي إلى الفرقة، والمؤدي إلى الفرقة بمنزلة من يفعله.

٣ـ الرهبة: هي طول الخوف واستمراره، وسمي الراهب راهباً؛ لأنه يطيل الخوف.

٤ـ الفزع: هو مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هد.



﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في المعارج٢٤: ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ وفي الذاريات١٩: ﴿حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ بدون لفظة (معلوم)، فما السبب؟

الجواب:

١ـ المراد بآية المعارج: الزكاة لتقدم ذكر الصلاة؛ لأنها معلومة مقدرة.

٢ـ المراد بآية الذاريات: الصدقات النوافل لقرينة تقدم النوافل.



﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله ثلاث صفات للمؤمنين في سورة المعارج في الآيات [٢٦ـ٢٧ـ٣٣] ولم تذكر في سورة المؤمنون الآيات [٢: ٩] فما دلالة ذلك؟

الجواب :

لمّا تقدم في هذه السورة ذكر النقائص الثلاثة في الإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[المعارج:١٩-٢٠-٢١] ناسب ذلك جبر المؤمنين بذكرٍ لأوصافهم الثلاثة الجميلة حين استثناهم من عموم الإنسان، فذكر وصفين في الآيتين [٢٦ـ٢٧].

وأما الوصف الثالث فإنه لمّا تقدم في آية المعارج ٣٢ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ وتحمُّل الشهادة هومن جملة الأمانة، فناسب ذكر الشهادة بعد الأمانة في الآية ٣٣: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وهذا هو الوصف الثالث، والله أعلم.



﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمتي (قيام) و (قائمون) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة ﴿قِيَامٌ﴾ في القرآن الكريم في أربعة مواطن كلها بمعنى القيام الحقيقي كما في آيات [آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣ـ الفرقان ٦٤ـ الزمر ٦٨].

٢ـ ووردت كلمة ﴿قَآئِمُونَ﴾ في موطنين فقط بمعنى القيام بالأمر والعكوف كما في الآيات [المعارج ٣٣ـ الحج ٢٦] حيث القائمون فيها بمعنى العاكفين بدلالة قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[البقرة:١٢٥].

السؤال الثاني :

ذكر الله ثلاث صفات للمؤمنين في سورة المعارج في الآيات [٢٦_٢٧_٣٣] ولم تذكر في سورة المؤمنون الآيات [٢: ٩] فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المعارج ٢٦.



﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بصيغة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٧٥.



﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين القبر والجدث؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.

رابعاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

قال سبحانه في أول السورة:

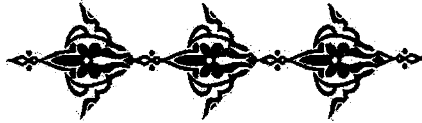
﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾﴾.

ويمضي في تصوير ذلك اليوم وهو يوم القيامة.

وختم السورة بذكر ذلك اليوم فقال:

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

والله أعلم.





أولاً : التناسب بين خاتمة سورة المعارج ومفتتح سورة نوح :

١ ـ قال في أواخر المعارج:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[المعارج:٤٢].

وذكر في أول سورة نوح قوم نوح الذين كانوا يخوضون ويلعبون ويستهزئون وذكر عاقبتهم إلى أنْ قال:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾[نوح:٢٥].

٢ ـ قال في أواخر المعارج:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المعارج:٤٠-٤١].

وضرب لنا مثلا بقوم نوح الذين أهلكهم وأبدل خيرًا منهم.

جاء في (البحر المحيط): (لمّا أقسم على أنْ يبدل خيرًا منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين وكذبوا بها وعدوا به من العذاب ذكر قصة نوح وقومه وكانوا أشد تمردًا من المشركين، فأخذهم الله أخذ استئصال حتى إنه لم يبق لهم نسلاً على وجه الأرض. . . فحذر تعالى قريشاً أنْ يصيبهم عذاب يستأصلهم إنْ لم يؤمنوا).

وجاء في (روح المعاني): ((لمّا قال في سورة المعارج: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عقّب تعالى بقصة قوم نوح عليه السلام المشتملة على إغراقهم عن آخرهم بحيث لم يبق

منهم في الأرض ديار، وبدّل خيرًا منهم فوقعت موقع الاستدلال والاستظهار لتلك الدعوى)).

والله أعلم.

ثانياً : هدف السورة : نموذج الداعية من الإنس.

تبدا السورة بالتكليف الرباني لهذا الداعية العظيم: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نوح:١]. ثم تنقلنا بعد ذلك إلى عرض تقرير بحياة سيدنا نوح الدعوية.

تفاني الداعية:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ [نوح:٥]. لماذا ذكر الليل؟ وهل هناك أحد يدعو ليلاً؟

إنّ هذه الآية تدل على أنه عليه السلام كان يصل الليل بالنهار في الدعوة إلى الله دون ملل، لكنّ تكذيبهم كان شديداً: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح:٦]. ومع ذلك لم يتوقف في الدعوة: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾. و(كلما) تفيد المداومة: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾.

واستمر في إصراره الشديد على تبليغ الدعوة: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾. فكأنه يقول: لقد جربت كل الوسائل الممكنة ومع ذلك: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾. قيل (ستون شخصاً) أي بمعدل شخص يؤمن معه كل خمس

عشرة سنة. ... تخيل هذا التكذيب الشديد من قومه. .. وهذا الإصرار والتفاني على الدعوة من قبل نوح عليه السلام!!

فن الدعوة:

١ـ يبشرهم أنّ استجابتهم لأوامر الله ستكون خيراً لهم في الدنيا قبل الآخرة، فكأنه يقول لهم: استغفروا ربكم حتى تتحسن دنياكم وتزدهر: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.

٢ـ بيان قدرة الله في الكون: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾.

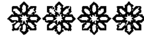
٣ـ تذكرة بالموت واليوم الآخر: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

سبب الهلاك:

ويوضح سيدنا نوح عليه السلام في تقريره سبب تكذيب قومه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾. فالمشكلة واحدة، وهي الانشغال بالأموال والأولاد كما هو مذكور سابقاً في سورة التغابن.

وتختم السورة بدعاء، حتى تعلمنا أنّ الداعية إلى الله لا بدّ أن يقرن جهوده الشخصية وأخذه بالأسباب بالدعاء إلى الله؛ لأنّ الهداية من عنده تعالى فقط: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

سورة رائعة وتقرير مهم لكل الدعاة إلى الله ليستخلصوا منها الدروس والعبر المفيدة.



ثالثاً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾

السؤال الأول :

ما اللطائف العددية في سورة نوح عليه السلام؟

الجواب :

١ـ ترتيب سورة نوح في المصحف (٧١) وعدد آياتها (٢٨) آية، وعدد حروفها (٩٥٣).

وتكرر حرف الحاء في السورة كلها (٣) مرات مع لفظة (نوح) فقط.

٢ـ تكرر اسم (نوح) في القرآن غير منسوب إلى قومه (٢٨) مرة.

٣ـ عدد السور التي ذكر فيها لفظة (نوح) ٢٨ سورة.

٤ـ تكرراسم (نوح) عليه السلام في سورة نوح ثلاث مرات.

٥ـ حاصل ضرب العدد(٣) في جمّل (نوح) يساوي ٣×٦٤=١٩٢ وهو ترتيب كلمة نوح الثالثة في سورة نوح.

٦ـ سورة نوح وترتيبها (٧١) هي آخر سورة ذكر فيها اسم نوح، ولم يذكر بعدها في باقي السور من القرآن والتي تبلغ (١١٤ـ٧١) =٤٣ سورة.

ونلاحظ أنّ ترتيب السورة ناقصاً منها عدد آياتها هو: (٧١-٢٨) =٤٣ وهو نفس العدد الذي وصلنا إليه آنفاً.

٧ـ لبث نوح عليه السلام في قومه (٩٥٠) سنة، وحرف الحاء تكرر في السورة (٣) مرات مع لفظة نوح فقط.

ونلاحظ أن (٩٥٣) وهو عدد الأحرف للسورة ناقصاً (٣) وهو عدد أحرف الحاء في السورة يساوي المدة التي لبث فيها نوح عليه السلام في قومه. والله أعلم.



﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ﴾ فالأول مجوز للتأخير والثاني يمنع منه، فكيف ذلك؟

الجواب :

قيل الأول: أجل الموت إلى كل واحد، والثاني أجلهم جميعاً بالاستئصال.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ و ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ؟

الجواب :

١ـ ﴿مِّن﴾ تبعيضية، أي بعض الذنوب، وبدونها يغفر لكم الذنوب جميعاً.

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته.

أمّا التعبير ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون ﴿مِّن﴾ ثلاث مرات في القرآن في الآيات [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

وورد التعبير مع وجود ﴿مِّن﴾ ثلاث مرات أيضاً في الآيات [إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤].

والله أعلم.



﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟﴾ ما كلمات منظومة المنع من الوصول؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ١٢.



﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الإعلام العلني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٤٨.



﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ و (السماوات)؟

الجواب :

السماء أعم من السماوات؛ وذلك أنّ "السماء" في القرآن تستعمل على معنيين، فهي:

أ ـ إمّا أنْ تكون واحدة في السماوات، كآية الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾[المُلك:٥] وآية الحجر رقم ١٤: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الحِجر:١٤].

ب ـ وإمّا أنْ تكون لكل ما علاك فتشمل السماوات وغيرها كالسحاب والمطر والجو والسقف، نحو قوله تعالى في الآيات التالية:

ـ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[نوح:١١] السماء بمعنى المطر.

ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[الرعد:١٧] السماء بمعنى السحاب.

ـ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥] السماء بمعنى الجو، وفي ذلك إعجاز علمي؛ لأنّ المرتفع في الجو يضيق صدره لانخفاض الضغط الجوي.

ـ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:١٥] السماء بمعنى السقف وفي الآية إعجاز لأنه إخبار عن المستقبل بأنّ محمداً ﷺ منتصر لا محالة، وقد تحقق ذلك.

- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩].

فلا شك أنّ السماء بالمعنى الثاني أعم وأشمل من السماوات؛ لأنها تشمل السماوات وغيرها مما علا وارتفع.



﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين التوقير والوقاروالسكينة؟

الجواب:

١ـ الوَقار بالفتح: هوالحِلم والرزانة والهدوء وقلة الحركة في المجلس كقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وتقع أيضاً على مفارقة الطيش عند الغضب ولا تجوز الصفة به على الله تعالى.

٢ـ التوقير: يستعمل في معنى التعظيم، وقد أقيم الوقار في موضع التوقير في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ أي تعظيماً وقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾.

٣ـ الله تعالى لا يوصف بالوقار، ويوصف العباد بأنهم يوقرونه أي يعظمونه. ولا يقال: إنه وقور، بمعنى عظيم؛ لأنّ الصفة بالوقور ترجع إليه إذا وُصف بها، وهي غير لائقة؛ لأنّ الوقار مما تتغير به الهيبة والصفة بالتوقير ترجع إلى من توقره.

٤ـ السكينة: هي مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، ويُضاف إلى القلب، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيكون هيبة وغير هيبة. والوقار لا يكون إلا هيبة.



﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله في الآية: ﴿نَبَاتًا﴾ ولم يقل إنباتاً؟

الجواب :

جاز أنْ يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتاً فنبتم نباتاً، فحذف من الجملة الأولى المصدر، ومن الثانية الفعل اكتفاء بما ذكر في الأخرى على أنه من الاحتباك.

ونظير ذلك قوله تعالى في آية النبأ ٢٨: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ ولم يقل كذباً.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ ؟

الجواب :

حين يحين حلول نفس كلّ واحد من بني آدم في جسده المادي، أي حين دخول نفسه عالم المادة والمكان والزمان، فإنّ هذا الجسد ينبت وينمو على مجموعة عناصر مادية كلها

من الأرض، فالإنبات الحسن لجسد مريم عليها السلام كان بسبب الرزق الطاهر الحلال الذي كان يأتيها من عند الله تعالى.

وكذلك الصورة القرآنية في آية نوح عليه السلام ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ يُقصد بها تغذية أجساد جميع البشر على مواد جميعها من الأرض لذلك جاءت كلمة(أنبت ونباتاً) متناسبة مع تغذية الجسد من مواد الأرض. والله أعلم.



﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾

السؤال الأول :

قدّم الفجاج على السبل في آية الأنبياء ٣١، وأخرّها عنها في آية نوح عليه السلام رقم ٢٠ فلماذا؟

الجواب :

ذلك أنّ الفج في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلمّا تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال قدّم الفجاج لذلك، بخلاف آية نوح فإنه لم يرد فيها ذكر للجبال فأخّرها.

والله أعلم.

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا ذُكرت بعض الأصنام باستخدام ﴿لَا﴾ النافية وبعضها بدونها؟

الجواب :

ذُكرت في سورة نوح خمسة معبودات أو خمسة أصنام اتصلت لا النافية بثلاثة منها ولم تتصل بالباقي، وهذا شيء لافت للنظر؛ والسبب أنك عندما تنظر في الكتب التي تحدثت عن هذه الأصنام تجد:

أ ـ ود: كان على صورة رجل.

ب ـ سواع: على صورة امرأة، فقال ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الرجل والمرأة.

ج ـ يغوث: على صورة أسد.

د ـ يعوق: على صورة فرس.

هـ ـ نسر: على صورة نسر.

أي أنّ الثلاثة الأخيرة على صورة حيوانات؛ لذلك كأنها أعطوا أهمية لما هو على صورة البشر، وجمعوا الأخرى بنفي واحد يفيد درجة أدنى لأنها حيوانات.

والله أعلم.

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه التخصيص في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾ في الآية ٢٤ وقوله: ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ في الآية ٢٨؟

الجواب:

١ـ لمّا قال في الأولى رقم ٢٤: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ﴾ ناسب قوله: ﴿إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾.

ولمّا قال في آخر السورة: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ وهو دعاء بالهلاك ناسب قوله: ﴿إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

٢ـ وقد دعا نوح عليه السلام بزيادة الضلال ولم يدع بالهداية مع أنه نبي لأنه تحقق عدم إيمانهم بقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود:٣٦] فكان دعاؤه بذلك عند يأسه منهم.

وكذلك موسى عليه السلام دعا على فرعون وملئه كما جاء في الآية ٨٨ من سورة يونس بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس:٨٨].

ولعلّه دعا عليهم بعد أنْ أعلمه الله تعالى بعدم إيمانهم.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ القصر متأت من التقديم ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾.

٢ـ المعنى أنّ إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار لم يكن إلا بسبب خطيئاتهم.

٣ـ أكّد هذا المعنى بزيادة (ما) بعد حرف الجر (من).

٤ـ القاعدة النحوية: تزاد (ما) غير الكافة بعد طائفة من الحروف وذلك بعد [من ـ عن ـ رب ـ والباء والكاف]، وتكون (ما) هنا مؤكدة.

* شواهد قرآنية:

﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[المؤمنون:٤٠].

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ﴾[المائدة:١٣].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[نوح:٢٥].

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في الحديث أنّ المولود يولد على الفطرة، فكيف الجمع مع آية نوح ٢٨؟

الجواب :

هذا يسمونه في البلاغة المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، هم خُلُقوا على الفطرة، ولكنْ هم باعتبار ما سيكونون عليه في المستقبل سيكونون كفاراً. والله أوحى إليه في سورة هود الآية ٣٦ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[هود:٣٦].

*** شواهد قرانية:**

ـ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[يوسف:٣٦] باعتبار ما سيؤول إليه.

ـ ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾[الحجر:٥٣] أي باعتبار ما سيكون.

السؤال الثاني :

ما دلالة النداء بكلمة ﴿رَبِّ﴾ أو ﴿رَبَّنَا﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٦.

السؤال الثالث :

ما وجه التخصيص في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ في الآية ٢٤ وقوله: ﴿إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ في الآية ٢٨؟

الجواب :

انظر الجواب في آية نوح ٢٤.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ بفتح الياء ،ما مواطن وجوب الفتح؟

الجواب :

هناك مواطن وجوب الفتح وما عداها يجوز، وفي القرآن حسب النقل:

مواطن وجوب الفتح:

١ـ بعد الاسم المقصور؛ أي الذي آخره ألف، نحو: ﴿هُدَايَ﴾ ـ ﴿عَصَايَ﴾ ـ ﴿وَمَحْيَايَ﴾، كما في آيات [البقرة ٣٨ـ الأنعام ١٦٢ـ طه ١٨].

٢ـ بعد الاسم المنقوص؛ أي الذي آخره ياء، فتقول: معطيَّ ـ منجيَّ.

٣ـ بعد المثنى، كما في الآيات: [نوح ٢٨ـ القصص ٢٧ـ ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ ـ ﴿ٱبْنَتَيَّ﴾].

٤ـ بعد جمع المذكر السالم، نحو: ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾[إبراهيم:٢٢].

السؤال الخامس :

ما دلالة استعمال كلمة: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ في الآية ولم يقل أبوي مثلاً؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٨٣.

رابعاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها

هي في قصة نوح من أولها إلى آخرها. والله أعلم.



سورة الجن

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة نوح ومفتتح سورة الجن :

١ ـ قال في أواخر سورة نوح عن قوم نوح:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣].

فكانوا مصرين على الشرك.

وقال في أول سورة الجن على لسان مؤمني الجن:

﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن:٢].

فأولئك أشركوا به آلهة وهؤلاء لا يشركون به أحداً.

٢ ـ وقال في سورة نوح:

﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٤].

وقال في أول سورة الجن عن الجن:

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن:٦].

فكلاهما أضل صاحبه وأرهقه.

٣ ـ قال في سورة نوح:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح:٢٥].

وقال في الجن:

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾[الجن:١٥].

٤ ـ قال في سورة نوح:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾.

وقال في الجن:

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[الجن:١٦].

جاء في (روح المعاني): ((إنه سبحانه قال في سورة نوح ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾.

وقال عزّ وجلّ في هذه السورة لكفار مكة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[الجن:١٦].

(وقوله): ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣] فإنه يناسب قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[نوح:٢٥])).

والله أعلم.

ثانياً :هدف السورة : دعاة إلى الله من عالم آخر.

نموذج عجيب تعرضه سورة الجن وكأنها تسألك ألا تغار منهم؟ كيف يستجيب الجن للدعوة ويحملونها وأنت غافل عنها. ..؟!

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:١ - ٢]. لماذا لا تكون مثلهم؟

وتتوالى آيات كثيرة في السورة لترينا حكمة هؤلاء الجن وفهمهم لحقيقية الدعوة وأهميتها: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن:١٣] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ﴾ [الجن:١٤].

ثم ترى كلاماً مشابهاً لكلام نوح عليه السلام: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦)﴾ [الجن:١٦].

فالسورتان واضحتان في علاقتها ببعض وفي تعليمنا فقه الدعوة وأهميتها وأساليبها.



ثالثاً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟ وهل هنالك خط تعبيري معيّن في سورة الجن؟

الجواب:

هنالك خط ظاهر في السورة يبين أنّ الأمور فيها لم تُبنَ على الشيء ومقابله، وإنما يذكر الأمر ويذكر ما يتضمنه أو يتضمن جزءاً منه، وهذا هوالخط الظاهر في السورة. ولنأخذ شواهد من السورة:

أ ـ شاهد أول: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)﴾ [الجن:١٠] الذي يقابل الشرهو الخير، ولكنه ما قال الخير، وإنما قال: الرَشَد، والرشد هو

مما يتضمنه الخير، وهوجزء منه، بينما في مواطن كثيرة في القرآن قابل الشر بالخير، كما في الآيات: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] و ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٩] و ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] و ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء:١١] بينما هنا لم يُبنَ على المقابل، وإنما على ما يتضمنه أو يتضمن جزءاً منه.

ب ـ شاهد ثان: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن:١١] الصالحون يقابلهم المفسدون، والصلاح يقابله الفساد. وفي القرآن كثيراً ما يقابل المصلح بالمفسد، بينما قال هنا في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن:١١] وجملة ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ هذه الكلمة عامة، يعني من هم دونهم في الصلاح ويتدرج إلى أنْ يصل إلى الفساد والكفر، بينما في القرآن ربنا يقابل الإصلاح بالإفساد، كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة:١١] بينما هنا في السورة قال: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي يتضمنهم هذا الأمر.

ج ـ شاهد ثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجن:١٤] القاسط هوالظالم ويقابل المسلم الكافر، وكلمة (قاسط) عامة قد يدخل فيها قسم من المسلمين الذين قد يقسطون أي يظلمون ويدخل فيها الكافر، فهي عامة، والظالم قد يكون مسلماً وقد يكون كافراً، وربنا في القرآن يقابل الكفر بالاسلام، كما في الآيات: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحِجر:٢] ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران:٨٠].

بينما في هذه السورة قال: (القاسطون) مقابل (المسلمون).

د ـ شاهد رابع: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤ - ١٥] القياس أن يقابل الرَشَد بالغيّ [تحروا رشداً - تحروا غيّاً] كما في الآية: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] بينما لم يقل ذلك ولم يقل إنهم تحروا الغيّ والضلال، وإنما قال: ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

هـ ـ شاهد خامس: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ لم يقل لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، وهذا خط تعبيري في السورة، بينما في مواطن كثيرة في القرآن يقابل الضر بالنفع، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٤٩] ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان:٣]

وهذا هو الموطن الوحيد في القرآن الذي يقابل الضر بالرَشَد.

و ـ شاهد سادس: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ القريب يقابله البعيد، بينما في آية أخرى قال: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنبياء:١٠٩].

هذا خط ظاهر في السورة حتى إذا قرأ أحدهم السورة يلاحظ أنّ هذا خط ظاهر فيها، حيث يقابل الأمر لا بمقابله، وإنما بما يتضمنه أو بما يتضمن جزءاً منه. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما أهم دلالات الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ﴾ أي هو وحي من الله لرسوله، والوحي هو الإعلام بخفاء، وهو أيضاً أمر منه تعالى لرسوله أنْ يُظهر لأصحابه ما أوحى الله في واقعة الجن. وفي هذا فوائد:

أ ـ هو تثبيت نفسي للرسول عليه السلام وللمؤمنين.

ب ـ وليعرف المؤمنون بذلك أنه عليه السلام كما بُعث إلى الإنس فقد بُعث إلى الجن.

ج ـ أنْ تعلم قريش أنّ الجن مع تمردهم لمّا سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا بالرسول، والأحرى بهم أنْ يؤمنوا هم؛ لأنهم أصحاب الكلام والبيان.

د ـ أنْ يُعلم أنّ الجن مكلفون كالإنس.

هـ ـ أن يُعلم أنّ الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا.

٢ـ قوله: ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ أي طلب الاستماع بإنصات، بخلاف الفعل (سمع) فقد يكون بلا قصد.

٣ـ النفر من ثلاثة إلى عشرة.

٤ـ قوله: ﴿عَجَبٗا﴾ وصف القرآن بالمصدر، وهو أقوى من الوصف باسم الفاعل، كما تقول: رجل عدل، أقوى من: رجل عادل.

٥ـ لم يقل: (استمع إليك) بل قال: ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ ونلاحظ أنه في القرآن عندما يذكر ﴿يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۖ﴾ فلا بدّ من ذكر ما يشير إلى ذكر الرسول عليه السلام.

٦ـ فُتحت همزة ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ وذلك لأنه نائب فاعل ،وكسرت همزة ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾لأنه مبتدأ محكي بعد القول.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ يعني هو أمر بأنْ يعلن هذا الأمر، والأمر موجه للنبي عليه السلام أنْ يقول ويعلن هذا الأمر؛ وذلك لما فيه من تثبيت له ولأصحابه بأنّ الجن آمنوا، وتقريع لقومه بأنّ الجن سمعوا القرآن فآمنوا به وعرفوا إعجازه، مع أنّهم ليسوا كقومه الذين عرفوا محمداً وعرفوا أمانته وعرفوا صدقه، ويعلمون من الكلام المعجز والبليغ ما لا يعلمه غيرهم، ومع ذلك لم يؤمنوا.

إذن هو تقريع لقومه وتثبيت وتسلية له ولأصحابه.

٢ـ ﴿أَنَّهُ﴾ الهاء ضمير الشأن، وضمير الشأن يفيد التفخيم والتعظيم. وضمير الشأن يكون خبره جملة، والهاء في ضمير الشأن ﴿أَنَّهُ﴾ اسم إنّ و﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هذا خبره.

وضمير الشأن يفيد التعظيم والتفخيم، والمقصود هنا تعظيم القرآن. وأصل التركيب بغض النظر عن ضمير الشأن هو ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وحينما ندخل ضمير الشأن يكون التركيب: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

السؤال الرابع :

كيف نعرف ضمير الشأن؟

الجواب :

ضمير الشأن لا يعود على أمر معين أحياناً، ويسمونه ضمير الشأن ويسمونه ضمير القصة، ويعني: الأمر المذكور أو القصة المذكورة، حتى لا تذكر كلمة (القصة) مرة ثانية في الكلام. وهذا يؤتى به في مقام التفخيم والتعظيم، ولا شكّ أنّ التفخيم والتعظيم للقرآن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

السؤال الخامس :

ما دلالة وصفهم القران ﴿عَجَبًا ۝١﴾؟

الجواب :

١ـ ﴿أَنَّهُ﴾ أنّ حرف ناسخ والهاء ضمير الشأن والجملة بعدها خبر. وهذا التفخيم يتناسب مع وصفهم القرآن بـ ﴿عَجَبًا﴾ وهذا الوصف بالمصدر يفيد المبالغة.

٢ـ هو أكثر من عجيب، عندما تصف بالمصدر كأنها تحول الشيء إلى مصدر، تقول: هذا رجل صِدقٌ ورجلٌ عدلٌ، وكما في الآية: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف:١٨] هذا أبلغ من كاذب، رجلٌ عدلٌ يعني كله عدل وأقوى من رجل عادل.

وفي القرآن استخدم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥] هذا وصف. إذن ﴿عَجَبًا﴾ أقوى من (عُجاب)؛ لأنّ الوصف بالمصدر أقوى من الوصف بالصفة وعندما تقول: هذا رجل سوءٌ أو رجل كذبٌ أو رجل صومٌ، هذا أبلغ من رجل صائم ومفطر وما إلى ذلك ؛ لأنك تقول: رجل صائم إذا صام يوماً واحداً، لكنْ لا تقول: (رجل صوم) حتى

يكون أكثر أيامه صوماً، وإذا قلنا (رجل صوم) يفهم أنه كثير الصيام. وكذلك (قرآناً عجباً) و ليس عجيباً وإنما فوق العجيب؛ لذلك هذا ناسب ضمير الشأن.

السؤال السادس :

لماذا قال: ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ ولم يقل: (استمعوا) إليك؟

الجواب :

السؤال: لماذا لم يقل (استمع إليك) مع أنّ القرآن يستخدم ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ [الأنعام:٢٥]؟

١ـ ليس المقصود شخص الرسول عليه السلام، لكن المقصود هو القرآن.

٢ـ هنالك أمر في القرآن الكريم: حيث عدّى الاستماع وحيث يقول ﴿إِلَيۡكَۖ﴾ لا بدّ أنْ يجري ذكر الرسول في سياق الآية. فإذا قال(إليك) فلا بدّ أن يذكر شيئاً يتعلق بالرسول عليه السلام.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام:٢٥] المخاطب هو الرسول عليه السلام.

ـ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾[محمد:١٦] متعلق بالرسول عليه السلام.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢] المخاطب هو الرسول عليه السلام.

- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾[الإسراء:٤٧].

فحيث يقول: ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أو ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يجري ذكر الرسول عليه السلام في السياق.

وهنا في آية الجن لم يرد ذكر الرسول مطلقاً. والقصد هو ذكر القرآن وليس ذكر القارئ، والقرآن هو القصد وليس الرسول عليه السلام؛ لذلك لم يعدِّ الاستماع إليه.

السؤال السابع:

علمنا أنّ المراد في الآية هو ذكر القرآن بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ ولم يصرح بالقرآن كأن يقول: استمع نفر من الجن قرآناً، بينما قال في آية الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الأحقاف:٢٩] فما السبب؟

الجواب:

١- في سورة الجن قال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾، بينما في الأحقاف قال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ﴾ [الأحقاف:٢٩] حضروا قرآءة القرآن وأنصتوا لسماعه ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٠-٣١] لاحظ

التفصيل، في الأحقاف فصّل في ذكر القرآن ما دعا إلى ذكر القرآن، بينما في سورة الجن كان الكلام عن القرآن موجزاً وإشارة إلى القرآن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾.

٢ـ والقرآن الكريم يفصِّل فيما يوجب التفصيل ويوجز فيما يوجب الإيجاز ولا اختلاف بين الآيتين، وإنْ كان كل آية منهما تدل على أنّ الجن يستمع إلى القرآن.

السؤال الثامن :

قال في الآية: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن:٢] لماذا قال: (الرُشد) بالضم وليس (الرَشَد) بالفتح مع أنّ (الرَشَد) مستخدمة في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ (الرُشد) بالضم معناه الصلاح والاستقامة، ويكون في الأمور الدينية والدنيوية، وأمّا (الرَشد) بالفتح ففي أمور الآخرة.

٢ـ في القرآن ورد (الرُّشد) كما في الآيات : ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦] أمر دنيوي، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكهف:٦٦] أمر دنيوي فقد تتبع موسى الرجل الصالح، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦] و ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦] إذن الرُّشد يستعمل في أمور الدنيا والدين.

٣ـ أما (الرَّشد) فالكثير أنه يستعمل في أمور الدين، كما في الآيات: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف:١٠] و ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾ [الكهف:٢٤]، وأمّا الرُّشد فهي عامة.

هذا ما قاله قسم من اللغويين، وإنْ كان قسم قالوا: هما لغتان لكنْ هما في القرآن هكذا، يستعمل الرُّشد في أمور الدنيا والدين والرَّشَد في أمور الدين. و قسم آخر قالوا:هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني.

السؤال التاسع :

قال تعالى: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[الجن:٢] وفي الأحقاف قال تعالى: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف:٣٠] فما الفرق بين الرُّشد والحق؟ وكيف نفهم اللمسات البيانية في الآيتين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحقاف ٣٠.



﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿صَٰحِبَةً﴾؟ وهل كل امرأة تعد صاحبة؟

الجواب :

١ـ الصاحبة هي الزوجة التي صاحبت زوجها فترة بحيث حصل منها ولد، أمّا الزوجة فهي زوجة بمجرد العقد حتى لو لم يدخل بها.

أي أنّ الزوجة قد تكون صاحبة وقد لا تكون، وقد تكون منجبة وقد لا تكون.

٢ـ وردت كلمة ﴿صَٰحِبَةً﴾ في القرآن في أربعة مواضع وكلها يذكر معها الولد، ولم تأتِ في القرآن الكريم إلا مصاحبة للولد.

٣ـ الزوج ومقلوبه (الجوز) هو أحد شيئين أو أحد النظيرين، والجوزة تتكون من فلقتين وهاتان الفلقتان تشكلان زوجاً.

٤ـ وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (زوج) للمفرد الذي معه نظير كما في آية الأنعام ١٤٣، حيث ذكر فيها أربعة أجناس وقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾.

٥ـ كما استعمل كلمة (زوج) للمذكر والمؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[الأعراف:١٩] و ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾. والله أعلم.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة السفه والجبت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٥.



﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

هناك خط واضح وظاهرة بينة في التعبير القرآني، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر نفسه ويظهر ذاته وتفضله في الخير العام، بخلاف الشر والسوء فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيهاً لها عن فعل الشر وإرادة السوء.

لذلك عندما يذكر النعم ينسبها إليه ولم يبن فعل النعمة للمجهول؛ لأنّ النعمة خير وتفضل منه. انظر آيات [المائدة ٣ ـ النساء٦٩ـ النساء ٧٢ ـ الفاتحة ٧ ـ الزخرف ٥٩].

وفي آية الإسراء ٨٣ قال في النعمة: ﴿أَنۡعَمۡنَا﴾ وفي الشر: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾ ولم يقل: مسسناه بالشر.

وفي آيات الشعراء [٨٠-٧٨] نسب الخير إلى ربه فقال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] ونسب السوء إلى نفسه فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء:٨٠].

وفي آية الجن ١٠ بنى الشر للمجهول: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ ونسب الخير والرشد إلى الرب سبحانه، فقال: ﴿أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾﴾.

وفي آيات الكهف قال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩]، وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾﴾[الكهف:٨١]، وفي إقامة الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢] فإنه في خرق السفينة نسب العيب إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله تنزيهاً له، وأمّا في قتل الغلام فجاء بالضمير مشتركاً؛ لأنّ العمل مشترك فإنّ فيه قتل الغلام وهو في ظاهر الأمر شر، وإبدالهما خيراً منه وهو خير، فجاء بالضمير المشترك للعمل المشترك، ثم قال: ﴿يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ﴾

[الكهف:٨١] فأسند الإبدال إلى الله وحده، وأمّا إقامة الجدار فعمل كله خير فأسنده إلى الله سبحانه، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾[الكهف:٨٢].



﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم الفرار على الرعب في آية الكهف ١٨ ولم يفعل العكس؟ وما معنى الهروب في آية الجن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ١٨.



﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة التحري؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٦٤.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الرُّشد و الرَّشَد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الجن ٢.

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة (القاسطون) مقابل (المسلمون) في آية الجن ١٤؟

الجواب:

بشكل عام إنّ سَمْتَ سورة الجن هو ذكر الشيء وما يتضمنه وليس ذكر الشيء ومقابله، وهذا الأمر هو في كل سورة الجن.

المعلومات اللغوية:

أ ـ القَسَط بالفتح هو الجور والظلم، والقاسط هو الجائر الظالم (قَسَطَ) بفتح القاف بمعنى جار وظلم.

ب ـ أمّا المقسط فهو العادل، والقِسط هو العدل، وأقسط أي عدل.

وفي اللغة (قسط وأقسط)، وتسمى هذه الهمزة همزة السلب أي تسلب الحكم الأول.

وكذلك (جار وأجار) بمعنى رفع الجور، و(صرخ) بمعنى استغاث و(أصرخ) بمعنى أغاثه وأزال صُراخه. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم:٢٢].

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾؟

الجواب :

١ـ (القاسطون) ليست مقابل (المسلمون) وإنما مقابلها الكافرون، وليس كل قاسط كافراً ولكن كل كافر قاسط.

٢ـ استعمل لفظة ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ وذلك:

أ ـ بيان عِظَم جُرم القاسطين، كأنّ ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ ليسوا من المسلمين، ولم يذكر في الآية جزاء المسلمين.

ب ـ السورة تتحدث عن الجور والظلم والذنوب التي هي من باب الظلم والجور، كما في الآية ٦، حيث إنّ على الإنسان أنْ يلوذ بأحد يعينه ويكفيه لا يزيده رهقاً.

وكذلك الآية ١٩ لم يقل: يدعوهم وإنما قال (يدعوه) فهو يدعو الله فلماذا يكونون عليه لبداً، وهذا جور منهم.

وكذلك الآية ٤ فيها اعتداء على صفات الله تعالى، وهذا جور، والآية ٥ فيها أن الكذب ظلم وجور.

لذلك كانت كلمة ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ مناسبة لجو السورة. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة هاتين الآيتين[١٤و ١٥]؟

الجواب :

الآية ١٤:

١ـ وهي تمثل الأمر الثالث عشر مما حكاه الجن.

٢ـ ذكر الله فيها: ﴿ٱلۡقَـٰسِطُونَ﴾ ولم يذكر مقابلهم (الكافرون)، وإنما ذكر: القاسطون. والقاسط هو: الجائر الظالم، والمقسط: هو العادل، و(قسط) إذا جار وظلم، و(أقسط) إذا أزال الجور وتسمى همزة السلب.

والقاسطون قسمان: ظالم كافر وظالم غير كافر. والكافر يتضمن القاسط فكل كافر قاسط وليس كل قاسط كافراً.

والآية فيها من الاحتباك: (المسلمون) تدل على الكافرين و(القاسطون) تدل على المقسطين.

٣ـ اختيار ﴿ٱلۡقَـٰسِطُونَ﴾ يتناسب مع سمت السورة ومع الآية التي قبلها ﴿بَخۡسࣰا وَلَا رَهَقࣰا ﴿١٣﴾﴾ فكلاهما يعبر عن الظلم والجور.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدࣰا ﴿١٤﴾﴾ أي قصدوا طريق الحق وتوخوه.

الآية ١٥:

١ـ ذكر عذاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين، وإنما قال: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدࣰا ﴿١٤﴾﴾ وهذا مناسب لسمت السورة وجوها لما تردد فيها من ذكر العذاب، ولم يذكر الثواب والجزاء فيها.

٢ـ الجن مخلوقون من النار، وهم مع ذلك يكونون حطباً لجهنم بقدرة الله كما يتأثر البشر من أثر التراب وهم مخلوقون منه.

٣ـ الآية فيها من الاحتباك، فإنّ ذكر التحري أولاً في الآية السابقة مع المؤمنين دليل على تركه مع ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ في الآية الثانية. كما أنّ ذكر جهنم في الآية الثانية دليل على ترك حذف الجنة في الآية الأولى.

وسر ذلك أنهم في مقام الترهيب، فذكروا ما يُحذر وطووا ما يجب العلم به؛ لأنّ الله لا يضيع لأحد أجراً، بل يضاعف المثوبة من فضله.

والله أعلم.

السؤال السادس :

ما كلمات منظومة الوقود؟

الجواب :

انظر الجواب في آية إبراهيم ٥٠.



﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ هاتان الآيتان من جملة الموحى إلى الرسول عليه السلام بتقدير: (قل أوحي إلي أنه استمع نفر)، و (وأنْ لو استقاموا).

٢ـ (أنْ) مخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف ليكون عاماً لجميع الخلائق إلى يوم القيامة، ولو قال: (إنه) لعاد الضمير على الشأن ليخبر عنهم فقط، وليس عاماً.

٣ـ الضمير في ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ يعود على الجن والإنس، فالله لمّا أثبت حكماً معللاً بعلة وهي الاستقامة وجب أنْ يعم الحكم بعموم العلة.

٤ـ الغدق: الماء الكثير وكناية عن الخيرات والمنافع؛ لأنّ الماء أصل الخيرات.

٥ـ قوله تعالى: ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ أي لنختبرهم بتلك النعم، حتى يظهر أنه يشتغل بالشكر أم لا، وهل يطلب مرضاة الله أو مراضي الشهوة والشيطان.

٦ـ قوله: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾ أي إعراضاً مستمراً إلى الموت والذكرعام، ويتضمن الوحي والعبادة والموعظة.

٧ـ قوله: ﴿يَسۡلُكۡهُ﴾ أي يدخله ولم يأت هذا الفعل في الآخرة إلا مع دخول النار، ولم يستعمل مع دخول الجنة كقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾[المدَّثر:٤٢].

٨ـ قوله تعالى: ﴿صَعَدٗا﴾ جاء بصيغة المصدرللمبالغة، ووصف العذاب بذلك؛ لأنه يصعد فوق طاقة المعَذَب ويعلوه فلا يطيقه. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة (الطريقة)؟

الجواب:

الطريقة هنا هي طريقة الإسلام وطريقة الهدى، وليس كمصطلح المتصوفة: طريقة قادرية أو طريقة رفاعية.

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الفتنة والاختبار والابتلاء والتكليف؟

الجواب:

١ـ الفتنة أشد أنواع الاختبار، وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده، ويكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات:١٣] وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] وقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قُصد بها المبالغة في اختبار المُنعَم عليه.

٢ـ الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق، بينما الاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه ولا يقال: هو مبتلى بالنعمة بل مختبر بها.

والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، بينما الاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر هو العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته.

٣ـ التحميل لا يكون إلا لما يُستثقل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ [البقرة:٢٨٦] والإصر هو الثقل.

أمّا التكليف فقد يكون لما لا ثقل له نحو الاستغفار، فتقول: كلفه الله الاستغفار، ولا تقول: حمّله ذلك.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

أثبت الضمير في آية المائدة٦٦ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وحذفه في آية الجن ١٦ في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ﴾ فما السبب؟

الجواب :

السبب أنه مع ذكر الضمير في آية المائدة يكون الأمر إخباراً عنهم بهذا الموضع، فهو يخص اليهود والنصارى فقط، وأمّا مع حذف الضمير كما في آية الجن: ﴿وَأَلَّوِ﴾ فهذا عام يخص جميع الخلائق الجن والإنس إلى يوم القيامة. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين الإعراض عن الذكر، والإعراض عن الآيات؟

الجواب :

١ـ الذكر عام: وهو الوحي أو العبادة أو الموعظة.

٢ـ الآيات: أخص، وهي جزء من الذكر.

٣ـ في القرآن إذا ذُكر الإعراض عن (الذكر) زاد في بيان العذاب والعقوبة، وإذا ذُكر الإعراض عن (الآيات) كان بيان العذاب أقل؛ لأنَّ الذكر أعم من الآيات، والآيات

جزء من الذكر، فكان بيان العذاب والعقوبة في الإعراض عن (الذكر) أكبر منه في الإعراض عن (الآيات) والإعراض عن الكل أصعب من الإعراض عن الجزء.

*** شواهد قرآنية: في الإعرض عن الآيات:**

- آية الكهف ٥٧ ـ لم يذكر العقوبة.
- آية السجدة ٢٢ ـ لم يذكر تفاصيل الانتقام.
- آية الزخرف ٤١ ـ لم يذكر تفاصيل الانتقام.

*** شواهد قرآنية: في الإعرض عن الذكر:**

- آيات طه ٩٩ ـ ١٠١ ـ فصّل في العذاب وأنواعه.
- آية طه ١٢٤ ـ فصّل في العذاب وأنواعه.
- آية الجن ١٧ ـ ذكر العذاب المصعد.

السؤال السادس :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الملك ٣٠.



﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ التقدير العام للآية: قل أوحي إليّ أن المساجد لله.

٢ـ في الآية السابقة رقم (١٧) قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ والآية (١٨) ذُكر فيها المساجد التي هي مخصصة لذكر الله تعالى، وكل مكان يصلي فيه الإنسان يسمى مسجداً، و هي للعبادة أيضاً، فالمناسبة ظاهرة.

٣ـ ولأنّ المساجد لله قال: فلا تدعوا مع الله أحداً، ولم يقل مثلاً: فلا تدعوا فيها، ولو قالها لخصص المكان فقط، بينما النهي عن دعاء غير الله عام في المسجد وفي غيره، وهذا أعم.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠] فلم يقل: أجرهم، وإنما قال: ﴿أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ فدخل فيهم هؤلاء وغيرهم.

والله أعلم.



﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه الآية استجابة للآية السابقة: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ فقد استجاب الرسول عليه السلام ودعا ربه.

٢ـ المقصود بعبد الله هو الرسول عليه السلام، وذكر كلمة (عبد) فيها تكريم من الله تعالى له، كما في قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ و ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ وفيها تواضع من النبي عليه السلام.

ومقام العبودية عند الله تعالى مقام عظيم، وعندما ذكر الله ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ عرج به إلى السماء تكريماً له، بينما عندما ذكر موسى دون كلمة (عبد) معه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

٣ـ هذا من جملة الموحى إلى النبي عليه السلام؛ ولذلك فتحت همزة ﴿أَنَّ﴾ ومن قال: بكسرها جعل هذا الكلام رواية من كلام الجن.

٤ـ اللُّبد هو الاجتماع والازدحام كتجمع الصوف بعضه على بعض فيصير لباداً، ومنه لبدة الأسد لما يتلبد من الشعر بين كتفيه.

٥ـ الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أ ـ الجن: أي لما قام الرسول يقرأ القرآن في صلاة الفجر ازدحموا عليه متعجبين مما سمعوا.

ب ـ المشركون حيث ازدحموا على الرسول وتعاونوا على عداوته.

ج ـ الجن والإنس تلبدوا في تعاونهم على إبطال الحق ونور الله الذي جاء به النبي عليه السلام.

٦ـ المعنى العام: أنّ عبد الله لما اشتغل بعبودية الله وهذا شيء منطقي فلماذا اجتمعتم عليه وحاولتم منعه؟ ولماذا تنكرون عليه ذلك مع أنّ فعله موافق لقانون العقل؟ !!



﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الرشد جزء من الخير، وقد يفسر بالنفع، ومعنى الكلام: النافع والضار.

٢ـ قابل الضر بالرشد من قبيل الاحتباك في البلاغة، بمعنى: لا أملك ضراً ولا نفعاً ولا أملك غياً ولا رشداً، فأخذ الشيء وجزءاً من مقابله؛ أي أخذ الضر والرشد وترك النفع والغي.

٣ـ المعنى العام أنّ النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله تعالى فقط وأنّه لا قدرة على ذلك لأحد من الخلق.

٤ـ كلمة الضر والرشد من سمات السورة وطابعها فناسب استعمالهما.

٥ـ قدّم الضر على الرشد؛ لأنّ عمل الضر أيسر من عمل الرشد ،فبيّن الرسول عليه السلام أنه لا يملك حتى الأيسر وهو الضر.

والله أعلم.

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ عندما يريد إنسان أنْ يهرب يحتاج إلى شخص يحميه أو مكان يلتجئ إليه، والآية ذكرت الأمرين ونفتهما ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾. والملتحد: الملجأ والحرز؛ لذلك لم يبق إلا الله تعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ وفي ذلك وجهان:

أ ـ لا أملك ضراً ولا رشداً إلا أنْ أبلغكم رسالات الله.

ب ـ لن يجيرني من الله أحد إنْ لم أبلغ رسالات الله.

والتعبير القرآني يحتمل المعنيين وكلاهما مطلوب، وهذا من قبيل التوسع في المعنى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ همزة إن مكسورة؛ لأنّ ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء على تقدير: فجزاؤه نار جهنم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ حملاً على معنى الجمع في (من) ولفظة ﴿أَبَدًا﴾ تفيد التوكيد على الخلود.

٥ـ لفظة ﴿أَبَدًا﴾ ظرف يستعمل للمستقبل فقط، ولا يستعمل للماضي، فلا يقال: ما رأيته أبداً، ولكن تقول: ما رأيته قط، ولن أكلمه أبداً.

٦ ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم عند الحديث عن أهل الجنة أو أهل النار أو في مقام الإحسان وفي الثواب أو الشدة أوفي العقاب، أنه في مقام التفصيل للجزاء سواء في العقاب أو الثواب يذكر كلمة ﴿أَبَدًا﴾ وفي مقام الإيجاز لا يذكرها.

٧ـ كلمة ﴿أَبَدًا﴾ ليس لها علاقة بالخلود الدائم.

٨ ـ وردت كلمة ﴿أَبَدًا﴾ في القرآن الكريم في (٢٨) موضعاً، منها ثمانية مواضع مع أهل الجنة وثلاثة مواضع مع أهل النار، والباقي في أمور أخرى.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في آية النساء١٤: ﴿خَـٰلِدًا﴾ بالإفراد، وفي آية الجن: ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ بالجمع، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ الوعيد في آية النساء أشد؛ لأنه زاد على آية الجن بقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ أي أحكامه كالمواريث وغيرها.

فلما زاد في آية النساء قال: ﴿خَـٰلِدًا﴾ فجمع له عذاب النار والانفراد كما زاد في آخر الآية بيان نوع العذاب فقال: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ وبهذا جمع عليه العذاب المادي والنفسي والانفراد.

٢ـ لما سبق آية الجن ألفاظ الجمع، نحو قوله تعالى: ﴿يَكُونُونَ﴾ ـ ﴿ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ ـ ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ـ ﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ ـ ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ ناسب الجمع في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

والله أعلم.



﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ فيه وجهان: إظهار النصر على الكفار في الدنيا، أو ما يوعدون في يوم القيامة.

٢ـ الآية مرتبطة مع قوله تعالى: ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن:١٩] والتقدير: أنهم كانوا يتظاهرون على الرسول عليه السلام بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم.

فلذلك جاء بقوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أي سيعلمون النتيجة إذا كان كذا وكذا.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية مريم ٧٥: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ وقال في آية الجن٢٤: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ فما دلالة ذلك الاختلاف في التذييل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٧٥.



﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين العالم بالشيء والمحيط به؟

الجواب :

١ـ أصل المحيط الإحاطة بالشيء من حوله، كالسور الدائر عليه يمنعه أنْ يخرج عنه ما هو منه ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[النساء:١٢٦] أي يعلم بجميع الأشياء من جميع وجوهها، وهي تحت مقدوره وتصرفه.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] أي علمه من جميع وجوهه.

ـ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾[الجن:٢٨] أي في العلم والقدرة.

ـ ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾[الفتح:٢١] أي أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

ـ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[البقرة:١٩] أي يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه وهو نوع من التخويف.

٢ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور أو من جهة العلم والقدرة، أمّا إذا قيّد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير.

السؤال الثاني :

ما اللطائف العددية في سورة الجن؟

الجواب :

١ ـ سورة الجن عدد آياتها (٢٨) آية، منها (٢٧) فاصلة تتألف من أربعة أحرف، نحو: ﴿عَجَبًا﴾ ـ ﴿أَحَدًا﴾ ـ ﴿عَدَدًا﴾ وفاصلة واحدة تتكون من ستة أحرف، وهي: (ملتحداً) انظر الجدول أدناه، فيصبح مجموع هذه الأحرف = [(٢٧ × ٤) + ٦]= ١١٤ = ١٩ × ٦ أي بعدد سور القرآن، أي أنّ آخر حرف في كلمة ﴿عَدَدًا﴾ هو الحرف ١١٤.

٢ ـ عدد فواصل سورة الجن (٢٨) فاصلة، وغير المكرر منها هو: (١٩)، ومن اللافت للنظر أنّ غير المكرر يتكون من (١٩) حرفاً من الأحرف الهجائية.

٣ ـ يتكرر مقطع (دا) في السورة (١٩) مرة.

٤ ـ تبدأ سورة الجن في الكلام على لسان الجن حتى الآية (١٩)، ثم يتوجه الخطاب بعد ذلك من الله تعالى إلى الرسول ﷺ بقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ ...﴾

٥ ـ تكررت كلمة الجن قبل سورة الجن (١٩) مرة، ولم تذكر كلمة الجن بعد هذه السورة إلا بلفظ (الجِنة).

٦ ـ مجموع تكرار أحرف كلمة ﴿عَدَدًا﴾ في السورة، أي أحرف العين والدال والألف هو= ٣٧+٥٤+٥٤+٢١٦ = ٣٦١ =١٩×١٩.

٧ ـ ترتيب كلمة ﴿عَدَدًا﴾ في السورة ٢٨٥، وتساوي١٩ × ١٥.

النتائج:

١ ـ كلمة ﴿عَدَدًا﴾ ترتيبها في السورة هو ٢٨٥، ويساوي(١٩ ×١٥) وهو يساوي (عدد الأعداد). انظر الجدول أدناه.

٢ ـ مجموع تكرار أحرف الفواصل = ١١٤ = ١٩ × ٦ وهو عدد سور القرآن.

٣ ـ تكرار عدد أحرف كلمة ﴿عَدَدًا﴾ هو = ٣٦١ = ١٩ × ١٩.

أي اجتمع في كلمة ﴿عَدَدًا﴾ (عدد الأعداد) في القرآن الكريم و(عدد سوره) !!!

السؤال الثالث :

ما معنى عدد الأعداد في القرآن؟

الجواب :

انظر الجدول أدناه:

جدول الأعداد الصحيحة في القرآن الكريم:

العدد المذكور في القرآن	التكرار	العدد المذكور في القرآن	التكرار
١	١٤٥	٥٠	١
٢	١٥	٦٠	١
٣	١٧	٧٠	٣
٤	١٢	٨٠	١
٥	٢	٩٠	١
٦	٧	١٠٠	٦
٧	٢٤	٢٠٠	٢
٨	٥	٣٠٠	١
٩	٤	٣٠٩	١
١٠	٩	٩٥٠	١
١١	١	١٠٠٠	٨
١٢	٥	٢٠٠٠	١
١٩	١	٣٠٠٠	١
٢٠	١	٥٠٠٠	١
٣٠	٢	٥٠٠٠٠	١
٤٠	٤	١٠٠٠٠٠	١

مجموع التكرار	٢٥٤	مجموع التكرار	٣١

المجموع العام لتكرار الأعداد الصحيحة في القرآن الكريم هو:

[٢٥٤ +٣١= ٢٨٥].

جدول بفواصل آيات سورة الجن

رقم الآية	الفاصلة	الفاصلة غير المكررة	فاصلةآخرها (دا)
١	﴿عَجَبًا﴾	*	
٢	﴿أَحَدًا﴾	*	*
٣	﴿وَلَدًا﴾	*	*
٤	﴿شَطَطًا﴾	*	
٥	﴿كَذِبًا﴾	*	
٦	﴿رَهَقًا﴾	*	
٧	﴿أَحَدًا﴾		*
٨	﴿وَشُهُبًا﴾	*	
٩	﴿رَصَدًا﴾	*	*
١٠	﴿رَشَدًا﴾	*	*
١١	﴿قِدَدًا﴾	*	*
١٢	﴿هَرَبًا﴾	*	
١٣	﴿رَهَقًا﴾		

١٤	﴿رَشَدًا﴾		*
١٥	﴿حَطَبًا﴾	*	
١٦	﴿غَدَقًا﴾	*	
١٧	﴿صَعَدًا﴾	*	*
١٨	﴿أَحَدًا﴾		*
١٩	﴿لِبَدًا﴾	*	*
٢٠	﴿أَحَدًا﴾		*
٢١	﴿رَشَدًا﴾		*
٢٢	﴿مُلْتَحَدًا﴾	*	*
٢٣	﴿أَبَدًا﴾	*	*
٢٤	﴿عَدَدًا﴾	*	*
٢٥	﴿أَمَدًا﴾	*	*
٢٦	﴿أَحَدًا﴾		*
٢٧	﴿رَصَدًا﴾		*
٢٨	﴿عَدَدًا﴾		*
المجموع		١٩	١٩

السؤال الرابع :

ما الملاحظات العددية على فواصل سورتي الجن والكهف وأوجه التماثل بينهما؟

الجواب :

١ ـ إنّ فواصل سورة الجن غير المكررة هي (١٩) فاصلة منها(١٠) فواصل تكررت ثلاثاً وعشرين مرة في فواصل سورة الكهف، وهي:

(﴿عَجَبًا ۝١﴾ ـ ﴿أَحَدًا ۝٢﴾ ـ ﴿وَلَدًا ۝٣﴾ ـ ﴿شَطَطًا ۝٤﴾ ـ ﴿كَذِبًا ۝٥﴾ ـ ﴿رَشَدًا ۝١٠﴾ ـ ﴿مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾ ـ ﴿أَبَدًا ۝٢٣﴾ ـ ﴿عَدَدًا ۝٢٤﴾ ـ ﴿أَمَدًا ۝٢٥﴾).

والفاصلتان (﴿شَطَطًا ۝٤﴾ ـ ﴿مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾) تكررت كل واحدة منهما في القرآن كله مرتين فقط، وذلك في فواصل سورتي الجن والكهف.

٢ ـ هناك (٩١) فاصلة من فواصل سورة الكهف رباعية الأحرف كأغلب فواصل سورة الجن، وحيث إنّ عدد فواصل سورة الكهف هو (١١٠) فمعنى ذلك أنه يوجد (١٩) فاصلة من فواصل سورة الكهف ليست رباعية الأحرف.

٣ ـ مجموع تكرار أحرف (ولداً) في سورة الجن هو:

[٧٢+١١٥+٥٤+٢١٦]= ٤٥٧ حرفاً، ويساوي أيضاً مجموع أحرف فواصل سورة الكهف الـ (١١٠).

وللعلم فإنّ سورة الكهف تُستهل بالنكير على من يزعم أنّ لله ولداً ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾[الكهف:٤-٥] وهذا ما نجده في فواتح سورة الجن أيضاً: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن:٣] فكلتا السورتين تُستهل بنفي الولد. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما اللطائف العددية في القرآن التي تظهر التوازنات فيه والعلاقات الرقمية؟

الجواب :

أولاً: التساوي:

(الكلمة ومشتقاتها) و(مقابلها ومشتقاتها)	(عدد المرات لكلٍّ منهما)
الدنيا والآخرة	ـ١١٥ـ
الملائكة والشياطين	ـ٨٨ـ
الناس والأنبياء	ـ٥٠ـ
الصلاح والفساد	ـ٥٠ـ
إبليس والاستعاذة منه	ـ١١ـ
الزكاة والبركة	ـ٨٨ـ
محمد والشريعة	ـ٤ـ
امرأة و رجل	ـ٢٤ـ
الحياة والموت	ـ١٦٥ـ
الصالحات والسيئات	ـ١٦٧ـ
المصيبة والشكر	ـ٧٥ـ
الصيف (الحر) والشتاء (البرد)	ـ٥ـ
الكفر والإيمان	ـ١٧ـ

كفراً و إيماناً	ـ٨ـ
الجهر والعلانية	ـ١٦ـ
المحبة والطاعة	ـ٨٣ـ
الهدى والرحمة	ـ٧٩ـ
الصبر والأجر	ـ١٠٢ـ
المصيبة و الشكر	ـ٧٥ـ
الشهوات والصيحة	ـ١٣ـ
الإفك والشر	ـ٣٠ـ
العفو والكيد	ـ٣٥ـ
الهوى والباطل	ـ٣٦ـ
الركوع والقنوت	ـ٢٤ـ
الليل والسجود	ـ٩٢ـ
الضيق والطمأنينة	ـ١٣ـ
الطهر والإخلاص	ـ٣١ـ
القرآن والإسلام	ـ٧٠ـ
النفع والفساد	ـ٥٠ـ
الزكاة والبركات	ـ٣٢ـ
العقل والنور	ـ٤٩ـ

البعث والصراط	ـ ٤٥ ـ
الصالحات والسيئات	ـ ١٦٧ ـ
الجحيم والعقاب	ـ ٢٦ ـ
اللعن والكراهية	ـ ٤١ ـ
اللسان والموعظة	ـ ٢٥ ـ
الحرب والأسرى	ـ ٦ ـ
الإيمان والعلم	ـ ٨١١ ـ
السحر والفتنة	ـ ٦٠ ـ
المصيبة والشكر	ـ ٧٥ ـ
العجب والغرور	ـ ٢٧ ـ
الظلام والعقاب	ـ ٢٦ ـ
الزنى والزيغ	ـ ٩ ـ
البغضاء والشح	ـ ٥ ـ

ثانياً: توازنات ونسب:

تكرر حرف (ق) في سورة ق	ـ ٥٧ ـ
تكرر حرف (ق) في سورة الشورى	ـ ٥٧ ـ
حرف (ق) في السورتين يساوي عدد سور القرآن	ـ ١١٤ ـ

الجزاء ـ ١١٧ ـ والمغفرة ـ ٢٣٤ ـ

الفجار ـ٣ـ والأبرار ـ ٦ ـ

العسر ـ١٢ ـ واليسر ـ ٣٦ـ

الكافرين = النار

الحرب = الأسرى

قالوا = قل ـ ٣٣٢ ـ مرة

فسبحان من قال (قل) ٣٣٢ مرة، فكان (القول) ٣٣٢ مرة.

ثالثاً: العلاقات الرقميـة:

١ ـ ذكرت كلمة (بحر) في القرآن (٣٢) مرة و(الأرض) (١٣) مرة والنسبة المئوية لعدد كلمة البحر إلى مجموع الكلمتين البحر والأرض تساوي ٣٢/ ٤٥، وتساوي (٧١) بالمائة ونسبة عدد كلمة الأرض إلى مجموع الكلمتين: البحر والأرض تساوي ١٣/ ٤٥ وتساوي (٢٩) بالمائة.

وهذه النسب هي النسب الفعلية لنسبة سطح البحر واليابسة لسطح كوكب الأرض.

٢ ـ ذكرت الشهور(١٢) مرة، واليوم(٣٦٥) يوماً، والأيام (٣٠) مرة بعدد أيام الشهر.

والعرب يوقعون الجمع تمييزاً للقلة، والمفرد يوقعونه تمييزاً للكثرة.

٣ـ الأعداد الصحيحة الواردة في القرآن الكريم ثلاثون رقماً، وهي: (١ ـ٢ ـ ٣ـ ٤ـ ٥ـ ٦ ـ ٧ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٣٠ ـ ٤٠ ـ ٥٠ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٨٠ ـ ٩٩ ـ

١٠٠ _ ٢٠٠ _ ٣٠٠ _ ١٠٠٠ _ ٢٠٠٠ _ ٣٠٠٠ _ ٥٠٠٠ _ ٥٠٠٠٠ _ ١٠٠٠٠٠)

ومجموعها يساوي ١٦٢١٤٦= ١٩×٨٥٣٤. أي من مضاعفات العدد (١٩) وهو عدد أحرف البسملة.

٤ـ إذا أخذنا الأعداد التي جاءت باللفظ وهي:

أ ـ تسع وتسعون: أي [٩+٩٠] وقد ورد العدد (٩) أعلاه، ويبقى معنا (٩٠).

ب ـ ألف سنة إلا خمسين عاماً، أي (٩٥٠).

ج ـ ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ أي (٣٠٩).

والمجموع يكون لهذه الأعداد [٩٠+٩٥٠+٣٠٩] = ١٣٤٩= ١٩×٧١] أي من مضاعفات العدد (١٩)، وهو عدد أحرف البسملة.

والله أعلم.

رابعاً: التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها:

أكثر السورة في شأن الجن الذين استمعوا لرسول الله وهو يقرأ القرآن.

وهي تبدأ بقوله سبحانه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ . . .

ومما ذكر فيها قوله على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[الجن:٩].

وقال في آخرها:

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨].

فجعل لمن يستمع شهاباً رصداً، وجعل من بين يدي الرسول ومن خلفه رصداً ليحفظ ما أبلغه به من استراق الجن.

ثم قال في آخر آية ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾. فذكر الرسول والرسالة في الخاتمة، وذكر الوحي والقرآن في البداية. والله أعلم.



سورة المزمل

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة الجن ومفتتح سورة المزمل:

١ ـ قال سبحانه في سورة الجن:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾ [الجن:١٩]. أي اجتمعوا عليه لمحاربته.

وقال في أول سورة المزمل:

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزَّمل:٥].

ومن ذلك ما لقيه من قومه من عنت وأذى.

٢ ـ قال في سورة الجن:

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن:١٨].

وقال في أوائل سورة المزمل:

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩﴾ [المزَّمل:٩].

فكأنّ آية المزمل مكملة لآية الجن.

٣ ـ قال في أواخر سورة الجن:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ [الجن:٢٣].

وقال في المزمل:

﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾[المزَّمل: ١١ – ١٤].

جاء في (روح المعاني): ((لا يخفى اتصال أولها: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾.. إلخ بقوله تعالى في آخر تلك ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾[الجن:١٩]، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[الجن:١٨] والله أعلم.

ثانياً : هدف السورة : زادك أيها الداعية.

هدف هذه السورة واضح من بدايتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾﴾[المزَّمل: ١ – ٢].

زادك أيها الداعية: قيام الليل، لماذا؟ لأنّ حمل الدعوة أمر شاق: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾[المزَّمل:٥]. فما علاقة القيام بذلك؟

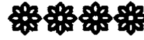
إنّ صلاة الليل هي التي تبني الرجال، وتبني الدعاة الذين يقسمون برنامجهم اليومي إلى قسمين: دعوة في النهار، وعبادة في الليل.

وتأتي هذه السورة على ذكر موسى عليه السلام وفرعون، فما علاقة موسى وفرعون بمحور السورة؟

إنّ قيام الليل هو المعين الأول على مواجهة الطغاة والمكذبين، كما كان الحال مع سيدنا موسى عليه السلام. . وكأنها تقول لك: أيها الداعية: صلِّ في الليل حتى تكون أقوى على دعوة الناس في النهار. ... معادلة واضحة تقدمها إلينا سورة المزمل.

وتختتم السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ وقيام الليل كان فرضاً على المسلمين في بداية الدعوة السرية، وبقي كذلك لمدة سنة كاملة، لكنّ الأمر شق على الصحابة فنزلت الآية الأخيرة من السورة حتى تخفف الحكم عن الصحابة، وتقول لهم بالمقابل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾.

واللافت للنظر أنه مع أنّ السورة مكية، لكنها ذكرت القتال في سبيل الله: ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. لأنّ قيام الليل هو من مقومات الاستعداد للجهاد في سبيل الله، فاستعينوا به أيها الدعاة حتى تتهيئوا للجهاد في المستقبل.



ثالثاً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين: (تلا ـ قرأ ـ رتّل)؟

الجواب :

صاحب القرآن عليه السلام هو الذي تلا وقرأ ورتّل وعمل بالقرآن.

(قرأ) القراءة:

هي صحة النطق للكلمة والحرف، وحسن أداء الكلمة والجملة ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾. وكل تلاوة قراءة، وليست كل قراءة تلاوة.

(تلا) تلاوة:

هي قراءة الآيات بنسق متتال من أول القرآن لآخره، وهو الإتْباع بدون فاصلة ﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ـ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ـ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ـ ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ـ

(رتّل) الترتيل:

الترتيل هو اتباع أحكام القرآن، فهو أنيق في التلاوة طاهر الفم طيب الرائحة، ويُطلق لفظ (رتّل) على كل شيء حسن التنسيق.

وإذا جُمعت القراءة والتلاوة والترتيل والعمل بأحكام القرآن يُصبح القارىء من أصحاب القرآن.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الأحرف السبعة والقرّاء والقراءات المتتالية؟

الجواب :

تواتر عن رسول الله ﷺ أنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، أي سبعة أوجه تتضمن مختلف لغات العرب ولهجاتها الفصحى، وعلى رأسها لغة قريش حيث كان نزول القرآن أول ما نزل بها.

وروي عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم.

وعن ابن جرير: أنّ الذي في المصاحف العثمانية إنما هو الحرف الذي ارتضته الأمة زمن عثمان، وهو الذي وافق العرضة الأخيرة، وأمّا الأحرف الأخرى فقد اندثرت؛ لأنّ القراءة بها لم تكن على سبيل الإلزام وإنما كانت على سبيل الرخصة.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إلا أنّ مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم هو حرف واحد وعلى هذا أهل العلم، أمّا القراءات فمن الواضح أنها جميعاً موجودة في المصحف.

أي أنّ المصحف العثماني كان قد كتب على قراءة واحدة وخطه محتمل لأكثر من قراءة إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً، وبعد أن أُرسلت المصاحف العثمانية إلى الأمصار قرأ أهل كل مصر منه.

وليس ما يظنه الناس من أنّ الأحرف السبعة هم القراء السبعة المشهورون؛ لأنّ هؤلاء القراء السبعة لم يكونوا قد وجدوا عند اكتمال نزول القرآن.

أركان القراءة الصحيحة:

أ ـ تواتر السند إلى النبي ﷺ.

ب ـ موافقة القراءة لخط المصاحف العثمانية.

ج ـ أنْ توافق القراءة وجهاً من العربية.

أئمة القراء المشهورون:

١ ـ نافع المدني: ويُكنى أبا رويم، أخذ القراءة عن سبعين من التابعين وأشهر من روى عنه (قالون، وورش)، توفي في المدينة المنورة سنة ١٦٩هـ .

٢ـ عبد الله بن كثير المكي. توفي سنة ـ ١٢٠هـ.

٣ـ أبو عمر بن العلاء البصري، واسمه زبان. وهو أحد التابعين توفي سنة ـ ١٥٤ هـ.

٤ـ عبد الله بن عامر الشامي. أشهر رواته هشام وابن ذكوان توفي سنة ١١٨هـ.

٥ـ عاصم بن أبي النجود الكوفي. توفي سنة ١٢٧هـ ورواته كثيرون من أشهرهم حفص.

٦ـ حمزة بن حبيب الكوفي. توفي سنة ١٥٦هـ وأشهر رواته خلف وخلاد.

٧ـ علي بن حمزة الكسائي الكوفي. توفي سنة ١٨٧هـ وأشهر رواته أبو الحرث الليث والدوري.

وتتمة القراء العشرة هم:

٨ـ يزيد بن القعقاع المدني، توفي سنة ١٣٠هـ.

٩ـ يعقوب بن إسحق الحضرمي البصري، توفي سنة ٢٠٥هـ.

١٠ـ خلف بن هشام البصري، توفي سنة ٢٢٩هـ.

ترجمة مختصرة لبعض الرواة:

١ـ حفص بن سليمان الأسدي: ولد سنة٩٠هـ، وتوفي سنة ١٨٠هـ، وأخذ قراءته عن المقرىء الخامس عاصم بن أبي النجود الكوفي الذي هو من التابعين، ويقال: رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود الكوفي.

٢ـ قالون واسمه عيسى بن مينا المدني، ولد سنة ١٢٠هـ، وتوفي سنة ٢٢٠هـ، ومعنى قالون بالرومية: جيد.

٣ـ ورش: واسمه عثمان بن سعيد المصري، ولد بمصر سنة ١١٠هـ وتوفي فيها سنة ١٩٧هـ، ولقب بورش نسبة للطائر المعروف (الورشان) لشبهه فيه؛ فقد كان قصيراً أشقرَ أزرقَ العينين أبيض اللون يلبس ثياباً قصيرة فشبهه شيخه نافع بالورشان، ثم خففت إلى ورش.

وأخذ قالون وورش القراءة عن نافع المدني؛ لذلك يقال: قراءة نافع من رواية قالون.

٤ـ الدوري: واسمه حفص بن عبد العزيز الأزدي البغدادي، توفي سنة ٢٦٤هـ، ويقال: قراءة أبي عمرو من رواية الدوري.

٥ـ أبو عمرو بن العلاء التميمي البصري، توفي سنة ١٥٤هـ

جدول مختصر بالقراء والرواة:

القراء	الرواة
نافع (المدني)	قالون ـ ورش
ابن كثير (المكي)	البزي ـ قنبل
ابو عمرو (البصري)	الدوري ـ السوسي
ابن عامر (الشامي)	هشام ـ ابن ذكوان
عاصم (الكوفي)	ابو بكر شُعبة ـ حفص بن سليمان

حمزة الزيات (الكوفي)	خلف ـ خلاد
الكسائي (الكوفي)	أبو الحارث ـ حفص الدوري



﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما القصود من (ناشئة الليل)في آية المزمل؟

الجواب :

١ـ إن كلمة ﴿نَاشِئَةَ﴾ مشتقة من الفعل(نشأ)، والناشئة هي الإحداث وفيها قولان:

أـ هي ساعات الليل وأجزاؤه المتتالية، وقيل: هو أول الليل بين المغرب والعشاء؛ لأنّ سواد الليل يبتدئ بعد المغرب.

ب ـ هي الأمور التي تحدث في الليل، منها:

ـ النفس الناشئة بالليل تقوم من مضجعها إلى العبادة.

ـ قيام الليل بعد النوم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ أي أشد موافقة لما يُراد من الخشوع والإخلاص وأشد مواطأة بين القلب واللسان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ أي أحسن لفظاً وأصوب قيلاً وأبلغ في الخير وأعجل للدعاء.

٣ـ لقد وصف الله تعالى ميل النفس إلى الفراش الوثير وتثاقلها عن القيام بقوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٦-١٧].

وفي وقت القيام هدوء وسكون في جوف الليل وتقرب إلى الله تعالى. وفي صلاة الليل يواطىء فيها قلب المرء بصره ولسانه قلبه، فيقوم فيها القلب والسمع والبصر والفؤاد بشغل واحد وهو الدعاء والقرب والتبتل وهذه هي منزلة الشرف للإنسان، وهو يناجي خالقه ويدعو ربه.



﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿سَبْحًا﴾ما كلمات منظومة الجري أو المشي السريع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧١.



﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التعبير في الآية: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾؟ ولماذا لم يقل (تبتلاً)؟

الجواب:

من قواعد استعمال القرآن للبنية التعبيرية:

أنه يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره، بل يأتي بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق، فيجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر من أقرب طريق وأيسره، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾.

١ ـ الفعل (تبتل) على وزن (تفعّل)، وهو يفيد التدرج والتكلف ومصدره (تبتلاً)، مثل: تعلم تعلماً وتقدم تقدماً.

٢ ـ لكنّ الآية لم تأت بهذا المصدر، وإنما جاءت بمصدر فعل آخر هو (بتّل) والمصدر (تبتيلا) مثل علّم تعليماً وعظّم تعظيماً، والفعل (بتّل) يفيد التكثير والمبالغة، مثل: كسّر و قطّع.

٣ ـ كان من المتوقع أن يقول: (وتبتل إليه تبتلاً)، غير أنه لم يقل ذاك والسبب أنه أراد أن يجمع بين معنيي التبتل والتبتيل، فالله سبحانه جاء بالفعل لمعنى التدرج، ثم جاء بالمصدر لمعنى آخر وهو التكثير، وجمع المعنيين في عبارة واحدة موجزة.

٤ ـ لو قال: " وتبتل اليه تبتلا" لم يفد غير التدرج. ولو قال" وبتل نفسك إليه تبتيلا" لم يفد غير التكثير، ولكنه أراد المعنيين فجاء بالفعل من صيغة والمصدر من صيغة أخرى وجمعهما بوضع فني جميل، فكأنه قال: بتّل نفسك إلى الله تبتيلا وتبتل إليه تبتلا".

٥ ـ وفي هذا توجيه تربوي حكيم؛ إذ الأصل أنْ يتدرج الإنسان من القلة إلى الكثرة، والمعنى: احمل نفسك على التبتل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى

الكثرة، أو: ابدأ بالتدرج في العبادة وانته بالكثرة. وليس من الحكمة أنْ يضع الصيغة الدالة على الكثرة والمبالغة أولاً ثم يأتي بالصيغة الدالة على التدرج والتكلف فيما بعد.

٦ ـ جاء بمعنى التدرج والحدوث بالصيغة الفعلية فقال: ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ ثم جاء بالدلالة على معنى المبالغة والكثرة والثبوت بالصيغة الاسمية؛ لأنها الحالة الثابتة المرادة في العبادة، أمّا حالة التدرج فهي الحال الموقوتة التي يراد منها الانتقال لا الاستمرار والاستقرار. والله أعلم.



﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الهجر الجميل؟

الجواب:

الهجر الجميل: هو هجر بلا أذى.

الصفح الجميل: هو صفح بلا معاتبة.

الصبر الجميل: هو صبر بغير شكوى إلى المخلوق.



﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (النِّعمة) و (النَّعمة) في القرآن؟ وما الصيغ المختلفة التي وردت في ذلك في القرآن؟

الجواب :

النِّعمة: بكسر النون:

اسم هيئة يشير إلى الحالة المستمرة للإنسان، وتدل على هيئته وهو يتقلب في نعم الله وهي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها، ووردت في القران الكريم (٤٧) مرة [نِعمة ٣٤ مرة ـ نعمتك ٢ مرتين ـ نعمته ٥ مرات ـ نعمتي ٦ مرات].

وتستعمل في القرآن مع الخير.

إضافة النعمة إلى الله:

وردت (٥١) مرة، مثل: ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ـ ﴿نِعْمَتِي﴾ ـ ﴿نِعْـمَتَهُۥ﴾.

وردت مرتين مجردة عن الإضافة [الشعراء ٢٢ ـ الليل ١٩ ـ٢٢].

النَّعمة: بفتح النون:

اسم مرة يدل على الحدث مرة واحدة، ويوحي بقصر مدة النعمة وسرعة زوالها، وقد وردت مرتين في الدخان والمزمل، وهي من الرفاهية والتنعم والرخاء، ولم ترد في القرآن إلا مع الذم.

النعمة بصيغتها الفعلية:

مثل [نعّمه ـ أنعمت ـ أنعمنا ـ أنعم] وردت الصيغة الفعلية (١٨) مرة بصيغة الماضي لتفيد الثبات والاستقرار، منها ١٧ مرة مسندة إلى الله تعالى وهذا إسناد حقيقي، ومرة واحدة مسندة إلى الرسول عليه السلام في قصة الصحابي زيد بن حارثة وهذا

إسناد مجازي؛ لأنّ الله تعالى هو الذي قدّر لزيد أن يُعتق، فالرسول عليه السلام سبب ظاهري.

صيغة التفضيل بالمعنى:

ـ أَنْعَمَ: وردت (١٧) مرة في سياق الإخبار عن نعم الله على الإنسان.

ـ نَعّمَ: وردت مرة واحدة في سياق الذم، فقال تعالى: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ حيث يتصور البعض أنّ كل من أعطاه الله النعم فقد أكرمه وأحبه وفضّله وأنّ كل من ضيّق عليه رزقه فقد أبعده وأهانه، فرد القرآن: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧﴾[الفجر:١٧].



﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ۝١٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ التقدير والمعنى: أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه فأخذناه أخذاً وبيلاً، وكذلك الأمر أرسلنا إليكم رسولاً فعصيتم ذلك الرسول، فلا بدّ أنْ نأخذكم أخذاً وبيلاً، وفي الآية إثبات أنّ القياس حجة.

٢ـ ذُكرت قصة موسى وفرعون هنا دون سائر الرسل لوجود التشابه في القصتين، فأهل مكة ازدروا محمداً عليه السلام واستخفوا به؛ لأنه ولد فيهم كما أنّ فرعون ازدرى موسى عليه السلام؛ لأنه رباه وولد فيها بينهم ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ معناه: شاهداً عليهم يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم مبيناً لهم الحق في الدنيا.

٤ـ الوبيل: هو الثقيل الغليظ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ ما دلالة أل التعريف هنا؟

الجواب:

يقسم النحاة (أل التعريف) إلى قسمين: عهدية وجنسية.

أل العهدية:

وهي تدخل على واحد من أفراد الجنس بعينه، نحو: بعت البستان واشتريت الدار، وهي ثلاثة أنواع:

أ ـ العهد الذكري: وهو أنْ يتقدم لمصحوبها ذكر في اللفظ، نحو: زارنا رجل فأكرمت الرجل. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي الرسول الذي تقدم ذكره.

ب ـ العهد الذهني: وهو أنْ يتقدم لمصحوبها علم المخاطب به، كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ فالغار معلوم وكقوله: ﴿لَقَدْ

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ فالشجرة معلومة للمسلمين، وإنْ لم يكن جرى لها ذكر في اللفظ.

جـ- العهد الحضوري: وهو أنْ يكون مصحوبها حاضراً مشاهداً ومحسوساً، نحو (فاز هذا الغلام)، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .

أل الجنسية:

وهي التي تدخل على الجنس ولا يراد بها واحد معين من أفراد الجنس نحو: الذئب مفترس، وهي على ثلاثة أقسام:

أ ـ أنْ تفيد استغراق جميع أفراد الجنس حقيقة، أي بمعنى (كل) كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ .

ب ـ أنْ تفيد استغراق جميع أفراد الجنس تجوزاً، نحو: (هو الشجاع) ـ و (هو الرجل علماً).

ج ـ أنْ تكون لتعريف الحقيقة، نحو قولك: (خلق الله آدم من الطين) فليس المقصود أنّ الطين كله استغرق في خلق آدم، بل معناه أنّ الله تعالى خلقه من هذا الجنس.

وكقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي من حقيقة الماء وليس المقصود استغراق الماء كله في خلق الأحياء، ونحو قولك: الحصان أسرع من الثور، فهذا ليس على سبيل الاستغراق، بل ربما وجد ثور أسرع من الحصان، ولكن هذه حقيقة عامة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ ؟

الجواب :

اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ أنه نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه، كما هو في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾.



﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ
وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ
عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ
وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

جاءت ﴿أَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة في آيتي المزمل٢٠ والحاقة٤٩ وجات بالكسر ﴿إِنَّ﴾ في آيتي التوبة٤٢ والمنافقون ١، فلماذا؟

الجواب :

القاعدة أن فعل (علم) تأتي بعده (أنّ) مفتوحة الهمزة، لكنْ إنْ جاءت في الجمله اللام المزحلقة تكسر.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ ﴾[المزّمل:٢٠] بفتح الهمزة.

ـ ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الحاقة:٤٩] بكسر الهمزة لوجود اللام.

ـ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[التوبة:٤٢] بكسر الهمزة لوجود اللام.

ـ ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[المنافقون:١] بكسر الهمزة لوجود اللام.

والله أعلم.

رابعاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

قال سبحانه في أول السورة:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزّمل: ١ - ٤]. فأمره بقيام الليل وترتيل القرآن.

وذكرهما في آخر السورة فقال:

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ ﴾ . . . .

ففعل ما أمره ربه من قيام الليل.

وقال في آخرها: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ .

وقال: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ .

وهو نظير قوله سبحانه في أول السورة: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ . والله أعلم.

سورة المدثر

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة المزمل ومفتتح سورة المدثر :

كلتا السورتين خطاب للرسول.

١ ـ قال في ختام سورة المزمل:

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ ﴾[المزَّمل:٢٠]

ثم خاطب رسوله في أول المدثر بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾[المدَّثر:١-٢].

فالأولى في إصلاح النفس، والأخرى في إصلاح المجتمع.

٢ ـ ذكر في سورة المزمل عذاب الكافرين:

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾[المزَّمل:١٢-١٣].

وكذلك في المدثر:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾. . . [المدَّثر: ٢٧ - ٢٩].

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنّ فيما قبلها ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وفيه ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ فناسب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾، وناسب ذكر يوم القيامة، وذكر بعض المكذبين في قوله: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾)).

وفي (روح المعاني): ((هي متواخية مع السورة قبلها. . . وبُدئت تلك بالأمر بقيام الليل وهو عبادة خاصة. وهذه بالأمر بالإنذار، وفيه من تكميل الغير ما فيه)).

والله أعلم.

ثانياً :هدف السورة : قم فأنذر :

هذه هي سورة الحركة والنهوض بالدعوة إلى الله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾[المدَّثر:١-٢-٣]. أي لا يكفي أنْ تقول بلسانك: (الله أكبر) وحسب، اجعل الناس واجعل الأرض كلها تكبر الله.. لتكن أوامر الله أكبر من أي شيء في حياتك.

ومن اللافت للنظر أنّ آيات السورة سريعة الحركة، سريعة الوقع بينما كانت الآيات في سورة المزمل خفيفة وبطيئة.

إنّ آيات سورة المدثر تتناسب مع سرعة حركة الداعية إلى الله الذي يملأ الأرض حركة ونشاطاً بإيجابيته وتفاعله مع الآخرين: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾. فمن روعة القرآن أن حركة الآيات تتناسب مع هدف السورة ومحورها.

انظر مثلاً لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ۝٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ۝٥١﴾ ترى فيها تشبيهاً بالكافرين وكأنهم يفرون من الهداية فرار الحمير الوحشية من الأسد المفترس.. تشبيه رهيب يتناسب مع سرعة آيات السورة وحركتها.

ثالثاً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

السؤال الأول :

ما أنواع الثياب المذكورة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧.



﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الرجز هو العذاب، وقوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ ليس معناه أنه مشتغل بالمعاصي، وإنما المعنى المداومة على ذلك الهجران، كما يقول المسلم كل صلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فليس معناه أنا لسنا على الهداية فاهدنا، وإنما ثبتنا على هذه الهداية.

٢ـ أمر الله تعالى رسوله في أول هذه السورة بأربعة أمور، هي:

أ ـ إنذار القوم.

ب ـ تكبير الرب.

ج ـ تطهير الثياب.

د ـ هجر الرجز.

ثم قال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ أي لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله، بل اصبر على ذلك لوجه الله متقرباً إليه غير ممتن به عليه، وفي هذا تنزيه لمنصب النبوة.



﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين صيغتي (عسر) و(عسير)؟

الجواب:

(عسر و عسير وأعسر) كلها صفات مشبهة لكلٍ منها معنى مختلف عن الأخرى.

١ ـ صيغة (أفعل) نحو (أعسر وأحمر) تستعمل للصفات الظاهرة والجسمية والحُليّ الظاهرة.

٢ـ صيغة (عسِر) تستعمل للأشياء الداخلية.

٣ ـ صيغة(عسير): تقال عندما يكون الأمر عسيراً في ذاته، والوصف بهذا الوزن (فعيل) يدل على الثبوت، مثل: طويل وخطيب وعسير وأسيف كما قالت عائشة عن أبيها: إنّ أبي رجل أسيف، أما (عسِر) فهو نسبي.

شواهد:

أ ـ (مليح): بمعنى جميل، و(أملح) بمعنى: أبيض اللون.

ب ـ في آية المدثر (٩ ـ ١٠) يوم القيامة عسير على الكافرين، لكنْ قد لا يكون كذلك على غيرهم، ولو لم يحدد الله تعالى أنه عسير على الكافرين لكان عسيراً على الكل.



﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الترك؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.

السؤال الثاني:

ما دلالة حذف المفعول به من الفعل ﴿خَلَقۡتُ﴾؟

الجواب:

حذف المفعول به على ضربين:

١ـ أنْ يحذف لفظاً لكنه مرادٌ معنى، والقصد: الحذف اختصاراً، ولا يُحذف إلا لدليل.

٢ـ أنْ يكون المفعول به غير مراد، ولا يصح تقديره؛ لأنّ تقدير أي مفعول مفسد للمعنى، ويكون ذلك بحسب الحاجة، والقصد: الحذف اقتصاراً.

وقد تكون الحاجة لذكر المفعولين: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١﴾ [الكوثر:١] ـ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥] أومفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ٥﴾ [الضُّحى:٥].

*** شواهد قرآنية:**

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١﴾ [المدَّثر:١١] أي من خلقته وحيداً؛ لأنّ الاسم الموصول لا بدّ له من عائد.



﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾

السؤال الأول :

لماذا جاءت ﴿لِأَيَٰتِنَا﴾ باللام ولم تأت(بآياتنا)؟

الجواب :

١ـ الفعل (عاند) يتعدى بنفسه: عاندته وعاندت قوله، والمتعدي بنفسه يمكن أنْ يوصل المفعول به بـ (اللام)، وتسمى (لام التقوية) في حالتين:

أ ـ أنْ يتقدم المفعول به على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف:١٥٤] والمقصود: يرهبون ربهم، ربهم مفعول به مقدّم.

ب ـ إذا كان العامل فرعاً على الفعل، كأنْ يكون اسم فاعل أو صيغة مبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ

﴿٣١﴾ [فاطر:٣١] حيث إنّ الفعل (صدّق) يتعدى بنفسه، والأصل: هو مصدقاً ما معه، فجاء بلام التقوية(لما)، وكما في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ [هود:١٠٧] فجاء بلام التقوية (لما)؛ لأنّ العامل هو صيغة مبالغة.

٢ـ في آية المدثر ١٦ فيها تقديم وصيغة مبالغة، فقد قدّم المفعول به ﴿لِآيَاتِنَا﴾ على الفعل وعلى صيغة المبالغة (عنيد)؛ ولذلك يصح أنْ يؤتى بلام التقوية، ولا يقتضي أنْ يؤتى بالباء (بآياتنا) ولام التقوية تقوي الحدث وتزيد في التوكيد.

وباب التوكيد كبير في اللغة، وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد، حتى التوكيد بالجار والمجرور.

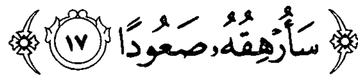
* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ هذا معلوم، ومع هذا جاءت كلمة (بجناحيه) للتوكيد.

ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ الإسراء يكون ليلاً، لكنْ للتوكيد.

ـ ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ والسقف سيخر عليهم بالتأكيد من فوقهم لكنْ للتأكيد.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وما الصَّعود؟

الجواب :

١ـ الصُعود، بضم الصاد، هو الارتقاء، وهي مصدر من الفعل (صَعَد) بفتح العين، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ .

٢ـ الصَّعود، بفتح الصاد، هو العقبة الشاقة والطريق الصاعد. قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ .

٣ـ ذكر المفسرون أنّ الصَّعود هو صخرة أو جبل من نار يتصعد فيه الوليد بن المغيرة – الذي نزلت فيه الآيات – سبعين خريفاً ثم يهوي، فهو فيه كذلك أبداً.

والملاحظة العجيبة هنا أنّ الله كتب على الوليد بن المغيرة هذا النوع العجيب من العذاب، وهو التردد بين الأمل في النجاة عندما يبلغ قمة الجبل أو الصخرة ثم السقوط العنيف إلى الهاوية ليبدأ رحلة العذاب من جديد ذلك أنّ هذا الرجل تردد في حكمه على دين محمد ﷺ وفكر فيه مراراً وقال فيه في البداية كلاماً طيباً: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه.

فلما وثبت قريش في وجهه وعنفته تراجع وفكر ثم فكر، ثم أدبر واستكبر وقال قولته القبيحة: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ .

فمثل هذا التردد يناسب ذلك العذاب بين الأمل واليأس، مثلما تردد بين التصديق والكفر.

السؤال الثاني :

ما الكلمات التي تصف جهنم من الداخل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٥٩.



﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾

السؤال الأول :

ما فائدة تكرار لفظة (قدّر) ثلاث مرات في الآيات؟

الجواب :

نزلت الآية في الوليد بن الغيرة لمّا فكر بما يردّ به على النبي عليه السلام فيما جاء به من القرآن.

فاللفظ الأول: (قدّر) تقديره أي ما يريد قوله.

واللفظ الثاني: أنه (قدّر) أنّ قوله شعر، ولمّا لم يكن على طريقة الشعر الذي تقوله العرب قال تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾.

واللفظ الثالث: (قدّر) أنه هو كهانة من كلام الكهان، ولمّا كان مخالفاً لكلام الكهان قال تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾.

السؤال الثاني:

ما دلالة حرف العطف (ثم)؟

* الجواب:

(ثُمّ) حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أوالأحوال أوغيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء وإنْ لم يكن الثاني مترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

٦ـ بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

٧ـ أمّا اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء فيفيد البعد المكاني.

لمزيد من التفصيل انظر آية النساء ١٧ـ.



﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما استخدامات كلمة (أثر) في القرآن؟

الجواب :

كلمة (أثر) في القرآن الكريم لها ستة معانٍ:

١ ـ أثر الحديث والعلم، وأصله: تتبع الأثر: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ أي يروى وينقل.

٢ـ الأثارة: بفتح الهمزة، وهي البقية من العلم الذي يؤثر. الأحقاف ٤.

٣ـ أثر الشيء وما يدل على وجوده. الروم ٥٠ ـ.

٤ ـ الأثر فيما تتركه قدم السائر على الأرض. طه ٨٤.

٥ ـ آثره، بمعنى: فضّله، من الإيثار. يوسف ٩١.

٦ ـ أثار الأرض أي قلبها للزراعة ـ الروم ٩.

السؤال الثاني :

في الآية ٢٥ قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ هل تدخل إنْ النافية على الجمل الاسمية والفعلية؟ وما الفرق بين (إنْ) و (ما)؟

الجواب :

أولاً: تدخل (إنْ) على الجمل الاسمية والفعلية مثل (ما):

أ ـ فإذا دخلت على الجمل الاسمية كانت:

١ـ لنفي الحال.

٢ـ لغير الحال ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ﴾ فهي هنا للمستقبل.

٣ـ للحقيقة غير مقيدة بزمن ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾. .. ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾.

٤ـ للمضي: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

٥ـ للاستمرار: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

ب ـ وإذا دخلت على الفعل المضارع:

كانت في الغالب لنفي الحال ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وقد تكون للاستمرار ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

ج ـ وإذا دخلت على الفعل الماضي:

فتكون لنفي الماضي القريب من الحال على الأغلب: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ وقد يكون للاستقبال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾.

ثانياً: (إنْ) آكد من (ما)

ويدل على ذلك:

١ـ كثرة اقترانها بـ (إلا)، فهذا يعطيها قوة وتأكيداً لما في القصر من قوة.

٢ـ وردت (إنْ) النافية في القرآن الكريم في (١١٠) موضعاً كلها مقترنة بـ (إلا) أو (لمّا) عدا سبع آيات، وهي [يونس ٦٨ ـ الأنبياء ١٠٩ ـ ١١١ ـ فاطر ٤١ ـ الأحقاف ٢٦ ـ إبراهيم ٤٦ ـ الجن ٢٥] .

٣ـ ووردت (إنْ) في ثلاثة مواضع مع (لمّا) المشددة التي بمعنى (إلا) وهي قوله تعالى:

ـ ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يس:٣٢].

ـ ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾[الزُّخرُف:٣٥].

ـ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾[الطارق:٤].

وليست (ما) ولا غيرها من حروف النفي كذلك، فدلّ هذا على قوتها في النفي.

واستعمال القرآن الكريم لـ (إنْ) و (ما) يدل على ذلك. انظر الآيات: [الأنعام ٢٥ ـ و ـ الأحقاف ١٧ ـ و ـ الجاثية ٢٤ ـ و ـ المؤمنون ـ ٣٣ ـ ٣٨].





السؤال الأول :

ما الكلمات التي تدخل في أعمال النار يوم القيامة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٣٥.



﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ المعنى أنه يلي أمر النار ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكاً نُزعت منهم الرأفة والرحمة، وهم من الملائكة ليكونوا بخلاف جنس المعَذبين ولأنّ قوتهم الملائكية أعظم من قوة الإنس والجن.

فإنْ قيل: إنّ الملائكة مخلوقون من النور فكيف يطيقون المكث في النار؟

الجواب: الله سبحانه قادر على كل الممكنات، فكما أنه لا استبعاد في أنْ يبقى الحي في النار أبد الآباد ولا يموت، فكذا لا استبعاد في بقاء الملائكة هناك من غير ألم.

٢ـ هذا العدد (١٩) صار فتنة للكفار من وجهين:

أ ـ يقولون: لِمَ لمْ يكونوا عشرين مثلاً؟

ب ـ كيف يمكن لهذا العدد القليل أنْ يقوم بتعذيب أكثر خلق العالم من الإنس والجن.

وأهل الإيمان لا يلتفتون إلى هذا، ويوقنون بكونه تعالى قادراً على ما لا نهاية له من المقدورات.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لأنّ هذا العدد لمّا كان موجوداً في كتبهم ثم أخبر به النبي عليه السلام من غير سابقة دراسة وتعلم، فظهر أنّ ذلك حصل بسبب الوحي من السماء، فالذين آمنوا بمحمد من أهل الكتاب يزدادون به إيماناً.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ لا شكّ أنّ المؤمن سيزداد إيماناً بعد علمه بهذه المعلومات، فيكون أكثر انقياداً للدين.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هو من نوع إعادة الكلام بشكل آخر؛ ليبين أنّ المعلومات يقين جازم بحيث لا يحصل عقبه شك ولا ريب.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ فكيف قال القوم بهذا القول: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ معترفين بأنّ القرآن من عند الله تعالى؟

لا شك أن المنافقين قالوا ذلك باللسان، وأمّا الكفار فقالوه على سبيل التهكم أو على سبيل الاستدلال بأنّ القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام.

السؤال الثاني :

ما اللطائف العددية في الآية ٣٠؟

الجواب :

لم يجعل القرآن عدداً من الأعداد موضوعاً يفصل الحديث فيه إلا العدد (١٩)، وقد جعل الله هذا العدد فتنة للذين كفروا، كما في الآية (٣١) من السورة.

نظرات عددية في سورة المدثر:

١ـ آياتها قصيرة جداً عدا الآية (٣١) فهي طويلة، وتتكون من (٥٧) كلمة، وتساوي (١٩×٣).

٢ـ الآية (٣١) تتألف من قسمين:

أـ الأول من (٣٨) كلمة أي (١٩×٢)، وينتهي بقوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾

ب ـ الثاني من (١٩) كلمة، وهي تعقيب على ما ورد في القسم الأول.

٣ـ عدد كلمات أول (١٩) آية من السورة هو (٥٧) كلمة = (١٩×٣) وهو عدد كلمات الآية (٣١).

٤ـ عدد الكلمات من أول السورة إلى نهاية الآية (٣٠) هو (٩٥) كلمة أي (١٩ ×٥).

٥ـ الآية (٣١) هي آخر آية في القرآن عدد كلماتها (٥٧) أي =١٩×٣

٦ـ جملة ـ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ـ مؤلفة من سبعة أحرف والحرف الوسطي (التاء المربوطة) رقمه بعدد الأحرف ابتداء من أول السورة (٣٦٥) حرفاً بعدد أيام السنة.

٧ـ عدد الأحرف من بداية السورة وحتى نهاية كلمة (عليها) يساوي (٣٦١) حرفاً، ويساوي إلى (١٩×١٩).

٨ـ عدد كلمات ـ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ـ ثلاث كلمات، فإذا ضربنا عدد الكلمات برقم مضمون الآية أي (١٩) يكون الناتج (٥٧)، وهو عدد كلمات الآية التي تليها رقم (٣١).

٩ـ قوله تعالى في الآية ٣١: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ مؤلفة من (١٩) حرفاً لذا ألا يصح أنْ يكون من الإعجاز العددي ـ من الجنود ـ المشار إليهم في الآية؟ !!الله أعلم.



﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ هذا الكلام هو جواب القسم بقصد التوكيد أو تعليل لكلام.

٢ـ لفظة (كُبر) جمع كبرى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥﴾ يعني أنّ (سقر) المذكورة في الآية ٢٦، وهي قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ هي إحدى دركات جهنم، وكل واحدة منها كبرى، وهي سبعة:

(جهنم ـ لظى ـ الحطمة ـ السعير ـ سقر ـ الجحيم ـ الهاوية) أعاذنا الله منها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا﴾ تمييز منصوب من (إحدى) على معنى أنها لإحدى الدواهي، وقيل: حال.

٥ـ قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ فيه مسألتان:

أـ المعنى أنّ التقدم والتأخر مطلقان لمن شاءهما منكم، والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه، وهو في معنى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩].

ب ـ قوله: ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من قوله: ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ والتقدير: إنها نذير لمن شاء منكم أنْ يتقدم أو يتأخر، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾[آل عمران:٩٧].

والمراد من إضافة المشيئة إلى المخاطبين هو التهديد.

والله أعلم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل ﴿كَسَبَ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

الفعل ﴿كَسَبَ﴾ – ومشتقاته – ورد في القرآن الكريم في (٦٧) آية، وفي المعاجم وفي متداول الناس أنّ الكسب بشكل عام هو طلب الرزق والربح والمال.

المعنى القرآني الاصطلاحي:

يستعمل القرآن هذا الفعل ﴿كَسَبَ﴾ في معنى مغاير، فهو يستعمله بمعنى اقتراف الأعمال المختلفة خلال حياة الإنسان، وبعد ذلك هو محاسب على كسبه يوم القيامة.

وفي الآية نوع من التنبيه والتحذير حول نوع الكسب الذي يقوم به الإنسان.

أهو تحذير للإنسان من الانخداع بهذه الحياة الدنيا؟ !!

أهو تنبيه من الله على أنّ الكسب مقترن بهوى النفس، والنفس تميل غالباً إلى اقتراف الإثم ما لم تردعها رقابة قلبية تذكرها بتقوى الله؟ !!

وعادة ما تميل النفس إلى الكسب السريع في مجال المال وفي مجال المتعة الجسدية، فلعلّ الربط بين دلالة الكسب والإثم تذكير للمرء بعاقبة عمله.

ربما يشفع لهذا الفهم قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ حيث ذكرت الكسب معادلاً للاكتساب.

ولكأنما الأصل أنْ يكون الكسب طيباً حيث ورد هذا المعنى في آية واحدة فقط في القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾[البقرة:٢٦٧].

أوَ لا: يستدعي هذا الاستعمال القرآني لكلمة ﴿كَسَبَ﴾ مزيداً من التأمل والبحث ،عسى أنْ تنكشف للمرء أسرار جديدة وحكم بالغة !!



﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاء بالأفعال المضارعة في الآيات؟

الجواب :

جاء بـ (لمْ) مع الفعل المضارع للدلالة على التكرار والتجدد، فإنّ الصلاة تتكرر وإطعام المسكين يتكرر.

ونظير ذلك: آية البقرة ٢٥٩ـ والكهف ٥٣ـ والله أعلم.



﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ الضمائر مذكرة والتذكرة مؤنثة، فلماذا؟

الجواب :

التذكرة: مصدر بمعنى (التذكر) وليس مؤنثاً، فرجع الضمير إلى مذكر في المعنى، وأتى بلفظة (التذكرة) لموافقته، فواصل الآيات قبله.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية سورة الإنسان ٢٩: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾، وفي المدثر ٥٤: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

المراد في آية الإنسان: هي هذه السورة أو الآيات، فقال: ﴿هَٰذِهِۦ﴾.

وفي المدثر: المراد القرآن فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾. والله أعلم.

رابعاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾.

والسورة على العموم في الإنذار والموقف من هذا الإنذار.

فقد ذكرت السورة من قال ربنا فيه: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ وموقفه من الإنذار.

وذكر في آخر السورة موقف المعرضين عن الإنذار فقال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾.

وقال في آخر السورة:

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

والله أعلم.

سورة القيامة

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة المدثر ومفتتح سورة القيامة :

ذكر في أواخر المدثر أصحاب النار، وقد قيل لهم:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)﴾ . . . ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)﴾ .

وبداية سورة القيامة في يوم القيامة.

وقال في أواخر المدثر: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)﴾ .

وأول سورة القيامة: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)﴾ .

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنّ آخر ما قبلها ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤)﴾ وفيها كثير من أهوال القيامة، فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها)).

وجاء في (روح المعاني): ((لمّا قال سبحانه وتعالى في آخر المدثر: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)﴾ بعد ذكر الجنة والنار وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ذكر جل وعلا في هذه السورة الدليل عليه بأتم وجه ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله)).

والله أعلم.

ثانياً : هدف السورة : التذكرة بالموت :

هذه السورة – من اسمها – تذكر بيوم القيامة، لتقف إلى جانب سورة الحاقّة في تزويد الدعاة بالمادة الأساسية خلال أخذهم بأيدي الناس إلى الله وخاصة خلال التذكير بأول مراحل الآخرة، وهو الموت: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾.



ثالثاً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بصيغة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٧٥.

السؤال الثاني :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ مقدمة في السورة:

السورة مبنية على أحوال يوم القيامة وعلى النفس اللوامة في حالتي العجلة والتباطؤ، وكلاهما يؤديان إلى الندم واللوم.

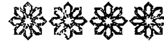
وطابع السورة هو طابع العجلة.

٢ـ أقسم الله تعالى سبحانه بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة، وكل أفعال القسم المسندة إلى الله في القرآن مسبوقة بـ ﴿لَآ﴾، وهو أسلوب من الأساليب اللغوية يقصد منها التوكيد.

٣ـ لم يقسم الله بالنفس على صفة الإطلاق، بل أقسم بنفس مخصوصة وهي النفس اللوامة التي:

ـ إمّا تتعجل فتفعل غير المناسب فتندم.

ـ أو تتراخى وتتباطأ حتى تفوته الفرصة فيؤدي ذلك إلى الندم.



﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ جمعت الآية بين الإنسان ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ والقيامة ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾

٢ـ جواب القسم محذوف، وتقديره: لتبعثنّ. وهذا الحذف يتناسب مع جو العجلة الذي طبعت عليه السورة.

٣ـ الآية مرتبطة بما ورد في آخر السورة ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾.

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه الآية تتناسب مع آية في آخر السورة ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨﴾ لكنّ الأخيرة تعني تسوية عامة، والآية الرابعة مخصوصة بالبنان، والبنان عظام فناسب بأن يكون بجنب ﴿نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣﴾

٢ـ حذف العامل في الآية ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ والتقدير: بلى (على جمعها) قادرين. وهذا الجمع يتناسب وجو العجلة في السورة التي دلت عليها النفس اللوامة.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة ﴿بَلَىٰ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٧٢.



﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

معنى الآية أنّ الإنسان يريد المداومة على شهواته ومعاصيه، ويقدم الذنب ويؤخر التوبة، وهذا مرتبط بالنفس اللوامة التي تسوّف التوبة وتتباطأ حتى يأتي الموت فتقع تحت مطرقة اللوم.

١ـ جاء باللام الزائدة المؤكدة ﴿لِيَفْجُرَ﴾؛ لأنّ فعل الإرادة متعدٍّ بنفسه لا باللام ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[النساء:٢٨].

وهذه اللام تدل على قوة إرادة الفجور والشهوات عند الإنسان، وشدة الرغبة فيها، وهذه مدعاة إلى الندم البالغ، فارتبط ذلك أحسن ارتباط بالنفس اللوامة.

٢ـ لم يقل: اللائمة، بل ﴿ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ مبالغة في اللوم مقابل المبالغة في إرادة الفجور.

٣ـ جاء بأداة الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾ التي تدل على شدة الاستبعاد زمنياً، فهذا المتعنت المستبعد لقيام الساعة هو الذي يقدم الفجور والمعصية ويؤخر التوبة.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿أَيَّانَ﴾ ؟

الجواب :

هي مختصة بالأمور العظام، كقوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾ ـ و ـ ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وقد تستعمل للاستبعاد، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ ولفظها يوحي بالاستفهام.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

أي: دهش فلم يبصرْ، وقيل: تحير فلم يطرفْ، وقيل: ضعف.

١ـ ذكر البصر مع ذكر الشمس والقمر؛ لأنّ البصر يعمل مع وجود الشمس والقمر أي مع النور، فإذا ذهب النور ذهب الإبصار ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾[البقرة:١٧] .

٢ـ في هذا اليوم قد تعطل البصر، كما تعطل الشمس والقمر.

٣ـ قال: ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ ولم يقل: (عمي)؛ فإنّ المراد تعطيله مع وجوده كما فُعل بالشمس والقمر، فإنه لم يُزلها وإنما عطلها، وهذا تناسب لطيف.

٤ـ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ إشارة إلى تعطيل الحياة الرتيبة.

٥ـ هناك ارتباط بين يوم القيامة وجمع الشمس والقمر؛ إذ اليوم قد يدل على مجموع الليل والنهار، فناسب ذلك ذكر الشمس والقمر.

أمّا يوم القيامة فهو يوم لا يتعاقب فيه الشمس والقمر، بل يُجمعان فيه فلا يكون بعد ذلك ليل ونهار، بل هو يوم متصل طويل.

السؤال الثاني :

في آية الطور٤٤ استعمل في السماء لفظة (الكسف)، فقال: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ (الخسف) في الأرض، فقال: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ واستعمل في آية القيامة ٨ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ هذا يدل على صحة من قال: يقال في القمر(خسوف)، وفي الشمس (كسوف).

ووجه ذلك أنّ مخرج الخاء دون مخرج الكاف، ومخرج الكاف فوقه متصل به، فاستعمل وصف الأسفل للأسفل والأعلى للأعلى، فقالوا في الشمس والسماء (الكسوف والكسف)، وفي القمر والأرض (الخسوف والخسف).

٢ـ قوله تعالى: ﴿سَاقِطًا﴾ في آية الطور٤٤ مفعول به ثان للفعل ﴿يَرَوْا﴾ لأنّ الرؤية عند التعدي إلى مفعولين تكون بمعنى العلم في أغلب الأحيان أو حال منصوب.

والله أعلم.



﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ في يوم القيامة يطلب الإنسان الفرار ولكن إلى أين؟ لا جواب !!

ثم يجيب الله بقوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ والوزر هو الملجأ، فلا ملجأ يفر إليه الإنسان ويحتمي به، وإنما ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ .

٢ـ قد يجد الإنسان مستقراً في الدنيا يأوي إليه، وأما في الآخرة فلا مستقر إلا إلى الله.

٣ـ قدّم الجار والمجرور للقصر والاختصاص.

٤ـ قدّم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لنفس السبب.

٥ـ قدّم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لأنّ الإنسان يبحث عن مكان يفر إليه ويستقر فيه، فقدم ما يبحث عنه.

٦ـ اختيار كلمة (رب) مقصودة، فالرب هو المالك والسيد والمدبر والمربي والمنعم ورب كل شيء، والفار إلى من يلتجيء؟ هل يلتجيء إلا إلى سيده ومالكه وصاحب نعمته ومدبر أمره والقيم عليه؟

٧ـ كلمة (مستقر) بمعنى الاستقرار، وتدل على اسم المكان، مكان الاستقرار، وتدل على اسم الزمان، بمعنى زمان الاستقرار.

السؤال الثاني :

(الوزر) هو الحصن، ما كلمات منظومة الحصن والملجأ في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧٨.

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ أي أنّ الإنسان يُنبأ بما قدم من عمل خير أو شر. وبما أخّر من عمل كان عليه أنْ يعمله فلم يعمله.

وهذا فيه تناسب مع ذكر النفس اللوامة في حالتيها اللتين تدعوان إلى اللوم:

أـ أنْ تفعل فعلاً ما كان ينبغي لها أنْ تفعله فتلوم نفسها عليه مقابل (ما قدّم).

ب ـ أو تقعد عن عملٍ كان ينبغي لها أنْ تعمله فلم تعمله مقابل (وأخّر)

٢ـ المعنى من الآية ١٥ أنّ الإنسان يعرف حقيقة نفسه ولو جاء بالحجج والأعذار.

وهنا عاد القرآن إلى النفس مرة أخرى، وهو اقتران يذكرنا بين يوم القيامة والنفس اللوامة.



﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

الآية ١٦ :

١ـ الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ يعود على القرآن ولم يجرِ له ذكر وهو مفهوم من المعنى، حيث كان الرسول ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة خوفاً من أنْ يتفلت منه، فأُمر بأنْ يستنصت إليه حتى يُقضى إليه وحيه.

٢ـ ﴿لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ هو تعليل لتحريك اللسان به، أي العجلة علةٌ لفعله ﷺ.

٣ـ هذه العجلة تتناسب مع جو العجلة في السورة.

٤ـ كذلك ذكر ضمير القرآن ﴿بِهِۦٓ﴾ متناسب أيضاً لجو العجلة.

أي أنّ التعبير والتعليل تعاونا لبيان هذا الغرض.

الآية ١٧ :

١ـ المعنى: أنّ الله وحده المتكفل بجمعه في صدرك وتلاوته للناس صحيحاً كاملاً.

٢ـ جاء بصيغة الجمع ﴿إِنَّا﴾ للتعظيم والتوكيد.

٣ـ قدّم الجار والمجرور للاختصاص والقصر.

٤ـ جاء بالجملة الاسمية الثابتة.

٥ـ هذا التقديم اقتضاه المعنى كما اقتضته الفاصلة.

الآيتان ١٨ـ١٩ :

١ـ الإسناد إلى ضمير الجمع ﴿قَرَأۡنَٰهُ﴾ له دلالة التعظيم الذي يفيده ضمير الجمع؛ ذلك أن القارىء هو جبريل وليس الله تعالى.

٢ـ كذلك المعنى في ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ فجبريل عليه السلام هو الذي يبين ويوضح للرسول بأمر الله، أي أنّ الأمر مشترك، فالله يأمر والمَلَكُ يبلغ؛ ولذا عبّر بأسلوب الجمع. والله أعلم.

٣ـ في تقديم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ يفيد الاختصاص؛ ليبين أنّ ما أشكل منه مختص به تعالى.

السؤال الثاني :

ما دلالة تكرار كلمة ﴿قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ في الآيتين ١٧ـ١٨؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة: ﴿قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ في الآيتين أعلاه مرتين: الأولى تعني قراءته، فهي مصدر للفعل (قرأ)، ومعنى الآية أنّ الله يؤكد لرسوله ﷺ أنْ يجمع في صدر نبيه كتابه الكريم، وأنْ يثبت قراءته على لسانه وقلبه فإذا تم ذلك فاتبع قراءته على الصورة التي سمعت، وهذا يخص كلمة (قرآنه) الثانية، حتى يبقى قرآناً واحداً لا يتبدل ولا يتغير حتى قيام الساعة. لذلك فكلمة ﴿قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ في المرتين تعني القراءة.

وأما كلمة ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آية الإسراء ٩ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ فتعني العنوان الذي أراده الله عز وجل لكتابه الكريم ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٢ـ وقد وردت كلمة ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ بهذه الصورة أي علماً على القرآن الكريم في (٥٨) آية ووردت كلمة ﴿قُرْءَانًا﴾ بالمعنى نفسه في (١٠) آيات، وفي هذا تأكيد حاسم على أنّ الله تعالى اختار اسم القرآن ليعرف به ويتحدث عنه إلى قيام الساعة.

وعادة ما يكون عنوان النص الأدبي أو الكتاب مرتبطاً بمضونه بشكل كبير.

٣ـ والقرآن لا تتوقف قراءته لحظة واحدة من عمر الزمن في كل بقاع الدنيا في الصلاة التي لا تنقطع لحظة في الأرض، وكذلك من خلال القائمين في الليل، والدارسين والمعلمين والمتعلمين وغيرهم وجميعهم يقرؤون شيئاً واحداً هو القرآن.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ ؟

الجواب :

هذا يدل على أنّ قراءة القرآن توقيفية واتباع للوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على رسوله ﷺ، ولا يصح لأحد أنْ يقرأ القرآن حسب ما يراه وإنْ كانت صورة الكلمة تقبل ذلك؛ ولذا قالوا إنّ للقراءة الصحيحة أركاناً، وهي:

١ـ أنْ تكون موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية.

٢ـ أنْ تكون موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية.

٣ـ أنْ يصح إسنادها إلى رسول الله ﷺ بطريق يقيني متواتر لا يحتمل الشك.

وهذه الضوابط نظمها صاحب طيبة النشر فقال:

وكل ما وافق وجه نحوِ ... وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان



﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ (العاجلة) يؤثرها بنو آدم على وجه العموم ويقدمونها على الآخرة وهو طبع عام في البشر خُلقوا عليه ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ وفي هذا ارتباط بجو استعجال الرسول عليه السلام وجو العجلة في السورة ككل.

٢ـ كما أنها متصلة بالنفس اللوامة؛ لأنها إمّا أن تعمل فتعجل فتندم، وإمّا أن تؤخر فيفوت فتندم.

٣ـ قال: ﴿وَتَذَرُونَ﴾ ولم يقل مثلاً (وتتركون)؛ ذلك أن في ﴿وَتَذَرُونَ﴾ حذفاً وأصله (تَوذرون) من (وذِر)؛ ليدل ذلك على طابع العجلة في الإنسان فاختيار هذا الفعل المحذوف الواو مناسب لجو العجلة.

٤ـ لم يستعمل الفعل (تدعون) بدل الفعل ﴿وَتَذَرُونَ﴾؛ لأنّ:

أ ـ الفعل (وذر) يفيد في عموم معانيه الذم (امرأة وذِرة) أي رائحتها الوذر وهو اللحم. وقولهم: يا ابن شامّة الوذر، هو سب يكنى به عن القذف، وفي الحديث (شر النساء الوذِرة المذِرة).

ب ـ بينما الفعل (ودع) من معانيه الراحة والدعة، وقد يفيد المدح: رجل وديع.

والموقف في الآيات موقف ذم، فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة فاختار الفعل الذي يقال في عموم معانيه للذم، والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الترك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.



﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

ذكر في هذه الآيات الصنفين اللذين يؤول إلى أحدهما الناس يوم القيامة: الذي يؤثر الآخرة ويعمل لها، والذي يحب العاجلة ويذر الآخرة.

الآيات ٢٢ـ٢٣:

١ـ كلمة (رب) مناسبة هنا؛ فإنّ وجوه أهل السعادة تنظر إلى ولي نعمتها في الدنيا والآخرة ومربيها وهاديها إلى طريق السعادة.

٢ـ قدّم الجار والمجرورللاختصاص، أي أنّ هذه الوجوه لا تنظر إلا إليه، فإنّ النظر إليه يُذهلها عن كل ما عداه، ويُنسي أهل الجنة ما عداه من النعيم، فالتقديم اقتضاه المعنى كما اقتضته الفاصلة.

الآيات ٢٤ـ٢٥:

١ـ هذه مقابل الوجوه الناضرة، وهي وجوه من آثر العاجلة وترك الآخرة: وجوه من يريد ليفجر أمامه، وجوه من سوف يكثرون من اللوم لأنفسهم.

٢ـ قدّم (يومئذ) في الآيتين ليفيد الاختصاص، وهذا ما يقتضيه المعنى والفاصلة.

٣ـ الفاقرة: الداهية العظيمة التي تقصم فقار الظهر.

٤ـ اختيار الفعل (ظنّ) مناسب لجو السورة وليس هنا بمعنى (أيقن) فإنّ الوجوه الباسرة بَنَتْ حياتها على الظن بأنه سيمتد به العمر ويطول به الأجل؛ ولذلك سوّف توبته وقدّم شهوته، وهذا الظن يرافقه إلى اليوم الآخر فهو إلى الآن يظن وقوع الداهية ظناً، لا في حال علم وبصيرة، فهو لا يرى إلا اللحظة التي هو فيها وما بعدها، فهو عنده ظن لا يقين، كما كان في الدنيا يقدّم شهوته ويؤثر عاجلته ويقول: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾؟

٥ـ كذلك هناك سبب آخر لاختيار الفعل (ظنّ) فالظانّ لا يعلم نوع العقوبة ولا مقدارها، فيبقى وجلاً خائفاً لا يعلم ما سيحل به.

٦ـ واختيار ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ بالبناء للمجهول معناه أنّ هناك فاعلاً مُريداً يفعل بفقار الظهر ما يريد من تحطيم وقصم، وتُركت بدون بيان المقدار للتخويف من هذه الكارثة والشر المستطير.

٧ـ لم ينسب الفعل إلى الله تعالى كما هو شأن خط القرآن وهو أنه لا ينسب الله إلى نفسه إلا الخير، أمّا الشر فلا ينسبه إلى نفسه، قال تعالى:

- ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾[الجن: ١٠].
- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝٨٣﴾[الإسراء: ٨٣].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ ما كلمات منظومة الجمال؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١١٠.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

الجواب :

من صفات الله تعالى (الجميل) وفي الصحيح عنه ﷺ: **(إنّ الله جميل يحب الجمال)**.

وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال وجمال الأسماء.

فاسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة.

أمّا جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه ولا يعلمه غيره وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرّف بها إلى من أكرمه من عباده فإنّ ذلك الجمال مصونٌ عن الأغيار محجوب بستر الرداء والإزار، كما قال رسوله ﷺ فيما يحكيه عنه: **(الكبرياء ردائي والعظمة إزاري)** فإنه سبحانه الكبير المتعال العلي العظيم.

قال ابن عباس: حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمالٍ حُجِبَ بأوصاف الكمال وسُتر بنعوت العظمة والجلال.

السؤال الرابع :

ما دلالة الفعل ﴿ظَنَّ﴾ في الآية ٢٥؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٩.



﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

الآية ٢٦:

١ـ كلا: حرف ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة.

٢ـ الضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ عائد على النفس وإنْ لم يجرِ له ذكر، وحذفه مناسب لجو العجلة في السورة.

٣ـ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾: جمع ترقوة، وهي عظم وصلٍ بين النحر والعاتق من الجانبين، ويُكنى ببلوغ النفس التراقي عن القرب من الموت.

وقال بعض الطاعنين: إنّ النفس إنما تصل إلى التراقي بعد مفارقتها القلب، ومتى فارقت النفس القلب حصل الموت لا محالة.

والآية تدل على أنّه رغم بلوغها التراقي تبقى الحياة حتى يُقال فيه من راق، وحتى تلتف الساق بالساق.

الآية ٢٧:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ فيها وجهان:

أ ـ الذين يكونون حول الإنسان المشرف على الموت كأنهم يطلبون طبيباً يشفيه من الموت.

ب ـ يقول ملك الموت للملائكة الذين يحضرون معه من ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب: من يرقي بروحه إلى السماء فهو ﴿مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ لذلك ترى جو الحذف والإبهام مناسباً لما قبله.

٢ـ حذف الفاعل من لفظة ﴿وَقِيلَ﴾ مناسب لإضماره في ﴿بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ وإبهامه مناسب في ﴿مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾.

٣ـ ﴿رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ هو اسم فاعل للفعل (رقى يرقي)، وهو الذي يقرأ الرقية على المريض ليشفى، وهو كذلك اسم فاعل للفعل (رقي ـ يرقى) بمعنى (صعد).

الآية ٢٨:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ المراد أنه أيقن بالموت ومفارقة الدنيا ولعله إنما سمى اليقين ههنا ظناً؛ لأنّ الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لها.

وأعلم أنّ الروح جوهر قائم بنفسه باقٍ بعد موت البدن؛ لأنه تعالى سمى الموت فراقاً، والفراق والوصال صفة، والصفة تستدعي وجود الموصوف.

٢ـ الفعل ﴿ظَنَّ﴾ مناسب تماماً للجو في السورة، فهو إلى اللحظة الأخيرة في حالة ظن وأمل، ولا يزال فراق الدنيا عنده ظناً لا يقيناً، وهو مناسب لقوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ فهو في الموطنين يفترض أنْ يكون في موقف علم ويقين، لكنه مع ذلك لا يزال في موقف ظن.

الآية ٢٩ـ٣٠:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ الالتفاف هو الاجتماع: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ والساق لها وجهان:

أـ تقال للأمر الشديد، كما تقول العرب: قامت الحرب على ساق، أي اشتدت.

ب ـ الساق هو عضو الإنسان المعروف، والمقصود أنه إذا مات الإنسان يبست ساقاه والتصقت إحداها بالأخرى.

٢ـ ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ وصل هنا إلى الموت الذي حصل يقيناً لا ظناً.

٣ـ قدّم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ليفيد القصر والاختصاص، وقدّم التعبير عن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لأنه هو المهم؛ لأنها جهة المساق ومنتهاه ومستقره.

٤ـ الناس يُساقون إلى ربهم وليس إلى مكان آخر أو ذات أخرى فسوقهم مختص بأنه إلى الله وحده لا إلى غيره.

٥ـ اختار لفظة ﴿الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ لأنّ الآية في مفارقة الروح للجسد عند الموت، فيُذهب بالميت بعد ذلك ويُساق إلى ربه ويوضع في القبر كموطن زيارة وليس موطن استقرار، ولم يختر لفظة ﴿الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ حيث هي مكان الاستقرار في الجنة أو في النار.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات:

الجواب :

الآيات ٣١-٣٢:

١- هذه الآيات إنما هي في الآخرة، فارتبطت بقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾.

٢- وارتبطت بالنفس اللوامة في حالتيها اللتين تسببان اللوم: العجلة والتسويف، ويقابل العجلة ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ ويقابل التسويف ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾.

٣- ارتبطت بقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ ذلك أنه كذّب وتولى، فقدّم شهواته ومعاصيه.

٤- ارتبط عدم الصلاة والتولي بإلقاء المعاذير.

٥- ارتبط قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ فإنه لم يؤمن، والإيمان باليوم الآخر من أهم أركان الإيمان.

٦- ارتبطت الآيتان بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾[القيامة:٢٥] لأنه لو صدّق وصلى لكان من أصحاب الوجوه الناضرة.

الآية ٣٣:

قوله: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣﴾ أي يتبختر.

١ـ وهذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥﴾ فهذا الذي يتبختر في مشيه ويلوي ظهره سيقصم فقار ظهره فلا يستطيع حراكاً، وهو جزاءٌ من جنس العمل.

٢ـ وهي مرتبطة بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ٣٠﴾ فهو كان يذهب إلى أهله متى شاء، أمّا الآن فهو يُساق إلى ربه سوقاً بالرغم من أنفه.

٣ـ لم يذكر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في الدنيا؛ لأنه كان يذهب كل يوم وليس في يوم معين، بخلاف يوم موته وسوقه، فذلك في يوم معين.

٤ـ قدّم الجار والمجرور في السوق: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ٣٠﴾ لأنه ليس له اختيارفي الآخرة، بعكس الدنيا فهو ينقلب إلى أهله وأصدقائه وإلى عمله متى شاء؛ لذلك لم يقدّم الجار والمجرور في الدنيا فقد كانت له الحرية، أمّا الآن فهو مسوق سوق العبد إلى مولاه.

في الدنيـــــا	في الآخرة
﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣﴾	﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ١٢﴾

الآيات ٣٤ـ٣٥:

١ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ عبارة تقال على جهة الزجروالتهديد، بمعنى: الويل لهم.

٢ـ (أولى) على صيغة اسم التفضيل، وهو يفيد قرب وقوع الهلاك واشتقاقها من الوَلي وهو القرب، والمعنى: الدعاء عليهم بأنْ يليهم مكروه.

٣ـ كرر اللفظ والدعاء للتوكيد، بخلاف آية سورة محمد ٢٠ ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ فلم يكررها؛ وذلك أنّ المذكور في آية القيامة أشد كفراً وضلالاً من المذكور في آية سورة محمد، حيث قال: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾[محمد:٢٠] وهؤلاء هم من ضَعَفَة الدين.

كذلك فإنّ المذكورين في سورة محمد أخبر عنهم وهم أحياء، وربما يتوبون، فباب التوبة مفتوح، بعكس المذكورين في سورة القيامة فأخبر عنهم بعد الموت وقد ماتوا على التكذيب.

كذلك ذكر في آية سورة محمد صفة واحدة وهي الجبن عن القتال فهددهم مرة واحدة، في حين ذكر أكثر من صفة من صفات الكفر في سورة القيامة فكرر تهديدهم، وبيان ذلك:

فلا صدق. ....أولى لك.

ولا صلى. ....فأولى.

ثم كرر هاتين الصفتين وأكدهما، فقال: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بمعنى: فلا صدق ثم قال: ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ وهي إثبات لعدم الصلاة وغيرها من الطاعات، لذلك الآية الثانية تكرير وتوكيد لما في الآية الأولى.

أي هو ذكر عدم التصديق وأكده بالتكذيب، وذكر عدم الصلاة وأكده بالتولي ولكلٍّ تهديدٌ ووعيد، فكرره أربع مرات، أي الويل لك حياً والويل لك ميتاً والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار.

لذا جاء بالفاء بين الأوليين لقربهما وهو عذاب الدنيا وعذاب القبر وجاء بالفاء الثانية في الآية الثانية لقربهما وهما يوم القيامة وعذاب جهنم.

٤ـ قال أولاً: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ وأكد بـ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ والتكذيب إنما يكون في الإعلان والإشهار، أمّا عدم التصديق فلا يستلزم الإعلان؛ لذلك التكذيب أشد سوءًا أو ضلالاً من عدم التصديق.

٥ـ كذلك قوله: ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ فقد كرّره وأكده بقوله: ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ والتولي أعم من عدم الصلاة وأشد، وعلى هذا فإنّ آية التوكيد أشد من الآية المؤكدَة.

٦ـ ذكرت السورة صفتين: الأولى التكذيب أي عدم الإيمان، والثانية التولي ومنها عدم الصلاة. ولا شك أنّ الصفة الأولى أشد من الأخرى.

٧ـ فرّق بينهما بـ ﴿ثُمَّ﴾ لعدة أسباب، منها:

أ ـ (ثم) تفيد عموم البعد والتباين في المرتبة، وليس المقصود بها التراخي في الزمن فقط.

ب ـ (ثم) للتراخي الزمني؛ إذ هناك عذاب القبر وعذاب الآخرة وبينهما مدة.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ ما معناه؟ وما فائدة تكراره؟

الجواب :

١ـ التكرار في القرآن الكريم جزء من الإعجاز، والآية الأولى فيها عطف على جزء من الآية بالفاء، ثم عطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ في الآية الثانية.

٢ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾هو دعاء على المخاطب بالويل القريب وهو الهلاك، وهو مشتق من (ولي) إذا قرب فهو اسم تفضيل يفيد قرب وقوع الهلاك، وهو مناسب لإيثارهم الدنيا وتقديمهم الفجور والشهوات وتأخيرهم الطاعات فكما عجلوا في المعاصي عجّل الله لهم الويل والثبور، وهو مناسب لجو السورة الذي يصور إيثار العاجلة عن الآخرة.

٣ـ سبق الآيتين قوله تعالى في السورة: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ [القيامة: ٣١ - ٣٢] فكان لكل واحدة تهديد، وهو ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾

حيث إنه نفى عن الكافر أفعال الخير بقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾ وأثبت له أفعال الشر بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ وحذف المفعول من الفعل ﴿صَدَّقَ﴾ لأنه أبلغ في التعظيم وهذا ليس بتكرار؛ لأنه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب.

ولكنّ الأمرين ليسا في منزلة واحدة، فإنّ عدم التصديق: أي عدم الإيمان أكبر جرماً وضلالاً من عدم الصلاة؛ لأنّ الإيمان هو الأساس ولا تنفع الصلاة بدون الإيمان؛ فلذلك كانت قوة التهديد بمقابل قوة الوصف فقال مقابل:[﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾] فذكر (لك)، ومقابل: ﴿وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾ قال: ﴿فَأَوْلَىٰ (٣٤)﴾ فحذف (لك)، إشارة إلى أنّ الصفتين ليستا بدرجة واحدة في الضلال.

ولفظة ﴿لَكَ﴾ للاختصاص، ومعناه: الشر أقرب لك من الخير، وقد خصصت الصلاة بالذكر؛ لأنها أهم العبادات.

٤ـ وأمّا التكرار فهو للتأكيد مقابل ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ فجاء ﴿كَذَّبَ﴾ مقابل ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ﴿وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ مقابل ﴿وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾.

وجاء أنّ الآية الأولى قيلت في حالة الاحتضار، وأنّ الآية الثانية جاءت في الحشر والنار.

٥ـ وقد ذكر الله تعالى عدم التصديق وأكده بالتكذيب، وذكر عدم الصلاة وأكده بالتولي، ولكلٍّ تهديدٌ ووعيد فكرره أربع مرات، كل وعيد مقابل كل صفة.

فالمعنى العام للآيتين أنّ الويل لك حياً والويل لك ميتاً والويل لك يوم الحشر والويل لك يوم تدخل النار.

٦ـ وأمّا استخدام الفاء بين جزأي الآية الأولى ﴿فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ لأنّ ما بين العذابين الأوليين عذاب الدنيا، وعذاب القبر قريب، وكذلك في الآية الثانية لأنّ ما بين يوم القيامة ودخول النار فترة قصيرة.

٧ـ وجاء بـ (ثم) التي تفيد التراخي، بمعنى عموم البعد الزمني بين الآيتين؛ لأنّ بين القبر والحشر آلاف السنين.

٨ـ ويفهم من الآية بشكل غير مباشر أنه من صدق وصلى وعمل صالحاً فكأنه يُقال له: بشرى لك فبشرى ثم بشرى لك فبشرى.

والله أعلم.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾.

هذه الآية مرتبطة بأول السورة وهو القسم بيوم القيامة، وذلك أنّ الإنسان مجزي عن عمله ولا يترك سدى، بل سيعاقب على فعله.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾.

١ـ حذف نون (يكن) لمراعاة جانب العجلة التي طُبعت عليه السورة. ولبيان أنّ الإنسان لا يكون إنساناً حتى يُراق المني في الرحم ويلتقي بالبويضة. ومعنى ﴿يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ أي يراق في الرحم، فإذا لم يُمن فلا تكوين لأنّ المني وحده لا يكون معه إنسان وكذلك البويضة وحدها، فلم يذكر من فعل الكون إلا ﴿يَكُ﴾ لأنّ اكتمال خلق الإنسان لا يكون إلا بهما معاً (المني والبويضة)، وهذا من بدائع الحذف البديعة.

٢ـ جاءت الآية ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ بحذف النون تنبيها على مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه، ثم يترقى في أطوار التكوين ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ بعد أنْ كان نطفة ناقص التكوين.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩﴾ [القيامة:٣٨-٣٩].

١ـ لم يذكر فاعل ﴿فَخَلَقَ﴾ و﴿فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ و ﴿فَجَعَلَ﴾ ولم يجرِ له ذكر، وعدم الذكر مناسب لحذف فاعل الترك ﴿يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ وكل ذلك مناسب لجو العجلة في السورة.

٢ـ الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ تعود على المني، فمن ماء الرجل يكون الذكر والأنثى وليس للأنثى فيه دخل، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ الذكر هو المسؤول عن الجنس وليس الأنثى.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾

١ـ اسم (ليس) لم يصرح به، وإنما كُنّي في اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾.

٢ـ ناسب آخر السورة أولها، فقد أقسم في أولها بيوم القيامة وختمها بإحياء الموتى.

٣ـ قال في أولها: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ﴾ على سبيل الإثبات، وهنا قال: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ﴾ على سبيل التقرير؛ وذلك:

أنّ إحياء الموتى أصعب من تسوية البنان في القياس العقلي، وإنْ كانت الأفعال بالنسبة إلى الله تعالى كلها سواء، فجاء في آية إحياء الموتى بأسلوب التقرير الاستفهامي الدال على الأهمية، وأكّد القدرة بالباء الزائدة.

في حين قال: ﴿قَادِرِينَ﴾ بالإثبات في تسوية البنان.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ٣٦: ﴿سُدًى ۝٣٦﴾ ما كلمات منظومة اللاشيء أو لا قيمة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ٣٧: ﴿أَلَرَيكُ﴾ متى تثبت النون؟ ومتى تحذف من الفعل: (أكن)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١٢٧.

السؤال الرابع :

ما دلالة استعمال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ في آية الروم ٥٠ و ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ في آية القيامة ٤٠؟ وهل من فرق بين الأسلوبين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٥٠.

السؤال الخامس؟

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ في الآية ٤٠؟

الجواب :

خصّ القرآن ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لمن أصابهم الموت حقيقة، وقد وردت كلمة ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ سبع عشرة مرة في القرآن الكريم، كما في الآيات [البقرة ٢٦٠ـ الأنعام ١١١ـ القيامة ٤٠].

وخصّ (الأموات) بمن ماتوا حقيقة وبغيرهم، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨].

ـ ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ [النحل:٢١].

ـ ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ [البقرة:١٥٤].

ـ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦].

ـ ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر:٢٢].

وخصّ (الميتين) لمن لم يمت بعد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزُّمر:٣٠].

السؤال السادس :

ما خطوط السورة الرئيسة؟

الجواب :

خطوط الســــــورة

أولاً: خط العجلة:

١ـ حذف جواب القسم، وهو: ﴿ لَآ أُقْسِمُ ﴾.

٢ـ حذف عامل الحال في: ﴿ قَٰدِرِينَ ﴾.

٣ـ عدم ذكر مرجع الضمير في: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ ﴾ ـ ﴿ جَمْعَهُۥ ﴾ ـ ﴿ قُرْءَانَهُۥ ﴾ ـ ﴿ بَيَانَهُۥ ﴾.

٤ـ عدم ذكر فاعل الفعل ﴿ بَلَغَتِ ﴾.

٥ ـ عدم ذكر فاعل الفعل ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٦ـ عدم ذكر فاعل ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾.

٧ ـ حذف النون في قوله ﴿ أَلَمْ يَكُ ﴾.

٨ ـ قوله: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ ﴾ أي أنه يؤثر العاجلة فيقدم شهواته.

٩ ـ قوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٠ ـ قوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)﴾.

ثانياً: خط الازدواج والاقتران:

١ـ القسم بيوم القيامة والنفس اللوامة.

٢ـ جمعت بين آيتين ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)﴾

٣ـ ذكرت نوعين من عمل الإنسان ينبأ بهما ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)﴾.

٤ ـ ذكرت ما خفي في النفس وما يظهره الإنسان من الحجج ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾.

٥ـ ذكرت العاجلة والآخرة.

٦ـ ذكرت ـ ﴿تُحِبُّونَ﴾ ـ و ـ ﴿وَتَذَرُونَ﴾.

٧ـ ذكرت نوعين من الوجوه: (الناضرة والباسرة).

٨ـ نفت نوعين من الطاعات: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾.

٩ـ أثبتت نوعين من المعاصي: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾.

١٠ ـ كررت آية واحدة مرتين: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤)﴾.

١١ـ ذكرت نعمتين من نعم الجنة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾.

١٢ ـ ذكرت عقوبتين من عقوبات النار: بُسور الوجه وقاصمة الظهر.

١٣ ـ ذكرت نوعين من الجمع: واحداً في القيامة: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)﴾ وآخر في الدنيا، وهو جمع القرآن ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)﴾.

١٤ ـ ذكرت نوعين من القدرة: تسوية البنان وإحياء الموتى.

١٥ ـ ذكرت نوعين من الإثبات: الصريح، وهو: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾، وعن طريق التقرير: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾.

١٦ ـ ذكرت نوعين من التسوية: جزئية مقيدة، وهي تسوية البنان وعامة مطلقة ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

١٧ ـ ذكر طورين من أطوار الإنسان: النطفة والعلقة.

١٨ ـ ذكر الجنسين: الذكر والأنثى.

١٩ ـ ذكر طريقتين من التعبير عن الله، وهما:

أ ـ التعبير بالجمع: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ ـ ﴿نَّجْمَعَ﴾ ـ ﴿نُّسَوِّيَ﴾.

ب ـ التعبير بالإفراد: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

والله أعلم.

رابعاً: التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها:

بدأت السورة بالقسم بيوم القيامة، وذلك قوله:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾.

وختمت بقوله:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

وذلك في يوم القيامة. والله أعلم.



سورة الإنسان

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة القيامة ومفتتح سورة الإنسان :

قال في أواخر سورة القيامة:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

وقال في أول سورة (الإنسان):

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

فالمذكور في سورة (الإنسان) قبل أنْ يكون الإنسان شيئاً مذكوراً.

وفي سورة القيامة ما بعد ذلك.

بل إنّ كلتا السورتين في شأن الإنسان على العموم.

والله أعلم.

ثانياً : هدف السورة : الهداية من الله.

هذه السورة توضح أحد المفاهيم الرئيسة التي يجب على الدعاة إلى الله أنْ يوقنوا بها، وهي أنّ المطلوب منك هو الدعوة فقط، أمّا النتائج فهي على الله سبحانه.

ولذلك نرى فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾. فكأنها تقول للدعاة: لا تيأسوا من تكذيب الناس لكم؛ لأنّ الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء.

ثالثاً: من اللمسات البيانية في السورة:

سياق السورة كلها في الإنسان، فتذكره قبل وجوده ثم وهو نطفة أمشاج وتذكره بعد ذلك كإنسان مكلف، وتذكره بعد خروجه من الدنيا إلى النعيم أو إلى السعير؛ ولذا ناسب تسميتها بسورة الإنسان.



﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ المفسرون يقولون: بأنّ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ بمعنى: قد أتى، وبما أنها مسبوقة باستفهام فيكون المعنى: أَقَد أتى.

والمعنى العام أنّ الله تعالى يسأل من الذي خلق الإنسان بعد أنْ كان عدماً؟ أو إذا لم يكن هذا الإنسان شيئاً مذكوراً، فمن الذي خلقه؟

والجواب: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

والإنسان هنا على الأرجح جنس الإنسان عموماً، إضافة إلى أنه يشمل آدم عليه السلام.

٢ـ قوله: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ هذا التعبير يحتمل أنه أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً، أو غير مذكور، أي النفي أصلاً وتحتمل أنْ يكون شيئاً، لكنه غير مذكور.

السؤال الثاني :

لماذا الاختلاف في التعبيرين التاليين؟

في سورة الإنسان ورد قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾.

في سورة مريم ورد قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾.

فما السبب؟

الجواب :

١ـ في سورة الإنسان إشارة إلى تطور مراحله، فقد خلق الله الإنسان من لا شيء فكان شيئاً ولم يكن مذكوراً، ثم من نطفة أمشاج، ولو لم يقل مذكوراً لأفاد أنه قفز فوق المرحلة المتوسطة.

٢ـ في سورة مريم: الآيات هي خطاب لزكريا عليه السلام عندما دعا ربه ليهب له غلاماً، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ فتعجب سيدنا زكريا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ فقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ أي أنّ الله تعالى خلقه ولم يكن شيئا أصلاً، ولو كان شيئا مذكوراً لم تظهر قدرة الله تعالى؛ لأنها ستفيد أنه كان شيئاً لكنه

لم يكن مذكوراً، إضافة إلى بيان أنّ الخلق من أبوين أيسر عند الله من الخلق من العدم، أي خلقه من العدم، وكله عند الله تعالى سهل، لكننا نتحدث من منطق البشر.

٣ـ العموم يدل على القدرة الأكبر، ولو قال في سورة مريم: (شيئا مذكوراً) لم تؤدِّ المعنى المطلوب، وهذا أدل على القدرة.

السؤال الثالث :

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

هناك أمران بيانيان في الآية:

١ـ في آية الإنسان استعمل الفعل الماضي ﴿أَتَىٰ﴾ بدل (جاء)؛ والسبب أنّ القرآن يستعمل (أتى) فيما هو أيسر، وأمّا (جاء) فيستعمل فيما هو أشق وأصعب؛ ليدل على أنّ خلق الإنسان سهل على الله تعالى.

٢ـ قدّم الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ على الفاعل ﴿حِينٌ﴾؛ لأنّ الكلام في السورة عن الإنسان وليس عن الدهر، فاقتضى تأخير الفاعل وتقديم الجار والمجرور.

السؤال الرابع :

ما دلالة حرف الاستفهام ﴿هَلۡ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرحمن ٦٠.

السؤال الخامس :

ما دلالة كلمة ﴿حِينٌ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب :

(حين) من الظروف المبهمة، بمعنى أنه ليس لها وقت محدد، لكن قد يُعلم وقتها بما تضاف إليه.

* شواهد قرآنية:

آية يونس ٩٨ تفيد مدة العمر في الحياة الدنيا.

آية الإنسان (١) تفيد مدة أربعين سنة، كما جاء في كتب التفسير.

آية ابراهيم (٢٥) تفيد مدة سنة كاملة حسب ثمار النخل كل سنة.

آية الروم (١٧) تفيد مدة اليوم الواحد.

السؤال السادس :

ما الفرق بين الإنس والإنسان والناس والأنام والبرية والبشر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٣.



﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ إنّ السؤال في الآية الأولى يجعل السامع يقول: نعم قطعاً أتى عليه هذا الحين، فيُطرح سؤالٌ آخر: من خلق هذا الإنسان؟ فيجيب الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ والإجابة جاءت بضمير التعظيم والتوكيد ﴿إِنَّا﴾ وقدّم اسم إنّ على الجملة الفعلية التي هي خبر إنّ، ومن جملة معاني التقديم (القصر)، أي: نحن خلقنا الإنسان على سبيل الحصر والقصر.

٢ـ قال: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بضمير التعظيم؛ ليدل على أنّ الخالقَ والمبتليَ هو الله تعالى، لأنه أحياناً قد يكون الابتلاء من إنسان على إنسان، وهذا يدل على عظمة الأمر الذي يُبتلي به.

٣ـ وقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ منسوب إلى الله تعالى الذي تفضّل على الإنسان فخلقه وأنشأه وهو الذي اختبره، وذكر الوسائل التي يصح معها الاختبار ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

السؤال الثاني:

من المقصود ب ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في الآية؟

الجواب:

المقصود هنا بالإنسان هو ذرية آدم وليس آدم عليه السلام كما في الآية الأولى، وهذا يدل على القدرة والاستمرار؛ ولذلك قال هنا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ليدل على ذرية آدم، ولم يقل مثلاً: إنا خلقناه من نطفة أمشاج.

السؤال الثالث :

ما دلالة التعبير ﴿نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ﴾؟

الجواب :

الأمشاج هي الأخلاط، وكلمة أمشاج تستعمل مفرداً وجمعاً: مشيج ومشج والجمع أمشاج، مثل شريف وأشراف، ومشج تجمع على أمشاج مثل بطل وأبطال.

وهناك كلمات عديدة في اللغة العربية تستعمل مفرداً وجمعاً، مثل:

كلمة (بشر)، قال تعالى: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ ـ ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا﴾.

وكلمة: (الفلك)، وكلمة: (طفل)

والسؤال أنه طالما تستعمل كلمة أمشاج للمفرد والجمع، فلماذا اختار الجمع على المفرد؟

والجواب: أنّ اختيار الجمع لكثرة ما فيها من أخلاط وامتزاجات، مثل أن تقول: أرض قفر وأرض قفار، فالجمع يعني أنّ كل جزء من الأرض قفر على حدة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ﴾ من كثرة ما فيها من أخلاط.

السؤال الرابع :

ما دلالة الفعل ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ أي بمعنى: نختبره ونمتحنه.

الفعل المجرد (بلى يبلو) أمّا الفعل: (ابتلى يبتلي) ففيه مبالغة أكثر فقال الله: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ وليس نبلوه للدلالة على المبالغة في الاختبار، قال تعالى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾[آل عمران:١٥٤] ـ ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾[الأحزاب:١١].

٢ـ الجملة الفعلية ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ لها معنيان:

ـ التعليل بمعنى (لنبتليه)، وهي جملة استئنافية تفيد التوكيد.

ـ حال من الفاعل، وهي ثلاثة أقسام:

أ ـ حال مقارنة: مثل جاء ماشياً وهذه أكثر الأنواع وقوعاً.

ب ـ حال مقدرة: وتقع في الاستقبال يعني الفعل في زمن والحال في زمن آخر في المستقبل. قال تعالى: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ والحلق والتقصير هما آخر الشعائر بعد الطواف والسعي.

ج ـ حال محكية: يكون زمانها في الماضي.

٣ـ إذن استخدام كلمة: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ أفاد عدة معانٍ، وهذا من باب التوسع في المعنى، ولو جاء الفعل باللام (لنبتليه) لما أفاد إلا معنى التعليل.

السؤال الخامس:

جاء في سورة الملك: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [المُلك:٢].

فاستعمل هنا الفعل (بلى يبلي) بالتخفيف ولم يستعمل (ليبتليكم) فلماذا؟

الجواب :

١ـ آية الملك٢ تنتهي بـ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ والمغفرة تقتضي التخفيف لأنّ الابتلاء والشدة لا تتناسبان مع الغفور وهي صيغة مبالغة، والتخفيف جزء من المغفرة.

٢ـ في سورة الإنسان ذكر ما يصح معه الابتلاء كالسمع والبصر وبيان السبيل، وأطال في ذلك فناسب إطالة صيغة الابتلاء ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أمّا في سورة الملك فلم يذكر أياً من وسائل الابتلاء، إنما ذكر خلق السماوات مباشرة في الآية٣ فاقتضى استعمال الصيغة المخففة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ .

٣ ـ في سورة الإنسان السياق والوسائل وما ذكر من أعمال وأفاض في ذكر النعيم وذكر الكافرين والظالمين، مما جعل ذكر الابتلاء أنسب انظر الآيات [٧ـ٨ـ٢٤ـ ٢٥].

٤ـ أمّا لماذا لم تستخدم هذه الصيغة في آية سورة الملك لتفيد التوسع في المعنى؟ فذلك لأنّ التعبير في سورة الملك لا يحتمل أصلاً حيث ذكر خلق الموت والحياة، ولم يذكر الإنسان فكيف تأتي الحال وهو لم يذكر الإنسان.

السؤال السادس :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ ما دلالة تقديم السمع على البصر؟

الجواب :

١ـ الله سبحانه ذكر مستلزمات الابتلاء: السمع والبصر والعقل والاختيار، وذكر موقف المكلفين من الاختيار، فقسم منهم شاكر وقسم كفور، وذكر عاقبة الابتلاء

(الجنة والنار)، وذكر المبتلي وهو الله تعالى وذكر المُبتلى وهو الإنسان، فلم يدع شيئاً يخص الابتلاء إلا وذكره. والابتلاء لا يصح بدون هذه الأدوات كلها.

٢ـ قدّم الله السمع على البصر كما هو شأن كثير من الآيات في تقديم السمع على البصر؛ لأنّ السمع أهم في باب التكليف من البصر؛ لأنّ فاقد السمع يصعب تكليفه بخلاف فاقد البصر الذي يمكن تبليغه بشكل أسهل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾، وفي هذه السورة قدّم الله السمع والبصر على الهداية؛ لأنّ السمع والبصر يوصلان المعلومات إلى العقل وبدونهما تتعسر الهداية.

٣ـ ولم يفصل بين السمع والبصر بواو، إنما جاءت الصفتان متصلتين ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ لئلا يفهم أنه تعالى خلق الإنسان على نوعين منهم من يسمع ومنهم من يبصر.

السؤال السابع :

لماذا استخدم صيغة المبالغة ﴿سَمِيعَۢا﴾ ولم يستخدم (سمّاعاً)؟

الجواب :

في القرآن الكريم استعمل الصيغة ﴿سَمِيعٌ﴾ في مقام المدح وفي استعمالين اثنين:

أـ كوصف لله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

ب ـ في وصف الإنسان: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

أمّا صيغة (سمّاع) فاستعملت للإنسان في مقام الذم فقط، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ

تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾[المائدة:٤١]، وفي سورة التوبة: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة:٤٧].

وفي آية سورة الإنسان السياق فيها بالامتنان على الإنسان؛ لذا اقتضى استخدام الصيغة ﴿سَمِيعٌ﴾ وليس (سمّاع).

لمزيد من المعلومات حول تقديم السمع على البصر انظر آية الإسراء ١.



﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ ـ أسند الله تعالى الهداية إلى نفسه بضمير التعظيم والتوكيد كما أسند لنفسه الخلق في أول السورة؛ حتى يبين للناس أنّ المنهج الصحيح لا يستطيعه أحد إلا الله، ولو تُرك الناس إلى عقولهم لأصبحوا شيعاً وأحزاباً فالله هو الذي خلق، وهو أعلم بمصالح العباد.

٢ ـ الفعل ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾ عدّاه بنفسه، والفعل (هدى) قد يتعدى بنفسه ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ وقد يتعدى بـ (إلى) مثل قوله تعالى: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وقد يتعدى باللام ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

وتعدية الفعل بدون حرف جر، فإنها تقال لمن كان في الطريق فتبين له مراحل الطريق، ومن لم يكن في الطريق أو كان بعيداً عن الطريق فترشده وتدله عليها، وهنا قد جمع المعنيين.

للمزيد راجع تفسير سورة الفاتحة الآية: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾.

(شاكر) صيغة اسم فاعل و(كفور) صيغة مبالغة، ولم يجعلهما على نمط واحد ـ (شاكراً أو كافراً أو شكوراً أو كفوراً)، وذلك:

١ـ الشكور قليل كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝﴾ولو قال: (شكوراً) لكان أخرج من بينهم الشاكرين وهم الأكثر. ولم يقل: (كافراً) بصيغة اسم الفاعل؛ لأنّ الكافر لم يستعملها القرآن مقابل الشاكر وإنما مقابل المؤمن. قال تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

٢ـ صيغة (كفور) يستعملها القرآن لأمرين:

أـ للكافر المبالغ في الكفر: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝﴾.

ب ـ لجاحد النعمة غير الشاكر: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝﴾.

السؤال الثاني :

في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ كيف يكون الكفر مقابل الشكر وخاصة أنه عدّى الفعل باللام ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ علماً أنّ الكفر المقابل للإيمان يُعدّى بالباء لا باللام، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فلا نقول يكفر لله وإنما يكفر بالله؟

وكذلك الكفر المقابل للشكر فيتعدى الفعل بنفسه، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ بمعنى كفر النعمة أو كفر صاحب النعمة؟

الجواب :

اللام هنا في ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ تسمى لام التقوية، والقاعدة النحوية في هذا المجال أنه إذا تأخر الفعل أو كان مصدراً أو صيغة مبالغة فقد يُؤتى بلام التقوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ أي فعّال ما يريد، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ .

السؤال الثالث :

في آية التغابن قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ فاختار الكفر مقابل الإيمان، بينما في سورة الإنسان اختار الشكر مع الكفران، فما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية التغابن ذكر الله تعالى نعمة الخلق فقط، فاختار هنا الكفر مقابل الإيمان، بينما في سورة الإنسان فقد ذكر تعالى الخلق والهداية فاختار الشكر مع كفران النعمة؛ لأنّ نعمة الخلق والهداية لا تقتضي الإيمان فقط وإنما تقتضي الشكر، فكما زاد وتفضل بأنْ جعل الخلق وزيادة، فذكر الشكر وزيادة، وخاصة أنّ جو السورة مناسب لذكر الشكر والإيمان.

٢ـ وهناك أمر آخر حسّن اختيار الشكر، وهو أنه ذكر في سورة الإنسان كلمة السبيل ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ والسبيل هي الطريق المسلوكة الميسرة السهلة وكونها ميسرة من الله مدعاة لشكره.

بينما قال في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾ والنجد هو الطريق الجبلي في الأرض المرتفعة، لذلك ربنا أتبعها بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)﴾ أي بالتواصي بالصبر؛ لأنّ سلوك النجدين يحتاج للمجاهدة والصبر، أمّا هداية السبيل الميسرة فتحتاج إلى شكر.

السؤال الرابع:

لماذا قدّم (الشاكر) على (الكفور) في الآية؟

الجواب :

١ـ قدّم الشكر؛ لأنه قدّم ما يستدعي الشكر مثل الخلق والهداية، وأفاض في ذكر جزاء الشاكرين في سبع عشرة آية [٥: ٢٢] بينما اختصر في عقاب الكافرين على الآية الرابعة فقط.

فاقتضى ذلك تقديم الشاكرين على الكافرين.

إضافة إلى أنه قدّم الرحمة على العذاب في آخر السورة: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾[الإنسان:٣١].

٢ـ وكذلك ما اجتمع في القرآن الشكر والكفر إلا قدّم الشكر على الكفر كما في الآيات: ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾، ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ﴾.

إلا في آية واحدة في سورة الزمر، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

والسبب في ذلك أنه تقدم ذكر الكفر والكافرين في الآية الثالثة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ فناسب سياق السورة تقديم الكفر على الشكر.

إضافة إلى أنه في آخر سورة الزمر ذكر عقاب الكافرين أولاً: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ .... ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ٧١: ٧٣.



﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين(أعتدنا وأعددنا)؟

الجواب :

أكّد تعالى الإعتاد والعذاب كما أكّد الخلق والهداية.

ما الفرق بين (أعتدنا وأعددنا)؟

القرآن يستعمل ﴿أَعْتَدْنَا﴾؛ لأنّ (أعتد) فيها حضور وقرب، والعتيد هو الحاضر ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ أي حاضر، وقوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ بمعنى حضّرت.

أمّا الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾.

*** شواهد قرآنية:**

١ـ الحق سبحانه يقول في سورة النساء: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ فهؤلاء ماتوا فأصبح الحال حاضراً وليس مهيئاً فقط.

٢ـ وفي سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ فهم أغرقوا وماتوا فجاءت ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٣ـ أمّا في سورة النساء فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ فهؤلاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتا، فجاءت ﴿أَعَدَّ﴾ بمعنى هيّأ.

٤ـ كما أنه جاء في آخر سورة الإنسان: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ لأنّ الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة.

هذا، ولم يرد في القرآن الكريم كلمة (أعددنا) مطلقا، أي (أعدّ + الضمير)، وإنما يستعمل(أعتدنا) وهي خصيصة من خصائص التعبير.

السؤال الثاني :

استخدم القرآن في الآية الثالثة كلمة: ﴿كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ ثم في هذه الآية: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ والكافرون جمع كافر، بينما جمع كفور كُفُر مثل رسول ورسل، أي لماذا لم يقل مثلا أعتدنا للكُفُر؟

الجواب:

لو قال ذلك لكان الظن يذهب إلى أنّ العذاب يتناول المُبالغ في الكفر، أي كأنّ الكافر لا يناله العذاب، لكن لّما ذكر عذاب الكافرين كان من باب أولى عذاب الكفور.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾؟

الجواب:

السعير هو عذاب جهنم للكافر عموماً، فلماذا ذكر السلاسل والأغلال؟

ذكر الله أنه أطلق للإنسان الحرية في الاختيارفي الدنيا وهداه السبيل فلم يسلكها؛ ولهذا قيّده الله تعالى في الآخرة، والحرية عكس القيد والسلاسل تقيد حركة الأرجل، والأغلال تقيد حركة الأعناق والأيدي، وذلك مقابل الحرية المطلقة التي كانت لهم في الدنيا.



﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ورد في القرآن الجمع (الأبرار) و(البررة)، لكنه يستعمل الأبرار للناس المكلفين، ويستعمل البررة للملائكة، ولم يستعملها للناس مطلقاً ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ والسبب أنّ صيغة (الأبرار) جمع قلة وهم قليلون في الناس ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ بينما صيغة(بررة) جمع كثرة والملائكة كلهم أبرار وبررة.

٢ـ الكأس هي الزجاجة التي فيها شراب، فإذا كانت فارغة تسمى زجاجة، وفي الآية ذكر تعالى صنفين من المُنعَمين:

أـ الأبرار الذين يشربون من كأس ممزوجة بالكافور.

ب ـ عباد الله وهم المقربون، وكلمة (عبد الله) هي أرفع وسام يصف الله به عبده: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾﴾ وهذه العبودية هنا هي العبودية الاختيارية، وهؤلاء يشربون من العين خالصة.

٣ـ ونلحظ أنه مع (الأبرار) عدّى الفعل بـ ﴿مِن﴾، ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٍ﴾ وفي (المقربين) عدّى الفعل بالباء ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ وهذا يدل على أنّ جزاء المقربين أعلى من جزاء الأبرار، ويقولون إنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكيف دلّ على ذلك؟

أ ـ الأبرار يُؤتى لهم بكأس يشربون منها، أمّا المقربون فيشربون بها وهي تفيد الإلصاق فصار التلذذ بالنظر وبالشراب.

ب ـ الأبرار يشربون من كأس ممزوجة بالكافور، وليست خالصة وهي تمزج لهم بقدر أعمالهم في الدنيا، أمّا المقربون فيشربون من العين خالصة بدون مزج.

ج ـ التعدية بالباء تدل على نزولٍ في المكان والشرب الخالص والارتواء منها.

د ـ قال تعالى في عباد الله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ⁽٦⁾﴾ بمعنى يجرونها حيث شاؤوا، وهذا يدل على أنه ليس فيها عناء وتتم بسهولة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين أبرار وبررة في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٩٣.

السؤال الثالث :

قال أولاً في الآية الخامسة: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ وقال بعدها في الآية السادسة ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ فما السبب؟

الجواب :

معنى الباء:

قيل إنّ (الباء) ههنا تفيد التبعيض بمعنى ﴿مِن﴾ أي يشرب منها أي من بعضها، وقيل: أي يرتوي بها.

وفيها معنى آخر، وذلك أنّ قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ يدل على أنهم نازلون بالعين يشربون منها، فقولك: [نزلت بالمكان] يدل على القرب، ويكون الشرب والتمتع حاصلاً بلذتي النظر والشراب بخلاف الأول؛ لأنّ العين هنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء نفسه، نحو (نزلت بعين) فصار كقوله: مكاناً يشرب به.

البيـــان:

قالوا إنه ذكر صنفين من السعداء:

أـ الأبرار.

ب ـ هم الذين سماهم ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ وهم أعلى مرتبة ممن قبلهم؛ وذلك أنّ القرآن يستعمل كلمة ﴿عَبْدُ﴾ على معنيين:

١ـ العبودية القسرية: وهي التي يشترك فيها كل الخلق كافرهم ومؤمنهم وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾[مريم:٩٣-٩٤] وهذه العبودية ليس فيها فضل لأحد على أحد.

٢ـ العبودية الاختيارية: وهي أنْ يجعل الشخص نفسه عبداً خالصاً لله موطّناً نفسه على عبادته، متحرياً مرضاته ساعياً في طاعته، واضعاً نفسه ووقته في خدمة مولاه. ويتفاضل الناس بمقدار هذه العبودية، فكلما كان الشخص أكمل في عبوديته هذه كان أقرب إلى سيده.

وتطلق هذه الصفة (العبودية) على أعلى الخلق في مقام التشريف، وهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾[الجن:١٩] وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء:١] وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإسراء:٣].

من هنا يتبين أنّ مرتبة الذين سماهم ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أعلى من الأبرار. .. وقد فرّق بين النعيمين كما فرّق بين الصنفين:

فقد قال في الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾.

وقال في الآخرين: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾.

وأنت ترى الفرق واضحاً بين النعيمين، فقد قال في الأبرار:

إنهم يشربون من كأس....وإن هذه الكأس ليست خالصة بل ممتزجة: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾.

وأمّا الصنف الآخر فهم لا يشربون من كأس يؤتى بها بل يشربون خالصة من العين وهي مرتبة أعلى...ثم قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل: يشرب منها، أي يرتوون بها...هذا علاوة على التمتع بلذة النظر وهم نازلون بالعين.



﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

كأنّ قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ هو العمل، وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ هو النية فقرن النية بالعمل.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ أي منتشراً، بحيث يملأ السماوات والأرض، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه واستطار: أي تفشى وبلغ أقصى حد.

السؤال الثاني:

ما أشهر معاني الفعل الناقص ﴿كَانَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٧٩.



﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

(الهاء) في (حبه) يعود في الأغلب إلى الطعام، مع أنهم محتاجون إليه، وهذا هو الإيثار، ويحتمل أنْ يعود على المصدر (الإطعام) كقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فالضمير ﴿هُوَ﴾ يعود على العدل.

كما يحتمل أنْ يعود الضمير على حب الله بمعنى ابتغاء وجهه، كما في الآية التاسعة من نفس السورة: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ وبمعنى مختصر فإنّ الضمير يمكن أنْ يعود على:

أـ الطعام: من باب الإيثار وعليه أكثر المفسرين.

ب ـ الإطعام: وهو من باب الإحسان.

ج ـ حب الله: وهو من باب الإخلاص.

وهو في الحقيقة يجمع المعاني كلها.

السؤال الثاني :

لماذا ذكر الله كلمة (الطعام) مع الفعل: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ ولم يقل: ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾ فقط؟

الجواب :

ذكر الطعام حتى يصح عودة الضمير عليه، ولو حذف الطعام لما عاد الضمير عليه، وهو أعلى الأوجه، وهو(الإيثار).

السؤال الثالث :

ما دلالة ذكر ثلاثة أصناف من البشر بالترتيب التالي: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⁽٨⁾﴾؟

الجواب :

١ـ التقديم بحسب الرتبة وحسب الحاجة: فالمسكين محتاج على الدوام وهو من المذكورين في باب الزكاة، وإطعامه على الوجوب.

أمّا اليتيم فقد يكون محتاجاً وقد يكون غنياً، وأمّا الأسير فقد يكون كافراً وإطعامه لا يدخل في باب الوجوب على أفراد المسلمين، وإنما يدخل في باب الوجوب على الحاكم أو ولي الأمر؛ لذلك بدأ بمن هو أولى وهو المسكين أولاً ثم اليتيم ثم الأسير.

٢ـ التقديم بحسب الكثرة: فالمساكين هم أكثر من اليتامى؛ لأنّ اليتيم يزول بالبلوغ، أما المسكين فيبقى مسكيناً.

كذلك اليتامى أكثر من الأسرى؛ لأنّ الأسرى لا يكونون إلا في زمن الحرب.

٣ـ بحسب القدرة على التصرف: المسكين له الأهلية الكاملة على التصرف، أمّا اليتيم فأهليته ناقصة حتى يبلغ، فلا يمكن أنْ يتصرف حتى يأمر فيه صاحب الأمر.

السؤال الرابع :

لماذا استعمل كلمة: ﴿وَيُطۡعِمُونَ﴾ ولم يقل: (ويتصدقون)؟

الجواب :

أراد عموم الخير سواء كان فاعله غنياً أم فقيراً، وسواء كان المُطعِم تجب عليه الصدقة أم لا تجب، ويشمل المتصدق عليهم وغير المتصدق عليهم. فكلمة (يطعمون) تدل على فعل الخير العام، وهذا المعنى لم تكن لتدل عليه كلمة (يتصدقون).



﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر والقصر، أي أنّ الغاية من الإطعام هي الإيثار لوجه الله فقط، وهذا يدل على الإخلاص، ولو قال مثلاً: (نحن نطعمكم)، فهذا يؤدي أنهم يطعمون لوجه الله ولا ينفي إطعامهم لغير وجه الله بخلا ف المعنى المقصود من الآية، وهو قصر الإطعام لوجه الله تعالى فقط.

وقد يقول قائل: جملة (نحن نطعمكم) فيها حصر بالتقديم، فنقول: نعم ولكن حصر بالفاعل (نحن) وليس حصراً بالفعل، وهذا يُغير المعنى المقصود من الآية ـ يعني نحن لا غيرنا نطعمكم ـ وهذا معنى غير مطلوب ولا يصح؛ لأنّ هناك غيرهم من يُطعم، أمّا استخدام ـ ﴿إِنَّمَا﴾ فهي تفيد تخصيص الفعل لوجه الله تعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ أي لا نريد مكافأة بالعمل ولا شكراً باللسان.

ولم تذكر الآية فعل القول: أي قالوا لهم لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً وذلك حتى يشمل لسان الحال، فهم لم يقولوا ذلك بلسانهم، ولكن قالوه بلسان حالهم، وقد يكون أبلغ، وهذا من باب الإخلاص أيضاً؛ لأنهم قالوه بلسان حالهم.

٣ـ وقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ أي أنهم لم ينفوا إرادة الجزاء والشكر، وإنما أرادوه من رب العالمين فقط لا من الناس الذين يطعمونهم، ولا يصح أصلاً أن تقول لا نريد جزاء ولا شكوراً بشكل مطلق.

٤ـ قدّم الجزاء على الشكر؛ لأنّ الجزاء بالفعل أهم من الشكر باللسان والناس في الدنيا يهمهم الجزاء بالفعل وليس الشكر باللسان.

٥ـ كذلك نلاحظ تكرار (لا) في قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ وهذا يدل على أنهم لا يريدون أي واحد من الجزاء أو الشكر على وجه الاجتماع أو على وجه الافترق، حتى لا يفهم أنهم قد يريدون أحدهم.

ونلاحظ أنه قال: ﴿لَا نُرِيدُ﴾ ولم يقل (لا نطلب)؛ لأنّ الإنسان قد يريد ولا يطلب، فنفي الإرادة أبلغ وأعم من نفي الطلب، فهو ينفي الطلب و الإرادة.

٦ـ وكذلك نلاحظ أنه استعمل كلمة ﴿شُكُورًا ۝٩﴾ وليس (شكراً) والسبب أنّ (الشكر) تجمع على (شكور)، والشكور تحتمل الجمع والإفراد مثل القعود والجلوس.

وقد استعمل القرآن كلمة [الفسق والفسوق] لكن لكلٍ منهما دلالته فجاءت كلمة (الفسق) مع الذبائح والأطعمة، بينما جاءت كلمة (الفسوق) عامة لتدل على الخروج على الطاعة، والجمع يدل على الكثرة أي لا نريد الشكر وإنْ تعدد الإطعام باعتبار الجمع.

٧ـ وقد استعمل القرآن كلمة (الشكور) في الحالتين، وإذا أردنا (الشكور) مصدراً فهو أبلغ من (الشكر). وقد استعملت كلمة الشكور في القرآن مرتين في هذه الآية وفي آية سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ **[الفرقان:٦٢].**

واستعمل (الشكر) مرة واحدة في قصة آل داود في سورة سبأ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ **[سبأ:١٣].**

٨ـ ومن ملاحظة الآيات التي ورد فيها كلمتا [الشكر والشكور] نرى أنّ استعمال الشكر جاء في الآية التي خاطب الله تعالى فيها آل داود، وهم قلةٌ بالنسبة إلى عموم

المؤمنين المخاطبين في سورة الفرقان، أو في هذه السورة التي فيها الإطعام مستمر إلى يوم القيامة، والشكر أيضاً سيستمر إلى يوم القيامة ما دام هناك مطعِمون ومطعَمون.

٩ـ كما أنّ كلمة ﴿يَذَّكَّرَ﴾ في آية الفرقان فيها تضعيفان، فالذي يبالغ في التذكر مبالغ في الشكر، فيبدو - والله أعلم- أنّ استعمال (الشكور) أبلغ من استعمال(الشكر) في آية سورة الإنسان.



﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه جملة مستأنفة تفيد التعليل، أي لماذا يطعمون الطعام؟ ولماذا لا يريدون الجزاء والشكر من المطعَمين؟ والجواب: لأنهم يخافون من ربهم يوماً عبوساً قمطريراً. وهذا الوصف على المجاز؛ لأنّ اليوم لا يوصف بالعبوس، ومحتمل لإرادة العموم، فهو عبوس، هو وأهله ومن فيه.

و(عبوس) صيغة مبالغة و(قمطرير) أي شديد العبوس، وهي صيغة مبالغة تدل على الشدة.

٢ـ قال هنا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ ومن قبل قال: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ فالله هو الرب. قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران:٦٤] وقد يكون من الأنسب استعمال كلمة الرب مع وجود الخوف فالرب هو القيم والمربي والقائم على شؤون عباده وخاصة في الشدائد والخوف.

٣ـ نلاحظ في الآيات السابقة أنّ الله تعالى ذكر عبادتين ظاهرتين، وهما الوفاء بالنذر والإطعام، وذكر عبادتين قلبيتين، وهما الخوف من اليوم الآخر والإخلاص لوجه الله، ونفى عنهم شيئين هما: الجزاء والشكور وذكر صنفين ممن يطعَمون هما: صنف مسالم (اليتيم والمسكين) وصنف محارب (الأسير)، وذكر صنفين من المسالمين هما المسكين واليتيم، وأحدهما بالغ والآخر قاصر.

والله أعلم.



﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا ذكر ربنا أنهم يخافون ذلك اليوم قال: {وقاهم الله شر ذلك اليوم} وقابل العبوس بالنضرة وهما في الوجه، وقابل الخوف بالسرور وهما في القلب.

قابل بين (الخوف والسرور)، مع أنّ مقابل (الخوف الأمن)؛ وذلك لأنّ السرور هو الأمن وزيادة، وقد يكون الإنسان في أمن لكنه بلا سرور وكذلك قابل (العبوس

بالنضرة)؛ لأنّ الوجه قد يكون غير عابس، لكنه غير نضر، وهذا زيادة؛ لأنه تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ولم يقابلها بمثلها.

فالسرور مقابل الحزن وليس مقابل الخوف، فالخوف عادة يكون قبل أنْ يقع الشيء، فإذا وقع حزن الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لذا ذكر هنا العاقبة، وهي السرور.

٢ـ قال في الآية السابعة: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ وهنا قال: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ وهذا يعني أنهم خافوا اليوم وما فيه من شرور ومصاعب وحساب، وهو يوم عسير يجعل الولدان شيباً، لكنه تعالى وقاهم شر ذلك اليوم ولم يقِهم اليوم نفسه، وفي هذا إنذار وتخويف، فكل إنسان سيشهد ذلك اليوم بما فيه وحسبه أنْ يقيه الله تعالى شر ذلك اليوم.

٣ـ الفاء في ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾ تفيد السببية في أغلب معانيها، وهي تعني: بسبب ما فعلوه في الدنيا وقاهم الله شر ذلك اليوم.



﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾، وهنا قال: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ لأنّ اللقاء يكون قبل الجزاء، ثم يأتي الجزاء بعده وهو الجنة.

٢ـ (ما) لها معنيان:

أـ مصدرية أي بصبرهم.

ب ـ اسم موصول والعائد محذوف، أي بالذي صبروا عليه من الطاعات والإيثار، وحذف العائد ليفيد المعنيين، ولو ذكر العائد لتخصص بمعنى واحد، وهذا من باب التوسع في المعنى.

٣ـ وجمع أمرين وهما (الجنة والحرير)، وقد يكون للمتقي أكثر من جنة ولهذا يجمع القرآن جنة على جنات ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾، ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ والجنة هي البستان، وفي الآخرة هي اسم لدار السعادة، والجنة للأكل مقابل إطعامهم الطعام لوجه الله تعالى فقط فجزاهم ربهم أكثر مما فعلوا مصداقا لقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فزاد الحرير على الجنة من كرمه تعالى.



﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

كرر (لا)، ولوذكرت مرة واحدة لأوهم أنه فقط عند الاتكاء لا يرون شمساً ولا زمهريراً، وأنهم لو غادروا المكان لرأوا الشمس والزمهرير ولكن هذا المعنى غير مطلوب؛ لأنّ المقصود بالآية أنه سواء عند الاتكاء أو عندما يغادرون المكان لا يرون شمساً ولا زمهريراً في كلتا الحالتين ولذا اقتضى تكرار (لا).

الشمس دليل النور، والزمهرير في اللغة هو البرد الشديد، وقيل: معناه القمر، وبالتالي يكون المعنى الأول: لا يرون شمساً ولا قمراً، وبالمعنى الثاني نفى الحر والبرد؛ ولهذا استعمل كلمة (الزمهرير)؛ لأنها تجمع المعنيين، ولو استعمل القمر بدل الزمهرير لأفاد معنى واحداً فقط.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الاتكاء والجلوس؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٧٨.

السؤال الثالث :

ما دلالة لفظ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

جمع تعالى بين دنو الظلال وتذليل القطوف التي تفيد الدنو، أي أنها ميسرة، وليس هناك ما يمنع من رد اليد عنها.

وقال: ﴿وَدَانِيَةً﴾ بالصيغة الاسمية و﴿وَذُلِّلَتْ﴾ بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الظلال ثابتة مستقرة، فجاء بالصيغة الاسمية التي تدل على الثبوت، أمّا القطوف فهي متجددة كلما أكلوا منها أو قطفوا منها؛ لذا جاء بالصيغة الفعلية التي تدل على التجدد.



﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

بعدما ذكر الفاكهة ذكر الشراب، ذكر المشروب بعد الطعام، وحيث اجتمع في القرآن الطعام والشراب في الدنيا أوالآخرة قدّم الطعام على الشراب ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ وذكْرُ الطعام قبل الشراب لأنّ الطعام أهم.

﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾

١ـ المعلوم أنّ القوارير تكون من زجاج، فكيف جمعها مع الفضة؟

فضة الجنة العجيبة وهي في صفاء القوارير وشفافيتها.

٢ـ أطلق ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ الأولى في الآية السابقة، علماً أنها ممنوعة من الصرف؛ وذلك لإطلاق جنسها ونوعها، ولمّا قيّدها في الآية التي تليها لم يطلقها، هذا علاوة على رعاية الفاصلة، فزادها حسناً على حسن. والله أعلم.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾

لها معنيان: الأول على قدر حاجتهم من الحجم، والثاني على حسب رغبتهم في الشكل، أي قدّروها حسب ما يرغبه الشخص من هيئة وشكل.

السؤال الثاني:

في سورة الزخرف ذُكر استعمال الذهب: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ الزخرف (٧٠: ٧٣).

وفي سورة الإنسان ذُكر استعمال الفضة:﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ فلماذا الاختلاف بين الاستعمالين؟

الجواب:

في سورة الزخرف نلاحظ زيادة في الإكرام على ما جاء في سورة الإنسان، وذلك:

١ـ ذكر أنهم المتقون وأضافهم لنفسه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزخرف (٦٧: ٦٨) وهذه مرتبة أعلى مما جاء في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾.

٢ـ في الزخرف جاء أنهم جمعوا بين الإيمان والإسلام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ والإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد بالعمل، والإيمان يدخل فيه عموم العمل الصالح.

أمّا ما ورد في سورة الإنسان، فهو جزء من صفات المتقين التي جاءت في الزخرف؛ لأنّ فيها العمل فقط ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

٣ـ في الزخرف ناداهم ربهم مباشرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ بل إنه سبحانه أدخلهم وأزواجهم ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ أمّا في الإنسان فجاء قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً﴾ ففي الزخرف أعلى مكانة وأكثر اكراماً.

٤ـ قال في الزخرف: ﴿تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾، وفي الإنسان: ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ والحبور يشمل السعادة والسرور والجمال والنعمة والإكرام المبالغ فيه وسعة العيش؛ لذا ما ورد في سورة الإنسان هو جزء مما ذُكر في سورة الزخرف.

٥ـ قال في الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ ثم قال: ﴿فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ ولم يرد في سورة الإنسان مثل ذلك؛ لذا في الزخرف زيادات في النعيم.

٦ـ ذكر في الزخرف: ﴿فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ ولم يذكرها في سورة الإنسان لذا ناسب أنْ يأتي بصحاف من ذهب في الزخرف وقوارير من فضة في الإنسان.

٧ـ في سورة الزخرف لم يذكر الفضة مطلقاً، وجو السورة شاع فيه ذكر الذهب والتنعم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فإذا كان هذا للذين كفروا بالله في الدنيا (سقف من فضة وعليها معارج) وهذا أكثر من قوارير من فضة، فكيف يكون جزاء المتقين في الآخرة أقل مما للكافر في الدنيا؟ ! فهذا لا يناسب.

لذلك ينبغي أنْ يكون للمتقين في الآخرة جزاء أعظم؛ لذا جاء بصحاف الذهب جزاء المتقين في الزخرف.

٨ـ في سورة الزخرف ذكر تعالى أنّ فرعون استكبر في نفسه واستخف بموسى كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فكيف يناسب ذكر الفضة في السورة إذا كان فرعون المتكبر في الأرض يستعمل الذهب؟ !

لذا جاء تعالى بالفضة والذهب كل في مكانه الذي يناسب جو السورة وسياق الآيات.

والله أعلم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في الآية ١٥ : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾ فناسب هنا لفظ ﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ بدون ذكر الآنية أو الطائفين؛ لأنه ذكرهم سابقاً، ولم يقل (يشربون) بدل (يُطاف)؛ لأنه ذكر الشرب سابقاً، كذلك في الآية الخامسة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ وذكر الطائفين فيما بعد.

٢ـ ولفظ (السلسبيل) يوحي بالسلاسة وسهولة المسار، هذا مقابل طعام الكفار ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾[المزّمل:١٣].

ويبدو - والله أعلم - أنّ الشراب المذكور هنا: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ أعلى من الذي ورد في الآية السابقة؛ لأن الشراب يُحمل إليهم ويُسقونه، إضافة إلى أنه تعالى وصف آنية الشراب التي يُطاف عليهم بها ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ ووصف الطائفين ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ وهذه الأمور لم تُذكر في الآية السابقة.

٣ـ إذن فقد استوفى عناصر الطواف كلها: (الطائفون) ـ (ولدان) ـ (والمطوف عليهم) ـ (الأبرار) ـ (والمطوف به) ـ (الشراب والآنية).

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿سَلۡسَبِيلٗا ١٨﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الملك ٣٠.



﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

بعد وصف آنية الفضة، وصف السقاة بالولدان، وهم صغار السن ووصفهم باللؤلؤ المنثور؛ ليدل على أنهم سراع في الخدمة ومنثورون في كل مكان.

السؤال الثاني :

في سورة الواقعة وصف الله الحور العين باللؤلؤ المكنون أي المستور المُصون غير المنثور: ﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣﴾ [الواقعة:٢٢-٢٣] ووصف الله الغلمان في سورة الطور باللؤلؤ المكنون: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الطور:٢٤] فما السبب في ذلك؟

الجواب :

١ ـ اللؤلؤ المكنون له جانبان:

أ ـ الصون والحفظ باعتباره محفوظاً في الصدف.

ب ـ الصفاء والنقاء، ويكون أبيض ما يكون وهو في الصدف، فإذا خرج من الصدف تغير لونه، وربما اسودّ.

٢ ـ في آية الإنسان ١٩: (ذكر الولدان الذين يأتون بالأشياء كما يأمر الله) لكن لم يذكر كلمة (لهم) مع الولدان كما في آية الطور، أي بمعنى خاصّين بهم وليسوا عامين كالذين ورد ذكرهم في آية الإنسان؛ لذلك أصبحوا مكنونين؛ لأنهم أصبحوا في الأسرة والعائلة متخصصين في خدمتها.

لكن أية عائلة؟

في الآيات التي سبقت آية الطور ٢٤ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور:٢١] فالكلام عن الأسرة، وهذه الأسرة أصبح لها خصائص، ومنها: ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾

قد يظن البعض أنّ كلمة ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ بمعنى (ظن) أو تحمل دلالة قريبة كما في كلمتي النظر والرؤية.

ونقول إنّ النظر قد لا يكون معه رؤية، بمعنى: تنظر إلى المكان سواء رأيته أم لم تره، بينما الرؤية تفيد تحقق المرئي ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ لذا استخدم تعالى الفعل(رأى) هنا في الآية؛ ليفيد تحقق الرؤية.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

١ـ (إذا) تستخدم في القرآن لتدل على التحقق واليقين، وهي ليست من باب الافتراض؛ ولهذا لم يأت بـ (إنْ) أو (لو) لأنّ (إذا) تستخدم لتيقن الحدث، أو للدلالة على الحدث الكثير الوقوع؛ لهذا جاءت كل الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة باستخدام ﴿إِذَا﴾ لأنها متحققة الحصول.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أي بمعنى مطلق الرؤية، أي أينما وقعت الرؤية، وهذا من دلالة القدرة والنعيم الذي في الجنة لعباد الله المؤمنين.



﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

يقول المفسرون: إنّ كلمة (عاليهم) تعني فوقهم، لكن (الفوقية) في الحقيقة لا تقتضي الملامسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾ [الملك:١٩]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾[ق:٦].

فكلمة (فوق) ظرف مبهم ليس له حدود مثل يمين ويسار، وعليه فإنّ كلمة (عاليهم) تفيد الملامسة، وتعني: (يلبسونها).

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾

هذا مقابل ما ذكره الله تعالى للكافرين: ﴿سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾.

وذكر الله في سورة الإنسان أساور من فضة، بينما في آيات أخرى ذكر أساور من ذهب كما في الكهف ٣١، ومرة: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ ،كما في فاطر ٣٣، ويقول المفسرون: إنها تدل على المعاقبة أو الجمع أي مرة يلبسون ذهباً ومرة فضة ومرة يجمعون بينهما.

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾.

١ـ الطهور: صيغة مبالغة بمعنى الطاهر والمطهّر، ومشتقة من الفعل (طهُر).

٢ـ الطاهر: ليس بالضرورة أن يكون مطهراً، فكثير من السوائل طاهرة ولكنها ليست بالضرورة مطهرة.

واستعمال (طهور) مناسب لسياق الآيات، فهي تشمل الطاهر والمطهر بصيغة المبالغة، والعرب كانت تتحدث هذه اللغة، فاللسان عربي، لكن الناس كانوا يختلفون

فيه فيكون بعضهم أبلغ من بعض ويختلفون في اختيار الكلمات والسياق والبلاغة، وتنتهي قمة الإعجاز في القرآن الكريم.

٣ـ لماذا استخدم كلمة ﴿طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ في الآية؟

والجواب:

ذكر لنا الله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان ثلاثة أنواع من الشراب كل منها أعلى من الذي سبقها:

١ـ ذكر أنهم يشربون من كأس ﴿كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ أي يشربون هم بأنفسهم.

٢ـ ثم ذكر في الثانية أنهم يُسقون كأسا ﴿زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ وهنا الفعل مبني للمجهول، وذكر الساقي وهم الولدان المخلدون، وذكر الآنية ﴿مِن فِضَّةٍ﴾.

٣ـ ذكر تعالى في الثالثة أنهم (سقاهم ربهم) وهذه أعلى الدرجات، وهذا الشراب هو أفضل من السابقين؛ لأنه أسنده إلى الرب سبحانه.

﴿شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

كلمة موجزة تحوي معاني كثيرة، بينما وصف في النوعين الأول والثاني ما يشربون ووصف آنيتهم، ولكنْ هنا في النوع الثالث لم يذكر إلا ﴿شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ وهذا يدل على أنّ الشيء عندما يكون فوق الوصف لا يذكر شيئاً ولا تستطيع اللغة ولا الوصف التعبير عن هذا الأمر العظيم كما ورد في سورة الرحمن ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وصف البطائن ولم يصف الظاهر، ونقول: إذا كانت البطائن من استبرق فكيف يكون الظاهر؟ ! أي لا يُتصور ولا يمكن للغة أنْ تصفها، وكذلك قوله تعالى في

سورة الصافات: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ عن شجرة الزقوم حيث لم يرها أحد ولم ترد على ذهن الإنسان.

السؤال الثاني :

لكنْ: لماذا جاء ذكر أساور الفضة في آية سورة الإنسان ٢١، بينما جاء من ذهب ولؤلؤ في سورة فاطر ٣٣ و﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ في آية الكهف ٣١ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.



﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ أفاد تقديم ﴿لَكُمْ﴾ على ﴿جَزَآءً﴾ الاختصاص، وأنّ الجزاء في الآخرة مختص لكل واحد منكم، وفي مثل هذه الحالات يقدّم القرآن الجار والمجرور للاختصاص في نحو الآيات [الفرقان ١٥ ـ سبأ ٣٧ ـ الإنسان ٩].

٢ـ أمّا في الدنيا فليس من الضروري التقديم، نحو قوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ فالسفينة لنوح عليه السلام ولمن آمن معه، والجزاء لهم أيضاً؛ لذا أطلق الجزاء ولم يخصص.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ جاء في هذه الآية ثلاثة تأكيدات [إنا ـ نحن ـ الضمير في نزلنا] بينما جاء توكيد واحد في أول السورة في الآية الثانية.

٢ـ ذكر الله تعالى فيها ثلاثة أمور: المنزِّل وهو الله، المنزَّل وهو القرآن والمنزل عليه وهو الرسول عليه السلام.

والسبب في ذلك أنّ الآية الثانية فيها أمر الخلق، وهو أمر لم ينكره كفار قريش ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[لقمان:٢٥].

وكذلك في سورة الزمر ٣٨، لكنّ مسألة التنزيل هي التي اختلفوا عليها وأنكروها أشد الإنكار؛ ولهذا احتاج الأمر إلى التوكيد الأكثر مع الإنكار الشديد، وهذا مختلف تماما عن قضية الخلق التي لم يكونوا ينكرونها أصلاً.

السؤال الثاني :

في آية الإنسان ٢٣ ذكر الله قوله: ﴿عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، وفي سورة الحجر ٩ لم يذكرها فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ فما دلالة ﴿عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في سورة الإنسان؟ وما دلالة كلمة (الذكر) في آية الحجر؟

الجواب :

١ـ انظر إلى الآيات التي تلي هذه الآية (٢٣) في سورة الإنسان والتي تلي الآية (٩) في سورة الحجر تجد التالي:

أ ـ أنّ الآيات: [٢٤ ـ ٢٦] في سورة الإنسان تتعلق بالرسول عليه السلام.

ب ـ أنّ الآيات التي تلي الآية ٩ في سورة الحجر تتكلم عن الذكر.

ولذلك جاءت كلمة: ﴿عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آية الإنسان دون آية الحجر؛ لأنها تخص الرسول عليه السلام.

السؤال الثالث :

جاء ذكر كلمة: ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آية سورة الإنسان ٢٣ وفي سورة الحجر ورد ذكر (القرآن والذكر)، فلماذا؟

الجواب :

جاء ذكر كلمة: ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آية سورة الإنسان ٢٣ فقط، ولم يرد ذكرٌ آخر لها في جميع سورة الإنسان، أمّا في سورة الحجر فقد ورد ذكر (القرآن و الذكر).

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾، ثم قال الله في الآية التاسعة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ فلمّا سماه كفار مكة ذكراً رد الله عليهم بكلمة ﴿ذِكْرٌ﴾ ولهذا فهي أنسب للآية التاسعة من استعمال كلمة القرآن، رغم أنها وردت في سورة الحجر كثيراً.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

التنزيل يستدعي الصبر، لما فيه من قول ثقيل وتكاليف، وكذلك يحتاج إلى الصبر على الأذى؛ لأنه سيؤذى بسببه.

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

(الحكم) لغة قد يكون بمعنى الحِكمة ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾[الشعراء:٢١]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾[مريم:١٢]، وقد تأتي بمعنى القضاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾[غافر:٤٨].

وهنا أمره بالصبر لهما معاً، أي اصبر لحكمة أرادها الله سبحانه ولحكم الله وقضائه؛ لأنّ قضاءه له حكمة، وهذا يسمى التوسع في المعنى.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾.

١ـ الآثم: هو الذي يرتكب الإثم ظاهراً وباطناً من أعمال القلب أو أعمال الجوارح.

٢ـ الكفور: هو المبالغ في الكفر بمعنى نقيض الإيمان. انظر آيات:

[الحج ٦٦ ـ الزخرف ١٥] والكفر قد يكون باطناً أو جحوداً باللسان أو هو المبالغ في جحد النعمة [الإنسان ٣].

وكل كفور آثم وليس كل آثم كفوراً، ولو قال (كافر) لنهى عن صنف واحد وليس عن الصنفين اللذين تدل عليهما كلمة (كفور).

٣ـ (آثم) اسم فاعل، و(أثيم) صيغة مبالغة. وفي هذه الآية أراد تعالى أنْ لا يطيع الآثم سواء بالغ في الإثم أم لم يبالغ، فلو قال (أثيم) مثلا لفُهِمَ أنّ النهي فقط عن إطاعة الأثيم ويحق له إطاعة الآثم، وأمّا كلمة (آثم) فهي تدل على النهي عن إطاعة الآثم وهو أقل الدرجات، فمن باب أولى أن لا يطيع الأثيم.

٤ـ وقد وردت كلمة: ﴿أَثِيمٍ ١٢﴾، في سورة القلم الآية ١٢؛ لأنه لو لاحظنا السورة لوجدنا أنّ الله تعالى ذكر فيها كل صفات المبالغة:

(﴿حَلَّافٍ﴾ ـ ﴿هَمَّازٍ﴾ ـ ﴿مَّشَّآءِۭ﴾ ـ ﴿مَّهِينٍ ١٠﴾ ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ﴾ ـ ﴿عُتُلِّۭ﴾ ـ ﴿زَنِيمٍ ١٣﴾) والذي يفعل أية واحدة من هذه الأمور يستحق وصفه بالأثيم فكيف لو اجتمعت كل هذه الصفات في المعتدي؟ فلا بدّ أنْ يكون(أثيماً).

السؤال الثاني :

ما دلالة ﴿أَوۡ﴾ ولمَ لمْ يأت بواو العطف مثلاً؟

الجواب :

لو جاء بالواو لجاز له أنْ يطيع أحدهما، إنما استعمال ﴿أَوۡ﴾ دلَّ على أنّ الأمر بأنْ لا يطيع واحداً منهما على سبيل الجمع أو الإفراد.



﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

بعد أمر الله تعالى رسوله الكريم بالصبر وعدم طاعة الآثم والكفور أمره بالإكثار من الذكر والتسبيح، وهذا يتكرر في القرآن في المواطن التي تحتاج إلى صبر وفي الأزمات. انظر الآيات [الحجر ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

وأمره بالتسبيح في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنفال:٤٥].

ومداومة التسبيح تفرّج الكروب، كما جاء في قصة يونس وهو في بطن الحوت: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾(١٤٣: ١٤٤).

والتسبيح وذكر الله تعالى أزكى الأعمال وأرفعها عند المليك، فهو ترتيب منطقي جداً، فبعدما تضيق القلوب والصدور نذكر اسم ربنا.



﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ قدم الجار والمجرور: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ على الفعل ﴿فَاسْجُدْ﴾؛ لأنّ التهجد شاق على النفس، فقدّم الليل بما يقابل الشدة. قال تعالى في سورة الذاريات

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾[الذاريات:١٧-١٨].

وفي المزمل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ وفي الإسراء: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩].

كما أنّ الترتيب يفيد علو منزلة السجود، وتقديم الجار والمجرور سوّغ إدخال الفاء في قوله: ﴿فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ ودلالة الفاء هنا أنها تفيد التوكيد. ولا يصح أنْ نقول (واسجد له من الليل)؛ لأنها تفوت أهمية السجود.



﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية؟

الجواب:

العاجلة هي الدنيا يعيشون فيها ويتعجلون أمرها.

﴿وَرَآءَهُمْ﴾

العرب قد تستعملها بمعنى أمام، كما في قوله تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾.

ويذرون وراءهم؛ لأنهم نبذوه وراءهم، ولو أهمهم أمر يوم الآخرة لجعلوه أمامهم، لكنهم تركوه وراءهم وهو يطلبهم، كما تقول في العامية: وراءك امتحان، يعنى أنه قادم وهو يطلبك.

السؤال الثاني :

قال هنا: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ وقال في سورة القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة:٢٠-٢١] فلماذا قال في الإنسان: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ وفي القيامة قال: ﴿الْآخِرَةَ﴾؟

الجواب :

١ـ العاجلة هي نفسها في الآيتين بمعنى الدنيا، واستعمل في الإنسان (يوماً ثقيلاً)؛ لأنه تكرر ذكر اليوم من بداية السورة:

ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾[الإنسان:٧].

ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾[الإنسان:١٠].

ـ ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾[الإنسان:١١].

فالكلام في السورة عن اليوم الذي هو يوم القيامة وهو اليوم الثقيل، ثم عندما ينصرف أهل الجنة إلى الجنة لا يكون بعدها ثقيلاً، أمّا الآخرة فهي أعم من اليوم.

٢ـ وكذلك في سورة القيامة جاءت الآيات بالخطاب المباشر: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾(٢٠: ٢١)، أمّا في سورة الإنسان فجاءت الآيات بصيغة الغائب ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾؛ لأنّ المقام في سورة الإنسان لا يناسب الخطاب المباشر، ولا يصح؛ لأنه ذَكَرَ أنّ قسماً ممن ذُكروا في السورة لم يذروا الآخرة: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾(٧: ٨) فلا يصح الخطاب.

﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

المعنى أنّ الذي خلقهم وشد أسرهم هو الله حصراً، وهو الذي أنزل عليهم القرآن ليطيعوه ويطبقوه.

و قدّم ﴿نَّحْنُ﴾ على الفعل الذي هو جملة فعلية للاهتمام والحصر.

﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾:

١ـ أي أحكمنا خلقهم وأحكمنا ربط مفاصلهم وثبتناها، والأسر هو المفاصل والعظام وما إلى ذلك.

فذكر نعمتين على الإنسان: الخلق وشد الأسر، وهذا من تمام النعمة على الإنسان، وهو القادر أنْ يفعل ما يشاء: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ لذلك من واجب الإنسان أنْ يطيع الله، فهو الذي خلقه وشدّ أسره وأنزل له القرآن هداية له.

٢ـ استعمل القرآن الفعل (شدّ) ومضاعفاته مثل قوله: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾.

السؤال الثاني :

قال الله في أول السورة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ بالتوكيد بـ ﴿إِنَّ﴾ وهنا قال: ﴿نَّحْنُ﴾ أي لم يؤكد، فلماذا؟

الجواب :

١ـ في أول السورة تحدث عن خلق الإنسان من عدم، وهو أصعب من الخلق من أب وأم، فهو أصعب مما بعدها ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ فهذه تأتي من سلسلة الآباء إلى الأبناء. والكفار يقرون أنّ الله خلقهم، لكنّ الفلاسفة ينازعون في ذلك، وسؤالهم: هل هناك بداية؟ فاحتاج الأمر في أول السورة إلى توكيد.

٢ـ من ناحية أخرى ذكر تعالى أنّ الخلق الأول للابتلاء، وهذا أمر كان كفار قريش ينكرونه ويقولون: هل خلق الله الإنسان ليبتليه ويحاسبه؟ وكثير من الناس يقولون ذلك ولو أقروا بأنّ الله خلقهم، فاحتاجت الآية في أول السورة إلى التوكيد.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَإِذَا﴾ لكثير الوقوع بخلاف (إنْ)، فهنا يدل على أنّ الله تعالى سيبدل أمثالهم ويأتي بأناس مؤمنين مكانهم، فالمشيئة حاصلة وقد تمت.



﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

التخيير هنا كالتخيير في ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ فكان شاكراً، ومن لم يفعل كان كفوراً.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية الإنسان ٢٩ : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ ، وفي آية المدثر ٥٤ : ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ ؟

الجواب :

المراد في آية الإنسان هي هذه السورة أو الآيات، فقال: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ .

وفي المدثر المراد القرآن فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾ .



﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

أي أنّ مشيئتكم واختياركم كان بمشيئة الله تعالى، ولو لم يرد ذلك ما أعطى هذا الاختيار.



﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ وهل هناك من لا يستحق رحمة الله تعالى؟

الجواب :

ذكر الله أمرين في هذه السورة:

١ـ قال الله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ أي أنّ الله يفعل ذلك لعلم وحكمة، وأنه لا يُدخل في رحمته إلا من علم سبحانه أنه يستحق.

٢ـ قال الله بعدها: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾ فاستثنى سبحانه الظالمين من دخول رحمته.

٣ـ كلمة: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جاءت منصوبة، وهذا يسمونه في النحو باب الاشتغال، وكلمة (الظالمين) تعُرب مفعولاً به مقدّماً لفعل إمّا أنْ يكون من نفس الفعل أو يكون بمعناه، كأنْ تقول مثلا: (زيداً سلمت عليه)، بمعنى حييت زيداً أي سلّمت عليه؛ لأنّ الفعل (سلّم) لا ينصب مفعولاً به، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ بمعنى رفع السماء رفعها، فالنصب هومن باب الاشتغال.

السؤال الثاني:

ما الاشتغال؟

الجواب:

الاشتغال عند النحاة هو كل اسم بعده فعل أو ما يشبه الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول اشتغل عنه بضميره أو بمتعلقه لو سُلط عليه لنصبه، نحو: (خالداً أكرمته) و (خالداً أنا مكرمه).

وذهب البيانيون إلى أنّ الاشتغال قد يفيد تخصيصاً أو توكيداً، والأصح أنّ الاشتغال هو أسلوب خاص يؤدي غرضاً معيناً؛ لأنه ليس له معنى.

لمزيد من التفصيل انظر آية النحل ٥.

السؤال الثالث :

قال الله في أول السورة في الآية ٤ : ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ فهل يدل هذا على أنّ العذاب الأول أشد من الثاني؟

الجواب :

١ـ في الآية الأولى قال: ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ وفي الثانية قال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وليس من الضرورة أنْ يكون الظالم كافراً، فكل كافر ظالم، قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ولكن ليس من الضروري أن يكون الظالم كافراً.

لذلك العذاب الأول أشد؛ لأنه ذكر الكافرين صراحة، وهنا عمم صراحة فقال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فمنهم الكافر فيشمله الأول، ومنهم غير الكافر فيشمله العذاب الخاص به.

٢ـ والظلم جاء في القرآن في عدة معان:

أ ـ في موضع الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾.

ب ـ في الأشياء الخفية: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾.

فالظلم يأتي من أشياء قليلة، وقد يصل إلى الشرك الأكبر، وكل كافر ظالم، لكن ليس كل ظالم كافراً؛ ولهذا اختلف العذاب حسب الدرجة.

السؤال الرابع :

ذكر الله الفعل ﴿أَعْتَدْنَا﴾ في سورة الإنسان ٤ ـ والنساء ١٨ ـ والفرقان ٣٧ بينما استعمل الفعل ﴿أَعَدَّ﴾ في آية النساء ٩٣ ـ والإنسان ٣١، فلماذا؟

الجواب :

أكّد تعالى الإعتاد والعذاب، كما أكّد الخلق والهداية.

ما الفرق بين أعتدنا وأعددنا؟

القرآن يستعمل ﴿أَعْتَدْنَا﴾؛ لأنّ (أعتد) فيها حضور وقرب، و(العتيد) هو الحاضر ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي حاضر وقوله: وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ بمعنى حضّرت.

أمّا الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾.

*** شواهد قرآنية:**

١ـ الحق سبحانه يقول في سورة النساء: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[النساء:١٨] فهؤلاء ماتوا فأصبح الحال حاضراً وليس مهيئاً فقط.

٢ـ وفي سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾[الفرقان:٣٧] فهم أغرقوا وماتوا فجاءت ﴿أَعْتَدْنَا﴾

٣ـ أما في سورة النساء فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ فهؤلاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتا، فجاءت ﴿أَعَدَّ﴾ بمعنى هيّأ.

٤ـ كما أنه جاء في آخر سورة الإنسان: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ لأنّ الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة.

هذا، ولم يرد في القرآن الكريم كلمة (أعددنا) مطلقا، أي (أعدّ + الضمير)، وإنما يستعمل (أعتدنا)، وهي خصيصة من خصائص التعبير.

وهكذا بدأت سورة الإنسان وهو ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ وانتهت بخاتمة هذا الإنسان ومصيره، فكأنها رحلة الإنسان وعمره؛ ولذلك سميت سورة الإنسان.

وكذلك بدأت بذكر الشاكر والكفور، وختمت بذكر المرحوم ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ والمعذَّب ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

السؤال الخامس :

ما الخطوط التعبيرية في السورة؟

الجواب :

أولاً ـ خط التثنية:

وفيها التضاد الذي يبرز المعنى ويوضحه، والشيء يُظهر حسنه الضد.

فمن الواضح أنها بُنيت على التثنية ووردت الأشياء فيها صنفين:

١ـ ذكر صنفين من الناس: الشاكر والكفور ثم المرحوم والمعذَّب.

٢ـ ذكر صنفين من العذاب: القيود والسعير.

٣ـ ذكر صنفين من القيود: السلاسل والأغلال.

٤ـ ذكر صنفين من أهل الجنة: الأبرار وعباد الله السابقين.

٥ـ ذكر صنفين من الشراب الممزوج: الممزوج بالزنجبيل والممزوج بالكافور.

٦ـ ذكر نوعين من العبادات الظاهرة: الوفاء بالنذر والإطعام.

٧ـ ذكر نوعين من العبادات القلبية: ﴿نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ والإخلاص: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ نفى المُطعِمون عن أنفسهم: (الجزاء) وهو مكافأة الفعل و(الشكور) وهو الثناء باللسان.

٩ـ لقّاهم شيئين: النضرة في الوجه والسرور في القلب.

١٠ ـ جزاهم الله بصبرهم: الجنة للأكل والحرير للبس.

١١ـ نفى عنهم رؤية: الشمس والزمهرير.

١٢ ـ ذكر دنو شيئين: الظلال والقطوف.

١٣ ـ ذكر الطواف بشيئين: الآنية والأكواب.

١٤ ـ ذكر الشراب بصورتين: من الكأس ومن العين.

١٥ ـ ذكر نوعين من الشرب من الكأس: شرب بساق وشرب بدون ساق.

١٦ ـ ذكر نوعين من الثياب: سندساً واستبرقاً.

١٧ ـ ذكر نوعين من الزينة: لباساً وأساور.

١٨ ـ ذكر لهم شيئين: جزاءً وسعياً مشكوراً.

١٩ ـ نهى عن طاعة صنفين من الناس: الآثم والكفور.

٢٠ـ طلب من الرسول: الصلاة والتسبيح في النهار والليل.

٢١ ـ ذكر وقتين: بكرة وأصيلاً.

٢٢ـ ذكر عبادتين في الليل: السجود والتسبيح.

٢٣ ـ ذكر حياتين: العاجلة والآخرة.

٢٤ـ ذكر الحب والترك: (يحبون) و(يذرون).

٢٥ ـ ذكر أمرين من أمر الإنسان: الخلق وشد الأسر.

٢٦ ـ ذكر مشيئتين: مشيئة الله ومشيئة الإنسان.

٢٧ ـ ختم بصنفين من الناس: المرحوم والمعذَّب.

ثانياً ـ خط ذكر الأحداث المستقبلية بصيغة الماضي:

مثل: [أعتدنا ـ كان ـ وقاهم ـ لقّاهم ـ جزاهم ـ سقاهم].

١ـ التعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أنّ الأمر واقع لا محالة وهو بمنزلة ما مضى من الأفعال، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾.

٢ـ عندما يستعمل الفعل الماضي في المضارع فهو حكاية للحال تضفي عليه الحركة والحيوية وتجعله كأنه معاصر وخاصة في الأمور الهامة قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾، وهذا من باب التشنيع على الفعل.

والعرب عموماً إذا أرادوا حكاية الحال ليعبروا عن الأحداث الماضية يجعلونها حية، ويقول النحاة: إمّا أنْ ينقلك إلى الحدث أو ينقل الحدث إليك وكلاهما تعبير عن الأفعال الماضية بالفعل المضارع ويدخل في زمن الفعل.

٣ـ هذا وللفعل الماضي وحده (١٦) زمناً، وما يدرس في المدارس والجامعات هو زمن واحد أي الماضي فقط.

والله أعلم.

رابعاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

السورة في الإنسان من أولها إلى آخرها في الدنيا والآخرة.

فقد بدأت بالإنسان قبل أنْ يكون شيئا مذكوراً، وذلك قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾.

وختمت بخاتمته إمّا أن يكون مرحومًا أو معذباً، وذلك قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾. والله أعلم.



سورة المرسلات

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة الإنسان ومفتتح سورة المرسلات:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة (الإنسان):

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٣١]، وذلك في اليوم الآخر.

وفي أول سورة المرسلات بعد القسم ذكر اليوم الآخر فقال:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾. . . .

٢ ـ ذكر في سورة الإنسان جزاء الكافرين والمؤمنين، فقال:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان:٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان:٥].

(٥ ـ ٢٢) إلى أواخر السورة.

وكذلك ذكر في المرسلات فقال:

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات:٣١] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها ظاهرة جدًا، وهو أنه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين، فهذا وعد منه صادق، فأقسم على وقوعه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾)).

وجاء في (روح المعاني): ((لمّا قال فيما قبل ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ افتتح هذه بالإقسام على ما يدلّ على تحقيقه وذكر وقته وأشراطه)).

والله أعلم.

ثانياً : هدف السورة : إنذار المكذبين بالدعوة.

هذه السورة فيها خطاب موجه وتحذير مباشر للمكذبين بالدعوة: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾.

وتقول للدعاة في نفس الوقت: لا تتحسروا عليهم، وخذوا بالأسباب واتركوا النتائج على رب العالمين: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾.

سورة رائعة في ترابطها وحديثها عن الدعوة إلى الله.

❁❁❁❁

ثالثاً :من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ ورد في بداية السورة خمس كلمات: (﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ﴾) وهذه إمّا أن يكون المراد منها جنساً واحداً أو أجناساً مختلفة حسب التالي:

أ ـ في الجنس الواحد أقوال: (الملائكة ـ الرياح ـ القرآن ـ الأنبياء ـ المصالح الدنيوية).

ب ـ أجناس مختلفة: أقوال بنفس المذكور أعلاه لكنْ معنى لمجموعة من الخمسة ومعنى آخر للباقي، مثلاً الثلاثة الأولى للرياح والباقي الملائكة والله أعلم.

٢ـ دخول الفاء في بعض الكلمات، والواو في بعض مبني على الأصل وهو أنّ الفاء تقتضي الوصل والتعلق، ومن جعل الأولين صفتين لشيء واحد والثلاثة الأخيرة لشيء واحد فقد زال الإشكال.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾﴾ جواب القسم.

٤ـ لقد بدأت السورة بواو القسم متلوة بخمس صفات متتابعة في آيات خمس حُذف الموصوف فيها وتركت الصفات مكانه، وقد ترك ذلك مجالاً واسعاً للتأويلات بلغت في بعض كتب التفسير أقوالاً عديدة.

والمتتبع للسور المفتتحة بواو القسم مثل سور (العصر ـ الليل ـ الفجر ـ الشمس ـ المرسلات ـ الذاريات ـ التين ـ الطور ـ القلم ـ النجم ـ العاديات) يجد أنّ القرآن الكريم

يعدل في هذا الأسلوب عن الأصل اللغوي للتعظيم بالقسم إلى استعمال بلاغي هو قوة اللفت إلى مادي محسوس وواقع مشهود.

فالمقطع القرآني الأول المكون من خمس آيات ويبدأ بواو القسم هو مشهد حسي لأمور حسية.

فإذا ما بلغت الصورة الحسية ذلك الحد جاءت صورة أخرى غيبية تصور حركة القيامة بما فيها من تفاصيل يوم القيامة.

وهكذا ينتقل بنا القرآن من القسم بالصور الحسية إلى صورة أخرى غيبية مؤكدة عن يوم القيامة تستمد قوتها من قوة اللفت إلى الصور الحسية التي سبقتها.

فمثلاً هنا بعد القسم بالمرسلات والآيات التي بعدها يأتي الحديث عن تفاصيل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠)﴾

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين التوبة والاعتذار والندم والاستغفار والعفو والغفران والستر و الصفح؟

الجواب:

١- التائب: مقر بالذنب الذي يتوب منه معترفٌ بعدم عذره فيه، والتوبة هي الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة، ولا يجوز الاستغفار مع الإصرار.

٢ـ المعتذر: يذكر أنّ له فيما أتاه من المكروه عذراً، ولو كان الاعتذارهو التوبة لجاز أنْ يقال: أعتذر إلى الله، كما يقال: أتوب إلى الله.

ومنه قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾ أي: إعذاراً وإنذاراً، والنُذر جمع نذير.

٣ـ التوبة: أخص من الندم، وقد تندم على شيء ولا تعتقد قبحه، ولا تكون التوبة من غير قبح، وكل توبة ندم وليس كل ندم توبة.

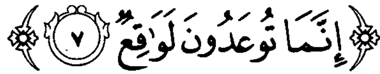
٤ـ الاستغفار: هو طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة.

٥ـ الغفران: يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب ولا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب؛ ولهذا لا يستعمل إلا مع الله، فيقال: غفر الله لك.

٦ـ الستر: (ستر الله عليه) خلاف (فضحه)، ولا يقال لمن يستر عليه في الدنيا أنه غفر له، ويجوز أنْ يُستر في الدنيا على الكافر والفاجر. والغفران أخصّ من الستر وهو يقتضي إيجاب الثواب.

٧ـ الصفح: هو ترك مؤاخذة المذنب بالذنب أو التجاوز عن الذنب، وأنْ تبدي له صفحة جميلة؛ ولهذا لا يستعمل مع الله تعالى.





السؤال الأول:

ما دلالة فصل ﴿إِنَّمَا﴾ في آية الأنعام ١٣٤ ووصلها في الذاريات ٥ والمرسلات ٧؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣٤.



﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام الفعل ﴿سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ في آية التكوير ٣ والفعل ﴿نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾، في آية المرسلات في وصف الجبال في القرآن الكريم؟

الجواب :

النسف: له معنيان: الاقتلاع والإزالة أو التذرية في الهواء. قال تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه:٩٧].

والنسف والتسيير من مشاهد يوم القيامة المتتابعة، فتكون الجبال كالعهن المنفوش، ثم يأتي النسف والتذرية في النهاية.



﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

مالفرق بين ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ كما في آية الشورى ١٧ والأحزاب ٦٣ بصيغة المضارع وبين ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ كما في آية المرسلات ١٤ بصيغة الماضي؟

الجواب :

١ـ جاءت الصيغة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ في آيات عديدة، منها:

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدَّثر:٢٧].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾﴾ [المرسلات:١٤].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة:٣].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة:٣].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [البلد:١٢].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾﴾ [القارعة:١٠].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار:١٧-١٨].

ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾﴾ [القدْر:٢].

وهكذا في كل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ تعني أنك لم تكن تعرفه من قبل، لكنّ الله سيخبرك به.

٢ـ وأمّا صيغة ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فتعني أنّ هذا الشيء المبهم سيظل مبهماً لا يطلعك الله عليه لا لك ولا لغيرك، ولو كان الله مطلعاً أحداً لأطلع نبيه لكن أبداً لا هذه ولا هذه.

كقوله تعالى:

ـ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى:١٧].

ـ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

ولذلك كان النبي ﷺ إذا سئل عن الساعة قال: **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)**.

والله أعلم.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟ ولماذا تكررت في السورة عشر مرات؟

الجواب :

تكررت الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ في سورة المرسلات عشر مرات وهو تكرار التهديد للكفار المكذبين، فكان القرآن عند ذكر بعض المواقف مثل إهلاك الأقوام السابقة أو ذكر مراحل خلق الإنسان أو ذكر بعض أحداث يوم القيامة يكرر التهديد للكفار لعلهم يرجعون عن غيهم وتكذيبهم.

انظر الآيات التي تلي هذه الآية لمعرفة المواطن العشرة.



﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

ورد في سورة المرسلات عشر تخويفات للكفار لتحذيرهم من الكفر وعواقبه الوخيمة، وهي:

١ـ أقسم على يوم الفصل أنه واقع فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾.

٢ـ أنه أهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم، فلا بدّ من إهلاك الكفرة المتأخرين؛ لأنها سنة الله في المجرمين، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [المرسلات:١٦: ١٩].

٣ـ ذكّرهم الله بابتداء خلقهم، ومن هو قادر على الابتداء قادر على الإعادة ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المرسلات:٢٠: ٢٤].

٤ـ ذكّرهم الله بالنعم التي له عليهم في الأنفس وفي الآفاق، فقال: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٥: ٢٨].

٥ـ خوّف الكفار ببيان طريقة عذابهم في الآخرة فقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [المرسلات:٢٩: ٣٤].

وقد شبه الشررَ في العظمِ بالقصر، وفي اللون والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر، أي الحبال الغليظة من النحاس أو أنّ لونها يميل إلى السواد مع الصفرة.

٦ـ خوّف الكفار بأنه في يوم القيامة لن ينطقوا بحجة مقبولة ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المرسلات:٣٥: ٣٧].

٧ـ استعمل معهم باب التعذيب بالتقريع والتخجيل، وهذا من جنس العذاب النفسي أو الروحاني، فقال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [المرسلات:٣٨: ٤٠].

٨ـ بيّن الله أنّ الكافر يرى نفسه يوم القيامة في غاية الذل والهوان ويرى خصمه المؤمن في نهاية العز والرفعة، فتتضاعف حسرته وتتزايد همومه وهذا من جنس العذاب الروحاني، فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المرسلات:٤١: ٤٥].

٩ـ استعمل مع الكفار التهديد بأنّ حبهم للدنيا مدته قليلة، لكنْ بعدها الهلاك وفي ذلك زجر ونهي ومطالبة لهم بترك الكفر، فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات:٤٩:٤٦].

١٠ـ النوع العاشر من التخويف يقول لهم: إنكم إنْ آمنتم بالله واليوم الآخروالصلاة، ثم ضممتم إليه بعض اللذات والمعاصي، حصل لكم رجاء الخلاص من عذاب جهنم، فلماذا تبقون مصرّين على كفركم وتعريض أنفسكم للعقاب العظيم، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات: ٤٨: ٤٩].

ثم لمّا بالغ الله تعالى في زجر الكفار حثّ على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين فقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي اسألهم أي شيء بعد كل أنواع التخويف السابقة يؤثر عليكم فتؤمنون؟ !!



﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الملك ٣٠.



﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجري أو المشي السريع:

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧١.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ (٣٠) لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرۡمِي
بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ (٣٣) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٣٤)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ (٣٠)﴾ تسمية النار بالظل مجاز من حيث إنها محيطة بهم من كل جانب، والمراد هنا بالظل دخان جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ والظل هنا كقوله تعالى: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ (٤٣)﴾[الواقعة:٤٣].

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ أي أنّ ذلك الظل لا يمنع حر الشمس، وهذا تهكم بهم وتعريض بأنّ ظلهم غير ظل المؤمنين.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١)﴾ هذا الظل في جهنم فلا يظلهم من حرها فلا هو بارد ولا هو كريم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ (٣٢)﴾ أي أن جهنم ترمي بشرر كبير الحجم كأنه القصور المشيدة، وقيل هي أصول النخل والشجر العظام.

٥ـ قوله تعالى: ﴿جِمَٰلَتٞ﴾ بكسر الجيم هي جمع جَمل مثل حَجر وحجارة وإنما لحقت التاء بجمال لتأنيث الجمع. وقيل هي قطع النحاس وقيل الحبال الغلاظ التي تستعمل للسفن.

٦ـ قوله تعالى: ﴿صُفْرٌ﴾ هو لون أسود يضرب إلى الصفرة، كلون الجمل الأسود الذي يشوبه صفرة، وقيل هو الصفرة لا السواد وهو لون الشرر ما دام ناراً.

٧ـ شبه الله تعالى الشرر في العِظم بالقصر، وفي اللون والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما منظومة كلمات النار ومرادفاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠.



﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال القرآن الكريم لكلمتي (عيون وأعين)؟

الجواب :

١ـ حيثما وردت ﴿أَعْيُنَ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في (٢٢) موضعاً، منها:

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن [هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في (١٨) موضعاً، منها [الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ في القرآن الكريم في (١٠) مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحِجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات:٤١].



﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ترتيب ذكر جزاء الكافرين، ثم جزاء المؤمنين، ثم قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات:٤٦]. ؟

الجواب :

١ـ بدأت سورة المرسلات بالقسم أولاً ثم بذكر المشهد الأول من أحداث يوم القيامة، (الآيات ٨ ـ١١) ثم عاد إلى مخاطبة الناس وتذكيرهم بإهلاك من تقدمهم، وذكّرهم بنعم الله عليهم وهو قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾.

٢ـ ثم عاد إلى ذكر جزاء المكذبين في الآخرة (الآيات ٢٩ ـ ٣١) ثم جزاء المتقين (الآيات ـ ٤١ ـ٤٦) وهذا تسلسل طبيعي، وهو ما يقع يوم القيامة.

٣ـ ثم عاد إلى مخاطبة الناس يذكّرهم في الدنيا ليتعظواعلى الطريقة الأولى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات:٤٦].

كيف يكون في الآخرة قليلاً؟ ! ولكن هذا ليس من ضمن الجزاء وإنما خطاب للناس ليتعظوا، وهو تهديد ووعيد للكافرين وهم في الدنيا، فالتمتع قليل في الدنيا، وأمّا في الآخرة فليس لهم تمتع لا قليل ولا كثير.

ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)﴾ وهذا إنما في الحياة الدنيا وليس في الآخرة، وكذلك قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾.

٤ـ إذن المنهج الذي سار عليه في السورة هو ذكر أحداث يوم القيامة ثم تذكير الناس، ثم ذكر الجزاء ثم تذكير الناس حتى يتعظوا.والله أعلم.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

أقسم ربنا بالمرسلات وما بعدها على وقوع وعده، فقال:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ (٧)﴾.

ثم ذكر من أحوال يوم القيامة ما ذكر ابتداء من قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ (٩)﴾.

وأنذر المكذبين في أكثر من موضع إلى أواخر السورة قائلاً: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم ختم السورة بما يحدث يوم القيامة للمكذبين والمؤمنين قائلاً: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥)﴾. . . ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨)﴾.

وذكر المتقين وجزاءهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١)﴾ (٤١ ـ ٤٤).

فقد استكمل ما بدأه بالحديث عن يوم القيامة.

والسورة كلها في الإنسان ومآله. والله أعلم.

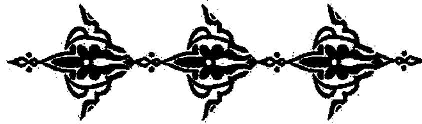
الجزء الثلاثون

كن موصولاً بربك طائعاً له

هذا الجزء هو ختام القرآن الكريم وختام منهج الاستخلاف الذي وضعه الله تعالى للبشر.

فبعد الأحكام والتشريعات وبعد ذكر أخبار السابقين وأخذ العبرة منهم، وبعد ذكر مقومات الاستخلاف، يأتينا الجزء الثلاثون بسوره القصيرة المؤثرة، حتى يؤكد على المعاني التي تساعد قارىء القرآن على حمل هذا المنهج.

هذه المعاني تبدأ من الإيمان بعظمة الله تعالى وقدرته، إلى التذكير بلقاء الله والعودة إليه في الآخرة، إلى التأكيد على ذكر الله وشكره.



سورة النبأ

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة المرسلات ومفتتح سورة النبأ :

خاتمة سورة المرسلات في جزاء كل من المؤمنين والمكذبين:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ . . . .

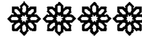
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وبداية سورة النبأ عن اليوم الآخر وهو النبأ العظيم، وقد قال فيه:

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ .

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ختم تلك بقوله سبحانه: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ وكان المراد بالحديث فيه القرآن افتتح هذه بتهويل التساؤل عنه والاستهزاء به)).

وذلك على أنّ المراد بالنبأ العظيم القرآن، والكثير من المفسرين على أنه البعث. والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات القرآنية في السورة :

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات:

الجواب :

١ـ لفظة ﴿عَمَّ﴾ أصلها حرف جر(عن) دخلت عليه (ما) الاستفهامية والاستعمال الكثير على الحذف، والأصل قليل.

وسبب حذف الألف التخفيف أو التفرقة بينها وبين أنْ تكون اسماً كقولهم: فيمَ ـ بمَ ـ لِمَ.

وقيل: خُفف لفظاً وكتابة بالإدغام، والمعنى: عن أي شيء يتساءلون؟

٢ـ لفظة (ما) وضعت لطلب ماهيات الأشياء المجهولة. تقول: ما الروح؟ ما الجن؟ فحصل بين الشيء المطلوب بلفظ (ما) والشيء العظيم مشابهة، والمشابهة إحدى أسباب المجاز، وبهذا تكون (ما) دليلاً على عظمة حال معرفة الشيء المطلوب وعلو مرتبته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ يتضمن السؤال والجواب والمجيب هو الله، وهذا يدل على علمه بالغيب بل وبجميع المعلومات.

فإنْ قيل: ما الفائدة في أنْ يذكر الجواب مع السؤال؟ قالوا: لأنّ إيراد الكلام في معرض السؤال والجواب أقرب إلى التفهيم والإيضاح، ونظيره قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غافر:١٦].

٤ـ التساؤل أنْ يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل، وهذا يدل على معنى: عمّ يتحدث بعضهم مع بعض؟

٥ـ من الذين كانوا يتساءلون؟

فيه احتمالان:

أ ـ هم الكفار.

ب ـ هم الكفار مع المؤمنين.

أمّا المسلم فليزدد بصيرة ويقيناً في دينه، وأمّا الكافر فعلى سبيل السخرية أو إيراد الشكوك والشبهات.

٦ ـ فإنْ قيل: إذا كان المتسائلون هم الكفار، فما تصنع بقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ مع أنّ الكفار كانوا متفقين في إنكار البعث؟

وجواب ذلك يكون:

أ ـ الكفار ليسوا متفقين في ذلك تماماً، فمنهم من كان يثبت المعاد الروحاني، وهم جمهور النصارى، وأمّا المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكاً ومنهم من كان مصراً على الإنكار.

ب ـ اختلفوا في كيفية الإنكار، فمنهم من كان ينكره؛ لأنه ينكر وجود الخالق، ومنهم من كان ينكره لاعتقاده أنّ إعادة المعدوم ممتنعة لذاتها.

٧ ـ ﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ هو يوم القيامة وهو الأقرب، أو عن رسالة الرسول عليه السلام وإتيانه بالقرآن الكريم. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النبأ والخبر؟

الجواب :

في اللغة:

(النبأ) أهم من (الخبر) وأعظم منه وفيه فائدة مهمة. والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى منها للخبر (أخبر) ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾[الكهف:١٠٣].

وكذلك استعملها القرآن الكريم، كما في آية النبأ ٢ـ وص ٦٧.

في القرآن:

١ـ النبأ أهم من الخبر، وقد استعمل القرآن كلمة (خبر) مفردة في موطنين في قصة موسى عليه السلام. واستعمل القرآن كلمة (نبأ) في أخبار الماضين.

٢ـ لم يستعمل القرآن (الخبر) بصورة الإفراد إلا في قصة موسى في قوله تعالى:

ـ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[النمل:٧]

ـ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[القصص:٢٩]

ولا شك أنّ الخبر الذي بغاه موسى عليه السلام لا يرقى إلى أهمية النبأ العظيم.

٣ـ ولم يستعمل القرآن لأخبار الماضين من الرسل أو غيرهم إلا الأنباء كما في آيات (الأنعام ٣٤ـ إبراهيم ٩ـ ص ٨٨ـ هود ١٢٠ـ القمر ٤).

٤ـ قد تقول: ولكنه استعمل الأخبار في أمر يدل على أهميتها، كما في آية محمد ٣١ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] والجواب أنّ هذا يدل على عظيم البلاء؛ لأنه إذا بَلا اليسير وهو الأخبار فإنه سيبلو العظيم من باب أولى.

ولو قال: (ونبلو أنباءكم) لم يدل على أنه يبلو الأخبار بل سيتركها لأنها أهون.

٥ـ وقد تقول: إنّ الله تعالى ذكر الأخبار في الأمور العظيمة كقوله تعالى في سورة الزلزلة:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾

والجواب أنّ هذا يدل على عظم ما سيكون في اليوم الآخر، فهذه الأخبار فما بالك بالأنباء؟ !!

أي أنه ستحدث أمور أكبر وأعظم من الزلزلة كقوله تعالى:

ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ .

ـ ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ .

ـ ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ .

وفي هذا تحذير عظيم، فإذا كانت هذه هي الأخبار فما بالك بالأنباء؟ !!

والله أعلم.



﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات:

الجواب :

١ـ لفظة (كلا) وضعت لرد شيء قد تقدم، والمعنى: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء في النبأ العظيم أنه باطل أو أنه لا يكون. وفي لفظة (كلا) ردع وتهديد.

٢ـ قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ هو وعيد لهم بأنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حقٌ لا دافع له، وواقعٌ لا ريب فيه.

٣ـ وأمّا تكرار الردع ففيه أوجه:

أ ـ التأكيد والتشديد والإشعار بالوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول.

ب ـ الأولى لما يصل للكفار من العذاب في الدنيا، كما حصل لهم في بدر والثانية لما ينالهم في الآخرة.

ج ـ ليس بتكرار فالأولى للكفار ليعلموا عاقبة تكذيبهم، والثانية للمؤمنين ليعلموا عاقبة تصديقهم.

والله أعلم.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات:

الجواب :

ذكر الله تعالى ههنا من عجائب مخلوقاته تسعة أمور رئيسة، وهي:

١ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ أي ممهودة من باب تسمية المفعول بالمصدر نحو: (هذا ضرب الأمير) أو تكون الأرض وصفت بهذا المصدر، أو أنْ تكون بمعنى ذات مهاد. وقرىء (مهداً)، ومعناه أنّ الأرض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي مهد له فينام عليه.

٢ـ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ أي للأرض كي لا تميل بأهلها.

٣ـ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾ أي أنّ الزوجية أصل في جميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ .

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ النوم هو آية من آيات الله ليستريح البدن من التعب ويتجدد نشاطه، وهو إنْ طلبته عنّتك وإنْ طلبك أراحك.

وقوله تعالى: ﴿سُبَاتًا ۝٩﴾ أي سكناً وراحة أو قطعاً للأعمال؛ لأنّ أصل السبات القطع للراحة، وسمي يوم السبت لانقطاع الأعمال فيه للراحة والدعة، وسبت الرجلُ إذا استراح.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ فهو يغطيهم كاللباس، والمراد كون الليل ساتراً لهم فالليل سكن وغطاء.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ أي أنّ النهار وقت العمل واكتساب المال، وهو معاش؛ لأنه يعاش فيه.

ولفظة (معاش) قد تكون مصدراً بمعنى: وجعلنا النهار وقت المعاش وقد تكون (معاشاً) مفعولاً وظرفاً للتعيش.

٧ـ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ أي سبع سماوات شداداً أي محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان، وليس فيها فطور ولا فروج.

٨ـ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ أي الشمس وفي الوهاج وجوه، منها: [منير ـ متقد ـ متلألىء ـ من وهج الحر ـ الوقاد] الذي يجمع بين الضياء والجمال أو بين النور والحرارة.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾

أ ـ المعصرات: السماء أو السحاب أو الرياح.

ب ـ ﴿ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ أي كثيراً ومنصباً.

ج ـ ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ الحب ما كان في كمام الزرع الذي يحصد. والنبات: الكلأ الذي يرعى، وكلاهما بدون ساق. وإلى هذين القسمين الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾.

د ـ ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ أي الشجر الذي له ساق. وألفافاً: أي ملتفة ذات ألوان.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ١٢ ﴿شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ ما الفرق بين (أشداء وشداد)؟

الجواب:

١ـ الجمع (فُعلاء و فِعال) نحو كُرماء وجُهلاء وحُكماء هو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية.

أمّا جمع (فِعال) نحو ثِقال وضِعاف فيكاد يختص بالأمور المادية. قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ـ و ـ ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾.

٢ـ ومثله (أشداء وشداد) فالأشداء جمع شديد من الشدة المعنوية والشداد جمع شديد من الناحية المادية.

*** شواهد قرآنية: ـ ﴿أَشِدَّاءُ﴾ ـ**

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] قابل بين الشدة والرحمة، وهما أمران معنويان.

*** شواهد قرآنية: ـ ﴿شِدَادٌ﴾ ـ**

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم:٦] أي الملائكة ضِخام الأجسام وشداد.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ:١٢] أي في أجرامهم قوة وغلظة.

وهذا من الأمور المادية. والله أعلم.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ١٤ : ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الملك ٣٠.



﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل الناقص (كان) في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٧٩.



﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كَانَتْ﴾ أي في علم الله، أو صارت مرتقباً، فكأنّ جهنم كانت كالمنتظرة لقدومهم من قديم الزمان وكالمستدعية لهم.

٢ـ في (المرصاد) قولان:

أـ اسم للمكان الذي يرصد فيه، نحو مضمار للمكان الذي يضمر فيه الخيل، ويكون المعنى أنّ خزنة جهنم يرصدون الكفار عندها.

ودليل القائلين بهذا الرأي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ ولو كان المرصاد نعتاً لوجب أن يُقال (إنّ ربك لمرصاد).

ب ـ أنّ المرصاد (مِفعال) من الرصد وهو الترقب، نحو منظار ومطعان، فهي ترصد أعداء الله وترصد كل كافر ومنافق.

٣ـ دلت الآية على أنّ جهنم مخلوقة أي مُعَدّة، وإذا كان كذلك كانت الجنة أيضاً. والله أعلم.



﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في عذاب جهنم: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾، وقال تعالى: في ثواب الجنة ﴿عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾؟ فما دلالة كل منهما؟

الجواب:

في العذاب: هو جزاء للعمل السيىء، وجزاء السيئة بمثلها، فناسب وفاق جزائها لها في الاتحاد.

أمّا في ثواب الجنة: فهو عطاء وتفضل من الله تعالى، ولن يدخل أحد الجنة بعمله ولكنْ بفضل الله ورحمته، والحسنة بعشر أمثالها فحصل العدد في جزائها، فناسب ختمها بالحساب.

السؤال الثاني:

في الآية ٣٦: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ جعل الله الشيء الواحد جزاء وعطاء، وهذا محال؛ لأنّ كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق، وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

أنّ ذلك الاستحقاق إنما ثبت بحكم الوعد من الله لعباده المؤمنين، لا من حيث إنّ الفعل يوجب الثواب على الله. ولذلك فإنّ الثواب نظراً إلى وعد الله يكون (جزاء)، ونظراً إلى أنه لا يجب على الله لأحد شيء يكون (عطاء).

والله أعلم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

الحساب شيء شاق على الإنسان، والشيء الشاق لا يقال فيه (لا يُرجى) بل لا يخشون حساباً، فلماذا؟

الجواب :

أ ـ كثير من المفسرين قالوا إن معنى: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ أي لا يخافون، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾.

ب ـ المؤمن لا بدّ له أنْ يرجو رحمة الله؛ لأنه قاطع بأنّ ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر.

ج ـ الرجاء هنا بمعنى التوقع، وأشرف أقسام التوقع هو الرجاء، فسمى الجنس باسم أشرف أنواعه.

د ـ في هذه الآية تنبيه على أنّ الحساب مع الله جانب الرجاء فيه أغلب من جانب الخوف، ولا جرم أن كان الرجاء أقوى في الحساب؛ فلهذا ذكر الرجاء ولم يذكر الخوف.

السؤال الثاني :

الكفار كانوا قد أتوا بأنواع من القبائح والكبائر، فما السبب في أنّ الله خصّ هذا النوع من الكفر بالذكر، أي عدم إيمانهم بالحساب؟

الجواب :

لأنّ رغبة الإنسان في فعل الخيرات وفي ترك المحظورات إنما تكون بسبب أنْ ينتفع به في الآخرة، فمن أنكر الآخرة لم يقدم على شيء من المستحسنات ولم يحجم عن شيء من المنكرات، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ تنبيه على أنهم فعلوا كل شر وتركوا كل خير. والله أعلم.



﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ في الآية؟ ولِمَ لم يقل (كذباً)؟

الجواب :

١ـ المعنى لآية النبأ أنهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرائع والقرآن، وهذا يدل على منتهى الرداءة.

٢ـ لفظة ـ ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ ـ هي إمّا مصدر للفعل الثلاثي (كَذَبَ) بمعنى كاذبون ،أو من الفعل المضعف (كذّب) أي تكذيب، فدلّ هذا المصدر على المعنيين معاً.

٣ـ وقد يكون ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ بمعنى الواحد البليغ في الكذب، فيُجعل صفة لمصدر (كذّبوا) أي تكذيباً مفرطاً كذبه.

لمزيد من المعلومات انظر آية نوح ١٧.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الحديقة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٠٥.



﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣﴾

السؤال الأول :

قال: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ بصيغة جمع التكسير، ولم يقل: (كاعبات) بصيغة الجمع السالم، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الممتحنة ١٠.



﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في عذاب جهنم في الآية ٢٦: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾ وقال تعالى في الآية (٣٦) في ثواب الجنة: ﴿عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾؟ فما دلالة كل منهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النبأ ٢٦.

السؤال الثاني :

في الآية ٣٦: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ جعل الله الشيء الواحد جزاء وعطاء، وهذا محال؛ لأن كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق؛ فكيف الجمع بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النبأ ٢٦.



﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما الروح؟ ومتى يقدم الملائكة على الروح؟ ومتى يقدم الروح على الملائكة؟

الجواب :

١ـ في القرآن الكريم وعند اجتماع الروح والملائكة في نفس الآية أحياناً يقدّم الملائكة على الروح، كما في آيات [المعارج ٤ـ والقدر ٤] وأحياناً يقدم الروح على الملائكة، كما في آية النبأ ٣٨.

٢ـ والخط العام أنه يقدّم الملائكة في الحركة، كما في آيات المعارج والقدر ﴿تَعْرُجُ﴾ ـ ﴿تَنَزَّلُ﴾.

بينما إذا كانت الحركة قليلة يقدم الروح، كما في آية النبأ ٣٨ كما قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ دلالة على قلة الحركة آنذاك، فإنه قال: ﴿يَقُومُ﴾ وهي أقل حركة من العروج والنزول.

٣ـ الروح هو جبريل عليه السلام أو خلق من خلق الله. والله أعلم.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها

بدأت السورة بقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾.

قيل: كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء.

وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ وعيد لأولئك المتسائلين المستهزئين.

وختمت بذكر ذلك اليوم، وهو قوله تعالى:

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾[النبأ:٣٨] إلى قوله في آخر السورة: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾[النبأ:٤٠].

والله أعلم.



سورة النازعات

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة النبأ ومفتتح سورة النازعات :

خاتمة سورة النبأ في اليوم الآخر: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾.

وبداية سورة النازعات في ذلك اليوم: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات:٧]. . . . جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذكر سبحانه في آخر ما قبله الإنذار بالعذاب يوم القيامة أقسم عز وجل في هذه على البعث في ذلك اليوم)).

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما ترتيب السورة في النزول؟ وما التعريف العام لها؟

الجواب :

السورة مكية متأخرة، فهي الواحدة والثمانون على المشهور في ترتيب النزول. وقد بدأت بواو القسم متلوة بخمس صفات متتابعة في آيات خمس حُذف الموصوف فيها وتركت الصفات مكانه وقد ترك ذلك مجالاً واسعاً للتأويلات بلغت في بعض كتب التفسير نحو عشرة أقوال.

والمتتبع للسور المفتتحة بواو القسم مثل سور: (العصر ـ الليل ـ الفجر ـ الشمس ـ المرسلات ـ الذاريات ـ التين ـ الطور ـ القلم ـ النجم ـ العاديات) يجد أنّ القرآن الكريم يعدل في هذا الأسلوب عن الأصل اللغوي للتعظيم بالقسم إلى استعمال بلاغي هو قوة اللفت إلى مادي محسوس وواقع مشهود.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ قيل في النازعات حوالي عشرة أقوال أشهرها أنها الملائكة تنزع أرواح بني آدم، والخيل المغيرة، والنجوم، ونختار استناداً إلى مقدمة السورة أنها الخيل، فهي تنزع في عدوها وتُغرق فيه بما فيه من عنف الجذب وقوة المعاناة.

٢ـ لم ترد مادة (نشط) في القرآن إلا في هذا الموضع، وكأنّ الخيل أُفلتت من عقالها فنشطت وانطلقت بسهولة.

٣ـ (السبح) هو العوم، والأصل فيه أن يكون في الماء، وفي القرآن استعملت الكلمة للنجوم ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ومنه الاستعارة لغة للخيل فيقال لها: السوابح، وهي تصور تجمع القوى وعنف المعاناة.

٤ـ (السبق) هو التقدم، وفيه معنى السرعة والمبادرة، والسبق هنا هو أثر لما جمعت الخيل من قواها في نزعها المغرق وسبحها الناشط.

وجاء في الكشاف: أنها خيل الغزاة تدبر أمر الغلبة والظفر.

٥ـ حرف الفاء ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ﴾ الملحوظ فيها السببية، فإغراق الخيل في نزعها ونشاطها المطلق وسبحها في الهواء يعقبه ويترتب عليه أنْ تسبق فتدبر أمراً جمعت له قواها.

٦ـ قالوا: إنّ جواب القسم قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ وقيل محذوف بتقدير: لتبعثن، وقيل غيره.

ولكننا نشعر أنّ القسم هنا ليس على أصل وضعه اللغوي فنحتاج معه إلى تسوية القاعدة في وجوب دخول اللام على الفعل مؤكداً بالنون في جواب القسم، وإنما يتم لنا بالمقطع القرآني الأول المكون من خمس آيات وهو مشهد حسي للخيل في عنف النزع وشدة الانطلاق كي تحسم أمراً أُريدت له.

فإذا ما بلغت الصورة الحسية ذلك الحد جاءت صورة أخرى غيبية تصور حركة القيامة بما فيها من رجف وهزة عنيفة تغير الثابت من نظام الكون وتدبر أمراً كان حتماً مقضياً.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا
خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الوجف: هو الاضطراب ليتناسب مع خفقان القلوب واضطرابها في رجّة القيامة.

٢ـ كل خشوع في القرآن إنما يكون لله سبحانه من مخلوقاته. والخشوع هنا هو غض الطرف عن ذلة وانكسار وشعور بهول الموقف الرهيب الذي يستيقن فيه الكفار من فداحة الذنب وسوء المصير.

وقد وردت كلمة (الخشوع) مسندة إلى (الأبصار) خمس مرات:

[المعارج٤٤ ـ القلم ٤٣ ـ الغاشية٢ ـ القمر ٧ ـ النازعات ٨] وإلى (الوجوه)مرة واحدة، وكلها في موقف القيامة في الكفار.



﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ
إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الردّ: هو الرجوع، ومعنى السؤال: حين ترجف الراجفة، أئنا لمردودون في حفرة القبر عائدون إلى حالتنا الأولى؟

٢ـ النخرة: هي المتفتتة البالية. والاستفهام هنا هو على وجه الدهشة والاستغراب والخوف المأخوذ من رجفة القيامة المباغتة.

٣ـ الكرّ: هو العود على الشيء.

٤ـ الفعل المضارع: ﴿يَقُولُونَ﴾ يلائم حيرة المرء وعجبه المستغرب وهو تصوير للحال آنذاك. أمّا الفعل ﴿قَالُوا﴾ بالماضي فلشعورهم حين تحقق الخسران وقضي الأمر، فلا سبيل إلى استرجاع ما فات.



﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الزجرة: هي الصيحة، ويُلحظ فيها معنى الذل، نحو: تركه بمزجر الكلب. و(ناقة زجور) أي لا تدر لبنها حتى تُزجر. وقد جاءت كلمة (زجرة) مرتين في القرآن [القمر ٤ ـ الصافات ١٩] إضافة إلى آية النازعات.

٢ـ المفاجأة بـ﴿إِذَا﴾ وهي تناسب الزجرة وبغتة القيامة.

٣ـ الساهرة: وفيها أقوال كثيرة، والقرآن اكتفى بالساهرة وصفاً لساحة الحشر أو عَرَصات جهنم حيث لا نوم هناك ولا رقاد. والساهرة مشتقة من السهر وهو عدم النوم. ولم تأت مادة كلمة (سهر) إلا في آية النازعات.

٤ـ هذه الأرض سميت بالساهرة؛ لأنه من شدة الخوف فيها يطير النوم عن الإنسان؛ والسبب أنّ تلك الأرض يجتمع الكفار فيها في موقف يوم القيامة فيكونون فيها في أشد الخوف، فيطير النوم من أعينهم فلا يستطيعون النوم.

والله أعلم.



﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

هنا يلفت القرآن إلى مصير طاغية علا وتكبر وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ وذلك هو مصير الطغاة في الآخرة، وإنه لكذلك مصيرهم في الدنيا.

١ـ طُوى: اسم للوادي المقدس وقد يكون حالاً له حيث طُويت الأبعاد ما بين سماء وأرض.

٢ـ كلمة ﴿رَبِّكَ﴾ أُضيفت كلمة (رب) إلى كاف الخطاب ﴿فِرْعَوْنَ﴾ مع أنّ فرعون لم يكن يؤمن برب موسى.

والمقصود من هذه الإضافة التقرير والإلزام والتمهيد لقوله: ﴿فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ إذ الخشية من فرعون لن تكون إلا عن إيمان بربه.

٣ـ الآية الكبرى هي العلامة، ويكثر استعمالها في الدلالة على وجود الله وعظمته ووحدانيته، ووصفت الآية بالكبرى تعظيماً لقوتها في تأييد رسالة موسى عليه السلام.

والقرآن لم يحدد أيهما الكبرى (العصا أم اليد) والأَوْلى ألا نحدد هنا مادام القرآن نفسه لم يحدد في هذا الموضع.

٤ـ الآيات (٢١ ـ٢٤) تمثل انتقال الطاغي من التكذيب إلى العصيان إلى ادعاء الربوبية، وهو أتعس أنواع الطغيان والكفر.

٥ـ في لفظ ﴿ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ ملحظ دقيق، فليس القصد منه معنى المفاضلة وإنما هو الإطلاق غير المحدد بمفضول.

٦ـ (النكل) في اللغة هو قيد الدابة وحديدة اللجام، ونكّلته: قيدته. وفيه معنى الذل والهوان. وللمفسرين في تأويل ﴿نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ قولان:

أ ـ أنه الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة.

ب ـ نكال كلمتيه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ و ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

٧ـ قدّمت الآخرة على الأولى؛ لأنّ نكالها أفدح وأبقى.

٨ ـ وردت مادة (نكل) في القرآن في خمسة مواقع [المزمل ١٢ ـ النساء٨٤ ـ البقرة ٦٦ ـ المائدة ٣٨ ـ النازعات ٢٥].

٩ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ العبرة هي الاعتبار، ومنه استعمالها في تعبير الدراهم أي وزنها لمعرفة قيمتها.

وحسب فرعون مثلاً لمن يتعظ وعبرة لمن يخشى.



﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

في الآيات خطاب عام، والمقصود به منكرو البعث، ولو تدبروا آيات الله لوجدوا فيها ما ليس أسهل ولا أهون من إحياء الله تعالى العظام وهي رميم.

١ـ السمك: هو القامة والعلو. وأمّا التسوية: فهي في اللغة الاستقامة والاعتدال والاتزان.

٢ـ إغطاش الليل: إظلامه. ولم تأت هذه المادة في القرآن في غير هذا الموضع. وكلمة (أغطش) تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت وعمّ الركود وبدت في أنحائه الوحشة، ولا يفيد هذا المعنى لفظ (أظلم) مثلاً، والتي تعبر عن السواد الحالك ليس غير.

و(أغطش) قد يأتي لازماً نحو (أغطش الليل)، وقد يأتي متعدياً نحو (أغطشه الله) أي جعله مظلماً، والأغطش شبه العمش، والغطش هو الضعف في البصر، كمن ينظر ينظر ببعض بصره.

٣ـ إخراج الضحى: هو انبساط ضوء الشمس. وإضافة الليل والضحى إلى السماء؛ لأنها مجال الضوء والظلام، وتُسفرُ منها الشمس فإذا الضحى متألق، وتغيب فإذا الليل مُغْطش.

٤ـ ﴿دَحَىٰهَآ ٣٠﴾: أي بسطها.

والمرعى يقصد منه ما يُرعى، واستعارة الرعي للإنسان قريبة مألوفة ومنه الراعي والرعية.

٥ ـ الإرساء للأرض هو التثبيت والترسيخ، وتكثر هذه المادة مع الجبال والرواسي لوضوح الثبات والرسوخ فيها.

فهذه الآيات في بناء السماء ودحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها وإرساء الجبال شاهدة على أنّ الذي بناها ورفعها ودحاها وأرساها لا يشق عليه خلق الإنسان وإحياؤه بعد الموت بعد أنْ يبلى جسده وترمَّ عظامه.

السؤال الثاني :

الظاهر من آية البقرة ٢٩: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ تقدم خلق الأقوات، وظاهر من آية النازعات ٣٠ تأخره ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ ؟ فما حقيقة الأمر؟

الجواب :

لفظة ﴿ثُمَّ﴾ في آية البقرة لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع، ولا يلزم من ترتيب الأخبار ترتيب الوقوع، كقوله تعالى في آية الأنعام [١٥٣-١٥٤] ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ ولا ريب في تقديم إيتاء الكتاب على وصيته لهذه الأمة

١- قوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ هذه اللام للملك لبيان أنها لله؛ ليرى الإنسان كيف أكرمه الله بحيث خلق ما في الكون لأجله، بعضه لتنتفع به مباشرة كالماء والنبات والهواء، وبعضه للاعتبار مما يؤدي إلى الإيمان.

لذلك المعنى ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي من أجلكم للانتفاع والاعتبار.

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

٣- قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ هي مفردة وتطلق على الجمع؛ ولذلك قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ وكل ما علاك فهو سماء.

والسماء الدنيا بكل مليارات نجومها هي كحلقة في فلاة قياساً إلى السماء الثانية. والله أعلم.

السؤال الثالث:

كيف الجمع بين آية فصلت ١١ التي ظاهرها أن تسوية السماء تمت بعد دحي الأرض وأقواتها، وآية النازعات ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية فصلت ١١.



﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩
وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

الطامة الكبرى: هي القيامة وهي النفخة الثانية، ولم تأت المادة في غير هذا الموضع في القرآن.

١ـ قوله: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾ التذكر هنا عن نسيان ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ و(ما) مصدرية بمعنى: يوم يتذكر الإنسان مسعاه.

٢ـ قوله: ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ البروز هو قوة الشخوص والظهور، وإسناد البروز إلى الجحيم بالبناء المجهول تركيزاً للحدث لا للفاعل، كما هو الحال في أحداث يوم القيامة.

٣ـ قوله: ﴿ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ويسكن به. وفي القرآن يكون في الحياة الآخرة إمّا في الجنة وإمّا مع الجحيم والعياذ بالله.

وقد أتى الفعل (أوى) في القرآن أربع عشرة مرة كلها بمعنى المأمن والملاذ.

٤ـ قوله: ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ في إضافة المقام للرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم للنفوس. ومع المقام يكون الخوف، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

٥ـ الهوى: هو الميل فيما ليس بمحمود، ويجيء في القرآن مفرداً ﴿ٱلْهَوَىٰ﴾ وجمعاً ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ ومعنى الآية نهى النفس عن الاستجابة إلى الشهوات الضالة.

٦ ـ الفعل ﴿وَنَهَى﴾ هو ضد الأمر، واستعملت (النُهى) في العقل والرشد وهذا يجعل للفعل (نهى النفس عن الهوى) إيحاء الاستجابة إلى صوت العقل في زجر النفس عن شهواتها.



﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ يستعمل القرآن (ساعة) منكرة للوقت القصير ومعرّفة (الساعة) لساعة الآخرة التي وردت في القرآن في أربعين موضعاً.

وهذه الساعة تنفرد عن كل الساعات الأخرى بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها نظام الزمن كله وسير الكون لما يحدث فيها من أحداث خطيرة وهو معنى يقوى و يتضح بإسناد القيام والإتيان والمجيء إلى هذه الساعة المتميزة الحاسمة.

٢ـ في السؤال: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ إنكار واستبعاد من السائلين.

٣ـ عن عمد صرف القرآن عن السؤال عن موعد يوم القيامة إلى الله وحده، وقدّم الجار والمجرور للقصر والتخصيص، وأنّ مهمة النبي عليه السلام هي أن ينذر من يخشاها لا أن يذكر موعدها ومرساها.

٤ـ الخشية: هي خوف مشوب برهبة المُخشى وإعظامه، وأكثر ما تأتي في القرآن في مقام خشية الله مسندة إلى المؤمنين أو الرسل أو العلماء أو من تُرجى لهم الهداية.



﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

هنا تبلغ المباغتة غاية العنف والنذير، ولا تتعلق بما ذكره المفسرون في مكان اللابثين في القبور أم في الحياة الدنيا، فالآية أطلقت اللبث وصرفته عمداً إلى كل ما قبل رؤيتهم الساعة.

والأصل في الرؤية أنْ تكون حسية، وكون الساعة شيئاً يرونه رأي العين فيه إلباس الظرف بالمظروف وإدماج الحدث (القيامة) بالوقت الذي يحدث فيه وهو الساعة، فهذه الساعة الحاسمة تجسد الصلة بين الوقت والحادث.

وليس مهماً أمام هذه المفاجأة الوقوف طويلاً مع معنى ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ فهول المفاجأة أكبر من ذلك.

وفي إضافة الضحى إلى العشية معنى النهار الذي يسبق العشية، أي أنّ الوقت هو في النهار (ضحى العشية) أو في الليل (عشية)، وهذا صحيح لأنّ الأرض كروية، وعند المفاجأة بقيام الساعة يكون قسم من الناس في النهار وقسم آخر في الليل، والعرب تقول آتيك العشية أو غداتها. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين جاء وأتى في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في النازعات ٣٤: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾، وفي عبس ٣٣: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ في النازعات: لمّا ذكر أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ ثم ذكر خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى ناسب تعظيم أمر الساعة وجعلها الطامة الكبرى التي تطم على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة.

٢ـ وأما آية عبس: فتقدمها ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ فناسب ذلك ذكر الصيحة الناشرة للموتى من القبور وهي الصاخة، أي الصيحة الشديدة التي توقظ النائم لشدتها.

السؤال الرابع :

ما دلالة الفعل ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ في آيتي النازعات ٣٥، والفجر ٢٣؟

الجواب :

١ ـ التذكر في النازعات هو تذكر عقلي يستغرق وقتا طويلا؛ لأنه تذكرٌ لما سعاه في حياته وما عمله طيلة عمره، وهو تذكر عقلي وليس تذكراً قلبياً يدفعه إلى أن يعمل شيئاً آخر ينفعه.

٢ ـ ونحوه آية سورة الفجر، فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ فيها أيضاً.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية ٤٠: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ ما كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٣١.

والله أعلم.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

أقسم ربنا بالنازعات وما بعدها في أول السورة، ثم ذكر يوم القيامة بقوله:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ .

وختمت بذكر الساعة، وذلك قوله:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ .

والله أعلم.





سورة عبس

(عتاب في سبيل الله)

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة النازعات ومفتتح سورة عبس:

خاتمة سورة النازعات فيمن طغى وآثر الحياة الدنيا، وفيمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وقال في أواخر السورة: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات:٤٥].

وذكر في أول سورة عبس نماذج من هؤلاء وأولئك، فقد ذكر من استغنى، ومن جاءه يسعى وهو يخشى، وذلك قوله:

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذكر سبحانه فيما قبلها: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ ذكر عز وجل في هذه من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه، وهم الذين كان رسول الله ﷺ يناجيهم في أمر الإسلام)).والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣)﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تحول الخطاب في الآيات الثلاث من المبني للمجهول إلى الخطاب المباشر للرسول عليه السلام في الآيات التي بعدها؟

الجواب :

١ـ هذا من باب الالتفات في البلاغة، يلتفت من الغيبة إلى الحاضر بهدف نشاط السامع فينتبه، ولكن لماذا؟

٢ـ هو إكرام للرسول عليه السلام، فلم يقل له عبست وتوليت، فإكراماً له قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١)﴾ مع أن الرسول عليه السلام كان منشغلاً بأمور الدعوة لا بأمور الدنيا.

٣ـ استعمل كلمة (الأعمى) لبيان عذر الرجل السائل، ولو كان غير أعمى ورأى الرسول عليه السلام مشغولاً ما سأله.

٤ـ فقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١)﴾ يتكلم عن الغائب، وهو أكرم من: (عبست وتوليت).

٥ـ وقوله تعالى: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢)﴾ فيه استخدام ضمير الغائب، وهو أكرم من استخدام ضمير المخاطب.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في آية الليل ١٨: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾، وفي آية عبس٣: ﴿يَزَّكَّىٰ﴾ بالإبدال والإدغام، فما السبب؟

الجواب:

١ ـ آية الليل في إيتاء المال وهو مستمر متطاول مدى العمر، فجاء بالصيغة الطويلة، فالتزكي هنا مقرون بالمال، فاستعمل ﴿يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ لما هو طويل الأمد ودال على التدرج.

٢ ـ آية عبس نزلت في الأعمى الذي جاء يسأل عن رسول الله ﷺ، فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك، ولا شك أنّ مدة هذا الفعل أقصر من مدة إيتاء المال؛ ذلك لأنه جاء يستفهم أو يسترشد في وقت من الأوقات فيزكي قلبه بذاك.

إضافة إلى أنّ التزكي الثاني﴿يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾﴾ استعمله لما هو عمل قلبي مقرون بالخشية وطلب الذكر النافع.





السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ و ﴿بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ في ستة مواطن من كتاب الله، وهي كلها في المؤمنين، وهم لا شك يزيدون على العشرة، كما في الآيات [آل عمران ١٩٣ـ ١٩٨ـ الإنسان ٥ـ الانفطار ١٣ـ المطففين ١٨ـ٢٢].

٢ـ كلمة ﴿بَرَرَةٖ﴾ وردت مرة واحدة فقط في صفة الملائكة، وهي قوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾.

ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة، فجيء بالفجار على جمع الكثرة، والأبرار على جمع القلة، وهذا المعنى يذكره القرآن في أكثر من موضع:

ـ ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[سبأ:١٣].

ـ ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾[يوسف:١٠٣].

ـ ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[الأنعام:١١٦].

بينما جاء بلفظ البررة للدلالة على الكثرة؛ لأنّ الملائكة كلهم كذلك بخلاف البشر.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة جمع الصفات جمع تكسير ﴿كِرَامِۭ﴾ في الآية؟

الجواب :

الأصل في الصفات أن تجمع جمعاً سالماً، لكنها قد تجمع جمع تكسير وأشهر أوزان جمع التكسير للصفات :

١ـ فُعّال: نحو زُرّاع وحُفاظ و قُرّاء وصُوّام و طُلاب.

وهذا البناء هوللمبالغة و للتكثيرمن القيام بالفعل لا لتكثير العدد، فقولك حُفّاظ وقُرّاء لمن كان قيامهم بالفعل واتصافهم به كثيراً.

٢ـ فَعَلَة، نحو: كتبة وخزنة وكفرة وبررة وحفظة.

وهذا الجمع يطلق على الصنف المعين من العقلاء، وليس فيه معنى الحدث، والتاء في آخر هذا الجمع حوّلت الوصف إلى الاسمية. والفرق بين هذا الجمع والجمع السابق أنه ليس في هذا الجمع الحركة والتكثير اللذين في فُعّال، فالطلاب هم الذين يمارسون هذا الفعل كثيراً، بينما الطلبة اسم لهذا الصنف من الناس. وكذلك الكُتّاب والكتبة والحُفّاظ والحفظة.

ومما يدل على غياب الحدث والحركة من هذا الجمع أنّ هذا الجمع ورد في سبعة عشر موطناً في القرآن الكريم ليس فيها اسم واحد متعلق بمجرور أو ظرف أو عامل أي عمل، والجموع هي:

بررة ـ ١ـ مرة واحدة.

حفظة ـ١ـ مرة واحدة.

خزنة ـ ٣ ـ مرات.

سحرة ـ ٨ـ مرات.

سفرة ـ ١ـ مرة واحدة.

كفرة ـ١ـ مرة واحدة.

فجرة ـ١ـ مرة واحدة.

ورثة ـ ١ ـ مرة واحدة.

٣ـ فُعّل: نحو رُكّع و سُجّد و خُنّس و كُنّس.

ويدل هذا الجمع على الحركة الظاهرة.

والحركة في (فُعّل) أوضح وأكثر من الحركة في (فُعّال)؛ وذلك لقصره عن فُعّال؛ ولأنّ الحركة تحتاج إلى السرعة التي تنافي المد.

ومثال ذلك: سُجّد وسجود.

٤ـ فواعل: وهي:

أـ جمع فاعلة اسماً أو صفة: نحو فاطمة وفواطم وكافرة وكوافرونازلة ونوازل وقاعدة وقواعد.

ب ـ جمع فَوْعل: جوهر وجواهر.

ج ـ جمع فَاعِل: طَابع وطَوابع.

د ـ جمع فاعلاء: قاصعاء وقواصع.

هـ ـ جمع فاعِل: كاهل وكواهل، للاسم لا للوصف.

و ـ جمع فاعِل: حائض وحوائض، لصفة المؤنث.

ز ـ جمع فوعلة: صومعة وصوامع.

ملاحظة:

الوزن (فُعّل) فيه عنصر الحركة بخلاف الوزن (فواعل)، فهو أقرب إلى الاسمية وأدل على الثبوت، وهو وزن لجمع الأسماء أكثر مما هو لجمع الصفات. فالرُحّل هم الذين يرتحلون كثيراً، والرواحل جمع راحلة وهي كل بعير نجيب.

فنحن إذا أردنا تكثير القيام بالفعل أو الدلالة على الحركة الظاهرة جمعناه على (فُعّل)، وإلا جمعناه على فواعل.

ولذا تقول العرب: الزواجر والصواعق والخوالف والنوازل والقواصم ورجال عوارف، ولا يجمعونها على (فُعّل)؛ لأنهم يريدون بذلك الاسمية أو القرب من الاسمية.

٥ـ فُعلان: وهو من جمع الأسماء لا الصفات، نحو: بطن وبُطنان وقضيب وقُضبان و ذكر وذكران.

وما جُمع من الصفات نحو راعٍ ورعيان وشابٍّ وشبان وأعمى وعميان فإنما أُريد به الاسمية أو القرب منها.

وقد استعمل القرآن الكريم جمع (عميان) للقلة النسبية، وقد ورد هذا الجمع مرة واحدة في آية الفرقان ٧٣ في وصف عباد الرحمن في قوله تعالى: ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بينما وردت كلمة ﴿عُمْيٌ﴾ في سبعة مواطن كلها في وصف أهل الكفر والضلال، وعباد الرحمن أقل من الكفرة.

واستعمل كذلك كلمة (الذكران) للقلة النسبية بخلاف الذكور، كما في آية الشورى(٤٩ـ٥٠).

٦ـ الجمع على وزن المصدر: نحو سجود وركوع وقعود وحضور.

ويؤتى بهذا الجمع للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل.

٧ـ فَعلى وفَعالى، نحو: جرحى ومرضى وهلكى وموتى وسكرى ويتامى وحباطى ووجاعى و حذارى وأيامى.

ودلالة هذا الجمع على الآفات والمكروه والهلاك والتوجع. ولم يأت في القرآن لفظ (الأيتام)، بل جاء بـ (اليتامى) لما لها من إيحاء معنوي بالأوجاع والمعاناة.

٨ـ فُعلاء و فِعال: نحو كُرماء وجُهلاء وحُكماء، وهو للدلالة على سجية مدح أو ذم من الأمور المعنوية.

أمّا (فِعال) نحو ثِقال وضِعاف فيكاد يختص بالأمور المادية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ـ و ـ ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾.

ومثله (الكُبراء والكِبار) فالأولى هم السادة والرؤساء، وأما (الكِبار) فهم كِبار الأجسام والأعمار.

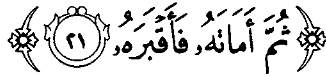
ومثله (الضعفاء والضِّعاف) فالأول هم المستضعفون من الأتباع والعوام، وأما (الضِّعاف) فللضعف المادي، كما في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة:٩١].

٩ـ فعائل: نحو شمائل وسحائب وصحائف وعجائزوصغائر وكبائر وهذا الجمع من جمع الأسماء.

والفرق بين هذا الجمع والجمع (فِعال) نحو كِبار وصِغار، أنه إذا أُريد به الوصفية تستعمل الوزن (فِعال) أو جمع السالم فتقول: بنات كبار وصغار، او بنات صغيرات وكبيرات.

فإنْ حُوّل اللفظ من الصفات إلى الأسماء جُمع على (فعائل) فتقول: صغائر وكبائر، وهي اسم لصغائر الذنوب أو كبيرها.





السؤال الأول :

ما دلالة ﴿ثُمَّ﴾ في الآية؟

الجواب :

(ثُمّ) حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أوالأحوال أوغيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني مترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

٦ـ بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أمّا اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء، فيفيد البعد المكاني.

٧ـ في آية سورة عبس (٢١:٢٢) عقب بالفاء بعد (أماته)؛ لأنّ الإقبار عقب الموت مباشرة، وجاء ب(ثُمّ) بعد ذلك؛ لأنّ النشور يتأخر.

السؤال الثاني :

مالفرق بين (ثُم) بالضم، و(ثَمَّ) بالفتح؟

الجواب :

١ـ (ثُم) بالضم حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، كما في آية عبس٢١، وآية هود٥٢.

٢ـ(ثَمَّ) بالفتح ظرف بمعنى (هناك) وهو للبعيد بمنزلة (هنا) للقريب وقد تلحقها التاء، فيقال: (ثَمة) بالتاء.

ولذلك من الخطأ الشائع أن يقال: (ومن ثُم)، والصحيح: (ومن ثَمَّ) بالفتح.

السؤال الثالث :

في آية عبس ٢١جاء بالفاء في: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ ثم جاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ وفي آية البقرة ٢٨ استعمل ﴿ثُمَّ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ ـ في آية عبس جاء بالفاء في: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ لأنّ دفن الميت يكون بعد موته مباشرة، وجاء بعده بـ ﴿ثُمَّ﴾ لأنّ النشور يتأخر عن الدفن.

٢ ـ في آية البقرة جاء بالإحياء الأول بالفاء فقال: ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ وما بعده بـ (ثم)؛ وذلك لأنّ الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ، وأمّا الموت فقد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت.

السؤال الرابع :

ما الكلمات الأخرى المرادفة لكلمة (القبر)، والتي لم ترد في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.





السؤال الأول :

استعمل (النخيل) في آية النحل١١ و(النخل) في آية عبس ٢٩، وآية سورة ق١٠ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١١.

﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾

السؤال الأول :

في آية السجدة ٢٧ قدّم الأنعام على الناس، وأما في آية عبس ٣٢ فقدم الإنسان على الأنعام، فما السبب؟

الجواب :

١ ـ في آية السجدة: قدّم الأنعام على الناس، وذلك لما تقدم ذكر الزرع فناسب تقديم الأنعام.

٢ ـ في آية عبس: السياق في طعام الإنسان، فذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً، ثم ذكر بعده طعام الأنعام ﴿وَأَبّٗا ٣١﴾ وهو التبن. قال تعالى:

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢]

فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا.



﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في النازعات ٣٤: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾، وفي عبس ٣٣: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النازعات ٣٤.



﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

بدأ في سورة (عبس) بذكر الأخ فالأم فالأب ثم الأبناء وفي سورة المعارج على عكس ذلك فقد بدأ بالأبناء ثم انتهى بأهل الأرض، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المعارج (١١:١٤).

السؤال الثاني :

كيف الجمع بين معاني آيات المؤمنون ١٠١، الصافات ٢٧، عبس ٣٤؟

الجواب :

١ـ معنى آية المؤمنون: أي لا أنساب بينهم تنفع كما كانت تنفع في الدنيا.

٢ـ في القيامة مواطن، ففي بعضها لا يتساءلون لاشتغال كل منهم بنفسه وفي بعضها يتساءلون.

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمة (صاحبة)؟ وهل كل امرأة تعتبر صاحبة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٠١.



﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

هؤلاء هم السعداء، وقد وصفهم ربهم بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ فهي مسفرة مضيئة، وذلك من:

ـ من قيام الليل.

ـ من آثار الوضوء.

ـ من طول ما اغبرت في سبيل الله.

ـ بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والرحمة.

جعلنا الله منهم. اللهم آمين.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ ولم يقل مثلاً: هم الكافرون الفاجرون فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ معنى قوله تعالى: ﴿غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ أي ما يصيب الإنسان من الغبار وقوله: ﴿تَرْهَقُهَا﴾ أي تدركها بسرعة وتغشاها وتعلوها وقوله: ﴿قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ أي سواد كالدخان.

ولا يُرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، وكأنّ الله جمع في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا هم بين الكفر والفجور.

٢ـ لمّا ذكر الله الوجوه وما عليها من السواد والغبرة إشارة إلى أهل العذاب ذكر جمع التكسير ﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ لأنّ جمع التكسير يدل على الاسمية؛ أي الأشخاص سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، بينما يدل جمع السالم الذي هو جمع الصفات على الحدث.

فلمّا كان السياق في ذكر الأشخاص الذين تعلو وجوههم يوم القيامة الغبرة والقترة كان استعمال جمع التكسير أولى؛ لأنه يدل على الأشخاص أي على الاسمية. والله أعلم.

لمزيد من المعلومات انظر آية الممتحنة ١٠.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

ذكر ربنا في أول السورة صنفين من الرجال:

﴿مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾﴾ وذلك قوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾.

ومن جاءه يسعى خاشياً ربه، وذلك قوله: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾.

وختمت بذكر هذين الصنفين، وذلك قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

والله أعلم



سورة التكوير

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة عبس ومفتتح سورة التكوير:

خاتمة عبس في جزاء المؤمنين والكافرين، وذلك قوله سبحانه:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ [عبس:٣٨-٤٢].

وسورة التكوير في اليوم الآخر، فقال في أولها:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)﴾ [التكوير: ١ - ٣]. . .

جاء في (روح المعاني): ((فيها من شرح يوم القيامة الذي تضمنه آخر السورة قبلها)).

والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ تكرر اسم الشرط ﴿إِذَا﴾ اثنتي عشرة مرة بدون تنافر ولا تكرار للمعاني في سورة التكوير.

٢ـ استعمل ﴿إِذَا﴾ ولم يستعمل (إنْ)؛ لأنّ القرآن يستعمل (إذا) للمقطوع بحصوله وللكثير الواقع، بينما يستعمل (إنْ) للمشكوك في حصوله وقليل الوقوع والنادرأوالمستحيل.

وقد وردت (إذا) في القرآن حوالي (٤٠٠) مرة تقريباً.

السؤال الثاني :

ما دلالة تقديم الاسم على فعل الشرط في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الانفطار ١.

السؤال الثالث :

ما اللمسة البيانية في استخدام الفعل ﴿سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ والفعل ﴿نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ في وصف الجبال في القرآن الكريم؟

الجواب :

النسف: له معنيان: الاقتلاع والإزالة أو التذرية في الهواء. قال تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[طه:٩٧].

والنسف والتسيير هما من مشاهد يوم القيامة المتتابعة، فتكون الجبال كالعهن المنفوش، ثم يأتي النسف والتذرية في النهاية.

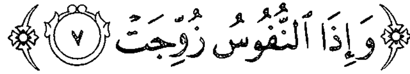
السؤال الرابع :

ما أحوال الجبال في القرآن في يوم القيامة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠٥.





﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لقد وردت في القرآن الكريم لفظة (أنفس) في (١٥٣) موضعاً:

أ ـ منها (٦) مواضع معرفة بأل الاستغراق، وهي للكثرة.

ب ـ والباقي (١٤٧) موضعاً مضافة، وهي للكثرة أيضاً.

٢ـ أما لفظة ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾ فقد جاءت في موضعين فقط (الإسراء ٢٥ـ التكوير ٧).

٣ـ والسبب في كثرة ورودها عن ورود (أنفس) - والله أعلم -:

أ ـ اختيار اللفظ الخفيفِ، فالفتحة أخف من الضمة، فمن عادة العرب في كلامها أنْ تخفف.

ب ـ (أنفس) مؤلفة من مقطعين، (ونفوس) مؤلفة من ثلاثة مقاطع.

* شواهد قرآنية:

آية الإسراء ٢٥:

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ فيها صيغة تفضيل (أعلم)، وهي المرة الوحيدة التي جاءت فيها مع جمع نفس (نفوسكم)، وكونه لم يذكر المفضّل عليه معناه أنها شملت الدقائق والعظام والصغائر والكبائر من حيث التركيب، أي أنّ الله أشعر المستمع والقارىء بمعرفة الصغيرة والكبيرة في النفوس.

فاستعمل تعالى: ﴿نُفُوسِكُمْ﴾ بلفظها الثقيل بدل (أنفسكم)؛ لأنه يثقل على المرء أنْ يعلم كل دخائل نفسه.

آية التكوير٧: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾

١ـ كثير من الناس يتمنون لو أنهم لم يبعثوا أحياء في يوم القيامة، فعندما تُزوج النفوس أي تعود إلى أجسادها معناه أنّ الحساب سيبدأ، وهذا يثقل على النفس، فناسب اللفظ الأثقل، فقال: ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾

وهو اختيار متناسب مع ثقل مشاهد يوم القيامة في سورة التكوير.

٢ـ ويلاحظ أنه ابتداء من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ كان الإيقاع والوزن مؤلفاً من خمسة مقاطع، ثم اختلف عند الآية ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ إيذاناً بأنّ الحساب بدأ.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في التكوير١٤ : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ وفي الانفطار٥: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ ما سبب التغيير في الآيات مع أنّ الكلام في كلتيهما عن الآخرة؟

الجواب :

١ـ في الانفطار: المشهد قبل الحساب، ولمّا كان الأمر في أول المشهد وفي ابتداء الأمر ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ فكل إنسان سيحاسب نفسه عما فعلت وعما قدّمت وما أخرّت، فنجاح النفس متوقف على ما قدّمت النفس وما أخرت.

وأما قوله تعالى: ﴿قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ فتفصيل لتلك الأعمال. وقيل: ما قدمته للدنيا وأخرته للآخرة.

٢ـ في التكوير: المشهد بعد الحساب لمّا قربت الجنة وأُحضرت، فإنّ كل نفس تعلم ماذا أحضرت لدخول الجنة من العمل الصالح.

فكلمة ﴿أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ تفيد مطلق الإحضار من أعمال وصحائف وجزاء.

والله أعلم.



﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

خَنَسَ: في اللغة: اختبأ واختفى.

خُنّس: صيغة مبالغة، وتعني: أجرام مبالغ في اختفائها.

يقسم الله سبحانه وهو غني عن القسم لعباده بحقيقةٍ لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة، وهي التي تسمى الثقوب السوداء، وهي حالة من النجوم العملاقة تتركز في قلب المجرات وتُعتبر مراكز الثقل للمجرات، وهي حالة كثيفة جداً للمادة لا يكاد العقل البشري أنْ يتصورها، تتكدس فيها المادة بحيث تتلاشى المسافات بين مكونات الذرات؛ لأنّ الذرة أغلبها فارغ وحجم المادة فيها ضئيل، فاذا تلاشت المسافات بين اللبنات الأساسية للذرة تضاءل حجمها تضاؤلاً شديداً حتى لا تكاد تُدرَك، وبتكدس المادة في داخل النجم العملاق تصبح له جاذبية فوق التصور، تحول دون انفلات الضوء منه وحينئذ يختفي هو ومركز ثقل المجرة؛ لأنّ كل ما في المجرة من أجرام يترابط بجاذبية الثقب الأسود كمركز ثقل لها.

ولكي يتكون ثقب أسود لا بدّ أنْ تنضغط كتلته، وعلى سبيل المثال فإنّ نجماً في حجم الشمس التي يبلغ قطرها ١٣٩٢٠٠٠ كم يحتاج إلى الانضغاط حتى يصبح قطره ٣ كم فقط كي يتحول إلى ثقب أسود.

أمّا (الجوار الكنس) فقالوا: الكنس في اللغة مثل خنس بمعنى: اختبأ واختفى، ولكن إذن: مافائدة التكرار؟

المعنى الذي يظهر أنّ الكنّس هو من الكنْس بمعنى مسح صفحة السماء وكنسها وتصفيتها وتنظيفها من أية مواد عالقة فيها، وليست من الاختفاء. والله أعلم.

(من آيات الإعجاز في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار ـ بتصرف)

السؤال الثاني :

ما دلالة القسم بصيغة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٧٥.



﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني الذي يختلف عن الجانب القلبي الذي يصف العاطفة الجياشة التي تسبب لصاحبها السهر والتعب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٤ .

والله أعلم.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

ذكر في أوائل السورة أمورًا من مظاهر يوم القيامة ابتداء من قوله:

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾ إلى قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ .

ثم حذّرهم في آخر السورة من عاقبة ذلك اليوم، فقال: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ .

والله أعلم.

سورة الانفطار

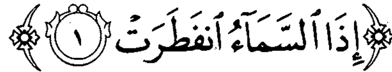
أولاً : التناسب بين خاتمة سورة التكوير ومفتتح سورة الانفطار :

هذه السورة في أحداث اليوم الآخر والإنسان وتذكيره.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :


﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم الاسم على فعل الشرط؟

الجواب :

١ـ تقول العرب: إذا جاءك محمد فأكرمه، أو: إذا محمد جاءك فأكرمه قال تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ وقال: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء:١٧٦] وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ .

٢ـ عند الجمهور من النحاة إذا جاء الاسم بعد (إذا) فتقديرهم أنّ فعل الشرط قد حُذف ويفسره الفعل المذكور بعده، والتقدير: إذا انفطرت السماء انفطرت. وعند الكوفيين أنه فاعل مرفوع متقدم على فعله أو مبتدأ خبره ما بعده.

٣ـ إنّ تقدير الجمهور بعيد عن المعنى مفسد لصحة الكلام مؤدٍّ إلى ركاكة بالغة فيه ،إذ ما الغرض من هذا الذكر والحذف مع العلم أنّ المفسِّر والمفسَّر لفظ واحد بعينه لا يزيده إيضاحاً ولا بياناً ولا تفسيراً؟

ولو كان المفسِّر يعطينا معنى زائداً على المفسَّر وإيضاحاً لم يكن فيه لكان مقبولاً، ولكنّ الفعل المذكور هو نفس الفعل المحذوف. فما الغرض إذن من الذكر والحذف؟

٤ـ وكان الأنسب أنْ يقول النحاة: إنه قد يلي الفعلُ أداة الشرط، نحو: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وقد يليها الاسم ثم فعل الشرط، نحو: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾.

فهذا أنسب من التقدير الذي يفسد المعنى ويضيعه ويذهب بجمال الكلام وفصاحته. وعلى كلٍّ فالمعنى في التعبيرين مختلف ولا شك.

٥ـ أغراض تقديم الاسم على فعل الشرط:

أ ـ للعناية والاهتمام والاختصاص:

فقولك: (إذا محمد جاءك فأكرمه) يفيد التخصيص، ومعناه أنّ الإكرام مختص بمحمد دون غيره.

وأمّا قولك: (إذا جاءك محمد فأكرمه) فهو طلب الإكرام لمحمد من غير تخصيص له به، والمعنى: أكرم محمدا عند مجيئه، غير منهي عن إكرام غيره.

ب ـ التقديم للتهويل:

نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾، وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾.

فهذه من مواطن التهويل؛ وذلك لأنّ انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور، كل ذلك مما يؤدي إلى الهول والرعب فقدّمها لهذا الغرض.

ألا ترى أنّ الله قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾[الزلزلة:١] فلم يقدّم الاسم وذلك أنّ مشهد الزلازل واقع متكرر على الأعوام والأيام، وإنْ كانت هذه الزلزلة أعظم منها جميعاً، بخلاف المشاهد السابقة التي ذكرها في سورة الانفطار، فإنه لم يسبق أنْ انشقت السماء أو انفطرت أو انتثرت النجوم أو تفجرت البحار، فالهول والفزع ههنا أكبر وأكبر، فقدّم ما قدّم للتهويل.

ج ـ وقد يكون للتعظيم:

نحو: إذا ابن حجر صحح الخبر فكيف نرده؟

د ـ وقد يكون لتعجيل المسرة أو المساءة:

نحو: إذا الحبيب حضر أعطيك ما تريد. ونحو: إذا السفاك ملك البلاد فلا خير في الحياة .

هـ ـ وقد يكون للتحقير:

نحو: إذا هذا الجبان الذليل أهانك فتعساً لك.



﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين القبر والجدث؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.



﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في التكوير ١٤ : ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾، وفي الانفطار ٥ : ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ ما سبب التغيير في الآيات مع أنّ الكلام في كلتيهما عن الآخرة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التكوير ١٤.



﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال جمع السالم في الآيات (حافظين ـ كاتبين) ولم يستعمل جمع التكسير؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الممتحنة ١٠.



﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿بَرَرَةٖ﴾ و ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة: ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ في ستة مواطن من كتاب الله، وهي كلها في المؤمنين وهم لا شك يزيدون على العشرة، كما في الآيات [آل عمران ١٩٣ـ ١٩٨، الإنسان ٥ـ، الانفطار ١٣ـ، المطففين ١٨ـ٢٢].

٢ـ كلمة: ﴿بَرَرَةٍ﴾ وردت مرة واحدة فقط في صفة الملائكة، وهي قوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾.

ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة، فجيء بالفجار على جمع الكثرة والأبرار على جمع القلة. وهذا المعنى يذكره القرآن في أكثر من موضع:

ـ ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[سبأ:١٣].

ـ ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾[يوسف:١٠٣].

ـ ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[الأنعام:١١٦].

بينما جاء بلفظ (البررة) للدلالة على الكثرة؛ لأنّ الملائكة كلهم كذلك بخلاف البشر. والله أعلم.



﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾

السؤال الأول:

كيف نجمع بين لفظة: ﴿يَوۡمَ﴾ ولفظة: ﴿عَنۡهَا﴾ في آيات سورة الانفطار؟

الجواب :

١ـ المقصود باليوم هو يوم القيامة وليس (٢٤) ساعة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي عن النار التي يصلونها.

٣ـ جاء أولاً بالفعل المضارع ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ للدلالة على الاستمرار.

ثم أكّدها بقوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي لا يغيبون عنها ولا يخرجون، فهم دائماً فيها.



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحرف (ثم) في الآية؟

الجواب :

(ثُمّ) حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أوالأحوال أوغيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ وقد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني ترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

٦ـ بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أمّا اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء فيفيد البعد المكاني.

لمزيد من المعلومات انظر آية النساء ١٧.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

ذكر في أولها أمورًا من مشاهد يوم القيامة ابتداء من قوله في أول السورة:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ . . .

وختمها بذكر ذلك اليوم قائلا: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ . والله أعلم.



سورة المطففين

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الانفطار ومفتتح سورة المطففين

هذه السورة في أحداث اليوم الآخر والإنسان وتذكيره.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال ﴿عَلَى﴾ بدل (من) في الآية؟

الجواب :

قيل إنّ ﴿عَلَى﴾ هنا بمعنى [من]، بل هو متضمن معنى التسلط والتحكم على الناس، أي تسلطوا عليهم بالاكتيال.

و﴿عَلَى﴾ تفيد الاستعلاء. اكتالوا على الناس، يعني: تسلطوا عليهم بالاكتيال. (اكتالوا على الناس) يعني: إذا أخذوا منهم استوفوا حقوقهم وزيادة، وإذا أعطوا بخسوا؛ لأنّ هؤلاء متسلطون، ولو قال: (اكتالوا منهم) فليس فيها تسلط، وإنما بيع وشراء طبيعي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ ولم يقل: (كالوا لهم)؛ لأنّ اللام تفيد الاستحقاق، لم يعطوهم حقهم، فجاء بـ (على) للدلالة على التسلط، فحذف اللام الدالة على الاستحقاق، وهو تعبير عجيب. ومعناها: أنهم لا يراعون الحقوق مطلقاً لا في الأخذ ولا في العطاء؛ لهذا قال: ويل لهم.

السؤال الثاني :

هل يجوز هذا في المكيال فقط أم في جميع المعاملات؟

الجواب :

البخس عام، واستعمال ﴿عَلَى﴾ في القرآن عجيب، فيه استعلاء وتسلّط ولذلك العذاب يأتي بـ ﴿عَلَى﴾ مع العقوبات.

* شواهد قرآنية:

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ لم يقل: (كالوا لهم).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[المؤمنون:٧٧].

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾[الفيل:٣] لم يقل: أرسل إليهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾[الأعراف:١٣٣].

السؤال الثالث:

هل كانت العرب تفهم معاني الحروف؟

الجواب:

هذه لغتهم، لكنْ هل هم بدرجة واحدة في استعمالها؟ في الأمور الأساسية نعم، أمّا في الأمور البيانية فهم متفاوتون.

والله أعلم.



﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين برره و أبرار؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ في ستة مواطن من كتاب الله، وهي كلها في المؤمنين وهم لا شك يزيدون على العشرة، كما في الآيات: [آل عمران ١٩٣ـ ١٩٨ـ، الإنسان ٥ـ، الانفطار ١٣ـ، المطففين ١٨ـ٢٢].

٢ـ كلمة: ﴿بَرَرَةٍ﴾ وردت مرة واحدة فقط في صفة الملائكة، وهي قوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٍ ١٦﴾.

ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة، فجيء بالفجار على جمع الكثرة والأبرار على جمع القلة، وهذا المعنى يذكره القرآن في أكثر من موضع، مثل:

- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ:١٣].

- ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف:١٠٣].

- ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦].

بينما جاء بلفظ (البررة) للدلالة على الكثرة؛ لأنّ الملائكة كلهم كذلك بخلاف البشر.

والله أعلم.



﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

ذكر صنفين من السعداء: (الأبرار والمقربين)، والمقربون هم أعلى الخلق.

فقال في نعيم الأبرار: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾. .....﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ أي أنهم يسقون من رحيق ممزوج بالتسنيم ،والتسنيم أعلى شراب في الجنة، وهو يمزج لهم بحسب أعمالهم.

في حين قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي أنّ المقربين يشربون من عين التسنيم خالصة، فإنهم كما أخلصوا أنفسهم وأعمالهم لله أخلص لهم الشراب والجزاء من جنس العمل، وهم لا يشربون منها، بل يشربون بها.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم لأنه يشربه المقربون صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين. والله أعلم.

ثالثاً :التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

بدأت السورة بتهديد المطففين بالويل وتحذيرهم من يوم القيامة، وهو اليوم العظيم:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

ثم يستمر في ذكر ما يحدث في ذلك اليوم إلى آخر السورة قائلاً في خاتمتها:

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

فبُدئت بذكر الويل لصنف ممن يستحقون الويل، وانتهت بأصحاب الويل على العموم وهم الكفار.والله أعلم.

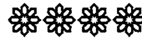


سورة الانشقاق

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة المطففين ومفتتح سورة الانشقاق :

هذه السورة في أحداث اليوم الآخر والإنسان وتذكيره.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم الاسم على فعل الشرط في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الانفطار ١ .



﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الانشقاق ١٠ : ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠﴾، وفي الحاقة ٢٥ : ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾؟

الجواب:

قيل: تغل يداه إلى عنقه ويجعل شماله من وراء ظهره.

وقيل: يخرج شماله من صدره إلى ظهره، فهو من شماله ووراء ظهره.



﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

لو أنّ الله تعالى قال: (يحورا) مراعاة للفاصلة لتغير المعنى، وفي هذا دليل على أنّ القرآن الكريم يراعي المعنى قبل مراعاة الناحية اللفظية.

والحور هو الرجوع، وعن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى (يحور) حتى سمعت أعرابية تقول لابنتها: حوري، أي ارجعي، ومعنى الآية أنه لن يرجع إلى الآخرة، أي لن يبعث.



﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾

السؤال الأول:

ما دلالة القسم بصيغة ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٧٥.



﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾، وفي آية التين ٦: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾؟ وما الفرق عن الاستثناء الوارد في سورة العصر؟

الجواب :

١ـ معنى الاستثناء أنّ الصالحين مستثنون من الرد إلى أسفل سافلين، فهم الذين يبقون على الفطرة ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح.

وكذلك فإنّ معنى الاستثناء أنّ الصالحين من كبار السن لهم ثواب دائم يُكتب لهم في وقت شيخوختهم كما كان يُكتب لهم في وقت صحتهم. جاء في الحديث: (**أنّ المؤمن إذا رُد لأرذل العمر كُتب له ما كان يعمل في قوته**).

٢ـ كما أنّ الاستثناء هنا مختلف عن الاستثناء في سورة العصر: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ فزاد التواصي بالحق والصبر.

والسبب في ذلك أنّ الله تعالى بيّن في سورة التين أنّ الإيمان والعمل الصالح يمنعه من الرد أسفل سافلين، ولكنْ ما يمنعه من الخسران الذي يفوته فيما لو ترك التواصي بالحق

والتواصي بالصبر، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح ولا يلزم أنْ يكون أسفل سافلين؛ ولذلك كانت لفظة: ﴿لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ في سورة العصر مناسبة لموضوع الربح والخسارة.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾

أي أجر غير منقطع ولا منقوص، ولا مكدر بالمنّ عليهم، فجمع هذه المعاني كلها.

وزاد الفاء ﴿فَلَهُمْ﴾ في آية التين ٦ ولم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة في سورة الانشقاق ٢٥ حيث جاءت بدون الفاء ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ والسبب في ذلك اختلاف السياقين.

فقد أطال في سورة الانشقاق في ذكر الكافرين ووصف عذابهم في الآيات (١٠: ٢٤)، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾.

لذلك لمّا أطال في وصف الكافرين وأعمالهم وعذابهم، وأوجز في الكلام عن المؤمنين في الآيات (٧: ٩) حذف الفاء من جزاء المؤمنين مناسبة للإيجاز.

في حين لم يذكر الكافرين في سورة التين، ولم يزد على قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ويعني: الإنسان، وهو غير صريح في أنّ المقصود به الكافرون، فذكر الفاء لتأكيد استمرار أجره.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الانشقاق ٢٥: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾، وفي التين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾ بالفاء، فما السبب؟

الجواب :

١ـ في سورة التين الاستثناء متصل، فتم الكلام به؛ لأنّ المراد بأسفل سافلين هو شيخوخة الإنسان وضعفه وعدم قدرته على الأعمال، فصار التقدير: لكن من كان يعمل صالحاً فإنا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم، كما ورد في الحديث: (**إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**).

٢ـ في سورة الانشقاق: الاستثناء منقطع، بمعنى: (لكن) فلم يتم الكلام به. وهو منقطع؛ لأنّ (الذين آمنوا) غير (الذين كفروا)الذين تحدثت عنهم السورة قبل ذلك.

السؤال الثالث :

ما أقسام الاستثناء بـ ﴿إِلَّا﴾؟

الجواب :

إنّ الاستثناء بـ ﴿إِلَّا﴾ ينقسم إلى تام ومفرّغ. وينقسم التام إلى متصل ومنقطع.

١ـ الاستثاء التام:

هو ما ذكر فيه المستثنى منه، نحو: حضر الرجال إلا علياً.

أ ـ الاستثناء المتصل:

وهو ما كان المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه، نحو: سافر الرجال إلا سعيداً، فـ (سعيد) مستثنى متصل؛ لأنه بعض الرجال.

ب ـ الاستثناء المنقطع:

وهو ما لم يكن فيه المستثنى بعضاً من المستثنى منه، كقوله تعالى:

ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ لأنّ إبليس ليس من الملائكة.

ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ لأنّ قول السلام ليس من اللغو.

ولا يشترط في الاستثناء المنقطع أنْ يكون جنسه مغايراً لجنس المستثنى منه، نحو: جاءت النساء إلا نعجة.

٢ـ الاستثاء المفرغ:

وهو ما لم يذكر فيه المستثنى منه، نحو: ما حضر إلا سالم.

ثالثاً: التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها:

بدأت السورة بذكر قسم من مظاهر يوم القيامة ابتداء من قوله تعالى:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾.

ثم يستمر الكلام في ذكر طرف من أحداث ذلك اليوم.

ثم يختمها بتبشير المكذبين بالعذاب الأليم ومجازاة المؤمنين بالأجر غير المنقطع، وذلك قوله:

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ والله أعلم.

سورة البروج

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الانشقاق ومفتتح سورة البروج :

١ ـ أقسم سبحانه في أواخر سورة الانشقاق بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق (١٦ ـ ١٨).

والشفق ظاهرة سماوية، والقمر في السماء، والليل إنما يكون بعد غروب الشمس وهي في السماء، فأقسم سبحانه في أول سورة (البروج) بالسماء فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾.

٢ ـ وذكر ربنا في آخر سورة الانشقاق جزاء الكافرين والمؤمنين فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥﴾.

وذكر حساب من أُوتي كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه وراء ظهره (٧ ـ ١٥).

وأقسم ربنا سبحانه في أول سورة البروج باليوم الموعود، وهو اليوم الذي يكون فيه كل ذلك، فقال: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾.

وذكر بعد ذلك عاقبة الكافرين والمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾. والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

لفظة ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من ﴿ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ ما أقسام البدل؟ وما أهم أغراضه؟ وهل عطف البيان غير البدل؟

الجواب :

يعرف النحويون أنّ البدل هو الذي يعتمد بالحديث، وإنما يُذكر الأول كنحو من توطئة؛ وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الإفراد.

أهم أقسام البدل:

١ـ البدل المطابق: ويسمى بدل (كل من كل)، نحو: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾

٢ـ بدل (بعض من كل)، نحو:

ـ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

ـ ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾.

٣ـ بدل اشتمال: وهو ما دلّ على معنى في متبوعه، نحو: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ فـ ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود؛ لأنّ الأخدود اشتمل على النار.

أهم أغراض البدل:

١ـ الإيضاح والتبيين: نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فالفدية مبهمة يوضحها ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

- ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾ فالعذاب مبهم أوضحه ما بعده.

٢ـ قد يكون الثاني مبيناً حقيقة الأول، كقوله تعالى:

- ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ﴾ فالعجل ليس حقيقياً وإنما جسد له خوار، فاتضح الأمر أكثر من اجتماع البدل والمبدل منه

٣ـ قد يكون للمدح أو الذم، نحو قوله تعالى:

- ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ صفتان لله تعالى دالتان على المدح.

- ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ فلو قال: طوى فقط لما عُلم أنه مقدس.

- ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾.

- ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

٤ـ وقد يكون للتخصيص، نحو قوله تعالى:

- ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ فالزينة عامة خصصت بالكواكب.

- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ فبيّن جنس القوارير.

- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾.

٥ـ وقد يكون للتفصيل، كقوله تعالى:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ ففصّل: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾.

٦ـ وقد يكون للتفخيم، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فإنه أبهم الأمر أولاً ثم أوضحه؛ ليكسبه الإعجاب والفخامة.

٧ـ وقد يكون للإحاطة والشمول، كقوله تعالى:

ـ ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

٨ـ وقد يكون للتوكيد، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

عطف البيان:

عطف البيان هو قريب من البدل. تقول: أقبل أخوك محمد، ويصح أنْ يعرب عطف البيان بدلاً إلا في مواطن:

أ ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً، بينما البدل قد يكون فعلاً.

ب ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابع لجملة، بينما البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

ج ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً، بينما البدل يصح أن يكون.

وبعد ذلك يأتي أشهر النحاة، فيقول: ليس بين البدل وعطف البيان فروق.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمتي: ﴿قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ و ﴿قَٰعِدُونَ﴾ في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة: ﴿قُعُودٌ ۝٦﴾ ثلاث مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات [البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة: ﴿قَٰعِدُونَ﴾ في عدة مواضع كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في الآيات [المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ـ النساء ٩٥].



﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[المائدة:٥٩].

٢ـ قال هنا: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ﴾ بصيغة المضارع ؛لأنّ التعذيب إنما كان واقعاً على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قيل: إلا أنْ يدوموا على إيمانهم؛ ولذلك ناسب صيغة المضارع.

٣ـ وختمت الآية بوصف الله تعالى نفسه بالعزيز الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يُدفع، وفي هذا إشارة إلى أنه لو شاء لمنع أولئك الجبابرة من تعذيب أولئك المؤمنين.

وأشار بقوله: ﴿ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ الذي يستحق الحمد والثناء، وإلى أنّ المعتبر عنده سبحانه من الأفعال عواقبها، فهو وإنْ كان قد أمهل لكنه ما أهمل.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين النقمة والانتقام؟

الجواب :

١ـ النقمة: مصدر للفعل الثلاثي (نقم) وتصريفاتها مسندة إلى غير الله تعالى كالكفار مثلاً، وهي تعبر عن مرض نفسي خبيث يدل على الحقد والبغض.

ويخبرنا التاريخ أنّ الكفار عندما يواجهون المؤمنين يُلغون القوانين والأنظمة والمبادىء والأعراف والتشريعات التي كانوا يتبجحون بها ويقاتلونهم بنقمة وبقلب أسود حسود.

٢ـ الانتقام: مصدر من الفعل الرباعي (انتقم)، وتصريفاته مسندة إلى الله تعالى فقط، وهو عقوبة من الله للكفار نتيجة ذنوبهم وكفرهم وانحرافهم.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفاء في الآية الأولى ﴿فَلَهُمْ﴾ دون الآية الثانية ﴿لَهُمْ﴾؟

الجواب :

١ـ قد يشبّه الاسم الموصول بالشرط فتدخل في جوابه الفاء، نحو قولك: (الذي يدخل الدار فله مكافأة)، فإنّ دخول الفاء معناه أنّ المكافأة تترتب على دخولك الدار، أي ترتب الجزاء على الشرط، فيكون دخول الدار سبباً للحصول على المكافأة، وأمّا حذفها فيحتمل السببية وغيرها.

والفاء تفيد السبب وتفيد التوكيد.

٢ـ آية البروج (١٠) جاء فيها الفاء ﴿فَلَهُمْ﴾ لتأكيد العذاب بسبب فتنتهم المؤمنين عن دينهم، فجاءت تعقيباً على الذين فتنوا المؤمنين وحرقوهم في الأخدود.

٣ـ آية البروج (١١) لم يؤكد بالفاء ﴿لَهُمْ﴾ مع أصحاب الجنة إشارة إلى أنّ دخول الجنة ليس بالعمل وحده، بل هو برحمة من الله وفضل؛ لأنّ العمل الصالح لا يبلغ أنْ يكون مقابلاً للجنة، فيكون دخولها برحمة من الله واقتسامها بالعمل. قال رسول الله ﷺ: **(لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أنْ يتغمدني الله برحمة منه وفضل)**.

لذلك حذف الفاء في أهل الجنة؛ لأنها ليست السبب للدخول، وجاء بالفاء في أهل النار؛ لأنّ أعمالهم هي السبب في دخولها.

٤ـ وأما قوله تعالى في آية التين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ بالفاء؛ لأنّ الإيمان والعمل الصالح هما سبب الأجر.

فآية البروج في الجنة وأنّ العمل ليس مقابلاً للجنة، وآية التين في الأجر وهو سبب له.

ثالثاً: التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها:

وأما بقية السور القصار فإنها قد تكون ذات موضوع واحد كالمعوذتين والإخلاص والمسد والنصر والكافرون والكوثر والماعون وقريش والفيل والهمزة والعصر والتكاثر والقارعة والزلزلة والقدر والضحى والليل.

أو أنْ تكون في مقابلة الكافرين والمؤمنين وعاقبة كل منهما ونحو ذلك.

والله أعلم.



سورة الطارق

(لله الخلق والأمر)

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة البروج ومفتتح سورة الطارق :

ذكر في سورة البروج جزاء الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، وجزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾.

وذكر في أوائل سورة الطارق خلق الإنسان، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾.

فذكر فيها الإبداء، وهو قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾.

وذكر الإعادة، وذلك قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تخفيف ﴿إن﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ إذا خففت (إنْ) المكسورة الهمزة بطل اختصاصها بالأسماء، وجاز لها إذا دخلت على الجمل الاسمية الإهمال والإعمال. تقول: إنْ محمد لمنطلق، وإنْ محمداً منطلق.

أمّا إذا دخلت على الجمل الفعلية أهملت وجوباً، وتلزمها اللام عند الإهمال تفريقاً بينها وبين (إنْ) النافية، نحو قوله تعالى في آية طه ٦٣: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾.

وذهب بعضهم إلى أنّ (إنْ) المخففة بمنزلة (قد) للتوكيد دون توقع أو تقليل أو تقريب، كما في الحرف (قد)

٢ـ من جهة أخرى قال بعضهم: إنّ (إنْ) المخففة هي للتوكيد بمنزلة (إنّ) المشددة، ولكنّ الأصح أنها أقل توكيداً من (إنّ) المشددة.

*** شواهد قرآنية: تفيد التوكيد:**

ـ ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[يونس:٢٩] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾[الإسراء:١٠٨] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾[الإسراء:٧٣] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾[الإسراء:٧٦] (إنْ) مخففة من الثقيلة مهملة.

ـ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾[الطارق:٤] (إنْ) بمعنى ما نافية و، (لمّا) بمعنى إلا.

*** شواهد قرآنية: على أنّ (إنّ) المشددة آكد من المخففة:**

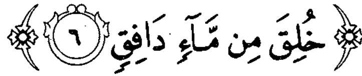
آيات سورة يوسف: [٩١: ٩٢] و [٩٧: ٩٨].

آيات الأعراف: [٦٥: ٦٩] و الشعرآء [١٨٥: ١٨٩].

ملاحظة:

لمزيد من التفصيل حول (إنْ) النافية انظر آية الإسراء ٤٤.





﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما السبب في استخدام اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول وبالعكس في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ قسم من المفسرين يرون أحياناً أنّ اسم الفاعل يكون بمعنى اسم المفعول، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ أي مدفوق والمقصود فاعل الدفق لا المني.

ـ ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى لا معصوم.

ـ ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١﴾ بمعنى مرضية والمقصود صاحب العيشة لا العيشة.

ـ ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ۝٤٥﴾ يعني ساتراً.

ـ ﴿سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ يعني حافظاً.

ومن الممكن أنْ تبقى المعاني والصيغ على صورتها الظاهرة ويبقى المعنى.

٢ـ المصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مثل كلمة(خَلْق) فقد تأتي بمعنى (مخلوق) أحياناً.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ معنيان:

أ ـ لا عاصم إلا الراحم وهو الله، أي ليس هناك من ينجيه إلا الله.

ب ـ لا معصوم إلا الناجي:

ثم تأتي بقية الآية: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ لا تمنع كلا التفسيرين.

وهذا من باب التوسع في المعنى. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية٦: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

ذكر القرآن الكريم ٢٣ نوعاً من المياه لكل منها طبيعته الخاصة.

انظر الجواب في آية سورة الملك ٣٠.



﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾

السماء هو كل ما علاك؛ لذا فإن ما نراه فوقنا من فضاء واسع وغيوم ونجوم هو في السماء.

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾[طه:٦].

فماذا يوجد بين السماء والأرض ونحن ننظر إلى السماء فلا نرى بيننا وبين النجوم شيئاً؟

يقول العلماء: بأنه يوجد حول الأرض عدة طبقات منها:

١ـ طبقة غلاف غازية عرضها (٧ـ١٣) كم تحيط بالأرض تعيد إلى الارض الحرارة المنبعثة منها، وهذه الطبقة شديدة البرودة؛ إذ تبلغ حرارتها −٨٠ درجة مئوية فوق خط الاستواء و−٥٥ درجة مئوية فوق القطبين. وهذا الانخفاض في درجات الحرارة يجعل بخار الماء المتصاعد من الأرض يعود إليها مرة ثانية على شكل مطر بعد أنْ يتكثف، فهذا الغلاف يُرجع الماء إلى الأرض.

٢ـ هناك طبقة ثانية فوق الطبقة الأولى، وهي ذات حرارة ثابتة يبلغ ارتفاعها (٢٥) كم، وهذه الطبقة تحفظ ما عرفه العلم باسم الأوزون، وهذه الطبقة تمتص الأشعة البنفسجية القادمة من الشمس وتمنعها من الوصول إلى الأرض فهي تردها.

٣ـ هناك طبقة ثالثة يسميها العلماء طبقة النطاق المتأين، وهذه تقوم برد كثير من صور الطاقة المنبعثة من الأرض، ومنها موجات البث الإذاعي والتلفازي، ولولا هذه الطبقة لما استمع أحدنا إلى الآخر عن طريق المذياع والتلفاز، ولما اكتشفت الهواتف وأجهزة البث؛ لأنّ الذبذبات الصوتية والضوئية عند ئذ تتبدد في الفضاء ولا تعود إلى الأرض.

٤ ـ ومن آخر ما توصل إليه العلم أنّ كلمة الرجع تعني صدى تفجر بعض الكواكب في طبقات الفضاء العليا البعيدة منذ آلاف السنين، وما زال صدى صوتها يتردد في الفضاء حتى وصل إلينا في أيامنا هذه بوسائل العلم المتطورة. والله أعلم.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾

وردت كلمة (الأرض) في القرآن الكريم في حوالي (٤٥١) مرة.

هذه الأرض تتألف من غلاف صخري قد يصل سمكه إلى مِئة كم تقريباً وتحت هذا الغلاف توجد مجموعة من التصدعات الطويلة التي تشكل مجموعة من الألواح، وتحت هذه الألواح توجد الطبقة المنصهرة. لذلك تبقى طبقة الألواح تتأرجح فوق الطبقة الدنيا المنصهرة، وهذا ما يشكل بعض الحركات والزلازل والتغيرات الجغرافية الهائلة على مر السنين وهذا ما يفسر لنا تشكيل البحار والمحيطات ثم اختفاءها وانفصال القارات بعضها عن بعض.

ويرشح العلماء أنّ البحر الأبيض المتوسط في طريقه إلى الزوال حيث ستلتقي أوربا بأفريقيا وأنّ البحر الأحمر سوف يتسع فتختفي بلاد وتظهر بلاد.

فهل يتعظ الناس الذين يخططون ويحلمون، هل يقتنعون بأنّ تخطيطهم ينبغي أن يكون دائماً في نطاق الإيمان بقدرة الله عز وجل؟!

والله أعلم.



سورة الأعلى

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الطارق ومفتتح سورة الأعلى :

ذكر سبحانه في أواخر سورة (الطارق) السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢)﴾

وفسر الرجع بالمطر والصدع بالنبات.

وقال في أول سورة الأعلى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤)﴾

فالمناسبة ظاهرة.

جاء في (روح المعاني): ((ذكر في سورة الطارق خلق الإنسان وأرشد إلى خلق النبات بقوله ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢)﴾.

وذكر ههنا في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّى (٢)﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)﴾)).

وجاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر فيما قبلها ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)﴾ كأنّ قائلا قال: من خلقه على هذا المثال؟ فقيل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾))

والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة العطف في الآيات؟

الجواب :

في الآيات عطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد وهو رب العالمين، مثل أن تقول: مررت برجل فقيه وشاعر وكاتب.

لزيادة معرفة أقسام العطف انظر آيتي البقرة ٩٨ و ١٣٣.



﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة اللاشيء أي لا قيمة ولا نفع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.



﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ أي سنجعلك قارئاً للقرآن تقرؤه فلا تنساه وكان الرسول عليه السلام إذا نزل عليه القرآن أكثَرَ تحريك لسانه مخافة أنْ ينسى، وكان جبريل عليه السلام لا يفرغ من آخر الوحي حتى يتكلم النبي بأوله مخافة النسيان، فقال الله: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ أي سنعلمك القرآن حتى تحفظه.

٢ـ دلت هذه الآية على المعجزة من وجهين:

أـ أنّ النبي عليه السلام كان أمياً، وحفْظُه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا كتب أمرٌ خارق للعادة فيكون معجزاً.

ب ـ هذا إخبار عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً.

٣ـ قوله: ﴿فَلَا﴾ لا هنا حرف نفي وليس للنهي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فيه وجوه:

أـ أنْ يقال هذا الاستثناء غير حاصل في الحقيقة، وأنه عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئاً، ويكون ذكر الله في الاستثناء للتبرك.

ب ـ المعنى: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه.

ج ـ المعنى: إلا ما شاء الله أنْ ينسى، فإنك تنسى ثم تتذكر بعد ذلك. وروي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أحد الصحابة أنها قد نسخت فسأل النبي عنها فقال: نُسيتها.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧﴾ فيه بيان بإحاطة علمه تعالى بالجهر والخفاء، وجاء بالصيغة الاسمية ﴿إِنَّهُۥ﴾ الدال على ثبات إحاطة علمه.

٦ـ قدّم الجهر على الخفاء؛ لأنّ هذا مقامه. والله أعلم.



﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾

السؤال الأول :

في الآيات عدد من حروف العطف، فما هذه الحروف؟ وما أهم معانيها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٣٦.

ثالثاً : التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها :

بقية السور القصار قد تكون ذات موضوع واحد كالمعوذتين والإخلاص والمسد والنصر والكافرون والكوثر والماعون وقريش والفيل والهمزة والعصر والتكاثر والقارعة والزلزلة والقدر والضحى والليل.

أو أن تكون في مقابلة الكافرين والمؤمنين وعاقبة كل منهما ونحو ذلك .

والله أعلم.

سورة الغاشية

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة الأعلى ومفتتح سورة الغاشية:

لمّا قال سبحانه في خواتيم سورة الأعلى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾.

وقال قبل ذلك: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾.

ابتدأ سورة الغاشية بقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ وهي الآخرة وذكر جزاء من آثر الحياة الدنيا بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾

وذكر ما هو خير وأبقى، وذلك قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ . . . وما بعدها.

جاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر فيها قبلها ﴿فَذَكِّرْ﴾ وذكر النار والآخرة قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾)).

فذكر جزاء من تذكر وهو الذي قال فيه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ وجزاء من تجنب الذكرى وهو الأشقى الذي يصلى النار الكبرى.

والله أعلم.

ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين جاء وأتى في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.



﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الخضوع والخشوع؟

الجواب:

الخضوع: قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية. والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: خضع إلا تجوزاً.

الخشوع: من أفعال القلوب، ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى. انظر آيات [الإسراء ١٠٩ـ البقرة ٤٥ـ الأنبياء ٩٠ـ آل عمران ١٩٩ـ الحديد ١٦ـ الغاشية ٢].

السؤال الثاني :

من المقصودون بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)﴾، ومن (الأخسرون أعمالاً) في آية الكهف١٠٣؟

الجواب :

١ـ آية الغاشية تتحدث عن الكفار ووجوههم يومئذ خاشعة بمعنى ذليلة وخاضعة ومنكسرة؛ لأنها اتجهت إلى النار ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤)﴾.

وهذا هو خشوع يوم القيامة لأهل النار خضوع مذلة بسبب سوء أعمالهم.

٢ـ آية الكهف ١٠٣ تتحدث عن قوم يظنون أنهم على صواب ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [الكهف:١٠٤] وهذا القول لا يشمل المؤمن بل الكافر؛ لأنّ تتمة الآيات هي ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾[الكهف:١٠٥] والمسلم لا يهزأ بآيات ربه ولا برسل الله.

٣ـ هناك قراءتان: ﴿يَحْسَبُونَ﴾ و ﴿ يَحْسِبُونَ ﴾ بكسر السين وفتحها. والفعل (حسِب يحسَبُ) و(حسِب يحسِب) لغتان، والأغلب في لغة العرب الفتح.



﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجوع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ١٢٠.



﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

أي مجانسة بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الدلالة؟ ولِمَ بدأ بذكر الإبل؟

الجواب :

إنّ جميع المخلوقات متساوية في هذه الدلالة وذِكْرُ جميعِها غيرُ ممكن لكثرتها، ولعلّ الحكمة في ذكر هذه الأشياء غير المتناسبة التنبيه على أنّ هذا الوجه من الدلالة غير مختص بنوع دون نوع، بل هو عام في الكل.

لكنْ لا يمنع من بيان الخواص والمنافع لكل واحد، ولنأخذ مثال الإبل:

الإبل:

١ـ الجمل خواصه كثيرة، فهو يقتنى ليؤكل لحمه ويُشرب لبنه وللتنقل في الأسفار مع حمل الأمتعة، وليكون زينة وجمالاً، وتحمله العطش، فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب.

٢ـ أنه في كل واحدٍ من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة؛ لأنّ الإبل إنْ جُعلت حلوبة سقت فأروت الكثير، وإنْ جُعلت أكولة أشبعت الكثير، وإنْ جُعلت ركوبة أمكن أنْ يقطع بها المسافات الطويلة ما لا يقطعه بحيوان

آخر، لأنّ لها تحمّلاً على السير والصبر على العطش والاجتراء من العلوفات بما لا يجترىء حيوان آخر وهكذا.

٣ـ أصبحت الإبل في العرف أعظم الحيوانات، ولذلك جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً، والعطايا إبلاً، والصلح بين المتحاربين إبلاً، وفي المهر إبلاً فأصبحت مقياساً للغنى.

٤ـ العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل، في صحتها وسقمها ومنافعها ومضارها؛ فلهذه الأسباب حَسُنَ من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها.



﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الإياب والرجوع والانقلاب والصيرورة؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في آية الشورى ٥٣: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

الله سبحانه وتعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، والمساق والإياب لا يكون إلا إلى الله. وهذا التقديم مقصود من أجل الاختصاص بشكل رئيس، إضافة لمراعاة الفاصلة في الآيات.

٢ـ الإياب: هو الرجوع إلى منتهى المقصد، والرجوع يكون لذلك ولغيره؛ لذلك يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال آب إلى بعض الطريق.

ولهذا قال أهل اللغة: التأويب أنْ يمضي الرجل في حاجته ثم يعود فيثبت في منزله، أو التأويب هو أنْ يسير النهار كله ليكون عند الليل في منزله؛ ولهذا قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ كأنّ القيامة منتهى قصدهم؛ لأنها لا منزلة بعدها.

٣ـ الرجوع: هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل.

٤ـ الانقلاب: هو المصير إلى نقيض ما كان عليه قبل؛ ولهذا تقول: انقلب الطين خزفاً، وأمّا رجوعه خزفاً فلا يصح؛ لأنه لم يكن قبل خزفاً.

٥ـ الإنابة: هي الرجوع إلى الطاعة، ولا يقال لمن رجع إلى معصية إنه أناب.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الحساب في القرآن؟

الجواب :

الكلمات هي : (حسب ـ عدّ ـ أحصى).

انظر الجواب في آية هود ١٠٤.



سورة الفجر

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الغاشية ومفتتح سورة الفجر :

ذكر في آخر سورة الغاشية من تولى وكفر وذكر أنه سيعذبه العذاب الأكبر.

وذكر في أول الفجر قسما ممن تولى وكفر فعذبه في الدنيا وسيعذبه في الآخرة وهم عاد وثمود وفرعون، فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾ . . ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

وقال فيهم: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

جاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر فيما قبلها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ أتبعها بذكر الطوائف المتكبرين المكذبين المتجبرين الذين وجوههم يومئذ خاشعة، وأشار إلى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وأيضا لمّا قال: ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال هنا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ تهديدًا لمن كفر وتولى)).

والله أعلم.

ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

سورة الفجر مكية مبكرة ترتيبها العاشرة في النزول نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى.

١ـ الفجر أول ظهور ضوء الصباح في سواد الليل، واستعمل حسياً في تفجر الماء من الأرض وفي انفجار البراكين. وأيام الفجار أربعة أيام كان فيها قتال في الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان في الجاهلية.

والأغلب أنه الدلالة على الانبثاق والانبعاث، وقيل هو فجر ذي الحجة لقوله تعالى بعده: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾.

والمفسرون متأثرون بفكرتهم في تعظيم المقسم به بهذه الواو.

٢ـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾ والعشر أول العقود، واختلف المفسرون في تأويلها منها عشر ذي الحجة والعشر الأول من محرم والعشر الأخير من شهر رمضان.

٣ـ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣)﴾ اللفظان لغة يدلان على العدد الزوجي والفردي. وقد اختلف المفسرون في تفسير الشفع والوتر إلى أكثر من عشرين وجهاً منها: العدد الزوجي

والفردي ـ الشفع درجات الجنة والشفع دركات النار ـ الشفع صفات الخلق: كالعلم والجهل ـ والوتر صفات الخالق: علم بلا جهل ـ الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة. ..

٤ـ السرى: هو السير في الليل، وفي دلالته معنى الخفاء، واختص السرى بالليل تمييزاً له عن عامة السير.

والأصل أنّ الليل يُسرى فيه، فإسناد السرى إلى الليل هو إسناد مجازي وفيه تجسيم لليل وتشخيص له بحيث يتمثل كائناً حياً يَسري، وفيه كذلك إلباس للحدث بزمانه، فالليل نفسه يسري كما يسري فيه كل سارٍ بليل.

٥ ـ بعد كل ما سبق وبعد أنْ تدبرنا آيات القسم بالواو في القرآن للوقوف به عند أصل استعماله اللغوي في التعظيم، يخرج هذا الأصل إلى الاستعمال البلاغي الذي لا يتعلق بما جاء على أصل الوضع اللغوي، بل يعدل عنه لملحظ بياني هو في آيات الفجر اللفت إلى انبثاق نور الفجر في ظلمة الليل الساري توطئة إيضاحية بالحسي المدُرك إلى معنويات من الهدى والضلال.

٦ ـ اضطرب المفسرون في البحث عن جواب القسم، ونرى أنّ آيات القسم في السورة قد تم بها المقصود من اللفت إلى المقسم بما يغني عن تأول جواب محذوف أو غير محذوف، وقد تمت آيات القسم بهذا السؤال الصادع ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ٤ : ﴿إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ ما دلالة استعمال فعل الشرط الماضي والمضارع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٠.

السؤال الثالث :

حذفت الياء من الفعل ﴿يَسْرِ﴾ في الآية الرابعة، ما قواعد حذف الياء في رسم المصحف؟

الجواب :

قواعد حذف الياء:

اتفقوا على حذف الياء الواحدة المتطرفة بعد كسرة اكتفاءً بالكسرة وبيان ذلك:

١ـ إذا كانت الياء لام كلمة أو ضميراً لمتكلم في الفعل الماضي والمضارع والأمر أو اسماً عارياً عن التنوين والنداء، نحو:

- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾[الفجر:٤].
- ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾[هود:١٠٥].
- ﴿دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة:١٨٦].
- ﴿رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾[الفجر:١٥].
- ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾[الشعراء:٨٠].
- ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾[الكهف:٤٠].
- ﴿فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾[البقرة:٤٠].
- ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾[آل عمران:١٧٥].

٢ـ أو كانت الياء آخر اسم منقوص منون مرفوع أو مجرور، نحو:

ـ ﴿غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١].

ـ ﴿هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد:٧].

ـ ﴿مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ﴾ [الرعد:١٠].

٣ـ أو المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، نحو:

ـ ﴿ يَـٰعِبَادِ﴾ [الزُّخرُف:٦٨].

﴿يَـٰقَوْمِ ﴾ [البقرة:٥٤].

ـ ﴿يَـٰرَبِّ ﴾ [الفرقان:٣٠].

٤ـ اتفقوا على حذف إحدى كل ياءين متجاورتين واقعتين في وسط الكلمة أو طرفها، خفيفتين أو كانت إحداهما خفيفة، أصليتين أم زائدتين أو كانت إحداهما للبناء أو للإعراب، أو كانت إحداهما صورة همزة أو ألف نحو:

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر:٦٨].

﴿ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ [المائدة:١١١].

﴿لَخَـٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [يوسف:٩١].

﴿سَيِّـَٔاتُ ﴾ [النحل:٣٤]، ﴿سَـيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١].

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾ [يوسف:١٠١].

السؤال الرابع :

في سورة (الفجر) ابتدأت بالقسم بالفجر وجاء فيها ذكر (هلاك عاد) وسورة (الشمس) ابتدأت بالقسم بالشمس وجاء فيها ذكر (هلاك ثمود) فهل من ارتباط بين معنى القسم (الفجر ـ الضحى) وهلاك الأمم الكافرة؟

الجواب :

١ـ جاء في صحيح البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

[إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهارعجزوا فأُعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأُعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعَمِلنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتاب: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن أكثر عملاً قال الله: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء].

فيتبين من الحديث أنّ تاريخ الأمم في الدنيا شبهت كيوم واحد تسلسلت فيها الأمم السابقة ومنها عاد وثمود، ثم جاءت أمة الرسول عليه السلام وهي آخر الأمم ووقتها في التشبيه كما بين العصر إلى الغروب، وقد سبقتها أمم أخرى في بداية تاريخ الدنيا.

٢ـ ذكر في السورة قصة ثلاث أمم من الكفار المتقدمين، وهي: (عاد الأولى) وثمود وقوم فرعون، ثم قال: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

أ ـ وأول هؤلاء الأمم تاريخياً هم قوم (عاد الأولى) وهم من العرب البائدة، فناسب البدء بالقسم في أول السورة (والفجر)؛ ليتناسب بدء اليوم وهو الفجر بموقعهم من الأمم السابقة، وهم من بدايات الأمم.

ب ـ ثم ناسب القسم بالشمس في أول سورة الشمس ووقت الشمس يأتي بعد وقت الفجر، ناسب ذكر هلاك قوم ثمود في السورة؛ لأنّ ثمود جاءت تاريخياً بعد (عاد الأولى).

وثمود من العرب البائدة أيضاً، وزمنهم التاريخي تالٍ لعاد (قوم هود) وقد جاء ذكرهم في القرآن في (٢٦) آية كلها في سياق العبرة بعاقبة الكفر والطغيان.

٣ـ فهناك تناسب تسلسلي وزمني بين:

[(الفجر) ثم (الشمس)] و [(عادالأولى) ثم (ثمود)] و[(سورة الفجر) ثم (سورة الشمس)]. وصدق الله إذ يقول في سورة النجم ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ ﴾ . والله أعلم.



﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الحجر هو العقل. وفي السياق ملحظ معنوي، وهو أنّ العقل يمنع صاحبه من الغي والطغيان، ويميز بين النور والظلام.

٢ـ الاستفهام يحمل المسؤولية لصاحب العقل من رقابة عقله وضبط نُهاه.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة العقل والنهى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٥٤.



﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ تعددت الأقوال بشكل كبير في عاد وإرم ذات العماد، وأقربها بأنها قوم هود من العرب البائدة وكان مسكنهم بالأحقاف، وأنّ ذات العماد: أي ذات القوة والمنازل العالية.

٢ـ نؤثر أنْ يكون الضمير في ﴿مِثْلُهَا﴾ عائداً على ذات العماد؛ إذ هي أقرب مذكور، ولا مانع أنْ يعود الضمير على (عاد) بمعنى القبيلة.



﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

ثمود من العرب البائدة، وزمنهم التاريخي تالٍ لعاد قوم هود، وقد جاء ذكرهم في القرآن في (٢٦) آية كلها في سياق العبرة بعاقبة الكفر والطغيان.

والجوب في اللغة هو القطع، والجوبة هي الحفرة، وجاب الوادي أي قطعه.

السؤال الثاني :

ما معنى كلمة (جابوا) في الآية﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾؟

الجواب :

جملة ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ بمعنى قطعوه، وليس: أحضروه.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ١٩٣.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ فرعون: هو لقب لملوك مصر، ويأتي في القرآن غالباً خاصاً بفرعون موسى، ولا يهمنا من هو بالضبط، بل يهمنا العبرة.

٢ـ الأوتاد: معرّفة لتدل على قوة وجبروت فرعون. وجاءت (أوتاداً) بالتنكير في سورة النبأ.

وقد وصف الله الجبال بالأوتاد، فقال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ والأهرامات التي بناها الفراعنة تشبه الجبال بضخامتها، فهل الآية تشير بشكل غير مباشر للأهرامات؟ الله أعلم.

٣ـ الطغيان: هو تجاوز الحد.

٤ـ وعندما دعا موسى عليه السلام فرعون للإيمان تجبر وأسرف وأفسد فماذا كانت النتيجة؟



﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الصب هو إراقة الماء مع تدفق. وجاء في القرآن فعلاً ومصدرًا خمس مرات، منها اثنتان على الأصل اللغوي في الماء ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ومرتين في صب الحميم [الدخان ٤٨، والحج ١٩] وخامسة: صب سوط عذاب في آية الفجر، والسوط أداة الضرب المعروفة، ويعني الضرب بالسوط: العذاب الأليم.

٢ـ الرصد: هو المراقبة ومنه المرصد والمرصاد. والآية صريحة في أنّ ربك الذي بالمرصاد للذين طغوا في البلاد لا تخفى عليه خافية.

وكما ارتبط هذا البيان لمصير الطغاة بآية: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾يرتبط بالآيات بعده على وجه العظة والاعتبار في الإنسان المبتلى بالنعمة أو الحرمان.



﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الابتلاء هو الامتحان، ويكون بالنعمة والخير ويكون بالحرمان والشر ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء:٣٥].

٢ـ الإكرام هو العطاء والتشريف للمكرَم، وهو من المكرِم جود وفضل. وفي الآية قال: ﴿رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾ مفتخراً على غيره معتقداً استحقاق ذلك على ربه.

٣ـ قال في الأولى: ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ ولم يقل في الثانية: فأهانه؛ لأنّ بسط الرزق إكرام وإفضال، وقبضه ليس بإهانة.

٤ـ الإهانة هي الإذلال.

٥ـ المقصود عموم الإنسان.

والمعنى العام للآيات أنّ الإكرام أو التضييق في الرزق إنما هو ابتلاء يُمتحن به الإنسان ليُعرف مدى صبره على فتنة النعم وبلاء الحرمان ولتنكشف حقيقته في أداء حق النعمة والصبر على الضيق.

ووجه الزجر والإنكار أنْ يتوهم المنعَّمُ أنّ الله أكرمه؛ لأنه أهلٌ لذاك وأنْ يظن المبتلى بالتضييق أنّ هذا لهوان أمره على ربه تعالى .

كلا، ليس الأمر في الحالين على ما تصوره هذا الإنسان، فالله سبحانه إنما يبلوه بالشر والخير فتنة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين(النِعمة والنَعمة وأنعم)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الدخان ٢٧.

السؤال الثالث :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين [كرّم وأكرم]؟

الجواب :

يستعمل القرآن (كرّم) لما هو أبلغ وأدوم:

* شواهد قرآنية:

١ ـ آية الإسراء ٧٠: هذا تكريم لبني آدم على وجه العموم والدوام.

٢ ـ آية الإسراء ٦٢: هذا القول على لسان إبليس: ﴿كَرَّمْتَ﴾أي فضلته علي.

٣ ـ آيتا الفجر ١٥ و ١٧: القصد هو إكرامه بالمال.

فاستعمل التكريم (كرّم) لما هو أبلغ وأدوم وأعم.



﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ ـ التراث ما يقتنى بالميراث. وأصل اللم هو جمع المشتت.

٢ـ أي أنهم بطغيانهم تكالبوا على الدنيا وسقطوا بفتنة المال، وهم يهينون اليتيم ولا يهتمون بالمسكين والتكافل الاجتماعي، ويأكلون الميراث لا يسألون عن وجهه أحلال أم حرام، إرضاء لشهوة المال وحباً، بشكل أعشى البصيرة وحجّر القلب وعطل الضمير.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة السرعة في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٥٤.

السؤال الثالث :

ما الكلمات التي تعبر عن أسلوب غير المؤمنين في التعامل مع المال؟

الجواب :

الكلمات هي:

الجم:

هو اجتماع الشيء في مكان واحد، ومنه الجم الغفير للناس يجتمعون في مكان واحد، واستعملت في حب جمع المال بحيث لا يُنفق في الخير.(الفجر ٢٠).

اللم: هو جمع المال من حرام أو حلال.

الشديد: الشديد صفة للذي يجمع المال، وهناك فرق بين من يجمع المال من حرام أو حلال ومن يجمعه من حلال فقط ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ والخير هنا المال(العاديات ٨).

التكاثر: هو التفاضل وصاحب المال في الإسلام ليس وجيهاً، ومن يوجهه المال فهو منافق (التكاثر ١).



﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الدك: هو الهدم وتسوية ما ارتفع. والفعل مبني للمجهول يتسق مع أسلوب القرآن في صرف النظر عن الفاعل في أحداث الساعة.

٢ـ الصف: مصدر صفّ يصفّ صفوفاً.

٣ـ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ الله أعلم بمراده ولا ندخل في التفاصيل، وقال ابن عباس: جاء أمر ربك.

السؤال الثاني :

ما دلالة التوكيد اللفظي في الآية ٢١ ﴿دَكًّا دَكًّا﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٣١.

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ اضطرب المفسرون في مجيء جهنم، والله أعلم بمراده، ويعفينا من ذلك أنْ نقول إنّ مجي جهنم هنا هو على وجه التشخيص والفاعلية، وهذه ظاهرة مطردة في أحداث اليوم الآخر. ومجيء جهنم هو تجسيد للهول الأكبر الذي ينتظر الطغاة والكفار.

٢ـ القول هنا على التحسر: فهذا الإنسان الذي غرته الدنيا وغره بالله الغرور يتمنى يوم القيامة وهو يرى الأهوال ومجيء جهنم لو أنه قدّم في حياته الدنيا الفانية من صالح الأعمال ليستفيد منها في حياته الأخرى الباقية لكن لا تحسر على ما فات ولا استدراك لما فات أوانه.

السؤال الثاني :

ما دلالة الفعل ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ في آيتي النازعات ٣٥، والفجر ٢٣؟

الجواب :

١ ـ التذكر في النازعات هو تذكر عقلي يستغرق وقتا طويلا؛ لأنه تذكرٌ لما سعاه في حياته وما عمله طيلة عمره، وهو تذكر عقلي وليس تذكراً قلبيا يدفعه إلى أنْ يعمل شيئا آخر ينفعه. فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُ﴾.

٢ ـ ونحوه آية سورة الفجر، فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ فيها أيضاً.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ في الآية ٢٤؟

الجواب :

قال تعالى : ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ وليس (في حياتي) وكأنّ حياتنا لم تبدأ بعد وهذا صحيح؛ لأنّ حياتنا الحقيقية لم تبدأ بعد، وإنما تبدأ في الجنة بإذن الله المنان من فضل الله ورحمته. فتأمل !!



﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

أسند فعل التعذيب والإيثاق إلى الله تعالى ليبلغ به الترويع منتهاه، وقد جاء فعل التعذيب في القرآن (٤١) مرة كلها مسندة إلى الله سبحانه باستثناء وعيد سليمان للهدهد ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾، وفي ذي القرنين: ﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾[الكهف:٨٦].

إنه العذاب الذي لا يماثله عذاب.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ تأتي الخاتمة فتبقي على الإنسانية ثقتها في إمكان اتقاء ذلك المصير الخاسر وتفسح لها مجال الأمل في خير مصير.

٢ـ اطمئنان النفس هو أمنها وسكينتها. والفعل (اطمأن) من أفعال القلوب، ويعبر به عن راحة البال وهدوء النفس والقلب.

٣ـ قيل إنه أمر لنفس المرء أنْ ترجع في جسد صاحبها، وتأولوا(ربك) بمعنى صاحبك.

وقال آخرون: إنّ الأمر بالرجوع يكون عند الموت. ثم ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ يوم القيامة.

وقال الطبري: المعنى: فادخلي في عبادي الصالحين.

ورضا النفس المؤمنة في رضا الله فهي راضية مرضية. اللهم اجعل نفوسنا راضية مرضية. اللهم آمين.

السؤال الثاني :

قال في الزمر١٧ : ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾، وفي الفجر ٢٩ : ﴿فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾ فذكر ياء المتكلم، فلماذا؟

الجواب :

١ ـ إن ما ذُكرت فيه الياء أوسع وأشمل مما حُذفت منه الياء.

٢ ـ العباد في آية الفجر أكثر منهم في آية الزمر، فقد خصصهم الله تعالى في آية الزمر بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ فهم لم يكتفوا بالحسن بل يتبعون الأحسن، وأطلقهم في آية الفجر في عموم عباده الذين يدخلون الجنة ولا شك أنّ فيهم من لم يكن يتبع أحسن القول.

فلمّا كثر العباد في آية الفجر زاد في البناء مناسبة لزيادة العباد، فقال: ﴿عِبَادِي﴾ ولمّا كان العباد في آية الزمر جزءاً ممن ذكر في آية الفجر اقتطع من الكلمة لتناسب قلة البناء قلة العباد، فقال: ﴿عِبَادِ﴾.

٣ـ ومما حسّن ذلك أيضاً مراعاة الفواصل في السورتين. والله أعلم.



سورة البلد

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الفجر ومفتتح سورة البلد :

لمّا ذكر ربنا سبحانه في سورة الفجر ابتلاء الإنسان بالمال وابتلاءه بقلة الرزق، ذكر ربنا في سورة البلد أنه خلق الإنسان في كبد. فهو ابتلاء على أية حال، وذكر من قال: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ وما أراده ربنا من ذوي المال.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذم سبحانه فيما قبلها من أحب المال وأكل التراث أكلاً لمّاً، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر جل وعلا الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة)).

وجاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل إليه حاله وحال المؤمن أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيّء وما آل إليه في الآخرة والإشارة لهذا البلد إلى مكة)) والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾

السؤال الأول :

ما جو السورة العام؟ وما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

مقدمـــة:

١ـ جو السورة مبني على المكابدة والمشقة.

السورة التي قبلها (الفجر) ذمّ الله فيها من أحب المال وأكل التراث ولم يحض على طعام المسكين، فذكر الله في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك رقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة.

٢ـ استوفت السورة عناصر البلاغ والإرسال، وهي:

أـ موطن الرسالة: وهي مكة في قوله: ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾.

ب ـ الرسول: بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾.

ج ـ المرسل إليهم: وهو الإنسان، ويدخل فيه: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.

د ـ الرسالة: وهي الإيمان والعمل الصالح: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ . . .

٣ـ ذكرت نتائج الخلق حسب الاستجابة: (أصحاب الميمنة ـ أصحاب المشأمة)

الآيتان ١ـ٢:

١ـ أقسم الله تعالى بالبلد الحرام في حالة حلول النبي ﷺ فيه وإقامته فيه ليُبلغ دعوته.

٢ـ لفظة ﴿حِلٌّ﴾ تجمع عدة معانٍ:

أ ـ تأتي بمعنى الحالّ أي المقيم، وفي هذا تعظيم المقسم به وهو مكة حيث جمعت شرفها الذي شرفها الله به وشرف حلول الرسول ﷺ فيها.

ب ـ تأتي بمعنى اسم المفعول أي (مُستَحل) أي وأنت مُستحلٌ قتلك في مكة، لا تُراعى حرمتك في البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأرواحهم، والذي يأمن فيه الطير والوحش. والهدف من ذلك تسلية الرسول ﷺ من الشدائد التي كان يعايشها.

ج ـ بمعنى (الحلال) ضد الحرام: أي وأنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتلُ من شئت وكان هذا يوم فتح مكة.

د ـ بمعنى أنك حِل بريء مما يقترفه أهل مكة من المآثم.

٣ـ وهذه المعاني كلها مطلوبة. فهو ﷺ حالٌّ بمكة يبلغ رسالة ربه، بريء من آثامهم وأفعال الجاهلية، وقد استُحِلت حرمته وأُريد قتله، وأنه حَلَّ لهذا الرسول أنْ يقتل ويأسر في هذا البلد يوم الفتح ما لا يحل لغيره، وهذا على الاستقبال وعلى الوعد بنصره.

٤ـ لم يقل مثلاً: لا أقسم بهذا البلد الأمين؛ لأنه ذُكر من المكابدة في هذا البلد وما استُحل به من الحرمات، فلا يناسب ذلك ذكر الأمن.

٥ـ وكذلك جو السورة لا يناسب ذكر الأمن، فإنها في المكابدة والمشقة حتى أنه لم يذكر جزاء المؤمنين في الآخرة، بل ذكر جزاء الكافرين.

٦ـ كرر كلمة ﴿ٱلْبَلَدِ﴾ لتعظيم بلد الله الحرام.

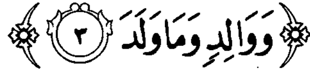
السؤال الثاني :

ما دلالة القسم بصيغة ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٧٥.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة (والد) هي على العموم تشمل كل والد وولده، ويدخل فيه الأولون آدم وآباء الرسول وغيرهم، ولا يخصهم.

٢ـ الولادة مشقة ومكابدة فارتبطت بـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ في أول السورة وارتبطت بـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ في آخر السورة.

٣ـ انتقل من الوالد وما ولد إلى الإنسان، فخصّه من بين هذا العالم؛ لأنّ مدار الكلام معقود عليه.

٤ـ ﴿وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ لها أكثر من سبب:

أـ ﴿وَمَا﴾ عامة، و(منْ) خاصة، حيث إن (ما) تقع لذوات غير العاقل وتقع لصفات من يعقل.

لذلك فهي أعم وأشمل، فهي تصلح للعاقل ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ و ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

ب ـ لفظها يوحي بالسعة والشمول، فهي منتهية بحرف الإطلاق، وهو الألف الذي يمتد فيه النفس، بخلاف (من) الذي ينتهي بحرف مقيد، وهو النون الساكنة.

ج ـ لذلك جاء بـ ﴿وَمَا﴾ لتناسب العموم والشمول في الآية.

د ـ الوالد يسعى لإطعام ولده وللعمل، ويلاقي في ذلك العنت والمشقة فناسب ذلك جو السورة.

هـ ـ ناسبت السعة واحتمال المعنى المتعدد لكل من لفظتي ﴿حِلٌّ﴾ و ﴿وَمَا وَلَدَ﴾.





﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى أنّ الإنسان يعاني مشاق الدنيا والآخرة من أول قطع سرته إلى أنْ يستقر قراره إمّا في الجنة فتزول عنه المشقات، أو في جهنم فتتضاعف مشقاته وشدائده.

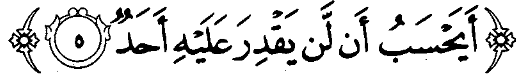
٢ـ ﴿فِى﴾ تفيد الظرفية والوعاء؛ لذلك لم يقل: يكابد أو مكابداً.

٣ـ من معاني الكَبَد: القوة والشدة والصلابة. وهذه المعاني من لوازم المعنى الأول، وهو تحمل مشاق الدنيا؛ ولذلك لا بدّ له من أنْ يكون قد خُلق مستعداً لتحمل هذه المصاعب.

٤ـ ارتبطت هذه الآية بالقسم في أول السورة؛ ليبين كيف أنّ الرسول ﷺ كان يلقى من قومه المشقة والشدة.

وفي هذا درس للدعاة أنْ يوطنوا أنفسهم لتحمل المشاق، فإنّ ذلك من لوازم الدعوة، فقلما يكون الداعية في عافية من ذلك.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

قيل إنّ الآية تعني:

أ ـ بعض صناديد قريش.

ب ـ التهديد لمن يستحق.

ج ـ للإنسان بشكل عام لشعوره بالعزة والشكيمة، فهو يحسب أنْ لا يقاومه أحد، ولا يقدر عليه أحد لاعتصامه بعُدده وعَدَده، حيث يتغطرس ويتكبر ويظلم ولا يحسب لخالقه حساباً.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ اللبد هو الكثير من تلبد الشيء إذا اجتمع.

٢ـ المعنى أنه يقول إنه أنفق مالاً كثيراً، وهو يقول هذا على جهة الافتخار أو جهة التحسر.

٣ـ عبر عن الإنفاق بالإهلاك، وهذه اللفظة متناسبة مع جو السورة في المكابدة ومع حسبان الإنسان أن لا أحد يقدر عليه فيهلكه.

٤ـ عبر عن الإنفاق بالإهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث، وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفع، فكأنه جعل المال المنفق ضائعاً.

٥ـ يظهر في الآية خط الاجتماع، أمثلة: اللبد ـ الوالد وما ولد ـ العينين ـ اللسان والشفتين في آلة النطق ـ النجدين ـ العقبة بمعانيها المختلفة ـ المؤمنون بصيغة الجمع واجتماعهم على التواصي بالصبر والمرحمة ـ الكفار واجتماعهم في جهنم وإيصاد النار عليهم.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى: أيحسب أنّ أعماله تخفى وأنه لا يراه أحد ولا يطلع عليه في إنفاقه ومقصده أحد؟ !

٢ـ جاء بـ﴿لَّمْ﴾ الدالة على المضي، في مقابلة ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ فإن ذلك في الماضي.



﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

المعنى: أَفَتَرى أنّ الذي يجعل للإنسان عينين يبصر بهما ولساناً ليتكلم به وأنّ الذي هداه إلى طريقي الخير والشر ليس له علم به وبأفعاله؟ !

وهل كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟ !

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ النجد: هو ما غلظ وارتفع من الأرض واستوى.

٢ـ المقصود بالنجدين: هما طريق الخير والشر، وقيل: الثديان.

٣ـ اختار لفظة (نجد) ولم يستخدم (سبيل)؛ لأنّ سلوك النجد الجبلي فيه مشقة وصعوبة لما فيه من صعود وارتفاع، فهو مناسب لجو السورة العام.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الطريق والنجد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

السؤال الثالث :

ما دلالة الفعل (هدى)؟ لماذا لم يستخدم أرشد أو دلّ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٤٣.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ العقبة: هي الطريق الوعر في الجبل.

٢ـ الاقتحام: هو الدخول في الطريق الوعرة وتجاوزها بشدة ومشقة.

٣ـ المقصود بالعقبة في الآية: الأعمال الصالحة التي سيبيّنها على سبيل الاستعارة من فكّ رقبة والإطعام في وقت المجاعة.

٤ـ المعنى أنه لن يقتحم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يصل إليها حتى يقتحمها بالإحسان إلى خلقه بفك الرقبة، وهو تخليصها من الرق ليخلصه الله من رق نفسه ورق عدوه، والإطعام مع الإخلاص لربه والإيمان به.

٥ـ اختيار لفظة (لا) وهو اختيار دقيق، وذلك:

أ ـ (لا) نافية للفعل الماضي، أي أنّ فعله لم يقتحم العقبة؛ لأنه غير مؤمن بالله ولم يُطعم بقصد الخير.

ب ـ وتحتمل أنها للمستقبل فرداً كان أم صنفاً، أي أنه منْ لم يؤمنْ ويغيّر من حاله لا يوصف باقتحام العقبة، فهو لم يقتحمها في الماضي، ولن يقتحمها في المستقبل.

ج ـ ويحتمل هذا التعبير دعاء على هذا الشخص أو الصنف بألا يقتحم العقبة.

د ـ كما يحتمل الاستفهام المراد به التوبيخ على ما فرّط والحضّ على الإنفاق، بمعنى ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١﴾.

وكل هذه المعاني مرادة، فقد جمع هذا التعبير المضي والاستقبال والتوبيخ والحض والدعاء.



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

هذا الأسلوب من أساليب التفخيم والتعظيم والتهويل، نحو: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾ ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥﴾.



﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

أي تخليصها من الرق، واختيار هذا التعبير يوحي بشدة المستَرق ومكابدته؛ لأنّ الرق من أكثر أحوال المكابدة والشدة.

وفي الحديث أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: **دُلني على عمل يُدخلني الجنة فقال: «تعتق النسمة وتفك الرقبة»** قال: أوليسا سواء؟ قال: **«لا، إعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في ثمنها»**.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين فك رقبة وتحرير رقبة؟

الجواب :

١ـ تحرير رقبة: تقال في الرّق والاسترقاق وهذا غير موجود الآن لذلك تحرير الرقبة لم يأتِ إلا في الفِداء ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[المجادلة:٣].

٢ـ فك رقبة: يعني تخليصها من إعسار، من قَوَد، من أسر وغيره يعني فك عسرها أنت تفكها مما هي واقعة فيه، وهذه باقية إلى يوم الدين ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾[البلد:١٣].

أمّا تحرير رقبة فليست موجودة الآن ولا يأتي تحرير رقبة إلا في الفداء وهي بمعنى العتق، وأمّا فك رقبة فهو تخليصها مِن عسرها، إمّا من مغرمة أو عسر أو دين.



﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ المسغبة: هي الجوع العام، وليس الجوع الفردي.

والسغب: الجوع، وقد يكون عاماً وقد يكون خاصاً. أمّا المسغبة فهي عامة.

٢ـ المجاعة: هي وقت الشدة والمكابدة، والإطعام في مثل هذا الوقت بدل بيع الطعام وتحقيق الربح هو اقتحام للعقبة.

٣ـ عند أبي حنيفة العتق أفضل أنواع الصدقات، والآية تدل على ذلك لتقدم العتق على الصدقة فيها.

٤ـ اليتيم: هو القريب في النسب، وذلك بقصد أنْ يتفقد كل واحد أقرباءه المحتاجين ليتم التكافل والتراحم.

٥ـ المتربة: من تَرِب إذا افتقر، ومعناه: التصق بالتراب، وهم المطروحون في الطرقات قعوداً على التراب لا بيوت لهم.

٦ـ جاء بـ (أو) ولم يأت بالواو؛ لأنّ الواو تفيد الجمع بحيث يكون المعنى أنه لن يقتحم العقبة إلا بالإطعام لليتيم والمسكين معاً، فلو فعل صنفاً واحداً لم يقتحم العقبة، وهذا غير مقصود، بل المقصود القيام بالإطعام لليتيم والمسكين على سبيل الاجتماع أو الانفراد.

٧ـ قدّم ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ على إطعام اليتامى والمساكين، وفيه إشارة إلى عظم الحرية في الإسلام وأنّ المطلوب الأول تحرير الناس من العبودية والاسترقاق.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الجوع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ١٢٠.



﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا لا تفيد التراخي في الوقت وإلا تأخر الإيمان عن العمل الصالح، وإنما تفيد تراخي رتبة الإيمان ورفع محله عما ذكره من أعمال لأنه هو الأصل، وهو مدار القبول والرفض.

٢ـ المرحمة: أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو بالصبر على ترك المعاصي والصبر على فعل الطاعات، وبأنْ يكونوا متراحمين بما يؤدي إلى رحمة الله.

٣ـ السورة مبنية على هذين الأمرين (الصبر والمرحمة).

٤ـ كرّر الفعل ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾ للتوكيد على الصبر والمرحمة.

٥ـ قدّم الصبر على المرحمة؛ وذلك لأنه تقدم ما يحتاج إلى الصبر من المكابدة والمشقة واقتحام العقبة، وأخّر المرحمة لما جاء بعد ذلك من فك الرقاب وإطعام الأيتام والمساكين.

٦ـ لم يقل كما في سورة العصر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ وذلك لأنّ المقام مختلف، فإنه في سورة العصر كان الكلام عن خسارة الإنسان على وجه العموم، فجاء بالتواصي بالحق على وجه العموم.

ولّما كان الكلام في سورة البلد عن جزء من الحق، وهو ما يتعلق بالمرحمة والإطعام قال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾.

السؤال الثاني:

ما دلالة حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ في الآية؟

الجواب:

(ثُمّ) حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أوالأحوال أوغيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإن لم يكن الثاني ترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

٦ـ بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أمّا اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء فيفيد البعد المكاني.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ أي أولئك الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وفكوا الرقبة وأطعموا اليتيم والمسكين في وقت المجاعة هم أصحاب الميمنة.

٢ـ الميمنة: مشتقة من اليُمن والخير، وقد يكون معناها جهة اليمين وهي جهة السعداء، وقد يكون معناها أصحاب اليمين الذين يُؤتون صحائفهم باليمين.

٣ـ المشأمة: من الشؤم، وهو ضد اليُمن.

ومعنى أصحاب المشأمة: جهة الشمال أو أصحاب الشمال الذين يُؤتون صحائفهم بشمائلهم.

٤ـ لم يقل أصحاب اليمين وأصحاب الشمال؛ لأنّ هذا يدل على معنىً واحد، بينما الميمنة والمشأمة جمعت عدة معان.

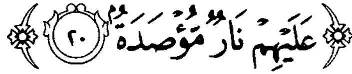
٥ـ التناسب اللفظي بين: (مسغبة ـ مقربة ـ متربة ـ مرحمة ـ ميمنة ـ مشأمة).

٦ـ جاء بضمير الفصل ﴿هُمْ﴾ مع الكفار، ولم يأت به مع المؤمنين وذلك لإفادة الحصر، أي أنّ الذين كفروا هم أصحاب المشأمة حصراً.

أمّا المؤمنون المذكورون في السورة فهم من أصحاب الميمنة وليسوا أصحاب الميمنة على سبيل الحصر، فهناك آخرون من أصحاب الميمنة مثلاً: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ المجاهدون ـ.. ..).

فكان ذكر ضمير الفصل في آية الكفار وعدم ذكره في آية المؤمنين هو المناسب.





﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قدّم الجار والمجرور ليفيد الحصر إضافة إلى الفاصلة.

٢ـ ﴿مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾ بالهمز، والهمزة حرف ثقيل شديد لمناسبة ثقل ذلك اليوم وهو المناسب لجو السورة من المشقة والمكابدة.

٣ـ قال: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وكأنّ العذاب والنار جاءا من علو، وسيُصب عليهم العذاب من فوقهم.

٤ـ لم يقل: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ كما في سورة الهمزة، للأسباب التالية:

أ ـ توسع في سورة الهمزة في ذكر صفات المعذَّب وتوسع في ذكر العذاب، فناسب هذه الزيادة ذكر ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

ب ـ ذكر في أول سورة الهمزة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ فدعا عليهم بالهلاك الدائم الذي لا ينقطع، ورفْعُ ﴿وَيْلٌ﴾ يفيد الثبوت، فناسب أنْ يقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ للدلالة على الاستيثاق من غلق أبواب جهنم عليهم.

ج ـ في سورة الهمزة ذكر أنّ الكافر يجمع المال ويعدده ويستوثق من حفظه في الخزائن موصدة الأبواب، فناسب بين الاستيثاق من حفظ الأموال وإيصاد الأبواب عليه من ناحية، وإطباق الأبواب عليه في جهنم من ناحية أخرى.

د ـ في سورة الهمزة يحسب الكافر أنّ ماله أخلده في الدنيا وأنه لا يفارقها فعوقب بذلك بالخلود في النار وإطباق أبوابها عليه، والاستيثاق بالعمد الممددة عليها للدلالة على خلوده، فهناك في الدنيا خلود مظنون وهنا في الآخرة واقع حقيقة في النار.

هـ ـ ذكر في سورة الهمزة أنّ هذا الكافر يتعدى على الآخرين، فهو يهمزهم ويلمزهم ويمنع خيره عنهم، لذلك انبغى له الحبس لتخليص الناس من شره وعدوانه.

و ـ إنّ المعَذّبين في سورة الهمزة كفار وزيادة، فهم:

١ـ كافرون.

٢ـ يتعدون على الآخرين بالهمز واللمز والسخرية والتكبر.

٣ـ أنهم جمعوا الأموال ولم ينفقوها.

٤ـ يحسبون أنّ الأموال تُخلدهم في النار.

في حين لم يذكر في سورة البلد إلا الكفر.

السؤال الثاني :

لماذا ذكر جزاء الكافرين ولم يذكر جزاء المؤمنين؟

الجواب :

هو أنه لمّا ذكر في أول السورة من خلق الإنسان في كبد، فلم يناسب ذلك ذكر النعيم، وإنما الذي يناسبه ذكر الجحيم وما فيه من مشقة.

السؤال الثالث :

ما طبيعة التعبيرات الموجودة في السورة؟

الجواب :

التعبيرات في السورة وضعت بشكل يؤدي أكثر من معنى.

* شواهد من السورة:

١ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾: تحتمل النفي والإثبات.

٢ـ ﴿حِلُّۢ﴾: تحتمل الحال والمستَحل والحلال.

٣ـ ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣﴾: تحتمل العموم والخصوص من آدم وذريته أو إبراهيم وذريته أو الرسول وآبائه.

٤ـ ﴿كَبَدٍ ٤﴾: تحتمل المكابدة والمعاناة، وتحتمل القوة والشدة.

٥ـ ﴿أَيَحۡسَبُ﴾: تحتمل العموم لكل إنسان، وتحتمل إنساناً معيناً تشير إليه الآية.

٦ـ ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾: تحتمل أنه أنفقه في التفاخر، وتحتمل أنفقه في عداوة الرسول، وتحتمل الكذب فلم ينفق شيئاً.

٧ـ اللبد: تحتمل الجمع لـ (لُبدة) كنقطة ونقط، وتحتمل المفرد كصفة مثل: حُطم و لُكع.

٨ـ النجدان: تحتمل طريقي الخير والشر، وتحتمل الثديين، وكلاهما هدانا ربنا إليهما.

٩ـ (لا) في ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)﴾ تحتمل النفي والدعاء، وتحتمل المضي والاستقبال.

١٠ـ ﴿الْعَقَبَةُ﴾: تحتمل (الآخرة ـ الدنيا ـ جبل في جهنم ـ عقبة بين الجنة والنار)

١١ـ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)﴾: تحتمل العتق وغيره من فك المغارم والديون.

١٢ـ ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨)﴾: تحتمل أصحاب جهة اليمين وأصحاب اليمين وأصحاب اليُمن.

١٣ـ ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)﴾: كذلك.

السؤال الرابع :

ما خطوط السورة؟

الجواب :

خطوط السورة هي:

١ـ خط المكابدة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾.

٢ـ خط العموم والاتساع.

٣ـ خط الاجتماع في: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦)﴾.

٤ـ خط الصبر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

٥ـ خط المرحمة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)﴾.

سورة الشمس

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة البلد ومفتتح سورة الشمس :

ذكر سبحانه في خاتمة سورة البلد أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، وذكر في أول سورة الشمس من أفلح وهم أصحاب الميمنة، وذكر من خاب، وهم أصحاب المشأمة فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾.

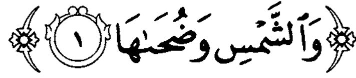
جاء في (روح المعاني): ((لمّا ختم سبحانه السورة المتقدمة بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أعاد جلّ شأنه في هذه السورة الفريقين على سبيل الفذلكة بقوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾.

وفي هذه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ وهو كالبيان لقوله تعالى في الأولى : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[البلد:١٠].

وختم سبحانه الأولى بشيء من أحوال الكفرة في الآخرة، وختم جلّ وعلا هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا)).

والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :



السؤال الأول :

أين جواب القسم في سورة الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ ؟

الجواب :

جواب القسم ليس من الضروري أنْ يُذكر بحسب الغرض منه، فإذا اقتضى أنْ يُجاب القسم يُجاب، كما في آية مريم ٦٨ ـ والنحل ٣٨.

وقد يُحذف إمّا للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى فيحتمل كلَّ ما يرد على الذهن، وهذا في القرآن كثير.

* شواهد قرآنية:

في آية سورة (ق ١) لا يوجد جواب للقسم لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات، فلا يريد الله تعالى جواباً واحداً بعينه، لكنه يريد التوسع في المعنى.

وقسم من المفسرين قال في سورة الشمس: إنّ جواب القسم هو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩﴾.

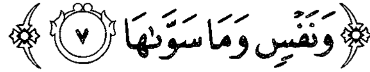
السؤال الثاني :

ما ميزة هذه السورة في التعبير؟

الجواب :

تكرر في سورة الشمس قَسَمُ الله تعالى أحد عشر قسماً متوالياً على نسق بديع في الآيات (١:٧).





﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾

السؤال الأول :

يكثر السؤال عن الفرق بين النفس والروح، فما الفرق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة٢٨١.





﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾

السؤال الأول :

مادلالة هذه الآية؟

الجواب :

هناك كلمات مشتركة لفظياً أي تعطي أكثر من معنى، فآية الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ أي من طهّر نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي تطهرهم، وآية القمر ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي تنسبوها إلى التزكية بأنْ يقول: أنا خير من فلان وفلان. ...

ومثله كلمة (قوّم) فتفيد: عدّل إلى الاستقامة، كقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ وتفيد أعطى للشيء قيمة، أي قوّم السلعة تقويماً.

السؤال الثاني :

ما دلالة الفعل: (زكى)؟

الجواب :

الفعل (زَكَّى) قد يكون بمعنى: نسب الشيء إلى الزكاء، كما في آية النجم: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوها إلى زكاء الأعمال ولا تثنوا عليها.

وقد يكون بمعنى: طهّر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ أي من طهّرها، وعلى هذا يصح أنْ تقول: زكّوا أنفسكم ولا تزكوها، أي: طهّروا أنفسكم ولا تمدحوها بزكاء الأعمال، فإنه لا يزكّي الأنفسَ إلا الله.

والله أعلم.



سورة الليل

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الشمس ومفتتح سورة الليل :

ذكر سبحانه في سورة الشمس اختلاف النفوس، وذكر أنه أفلح من زكاها وأنه خاب من دساها.

وذكر في سورة الليل أنّ سعي الإنسان مختلف، فقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾.

وذكر حال كل من الفريقين: حال من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى، وحال من بخل واستغنى وكذب بالحسنى.

فكان ذلك كأنه تفصيل لما ذكره في سورة الشمس.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذكر سبحانه فيما قبلها ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلخ ذكر سبحانه فيها من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة. ففيها نوع من التفصيل لذلك، لا سيما وقد عقّب جلّ وعلا ذلك بشيء من أنواع الفلاح وأنواع الخيبة والعياذ بالله)).



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ أقسم الله سبحانه بالليل وقت غشيانه، واستعمل الفعل المضارع مع الفعل (غشّى)؛ لأنّ الليل يغشى شيئاً فشيئاً، وليس كالنهار الذي يتجلى دفعة واحدة بمجرد طلوع الشمس.

٢ـ استخدم مع عملية الغشيان الممتدة الفعل المضارع، ومع النهار استعمل الفعل الماضي؛ لأنه يتجلى، أي ينكشف ويظهر دفعة واحدة.

٣ـ حذف مفعول: (غشّى) فلم يقل ماذا يغشى، وذلك بقصد الإطلاق ليحتوي اللفظ كل المعاني المحتملة.

وبدأ بالليل قبل النهار؛ لأنّ الليل هو أسبق من النهار حيث جاء النهار بعد خلق الأجرام، وقبلها كانت الدنيا في ظلام دامس.

السؤال الثاني :

في قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ قدّم فيها القسم بالليل وفي سورة الضحى قدّم القسم بالنهار فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ فلماذا؟

الجواب :

لّما كان المقسم عليه في سورة الليل هو سعي الإنسان وغالبه المعاصي قدّم الليل الذي هو مظنة الظلمة.

ولّما كان المقسم عليه في الضحى لطفه بنبيه ﷺ قدّم الضحى لحسنه.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ(ما) في الآية لها احتمالان:

أـ بمعنى الذي: اسم موصول.

و (ما) تستعمل لذوات غير العاقل، نحو: ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ ولصفات العقلاء، نحو: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي والطيب منهن ويؤتى بها في التفخيم والتعظيم في صفات العقلاء، ولذلك قال الله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ ويعني به ذاته العلية فهو قسَم بالخالق سبحانه.

ب ـ (ما) مصدرية بمعنى: وخَلْق الذكر والأنثى، أي أنه سبحانه يقسم بخلق الذكر والأنثى وليس بالخالق.

وعليه فان (ما) تحتمل المعنيين، وهما القسم بالخالق أو القسم بفعله وهو خلْقُ الذكر والأنثى، ولو أراد الله تعالى أن ينص على أحد المعنيين لفعل، ولكن الصورة التي جاءت تفيد التوسع في المعنى.

ويبقى مجال الترجيح قائماً، ولو أردنا الترجيح لقلنا هنا القسم بالخلق والله أعلم.

٢ـ الذكر والأنثى:

وهو على الأغلب كل ذكر أو أنثى من المخلوقات جميعاً بلا تحديد؛ لأنّ سياق الآيات كلها في السورة في العموم. والله أعلم. وبدأ بالذكر قبل الأنثى لأنه أسبق في الخلق.

السؤال الثاني :

لماذا لم يستعمل القرآن في هذا الموطن كلمة (الزوجين) كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ سورة القيامة، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ سورة النجم؟

الجواب :

السبب:

١ـ لقد فصّل سبحانه مراحل تطور الجنين في سورة القيامة من قوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾. . ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ وكذلك فصّل القدرة الإلهية في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾. ... ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾.

أمّا في سورة الليل فإنّ الله أقسم بلا تفصيل.

٢ـ إنّ كلمة (الزوجين) والزوج تعني المثيل لتتناسب مع قوله تعالى في نفس السورة: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ و(شتى) تفيد التباعد، فلا يصح ذكر الزوجين معها.

ألا ترى أنّ الزوج قريب من زوجته مؤتلف معها: ﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وكلمة (شتى) هنا تعني الافتراق؛ لذا كان الأنسب عدم ذكر كلمة الزوجين في الآية. والله أعلم.



السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أقسم الله تعالى بأشياء متضادة: (يغشى ويتجلى)، أي (الليل والنهار)، وكذلك الذكر والأنثى، فكان جواب القسم (شتى)؛ لأنّ سعينا متباين، فمنا من يعمل للجنة ومنا من يعمل للنار.

فهناك اختلاف الأوقات (الليل والنهار) واختلاف الساعين (الذكر والأنثى) واختلاف الحالة (يغشى وتجلى) واختلاف مصير الساعين ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ ... ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾.

٢ـ ونلاحظ أنّ المقصود في السورة ليس القسم على أمر ظاهر أو مشاهد مما يعلمه الناس، ولكنّ القسم هو على أمر غير مشاهد ومتنازع فيه، والله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾. ... وهذا الأمر متنازع فيه وأكثر الخلق ينكرونه ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ وعموم الخلق لا يعلمون ويتنازعون فيه، والسعي هنا لا يدل على السعي في أمور الدنيا من التجارة والزراعة والصناعة وإنما السعي للآخرة.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿سَعْيَكُمْ﴾ وكأنه يخاطب المكلفين فقط، وليس عامة الناس؛ ولذا أكده باللام في ﴿لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ ولم يقل: إن السعي لشتى.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين أشتات و شتى؟

الجواب :

(شتى): وردت في ثلاثة مواضع بمعنى الاختلاف مقابل الائتلاف [طه ٥٣، الليل ٤، الحشر ١٤].

(أشتات): وردت في آيتين [الزلزلة ٦، النور ٦١] بمعنى التفرق مقابل التجمع.



﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ سورة الليل كلها مبنية على العموم والإطلاق.

٢ـ وقد أقسم الله بثلاثة أشياء [الليل والنهار وخلق الذكر والأنثى]

وذكر ثلاث صفات في المعطي: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾.

وذكر ثلاث صفات فيمن بخل: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾.

٣ـ وأما في الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ فلم يذكر العطية لأنه أراد المعطي، والمقصود هو إطلاق العطاء من ماله أو نفسه أو وقته.

وكذلك الفعل: ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ لم يقيده الله بشيء، بل جاء الفعل مطلقاً أيضاً.

الحسنى:

١ـ اسم تفضيل، وهو بمعنى تأنيث الأحسن، كما تقول: [(العليا ـ الأعلى) (الدنيا ـ الأدنى)] والحسنى: وصف مطلق لم يذكر له موصوف معين.

٢ـ ومن معانيها: (الجنة) ـ كلمة التوحيد؛ أي لا إله إلا الله ـ (العاقبة الحسنى) ـ (العقيدة الحسنى).

٣ـ وكما حذف مفعولي(أعطى واتقى) للإطلاق أطلق الحسنى بكل معانيها بحذف الموصوف.

السؤال الثاني :

لماذا هذا الترتيب في الآية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ ؟

الجواب :

هناك أكثر من سبب:

١ـ سبب النزول، حيث نزلت في شخص فعل هذه الأفعال بهذا التسلسل قيل: هو أبو بكر، وقيل: علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

٢ـ ترتيب العطاء ثم الاتقاء، فبدأ بالأخص، ثم ما هو أعم، ثم ما هو أعم.

فكل معطٍ في سبيل الله متقٍ، ولكن ليس كل متقٍ معطياً. فالمعطي إذن أخص من المتقي.

وكل متقٍ مصدق بالحسنى ولكن ليس كل مصدق بالحسنى متقياً. لذا فالمتقي أخص من المصدق بالحسنى. وعلى هذا كان الترقي من الأخص إلى الأعم.

٣ـ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ والسعي هو العمل، وأقرب شيء للسعي هو العطاء أمّا الاتقاء ففيه جانب سعي وجانب ترك كترك المحرمات.

وعلى هذا نلاحظ أنّ الآيات رتبت بحسب قربها من السعي، أي بتسلسل العطاء ثم الاتقاء ثم التصديق وهو الأقل والأبعد عن السعي.

٤ـ المجتمع يتكون من ذكر وأنثى، وأهم شيء يقدّمه الإنسان هو العطاء الذي هو الدعامة الأولى في بناء المجتمع، فعلى الإنسان أن يكون معطياً لا آخذاً، وهذا يعني التكافل، ثم يلي ذلك الاتقاء وهو أنْ يحذر الإساءة إلى الآخرين؛ لذا يأتي الاتقاء بعد العطاء.

أمّا التصديق بالحسنى فهو من صفات المجتمع المؤمن، وهو من الصفات الفردية، فالمصدق بالحسنى لا يفرط في حقوق الآخرين.

وعلى هذا الأساس قدّم الله ما هو أنسب للمجتمع عامة، فبدأ بالعطاء ثم الاتقاء ثم التصديق بالحسنى.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾

اليسرى: اسم تفضيل من الدرجة الثالثة أي أعلى درجات التفضيل. يقال الأمر اليسير، وهو مضاد للأمر العسير، ومعناها الأيسر سواء من أمور الدنيا أو الآخرة.

وقد ذكر الصفة ولم يذكر الموصوف، كما جاء في الاستخدام المطلق لكلمة الحسنى.

ومعناها يدور على ثلاثة محاور:

١ـ أنْ ييسر على غيره أمورهم.

٢ـ أنْ تتيسر أموره الشخصية فتكون سهلة ميسرة.

٣ـ الآخرة بمعنى أنّ الله ييسره لدخول الجنة، وهذه عاقبة المحورين السابقين.

السؤال الثالث :

ورد في القرآن: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ الأعلى ٨، وهنا: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ فلماذا هذا الاختلاف؟

الجواب :

السين وسوف يفيدان التوكيد والاستقبال، والاختلاف بينهما هو أيهما أبعد زمناً.

في آية الأعلى: الخطاب للرسول ﷺ والرسول أموره ميسرة دائماً في الحال وفي المستقبل؛ لذا قال الله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾.

أمّا في الآية: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ فهي جاءت بعد: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ بمعنى أنّ التيسير لليسرى مرتبط بالعطاء والاتقاء والتصديق بالحسنى، فإذا أعطينا واتقينا وصدقنا بالحسنى عندها سييسرنا الله تعالى لليسرى.

السؤال الرابع :

ما محاور التيسير المذكورة في الآيات؟

الجواب :

ذكرنا أنّ معاني التيسير على ثلاثة محاور:

١ـ أنْ ييسر على غيره أمورهم مقابل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾.

٢ـ أنْ تتيسر أموره الشخصية مقابل: ﴿وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٣ـ الآخرة بمعنى أنّ الله ييسره لدخول الجنة مقابل: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾.

السؤال الخامس :

ما دلالة حذف المفعول به في الآيتين (٥ـ٦)؟

الجواب :

حذف المفعول به على ضربين:

١ـ أنْ يحذف لفظاً لكنه مرادٌ معنى (الحذف اختصاراً)، ولا يُحذف إلا لدليل.

٢ـ أنْ يكون المفعول به غير مراد ولا يصح تقديره؛ لأنّ تقدير أي مفعول مفسد للمعنى، ويكون ذلك بحسب الحاجة والقصد (الحذف اقتصاراً).

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ لم يذكر من أعطى ولا ما أعطى؛ لأنّ القصد أن يصفهم بصفة العطاء والتقوى.



﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

تقابل هذه الصفات ما قبلها في الآية التي سبقت، وقد أورد الله الشيء ونقيضه، والسورة كلها مبنية على التقابل.

﴿وَالَّيۡلِ﴾ ﴿وَالنَّهَارِ﴾

﴿إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ ﴿إِذَا تَجَلَّىٰ﴾

﴿الذَّكَرَ﴾ ﴿وَالۡأُنثَىٰٓ﴾

﴿أَعۡطَىٰ﴾ ﴿بَخِلَ﴾

﴿وَاتَّقَىٰ﴾ ﴿وَاسۡتَغۡنَىٰ﴾: لأنّ الغنى مدعاة للطغيان

﴿وَصَدَّقَ﴾ ﴿وَكَذَّبَ﴾

﴿بِالۡحُسۡنَىٰ ⑥﴾ ﴿لِلۡعُسۡرَىٰ﴾



﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ⑪﴾

السؤال الأول

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

جاءت هذه الآية عقب الآية السابقة: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسۡتَغۡنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِالۡحُسۡنَىٰ ⑨﴾ ولم تأت آية مثلها عقب الآية: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالۡحُسۡنَىٰ ⑥﴾.

وفي هذه الآية ذكر الله تعالى الذي بخل بماله فاستغنى من الغنى، فلمّا بخل ذكر ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ⑪﴾.

والمفسرون قالوا إنّ (ما) لها معنيان هنا، وهما:

أ ـ أن تكون نافية.

ب ـ أن تكون استفهامية من باب التقريع والتوبيخ.

ويسمى هذا في اللغة باب الاتساع في المعنى، فجاء الله بهذا اللفظ ليتسع للمعنيين: الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وللنفي أيضاً.

وهذا لا يعني تناقضاً أو عدم تحديد في القرآن كما يقول المستشرقون لأنّ الله إذا أراد التقييد يأتي بحرف أو كلمة محددة تفيد المعنى المراد، كما في قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ فقد حدد هذا الذكر الكثير. وفي موضع آخر قال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ فلم يرد التقييد، وإنما أطلق المعنى.

السؤال الثاني :

استخدم ﴿إِذَا﴾ بدل (إنْ) لماذا؟

الجواب :

١ـ إذا: في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله أو للكثير وقوعه.

٢ـ إنْ: تستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل أو مشكوك فيه أو مستحيل.

وإذا جاءت (إذا) و (إن) في نفس الآية دلت (إذا) على الكثير و(إن) على الأقل.

٣ـ وفي الآية التردي حاصل إمّا أنْ يكون في الموت أو الهلاك أو القبر أو في نار جهنم، فماذا يغني عنه ماله عندها؟

هذه ليست افتراضاً وإنما حصولها مؤكد؛ ولهذا السبب جاء بـ (إذا) بدل (إنْ) وهذه إهابة بالشخص أنْ لا يبخل أو يطغى أو يكذب بالحسنى.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ يحتمل معنيين:

١ـ أنّ الله تعالى يتكفل ببيان طريق الهدى.

٢ـ أنّ الهدى يوصل صاحبه إلى الله.

ومعنى الآية: علينا أنْ نبين الطريق المستقيم، والطريق المستقيم يوصل إلى الله تعالى.

السؤال الثاني :

ما فائدة التقديم والتأخير في الآية: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ بدل القول: إن الهدى علينا؟

الجواب :

١ـ التقديم يفيد الحصر، بمعنى أنّ الهدى يعود إلى الله فقط، وأي هدى من غير طريق الله فهو غير مقبول ومرفوض ولا يوصل إلى الله.

٢ـ التوكيد بإنّ واللام: إذا كان المخاطب يقبل الأمر فلا يوجد داعي للتوكيد، لكنّ أكثر الناس يرفضون هذا الأمر وينسبون لأنفسهم الهدى؛ لذا وجب التوكيد بالمعنيين (الهدى علينا حصراً وطريق الهدى هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى الله)، فأكد بإنّ واللام.

٣ـ هناك ارتباط بين هذه الآية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ والآية: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ لأنه لو ابتغى الناس الهدى عند الله لما تشتت سعيهم.

ومرتبطة أيضاً بالآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ لأنها من الهدى الذي ييسره الله تعالى.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾

١ ـ الآخرة والأولى لله وحده، فيجب أنْ تتبع هدى الله تعالى في الآخرة والأولى.

٢ ـ قدمت الآخرة على الأولى لتقدّم طالبها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ وأخّر الأولى لتأخر طالبها: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾.

٣ ـ في آية القصص (٧٠:٧٣) تقدّم ذكر الأولى على الآخرة فقال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

لأنّ السياق كله في الدنيا وما أودع الله سبحانه فيها من نعم، فناسب تقديم الأولى وقال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ لأنّ النعم يجب أن تقابل بالحمد.

أمّا في سورة الليل فلم يذكر الحمد وقدّم الآخرة كما سبق وذكرنا.

٤ ـ أكّد باللام في كلمة: ﴿لَلْآخِرَةَ﴾ بخلاف آية سورة النجم: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ والسبب – والله أعلم – أنّ سورة الليل ذكرت الأموال وتملكها والتصرف بها من المعطي والبخيل، فناسب التوكيد باللام هنا؛ لأنّ ملك الآخرة والأولى لله حصراً.

أمّا في سورة النجم فسياقها ليس في المال ولا التملك فلم يؤكد المال.

٥ـ في الآية جاءت كلمة: (الأولى) مقابل (الآخرة)، ولم ترد كلمة (الدنيا) مقابل(الآخرة)، والسبب في ذلك – والله أعلم –:

لم يرد في القرآن كله ولا مرة واحدة لفظ الدنيا مع الآخرة عند الحديث عن سعة ملك الله، وإنما ورد دائما كلمتا الأولى والآخرة؛ وذلك:

أ ـ الأولى أعم من الدنيا في اللغة في الاستعمال القرآني، فالقرآن يستعمل الدنيا لما يحيا فيه الإنسان ويعيش، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ﴾، ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾.

أمّا الأولى فتستعمل عامة، لما يعلمه الإنسان وما لا يعلمه من أمر السماوات والأرض فكلها الأولى؛ لذا لمّا أراد الله أنْ يذكر سعة الملك في سورة الليل ناسب أنْ يأتي بكلمة الأولى التي هي أعم وأوسع.

ب ـ كلمة ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ هي مؤنث الأدنى، ومن معانيها: الأقرب والأخس والدون والأقل. وهذه المعاني لا تتناسب مع معنى سعة ملك الله تعالى وعظمته في سورة الليل.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ ـ في سورة الليل ذكر الله الإنذار: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ ولم يذكر التبشير؛ لذا اقتصر على ذكر النار ولم يذكر الجنة.

٢ ـ ذكر للأشقى صفتين: التكذيب والتولي. أي كذّب بالإيمان وتولى عن الطاعات، فجاءت مقابلة لما سبق:

﴿كَذَّبَ﴾ مقابل ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ .

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ مقابل ﴿أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ لأنّ عدم العطاء من التولي

٣ـ التولي لا يقتصر على البخل فقط، وإنما إضافة إلى الإدبار عن كل الطاعات والاشتغال بالمعاصي.

٤ ـ استخدم الفعل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ بصيغة الماضي؛ لأنّ الله أنذرهم هنا بشيء واحد، وهو (نار تلظى) بمعنى: شيء واحد وانتهى، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾، ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ .

أمّا الفعل بصيغة المضارع كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ فالإنذار مستمر طالما استمر الوحي بالنزول.

٥ ـ جاءت الآية: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ بدون توكيد؛ لأنه لم يرد الإنذار في سورة الليل إلا مرة واحدة؛ لذا لا يحتاج إلى تأكيد.

أمّا في سورة النبأ فجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ بالتوكيد لأنّ الإنذار في سورة النبأ متسع ومتكرر من أول السورة إلى آخرها ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢﴾، ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾، ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ فهو إنذار طويل متكرر وفيه بسط وتفصيل، فهو أدعى للتوكيد من سورة الليل.

السؤال الثاني :

ما منظومة الكلمات التي تدخل في أعمال النّار يوم القيامة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٣٥.



﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ ـ تنفرد الآية هنا بصيغة (الأتقى) معرفة بأل، وجاء (أتقاكم) مضافاً إلى ضمير المخاطبين في آية سورة الحجرات ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ١٣﴾ فقُيّد بهذه الإضافة إلى ضمير الناس المخاطبين، لا على الإطلاق كما في هاتين الآيتين. ولم يقل مثلاً: ولا

يجنبها إلا الأتقى، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده؛ لأنّ معنى الآية أنّ الله تعالى يجنب الأتقى وغير الأتقى، فرحمته سبقت عذابه. ففي العذاب حصر فقال: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ أمّا في الرحمة فقد أطلق.

٢ ـ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ جاء بالفعل المبني للمجهول، ولم يقل: (سيتجنبها) وفي الآية تحذير وإنذار عظيم إلى الناس؛ لأنّ الأتقى لا يتجنبها بنفسه وإنما يعود الأمر إلى خالق الخلق، فالله هو الذي يُجنب عباده النار، ولا يستطيع أحد أنْ يتجنبها بنفسه، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ .

٣ ـ هناك فرق بين (التجنيب) و(التنجية):

التنجية قد تكون بعد الوقوع في الشيء ومعاناته، كما في الآيات: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ .

أمّا التجنيب فهو التنحية، بمعنى أنه لا يقع في المكروه أصلاً.

فاستعمل القرآن مع الذين اتقوا (التنجية) ومع الأتقى (التجنيب). و(الأتقى) اسم تفضيل أعلى من (اتقوا) فناسب الأتقى.

السؤال الثاني :

قال في آية الليل١٨: ﴿يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ وفي آية عبس ٣: ﴿يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾﴾ بالإبدال والإدغام، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية عبس ٣.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ أي لا يردّ معروفاً لأحد، وإنما لوجه الله تعالى فقط، وهذا منتهى الإخلاص.

٢ـ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ فيها احتمالان:

أـ للشخص الذي يرضى بثواب الله له في الآخرة.

ب ـ الذي يبتغي وجه الله تعالى سيرضى الله عنه.

وفي الحالتين معاً سيرضى بثوابه وما أعد الله له من نعيم وكرامة إضافة إلى ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وهو رؤية الله تعالى وطلب رضوانه.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ٢٠: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ ما كلمات منظومة الحب من الجانب العقلاني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٤ .

السؤال الثالث :

ما الخطوط التعبيرية في السورة؟

الجواب :

الخطوط التعبيرية في السورة:

١ـ خط العموم: السورة كلها في العموم.

٢ـ خط المقابلة: في الكلمات والألفاظ.

٣ـ خط التفضيل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾.

والله أعلم.



سورة الضحى

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة الليل ومفتتح سورة الضحى:

قال ربنا سبحانه في سورة الليل:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾

وقال في سورة الضحى:

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾.

وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾.

فإنّ عليه الهدى وقد هداه ربه.

وإنّ له الآخرة والأولى، وقد جعل له ربه الآخرة خيراً له من الأولى.

والله أعلم.

ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

مقدمة:

جاء النبي ﷺ لأمته مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، وكان ﷺ حريصاً على هداية قومه، كما قال تعالى في سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨] وكان ﷺ يألم ويحزن إن تَفَلّتَ أحدٌ من يده وخَرَجَ عن ساحة الإيمان وكان يكلّف نفسه في أمر الدعوة

فوق ما يطيق، حتى خاطبه ربه بقوله في سورة الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦].

ومعلوم أنّ سيدنا محمداً ﷺ لم يُطلب منه إلا البلاغ، أمّا الهداية فمن الله ولشدة حرصه ﷺ على هداية قومه عاتبه ربه؛ لأنه شق على نفسه.

وقد ظهرت قمة حرصه ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ فالتقطها رسول الله من ربه وجعلها لأمته، فقال: إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار.

فإذا كان رسول الله حريصاً عليكم بهذا الشكل فهو يستحق منكم أن تصلّوا عليه؛ لأنّ كل خير يناله يعم عليكم ويعود إليكم؛ لذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

السؤال العام:

ما دلالة القسم في عدد من السور بغير الحروف التي في أولها؟

الجواب:

١ـ في جميع السور التي أقسم الله تعالى في ابتدائها بغير الحروف كان القسم لإثبات أحد الأصول الثلاثة:

أ ـ الوحدانية: وهذا في سورة واحدة هي الصافات، حيث قال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾.

ب ـ الرسالة: وهذا موجود في سورتين لإثبات صدق محمد عليه السلام وكونه رسولاً، وهما سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ وسورة الضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾.

ج ـ الحشر: في باقي السور التي بدأت بالقسم.

٢ـ نلاحظ أنّ الله تعالى أقسم بجمع المؤنث السالم في خمس سور وهي: (والذاريات ـ والصافات ـ والمرسلات ـ والنازعات ـ والعاديات) ولم يقسم بجمع المذكر السالم في أي سورة أصلاً مع أنّ المذكر أشرف، وقد بينا سبب ذلك في سورة الذاريات.

٣ـ نلاحظ أنّ الله أقسم في سورة الصافات لإثبات الوحدانية فأقسم بالساكنات فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ وفي السور الأربعة الأخرى أقسم بالمتحركات؛ وذلك لأنّ الحشر فيه جمع وتفريق وذلك بالحركة أليق.



﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

يذكر أهل التفسير أنّ الوحي أبطأ على رسول الله ﷺ أياماً، فشق ذلك عليه، وقيل له: إنّ ربك قلاك، فأنزل الله سبحانه هذه السورة رداً على المشركين وإكراماً للرسول.

فلماذا حزن الرسول ﷺ مع ما يلقاه في سبيل الوحي من العنت والجهد؟

في هذا توجيه إلى الدعاة أنه عليهم أنْ يصبروا ويثبتوا في الدعوة مهما لاقوا من مشقة وعنت.

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾﴾

في اللغة هو وقت ارتفاع الشمس بعد الشروق، أمّا النهار فهو كل الوقت من أول النهار إلى آخره. والضحى يمثل وقت ابتداء حركة الناس، ويقابله الليل إذا سجى وهو وقت السكون والراحة.

﴿إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾

١ـ لغة لها ثلاثة معانٍ: (سكن ـ اشتد ظلامه ـ غطى مثل تسجية الميت)

٢ـ قدّم الله سبحانه الضحى هنا بسبب ما سبق من نور الوحي، وأخّر الليل لما يمثل من انقطاع الوحي.

٣ـ كلمة: ﴿سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ أنسب هنا من كلمة غشى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ ومن كلمة يسر: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ لأنّ من معاني (سجى): سكن، وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه، والانقطاع ظلمة، وهذا هو المعنى الثاني لسجى، بينما كلمة (يغشى) أو (يسر) تدلان على الحركة، وهذا يناقض المعنى للقسم في هذه السورة، وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به.

٤ـ نُقل عن الدكتورة بنت الشاطىء أنّ هناك انسجاماً بين القسم بالضحى والليل إذا سجى مع الآية التي تليها ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ حيث إنّ الضحى أول النهار والليل

إذا سجى أول الليل، وهما الوقتان المناسبان للوداع والسفر عند العرب فقد كانوا يباشرونه أول النهار أو أول الليل.

السؤال الثاني :

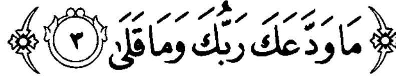
قوله تعالى في آية الليل ١ : ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ قدّم فيها القسم بالليل، وفي آية الضحى ١ قدّم القسم بالنهار؟

الجواب :

لمّا كان المقسم عليه في سورة الليل هو سعي الإنسان وغالبه المعاصي قدّم الليل الذي هو مظنة الظلمة.

ولمّا كان المقسم عليه في الضحى لطفه بنبيه ﷺ قدّم الضحى لحسنه.





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

التوديع عادة يكون بين المتحابين والأصحاب فقط، ويكون ذلك عند فراق الأشخاص، أمّا القِلى فستعمل بين المتباغضين.

١ـ لم يقل الله تعالى: (قلاك) كما قال: ﴿وَدَّعَكَ﴾ حتى لا ينسب الجفاء للرسول ﷺ أمّا التوديع فذكر فيه ﴿وَدَّعَكَ﴾ وفيه تكريم للمخاطب، وهذا من أدب المخاطبة، وفي هذا يعلمنا الله عز وجل كيف نخاطب الذين نحبهم ونحترمهم.

٢ـ جمعت الآية التكريم للرسول من ربه مرتين: مرة بذكر المفعول مع فعل التوديع، ومرة بحذف المفعول مع الفعل (قلى)، فأكرمه في الذكر والحذف.

٣ـ مراعاة الفاصلة.

﴿رَبُّكَ﴾:

لم يقل (الله) وفي هذا تكريم آخر من الله سبحانه لرسوله ﷺ، فالرب هو المربي والموجه والقيم فكيف يودعه وهو ربه. وذِكرُ الفاعل وهو الرب إكرام آخر، فلم يقل: (لم تُودع ولم تُقلى)، وهذا يحمل التطمين للرسول الكريم من ربه الذي يرعاه، ولا يمكن أنْ يودعه أو يتركه أبداً.

واختيار كلمة (الرب) بدل كلمة (الله)؛ لأنّ لفظ الجلالة كلمة عامة للناس جميعاً، ولكنّ كلمة الرب لها خصوصية كما بينا آنفاً.



﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الآخرة هنا كانت مقابل الأولى، ولم تأت مقابل الدنيا، ومعنى الآية أنّ ما سوف يأتي خير لك أيها الرسول مما مضى، أي من الآن وصاعداً فيما يستقبل من عمرك.

وأكّد ذلك باللام ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ وقد حصل هذا بالفعل، فكل ما استقبله من حياته كان خيراً مما حصل.

٢ـ لم يقل: (خير لك من الدنيا)؛ لأنه لو قالها لما صحت إلا في الآخرة فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ونفى حصول الخير فيما يستقبله من حياته.

٣ـ ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿لَّكَ﴾؟

هذه السورة وسورة الشرح هما خاصتان بالرسول الكريم ﷺ وهو المخاطب المباشر بهما، ولو قال تعالى: (وللآخرة خير من الأولى) لما صح هذا القول؛ لأنه سيكون عاماً للناس جميعاً وستفيد الإطلاق، ولا يصح على عمومه؛ لأنّ بعض الناس آخرتهم شر لهم من أولاهم؛ فلذلك لا بدّ أنْ يخصص المعنى وهو للرسول الكريم ﷺ بالذات، فقال: (لك) في الآية: (للآخرة خير لك من الأولى).



﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ (سوف) تدل على الاستقبال مثل الآية التي قبلها، وكلاهما أُكِّدَ باللام (ولسوف).

٢ـ لم يحدد العطاء؛ ليشمل كل العطاء على إطلاقه، ولم يحدد الرضا فجعل العطاء عاماً والرضا عاماً، وذكر المعطي أيضاً وهو الرب، وعلينا أنْ نتخيل كيف يكون عطاء الرب! والعطاء على قدر المعطي.

٣ـ في هذا تكريم كبير للرسول ﷺ، كذلك في إضافة ضمير الخطاب (الكاف) في ﴿رَبُّكَ﴾ تكريم آخر للرسول ﷺ.

﴿فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾:

الرضا هو من أجلّ النعم على الإنسان، وهو أساس الاستقرار والطمأنينة وراحة البال، فإنْ فُقِدَ الرضا حلت الهموم والشقاء والنكد على الإنسان؛ ولذا جعل الله تعالى الرضا صفة أهل الجنة: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾، ﴿ارْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾.

وعدم الرضا يؤدي إلى الضغط النفسي واليأس، وقد يؤدي إلى الانتحار والتعب، مع الرضا راحة والراحة من دونه حرمان، والفقر مع الرضا غنى والغنى من دونه فقر، فإذا رضي الإنسان ارتاح وهدأ باله وسكن، وإنْ لم يرضَ حل معه التعب والنكد والهموم والقلق مع كل ما أوتي من وسائل الراحة والترفيه.

السؤال الثاني :

لماذا قال: ﴿يُعْطِيكَ﴾ ولم يقل يؤتيك؟

الجواب :

الإيتاء: يكون لأمور مادية ومعنوية (الملك ـ الحكمة ـ الذكر)، أمّا العطاء: فهو خاص بالمادة والمال، والإيتاء أوسع من العطاء؛ لكنّ العطاء لا يشمله النزع كما قد يحصل في الإيتاء، وكذلك فإنّ العطاء هو تمليك وله الحق بالتصرف فيه كما يشاء. قال تعالى:

ـ ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[آل عمران:٢٦].

ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾[القصص:٧٦]. . ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[القصص:٨١].

ـ ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص:٣٥]. . ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾[ص:٣٩].

ـ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[الأعراف:١٧٥].



﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ ـ هذه الآيات الثلاث مرتبطة بالآية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ وتؤكد معناها؛ لأنّ الإيواء خير من اليتم، والهداية خير من الضلالة، والإغناء خير من العيلة.

٢ـ وهي مرتبطة بالقسم في أول السورة مع التوافق في الكلمات حسب الجدول التالي:

رقم الآية	الكلمة بمعنى النور	الكلمة بمعنى الظلمة
١	﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾	﴿وَٱلَّيۡلِ﴾
٤	﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ﴾	﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾
٦	الأيواء	اليتم
٧	﴿فَهَدَىٰ﴾	﴿ضَآلّٗا﴾
٨	﴿فَأَغۡنَىٰ﴾	﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ ـ العيلة ـ

ونشعر أن الآيات من [٦:٨] بدأت بالكلمات التي تعني الظلمة، ثم بالكلمات التي تعني النور.

أي: اليتم ثم الإيواء، والضلال ثم الهدى، والعيلة ثم الغنى؛ ليناسب ويتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤﴾ فالأولى هي الظلمة أمّا الآخرة فهي النور.

٣ ـ تكررت كلمة الرب في السورة؛ لأنّ الرب معناه أنه المعلم والمربي والمرشد والقيم، وكل آيات السورة مرتبطة بكلمة الرب ارتباطاً أساسياً مثل اليتيم والضال والهادي والفقير والرزق وغيرها، وكلها من مهام الرب وكلمة الرب ترتبط بها بشكل واضح.

٤ ـ ترتيب الآيات (٦ ثم ٧ ثم ٨) هو الترتيب الطبيعي في الحياة، فاليتم هو لمن فقد والديه أو أحدهما وهو دون سن البلوغ، وإذا بلغ دخل في سن التكاليف الشرعية، فهو يحتاج إلى الهداية ليعرف كيف يسير في الحياة على منهج الله، ثم تأتي الحاجة إلى المال ليقوم

بأعباء الحياة؛ لذا بدأ الله سبحانه بالحالة الأولى (اليتم)، ثم إذا بلغ تأتي (الهداية) في المرتبة الثانية وفي المرتبة الثالثة يأتي (المال والغنى) الذي يجب أن يسير على الهداية.

السؤال الثاني :

لماذا لم يقسم الله بـ (الليل إذا سجى) أولا ثم بـ (الضحى)؟

الجواب :

الضحى هو نور الوحي، وكان السكون بعد الوحي، وكان القسم على أثر انقطاع الوحي، فانقطاع الوحي هو الذي تأخر وليس العكس؛ لذا جاء قسم الضحى أولا ثم الليل.

السؤال الثالث :

لماذا حذف المفعول للأفعال: ﴿فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾، ﴿فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾، ﴿فَهَدَىٰ ۝٧﴾؟

الجواب:

أ ـ لوضوح المخاطب، وهو الرسول الكريم.

ب ـ للإطلاق في المعنى للدلالة على سعة الكرم. ولو قال: آواك وهداك وأغناك لكان ذلك محصوراً بالنبي ﷺ، لكنّ الإطلاق دلّ على أنه للرسول ولكثير من الخلق، أي أنّ معناها: آواك وآوى لك وآوى بك، وأغناك وأغنى لك وأغنى بك، وهداك وهدى بك وهدى لك؛ ولتتناسب سعة الإطلاق هنا مع قوله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾.

ج ـ مراعاة الفاصلة لكنْ على حسب القاعدة: المعنى أولاً ثم الفاصلة.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

القهر: هو التسلط بما يؤذي أي لا تظلمه ولا تحتقره ولا تتسلط عليه.

السائل: هو سائل المال أو سائل العلم، والمعنى: يجب أنْ لا ننهر صاحب السؤال سواء كان السؤال للمال أو العلم.

النِّعمة: تشمل كل المعاني من خير الدنيا أو الآخرة، وهي نعم الله في النبوة وتعاليمها وفي الدين ونعم الدنيا، وعلى الإنسان أنْ يحدّث بهذه النعم (نعم الدنيا ونعمة الدين).

النَّعمة: بفتح النون وردت في القرآن بمعنى العقوبات والسوء ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾، ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾.

السؤال الثاني :

لماذا اختيار كلمة: ﴿فَحَدِّثْ ۝١١﴾ ولم يقل: (فأخبر)؟

الجواب :

١ـ الإخبار لا يقتضي التكرار، ويكفي أنْ تقول مرة واحدة فيكون إخباراً أمّا التحديث فهو يقتضي التكرار أكثر من مرة.

وفي سياق الآيات يجب أنْ يتكرر الحديث عن الدعوة إلى الله مرات عديدة ولا يكفي مرة واحدة؛ ولذلك سمى الله تعالى القرآن حديثاً ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ وفي تسلسل

الأحاديث في كتب السنة تلاحظ أنهم يقولون: حدثنا فلان عن فلان عن فلان حتى يصلوا إلى: أخبرنا النبي ﷺ.

فمعنى ﴿فَحَدِّثْ ۝١١﴾ هو المداومة على التبليغ، وليس الإخبار فقط.

٢ـ من الدروس المستفادة من هذه السورة - إضافة إلى ما ذُكر- أنه يحسن للإنسان تذكر أيام العسر والضيق؛ لأنه مدعاة للشكر ولمعاونة المحتاجين، وأنه يجب التذكير بالماضي وما يتقلب فيه المرء الآن من نعم ليشكر الله تعالى عليها مهما كان في ماضيه من أذى أو حرج أو ضيق فيشكر الله تعالى على نعمه فيكون من الشاكرين.

٣ـ يمكن ترتيب الآيات بالشكل التالي:

المعنى	رقم الآية	الآية	مقابل رقم الآية	المعنى
اليتم	٦	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾	اليتم
العلم	٧	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾	﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾	سائل العلم
المال	٨	﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾	﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾	سائل المال
نعم الدنيا تتحدث بها بعد وقوعها	١١	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾		
نعمة الدين	١١	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ		بالعلم

تتحدث بها بعد مرحلة تحلي الداعية		﴿فَحَدِّثْ ۝١١﴾		والخلق الحسن

السؤال الثالث :

في آية الأنعام٨٤: قدّم نوحاً ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾، وفي آية الضحى٩: قدّم اليتيم، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ ـ في آية الأنعام٨٤ قدّم نوحاً، وهذا ليس من باب التخصيص، وإنما هو من باب المدح والثناء؛ إذ ليس معناه: أننا ما هدينا إلا نوحاً.

٢ ـ وفي آية الضحى، ليس المقصود به جوازُ قهر غير اليتيم و نهرُ غير السائل، وإنما هو من باب التوجيه، فإنّ اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنة القهر، فقدّمهما للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما.

والله أعلم.



سورة الشرح

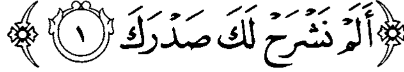
أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الضحى ومفتتح سورة الشرح :

كلتا السورتين في رسوله ﷺ وخطاب له واستكمال للنعم التي ذكرها في سورة الضحى. فإنّ في سورة الشرح استكمالاً لما ذكره من النعم في سورة الضحى من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :



السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الشرح للصدر في السورة هو على الأغلب شرح معنوي، وهو هدى الحق ونور الإيمان وراحة اليقين والسلام النفسي؛ وذلك حتى يسع هموم مسئولية النبوة، ويحتمل المكاره التي يتعرض لها النبي ﷺ أثناء تبليغه للدعوة.

٢ـ وذَكَرَ الصدر ولم يذكر القلب؛ لأنّ الوسوسة محلها الصدر: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح.

٣ـ الاستفهام ﴿أَلَمْ﴾ هو استفهام تقريري، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك ووضعنا عنك وزرك.

٤ـ لم يستعمل القرآن الاستفهام التقريري بـ (ما) مطلقاً، بل استعمل (لم) كما في الآيات التالية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

٥ـ الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ هو للتقرير وتأكيد الاختصاص وتقوية الإيصال. ومثل هذا مألوف في أساليب اللغة العربية نحو: (أرح لي بالي ـ اسمع مني نصيحتي)، وليست (لك) زائدة أو مقحمة.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ وقال: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾.

٦ـ الضمير في قوله: ﴿نَشْرَحْ﴾ للجمع، وهو يفيد التعظيم. وفي القرآن لا يوجد به موضع ذكر فيه التعظيم إلا وسبقه أو تبعه بما يفيد وحدانية الله تبارك وتعالى تجنباً للشرك.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة:١٥٥]... ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥٦].

ـ ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٧٢].

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الآية ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾﴾ معطوفة على الآية التي قبلها.

٢ـ الوضع: هو الحط والإلقاء والطرح والإسقاط، وأكثر ما يستعمل فيما يثقل ويرهق، كالحمل في الأمور المادية، وكذلك في الأمور المعنوية مثل: ﴿تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد:٤]، وقولهم: وضع عنه الجناية أي أسقطها ـ انظر الآيات [آل عمران ٣٦ ـ الأحقاف ١٥ ـ الطلاق ٤ ـ٦ ـ فاطر ١١].

وربما كان الشعور بالمسئولية للدعوة من النبي ﷺ هو الهم النفسي الشديد الذي يفوق ألمه الثقل المادي، فعبّر عن الهم الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي تقصم له الظهور.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة (غفر وحط) التي هي أمل المؤمنين الموحدين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٩٢.

﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

الرفع هو الإعلاء، فلا يذكر الله إلا ويذكر معه الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة والأذان والخطب، وقد ذكره الله في الكتب المتقدمة وختمت به النبوة، والناس والسلاطين يمسحون وجوههم بتراب روضته ويرجون شفاعته في الآخرة، فشرفه باق إلى يوم الدين.



﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ورد (اليسر) مرتين بصيغة النكرة وورد (العسر) مرتين بصيغة المعرفة، فما السر في ذلك؟

وكيف نجمع بين قول الرسول ﷺ (**لن يغلب عسر يسرين**) وبين ذكر العسر واليسر مرتين مرتين في آيتي سورة الشرح؟

الجواب :

القاعدة النحوية تقول: إنّ النكرة إذا تكررت حُسِبَ التكرار وأنّ المعرفة إذا تكررت كانت نفسها، أي لاتكرر.

مثال: لقيت رجلاً وأكرمت رجلاً. هذا يعني أنّ عدد الرجال اثنان.

بينما: لقيت الرجل فأكرمتُ الرجلَ، فالرجل واحد نفسه لم يتكرر.

وفي الآية تكرر (العسر) مرتين وهو معرفة، فهو إذن عسر واحد وتكرر لفظ (يسر) مرتين وهو نكرة، فهو يسران، وبالتالي لن يغلب عسر يسرين. والله أعلم.

السؤال الثاني :

كيف نفعل الآن مع آية الزخرف ٨٤ حيث تكرر لفظ ﴿إِلَٰهٌ﴾ مرتين وهو نكرة وحسب القاعدة النحوية السابقة يُحسب تكرار النكرة، والمعنى لا يصح مطلقاً وفيه إشكال، فكيف الجواب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزخرف ٨٤.

السؤال الثالث :

لماذا جاءت آية الطلاق ٧: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ ولم تأت على نسق قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ ؟

الجواب :

في آية الطلاق كلمة: ﴿سَيَجْعَلُ﴾ هي لحالة عسر خاصة في ذاك الوقت أي ليس معه يسر الآن، وإنما قُدر عليه الرزق الآن، واليسر سيكون فيما بعد. فهي حالة خاصة ومسألة معينة ولا يصح معها ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ لأنّ الرزق مُضيق عليه الآن، والآية فيها وعد بأنْ ييسر الله تعالى فيما بعد.

أمّا آية الشرح فهي حالة عامة، وفيها رأيان، فقسم يقول: إنها خاصة بالرسول ﷺ أي أنّ العسر الذي هو فيه سيكون معه يسر، وقسم يقول: هذه عامة، بمعنى أنّ الله تعالى إذا قضى عسراً قضى معه اليسر حتى يغلبه.



﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

أي أنّ الله تعالى أمر نبيه عليه السلام أنْ يلجأ إلى النصب في العبادة بعد أنْ يفرغ من أي أمر وأنْ يجعل رغبته إلى ربه فقط.

وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والتخصيص.والله أعلم.



سورة التين

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الشرح ومفتتح سورة التين :

قال سبحانه في سورة الشرح:

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾

وذكر في سورة التين من ردّه إلى أسفل سافلين وهي حالة العسر واستثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾.

وهذا مما يسره ربنا سبحانه لهذا الصنف.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذكر سبحانه في السورة السابقة حال أكمل النوع الإنساني بالاتفاق، بل أكمل خلق الله عز وجل على الإطلاق صلى الله تعالى عليه وسلم، ذكر عز وجل في هذه السورة حال النوع وما ينتهي إليه أمره وما أعد سبحانه لمن آمن منه بذلك الفرد الأكمل)).

وجاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر فيما قبله من كمّله الله خَلْقا وخُلُقا وهو الرسول عليه السلام. . . ذكر هنا حالة من يعاديه وأنه يرده أسفل سافلين في الدنيا والآخرة)).

والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾

السؤال الأول :

هل من مقدمة بسيطة للسورة؟

الجواب :

١ـ رُوي أنه أُهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: **كلوا فلو قلت إنّ فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأنّ فاكهة الجنة بلا عجم.**

وقيل إن آدم عليه السلام خصف من ورق شجرة التين ليستر عورته حين انكشفت في الجنة.

٢ـ عدد آيات سورة التين ثمانية وهي بعدد أبواب الجنة الثمانية!

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ ـ التين والزيتون هما الشجران المعروفان، فأقسم بنوعين من الشجر نوع فيه عجم ونوع بلا عجم.

٢ـ المقصود بالتين والزيتون جبلان من الأرض المقدسة، يقال: إنهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا.

٣ ـ المقصود القسم بالأمكنة الثلاثة العظيمة أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة، وهي:

أـ محلة التين والزيتون: وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام.

ب ـ طور سينين: وهو الطور الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام.

ج ـ البلد الأمين، أي: مكة المكرمة، وهو الذي أرسل الله فيه محمداً عليه السلام.

وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل، فبدأ بموضع المسيح، ثم ثنى بموضع الكليم، ثم ختمه بموضع أكرم الخلق عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم.

السؤال الثالث :

كيف رتب الأشياء المقسم بها في السورة؟

الجواب :

١ ـ بدأ بالتين فالزيتون، والزيتون أفضل من التين؛ فقد شهد الله له أنه شجرة مباركة: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.

٢ ـ ثم أقسم الله بطور سينين، وهو أفضل مما ذُكر قبله؛ لأنه الجبل الذي كلم الرب عليه موسى عليه السلام.

وانظر كيف وضع ذكر طور سينين بجوار الزيتون لا بجوار التين، وقد ورد ذكرهما معاً في آية المؤمنون ٢٠ : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾.

٣ ـ ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة مكان مولد سيد البشر محمد ﷺ وهو أفضل البقاع عند الله وأحبها إليه كما جاء ذلك في الحديث الشريف.

فتدرج من التين إلى الزيتون إلى طور سينين إلى بلد الله الأمين، أي ختم بموطن الرسالة الخاتمة وهي أشرف الرسالات.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة: ﴿ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ في الآية؟

الجواب :

اختيرت هذه الكلمة ﴿ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ اختياراً مقصوداً؛ لأنّ من معانيها المحتملة أنها:

١ـ من الأمانة: فقد حمل الرسالة رسول موصوف بالأمانة وهو جبريل عليه السلام، فأداها إلى الرسول الموصوف بالأمانة، في بلد موصوف بالأمانة، وأمانته أنْ يحفظ مَن دخله كما يحفظ الأمين ما يُؤتمن عليه.

٢ ـ من الأمن: فمكة هي البلد الآمن قبل الإسلام وبعده، دعا لها سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام بالأمن قبل أنْ يكون بلداً وبعد أنْ صار بلداً فقال أولاً: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ بتنكير (بلداً)، وقال فيما بعد: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ بتعريف البلد، حيث أصبحت مكة بلداً. وقد استجاب سبحانه هذه الدعوة فقال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾، وقال: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾

لذلك (الأمين) على وزن (فعيل) للمبالغة بمعنى الآمن.

ويحتمل أنْ تكون (فعيل) بمعنى (مفعول) مثل جريح بمعنى مجروح وأسير بمعنى مأسور، أي المأمون.

٣ـ وقد اختار الله سبحانه لفظ: ﴿ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ على لفظة (الآمن) لجمع معنيي الأمن والأمانة، فجمع معنى اسم الفاعل واسم المفعول، كما جمع بين الحقيقة والمجاز، فهو أمين وآمن ومأمون. وهذه المعاني كلها مرادة. والله أعلم.



﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ كان جواب القسم: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ متناسباً مع المقسم به، فقد أقسم بالرسالات على بداية الإنسان: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ وعلى نهايته: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾.

لأنه لمّا كانت الرسالات هي منهج للإنسان وشريعة له كان الجواب يتعلق بالإنسان طبيعة: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾، ومنهجاً: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

وفي هذا إشارة إلى أنّ المنهج لا بدّ أنْ يكون متلائماً مع الطبيعة البشرية غير متناقض معها، وإلا فشل.

٢ـ أسند الخلق إلى نفسه فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾، ولم يبنه للمجهول؛ وذلك أنه في موطن بيان عظيم فأسند ذلك إلى نفسه، وهذا هو خط القرآن، حيث إنه في مثل هذا المقام وفي مقام النعمة والتفضل يسند الأمر إلى نفسه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)﴾ في حين قال: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾، ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩)﴾.

٣ـ من ناحية أخرى أسند الخلق إلى نفسه؛ لأنّ المقام مقام بيان منهج للإنسان، فأراد أنْ يبين أنّ واضع المنهج للإنسان هو خالق الإنسان ولا أحد غيره أعلم بما يَصلح له وما هو أنسب له، ولو بنى الفعل للمجهول لم يُفهم ذلك صراحة.

السؤال الثاني :

قد يقول قائل: لِمَ أسند الرد أسفل سافلين إلى نفسه، وهذا ليس مقام تفضل ولا بيان نعمة؟

الجواب :

١ـ هذا الإسناد هو الأنسب، فالله سبحانه أراد أنْ يذكر أنّ بيده البداية والنهاية وأنه القادر أولاً وأخيراً لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء في البداية والنهاية، ولو قال مثلاً: (ثم رُدّ إلى أسفل سافلين) لكان يُفهم أنّ هناك راداً غيره يفسد خلقته ويهدم ما بناه !! وهذا غير صحيح.

٢ـ ومعنى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ أنه صيّره على أحسن ما يكون في الصورة والمعنى والإدراك في كل الأمور المادية والمعنوية.

٣ـ وقال بعدها: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ فجاء بـ (ثم) التي تفيد التراخي والترتيب، والتراخي هنا يفيد التراخي بالزمن والرتبة عن قوله تعالى: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

٤ـ من معاني: ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ أرذل العمر، الدرك الأسفل من النار.

فالانسان مهيأ لأنْ يبلغ أعلى الدرجات، ومهيأ لأنْ ينتكس إلى أسفل سافلين وإلى درجة تصبح البهائم أرفع وأقوم لاستقامتها على فطرتها.

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة (خلق وجعل)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٢١.



﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ معنى الاستثناء أنّ الصالحين مستثنون من الرد إلى أسفل سافلين فهم الذين يبقون على الفطرة ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح.

٢ـ وكذلك فإنّ معنى الاستثناء أنّ الصالحين من الهرمى لهم ثواب دائم يُكتب لهم في وقت شيخوختهم كما كان يُكتب لهم في وقت صحتهم. جاء في الحديث: ((**إنّ المؤمن إذا رُد لأرذل العمر كُتب له ما كان يعمل في قُوَّته**)).

٣ـ كما أنّ الاستثناء هنا مختلف عن الاستثناء في سورة العصر: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ فزاد التواصي بالحق والصبر.

والسبب في ذلك أنّ الله تعالى بيّن في سورة التين أنّ الإيمان والعمل الصالح يمنعه من الرد أسفل سافلين، ولكن لا يمنعه من الخسران الذي يفوته فيما لو ترك التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح ولا يلزم أنْ يكون أسفل سافلين؛ ولذلك كانت لفظة: ﴿لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ في سورة العصر مناسبة لموضوع الربح والخسارة.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ .

١ـ أي أجر غير منقطع ولا منقوص ولا مكدر بالمنّ عليهم، فجمع هذه المعاني كلها.

٢ـ وزاد الفاء ﴿فَلَهُمْ﴾ ولم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة في سورة الانشقاق٢٥ حيث جاءت بدون الفاء: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ والسبب في ذلك اختلاف السياقين.

فقد أطال في سورة الانشقاق في ذكر الكافرين ووصف عذابهم من الآية (١٠:٢٤)، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ .

لذلك لمّا أطال في وصف الكافرين وأعمالهم وعذابهم، وأوجز في الكلام عن المؤمنين الآيات [٧: ٩] حذف الفاء من جزاء المؤمنين مناسبة للإيجاز.

في حين لم يذكر الكافرين في سورة التين ولم يزد على قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ويعني الإنسان وهو غير صريح في أنّ المقصود به الكافرون فذكر الفاء لتأكيد استمرار أجره.

السؤال الثاني :

ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾، وفي آية التين٦: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾؟ وما الفرق عن الاستثناء الوارد في سورة العصر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الانشقاق ٢٥.

السؤال الثالث :

ما أقسام الاستثناء بـــ (إلا)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الانشقاق ٢٥.



﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ المعنى: أي شيء يجعلك أيها الإنسان مكذباً بالجزاء بعد هذا الدليل الواضح؟ !

فقد خلق الله الإنسان من نطفة فجعله بشراً سوياً، لذلك فالذي خلقه أقدر على أنْ يعيده ولو أعجزه ذلك لأعجزه خلقه في الأول.

وفي هذا الدليل النقلي والعقلي على الاستدلال على الجزاء:

أمّا الدليل النقلي فهو ما أخبرت به الرسالات السماوية، وقد ذُكر في هذه السورة رسالات موسى وعيسى ومحمد على نبينا وعليهم الصلاة والتسليم.

وأمّا الدليل العقلي فهو الاستدلال بخلق الإنسان في أحسن تقويم.

٢ـ اختار كلمة: ﴿ٱلدِّينَ﴾ ولم يختر كلمة أخرى كالجزاء أو الحساب وذلك لّما ذكر مواطن الرسالات ناسب ذكر الدين؛ لأنّ الرسالات أديان فناسب كلمة ﴿ٱلدِّينَ﴾.

٣ـ وكلمة ﴿ٱلدِّينَ﴾ تعني يوم الدين أي يوم القيامة، وتعني معنى الحساب في آن واحد فجمع بين المعنيين ولو قال: الجزاء مثلاً، لم يجمع هذين المعنيين.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾:

وجملة (أحكم الحاكمين) تجمع بين معنيي الحكمة والقضاء؛ لأنّ الفعل (حكم) يحتمل أنْ يكون من الحكمة، ويحتمل أنْ يكون من القضاء وهو الفصل في المحاكم.

وبالتالي تجمع (أحكم الحاكمين) أربعة معانٍ هي:

[أكثرهم حكمة ـ أحكم القضاة ـ أقضى الحكماء ـ أقضى القضاة].

ولو قال: (أقضى القاضين) لدلت على معنى واحد.

٥ـ وجعل ذلك بأسلوب الاستفهام التقريري، ولم يجعله بالأسلوب الخبري، فهو لم يقل: (إنّ الله أحكم الحاكمين) ولا نحو ذلك وإنما قرر المخاطب ليقول بنفسه وليشترك في إصدار الحكم فيقول بنفسه: وأنا على ذلكم من الشاهدين.

٦ـ وقد ارتبطت خاتمة السورة بفاتحتها، فإنّ ذكر مواطن الرسالات العظمى معناه أنّ الله الذي أنزل هذه الشرائع العظيمة هو أحكم الحاكمين.

السؤال الثاني :

ماذاعن كيفية التنسيق بين خواتيم الآيات ومعانيها؟

الجواب :

انظر إلى التنسيق الجميل في اختيار خواتم الآي:

خاتمة الآية	المعـــــــاني
﴿ٱلۡأَمِينِ﴾	الأمن ـ الأمانة
﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾	أرذل العمر ـ جهنم
﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾	غير منقطع ـ لا منغص عليهم بالمنة
﴿ٱلدِّينَ﴾	الجزاء ـ الدين
﴿بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾	الحكمة ـ القضاء

فانظر هذه الدقة في الاختيار وهذا الحُسن في التنسيق! أليس هوالذي قال: ﴿بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ⁽٨⁾﴾؟

بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. والله أعلم.

سورة العلق

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة التين ومفتتح سورة العلق :

١ ـ قال سبحانه في خاتمة سورة التين:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾

وقال في أول سورة العلق:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾.

فالذي يأمر بالقراءة حكيم.

والذي خلق الإنسان من علق هو أحكم الحاكمين.

والذي علّم بالقلم هو أحكم الحاكمين.

والذي علّم الإنسان ما لم يعلم هو أحكم الحاكمين.

٢ ـ قال في سورة التين: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾

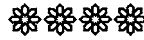
وقال في سورة العلق: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾

فالمناسبة ظاهرة.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا ذكر سبحانه في سورة التين خلق الإنسان في أحسن تقويم بيّن عز وجل هنا أنه خلق الإنسان من علق، فكان ما تقدم كالبيان للعلة الصورية، وهذا كالبيان للعلة المادية)).

وجاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر فيها قبلها خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك ذكره هنا منبهاً على شيء من أطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول إليه حاله في الآخرة)).

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :



السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ في الآية؟ وما تاريخ الكتابة عند العرب؟

الجواب :

كانت الكتابة ولا تزال أهم وسيلة لتسجيل الأفكار ونقل المعارف. ولا شك أنّ بزوغ شمس الإسلام كان إيذاناً بنهضة كتابية عظيمة. وكانت كلمة (اقرأ) أول ما نزل من القرآن الكريم وحرص النبي ﷺ على تعلم الصحابة الكتابة، وعلى تدوين القرآن الكريم.

ويروى عن كعب الأحبار ـ ت ٣٢هـ ـ أنه قال: أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب هو آدم عليه السلام، وكان ذلك قبل موته بثلاثمائة سنة.

وقيل إنّ إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم بعد آدم، وقيل أيضاً إنّ أول من كتب الخط العربي (حمير بن سبأ).

وهناك رواية تزعم أنّ أول من وضع الخط العربي جماعة هم (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) وهم قوم من الأوائل نزلوا عند عدنان بن أدد فاستعربوا ووضعوا الكتاب العربي على أسمائهم، ولمّا وجدوا أحرفاً ليست من أسمائهم وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ألحقوها بها وسموها الروادف. وتشير الرواية إلى أنّ هؤلاء كانوا ملوك مدين وأنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام، وقالت أخت رئيسهم شعراً ترثيهم فيه، ولكن هذه الرواية يغلب عليها طابع الخرافة.

وقد كان هناك خط عربي في شمال الجزيرة العربية وهو الذي كتب به القرآن الكريم، وكان هناك أيضاً خط المسند الذي كان أهل اليمن يكتبون به قبل الإسلام، وقد جاءت الدراسات والاكتشافات الحديثة لتنفي كل صلة بين الخط العربي الشمالي وخط المسند، ولعلّ ما بينهما من صلة لا يتعدى أنهما اشتقا من أصل سامي واحد قديم.

وكانت الأبجدية السامية الأولى أبجدية صامتية وكان الاثنان والعشرون حرفاً وهي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) تمثل الأصوات الصامتة لبضعة لغات سامية.

وحين تبنت اللغة العربية نظام الأبجدية السامية ألحقت رموز الأصوات الصامتة النى تفردت بها في نهاية ذلك الترتيب، وهي ستة أحرف تعرف بالروادف، وهي (ثخذ ضظغ).

والأبجدية العربية تشارك كثيراً من الأبجديات السامية القديمة في ترتيب الحروف على طريقة (أبجد هوز) وعرف العرب هذه الكلمات واستخدموها في أشعارهم وكان لكل حرف قيمته العددية المعروفة لديهم.

وتشير معظم الروايات إلى انتقال الكتابة من الحيرة إلى مكة وباقي الحجاز عن طريق (دومة الجندل)، وكان ذلك بواسطة عدة أشخاص أشهرهم (بشر بن عبد الملك) وتم ذلك قبل الإسلام بجيل أو جيلين. وفي ذلك يقول رجل من دومة الجندل من قبيلة بشر بن عبد الملك يمنّ فيه على قريش بتعليمهم الكتابة:

وأغنيتمُ عن مُسندِ الحي حميرٍ ... وما زَبَرتْ في الصّحْفِ أقيالُ حميرا

وليس معنى ذلك أنّ الكتابة العربية كانت قد اخترعت قبيل الإسلام، فإنّ الروايات تشير إلى أنها بدأت تتميز بخصائص معينة منذ مطلع القرن الرابع الميلادي منذ تاريخ نقش النمارة ـ ٣٢٨م ـ وأنها تكاملت خصائصها واستقرت قواعدها في الحيرة وحواضر العراق، وأنها حين انتقلت إلى الحجاز كانت متميزة الخصائص ثابتة القواعد، فانتشرت اللغة وبرع فيها الناس والشعراء حتى أصبحوا سادة المنطقة في الشعر والنثر والخطابة واشتهرت المعلقات وأسواق الشعر.

وعند بزوغ الإسلام استخدمها الصحابة رضوان الله عليهم بمعرفة تامة. وروي أنّ النبي عليه السلام كان له أكثر من أربعين كاتباً بعضهم يجيد لغات أخرى كالسريانية والعبرية إضافة إلى العربية، وكان له ﷺ خاتم من فضة منقوش عليه (محمد رسول الله) كان يختم به الكتب.

أمّا الترتيب المألوف المتبع في الزمن الحاضر في ترتيب الحروف من الألف إلى الياء فهو ترتيب متأخر حدث في الإسلام.

والأصل في كتابة الكلمة هو أن تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها، لكنّ للحروف الموقوف عليها أحكاماً تغاير أحكام المبدوء بها، فالموقوف عليه يكون ساكناً في الغالب بينما المبدوء به لا يكون إلا متحركاً.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

هذه السورة مكية وصدرها أول ما نزل من القرآن في غار حراء.

١ـ هي أول آية نزلت من القرآن الكريم.

٢ـ ﴿اقْرَأْ﴾ أول كلمة منها بصيغة الأمر؛ ليبين أنّ قوام الحياة الدنيا لا يقوم إلا بالعلم، والقراءة هي أول سبيل العلم. فالعلم مفروض في الإسلام لا خيار فيه.

٣ـ الرسول ﷺ كان أمياً ومع ذلك أُمر بالقراءة، والسر في ذلك أنّ اللغة يمكن أنْ تُتعلم بالاستماع.

٤ـ حذف المفعولية من الفعل ﴿خَلَقَ﴾ فلم يقل مثلاً خلق السماء، ولو قال ذلك لكان الخلق محدوداً بالسماء، لكن لمّا حذف المفعول به صار أبلغ من الذكر.

قال عبد القادر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز في باب القول في الحذف: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق..."

السؤال الثالث :

ما أهم الدلالات في الآية؟

الجواب :

١ـ من عجب أن تكون كلمة: ﴿اقْرَأْ﴾ أول ما استهل بها الوحي إلى النبي المبعوث في الأميين رسولاً منهم، وأنْ يكون (الكتاب) معجزة هذا النبي المصطفى لختام الرسالات منذ أربعة عشر قرناً من الزمان في بيئة بدوية وثنية جافة لا عهد لها بمظاهر الحضارة المادية والفكرية.

٢ـ في كلمة: ﴿رَبِّكَ﴾ تكريم للنبي عليه السلام وفيها ما يزيل فزع النبي من الوحي.

٣ـ لم يذكر ما (خلق) وإنما تركها على إطلاقها ليفيد العموم.

٤ـ في الآية تقرير لربوبية الخالق، وتخصيص خلق الإنسان بالذكر دون سائر المخلوقات؛ لأنّ الإنسان هو المختص بالقراءة والعلم المنفرد بتبعة التكليف للمخاطب بكل ما سوف ينزل به الوحي من كلمات الله.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في التعبير: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ بيان آية الله في خلق الإنسان، وتوجيه الناس للنظر في علم الأجنة.

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ بالجمع ولم يقل علقة؛ لأنّ الإنسان في معنى الجمع.

السؤال الثاني :

ما الحكمة من تكرار لفظة: ﴿ خَلَقَ ﴾ في الآيتين الأولى والثانية؟

الجواب :

إنّ الفعل (خلق) الأول هوعام في كل مخلوق، وأمّا الفعل الثاني فهوخاص بالإنسان وخصه لبعد ما بين أول أحواله وآخرها.

وقد تقدّم تقديم الخلق على التعليم في سورة الرحمن، حيث إنّ الحق سبحانه خلق الكون من عدم وأوجدنا من عدم، ووضع لنا المنهج الذي يحفظ القيم وينظم حركة الحياة قبل أنْ توجد الحياة.

لذلك فالمنهج المتمثل في القرآن وُضع أولاً ليحدد لك مهمتك وقانون صيانتك قبل أنْ توجد أيها الإنسان.

و في سورة العلق كانت أول كلمة نزلت من القرآن هي: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ولم يكن القرآن معهوداً للنبي عليه السلام؛ ولذلك قال النبي لجبريل عليه السلام: **(ما أنا بقارىء)**، وأمّا في سورة الرحمن فنزلت بعد معرفة القرآن وشهرته.

فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة العلق أنسب، وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي نعرفه في سورة الرحمن أنسب لسياق ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد.



﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الكرم نقيض اللؤم ودلالته على العزة، وانفردت آية العلق بصيغة ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ معرفة بأل بما يفيد اختصاصه تعالى بهذه الرتبة العليا على عموم إطلاقها دون تعلق بتأويل أكرمِيّته تعالى.

٢ـ العلم إدراك الشيء على حقيقته وهو نقيض الجهل، والقلم أداة الكتابة والآية لفتت إلى سر القلم من حيث إنه أداة الكتابة التي يدون بها العلم ويحفظ.

٣ـ الله علّم الإنسان ما لم يعلم، فيتسع الإطلاق لكل ما كسب ويكسب الإنسان من علم.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الطغيان تجاوز الحد، والاستغناء ضد الاحتياج.

٢ـ ليس الطغيان عن استغراق في حب المال والجاه، ولكنه وهم الإنسان بالاستغناء عن خالقه وينسى أنّ مصيره إلى خالقه.

٣ ـ الرجع هو العَود والرد، و(الرُّجعى) هي الرجوع على وزن (فعلى) ولم تأت صيغة (الرجعى) إلا في هذه الآية، وتفيد إطلاق الرجوع إلى غايته القصوى.

٤ ـ قدّم ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ للدلالة على القصر والاختصاص، فالرجوع إلى ربك لا إلى غيره.

السؤال الثاني :

ما الكلمة التي وردت في النصف الثاني من القرآن الكريم دون النصف الأول؟ ولماذا؟

الجواب :

هي كلمة: ﴿ كَلَّآ ﴾ وقد وردت ٣٣ مرة كلها في النصف الثاني من القرآن الكريم ولم ترد أبداً في النصف الأول، وهي كلمة ردع وزجر، وقد تكون جواباً من حيث الدلالة.

وإذا نظرنا إلى سياق آيات القرآن الكريم نجد أنّ معظم آيات النصف الأول مدنية تتعلق بالأحكام، أمّا النصف الثاني فمعظم سوره مكية تتعلق بالعقيدة والحساب والبعث؛ لذا فإنّ سياق النصف الأول لا يقتضي الزجر بينما النصف أو الجزء الثاني يقتضي الزجر والردع والأسئلة.

وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾، جاءت كلمة: ﴿كَلَّآ﴾ بمعنى حقاً.

السؤال الثالث:

ما المفردات القرآنية المميزة بخصائصها والشبيهة بكلمة: ﴿كَلَّآ﴾؟

الجواب:

١ـ الكلمة التي وردت في نصف القرآن الثاني ولم ترد أبداً في النصف الأول هي كلمة: ﴿كَلَّآ﴾.

٢ـ الكلمة التي تقسم القرآن إلى قسمين متساويين هي كلمة: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ في الكهف ١٩.

٣ـ سورة المجادلة هي السورة الوحيدة في القرآن التي ورد فيها لفظ الجلالة: ﴿ٱللَّهَ﴾ في كل آياتها.

٤ـ آيات تقرأ من اليمين إلى اليسار وبالعكس: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾.

٥ ـ لفظ الجلالة: ﴿ٱللَّهَ﴾ يتكون من ثلاثة أحرف فقط وهي الألف واللام والهاء، وهذه الأحرف هي التي تتكون منها عبارة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهذه الأحرف لم تتأثر بمرحلة التنقيط في اللغة العربية فبقيت كما هي منذ أيام النبي عليه السلام.

٦ـ كلمة: ﴿أَحَدُ﴾ إذا أضيفت تكون بمعنى واحد، غير أنها تكون بعضاً من المضاف إليه، فأحد القوم واحد منهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾

وتستعمل ﴿أَحَدُ﴾، وصفاً في الإثبات بلا إضافة وتختص بالله وحده: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

وأما الواحد فهو لمفتتح العدد.



﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

١ـ الآيات الخمس الأولى نزلت في أول الوحي ثم نزلت البقية في أبي جهل بن هشام، لكنّ الآيات يمكن أنْ تحمل على عموم لفظها.

٢ـ سياق الآيات أنها نزلت بعد أنْ أبلغ الرسول ﷺ رسالة ربه وجهر بعبادته وصلاته فوُجِه بالتكذيب.

٣ـ تكررت هنا كلمة: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ ثلاث مرات في آيات متتاليات دون أنْ يصرح فيها بالمفعول الثاني للفعل رأى.

ومن دراسة البيان القرآني نجد أنّ هناك أسلوبية لافتة إلى أنّ القرآن قلما يتعلق بذكر المفعول الثاني في الأسلوب الاستفهامي بـ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ خطاباً للمفرد أو ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ خطاباً للجمع، وإنما يستغني عن هذا المفعول بتقريرٍ يلفت إلى موضع العبرة والنذير كما في الآيات:

- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾.

- ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾[الفرقان:٤٣].

- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥﴾[النجم:٣٣-٣٤-٣٥].

ومثلها السؤال التقريري خطاباً للجمع، كما في سورة الواقعة:

- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾[الواقعة:٥٨-٥٩].

- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾[الواقعة:٦٣-٦٤].

فهي إذن ظاهرة أسلوبية يُستغنى فيها عن المفعول به الثاني حين يقترن الفعل (رأى) بهمزة الاستفهام، فلا نشتغل بالتماس هذا المفعول الثاني خضوعاً للصنعة اللغوية، بل أولى منه أن نتدبر سر العبرة والنذير.



﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

البيان يلفتنا إلى التجاوز عن ذكر جواب الشرط لتكون آية: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ هي موضع العبرة والتنبيه.



﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ السفع هو اللطم والجذب بشدة، وسفع بناصيته اجتذبها بعنف قصد الإذلال والعقاب.

٢ـ الناصية قصاصة الشعر في مقدمة الرأس، ويستغنى بالناصية مجازاً عن الوجه.

٣ـ جاء الفعل: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ بصيغة التوكيد مسنداً إلى الله تعالى، وذلك أقصى الترهيب والوعيد.

٤ـ وصف الناصية بكاذبة خاطئة، وقد ثبت علمياً أنّ مكان الناصية في المخ هو مكان اختيار الكذب أو الصدق، فالوصف محسوس.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ ما كلمات منظومة الجر والجذب؟ وكيف يساق الناس يوم القيامة؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

السؤال الثالث:

ما دلالة كتابة كلمة: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ بالألف؟

الجواب:

قواعد رسم المصحف في هذه النقطة هي:

رسم التنوين ألفاً:

التنوين نون ساكنة تحذف في الوقف في حالتي كون الاسم مرفوعاً أو مجروراً، لكنه في حالة النصب يحذف وتخلفه الألف عند الوقف صوتاً وكتابة.

وقد عُلل عدم إثبات التنوين نوناً في الرسم بكونه ليس من أصل الكلمة فحُذف فرقاً بين النون الزائدة والأصلية.

نون التوكيد الخفيفة:

ومما يشبه التنوين نون التوكيد الخفيفة، فإذا كان ما قبلها مفتوحاً أبدلت منها الألف فتكتب في الخط ألفاً؛ لأنها أشبهت التنوين.

وقد جاء من ذلك في المصحف موضعان، وهما:

- ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[يوسف:٣٢].

- ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾[العلق:١٥].

السؤال الرابع :

ما إعراب: ﴿لَنَسْفَعًا﴾؟

الجواب :

اللام جواب القسم. نسفعن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

السؤال الخامس :

لفظة: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ في أول الآية ١٦ بدل من ﴿بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ في الآية ١٥، ما أهم أغراض البدل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية إبراهيم ٢.



﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ النادي: مجتمع القوم، والنداء الصوت الداعي إلى التجمع، والندوة الجماعة، ومنه دار الندوة.

٢ـ الزبانية: في المصطلح الديني هم الملائكة الموكلون بعذاب الخاطئين في جهنم وهم أشداء غلاظ. ومن المادة: زبانيا العقرب، أي قرناها وفيهما السم الزعاف.

٣ـ أبو جهل أحد جبابرة قريش وأكبر المعاندين وأشد من آذوا الرسول في مكة قبل الهجرة كان يقول: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فنزلت هذه الآيات.

ما هذا الإعلان؟ هذا إعلان بالحرب والمواجهة يعلنها النبي عليه الصلاة والسلام على أبي جهل يمرغ ناصيته في التراب يسفّه أحواله ويكذب أقواله، ومحمد ﷺ في نفر قليل من المسلمين يستترون في دار الأرقم بن الأرقم خوفاً على أنفسهم من أذى الكفار.

كيف يجرؤ الرسول على هذه المواجهة؟ إنها تبعات الدعوة إلى دين الله وإنه القرآن ينزل به الوحي من السماء ويحققه النبي سلوكاً وعملاً في الأرض، ولو كان الأمر في غير ذلك لما استطاع النبي في تلك المرحلة من الدعوة على الأقل أنْ يواجه زعماء قريش بهذه الصورة من الشدة والصمود.

انظر إلى أبي جهل يمر بمحمد ﷺ قائماً يصلي عند المقام فيقول له: يا محمد: ألم أنهك عن هذا؟ فتهدده رسولُ الله ﷺ وتوعده فقال: يا محمد: بأي شيء تهددني؟ أمّا والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فنزل قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ثم يأمر الله تعالى نبيه أنْ يمضي بدعوته ويطمئنه على حمايته فيقول له: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ وأساس العبادة الطاعة والسجود والاقتراب، وأقرب ما يكون العبد من ربه ساجداً.

وهكذا يأخذ الاقتراب من الله مكانه ختاماً للسورة وليس بعد القرب من الخالق غايةٌ يطمح إليها العابد الساجد. والله أعلم.

سورة القدر

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة العلق ومفتتح سورة القدر :

قال في آخر سورة العلق: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾

وذكر بعدها ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١)﴾ وهي ليلة السجود والاقتراب، وفيها فرضت الصلاة، وهي الليلة التي ينبغي أن يحييها المسلم بالسجود والاقتراب.

جاء في (البحر المحيط): ((لمّا قال ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١)﴾. والضمير عائد على ما دل عليه المعنى وهو ضمير القرآن)).

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)﴾

السؤال الأول :

ما موقع سورة القدر بين السور السابقة واللاحقة في القرآن الكريم؟

الجواب :

سورة القدر سُبقت بسورة العلق وبعدها سورة البينة. آخر سورة العلق قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾ وتأتي بعدها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾ وهذه الليلة هي ليلة السجود والاقتراب. إذن هي مناسبة واضحة ظاهرة مع آخر آية من السورة التي قبلها.

كما أنّ سورة العلق تبدأ بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ وهو يقرأ ما أُنزل في ليلة القدر، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه في ليلة القدر فهي مناسبة ظاهرة مع ما قبلها في بدايتها وفي نهايتها.

وكذلك السورة التي بعدها وهي سورة البينة بيّنت الضمائر التي في سورة القدر قبلها، وهو تناسب جميل حتى في الاسم، البينة بيّنت هذه الضمائر.

بهذا نعرف موقع السورة في السياق العام لترتيب السورة في القرآن الكريم، وهذا يدل على أنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً، وقسم قالوا: القرآن كله كالآية الواحدة يفسر بعضه بعضاً، وقال الرازي: هو كالكلمة الواحدة من شدة الارتباط ولا يمكن فصل كلمة عن كلمة ولا سورة عن سورة.

السؤال الثاني :

هل من لطائف عددية في السورة؟

الجواب :

١ـ عدد كلمات السورة (٣٠) كلمة بعدد أيام الشهر.

٢ـ كلمة (هي) ترتيبها في السورة (٢٧)، فقالوا: لعلّها أرجى ليلة.

٣ـ عدد حروف ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ تسعة أحرف وقد تكررت ثلاث مرات أي المجموع (٢٧) حرفاً، قالوا: لعلها أرجى ليلة هي ليلة الـــ (٢٧).

٤ـ سورة القدر مكونة من (٥) آيات بعدد الليالي المفردة التي يُرتجى فيها ليلة القدر، وهي خمس ليالي: [٢١ـ٢٣ـ٢٥ـ٢٧ـ٢٩].

السؤال الثالث :

ما دلالة الآية الأولى:

الجواب :

١ـ نلاحظ في هذه الآية قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ذكر ضمير المنزِل ﴿إِنَّآ﴾ و﴿أَنزَلْنَا﴾ وضمير المنزَل الهاء في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ الذي هو القرآن ولم يصرح لا بالمنزِل ولا بالمنزَل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

وفي آية البينة بيّن هذا الضمير ضمير المنزِل ووضح المنزَل عليه فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ الصحف المطهرة هي القرآن فوضّح المنزَل عليه ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وذكر المنزِل وبيّنه بعد أنْ كان ضميراً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والصحف المطهرة أي القرآن، الهاء في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

إذن سورة البينة بيّنت الضمائر التي في سورة القدر قبلها وهو تناسب جميل حتى في الاسم (البينة)، حيث بيّنت هذه الضمائر، فإذن مناسبتها لما بعدها وما قبلها ظاهرة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ بضمير التعظيم المؤكد وذكر الهاء ،ولم يذكر لا المعظِم صراحة ولم يصرِّح بالهاء، فلم يقل:(القرآن)؛ وذلك لنباهته وأنه معلوم معروف ولعلوه.

وأحياناً عندما يكون الأمر من الظهور بمكان لا يحتاج إلى أنْ يذكر وهذا يدل على شدة وضوحه وظهوره، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ظهر ماذا؟ الأرض، لم يذكرها لوضوحها.

وكذلك الأمر قي سورة القدر، لم يذكر القرآن لشدة الظهور والوضوح وأنه عظيم بيّن لا يحتاج إلى ذكر، فهذا دلالة على عظمته بظهوره ووضوحه فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

٣ـ ومن عادة القرآن أنه إذا ذكر ضمير التعظيم لا بدّ أن يذكر قبله أو بعده ما يدل على أنه واحد، فقال: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ حتى لا يكون في النفس شائبة شرك، ولا تجد في القرآن الكريم مطلقاً ضمير التعظيم إلا إذا كان قبله أو بعده ما يدل على أنه واحد.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ ما المقصود بالقدر؟ أو ليلة القدر؟

كلمة (القدر) لها دلالتان:

أ ـ (القدر) مصدر كما في الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي مكانته، ومن أشهر معانيها الشرف والمكانة، يقال: هوكبير القدر والمكانة والمنزلة.

و(ليلة القدر) أي ليلة الشرف، وفرق بين أنْ تقول: (هي ذات قدر)، أو أنْ تقول: هي (القدر نفسه)، أو تقول: (هي شريفة) أو (هي الشرف نفسه)، إذن هي ليلة القدر. والليلة تبدأ من المغرب حتى طلوع الفجر.

ب ـ و(قدّر) أي التقديرات التي يقدّرها ربنا في العام كله، وهي التقديرات التي يقدِّرها ربنا في هذه الليلة، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾

إذن هي ليلة الشرف والمكانة وليلة تقديرات ما يحصل في العام كله، إذن هي ليلة عظيمة.

إذن جاء بكلمة تدل على المعنيين، وهما مرادان، هي ليلة الشرف ومن شرفها وعظمتها وجليل قدرها أنها يفرق فيها كل أمر حكيم. ولو قال: (ليلة الشرف أو المكانة أو المنزلة) لما دلت على هذين المعنيين. وإنما قال: (ليلة القدر) ليجمع هذين المعنيين الشريفين العظيمين.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾؟ ما معنى (ما أدراك)؟

الجواب :

(ما أدراك) يعني ما أعلمك وتقال في الأمور العظيمة، أوفي الأمر الذي يراد به التفخيم والتعظيم تحديداً يقال: (ما أدراك) وليس على أمر سهل هين.

وهذا يعني أنك لم تبلغ دراية علمك بهذا الأمر، لم تعلم علو قدرها ولم تعلم علو مكانتها، والعلم بها خارج عن علوم الناس وعن دائرة معارف الناس.

وكل (ما أدراك) فيه تفخيم وتعظيم بمعنى (ما أعلمك) على سبيل الاستفهام وهو من باب التعظيم سواء في العذاب أو العقاب يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾

السؤال الخامس :

القرآن يستخدم المضارع ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾، فلماذا هنا استخدم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾؟

الجواب :

١ـ كل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ يجيب عنه، وكل ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ لا يجيب عنه، وهذه قاعدة في القرآن كله ذكرها القدامى.

* شواهد قرآنية:

ـ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ . ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾ .

أمّا ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤﴾ فلم يجب.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾ الشورى، فلم يجب أيضاً.

في كل(ما يدريك) لم يجب، وفي كل (ما أدراك) أجاب، وفي ذلك دلالة على أنه تعبير مقصود وقوانين موضوعة في القرآن الكريم في التعبير.

(أدراك) فعل ماض و(يدريك) فعل مضارع، أجاب عن الماضي ولم يجب عن المضارع الذي يكون للاستقبال أو الامتداد.

وقد تكرر التعبير (وما أدراك) ١٢ مرة في القرآن، وكلها في الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم أولها في سورة الحاقة وآخرها في سورة الهمزة، وتكرر التعبير (وما يدريك) ٣ مرات [الأحزاب ٦٣ـ الشورى ١٧ ـ عبس ٣].

والله أعلم.

السؤال السادس :

لم كرّر (ليلة القدر)؟

الجواب :

١ـ لدينا قاعدة، وهي أنّ الاسم الظاهر أقوى وآكد من الضمير. ونلاحظ أنّ التكرار بـ (الاسم) يفيد التوكيد والتعظيم أكثر من التكرار بـ (الضمير).

* شواهد قرآنية:

أ ـ في سورة القارعة: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ ما قال: (ما أدراك ما الهاوية) فقد ذكر الضمير وأجاب عنه ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

ب ـ في سورة الهمزة لمّا ذكر الحطمة قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ وأضاف إليه ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾.

قال: (وما أدراك ما الحطمة)، ولم يقل : (وما أدراك ما هي) فلمّا جاء بالضميرفي سورة القارعة اختزل في الكلام، ولمّا ذكر الاسم الظاهرفي سورة الهمزة فخّم وعظّم وجاء بما هو أبلغ.

٢ـ في سورة القدر قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ كرّر (ليلة القدر) مرتين إضافة إلى المرة الأولى، وذكر فضلها.

وقد يكرر القرآن التعبير مرتين، كما في الآيات:

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ كرر مرتين.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ كرر مرتين.

بينما قال في سورة القدر: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ فكرّر التعبير (ليلة القدر) ثلاث مرات للزيادة في تفخيمها وتعظيمها؛ لأنّ الله سبحانه أُنزل فيها كلامه تعالى، وهو أعلى من كل شيء.

وهذة إشارة إلى عظمها وعلو مكانتها عند الله سبحانه وتعالى.

السؤال السابع :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾؟

الجواب :

١ـ (ألف شهر) المراد على الحقيقة أكثر من ٨٣ عاماً. أي ليلة واحدة الطاعة فيها خير من ألف شهر، خير من أكثر من ٨٣ عاماً، وليس مثلها. وهذا يدل على تعظيمها.

وذكر تعالى في موضع آخر أعداداً أخرى نحو: (خمسة آلاف)، وفي موطن آخر قال: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصافات:١٤٧] لكنه في سورة القدر (ألف شهر). والله أعلم.

السؤال الثامن :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾.

الجواب :

١ـ قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وليس تتنزل، بينما جاءت في آية أخرى ﴿تَتَنَزَّلُ ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فُصِّلَت:٣٠].

هذا الذكر والحذف وفق قانون تعبيري في القرآن الكريم، وهو أنه يقتطع من الفعل إذا كان الحدث أقل، وإذا كان الحدث أطول يعطي الفعل درجته كاملة.

* شواهد قرآنية:

أـ هنا في سورة القدر الملائكة تنزل ليلة واحدة في العام، بينما قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الملائكة تتنزل عند الموت وعند الاحتضار في كل لحظة على مدار السنة، أمّا ليلة القدر فهي ليلة واحدة. إذن (تتنزل) أكثر من (تنزل).

ب ـ قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[الشورى:١٣].

وقوله في سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

قال في الأولى (تتفرقوا)، وقال في الثانية: (تفرقوا).

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣.

ج ـ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[النساء:٩٧]. قال: (توفاهم).

وقوله في سورة النحل: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[النحل:٢٨]. قال: (تتوفاهم).

انظر الجواب في آية النساء ٩٧.

د ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾[الكهف:٩٧] يتكلم عن الحدث أيهما الأطول؟ الظهور أو النقب؟ الحدث الأقل حذف منه.

هـ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾[الأحزاب:٥٢] وقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾ [النساء:٢] نفس الدلالة، لكنّ الحدث أقل، الأولى حكم خاص بالرسول عليه السلام وينتهي في وقته وهذا حكم خاص بفرد وهو الحبيب المصطفى، أمّا يتامى الناس فهناك كثير، ويمتد هذا الحكم إلى يوم القيامة.

واللغة العربية تجيز الحذف للتخفيف، والفعل المضارع الذي يبدأ بتاءين لك أن تحذف إحداهما.

٢ـ الروح: قالوا على الأرجح: جبريل عليه السلام. و﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر.

٣ـ ما معنى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾؟ قيل: الملائكة يشتاقون لرؤية المؤمنين في الأرض فيستأذنون ربهم في هذه الليلة ليسلموا على المؤمنين، يستأذنونه فيأذن لهم.

ما أعظم هذه الليلة؟ يستأذنون ربهم لزيارة أهل الأرض والسلام على المؤمنين، فيأذن لهم فيتنزّلون ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾.

السؤال التاسع :

ما دلالة الآية: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ ؟

الجواب :

١ـ (السلام) فيها رأيان: الأول التحية (السلام عليكم)، والثاني: الأمان والسلامة.

٢ـ قدّم السلام، لو قال: (هي سلام) سيكون أمراً واحداً. لكن هل كلمة (سلام) تتعلق بالأمر أو تتعلق بالليلة؟ المعنيان مرادان:

أ ـ هل (هي سلام من كل أمر)؟ قالوا: نعم؛ لأنّ الله تعالى لا يقدّر في هذه الليلة إلا الخير، وفي الليالي الأخرى يقدر الشر وما إلى ذلك مما يصيب الإنسان. إذن أصبحت(سلام من كل أمر).

ب ـ هل سلام هي حتى مطلع الفجر؟ أم هي حتى مطلع الفجر؟

الآية تحتملها كلها. (سلام من كل أمر) أو (من كل أمر سلام) و(سلام هي حتى مطلع الفجر) و(هي حتى مطلع الفجر) الآيات تحتمل كل هذه المعاني.

٣ـ ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ قالوا معناها: من أجل كل أمر؛ لأنّ ﴿مِّن﴾ تفيد التعليل أحياناً، كما في قوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾[نوح:٢٥] (من) هنا تعليلية أي من أجل كل أمر.

٤ـ ثم ما قال: (حتى آخرها)، وإنما قال: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ والفجر ليس من الليل والفجر بداية الصبح. الحرف (حتى) بمعنى الغاية هنا أي لغاية مطلع الفجر، إذن لم يبق شيء من الليل، فقوله: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ يعني استغرق الليل كله ولم يبق فيه لحظة واحدة.

٥ـ ثم نلاحظ قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ تعبير مجازي أصلاً ﴿هِيَ﴾ للزمن (الليلة) وسلام (حدث) والمبتدأ والخبر يجب أنْ يكونا من جنس واحد، وهذه مبالغة، يعني هذه الليلة كلها تحولت إلى سلام، ليس فيها سلام ولا سلام فيها، وإنما (سلام هي)، هذا إخبار بالحدث ﴿سَلَٰمٌ﴾ عن الزمن (الذي هو الليلة).

السؤال العاشر :

ما أهم الدلالات البيانية في السورة؟

الجواب :

نلاحظ في هذه السورة على قصرها جمع تعظيمات أكثر من[١٢] تعظيماً:

ـ العظمة في ﴿إِنَّآ﴾ وأكّد فيها و﴿أَنزَلۡنَا﴾.

ـ ذكر الضمير في أنزلناه لم يذكر الظاهر لنباهته.

ـ تعظيم الليلة التي أنزل فيها ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾.

ـ وسماها ليلة القدر، وما قال: ليلة شريفة، فجمع فيها ليلة الشرف وما يقدر فيها من الأمور.

ـ قال: ما أدراك، وما قال: ما هي، وإنما قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾. ثم كرر ليلة القدر

ـ وقال: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ ما قال (هي خير من ألف شهر).

ـ ذكر تنزل الملائكة.

ـ ليس الملائكة فقط وإنما الملائكة والروح.

ـ وذلك أيضاً (بإذن ربهم) أي استأذنوا ربهم.

ـ ذكر (من كل أمر) وليس من أمر واحد.

ـ ذكر (سلام هي) فجعلها كلها سلاماً. وقدّم لفظة (سلام)

ـ ليلة القدرحتى مطلع الفجر.

فكلها تعظيمات، وهي تستحق ذلك.

السؤال الحادي عشر :

ما دلالة اجتماع (الروح والملائكة) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ في القرآن الكريم وعند اجتماع (الروح والملائكة) في نفس الآية أحياناً يقدّم الملائكة على الروح، كما في آيات [المعارج ٤ـ والقدر ٤] وأحياناً يقدم الروح على الملائكة كما في آية النبأ ٣٨.

٢ـ والخط العام أنه يقدّم الملائكة في الحركة، كما في آيات المعارج والقدر: ﴿تَعْرُجُ﴾، ﴿تَنَزَّلُ﴾.

٣ـ بينما إذا كانت الحركة قليلة يقدم الروح، كما في آية النبأ ٣٨ فقد قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ وهودلالة على قلة الحركة آنذاك، و قال: ﴿يَقُومُ﴾ وهي أقل حركة من العروج والنزول.

٤ـ الروح: هو جبريل عليه السلام أو خلق من خلق الله. والله أعلم.



سورة البينة

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة القدر ومفتتح سورة البينة:

ذكر في سورة القدر إنزال القرآن بذكر ضميره: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [القدر:١] ولم يذكره تصريحا.

وبيّن ما أنزله في سورة البينة فقال:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾ [البيِّنة:٢-٣].

جاء في (روح المعاني): ((وجه مناسبتها لما قبلها أنّ قوله تعالى فيها (لم يكن الذين. الخ) كالتعليل لإنزال القرآن، كأنه قيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفاً مطهرة، وهي ذلك المنزل)).

والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ①﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

مقدمة:

كان الكفار وهم (اليهود والنصارى) وعبدة الأوثان يقولون قبل بعثة النبي ﷺ: لا نفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يُبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه، أي أنهم كانوا يعدّون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول، فلمّا جاء الرسول عليه السلام تفرقوا فيه.

ونظيره إذا قال الفاسق الفقير لمن يعظه: لست أمتنع عن الأفعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى، فلمّا رزقه الله الغنى ازداد فسقاً، فيقول واعظه موبخاً ومؤنباً: لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر، وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار.

١ـ كلمة: ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ليست للتبعيض وإنما للتبيين. كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠].

٢ـ أنّ الذين كفروا بمحمد عليه السلام بعضهم من أهل الكتاب وبعضهم من المشركين، فناسب إدخال كلمة (من) لهذا السبب.

٣ـ قوله: ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هو وصف أيضاً لأهل الكتاب؛ لأنّ النصارى مثلثة واليهود مشبهة، وهذا كله شرك.

٤ـ قدّم أهل الكتاب على المشركين لأنهم علماء بالكتب، وكانت قدرتهم على معرفة صدق محمد أتم ويقتدى بهم، فكان إصرارهم على الكفر أقبح وكان كفرهم أصلاً لكفر غيرهم؛ فلهذا قُدموا في الذكر.

٥ـ قوله: ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولم يقل اليهود والنصارى؛ لأنّ كلمة (أهل الكتاب) تدل على كونهم علماء، وهذا يقتضي مزيد قبحٍ في كفرهم، فذكروا بهذا الوصف تنبيهاً على تلك الزيادة من العقاب.

٦ـ البيّنة: هي الرسول محمد عليه السلام وهو بينة في ذاته وأخلاقه ومعجزاته. وأل في قوله: ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ للتعريف، أي هو الذي سبق ذكره في التوراة والإنجيل، وقيل هي القرآن.



﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ الصحف: جمع صحيفة، وهي ظرف للمكتوب. و ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ عن الباطل وعن الذكر القبيح ولا يمسها إلا المطهرون.

٢ـ قوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي آيات أو أحكام مستقيمة تبين الحق.

٣ـ نُسبت تلاوة الصحف المطهرة إلى الرسول مع أنه كان أمياً؛ لأنه كان يتلوه عن ظهر قلبه، ولأنه هو المنقول عنه بالتواتر.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر الله تعالى أهل الكتاب والمشركين في أول السورة وههنا ذكر أهل الكتاب فقط، فما السبب؟

والجواب:

أنّ المشركين لم يُقَروا على دينهم، فمن آمن فهو المراد، ومن لم يُؤمن قُتل، بخلاف أهل الكتاب الذين يُقَرون على دينهم ببذل الجزية.

ـ٢ـ تأتي كلمة ﴿أُوتُوا۟﴾ في سياق الذم لأهل الكتاب؛ لأنهم كانوا عالمين بنبوة محمد عليه السلام بسبب أنهم وجدوها في كتبهم، ومع ذلك تفرقوا عنه ولم يؤمنوا، فالخير والتوفيق مضاف إلى الله، والشر والتفرق والكفر مضاف إليهم.



﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿أُمِرُوٓاْ﴾ بصيغة المبني للمجهول، فلم يصرح بالأمر حتى يشعر الإنسان أنّ عقله يأمره بعبادة الله حتى لا يشعر بثقل التكاليف.

٢ـ اللام في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ في موضع (أنْ) في الأمر كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء:٢٦] وقوله: ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ﴾ [الأنعام:٧١].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يدل على أنّ العبادة ما وجبت لكونها مفضية إلى ثواب الجنة أو إلى البعد عن عقاب النار، بل لأجل أنك عبد لله وهو رب.

٤ـ العبادة هي التذلل، وفي الشرع صارت اسماً لكل طاعة لله أُديت على وجه التذلل والنهاية في التعظيم.

٥ـ لا بدّ من الإخلاص، وإلا فلا قبول. وكأنّ الله يقول لنا: عبدي لا تسع في إكثار الطاعة بل في إخلاصها. ونصب ﴿مُخۡلِصِينَ﴾ على الحال.

٦ـ قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي مستقيمين، والحنف هو الاستقامة، وإنما سمي مائل القدم أحنف على سبيل التفاؤل، كقولنا للصحراء مفازة.

٧ـ أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لأهميتها. ومجموع العبادة لله والإخلاص والاستقامة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين القيمة.

السؤال الثاني:

لماذا اختلفت صيغة ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ عن صيغة ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾؟

الجواب:

١ـ في صيغة ﴿ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ قدّم الجار والمجرور؛ ليفيد الحصر والقصر فقصرت إخلاص الدين على الله تعالى دون غيره.

٢ـ وردت صيغة ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ في القرآن الكريم في ١١ موضعاً، وهي:

[الأعراف ٢٩ـ يونس ٢٢ـ النحل ٥٢ـ العنكبوت ٦٥ـ لقمان ٣٢ـ الزمر ٢ـ٣ـ١١. غافر ١٤ـ٦٥ـ البينة ٥].

٣ـ بينما وردت صيغة ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ في موضع واحد في آية النساء ١٤٦ ضمن الآيات التي تتحدث عن المنافقين في تسع آيات، وهي: (١٣٨ـ١٤٦) ابتداء من قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾.

فلمّا كان الكلام عن معتقد المنافقين قدّم ما يتعلق بهم فقال: ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ أمّا في باقي الآيات فالكلام فيها عن الله سبحانه وتعالى فقدّم ضميره وما يتعلق به فقال: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾.

لمزيد من التفصيل، انظر الجواب في آية النساء ١٤٦ والله أعلم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قدّم أهل الكتاب على المشركين في الذكر؛ لأنّ جناية أهل الكتاب بحق الرسول عليه السلام أعظم، فقد كانوا يستفتحون برسالته ويقرون بمبعثه، فلما جاءهم أنكروه مع العلم به فكانت جنايتهم أشد. بينما المشركون رأوه صغيراً ونشأ فيهم ثم سفه أحلامهم وأبطل أديانهم.

٢ـ جاءت لفظة: ﴿كَفَرُواْ﴾ بلفظ الفعل: ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ باسم الفاعل، فلماذا؟

الجواب:

إنّ أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر؛ لأنهم مصدقون بالتوراة والإنجيل ومقرون بمبعث الرسول عليه السلام، ثم إنهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلام، بخلاف المشركين فإنهم ولدوا على عبادة الأصنام وإنكار الحشر والقيامة.

٣ـ لم يقل هنا: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ وقال في صفة أهل الثواب: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ وذلك للتنبيه على أنّ رحمته أزيد من غضبه، ولتحبيب الخلق به سبحانه وترغيبهم في الإيمان.

٤ـ قوله تعالى عنهم: ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ أي هم دون غيرهم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الإنس والإنسان والناس والأنام والبرية والبشر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٣.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الوجه في حسن تقديم الوعيد على الوعد، أنّ الوعيد كالدواء والوعد كالغذاء، ويجب تقديم الدواء للجسم المريض حتى إذا صار البدن نقياً انتفع بالغذاء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ إشارة إلى أنهم فعلوا الإيمان مرة وأقاموا سوق الإسلام حال كساده وبذلوا الأموال والمهج لأجله.

٣ـ قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ من مقابلة الجمع بالجمع، فلا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ، فحظ الغني الإعطاء وحظ الفقير الأخذ.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ
ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الجزاء: اسم لما يقع به الكفاية. والآية تفيد أنّ الله تعالى يعطيه الجزاء الوافر من غير نقص، وأضاف الجزاء إليهم فقال: ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ تكريماً لهم.

٢ـ قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يفيد أنه وديعة لهم عند الله، وفيه بشارة عظيمة للمؤمن؛ لأنّ الله لا تضيع الودائع عنده وهو قادر على ردها.

٣ ـ قوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ﴾ قابل الجمع بالجمع، وهذا يقتضي مقابلة الفرد بالفرد. أي أنّ لكل مكلف جنة أدناها مثل الدنيا عشر مرات كما روي مرفوعاً، ويحتمل أنْ يكون لكل مكلف جنات.

٤ـ قوله: ﴿عَدْنٍ﴾ يفيد الإقامة لا يخرجون منها.

٥ـ قوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الجريان ألطف من الركود، وأنهار الجنة تبدأ بالجريان من تحتهم، فكأنهم في أماكن الينابيع.

٦ ـ روي أنه عليه السلام قال: إنّ الخلود في الجنة خير من الجنة ورضا الله خير من الجنة.

٧ـ قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بدأ بالجنة وجعل المنتهى هو رضا الله.

وقدّم رضا الله عنهم على ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ لأنّ الأزلي هو المؤثر في المحدث، والمحدث لا يؤثر في الأزلي.

٨ـ قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بلفظ الجلالة: ولم يقل: (رضي الرب عنهم) لأنّ اسم الجلالة أشد الأسماء هيبة، ولأنّ المربي قد يكتفي بالقليل.

أمّا لفظ الله فيفيد غاية الجلالة والهيبة. لذلك قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ يفيد تطرية فعل العبد.

وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ معناه رضي الله عن أعمالهم، وقوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ معناه رضوا بما جازاهم من النعيم والثواب.

٩ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ يفيد التالي:

أ ـ الخوف في الطاعة حالٌ حسنة.

ب ـ تدل على فضل العلم والعلماء؛ لأنهم يخشون الله تعالى، والخشية أشد من الخوف.

ج ـ قال عليه السلام: (أعرفكم بالله أخوفكم من الله وأنا أخوفكم منه).

السؤال الثاني :

ما دلالة الظرف ﴿أَبَدٗاۖ﴾ في الآية؟ ولماذا وردت في الآية الثامنة دون الآية السادسة؟

الجواب:

﴿أَبَدًا﴾: ظرف يستعمل للمستقبل فقط، ولا يستعمل للماضي، فلا يقال: ما رأيته أبداً، ولكن تقول: ما رأيته قط، ولن أكلمه أبداً.

١ ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم عند الحديث عن أهل الجنة أو أهل النار، أو في مقام الإحسان وفي الثواب أو الشدة أوفي العقاب، أنه في مقام التفصيل للجزاء سواء في العقاب أو الثواب يذكر كلمة(أبداً)، وفي مقام الإيجاز لا يذكرها.

٢ ـ كلمة ﴿أَبَدًا﴾ ليس لها علاقة بالخلود الدائم.

*شواهد قرآنية:

ـ في آية النساء ٥٧ ـ فيها تفصيل للجزاء، فذكر فيها: ﴿أَبَدًا﴾.

ـ في آية النساء ١٣ ـ ليس فيها تفصيل، فلم يذكر فيها: ﴿أَبَدًا﴾.

ـ في آية البينة ٦ ـ لم يفصل في عقاب الكافرين، فلم يذكر: ﴿أَبَدًا﴾.

ـ في آية البينة ٨ ـ فصّل الجزاء مع المؤمنين فذكر فيها: ﴿أَبَدًا﴾.

فالتفصيل زيادة في الجزاء فيتسع لقوله: ﴿أَبَدًا﴾ فيضيف إكراماً إلى ما هم فيه من إكرام وكذلك العذاب.

٣ ـ وكذلك تأتي (أبداً) مع العذاب إذا كان الذنب فاضحاً بشكل كبير، أو عمل الطاعة له ثواب كبير أيضاً، أي أنّ كلمة (أبداً) تأتي مع الذنب المميز أو الطاعة المميزة.

وقد وردت كلمة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ في أهل الجنة ٨ مرات في القرآن الكريم ووردت في أهل النار ٣ مرات، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى؛ لأنّ رحمته سبقت غضبه.

والخلود عند العرب يعني المكث الطويل، وليس بالضروري المكث الأبدي، وتأتي كلمة أبداً لتأكيد هذه المدة الطويلة.



سورة الزلزلة

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة البينة ومفتتح سورة الزلزلة :

ذكر سبحانه في خاتمة البينة جزاء الكافرين والمؤمنين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة: ٦ – ٨].

وذكر في أول سورة الزلزلة ما يحدث من أهوال القيامة، وهو قوله:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ وهو وقت الجزاء المذكور في البينة.

جاء في (البحر المحيط): ((لمّا ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار وجزاء المؤمنين فكأن قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾)).

والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

مقدمة:

هي سورة مدنية مبكرة، سادسة السور المدنية على المشهور في ترتيب النزول. آياتها قصار وألفاظها بالغة الإثارة قوية الوقع بعنفها وبدقتها كمثقال ذرة.

وظاهرة بيانية في آيات أحداث اليوم الآخر، وهي أنّ القرآن الكريم يصرف الحدث عمداً عن محدثه فلا يسنده إليه، وإنما يأتي به مبنياً للمجهول.



﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ إذا: تستعمل في القرآن الكريم للأمور المقطوع والمتيقن بها على عكس(إنْ) وفيها بغتة المفاجأة وتأكيد الحدث وصرف الذهن إليه.

٢ـ الفعل: ﴿زُلْزِلَتِ﴾ بصيغة الماضي؛ لأنه حادث فعلاً فصُرف إلى الماضي.

٣ـ في قوله: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بالإضافة، أي المكتوب عليها أو الاستغراق ومعناه: زلزالها الشديد كله الذي ليس بعده زلزال.

٤ـ الأرض تتزلزل في النفخة الأولى، ثم تتزلزل في النفخة الثانية فتخرج موتاها وهي الأثقال.

السؤال الثاني :

لماذا قدّم الاسم على فعل الشرط في آية الانشقاق ١، والانفطار ١، ولم يقدمه في آية الزلزلة ١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الانفطار ١.



﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ تخرج الأرض ما في جوفها بلهفة ذي الحمل الثقيل للتخلي عنه لثقله قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [الانشقاق:٤].

٢ـ السؤال فيه معنى الدهشة والخوف والقلق مما يحدث، فيسأل الإنسان في تعجب: ما لها تتزلزل هكذا.؟ !



﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ أي أنه في ذاك اليوم تحدّث الأرض أخبارها، وهو حديث وكلام على الحقيقة فتشهد بما عُمل عليها من صالح أو فاسد. قال ﷺ: **(أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: إنّ أخبارها أنْ تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ـ تقول عمل كذا يوم كذا فهذه أخبارها)** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

٢ـ لم يقل: (أوحى إليها) بل: ﴿أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ لأنه مع بناء ﴿زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ للمجهول ومع قوة الفاعلية من إسناد الإخراج والتحدث والزلزلة لا وجه لتقدير وساطة الملائكة لإبطال الإيحاء إلى الأرض، فالبيان يصور هول الموقف الذي يدهش له الإنسان، فكأنّ الإيحاء مباشرة للأرض ليلائم إسناد التحدث إلى الأرض، ومن هنا كان إيثار التعدية باللام لما في اللام من اختصاص وإلصاق وتقوية الاتصال.



﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ استعمل كلمة: ﴿يَصۡدُرُ﴾ وهي من الصدر مقابل الوِرد: ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ فالصدر يكون عن الماء كما في آية القصص، وعن الحياة الدنيا كما في آية الزلزلة، ولم يستعمل القرآن (يصدر) إلا في هاتين الآيتين.

٢ـ كلمة: ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ أي متفرقين، وهذا أدعى للحيرة والخوف والرهبة إذ مع الجماعة يكون الأُنس وخاصة في موقف الهول الأكبر.

٣ـ الفعل: ﴿لِّيُرَوۡاْ﴾ مبني للمجهول، وهي الظاهرة المسيطرة على السياق لتركز الانتباه في الموقف وهم مَقُودون إلى الحشر.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ المثقال ما يوزن به، و(مثقال ذرة): للدلالة على التناهي في الضآلة والخِفة في الوزن والصغر في الحجم.

وقد وردت كلمة: ﴿مِثْقَالَ﴾ في ثمانية مواضع أضيفت في اثنتين منها إلى حبة الخردل [الأنبياء ٤٧ ـ لقمان ١٦] والباقي أُضيفت إلى الذرة [يونس ٦١ ـ سبأ٣ـ النساء٤٠ ـ سبأ ٢٢ ـ آيتي الزلزلة].

٢ـ ذكر العلماء أنّ في الآية إشكالاً، وهو أنّ حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة، إمّا ابتداءً وإمّا بسبب اجتناب الكبائر لذلك ما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر؟

والجواب أنّ نص الآيتين يغنينا عن التكلف والتأول ويريحنا من التخصيص والتعميم، فالذي يعمل مثقال ذرة خيراً أو شراً يره. ولم يقل سبحانه: (يُجز به أو يحاسب عليه). ففي الآيتين شاهد على أنّ الموقف متعلق برؤية الإنسان عمله مُحْضَراً في دقه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩].

ثم يكون الحساب والجزاء بعد ذلك بعدل الله وفضله ورحمته سبحانه وعندها: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩].

سورة العاديات

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الزلزلة ومفتتح سورة العاديات :

ذكر سبحانه في سورة الزلزلة حال الإنسان في الآخرة:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [الزلزلة: ٦].

وذكر في العاديات حال الإنسان في الدنيا: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [العاديات: ٦ - ٧].

وختمها باليوم الآخر: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات:٩]

وذكر في (روح المعاني) أنّ قوله في الزلزلة: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ [الزلزلة:٢]

يناسب قوله في العاديات: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات:٩].

والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

مقدمة:

السورة مكية، والمشهور أنها الرابعة عشرة في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة العصر وموضوعها اليوم الآخر.

وتبدأ الصورة بشكل عنيف بعد واو القسم، لتمثل غارة عنيفة مفاجئة تباغت القوم صبحاً، فلا ينتبهون إليها إلا وقد توسطت جمعهم وسط عاصفة من النقع المثار.

وفي هذا تمثيل لواقع حتمي مفاجىء، وهو يوم البعث الذي سيأتي على غير موعد، فإذا الناس في حيرة وارتباك قد لفظتهم القبور لليوم الآخر كالفراش المبثوث، أمامهم أعمالهم قد حُصلت من صدورهم لم تفلت منها خافية.



﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ واوالقسم يقصد بها التعظيم. والعاديات هي الخيل، وخاصة خيل الغزاة لبيان فنونهم ومقدرتهم. وقد أقسم الله بها لما لها من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب.

ولفظ (العاديات) لم يأت في القرآن بهذه الصيغة إلا هنا، والعَدْو هو البعد والتجاوز، ومنه العدوة للمكان المتباعد، والعَدو: الوثب، واستعمال العَدو في الجري الشديد مألوف، والعداوة فيها معنى التباعد والجفاء والعدوان فيه معنى تجاوز الحق والبعد عنه.

٢ـ (الضبح) هو أصوات أنفاس الخيل إذا عدت و﴿ضَبْحًا﴾ منصوبة على الحال، أو مصدر بتقدير: والخيل تضبح ضبحاً.

٣ـ خصصت الإغارة بوقت الصبح حيث العدو في نومه وغفلته، وذلك يدل على المفاجأة.

٤ـ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: تم العطف بالفاء للتعقيب دون تمهل ما بين عدوها ضبحاً وإغارتها صبحاً. والقدح هو قدح الشرر ولا يكون إلا لسنابك الخيل.



﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ جاءت الفاء للتعقيب والترتيب. والفعل (أثرن) معطوف على الفعل الذي وُضع اسم الفاعل موضعه: أي اللاتي عدون فأورين فأثرن.

٢ـ الضمير (به) يعود على المفهوم للآيات، أي فأثرن بالإغارة الغبار.

٣ـ النقع: مأخوذ من نقع الصوت إذا ارتفع.

٤ـ ﴿فَوَسَطْنَ﴾ الفاء ملائمة لجو الموقف من المباغتة والسرعة، فمراحل الإغارة تتم في تدافع لا تراخي فيه.

٥ـ ﴿جَمْعًا﴾ توحي بكل دلالات الحشد ومظنة القوة الذي اقتحمته العاديات في إغارتها المصبحة وسط النقع المثار.

هنا بلغ المشهد ذروته ثم يُترك للتصور أنّ يذهب كل مذهب بعد هذا الاقتحام المفاجىء من تشتت وارتباك واستسلام للمصير المحتوم.

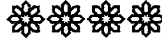
السؤال الثاني :

ما دلالة عطف الآية الرابعة على الآية الثالثة؟

الجواب :

قد يعطف الاسم المشبه بالفعل كاسم الفاعل على الفعل وبالعكس كما في الآيات [الملك ١٩ ـ الأنعام ٩٥] حيث عطف اسم الفاعل (مخرج) على الفعل (يخرج)، وكذلك العاديات[٣ـ٤].

لمزيد من المعلومات انظر آية البقرة ٩٨.



﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الكنود: كلمة وحيدة في القرآن صيغة ومادة وهو في اللغة: الكفور للنعمة والبخيل والعاصي. والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئاً.

٢ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ ﴾ وهو الإنسان يشهد على نفسه بكفران نعمة ربه، وليس أقوى منها شهادة حيث يشهد على الإنسان الكفور يوم الفصل جوارحه وجلده، والدليل على أنّ هذه الآية تعود على الإنسان وليس على الله تعالى هو الآية التي تليها.

٣ـ ﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾ هو المال الكثير، واللغة تحتمل أن يكون الخير للمال والخيل كما في آية ص ٣٢ ـ وضد الشر، وبمعنى الخيار والفضيلة.

والأغلب في الآية أنّ الخير بمعنى الخير المادي من مال أو غيره والمعنى أنّ هذا الإنسان الكفور بنعمة ربه الشاهد على نفسه بالكنود حبه ليس للخير والفضيلة، إنما حبه للمال فهو شديد البخل شديد الإمساك.

وغلبة الاستعمال القرآني لمادة (الشدة) هي في موقف الزجر والوعيد وقد وردت في القرآن في حوالي أربعين موضعاً.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿لَكَنُودٞ ٦﴾ ما كلمات منظومة الجحود والإنكار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٥٩.

السؤال الثالث :

ما الكلمات التي تعبر عن أسلوب غير المؤمنين في التعامل مع المال؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفجر ٢٠.

﴿ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ كلمة: ﴿بُعۡثِرَ﴾ بمعنى أثير وأُخرج. وجاءت البعثرة فقط هنا وفي آية الانفطار: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ .

٢ـ قال: ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩﴾ ولم يقل: (من في القبور)؛ لأنّ ما في الأرض من غير المكلفين أكثر فاستعمل التغليب، أو أنهم يكونون غير عقلاء في القبور ثم بعد البعث يصيرون عقلاء، فاستعمل معهم في الآية الأخيرة: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ﴾ باستعمال ضمير العقلاء.

٣ـ (حُصّل) مبني للمجهول صرفاً عن كل ما عدا الحدث نفسه على المألوف من آيات القيامة.

والتحصيل: لغةً: الجمع، أي الجمع في الصحف لكل ما عمله الإنسان، والتمييز بين أنواع الأعمال والتحصيل إيذاناً بكشف المستور وإظهار البواطن، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ .

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ يصل المشهد إلى ذروة عنفه، ثم تدع للخاطر أنْ يذهب كل مذهب وقد آل الأمر كله إلى العليم الخبير في ذلك الجو الحافل بالنذير والوعيد.

٢ـ المعلوم أنّ الله خبير في كل زمان. والسؤال: ما وجه تخصيص ذلك اليوم بكلمة (يومئذ)؟

الجواب: معناه أنّ ربهم مجازيهم في ذلك اليوم عن أعمالهم، فالعلم مجَازٌ عن المجازاة، نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ [النساء:٦٣] أي يجازيهم على ما فيها؛ لأنّ علمه شامل لما في قلوب كل العباد.

٣ـ الآية تدل على أنّ الله عالم بالجزئيات كلها.

٤ـ قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ﴾ عائد إلى الإنسان وهو في معنى الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾﴾.

٥ ـ ختمت الآية والسورة بتوكيدين، وهما الجملة الاسمية ولام التوكيد المزحلقة، للدلالة على توكيد علم الله تعالى بأعمالهم وجزئيات أعمالهم وسرائر قلوبهم فكان التوكيدان مقابل أعمالهم المحصلة ومقابل بواطن صدورهم. والله أعلم.

سورة القارعة

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة العاديات ومفتتح سورة القارعة :

خاتمة العاديات في اليوم الآخر:

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ [العاديات:٩-١٠-١١].

والقارعة إنما هي في اليوم الآخر تبدأ بقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ [القارعة:١-٢] وهي يوم القيامة.

فكأنّ السورتين تكمل إحداهما الأخرى.

والله أعلم.

ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

السؤال الأول :

لماذا زاد كلمة: ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾ في سورة القارعة على ما في آية سورة المعارج رقم ٩؟ وما سبب ذلك؟

الجواب :

١ ـ ذكر القارعة في أول السورة، والقارعة من القرع وهو الضرب بالعصا، فناسب ذلك النفش للصوف.

٢ ـ ذكر في القارعة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ فكرر ذكرها وعظمها وهولها، فناسب هذا التعظيم والتهويل أنْ يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش.

أمّا في سورة المعارج فلم يذكر إلا طول يوم القيامة وأنه تعرج الملائكة والروح فيه:

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج ٤:٧]

لذلك كون الجبال (كالعهن المنفوش) أعظم من أن تكون (كالعهن) من غير نفش.

٣ ـ التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها بخلاف الإجمال في سورة المعارج.

٤ ـ مناسبة الفواصل القرآنية.

٥ ـ انظر الجدول التالي:

سورة القارعة	سورة المعارج
﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾	﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾
﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾	﴿كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾

النار الحامية تذيب الجبال وتجعلها كالعهن المنفوش وذلك من شدة الحرارة، وأمّا الحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان فهي أقل من التي تذيب الجبال وتجعلها كالعهن المنفوش.

فناسب زيادة: ﴿ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ في القارعة من كل ناحية، فقد جمعت السورة ذكر الصوف المنفوش وذكر النار الحامية فناسب أول السورة آخرها.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة إعادة المبتدأ في الآية الثانية؟

الجواب :

قد يعاد المبتدأ بلفظه في مقام التهويل والتفخيم كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ و ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾

والله أعلم.



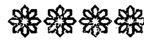
سورة التكاثر

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة القارعة ومفتتح سورة التكاثر:

كلتا السورتين في اليوم الآخر، فالقارعة تبدأ من أول أحداث القيامة إلى موازين الأعمال والجزاء.

وسورة التكاثر تبدأ من التكاثر في الدنيا إلى زيارة المقابر وإلى ما بعدها وهو قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٦ – ٨].

جاء في (نظم الدرر): ((لمّا أثبت في القارعة أمر الساعة وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد وختم بالشقي، افتتح هذه بعلّة الشقاوة ومبدأ الحشر لينزجر السامع)).والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

السورة مكية بلا خلاف وهي السادسة عشرة في ترتيب النزول على المشهور. ميزاتها الإيجاز الحاسم مع التأكيد الجازم إضافة إلى سيطرة جو الوعيد والإنذار.

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾

١ـ الإلهاء هو الصرف إلى اللهو الذي يدعو إليه الهوى، والمتعين في الآية أنّ الإلهاء هو في المبالغة بالتكاثر، وقد يكون التكاثر بالعدد أو بالأولاد والأموال أوبالجاه والأنصار، وقد يدلّ على الاستغراق والتعميم.

والخطاب في الآية عام لكل من ألهاهم التكاثر والتكالب على زينة الدنيا.

٢ـ قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ يحتمل أنْ يكون إخباراً ويحتمل أنْ يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، والتقريع بمعنى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ ولم يقل: (ألهاكم التكاثر عن كذا)؛ لأنّ المطلق أبلغ في الذم؛ لأنه يذهب التفكير فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله الوضع.

٣ـ كلمة ﴿ حَتَّىٰ﴾ هنا للغاية أي ليس وراء هذا التكاثر والتكالب إلا المقابر وهو انتقال سريع مروع للنفس من التكاثر إلى المقابر.

٤ـ كلمة: ﴿زُرْتُمُ﴾ هنا معناها الموت، ومعلوم أنّ الإقامة في القبر ليست دائمة وإنما نحن فيها زائرون، والزائر غير مقيم وسوف تنتهي الزيارة حتماً إلى بعث وحساب وجزاء. ولقد قال أعرابي سمع الآية: بُعثَ القومُ للقيامة ورب الكعبة فإنّ الزائر منصرف لا مقيم.

٥ ـ لفظة (المقابر) لم تأت في غير آية التكاثر على حين جاءت كلمة: ﴿ٱلْقُبُورِ﴾ خمس مرات كما جاء (القبر) مفرداً في آية التوبة ٨٤.

والمقابر جمع مقبرة وهي مجتمع القبور، وهو اللفظ الملائم للتكاثر فكثرة القبور مقابل زيادة التكاثر.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

١ـ الخطاب لمن ألهاهم التكاثر، والتكرار مبالغة وتأكيد للوعيد والنذير.

٢ـ قيل في الحرف (ثم) إنّ الآية الأولى عند الموت أو القبر والثانية لعذاب القيامة. وقال الزمخشري: إنّ (ثم) هنا ليست على موضعها عند النحاة، وإنما جيء بها مبالغة في الإنذار.

٣ـ قال: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ولم يقل: (تعرفون) فالعلم إدراك الشيء إذا انكشفت له حقيقته.

وفي الاستعمال القرآني نرى أنّ الله لا يوصف بالعارف وإنما بالعالم. و(العليم) من أسمائه سبحانه، ويُسند إليه العلم ولا تُسند إليه المعرفة.

ويختص الله بالعلم بما يكون خفياً وغيباً ومضمراً فهو يعلم ما يسرون وما في الأرحام، وما في السماوات والأرض، وما في البر والبحر والسر والجهر وما تحمل كل أنثى، وما في النفوس والقلوب والصدور ويعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما توسوس به نفسُك، وهو علام الغيوب وعنده علم الساعة وعلم الكتاب.

أمّا حين يُسند العلم إلى البشر فهو العلم الكسبي.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر:٧]

١ـ اليقين هو التحقق وإزالة الشك والإدراك الواثق. وقد أضيفت في القرآن الكريم إلى ثلاثة كلمات: (علم اليقين ـ عين اليقين ـ حق اليقين) واليقين هنا هو الموت أو البعث.

٢ـ أعاد لفظ ﴿كَلَّا﴾ وهو للزجر، وكان الحسن رحمه الله يجعل ﴿كَلَّا﴾ هنا بمعنى حقاً.

٣ـ كرّر الرؤية لتأكيد الوعيد، واستعمال (العين) في أسلوب التأكيد له أصلٌ حسي، تقول: رأيته رأي العين، أو: لقيته عياناً.

٤ـ مراحل العلم ثلاث: (علم اليقين ـ عين اليقين ـ حق اليقين) فالأولى صورة نظرية يخبرك بها صادق، كما لو أخبرك شخص عن وجود فاكهة غريبة في بلد معينة، فهذا علم، ثم إذا رأيت تلك الفاكهة تكون في مرحلة عين اليقين، ثم إذا ذقتها وأكلت منها تكون في آخر مرحلة من العلم وهي حق اليقين.

ونستطيع أن نتصور أنْ الآيات يقابل بعضها بعضاً على النحو التالي:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ مقابل: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ مقابل: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾

٥ـ (لو) حرف امتناع لامتناع، وقال النحاة: إنّ شرطها ﴿تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ وأنّ جوابها محذوف وليس قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦﴾ وهذا يقطع ما بين الآيتين فاضطروا للتأول، علماً بأنّ المعنى يقوى بلا ريب لو وصلنا بين الآيتين.

والقرآن جاء بها هنا في مجال اليقين، وقرّر أنهم بالتأكيد سيعلمون علم اليقين حين يرون الجحيم عين اليقين، وبالتالي فإنْ شرط (لو) سيزول حتماً باليقين، ويومئذ يتحقق الجواب الذي ما منعه إلا أنهم لم يعلموا ـ حين ألهاهم التكاثر ـ علم اليقين.

وهذا الأسلوب هو الأفضل؛ إذ إنّ جواب(لو) إنما يمتنع لامتناع شرطه أمّا حين يتحقق الشرط يقيناً فسوف يتحقق الجواب يقيناً.

وبهذا نتقي تمزيق الربط والسياق بين الآيتين.

﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

هنا يبلغ الوعيد ذروته ويصل به إلى منتهاه.

١ـ السؤال ممن؟ ولمن؟ وأين يكون؟ والقرآن سكت عن ذكر السائل تركيزاً للاهتمام في السؤال نفسه.

٢ـ قالوا: إنّ السؤال يومئذ للكفار. وقيل: هو للبشر عامة. والمؤمن يُسأل سؤال إكرام وتشريف، والكافر يُسأل سؤال توبيخ وتقريع.

لكنّ جو السورة الحافل بالوعيد والنذير يدل على أنّ السؤال هنا نذير لمن ألهاهم التكاثر.

٣ـ السؤال يكون من الملائكة أو من الله نفسه.

٤ـ أين يكون السؤال؟ الآية لم تحدد وقت السؤال. وللمفسرين أقوال:

أ ـ في موقف الحساب، لكنّ السؤال متأخر عن رؤية جهنم، وموقف الحساب متقدم على مشاهدتها !!!

ب ـ إذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم توبيخاً لهم.

٥ ـ ما النعيم المسؤول عنه؟ هناك أقوال عديدة قد تحتمل اللغة معنى كلمة النعيم، لكنْ من استقراء القرآن الكريم لكلمة [النعمة والنعيم والنعماء والأنعم] نجد أنّ كلمة: ﴿ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ جاءت خاصة بنعيم الآخرة، فلم يستعملها القرآن قط في نعمة من نعم الدنيا وإنما في نعيم الآخرة.

وبالتالي يكون معنى الآية على ضوء هذا المعنى المتعين في القرآن لكلمة النعيم أنّ هؤلاء الذين ألهاهم التكاثر في الأولاد والأموال وغيرها من أعراض الدنيا الزائلة، وحسبوها النعيم الذي ما بعده نعيم، وشُغلوا بها عن التزود لآخرتهم سيُسألون يوم يرون الجحيم عين اليقين عن النعيم الحق ماهو؟ ويومئذ يدركون يقيناً حقيقة النعيم الحق. والله أعلم.

للرجوع إلى آيات النعيم انظر الآيات [التوبة ٢١ ـ الطور ١٧ ـ الواقعة ٨٩ ـ المعارج ٣٨ ـ الانفطار ١٣ ـ المطففين٢٢ـ الإنسان ٢٠ ـ المائدة ٦٥ ـ يونس ٩ ـ الحج٥٦ ـ الصافات ٤٣ ـ الواقعة ١٢ ـ لقمان ٨ ـ الشعراء ٨٥ ـ القلم ٣٤ ـ التكاثر ٨]

السؤال الثاني :

ما الكلمات التي تعبر عن أسلوب غير المؤمنين في التعامل مع المال؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفجر ٢٠.

السؤال الثالث :

ما دلالة الحرف: (ثم) في الآية الرابعة؟

الجواب :

(ثُمّ) حرف عطف يفيد عدة معان:

١ـ للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة.

٢ـ لمجرد الترتيب، وبعضهم خالف ذلك.

٣ـ تكون للتباين في الصفات أو الرتب أوالأحوال أوغيرها من غير قصد مهلة زمانية أو التراخي.

٤ـ قد تكون لمجرد التدرج في الارتقاء، وإنْ لم يكن الثاني ترتباً في الذكر على الأول.

٥ـ للإيغال في التوكيد، كقولك: والله ثم والله.

٦ـ بشكل عام لفظ (ثُمّ) بضم الثاء يفيد التراخي في الزمان والبعد في الصفات والأحوال.

أمّا اللفظ الآخر (ثَمّ) بفتح الثاء، فيفيد البعد المكاني.

وفي سورة التكاثر:

أـ في الآيتين (٣:٤) العلم الأول عند المشاهدة والاحتضار، والعلم الثاني في الآخرة عند الحساب، وبينهما مدة فهي للتراخي الزمني أوداخلة في التوكيد.

ب ـ في الآية السابعة: (ثم) للتوكيد.



السؤال الرابع :

ما دلالة (لو) في الآية الخامسة؟

الجواب :

الكلام هنا فقط عن الأداة (لو)، وقد وردت في القرآن الكريم (٨٠) مرة أولها آية البقرة (٥٦) وآخرها آية التكاثر (٥).

معاني (لو):

هي من أدوات الشرط، ومن معانيها:

١ـ امتناعية: أي هي حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الجواب لامتناع الشرط، وهي تدخل على الفعل الماضي غالباً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

٢ـ شرطية: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال:٢٣]؛ إذ لا يصح أنْ يقال: امتنع التولي لامتناع الإسماع، بل هم متولون على كل حال أسمعهم أم لم يسمعهم.

٣ـ للتمني: نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود:٨٠].

٤ـ للتقليل، نحو: تصدق ولو بتمرة.

٥ـ وتقع اللام في جواب (لو) للجواب المثبت كثيراً، كقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الفتح: ٢٥].

وأمّا الجواب المنفي بـ (لم) فلا تلحقه اللام، والمنفي بـ (ما) فيجوز إلا أنه قليل، ولم ترد في القرآن لاحقة لجوابها المنفي.

وهذه اللام تفيد التأكيد أو واقعة في جواب قسم، وهو يفيد التوكيد كذلك.

والله أعلم.



سورة العصر

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة التكاثر ومفتتح سورة العصر:

ذكر سبحانه في سورة التكاثر من ألهاه التكاثر، وما يتبع ذلك من رؤية الجحيم وما بعده.

وذكر في سورة العصر الخاسر وهو من ألهاه التكاثر، وذكر من لم يلهه وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات... الخ

جاء في (روح المعاني) أنّ سورة العصر فيها إشارة إلى حال من لم يلهه التكاثر.

وجاء في (البحر المحيط): ((لمّا قالها فيما قبلها: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر:١] ووقع التهديد بتكرار ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ بيّن حال المؤمن والكافر)).

والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة موقع السورة بين سورتي التكاثر والهمزة؟

الجواب :

السورة مكية مبكرة، والمشهور أنها الثالثة عشرة في النزول، نزلت بعد الشرح وقبل العاديات.

١ـ هذه السورة وقعت بين خُسرين: الخسر الأول: الذين ألهاهم التكاثر قبلها، وهؤلاء في خُسر حتى زاروا المقابر، والخُسر الآخر: في سورة الهمزة الذي جمع مالاً وعدده حتى نبذ في الحُطمة.

الخُسر الأول رؤية الجحيم ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⁦(٦)⁩﴾ [التكاثر: ٦] والخُسر الآخر النبذ في الحطمة ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ⁦(٤)⁩﴾ [الهمزة: ٤] إذن هذه وقعت بين خسرين.

والله سبحانه أقسم على أنّ الإنسان في خسر إلا من استثناهم ربنا، والسورة وقعت بين خُسرين خُسر الذي ألهاه التكاثر حتى زار المقابر وخُسر الذي جمع مالاً وعدده حتى نبذ في الحطمة. وهذا هو الترتيب الطبيعي بحسب السبق، يعني رؤية الجحيم قبل الدخول، يراها ثم يدخل فذكر رؤية الجحيم في سورة التكاثر، ثم ذكر نبذه في الحطمة في سورة الهمزة. إذن أول مرة رأى ثم نُبذ، وهذا ترتيب طبيعي بحسب السبق.

والطريف أنّ سورة التكاثر التي رأى فيها الجحيم سُبقت بسورة القارعة التي يكون فيها الناس كالفراش المبثوث، وهذه الرؤية قبل رؤية الجحيم إذن ترتيبها: أنهم كانوا كالفراش المبثوث، ثم رأوا الجحيم، ثم نبذوا في الحطمة. ووقعت سورة العصر بين خسرين: الخسر المذكور وخسر قبلها وخسر بعدها، وهذا تناسب غريب.

٢ـ والمعنى الأصلي للعصر لغة: هو الضغط لاستخلاص العصارة واستعملته العرب حسياً في عصر العنب ونحوه، ومنه المعصرة. والعواصر ثلاثة أحجار كانوا يعصرون بها.

وسميت السحب الممطرة معصرات لما تعتصر من المطر، والإعصار هو الريح الشديدة.

وسمي الدهر عصراً بملحظ من استخلاصه عصارة الإنسان بالضغط والتجربة والمعاناة.

وسمي وقت الأصيل إلى غروب الشمس عصراً؛ لأنه تصفية النهار.

السؤال الثاني :

ما دلالة القسم بالعصر تحديداً في هذه السورة؟

الجواب :

١ـ من معاني العصر الدهر (العصور) هذا لغة، وربنا أقسم بالدهر؛ لأنه الشاهد على ما أقسم عليه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر:٢] والدهر هو أكبر شاهد، والعصر هو أكبر شاهد على ما أقسم عليه. والمعنى: إنْ شئتم أن تعلموا ذلك فاسألوا الدهر؛ لأنه خير شاهد على ما أقسمت عليه. العصر هو الشاهد على أنّ الإنسان في خسر إلا هؤلاء الأصناف، فلا شك أنّ الدهر والزمن والتاريخ هو شاهد دقيق على ما أصاب الإنسان غير المؤمن.

٢ـ يمكن أنْ يقال: لماذا لم يقسم بوقت آخر كالفجر أو الضحى في هذه السورة، مع أنه أقسم بها في مواطن أخرى؟ والجواب:

أ ـ الفجر: ليس هنالك مرحلة للاستشهاد، فالناس ما زالوا في أول الزمن وليس هنالك شاهد، أمّا العصر فيعني أنه مرّ فترة طويلة.

ب ـ وقيل إنها وقت صلاة العصر، وهذا من معانيها. ومن معانيها: الدهر، ومن معانيها: وقت صلاة العصر، والمعنيان مرادان في السورة.

ج ـ ولو قال:(الضحى) أيضاً نفس الشيء، لم تكن هنالك مدة كافية للاستشهاد، الفجر أول النهار والضحى بدايته.

د ـ كذلك المغرب، المغرب غروب الشمس إذن غروب الحياة وزوال الدنيا، فما الفائدة من الاستشهاد؟ لقد غربت الدنيا وذهبت والناس ذهبوا إلى الحساب، فما الفائدة من الاستشهاد؟

لذلك أنسب وقت للقسم والاستدلال هو العصر، وهومدة كافية من أول النهار إلى ما قبل الغروب للاستشهاد والدلالة على ما يفعله الإنسان في هذا العمر الطويل.

٣ـ والملاحظ أنه إذا ذكر الأقوام بعد القسم بالأوقات يناسب بين القوم وما يُقسم به.

مثلاً قال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ [الفجر:١] لمّا ذكر الفجر قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر:٦] وعاد من أوائل الدنيا بعد نوح. ولمّا أقسم بالضحى ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾

[الشمس:١] قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ [الشمس:١١]؛ لأنّ ثمود بعد عاد، والضحى بعد الفجر.

فهنالك مناسبة بين القسم بالوقت وبين الأقوام، فإذا ذكر الأقوام فهي مناسبة للوقت الذي يقسم به كمحطة في تاريخ البشرية كلها.

٤ـ فإذن العصر بمعنى الدهر وبمعنى وقت صلاة العصر، وكلاهما مراد لأنّ العصر هو أحسن شاهد على الإنسان وما أحدث فيه من خسران.

٥ـ (واو القسم) للتعظيم ،فالزمان أعلى وأشرف من المكان، والزمن آية من آيات الله، وقد يكون فيه سر الخلود، وأعاجيب الدهر دالة على كمال خالقه ولا شيء أنفس للإنسان من عمره.

وورد في الحديث: **(لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)**.

وأقسم الله بالعصر لتناسب القسم مع الكلمة، فقد يكون المعنى من أول الدهر إلى زمن الرسول عليه السلام، وهي مدة كافية للاستشهاد بما وقع فيها من أحداث في الزمن السابق والتاريخ، وكذلك لو كان المعنى صلاة العصر حيث لديه وقت للتفكير من الصبح إلى العصر بخلاف القسم بالفجر أو الضحى وهو أول النهار.

٦ـ هناك قاعدة في السور التي تبدأ بواو القسم وتتحدث عن يوم القيامة أنها تلفت النظر إلى شيء حسي مُدرَك توطئة لبيان معنوي غير محسوس كما هو واضح في سور الضحى والعاديات والنازعات.

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر:٢] مرة يستخدم (خُسر) ومرة (خسران) ومرة (خسار)، فما دلالة (خسر) هنا؟

الجواب:

١ ـ (الخسر) لغة نقيض الربح، واستعمل مادياً في التجارة الخاسرة ونُقل إلى المجال الديني بمعنى الضلال عن الحق، وهو أفدح من الخسر المادي.

٢ـ لم يقل: إنّ الإنسان خاسر، بل قال: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ يعني ساقط في الخسر إلا من استثناهم ربنا. إذن هو في حياته ساقط في الخُسر لم يخسر في مسألة تجارة، وإنما هو في حياته كلها ساقط في الخُسر إلا من استثناهم ربنا.

٣ـ الخُسر يستعمل لعموم الخسارة أو مطلق الخسارة، فكل إنسان هو في خُسر قليل أو كثير، إلا من اتصف بأربع صفات، ومن نقص من ذلك أصابه من الخُسر بمقدار ما نقص. لذلك يوم القيامة كل إنسان يلوم نفسه، لأنه كان يمكن أنْ يستزيد من شيء ولم يفعل، وكل مؤمن يرى أنه خسر شيئاً كان يمكن أنْ يستزيد منه ولم يستزد، هذا الخُسر.

وقد وردت مادة (خسر) في القرآن في أربعة وستين موضعاً منها ثلاثة في الخسر التجاري مع الوزن والكيل [المطففين ٣ ـ الرحمن ٩ ـ الشعرآء ١٨١] ومرتان في الخسر المعنوي [يوسف ١٤ ـ المائدة٣٠] والباقي في الخسر الديني في سياق النذير بسوء العاقبة للكافرين والضالين والمنافقين والمكذبين بآيات الله. ..

٤ـ جاءت كلمة (خسر) بالتنكير ليفيد الإطلاق والتهويل، أي أنه خسر عظيم لا يدرك كنهه إلا الله تعالى.

٥ـ أمّا (الخسار) فلم يستعمله القرآن إلا للزيادة في الخسارة، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] الظالم خاسر ويزيده خساراً. ويستعملها القرآن في الزيادة فقط ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ [نوح:٢١].

٦ـ أمّا (الخسران) فهو أكبر الخسارة وأعظمها ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج:١١] لم يخسر شيئاً بسيطاً، إنما خسر الدنيا والآخرة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزُّمر:١٥].

٧ـ إذن الخسر مطلق الخسارة، والخسار هو الزيادة في الخسارة والخسران أعظم الخسارة.

(الخسار) زيادة الألف على الخُسر، فلما زاد في الخسر زاد الألف، ولما زاد (الخسران) زاد الألف والنون.

إذن الخسر هو البداية، والخسار فوقها، والخسران أعظم الخسارة وهذا استعمال قرآني.

٨ـ حرف (لفي) يفيد الظرفية في العمر والإحاطة والإغراق.

السؤال الرابع :

استثنى الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] فما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في الآية ذكر سبحانه تعالى نوعين من الأعمال الصالحة:

أ ـ تكميل النفس، وهو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ . والإيمان نقيض الكفر، والصلاح نقيض الفساد.

وقد اقترن الإيمان بالعمل الصالح في القرآن نحو خمس وسبعين مرة فالعمل الصالح قرين الإيمان، ولا بدّ للإنسان من الإيمان والعمل الصالح لينجو من الخسر، كما قال الله في سورة التين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين:٥] أي جهنّم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين:٦].

ب ـ وتكميل الغير وهو ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:٣]

٢ـ الإنسان ليس المطلوب منه فقط أنْ يكون صابراً وإنما يتواصى لبناء المجتمع، أي يوصي بعضهم بعضاً، وليس فقط أنْ يكون على الحق وإنما أنْ يكون على الحق ويوصي به، وأنْ يكون صابراً ويوصي به؛ لأنّ التواصي بالحق أحياناً يولد مشاكل مع بعض الناس، فينبغي أنْ يصبر الموصي على أذى الآخرين. وهو أطلق (الصبر) في الآية ولم يقل الصبر على كذا؛ حتى يشمل الصبر على الحق، والصبر عن الشهوات، والصبر على الطاعات والصبر على أذى الآخرين، والصبر على الابتلاء.

(وتواصوا بالصبر) هو على العموم، لكنّ مجيئه كان بعد التواصي بالحق؛ لأنّ التواصي بالحق قد يؤدي إلى الأذى، وقد يؤدي إلى الهلكة إذا وصيت ظالماً فقد يؤذيك وقد يقتلك، فهذا يحتاج إلى صبر.

إذن (التواصي بالحق) يحتاج إلى (التواصي بالصبر) والتواصي بالصبر مطلق يشمل التواصي بالصبر على الحق، على الطاعات، على الإيمان، على العمل الصالح، عن الشهوات والمعاصي، على المصائب والبلايا التي تقع عليه من موت ومرض، وهذا كله يحتاج إلى صبر.

وقد وردت آيات الصبر في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعاً.

٣ـ ثم (التواصي) فيه معنى المشاركة، أي يوصي بعضهم بعضاً، وهذه فيها مشاركة لبناء المجتمع، وكلٌّ يوصي بما يعلم بالحق والصبر.

وجاءت كلمة (التواصي) في القرآن خمس مرات كلها بصيغة الماضي.

٤ـ الحق هنا نقيض الباطل، والصبر نقيض الجزع. ودلت الآية على أنّ الحق ثقيل وأنّ المحن تلازمه، فلذلك قرن به التواصي بالصبر.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ كان يمكن أنْ يقال:(وتواصوا بالحق والصبر) أو(تواصوا بالحق وبالصبر)، لكنه قال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ بتكرار الفعل وحرف الجر لأهمية كل واحد منهما على حدة، وهذه أعلى الاهتمامات؛ لأنّ هناك من يقوم بأحدهما فقط ولا يقوم بكليهما.

وهذا ليس مجرد تكرار في القرآن، وإنما يحمل دلالة مؤكدة.

السؤال الخامس :

في آية سورة العصر ذكر التواصي، وفي موطن آخر في سورة التين لم يذكر التواصي ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

ذُكِر في سورة التين فيما ينجي من دركات النار فقال: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥ - ٦] فهذا يكفي للخروج من دركات النار، وهذا هو الحد الأدنى الذي يخرجه من دركات النار ويدخله الجنة لكن لا ينجيه من خُسركان يمكن أنْ يتجنبه أكثر، فإنْ ترك التواصي بالحق أو خسر التواصي بالصبر خسر شيئاً، فالتواصي فيه حسنة وتركه فيه خُسر.

أمّا في سورة التين فقد ذكر الحد الأدنى الذي ينجيه من النار ويدخله الجنة. ما الذي ينجي من أسفل سافلين؟ الإيمان والعمل الصالح، فليس هناك حاجة للتواصي.

لمزيد من التفصيل انظر آية التين ٤ـ٥.

السؤال السادس :

في العصر: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ على ماذا هي معطوفة؟

الجواب :

معطوفة على الصلة وهذه كلها من الصلة، صلة الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

السؤال السابع :

من المقصود بلفظة: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ لفظ الإنسان في السورة هو جنس الإنسان، وليس المقصود به واحداً من الأفراد. والجنس يدل على الجمع وهو أعم، و(الذين آمنوا) مستثنى من الجنس الذي هو أكثر من هؤلاء، وبالطبع هناك آخرون، كما قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ [هود:١٠٥].

٢ـ ولم يستعمل هنا كلمة: (الناس أو الإنس)؛ لأنّ الإنسان في القرآن الكريم (لا الإنس) هو الذي اختص بالعلم وبالبيان، وترقى من مجرد الإنسية البشرية إلى حيث يتحمل تبعات التكليف وأمانة الإنسان ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ .

وكلمة الإنسان في اشتقاقها تربطه باجتماعيته التي تجعله يأنس إلى الجماعة.

والله أعلم.



سورة الهمزة

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة العصر ومفتتح سورة الهمزة:

بيّن في سورة الهمزة أحوال بعض الخاسرين من الذين لم يؤمنوا ويعملوا الصالحات.

والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ
مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾
نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى
عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

السورة مكية وترتيبها على المشهور الثانية والثلاثون، ويجوز أنْ يكون سبب النزول خاصاً، لكنّ الوعيد عام يتناول كل همزة لمزة.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾:

١ـ ويل: كلمة عذاب وسخط، و قيل إنها واد في جهنم، وهي لفظ يثير الرعب والخوف.

٢ـ ﴿هُمَزَةٍ﴾: لم تأت بهذه الصيغة إلا هنا، لكنْ جاء من مادتها(هماز) و (همزات). والهُمزة هو الذي يدأب على تحقير الناس وتجريحهم من خلف ظهورهم.

٣ـ ﴿لُمَزَةٍ ①﴾: لم تأت في القرآن إلا في هذا الموضع، واللمزة هو الذي يدأب على مواجهتهم بكلمة السوء تحقيراً لهم وغضاً من شأنهم.

٤ـ الهمز: من همزات، يستعمل لوسوسة الشيطان [المؤمنون ٩٧ ـ والنميمة ـ القلم ١١].

٥ـ اللمز: من التنابز بالألقاب. [الحجرات ١١]، ولا يكون ذلك إلا مواجهة.

٦ ـ لم يقل: (ويلاً)، وإنما جاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار؛ ولذلك ناسبها آخر السورة: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨﴾ [الهُمَزة:٨-٩]فالعذاب ثابت وجهنم مغلقة عليهم ومقفلة.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ③﴾ [الهُمَزة:٢-٣]

١ـ إنها فتنة جمع المال ووثنيته وما تدفع إليه من تجبر وخيلاء وازدراء للناس، وتحقيرهم والغض من شأنهم في وجوههم ومن وراء ظهورهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

٢ـ الحساب يستعمل حسياً ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥] ومعنوياً في التقدير والمسئولية.

والحَسَب من مفاخر الآباء، والفعل (حسِب) يأتي بمعنى (ظن): ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [النمل:٤٤] ـ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت:٢] ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥].

٣ـ معنى الآية أنّ ذاك الذي جمع المال وعدده يخطىء في حسابه أنّ ماله أخلده.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾

١ ـ كلا: للردع والزجر.

٢ـ النبذ: هو الطرح لما هو حقير، والمنبوذ ولد الزنى. والإهانة واضحة في الكلمة حين يزجر بها ذلك المتعالي المتفاخر المغرور بماله يحسب أنه أخلده، وإنما ينتظره خلود مهين أليم منبوذ في جهنم.

٣ـ أصل الحُطم: التهشيم لكل ما هو يابس كالعظام، وهذا اللفظ يصور القسوة والعنف وهو ينبذ في الحطمة.

٤ـ في كل مرة يأتي السؤال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؟ يعقبه بيان مليء بالرهبة والهول، إنها:

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾

١ـ باستقراء الاستعمال القرآني لكلمة (النار) نجد غلبة مجيئها لنار الجحيم في الآخرة، حيث وردت فيها (١٢٠) مرة، بينما وردت (٢٥) مرة للنار في الدنيا على الحقيقة أو المجاز كنار الحرب.

٢ـ الإيقاد هو الإشعال. وجاءت مادة (وَقَدَ) في القرآن الكريم (١١) مرة، ووصف النار بالموقدة هو في مقام النذير.

٣ـ (القلب) قد يطلق في اللغة على العضو العضلي المعروف، أمّا (الفؤاد) فلا يطلق إلا على المعنوي من موضع الشعور والعواطف والعقيدة والأهواء. وجاء الفؤاد في القرآن مفرداً وجمعاً ست عشرة مرة، ليس فيها ما يُحمل على الجارحة.

٤ـ المعنويات هي الغالبة في القرآن على استعمال لفظ (قلب وقلوب) لذلك يأتي اللفظ مع الاطمئنان والسكينة والرحمة والتآلف والخشوع والوجل كما يأتي مع الارتياب واللهو والقسوة والتكبر والجبروت والزيغ والمرض والإثم والغفلة.

٥ـ استخدام (الأفئدة) هنا ليس لنسق الفاصلة فحسب، وإنما لتخليص الأفئدة من حس العضوية التي تدخل على دلالة لفظ القلوب في المألوف من لغة العرب، إذ تستعمل القلب بمعناه العضوي، ولا تستعمل الفؤاد بهذا المعنى قط.

وإسناد الاطلاع إلى نار الله الموقدة فيه تشخيص لهولها وتقرير لفاعليتها كما صوّرها القرآن في مواضع أخرى، نحو:

ـ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان:١٢] النار مبصرة منفعلة.

ـ ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ [المُلك:٧] النار لها صوت.

ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [المُلك:٨] النار منفعلة.

ـ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج:١٧-١٨] النار داعية.

ـ ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:١٥] النار لها صفة الولاية.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهُمَزة: ٨ - ٩].

١ـ كلمة: ﴿عَلَيۡهِم﴾ تفيد الإطباق المباشر الملاصق ولا تقوم مقامها كلمة: (فوقهم) مثلاً.

٢ـ (الوصيد) هو البيت الحصين يُتخذ للمال، والوصيد هو الإغلاق المحكم.

٣ـ العَمَد: جمع عمود، وعمد الحائط دعمه.

٤ـ ممددة: أي مبسوطة مشدودة.

والمعنى أنه توصد عليهم الأبواب، وتمدد على الأبواب العمد، استيثاقاً في استيثاق. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين القلب والفؤاد؟

الجواب:

١ـ القلب: العضلة المعروفة التي تضخ الدم إلى جميع الجسم.

٢ـ الفؤاد: مفرد (أفئدة) وهو القلب أيضاً، لكنه من التفؤد وهو الاحتراق. ومعنى فأد في اللغة: شوى.

فالفؤاد يعني الأمور التي تدعو إلى المعاناة، والقرآن يستعمل الفؤاد بهذا المعنى.

شواهد قرآنيـــة:

ـ ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [القصص:١٠] أي فيه عاطفة محترقة على ابنها.

ـ ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾ [إبراهيم:٤٣] كالاحتراق.

ـ ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧﴾ [الهُمَزة:٦-٧] أي سوف تحرقها.

السؤال الثالث :

في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ قال: ﴿وَيۡلٞ﴾ بالرفع ولم يقل "ويلا" بالنصب، فما السبب؟

الجواب :

وذلك لأنه بالرفع جملة اسمية وبالنصب جملة فعلية، فأخبر أنّ لهم عذاباً دائمًا لا ينقطع أو دعا عليهم به، ولو قال: (ويلاً) لكان إخباراً بالعذاب غير الدائم.

ثم انظرإلى التناسق الجميل في التعبير والمعنى بين المفتتح والختام ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ [الهُمَزة:٨-٩] فأبوابها مغلقة عليهم لا تفتح إشارة إلى دوام العذاب وخلوده، فناسب ذلك أول السورة برفع الويل.

السؤال الرابع :

كيف نقرأ كلمة: ﴿يَحۡسَبُ﴾ في القرآن بالفتح أو بالكسر؟

الجواب :

كل قراءة متواترة هي قرآن، ويمكن أنْ نقرأ بها في الصلاة وغيرها وهي القراءات العشر التي أحصاها الجَزَري في كتابه (النشر في القراءات العشر).

لغة:

الأكثر أنْ يستعمل (حسِب يحسَب) بالفتح، وهي في الباب الرابع من أبواب الفعل الثلاثي الستة.

أما (حسِب يحسِب) بالكسرفهي في الباب السادس وهي قليلة في اللغة وأكثر ما ورد (ورِث يرِث).

وأمّا (حسَب يحسُب) بالضم فهي بمعنى العد.

السؤال الخامس :

لماذ قال في آية سورة الهمزة: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهُمَزة:٩] ولم يقل ذلك في آية البلد ٢٠؟

الجواب :

لم يقل: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهُمَزة:٩] كما في سورة الهمزة، للأسباب التالية:

أ ـ توسّع في سورة الهمزة في ذكر صفات المعذَّب، وتوسع في ذكر العذاب، فناسب هذه الزيادة ذكر: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهُمَزة:٩].

ب ـ ذكر في أول سورة الهمزة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ فدعا عليهم بالهلاك الدائم الذي لا ينقطع ورفْعُ ﴿وَيْلٌ﴾ يفيد الثبوت، فناسب أنْ يقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ للدلالة على الاستيثاق من غلق أبواب جهنم عليهم.

ج ـ في سورة الهمزة ذكر أنّ الكافر يجمع المال ويعدده ويستوثق من حفظه في الخزائن الموصدة الأبواب، فناسب بين الاستيثاق من حفظ الأموال وإيصاد الأبواب عليهمن ناحية وإطباق الأبواب عليه في جهنم.

د ـ في سورة الهمزة يحسب الكافر أنّ ماله أخلده في الدنيا وأنه لا يفارقها، فعوقب بذلك بالخلود في النار وإطباق أبوابها عليه. والاستيثاق بالعمد الممددة عليها للدلالة على خلوده، فهناك في الدنيا خلود مظنون وهنا في الآخرة واقع حقيقة في النار.

هـ ـ ذكر في سورة الهمزة أنّ هذا الكافر يتعدى على الآخرين فهو يهمزهم ويلمزهم ويمنع خيره عنهم؛ لذلك انبغى له الحبس لتخليص الناس من شره وعدوانه.

و ـ إنّ المعذبين في سورة الهمزة كفار وزيادة، فهم:

ـ كافرون.

ـ يتعدون على الآخرين بالهمز واللمز والسخرية والتكبر.

ـ أنهم جمعوا الأموال ولم ينفقوها.

ـ يحسبون أنّ الأموال تُخلدهم في النار.

في حين لم يذكر في سورة البلد سوى أنهم كفار.

السؤال السادس :

استعمل: ﴿هُمَزَةٍ﴾ في آية الهمزة ١، واستعمل ﴿هَمَّازٍ﴾ في آية القلم ١١ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية القلم ١١. والله أعلم.

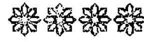




سورة الفيل

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة الهمزة ومفتتح سورة الفيل:

بيّن في سورة الهمزة عاقبة من يعتدي على الناس بالهمز واللمز في الآخرة. وبين في سورة الفيل من حاول الاعتداء على بيت الله في الدنيا فأهلكه. والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا قال عبد المطلب لأبرهة عندما جاء يهدم الكعبة؟

الجواب:

قال عبد المطلب لأبرهة: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه، ثم رجع وأتى البيت وهو يقول:

اللهـــم إنّ المـــرء يمـــ ـــنع رحلـه فامنـــع رحالـك
وانصـــر عـــلى آل الصليــ ـــب وعابديـــه اليـــوم آلـــك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك
إنْ كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

السؤال الثاني :

ما بعض النظرات البلاغية في السورة؟

الجواب :

١ـ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ مع أنّ هذه الواقعة وقعت قبل مولد النبي عليه السلام. والمراد من الرؤية العلم والتذكير. وهو إشارة إلى أنّ الخبر به متواتر فكان العلم به ضرورياً مساوياً في القوة والجلاء للرؤية، ويوم تلا الرسول عليه السلام هذه السورة كان قد بقي في مكة جميع من شاهدوا تلك الواقعة ولم يكذبوا بها، وبشكل عام فإنّ الذي لا يتصور إدراكه لا يستعمل فيه إلا العلم، وأمّا الذي يتصور إدراكه كفرار الفيل فإنه يجوز فيه الرؤية. وقد ورد التعبير﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في القرآن الكريم في (٣١) موضعاً.

٢ ـ قال: ﴿فَعَلَ﴾ ولم يقل جعل أو خلق أوعمل؛ لأنّ (خلق) يستعمل لابتداء الفعل، و(جعل) للكيفيات، و(عمل) بعد الطلب، أمّا الفعل ﴿فَعَلَ﴾ فهو عام، فكان أولى.

٣ ـ قال: ﴿رَبُّكَ﴾ ولم يقل الرب؟ فهو تعظيم وتشريف للنبي عليه السلام وكأنه يقول له: إنما فعلت بأصحاب الفيل تعظيماً لك ولمقدمك، فكيف أتركك بعد ظهورك؟ ففيه بشارة بأنه سيظفر.

٤ ـ قال: ﴿بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ ولم يقل ملاّك الفيل أو أرباب الفيل، وذلك لأنّ الصاحب يكون من الجنس، فقوله: ﴿بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ يدل على أنّ هؤلاء القوم كانوا من جنس الفيل في البهيمية وعدم الفهم والعقل.

وفيه ملاحظة أنه إذا حصلت مصاحبة بين شخصين فيقال للأدنى: إنه صاحب الأعلى ولا يقال: للأعلى إنه صاحب الأدنى.

ولذلك يقال لمن صاحب الرسول الكريم عليه السلام: إنهم الصحابة. فقوله: ﴿بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ يدل على أنّ أُولئك القوم كانوا أقل منزلة من الفيل كما قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ ومما يدل على ذلك أنّ الفيل كان يتحول عن المتابعة نحو الكعبة، وكأنه يقول لهم: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزمي حميد فلا أتركه، وهم ما كانوا يتركون تلك العزيمة الردية، فدل على أنّ الفيل كان أحسن منهم حالاً.

٥ ـ قال: ﴿كَيۡدَهُمۡ﴾ والكيد هو إرادة الضرر بالغير على الخفية، وهؤلاء كانوا يصرحون بهدم البيت، وفي قلوبهم كانوا يحسدون العرب ويريدون صرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة، فناسب إخفاء هذا الشر في قلوبهم استخدام ﴿كَيۡدَهُمۡ﴾

٦ ـ قال: ﴿طَيۡرًا﴾ بالتنكير لقصد التفخيم، وكأنه يقول: وأي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطىء المقتل.

٧ ـ قال: ﴿أَبَابِيلَ ٣﴾ ومعناها جماعات في تفرقة، أي يتبع بعضها بعضاً، وقيل لا واحد لها، وقيل مفردها: أبول وأبال وأبيل.

السؤال الثالث :

سلط الله العذاب على من قصد تخريب الجدران، فَلِمَ لمْ يسلط العذاب على كفار قريش وكانوا قد ملأوا الكعبة من الأوثان وهذا أقبح من تخريب جدران الكعبة؟

الجواب :

١ـ وضع الأوثان فيها تعدٍّ على حق الله تعالى، أمّا تخريبها فتعدٍّ على حق الخلق، ونظيره قاطع الطريق والباغي، فإنهم يقتلون مع أنهم مسلمون ولا يقتل الكفار المسالمون؛ لأنه لا يتعدى ضررهم إلى الخلق.

٢ ـ إنّ الحَجاج خرب الكعبة ولم يحدث له شيء من ذلك، فدلّ على أن قصة الفيل كانت لأمر آخر غير تعظيم الكعبة، وأن ذلك وقع إرهاصاً لأمر النبي عليه السلام. والإرهاص إنما يُحتاج إليه قبل قدومه، أمّا بعد قدومه وتأكد نبوته بالدلائل فلا حاجة إلى شيء من ذلك.

السؤال الرابع :

ما دلالة التركيب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في سورة الفيل؟

الجواب :

التركيب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه دلالتان لغويتان:

١ـ استفهام عن رؤية قلبية أو بصرية مثل آية الفيل، وجاء مع ﴿كَيْفَ﴾ نحو قولك: ألم تر فلاناً اليوم. أو: ألم تر كيف حُل الموضوع؟.

٢ـ بمعنى التعجب: بمعنى ألم ينته لعلمك، من أجل لفت نظر السامع والطلب التأمل، مثل آية [الفرقان ٤٥]. والله أعلم.

سورة قريش

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الفيل ومفتتح سورة قريش :

كلتاهما في الكلام عن سكنة البلد الحرام، فمن اعتدى عليه أهلكه.

وقد حمى الله سكانه فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

فكأنهما سورة واحدة. والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ
رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما الارتباط بين سورة قريش وسورة الفيل التي قبلها؟

الجواب :

هناك ارتباط بين هذه السورة والسورة التي قبلها (الفيل)؛ لأنّ أصحاب الفيل إنما جاؤوا بسبب بيت الله، وقد حفظه الله وحماه وحفظ قريشاً وأهلك أصحاب الفيل إكراماً لهذا البيت. وكان حفظ البيت حفظاً لهم وحماية لأمنهم ومعاشهم؛ إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد ولم ترتفع لهم كلمة.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في السورة؟

الجواب :

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾

١ـ الإيلاف: من آلف ومن الألفة وهو الاجتماع مع التئام. واختيار لفظ (الإيلاف) يدل على أنّ هذا أمر مألوف عندهم، وليس طارئاً عليهم، وهذا ما يستحق أنْ يشكروا ربهم عليه.

٢ـ الجار والمجرور ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أي ليعبدوا.

٣ـ فإنْ قيل: لِمَ دخلت الفاء على ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾؟

فالجواب: لأنّ الكلام فيه معنى الشرط؛ أي: لأنّ فعل الله بقريش هذا من إلفهم لهذه النعم، أمرهم أنْ يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة.

وقيل المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش.

٤ـ قدّم الجار والمجرور على متعلقه ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ لأكثر من سبب:

أـ قوّى الربط بين هذه السورة والسورة التي قبلها، فكأنه قال: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، وقد ذهب بعضهم إلى أنه متعلق به.

ب ـ هذا التقديم وسّع المعنى، فهو يحتمل أنه متعلق بالفعل ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أو متعلق بفعل مضمر تقديره (اعجبوا)، ولو تأخر لتعين تعلقه بالفعل المذكور ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾.

ج ـ إفادة أهمية هذا الإيلاف في حياتهم وعظيم مكانته عندهم وتذكيرهم بهذه النعمة مدعاة إلى الاعتراف بمُوليها عليهم وهو الله والإيمان به وعبادته.

د ـ هذا التقديم إنما هو من باب تقديم العلّة على الفعل؛ لأنّ ذكر العلة يستدعي العبادة، وهي الدافع إلى الفعل.

هـ ـ لو لم يقدّم فقال: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش، لاقتضى ذلك حذف الفاء، فإنه لا تصح زيادة الفاء أولاً.

﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾

أطلق الإيلاف أولاً فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ ثم قيّده فقال: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ وذلك لتفخيم أمر الإيلاف والدلالة على عظم النعمة فيه ومكانته في نفوسهم.

وأفرد الرحلة مع أنّ المراد: رحلتا الشتاء والصيف؛ لأنهما رحلتان لأمن اللبس، ولو قال: (رحلتي الشتاء والصيف) لأوهم أنّ في الشتاء رحلتين، وكذا في الصيف.

والله أعلم.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣﴾

١ ـ هذا البيت هو الكعبة، وأضاف الرب إلى البيت تعظيماً له. فطلب منهم عبادة رب هذا البيت الذي أنعم عليهم، وألا يعبدوا غيره، اعترافاً بفضله عليهم وشكراً له سبحانه.

٢ـ إضافة الرب إلى البيت يعني أنّ رب هذا البيت هو الذي يتكفل بحمايته وحفظه. واختيار كلمة ﴿رَبَّ﴾ أنسب شيء هنا؛ لأنّ الرب هو الذي يربي مربوبه ويحفظه ويرعاه.

٣ـ اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ عيّن البيت المقصود تعييناً لا لبس فيه.

٤ـ الفاء في ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ لها عدة معان:

أ ـ قيل إنها دخلت لمعنى الشرط، أي معنى السبب.

ب ـ وقيل: تفيد التوكيد.

ج ـ الفاء في ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ واللام في ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ تعاضدتا في توكيد الإيلاف.

د ـ وهي هنا تفيد كل هذه المعاني.

وتقديم الجار والمجرور هو الذي جوّز مجيء الفاء ههنا، ولو لم يتقدم لم يصح إدخالها، فلا يصح أنْ تقول ابتداء: فأعنه؛ لأنه أعانك.

٥ـ قال: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ ولم يقل: فليصلوا أو فليزكوا أوغير ذلك؛ لأنّ العبادة هي في العموم، والصلاة جزء منها. إضافة إلى أنّ كفار قريش كانوا يعبدون الأصنام ولا يعبدون الله، فطلب منهم عبادته وحده فقط.

٦ـ لم يقل مثلاً: فليعبدوا ربهم الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف وذلك لأنه:

أ ـ لو قال ذلك لم يدل على أنّ الأمر خاص بقريش، فإنّ الله أطعم خلقاً كثيراً من جوع وآمنهم من خوف.

ب ـ لو قال ذلك لخرج عن هذه النعمة خلق كثير أيضاً، فإنّ قسماً من عباد الله يشعرون بالجوع ويعيشون عدم الأمن، فلو قال ذلك لكان المعنى أنه: من لم تشمله هاتان النعمتان فلا يعبد الله، وهذا ليس المراد.

ج ـ هنا أراد أنْ يخصّ قريشاً بالكلام ويدعوهم إلى عبادته، فربط ذلك بالبيت الذي هم حوله، وكان أمنهم وإطعامهم بسببه.

٧ـ ذِكرُ البيت يُذكرهم ببانيه، وهو أبوهم إبراهيم عليه السلام الذي ينعمون ببركة دعائه بالتوسعة بالعيش والأمن.

وإبراهيم إنما بنى البيت بأمر ربه وكان عابداً له لا للأصنام التي حطمها عليه السلام. وفي ذلك دعوة كفار قريش ليقتدوا به عليه السلام فيؤمنوا بالله ويعبدوه ويشكروه.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾

١ـ جمع بين النعمتين لعظيم المنة لتذكيرهم بهما، وخاصة أنهم يعيشون في واد غير ذي زرع فأطعمهم الله ببركة دعاء سيدنا إبراهيم وآمنهم والناس من حولهم يُتخطفون.

٢ـ قال: ﴿أَطْعَمَهُم﴾ ولم يقل (أشبعهم)؛ لأنّ الشبع قد يورث ما لا يحمد عقباه من بطنة وتخمة، أمّا الإطعام فيزيل الجوع، وخير الطعام ما يسد الجوع.

٣ـ قال: ﴿مِّن جُوعٍ﴾ للتنبيه على:

أ ـ أنّ أمر الجوع شديد.

ب ـ تذكيرهم بالجوع حتى يعرفوا قدر النعمة الحاضرة.

ج ـ التنبيه على أنّ خير الطعام ما سد الجوعة.

٤ـ نكّر الجوع والخوف لإطلاقهما، والتنكير فيه بيان الشدة والتعظيم. ولو عرّفهما لاحتمل أن يكون ذلك للعهد بشيء معين قد لا يتكرر.

٥ـ قدّم الجوع على الخوف؛ لأنّ:

أ ـ الجوع أشد من الخوف، فالجوع إذا استمر أهلك الإنسان بخلاف الخوف فقد يستمر من غير هلاك، وإنّ من الناس من يبقى خائفاً متخفياً أعواماً، لكنه لا يستطيع أن يستمر في الحياة لمدة طويلة بدون طعام؛ لذا قدّم ما هو أهم وأولى.

ب ـ الرحلتان لأجل الميرة، وهي الغرض الرئيس منهما، والأمن سبب في نجاحهما، فقدّم الغرض الرئيس.

ج ـ إنّ تقديم الجوع على الخوف مناسب لتقديم الشتاء على الصيف في السورة، والإنسان أحوج إلى الطعام في الشتاء منه في الصيف؛ ولذا نرى كثيراً من الناس يدخرون قوتهم للشتاء لشحة الطعام فيه؛ ولذا قدّم الإطعام من الجوع مع تقديم الشتاء.

وجعل الأمن من الخوف بإزاء الصيف؛ ذاك أنّ الصيف تسهل فيه الإغارة في أي مكان بخلاف الشتاء الذي يصعب فيه المبيت والتخفي في الخلاء. هذا علاوة على خطر الوحوش والهوام التي تكنّ في الشتاء بخلاف الصيف.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة استخدام لفظة ﴿هَٰذَا﴾ في آية سورة قريش٣؟

الجواب :

كلمة ﴿هَٰذَا﴾ اسم إشارة للقريب، تقوله للشيء الذي أمامك. فكيف يقرؤها المصلي في مصر أو أمريكا أو أوربا والكعبة بعيدة جداً عن المصلي؟

المؤمن يتوجه بصلاته بوجهه وقلبه إلى الكعبة، ويفترض أنْ يكون خاشعاً متدبراً، يشعر كأنه يقف في فناء الحرم ينظر بقلبه إلى الكعبة المطهرة، ولعلّ الله تعالى أراد أن يثبت هذا المعنى في قلوب عباده، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾.

وهذا البيت قائم دائم ما دامت الدنيا وهو ما زال وسيظل قبلة المسلمين إلى يوم الدين، ولو كان هذا القرآن من عند غير الله لما قرأنا هذه الآية لأنّ البشر لا يستطيعون توكيد هذه الحقيقة على مر الأيام، فمن يدري من أهل الأرض أن ﴿هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ سيظل ماثلاً قائماً عامراً يتوجه إليه الناس بصلاتهم حيثما كانوا في أقطار الأرض.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم الشتاء على الصيف في السورة؟

الجواب :

حاجة الإنسان للطعام في الشتاء أكثر من الصيف، والخوف في الصيف أكبر؛ لأنه فيه يكثر قطاع الطريق والزواحف؛ لذا قدّم تعالى الشتاء والخوف على الصيف والجوع.

وقال: ﴿أَطْعَمَهُم﴾ ولم يقل (أشبعهم)؛ لأنّ الإطعام أفضل من الإشباع.

ولقد جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل للتركيز على الأمن في البيت الحرام بعد عام الفيل.

السؤال الخامس :

المطلوب مقارنة بين آيتي البقرة ١٥٥ وقريش (١:٤).

الجواب :

انظر آية البقرة ١٥٥. والله أعلم.

سورة الماعون

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة قريش ومفتتح سورة والماعون :

لّما ذكر سبحانه في سورة قريش أنه أطعمهم من جوع ذمّ عزّ وجل هنا من لم يحض على طعام المسكين.

ولّما قال هناك ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ ذمّ سبحانه هنا من سها عن صلاته، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ . والله أعلم.



ثانياً- من اللمسات البيانية في السورة

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما التعريف بهذه السورة؟

الجواب :

السورة مكية مبكرة ترتيبها في النزول السابعة عشرة، نزلت بعد التكاثروقد بدأت بالاستفهام.

والأصل في الاستفهام أنْ يكون من سائل يطلب الفهم عما يجهل، أمّا حين يكون المستفهم عارفاً بالجواب فإنّ الاستفهام يخرج عن أصل معناه اللغوي إلى المجاز البلاغي.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾

١ـ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام مستغنٍ عن كل بيان يثير أقصى اليقظة والانتباه والترقب انتظاراً لجوابٍ غير متوقع، وتطلعاً إلى معرفة ماذا يكون التكذيب بالدين غير الذي يعلمونه بالضرورة!

٢ـ الدين هنا بمعنى الإسلام أو الجزاء. وحمله بمعنى العقيدة والإسلام أقوى من حمله على الحساب والجزاء؛ لأنّ التكذيب بهما لا يكون إلا عن تكذيب بالدين.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾

١ـ الدّع: هو الدفع العنيف مع قسوة وجفاء، واليتيم هو الصبي الذي فقد أباه.

٢ـ الحض: هو الحث وبعث الحمية، وورد الحض في ثلاث آيات: [الحاقة٣٤ ـ الفجر ١٨ ـ الماعون ٣].

٣ـ ومعنى الآية أنه منع المسكين مما هو حقه، وهذا يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾

١ـ ويل : كلمة عذاب وسخط.

٢ـ السهو: لغة هو النسيان والغفلة. وجاءت كلمة (ساهون) بالصيغة الاسمية الثابتة؛ لتدل على أنها صفة ثابتة عندهم، فهم دائماً ساهون لاهون متغافلون عن الصلاة.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

١ـ المراءاة: أنْ يظهر الإنسان خلاف ما يبطن، وإنْ شاع في المجال الديني تخصيص النفاق بمن يكتم الكفر ويظهر الإسلام.

٢ـ الماعون: الماء والمطر وكل ما يستعار للمنفعة عند الحاجة، ولم يأت (الماعون) إلا في هذه الآية. والآية تفيد أنهم يمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من حقوق.

٣ـ وهكذا يروض الإسلام الناس على احتمال المسؤولية العامة، ويرتقي بالإنسان إلى حيث لا يكتفي بالواجب الفردي وأداء العبادات، بل يعدّ دعّ اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين تكذيباً بالدين. وهل هناك مطمح للإنسانية في التزام أمانة الحق العام في التكافل والتراحم والدعوة إلى الخير والتواصي بالحق والمرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرأكبر من ذلك؟ !

السؤال الثالث :

ما دلالة حرف الجر ﴿عَن﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾؟

الجواب :

لكي تدرك الحكمة في الآية تصور أنّ هذا الحرف هو (في) بدل الحرف (عن) فسوف تجد أنّ الناس هلكوا جميعاً، فمن الذي لا يسهو في صلاته؟

أمّا (عن) فإنها تعني هؤلاء الذين يتركون الصلاة تهاوناً بها، وتعني المنافقين الذين يتركون الصلاة سراً ويصلونها علانية، الذين لا يرجون للصلاة ثواباً ولا يخشون من تركها عقاباً.

ولقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (لقد رأيتني وأنا أجهز جيوش المسلمين في الصلاة) والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَوَيۡلٞ﴾ ما الكلمات التي تصف جهنم من الداخل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٥٩.



سورة الكوثر

تعريف موجز بالسورة :

هذه السورة القصيرة مكية وترتيبها في المصحف (١٠٨) وعدد آياتها (٣) وعدد كلماتها (١٠) ومقصودها المنحة للرسول عليه السلام بكل خير يمكن أنْ يكون، واسمها (الكوثر) واضح في ذلك.

وسورة الكوثر هي إنجاز لما وعد الله تعالى رسوله في سورة الضحى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ ففي سورة الضحى وعد، وفي سورة الكوثر عطاء وتحقيق للوعد.

وتعتبر هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة (الماعون).

جدول مقارنة بين سورتي الماعون والكوثر:

سورة الكوثر تقابل سورة الماعون من نواحٍ متعددة، منها ما هو مبين في الجدول التالي:

مسلسل	البيان	سورة الماعون	سورة الكوثر
١	البخل ومقابله	﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ والمقصود بالنحر التصدق

		﴿ٱلْمِسْكِينِ ③﴾	
٢	ترك الصلاة ومقابله	﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤﴾	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي قم بأداء الصلاة وداوم عليها
٣	المراءاة ومقابلها	﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥﴾ مراءاة في الصلاة	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ②﴾ أي إخلاص الصلاة لله ولرضاه
٤	عدم التصديق بيوم الدين ومقابله	﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ①﴾ أي لا يصدق بالآخرة والجزاء	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ وهو نهر في الجنة وهذا تصديق بيوم الدين
٥	كل الصفات في هذه السورة تدل على الأبتر؛ لأنه انقطع الخير عنه، فهو الأبتر حقيقة		﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ③﴾ والأبتر من انقطع عمله من كل خير

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة الماعون ومفتتح سورة الكوثر:

وصف الله تعالى في سورة الماعون المنافق بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة.

فذكر عز وجل في هذه السورة في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ أي الخير الكثير.

وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم على الصلاة.

وفي مقابلة الرياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾.

وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ وأراد به سبحانه التصدق بلحوم الأضاحي.

والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ضمير التوكيد ﴿إِنَّآ﴾ في الآية؟

الجواب:

﴿إِنَّآ﴾: ضمير تعظيم وتوكيد، وفيه تقديم على الفعل، وهذا توكيد ثانٍ والتقديم يفيد الاهتمام والحصر، فالله تعالى أعطى نبيه الكوثر اختصاصاً به.

شواهد للاختصاص: (أنا فعلت)، بمعنى فعلته أنا لا غيري.

*شواهد قرآنية للاهتمام والاختصاص:

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ للاهتمام.

السؤال الثاني:

لماذا لم يقل: (آتيناك)؟

الجواب:

١ـ هناك تقارب من ناحية الصوت والمعنى بين (آتى و أعطى)، لكنّ الفعل (آتى) يستعمل في اللغة لما هو أوسع من (أعطى). والشواهد القرآنية التالية تبين الفرق في الاستعمال:

ـ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ للحكمة والأمور المعنوية.

ـ ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ للأمور المعنوية.

ـ ﴿آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ للرشد.

ـ ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ للملك.

ـ ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ للأموال والأمور المادية.

ـ ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ للأموال والأمور المادية.

ـ ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ للأمور المادية.

ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ للأمور المادية.

إذن: (أعطى) تستعمل في الأمور المادية فقط، وفيه تملك، وهو للتخصيص غالباً. أمّا (آتى) فيستعمل للأموال وللأمور المادية والمعنوية كالملك والرشد والحكمة، والإيتاء يمكن أنْ يكون للتملك، لكن ليست نهائية لأنها سترد؛ و لذلك غير المادية لا يصح فيها استعمال(أعطى).

٢ـ الإعطاء أقوى من الإيتاء من ناحية اللفظ الصوتي؛ لأنه عند المقارنة بين (أتي) و (عطو) نجد أنّ العين حرف حلقي ومجهور يهتز معه الوتران والواو أقوى من الياء لفظاً، والطاء حرف مجهور مطبق، بينما التاء مهموس مستتر.

ولذلك عندما تكلم الحق عن شيء مادي قوي عظيم كالكوثر، ناسب ذلك الأحرف القوية في (أعطى) لأنّ (آتينا وآتى) فيها نوع من الرقة واللين.

السؤال الثالث:

ما دامت كلمة (آتى) أوسع استعمالا من كلمة (أعطى)، فلماذا لم يستعملها هنا بدلاً من (أعطى)؟

الجواب:

الإيتاء يشمله النزع، بمعنى أنه ليس تمليكاً إنما العطاء تمليك. قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ ،﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ . . .﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ والقرآن يستعمل الإيتاء مع الملك؛ لأنه سبحانه قد ينزعه سبحانه أمّا الإعطاء فهو تمليك للشخص وله حق التصرف فيه وليس ذلك في الإيتاء؛ لأنه لا يفيد المُلك التام، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ ص ٣٥ ـ ٣٩ أي بما أنه عطاء من الله تعالى لسيدنا سليمان فله حق التصرف في عطاء الله له.

وقد يكون الإيتاء آية فليس للنبي حق التصرف بها ،بل عليه تبليغها أما الكوثر فقد أعطاه الله سبحانه لرسوله تمليكاً له يتصرف فيه كيفما يشاء.

ـ من ناحية أخرى (الإيتاء) يحتمل أنْ يكون واجباً، ويحتمل أنْ يكون تفضلاً، أمّا الإعطاء فإنه بالتفضل أشبه، وهو من كرم الله تعالى.

ـ كذلك يعني أنّ هذا الحوض هو كالشيء القليل بالنسبة إلى ما هو مدخرٌ للنبي عليه السلام في الآخرة من الدرجات العالية والمراتب الشريفة؛ لذلك هو يتضمن البشارة بأشياء هي أعظم من المذكور.

السؤال الرابع:

ما الكوثر؟

الجواب:

كلمة (الكوثر) من صفات المبالغة على وزن: فَوْعَل و فيعَل، وتدل على المبالغة المفرطة في الخير، وقيل هو نهر في الجنة، وقيل الحوض وقيل رفعة الذكر وكل ما يشمل الخير الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ، فهو كوثر، أي الخير الذي أنعم الله تعالى على رسوله به.

والفرق بين (الكوثر) و(الكثير) أنّ الكوثر قد تكون صفة، وقد تكون ذاتاً أمّا الكثير فهي صفة فقط.

فالكوثر:

١ـ صفة تدل على الخير الكثير والكثرة، وهو في الخير خصوصاً، وقد يكون الكوثر ذاتاً موصوفة بالخير، تقول: أقبل السيد الكوثر، ولا يقال: أقبل الكثير.

٢ـ النهر عادة هو ذات، ولكنه ذات موصوفة بكثرة الخير، وعندما عرّف الكوثر بأل التعريف دخل في معناها النهر، ولو قال: (كوثر) لما دخل النهر فيه، لكنه حذف الموصوف لإطلاق الخير.

٣ـ الواو أقوى من الياء نطقاً، فأعطى الله الوصف الأقوى والأسهل لفظاً وهو (الكوثر) وليس (الكثير).

٤ـ هناك قراءة (الكيثر)، وهي صفة مشبهة مثل: الفيصل.

لذلك عندما أعطى الله سبحانه رسوله الخير المطلق والكثير ناسب ذلك التوكيد والتعظيم بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ بضمير التعظيم والتأكيد الذي يفيد الاختصاص والاهتمام؛ لأنه يتناسب مع الخير الكثير والمطلق.



﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾

السؤال الأول:

لماذا لم يقل سبحانه: (فصل لنا أو صل لله)؟ ولماذا قال: انحر، ولم يقل مثلاً: ضحِّ أو اذبح؟

الجواب:

بعد أن بشّر الله تعالى رسوله بإعطائه الكوثر، جاء السبب بـ (الفاء) أي أراد منه أنْ يشكر النعمة التي أعطاه إياها ؛لأنه ينبغي تلقي النعم بالشكر ولم يقل: اشكر؛ لأنّ

الشكر قد يكون قليلاً أو كثيراً، فلو قال: الحمد لله لكان شاكراً، لكنّ هذا العطاء الكبير يستوجب الحمد الكثير؛ لذا طلب الله تعالى من رسوله شيئين:

الأول: يتعلق بالله تعالى، وهو الصلاة، وهوأعلى درجات الشكر لله.

الثاني: يتعلق بالعباد، وهو النحر، والنحر والإحسان لخلق الله من الشكر أيضاً.

وقدّم الله تعالى الصلاة على النحر للأسباب التالية:

١ـ الصلاة أهم من النحر، وهي ركن من أركان الإسلام وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة.

٢ـ الصلاة هي على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة؛ ولهذا فهي أعم من النحر؛ لأنّ النحر يكون مع التمكن المادي فقط، في حين أنّ الصلاة لا تسقط عن العباد في أي حال من الأحوال.

٣ـ وردت كلمة: (الصلاة) في القرآن على عدة صور، فهي من الله تعالى رحمة، ومن الرسول دعاء، ومن العباد عبادة وقول وفعل وحركة، وكلما ورد ذكر الصلاة والزكاة في القرآن تتقدم الصلاة على الزكاة؛ لأنها أعم وأهم.

وأمّا لماذا لم يقل الله: (فصلِّ لله) أو (فصلِّ لنا)؟

فالجواب أنّ اللام في ﴿لِرَبِّكَ﴾ تفيد الاختصاص بالنشأة والتربية والهداية أي أنّ الصلاة لا تكون إلا لله وحده، وهي مقابلة لما ذكر في سورة الماعون للمرائين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

أمّا في سورة الكوثر فجاءت: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي داوم على الصلاة لربك وليس كالمرائين.

وأمّا: لماذا لم يقل: (فصلّ لنا)؟

أولاً: في اللغة يسمى التفاتاً من الغيبة إلى الحضور أو بالعكس.

ثانياً: الصلاة تكون للرب وليس للمعطي، فلو قال: (فصل لنا) لأفاد أنّ الصلاة تكون للمعطي، ولكنّ الصحيح أنّ المعطي له الشكر فقط وليس الصلاة، فالصلاة حق لله وحده، والمعطي له الشكر فقط.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ باستخدام ضمير التعظيم فلو قال: (فصل لنا) لأوهم أنه تعالى له شريك والعياذ بالله، أو أنه يمكن استخدام ضمير التعظيم للجمع.

وبالمناسبة نجد الأمر التالي كالقاعدة في القرآن:

أ ـ في مقام التعظيم: يستعمل القرآن ضمير التعظيم، فتأتي الصيغة بالجمع ﴿إِنَّآ﴾ مع التنبيه على أنه في القرآن الكريم لا يوجد موضعٌ ذكر فيه ضمير التعظيم إلا وسبقه أو تبعه إفراد بما يفيد وحدانية الله تعالى.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ البقرة ١٥٥ـ١٥٦.

ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾. .. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ الشرح.

ـ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ البقرة ١٧٢.

وهكذا يتبين أنه لم يذكر ضمير التعظيم في القرآن إلا سبقه أو تبعه مايدل على الإفراد تجنباً للشرك.

ب ـ في مقام التوحيد يستعمل الإفراد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ طه ١٤.

ج ـ إذا كان أمر الله يتم بواسطة المَلَك فإنه يأتي بضمير الجمع، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾ فالأمر كان بواسطة ملك.

٤ـ واختيار كلمة (الرب) بدل كلمة (الله) إنجاز لما وعد الله تعالى رسوله في سورة الضحى ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾.

والعطاء من الرعاية، وهو يناسب كلمة الرب؛ لأنّ الرب هو المربي والمعطي والقيم، ولم يرد في القرآن كله لفظ العطاء إلا مع لفظ الرب.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ طه ٥٠.

ـ ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾﴾ النبأ ٣٦.

ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ الضحى ٥.

ـ ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ الإسراء ٢٠.

السؤال الثاني:

لماذا لم يقل: (واذبح)؟

الجواب:

النحر في اللغة يتعلق بالإبل فقط، ولا يستعمل مع غير الإبل، يقال (ذبح الشاة أو البقر أو الطيور) لكنّ النحر مختص بالإبل؛ لأنها تنحر من نحرها فأراد الله أنْ يتصدق بأعز الأشياء عند العرب، ومعروف أنّ الإبل من خيار أموال العرب. فلو قال: اذبح لكان جائزا أنْ يذبح طيراً أو غير ذلك.

وبما أنّ الله قد أعطى رسوله الخير الكثير والكوثر، فلا يناسب هذا العطاء الكبير أنْ يكون الشكر عليه قليلاً؛ لذا اختار الصلاة والنحر، وهما أعظم أنواع الشكر.

السؤال الثالث:

لماذا لم يقل: (وتصدق)؟

الجواب:

الصدقة تشمل القليل والكثير، فلو تصدق أحدهم بدرهم أو بطير لكفى المعنى، والله أراد التصدق بخير الأموال؛ ليتناسب مع العطاء الكثير.

السؤال الرابع:

لماذا لم يقل: (وزكِّ) من الزكاة؟

الجواب:

لم يكن يملك النصاب للزكاة أصلاً، فهي غير واردة على الإطلاق، ثم إنّ الزكاة تجب مرة واحدة في العام وبنسبة ٢.٥ ٪ فقط ولَمَا اختلف عما فرضه الله تعالى على المسلمين جميعاً، ولن تكون شكراً خاصاً لله تعالى على عطائه الكثير الذي هو الكوثر.

السؤال الخامس:

لماذا لم يقل: (وضحِّ) من الأضحية؟

الجواب:

الأضحية هي كل ما تصح به الأضحية الشرعية فلو ضحى بشاة لكفت والأضحية وقتها أربعة أيام: يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة، والله لم يرد أنْ يحصر الشكر له على عطائه الكثير بأيام محددة.

واختلف المفسرون في الصلاة، أهي صلاة العيد أم عامة الصلاة أو خاصة، والمعنى في الآية: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ تشمل كل هذه الحالات ففي العيد يكون النحر بعد الصلاة، ولكنّ الكثير من المفسرين قالوا: إنها عامة، ويدخل فيها صلاة العيد والأضحية.

السؤال السادس:

لماذا لم يقل: (فصل لربك وانحر لربك)؟

الجواب:

١ ـ المتعلق الأول ﴿لِرَبِّكَ﴾ كأنما يغني عن المتعلق الثاني وهو ما يسمى بظهور المراد.

٢ـ الصلاة أهم من النحر؛ لأنها لا تسقط بأي حال من الأحوال فجعل المتعلق بها هو أهم، والنحر لا يكون إلا مع الاستطاعة.

٣ـ الصلاة لا تكون إلا عبادة ولا تكون غير ذلك، أمّا النحر فقد يكون عبادة، وقد يكون للأكل فقط وليس بهدف العبادة؛ لذا النحر يختلف عن الصلاة.

٤ـ إذا كان النحر عبادة فلا يكون إلا مع الله تعالى، فلو قال: (وانحر لربك) لألزم أنْ يكون النحر فقط عبادة، ولما جاز لغير العبادة أبداً.



﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾

نزلت هذه الآية لما مات ابنا الرسول ﷺ فقالت قريش: بُتِرَ محمد. وإذا مات أبناء الشخص يقال له (أبتر).

السؤال الأول:

ما معنى الأبتر؟

الجواب:

الأبتر: لغة:

ـ كل أمر انقطع من الخير فهو أبتر.

ـ إذا مات أولاد الشخص الذكور أو ليس له أولاد ذكور أصلاً.

ـ الخاسر يقال له أبتر.

السؤال الثاني:

ماذا يفيد الضمير: ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾؟

الجواب:

الضمير ﴿هُوَ﴾ يفيد التخصيص، فأراد الله أنْ يخصص الشانيء بالأبتر ولم يقل: إنّ شانئك هو أبتر، بل قال: ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ بالضمير المنفصل وأل التعريف لحصر البتر بالشانىء تخصيصاً.

والشنآن هو البغض، فجعل الله تعالى مجرد بغض الرسول خسارة وهذه خاصة لرسول الله ﷺ.

فلم يقل: عدوك هو الأبتر؛ لأنّ مجرد الشنآن للرسول هو بغض وخسارة، ولو لم يعلن عداوته علناً.

السؤال الثالث:

لماذا قال: ﴿ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ ولم يقل: (المبتور)؟

الجواب:

الأبتر صفة مشبهة على وزن (أفعل)، وتفيد الثبوت مثل: الأحمر والأعرج والأصلع، بينما (المبتور) صيغة (مفعول) تدل على الحدوث مثل: مهموم ومسرور، ولا تدل على الثبوت، بل تتحول.

فاستخدام (الأبتر) وجب بكل معاني البتر مع استمرارية هذه الصفة ومع انقطاع ذريته حقيقة أو حكماً، ويقال إنّ شانىء الرسول انقطع نسله بتاتاً إمّا بانقطاع الذرية

أصلاً، أو بإسلام ذريته من بعده فلا يدعون لأبيهم الكافر أبداً فينقطع ذكره أيضاً، وورد أنّ شانىء الرسول عليه السلام هو أبو جهل الذي أسلم أبناؤه كلهم وآمنوا بالله ورسوله.

السؤال الرابع:

لماذا لم يقل: وجعلنا شانئك هو الأبتر، أو: سنجعل شانئك هو الأبتر؟

الجواب:

من ناحية المعنى ليس هناك أعظم من الله تعالى، والكوثر هو الخير الكثير، أمّا (الأبتر) فهو ليس جَعلاً، إنما صفته الأصلية. فهناك فرق بين جعل الإنسان بصفة معينة، وأنه كذلك بصفته الأصلية.

وشانئك من حيث البيان من أقوى الألفاظ.

والله قد أعطى في أول السورة الكثير من الخير، وفي المقابل جاءت كلمة الأبتر في آخرها، وهو الذي خسر كل شيء والذي انقطع أثره من كل خير مقابل الخير الكثير الذي أعطاه الله للرسول ﷺ.

فالرسول لم يخسر لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو ليس بالأبتر فالرسول يذكر اسمه في كل ثانية، وهذا خاص بسيدنا محمد ﷺ أمّا الشانىء فهو الأبتر في الدنيا والآخرة، وهو الخاسر مادياً ومعنوياً.

وللعلم: لمّا أمر الله تعالى رسوله بالنحر، مكّنه من مئةٍ من الإبل نحرها بعد نزول الآية شكراً له تعالى على نعمه الكثيرة. والله أعلم.

سورة الكافرون

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الكوثر ومفتتح سورة الكافرون :

أمره سبحانه في سورة الكوثر بالصلاة لربه فقال له: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾.

وأمره أنْ يقول في سورة الكافرون إنه لا يعبد ما يعبدون فهو يصلي لربه ويعبده ولا يعبد ما يعبدون. والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة أنّ الآيات نفت عن الرسول ﷺ عبادة الأصنام بالصيغتين الفعلية والاسمية؟

الجواب :

نفى الرسول ﷺ عبادة الأصنام عن نفسه بالصيغتين الفعلية والاسمية: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾ و ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ ﴾ وبالفعلين المضارع والماضي ﴿تَعْبُدُونَ﴾

و﴿عَبَدتُّمْ﴾ بينا نفى عن الكافرين العبادة الحقة بصيغةٍ واحدةٍ مرتين هي الصيغة الاسمية ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾ و معنى ذلك بيانياً:

١ ـ أنّ الرسول ﷺ نفى عبادة الأصنام عن نفسه في الحالتين الثابتة والمتجددة في جميع الأزمنة وهذا غاية الكمال؛ إذ لو اقتصر على الفعل لقيل: إنّ هذا أمر حادث قد يزول، ولو اقتصر على الاسم لقيل: صحيح أنّ هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناه أنه مستمر على هذا الوصف لا يفارقه فإنّ الوصف قد يفارق صاحبه أحياناً، فالحليم قد يغضب ويعاقب والجواد قد يأتيه وقت لا يجود فيه، ولئلا يُظن ذاك في الرسول ﷺ أعلن براءته من معبوداتهم بالصيغتين الفعلية والاسمية ليعلم براءته منها في كل حالة، ثم استغرق الزمن الماضي والحال والاستقبال باستعماله الفعل الماضي والمضارع.

٢ ـ في حين نفاه عن الكافرين بالصيغة الاسمية فقط، فإصراره أقوى من إصرارهم، وحاله أكمل من حالهم، والنفي عنه أدوم وأبقى من النفي عنهم.

٣ ـ لمّا خاطبهم بالصورة الاسمية ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ①﴾ نفى عنهم العبادة الحقة بالصورة الاسمية أيضاً فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾ فإنهم لمّا اتصفوا بكفرهم على وجه الثبات نفى عنهم عبادة الله على وجه الثبات وهو تناظر جميل.

السؤال الثاني :

هل يوجد تكرار في الآيات؟

الجواب :

نلاحظ أمرين بالنسبة للنفي عن عبادة ما يعبدون ونفيهم هم عن العبادة. هو عليه السلام نفى عن نفسه حالتين: الاسمية والفعلية، الفعلية ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ ثم نفى بالاسمية ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ (عابد) اسم فاعل. إذن نفى عنه عبادتهم بالاسمية والفعلية، وبالماضي ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ والمضارع ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾. إذن نفى عنه العبادة بالاسمية والفعلية الثابتة والمتجددة الماضية والمستقبلية؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث، إذن هو نفى العبادة عن نفسه في الحالة الثابتة والمتجددة الماضية والمستقبلية.

أمّا هم فنفي العبادة عنهم حالة واحدة ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾.

إذن هو أقوى في النفي؛ لأنه نفى كل الحالات الثابتة والمتجددة والماضية والمسقبلية، وهو أدلّ.

هم قالوا: ﴿عَابِدٞ﴾ اسمية، ولمّا وصفهم وصفهم بالاسمية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ نفى عنهم العبادة بالاسمية، ولمّا وصفهم بالاسمية قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فناسب بين الوصف والنفي.

ولمّا قال: ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ نفى العبادة فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ هذه صفتهم هم.

هو ذكر الحالة الثابتة والمتغيرة، ولا يكفي فقط نفي الحالة المتغيرة (لا أعبد ما تعبدون) إذن هذا ليس تكراراً؛ لأنّ مفهوم التكرار هو إعادة نفس الكلمة. والتكرار قد يكون

للتوكيد، والتكرار ليس دائماً سيئاً إلا إذا كان من لغو الكلام الذي لا يعد بليغاً. والقرآن له خصوصية في الاستعمال لا بدّ أنْ نقف عندها.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في آية البقرة٤١ : ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ والخطاب ليهود المدينة، وقد قال الله لأهل مكة قبلهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

الضمير ﴿بِهِۦ﴾ راجع إلى ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ لأنهم كانوا يعلمون من كتابهم صفة الرسول عليه السلام، وهم أول يهود خوطبوا بالإسلام وأول كافر به من أهل الكتاب.

السؤال الرابع :

لماذا حذف ياء المتكلم في آية الكافرون ٦ ولم يحذفها في آية الزمر١٤ مع أن فواصل الآيات في السورتين متشابهة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الزمر ١٤.

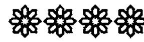


سورة النصر

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الكافرون ومفتتح سورة النصر :

جاء في (البحر المحيط): ((لمّا كان في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ موادعة جاء في هذه بما يدلّ على تخويفهم وتهديدهم وأنه آن مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملة الأصنام وإظهار دين الله تعالى)).

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ
اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

السؤال الأول :

ما التعريف بهذه السورة؟

الجواب :

سورة النصر تسمى سورة التوديع، وروي أنّ النبي عليه السلام عاش بعد نزولها سنتين. وكان عليه السلام يكثر في آخر حياته من التسبيح والاستغفار.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ ﴿إِذَا﴾ تأتي في القرآن مع المقطوع بحصوله ولو كان للمستقبل.

٢ـ الفعل ﴿جَآءَ﴾ يأتي مع العمل الشاق، بينما يأتي الفعل (أتى) مع العمل الأسهل، وهنا اختار (جاء)؛ لأنه قادم مع الحرب وشدائدها في فتح مكة.

٣ـ النصر: هو الإعانة على تحصيل المطلوب، والفتح: هو تحصيل المطلوب، فالنصر كالسبب للفتح؛ فلهذا بدأ به وعطف الفتح عليه.

٤ـ النصر لا يكون إلا من الله، فقوله: ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ معناه نصر لا يليق إلا بالله أو لا يليق إلا بحكمته.

٥ـ وصف النصر بالمجيء مجازاً وحقيقة؛ لأنّ:

أ ـ الأمور مربوطة بأوقاتها.

ب ـ كأنّ النصر كان كالمشتاق إلى الرسول عليه السلام.

٦ـ لا شك أنّ الصحابة من المهاجرين والأنصار أعانوا الرسول ﷺ على فتح مكة، فسمى الله نصرتهم لرسول الله ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ لأنّ فعلهم مسند إلى ما في قلوبهم من الإيمان، فالله عز وجل هو المؤثر الحقيقي؛ لأنه يملك الصحابة وأفعالهم.

٧ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ و(إذا) هنا للمستقبل فذكر ذاته باسم الله ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، وفي آية العنكبوت ١٠ يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ فذكر ذاته باسم الرب ﴿نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، فلماذا؟

والجواب:

استخدام لفظ (الله) في سورة النصر فيه معنى الهيبة والعظمة؛ لأنّ النصر القادم محقق ومؤكد، واستخدام لفظ (الرب) في سورة العنكبوت فيه معنى الرحمة والشفقة.

٨ـ الفتح: هو فتح مكة المكرمة.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ بأل التعريف إشارة إلى قوله تعالى في آية القصص ٨٥: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ وهي مكة، وفي هذا إخبار عن الغيب معجز.

١٠ـ قوله: ﴿وَرَأَيۡتَ﴾ معناه (أبصرت وعلمت).

١١ـ قوله: ﴿ٱلنَّاسَ﴾ هو للعموم.

١٢ ـ قوله: ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾ هو الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾.

١٣ ـ قوله: ﴿أَفۡوَاجٗا ٢﴾ جمع فوج، وهو الجماعة الكبيرة.

١٤ ـ أمر الله نبيه بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفارلنفسه ولأمته، وهذا يدلّ على فضل التسبيح والتحميد والحمد والاستغفار، وفي ترتيب هذه الأمور معانٍ، منها:

آ ـ التسبيح والحمد إشارة إلى التعظيم لأمر الله، والاستغفار إشارة إلى الشفقة على خلق الله، فالأول كالصلاة والثاني كالزكاة، وكما أنّ الصلاة مقدمة على الزكاة فكذا ههنا.

ب ـ التسبيح والحمد الصادر عن العبد إذا صار مقابلاً بجلال الله وعزته صار عين الذنب فوجب الاستغفار منه.

١٥ ـ الآية تدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يجب عليه الإعلان بالتسبيح والاستغفار؛ ليكون قدوة للأمة حتى يفعلوا عند النعمة والمحنة ما فعله الرسول عليه السلام من تجديد الشكر والحمد والاستغفار.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ فإنّ (كان) هنا تفيد الاستمرار والدوام.

والله أعلم.





سورة المسد

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة النصر ومفتتح سورة المسد :

لما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض من لم يدخل فيها وخسرانه)).

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما قصة هذه السورة؟ ومن شخصياتها؟ وما أهم الدروس فيها؟

الجواب :

كان من قصة هذه السورة أنّ النبي ﷺ صعد الجبل فنادى: يا صباحاه. فاجتمعت له قريش فقال: أرأيتم إنْ حدثتكم أنّ العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟

قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقام أبو لهب ينفض يديه وهو يقول: تباً لك في سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله هذه السورة.

أبو لهب:

هو عم النبي ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما لُقِّبَ بأبي لهب؛ لأنه كان وضيئاً مشرق الوجه أحمر البشرة، ولكنه كان كثير الأذية لرسول الله ﷺ وكان كثير البغضة والازدراء له.

ومن العجيب أنّ أبا لهب قدّم للإسلام كما قدّم خالد وعمرو! كيف؟ لأنّ الله جعله حجةً على صدق كلام الله، وعلى صدق رسول الله فيما بلّغ عن ربه؛ لأنّ القرآن حَكَمَ عليه وهو ما يزال في الدنيا مختاراً حراً قادراً على إعلان إيمانه ولو نفاقاً، ومع ذلك لم يجرؤ أنْ ينطق بكلمة التوحيد، ولو نطق بها لكان له أنْ يقول: إنّ القرآن كاذب وها أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وهكذا أقام الله تعالى من هذا الكافر المعاند دليلاً على صدق كلامه وصدق رسوله.

امرأتـــه:

هي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية (أخت أبي سفيان) وهي من سادات نساء قريش، وكانت عوناً لزوجها في كفره وعناده وجحوده وكانت تضع الشوك في طريق النبي ﷺ وتمشي بالنميمة والإفساد وتعير النبي بالفقر، وقد أجبرت ولديها عتبة وعتيبة أنْ يفسخا خطبتهما لبنتي النبي زينب ورقية اللتين خُطبتا لهما قبل بعثة النبي ﷺ.

وانظر إلى النبي ﷺ قبل الهجرة يدعو الناس وحده إلى الإسلام ليس معه إلا القليل من المستضعفين وهو ﷺ يفقد النصير أثر النصير، فقد فَقَدَ أمه وزوجه خديجة رضي الله عنها وعمه أبا طالب، وهو ماضٍ في دعوته يستعين بالله وحده.

أرأيت لو أنّ الأمر ليس متصلاً بالسماء، أكان محمدٌ يجرؤ أنْ يقول لأبي لهب وهو من سادات قريش: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾؟

كان يكفي أبا لهب - لو أنّ الأمر أمر بشري غير متصل بالسماء - أنْ يقف أمام جموع الناس ويعلن إسلامه، فهل سيصلى بعدئذ ناراً؟ بالطبع لا. وأين حينئذ صدق القرآن وصدق الرسالة؟ !

ولكنه الوحي !!!

وانتشرت هذه الآيات من مكة إلى أطراف الجزيرة ومضارب القبائل يتحدثون عن تباب أبي لهب وهلاكه، فهل تراه أغنى عنه ماله وجاهه وعناده؟ !!

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ التباب: هو الهلاك والخسران.

٢ـ قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أنه أخرج الأول مخرج الدعاء، والثاني مخرج الخبر.

٣ـ كناه: (أبا لهب) ولم يكن له ولد اسمه لهب، وإنما كان يُنادى أبا لهب كأنه اسم له لتلهب وجنتيه؛ والسبب في ذلك:

أ ـ اسمه عبد العزى، فعدل عنه إلى كنيته.

ب ـ لمّا كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته.

٤ـ الرسول عليه السلام لم يداهن عمه؛ لأنّ علاقة الإيمان فوق علاقة القربى. انظر إلى ابن نوح عليه السلام وإلى أهل الكهف وغيرهم.

٥ـ يروى أنّ أبا لهب كان يقول: إنْ كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا أفتدي نفسي بمالي وأولادي، فأنزل الله: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ أي لن يُغني ماله في دفع النار عنه.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت في غاية العداوة للرسول عليه السلام.

وقد وُصفت بـ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ قيل لأنه كان لأبي لهب امرأتان سواها، فأراد الله أنْ يبين أن المراد هذه لا غيرها.

٧ـ لم يذكر القرآن اسمها بل ذكر ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ لأنّ ذكر أسماء النساء غير مرغوب عند العرب، كما ذكر القرآن امرأة نوح وامرأة لوط بسبب كفرهما، وهنا ذكر امرأة كافرة زوجها كافر.

٨ـ قوله تعالى: ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ المسد هو الليف المفتول المجدول.

٩ـ فإنْ قيل: كيف يبقى هذا الحبل في النار بدون احتراق؟ فالجواب كما يبقى الجلد واللحم والعظم أبداً في النار. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة النار ومرادفاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ﴾ ما مرادفات هذه الكلمة؟

الجواب :

الكلمات هي: (تعس ـ نكس ـ سحق ـ تب ـ بعداً).

انظر التفاصيل في آية المؤمنون ٤١.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ ما دلالة الفعل (كسب) في المصطلح القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٧.

السؤال السادس :

لماذا نصبت كلمة: ﴿حَمَّالَةَ﴾ في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٧.

والله أعلم.

سورة الإخلاص

أولاً: التناسب بين خاتمة سورة المسد ومفتتح سورة الإخلاص:

قال سبحانه في سورة المسد في أبي لهب: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾، وهو يعم كل كافر.

وقال في سورة الإخلاص: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

أي: لا يغني عن الكافر ماله وما كسب، وإنما يكفيه الله الصمد، وهو المقصود في الحوائج، الذي لم يكن له كفوًا أحد.

والله أعلم.



ثانياً: من اللمسات البيانية في السورة:

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣
وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾

السؤال الأول:

ما التعريف المختصر بالسورة؟ وما أسماؤها؟

الجواب:

مقدمـــة:

قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ سورة قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وأُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أشرك بالله وآمن بالله)**.

وقال الرسول ﷺ لرجل أعلمه أنه يحب سورة الإخلاص: **(حبك إياها يدخلك الجنة)**.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: **(سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته)**.

وقد ورد أنها نزلت بسبب سؤال النصارى للرسول: صف لنا ربك أَمِنْ زبرجد أو ياقوت أو ذهب أو فضة؟ فقال الرسول ﷺ: (إنّ ربي ليس من شيء؛ لأنه خالق الأشياء فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

ولفظ العلمية ﴿ٱللَّهُ﴾ هو لإحضار المعنى في ذهن السامع أو المخاطب ابتداءً عن طريق اسم مختص به، وهو ﴿ٱللَّهُ﴾.

والسورة فيها إثبات صفات الكمال ونفي صفات النقص عن الله تعالى سبحانه.

أسماؤهـا:

كثرة الألقاب تدل على مزيد الفضيلة:

١ـ التفريد.

٢ـ التجريد.

٣ـ التوحيد.

٤ـ الإخلاص.

٥ـ سورة النجاة.

٦ـ سورة الولاية.

٧ـ سورة النسبة: إشارة إلى سؤال النصارى: (انسب لنا ربك).

٨ـ سورة المعرفة؛ لأنها تعرف العبد بربه.

٩ـ سورة المقشقشة: أي تقشقش النفاق والشرك وتنفيهما عن قلب قارئ سورة الإخلاص حق القراءة. والمقشقشتان هما سورتا الكافرون والإخلاص، والقش هو الجمع.

١٠ ـ سورة الصمد.

١١ـ سورة الأساس.

١٢ـ سورة المانعة لعذاب القبر.

١٣ـ سورة المحضر؛ لأنّ الملائكة تحضر لاستماعها.

١٤ـ البراءة من النار.

١٥ـ سورة النور للقلوب.

١٦ ـ سورة الأمان للعبد.

١٧ ـ سورة المذكّرة للعبد بالتوحيد الخالص.

السؤال الثاني :

ما دلالات قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ؟

الجواب :

١ ـ ﴿قُلْ﴾ هو أمر من عند الله لرسوله ليبلغه للناس، والرسول ببلاغه للناس يدل على أمانته في تبليغ أحكام الدعوة وأنّ الأحكام ليست من عنده بل هي من عند الله.

وفي هذا قتل للعجب بالنفس؛ لأنّ الأمر من عند الله تعالى وليس من عند نفسه.

٢ ـ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، والسر في تصدير السورة بضمير الشأن هو الدلالة على فخامة مضمونها، والضمير لا يفهم منه أول الأمر إلا شأن مبهم، فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه.

٣ ـ من ناحية الإعراب: يمكن أنْ يكون لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ خبراً لضمير الشأن (هو)، أو أنّ لفظ الجلالة مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبر، وجملة ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ خبر ضمير الشأن.

كما يمكن أنْ يكون ﴿أَحَدٌ﴾ خبراً ثانياً، أو بدلاً من لفظ الجلالة.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾ تعني أنه ليس مركباً، ولا مكوناً من أجزاء. وأمّا كلمة (واحد) فتعني: ليس له ثان، والكلمة من (الوحدة).

والله لا يمكن أنْ نصفه بأنه (كلٌّ) أو (كليٌّ)؛ لأنّ (كل) يقابلها (جزء) و(كلي) يقابلها (جزئي)، و(كل) هو أنْ يجتمع من أجزاء، والله متفرد بالوحدانية ومنزه عن كل شيء وله المثل الأعلى.

ولتقريب المعنى نعلم أنّ الكرسي (ككل) مكون من خشب ومسامير وغراء وطلاء، ولا يمكن أنْ نطلق على أي جزء أنه الكرسي.

والله سبحانه وتعالى لا هو (كلي)؛ لأنه واحد، ولا هو (كل)؛ لأنه أحد.

٥ـ الكلمة ومعناها:

أحد:

الفرد الذي لم يزل وحده وليس مركباً من أجزاء، فهو لا يتجزأ ولا ينقسم ولا يبنى عليه العدد ابتداء، فلا يقال أحدٌ واثنان. والأحدية لا تحتمل الجزئية والعددية بحال، فلا يقال مائة أحد، فالأحدية لتفرد الذات.

واحد:

أصل الأعداد، والواحدية معناها الانفراد. والواحدية هي لنفي المشاركة في الصفات.

٦ ـ تضمنت الآية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلاثة ألفاظ، وفي كل واحد منها إشارة إلى مقامٍ من مقامات الطالبين:

قوله: ﴿هُوَ﴾ فيه إشارة إلى مقام المقربين، وهو أعلى المقامات.

قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه إشارة إلى مقام أصحاب اليمين، وهو دون المقام الأول.

قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ فيه إشارة إلى أصحاب الشمال، وهو أخس المقامات وأدونها، وهم الذين يجوزون أنْ يكون واجب الوجود أكثر من واحد، وأنْ يكون الإله أكثر من واحد، فقرن لفظ الأحد بما تقدم رداً على هؤلاء، فقيل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

٧ ـ لفظة ﴿أَحَدٌ﴾ كلمة خاصة بمن يعقل ومن يصح خطابه على العموم، ولا تستعمل لغير العاقل وهمزة ﴿أَحَدٌ﴾ أصلية عند أكثر أهل اللغة، ومن معانيها: واحد.

بينما لفظة (واحد) تستعمل للعاقل ولغيره، فتقول: كتاب واحد ـ رجل واحد ـ بخلاف كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ فلا تقع إلا لأولي العلم والعقل والحياة.

و لذلك لم يستعمل هنا في الآية: (واحداً)، بل استعمل (أحداً) للدلالة على أنه حي عالم واحد.

واستعمالها هنا أنسب من كلمة (واحد)؛ ذلك أنّ بعدها: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ أي المقصود، ولا بد أنْ يكون المقصود عالماً بمن يقصده. ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وهذه من خواص الأحياء؛ ولذلك كانت كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ ههنا أنسب من كل وجه.

٨ ـ تقع كلمة: ﴿أَحَدٌ﴾ بعد النفي والشرط والاستفهام، وهي تقع على المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ استعملها للجمع.

ـ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝٤٧﴾ استعملها للجمع.

ـ ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ استعملها للمؤنث.

٩ ـ جاء في روح المعاني: لفظة ﴿أَحَدٌ﴾ في الإثبات يمكن أن تكون على ثلاثة أوجه:

أ ـ أنْ يضم إلى العشرات، فتقول: أحد عشر.

ب ـ أنْ يستعمل مضافاً أو مضافاً إليه كقوله تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾.

ج ـ أنْ يستعمل مطلقاً وصفاً، وليس هذا إلا في وصف الله تعالى، وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه أحد.

١٠ ـ استعمل القرآن كلمة (واحد) لله تعالى لما يقابل الاثنين والثلاثة وعموم التعدد، كما في آية المائدة ٧٣: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فكان استعمال كل لفظة في مكانها أنسب.

١١ ـ أنّ الواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل في الواحد؛ ذلك أنّ كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ يدخل فيها معنى الواحد، وتدل على أمور أخرى مع الوحدانية كالحياة والعلم، بينما الأحد فلا يدخل في الواحد، فكان استعمال ﴿أَحَدٌ﴾ أنسب ههنا.

١٢ ـ إنّ ﴿أَحَدٌ﴾ على وزن (فَعَل) صفة مشبهة، مثل: بطل وحسن. أمّا (واحد) فعلى وزن اسم الفاعل.

والصفة المشبهة أثبت من اسم الفاعل، فالواحد قد تزول وحدانيته إذا كان له نظير، فتقول: كنت واحداً فصرنا اثنين. أمّا (أَحد) فهي تدل على الثبات والدوام، ووحدانيته لا تتغير ولا تزول، فجاء بالصيغة الدالة على دوام الأحدية وعدم تغيرها، وهذا مناسب لقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾.

١٣ ـ كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ الواقعة في الإثبات خاصة بالله تعالى، وهي تفيد الوحدانية في الذات والصفات، فهو متفرد في ذاته ومتفرد في صفاته.

وبذلك يتضح أنّ كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ لها دلالتان: أنه واحد، وهي تفيد التوحيد، وأنه لا نظير له في صفاته، وهي تفيد التنزيه.

وجمع بين الاسم وضميره فقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ﴾ وهو مما يدلّ على التعظيم والتفخيم في كل أحوالها الإعرابية والتفسيرية.

١٤ ـ كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ أقدم من لفظة (واحد) في الاستعمال كما دلت الأبحاث على ذلك، فاستعملها القرآن للدلالة على أنّ الله قديم لم يلد ولم يولد وليس قبله شيء، فناسب بين قِدَمِ اللفظة والمقام.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؟

الجواب :

هي نعت للفظ الجلالة، ومن معانيها:

١ـ (فَعَلَ) بمعنى: مفعول، من صمد إليه إذا قصده، أي هو السيد المصمود إليه في الحوائج.

٢ـ السيد الذي ليس فوقه أحد، والذي ينتهي إليه السؤدد والذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم.

٣ـ هو الذي كمل في علمه وفي حكمته وفي سؤدده وفي عظمته، الكامل في جميع صفاته وأفعاله؛ ولذلك يقصده الخلق.

ولذلك لم يقل مثلاً: (الله المقصود) أو الملتجأ؛ لأن ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ له أكثر من معنى من معاني الكمال، وهو الصمد بكل هذه المعاني، فلو قال: (المقصود) لم يؤد هذه المعاني، فـ (المقصود أو الملتجأ) هو معنى من معاني الصمد.

٤ـ قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ يقتضي أنْ لا يكون في الوجود صمدٌ سوى الله، ونلاحظ أنه لم يقيد الصمدية بشيء، فلم يقل المصمود بكذا أو بكذا بل هو الصمد المقصود على الإطلاق من جميع العباد؛ ولذلك لم يقل:

(المصمود إليه)؛ لأنّ ذلك يحصل إذا صُمِد إليه مرة واحدة، بينما ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ صفة مطلقة، إضافة إلى أنّ التعبير (المصمود إليه) يحدد المعنى بشيء واحد.

٥ـ جاء ﴿أَحَدٌ﴾ منكراً و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ معرفاً؛ لأنه لمّا كانت الأحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق، والصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق جاء لفظ (أحد) على سبيل التنكير، ولفظ (الصمد) على سبيل التعريف.

وكلمة: ﴿أَحَدٌ﴾ هي إخبار للسائلين عن سؤالهم فيما يجهلون، فجاءت بالتنكير. وأما كلمة ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ فجاءت معرفة؛ لأنّ الجميع يعرفون ذلك والجميع يتوجهون إليه.

وجاء في روح المعاني: إنّ التعريف لإفادة الحصر، كقولك: زيد الرجل.

٦ـ كُرر لفظ الجلالة في قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ لأنه لو لم تكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ [أحد وصمد] أنْ يردا إمّا نكرتين أو معرفتين، وقد ذكرنا في

الفقرة السابقة أنّ ذلك غير جائز، فلا جرم أن كررت هذه اللفظة؛ حتى يُذكر لفظ أحد منكراً ولفظ الصمد معرفاً.

٧ـ لم يجمع بين الوصفين في آية واحدة، فلم يقل: (قل هو الله أحد الصمد)؛ وذلك لأهمية كل منهما في الاعتقاد، فجعل كلاً منهما مسألة مستقلة، فبدأ بإثبات الأحدية، ثم بالصمدية بعدها.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾؟

الجواب :

١ـ قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ولم يقل: (الذي لم يلد ولم يولد) ذلك أنّ الله تعالى أراد أنْ يخبرهم بذلك ويعلمهم ما جهلوه، ولو استعمل (الذي) لكان المعنى أنهم يعلمون ذلك، والحقيقة أنهم لا يعلمون ذاك بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾[النحل:٥٧] وكذلك قول اليهود بأنّ عزيراً ابن الله والنصارى بأنّ المسيح ابن الله.

٢ـ لِمَ قُدم قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ على قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾؟

والجواب أنّ مشركي مكة قالوا: (الملائكة بنات الله) ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ولم يدّعِ أحد أنّ له والداً فلهذا السبب بدأ بالأهم

فقال : ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ثم أشار إلى الحجة، فقال: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ كأنه قيل: الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا: أنه ما كان ولداً لغيره.

٣ـ لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ولم يقل: لن يلد؟

والجواب:

إنما اقتصر على ذلك؛ لأنه ورد جواباً عن قولهم: ولد الله، كما ذكر تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢﴾ [الصافات:١٥١-١٥٢] فلمّا كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم، وهم إنما قالوا ذلك في الماضي وردت الآية على وفق قولهم، وكذلك (لن يلد) تفيد الحاضر والمستقبل، ولكنها لا تنفي الماضي.

وإذا كان لم يلد في الماضي فهو لا يلد في المستقبل؛ وذلك لأنه صمد ليس بحاجة إلى غيره وإنما كل الخلق محتاجون إليه. والله ليس له نظير فلا تكون له صاحبة؛ ولذلك اسمه ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ ينفي الولد وينفي اتخاذ الولد.

٤ـ قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ أي: لم يخرج منه شيء؛ ولأنه لو كان ذلك لكان معدوماً قبل أن يولد، والإله لا يكون معدوماً.

فقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ينفي أنْ يكون والداً وأنْ يكون مولوداً كما أنّ قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ينفي أنْ يكون والداً وأنْ يكون مولوداً.

ولذلك فإنّ قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيه نفي للشبه والمجانسة. وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيه وصف بالقدم والأولية.

٥ـ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ وهنا قال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فلماذا؟

والجواب:

الولد يكون على وجهين:

أ ـ أنْ يتولد منه مثله، وهذا هو الولد الحقيقي.

ب ـ أنْ لا يكون متولداً منه، ولكنه يتخذه ولداً على غير الحقيقة تشريفاً له.

فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيه إشارة إلى نفي الولد في الحقيقة، وفي ذلك رد على النصارى في قولهم: عيسى ولد الله على الحقيقة.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إشارة إلى نفي القسم الثاني؛ ولذلك قال: ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[الإسراء:١١١].

٦ـ نفي كونه تعالى والداً ومولوداً المقصود من ذكرهما التنبيه على الدلالة العقلية القاطعة على انتفائهما.

فنفي كونه تعالى والداً مستفاد من العلم بأنه تعالى ليس بجسم ولا متبعض ولا منقسم.

ونفي كونه تعالى مولوداً مستفاد من العلم بأنه تعالى قديم.

والعلم بكل واحد من هذين الأصلين متقدم على العلم بالنبوة والقرآن.

وإذا كان كذلك فالأحدية والصمدية يوجبان نفي الولدية والمولودية.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾؟

الجواب :

١ـ الكفؤ هو النظير والمثل، فنفى أنْ يكون له نظير أو مِثل. و المعنى العام: لم يكافئه أحد، ولم يماثله أحد، ولم يشاكله أحد.

٢ـ كان الأصل أنْ يقول: (ولم يكن أحد كفواً له)، ولكنه قدّم ﴿لَهُۥ﴾ لأهميته؛ لأنّ المقصود نفي المكافأة عن ذاته عز وجل، ولأنّ الكلام إنما هو عليه، فقدّم ما عليه مدار الكلام وهو الله، والضمير إنما يعود عليه.

ثم قدّم الكفو؛ لأنّ المراد نفيه، وأخّر ﴿أَحَدٌۢ﴾ فكان ترتيب الكلام على ما يقتضيه المعنى، ولو قال: (ولم يكن أحد كفواً له) لكانت الأهمية تنصب على ﴿أَحَدٌۢ﴾.

ولمّا كان الكلام عن ﴿ٱللَّهُ﴾ ونفي النظير عنه، قدّم الضمير على الكفو كما قدّم الضمير في بداية السورة على العَلَم، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾

٣ـ قدّم خبر كان ﴿كُفُوًا﴾ على اسمها ﴿أَحَدٌۢ﴾ للاهتمام أيضاً وللفاصلة كذلك.

٤ـ الكفء: هو المثل والعديل. و﴿كُفُوًا﴾ تقرأ بضم الكاف والفاء أو بضم الكاف وسكون الفاء، والأصل هو الضم، وقُرأت (كفؤاً) بالهمز والتخفيف.

٥ـ كلمة ﴿كُفُوًا﴾ هي إبدال عن (كفء)، وهذه الصورة التعبيرية لا نظير لها في العربية كما هو معلوم؛ إذ لا يكون في الأسماء المعربة في العربية اسم في آخره واو لازمة قبلها ضمة.

وإذا حصل ذلك قلبت الواو ياء قبلها كسرة كالتسامي والتداعي، فجاء هنا بكلمة لا نظير لها في العربية لمن ليس له نظير، فكان التناسب بين المفردة والمعنى.

٦ـ جاء بكلمة ﴿أَحَدٌ﴾ في بداية السورة في الإثبات، وهو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لما ليس له نظير في صفات الإثبات، وهو وصف خاص بالله تعالى.

وجاء بها أيضاً في صفات النفي، فقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ فنفى عنه النظير على وجه العموم، أي جاء بها نفياً وإثباتاً.

٧ـ إنّ الاحتمالات التعبيرية في نحو هذه الآية على النحو التالي:

ـ لم يكن أحد كفواً له.

ـ لم يكن أحد له كفواً.

ـ لم يكن كفواً أحد له.

ـ لم يكن كفواً له أحد.

ـ لم يكن له أحد كفواً.

ـ لم يكن له كفواً أحد.

ومن دراسة هذه التعابير من ناحية التقديم والتأخير وموضوع جهة الاهتمام يتبين أنّ التعبير الأخيرهو الأولى والأحسن في هذا المقام.

٨ـ في السورة فوائد منها:

أ ـ أول السورة يدلّ على أنه سبحانه واحد، والصمد على أنه كريم محسن رحيم، وإلا لا يُصمد.

وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ يدل على أنه غني على الإطلاق ومنزه عن التغيرات، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ إشارة إلى نفي ما لا يجوز عليه من الصفات.

ب ـ نفى الله عن ذاته أنواع الكثرة بقوله ﴿أَحَدٌ﴾ ونفي النقص والمغلوبية بلفظ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، ونفى المعلولية والعلية بلم يلد ولم يولد ونفى الأنداد بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

ج ـ قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ يبطل قول مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة والنصارى بالتثليث والصابئين في الأفلاك والنجوم.

د ـ هذه السورة في حق الله مثل سورة الكوثر في حق الرسول عليه السلام. لكنّ الطعن في حق الرسول كان بسبب قولهم: إنه أبتر لا ولد له. وههنا الطعن بسبب أنهم أثبتوا لله ولداً؛ وذلك لأنّ عدم الولد في حق الإنسان عيب، ووجود الولد في حق الله عيب؛ فلهذا السبب قال ههنا: ﴿قُلْ﴾ حتى تكون ذابّاً عني. وفي سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾أي أنا أقول هذا الكلام ذاباً عنك. والله أعلم.

السؤال السادس :

ما الفرق بين أحد و واحد؟

الجواب :

أصل العدد هو الواحد، والواحد يدل على وحدة الفرد ولا يدلّ على وحدانيته. فإذا قلنا: الله واحد فإنّ ذلك يعني أنه ليس كمثله أحد، ولكنه لا يعني أنه ليس مكوناً من أجزاء.

فالواحد: أي الفرد الذي لا يوجد له نظير. والواحدية تمنع أنْ يوجد فرد مثله.

والأحد: أي ليس له أجزاء، والأحدية تمنع أنْ يكون في ذاته مكوناً من أجزاء؛ لأنه سبحانه لو كوّن من أجزاء لصار كل جزء محتاجاً في وجوده إلى الجزء الآخر؛ لذلك فالله تعالى لا هو كلي ولا هو جزئي.

وأنت لست واحداً ولست أحداً؛ لأنك مكون من أجزاء، والشمس في مجموعتنا واحدة، ولكنها ليست أحداً؛ لأنها مكونة من أجزاء.

والله سبحانه وتعالى واحد ليس كمثله شيء، وأحد ليس مكوناً من أجزاء. ولذلك من أسمائه الحسنى (الواحد الأحد) ولا نقول إنَّ الاسم مكرر فهذه تعني الفردية، وهذه تنفي التجزئة .

السؤال السابع :

هل من لطائف عددية في لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في السور ذات أكثر من (١١٤) آية؟

الجواب :

انظر إلى الجدول التالي:

م	السورة	ترتيبها	عدد آياتها	عدد لفظ (الله) في السورة	رقم آخر آية بها لفظ الله	
١	البقرة	٢	٢٨٦	٢٨٢	٢٨٦	متجانسة
٢	آل عمران	٣	٢٠٠	٢٠٩	٢٠٠	
٣	النساء	٤	١٧٦	٢٢٩	١٧٦	متجانسة
٤	المائدة	٥	١٢٠	١٤٧	١٢٠	
٥	الأنعام	٦	١٦٥	٨٧	١٦٤	
٦	الأعراف	٧	٢٠٦	٦١	٢٠٠	
٧	التوبة	٩	١٢٩	١٦٩	١٢٩	متجانسة
٨	هود	١١	١٢٣	٣٨	١٢٣	متجانسة
٩	النحل	١٦	١٢٨	٨٤	١٢٨	متجانسة
١٠	طه	٢٠	١٣٥	٦	١١٤	
١١	المؤمنون	٢٣	١١٨	١٣	١١٧	
١٢	الشعراء	٢٦	٢٢٧	١٣	٢٢٧	
١٣	الصافات	٣٧	١٨٢	١٥	١٨٢	
المجموع		١٦٩	٢١٩٥	١٣٥٣	٢١٦٦	

الملاحظات:

١ـ عدد السور ١٣ سورة وفي وسطها سورة التوبة تكرر فيها لفظ الجلالة (١٦٩) مرة، ويساوي ١٣×١٣= ١٦٩، ويساوي مجموع ترتيب السور المذكورة أعلاه.

٢ـ مجموع أرقام آخر عمود هو (٢١٦٦)، ويساوي (١٩×١١٤) والعدد ١١٤ هو عدد سور القرآن الكريم.

٣ـ مجموع أرقام العمودين الرابع والخامس هو [٢١٩٥+١٣٥٣=٣٥٤٨]، ويساوي جمّل أسماء السور المذكورة في الجدول أعلاه.

٤ـ مجموع أرقام السور المتجانسة (ترتيب و آيات) هو ٤٢+٨٤٢=٨٨٤، وهو ترتيب كلمة (النحل) في سورة النحل ابتداء من أول السورة.

والله أعلم.



سورة الفلق

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الإخلاص ومفتتح المعوذتين :

لمّا ذكر في سورة الإخلاص أنه الصمد، ناسب ذلك الاستعاذة به من كل شر ومخوف.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾

السؤال الأول :

المطلوب مقارنة بين المعوذتين.

الجواب :

١ـ المعوذتان هما سورتان في القرآن الكريم جمعتا الاستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج أو من نفسه من الداخل.

والجدول التالي يبين بعض التفاصيل من أجل المقارنة بين السورتين:

سورة الفلق	سورة الناس
الاستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج، ولا يمكن للإنسان دفعها إلا بالصبر	الاستعاذة من الشرورالداخلية النابعة من نفس الإنسان والتي تقع على الإنسان نفسه أو على غيره.
إذا صبر ينال الأجر من الله	إذا وقع فيها الإنسان يأثم
الشر فيها مما لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه؛ لأنه ليس من كسبه	الشر فيها ما يدخل تحت التكليف ويحاسب عليه؛ لأنه يدخل ضمن ما نهي عنه
مضمونها الاستعاذة بالله من شرور المصائب	مضمونها الاستعاذة بالله من شرورالمعايب
استعاذة بشيء واحد من شرور متعددة	المستعاذ منه شر واحد والمستعاذ به جاءت بالرب والملك والإله

٢ـ رتب المستعاذ منه في السورة بحسب الكثرة والقلة وبحسب العموم والخصوص، فبدأ بما هو أعم وأشمل ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وهذا يشمل كل المخلوقات، ثم أتبعه ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وهو الليل، وهذا دون الأول في الكثرة وأخص منه، ثم أتبعه بما هو أقل منه، وهو ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهو أقل من الليل، ثم أتبعه بما هو أخص وهو ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والنفاثات في العقد أكثر وعملهن

أعم، فقد جمعهن وعرفهن بأل الاستغراقية، بينما أفرد الحاسد ونكّره وقيده بوقت الحسد.

٣ـ نكّر ﴿غَاسِقٍ﴾ و ﴿حَاسِدٍ﴾ وعرّف ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ وذلك لأنّ كل نفاثة شريرة، وليس كل غاسق يكون فيه الشر، ولا كل حاسد يكون منه الضرر وإنما يكون في بعضٍ دون بعضٍ.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾

أعوذ: أي ألوذ وألتجىء وأعتصم.

وقد أمر ربنا سيدنا محمداً أن يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾، وقد تقول: ولماذا لم يقل: أعوذ، بدون لفظة ﴿قُلْ﴾؟

والجواب: أنّ كلمة ﴿قُلْ﴾ هي من باب الإفصاح والإعلان عن حاجة الإنسان إلى ربه والالتجاء إليه فينطقها بلسانه.

وفيها قتل للغرور والكبر، حيث إنهما أحياناً يمنعان المرء من طلب الإعانة وهو في حاجة شديدة إليها؛ ولأنّ الذي يطلب المعونة من غيره يمتنع عن الغرور؛ لذا لا يكتفي الإنسان بالشعور بالحاجة إلى ربه، بل ينبغي أنْ يعلن حاجته لربه، سواء أكان الرسول أو غيره من الناس.

وفي هذا الإعلان قتل بل علاج للكبر والغرور في نفس الإنسان، لذلك لا بدّ من قولها باللسان ولا يجوز النطق بالاستعاذة دون الأمر ﴿قُلۡ﴾ وهذا القول من أسباب الطاعة له سبحانه، وإذا صَاحَبَ الاستعاذة شعور بالنفس بالحاجة إلى غياث المستغيثين ليأوي إلى ركن شديد، فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه يلين القلوب القاسية.

ولذلك فإنّ الإفصاح عن الاستعاذة مسنونة تفصح عن الالتجاء إلى الله والاعتصام به، وهي نظير الإفصاح بالذكر والتسبيح والتحميد، ولا يكفي شعور القلب، بل لا بدّ من مواطأة اللسان للقلب، وذلك أعلى الذكر.

وعلّمنا نبينا عليه السلام أنْ نستعيذ بربنا من عموم ما نخاف ونحذر، فقد كان يقول: **(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)** و **(أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)**، وكان يعوّذ الأطفال: **(بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة وكل عين لامة)**.

﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾:

الرب:

هو المربي والمرشد والسيد والقيم والمعلم والحافظ لمن هو في رعايته. واختيار لفظ: (رب) مناسب من جهتين:

أ ـ من جهة المستعيذ به، فإنه مربيه والقائم على حفظه ورعايته.

ب ـ والاستعاذة بـ (رب) المخلوقات من شرورها أنسب من اختيار أي اسم آخر؛ ولذلك كثر لفظ (الرب) مع الاستعاذة، كما في الآيات:

[المؤمنون ٩٧ـ٩٨ـ الدخان ٢٠ـ غافر ٢٧].

﴿ٱلْفَلَقِ ۝١﴾

هو الفجر وقيل هوالصبح وقيل هو الخلق كله، والأصل في المعنى هو الشق، وفي التنزيل: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰٓ﴾، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ وفي الحديث: **(أنّ النبي عليه السلام كان يرى الرؤيا فتأتي مثل فلق الصبح)**.

وأمّا تخصيص الفلق بالذكر فله أسباب ودواعٍ، منها:

١ـ الفلق وهو الصبح مشعر بتبدد ظلمة الليل وزوال همومه.

٢ـ طلوع الصبح مثال لمجيء الفرج، والصبح كالبشرى للنمهموم في الليل.

٣ـ أنه أنموذج من يوم القيامة؛ لأنّ الخلق كالأموات والدور كالقبور.

٤ـ اختار لفظة ﴿ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ بدلا من الصبح؛ لأنّ لفظة الفلق مشعرة بالحركة والتغيير؛ ولأنّ معناه انشقاق ضوء الصبح عن ظلمة الليل بخلاف كلمة (الصبح) فإنها لا تفيد ذلك، وإنما تفيد تعيين الوقت.

ولفظة: ﴿ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أعم من لفظ (الصبح) ولها أكثر من معنى ويمكن أن تكون كلها مرادة، فاختيار لفظ ﴿ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أولى.

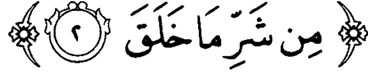
السؤال الثالث :

أكّد بـ ﴿إِنَّ﴾ في آيات [غافر٢٧ـ والدخان٢٠ـ وهود ٤٧ـ ومريم١٨ـ وآل عمران ٣٦] ولم يؤكد بإنّ في[البقرة ٦٧ـ والمؤمنون٩٧] والمعوذتين فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٦٧ .





السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى العام: من شر مخلوقاته جميعاً، فيدخل فيه كل شر أياً كان مصدره، فاستغرق جميع الشرور.

٢ـ لم يقل: (من شر من خلق)؛ وذلك ليتناول كل شر سواء صدر عن العقلاء أم عن غيرهم. ولو قال: (من) لكان ذلك خاصاً بشر العقلاء فقط.

و (ما) تستعمل لذات ما لا يعقل ولصفات العقلاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ لذلك يدخل في (ما) العاقل وغيره.

والعقلاء يدخلون في ذلك من باب التغليب. جاء في تفسير الرازي: [وإنما جاز إدخال الجن والإنس تحت لفظة (ما)؛ لأنّ الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلاء حسُن استعمال لفظة (ما) فيه؛ لأن العبرة بالأغلب].

٣ـ ولم يقل: (من شر الذي خلق)؛ لأنّ (ما) أعم من (الذي) فـ (ما) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، بينما (الذي) تستعمل للمفرد المذكر فقط.

ولم يقل: (من شر التي خلق)؛ لأنّ (التي) للمفردة المؤنثة، وقد تستعمل لجمع غير العاقل كقولك: هذه الكتب التي اشتريتها. ولا تستعمل لجمع العاقل فتنحصر الاستعاذة إمّا بشر واحدة مما خلق أو شر مجموعة من غير العقلاء، ولا يشمل ذلك الشر الصادر عن العقلاء، فكانت (ما) أولى.

٤ـ ولم يستعمل (اللاتي) أو (الذين) بدل (ما)؛ لأنّ (اللاتي) مختصة بجماعة الإناث أو جماعة ما لا يعقل من الذكور، ولا يشمل عقلاء الذكور.

وكذلك (الذين) فهي مختصة بجماعة الذكور العقلاء، ولا يدخل فيه الإناث ولا غير العاقل.

فكانت (ما) أولى من غيرها.

والله أعلم.



﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الغسق: أشهر معانيه: الليل والظلمة، ومن معانيه القمر والامتلاء وقيل الحية إذا لدغت.

وأمّا معنى ﴿وَقَبَ﴾ أي دخل. ويصبح المعنى العام: من شر الليل إذا اعتكر ظلامه، والوقب نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

جاء في روح المعاني أنّ إضافة الشر إلى الليل لملابسته وتنكيره لعموم شمول الشر بكل أجزائه وأنواعه.

وورد في الحديث أنّ النبي عليه السلام نظر إلى القمر لما طلع فقال لعائشة رضي الله عنها: (**ياعائشة استعيذي بالله تعالى من شر هذا الغاسق إذا وقب**).

٢ـ لم يقل: (من شر الليل إذا وقب)؛ والسبب - والله أعلم-:

أـ الغاسق: فيه عموم، ولا يخص الليل وحده.

ب ـ الغاسق من معانيه: الامتلاء، تقول: غَسَقَتْ العين إذا امتلأت. واختيار الغسق مع الوقت أنسب، فكأنّ الليل يملأ الدنيا بانصباب ظلامه فيها، وهذا يناسب أيضاً معنى الوقب بالنقرة، فالليل يملأ الدنيا كما يملأ الماء النقرة.

ج ـ لّما كان من أشهر معاني (الفلق): الصبح، ومن أشهر معاني (الغسق) الليل، ناسبت الاستعاذة برب الفلق قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي أنه يستعيذ برب النور من الظلمة، وبرب الصبح من شرور الليل.

٣ـ الآية تتضمن عقيدة التوحيد وتفيد أنّ الله تعالى إله النور والظلمة وهو رب النور ورب الظلمة يزيلها ويزيل شرورها، فهو إله واحد على كل شيء قدير.

والله أعلم.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ النفاثات: هي النساء، أو النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة، أو السواحر يعقدن عقداً وينفثن فيها للتأثير على نفوس الآخرين.

والاستعاذة من شرهن هو ما يصيب الله تعالى به من الشر عند فعلهن ذلك.

٢ـ النفاثات: صفة للنفوس، وتعريفها: إمّا للعهد، أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن فيه.

وجاء بالصفة ولم يأت بالموصوف، فلم يقل: (النساء النفاثات) أو النفوس لإرادة العموم وعدم تقييد ذلك بقيد سواء صدر عن النساء أو غيرهن.

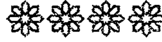
٣ـ جاء بجمع الإناث ولم يأت بجمع الذكور (النفاثين)؛ وذلك لإرادة العموم، فإنّ النفاثات تشمل الإناث وتشمل الأرواح والنفوس والجماعات اللاتي تفعل هذا الفعل.

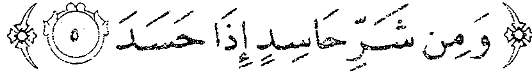
وهي تعم نفوس الذكور والإناث وغيرهم، ولو قال: (النفاثين) لم يشمل إلا الذكور ولم يعم شرور غيرهم.

٤ـ ولم يقل: (النافثات) على صيغة اسم الفاعل، كما في ﴿حَاسِدٍ﴾ والسبب أنه لمّا جمع العقدة فقال: ﴿ٱلْعُقَدِ﴾ وهي جمع كثرة جاء بصيغة المبالغة لتناسب الكثرة.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ و ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فإذا أفرد الغيب جاء باسم الفاعل فقال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ وإذا جمع الغيب جاء بصيغة المبالغة فقال: ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ وذلك لتناسب المبالغة في العلم كثرة الغيوب.

والله أعلم.





﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قيّد الحاسد بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ ولم يقل: (ومن شر حاسد) فقط ذلك أنّ شر الحاسد إنما يكون عند حسده، أمّا إذا لم يحسد فلا ضرر منه. وقد يكون إنساناً متصفاً بالحسد، ولكنه لا يحسد في كل وقت.

٢ـ ولم يقل: (من شر حسود) بدل (حاسد)؛ لأنّ كلمة (حاسد) أعم فإنها تشمل الحسود والحاسد أي غير المبالغ والمبالغ، لأنّ الحسود إذا حسد كان حاسداً في حينه، كالكذاب إذا كذب كان كاذباً في وقت كذبه وليس دائماً، وقد يصدق الكذوب.

فلو قال: (ومن شر حسود إذا حسد) كان ذلك لا يشمل الحاسد غير المبالغ، بينما قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يعمهما جميعاً.

٣ـ كرّر في السورة ﴿مِن شَرِّ﴾ في كل معطوف؛ وذلك للدلالة على أنّ كلاً من المذكورين تنبغي الاستعاذة منه على وجه الاستقلال لعظم شره بخلاف ما لو قال: (من شر ما خلق وغاسق والنفاثات)، فإنّ هذا التعبير يحتمل الاستعاذة من شرها إذا اجتمعت لا إذا انفرد كل واحد منها.

٤ـ وقد يحتمل المعنى إذا قال: (من شر ما خلق وغاسق والنفاثات) أنْ يُفهم أنّ الاستعاذة من الليل نفسه لا من شره، ومن النفاثات أنفسهن لا من شرورهن، قياساً على الغاسق والحاسد، مع أنّ المقصود والمراد هو الاستعاذة من شرور هؤلاء لا منهم أنفسهم.

٥ـ وذكر ﴿مِن﴾ في كل استعاذة أدل على استقلال كل صنف بالاستعاذة وآكد، فإنّ التكرار يفيد التوكيد.

٦ـ لم يكرر لفظ ﴿أَعُوذُ﴾ مع كل مستعاذ مع أنّ تكرارها يفيد التوكيد كما في آية المؤمنون ٩٧ـ٩٨ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾؛ وذلك لأنّ الاستعاذة فيها أقوى منها في سورة الفلق.

انظر آيات المؤمنون ٩٦ـ٩٨.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال ﴿إِذَا﴾ في الآية؟

الجواب :

وردت ﴿إِذَا﴾ في القرآن حوالي (٤٠٠) مرة. والأصل في (إذا) أنِ تكون للمقطوع بحصوله وللكثير الوقوع، بينما تستعمل (إنْ) للمشكوك في حصوله وقليل الوقوع والنادر والمستحيل.

السؤال الثالث :

ما كلمات منظومة قوة الشر الخفية في النفس؟

الجواب :

هذه منظومة قوة الشر الخفية في النفس والطاقة الكامنة في الإنسان والتي تدفعه إلى الشر.

الحسد:

من الفعل ﴿حَسَدَ﴾ وهو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك السعي في إزالتها.

والحسد يكون عن حقد شديد وغليان في النفس يحاول إيذاء المحسود.

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

النفث:

هو قذف الريق القليل وهو أقل من التفل، والنفث هو عملية تركيز كما في علم اليوغا، وكما في التخاطب عن بعد. فكأنّ النفث هو بداية توجيه التأثير إلى صاحبه (الريموت).

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.

العين:

العين لغة تتكلم إنْ كنت حزيناً أو راضياً أو غاضباً أو مداعباً أو محتجاً. وقد تأتي العين من أقرب الناس إليك، ولها أثرها حتى أنها قد تؤذي أو تهلك.

وفي الحديث: **(العين حق)**.

السحر:

هو مجموعة أشياء تفعلها تفرق بها بين الناس أو تؤذيهم أو تُنسّيهم، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[البقرة:١٠٢].

والإنسان مليء بالطاقات الهائلة في الخير والشر، وواجبنا أنْ نتجه إلى الخير، ونوجه طاقاتنا إلى الخير، ونبتعد عن الشر.

ومن وسائل استجلاب الطاقة الهائلة:

١ـ الصمت. وفي الحديث: **(إذا رأيتم الرجل يُطيل الصمت فهو يُلقن الحكمة)**.

٢ـ الخلوة والابتعاد عن كثرة الاختلاط مع الناس.

٣ـ التأمل.

٤ـ طاعة الله.

٥ـ التدريب العقلي لإبراز طاقات الإنسان. والله أعلم.

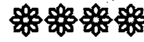


سورة الناس

أولاً : التناسب بين خاتمة سورة الإخلاص ومفتتح المعوذتين :

لما ذكر في سورة الإخلاص أنه الصمد، ناسب ذلك الاستعاذة به من كل شر وخوف.

والله أعلم.



ثانياً : من اللمسات البيانية في السورة :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾

السؤال الأول :

المطلوب مقارنة بين المعوذتين.

الجواب :

انظر الجواب في أول سورة الفلق.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾

﴿قُلْ﴾: أمر الله رسوله ﷺ بأنْ يقول: ﴿قُلْ﴾ ولو حذف الفعل لاختل المعنى المقصود.

وكلمة ﴿قُلْ﴾ هي من باب الإفصاح والإعلان عن حاجة الإنسان إلى ربه والالتجاء إليه فينطقها بلسانه.

وفيها قتل للغرور والكبر؛ حيث إنهما أحياناً يمنعان المرء من طلب الإعانة وهو في حاجة شديدة إليها؛ ولأنّ الذي يطلب المعونة من غيره يمتنع عن الغرور؛ لذا لا يكتفي الإنسان بالشعوربالحاجة إلى ربه بل ينبغي أن يعلن حاجته لربه سواء أكان الرسول أو غيره من الناس.

وفي هذا الإعلان قتل بل علاج للكبر والغرور في نفس الإنسان، لذلك لا بد من قولها باللسان ولا يجوز النطق بالاستعاذة دون الأمر ﴿قُلْ﴾ وهذا القول من أسباب الطاعة له سبحانه، وإذا صاحب الاستعاذة شعور بالنفس بالحاجة إلى غياث المستغيثين ليأوي إلى ركن شديد فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه يلين القلوب القاسية .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾

١ـ استعاذ بثلاث صفات من صفات الله تعالى، وهي الرب والملك والإله من شر واحد، وهو ﴿شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ في حين استعاذ بصفة واحدة وهي الرب في سورة الفلق من شرور متعددة مجملة ومفصلة؛ ذلك أنّ هذا الشر أخطر على الفرد والمجتمع من تلك الشرور، فإنّ شر الوسواس يعود على الفرد ويعود على الآخرين كذلك.

٢ـ وجاء الترتيب على الشكل التالي: (﴿بِرَبِّ﴾ ـ ﴿مَلِكِ﴾ ـ ﴿إِلَـٰهِ﴾) لأنّ الإنسان إذا وقع في حاجة يستعين أولا بخبرته وعلمه أو بمن له خبرة وتجربة ليرشده وليشير عليه بما يفعل، وهذا هو شأن الرب، أي المربي فهو المرشد والمعلم والموجه؛ ولذا بدأت الآيات بـ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فإذا لم ينجح فيما يريد لجأ إلى السلطة وصاحبها أي الملك ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ فإن لم تُجدِ السلطة نفعا التجأ إلى الله تعالى: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ فالترتيب في الآيات هو على سياق حاجة الإنسان للتعامل في الحياة، وهو واضح في مراحل حياة الإنسان ومعاشهم، فالأجنّة هي البداية ثم إلى المربي عندما يكون صغيراً، فإذا كبر احتاج إلى المجتمع وما ينظم علاقته به، ثم يأتي سن التكليف حيث يحاسبه الإله.

والمجتمعات عموماً هي بين الربوبية والملك، فكل مجتمع يحتاج صغاره إلى المربي ثم إلى السلطة، أمّا الألوهية فتتأخر وقد تخفى على بعض الناس وتحيطها الشكوك والأوهام والإلحاد فتحتاج إلى تذكير.

٣ـ فالآيات تدرجت من الكثرة إلى القلة. فالرب بمعنى المرشد الموجه فقد يكون هناك العديد من المرشدين والمربين في المجتمع، لكن لكل دولة ملك واحد، والدنيا فيها ملوك كثر ولكن الإله واحد أحد، فانتقل السياق من الكثرة إلى القلة.

٤ـ وقد وردت كلمة: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضافاً إليه ثلاث مرات في السورة وكل منها يعني مجموعة من الناس مختلفة عن غيرها:

رب الناس: هو مرشد مجموعة من الناس قد تكون قليلة أو كثيرة. وهذا إعلان للربوبية لكل الخلق، فهو الرب الذي أوجد وأعطى الصفات لكل مخلوق.

ملك الناس: ناسه أكبر من ناس المربي، أي أنه يملك كل الخلق وجعل لهم الاختيار في أشياء ومنع عنهم الاختيار في أشياء، ولم يقل سبحانه: (مليك الناس)؛ لأنّ هذا القول يعني أنهم مجبورون على الإيمان ولا يسعهم غير هذا.

إله الناس: إله كل الناس فناسه الأكثر حتماً، أي هو الإله المعبود بحق وهو الذي يقيك من شر الوسواس الخناس.

٥- ولذلك لو جاءت الآيات مثلا (برب الناس وملكهم وإلههم) لعاد المعنى كله إلى المجموعة الأولى (ناس الرب) دون أنْ يشمل غيرهم ولما تحدد أي مجموعة من الناس، لذلك لا يغني الضمير هنا بل لا بدّ من تكرار المضاف إليه بشكل صريح؛ لأنّ كل معنى مختلف.

٦- فالتدرج في الصفات بدأ من الكثرة إلى القلة، أمّا في المضاف إليه ﴿ٱلنَّاسِ﴾ فبالعكس تدرج من القلة إلى الكثرة.

٧- كذلك لم تأت الآيات بواو العطف فيما بينها، ولا يجوز أصلاً أنْ يقول: (برب الناس وملك الناس وإله الناس)، وإنما جاءت ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ حتى لا يظن أنّ المقصود أكثر من واحد بل هو واحد سبحانه، فمن أراد الرب يقصد رب الناس، ومن أراد الملك يقصد ملك الناس، ومن أراد الإله يقصد إله الناس فلا إله إلا هو.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الإنسان والبشر والناس والخلق والورى وبني آدم؟

الجواب :

١ ـ الإنسان: مشتقة من الأُنس خلاف النفور، أو من آنس أي أبصر أي يُرى، خلاف الجن، أو آنس منه رشداً، وقيل: من النسيان، وهذا بعيد.

٢ ـ البشر: من البشرة و ظاهر الجلد أي جلده ظاهر، بخلاف مخلوقات أخرى عليها وبر أو صوف.

٣ ـ بنو آدم: أي أولاد آدم عليه السلام.

٤ ـ الناس: قد يكون من الإنس أو من الجن، وجمع إنسان هو: أناسي وناس، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أي كل مجموعة. وأصل كلمة الناس ﴿أُنَاسٍ﴾ فلمّا سكنت الهمزة أدغمت اللام، كما قيل (لكنّا) وأصلها (لكن أنا).

والناس يقع على الأحياء والأموات والورى، الأحياء منهم دون الأموات.

٥ـ الخلق: مصدر سمي به المخلوقات.

الاستعمال القرآني لهذه المصطلحات:

١ـ البشر: يستعملها القرآن عند ذكر التساوي وعدم المفاضلة بينهم والناس متساوون في البشرية مختلفون في الإنسانية.

٢ـ الإنسان: عند التنبيه على أصله ونهايته ومصيره وموقفه من منهج الله.

* شواهد قرآنية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾[الانفطار:٦].

﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾[مريم:٦٦].

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾[الإنسان:١].

٣ـ بنو آدم: عندما يذكّرنا الله بما وقع لأبينا آدم عليه السلام مع إبليس فنتعظ من ذلك، وكذلك في مقام التكريم.

* شواهد قرآنية:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[الأعراف:٢٧].

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾[الأعراف:٢٦].

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[الأعراف:٣١].

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأعراف:٣٥].



﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

جاءت الآية بالاستعاذة من الشر: ﴿ مِن شَرِّ ﴾ ولم يذكر كلمة الشر مع الشيطان، فقد قال في آية أخرى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ لأنّ الوسواس المذكور في السورة على قسمين: من الجنة أو من الناس. والجِنة فيهم صالحون وفيهم قاسطون كما قال تعالى في سورة الجن؛ لذا لا يصح الاستعاذة من الجِنة عموماً، وكذلك الناس فنحن نستعيذ من الظالمين والأشرار وليس من كل الناس؛ ولذا جاءت الآية بتحديد الاستعاذة من الشر ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ وأمّا الشيطان فشر كله؛ لذلك جاءت الآية بالاستعاذة منه.

الوسواس:

وسواس على صيغة (فعلال) نحو زلزال، وهي صيغة تفيد التكرار والمبالغة ،لأنه لا ينفك عن الوسوسة ويسمى في اللغة تكرار المقطع، مثل: (حصحص) بتكرار المقطع (حص)

وقد جاء التعبير بكلمة الوسواس وليس الموسوس؛ لأنّ (الموسوس) لا تفيد المبالغة؛ ولأنها تقال للشخص الذي تعتريه الوسوسة دون أن تفيد المبالغة.

كما جاءت الاستعاذة بـ ﴿شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ وليس شر الوسوسة فقط للدلالة على أنّ الاستعاذة إنما تكون من كل شرور الوسواس، سواء كانت وسوسة أو لم تكن.

الخناس:

صفة مبالغة من (الخنوس)، وتدل على أنّ الخنوس صار نوعاً من الحرفة يداوم عليها، والمرء في الحياة عندما يكون له عدو فإنه يحرص على أنْ يعرف أساليب عدوه حتى يمكنه التغلب عليه، وقد أخبرنا الله عن عدونا بأنّ أقصى ما يستطيع الإنسان فعله هو أنْ يُخْنِسَ وسوسته؛ لأنّ الشيطان باقٍ إلى يوم الدين، ولا يمكننا قتله أو فعل أي شيء به، وإنما نستعيذ بالله فيخنس الشيطان، فإنْ غفلنا أو نسينا فسوف نقع في الوسوسة كما جاء في الحديث: (**الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إنْ ذكر الله خنس وإنْ نسي وسوس**).



﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

ذُكر في الآية مكان الوسوسة وهو الصدور ولم ترد (القلوب)؛ لأنّ الصدور أوسع وهي كالمداخل للقلب، فمنها تدخل الواردات إلى القلب والشيطان يملأ الصدر بالوسوسة ومنه تدخل إلى القلب دون أنْ تترك خلفها ممراً نظيفاً يمكن أنْ تدخله نفحات الإيمان، بل يملأ الساحة بالوسوسة قدر استطاعته مغلقا الطريق إلى القلب.

ولم يقل مثلاً: (يوسوس في قلوب الناس) فتكون الوسوسة في القلب ويبقى الصدر نظيفاً؛ لأنّ الوسواس يريد تعطيل سبل النور إلى القلب والصدر هو ساحة القلب وبيته، ومن القلب تخرج الأوامر إلى الصدر، ثم تتفرق إلى الجنود. ومن فَهِم هذا فَهِم قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾.



﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

الوسواس قسمان: من الجِنة ومن الناس. والناس هم المعتدى عليهم ولذا جاء: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل: (رب الجن)، والناس لمّا وقع الأذى عليهم استعاذوا أو أُمروا أن يستعيذوا بربهم ليخلصهم من شر الوسواس.

والجِنة هم الأصل في الوسوسة، وقدّم الجِنة على الناس؛ لأنهم هم الأصل في الوسوسة والناس تبع، وهم المعتدون على الناس، ووسوسة الإنسي قد تكون من وسوسة الجني.

وفي استعمال القرآن الكريم (الجن مقابل الإنس) وهما الأصلان و(الجِنة مقابل الناس)، و(الجان مقابل الإنسان).

وقد وردت آية في القرآن في سورة الأنعام تقدِّم شياطين الإنس على الجن؛ وذلك لأنّ السياق كان في كفرة الإنس الذين يشاركون الجن الوسوسة؛ فلذا تقدم ذكرهم على الجن. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأنعام:١١٢].

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الوسوسة والنزغ؟

الجواب :

١ـ النزغ: هو الإغواء بالوسوسة، وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل أصله للإزعاج بالحركة إلى الشر، ويُقال هذه نزغة شيطانية للخصلة الداعية إلى الشر.

والنزغ هو الإفساد بين الأصدقاء وبين الإخوان وبين الناس، وهو خاص كما في آية يوسف ١٠٠ حيث حاول إخوته أن يقتلوه.

٢ـ الوسوسة: عامة، الشيطان يزين للمرء أمراً لفعل المعصية. وأصل الوسوسة الصوت الخفي، وأحياناً يكون مسموعاً، كما وسوس الشيطان لآدم باللسان، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه:١٢٠] فسماها القرآن وسوسة. وقوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ أي حلف لهما بالله.

وكلمة الوسوسة فيها هدوء وخفية، وفيها تكرار مقطع (وس) فهي مرتبطة بكلام سيء.

٣ـ أصل الوسوسة: الصوت الخفي وكل صوت لا يُفهم لخفائه يُقال له وسوسة، وكذلك ما وقع في النفس خَفيّاً.

وسمى الله تعالى الموسوس وسواساً بالمصدر في قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾

السؤال الثالث :

ما دلالة كلمتي الجن والإنس في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

ورد في القرآن استعمال ألفاظ الجن والجِنة والجان، وورد مقابل ذلك الإنس والناس والإنسان، وفيما يلي توضيح لاستعمال هذه الألفاظ في القرآن الكريم:

الجن مقابل الإنس:

وهما الأصلان لهذين الجنسين.

***شواهد قرآنية:**

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾...

الجنة مقابل الناس:

الجِنة: هي مجموعة من الجن أو أفراد منهم.

الناس: هم مجموعة قليلة أو كثيرة من الإنس أو أفراد منهم، وقد يُطلق الناس على الجميع.

*** شواهد قرآنية:**

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

الجان مقابل الإنسان:

الجان: يُطلق على الواحد منهم أو الجمع أو الجنس (هذا جان) للواحد و(هؤلاء جان) للجمع.

الإنسان: يُطلق على الواحد منهم أو الجنس، ولا يُطلق على الجمع.

ملحوظة:

قد يستعمل القرآن (الجان) مقابل (الإنس) وذلك في أحد معنييه وهو الجنس أو الجمع، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾.

*** شواهد قرآنية:**

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

الجني والإنسي:

الجني: هو الواحد من الجن، وقد يُستعمل للمنسوب إلى الجن، فتقول: هذه صنعة جنية.

الإنسي: هو الواحد من الإنس، وقد يُستعمل للمنسوب إلى الإنس، فتقول: هذه صنعة إنسية وليست صنعة جنية.

الإنس والناس:

الناس مجموعة من الإنس؛ ولذا لا يصلح أحياناً وضع أحدهما مكان الآخر. فقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ لا يصح أنْ يُقال مكانه (كما آمن الإنس).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ لا يصح أنْ يُقال: (الذين قال لهم الإنس إنّ الإنس قد جمعوا لكم).

والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.



جدول بأهم الفقرات النحوية وأماكن وجودها
علماً بأنها قد تكررت في أكثر من مكان

مسلسل	بيان الفقرة النحوية	اسم السورة	رقم الآية
١	تصريف الأفعال مع واو الجماعة	البقرة	١٤
٢	تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة	البقرة	٣١
٣	معاني فعل الأمر	البقرة	٦٥
٤	الفعل (كاد)	البقرة	٧١
٥	أحرف الجواب	البقرة	٨١
٦	أداة الشرط (ما)	البقرة	١١٠
٧	الفرق بين ثُم وثَم	البقرة	١١٥
٨	من معاني النداء (رب، ربنا)	البقرة	١٢٦
٩	إضمار القول	البقرة	١٢٧
١٠	أنواع وأقسام العطف	البقرة	٩٨ـ١٣٣
١١	معاني أحرف العطف	البقرة	١٣٦
١٢	الحرف (قد) في القرآن	البقرة	١٤٤
١٣	إعراب (لئلا)	البقرة	١٥٠
١٤	الفرق في الاستعمال القرآني بين (إذا)و (إنْ)	البقرة	١٨٠
١٥	الاستعمال القرآني لفعل الشرط	البقرة	١٩١
١٦	الحرف (حتى)	البقرة	٢١٤
١٧	الفعل (عسى)	البقرة	٢١٦
١٨	عطف البيان والبدل	البقرة	٢١٧
١٩	الفرق في الاستعمال القرآني بين (ذلك) و (ذلكم)	البقرة	٢٣٢
٢٠	الفرق بين (لا) النافية للجنس و(ما)	البقرة	٢٥١
٢١	جمع القلة وجمع الكثرة	البقرة	٢٦١

٢٢	(ما) بعد (إذا) في القرآن	البقرة	٢٨٢
٢٣	الاستفهام بالهمزة	آل عمران	١٥
٢٤	كلمة (اللهم)	آل عمران	٢٦
٢٥	ضمير الفصل	آل عمران	٦٢
٢٦	الأفعال الناقصة	آل عمران	٧٩
٢٧	أفعال الرجاء والمقاربة والشروع	آل عمران	٧٩
٢٨	اسم التفضيل	آل عمران	١٣٩
٢٩	كأين	آل عمران	١٤٦
٣٠	الفرق بين ظن وحسب	آل عمران	١٥٤
٣١	اسم الإشارة وأغراضه	آل عمران	١٧٥
٣٢	التوكيد وأغراضه	آل عمران	١٨٨
٣٣	استعمال (من) و (ما) من ناحية المعنى	النساء	٣
٣٤	اسم الموصول وأغراضه	النساء	٥
٣٥	استعمال السين وسوف في القرآن	النساء	١٠
٣٦	حرف العطف (ثم)	النساء	١٧
٣٧	أدوات الاستفهام	النساء	٢١
٣٨	المعرفة	النساء	٢٨
٣٩	حروف الجر	النساء	٣٤
٤٠	القطع في اللغة	النساء	١٦٢
٤١	إني إنني إنا إننا	المائدة	٢٤
٤٢	أنواع الأفعال حسب درجة ثباتها	المائدة	٧١
٤٣	ضمير الشأن	الأنعام	٢١
٤٤	الفاء الفصيحة	الأنعام	١٥٣
٤٥	فتح ياء المتكلم وسكونها	الأنعام	١٦٢
٤٦	جواب هل وجواب الاستفهام	الأعراف	٤٤
٤٧	واو الاهتمام (واو الثمانية)	التوبة	١١٢
٤٨	استعمال الجمع للقلة والمفرد للكثرة	التوبة	٣٦
٤٩	إذ	التوبة	٤٠
٥٠	تعدد الأخبار	التوبة	١١٢

٥١	صيغ المبالغة	يونس	٢٢
٥٢	إنْ المخففة	يونس	٢٩
٥٣	مواضع تأنيث الفعل مع الفاعل	يونس	٣٦
٥٤	الفرق في الاستفهام بين متى؟ و من؟	يونس	٤٨
٥٥	أحرف الجواب	يونس	٥٣
٥٦	أينما و حيثما	النساء	٧٨
٥٧	الالتفات في اللغة	يونس	٨٧
٥٨	الحرف (لعلّ)	هود	١٢
٥٩	الصفة المشبهة	هود	١٢
٦٠	أدوات الشرط ومعاني (لو)	هود	٨٠
٦١	الظروف المقطوعة	يوسف	٨٠
٦٢	ما فتئ وأخواتها	يوسف	٨٥
٦٣	الفرق بين هل والهمزة	الرعد	٥
٦٤	أقسام البدل	إبراهيم	٢
٦٥	صيغ المبالغة	إبراهيم	٥
٦٦	الظرف (حين)	إبراهيم	٢٥
٦٧	أوجه العطف على اسم لا النافية للجنس	إبراهيم	٣١
٦٨	الاشتغال	الحجر	١٩
٦٩	المتعاطفان	الحجر	٨٧
٧٠	اسم المصدر (سبحان)	الحجر	٩٨
٧١	إنْ النافية	الإسراء	٤٤
٧٢	استخدام الفاعل بمعنى اسم المفعول وبالعكس	الإسراء	٤٥
٧٣	التنازع في اللغة	الإسراء	١٠٥
٧٤	حذف النون أو تثبيتها مع الفعل	مريم	٢٠
٧٥	أدوات النفي	مريم	٢٠
٧٦	كسر همزة(إنّ) وفتحها	التوبة	٣٠
٧٧	فتح ياء المتكلم	طه	١٨
٧٨	حرفا التعليل كي و اللام	طه	٣٣
٧٩	القسم	الأنبياء	٥٧

٨٠	الفرق بين (هذا) و (ذلك)	الفرقان	٤١
٨١	الفرق بين (أين) و (أي)	القصص	٧٤
٨٢	الفرق بين جمع السالم وجمع التكسير	لقمان	٢٧
٨٣	متى تزاد (لا) بين المتعاطفين	فاطر	١٩-٢٢
٨٤	النكرة وأغراضها	يس	٢٠
٨٥	أوزان الفعل الثلاثي	ص	٥
٨٦	الفرق بين (عند) و (من)	فصلت	٥٠
٨٧	كاف التشبيه و (مثل)	الشورى	١١
٨٨	الفرق بين (ما) و (الذي)	الشورى	١٣
٨٩	كلمة (كل)	ق	١٤
٩٠	معاني (أمْ)	الطور	٣٠
٩١	حذف المفعول به	النجم	٤٣ - ٤٤
٩٢	لا أقسم	الواقعة	٧٥
٩٣	اللائي واللاتي	المجادلة	٢
٩٤	صيغ منتهى الجموع	الممتحنة	١٠
٩٥	تذكير وتأنيث جمع التكسير	الممتحنة	١٢
٩٦	استعمال (الواو) و (أو)	المنافقون	٩
٩٧	دخول (إنْ) النافية على الجمل الاسمية والفعلية	المدثر	٢٤ - ٢٥
٩٨	تقديم الاسم على فعل الشرط	الانفطار	١
٩٩	الاستثناء بـــ (إلا)	الانشقاق	٢٥
١٠٠	الظرف (ابداً)	البينة	٨

جدول بأسماء أهم المنظومات لبعض الكلمات القرآنية وأخواتها ومواقعها وكلماتها علماً بأنّ بعضها قد تكرر فى أكثر من مكان

مسلسل	اسم المنظومة	اسم السورة	رقم الآية	كلمات المنظومة
١	الصراط والطريق	الفاتحة	٧	إمام - صراط - طريق - سبيل - نهج - فج - جادة - نفق
٢	التيه	البقرة	١٠٨	تاه - ضاع - فقد - ضلّ - الضلال البعيد - الضلال عن سواء السبيل - الضلال المبين
٣	الأبناء والأحفاد	البقرة	١٣٦	البنون - أحفاد - الأسباط - الذرية - النسل - السلالة
٤	رفع الحرج أو المسئولية	البقرة	١٥٨	لا تثريب - لا جناح - لا ضير - ليس عليك هداهم - لا تك في ضيق - اللوم - لا جرم - حرج
٥	الجنح وارتكاب الذنوب	البقرة	١٨٢	جنح - زاغ - - جنف - حنف - راغ - عدل - زلّ - ألحد
٦	أنواع اللباس	البقرة	١٨٧	الثوب - اللباس - الجلباب - كساء - خمار - سربال - ريش - سابغ - غطاء - دثار - مزمل - إزار - فراش
٧	الحديقة	البقرة	٢٠٥	الحديقة - البستان - الجنة - الحرث - الحقل - الروضة
٨	الجهاد	البقرة	٢١٦	الحرب - القتال - البأس - الزحف - الغزو - النفير - البغي - الجهاد
٩	الحد والطرف	البقرة	٢٢٩	الطرف - الحرف - الرجا - الحافة
١٠	الترك	البقرة	٢٧٨	الترك - دع - ذر - تولى - أعرض
١١	الزمن	آل عمران	٣٠	الزمن - الأبد - الأمد - السرمد - الدهر - الوقت - الحقبة - القرن - الأمة - العمر - الحين
١٢	الحب القلبي	آل عمران	٣١	الشهوة - الهوى - الحب - الشغف - الغرام - الهيام - الود - الشوق - العشق
١٣	الحديث بالفم الإنساني	آل عمران	٤٦	الصوت - اللفظ - النطق - الكلام - الحديث - القول - المتشابه - المثاني
١٤	الحرف والجرف	آل عمران	١٠٣	الجنب - الشفا - ساحل - شاطئ - الجرف

	والشفا			
١٥	الإمساك والسيطرة	آل عمران	١٠٣	الحبل – الوثاق – السلسلة – الطوق – الصفد – القفل – الغل
١٦	المسارعة والتسابق	آل عمران	١١٤	عبر – جاوز – قطع – سبق – سارع
١٧	المداولة	آل عمران	١٤٠	دار – دال – حفّ – حصر – حاق – طاف
١٨	السفيه والطاغوت	النساء	٥	الجبت – الطاغوت – الرذل – الزنيم – السفيه
١٩	الحبس	النساء	١٥	الإمساك – الإثبات – التوقيف – الحبس – السجن – الحجر – الرباط
٢٠	العبور	النساء	٤٣	عبر – جاوز – قطع – سبق – سارع
٢١	ارتكاب الذنوب	النساء	٥٠	اجترح – اقترف – احتمل – كسب واكتسب – افترى – عمل – فعل – جنف.
٢٢	المبالغة في الإكرام	النساء	٦٩	حفي – البر – اللطيف
٢٣	الجري والمشي السريع	النساء	٧١	جرى – مرّ – ركض – سبح – نفر – انطلق – أفاض – زحف – اثاقل
٢٤	الحصون و الصياصي	النساء	٧٨	الصياصي – الحصن – الملجأ _ الوزر – البروج المشيدة – الركن الشديد – الملاذ
٢٥	التتابع	النساء	٩٢	متتابع ـ تترا
٢٦	الإعلان العلني	النساء	١٤٨	جهر – أعلن – أظهر – أفاض – أذّن – اصدع
٢٧	المنع من الوصول	المائدة	١٢	الحجاب _ الغطاء _ الغشاء _الخمار_ النقاب _ الستار
٢٨	الحف والحصر	المائدة	٥٢	الحف – الحصر – حاق – طاف – دار – دال
٢٩	الخبر والنبأ	الأنعام	٦٧	النبأ – الخبر – الحديث – القصص
٣٠	الثني والقلب	الأنعام	١١٠	ثنى – عطف – عوج – قلب – لوى – طوى
٣١	الرؤساء والملوك	الأنعام	١٢٣	الكبير – العظيم – السيد – الجليل – صاحب الجلالة – الوجيه
٣٢	الحب من الجانب العقلاني	الأنعام	١٦٤	أحب – أشاء – أريد – أبغى – أبتغي
٣٣	الحواجز	الأعراف	٤٦	الجدار – الحائط – السور – الباب – السد – الردم – البرزخ – الحاجز – الحجاب
٣٤	السرعة	الأعراف	٥٤	حثّ – حضّ – أسرع – عجلّ – هرع – جمح
٣٥	القعود(جثا وقعد)	الأعراف	٧٨	جثا – جثم – جلس – قعد – اتكأ – استند – استوى
٣٦	الأمر قد وقع وثبت	الأعراف	١٠٥	لا جرم – حق – حاق – حقيق – وجب – لزم
٣٧	التوبة والاستغفار	الأعراف	١٥٠	استغفر – تاب – أناب ـ آب – أفاء – انتهى – أسف

	والرجوع			
٣٨	الجر والجذب	الأعراف	١٥٠	جرّ – سحب – سحل – سفع – نتق – سيق
٣٩	ألطاف الله على عباده	الأنفال	٢٦	آزر ـ بعث ـ أيدّ ـ مدّ ـ نصر ـ أعان ـ مكّن ـ ثبت
٤٠	أعمال النار يوم القيامة	التوبة	٣٥	اللفح – اللوح – الكي – الشي – الصلاء – النزع – الحرق – الكلح – الصهر – السجر
٤١	الجوع	التوبة	١٢٠	الجوع – خصاصة – مخمصة – المسبغة
٤٢	الظلم والاستعلاء والتكبر	يونس	٧٥	جبار – متكبر – المتعالي – المجرم – عتل – العاني – طاغية
٤٣	المنظومة القضائية	يونس	٩٣	قضى – حكم – فصل – أفتى
٤٤	القلع والاجتثاث	هود	٤٤	أجتث – قلع – قطع – نزع – صرم
٤٥	الإنكار	هود	٥٩	الجحود – الكنود – الكفران – الخداع
٤٦	الحساب	هود	١٠٤	حسب – عدّ – أحصى
٤٧	النبأ والقصص	يوسف	٣	النبأ ـ الخبر ـ الحديث ـ القصص
٤٨	التأويل والتفسير	يوسف	٣٦	التأويل ـ التفسير ـ الاجتهاد
٤٩	العام والسنة	يوسف	٤٩	العام ـ السنة ـ الحول ـ الحجة
٥٠	الحزن والضيق	يوسف	٨٦	الحزن – الضيق – الحسرة – الأسف – الابتئاس – الغم – الهم – النكد – الأسى – الكرب
٥١	العفو والغفران والصفح	يوسف	٩٢	التوبة – المغفرة – العفو – الصفح – تكفير الذنوب – الحط والوضع – التجاوز والتبديل
٥٢	اللاشيء و اللا قيمة	الرعد	١٧	حرض ـ بور – زبد – غثاء – هباء – الهشيم – سراب – سدى – خاوية
٥٣	الخوف والخشية	الرعد	٢١	الخوف ـ الخشية ـ الرهبة ـ الهلع ـ الوجل
٥٤	الوقود	إبراهيم	٥٠	الوقود – الحطب – الحصب – القطران
٥٥	الجمال	الإسراء	١١٠	الجمال – الحسن – زينة – الوسيم – الجميل – النضارة
٥٦	التحري والإحاطة والتحقق	الكهف	٦٤	التحري – الاستخبار – التبين – التحقيق – التحسس – القص – التوسم – التنقيب
٥٧	الإحباط للأعمال الأخروية	الكهف	١٠٥	الفساد – الإحباط ـ البطلان
٥٨	الصوم	مريم	٢٦	صام – أمسك – طوى – وصل – حصر
٥٩	وصف جهنم من	مريم	٥٩	ويل – صعود – غي – جب الحزن – هوى – آثام – المهل –

	الداخل			غساق- الزقوم – غوطة
٦٠	النار	طه	١٠	الشعلة – اللهب- شهاب- قبس- شرر- شواظ- الجمر- جذوة
٦١	العقل والنهى	طه	٥٤	العقل – الحجر- النهى – اللب- التفكر- – التذكر- الفقه
٦٢	التحصيل الزراعي	الأنبياء	١٥	جنى – حصد – خضد – قطف
٦٣	الفعل (جعل)	الروم	٢١	أبدع – خلق – سوّى – عدل – صنع – أنشأ – خلق – عمل – فعل – صوّر – برأ
٦٤	أسلوب غير المؤمنين في التعامل مع المال	الفجر	٢٠	الجم – اللم – الشديد – التكاثر
٦٥	قوة الشر الخفية في النفس	الفلق	٥	الحسد – النفث – العين – السحر

مراجع الكتاب

١ - «أسئلة بيانية في القرآن الكريم» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

٢ـ «أسئلة القرآن الكريم وأجوبتها من غرائب آي التنزيل» لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

٣- «إعجاز الرقم ١٩ في القرآن الكريم» لبسام نهاد جرار.

٤ - «التعبير القرآني» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

٥ـ «التفسير الكبير» لفخر الدين الرازي.

٦- «التفسير البياني للقرآن الكريم» للدكتورة عائشة عبد الرحمن - الجزءان الأول والثاني.

٧- «التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

٨- «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري.

٩- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي.

١٠- «النكت والعيون» تفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري.

١١ - «الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز» لأبي عبد الله الدامغاني.

١٢- «بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح» في علوم البلاغة للأستاذ عبد المتعال الصعيدي.

١٣- «بلاغة الكلمة في التعبير القرآني» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

١٤- «تفسير الشعراوي» مطابع دار أخبار اليوم.

١٥- «تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» لبرهان الدين بن عمر البقاعي.

١٦- «حق التلاوة» لحسني شيخ عثمان.

١٧- «خواطر قرآنية» لعمرو خالد.

١٨- «روح المعاني» في تفسير القرآن الكريم لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي.

١٩- «شواهد في الإعجاز القرآني» للدكتور عودة أبو عودة.

٢٠- «على طريق التفسير البياني» للدكتور فاضل صالح السامرائي - الجزءان الأول والثاني.

٢١- «كشف المعاني في المتشابه من المثاني» لبدر الدين بن جماعة.

٢٢- «لسان العرب» لابن منظور المصري.

٢٣- «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

٢٤- «معاني الأبنية في العربية» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

٢٥- «معاني النحو» للدكتور فاضل صالح السامرائي.

٢٦- من حلقات البرنامج التلفزيوني (الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم) للدكتور أحمد الكبيسي.

٢٧- من حلقات البرنامج التلفزيوني (لمسات بيانية) للدكتور حسام النعيمي.

٢٨- من حلقات البرنامج التلفزيوني (لمسات بيانية) للدكتور فاضل السامرائ.

فهرس المحتويات

جدول الفهرس العام للسورالقرآنية

مسلسل	اسم السورة	رقم المجلد	رقم الصفحة
١	الفاتحة	١ ١	١١ (الاستعاذة) ١٦ (الفاتحة)
٢	البقرة	١	٨٤ (لغاية الآية ١٧٦)
٣	تتمة البقرة آل عمران	٢ ٢	٣ (ابتداء من الآية ١٧٧) ٣٦٠ (لغاية الآية ٣٢)
٤	تتمة آل عمران سورة النساء	٣ ٣	٣ ٣٣٩ (لغاية الآية ٨٥)
٥	تتمة سورة النساء سورة المائدة	٤ ٤	٣ ١١٥
٦	سورة الانعام	٤	٣٣٠
٧	الأعراف	٥	٣
٨	الأنفال	٥	٢٦١
٩	التوبة	٥	٣٣١
١٠	يونس	٦	٣
١١	هود	٦	١١٢
١٢	يوسف	٦	٢٧١
١٣	الرعد	٦	٤٣١
١٤	إبراهيم	٧	٣
١٥	الحجر	٧	٧٠
١٦	النحل	٧	١٥٦
١٧	الإسراء	٧	٢٨٤

١٨	الكهف	٧	٤٣١
١٩	مريم	٨	٣
٢٠	طه	٨	١٠٣
٢١	الأنبياء	٨	٢٢٢
٢٢	الحج	٨	٣٠١
٢٣	المؤمنون	٨	٣٨٠
٢٤	النور	٨	٤٧١
٢٥	الفرقان	٩	٣
٢٦	الشعراء	٩	٧٢
٢٧	النمل	٩	١٣٠
٢٨	القصص	٩	٢٢٨
٢٩	العنكبوت	٩	٢٩٤
٣٠	الروم	٩	٣٥٩
٣١	لقمان	١٠	٣
٣٢	السجدة	١٠	١٦٢
٣٣	الأحزاب	١٠	١٩٧
٣٤	سبا	١٠	٢٨٤
٣٥	فاطر	١٠	٣٣٦
٣٦	يـــس	١٠	٣٩٢
٣٧	الصافات	١١	٣
٣٨	ص	١١	٦٤
٣٩	الزمر	١١	١١٨
٤٠	غافر	١١	٢١٦
٤١	فصلت	١١	٢٧٥
٤٢	الشورى	١١	٣١٢
٤٣	الزخرف	١١	٣٦٢

٤٤	الدخان	١١	٤٠٢
٤٥	الجاثية	١١	٤١٨
٤٦	الأحقاف	١١	٤٣٨
٤٧	محمد	١١	٤٧١
٤٨	الفتح	١١	٥١٦
٤٩	الحجرات	١٢	٣
٥٠	ق	١٢	٢٠
٥١	الذاريات	١٢	٥٩
٥٢	الطور	١٢	٩٢
٥٣	النجم	١٢	١١٣
٥٤	القمر	١٢	١٥٢
٥٥	الرحمن	١٢	١٩٦
٥٦	الواقعة	١٢	٢٣٥
٥٧	الحديد	١٢	٢٩١
٥٨	المجادلة	١٢	٤٠٦
٥٩	الحشر	١٢	٤٢٩
٦٠	الممتحنة	١٢	٤٥٧
٦١	الصف	١٢	٤٨٥
٦٢	الجمعة	١٢	٥١٩
٦٣	المنافقون	١٢	٥٣٩
٦٤	التغابن	١٣	٣
٦٥	الطلاق	١٣	١٩
٦٦	التحريم	١٣	٤٤
٦٧	الملك	١٣	٦٤
٦٨	القلم	١٣	٩٢
٦٩	الحاقة	١٣	١١٧
٧٠	المعارج	١٣	١٣٨